

خَطُّ الْمُقْرِئِ

كتاب
التحرير



« كانت مصر هي مسقط رأسي ، ولعب أترابي ، وجمع ناسي ، ونفسي عشيري وهاستي ،
وسوطن خاصتي وهاستي ، وهويي الذي رب جناحي في ذكره ، وعش مألبي ، فلو
تهوى الأنفس غير ذكره ، لازلت منذوتة العام ، وآتاني رب القطانة والفهم ، أغيب في
سفرة أفيارها ، وأحب لإشراف على الاغتراف من آبارها ، وألهمي مساولة الكيان عن مكان ديارها »
تقي الدين أحمد بن علي المقرئ

المقريزي

صاحب كتاب الخطط

بقلم الدكتور محمد مصطفى زيادة —

دل البحث المقارن في عصور التاريخ — وهو ميدان بكر لاستجلاء الاسس العامة في الحضارة الانسانية — على ان القرن الخامس عشر الميلادي ، اى القرن التاسع الهجرى تقريبا ، اهم العصور التاريخية عند الاطلاق ، بسبب ما بدا فيه من عناصر توجيهية واحداث مؤذنة بتغير احوال الدول ، والجماعات والافراد ، بالقرب والشرق سواء .

وكفى دليلا هنا ، على صحة هذا الفرض التاريخي ، ان الاوربيين مضوا جاهدين ان يصلوا مباشرة الى الهند وتجارها طول هذا القرن ، حتى اذا وصل البرتغاليون منهم الى الشواطئ الهندية ، صار مصير الشرق كله في كفة المقادير العاجلة .

ولم يقف الامر عند هذا الحد البعيد ، بل عثر الاوربيون — حوالى ذلك الوقت — على ارض اخرى حسيوها الناحية الغربية من الهند ، وسماها اهلها الهنود الحمر ، ثم استقروا على تسمية تلك الارض وسكانها امريكا والامريكيين ، وولوا وجوعهم شطرها وشر الهند الحقيقية في عنف لا هوادة فيه ونهم شديد ، مما يرجع كله في الاصل الى القرن الخامس عشر الميلادي وحوادثه .

وللمؤرخين في مصر في ذلك القرن ظاهرة توجب الالتفات ، وهى في الواقع برهان على بدء المصالح الاسلامي ، في شئ من الافاقة ، لفهم كيانه . ولعل اكبر دليل على وجود تلك الظاهرة تاريخ ابن خلدون ، المسمى « كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر » ، لا سيما الجزء الاول منه ، وهو الجزء المعروف باسم المقدمة ، اذ يرى القارىء بصفحاته الافتتاحية تعريفا اخذا لتاريخ بانه « في ظاهره

(*) تفضل السيد الدكتور محمد مصطفى زيادة ، فاذن بنشر هذه الدراسة تصديرا لطبعة الخطط التى تصدرها دار التحرير . والدكتور محمد مصطفى زيادة اقدم واكبر متخصص في دراسات العصور الوسطى الاسلامية بصفة عامة ، والمقريزي بصفة خاصة . وقد ظهرت هذه الدراسة عام ١٩٤٩ ضمن كتاب تحت عنوان : « المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجرى) » .

لا يزيد على أخبار من الأيام والموت ، والسوابق من القرون الأولى .. وثى بأخته نظر وتحقيق ،
وسجل تلك الحقائق ومبانيها دقيق ، ومنه بحقائق الوقائع وأسبابها عميق (١) .

والواقع أن ابن خلدون يشير إلى الملل والكيفيات ، والأسباب والنتائج ، بتلك الصفات
الاستيعابية ، إشارات كثيرة ، مما يدل على فقهه التام للتاريخ بلفظي الحديث ، كما أنه يشير إلى
ما يجب أن يتفرع به الشغل بالتاريخ من المؤهلات حين يقول أن المؤرخ الصالح « محتاج إلى ماخذ
متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وثبت ، بظنهما بصاحبها إلى الحق ، ويتكبد به عن
الزلات والمغالط ، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تصح أصول المسادة وقواعد
السيرة ، وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ، ولا قيس القالب منها بالتشديد ،
والعاصر بالذات ، فربما لم يؤمن فيها من المأثور ومزلة القدم ، والعيد من جادة الصلح (٢) .

كتب ابن خلدون تاريخه ، بعد أن تنقل في البلاد الإسلامية بالأندلس والمغرب ، وعاش في بلاد
سلاطين المسلمين ، وقلب في خدم دواوينهم ، وأواخر القرن الرابع عشر الميلادي ، كما سافر لأحد
أولئك السلاطين ، وهو محمد الخامس سلطان غرناطة ، عند بيتر (Pietro) ملك قشتالة المسيحية ،
ومنا شهد بنفسه أحوال الكثير من الدول من كتب ، ولما بيده عوامل التصور الناجية الظاهرا بين
المسلمين والمسلمين ، مما جعل كتابه على وجه التصميم ، والتقسمة على وجه التخصص ، فيجاء تاريخه
فريدة .

لم وفد ابن خلدون إلى مصر سنة ١٢٨٢ م ، وكان انتهى من تأليف كتابه قبل ذلك بضع سنين ،
فأقام بالاسكندرية والقاهرة أوقات متقطعة ، وحج أكثر من مرة ، ودرس بالجامع الأزهر ، والفسطاط
الشمسية ، وموضعها قرب جامع عمرو ، بل تولى منصب قاضي القضاة المالكية بمصر ، كما رافق
الحملة الملوك التي قادها السلطان فرج إلى الشام سنة ١٤٠١ م لدفع ليمورلك من دمشق ، وشاره
في وفد المفاوضة للصلح بين الدولتين : المملوكية والمغولية .

أما منبع الإلمام في هذه التفاصيل الخاصة بحياة ابن خلدون ، فهو أنها تنبئ بأصناف التجارب
التي تمرس بها وأودع منها في كتابه ، كما أنها تدل على اتصاله الطويل بكثير من العلماء والمؤرخين
في مصر والشام وغيرهما من البلاد ، بل تدل للراجع على أن اتصاله بعلماء مصر ومؤرخيها بالذات
أدت إلى تكوين مدرسة حولته من المجنين به والمتكلمين على طريقتهم ، كما أدت إلى قيام فئة من
الفاطمين قلقتهم والتدوين بغيره .

وإذا لم يتسع البحث هنا لأكثر من هذه الإشارة العابرة ، فإن في أخبار تلاميذه ، والتابعين له
بأحسن ولاير أحسن ، يرهنا على أن قصة المؤرخين في مصر ، في القرن الخامس عشر الميلادي ،
لا تتم إلا بذكر ابن خلدون ، والإشارة إلى فضل ، ولو لم يتسع الأمر لشيء سوى كلمات معدودة .

أما أول أولئك التلاميذ فهو أحمد بن علي القرظي ، الذي ولد بالقاهرة سنة ١٢٦٦ م ، بحارة
برجوان بقسم الجمالية العالي ، والقصور بالحارة هنا الفندق أو الخان أو الوكالة على حد المصطلح
للمصري في العصور الوسطى ، أو العمارة الكبيرة على حد التعبير الحديث ، ولا يزال استعمال
لفظ الحارة بالمعنى القديم سائدا ببلاد الشام .

وجاءت أسرة القرظي إلى القاهرة من بعلبك في حياة أبيه علي ، وأصل نسبها يرجع إلى حارة
القاهرة بتلك المدينة الشامية القديمة ، ولا يسع الباحث هنا إلا أن يشير إلى التشبه الملحوظ بين
هذه التسمية ولفظ قرظي (Macarese) وهي جهة بإيطاليا قرب (٣) روما ، مما يحتمل معه أن تلك
الحارة البطلمية كانت سكنا لجالية من الجاليات الإيطالية التي وفدت للتجارة ببلاد الشرق الأدنى
ومن الحروب الصليبية ، وأن أسرة القرظي اكتسبت هذه التسمية لحاولها بتلك الحارة (٤) بعد
خروجها من أهلها الأصليين .

ومهما يكن فالمعروف المقطوع به أن أحمد بن علي القرظي نشأ قاهريا ، بناحية من أعظم نواحي
القاهرة امتدادا بالعمران والمصطب وموضوع الحياة (٥) ، وأن جده لأمه ، واسمه ابن الصايغ الحنفي ،

(١) ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدا والخير ، طبعة بولاق ، ج١ ص ٢٠٠ .

(٢) ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدا والخير ، طبعة بولاق ، ج١ ص ٧٠ .

(٣) لم يستطع كاتب هذه السطور أن يجد تعريفا لهذه الجهة بمختلف المراجع الجغرافية والموسوعات ،
عابدا أطلسا لنيس الجديد (Times Modern Atlas) حيث ورد بغيره مائة (Macarese, litt. environs
de Rome) وربما كان من لطيف الاتفاق أن لفظ (Macarisie) في الفرنسية وهو شديد الشبه
بلفظ القرظي ، اسم لجسوة من النبات ، انظر : (Nouveau Larousse Illustré) .

(٤) جهد الكاتب أن يشر على تلك الحارة حين زيارته بعلبك ولكنه لم يستطع أن يتعرف عليها أو
على موضعها من البلدة الحالية .

(٥) انظر القرظي : الواظف والاعتبار ، طبعة بوق ، ج٢ ص ٩٥ ، ٩٦ .

هو الذي كفل تعليمه ، لضيق حال أبيه على فيما يبدو قبل أن يصبح من أصحاب الإلمام
والنظر (١) ، ولذا أخذ جده بتنشئة على أصول الحنفية ، وأكثب هو على الدرس والتحميل تحت
أرشاد أساتذة عصره ، وأظهر نجابة ومقدرة .

لم مات ابن الصايغ سنة ١٢٨٢ م ، فترك القرظي ملهب الحنفية ، وانتقل إلى الشافعية ودرس
الفقه دراسة واسعة ، وأخذ من لم يهاجم الحنفية في حلف استوجب لوم معاصريه له .

لم التحق القرظي بالخدمة الحكومية ، فكان أول جهده بها ديوان الإنشاء بالقلم ، حيث ظل يعمل
موقعا - أي كاتباً - حتى سنة ١٣٦٨ م (٢) ، ثم فعلا بعد ذلك نائباً من نواب الحكم - أي قاضياً -
عند قاضي القضاة الشافعية ، فعلمنا لجامع الحاكم ، ومقرها للحديث بالمدرسة المؤدية . وفي سنة
١٣٩٨ م اختاره السلطان برفوق (وكان حنيا به مشجعا إياه) لولاية محتسب القاهرة والوجه
البحري ، فتولاهم لم تنحى عنها فريدين في عامين .

وفي ذلك الوقت تزوج القرظي وأنجب ، إذ المعروف أن بنتا له ماتت بالطاعون الذي اجتاح القاهرة
وسائر البلاد المصرية ، سنة ١٤٠٢ م .

وفي سنة ١٤٠٨ م انتقل القرظي إلى دمشق ، ليتولى النظر على أوقاف القلاسية والمارستان
النوري ، وليقوم بتدريس الحديث بالمدرستين : الأشرفية والأقبالية هناك .

لم لم يلبث أن عينه السلطان فرج بن برفوق كذلك نائباً للحكم بدمشق ، استيفاء لشرف الواقع
أن يكون المتكلمون على أوقافها قصة بها .

لكن القرظي أبى قبول هذا الشرف ، على الرغم من عرض الوظيفة عليه مرارا من قبل السلطان ،
ويظهر أنه سئم الضم الحكومي ، وغالى بتكليفها ، وأنه ملك من الموارد التي ربما وردها من أهله
ما أضاف من تضييع وقته في كسب العيش ، من طريق الدواوين ومجالس الحكم ، وكيفما كان الأمر تركه
القرظي بدمشق وأعماله بها بعد إقامته عليها عشر سنوات تقريبا ، ورجع إلى القاهرة خاليا من عمل أو
وظيفة ، ليتوفر على الدرس والاشتغال بالعلم ، ولا سيما التاريخ .

ومن أجل ذلك رحل القرظي وعائلته سنة ١٤٢٠ م حاجا إلى مكة ، وكان مجاورا بها قبل أن
طلبه العلم ، بيد أنه ظل مقيما بمكة تلك المرة الثانية حتى سنة ١٤٢٥ م ، واشتغل بها في تلك الإنشاء
بتدريس الحديث وبالتأليف في التاريخ .

لم عاد القرظي من بمكة إلى القاهرة ، حيث أمضى بقية حياته بحارة برجوان التي ما برح منذ
شبابه يفاخر بها على سائر الحارات ، ويظهر أنه جعل من منزله بها مكانا لدراسة تلاميذه ، وللتأليف
الكثير في مختلف علوم عصره (٣) .

بدأ القرظي نشاطه العلمي الضخم بظهور تاريخ القاهرة المسمى « الواظف والاعتبار بذكر الخطط
والآثار » وهو كتاب مني فيه صاحبه قبل كل شيء بدراسة الخطط حتى عرف بهذه التسمية حتى
الآن ، وكان تأليفه إياه ما بين عامي ١٤١٧ و ١٤٢٦ م .

على أنه يظهر أن القرظي اعتمد - إلى حد كبير - في تأليف هذا الكتاب الزاخر الذي يصعد
فخر مؤلفاته ، على كتاب صنعه قبله الإوحدي المؤرخ ، فنقل منه دون أن يشير إليه أو يعترف بأخذه
منه ، ورماء السخاوي من أجل ذلك بقوله : أن كتاب الخطط « مفيد لكونه (أي القرظي) ظفر
بمسودة الإوحدي فأخذها وزادها زوائد غير طائلة » (٤) .

بل ذكر السخاوي في موضع آخر أن الإوحدي « كتب مسودة كبيرة لخط مصر والقاهرة ، نصب
فيها وأفاد وأجاد ، وبقي بعضها ، فيها التي القرظي ، ونسبها لنفسه مع زيادات » (٥) . وأن
القرظي نفسه اعترف بانتفاعه بتلك المسودات (٦) .

ولم يستطع الإخصاليون من مستترقي القرن التاسع عشر الميلادي أن يدفعوا تلك التهمة لعامة من
القرظي ، أو يدعي أحدهم فيها برأى حسم ، بل قال يصدها كاترمير (Quatremère) الفرنسي أن من

(١) نفس المؤلف والمرجع والجزء ، ج٢ ص ٩٢ ، ١٠٥ .

(٢) انظر القرظي : الواظف والاعتبار ، طبعة بولاق ، ج٢ ، ص ٢٢٥ ، حيث ذكر المؤلف أنه ظفر
وظيفة الموقع بديوان الإنشاء بالقلمة حتى تلك السنة .

(٣) أبو المحاسن : كتاب النجوم الزاهرة ، طبعة دار الكتب الملكية ، ص ٨٠ ، ص ١١٨ .

(٤) السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك ص ٢٢ .

(٥) السخاوي : الضوء اللامع ، ج١ ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٦) السخاوي : الضوء اللامع ، ج١ ص ٢٥٩ .

الطبعة والمصواب ان نكت من هذه القصبة ، وان نلحق الحكم فيها برأي قاطع (١) . على انه مما يستلزم النظر ان القرظي نفسه لم يدع هذه التهمة بشيء قاطع ، ولم يستطع ان يدلي في سياق الرد عليها بأثر من قوله « حسب العالم ان يعلم ما قيل ، ويقت عليه » (٢) .

يضاف الى ذلك انه توجد بكتاب الواظ شواهد داخلية تؤدي بالباحث الى كثير من الشك على الأقل ، ومنها خلق بعض كتب القرظي للتأخرة من عبارات وارادة بكتاب الواظ ، مثل ادلايه في نسب الاراد والايوين برأي هام ، وعدم تكراره لهذا الرأي على أهميته في كتاب السلوك (٣) ، ومنها كذلك ما جاء بكتاب الواظ بمصدر دوايد البغدادية للنساء بالقاهرة ، حيث ورد ما نصه : « وآخر من ادركنا فيه الشيعة ... فاطمة بنت عباس (٤) البغدادية ، توفيت في ذي الحجة سنة اربع عشرة وسبعمائة » ، وهذا التاريخ - ان صح القن وصحت الوفاة - انما يقع قبل مولد القرظي (والاوحى كذلك) بأزيد من خمسين سنة (٥) .

ومما يكت من شوه للقرظي صدر هذا الكتاب الكبير بمقدمة جغرافية تاريخية مسهبه ، وتتوالى المدن والآثار المصرية القديمة والوسيلة بوصف دقيق ، مبتدئا بالاسكندرية ، ومنى نهاية خاصة بخطط السطاط والقاهرة جعاً ، فجاء الجزء الثاني منه - وهو نصف الكتاب - تبساً زائراً بأحوال القاهرة ، واخبارها ، وطرق المعيشة بأرجائها الواسعة في العصور الوسطى .

ثم اتبع القرظي هذا الكتاب بتأليف في تاريخ السطاط ، سماء عقد جواهر الاساط من اخبار مدينة السطاط ، وهو في الواقع تاريخ مصر الإسلامية في عهد الولاة . وانى القرظي ذلك بكتاب في دولة الفاطميين بمصر ، واسمه اعانك الحنقا بأخبار الخلا (٦) ، حتى اذا فرغ منه فكر في تأليف كتاب يكون تاريخاً للايوبيين والمالكيين ليتم به سلسلة مؤلفاته في التاريخ المصري الوسيط ، من الفتح العربي الى زمنه ، فكان كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، وهو الكتاب الذي قد اسأنا دليلاً لكل المتأريخ للمصرى في مصر الدولتين ايوبيه والمملوكية الاولى والثانية .

ويلاحظ ان القرظي كتب المؤلفات المتقدمة لتكون دليلاً على كتاب الواظ والاعتبار ، وانه قصد في كل منها ان يشرح ما أجمله من اخبار الدول الإسلامية المصرية التي تناولها قبلاً في بكر مؤلفاته .

ومن اجل ذلك كذلك شرح القرظي في التأليف في كتب التراجم والسير ، ولؤلؤ في مشرومين ليرين من هذا النوع من الكتابة ، غير انه لم يتممها لتفخامة القياس الذي بنى عليه كلا منهما .

اما اول هذين المشرومين ، فهو كتاب القلي الكبير ، وكان المقصود به ان يكون معجماً لتراجم حكم مصر ورجالها من المسلمين والمتصوف منذ اقدم العصور الى ما قبل عصره ، ولقد له ان يكون في ثمانين مجلداً ، ولم يستطع ان يتجز منها سوى ستة عشر فقط .

اما لثنيهما ، وهو كتاب دور العقود الفريدة في تراجم الاميان المفيدة ، فكان الغرض منه ان يكون معجماً لتراجم معاصريه ، غير ان القرظي تركه كذلك دون ان يفرغ من مراجعته .

وصرف القرظي كثيراً من نشاطه الجهد في التاريخ الاسلامي العام ، فالتف في السيرة النبوية ، وفي قبائل العرب التي نزلت مصر منذ الفتح ، وفي جغرافية حضرموت بجنوب شبه جزيرة العرب ، وفي الدولات الإسلامية بالحشة ، كما اسهم بتصنيفها في التاريخ الاقتصادي والنيات Numismatics والتاريخ الاجتماعي ، حين التفت في الاوزان والاكيل ، والمقاييس والتقود ، وفي تاريخ المعاشات والطوائف . وربما كان اهم مؤلفاته هذه كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم ، وكتاب امانة الامة بكتف القصة ، الذي رجع للقرظي ، في الكتاب الاول من هذين الكتابين ، امر الفرقة والتنافس على الخلافة بين الامويين والهاشميين الى عصيات الجبهة القديمة ، واعمل جانب الحوادث

(١) انظر : (Quatremère : Mamlouks, I, p. XIII)

(٢) للقرظي : الواظ والاعتبار ، طبعة بولاق ، ج١ ص ١٢ ، وكذلك ج٢ ص ٢٥٦ ، حيث اشار القرظي الى اتصاله بالاوحى .

(٣) انظر مفاتيح للقسم الثالث من الجزء الاول من كتاب السلوك للقرظي ، صفحة ١ - ٢ .

(٤) للقرظي : كتاب الواظ والاعتبار ، طبعة بولاق ج٢ ص ٢٤٨ . انظر كذلك ابن حجر : اللبس الكثرة ، ج٢ ص ٢٢٦ ، حيث ورد اسم هذه السيدة الفاطمة بنت عباس .

(٥) يلاحظ ان هذه العبارة منقولة من الطبعة الكاملة المندودة احسن الطبعين المروقتين لهذا الكتاب ، وهي عبارة تطلب تحقيقاً دقيقاً بعد مقابلة النسخ المخطوطة بعضها على بعض ولا يسع كاتب هذا الا ان يضمن للسبب جاسنون ثبت التوفيق في انعام طبعة القاهرة لذلك الكتاب العظيم .

(٦) نشر الدكتور جمال الدين النجاشي هذا الكتاب حديثاً في طبعة مزيده من طبعة الايوبية القديمة في دار الفكر العربي ، ١٩٤٩ ، ص ١ .

الزيرة والحروب المستمرة ، والتطبيقات الكثيرة ، التي لم تعد كلها ان تكون اسباباً ظاهرة على جرم ذلك الخلاف وجملته ، مترسماً في ذلك سبيل ابن خلدون وفلسفته في القصة (١) .

اما الكتاب الثاني من هذين الكتابين ، فتناول القرظي فيه تاريخ المعانيات التي نزلت بمصر منذ اقدم العصور الى سنة ١٤٠٥ م وهي السنة التي ألف فيها ذلك الكتاب ، وادى به البحث الى ان اسباب ما ينزل بالناس من مجلات وطوائف وافلية انما هو « سوء تدبير الزعماء والحكام ، وفطنتهم من النظر في مصالح المباد (٢) » ، وهو طريق اقتصادي سليم صمدته كذلك مقدمة ابن خلدون وما جاء بها في فصل الجباية وسبب قتلها وتكرارها ، وما يليه من الفصول الكثيرة على هذا المعنى (٣) بل ان تأثير ابن خلدون على القرظي في تأليف هذا الكتاب بالذات تصدى الى طريقة العرض والاسلوب وفوائح الابواب وخواتمها ، فضلاً عن الفكرة العامة (٤) .

والحقيقة ان القرظي تأثر بابن خلدون ومقدمته في هذين الكتابين وغيرهما من مؤلفاته تارة فاق حد الإعجاب ، واية ذلك وصفه للمقدمة بأنها « لم يعمل مثالها ، وانه لميزر ان يتأمل مجتهد مثالها ، اذ هي زينة المعارف والعلوم ، ونتيجة العقول السليمة واللاهوت ، تألف على كنه الانبياء ، وتعرف حقيقة الحوادث والانبياء ، وتغير من حال الوجود ، وتبين من اصل كل موجود (٥) » . وهو وصف يدل في وضوح على دراسة القرظي لمقدمة ابن خلدون دراسة وافية ، كما يدل على دقة فهمه لحسوبياتها القيمة ، وتقديره لقيمتها العلمية بالقياس الى غيرها مما عرفه خلال فرائده العديدة التي يبدو انها لم تنقطع الا بوفاته سنة ١٤٤٢ م .

والواقع ان القرظي كان واسع القراءة والمعرفة والاطلاع ، كثير الداب والتأثير ، كما شهد بذلك معاصروه ، وكما يشهد به ما خلفه من مؤلفات لم ير الضوء بعضها حتى الآن ، وان نظرة واحدة الى كتب مؤلفاته لكيفية باقائنا على امانه بالخطوط والتاريخ والترجمة ، والسكة والاوزان والمقاييس كما تقدم ، وهذا فضلاً عن معرفته بطلم الحشرات (٦) والامان والطب والموسيقى ، وعلم الكلام والمقائد والتوحيد والحديث . لكن اعظم اهتمامه كان « موجهاً نحو التاريخ » ، لا سيما مغرى به ، معني بتحقيقه والتأليف فيه ، عرف منه جزءاً كبيراً معرفة تامة ، وحفظ منه كثيراً عن ظهر قلب . والقر بذلك كله تلميذه الذي عرف معاصريه من المؤرخين ، وخليفته الذي اتقى اثره ومنهجه في كتابة التاريخ ، وهو ابو الحسن يوسف بن تقي بردي ، حين قال في كتاب النجوم الزاهرة : « ول الجمل هو اعظم من رابنائه في علم التاريخ وعروبه ، مع معرفتي ان عاصره من علماء المؤرخين ، والفرق بينهم ظاهر ، وليس لي انتصاف (٧) فائدة » .

اما من خلال القرظي الشخصية ، فالمعاصرون له اجمعوا على انه عاش رجلاً فاضلاً ديناً ، مجداً ، أميناً في عمله ، حتى ان السخاوي - مع شغفه في نقد كتاب الواظ والاعتبار - يقول ان القرظي كان على جانب عظيم من « حسن الخلق ، وكرم العهد ، وكثرة التواضع ، وعلو الهمة ان يقصد ، والحب في المذاكرة ، والمداومة على التجدد والاوراد ، وحسن الصلاة ، ومزيد الطمأنينة ، والملازمة لبيته » ، وانه « حمداً سيرته في مباشراته (٨) أي في الوظائف التي تولاهما قبل ان يشرف الى حياة الدرس الخالية .

وحلل مصر القرظي بكثير من الشغف والتاريخ ، وربما بدا بعضهم اوسع منه معرفة بدقائق ذلك العصر ، نقرأ لتقريبهم في الوظائف الكبرى بالدولة المصرية ، ومن هؤلاء ابن حجر واليني وخليل بن شافعي وابن عرب شاه والخالدي .

(١) ابن خلدون : المقدمة ، طبعة بولاق ، ص ١٠٧ وما بعدها .

(٢) القرظي : امانة الامة بكتف القصة ، نشر زيادة والشيال ، ص ٤ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، طبعة بولاق ، ص ٢٢٢ ، وما بعدها .

(٤) القرظي : امانة الامة بكتف القصة ، نشر زيادة والشيال صفحة د .

(٥) السخاوي : الفوه اللامع ج١ ص ١٤٤ . انظر المرجع نفسه ج٢ ص ٢٤ ، حيث توجد ملاحظة مابرة الى ما كان من عظيم الصلة والصداقة بين القرظي وابن خلدون ، وانظر كذلك القرظي : الواظ والاعتبار ، طبعة بولاق ، ج١ ص ٥٠ حيث اشار القرظي الى ابن خلدون اشارة التعجب لاستادته ، ولم يخرج ان يستشهد بعبارة لامة له في وصف المصريين ، ونفسها حسماً ورد بنفس المرجع والجزء والصفحة : « قال لي شيخنا الاستاذ ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى : اهل مصر كانوا فرلوا من (يوم) الحساب » .

(٦) انظر كتاب نحل مير النحل الذي نشره الدكتور جمال الدين الشيال (مكتبة الفلاحى ، القاهرة ، ١٩٤٦) .

(٧) ابو الحسن : النجوم الزاهرة (طبعة كاليقوتيا) ، ج٧ ص ٢٧٦ .

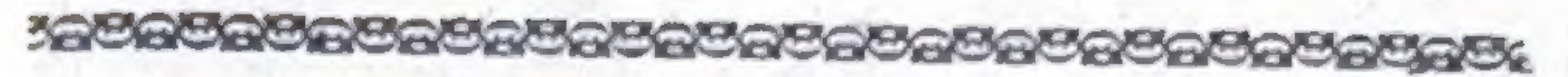
(٨) السخاوي : التبر المسبوك ، ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ .

خُطَطُ الْمُقْرِئِي

كتاب المواعظ والاعتبار
بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك باخبار إقليم مصر
والنيل وذكر الفتاهرة
وما يتعلق بها وبإقليمها..
تأليف سيدنا الشيخ
الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي
ابن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي
رحمه الله ونفع بعلمه
آمين..

تصدره
دار التحرير للطبع والشر
عن
طبعة بولات
سنة ١٢٧٠ هجرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الحمد لله الذي عرف وفهم ، وعلم
الانسان ما لم يكن يعلم ، واسبح على عباده
نصا باطنة وظاهرة ، ووالى عليهم من مزيد
آلائه منا متظافرة متواترة ، وبثهم في أرضه
حينا يتقلبون ، واستخلفهم في ماله فهم به
يتعمون . وهدى قوما الى اقتناص شوارد
المعارف والعلوم ، وشوقهم للتفنن في مسارح
التدبير والركض ببيادين الفهم ، وأرشد قوما
الى الانقطاع من دون الخلق اليه ، ووفقهم
للاعتدال في كل أمر عليه . وصرف آخرين عن
كل مكرومة وفضيلة ، وقبض لهم قراء قادوهم
الى كل ذميمة من الأخلاق ورديلة . وطبع
على قلوب آخرين فلا يكادون يفقهون قولاً ،
ونبطهم عن سبل الخيرات فما استطاعوا قوة
ولا حولا . ثم حكم على الكل بالفناء ،
ونقلهم جميعا من دار التحييص والابتلاء ،
الى برزخ اليود والبلاء ، وسيحشرهم أجمعين
الى دار الجزاء ، ليوفي كل عامل منهم عمله ،
ويسأله عما أعطاه وخوله ، وعن موقفه بين
يديه سبحانه وما أعد له ، لا يسأل عما
يفعل ، وهم يسألون .

أحمده سبحانه حمد من علم أنه لا يعبد
الا اياه ، ولا خالق للخلق سواه ، حمدا
يقتضى المزيد من النعماء ، ويوالى المن بتجدد
الآلاء .
وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله ،
ونبيه وخيله ، سيد البشر ، وأفضل من مضى
وغير ، الجامع لمحاسن الأخلاق والسير ،
والمستحق لاسم الكمال على الإطلاق من
البشر ، الذي كان نبي آدم بين الماء والطين ،
ورقم اسمه من الأزل في عطين ، ثم تنقل من
الأصلاب الفاخرة الزكية ، الى الأرحام الطاهرة
المرضية ، حتى بعث الله عز وجل الى الخلائق
أجمعين ، وختم به الأنبياء والمرسلين ، وأعطاه
ما لم يعط أحدا من العالمين ، وعلى آله
وصحابه والتابعين ، وسلم تسليما كثيرا الى
يوم الدين .

وبعد ، فإن علم التاريخ من أجل العلوم
قدرا ، وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطرا ،
لما يحويه من المواعظ والالذار بالرحيل الى
الآخرة عن هذه الدار ، والاطلاع على مكارم

الأخلاق ليتقدي بها ، واستعلام مذام الفعال
ليترغب عنها أولو النهى .

لا جرم أن كانت الألفس الفاضلة به
وامقة ، والههم العالية اليه مائلة وله عاشقة .
وقد صنف فيه الأئمة كثيرا ، وضمن الأجلة
كتبهم منه شيئا كثيرا .

وكانت مصر هي مسقط رأسي ، وملعب
أشراي . ومجسج فاسي ، ومغنى عشيروتي
وحامتي ، وموطن خاصتي وعامتي ، وجوؤجوي
الذي ربي جناحي في وكره ، وعش ماري في فلا
تهوى الألفس غير ذكره . لا زلت منذ شذوت
العلم ، وآتالي ربي الفطالة والفهم ، أرغب
في معرفة أخبارها ، وأحب الاشراف على
الاختراف من آبارها ، وأهوى مساءلة الركبان
من سكان ديارها .

فقيدت بغي في الأعوام الكثيرة ، وجمعت
من ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب ، أو
يعونها لمزمتها وغرابتها اهـاب . الا أنها ليست
بمرتبة على مثال ، ولا مهذبة بطريقة ما نسج
على منوال . فأردت أن ألخص منها أنباء ما
يدينار مصر من الآثار الباقية ، عن الأمم
الماضية والقرون الخالية ، وما بقى بفسطاط
مصر من المعاهد غير ما كاد يفنيه البلى
والقدم ، ولم يبق الا أن يحو رسما الفناء
والعلم .

وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار القصور
الزاهرة ، وما اشتملت عليه من الخطط
والأصقاع ، وحسوته من المباني البديعة
الأوضاع ، مع التعريف بعالم من أسس ذلك

الكتاب في سنة ١٢٩٠ هـ

من أعيان الأماثل ، والتتويه بذكر الذي شاهدها
من سرة الأعظم والأفاضل . وأشر خلال ذلك
لكتنا لطيفة ، وحكما بديعة شريفة ، من غير
اطالة ولا اكثار ، ولا لجفاف مخل بالفرض
ولا اختصار ، بل وسط بين الطرفين ، وطريق
بين بين .

فلهذا سميت « كتاب المواعظ والاعتبار في
ذكر الخطط والآثار » .

وانى لأرجو أن يعطى - ان شاء الله
تعالى - عند الملوك ، ولا ينبو عنه طباع
العالمى والصلوك ، ويجه العالم المتنى ،
ويعجب به الطالب المبتدى ، وترضاه خلائق
العابد الناسك ، ولا يبعج سمع الخليج
الفاتك ، ويتخذاه أهل البطالة والرفاهية
سرا ، ويعدوه أولو الرأي والتدبير موعظة
وعبرا ، يستدلون به على عظيم قدرة الله تعالى
في تبديل الابدال ، ويعرفون به عجائب صنع
ربنا سبحانه من تنقل الأمور الى حال بعد
حال .

فإن كنت أحسنت فيما جمعت ، وأصبحت في
الذي صنعت ووضعت ، فذلك من عظيم من
الله تعالى وجزيل فضله ، وعظيم أنسه على
وجلل طوله . وإن أنا أسأت فيما فعلت ،
وأخطأت اذ وضعت ، فما أجدر الانسان
بالاساءة والعيوب ، اذا لم يعصه ويحفظه
علام العيوب :

وما أبرئ نفسي اتى بشر

أسهو وأخطىء ما لم يحسن قدرا

ولا ترى عذرا أولى بذى زل

من أن يقول مقرا : اتى بشر

فليل الناصر في هذا التأليف على مؤلفه
ذيل شتره أن مرت به هفوة ، وليغض تجاوزا
وصفحا أن وقف منه على كبوة أو نبوة ، فأى
جواد - وإن عتق - ما يكبو ؟ وأى غضب
مهند لا يكل ولا ينبو ؟ لا سيما والخطار
بالأفكار مشغول ، والمزم لا لتواء الأمور
وتعصرها فائر محلول ، والذهن من خطوب
هذا الزمن القطوب كليل ، والقلب لتوالي
المحن وتواتر الاحن عليل :

يساندنى دهرى كانى عدوه
وفى كل يوم بالكربة يلقانى
فان رمت شيئا جاني منه ضده
وان راق لى يوما تكدر فى الثانى
اللهم غفرا ما هذا من التبرم بالقضاء ، ولا
التضرع بالمقدور ، بل أنة سقيم وثقة
مصدور ، يستروح ان أبدى التوجع
والألم ، ويجد خفا من ثقاه اذا باح بالشكوى
والحنين :

ولو نظروا بين الجوائح والحشا
وأوا من كتاب الحب فى كبدي سطرأ
ولو جربوا ما قد لقيت من الهوى
أذن عذرونى أو جعلت لهم عذرا

والله أسأل أن يحلى هذا الكتاب بالقبول
عند الجلة والعلماء ، كما أعوذ به من تطرق
أيدي الحاد اليه والجهلاء ، وأن يهدينى
فيه وفيما سواه من الأقوال والأفعال الى سواء
الليل ... انه حبا ونعم الوكيل ، وفيه
جلت قدرته لى سلو من كل حادث ، وعليه عز
وجل أتوكل فى جميع الحوادث .. لا اله الا
هو ، ولا معبود سواه .

ذكر الرؤوس الثمانية

اعلم أن عادة القدماء من المعلمين قد جرت
أن يأتوا بالرؤوس الثمانية قبل افتتاح كل
كتاب ، وهى : الغرض ، والعنوان ، والمنفعة ،
والمرتبة ، وصحة الكتاب ، ومن أى صناعة
هو ، وكفى فيه من أجزاء ، وأى أنحاء التعاليم
المتعملة فيه ... فنقول :

أما الغرض فى هذا التأليف ، فانه جمع
ما تفرق من أخبار أرض مصر وأحوال سكانها
كى يلتئم من مجوعها معرفة جبل أخبار
اقليم مصر ، وهى التى اذا حصلت فى ذهن
انسان ، اقتدر على أن يخبر فى كل وقت بما
كان فى أرض مصر من الآثار الباقية والبايدة ،
ويقص أحوال من ابتدأها ومن حلها ، وكيف
كانت مصائر أمورهم وما يتصل بذلك على
سبيل الاتباع لها بحسب ما تحصل به الفائدة
الكلية بذلك الأثر .

وأما عنوان هذا الكتاب ، أعنى الذى
وسمه به ، فانى لما فحصت عن أخبار مصر ،
وجدتها مختلطة متفرقة ، فلم يتهيأ لى اذ
جمعتها أن أجمل وضعها مرتبا على السنين ،
لعدم ضبط وقت كل حادثة ، لا سيما فى
الأعصر الخالية ، ولا أن أضعها على أسماء
الناس * لعل آخر تظهر عند تصفح هذا
التأليف .

فلهذا فرقتها فى ذكر الخطط والآثار ،
فاختوى كل فصل منها على ما يلائمه
وشاكلة ، وصار بهذا الاعتبار قد يجمع ما

تفرق وتباعد من أخبار مصر . ولم أنحاش من
تكرار الخبر اذا احتجت اليه ، بطريقة
يستحسنها الأريب ولا يستهجنها الفطن
الأديب ، كى يستغنى مطالع كل فصل بما فيه
عما فى غيره من الفصول ، فلذلك سميت
« كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط
والآثار » .

وأما منفعة هذا الكتاب ، فان الأمر فيها
يتبين من الغرض فى وضعه ومن عنوانه ، أعنى
أن منفعة هى أن يشرف المرء فى زمن قصير
على ما كان فى أرض مصر من الحوادث
والتغيرات فى الأزمنة المتطاولة والأعوام
الكثيرة ، فتتهذب بتدبير ذلك تصه وترتاض
أخلاقه ، فيحب الخير ويفعله ، ويكره الشر
ويتجنبه ، ويعرف فناء الدنيا فيحظى بالاعراض
عنها والاقبال على ما يبقى .

وأما مرتبة هذا الكتاب ، فانه من جملة أحد
قسمى العلم للذين هما العقلى والنقلى .
فينبغى أن يتفرغ لمطالعة وتدبير مواعظه
بعد اتقان ما تجب معرفته من العلوم النقلية
والعقلية . فانه يحصل بتدبره ، لمن أزال الله
أكنة قلبه وغشاوة بصره ، نتيجة العلم بما
صار اليه أبناء جنسه ، بعد التخلو فى الأموال
والجنود ، من الفناء والبيود ... فاذا مرتبه
بعد معرفة أقسام العلوم العقلية والنقلية ،
ليعرف منه كيف كان عاقبة الذين كالوا من
قبل .

وأما واضح هذا الكتاب ومرتبته ، فاسمه
أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد ،
ويعرف بالمقرئى ، رحمه الله تعالى . ولد
بالقاهرة المعزية من ديار مصر بعد سنة

ستين وسبعائة من سنى الهجرة المحمدية .
ورثته من العلوم ما يدل عليه هذا الكتاب
وغيره مما جسمه وآله .

وأما من أى علم هذا الكتاب ، فانه من علم
الأخبار . وبها عرفت شرائع الله تعالى التى
شرعها ، وحفظت سنن أنبيائه ورسله ، ودون
هداهم الذى يقتدى به من وفقه الله تعالى
الى عبادته ، وهداه الى طاعته ، وحفظه من
مخالفته . وبها نقلت أخبار من مضى من الملوك
والقراعة ، وكيف حل بهم سخط الله تعالى
لما أتوا ما نهوا عنه . وبها اقتدر الخليفة من
أنباء البشر على معرفة ما دونوه من العلوم
والصنائع ، وتأنى لهم علم ما غاب عنهم من
الأقطار الشاسعة والأمصار النائية ، وغير ذلك
مما لا ينكر فضله .

ولكل أمة من أمم العرب والعجم ، على
تباين آرائهم واختلاف عقائدهم ، أخبار
عندهم معروفة مشهورة ذائعة بينهم . ولكل
مصر من الأمصار المصورة حوادث قد مرت
به ، يعرفها علماء ذلك المصر فى كل عصر . ولو
استقصيت ما صنف علماء العرب والعجم فى
ذلك لتجاوز حد الكثرة ، وعجزت القدرة عن
حصره .

وأما أجزاء هذا الكتاب فانها سبعة :

أولها : يشتمل على جبل من أخبار أرض
مصر وأحوال نيلها وخراجها وجبالها .

وثانيها : يشتمل على كثير من مدنها
وأجناس أهلها .

وثالثها : يشتمل على أخبار فسطاط مصر
ومن ملكها .

وتبين موضع الأرض من الفلك - أن أذكر طرفاً من هيئة الأفلاك ، ثم أذكر صورة الأرض وموضع الأقاليم منها ، وأذكر محل مصر من الأرض وموضعها من الأقاليم ، وأذكر حدودها واشتقاقها وفضائلها وعجائبها وكنوزها وأخلاق أهلها ، وأذكر نيلها وخلقها وكورها ومبلغ غراجها ، وغير ذلك مما يتعلق بها ، قبل التروع في ذكر خطط مصر والقاهرة ، فأقول :

علم النجوم ثلاثة أقسام :

الأول : معرفة تركيب الأفلاك ، وكيفية الكواكب ، وأقسام البروج ، وأبعادها ، وعظمتها ، وحركتها . ويقال لهذا القسم علم الهيئة .

والقسم الثاني : علم الزيج وعلم التقويم .
والقسم الثالث : معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوال البروج على الحوادث قبل كونها ، ويسمى هذا القسم علم الأحكام .
والغرض هنا إيراد نبذ من علم الهيئة تكون توطئة لما يأتي ذكره .

اعلم أن الكواكب أجسام كريات ، والذي أدرك منها الحكماء بالرصد ألف كوكب وتسعة وعشرون كوكباً . وهي على قسمين : سيارة ، وثابتة . فالسيارة سبعة ، وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر . وقد نظمت في بيت واحد وهو :

زحل شري مربخه من شمس

فتزاهرت بعطارد الأقدار

ويقال لهذه السبعة : الخنس ، وقيل إنها التي عناها الله تعالى بقوله : « فلا أقسم بالخنس . الجوارى الكنس » ، والتي عناها الله تعالى بقوله « فالدبريات أمرا » ، وقيل لها الخنس ، لاستقامتها في سيرها ورجوعها . وقيل لها الكنس ، لأنها تجري في البروج ثم تكنس ، أي تستر ، كما يكنس الظبي .

وقيل : الكنس والخنس منها خمسة ، وهي ما سوى الشمس والقمر ، سميت بذلك من الانخاس ، وهو الانقباض . وفي الحديث : « الشيطان يوسوس للعبد ، فإذا ذكر الله خنس » ، أي انقبض ورجع ، فيكون الخنس على هذا في الكواكب بمعنى الرجوع ، سميت بالكنس من قولهم : كنس الظبي إذا دخل الكناس ، وهو مقره . فالكنس على هذا في الكواكب بمعنى اختفائها تحت ضوء الشمس .

ويقال لهذه الكواكب : المتحيرة ، لأنها ترجع أحياناً عن سمت مسيرها بالحركة الشرقية وتبج الغربية في رأى العين ، فيكون هذا الارتداد لها شبه التحير .

وهذه الأسماء التي لهذه الكواكب يقال أنها مشتقة من صفاتها .

فزحل مشتق من زحل فلان إذا أبطأ ، سمي بذلك لبطء سيره وقيل للزحل ، والزحل الحقد ، وهو يزعمهم يدل على ذلك . ويقال أنه المراد في قوله تعالى : « والسما والطارق » . وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب .

(ن) مره ، جد ، فذ . بولاق

والمشتري سمي بذلك لحنه ، لأنه اشترى الحسن لنفسه ، وقيل لأنه لجم الثراء والبيع ، ودليل الربح والمال في قولهم .

والمريخ مأخوذ من المرخ ، وهو شجر يحثك بعض أغصانه ببعض فيورى نارا ، سمي بذلك لاحمراره . وقيل المريخ سمي لا ريش له ، إذا رمى به لا يستوى في ممره ، وكذا المريخ فيه التواء كثير في سيره ، ودلالته يزعمهم تشبه ذلك .

والشمس لما كانت واسطة بين ثلاثة كواكب علوية لأنهم من فوقها ، وثلاثة سفلية لأنهم من تحتها ، سميت بذلك لأن الواسطة التي في المختقة تسمى شمس .

والزهرة من الزاهر ، وهو الأبيض النير من كل شيء .

وعطارد هو النافذ في كل الأمور ، ولذلك يقال له أيضاً الكاتب ، فإنه كثير التصرف مع ما يقارنه ويلابسه من الكواكب .

والقمر مأخوذ من القمر ، وهي البياض ، والأقمر : الأبيض .

ويقال لزحل كيوان ، وللمشتري تبر والبرجيس أيضاً ، وللمريخ بهرام ، وللشمس مهر ، وللزهرة أياهيد وسدحت أيضاً ، ولعطارد هرمس ، وللقمر ماه . وقد جمعت في بيت واحد وهو هذا :

لا زلت تبقي وترقى للعلا أبدا
ما دام للسبعة الأفلاك احكام
مهر وماه وكيوان وتبر معا
وهرمس وأياهيد وبهرام

ويقال لما عدا هذه الكواكب السبعة من بقية نجوم السماء : الكواكب الثابتة ، سميت بذلك لثباتها في الفلك بموضع واحد ، وقيل لبطء حركتها ، فإنها تقطع الفلك يزعمهم بعد كل سنة وثلاثين ألف سنة شمس مرة واحدة .

ولكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة فلك من الأفلاك يخصه .

والأفلاك أجسام كريات مشفات ، بعضها في جوف بعض ، وهي تسعة : أقربها إلينا فلك القمر ، وبعده فلك عطارد ، ثم بعده فلك الزهرة ، وبعده فلك الشمس ، وفوقه فلك المريخ ، ثم فلك المشتري ، وفوقه فلك زحل ، ثم فلك الثوابت وفيه كل كوكب يرى في السماء سوى السبعة السيارة ، ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط ، وهو الفلك التاسع ويسمى الأطلس ، وفلك الأفلاك ، وفلك الكل .

وقد اختلف في الأفلاك : فقيل هي السموات ، وقيل بل السموات غيرها ، وقيل بل هي كرية ، وقيل غير ذلك ، وقيل الفلك الثامن هو الكرسي ، والفلك التاسع هو العرش ، وقيل غير ذلك .

وهذا الفلك التاسع دائم الدوران كالدولاب ، ويدور في كل أربعة وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة . ودورانه يكون أبداً من المشرق إلى المغرب . ويدور بدورانه جميع الأفلاك الثمانية ، وما حوته من الكواكب ، دورانا حركته قسرية لإدارة التاسع لها . وعن حركة التاسع المذكور يكون

الليل والنهار ، فالتنهار مدة بقاء الشمس فوق
أفق الأرض ، والليل مدة غيوبة الشمس
تحت أفق الأرض .

وفلك الكواكب الثابتة مقسوم باثنى عشر
قسما كحجر البليخة ، كل قسم منها يقال
له برج ، وهي : الحمل ، والثور ، والجوزاء ،
والسرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ،
والعقرب ، والقوس ، والجدي ، والدلو ،
والحوت .

وكل برج من هذه البروج الاثنى عشر
ينقسم ثلاثين قسا ، يقال لكل قسم منها
درجة ، وكل درجة من هذه الثلاثين مقسومة
ستين قسا ، يقال لكل قسم منها دقيقة .
وكل دقيقة من هذه الستين مقسومة ستين
قسما ، يقال لكل قسم منها ثانية ... وهكذا
الى الثوالت والروابع والخوامس الى الثواني
عشر وما فوقها من الأجزاء .

وكل ثلاثة بروج تسمى فصلا ، فالزمان
على ذلك أربعة فصول ، وهي : الربيع ،
والصيف ، والخريف ، والشتاء .

وجهاً الأقطار أربعة : الشرق ، والغرب ،
والشمال ، والجنوب .

والأركان أربعة : النار ، والهواء ، والماء ،
والتراب .

والطباع أربعة : الحرارة ، والبرودة ،
والرطوبة ، واليبوسة .

والأخلاق أربعة : الصفراء ، والسوداء ،
والبلغم ، والدم .

والرياح أربعة : الصبا ، والديبور ،
والشمال ، والجنوب .

فالبروج : منها ثلاثة ربيعية ، صاعدة في
الشمال ، زائدة النهار على الليل ، وهي الحمل
والثور والجوزاء . وثلاثة صيفية ، هابطة في
الشمال ، آخذة الليل من النهار ، وهي
السرطان والأسد ، والسنبلة ، وثلاثة
خريفية ، هابطة في الجنوب زائدة الليل على
النهار ، وهي : الميزان والعقرب والقوس .
وثلاثة شتوية ، صاعدة في الجنوب آخذة
النهار من الليل ، وهي الجدي والدلو
والحوت .

والفلك المحيط — كما تقدم — دائم
الدوران كالدولاب ، يدور أبداً من المشرق
الى المغرب فوق الأرض ، ومن المغرب الى
المشرق تحتها . فيكون دائماً نصف الفلك
— وهو ستة بروج ببائة وثمانين درجة —
فوق الأرض ، ونصفه الآخر — وهو ستة
بروج ببائة وثمانين درجة — تحت الأرض .
وكما طلعت من أفق المشرق درجة من
درجات الفلك التي عدتها ثلاثمائة وستون
درجة ، غرب نظيرها في أفق المغرب من البرج
السابع ، فلا يزال دائماً ستة بروج طلوعها
بالنهار ، وستة بروج طلوعها بالليل .

والأفق عبارة عن الحد الفاصل من الأرض
بين المرئي والخفي من السماء .

والفلك يدور على قطبين : شمالي
وجنوبي ، كما يدور الحق على قطبي
المخروطة ، ويقسم الفلك خط من دائرة تقسم

(*) صبا ، ديبور ، شمال ، جنوب .

نصفين متساويين ، بعدهما من كلا القطبين
سواء ، وتسمى هذه الدائرة دائرة معدل
النهار ، فهي تقاطع فلك البروج . ودائرة فلك
البروج تقاطع دائرة معدل النهار . ويميل
نصفها الى الجانب الشمالي بقدر أربع
وعشرين درجة تقريبا ، وهذا النصف فيه
قمة البروج الستة الشمالية ، وهي من أول
الحمل الى آخر السنبلة . ويميل نصفها الثاني
عنها الى الجنوب بمثل ذلك ، وفيه قمة
البروج الستة الجنوبية ، وهي من أول برج
الميزان الى آخر برج الحوت .

وموضع تقاطع هاتين الدائرتين — أعنى
دائرة معدل النهار ودائرة فلك البروج — من
الجانبين ، هما نقطتا الاعتدالين ، أعنى رأس
الحمل ورأس الميزان .

ومدار الشمس والقمر وسائر النجوم ، على
محاذاة دائرة فلك البروج دون دائرة معدل
النهار . وتمر الشمس على دائرة معدل النهار
عند حلولها بنقطتي الاعتدالين فقط ، لأنها
موضع تقاطع الدائرتين ، وهذا هو خط
الاستواء الذي لا يختلف فيه الزمان بزيادة
الليل على النهار ، ولا النهار على الليل ، لأن
ميل الشمس عنه الى كلا الجانبين ، الشمالي
والجنوبي ، سواء .

فالشمس تدور الفلك ، وتقطع الاثنى عشر
برجا ، في مدة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما
وربع يوم بالتقريب ، وهذه هي مدة السنة
الشمسية ، وتقسم في كل برج ثلاثين يوما
وكسرا من يوم ، وتكون أبداً بالنهار ظاهرة
فوق الأرض وبالليل بخلاف ذلك .

واذا حلت في البروج الستة الشمالية
— التي هي الحمل والثور والجوزاء
والسرطان والأسد والسنبلة — فانها تكون
مرتفعة في الهواء ، قريبة من سمت رؤوسنا ،
وذلك زمن فصل الربيع وفصل الصيف .

واذا حلت في البروج الجنوبية — وهي
الميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو
والحوت — كان فصل الخريف وفصل
الشتاء ، وانحطت الشمس وبعدت عن سمت
الرؤوس .

وزعم وهب بن منبه أن أول ما خلق الله
تعالى من الأزمنة الأربعة الشتاء ، فجعله باردا
رطبا ، وخلق الربيع فجعله حارا رطبا ، وخلق
الصيف فجعله حارا يابسا ، وخلق الخريف
فجعله باردا يابسا .

وأول الفصول ، عند أهل زماننا ، الربيع .
ويكون فصل الربيع عندما تتقل الشمس من
برج الحوت .

وقد اختلف القدماء في البداية من
الفصول : فمنهم من اختار فصل الربيع
وصيَّره أول السنة ، ومنهم من اختار تقديم
الانقلاب الصيفي ، ومنهم من اختار تقديم
الاعتدال الخريفي ، ومنهم من اختار تقديم
الانقلاب الشتوي .

فإذا حلت أول جزء من برج الحمل ،
استوى الليل والنهار ، واعتدل الزمان ،
وانصرف الشتاء ، ودخل الربيع ، وطلب
الهواء ، وهب النسيم ، وذاب الثلج ، وسالت
الأودية ، ومدت الأنهار — فيما عدا مصر —
ونبت العشب ، وطال الزرع ، ونما الحشيش ،
وتلاّ الزهر ، وأورق الشجر ، وتفتح النور ،

واخضر وجه الأرض ، وتجت البهائم ، ودرت
الضروع ، واخرجت الأرض زخرفها وازنت ،
وصارت كمية شابة قد تزنت للناسطرين .

وله در القائل ، وهو الحافظ جمال الدين
يوسف بن أحمد اليمري ، رحمه الله تعالى :

استنشقا لهموا الريح فانه
نعم النسيم وعنده الطاف

يخذي الجيوم نيه وكأنه
روح حواها جوهر شفاف

وقال ابن قتيبة : ومن ذلك الريح يذهب
الناس الى أنه الفصل الذي يتبع الشتاء ،
ويأتي فيه النور والورد ، ولا يعرفون الريح
غيره .

والعرب تختلف في ذلك : فمنهم من يجعل
الريح الفصل الذي تدرك فيه الثمار ، وهو
الخريف ، وفصل الشتاء بعده . ثم فصل
الصيف بعد الشتاء ، وهو الوقت الذي تدعوه
العامة الريح . ثم فصل القيظ ، وهو الذي
تدعوه العامة الصيف .

ومن العرب من يسمى الفصل الذي يعتدل
وتدرك فيه الثمار - وهو الخريف - الريح
الأول ، ويسمى الفصل الذي يتلوها الشتاء ،
ويأتي فيه الكمام والنور ، الريح الثاني .
وكلهم مجتمعون على أن الريح هو الخريف .

فاذا حلت الشمس آخر برج الجوزاء وأول
برج السرطان ، تهاى طول النهار وقصر
الليل ، وابتدأ نقص النهار وزيادة الليل ،
وانصرف فصل الريح ، ودخل فصل الصيف ،

(هـ) من ٧ و ٨ ج ١ ، ط ١ بولاق .

واشتد الحر ، وحس الهواء ، وهبت
السمائم ، ونقصت المياه الا بمصر ، ويس
العشب ، واستحكم الحب ، وأدرك حصاد
الغلال ، ونضجت الثمار ، وسنت البهائم ،
واشتدت قوة الأبدان ، ودرت أخلاف النعم ،
وصارت الأرض كأنها عروس .

فاذا بلغت آخر برج السنبلة وأول برج
الميزان ، تساوى الليل والنهار مرة ثانية ،
وأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان ،
وانصرف فصل الصيف ودخل فصل الخريف ،
فبرد الهواء ، وهبت الرياح ، وتغير الزمان ،
رجفت الأنهار ، وغارت الميون ، واصفر
ورق الشجر ، وصرمت الثمار ، ودرست
البيادر ، واختزن الحب ، واقتنى العشب ،
واغبر وجه الأرض الا بمصر ، وهزلت
البهائم ، وماتت الهوام ، وانجبرت
الحشرات ، وانصرف الطير والوحش يريد
البلاد الدافئة ، وأخذ الناس يخزنون القوت
للشاة ، وصارت الدنيا كأنها امرأة كهلة قد
أدبرت وأخذ شبابها يولى .

وله در القائل - وهو الامام عز الدين
أبو الحسن أحمد بن علي بن معقل الأزدي
المهلبى الحمصى - حيث يقول :

له فصل الخريف المستلذ به
برد الهواء لقد أبدى لنا عجا

أهدى الى الأرض من أوراقه ذهباً
والأرض من شأنها أن تهدى الذهباً

وقال أيضاً :

له فصل الخريف فصلاً
رقت حواشيه فهو رائق

قاله . يجرى من قلب سال^١
والدمع يبدو بوجه عاشق
فبرد هذا ولون هذا
بلذه ذائق وواثق
وقال أيضاً :

أتى فصل الخريف بكل طيب
وحسن معجب قلباً وعينا

أرانا الدوح مصفراً نصاراً
وصافى الماء مبيضاً لجينا

فأحسن كل إحسان النبا
وانعم كل انعام علينا

وقال آخر يذم الخريف :

خذ في التدثر في الخريف فانه
مستويل ونسيه خطاف

يجرى مع الأجسام جرى حياتها
كصديقتها ، ومن الصديق يخاف
وقال آخر :

ياغائباً فصل الخريف وغائباً
عن فضله في ذمه لزمانه

لا شيء أطف منه عندي موقعا
أبدا يعرى الفصن من قمصانه

وتراه يفرش تحته أثوابه
فأعجب لرافته وفرط حنانه

والذ ساعات الوصال اذا دنا
وقت الرحيل وحان حين أوانه

(١) لعل حوايه « بتليق سال » لانه من مخرج
البيط .

فاذا حلت الشمس آخر برج القوس وأول
برج الجدى ، تهاى طول الليل وقصر النهار ،
وأخذ النهار في الزيادة والليل في النقصان ،
وانصرف فصل الخريف وحل فصل الشتاء ،
واشتد البرد وخشن الهواء ، وتساقط ورق
الشجر ومات أكثر النبات ، وغارت الحيوانات
في جوف الأرض ، وضعف قوى الأبدان ،
وعرى وجه الأرض من الزينة ، ونشأت الغيوم
وكرت الأنداء ، وأظلم الجو ، وكلح وجه
الأرض الا بمصر ، وامتنع الناس من التصرف ،
وصارت الدنيا كأنها عجوز هرمة قد دنا منها
الموت .

فاذا بلغت آخر برج الحوت وأول برج
الحمل ، عاد الزمان كما كان عام أول ، وهذا
دأبه ... ذلك تقدير العزيز العليم ، وتدين
الخبر الحكيم ، لا اله الا هو .

وقد شبه بطليموس فصل الربيع بزمان
الطفولية ، وفصل الصيف بالشباب ، والخريف
بالكهولة ، والشتاء بالشيخوخة .

وعن حركة الشمس ، وتنقلها في البروج
الاثني عشر المذكورة ، تكون أزمان السنة
وأوقات اليوم من الليل والنهار وساعاتها .

وعن حركة القمر في البروج الاثني عشر
تكون الشهور القمرية والسنة القمرية .

فالقمر يدور البروج الاثني عشر ، ويقطع
الفلك كله ، في مدة ثمانية وعشرين يوماً وبعض
يوم ، ويقسم في كل برج يومين وثلاث يوم
بالتقريب ، ويقسم في كل منزلة من منازل القمر
الثمانية والعشرين منزلة يوماً وليلة ، فيظهر
عند اهلاله من ناحية الغرب بعد غروب جرم
الشمس ، ويزيد نوره في كل ليلة قدر نصف

سبح حتى يكمل نوره ، ويستلئ ، في ليلة الرابع عشر من اهلالة ، ثم يأخذ من الليلة الخامسة عشر ، في التقصان ، فينقص من نوره في كل ليلة نصف سبح كما بدا ، الى أن يحق نوره في آخر الثمانية وعشرين يوما من اهلالة .

ويسرى في هذه المدة - منذ يفارق الشمس ، ويدو في ناحية الغرب ، ويستمر الى أن يجامعها - بشاية وعشرين منزلة ، وهي : السرطان والبطين والثريا والدبران والمقمة والهنة والذراع والنثرة والطرف والجمجمة والزبرة والصرفة والموا والسماك والقمر والزبانا والاكيل والقلب والشولة والنائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعد وسعد الأخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر وبطن الحوت .

ولحساب ذلك كتب موضوعة ، وفيما ذكر كفاية . والله يعلم وأتم لا تعلمون .

ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها

ولما تقدم في الأفلاك من القول ما يتبين به ، لمن ألهمه الله تعالى ، كيف تكون الحركة التي بها الليل والنهار وتركب الشهور والأعوام منها ، جاز حينئذ الكلام على الأرض ، فأقول :

الجهات من حيث هي ست : الشرق ، وهو حيث تطلع الشمس والقمر وسائر الكواكب في كل قطر من الأفق .

والغرب ، وهو حيث تغرب .

(*) ص ٨ ، ج ١ ، ط ١ : بولاق .

والشمال ، وهو حيث مدار الجدى والفرقدين .

والجنوب ، وهو حيث مدار سهيل .

والفوق ، وهو ما يلي السماء .

والتحت ، وهو ما يلي مركز الأرض .

والأرض جسم مستدير كالكرة ، وقيل ليست بكرة الشكل ، وهي واقفة في الهواء بجميع جبالها وبحارها وعامرها وغامرها ، والهواء محيط بها من جميع جهاتها كالح في جوف البيضة . وبمدها من السماء متساو من جميع الجهات . وأسفل الأرض ما تحقيقه هو علق باطنها ما يلي مركزها من أي جانب كان .

ذهب الجمهور الى أن الأرض كالكرة ، موضوعة في جوف القلح كالح في البيضة ، وأنها في الوسط ، وبمدها في القلح من جميع الجهات على التساوي .

وزعم هشام بن الحكم أن تحت الأرض جسما من شأنه الارتفاع ، وهو المانع للأرض من الانحدار ، وهو ليس محتاجا الى ما بعده ، لأنه ليس يطلب الانحدار بل الارتفاع . وقال : ان الله تعالى وقفها بلا عمد .

وقال ديمقراطيس : انها تقوم على الماء ، وقد حصر الماء تحتها حتى لا يجد مخرجا فيضطر الى الانتقال .

وقال آخر : هي واقفة على الوسط على مقدار واحد من كل جانب ، والقلح يجذبها من كل وجه ، فلذلك لا تميل الى ناحية من القلح دون ناحية ، لأن قوة الأجزاء متكافئة ، وذلك كحجر المغناطيس في يجذبه الحديد ، فان

القلح بالطبع مغناطيس الأرض ، فهو يجذبها فهي واقفة في الوسط ، وسبب وقوفها في الوسط سرعة تدوير القلح ودفعه اياها من كل جهة الى الوسط ، كما اذا وضعت ترابا في قارورة وأدبتها بقوة فان التراب يقوم في الوسط .

وقال محمد بن أحمد الخوارزمي : الأرض في وسط السماء ، والوسط هو السفلى بالحقيقة ، وهي مدورة مفرسة من جهة الجبال البارزة والوهاد الفائرة ، وذلك لا يخرجها عن الكرية اذا اختبرت جبلتها ، لأن مقادير الجبال - وان شئت - يسيرة بالقياس الى كرة الأرض ، فان الكرة التي قطرها ذراع أو ذراعان مثلا اذا تآ منها شيء أو غار فيها لا يخرجها عن الكرية ، ولا هذه التضاريس لاحاطة الماء بها من جميع جوانبها وغمرها بحيث لا يظهر منها شيء ، فحينئذ تبطل الحكمة المؤدية المودعة في المبادئ والنبات والحيوان ... فسبحان من لا يعلم أسرار حكمه الا هو .

وأما سطحها الظاهر ، المماس للهواء من جميع الجهات ، فانه فوق . والهواء فوق الأرض يحيط بها ويجذبها من سائر الجهات .

وفوق الهواء الأفلاك المذكورة فيما تقدم ، واحدا فوق آخر ، الى القلح التاسع الذي هو أعلى الأفلاك ونهاية المخلوقات بأسرها .

وقد اختلف فيما وراء ذلك : فقليل خلاء ، وقيل ملاء ، وقيل لا خلاء ولا ملاء .

وكل موضع يقف فيه الانسان من سطح الأرض ، فان رأسه أبدا يكون ما يلي السماء

الى فوق ، ورجله أبدا تكون أسفل مما يلي مركز الأرض ، وهو دائما يرى من السماء نصفها ، ويستر عنه النصف الآخر حدة الأرض . وكلما انتقل من موضع الى آخر ، ظهر له من السماء بقدر ما خفى عنه .

والأرض غامرة بالماء كغنية طافية فوق الماء قد انصر عنها نحو النصف وانصر النصف الآخر في الأرض ، وصار المنكشف من الأرض نصفين ، كأننا قسم بخط مسامت لخط معدل النهار يمر تحت دائرته .

وجميع البلاد التي على هذا الخط لا عرض لها البتة ، والقطبان غير مرتبين فيها ، ويكونان هناك على دائرة الأفق من الجانبين . وكلما بعد موضع بلد عن هذا الخط الى ناحية الشمال قدر درجة ، ارتفع القطب الشمالي الذي هو الجدى على أهل ذلك البلد درجة ، وانخفض القطب الجنوبي الذي هو سهيل درجة ، وهكذا ما زاد .

ويكون الأمر فيما بعد ، من البلاد الواقعة في ناحية الجنوب كذلك ، من ارتفاع القطب الجنوبي وانحطاط القطب الشمالي . وبهذا عرف عرض * البلدان ، وصار عرض البلد عبارة عن ميل دائرة معدل النهار عن سمت رؤوس أهله وارتفاع القطب عليهم ، وهو أيضا بعد ما بين سمت رؤوس أهل ذلك البلد وسمت رؤوس أهل بلد لا عرض له .

فأما ما انكشف من الأرض ، مما يلي الجنوب من خط الاستواء ، فانه خراب . والنصف الآخر ، الذي يلي الشمال من خط

(*) ص ٨ ، ج ١ ، ط ١ : بولاق .

الاستواء ، فهو الرّيح العامر ، وهو المسكون من الأرض .

وخط الاستواء لا وجود له في الخارج ، وإنما هو فرض بوهنا أنه خط ، ابتداءً من المشرق إلى المغرب تحت مدار رأس الحمل ، وسمى بذلك من أجل أن النهار والليل هناك أبداً سواء ، لا يزيد ولا ينقص أحدهما عن الآخر شيئاً أبداً في سائر أوقات السنة كلها . وتقطعت هذا الخط ملازمتان للأفق : أحدهما على مدار سهيل في ناحية الجنوب ، والأخرى مساوية على الجدي في ناحية الشمال .

والعمارة من المشرق إلى المغرب مائة وثمانون درجة ، من الجنوب إلى الشمال من خط أريس إلى بنات نعش ثمان وأربعون درجة ، وهو مقدار ميل الشمس مرتين ، وخلف خط أريس وهو مقدار مئة عشر درجة .

وجملة معسور الأرض نحو من سبعين درجة ، لاعتدال سير الشمس في هذا الوسط ، ونمرورها على ما وراء الحمل والميزان مرتين في السنة . وأما الشمال والجنوب فالشمس لا تحاذيهما إلا مرة واحدة ، ولأن أوج الشمس مرتين في جهة الشمال ، كانت العمارة فيه ، لارتفاعها واتقاء ضرر قريبها عن ساكنيه ، ولأن حضيضها في الجنوب عدت العمارة هناك .

وقد اختلف الناس في مسافة الأرض ، فقليل مسافتها خمسمائة عام : ثلث عمران ، وثلث خراب ، وثلث بحار .

وقيل المعسور من الأرض مائة وعشرون سنة : تسعون لياجوج وماجوج ، واثنا عشر

للسودان ، وثمانية للروم ، وثلاثة للعرب ، وسبعة لسائر الأمم .

وقيل الدنيا مئة أجزاء : مئة لياجوج وماجوج ، وواحد لسائر الناس .

وقيل الأرض خمسمائة عام : البحار ثلاثمائة ومائة خراب ، ومائة عمران .

وقيل الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ : للسودان اثنا عشر ألف ، وللروم ثمانية آلاف ، وللفارس ثلاثة آلاف ، وللعرب ألف .

وعن وهب بن منبه : ما العمارة من الدنيا في الخراب الا كمسطط في الصحراء .

وقال أزدشير بن تابك : الأرض أربعة أجزاء : جزء منها للترك ، وجزء للعرب ، وجزء للفرس ، وجزء للسودان .

وقيل الأقاليم مئة ، والأطراف أربعة ، والنواحي خمسة وأربعون ، والمدائن عشرة آلاف ، والرساتيق مائتا ألف وستة وخمسون ألفاً .

وقيل المدن والحصون أحد وعشرون ألفاً وستمئة مدينة وحصن . ففي الأقليم الأول ثلاثة آلاف ومائة مدينة كبيرة ، وفي الثاني ألفان وسبعمائة وثلاثة عشر مدينة وقرية كبيرة ، وفي الثالث ثلاثة آلاف وتسع وسبعون مدينة وقرية ، وفي الرابع — وهو بابل — ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون مدينة ، وفي الخامس ثلاثة آلاف مدينة وست مدائن ، وفي السادس ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان مدن ، وفي السابع ثلاثة آلاف وثلاثمائة مدينة في الجزائر .

قال الخوارزمي : قطر الأرض مئة آلاف فرسخ ، وهو نصف سدس الأرض والجبال والمقار والبحار ، والباقي خراب يساب لا نبات فيه ولا حيوان .

وقيل المعسور من الأرض مثل طائر : رأسه الصين ، والجناح الأيمن الهند والسند ، والجناح الأيسر الخزر ، وصدره مكة والعراق والشام ومصر ، وذنبه الغرب .

وقيل قطر الأرض مئة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلاً ، ودورها عشرون ألف ميل وأربعمائة ميل ، وذلك جميع ما أحاطت به من بر وبحر .

وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي : طول الأرض ، من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، نحو أربعمائة مرحلة . وعرضها من حيث العمران الذي من جهة الشمال ، وهو مساكن ياجوج وماجوج ، إلى حيث العمران الذي من جهة الجنوب ، وهو مساكن السودان ، مائتان وعشرون مرحلة . وما بين براري ياجوج وماجوج إلى البحر المحيط في الشمال ، وما بين براري السودان والبحر المحيط في الجنوب ، خراب ليس فيه عمارة ، ويقال إن مسافة ذلك خمسة آلاف فرسخ . وهذه أقوال لا دليل على صدقها .

والطريق في معرفة مساحة الأرض ، أنا لو سرنا على خط نصف النهار من الجنوب إلى الشمال بقدر ميل دائرة معدل النهار عن سمت رؤوسنا ، إلى الجنوب درجة من درج الفلك التي هي جزء من ثلاثمائة وستين جزءاً ، وارتفع القطب علينا درجة نظير تلك الدرجة ، فانا نعلم أنا قد قطعنا من محيط

جزم الأرض جزءاً من ثلاثمائة وستين جزءاً ، وهو نظير ذلك الجزء من الفلك .

فلو قمنا من ابتداء سيرنا إلى انتهاء مكاننا الذي وصلنا إليه ، حيث ارتفع القطب علينا درجة ، فانا نجد حقيقة الدرجة الواحدة من الفلك قد قطعت من الأرض ستة وخمسين ميلاً وثلثي ميل ، عنها خمسة وعشرون فرسخاً .

فاذا ضربنا حصة الدرجة الواحدة — وهو ما ذكر من الأميال — في ثلاثمائة وستين ، خرج من الضرب عشرون ألفاً وأربعمائة ميل ، وذلك مساحة دور الأرض .

فاذا ضربنا هذه الأميال — التي هي مساحة دور الأرض — على ثلاثة وسبع ، خرج من القسمة ستة آلاف وأربعمائة وأربعون ميلاً ، وهي مساحة قطر الأرض .

فلو ضربنا هذا القطر في مبلغ دور الأرض ، لبلغت مساحة بسط الأرض بالتكثير مائة ألف ألف واثنين وثلاثين ألف ألف وستمئة ألف ميل بالتقريب .

فعلى هذا مساحة ربع الأرض المسكون بالتكثير ثلاثة وثلاثون ألف ألف ميل ومائة وخمسون ألف ميل . وعرض المسكون من هذا الربع بقدر بعد مدار السرطان عن القطب ، وهو خمسة وخمسون جزءاً وسدس جزء ، وهذا هو سدس الأرض ، وانتهأه إلى جزيرة تولى في برطانية ، وهي آخر المعسور من الشمال ، وهو من الأميال ثلاثة آلاف وسبعمائة وأربعة وستون ميلاً .

فإذا ضربنا هذا السمس الذي هو مساحة عرض الأرض ، في النصف وهو مقدار الطول ، كان المصور من الشمال قدر نصف سمس الأرض . وأما الطول فإنه يقل لتضيق أقسام كرة الأرض ، ومقداره مثل خمس الدور ، وهو بالتقريب أربعة آلاف وثمانون ميلا .

وفي الربع المسكون من الأرض سبعة أبحر كبار ، وفي كل بحر منها عدة جزائر . وفيه خمسة عشر بحيرة منها ملح وعذب . وفيه مائتا جبل طوال ، ومائتا نهر وأربعون نهرا ضوالا ، ويشتمل على سبعة أقاليم تحتوي على سبعة عشر ألف مدينة كبيرة .

وقال في كتاب هروشيوس : لما استقامت طاعة يوليس للملقب قيصر الملك ، في عامة الدنيا ، تخير أربعة من الفلاسفة ساهم ، فأمرهم أن يأخذوا له وصف حدود الدنيا وعدة بحارها وكورها أرباعا . فولى أحدهم أخذ وصف جزء الشرق ، وولى آخر أخذ وصف جزء المغرب ، وولى الثالث أخذ وصف جزء الشمال ، وولى الرابع أخذ وصف جزء الجنوب ، فتت كتابة الجميع على أيديهم في نحو من ثلاثين سنة .

فكانت جولة البحار المساة في الدنيا تسعة وعشرين بحرا قد سموها : منها بجزء الشرق ثمانية ، وجزء الغرب ثمانية ، وجزء الشمال أحد عشر ، وجزء الجنوب اثنان .

وعدة الجزائر المعروفة الأسماء إحدى وسبعون جزيرة : منها في الشرق ثمان ، وفي الغرب ست عشرة ، وفي جهة الشمال إحدى وثلاثون ، وفي جهة الجنوب ست عشرة .

وعدة الجبال الكبار المعروفة في جميع الدنيا ستة وثلاثون ، وهي أمهات الجبال ، وقد سموها فيما قسروه : منها في جهة الشرق سبعة ، وفي جهة الغرب خمسة عشر ، وفي الشمال اثنا عشر ، وفي الجنوب اثنان .

والبلدان الكبار ثلاثة وستون : منها في الشرق سبعة ، وفي المغرب خمسة وعشرون ، وفي الشمال تسعة عشر ، وفي الجنوب اثنا عشر . وقد سموها .

والكور الكبار المعروفة تسع ومائتان : منها في الشرق خمس وسبعون ، وفي المغرب ست وستون ، وفي الشمال ست ، وفي الجنوب اثنان وستون .

والأنهار الكبار المعروفة في جميع الدنيا ستة وخمسون : منها لجزء الشرق سبعة عشر ، وجزء الغرب ثلاثة عشر ، وجزء الشمال تسعة عشر ، وجزء الجنوب سبعة .

والأقاليم السبعة ، كل إقليم منها كأنه بساط مفروش قد مد ، طوله من الشرق الى الغرب ، وعرضه من الشمال الى الجنوب .

وهذه الأقاليم مختلفة الطول والعرض . فالإقليم الأول منها يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها الأطول ثلاثة عشر ساعة والسابع منها يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها الأطول ست عشر ساعة ... لأن ما حاذى حد الإقليم الأول الى نحو الجنوب يشتمل عليه البحر ولا عمارة فيه ، وما حاذى الإقليم السابع الى الشمال لا يعلم فيه عمارة .

فجعل طول الأقاليم السبعة من الشرق الى الغرب مسافة اثنتي عشرة ساعة من دور

الملك ، وصارت عروضها تتفاضل نصف ساعة من ساعات النهار الأطول . فأطولها وأعرضها الإقليم الأول ، وطوله من المشرق الى المغرب نحو ثلاثة آلاف فرسخ ، وعرضه من الشمال الى الجنوب مائة وخمسون فرسخا . وأقصرها طولاً وأعرضها الإقليم السابع ، وطوله من الشرق الى الغرب ألف وخمسة فرسخ ، وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو من سبعين فرسخا . وبقيت الأقاليم الخمسة فيما بين ذلك .

وهذه الأقاليم خطوط متوهمة لا وجود لها في الخارج ، وضعها القدماء الذين جالوا في الأرض ليقنوا على حقيقة حدودها ، ويتقنوا مواضع البلدان منها ، ويعرفوا طرق مسالكها .

هذا حال الربع المسكون . وأما الثلاثة الأرباع الباقية فإنها خراب .

فجهة الشمال واقعة تحت مدار الجدى ، قد أفرط هناك البرد ، وصارت ستة أشهر ليلا مستمرة ، وهي مدة الشتاء عندهم لا يعرف فيها نهار ، ويظلم الهواء ظلمة شديدة ، وتجمد المياه لقوة البرد فلا يكون هناك نبات ولا حيوان .

ويقابل هذه الجهة الشمالية ناحية الجنوب حيث مدار سهيل ، فيكون النهار ستة أشهر يغير ليل ، وهي مدة الصيف عندهم ، فيحمر الهواء ويصير سموما محرقا يهلك بشدة حره الحيوان والنبات ، فلا يسكن سلوكه ولا السكنى فيه .

وأما ناحية الغرب فيمنع البحر المحيط من السلوك فيه ، لتلاطم أمواجه وشدة ظلماته .

وناحية الشرق تمنع من سلوكها الجبال الشامخة .

وصار الناس أجمعهم قد انحصروا في الربع المسكون من الأرض ، ولا علم لأحد منهم بالأرض ، أى بالثلاثة الأرباع الباقية .

والأرض كلها ، بجميع ما عليها من الجبال والبحار ، نسبتها الى الملك ككتلة في دائرة .

وقد اعتبرت حدود الأقاليم السبعة بساعات النهار . وذلك أن الشمس اذا حلت برأس الحمل ، تساوى طول النهار والليل في مسائر الأقاليم كلها . فإذا انتقلت في درجات برج الحمل والثور والجوزاء ، اختلفت ساعات نهار كل إقليم . فإذا بلغت آخر الجوزاء وأول برج السرطان ، بلغ طول النهار في وسط الإقليم الأول ثلاث عشرة ساعة سواء ، وصارت في وسط الإقليم الثاني ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة ، وفي وسط الإقليم الثالث أربع عشرة ساعة ، وفي وسط الإقليم الرابع أربع عشرة ساعة ونصف ساعة ، وفي وسط الإقليم الخامس خمس عشرة ساعة ، وفي وسط الإقليم السادس خمس عشرة ساعة ونصف ساعة ، وفي وسط الإقليم السابع ست عشرة ساعة سواء ، وما زاد على ذلك الى عرض تسعين درجة يصير نهارا كله .

ومعنى طول البلد ، هو بعدها من أقصى المارة في الغرب ، وعرضها هو بعدها عن خط الاستواء .

وخط الاستواء — كما تقدم — هو الموضع الذي يكون فيه الليل والنهار طول الزمان

(ط) ص ١١ ، ج ١ ، طبع بولاق

موا . فكل بلد على هذا الخط لا عرض له . وكل بلد في أقصى الغرب لا طول له . ومن أقصى الغرب إلى أقصى الشرق مائة وثلاثون درجة . وكل بلد يكون طوله تسعين درجة ، فانه في وسط ما بين الشرق والغرب . وكل بلد كان طوله أقل من تسعين درجة ، فانه أقرب إلى الغرب وأبعد من الشرق . وما كان طوله من البلاد أكثر من تسعين درجة ، فانه أبعد من الغرب وأقرب إلى الشرق .

وقد ذكر القدماء أن العالم السفلي مقسوم سبعة أقسام ، وكل قسم يقال له إقليم : فإقليم الهند لرحل ، وإقليم بابل للشمس ، وإقليم الترك للريخ ، وإقليم الروم للشمس ، وإقليم مصر لطارد ، وإقليم الصين للشمس .

وقال قوم : الحمل والمشمس لبابل ، والجدي وطارد للهند ، والأسد والريخ للترك ، والميزان والشمس للروم .

ثم صارت القسمة على اثني عشر برجاً : فالحمل ومثله للشرق ، والشور ومثله للجنوب ، والجوزاء ومثله للغرب ، والسرطان ومثله للشمال .

قالوا : وفي كل إقليم مدينتان عظيمتان بحسب يتي كل كوكب ، إلا إقليم الشمس وإقليم القمر ، فانه ليس في كل إقليم منهما سوى مدينة واحدة عظيمة . وجميع مدائن الأقاليم السبعة وحصولها أحد وعشرون ألف مدينة وستمئة مدينة وحصن بقدر دقائق درج الفلك .

وقال هرمس : اذا جعلت هذه الدقائق روابح كانت أفاس هذه الأقاليم ، واذا مات أحد ولد نظيره .

ويقال أن عدد مدن الاقليم الأول من مطلع الشمس وقراها ثلاثة آلاف ومائة مدينة وقرية كبيرة ، وأن في الثاني ألفان وسبعمائة وثلاث عشرة مدينة وقرية كبيرة ، وفي الثالث ثلاثة آلاف وتسع وسبعون ، وفي الرابع - وهو بابل - ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون ، وفي الخامس ثلاثة آلاف وست مدن ، وفي السادس ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان مدن ، وفي السابع ثلاثة آلاف وثلاثمائة مدينة وقرية كبيرة في الجزائر .

فالاقليم الأول يمر وسطه بالمواضع التي طول لهارها الأطول ثلاث عشرة ساعة ، ويرتفع القطب الشمالي فيها عن الأفق ست عشرة درجة وثلاث درجة وهو العرض . وانهاء عرض هذا الاقليم من حيث يكون طول النهار الأطول فيه ثلاث عشرة ساعة وربع ساعة ، وارتفاع القطب الشمالي ، وهو العرض ، عشرون درجة ونصف درجة .

وهو مسافة أربعمائة وأربعين ميلاً ، وابتدأه من أقصى بلاد الصين ، فيمر فيها إلى ما يلي الجنوب ، ويمر بسواحل الهند ثم ببلاد الهند ، ويمر في البحر على جزيرة العرب وأرض اليمن ، ويقطع بحر القلزم فيمر ببلاد الحبشة ، ويقطع نيل مصر إلى بلاد الحبشة ومدينة دنقلة من أرض النوبة ، ويمر في أرض المغرب على جنوب بلاد البربر إلى نحو البحر المحيط .

وفي هذا الاقليم عشرون جبلاً ، فيها ما طوله من عشرين فرسخاً إلى ألف فرسخ . وفيه ثلاثون نهراً طويلاً ، منها ما طوله ألف فرسخ إلى عشرين فرسخاً . وفيه خمسون مدينة كبيرة . وعامة أهل هذا الاقليم سود الألوان .

ولهذا الاقليم من البروج الحمل والقوس ، وله من الكواكب السيارة المشتري .

وهو - مع فرط حرارته - كثير المياه كثير المروج ، ويزرع أهله الذرة والأرز ، إلا أن الاعتدال عندهم معدوم ، فلا يثمر عندهم كرم ولا حنطة ، والبقر عندهم كثير لكثرة المروج ، وفي مشرقه البحر الخارج وراء خط الاستواء بثلاث عشرة درجة ، وفي مغربه النيل وبحر الغرب .

ومن هذا الاقليم يأتي نيل مصر ، وشرقهم معمور بالبحر الشرقي الذي هو بحر الهند والين .

والاقليم الثاني حيث يكون طول النهار الأطول ثلاث عشرة ساعة ونصف ، ويرتفع القطب الشمالي فيه قدر أربعة وعشرين جزءاً وعشر جزء . وعرضه ، من حد الاقليم الأول إلى حيث يكون النهار الأطول ، ثلاث عشرة ساعة ونصف وربع ساعة . وارتفاع القطب الشمالي ، وهو العرض ، سبعة وعشرون درجة ونصف درجة .

ومساحة هذا الاقليم أربعمائة ميل * ، ويبتدىء من بلاد الشرق ماراً ببلاد الصين إلى بلاد الهند والهند ، ثم يلتقي البحر الأخضر وبحر البصرة ، ويقطع جزيرة العرب في أرض نجد وتهامة ، فيدخل في هذا الاقليم اليمامة والبحران وهجر ومكة والمدينة والطائف وأرض الحجاز ، ويقطع بحر القلزم فيمر بصعيد مصر الأعلى ، ويقطع النيل فيصير فيه مدينة قوص واخيم واسني وانصنا

(٥) من ١٢٠ ، ١٠٠ ، ٨٠ ، ٦٠ ، ٤٠ ، ٢٠ ، ١٠ ، ٥ ، ٢ ، ١

واسوان ، ويمر في أرض المغرب على وسط بلاد إفريقية فيمر على بلاد البربر إلى البحر في المغرب .

وفي هذا الاقليم سبعة عشر جبلاً ، وسبعة عشر نهراً طويلاً ، وأربعمائة وخمسون مدينة كبيرة . وألوان أهل هذا الاقليم ما بين السمرة والسواد . وله من البروج الجدي ، ومن السيارة زحل .

ويكن هذا الاقليم الرحالة : ففي المغرب منهم حدالة وصنهاجة ولشونة ومسوفة ، ويتصل بهم رحالة مصر من الواح . وفي هذا الاقليم يكون يحل ، وفيه مكة والمدينة ، ومنه السماوة من أهل العراق إلى رحالة الترك .

والاقليم الثالث وسطه حيث يكون طول النهار الأطول أربع عشرة ساعة . وارتفاع القطب ، وهو العرض ، ثلاثون درجة ونصف وخمس درجة . وعرض هذا الاقليم من حد الاقليم الثاني إلى حيث يكون النهار الأطول أربع عشرة ساعة وربع ساعة . وارتفاع القطب وهو العرض ثلاث وثلاثون درجة .

ومسافته ثلاثمائة وخمسون ميلاً ، ويبتدىء من الشرق فيمر بشمال الصين وبلاد الهند وفيه مدينة الهندهار ، ثم بشمال الهند وبلاد كابل وكرمان وسجستان إلى سواحل بحر البصرة ، وفيه اصطخر وسابور وشيراز وسيراف ، ويمر بالأهواز والعراق والبصرة وواسط وبغداد والكوفة والأنبار وهيت ، ويمر ببلاد الشام إلى سلمية وصور وعكا ودمشق وطبرية وقيسارية وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين والقلزم ، ويقطع أسفل أرض مصر من شمال

انما الى لفظ مصر وسواحل البحر وفيه
اليوم والاسكندرية والقرما وتيس وديماط ،
ويمر بيلاد برقة الى افرقة فيدخل فيه
القيروان ، وينتهي في البحر الى الغرب .

وهذا الاقليم ثلاث وثلاثون جيلا كبيرا ،
واثنان وعشرون نهرا طوالا ، ومائة وثمانية
وعشرون مدينة . واهله سمر الألوان . وله من
البروج القرب ، ومن السيارة الزهرة .

وفي هذا الاقليم الصالح المتواصلة من اوله
الى آخره . اهـ .

والاقليم الرابع وسطه حيث يكون النهار
الاطول أربع عشرة ساعة ونصف ساعة .
وارتفاع القطب الشمالي ، وهو العرض ، ست
وثلاثون درجة وخمس درجة .

وحده هذا الاقليم ، من حد الاقليم الثالث
الى حيث يكون النهار الاطول ، أربع عشرة
ساعة ونصف وربع ساعة ، والعرض تسعا
وعشرين درجة وثلاث درجة .

ومسافة هذا الاقليم ثلاثمائة ميل ، ويتبدى
من الشرق فيمر بيلاد التبت وخراسان
وحجندة ولرغانة وسمرقند وبخارى وهراة
ومرو والروند وسرخس وطوس ولسابور
وجرجان وقوس وطبرستان وقزوین والديلم
والري واصفهان وهمدان وهاوند ودينور
والموصل ونصيبين وآمد ورأس العين
ونميطا والركة ، ويمر بيلاد الشام فيدخل
فيه بالس ومسح وملطية وحلب وانطاكية
وطرابلس والمصيصة وحماة وصيدا وطرسوس
وصورية واللاذقية ، ويقطع بحر الشام على
جزيرة قبرس ورودس ، ويمر بيلاد طنجة
فينتهي الى بحر المغرب .

وفي هذا الاقليم خمسة وعشرون جيلا
كبيرا ، وخمس وعشرون نهرا طوالا ، ومائتا
مدينة واثنان عشرة مدينة . والوان اهله بين
السرة والبياض . وله من البروج الجوزاء ،
ومن السيارة عطارد ، وفيه البحر الرومي من
مغربه الى القسطنطينية .

ومن هذا الاقليم ظهرت الانبياء والرسل
صلوات الله عليهم اجمعين ، ومنه انتشر
الحكماء والعلماء ، فانه وسط الاقليم ثلاثة
جنوبية وثلاثة شمالية ، وهو في قسم الشمس ،
وبعده في الفضيلة الاقليم الثالث والخامس ،
فانهما على جنبه ، وبقية الاقليم منحطة ،
اهلها فاقصون ومنحطون عن الفضيلة
لساجة سؤرهم وتوحش اخلاقهم ، كالزنج
والحبشة ، وأكثر اهل الاقليم الاول والثاني
والسادس والسابع ياجوج وماجوج والتفرغز
والصقالبة ونحوهم .

والاقليم الخامس وسطه حيث يكون النهار
الاطول خمس عشر ساعة . وارتفاع القطب
الشمالي ، وهو العرض ، احدى وأربعون
درجة وثلاث درجة . وابتدأه من نهاية عرض
الاقليم الرابع الى حيث يكون النهار الاطول
خمس عشرة ساعة ونصف ساعة ، والعرض
ثلاثا وأربعين درجة .

ومسافته خمسون ومائتا ميل ، ويتبدى
من المشرق الى بلاد ياجوج وماجوج ، ويمر
بشمال خراسان وفيه خوارزم واسبيجياب
واذريجان وبردة وسجستان وأردن وخلاط ،
ويمر على بلاد الروم الى رومية الكبرى
والأندلس حتى ينتهي الى البحر الذي في
المغرب .

وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال ثلاثون
جيلا ، ومن الأنهار الكبار خمسة عشر نهرا ،
ومن المدائن الكبار مائتا مدينة . وأكثر اهله
بيض الألوان . وله من البروج الدلو ، ومن
السيارة القمر .

والاقليم السادس وسطه حيث يكون النهار
الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة .
وارتفاع القطب الشمالي ، وهو العرض ،
خمساً وأربعين درجة وخمس درجة .
وابتدأه من حد نهاية عرض الاقليم الخامس
الى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة
ساعة ونصف وربع ساعة . والعرض سبعا
وأربعين درجة وربع درجة .

ومسافة هذا الاقليم مائتا ميل وعشرة
أميال ، ويتبدى من المشرق ، فيمر بمساكن
الترك من أبحر خير والتفرغز ، الى بلاد الخزر
من شمال نجومهم على اللان والشرير وأرض
برحان والقسطنطينية وشمال الأندلس الى
البحر المحيط الغربي .

وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال اثنان
وعشرون جيلا ، ومن الأنهار الطوال اثنان
وثلاثون نهرا ، ومن المدن الكبار تسعون
مدينة . وأكثر أهل هذا الاقليم ألوانهم ما بين
الشفرة والبياض . وله من البروج السرطان ،
ومن السيارة المريخ .

والاقليم السابع وسطه حيث يكون النهار
الاطول ست عشرة ساعة سواء . وارتفاع
القطب الشمالي ، وهو العرض ، ثمانيا
وأربعين درجة وثلاثي درجة .

(٥) من ٣٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨

الأرض ، ومقارح شعاعاتها على المواضع ، كما هو مقرر في مواضعه من كتب الحكمة ... لتدبر أولو النهى ، ويعتبر ذوو الحجب بتدبير الله في خلقه ، وتقديره لما يشاء وفعله لما يريد ، لا اله الا هو .

ومع ذلك فإن الربع المكون من الأرض — على تفاوت أقطاره — مقسوم بين سبع أمم كبار ، وهم الصين والهند والسودان والبربر والروم والترك والفرس .

فجنوب مشرق الأرض في يد الصين ، وشماله في يد الترك ، ووسط جنوب الأرض في يد الهند ، وفي وسط شمال الأرض الروم ، وفي جنوب مغرب الأرض السودان ، وفي شمال مغرب الأرض البربر ، وكانت الفرس في وسط هذه الممالك قد أحاطت بهم الأمم الست .

ذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقاليم السبعة

واذ ير الله سبحانه بذكر جمل أحوال الأرض ومعرفة ما في كل اقليم من أقاليم الأرض ، فلنذكر محل مصر من ذلك فنقول :

ديار مصر بعضها واقع في الاقليم الثاني ، وبعضها واقع في الاقليم الثالث : فما كان منها في الصعيد الأعلى ، كتقوص واخميم واسني وانصنا وأسوان ، فإن ذلك واقع في اقسام الاقليم الثاني . وما كان من ديار مصر في جهة الشمال من أنصنا ، وهو الصعيد الأدنى من سيوط الى فسطاط مصر والفيوم والقاهرة

والاسكندرية والقروا وتيس ودمياط ، فإن ذلك من اقسام الاقليم الثالث .

وطول مدينة مصر الفسطاط والقاهرة — وهو بعمدهما من أول العمارة في جهة المغرب — خمس وخمسون درجة ، والعرض — وهو البعد من خط الاستواء — ثلاثون درجة ، وطول النهار الأطول أربع عشرة ساعة ، وغاية ارتفاع الشمس في الفلك بها ثلاث وثمانون درجة وثلاث وربع درجة .

وفسطاط مصر مع القاهرة ، من مكة شرفها الله تعالى ، واقعان في الربع الجنوبي الشرقي ، والصعيد الأعلى أشد تشرقاً لبعده عن مدينة الفسطاط بأيام عديدة في جهة الجنوب ، فيكون على ذلك مقابلاً لمكة من غربها

ومصر لا يتوصل اليها الا من مفازة : ففي شرقها بحر القلزم من وراء الجبل الشرقي ، وفي غربها صحراء المغرب ، وفي جنوبها مفازة النوبة والحبشة ، وفي شمالها البحر الشامي .

والرمال التي فيسا بين بحر الروم وبحر القلزم ، وبين مصر وبغداد — على ما ذكره ابن جرداديه في كتاب «الممالك والممالك» — ألف وسبعمائة وعشرة أميال ، يكون خمسمائة وسبعين فرسخاً ومائة وبضعا وأربعين برزاً .

وبين مصر والشام ، أغنى دمشق ، ثلاثمائة وخمسة وستون ميلاً ، تكون من القراسخ مائة واحد عشر فرسخاً وثلاث فرسخ ، عنها ثلاثون برزاً وكسر .

وقال ابن جرداديه : أرض الحبشة والسودان مسيرة سبع سنين ، وأرض مصر

(٢٠) من بلاد ، ج ١ ، ص ١٠١

جزء واحد من ستين جزءاً من أرض السودان ، وأرض السودان جزء واحد من الأرض كلها .

وفي كتاب هردوشيش : بلد مصر الأدنى شرقه فلسطين ، وغربه أرض لبيسة ، وأرض مصر الأعلى تمتد الى ناحية الشرق ، وحده في الشمال خليج الغرب ، وفي الجنوب البحر المحيط ، وفي الغرب مصر الأدنى ، وفي الشرق بحر القلزم ، وفيه من الأجناس ثمانية وعشرون جنساً .

ذكر حدود مصر وجهاتها

اعلم أن التحديد هو صفة المحدود على ما هو عليه ، والحد هو نهاية الشيء ، والحدود تكثر وتقل بحسب المحدود .

والجهات التي تحد بها المساكن والبقاع أربع جهات ، وهي :

جهة الشمال التي هي اشارة الى موضع قطب الفلك الشمالي ، المعروف من كواكبه الجدي والفرقدان .

ويقابل جهة الشمال الجهة الجنوبية . والجنوب عبارة عن موضع قطب الفلك الجنوبي ، الذي يقرب منه سهل وما يتبعه من كواكب السفينة .

والجهة الثالثة جهة المشرق ، وهو مشرق الشمس في الاعتدالين اللذين هما رأس الحمل أول فصل الربيع ورأس الميزان أول فصل الخريف .

والجهة الرابعة جهة المغرب ، وهو مقرب النمس في الاعتدالين المذكورين .

فهذه الجهات الأربع ثابتة بثبوت الفلك ، غير متغيرة بتغير الأوقات ، وبها تحد الأراضي ونحوها من المساكن ، وبها يمتد الناس في أسفارهم ، وبها يستخرجون سمت محاريبهم . فالشرق والمغرب معروفاً . والشمال والجنوب جهتان مقاطعتان لجهتي المشرق والمغرب على تربع الفلك .

فالخط المار بنقطتي الشمال والجنوب يسمى خط نصف النهار ، وهو مقاطع للخط المار بنقطتي المشرق والمغرب المسما بخط الاستواء ، على زوايا قائمة وأبعاد ما بين هذين الخطين متساوية . فالمتقبل للجنوب يكون أبداً مستديراً للشمال ، ويصير المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره .

وهذه الجهات الأربع هي التي ينسب اليها ما يحد من البلاد والأراضي والدور . الا أن أهل مصر يستعملون في تحديدهم بدلاً من الجهة الجنوبية لفظة القبلة ، فيقولون الحد القبلي ينتهي الى كذا ولا يقولون الحد الجنوبي ، وكذلك يقولون الحد البحري ينتهي الى كذا ، ويريدون بالبحري الحد الشمالي .

وقد يقع في هاتين الجهتين الغلط في بعض البلاد . وذلك أن البلاد التي توافق عروضها عرض مكة ، اذا كانت أطوالها أقل من طول مكة ، فإن القبلة تكون في هذه البلاد تفسح الشرق ، بخلاف التي توافق عروضها عرض مكة الا أن أطوالها أطول من طول مكة ، فإن القبلة في هذه البلاد تكون نفس الغرب . فمن

وهذا البحر إنما هو خليج يخرج من البحر الكبير المحيط بالأرض الذي يقال له بحر اقيانس ، ويعرف أيضا بحر الظلمات ، لكثافت البخار المتصاعد منه وضعف الشمس عن حله ، فيغلظ وتشتد الظلمة ، وصظم موج هذا البحر وتكثر أهواله ، ولم يوقف من خبره الا على ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزائره .

وفي جانب هذا البحر القريب - الذي يخرج منه البحر الرومي الآتي ذكره ان شاء الله - الجزائر الخالدات ، وهي فيما يقال ست جزائر ، يسكنها قوم متوحشون . وفي جانب هذا البحر الشرقي ، ما يلي الصين ، ست جزائر أيضا تعرف بجزائر السبلى ، فزها بعض الملوك في أول الاسلام خوفا على أنفسهم من القتل .

ويخرج من هذا المحيط ستة أبحر : أعظمها اثنان ، وهما اللذان غناها الله تعالى بقوله : « مرج البحرين يلتقيان » وقوله : « وجعل بين البحرين حاجزا » . فأحدهما من جهة الشرق ، والآخر من جهة الغرب .

فالخارج من جهة الشرق يقال له البحر الصيني ، والبحر الهندي ، والبحر الفارسي ، والبحر الصيني ، والبحر الصيني ، بحسب ما يمر عليه من البلدان . وأما الخارج من الغرب ، فيقال له البحر الرومي .

فأما البحر الهندي الخارج من جهة الشرق ، فإن مبدأ خروجه من مشرق الصين ، وراء خط الاستواء بثلاثة عشر درجة ، ويجري إلى ناحية الغرب ، فيمر على بلاد الصين وبلاد الهند إلى مدينة كنبانة وإلى

التبر من بلاد مكران . فإذا صار إلى بلاد مكران ينقسم هناك قسمين : أحدهما يسمى بحر فارس ، والآخر يسمى بحر الصين ، فيخرج بحر الصين من ركن جبل خارج في البحر يسمى هذا الركن رأس الجبجبة ، فيبتد من هناك إلى مدينة طقار ، ويمر إلى المسجر وساحل بلاد حضرموت إلى عدن وإلى باب المندب .

وطول هذا البحر الهندي ثمانية آلاف ميل ، في عرض ألف وسبعمائة ميل عند بعض المواضع ، وربما ضاق عن هذا القدر من العرض .

فإذا انتهى إلى باب المندب يخرج إلى بحر القلزم . والمندب جبل طوله اثنا عشر ميلا ، وسعة فوهته قدر ما يرى الرجل الآخر من البر تجاهه .

فإذا فارق باب المندب ، مر في جهة الشمال بإسحلى زبيد والحرون إلى عثر - وكانت عثر مقر الملك في القديم - ويمر من هناك على حلى إلى عساف وانصار ، وهي فرضة المدينة النبوية على الحال بها أفضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام ، ومنها على ما يقابل الجحفة - حيث يسمى اليوم رايغ - إلى الحوراء ومدين وأيلة والطور وفاران ومدينة القلزم .

فإذا وصل إلى القلزم انمطفت من جهة الجنوب ، ومر إلى القصير وهي فرضة قوس ، ومن القصير إلى عيذاب وهي فرضة البجة ، ويستد من عيذاب إلى بلد الزيلع - وهو ساحل بلاد الحبشة - ويتصل ببربر .

(٥) ص ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، طه ، بلاق .

وقول هذا البحر ألف وخمسمائة ميل ، وعرضه من أربعمائة ميل إلى ما دونه . وهو بحر كربه المنظر والرائحة .

وفي هذا البحر مصب دجلة والفرات . وعلى أطرافه بلاد السند وبلاد الصين كأنها جزائر أحاط بها الماء من جهاتها الثلاث . وهو يردع نهر مهران كردع البحر الرومي لنيل مصر .

وفيه - فيما بين مدينة القلزم ومدينة أيلة - مكان يعرف بمدينة فاران ، وعندها جبل لا يكاد ينجو منه مركب لشدة اختلاف الرياح وقوة ممرها من بين شعبتي جبلين ، وهي بركة سمعتها ستة أميال تعرف ببركة الغرندل ، يقال ان فرعون غرق فيها . فإذا هبت ريح الجنوب لا يمكن سلوك هذه البركة .

ويقال ان الغرندل اسم صنم كان في القديم هناك ، قد وضع ليجس من خرج من أرض مصر مغاضبا للملك أو فارا منه ، وأن موسى عليه السلام لما خرج ببني اسرائيل من مصر وسار بهم مشرقا ، أمره الله سبحانه وتعالى أن ينزل تجاه هذا الصنم ، فلما بلغ ذلك فرعون ظن أن الصنم قد حبس موسى ومن معه ومنعهم من المسير ، كما يمهّدونه منه ، فخرج يجنوده في طلب موسى وقومه ليأخذهم بزعمه ، فكان من غرقه ما قصه الله تعالى .

وسيرد خبر موسى عليه السلام عند ذكر كنيسة دموه من هذا الكتاب في ذكر كنائس اليهود .

وفي بحر القلزم هذا خمسن عشرة جزيرة . منها أربع غامرات ، وهي : جزيرة دهلك ،

وجزيرة سوان ، وجزيرة النعمان ، وجزيرة السامري .

ويخرج من هذا البحر خليجان : خليج لطيف ببلاد الهند المتصلة بالبحر الأعظم ، وخليج يحول بين بلاد السودان وبلاد الصين عرض زقانه نحو من فرسخين .

ويقرب هذا البحر من البحر الرومي في أعمال بلاد الشام وديار مصر حتى يكون بينهما نحو يوم .

ذكر البحر الرومي

ولما كانت عدة بلاد من أرض مصر مطلة على البحر الرومي كمدينة الاسكندرية ودمياط وتيس والقرما والمرش وغير ذلك ، وكان حد أرض مصر ينتهي في الجهة الشمالية إلى هذا البحر وهو نهاية مصب النيل ، حسن التعرف بشيء من أخباره :

وقد تقدم أن مخرج البحر الرومي هذا من جهة الغرب ، وهو يخرج في الاقليم الرابع بين الأندلس والغرب سائرا إلى القسطنطينية .

ويقال ان اسكندر الجبار حفره وأجراه من البحر المحيط القريب ، وأن جزيرة الأندلس وبلاد البربر كانت أرضا واحدة يسكنها البربر والاشبان ، فكان بعضهم يفسر على بعض ، إلى أن ملك اسكندر الجبار ابن سلقوس بن اعريقس بن دويان ، فرغب إليه الاشبان في أن يجعل بينهم وبين البربر خليجا من البحر يمكن به احتراز كل طائفة عن الأخرى ، فحفر زقاقا طوله ثمانية عشر ميلا

في عرض اثني عشر ميلا ، وبني بجانيه
سكرين وعقد بينهما قنطرة بجاز عليها ، وجعل
عندها حرسا يمنعون البربر من الجواز عليها
الا باذن . وكان قاموس البحر أعلى من أرض
هذا الزقاق ، فطما الماء حتى غطى السكرين
مع القنطرة وساق بين يديه بلادا كثيرة ،
وطى على عدة بلاد .

ويقال ان المسافرين في هذا الزقاق بالبحر
يخبرون ان المراكب في بعض الأوقات يتوقف
سيرها مع وجود الريح فيجدون المانع لها
كونها قد سلكت بين شرافات السور وبين
حائطين .

ثم عظم هذا الزقاق في الطول والعرض
حتى صار يحرا عرضه ثمانية عشر ميلا ،
ويذكرون ان البحر اذا جزر ترى القنطرة
حينئذ .

وهذا الخبر اظنه غير صحيح ، فان اخبار
هذا البحر وكونه بسواحل مصر ، لم يزل
ذكره في الدهر الاول قبل اسكندر بزمان
طويل ، فاما ان يكون ذلك قد كان في اول
الدهر ما صله بعض الأوائل ، واما ان يكون
خبرا واحيا ، والا فزمان اسكندر حادث بعد
كون هذا البحر ، والله اعلم .

وهذا الزقاق صعب السلوك ، شديد
المول ، متلاطم الأمواج . واذا خرج البحر
من هذا الزقاق ، مر مشرقا في بلاد البربر
وشمال القرب الأقصى الى وسط بلاد المغرب
على افرقة وبرقة والاسكندرية وشمال التيه
وأرض فلسطين والسواحل من بلاد الشام ،
ثم يمطف * من هناك الى الملايا وانطاكية

(ال) ص ١٧ ، ١٨ ، ط ١٧٧٧ .

الى ظهر بلاد القسطنطينية ، حتى يتهى الى
البحر المحيط الذي خرج منه .

وطول هذا البحر خمسة آلاف ميل ، وقيل
سنة آلاف ميل ، وعرضه من سبعائة ميل
الى ثلاثمائة ميل ، وفيه مائة وسبعون جزيرة
عامرة فيها أمم كثيرة معروفة ، الا انه ليس
من شرط هذا الكتاب ، منها صقلية وصورة
واقريطش .

وقبالة البحر الهندي من جهة المغرب بحر
خارج من المحيط في مغرب بلاد الزيج ،
يتهى الى قرب من جبل القمر ، وفيه مصب
النيل المار على بلاد الحبشة ، وفي أسفله
جزائر الخالدات التي هي متهى الطول في
المغرب .

ويقابل البحر الشامي من ناحية المشرق
بحر جرجان ، وقيل انه يتصل بالبحر المحيط
من بين جبال شامخة

وبحر الصقل بحر يخرج من جهة المغرب
بين الاقليم السادس والاقليم السابع ، وهو
متسع ، وفيه جزائر كثيرة ، ومنها جزيرة
الأندلس الا انها تتصل بالبر الكبير ، وهو
جبل كالذراع يتصل بهذا البر عند برسلونة ،
ولهم بحر - يعرف بأجوج وماجوج - غزير
وفيه عجائب ، الا انه ليس من شرط هذا
الكتاب ذكرها . ويقال ان مسافة هذا البحر
الرومي نحو أربعة أشهر .

وقال أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني
في كتاب « تحديد نهايات الأماكن لتصحيح
مسافات المساكن » : وقد كان حرض بعض
ملوك الفرس في بعض استيلائهم على مصر ،
على أن يحفروا ما بين البحرين : القلزم ،

والرومي ، ويرفعوا من بينهما البرزخ ، وكان
أولهم شاسيس بن طراطس الملك ، ثم من بعده
دارنوش الملك ، فلم يتمكن لهم ذلك لارتفاع
ماء القلزم على أرض مصر . فلما كانت دولة
اليونانيين جاء بطليموس الثالث ، ففعل ذلك
على يد أرسندس ، بحيث يحصل الغرض بلا
ضرر . فلما كانت دولة الروم القيصرية طموه
منع لمن يصل اليهم من أعدائهم .

وذكر بعض أصحاب السير من الفلاسفة ان
ما بين الاسكندرية وبلادها وبين القسطنطينية
كان في قديم الزمان أرضا تبت الجيز ،
وكانت مسكونة وخمة ، وكان أهلها من
اليونانية ، وأن الاسكندر خرق اليها البحر
فغلب على تلك الأرض .

وكان بها - فيما يزعمون - الطائر الذي
يقال له قنص ، وهو طائر حسن الصوت ،
واذا حان موته زاد حسن صوته قبل ذلك
سبعة أيام حتى لا يمكن أحد بسمع صوته
لأنه يغلب على قلبه من حسن صوته ما يبيت
السامع ، وأنه يدركه قبل موته بأيام طرب
عظيم وسرور فلا يهدأ من الصياح .

وزعموا أن عامل الموسيقى من الفلاسفة
أراد أن يسمع صوت قنص في تلك الحال ،
فخشي ان هجم عليه أن يقتله حسن صوته ،
فسد أذنيه سدا محكما ، ثم قرب اليه فجعل
يفتح من أذنيه شيئا بعد شيء حتى استكمل
فتح الأذنين في ثلاثة أيام ، يريد أن يتوصل
الى سماعه رتبة بعد رتبة ، فلا ييفته حسنه في
أول مرة فيأني عليه .

وزعموا أن ذلك الطائر هلك ، ولم يبق منه
ولا من فراخه شيء بسبب هجوم ماء البحر

عليه وعلى رطله بالليل في الأوكار ، فلم يبق
له بقية .

ويقال ان بعض الفلاسفة أراد ملك من
الملوك قتله ، فأعطاه قلما فيه سم ليشربه
فأعلمه بذلك ، فظهر منه مسرة وفرح ، فقال
له : ماهذا أيها الحكيم ؟

فقال : هل أعجز أن أكون مثل قنص ؟

ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعدد اسمائها

ويقال كان اسمها في الدهر الاول قبل
الطوفان « جزلة » ، ثم سميت « مصر » .

وقد اختلف أهل العلم في المعنى الذي من
أجله سميت هذه الأرض بمصر ، فقال قوم :
سميت بمصر بن مراكيل بن دوايل بن غراب
ابن آدم ، وهو مصر الاول .

وقيل : بل سميت بمصر الثاني ، وهو
مصرام بن يراوش الجبار ابن مصرم الاول ،
وبه سمي مصر بن بنصر بن حمام بعد
الطوفان .

وقيل : بل سميت بمصر الثالث ، وهو مصر
بن بنصر بن حام بن نوح ، وهو اسم أعجمي
لا ينصرف .

وقال آخرون : هي اسم عربي مشتق ،
فأما من ذهب الى أن مصر اسم أعجمي ، فانه
استدل بما رواه أهل العلم بالأخبار من نزول
مصر بن بنصر بهذه الأرض ، وقسمها بين
أولاده فعرقت به . اهـ

وذكر الحسن بن أحمد الهمداني أن مصر ابن حام ، وهو مصرم . وقيل أن بنصر بن هرمس بن مردوس جد الاسكندر ... قال : ونكح لوما بن حام بنت شاول بن يافث بن نوح ، فولدت له بوقير وقبط — أبا القبط قبط مصر — ومن هنا أن مصر بن حام ، وانما هو مصر بن هرمس بن هردش بن بيطون بن روي بن ليطي بن يوفان ، وبه سميت مصر فهي مقدونية .

وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب « أخبار الزمان » أن بنى آدم لما تعاسدوا ، وبني عليهم بنو قاييل بن آدم ، ركب قراوس الجبار بن مصرم بن مركايل بن دوايل بن عراب بن آدم عليه السلام ، في نيف وسبعين راكبا من بنى عراب جبابرة ، كلهم يطلبون موضعا من الأرض يقطنون فيه فرارا من بنى أيهم .

فلم يزالوا يشنون حتى وصلوا إلى النيل فأطالوا المني عليه ، فلما رأوا سعة البلد فيه وحسنه ، أعجبهم وقالوا : هذه بلد زرع وعسارة ، فاقطنوا فيه واستوطنوا ، وبنوا فيه الأبنية والحكمة والصنائع المعجبة ، وبني قراوس مصر وسماها باسم أبيه مصرم .

وكان قراوس جبارا له قوة ، وكان مع ذلك عالما ، وله اتسم الجن في هلاك بنى أبيه ، ولم يزل مطاعا . وقد كان وقع إليه من العلوم ، التي كان زوايل علمها لآدم عليه السلام ، ما قهر به الجبابرة الذين كانوا قبله وملوكهم .

(١٨) مصر ، ١٨ ، ط . بولاق .

ثم أمر ، حينئذ ملك ، ببناء مدينة في موضع خيته ، فقطموا له الصخور من الجبال ، وأثاروا معادن الرصاص ، وبنوا مدينة سماها أسوس ، وأقاموا فيها أعلاما طول كل علم منها مائة ذراع ، وزرعوا وعسروا الأرض . ثم أمرهم ببناء المدائن والقرى ، وأسكن كل ناحية من الأرض من رأى .

ثم حفروا النيل حتى أجروا ماءه إليهم ، ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى ، انما كان ينبطح ويتفرق في الأرض حتى يتوجه إلى التوبة ، فهندسوه وساقوا منه أنهارا إلى مواضع كثيرة من مدنها التي بنوها ، وساقوا منه نهرا إلى مدينتهم أسوس يجري في وسطها .

ثم سميت مصر ، بعد الطوفان ، بمصر بن بنصر بن حام بن نوح . وذلك أن قليمون الكاهن خرج من مصر ولحق بنوح عليه السلام ، وآمن به هو وأهله وولده وتلاميذه ، وركب معه في السفينة ، وزوج ابنته من بنصر بن حام بن نوح . فلما خرج نوح من السفينة وقسم الأرض بين أولاده — وكانت ابنة قليمون قد ولدت لبنصر ولدا سماه مصرام — فقال قليمون لنوح : ابعت معي يانبي الله ابني حتى أمضي به بلدي ، وأظهره على كتوزي ، وأوقفه على علومه ورموزه .

فأنقذه معه في جماعة من أهل بيته — وكان غلاما مرفها — فلما قرب من مصر بنى له عريشا من أغصان الشجر ، وستره بحشيش الأرض ، ثم بنى له بعد ذلك في هذا الموضع

مدينة وسماها درسان أي باب الجنة . فزرعوا وغرسوا الأشجار والأجنة من درسان إلى البحر ، فصارت هناك زروع وأجنة وعسارة . وكان الذي مع مصرام جبابرة ، فقطموا الصخور ، وبنوا المعالم والمصانع ، وأقاموا في أرغد عيش .

ويقال أن أهل مصر أقاموا عليهم مصرام ابن بنصر ملكا في أيام تالغ بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح ، فملك مصر وهي مدينة منيعة على النيل وسماها باسمه .

ويقال أن مصرام غرس الأشجار بيده ، وكانت ثمارها عظيمة بحيث يشق الأترجة نصفين فيحصل على البعير نصفها ، وكان القثاء في طول أربعة عشر شبرا . ويقال أنه أول من صنع السفن بالنيل ، وأن أول سفينة كانت ثلاثمائة ذراع طولا ، في عرض مائة ذراع .

ويقال أن مصرام سكح امرأة من بنى الكهنة فولدت له ولدا فسماه قبطيم ، ونكح قبطيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة ولدت له أربعة نفر : قبطيم واشمون وأتريب وصا ، فكثروا وعسروا الأرض وبورك لهم فيها .

وقيل أنه كان عدد من وصل معهم ثلاثين رجلا ، فبنوا مدينة سموها نافة ، ومعنى نافة ثلاثون بلغتهم ، وهي منف . وكشف أصحاب قليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم ، وأثاروا المعادن ، وعلومهم علم الطلسمات ، ووضعوا لهم علم الصنعة ، وبنوا على غير البحر مدنا منها رقودة مكان الاسكندرية .

ولما حضر مصرام الوفاة عهد إلى ابنه قبطيم ، وكان قد قسم أرض مصر بين بنه ،

فجعل لقبطيم من قفط إلى أسوان ، ولأشمون من أشمون إلى منف ، ولأتريب الحوف كله ، ولصا من ناحية صا البحرية إلى قرب برقة ، وقال لأخيه فارق : لك من برقة إلى الغرب ، فهو صاحب افرقة ووالد الأفرقة .

وأمر كل واحد من بنه أن يبنى لنفسه مدينة في موضعه ، وأمرهم عند موته أن يخفروا له في الأرض سريا ، وأن يفرشوه بالمرمر الأبيض ويجعلوا فيه جسده ، ويدفنوا معه جميع ما في خزائنه من الذهب والجواهر وزيروا عليه أسماء الله تعالى المانعة من أخذه .

فحفروا له سريا طوله مائة وخمسون ذراعا ، وجعلوا في وسطه مجلسا مصفحا بصفائح الذهب ، وجعلوا أربعة أبواب على كل باب منها تمثال من ذهب ، عليه تاج مرصع بالجواهر ، وهو جالس على كرسي من ذهب قوائمه من زبرجد ، وزيروا في صدر كل تمثال آيات مانعة ، وجعلوا جسده في جمد مرمر مصفح بالذهب .

وزيروا على مجلسه : مات مصرام بن بنصر بن حام بن نوح بعد سبعمائة عام مضت من أيام الطوفان ، ولم يعبد الأصنام ، إذ لا هرم ولا سقام ولا حزن ولا اهتمام ، وحسنه بأسماء الله العظام ، ولا يصل إليه إلا ملك ولدته سبعة ملوك تدين يدين الملك الديان ، ويؤمن بالمبعوث بالفرقان الداعي إلى الإيمان آخر الزمان .

وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد المخروط ، وألف تمثال من الجواهر النفيس ، وألف برنية ملووة من الدر الفاخر والصنعة الالهية ، والعقاقير والطلسمات

الحجبة ، وسبائك الذهب . وسبقوا ذلك بالصخور ، وهالوا فوقها الرمال بين جبلين ، وولى ابنه قبطيم الملك .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب « التحالف » : أن عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود أخى عاد ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام . واسم عبد شمس هذا عامر ، وعرف بعبد شمس لأنه أول من عبد الشمس .

وقيل له أيضا سبأ لأنه أول من سبى ، وهو سبأ الأكبر أبو حنير وكهلان ، ملك بعد أبيه يشجب بأرض اليمن ، جمع بنى قحطان وبنى هود عليه السلام ، وحتم على الفوز ، ثم سار بهم إلى أرض بابل ففتحها ، وقتل من كان بها من الثوار حتى بلغ أرض أرمينية ، وملك أرض بنى يافث بن نوح ، وأراد أن يعبر من هناك إلى الشام وأرض الجزيرة ، فقبل له ليس لك مجاز غير الرجوع في طريقك ، فبنى قنطرة على البحر وجاز عليها إلى الشام ، فأخذ تلك الأراضي إلى الدرب ، ولم يكن خلف الدرب إذ ذاك أحد .

ثم نهض يريد بلاد العرب ، فنزل على النيل ، وجمع أهل مشورته وقال لهم : انى رأيت أن أبني مصرا إلى حد بين هذين البحرين — يعنى بحر الروم وبحر القلزم — فيكون فاصلا بين الشرق والغرب ، فقالوا : نعم الراى أيها الملك .

(١) من هنا إلى قوله « وقال أبو القاسم » سابقة لى كثير من النسخ ، فلهذا من زيادة من أطلع على الكتاب .

(٢) ص ١٩٤ ، ج ١ ، ط ١٩٥٠

فبنى مدينة ساهما مصر وولى عليها ابنه بابلون ، ومضى إلى بنى حام بن نوح — وهم نزول فى البرارى إلى قنوية وسموية القبط — فأوقع بجميع تلك الطوائف ، وسبى ذرارهم كما فعل ببلاد الشرق ، فقبل له من أجل ذلك : سبأ . ثم عاد إلى مصر ومضى فيها إلى الشام يريد الحجاز ، وأوصى ابنه بابلون عند رحيله :

ألا قل لبابلون والقول حكمة ملكك زمام الشرق والغرب فأجمل

وخذ لبنى حام من الأمر وسطه فان سدفوا يوما عن الحق فأقبل وان جئخوا بالقول للرفق طاعة يريدون وجه الحق والعدل فأعدل

ولا تظهرن الراى فى الناس يجتروا عليك به وإجمله ضربة فيصل ولا تأخذن المال فى غير حقه وان جاء لا تدنيه لحوك وإبذل وداو ذوى الأحقاد بالسيف انه

متى يلق منك العزم ذو الحقد يجمل وجد لذوى الأحساب لنا وشدة ولا تك يجبارا عليهم وأجمل وكن لسؤال الناس خوفا ورحمة ومن يك ذا عرف من الناس يسأل

وأياك والستر القرب فاته سيفنى بما يولى فى كل منهل

ثم عاد إلى اليمن وبنى سد مأرب ، وهو سد فيه سبعون نهرا ، ويصل إليه السيل من مسيرة ثلاثة أشهر فى مثلها ، ثم مات عن خمسمائة سنة .

وقام من بعده ابنه حنير بن سبأ ، فقتل بنو حام على بابلون وأرادوا تخرب مصر ، فاستدعى أخاه حنير لينجده عليهم ، فقدم عليه مصر ، ومضى إلى بلاد المغرب ، فأقام بها مائة عام يبنى المدائن ويتخذ المصانع ، فمات ببابلون بن سبأ بمصر ، وولى بعده ابنه امرئ القيس ببابلون .

ثم مات حنير بن سبأ عن أربعمائة سنة وخمس وأربعين سنة ، منها فى الملك أربعمائة سنة . وأقام من بعده وائل بن حنير ثم مات .

فقام من بعده ابنه السكك بن وائل الذى يقال له مقعق الحد — وقد افترق ملك حنير — فحارب الثوار ، وسار إلى الشام ، فلقه عمرو بن امرئ القيس بن بابلون بن سبأ بالرملة — وقد ملك بعد أبيه — وقدم له هدية ، فأقره على مصر حتى قدم عليه إبراهيم الخليل عليه السلام ووجهه هاجر .

وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الحكم فى كتاب « فتوح مصر وأخبارها » ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال : كان لنوح عليه السلام أربعة من الولد : سام وحام ويافث ويخظون ، وأن نوحا رغب إلى الله عز وجل ، وسأله أن يرزقه الاجابة فى ولده وذريته حين تكاملوا بالنساء والبركة ، فوعده ذلك .

فنادى نوح ولده وهم ليام عند البحر ، فنادى ساما فأجابه يسمى ، وصاح سام فى ولده فلم يجبه أحد منهم ، إلا ابنه أرفخشذ ، فانطلق به معه حتى أتياه ، فوضع نوح يمينه على سام وشماله على أرفخشذ بن سام ، وسأل الله عز وجل أن يبارك فى سام أفضل البركة ، وأن يجعل الملك والنبوة فى ولد أرفخشذ .

ثم نادى حاما وتلفت بينا وشمالا ، فلم يجبه ولم يقم إليه هو ولا أحد من ولده ، فدعا الله عز وجل نوح أن يجعل ولده أذلاء ، وأن يجعلهم عبيدا لولد سام .

وكان مصر بن بنصر بن حام قائما إلى جنب جده ، فلما سمع دعاء نوح على جده وولده ، قام يسعى إلى نوح وقال : يا جدى قد أجبتك إذ لم يجبك جدى ولا أحد من ولده ، فأجمل لى دعوة من دعائك .

ففرح نوح ، ووضع يده على رأسه وقال : اللهم انه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وى ذريته ، وأسكنه الأرض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد ، التى نهرها أفضل أنهار الدنيا ، واجعل فيها أفضل البركات ، وسخر له ولولده الأرض وذلها لهم وقوهم عليها .

ثم دعا ابنه يافث ، فلم يجبه ولا أحد من ولده ، فدعا الله عليهم أن يجعلهم شرارا الخلق .

وعاش سام مباركا إلى أن مات . وعاش ابنه أرفخشذ بن سام مباركا حتى مات . وكان الملك الذى يجبه الله والنبوة والبركة فى ولد أرفخشذ بن سام .

وكان أكبر ولد حام، كنعان بن حام — وهو الذي حل به في الرجز في الفلك — فدعا عليه نوح فخرج أسود، وكان في ولده الملك والجيروت والجفاء، وهو أبو السودان والجيش كلهم. وابنه الثاني كوش بن حام، وهو أبو الهند والهند. وابنه الثالث قوط بن حام، وهو أبو البربر، وابنه الأصغر الرابع بنصر بن حام، وهو أبو القبط كلهم.

فولد بنصر بن حام أربعة: مصر بن بنصر وهو أكبرهم والذي دعا له نوح بما دعا له، وفارق بن بنصر، وماح بن بنصر. وقيل ولد مصر أربعة: ققط بن مصر، وأشمون بن مصر، وأتريب بن مصر، وصا بن مصر.

وعن ابن لهيعة وعبد الله بن خالد: أول من سكن مصر بنصر بن حام بن نوح عليه السلام بعد أن أغرق الله تعالى قومه، وأول مدينة عمرت بمصر منف: فسكنها بنصر بولده وهم ثلاثون قسما، منهم أربعة أولاد له قد بلغوا وتزوجوا، وهم مصر وفارق ويحاح وماح — وكان مصر أكبرهم — فبنوا مصر، وكان أقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم، وتقرؤا هناك منازل كثيرة.

وكان نوح عليه السلام قد دعا لمصر أن يسكنه الله الأرض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد، ونهرها أفضل الأنهار، ويجعل له فيها أفضل البركات، ويسخر له الأرض ولولده ويذلها لهم ويقويهم عليها، فسأله عنها فوصفها له وأخبره بها.

(٣٠) من ١٠٠، ج ١، طه بولاق

قالوا: وكان مصر بن بنصر مع نوح في السفينة لما دعا له، وكان بنصر بن حام قد كبر وضعف، فساق ولده مصر وجميع اخوته الى مصر فنزلوها، وبذلك سميت مصر.

فلما قر قرار بنصر وبنيه بمصر، قال لمصر اخوته فارق وماح ويحاح بنو بنصر: قد علمنا أنك أكبرنا وأفضلنا، وأن هذه الأرض التي أسكنك إياها جدك نوح، ونحن نفيق عليك أرضك — وذلك حين كثر ولده وأولادهم — ونحن نطلب اليك البركة التي جعلها فيك جدنا نوح أن تبارك لنا في أرض نلحق بها ونسكنها وتكون لنا ولأولادنا.

فقال: نعم، عليكم بأقرب البلاد الى ولا تباعدوا مني، فإن لي في بلادى مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسى، فتكون لي ولولدى ولأولادهم.

فحاز مصر بن بنصر لنفسه ما بين الشجرتين التي بالعرش الى أسوان طولا، ومن برقة الى أيلة عرضا.

وحاز فارق لنفسه ما بين برقة الى أفريقية، وكان ولده الأفارقة، ولذلك سميت أفريقية، وذلك مسيرة شهر.

وحاز ماح ما بين الشجرتين من منتهى حد مصر الى الجزيرة مسيرة شهر، وهو أبو قبط الشام.

وحاز يحاح ما وراء الجزيرة كلها ما بين البحر الى الشرق مسيرة شهر، وهو أبو قبط العراق.

ثم تولى بنصر بن حام، ودفن في موضع دير أبي هرميس غربي الأهرام، فهي أول مقبرة قبر فيها بأرض مصر.

وكثر أولاد مصر، وكان الأكابر منهم ققط وأتريب وأشمون وصا، والقبط من ولد مصر هذا. ويقال أن قبط أخو ققط، وهو بلساهم ققطيم وقبطيم ومصريهم.

قال: ثم إن بنصر بن حام تولى، واستخلف ابنه مصر، وحاز كل واحد من أخوة مصر قطعة من الأرض لنفسه سوى أرض مصر التي حازها لنفسه ولولده.

فلما كثر ولد مصر وأولاد أولادهم، قطع مصر لكل واحد من ولده قطعة يحوزها لنفسه ولولده، وقسم لهم هذا النيل.

فقطع لابنه ققط موضع ققط فسكنها، وبه سميت ققط ققطا، وما فوقها الى أسوان وما دونها الى أشمون في الشرق والغرب.

وقطع لأشمون من أشمون فما دونها الى منف في الشرق والغرب، فسكن أشمون فسميت به.

وقطع لأتريب ما بين منف الى صا، فسكن أتريب فسميت به.

وقطع لصا ما بين صا الى البحر، فسكن صا فسميت به.

فكانت مصر كلها على أربعة أجزاء: جزاين بالصعيد، وجزاين بأسفل الأرض.

قال البكري: ومصر مؤتة. قال تعالى: «أليس لي ملك مصر؟» وقال: «أدخلوا مصر». وقال عامر بن أبي وائلة الكنتاني لمعاوية: أما عمرو بن العاص فأقطعت مصر. وأما قوله سبحانه «أهبطوا مصر» فإنه أراد مصرا من الأمصار. وقرأ سليم الأعمش:

أهبطوا مصر. وقال: هي مصر التي عليها سليم بن علي، فلم يجرها.

وقال القضاي: وكان بنصر بن حام قد كبر وضعف، فساق ولده مصر وجميع اخوته الى مصر فنزلوها، وبذلك سميت مصر. وهو اسم لا ينصرف في المصرفة لأنه اسم مذكر، سميت به هذه المدينة، فاجتمع فيها التأنيث والتعريف فمنعها الصرف، ثم قيل لكل مدينة عظيمة بطرقها السفار مصر، فإذا أريد مصر من الأمصار صرف لروال إحدى الملتين وهي التعريف.

وأما قوله تعالى أخبرا من موسى عليه السلام «أهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم» فإنه مصروف في قراءة سائر القراء، وفي قراءة الحسن والأعمش غير مصروف. فمن صرفها فله وجهان: أحدهما أنه أراد أهبطوا مصرا من الأمصار لأنهم كانوا يومئذ في التيه، والآخر أنه أراد مصر هذه بعينها، وصرفها لأنه جمل مصرا اسما للبلد، وهو اسم مذكر، سمى به مذكر فلم يمتعه الصرف. وأما من لم يصرفه فإنه أراد بمصر هذه المدينة.

وكذلك قوله تعالى أخبرا عن يوسف عليه السلام: «أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين»، وقول فرعون: «أليس لي ملك مصر؟» إنما يراد به مصر هذه. فأما المصرق كلام العرب فهو الحد بين الأرضين. ويقال إن أهل هجر يقولون: اشترت الدار بمصورها، أي بحدودها.

وقال الجاحظ: في كتاب مدح مصر: إنما سميت مصر بمصر لمصير الناس اليها واجتماعهم

(٣١) من ١٠٠، ج ١، طه بولاق

بها ، كما سمي مصر الجوف مصيرا ومصرانا
لمصر الطعام اليه .

قال : وجع المصر من البلدان امصار ،
ونجح مفيض الطعام مصران ، وليس لمصر هذه
يجع لانها واحدة .

قال : وقال الاخطل : همت بالاسلام ثم
توقفت عنه . قيل : ولم ذلك ؟

قال : آتيت امرأة لي وانا بجائع فقلت :
أعطيني شيئا ، فقالت : يا جارية ، ضمي لأبي
مالك مصيرا في النار ، ففعلت .

فاستجبتها بالطعام فقالت : يا جارية ، أين
مصر أبي مالك ؟ قالت : في النار .

قال : فطيرت ، وهمت بأن أسلم
فتوقفت .

وقال الجوهري في كتاب الصحاح : مصر
هي المدينة المعروفة ، تذكر وتوث .

عن ابن السراج : والمصران الكوفة
والبصرة .

وقال ابن خالويه في كتاب « ليس » : ليس
أحد فسر لنا لم يسم مصر مقدونية قديما الا
في اللسان العبراني ، قال : مقدونية مقيث ،
وانما سمي مصر لما سكنها بنصر بن حام .

وتزعم الروم أن بلاد مقدونية جيما وقف
على الكنيسة العظمى التي بالقسطنطينية ،
ويسمون بلاد مقدونية الأوصفية ، وهي
خديم الاسكندرية وما يضاف اليها ، وهي
مصر كلها بأسرها الا الصعيد الأعلى .

ويقال لمصر : أم خنور ، وتسميه النعمة .
والمصر : الفرق بين الشين . قال الشاعر
بصف الله تعالى :

وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به
بين النهار وبين الليل قد فصلا
هذا البيت قائله عدي بن زيد العبادي ،
ويروي لأمية بن الصلت الثقفى ، وهو من
آيات أولها :

اسمع حديثا كما يوما تعدته
عن ظهر غيب اذا ما سائل سالا

كيف بدا ثم ربي الله نعمته
فيها وعلينا آياته الأول

كانت رياح وسيل ذو كراية
وظلمة لم تدع فتقا ولا خلا

فأمر الظلمة السوداء فالتكشفت
وعزل الماء عما كان قد شغلا

وسط الأرض بسطا ثم قدرها
تحت السماء سوايل وما تقلا

وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به
بين النهار وبين الليل قد فصلا

وفي السماء مصايح تضي لنا
ما إن تكلفنا زنا ولا قتلا

تضي ، لستة أيام ، خليقته
وكان آخر شيء صور الرجال

فأخذ الله من طين فسوره
لما رأى أنه قد تم واعتدلا

دعاه آدم صوتا فاستجاب له
فتنخ الروح في الجسم الذي جلا

ثمة أورثه الفردوس يسكنها
وزوجه ضله من جنبه سلا

لم ينمه ربه عن غير واحدة
من شجر طيب أن شسم أو اكلا

وكانت الحبة الرقشاء اذ خلقت
كما ترى ناقة في الخلق أو جعلا

فلامها الله اذ ألفت خليفته
طول الليالي ولم يجعل لها اكلا

تمشى على بطنها في الأرض ما عسرت
والترب تأكله حزنا وإن سهلا

وقال الحافظ أبو الخطاب مجد الدين عمر
ابن دحية : ومصر أخصب بلاد الله ، وسماها

الله بمصر ، وهي هذه دون غيرها بإجماع القراء
على ترك صرفها . وهي اسم لا ينصرف في

معرفة لأنه اسم مذكر سمي به هذه المدينة ،
واجتمع فيه التأليف والتعريف فمعناه الصرف .

وهي عندنا مشتقة من مصرت الشاة اذا أخذت
من ضرعها اللبن ، فسميت مصر لكثرة ما فيها

من الخير مما ليس في غيرها ، فلا يخلو ساكنها
من خير يدر عليه منها كالشاة التي ينتفع بلبنها

وصوفها وولادتها .
وقال ابن الأعرابي : المصر الوعاء ، ويقال

للمعا : المصر ، وجمعه مصران ومصارين .
وكذلك هي خزائن الأرض ، قال أبو بصرة

الفناري من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم : مصر خزائن الأرض كلها ، ألا

تري الى قول يوسف عليه السلام : « اجعلني
على خزائن الأرض اني حفيظ عليم » فأغاث
الله بمصر يومئذ وخزائنها كل حاضر وباد ...
ذكره الحوفي في تفسيره .

وقال البكري : أم خنور - بفتح أوله
وتشديد ثاليه وبالراء المهملة - اسم لمصر .

وقال أرمطاه بن شهبة : يال ذبيان ، ذودوا
عن دمائكم ، ولا تكونوا كصوم أم خنور .
يقول لا تكونوا أذلاء ينالكم من أراد ، وبأخذ
منكم من حب ، كما يتنار مصر وهي أم
خنور .

وقال كراع : أم خنور النعمة ، ولذلك
سميت مصر أم خنور لكثرة خيرها .

وقال علي بن حنزة : سميت أم خنور ،
لأنها يساق اليها * القصار الأعصار . ويقال
للضبع : خنور وخنوز ، بالراء والزاي .

وقال ابن قتيبة في غرائب الحديث : ومصر
الحمد ، وأهل هجر يكتبون في شروطهم :
اشترى فلان الدار بمصورها كلها ، أي
بحدودها .

وقال عدي بن زيد :
وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به

بين النهار وبين الليل قد فصلا
أي حدا .

ذكر طرف من فضائل مصر

ولمصر فضائل كثيرة ، منها أن الله عز وجل
ذكرها في كتابه العزيز بضعا وعشرين مرة ،
تارة بصريح الذكر وتارة إيهام ... قال تعالى :
« اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم » .

قال أبو محمد عبد الحق بن عطية في
تفسيره : وجمهور الناس يقرأون مصرا

(١) مكدا في النسخ ، وهو محل تأمل .
(٢) من ٢٢ ، جا ، طه بولاق .

بالتكوين ، وهو خط المصاحف ، إلا ما حكى
عن بعض مصاحف شان رضى الله عنه

وقال مجاهد وغيره : من صرفها أراد مصرا
من الأصار غير معنى . واستدلوا بما اقتضاه
القرآن من أمرهم بدخول القرية ، وبما
تظاهرت به الرواية أنهم سكنوا الشام بعد
التي .

وقالت طائفة من صرفها : أراد مصر فرعون
بمعناها ، واستدلوا بما في القرآن أن الله تعالى
أودع بنى إسرائيل ديار فرعون وآثاره ،
ولجازوا صرفها

قال الأخفش : لخصتها وشبهها بحد وهدد .
وسيوه لا يجوز هذا . وقال غير الأخفش :
أراد المكان فصرف .

وقرأ الحسن وإبان بن ثعلب وغيرهما :
اهبطوا مصر ، بترك الصرف ، وكذلك هي في
مصحف أبي بن كعب ، وقال : هي مصر
فرعون .

قال الأعشى : هي مصر التي عليها صالح بن
على .

وقال أشهب : قال لي مالك : هي عندى
مصر قريتك مكن فرعون ... قال تعالى :
« ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين » .

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى في
تفسيره ، عن فرقد الشيعى ، قال : خرج
يوسف عليه السلام يلقى يعقوب عليه السلام ،
وركب أهل مصر مع يوسف وكانوا يعظمونه .
فلما دنا أحدهما من صاحبه ، وكان يعقوب
بشئ وهو يتوكأ على رجل من ولده يقال له

يهوذا ، فنظر يعقوب إلى الخيل وإلى الناس
فقال : يا يهوذا ، هذا فرعون مصر .

قال : لا ، هذا ابنك .

فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه قال
يعقوب عليه السلام : عليك يا ذاهب الأحزان
عنى ... هكذا قال : يا ذاهب الأحزان عنى .

وقال تعالى : « وأوحينا إلى موسى وإخيه
أن تبتوأ لقومكما بمصر يثوتا ، واجعلوا
يوتنكم قبلة ، وأقيموا الصلاة » .

قال الطبرى عن ابن عباس وغيره : كانت
بنو إسرائيل تخاف فرعون ، فأمروا أن يجعلوا
يوتنهم مساجد يصلون فيها .

قال قتادة : وذلك حين منعمهم فرعون
الصلاة ، فأمروا أن يجعلوا مساجد لهم في
يوتنهم ، وأن يوجهوا نحو القبلة .

وعن مجاهد : « يوتنكم قبلة » ، قال : نحو
الكعبة حين خاف موسى ومن معه من فرعون
أن يصلوا في الكتائب الجامعة ، فأمروا أن
يجعلوا في يوتنهم مساجد مستقلة الكعبة ،
يصلون فيها سرا .

وعن مجاهد في قوله « أن تبتوأ لقومكما
بمصر يثوتا » قال : مصر الاسكندرية .

وقال تعالى مخبرا عن فرعون انه قال :
« أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري
من تحتى ، أفلا تبصرون » .

قال ابن عبد الحكم ، وأبو سعيد عبد
الرحمن بن أحمد بن يونس وغيرهما ، عن أبي
زهم السماعى ، انه قال في قوله تعالى :
« أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من

تحتى » قال : ولم يكن يومئذ في الأرض ملك
أعظم من ملك مصر ، وكان جميع أهل الأرض
يحتاجون إلى مصر . وأما الأنهار فكانت
قناطر وجسورا بتقدير وتدير ، حتى أن الماء
يجرى من تحت منازلها وأبنيتها فيجسوه
كيف شاءوا .

فهذا ما ذكره الله سبحانه في مصر من آى
الكتاب العزيز بصرح الذكر .

وأما ما وقعت إليها الإشارة فيه من الآيات
فعدة .

قال تعالى : « ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوأ
صدق » .

وقال تعالى : « وآوتناهما إلى ربوة ذات
قرار ومعين » .

قال ابن عباس وسعيد بن المسيب ووهب بن
منبه : هي مصر .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن
أبيه : هي الاسكندرية .

وقال تعالى : « فأخرجناهم من جنات
وعيون . وكنوز مقام كرم » .

وقال تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون .
وزروع ومقام كرم . ونعمة كانوا فيها
فاكهن » .

قال ابن يونس في قول الله سبحانه :
« فأخرجناهم من جنات وعيون . وكنوز ومقام
كرم » . قال أبو زهم : كانت الجنات بحافتي
النيل من أوله إلى آخره من الجانبين ، ما بين
أسوان إلى رشيد ، وسبعة خلج : خليج
الاسكندرية ، وخليج سخا ، وخليج دمياط ،
وخليج سردوس ، وخليج منف ، وخليج

القيوم وخليج المنى ... متصلة لا ينقطع منها
شئ عن شئ ، وزروع ما بين العيلين كله من
أول مصر إلى آخرها ما يلقه الماء . وكان
جميع أرض مصر كلها تروى يومئذ من ستة
عشر فواعا ، لما قد دبروا من قناطرها
وجسورها .

قال : والمقام الكريم : المنابر . كان بها
ألف منبر .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير : المقام
الكريم : المنابر .

وقال قتادة : ومقام كرم ، أى حسن .
ونعمة كانوا فيها فاكهن * ، فاكهن .

قال : أى والله أخرجه الله من جناته وعبوه
وزروعه حتى ورطه في البحر .

وقال سعيد بن كثير بن عفير : كما بقية
الهواء عند المأمون لما قدم مصر ، فقال لنا : ما
أدري ما أعجب فرعون من مصر حيث يقول :
« أليس لى ملك مصر » ؟

فقلت : أقول يا أمير المؤمنين ؟

فقال : قل يا سعيد .

فقلت : ان الذى ترى بقية مدمر ، لأن الله
عز وجل يقول : « ودمرنا ما كان يصنع
فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » .

قال : صدقت ، ثم أمسك .

وقال تعالى : « ونريد أن نمن على الذين
استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمة ،
ونجعلهم الوارثين . ونسكن لهم في الأرض ،
ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا
يحذرون » .

وقال تعالى مخبرا عن فرعون أنه قال :
« يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض » .

وقال تعالى : « وتنت كلمة ربك الحملى
على بنى اسرائيل بما صبروا ، وحسرتا ما كان
يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » .

وقال تعالى مخبرا عن قوم فرعون : « انظر
موسى وقومه ليهدوا في الأرض » ، يعنى
أرض مصر .

وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام
أنه قال : « اجعلنى على خزان الأرض » الى
خليفته عليه السلام .

روى ابن يونس عن أبى بصرة الفخارى
رضى الله عنه قال : مصر خزان الأرض كلها ،
وسلطاتها سلطان الأرض كلها ، ألا ترى الى
قول يوسف عليه السلام للملك مصر « اجعلنى
على خزان الأرض » ففضل ، فأغيث بمصر
وخزائنها يومئذ كل حاضر وباد من جميع
الأرض .

وقال تعالى : « وكذلك مكنا ليوسف في
الأرض يتبوا منها حيث يشاء » ، فكان ليوسف
سلطان به مصر جميع سلطان الأرض كلها ،
لحاجتهم اليه وإلى ما تحت يديه .

وقال تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام
أنه قال : « ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة
وأموالا في الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن
سبيلك » ، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على
قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الآليم .

وقال تعالى : « عسى ربكم أن يهلك عدوكم
ويستخلفكم في الأرض » ، فينظر كيف
تعملون » .

وقال تعالى : « وقال فرعون ذرونى أقتل
موسى وليدع ربه ، انى أخاف أن يبدل دينكم
أو أن يظهر في الأرض الفساد » ، يعنى أرض
مصر .

وقال تعالى : « ان فرعون علا في الأرض »
يعنى أرض مصر .

وقال تعالى حكاية عن بعض اخوة يوسف
عليه السلام : « قلن أبرح الأرض » ، يعنى
أرض مصر .

وقال تعالى : « ان تريد الا أن تكون جبارا
في الأرض » ، يعنى أرض مصر .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : سميت مصر
بالأرض كلها في عشرة مواضع من القرآن .

فهذا ما يحضرلى مما ذكرت فيه مصر من
آى كتاب الله العزيز .

وقد جاء في فضل مصر أحاديث :

روى عبد الله بن لهيعة من حديث عمرو بن
العاص أنه قال : حدثنى عمر أمير المؤمنين
رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « اذا فتح الله عليكم بعدى
مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا ، فذلك الجند
خير أجناد الأرض » .

قال أبو بكر رضى الله عنه : ولم ذلك
يارسول الله ؟

قال : « لأنهم في رباط الى يوم القيامة » .



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثلث ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِزِي

الحمد لله

٢



كتاب
التحرير

«كلمات مصر هي سقطه راسي، وملعب أترابي، ومجمع ناسي، ومغنى عشيري، وعاشي،
وسوطن فحاشي وعاشي، وهو جوي الذي ربي جناسي في وكرو، وعش ماري، وهو
تجوي الأنفس غير ذكره، ولا زالت من شذوذ العالم، وأتاني في الفطاة والفهم، وأغيب في
معرفة أفعالها، وأحب لإشراف على الاعتراف من آياتها، وأهوى مساواة القرآن من كان ديارها»
نقى الدين أحمد بن علي المقرزي

وعن عمرو بن الحمق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تكون فتنة أسلم الناس فيها (أو خير الناس فيها) الجند الغربى » .

قال : « فلذلك قدمت عليكم مصر » .

وعن تبيع بن عامر الكلاعى قال : أقبلت من الصائفة فلقيت أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه ، فقال لى : من أين أنت ؟

فقلت : من أهل مصر .

قال : من الجند الغربى .

فقلت : نعم .

قال : الجند الضعيف .

قلت : أهو الضعيف ؟

قال : نعم .

قال : أما الله ما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤته ، اذهب الى معاذ بن جبل حتى يحدثك .

قال : فذهبت الى معاذ بن جبل فقال لى : ما قال لك الشيخ ؟

فأخبرته ، فقال لى : وأى شيء تذهب به الى بلادك أحسن من هذا الحديث ؟ أكتب فى أسفل الواحك : فلما رجعت الى معاذ أخبرنى أن بذلك أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وروى ابن وهب من حديث صفوان بن عسال قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « فتح الله بابا للتوبة فى الغرب عرضه سبعون عاما ، لا يعلق حتى تطلع الشمس من بحره » .

وروى ابن لهيعة من حديث عمرو بن العاص : حدثنى عمر أمير المؤمنين رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله عز وجل سيفتح عليكم بعدى مصر ، فاستوصوا بقبطها خيرا ، فان لهم منكم صهرا وذمة » .

وروى ابن وهب قال : أخبرنى حرملة بن عمران النجيبى ، عن عبد الرحمن بن شماس المهرى ، قال : سمعت أبا ذر رضى الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا فان نهم ذمة ورحما ، فاذا رأيتم رجلين يقتتلان فى موضع لبنة فاخرجوا منها » .

قال : فمر بريعة وعبد الرحمن ابنى شرحبيل يتنازعان فى موضع لبنة ، فخرج منها .

وفى رواية : « ستفتحون مصر ، وهى أرض يسمى فيها القيراط ، فاذا فتحتموها فأحسنوا الى أهلها فان لهم ذمة ورحما (أو قال : ذمة وصهرا) ... » الحديث .

ورواه مالك والليث وزاد « فاستوصوا بالقبط خيرا » أخرجه مسلم فى الصحيح عن أبى الطاهر عن ابن وهب .

قال ابن شهاب : وكان يقال ان أم اسماعيل منهم .

قال الليث بن سعد : * قلت لابن شهاب : ما رحمهم ؟

قال : ان أم اساعيل بن ابراهيم ،
صلوات الله عليهما ، منهم .

وقال محمد بن اسحاق : قلت للزهري :
ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ؟

قال : كانت هاجر أم اساعيل منهم .

وروى ابن لهيعة ، من حديث أبي سالم
الجبالي ، أن بعض أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم أخبره أنه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : « انكم ستكونون
أجنادا ، وإن خير أجنادكم أهل الغرب
منكم ، فاتقوا الله في القبط : لا تأكلوهم أكل
الخضر » .

وعن مسلم بن يسار أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : « استوصوا بالقبط خيرا ،
فانكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال
العدو » .

وعن يزيد بن أبي حبيب أن أبا سلمة بن
عبد الرحمن حدثه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أوصى عند وفاته أن تخرج اليهود من
جزيرة العرب ، وقال : « الله الله في قبط مصر ،
فانكم ستظهرون عليهم ، ويكونون لكم عدة
وأعوانا في سبيل الله » .

وروى ابن وهب ، عن موسى بن أيوب
الغافقي ، عن رجل من الرند ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مرض فأغمى عليه ، ثم
أفاق فقال : « استوصوا بالأدم الجعد » ثم
أغمى عليه الثانية ، ثم أفاق فقال مثل ذلك ،
ثم أغمى عليه الثالثة فقال مثل ذلك .

فقال القوم : لو سألنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الأدم الجعد ؟

فأفاق فسألوه ، فقال : « قبط مصر ، فانهم
أخوال وأصهار ، وهم أعوانكم على عدوكم ،
وأعوانكم على دينكم » .

قالوا : كيف يكونون أعوانا على ديننا
يا رسول الله ؟

قال : « يكفونكم أعمال الدنيا ، وتتفرغون
للعباداة : فالراضي بما يؤتى اليهم كالفاعل
بهم ، والكاره لما يؤتى اليهم من الظلم كالمتزهد
عنهم » .

وعن عمرو بن حرب ، وأبي عبد الرحمن
الحلي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « انكم ستقدمون على قوم جعد
رؤوسهم ، فاستوصوا بهم خيرا ، فانهم قوة
لكم ، وبلاغ الى عدوكم باذن الله » ، يعني
قبط مصر .

وعن ابن لهيعة ، حدثني مولى عفيرة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الله
الله في أهل المدرة السوداء ، السحم الجعاد ،
فإن لهم نسا وصهرا » .

قال عمرو مولى عفيرة : صهرهم أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم تسمى فيهم ، ونسبهم
أن أم اساعيل عليه السلام منهم .

قال ابن وهب : فأخبرني ابن لهيعة أن أم
اساعيل هاجر من أم العرب ، قرية كانت أمام
الفرما من مصر .

قال مروان القصاص : صاهر الى القبط من
الأنبياء ثلاثة : ابراهيم خليل الرحمن عليه
السلام تسمى هاجر ، ويوسف تزوج بث

صاحب عين شمس ، ورسول الله صلى الله عليه
وسلم تسمى مارية .

وقال يزيد بن أبي حبيب : قرية هاجر باق
التي عندها أم دنين .

وقال هشام : العرب تقول : هاجر وآجر ،
فيبدلون من الهاء الألف ، كما قالوا :
هراق الماء وأراق الماء ونحوه .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال :
الأمصار سبعة : فالمدينة مصر ، والشام مصر ،
ومصر ، والجزيرة ، والبحرين ، والبصرة ،
والكوفة .

وقال مكحول : أول الأرض خرابا أرمينة ،
ثم مصر .

وقال عبد الله بن عمرو : قبطة مصر أكرم
الأعاجم كلها ، وأسمحهم يدا ، وأفضلهم
عنصرا ، وأقربهم رحما بالعرب عامة وبقرش
خاصة ، ومن أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر
الى مثلها في الدنيا ، فلينظر الى أرض مصر
حين ينضج زرعها ، وتنور ثمارها .

وقال كعب الأحبار : من أراد أن ينظر الى
شبه الجنة ، فلينظر الى مصر اذا أخرفت (وفي
رواية اذا أزهرت) .

ومن فضائل مصر أنه كان من أهلها السحرة
وقد آمنوا جميعا في ساعة واحدة ، ولا يعلم
جماعة أسلمت في ساعة واحدة أكثر من جماعة
القبط .

وكانوا — في قول يزيد بن أبي حبيب
وغيره — اثني عشر ساحرا رؤساء ، تحت يد
كل ساحر منهم عشرون عريفا ، تحت يد كل
عريف منهم ألف من السحرة ، فكان جميع

السحرة مائتي ألف وأربعين ألفا ومائتين واثنين
وخمسين انسانا بالرؤساء والعرفاء . فلما
عابوا ما عابوا أيقنوا أن ذلك من السماء ،
وأن السحر لا يقوم لأمر الله ، ففخر الرؤساء
الاثنا عشر عند ذلك سجدا ، فاتبعهم العرفاء ،
واتبع العرفاء من بقى ، وقالوا : « آمنا برب
العالمين . رب موسى وهارون » .

قال تبيع : كانوا من أصحاب موسى عليه
السلام ، ولم يفتن منهم أحد مع من افتتن من
بنى اسرائيل في عبادة العجل .

قال تبيع : ما آمن جماعة قط في ساعة
واحدة مثل جماعة القبط .

وقال كعب الأحبار : مثل قبط مصر
كالغيضة كلما قطعت نبت ، حتى يخرب الله
عز وجل بهم وبصناعتهم جزائر الروم .

وقال عبد الله بن عمرو : خلقت الدنيا على
خمس صور ، على صورة الطير برأسه وصدره
وجناحيه وذنبه .

فالرأس مكة والمدينة واليمن .

والصدر الشام ومصر .

والجناح الأيمن العراق ، وخلف العراق أمة
يقال لها واق ، وخلف واق أمة يقال لها واق
واق ، وخلف ذلك من الأمم ما لا يعلمه الا الله
عز وجل .

والجناح الأيسر السند ، وخلف السند
الهند ، وخلف أمة الهند أمة يقال لها ناسك ،
وخلف ناسك أمة يقال لها منسك ، وخلف
ذلك من الأمم ما لا يعلمه الا الله عز وجل .

والذنب من ذات الحمام الى مضرب
الشمس ، وشر ما في الطير الذنب .

وقال الجاحظ : الأمصار عشرة : الصناعة بالبحر ، والفصاحة بالكوفة ، والتحنيت بعماد ، والى بالرى ، والجنا بنيسابور ، والحسن بهراة ، والطرمة بسمرقند ، والمرومة ببلخ ، والتجارة بمصر ، والبحل بمر (الطرمدة كلام ليس له فعل) .

وعن يحيى بن داخر الصافرى أنه سمع عمرو بن العاص يقول في خطبته : واعلموا أنكم في رباط الى يوم القيامة ، لمكت الأعداء حولكم ، ولاشراف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية .

وعن عبد الرحمن بن غنم الأشعري أنه قدم من الشام الى عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال : ما أقدمك الى بلادنا ؟

قال : كنت تحدثنى أن مصر أسرع الأرض خرابا ، ثم أراك قد اتخذت منها ، وبنيت فيها القصور ، واطمأنت فيها

قال : ان مصر قد أوفت خرابا ، عظمتها البخت نصر فلم يدع فيها الا السباع والضباع ، فهى اليوم أطيب الأرضين ترابا ، وأبعدا خرابا ، ولا يزال فيها بركة ما دام في شيء من الأرض بركة .

ويقال : مصر متوسطة الدنيا ، قد سلمت من حر الاقليم الأول والثانى ، ومن برد الاقليم السادس والسابع ، ووقعت في الاقليم الثالث قطاب هواها ، وضعف حرها ، وخف يرداها . وسلم أهلها من مشاتى الأهواز ، ومصايف عمان ، وصواعق تهامة ، ودماويل الجزيرة ،

(*) ص ٢٤ ، ج ١ ، ط. بولاق .

وجرب اليمن ، وطواعين الشام ، وبوسام العراق ، وعقارب عسكر مكرم ، وطحال البحرين ، وحصى خبير وأمنوا من غارات الترك ، وجيوش الروم ، وهجوم العرب ، ومكابد الديلم ، وسرايا القرامطة ، ونزف الأنهار ، وقحط الأمطار .

وبها ثمانون كورة ، ما فيها كورة الا وبها طرائف وعجائب من أنواع الثبر والأبنية والطعام والشراب والفاكهة ، وسائر ما تنتفع به الناس وتدخره الملوك ، يعرف بكل كورة وجهاتها ، وينسب كل لون الى كورة :

فصعيدها أرض حجازية ، حره حر العراق ، وبنيت النحل والاراك والقرظ والدموم والعشر .

وأمنل أرضها شامى يطر مطر الشام ، وبنيت ثمار الشام من الكروم والزيتون واللوز والتين والجوز وسائر الفواكه والبقول والرياحين ، ويقع به الثلج والبرد

وكورة الاسكندرية ولوية ومراقية برارى وجبال وغياض تثبت الزيتون والأعناب ، وهى بلاد ابل وماشية وعسل ولبن .

وفى كل كورة من كور مصر مدينة ، فى كل مدينة منها آثار كريمة من الأبنية والصخور والرخام والعجائب .

وفى نيلها السفن التى تحمل السفينة الواحدة منها ما يحمله خمسمائة بعير .

وكل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة ، يؤيد ذلك قول الله سبحانه وتعالى « وإبنت فى المدائن حاشرين » .

ويعمل بمصر معامل كالتاير ، يعمل بها البيض بصنة ، يؤقد عليه فيحاكى نار الطبيعة فى حضنة الدجاجة ليضها ، ويخرج من تلك المعامل الفرائج ، وهى معظم دجاج مصر ، ولا يتم عمل هذا بغير مصر .

وقال عمر بن ميمون : خرج موسى عليه السلام ببني اسرائيل ، فلما أصبح فرعون أمر بشاة فأنى بها ، فأمر بها أن تذبح ثم قال : لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع عندي خمسمائة ألف من القبط .

فاجتمعوا اليه فقال لهم فرعون : ان هؤلاء لشردمة فيلبون . وكان أصحاب موسى عليه السلام مئتمة ألف وسبعين ألفا .

ووصف بعضهم مصر فقال : ثلاثة أشهر للؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر مكة سوداء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء ، وثلاثة أشهر سيكة ذهب حمراء .

فأما اللؤلؤة البيضاء ، فان مصر فى أشهر أيب ومصرى وتوت يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء ، وضياعا على روابى وتلال مثل الكواكب قد أحيطت بها المياه من كل وجه ، فلا سبيل الى قرية من قراها الا فى الزوارق .

وأما المسكة السوداء ، فان فى أشهر بابه وهاتور وكيهك ينكشف الماء عن الأرض فتصير أرضا سوداء ، وفى هذه الأشهر تقع الزراعات .

وأما الزمردة الخضراء ، فان فى أشهر ملوبة وأمشير وبرمهات يكثر نبات الأرض وريبعها فتصير خضراء كأنها زمردة .

وأما السيكة الحمراء فان فى أشهر برمودة ويشنش وبؤونة يتورد العشب ويبلغ الزرع الحصاد ، فيكون كالسيكة التى من الذهب منقرا ومنقعة .

وسأل بعض الخلفاء الليث بن سعد عن الوقت الذى نطيب فيه مصر ، فقال : اذا غاض ماؤها ، وارتفع وبها ، وجف ثراها ، وأمكن مرعاها .

وقال آخر : نيلها عجب ، وأرضها ذهب ، وخيرها جلب ، وملكتها سلب ، ومالها رغب ، وفى أهلها صخب ، وطاعتهم رهب ، وسلامهم شعب ، وحربهم حرب ، وهى لمن غلب .

وقال آخر : مصر من سادات القرى ورؤساء المدن .

وقال زيد بن أسلم فى قوله تعالى : « فان لم يصحبها وابل فطل » : هى مصر ، ان لم يصحبها مطر أزكت ، وان أصابها مطر أضعفت ... قاله المسعودى فى تاريخه .

ويقال لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقا وغربا ، وسهلها وجبلا ، وأنهارها وبحارها ، وبناءها وخرابها ، ومن يسكنها من الأمم ، ومن يملكها من الملوك .

فلما رأى مصر أرضا سهلة ، ذات نهر جار مادته من الجنة ، تنحدر فيه البركة ، ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا ، لا يخلو من نظر الرب اليه بالرحمة ، فى سفحه أشجار مشرة ، وفروعها فى الجنة تسقى بماء الرحمة . فدعا آدم عليه السلام فى النيل * بالبركة ، ودعا فى أرض مصر بالرحمة والبر والتقوى ،

(*) ص ٢٤ ، ج ١ ، ط. بولاق .

وبارك في ثلما وجبلها سبع مرات ، وقال :
ياها الجبل المرحوم ، سحقك جنة ، وترتك
مسكة ، يدفن فيها غراس الجنة ، أرض حافظة
مطبعة رحيمة ، لا خلتك يامصر بركة ، ولا
زال بك حفظ ، ولا زال منك ملك وعز .
يا أرض مصر ، فيك الغيايا والكنوز ، ولك
البر والثروة ، وسال نهرك سلا . كثر الله
زرعك ، ودر ضرعك ، وزكى نباتك ، وعظمت
بركتك ، وخصبت ، ولا زال فيك خير ما لم
تجبري وتكبري أو تخوتي ، فإذا فعلت ذلك
عداك شر ، ثم يغور خيرك .

فكان آدم أول من دعا لها بالرحمة
والحصب والرافة والبركة

وعن ابن عباس أن نوحا عليه السلام دعا
لمصر بن بصر بن حام فقال : اللهم انه قد
أجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته ، وأسكنه
الأرض المباركة التي هي أم البلاد وغوث
العباد ، التي نهرها أفضل أنهار الدنيا ، واجعل
فيها أفضل البركات ، وسخر له ولولده
الأرض ، وذلها لهم ، وقوهم عليها

وقال كعب الأحبار : لولا رغبتي في بيت
المقدس ، لما سكنت الا مصر .

ف قيل له : لم ؟

فقال : لأنها بلد معافاة من الفتن ، ومن
أرادها بسوء آكبه الله على وجهه ، وهو بلد
مبارك لأهله فيه .

وقال ابن وهب : أخبرني يحيى بن أيوب ،
عن خالد بن يزيد ، عن ابن أبي هلال ، أن
كعب الأحبار كان يقول : اني لأحب مصر

وأهلها ، لأن مصر بلد معافاة ، وأهلها أصحاب
عانية ، وهم بذلك معارفون

ويقال ان في بعض الكتب الالهيه : مصر
خزائن الأرض كلها ، فمن أرادها بسوء قصه
الله تعالى

وقال عمرو بن العاص : ولاية مصر جامعة
تعدل الخلافة ، يعني اذا جمع الخراج مع
الامارة .

وقال أحمد بن مديبر : تحتاج مصر الى ثمانية
وعشرين ألف ألف فدان ، وانما يصير منها
ألف ألف فدان . وقد كشفت أرض مصر
فوجدت غامرها أضعاف عامرها ، ولو اشتغل
السلطان بعمارتها لو فت له بخراج الدنيا

وقال بعضهم : ان خراج العراق لم يكن
قط أوفر منه في أيام عمر بن عبد العزيز ، فانه
بلغ ألف ألف درهم ، وسبعة عشر ألف ألف
درهم . ولم تكن مصر قط أقل من خراجها في
أيام عمرو بن العاص ، وانه بلغ اثني عشر ألف
ألف دينار . وكانت الشامات بأربعة عشر ألف
ألف سوى الثغور

ومن فضائل مصر أنه ولد بها من الأنبياء
موسى وهارون ويوشع عليهم السلام .

ويقال ان عيسى بن مريم صلوات الله عليه
أخذ على سفح الجبل المقطم وهو سائر الى
الشام ، فالتفت الى أمه وقال : يا أماه ، هذه
مقبرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

ويذكر أنه ولد في قرية أهناس من نواحي
صعيد مصر ، وأنه كانت به نخلة يقال انها
النخلة المذكورة في القرآن بقوله سبحانه
وتعالى « وهزى اليك بجذع النخلة » . وهذا

القول وهم ، فانه لاخلاف بين علماء الأخبار
من اهل الكتاب ومن يعتمد عليه من علماء
المسلمين أن عيسى صلوات الله عليه ولد بقرية
بيت لحم من بيت المقدس .

ودخل مصر من الأنبياء ابراهيم خليل
الرحمن ، وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر خليج
القاهرة من هذا الكتاب . ودخلها أيضا
يعقوب ويوسف والأسباط ، وقد ذكر ذلك في
خبر القيوم . ودخلها أرميا ، وكان من أهلها
مؤمن آل فرعون الذي اتى عليه الله جل جلاله
في القرآن ، ويقال انه ابن فرعون لصلبه ،
وأظنه أنه غير صحيح .

وكان منها جلساء فرعون الذين أبان الله
فضيله عقلمهم بحسن مشورتهم في أمر موسى
وهارون عليهما السلام لما استشارهم فرعون
في أمرها فقال تعالى : « قال للملا حوله ان
هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من
أرضكم بسحره فماذا تأمرون . قالوا أرجه
وأخاه ، وابعث في المدائن حاشرين . يأتوك
بكل ساحر عليم » .

وأي هذا من قول أصحاب التمرود في
ابراهيم صلوات الله عليه حيث أشاروا بقتله ،
قال تعالى حكاية عنهم : « قالوا حرقوه
وانصروا آلهم ان كنتم فاعلين » .

ومن أهل مصر امرأة فرعون التي مدحها الله
تعالى في كتابه العزيز بقوله : « وضرب الله
مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، اذ قالت رب
ابن لي عندك بيتا في الجنة ، ونجني من فرعون
وعمله ، ونجني من القوم الظالمين » .

ومن أهلها ماشطة بنت فرعون ، وآمنت
بموسى عليه السلام ، فشتها فرعون بأشراط
الحديد كما يشتط الكتان ، وهي ثابتة على
إيمانها بالله .

وقال صاعد اللغوى في كتاب « طبقات
الأمم » : ان جميع العلوم التي ظهرت قبل
الطوفان اما صدرت عن هرمس الأول الساكن
بصعيد مصر الأعلى ، وهو أول من تكلم في
الجواهر العلوية ، والحركات النجومية ، وهو
أول من ابتنى الهياكل ومجد الله فيها ، وأول
من نظر في علم الطب ، وألف لأهل زمانه
قصائد موزونة في الأشياء الأرضية
والساوية .

وقالوا : انه أول من أنذر بالطوفان ، ورأى
أن آفة مساوية تصيب الأرض من الماء أو
النار ، فخاف ذهاب العلم واندراس الصنائع ،
فبنى الأهرام والبرابي التي في صعيد مصر
الأعلى ، وصور فيها جميع الصنائع والآلات
ورسم فيها صفات العلوم ، حرصا على
تخليدها لمن بعده ، وخيفة أن يذهب رسمها
من العالم .. وهرمس هذا هو ادريس عليه
السلام .

وقال أبو محمد الحسن بن اسماعيل بن *
الفرات في أخبار مصر : ان الخضر جاز البحر
مع موسى عليه السلام وكان مقدما عنده ،
وكان بصير من الحكماء جماعة ممن عثرت
الدنيا بكلامهم وحكمهم وتديبرهم ، وكان من
علومهم علم الطب ، وعلم النجوم ، وعلم
المساحة ، وعلم الهندسة ، وعلم الكيمياء ،
وعلم الفلسفات . ويقال كانت مصر في الزمن

الأول يسير إليها ملاب العلوم لتزكو عقولهم
وتجود أذهانهم ، وتسير عندهم الذكاء ، وتنق
الفتنة .

ومن فضائل مصر أنها تدير أهل الحرمين ،
وتوسع عليهم .

ومصر فرضة الدنيا ، يحمل خيرها إلى ما
سواها : فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه
إلى الحرمين واليمن والهند والصين وعمان
والسند والشعر ، وساحلها من جهة تيس
ودمياط وأقربها فرضة بلاد الروم والافرنج
وسواحل الشام والقفور إلى حدود العراق ،
وتغر لسكندرية فرضة أفريقيا وصقلية وبلاد
المغرب ، ومن جهة الصعيد يحمل إلى بلاد
المغرب والنوبة والحبشة والحجاز
واليمن .

وبمصر عدة من الثغور الممتدة للرباط في
سبيل الله تعالى ، وهي البرلس ورشيد
والاسكندرية وذات الحمام والبحيرة ولخا
ودمياط وشطا وتيس والأستوم والقمرما
والورادة والعريش وأسوان وقوص والولحات
فيفزي من هذه الثغور الروم والافرنج والبربر
والنوبة والحبشة والسودان .

وبمصر عدة مشاهد وكثير من المساجد ،
وهي النيل والأهرام والبرابي والأديار
والكنائس . وأهلها يستغنون بها عن كل بلد ،
حتى أنه لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور
لاستغنى أهلها بما فيها عن جميع البلاد .

وبمصر دهن اللسان الذي عظمت منفعة ،
وصارت ملوك الأرض تطلبه من مصر وتعتنى
به ، وملوك النصرانية تترامى على طلبه ،

والنصارى كافة تعتقد تعظيمه ، وتزى أنه لا
يتم قصير نصراني إلا يوضع شيء من دهن
اللسان في ماء المسودية عند تعظيمه فيها .

وبها السقنور ومنافعه لا تترك ، وبها
النس والعرس ولهما في أكل الثعابين فضيلة
لا تترك ، فقد قيل لولا العرس والنس لما
سكنت مصر من كثرة الثعابين ، وبها السمكة
الرعاة وقمها في البره من الحمى إذا غلقت
على المحوم عجيب .

وبمصر حطب السنط ، ولا نظير له في
معناه ، فلو وقد منه تحت قدر يوما كاملا لما
بقي منه رماد . وهو مع ذلك صلب الكسر ،
مرح الاستعمال ، يشفى الخمود . ويقال أنه
أبنوس غيرته نقة مصر فصار أحمر .

وبها الأفيون عصارة الخشخاش ، ولا يجمل
منافعه إلا جاهل . وبها البنج ، وهو ثمرة قدر
اللوز الأخضر ، كان من محاسن مصر إلا أنه
أقطع قبل سنة سبعمائة من الهجرة .

وبها الأترج ، قال أبو داود صاحب السير
في كتاب الزكاة : شربت قنائة بمصر ثلاثة عشر
شبرا ، ورأيت أترجة على بغير قطعتين
وصيرت مثل عدلين .

قال المسعودي في التاريخ : والأترج المدور
حمل من أرض الهند بعد الثلاثمائة من سني
الهجرة ، وزرع بعنان ، ثم نقل منها إلى
البصرة والعراق والشام ، حتى كثر في دور
الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية
وفي انطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر ،
وما كان يعهد ولا يعرف ، فقدمت منه الأراج
الحمر الطيبة ، واللون الحسن الذي كان

فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والترية
وخاصية البلد .

وفي مصر معدن الزمرد ، ومعدن النفط ،
والسب ، والبرام ، ومقاطع الرخام . ويقال
كان بمصر من المعادن ثلاثون معدنا .

وأهل مصر يأكلون صيد بحر الروم وصيد
بحر اليمن طريا ، لأن بين البحرين مسافة
ما بين مدينة القلزم والقمرما ، وذلك يوم
ليلة . وهو الحاجز المذكور في القرآن قال
تعالى : « وجعل بين البحرين حاجزا » ، قيل
هنا بحر الروم وبحر القلزم ، وقال تعالى :
« مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا
يبغيان » ، قال بعض المفسرين : البرزخ ما بين
القلزم والقمرما .

ومن محاسن مصر أنه يوجد بها في كل شهر
من شهور السنة القبطية صنف من المأكول
والمشوم دون ما عداه من بقية التسمور ،
فيقال : رطب نوت ، ورماني باب ، ومسوز
هاتور ، وسك كيهك ، وماء طوبة ، وخروف
أمشير ، ولبن برمهات ، وورد برمودة ، وبق
يشنس ، وتين بؤولة ، وعسل أييب ، وعنب
مصري .

ومنها أن صيفها خريف لكثرة فواكهه ،
وشتاءها ربيع لما يكون بمصر حينئذ من
القرظ والكتان .

ومن محاسنها أن الذي ينقطع من الفواكه
في سائر البلدان أيام الشتاء ، يوجد حينئذ
بمصر .

ومنها أن أهل مصر لا يحتاجون في حر
الصيف إلى استعمال الخيش والدخول في

جوف الأرض كما معاليه أهل بغداد ، ولا
يحتاجون في برد الشتاء إلى لبس الفرو
والاصطلاء بالنار الذي لا يستغنى عنه أهل
الشام . كما أنهم أيضا في الصيف غير محتاجين
إلى استعمال الثلج .

ويقال : ويرجد مصر ، وقباطى مصر ،
وحير مصر ، وثعابين مصر ، ومنافعها في
الدراق جليلة .

ومن فضائل مصر أن الرخامة التي في الحجر
من السمكة من مصر ، بعث بها محمد بن
طريف مولى العباس بن محمد في سنة إحدى
وأربعين ومائتين مع رخامة أخرى خضراء
هدية للحجر . فجمعت إحدى الرخامتين على
سطح جدر الكعبة ، وهما من أحسن الرخام
في المسجد خضرة ، وكان المتولي * عليها
عبد الله بن محمد بن داود ، ذرعا ذراع
وثلاث أصابع ... قاله الفاكهي في أخبار
مكة .

ومن فضائل مصر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم تسرى من أهلها ، وولد له صلى
الله عليه وسلم من نساء مصر ، ولم يولد له
ولد من غير نساء العرب إلا من نساء مصر .

قال ابن عبد الحكم : لما كانت سنة ست من
مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من العديبة ،
بعث إلى الملوك . فمضى حاطب بن أبي بلتعة
بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما
اتمى إلى الاسكندرية وجد المقوقس في مجلس
مشرف على البحر ، فركب البحر ، فلما حاذى

مجلته أشار بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه ، فلما رآه أمر بالكتاب فقبض ، وأمر به فأوصل إليه .

فلما قرأ الكتاب قال : ما منعه أن كان نبيا أن يدعو على فيسلط على ؟

فقال له حاطب : ما يمنع عيسى بن مريم أن يدعو على من أبى عليه أن يفعل به ويفعل .

فوجم ساعة ثم استعادهما ، فأعادهما عليه حاطب ، فكت . فقال له حاطب : انه قد كان قبلك رجل زعم أنه الرب الأعلى ، فاتقم الله به ثم اتقم منه . فاعتبر بفيرك ولا تعتبر بك ، وإن لك دينا لن تدعه إلا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافي الله به فقد ما سواء ^١ ، وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الانجيل ، ولستنا تهاك عن دين المسيح ، ولكننا نأمرك به .

ثم قرأ الكتاب فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الاسلام ، فأسلم تسليم ، يؤتك الله أجرك مرتين . ويأهل الكتاب تناولوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

فلما قرأه أخذه فجعله في حق من عاج وختم عليه .

(١) : انك قد نبيه ما سواء . . . هكذا في بعض النسخ ، فيستلزم .

وعن أبان بن صالح قال : أرسل المقوقس إلى حاطب ليلة وليس عنده أحد إلا الترجمان فقال له : ألا تخبرني عن أمور أسألك عنها فإني أعلم أن صاحبك قد تخبرك حين بعثك ؟

قلت : لا تسألني عن شيء إلا صدقتك .

قال : الام يدعو محمد ؟

قال : إلى أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتخلع ما سواه ، ويأمر بالصلاة .

قال : فكم تصلون ؟

قال : خمس صلوات في اليوم والليلة ، وصيام شهر رمضان ، وحج البيت ، والوفاء بالعهد ، ونهى عن أكل الميتة والدم .

قال : من أتباعه ؟

قال : القتيان من قومه وغيرهم .

قال : وهل يقبل قوله ؟

قال : نعم .

قال : صفه لي .

قال : فوصفته بصفة من صفته ولم آت عليها .

قال : قد بقيت أشياء لم أرك ذكرتها : في عينه حمرة قل ما تفارقه ، وبين كفيه خاتم النبوة ، يركب الحمار ، ويلبس الثملة ، ويجترى بالتمرات والكسر ، لا يبالي من لاقى من عم ولا ابن عم .

قلت : هذه صفته .

قال : قد كنت أعلم أن نبيا بقي ، وقد كنت أظن أن مخرجه الشام ، وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله ، فأراه قد خرج في أرض العرب ، في أرض جهد وبؤس ، والقبط لا

تطاولوني في أتباعه ، ولا أحب أن تعلم بمحاوري إياك ، وسيظهر على البلاد ، وينزل أصحابه من بعده بإحسان هذه حتى يظهروا على ما همنا ، وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا ، فأرجع إلى صاحبك .

قال : ثم دعا كاتباً يكتب بالعربية فكتب :

« لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام . أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبيا قد بقي ، وقد كنت أظن أن نبيا يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها ، والسلام » .

وعن عبد الرحمن بن عبد القاري قال : لما مضى حاطب بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل المقوقس الكتاب ، وأكرم حاطبا ، وأحسن نزله ، ثم سرجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له كسوة ، وبغلة يسرجها ، وجاريتين : أحدهما أم ابراهيم ، ووهب الأخرى لجهم بن قيس العبدري ، فمى أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر ، ويقال بل وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة الأنصاري ، ويقال بل لنحية بن خليفة الكلبي ، وقيل بل لحسان بن ثابت .

وعن يزيد بن أبي حبيب أن المقوقس لما أتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمه إلى صدره وقال : هذا زمان يخرج فيه النبي الذي نجد نعته وصفته في كتاب الله تعالى ،

وأنا نجد صفته أنه لا يجمع بين أختين في ملك يمين ولا نكاح ، وأنه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة ، وأن جلساءه المساكين ، وأن خاتم النبوة بين كفيه .

ثم دعا رجلا عاقلا ، ثم لم يدع بمصر أحسن ولا أجمل من مارية واختها ^١ ، وهما من أهل جن (يفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون بعده) من كورة انصبا ، فبعث بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له بغلة شهباء ، وحمارا أشهب ، وثيابا من قباطى مصر ، وعسلا من عسل بنتها ، وبعث إليه بمال صدقة .

ويقال أن المقوقس أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جوارى ، وقيل جاريتين ، وبغلة اسمها الدليل ، وحمارا اسمه يغفور ، وقباء ، وألف مثقال ذهب ، وعشرين ثوبا من قباطى مصر ، وخصيا يسمى مابور ، ويقال انه ابن عم مارية ، وفرسا يقال لهما الكرار ، وقدحا من زجاج ، وعسلا من عسل بنتها ، فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ، ودعا فيه بالبركة ، وقال : « من الخيث بملكه ، ولا يقاء للملكه » . فإن المقوقس قال خيرا ، وأكرم حاطب بن أبى بلتعة ، وقارب الأمر ولم يسلم .

وقال ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمرو الواقدي ، أنبأنا يعقوب بن محمد بن أبى صعصعة ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة قال : أهدى المقوقس صاحب الاسكندرية إلى النبي صلى الله عليه وسلم في

(١) هكذا في النسخ ، وفيه تأمل . (٢) من ٢٩ ، ج ١ ، طبع بولاق .

سنة سبع من الهجرة مارية واختها سيرين ،
وأنف مثقل ذهباً ، وعشرين ثوباً ، وبغلة
الدليل ، وحماره غفيراً ، وخصياً يقال له
مابور . فمرض حاطب على مارية الاسلام
فأسلمت هي واختها ، ثم أسلم الخصي بعد .
وكان الذي بعثه المقوقس مع مارية اسمه
جبير بن عبد الله القبطي ، مولى بنى عقار .

قال ابن عبد الحكم : وأمر رسوله أن ينظر
بن جساؤه ، وينظر الى ظهره هل يرى شامة
كبيرة ذات شعر ، ففعل ذلك الرسول ، فلمسا
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدم
اليه الاختين والدايتين والمسل والسياب ،
وأعلمه أن ذلك كله هدية . فقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الهدية ، وكان لا يردها
من أحد من الناس .

قال : فلما نظر الى مارية واختها أعجبتاه
وكره أن يصنع بينهما ، وكانت أحدهما تشبه
الأخرى ، فقال : « اللهم اختر لييك » فاختار
الله له مارية .

وذلك أنه لما قال لهما : « اشهدا أن لا اله
الا الله وأن محمدا عبده ورسوله » فبادرت
مارية فشهدت وآمنت قبل اختها ، ومكثت
أختها ساعة ثم تشهدت وآمنت ، فوهب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها لمحمد
ابن مسلمة الأنصاري ، وقال بعضهم : بل
وهبها للسمية بن خليفة الكلبي .

وعن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن
شامة الهري ، عن عبد الله بن عمر قال : دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم ابراهيم
أم ولده القبطية ، فوجد عندها نسيا لها كان
قدم معها من مصر ، وكان كثيراً ما يدخل

عليها ، فوقع في نفسه شيء فرجع ، فلقه عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه فعرف ذلك في
وجهه ، فسأله فأخبره ، فأخذ عمر السيف ثم
دخل على مارية وقربها عندها ، فأهوى اليه
بالسيف ، فلما رأى ذلك كشف عن نفسه
— وكان مجبوباً ليس بين رجله شيء — فلما
رآه عمر رجع الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ان جيريل أتاني فأخبرني أن الله عز
وجل قد برأها وقربها ، وأن في بطنها غلاماً
منى ، وأنه أشبه الخلق بي ، وأمرني أن أسميه
ابراهيم ، وكانني بأبي ابراهيم » .

وقال الزهري عن انس : لما ولدت أم
ابراهيم ابراهيم كأنه وقع في نفس النبي صلى
الله عليه وسلم منه شيء ، حتى جاءه جيريل
فقال : السلام عليك يا أبا ابراهيم .

ويقال ان المقوقس بعث معها بخصي كان
يأوى اليها ، وقيل ان المقوقس أهدى لرسول
الله صلى الله عليه وسلم جواري منهن أم
ابراهيم ، وولادة وهبها رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأبي جهم بن حذيفة ، وولادة
وهبها لحسان بن ثابت . فولدت مارية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم ، وكان أحب
الناس اليه حتى مات فوجد به ، وكان سنة
يوم مات سنة عشر شهراً .

وكانت البغلة والحمار أحب دوابه اليه ،
وسمى البغلة الدليل ، وسمى الحمار ينفورا .
وأعجبه العسل ، فلدعا في عسل بنها بالبركة ،
وبقيت تلك الثياب حتى كفن في بعضها صلى
الله عليه وسلم .

وكان اسم أخت مارية قيسر ، وقيل بل كان
اسمها سيرين ، وقيل حسنة .

وكلم الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان
في أن يضع الجزيرة عن جميع قرية أم ابراهيم
لحرمتها ، ففعل ووضع الخراج عنهم ، فلم
يكن على أحد منهم خراج ، وكان جميع أهل
القرية من أهلها وأقربائها فانقطعوا .

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال : « لو بقي ابراهيم ما تركت قبطياً
الا وضعت عنه الجزيرة » .

ومات مارية في محرم سنة خمس عشرة
بالمدينة .

وقال ابن وهب : أخبرني يحيى بن أيوب
وابن لهيعة ، عن عقيل ، عن الزهري ، عن
يعقوب بن عبد الله بن المغيرة بن الأخفش ،
عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « دخل ابليس العراق ففضى حاجته منها ،
ثم دخل الشام فطردوه حتى دخل جبل شاق ،
ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط
عقبه » ... حديث صحيح غريب .

وقد عاب بعضهم مصر فقال : محاسنها
مجلوبة اليها ، حتى العناصر الأربعة : الماء ،
وهو في النيل مجلوب من الجنوب ، والتراب
مجلوب في حمل الماء ، والا فهي رمل محض لا
تبت الزرع ، والنار لا يوجد بها شجرها ،
والهواء لا يهب بها الا من أحد البحرين اما
من الرومي واما من القلزم . وقد زاد هذا
في تحامله .

وقال كعب الأحبار : الجزيرة آمنة من
الخراب حتى تخرب أرمينية ، ومصر آمنة من
الخراب حتى تخرب الجزيرة ، والكوفة آمنة
من الخراب حتى تكون الملحمة .

ذكر العجائب التي كانت بمصر
من الطلسمات والبراي ونحو ذلك

ذكر في كتاب « عجائب الحكايات وغرائب
الماجريات » أنه كان بمصر حجر من جمبع
كفيه عليه تقياً جميع ما في جوفه * .

قال القضاعي : ذكر الجاحظ وغيره أن
عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة :

منها بسائر الدنيا عشر أعجوبات ، وهي :
مسجد دمشق ، وكنيسة الرها ، وقنطرة
سنجر ، وقصر غندان ، وكنيسة رومية ،
وصنم الزنتون ، وايدوان كسرى بالمداين ،
بيت الريح بتدمر ، والخورتق والسدير
بالعيرة ، والثلاثة الأحجار يعطيك ، وذكر أنها
بيت المشتري والزهرة ، وأنه كان لكل كوكب
من السبعة بيت فيها فتهدمت .

ومنها بمصر عشرون أعجوبة :

فمن ذلك الهرمان ، وهما أطول بناء
وأعجبه ، ليس على وجه الدنيا بناء باليد حجر
على حجر أطول منهما ، وإذا رأيتهما ظننت
أنهما جيلان موضوعان ، ولذلك قال بعض من
رأهما : ليس من شيء الا وأنا أرحمه من
الدهر الا الهرمين ، فاني لأرحم الدهر
منهما .

ومن ذلك صنم الهرمين ، وهو « بلهوبه »
ويقال « بلهيب » ، ويقال انه طلسم للرمل لئلا
يغلب على ابلين الجيزة .

ومن ذلك بربا سنود ، وهو من اعاجيبها .
وذكر عن ابي عمرو الكندي انه قال : رأيت
وقد خزن فيه بعض عسالة قرظا ، فرأيت الجمل
اذا دنا من بابه بحمله وأراد أن يدخله سقط
كل ديب في القرظ لم يدخل منه شيء الى
البربا ، ثم خرب عند الحسين والثلاثمائة .

ومن ذلك بربا اخميم عجب من العجائب بما
فيه من الصور واعاجيب وصور الملوك الذين
يلكون مصر ، وكان ذو النون الاخميمي يقرأ
البرابي ، فرأى فيها حكما عظيمة فأفسد
أكثرها .

ومن ذلك بربا دندرة وهو بربا عجيب فيه
ثمانون ومائة كوة ، تدخل الشمس كل يوم
من كوة منها ، ثم الثانية حتى تنهى الى
آخرها ، ثم تكرر راجعة الى موضع بدائها .

ومن ذلك حائط المعجوز من العريش الى
أسوان ، يحيط بأرض مصر شرقا وغربا .

ومن ذلك الاسكندرية وما فيها من العجائب
فن عجائبها المنارة والسواري والملعب الذي
كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة ثم يرمون
بكرة فلا تقع في حجر أحد الا ملك مصر .
وحضر عيدا من أعيادهم عمرو بن العاص ،
فوقعت الكرة في حجره ، فملك البلد بعد ذلك
في الاسلام . ثم يحضر هذا الملعب ألف ألف
من الناس ، فلا يكون فيهم أحد الا وهو ينظر
في وجه صاحبه . ثم ان قرىء كتاب سمعوه
جميعا أو لعب نوع من أنواع اللعب رأوه عن

آخرهم ، لا يتناولون فيه بأكثر من المراتب
العلية والسفلية .

ومن عجائبها الملتان ، وهما جبلان قائمان
على سرطانات نحاس في أركانها ، كل ركن
على سرطان . فلو أراد مرید أن يدخل تحتها
شيئا حتى يمر به من جانبه الآخر لفعل .

ومن عجائبها عمودا الاعيا ، وهما عمودان
ملتقيان ، وراء كل عمود منهما جبل ، حصبا
كصبر الجبار بنى ، يقبل المعنى التنب
النصب بسبع حصيات حتى يلتقي على
أحدهما ، ثم يرمى وراءه السبع ، ويقوم ولا
يلتفت ، ويبقى لطيفه ، فكأنما يحمل حملا
لا يحس بشيء من تعب .

ومن عجائبها القبة الخضراء ، وهي أعجب
قبة ، ملبسة نحاسا كأنه الذهب الابرز ، لا
يليه القدم ، ولا يخلقه الدهر .

ومن عجائبها منية عقبة ، وقصر فارس ،
وكية أسفل الأرض ، ثم هي مدينة على
مدينة ، ليس على وجه الأرض مدينة بهذه
الصفة سواها . ويقال انها ارم ذات العماد ،
سميت بذلك لأن عمدها ورخامها من البدنجنا
والأصطنيدس المخطط طولاً وعرضا .

ومن عجائب مصر أيضا الجبال التي هي
بصعيداها على نيلها وهي ثلاثة أجبل : فمنها
جبل الكهف ، ويقال الكف ، ومنها الطيلمون ،
ومنها جبل زماجز الساحرة ، يقال ان فيه
حلقة من الجبل ظاهرة مشرفة على النيل ، لا
يصل اليها أحد ، يلوح فيها خط مخلوق
باسمك اللهم

ومن عجائبها شحب البوقيرات بشاحية
أشمون من أرض الصعيد ، وهو شحب في
جبل فيه صدع ، تأتيه البوقيرات في يوم من
السنة كان معروفا ، فتعرض أنفسها على
الصدع ، فكلما أدخل بوقير منها منقاره في
الصدع مضى لبيله ، فلا يزال يفعل ذلك
حتى يلتقي الصدع على بوقير منها فيجبهه ،
ونمضي كلها ولا يزال ذلك الذي يجبهه
متعلقا حتى يتساقط ويتلاشى .

ومن عجائبها عين شمس ، وهي هيكل
الشمس ، وبها العمودان اللذان لم ير أعجب
منهما ولا من شأنهما ، طولهما في السماء نحو
من خمسين ذراعا ، وهما محمولان على وجه
الأرض ، وفيهما صورة انسان على دابة ،
وعلى رأسهما شبه الصومعتين من نحاس ، فاذا
جاء النيل قطر من رأسهما ماء ، وتستينف
وتراه منهما واضحا ينبع حتى يجري في
أسفلهما فينبت في أصلهما العوسج وغيره .
واذا حلت الشمس دقيقة من الجدى ، وهو
أقصر يوم في السنة ، انتهت الى الجنوبي منهما
فطلعت عليه على قمة رأسه ، وهي منتهى
الميلين ، وخط الاستواء في الواسطة منهما ، ثم
خطرت بينهما ذاهبة وجاية سائر السنة .
كذا يقول أهل العلم بذلك .

ومن عجائبها منف وعجائبها وأصنامها
وأبنيتها ودفائنها وكنوزها ، وما يذكر فيها
أكثر من أن يحصى من آثار الملوك والحكام
والأنبياء ، لا يدفع ذلك .

ومن عجائبها الفرما ، وهي أكثر عجائب
وأكثر آثارا .

ومن عجائبها الفيوم . ومن عجائبها ليلها .
ومن عجائبها الحجر المعروف بحجر الخل ،
يطفو على الخل ويسبح فيه كاله سكة .
وكان يوجد بها حجر اذا أمسكه الانسان
بكلمات يديه تقايا كل شيء في بطنه . وكان بها
خرزة تجعلها المرأة على حقوها فلا تحبل .
وكان بها حجر يوضع على حرف التنوير
فيساقط خبزه . وكان يوجد بصعيداها حجارة
رخوة تكسر فتتد كالصايح .

ومن عجائبها حوض كان بدلالات تدور
من حجارة ، يركب فيها الواحد والأربعة
ويحركون الماء بشيء ، فيعبرون من جانب الى
جانب ، لا يعلم من عمله ، فأخذ كافر
الأخشيدي الى مصر ، فنظر اليه ثم أخرج من
الماء قالت في البر ، وكان في أسفل كتابه لا
يدري ما هي ، ثم بطل .

ومن عجائبها أن بصعيداها ضيعة تعرف
بدشني ، فيها سنطة اذا تهددت بالقطع تدبل
وتجتمع وتضم ، فيقال لها قد عفوا عنك
وتركنك فتراجع ، والمشهور — وهو الموجود
الآن — سنطة في الصعيد ، اذا ثلث اليد
عليها دبلت ، واذا رفعت عنها تراجع . وقد
حملت الى مصر وشوهدت . وبها نوع من
الخشب يرسب في الماء كالأبنوس ، وبها
الخشب السنط الذي يوقد منه القدر الكثير
في الزمن الطويل فلا يوجد له رماد .

وذكر ابن نصر المصري انه كان على باب
القصر الكبير ، الذي يقال له باب الريحان عند
الكنيسة المعلقة ، صنم من نحاس على خلقة

الجل ، وعليه رجل راكب عليه عصاة ، مكتوب قوسا عريية ، وفي رجليه نعلان ، كانت الروم والقبط وغيرهم اذا تظالموا بينهم ، واعتدى بعضهم على بعض ، تجاروا اليه حتى يقفوا بين يدي ذلك الجل ، فيقول المظالم للظالم : انصفني قبل أن يخرج هذا الراكب الجل فيأخذ الحق لي منك شئت أم أيت (يعنون بالراكب النبي محمدا صلى الله عليه وسلم) . فلما قدم عمرو بن العاص ، غيبت الروم ذلك الجل لئلا يكون شاهدا عليهم .

قال ابن ليعبة : بلغني أن تلك الصورة في ذلك الموضع قد أتى الآن عليها سنين لا يدري من عملها .

قال القضاي : فهذه عشرون أعجوبة من جعلتها ما يتضمن عدة عجائب ، فلو بسطت لجاء منها عدد كثير .

ويقال ليس من بلد فيه شيء غرب الا وفي مصر مثله أو شيء به . ثم تفضل مصر على البلدان بعجائبها التي ليست في بلد سواها .

وفي كتاب « تحفة الألباب » أنه كان بمصر بيت تحت الأرض ، فيه رهبان من النصارى ، وفي البيت سرير صغير من خشب ، تحته صبي ميت ملفوف في نطع أديم ، مشدود بحبل ، وعلى السرير مثل الباطية فيها أنبوب من نحاس فيه قليل ، اذا اشتعل القليل بالنار وصار سراجا خرج من ذلك الأنبوب الزيت الصافي الحسن الفائق ، حتى تمتلئ تلك الباطية ، وينطفئ السراج بكثرة الزيت ، فاذا انطفأ لم يخرج من الدهن شيء ، فاذا خرج الصبي الميت من تحت السرير لم يخرج من

الزيت شيء ، والباطية يرتقيها الانسان فلا يرى تحتها شيئا ولا موضعاً فيه ثقب . وأولئك الرهبان يعيشون من ذلك الزيت ... يشتره الناس منهم فينتفعون به .

وقال الأستاذ ابراهيم بن وصيف شاه : عديم الملك ابن تقطريم كان جبارا لا يطاق ، عظيم الخلق ، فأمر بقطع الصخور ليعمل حرما كما عمل الأولون ، وكان في وقته الملك كان للذان أهبطا من السماء ، وكانا في بئر يقال له افتاره ، وكانا يعلمان أهل مصر السحر . وكان يقال : ان الملك عديم بن البودشير استكثر من علمهما ، ثم انتقلا الى بابل .

وأهل مصر من القبط يقولون انهما شيطانان يقال لهما « مهله » و « بهاله » ، وليس هما الملكين ، والملكان ببابل في بئر هناك يغشاها الحجرة الى أن تقوم الساعة ، ومن ذلك الوقت عبدت الأصنام .

وقال قوم : كان الشيطان يظهر وينصبها لهم .

وقال قوم : أول من نصبها بدوره ، وأول صنم أقامه صنم الشمس .

وقال آخرون : بل التمرود الأول أمر الملوك بنصبها وعبادتها .

وعديم أول من صلب ، وذلك أن امرأة زنت برجل من أهل الصناعات ، وكان لها زوج من أصحاب الملك ، فأمر بصلبها على منارين ، وجعل ظهر كل واحد منهما الى ظهر الآخر ، وزير على المنارين اسمهما ، وما فعلاه ، وتاريخ الوقت الذي عمل ذلك بهما فيه ، فاتمى الناس عن الزنا .

وبني أربع مداين ، وأودعها صنوقا كثيرة من عجائب الأعمال والطلسمات ، وكثر فيها كنوزا كثيرة ، وعمل في الشرق منارا ، وأقام على رأسه صنما موجها الى الشرق ، مادا يديه ، يمنع ذواب البحر والرمال أن تتجاوز حده ، وزير في صدره تاريخ الوقت الذي نصبه فيه . ويقال ان هذا المنار قائم الى وقتنا هذا ، ولولا هذا لغلب الماء الملح من البحر الشرفى على أرض مصر .

وعمل على النيل قنطرة في أول بلد النوبة ، ونصب عليها أربعة أصنام موجهة الى أربع جهات الدنيا ، في يدي كل واحد من الأصنام حربتان يضرب بهما اذا أتاهم آت من تلك الجهة فلم تزل بحالها الى أن هدمها فرعون موسى عليه السلام .

وعمل البربا على باب النوبة ، وهو هناك الى وقتنا هذا .

وعمل في إحدى المداين الأربع التي ذكرناها حوضا من صوان أسود مملوء ماء ، لا ينقص طول الدهر ولا يتغير ماؤه ، لأنه اجتلب اليه من رطوبة الهواء . وكان أهل تلك الناحية وأهل تلك المدينة يشربون منه ولا ينقص ماؤه . وعمل ذلك لبعدهم عن النيل

وذكر بعض كهنة القبط أن ذلك الماء ثم لقربه من البحر الملح ، فان الشمس نرفع بخارها بخار البحر فينحصر * من ذلك البخار جزء بالهندسة أو بالسحر ، وتجمعه ينحط ذلك في ذلك الموضع بالجواهر مثل القل ، وتمده بالهواء فلا ينقص بذلك ماؤه على الدهر ، ولو شرب منه العالم

(٥٨) من ٢٢ ، ج ١ ، ط ١٠٠٠٠٠

وعمل قلعا لطنا على مثل هذا العمل ، وأهداه حوميل الملك الى اسكندر اليوناني . وملكهم عديم مائة وأربعين سنة ، ومات وهو ابن سبعة وثلاثين سنة ، ودفن في إحدى المداين ذات العجائب ، وقيل في صحراء ققط .

وذكر بعض القبط أن ثاووس عديم عمل في صحراء ققط على وجه الأرض ، تحت فبة عظيمة من زجاج أخضر براق ، معقود على رأسها كرة من ذهب ، عليها طائر من ذهب موشح بجوهر ، منشور الجناحين ، يسبح من الدخول الى القبة ، وكان قطرهما مائة ذراع في مثلها ، وجعل جسده في وسطها على سرير من ذهب مشبك ، وهو مكشوف الوجه ، وعليه ثياب منسوجة بالذهب المغروز بالجواهر المنظوم ، وطول القبة أربعون ذراعا .

وجعل في القبة مائة وسبعين مصحفا من مصاحف الحكمة ، وسجع موائد بأوانها ، منها مائدة من در رماني أحمر ، وأوانها منها ، ومائدة من ذهب قلموني أوابها منها ، ومائدة من حجر الشمس المضيء ، بآيتها ، وهو الزبرجد الذي اذا نظرت اليه الأفاعي سالت أعينها ، ومائدة من كبريت أحمر مدبر بآيتها ، ومائدة من ملح أبيض مدبر براق بآيتها ، ومائدة من زبيق معقود

وجعل في القبة جواهر كثيرة وبرابي صنعة مدبرة ، وحوله سبعة أسياف وآتراس من حديد أبيض مدبر ، وتنايل أفراس من ذهب ، عليها سروج من ذهب ، وسبعة توابيت من دقاير عليها صورته . وجعل معه من

أصناف العقاقير والسموم والأدوية في
برابى من حجارة .

وقد ذكر من رأى هذه القبة أنهم أقاموا
إياما فما قدروا على الوصول إليها ، وأنهم
إذا قصدوها وكانوا منها على ثمانية أذرع
دارت القبة عن أيانهم أو عن شمائلهم .

ومن أعجب ما ذكره أنهم كانوا يحاذون
أزاجها أزجا أزجا ، فلا يرون غير الصورة
التي يرونها من الأزج الآخر على معنى واحد .

وذكروا أنهم رأوا وجه الملك قدر ذراع
ونصف بالكبير ، ولحيته كبيرة مكشوفة ،
وقدروا طول بدنه عشرة أذرع وزمادة .

وذكر هؤلاء الذين رأوها أنهم خرجوا
لحاجة فوجدوها اتفاقا ، وأنهم سألوا أهل
قطر عنها فلم يجدوا أحدا يعرفها سوى شيخ
منهم .

وأوصى عديم الملك ابنه شهاب بن عديم
أن ينصب في كل حيز من أحياز ولايته منارا ،
ويبرز عليه اسمه . فأنحدر الى الأسمونين ،
وعمل مناراتها ، وبرز عليها اسمه ، وعمل
بها ملاعب ، وعمل في صحرائها منارا أقام
عليه صنما برأسين ، على اسم كوكبين كانا
مقترنين في الوقت الذي خرج فيه الى أثرب ،
وبنى فيها قبة عظيمة مرتفعة على عمد
وأساطين بعضها فوق بعض ، وعلى رأسها
صنما صغيرا من ذهب ، وعمل هيكلًا
للكواكب . ومضى الى حيز صا ، فعمل فيه
منارا ، على رأسه امرأة من أخلاط تورى
الأقاليم ، ورجع .

وعمل شهاب بن عديم هيكل أرمنت ،
وأقام فيه أصناما بأسماء الكواكب من جميع
المعادن ، وزينه بأحسن الزينة ، ونقشه
بالجواهر والزجاج الملون ، وكساه الوثنى
والديباج ، وعمل في المدائن الداخلة من أنصنا
هيكلًا ، وأقام فيه بأثرب ، وهيكلًا شرقي
الاسكندرية .

وأقام صنما من صوان أسود باسم زحل
على عبرة النيل من الجانب الغربي ، وبني في
الجانب الشرقي مدين في أحداها صورة
صنم قائم وله أحليل ، إذا أناه المعقود
والمحور ومن لا يتشر ذكره فمسه بكلتا
يديه ، اتشر ذكره وقوى على الباء .

وفي أحداها بقرة لها ضرعان كبيران ، إذا
انفقد لبن امرأة أتما ومسحتها بيديها ، فانه
يدر لبنها .

وجمع التماسيح بطلمس عمله بتاحية
أسيوط ، فكانت تنصب من النيل الى اخميم
انصبابا ، فيقتلها ويستعملها جلودا في السفن
وغيرها .

وعمل متقاوس الملك بيتا تدور به تماثيل
بجميع العمل ، وكتب على رأس كل تمثال ما
يصلح من العلاج ، فانتفع الناس بها زمانا الى
أن أفسدها بعض الملوك .

وعمل صورة امرأة متبسمة ، لا يراها
مهموم الا زال همه ونسيه . فكان الناس
يتأوبونها ، ويطوفون حولها ، ثم عبدوها من
جملة ما عبدوه بعد ذلك .

وعمل تماثلا من صفر مذهب بجناحين ، لا
يمر به زان ولا زانية الا كشف عورته بيده .

وكان الناس يستحبون به الزناة ، فامتصوا من
الزنا فرقا منه .

فلما ملك كلكن عشقت حظية عده رجلا
من خدمه ، وخافت أن تمتحن بذلك الصنم ،
فأخذت في ذكر الزواني مع الملك وأكثرت من
سبهن وذمهن ، فذكر كلكن ذلك الصنم وما
فيه من المنافع .

فقلت : صدق الملك ، غير أن متقاوس لم
ينصب في أمره ، لأنه أنعب نفسه وحكاهمه
فيما جمعه لاصلاح العامة دون نفسه ، وكان
حكم هذا أن ينصب في دار الملك حيث يكون
نساؤه وجواريه ، فإن اقترفت احداهن ذنبا
علم بها فيكون رادعا لهن متى عرض بقلوبهن
شيء من الشهوة .

فقال كلكن : صدقت ، وظن أن هذا منها
نصح ، فأمر بنزع الصنم من موضعه ونقله
الى داره فبطل عمله ، وعملت المرأة ما كانت
هبت به .

وبنى هيكلًا على جبل القصير للبحرة ،
فكالموا لا يطلقون الرياح للمراكب المقلعة
الا بضرية يأخذونها منهم للملك .

وبنى متاوس بن متقاوس في صحراء الغرب
مدينة بالقرب من مدينة البحرة تعرف
بقنطرة ، ذات عجائب ، وجعل بوسطها قبة
عليها كالسحابة تمطر شتاء وصيفا مطرا
خفيفا ، وتحت القبة مطهرة فيها ماء أخضر
يداوى به من كل داء فيبريه ، وعمل في
شرقيها برجا لطيفا له أربعة أبواب ، لكل باب
عضادتان ، في كل عضادة صورة وجه ، يخاطب

(٥) من ٢٢ ، ج ١ ، ط. بولاق .

كل واحد منهما صاحبه بما يحدث في يومه .
فمن دخل البرجا على غير طهارة تقفأ في وجهه
فأصابه رعدة فظيمة لا تفارقه حتى يموت .

وكانوا يقولون ان في وسطه مهبط النور
في صورة العمود ، من اعتنقه لم يحتجب عن
نظره شيء من الروحانية ، وسمع كلامهم ،
ورأى ما يعملون .

وعلى كل باب من أبواب هذه المدينة صورة
راهب في يده مصحف فيه علم من العلوم ،
فمن أحب معرفة ذلك العلم ، أتى تلك الصورة
فمسحها بيده وأمرها على صدره ، فثبت
ذلك العلم في صدره .

ويقال ان هاتين المدينتين بنيتا على اسم
هرمس وهو عطار ، وأما بطالهما .

وحكى عن رجل أنه أتى عبد العزيز بن
مروان ، وهو أمير مصر . فعرفه أنه تاه في
صحراء الشرق ، فوقع على مدينة خراب فيها
شجرة تحمل كل صنف من الفاكهة ، وأنه أكل
منها وتزود .

فقال له رجل من القبط : هذه إحدى
مدينتي هرمس ، وفيها كنوز كثيرة .

فوجه عبد العزيز معه جماعة معهم ماء
وزاد ، فأقاموا يطوفون تلك الصحارى شهرا
فلم يلقوا لها على أثر .

وعملت أم ميلاطس الملك بركة عظيمة في
صحراء الغرب ، وجعلت في وسطها عمودا
طوله ثلاثون ذراعا ، وفي أعلاه قصعة من
حجارة يفور منها الماء فلا ينقص أبدا . وجعلت
حول البركة أصناما من حجارة ملونة ، على
صور الحيوانات من الوحش والطيور والبهائم ،

فكان كل جنس يأتي الى صورته ويألفها ،
فيؤخذ باليد وينتفع به .

وعملت لابنها منزلا لانه كان يحب
الصيد ، فجعلت فيه مجالس مركبة على
أساطين من مرمر ، مصفح بالذهب ، مرصع
بالجواهر والزجاج الملون ، وزخرفته بالتصاوير
العجيبة والنقوش ، فكان الماء يطلع من
فوارات ، وينصب الى أنهار قد صفت
بالفضة ، تجري الى حدائق فيها بدع
القروشيات ، وقد أقيم حولها تماثيل تصغر
بالنواع اللغات . وأرخت على المجلس ستورا
من ديباج ، واختارت لابنها من حان بنات
عمه وبنات الملوك وأزواجه ، وحولته الى
هذه الجنة ، وبنيت حول الجنة مجالس للوزراء
والكهنه وأشراف أهل المصانع ، فكانوا
يرفعون اليه جميع ما يعملونه ، فاذا فرغوا من
أعمالهم ، حمل اليهم الطعام والشراب .

وكان ميلاطس تقلد الملك بعد أبيه مرقوه
وهو صبي ، وكانت أمه مديرة الملك - وهي
حازمة مجربة - فأجرت الأمور على ما كانت
عليه في حياة أبيه ، وأحنت وعدلت في
الرعية ، ووضعت عنهم بعض الخراج .

وكانت أيامه سعيدة كلها في الخصب الكثير
والسعة للناس والعدل . وكان له يوم مخرج
فيه الى الصيد ، ويرجع الى جنته فيأمر لكل
من معه بالجوائز والأطعمة ، ويجلس للنظر
يوما في مصالح الناس وقضاء حوائجهم ،
ويخلو يوما ببنائه .

وكان ملكه ثلاث عشرة سنة وجدر فمات .

وعمل فرسون بن قيلمون بن أثريب منارا
على بحر القلزم ، وعلى رأسه امرأة تجتذب

بها المراكب الى شاطئ البحر ، فلا يمكنها
أن تبحر الا أن تعثر ، فاذا عثرت سترت
المرأة حتى تحوز المراكب .

وأقام فرسون مائتي سنة وستين سنة ،
وعمل لنفسه فاووسا خلف الجبل الأسود
الشرقي ، في وسطه قبة حولها اثنا عشر بيتا ،
في كل بيت أعجوبة لا تشبه الأخرى ، وزبر
عليها اسمه ومدة ملكه .

وكان مرقونس الملك حكيما محبا للنجوم
والعلوم والحكمة ، فعمل في أيامه درهما اذا
ابتاع به صاحبه شيئا اشترط أن يزن له ما
يبتاعه منه بوزن الدرهم ، ولا يطلب عليه
زيادة ، فيغتر البائع بذلك ، ويقبل الشرط ،
فاذا تم ذلك بينهما وقع في وزن الدرهم أرطال
كثيرة تساوي عشرة أضعافه . وكان اذا أحب
أن يدخل في وزنه أضعاف تلك الأرطال دخل .
وقد وجد هذا الدرهم في كنوزهم ثم في خزائن
بنى أمية ، وكان الناس يتعجبون منه .

ووجدوا دراهم آخر قيل انها عملت في
وقته أيضا ، فيكون الدرهم منها في ميزان
الرجل ، فاذا أراد أن يبتاع حاجة أخذ ذلك
الدرهم وقبله وقال : اذكر العهد ، وابتاع
به ما أراد . فاذا أخذ السلعة ومضى الى بيته ،
وجد الدرهم قد سبقه الى منزله ، ويجد
البائع موضع ذلك الدرهم ورقة آس أو
قرطاسا أو مثل ذلك بدور الدرهم .

وفي وقته عملت الآنية الزجاج التي توزن ،
فاذا ملئت ماء أو غيره ثم وزنت لم تزد عن
وزنها الأول شيئا . وعمل في وقته الآنية التي
اذا جعل الماء فيها صار خمرًا في لونه ورائحته
وفعله .

وقد وجد من هذه الآنية باطنج في اماره
هارون بن خسارويه بن أحمد بن طولون ،
شربة جزع بعروة زرقاء بياض . وكان الذي
وجدها أبو الحسن الصائغ الخراساني هو
وقتر معه ، فاكلوا على شاطئ النيل وشربوا
بها الماء فوجدوه خمرًا سكرًا منه ، وقاموا
ليرقصوا فوقعت الشربة فانكسرت عدة قطع ،
فاغتم الرجل وجاء بها الى هارون فأسف عليها
وقال : لو كانت صحيحة لاشتريتها . ببعض
ملكى .

وأما الآنية النحاسية التي تجعل الماء خمرًا ،
فانها منسوبة الى قلوبطرة بنت بطليموس
ملكة الاسكندرية ، فكثير .

وفي وقته عملت الصور الحشمية من
الضفادع والخنافس والذباب والمقارب
وسائر الحشرات ، وكانت اذا جعلت في موضع
اجتمع اليها ذلك الجنس ، ولا يقدر على
مفارقة تلك الصورة حتى يقتل ، وكأنه يعمل
أعماله كلها بصور درج الفلك وأسماؤها
وطوالها ، فيتم له من ذلك ما يريد .

وعمل في صحراء الغرب ملمبا من زجاج
ملون في وسطه قبة من زجاج أخضر صافي
اللون ، فاذا طلعت عليها الشمس ألقت شعاعها
على مواضع بعيدة ، وعمل في جوانبه الأربعة
أربعة مجالس عالية من زجاج ، كل مجلس
لون ، ونقش عليها بغير لونها طلسمات
عجيبة ، ونقوشات غريبة وصورا بديعة ، كل
ذلك من زجاج مطلق يشف .

وكان يقيم في هذا الملعب الأيام . وعمل له
ثلاثة أعياد في كل سنة ، فكان الناس يجحون

(٢٢) من ٢٢ ، ج ١ ، ط ١ ، بولاق ١

اليه في كل عيد ، ويذبحون له ويقيمون فيه
سبعة أيام .

ولم يزل هذا الملعب تقصده الأمم ، فانه لم
يكن له نظير ، ولا عمل في العالم مثله ، الى
أن هدمه بعض الملوك لمجزه عن عمل مثله .

وكانت أم مرقونس ابنة ملك النوبة ،
وكان أبوها يعبد الكوكب الذي يقال له
السها ويسميه الها ، سألت ابنها أن يعمل
لها هيكلًا يفردها به ، فعمله وصنعه بالذهب
والفضة ، وأقام فيه صنما ، وأرخت عليه
الستور الحرير ، فكانت تدخل اليه بجوارها
وحشما ، وتسجد له في كل يوم ثلاث
مرات ، وعملت لكل شهر عيدا تقرب له
قرايين وتبخره ليله ونهاره ، ونصبت له كاهنا
من النوبة يقوم به ويقرب له ويبخره ، ولم
تزل يابنها حتى سجد له ودعا الى عبادته .

فلما رأى الكاهن الأمر في عبادة الكواكب
قد تم وأحكم من جهة الملك ، أحب أن يكون
لكوكب السها مثال في الأرض على صورة
حيوان يتعبد له ، فأقام يعمل الحيلة في ذلك ،
الى أن اتفق أن العتبان كثرت بمصر وأضررت
بالناس ، فأحضر الملك هذا الكاهن وسأله
عن سبب كثرتها ، فقال : ان الهك أرسلها
لتعمل لها نظيرا ليسجد له .

فقال مرقونس : ان كان يرضيه ذلك فانا
فاعله .

فقال : ان ذلك رضاه .

فأمر بعمل عقاب طوله ذراعان في عرض
ذراع من ذهب مسبوك ، وعمل عينيه من
ياقوتتين ، وعمل له وشاحين من لؤلؤ منظوم

على ألاب جواهر أخضر ، وفي متقاربه درة معلقة ، وسروله بالدر الأحمر ، وأقامه على قاعدة من فضة منقوشة ، قد ركب على قائمة زجاج أزرق ، وجعله في أزج عن يمين الهيكل ، وألقى عليه ستور الحرير ، وجعل له دخنة من جميع الأفاويه والصمغ ، وقرب له عجلا أسود وبكارة القاريج وبأكورة الفواكه والرياحين .

فلما تمت له سبعة أيام دعاهم إلى السجود إليه فأجاباه الناس . ولم يزل الكاهن يجهد نفسه في عبادة العقاب وعمل له عيدا .

فلما تم لذلك أربعون يوما نطق الشيطان من جوفه ، وكان أول ما دعاهم إليه أن يبحر له في أنصاف الشهور بالمدل ، ويرش الهيكل بالخير العتيقة التي تؤخذ من رهوس الخوابي . وعرفهم أنه قد أزال عنهم العقبان وضررها ، وكذلك بفصل في غيرها مما يخافون .

فسر الكاهن بذلك وتوجه إلى أم الملك يعرفها ذلك ، فسارت إلى الهيكل وسمت كلام العقاب ، فسرها ذلك وأعظمته . وبلغ الملك فركب إلى الهيكل حتى خاطبه وأمره ونهاه . فسجد له ، وأقام له سدة ، وأمر أن يزين بأصناف الزينة . وكان مرقولس يقوم بهذا الهيكل ، وسجد لتلك الصورة ، ويسألها عما يريد فتخبره .

وعمل من الكيياء ما لم يعمل أحد من الملوك فيقال أنه دفن في صحراء الغرب خمسمائة دفين .

ويقال أنه عمل على باب مدينة صا عنودا عليه صنم في صورة امرأة يجالسه وفي يدها

مرآة تنظر إليها ، وكان العليل يأتي إلى هذه المرأة وينظر فيها - أو ينظر له أحد فيها - فإن كان يموت من علته تلك رأى ميتا ، وإن كان يعيش رآه حيا ، وينظر فيها أيضا للمسافر فإن رآوه مقبلا بوجهه علموا أنه راجع ، وإن رآوه موليا علموا أنه يتأذى في سفره ، وإن كان مريضا أو ميتا رآوه كذلك في المرأة .

وعمل بالاسكندرية صورة راهب جالس على قاعدة ، وعلى رأسه كالبرنس وفي يده كالعكاز ، فإذا مر به تاجر جعل بين يديه شيئا من المال على قدر بضاعته ، فإن تجاوزوه ولو عن بعد من غير أن يضع بين يديه المال لم يقدر على الجواز وثبت قائما مكانه ، فكان يجتمع من ذلك مال عظيم يفرق في الزمنى والضعفا والفقرا .

وعمل في زمنه كل أعجوبة ظريفة ، وأمر أن يزرر اسمه عليها وعلى كل علم وكل طلسم وكل صنم .

وعمل لنفسه ناووسا في داخل الأرض ، عند جبل يقال له سدام . وعمل تحته أزجا يقال إن طوله مائة ذراع ، وارتفاعه ثلاثون ذراعا ، وعرضه عشرون ذراعا ، ووسطه بالمرمر والزجاج الملون ، وسقفه بالحجارة ، وعمل فيها دائرة مساطب مبلطة بزجاج على كل مسطبة أعجوبة ، وفي وسط الأزج دكة من زجاج ، على كل ركن من أركانها صورة تمنع الدنو إليها ، وبين كل صورتين منارة عليها حجر مضى . وفي وسط الدكة حوض من ذهب فيه جسده بقصد ما ضمد بالأدوية الماسكة ، وتقل إليه ذخائره من الذهب

والجواهر وغيره ، وسد باب الأزج بالصخور والرصاص ، وهيل عليها الرمال .

وكان ملكه ثلاثا وسبعين سنة ، وعمره مائتين وأربعين سنة ، وكان جميلا ، ذا وفرة حسنة ، فتسكت لساؤه ولزمن الهيكل من بعده .

وملك بعده ابنه إيساد ، ثم صا بن إيساد ، وقيل صا بن مرقولس أخو إيساد ، فعمل مرآة في مدينة منف ترى الأوقات التي تخضب فيها مصر وتجذب ، وبني بداخل الواحات مدينة ، ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة .

وعمل خلف المقطم صنما يقال له صنم الحيلة ، فكان كل من تعذر عليه أمر يأتيه ويبخره فيتيسر ذلك الأمر له . وجعل بحافة البحر الملح منارا يعلم منه أمر البحر وما يحدث فيه ، من أقصى ما يصل إليه البصر على مسيرة أيام ، وهو أول من اتخذها . ويقال أنه بنى أكثر مدينة منف ، وكل بنيان عظيم بالاسكندرية .

ولما ملك بدارس بن صا الأحيار كلها بمصر آية ، وصفا له ملك مصر ، بنى في غربي مدينة منف بيتا عظيما لكوكب الزهرة ، وأقام فيه صنما عظيما من لازورد مذهب ، وتوجه بذهب يلوح بزرقة ، وسوره بسوارين من زبرجد أخضر .

وكان الصنم في صورة امرأة لها ضفيران من ذهب أسود مدبر ، وفي رجليها خلخالان من حجر أحمر شفاف ، ونملان من ذهب ،

(*) من ٢٠٠ ج ١ ، ط ١ بولاق

ويدها قضيب مرجان ، وهي تشير بسبابتها كأنها مسلمة على من في الهيكل .

وجعل بحذائها تمثال بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس أحمر مموه بذهب ، موشحة بحجر اللازورد ، ووجه البقرة نجاه وجه الزهرة ، وبينهما مطهرة من أخلاط الأجساد ، على عمود رخام مجزع ، وفي المطهرة ماء مدبر يستشفى به من كل داء ، وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلونها في كل سبعة أيام .

وجعل في الهيكل كراسي للكهنة قد صنعت بالذهب والفضة ، وقرب لهذا الصنم ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطيور ، وكان يحضر يوم الزهرة ويطوف به . وفرش الهيكل وستره ، وجعل فيه تحت قبة صورة رجل راكب على فرس ، له جناحان ، ومعه حرب في سنانها رأس إنسان معلق .

ولم يزل هذا الهيكل إلى أن هدمه بخت نصر في أيام مالمق بن تدارس ، وكان موحدًا على دين قبطيم ومصرام ، خرج في جيش عظيم في البر والبحر ففزا البربر وأرض أفريقية وبلاد الأندلس وأرض الأفرنج إلى البحر ، وعمل في البحر أعلاما زبر عليها اسمه ومسيره ، ورجع فهابه ملوك الأرض .

وكان في غربي مصر مدينة يقال لها قريمة بها قوم قد ملكوا عليهم امرأة ساحرة ففزاها فلم ينل منهم قصدا ورجع ، فأرادت ملكتهم افساد مصر ، فعملت من سحرها وأمرت فآلتى في النيل ، ففاض الماء على المزارع حتى أفسدها ، وكثرت التماسيح والضفادع ،

وفشت الأمراض في الناس ، واثبت فيهم
العميق والمقارب

فاحضر مالىق الكهنة والحكام في دار
حكمتهم ، وألزمهم بالنظر لذلك . فنتظروا
في مجرمهم فراوا أن هذه الآفة اتهم من ناحية
الغرب ، وأن امرأة عملت والقت في النيل ،
فعلوا حينئذ أنه من فعل تلك الساحرة ،
واجتهدوا في دفع ذلك بما عندهم من العلم
حتى انكشف عنهم الماء الفاسد وهلك
الدواب المضرّة .

وجهزوا قائدا في جيش الى المدينة ، فلم
يجدوا بها غير رجل واحد ، فأخذوا من
الأموال والجواهر والأصنام ما لا يحصى .

فمن ذلك صورة كاهن من زبرجد أخضر ،
على قائمة من حجر الاسباديم ، وصورة
روحاني من ذهب ، رأسه من جوهر احمر ،
وله جناحان من در ، وفي يده مصحف فيه كثير
من علومهم ، في دفتين مرصعتين بجوهر ،
ومطهرة من طاقت أزرق ، على قاعدة رجاج
أخضر ، فيها ماء لدفع الاسقام ، وفرس من
فضة ، اذا عزم عليه بزائمه ودخن بلسنته
وركيه أحد طار به .

فاحضر ذلك وغيره من عجائب السحرة
وأصنامهم ، والأموال والجواهر الى مصر ،
ومعهم الرجل ، فقال له الملك عن أعجب
أعمالهم ، قال : قصدتهم بعض ملوك البر
بجمع كيف وتخاييل هائلة ، فأغلق أهل
مدينتنا حصنهم ولجأوا الى الأصنام ، فأتى
الكاهن الى بركة عظيمة بعيدة القمر كانوا
يشربون منها فجلس على حافتها ، وأحاط

رؤساء الكهنة بها ، وأخذ يؤزم على الماء
حتى فار ، وخرج من وسطه نار ، في وسطها
وجه كدارة الشمس لها ضوء ، فخر الجماعة
لها سجودا ، وتلك الصورة تعظم حتى
صعدت وخرقت القبة وسع منها : قد كسيت
شر عدوكم

فقاموا واذا بعدوهم قد هلك وسائر من
معه ، وذلك أن صورة الشمس التي ظهرت من
الماء مرت فصاحت عليهم صيحة هلكوا بها .

ولما ملك كلكن مصر بعد أبيه خريبا ، كان
النمرود في وقته ، فاتصل بنمرود خبر حكمته
وسحره فاستزاره ، ووجه اليه أن يلقاه . وكان
النمرود يسكن سواد العراق ، وغلب على
كثير من الأمم .

فأقبل كلكن على أربعة أفراس تحمله ، لها
أجنحة ، قد أحاطت به كالنار ، وحواه سور
هائلة ، فدخل بها ، وهو متوشح بشعبان ،
ومحزم ببعضه ، وذلك التين فاغر فاه ، ومعه
قضيبي آس أخضر ، كلما حرك التين رأسه
ضربه بالقضيب . فلما رأى النمرود ذلك
هاله ، واعترف له بجليل الحكم

وتقول القبط : ان كلكن كان يرتفع فيجلس
على الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه ،
وكان أهل البلد اذا دهمهم أمر اجتمعوا حول
الهرم . ويقولون : انه ربما قام على رأس
الهرم أياما لا يأكل ولا يشرب .

ثم انه استمر مدة حتى توهّموا انه هلك ،
فطسح الملوك في مصر ، وقصدوا ملك من
المغرب فقال له سادوم في جيش عظيم ، الى أن

(٥) من ٢٦ ، ج ١ ، ط ١٠٠٠

بلغ وادي هيب . فأقبل كلكن وجلاهم من
سجده بشيء كالغمام شديد الحرارة ، وهم
تحت أياما لا يدرون أين يتوجهون ، ثم ارتفع
وصار بمصر يصرفهم ما عمل ، وأمرهم
فخرجوا ، فاذا بالقوم ودوابهم قد ماتوا .
فهابه جميع الكهنة ، وصوروه في سائر
الهياكل . وبنى هيكلًا لرحل من صوان أسود
في ناحية الغرب ، وجعل له عيدا

وفي أيام دارم بن الريان ، وهو الفرعون
الرابع الذي يقال له عند القبط دريموش ،
ظهر معدن فضة على ثلاثة أيام من النيل ،
فأثاروا منه شيئا عظيما . وعمل صنما على
اسم القمر ، لأن طالعه كان برج السرطان ،
ونصبه على القصر الرخام الذي بناه أبوه في
شرقي النيل ، ونصب حوله أصناما كلها من
الفضة ، وألبسها الحرير الأحمر ، وعمل
للصنم عيدا ، كلما دخل برج السرطان .

ولما ولي اكسايس الملك بعد أبيه معدان بن
معاديوس بن دارم بن دريموس ، وهو
الفرعون السادس ، أقام أعلاما كثيرة حول
منف ، وجعل عليها أساطين يمشى من بعضها
الى بعض ، وعمل برقودة وصا ومدائن
الصعيد وأسفل الأرض أعلاما ومناثر للوقود
وطلسات كثيرة ، وعمل كودة من فضة ،
ونقش عليها صورة الكواكب ، ودهنها
بالدهن الصيني ، وأقامها على منار في وسط
منف ، وعمل في هيكل أبيه روحاني زحل من
ذهب أسود مدبر .

وعمل في وقته ميزانا يعتبر به الناس ،
كفته من ذهب ، وعلاقته من فضة ، وسلاسله
من ذهب ، فكان معلقا في هيكل الشمس ،

وكتب على إحدى كفتيه حق ، والأخرى
باطل ، وتحت فصوص قد نقش عليها أسماء
الكواكب ، فيدخل الظالم والمظلوم يأخذ كل
منهما فصا من تلك الفصوص ، ويسمى عليه
ما يريد ، ويجعل أحد الفصين في كفة ،
والآخر في كفة ، فتشقل كفة الظالم ، وترتفع
كفة المظلوم .

ومن أراد سفرا أخذ فصين ، وذكر على
أحدهما اسم السفر ، وعلى الآخر الإقامة ،
وجعل كل واحد في كفة ، فان ثقلا جميعا
ولم يرتفع أحدهما على الآخر لم يسافر ، وان
ارتقعا سافر ، وان ارتفع أحدهما آخر السفر
ثم سافر . وكذا من عليه دين ، ومن له
غائب ، أو ينظر في صلاح أمره وفساده .

ويقال ان بخت نصر لما دخل الى مصر حمل
هذا الميزان معه فيما حمل الى بابل ، وجعله
في بيت من بيوت النار .

وعمل في أيامه تورا أيضا ، يشوى فيه من
غير نار ، ويطبخ فيه بغير نار ، وسكينا تنصب
فاذا رآها شيء من البهائم أقبل حتى يذبح
نفسه بها ، وعمل ماء يستحيل نارا ، وزجاجا
يستحيل هواء ، وشيئا من التيرنجيات
والنواميس .

وأما البرابي فذكر ابن وصيف شاه أن
سوريد الذي بنى الأهرام هو الذي بنى
البرابي كلها ، وعمل فيها الكنوز ، وزبر عليها
علوم ، ووكل بها روحانية تحفظها ممن
يقصدها .

وقال في كتابه « الفهرست » : وبمصر أبنية
يقال لها البرابي من الحجارة العظيمة الكبيرة ،

وهي على أشكال مختلفة ، وفيها مواضع الصحن والحق والحل والمقد والتقطير تدل على أنها علم لصناعة الكيمياء ، وفي هذه الأبيات نقوش وكتابات لا يدري ما هي ، وقد أصيبت تحت الأرض فيها هذه العلوم مكتوبة في التور ، وهي صفائح الذهب والنحاس ، وفي الحجارة .

وذكر الحسن بن أحمد الهمداني أن برابي مصر تنسب إلى برابي بن الدرسميل بن لحول ابن خنوخ بن قار بن آدم عليه السلام .

وذكر أبو الرحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب « الإشارات الباقية عن القرون الخالية » أن كنية في بعض قرى مصر قد شاهدها الموثوق بقولهم ، المأخوذ إبراهيم ، للمأمون من جهتهم الرواية عنهم ، فيها سرداب ينزل إليه بنيف وعشرين مرقاة ، وفيه سرور تحت رجل وصبي مشدودين في قطع ، وفوقه نور رخام في جوفه باطنه زجاج ، يدخلها قينة من نحاس ، في جوفها فتيلة كان ، توقد فيصب فيها زيت ، فلا يلبث إلا أن تستلئ الباطية الزجاج زتا ، وتفيض إلى الثور الرخام ، فينفق على تلك الكنيسة وقتاديلها .

وذكر الجهاني أنه صار إليه من وثق به ، ورفق الباطية عن الثور ، وأقرغ الزيت من الباطية والثور جيما ، وألقا النار ، وأعادها جيما إلا الزيت ، فانه صب زيتا من عنده ، وأبدله فتيلة أخرى وأشعلها ، فما لبث الزيت أن فاض إلى الباطية الزجاج ، ثم فاض إلى الثور الرخام من غير مدد ولا عنصر .

وذكر الجهاني أنه إذا أخرج الميت من تحت السرير ، انطلقت النار ولم يطفئ الزيت . وذكر عن أهل القرية أن المرأة المتوعدة في نفسها حلا ، تحمل ذلك الصبي وتضعه في حجرها ، فيتحرك ولدها في البطن إن كان الحمل حقيقة ، أو يئس أن لم تحس بحركة .

قال المؤلف رحمه الله : أخبرني داود بن رزق الله بن عبد الله ، وكانت له سياحات كثيرة بأراضي مصر ومعرفة أحوالها ، أنه عسر في مغارة كبيرة يقال لها مغارة شقليل بالوجه القبلي ، فإذا فيها كوم عظيم من سندروس ، وأنه تخطاه ومضى ، فإذا شيء كثير إلى الغاية من السمك وجميعها ملفوفة بشباب كأنها قد كفت بعد الموت . وأنه أخذ منها سمكة وفتشها ، فإذا في فمها دينار عليه كتابة لا يحسن قراءتها ، وأنه صار يأخذها سمكة سمكة ويخرج من فم كل واحدة دينارا ، حتى اجتمع له من ذلك عدة دنانير ، وأنه أخذ تلك الدنانير ورجع ليخرج حتى جاء إلى الكوم السندروس وإذا به ارتفع حتى سد عليه الموضع . فعاد إلى السمك وأعاد الدنانير إلى مواضعها وخرج ، فإذا السندروس كما كان أولا بحيث يتجاوزوه ويخرج .

فعاد وأخذ الدنانير ومضى يخرج بها ، فإذا السندروس قد ارتفع حتى سد عليه الموضع . فعاد إلى السمك وأعاد الدنانير إلى مواضعها وخرج ، فإذا السندروس على حاله كما كان أولا بحيث يتجاوزوه ويخرج . وأنه كرر أخذ الدنانير وأعادتها مرارا ، والحال على ما ذكر ، حتى خشي الهلاك فتركها وخرج .

(*) من ٢٧ ، ١٠ ، طه ، بولاق .

فلما كان مدة سكن موضعها فرأى حجرا في جدار وقد قور ، ووضع حجر آخر ، فحاول الحجر الآخر حتى رفعه ، فإذا تحته ستة دنانير من تلك الدنانير التي وجدها في أفواه السمك ، فأخذ منها واحدا وترك البقية في موضعها ، وأعاد الحجر على الحجر .

وقدر الله بعد ذلك أنه ركب النيل ليعدي من البر الشرقى إلى البر الغربي .

قال : فلما توسط البحر ، وإذا بالأسماك تثب من الماء وتلقى أنفسها في المركب حتى كدنا لنرق من كثرتها ، فصاح الركاب خوفا من الهلاك .

قال : فتذكرت الدنبار الذي معي ، وإن هذا ربما كان بسببه ، فأخرجته من جيبي وألقيته في الماء ، فتواثبت الأسماك من المركب وألقت نفسها في الماء حتى لم يبق منها شيء .

قلت : وأخبرني قديما بعض من لا أتهمه أنه ظفر بطلمس من هذا المعنى ، وأنه عنده ، وأراد أن يرنى السمك يثب من الماء فلم يقدر لي أن أرى ذلك .

قال ابن عبد الحكم : لما أغرق الله آل فرعون ، بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد ، ولم يبق بها إلا العبيد والأجراء والنساء . فاتفق من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا ، وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهن يقال لها دلوكة بنت زبا ، وكان لها عقل ومعرفة ونجارب ، وكانت في شرف منهن وموضع ، وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة ، فملكوها .

فخافت أن يتناولها الملوك ، فجمعت ماء الأشراف وقالت لهم : إن بلادنا لم يكن يطعم فيها أحد ، ولا يمد عينه إليها ، وقد هلك أكابرنا وأشرافنا ، وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم . وقد رأيت أن ابني حصنا أحدي به جميع بلادنا ، فأضع عليه المحارس من كل ناحية ، فانا لا نأمن أن يطعم فينا الناس .

فبنت جدارا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها : المزارع ، والمدائن ، والقرى . وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء ، وأقامت القناطر والترع . وجعلت فيه محارس ومسالخ على كل ثلاثة أميال محرس ومسلخة ، وفيما بين ذلك محارس صفار على كل ميل ، وجعلت في كل محرس رجالا ، وأجرت عليهم الأرزاق ، وأمرتهم أن يحرسوا بالأجراس ، فإذا أتاهم آت يخافونه ضرب بعضهم إلى بعض الأجراس فأتاهم الخبر من أي وجه كان في ساعة واحدة فنظروا في ذلك ... فمنعت بذلك مصر من راجعها .

وفرغت من بنائه في ستة أشهر . وهو الجدار الذي يقال له جدار المعجوز بمصر ، وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كثيرة .

قال المسعودي : وقيل إنما بنته خوفا على ولدها ، وكان كثير القنص ، فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبنوادي ، فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها . وقد قيل غير ما وصفنا ... فملكهم ثلاثين سنة في قول .

قال المؤلف رحمه الله : قد بقي من حائط المعجوز هذا في بلاد الصعيد بقايا ، أخبرني الشيخ المعمر محمد بن المسعودي أنه صار

الصور التي من تلك الجهة ، وكذلك من ورد
من جيوش الغرب ، ومن ورد في البحر من
رومية والشام ، وغير ذلك من الممالك .

فهاجم الملوك والأمم ، ومنعوا فاحتهم من
عدوهم ، واتصل ملكهم بتدبير هذه المعجوز
واتقاهم لزم أقطار الملكة وأحكامها
السياسة .

وقد تكلم من سلف وخلف في هذه
الخواص ، وأسرار الطبيعة التي كانت ببلاد
مصر . وهذا الخبر من فعل المعجوز مستفيض
لا يشكون فيه .

والبرابي بمصر ، من صيدها وغيره ، باقية
الى هذا الوقت ، وفيها أنواع الصور ما اذا
صورت في بعض الأشياء أحدثت انفصالا على
حسب ما رست له وصنعت من أجله ، على
حسب قولهم في الطبائع ، والله أعلم بكيفية
ذلك .

قال : وأخبرني غير واحد من بلاد اخميم
من صعيد مصر ، عن أبي الفيض ذي النون
ابن ابراهيم المصري الاخميمي الزاهد — وكان
حكيمًا ، وكانت له طريقة يأتيها ونحلة
يقصدها ، وكان ممن يقر على أخبار هذه
البرابي ، وامتحن كثيرا ما صور فيها ،
ورسم عليها من الكتابة والصور — قال :
رأيت في بعض البرابي كتابا تدبرته ، فاذا
هو : احذر العييد المعتقدين ، والأحداث والجند
المعبدين ، والنبط المستعربين ورأيت في
بعضها كتابا تدبرته ، فاذا فيه : يقدر المقدر
والقضاء بضحك ، وفي آخره كتابة تثبتها في
ذلك العلم فوجدتها :

(٨) ص ٢٦ ، ج ١ ، ط ١٩٧٧ .

تدبر بالنجوم ولست تدري
ورب النجم بفعل ما يريد

قال : وكانت هذه الأمة ، التي اتخذت هذه
البرابي ، لهجة بالنظر في أحكام النجوم ، من
المواطنين على معرفة أسرار الطبيعة . وكان
عندها ما دلت عليه أحكام النجوم أن طوفانا
سيكون في الأرض ، ولم يقطع على ذلك
الطوفان ما هو : أنار تاني على الأرض فتحرق
ما عليها ، أو ماء يفرقها ، أو سيف يبيد
أهلها .

نخافت دنور العلوم وفناءها بفناء أهلها ،
فاتخذت هذه البرابي ، ورست فيها علومها
من الصور والتماثيل والكتابة ، وجملت
بنيانها نوعين : طينا ، وحجارة ، وفرزت ما بنى
بالطين ما بنى بالحجارة ، وقالت : ان كان
هذا الطوفان نارا استحجر ما بنى بالطين ، وان
كان الطوفان الوارد ماء أذهب ما بنى بالطين
وربقي ما بنى بالحجارة ، وان كان الطوفان
سيفا بقي كل من النوعين ، ما هو من الطين ،
وما هو من الحجر .

وهذا ما قيل — والله أعلم — انه كان قبل
الطوفان ، وان الطوفان الذي كانوا يرقبونه ،
ولم يمينوه أنار هو أم ماء أم سيف ، كان
سيفا أتى على جميع أهل مصر من أمة غشيتها ،
وملك نزل عليها فأباد أهلها .

ومنهم من رأى أن ذلك الطوفان كان ويا
عم أهلها . ومصدق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس
من التلال المتقدرة من الناس ، من صغير
وكبير وذكر وأثى ، كالجبال العظام ، وهي
المعروفة ببلاد تنيس من أرض مصر بذات
الحكوم ، وما يوجد ببلاد مصر وصيدها من

الناس المنكسين بعضهم على بعض في الكهوف
والغيران والنواويس ، وموضع كثيره من
الأرض ، لا يدري من أي الأمم هم . فلا
الصارى تخبر عنهم أنهم من أسلافهم ، ولا
اليهود تقول أنهم من أوائلهم ، ولا المسلمون
يدرون من هؤلاء ، ولا تاريخ بنى عن
حالهم ، وعليهم أنوابهم ، وكثيرا ما يوجد في
تلك البرابي والجبال من خليتهم .

والبرابي ببلاد مصر بنان قائم عجب
كالبربا التي بأخميم ، والتي بسود وغير
ذلك .

ذكر الدفائن والكنوز التي تسمىها أهل مصر الغرائب

الأصل في جواز تتبع الدفائن ما رواه أبو
عمرو بن عبد البر والبيهقي في الدلائل من
حديث ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما انصرف من الطائف ، مر بقبر
أبي رغال فقال : « هذا قبر أبي رغال ، وهو
أبو ثقيف ، كان اذا هلك قوم صاح في الحرم
فمنعه الله ، فلما خرج من الحرم رماء بقارة ،
وآية ذلك أنه دفن معه عمود من ذهب » ،
فابتدر المسلمون قبره فنبشوه واستخرجوا
العمود منه .

ومن حديث عبد الله بن عمر : سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ، حين خرجنا
معه الى الطائف فمررنا بقبر ، فقال : « هذا
قبر أبي رغال ، وكان بهذا الحرم بدفع عنه ،
فلما خرج أصابته النقرة التي أصابت قومه
بهذا المكان ، فدفن فيه ، وآية ذلك أنه دفن

معه عصا من ذهب ، ان يشتم عليه أصبموه
معه » ، فابتدره الناس فأخرجوا العصا الذي
كان معه .

وبمصر كنوز يوسف عليه السلام ، وكنوز
الملوك من قبله والملوك من بعده ، لانه كان
يكنز ما يفضل عن النفقات والمؤن لنواب
الدهر ، وهو قول الله عز وجل « فأخرجناهم
من جنات وعيون وكنوز » .

ويقال ان علم الكنوز في كنيسة القسطنطينية
نقلت اليها من طليطلة .

ويقال ان الروم لما خرجت من الشام
ومصر ، اكتزت كثيرا من أموالها في مواضع
أعدتها لذلك ، وكتبت كتبًا بأعلام مواضعها ،
وطرق الوصول اليها ، وأودعت هذه الكتب
قسطنطينية ، ومنها يستفاد معرفة ذلك .

وقيل ان الروم لم تكتب ، وإنما ظفرت
بكتب معالم كنوز من ملك قبلها من اليونانيين
والكلدانيين والقيط . فلما خرجوا من مصر
والشام ، حلوا تلك الكتب معهم وجعلوها في
الكنيسة .

وقيل انه لا يعطى من ذلك أحد حتى يخدم
الكنيسة مدة ، فيدفع اليه ورقة تكون حظه .

قال المسعودي : ولمصر أخبار عجيبة من
الدفائن والبنيان ، وما يوجد في الدفائن من
ذخائر الملوك التي استودعوها الأرض ،
وغيرهم من الأمم ممن سكن تلك الأرض ،
وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية . وقد أتينا
على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا .

فمن أخبارها ما ذكره يحيى بن بكير قال :
كان عبيد العزيز بن مروان عاملا على مصر

لأخيه عبد الملك بن مروان ، فأنه رجل متصح
فسأله عن نصحه فقال : بالقبلة القلالية كنز
عظيم .

قال عبد العزيز : وما مصداق ذلك ؟

قال : هو أن يظهر لنا بلاط من المرمز
والرخام عند يسير من الحفر ، ثم ينتهي بنا
الحفر إلى باب من الصخر ، تحته عمود من
الذهب ، على أعلاه ديك عيشاء ياقوتتان
تساويان ملك الدنيا ، وجناحاه مفرحان
بالياقوت والزمرد ، ورأسه على صفائح من
الذهب على أعلى ذلك العمود .

فأمر له عبد العزيز بنفقة لأجرة من يحفر من
الرجال * في ذلك ويسمل فيه .

وكان هناك تل عظيم ، فاحفروا حفيرة
عظيمة في الأرض ، والدلائل المقدم ذكرها من
الرخام والمرمر تظهر . فازداد عبد العزيز حرصا
على ذلك ، وأوسع في النفقة ، وأكثر من
الرجالة .

ثم انتهوا في حفرهم إلى ظهور رأس
الديك ، فبرق عند ظهوره لمعان عظيم لما في
عينه من الياقوت ، ثم بان جناحاه ثم بات
قوائمه ، وظهر حول العمود عمود من البنيان
بأنواع الحجارة والرخام ، وقناطر منقشرة
وطاقات على أبواب معقودة ، ولاحت منها
تمائيل وصور أشخاص من أنواع الصور
الذهب ، وأجرة من الأحجار قد أطبق عليها
أغطيها وسبكت .

فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف
على الموضع ، فنظر إلى ما ظهر من ذلك ،

(٢٨) مائة ، جلد ، طبع بولاق .

فأسرع بعضهم ووضع قدمه على درجة من
نحاس ينتهي إلى ما هناك . فلما استقرت
قدماء على الرقاة ، ظهر سيلان عاديان عن
بين الدرجة وشمالها ، فالتقيا على الرجل فلم
يدرك حتى جزأه قطعا وهوى جسمه سقلا .

فلما استقر جسمه على بعض الدرج ، اهتز
العمود ، وصغر الديك صغيرا عجيبا أسمع من
كان بالبعد من هناك ، وحرك جناحيه وظهرت
من تحته أصوات عجيبة قد عملت بالكواكب
والحركات ، إذا مال وقع على بعض تلك
الدرج شيء أو ماسها شيء انقلبت ، فتهاوى
من هناك من الرجال إلى أسفل تلك الحفرة ،
وكان فيها — ممن يحفر ويعمل وينقل التراب
وينظر ويحول ويأمر وينهى — نحو ألف
رجل ، فهلكوا جميعا .

فخرج عبد العزيز وقال : هذا ردم عجيب
الامر ممنوع النيل ، نعوذ بالله منه . وأمر
بجساعة من الناس فطرحوا ما أخرج من هناك
من التراب على من هلك من الناس ، فكان
الموضع قبرا لهم .

قال المسعودي : وقد كان جماعة من أهل
الدقائق والمطالب ، ومن قد اعتنى وأغرى
بحفر الحفائر وطلب الكنوز وذخائر الملوك
والأمم السالفة المستودعة بطن الأرض ببلاد
مصر ، قد وقع اليهم كتاب ببعض الأقلام
السالفة ، فيه وصف موضع ببلاد مصر على
أذرع يسيرة من بعض الأهرام ، بأن فيه مطلبا
عجيبا . فأخبروا الأخشيدي محمد بن طنج
بذلك ، فأمرهم بحفره ، وإباحهم استعمال
الحيلة في أخراجه .

فحفروا حفرا عظيما إلى أن انتهوا إلى أزج
وأقياء وحجارة مجوفة في صخرة ، منقوش فيها
تمائيل قائمة على أرجلها من الخشب ، قد
طلت بالأطليسة المانعة من سرعة البلاء وتفرق
الأجزاء ، والصور مختلفة فيها صور شيوخ
وشبان ونساء وأطفال ، أعينهم من أنواع
الجواهر كالياقوت والزمرد والوبرجد
والفيروزج ، ومنها ما وجوها ذهب وقضة .

فكسر بعض تلك التماثيل ، فوجدوا في
أجوافها رمما بالية وأجدا ماما قالية ، وإلى
جانب كل تمثال منها نوع من الأبنية
— كالبرابي وغيرها — من المرمز والرخام ،
وفيه من الطلا الذي قد طلى منه ذلك الميت
الموضوع في التماثيل الخشب ، والطلاء دواء
مسحوق وأخلط معمولة لا رائحة لها ، فجعل
منه على النار شيء ، ففاح منه ريح طيبة مختلفة
لا تعرف في نوع من أنواع الطيب .

وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة
ما فيه من الناس على اختلاف أسنانهم ومقادير
أعمارهم وتباين صورهم ، وبأزاء كل تمثال
تمثال من الحجر المرمز أو من الرخام الأخضر ،
على هيئة الصنم — على حسب عبادتهم
للتماثيل والصور — عليها أنواع من الكتابات
لم يقف أحد على استخراجها من أهل الملل .
وزعم قوم من أهل الدراية أن لذلك القلم ،
منذ فقد من أرض مصر ، أربعة آلاف سنة .

وفيما ذكرناه دلالة على أن هؤلاء ليسوا
بيهود ولا نصارى . ولم يؤدهم الحفر إلا لما
ذكرناه من هذه التماثيل . وكان ذلك في سنة
ثمان وعشرين وثلاثمائة .

وقد كان من سلف وخلف من ولاية مصر ،
من أحمد بن طولون وغيره ، إلى هذا الوقت
(وهو سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة) لهم أخبار
عجيبة فيما استخرج في أيامهم من الدفائن
والأموال والجواهر ، وما أصيب في هذه
المطالب من القبور ، وقد آتينا على ذكرها فيما
تقدم من تصنيفنا .

وركب أحمد بن طولون يوما إلى الأهرام ،
فأنه الحجاب يقوم عليهم ثياب صوف ،
ومعهم المساحي : الماويل ، فسألهم عما
يعملون ، فقالوا : نحن قوم نطلب المطالب .

فقال لهم : لا تخرجوا بعدها إلا بشورتى
أو رجل من قبلى .

وأخبروه أن في سمت الأهرام مطلبا قد
عجزوا عنه ، فضم اليهم ارفقى ، وتقدم إلى
عامل الجيزة في اعانتهم بالرجال والنفقات ،
وانصرف .

فأقاموا مدة يعملون حتى ظهر لهم .

فركب أحمد بن طولون اليهم وهم يحفرون ،
فكشفوا عن حوض مملوء دنائير ، وعليه
غطاء مكتوب عليه بالبربطية ، فأحضر من
قرأه فإذا فيه . « أبا فلان بن فلان ، الملك
الذى ميز الذهب من غشه ودنسه ، فمن أراد
أن يعلم فضل ملكى على ملكه ، فليتنظر إلى
فضل عيار دينارى على عيار دينار ، فإن
مخلص الذهب من الغش مخلص في حياته وبعد
وفاته » .

فقال أحمد بن طولون : الحمد لله ، إن ما
نبهتني عليه هذه الكتابة أحب إلى من المال .

ثم أمر لكل من القوم المطالية بآتي دينار
منه . ولكل من الصنائع بخمسة دنانير بعد
توفيه أجرة عمله ، وللرافقي بثلاثمائة دينار ،
ولسليم الخادم بألف دينار ، وحصل باقي
الدنانير فوجدوا أجود من كل عيار . وشدد
من حينئذ في العيار بمصر حتى صار عيار
ديناره ، الذي عرف بالأحدي ، أجود عيار
وكان لا يثقل إلا به .

ذكر هلكة أموال أهل مصر

قال الله عز وجل : « وقال موسى ربنا انك
آتيت فرعون وملاه زينة وأموالا في الحياة
الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس
على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا
حتى يروا المذابح الأليمة . قال قد أجيت
دعوتكما ... »

هذا دعاء من موسى عليه السلام على
فرعون وقومه من أهل مصر لكفرهم ، أن
يهلك الله أموالهم .

قال الزجاج : طمس الشيء اذهابه عن
صورته .

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وعن
محمد بن كعب القرظي ، أنهما قالوا : سارت
أموال أهل مصر ودراهمهم حجارة منتوشة
كهيئتها ، صحاحا وأثلاثا وأصافا ، فلم يبق
معدن إلا طمس الله عليه ، فلم يتفع به أحد
يعلمهم .

وقال قتادة : بلغنا أن أموالهم وزروعهم
سارت حجارة .

(١٥) منها ، ١ ج ١ ، ط. بولاق

وقال مجاهد وعطية : أهلكها الله تعالى حتى
لا ترى ، يقال : عين مطبوعة أي ذاهبة ،
وطمس الموضع إذا غفا ودرس .

وقال ابن زيد : سارت دنانيرهم ودراهمهم
وفرشهم وكل شيء لهم حجارة .

وقال محمد بن كعب : وكان الرجل منهم
يكون مع أهله وفرائسه وقد صاروا حجرين .
قال : وقد سألت عمر بن عبد العزيز ، فذكرت
ذلك ، فدعا بخريطة أصيبت بمصر ، فأخرج
منها القواكه والدراهم والدنانير وأنها
لحجارة .

وقال محمد بن شهاب الزهري : دخلت
على عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا غلام ، اتنى
بالخريطة .

فجاء بخريطة تثر ما فيها ، فاذا فيها دراهم
ودنانير ونمر وجوز وعدس وقول ، فقال :
كل يا ابن شهاب .

فأهويت فاذا هو حجارة ، فقلت : ما هذا
يا أمير المؤمنين ؟

قال : هذا مما أصاب عبد العزيز بن مروان
في مصر إذ كان عليها واليا ، وهو مما طمس
الله عليه من أموالهم .

وقال المضارب بن عبد الله الشامي : أخبرني
من رأى النخلة بمصر مصروعة وأنها لحجر .
ولقد رأيت قاسا كثيرا قياما وقعودا في
أعمالهم ، لو رأيتهم ما شككت فيهم — قبل
أن تدفن منهم — أنهم أناس ، وأهم لحجارة .
ولقد رأيت الرجل من رقيقهم وأنه لحارث على
ثورين وأنه وثوريه لحجارة .

وقتل وسة بن موسى في قصص الأنبياء أن
فرعون لما هلك وقومه : وأمت بنو إسرائيل
عائلته ، فلبس موسى عليه سلام من قبشائه
التي عشر تقيين : أحدهما كالب بن موقيا ،
والآخر يوشع بن نون ، مع كل واحد من
سبطه اثنا عشر ألفا ، وأرسلها إلى مصر
— وقد خلت من حاميتها لفرق أهلها مع
فرعون — فأخذوا ذخائر فرعون وكسوزه ،
وعادوا إلى موسى .

فذلك تورثهم أرض مصر ، يعني قول
الله عز وجل عن قوم فرعون « فأخرجناهم من
جنان وعيون . وكنوز ومقام كريم . كذلك
وأورثناها قوما آخرين » ، وقوله تعالى
« وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارك الأرض ومغاريها التي باركنا فيها ،
يعني أرض مصر ، وأورثناها بني إسرائيل ،
لأنهم هم المستضعفون الذين كانوا فيها ،
بدليل قوله تعالى : « ونريد أن نمن على
الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة
ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض » .

قال جامعهم ومؤلفه رحمه الله تعالى : أخبرني
داود بن رزق بن عبد الله — وكانت له
سياحات كثيرة بأرض مصر — أنه عبر إلى
واد بالقرب من القلمسون بالوجه القبلي ،
فراى فيه مقانات كثيرة ، ما بين بطيخ وقثاء
وتفاح ، وكلها حجارة .

وكان قد أخبرني قديما بعض الأعيان أنه
شاهد ، في سفره إلى البلاد من أرض مصر ،
بطيخا كثيرا كله حجارة ، وكذلك البطيخ من
الصف الذي يقال له المبدلي .

ذكر اخلاق أهل مصر وطبائعهم وأمزجتهم

قال أبو الحسن علي بن رضوان الطيب :
مصر اسم — فيما نقلت الرواة — يدل على
أحد أولاد نوح النبي عليه السلام ، فانهم
ذكروا أن مصر هذا نزل بهذه الأرض فأنسل
فيها وعمرها فسميت باسمه .

والذي يدل عليه هذا الاسم اليوم هو
الأرض التي يفيض عليها النيل ويحيط بها
حدود أربعة ، وهي أن الشمس تشرق على
أقصى الصارة بالشرق قبل أن تغيب عن آخر
الصارة بالغرب بثلاث ساعات وثلاث ساعة ،
فيجب من ذلك أن تكون هذه الأرض في
النصف الغربي من الريح العامر .

والنصف الغربي من الريح العامر — على
ما قال أبقراط وبطليموس — أقل حرارة
وأكثر رطوبة من النصف الشرقي ، لأنه قسم
كوكب القمر ، والنصف الشرقي في قسم
كوكب الشمس . وذلك أن الشمس تشرق
على النصف الشرقي قبل شروقها على النصف
الغربي ، والقمر يهل على النصف الغربي قبل
النصف الشرقي .

وقد زعم قوم من القدماء أن أرض مصر في
وسط الربع من المعمور من الأرض بالطبع ،
فأما بالقياس فعلى ما ذكرنا من أنها في النصف
الغربي .

والحد الثالث هو أن أول بعد هذه الأرض
عن خط الاستواء * في جهة الجنوب أسوان ،

(١٥) من ١ ، ١ ج ١ ، ط. بولاق

وبعدا عن خط الاستواء اثنان وعشرون درجة ونصف . فالشمس تسامت رؤوس أهلها مرتين في السنة : عند كونها في آخر الجوزاء ، أو في أول السرطان ، وفي هذين الوقتين لا يكون للقائم بأسوان نصف النهار ظل أصلا ، فالحرارة واليبس والاحراق غالب على مزاجها لأن الشمس تنشف رطوباتها ، ولذلك صارت ألوانهم سودا وشعورهم جمعدة لاحتراق أرضهم .

والحد الرابع هو أن آخر بعد أرض مصر عن خط الاستواء في جهة الشمال طرف بحر الروم ، وعليه من أرض مصر بلدان كثيرة كالاسكندرية ورشيد ودمياط وتيسس والفرما . وبعد دمياط عن خط الاستواء في الشمال أحد وثلاثون جزءا وثلاث ، وهذا البعد هو آخر الاقليم الثالث وأول الاقليم الرابع .

فالشمس لا تبعد عنهم كل البعد ولا تقرب منهم كل القرب ، فالغالب عليهم الاعتدال مع ميل يسير إلى الحرارة ، فإن الموضع المعتدل على الصحة من البلدان العامة ، وهو أول وسط الاقليم الرابع . وأيضا فمجاورة دمياط للبحر ولحاضتها بها ، تجعلها معتدلة بين الحر والبرد ، خارجة عن الاعتدال إلى الرطوبة ، فيكون الغالب عليها المزاج الرطب الذي ليس بحار ولا بارد ، ولذلك صارت ألوانهم سمرأ وأخلاقهم سهلة ، وشعورهم سبلة .

وإذا كان أول مصر من جهة الجنوب الغالب عليه الاحتراق ، وآخرها من جهة الشمال الغالب عليها الاعتدال مع ميل يسير نحو الحرارة ، فما بين هذين الموضعين من أرض

مصر الغالب عليه الحرارة ، وتكون قوة حرارته بقدر بعده من أسوان وقربه من بحر الروم .

ومن أجل هذا قال أبقراط وجالينوس : أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة .

قال : وجبل لوقا في مشرق هذه الأرض يعوق عنها ريح الصبا ، فانه لم يوجد بفسطاط مصر صبا خالصة ، لكن متى هبت الصبا عندهم ، هبت ثكبا بين المشرق والشمال أو المشرق والجنوب . وهذه الرياح يابسة مانعة من العفن ، وقد عدت أهل مصر هذه الفضيلة ، ومن أجل ذلك صارت المواضع التي تهب فيها ريح الصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها ، كالاسكندرية وتيسس .

ويعوق أيضا هذا الجبل اشراق الشمس على أرض مصر ، وإذا كانت على الأفق فيكون زمان لبث الشعاع على هذه الأرض أقل من الطبيعي ، ومثل هذه الحال سبب لركود الهواء وغلظه .

وأرض مصر أرض كثيرة الحيوان والنبات جدا ، لا تكاد تجد فيها موضعا خلوا من الحيوان والنبات . وهي أرض متخلخلة ، فأنك تراها عند انصراف النيل بمنزلة الحماة ، فإذا حلت الحرارة ما فيها من الرطوبة تشققت شقوقا عظاما ، والمواضع الكثيرة الحيوان والنبات أرض كثيرة العفونة .

وقد اجتمع على أرض مصر حرارة مزاجها ، وكثرة ما فيها من الحيوان والنبات ، فأوجب ذلك احتراقها وسواد طينها ، فصارت أرضا سوداء ، وما قرب منها من الجبل سبخ اما

بورقني أو مالسح ، ويظهر من أرض مصر بالعنبات بخار أسود أو أغبر ، وخاصة في أيام الصيف .

وأرض مصر ذات أجزاء كثيرة ، ويختص كل جزء منها بشيء دون غيره . وعلّة ذلك ضيق عرصها ، واشتغال طولها على عرض الاقليم الثاني والثالث ، فإن الصعيد فيه من النخل والسنط وآجام القصب والبردي ، ومواضع لحرارة الفحم وغير ذلك شيء كثير ، والقيوم فيه من النقائع وآجام القصب ومواضع بطين الكتان شيء كثير ، وأسفل أرض مصر فيه من النباتات أنواع كثيرة كالقلقاس والموز وغير ذلك . وبالجملّة فكل بقعة من أرض مصر لها أشياء تختص بها وتفضل عن غيرها .

قال : والنيل يربط بين الصيف والخريف ، فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة والرطوبة الفضلية ، وأنها ذات أجزاء كثيرة ، وأن هواءها وماءها رديشان ، وقد بين الأوائل أن المواضع الكثيرة العفن يتحلل منها في الهواء فضول كثيرة لا تدعه يستقر على حال لاختلاف تصعدها .

وقد كان استبان أن هواء أرض مصر يسرع إليه التغير ، لأن الشمس لا يثبت على أرض مصر شعاعها المدة الطبيعية ، فمن أجل هذين كثر اختلاف هواء أرض مصر ، فصار يوجد في اليوم الواحد على حالات مختلفة : مرة حر ، ومرة برد ، ومرة يابس ، وأخرى رطب ، ومرة متحرك ، وأخرى ساكن ، ومرة الشمس صاحية ، ومرة قد سترها الغيم .

وبالجملّة هواء مصر كثير الاختلاف ، غير لازم لطريقة واحدة ، فيصير من أجل ذلك في الأوعية والنروق من اخلاط البدن ، لا يلزم حدا واحدا .

وأيضا فإن ما يتحلل كل يوم من البخار الرطب بأرض مصر ، يعوقه اختلاف الهواء وقلة سك الجبال وكثرة حرارة الأرض عن الاجتماع في الجو ، فإذا برد الهواء يبرد الليل ، انحدر هذا البخار على وجه الأرض ، فيتولد عنه الضباب الذي يحدث عنه الطل والندى ، وربما تحلل هذا البخار بالتحلل الخفي ، فإذا يتحلل كل يوم ما كان اجتمع من البخار في اليوم الذي قبله ، فمن أجل هذا لا يجتمع الغيم المطر بأرض مصر . إلا في الندرة . وظاهر أيضا أن أرض مصر يترطب هوائها في كل يوم بما يترقى إليه من البخار الرطب وما يتحلل .

وقد قال بعض الناس : أن الضباب يتكون من استحالة الهواء إلى طبيعة الماء ، فإذا انضاف هذا إلى ما قلناه ، كان أزيد في بيان سرعة تغير الهواء بأرض مصر وكثرة العفونة فيها ، وقد استبان أن أرض مصر كثيرة الاختلاف ، كثيرة الرطوبة الفضلية التي يسرع إليها العفن .

والعلّة القصوى في جميع ذلك ، هو أن أحسن الأوقات بالجفاف في الأرض كلها بكثير فيه بمصر الرطوبة ، لأنها تترطب في الصيف والخريف بمد النيل وفيضه ، وهذا بخلاف ما عليه البلدان الأخرى .

وقد علمنا أبقراط أن رطوبة الصيف والحريف فضليه ، أغنى خارجة عن المجرى الطبيعي كرمطوبة المطر الحاد في الصيف . ومن أجل هذه قلنا أن رطوبة مصر فضلية ، وذلك أن الحرارة واليبس هو بالحقيقة مزاج مصر الطبيعي ، وإنما عرض له ما أخرجه عن اليبس إلى الرطوبة الفضلية بمد النيل في الصيف والخريف ، ولذلك كثرت العفونات بهذه الأرض .

فهذا هو السبب الأعظم في أن صارت أرض مصر على ما هي عليه من سخافة الأرض وكثرة العفن ورداءة الماء والهواء .

الا أن هذه الأشياء لا تحدث في أبدان المصريين استحالة محسوسة إذا جرت عنى عاداتها ، من أجل الف المصريين لهذه الحال ومشاكله أبدانهم لها ، فإن كل ما يتولد بأرض مصر من الحيوان والنبات مشابه لما عليه مصر في سخافة الأبدان وضعف القوى وكثرة التغير وسرعة الوقوع في الأمراض وقصر المدة ، كالحنطة بمصر فإنها وشيكة الزوال ، سريع إليها العفن في المدة اليسيرة .

ولا مطمئن أن أبدان الناس وغيرهم تخالف ما عليه الحنطة من سرعة الاستحالة ، وكيف لا يكون الأمر كذلك وأبدانهم مبنية من هذه الأشياء . فحال ما يتولد بأرض مصر من النبات والحيوان ، في السخافة وكثرة الفضول والعفن وسرعة الوقوع في الأمراض ، كحال سخافة أرضها وعفنها وفضولها وسرعة استحالتها ، لأن النسبة واحدة ، ولذلك أمكن حياة الحيوان فيها ونبات النبات بها ، فإن هذه

الأشياء - من حيث ناسبتها ولم تبعد من مشاكلتها - أمكن حياتها .

فأما الأشياء الغريبة فإنها إذا دخلت إلى مصر تغيرت في أول لقاءها لهذا الهواء ، حتى إذا استقرت وألفت الهواء واستمرت عليه ، صحت مشاكلتها لأرض مصر .

قال : وأما جنس ما يؤكل ويشرب بأرض مصر ، فإن الغلات سريعة التغير ، سخيفة ، متخلخلة ، تفسد في الزمان اليسير ، كالحنطة والشعير والعدس والحمص والباقلاء والجلبان ، فإن هذه تسوس في المدة القليلة ، ليس لشيء من الأغذية التي تعمل منها لذاعة ما لنظيره في البلدان الأخر ، وذلك أن الخبز المعمول من الحنطة بمصر متى لبث يوما واحدا بليته لا يؤكل ، وإن أكل لم يوجد له لذاعة ولا تماسك لبعضه ببعض ، ولا يوجد فيه علوكة ، ولكنه يتكرج في الزمان اليسير ، وكذلك الدقيق ، وهذا خلاف أخبار البلدان الأخر .

وكذلك الحال في جميع غلات مصر وفواكهها وما يعمل فيها ، فإنها وشيكة الزوال ، سريعة الاستحالة والتغير . فأما ما يحمل من هذه إلى مصر ، فظاهر أن مزاجها يتبدل باختلاف الهواء عليها ، ويستحيل عما كانت عليه إلى مشاكلة أرض مصر ، إلا أن ما كان حديثا قرب العهد بالسفر ، فقد بقيت فيه من جودته بقايا صالحة ... فهذا حال الغلات .

وأما الحيوان الذي يأكله الناس ، فالبلدي منه مزاجه مشاكل لمزاج الناس بهذه الأراضي في السخافة وسرعة الاستحالة ، فهو على هذا

ملائم لطبائعهم ، والمجلوب - كالسكبان البرقية - فالسفر يحدث في أبدانهم خللا وييسر وأخلاطا لا تشاكل خلط المصريين ، ولهذا إذا دخلت مصر مريض أكثرها ، فإذا استقرت زمانا صالحا تبدل مزاجها ووافق مزاج المصريين .

وأهل مصر يشرب الجمهور منهم من ماء النيل ، وقد قلنا في ماء النيل ما فيه كفاية ، وبعضهم يشرب مياه الآبار ، وهي قريبة من مشاكلتهم . والمياه المخزونة فقل من يشربها بأرض مصر . وأجود الأشربة عندهم الشسي ، لأن العسل الذي فيه يحفظ قوته ولا بدعه يتغير بسرعة ، والزمان الذي يعمل فيه خالص الحر فهو ينضج ، والزبيب الذي يعمل منه مجلوب من بلاد أجود هواء .

وأما الخمر فقل من يعتصرها إلا ويلقى معها عسلا ، وهي معتصرة من كرومهم فتكون مشاكلة لهم ، ولهذا صاروا يختارون الشسي عليها ، وما عدا الشسي والخمر من الشراب بأرض مصر ، فمردى لا خير فيه لسرعة استحاله من فساد مادته النيذ الترى والمطبوخ والمزر المعمول من الحنطة

وأغذية أهل مصر مختلفة : فإن أهل الصعيد يغتذون كثيرا بتمر النخل والحلاوة المعمولة من قصب السكر ، ويحملونها إلى القسطنطين وغيرها ، فتباع هناك وتؤكل . وأهل أسفل الأرض يغتذون كثيرا بالقلقاس والجلبان ، ويحملون ذلك إلى مدينة القسطنطين وغيرها ، فتباع هناك وتؤكل ، وكثير من أهل مصر يكثرون أكل السمك طريا ومالحا ، وكثير

(ص ٤٤) ، ج ١ ، ط ١ ، بولاق .

يكثرون أكل الألبان وما يعمل منها ، وعند فلاحهم نوع من الحيز يدعى كعكا ، يعمل من جرش الحنطة ويجفف ، وهو أكثر أكلهم السنة كلها .

وبالجملة فكل قوم منهم قد ابتنت أبدانهم من أشياء بأعيانها وألفتها ونشأت عليها ، إلا أن الغالب على أهل مصر الأغذية الرديئة ، وليست تغير مزاجهم ما دامت جارية على العادة ، وهذا أيضا مما يؤكد أمرهم في السخافة وسرعة الوقوع في الأمراض

وأهل الريف أكثر حركة ورياضة من أهل المدن ، ولذلك هم أصح أبدانا ، لأن الرياضة تصلب أعضائهم وتقويها .

وأهل الصعيد أخلاطهم أرق وأكثر دخالية وتخلخلا وسخافة ، لشدة حرارة أرضهم من أسفل الأرض . وأهل أسفل الأرض مصر أكثر استفراغ فضولهم بالبراز والبول ، لثور حرارة أرضهم ، واستعمالهم للأشياء الباردة والغليظة كالقلقاس .

وأما أخلاط المصريين فبعضها شبيه ببعض ، لأن قوى النفس تابعة لمزاج البدن ، وأبدانهم سخيفة سريعة التغير قليلة الصبر والجلد ، وكذلك أخلاقهم يغلب عليها الاستحالة ، والتنقل من شيء إلى شيء ، والدعة والجبن والقنوط والشح وقلة الصبر ، والرغبة في العلم ، وسرعة الخوف ، والحسد والتهميش والكذب والسعي إلى السلطان وذم الناس .

وبالجملة فيغلب عليهم الشرور الدنية التي تكون من دناءة الأنفس ، وليس هذه الشرور عامة فيهم ، ولكنها موجودة في أكثرهم ، ومنهم

من خصه الله بالفضل وحسن الخلق ، وبراه
من الشرور .

ومن أجل توليد أرض مصر الجبن والشرور
الدينية في النفس لم تسكنها الأسد ، وإذا
دخلت ذلت ولم تتأسل ، وكلابها أقل جراءة
من كلاب غيرها من البلدان ، وكذلك سائر ما
فيها أضعف من نظيره في البلدان الأخرى ،
ما خلا ما كان منها في طبعه ملائمة لهذه الحال
كالحمار والأرنب .

وقال : إن جالينوس يرى أن فصل الربيع
طبيعته الاعتدال ، ويناقض من ظن أنه حار
رطب . ومن شأن هذا الفصل أن تصح فيه
الأبدان ويجود هضمها ، وتنتشر الحرارة
الغريزية فيه ، ويصفو الروح الحيواني ،
لاعتدال الهواء وصفائه ، ومساواة ليله
لنهاره ، وغلبة الدم .

والهواء المعتدل هو الذي لا يحس فيه
يبس ولا حر ولا رطوبة ولا ييس ،
ويكون في نفسه صافيا نقيًا ، فيقوى فيه
الروح الحيواني لهذا السبب ، وتصح الأبدان
ويكثر نشاط الحيوان ، وتنمو الأشياء
وتزيد وتتوالد .

وإذا طلبنا بأرض مصر مثل هذا الهواء لم
نجد في وقت من السنة ، إلا في أمشير
وبرمات وبرمودة وبشنس ، عندما تكون
الشمس في النصف الأخير من الدلو والحوت
والحمل والثور ، فانا نجد بمصر في هذا
الزمان أياما معتدلة نقية صافية ، لا يحس
فيها بحر ظاهر ولا برد ولا رطوبة ولا
يبوسة ، وتكون الشمس فيها نقية من الغيوم ،

والهواء ساكنا لا يتحرك ، إلا أن يكون ذلك
في برمودة وبشنس ، فانه يحتاج إلى أن تهب
رياح الشمال ليعتدل ببردها حر الشمس .

وفي هذا الزمان تكثر حركة الحيوان
وسفاده ، وتحسن أصواته ، وتورق الأشجار ،
ويعقد الزهر ، وتقوى القوة المولدة ، ويغلب
كيموس الدم .

وهذا الفصل في أرض مصر يتقدم زمانه
الطبيعي بمقدار ما ينقص عن آخره . وعلة
ذلك قوة حرارة هذه الأرض .

وقد يعرض في أول هذا الفصل أيام شديدة
البرد ، وذلك في أمشير ، إذا هبت رياح
الشمال ، وكانت الشمس غير نقية من
الغيوم . وعلة ذلك دخول فصل الربيع في فصل
الشتاء ، فإذا هبت رياح الشمال برد ببردها
الهواء ، فأعادته بعد الاعتدال إلى البرد .

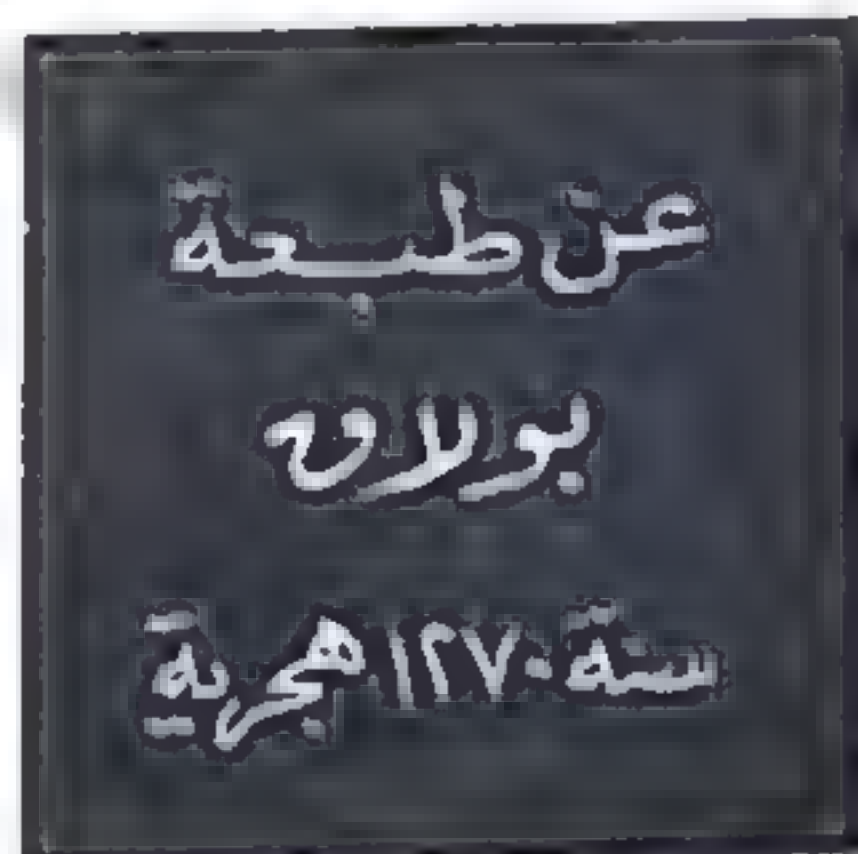
ولكثر ما يصعد من الأرض في هذا الزمان
من البخار الرطب ، يرطب الهواء ويعود إلى
حاله في فصل الشتاء ، وربما برد الهواء من
هبوب رياح آخر ، فان رياح الجنوب ، التي
هي أشد الرياح حرارة ، إذا هبت في هذا
الزمان اكتسبت برودة من الأرض والماء اللذين
قد بردهما هواء الشتاء ، فإذا مرت بشيء
بردته يبرودتها العرضية ، حتى إذا دام هبوبها
أياما كثيرة متوالية ، عادت إلى حرارتها ،
وأسخنت الهواء وأحدثت فيه ييسا .

والدليل على أن برد رياح الجنوب ، التي
تعرفها المصريون بالمريسي ، يتولد من برد مياه
مصر وأرضها لا بشيء طبيعي لها ، أنه لا يجتمع
في الجو ، في أيام هبوبها ، الضباب الذي



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأئمة
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثنى ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِئِي

١٢

كتاب
التحرير



وكانت حصارها مستطير براسي وولفت اوراقها وجميع اهلها ووطنها فصاروا وهاجتي
ووطنها فاستقر بها منى وحبها منى الذي كان بها منى في وكرها ووطنها ما ركب ووطنها
يكون الركن من غير ذكرها واورثت من حصارها واورثت من الحصار واورثت من الحصار
من حصارها واورثت من حصارها واورثت من حصارها واورثت من حصارها واورثت من حصارها
نقص الدين المحمد علي القرني

ما كان من هذه الأيام أسكن حرارة ، والأكثر لا يشعرون البتة بهذه الحال .

وفي آخر الصيف يكون فيض النيل ، فظاهر أن هذا الفصل يتقدم دخوله الزمان الطبيعي بقدر ما يتقدم آخره ، وأنه كثير الاضطراب بكثرة ما يرقى اليه من بخار الأرض . فلولا استمرار أبدانهم على هذا الاختلاف ، ومشاكلتهم لهذه الحال ، لحدثت فيهم الأمراض التي ذكر أبقراط أنها تحدث إذا كان الصيف رطباً .

ثم يدخل فصل الخريف وطبيعته يابسة ، من النصف الأخير من مسرى ثم توت وبابه وبعض أيام هاتور ، وتكون الشمس في آخر السنبلة والميزان والعقرب ، فتكمل زيادة النيل في أول هذا الفصل ، ويطلق على الأرض ، فيطبق أرض مصر ، ويرتفع منه في الجو بخار كثير ، فينتقل مزاج الخريف عن اليبس إلى الرطوبة ، حتى أنه ربما وقع فيه الأمطار وكثرة الغيم في الجو .

ويوجد في هذا الفصل أيام شديدة الحر لأنها على الحقيقة صيفية ، فإذا تقى الجو من البخار الرطب عادت إلى طبيعتها من الحرارة . وفيه أيضاً أيام شديدة الشبه بأيام الربيع ، تكون عندما يساوى الليل النهار ويرطب الماء بيس الهواء .

ويشتد في هذا الفصل اضطراب الهواء بكثرة ما يرتقى اليه من البخار الرطب ، فيكون مرة حاراً ، وأخرى بارداً ، ومرة يابساً ، وأكثر أوقاته يغلب عليه الرطوبة ، فلا يزال كذلك يتمزج حتى يغلب عليه رطوبة الماء في آخر الأمر .

يجتمع من تحليل الحرارة للبخار الرطب بالنهار وجمع البرودة له بالليل ، فحرارة ريح الجنوب تفرق البرودة عن جمعه وتبدده في الهواء ، وإذا دام هبوب هذه الرياح أسخنت الماء والأرض ، وعادت إلى طبيعتها في الحرارة .

وإذا كان فصل الربيع يتقدم زمانه الطبيعي ، ويختلف هذا الاختلاف - والهواء في الأصل بمصر يختلف بكثرة استحالته وما يرقى اليه من البخار - فما ظنك بغيره من الفصول ، ولذلك كثرت فيه الرياح ، وآخر الأطباء فيه سقى الأدوية المسهلة إلى أن يستقر أمره في شمس الحمل مع الثور .

ثم يدخل فصل الصيف في آخر بشنس وبثونة وأيب وبعض مسرى ، عندما تكون الشمس في الجوزاء والسرطان والأسد وبعض السنبلة ، فيشتد الحر واليبس في هذا الزمان ، وتجف الغلات وتنضج الثمار ، ويجتمع من أكلها في الأبدان كيوسات رديئة .

وإذا نزلت الشمس في السرطان * أخذ النيل في الزيادة والفيض على أرض مصر ، فيتغير مزاج الصيف الطبيعي بكثرة ما يترقى إلى الهواء من بخار الماء .

ويوجد في أول هذا الفصل - عندما تكون الشمس في الجوزاء - أيام يشاكل هواؤها هواء الربيع ، عندما تكون الشمس مستورة بالغيوم ، أو تكون الرياح الشمال هابة . ولهذا يغلط كثير من الأطباء ويسقى الأدوية المسهلة في هذا الزمان ، لظنه أن فصل الربيع لم يخرج . إلا من كان منهم أحذق ، فهو يختار

(*) ص ٤٤ ، ج ١ ، ط ١ بولاق .

ومصاد في أيام الخريف من النيل أسماك كثيرة جدا ، يولد أكلها في الأبدان أخلاطا لزجة ، وكثيرا ما يتحول الى الصفراء اذا صادفت في البدن خلطا صفراويا ، فمن أجل ذلك يضطرب ما في الأبدان من الروح الحيواني ، وتهيج الأخلاط ، وينفد الهضم في البطون والأوعية والمروق ، ويتولد من ذلك كيوسات رديئة كثيرة الأخلاط : بعضها مرة صفراء ، وبعضها مرة سوداء ، وبعضها يلغم لزج ، وبعضها خلط خام ، وبعضها مرة محترقة ، وكثير منها يتركب من هذه الأشياء فتثير الأمراض .

حتى اذا صرف النيل في آخر الخريف ، وانكشف الأرض ، ويرد الهواء ، وكثرت الأسماك ، واحتقن البخار ، وكثر ما يرتفع به من الأرض من الغفوة ، واستحكم عند ذلك وجود العفن ، تزايدت الأمراض . ولولا الف أهل مصر لهذه الأشياء ، لكان ما يحدث فيهم من الأمراض أكثر من ذلك .

ثم يدخل فصل الشتاء وطبيعته باردة رطبة ، من النصف الآخر من هاتور ثم كيهك وطلوبة ، وذلك عندما تكون الشمس في القوس والجدي وبعض الدلو ، وذلك أقل من ثلاثة أشهر ، والعلة في ذلك قوة حرارة أرض مصر ، وكون الأبدان مضطربة .

وتتكشف الأرض في أول هذا الفصل ، وتحترق وتمفن بالجملة ، لكثرة ما يلتقي فيها من اليزور ، وما فيها من أزيال الحيوان وفضولها ، ولأنها سخيفة ، وهي كالحصاة في هذا الزمان ، فيتولد فيها من أنواع الفار والدود والنبات والعشيب وغير ذلك ما لا

يحصى كثرة ، وينطلق منها في الجو أبخرة كثيرة ، حتى يصير الضباب بالغدوات سائرا للابصار عن الألوان القريبة .

ومصاد أيضا من الأسماك المعبوسة في المياه المخزونة شيء كثير ، وقد داخلها العفن لقلّة حركتها ، فيولد أكلها في الأبدان فضولا كثيرة لزجة شديدة الاستعداد للعفن ، فتقوى الأمراض في أول هذا الفصل . حتى اذا اشتد البرد ، وقوى الهضم في الأبدان ، واستقر الهواء على شيء واحد ، وعادت الحرارة التريزية الى داخل ، وتطبقت الأرض بالنبات ، وسكنت عفوتها ، صحت عند ذلك الأبدان ، وهذا يكون في آخر كيهك أو في طوبة .

فقد استبان أن الفصول بأرض مصر كثيرة الاختلاف ، وأن أردا أوقات السنة عندهم ، وأكثرها أمراضا ، هو آخر الخريف وأول الشتاء ، وذلك في شهرى هاتور وكيهك ، فاذن اختلاف الفصول مشاكل لما عليه أرضهم من الرداءة ، فمضرة الفصول اذن بالأبدان في أرض مصر أقل منها في البلدان الأخر اذا اختلفت هذا الاختلاف .

واستبان أيضا أن السبب الأول في ذلك ، هو مد النيل في أيام الصيف ، وتطبيقه الأرض في أيام الخريف ، بخلاف ما عليه مياه الأنهار في العمارة كلها ، فانها انما تمتد في أخص الأوقات بالرطوبة ، وهو الشتاء والربيع .

قال : وقد استبان مما تقدم أن الرطوبة الفضلية بأرض مصر كثيرة . وظاهر أن أمراضهم البلدية تكون من نوع هذه الرطوبة ، فاني انا قلما رأيت أمراضهم البلدية تكون من نوع هذه كلها ، لا يشوبها في أول أمرها

ابنعم والخلط الخام ، والأمراض كلها تحدث عندهم في الأوقات كلها كما قال أبقراط ، وأكثر أمراضهم هي الفضلية ، أغنى العفنة من أخلاط صفراوية وبلغمية ، على ما يشاكل مزاج * أرضهم .

وما ذكرناه فيما تقدم يوجب حدوث الأمراض كثيرا ، الا أن مشاكلة هذه بعضها بعضا ، واتفاقها في سنة واحدة ، تمنع من أن تكون في أنفسهم مرضة متى لزمت العادة ، فأما اذا خرجت عن عاداتها ، فهي تحدث مرضا ، وخروجها عن عاداتها بمصر هو الذي أعده اختلاف مرضا ، لا الاختلاف الموجود فيها على الدائم .

والنيل ليس يحدث في الأبدان كل سنة مرضا ، ولكنه اذا أفطرت زيادته ، ودام مدة تزيد على المادة ، كان ذلك سببا لحدوث المرض الوافد .

فان قيل : اذا كانت أبدان الناس بأرض مصر من السخافة على ما ذكرت فلعلها في مرض دائم .

فالجواب : لسنا نبالي بهذا كيف كان ، لأن المرض هو ما يضر بالفعل ضررا محسوسا من غير توسط ، فمن أجل ذلك ليس أبدان المصريين في مرض دائم ، ولكنها كثيرة الاستعداد نحو الأمراض .

قال : أما أمراض مصر البلدية فقد ذكرنا من أمرها ما فيه كفاية ، وظهر أن أكثرها الأمراض الفضلية التي يشوبها صفراء وخام ،

(٨٥) م١٦ ، ج١ ، ط١ بولاق .

على أن باقى الأمراض تحدث عندهم بسرعة وقرب ، وخاصة في آخر الخريف وأول الشتاء .

وأما الأمراض الوافدة - ومعنى المرض الوافد ، هو ما يعم خلقا كثيرا في بلد واحد وزمان واحد ، ومنه نوع يقال له الموتان ، وهو الذي يكثر معه الموت - وحدوث الأمراض الوافدة يكون عن أسباب كثيرة تجتمع في أجناس أربعة ، وهي : تغير كيفية الهواء ، وتغير كيفية الماء ، وتغير كيفية الأغذية ، وتغير كيفية الأحداث النفسانية .

فالهواء تغير كيفية على ضربين : أحدهما تغيره الذي جرت به العادة ، وهذا لا يحدث مرضا وافدا ، وليس تغيرا مرضا . والثاني التغير الخارج عن مجرى العادة ، وهذا هو الذي يحدث المرض الوافد . وكذلك الحال في الأجناس الباقية .

وخروج تغير الهواء عن عاداته يكون اما بأن يسخن أكثر أو يبرد أو يربط أو يجفف أو يخالطه حال عفنة . والحالة العفنة اما أن تكون قريبة أو بعيدة ، فان أبقراط وجالينوس يقولان انه ليس يمنع مانع من أن يحدث ببلد اليونانيين مرض وافد عن عفونة اجتمعت في بلاد الحبشة ، وتراقت الى الجو وانحدرت على اليونانيين ، فأحدثت فيهم المرض الوافد .

وقد يتغير أيضا مزاج الهواء عن العادة ، بأن يصل وفد كثير قد أنهك أبدانهم طول السفر وساءت أخلاطهم ، فيخالط الهواء منها شيء كثير ، ويقع الاعداء في الناس ، ويظهر المرض الوافد .

مصر والقيوم الى أعلى الصعيد مما في غرب النيل ، وأرض الواحات وأرض النوبة والبجة ، والأرض التي على البحر في شرقي بلاد النوبة والجنبة — فإن هذه البلاد موضوعة في الزاوية التي تؤثر في جميع الرياح الموضوع فيها بين الدبور والجنوب .

وهي من جلة النصف الغربي من الرياح الممور ، والكواكب الخمسة المتحركة في تدويرها . فصار أهلها محبين لله ، ويعظمون الجن ، ويحبون النوح ، ويدفنون موتاهم في الأرض ويخفونهم ، ويستعملون ستنًا مختلفة وعادات وآراء شتى ، ليلهم الى الأسرار التي تدعو كل طائفة منهم الى أمر من الأمور الخفية فيعتقده ويوافق جماعته .

ومن أجل هذه الأسرار ، كان المستخرج للعلوم الدقيقة — كالهندسة والنجوم وغيرها — في الزمان الأول ، أهل مصر ومنهم تفرقت في العالم . وإذا ساسهم غيرهم كانوا أذلاء ، والغالب عليهم الجبن والاستحذاء في الكلام . وإذا ساسوا غيرهم كانت أنفسهم طيبة وهمهم كثيرة .

ورجالهم يتخذون نساء كثيرة ، وكذلك نساؤهم يتخذن عدة رجال ، وهم منهكون في الجوع ، ورجالهم كثيرو النسل ، ونساؤهم سريعات الحمل ، وكثير من ذكرانهم تكون أنفسهم ضعيفة مؤثرة .

وقال أبو الصلت : وأما سكان أرض مصر فأخلاق من الناس مختلفو الأصناف والأجناس ، من قبط وروم وعرب وأكراد وديلم وجشان وغير ذلك من الأصناف ، إلا أن جمهورهم قبط .

قالوا : والسبب في اختلاطهم تداول المالكين لها والمتخلين عليها ، من العمالة واليونانيين والروم وغيرهم ، فلهذا اختلطت أنسابهم ، واقتصروا من التعريف بأنفسهم على الإشارة الى مواضعهم والاتناء الى مساكنهم فيها .

وحكى أنهم كانوا في الزمن السالف عباد أصنام ومدبري هياكل * ، الى أن ظهر دين النصرانية وغلب على أرض مصر ، فتنصروا وبقوا على ذلك الى أن فتحها المسلمون ، فأسلم بعضهم ، وبقي بعضهم على دين النصرانية .

وأما أخلاقهم فالغالب عليها اتباع الشهوات والانهماك في اللذات ، والاشتغال بالترهات ، والتصديق بالمحالات ، وضعف المراتب والمزومات . ولهم خبرة بالكيد والمكر ، وفيهم بالقطرة قوة عليه وتلطف فيه وهداية اليه ، لما في أخلاقهم من اللق والبشاشة التي أربوا فيها على من تقدم وتأخر ، وخصوا بالافراط فيها دون جميع الأمم ، حتى صار أمرهم في ذلك مشهورا ، والمثل بهم مضروبا .

وفي خبثهم ومكرهم يقول أبو نواس :

محضتكم بأهل مصر نصيحتي
ألا فخذوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحجة
أكل لحيات البلاد شروب

فإن يك باق أفك فرعون فيكم
فإن عصا موسى بكف خصيب

(٨٨) ج ١ ، ط ١ ، بولاق .

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : وقد مر لي قديما أن منطقة الجوزاء تسام رؤوس أهل مصر ، فذلك يتحدثون بالأشياء قبل كوالها ، ويخبرون بما يكون ، وينذرون بالأمور المستقبلية ، ولهم في هذا الباب أخبار مشهورة .

قال ابن الطوير : وقد ذكر استيلاء الفرنج على مدينة صور ، فعاد الحفظ والحراسة على مدينة عسقلان ، فما زالت محمية بالأبدال المجردة اليها من العساكر والأساطيل ، والدولة تضعف أولا فأولا باختلاف الآراء ، فتقلت على الأجناد ، وكبر أمرها عندهم ، واشتغلوا عنها ، فضايقتها الفرنج حتى أخذوها في سنة ثمان وأربعين وخمسائة . ولقد سمعت رجلا قبل ذلك بسنين يحدث بهذه الأمور ، ويقول : « في سنة ثمان تؤخذ عسقلان بالأمان » .

ومن هذا الباب واقعة الكنائس التي للنصارى . وذلك أنه لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وسبعمائة ، والناس في صلاة الجمعة ، كأننا نودى في اقليم مصر كله — من قوص الى الاسكندرية — بهدم الكنائس ، فهدم في تلك الساعة — بهذه المسافة الكبيرة — عدد كبير من الكنائس ، كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر كنائس النصارى .

ومن هذا الباب واقعة الدمر . وذلك أنه خرج الأمير الدمر — أمير جنسدار — يريد الحج من القاهرة في سنة ثلاثين وسبعمائة ، وكانت فتنة بسكة قتل فيها الدمر يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة ، فأشيع في هذا اليوم بعينه في القاهرة ومصر وقلعة الجبل ، بأن

واقعة كانت بسكة قتل فيها الدمر . فطار هذا الخبر في ريف مصر واشتهر ، فلم يكثرث الملك الناصر محمد بن قلاوون بهذا الخبر . فلما قدم البشرون على المعادة ، أخبروا بالواقعة وقتل الأمير سيف الدين الدمر في ذلك اليوم الذي كانت الاشاعة فيه بالقاهرة .

قال جامع السيرة الناصرية : كنت مع الأمير علم الدين الخازن في القرية — وقد خرج اليها كاشفا — فلما صليت أنا وهو صلاة الجمعة وعدنا الى البيت ، قدم بعض غلمانه من القاهرة فأخبرنا أنه أشيع بأن فتنة كانت بسكة قتل فيها جماعة من الأجناد ، وقتل فيها الأمير الدمر أمير جنسدار .

فقال له الأمير علم الدين : هل حضر أحد من الحجاز بهذا الخبر ؟ قال : لا .

فقال : ويحك ، الناس ما تحضر من منى بسكة الا ثالث يوم بعد عيد النحر ، فكيف سعتهم هذا الخبر الذي لا يسمعه عاقل ؟

فقال : قد استفيض ذلك . وكان الأمر كما أشيع .

ووقع لي في شهر رمضان من شهر سنة احدى وتسعين وسبعمائة ، أني مررت في الشارع بين القصرين بالقاهرة بعد العتمة ، فإذا العامة تتحدث بأن الملك الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك واجتمع عليه الناس . فضبطت ذلك ، فكان اليوم الذي خرج فيه من السجن . وفي هذا الباب من هذا كثير . ومن أخلاق أهل مصر قلة الغيرة . وكفاك ما قصه الله سبحانه وتعالى من خبر يوسف

عليه السلام ، ومرأودة امرأة امرئ له عن نفسه ، وشهادة شاهد من أهلها عليها بما بين زوجها منها سوء ، فلم يعاقبها على ذلك بسوى قوله : استغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين .

وقال ابن عبد الحكم : وكان نساء أهل مصر - حين غرق من غرق منهم مع فرعون ولم يبق الا العبيد والأجراء - لم يصبرن عن الرجال ، فطقت المرأة تمتنع عبيدها وتزوج ، وتزوج الأخرى أجيرها . وشرطن على الرجال ألا يفعلوا شيئا الا بأذنهن ، فأجابوهن الى ذلك ، فكان أمر نساء على الرجال .

فحدثني ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، أن نساء القبط على ذلك الى اليوم اتباعا لمن مضى منهم ، لا يبيع أحد منهم ولا يشتري الا قال : أتاخر امرأتى .

وقال : ان فرعون لما غرق ومعه أشراف مصر ، لم يبق من الرجال من يصلح للملكة ، فعد الناس في مراتبهم : بنت الملك ملكة ، وبنت الوزير وزيرة ، وبنت السوالى وبنت الحاكم على هذا الحكم ، وكذلك بنات القواد والأجناد .

فاستولت النساء على الملكة مدة سنتين ، وتزوجن بالعبيد ، واشترطن عليهم أن الحكم والتصرف لهن ، فاستمر ذلك مدة من الزمان . ولهذا صارت ألوان أهل مصر سرا من أجل أنهم أولاد العبيد السود الذين نكحوا نساء القبط بعد الفرق واستولدوهن .

(٥٠) ص ١٠١ ج ١ ط ١

وأخبرني الأمير الفاضل الثقة ناصر الدين محمد بن محمد بن الفرائلى الكركى رحمه الله تعالى ، أنه منذ سكن مصر يجد من نفسه رياضة في أخلاقه ، وترخصا لأهله ، وليسا ورقة طبع من قلة الفيرة .

ومما لم نزل نسمعه دائما بين الناس أن شرب ماء النيل يشى الغرب وطنه .

ومن أخلاق أهل مصر الاعراض عن النظر في المواقب ، فلا تجدهم يدخرون عندهم رادا كما هي عادة غيرهم من سكان البلدان ، بل يتناولون عذبة كل يوم من الأسواق بكرة وعشيا .

ومن أخلاقهم الانهماك في الشهوات ، والامعان في الملاذ ، وكثرة الاستهتار ، وعدم المبالاة ... قال لى شيخنا الأستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى : أهل مصر كأنما فرغوا من الحساب .

وقد روى عن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، أنه سأل كعب الأحبار عن طبائع البلدان وأخلاق سكانها ، فقال : ان الله تعالى لما خلق الأشياء جعل كل شيء لشيء . فقال العقل : أنا لاحق بالشام ، فقالت الفتنة : وأنا معك ! وقال الخصب : أنا لاحق بمصر ، فقال الذل : وأنا معك ! وقال الشقاء : أنا لاحق بالبادية ، فقالت الصحة : وأنا معك !

ويقال : لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة أخلاق : الايمان والحياء والنجدة والفتنة والكبر والتفاسق والغنى والفقر والذل والشقاء . فقال الايمان : أنا لاحق باليمن ، فقال الحياء : وأنا معك ! وقالت النجدة : أنا لاحقة بالشام ، فقالت الفتنة : وأنا معك !

وقال الكبر : أنا لاحق بالعراق ، فقال التفاسق : وأنا معك ! وقال الغنى : أنا لاحق بمصر ، فقال الذل : وأنا معك ! وقال الفقر : أنا لاحق بالبادية ، فقال الشقاء : وأنا معك !

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : المكر عشرة أجزاء : تسعة منها في القبط ، وواحد في سائر الناس .

ويقال : أربعة لا تعرف في أربعة : السخاء في الروم ، والوفاء في الترك ، والشجاعة في القبط ، والعمر في الزنج .

ووصف ابن العربية أهل مصر فقال : عبيد لمن غلب ، أكيس الناس صفارا ، وأجهلهم كبارا .

وقال السعوى : لما فتح عمر بن الخطاب رضى الله عنه البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك ، كتب الى حكيم من حكماء العصر : انا لناس عرب قد فتح الله علينا البلاد ، ونريد أن تنبأ الأرض ونسكن البلاد والأمصار ، فصف لى المدن وأهويتها ومساكنها ، وما تؤثره التربة والأهوية في سكانها .

فكتب اليه : وأما أرض مصر فأرض قوراء غوراء ، ديار الفراعنة ومساكن الجبابرة ، ذمها أكثر من مدحها ، هواؤها كدر ، وحرها زائد ، وشرها مائد ، تكدر الألوان والقطن ، وتركب الاحن . وهى معدن الذهب والجوهر ومغارس الغلات ، غير أنها تسمن الأبدان وتسود الانسان ، وتنمو فيها الأعمار . وفى أهلها مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة . وهى بلدة مكسب ليست بلدة مسكن ، لترادف فتتها واتصال شرورها .

وقال عمر بن شبة : ذكر ابن عبيدة في كتاب أخبار البصرة ، عن كعب الأحبار ، خبير نساء على وجه الأرض نساء أهل البصرة ، الا ما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم من نساء قرش ، وشر نساء على وجه الأرض نساء أهل مصر .

وقال عبد الله بن عمر : ولما أهبط أبليس ، وضع قدمه بالبصرة ، وفرخ بمصر .

وقال كعب الأحبار : ومصر أرض نجسة كالمرأة العاذل ، يطهرها النيل كل عام .

وقال معاوية بن أبى سفيان : وجدت أهل مصر ثلاثة أصناف : فثلث ناس ، وثلث يشبه الناس ، وثلث لا ناس ، فأما الثلث الذين هم الناس فالعرب ، والثلث الذين يشبهون الناس فالموالى ، والثلث الذين لا ناس المسألة ، يعنى القبط .

ذكر شيء من فضائل النيل

أخرج مسلم من حديث أنس رضى الله عنه في حديث المراج ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثم رفعت لى سدرة المنتهى ، فاذا نبتها مثل قلال هجر ، واذا ورقها مثل آذان الفيلة .

« قلت : ما هذا يا جبريل ؟

« قال : هذه سدرة المنتهى .

« واذا أربعة أنهار : نهران باطنان ، ونهران ظاهران .

« فقلت : ما هذا يا جبريل ؟

« قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ،

وأما الظاهران فالنيل والفرات .

١ وفي التوراة : وخلق فردوسا في عدن ، وجعل الانسان فيه ، واخرج منه نهران فتسهما أربعة أجزاء : جيحون المحيط بأرض حويلا ، وسيحون المحيط بأرض كوش وهو نيل مصر ، ودجلة الآخذ الى العراق ، والفرات .

وروي ابن عبد الحكم ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أنه قال : نيل مصر سيد الأنهار ، سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب . فإذا أراد الله أن يجري نيل مصر ، أمر كل نهر أن يمد ، فتدفع الأنهار بمائها ، وفجر الله له الأرض عيونا فأجرتة الى ما أراد الله عز وجل ، فإذا انتهت جريته أوحى الى كل ماء أن يرجع الى عنصره .

وعن يزيد بن أبي حبيب ، أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، سأل كعب الأحبار : هل نجد لهذا النيل في كتاب الله خيرا ؟

قال : اي والذي فلق البحر لموسى ، اني لأجده في كتاب الله أن الله يوحى اليه في كل عام مرتين : يوحى اليه عند جريته : ان الله يأمرك أن تجري ، فيجري ما كتب الله له ، ثم يوحى اليه بعد ذلك : يا نيل ، عد حميدا .

وعن كعب الأحبار أنه قال : أربعة أنهار من الجنة وضعها الله في الدنيا : النيل نهر النيل في الجنة ، والفرات نهر الخمر في الجنة ، وسيحان نهر الماء في الجنة ، وجيحان نهر اللبن في الجنة .

(٨) ص ١٠٥ ، ج ١ ، ط. بولاق .

وقال المسعودي : نهر النيل من مصادات الأنهار وأشراف البحار ، لأنه يخرج من الجنة على ما ورد به خير الشريعة .

وقد قال : ان النيل اذا زاد غاضت له الأنهار والأعين والآبار ، واذا غاض زادت ... فزيادته من غيضا ، وغيضه من زيادتها . وليس في انهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مصر لكبره واستبحاره .

وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث : وفي حديثه عليه السلام « نهران مؤمنان ونهران كافرين » ، أما المؤمنان فالنيل والفرات ، وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ ، ، انما جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه لانهما يفيضان على الأرض ، ويسقيان الحرث والشجر ، فلا تعب في ذلك ولا مؤنة ، وجعل دجلة ونهر بلخ كافرين لانهما لا يفيضان على الأرض ، ولا يسقيان الا شيئا قليلا ، وذلك القليل بتعب ومؤنة ... فهذان في الخير والنفع كالؤمنين ، وهذان في قلة الخير والنفع كالكافرين .

ذكر مخرج النيل وانبعائه

اعلم أن البحر المحيط بالممور اذا خرج منه نهر الهند ، افرق قطعا كما تقدم ، وكان منه قطعة تسمى بحر الزنج ، وهي مما يلي بلاد اليمن وبحر يرب .

وفي هذه القطعة عدة جزائر منها جزيرة القمر (بضم القاف واسكان الميم وراء مهملة) . ويقال لهذه الجزيرة أيضا جزيرة ملاي ،

وظولها أربعة أشهر ، في عرض عشرين يوما الى أقل من ذلك . وهذه الجزيرة تعاذي جزيرة سرنديب ، وفيها عدة بلاد كثيرة ، منها قرية ، واليها ينسب الطائر القمري .

ويقال ان بهذه الجزيرة خشبا ينبت من الخشب ساق طوله ستون ذراعا يحذف على ظهره مائة وستون رجلا ، وان هذه الجزيرة ضاقت بأهلها ، فبنوا على الساحل محلات يسكنونها في سفح جبل يعرف بهم يقال له جبل القمر .

واعلم أن الجبال كلها متشعبة من الجبل المستدير بغالب معمور الأرض ، وهو المسمى بجبل قاف ، وهو أم الجبال كلها ، تشعب منه فيتصل في موضع وينقطع في آخر ، وهو كالدائرة لا يعرف له أول اذ كان كالحلقة المستديرة لا يعرف طرفاها ، وان لم يكن استدارة كرية ولكنها استدارة احاطة .

وزعم قوم أن أمهات الجبال جيلان : خرج أحدهما من البحر المحيط في المغرب آخذا جنوبا ، وخرج الآخر من البحر الرومي آخذا شمالا ، حتى تلاقيا عند السد ، وسموا الجنوبي قاف ، وسموا الشمالي قاقونا . والأظهر أنه جبل واحد ومحيط بغالب بسيط الممور ، وأنه هو الذي يسمى بجبل قاف ، فيعرف بذلك في الجنوب ويعرف في الشمال بجبل قاقونا .

ومبدأ هذا الجبل المحيط من كنف السد آخذا من وراء صنم الخط المشجوج الى شميته الخارجة منه المعمول بها باب الصين أخذا على غربي صين الصين ، ثم ينعطف على

جنوبه مستقيما في نهاية الشرق على جالب البحر المحيط مع الفرجة المنفرجة بينه وبين البحر الهندي الداخلة ، ثم ينقطع عند مخرج البحر الهندي المحيط مع خط الاستواء ، حيث الطول مائة وسبعون درجة ، ثم يتصل من شعبة البحر الهندي الملاقى لشعبة المحيط الخارجة الى بحر الظلمات من الشرق بجنوب كبير من وراء مخرج البحر الهندي في الجنوب .

وتبقى الظلمات من هاتين الشعبتين : شعبة المحيط الجائية على جنوب الظلمات شرقا مغربا ، ومخرج البحر الهندي الجائية على الظلمات ، حتى تلتقي الشعبتان عند مخرج هذا الجبل كتفصيل الراويل ، ثم ينفرج برأس البحرين شعبتان على مبدأ هذا الجبل ، ويبقى الجبل بينهما كأنه خارج من تقن الماء .

ومبدأ هذا الجبل هنا وراء قبة أرين عن شرقها ، وبمده منها خمس عشرة درجة . ويقال لهذا الجبل في أوله المجرد ، ثم يمتد حتى ينتهي في القسم الغربي الى طوله الى خمس وستين درجة من أول المغرب . وهناك يتشعب من الجبل المذكور جبل القمر ، وينصب منه النيل . وبه أحجار بريقة كالفضة تتلألأ تسمى ضحكة الباهت ، كل من نظرها ضحك والتصق بها حتى يموت ، ويسمى مقناطيس الناس ، ويتشعب منه شعب يسمى أسيفي ، أهله كالوحوش ، ثم ينفرج منه فرجة ، ويمر منه شعب الى نهاية المغرب في البحر المحيط يسمى جبل وحشية ، به سباع لها قرون طوال لا تطاق .

وينقطع دون تلك الفرجة من جبل قاف شعاب ، منها شعبتان الى خط الاستواء يكتفان مجرى النيل من الشرق والغرب ، فالشرقي يعرف بجبل قاتول ، وينقطع عند خط الاستواء ، والغربي يعرف بدمرية يجري عليه نيل السودان المسمى ببحر الدمام ، وينقطع تلقاء مجالات الحبشة ما بين مدينة سفرة وحيى وراء هذه الشعبة ، يمتد منه شعبة هي الأم من الموضع المعروف فيه الجبل بأسيى المذكور الى خط الاستواء ، حيث الطول هناك عشرون درجة ، ويعرف هناك بجبل كرسقابة ، وبه وحوش ضاربة .

ثم ينتهى الى البحر المحيط وينقطع دونه بفرجة ، وذلك وراء التكرور عند مدينة قلسورا . ووراء هذا الجبل سودان يقال لهم فسم ياكلون الناس . ثم تصل الأم من ساحل البحر الشامى في شماله شرقى رومية الكبرى مسامتا للشعبة المسماة أدمدة المنقطعة بين سفرة وحيى ، لا يكاد يخطوها حيث الطول خمس وثلاثون درجة . ويقع منشأ اتصال هذه الأم على عرض خمسين درجة ، وكذلك تقع شعبها الآخذة في الجنوب على عرض خمسين درجة عند آخرها ، ما بين سردالة وبلنية .

وتتأهى وصلة هذه الأم الى البحر المحيط في نهاية الشمال قبالة جزيرة بركاية ، وتبقى موسية داخل الجبل . ثم تمد هذه الأم بعد انقطاع لطيف ، ويهتف المطاف خرجة البحر المحيط في المغرب على الصقلب المسماة ببحر الانقلبين ممتدا الى غاية الشرق ، ويسمى

(٨) وراء جبال ، ط. بولاق .

هناك بجبل قاقونا ، ويبقى وراءه البحر جامدا لشدة البرد ، ثم ينقطع من الشمال الى المشرق جنوبا بتغريب الى كتف السد الشمالى ، فيتلاقى هناك الطرفان ، وبينهما في الفرجة المنفرجة نسوى ذو القرنين بين الصدفين .

وفي جزيرة القمر ثلاثة أنهار : أحدها في شرقها من قنطورا ومغلا ، وثانيها في غربها ينصب من جبل قدم آدم على مدينة سبا ، ويأخذ مارا على مدينة فردرا ، ويتبحر هناك بحيرة في جنوبها مدينة كيا حيث محل السودان الذين ياكلون الناس ، وثالثها في غربها أيضا . ويخرج من الجبل المشبه ماء محدودب الذيل ، يطوف بمدينة دهما ، فتبقى مدينة دهما في جزيرة بينهما يكون هو محيطا بها شرقا وجنوبا وغربا ، ويصير لذلك كالجزيرة ، ويتصل شمالها بالبحر الهندي ، وتقع مدينة قواره في غربيه حيث يصب في البحر الهندي .

ومن جبل القمر يخرج نهر النيل ، وقد كان يتدد على وجه الأرض ، فلما قدم تقراوش الجبار بن مصرايم الأول بن مركايل ابن دوايل بن عرباب بن آدم عليه السلام الى أرض مصر ومعه عدة من بنى عرباب ، واستوطنوها ، وبثوا بها مدينة أمسوس وغيرها من المدائن ، حفرها النيل حتى أجروا ماءه اليهم .

ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى ، بل ينطرح ويتفرق في الأرض ، حتى وجه الى النوبة الملك تقراوش فهندسوه ، وساقوا منه أنهارا الى مواضع كثيرة من مدنها التى

بشوها ، وساقوا منه نهرا الى مدينة أمسوس . ثم لما خربت أرض مصر بالطوفان - كانت أيام البودشير بن ققط بن مصر بن مصر بن حام بن نوح عليه السلام - عدل جانبى النيل تعديلا ثانيا بعد ما أتلغه الطوفان

قال الأستاذ ابراهيم بن وصيف شاه : فملك البودشير وتجير ، وهو أول من تكهن وعمل بالسحر واحتجب عن العيون . وقد كانت أعمامه أشس وأتريب وصا ملوكا على أحيائهم ، الا أنه قهرهم بجبروته وقوته فكان الذكر له ، كما تجبر أبوه على من قبله لأنه كان أكبرهم . ولذلك أغضوا عه .

فيقال انه أرسل هرمس الكاهن المصرى الى جبل القمر الذى يخرج النيل من تحته حتى عمل هناك التماثيل النحاس ، وعدل البطيحة التى ينصب فيها ماء النيل .

ويقال انه الذى عدل جانبى النيل ، وقد كان يفيض ، وربما انقطع في مواضع .

وهذا القصر الذى فيه تماثيل النحاس يشتمل على خمس تماثيل صورة ، جعلها هرمس جامعة لما يخرج من ماء النيل بمعاقده ومصاب مدورة ، وقنوات يجرى فيها الماء ، وينصب لها اذا خرج من تحت جبل القمر ، حتى يدخل من تلك الصور ويخرج من حلقوها . جعل لها قاسا معلوما بمقاطع وأذرع مقدرة ، وجعل ما يخرج من هذه الصور من الماء ينصب الى الأنهار ، ثم يصير منها الى بطيحتين ، ويخرج منهما حتى ينتهى الى البطيحة اجامعة للماء الذى يخرج من تحت الجبل .

وعمل لتلك الصور مقادير من الماء الذى يكون معه الصلاح بأرض مصر وينتفع به أهلها دون القصاد ، وذلك الانتهاء المصلح ثمانية عشر دراعا بالذراع الذى مقداره اثنان وثلاثون أصبعا ، وما فضل عن ذلك عدل عن يمين تلك الصور وشمالها الى مسارب يخرج ويصب في رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء ، ولولا ذلك لفرق ماء النيل البلدان التى يمر عليها .

قال : وكان الوليد بن دوعم العمليتى قد خرج في جيش كثيف يتقل في البلدان ويقهر ملوكها ليسكن ما يوافقه منها ، فلما صار الى الشام انتهى اليه خبر مصر وعظم قدرها ، وأن أمرها قد صار الى النساء وبأد ملوكها ، فوجه غلاما له يقال له عون الى مصر ، وسار اليها بعده واستباح أهلها ، وأخذ الأموال ، وقتل جماعة من كهنتها .

ثم منح له أن يخرج ليقف على مصب النيل فيصرف ما بحافتيه من الأمم ، فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه ، وخرج في جيش عظيم ، فلم يمر بأمة الا أبادها ، ومر على أمم السودان وجاوزهم ، ومر على أرض الذهب فرأى فيها قضباناً ثابتة من ذهب .

ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التى ينصب ماء النيل فيها من الأنهار التى تخرج من تحت جبل القمر ، وسار حتى بلغ هيكلا الشمس وتجاوزته حتى بلغ جبل القمر ، وهو جبل عال ، وانما سعى جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه لأنه خارج من تحت خط الاستواء .

ونظر الى النيل يخرج من تحته فيمر في
طرايق وانهار دقاق حتى ينتهي الى حظيرتين ،
ثم يخرج منهما في نهرين حتى ينتهي الى
حظيرة أخرى ، فاذا جاوز خط الاستواء
مدته * عين تخرج من ناحية نهر مهران
بالهند ، وتلك العين أيضا تخرج من تحت جبل
القمر الى ذلك الوجه .

ويقال ان نهر مهران مثل النيل يزيد
وينقص ، وفيه التماسيح والأسماك التي مثل
أسماك النيل . ووجد الوليد بن دومع القصر
الذي فيه التماثيل النحاس التي عملها هرمس
الأول في وقت البودشير بن قنطرم بن قبطيم
ابن مصريم .

وقد ذكر قوم من أهل الآثار أن الأنهار
الأربعة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض
الذهب التي من وراء البحر المظلم ، وهي
سيحون وجيحون والفرات والنيل ، وأن تلك
الأرض من أرض الجنة ، وأن تلك القبة من
زبرجد ، وأنها قبل أن تسلك البحر المظلم
أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور .

ومن جاء بهذا رجل من ولد العيص بن
إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، وصل
الى تلك القبة ، وقطع البحر المظلم ، وكان
يقال له حايده .

وقال آخرون : تنقسم هذه الأنهار على
اثنين وسبعين قسما حذاء اثنين وسبعين لسانا
للأمم .

وقال آخرون : هذه الأنهار من تلوج
تكتاف ، ويذيبها الحر فتسيل الى هذه

الأنهار ، وتسقى من عليها ، لما يريد الله عز
وجل من تدبير خلقه .

قالوا : ولما بلغ الوليد جبل القمر ، رأى
جبالا عاليا فعمل حيلة الى أن صعد اليه ليرى
ما خلقه ، فاشرف على البحر الأسود الزفتي
المتن ، ونظر الى النيل يجري عليه كالأنهار
الدقاق ، فآفته من ذلك البحر روائح منتنة
هلك كثير من أصحابه من أهلها ، فأسرع
النزول بعد أن كاد يهلك .

وذكر قوم أنهم م يروا هناك شمس ولا
قمر ، الا نورا أحمر كنور الشمس عند
غيابها .

وأما ما ذكر عن حايده وقطعه البحر المظلم
ماشيا عليه لا يلصق بقدمه منه شيء
— وكان فيما يذكر نبيا ، وأوتى حكمة ،
وأنه سأل الله تعالى أن يريه منتهى النيل
فأعطاه قوة على ذلك — فيقال انه أقام يمشي
عليه ثلاثين سنة في عمران ، وعشرين سنة في
خراب .

قالوا : وأقام الوليد في غيته أربعين سنة ،
وعاد ودخل منف ، أقام بمصر فاستعد
أهلها ، واستباح حريمهم وأموالهم ، وملكهم
مائة وعشرين سنة ، فأبغضوه وسمنوه ، الى
أن ركب في بعض أيامه متصيда ، فالتقاء فرسه
في وهدة فقتله ، واستراح الناس منه .

وقال قدامة بن جعفر في كتاب «الخراج» :
انبعث النيل من جبل القمر وراء خط
الاستواء من عين تجري منها عشرة أنهار ، كل
خسة منها تصب الى بطيحة ، ثم يخرج من
(1) لعله فاته كان فيما يذكر * الخ ، ليكون
جوابا لما .

كل بطيحة نهران ، وتجرى الأنهار الأربعة
الى بطيحة كبيرة في الاقليم الأول ، ومن هذه
البطيحة يخرج نهر النيل .

وقال في كتاب « نزعة المشتاق الى اخترائ
الآفاق » : ان هذه البحيرة تسمى بحيرة
كورى منسوبة لطائفة من السودان يسكنون
حولها متوحشين يأكلون من وقع اليهم من
الناس . ومن هذه البحيرة يخرج لهم نهر غانة
ويجر الحبشة ، فاذا خرج النيل منها يشق
بلاد كوزى وبلاد ينه ، وهم طائفة من
السودان بين كاتم والنوبة . فاذا بلغ دققة
— مدينة النوبة — عطف من غريبها والحد
الى الاقليم الثاني ، فيكون على شطيه عمارة
النوبة ، وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن
والقرى ، ثم شرق الى الجنادل .

وقال المسعودي رحمه الله تعالى : رأيت في
كتاب جغرافيا النيل مصورا ظاهرا من تحت
جبل القمر ، ومنبعا ومبدأ ظهوره من اثنتي
عشرة عينا ، فتصب تلك المياه الى بحيرتين
هناك كالبطائح ، ثم يجتمع الماء منهما جاريا
فيمر برمال هناك وجبال ، ويخرق أرض
السودان فيما يلي بلاد الزنج ، فيتشعب منه
خليج يصب في بحر الزنج ويجري على وجه
الأرض تسعمائة فرسخ — وقيل ألف
فرسخ — في عامر وغامر من عمران وخراب ،
حتى يأتي أسوان من صعيد مصر .

وقال في كتاب هردسوس : نهر النيل
مخرجه من رقب بحر القلزم ، ثم يميل الى
ناحية الغرب ، فيصير في وسطه جزيرة ،
وآخر ذلك يميل الى ناحية الشمال فيسقى
أرض مصر . وقيل ان مخرجه من عين فيما

يجاوز الجبل ، ثم ينصب في الرمال ، ثم يخرج
غير بعيد فيصير له محبس عظيم ، ثم يساير
البحر المحيط على قنار الحبشة ، ثم يميل على
اليسار الى أرض مصر ... فيحق ما يقطن بهذا
النهر أنه عظيم ، اذ كان مجراه على ما
حكياه .

قال : ونهر النيل — وهو الذي يسمى
بأون — مخرجه خفي ، ولكن ظاهر اقباله
من أرض الحبشة ، ويصير له هناك محبس
عظيم مجراه اليه مائتا ميل .

وذكر مخرجه حتى ينتهي الى البحر .
قال : وكثيرا ما يوجد في نهر النيل
التماسيح . واقبال النيل من أرض الحبشة
ليس يختلف فيه أحد ، وعدة أمياله من مخرجه
المعروف الى موقعه مائة ألف وتسعون ألفا
وتسعمائة وثلاثون ميلا . وماء النيل عكر
مرمل عذب وفي . انتهى .

والنيل اذا وصل الى الجنادل كان عند
انتهاء مراكب النوبة انحدارا ، ومراكب
الصعيد اقلاعا . وهناك حجارة مضرسة لا
مرور للمراكب عليها الا في أيام زيادة النيل ،
ثم يأخذ على الشمال فيكون على شريقه
أسوان من الصعيد الأعلى ، ويمر بين جبلين
يكتنفان أعمال مصر : أحدهما شرقي ، والآخر
غربي ، حتى يأتي مدينة فسطاط مصر فتكون
في بزه الشرقي . فاذا تجاوز فسطاط مصر
بمسافة يوم ، صار فرقتين : فرقة تمر * حتى
تصب في بحر الروم عند دمياط ، وتسمى
هذه الفرقة بحر الشرق ، والفرقة الأخرى هي
عمود النيل ومعظمه ، يقال لها بحر الغرب ،

(*) مر ٢٢ ج ٢ ، ط. بولاق .

تمر حتى تصب في بحر الروم أيضا عند رشيد ، وكانت مدينة كبيرة في قديم الزمان . ويقال إن مسافة النيل من منبعه إلى أن يصب في البحر عند رشيد سبعمائة وثمانية وأربعون فرسخا ، وأنه يجري في الخراب أربعة أشهر ، وفي بلاد السودان شهرين ، وفي بلاد الاسلام مسافة شهر .

وذهب بعضهم إلى أن زيادة ماء النيل إنما تكون بسبب المد الذي يكون في البحر ، فإذا فاض ماؤه تراجع النيل وفاض على الأراضي ، ووضع في ذلك كتابا حاصله أن حركة البحر التي يقال لها المد والجزر - توجد في كل يوم وليلة مرتين ، وفي كل شهر قمرين مرتين ، وفي كل سنة مرتين .

فالمد والجزر اليومي تابع لقرص القمر ، ويخرج الشعاع عنه من جنبتي جرم الماء ... فإذا كان القمر وسط السماء كان البحر في غاية المد ، وكذا إذا كان القمر في وتد الأرض ، فإذا بزغ القمر طالعا من الشرق أو غرب ، كان الجزر .

والمد الشهري يكون عند استقبال القمر للشمس في نصف الشهر ، ويقال له الامتلاء أيضا عند الاجتماع ، ويقال له السرار .

والجزر يكون أيضا في وقتين : عند تربع القمر للشمس في سابع الشهر ، وفي ثاني عشره .

والمد السنوي يكون أيضا في وقتين : أحدهما عند حلول الشمس آخر برج السبله ، والآخر عند حلول الشمس بآخر برج الحوت .

فإن اتفق أن يكون ذلك في وقت الامتلاء أو الاجتماع ، فإنه حينئذ يجتمع الامتلاءان الشهري والسنوي ، ويكون عند ذلك البحر في غاية الفيض ، لا سيما إن وقع الاجتماع أو الامتلاء في وسط السماء ، ووقع مع النيرين أو مع أحدهما أحد الكواكب السيارة ، فإنه يعظم الفيض .

فإن وقع كوكب فصاعدا مع أحد النيرين تزايد عظم الفيض ، وكانت زيادة النيل تلك السنة عظيمة جدا ، وزاد أيضا نهر مهران .

فإن كان الاجتماع أو الامتلاء زائلا عن وسط السماء ، وليس مع أحد النيرين كوكب ، فإن النيل ونهر مهران لا يلبغان غاية زيادتهما لعدم الأنوار التي تثير المياه ، ويكون بصر في السنة الغلاء .

والجزر السنوي يكون عند حلول الشمس برأسي الجدي والسرطان .

فأما المد اليومي الدافع من البحر المحيط ، فإنه لا ينتهي في البحر الخارج من المحيط أكثر من درجة واحدة فلكية ، ومساحتها من الأرض نحو من ستين ميلا ثم ينصرف ، وانصرافه هو الجزر . وكذلك الأودية إذا كانت الأرض وهدة .

والمد الشهري ينتهي إلى أقاصي البحار ، وهو يسكبها حتى لا تنصب في البحر المحيط ، وحيث ينتهي المد الشهري فهناك منتهى ذلك البحر وطرفه .

وأما المد السنوي فإنه يزيد في البحار الخارجة عن البحر المحيط زيادة بينة ، ومن هذه الزيادة تكون زيادة النيل وامتلاؤه

وامتلاء نهر مهران والديتلو الذي يسلد السند .

قال : ولما جاء أرسطو إلى مصر مع الاسكندر ، ورأى مصب النيل ، وعلم أن من المحال أن يكون النيل في أسوان واديا من الأودية ، وكلما أسحل اتسع حتى إن عرضه في أسفل ديار مصر لينتهي إلى مائة ميل عند غاية الفيض ، وله أفواه كثيرة شارعة في البحر تسع كل ما يهبط من الميزان في ذلك الصنع ... فرأى محالا أن يكون الوادي بحيث يضيق أسفله عن حمل ما يأتي به أعلاه ، مع ضيق أعلاه وسعة أسفله .

فلما رأى ذلك قال : إن رياحا تستقبل بحرية الماء وتردعه فيفيض لذلك .

وقال الاسكندر : إن من المحال أن يكون الريح يردع الماء السائل في الوادي حتى يفيض أكثر من مائة ميل ، ولو كانت الريح تفعل ذلك لكان الماء يتفلس من أسفل الوادي ويسيل إلى البحر ، لأن البحر لا يسك إلا أعلاه ، ولكن الرياح تقذف الرمل في أفواه تلك الشوارع التي تفضي إلى البحر ، فيعترضها شبه الردم ، فيفيض .

قال : وأغفل أن الرمل جسم متخلخل فالماء يتخلله ويتفذه سائلا إلى البحر ، مع أن الرمل لم يمتل اعتلاء يظهر للحس ، والماء سائل في كل حين على خلق تيس ودمياط وحلق رشيد وحلق الاسكندرية ، ففطنوا لاستحالة كونه سائلا عن ميل حامل ، ونسبوا توقفه إلى الريح والرمل . وهم استقصوا الهواء واستقصوا الأرض ، وأغفلوا الاستقصاء الثالث الذي هو الماء ، لأنهم لم يعرفوا حركة

البحر السنوية لأنها لا تبلغ الغاية إلا في ثلاثة أشهر ، فلا يظهر مقدار صعودها في كل يوم للحس ، ولذلك وضع أمير مصر المقياس بديار مصر .

قال : والمد كله واحد ، وهو أن القمر يقابل الماء كما تقابل الشمس الأرض . فنور القمر إذا قابل كرة الأرض سخنها ، كما تسخن الشمس الهواء المحيط ، فيعترض الهواء المحيط بالماء بعض تسخين يذيب الماء ، فيفيض وينسى بخاصته ، كالمرأة المحرقة الملهبة للجو حتى تحرق القطنة الموضوعة بين المرأة والشمس ... فهذا مثاله في المقابلة .

ومثاله في السرار كون الزجاجاة المملوءة ماء يلقى الشعاع إلى حلقها فتحرق القطنة أيضا ، فالقمر جسم نوري ياكسبه ذلك من الشمس ، فإذا حال بين الشمس والأرض خرج عن جانبي الماء شعاع نافذ يمر مع جبي الماء فيسخن ما قبله فينمو ، والماء جسم شفاف عن جانبيه * يخرج الشعاع كما يخرج عن جانبي الزجاجاة ، فيحدث لها نور يسخن الهواء الذي يحيط بالزجاجاة أو بالأرض ، فيعترض الماء شبه تسخين ينمى به ويزيد ، وذلك قبالة القرص ، وقبالة مخرج الشعاع من قبالة وتد القمر . فهذا هو المد دائما ، ويستدين باستدارة الفلك ، وتدويره لفلك القمر ، وتدوير فلك القمر للقمر .

والمد الشهري هو أن يقابل القمر الشمس أو يستر تحتها ، لأنه ليس إلا كون القمر قبالة الشمس ، لكونه في تربع الشمس

(*) (ص) ج ١ ، ط ١ ، بولاق

أضعف ، وفي المقابل أقوى . وكذلك إذا قابلها على وسط كرة الأرض ، بحيث تكون الحركة أشد ، والاكتاف للماء والأرض أعم ، فذلك هو المد السنوي .

فصل في الرد على من اعتقد أن النيل من سيل يفيض

أما العامة فليس عندهم ما يجيء على وجه الأرض أنه سيل ، ومن تفتن إلى عظمه واتساعه في أسفله وضيقة في أعلاه ، ولم ينظر إلى ماء ولا أرض ولا هواء ، نسب ذلك إلى الخيال المحض ، كما فعل صاحب كتاب «المالك والمالك» الذي زعم أن الماء يسافر من كل أرض وموطن إلى النيل تحت الأرض فيئده ، لأن النيل إنما يفيض في الخريف ، والعيون والآبار في ذلك الوقت يقل ماؤها ، والنيل يكثر ، قرأوا كثرة وقلة فأضافوا أحدهما إلى الآخر بالخيال .

وما يدل على أنه ليس عن سيل يفيض أن النيل يكون في غير وقت فيض البحر ، ولا يفيض النيل لكون البحر في الجزر ، فيصل النيل وير نحو البحر فلا يردعه رادع .

ومنها أن فيض النيل على تدريج مدة ثلاثة أشهر من حلول الشمس رأس السرطان إلى حلولها بآخر برج السنبلة . والناس يحسبون به قبل فيضه بـ ستة شهورين . ولعامل مصر في وسط النيل مقياس موضوع ، وهو سارية فيها خطوط يسمونها أذرعاً يعلم بها مقدار صعوده في كل يوم .

ومنها أن فيضه أبداً في وقت واحد ، فلو كان بالسيل لاختلف بعض الاختلاف . ومنها أنه قد يجيء النيل في غير هذا الوقت فلا يفيض .

ومنها أن الحذاق بمصر إذا رأوا الحر يزيد ، علموا أن النيل سيزيد ، لأن شدة الحر تذيب الهواء فيذوب الماء ، ولا يكون إلا عن زيادة كوكب ودنو نور .

ومنها أن موضع مصبه من أسوان إنما هو واد من الأودية ، وما أسفل اتسع حتى يكون عرض اتساعه نحواً من مائة ميل ، وأسوان هو منتهى بلوغ الردع ، فما ظنك بسيل مسيره نصف شهر ، لا نسبة بين مصب أعلاه وأسفله ، كيف كان يكون أعلاه لو كان امتلاء أسفله عن السيل ؟

ومنها أن أهل أسوان إنما يرقبون بلوغ الردع اليهم مراقبة ، ويحافظون عليه بالنهار محافظة ، فإذا جن الليل أخذوا حقة خزف فوضعوا فيها مصباحاً ، ثم يضعونه على حجر معد عندهم لذلك وجعلوا يرقبونه ، فإذا أظلم المصباح بطفو الماء عليه ، علموا أن الردع قد وصل غايته الممهودة عندهم بأخذه في الجزر ، فيكتبون بذلك إلى أمير مصر يعلمونه أن الردع قد وصل غايته الممهودة عندهم ، وأنهم قد أخذوا بقسطهم من الشرب . فحينئذ يأمر بكسر الأسداد التي على أفواه قرص المصارف ، فيفيض الماء على أرض مصر دفعة واحدة .

ومنها أن جميع تلك المصارف تسد عند ابتداء النيل بالخشب والتراب ، ليجمع ما

يسيل من الماء العذب في النيل ، ويكثر ويجمع أرضهم ، ويمنع بجملة دخول الماء الملح عليه . فلو كان سيلاً ما احتاج إلى ذلك ، ولتحت له أفواه قرص المصارف عند ابتداء ظهوره .

ومنها أن الخلق إذا سدت ولم يكن لها رادع من البحر ، كان السيل من جنبه إلى البحر ، إذ أسفل النيل أوسع وأخفض من أعلاه .

ومنها أن ماء البحر يصعد أكثر من عشرين ميلاً في حلق رشيد وتيس ودمياط ، كما يفصل في سائر الأودية التي تدخل الماء والجزر ، فلو كان النيل خالياً من الماء العذب ، وصل البحر من أسوان إلى منتهى بلوغ الردع ، لأن الماء يطلب بطبعه ما انخفض من الأرض ، وأن يكون في صفة كرة مستوية الخطوط الخارجة من النقطة إلى المحيط متساوية .

ومنها أنها إذا فتحت تلك الأسداد ، وكسرت الخلع ، وفاض النيل على بطائح أرض مصر ، شعر بذلك أهل أسوان للحين ، وقالوا : في هذه الساعة كسرت الخلع وفاض ماء النيل على أرض مصر ، لأن ذلك يتبين لهم بتحول الماء دفعة . فلو كان سيلاً ، وهم على أعلى المصب ، لقالوا : قد ارتفع المطر عن الأرض التي يسيل منها النيل .

ومنها أن قسيه الذي يمر ببلاد الحبشة ، المنبعث وإياه من جبل القمر ، لا يفيض كمدة فيض النيل ثلاثة أشهر ، ولا يقيم على وجه الأرض مدة مقامه ، لكنه إذا كثر فيه السيل غمر جوانبه على قدر انبساطها ، وإذا قضيت

مادته أردع عليه ، فلو كان فيض النيل من السيل ، وهما من شجب واحد ، لكان شأنهما واحداً .

ولا تقول أن فيض النيل بسبب فيض البحر فقط ، إذ لولا كونه سيل ماء لما دخل ردع البحر إليه ، ولكان شاطئ ديار مصر كمائي السواحل المجاورة له ، ولولا السيل السائل فيه لردمه البحر ، إذ عادة البحر ودم السواحل .

وانما دخل الشك على أهل مصر في أيام النيل لأنهم لم يشاهدوا منشاء ، ولا عابثاً مبداء من جبل القمر ، لأنه في موضع لا ساكن عليه ، ولا تحققوا المد السنوي الرادع له . فلم يتحققوا شيئاً من أمره لأنه بعيد من أذهان العامة أن يعلموا أن ماء البحر يعظم في أيام الصيف ، لأن الممهود عندهم في البحر أن يعظم في أيام الشتاء . وطمو البحر في الشتاء إنما يكون عن الرياح الهابة عليه من أحلك جهات ، فيفيض ويخرج إلى الجانب الآخر ، إلا ما كان من البحر المحيط ، فإنه يتحرك أبداً من داخل البحر إلى البر ، وهو أن المحيط يطلب بطبعه أن يكون على وجه الأرض ، والأرض ليست بسيطة فهي تتألف بها فيها من التركيب ، فهو يطلب أبداً أن يملؤها ويركبها بمردها .

قال : والسبب في عظم المد والجزر كثرة الأنسعة ، فإذا زاحمت الشمس والقمر الكواكب السيارة ، عظم فيض البحر ، وإذا عظم فيض البحر فاضت الأنهار ، وكذلك إذا نهض القمر لمقابلة أحد السيارة ارتفع البخار ،

(هـ) مره . ص ١٠٠ ط ١٠٠٠

وصعد الى كورة الزمهرير ، وژول المطر . فاذا فارق القمر السكواكب ارتفع المطر لكثرة التحليل ، كما يكون في نصف النهار عند توسط الشمس لرؤوس الخلق ، وكما يكون عند حلول الكواكب الكبيرة على وسط خط ارن . والله تعالى اعلم بالصواب .

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : الذي تحصل من هذا القول أن النيل مخرجه من جبل القمر ، وأن زيادته الماء من فيض البحر عند المد .

فأما كون مخرجه من جبل القمر فلم اذ لا نزاع في ذلك . وأما كون زيادته لا تكون الا من ردة البحر له ، بما حصل فيه من المد ، فليس كذلك . نعم توالي هبوب الرياح الشمالية على وقور الزيادة وردة البحر له اعانة على الزيادة .

ومن تأمل النيل علم أن ميلا سال فيه ولا بد ، فانه لا يزال أيام الشتاء وأوائل فصل الربيع ماؤه صافيا من الكدرة ، فاذا فرغت أيام زيادته وكان في غاية نقصه تغير طعمه ، ومال لونه الى الخضرة ، وصار بحيث اذا وضع في اناء يرسب منه شبه أجزاء صغيرة من طحل . وسبب ذلك أن البطيخة التي في أعالي الجنوب ترددها القيلة ونحوها من الوحوش حتى يتغير ماؤها ، فاذا كثرت أمطار الجنوب في فصل الصيف ، وعظمت السيول الهابطة في هذه البطيخة ، فاض منها ما تغير من الماء ، وجري الى أرض مصر ، فيقال عند ذلك توحم النيل .

ولا يزال الماء كذلك حتى يعقبه ماء متغير ، ويزاد عكره بزيادة الماء ، فاذا وضع منه أيام

الزيادة شيء في اناء رصب بأسفله طين لم يمد فيه قبل أيام الزيادة ، وهذا الطين هو الذي تحمله السيول التي تنصب في النيل حتى تكون زيادته منها ، وفيه يكون الزرع بعد هبوط النيل ، والا فأرض مصر مبيخة لا تثبت ولا ينبت منها الا ما مر عليه ماء النيل ، وركد منه هذا الطين .

وقوله « أن النيل يكون في غير وقت فيض البحر ، ولا يفيض النيل لكون البحر في الجزر ، فيصل النيل ويرى نحو البحر فلا يردعه رادع » غير مسلم ، وإن المادة أن السيول التي عليها زيادة ماء النيل لا تكون الا عن غزارة الأمطار ببلاد الجنوب ، وأمطار الجنوب لا تكون الا في أيام الصيف ، ولم يمد قط زيادة النيل في الشتاء .

وأول دليل على أن كون زيادته عن سيل يسل فيه انما يزيد بتدرج على قدر ما يهبط فيه من السيول .

وأما استدلاله بصب النيل في أسوان واتساع أسفل الأرض ، فانه لا يصب من علو في منخرق بين جبلين ، يقال لهما الجنادل ، وينبطح في الأرض حتى يصب في البحر ... فانساعه حيث لا يجد حاجزا يحجزه عن الانبساط .

وأما قوله « أن الأسداد اذا كثرت فاض الماء على الأرض دفعة » فليس كذلك ، بل يصير الماء عند كسر كل سد من الأسداد في خليج ، ثم يفتح ترع من الخليج الى الخليج الى ما على جانبيه من الأراضي حتى يرى . فمن تلك الأراضي ما يروى سريعا ، ومنها ما يروى بعد أيام ، ومنها ما لا يروى لعلوه .

وأما قوله « أن جميع تلك المشارب تستد عند ابتداء صعود النيل ، يجتمع ما يسيل من الماء في النيل ويكثر ، فيعم جمع أراضيهم ، وينبع بجملته دخول الماء الملح عليه » فغير مسلم أن تكون السداد كما ذكر ، بل أراضي مصر أقسام كثيرة : منها عال لا يصل اليه الماء الا من زيادة كثيرة ، ومنها منخفض يروى من يسير الزيادة . والأراضي متفاوتة في الارتفاع والانخفاض تفاوتنا كثيرا ، ولذلك احتيج في بلاد الصعيد الى حفر الترع ، وفي أسفل الأرض الى عمل الجسور حتى يجس الماء ليروى أهل النواحي على قدر حاجتهم اليه عند الاحتياج ، والا فهو يزيد أولا في غير سقى الأراضي ، حتى اذا اجتمع من زيادته المقدار الذي هو كفاية الأراضي في وقت خلو الأراضي من الغلال - ذلك عالما في أثناء شهر مسرى - فتح سد الخليج حتى يجري فيه الماء الى حد معلوم ، ووقف حتى يروى ما تحت ذلك الحد الذي وقف عنده الماء من الأرض ، ثم فتح ذلك الحد في يوم الثوروز حتى يجري الى حد آخر ، ويقف عنده حتى يروى ما تحت هذا الحد الثاني من الأراضي ، ثم يفتح هذا الحد في يوم عيد الصليب بعد الثوروز بسبعة عشر يوما حتى يجري الماء ، ويقف على حد ثالث حتى يروى ما تحت هذا الحد من الأراضي ، ثم يفتح هذا الحد فيجري الماء ويروى ما هنالك من الأراضي ، ويصب في البحر الملح ... هذا هو الحال في سدود أراضي مصر .

(١٠) مياه ج ١ ، ط ١٠٤

وقوله « أن ماء البحر يصعد أكثر من عشرين ميلا في حلق رشيد وتيس ودمياط ، فلو كان خاليا من الماء العذب لوصل البحر من أسوان الى منتهى بلوغ الردع » ، فنقول هذا قول من لم يعرف أرض مصر ، فإن النيل لا يصب بأعلى أسوان يكون أعلى منه ماء كونه أعلى من الأرض . تقامات عديدة ، فاذا فاض البحر حبه أن يتدافع هو وياه النيج . وربما كان البحر ماء النيل في أيام نقصه من النيل حتى يملح ماء النيل فيما بين دمياط وفارس كور . وأما في أيام زيادة النيل فاني شاهدت مصر النيل في البحر من دمياط ، وكل منها يدافع الآخر فلا يطيعه ، حتى صارا متنافعين ... عبرة لمن اعتبر !

وقوله « أن الأسداد اذا فتحت علم أهل أسوان بذلك في الحال » غير مسلم ، بل لم نزل نشاهد النيل في الأعوام الكثيرة اذا فتح منه خليج أو انقطع مقطع فأغرق ماؤه أراضي كثيرة ، لا يظهر النقص فيه الا فيما قرب من ذلك الموضع ، وما برح المفرد يخرج من قوص بيشارة وفاء النيل ، وقد أوفى عندهم ستة عشر ذراعا ، فلا يوفي ذلك المقياس بصر الا بعد ثلاثة أيام ونحوها .

وأما قوله « أن ما كان من النيل يمر ببلاد الحبشة بخالفه » فليس كذلك ، بل الزيادة في النيل أيام زيادته تكون ببلاد النوبة وماوراءها في الجنوب كما تكون في أرض مصر ، ولا فرق بينهما الا في شيئين : أحدهما أنه في أرض مصر يجري في حدود ، وهناك يتبدد على الأراضي . والثاني أن زيادته تعتبر بالمقياس

في أرض مصر وهناك لا يمكن قياسه لتبدده .
ومن عرف أخبار مصر علم أن زيادة ماء النيل
تكون من أمطار الجنوب .

وقال : إن النيل ينصب من عشرة أنهار من
جبل القمر المتقدم ذكره ، كل خمسة أنهار
من شعبة ، ثم تتجر تلك الأنهار العشرة في
نهرين ، كل خمسة أنهار تتجر بحيرة بذاها ،
ثم يخرج من البحيرة الشرقية بحر لطف يأخذ
شرقا على جبل قاقول ، ويمتد إلى مدن
هناك ، ثم يصب في البحر الهندي ، ويخرج
من البحيرتين ستة أنهار ، من كل بحيرة ثلاثة
أنهار .

وتجتمع الأنهار الستة في بحيرة متسعة
تسمى البطيحة ، وفيها جبل يفرق الماء نصفين :
يخرج أحدهما من غرب البطيحة - وهو نيل
السودان - ويصير نهرا يسمى بحر الدمام ،
ويأخذ مغربا ما بين سفرة وغانة على جنوبي
سفرة وشمال غانة ، ثم يعطف هناك منه
فرقة ترجع جنوبا إلى غانة ، ثم تمر على مدينة
برسة ، وتأخذ تحت جبل في جنوبها خارج
خط الاستواء إلى زفيلة ، ثم تتجر في بحيرة
هناك ، وتمتد الفرقة الثانية مغربا إلى بلاد
مالي والتكرور حتى تنصب في البحر المحيط
شمالا مدينة قليبو .

ويخرج النصف الآخر متشاملا آخذا على
الشمال إلى شرقى مدينة حيا ، ثم شعب
منه هناك شعبة تأخذ شرقا إلى مدينة
سحرت ، ثم ترجع جنوبا ، ثم تعطف شرقا
بجنوب إلى مدينة سحرته ، ثم إلى مدينة
مركة ، وينتهي إلى خط الاستواء حيث الطول
خمس وستون درجة ، ويتجر هناك بحيرة ،

ويسمى صود النيل ، من قبالة تلك الشعبة
شرقى مدينة تيمس متشاملا آخذا على أطراف
بلاد الحبشة ، ثم يتشامل على بلاد السودان
إلى مدينة دنقلة حتى يرمى على الجنادل إلى
أسوان ، وينحدر وهو يشق بلاد الصعيد إلى
مدينة فسطاط مصر ، ويمر حتى يصب في
البحر الشامي .

وقد استفيض ببلاد السودان أن النيل
ينحدر من جبال سود بينا على بعد كان عليها
الغمام ، ثم يتفرق نهرين : يصب أحدهما في
البحر المحيط إلى جهة بحر القلعة الجنوبي ،
والآخر يتصل إلى مصر حتى يصب في البحر
الشامي .

ويقال أنه في الجنوب يتفرق سبعة أنهار
تدخل في صحراء منقطعة ، ثم تجتمع الأنهار
السبعة وتخرج من تلك الصحراء نهرا واحدا
في بلاد السودان .

ذكر مقياس النيل وزيادته

قال ابن عبد الحكم : أول من قاس النيل
بمصر يوسف عليه السلام . وضع مقياسا
بمنف : ثم وضعت المعجوز دلوكة ابنة زبا
- وهي صاحبة حائط المعجوز - مقياسا
بأنصنا ، وهو صغير الذرع ، ومقياسا
باخميم ، ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا
بعلوان ، وهو صغير ، ووضع أسامة بن زيد
التنوخى في خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة ،
وهو أكبرها .

قال يحيى بن بكير : أدركت القياس يقيس
في مقياس منف ، ويدخل بزيادته إلى
الفسطاط .

وقال القاضي : كان أول من قاس النيل
بمصر يوسف عليه السلام ، وبني مقياسا
بمنف ، وهو أول مقياس وضعه عليه
السلام .

وقيل إن النيل كان يقاس بمصر بأرض علوة
إلى أن بنى مقياس منف ، وإن القبط كانت
تقيس عليه إلى أن بطل .

ومن بعده دلوكة المعجوز بنت مقياسا
بأنصنا ، وهو صغير الذرع ، وآخر باخميم
وهي التي بنت الحائط المحيط بمصر .

وقيل أنهم كانوا يقيسون الماء - قبل أن
يوضع المقياس - بالرصاصة ، فلم يزل
المقياس فيما مضى قبل الفتح بقياسية
الأكسية * ، ومعالمه هناك ، إلى أن ابتنى
المسلمون بين الحصن والبحر أبنتهم الباقية
الآن .

وكان للروم أيضا مقياس بالقصر خلف
الباب يمنة من دخل منه في داخل الزقاق ، أثره
قائم إلى اليوم ، وقد بنى عليه وحواليه .

ثم بنى عمرو بن العاص عند فتحه مصر
مقياسا بأسوان ، ثم بنى بموضع يقال له
دندرة .

ثم بنى في أيام معاوية مقياس بأنصنا ، فلم
يزل يقاس عليه إلى أن بنى عبد العزيز بن
مروان مقياسا بعلوان ، وكانت منزله ، وكان
هذا المقياس صغير الذرع .

(*) من ٥٧ ج ١ ، ط ١٠٥٠ بولاق .

فأما المقياس القديم الذي بنى في الجزيرة ،
فالذي وضعه أسامة بن زيد ، وقيل أنه كسر
فيه ألفى أوقية ، وهو الذي بنى بيت المال
بمصر . ثم كتب أسامة بن زيد التنوخى عامل
خراج مصر لسليمان بن عبد الملك بطلانه ،
فكتب إليه سليمان بأن يبنى مقياسا في
الجزيرة ، فبناه في سنة سبع وتسعين .

ثم بنى المتوكل فيها مقياسا في أول سنة
سبع وأربعين ومائتين في ولاية يزيد بن عبد
الله التركي على مصر ، وهو المقياس الكبير
المعروف بالجديد ، وأمر بأن يعزل النصارى
عن قياسه . فجعل يزيد بن عبد الله التركي
على المقياس أبا الرداد المعلم ، واسمه عبد الله
ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي الرداد
المؤذن ، كان يقول القمى : أصله بالبصرة ،
قدم مصر ، وحدث بها ، وجعل على قياس
النيل ، وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب
خراج مصر يومئذ سبعة دنانير في كل شهر .
فلم يزل المقياس من ذلك الوقت في يد أبي
الرداد وولده إلى اليوم . وتوفي أبو الرداد
سنة ست وستين ومائتين .

ثم ركب أحمد بن طولون سنة تسع
 وخمسين ومائتين ، ومعه أبو أيوب صاحب
 خراجه ، وبكار بن قتيبة القاضي ، فنظر إلى
 المقياس وأمر بإصلاحه ، وقدر له ألف دينار ،
 فمصر .

وبنى الحارث في الصناعة مقياسا ، وأثره
باق لا يعتمد عليه .

وقال ابن عبد الحكم : ولما فتح عمرو بن
العاص مصر أتى أهلها إلى عمرو ، حين دخل

بتونة من أشهر المعجم ، فقالوا له : أيها الأمير ، ان لدينا هذا سنة لا يجرى إلا بها .

فقال لهم : وما ذلك ؟

قالوا : انه اذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر ، عمدنا الى جارية بكر من أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في النيل .

فقال لهم عمرو : ان هذا لا يكون في الاسلام ، وان الاسلام بعدم ما كان قبله .

فأقاموا بتونة وأيب ومصرى ، وهو لا يجرى قليلا ولا كثيرا ، حتى هموا بالجللاء . فلما رأى عمرو ذلك كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك ، فكتب اليه عمر أن قد أصبت ، ان الاسلام يهدم ما كان قبله ، وقد بعث اليك ببطاقة فألقها في داخل النيل اذا أتاك كتابي .

فلما قدم الكتاب الى عمرو فتح البطاقة فإذا فيها : « من عبد الله أمير المؤمنين ، الى نيل مصر . أما بعد ، فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجزئك ، فنسأل الله الواحد القهار أن يجزئك » .

فالتقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب يوم ، وقد نهى أهل مصر للجللاء والخروج منها ، لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل ، وأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا في ليلة ، وقطع تلك السنة السوء عن أهل مصر .

وذكر بعضهم أن جاحلا الصدق هو الذى جاء ببطاقة عمر رضى الله عنه الى النيل حين توقف ، فجرى بأذن الله تعالى .

وقال يزيد بن أبي حبيب : ان موسى عليه السلام دعا على آل فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء ، فطلبوا الى موسى أن يدعو الله ، فدعا الله وجهه أن يؤمنوا . - وذلك ليلة الصليب - فأصبحوا وقد أجراه الله في تلك الساعة ستة عشر ذراعا . فاستجاب الله بطلوه لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام .

قال القاضي : وجدت في رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال : لما فتحت العرب مصر ، عرف عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يلقى أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن حده في مقياس لهم ، فضلا عن تقاصره ، وأن فرط الاستعمار يدعوهم الى الاحتكار ، وأن الاحتكار يدعو الى تصاعد الأسعار بغير قحط .

فكتب عمر الى عمرو يسأله عن شرح الحال فأجابه : الى وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربعة عشر ذراعا ، والحد الذى يروى منه سائرنا حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعا ، والنهاتان المخوفتان في الزيادة والنقصان ، وهما الظم والاستبحار ، اثنا عشر ذراعا في النقصان ، وثمانية عشر ذراعا في الزيادة .

هذا ، والبلد في ذلك الوقت مخفوف الأنهار ، معقود الجصور ، عندما تسلموه من القبط ، وخميرة العساة فيه .

فاستشار أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه عليا رضى الله عنه في ذلك ، فأمره أن يكتب اليه أن يبنى مقياسا ، وأن ينقص ذراعين من اثني عشر ذراعا ، وأن يقصر ما بعدها على الأصل ، وأن ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعا أصبعين . ففعل ذلك ، وبناه بحلولان ... فاجتمع له بذلك كل ما أراد من حل الأرجاف ، وزوال ما منه كان يخاف ، بأن جعل الاثني عشر ذراعا أربع عشرة ، لأن كل ذراع أربع وعشرون أصبعا ، فجعلها ثمانيا وعشرين من أولها الى الاثني عشر ذراعا يكون مبلغ الزيادة على الاثني عشر ثمانيا وأربعين أصبعا ، وهى الذراعان ، وجعل الأربع عشرة ست عشرة والست عشرة ثمانى عشرة والثمانى عشرة عشرين .

قال القاضي : وفي هذا الحساب نظر في وقتا لزيادة فساد الأنهار وانتقاض الأحوال . وشاهد ذلك أن المقياس القديمة الصعيدية من أولها الى آخرها أربع وعشرون أصبعا كل ذراع ، والمقياس الاسلامية على ما ذكر ، منها المقياس الذى بناه أسامة بن زيد التوخى بالجزيرة ، وهو الذى هدمه الماء . وبنى المأمون آخر بأسفل الأرض بالبرودات ، وبنى المتوكل آخر بالجزيرة ، وهو الذى يقاس عليه الماء الآن ، وقد تقدم ذكره .

قال ابن عفير عن القبط المتقدمين : اذا كان الماء في اثني عشر يوما من مصرى اثني عشرة ذراعا ، فهى سنة ماء ، والا فالسوء ناقص ، واذا تم ست عشرة ذراعا قبل النوروز فالسوء يتم ... فاعلم ذلك .

(*) سنة ج ١ ط ١ بولاق

وقال أبو الصلت : وأما النيل وينبوعه ، فهو من وراء خط الاستواء من جبل هناك يعرف بجبل القمر ، فانه يتدفق في التزايد في شهر أيب . والمصريون يقولون : اذا دخل أيب كان للماء ديب . وعند استدائه في التزايد يتغير جميع كفياته ويفسد ، والسبب في ذلك مروره بتقاع مياه آجنة يخالطها فيجلبها معه ، الى غير ذلك مما يحتمله .

فاذا بلغ الماء خمسة عشر ذراعا ، وزاد من السادس عشر أصبعا واحدا ، كسر الخليج . ولكسره يوم معدود ، ومقام مشهود ، ومجتمع خاص ، يحضره العام والخاص . فاذا كسر فتحت الترع - وهى فوهات الخلجان - ففاض الماء وساح ، وغمر القيعان والبطاح ، وانضم الناس الى أعالي مساكنهم من الضياع والمنازل ، وهى على آكام وربى لا ينتهى الماء اليها ، ولا يتسلط السيل عليها ، فتعود أرض مصر بأسرها عند ذلك بحرا غامرا لما بين جبلتها ، ريثما يبلغ الحد المحدود في مشية الله عز وجل له ، وأكثر ذلك يحوم حول ثمانى عشرة ذراعا .

ثم يأخذ عائدا في صبه الى مجرى النيل ومصره ، فينضب أولا عما كان من الأرض عاليا ، ويصير فيما كان منها متطامنا ، فيترك كل قرارة كالدرهم ، ويفادر كل ملقة كالبرد المسهم .

وقال القاضي أبو الحسن على بن محمد الماوردي في كتاب « الأحكام السلطانية » : وأما الذراع السوداء فهى أطول من ذراع الدور بأصبع وثلثي أصبع ، وأول من وضعها أمير المؤمنين هارون الرشيد ، قدرها بذرّاع

تخام أسود كان على راسه قائما ، وهي التي
تعامل الناس بها في ذرع البر والتجارة
والأبنية وقياس النيل مصر .

وأكثر ما وجد في القياس من نقصان سنة
سبع وتسعين ومائة ، وجد في المقياس تسعة
أذرع واحد وعشرون أصبعا . وأقل ما وجد
منه ستة وخمس وستين ومائة ، فانه وجد فيه
ذراع واحد وعشر أصابع . وأكثر ما بلغ في
الزيادة سنة تسع وتسعين ومائة ، فانه بلغ
ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر أصبعا . وأقل
ما كان في سنة ست وخمسين وثلاثمائة
الهالية ، فانه بلغ اثني عشر ذراعا وتسع
عشرة أصبعا ، وهي أيام كافور الاخيدي .

والمقياس مسود رخام أبيض مشن ، في
موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه اليه ،
وهذا المسود مفصل على اثنين وعشرين ذراعا
كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسا
متساوية تعرف بالأصابع ، ما عدا الاثنى عشر
ذراعا الاولى فانها مفصلة على ثمان وعشرين
أصبعا كل ذراع .

وقال المسعودي : قالت الهند : زيادة النيل
ونقصانه بالسيول ، ونحن نعرف ذلك بتوالي
الأنواء وكثرة الأمطار .

وقالت الروم : لم يرد قط ولم ينقص ،
والسأ زيادته ونقصانه من عيون كثر
واتصلت .

وقالت القبط : زيادته ونقصانه من عيون
في شاطئ يراها من سافر ولحق بأعاليه .

وقيل لم يرد قط ، والسأ زيادته بريح
الشمال ، اذا كثرت واتصلت تجبه ، فيفيض
على وجه الأرض .

وقال قوم : سبب زيادته هبوب ريح
تسمى ريح الملتن ، وذلك انها تحمل السحاب
الماطر من خلف خط الاستواء ، فيطر بلاد
السودان والحبشة والنوبة ، فيأتي مدده الى
أرض مصر بزيادة النيل . ومع ذلك فان البحر
الملح يثقف ماؤه على وجه النيل ، فيتوقف
حتى يروى البلاد .

وفي ذلك يقول :

فاسمع فللسامع أعلى يدا
عندي وأسمى من يد المحسن

فالنيل ذو فضل ولكنه
الشكر في ذلك للملتن

ويتبدى النيل بالتنفس والزيادة بقية
بثونة (وهو حزيران) ، وأيب (وهو
تموز) ، ومصري (وهو آب) . فاذا كان
الماء زائدا زاد شهر توت كله (وهو أيلول)
الى انقضاءه ، فاذا انتهت الزيادة الى الذراع
الثامن عشر ففيه تمام الخراج ، وخصب
الأرض ، وهو ضار بالبهائم لعدم الرعي
والكلأ .

وأنم الزيادات كلها ، العامة النفع للبلد
كله ، سبعة عشر ذراعا ، وفي ذلك كفايتها
وري جميع أرضها . واذا زاد على ذلك وبلغ
ثمانية عشر ذراعا وغلقها ، استجر من أرض
مصر الربع ، وفي ذلك ضرر لبعض الضياع لما
ذكرنا من الاستبحار . واذا كانت الزيادة على
ثمانية عشر ذراعا ، كانت العاقبة في انصرافه

حدوث وباء . وأكثر الزيادات ثمان عشرة
ذراعا .

وقد بلغ في خلافة عمر بن عبد العزيز اثني
عشر ذراعا . ومساحة الذراع الى أن بلغ
اثني عشرة ذراعا ثمان وعشرون أصبعا ، ومن
اثني عشرة ذراعا الى ما فوق ذلك يكون
الذراع أربعة وعشرين أصبعا . وأقل ما يبقى
في قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع ، وفي تلك
السنة يكون الماء قليلا .

والأذرع التي تستقي عليها بمصر هي
ذراعان تسميان منكر ونكيرا ، وهي الذراع
الثالث عشر والذراع الرابع عشر . فاذا
انصرف الماء عن هذين الذراعين وزيادة نصف
ذرع من الخمس عشرة ، استقى الناس
بمصر ، فكان الضرر الشامل لكل البلدان
واذا تم خمس عشرة ودخل في سبعة عشرة
ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس ، ولا
يستقي فيه ، وكان ذلك نقصا من خراج
السلطان .

والنبيذ يتخذ بمصر من ماء طوبه وهو
كافور الثاني - بعد لقطاس ، وهو لعشرة
تمضي من طوبه ، وأصفى ما يكون ماء النيل
في ذلك الوقت . وأهل مصر ينفخون بصفاء
ماء النيل في هذا الوقت ، وفيه يخزن الماء أهل
تنيس ودمياط وتونة وسائر قرى البحيرة .

وقد كانت مصر كلها تروى من ست عشرة
ذراعا ، غامرها وعامرها ، لما أحكموا من
جسورها ، وبناء قناطرها ، وتنقية خلجانها .
وكان الماء اذا بلغ في زيادته تسع أذرع دخل

(١) سنة ١٠١٠ ج ١ ، ط ١٠١٠

خليج المنى وخليج العموم وخليج سردوس
وخليج سخا .

قال : والمعمول عليه في وقتنا هذا - وهو
سنة خمس وأربعين وثلاثمائة - أنه ان زاد
على ستة عشر ذراعا أو نقص عنها ، نقص
من حراج السلطان .

وقد تغير في زماننا هذا عامة ما تقدم
ذكره ، لفساد حال الجسور والتسرع
والخلجان وقانونه اليوم أنه يزيد في القبط
اذا حلت الشمس بريح السرطان والأمسد
والسنبلة حين تنقص عامة الأنهار التي في
المعمور ، ولذلك قيل ان الأنهار نده بمائها
عند غضا فتكون زيادته .

وتبتدى الزيادة من خامس بثونة ، وتظهر
في ثاني عشره ، وأول دفعه في الثاني من
أيب ، وتنتهى زيادته في ثامن يابة ، ويأخذ في
النقصان من العشرين منه ، فتكون مدة
زيادته - من ابتدائها الى أن ينقص - ثلاثة
أشهر وخمسة وعشرين يوما ، وهي أيب
ومصري وتوت وعشرون يوما من يابة ، ومدة
مكته بعد انتهاء زيادته اثنا عشر يوما ، ثم
يأخذ في النقصان .

ومن العادة أن يتأدى عليه دائما في اليوم
السابع والعشرين من بثونة بعدما يؤخذ قاعه ،
وهو ما بقي من الماء القديم ، في ثالث عشر
بثونة ، ويفتح الخليج الكبير اذا أكمل الماء
سنة عشر ذراعا .

(١) قوله « فتكون مدة زيادته ١٠٠٠ » الخ ، هو غير
موافق لما قبله ، بل مقتضى ما ذكره من التفصيل قبله ،
ان مدة الزيادة - من ابتدائها الى أن ينقص - أربعة
أشهر وخمسة عشر يوما . فلهذا ١٠٠٠ .

وأدركت الناس بقولون : لمود بالله من أصبح من عشرين وكما عهد الماء إذا بلغ أصابع من عشرين ذراعا ، فاض ماء النيل ، وغرق الضياع والبساتين ، وفارت الملايح . وهانئ في زمن ، منذ كانت الحوادث بعد ستة وست وثمانمائة ، إذا بلغ الماء في سنة أصبعا من عشرين لا يعم الأرض كلها لما قد فسد من الجصور ، وكان إلى ما بعد الخمائة من الهجرة قانون النيل ستة عشر ذراعا في مقياس الجزيرة ، وهي في الحقيقة ثمانية عشر ذراعا .

وكانوا يقولون : إذا زاد على ذلك ذراعا واحدة راد خراج مصر مائة ألف دينار ما يروى من الأراضي لعالية ، فإن بلغ ثمانية عشر ذراعا كانت الغاية القصوى ، أن الثمانية عشر ذراعا في مقياس حرية اثنان وعشرون ذراعا في الصعيد الأعلى ، فإن راد على الثمانية عشر ذراعا واحدا ، نقص من الخراج مائة ألف دينار ، لما يسبحر من الأرض المنخفضة .

قال ابن ميسر في حوادث سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . وفيها بلغت زيادة ماء اسيل تسعة عشر ذراعا وأربعة أصابع ، وبلغ الماء الباب الجديد أول الشارع خارج القاهرة ، وكان الناس يتوجهون إلى القاهرة من مصر من ناحية المقابر . فلما بلغ الخليفة الحافظ لدين الله أبا الميسون عبد المجيد بن محمد أن الماء وصل إلى الباب الجديد ، أظهر الحزن والانقطاع . فدخل إليه بعض خواصه وسأله عن السبب ، فأخرج له كتابا فإذا فيه « إذا وصل الماء الباب الجديد انتقل الامام عبد

المجيد » ثم قال : هذا الكتاب الذي تعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا وما يأتي بعدها . فمرض الحافظ في آخر هذه السنة ، ومات في أول سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

وقال القاضي القاضى في متجددات سنة ست وسبعين وخمسمائة . وفي يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر ربيع الأول ، وهو السادس عشر من مري ، وفي النيل على ستة عشر ذراعا ، وهو الوفاء ، ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ في زمن متقدم . وهذا أيضا مما تفر فيه قانون النيل في زماننا ، فإنه صار يرقى في أوائل مري ، ولقد كان الوفاء في سنة اثني عشرة وثمانمائة في اليوم التاسع والعشرين من أيب قل مري يوم .

وهذا من أعجب ما يورخ في زيادات النيل .

واتفق أن في الحادي عشر من جمادى الأولى ، سنة تسع وسبعمائة ، وفي النيل ، وكان ذلك في اليوم التاسع عشر من بابة بعد النوروز بتسعة وأربعين يوما .

قال . وفي تاسع عشره (يعني شوال سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة) كسر بحر أبي المنجي ، وباشر الملك العزيز عثمان كسره ، وزاد النيل فيه أصبعا ، وهي الأصبع الثامنة عشرة من ثمان عشرة ذراعا ، وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى .

فانظر كيف نسي القاضي القاضى هذا القدر اللجة الكبرى ، وانه — والعياذ بالله — لو بلغ ماء النيل في سنة هذا القدر فقط لحل

(هـ) من ٦٠٠٠٠ ، ط. بولاق .

بالبلاد غلاء يخاف منه أن يهلك فيه الناس ، وما ذاك إلا لما أهمل من عمل الجصور .

ويحصل لأهل مصر بوفاء النيل ست عشرة ذراعا فرح عظيم ، فإن ذلك كان قانون الري في القديم واستمر ذلك إلى يومنا هذا . ويتخذ ذلك اليوم عيداً يركب فيه السلطان بمساكره ، وينزل في المراكب لتخليق المقياس .

وقد ذكرنا ما كان في الدولة الفاطمية ، من الاهتمام بفتح الخليج ، عند ذكر مناظر اللؤلؤة .

وقال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى : إن يوم الوفاء هو اليوم الذي وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع في قوله تعالى « قال موعدكم يوم الزينة ، وأن يحشر الناس ضحى » ، وقد جرت العادة أن اجتماع الناس للتخليق يكون في هذا الوقت .

ومن أحسن السياسات في أمر النداء على النيل ما حكاه الفقيه ابن زولاق ، في سيرة المعز لدين الله ، قال : وفي هذا الشهر (يعني شوال سنة اثنتين وستين وثلثمائة) منع المعز لدين الله من النداء بزيادة النيل ، وألا يكتب بذلك إلا إليه وإلى القائد جوهر ، فلما تم أباح النداء (يعني لما تم ست عشرة ذراعا) وكسر الخليج .

فتأمل ما أبدع هذه السياسة ، فإن الناس دائما إذا توقفت النيل في أيام زيادته أو زاد قليلا يقلقون ويحدثون أنفسهم بعدم طلوع النيل ، فيقبضون أيديهم على الفلال ، ويمتنعون من بيعها رجاء ارتفاع السعر ،

ويجتهد من عنده مال في خزن الغلة ، أما لطلب السعر ، أو لطلب ادخار قوت عياله ، فيحدث بهذا الغلاء ، فإن زاد المال انحل السعر ، والا كان الجذب والتعط . . . فنى كتمان الزيادة عن العامة أعظم فائدة وأجل عائدة .

وقال المسيحي في تاريخ مصر : وخرج أمر صاحب القصر إلى ابن حيران بتحرير ما يستفتح به القياصون كلامهم إذا نادوا على النيل ، فقال : نعم لا تحصى ، من خزائن الله لا تقنى ، زاد الله في النيل المبارك كذا .

ومن عادة نيل مصر إذا كان عند ابتداء زيادته اخضر ماؤه ، فتقول عامة أهل مصر : قد توجهم النيل . ويرون أن الشرب منه حينئذ مضر .

ويقال في سبب اخضراره أن الوحوش — سيما الفيلة — ترد البطيحات التي في أعالي النيل ، وتستق فيها مع كثرة عددها لشدة الحر هناك ، فيتغير ماء تلك البطيحات . فإذا وقع المطر في الجهة الجنوبية في أوقاته عندهم ، تسكثرت السيول حينئذ في البطيحات ، فخرج ما كان فيها من الماء الذي قد تغير ومر إلى مصر ، وجاء عقيبه الماء الجديد ، وهو الزيادة بمصر ، وحينئذ يكون الماء محمرا لما يخالطه من الطين الذي تأتي به السيول .

فإذا تناهت زيادته غشى أرض مصر ، فتصير القرى التي في الأقاليم فوق التلال والروابي وقد أحاط بها الماء ، فلا يتوصل إليها إلا في المراكب ، أو من فوق الجصور المتدة التي يصرف عليها — إذا عملت كما

ينبغي - وجع الخراج ، لحفظ عند ذلك ماء النيل حتى ينتهي رى كل مكان الى الحد المحتاج اليه .

فاذا تكامل رى ناحية من النواحي ، قطع أهلها الجسور المحيطة بها من أمكنة معروفة عند خولة البلاد ومشايخها في أوقات محدودة لا تتقدم ولا تتأخر عن أوقاتها المعتادة ، على حسب ما يشهد به قوانين كل ناحية من النواحي ، فتروى كل جهة ما يليها ، مع ما يجتمع فيها من الماء المختص . ولولا اتفاق ما هنالك من الجسور وحفر الترع والخلجان ، لقل الاتقاع بماء النيل ، كما قد جرى في زماننا هذا .

وقد حكى أنه كان يرصد لعمارة جسور أراضي مصر في كل سنة تلك الخراج ، لعنايتهم في القديم بها من أجل أنه يترتب على عملها رى البلاد الذي به مصالح العباد ... وستقف - ان شاء الله تعالى - عن قرب على ما كان من أعمال القدماء ومن بعدهم في ذلك .

وكان للمقاس في الدولة الفاطمية ومسموم لكنس مجارى الماء ، خمسون دينارا في كل سنة ، تطلق لابن أبي الرداد .

ذكر الجسر الذي كان يعبر عليه في النيل

اعلم أنه كان في النيل جسر من سفن فيما بين القسائط والجزيرة التي تعرف اليوم بالروضة ، وكان فيما بين الجزيرة والجزيرة أيضا جسر ، في كل جسر منهما ثلاثون سفينة .

ذكر ما قيل في ماء النيل من مدح ودم

قال الرئيس أبو علي بن سينا عفا الله عنه ، وقوم يفرطون في مدح النيل افراطا شديدا ، ويجمعون محامده في أربعة : بمد منبه ، وطيب مسلكه ، وغسورته ، وأخذه الى الشمال عن الجنوب . فأخذه الى الشمال عن الجنوب ملطف لما يجري فيه من المياه ، وأما غسورته فيشاركه فيها غيره .

قال : فأفضل المياه مياه العيون ، ولا كل العيون ، ولكن مياه العيون الحرة الأرض ، التي لا يغلب على تربتها شيء من الأحوال والكيميات الغريبة ، أو تكون حجرية . فتكون أولى بالألا تغفن عفونة الأرضية ، لكن التي هي من طينة حرة خير من الحجرية . ولا كل عين حرة ، بل التي هي مع ذلك جارية . ولا كل جارية ، بل الجارية المكشوفة للشمس والرياح ، وان هذا مما يكسب الجارية فضيلة ، وأما الراكدة فربما اكتسبت ما لكشف رداءة لا تكسبها بالغور والستر .

واعلم أن المياه التي تكون طينة المسيل خير من التي تجري على الأحجار ، فإن الطين ينقى الماء ويأخذ منه المزوجات الغريبة ويروقه ، والحجارة لا تفعل ذلك . لكنه يجب أن يكون طين مسيله حرا ، لا حماة ولا سبخة ، ولا غير ذلك .

فان اتفق أن كان هذا الماء غمرا شديدا الجربة ، يحيل بكثرة ما يخالطه الى طبيعته ،

(*) من ٦١ ج ١ ط. بولاق

فان كان يأخذ الى الشمس في جريانه فيجري الى المشرق وخصوصا الى الصيف منه ، فهو أفضل ، لا سيما اذا بعد جدا من ميدانه ، ثم ما يتوجه الى الشمال ، والمتوجه الى المغرب والجنوب ردى . ، خصوصا عند هبوب ريح الجنوب .

والذى ينحدر من مواضع عالية مع سائر الفضل أفضل ، وما كان بهذه الصفة كان عذبا يحيل أنه حلو ، ولا يحتمل الخمر اذا مزج به منه الا قليلا ، وكان خفيف الوزن سريع البرد والتسخين لتخلخله ، باردا في الشتاء ، حارا في الصيف ، لا تغلب عليه طعم البتة ولا رائحة ، ويكون سريع الانحدار من الشرايف ، سريعا لهري ما يهرى فيه ، وطبخ ما يطبخ فيه .

قال الرئيس علاء الدين على بن أبي الحرم ابن تقيس في شرح القانون : هذه المحامد التي ذكرها ليست علامات للحمد ، بل هي من الأشياء الموجبة لكونه محمودا .

واحد هذه الأربعة بمد منبه ، وقد بينا أن ذلك يوجب لطافة الماء بسبب كثرة حركته .

واعلم أن منبع النيل من جبل يقال له جبل القمر ، وهذا الجبل وراء خط الاستواء بأحدى عشرة درجة وثلاثين دقيقة مما به أعظم دائرة في الأرض بثلاثمائة درجة وستين . وابتداء هذا الجبل من السادسة والأربعين درجة وثلاثين دقيقة من أول العمارة من جهة المغرب ، وآخره عند آخر احدى وستين درجة وخمسين دقيقة ، فيكون امتداد هذا الجبل مقدار خمس عشرة درجة وعشرين

دقيقة مما به أعظم دائرة في الأرض بثلاثمائة وستون درجة .

ويخرج من هذا الجبل عشرة أنهار من أعين فيه ، ترمى كل خمسة منها الى بحيرة عظيمة مدورة . وأحدى هاتين البحيرتين مركزها ، حيث البعد من ابتداء العمارة بالمغرب ، خمسون درجة ، والبعد من خط الاستواء في الجنوب سبع درج وأحدى وثلاثون دقيقة . ومركز الثانية حيث البعد عن أول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة ، وحيث البعد من خط الاستواء في الجنوب سبع درج وأحدى وثلاثون دقيقة .

وهاتان البحيرتان متساويتان ، وقطر كل واحدة منهما مقدار خمس درج ، ويخرج من كل واحدة من البحيرتين أربعة أنهار ، ترمى الى بحيرة صغيرة مدورة في الاقليم الأول ، بعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعن خط الاستواء من الشمال درجتان من الاقليم الأول ، ومقدار قطرها درجتان .

ويصب كل واحد من الأنهار الثمانية في بحيرة (وفي هذه البحيرة نهر واحد وهو نيل مصر ، ويمر ببلاد النوبة نهر آخر ابتداءه من غير مركزها على خط الاستواء) كبيرة مستديرة ، مقدار قطرها ثلاث درج ، وبعد مركزها من أول العمارة بالمغرب ثلاث وأربعون درجة . ويلقى نهر هذه العين نهر النيل حيث البعد من أول العمارة بالمغرب ثلاث وأربعون دقيقة .

واذا تعدى النيل مدينة مصر الى بلد يقال له شطنوف ، يفرق هناك الى نهرين يرميان

الى البحر المالح : أحدهما يعرف ببحر رشيد ، ومنه يتكون خليج الاسكندرية . وقالهما يعرف ببحر دمياط ، وهذا البحر اذا وصل الى المنصورة تفرع منه نهر يعرف ببحر اشعون يرمى الى بحيرة هناك ، وباقية يرمى الى البحر المالح عند دمياط .

وزيادة النيل هي من أمطار كثيرة يسيلاد العجسة ، والله أعلم .

واعلم أن الوزن من المستورات المتخبة من حال الماء ، فإن الأخف في أكثر الأحوال أفضل .

فهذا ما ذكره الرئيس ابن سينا من صفات المياه الفاضلة ، واعتبر ما قاله تجد ذلك قد اجتمع في ماء النيل .

قوله أن ماء النيل عين تمر على أراضي حرة ، ولا يظلم على تربه ما يمر به شيء من الأحوال والكيفيات الردية ، كمعادن النفط والشب والأملاح والسكرات ولحوها ، بل يمر على الأراضي التي تبت الذهب ، بدليل ما يظهر في الشطوط من قراضات الذهب . وقد عانى جماعة تصويل الذهب من الرمل المأخوذ من شطوط النيل ، فربحوا منه مالا . وفضيلة كون الذهب في الماء لا تنكر .

الثاني : أن النيل في جريانه أبدا مكشوف للشمس والرياح .

الثالث : أن طينه من طين صليل من مياه مجتمعة من أمطار تمر على أراضي حرة ، ويظهر ذلك من عطرية روائح الطين اذا تدب به ماء .

الرابع : غمورة ماء النيل وشدة جريته التي تكاد تقصف العمود اذا اعترضتها ، وتدفع الأثقال العظيمة اذا عارضتها .

الخامس : بتعد مبدأ خروجه من مصبه في البحر المالح ، وقد تقدم * من طول مسافته ما لا نجده في نهر غيره من أنهار المعمور .

السادس : انحداره من علو ، فإن الجنوب مرتفع عن الشمال ، لا سيما اذا صار الى الجندل انحط من أعلى جبل مرتفع الى وادي مصر .

وذكر ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث من حديث جرير بن عبد الله البجلي ، حين سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منزله يئس ، فذكره الى أن قال : وماؤنا يمتنع أن يجري من علو ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « خير الماء السمن » أي ما كان ظاهرا على وجه الأرض .

والسمن الماء على وجه الأرض ، وكل شيء علا شيئا فقد سمنه ، مأخوذ من سنام البعير لعلوه .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى : « ومزاجه من تسنيم » : أي يمزج بما ينزل من علو .

السابع : أنه يمر من الجنوب الى الشمال ، فتستقبله ريح الشمال الطيبة دائما .

الثامن : خفته في الوزن ، وقد اعتبر ذلك غير مرة مع غيره من المياه فخفف عنها في الوزن .

(*) ص ٦١ ج ١ ، ط ١٠٠٠ بلاق .

التاسع : عذوبة طعمه ، وحسن أثره في هضم الغذاء ، واحداره عن المعدة ، بحيث أنه يحدث بعد شربه جشاء .

وهذه صفات ، ان كنت ممن مارس العلم الطبيعى وعرف الطب ، فإنه يعظم عندك قدر ماء النيل ، وتبين لك غزارة قعنه وكثرة محاسنه .

ويقال : ان ذا القرنين كتب كتابا فيه ما شاهده من عجائب الدنيا ، فضمنه كل أعجوبة ، ثم قال في آخره : وليس ذلك يعجب ، بل العجب نيل مصر .

وقال بعض الحكماء : لولا ما جعل الله في نيل مصر من حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدريج ، حتى يتكامل رى البلاد وهبوط الماء عنها عند بدء الزراعة ، لفسد اقليم مصر وتمذر سكانه ، لأنه ليس فيه أمطار كافية ، ولا عيون جارية تم أرضه ، الا بعض اقليم القيوم .

والله در القائل :

واها لهذا النيل أي عجيبة
بكر بمنى حديثها لا يسمع
يلقى الثرى في العام وهو مسلم
حتى اذا ما مل عاد يودع
مستقبل مثل الهلال فدهره
أبدا يزيد كما يريد ويرجع

وقال آخر :

كان النيل ذو فهم ولب
لما يبدو لعين الناس منه

فيأتي حينما حاجتهم اليه
ويضي حين يستغنون عنه
وقال تميم بن المتمر :

يوم لنا بالنيل مختصر
ولكله يوم مرة قصر
والسفن تجري كالخيول بنا
صعدا وجيش الماء منحدر
وكانما أمواجه عكن
وكانما داراته سرور
وقال أيضا :

أما ترى الرعد بكى واشتكى
والبرق قد أومض واستضحكا
فاشرب على غيم بصنع الدجى
يضحك وجه الأرض لما بكى
وانظر لما النيل في مده
كانما صندل أو مصطكا
وقال آخر :

والله مجرى النيل منه اذا الصبا
أرنا به من برها عسكرا يحرا
بشط بنهر السمهرية ديلا
وموج بنهر البيض هندية يترا
اذا مر حاكمي الورد غضا وان صفا
حكى ماءه لونا ولو يمدده مرا
وقال أبو الحسن محمد بن الوزير في تدريج زيادة النيل وعظم منفعة :

أرى أبدا كثيرا من قليل
وبدرا في الحقيقة من هلال

فلا تعجب فكل خليج ماء
بمصر ميب بخليج مال

زيادة أصبح في كل يوم
زيادة أذرع في حسن حال

وقال الشهاب أحمد بن فضل الله العمري :
بمصر فضل باهر لعيشها الرغد النضر
في سفح روض يلتقي ماء الحياة والخضر *
وقال ابن قلاؤس :

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة
وانظر لما بعدها من حمرة الشفق

غابت وألقت شعاعا منه يخلفها
كأنما احترقت بالماء في الفرق

وللهلال فما وافي لينفدها
في إثرها زورق قد صبح من ورق

وقال بشر الملك ابن المنجم :

يارب سامية في الجوقمت بها
أمد طرفي في أرض من الأفق

حيث العشية في التثيل معترك
إذا رآها جبان ماب للفرق

للش غاربة ، للغرب داهية ،
بالنيل مصرة ، من هجمة الفسق

وللهلال انعطاف كالسان يدا
من سورة الطمن ملقى في دم الشفق

قال القاضي الفاضل رحمة الله تعالى عليه .
وأما النيل فقد ملا البقاع ، وانتقل من

الأصبع الى الذراع ، فكأنما غار على الأرض
(*) من ٦٢ ج ١ ، ط. بولاق .

فقطاها ، وأغار عليها فاستتمدها وما تحطاها ،
فما يوجد بمصر قاطع طريق سواء ، ولا
مرغوب مرهوب الا اياه .

ونيل مصر مخالف في جريه لغالب الأنهار ،
فانه يجري من الجنوب الى الشمال ، وغيره
ليس كذلك ، الا نهران فانهما يجريان كما
يجري النيل ، وهما نهر مهران بالسند ،
ونهر الأريط - وهو الذي يعرف اليوم بنهر
العاصي - في حاة إحدى مدائن الشام .

وقد غاب ماء النيل قوم . قال أبو بكر بن
وحشية في كتاب « الفلاحة النبطية » : وأما
ماء النيل ، فمخرجه من جبال وراء بلاد
السودان يقال لها جبال القمر .

وحلاوته وزيادته يدلان على موقعه من
الشمس أنها أحرقت لا كل الاحراق ، بل
أسخته اسحانا طويلا لنا ، لا تزعجه الحرارة
ولا تقوى عليه ، بحيث تبدد أجزاءه
الرطبة وتبقى أجزاءه الكراخية ، بل يعتدل
عليه ، فصار مأؤه لذلك حلوا جدا ، وصار
كثرة شربه يعفن البدن ويحدث البثور
والدمامل والقروح ، وصار أهل مصر
اشاربون منه دمويين محتاجين الى استفراغ
الدم عن أبدانهم في كل مدة قصيرة .

فمن كان عالما منهم بالطبيعة ، فهو يحسن
مداواة نفسه حتى يدفع عن جسمه ضرر ماء
النيل ، والا فهو يقع فيما ذكرنا من العفونات
واتسار البشر والدمامل . وذلك أن هذا
الماء ناقص ليرد عن سائر المياه ، قد صير
له الطبخ قواما هو أثخن من قوام الماء ،
فصار اذا خالط الطعام في الأبدان كثر فيها

الفضول الردية العفنة ، فيحدث من ذلك ما
ذكرناه .

ودواء أهل مصر الذي يدفع عنهم ضرر ماء
النيل ادمان شرب ربوب الفاكهة الحامضة
القايسة ، وأخذ الأدوية المستغرقة للفضول .
ولو زادت حرارة الشمس على ماء النيل
وطال طبخها له لصار مالحا بمنزلة ماء البحار
الراكدة التي لا حركة لها الا وقت جزر
البحر ، وهبوب الرياح . وهو أوفق للزروع
والمنابت من الحيوان .

وقال ابن رضوان : والنيل يمر بأهم كثيرة
من السودان ، ثم يصير الى أرض مصر وقد
غسل ما في بلاد السودان من العفونات
والأوساخ ، ويشق مارا بوسط أرض مصر من
الجنوب الى الشمال ، الى أن يصب في بحر
الروم . ومبدأ زيادته في فصل الصيف ،
وتنتهي زيادته في فصل الخريف ، ويرتقى في
الجو منه في أوقات مده رطوبات كثيرة
بالتحلل الخفي ، فيرطب ذلك بيس الصيف
والخريف .

واذا مد النهر فاض على أرض مصر ففعل
ما فيها من الأوساخ - نحو جيف الحيوانات
وأزبالها ، وفضول الآجام والنبات ومياه
النقاع - وأحذر جميع ذلك معه ، وخائظه
من تراب هذه الأرض وطينها مقدار كثير من
أجل سخافتها ، وباض فيه من السمك الذي
تربي فيه وفي مياه النقائع .

ومن قبل ذلك تراه في أول مده يخضر لونه
بكثرة ما يخالطه من مياه النقائع العفنة التي
قد اجتمع فيها العرمض والطحلب ، واخضر
لونها من عفنها ، ثم يتعكر حتى يصير آخر

أمره مثل الحماة ، واذا صفا اجتمع منه في
الاناء طين كبير ورطوبة لزجة لها سمكة
ورائحة منكرة ، وهذا من أوكد الأشياء في
ظهور رداءة هذا الماء وعفنه . وقد بين أبراط
وجالينوس أن أسرع المياه الى العفن ما لطفته
الشمس بمياه الأمطار .

ومن شأن هذا الماء أن يصل الى أرض مصر
وهو في الغاية من اللطافة من شدة حرارة بلاد
السودان ، فاذا اختلط به عفونات أرض مصر
زاد ذلك في استحالته ، ولذلك يتولد فيه من
أنواع السمك شيء كثير جدا ، فان فضول
الحيوانات والنبات وعفونة هذا الماء ويبيض
السمك يصير جميعها مواد في تكون هذه
الأسماك كما قال أرسطاطاليس في كتاب
الحيوان .

وذلك شيء ظاهر للحس ، فان كل شيء
يتعفن يتولد من عفونه الحيوان ، ولهذا
صار ما يتولد من الدود والقار والتمارين
والعقارب والزناير والذباب وغيرها بأرض
مصر كثيرا .

فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض
مصر الحرارة * والرطوبة الفضلية ، وأنها ذات
أجزاء كثيرة ، وأن هواءها وماءها رديان .

وربما انقطع النيل في آخر الربيع وأول
الصيف من جهة القسطنطينية ، فيعفن بكثرة ما
يلقى فيه الى أن يبلغ عفنه الى أن يصير له
رائحة منكرة محسوسة . وظاهر أن هذا الماء
اذا صار على هذه الحالة غير مزاج الناس
تغيرا محسوسا .

(*) من ٦٦ ج ١ ، ط. بولاق .

ويبقى أن يستقى ماء النيل من الموضع الذي فيه جريه أشد والعفونة فيه أقل .

ويصنى كل السان هذا الماء بحسب ما يوافق مزاجه : أما المحرورون في أيام الصيف فبالطباشير والطين الأرمنى والمغرة والتبق المرضوض والزعرور المرضوض والخل ، وأما المبرودون في أيام الشتاء فباللوز المر ودخل نوى المشمش والصمتر والشب .

وينبغى أن ينظف ما يروق ويشرب ، وإن شئت أن تصفيه بأن تجعله في آنية الخزف والفخار والجلود وما يصل من ذلك بالرشح ، وإن شئت طبخته بالنار وجعلته في هواء الليل حتى يروق ، ثم نظفت منه ما يروق واستعملته . وإذا ظهرت فيه كفيات رديئات فاطبخه بالنار ، ثم يرده تحت السماء في برودة الليل ، وصفه بإخلاط الأدوية التي ذكرتها .

وأجود ما اتخذ هذا الماء أن يصنى مرارا ، وذلك بأن يسخه أو يطبخه ، ثم يرده في هواء الليل ، ويقتطف ما يروق منه ، فتصفيه أيضا ببعض الأدوية ، ثم تأخذ ما يروق فتجعله في آنية تصل في برد الليل ، وتأخذ الرشح فتشربه .

واجعل آنية هذا الماء في الصيف الخزف والفخار المصولين في طوبة ، والظروف الحجرية والقرب ونحوها مما يبرد ، وفي الشتاء الآنية الزجاج والمدهون وما يصل في الصيف من الفخار والخزف .

ويكون موضعه في الصيف تحت الأسراب وفي مخابرق ریح الشمال ، وفي الشتاء بالمواضع الحارة .

ويبرد في الصيف بأن يخلط معه ماء الورد ، ويؤخذ خرقة نظيفة ، ويشد فيها طباشير ويزر رجلة أو خشخاش أبيض أو طين أرمنى أو مغرة ، ويلقى فيه كيما يأخذ من بردها ولا يخالط أجسامها ، وتفضل ظروفه في الصيف بالخزف المدقوق وبدقيق الشعير والباقله والصندل ، وفي الشتاء بالأشنان والسعد ، ويخير بالمصطفى والمود .

وأردأ ما يكون ماء النيل بمصر عند فيضه ، وعند وقوف حركته ، فعند ذلك ينبغي أن يطبخ ويبالغ في تصفيه بقلوب نوى المشمش ، وسائر ما يقطع لزوجه .

وأجود ما يكون في طوبة عند تكامل البرد ، ومن أجل هذا عرفت المصريون بالتجربة أن ماء طوبة أجود المياه ، حتى صار كثير منهم يخزنه في القوارير الزجاج والصينى ، ويشربه السنة كلها ، ويؤمن أنه لا يتغير ، وصاروا أيضا لا يصفونه في هذا الزمان لأنهم أنه على غاية الخلاص . وأما أنت فلا تسكن إلى ذلك ، وصفه على أي حالة كان ، فالماء المخزون لا بد أن يتغير .

فهذا ما عندي من ذم ماء النيل . وحاصله أن الماء تتغير كفيته بما يمر عليه لا أن ذاته ردية . فلا يهولك ما تسمع ، فما الأمر إلا ما قلت لك . وإذا كان الضرر بحسب ما تغير من كفيته لا من كميته ، فقد عرفت ما تعالجه به كي يزول ما يخالطه من الكيفيات الردية . والله الموفق بمنه وكرمه .

ذكر عجائب النيل

ومن عجائب النيل فرس البحر . قال عبد الله ابن أحمد بن سليم الأسواني في كتاب « أخبار النوبة » : ومسافة ما بين دقطة إلى أول بلد علوة أكثر مما بين دقطة وأسوان ، وفي ذلك من القرى والضياع والجزائر والمواشى والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم أضاعف ما في الجانب الذى يلي أرض الاسلام .

وفي هذه الأماكن جزائر عظام مسيرة أيام ، فيها الحيات والوحوش والسباع ، ومفاوز يخاف فيها العطش . وماء النيل ينمط من هذه النواحي إلى مطلع الشمس وإلى مغربها مسافة أيام ، حتى يصير الصعيد كالمنحدر ، وهى الناحية التى تبلغ العطوف من النيل إلى المدن المعروفة بالشبكة ، وهى بلد معروف بشنقى ، ومنه يخرج القمري ، وفرس البحر يكثر في هذا الموضع .

وحدثني سيمون ، صاحب عهد علوة ، أنه أحصى في جزيرة سبعين دابة منها ، وهى من دواب الشطوط : في خلق الفرس ، في غلظ الجاموس ، قصيرة القوائم ، لها خف ، وهى في ألوان الخيل بأعراف وأذان صفار كأذان الخيل ، وأعناقها كذلك ، وأذناها مثل أذنان الجواميس ، ولها خرطوم عريض ، يظن الناظر اليها أن عليها مخلاة ، لها صهيل وأنساب ، لا يقوم حذاءها تمساح ، وتعرض المراكب عند الغضب فتغرقها ، ورعيها في البر العشب ، وجلدها فيه متانة عظيمة ، يتخذ منه دبايس . انتهى .

وهو كفرس البر إلا أنه أكبر عرفا وذئبا ، وأحسن لونا ، وحافره مشقوق كحافر البقر ، وجته أكبر من الحمار بقليل ، وهو يأكل التمساح أكلا ذريعا ، ويقوى عليه قوة ظاهرة . وربما خرج من الماء ونزا على فرس البر فيتولد بينهما فرس في غاية الحسن .

واتفق أن بعض الناس نزل على طرف النيل ومعه حجرة ، فخرج من الماء فرس أدهم عليه نقط بيض ، فنزا على الحجرة فحملت منه وولدت ميرا . عجب الصورة . فطمع في مهر آخر ، فجاء بالحجرة والمهر إلى ذلك الموضع ، فخرج الفرس من الماء وشم المهر ساعة ، ثم وثب إلى الماء ومعه المهر فصار الرجل يتعهد ذلك المكان كثيرا ، فلم يعد الفرس ولا المهر إليه .

قال المسعودى : وفي نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من الحيوانات ، فمن ذلك السمك المعروف بالرعاد ، والواحدة نحو الذراع ، إذا وقعت في شبكة الصياد ارتعدت يده وعضده فيعلم بوقوعها ، فيبادر إلى أخذها وإخراجها من شبكتها ، ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك .

وقد ذكرها جالينوس ، وأنها إن جعلت على رأس من به صداع شديد أو شقيقة — وهى في الحياة — هدا من ساعته .

قال ابن البيطار عن جالينوس : هو الحيوان البحرى الذى يحدث الخدر . وزعم قوم أنه إذا أدنى من رأس من يشتكى الصداع سكن صداعه ، وإن أدنى من مقعدة من انقلبت

مقدمته أصلهما . ولكن أفا جريت الأمرين
جميعا فلم أجده يفعل ولا واحدا منهما ،
ففكرت أني أديته من رأس المصدوع
والحيوان ما هو حي ، لأتى ظننت أنه على
هذه الحال يكون دواء يسكن أن يسكن
الصداغ بمنزلة الأدوية ، فوجدته ينفع مادام
حيا .

قال ديستوريدوس : هو سمكة بحرية
مخدرة اذا وضعت على الرأس الذي عرض له
الصداغ الزمن سكن شدة وجعه ، واذا
احتله ذو المقعدة التي تبرز الى خارج
أصلهما .

وقال يونس : الزيت الذي يطبخ فيه يسكن
أوجاع المفاصل الحريفة اذا دهنت به .

قال ابن البيطار : رأيت بساحل مدينة مالقة
من بلاد الأندلس سمكة عرضة ، لون
ظاهرها لون رعاد مصر سواء ، وباطنها
أبيض ، وفعلها في تخدير ماكما كعمل رعاد
مصر أو أشد ، الا انها لا تؤكل آتية .

وقال بعضهم : اذا علق المرأة شيئا من
الرعاد عليها ، لم يطق زوجها البعد عنها ،
وكذلك ان علق منها الرجل عليه لم تكد المرأة
ان تفارقه .

والسقنقور وهو صنف يتوالد من السمك
والتساح ، فلا يشاكل السمك لأن له يدين
ورجلين ، ولا يشاكل التساح لأن ذنبه أجرد
ألمس عريض غير مضرس ، وذنب التساح
مخيف مضرس . ويتعالج بشحم السقنقور
للجماع . ولا يكون بمكان الا في النيل وفي

نهر مهران من أرض الهند . ولقد بلغني أن
أقواما شربوها وأكلوا منها فماتوا كلهم في
ساعة واحدة .

والسقنقور ، قال ابن سينا : هو ورل
يصاد من نيل مصر ، يقولون انه من نسل
التساح ، وأجود ما يصاد في الربيع .

وقال آخر : انه فرخ التساح ، فاذا خرج
من البيض : فما قصد الماء صار تساحا ، وما
قصد الرمل صار سقنقورا .

وقال ابن البيطار : هو جنس من الجراد ،
يجفف في الخريف ، اذا شرب منه وزن درهمين
من الموضع الذي يلى كلاء بشراب أنهض
الجماع ، وهو شديد الشبه بالورل ، يوجد
بالرمال التي تلى نيل مصر في نواحي
صعيدها ، وهو مما يسمى في البر ويدخل في
الماء (يعني النيل) ، ولهذا قيل له الورل
المائي لشبهه به ولدخوله في الماء .

وهو ينولد من ذكر وأتى ، ويوجد
للذكر خصيتان كخصيتي الديك في خلقهما
وموضعهما ، واثانه تبيض فوق العشرين
بيضة وتدفنها في الرمل . وللذكر من السقنقور
أحليان ، وللاثنى فرجان

والسقنقور يعض الانسان ويطلب الماء ،
فان وجده دخل فيه وان لم يجده بال وترغ
في بوله ، واذا فعل ذلك مات المعضوض لوقته
وسلم السقنقور . فان اتفق أن سبق
المعضوض الى الماء ، فدخله قبل دخول
السقنقور الماء وترغ في بوله ، مات السقنقور
لوقته وسلم المعضوض .

والأفضل الذكر منه ، والأبلغ في تفح
الباه ، بل هو المخصوص بذلك دون الأنثى .
والمختار من أعضائه ما يلى أصل ذنبه ومحاذي
سرتة .

والوقت الذي يصاد فيه الربيع ، فانه يكون
فيه هائجا للسفاد فيكون في هذا الوقت البلغ
لقما ، فاذا أخذ ذكي في يوم صيده ، فانه ان
ترك حيا زال شحمه وهزل لحمه وضعف
فعله ، ثم يقطع رأسه وطرف ذنبه من غير
استئصال ، ويشق جوفه طولاً ، ويلقى ما فيه
الا كلاء وكسه . فاذا نظف حتى ملحا ،
وخيط الشق ، وعلق مكوسا في ظل معتدل
الهواء حتى يجف . يؤمن فسادا ، ثم يرفع
في اناء متخرق للهواء كالسلال المصفورة
من قضبان شجر الصفصاف والخوص ونحوه
الى وقت الحاجة .

ولحمه — طريا — حار رطب ، والمجفف
أشد حرارة وأقل رطوبة ، ولا يوافق استعماله
من مزاجه حار يابس ، وانما يوافق ذوي
الأمزجة الباردة الرطبة . وخاصة لحمه
وشحمه انهاض شهوة الجماع ، ويهيج
الشبق ، ويقوى الانساظ ، وينفع امراض
المصب الباردة ، وخاصة ما يلى سرتة ومحاذي
ذنبه .

وينفع مفردا ومركبا ، واستعماله مفردا
أبلغ . والمقدار منه بعد تجفيفه من مثقال الى
ثلاثة مثاقيل — بحسب السن والمزاج والبلد
والوقت الحاضر — يسحق ويذاب بشراب أو
ماء الصسل أو قيقع الزبيب ، أو يذر على
صفرة بيض الدجاج النيشت ويحتسى ،
وكذلك يفعل بلحمه اذا أخذ منه من درهم

الى درهمين وذر على صفرة البيض بمقداره
أو مع مثله جر جر جيبر مسحوق .

ولا يوجد السقنقور الا في بلاد القيصوم
خاصة ، وأكثر صيده في الأربعينات اذا اشتد
البرد وخرج * من الماء الى البر ، فيحتشد
بصاد .

وقال المسعودي : والقرس الذي يكون في
نيل مصر اذا خرج من الماء واتمى وظؤه الى
بعض المواضع من الأرض ، علم اهل مصر ان
النيل يريد الى ذلك الموضع بعينه غير زائد
عليه ولا مقصر عنه ، لا يتخلف ذلك عندهم
لطول العادات والتجارب .

وفي ظهوره من الماء ضرر بأرباب الأرض
والفلات لرعيه الزرع ، وذلك أنه يظهر من
الماء في الليل فينتهي الى موضع من الزرع ،
ثم يولى عائدا الى الماء فيعى في حال رجوعه
من الموضع الذي انتهى اليه مسيره ، ولا
يرعى من ذلك الذي قد رعاه شيئا في مره ،
واذا رعى ورد الماء وشرب ، ثم قذف ما في
جوفه في مواضع شتى ، فينبت ذلك مرة
ثانية .

واذا كثر ذلك من فعله ، واتصل ضرره
بأرباب الضياع ، طرخوا له من الترمس في
الموضع الذي يعرف خروجه منه ، مكاي
كثيرة ، مبدرا مبسوطا ، فيأكله ثم يعود الى
الماء ، فاذا شرب منه ربا الترمس في جوفه
واتنفخ ، فينشق جوفه منه ويموت ، ويطلق
على الماء ويقذف به الى الساحل .

(*) ص 33 ج 1 ، ط 1 برلاق 11

والوضع الذي يرى فيه لا يرى به تساح .
وهو على صورة القرس الا ان حوافه وذيله
بغلاف ذلك ، وبيته واسعة .

وقال للسيح : ان الصنف المعروف بالبلطي
من اصناف السمك اول ما عرف قيل مصري
ليام الطيفه العزيز باقه لزار بن المعز لدين
شاه ، ولم يكن يعرف قبله في النيل . وظهر في
ايامه امنا سمك يعرف بالليس ، وانما
سم بالليس لانه يشبه البوري الذي بالبحر
للملح فاديس به ، وغالب الظن انها من اسماك
انحر الملح فسمت في العلو .

ومن حيوان البحر التساح ، قال ابن
اليطار : التساح حيوان معروف يكون في
الانهار الكبار ، وفي النيل كثيرا ، ويوجد في
نهر نهران ، وقد يوجد في بلاد السودان ،
وهو الدورل النيلي .

وقال ابن نهران : كل حيوان يحرك فكه
الاسفل اذا اكل ، ما خلا التساح ، فانه
يحرك فكه الاعلى دون الاسفل .

وشحم التساح اذا عجن بالسمن وجعل
فيه فتيلة واسرح في نهر او اجمة ، لم ينمق
ضفادصها ما دامت تقعد . وان طيف بجلد
تساح حول قرية ، ثم علق على سطح دهليز
لم يقع البرد في تلك القرية .

واذا عض التساح انسانا ، فوضع على
العضة شحم التساح ، برا من ساعته . وان
لطخ بشحمه جبهة كرش لطاح ، نمر كل كرش
يناطحه وهرب منه . ومرارته يكتحل بها
للباش في العين فذهب . وكبدته يحر بها
المجنون فيرا .

وزيل التساح يزيل البياض من العين
الحديث والتقديم ، وان قلت عيناه وهو حي
وعطفت على من به جذام اوقته ، ولم يزد عليه
شيء . وان علق شيء من التي بالجانب الايمن
على رجل زاد في جسامه . وعينه اليمنى لمن
يشكى عينه اليسرى ، وعينه اليسرى لمن
يشكى عينه اليسرى . وشحمه اذا اذيب بدهن
ورد وقع من وجع الصلب والكليتين ، وزاد في
الباه .

واذا اخذ دم التساح وخلط به هليلج
واملج ، وعلق به على الوضع ، اذهبه وغير
لونه ، واذا علق به على الجبهة والصدفين وقع
من وجع الشقيقة . واذا اكل لحمه اسفيد باجا
سمن البدن النحيف . وشحمه اذا قطر بعد ان
يذاب في الاذن الوجعة تقمها ، وان اذمن
تقطيره في الاذن وقع من الصمم ، واذا دهن
به صاحب حمى الربيع سكنت منه . ولحمه
رديء الكيموس .

وقال المسعودي : وكذلك التساح آفته
من دويبة تكون في سواحل النيل وجزاره ،
وهو ان التساح لا دبر له ، وما ياكله يتكون
في بطنه دودا ، فاذا آذاه ذلك خرج الى البر
فاستلقى على قفاه فاغرا فاه ، فينقض اليه
طير الماء - وقد اعتاد منه ذلك - فياكل
ما يظهر من جوفه من ذلك الدود العظيم ،
وتكون تلك الدويبة قد كمت في الرمل ،
فتشب الى حلقه وتصير الى جوفه ، وتخرج
فيحبط بنفسه الى الارض ، ويطلب قعر
النيل ، حتى تأتي الدويبة على حشو جوفه
ثم تحرق جوفه وتخرج . وربما قتل نفسه
قبل ان تخرج فتخرج بعد موته .



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأبنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
بولاق
سنة ١٢٧٠ هجرية

التمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خَطُّ الْمُقْرِئِ



كتاب
التحرير



وهذه الدوية تكون نحو الذراع ، على صورة ابن عرس ، ذات قوائم شتى ومخاب .

ويقال كان بجبال فسطاط مصر طلسم معمول بها ، وكان التماسح لا يستطيع القرب حوله ، بل كان اذا بلغ حدوده القلب واستلقى على ظهره فبعث به الصبيان الى أن يجاوز نهاية المدينة ، ثم يعود مستويا ويعود الى طباعه ، ثم ان هذا الطلسم كسر فبطل فعله .

ويقال ان التماسح يبيض كبيض الازر ، وربما تولد فيه جرادين صفار ، ثم تكبر حتى يبلغ طولها عشرة أذرع ، وتزداد طولاً كلما عمرت . والتماسح يرتعش ستين مرة في حركة واحدة ومحل واحد ، ومنه اليسرى نافعة للنافض .

ذكر طرف من مقدمة المعرفة بحال النيل في كل سنة

قال ابن رضوان في شرح الأربع : وقد يحتاج أمر النيل الى شروط :

منها أن تكون الأمطار متوالية في نواحي الجنوب قبل مده وفي وقت مده ، ولذلك وجب أن يكون النيل - متى كانت الزهرة وعطارد مقترنين في مدخل الصيف - كثير الزيادة لرطوبة الهواء ، ومتى كان المريخ أو بعض المنازل في ناحية الجنوب في مدخل الربيع أو الصيف ، كان قليلاً لقلّة الأمطار في تلك الناحية .

(*) من ٦٧ ج ١ ، ط. بولاق .

ومنها أن تكون الرياح شمالية لتوقف جريه ، فأما الجوييه فانها تسرع انحداره ولا تدعه يلبث . فاذا علمت ما يكون في ناحية الجنوب من كثرة الأمطار أو قلتها ، وفي ناحية مصر من هبوب الرياح في فصل الربيع والصيف ، فقد علمت حال النيل كيف يكون ، وتعلم من حاله ما يعرض بمصر من الحصب والجذب .

وقال أبو سامر بن يونس المنجم عن بطليموس : اذا أردت أن تعلم مقدار النيل في الزيادة والنقصان ، فانظر حين تحل الشمس برج السرطان الى الزهرة وعطارد والقمر : فان كانت أحوالها جيدة وهي برية من النحوس ، فالنيل يمتد وتبلغ الحاجة به ، وان كانت أحوالها بخلاف ذلك وهي ضعيفة ، فانكس القول ، فان ضعف بعضها وصلح البعض ، توسط الحال في النيل . والضابط أن قوة الثلاثة تدل على تمام النيل ، وضعفها على توسطه ، وانتحاسها أو احتراقها أو وقوعها في بعدها الأبعد من الأرض على النقص وأنه قليل جداً ، الا أن احتراق الزهرة في برج الأسد يستزل الماء من الجنوب .

وقال أبو معشر : ينظر عند انتقال الشمس الى برج السرطان للزهرة وعطارد والقمر : فان كانت في سيرها الأكبر فان زيادة النيل عظيمة ، وان كانت في سيرها الأوسط فاعرف كم أكثر سيرها وكم أقله وانسبه بحسب ما تراه ، وان كانت بطيئة السير فزيادة النيل قليلة ، وان اختلف مسير هذه الثلاثة فكان بعضها في مسيره الأكبر وبعضها بطيء السير . فغلب أقواها وامزج الدلالة ، وقل بحسب ذلك .

ولذلك القبط : ينظر أول يوم من شهر برمودة ، ما الذي يوافق من أيام الشهر القري ، مما كان من الأيام ، فرد عليه خمسة وثلاثين ، فما بلغ عدد سبعة فانه يكون عدد مبلغ النيل من الأذرع في تلك السنة .

قالوا : ومن الخبر أيضا في أمر النيل أن تنظر اليوم الذي تقطر فيه النصارى اليمامة بمصر ، وما بقي من الشهر القري فرد عليهما أرميا وثلاثين ، فما بلغ أسقطه اتى عشر ، فان بقي بعد ذلك الاسقاط من العدد زيادة على اتى عشر فهو زيادة النيل من الأذرع في تلك السنة مع الاثني عشر ، وان بقي اتسا عشر فهي سنة رديئة .

قالوا : ولذا كان العاشر من الشهر القري موافقا لشهر أبيب ، والقصر في برج العقرب ، فان كان مقرونا لقب العقرب كان النيل مقصرا والا فهو جيد .

قالوا : وينظر أول يوم من بثوة ، فان هبت للريح شمالا في بكرة النهار كان النيل عاليا ، وان هبت وسط النهار فانه متوسط ، وان هبت آخر النهار كان نيلًا قصيرا ، وان لم تهب لم يقطع تلك السنة . وقيل يعتبر هكذا أول خيس من بثوة .

ومن القبر الذي جريته أنا مسنن ، وأخبرني بعض شيوخنا أنه جريه وأخبره به من جريه فصح ، أن ينظر أول يوم من مسرى كم يبلغ النيل ، فرد عليه ثمانية أذرع ، فما بلغ فهو زيادة النيل في تلك السنة .

ومما اشتهر عند أهل مصر - وجريته أيضا فصح - أن يؤخذ قبل عيد ميكايل

يوم في وقت الظهر من الطين الذي مر عليه ماء النيل قطعة زنتها ستة عشر درهما سواء ، ويرفع في آله مغطى الى يسكرة يوم عيد ميكايل ، وتوزن ، فما زاد على وزنها من الخراب كان مبلغ النيل في تلك السنة بقدر مدد تلك الخراب ، لكل خروبة ذراع .

ومن ذلك أخذ شيء من دقيق القمح وعجنه بماء النيل في آله قطار ، وقد عمل من طين مر عليه النيل ، وتركه مغطى طول ليلة عيد ميكايل ، فلما وجد بكرة يوم العيد قد احمر بماء كان النيل قاما واليا ، وان وجد لم ينثر دل على قصور هذا النيل .

ثم ينظرون مع ذلك بكرة يوم عيد ميكايل الى الهواء ، فان هبت طيالا فهو نيل كبير ، وان هبت غير طياب فهو نيل مقصر ، لا سيما ان هبت مرسيا فانه يكون نيلًا غير كاف . والثاني عندهم انما هو في دلالة العلامات الثلاث على شيء واحد ، فلما اذا اختلف فالتحكم لا يكاد يصح .

وقال أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب «الآثار الباقية عن القرون الخالية» : وذكر أصحاب التجارب أنه اذا تقدم فمعد الى لوح ، وزرع عليه من كل زرع ونبات ، حتى اذا كانت التية الخامسة والعشرون من شهر تموز - أحد شهور الروم وهي آخر أيام الباحور - ثم وضع اللوح بارزا لطلوع الكواكب وغروبها ، لا يحول بينه وبين السماء شيء ، فان كل ما لا يزكو في تلك السنة من الزروع يصبح أصغر ، وما يصلح ربه منها يبقى أخضر . وكذلك كانت القبط تفعل ذلك .

وقد جريت أنا - على ما أفادني بعض الكتاب - أنه اذا حصل مطر ، ولو قل ، في شهر بابة ، ينظر ما ذلك اليوم من الشهر القبطي ، فانه يبلغ سعر الوبسة القمح تلك السنة من الدراهم بعدد ما مضى من أيام شهر بابة . وأول ما جريت هذا أنه وقع مطر في بابة يوم الخميس الخامس عشر منها ، فيمعت الوبسة تلك السنة بخسة عشر درهما .

ذكر عيد الشهيد

ومما كان يعمل بمصر عيد الشهيد ، وكان من أثره فرج مصر ، وهو اليوم الثامن من بشنس أحد شهور القبط ، ويخصون أن النيل بمصر لا يزيد في كل سنة حتى يلقي النصارى فيه تابوتا من خشب ، فيه أصبح من أصابع أسلافهم الموتى ، ويكون ذلك اليوم عيدًا ترحل اليه النصارى من جميع القرى ، ويركبون فيه الخيل ويلعبون عليها .

ويخرج عامة أهل القاهرة ومصر على اختلاف طبقاتهم ، وينصبون الخيم على شطوط النيل وفي الجزائر ، ولا يبقى مقيم ولا مغنية ولا صاحب لهو ولا رب ملعوب ولا بنى ولا مخنث ولا ماجن ولا خليع ولا فاتك ولا فاسق ، الا ويخرج لهذا العيد . فيجتمع عالم عظيم لا يحصيهم الا خالقهم ، وتصرف أموال لا تحصر ، ويتجاسر هناك بما لا يحتمل من المعاصي والقسوق ، وتشور قتن ، وتقتل أناس ، ويبيع من الخمر خاصة في ذلك اليوم بما ينيف على مائة ألف درهم فضة

(٩) من ١٦ جا ، ط. بولاق .

عنها خمسة آلاف دينار ذهبًا ، وباع نصراني في يوم واحد باثني عشر ألف درهم فضة من الخمر .

وكان اجتماع الناس لعيد الشهيد دائمًا بناحية شبرا من ضواحي القاهرة ، وكان اعتماد فلاحى شبرا دائمًا في وفاة الخراج على ما يبيعونه من الخمر في عيد الشهيد .

ولم يزل الحال ، على ما ذكر من الاجتماع ، كذلك الى أن كانت سنة اثنتين وسبعمائة - والسلطان يومئذ بديار مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون ، والقائم بتسيير الدولة الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وهو يومئذ أستاذار السلطان ، والأمير سيف الدين سلاو نائب السلطنة بديار مصر - فقام الأمير بيبرس في ابطال ذلك قياما عظيمًا ، وكان اليه أمور ديار مصر هو والأمير سلاو ، والناصر تحت حجرهما لا يقدر على شئ بظنه الا من تحت أيديهما .

فتقدم أمر الأمير بيبرس الا يرمى أصبح في النيل ، ولا يعمل له عيد ، ونذب الحجاب ووالى القاهرة لمنع الناس من الاجتماع بشبرا على عاداتهم . وخرج البريد الى سائر أعمال مصر ومعهم الكتب الى الولاة باجهار النداء واعلانه في الأقاليم بالآلا يخرج أحد من النصارى ، ولا يحضر لعيد الشهيد .

فشق ذلك على أقباط مصر كلهم ، من أظهر الاسلام منهم وزعم أنه مسلم ، ومن هو باق على نصرانيته ، ومشي بعضهم الى بعض .

وكان منهم رجل يعرف بالتاج بن سعيد الدولة يعاني الكتابة ، وهو يومئذ في خدمة

الأمير يبرس ، وقد اعتوى على قتله ، واستولى على جميع أموره ، كما هي عادة ملوك مصر وأمرائها من الأتراك في الانقياد لسكناهم من القبط ، سواء منهم من أسر الكفر ومن جهر به .

وما زال الأقباط بالتاج الى أن تحدث مع مخدمه الأمير يبرس في ذلك ، وخيل له من تلف مال الخراج اذا بطل هذا العيد ، فان أكثر خراج شبرا انما يحصل من ذلك ، وقال له : متى لم يعمل العيد لم يطلع النيل أبدا ، ويخرب اقليم مصر لعدم طلوع النيل ... ونحو ذلك من هتاف القول ، وتتميق المكر .

ثبت الله الأمير يبرس وقواه حتى أعرض عن جميع ما زخره من القول ، واستمر على منع عمل العيد وقال للتاج : ان كان النيل لا يطلع الا بهذا الأصبغ فلا يطلع ، وان كان الله سبحانه هو المتصرف فيه ، فكذب النصارى .

فبطل العيد من تلك السنة ، ولم يزل منقطعا الى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة .

وعمر الملك الناصر محمد بن قلاوون الجبر في بحر النيل ، ليرمي قوة التيار عن بر القاهرة الى ناحية الجيزة ، كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب .

فطلب الأمير يلغا الحياوي والأمير الطنبا المارديني من السلطان أن يخرجوا الى الصيد وينبأ مدة ، فلم تطب نفسه بذلك لشدة غرامه بها وتمتلكه في محبتها ، وأراد صرفهما عن السفر فقال لهما : نحن نريد عمل عيد الشهيد فيكون تفرجكما عليه أزه من خروجكما الى

الصيد — وكان قد قرب آوان وقت عيد الشهيد — فرضا منه بذلك ، وأتيح في الاقليم اعادة عمل عيد الشهيد .

فلما كان اليوم الذي كانت المصادة بعمله فيه ، ركب الأمراء النيل في الشخاير بغير حراريق ، واجتمع الناس من كل جهة ، وبرز أرباب الفناء وأصحاب اللهو والخلاعة فركبوا النيل ، وتظاهروا بما كانت عاداتهم المجاهرة به من أنواع المنكرات ، وتوسع الأمراء في تنوع الأطعمة والحلاوات وغيرها توسعا خرجوا فيه عن الحد في الكثرة البالغة ، وهم الناس منهم ما لا يسكن وصفه لكثرتهم ، واستروا على ذلك ثلاثة أيام .

وكانت مدة انقطاع عمل عيد الشهيد منذ أبطله الأمير يبرس الى أن أعاده الملك الناصر ستا وثلاثين سنة . واستمر عمله في كل سنة بعد ذلك الى أن كانت سنة خمس وخمسين وسبعمائة تحرك المسلمون على النصارى ، وعملت أوراق بما قد وقف من أراضي مصر على كنائس النصارى ودياراتهم ، وألزم كتاب الأمراء بتحريم ذلك وحمل الأوراق الى ديوان الأحباس .

فلما تحورت الأوراق ، اشتملت على خمسة وعشرين ألف فدان كلها موقوفة على الديارات والكنائس ، فعرضت على أمراء الدولة القائمين بتدبير الدولة في أيام الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون — وهم الأمير شيخو العمري ، والأمير صرغتمش ، والأمير طاز — فتقرر الحال على أن ينعم بذلك على الأمراء زيادة على اقطاعاتهم ، وألزم النصارى بما يلزمهم من الصغار ، وهدمت لهم عدة

كنائس ، كما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب . عند ذكر الكنائس

فلما كان العشر الأخير من شهر رجب من السنة المذكورة ، خرج الحاجب والأمير علاء الدين على بن الكوراني والى القاهرة الى ناحية شبرا الخيام من ضواحي مصر ، فهدمت كنيسة النصارى ، وأخذ منها أصبع الشهيد في صندوق ، وأحضر الى الملك الصالح ، وأحرق بين يديه في الميدان ، وذرى رماده في البحر حتى لا يأخذه النصارى ، فبطل عيد الشهيد من يومئذ الى هذا العهد ، وبقه الحمد والمنة .

ذكر الخليجان التي شقت من النيل

اعلم أن النيل اذا انتهت زيادته فتحت منه خليجان وترع يتخرق الماء فيها يمينا وشمالا الى البلاد البعيدة عن مجرى النيل . وأكثر الخليجان والترع والجسور والأخوار بالوجه البحري ، وأما الوجه القبلي — وهو بلاد الصعيد — فان ذلك قليل فيه ، وقد ذهبت معاله ودرست رسومه من هنالك .

والمشهور من الخليجان : خليج منجا ، وخليج منف ، وخليج المنهي ، وخليج أشمون طناح ، وخليج مردوس ، وخليج الاسكندرية ، وخليج دمياط ، وخليج القاهرة ، وبحر أبي المنجا ، والخليج الناصري بظاهر القاهرة .

(٥) من ٦٩٠ ج ١ ، ط ١٠٠٠

قال ابن عبد الحكم ، عن أبي رهم السامعي ، قال : كانت مصر ذات قناطر وجسور بتقدير وتقدير ، حتى ان الماء ليجرى تحت منازلها وأبنيتها فيجسونه كيف شاءوا ويرسلونه كيف شاءوا ، فذلك قوله تعالى هنا حكى عن قول فرعون « اليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ، أفلا تبصرون » .

ولم يكن يومئذ في الأرض ملك أعظم من ملك مصر ، وكانت الجنات بعافتي النيل من أوله الى آخره في الجانبين معا جيبا — ما بين أسوان الى رشيد ، وسبع خليج : خليج الاسكندرية ، وخليج سخا ، وخليج دمياط ، وخليج منف ، وخليج الفيوم ، وخليج المنهي ، وخليج مردوس — جنات متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء ، والزرع ما بين الجبلين من أول مصر الى آخرها مما يلفه الماء .

وكان جميع أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا ، لما قدروا ودبروا من قناطرها وخليجها وجسورها ، فذلك قوله تعالى « كم تركوا من جنات وعيون . وزروع ومقام كريم » .

قال : والمقام الكريم المنابر ، كان بها ألف منبر .

خليج سخا

وخليج سخا حفره ندارس بن صا بن قبطيم ابن مصرية بن بصر بن حام بن نوح ، وهو أحد ملوك القبط القدماء الذين ملكوا مصر في الدهر الأول .

قال ابن وصيف شاه : تدارس الملك أولاً من ملك الأحياز كلها بعد أبيه صا ، وصفا له ملك مصر . وكان تدارس بمحتكا مجريا ، ذا أيد وقوة ومعرفة بالأمور ، فأشهر العدل ، وأقام الهياكل وأهلها قايما حسنا ، ودير جسيم الأحياز . وقال انه الذي حفر خليج سخا ، وارتفع مال البلد على يده مائة ألف ألف دينار وخمسين ألف ألف دينار .

وقصد بعض عمالة الشام ، فخرج اليه واستباحه ، ودخل فلسطين وقتل بها خلقا ، وسبى بعض حكائنها وأسكنهم مصر ، وهابته الملوك .

وعلى رأس ثلاثين من ملكه طمع السودان من الزنج والنوبة في أرضه ، وعاثوا وأفسدوا . فجمع الجيوش من أعمال مصر ، وأعد للمراكب ، ووجه قائدا يقال له فلوطن في ثلثائة ألف ، وقائدا آخر في مثلها ، ووجه في النيل ثلثائة سفينة ، في كل سفينة كاهن يصل أعجوبة من العجائب . ثم خرج في جيوش كثيرة فلقى جمع السودان — وكانوا في زهاء ألف ألف — فهزمهم وقتل أكثرهم أبحر قتل ، وأسر منهم خلقا ، وتبعهم جيوشه حتى وصلوا إلى أرض القيلة من بلاد الزنج ، فأخذوا منها حدة ومن النصور والوحوش ، وساقوها إلى مصر فذللها . وعمل على حدود بلاده منارا وزير عليه مسيره وفتحه والوقت الذي سار فيه .

ومات بمصر ، فدفن في ناووس قتل اليه شيئا كثيرا من أصنام الكواكب ، ومن

الذهب والجوهر والصفحة والتماثيل ، ووزير عليه اسمه وتاريخ هلاكه ، وجعل عليه طلسمات تمنع منه ، وعهد إلى ابنه مالميق بن تدارس .

خليج سردوس

حفره هامان ، قال ابن وصيف شاه : فلما ابن قومس الملك جلس على سرير الملك ، وحاز جميع ما كان في خزائهم ، وهو الذي تذكر القبط أنه فرعون موسى ، فأما أهل الأثر فيزعمون أنه الوليد بن مصعب ، وأنه من العمالة ، وذكروا أن القراغة مبيعة .

وكان ظلما — فيما حكى عنه — قصيرا ، طويل اللحية ، أشبل العينين ، صغير العين اليسرى ، في جبينه شامة ، وكان أعرج .

وزعم قوم أنه من القبط ، ولسب أهل يته مشهور عندهم .

وذكر آخرون أنه دخل منف على أنان عليها نظرون جاء ليبيعه ، وكانوا قد اضطربوا في تولية الملك ، فرضوا أن يملكوا عليهم أولاً من يطرا من الناس ، فلما رأوه ملكوه عليهم .

ولما جلس في الملك بذل الأموال وقرب من أطاعه ، وقتل من خالفه ، فاعتدل أمره . واستخلف هامان ، وكان يقرب منه في نية ، وأثار بعض الكنوز وصرفها في بناء المدائن والعمارات ، وحفر خلجانا كثيرة ، ويقال أنه الذي حفر خليج سردوس ، وكان كلما عرجه إلى قرية من قرى الحوق حصل إليه أهلها

مالا ، حتى اجتمع من ذلك مال كثير ، فأمر يرده على أهله .

وقال ابن عبد الحكم : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : أن فرعون استعمل هامان على حفر خليج سردوس ، فلما ابتداء حفره أناء أهل كل قرية يسألونه أن يجري الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالا .

قال : وكان يذهب به إلى هذه القرية من نحو الشرق ، ثم يرده إلى قرية من نحو دير القبلة ، ثم يرده إلى قرية في الغرب ، ثم يرده إلى أهل قرية في القبلة ، ويأخذ من أهل كل قرية مالا حتى اجتمع له من ذلك مائة ألف دينار ، فأتى بذلك يحمله إلى فرعون ، فسأله عن ذلك فأخبره بما فعل في حفره .

فقال له فرعون : ويحك ، انه ينبغي للسيد أن يعطف على عباده ، وينفض عليهم ، ولا يرغب فيما بأيديهم ، رد على أهل كل قرية ما أخذت منهم .

فرده كله على أهله .

قال : فلا يعلم بمصر خليج أكثر أمطافا منه ، لما فعل هامان في حفره ، وكان هامان نبطيا .

خليج الاسكندرية

قال ابن عبد الحكم : ويقال ان الذي بنى منارة الاسكندرية قلبطرة الملكة ، وهي التي ساقته خليجها حتى أدخلته الاسكندرية ، ولم يكن يدخلها الماء ، كان يمدل من قرية يقال

(*) من ٧ ج ١ ط ٥ بولاق

لها كسا قبالة الكريون ، فحفرته حتى أدخلته الاسكندرية ، وهي التي بلطت قاعته .

وقال الكندي : ان الحارث بن مسكين قاض مصر حفر خليج الاسكندرية .

وقال الأسعد بن مساني في كتاب « قوانين الدواوين » : خليج الاسكندرية عليه عدة فرج ، وطوله من فم الخليج ثلاثون ألف قصبة وستائة قصبة ، وعرضه من قصبتين ونصف إلى ثلاث قصبات ونصف . ومقام الماء فيه بالنسبة إلى النيل : فان كان متصرا قصرت مدة اقامته فيه ، وان كان عاليا أقام فيه ما يزيد على شهرين .

ورأيت جماعة من أهل الخبرة وذوى المعرفة يقولون : انه اذا علت من قبالة منية تبيح إلى تبيح زلاقة ، استقر الماء فيه صيفا وشتاء . ورأيت البحيرة جيعما وحرف ودميس والكنفور الشاسعة وقد زرعت عليه القصب والقلقاس والنيلة وأنواع زراعة الصيفي ، وجرى مجرى بحر الشرق والمحلة ، وتضاعفت عليه البلاد ، وعظم ارتفاعها .

واقامة هذه الزلاقة ممكنة لوجود الحجارة في ربوة ، والطوب في البحيرة . وانهم قدروا ما يحتاج اليه فوجدوه يناهز عشرة آلاف دينار .

ويقال انه كان الماء فيه جاريا طول السنة ، وكان السمك فيه غاية من الكثرة بحيث تصيده الأسماك بالخرق ، فضنه بعض الولاة بمال ، ومنع الناس من صيده ، فقدم منه السمك ، ولم ير بعد ذلك فيه سمكة ، فصار يخرج بالنسك .

خليج الفيوم والنهى

بما حفره نبي الله يوسف الصديق عليه السلام عندما حفر الفيوم ، كما هو مذكور في خبر الفيوم من هذا الكتاب . وهو مشتق من النيل ، لا يتقطع جريه أبدا ، وإذا قابل النيل ناحية دورة سريام التي تعرف اليوم بدورة الشريف (يسمى ابن يفلن السائب في الأيام القاهرة يرس) تثبتت منه في غريه شعبة تسمى النهى ، تستقل نهرا يصل الى الفيوم ، وهو الآن عرف بحر يوسف ، وهو نهر لا يتقطع جرياته في جميع السنة ، فيستقى الفيوم عامة سقيا دائما ، ثم ينجر فضل مائه في بحيرة هناك .

ومن العجب أنه يتقطع ماؤه من فوّهة ، ثم يكون له بطل دون المكان المسمى ، ثم يجرى جريا ضميما دون مكان البلى ، ثم يستقل نهرا جاريا ، لا يتقطع الا بالسفن ، ويتصب منه أنهار ، وينقسم قسما بعم الفيوم يستقى قراه ومزارعه وبساتينه وعامة أماكته . والله أعلم .

خليج القاهرة

هذا الخليج بقاهر القاهرة من جانبها الشرقى ، فيما بينها وبين القس ، عرف في أول الاسلام بخليج أمير المؤمنين ، وتسميه العامة اليوم الخليج الحاكى ، وبخليج اللولة .

وهو خليج قديم ، أول من حفره طوطيس ابن ماليا ، أحد ملوك مصر الذين سكنوا مدينة منف ، وهو الذى قدم ابراهيم الخليل صلوات الله عليه في أيامه الى مصر ، وأخذ منه امراته سارة وأخدهما هاجر أم اسماعيل صلوات الله عليهما . فلما أخرجها ابراهيم هي وابنها اسماعيل الى مكة ، بعث الى طوطيس تعرف انها بكان جندب وتستغيثه ، فأمر بحفر هذا الخليج ، وبث اليها فيه بالسفن تصل الحنطة وغيرها الى جدة ، فأحيا بلد العجاز . ثم ان اندرومانوس الذى يعرف بإيليا ، أحد ملوك الروم بعد الاسكندر بن فلبس المجنونى ، جدد حفر هذا الخليج ، وسارت فيه السفن وذلك قبل الهجرة النبوية بنيف وأربعمائة سنة .

ثم ان عمرو بن العاص رضى الله عنه جدد حفره لما فتح مصر ، وأقام في حفره ستة أشهر ، وجرت فيه السفن بحمل الميرة الى العجاز ، فسمى خليج أمير المؤمنين (يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فإنه هو الذى أشار بحفره) .

ولم تزل تجرى فيه السفن من قسطنطين الى مدينة القلزم التي كانت على حافة البحر الشرقى ، حيث للموضع الذى يعرف اليوم على البحر بالسويس ، وكان يصب ماء النيل في البحر من عند مدينة القلزم ، الى أن أمر الخليفة أبو جعفر المنصور ببطه في سنة خمس ومائة فطم ، وبقي منه ما هو موجود الآن . وسأني الكلام عليه مبسوطا ، ان شاء الله تعالى ، عند ذكر ظواهر القاهرة من هذا الكتاب .

بحر أبى المنجا

هذا الخليج تسميه العامة بحر أبى المنجا الذى حفره الأفضل بن أمير الجيوش . في سنة ست وخسمائة . وكان على حفره أبو المنجا بن شعيا اليهودى ، فعرف به . وقد ذكر خبر هذا الخليج عند ذكر مناظر الخلفاء ومواضع لزهم من هذا الكتاب .

الخليج الناصرى

هذا الخليج في ظاهر القس ، حفره الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، وقد ذكر في موضعه من هذا الكتاب .

ذكر ما كانت عليه ارض مصر في الزمن الاول

قال المسعودى : وقد كانت ارض مصر — على ما زعم أهل الخبرة والعناية بأخبار شأن العالم — يركب أرضها ماء النيل ، وينبسط على بلاد الصعيد الى أسفل الأرض ، وموضع القسطنطين في وقتا هذا . وكان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل بين أسوان والنوبة ، الى أن عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجرياته ، وما يتصل من النوبة بتياره من موضع الى موضع ، فنضب الماء عن بعض المواضع من بلاد مصر ، وسكن

(١٨٠) من ٧١ ج ١ ، ط ١٠٠٠٠٠ .

الناس بلاد مصر ، ولم يزل الماء ينضب عن أرضها قليلا قليلا ، حتى امتلأت ارض مصر من المدن والعيائر ، وطرقوا للماء ، وحفروا له الخلجان ، وعقدوا في وجهه المييات ، الى أن خفى ذلك على ساكنيها ، لأن طول الزمان ذهب بحفرة أول سكناتهم كيف كان ... انتهى .

قلت : وما ذكر أرسطاطاليس في كتاب « الآثار العلوية » أن ارض مصر كان النيل ينبط عليها فيطبقها كأنها بحر ، ولم يزل الماء ينضب عنها ، وييس ما علا منها أولا فأولا ويسكن ، الى أن امتلأت بالمدن والقرى والناس .

ويقال ان الناس كانوا قبل سكنى مدينة منف يسكنون بسفح الجبل المقطم في منازل كثيرة تقروها ، وهى المغائر التى في الجبل المقابل لمنف من قبلى المقطم ، في الجبل المتصل بدير القصير الذى يعرف بدير البغل ، المطل على ناحية طرا .

ومن وقف عند أهرام نيا ، رأى المغائر في الشرقى وبينهما النيل ، ومن صعد من طرا الى الجبل وسار فيه دخلها . وهى مغائر متعة ، وفيها مغائر تنفذ الى القلزم تسع المغارة منها أهل مدينة ، وإذا دخلها أحد ولم يهتد على ما يدل على المخرج هلك في تحيره .

ويقال كانت مصر جرداء لا نبات بها ، فأقطمها متوشلخ بن أخنوخ بن برد بن مهلايل بن قتيان بن أنوس بن شيث بن آدم لطائفة من أولاده . فلما نزلوها وجدوا نيلها قد سد ما بين الجبلين ، فنضب الماء عن ارض زروعها ، فأخرجت الأرض بركايتها .

ثم بعد زمان أخذها عنقام الأول بن عراب
ابن آدم بالقلبة ، ونسل بها خلقا عظيما ،
وجهر لقتال أولاد يرد سبعين ألف مقاتل ،
وخفر من البحر الى الجبل نهر ا عرضه أربعون
قصة لينح من ياتيه ، فأناء بنو برد فلم
يجدوا اليه سبيلا ، فزعزعوا الى الله تعالى ،
فبعث على أرض مصر قارا .

ذكر اعمال الديار المصرية وكورها

اعلم أن أرض مصر كانت في الزمن الأول
الفاير مائة وثلاثا وخسين كورة ، في كل
كورة مدينة وثلاثا وخمس وستون قرية .
فلما جبرت أرض مصر بمسد بخت نصر ،
صارت على خمس وثمانين كورة ، ثم تناقصت
حتى جاء الاسلام وفيها أربعون عامرة بجميع
قراها لا تنقص شيئا .

ثم استقرت مصر كلها في الجيلة على
قسين : الوجه القبلى ، وهو ما كان في جهة
الجنوب من مدينة مصر ، والوجه البحرى
وهو ما كان في شمال مدينة مصر .

وقد قست الأرض جميعها - قبلها
وبعدها - على ستة وعشرين عملا ، وهي :
الشرقية ، والمرتاحية ، والدقهلية ، والايوانية ،
ووفر دمياط .

الوجه البحرى : جزيرة قوسنا ، والغربية ،
والسنودية ، والدنجاوية ، والمنوفية ،
والسراوية ، وقوه ، والمزاحيتين ، وجزيرة
بنى نصر ، والبحيرة ، واسكندرية وضواحيها ،
وحوف دميس .

والوجه القبلى : الجيزة ، والأمنية ،
والبوصيرية ، والفيومية ، والبهناوية ،
والأشمونين ، والمنطوية ، والأسيوطية ،
والاخشبية ، والقوصية .

وهي أيضا ثلاثون كورة ، وهي :

كورة الفيوم : وفيها مائة وست وخسون
قرية ، ويقال انها كانت ثلاثا وستين
قرية .

وكورة منف ووسيم : خمس وخمسون
قرية .

وكورة الشرقية ، وتعرف بالأطفيحية : سبع
عشرة قرية ، وقرى اهناس ومنها قيسن
نسبى قرى .

وكورنا دلاص وبوصير ست قرى .

وكورة اهناس خمس وتسعون قرية ،
سوى الكفور .

وكورة البهنا مائة وعشرون قرية .

وكورة الفشن سبع وثلاثون قرية .

وكورة منحا سبع وثلاثون قرية .

وحوز سنودة ثمان قرى .

وكورة الأشمونين مائة وثلاث وثلاثون
قرية .

وكورة أسفل أنصا إحدى عشرة قرية .

وكورة سيوط سبع وثلاثون قرية .

وكورة شطب ثمان قرى .

وكورة أسفل أنصا ثمان عشرة قرية .

وكورة قهنتوه سبع وثلاثون قرية .

وكورة أخميم والدويسر ثلاث وستون
قرية .

وكورة السبابة والواحات ثلاث وستون
قرية ، سوى الكفور

وكورة هو عشرون قرية .

وكورة فاو ثمان قرى .

وكورة قنا سبع قرى .

وكورة دنندرة عشر قرى .

وكورة ققط ثمان وعشرون قرية .

وكورة الأقصر خمس قرى .

وكورة اسنا خمس قرى .

وكورة أرمنت سبع قرى .

وكورة أسوان سبع قرى ...

فجميع قرى الصعيد ألف وثلاث وأربعون
قرية ، سوى المنى والكفور في ثلاثين كورة .

كورة أسفل الأرض (الحوف الشرقى) :
خمس وستون قرية .

كورة أترب مائة وثمان قرى ، سوى المنى
والكفور .

كورة بنو : سبع وثمانون قرية ، سوى
المنى والكفور .

كورة نسا مائة وخمسون قرية ، سوى
المنى والكفور .

كورة بسطة تسع وثلاثون قرية .

كورة طراية ثمان وعشرون قرية ، منها
السدير والهامة وفاقوس .

كورة هريط ثمان عشرة قرية ، سوى
المنى والكفور .

كورة صا وابليل ست وأربعون قرية ،
منها سنهور والقرما والعريش ...

(١٥) ص ٢٢ ج ١ ط - بلاق .

فجميع قرى الحوف الشرقى خمسمائة
وتسع وعشرون قرية ، سوى المنى في سبع
كور .

بطن الريف : كورتا دميس ومنوف مائة
وأربع قرى ، سوى المنى والكفور .

كورة تاطورة منوف : اثنتان وسبعون
قرية ، سوى المنى والكفور .

كورة سخا مائة وخمس عشرة قرية .

كورة ييدة والافراحيون ثلاث وعشرون
قرية ، سوى المنى والكفور .

كورة البشرد أربع وعشرون قرية .

كورة نفرا ثمان عشرة قرية ، سوى المنى .

كورة بيا وبوصير ثمان وثمانون قرية ،
سوى المنى والكفور .

كورة سنود مائة وثمان وعشرون قرية ،
سوى المنى والكفور .

كورة نوسا إحدى وعشرون قرية ، سوى
المنى .

كورة الأوسية أربعون قرية ، سوى المنى .

كورة النجوم أربعون قرية ، سوى المنى .

تيس ودمياط ثلاث عشرة قرية ، سوى
المنى ، وهي شىء كثير .

الاسكندرية (الحوف الغربى) : كورة
صا ثلاث وسبعون قرية ، سوى المنى
والكفور .

كورة شباس اثمان وعشرون قرية ، سوى
المنى والكفور .

كورة الينقون ثلاث وأربعون قرية ، سوى
المنى والكفور .

حيث يلتقون سبع وعشرون قرية ، سوى
التي والكفور .

التراك : سبع قرى .

كورة ترغوط ثمان قرى .

كورة خربت اثنان وستون قرية ، سوى
التي والكفور .

كورة قرطبا اثنان وعشرون قرية ، سوى
التي والكفور .

كورتا مصل والليدي تسع وأربعون
قرية ، سوى التي .

كورتا لحنور ورشيد سبع عشرة قرية .

البحيرا والحصص بالاسكندرية ،
والكرومات والبعيل ومربوط ومدينة
الاسكندرية ولويسة ومراقية : مائة وأربع
وعشرون قرية ، سوى التي .

الحوف الغربية أرسانة وتسع وأربعون
قرية ، سوى التي في ثلاث عشرة كورة .

قال الشيخ في تاريخه : نصير قرى مصر
أسفل الأرض اثنا وأربعمائة وستة وثلاثين
قرية ، ويكون جميع ذلك بالصعيد وأسفل
الأرض اثنين وثلاثمائة وخمسة وتسعين قرية .

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن سلامة
الاضاعي : أرض مصر قسطن ، فمن ذلك
صعيدا ، وهو ما يلي مهب الجنوب منها ،
وأسفل أرضها ، وهو ما يلي مهب الشمال
منها .

قسم الصعيد على ثمان وعشرين كورة .
فمن ذلك : كورة القيوم كلها ، وكورتا منف
وبوسيم ، وكورة الشرقية ، وكورتا دلاص
وبوسير ، وكورة اهناس ، وكورتا القسنين

واليمسا ، وكورة محلا ، وحيرو مسودة ،
وكورة موط ، وكورتا الأشمونين وأسفل
البحا وأجلها . وشب قوص قاصم ، وكورة
سيوط . وكورة بهنوه ، وكورتا أخميم
والبحر وإنشابة . وكورة هو وإنشا وفاق
ودصرة ، وكورة قنط والأصغر . وكورة اسنا
والزمت ، وكورة أسوان ... فهذه كور
الصعيد .

ومن ذلك كور التي لأرض . وهي حسي
وعشرون كورة (وفي نسخة ثلاث وثلاثون
كورة ، وفي نسخة ثمان وثلاثون كورة) .
فمن ذلك كور الحوف الشرقي : كورتا أقرب
وشب شمس ، وكورتا بني وصى ، وكورة
سعة ومراية . وكورة هريط ، وكورة صا
والبليل ، وكورة الحرما والعريش والجندار

ومن ذلك كور بطن الراف من أسفل
الأرض : كورة بيا وبوسير ، وكورتا مسود
وبوسا ، وكورتا الأوسية والنجوم ، وكورة
دلفنة ، وكورتا تبس وديبط .

ومنها كورة الجزيرة من أسفل الأرض ،
وكورة دمسيس ومنوف ، وكورة طه
ومنوف ، وكورة سخا وبيشة والأفراحون ،
وكورة مدين وديسا ، وكورة البشروود .

ومن ذلك كور الحوف الغربي : كورة صا
وكورة شباس ، وكورة أيسدقون وحيروها ،
وكورة الحيس والشراك ، وكورة خربتا ،
وكورة قرطبا ومصيل والميليس ، وكورتا
أخا والبحيرة ورشيد ، وكورة الاسكندرية ،
وكورة مربوط ، وكورة لويبة ومراقية .

ومن كور القبلة كرى الحجاز ، وهي كورة
الخور وداران ، وكورة راية والقنزم ، وكورة

أيلة وحيروها ، ومدين وحيروها ، والمويسة ،
والحوراء وحيروها ، ثم كورة بدا وشب .

وذكر من له معرفة بالخراج وأمر الديوان
أنه وقف على جريدة غنية بخط ابن عيسى
بقطر بن شفا - الكاتب القبطي المعروف
بالبولس ، متولى خراج مصر للدولة
الاخشيدي - يستل على ذكر كور مصر
وقراها الى ستة خمس وأربعين وثلاثمائة : ان
قرى مصر بالصعيد وأسفل الأرض الثمان
وثلاثمائة وخمس وتسعون قرية ، منها بالصعيد
تسعمائة وست وخمسون قرية ، وبأسفل
الأرض ألف وأربعمائة وتسع وثلاثون قرية ،
وهذا عددها في الوقت الذي جردت فيه
الجرايد المذكورة ، وقد تغيرت بعد ذلك
بخراب ما خرب منها .

وقال * ابن عبد الحكم ، عن الليث بن
سعد رضى الله عنه : لما ولي الوليد بن رفاعه
مصر ، خرج ليحصي عدة أهلها وينظر في
تعميد الخراج عليهم ، فأقام في ذلك ستة
أشهر بالصعيد ، حتى بلغ أسوان ومعه
جماعة من الكتاب والأعوان يكفونه ذلك يجد
وتشجير ، وثلاثة أشهر بأسفل الأرض ،
وأحصوا من القسرى أكثر من عشرة آلاف
قرية ، فلم يحصر في أصغر قرية منها أقل من
خمسائة جمجمة من الرجال الذين تفرض
عليهم الجزية ، يكون جملة ذلك خمسة آلاف
ألف رجل .

والذي استقر عليه الحال في دولة الناصر
محمد بن قلاوون أن الوجه القبلي تسعة
أعمال ، وهي عيل قوص - وهو أجملها ،

(٥٠) ٢٢٠ ج ١ ، طه بولاق .

ومنه أسوان وغرب قنولة - وعيل أخميم ،
وعيل سيوط ، وعيل منفلوط ، وعيل
الأشمونين - وبها الطحاوية - وعيل
البنسارية الغربية ، وهو عبارة عن قرى على
غربي المنى المار الى اقيوم ، وعيل اقيوم ،
وعيل أمتيح ، وعيل الجيزة .

والوجه البحري ستة أعمال : عيل
البحيرة ، وهو متصل البر بالاسكندرية
وبرقة .

وعيل الغربية جزيرة واحدة يستل عليها
ما بين البحرين ، وهما : البحر المار مسكبه
عند دمياط ورسى الشرقى ، والبحر الثاني
مسكبه عند رشيد ورسى الغربى .

والمنوفية ، ومنها ايار ، وجزيرة بني نصر .
وعيل قليوب ، وعيل الشرقية ، وعيل اسوم
طناح ، ومنها الدقهلية والمرتاحية ، وهناك
موقع ثغر البرلس وثغر رشيد والمنصورة .
وفي هذا الوجه الاسكندرية ودمياط ، ولا
عمل لهما .

ولما الواحات فننقطعة وراء الوجه القبلي ،
مغاربة لم تعد في الولايات ولا في الأعمال ،
ولا يحكم عليها والى السلطان ، وإنما يحكم
عليها من قبل مقاطعها ، والله تعالى أعلم .

ذكر ما كان يعمل في اراضي مصر
من حفر الترع وعمارة الجسور ونحو ذلك
من أجل ضبط ماء النيل وتصريفه في اوقاته

قال ابن عبد الحكم ، عن يزيد بن أبي
حبيب : وكانت فريضة مصر - بخفى
خلجها ، واقامة جسورها ، وبناء قناطرها ،

وقطع جزاها - مائة ألف وعشرين ألفا منهم
المساحي والطوريات والأداة ، يستقرون ذلك ،
لا ينعونه شاة ولا صيفا .

ومن أبي قيل قال : زعم بعض منسايخ
أهل مصر أن الذي كان يصل به بمصر على
عهد ملوكها أنهم كانوا يتقرون القرى في أيدي
أهلها ، كل قرية بكراء معلوم لا يتقض عنهم
إلا في كل أربع سنين من أجل الظأ وتقتل
اليسار . فإذا مضت أربع سنين تقضى ذلك ،
وعمل تعديلا جديدا ، فيفرق بين استحق
الرفق ، ويزاد على من احتمل الزيادة ، ولا
يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم .

فإذا جبي الخراج وجسع ، كان للملك من
ذلك الربيع خالصا لنفسه ، يصنع به ما يريد .

والربيع الثاني لجنده ، ومن يقوى به على
حربه وجباية خراجهم ودفع عدوه .

والربيع الثالث في مصلحة الأرض ، وما
تحتاج إليه من جسورها وحفر خلجانها وبناء
قناطرها ، والقوة للزارعين على زرعهم ،
وعصارة أرضهم .

والربيع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كل
قرية من خراجها ، فيدفن ذلك لناحية تنزل ،
أو جائحة بأهل القرية ... فكانوا على
ذلك .

والذي يدفن في كل قرية من خراجها هي
كنوز فرعون التي يتحدث الناس بها أنها
مستظرة ، فيطلبها الذين يتبعون الكنوز .

وذكر أن بعض فراعنة مصر جبي خراج
مصر اثنين وسبعين ألف ألف دينار ، وأن من
صارت أنه أرسل وية قمح إلى أسفل الأرض

والى الصعيد في وقت تنظيف الأرض والترع
من العمارة ، فلم يوجد لها أرض فارغة تزرع
فيها .

وذكر أنه كان عند تنامي العمارة يرسل
بأربع وريات يرسم إلى الصعيد وإلى أسفل
الأرض ، وإلى أي كورة ، فإن وجد لها
موضعا خاليا فزعت فيه ، ضرب عتق صاحب
الكورة .

وكانت مصر يومئذ عمارتها متصلة أربعين
فرسخا في مثلها ، والفرسخ ثلاثة أميال ،
والبريد أربعة فراسخ ، فتكون عشرة برد في
مثلها .

ولم تزل الفراغة تسلك هذا المسلك إلى
أيام فرعون موسى ، فانه عسرها عدلا
وساحة ، وتتابع الظأ ثلاث سنين في أيامه
فترك لأهل مصر خراج ثلاث سنين ، وأتفق
على نفسه وعساكره من خزائنه ، ولما كان في
السنة الرابعة أضعف الخراج ، واستمر
فاعتاض ما أتفق .

وكتب عمرو بن الخطاب ، رضى الله عنه ،
إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه : أن أسأل
المقوقس عن مصر ، من أين تأتي عمارتها
وخراجها ؟

فأله عمرو ، فقال له المقوقس : عمارتها
وخراجها من وجوه خمسة : أن يستخرج
خراجها في أبان واحد عند فراغ أهلها من
زروعهم ، ويرفع خراجها في أبان واحد عند
فراغ أهلها من عصر كرومهم ، ويحفر في كل
سنة خلجانها ، وتسد ترعها وجسورها ، ولا
يقبل مظل أهلها يريد البنى . فإذا فعل هذا
فيها عمرت ، وإن عمل فيها بخلافه خربت .

ومن زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما استبنا
عمرو بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن العاص
رضى الله عنه في الخراج ، كتب إليه أن ابث
إلى رجلا من أهل مصر . فبث إليه رجلا
قديما من القبط ، فاستخبره عمرو بن الخطاب
رضى الله عنه عن مصر وخراجها قبل
الاسلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كان لا يؤخذ
منها شيء إلا بعد عمارتها ، وعاملك لا ينظر
إلى العمارة ، وإنما يأخذ ما ظهر له كأنه لا
يريدها إلا لعام واحد .

فعرف عمرو رضى الله عنه ما قال ، وقيل من
عمرو ما كان يعتذر به .

وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه
للمقوقس : أنت وليت مصر ، فبم تكون
عمارتها ؟

فقال : بخصال : أن تحفروا خلجانها ،
وتسد جسورها وترعها ، ولا يؤخذ خراجها
إلا من غلتها ، ولا يقبل مظل أهلها ، ويوفى
لهم بالشروط ، ويدبر الأرزاق على العمال
لثلاثين سنة ، ويرتفع عن أهلها المعاونة والهدايا
ليكون قوة لهم ... فبذلك تممر ويرجى
خراجها .

ويقال إن ملوك مصر من القبط كانوا
يقسمون الخراج أربعة أقسام : قسم لخاصة
الملك ، وقسم لأرزاق الجند ، وقسم لمصالح
الأرض ، وقسم يدخر لحادثة تحدث فينتف
فيها .

ولما ولي عبيد الله بن الحجاج خراج مصر
لهشام بن عبد الملك ، خرج بنفسه فمسح

أرض مصر كلها - عامرها وغامرها ، مما
يركبه النيل - فوجد فيها مائة ألف ألف
فدان ، والباقي استبحر وتلف . واعتبر مدة
الحراث فوجدتها ستين يوما ، والحراث بعثت
خسعين فدانا . وكانت محتاجة إلى أربع مائة
ألف وثمانين ألف حراث .

ذكر مقدار خراج مصر في الزمن الأول

قال ابن وصيف شاه : وكان متقاوس قسم
خراج البلاد أرباعا : فربع للملك خاصة يعمل
فيه ما يريد ، وربع ينتق في مصالح الأرض
وما تحتاج إليه من عمل الجسور وحفر الخلع
وتقوية أهلها على العمارة ، وربع يدفن لحادثة
تحدث أو نازلة تنزل ، وربع للجند . وكان
خراج البلد ذلك الوقت مائة ألف ألف وثلاثة
آلاف ألف دينار ، وقسمها على مائة وثلاث
كور بصدّة الآلاف . ويقال إن كل دينار عشرة
مناقل من مثاقيلنا الإسلامية .

وهي اليوم خمس وثمانون كورة : أسفل
الأرض خمس وأربعون كورة ، والصعيد
أربعون كورة . وفي كل كورة كاهن يدبرها ،
وصاحب حرب .

وارتفع مال البلد على يد ندارس بن صا
مائة ألف ألف دينار وخمسين ألف ألف دينار
وفي أيام كلكن بن خريتا بن مالىق بن ندارس
مائة ألف ألف دينار وبضعة عشر ألف ألف
دينار .

(١) وفي بعض النسخ « فدان » . ويقال إن أحمد بن محمد
اعتبر ما يصلح للزراعة بأرض مصر ، فوجده أربعة وعشرين
ألف ألف ، وأبائى ٤٠٠٠٠ »

ولما زالت دولة القبط الأولى من مصر ،
وملكها العاقلة ، اختل أمرها . وكان فرعون
الأول يجيها تسعين ألف ألف دينار ، يخرج
من ذلك عشرة آلاف ألف دينار لمصالح البلد ،
وعشرة آلاف ألف دينار لمصالح الناس — من
أولاد الملوك ، وأهل التعفف — وعشرة آلاف
ألف دينار لأولياء الأمر والجند والكتاب ،
وعشرة آلاف ألف دينار لمصالح فرعون ،
ويكتزون لفرعون خمسين ألف ألف دينار .

وبلغ خراج مصر في أيام الريان بن الوليد
— وهو فرعون يوسف عليه السلام —
سبعة وتسعين ألف ألف دينار ، فأحب أن يثمه
مائة ألف ألف دينار ، فأمر بوجوه الصارات ،
وإصلاح جسور البلد ، وزيادة في استباط
الأرض ، حتى بلغ ذلك وزاد عليه .

وقال ابن حية : وجبت مصر في أيام
الفراعة بلغت تسعين ألف ألف دينار بالدينار
الفرعوني ، وهو ثلاثة مثاقيل من مثقالنا
المعروف الآن بمصر ، الذي هو أربعة
وعشرون قيراطا ، كل قيراط ثلاث حبات من
قمح ، فيكون بحساب ذلك مائتي ألف ألف
وسبعين ألف ألف دينار مصرية .

وذكر الشريف الجواني أنه وجد في بعض
البرابي بالصعيد مكتوبا باللغة الصعيدية مما
تقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون
يوسف عليه السلام — وهو الريان بن
الوليد — من أموال مصر بحق الخراج مما
يوجبه الخراج وسائر وجوه الجبايات لسنة
واحدة على العدل والانصاف والرسوم
الجارية ، من غير تأويل ولا اضطهاد ولا مشاحة
على عظيم فضل كان في يد المؤدي لرسه ،

وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان
نظرا للعاملين وتقوية لحالهم : من العين أربعة
وعشرون ألف ألف دينار وأربعمائة ألف
دينار .

وذكر ما فيه كما في خبر الحسن بن علي
الأسدي .

وقال الحسن بن علي الأسدي : أخبرني
أبي قال : وجدت في كتاب قبطي باللغة
الصعيدية — مما نقل إلى اللغة العربية —
أن مبلغ ما كان يستخرج لفرعون مصر ، بحق
الخراج الذي يوجد ، وسائر وجوه الجبايات
لسنة كاملة على العدل والانصاف والرسوم
الجارية ، من غير اضطهاد ولا مناقشة على
عظيم فضل كان في يد المؤدي لرسه ، وبعد
وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان رفقا
بالعاملين وتقوية لهم : من العين أربعة وعشرين
ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار من
جهات مصر ، وذلك ما يصرف في عارة البلاد
لحفر الخلع ، وإتقان الجسور ، وسد
الترع ، وإصلاح السبل والساسة ، ثم في
تقوية من يحتاج التقوية من غير رجوع عليه
بها ، لإقامة العوامل ، والتوسعة في البدار ،
وغير ذلك .

ومن الآلات ، وأجرة من يستعان به من
الأجراء لحمل الأصناف وسائر نفقات تطبيق
أراضيهم : من العين ثمانمائة ألف دينار .

ولما يصرف في أرزاق الأولياء الموسومين
بالسلاح وحملته ، والغلمان وأشياهم ، مع
ألف كاتب موسومين * بالدواوين ، سوى
أرباعهم من الخزان ، ومن يجري مجراهم

(٥) مره ٧ ج ١ ، ط. بولاق .

— وعدتهم مائة ألف وأحد عشر ألف رجل —
من العين ثمانية آلاف دينار

ولما يصرف في الأراذل والأيتام ، فرضا لهم
من بيت المال ، وإن كانوا غير محتاجين إليه ،
حتى لا تخلو آمالهم من ير يصل إليهم : من
العين أربعمائة ألف دينار .

ولما يصرف في كهنة برايهم وأئمتهم ،
وسائر بيوت صلواتهم : من العين مائة ألف
دينار .

ولما يصرف في الصدقات — وينادي في
الناس : برئت الذمة من رجل كشف وجهه
لفاقه ، فليحضر ، فلا يرد عند ذلك أحد ،
والأمناء جلوس ، فإذا رأى رجل لم تجر
عادته بذلك أفرد بعد قبض ما يتقبضه ، حتى
إذا فرق المال واجتمع من هذه الطائفة عدة ،
دخل أمناء فرعون إليه وهنوه بفرقة المال ،
ودعوا له بالبقاء والسلامة ، وأنهوا حال
الطائفة المذكورة ، فبأمر بتغيير شعنها بالحمام
واللباس ، وبسد الأسطحة ، وبإكسبون
وشربون ، ثم يستعلم من كل واحد سبب
فاخته ، فإن كان من آفة الزمان ، رد عليه مثل
ما كان وأكثر ، وإن كان عن سوء رأى وضعف
تدبير ، ضمه إلى من يشرف عليه ويقوم
بالأمر الذي يصلح له — من العين مائتا ألف
دينار ...

فذلك جملة ما تبين وفصل في هذه الجهات
المذكورة : من العين تسعة آلاف ألف
وثمانمائة ألف دينار . ويحصل بعد ذلك ما
يتسلمه فرعون في بيوت أمواله عدة لتواب
الدهر وحادثات الزمان : من العين أربعة عشر
ألف ألف دينار وستمائة ألف دينار .

وقيل لبعضهم : متى عقدت مصر تسعين
ألف ألف دينار ؟

قال : في الوقت الذي أرسل فرعون بوية
قمح إلى أسفل الأرض وإلى الصعيد ، فلم
يجد لها موضعا تبذر فيه لشغل جميع البلاد
بالمارة .

ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصر في الخراج
وما كان من أمر مصر في ذلك مع القبط

قال زهير بن معاوية : حدثنا سهل ، عن
أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « منعت العراق درهمها
وققيزها ، ومنعت الشام مسدنها ودينارها ،
ومنعت مصر اربدها ، وعدتهم من حيث
بدأتم » .

قال أبو عبيد : قد أخبر صلى الله عليه
وسلم بما لم يكن ، وهو في علم الله كائن ،
فخرج لفظه على لفظ الماضي لأنه ماض في علم
الله . وفي إعلامه بهذا قبل وقوعه ، ما دل على
إثبات نبوته ، ودل على رضاه من عمر رضى
الله عنه ما وظفه على الكفرة من الخراج في
الأمصار .

وفي تفسير المنع وجهان ؟

أحدهما أنه علم أنهم سيلمون ويستقظ
عنهم ما وظف عليهم ، فصاروا مانعين
بإسلامهم ما وظف عليهم ، يدل عليه قوله
« وعدتهم من حيث بدأتم » . وقيل معناه
أنهم يرجعون عن الطاعة ... والأول أحسن .

وقال ابن عبد الحكم ، عن عبد الله بن لهيعة : لما فتح عمرو بن العاص مصر ، صولح على جميع من فيها من الرجال من القبط - من راهق العلم الى ما فوق ذلك ، ليس فيهم امرأة ولا صبي ولا شيخ - على دينارين دينارين ، فأحصوا ذلك فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف .

وعن هشام بن أبي رقية اللخمي أن عمرو ابن العاص لما فتح مصر قال لقيط مصر : ان من كسني كنزا عنده فقدرت عليه قتله .

وان قبطيا من أرض الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو أن عنده كنزا ، فأرسل اليه فسأله فأنكر وجحد ، فحبسه في السجن وعمرو يسأل عنه : هل تسمعونه يسأل عن أحد ؟

فقالوا : لا ، انما سمعناه يسأل عن راهب في الطور .

فأرسل عمرو الى بطرس فنزع خاتمه ، ثم كتب الى ذلك الراهب أن ابعث الى بسا عنده ، وخته وبخته .

فجاء الرسول بقلة ثمانية مختومة بالرماض ، ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها « مالكم تحت القسيعة الكبيرة » .

فأرسل عمرو الى القسيعة فحبس عنهما الماء ، ثم قلع البلاط الذي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا ذهبيا مصريا مضروبة . فغضب عمرو رأسه عند باب المسجد ، فأخرج القبط كنوزهم شققا أن يغني على أحد منهم فيقتل كما قتل بطرس .

وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبطي من قبط مصر ، لأنه استقر

عنده أنه يظهر الروم على عورات المسلمين ، ويكتب اليهم بذلك ، فاستخرج منه بضما وخمسين اردبا دنائير .

قال ابن عبد الحكم : وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه يبعث الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه . وكانت فريضة مصر لحفر خلجها ، واقامة جسورها ، وبناء قناطرها ، وقطع جزائرها ، مائة ألف وعشرين ألفا ، معهم الطور والماسح والاداة ، يعتقون ذلك ، لا يدعون ذلك صيفا ولا شتاء .

ثم كتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تختم في رقاب أهل الذمة بالرماض ، ويظهروا منابقتهم ، ويجزوا نواصبيهم ، ويركبوا على الأكف عرضا ، ولا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه الموسى ، ولا يضربوا على النساء ولا على الولدان ، ولا تمنعهم تشبهون بالمسلمين في ملبوسهم .

وعن يزيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى أمراء الأجناد ألا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه الموسى . وجزيتهم أربعون درهما على أهل الورق ، وأربعة دنائير على أهل الذهب ، وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت مسدان من حنطة ، وثلاثة * أقساط من زيت في كل شهر لكل انسان من أهل الشام والجزيرة ، وودك ، وعسل لا أدري كم هو . ومن كان من أهل مصر فاردب في كل شهر لكل انسان ، ولا أدري كم الودك والعسل ، وعليهم من البر الكسوة التي يكسوها أمير المؤمنين الناس ،

(*) ٧٦ ج ١ ، ط ١٠٧٥

ويضفون من نزل بهم من أهل الاسلام ثلاثة أيام . وعلى أهل العراق خمسة عشر صاعا لكل انسان ، ولا أدري كم لهم من الودك . وكان لا يضرب الجزية على النساء والهيان ، وكان يختم في أعناق رجال أهل الجزية ، وكانت وية عمر في ولاية عمرو بن العاص ستة أمداد

قال : وكان عمرو بن العاص لما استوثق له الأمر ، أقر قبطها على جباية الروم ، فكانت جبايتهم بالتعديل : اذا عمرت القرية وكثر أهلها يزيد عليهم ، وان قل أهلها وخربت نقصوا

فيجتمع عرافو كل قرية وأمرأؤها ورؤساء أهلها ، فيتناظرون في المارة والخراب ، حتى اذا أقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة الى الكور ، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع .

ثم يجتمع كل قرية بقسمهم فيجمعون قسنتهم وخراج كل قرية وما فيها من الأرض العامرة ، فيتدثون ويخرجون من الأرض قدادين لكنائسهم وحبائياتهم ومعدياتهم من جملة الأرض ، ثم يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين ونزول السلطان .

فاذا فرغوا نظروا لما في كل قرية من الصنائع والأجراء ، ققسموا عليهم بقدر احتمالهم ، فان كانت فيهم جالية قسموا عليها بقدر احتمالها ، وقلما كانت تكون الا للرجل الشاب أو المتزوج .

ثم ينظرون ما بقى من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الأرض ، ثم يقسمون ذلك بين

من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم : فان عجز أحد منهم وشكا ضعفا عن زرع أرضه ، وزعوا ما عجز عنه على ذوي الاحتمال ، وان كان منهم من يريد الزيادة أعطى ما عجز عنه أهل الضعف ، فان تشاحوا قسموا ذلك على عدتهم

وكانت قسنتهم على قراريط الدنانير أربعة وعشرين قيراطا ، يقسمون الأرض على ذلك ، ولذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « انكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا » ، وجعل لكل فدان عليهم نصف أردب قمح ووربتين من شعير ، الا القرط فلم يكن عليه ضريبة ... والريبة ستة أمداد .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأخذ من صالحه من المعاهدين ما سقى على نفسه ، لا يضع من ذلك شيئا ولا يزيد عليه . ومن نزل منهم على الجزية ولم يسم شيئا يؤديه ، نظر عمر في أمره ، فاذا احتاجوا خفف عنهم ، وان استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم .

وقال هشام بن أبي رقية اللخمي : قدم صاحب اخنا على عمرو بن العاص رضى الله عنه ، فقال له : أخبرتني ما على أحدنا من الجزية فنصير لها .

فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيصة : لو أعطيتني من الأرض الى السقف ما أخبرتك ما عليك ، انما أتم خزاة لنا : ان كثر علينا كثرنا عليكم ، وان خفف عنا خففنا عنكم .

ومن ذهب الى هذا الحديث ، ذهب الى أن مصر فتحت غنوة .

وعن يزيد بن أبي حبيب قال : قال عمر بن عبد العزيز : أيما ذمي أسلم فإن إسلامه يحرر له نفسه وماله ، وما كان من أرض فاتها من قى الله على المسلمين . وأيما قوم صالحوا على جزية يعطونها ، فمن أسلم منهم كانت داره وأرضه لبيعتهم .

وقال الليث : كتب إلى يحيى بن سعيد أن ما باع القبط في جزيتهم ، وما يؤخذون به من الحق الذي عليهم من عبد ، أو وليدة ، أو بعير ، أو بقرة ، أو دابة - فإن ذلك جائز عليهم . فمن ابتاعه منهم ، فهو غير مردود عليهم أن يسروا ، وما أكرأوا من أرضهم فجائز كراءه ، إلا أن يكون يضر بالجزية التي عليهم ، فلمل الأرض أن ترد عليهم أن أضرت بجزيتهم ، وإن كان فضلا بعد الجزية فإنا نرى كراءها جائزا لمن يكرأها منهم .

قال يحيى : فنحن نقول : الجزية جزيتان : جزية على رؤوس الرجال ، وجزية جملة تكون على أهل القرية يؤخذ بها أهل القرية . فمن هلك من أهل القرية التي عليهم جزية مسماة على القرية ليست على رؤوس الرجال ، فإنا نرى أن من هلك من أهل القرية ممن لا ولد له ولا وارث أن أرضه ترجع إلى قريته في جملة ما عليهم من الجزية ، ومن هلك من جزيته على رؤوس الرجال ، ولم يدع وارثا ، فإن أرضه للمسلمين .

وقال الليث عن عمر بن عبد العزيز : الجزية على الرؤوس وليست على الأرضين ... يريد أهل الذمة .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بن شريح أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم . وهذا يدل على أن عمر كان يرى أن أرض مصر فتحت عبوة ، وأن الجزية إنما هي على القرى ، فمن مات من أهل القرى كانت تلك الجزية ثابتة عليهم ، وأن موت من مات منهم لا يضع عنهم من الجزية شيئا .

قال : ويحصل أن تكون مصر فتحت بصلح ، فذلك الصلح ثابت على من بقي منهم ، وأن موت من مات منهم لا يضع عنهم ما صالحوا عليه شيئا .

قال الليث : وضع عمر بن عبد العزيز الجزية على من أسلم من أهل الذمة من أهل مصر ، والحق في الديوان صلح من أسلم منهم في عشائر من أسلموا على يديه ، وكانت تؤخذ قبل ذلك ممن أسلم وأول من أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة الحجاج بن يوسف .

ثم كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد العزيز بن مروان أن يضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة ، فكله ابن حجرية في ذلك قال : أعيدك بالله أيها الأمير أن تكون أول من سن ذلك بمصر ، فوالله إن أهل الذمة ليتحملون جزية من تهرب منهم ، فكيف نضعها على من أسلم منهم ؟

فتركهم عند ذلك .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بن شريح : أن تضع الجزية عن أسلم من أهل الذمة ، فإن الله تبارك وتعالى قال : « فإن

(*) من ٧٧ ج ١ ، ط ١٠٧٧

تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فخلوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم » ، وقال : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق ، من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

وكتب حيان بن شريح إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد ، فإن الإسلام قد أضر بالجزية حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين ألف دينار أتممت بها عطاء أهل الديوان ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بقضائها فعل .

فكتب إليه عمر : أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، وقد وليت جند مصر ، وأنا عارف بضعفك ، وقد أمرت رسولي بضربك على رأسك عشرين سوطا ، فضع الجزية عن أسلم قبج الله رأيك ، فإن الله إنما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جاييا ، ولعمري لعمري أشقى من أن يدخل الناس كلهم الإسلام على يديه .

قال : ولما استبطأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخراج من قبل عمرو بن العاص ، كتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إلى عمرو بن العاص ، سلام الله عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا اله الا هو . أما بعد ، فإني فكرت في أمرك والذي أنت عليه ، فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة ، وقد أعطى الله أهلها صددا وجلدا وقوة في بر وبحر ، وإنها قد عالجتها الفراعنة ، وعملوا فيها عملا محكما ،

مع شدة عتوهم وكفرهم ، فمجيئ من ذلك ، وأعجب مما عجيبت أنها لا تؤدي نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك ، على غير قحوط ولا جدب . ولقد أكثرت في مكاتبتك في الذي على أرضك من الخراج ، وظننت أن ذلك سيأتينا على غير ثور ، ورجوت أن تفيق فترفع إلى ذلك ، فإذا أنت تأتيني بمعارض تعباً بها لا توافق الذي في نفسي . لست قابلاً منك دون الذي كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك ، ولست أدري مع ذلك ما الذي تترك من كتابي وقبضك ، فلئن كنت مجرباً كافياً صحيحاً ، إن البراءة لنافعة ، وإن كنت مضيقاً نطقاً ، إن الأمر لعلى غير ما تحدثت به نفسك . وقد تركت أن أبلي ذلك منك في العام الماضي رجاء أن تفيق فترفع إلى ذلك . وقد علمت أنه لم يمتك من ذلك إلا أن عمالك عمال سوء ، وما توالى عليك وتلفف اتخذوك كهفاً ، وعندى بأذن الله دواء فيه شفاء عما أسألك فيه . فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاء ، فإن النهر يخرج الدر ، والحق أبلج ، ودعنى وما عنه تلجلج ، فإنه قد برح الخفاء . والسلام .

فكتب إليه عمرو بن العاص : بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، من عمرو بن العاص ، سلام الله عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا اله الا هو . أما بعد ، فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين في الذي استبطأني فيه من الخراج ، والذي ذكر فيها من عمل الفراعنة قبلي ، وأعجابه من خراجها على أيديهم ، وتقص ذلك منها مذ كان الإسلام . ولعمري للخراج يومئذ أوفر وأكثر

والأرض أعسر ، لأنهم كانوا على كفرهم وعثومهم أرغب في عبارة أرضهم منا مذ كان الإسلام . وذكرت أن النهر يخرج الدر فحلبها حلبا قطع درهما . واكثر في كتابك وأنت وعرضت وثررت ، وعلت أن ذلك عن شيء تخفيه على غير خير ، فجت لعمرى بالمقطعات المقذعات ، ولقد كان لك فيه من الصواب من القول وصين صارم ، بليغ صادق . ولقد عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولن بعده ، فكنا - محمد الله - مؤدين لأماناتنا ، حافظين لما عظم الله من حق أئمتنا ، نرى غير ذلك قبيحا ، والعمل به شيئا . فتعرف ذلك لنا ، ونصدق فيه قلبنا . معاذ الله من تلك الطعم . ومن شر النسيم ، والاجترأ على كل مأثم . فأمنض عملك ، فإن الله قد توهنى عن تلك الطعم الدلية والرغبة فيما بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عرضا ، ولم تكرم فيه أخا . والله يا ابن الخطاب لا أتا حين يراد ذلك مني أشد غصبا لنفسي ، ولها انزاهها واكراما ، وما عملت من عمل أرى علي فيه متعلقا ، ولكنني حفظت ما لم تحفظ ، ولو كنت من يهود يثرب ما زدت - يغفر الله لك ولنا - وسكت عن أشياء كت بها عالما ، وكان اللسان بها مني ذلولاً ، ولكن الله عظم من حقاك ما لا يحهل .

فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من عمر بن الخطاب ، الى عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو . أما بعد ، فاني قد عجبت من كثرة كبي اليك في اباطك بالخراج ، وكتابك

الى بثيات الطرق ، وقد علمت اني لست أرضى منك الا بالحق البين ، ولم أقدمك الى مصر أجعلها لك طعمة ولا لقومك ، ولكني وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك . فاذا أتاك كتابي هذا ، فاحمل الخراج قالما هو فيه المسلمين ، وعندى من قد تعلم قوم محصورون . والسلام .

فكتب اليه عمرو بن العاص : بسم الله الرحمن الرحيم ، لعمر بن الخطاب ، من عمرو ابن العاص ، سلام عليك ، فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو . أما بعد ، فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطني في الخراج ، ويؤم أني أحد عن الحق ، وأنكث عن الطريق ، واني والله ما أرغب عن صالح ما تعلم ، ولكن أهل الأرض استظروني الى أن تدرك غلتهم ، فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيرا من أن نخرق بهم فبصبروا الى بيع ما لا غنى بهم عنه . والسلام .

وقال الليث بن سعد رضى الله عنه : جياها عمرو بن العاص رضى الله عنه اثني عشر ألف ألف دينار ، وجياها المقوقس قبله لسنة عشرين ألف ألف دينار ، فعند ذلك كتب اليه عمر بن الخطاب بما كتب .

وجياها عبد الله بن سعد بن سرح ، حين استعمله عثمان رضى الله عنه على مصر ، أربعة عشر ألف ألف دينار ، فقال عثمان لعمر بن العاص بعد ما عزله عن مصر : يا أبا عبد الله ، درت اللقحة بأكثر من درهما الأول .

(١٨) مر ٧٨ ج ١ ط ١٤٠٧

قال : أضرتكم بولدها .

فقال : ذلك ان لم يست التفصيل .

وكتب معاوية بن أبي سفيان الى وردان - وكان قد ولي خراج مصر - أن زد على كل رجل من القبط قيراطا .

فكتب اليه وردان : كيف يزيد عليهم وفي عهدهم ألا يزداد عليهم شيء ؟

فغزله معاوية ، وقيل في عزل وردان غير ذلك .

وقال ابن لهيعة : كان الديوان في زمان معاوية أربعين ألفا ، وكان منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين ، فأعطى مسلمة بن مخلد أهل الديوان عطياتهم وعطيات عيالهم وأرزاقهم ونوائب البلاد من الجسور وأرزاق الكتبة وحملان القمح الى الحجاز ، ثم بعث الى معاوية بستمائة ألف دينار فضل .

وقال ابن عفير : فلما نهضت الابل لقيهم يرح بن كسحل المهرى ، فقال : ما هذا ؟ ما يال مالنا يخرج من بلادنا ؟ ردوه .

فردوه حتى وقف على باب المسجد فقال : أخذتم عطياتكم وأرزاقكم وعطاء عيالكم ونوائبكم ؟

قالوا : نعم .

قال : لا بارك الله لهم فيه ... أخذوه ، فصاروا به .

وقال بعضهم : جبي عمرو بن العاص عشرة آلاف ألف دينار ، فكتب اليه عمر بن الخطاب بمجزه ويقول له : بجاية الروم عشرون ألف ألف دينار .

فلما كان العام المقبل جياهم عمرو اثني عشر ألف ألف دينار .

وقال ابن لهيعة : جبي عمرو بن العاص الاسكندرية الجزية ستمائة ألف دينار ، لأنه وجد فيها ثلثمائة ألف من أهل الذمة فرض عليهم دينارين دينارين . والله تعالى أعلم .

ذكر انتقاضي القبط وما كان من الأحداث في ذلك

خرج الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ، من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : « كيف أتم اذا لم تجبوا دينارا ولا درهما ؟ »

« قالوا : وكيف نرى ذلك كائنا يا أبا هريرة ؟ »

« قال : اى والذي نفس أبى هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق . »

« قالوا : عم ذلك ؟ »

« قال : تنتهك ذمته وذمة رسوله فيشك الله عز وجل قلوب أهل الذمة فيمنعون ما في أيديهم . »

قال أبو عمرو محمد بن يوسف الكندي في كتاب « أمراء مصر » : وفي امرة الحر بن يوسف أمير مصر كتب عبد الله بن الجباب ، صاحب خراجها ، الى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتل الزيادة ، فزاد على كل دينار قيراطا ، فالتقت كورة بنو ولى وقريبط وطراية وعامة الحوف الثرقى ، فبعث اليهم الحر بأهل الديوان ، فحاربوهم

قتل منهم بشر كثير ، وذلك أول انتفاض القبط بمصر

وكان انتفاضهم في سنة سبع ومائة ، وروابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة أشهر ، ثم انتفض أهل الصعيد .

وحارب القبط عسائهم في سنة إحدى وعشرين ومائة ، فبعث إليهم حنظلة بن صفوان أمير مصر ، أهل الديوان فقتلوا من القبط ناسا كثيرا وظهر بهم .

وخرج بغنس (رجل من القبط) في سنود ، فبعث إليه عبد الملك بن مروان موسى بن نصير أمير مصر ، فقتل بغنس في كثير من أصحابه ، وذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

وخالفت القبط برشيد ، فبعث إليهم مروان بن محمد الجعدي - لما دخل مصر فارا من بني العباس - بثمان بن أبي قسعة ، فهزمهم

وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب بن أبي صفرة أمير مصر ، بناحية سخا ، وهاذبوا العمال وأخرجوهم ، وذلك في سنة خمس ومائة ، وصاروا إلى شبرا سنباط ، وانضم إليهم أهل البشرد والأرسية والتجوم . فأتى الخبر يزيد بن حاتم ، فعقد نصر بن حبيب المهلبى على أهل الديوان ووجوه مصر ، فخرجوا إليهم ، فقتلهم القبط وقتلوا من المسلمين ، فالتقى المسلمون النار في عسكر القبط ، وانصرف المسلمون إلى مصر منهزمين .

وفي ولاية موسى بن علي بن رباح على مصر ، خرج القبط يلهب في سنة ست وخمسين مائة ، فخرج إليهم عسكر فهزمهم .

ثم انتفضوا مع من انتفض في سنة ست عشرة ومائتين ، فأوقع بهم الأتقي في ناحية البشرد ، حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون ، فحكم عليهم بقتل الرجال وبيع النساء والأطفال ، فبيعوا وسبي أكثرهم .

ومن حينئذ أذل الله القبط في جميع أرض مصر ، وغلب شوكتهم . فلم يقدر أحد منهم على الخروج ولا القيام على السلطان ، وغلب المسلمون على القرى ، فعاد القبط من بعد ذلك إلى كيد الاسلام وأهله بأعمال الحيلة واستعمال المكر ، وتسكنوا من التكاية بوضع أيديهم في كتاب الخراج .

وكان للمسلمين فيهم وقائع يأتي خبرها في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

ذكر نزول العرب بريف مصر
واتخاذهم الزرع معاشا
وما كان في نزولهم من الأحداث

قال الكندي : في ولاية الوليد بن رفاعة القهسي على مصر ، تلت قيس إلى مصر في سنة تسع ومائة ، ولم يكن بها أحد منهم قبل ذلك إلا ما كان من فهم وعدوان ، فوجد ابن العجباب على هشام بن عبد الملك فسأله أن ينتقل إلى مصر منهم أيا ، فأذن له هشام في

(١٤٦) من ٧٨ ج ١ ط ١ بولاق

لحاق ثلاثة آلاف منهم وتحول ديوانهم إلى مصر على ألا ينزلهم بالقسطاط ، فعرض لهم ابن العجباب وقدم بهم ، فأنزلهم الحوف الشرقي وفرقهم فيه

ويقال إن عبيد الله بن العجباب ، لما ولاه هشام بن عبد الملك مصر ، قال : ما أرى لقيس فيها حظا إلا لناس من جدلة وهم فهم وعدوان

فكتب إلى هشام : إن أمير المؤمنين ، أظن الله بقاؤه ، قد شرف هذا الحي من قيس ونعشهم ورفع من ذكركم ، وإلى قدمت مصر ولم أر لهم حظا إلا أياتا من فهم ، وفيها كور ليس فيها أحد ، وليس يضر بأهلها نزولهم معهم ، ولا يكسر ذلك خراجا ، وهي بليس : فإن رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحي من قيس فليفعل

فكتب إليه هشام : آت وذاك .

فبعث إلى البادية ، فقدم عليه مائة أهل بيت من بني نصر ، ومائة أهل بيت من بني سليم ، فأنزلهم بليس ، وأمرهم بالزرع . ونظر إلى الصدقة من العشور فصرفها إليهم فاشتروا إبلا ، فكانوا يحملون الطعام إلى القلزم ، وكان الرجل يصيب في الشهر عشرة دنانير وأكثر . ثم أمرهم باشتراء الخيول ، فجعل الرجل يشتري المهر فلا يمكث إلا شهرا حتى يركب ، وليس عليهم مشقة في غلف إبلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم .

فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحملوا إليهم ، فوصل إليهم خمسمائة أهل بيت من البادية ، فكانوا على مثل ذلك ، فأقاموا سنة ، فأتاهم

نحو من خمسمائة أهل بيت ، فصار بليس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس

حتى إذا كان زمن مروان بن محمد ، وولي الحويزة بن سهيل الباهلي مصر ، مالت إليه قيس ، فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت ، ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم .

وفي سنة ثمان وسبعين ومائة كشف اسحاق ابن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس أمير مصر أمر الخراج ، وزاد على المزارعين زيادة أجحت بهم ، فخرج عليه أهل الحوف وعسكروا ، فبعث إليهم الجيوش وحاربهم ، فقتل من الجيش جماعة ، فكتب إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد يخبره بذلك ، فعقد لهزيمة بن أعين في جيش عظيم وبعث به إلى مصر ، فنزل الحوف ، وتلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا بأداء الخراج ، فقبل هزيمة منهم واستخرج خراجهم كله .

ثم إن أهل الحوف خرجوا على الليث بن الفضل اليبودي أمير مظهر ، وذلك أنه بعث بمساح يمسحون عليهم أراضي زرعهم ، فانتقصوا من القصة أصابع ، فتظلم الناس إلى الليث فلم يسمع منهم ، فمسكروا وساروا إلى القسطاط .

فخرج إليهم الليث في أربعة آلاف من جنده مصر ، في شعبان سنة ست وثمانين ومائة ، فالتقى معهم في رمضان ، فانهزم عنه الجند في ثاني عشره ، وبقي في نحو المائتين ، فحمل بمن معه على أهل الحوف فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة ، وكان التنازهم على أرض جب

هيرة ، وبث الليث الى القسطنطينية ورجع الى القسطنطينية .

وعاد اهل الحوف الى منازلهم ومنعوا الخراج ، فخرج ليث الى أمير المؤمنين هارون الرشيد في محرم سنة سبع ومائتين ومائة ، وسأله أن يبعث معه بالجيوش فإنه لا يقدر على استخراج الخراج من اهل الحوف الا بجيش يبعث معه . وكان محفوظ بن سليم يباب الرشيد ، فرقع محفوظ الى الرشيد يضمن له خراج مصر عن آخره بلا سوط ولا عصا ، فولاه الخراج ، وصرف ليث بن الفضل عن صلات مصر وخراجها .

وفي ولاية الحسين بن جميل امتنع اهل الحوف من أداء الخراج ، فبعث أمير المؤمنين هارون الرشيد يحيى بن معاذ في أمرهم ، فنزل بليس في شوال سنة إحدى وتسعين ومائة ، وصرف الحسين بن جميل عن إمارة مصر في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وولى مالك بن دهم .

وفرغ يحيى بن معاذ من أمر الحوف ، وقدم القسطنطينية في جمادى الآخرة ، فورد عليه كتاب الرشيد يأمره بالخروج اليه . فكتب الى اهل الحوف أن أقدموا حتى أوصى بكم مالك بن دهم ، وأدخل بينكم وبينه في أمر تخراجكم ، فدخل كل رئيس منهم من اليمانية والقيسية . وقد أعد لهم القيود - فأمر بالأبواب فأخنت ، ثم دعا بالعديد فقيدهم ، وتوجه بهم للتصف من رجب منها .

وفي إمارة عيسى بن يزيد الجلودي على مصر ، ظلم صالح بن شيرزاد عامل الخراج

الناس وزاد عليهم في خراجهم ، فانتفض اهل أسفل الأرض ، وعسكروا . فبعث عيسى بانه محمد في جيش لقتالهم ، فنزل بليس وحاربهم ، فنجوا من المعركة بنفسه ولم ينج أحد من أصحابه ، وذلك في صفر سنة أربع عشرة ومائتين .

فنزول عيسى عن مصر وولى عمير بن الوليد التميمي ، فاستعد لحرب اهل الحوف ، وسار في جيوشه في ربيع الآخر ، فزحفوا عليه واقتلوا ، فقتل من اهل الحوف جمع وانهمزوا ، فتبعهم عمير في طائفة من أصحابه ، فمطف عليه كمين لأهل الحوف فقتلوه لست عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر .

فولى عيسى الجلودي ثانيا ، وسار اليهم فلقبهم بنية مطر ، فكانت بينهم وقعة آلت الى أن انهزم منهم الى القسطنطينية ، وأحرق ما ثقل عليه من رحله ، وخندق على القسطنطينية ، وذلك في رجب .

وقدم أبو اسحاق بن الرشيد من العراق فنزل الحوف وأرسل الى أهله ، فامتنعوا من طاعته ، فقاتلهم في شعبان ودخل - وقد ظفروا بمدة من وجوههم - الى القسطنطينية في شوال ، ثم عاد الى العراق في المحرم سنة خمس عشرة ومائتين بجمع من الأسارى .

فلما كان في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين ، انتفض أسفل الأرض بأسره - عرب البلاد وقبطها - وأخرجوا العمال ، وخلصوا الطاعة لسوء سيرة عمال السلطان فيهم .

(8) من 80 ج 1 ط. بولاق

فكانت بينهم وبين عساكر القسطنطينية حروب امتدت الى أن قدم الخليفة عبد الله أمير المؤمنين المأمون الى مصر ، لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين ، فسخط على عيسى بن منصور الرافقي - وكان على إمارة مصر - وأمر بحل لوائه ، وأخذ بلباس البياض عقوبة له ، وقال : « لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك وفعل عمالك ، حملتم الناس ما لا يطيقون ، وكتمتني الخبر حتى تفاقم الأمر ، واضطرب البلد » .

ثم عقد المأمون على جيش بعث به الى الصعيد ، وارتحل هو الى سخا ، وبعث بالافشين الى القبط - وقد خلموا الطاعة - فأوقع بهم في ناحية البشرد ، وحصرهم حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين ، فحكم فيهم المأمون بقتل الرجال وبيع النساء والأطفال ، فبى أكثرهم .

وتبع المأمون كل من يومى اليه بخلاف ، فقتل ناسا كثيرا ، ورجع الى القسطنطينية في صفر ، ومضى الى حلوان ، وعاد فارتحل لثمان عشرة خلت من صفر . وكان مقامه بالقسطنطينية وسخا وحلوان تسعة وأربعين يوما .

وكان خراج مصر قد بلغ في أيام المأمون - على حكم الانصاف في الجباية - أربعة آلاف ألف دينار ومائتي ألف دينار وسبعة وخمسين ألف دينار .

ويقال ان المأمون لما سار في قرى مصر ، كان يبنى له بكل قرية دكة يضرب عليها سرادقه والعساكر من حوله . وكان يقيم في القرية يوما وليلة ، فمر بقرية يقال لها « طاه

النمل » فلم يدخلها لعقارتها . فلما تجاوزها خرجت اليه عجوز - تعرف بمسارية القبطية صاحبة القرية - وهي تصيح ، فظن المأمون مستغنة متظلمة ، فوقف لها ، وكان لا يمشي أبدا الا والتراجمة بين يديه من كل جنس ، فذكروا له أن القبطية قالت : يا أمير المؤمنين ، نزلت في كل ضيعة وتجاوزت ضيعتي ، والقبط تعيرني بذلك ، وأنا أسأل أمير المؤمنين أن يشرفني بحلولة في ضيعتي ليكون لي الشرف والعقبى ، ولا تشمت بي الأعداء ... وبكت بكاء كبيرا .

ففرق لها المأمون ، وثنى حنان فرسه اليها ونزل . فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وسأله : كم تحتاج من الغنم واللحاج والفراخ والسك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفاكهة والعلوفة وغير ذلك مما جرت به عادته ؟

فأحضر جميع ذلك اليه بزيادة . وكان مع المأمون أخوه المعتصم ، وابنه العباس ، وأولاد أخيه الواثق والمتوكل ، ويحيى بن أكثم والقاضي أحمد بن داود ، فأحضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراد ، ولم تكل أحدا منهم ولا من القواد الى غيره ، ثم أحضرت للمأمون من فاخر الطعام ولذيذه شيئا كثيرا حتى أنه استعظم ذلك .

فلما أصبح - وقد حزم على الرحيل - حضرت اليه ، ومعها عشر وصائف مع كل وصيفة طبق ، فلما عاينها المأمون من بعد قال لمن حضر : قد جاءكم القبطية بصدية الريف : الكامخ ، والصحناء ، والصبر .

فلما وضعت ذلك بين يديه إذا في كل طبق
كيس من ذهب . فاستحسن ذلك وأمرها
بإعادته ، فقالت : لا ، والله لا أفعل .

فتأمل الذهب فإذا به ضرب عام واحد كله ،
فقال : هذا والله أعجب ، ربما يعجز بيت مالنا
عن مثل ذلك !

فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تكسر قلوبنا
ولا نحترق بنا .

فقال : إن في بعض ما صنعت لكفاية ، ولا
نحب التثليل عليك ، فردى مالك بارك الله
فيك .

فأخذت قطعة من الأرض وقالت : يا أمير
المؤمنين ، هذا (وأشارت إلى الذهب) من
هذا (وأشارت إلى الطينة التي تناولتها من
الأرض) ثم من عندك يا أمير المؤمنين ،
وعندي من هذا شيء كثير .

فأمر به فأخذ منها ، وأقطعها عدة ضياع ،
وأعطاهما من قرنتها « طاء النسل » مائتي
فدان بغير خراج ، وانصرف متمجبا من كبر
مروءتها وسعة حالها .

ذكر قبالات أراضي مصر بعد ما فشا الإسلام في
القيط ، ونزول العرب في القرى ، وما كان من
ذلك إلى الروك الأخير الناصري *

وكان من خبر أراضي مصر — بعد نزول
العرب بأرضها واستيطانهم وأهاليهم فيها ،
وانخاذهم الزرع معاشا وكسبا ، واتقياد
جمهور القبط إلى اظهار الاسلام ،

(*) من ٨١٠ ج ١ ، ط ١ بولاق .

واختلاط أنسابهم بأنساب المسلمين لتكاثهم
المسلمات — أن متولى خراج مصر كان
يجلس في جامع عمرو بن العاص من القسطنطينية
في الوقت الذي تنهيا فيه قبالة الأراضي ،
وقد اجتمع الناس من القرى والمدن ، فيقوم
رجل ينادي على البلاد صفقات صفقات ،
وكتاب الخراج بين يدي متولى الخراج
يكتبون ما ينتهي إليه مبالغ الكور والصفقات
على من يتقبلها من الناس ، وكانت البلاد
يتقبلها متقبلوها بالأربع سنين لأجل الظلم
والاستبحار وغير ذلك .

فاذا انقضى هذا الأمر ، خرج كل من كان
تقبل أرضا وضمنها إلى ناحيته ، فيتولى
زراعتها وإصلاح جسورها وسائر وجوه
أعمالها بنفسه وأهله ومن يتدببه لذلك ،
ويحصل ما عليه من الخراج في إبانته على
أقساط ، ويحسب له من مبلغ قبالاته وضمانه
لتلك الأراضي ما ينفقه على عمارة جسورها
وسد ترعها وحفر خلجها ، بضرائب مقدرة في
ديوان الخراج .

ويتأخر من مبلغ الخراج في كل سنة في
جهات الضمان والتقبلين ، ويقال لما تأخر من
مال الخراج البواقي . وكانت الولاة تشدد
في طلب ذلك مرة وتسامح به مرة . فإذا مضى
من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة ، وراكوا
البلاد كلها وعدلوها تعديلا جديدا ، فزيد
فيما يحتمل الزيادة من غير ضمان البلاد ،
ونقص فيما يحتاج إلى التنقيص منها .

ولم يزل ذلك يعمل في جامع عمرو بن
العاص ، إلى أن عمر أحمد بن طولون جامعه ،
وصار المعسكر منزلا لأمراء مصر ، فنقل

الديوان إلى جامع أحمد بن طولون . ثم تلقى
أيام العزيز بالله نزار إلى دار الوزير يعقوب
أبن كلس ، فلما مات الوزير نقل الديوان إلى
القصر بالقاهرة ، واستمر به مدة الدولة
الفاطمية ، ثم نقل منه بعدها . وسألوا عليك
من باب ذلك ما يتضح به ما ذكرت .

قال ابن ذولاق في كتاب أخبار الماردانيين
كتاب مصر : وحضر أبو الحسن وهب بن
إساعيل مجلس أبي بكر بن علي المارداني في
المجد الجامع ، وهو يعقد الضياع ، فقال له
أبو بكر : الساعة أمر بالنداء على صفقة ،
فخذها شركة بيني وبينك .

فنودي على صفقة ، فقال أبو بكر :
اعقدوها على أبي الحسن ، فعقدت عليه
وتحملها ، فأفضلت له أربعين ألف دينار ،
فاستثنى عشرين ألف دينار ولم يدر ما يعمل
فيها ... إلى أن اجتمع مع أبي يعقوب
— كاتب أبي بكر — ليتحدثا ، فقال أبو
يعقوب : رأيت الشيخ (يعني أبا بكر
المارداني) في اليوم مشغول القلب ، أراد
جمع مال وقد عجز عنه ، فقال له أبو الحسن :
عندي نحو عشرين ألف دينار ، فقال : جئني
بها ، فأنفذها إليه وجاءه خطه بالمبلغ .

فاتفق أن مضى أبو الحسن إلى أبي بكر
المارداني ، فقال له : تلك الصفقة قد غلقت
ما عليها وفضل أربعين ألف دينار ، وقد
حصل عندي عشرين ألف دينار حملتها إلى
أبي يعقوب ، وأرسلت في استخراج الباقي
فأحمله .

فقال المارداني : ما هذا العجز ؟ إنما قلت
لك تكون بيني وبينك خوفا من تعريضك ،
وإنما أردت حفظ المال عليك .

ثم أمر أبا يعقوب أن يرد عليه ما دفعه
إليه ، وقال لأبي الحسن : رد عليه خطه .
فقبض ما دفعه إلى أبي يعقوب .

وبلغ خراج مصر ، في السنة التي دخل
فيها جوهر القائد : ثلاثة آلاف ألف دينار
وأربعمائة ألف دينار ونيفا .

وقال في كتاب « سيرة المعز لدين الله
معز » : ولست عشرة بقيت من المعز ، سنة
ثلاث وستين وثلاثمائة ، فلد المعز لدين الله
الخراج ووجوه الأموال وغير ذلك ، يعقوب
أبن كلس وعسلوج بن الحسن ، وجلسا في
هذا اليوم في دار الإمارة في جامع ابن طولون
للنداء على الضياع وسائر وجوه الأموال ،
وحضر الناس للقبالات ، وطلبوا البقايا من
الأموال مما على المالكين والمتقبلين والعمال .

وقال جامع سيرة الوزير الناصر لدين
الحسن بن علي البازوري : وأراد أن يعرف
قدر ارتفاع الدولة ، وما عليها من النفقات ،
ليقايس بينهما ، فتقدم إلى أصحاب الدواوين
بأن يعمل كل منهم ارتفاع ما يجري في
ديوانه ، وما عليه من النفقات ، فعمل ذلك
وسلمه إلى متولى ديوان المجلس — وهو
زمام الدواوين — فنظم عليه عملا جامعيا
وأحضره إياه .

فرأى ارتفاع الدولة التي ألف دينار : منها
الثام ألف ألف دينار ، ونفقاته بأزاء
ارتفاعه . ومنها الريف وباقي الدولة ألف

ألف دينار ، يقف منها عن معلول ومنكر على موتى وهرب ومفقود مائتا ألف دينار ، ويبقى ثمانمائة ألف دينار يصرف منها للرجال عن واجباتهم وكاوتهم ثلثمائة ألف دينار ، وعن ثمن غلة للقصور مائة ألف دينار ، وعن نفقات القصور مائتا ألف دينار ، وعن عائر وما يقام للضيوف الواصلين من الملوك وغيرهم مائة ألف دينار ، ويبقى بعد ذلك مائة ألف دينار حاصلة يحملها كل سنة الى بيت المال المصون ، فحظى بذلك عند سلطانه وخف على قلبه .

قال : وانهى ارتفاع الأرض السفلى الى ما لا نسبة له من ارتفاعها الأول (يعنى بعد موت البازورى وحدث الفتن) ، وهو قبل سنى الفتن (يعنى فى أيام البازورى) ثمانمائة ألف دينار . كانت تحصل فى دفعتين فى السنة : فى مستهل رجب ثلثمائة ألف دينار ، وفى مستهل المحرم ثلثمائة ألف دينار ، فانضع الارتفاع وعظمت الواجبات .

وقال ابن ميرة : وأمر الأفضل بن أمير الجيوش بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر ، فجاء خمسة آلاف ألف دينار ، وكان متحصل الأهرام ألف ألف أردب .

وقال الأمير جمال الدين والملك موسى بن المأمون البطائحي ، فى تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمائة : ثم رأى القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي من اختلال أحوال الرجال العسكرية والمقطعين ، وتضردهم من كون أقطاعاتهم قد خسر ارتفاعها ، وسامت

(٥٨) ص ٨١ ، جزء ١ ، طبع بولاق .

أحوالهم لثقله المتحصل منها ، وأن أقطاعات الأمراء قد تضاعف ارتفاعها وازدادت عن غيرها ، وأن فى كل ناحية من الفواضل للديوان جملة تجيء بالصف وبتردد الرسل من الديوان الشريف بسببها .

فخاطب الأفضل بن أمير الجيوش فى أن يحل الأقطاعات جميعها وبروكها ، وعرفه أن المصلحة فى ذلك تعود على المقطعين والديوان ، لأن الديوان يتحصل له من هذه الفواضل جملة يحصل بها بلاد مقصورة . فأجاب الى ذلك ، وحل جميع الأقطاعات وراكها .

وأخذ كل من الأقوياء والمميزين يتضررون ، ويذكرون أن لهم بساتين وأملاكاً ومعاصر فى نواحيهم ، فقال له : من كان له ملك فهو باق عليه لا يدخل فى الأقطاع ، وهو محكم : ان شاء باعه وان شاء أجره .

فلما حلت الأقطاعات أمر الضعفاء من الأجناد أن يتزايدوا فيها ، فوعدت الزيادة فى أقطاعات الأقوياء الى أن انتهت الى مبلغ معلوم ، وكُتبت السجلات بأنها باقية فى أيديهم الى مدة ثلاثين سنة لا يقبل عليهم فيها زائد .

وأحضر الأقوياء وقال لهم : ما تكرهون من الأقطاعات التى كانت بيد الأجناد ؟ قالوا : كثرة عبرتها وقلة متحصلها ، وخرابها وقلة الساكن بها .

فقال لهم : ابذلوا فى كل ناحية ما تحمله وتقوى رغبتكم فيه ، ولا تنظروا فى العبرة الأولى .

فعند ذلك طابت نفوسهم ، وتزايدوا فيها الى أن بلغت الى الحد الذى رغب كل منهم فيه ، فاقطعوا به ، وكُتبت لهم السجلات على الحكم المتقدم .

فشملت المصلحة الفريقين وطابت نفوسهم . وحصل للديوان بلاد مقورة ، بما كان مرقاً فى الأقطاعات ، بما مبلغه خمسون ألف دينار .

وقال فى حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة : وكان قد تقدم أمر الأجل المأمون بعمل حساب الدولة من الهلالى والخراجى ، وجعل نظمه على جملتين : احداها الى سنة عشر وخمسمائة الهلالية الخراجية ، والجملة الثانية الى آخر سنة خمس عشرة وخمسمائة هلالية وما يوافقها من الخراجية

فمقددت على جملة كثيرة من العين والأصناف ، وشرحت بأسماء أربابها وتعين بلادها . فلما أحضرت أمر بكتب سجل يتضمن المسامحة بالبواقى الى آخر سنة عشر وخمسمائة ، ونسخته بعد التصدير :

« ولما انتهى الينا حال المعاملين والضنفاء والمتصرفين وما فى جهاتهم من بقايا معاملاتهم ، أنعمنا بما تضمنه هذا السجل من المسامحة ، قصداً فى استخلاص ضامن طالت غفلته وخربت ذمته ، وانقاذ عامل أجحف به من الديوان طلبته ، وتوفير الرغبة على عمارتها ، وجريها فيها على قديم عاداتها ... »

« ولما كان ذلك من جيل الأحدثوة التى لم نسبق اليها ولا شاركنا ملك فيها ، اقتضت الحال إيرادها فى هذا الكتاب وإيداعها هذا الباب ، لما اطلعنا عليه ، مما انتهت اليه

أحوال الضنفاء والمعاملين بالملكة ، من الاختلال وتجمد البقايا فى جهاتهم والأموال ، عطفاً عليهم برأفة ورحمة ، وطالعنا المقام الأشرف النبوى بالتفصيل من أمورهم والجملة ، واستخرجنا الأمر العالى بوضع ذلك فى الحال .

وانشأ السجلات الكريمة مقصورة على ذكر هذا الاحسان وتنفيذها الى جميع البلدان ليقرأ على رؤوس الأشهاد بسائر البلاد .

ومبلغ ما انتهت اليه هذه المسامحة ، الى حين ختم هذا السجل :

من العين ألفا ألف وسبعمائة ألف وعشرون ألفا وسبعمائة وسبعة وستون ديناراً ونصف وثلث وثلثان وربع قيراط ، ومن الفضة الفضة الفضة أربعة دراهم ، ومن الورق سبعة وستون ألفاً وخمسة دراهم ونصف وثلثون درهم .

ومن الغلة ثلاثة آلاف ألف وثمانمائة ألف وعشرة آلاف ومائتان وتسعة وثلاثون أردباً وثلثون ونصف وثلثون وثلثي قيراط .

ومن العناب ربع أردب ، ومن ورق الصباغ ألفان وأربعمائة وثلاثة أرادب ونصف ، ومن زريعة الوسمة عشرة أرادب وربع ، ومن الصباغ ألف وأربعمائة وثمانون قنطاراً ووطلاً ونصف ، ومن القوه أربعمائة وسبعون رطلاً ، ومن الشب ثمانمائة وثلاثة عشر قنطاراً ونصف ، ومن الحديد خمسمائة رطل واحد وثلثون رطلاً ، ومن الزفت ألف وثلثمائة وثلاثة أرطال وربع وثلثون ، ومن القطران تسعة عشر رطلاً وثلث .

ومن الثياب الحلبي ثلاثة أثواب ، ومن
الآثار مائة مكر صوف ، ومن الفرائيل مائة
وسبعون غربالا .

ومن الأثمان مائتا ألف وخمسة وثلاثون
ألفا وثلاثمائة وخمسة أرؤس .

ومن البر ثلثمائة وثلاثة عشر قطارا
وثمانية وثلاثون رطلا ، ومن السجل ثلثمائة
ألف ، وخمسة وسبعون ألفا وخمسمائة
وخسون باعا ، ومن البريد أربعمائة ألف
وثلاثمائة وثلاثون ألفا وسبعمائة وثلاثة
وخسون جريدة ، ومن السلب ألف
وأربعمائة وثلاثة وعشرون سلبا .

ومن الأطراف ستة آلاف وسبعمائة وثلاثة
أطراف ، ومن الملح أثنان وسبعمائة وثلاثة
وتسعون أردبا وثلاث ، ومن الأثنيان أحد
عشر أردبا ، ومن الرمان ألفا حبة .

ومن العمل النحل خمسمائة واحد وأربعون
قطارا وسدس ، ومن الشهد اثنان وثلاثون
زيرا وقادوسا واحدا ، ومن الشمع أربعمائة
وأربعون رطلا ، ومن الخليا ثلاثة آلاف
وأربعمائة وخمسة ، ومن عمل القصب مائة
وثمانية وثلاثون قطارا .

ومن الأبقار اثنان وعشرون ألفا ومائة
وأربعة وستون رأسا ، ومن الدواب أربعة
وسبعون رأسا .

ومن السن أثنان وتسعمائة وستة وتسعون
مطرا وسدس وثن ، ومن الجبن ثلثمائة
وعشرون رطلا .

(٥٠) من ٨٢ ج ١ ، طبع بولاق .

ومن الصوف أربعة آلاف ومائة وثلاثة
وعشرون جزء ، ومن الشعر ستة آلاف
وخسون رطلا وزبح ، ومن بيوت الشعر
بستان .

وفصل ذلك بجهاته ومعاملاته .

قال : ولما انتهى إلى المأمون ما يعتمد في
الدواوين ، من قبول الزيادات وفتح عقود
الضمانات واتراعاها من كابد فيها المشقة
والثعب ، وتسليمها إلى باذل الزيادة من غير
كلفة ولا نصب ، أنكر ذلك ونصح من
ارتكابه ، ونهى عن الولوج في يابه ، وخرج
أمره بإعفاء الكافة أجمعين والضمان والمعاملين
من قبول الزيادة فيما يتصرفون فيه ويستولون
عليه ، ما داموا مطلقين وبأقساطهم قائمين .
وتضمن ذلك منشور قرئ في الجامعين
الأزهر بالقاهرة والعتيق بصرة وديوانى
المجلس والخاص الأمرين السعدين . ونسخته
بعد التصدير :

« ولما انتهى إلى حضرتنا ما يعتمد في
الدواوين ، ويقصده جسارة من المتصرفين
والمستخدمين ، من تضمن الأبواب والرباع
والبائين والحمامات والقياسر والمساكن
وغير ذلك من الضمانات ، للراغبين فيها ممن
تستمر معاملته ولا تتكرر طريقته . فما هو إلا
أن يحضر من يزيد عليه في ضمانه ، حتى قد
تقضى عليه حكم الضمان ، وقبل ما يبذل من
الزيادة كائنا من كان ، وقبضت يد الضامن
الأول عن التصرف ، ومكن الضامن الثانى
من التصرف من غير رعاية للعقد على الضامن
الأول ، ولا تحرز في فسحه الذى لا يبيحه
الشرع ولا يتأول ... أنكرنا ذلك على

معتديه ، وذمنا من قصدا عليه ومرتكبه ،
إذ كان للحق مجانيا ، وعن مذهب الصواب
ذاهبا ، وعرضنا ذلك بالمواقف المقدسة
المطهرة - ضاعف الله أنوارها وأعلى أهدا
منارها - واستخرجنا الأوامر المطاعة في كتب
هذا المنشور إلى سائر الأعمال ، بأنه أى أحد
من الناس ضمن ضمانا من باب أو ربع أو
بستان أو ناحية أو كفر - وكان لأقساط
ضمانه مؤديا ، ولما يلزمه من ذلك مبديا ،
وللحق متبعا - فإن ضمانه باق في يده لا
تقبل زيادة عليه مدة ضمانه على العقد
المعقود ، عملا بالواجب والنظام المصود ،
واتباعا لما أمر الله تعالى به في كتابه المجيد ،
لأنه يقول جل من قائل : « يا أيها الذين آمنوا
أوفوا بالعقود » ، إلى أن تنقضى مدة الضمان
ويزول حكمها ويذهب وضعها ورسمها ، حملا
على قضية الواجب وسنتها ، واعتادا على
حكم الشريعة التى ماضل من اعتدى بفرائضها
وسنتها ...

« فأما من ضمن ضمانا ولم يتم بما يجب
عليه فيه ، وأصر على المدافعة والمغالطة التى
لا يعتمد عليها إلا كل ذميم الطباع سفيه ، فذلك
الذى قسح حكم ضمانه بنقضه الشروط
المشروطة عليه ، وحكمه حكم من إذا زيد عليه
في ضمانه نقل عنه وأخرج من يديه ، لأنه
الذى بدأ بالفسخ وأوجد السبل إليه ...

« فليعتمد كافة أرباب الدواوين ، وجميع
المتصرفين والمستخدمين العمل بما تضمنه هذا
المنشور ، وامتنال المأمون ، وحمل هؤلاء
الضمان والمعاملين على ما نص فيه ، والحذر
من تجاوزه وتعديه بعد ثبوتيه في ديوانى

المجلس والخاص الأمرين السعدين ، وبحيث
ثبت مثله أن شاء الله تعالى .

قال : ووصلته المكتبة من السوالى
والمنشرف ، ومن كان ندب صحبه لكشف
الأراضى والسواقى ومساحتها ، متضمنة ما
أظهره الكشف وأوضحته المساحة على من
يده السواقى - وهم عدة كثيرة - ومن
جملتها ساقية مساحتها ثلثمائة وستون فدانا
تشتل على النخل والكرم وقصب السكر
بمدينة اسنا خراجها في السنة عشرة دنانير ،
وما يجرى في الأعمال هذا المجرى .

وأهم وضعوا يد الديوان على جسيمها ،
وطلبوا من أرباب السواقى ما يدل على ما
بأيديهم . فذكروا أنها اتقلت إليهم ، ولم
يظهروا ما يدل عليها . وقد سيرا ملاكها إلى
الباب تحت الحوطة ليخرج الأمر بما يعتمد
عليه في أمرهم . وعند وصولهم أوقع الترسيم
عليهم إلى أن يقوموا بما يجب من الخراج
عن هذه السواقى ، فإن الأملاك بجملتها لا
تقوم بما يجب عليها .

فوقف المذكورون للمأمون في يوم جلوسه
للسلالم ، فأمر بحضورهم بين يديه ، وتقدم
إلى القاضي جلال الملك أبو الحجاج يوسف
ابن أبى أيوب المغربي - وهو يومئذ قاضى
القضاة - لمحاكمتهم ، فجرى له معهم
مفاوضة أوجبت الحق عليهم ، وألزمهم بالقيام
بما يستغرق أموالهم وأملاكهم .

فحصل من تضربهم ما أوجب العاقبة
عليهم ، وأخذهم بالخراج من بعد ، وأن

(٥١) من ٨٤ ج ١ ، طبع بولاق .

يضرب فما تقدم صنفا ، وكتب منشور
نسخة :

« قد علم الكفاة ما نراه من افاضة سحب
العدل عليهم والاحسان والنظر في مصالح كل
قاص منهم ودان ، وانا لا ندع ضررا يتوجه
الى أحد من الرعية الا حسنا ، ولا نعلم
صلاحا يعود نفسه عليه الا قوتنا سيبه
ووصلنا ، حسب ما يتعين على رعاة الأمم ،
وصلا بالواجب في البعد والألم ، وسلوكا
لمحبة الدولة القاطية - غلدا الله ملكها -
القوية ، واستمرروا على قضايها وسجايها
الكرمة ...

« ولما كنا نرى النظر في مصالح الرعايا أمرا
واجبا ، ونصرف الى سياستهم غزما ماضيا
ورأيا قابضا ، كذلك نرى النظر في أمور
الدواوين واستيفاء حقوقها المصروفة الى
حماية البيعة ، والحماية عن الدين ، وجهاد
الكفرة والملحدين ، ليكون ما نراعيه وننظر
فيه جاريا على سنن الواجب ، محروسا من
الخلل - بإذن الله - من جميع الجوانب .

« ومن الله نستمد مواد التوفيق في العمل
والمقد ، ونسأله الارشاد الى سواء السبيل
والتصد ، وما توفيقنا الا بإله ، عليه تتوكل ،
وهو حبيبنا ونعم الوكيل .

وكان القاضي الرشيد بن الزير - أيام
مشارفته الصعيد الأعلى - قد طالع المجلس
الأفصى بحال أرباب الأملاك هناك ، وأنهم
قد استضافوا الى أماكنهم من أملاك الدواوين
أراضي اغتصبوها ، ومواضع مجاورة لأملاتهم
تمدوا عليها وخطوها بها وحازوها . ورسم له

كشفها ونظم المصارح بها وارتجاعها للديوان ،
وأن يعتمد في ذلك ما يوجب حاكم العدل
المثبت في كل قطر ومكان .

وبآخر ذلك : « سيرا من الباب من يكشف
ذلك على حقيقته وانهاهه على طيته ، فاعتمدوا
ما أمروا به من الكشف في هذه الأملاك .

« ووردت المطالعة منهم بأنهم التمسوا ممن
بيده ملك أو ساقية ، ما يشهد بصحة ملكه
ومبلغ قدره وذكر حدوده ، فلم يحضر أحد
منهم كتابا ، ولا أوضح جوابا ...

« وأصدروا الى الديوان المصارح بما
كشفوه وأوضحوه ، فوجدوا التمدي في
ظاهرها ، وباب الحيف والظلم غير متقاصر ،
والشرع يوجب وضع اليد على ما هذه حاله ،
ومطالبة صاحبه برعيه واستغلاله ، لا سيما
وليس بيده كتاب يشهد بصحة الملك راسا ،
ولا يستد في ذلك الى حجة ادخرها احترازا
عن مجاهدة سبيله واحتراسا ...

« ولكي نحكم بما نراه من المصلحة للرعية
والعدل الذي أقننا مناره ، وأحيينا معاملة
وآثاره ، مع الرغبة في عمارة البلاد ومصالح
أحوالها ، واستباط الأرضين الدائرة ، وإنشاء
القروس وإقامة السواقي بها ... أمرنا بكتب
هذا المنشور وتلاوته بأعمال الصعيد الأعلى ،
بأقرار جميع الأملاك والأرضين والسواقي
بأيدي أربابها الآن ، من غير اتساع شيء
منها ولا ارتجاعه ، وأن يقرر عليها من الخراج
ما يجب تقريره ، ويشهد الديوان على
أمثالهم بمثله ، احسانا اليهم لم نزل تابع مثله
ولواليه ، وانعاما ما يرحنا نعيده عليهم
وليديه ...

« وقد أنعمنا وتجاوزنا عما سلف ، ونهينا
من يستأنف ، وسامحنا من خرج عن التمدي
الى المألوف ، وجربنا على سنتنا في العفو
والمعروف ، وجعلناها توبة مقبولة من الجماعة
الجائين ، ومن عاد من الكفاة أجمعين فلينتقم
الله منه ، وطوبى يستأنفه وأمه ، وبرئت
الذمة من ماله ونفسه ، وتضاعفت عليه الغرامة
والعقوبة ، وسدت في وجهه أبواب الشفاعة
والسلامة ...

« وقد فصحنا - مع ذلك - لكل من
يرغب في عمارة أرض حلفاء دائرة وإدارة بشر
مهجورة معطلة ، في أن يسلم اليه ذلك ويقاس
عليه ، ولا يؤخذ منه خراج الا في السنة
الرابعة من تسليمه إياه ، وأن يكون المقرر
على كل فدان ما توجه زراعته لمثله خراجا
مؤبدا وأمرنا مؤكدا ...

« فليعتمد ذلك النواب وحكام البلاد ،
ومن جرت العادة بحضوره عقد مجلس ،
وأحضار جميع أرباب الأملاك والسواقي ،
واشعارهم ما شملهم من هذا الاحسان الذي
تجاوز آمالهم في اجابتهم الى ما كانوا يبالغون
فيه ، وتقرر ما يجب على الأملاك المذكورة
من الخراج على الوضع الذي مثناه ، ويجوز
الديوان تقريره وبرضاه ، مع تفضين الأراضي
الدائرة والآبار المعطلة لمن يرغب في ضمانها ،
ونظم المصارح بذلك وأصدارها الى
الديوان ، ليخلد فيه على حكم أمثالها بعد
تبوت هذا المنشور بحيث يثبت مثله .

قال : ولما سرت هذه المصالح الى جميع أهل
هذه الأعصا ، حصل الاجتهاد في تحصيل
مال الديوان وعمارة البلاد .

واعلم أنه لم يكن في الدولة القاطية بديار
مصر ، ولا فيسا مضي قبلها من دول أمراء
مصر ، لساكر البلاد اقطاعات بمعنى ما عليه
الحال اليوم في أجناد الدولة التركية ، وانا
كانت البلاد تفسن بقبالات معروفة لمن شاء
من الأمراء والأجناد والوجوه وأهل التولعي
من العرب والقبط وغيرهم ، لا يعرف هذه
الابذة التي يقال لها اليوم القلاحة .

ويسمى المزارع المقيم بالبلد فلاحا قرارا ،
فيصير عبدا لنا لمن أقطع تلك الناحية ، الا
أنه لا يرجو قط أن يباع ولا أن يعتق ، بل
هو قن ما بقي ومن ولد له كذلك ، بل كان
من اختار زراعة أرض يقبلها كما تقدم ،
وحمل ما عليه ليت المال .

فاذا صار مال به الخراج بالديوان ، أتفق في
طوائف السكر من الخزائن .

وكان مع ذلك اذا انحط ماء النيل من
الأراضي ، وتعلقت نواحي مصر بأصناف
الزراعات ، نذب من الحضرة من فيه نباحة ،
وخرج معه عدول يوتق بهم وكانت لهم معرفة
بعلم الخراج ، وكثيرا ما كان هذا الكاتب من
النصارى الأقباط .

ويخرج الى كل ناحية من ذكرنا ، فيحرقون
مساحة ما شمله الري من الأراضي ما لعله بار
أو شرق ، ويكتب بذلك مكلفات واضحة
بالتقدين والقطائع على جميع الأصناف
المزروعة ، ويحضر الى دواوين الباب .

فاذا مضى من السنة القبطية أربعة أشهر ،
نذب من الأجناد من عرف بالحساسة وقوة

(هـ) مصر ٨٨٠ ج ١ ، طبع بولاق

البشر ، وعين منه من الكتاب المدون من قد
تتم بولامة ، وكتب من لصلوى القبط
غير من خرج عند الساعة ، وساروا الى كل
الجهة كذلك ، فاستخرج مائتو كل بلد ثلث
ما وجب من مال الخراج على ما شئعت به
المكاتب ، فلما حضر هذا الثلث صرف في
واحيات المساكين ... وهكذا السبل في
استخراج كل قسط طول الزمان من كل
سنة

وكانت تبقى في بيضات الفساق والتقليين
جيلة بولاق .

وكانت بلاد مصر ، اذ ذلك ، قبل بين وغلة
والصاف ، وقد عرف ذلك من نسخة السوح
التي تظن ترك البواتي في أيام الخليفة
الأمير بإحكام الله ووزيرة الآمون البطاني .

ورأت بخط الإسعد بن مهذب بن ذكرى
ابن مثنى الكاتب المسمى : سالت القاضي
القاض عبد الرحيم : كم كانت عنة المساكين
في عرض ديوان الجيش ، لما كان سيدا يتولى
ذلك في أيام رزك بن الصالح ؟

فقال : أربعين ألف فارس وثلاثين
ألف رجل من السودان .

وقال أبو عمرو عثمان التلي في كتاب
«حسن البررة في اتخاذ الحصن بالجزيرة» :
لأن ضرغاما لما ثار على شاور ، وفر شاور الى
السلطان نور الدين محمود بن زنكي فبعث
يستجده به على ضرغام وولده بأه يكون ثانيا
عنه بمصر ويصل اليه الخراج ، أثنى
نور الدين عزما لم يكن . فجهز ألف فارس ،
وقدم عليهم أسد الدين شيركوه ، وأمره

بالتوجه ، فأبى وقال : لا أمضى أبدا ، فإن
هلاكي ومن مبي وسوء ما سمع السلطان
معلوم من هنا ، وكيف أمضى بألف فارس الى
القيم فيه عشرة آلاف فارس ، ومائة سيده
فيها عشرة آلاف مقاتل وأربعون ألف عبد
وقوم مستوطنون في أوطانهم ، فرايت حرايتهم
— ونحن أنهم من تب السر — بهذه العدة
القليلة ؟

قال : ثم أجابه بعد ذلك .

هنا — أعزك الله — بعد ما كانت عساكر
أحمد بن طولون ، ما ستره في ذكر التناح
أن شاء الله تعالى ، ثم ما كان من عساكر
الأمير أبي بكر محمد بن طنج الأخشيد ،
وهي — على ما حكاه غير واحد ، منهم ابن
خلكن — أنها كانت أربعين ألف .

ولما انتقلت دولة التماسين بدخول الفرز
من بلاد الشام ، واستولى صلاح الدين
يوسف بن أيوب على مملكة مصر ، تغير
الحال بعض التغير لا كنه .

قال القاضي القاض في متجددات سنة سبع
وستين وخمسة : في ثامن المحرم خرجت
الأوامر الصلاحية بركوب المساكين قديسها
وجديسها ، بعد أن أئثر حاضرها وغائبها ،
وتوافى وصولها وتكامل سلاحها وخبولها ،
فحضر في هذا اليوم جموع ، شهد كل من
علائه وقرطس شته أن ملكا من ملوك
الاسلام لم يحز مثلها ، وشاهدت رسل الروم
والفرنج ما أرغم أنوف الكفرة .

ولم يتكامل اجتياز المساكين موكبا بعد
موكب ، وطبا بعد طبا (والطلب — بلقة

الفرز — هو الأمير المقدم الذي له علم معتود
وبوق مضروب ، وعدة من مائتي فارس الى
مائة فارس الى سبعين فارسا) الى أن انقضى
التنهار ، ودخل الليل وعاد ولم يكمل
عرضهم .

وكانت العدة الحاضرة مائة وسبعة وأربعين
طبا ، والغائب منها عشرون طبا ، وتقدير
العدة يناهز أربعة عشر ألف فارس ، أكثرها
طواشي (والطواشي من رزقه من سبعمائة
الى ألف الى مائة وعشرين وما بين ذلك ، وله
برك من عشرة رؤوس الى ما دونها ما بين
فرس وبرذون وبغل وجمل ، وله غلام يحمل
سلاحه) وقرا غلامية تسعة الجيلة .

قال : وفي هذه السفرة عرض الغريان
الخدامين ، فكانت عدتهم سبعة آلاف فارس ،
واستقرت عدتهم على ألف وثمناية فارس
لا غير ، وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب ،
وكان أصله ألف ألف دينار ، على حكم
الاعتداد الذي يتأصل ولا يحصل ، وكلف
التغلبة ذلك فامتعضوا ولوحوا بالتحيز الى
الفرنج .

وقال في متجددات شهر رجب سنة سبع
وسبعين وخمسة : استمر انتصاب السلطان
صلاح الدين في هذه السنة للنظر في أمور
الاقطاعات ومعرفة غيرها ، والنقص منها
والزيادة فيها ، وإببات المحروم وزيادة
المشكور ، الى أن استقرت العدة على ثمانية
آلاف وستمائة وأربعين فارسا : أمراء مائة
وأحد عشر أميراً ، طواشي ستة آلاف
وسبعمائة وستة وسبعون ، قرا غلامية ألف
وخمسة وثلاثة وخمسون .

والمستقر لهم من المال ثلاثة آلاف ألف
وستمائة ألف وسبعون ألفا وخمسة
دينار ، وذلك خارج عن المحلولين من الأجناد
الموسمين بالحوالة على العشر ، وعن عدة
الغريان المقطعين بالشرقية والبحيرة ، وعن
السكاكين والمصريين والفقهاء ، والقضاة
والصوفية ، وما يجري بالديوان ولا يقصر
عن ألف ألف دينار .

وقال في متجددات سنة خمس وثمانين
وخمسة : أوراق بما استقر عليه عبر البلاد
من اسكندرية الى عيذاب ، الى آخر الرابع
والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين
وخمسة ، خارجا عن الثغور وأبواب
الأموال الديوانية والأحكام والجس ومنفلوط
ومنتباط وعدة فواح أوردت أسماؤها ولم
يعين لها في الديوان عبرة ، من جيلة أربعة
آلاف ألف وستمائة ألف وثلاثة وخمسين ألفا
وسبعة عشر دينارا ، بعد ما يجري في الديوان
العادلي السعيد وغيره عن الشرقية والمرتاحية
والدهلية وبوش وغير ذلك ، وهو ألف ألف
ومائة ألف وتسعون ألفا وستمائة وثلاثة
وعشرون دينارا ، تفصيل ذلك :

الديوان العادلي : سبعمائة ألف وثمانية
وعشرون ألفا ومائتان وثمانية وأربعون
دينارا .

الأمراء والأجناد المرسوم بإبقاء اقطاعاتهم
بالأعمال المذكورة : مائة ألف وثمانية
وخمسون ألفا ومائتان وثلاثة دنانير .

ديوان السور المبارك والإشراف : ثلاثة عشر
ألفا وثمانمائة وأربعة دنانير .

له منها مائة ألف أردب غلة في كل سنة .
واقصدى به جميع الأمراء ، وأخرجوا ما في
اقطاعهم من ذلك ، فبطلت الحمايات .

وجعل السلطان في هذا الروك للأمراء
والأجناد أحد عشر قيراطا ، وأفرد تسعة
قراريط ليخدم بها عسكرا ويقطعهم إياها ، ثم
رتب أوراقا بتكفية الأمراء والأجناد بعشرة
قراريط ، ووفر قيراطا لزيادة من عساه بطلب
زيادة لقلة متحصل اقطاعه ، وأفرد لخاص
السلطان عدة أعمال جليلة ، وأفرد للنائب
منكونر لتفرقة المثالات في تابعيه فتكرت
قلوب الأمراء ، حتى كان من المنصور لاجين
ونائبه منكونر ما كان .

فلما كانت الأيام الناصرية ، رآك الناصر
محمد البلاد ... قال جامع السيرة الناصرية :
وفي سنة خمس عشرة وسبعمائة ، اختار
السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أن
يروك الديار المصرية ، وأن ييطل منها مكوسا
كثيرة ، ويفضل لخاص مملكته شيئا كثيرا من
أراضي مصر .

وكان سبب ذلك أنه اعتبر كثيرا من أخباز
الممالك والحاشية الذين كانوا للملك المظفر
ركن الدين بيبرس الجاشنكير والأمير سلاور
وسائر الممالك البرجية ، فاذا هي ما بين ألف
دينار الى ثمانمائة دينار ، وخشى من قطع
أخباز المذكورين ، فولد له الرأي مع القاضي
فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش ،
أن يروك ديار مصر ، ويقرر اقطاعات مما
يحتاج ، ويكتب بها مثالات سلطانية . فتقدم
الفخر ناظر الجيش فعمل أوراقا بما عليه عبر
النواحي ومناحتها .

وعين السلطان لكل اقليم من أقاليم ديار
مصر اثاسا ، وكتب مرسوما للأمير بدر الدين
جيكل بن البابا أن يخرج ناحية الغريه ومعه
أعزل الحاسب ، ومن الكتاب المكين بن
فروية .

وأن يخرج الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى
الى ناحية الشرقية ومعه الأمير ايتمش المجدى
ومن الكتاب أمين الدولة ابن قرموط

وأن يخرج الأمير بلبان الصرخدى والقليجى
وابن طرطاي ويبرس الجمدار الى ناحية
المنوفية والبحيرة .

وأن يخرج البلى والمرينى الى الوجه
القبلى

ولتب معهم كتابا ومستوفين وقياسين ...
فساروا الى حيث ذكر .

فكان كل منهم اذا نزل بأول عمله ، طلب
مشايخ كل بلد ودلائها وعدولها وقضاتها
وسجلاتها التى بأيدى مقطعيها ، وفحص عن
متحصلها من عين وغلة وأصناف ، ومقدار
ما تحتوى عليه من الفدن ، ومزروعها وبورها
وما فيها من ترايب وبواق وغرس ومستبحر ،
وعبرة الناحية وما عليها لمقطعيها من غلة
ودجاج وخراف وبرسيم وكشك وكملك وغير
ذلك من الضيافة .

فاذا حرر ذلك كله ، ابتدا بقياس تلك
الناحية ، وضبط بالعدول والقياسين وقاضى
العمل ما يظهر بالقياس الصحيح ، وطلب
مكلفات تلك القرية وغنداقتها وفضل ما فيها
الأجناد والرزق ، حتى ينتهى الى آخر عمله .



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأئمة
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
بولاو
سنة ١٢٧٠ هجرية

التمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خَطُّ الْمُقْرِئِ

الحج

٥

كتاب
التحرير



• كانت مصر هي مستطع رأسي ، وملعب أترابي ، ومجمع ناسي . ومغنى عشيرتي وحاسني .
وموطن فحاصتي وعماستي . وهجر هجرتي الذي ربي بشامي في ذكره . وعش ماري ، فها
تهوى الأنفوس غير ذكره . لازلت منذ شذوت العاليم ، وآتاني رب الظلمات والفهم ، أرغب في
معرفة أخبارها ، وأحب لإشراف علي الأشراف من آبارها ، وأصوي مساولة الركبان عن مكان ديارها ؛
تمنى الدين أحمد بن علي المقرئ

لم يفتروا بعد طعنة وسيف من يومها ، وقد
تقرر في الأوراق المحضرة حال جميع طباع
أرض مصر ومساحتها وعبرة أراضيها ، وما
يتحصل من كل قرية من عين وطلعة وصنف .

فكتب السلطان الممصر لفر الجيش والتي
الاسم من التي كانت المروية وكانت سرامي
ومسائر مستوفى الدولة ، والزمهم بحصل
أوراق تشمل على بلاد الخاص السلطان التي
عندها لهم وعلى أقطاعات الأمراء ، وأضاف
على عبرة كل بلد ما كان على فلاحيهما من
ضيافة فمطعمها ، وأضاف الى العبرة ما في
الأقطاع من الجوالي ، وكتب مثالات للأجناد
بأقطاعات على هذا الحكم ، فاعتد منها بما
كان يصرف في كلف حمل الغلال من النواحي
الى ساحل القاهرة وما كان عليها من المكس .

وأبطل السلطان عدة مكوس منها مكس
ساحل القناة ، وكان جبل متحصل الدوايق ،
وعليه أقطاعات الأمراء والأجناد ، ويتحصل
منه في السنة أربعة آلاف ألف وستائة ألف
درهم ، وعليه أربعائة مقطع لسكل منهم من
عشرة آلاف الى ثلاثة آلاف ، ولسكل من
الأمراء من أربعين ألفا الى عشرة آلاف .

وكانت جهة عطية لها متحصل كثير جدا ،
وبالاقبط منها منافع كثيرة لا تحصى ،
ويحل بالناس من ذلك بلائ شديد ونعب
عظيم من المغارم والظلم ، فان مطالبها كانت
تتمدد ما بين نواتية لشرق وكباين نخس
وشادين وكتاب يرمد كل منهم شيئا ، وكان

(نسخة من مرقم ج ١ ، ط ١٠٠٠)

مقرر الأرب درهمين السلطان وبلاده نصف
درهم ، غير ما يذهب ويسرق .

وكان لهذه الجهة مسكان يصرف بطمن
الكيالة في ساحل بولاق ، يجلس فيه ثمان
ومستوفى مناعها ما بين كتاب ومستوفى والثلث
والاثنون جنديا مباشرين ، ولا يسكن احدا من
الناس ان يبيع لادسا من غلة في سائر النواحي ،
بل يعمل الغلات حتى تباع في خمس الكيالة
ببولاق .

وما أبطل أيضا نصف السمرة : وهو
عبارة عن أن من باع شيئا من الأشياء لانه
يعطى أجرة الدلال - على ما تقرر من
قديم - عن كل مائة درهم درهمين ، فلما
ولى ناصر الدين الشيبني الوزارة قرر على
كل دلال من دلالته درهما من كل درهمين ،
فصار الدلال يعمل معدله ويجهده حتى ينال
عاقبه وتفسير الغرامة على البائع ، فتضرر
الناس من ذلك وأوذوا فلم يفتأوا حتى أبطل
ذلك السلطان .

وما أبطل رسوم الولاية : وكانت جهة
تتعلق بالولاية والمقدمين فيجيبها المذكورون من
عرفاء الأسواق وبيوت الفواحي ، ولهذه
الجهة ضامن وتحت يده عدة صبيان وعليها
جند مستقطعون وأمراء وغيرهم ، وكانت
تشتمل على ظلم شنيع وفساد قبيح وهتك
قوم مستورين وهجم بيوت أكثر الناس .

وما أبطل مقرر الحوائص والبغال من
المدينة وسائر أعمال مصر كلها من الوجه
القبلي والبحري ، فكان على كل من الولاية
والمقدمين مقرر يحصل في كل فسط من أقطاط

السنة الى بيت المال ، عن ثمن حياصة ثلثائة درهم ، وعن ثمن بغل خبثانة درهم ، وعلى هذه الجهة عدة مقطعين وفضل منها ما يحصل . وكان يصيب الناس من هذه الجهة ما لا يوصف ، ويحل بهم من صف الرقاصين ما يهون معه الموت .

ومن ذلك مقرر السجون : وهو عبارة عما يؤخذ من كل من يسجن ، فللسجان على حكم المقرر ستة دراهم سوى كلف أخرى ، وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ، ويرغب فيها الضمان ويتزايدون في مبلغ ضمانها لكثرة ما يتحصل منها ، فانه كان لو تخاصم رجل مع امراته أو ابنه رفعه الوالى الى السجن ، فبمجرد ما ينزل السجن — ولو لم يتم به الا لحظة واحدة — أخذ منه المقرر ، وكذلك كان على سجن القضاة أيضا .

ومن ذلك مقرر طرح الترابيح : ولها ضمان عدة ، في سائر نواحي أرض مصر ، يطرحون على الناس الترابيح ، فيمر بضعفاء الناس من ذلك بلاء عظيم ، وتقاسى الأراذل من العنف والظلم شيئا كثيرا . وكان على هذه الجهة عدة مقطعين ، ولا يمكن أحدا من الناس في جميع الأقاليم أن يشتري فروجا فما فوقه الا من الضامن ، ومن عثر عليه أنه اشترى أو باع فروجا من سوى الضامن جاءه الموت من كل مكان وما هو بيت .

ومن ذلك مقرر الفرسان : وهو عبارة عما يجبه ولاية النواحي من سائر البلاد ، فلا يؤخذ درهم مقرر حتى يفرم عليه صاحبه درهمين ، ويقاسى الناس فيه أهوالا صعبة .

ومن ذلك مقرر الأقباط والمعاصر : وهو ما يجبي من مزارعى قصب السكر ومن المعاصر ورجال المعاصر .

ومن ذلك مقرر رسوم الأفراح : ويجبي من سائر النواحي ، ولهذه الجهة عدة ضمان ، ولا يعرف لهذه الجهة أصل البتة ، وانما يجبي بضرائب يشال الناس فيها مع المقرر غرامات ووروعات .

ومن ذلك حياصة المراكب : وهو عبارة عما يؤخذ من كل مركب بتقرير معين يعرف بمقرر الحياصة . وكانت هذه الجهة أشد ما ظلم به الناس ، فيؤخذ من كل من ركب البحر للسفر ، حتى من السؤوال والمكدين .

ومن ذلك حقوق القينات : وهو عبارة عما يجمع من الفواحش والمنكرات ، فيجبيه مهتار الطتخافاه السلطانية من أوباش الناس .

ومن ذلك شد الزعماء : وهو جهة مفردة وحقوق السودان وكشف المراكب ، ومقرر ما على كل جارية أو عبد حين نزولهم بالخانات لعمل الفاحشة ، فيؤخذ من كل ذكر وأتى مقرر معين .

ومتوفر الجرافيف : وهو ما يجبي من سائر النواحي ، فيحمل ذلك مهندسو البلاد الى بيت المال بإعانة الولاة لهم في تحصيل ذلك . وعلى هذه الجهة عدة مقطعين من الجند .

ومقرر المشاعلية : وهو عبارة عما يؤخذ عن كسح الأفنية وحمل ما يخرج منها من الوسخ الى الكيمان ، فكان اذا امتلأ سراب جامع أو مدرسة أو مسط أو تربة أو منزل من منازل سائر الناس ، لا يمكنه — ولو بلغ من العظمة

ما عسى أن يبلغ — التعرض لذلك حتى يأتيه ضامن الجهة ويقاوله على كسح ذلك بما يريد . وكان من عادة الضامن الاضطاط في السوم ، وطلب أضعاف القيمة ، فان لم يرض رب المنزل بما طلب الضامن والا تركه واصرف ، فلا يقدر على مقاساة ترك الوسخ ويضطر الى سؤاله ثانيا ، فيعظم تحكمه ويشتد بأسه الى أن يرضيه بما يختار حتى يتمكن من كسح فثائه ورفع ما هنالك من الأقدار

ومن ذلك ابطال المباشرين من النواحي : وكانت بلاد مصر كلها ، من الوجهين القبلى والبحرى ، ما من بلد صغير وكبير الا وفيه عدة من كتاب وشاد ونحو ذلك ، فأبطل السلطان المباشرين ، وتقدم منهم من مباشرة النواحي الا من بلد فيها مال السلطان فقط ، فأراح الله سبحانه الخلق بإبطال هذه الجهات من بلاء لا يقدر قدره ولا يمكن وصفه .

ولما أبطل السلطان هذه الجهات ، وفرغ من تعيين الاقطاعات للأمراء والأجناد ، أفرز لخاص السلطان من بلاد أرض مصر عدة نواح مما كان في اقطاعات البرجية ، وهى الجيزة وأعمالها وهو الكوم الأحمر ومنفلوط والمرج والخصوص ، وغير ذلك مما بلغ عشرة قراريط من الاقليم ، وصار لاقطاعات الأمراء والأجناد وغيرهم أربعة عشر قيراطا .

ومكر الأقباط فيما أمكنهم المسكر فيه ، فبدأوا بأن أضعفوا عسكر مصر ، ففرقوا الاقطاع الواحد في عدة جهات ، فصار بعض الجبى في الصعيد ، وبعضه في الشرقية ،

(*) من ٨٩ ج ١ ، ط. بولاق .

وبعضه في الغربية ، انمايا للجندى وتكثيرا لتلكفة . وأفردوا جوالى الذمة من الخاص ، وفرقوها في البلاد التى أقطعت للأمراء والأجناد ... فان النصارى كانوا مجتمعين في ديوان واحد — كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى — فصار نصارى كل بلد يدفعون جاليتهم الى مقطع تلك الضيعة .

فاتسع مجال النصارى ، وصاروا يتقلون في القرى ولا يدفعون من جزيتهم الا ما يريدون ، فقل متحصل هذه الجهة بعد كثرته ، وأفردوا ما بقى من جهات المكوس يرسم الحوائج خاناه التى تصرف للسماط ، ليتناولوا ذلك ويوردوا منه ما شاءوا ، ثم يتولوا صرف ما يحصل منه في جهات تستهلك بالأكل . وصارت جهات المكوس ما يتحدث فيه الوزير وشاد الدواوين .

ثم نظر السلطان فيما كان بيد الأميرين بيرس الجاشنكير وسالار نائب السلطة من البلاد ، فأخذ ما كان باسم كل منهما وباسم حواشيه ، ولم يدع من ذلك شيئا مما كانوا قد وقوه حتى حله ، وجعل الجميع اقطاعات ، واعتد في سائر الاقطاعات بما كان يستهديه المقطع من فلاحه ، فحسب ذلك وأقامه من جملة عبر الاقطاع ، وأبطل الهدية ، فلم يتبها له الفراغ من ذلك الى آخر السنة .

فلما أهل المحرم من سنة ست عشرة وسبعمائة ، وقد نظمت الحيوانات على تلك مغل سنة خمس عشرة ، جلس السلطان في الايوان الذى استجده بقلعة الجبل ، وقد تقدم لسائر تقياء الأجناد على لسان تقيب

الجيش بالحضور بأجنادهم ، وجعل للعرض في كل يوم أميرين من الأمراء المتقدمين بسفاهيهما .

فكان الأمير مقدم الألف يقف ومعه مضافوه ، ونظر الجيش يستدعيهم من مقدمة ذلك الأمير بأسانهم على قدر منازلهم ، فيقدم نقيب الجيش الواحد بعد الواحد من يد تقيه الى ما بين يدي السلطان ، فإذا مثل بحضرته سأل السلطان بنفسه من غير واسطة عن اسمه وأصله وجنس ووقت حضوره الى ديار مصر ، ومع من قدم ، والى من صار من الأمراء وغيرهم ، وعن مشاهدته التي حضرها في الغزو ، وعما يعرفه من صناعة الحرب وغير ذلك من الاستقصاء . فإذا انتهى استقامه إياه فأوله بيده مثالا من غير تأمل بحسب ما قسم الله له ، فلم يبر به في مدة العرض أحد الا وقد عرفه ، وأشار الى الأمراء بذكر شيء من خبره .

هنا ، وقد تقدم الى سائر الأمراء بأسرهم بأن يحضروا الى الاموان عند العرض ، ولا يعارض أحد منهم السلطان في شيء يفعل ، فكانوا يحضرون وهم سكوت لا يتكلم أحد منهم خوفا من مخالفة السلطان لما يقوله . وأخذ السلطان في مواربة الأمراء ، فما أتوا على أحد في مجلس المرض الا وأعطاه السلطان مثالا باقطاع ردي . فلما علموا ذلك أمسكوا عن الكلام معه جملة .

واقرء بالاستبداد بأموره دونهم ، فما عرف منه أنه قدم اليه أحد الا وسأله : ان كان سلوكا عن ألقمه من التجار وسائر ما تقدم ، وان كان شيئا فمن أصله ومنه وكم مصاف

حضرها ، حتى أتى على الجميع . وأقرء الشايخ العاشرين نلم بمعلم اقطاعات ، وجعل لكل منهم مرتبا يقوم به ... فأنهى العرض في طول المحرم ، وتولر كبير مـ مثالات الأجناد فبلغ عدة مائتي مثال .

ثم أخذ في عرض أطباق المالك السلطانية ، ووفر من حوامكهم كثيرا ، وقطع عدة رواتب من رواتبهم ، وعوضهم عن ذلك اقطاعات ، وجعل حمة مكس قطيا لضفاه الأجناد ممن قطع حيزه ، فجعل لكل منهم في السنة ثلاثة آلاف درهم .

وكان لبيرس وسائر الجوكندار تعلقات كثيرة في بيت المال ، وفي الأعمال كالجزيرة والاسكندرية ، من متجر وحمايات ، فارتجع ذلك وأبطله وما شابهه ، وأضاف ما لم يقطعه الى ديوان الخاص .

ومما أمر به في مدة العرض ألا يرد أحد مثالا أخذه من السلطان ولو استقله ، ولا يشفع أمير في جندي ، وأن من خالف ذلك ضرب وجس وقضى وقطع خيزه ... فعملت مهابة السلطان وقوت حرمة ، ولم يجسر أحد أن يرد عليه مثالا أخذ من السلطان ، ولا استطاع أمير أن يتكلم لأحد . وصار كثير من كان اقطاعه مثلا ألف دينار الى اقطاعه مائتي دينار ونحوها ، وكثير ممن كان اقطاعه قليلا الى اقطاع معتبر ، فانه كان يعطى المثال * من غير تأمل كيفما وقعت يده عليه .

وقدر الله سبحانه وتعالى أن السلطان كان من جملة صبيان مطبخه رجل مضحك يهزل

بحضرته ، فيضحك منه ويحجب به ولا يمترض فيما يقول من السخف . فجلس السلطان في بعض أيام العرض في البستان بقلمة الجبل وعنده الخاصة من الأمراء ، فدخل هذا المضحك وأخذ في السخرية على عادته ليضحك السلطان ، الى أن قال : وجدت بعض أجناد الروك الناصري وهو راكب الاكديش وخرجه خلفه ورمحه فوق كتفه (يقصد بهذا السخرية والطن) . فغضب السلطان غضبا شديدا ، وصاح : خذوه وعروه ثيابه .

فتبادره الأعوان ، وجروه برجله وزعوا ثيابه ، وربطوه في الساقية مع القواديس ، وأكثروا من ضرب الأبقار حتى أسرع بدوران الساقية . فصار المكين يتقلب مع القواديس ، وينطس في الماء تارة ويرقى أخرى ، ثم يتكس والماء يمر عليه مقدار ساعة ، الى أن انقطع حسه وأشرف على الهلاك . واشتد رعب الأمراء لما رأوه من قوة غضب السلطان .

ثم تقدم الأمير طغاي الدوادار في طائفة من الأمراء الخاصكية ، واعتذروا عن هذا المسكين بأنه لم يرد الا أن يضحك السلطان من كلامه ، ولم يقصد غيب الأجناد ولا اتقاصهم ، ونحو هذا من القول الى أن أمر بعله ، فإذا ليس فيه حركة فسحب ، ورسم السلطان بأنه ان كان حيا لا يبيت بديار مصر . فأخرج من وقته متفيا .

وحمد الله كل من الأمراء على ما وقته من السكوت عن الكلام في حال العرض .

وما زال الأمر بمصر على ما رسمه الملك الناصر في هذا الروك ، الى أن زالت دولة بني قلاوون بالملك الظاهر برقوق في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعائة ، فأبقى الأمر على ذلك الا أن أشياء منه أخذت ثلاثي قليلا قليلا ... الى أن كانت الحوادث والمحن في سنة ست وثمانائة حيث حدث من أنواع التغيرات وتنوع الظلم ما لم يخطر ببال أحد . وسير بك جمل من ذلك عند ذكر أسباب خراب اقليم مصر ان شاء الله تعالى .

وكانت لأراضي مصر تقاوى مغلدة في نواحيها وهي على قسمين : تقاوى سلطانية ، وتقاوى بلدية ، فالتقاوى السلطانية وضعها الملوك في النواحي . وكان الأمير أو الجندي عندما يستقر على الاقطاع يقبض ما له من التقاوى السلطانية ، فإذا خرج عنه طوب بها . فلما كان الروك الناصري خلدت تقاوى كل ناحية بها ، وضبطت في الديوان السلطاني ، فبلغت جملتها مائة ألف وستين ألف أردب سوى التقاوى البلدية .

ذكر الديوان

قال أفضى القضاة أبو الحسن الماوردي : الديوان محفوظ بحفظ ما تملك بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال .

وفي تسميته ديوانا وجهان : أحدهما أن كسرى أطلق ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم ، فقال : « ديوانه » ، أي مجانين ، فسمى موضعهم

بهذا الاسم ، ثم حذفت الهاء عند كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم فقل ديوان .

والثاني : أن الديوان اسم بالفارسية للشياطين ، فسمى الكتاب باسمهم لحدقهم بالأمور ، ووصفهم على الجلى والخنى ، وجمعهم لما شذ وتفرق ، واطلاعهم على ما قرب وبعد . ثم سى مكان جلوسهم باسمهم فقل ديوان . انتهى .

واعلم أن كتابة الديوان على ثلاثة أقسام : كتابة الجيوش ، وكتابة الخراج ، وكتابة الانشاء والمكاتبات . ولا بد لكل دولة من استعمال هذه الأقسام الثلاثة . وقد أفرد العلماء في كتابة الخراج وفي كتابة الانشاءات عدة مصنفات ، ولم أر أحدا جمع شيئا في كتابة الجيوش والعاكر .

وكانت كتابة الدواوين في صدر الاسلام أن يجعل ما يكتب فيه صفحا مدرجة . فلما انتقلت أيام بنى أمية ، وقام عبد الله بن محمد أبو العباس السفاح ، استوزر خالد بن برمك بعد أبي سلمة حفص بن سليمان الخلال ، فحصل الدفاتر في الدواوين من الجلود ، وكتب فيها وترك الدروج ... الى أن تصرف جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك في الأمور أيام الرشيد ، فاتخذ الكاغذ ، وتداوله الناس من بعده الى اليوم .

وذكر أبو النمر الوراق قال : حدثني أبو حازم القاضى قال : قال لى أبو الحسن بن المدير : لو عسرت مصر كلها لوقت بأعمال الدنيا .

وقال : ان أرض مصر مساحتها للزراعة ثمانية وعشرون ألف ألف فدان ، وانما المسمى منها ألف ألف فدان .

قال : وقال لى ابن المدير : انه كان يتقلد ديوان المشرق وديوان المغرب ، قال : ولم أبت قط ليلة من الليالى حتى أنهى ولا بقيته ، وتقلدت مصر فكنت ربما نمت وقد بقى على شيء من العمل فاسته اذا أصبحت .

ذكر ديوان العساكر والجيوش

يقال ان أول من وضع ديوان الجند بخليلهم كهراسف أحد ملوك الطبقة الثانية من الفرس ، وان كيقباز قبله * كان قد أخذ العشر من الغلات وصرفه في أرزاق جنده .

وأما في الاسلام فما خرج البخارى ومسلم ، من حديث حذيفة رضى الله عنه ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اكتبوا لى من تلفظ بالاسلام من الناس » فكتبنا له ألفا وخمسائة رجل ... الحديث ، ذكره البخارى في باب كتابة الامام الناس .

وللبخارى من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله انى اكتب في غزوة كذا وكذا وامرأتى حاجة ، قال : « ارجع فاحجج مع امرأتك » .

وقال عمرو بن منبه ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : آخر ما أتى به النبى صلى الله عليه

(*) مائة ألف ، ط. بولاق .

وسلم ثمانمائة ألف درهم من البحرين ، فما قام من مجلسه حتى أمضاه .

ولم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا لأبى بكر . وأول من اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وقال ابن شهاب : عمر أول من دون الدواوين .

وروى ابن سعد ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قسم أبى الفداء عام أول ، فأعطى الحر عشرة ، والملوك عشرة ، والمرأة عشرة ، وأمتها عشرة . ثم قسم العام الثانى ، فأعطاهم عشرين عشرين .

فقل : ان سببه ان أبا هريرة رضى الله عنه قدم على عمر رضى الله عنه بمال من البحرين ، فقال له عمر : ماذا جئت به ؟

فقال : خمسمائة ألف درهم .

فاستكثره عمر وقال : أتدرى ما تقول ؟

قال : نعم مائة ألف خمس مرات .

فقال عمر : أطيب هو ؟

قال : لا أدرى .

فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس قد جاءنا مال كثير ، فان شتم كلنا لكم كيلا ، وان شتم عددنا لكم عدا

فقام اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، قد رأيت الأعاجم يدونون ديوانا لهم ، فدون أنت ديوانا ... فدون عمر .

وقيل بل سببه أن عمر بعث بعثا وعنده الهرمزان ، فقال لعمر : هذا بعث قد أعطيت

أهله الأموال ، فان تخلف منهم رجل من أين يعلم صاحبك به ، فأبى لهم ديوانا .

فسأله عن الديوان حتى فسر له .

فاستشار المسلمين في تدوين الدواوين ، فقال له على بن أبى طالب : تقسم كل سنة ما اجتمع عندك من المال ، ولا تمسك منه شيئا .

وقال عثمان رضى الله عنه : أرى مالا كثيرا يسع الناس ، فان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن يتشر الأمر .

وقال خالد بن الوليد رضى الله عنه : قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دونوا ديوانا وجندوا جنودا ، فدون ديوانا وجند جنودا .

فأخذ بقوله ، ودعا عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم - وكانوا كتاب قرش - فقال : اكتبوا الناس على منازلهم .

فبدأوا ببني هاشم وكتبوهم ، ثم أتبعوهم أولاد أبى بكر وقومه ، ثم عمر وقومه ، وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة ، ثم رفعوا ذلك الى عمر رضى الله عنه .

فلما نظر فيه قال : لا ، ولكن ابدأوا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الأقرب فالأقرب ، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله .

فشكره العباس رضى الله عنه على ذلك ، وقال : وصلت رحمتك .

وقد اختلف في السنة التى فرض فيها عمر رضى الله عنه الأعطية ودون الدواوين ، فقال الكلبي : في سنة خمس عشرة . وحكى ابن

سعد عن عمر الواقدي أنه جعل ذلك في سنة عشرين - قال الزهري : وكان ذلك في المحرم سنة عشرين من الهجرة .

وقيل : لما فتح الله على المسلمين القادسية ، وقدمت على عمر رضي الله عنه الفتوح من الشام ، جمع المسلمين وقال : ما يحل للوالي من هذا المال ؟

فقالوا جميعا : أما الخاصة فقوته وقوت عياله لا وكس ولا شطط ، وكسوته وكسوتهم للشتاء والصيف ، ودابتان إلى جهاده وحوائجه وحملاته إلى حجته وعمرته ، والقسم بالسوية ، وأن يعطى أهل البلاد على قدر بلادهم ، ويرم أمور الناس بعد ، ويتعاهددهم في الشدائد والنوازل حتى تنكشف ، ويبدأ بأهل النوى ثم يجوزهم إلى كل مغلوب ما بلغ النوى .

وقال الضحاك ^١ عن ابن عباس رضي الله عنهما : لما افتتحت القادسية وصالح من صالح من أهل السواد ، وافتتحت دمشق وصالح أهل الشام ، قال عمر رضي الله عنه للناس : اجتمعوا فأحضروني عليكم فيما آفاه الله على أهل القادسية وأهل الشام .

فاجتمع رأى على وعمر ، رضي الله عنهما ، أن يأخذوه من قبل القرآن ، فقالوا : ما آفاه الله على رسوله من أهل القرى (يعني من الخس) قلله وللرسول (يعني من الله الأمر وعلى الرسول القسم) ولذي القربى واليتامى والمساكين .

(١) قوله : وقال الضحاك ... الخ ، لا تغفلوا عنه إشارة من نظر .

ثم فسروا ذلك بالآية الأخرى التي تليها « للفقراء المهاجرين ... » الآية ، فأخذوا أربعة الأخماس على ما قسم عليه : الخمس فيمن بدى به وثنى وثلك ، وأربعة أخماس لمن آفاه الله عليه المقم .

ثم استشهدوا على ذلك بقوله تعالى : « واعلموا أننا غنمتم من شيء فإن الله خه ... » الآية من تلك الطبقات الثلاث ، وأربعة أخماس لمن آفاه الله عليه ، فقسم الأخماس على ذلك .

فاجتمع على ذلك عمر وعلى ، وعمل به المسلمون بعد ذلك ، فبدأ بالمهاجرين ثم الأنصار ثم التابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم ، ثم فرض الأعطية من الجزا على من صالح أو دعا إلى الصلح من حراية ، فرده عليهم بالمعروف .

وليس في الجزا أخماس : الجزا لمن منع الذمة ووفى لهم ممن ولي ذلك منهم ، ولمن لحق بهم * فأعانهم بأسوة ، إلا أن يوابسوا بفضلهم عن طيب أفضل منهم من لم ينل مثل الذي قالوا .

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال عمر رضي الله عنه : اني مجند المسلمين على الأعطية ، ومدونهم ومتحرى الحق .

فقال عبد الرحمن بن عوف وعثمان وعلى رضي الله عنهم : ابدأ بنفسك .

قال : لا أبدا إلا بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الأقرب فالأقرب منهم من رسول الله .

فرض للعباس وبدأ به ، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ، ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقطع أبو بكر رضي الله عنه من أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف .

ودخل في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ومن ولي الأيام قبل القادسية ، كل هؤلاء على ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف . ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام أصحاب اليرموك الفين الفين ، وفرض لأهل البلاد النازح منهم الفين وخمسمائة الفين وخمسمائة .

ف قيل له : لو ألحقت أهل القادسية بأهل الأيام ؟

فقال : لم أكن لألحقهم بدرجة من لم يدركوا ، لاه الله اذن .

وقيل له : قد سورتهم - على بعد دارهم - بن قد قربت داره وقاتل عن قتائه .

فقال : هم كانوا أحق بالزيادة لأنهم كانوا رده الحقوق وشجى للعدو ، وأيم الله ما سورتهم حتى استطبتهم ، فهلا قال المهاجرون مثل قولهم حين سويتنا بين السابقين من المهاجرين وبين الأنصار ، وقد كانت نصرة الأنصار بفنائهم وهاجر اليهم المهاجرون من بعد ؟

وفرض للروادف الذين ردقوا بعد افتتاح القادسية واليرموك بعد الفتح ، ثلثائة ثلثائة ... سوى كل طبقة في العطاء ليس بينهم

تفاضل ، قوتهم وضعيفهم ، عريهم وأعجمهم في طبقاتهم سواء .

حتى إذا حوى أهل الأمصار من حووا من سباياهم ، وردفت المريع من الروادف ، فرض لهم على خمسين ومائتين ، وفرض لمن ردف من الروادف الخمس على مائتين . فكان آخر من فرض له عمر رضي الله عنه أهل هجر على مائتين .

ومات عمر على ذلك ، وأدخل في أهل بدر أربعة من غير أهل بدر ، الحسن والحسين وأبا ذر وسلمان .

وقال أبو سلمة : فرض عمر للعباس على خمسة وعشرين ألفا ، وقال الزهري : على اثني عشر ألفا .

وجعل نساء أهل بدر إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة ، ونساء من بعد ذلك إلى الأيام قبل القادسية على ثلثائة ثلثائة ، ثم نساء أهل القادسية على مائتين مائتين ، ثم سوى بين النساء بعد ذلك .

وجعل للصبيان من أهل بدر وغيرهم مائة مائة ، ثم دعا متين مسكينا فأطعمهم خبزوا بطلع ، فأحصوا ما أكلوه فوجدوه يخرج من جزيتين ، ففرض لكل انسان يقوم بالأمر له ولعياله جزيتين جزيتين في كل شهر ، مسلمهم وكافرهم .

وفرض لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف ، إلا من جرى عليه البيع ، فقالت أمهات المؤمنين : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهن في القصة ولكن كان يسوى بيننا فسوّ بيننا ،

فجعلهم على عشرة آلاف عشرة آلاف ، وفضل عائشة رضى الله عنها بالتمين ، فأبت ، فقال : لفضل منزلتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أخذتها فشأنك .

وكان الناس أعشارا ، فكانت العرفاء ثلاثة آلاف عريف ، كل عريف على عشرة ، ورزق الخيل على أعرافها . فما زالوا كذلك حتى اختلطت الكوفة والبصرة ، فغيرت العرفاء والأعشار ، وجعلت أسباعا ، وجعل مائة عريف ، على كل مائة ألف درهم عريف .

وكانت كل عرافة من القادسية خاصة ، ثلاثة وأربعين رجلا وثلاثا وأربعين امرأة وخمسين من العيال ، لهم مائة ألف درهم . وكل عرافة من أهل الأيام عشرين رجلا على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة ، ولكل عيل مائة على مائة ألف درهم . وكل عرافة من الرادفة الأولى ستين رجلا وستين امرأة وأربعين من العيال ، ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمائة ، على مائة ألف درهم .

وكان العطاء يدفع الى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات — والرايات على أيادي العرب — فيدفعونه الى العرفاء والنقباء والأمناء ، فيدفعونه الى أهله في دورهم ...

فمات عمر رضى الله عنه والأمر على ذلك .

وقد عزم قبل موته أن يجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف ، وقال : لقد همت أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف : ألف يخلقه الرجل في أهله ، وألف يتزودها معه في سفره ، وألف يتجهز بها ، وألف يترقى

بها ... فمات وهو في أرياد ذلك قبل أن يفعل .

وكان يقرى البعوث على قدر المسافة : إن كان بعيدا فسة ، وإن كان دون ذلك فسة أشهر . فإذا أخل الرجل بشهره ، نزعته عمامته وأقيم في مسجد حيه ، فقيل : هذا فلان قد أخل .

وقال سيف بن عمر : أول عطاء أخذ سنة خمس عشرة .

وكان عمرو بن العاص ، رضى الله عنه ، يبعث من مصر الى عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه .

فلما استخلف عثمان ، رضى الله عنه ، ثلاث مضي من المحرم سنة أربع وعشرين ، زاد الناس مائة . وكان أول من زاد ورقد أهل الأمصار . وهو أول من رقدهم وصنع فيهم الصنائع ، فاستن به الخلفاء في الزيادة .

وكان عمر قد فرض لكل نفس منقوسة من أهل النوى في رمضان * درهما في كل يوم ، وفرض لأمهات المؤمنين درهمن ، فقيل له : لو صنعت لهم به طعاما فجمعتهم عليه ؟ فقال : أشبعوا الناس في يوتهم .

فاقر عثمان رضى الله عنه ذلك ، وزاد فوضع لهم طعام رمضان ، وقال : هو للمتعب الذي يتخلف في المسجد ، ولأين السبيل ، وللمعتزين بالناس في رمضان ... فاقتدى به الخلفاء من بعده .

وكان بمصر ، في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، أربعون ألفا . وكان منهم أربعة

(٩٢) ج ١ ، ط ١ ، بلاق .

آلاف في مائتين مائتين . وكان انما يحمل الى معاوية ستائة ألف دينار عن فضل أعطيات الجند وما يصرف الى الناس .

وكان معاوية قد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب بمصر رجلا يصبح كل يوم ، فيدور على المجالس فيقول : هل ولد الليلة فيكم مولود ؟ وهل نزل بكم نازل ؟ فيقال : ولد لفلان غلام ولفلان جارية ، فيكتب أسماءهم ، ويقال : نزل بهم رجل من أهل كذا بعياله ، فيسميه وعياله . فإذا فرغ من القيل ، أتى الديوان حتى يثبت ذلك .

وأعطى مسلمة بن مخلد الأنصارى ، أمير مصر ، أهل الديوان أعطياتهم وأعطيات عيالهم وأرزاقهم ونوائبهم ونوائب البلاد من الجصور ، وأرزاق الكتبة وحملاان القمح الى الحجاز ، وبعث الى معاوية ستائة ألف دينار فضلا .

وأول تدوين كان بمصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه ، ثم دون عبد العزيز بن مروان تدوينا ثانيا ، ودون قرة بن شريك التدوين الثالث ، ثم دون بشر بن صفوان تدوينا رابعا ، ثم لم يكن بعد تدوين بشر شيء له ذكر الا ما كان من الحاق قيس بالديوان في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان .

فلما انقرضت دولة بنى أمية ، وغلبت المسودة بنو العباس ، أحدثوا أشياء ... حتى اذا مات عبد الله المأمون بن هارون الرشيد لسبع خلون من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وبويع أخوه المعتصم أبو اسحاق محمد بن هارون ، كتب الى كندر بن نصر الصفدى أمير مصر ، يأمره بإسقاط من في

ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم ، ففعل ذلك .

وكان مروان بن محمد الجمدى ، آخر خلافة بنى أمية ، قطع عن أهل مصر العطاء سنة ، ثم كتب اليهم كتابا يعتذر فيه : « انى انما حبست عنكم العطاء في السنة الماضية لعدو حضرني فاحتجت الى المال ، وقد وجهت اليكم بعطاء السنة الماضية وعطاء هذه السنة ، فكلوه هنيئا مريئا ، وأعوذ بالله أن أكون أنا الذى يجرى الله قطع العطاء على يديه » .

ولما قطع كندر عطاء أهل مصر ، خرج يحيى بن الوزير الجروى في جسع من لحم وجذام ، وقال له : هذا أمر لا يقوم فينا أفضل منه لانا منعنا حقنا وقتنا ... فاجتمع اليه نحو خمسمائة رجل .

ومات كندر في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين . وولى ابنه المظفر مصر من بعده ، فسار الى يحيى ، وقاتله في بحيرة تنيس وأخذه أسيرا .

فاتقرضت دولة العرب من مصر ، وصار جندها العجم والموالي من عهد المعتصم الى أن ولى الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مصر ، فاستكثر من العبيد ، وبلغت عدتهم زيادة على أربعة وعشرين ألف غلام تركى وأربعين ألف أسود وسبعة آلاف حر مرتزق . ثم استجد ابنه الأمير أبو الجيش خسارويه بعده عدة من شناعة خوف مصر .

فلما كانت امارة الأمير أبى بكر محمد بن طنج الاخشيد على مصر ، بلغت عدة عساكره بمصر والشام أربعمائة ألف ، تشتمل على

عدة طوائف . ثم ان الأستاذ أبا الملك كافورا
الاخشيدي استجد عدة من السودان في أيام
تحكمه بمصر .

فلما تطلب الامام المعز لدين الله تميم
معد القاطن على مصر ، صارت عساكرها ما
بين كتامة وزويلة ونحوها من طوائف البربر ،
وفيهم الروم والصقالبة وهم في العدد كما
قيل :

« ومنهم معد ، ولم تكن جيوشه تعد ، ولا
لما أوتيه كان حد ، من كل ما يسعد فيه
جند » .

وحتى قيل : انه لم يبق الأرض — بمعد
جيش الاسكندر بن فيلبس المقدوني — أكثر
عددا من جيوش المعز .

فلما قام في الخلافة بمصر من بعده ابنه
العزيز بالله أبو منصور زار ، استخدم الديلم
والأتراك ، ولخص بهم .

وذكر الأمير المختار عبد الملك المسيحي في
تاريخه : « أن خزانة الخاص حملها — لما خرج
العزيز الى الشام — عشرون ألف جمل ،
خارجا عن خزائن القواد وأكابر الدولة .

وذكر ابن ميسر في تاريخه : أن عبيد
السيدة أم المستر بالله أبي تميم معد بن
الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن علي بن
الحاكم بأمر الله أبي على منصور بن العزيز بالله
خاصة ، كانت عدتهم خمسين ألف عبد سوى
طوائف العسكر .

ورأيت بخط الأسعد بن مساتي : أن عدة
الجيوش بمصر ، في أيام رزك بن الصالح
صلاح بن رزك ، كانت أربعين ألف فارس
وسنة وثلاثين ألف راجل .

وزاد غيره « وعشرة شوالى بحرية فيهما
عشرة آلاف مقاتل » ... وهذا عند اقراض
الدولة الفاطمية .

فلما زالت دولتهم على يد السلطان الملك
الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، أزال
جند مصر من العبيد السود والأمراء المصريين
والعربان والأرمن وغيرهم ، واستجد عسكرا
من الأكراد والأتراك خاصة ، وبلغت عدة
عساكره بمصر اثني عشر ألف فارس لا غير .

فلما مات افرقت من بعده ، ولم يبق
بمصر مع ابنه الملك * العزيز عثمان سوى
ثمانية آلاف فارس وخمسمائة فارس ، الا أن
فيهم من له عشرة أتباع ، وفيهم من له
عشرون ، وفيهم من له أكثر من ذلك الى مائة
تبع لرجل واحد من الجند ، فكانوا اذا ركبوا
ظاهر القاهرة يزيدون على مائتي ألف .

ثم لم يزلوا في افتراق واختلاف حتى زالت
دولتهم بقيام عبيدهم للمالিক الأتراك ، فعذبوا
حذو مساكنهم بني أيوب ، واقصروا على
الأتراك وشيء من الأكراد ، وابستجدوا من
الماليك التي تجلب من بلاد الترك شيئا
كثيرا ... حتى يقال ان عدة ماليك الملك
المنصور قلاوون كانت سبعة آلاف مملوك ،
ويقال اثني عشر ألفا . وكانت عدة ماليك
ولده الأشرف خليل بن قلاوون اثني عشر ألف
مملوك .

ثم لم تبلغ بعد ذلك قريبا من هذا ... الى
أن زالت دولة بني قلاوون ، في شهر رمضان
سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، بالملك الظاهر

(١٥) من ١٤١٠ هـ ، طه بولاق .

برقوق ، فأخذ في محو الماليك الأشرية ،
وأنشأ لنفسه دولة من الماليك الجركسية
بلغت عدتهم — ما بين مئتي ومستخدم —
أربعة آلاف أو تزيد قليلا .

فلما قام من بعده ابنه الناصر فرج افرقوا
واختلفوا ، فلم يقتل حتى هلك كثير منهم
بالقتل وغيره .

وعساكر مصر في الدولة التركية على
قسمين : أجناد الحلقة ، والماليك السلطانية .

وأكثر ما كانت أجناد الحلقة في أيام الناصر
محمد بن قلاوون ، فانها بلغت — على ما
رأيت في جرائد ديوان الجيش بأوراق الروك
الناصرى — أربعة وعشرين ألف فارس . ثم
ما زالت تنقص حتى صارت اليوم — مع قلة
عدتها — سواء منها الألف والواحد ، فانها
لا تنفع ولا تدفع .

وأما الماليك فانها اليوم قليل عددها ،
بعبث لو جمعت أجناد الحلقة مع الماليك
السلطانية ، لا تكاد أن تبلغ خمسة آلاف
فارس ، يصلح منها لأن يباشر القتال ألف أو
دونها .

وهي اليوم قسمان : أجناد الحلقة ،
والماليك السلطانية . والماليك السلطانية
ثلاثة أقسام : ظاهرية ، وناصرية ، ومؤيدية .
والمؤيدية ما بين حكمية ونوروزية ومن
استجده المؤيد .

وان خوفي ليكثر أن يكون الحال بعد الملك
المؤيد أبي النصر شيخ — خلد الله ملكه —
يتلاشى ، الى أن يؤيد الله الملك بابنه الأمير
صارم الدين ابراهيم — شد الله به أزره —

فانه فتح من البلاد الرومية ما لا ملكه أحد
من ملوك مصر في الدولة الاسلامية قبله .

« والشبل في المخبر مثل الأسد » .

« وابن السرى اذا سرى أسرا هما » .

« ولا غرو أن يحذو القتي حذو والده » .

بابه اقتدى عدى في الكرم

ومن يشابه أبه فما ظلم

« ان الأصول عليها ينبت الشجر »

ثم لما ملك الأشرف برسباي ، صارت
الماليك سبع طوائف : ظاهرية ، وناصرية ،
ومؤيدية ، ونوروزية ، وحكمية ، ووطرية ،
وأشرفية ... كل طائفة منها مباينة لجميعها ،
فلذلك اضمحلت شوكتهم وانكسرت حدتهم ،
وأمنت على السلطان غائلتهم ، ولم يخف
ثورتهم لتفرقهم وان كانوا مجتمعين ، وتباينهم
وان كانوا في الظاهر متفقين .

واعلم انه كانت عادة الخلفاء من بنى أمية
وبنى العباس والقاسميين ، من لدن أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أن
تجبي أموال الخراج ، ثم تفرق من الديوان
في الأمراء أو العنال والأجناد على قدر رتبهم
وبحسب مقاديرهم . وكان يقال لذلك في صدر
الاسلام « العطاء » .

وما زال الأمر على ذلك ... الى أن كانت
دولة المعجم ، فغير هذا الرسم ، وفرقت
الأراضي اقطاعات على الجند .

وأول من عرف أنه فرق الاقطاعات على
الجند ، نظام الملك أبو على الحسن بن على

ابن اسحاق بن العباس الطوسي ، وژر
البرشلان بن داود بن ميسكال بن سلجوق ،
ثم وژر ابنه ملكشاه بن البرشلان . وذلك ان
ملكته اتسمت فرأى أن يسلم الى كل مقطع
فربة أو أكثر أو أقل على قدر اقطاعه ، لأنه
رأى أن في تسليم الأراضي الى المقطعين
عسارتها لاعتناء مقطعيها بأمرها ... بخلاف ما
إذا شمل جميع أعمال الملكة ديوان واحد ،
فإن الخرق يتسع ويدخل الخل في البلاد .
ففعل نظام الملك ذلك ، وعسرت به البلاد
وكثر الغلات . واقتدى بفعله من جاء بعده
من الملوك ، من أعوام بضع وثمانين وأربعمائة
لى يومنا هذا .

وكانت الخلفاء ترزق من بيت المال ، فذكر
عطاء بن السائب في حديث ، أن أبا بكر رضي
الله عنه ، لما استخلف ، فرض له كل يوم شطر
شاة وما يكسى به الرأس والبطن .
وذكر عن حميد بن هلال ، أنه فرض له
إردان إذا أخلتهما وضعهما وأخذ مثلهما ،
وظهره إذا سافر ، وثقته على أهله كما كان
يفتق قبل أن يستخلف .

وذكر ابن الأثير في تاريخه أن الذي فرضوا
له ستة آلاف درهم في السنة .

وفرض لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لما
استخلف ، ما يصلحه ويصلح عياله بالمعروف ،
وقال له علي رضي الله عنه : ليس لك غيره ،
فقال القوم : القول ما قال علي ، يأخذ
قوته .

وفرض عمر لمعاوية بن أبي سفيان ، على
عنه في الشام ، عشرة آلاف دينار في السنة ،
وقيل بل رزقه ألف دينار . وهو أشبه .

ذكر الاقطاع والافطاعات

يقال : اقتطع طائفة من الشيء : أخذها .
والقطيعة : ما اقتطعه منه . واقتطعني إياها :
أذن لي في اقتطاعها . واستقطعه إياها :
سأله أن يقطعه إياها : وأقطعه لهما وأرضا :
أباح له ذلك .

وقد أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقالت على الاسلام قوما . وأقطع الخلفاء من
بعده من رأوا في اقطاعه صلاحا .

روى ابن أبي لجيج ، عن عمرو بن شبيب
عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أقطع أناسا من مزية (أو جبهة) أرضا فلم
يعمروها ، فجاء قوم فعمروها . فخاصصهم
الجهنيون (أو المزنيون) الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ، فقال عمر : لو كانت مني أو
من أبي بكر لرددتها ، ولكنها قطيعة من رسول
الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : من كانت
له أرض ثم تركها ثلاث سنين لا يعمرها ،
فعمرها قوم آخرون فهم أحق بها .

وقال هشام بن عروة عن أبيه : أقطع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الزبير أرضا فيها نخلة
من أموال بني النضير ، وذكر أنها أرض يقال
لها الجرف .

وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أقطع العتيق أجمع الناس حتى جازت قطيعة
عروة ، فقال ابن الزبير : المستقطعون فسد
اليوم ، فإن يك فيه خير فتحت قدمي ، قال
خوات بن جبير : أقطعيه . فأقطعه إياه .

(١٥٠) مره ٩٠٠ ، ط. بولاق

وقال سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ،
قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
أقطع أبا بكر وأقطع عمر بن الخطاب رضي
الله عنهما .

وقال أنث بن سوار ، عن حبيب بن أبي
ثابت ، عن صلت المكي ، عن أبي رافع قال :
أعطى النبي صلى الله عليه وسلم قوما أرضا ،
فمجزوا عن عسارتها فباعوها في زمن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه بشانية آلاف دينار ،
أو بشانائة ألف درهم ، فوضموا أموالهم
عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه . فلما
أخذوها وجدوها ناقصة ، فقالوا : هذا
ناقص .

قال : احسبوا زكاته .

قال : فحسبوا زكاته ، فوجدوه واقيا .
فقال : أحسبتم أن أمسك مالا ولا أزيه .

وقد سأل تميم الداري رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، أن يقطعه عيون البلد الذي
كان منه بالشام قبل فتحه ، ففعل .

وسأله أبو ثعلبة الخشني ، أن يقطعه أرضا
كانت بيد الروم ، فأعجبه ذلك وقال : ألا
تسمعون ما يقول ؟

فقال : والذي بعثك بالحق ليفتحن عليك .
فكتب له بذلك كتابا .

وقال ثابت بن سعد ، عن أبيه عن جده :
أن الأبييض بن جمال استقطع رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، ملح مأرب ، فأقطعه .

فقال الأقرع بن حابس التميمي : يا رسول
الله اني وردت هذا الملح في الجاهلية ، وهو

وأرض ليس فيها ملح من ورده أخذه ، وهو
مثل الماء العذب بالأرض .

فاستقال الأبييض ، فقال : قد أقلتك على
أن تجعله مني صدقة .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هو
منك صدقة ، وهو مثل الماء العذب من ورده
أخذه » .

وقال كثير بن عبد الله بن عوف المزني ، عن
أبيه عن جده : أقطع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بلال بن الحارث المعاذن القبلية جليتها
وغورتها .

وقال مالك ، عن ربيعة ، عن قوم من
علمائهم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أقطع بلال بن الحارث المزني معادن بتاحية
الفرع .

وعن ربيعة ، عن الحارث بن بلال ، عن
أبيه بلال بن الحارث ، أن النبي صلى الله
عليه وسلم أقطعه العتيق أجمع .

وعن حماد بن سلمة ، عن أبي مكين ، عن
أبي عكرمة مولى بلال بن الحارث ، قال :
أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا
أرضا فيها جبل معدن ، فباع بنو بلال عمر بن
عبد العزيز أرضا منها ، فظهر فيها معدن
(أو قال معدنان) ، فقالوا : انما بمنك أرض
حرث ولم نبعك الممادن ، وجاءوا بكتاب
النبي صلى الله عليه وسلم لهم في جريدة .
فقبلها عمر وفتح ومسح بها عينيه ، وقال
لقيشه : انظر ما خرج منها وما أنفقت ،
فخاصصهم بالنفقة ، ورد عليهم الفضل .

واصطفى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من
أرض السواد أموال كسرى وأهل بيته ، وما

هوى ت أولاه أو منكوا ، فكان يقع على
تسعة آلاف كاهن درهم ، كان يصرقها في
صالح للفقير ولم يقطع شيئا منها .

ثم قال خلق رضى الله عنه أقطما ، لا
راى أقطما يوقق ثقتها من ثقتها ، وشرط
على من أقطما أن يأتى به حتى يرى ، وكان
يبيع كل حصص الكاهن درهم . كان منها
صالح وخطباء ، ثم تلتها الخطباء بعده .

فما كان عام الجحام سنة اثنين وثلاثين ،
في ليلة عيد الرحمن بن الأئمة . أحمر
التيوان ، وأخذ كل قوم ما يليهم .

وأقطع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابن
سندرية الأسبق ، فحضر منها نفسه الك
فقال .

وقال وكيع ، عن سليمان ، عن جابر
الجبلى ، عن عامر : لم يقطع أبو بكر ولا عمر
ولا علي رضى الله عنهم ، وتول من أقطع
القطام شأن رضى الله عنه ، ويمت الأرضون
في خلافة عثمان .

قال الليث بن سعد : ولم يلقنا أن عمر بن
الخطاب أقطع أحدا من الناس شيئا من أرض
مصر إلا ابن سندر ، فانه أقطعه أرض مينة
الأسبق ، فلم يزل له حتى مات ، فاشترها
الأسبق بن عبد الحميد بن مروان من وولته ،
فليس بمصر قطعة أقدم منها ولا أفضل .

وقال الأصبغ ، عن إبراهيم بن المهاجر ،
عن موسى بن طلحة ، قال : أقطع عثمان رضى
الله عنه عبد الله بن مسعود التميمي ، وعمر
ابن ياسر الأسدي ، وأقطع خبابا ومهيبا ،

وأقطع سعد بن أبي وقاص قرية هرمز . وكان
عبد الله بن مسعود وسعد يطيان أرضهما
بالتن والرحم .

وقال سيف بن عمر ، عن عمرو بن محمد ،
عن عمرو : قال : أقطع الزبير وخباب وعبد الله
ابن مسعود وعمر بن ياسر وابن هبار أزمان
عشاق . فان يكن عشاق أخطا ، فالتين قبلوا
به أخطا أخطوا ، وهم الذين أخذوا عنهم
ديت .

وأقطع عمر بن الخطاب رضى الله عنه طلحة
وجبر بن عبد الله والربيع بن عمرو ، وأقطع
أبا مفرز دار إتيال في عدة من أخذت عنه .
وأما القطام على وجه النمل من خس ما
فانه الله .

وكتب عمر رضى الله عنه ، الى عثمان بن
حنيفة ، مع جبر بن عبد الله البجلي : « أما
بعد : فأقطع جبر بن عبد الله قدر ما يقوته ،
لا وكس ولا شطط » .

فكتب عثمان الى عمر : « ان جبروا قدم
على بكتاب منك قطعه ما يقوته ، فكبرته
ان أمضى ذلك حتى أرجعك فيه » .

فكتب اليه : « صدق جبري ، فأخذ ذلك ،
وقد أحسنت في مؤامرتي » .

وأقطع أبو موسى الأشعري ، وأقطع على
ابن أبي طالب رجة كردوس بن هاني ، وأقطع
سويد بن غفلة الجعفي .

قال سيف ، عن ثابت بن هرم ، عن سويد
ابن غفلة ، قال : استطعت عليا ، فقبال :

(١٨١) ص ١٦٦ ج ١ : ديوان .

الكتب « هذا ما أقطع على سويدا : أرضا
لندوايه ما بين كذا الى كذا ، ما شاء الله » .

وذكر أبو القاسم . الحسن بن عبد الله
ابن عبد الحكم ما أقطعه مدوية بن أبي سفيان
ومن . من الخلفاء ، من دور مصر ،
فأورد شيئا بيرا .

وقد كان خلقه بني أمية ، وخلق بني
العباس ، يطمعون الأراضي من أرض مصر ،
التفر من خواصهم ، لا ك هو الحال اليوم ،
بل يكون مال خراج أرض مصر ، بصرف منه
أعطية الجند وسائر الكلف ، ويحمل ما يفضل
الى بيت المال . وما أقطع من الأراضي فانه
يبد من أقطعه .

وأما منذ كانت أيام السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب الى يومنا هذا ، فان أراضي
مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه
وأجناده .

وأرض مصر اليوم على سبعة أقسام .

قسم يجري في ديوان السلطان ، وهذا
القسم ثلاثة أقسام : منه ما يجري في ديوان
الخاص ، ومنه ما يجري في الديوان المفرد .

وقسم من أراضي مصر قد أقطع للأمراء
والأجناد . وقد ذكر تفصيل ذلك عند ذكر
الروك الناصري .

وقسم ثالث جعل وقفا مجبسا على الجوامع
والمدارس والخوانك ، وعلى جهات البر ،
وعلى ذراري واقفي تلك الأراضي وعتقاتهم .

وقسم رابع يقال له الأعباس ، يجري فيه
أراض بأيدي قوم ياكلونها ، اما عن قيامهم

بصالح مسجد أو جامع ، وأما يكون لهم لا
في مقابلة عمل .

وقد خامس قد صار ملكا يباع وبشترى
وبورث ويوهب ، لسكونه اشترى من بيت
المال .

وقسم سادس لا يزرع للمعجز عن زراعته ،
فترعاه الموائس أو ينبت الحطب ونحوه .

وقسم سابع لا ينسله ماء النيل فهو قفر :
وهذا القسم منه ما لم يزل كذلك منذ عرفت
أحوال الخليقة ، ومنه ما كان عامرا في الدهر
الأول ثم خرب .

وسائر هذه الأقسام مذكورة أخبارها في
هذا الكتاب ، تجددها ان أنت تأمله ان شاء
الله تعالى .

وقال أبو عبد الله القاسم بن سلام في
كتاب « الأموال » ، في الكلام على حديث
مسعر عن عبد الله بن مازوس عن أبيه
مازوس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « عادى الأرض الله ورسوله » ، ثم هي
لكم « قلت : ما معنى ذلك ؟ قال : « تكون
أقطانا » . هذا الخبر أصل في الأقطاع .

والعادي : كل أرض كان لها سكان
فأفترضوا ، أى فصارت خرابا ، فان حكمها
الى الامام .

قال : وأما الأرض التي جعلها النبي صلى
الله عليه وسلم لبعض الناس - وهي عامرة
لها أهل - فأعطاه الامام يكون على وجه
النمل .

ومن ذلك ما أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم تيمنا الداري ، فانه أعطاه ارضا بالشام من قبل ان يفتح الشام وقبل ان يملكها المسلمون ، فحصلها له فضلا من أموال أهل الحرب اذا ظهر عليهم ... كما فصل فآبى قبيلة لما وهبها الشيباني قبل افتتاح الحيرة ، فأمضاها له خالد بن الوليد رضي الله عنه .

وكذلك أمضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه تيمم الداري ، لما فتحت فلسطين ، ما كان النبي صلى الله عليه وسلم قلعه ، انتهى .

فقد خرج أبو عبد الله هذه المطية المعلقة مخرج النفل الذي ينقله الامام بعض المقاتلة .

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي في «الأحكام السلطانية» : واقطاع ضريان : اقطاع لستلال ، واقطاع تملك . والثاني ضريان : لمنها ما يتعين مالكة ولا نظر للسلطان فيه ، الا بتلك الأرض في حق ليت المال اذا كانت في دار الاسلام . فان كانت في دار الحرب ، حيث لم يثبت للمسلمين عليها يد ، فتراد الامام أن ينقلها لملكها المقتطع عند القتر بها ، فانه يجوز .

فقد سأل تميم الداري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيه عيون البلد الذي كان منه قبل أن يفتح الشام ، فقل .

وسأله أبو ثعلبة الخشني أن ينقله أرضا كانت يد الروم ، فأعجبه ذلك وقال : « آلا نسمون ما يقول هذا ؟ » .

فقال : والذي بترك يالحق ليفتح عليك . فكتب له بذلك كتابا .

قال الماوردي : وهكذا لو استوجب أحد من الامام مالا في دار الحرب وهو على ملك أهلها ، أو استوجب شيئا من سيدها أو ذرارها ليكون الحق به اذا فتحت ، جاز وصحت العطية منه - مع الجلالة بها - لتعلقها بالأمور العامة .

وقد روى الشعبي أن خزمية بن اوس الغنائي قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ان فتح الله عليك الحيرة فأعطني بنت قبيلة .

فلما أراد خالد صلح أهل الحيرة ، قال له خزمية : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني بنت قبيلة ، فلا تدخلها في صلحك ، فتشهد له بشر بن سعد ومحمد بن مسلمة ، فاستأها من الصلح ودفعها الى خزمية .

فانشرت بألف درهم - وكانت عجوزت وحالت عسا عهد منها - فقيل له : قد أرخصتها ، وكان أهلها يدفعون لك أضماق ما سألت .

فقال : ما كنت أشن أن عددا يكون أكثر من ألف .

قال الماوردي : واذا صح الاقطاع والتملك على هذا الوجه ، نظر حال القتح : فان كان صلحا ، خلصت الأرض لمقطعيها ، وكانت خارجة عن حكم الصلح بالاقطاع السابق . وان كان القتح عنوة ، كان للمقطع والمستوجب الحق بما استقطعه واستوجه من الغنائم ... ونظر في الغنائم : فان كانوا علموا بالاقطاع أو الهبة قبل القتح ، فليس لهم المطالبة

(٥٨) من ٩٧ ج ١ ، طبع بولاق .

بموضع . وان لم يملوا حتى فتحوا ، عاوضهم الامام بما يستطيب نفوسهم من غير ذلك من الغنائم .

وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى : لا يلزم الامام استجابة نفوسهم منه ولا من غيره من الغنائم ، اذا رأى المصلحة في ذلك .

ذكر ديوان الخراج والأموال

يقال لكتابة الخراج : قلم التصريف . وأول ما دون هذا الديوان في الاسلام بلشقي والعراق على ما كان عليه قبل الاسلام .

وكان ديوان الشام بالرومية ، وديوان العراق بالقارسية ، وديوان مصر بالقبطية ، فنقلت دواوين هذه الأمصار الى العربية .

والذي نقل ديوان مصر من القبطية الى العربية عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر ، في خلافة الوليد بن عبد الملك ، سنة سبع وثلاثين ، ونسخها بالعربية ، وصرف أتناش عن الديوان ، وجعل عليه ابن يربوع الفزاري من أهل حصص .

وأول من نقل الدواوين من القارسية الى العربية الوليد بن هشام بن مخزوم بن سليمان ابن ذكوان ، وتوفي سنة اثنين وعشرين ومائتين .

والأكثرون على أن الذي نقل ديوان العراق الى العربية صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج ، وكان مولى لبني سعد . وهو يؤمنذ صاحب دواوين العراق ، وذلك بعد سنة ثمانين .

وسبب ذلك أن صالح بن عبد الرحمن هذا كان أبوه من سبي سجستان ، ومهسر صالح في الكتابة ، وكتب لزيدان فروج كاتب الحجاج بن يوسف الثقفي ، وخط بين يديه بالقارسية والعربية .

فخفف على قلب الحجاج ، فخاف من زائدان وقال له : أنت الذي رقيتني حتى وصلت الى الأمير ، وأراه قد استخفني ولا آمن أن يقتلني عليك فنسقط منزلتك .

فقال زائدان : لا تغن ذلك ، هو أحوج الي مني اليه ، لانه لا يجد من يكفيه حسابه عرى .

فقال صالح : والله لو شئت أن أحول الحساب الى العربية لحولته .

قال : فحول منه أسطرا حتى أرى ... ففعل .

فقال له : تمارض ... فتمارض . فبحث اليه الحجاج بطييه ، فشق ذلك على زائدان ، وأمره ألا يظهر للحجاج .

فاتفق عقيب ذلك أن زائدان قتل في قننة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وهو خارج من موضع كان فيه الى منزله ، فاستكتب الحجاج بمده سالعا ، فأعلم الحجاج بما جرى له مع زائدان في نقل الديوان ، فأعجبه ذلك وعزم عليه في امضائه ، فنقله من القارسية الى العربية .

وشق ذلك على الفرس ، وبذلوا له مائة ألف درهم على ألا يظهر النقل ، فأبى عليهم ، فقال له مروان شاه بن زائدان فروج : قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل القارسية .

وكان عبد الحميد بن عيسى يقول : لله در صالح ، ما أعظم منته على الكتاب .

وأما ديوان الشام فإن الذي نقله من الرومية الى العربية أبو ثابت سليمان بن سعد كاتب الرسائل . واختلف في وقت نقله : ف قيل نقل في خلافة عبد الملك بن مروان ، وقيل في خلافة هشام بن عبد الملك .

وكان الذي يكتب على ديوان الشام سرجون بن منصور النصراني في أيام معاوية ابن أبي سفيان ، ثم كتب بعده ابنه منصور ابن سرجون .

ذكر خراج مصر في الاسلام

أول من جبي خراج مصر في الاسلام عمرو ابن العاص رضى الله عنه ، فكانت جبايته اثني عشر ألف دينار ، بنفيسة دينارين سعد بن أبي سرح مصر أربعة عشر ألف دينار .

فقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لعمرو ابن العاص : يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درتها الأول .

فقال : أضروتم بولدها .

وهذا الذي جباه عمرو ثم عبد الله ، إنما هو من الجباجم خاصة دون الخراج .

وانحط خراج مصر بعدها ، لنمو الفساد مع الزمان وسريان الخراب في أكثر الأرض ووقوع الحروب ، فلم يجبا بنو أمية وخلفاء بني العباس الا دون الثلاثة آلاف ألف ، ما

خلا أيام هشام بن عبد الملك ، فإنه وصى عبيد الله بن الحبحاب عامل مصر بالعصارة * .

فيقال : انه لم يظهر من خراج مصر ، بعد تناقصه ، كثرة الا في وقتين :

أحدهما في خلافة هشام بن عبد الملك ، عندما ولي الخراج عبيد الله بن الحبحاب ، فخرج بنفسه ومسح العامر من أراضي مصر والعامر مما يركبه ماء النيل ، فوجد قانون ذلك ثلاثين ألف ألف فدان سوى ارتفاع الجرف ووسخ الأرض ، فراكها كلها وعدلها غاية التعديل ، فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار ... هذا والسمراخ ، والبلد بغير مكس ولا ضريبة .

وفي سنة سبع ومائة لأول أيام هشام بن عبد الملك ، وظف ابن الحبحاب بمصر طبقات معلومة منسوبة في الدواوين ، ولم تزل الى ما بعد ذهاب بني أمية ، ومبلغها ألف ألف دينار وسبعمئة ألف دينار وثمانمائة وسبعة وثلاثون ديناراً ، منها على كور الصعيد ألف ألف وأربعمائة دينار وعشرون ديناراً ونصف ، والباقي على كور أسفل الأرض .

ويقال : ان أسامة بن زيد جباها في خلافة سليمان بن عبد الملك مبلغ اثني عشر ألف ألف دينار .

والوقت الثاني في إمارة أحمد بن طولون ، لما تسلم أرض مصر من أحمد بن محمد بن مديبر ، وقد خربت أرض مصر حتى بقي خراجها ثمانمائة ألف ألف دينار ، فاستقصى أحمد بن طولون في العصارة وبالنق فيها ،

(١) سنة ٩٨٠ هـ ، طبع بولاق

فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار .

وجباها ابنه الأمير أبو الجيش خمارويه بن أحمد أربعة آلاف ألف دينار ... مع رخاء الأسعار أيامئذ ، فإنه ربما يبع في الأيام الطويلة القمح : كل عشرة أراطب بدينار .

وذكر ابن خرداذبة أن خراج مصر في أيام فرعون ، كان مئة وتسعين ألف ألف دينار ، وأن ابن الحبحاب جباها ألفي ألف وسبعمئة ألف وثلاثة وعشرين ألفاً وثمانمائة وتسعة وثلاثين ديناراً .

وهذا وهم منه ، فإن هذا القدر هو ما حمله الى بيت المال بدمشق بعد إعطية أهل مصر وكلفها .

قال : وحمل منها موسى بن عيسى الهاشمي ألفي ألف ومائة ألف وثمانين ألف دينار ، يعني بعد العطاء والمؤن وسائر الكلف .

قال : وكان خراج مصر ، اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع ، أربعة آلاف ألف دينار ومائتي ألف وسبعة وخمسين ألف دينار ، والمقبوض عن الفدان دينارين ... في خلافة المأمون وغيره .

وبلغ خراج مصر ، في أيام الأمير أبي بكر محمد بن طنج الاخشيد ، ألفي ألف دينار سوى ضياعه التي كانت ملكاً له . والاخشيد أول من عمل الرواتب بمصر .

وكان كاتبه ابن كلا قد عمل تقديراً عجز فيه المرتب عن الارتفاع مائتي ألف دينار ، فقال له الاخشيد : كيف فعل ؟

قال : حط من الجرايات والأرزاق ، فلس هؤلاء أولى من الواجب .

فقال : غدا نجيتني وندبر هذا .

فلما أتاه من القد ، قال له الاخشيد : قد فكرت فيما قلت ، فإذا أصحاب الرواتب الضعفاء وفيهم المستورون وأبناء النعم ، ولست آخذ هذا النقص الا منك .

فقال ابن كلا : سبحان الله !

فقال : تسبيحاً !

وما زال به الاخشيد حتى أخذ خطه بالقيام بذلك .

فغضب على ما صنعه ، فقال : يا قوم اسمعوا اي شئ كان يعمل ... جاءه أحمد بن محمد بن المارداني فقال له : ما بيني وبين السلطان معاملة ، ولا للاخشيد على طريق ، وهذه هدية عشرة آلاف دينار للاخشيد ، وألف دينار لك .

فجاءني وقال : لك قبل ابن المارداني مطالبة ؟

فقلت : لا .

فقال : هذه ألف دينار قد جاءتك على وجه الماء . فأعطاني ألفاً وأخذ عشرة آلاف دينار .

وأهدى الى محمد بن علي المارداني في وقت عشرين ألف دينار على يده ، فاستقلتها . فلما اجتمعنا عاتبه ، فقال لي : أرسلت اليك مائة ألف دينار ، ولابن كلا كاتبك عشرين ألف دينار ، فأخذ المائة وأعطاني العشرين ألفاً . فذكرت قول محمد بن علي له ، فقال : ما أبرد

هذا ! حفظت لك المائة ألف لوقت حاجتك ...
تريدها ؟ خذها وأما أعم أنك تتلفها !

وبلغت الرواتب في أيام كافور الاخيدي خمسمائة ألف دينار في السنة لأرباب النعم والمستورين وأجناس الناس ، ليس فيهم أحد من الجيش ولا من العاشية ولا من المتصرفين في الأعمال ، فحسّن له علي بن صالح الروذبادي الكاتب أن يوفر من مال الرواتب شيئا ينتقسه من أرزاق الناس .

فسأله جلس يعمل ، حكه جبينه فحكه بقلبه ، والحكاك يريد به ، إلى أن قطع العمل وقام لما به ، فعولج حينئذ بالحديد حتى مات في رمضان سنة سبع وأربعين وثلثمائة .

وهذه موعظة من الله لمن توسط للناس بالسوء ... قال تعالى : « ولا يحق المكر السيء إلا بأهله » .

ولما مات كافور ، نزلت محن شديدة كثيرة بنصر ، من الغلاء والقضاء والفتن ، فأتضع خراجها .. إلى أن قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بمساكر مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد ، فجبى الخراج لسنة ثمان وخمسين وثلثمائة : ثلاثة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار ونيفا .

وأمر الوزير الناصر للدين أبو الحسين عبد الرحمن البازوري ، وزير مصر في خلافة المستنصر بالله بن الظاهر ، أن يعمل قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات . فعزل أرباب كل ديوان ارتفاعه وما عليه ، وسلم الجميع لتسولي ديوان المجلس وهو زمام

الدواوين ، فنظم عليه عملا جامعا وأتاه به ، فوجد ارتفاع * الدولة التي ألف دينار : منها الشام ألف ألف دينار ، وبقائه بأزاء ارتفاعه . والريف وباقي الدولة ألف ألف دينار .

قال القاضي أبو الحسن في كتاب « المنهاج في علم الخراج » : وقتت على مقايضة عملت لأمير الجيوش بدر الجبالي ، حين قدم مصر في أيام الخليفة المستنصر وغلب على أمرها وقهر من كان بها من المفسدين ، شرح فيها أن الذي اشتمل عليه الارتفاع في الهلال في سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، وفي الخراج على ما يقتضيه الديوان فيه — بما كان جاريا في الأعمال المصرية من الخراج وما يجري معه ، والمضون والمقطع والمورد بغيره ، والمحلول بالقاهرة ومصر وضواحيها وأحييتي الشرقية والغربية ، من أسفل الأرض وأعمالها وتيس ودمياط وأعمالها والاسكندرية والبحيرة والأعمال الصعيدية العالية والدائية ويواحات وعذاب ، لسنة ثمانين وأربعمائة الخراجية على الرسوم المصرية ، وما كان من الأعمال الشامية التي أولها من حد الشجرتين وهو أول الأعمال الفلسطينية والأعمال الطرابلسية ، لسنة ثمان وسبعين وأربعمائة الخراجية — على ما استقرت عليه الجملة : عينا ثلاثة آلاف ألف ومائة ألف دينار ...

وأن الذي استقر عليه جملة ما كان يتأدى في سنة ست وستين وأربعمائة الهلالية ، قبل نظر أمير الجيوش ، الموافقة لسنة ثلاث وستين وأربعمائة الخراجية ، فكان مبلغها التي ألف وثمانمائة ألف دينار ، وكان الزائد

(*) من ٩٩٠ ج ١ ، م ٥٠٠ بولاق .

للسنة الجيوشية عما قبلها ثلثمائة ألف دينار ، مما أعرب عنه حسن العمارة وشؤون العمل وكان نظم هذه المقايضة سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة .

وذكر ابن ميسر أن الأفضل بن أمير الجيوش أمر بعمل تقدير ارتفاع دينار مصر ، فجاء خمسة آلاف ألف دينار .

وذكر القاضي العادل في مياوماته : أنه عبر البلاد من اسكندرية إلى عذاب لسنة خمس وثمانين وخمسمائة ، خارجا عن الثغور وأرباب الأموال الديوانية وعدة نواح ، أربعة آلاف ألف وستمائة ألف وثلاثة وخمسين ألفا وتسعة وعشرين دينارا .

ثم تقاصرت إلى أن جباها القاضي الموفق أبو الكرم بن معصوم العاصمي التنيسي : عينا خالصا إلى بيت المال ، بعد المؤن والكلف ، ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار إلى آخر سنة أربعين وخمسمائة . ثم بعده لم يجبها هذه الجباية أحد حتى انقرضت الدولة الفاطمية .

وسبب اتضاع خراج مصر — بعد ما بلغ مع الروم في آخر سنة ملكوا قبل فتح مصر عشرين ألف ألف دينار — أن الملوك لم تسمح تقوسهم بما كان ينفق في كلف عمارة الأرض ، فانها تحتاج أن ينفق عليها ما بين ربع متحصلها إلى ثلثه .

وآخر ما اعتبر حال أرض مصر ، فوجد مدة حرثها ستين يوما ، ومساحة أرضها مائة ألف ألف وثمانين ألف ألف فدان ، يزرع منها في مباشرة ابن مدير أربعة وعشرون ألف

ألف فدان ، وأنه لا يتم خراجها حتى يكون فيها أربعمائة ألف وثمانون ألف حرث يلزمون العمل فيها دائما . فإذا أقيم بها هذا القدر من العمال في الأرض ، تمت عمارتها ، وكمل خراجها

وآخر ما كان بها مائة ألف وعشرون ألف مزارع : في الصعيد سبعون ألفا ، وفي أسفل الأرض خمسون ألفا . وقد تغير الآن جميع ما كان بها من الأوضاع القديمة ، واختلت اختلالا فاضحا .

ذكر أصناف أراضي مصر والسام زراعتها

اعلم أن أراضي مصر عدة أصناف :

أعلاها قيمة ، وأوفاها سعرا وأعلاها قطعة ، الباق : وهو أثر القرط والمقاتي ، فانه يصلح لزراعة القمح .

وبعد الباق رى الشراقي : وهو الأرض التي ظنت في الخالية ، فلما رويت في الآية وصارت مستريحة من الزرع وزرعت ، أنجب زرعها .

والبراب : وهو أثر القصح والشمير ، وسعرها دون ألباق لضعف الأرض بوزراعة هذين الصنفين ، فتى زرعت على أثر أحدهما لم ينجب كنجابة الباق . والبراب صالح لزراعة القرط والقطن والمقاتي ، فان الأرض تستريح بوزراعة هذه الأصناف ، وتصير في القابل أرض باق .

والسماوية أثر الكتان ، فان زرعت قمحا خسر .

والشوية اتر ما روى وبار في السنة
لحبة ، وهو دون الشراقي

والسلاج ما روى وبار فحوت وتعمل ،
وهو مثل رى الشراقي ، فان زرعه يكون
أجيا

وانتقا كل أرض خلت من اتر ما زرع
فيها ، ولم يبق . شاغل عن قبول ما يزرع
فيها من أصناف الزوايات .

والوصح كل أرض استحکم وسجها ، ولم
يقدر الزارعون على ازلحته كنه منها ، بل
حوتوا وزرعوا فيها فجاء زرعها مختلطا
بالحناء ونحوها

والغالب : كل أرض حصل فيه نبات شغلها
عن قبول الزراعة ، ومنع كثرته من زراعتها
وصارت مرعى .

والخرس : كل أرض فسدت بما استحکم
فيها من مواع قبول الزرع وكانت بها
مراع ، وهو أشد من الوبخ الغالب ، وإذا
أدمن على لزالة ما فيها من المواع تهيأ
صلاحها

والشراقي : كل أرض لم يصل إليها الماء ،
أما لقصور ماء النيل أو علو الأرض ، أو سد
طريق الماء عنها أو غير ذلك .

والمتجر : كل أرض وطئة حصل بها الماء
ولم يجد مصرفا ، حتى فلت أوان الزرع وهو
باق في الأرض .

والسباخ : كل أرض غلب عليها الملح حتى
ملحت ، ولم يتنعجها في زراعة الحبوب ،

(١٠٠ ص ١٠٠ ج ١ ، د ١٠٠ ج ١)

وربما زرعها - ما لم يستحكم السباخ
فيها - غير ارباب دهلون والباذنجان ،
وزرع فيها القصب القار

ومما لا غش لأراض مصر عنه الجسور ،
وسى على قري : سلطانية ، وبلدية

فالجسر السلطانية هي لماسه انتم في
حفظ النيل على بلاد كافة الى حين يستغنى
عنه ، ولها رسوم موزنة على الأعمال الشرفية
والأسال الغريبة . وكانت في تقديم تعمل من
أمرال التولى : ويسولى عليها مستقبلو
الأرض ، وعندهم - يصرف عليها مما عليهم
من تبالات لأراضى - ثم صار بعد ذلك
يستخرج ، برسم عليها من هدين العلين ،
مال يأخذى المستخلصين من الديوان ويصرف
سبه ، ويفضل من المال بقية تحمل الى بيت
المال .

ثم صار يتولى ذلك أعيان أمراء الدولة ...
الى أن حدثت الحوادث في أيام الناصر فرج ،
فصار يجيى من البلاد مال عظيم ولا يصرف
منه شيء البتة ، بل يرفع الى السلطان ،
ويشترى كثير منه بأبدى الأعوان ، ويسخر
أهل البلاد في عمل الجسور ، فجاء الخل
كما سقى عيه ان شاء تعالى عند ذكر
أسباب اخراب .

ولما الجسور البلدية فانها عبارة عما يخص
نفعها ناحية دون ناحية . ويتولى اقامتها
المقطعون والفلاحون من أصل مال الناحية .

ومحل الجسور السلطانية من القرى محل
سور المدينة الذى يتعين على السلطان
الاهتمام بصنائه وكفاية الرعية أمره . ومحل

الجسور البلدية محل الدور التى من داخل
السور ، فيلزم صاحب كل دار أن يصلحها
ويزيل ضررها .

ومن العادة أن المقطع اذا انفصل - وكان
قد أثق شيئا من مال اقطاعه في اقامة جسر
لأجل عسارة السنة التى انتقل الاقطاع عنه
فيها - فان له أن يستعيد من المقطع الثانى
نظير ما ألقته من مال سنة في عسارة سنة
غيره .

وأصلح ما زرع القمح في أثر الباق
والشراقي ، وكان يزرع بالصعيد القمح على
أثر القمح لكثرة الطرح ، وربما زرع هناك
على أثر الكتان والشعير .

ويزرع القمح من نصف شهر بابة الى آخر
هاتور ، وهذا في الموالى من الأرض التى
تخرج بدريا ، وأما البحائر المتأخرة فيستد
وقت الزرع فيها الى آخر كيهك .

ومقدار ما يحتاج اليه الفدان الواحد من
بذر القمح يختلف بحسب قوة الأرض وضعفها
ورقتها وتوسطها ، وما يزرع في اللوق وما
يزرع في الحرث ، وأكثر البذر من اردب الى
خمس وبيات وأربع وبيات أيضا ، ويوجد في
الصعيد أراض تحتل دون هذا ، وفي خوف
دميس أراض يكفى الفدان منها نحو
الرويتين .

ويدرك الزرع بمصر في بشنس (وهو
نيسان) . ويختلف ما يخرج من فدان القمح
بحسب الأراضى ، فيرمى من اردبين الى
عشرين اردبا .

وقال أبو بكر بن وحشية في كتاب
« الفلاحة » : وذكر أن في مصر اذا زرعوا
يخرج من المسك ثلثائة مد . والعلة في ذلك
حرارة هواء بلادهم ، مع سمن أرضهم وكثرة
كدورة ماء النيل .

ولما كان في سنة ست وثمانائة ، انحصر
الماء عن قطعة أرض من بركة الفيوم التى يقال
لها اليوم بحر يوسف ، فزرت وجاء ردها
عجيبا ... رمى القدان منها أحدا وسبعين
اردبا من شعير بكيل الفيوم ، واربعا تسع
وبيات .

وكانت قطعة فدان القمح ببلاد الصعيد ،
في أيام القاطية ، ثلاثة أرايب . فلما مسحت
البلاد ، في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ،
تقرر على كل فدان اردبان ونصف ، ثم صار
يؤخذ اردبان عن الفدان . وأما أراضى أسفل
الأرض فيؤخذ عنها عين لا غلة .

ويزرع الشعير في أثر القمح وغيره في
الأرض التى غرقت وهى رطبة ، ويتقدم
زراعته على زراعة القمح بأيام ، وكذلك
حصاده فانه يحصد قبل القمح . ويحتاج
الفدان منه أن يبذر فيه بحسب الأرض ،
ويخرج أكثر من القمح ، ويكون ادراكه في
برمودة (وهو آذار) .

ويزرع القبول في الحرث اثر البرايب من
أول شهر بابة ، ويؤكل وهو أخضر في شهر
كيهك . ويحتاج الفدان من البذر منه الى
ثلاث وبيات ونحوها ، ويدرك في برمودة ،
ويحصل من فدان ما بين عشرين اردبا الى
ما دون ذلك .

وزرع الحنظل والحنظل من حشور الى
كيمك . والبيوت لا يزرع الا في لوق الارض
مرة من الارض الطالية ، ووزرع ثورقا في
الارض الخرس .

ويزرع في كل فدان من الحنظل من لوب
الى ثلث ويلات ، ومن البيوت من لوب الى
لوح ويلات ، ومن الحنظل من ويلات الى ما
دونها . ويترك هذه الاصناف في يرمودة .
وتحصل من فدان الحنظل من لوبه لوب
الى عشرة ، ومن البيوت من عشرة لوب الى
ما دونها ، والحنظل من عشرين لوبه لوب
دونها .

وانجب ما يكون الكسك في زرع في
البرش ، ويحتاج الى سبخ بتراب سبخ ،
وهو اذا عمل رقة ، ويقع قصبه ومسي
حينه لافا ، ويترك في موضعه حتى يجف ،
فلا جف حل ومنه وعزل جوزه ، فيخرج
منه زرع الكسك ، ويستخرج منه الزيت .

وزرع الكسك في شهر حشور ، ويحتاج
الحنظل ان يزرع فيه من البزر ما بين لوب
وتحت الى ما دون ذلك ، ويترك في شهر
يرمودة ، ويخرج من الفدان ما بين ثلاثين شدة
الى ما دون ذلك ، ومن البزر من ستة ارباب
الى ما دونها . وكانت قطعة الفدان من في
التبسم : بأرض الصيد من خمسة دنانير الى
ثلاثة ، وفي دلاص ثلاثة عشر دينار ، وفيما
عنا ذلك ثلاثة دنانير .

وزرع القوط عند اخذ ماء النيل في
الفتاح ، ولا يتبني اخير زرع الى اول
شوال .

ويوزع الرمح الجنوبي التي يقال لها الرمية ،
ولول ما يزرع في شهر ربة ، ورسا زرع بعد
التوروز .

والحنظل من يزرع في كيمك وطوة ،
وزرع احيانا في حشور ، ويترك في كل فدان
من ويلات ونصف الى ما حولها ، ويترك
والحنظل من في آخر شهر كيمك ، ويترك
الحنظل في طوة وانجر ، وتحصل من
الفدان الحشور ما بين لوبين الى ارباع
ويلات .

وزرع البصل والحمص من شهر حشور الى
نصف كيمك . ويترك في فدان البصل من
نصف ورم وية الى وية ، والحمص من مائة
حزمة الى مائة وخمسين حزمة ، ويترك ذلك
في يرمودة .

والبصل الذي يخرج ليزرع زرمصة ، فانه
يزرع من لول كيمك الى العشر من طوة ،
ويخرج من زرمصة عشرة ارباب من الفدان ،
ويترك في بنس .

وزرع الترمس في طوة ، وزرمسته لكل
فدان لوب ، ويترك في يرمودة ، وتحصل
من الفدان ما بين عشرين لوبه الى ما دونها .
وهذه هي الاصناف الشتوية .

ولما الاصناف الصيفية : فان البطيخ
والقويا وزرعان من نصف يرميلات الى نصف
يرمودة ، وزرع في الفدان فندان ، ويترك
في بنس .

وزرع السم في يرمودة ، وزرمسته ربح
وية للفتاح ، ويترك في ايب ومري ،
وتحصل من الفدان ما بين لوب الى ستة
لواحي .

وزرع القطن في يرمودة ، وزرمسته ارب
وميات حب القطن ، ويترك في حشور .
فيخرج من الفدان من لوبه حشور ، ويترك
الى ما دونها .

وزرع قصب السكر من نصف يرميلات
في آخر الباق والبرش ، ويترك ارضه سبع
سكك ، والحب ما يترك في ثلاث لوبين من
الفضاء شهر بنس ، ومقدار زرمسته لوب
فندان وما حوله لكل ولة .

ويحتاج القصب الى ارض جيدة منه ، ور
نخلها الري وعلاها ماء النيل ، وقنع ما بها من
الحقلاء ونظمت ، ثم يرش بالملقولات (وهي
محارث كيار) ستة وجوه وتجرف حتى
تتمد ، ثم تبرش ستة وجوه أخرى وتجرف
ومعنى البرش : الحرث .

فاذا صلحت الارض ومايت ونعت وصارت
ترابا ناعسا وتساوت بالتجريف ، شقت حينئذ
بالملقولات ، ويرمى فيها القصب قطعتين : قطعة
مشاة وقطعة مفردة ، بعد ان تجعل الارض
احواضا وتفرز لها جداول يصل الماء منها الى
الاحواض ، ويكون طول كل قطعة من
القصب ثلاثة انايب كوامل وبعض انبوية من
اغلى القطعة وبعض أخرى من اسفلها ، ويختار
ما قصرت انايبه وكثرت كمويه من القصب ،
ويقال لهذا القمل : القصب .

فاذا كمل نصب القصب أعيد التراب عليه ،
ولا بد في القصب ان تكون القطعة ملقاة
لا قائمة ، ثم يستقى - من حين نصبه في اول
فصل الربيع - لكل سبعة ايام مرة .

فاذا نبت القصب وصار أوراقا ظاهرة ،
نبت معه الحلقاء والبقلة الحمقاء التي يسميها

اهل مصر الرحلة ، فعند ذلك تترك ارضه
(ومعنى المزاق ان تسكن ارض القصب)
ويشتق ما ثبت مع القصب .

ولا يزال يتعاهد ذلك حتى يزرع القصب
ويقوى ويتكاثر ، فيقال عند ذلك : طرد
القصب عزاقه ، فانه لا يمكن عزاق الارض
ولا يكون هذا ، حتى يبرز الانبوب منه .

ومجموع ما يستقى بالقنادوس ثمانية
وعشرون ماء . والعادة ان الذي ينصب من
الاقصاب على كل مجال بحرانى ، اى مجوز
لبحر - اذا كانت مزاحة الغلة بالاقبار الجياد
مع قرب رشا الآبار - ثمانية أفدنة ، ويحتاج
الى ثمانية ارباع بقر ، فان كانت الآبار بعيدة
عن مجرى النيل لا يمكن حينئذ ان يقوم
المجال بأكثر من ستة أفدنة الى اربعة .

فاذا طلع النيل وارتفع ، سقى القصب عند
ذلك ماء الراحة . وصفة ذلك ان يقطع عليه
من جانب جسر يكون قد ادير عليه ليقه من
الفرق عند ارتفاع النيل بالزيادة ، فيسفل
الماء من ثلثة في ذلك الجسر حتى يملو على
أرض القصب نحو شبر ، ثم يسد عنه الماء
حتى لا يصل اليه ، ويترك الماء فوق الارض
قدر ساعتين او ثلاث الى ان يسجن ، ثم
يصرف من جانب آخر حتى ينضب كله ،
ويجدد عليه ماء آخر كذلك ، فيتعاهد ما ذكرنا
مرارا في ايام متفرقة بقدر معلوم ، ثم ينظم
بعد ذلك .

فلذا عمل ما قلناه وفي القصب حقه ، فان
نقص عن ذلك حصل فيه الخلل . ولا بد
للقصب من القطران قبل ان يملو حتى لا

يسوس . ويكسر القصب في كيهك . ولا بد من حرق آثار القصب بالنار ، ثم سقيه وعزقه كما تقدم ، فينبئ قصباً يقال له الخلفة ، ويسمى الأول الرأس .

وقود الخلفة أجود غالباً من قود الرأس . ووقت ادراك الرأس في طوبة ، والخلفة في نصف هتور . وغاية لادارة معاصر القصب الى التوروز . ويحصل من القدان ما بين أربعين أبلوقة قند الى ثمانين أبلوقة ، والأبلوقة نع قنطاراً فما حوله .

ويزرع القلقاس مع القصب ، ولكل فدان عشرة قناطر قلقاس جروية . ويدرك في هتور .

ويزرع الباذنجان في برمهات وبرمودة وبشش وبشونة ، ويدرك من بشونة الى مسرى .

ويزرع التيلة من بشش ، والزرمعة للقدان وية ، ويدرك من أيب .

ويزرع القبل طول السنة ، وزرمعة القدان من قدح واحد الى قدحين .

ويزرع اللق في أيب ، وزرمعة القدان قدح واحد ، ويدرك بعد أربعين يوماً .

ويزرع الخن في طوبة شتلا ، ويؤكل بعد شهرين .

ويزرع الكرتب في توت شتلا ، ويدرك في هتور .

ويغرس الكرم في أمشير ، قتلا وتحويلا .

ويغرس التين والتفاح في أمشير .

(١٠) من ١٠٠٠ يحد ١٠٠٠ يحد ١٠٠٠

ويقلع التوت في برمهات وخرمن . ويبل اللوز والخوخ والمشمش في ماء طوبة ثلاثة أيام - وهي قضبان - ثم يغرس ، ويحول شجرها في طوبة .

ويزرع نوى التمر ، ثم يتحول وديا ، فينتل .

ويدفن بصل الترجمس في مسرى .

ويزرع الياسمين في أيام النسيء وفي أمشير .

ويزرع المرسين في طوبة وأمشير ، غرسا .

ويزرع الرمان في برمودة .

ويزرع حب المنثور في أيام النيل .

ويزرع الموز الشتوي في طوبة ، والصيفي في أمشير .

ويحول الخيار شبر في برمهات .

وتقلع الكروم على وجه الشمال ، الى ليل من برمهات ، حتى تخرج العين منها .

وتقلع الأشجار في طوبة وأمشير ، الا السدر - وهو شجر النبق - فإنه يقلع في برمودة .

وتسقى الأشجار في طوبة ماء ولحدا ،

ويسمونه ماء الحياة . وتسقى في أمشير ثانياً

عند خروج الزهر . وتسقى في برمهات ما بين

آخرين الى أن يعقد التمر . وتسقى في

بشش ثلاث مياه . وتسقى في بؤونة وأييب

ومسرى ماء في كل سبعة أيام . وتسقى في

توت وبابة مرة واحدة تفريقاً من ماء النيل .

وتسقى في هتور من ماء النيل بتفريق

المساطب . وتسقى البعل من الكروم في هتور من ماء النيل مرة واحدة تفريقاً

وجميع أراضي مصر تقاس بالقدان ، وهو سبابة عن أربعمائة قصبة حاكية طولاً في عرض قصبة واحدة . والقصبة ستة أذرع وثلاثا ذراع بذراع القماش ، وخمسة أذرع بذراع التجار تقريباً .

وقال القاضي أبو الحسن في كتاب المنهاج : خراج مصر قد ضرب على قصبة في المساحة اصطلاح عليهما ، ذرع المزارع على حكمها . وتكسیر القدان أربعمائة قصبة ، لأنه عشرون قصبة طولاً في عشرون قصبة عرضاً . وقصبة المساحة تعرف بالحاكية ، وهي تقارب خمسة أذرع بالتجاري .

ذكر انقسام مال مصر

اعلم أن مال مصر في زمنا ينقسم قسمين : أحدهما يقال له خراجي ، والآخر يقال له هلالى .

فالمال الخراجي ما يؤخذ مساهمة من الأراضي التي تزرع حبوباً ونخلاً وعنباً وفاكهة ، وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل القنم والدجاج والكشك وغيره من طرف الريف .

والمال الهلالى عدة أبواب ، كلها أحدثها ولاية السوء شيئاً بعد شيء .

وأصل ذلك في الاسلام أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بلغه أن تجارا من المسلمين يأتون أرض الجند فيأخذون منهم

العشر ، فكتب الى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة : أن خذ من كل تاجر يمر بك من المسلمين من كل مائتي درهم خمسة دراهم ، وخذ من كل تاجر من تجار العمدة (يعنى أهل الذمة) من كل عشرين درهما درهما ، ومن تجار الحرب من كل عشرة دراهم درهما .

وقيل لابن عمر : كان عمر يأخذ من المسلمين العشر ؟ قال : لا .

وهي عمر بن عبد العزيز عن ذلك ، وكتب : ضموا عن الناس هذه المكوس ، فليس بالمكس ولكنه النجس .

وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتاه ناس من أهل الشام ، فقالوا : أصبنا دواب وأموالا فخذ منها صدقة تطهر بها .

فقال : كيف أفعل ما لم يفعل من كان قبلى ؟ وشاور ...

فقال على بن أبي طالب رضي الله عنه : لا بأس به إن لم يأخذه من بعدك .

فأخذ عن العبد عشرة دراهم وكذلك عن الفرس ، وعن الهجين ثمانية ، وعن البرذون والبغل خمسة .

وأول من وضع على الحوائث الخراج في الاسلام أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور في سنة سبع وستين ومائة ، وولى ذلك سعيد الجرمي .

وأول من أحدث مالا ، سوى مال الخراج بمصر ، أحمد بن محمد بن مديبر — لما ولي خراج مصر بعد سنة خمسين ومائتين — فانه كان من دهاة الناس وشياطين الكتاب . فابتدع في مصر بدعا صارت مستمرة من بعده لا تنقض ، فأحاط بالنظرون وحجر عليه بعد ما كان مباحا لجميع الناس ، وقرر على الكلا الذي ترعاه البهائم مالا سماه المراعى ، وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصاد ... الى غير ذلك .

فانقسم حينئذ مال مصر الى خراجي وهلالى . وكان الهلالى يعرف ، في زمنه وما بعده ، بالمرافق والمعاون .

فلما ولي الأمير أبو العباس أحمد بن طولون اماره مصر ، وأضاف اليه أمير المؤمنين المتصد على الله * الخراج والثغور الشامية ، رغب وتنزه عن أدناس المعاون والمرافق ، وكتب بإسقاطها في جميع أعماله ، وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة ألف دينار في كل سنة .

وله في ذلك خبر فيه أكبر معتبر ، قد ذكرته عند ذكر أخبار الجامع الطولونى من هذا الكتاب .

ثم أعيدت الأموال الهلالية في أثناء الدولة الفاطمية عندما ضعفت ، وصارت تعرف بالمكوس .

فلما استبد السلطان الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب بملك مصر ، أمر بإسقاط مكوس مصر والقاهرة ، فكتب عنه القاضي الفاضل مرسوما بذلك .

(*) من ١٠٢ ج ١ ط ١٠٢٠

وكان جملة ذلك في كل سنة مائة ألف دينار ، تفصيلها :

مكس البهار وعملاته : ثلاثة وثلاثون ألفا وثلثمائة وأربعة وستون دينارا .

مكس البضائع والقوافل وعملاتها : تسعة آلاف وثلثمائة وخمسون دينارا .

منفك الصناعة ، عن مكس البز الوارد اليها والنحاس والتزدير والمرجان والفاضلات ، خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون دينارا .

الصادر عن الصناعة بمصر : ستة آلاف وستمائة وستة وستون دينارا .

سمرة التمر : ثلثمائة دينار .

الفندق بالمنية عن مكس البضائع : ثمانمائة دينار وستة وخمسون دينارا .

رسوم دار القند : ثلاثة آلاف ومائة وثمانية دنانير .

رسوم الخشب الطويل والملح : ستمائة وستة وتسعون دينارا .

رسوم العلب المنسوبة الى بليس والبورى : مائة دينار .

رسوم التفقيش بالصناعة عن البهار وغيره : مائتان وسبعة عشر دينارا .

خيمة أرمنت عن الوارد اليها : سبعة وستون دينارا .

فندق القطن : ألفا دينار .

سوق النعم بالقاهرة ومصر والسمرة وعبور الأغنام بالجيزة : ثلاثة آلاف وثلثمائة وأحد عشر دينارا .

عبور الأغنام والكتان والأنقا بسات القطر : ألف ومائتا دينار

واجب ما ورد من الكتان العطب الى الصناعة : مائتا دينار .

رسوم واجب الفلات ، كالجبوب الواردة الى الصناعة ، والمقس والمنية والجسر والتبائن ومنفك جزيرة الذهب وطوموم ومنبر الدرج : ستة آلاف دينار .

مكس ما يرد الى الصناعة من الأغنام : ستة وثلاثون دينارا .

الأغنام البتوتية : اثنا عشر دينارا .

العرصة والرمساوى بالجيزة ، ومكس الأغنام : مائة وتسعون دينارا .

منفك النجوم عما يرد من الكتان من القبله ومن البضائع الواردة من النجوم وغيره : أربعة آلاف ومائة وستون دينارا .

مكس الورق المجلوب الى الصناعة ورسم التفقيش : مائتا دينار .

الحصة بساحل القلة والأقوات والرسائل : سبعمائة وثمانية وستون دينارا .

دار التفاح والسرط بمصر والعرصة بالقاهرة : ألف وسبعمائة دينار .

رسم ابن المليحي : مائتا دينار .

دار الجبن : ألف دينار .

مشاركة الخزائن : مائتان وأربعون دينارا .

واجب الحلى الوارد من الوجه البحرى والقطن : ألف وعشرون دينارا .

رسم سمرة الصفا : ألف ومائتا دينار .

منفك الصيد : مائة وأحد وستون دينارا .

خاتم الشرب والديبقي : ألف وخمسمائة دينار .

مكس الصوف : مائتا دينار .

نصف الموردة بساحل المقس : أربعة عشر دينارا .

دكة السمار : ثلثمائة وخمسون دينارا .

منفك العريف بالصناعة وحملة البهار والبضائع : مائتان وستة عشر دينارا .

الحلفاء الواردة من القبله : مائة وخمسة وثلاثون دينارا .

الوقد والسرقيين والطعم بدار التفاح ومنفك القبله بالتبائن والجسر : خمسة وثلاثون دينارا .

رسوم الصفا والحمراء ورسوم دار الكتان : ستون دينارا .

حماية الفلات بالمقس ودار الجبن : مائة وأربعون دينارا .

الحلفاء الواردة على الجسر ومعديه المقياس : مائة دينار .

خمس البرنية بالجيزة : عشرون دينارا .

تل التعريف بالصناعة : ثمانية وعشرون دينارا .

منفك الفلات بمعدية جزيرة الذهب : عشرة دنانير .

رسوم الحمام بساحل القلة : خمسمائة وأربعة وثلاثون دينار .
واجب الحناء الواردة في البر : ثمانمائة دينار .
واجب الحناء والقصاب : ثلاثة وستون دينار .
مكس ما يرد من البضائع الى النية : مائة وأربعة وثمانون دينار .
مسلخة شطونف والبرانية : مائتا دينار .
سوق السكرين : خسون دينار .
رسوم خيمة الجبل بالشارع وسوق وردان : تسعة عشر دينار .
واجب الفحم الوارد الى القاهرة : عشرة دنانير .
معدية الجمر بالجيزة : مائة وعشرون دينار .
خيمة البقري : أربعون دينار .
الخيمة بدار الدباغة : تسعة عشر دينار .
سمرة الجبس الجيوشي : ثلثمائة واثنا عشر دينار .
دكان الدهن ومقصرة الشرج والخل بالقاهرة : خمسمائة دينار .
الخل الحامض وما معه : أربعمائة دينار .
بيوت الغزل والمصطبة : ثلثمائة وخمسون دينار .
ذبائح الأبقار : ألف دينار
سوق السمك بالقاهرة ومصر : ألف ومائتا دينار .
رسوم الدلالة : ثلثمائة دينار .

سمرة الكتان : ثلثمائة دينار .
رسوم حانة الصنائع : أربعمائة دينار .
مرصة العسل : مائتان واثنتان وثلاثون دينار .
معدى جزيرة الذهب وغيرها : ثلثمائة دينار .
خاتم الشمع بالقاهرة : ثلاثة وستون دينار .
زربة الذبيحة : سبعمائة دينار .
معدية المقياس وامبابه : مائتا دينار .
حمولة السليم : ثلثمائة وثلاثون دينار .
دكة الدماغ : ثمانمائة دينار .
سوق الرقيق : خمسمائة دينار .
معمل الطيرى : مائتان وأربعون دينار .
سوق منسوبة : مائة وأربعة وستون دينار .
ذبائح الضأن بالجيزة ورسوم ساحل السنطة : عشرة دنانير .
نخ السمك : خمسة دنانير .
تنور الشوى : مائة دينار .
نصف الرمل من مطابخ السكر : مائة وخمسة وثلاثون دينار .
سوق الدواب بالقاهرة ومصر : أربعمائة دينار .
سوق الجمال : مائتان وخمسون دينار .
قبان الحناء : ثلاثون دينار .
واجب طاقت الأدم : ستة وثلاثون دينار .

(١٠) من ١٠ ج ١ ، ط ١٠ بولاق .

منفلت الغام بالشاشين : ثلاثة وثلاثون دينار .
أنولة القصار : أربعون دينار .
بيوت القروج : ثلاثون دينار .
الشمع والطارات : أربعة دنانير .
رسوم الصبغ والحريز : ثلثمائة وأربعة وثلاثون دينار .
وزن الطفل : مائة وأربعون دينار .
معمل الزر : أربعة وثمانون دينار .
الفاخور بمصر والقاهرة : مائتان وستة وثلاثون دينار .
وذكر ابن أبى طى أن الذى أسقطه السلطان صلاح الدين ، والذى سمح به لعدة سنين آخرها سنة أربع وستين وخمسمائة ، مبلغه عن ثيف ألف دينار وألفى ألف اردب ... سمح بذلك وأبطله من الدواوين وأسقطه عن المعاملين .
فلما ولى السلطان الملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين يوسف ، أعاد المكوس وزاد في شناعتهما .
قال القاضى الفاضل في متجددات سنة تسعين وخمسمائة : وكان قد تنابح في شعبان أهل مصر والقاهرة في اظهار المنكرات وترك الانكار لها ، وابهاحة أهل الأمر والنهى لها ، وتفاش الأمر فيها ، الى أن غلا سعر العنب لكثرة من يعصره ، وأقيمت طاحون بحارة المحسودية لطحن حشيش الزر وأفردت برسه ...

وحيت يسوت المزر ، وأقيمت عليها الضرائب الثقيلة ، فمنها ما انتهى أمره في كل يوم الى ستة عشر ديناراً ، ومنع المزر البيوتى لتوفر الشراء من البيوت المحمية ، وحملت أواني الخمر على رؤوس الأشهاد وفي الأسواق من غير منكر ، وظهر من عاجل عقوبة الله عز وجل وقوف زيادة النيل عن متاعها ، وزيادة سعر القلة في وقت ميسورها .

وقال في متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة : وآل الأمر الى وقوف وظيفة الدار العزيزية من خبز ولحم الى أن يتحمل في بعض الأوقات لا كلها لبعض ما يتبلغ به من خبز ، وكثر ضجيجهم وشكواهم فلم يسمع ، ووقف الحال فيما ينفق في دار السلطان ، وفيما يصرف الى عياله ، وفيما يقتات به أولاده ، وما يغصب من أربابه ، وأقضى هذا الى غلاء الأسعار ، فان المتعيشين من أرباب الدكاكين يزيدون في أسعار المأكولات العامة بمقدار ما يؤخذ منهم للدار السلطانية ، فأقضى ذلك الى النظر في المكاسب الخفية .

وضمن المزر والخمر باثنى عشر ألف دينار ، وفصح في اظهار منكره والاعلان به والبيع له في القاعات والحواليت مع قرب استهلاك رجب ، وما استطاع أحد من العامة الانكار لا باليد ولا باللسان ، وصار هذا السحت مما يتفرد السلطان به لنفقه وطعامه ، وانتقل مال الثغور ومال الجوالى الحل الطيب ، الى أن يصير حوالات لمن لا يبالي من أين أخذ المال ، ولا يفرق بين الحرام والحلال .

وفي شهر رمضان غلا سعر الأغراب لكثرة
العصير منها ، وتظاهر به أربابه لتحكير
نفتيه السلطاني ، واستيفاء رسمه بإيدي
مستخدميه . وبلغ ضمانه سبعة عشر ألف
دينار ، وحصل منه شيء حل إليه . فبلغني
أنه صنع به آلات الشراب ذهيات وففيات .
وكرر اجتساع النساء والرجال في شهر
رمضان لا سيما على الخليج لما فتح ، وعلى
مصر لما زلزال الماء ، وتلقى فيه النيل بمعاص
نسال الله ألا يؤاخذنا بها ، وألا يعاقبنا عليها
بجرامة أهلها .

وقال جامع السيرة التركية : ولما استقل
الملك الممزرع الدين أيك التركماني الصالح
بملكة مصر في سنة خمسين وستائة - بعد
انقراض دولة بني أيوب - استوزر شخصا
من نقار الدواوين يعرف بشرف الدين هبة الله
ابن مساعد القانزي ، أحد كتاب الأقباط
- وكان قد أظهر الاسلام من أيام الملك
الكامل ، وترقى في خدمة الكتابة - فقرر في
وزلته أموالا على التجار وذوى اليسار
وأرباب العقار ، ورب مكوسا وضمانات
سموها حقوقا ومعاملات .

ولما ولي الملك المقفر سيف الدين قطز
ملكة مصر ، بعد خلعه الملك المنصور على بن
الممزر أيك ، أحدث عند سفره الذي قتل فيه
مقال كثيرة لأجل جمع المال وصرفه في الحركة
لقتال جموع التتر ، منها تصقيع الأملاك
وتقسيمها وزكاتها ، وأحدث على كل إنسان
دينارا يؤخذ منه ، وأخذ تلك التركات
الأهلية ، فبلغ ذلك ستائة ألف دينار في
كل سنة .

فلما قتل قطز ، وجلس الملك الظاهر ركن
الدين بيرس بعده على سرور الملك بقلعة
الجيل ، أبطل ذلك جيبه وكتب به سامح
قرئت على المنابر ، ثم أبطل ضمان المزر
وجباهه في سنة اثنتين وستين وستائة ، وكتب
وهو بالشام إلى الأمير عز الدين الحلبي نائب
السلطنة بمصر أن يبطل يوت المزر ، ويعفى
آثاره ، ويخرب بيوتهم ، ويكسر مواضعه ،
ويسقط ارتفاعه من الديوان ... فان بعض
الصالحين تحدث معي في ذلك وقال : القمح
الذي جمعه الله تعالى قوتنا للمسلم يداين
بالأرجل ، وقد تقررت إلى الله تعالى بإبطاله ،
ومن ترك شيئا لله عوضه خير منه ، ومن
كان له على هذه الجهة شيء يعوضه الله من
المال الحلال .

فأبطل الحلبي ذلك ، وعوض المقطمين عليه
بدله .

وفي سنة ثلاث وستين أبطل حراسة النهار
بالقاهرة ومصر - وكانت جملة مستكثرة -
وكتب بذلك توقيعها ، وأبطل من أعمال
الدقهلية والمراتحة : عن رسوم الولاية أربعة
وعشرين ألف دينار .

وفي خامس عشر شهر رمضان سنة اثنتين
وستين وستائة ، قرئ بجامع مصر مكتوب
بإبطال ما قرر على رسوم ولاية مصر من
الرسوم ، وهي مائة ألف درهم مصرية ...
فبطل ذلك .

وأبطل ضمان الحشيش من ديار مصر كلها
في سنة خمس وستين وستائة ، وأمر باراقة

(ج) من ١٠ ج ١ ، ط. بولاق .

الخمور ، وإبطال المنكرات ، وتعمية بيوت
المسكرات ، ومنع الحانات والخواطيء بجميع
أقطار مملكة مصر والشام ... فظهرت من ذلك
البقاع .

ولما وردت المراسيم بذلك على القاضي ناصر
الدين أحمد بن المنير قال :

ليس لابليس عندنا أرب
غير بلاد الأمير مأواه

حرفته الخمر والحشيش معا
حرمتا مأوه ومرعاه

وقال الأديب الفاضل أبو الحسين الجزار :

قد عطل الكوب من حبابه
وأخلى الثغر من رضابه

وأصبح الشيخ وهو ييكي
على الذي فات من شبابه

وفي تاسع جمادى الآخرة سنة ست وستين
وستمائة ، أمر الملك الظاهر ببيرس باراقة
الخمور ، وإبطال الفساد ، ومنع النساء
الخواطيء من التعرض للبقاء من جميع القاهرة
ومصر وسائر الأعمال المصرية . فظهرت أرض
مصر من هذا المنكر ، ونهبت الخانات التي
كانت معدة لذلك ، وسلب أهلها جميع ما كان
لهم ، وتقى بعضهم ، وجبت النساء حتى
يتزوجن . وكتب إلى جميع البلاد ببطل ذلك .
وحط المال المقرر على البغايا من الديوان ،
وعوض الحاشية من جهات حل بنظيره .

وفي سابع عشر ذي الحجة سنة سبع وستين
وستمائة ، أريق الخمر ، وأبطل ضمانها
- وكان كل يوم ألف دينار - وكتب توقيع

بذلك قرئ على المنابر . وافتتح سنة سبعين
باراقة الخمر ، والتشدد في إزالة المنكرات ،
وكان يوما مشهودا بالقاهرة . وبلغه في سنة
أربع وسبعين عن الطواشي شجاع الدين عنبر
المعروف بصدر الباز - وكان قد تمكن منه
تمكنا كثيرا - أنه يشرب الخمر ، فشنته
تحت قلعة الجبل .

ولما ولي الملك المنصور سيف الدين قلاوون
الآلتي مملكة مصر أبطل زكاة الدولة ، وهو
ما كان يؤخذ من الرجل عن زكاة ماله أبدا
ولو عدم منه ، وإذا مات يؤخذ من ورثته .
وأبطل ما كان يجبي من أهل إقليم مصر كله ،
إذا حضر مبشر بفتح حصن أو نحوه ، فيؤخذ
من الناس بالقاهرة ومصر على قدر طبقاتهم ،
ويجتمع من ذلك مال كثير .

وأبطل ما كان يجبي من أهل الذمة ، وهو
دينار سوى الجالية ، برسم ثقة الأجناد في كل
سنة .

وأبطل مقرر جباية الدينار من التجار عند
سفر العسكر والغزاة ، وكان يؤخذ من جميع
تجار القاهرة ومصر : من كل تاجر دينار .

وأبطل ما كان يجبي عند وفاء النيل مما
يعمل به شوى وحلوى وفاكة في المقياس ،
وجعل مصرف ذلك من بيت المال ...

وأبطل أشياء كثيرة من هذا النمط .

وأبطل الملك الناصر محمد بن قلاوون عدة
جهات قد ذكرت في الروك الناصري . وآخر
ما أدركنا إبطاله ضمان الأغاني ، وضمان
القرايط ، في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ،

على يد الملك الأشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون .

قاما ضان الأغانى فكان بلاه حيا ، وهو عبارة عن أخذ مال من النساء البغايا ، فلو خرجت لجن امرأة في مصر تريد البغاء حتى زلت اسمها عند الضامة ، وقامت بما يؤمرها ، لما قدر أكبر أهل مصر على منها من غسل الضامة .

وكان على النساء إذا نفن ، أو عرس امرأة ، أو خضبت امرأة يدعا بعتاء ، أو أراد أحد أن يغسل فرجا ، لا بد من مال بتقرر تأخذ الضامة ، ومن قبل فرجا بأغان ، أو فس امرأة من غير إذن الضامة ، حل به بلاه لا يوصف .

وأما ضان القراميط ، فإنه كان يؤخذ من كل من باع ملكا عن كل ألف درهم خسرون درهما .

وكان تحصل هاتين الجنتين مالا كبيرا جدا .

وأبطل الملك القاهر يرقوق ما كان يؤخذ من أهل البرلس ونسوى وبلطيم ، شبه الجالية ، في كل سنة ستين ألف درهم .

وأبطل ما كان على القمح من مكس يؤخذ من الفقراء بفقر دمياط من يتاع من أردنين فما دونها .

وأبطل ما كان يؤخذ مكسا من معمل التروج بالحريرة والأعمال القريبة .

وأبطل ما كان يؤخذ تقصم لمن يروح الى الميامة من الخيل والجمال والقمم وغير ذلك .

وأبطل ما كان يؤخذ على الفروس والحفاه ياب النصر خارج القاهرة .

وأبطل ضان الأغانى بنية ابن خبيب بأعمال الأنسولين ، وورثتها بالأعمال القريبة .

وأبطل الأبقار التي كانت ترمى بالوجه البحرى عند فراغ الجصور .

وأبطل الأمير بليغا السالى - لما ولى استدار السلطان الملك الناصر فرج بن يرقوق في سنة إحدى وثمانمائة - تعرف الضلال بنية ابن خبيب ، وضمان العرصة بها ، وأخصاص الثنائين ... وكانت من المقام القبيحة .

وأبطل من القاهرة ضان بعميرة البقر ، ثم أعاده القبط من بعده .

وقد بقيت الى الآن من المكوس بقايا . أخبرني الأمير الوزير الشير الاستدار بليغا السالى ، في أيام وزارته ، أن جهات المكوس بديار مصر تبلغ في كل يوم بضعا وسبعين ألف درهم ، وأنه اعتبرها فلم يجدها تصرف في شيء من مصالح الدولة ، بل انصاهى منافع للقبط وحواسيهم . وكان قد عزم على إبطال المكوس فلم يمهل .

والمال الهلالى عبارة عما يتأدى مشاهرة ، كأجر الأملاك المسقة من الآدر ، والعوانيت ، والحمامات ، والأفران ، والطواحين ، وعدد القنم ، والجهة الهوائية المضمونة والمحولة .

وعند بعض الكتاب أحكار البيوت ، وريع البساتين التي تستخرج أجراها مشاهرة ،

(١٠٦) من ١٠٦٠ ج ١ ، ط. بولاق .

ومصايد السمك ، ومعاصر الشيرج والزيت ، في ثلث الهلالى .

ومن إصلاح كتاب مصر القدماء أن تورد جزيرة أهل النمة من اليهود والنصارى قلعا ولحدا مستقلا بذاته ، بعد الهلالى . فبيل الخراجى ، وذلك أنها تستأدى مساهمة ، وكانوا يرون وجوبها مشاهرة . وفائدة فيمن أسلم أو مات في أثناء الحول ، فانهم كانوا يلزمونه بقدر ما مضى من السنة قبل اسلامه أو وفاته ، فلذلك أوردت فيما بين الهلالى والخراجى .

وكانوا في الاقطاعات الجيشية ، يجرونها مجرى المال الهلالى عند خروج اقطاع من يقطع ، ودخول آخر على ذلك الاقطاع ، فانها كانت تستخرج على حكم الشهور الهلالية لا الشمسية بحيث لو تمجلها مقطع في غرة السنة على العادة في ذلك ، وخارج الاقطاع عنه في أثناء السنة بوفاة أو قلة الى غيره ، استحق منها نظير ما مضى من شهور السنة الى حين انتقال الاقطاع عنه ، لا على حكم ما استحق من المال . واستحق المتصل من استقبال تاريخ مشوره ، كمادة التقود والتخلل بينهما من المدة مستحق ذلك الديوان ، فيرد من جملة المحلولات من الاقطاعات .

وكان من أبواب الهلالى جهات تسمى المعاملات ، وهى : الزكاة ، والموارث ، والثغور ، والتجر ، والشب ، والنظرون ، والجيس الجيوشى ، ودار الضرب ، ودار العيار ، والجاموس ، وأبقار الجيس ، والأغنام ، والفروس والبساتين ، والأحكار والرباع ، والمراكب ، وما يتأدى من النمة

غير الجوالى ، وساحل السنط ، والخراج ، والقرط ، ومقرر الجصور ، وموقف الأكيان ، ومقرر القصب ، ومقرر البريد ، ومقرر السنط ، وعشر ٦ ق ، وغير ذلك من جهات المكوس .

فأما الجزية ، تعرف في رتنا بالجوالى ، ولها تستخرج سلقا وتعجيلا في غرة السنة ، وكان يحصل منها مال كثير قسا مضى .

قال القاضي القاضى في متجددات الحوادث : الذى اعتد عليه ارتفاع الجوالى لسنة سبع وثمانين وخمسة : مائة ألف ومائت ألف دينار . وأما في وقتنا هذا ، فإن الجوالى قلت جدا لكثرة اظهار النصارى للاسلام في الحوادث التي مرت بهم .

ولما استبد السلطان الملك المؤيد شيخ بملك مصر ، بعد الخليفة العباس بن محمد أمير المؤمنين المستعين بالله ، ولى رجلا جباية الجوالى ، فكثرت الاستقصاء عن النمة والكدر في الاستخراج منهم ، فبلغت الجوالى في سنة ست عشرة وثمانمائة : أحد عشر ألف دينار ، وأربعمائة دينار ، سوى ما غرم للأعوان ، وهو قدر كثير .

وأما المراعى - وهو الكلا المطلق المباح الذى أنبأه الله تعالى لرعى دواب بنى آدم - فأول من أدخلها الديوان بمصر أحمد بن مدير ، لما ولى الخراج ، وصير لذلك ديوانا وعاملا جلدا يحظر على الناس أن يتبايعوا المراعى أو يشتروها الا من جهته .

وأدركنا المراعى ببلاد الصعيد ما يضاف الى الاقطاعات ، فيأخذ الأمير ممن يرعى دوابه في أرض بلده الكتيح في كل سنة مالا

عن كل رأس ، فيجبي من صاحب الماشية بعد أعامه فلما اختل امر المصيد في الحوادث الكثافة منذ سنة ست وثلاثمائة ، ثلاثى الأمر في ذلك

وكانت العادة القديمة أن ينسب للرعى مشد وشهود وكاتب ، فيمدون المواشى . ويستخرجون من أربابها عن كل رأس شية ، ولا يكون ذلك إلا بعد هبوط النيل ونسبات الكلا واستهلاكه للرعى

وأما المصايد فهي ما أطعم الله سبحانه وتعالى من صيد البحر . وأول من أدخلها الديوان أيضا ابن مدير ، وصير لها ديوانا ، واحتشم من ذكر المصايد وشاعة القول فيها ، فمر أن يكتب في الديوان خراج مضارب الأوتار ومقارن السالك ، فاستمر ذلك .

وكان ينسب لمباشرتها مشد وشهود وكاتب إلى عدة جهات ، مثل خليج الاسكندرية ، وبحيرة الاسكندرية ، وبحيرة نسترو ، ونغر دمياط ، وجنادل نجر أسوان ، وغير ذلك من البرك والبحيرات ... فيخرجون عند هبوط النيل ورجوع الماء من المزارع إلى بحر النيل بعد ما تكون أفواه الترع قد سكرت ، وأبواب القنطرة قد سلت عند انتهاء ريادة النيل ، كما يتراجع الماء وتكاثف ما يلي المزارع .

ثم تنصب شباك وتصرف المياه ، فيأتى السك وقد اندفع مع الماء الجارى ، فتصده الشباك عن الانحدار مع الماء ، ويجمع فيها ،

(١٠) من ١٠٧٠ - ١٠٨٠ هـ - ١٠٨٠

فيخرج إلى البر ، ويوضع على أنطاخ ، ويملح ويوضع في الأمطار ، فإذا استوى بيع وقيل له الملوحة والصير . ولا يكون ذلك إلا فيما كان من السك في قدر الأصبع فما دونه . وسمون هذا العصف إذا كان طريا «إسارية» فتؤكل مشوية ومقلية .

وهناد من بحيرة نسترو وبحيرة تيس وبحيرة الاسكندرية أسماك تعرف بالبورى ، وقيل لها ذلك لأنها كانت تصاد عند قرية من قرى تيس يقال لها بورة ، وقد خربت ، والنسة إليها البورى ، ونسب إليها جماعة من الناس منهم بنو البورى . وقيل لهذا السك البورى إضافة إلى القرية المذكورة

وقد بطل في زماننا اليوم أمر هذه المصايد ، إلا من بحيرة نسترو بالبهرس ، وبحيرة تيس بدمياط فقط . وهاتان البحيرتان تجريان في ديوان الخاص ، وهما مضمستان ، وما يخرج منها من البورى وغيره من أنواع السمك فللسلطان ، لا يقدر أحد أن يتعرض لصيد شيء منه إلا أن يكون من صياديهما القائمين بالضمآن . وما عدا هاتين البحيرتين من البرك والأملاق والخلجان فليست للسلطان . وأما بحيرة اسكندرية فقد جفت ، ونجر أسوان فقد خرج عن يد السلطنة ، وتغلب عليه أولاد الكفرة .

وتم برك بأيدي أقوام ، كبركة القيل بيد أولاد الملك الظاهر بيسر ، وبركة الرطلى بيد أولاد الأمير بكتر الحاجب . وغير ذلك ... فإن أسماكها مضمنة لهم يبيعونها ، ومع ذلك لا يمنع أحد الصيد منها .

وأما بحر النيل فما صيد منه يحمل إلى دار السك بالقاهرة ، فيباع ويؤخذ منه مكس السلطان ، إلا أن الأمير جمال الدين يوسف الأستادار زاد فيما كان يؤخذ من الصيادين مكسا ، ومن حينئذ قل السك بالقاهرة وغلا سعره .

وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في « تاريخ مصر » : أن صنما كان بالاسكندرية يقال له شراجيل ، على حشفة من حشاف البحر ، مستقبلا بأصبع من كفه قسطنطينية ، لا يدري أكان ما عمله سليمان النبى ، أم عمله الاسكندر ؟ فكانت الحيتان تدور بالاسكندرية وتصاد عنده فيما زعموا .

قال زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أخبرنى أبى عن أبيه أنه انبطح على بطنه ومد يديه ورجليه ، فكان طوله طول قدم الصنم .

فكتب رجل يقال له أسامة بن زيد ، كان عاملا على مصر للوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين : أن عندنا بالاسكندرية صنما ، يقال له شراجيل ، من نحاس ، وقد غلت علينا القلوس ، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينزله ويضربه فلوسيا فعل ، وإن رأى غير ذلك فليكتب إلى من أمره .

فكتب إليه : لا تنزله حتى أبعث إليك ضمنا يحضرونه .

فبعث إليه رجلا أمناء حتى أنزل من الحشفة ، فوجدوا عينيه ياقوتتين حمراوين ليس لهما قيمة ، فضربه فلوسيا ، فانطلقت الحيتان فلم ترجع إلى ما هنالك .

وأما الزكاة فإن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أول من جباها بمصر ... قال القاضي الناضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة : ثالث عشر ربيع الآخر فرقت الزكوات ، بعد ما جمعت ، على الفقراء والمساكين وأبناء الليل والفارمين . بعد أن رفع إلى بيت المال السهام الأربعة ، وهى سهام العاملين ، والمؤلفه وفى ميل الله وفى الرقاب ، وقررت لهم فريضة ، واستودى على الأموال والبضائع ، وعلى ما يتقرر عليه من المواشى والنخل والخضراوات .

قال : والذي انعقد عليه ارتفاع الجوالى لسنة سبع وثمانين وخمسمائة : ثلاثون ألف دينار . والزائد فى معاملة الزكاة ودار الضرب لستى ست وسبع وثمانين وخمسمائة : أحد وعشرون ألف دينار وثمانمائة وأحد وستون دينارا .

وقال فى سنة ثمان وثمانين : واستخدم ابن حمدان فى ديوان الزكاة ، وكتب خطه بما مبلغه اثنان وخمسون ألف دينار لسنة واحدة من مال الزكاة ، وجعل الطواشى قراغش الشاد فى هذا المال وآلا يتصرف فيه ، بل يكون فى صندوق مودعا للمهمات التى يؤمر بها .

ولما قدم ابن غنيم الشاعر من عند الملك العزيز سيف الاسلام طفتكين بن نجم الدين أيوب بن شادى ملك اليمن إلى مصر - وقد أجزل صلته عندما وفد عليه وفارقه ، وقد أثرى ثراه كثيرا - قبض أرباب ديوان الزكاة بمصر على ما قدم به من المتجر ، وطالبوه

بركة ما معه ، وكان ذلك في أيام الملك العزيز
عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بن
سعيد ، فقال :

ما كل من يتسبى بالعزيز لها
أهل ، ولا كل برق سحبه غرقه
بين العزيزين فرق في فعالهما :
هناك يسطى ، وهذا يأخذ الصدقة

ثم ان العزيز كشف عما يستأدى من
الزكاة ، فانه انتهى اليه فيها اقوال شنيعة ،
منها انه اخذ من رجل فقير بيع الملح في قفة
على راسه زكاة عما في القفة ، وانه يبيع جمل
بحسبة دقائق ذهب فاخذ زكاتها خمسة
دراهم ، فأمر بتفويض امرها الى ارباب
الأموال ومن وجب عليه حق

ثم لما كانت سلطة الملك الكامل ناصر
الدين محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ،
أخرج من زكاة الأموال التي كانت تحبس من
الناس سهمى الفقراء والمساكين وأمر بصرفهما
في مصارفهما الشرعية ، ورتب من جملة هذين
السهمين معاليهم للفقهاء والصلحاء وأهل الخير
تجربى عليهم . فاستحسن ذلك : من فعله
وحمله الى ديوان الزكاة قبل منه ، ومن لم
يحمل لا يتعرض اليه .

فيحل الأغنياء بزكاة أموالهم حتى تضرر
الفقراء والمساكين ، وأخذ السعاة يبدلون في
ضمانها الأموال لتعود الى ما كانت عليه .
فولي النظر في ديوان الزكاة القاضي الأسعد
شرف الدين أبو المكارم أسعد بن مذهب
ابن مساتي ، فاستخرج الزكاة من أربابها ، ثم

(١٥١) ص ١٠١ ج ١ ، ط ، بولاق .

لا

فست بمال كثير ، وعاد الأمر فيها الى ما
كانت عليه من العنف والجور ،

وكانت أعوان متولى الزكاة تخرج الى منية
ابن خبيب وأخميم وقوص ، لكشف أحوال
المساكين من التجار والحجاج وغيرهم ،
فيبحثون عن جميع ما معهم ، ويدخلون
أيديهم اوساط الرجال خشية أن يكون معهم
مال ، ويحلفون الجميع بالإيمان العرجة على
ما بأيديهم وما عندهم غير ما وجدوه .

وتقوم طائفة من مردة هذه الأعوان ،
وبأيديهم المال الطوال ذوات الأنصبة ،
فيصعدون الى المراكب ، ويجسسون بمالهم
جميع ما فيها من الأحصال والغرائب ، مخافة أن
يكون فيها شيء من بضاعة أو مال ، فيالتون
في البحث والاستقصاء بحيث يقبح ويستشنع
فعلهم . ويقف الحجاج بين يدي هؤلاء
الأعوان مواقف خزي ومهانة ، لما يصدر منهم
عند تفتيش أوساطهم وغرائب أزوادهم ، ويحل
بهم من العنف وسوء المعاملة ما لا يوصف ...
وكذلك يفعل في جميع أرض مصر منذ عهد
السلطان صلاح الدين بن أيوب .

وأما الثغور : فهي دمياط ، وثيس ،
ورشيد ، وعيذاب ، وأسوان ، والاسكندرية
— وهي أعظمها قدرا — فانه كان فيها عدة
جهات منها الخمس والمتجر :

فألخص ما يستأدى من تجار الروم
الواردين في البحر عما معهم من البضائع
للمتجر بمقتضى ما صولحوا عليه ، وربما بلغ
ما يستخرج منهم ما قيمته مائة دينار ومائتان
 وخمسة وثلاثون دينارا ، وربما الحط عن



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأبنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
بولاو
سنة ١٢٧٠ هجرية

التمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خَطُّ الْمُقْرِئِ

٦

كتاب
التحرير



« كانت مصر هي مسقط رأسي ، وطلع أترابي ، وجمع ناسي ، ومضى عشيري وعامتي ،
وموطن خاصتي وعامي ، وهوى الذي ربى جنامي في ذكره ، وعش ماري ، فهدى
تهوى الأنفس غير ذكره . لا رلت منذ شذت القام ، وآتاني رب الظلمة والفهم ، أرب في
معرفته أخبارها ، وأحب الإشراف على الاعتراف من آبارها ، وأمرني مسارة الكيان عن مكان دارها ،
تقديرون إمامي من علم المقري »

عشرين دينارا ، ويسمى كلاهما خمسا ، ومن
أجناس الروم من يؤخذ منهم العشر ، ولذلك
ضرائب مقررة .

وقال القاضي الفاضل : والحاصل من خمس
الاسكندرية في سنة سبع وثمانين وخمسمائة
ثمانية وعشرون ألف دينار وستمئة وثلاثة
عشر دينارا .

والتجر عبارة عما يتاع للديوان من بضائع
تدعو اليها الحاجة ويقتضيه طلب الفائدة ...
قال جامع سيرة الوزير اليازوري : وقصر
النيل بمصر في سنة أربع وأربعين وأربعمائة ،
ولم يكن في مخازن الغلات شيء ، فاشتدت
المسغبة بمصر . وكان لخلو المخازن سبب
أوجب ذلك ، وهو أن الوزير الناصر للدين لما
أضيف إليه القضاء في أيام أبي البركات
الوزير كان يتاع للسلطان في كل سنة غلة
بمائة ألف درهم ، وتجعل متجرا .

فمثل القاضي بحضرة الخليفة المستعين
بالله ، وعرفه أن المتجر الذي يقام بالغلة فيه
أوفى مضرة على المسلمين ، وربما انحط السعر
عن مشترأها فلا يمكن بيعها ، فتعفن في
المخازن وت تلف ، وأنه يقيم متجرا لا كلفة فيه
على الناس ، ويفيد أضعاف فائدة الغلة ، ولا
يخشى عليه من تغيره في المخازن ولا انحطاط
سعره ، وهو الخشب والصابون والحديد
والرصاص والعسل وما أشبه ذلك .

فأمضى السلطان له ما رآه . واستمر ذلك ،
ودام الرخاء على الناس ، فوسعوا فيه مدة
سنتين . ثم عمل الملوك بعد ذلك ديوانا
للمتجر ، وآخر من عمله الظاهر برقوق .

وأما الشب فإن معادته بالصعيد ، وكانت
عادة الديوان الاتفاق في تحصيل القنطار منه
بالليثي (يبلغ ثلاثين درهما) ، وكانت العربان
تحضره من معادته الى ساحل أخميم وسيوط
والبهنا ليحمل الى الاسكندرية أيام النيل
في الخليج ، ويشتري بالقنطار الليثي ، ويبيع
بالقنطار الجروي : فيباع منه على تجار
الروم قدر اثني عشر ألف قنطار بالجروي ،
يسعر أربعة دنائير كل قنطار الى ستة دنائير ،
ويباع منه بمصر على اللبوديين والصباغين
نحو الثمانين قنطارا بالجروي ، يسعر ستة
دنائير ونصف القنطار . ولا يقدر أحد على
إتياعه من العربان ولا غيرهم ، فإن عثر على
أحد أنه اشترى منه شيئا أو باعه سوى
الديوان ، نكل به ، واستهلك ما وجد معه
منه . وقد بطل هذا .

وأما النطرون فيوجد في البر الغربي من
أرض مصر بناحية الطرانة ، وهو أحمر
وأخضر ، ويوجد منه بالفاقوسية شيء دون
ما يوجد في الطرانة . وهو أيضا مما حظر عليه
ابن مدبر من الأشياء التي كانت مباحة ،
وجعله في ديوان السلطان ، وكان من بعده
على ذلك الى اليوم . وقد كان الرسم فيه
بالديوان أن يحمل منه في كل سنة عشرة
آلاف قنطار ، ويعطى الضمان منها في كل سنة
قدر ثلاثين قنطارا يتسلمونها من الطرانة فتباع
في مصر بالقنطار المصري ، وفي بحر الشرق
والصعيد بالجروي ، وفي دمياط بالليثي .

قال القاضي الفاضل : وباب النطرون كان
مضمونا الى آخر سنة * خمس وثمانين

(*) من ١٠٦٠ ج ١ ، ط. بولاق .

وخمسائة ببلغ خمسة عشر ألفا وخمسائة دينار ، وحصل منه في سنة ست وثمانين مبلغ سبعة آلاف وثمانمائة دينار ، وأدركنا التطرون اقطاعا لعدة أجناد .

فلما تولى الأمير محمود بن علي الاستدارة وصار مدير الدولة في أيام الظاهر برفوق ، حاز التطرون ، وجعل له مكافا لا يساع في غيره ، وهو الى الآن على ذلك .

وأما الحبس الجيوشي فكان في البرين الشرقي والغربي : ففي الشرقي بعتين والأميرية والمنية ، وكانت تجعل هذه النواحي بعين ، ولي القرى سقط ولها ووسيم . وهذه النواحي حبسها أمير الجيوش بدر الجبالي على عقبه ، هي والبساتين ظاهر باب الفتوح . فلما مات وطال العهد ، استأجرها الوزراء بأجرة يسيرة طلبا للفائدة ، ثم أدخلت في الديوان .

قال ابن المأمون في تاريخه : وجميع البساتين المختصة بالورثة الجيوشية ، مع البلاد التي لهم ، لم تزل في مدة أيام الوزير المأمون البطاحي بأيديهم ، لم تخرج عنهم ضمان ولا بضير .

فلما توفي الخليفة الأمر بأحكام الله ، وجلس أبو علي بن الأفضل بن أمير الجيوش في الوزارة ، أعاد الجميع الى الملاك لكون نصيبه في ذلك الأوفر .

فلما قتل واستبد الخليفة الحافظ لدين الله ، أمر بالقبض على جميع الأملاك ، وحل الإحباس المختصة بأمير الجيوش . فلم يزل يأنس به لانه غلام الأفضل والوزير في ذلك

الوقت ، وعز الملك غلام الأوحى بن أمير الجيوش ، بلفظان وإرجاعان الخليفة ، مع الكتب التي أظهرها الورثة وعليها خطوط الخلفاء ، الى أن أبقاها عليهم ولم يخرجها عنهم .

ثم ارتفعت الحوطة عنها في سنة سبع وعشرين وخمسائة للديوان الحافظي .

ولما خدم الخطيرو المرتضى في سنة إحدى وثلاثين وخمسائة ، في وزارة رضوان بن ولغشي ، أعاد البساتين خاصة ، دون البلاد ، على الورثة بحكم ما آل أمرها اليه من الاختلال ونقص الارتفاع .

ولما انقرض عقب أمير الجيوش ، ولم يبق منه سوى امرأة كبيرة ، أفتى فقهاء ذلك العصر بطلاق الحبس . فقبضت النواحي ، وصارت من جملة الأموال السلطانية : فنحنها ما هو اليوم في الديوان السلطاني ، ومنها ما صار وقفا ورزقا أحباسية ، وغير ذلك .

وأما دار الضرب ، فكان بالقاهرة دار الضرب ، وبالإسكندرية دار الضرب ، ويقوم دار الضرب . ولا يتولى عيار دار الضرب الا قاضي القضاة أو من يستخلفه ، ثم رذلت في زمنا حتى صار يليها مسألة فتة اليهود المصريين على الفسق مع ادعائهم الاسلام .

وكان يجتهد في خلاص الذهب وتحريير عياره ، الى أن أسند الناصر فرج ذلك بعمل الدنانير الناصرية فجاءت غير خالصة . وكانت بمصر المعاملة بالورق ، فأبطلها الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب في سنة بضع

وعشرين ، وضرب الدرهم المدور الذي يقال له الكاملى ، وجعل فيه من النحاس قدر الثلث ، ومن الفضة الثلثين . ولم يزل يضرب بالقاهرة الى أن أكثر الأمير محمود الاستادان من ضرب الفلوس بالقاهرة والإسكندرية ، فبطلت الدراهم من مصر ، وصارت معاملة أهلها الى اليوم بالفلوس ، وبها يقوم الذهب وسائر المبيعات . وسأني ذكر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر أسباب خراب مصر .

وكانت دار الضرب يحصل منها للسلطان مال كثير ، فقل في زماننا لقلة الأموال . ودار الضرب اليوم جارية في ديوان الخاص .

وأما دار العيار ، فكانت مكانا يحتاط فيه للرعية ، وتصلح موازينهم ومكاييلهم به ، ويحصل منها للسلطان مال . وجعلها السلطان صلاح الدين من جملة أوقاف سور القاهرة ، وقد ذكرت في خطط القاهرة من هذا الكتاب .

وأما الأحكار ، فإنها أجرة مقررة على ساحات بمصر والقاهرة ، فنحنها ما صار دورا للسكنى ، ومنها ما أنشئ بساتين . وكانت تلك الأجر من جملة الأموال السلطانية . وقد بطل ذلك من ديوان السلطان ، وصارت أحكار مصر والقاهرة وما بينهما أوقافا على جهات متعددة .

وأما الفروس ، فكانت في القرية فقط ، عدة أراض يؤخذ منها شبه الحكر عن كل فدان مقرر معلوم ، وقد بطل ذلك من الديوان .

وأما مقرر الجور ، فكان على كل ناحية تقرير بعدة قطع معلومة يجبي منها عن كل قطعة عشرة دنانير ، لتصرف في عمل الجور ، فيفضل منها مال كثير يحمل الى بيت المال . وقد بطل هذا أيضا .

وجدد الناصر فرج على الجور حوادث قد ذكرت في أسباب الخراب .

وأما موظف الأتبان ، فكان جميع بين أرض مصر على ثلاثة أقسام : قسم للديوان ، وقسم للمقطع ، وقسم للفلاح . فيجبي التبن على هذا الحكم من سائر الأقاليم ، ويؤخذ في التبن عن كل مائة حمل أربعة دنانير وسدس دينار ، فيحصل من ذلك مال كثير . وقد بطل هذا أيضا من الديوان .

وأما الخراج ، فإنه كان في البنساية وسقط رشين والأشمونين والأسيوطية والახميمية والقوصية أشجار لا تحصى من سنط ، لها حراس يحنونها حتى يصل منها مراكب الأسطول ، فلا يقطع منها الا ما تدعو الحاجة اليه ، وكان فيها ما تبلغ قيمة الصود الواحد منه مائة دينار .

وكان يستخرج من هذه النواحي مال يقال له رسم * الخراج ، ويحتج في جبايته بأنه نظير ما تقطعه أهل النواحي ، وتتفع به من أخشاب السنط في ضارها ، ومقرر آخر كان يجبي منهم يعرف بمقرر السنط ، فيصرف من هذا المقرر أجرة قطع الخشب وحزه بضريبة عن كل مائة حمل دينار ، وعلى المستخدمين في ذلك الا يقطعوا من السنط

ما يصلح لعمل مراكب الأسطول ، لكنهم انما يقضون الأطراف التي ينتفع بها في الوقود فقط .

ويقال لهذا الذي يقطع « حطب النار » ، فيباع على التجار منه كل مائة حل بأربعة دنانير ، ويكتب على أيديهم زنة ما يسح عليهم ، فإذا وردت المراكب بالحطب الى ساحل مصر اعتبرت عليهم ، وقوبل ما فيها بما عين في الرسالة الواردة ، واستخرج الثمن على ما في الرسالة .

وكانت العادة أنه لا يباع ما في البهنا الا ما فصل من احتياج المصالح السلطانية . وقد بطل هذا جميعه ، واستولت الأيدي على تلك الأشجار فلم يبق منها شيء ألبتة ، وليس هذا من الديوان .

وأما القرط ، فإنه ثمر شجر السنط ، وكان لا يتصرف فيه الا الديوان ، ومتى وجد منه مع أحد شيء اشتراه من غير الديوان لئلا يهلك ما وجد منه منه . فإذا اجتمع مال القرط أقيم منه مراكب تجار ، ويؤخذ من ثمنها الربع عند ما تصل الى ساحل مصر بدم ما تقشوم أو ينادى عليها ، وكان فيها حيف كبير . وقد بطل ذلك .

وأما ما يتأدى من أهل الذمة ، فإنه كان يؤخذ منهم عما يرد ويصدر معهم من البضائع ، في مصر والاسكندرية وأخميم خاصة دون بقية البلاد ، ضرائب بتقرر في الديوان . وقد بطل ذلك أيضا .

وأما مقرر الجاموس ومقرر بقر الخيس ومقرر الأغنام ، فإنه كان للسلطان من هذه

الأنصاف شيء كثير جدا ، فيؤخذ من الجاموس للديوان على كل رأس من الراتب في نظير ما يتحصل منه في كل سنة من خمسة دنانير الى ثلاثة دنانير ، ومن اللاحق بحق النصف من الراتب ، وأقل ما تنتج كل مائة خسون الى غير ذلك من ضرائب مقررة على الجاموس وعلى أبقار الخيس وعلى الغنم البيض والغنم الشعمري وعلى النحل . وقد بطل ذلك جميعه لقلة مال السلطان ، واعراضه عن العمارة وأسبابها ، وتعاطى أسباب الخراب .

وأما الموارث ، فإنها في الدولة الفاطمية لم تكن كما هي اليوم ، من أجل أن مذهبهم تورث ذوى الأرحام ، وأن البنت اذا انفردت استحقت المال بأجمعه . فلما انقضت أيامهم ، واستولت الأيوبيه ، ثم الدولة التركية ، صار من جملة أموال السلطان مال الموارث الحشرية ، وهي التي يستحقها بيت المال عند عدم الوارث ، فتعدل فيها الوزارة مرة ، وتنظم أخرى .

وأما المكوس ، فقد تقدم حدوثها ، وما كان من الملوك فيها ، والذي بقي منها الى الآن بديار مصر يلى أمره الوزير . وفي الحقيقة انما هو تمنع للأقباط يتحولون فيه بغير حق . وقد تضاعفت المكوس في زمننا عما كنا نلهمه منذ عهد تحدث الأمير جمال الدين يوسف الاستادار في الأموال السلطانية ، كما ذكر في أسباب الخراب .

وأما البراطيل ، وهي الأموال التي تؤخذ من ولاية البلاد ومحتبيها وقضاتها وعمالها ، فأول من عمل ذلك بمصر الصالح بن رزبك في

ولاية النواحي فقط ، ثم بطل . وعمل في أيام العزيز بن صلاح الدين أحيانا ، وعمله الأمير شيخون في الولاية فقط ، ثم انقضى فيه الظاهر برفوق ، كما يأتي في أسباب الخراب .

وأما الحمايات والمتاجرات ، فشيء حدث في أيام الناصر فرج ، وصار لذلك ديوان ومباشرون ، وعمل مثل ذلك الأمراء . وهو من أعظم أسباب الخراب كما يذكر في موضعه ان شاء الله تعالى .

ذكر الأهرام

اعلم أن الأهرام كانت بأرض مصر كثيرة جدا ، منها بناحية بوصير شيء كثير ، بعضها كبار ، وبعضها صغار ، وبعضها طين ولبن ، وأكثرها حجر ، وبعضها مدرج ، وأكثرها مخروط أملس .

وقد كان منها بالجيزة تجاه مدينة مصر عدة كثيرة كلها صغار ، هدمت في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على يد قراقوش ، وبنى بها قلعة الجبل ، والسور المحيط بالقاهرة ومصر والقناطر التي بالجيزة .

وأعظم الأهرام : الثلاثة التي هي اليوم قائمة تجاه مصر ، وقد اختلف الناس في وقت بنائها ، واسم بائيا ، والسبب في بنائها ، وقالوا في ذلك أقوالا متباينة أكثرها غير صحيح . وسأقص عليك من نبأ ذلك ما يشفى ويكفى ان شاء الله تعالى .

قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب في « أخبار مصر وعجائبها » في أخبار سوريد بن سملوق بن سرياق بن توميدون بن يدرسان بن هوصال ، أحد ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون في مدينة أموس الآتي ذكرها عند ذكر مدائن مصر من هذا الكتاب : وهو الذي بنى الهرمين العظيمين بمصر ، المنسوبين الى شداد بن عاد ... والقبيل تنكر أن تكون العادية دخلت بلادهم لقوة سحرهم .

وسبب بناء الهرمين أنه كان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة قد رأى سوريد في منامه * كان الأرض اقلبت بأهلها ، وكان الناس قد هربوا على وجوههم ، وكان الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة ... ففهم ذلك ، ولم يذكره لأحد ، وعلم أنه سيحدث في العالم أمر عظيم .

ثم رأى بعد ذلك بأيام كان الكواكب الثابتة نزلت الى الأرض في صور طيور بيض ، وكأنها تختطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين ، وكان الجبلين قد انطبقا عليهم ، وكان الكواكب النيرة مظلمة مكوفة .

فاتبه مرعوبا مذعورا ، ودخل الى هيكل الشمس ، وتضرع ومرغ خديه على التراب وبكى .

فلما أصبح ، جمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر — وكانوا مائة وثلاثين كاهنا —

فغلا بهم ، وحشدتهم ما رآه أولا وآخرا ،
فأولوه بأمر عظيم يحدث في العالم .

فقال عظيم الكهان ، ويقال له أقليمون :
لأن أحلام الملوك لا تجري على محال لمعلم
أقنلهم ، وأنا أخبر الملك برؤيا رأيها منذ
سنة ، ولم أذكرها لأحد من الناس .

رأيت كأنى قاعد مع الملك على وسط المنار
الذى بأمسوس ، وكان الملك قد انحط من
موضعه حتى قارب رؤوسنا ، وكان علينا
كالتبة المحيطة بنا ، وكان الملك قد رفع يديه
نحو السماء ، وكواكبها قد خالطتها في صور
حتى مختلفة الأشكال ، وكان الناس قد
يجفلوا إلى قصر الملك وهم يستغيثون به ،
وكان الملك قد رفع يديه حتى بلغت رأسه
وأمرنى أن أقبل كما فعل ... ونحن على وجل
شديد ، إذ رأينا منها موضعا قد افتتح
وخرج منه نور مضى ، وظلمت علينا منه
النس ، وكأنا استغنا بالنس فخاطبتنا أن
الملك سيمود إلى موضعه ، فاتبعت مرعوبا .

ثم نت فرأيت كأن مدينة أمسوس قد
انقلبت بأهلها ، والأصنام ترمى على رؤوسها ،
وكان أناسا زلوا من السماء بأيديهم مقامع من
حديد يضربون الناس بها ، فقلت لهم : ولم
تعملون بالناس كذا ؟

قالوا : لأنهم كفروا باللهم .

فقلت : أقبا بقى لهم من خلاص ؟

قالوا : نعم ، من أراد الخلاص فليحلق

بصاحب السفينة .

فاتبعت مرعوبا .

فقال الملك : خذوا الارتضاع للكواكب ،
وانظروا هل من حادث ؟

فبلغوا غايتهم في استقصاء ذلك ، وأخبروا
بأمر الطوفان وبعبده بالبار التي تخرج من برج
الأسد تحرق العالم .

فقال الملك : انظروا ، هل تلحق هذه
الإفة بلادنا ؟

فقالوا : نعم ، تأتي في الطوفان على أكثره ،
وبلحته خراب يقيم عدة سنين .

قال : فانظروا هل يعود عامرا كما كان ،
أو يبقى مضمورا دائما .

قالوا : بل يعود البلاد كما كانت وتمن .
قال : ثم ماذا ؟

قالوا : يقصدها ملك يقتل أهلها ويغني
مالها .

قال : ثم ماذا ؟

قالوا : يقصدها قوم مشوهون من ناحية
جبل النيل ، ويسلكون أكثرها .

قال : ثم ماذا ؟

قالوا : ينقطع نيلها ، وتخلو من أهلها .

فأمر عند ذلك بعمل الأهرام ، وأن يعمل
لها مسارب يدخل منها النيل إلى مكان بعينه ،
ثم يفيض إلى مواضع من أرض الغرب وأرض
الصعيد ، وملاها طلسات وعجائب وأموالا
وأصناما وأجساد ملوكهم ، وأمر الكهان
فزبروا عليها جميع ما قلته الحكباء ، وزبر
فيها وفي ستونها وحيثانها وأسطواناتها جميع
العلوم الخافضة التي يدعيها أهل مصر ،

وصور فيها صور الكواكب كلها ، وزبر عليها
أسماء العقائير ومنافعها ومضارها ، وعلم
الطلسات وعلم الحساب والهندسة وجميع
علومهم مفسرا لمن يعرف كتابتهم ولغتهم .

ولما شرع في بنائها أمر بقطع الأسطوانات
العظيمة ، ونشر البلاط الهائل ، واستخراج
الرصاص من أرض المغرب ، ولحضار الصخور
من ناحية أسوان . فبنى بها أساس الأهرام
الثلاثة الشرقى والغربى والملون ، وكانت لهم
صحائف وعليها كتابة ، إذا قطع الحجر وتم
لحكامه ، وضموها عليه تلك الصحائف
وضربوه ، فبعد تلك الضربة قدر مائة سهم ،
ثم يساودون ذلك حتى يصل الحجر إلى
الأهرام . وكانوا يمدون البلاطة ويجعلون في
تقب بوسطها قطبا من حديد قائما ، ثم يركبون
عليها بلاطة أخرى مثقوبة الوسط ويدخلون
القطب فيها ، ثم يذاب الرصاص ويصب في
القطب حول البلاطة بهندام واتقان ... إلى أن
كملت .

وجعل لها أبوابا تحت الأرض بأربعين
ذراعا : فأما باب الهرم الشرقى ، فإنه من
الناحية الشرقية على مقدار مائة ذراع من
وسط حائط الهرم . وأما باب الهرم الغربى ،
فإنه من الناحية الغربية على مقدار مائة ذراع
من وسط الحائط . وأما باب الهرم الملون ،
فإنه من الناحية الجنوبية على مقدار مائة
ذراع من وسط الحائط . فإذا حفر بعد هذا
القياس ، وصل إلى باب الأزج المبني ، ويدخل
إلى باب الهرم .

وجعل ارتفاع كل واحد من الأهرام في
المواء مائة ذراع بالذراع الملكى ، وهو
بذراعهم خمسمائة ذراع بذراعنا الآن ، وجعل
طول كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع
بذراعهم ، ثم هندسها من كل جانب حتى
تحدت أعاليها من آخر طولها على ثمانية
أذرع بذراعنا .

وكان ابتداء بنائها في طالع سعيد اجتمعوا
عليه وتخبروه . فلما فرغت ، كساها ديباجا
ملونا من فوقها إلى أسفلها ، وعمل لها عيدا
حضره أهل مملكته بأجمعها .

ثم عمل في الهرم الغربى ثلاثين مخزنا من
حجارة صوان ملون ، وملئت بالأموال الجبة
والآلات والتماثيل المعسولة من الجواهر
النقية وآلات الحديد الفاخر من السلاح
الذى لا يصدأ ، والزجاج الذى ينطوى ولا
يشكر ، والطلسات الغريبة ، وأصناف
العقاير المفردة والمؤلفة ، والسوم القاتلة .

وعمل في الهرم الشرقى أصناف التماثيل
الفلكية والكواكب ، وما عمله أجداده من
التماثيل والدخن التي يتقرب بها إلى الكواكب
ومصاحفها ، وكون الكواكب الثابتة وما
يحدث في أدوارها وقتا وقتا ، وما عمل لها
من التواريخ والحوادث التي مضت ،
والأوقات التي ينتظر فيها ما يحدث ، وكل
من يلى مصر إلى آخر الزمان ، وجعل فيها
المظاهر التي فيها المياه المدبرة ، وما أشبه
ذلك .

وجعل في الهرم الملون أجساد الكهنة في
توايت من صوان أسود ، ومع كل كاهن
مصنف فيه عجائب صناعاته وأعماله وسيرته ،
وما عمل في وقته ، وما كان وما يكون من
أول الزمان إلى آخره ، وجعل في الحيطان من
كل جانب أصناما تعمل بأيديها جميع الصنائع
على مراتبها وأقدارها ، وصنعة كل صنعة
وعلاجها وما يصلح لها . ولم يترك علما من
العلوم حتى ذبوه ورسمه .

وجعل فيها أموال الكواكب التي أهديت
إلى الكواكب ، وأموال الكهنة ، وهو شيء
عظيم لا يحصى .

وجعل لكل هرم منها خادما : فخادم الهرم
الغربي صنم من حجارة صوان مجزع ، وهو
واقف ومعه شبه حرية ، وعلى رأسه حية قد
تلقق بها : من قسرب منه وثبت إليه
وطوقت على عنقه وقتله ، ثم تعود إلى
مكائنها . وجعل خادم الهرم الشرقي صنما من
جزع أسود مجزع بأسود وأبيض ، له عينا
مفتوحتان براقتان ، وهو جالس على كرسى
ومعه حرية : إذا نظر أحد إليه سمع من جهته
صوتا يفرع منه فيخر على وجهه ، ولا يبرح
حتى يموت . وجعل خادم الهرم الملون صنما
من حجر البهت على قاعدة منه : من نظر إليه ،
جذبه حتى يلتصق به فلا يفارقه حتى يموت .

فلما فرغ من ذلك ، حصن الأهرام
بالأرواح الروحانية ، وذبح لها الذبائح لمنع
عن أنفسها من أرادها ، إلا من عمل لها أعمال
الوصول إليها .

وذكر القبط في كتبهم أن عليها منقوشا
تفسيره بالعربية : أنا سوريد الملك ، بنيت

هذه الأهرام في وقت كذا كذا ، وأنتمت
بناها في ست سنين . فمن أتى بعدى ، وزعم
أنه ملك مثلى ، فليهدمها في ستائة سنة ،
وقد علم أن الهدم أسرع من البناء . واني
كسوتها عند فراغها بالديباج ، فليكسها
بالحصر .

فنظروا فوجدوا أنه لا يقوم بهدمها شيء من
الآزمان الطوال .

وحكى القبط في كتبهم أن روحانية الهرم
الشمالى غلام أمرد ، أصفر اللون ، عريان ،
في فيه أنياب كبار . وروحانية الهرم الجنوبي
امرأة عريانة ، بادية الفرج ، حسناء ، في فمها
أنياب كبار ، تستهوى الإنسان إذا رآته ،
وتضحك له حتى يدنو منها فتسلبه عقله .
وروحانية الهرم الملون شيخ في يده مجصرة
من مجامر الكنائس يبخر بها . وقد رأى غير
واحد من الناس هذه الروحانيات مرارا وهي
تطوف حول الأهرام وقت القائلة وعند غروب
الشمس .

قال : ولما مات سوريد ، دفن في الهرم ومعه
أمواله وكنوزه . وقالت القبط : إن سوريد
هو الذي بنى البرابي ، وأودع فيها كنوزا ،
وزبر عليها علوما ، ووكل بها روحانيات
تحفظها ممن يتصددها .

قال : وأما الأهرام الدهشورية ، فيقال إن
شدات بن عديم هو الذي بناها من الحجارة
التي كانت قد قطعت في زمن أبيه . وشدات
هذا يزعم بعض الناس أنه شداد بن عاد . وقال
من أنكر أن يكون العادية دخلت مصر : إنما
غلطوا باسم شدات بن عديم ، فقالوا شداد
ابن عاد ، لكثرة ما يجري على ألسنتهم شداد

ابن عاد ، وفله ما يجري على ألسنتهم شدات
ابن عديم ، والا فما قدر أحد من الملوك يدخل
مصر ، ولا قوى على أهلها ، غير بخت نصر
والله أعلم .

وذكر أبو الحسن المسعودى في كتابه
« أخبار الزمان » ، ومن أباده الحدائق ، أن
الخليفة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ،
لما قدم مصر واثى على الأهرام ، أحب أن
يهدم أحدها ليعلم ما فيها ، فقبل له أنك لا
تقدر على ذلك ، فقال : لا بد من فتح شيء
منه .

فتحت له التلة المفتوحة الآن بنار توقد ،
وخل يرش ، ومعاول وحدادين يعملون فيها ،
حتى أتق علىها أموالا عظيمة ، فوجدوا
عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا . فلما
اتهموا إلى آخر الحائط ، وجدوا خلف الثقب
مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب ، وزن كل
دينار أوقية ، وكان عددها ألف دينار .

فجعل المأمون يتعجب من ذلك الذهب ومن
جودته ، ثم أمر بجيلة ما أتق على التلة
فوجدوا الذهب الذي أصابوه لا يزيد على ما
أنفقوه ولا ينقص ، فعجب من معرفتهم
بمقدار ما ينفق عليه ، ومن تركهم ما يوازيه
في الموضع ، عجبا عظيما .

وقيل إن المطهرة التي وجد فيها الذهب
كانت من زبرجد ، فأمر المأمون بحملها إلى
خزائنه .

وكان آخر ما عمل من عجائب مصر ، وأقام
الناس سنين يقصدونه ، وينزلون في الزلافة
التي فيه : فمنهم من يسلم ، ومنهم من يهلك .

فاتفق عشرون من الأحداث على دخوله ،
وأعدوا لذلك ما يحتاجون من طعام وشرايب
وحبال وشمع ونحوه ، ونزلوا في الزلافة ،
فراوا فيها من الخفاش ما يكون كالعقبان
يضرب وجوههم ، ثم أنهم أدلوا أحدهم
بالحبال فانطبق عليه المكان ، وحاولوا جذبه
حتى أعياهم ، فسمعوا صوتا : أرجبهم ففتى
عليهم ، ثم قاموا وخرجوا من الهرم .

فبينما هم جلوس يتعجبون مما وقع لهم إذ
أخرجت الأرض صاحبهم حيا من بين أيديهم
يتكلم بكلام لم يعرفوه ، ثم سقط ميتا ،
فحملوه ومضوا به . فأخذهم الخفراء وأتوا
بهم إلى الوالى فحدثوه خبرهم ، ثم سألوا عن
الكلام الذي قال صاحبهم قبل موته ، فقيل
لهم : معناه ، هذا جزاء من طلب ما ليس له .
وكان الذي فسر لهم معناه بعض أهل
الصعيد .

وقال على بن رضوان الطبيب : فكرت في
بناء الأهرام ، فأوجب علم الهندسة الصلية ،
ورفع الثقل إلى فوق ، أن يكون القصور
هندسوا سطحا مربعا ، ولتحتو الحجارة ذكرا
وأثى ، ورصوها بالجس البحرى إلى أن
ارتفع البناء مقدار ما يسكن رفع الثقل .
وكانوا كلما صدعوا ضموا البناء حتى يكون
السطح الموازى للمربع الأسفل مربعا أصغر
من المربع السفلى ، ثم علوا في السطح
المربع القوقانى مربعا أصغر بمقدار ما بقى في
الحاشية ما يسكن رفع الثقل إليه . وكلما
رفعوا حجرا مهندما رصوه إليه ذكرا وأثى ،
إلى أن ارتفع مقدار مثل المقدار الأول . ولم

والوا بفعلون ذلك الى أن بلغوا غاية لا
يمكنهم بعدها أن يفعلوا ذلك ، فقطعوا
الارتفاع ونحتوا الجوانب البارزة التي
فرضوها لرفع الثقل ، ووزلوا في النحت من
فوق الى أسفل ، وصار الجميع هروما واحدا .

وقياس الهرم الأول بالذراع التي تقاس بها
اليوم الأبنية بمصر ، كل حاشية منه أربعمئة
ذراع ، يكون بالذراع السوداء — التي طول
كل ذراع منها أربعة وعشرين أصبعا —
خمسائة ذراع . وذلك أن قاعدته مربع
متساوي الأضلاع والزوايا : ضلعان منها
على خط نصف النهار ، وضلعان على خط
المشرق والمغرب . وكل ضلع بالذراع السوداء
خمسائة ذراع . والخط المتحدر على استقامة
من رأس الهرم الى نصف ضلع المربع أربعمئة
وسبعون ذراعا ، يكون اذا تم أيضا خمسائة
ذراع .

وأحيط بالهرم أربعة مثلثات ومربع ، كل
مثلث منها متساوي الساقين ، كل ساق منه
اذا تم خمسائة وستون ذراعا . والمثلثات
الأربعة تجتمع رؤوسها عند نقطة واحدة وهي
رأس الهرم اذا تم ، فيلزم أن يكون عموده
أربعمئة وثلاثين ذراعا .

وعلى هذا السود مراكز أثقاله ، ويكون
تكسير كل مثلث من مثلثاته مائة وخمسة
وعشرين ألف ذراع ، اذا اجتمع تكاسيرها
كان مبلغ تكسير سطح هذا الهرم خمسائة
ألف ذراع بالسوداء .

وما أحب على وجه الأرض بناء أعظم
منه ، ولا أحسن هندسة ، ولا أطول . والله
أعلم .

وقد فتح المأمون نقبا من هذا الهرم فوجد
فيه زلاقة تصعد الى بيت مربع مكعب ،
ووجد في سطحه قبر رخام ، وهو باق فيه الى
اليوم ، ولم يقدر أحد بخرقه .

وبذلك أخبر جالينوس أنها قبور ، فقال في
آخر الخامسة من تدبير الصحة بهذا اللفظ :
« وهم يسون من كان في هذا السن الهرم ،
وهو اسم مشتق من الأهرام التي هم اليها
صائرون عن قرب » .

وقال الحوقلي في صفة مصر : وبها الهرمان
اللذان ليس على وجه الأرض لهما نظير في
ملك مسلم ولا كافر ، ولا عمل ولا يعمل
لها .

وقرأ بعض بنى العباس على أحدهما : اني
قد بنيتها ، فمن كان يدعى قوة في ملكه
فليهدمها ، فالهدم أيسر من البناء . فهمم
بذلك ، وأظه المأمون أو المعتصم ، فاذا خراج
مصر لا يقوم به يومئذ . وكان خراجها على
عهده ، بالانصاف في الجباية وتوخي الرفق
بالرعية والمعدلة ، اذا بلغ النيل سبع عشرة
ذراعا وعشر أصابع : أربعة آلاف ألف ومائتي
ألف وسبعة وخمسين ألف دينار ، والمقبوض
على الفدان دينارين . فأعرض عن ذلك ولم
يعد فيه شيئا .

وفي حد الفسطاط في غربي النيل أبنية
عظام يكثر عددها ، منتشرة في سائر الصعيد ،
تدعى الأهرام ، وليست كالأهرمين اللذين تجاه

الفسطاط ، وعلى فرسخين منها ، ارتفاع كل
واحد منها أربعمئة ذراع ، وعرضه كارتفاعه
مبنى بحجارة الكدان التي سمك الحجر وطوله
وعرضه من العشر أذرع الى الثمان ، بحسب
ما دعت الحاجة الى وضعه في زيادته ونقصه ،
وأوجيته الهندسة عندهم ، لأنهما كلما ارتفعا
في البناء ضاقا حتى يصير أعلاهما من كل
واحد منهما مثل مبرك جمل ، وقد ملئت
حيطانها بالكتابة اليونانية .

وقد ذكر قوم أنهما قبران ، وليس كذلك ،
والما حمل صاحبهما على عملهما أنه قضى
بالطوفان أنه يهلك جميع ما على وجه الأرض
الا ما حصن في مثلها ، فحزن ذخائره وأمواله
فيهما . وأتى الطوفان ثم نضب ، فصار ما كان
فيهما الى بصر بن مصرام بن حام بن نوح .
وقد خزن فيهما بعض الملوك المتأخرين ،
وجملها هراء . والله أعلم .

وقال أبو يعقوب محمد بن اسحاق النديم
الوراق في كتاب « التهرست » وقد ذكر
هرمس البابلي : قد اختلف في أمره :

ف قيل انه كان أحد السدنة السبعة الذين
رتبوا لحفظ البيوت السبعة ، وانه كان
لترتيب عطارد ، وباسمه سمى ، فان عطارد
باللغة الكلدانية هرمس .

وقيل انه انتقل الى أرض مصر بأسباب ،
وانه ملكها ، وكان له أولاد منهم ما وصا
وأشمن وأتريب وققط ، وانه كان حكيم
زمانه ، وانه لما توفي دفن في البناء الذي يعرف
بمدينة مصر بأبي هرميس ، ويعرفه العامة

بالهرمين ، فان أحدهما قبره ، والآخر قبور
زوجته ، وقيل قبر ابنه الذي خلفه بعد
موته .

وهذه البنية (يعنى الأهرام) طولها بالذراع
الهائس أربعمئة ذراع وثمانون ذراعا ، على
مساحة أربعمئة وثمانين ذراعا ، ثم ينحدر
البناء ، فاذا حصل الانسان في رأسه ، كان
مقدار سطحه أربعين ذراعا ... هذا بالهندسة .

وفي وسط هذا السطح قبة لطيفة في وسطها
شبيهة بالمقبرة ، وعند رأس ذلك القبر
صخرتان في نهاية النظافة والحسن وكثرة
التلون ، وعلى كل واحدة منهما شخصان من
حجارة صورة ذكر وأتى ، وقد تلاقيا
بوجهيهما ، ويبد الذكور لوح من حجارة فيه
كتابة ، ويبد الأنثى مرآة ، والر ف ذهب نقشه
نقاش .

وبين الصخرتين برنية من حجارة على
رأسها غطاء ذهب ، فلما قلع فاذا فيها شبيه
بالقار بغير رائحة قد يبس . وفيها حقة
ذهب ، فنزع رأسها ، فاذا فيها دم عيط ،
ساعة قرعه الهواء جمد كما يجمد الدم
وجف .

وعلى القبور أغطية حجارة ، فلما قلعت اذا
رجل قائم على قفاه على نهاية الصحة
والجفاف ، بين الخلقة ، ظاهر الشعور ، وأتى
جنبه امرأة على هيئة .

قال : وذلك السطح منقر نحو قامة ، كما
يدور مثل المسار ، ذات أزاج من حجارة ،

فيها صور ومما يلي مطروحة وقائمة ، وغير ذلك من الآلة التي لا تعرف أشكالها

وقال العلامة موفق الدين عبد النظيف بن أبي العز يوسف بن أبي البركات محمد بن علي بن سعد البغدادي المعروف بابن المظن في سيرته : وجاء رجل جاهل عجي ، فغسل إلى الملك العزيز هشام بن صلاح الدين يوسف أن الهرم الصغير تحت مطلب ، فأخرج إليه الحجارين وأكثر المكر ، وأخذوا في هدمه ، وأقاموا على ذلك شهورا ، ثم تركوه عن حجر وخسران مبن في المال والمثل .

ومن يرى حجارة الهرم يقول انه قد استوصل الهرم ، ومن يرى الهرم لا يجد به الا تسميتا يسيرا . وقد أشرفت على الحجارين قتلتمهم : هل تقصدون على لغادته ؟ فقال : لو بذل لنا السلطان عن كل حجر ألف دينار لم يسكتنا ذلك .

وقال أبو الحسن المصمودي في « مروج الذهب » : وأما الأهرام ، فطولها عظيم وبنائها عجب ، عليها أنواع من الكتابات بأقلام الأمم السالفة والممالك الدائرة ، لا يدري ما تلك الكتابة ولا المراد بها . وقد قال من عني بتقدير ذرعها : أن مقدار ارتفاع الهرم الكبير ، ذعايا في الجو ، نحو أربع مائة ذراع أو أكثر ، وكلما صعدت ذلك ، والعرض نحو ما وصفت ، وعليها من الرسوم علوم وخواص وسحر وأسرار الطبيعة ، وإن من تلك الكتابة مكتوبا : أنا بنيناها ، فمن يدعى موازاتنا في الملك وبلوغ القدرة واتهاء أمر السلطان ، فليهدمها وليزل رسما ، فإن

الهدم أسر من البناء ، والتفريق أسهل من التأسيس

وقد ذكر أن بعض ملوك الاسلام شرع يهدم بمضه : فإذا خراج مصر لا ينفي بقلعها ، وهي من الحجر والرخم ، وأنها قبور الملوك .

وكان المثل منهم أن مات وضع في حوض من حجاره - وبني بصر والشام الجرون - ولحق عليه . ثم بنى من الهرم على مقدار ما يريدون من ارتفاع الأساس ، ثم يحل حوض ويوضع وسط الهرم ، ثم يقطر عليه اللبن ، ثم يرفعون البناء على المقدار الذي يرونه ، ويجعل باب الهرم تحت الهرم ، ثم يختر له طريق في الأرض . ويعقد أزج موله تحت الأرض مائة ذراع أو أكثر . ولكل هرم من هذه الأهرام باب مدخله على ما وصفت .

قال : وكان يقوم بينون الهرم من هذه الأهرام مدرجا ذا مراقي كالدرج ، فإذا فرغوا نحتوه من فوق إلى أسفل ، فهذه كانت جبلتهم . وكانوا مع ذلك لهم قوة وصبر وضاعة .

وقال في كتاب « البنية والإشراف » : والهرمان اللذان في الجانب الغربي من قسطنطينية مصر هما من عجائب بانيان العالم ، كل واحد منهما أربع مائة ذراع في سمك مثل ذلك ، مبنيان بالحجر العظيم على الرياح الأربع ، كل ركن من أركانها يقابل ريحا منها ، فأعظمها فيها تأثيرا ريح الجنوب ، وهي المريسي .

وأحد هذين الهرمين قبر أغاديمون ، والآخر قبر هرمس ، وبينهما نحو ألف سنة ، وأغاديمون المتقدم .

وكان سكان مصر ، وهم الأقباط ، يعتقدون لبوتهما قبل ظهور النصرانية فيهم ، على ما يوجه رأي الصابئين في النبوات ، لا على طريق الوحي ، بل هم عندهم تموس طاهرة صفت وتمهذبت من أدناس هذا العالم ، فاتحدت بهم موائد علوية ، فأخبروا عن الكائنات قبل كونها ، وعن سرائر العالم ، وغير ذلك .

وفي العرب من البمانية من يرى أنها قبر شداد بن عاد وغيره من ملوكهم السالفة الذين غلبوا على بلاد مصر في قديم الدهر ، وهم العرب العاربة من العالين وغيرهم .

وهي عند من ذكرنا من الصابئين قبور أجساد طاهرة .

وذكر أبو زيد البلخي أنه وجد مكتوبا على الأهرام بكتابتهم خط ، فعرّب فإذا هو « بني هذان الهرمان والنسر الواقع في السرطان » . فحبسوا من ذلك الوقت إلى الهجرة النبوية ، فإذا هو ست وثلاثون ألف سنة شمسية مرتين ، يسكون اثنتين وسبعين ألف سنة شمسية .

وقال الهمداني في كتاب « الأكليل » : لم يوجد مما كان تحت الماء وقت الفرق من القرى قرية فيها بقية سوى نهاوند - وجدت كما هي اليوم لم تتغير - وأهرام الصعيد من أرض مصر .

وذكر أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم القيسي في كتاب « تحفة الألباب » أن الأهرام مربعة الجبل ، مثلثة الوجوه ، وعددها ثمانية عشر هرما ، في مقابلة مصر القسطنطينية ثلاثة

(8) سنة 11 ج 1 ، ط 1904

أهرام ، أكبرها دوره ألفا ذراع ، في كل وجه خمسمائة ذراع ، وعلوه خمسمائة ذراع ، وكل حجر من حجارتهما ثلاثون ذراعا في غلط عشرة أذرع ، قد أحكم الصاقه ونحت ومنها عند مدينة فرعون يوسف هرم أعظم وأكبر ، دوره ثلاثة آلاف ذراع ، وعلوه سبعمائة ، من حجارة كل حجر خمسون ذراعا .

وعند مدينة فرعون موسى أهرام أكبر وأعظم ، وهرم آخر يعرف بهرم مدون كاه جبل ، وهو خمس طبقات .

وفتح المأمون الهرم الكبير الذي تجاه القسطنطينية .

قال : وقد دخلت في داخله ، فرأيت قبة مربعة الأسفل ، مدورة الأعلى ، كبيرة ، في وسطها بئر عتقا عشرة أذرع ، وهي مربعة ، ينزل الإنسان فيها فيجد في كل وجه من تزيين البئر بابا يفضي إلى دار كبيرة ، فيها موتى من بني آدم ، عليهم أكفان كثيرة ، أكثر من مائة ثوب على كل واحد ، قد بليت بطول الزمان ، واسودت .

وأجسامهم مثلنا ليسوا طولا ، ولم يسقط من أجسامهم ولا من شعورهم شيء ، وليس فيهم شيخ ولا من شعره أبيض ، وأجسادهم قوية لا يقدر الإنسان أن يزيل عضوا من أعضائهم البتة ، ولكنهم خفوا حتى صاروا كالغشا لطول الزمان ، وفي تلك البئر أربعة من الدور مملوءة بأجساد الموتى ، وفيها خفافيش كثيرة ، وكانوا يدفنون أيضا جميع الحيوان في الرمال .

ولقد وجدت ثيابا مرقعة كثيرا ، مشطرا
بهرجا اكثر من ذراع ، وقد اشرقت تلك
التياب من الشمس ، فازلت التياب الى ان
ظهرت حرق مسطح قرة يضي من كساد ،
اشكال الصليب ، فيها اعلام من العرب
الاحمر ، ول قد دخلها مئذنت لم يحار
من ريشه ولا من جسده شيء ، كانه قد مات
الآن .

وفي القبة التي في الهرم باب يقضي الى طو
الهرم ، وليس فيه درج ، عرضه نحو خمسة
أشبار ، يقال انه صعد فيها في زمان للامون
فاثضوا الى قبة صغيرة فيها صورة آدمي من
حبر الخضر كاللبنج ، فاخرجت الى للامون
فلما هي مطبقة ، فلما قمت وجد فيها جسد
آدمي عليه دمع من ذهب ، مزين بالانواع
الجواهر ، وعلى صدره لؤلؤة لا قيمة
له ، ووجد راسه حبر ياقوت احمر كهيئة
الفضجة ، يضي ككعب النار ، فاخذ للامون .

وقد رايت الصنم الذي اخرج منه ذلك
الميت بطلي مند باب دار الملك بمصر في سنة
السنى عشرة وخمسة .

وقال القاضي الجليل ابو عبد الله محمد
ابن سلامة القضاي : روى علي بن الحسن
ابن خلف بن فريد ، عن يعقوب بن حشان بن
صالح ، عن محمد بن علي بن مضر التميمي ،
قال : حدثني رجل من عجم مصر ، من قرية
من قرانا تسمى قسط ، وكان غالبا يأمور نصر
ولحوالها ، وطالبا لكتبها القديمة ومصادرها -
قال : وجدت في كتبنا القديمة قال : واما
الاهرام فان قوما اشتهروا قبرا في وادي
هرمس ، فوجدوا في بيتا في اكفاه ، وعلى

صدفه هرمس مرسوم في حرق ، فاستخرجوه
من القبر فقرأوا كتابا لا يعرفونه ، وكان
الكتاب بالقبطية الاولى ، فلبوا من يقرأه لهم
فلم يقدروا عليه ، فلبس لهم ان يدور القلمون
من ارض القبروم ولما يقرؤ . فخرجوا اليه ،
وقد خروا له في القبة ، فقرأه لهم .

وكان فيه : « كتب هذا الكتاب في اول
سنة من ملك فيليبانيس للملك ، وانا
استخدمه من كتاب ليخ في اول سنة من
ملك فيليب للملك ، وانه فيليب استسخه
من صحن من ذهب ثوب ثوب كتابها حرقا
حرقا ، وكان من الكتاب الاول ترجمه له
اخرون من القبط قال لاحدنا ايلو والآخر
يرف ... »

« ولا الملك فيليب سألها عن سبب
حرقها بما حرقه الناس من قرانه ، فذكرنا
انها من ولا رجل من اهل مصر الاوائل ،
لم يقع من الطوفان من اهل مصر احد غيره ،
وكان سبب بناءه ان ابي نوحا عليه السلام
قامت به ، ولم يبق من اهل مصر غيره ،
فبعثه معه في السفينة ، فلما ضرب ماء الطوفان
اثنى مصر ولما قرأ من ولا جنات بن نوح ،
وكان بها من ذلك الرجل ولده علم كتاب
اهل مصر الاول ، من سنة كائرا من
كائرا ... »

وكان تاريخه الذي يقضي الى ان استسخه
فيلبس الثاني ملك مصر ، وكان في سنة
وان الذي استسخه من ذهب ثوب ثوب
كتابها حرقا حرقا ، وانه فيليب ، وان
تاريخه الى ان استسخه في سنة
وخمس وثلاثين سنة .

وكان الكتاب النسخ : « انا نظرا فيما
تدل عليه النجوم فرأينا ان آفة نازلة من
السماء وخارجة من الارض . فلما بان لنا
الكون نظرا ما هو ، فوجدناه ماء مفسدا
للارض وحيوانها ونباتها . فلما تم اليقين من
ذلك عندنا قلنا للملك سوريد بن سهلوق : من
يناء افروشات وقبر لك وقبر لاهل بيتك ،
فبنى لهم الهرم الشرقي ، وبنى لآخيه هوجيت
الهرم الغربي ، وبنى لابن هوجيت الهرم
لللون ، وبنيت افروشات في اسفل مصر
واعلاها ... »

« فكتبت في حيطانها علم غامض امر النجوم
وعلاها ، والصنعة والهندسة والطب ، وغير
ذلك مما ينفع ويضر ، ملخصا مفسرا لمن عرف
كلامنا وكتابنا ... »

« وان هذه الآفة نازلة باقطار العالم ، وذلك
عند نزول قلب الأسد في اول دقيقة من رأس
السرطان ، ويكون الكوكب عند نزوله اياها
في هذه المواضع من القلوك : الشمس والقمر
في اول دقيقة من رأس الحمل وقوريس في
درجة وثمان وعشرين دقيقة ، وراويس في
الحدوت في سبع وعشرين درجة وثمان وعشرين
دقيقة ، وآويس في الحدوت في سبع وعشرين
درجة وثلاث دقائق ، وأفرود ويطن في الحدوت
في ثمان وعشرين درجة ودقائق ، وهرمس في
الحدوت في سبع وعشرين درجة ودقائق ،
والجوزهر في الميزان وأوج القمر في الأسد في
خمس درجات ودقائق ... »

(هـ) ص 111 ، ط 134

« ثم نظرا هل يكون بعد هذه الآفة كون
مضر بالعالم ، فاصبنا الكواكب تدل على ان
آفة نازلة من السماء الى الارض ، وانها عند
الآفة الاولى ، وهي نار محرقة باقطار العالم ... »

« ثم نظرا متى يكون هذا الكون المضر ،
فرأيناه يكون عند حلول قلب الأسد في آخر
دقيقة من الدرجة الخامسة عشرة من الأسد ،
ويكون ايليس معه في دقيقة واحدة متصلة
بقوريس من تليث الرامي ، ويكون راويس
مشتري في اول الأسد في آخر لحرقه ومعه
آويس في دقيقة ، ويكون سليس في الدلو
مقابلا لايليس الشمس ومعه الذهب في اثنتي
وعشرين ، ويكون كسوف شديد له مكث
يوازي القمر ، ويكون هرمس عطارود في بعده
الأسد امامها مقبلين ، اما أفرود ويطن
فللاستقامة ، واما هرمس فللرجعة ... »

« قال الملك فهل عندكم من خبر توقوتها
عليه غير هاتين الآفتين ؟ »

« قالوا : اذا قطع قلب الأسد ثلثي مسج
أدواره ، لم يبق من حيوان الارض متحرك
الا تلف . فاذا استتم أدواره تحلت عقد
القلوك ، وسقط على الارض . »

« قال لهم : وأي يوم فيه التحلل القلوك ؟ »

« قالوا : اليوم الثاني من يدو حركه
القلوك ... »

فهذا ما كان القراطيس .

فلما مات الملك سوريد بن سهلوق ، دفن
في الهرم الشرقي ، ودفن هوجيت في الهرم
الغربي ، ودفن كرووريس في الهرم الذي اسفله
من حجارة اسوان واعلاه كدان .

ولهذه الأهرام أبواب في أزج تحت الأرض ، طول كل أزج مائة وخمسون ذراعا ، فأما باب الهرم الشرقي فمن الناحية البحرية ، وأما باب أزج الهرم المؤزر فمن الناحية القبلية .

وفي الأهرام من الذهب وحجارة الزمرد ما لا يحتمله الوصف .

وان مترجم هذا الكتاب من القبطى الى العربى أجمل التاريخين الى أول يوم من ثوت وهو يوم الأحد طلوع شمس سنة خمس وعشرين ومائتين من سنى العرب ، قبلت أربعة آلاف وثلاثمائة واحد وعشرين سنة لسنى الشمس .

ثم نظر كم مضى للطوفان الى يومه هذا فوجده ألفا وسبعمائة واحد وأربعين سنة وتسعة وخمسين يوما وثلاث عشرة ساعة وأربعة أخماس ساعة وتسعة وخمسين جزءا من أربعمائة جزء من ساعة ، فألقاها من الجملة فبقى معه ثلاثمائة وتسع وتسعون سنة ومائتان وخمسة أيام وعشر ساعات واحد وعشرون جزءا من أربعمائة جزء من ساعة .

فعلم أن هذا الكتاب المؤرخ كتب قبل الطوفان بهذه السنين والأيام والساعات والكس من الساعة .

وأما الهرم الذى بدير أبى هرميس ، فانه قبر قرياس ، وكان فارس أهل مصر ، وكان يعد بألف فارس ، فإذا لقيهم لم يقوموا به وانهمزوا . وانه مات فجزع الملك عليه جزعا بلغ منه ، واكتأبت لموته الرعية ، فدفنوه بدير هرميس ، وبنوا عليه الهرم مدرجا . وكان

عليه الذى بنى به مع الحجارة من الفيوم ، وهذا معروف اذا نظر الى طينه لم يعرف له معدن الا بالفيوم ، وليس بنف ووسيم له شبه من الطين .

وأما قبر الملك صاحب قرياس هذا ، فانه الهرم الكبير من الأهرام التى في بحرى دير أبى هرميس . وعلى بابه لوح كدان ، مكتوب فيه باللازورد ، طول اللوح ذراعان في ذراع ، وكله مملوء كتب مثل كتب البرابى ... يصعد الى باب الهرم بدرج بعضها صحيح لم ينخرم . وفي هذا الهرم ذخائر صاحبه من الذهب وحجارة الزمرد ، وانما سد بابه حجارة سقطت من أعاليه ، ومن وقف عليه رآه يتا .

وقال ابن غفير عن أشياخه : أن جياذ بن مياد بن شمر بن شداد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ، ملك الاسكندرية ، وكانت تسمى ارم ذات العماد ، فطال ملكه وبلغ ثلثمائة سنة . وهو الذى سار وبنى الأهرام وزير فيها : أنا جياذ بن مياد بن شمر بن شداد ، الشاد بزراعة الواد ، المؤيد الأوتاد ، الجامع الصخر فى البلاد ، المجند الأجناد ، الناصب العماد ، الكند الكناد ، تخرجه أمة اسم نبيها حماد ، آية ذلك اذا غشى بلد البلاد ، سبعة ملوك أجناس السواد .

تاريخ هذا الزبر ألف سنة وأربعمائة سنة عداد .

وقال ابن غفير وابن عبد الحكم : وفي زمان شداد بن عاد بنيت الأهرام ، فيما ذكر بعض المحققين . ولم نجد عند أحد من أهل

العلم من أهل مصر معرفة فى الأهرام ولا خبر ثبت .

وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : ما أحسب الأهرام بنيت الا قبل الطوفان ، لأنها لو بنيت بعده لكان علمها عند الناس .

وقال عبد الله بن شبرمة الجرمي : لما نزلت العماليق أرض مصر حين أخرجها جرم من مكة ، بنت الأهرام ، واتخذت لها المصانع ، وبنيت فيها العجائب ، ولم نزل بنصر حتى أخرجها مالك بن دعر الخزاعي .

وقال محمد بن عبد الحكم : كان من وراء الأهرام الى المغرب أربعمائة مدينة سوى القسرى من مصر الى * المغرب فى غربي الأهرام .

وقال ابن غفير : ولم يزل مشايخنا من أهل مصر يقولون الأهرام بناها شداد بن عاد ، وهو الذى بنى المغار ، وجند الأجناد ... فالمغار والأجناد هى الدفائن . وكانوا يقولون بالرجعة ، واذا مات أحدهم دفن معه ماله كائنا ما كان ، وان كان صانعا دفن معه آلة صنعه ، وكانت الصابئة تحج الى الأهرام .

وقال أبو الريحان البيروني فى كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخالية » : والفرس والمجوس تنكر الطوفان ، وأقر به بعض الفرس لكنهم قالوا : كان بالشام والمغرب منه شيء فى زمان طهورث ، ولكنه لم يعم العمران كله ، ولم يتجاوز عقبة حلوان ، ولم يبلغ ممالك الشرق ، وان أهل الغرب لما أئذروا به حكماؤهم بنوا أبنية - كالهرمين بمصر -

(٩) من ١١٧ ج ١ ط ١٠٠٠٠

ليدخلوها عند الآفة ، وان آثار ماء الطوفان وتأثيرات الأمواج كانت بيئة على أنصاف الهرمين لم تتجاوزهما . انتهى .

ويقال ان الطوفان لما نضب ماؤه لم يوجد تحت الماء قرية سوى نهاوند - وجدت كما هى - وأهرام مصر وبرايها ، وهى التى بناها هرميس الأول الذى تسميه العرب ادرس . وكان قد ألهمه الله علم النجوم ، فدلت على أنه سينزل بالأرض آفة ، وأنه سيقبى بقية من العالم يحتاجون فيها الى علم ، فبنى هو وأهل عصره الأهرام والبرابى ، وكتب عليه فيها .

وقال أبو الصلت الأندلسى فى رسالته ، وقد ذكر أخلاق أهل مصر : الا أنه يظهر من أمرهم أنه كان فيهم طائفة من ذوى المعارف والعلوم ، وخصوصا علم الهندسة والنجوم ، ويدل على ذلك ما خلفوه من الصنائع البديعة المعجزة ، كالأهرام والبرابى ، فالها من الآثار التى حيرت الأذهان الناقبة ، واستعجزت الأفكار الراجحة ، وتركت لها شغلا بالتعجب منها والتفكر فيها . وفى مثلها يقول أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرى من قصيدته التى يرثى بها أباه :

تضل العقول الهرزبات رشدها
ولا يسلم الراى القويم من الأفق

وقد كان أرباب الفصاحة كلما
رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن

وأى شيء أعجب وأغرب ، بعد مقذورات الله عز وجل ومصنوعاته ، من القدرة على بناء جسم جسيم ، من أعظم الحجارة ، مربع القاعدة ، مخروط الشكل ، ارتفاع عموده

تثنية ذراع وتسعة عشر ذراعا ، يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساويات الأضلاع ، طول كل ضلع منها أربع مائة ذراع وستون ، وهو مع العظم من احكام الصنعة واتقان الهندام وحسن التقدير ، بحيث لم يتأثر الى هلم جراً بمصيف الرياح وهطكل السحاب وزعزعة الزلازل . وهذه صفة كل واحد من الهرمين المحاذين للنسطاط من الجانب الغربي على ما شاهدناه منها .

وقد ذكرت عجائب مصر ، وان ما على وجه الأرض بنية الا وأنا ارثي لها من الليل والنهار الا الهرمان ، فانا ارثي الليل والنهار منها ، وهذان الهرمان لهما اشراف على أرض مصر ، واطلال على بطائحها ، واصعاد في جوفها . وهما اللذان اراد أبو الطيب المتبى بقوله :

أين الذي الهرمان من بنيانه

ما قومه ، ما يومه ، ما المصرع ؟

تختلف الآثار عن مكانها

حيناً ، ويدركها القضاء فتبع

واتفق يوما أنا خرجنا اليهما ، فلما ملنا بها واستترنا حولهما ، كثر التعجب منهما ، فقال بعضنا :

بعيشك هل أبصرت أعجب منتظرا

على طول ما أبصرت من هرمي مصر ؟

انانا عنانا للسماء وأشرفا

على الجو اشراف السماك أو النسر

وقد وافيا تشزا من الأرض عاليا

كأنهما نهدان قاما على صدر

وزعم قوم أن الأهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بمعد ممانهم ، كما تميزوا عنهم في حياتهم ، وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تناول الدهور وتراخي العصور .

ولما وصل الخليفة المأمون الى مصر أمر بنقها ، فنقب أحد الهرمين المحاذين للنسطاط بعد جهد شديد وعناء طويل ، فوجدوا داخله مهاوى ومراقى يهول أمرها ويمر السلوك فيها ، ووجدوا في أعلاها بيتا مكعبا طول كل ضلع من أضلاعه نحو من ثمانية أذرع ، وفي وسطه حوض رخام مطبق ، فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رمة بالية قد أتت عليها العصور الخالية . فعند ذلك أمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه .

ويقال ان النفقة على نقبه كانت عظيمة والمؤنة شديدة .

ومن الناس من زعم أن هرمس الأول - المدعو بالملك بالنبوة والملك والحكمة ، وهو الذي تسميه العبرانيون خنوخ بن برد ابن مهلايل بن قتيان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام ، وهو ادريس عليه السلام - استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان يعم الأرض ، فأكثر من ببناء الأهرام وايداعها الأموال ، وصحائف العلوم ، وما يشفق عليه من الذهب والدروس ، حفظا لها واحتياطا عليها .

ويقال ان الذي بناها ملك اسمه سوريد بن سهلوق بن سرياق ، وقال آخرون ان الذي

(١١٨ ج ١ ، ط ١١٨٠)

بنى الهرمين المحاذين للنسطاط شداد بن عاد لرؤيا رآها .

والقبط تنكر دخول العمالق ببلد مصر ، وتحقق أن بانيها سوريد لرؤيا رآها وهي أن آفة تنزل من السماء وهي الطوفان . وقالوا انه بناهما في مدة ستة أشهر ، وغشاهما بالديباج الملون ، وكتب عليهما : قد بنيهما في ستة أشهر ، قل لمن يأتي من بعدنا يهدمهما في ستائة سنة ، فالهدم أيسر من البناء ، وكسوناهما الديباج الملون ، فليكسهما حصرا ، فالحصر أهون من الديباج .

ورأينا سطوح كل واحد من هذين الهرمين مخطوطة من أعلاها الى أسفلها بسطور متضايقة متوازية من كتابة بانيها ، لا تعرف اليوم أحرفها ، ولا تفهم معانيها

وبالجملة ، الأمر فيها عجيب ، حتى ان غاية الوصف لها ، والاغراق في العبارة عنها ، وعن حقيقة الموصوف منها ، بخلاف ما قاله علي ابن العباس الرومي ، وان تباعد الموصوفان ، وتباين المقصودان ، اذ يقول :

اذا ما وصفت أمرا لا مري ،

فلا تغل في وصفه واقصد

فانك ان تغل تبد الغنو

ن فيه الى الغرض الأبعد

فيصغر من حيث عظمته

لفضل الغيب على المشهد

ويقال أن المأمون أمر من صعد الهرم الكبير أن يدلى حبلا ، فكان طوله ألف ذراع بالذراع

الملكي - وهو ذراع وخسان - وتريسه أربع مائة ذراع في مثلها ، وكان صعوده في ثلاث ساعات من النهار ، وانه وجد مقدار رأس الهرم قدر مبرك ثمانية جمال .

ويقال انه وجد على المقبور في الهرم حلة قد بليت ولم يبق منها سوى سلوكها من الذهب ، وان ثخانة الطلاء الذي عليه قدر شبر من مر وصبر .

ويقال انه وجد في موضع من هذا الهرم ايوان ، في صدره ثلاثة أبواب على ثلاثة يسوت ، طول كل باب منها عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع من رخام منحوت محكم الهندام ، وعلى منفتحاته خط أزرق لم يحسنوا قراءته .

وانهم أقاموا ثلاثة أيام يعملون الحيلة في فتح هذه الأبواب ، الى أن رأوا أمامها على عشرة أذرع منها ثلاثة أعندة من مرمر ، وفي كل عود خرق في طوله ، وفي وسط الخرق صورة طائر .

ففي الأول من هذه العمد صورة حمام من حجر أخضر ، وفي الأوسط صورة بازي من حجر أصفر ، وفي العمود الثالث صورة ديك من حجر أحمر .

فحركوا البازي فتحرك الباب الأول الذي في مقابلته ، فرفعوا البازي قليلا فارتفع الباب ، وكان بحيث لا يرفعه مائة رجل من عظمه ، فرفعوا التشالين الآخرين ، فارتفع البابان الآخران .

فدخلوا الى البيت الأوسط ، فوجدوا فيه ثلاثة سرر من حجارة شفافة مضيئة ، وعليها

ثلاثة من الأموات ، على كل ميت ثلاث حلل ،
وعند رأسه مصحف بخط مجهول .

ووجدوا في البيت الآخر عدة رفوف من
حجارة ، عليها أسفاط من حجارة فيها أوان من
الذهب عجيب الصنعة ، مرصعة بأنواع
الجواهر .

ووجدوا في البيت الثالث عدة رفوف من
حجارة ، عليها أسفاط من حجارة فيها آلات
الحرب وعدد السلاح ، فقيس منها سيف فكان
طوله سبعة أشبار ، وكل درع من تلك الدروع
اثنا عشر شبرا .

فأمر المأمون بحمل ما وجد في البيوت ،
وأمر قحطت العمدة فانطبقت الأبواب كما
كانت .

ويقال كانت عدة الأهرام ثمانية عشر هرما
منها تجاه مدينة القساط ثلاثة ، أكبرها دوره
ألقا ذراع ، وهو مربع ، في كل وجه من
وجوهه الأربعة خمسمائة ذراع .

ويقال أن المأمون لما فتحه وجد فيه حوضا
من حجر ، مغطى بلوح من رخام وهو ملوئ
بالذهب ، وعلى اللوح مكتوب بقلم عرب
فكان : أنا عمرنا هذا الهرم في ألف يوم ،
وأبنا لمن يهدمه في ألف سنة ، والهدم أسهل
من العمارة . وكسونا جميعه بالديباج ، وأبنا
لمن يكسوه الحصر ، والحصر أيسر من
الديباج . وجعلنا في كل جهة من جهاته مالا
يقدر ما يصرف على الوصول إليه .

فأمر المأمون أن يحسب ما صرف على
التقب ، فبلغ قدر ما وجد في الحوض من غير
زيادة ولا نقص .

ويقال أنه وجد فيه صورة آدمي من حجر
أخضر كالدهنج ، فيها طبق كاللدواة ، ففتح
فاذا فيه جسد آدمي عليه درع من ذهب مزين
بأنواع الجواهر ، وعلى صدره نصل سيف
لا قيمة له ، وعند رأسه حجر من ياقوت
أحمر في قدر بيضة الدجاجة . فأخذ المأمون
وقال : هذا خير من خراج الذهب .

وذكر بعض مؤرخي مصر أن هذا الصنم
الأخضر الذي وجدت الرمة فيه لم يزل معلقا
عند دار الملك بمدينة مصر إلى سنة إحدى
عشرة وستمئة من سني الهجرة .

وكان عند مدينة فرعون هرمان ، وعند
ميدوم هرم ، وهذا آخرها .

وفي سنة تسع وسبعين وخمسمئة من سني
الهجرة ظهر بترية بوصير من ناحية الجيزة بيت
هرميس ، ففتح القاضي ابن الشهرزوري *
وأخذ منه أشياء من جملتها كباش وقروء
وضفادع من حجر باهر ، وقوارير من
دهنج ، وأصنام من نحاس .

وقال ابن خرداذبة : من عجيب البنيان أن
الهرمين بمصر مسك كل واحد منهما أربعمائة
ذراع ، وكلما ارتفع دق ، وهما من رخام
ومرمر ، والطول أربعمائة ذراع في عرض
أربعمائة ذراع ، مكتوب عليهما باليد كل
سحر وكل عجيب من الطب ، ومكتوب
عليهما : أني بئسهما ، فمن يدعى قوة في ملكه
فليهدمهما ، فإن الهدم أيسر من البناء .

فاعتبر ذلك ، فاذا خراج الدنيا لا ينفي
بهذهما .

(*) ص ١١٦ ج ١ ، ط. بولاق .

وقال في كتاب « عجائب البنيان » عن
الأهرام : قد انفردت مصر بهذه الأشكال ،
فليس لها بغيرها مثال ، يظنهما الناظر للدمار
المصرية نهدين ، ويحسبهما القابل أن مكارم
أهلها قد أعدتهما للكرم أبولوجين ، تراهما
العين على بعد المسافة ، وإذا حدثت عن
عجائبهما يظن أنه حديث خرافة .

وقد أكثر الناس في ذكر الأهرام ووصفها
ومساحتها ، وهي كثيرة العدد جدا ، وكلها
بير الجيزة على سمت مصر القديمة ، تمتد
نحوها من مسافة ثلاثة أيام . وفي بوصير منها
شيء كثير . وبعضها كبار وبعضها صغار ،
وبعضها طين وبعضها لبن ، وأكثرها حجر ،
وبعضها مدرج ، وأكثرها مخروط أملس .

وقد كان منها بالجيزة عدد كثير كلها
صغار ، هدمت في زمن السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب على يد الطواشي بهاء الدين
قراقوش ، أخذ حجارتها وبنى بها القناطر في
الجيزة ، وقد بقي من هذه الأهرام المهدومة
تلتها .

وأما الأهرام المتحدث عنها ، فهي ثلاثة
أهرام ، موضوعة على خط مستقيم بالجيزة
قبالة القساط ، وبينها مسافات كثيرة وزوايا
متقابلة نحو الشرق . واثان عظيمان جدا في
قدر واحد ، وهما متقاربان ، ومبنيان
بالحجارة البيض ، وأما الثالث فصغير عنهما
نحو الربع ، لكنه مبني بحجارة الصوان
الأحمر المنقط ، الشديد القوة والصلابة ، ولا
يكاد يؤثر فيه الحديد إلا في الزمان الطويل ،

وتجده صغيرا بالقياس إلى ذنك ، فاذا أتيت
إليه وأفردته بالنظر هالك مرآه ، وحير النظر
في تأمله .

وقد سلك في بناء الأهرام طريق عجيب من
الشكل والانتقان ، ولذلك صبرت على مصر
الأيام ... لا ، بل على مرها صبر الزمان .
فإنك إذا تأملتها وجدت الأذهان الشريفة قد
استهلك فيها ، والعقول الصافية قد أفرغت
عليها مجهودها ، والأفئس النيرة قد أفاضت
عليها أشرف ما عندها ، والملكات الهندسية
قد أخرجتها إلى الفعل مثالا في غاية امكانها ،
حتى أنها تكاد تحدث عن قوة قومها ، وتخبر
عن سيرتهم ، وتنطق عن علومهم وأذهانهم ،
وترجم عن سيرهم وأخبارهم .

وذلك أن وضعها على شكل مخروط ،
ويبتدىء من قاعدة مربعة وينتهي إلى نقطة .
ومن خواص الشكل المخروط أن مركز ثقله
في وسطه ، يتساند على نفسه ، ويتواقع على
ذاته ، ويتحمل بعضه على بعض ، وليس له
جهة أخرى يتساقط عليها .

ومن عجيب وضعه أنه شكل مربع قد
قوبل بزواياه مهاب الرياح الأربع ، فإن الريح
تكسر سورتها عند مسامتتها الزاوية ،
وليست كذلك عندما تلتقي السطح .

وذكر المساح أن قاعدة كل من الهرمين
العظيمين أربعمائة ذراع بالذراع السوداء ،
وينقطع المخروط في أعلاه عند سطح مساحته
عشرة أذرع في مثلها . وذكر أن بعض الرماة

ومن سها في قطر الحمصا وفي سمنك ،
فقط السهم دون نصف الدقة . وذكر في
نوع سطحها بعد عشر ذراعا بفراخ اليد .

ول أحد هذين الهرمين منحل بوجه الشمس .
يعني جسم الى مسلك ضيقة وأبراب
متقنة وآيلر ومهاتك ، وغير ذلك على
ما يحكيه من بنية . وإن أقسا كثيرين لهم
غرام به وتحمل فيه ، فيتوغلون في لصاقه ،
ولا بد أن يتسوا الى ما يجزون عن سلوكه .

وأما السلوك للطروق كثيرا ، فزلاقة تقوى
الى اعتلاء ، فيوجد فيه بيت مريح فيه قووس
من حجر . وهذا النخل ليس هو الباب في
أصل البناء ، وإنما هو متعوب قبا عسكف
الغلق ، وذكر أن لأمون قبة

وحكي من دخله وصعد الى البيت الذي
في اعتلاء ، قلما تزلوا حدثوا بعتيم ما
شاهدوه ، وأنه ملوه بالحقائق وأبوابها ،
وتشم فيه حتى تكون قطر الحمام ، وفيه
ماتت ورواؤن نحو اعتلاء ، كأنها علك
مسلك للريح وتنفذ لصفوه بحجارة جافة ،
طول الحجر منها من عشرة أذرع الى عشرين
ذراعا ، وسكة من ذراعين الى ثلاثة أذرع ،
وعرضه نحو ذلك

والحجب كل الحجب من وضع الحجر على
الحجر بضماد ليس في الامكان أجمع منه ،
بحيث لا تجد بينهما منخل ابرة ولا خنك
شجرة ، وبينما طين لونه الزرقة لا يدرى
ما هو ولا صفته ، وعلى تلك الحجارة كانت
بالتم التلقيم المجهول الذي لم يوجد بغير
مصر من زعم أنه سمع من بصرقة ، وهذه

الكميات كثيرة جدا حتى لو قل ما عليها الى
صحت كانت قدام عشرة آلاف مسجبة
ومرات في بعض كب الصبة المسجبة ان
أحد هذين الهرمين قبر العديسول . والآخر
قبر هرمس ، وورعوى لهما بيتان عظيمان ،
وإن العديسول أقدم وأضخم . وأنه كان يصح
لبيها ، وأنه لم يبق لهما من أنظر البلاد .

وكان . ذلك المرز عند بن صلاح بن
يوسف بن أيوب ما استقل بالبيت بعد أبيه .
سول له بهلة لصحة أن يهدم هذه الأهرام
ليبدأ بصغير الأحمر ، فأخرج اليه التقيان
والحجرين وجماعة من أمراء دولته وعطاء
ملكته . وأمرهم بهمه فحبلوا عنده .
وحذروا الرجال والصناع ، ووفروا عليهم
النفقات .

وأقروا نحو لدية أشهر . بنعيم
ورجهم . يهيمون كل يوم - بعد الجهد -
والسراخ بدل الوسخ - الحجر والحجرين .
يصفونه بالذباب ، وقوم من أهل يجذبونه
بالكوس والاشكال ، فإذا سقط سمع له وجه
عظيمة من مسافة بعيدة . حتى ترجف الجبل
وتزلزل الأرض . ويعوص في الرمل فيتعبون
نفسا آخر حتى يخرجوه ، وضرربون فيه
الإنسان بعد ما يتبون بما موصفا وينبوع
فيه فينضم قطع . وتسحب كل قطعة على
العجل حتى ينش في ذيل الجبل ، وهي مسافة
قريبة

تسا من نواظم . وغنت قناعاته .
وتغاضف صيده . ووهت غزاهم . كفو
من ١٥ ج ١ - ص ٥٥٥

محسورين لم ينالوا بقية ، بل شوهوا الهرم ،
وأبافوا عن عز وفشل . وكان ذلك في سنة
ثلاث وتسعين وخمسمائة ، ومع ذلك قد
الزائي لحجارة الهرم بطن أنه قد استوصل ،
فأذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدم منه شيء ،
وإنما سقط بعض جانب منه .

وحينما شوهنت المشقة التي يجدونها في
هدم كل حجر ، سئل مقدم الحجارين فقيل
له : لو بذل لكم السلطان ألف دينار على أن
تردوا حجرا واحدا الى مكانه وهندامه ، هل
كان يمكنكم ؟ فقسم بأنه أنهم ليمجرون عنه
ولو بذل لهم أضعاف ذلك

وبازاء الأهرام مغاير كثيرة العدد ، كبيرة
انتشار ، عتيقة الأغوار ، لعل القارس يدخلها
يرمعه وتخللها يوما أجمع ولا ينهيها لكبرها
وسعتها وبعدها ، وشهر من حالها أنها مقاطع
حجارة الأهرام . وأما مقاطع حجارة الهرم
الأحمر ، فيقال أنها بالقرمز وبأسوان .

وعند هذه الأهرام آثار أبنية جيايرة ،
ومغاير كثيرة منقبة . وقلما ترى من ذلك شيئا
الا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول .
وشه در التقيه عبارة اليسنى حيث يقول :

خليلى ماتحت السماء بنية

تسائل في اتقاعها هرمى مصر

بشاء يخاف الدهر منه ، وكل ما

على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

تزه طرفى في بديع بنائها

ولم يتزه في المراد بها فكرى

أخذ هذا من قول بعض الحكماء : كل شيء
يخنى عنه من الدهر الا الأهرام ، فإنه يخنى
على الدهر منها

وقل عبد الوهاب بن حسن بن جعفر بن
الحاجب ، ومات في سنة سبع وتسعين
وتمشاة :

انظر الى الهرمين لا يرزا

للعين في علو وفي صمد

وكانسا الأرض المريضة قد

ظلت لطول حرارة الكبد

حسرت عن التدين بارزة

تسبو الاله لفرقة الولد

فأجابها بالنيل بشيها

رما وينتقلا من الكمد

لكرامة المولى المقيم بها

خير الأيام مقوم الأود

وقال سيف الدين بن جبارة :

له أى عجبة وغريبة

في صفة الأهرام للالاب

أخفت عن الأساع قصة أهلها

وفضت عن الإبداع كل نقاب

فكانا هى كالخيام مقامة

من غير ما عد ولا أظباب

وقال آخر :

انظر الى الهرمين واسع منها

ما يرويان عن الزمان الغابر

وانظر الى سر الليالى فيهما

نظرا بين القلب لا بالنظر

لو يظن أن خبراً بالذي
فعل الزمان بأول وبآخر

وإذا مما بدا لعيني فاطر
وصفا له أذني جواد عائر

وقال الامام أبو العباس أحمد بن يوسف
التيفاشي :

ألت ترمي الأهرام دلم بناؤها
ورفتي لدنيا العالم الانس والجن

كان رحي الأفلاك أكوارها على
قواعدها الأهرام والمعالم الطحن

وقال :
قد كان للماضين من سكان مصر هم

فالتفضل عنهم فضلة والعلم فيهم علم
ثم انقضت أعلامهم وعلمهم واحتطموا

وانظر تراها ظاهرا ياد عليها الهرم
وقال :

خليلى لا باق على الحدائق
من الأول الباقي فيحدث ثالي

الى هرمى مصر تاهت قوى الورى
وقد هربت في دهرها الهرمان

فلا تعجبا أن قد هربت قانا
رمانى بفقدان الشباب زمانى

وعوجا بقرطاجة فانظروا بها
جنابتي العسادين تتحبان

(*) ص ١٢١ ج ١ ط ١٠٠٠

وابوان كسرى فانتفراه قاته
يخبركما بالصدق كل أوان

فلا تعجبا أن القناه يخفى
ألا كل ما فوق البسيطة فان

ووجدت بخط الشيخ شهاب الدين أحمد
ابن يحيى بن أبي حجلة التلمساني : أنشدني
القاضي فخر الدين عبد الوهاب المصري لنفسه
في الأهرام ، سنة خمس وخمسين وسبعمائة ،
وأجاد :

أباني الأهرام كم من واعظ
صدع القلوب ولم ينف بلسانه

أذكرتني قولا تقادم عهده
« أين الذي الهرمان من بنيانه »

من الجبال الشامخات تكاد أن
تستد فوق الأرض عن كسوانه

لو أن كسرى جالس في سفحها
لأجل مجله على ابوانه

ثبتت على حر الزمان وبرده
مددا ولم تأسف على حدثانه

والشمس في احراقها والريح غند
د هبوبها والسيول في جريانها

هل عابد قد خصها بعبادة
فمباني الأهرام من أوثانها

أو قائل يقضى برجمي قصه
من بعد فرقة الى جثمانه

فاختارها لكنوزه ولجسه
قبرا ليأمن من أذى طوفانه

أو أنها للسائرات مرصد
يختار راصدها أعز مكانه

أو أنها وصفت شئون كواكب
أحكام فرس الدهر أو يونانه

أو أنهم نقشوا على حيطانها
علما يحار الفكر في بنيانه

في قلب رائيها يعلم نقشها
فكر بعض عليه طرف بنانه

ذكر الصنم الذي يقال له أبو الهول

هذا الصنم بين الهرمين عرف أولا بلهيب ،
وتقول أهل مصر اليوم أبو الهول

قال القاضي : صنم الهرمين ، وهو
« بهلويه » ، صنم كبير من حجارة فيما بين
الهرمين ، لا يظهر منه سوى رأسه فقط ،
تسميه العامة بأبي الهول ، ويقال بلهيب ،
ويقال انه طلسم للرمل لئلا يغلب على ابليرز
الجيزة .

وقال في كتاب « عجائب البنيان » : وعند
الأهرام رأس وعنق بارزة من الأرض في غاية
العظم تسميه الناس أبا الهول ، ويؤمنون أن
جثته مدفونة تحت الأرض . ويقتضى القياس
بالنسبة الى رأسه أن يكون طوله سبعين ذراعا
نصاعدا ، وفي وجهه حمرة ودهان يلعب عليه
رونق الطراوة ، وهو حسن الصورة مقبولها ،
عليه مسحة بهاء وجمال ، كأنه يضحك
تبسما .

ومثل بعض الفضلاء عن عجيب ما رأى
فقال : تناسب وجه أبي الهول ، فان أعضائه
وجهه - كالأنف والعين والأذن - متماثلة
كما تصنع الطبيعة الصور متماثلة ، فان أنف
الطفل مثلا مناسب له ، وهو حسن به ، حتى
لو كان ذلك الأنف لرجل كان مشوها .
وكذلك أنف الرجل لو كان لصبي لتشوهت
صورته . وعلى هذا سائر الأعضاء ، فكل عضو
ينبغي أن يكون على مقدار ماهيته بالقياس الى
الصورة ، وعلى نسبتها . والمجب من
مصوره ، كيف قدر أن يحفظ التناسب
للأعضاء مع عظمها . وانه ليس في أعمال
الطبيعة ما يحاكيه

ويقابله في ير مصر ، قريبا من دار الملك ،
صنم عظيم الخلقة والهيئة ، متناسب الأعضاء
كما وصف ، وفي حجره مولود ، وعلى رأسه
ماجور ... الجميع صوان مانع . يزعم الناس
أنه امرأة ، وأنها سرية أبي الهول المذكور ،
وهي بدرب مشوب اليها . ويقال لو وضع
على رأس أبي الهول خيط ومد الى سريته
لكان على رأسها مستقيما . ويقال ان أبا
الهول طلسم الرمل يمنعه عن النيل ، وان
السرية طلسم الماء يمنعه عن مصر .

وقال ابن المتوج : زقاق الصنم هو الزقاق
الشارع ، أوله بأول السوق الكبير ، بجوار
درب عمار ، ويعرف الصنم بسرية فرعون .
وذكر أنه طلسم النيل لئلا يغلب على البلد .
وقيل ان بلهيب الذي عند الأهرام يقابله ، وان
ظهر بلهيب الى الرمل ، وظهر هذا الى النيل ،
وكل منهما مستقبل الشرق .

(*) ص ١٢٢ ج ١ ط ١٠٠٠

وقد نزل في سنة إحدى عشرة وسبعمائة
أمير يعرف بيسلاط ، في ثمر من الحجارين
والقطاعين ، وكسروا الصنم المعروف بالسرية ،
وقطعوه أعتابا وقواعد ، فلما أن يكون تحت
مال ، فلم يوجد سوى أعتاب من حجر
عظيمة ، فحفر تحتها إلى الماء فلم يوجد شيء
وجعل من حجره قواعد تحتاية للعمد الصوان
التي بالجامع المتجد بظاهر مصر ، المعروف
بالجامع الجديد الناصري ، وأزيل عن هذا
الصنم من مكانه . والله أعلم .

وفي زماننا كان شخص يعرف بالشيخ محمد
صائم الدهر من جملة صوفية الخاتمة
الصلاحية ، سعيد السماء ، قام في نحو من
سنة ثمانين وسبعمائة ، لتغير أشياء من
المنكرات ، وسار إلى الأهرام ، وشوه وجه
أبي الهول وشتمه ، فهو على ذلك إلى اليوم .
ومن حينئذ غلب الرمل على أراض كثيرة من
الجزيرة . وأهل تلك النواحي يرون أن سبب
قلبة الرمل على الأراض فساد وجه أبي
الهول ، وقه عاقبة الأمور .

وما أحسن قول ظافر الحداد :

قامل هيئة الهرمين وأعجب
وينها أبو الهول المجيب
أكمار يتن على رحيل
ومحبوتين بينهما رقيب
وما النيل تحتها دموع
وصوت الريح عندها نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل ضيق
تخلف فهو محزون أكثيب
ويقال إن أثرب بن قبط بن مصر بن بيسر
ابن حام بن نوح أوصى أخاه منا ضد مودة

أن يحمله في سفينة ويدفنه بجزيرة وسط
البحر . فلما مات فعل ذلك من غير أن يعلم
به أهل مصر ، فاتهمه الناس بقتل أثرب
وحاربوه تسع سنين .

فلما مضى من حربهم خمس سنين مضى بهم
حتى أوقفهم على قبر أثرب ، فحفروه فلم
يجدوا به شيئا ، وقد قتلته الشياطين إلى
موضع أبي الهول ، ودفنته هناك بجانب قبر
أبيه وجده بيسر .

فأزدادوا له تهمة ، وعادوا إلى مدينة منف
وتحاربوا . فأتاهم إبليس فدلهم على قبس
أثرب حيث نقله ، فأخرجوه من قبره ووضعوه
على سرير ، فتكلم لهم الشيطان على لسانه
حتى افتنوا به وسجدوا له ، وعبدوه فيما
عبدوا من الأصنام .

وكتلوا صا ودفنوه على شاطئ النيل ،
فكان النيل إذا زاد لا يعلو قبره فافتن به
مائفة وقالوا : قد قتل صا ظلما ، وصاروا
يسجدون لقبره كما يسجد أولئك لأثرب .
فعمد آخرون إلى حجر ففتحوه على صورة
أشوم ، وكان يقال له أبو الهول ، ونصبوه
بين الهرمين وجعلوا يسجدون له ... فصار
أهل مصر ثلاث فرق .

ولم تزل الصابئة تعظم أبا الهول ، وتقرب
له الديكة البيض ، وتبخره بالصندروس .

ذكر الجبال

اعلم أن أرض مصر بأسرها محصورة بين
جبلين آخذين من الجنوب إلى الشمال ، قليلى
الارتفاع ، وأحدهما أعظم من الآخر ، والأعظم

منهما هو الجبل الشرقى المعروف بجبل لوقا ،
والغربى جبل صغير وبمضه غير متصل
ببعض ، والمسافة بينهما تضيق في بعض
المواضع وتوسع في بعضها ، وأوسع ما يكون
بأسفل أرض مصر .

وهذان الجبلان أقرعان لا ينبت فيهما
نبات ، كما يكون في جبال البلدان الأخرى .
وعلة ذلك أنها بورقيان مالحة ، لأن قوة
طين مصر تجذب منهما الرطوبات الموافقة في
التكوين ، ولأن قوة الحرارة تحلل منهما
الجوهر اللطيف العذب ، وكذلك مياه الآبار
منهما مالحة .

وهذان الجبلان يجففان ما يدفن فيهما ، فإن
أرض مصر بالطبع قليلة الأمطار .

وجبل لوقا في مشرق أرض مصر يعوق
عنها ريح الصبا ، فعدمت مصر هذا الريح ،
ويعوق أيضا اشراق الشمس على أرض مصر
إذا كانت على الأفق .

وتتعدد أسماء هذين الجبلين بحسب
مواضعهما من الأقليم ، فيطل على القسطنطينية
وعلى القاهرة الجبل المقطم .

ذكر جبل المقطم

اعلم أن الجبل المقطم أوله من الشرق من
الصين حيث البحر المحيط ، ويمر على بلاد
الططر حتى يأتي فرغانة إلى جبال اليتيم الممتد
بها نهر السغد إلى أن يصل الجبل إلى
جيحون ، فيقطعه ويمضي في وسطه بين
شعبتين منه وكأنه قطع ثم في وسطه ،

ويستمر الجبل إلى الجورجان ، ويأخذ على
الطالقان إلى أصل مرو والرود إلى طوس ،
فيكون جميع مدن طوس فيه ، ويتصل به جبال
أصبهان وشيراز إلى أن يصل إلى البحر
الهندي ، وينعطف هذا الجبل ويستد إلى
شهرزور فيمر على الدجلة ، ويتصل بجبل
الجودي ، موقف سفينة نوح عليه السلام في
الطوفان .

ولا يزال هذا الجبل مستمرا من أعمال آمد
وميافارقين حتى يمر بشفور حلب فيسمى هناك
جبل اللكام ، إلى أن يعدي الثغور فيسمى
نهر ، حتى يجاوز حمص فيسمى لبنان ، ثم
يستد على الشام حتى ينتهي إلى بحر القلزم من
جهة ، ويتصل من الجهة الأخرى ، ويسمى
المقطم ، ثم يتشعب ويتصل بآخر شعبه بنهاية
الغرب . ويقال أنه عرف بمقطم بن مصر بن
بيسر بن حام بن نوح عليه السلام .

وجبل المقطم يمر على جانبي النيل إلى
النوبة ، ويعبر من فوق الفيوم فيتصل
بالغرب إلى أرض مقراوة ، ويمضي مغربا إلى
سجلاسة ، ومنها إلى البحر المحيط مسيرة
خمس أشهر .

وقال إبراهيم بن وصيف شاه (وذكر
مجيء مصرايم بن بيسر بن حام بن نوح إلى
أرض مصر) : وكشف أصحاب اقليون
الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم ، التي هي
بخط البرابي ، وآثارهم والمعادن من الذهب
والزبرجد والفيروز وغير ذلك ، ووصفوا
لهم عمل الصنعة (يعني الكيمياء) . فجعل

وقال البكري : اليعصوم (بفتح أوله واسكان ثانيه) . قال الحربى : اليعصوم جبل بمصر .

وروى من طريق أبى قبيلى عن عبد الله بن عمرو : أنه سأل كعباً عن المقطم : أطمعون ؟ قال : ليس بطمعون ، ولكنه مقدس من القصير الى اليعصوم .

وذكر البكري أيضاً أن عابداً (باباء الموحدة والبدال المهمة ، على وزن فاعل) جبل بمصر قبل المقطم .

جبل يشكر

هذا الجبل فيما بين القاهرة ومصر عليه الجامع الطولونى .

قال القضاى : جبل يشكر ، هو يشكر ابن جديلة من لخم ، وهو الذى عليه جامع ابن طولون . ويشكر بن جديلة قبيلة من قبائل العرب اختلطت عند الفتح بهذا الجبل ، فعرف بجبل يشكر لذلك .

قال ابن عبد الظاهر : وجامع ابن طولون على جبل يشكر ، وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء ومكان مبارك . وقيل أن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات .

وكان هذا الجبل يشرف على النيل ، وليس بينه وبين النيل شئ ، وكان يشرف على البركتين (أعنى بركة القيل ، والبركة التى تعرف اليوم ببركة قارون) . وعلى هذا الجبل كانت تنصب المجانيق التى تجرب قبل إرسالها الى الثغور .

الكبش

هو جبل بجوار يشكر ، كان قديماً يشرف على النيل من غريبه . ثم لما اختط المسلمون مدينة القسطنطينية بعد فتح أرض مصر ، صار الكبش من جملة خطة الخمراء القصوى ، وسمى الكبش .

الشرف

اسم ثلاثة مواضع : فاثان منها فيما بين القاهرة ومصر ، وواحد فيما بين بركة الجيش وفسطاط مصر .

فأما الذى بظاهر القاهرة ، فأحدهما عليه الآن قلعة الجبل ، وهو من جملة الجبل المقطم .

والآخر فيما بين الجامع الطولونى ومصر ، فيشرف غريبه على جهة الخليج الكبير ، ويصير فيما بين كوم الجراح وخط الجامع الطولونى . وكان من خطة تجيب ، ثم صار من جملة العسكر .

وأما الشرف الثالث فيعرف اليوم بالرصد ، وهو يشرف على راشدة .

وكان يقال للشرف سند . والسند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح . ويقال فلان سند أى معتمد .

ذكر الرصد

هذا المكان شرف يطل من غريبه على راشدة ، ومن قبله على بركة الجيش ،

فيحسبه من رآه من جهة راشدة جبلاً ، وهو من شرقه سهل يتوصل إليه من القرافة بمسير ارتقاء ولا صعود . وهو محاذ للشرف الذى كان من جملة العسكر ، والشرف الذى يعرف اليوم بالكبش .

وكان يقال له قديماً الجرف ، ثم عرف بالرصد من أجل أن الأفضل أبا القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى أقام فوقه كورة لرصد الكواكب ، فعرف من حينئذ بالرصد .

قال فى كتاب « عمل الرصد » : وحيل الى الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر ، من الشام ، تقاويم لما يستأنف من السنين لاستقبال سنة خمسمائة من سنى الهجرة ... قيل مائة تقويم أو نحوها .

وكان منجمو الحضرة يومئذ - ابن الحلبى وابن الهيثمى وسهلون وغيرهم - يطلق لهم الجارى فى كل شهر والرسوم والكسوة على عمل التقويم فى كل سنة . وكان كل منهم يجتهد فى حسابه وما تصل قدرته اليه ، فإذا كان فى غرة السنة حمل كل منهم تقويمه ، فيقابل بينها وبين التقويمات المحضرة من الشام فيوجد بينها اختلاف كثير ، فأنكر ذلك .

فلما كان غرة ثلاث عشرة وخمسمائة - عند احضار التقاويم على العادة - جمع المنجمين والحساب وأهل العلم ، وسألهم عن السبب فى الخلاف بين التقاويم ، فقالوا : انشأه يحسب ويعمل على رأى الزيج المهجور المأمونى ، ونحن نعمل على رأى الزيج

الحاكمى لقرب عهده ، وبين المتقدم والمتأخر تفاوت وخلف ، وقد أجمع القدماء أن التريب العهد أصح من المتقدم لتقل الكواكب وتغير الحساب .

وتحدثوا فى معنى ذلك بما هو مذكور فى موضعه ، وأشاروا عليه بعمل رصد مسجد يصحح به الحساب ، ويخرج به المصور والتفاوت ، وتحصل به المنفعة العظيمة ، والفائدة الجليلة ، والسمة الشريفة ، والذكر الباقي .

فقال : من يتولى ذلك ؟

فقال صاحب دسته ومشيريه ، الشيخ الأجل أبو الحسن بن أبى أسامة : هذا القاضى ابن أبى الميث الطرابلسى المهندس العالم الفاضل . وكان ابن أبى الميث صهره زوج ابنته ، وهو شيخ كبير السن والقدر ، كثير المال . ومساعدته على ذلك القائد أبو عبد الله الذى تقلد الوزارة بعد الأفضل ، ودعى بالأمون بن البطائحي .

فاستصوب الأفضل ذلك وقال : مروه يهتم بذلك ، ويستدعى ما يحتاج اليه .

فكان أول ما بدأ به لما حصل ذلك أن مدح نفسه - وكان الأفضل غيورا على كل شئ ، أشد ما عليه من يفتخر أو يلبس ثيابا مذكورة - ثم قال : هذه الآلات عظيمة ، وخطرها جسيم ، ولا كل أحد يقوم بميا ولا يحسنها .

وأكثر الكلام والتوسعة ، وقال : يحتاج أن الذى يتولى ذلك يعتمد معه الانعام

(*) من ١٢ ج ١ ، ط ٥ بر ١٢

والأكرام ، لتطيب نفسه للبشارة ، ويشرح صدره ، ويقدم خاطره لما يعمل في حقه

فضجر الأفضل من ذلك وقال : لقد أكثر في مدح نفسه ولده ، وما يعاملنا بعد لا حاجة إلى معاملته

فشار القائد بن البطاحي وقال : هنا من يبلغ الغرض بأهل مأخذ ، وأقرب وقت وأسرعه ، وألف معنى ، أبو سعيد بن قرقة الطيب ، متولى خزائن السلاح والسروج والمناات وغير ذلك .

فأخضره للوقت ، فاتفق له من الحديث الحسن السهل ، وبما سبب عمل الآلات ، ومن ابتدأها من الأول ، وذكر القدماء في العلم ، ومن رصد منهم واحدا واحدا إلى آخرهم ... ثم راحا مستوفيا ، كأنه يحفظ ظاهرا ، أو يقرأه من كتاب .

فأعجب الأفضل والحاضرين ، وقال : أي شيء تحتاج ؟

فقال : ما أحتاج كبير أمر ، والأمور سهلة ، وكل ما أحتاجه في خزائن السلطان - خلد له ملكه - النحاس والرصاص والآلات ، وكل ما أحتاج أستلعيه أولا أولا ، إلا لتفقات وأجرة الصناع فيتولاها غيري .

فأعجب به وقال : يطلق له جار لنفسه .

فقال : أنا مستخدم في عدة خدم ، فجواري فكفني ، فأنا مملوك الدولة ما أحتاج إلى جار ، وإذا بلغت الغرض وأنهت الأشغال فهو المقصود .

وكان قيل للأفضل : هذا الرصد يحتاج إلى أموال عظيمة ، فقال : كم تقول يحتاج إليه ؟

فقال : ما يتفق عليه إلا مثل ما يتفق على مسجد أو مستنظر .

فرجع يكرر عليه القول ، فقال : هاتوا ورقة ، فكتب فيها : المملوك يقبل الأرض ويبنى : دعت الحاجة إلى خروج الأمر العالي إلى دار الوكالة بإطلاق مائتي قنطار من النحاس النجر ، ومائتي قنطار من النحاس القصيب الأندلسي ، وأربعين قنطارا من النحاس الأحمر ، ومن الرصاص ألف قنطار ، ومن العطب ومن الحديد والقولاذ من الصناعة ما لعله يحتاج إليه ، ومن الأخشاب ومن النفقة مائة دينار على يد شاهد يتفق عليه ، فإذا فرغت استدعى غيرها ... واختار موصعا يصلح الرصد فيه ، ويكون العمل والصناعة فيه ، ومباشرة السلطان فيما يتوقف عليه ، وما يستأمر فيه .

فاستصوب الأفضل جميع ذلك ، وأراد أن يخلع عليه فقال القائد : هذا فيما بعد إذا شوهلت أحواله .

فخدم من أول الحال إلى آخرها ولم يحصل له درهم القرد ، لأنه كان يستحي أن يطلب وهو مستخدم عندهم . وكانوا بأجمعهم يؤملون طول المدة والبقاء ، فقتل الأفضل ثاني سنة ، وتغيرت الأحوال .

ثم أهتم اختاروا للرصد مسجد التور فوق المقطم ، فوجدوه بعيدا عن الجوائح ، فأجمعوا على سطح الجرف بالمسجد المعروف بالقبيلة الكبير - وكان قد صرف على المسجد خاصة

سنة آلاف دينار - فحفروا في مسجد القبيلة نفرا في الجبل مكان الصريح الآن ، فعمل فيه قالب الحلقة الكبيرة - وقطرها عشرة أذرع ودورها ثلاثون ذراعا - وهندموه وحرروه أياها . وعمل حوله عشر هرج ، على كل هرجة منفاخان ، وفي كل هرجة أحد عشر قنطارا نحاسا وأقل وأكثر ، والجسيم مائة قنطار وكسر ، قسموها على الهرج ، وطرح فيها النار من العصر ، وتفقخوا إلى الثانية من النهار

وحضر الأفضل بكرة ، وجلس على كرسي ، فلما تهيأت الهرج ودارت أمر الأفضل بفتحها - وقد وقف على كل هرجة رجل ، وأمرها بفتحها في لحظة - ففتحت ، وسال النحاس كالماء إلى القالب ، وكان قد بقي فيه بعض النداوة ، فلما استقر به النحاس بحرارته ، تقطعت المكان الذي فلم تتم الحلقة . ولما بردت وكشف عنها ، أذهى تامة ما خلا المكان الذي

فضجر الأفضل وضاق صدره ، ورمى الصناع بكيس فيه ألف درهم ، وغضب وركب . فلاحظه ابن قرقة وقال : مثل هذه الآلة العظيمة التي ما سمع قط بشئها ، لو أعيد سبكها عشر مرات حتى تصح ما كان كثيرا .

فقال له الأفضل : اهتم في لغاتها .

فسيكت وصحت ، ولم يحضر الأفضل في المرة الثانية قفرح بصحتها ، وعملت وورفت إلى سطح مسجد القبيلة ، وأحضر لها جسيم صناع النحاس ، وعمل لها بركار خشب من السديان - وهو بركار عجيب - وبنى في

وسط الحلقة مسطبة حجارة منقبة لرجل البركار ، وهو قائم مثل عروس الطاحون ، وفيه - ساعد مثل ناف الطاحون ، وقد لبس بالحديد ، والجسيم سديان جيد ، وطرف الساعد مهيأ لعدة قنون : تارة لتصحيح وجه الحلقة ، وتارة لتعديل الأجساب ، وتارة للخطوط والحزوز .

وأقام في التصحيح فيها وأخذ زواياها بالمبارد مدة طويلة ، وجماعة الصناع والمهندسين وأرباب هذا العلم حاضرون ، واستدعى لهم خيمة عظيمة ضربت على الجميع ، وعقد تحت الحلقة أقباء وثيقة ، وأرادوا قيامها على سطح مسجد القبيلة فلم يتهأ لهم ، فانهم وجدوا المشرق لأول يروز الشمس مسدودا ، فاتفقوا على نقلها إلى المسجد الجيوشي مجاور الانطاكي ، المعروف أيضا بالرصد ، وكان الأفضل بناء ألفت من جامع القبيلة ولم يكمل ، فلما صار يرسم الرصد كمل .

فحضر الأفضل في نقل الحلقة من جامع القبيلة إلى المسجد الجيوشي ، وقد أحضرت الصواري الطوال المطام والبرماقات والمنحالت من الاسكندرية وغيرها ، وجمعت الأسطولية ورجال السودان وبعض أصحاب الركاب والعند حتى أدلوه ، وحملوه على العجل إلى مسجد الرصد الجيوشي .

وثاني يوم حضروا بأجمعهم حتى رفعوه إلى السطح ، وكللوه ، وأقاموا الحلقة ، وجعلوا تحت أكتافها عمودين من رخام سبكوهما بالرصاص من أسفلها وأعلامها

(١٤١) من ١٢١٠ هـ ، ١٠٠٠ م .

حتى لا يرتخي ثقل النحاس ، وجعل في الوسط عمود رخام ، وباعلاه قطب المضادة مبوب بالنحاس الكثير لتدور عليه المضادة . وعملت من نحاس فما تمارست ولا دارت ، فعملوها من خشب ساج وقطبها وأطرافها من نحاس صفائح ليخف الدوران ، ثم رصدوا بها الشمس بعد كلفة .

وكانت الحلقة ترخي الدرجة والدقائق كل وقت للثقل ، فعمل عمود من نحاس فوق عمود الرخام ليسك رخوها . وغلبوا بعد ذلك ، فكانت تختلف لشدة ما كانوا يحرقونها بالشواقل وعضادة الخشب .

وتردد إليها الأفضل مع كبير سنه وهو يرتعش ، والقائد يحمله إلى فوق ، ويتعبد زمانا من التعب لا يتكلم ويده ترتعش ، فرصدوا قدامه .

وفي خلال ذلك قتل الأفضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة .

وقيل للأفضل عن ابن قرقة انه أسرف في كبير الحلقة وعظم مقدارها ، فقال له الأفضل : لو اختصرت منها كان أهون .

فقال : وحق نعمتك ، لو أمكنتي أن أعمل حلقة تكون رجلها الواحدة على الأهرام والأخرى على التور فملت ، فكلما كبرت الآلة صح التحرير . وأين هذا في العالم العلوي ؟

ثم أذكروا عليه فصل حلقة دونها في الموضع المهديم بالطوب الأحمر ، تحت المسجد الجيوشي ، كان قطرها أقل من سبعة أذرع ودورها نحو أحد وعشرين ذراعا .

فلما مكث قتل الأفضل ، ولم ينفق من مال السلطان في الأجرة والمؤن وما لا بد منه سوى نحو مائة وستين ديناراً .

فلما تمت الوزارة للأمين البطائحي ، أحب أن يكملها - ويقال له الرصد المأموني المصحح ، كما قيل للأول الرصد المأموني المتحن - فأخرج الأمر بنقل الرصد إلى باب النصر بالقاهرة ، فنقل على الطريقة الأولى بالتالين والأسطوية وطوائف الرجال ، وكان يدفع لهم كل يوم برسم الفداء جملة دراهم .

فلما صار فوق العجل مضوا به على الخندق من وراء الفتح على المشاهد إلى مسجد الذخيرة من ظاهر القاهرة ، وتمبوا في دخوله من باب النصر تمبا عظيما لخوفهم أن يصدم فيتغير ، فنصبوا الصواري على عقد باب النصر من داخل الباب ، وتكاثروا الرجال في جذب المياحين من أسفل ومن فوق حتى وصل إلى السطح الكبير ، ثم نقلوه من السطح الكبير إلى السطح القوقائي ، وأوقفوا له العمدة كما تقدم ذكره ، ورصدوا بالحلقة الكبرى كما رصدوا بها على سطح الجرف ، فصح لهم ما أرادوا من حال الشمس فقط .

ثم اهتموا بعمل ذات حلق يكون قطرها خمسة أذرع ، وسبكت في فندق بالمطوفية من القاهرة ، وكان الأمر فيها سهلا عندما لحتهم من العناية العظيم في الحلقة الكبيرة والحلقة الوسطى . وتجرد المأمون لعملها والحث فيها ، وكان ابن قرقة يحضر كل يوم دفعتين ، ويحضر أبو جعفر بن حسنداي ،

وأبو البركات بن أبي الليث صاحب الديوان ويده الحل والمقد

فقال له المأمون : اطلع اليهم كل يوم وأمرهم بطلبه وقع لهم به من غير مؤامرة .

وكان قصده ما أطمعوه فيه من أن يقال الرصد المأموني المصحح ، فلو أراد الله أن يبقى المأمون قليلا كان كل جبيع رصد الكواكب ، لكنه قبض عليه ليلة السبت ثالث شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة ، وكان من جملة ما عدد من ذنوبه عمل الرصد المذكور والاجتهاد فيه ، وقيل أطمعته نفسه في الخلافة بكونه ساء الرصد المأموني ونسبه إلى نفسه ولم ينسبه إلى الخليفة الأمر بأحكام الله .

وأما العامة والقوغاء فكانوا يقولون أرادوا أن يخاطبوا زحل ، وأرادوا أن يملوا القيب . وقال آخرون منهم : عمل هذا للسحر ونحو ذلك من الشناعات .

فلما قبض على المأمون بطل ، وأنكر الخليفة على عمله ، فلم يجبر أحد أن يذكره . وأمر فكسر وحمل إلى المناشات ، وهرب المستخدمون ومن كان فيه من الخاص .

وكان فيه من المهندسين * برسم خدمته وملازمته في كل يوم بحيث لا يتأخر منهم أحد : الشيخ أبو جعفر بن حسنداي ، والقاضي بن أبي العيش ، والخطيب أبو الحسن علي بن سليمان بن أيوب ، والشيخ أبو النجا بن سند الساعاتي الاسكندراني المهندس ، وأبو محمد عبد الكريم الصقلي

(٣) من ١٢٧٠ ج ١ ط ١٠٠٠ بولاق

المهندس ، وغيرهم من الحساب والمتجيبين كابن الحلبي وابن العيشي وأبو نصر تليذ سهلون ، وابن دياب ، والقلمى ، وجماعة يحضرون كل يوم إلى ضحوة النهار ، فيحضر صاحب الديوان ابن أبي الليث ، وكان ابن حسنداي ربما تأخر في بعض الأيام ، فانه كان امرأة عظيما صاحب كبرياء وهيبة .

وفي كل يوم يبعث المأمون من يتفقد الجماعة ويطلعه بمن غاب منهم ، لانه كان كبير التفقد للأمور كلها ، وله غمازون وأصحاب أخبار لا تنام ، ولا يكاد يفوته شيء من أحوال الخاصة والعامة بمصر والقاهرة ومن يتحدث ، وجعل في كل بلد من الأعمال من يأتيه بسائر أخبارها .

وأنا أدركت هذا الموضع الذي يعرف اليوم بالرصد - حيث جامع القيلة - عامرا ، فيه عدة مساكن ومساجد ، وبه أناس مقيمون دائما ، وقد خرب ما هناك وصار لا أليس به .

وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أنشأ فيه سواقي لنقل الماء من أماكن قد حفر لها خليج من البحر بجوار رباط الآثار النبوية ، فإذا صار الماء في سفح هذا الجرف المسمى بالرصد نقل بسواقي هناك قد أنشئت ، إلى أن يصير إلى القلعة . فمات ولم يكمل ما أرادته من ذلك ، كما ذكر في أخبار قلعة الجبل من هذا الكتاب .

وما زال موضع هذا الرصد متزها لأهل مصر ، ويقال ان المزمع لدين الله ممدا لما قدم من بلاد المغرب إلى القاهرة ، لم يعجبه مكانها ، وقال للقائد جوهر : فأتك ببناء

القاهرة على النيل ، فعلا كنت يتتها على
الجرف (يعنى هذا المكان)

وقال ان اللحم علق بالقاهرة فتغير بعد
يوم وليلة ، وعلق بقلعة الجبل فتغير بعد يومين
وليتين ، وعلق في موضع الرصد فلم يتغير
ثلاثة ايام ولياليها ، لطيب هوائه . وثه در
القائل :

باليلة عاش سرورى بها
ومات من محبدا بالكمد
وبت بالمشوق في المشتمى
ويات من يرقبنا بالرصد

ذكر مدائن ارض مصر

قال ابن سيده : مدن بالمكان اقام ،
والمدينة : الحصن يبنى في اسطحة الأرض ،
مشتق من ذلك ، والجمع مدائن ومدن . ومن
هنا حكم أبو الحسن - فيما حكى القارمى
عنه - أن مدينة فيلة

وقال العلامة آثير الدين أبو حيان : المدينة
معروفة مشتقة من مدن ، فهي فيلة ، ومن
ذهب الى أنها مفعلة من دان فقله ضعيف
لاجماع العرب على الهمز في جمعها ، فانهم
قالوا مدائن بالهمز ، ولا يحفظ مدائن بالياء .
ولا ضرورة تدعو الى أنها مفعلة من دان ،
ويقطع بأنها فيلة جمعهم لها على فعل ، فانهم
قالوا مدن ، كما قالوا صحف في صحيفة .

واظلم أن مدائن مصر كثيرة ، منها ما دثر
وجعل اسمه ورسمه ، ومنها ما عرف اسمه
وبقى رسمه ، ومنها ما هو عامر .

وأول مدينة عرف اسمها في أرض مصر
مدينة أمسوس ، وقد سما الطوفان رسمها ،
ولها أخبار معروفة ، وبها كان ملك مصر قبل
الطوفان ، ثم صارت مدينة مصر بعد الطوفان
مدينة منف ، وكان بها ملك القبط والفراتة
الى أن خربها بخت نصر .

فلما قدم الاسكندر بن فيلبس المقدوني
من مملكة الروم ، عمر مدينة الاسكندرية
عمارة جديدة ، وصارت دار المملكة بمصر ،
الى أن قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين
وفتح أرض مصر ، فاخط فسطاط مصر ،
وصارت مدينة مصر الى أن قدم جوهر القائد
من الغرب بمساكر المعز لدين الله أبي تميم
بعد ، وملك مصر واخط القاهرة ، فصارت
دار المملكة بمصر الى أن زالت الدولة الفاطمية
على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن
أيوب ، فبنى قلعة الجبل ... وصارت القاهرة
مدينة مصر الى يومنا هذا

وفي أرض مصر عدة مدائن ليست دار
ملك ، وهي مدينة الفيوم ومدينة دلاص
ومدينة اهناس ومدينة البهنسا ومدينة القيس
ومدينة طلخا ومدينة الأشمونين ومدينة أنصا
ومدينة قوص ومدينة سيوط ومدينة فاو
ومدينة أخميم ومدينة البينا ومدينة هو
ومدينة قنا ومدينة دندرة ومدينة ققط ومدينة
الأقصر ومدينة اسنا ومدينة أرمنت ومدينة
أدفو وثغر أسوان ، وأدركناه مدينة ... هذه
مدائن الوجه القبلى .

وكان أهل مصر يسمون من سكن من
القبط بالصعيد المرس ، ومن سكن منهم
أسفل الأرض يسمونه البيما .

وفي الوجه البحرى مدينة نوب من الحوف
الشرقى بأسفل الأرض ، ومدينة عين شمس
ومدينة أثرب ومدينة تنوا ، ومن قراها قاحية
زنكلون ، ومدينة نسي ومدينة بسطة ، ويعرف
اليوم موضعها بتل بسطة ، ومدينة قريط
ومدينة البتون ومدينة منوف ومدينة طرة
ومدينة منوف * أيضا ومدينة سخا ومدينة
الأوسه ، وهي دميرة ، ومدينة نيدة ومدينة
الافراخون ، ومن جملة قراها نسا ، ومدينة
بقيرة ومدينة بنا ومدينة شراساط ومدينة
سنود ومدينة نوما ومدينة سبتى ومدينة
النجوم - وقد غلب على مدينة النجوم الرمال
والسباخ ، ويعرف اليوم منها قرية ادكو على
ساحل البحر بين اسكندرية ورشيد - ومدينة
تيس ومدينة دمياط ومدينة الفرما ومدينة
العرش ومدينة صا ومدينة برفوط ومدينة
قرطسا ومدينة أخنو ومدينة رشيد ومدينة
مريوط ومدينة لوية ومراقية ، وليس بعد
لوية ومراقية الا أرض انطابلس وهي بيرة .

وفي كور القبة مدينة فاران ومدينة القلزم
ومدينة راية ومدينة أيلة ومدينة مدين .

وأكثر هذه المدائن قد خرب ، ومنها ما له
أخبار معروفة .

وقد استحدث في الاسلام بعض مدائن ،
وسأئى من أخبار ذلك ان شاء الله ما يكفى .

وديار مصر اليوم وجهان : قبلى وبحرى ،
جملتهما خمس عشرة ولاية . فالوجه القبلى
أكبرهما ، وهو تسعة أعمال :

(*) ص ١٢٨ ج ١ ، ط. بولاق .

عمل قوص ، وهو أجلاها ، ومنه أسوان
وغرب قنولة ، وأسوان حد المملكة من
الجنوب .

وعمل أخميم .

وعمل سيوط .

وعمل منفلوط .

وعمل الأشمونين ، وبها الطحاوية .

وعمل البهنسا .

وعمل الفيوم .

وعمل أطيح .

وعمل الجيزة .

والوجه البحرى ستة أعمال :

عمل البحيرة ، وهو متصل البر
بالاسكندرية وبرقة .

وعمل الغربية ، وهي جزيرة واحدة يشتمل
عليها ما بين البحرين : بحر دمياط وبحر
رشيد .

والمنوفية ، ومنها ايار التى تسمى جزيرة
بنى نصر .

وعمل قليوب .

وعمل الشرقية .

وعمل أشمون طساح ، ومنها الدقهلية
والمرااحية ، وهنا موضع ثغر البرلس وثغر
رشيد بالنصورة .

وفي هذا الوجه الاسكندرية ودمياط وهما
مديتان لا عمل لهما .

وذكر أبو الحسن المسعودى في كتاب
« أخبار الزمان » أن الكوكبة (وهى أمة من
أهل أيلة) ملكوا الأرض وقسموا الصعيد
على ثمانين كورة ، وجعلوه أربعة أقسام .

وكان عند مدن مصر الداخلة في كوزها ثلاثين
مدنة ، فيها جميع العجائب والكور مثل
أخميم وقط و قوص والقيوم .

ويقال ان مصر بن يعصر قسم الأرض بين
أولاده ، فأعطى ولده أشمون من حد بلده الى
رأس البحر الى دمياط ، وأعطى ولده أنصنا
من حد أنصنا الى الجنادل ، وأعطى لولده
صا من صا أسفل الأرض الى الاسكندرية ،
وأعطى لولده منوف وسط الأرض السفلى
منف وما حولها ، وأعطى لولده ققط غربي
الصعيد الى الجنادل ، وأعطى لولده أترب
شرقي الأرض الى البرية - بركة فاران -
وأعطى لبناث الثلاث ، وهن القرما وسريام
وبدورة ، بقاعا من أرض مصر محددة فيما بين
أخوتهم .

ذكر مدينة أمسوس وعجائبها وملوكها

قال الأستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب
في كتاب « أخبار مصر وعجائبها » : وكانت
مصر القديمة اسمها أمسوس . وأول من
ملك أرض مصر تقراوش الجبار بن مصرام
- ومعنى تقراوش : ملك قومه - الأول ابن
مركابيل بن دوايل بن عراب بن آدم عليه
السلام . ركب في نيف وسبعين راكبا من بني
عراب بجارية ، كلهم يطلبون موضعا يقطنون
فيه ، فرارا من بني أبيهم عندما بنى بعضهم
على بعض وتحاسدوا ، وبني عليهم بنو قابيل
ابن آدم .

فلم يزالوا يشنون حتى وصلوا الى النيل ،
فلما رأوا سعة البلد فيه وحسنه ، أعجبهم

فأقاموا فيه ، وبنيوا الأبنية المحكمة . وبني
تقراوش مصر وسماها باسم أبيه مصرام ، ثم
تركها وأمر ببناء مدينة سماها أمسوس .

وقال ابن وصيف شاه : وكان قد وقع اليه
علم ذلك من العلوم التي تعلمها دوايل من
آدم عليه السلام ، فبنى الأعلام ، وأقام
الأساطين ، وعمل المصانع ، واستخرج
المعادن ، ووضع الفلسفات ، وشق الأنهار ،
وبنى المدائن ... فكل علم جليل كان في أيدي
المصريين انما هو من فضل علم تقراوش
وأصحابه ، كان ذلك مرموزا على الحجارة ،
قصره قليمون السكاهن الذي ركب مع نوح
عليه السلام في السفينة .

وتقراوش هو الذي بنى مدينة أمسوس
وعمل بها عجائب كثيرة : منها طائر يصفر كل
يوم عند طلوع الشمس مرتين وعند غروبها
مرتين ، فيستدلون بصفره على ما يكون من
الحوادث حتى يتهاؤا لها .

ومنها صنم من حجر أسود في وسط
المدينة ، تجاهه صنم مثله ، اذا دخل الى المدينة
سارق لا يقدر أن يزول حتى يسلك بينهما ،
فاذا دخل بينهما أطبقا عليه فيؤخذ .

وعمل صورة من نحاس على منار عال ، لا
يزال عليها سحاب يطلع ، فكل من استمطرها
أمطرت عليه ما شاء .

وعمل على حد البلاد أصناما من نحاس
منجوفة ، وملاها كبريتا ، ووكل بها روحانية
النار ، فكانت اذا قصدتهم قاصد أرسلت تلك
الأصنام من أفواهها قارا أحرقته .

وعمل فوق جبل بطرس منارا ينفور بالماء ،
ويستقي ما حوله من المزارع ... ولم تزل هذه
الآثار حتى أزالها الطوفان .

ويقال انه هو الذي أصلح مجرى النيل ،
وكان قبله يتفرق بين الجبلين ، وانه وجه الى
بلاد النوبة جماعة هندسوه ، وشقوا نهرا
عظيما منه بنوا عليه المدن وغرسوا الغروس .
وأحب أن يعرف مخرج النيل فسار حتى بلغ
خلف خط الاستواء ، ووقف على البحر
الأسود الزفتي ، ورأى النيل يجري على البحر
مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر
ويخرج منه الى بطائح .

ويقال انه هو الذي عمل التماثيل التي
هناك .

وعاد الى أمسوس وقسم البلاد بين أولاده :
فجعل لابنه الأكبر - واسمه تقاوش -
الجانب الغربي ، ولابنه شوروب الجانب
الشرقي ، وبني لابنه الأصغر - واسمه
مصرام - مدينة برسان وأسكنه فيها .

وأقام ملكا على مصر مائة وثمانين سنة .

ولما مات لطح جسده بأدوية ماسكة ، وجعل
في تابوت من ذهب ، وعمل له تابوت مصفح
بالذهب ، ووضع فيه ومعه كنوز واكسير
وأوان من ذهب لا يحصى لذلك كثرة . وزيروا
على النساووس تاريخ موته ، وأقاموا عليه
طلسا يمنعه من الحشرات المفسدة .

وملك بعده ابنه تقاوش بن تقراوش ، وكان
كأبيه في علم الكهانة والفلسفات ، وهو أول
من عمل بمصر هيكلا ، وجعل فيه صور

(٥) ص ١٢٩ ج ١ ، ط . برلان .

الكواكب السبعة ، وكتب على هيكل كل
كوكب منافعه ومضاره ، وألبسها كلها الثياب
الفاخرة ، وأقام لها خدمة وسدنة .

وخرج من أمسوس مغربا حتى بلغ البحر
المحيط ، وأقام عليه أساطين على رؤوسها
أصنام تخرج عيونها في الليل .

ومضى على بلاد السودان الى النيل ، وأمر
ببناء حائط على جنب النيل ، وعمل له أبوابا
يخرج منها الماء .

وبني في صحراء الغرب خلف الولايات ثلاث
مدن على أساطين مشرفات من حجارة ملونة
شفافة ، وفي كل مدينة عدة خزائن من
الحكمة .

وفي احداها صنم للشمس على صورة
انسان وجسد طائر من ذهب ، وعيشاء من
جواهر أصفر ، وهو جالس على سرير من
مقاطيس ، وفي يده مصحف العلوم .

وفي احداها صنم رأسه رأس انسان بجسد
طائر ، ومعه صورة امرأة جالسة قد علت من
زئبق معقود ، لها ذؤابتان ، في يديها امرأة ،
وعلى رأسها صورة كوكب ، وقد رفعت المرأة
ييديها الى وجهها .

وفي احداها مطهرة فيها سبعة ألوان من
سائل يرد اليها ولا يغير بعضها لون بعض .

وفي بعضها صورة شيخ جالس قد عمل من
القيروزج ، وبين يديه صبة جلوس كلهم من
عقيق .

وفي بعضها صورة هرمس (يعني عطارد) ،
وهو ينظر الى مائدة بين يديه من نوحادر ،
على قوائم من كبريت أحمر ، وفي وسطها

عليها جميع العلوم وصور العقابر وناقها
ومضارها .

وجعل لهذه المدينة سارب تصل بسارب
تلك المدن الثلاث ، بين كل سرب منها وبين
هذه المدينة عشرون ميلا .

فلم تزل هذه المدائن حتى أفسدها
الطوفان .

ولما مات بعد مائة وتسع سنين من ملكه على
مصر ، جعل في ناورس مطمسم ودفن فيه .

وملك بعده أخوه مصرام بن تيراوش
الجبار ابن مصرام - ويقال به سميت
مصر - وكان حكيما ، فعمل هيكل للشمس
من مرمر مموه بذهب أحمر ، وفي وسطه فرس
من جوهر أزرق عليه صورة الشمس من
ذهب أحمر ، وعلى رأسه قنديل من الزجاج
فيه حجر مدبر يضيء أكثر من السراج .

ثم أتته ذلل الأسد وركبها ، وسار إلى
البحر المحيط ، وجعل في وسطه قلعة بيضاء
عليها صنم للشمس ، وزير عليه اسمه وصفته ،
وعمل صنما من نحاس زبر عليه : أنا مصرام
الجبار ، كاشف الأسرار ، الغالب القهار ،
وضعت الطلسمات الصادقة ، وأقامت الصور
الناطقة ، ونصبت الأعلام الهائلة على البحار
السائلة ، يعلم من بعدى أنه لا يملك أحد
أشد من أيدي .

وعاد إلى أمسوس ، واحتجب عن الناس
ثلاثين سنة ، واستخلف رجلا يقال له عيقسام
من ولد عيراب بن آدم ، وكان كاهنا
ساحرا .

(١٢) من ١٢٠٠ ج ١ ، ط - بولاق .

صنعة من جوهر ، وجعل فيها صورة
كتاب من زبرجد أخضر ، وعيناه من ياقوت
أحمر ، وبين يديه حية زرقاء من فضة ،
قد لوث ذنبها على رجليه ، ورفعت رأسها
كأنها تلوح عليه ، وجعل فيها سلفة المرح
وهو راكب على فرس ، وفي يده سيف مسلول
من حديد أخضر ، وجعل فيها صورة من جوهر
أحمر ، وعليه قبة من ذهب فيها صورة
للشمس ، وجعل فيها قبة من آفك على أربعة
أعمدة من جزم أزرق ، وفي سقها صورة
الشمس والقمر متحاذيين في صورة رجل
وامرأة يتحاذيان ، وجعل فيها قبة من كبريت
أحمر فيها صورة الزهرة على هيئة امرأة
مسكة صفارها ، وتحتها رجل من زبرجد
أحمر في يده كتاب فيه علم من علومهم كأنه
يقرأ فيه عليها .

وجعل في بقية الخزائن من كنوز الأموال
والجواهر والخطى وأكبر الصنعة وصنوف
الأدوية والسموم القاتلة ما لا يحصى كثرة .

وجعل على باب كل مدينة طلسم يمنع من
دخولها ، وأخذ لها مطارب تحت الأرض ينفذ
بعضها إلى بعض ، طول كل سرب ثلاثة
أميال .

وبني أيضا مدينة بأرض مصر اسمها
حلجنة ، وعمل فيها جنة صنع جيطانها
بالجواهر الملونة بالذهب ، وغرس فيها أصناف
الأشجار ، وأجرى منها الأنهار ، وغرس فيها
شجرة مولدة تطعم سائر الفواكه ، وعمل فيها
قبة من رخام أحمر على رأسها صنم يدور مع
الشمس ، ووكل بها شياطين إذا خرج أحد من
بيت في الليل هلك ، وأقام بها أساطين زير



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
بولاو
سنة ١٢٧٠ هجرية

الثمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خَطُّ الْمُقْرِئِ

٧



كتاب
التحرير

«كانت مصر هي مستقر رأسي . ولعب أترابي . وجمع ناسي . ومعنى عسيري وعاصتي .
وموطن خاصتي وعاصتي . وهجو جبري الذي ربي جناسي في وكرو . وعش ماري ، فلا
تهوي الأنفس غير ذكره . لازلت منذ شذوت العام . وآتاني ربي الفطانة والفهم ، أغيب في
معرفة أخبارها ، وأهب لإشراف على الإغتراف من آبارها . وألهمي مسادة الركبان عن سكان ديارها»
تقى الدين أحمد بن علي المقرئ

فلما مضت المدة أحب أهل مصر أن يروه ،
فجمعهم عيقام بعد ما أعلم مصرام ، فظهر لهم
في أعلى مجلس مزين بأصناف الزينة ، في
صورة هائلة ملأت قلوبهم رعبا ، فخرجوا له
ساجدين ، ودعوا له . ثم أحضر إليهم الطعام
فأكلوا وشربوا ، وأمرهم بالرجوع إلى
مواضعهم ، ولم يروه بعدها .

فملك بعده خليفته عيقام ، وقد حكى عنه
أهل مصر حكايات لا تصدقها المقول .

ويقال أن ادريس عليه السلام رفع في
أيامه ، وأنه رأى في علمه كون الطوفان ،
فبنى خلف خط الاستواء في سفح جبل
القمر قصرا من نحاس ، وجعل فيه خمسة
وثمانين تمثالا من نحاس يخرج ماء النيل من
حلقها ويصب في بطحاء تنتهي إلى مصر .

وسار إليه من أموس ، فشاهد حكمة
بنيانه ، وزخرفة حيطانه وما فيها من النقوش
من صور الأفلاك وغيرها .

وكان قصرا تخرج فيه المصاييح ، وتنصب
فيه الموائد وعليها من كل الأطعمة الفاخرة في
الألوان النقية ما لو أكل منها عسكر لما
نقصت ذرة ، ولا يعرف من عملها ولا من
وضعها ، وفي وسط القصر بركة من ماء جامد
الظاهر ، وترى حركته من وراء ما جمد
منه .

فأعجب بما رأى ، وعاد إلى أموس ،
واستخلف ابنه عرياق ، وقلده الملك وأوصاه ،
وعاد إلى ذلك القصر وأقام به حتى هلك .

والى عيقام هذا يعزى مصحف القبط الذي
فيه تواريتهم ، وجميع ما يجري في آخر
الزمان .

لقام من بعده ابنه عرياق ويقال أرياق بن
عيقام ، ويقال له الأئيم ، فعمل أعمالا
عجبة :

منها شجرة صفراء لها أغصان من حديد
بخطاطيف ، إذا قرب الظالم منها أخذته تلك
الخطاطيف ولا تفارقه حتى يقر بظلمه ،
ويخرج منه لخصه .

ومنها صنم من كدان أسود سماه عبد
زحل ، كانوا يتحاكمون إليه : فمن زاغ عن
الحق ثبت في مكانه ، ولم يقدر على الخروج
منه حتى ينصف خصمه من نفسه ، ولو أقام
سنة . ومن كانت له حاجة قام ليلا ونظر إلى
الكواكب وتضرع وذكر اسم عرياق ، فإذا
أصبح وجد حاجته على يابه .

وعمل شجرة من حديد ذات أغصان ،
ولطخها بدواء مدبر ، فكانت تجلب كل صنف
من الدواب والسباع والوحوش إليها حتى
يتسكن من صيدها .

وكان إذا غضب على أهل إقليم سلط عليهم
الوحوش والسباع ، وتارة يجعل مياههم من
الأيدياق .

ويقال أن هاروث وماروت كانا في زمانه ،
وأنه بنى جنة عظيمة ، واغتصب النساء
الحسان وأسكنهن فيها ، فعملت عليه امرأة
منهن وسمة فهلك .

وملك بعده لوجيم بن نقاوش ، ويقال بل
هو من بني نقراوش الجبار ويعرف بلوجيم

القتى ، وهو الذى أخذ الملك من عراق بن
هيقام الكاهن ورده لبنى تقراوش بعدما خرج
منهم بلا حرب ولا قتل .

وكان عالما بالكهانة والطلسمات فعمل أعمالا
عجيبة منها أن الغداف والقراب كثر في أيامه
وأثلف الزرع ، فصل أربع منارات في جوانب
مدينة أمسوس الأربعة ، وعلى كل منارة
صورة غراب في فمه حية قد التوت عليه ، ولم
تفتر عنهم الطيور المضرة من حينئذ ، ولم
تقربهم حتى زالت المنارات بالطوفان .

وكان حسن السيرة ، منصفا للرعية ،
عادلا ، مقربا للكهنة . ولما مات دفن في ناووس
ومعه كنوزه ، وعمل عليه طلسم ينعمه .

وملك بعده ابنه خصليم ، وكان فاضلا
عالما كاهنا ، فعمل أعمالا عجيبة . وهو أول
من عمل مقياسا لزيادة ماء النيل بأن جمع
أرباب العلوم والهندسة فقدروا بيتا من رخام
على حافة النيل ، وفي وسطه بركة صغيرة من
نحاس فيها ماء موزون ، وعليها من جانبيها
مقايان من نحاس أحدهما ذكر والآخر أنثى .
فإذا كان أول الشهر الذى يزيد فيه النيل
فتح هذا البيت ، وجمع الكهان فيه بين يديه ،
وزمزم الكهان بكلامهم حتى يصفر أحد
المقايين : فإن صفر الذكر كان الماء تاما ، وإن
صفر أنثى كان الماء ناقصا ، فيستعدون
عند ذلك لفلاء الأسعار بما يصلحون به
شأنهم .

وهو الذى بنى القنطرة ببلاد النوبة على
النيل .

ولما مات حمل في ناووس ومعه كنوزه ،
وعمل عليه طلسم .

وملك بعده ابنه هوصال . ويقال يوصال
ومعناه خادم الرهرة ، ويقال سومال بن لوجيم
الملك التقراوشى من بنى تقراوش الجبار .

ويقال إن نوحا عليه السلام ولد في أيامه .
وكان فاضلا كاهنا عالما بالبحر والطلسمات
فعمل عجائب ، منها أنه بنى مدينة عمل في
وسطها صنما للشمس يدور بدورانها ،
وبيت مغربا ، ويصبح مشرقا . وعمل سربا
تحت النيل ، فشق الأرض وخرج منه متكرا
حتى بلغ مدينة بابل ، وكشف أعمال الملوك .
وكان نوح عليه السلام في زمانه .

وولد له عشرون ولدا ، فجعل مع كل ولد
منهم قطرا ، وهو رأس الكهنة . وأقام في
الملك مائة وسبع عشرة سنة ، ثم لزم الهياكل
وأقام أولاده على حالهم ، كل منهم في قومه
الذى أعطاه إياه أبوه مدة سبع سنين .

ثم اجتمعوا على واحد منهم وملكوه
عليهم ، وكان اسمه تدرشان ، وقيل تدرسان ،
فلما ملك تقي جميع أخوته إلى المدائن الداخلة
في الغرب ، واقتصر على امرأة من بنات عمه ،
وكانت ساحرة . وعمل له قصرا من خشب
منقوشا فيه صورة الكواكب ، وبسطه بأحسن
الفرش ، وحمله على الماء ، وصار * يجلس
فيه .

فينما هو فيه ذات يوم اذ هبت ريح شديدة
اضطرب منها الماء ، فانقلب القصر وتكسر ،
ففرق هو ومن كان معه في القصر .

(*) من ١٢١ ج ١ ، ط. بولاق .

وملك بعده أخوه لمرود الجبار ، ويقال
شمروود بن هوصال ، فأحسن السيرة وأنصف
الرعية وبسط العدل ، وجمع أخوته وفرق
عليهم كنوز أخيم ، فسر الناس به .

وطلب امرأة أخيه الساحرة ففرت منه بابنها
إلى مدينة ببلاد الصعيد ، وامتنعت عليه
بسرورها ، وأقامت مدة . واجتمع السحرة إلى
ابنها - وكان اسمه توميدون - وحملوه
على طلب الملك ، فسار وخرج إليه شمروود
وأخوته ، فاقتلوا قتالا عظيما كان فيه الظفر
لتوميدون فقتله ، وملك من بعده .

فقام توميدون بن تدرسان بالملك في مدينة
أمسوس ، وكان عالما فاضلا ، فتقوى بسحر
أمه ، وعملت له أعمالا عجيبة ، منها قبة من
زجاج على هيئة الكرة ، تدور بدوران
الفلك ، وصورت فيها صور الكواكب ،
فكانوا يعرفون بها أسرار الطبائع وعلوم
العالم .

فلما ماتت أمه الساحرة بعد ستين سنة من
ملكه ، طلى جسدها بما يدفع عنه التن
والحشرات ، ودفنت تحت صنم القمر . ويقال
إنها كانت بعد موتها يسمع من عندها صوت
بعض الأرواح ، وتخبرهم بمجائب ، وتجييب
عما تسأل عنه .

ولما مات توميدون بعد مائة سنة من ملكه ،
عمل له صورة من زجاج مقسومة نصفين ،
وأدخل فيها بعد ما طلى بالأدوية المانعة من
التن ، وأطبقت الصورة عليه حتى التحمت ،
وأقيم في هيكل الأصنام ، ودفنت كنوزه
عنده ، وصار يعمل له في كل سنة عيد .

وملك بعده ابنه شرياق ، ويقال له شرياق ،
ابن توميدون بن تدرسان بن هوصال . وكان
كأبيه في علم الكهانة والسحر والطلسمات ،
فعمل أعمالا عجيبة ، منها على باب مدينة
أمسوس هيئة بطة من نحاس قائمة على
أسطوانة إذا دخل غريب من ناحية من النواحي
صفت بجناحيها وصرخت ، فيؤخذ ذلك
الغريب ويكشف أمره حتى يعرف فيما قدم .
وشق من النيل نهرا يمر إلى مدائن الغرب ،
وبنى عليه أعلاما ومدنا ومتزهات .

وسار ملك من بنى فراشى بن آدم ، ويقال
من بنى صوانيتى بن آدم ، خرج من ناحية
العراق في أيامه ، وغلب على بلاد الشام ،
وقصد مصر ليأخذ ملكها فقبل له أنك لا تقدر
عليها لسحر أهلها . فتكر ودخل في جماعة
من خواصه ليكشف حال أهل مصر ، فلما
وصل إلى أول حد مصر حبسه الموكلون بذلك
الحد هو ومن معه حتى يأمر الملك فيهم بأمره ،
وبعثوا إليه بصفتهم .

وكان قد رأى في منامه كأنه على منار
عال ، وكان طائرا عظيما انقض عليه ليخطفه
فجاد عنه حتى كاد يسقط من المنار ، فجاوزه
الطائر وسلم منه .

فانتبته مذعورا وقص رؤياه على كبير
الكهنة ، فقال : يطلبك ملك ولا يقدر عليك .
ونظر في نجومه فرأى الملك الذى يطلب ملكه
قد دخل إلى مصر ، وكان ذلك هو الوقت
الذى قدم عليه فيه الرسل بصفات الذين
وصلوا إلى حد مصر ، فأمر بإحضارهم إليه

بمسما يطاف بهم على عجائب مصر كلها
ليروها

فأوقفهم وساروا بهم ، وأوقفهم على
عجائب أرض مصر وما فيها من الطلقات ،
حتى بلغوا إلى الاسكندرية ، ثم إلى أموس ،
ثم إلى الجنة التي عليها مصرام - وكان الملك
شراق مقبلا بها - فعندما وصلوا إليها
أظهرت السحرة التماثيل العجيبة ، فدخلوا عليه
وحوله الكهنة وبين يديه نار لا يصل إليه أحد
حتى يخوضها ، فمن كان بريئا لم تضره ، ومن
كان يريد بالملك سوءا أو أضمر له مكروها
أخذته النار .

فتنقش القوم في وسط النار واحدا بعد واحد
من غير أن تضرهم ، حتى انتهى الأمر إلى
ملك العراق ، فعندما دنا من النار أخذته
بجرها فولى هاربا ، فاتبوه حتى أخذوه
وأوقفوه بين يدي شراق ، فلم يزل به حتى
اعترف ، فأمر بصلبه ، فصلب على الحصن
الذي أخذته ، وتودى عليه : هذا جزاء من
طلب ما لا يصل إليه ، وعفا عن الباقيين فساروا
من مصر وتحدثوا بما رأوه من العجائب ،
فانقطع طمع ملوك الأرض عن طلب ملك
مصر .

ومات شراق بعد ما ملك مصر مائة وثلاثين
سنة ، فجعل في ناووس ومعه أمواله وطمس
يحفظه من يقصده .

وملك بعده ابنه شهلوق ، وكان عالما
بالكهانة والطلقات ، فقسم ماء النيل موزونا
يصرف إلى كل ناحية قطعا ، ورتب الدولة ،
وعمل بيت نار ، وهو أول من عبد النار ،
وعمل بأموس عجائب ، منها شجرة على أعلى

الجبال تقسم بها الرياح التي تمنع من أراد
مصر بأذى أو فساد من جنى أو نسى أو سبغ
أو طائر .

وعمل بالمدينة قبة مركبة على سبعة أركان ،
ولها سبعة أبواب على كل ركن باب ، وفي
وسط القبة قبة من صخر ، وفي أعلاها صور
الكواكب السبعة ، وتحت القبة قبة أخرى
معلقة على سبع أسانين .

وعلى الباب الأول من القبة أسد ذليوة من
صخر وهما راكبان ، كان يذبح لهما جروا
أسود ويخبرهما بشعره . وعلى الباب الثاني
ثور وبقرة يذبح لهما عجلا ويخبرهما بشعره .
وعلى الباب الثالث خنزير وخنزيرة يذبح لهما
خنوصا ويخبرهما بشعره . وعلى الباب الرابع
كباش وشاة يذبح لهما سخلة ويخبرهما
بشعرها . وعلى الباب الخامس ثعلب وثعلبية
يذبح لهما فرخ * ثعلب ويخبرهما بشعره .
وعلى الباب السادس عقاب وأثاء يذبح لهما
فرخ عقاب ويخبرهما برشه . وعلى الباب
السابع نسر وأثاء يذبح لهما فرخ نسر
ويخبرهما برشه ... ويلطخ كلا منهما بدم
ما ذبح له ، وتحرق سائر القرائين ، ويوضع
رمادها تحت عتبات أبواب القبة ، وجعل لهذه
القبة سدة يشعلون المصابيح ليلا ونهارا .

وقسم الناس بمصر سبع مراتب ، لكل
مرتبة منهم باب من أبواب تلك القبة ... فكان
الخصم إذا تقدم إلى شيء من تلك الصور ،
وكان ظالما ، فإنه يلتصق بها ولا يتخلص منها
حتى يخرج من الحق الذي عليه : الذكر

(١٢) ص ١٢٢ ج ١ ، طه بولاق .

للذكر ، والآتى للأنثى ، فيعرفون بذلك الظالم
من المظلوم .

ولم تزل هذه القبة بأموس حتى أزالها
الطوفان .

ويقال انه رأى أباه في النوم وهو يأمره أن
ينطلق إلى جبل وصفه له من جبال مصر ، فإن
فيه كوة صفتها كذا ، على بابها أفعى لها
رأسان ، إذا أقبل إليها كثرت في وجهه .
فخذ معك طائرين صغيرين ذكرا وأنثى
فاذبحهما لها ، وألقهما إياهما ، فإنها تأخذ
برأسيهما وتنتحى بهما إلى سرب . فإذا غابت
ادخل الكوة تجد فيها امرأة عظيمة من نور
حار يابس ، فإنها تسطع لك وتحس بحرارتها
فلا تدن منها تحترق ، ولكن اقعد حذاءها ،
وسلم عليها ، فإنها تخاطبك . فافهم ما تقول لك
واعمل به ، فإنك تشرف بذلك ، وتذلك على
كنوز جديك مصرام ، فإنها حافظة لها .

فلما اتبه عمل ما أمره أبوه ، فلما قصد
بجانب المرأة وسلم ، قالت له : أتعرفنى ؟
قال : لا .

قالت : أنا صورة النار المعبودة في الأمم
الخالية ، وقد أردت أن تحيي ذكرى ، وتجدد
لى بيتا تقدر لى فيه نارا دائمة بقدر واحد ،
وتتخذ لها عيدا في كل سنة تحضره أنت
وقومك ، فإنك تتخذ بذلك عندي يدا أنيلك
بها شرفا إلى شرفك ، وملكا إلى ملكك ،
وأمنع عنك من يطلبك بسوء ، وأدلك على
كنوز جديك مصرام .

فضمن لها أن يفعل كل ما أمرته به ، فدته
على الكنوز التي تحت المدائن المعلقة ، وعلته

كيف يصير إليها وكيف يحترس من الأرواح
الموكلة بها وما ينجيها منها .

ثم قال لها : كيف لى بأن أراك في وقت
آخر ؟

قالت : لا تمد ، فإن الأفعى لا تمكنك ،
ولكن بخر في بيتك بكذا فاني آتيك .

فسر بذلك ، وغابت عنه ، وخرج ، ففعل
ما أمرته به من عمل بيت النار ، وأخذ كنوز
مصرام .

ولما مات جعل في ناووس ومعه سائر أمواله
وكنوزه ، وجعل عليه طمس يحفظه من
يقصده .

وملك بعده ابنه سوريد ، وكان حكيما
فاضلا ، وهو أول من جيب الخراج بمصر ،
وأول من أمر بالاتفاق على المرضى والزمنى من
خزائنه ، وأول من سن رقعة الصباح .

وعمل أعمالا عجيبة ، منها امرأة من أخلاط
كان ينظر فيها إلى الأقاليم فيعرف فيها ما
حدث من الحوادث ، وما يغصب منها وما
يجذب . وأقام هذه المرأة في وسط مدينة
أموس ، وكانت من نحاس .

وعمل في أموس صورة امرأة جالسة في
حجرها صبي ترضعه . وكانت المرأة من نساء
مصر إذا أصابتها علة في موضع من جسمها
أتت هذه الصورة ومسحت ذلك الموضع من
جسمها بشئ ذلك الموضع من الصورة فتزول
عنها العلة ، وإن قل لبنها مسحت ثديها بشئ
الصورة فيغزر لبنها ، وإن قل حيضها مسحت
فرجها بفرج الصورة فيكثر حيضها ، وإن كثرت
دمها مسحت أسفل ركبها بشئ ذلك من

الصورة ، وإن عسرت ولادة امرأة مسحت رأس الصبي الذي في حجر الصورة فتضع حملها ، وإن أرادت التحبب إلى زوجها مسحت وجهها وتقول افعلنى كذا وكذا ، فإذا وضعت الزاوية يدها عليها ارتعدت حتى تبوب .

ولم تزل هذه الصورة إلى أن أزالها الطوفان . وفي كتب القبط أنها وجدت بعد الطوفان ، وأن أكثر الناس عبدوها .

وعمل سوريد صنما من أخلاط كثيرة ، فكان من أصابته علة في موضع من جسده غسل ذلك الموضع من الصنم بماء وشرب الماء فإنه يبرأ .

وسوريد هذا هو الذي بنى الهرمين العظيمين بمصر المنويين إلى شداد بن عاد ، والقبط تذكر أن تكون العاديّة دخلت بلادهم لقوة سحرهم .

ولما مات سوريد دفن في الهرم ومعه كنوزه . ويقال أنه كان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة ، وأنه ملك مائة سنة وتسعين سنة .

فملك بعده ابنه هرجيب ، وكان كأييه حكيما فاضلا في علم السحر والطلسمات ، فعمل أعمالا عجيبه ، واستخرج معادن كثيرة ، وأظهر علم الكيمياء ، وبنى أهرام دهنور وحمل إليها أموالا عظيمة وجواهر نفيسة وعقاقير وسومات ، وجعل عليها روحانيات تحفظها .

وشج رجل رجلا فأمر بقطع أصابعه ، وسرق رجل مالا فملك المروق له رق السارق .

ولما مات دفن في الهرم ومعه جميع أمواله ونخائره .

وملك بعده ابنه مناوس ، ويقال منقاوس ، وكان كأييه في الحكمة ، إلا أنه كان جيارا فاسقا سفاكا للدماء ، يتترع النساء من أزواجهن ويبيع ذلك لغوامه .

وعمل أعمالا عجيبه ، واستخرج كنوزا ، وبنى قصورا من ذهب وفضة ، وأجرى فيها الأنهار ، وجعل حصانا من أصناف الجواهر للنفيسة ، وسلط رجلا جبارا اسمه قرناس على الناس ، ووجهه لمحاربة الأمم الغربية ، فقتل منهم خلائق .

ولما مات دفن في بعض قصوره ومعه أمواله ، وعمل عليه طلسم يحفظه وينبئه من كل طالب .

وملك بعده ابنه أفروس ، وكان كأييه في العلم والحكمة ، ولما ملك أظهر العدل وأحسن السيرة ، ورد النساء اللاتي غصبن في أيام أييه على أزواجهن .

وعمل قبة طولها خمسون ذراعا في عرض مائة ذراع ، وركب في جوانبها طيورا من صفر تصغر بأصوات مختلفة مطربة لا تقتر ساعة .

وعمل في وسط مدينة أموس منارا عليه رأس إنسان من صخر ، كلما مضى من النهار أو الليل ساعة صاح صيحة يعلم من سمعها بمضى ساعة .

(*) من ١٢٢ ج ١ ، ط ١ ، بولاق .

وعمل منارا عليه قبة من صخر مذهب ولطخها بلطوخات ، فإذا غربت الشمس في كل ليلة اشتملت القبة نورا تضيء له مدينة أموس طول الليل حتى يصير مثل النهار ، لا تطفئها الرياح ولا الأمطار ، فإذا طلع النهار خمد ضوءها .

وأهدى لبعض ملوك بابل مدهنا من زبرجد قطره خمسة أشبار . ويقال أنه وجد بعد الطوفان .

وعمل في الجبل الشرقي صنما عظيما قائما على قاعدة ، وهو مصبوغ مصفر بالذهب ، ووجهه إلى الشمس يدور معها حتى تغرب ، ثم يدور ليلا حتى يحاذي المشرق مع الفجر ، فإذا أشرقت الشمس استقبلها بوجهه .

وبنى بصحراء الغرب مدنا كثيرة ، وأودعها كنوزا عظيمة ، ونكح ثلاثمائة امرأة ، ولم يولد له ولد ، فإن الله تعالى كان قد أعظم الأرحام لما يريد من إهلاك العالم بالطوفان ، ووقع الموت في الناس والبهائم .

ولما مات وضع في ناووس بالجبل الشرقي ومعه أمواله ، وطلسم عليه .

وملك بعده أرماليتوس ، فعمل أعمالا عجيبه ، وبنى مدنا ومصانع ، وجدد الطلسمات .

وكان له ابن عم يسمى فرعان ، وكان جيارا ، فأبعده وجعله على جيش سار به عنه ، ففقر ملوكا وقتل أمما عظيمة ، وغنم أموالا كثيرة وعاد ، فشغقت به امرأة من نساء

الملك ، وما زالت به حتى اجتمع بها وتآلفا وأقاما على ذلك مدة ، فخافا الملك أن يظن بها ، فسلت المرأة لأرماليتوس سبا في شرايه هلك منه .

وملك بعده ابن عمه فرعان بن مشور ، فلم ينازعه أحد لشجاعته وسياته ، ولم تطل أعوامه حتى رأى قليسون الكاهن كان طيورا أيضا قد نزلت من السماء وهي تقول : من أراد النجاة فليلق بصاحب السفينة .

وكان عندهم علم بحدوث الطوفان من أيام سوريد وبنائه الأهرام لأجل ذلك ، واتخذ الناس سرايب تحت الأرض مصفحة بالزجاج قد حبت الرياح فيها بتدبير ، وعمل منها فرعان لنفسه ولأهله عدة .

فما كذب أن جمع أهله وولده وتلاميذه ، ولحق بنوح عليه السلام وآمن به ، وأقام معه حتى ركب في السفينة .

وجاء الطوفان في أيام فرعان فأغرق أرض مصر كلها ، وخرّب عمارتها ، وأزال تلك المعالم كلها ، وأقام الماء عليها ستة أشهر ، ووصل إلى أنصاف الهرمين العظيمين . وسيأتي خبر ذلك إن شاء الله تعالى عند ذكر معن مصر من هذا الكتاب .

ويقال إن فرعان كان عاتيا متجيرا يقصب الأموال والنساء ، وأنه كتب إلى الدرشيل ابن لهويل يبابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام ، وأنه استخف بالكهنة والهيكل . فقصدت في أيامه أرض مصر ، وقصص الزرع ، وأجدبت النواحي ، لأنهماكه في ضلاله وظلمه ، وأقبله على الهوى ولعبه . وإن الناس اقتدوا

به فشا ظم بعضهم لبعض . والله لما اتبل
الطوفان وسحت الأسرار ، قام سكران يريد
المهرب الى الحرم ، فتخطت الأرض به ،
وسكب الأيوب فحاته وجلاه ، وسقط بصور
حتى هلك ، وهلك من دخل الأسراب بانهم .
والله تعالى اعلم .

ذكر مدينة منف وملوكها

هذه المدينة كانت في غربي النيل على
مسافة اثني عشر ميلا من مدينة قسطنط
مصر ، وهي أول مدينة عمرت بأرض مصر
بعد الطوفان ، وصارت دار للملكة بعد مدينة
أمسوس التي تقدم ذكرها ، الى أن أخربها
بخت نصر .

وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله
تعالى « ودخل المدينة على حين غفلة من
أهلها » ، قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير
الطبري في كتاب « جامع البيان في تفسير
القرآن » : عن النبي أنه قال : كان موسى
عليه السلام حين كبر يركب كراكب فرعون
وليس مثل ما يظن ، وكان انسا يضي أين
فرعون . ثم ان فرعون ركب مركبا وليس عنده
موسى ، فلما جاء موسى عليه السلام قيل
له ان فرعون قد ركب ، فركب في اثره ،
فأدركه لثقل في أرض يقال لها منف ، فلفظها
نصف النهار وقد تفلقت أسواقها وليس في
طريقها أحد ، وهي التي يقول الله جل ذكره :
« ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها » .

وقال ابن عبد الحكم ، عن عبد الله بن
لهجة : أول من سكن بمصر بعد أن أغرق الله

قوم نوح عليه السلام ، يبصر بن حام بن نوح
فسكن منف . وهي أول مدينة عمرت بعد
الطوفان . هو وولده ، وهم ثلاثون نسلا ،
منهم أربعة أولاد قد بلغوا وتزوجوا ، وهم :
مصر وفارق وماج وباج بنو يبصر ، وكان
مصر أكبرهم ، فبذلك سميت منف (ومافه
بنان القبط : ثلاثون) وكانت أقدتهم قبل
ذلك بسفح المقطم ، وقرروا هناك منازل
كبيرة .

وقال ابن خردادبة في كتاب « المسالك
والملك » : ومدينة منف هي مدينة فرعون
التي كان يرلها ، واتخذ لها سبعين بابا من
حديد ، وجعل حيطان المدينة من الحديد
والصخر . وفيها كانت الأنهار تجري من تحت
سريره ، وهي أربعة .

ويسرى أن مدينة منف كانت قنطرة
وجسورا بتدبير وتقدير : حتى ان الماء ليحرق
تحت منازلها وانفتحت فيجسونه كيف شاءوا
ويرسلوه كيف شاءوا ، فذلك قوله تعالى
حكاية عن فرعون « أنس لي ملك مصر وهذه
الأنهار تجري من تحتي ، أفلا تبصرون » .

وكان بها كثير من الأصنام لم تزل قائمة الى
أن سقطت فيما سقط من الأصنام في الساعة
التي أشار فيها نبي صلى الله عليه وسلم الى
الأصنام يوم فتح مكة : بقضيب في يده وهو
يتوف حولها ويقول . « جاء الحق وزهق
الباطل ، ان الباطل كان زهوقا » ، فما أشار
الى صنم منها في وجهه الا وقع لثقا ، ولا
أشار لثقا الا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها
صنم الا وقع .

مراتب - - - - -

ول تلك الساعة سقطت أصنام الأرض من
الشرق الى الغرب ، وبقي أصحابها متعججين
لا يعلمون لها سببا اوجب سقوطها ، وبقيت
أصنام مدينة منف ماقطة من ساعتها ،
وفيها الصنمان الكبيران المجاوران للبيت
الأخضر الذي كان به صنم العزيز ، وكان من
ذهب وعيناه يافوتتان لا يقدر على مثلها .
ثم قطعت الأصنام والبيت الأخضر من بعد
سنة ستائة .

ويقال كانت منف ثلاثين ميلا طولا في
عشرين ميلا عرضا ، وان بعض بني يافث بن
نوح عمل في أيام مصرام آلة تحمل الماء حتى
تلقه على أعلى سور مدينة منف ، وذلك أنه
جعلها دوجا مجوفة كلنا وصل الماء الى درجة
امتلات الأخرى ، حتى يصعد الماء الى أعلى
السور ، ثم ينحط فيدخل جميع بيوت المدينة ،
ثم يخرج من موضع الى خارج المدينة .

وكان بمنف بيت من الصوان الأخضر الماتع
الذي لا يمل فيه الحديد قطعة واحدة ، وفيه
صور منقوشة وكتابة ، وعلى وجه بابه صور
حيات فائرة صدورها ... لو اجتمع ألوف
من الناس على تحريكه ما قدروا لمقته
ونقله .

والصابئة تقول انه بيت القمر .

وكان هذا البيت من جملة سبعة يسوت
كانت بمنف للكواكب السبعة .

وهذا البيت الأخضر هدمه الأمير سيف
الدين شيخون العمري بعد سنة خسين
وسبعائة ، ومنه شيء في خاتقاه وجامعه
الذي بخط الصلية خارج القاهرة .

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
القبلي في كتابه « تحفة الألباب » : ورأيت
في قصر فرعون موسى بيتا كبيرا من صخرة
واحدة ، أخضر كالآس ، فيه صورة الأفلاك
والنجوم ، لم أر عجبا أحسن منه .

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز
الاندلسي : وكانت دار الملك بمصر في قديم
الدهر مدينة منف ، وهي في غربي النيل على
مسافة اثني عشر ميلا من القسطنط .

فلما بنى الإسكندر مدينة الاسكندرية رغب
الناس في عمارتها ، فكانت دار العلم ومقر
الحكمة الى أن فتحها المسلمون في أيام عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ، واخطت عمرو بن
العاص مدينة المعروفة بالقسطنط ، فانتشر
أهل مصر وغيرهم من الصرب والمجسم الى
سكنائها ، فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها
الى وقتنا هذا .

وقال الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه
الكتاب ، وقد ذكر أخبار مدينة أمسوس
وخراب عمار أرض مصر بطوفان نوح عليه
السلام : ولما رزل الماء كان أول من ملك مصر
بعد الطوفان يبصر بن حام بن نوح ، وكان
مع ثلاثون من الجبابرة من أهله وولده ،
فاجتمعوا وبنوا مدينة منف وزلوا بها .

وكان قليون الكاهن الذي تقدم ذكره في
خبر مدينة أمسوس من جبلتهم ، وكان قد
زوج ابنته يبصر للذكور ، وجاءت معه الى
مصر ، وولدت منه ولدا سماه مصرام ، فلما
مات يبصر دفن في موضع دير أبي هرميس .
ويقال ديرا أبي هرميس غربي الأهرام ، ويقال

انما اول مقبرة دفن بها ارض مصر . وكان موته بعشر الف وثمانمائة وست سنين مضت من وقت الطوفان .

وقال غيره : ثم بنى مصر ايم مدينة سماها بلسه ، فجاءه رجل من بنى يافث فعزل له سورا قائما ، وصنع له درجا ، واجرى الماء الى ان بقي يصعد الى أعلى السور بحكمة انتقها ، ثم ينزل ذلك الماء من أعلى السور الى المدينة فينتفع به فيها بغير منسقة ولا كلفة ، ثم يخرج من ناحية اخرى . وكتب على السور : هذه صنعة من يسوت لا صنعة من بنوم .

وملك بعد مصر ابنه مصر ايم - ويقال له مصر - بن يعصر ، فظهره قليمون الكاهن على كنوز مصر وعلمه قراءة خطهم ، وأعلمه على حكمهم . وبنى مصر ايم المدن ، وبنى الأنهار ، وغرس الأشجار ، وبنى مدينة عظيمة سماها حرسان ، وهى العرش ، ونكح امرأة من اولاد الكهنة فولدت له ابنا سماه ققطيم ، وبنى مدينة وقودة مكان الاسكندرية .

ولما مات مصر ايم جعل له سرب طوله مائة وخسون ذراعا وسطا بالمرمر الأبيض ، وعمل في وسطه مجلس مصفح بصفائح الذهب ، وله أربعة أبواب على كل باب تمثال من ذهب على رأسه تاج من ذهب ، وهو جالس على كرسي من ذهب قوائمه من زبرجد ، وتقى في صدر كل تمثال آيات مائة . وجبوا جسده في جسد من زبرجد أخضر ، شبه تابوت ، طوله أربعون ذراعا ، دفن فيه ومعه جميع ما كان في خزائنه من ذهب وفضة وجوهر ، منها

١٥١٢ سنة ١٢٠١ هـ ، ١٠٠٠٠٠

ألف قطعة من زبرجد مخروط ، وألف تمثال من جوهر نفيس ، وألف بريئة من ذهب ملوثة درا قويا ، وألف آنية من ذهب ، وعدة سبائك من فضة .

وعمل عليه طقس مانع من الوصول اليه ، وزيروا عليه : مات مصر ايم بن يعصر بن حام ابن نوح بعد أربعين وستائة عام - وقيل بعد سبعمائة سنة - مضت من الطوفان ، ولم يعبد الأصنام ، فصار الى جنة لا هرم فيها ولا سقم ، ولا هم ولا حزن . وكتب اسم الله الأعظم عليه حتى لا يصل اليه أحد الا ملك يأتى في آخر الزمان ، يدين بسدين الملك انديان ، ويؤمن بالبعث والفرقان ، والنبي الداعي الى الايمان في آخر الزمان .

وسبقوا فوق السرب بالصخور المعظام ، وهالوا عليه الرمال حتى سدوا بين جبلين متقابلين .

ويقال كان مصر بن يعصر مع جد أبيه نوح عليه السلام في السفينة ، فلما له أن يسكنه الله الأرض الطيبة المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد ونهرها أفضل الأنهار ، ويجعل له فيها أفضل البركات ، ويسخر له الأرض ولولده ويذلها ويقيمهم عليها ، فسأله عنها فوصفها له وأخبره بها .

وكان يعصر بن حام قد كبر وضعف ، فباقه ولده مصر ايم وجميع اخوته الى مصر فنزلوها ، وبذلك سميت مصر .

وملك بعده ابنه قبطيم ، ويقال له ققط ، بن مصر ايم ، وهو أول من غسل العجائب بعد

الطوفان ، فاستخرج المعادن ، وبنى الأنهار ، وصب الأعلام والمنارات ، وعمل الطلسمات .

ويقال ان مصر ايم لما مات اختلف اولاده من بعده ، وكان ققط أصغرهم ، فاجتمعوا عند الأهرام ورضوا بأن من غلب منهم أخاه اخذ الملك . فتحارب أشوم وأثريب فغلب أثريب ، ثم تحارب صا هو وأشوم فغلب أشوم ، ثم تحارب ققط وصا فغلب ققط . فآخذ ققط الملك بعد أبيه ، وأطاعه اخوته ، وسكن مدينة منف دار مملكة أبيه ، وتزوج امرأة ولدت له أربعة اولاد هم : ققطيم وأشمون وأثريب وصا ، فتأسلوا وكثروا وعمروا البلاد .

ثم انه قسم الأرض بين اولاده الأربعة عند وفاته : فجعل لولده ققطيم من أسوان الى ققط ، وجعل لولده أشمون من مدينة ققط الى مدينة منف ، وجعل لولده أثريب الجرف كله ، وجعل لولده صا من ناحية البحيرة الى الغرب .

وجعل أمرهم الى ققطيم وأمر كل واحد منهم أن يبنى لنفسه مدينة في حيزه .

وجعل لنفسه سربا تحت الجبل الكبير وصفحه بالمرمر ، وعمل فيه منافذ للريح ، فصارت تتخرق فيه بدوى عظيم ، وأقام في السرب رؤوسا من نحاس مطلية تضيء كالبرج ليلا ونهارا .

ولما مات وضع جسده بهذا السرب في جرن من ذهب ، بعدما ألبس ثيابا منسوجة بالدر والمرجان ، وأقيم عند رأسه عمود من مرمر عليه جوهرة تضيء ، وعمل حول الجرن توابيت من حجارة ملونة حولها مصاحف

الحكمة ، ووضعت عنده أمواله وكنوزه ودخائره ، وزيروا عليه كما زيروا على أبيه .

واتقل كل من اولاده الى حيزه ، فاستقل صا بأهله وأولاده وسكن مدينة صا التى ذكرها .

ويقال كانت البليلة في أيام ققط ، وانه ألهه الله تعالى اللغة القبطية ، وانه أقام ملكا أربعمائة وثمانين سنة ، ومات فدفن بأرض الواحات ، وملك بعده أخوه أشمن بن مصر .

وقيل بل أسكن في حياته ابنه ققطيم في حيزه ، فشرع في العمارة ، وكان جبارا عظيم الخلقة ، فأثار من المعادن ما لم يشه أحد قبله ، وبنى مدينة دندرة ، وعمل في جبل ققط منارا عاليا يرى منه البحر الشرقى ، ووجد هناك معادن من الزئبق ، وعمل البركة التى سماها صيادة الطير .

وهلك عاد بالريح في آخر أيامه . وفي أيامه أثار الشياطين الأصنام التى أغرقها الطوفان فعبت .

وأقام ملكا أربعمائة وثمانين سنة ومات .

وذكر ابن عبد الحكم : بعد مصر بن يعصر ققط بن مصر ، وأن الذى ملك بعد ققط أخوه أشمن ، ثم أثريب بن مصر ، ثم صا بن مصر ، ثم ابنه تدراس بن صا ، ثم ابنه ماليق بن تدراس ، ثم ابنه حزاي بن ماليق ، ثم ابنه كلكل بن حزاي .

ويقال ان أشمن لما ملك بعد أخيه ، سار اليه شداد بن هداد بن شداد بن عاد وملك أرض مصر وهدم مبانيها ، وبنى أهراما ، ومضى الى موضع الاسكندرية فيها ، وأقام

دهرا ثم خرجت العادية من أرض مصر ، فعاد
أشمن الى ملكه ، وانه ملك بعده أخوه صا ،
ثم ملك بعد صا ابنه تفراس ، وفي أيامه بعث
الله صالحا الى ثمود .

ومات ، فملك ابنه مالىق البودسير ، وكان
من الجبارة العظام ، عمل أعمالا عظيمة ، منها
منار فوقه قبة لها أربعة أركان ، في كل ركن
كوة يخرج منها في يوم معلوم عندهم من كل
سنة دخان ملتف في ألوان شتى ، يستدلون
بكل لون على شيء : فان خرج الدخان أخضر
دل على العمارة والخصب في تلك السنة ، وان
خرج أبيض دل على الجذب وقلة الخير ، وان
خرج أحمر دل على الحروب وقصد الأعداء ،
وان خرج أصفر دل على النيران وآفات تحدث
من الملك ، وان خرج أسود دل على الأمطار
والسيول وفساد بعض الأرض ، وان خرج
مختلطا دل على كثرة الظلم وبغى الناس بعضهم
على بعض .

وعمل شجرة من نحاس تجذب سائر
الوحوش حتى تصل اليها ، فلا تستطيع الحركة
الى أن تؤخذ ، فشجع أهل مصر من لحوم
الوحوش .

واتفق أن غرابا قر عين صبي * من أولاد
الكهنة فقلعها ، فعمل شجرة من نحاس عليها
غراب منشور الجناحين ، وفي منقاره حية ،
وعلى ظهره أسطر ، فكانت الغربان تقع على
هذه الشجرة ولا تبرح حتى تموت .

وكانت الرمال قد كثرت في أيامه على أرض
مصر من ناحية الغرب ، فعمل صنما من صوان

(١٥) من ١٢٦ ج ١ ، ط ١٥٠

أسود على قاعدة منه ، وفوق كتفه قفة فيها
مسحاة ، وثقش على وجهه وصدره وذراعيه
كتابة ، وجعل وجهه الى الغرب ، فأنكشفت
الرمال ، وزجعت بها الرياح الى ورائها
وصارت تلالا عالية .

وبعث يهرمس الحكيم الى جبل القمر الذى
يخرج منه النيل ، فعمل تماثيل النحاس ،
وعدل جانبي النيل - وكان قبله يفيض في
مواضع ويتقطع في مواضع - وسار مغربا
لينظر ما وراء ذلك ، فوقع على أرض واسعة
ينخرق فيها الماء والأشجار ، فبنى فيها متزهات
وأقام بها وحول اليها عدة من أهله ، فعمروا
تلك النواحي حتى صارت أرض الغرب كلها
معمورة . ثم خالطتهم البربر ، وجرت بينهم
حروب كثيرة أفنتهم ، فخربت تلك البلاد ولم
يبق منها الا الواحات .

ثم ان البودسير احتجب عن الناس ، وصار
يبرز وجهه من مقعده في النادر ، وربما
خاطبهم من حيث لا يرونه .

وذكر أبو الحسن السمرودى في كتاب
« أخبار الزمان » أن أول من تحقق بالكهانة
وغير الدين وعبد الكواكب : البودسير .
وتزعم القبط أن الكواكب كانت تخاطبه ، وأن
له عجائب كثيرة ، منها أنه استتر عن الناس
عدة سنين من ملكه ، وكان يظهر لهم وقتا بعد
وقت مرة في كل سنة ، وهو حلول الشمس
في برج الحمل ، ويدخل الناس اليه فيخاطبهم
وهم يرونه ، فيأمرهم وينهاهم ويحذرهم
مخالفة أمره ، ثم يبيت له قبة من فضة مطلية
بذهب ، فصار يجلس في أعلاها وله وجه
عظيم ، فيخاطبهم .

فلما مات ملك بعده ابنه أرقليمون ، وكان
كاهنا ساحرا ، فعمل أعمالا عظيمة ، منها أنه
كان يجلس في السحاب فيرويه في صورة انسان
عظيم ، وأقام مدة على ذلك .

ثم انه غاب عن أهل مصر وصاروا يغير
ملك ، ثم رأوا صورة بجذاذ جرم الشمس عند
حلولها أول برج الحمل ، فأمرهم أن يقلدوا
الملك عديم بن ققطيم ، وأعلمهم أنه ما بقى
يعود اليهم .

فولوا عليهم عديم بن ققطيم ، وكان جبارا
عظيما ، وهو أول من صلب بمصر ، وذلك أن
امراة ورجلا زنيا فصلبهما ، وجعل ظهر كل
منهما لظهر الآخر .

وبنى أربع مدائن أودعها كنوزا عظيمة ،
وجعل عليها طلسمات وعدة عجائب ، وعمل
منارا على البحر الشرقى وعليه صنم الى
الشرق حتى لا يغلب البحر على أرض مصر ،
وعمل قنطرة على النيل في أرض النوبة .

وأقام ملكا مائة وأربعين سنة ، ومات
وعمره سبعمائة وثلاثون سنة .

وملك بعده ابنه شدات بن عديم - وهو
الذى تسميه العامة شداد بن عاد - وكان
عالما كاهنا ساحرا ، ويقال انه هو الذى بنى
الأهرام الدهشورية ، وعمل أعمالا عظيمة
وطلسمات عجيبة ، وبنى في الجانب الشرقى
مدائن ، وفي أيامه بنيت قوص ، وغزا الحبشة
وسباهم ، وأقام ملكا تسعين سنة .

وهو أول من اتخذ الجوارح وضاد بها ،
وولد الكلاب السلوقية ، وعمل في بركة
سيوط تماثيل منصوبة تنصب اليها التماسيح

من النيل الصبابا فيقتلها ويلقى جلودها في
النيل .

واتفق أنه طرد سيديا فكبا به فرسه في
وهدة فهلك . وكان قد غضب على بعض خدومه
فرماه من جبل عال فتقطع ، فرأى أنه يصيبه
مثل ذلك .

ولما هلك وضع في ناووس ودفنت معه
أمواله ، وعمل عليه طلسم يمنع من يقصده ،
وكتب عليه : لا ينبغي لذى القدرة أن يخرج
عن الواجب ، ولا يفعل ما لا يجوز له فعله ،
فيجازى بعمله ... هذا ناووس بن شدات بن
عديم ، فعل ما لا يحل له فعله ، فكوفى عليه
بمثله .

وملك بعده ابنه منقاوش ، وكان حكيما
فاضلا كاهنا ، عمل أعمالا عجيبة ، وبنى أشياء
معجبة ، منها أنه عمل هيكلًا لصور الكواكب
على ثمانية فراسخ من منف ، وكثر من الأموال
ما لا يحصى ، وفتح عليه من المسادن ما لم
يفتح به على غيره .

وسار في الجنوب يوما ، ثم سار مغربا
يوما وبعض آخر ، فأتته في اليوم الثالث الى
جبل أسود ، فعمل تحته أضرابا ومغائر ،
ودفن فيها أمواله ، ووزير عليها حتى انه من
كثرتها يقال انه دفن حمل اثني عشر ألف عجلة
ذهبا وجواهر .

وأقام أربع سنين يرسل في كل سنة عجلا
كثيرة يدفنها . وبقيت آثار المعجل ترى في ما
بين منف والمغرب زمانا طويلا .

وبنى هيكلًا للقمر ، ويقال انه هو الذى
بنى مدينة منف لبناته ، وكن ثلاثين بنتا . وانه

أزيم الناس بصل الكيمياء فكافوا لا يفترقون
عن صلبها ليلا ولا نهارا ، حتى اجتمع عنده
مال عظيم وجوهر كثير .

وهو الذي بنى مدينة عين شمس ، وقسم
خراج مصر أرباعا : جبل الريح للملك ، والريح
للجند ، والريح ينشق في مصالح الأرض ،
والريح الرابع يدفن لعادة تحدث .

وهو الذي قسم أرض مصر على مائة
وثلاثين كورة .

وأقام ملكا إحدى وتسعين سنة ومات .

فلما بعده ابنه عديم بن منقوش ، وكان
جبارا لا يطاق ، وفي أيامه كان لزول الملكين
الذين يملكان الناس الحر ، والقبط تزعم
أنهما زولا بأرض مصر ثم نقلا إلى بابل .

ثم ملك بعده أخوه منقوش بن منقوش ،
وكان عالما كاهنا ، فاضلا ، بنى مواضع كثيرة
في الجبال والصحارى ، وكثر فيها كنوزا
عظيمة ، وأقام عليها أعلاما ، وبنى في صحراء
الغرب مدينة ، وأقام لها منارة ، وكثر حولها
كنوزا عظيمة ، وجعل فيها شجرة تطلع كل
لون من الفاكهة ، وهو أول من عبد البقر
بمصر .

وكان يطلب الحكمة ويستخرج كتبها ،
وكذا كان كل من ملك منهم يجتهد في أن يعمل
له غربة من الأعمال لم تعمل لمن كان قبله ،
وثبت في كتبهم ، وتزبر على الحجارة .

ولما مات ملك بعده ابنه هرميس ، وكان
قليل الحكمة فلم يعمل شيئا مما عمله آباؤه ،
ومات وقد أقام إحدى عشرة سنة .

(٥) من ١٢٧ ج ١ ، ط ١٢٧

فلما بعده أشمون بن قبطيم بن مصر بن
بمصر بن حام بن نوح ، وكان حيزه من أشمون
إلى منف في الغرب ، وحيزه في الشرق إلى حد
البحر الملح مما يحاذي برقة ، وهو آخر حد
مصر ، ومن بلاد الصعيد إلى حدود أخميم ،
وكانت منزله مدينة الأشمونين ، وكان طولها
أثنى عشر ميلا في مثلها .

وبنى في شرقي النيل مدينة أنصنا ، وبنى
بها قصرا عظيما ، واتخذ بها أبنية وملاعب
وعجائب كثيرة ، وبنى مدينة طهرالميس . وهو
أول من لعب بالكرة والصولجان .

ويقال انه بنى مدنا كثيرة عمل فيها
عجائب ، منها مدينة في سفح الجبل لها أربعة
أبواب من كل ناحية بلب : فعلى الباب الشرقي
صورة عقاب ، وعلى الباب الغربي صورة
نور ، وعلى الباب الشمالي صورة أسد ، وعلى
الباب الجنوبي صورة كلب .

وفي هذه الصورة روحانيات تنطق ، فإذا
قدم غرب لا يقدر على الدخول إليها إلا بأذن
الموكلين بها ، ودفن تحت كل شكل من هذه
الأشكال الأربعة صنفا من الكنوز .

وغرس في هذه المدينة شجرة مولدة تثمر
كل لون من الفاكهة ، ونصب منارا طوله
ثمانون ذراعا ، فوقه قبة تملأ كل يوم لونا ،
حتى تضي سبعة أيام ، ثم تعود إلى اللون
الأول ، فكانت تلك المدينة تنكس من تلك
الألوان شعاعا مثل لونها .

وأجرى حول المنار ماء شقته من النيل ،
وجعل فيه سكنا من كل لون ، وأقام حول
المدينة طلسمات في هيئة أناس رؤوسها

كالقردة ، وأسكن هذه المدينة السحرة ،
وكانوا يعملون فيها أصناف السحر .

وبنى بالقرب منها مدينة عرفت بذات
العجائب ، وبنى مجالس مصفحة بزجاج ملون
في وسط النيل ، وبنى سريا تحت الأرض من
الأشمونين إلى أنصنا .

وقيل انه هو الذي بنى مدينة عين شمس ،
وانه ملك ثمانمائة سنة ، وإن قوم عاد انتزعوا
منه الملك بعد مائة سنة ، وأقاموا بمصر
تسعين سنة ، فأصابهم وباء خرجوا منه إلى
المدينة بطريق الحجاز إلى وادي القرى ، فعاد
أشمون بعد خروج العادية إلى ملك مصر .

وهو أول من عمل النوروز بمصر ، وفي
زمانه بنيت مدينة البهنسا .

ولما مات جعل له ناووس في آخر حد
الأشمونين ، ودفن فيه ومعه كنوزه العظيمة
وعجائبه الكثيرة ، منها ألف برية من العقاقير
المدبرة لفنون الأعمال ، وزيروا على ناووسه
اسمه ونسبه ، وجعل عليه طلسم يمنع من
يقتصده .

وملك بعده ابنه صا ، ثم بعد صا ابنه
تدراس .

وقيل ملك مناقوش ، وكان شجاعا فاضلا ،
فاستأنف العمارة ، وبنى القرى ، ونصب
الأعلام ، وعمل العجائب الهائلة ، وبنى مدائن
منها مدينة أخميم ، وحول الكهنة إليها

وأقام ملكا ثيفا وأربعين سنة ، ومات فدفن
في الهرم الشرقي ومعه كنوزه .

وملك بعده ابنه ، وقد اختلف في اسمه ،
وكان فاضلا حازما معظما عند أهل مصر . وهو

أول من عمل المارستان ، وأول من عمل الميدان
للرياضة ، وفي أيامه بنيت مدينة سنترية في
صحراء الواحات . ثم إن نساء نفايرن عليه ،
فقتلته أحداهن بسكين ، فدفن في ناووس
ومعه أمواله ، وعمل عليه طلسم يحفظه .

وملك بعده ابنه مرقورة ، وكان حكيما
كاهنا ، وهو أول من ذل السباع وركبها ،
وبنى المدن ، وعمر الهياكل ، وأقام الأصنام .

ولما مات جعل له ناووس في صحراء
الغرب ، ودفن معه ماله .

وملك بعده ابنه بلاطس ، وكان صيا ،
فديرت أمه أمر الملك ، وكانت حازمة فأجرت
الأمر على أحسن ما يكون ، وأظهرت
العدل ، ووضعت عن الناس الخراج فأحبوها .
ولما كبر ابنها أحب الصيد ، فصلت له أمه
أعمالا عجبية . وأقام ملكا ثلاث عشرة سنة
وجدر فمات ، وانتقل الملك إلى أعماه .

فلما بعده أنرب بن قبطيم بن مصرام ،
وهو الثالث عشر من ملوك مصر بعد
الطوفان ، وهو الذي بنى مدينة أنرب ،
وعاش خمسمائة سنة ، منها مدة ملكه ثلثمائة
وستون سنة .

ويقال إن النيل وقف في أيام أنرب مائة
وأربعين سنة ، حتى أكلت البهائم بأرض مصر
ولم يبق بها بهيمة ، ورؤى أنرب ماشيا وهو
يسط يديه ويتبعضها من الجوع ، ومات
عامة أهل مصر جوعا ، ثم أغثوا بعد ذلك
وكثر الرخاء ، ودام مدة مائتي سنة ، وبيع
كل أردب بدائق وأقل .

ولما مات اتهم أخوه صا بقتله ، وحاربه أهل مصر لحد سنين وقتلوه .

فلما مات بعده ابنته تدورة ، وكانت كاهنة ساحرة ، فاست الملك أحسن سياحة ودير الملك أجود تدير ، وعملت طلسمات عجيبة ، منها طلسم منع الوحش والطيور أن يشرب من النيل حتى مات أكثرها عطشا ، ووقعت في زمانها ضيحة ارتجت لها الأرض فهلك .

وملك بعدها أخوها قليسون بن أثريب ، وكان حكيما فاضلا ، فبنى البنيان وصل الطلسمات . وفي أيامه بنيت مدينة تيس الأولى ، وبنيت مدينة دمياط . وأقام ملكا تسعين سنة ومات قدفن في لاووس .

وملك بعده ابنه فرسون ، وكان فاضلا كاهنا ، بنى المدائن ، وجدد الهياكل . وكان حدثا ، فقصد بعض ملوك حير في جسوع عظيمة ، فخرج اليهم ، ولقيه بمدينة ايليا وفاتله قتالا شديدا حتى تقاضى من الفريقين معظمهما ، وأظهر المصريون أشياء من سحرهم فانهزم الحيري في طائفة يسيرة ، وقتل فرسون عامة أصحابه وأخذ ما كان معهم ، وعاد مظفرا الى مدينة منف .

وعمل منارا على بحر القلزم في رأسه مرآة تجذب المراكب الى الساحل حتى يؤخذ منها ما هو مقرر عليها من المال .

وأقام ملكا مائتي سنة وستين سنة ، ومات قدفن في لاووس خلف الجبل الأسود الشرقي ، وعمل فيه قبة تحتوي على اثني عشر بيتا ، في

(٥) ص ١٢٨ ج ١ ، ط. بولاق .

كل بيت أعجوبة ، ودفن معه ماله ، وعمل عليه طلسم يحفظه .

وملك بعده نحو أربعة ، وصار الملك الى صا بن قبطيم ، وكان أصغر ولد أبيه وأحبهم اليه .

ولما مات ملك بعده نولية الكاهنة ، وكانت ساحرة ، فكانت تجلس على سرير من قار ، فاذا تحاكم اليها أحد وكان صادقا شق تلك النار من غير أن تضره ، وإن كان كاذبا أخذته تلك النار ، وكانت تصور كل يوم في صور كثيرة الأشكال .

ثم بنت قصرا واحتجبت فيه ، وجعلت في سوره الأيب من لحاس مجوفة ، وكتبت على كل أبواب فنا من الفنون التي يتحاكم الناس بها اليها ، فكان من أتاها في محاكمة وقف عند الأبواب الذي فيه محاكمته ، وتكلم بما يريد ، وسأل عنه بصوت خفي ، فاذا فرغ جعل أذنه في الأبواب فيأتيه منه جواب ما سأل . ولم يزل هذا القصر والأنايب حتى أكلته بخت نصر .

وملك بعدها مرقونس ، وكان فاضلا حكيما ، وكانت أمه بنت ملك النوبة ، فعملت عجائب ، وصنع في أيامه كل غريبة . وملك ثلاثا وسبعين سنة ، ومات وعمره مائتان وأربعون سنة .

فلما مات بعده ابنه إيساد ، وهو ابن خمس وأربعين سنة ، وكان جبارا طامح العين ، فاتتري امرأة أبيه ، وانكشف أمره معها ، وكان أكبر همه اللهو واللعب ، فجمع كل ملة في

ملكته ، ورفض العلوم ، وأهل أمر الهياكل والكهنة ، وترك النظر في أحوال الناس ، وبنى قصورا على النيل ليتزده فيها ، وأتلف أكثر الأموال في اللعب .

فكرهه الناس وكرههم ، الى أن سموه فمات عن مائة وعشرين سنة .

وملك بعده ابنه صا ، ويقال إن صا هو ابن مرقونس ، وهو أخو إيساد . ولما ملك سكن منف ، ووعد الناس بخير ، وملك الأحياز كلها ، وعمل بها عجائب وطلسمات ، ورد الكهنة الى مراتبهم ، ونفى الملهين وأهل الشر ، ونصب العقاب الذي عمله أبوه وشرف هيكله ودعا اليه ، وبنى بداخل الواحات مدينة ، ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة ، وجعل على الأطراف أصحاب أخبار يرفعون اليه ما يجري في حدودهم ، وعمل على حافتي النيل منابر يوقد عليهم إذا حزبه أمر أو قصدهم أحد ، وجعل بحافتي بحر الملح منارا يعلم به أمر البحر .

ويقال انه بنى أكثر مدينة منف وكل بنيان عظيم بالاسكندرية .

وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء ونظر في النجوم ، وكان بها حادثا ، فرأى أن مصر لا بد أن تفرق من نيلها ، وانها تخرب على يد رجل يأتي من ناحية الشام ، فجمع كل قافل مصر ، وبنى مدينة في الواح الأقصى .

وقصد ملك الافرنجة وملك منه مدينة منف ، وقدم معه ألف مركب ، وهدم أكثر الاسكندرية ، ودخل الى النيل من رشيد حتى أخذ منف ، وفر منه صا الى المدائن الداخلة ، ونحصر بها من عدوه ، فامتعت بالطلسمات

أياما كثيرة ، ثم كانت العاقبة له ، وعاد عدوه منهزما ، ورجع الى منف فتبع الكهنة ، وقتل منهم كثيرا .

وأقام ملكا سبعا وستين سنة ، وعاش مائة وسبعين سنة .

وملك ابنه تدراس ، واستولى على الأحياز كلها ، وصفا له الوقت ، وملك مصر ، وكان محشكا مجريا ذا أيد وقوة ومعرفة بالأمور ، فأظهر العدل ، وأقام الهياكل وأهلها قيساما حسنا ، وبنى بيتا للزهرة ، وحفر خليج سخا .

وحارب بعض عمالقة الشام ، ودخل الى فلسطين ، وقتل بها خلقا وسبى بعض أهلها الى مصر ، وغزا السودان من الزنج والحشة ، ووجه في النيل بثلاثمائة سفينة فلقى السودان — وكانوا زهاء ألف ألف — فهزمهم وقتل أكثرهم ، وأسر منهم خلقا كثيرا ، وساق القيلة والتمور الى مصر .

وعمل على حدود بلده منارات زير عليها اسمه وميره وظفروه .

وفي أيامه بعث الله اليه صالحا الى ثمود . ويقال انه هو الذي أنزل النوبة حيث هي ، وذلك انه لما أوغل في أرض الحشة وقتل أمم السودان ، وجد فيهم أمة تقرأ صحف آدم ونيث وادريس ، فمن عليها وأزلاها على نحو من شهر من أرض مصر ، فسماوا النوبة ... ومات بمنف .

فلما مات بعده ابنه مالمق ، وكان عاقلا كريما حسن الصورة مجريا ، مخالفا لأبيه وأهل مصر في عبادة الكواكب والبقر .

ونقال انه كان موحدًا على دين اجداده .
قبطيم ومصرام ، وكانت القبط تدمه لذلك .

وامر الناس باتخاذ كل قاره من الحيل ،
واقنى السلاح ، واكثر الاسفار ، وانشا في
بحر المغرب مائتي سفينة ، وخرج في جيش
عظيم في البر والبحر ، وأتى البربر فهزمهم
واستأصل أكثرهم .

وبلغ أفريقية ، وسار الى الأندلس يريد
الأفريقية ، فلم ير بامة الا أبادها . فحشد
له ملك الأفريقية وحاربه شهرا ، ثم طلب
صلحه وأهدى اليه ، فسار عنه ودوخ الأمم
المتصلة بالبحر الأخضر .

والقبط تذكر انه رأى سبعين أعجوبة ،
وعمل أعمالا على البحر وزير عليها اسمه
وسيره ، وخرّب مدن البربر ، ورجع فلقاه
أهل مصر بأصناف الرياحين وأنواع اللهب ،
وفرشت له الطرقات . فهابه الملوك وحلوا اليه
الهدايا .

وما زال موحدًا حتى مات .

فلما بعده ابنه حزابا ، وكان لينا سهل
الخلق ، قد عرفه أبوه التوحيد ونهاه عن عبادة
الأصنام ، فرجع عن ذلك بعده الى دين
قومه .

وغزا الهند والسودان بعد ما عمل مائة
سفينة على شكل سفن الهند ، وتجهز وحمل
معه امراته ووجوه أصحابه ، واستخلف ابنه
كللكي على مصر — وكان صيبا — وجعل معه
وزيرا كاهنا . فمر على ساحل اليمن وعاث في
مدائنه ، وبلغ سرقيديب وأوقع بأهلها ، وبلغ

(١٠) ص ١٢ ج ١ ، ط. بولاق .

جزيرة بين الهند والصين فأذن له أهلها ،
وتنقل في تلك الجزائر سنين .

فيقال انه أقام في سفره سبع عشرة سنة
ورجع غانما ، فهابه الملوك . وبنى عدة هياكل
وأقام بها الأصنام للكواكب . ثم غزا نواحي
الشام فأطاعه أهله ، ورجع فغزا النوبة
والسودان ، وضرب عليهم خراجا يحملونه
اليه ، ورفع أقدار الكهنة ومصاحفهم . وكان
يرى أن هذا الظفر بمعونة الكواكب له .

ومات وقد ملك خمسا وسبعين سنة .

فقام ابنه كللكي ، وعقد له بالاسكندرية
فأقام بها شهرا ، ثم قدم الى منف . وكان
أصناميا ، فمر به أهل مصر ، وكان يحب
الحكمة واضهار المجائب ، ويقرب أهلها
ويجيزهم ، وعمل الكيمياء ، وخزن أموالا
عظيمة بصحارى العرب .

وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر ،
وكان عليها مكتوما ، وكان من تقدمه من
الملوك أمروا بترك صنعتها ، فعملها كللكي
وملا دور الحكمة منها حتى لم يكن الذهب
في زمن بمصر أكثر منه في وقته ، ولا الخراج ،
لأنه كان مائة ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف
مثقال ، فاستغنوا عن إثارة المعادن .

وعمل أيضا من الحجارة الملونة التي تشف
شيئا كثيرا ، وعمل من الفيروزج وغيره أشياء
واخترع أمورا تخرج عن حد العقل حتى سمي
حكيم الملوك ، وغلب جميع الكهنة في علومهم ،
وكان يخبرهم بما يغيب عنهم .

وكان نمرود ابراهيم عليه السلام في وقته ،
فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره فاستزاره .

وكان النمرود جبارا مشوه الخلق ، يسكن
السواد من العراق ، وآتاه الله قوة وقدرة
وبطشا فغلب على كثير من الأمم .

فتقول القبط ان النمرود لما استزار
كللكي ، وجه اليه أن يلقاه بموضع كذا ،
فسار الى الموضع على أربعة أفراس تحمله
ذوات أجنحة ، وقد أحاط به نور كالنار ،
وحوله صورة هائلة وقد خيل بها ، وهو
متوشح بشعبان متحزم ببعضه ، وقد فغر فاه ،
وهو يضربه بقضيب آس .

فلما رآه النمرود هاله ، وأفر له بجليل
الحكمة ، وسأله أن يكون ظهيرا له .

ويقال انه كان يرتفع ويجلس على الهرم
الغربي في قبة تلوح على رأسه ، فاذا دهم
أهل البلد أمر اجتمعوا حول الهرم ، فيقيم
أياما لا يأكل ولا يشرب .

ثم استمر مدة حتى توهّموا انه هلك ،
فطمع فيه الملوك وفصدوا ملك من الغرب في
جيش عظيم حتى قدم وادى هيب ، فأقبل
حتى جلّهم من سحره بشيء كالغمام شديد
الحر ، فأقاموا تحته أياما متحيزين ، ثم طار
الى مصر وأمرهم بالخروج الى الجيش ،
فوجدوهم قد ماتوا هم ودوابهم ... فهابه
الكهنة مهابة لم يهابوها أحدا قبله .

وعمر طويلا ، وغاب فلم يعلم خبره .

وقال ابن عبد الحكم : ان كللكي بن حزابا
ملكهم نحو مائة سنة ، ثم مات ولا ولد له ،
فلما أخوه ماليا بن حزابا .

قال ابن وصيف شاه : وقام أخوه ماليا ،
وكان شرها كثير الأكل والشرب ، منفردا

بالرفاهية ، غير ناظر في شيء من الحكمة ،
وجعل أمر البلد الى وزيره ، واشتغل بالنساء ،
وكان له من النساء ثمانون امرأة ، فهجم عليه
ابنه طوطيس ، وهو سكران ، فقتله ، وقتل
امرأة كانت عنده .

وملك بعده ابنه طوطيس . ويقال انه عمرو
ابن امرئ القيس بن بابليون بن حير بن سبا
ابن يشجب بن يعرب بن قحطان — ويقال
الوليد بن الريان — وانه أحد فراغة مصر من
ولد دان بن قهلوج بن امرأز بن آشود بن
سام بن نوح ... وقيل فراغة مصر من ولد
عساق الأول ابن لاود بن سام بن نوح .

وكان جبارا جريئا شديد البأس مهيا .
والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر ، وهو
فرعون ابراهيم عليه السلام ، ويقال ان
الفراغة سبعة هو أولهم .

وحفر نهرا في شرقي مصر بسفح الجبل ،
حتى يتهى الى مرفأ السفن في البحر الملح ،
وكان يحل الى هاجر — أم اساعيل التي
أعطاه ابراهيم عليه السلام — العنطة
وأصناف الغلات ، فتصل الى جدة ، فأحصى
بلد الحجاز مدة .

ويقال ان كل ما حليت به الكعبة في ذلك
العصر مما أهداه ملك مصر ، ولكثرة ما حمل
الى الحجاز سته العرب من جرهم .
الصادوق .

وفي كتاب هرويش ان سلطان المصريين في
زمن ابراهيم الخليل عليه السلام كان بأيدي

(١١) ص ١٤ ج ١ ، ط. بولاق .

فرعون يعقوب بنى قايين بن حارثي ، ودام
حكمهم مئتي سنة وعشرين سنة .

وقال ابن اسحاق بن بطيم : ان قراعت
مصر من ولد فان بن قلعوج بن امراز بن
قشود بن سام بن نوح .

قال : والمشهور اقم من السالقي ، سم
الريان بن الوليد (ويقال الوليد بن الراف)
فرعون يوسف ، والوليد بن مصعب فرعون
سوم ، ومنهم سنان بن طوان .

قال ابن وصيف شاه : وانما قيل له فرعون
لان اكثر القتل ، ولم يردق غير ابنة ، وكانت
عاقلة ، فغارت لكثرة قتله الناس ، فقتلت
بسم ، وله في الملك مائة وسبعون سنة .

وملكت بعده جورباق ، فوعدت الناس
بالاحسان ، وجمعت الاموال ، وقدمت الكهنة
واهل الحكمة ورؤساء السحرة ، ووعدت
اقدارهم ، وجعلت الهياكل .

وحمل من لم يرشها الى مذبحة اترب ،
وملكوا رجلا من ولد اترب ، وقد تقوى خبره
في الاسكندرية .

وجورباق اول امرأة ملكت مصر من ولد
نوح عليه السلام ، وماتت .

فلما ماتت ابنة عما زلقى بنت مامون ،
وكانت عذراء عاقلة ، فوعدت الناس بالجميل .
وقام عليها امين الارمن ، واستمر بملك
الصالقة ، ليس به قائدا ، فخرجت اليه
جند فقتلوا بالمرش وقتلوا حتى قتل منهم
من الناس ، ثم الهزم اسبابه ولقى الى
وهم في اقصيتهم .

فخرجت زليخا بن السعيد ، ولزمت
الافرنج ، فكانت ابنة وديع صاكر الصالقة
حروب امروا لها ، وخرجوا من صف بمد
ما حاربوا لها ، وولوا الى العرب فاستمروا
بها ، وجارت مصر بغير حيلة .

ثم ان زليخا عرفت العرب ، فاستمرت ثلاثة
السنين حتى الهمد الى قوسل وادمن خلقتا ،
فلما اقبلت ابنة طوطس من مصر فملك .

وقال ابن خلدون : ثم توفي طوطس بن
ماليا ، فاستقلت ابنة جورباق ابنة طوطس ،
ولم يكن له ولد غيرها ، ثم توفيت جورباق ،
فاستقلت ابنة حارثي ابنة مامون بن
ماليا ، فسميت ممر حارثي .

وكررنا ولنا ، وولوا ارض مصر كلها ،
فلما ماتت فيهم السالك ، فقام الوليد بن
دومج فقامهم قسلا عظيما ، ثم ولوا ان
يملكوه عليهم ، فملكهم مئتي سنة ،
فطفي وتكبر واظهر الناس ، فملك الله عليه
نبيا فافترت واكل لحمه .

والذي ملك مصر من القراعت حصة .
وملك ابن وديع ، وتسلطت على
حارثي .

وكان الوليد بن دومج السليبي قد خرج
في جيش كبير ، فمات غلاما يقال له فرعون
الى مصر ففتحها ، ثم قام على صاحب اهل
مصر وانشأ اموالهم ، ثم خرج من مصر على صاحب
البل قراي جبل القربى وولاهم في ارض ارمين
سنة وخرج الى مصر ، وقد خلفه فرعون وفر
منه ، فاستبد اهل مصر وملكهم مائة وعشرين
سنة حتى ملك .

وملك ابنه الريان بن الوليد بن دومج ، احد
الصالقة ، وكان اقوى اهل الارض في زمانه
واعظمهم ملكا .

والصالقة ولد علق بن لاود بن سام بن
نوح ، وهو فرعون يوسف عليه السلام ،
والقبط سمى لمرأوش .

وقيل فرعون يوسف اسمه الريان بن الوليد
ابن ليث بن قاروان بن عمرو بن علق بن بلقيع
ابن حابر بن اشليخا بن لود بن سام بن نوح .

وقيل فرعون يوسف هو جد فرعون موسى
ابو آية ، واسمه برخو ، وكان عظيم الخلق
جميل الوجه عاقلا ، فوعد الناس بالجميل ،
واسقط عنهم الخراج ثلاث سنين ، وفرق المال
فيهم .

وملك رجلا من اهل يته يقال له اطفين ،
وهو الذي يقال له العزيز ، وكان عاقلا اديبا
مستتملا للعدل والعمارة ، فامر ان ينصب له
سرير من فضة في قصر الملك يجلس عليه ،
ويخرج وجميع الكتاب والوزراء بين يديه ،
فكفى لمرأوش ما خلف ستره ، وقام بجميع
اموره ، وخلاه للذاته . فاقام على قصفه مدة
في البلد عامر - فقصد رجل من الصالقة ،
وسار الى مصر في جيوشه ، فخرج اليه وقاتله
وهزمه وسار خلفه ، ودخل الشام وعاث
هنالك ... فهابته الملوك ولامقته .

وقيل انه بلغ الموصل ، وضرب على اهل
الشام خراجا . وخرج لفرز بلاد المغرب في
تسمائة الف ، ومر بأرض البربر وجلا كثيرا
منهم ، ومر الى البحر الاخضر ، وسار الى
الجنوب فقدم النوبة ، وعاد الى مدينة منف .

وكان من خبر يوسف معه ما ذكر عند ذكر
اليوم .

وملك بعده ابنه دريسوش ، ويقال له دارم
ابن الريان ، وهو الفرعون الرابع ، فخالف
سنة آية ، وكان يوسف خليفته فيقبل منه
تارة ويخالفه تارة ، وظهر في ايامه معدن فضة
فانار منه شيئا عظيما .

وفي ايامه مات يوسف عليه السلام ،
فاستوزر بعده رجلا حمله على اذى الناس
واخذ اموالهم ، فبلغ ذلك منهم مبلغا عظيما .
ثم زاد في التجري حتى اقتلع كل امرأة جميلة
بمدينة منف من اهلها ، فكان لا يسمع بامرأة
حسنة في موضع الا وجه اليها فحملت اليه .

فاضطرب الناس ، وشغبوا عليه ، وعطلوا
الصنائع والاعمال والأسواق ، فعدا عليهم
وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وزاد الامر حتى
اجتمعوا على خله ، فبرز لهم واسقط عنهم
خراج ثلاث سنين ، واتفق فيهم مالا ...
فسكتوا .

وفي ايامه ثار القبط على بني اسرائيل ،
وطلبوا من الوزير ان يخرجهم من مصر ،
فما زال بهم حتى أسكوا .

وبلغ الملك ذلك ، وكان قد خرج الى
الصعيد ، فتوعد اهل مصر ، فشغبوا عليه
وحشدوا له ، فحاربوه فقتل منهم خلقا كثيرا ،
وظفر بين بقي فقتلهم وسلمهم على حافتي
النيل ، وعاد الى اعظم ما كان عليه من اخذ
الاموال والنساء واستخدام اشرف القبط
وبني اسرائيل ، فاجمع الكل على قتله ، فركب

(هـ) من ١٤١١ ج ١ ، ط ١٤١١

النيل للزهوة وثار به ريح عاصف ففرق ، فلم يوجد الا ناحية شطوف ، وقبل فيما بين طرا وحلوان

فقدم الوزير ابنه معاويوس - وكان صيا ، ويقال له معدان - فاستقط عن الناس ما استقطه أبوه من الخراج ، ووعد بالاحسان فاستقام له الأمر ، ورد نساء الناس . وهو خامس الفراغة .

وحدث في زمانه طوفان مصر ، وكثر بنو اسرائيل وغابوا الأصنام ، فأفردوا ناحية عن البلد بحيث لا يختلط بهم غيرهم ، وأقطعوا موصفا في قبلى منف فاجتمعوا فيه وبنوا فيه معبدا .

وغلب بعض الكنعانيين على الشام ، ومنع من الضريبة التي كانت على أهل الشام لملك مصر ، فاجتمع الناس الى معدان ، وحثوه على السير لحريه ، فامتنع عن السير ولزم الهيكل .

فزعوا أنه قام في هيكل زحل للعبادة ، فتجلى له زحل وخاطبه وقال له : قد جعلتك ربا على أهل بلدك ، وحبوتك بالقدرة عليهم وعلى غيرهم ، وسأرفعك الى فلا تخل من ذكرى .

فعظم عند نفسه وتجبر ، وأمر الناس أن يسوه ربا ، وترفع عن أن ينظر في شيء من أمر الملك ، وجعل عليه ابنه اكاسم .

فقام ابنه اكاسم في الملك - ويقال كاسم ابن معدان - فرتب الناس مراتب ، وقسم الكور والأعمال ، وأمر باستتباط العمارات واطهار الصناعات ، ووضع على الناس في

أرزاقهم ، وأمر بتنظيف الهياكل وتجديد لباسها وأوانيها ، وزاد في الترابين .

وهو الذي يقال له كاشم بن معدان بن دارم بن الريان بن الوليد بن دومع الصليقي ، وهو سادس الفراغة ، وسوا فراغة بفرعان الأول ، فصار اسما لكل من تجبر وعلا أمره .

فقال ملكه ، وأقام أعلاما كثيرة حول منف ، وعمل مدنا كثيرة ومساير للوقودات وملسات ، وأقام سبع سنين بأجل أمر .

فلما مات وزير أبيه استخلف رجلا من أهل بيت الملكة يقال له ظلما بن قومس . وكان شجاعا ساحرا كاهنا كاتبا حكيما متصرفا في كل فن ، وكانت نفسه تنازعه الملك ، فأصلح أمر الملك ، وبنى مدنا من الجانبين . ورأى في نجومه أنه سيكون حدث قسنى بناحية رقودة والصعيد ملاعب ومصانع

وشكا اليه القبط من الاسرائيليين ، فقال : هم عبيدكم فاذلوهم من حينئذ . وخرج الى ناحية البربر فمات وقتل وسبى .

وفي أيامه بنيت منارة الاسكندرية ، وهاج البحر الملح ففرق كثيرا من القرى والجنان والمصانع

ومات اكاسم ، وكان ملكه احدى وثلاثين سنة ، منها احدى عشرة سنة تدبر أمره ظلما .

فلما مات اضطرب الناس واتهموا ظلما أنه سبه . فقام وولى لاطيس بن اكاسم ، وكان جريئا معجبا صلفا ، فأمر ونهى ، وألزم الناس أعمالهم ، وقال : أنا مستقيم ما استقيمتم ، وإن ملتم عن الواجب ملت عنكم . وحظ جماعة عن مراتبهم ، وصرف ظلما عن خلافته ،

واستخلف غيره ، وأتخذ ظلما الى الصعيد في جماعة من الاسرائيليين ، وجدد بناء الهياكل ، وبنى القرى ، وأثار معادن كثيرة ، وكثر في صحراء الشرق صدة كنوز ، وكان يحب الحكمة .

ثم تجبر وعلا أمره وأمر ألا يجلس أحد في مجلسه ولا في قصر الملك لا كاهن ولا غيره ، بل يقومون على أرجلهم حتى يسوا . وزاد في أذى الناس والعنف بهم ، ومنع فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت ، وجمع أموالهم ، وطلب النساء واتزع كثيرا منهن ، وفعل أكثر مما فعله من تقدم قبله ، واستعبد بنى اسرائيل ، وقتل جماعة من الكهنة ، فأبغضه الخاص والعام .

وثار ظلما بالصعيد وكاتب وجوه الناس ، فكتب لاطيس بصرفه عن العمل ، فامتنع وحارب عساكره ، وزحف حتى دخل منف .

ظلما بن قومس فرعون موسى ، يقال ان اسمه الوليد بن مصعب بن أراهون بن الهلوت ابن قاران بن عمرو بن عليق بن بلقع بن عابر ابن اشليخا بن لود بن سام بن نوح ، وأنه من الغالقة . وكان قصيرا ، طويل اللحية ، أشهل العين اليمنى ، صغير العين اليسرى ، أعرج . وزعم قوم أنه من القبط ، وأن نسبه ونسب أهل بيته مشهور عندهم . وقيل غير ذلك .

وكان من خبره ما ذكرنا في كنيسة دمويه .

وقال ابن عبد الحكم : ولما أغرق الله فرعون بقيت مصر بعد غرقه لينس فيها من أشراف أهلها أحد ، ولم يبق الا الصبيد والأجراء والنساء ، فأعظم أشراف من بصر من النساء

أن يولين منهم أحدا ، واجمع رأيهم أن يولين امرأة يقال لها دلوكة

فلكت دلوكة ابنة زبا ، ويسال دلوكة بب قاران - وكان لها عقل وتجارب ومعرفة ، وكانت في شرف منهن ، وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة - فبنت جدارا حصنت به مصر من الأعداء ، وكان من حد زنج الى أفريقية الى الواحات الى بلد النوبة ، على كل موضع منه حرس قيام ليلهم ونهارهم ، يقدون النار وقودا لا يطفأ أبدا ، أحاطت به على جميع أرض مصر كلها . في ستة أشهر ، وهو حائط المعجوز .

وفي أيامها بنت تدورة الساحرة البرابى في وسط منف .

فلكتهم دلوكة عشرين سنة ، حتى بلغ صبي من أبناء أكابريهم يقال له دركون بن بلاطس . ثم مات واستخلف ابنه تودست ، ثم توفي تودست بن دركون ، فاستخلف أدقاش ، فلم يملك الا ثلاث سنين حتى مات ، فاستخلف أخوه مرنا بن مريئوس .

ثم توفي فاستخلف استادس بن مرنا ، فطغى وتكبر وسفك الدم وأظهر الفاحشة ، فخلعوه وقتلوه ، وبأيعوا رجلا من أشرافهم يقال له بلطوس بن ميناكيل ، فملكهم أربعين سنة . ثم توفي فقام ابنه مالوس .

ثم توفي مالوس فاستخلف أخوه ميناكيل ابن بلطوس بن ميناكيل ، فملكهم زمانا .

ثم توفي واستخلف ابنه نولة ابن ميناكيل ، فملكهم مائة وعشرين سنة .

وهو الأعرج الذي سبى ملك بيت المقدس
وقدم به الى مصر ، وكان قد تسكن وطني
وبلغ مبلغا لم يبلغه أحد من قبله بعد
فرعون ، فصرته دابته فمات

وقيل له الأعرج لانه لما غزا اهل بيت المقدس
وهبهم وسبى ملكهم يوشيا بن امون بن منشا
ابن حزقيا ، هم أن يصعد على كرسي بى الله
سليمان بن داود — وكان بلوب لا يمكن أحدا
أن يصعد عليه الا برجليه جميعا — فصعد
برجل واحدة ، وهى اليمنى ، فدار اللوب
على ساقه الأخرى فاندقت ، فلم يزل يحس
بها الى أن مات ، فلذلك سبى الأعرج

فاستخلف مريوس بن بولة ، فملكهم زماتا
ثم توفى واستخلف ابنه برفورة فملكهم
ستين سنة ثم توفى واستخلف أخوه تقاس بن
مريوس ، وأصدم البريا في رمته فلم يقدر أحد
على إصلاحه ثم توفى تقاس واستخلف ابنه
قوميئ بن تقاس فملكهم دهرا وحاربه
بخت مصر وقتله ، وخرب مدينة منف وغيرها
من المدائن ، وسبى اهل مصر ولم ترك بها
أحدا حتى بقيت أرض مصر أربعين سنة خرابا
ليس فيها ساكن

وذكر في ترجمة كتاب هرويش الأندلسي ،
في وصف الدول والحروب ، أن فيما بين غرق
فرعون موسى الى مائة وسبع سنين كان مصر
ملك سبى بوشردس ، كان يقتل الغرباء
والأضياف ، ويذبحهم لأوثانه ، ويجعل
دماءهم قربانا لها

وأن بعد غرق فرعون الى ثلاثمائة وثمانين
وعشرين سنة كان بمصر ملك يسمى بروه ،

وكان عظيم المملكة قوى السلطان أخذ بالحرب
أكثر نواحي الجنوب برا وبحرا .
وهو أول من حارب الروم الذين قبل هم
بعد ذلك الفوط . وكان قد أرسل اليهم
يدعوهم الى طاعته ويخوفهم حربه ، فاجابوه
ليس من الرأي المحمود للملك الفنى محاربة
قوم فقراء لكثرة نوازل الحروب واختلاف
حوادثها بالقتل والهلاك ، وأنا لا نتظر
مجيئك ، بل نسرع لعازتك .

واتبعوا قولهم عملا ، وخرج فرعون اليهم
فخرجوا سرعين اليه ، وهزموا جيوشه وهبوا
عساكره وأمواله وعنده وجميع ذخائره ،
ومضوا هبوا أرض مصر حتى كادوا يغلبون
عليها لولا وحول عرضت لهم منعهم مما
خلفها ثم انصرفوا الى بلاد الشام بحروب
متصلة حتى أدلوا أهلها وجعلوهم يؤدور ايهم
المغارم

واقاموا محاربين لمن خالفهم في عزوتهم
خمس عشرة سنة ، ولم ينصرفوا الى بلادهم
حتى أتتهم من سائهم من بقلن لهم : أما أن
تنصرفوا ، وأما أن تحبذ الأزواج ونطلب
النسل من عند المجاورين لنا فعند ذلك
انصرفوا الى بلادهم وقد امتلأ أيديهم موالا
وأوقارا جمعة ، وقد خلفوا وراءهم ذكرا
منزعا

ويقال أن ملوك مدن ملكهم مصر خمسة مائة
عام بعد غرق فرعون وهلاك دلوكة حتى
أخرجهم منها بى الله سليمان بن داود ، فعاد
الملك بعدهم الى القبط وأن جالوت بن
جالوت ، لما قتله داود . سار انه جالو . بن
جالوت الى مصر وبها ملوك مدين ، فانزله

ملك مصر بالجانب الغربى ، فأقام بها مدة ثم
سار الى بلاد الغرب

ويقال أن القبط ملكوا مصر بعد دلوكة
وابتها مدة مائة سنة وعشرين سنة ،
وعدتهم سبعة وعشرون ملكا هم :

ديوبسوليما ، ومدته ثمان وسبعون سنة ،
وقيل ثمان وثمانون سنة .

ثم ملك بعده سنانادوس ستا وعشرين
سنة .

وقام بعده سوماناس مدة مائة سنة .

ثم ملك مفخراس أربع سنين .

ثم ملك أماناقوناس تسع سنين .

ثم أسخوريس ست سنين .

ثم فسيناخص تسع سنين

ثم فسوسانس خسا وثلاثين سنة .

ثم ملك سوناخوسيس احدى وعشرين
سنة .

ثم ملك أساليون خمس عشرة سنة .

ثم طافالونيس ثلاث عشرة سنة .

ثم نطافاناسطلس خسا وعشرين سنة .

ثم أساراتون تسع سنين .

ثم ملك فسامرس عشر سنين .

ثم أوفائينواس أربعين وأربعين سنة .

ثم ماياقور ثنتى عشرة سنة .

ثم سخس الحبشى ثنتى عشرة سنة .

ثم طراحوش الحبشى عشرين سنة .

ثم امراس الحبشى ثنتى عشرة سنة .

ثم استطافينياس سبع سنين .

ثم باخناسوس ست سنين .

ثم ياخو ثمان سنين

ثم فسامامطيقوش أربعين وأربعين سنة .

ثم بخنوقا ست سنين .

ثم فسامرتاس سبع عشرة سنة .

ثم وافرئ خسا وعشرين سنة .

ثم أماسلس اثنتين وأربعين سنة .

وملك بعد هؤلاء . مصر خمسة ملوك من

ملوك بابل ، وهم : أمرطيوش ست سنين ، ثم

مافرطاس سبع سنين ، ثم أوخرس اثنتى عشرة

سنة ، ثم فساموت مدة ستين ، ثم ملك

موتاطوس سبع سنين .

ثم ملك ثلاثة ملوك من أنور ، وهم الجرامقة

الذين ملكوا الموصل والجزيرة ، وهم :

نافاطانيوش ثلاث عشرة سنة ، ثم طوس سبع

سنين ، ثم نافاطانياس ثمان عشرة سنة .

ثم انتقل ملك مصر منهم الى الاسكندر بن

فيلس اليونانى .

وهذه أسماء رومية ، ولعلها أو بعضها

متداخل فيما تقدم ذكره من ملك بعد

دلوكة .

وبين بخت نصر وبين الطوفان ألفا سنة

وثلاثمائة وست وخمسون سنة وأشهر ،

ويجتمع من حساب ما وقع في التوراة أن بين

الطوفان وبين خراب بيت المقدس على يد بخت

نصر من السنين ألفا وستمائة وأربعين وثمانين

سنة . وهذا خلاف ما نقله المسعودى ، والله

تعالى أعلم بالصواب .

(١٢٢ من ١٢٢) ج ١ ، ط ١ ، ط ٢ ، ط ٣

هذه المدينة من اعظم مدائن الدنيا واقدمها وضعا . وقد بنيت لغير مرة : فأول ما بنيت بعد كون الطوفان في زمان مصرام بن يعصر ابن نوح ، وكان يقال لها اذ ذاك مدينة رفودة ، ثم بنيت بعد ذلك مرتين . فلما كان في أيام اليونانيين جندوها الاسكندر بن فيليب المقدوني ، الذي قهر دارا وملك ممالك الفرس بعد تخريب بخت نصر مدينة منف بمائة وعشرين سنة شسبية ، فعرفت به .

ومنذ جندوها الاسكندر المذكور ، اتقيل تحت المملكة من مدينة منف الى الاسكندرية ، فصارت دار الملكة بديار مصر . ولم تزل على ذلك حتى ظهر دين الاسلام ، وقدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين ، وفتح الحصن والاسكندرية . وصارت ديار مصر ارض اسلام ، فاقبل تحت الملاك حينئذ من الاسكندرية الى فسطاط مصر ، وصار القسطنطين من بعد الاسكندرية دار مملكة ديار مصر

وساقص عليك من اخبار الاسكندرية ما وصل اليه على ان شاء الله تعالى .

ذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب « اخبار الزمان » ان الكوكبة (وهي أمة في غابر الدهر من أهل أبله) ملكوا الأرض وقسموها على ثلاثين كورة وأربعة أقسام ، كل قسم على وينوا في كل عمل مدينة بها ملك يجلس على منبر من ذهب ، وله برية وهي بيت الحكمة ، وله هيكل على اسم كوكب فيه أصنام من

ذهب : وجعلوا الاسكندرية ، واسما رفودة ، خمس عشرة كورة ، وجعلوا فيها كسار الكهنة ، ونصبوا في هياكلها من أصنام الذهب أكثر مما نصبوا في غيرها ، فكان ما بها مائتا صنم من ذهب . وقسموا الصعيد لثلاثين كورة على أربعة أقسام ولثلاثين مدينة فيها جميع المجاب .

وذكر بطليموس في كتاب « الأقاليم ووصف الجزائر والبحار والمدن » ان مدينة الاسكندرية لبرج الأسد ، ودليلها المريح ، وساعاتها أربع عشرة ساعة ، وطولها ستون درجة ونصف درجة ، يكون ذلك أربع ساعات متوبة وثلاث عشرة ساعة

وقال ابن وحيد شاه في ذكر اخبار مصرام ابن يعصر بن نوح : وعليهم أيضا عمل الطلسمات ، وكانت تخرج من البحر دواب تصد زرعهم وجنائهم وبنائهم ، فعملوا لها الطلسمات ، فعابت ولم تعد . وبنوا على غير البحر مدنا ، منها مدينة رفودة مكان الاسكندرية ، وجعلوا في وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب ، والقبة مذهب ، ونصبوا فوقها امرأة من الخلاصة حتى قطرها خسة اشبار وارتفاع القبة مائة ذراع .

فكانوا اذا قصدهم قاصد من الأمم التي حولهم ، فان كان مما ينههم وكان من البحر عملوا لتلك المرأة عملا قالت شعاعها على ذلك الشيء فأحرقت ، فلم تزل الى أن غلب البحر عليها . ويقال ان الاسكندر انما عمل المنارة تشبيها بها .

وكان عليها أيضا امرأة يرى فيها من يقصدهم من بلاد الروم ، فاحتال عليهم بعض

ملوكهم ووجه اليها ما أزالها ، وكانت من رجاء مديرة

قال : وذكر بعض القبط ان رجلا من بني الكهنة الذين قتلهم ايساد ملك مصر صار الى ملك كان في بلاد الافرنجة فذكر له كثرة كنوز مصر وعجائبها ، وضمن له ان يوصله الى ملكها وأموالها ، ويرفع عنه اذى طلسماتها حتى يبلغ جميع ما يريد .

فلما اتصل بها بن مرفوس احى ايساد ، وهو ملك مصر يومئذ ، ان صاحب بلاد الافرنجة يتجهز اليه ، عند الى جبل بين البحر الملح وشرقي النيل فأصعد اليه أكثر كنوزه ، وبنى عليها قبابا مصفحة بالرخام

وظهر صاحب بلاد الافرنجة في ألف مركب ، فكان لا يمر بشيء من أعلام مصر ومنازلها الا هديه ، وكسر الأصنام بمعونة ذلك الكاهن حتى أتى الاسكندرية الأولى فعاث فيها وفيما حولها ، وهدم أكثر معالمها ، الى أن دخل النيل من ناحية رشيد وصعد الى منف ، وأهل النواحي يحاربونه ، وهو ينهب ما مر به ويقتل ما قدر عليه ، الى أن طلب المدائن الداخلة لأخذ كنوزها ، فوجدتها ممتعة بالطلسمات الشداد والمياه العتيقة والخنادق والشداخات ، فأقام عليها أياما كثيرة فلم يکنه الوصول اليها ، وغضب على الكاهن فقتله من أجل جماعة من أصحابه هلكوا .

فاجتمع أهل النواحي وقتلوا من أصحابه الذين بالمراكب خلقا ، وأحرقوا بعض

(١٥٠) من ١٤٤ ج ١ ، ط ١ ، بولاق

المراكب ، وقام أهل مصر يسحرهم وتهاويلهم ، ماتت رياح أغرقت أكثر مراكبه حتى بجا بنفسه ، وقد خرج فعاد الناس الى منازلهم وقراهم .

ورجع الملك صا الى مدينة منف وأقام بها ، وتجهز لغزو بلدان الروم وبث اليها ، وخرب الجزائر فهابته الملوك ، وتبع الكهنة فقتل منهم خلقا كثيرا .

وأقام ملكا سبعا وستين سنة ، ومات وعمره مائة وسبعون سنة ، ودفن بمنف في وسطها تحت الأرض ومعه الأموال والجواهر والتماثيل والطلسمات كما فعل آباؤه : منها أربعة آلاف متقال ذهبيا على صور حيوانات برية وبحرية ، وتشال عقاب من حجر أخضر ، وتشال تين من ذهب ، وذبروا عليها اسمه ، وغلبته الملوك وسيرته ، وعهد الى ابنه تدراس .

قال : ولما جلست جورباق ابنة طوطيس ، أول فراغنة مصر - وهو قرعون ابراهيم الخليل عليه السلام - على سرير الملك بعد قتلها لأبيها ، وعدت الناس بالأحسان وأخفت في جمع الأموال ، فاجتمع لها ما لم يجتمع لملك ، وقدمت الكهنة وأهل الحكمة ورؤساء الحرة ورفعت أقدارهم ، وأمرت بتجديد الهياكل .

وصار من لم يرضها الى مدينة أترب ، وملكوا عليهم رجلا من ولد أترب يقال له ايداحس ، فعمد على رأسه تاجا واجتمع اليه جماعة . فأقنعت اليه جيشا قهزموه وقتلوا أكثر أصحابه ، فصرى الى الشام وبها الكنعانيون فاستغاث بملكهم ، فججزه بجيش

عظيم . ففتحت جسور باب الخزان ، و فرقت
الأموال ، وقوت السخرة فعملوا أعمالهم

وتقدم ايداعس بجيوش الكنعانيين وعليها
قائد منهم يقال له جيرون . فلما نزلوا أرض
مصر بعثت ظفرا لها من عقلاء النساء الى القائد
سرا عن ايداعس تعرفه رغبتهما في تزوجه ،
وانما لا تختار أحدا من أهل بيتها ، وأنه ان
قتل ايداعس تزوجت به وسلمت ملك مصر .
ففرح بذلك وسم ايداعس بسم انذته اليه
فقتله .

وبعث اليه بعد قتل ايداعس أنه لا يجوز
أن أتزوجك حتى يظهر قومك في بلدي وتبنى
لى مدينة عجيبة - وكان افتخارهم حينئذ
بالبنيان واقامة الأعلام وعمل المجائب -
وقالت : انتقل من موضعك الى غربي بلدي ،
فتم آثار لنا كثيرة ، فاقف تلك الأعمال وابن
عليها .

فقبل ، وبني مدينة في صحراء الغرب يقال
لها قيدومة ، وأجرى اليها من النيل نهرا ،
وغرس حولها غروبا كثيرة ، وأقام بها منارا
عاليا فوقه منظر مصفح بالذهب والقضة
والزجاج والرخام - ، وهى تسده بالأموال ،
وتكاتب صاحبه منه وتهاديه وهو لا يعلم .

فلما فرغ منها قالت له : ان لنا مدينة أخرى
حصينة كانت لأوائلنا ، وقد خربت منها أمكنة
وتسعت حصنها ، فامض اليها واعمل فى
اصلاحها حتى أنتقل أنا الى هذه المدينة التى
بنيها ، فاذا فرغت من اصلاح تلك المدينة
فأتقذ الى جيشك حتى أصير اليك وأبعد عن
مدينتى وأهل بيتى ، فانى أكره أن تدخل على
بالتقرب منهم .

فمضى وجد فى عمل الاسكندرية الثانية .
وأهل التاريخ يذكرون أن الذى قصدها
الوليد بن دوعم المملوكى نالى الفراغة . وكان
سبب قصدها أنه كان به علة فوجه الى
الأنظار ليحمل اليه من مائتها حتى يرى ما
يلآئمه . فوجه الى مملكة مصر غلاما فوقف
على كثرة خيراتها ، وحصل اليه من مائتها
والطافها ، وعاد اليه فمره حال مصر . فسار
اليها فى جيش كثيف ، وكاتب الملكة يخطبها
لنفسه ، فأجابته وشرطت عليه أن يبنى لها
مدينة يظهر فيها أيده وقوته ، ويجعلها لها
مهرا . فأجابها وشق مصر الى ناحية الغرب ،
فبعث اليه أصناف الرياحين والفواكه ،
وخلقت وجوه الدواب .

فمضى الى الاسكندرية وقد خربت بمسدة
خروج العادية منها ، فنقل ما كان من حجارتها
ومعالمها وعمدها ، ووضع أساس مدينة
عظيمة ، وبعث اليها مائة ألف فاعل ، وأقام فى
بنائها مدة ، وأشق جميع ما كان معه من
المال ، وكلما بنى شيئا خرج من البحر دواب
فتقلعه ، فاذا أصبح لم يجد من البناء شيئا ،
فاهتم لذلك .

وكانت جورباق قد أنذت اليه ألف رأس
من الميز اللبون يستعمل ألبانها فى مطبخه ،
وكانت مع راع تثق به يرعاها هنالك ، فكان
اذا أراد أن ينصرف عند المساء خرجت اليه
من البحر جارية حسناء فتتوق نفسه اليها ،
فاذا كلمها شرطت عليه أن تصارعه ، فان
صرعها كانت له ، وان صرعه أخذت من الميز
رأسين .

فكانت طول الأيام تصرعه وتأخذ الغنم ،
حتى أخذت أكثر من نصفها ، وبمير باقيها
لشمله يحب الجارية عن رعيها ، ونحل جسمه .
سرع به صاحبه وسأله عن حاله فأخبره الخبر
خوفا من سطوته ، فلبس ثياب الراعى ، وتولى
رعى الغنم يومه الى المساء .

فخرجته اليه الجارية وشرطت عليه الشرط
وأجابها ، وصارعا فصرعها وشدها ، فقالت :
ان كان ولابد من أخذى فلسنى لصاحبى
الأول ، فانه أظف بى وقد عذبت مدة .

فردا اليه وقال له : سلها عن هذا البنيان
الذى • كئيبه ويزال من ليته ، من يفعل
ذلك ؟ وهل فى ثباته من حيلة ؟

فسأله الراعى عن ذلك ، فقالت : ان دواب
البحر التى تنزع بنيانكم .

فقال : فهل من حيلة ؟

قالت : نعم ، تملكون توايت من زجاج
كثيف بأغطية ، وتجعلون فيها أقواما يحسنون
التصوير ، ويكون معهم صحف وأنقاش وزاد
يكفيهم أياما ، وتحمل التوايت فى المراكب
بعد ما تشد بالحبال . فاذا توسطوا الماء أمروا
المصورين أن يصوروا جميع ما يرب بهم ، ثم
ترفع تلك التوايت ، فاذا وقفت على تلك
الصور فاعملوا لها أشباها من صفر أو حجارة
أو رصاص ، وانصبوها قدام البنيان الذى
تبنيه من جانب البحر ، فان تلك الدواب اذا
خرجت ورأت صورها هربت ولم تعد .

فعرف الراعى صاحبه ذلك ففعله ، وتم
البنيان وبني المدينة .

(*) من ١٢ اج ١ ، ط. بولاق .

وقال قوم : ان صاحب البنيان والغنم هو
جيرون ، كان قصدهم قبل الوليد ، وانما
أتاهم الوليد بعد جورباق وقهرهم وملك
مصر .

ودكروا أن الأموال التى كانت مع جيرون
نقدت كلها فى تلك المدينة ولم تتم ، فأمر
الراعى أن يخبر الجارية فقالت : ان فى المدينة
التي خربت ملجأ مستديرا حوله سبعة عشر
على رؤوسها تماثيل من صفر قيام ، فاقرب
لكل تماثيل منها ثورا سينا ، ولطح الصود
الذى تحته من دم الثور ، وبخره بشعر من
ذنبه وشيء من لحاة فرونه وأظلافه ، وقل له :
هذا قربانك فأطلق لى ما عندك . ثم قس من
كل عمود الى الجهة التى يتوجه اليها وجه
التماثيل مائة ذراع ، واحفر عند امتلاء القمر
واستقامة زحل ، فانك تنتهى بعد خمسين ذراعا
الى بلاطة عظيمة ، فلطخها بمرارة الثور
وأقلها ، فانك تنزل الى سرب طوله خمسون
ذراعا ، فى آخره خزانة مقلقة ، ومفتاح القفل
تحت عتبة الباب فخذ ، ولطح الباب يقيقة
المرارة ودم الثور ، وبخره بنحاة فرونه
وأظلافه وشعر ذنبه ، وادخل فانه يستقبلك
حسب فى عنقه لوح من صفر مكتوب فيه جميع
ما فى الخزانة ، فخذ ما شئت ولا تعترض شيئا
تجده ولا ما عليه .

وكذلك كل عمود وتماثيله ، فانك تجد مثل
تلك الخزانة . وهذه نواويس سبعة من الملوك
وكوزهم .

فلما سمع ذلك سر به ، وامثله فوجد
ما لا يدرك وصفه ، ووجد من المعجائب شيئا
كثيرا ، فتم بناء المدينة .

وكان ذلك جوربا فاسما ، وكانت قد
أرسلت كتابه وهلاكه بالحكمة

وقال انه وجد فيسا وجد درجا من ذهب
محموما ، فيه مكعبه زبرجد فيها درور انصر
وسما عرق احمر ، من اكحل من ذلك الدرور
بانصر وكان اشيب ، عاد شابا ولود شعره
وانشاء بصره حتى يدرك الروحانيين ووجد
تسالا من ذهب اذا ظهر غيت السماء
ولمطرت ، ومثل غراب من حجر اذا سئل
عن شيء صوت واجاب عنه ، ووجد في كل
خزاة عشر اعجوبات .

فلما فرغ من بناء المدينة وجه الى جوربا
يحبها على التقوم اليه ، فحلت اليه فرسا
فاخرا ليسته في المجلس الذي يجلس فيه ،
وقالت له : انقسم جيشك اقلاتا فاقصد الى
قته ، حتى اذا بلغت ثلث الطريق فاقصد الى
الآخر ، فلما جرت نصف الطريق فاقصد الى
الباقي ليكوبوا من ورائي ، لتلا يراني احد
اذا دخلت عليك ، ولا يكون عندك الا صية
تنجم بضموك ، فاني اوفيك في جوار
تكليك الخيمة ولا اجتمعن قتل

واقامت تحلل الجواز اليه والاموال حتى
علم بسيرها فوجه اليها ثلث جيشه ، فسلت
لهم الامسة والاشيرة للسومة ، وانزلهم
جواربا وحشما وقلعوا اليهم الامسة
والاشيرة والطيب وانواع القهوه ، فلم يصح
منهم احد حيا . وسارت ، فلقبها تلك
الآخر فقلعت به مثل ذلك . وهي توجه اليه
انها اتفقت جيشه الى قصرها وسلكتها
يحتقرها .

وسارت حتى دخلت عليه هي وقصرها
وجواربا ، فقلعت قصرها في وجهه فحلت
اليها ، وورثت عليه ما كان معها فارتفعت
انصاره ، وقال : من من انك يلبب السماء فقد
كذبت قبه وغلبت السماء .

ثم انها فصلت عروقه وقالت : دعاه الملوك
شقاء ، واتخذت واه ووجهت به الى قصرها
وصبه عليه ، وحوكت تلك الاموال الى
مدينة منه ، وبت منارا بالاسكندرية وزبرت
عليه اسمها واسمه ، وما فعلت به ، وتاريخ
الوقت .

فلما بلغ خبرها الملوك هابوها وامنعوها
وهادوها .

وعلمت بمصر عجائب كثيرة ، وبت على
حد مصر من ناحية التوبة حنا وقطرة يجري
ماء البيل من تحتها ، ولتلت فقلعت ابنة
عنها زنتى بنت مأمون ، وماتت .

وقال ابن خرداذبة : روى ابن الاسكندرية
بنت في ثلثة سنة ، وان انها مكثوا سبعين
سنة لا يشربون فيها بشيء الا يحرق سود
مخافة على ابصارهم من شدة يابض حيطانها ،
ومناقتها العجيبة على سرطان زجاج في البحر ،
وان كان فيها سوى اهلها ستائة ألف من
اليهود خول لاهلها

وقال ابن وصف شاه : وكانت العمارة
متدة في رمال رشيد والاسكندرية الى بركة ،
فكان الرجل يسير في ارض مصر فلا يحتاج
الى زاد لكثرة التواكه والخيرات ، ولا يسير
الا في خلال نهره من حر الشمس .

وعمل الملك صا بن قنطيم في تلك الصحارى
قصورا ، وغرس فيها غروبا ، وساق اليها من
البيل اهازا ، فكان سلك من الحطب العربي
الى حد . القرب في عبارة متصلة

فلما انقضى اولئك التقوم بنيت اكارهم في
تلك الصحارى ، وخربت تلك المنازل وباد
اهلها ، ولا يزال من دخل تلك الصحارى
يعكس ما رآه فيها من الآثار والمعجائب

وقال ابن عبد الحكم : وكان الذي بنى
الاسكندرية واسس بنامها دواقرين الرومي ،
واسمه الاسكندر ، وبه سميت الاسكندرية ،
وهو اول من عمل الوشى ، وكان ابوه اول
التبصرة .

وقيل انه رجل من اهل مصر اسمه مرزبان
مرزبة اليوناني ، من ولد بوقان بن باث بن
نوح صلى الله عليه وسلم

وقيل كان من اهل لوية (كورة من كور
مصر الغربية) . وقال ابن الهيثم : واهلها
روم .

ويقال هو رجل من حير ، قال تبع :
قد كان ذو القرنين جدى مسلما
ملكنا تدين له الملوك بمحشد
بلغ المغارب والمشارق يتغنى
اسباب علم من حكيم مرشد
فراى مقبب الشمس عند غروبها
في عين ذي خلب وذهاب حرمد
ويروى « قد كان ذو القرنين قبلى مسلما » .

(١٠٠٠) سنة ١١٦٦ هـ ، ذى الحجة .

وحدثني عثمان بن صالح ، حدثني عبد الله
ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زياد بن اعم ،
عن سعد بن مسعود التميمي ، عن شيخين من
قومه قالوا : كنا بالاسكندرية ، فاستظنا
يوما فقلنا : لو انطلقنا الى عقبه بن عامر
تحدثت عنده ، فانطلقنا اليه فوجدناه جالسا
في داره ، فاخبرناه انا استظنا يوما
فقال : وانا مثل ذلك ، انما خرجت حين
استظنته .

ثم اقبل علينا فقال : كنت عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذته ، فاذا انا برجال
من اهل الكتاب معهم مصاحف او كتب ،
فقالوا : استاذن لنا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فانصرفت اليه فاخبرته بكتابهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مالي
ولهم ، سالوني عما لا ادري ، انما انا عبيد
لا اعلم الا ما علمني ربي »

ثم قال : « ابلغني وضوءا » ، فتوضا ثم
قام الى مسجد بيت فرخم ركعتين ، فلم ينصرف
حتى عرفت الضرور في وجهه والبشر ، ثم
انصرف فقال : « ادخلهم ، ومن وجبت
بالباب من اصحابي فادخله » .

قال : فادخلتهم ، فلما وقفوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لهم : « ان شئتم
اخبرتكم عما اردتم ان تسالوني قبل ان
تكلموا ، وان احببتم تكلمتم واخبرتكم » .
قالوا : بلى ، اخبرنا قبل ان تكلم .

قال : « احببتم ان تسالوني عن ذي
القرنين ، وساخبركم عما تجدونه مكتوبا
عندكم ، ان اول امره انه غلام من الروم اعطى

ملكا ، فسار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر فابتى عنده مدينة يقال لها الاسكندرية .

« فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فرج به حتى استقله فرمعه ، فقال : انظر ما تحتك ؟ فقال : أرى مدينتي وأرى مدائن معها . ثم عرج به فقال : انظر ؟ فقال : قد اختلطت مدينتي مع المدائن فلا أعرفها . ثم زاد فقال : انظر ؟ فقال : أرى مدينتي وحدها ولا أرى غيرها . قال له الملك : أنا تلك الأرض كلها ، والذي ترى يحيط بها هو البحر . وأما أراد ربك أن يريك الأرض ، وقد جعل لك سلطانا فيها سوف يعلم الجاهل ويثبت العالم .

« فسار حتى بلغ مغرب الشمس ، ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ، ثم أتى السدين ، وهما جيلان لئان يزلق عنهما كل شيء ، فبنى السد . ثم جاز بأجوج ومأجوج ، فوجد قوما وجوهم وجوه الكلاب يقاتلون بأجوج ومأجوج ، ثم قطعهم فوجد أمة قصارا يقاتلون القوم الذين وجوهم وجوه الكلاب ، ووجد أمة من الغرائيق يقاتلون القوم القصار ، ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتهم الحية منها الصخرة العظيمة ، ثم أفضى إلى البحر المدير بالأرض .

فقالوا : نشهد أن أمره هكذا كما ذكرت ، وأنا نجده هكذا في كتابنا .

وعن خالد بن معدان الكلاعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال : « ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب » .

قال خالد : وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول ياذا القرنين ، فقال : اللهم غفرا ، أما رضيتم أن تسوا بالأنبياء حتى نسيتم باللائكة ؟

وقال قتادة عن الحسن : كان ذو القرنين ملكا ، وكان رجلا صالحا .

قال : وأما سى ذا القرنين لأن عليا رضى الله عنه سئل عن ذى القرنين فقال : لم يكن ملكا ولا نبيا ، ولكن كان عبدا صالحا أحب الله فأحبه الله ، ونصح لله فنصحه الله ... بعنه الله عز وجل إلى قومه فضربوه على قرنيه فبات ، فسمى ذا القرنين .

ويقال إنما سى ذا القرنين لأنه جاوز قرلى الشمس من المغرب والمشرق .

ويقال إنما سى ذا القرنين لأنه كان له غدירתان من شعر رأسه يطأ فيهما ، وقيل بل كان له قرنان صغيران توارصا العمامة .

وعن ابن شهاب : إنما سى ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مشرقها .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : كان أول شأن الاسكندرية أن فرعون اتخذ بها مصانع ومجالس ، وكان أول من عمرها وبنى فيها ، فلم تزل على بنائه ومبانيه . ثم تداولها ملوك مصر بعده ، فبنت دلوكة بنت زبا منارة الاسكندرية ومنارة بوقير بعد فرعون . فلما ظهر سليمان بن داود عليهما السلام على الأرض اتخذ بها مجلسا ، وبنى فيها مسجدا .

(١٧٧ من ج ١ ، ط - بولاق -

ثم إن ذا القرنين ملكها فهدم ما كان من بناء الملوك والقراغة وغيرهم ، إلا بناء سليمان لم يهدمه ولم يغيره ، وأصلح ما كان رث منه ، وأقر المنارة على حالها ، ثم بنى الاسكندرية من أولها بناء يشبه بعضه بعضا . ثم تداولها الملوك بعده من الروم وغيرهم ، ليس من ملك إلا يكون له بها بناء يضمه بالاسكندرية يعرف به ونسب إليه .

قال ابن لهيعة : وبلغني أنه وجد بالاسكندرية حجر مكتوب فيه : أنا شدداد ابن عاد ، وأنا الذى نصب العماد ، وحيد الأحياد ، وشدد بذراعه الواد ، بنيتن اذ لا شيب ولا موت ، واذا الحجارة في اللين مثل الطين .

وفي رواية : وكنت في البحر كنزا على اثني عشر ذراعا ، لن يخرج أحد حتى يخرج أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

قال ابن لهيعة : والأحياد كالمغار

وقال أبو علي القالى في كتاب « الأمالي » : وأشد ابن الأعرابي وغيره :

تسألني عن السنين كم لي

فقلت لو عمرت عمر الحسل

أو عمر نوح زمن القطحل

لو أتى أوتيت علم الحكل

وعشت ذهرا زمن القطحل

لكنت رهن هرم أو قتل

وفي رواية :

علم سليمان كلام النمل

أيام كان الصخر مثل الوحل

وقال آخر : زمن القطحل : اذ السلام وطاب

وعندهم أن زمن القطحل زمان كان بعد الطوفان عظم فيه الخصب وحسنت أحوال أهله

وقال بعضهم : زمن القطحل زمن لم يخلف بعد

وقوله « علم الحكل » الحكل ما لا يسمع صوته من الحيوان .

وهذا الرجز لرؤية بن المجاج بن رؤية بن ليث بن صخر بن كتياف بن حبي بن بكر بن ربيعة بن سعد بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وذلك أنه ورد ماء لمكل فرأى فتاة فأعجبته فخطبها ، فقالت : أرى سنا ، فهل من مال ؟

قال : نعم ، قطعة من ابل .

قالت : فهل من ورق ؟

قال : لا .

قالت : يا آل عكل اكبرا وامعارا !

فقال رؤية :

لما ازدرت قدرى وقلت ابلى

تألفت واتصلت بعكل حطلى

وهزت رأسها تستبلى

تسألني عن السنين كم لي

فقلت لو عمرت عمر الحسل

أو عمر نوح زمن القطحل

والصخر ميتل كطين الوحل

وفي رواية :

لو أتى أوتيت علم الحكل

علم سليمان كلام النمل

وسالت أبا بكر بن دريد عن زمن القتل
فقال : تزعم العرب أنه زمان كانت فيه الحجارة
رطبة

قال ابن عبد الحكم : ويقال أن الذي بنى
الاسكندرية شداد بن عاد ، والله أعلم .

وكانت الاسكندرية ثلاث مدن ، بعضها
الى جنب بعض : منية ، وهي موضع النارة
وما والاها ، والاسكندرية — وهي موضع
قبة الاسكندرية اليوم — وقيطة . وكان
على كل واحدة منهن سور ، وسور من خلف
ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعا .

وقيل كان على الاسكندرية سبعة حصون
منية ، وسبعة خنادق .

قال : وان ذا القرنين لما بنى الاسكندرية
زخنها بالرخام الأبيض جدرانها وأرضها ، فكان
لباسهم فيها السواد والحرمة ، فمن قبل ذلك
لبس الرهبان السواد من تصوم يياض
الرخام . ولم يكونوا يسرجون فيها بالليل من
يياض الرخام ، وإذا كان القمر أدخل الرجل
الذي يخط بالليل في ضوء القمر مع يياض
الرخام الخيط في ثقب الابرة . ويقال بنيت
الاسكندرية في ثلثمائة سنة ، وسكنت ثلثمائة
سنة ، وخربت ثلثمائة . ولقد مكث سبعين
سنة ما يدخلها أحد الا وعلى بصره خرقة
سوداء من يياض جصها وبلاطها ، ولقد مكث
سبعين سنة ما يسترج فيها .

قال : وكانت الاسكندرية يضاء نضى
بالليل والنهار ، وكانوا اذا غربت الشمس لم
يخرج أحد من بيته ، ومن خرج اختطف .
وكان منهم راع يرعى على شاطئ البحر ،

فكان يخرج من البحر شيء فيأخذ من غنمه ،
فكن له الراعى في موضع حتى خرج ، فاذا
جارية قد تفتت شعرها ، ومالته عن نفسها ،
فقوى عليها ، فذهب بها الى منزله قالت
به . فرأيتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس
فسألتهم ، فقالوا : من خرج منا اختطف .
فهيات لهم الطلسمات ، فكانت أول من وضع
الطلسمات بمصر في الاسكندرية . وقيل كان
الرخام قد سخر لهم حتى يكون من بكرة
النهار كالمجن ، فاذا اتصف النهار اشتد .

وقال المسعودي : ذكر جماعة من اهل العلم
أن الاسكندر المقدوني لما استقام ملكه في
بلاد ، وسار حتى يختار أرضا صحيحة الهواء
والثرية والماء ، حتى انتهى الى موضع
الاسكندرية فأصاب فيها أثر ببيان وعمدا
كثيرة من الرخام ، وفي وسطها عمود عظيم
عليه مكتوب بالقلم المسند ، وهو القلم الأول
من أقلام حمير وملوك عاد : أنا شداد بن
عاد ، شددت بساعدي الواد ، وقطعت *
عظيم العماد وشوامخ الجبال والأطواد ،
وبنت ارم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في
البلاد ، وأردت أن ابني هنا مدينة كرم ،
وأقل إليها كل ذي قدم وكرم ، من جميع
المشائر والأمم ، وذلك اذ لا خوف ولا هرم ،
ولا اهتمام ولا سقم ، فأصابني ما أعجلني ،
وعما أردت قطعتني ، ومع وقوعه طال همي
وشجني ، وقل نومي وسكني ، فارتحلت
بالأمن عن دارى لا تقهر ملك جبار ، ولا
لخوف جيش جرار ، ولا عن رغبة ولا عن
صغار ، ولكن لتسام المقدار ، وانقطاع

(١٨) من ١٢٨ ج ١ ط ١٠٠٠

الآثار ، وسلطان العزيز الجبار . فمن رأى
الثرى ، وعرف خبرى وطول عمرى وتماد
بصرى وشدة حذرى ، فلا يفسر بالديا
يمدى ، فانها غرارة غدارة ، تأخذ منه ما
تعطى ، وتسترجع منه ما تؤنى ... وكلام كثير
يرى فناء الدنيا وينسج من الافترار بها
والكون اليها .

فتزل الاسكندر مفكرا يتدبر هذا الكلام
ويعتبره ، ثم بعث يحضر الصناع من البلاد ،
وخط الأساس ، وجعل طولها وعرضها أميالا ،
وجمع اليها العمود والرخام ، وأتته المراكب فيها
أنواع الرخام وأنواع المرمر والأحجار من
جزيرة صقلية وبلاد أفريقية وأفريقس وأقاصى
بحر الروم مما يلي مصبه بحر اقيانوس ، وحمل
اليه أيضا من جزيرة رودس . وأمر القملة
والصناع أن يدوروا بنا رسم لهم من أساس
سور المدينة .

وجعل على كل قطعة من الأرض خشبة
قائمة ، وجعل من الخشبة الى الخشبة جبالا
منوطة بعضها ببعض ، وأوصل جميع ذلك
بعمود من الرخام ، وكان أمام مضربه ، وعلق
على العمود جرسا عظيما مصوتا ، وأمر الناس
والقوام على البنائين والقملة والصناع أنهم
اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت
الجبال ، وقد علق على كل قطعة منها جرسا
صغيرا ، حرصوا على أن يضموا أساس المدينة
دفعمة واحدة من سائر أقطارها ، وأحب
الاسكندر أن يجعل ذلك في وقت يختاره ،
وطالع سعد .

فحرك الاسكندر رأسه وأخذته نعمة في
حال ارتقابه الوقت المحمود ، فجاء غراب

فجلس على جبل الجرس الكبير الذى فوق
المسود فحركه ، وخرج صوت الجرس ،
وتحركت الجبال وخفق ما عليها من الأجراس
الصغار ، وكان ذلك معمولا بحركات هندسية
وحيل حكيمة . فلما رأى الصناع تلك الجبال
قد تحركت ، وسمعوا الأصوات ، وضعوا
الأساس دفعة واحدة ، وارتفع الضخيم
بالتحميد والتقديس . فاستيقظ الاسكندر من
رقدته ، وسأل عن الخبر فأخبر بذلك ،
فأعجب وقال : أردت أمرا وأراد الله غيره ،
ويأبى الله الا ما يريد ... أردت طول بقائها ،
وأراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول الملوك
اياها .

وان الاسكندر لما أحكم بناءها ، وثبت
أساسها ، وجن الليل عليهم ، خرجت دواب
البحر فأتت على جميع البنائين ، فقال الاسكندر
حين أصبح : هذا بدو الخراب في عمارتها ،
وتحقق مراد البارئ سبحانه من زوالها .

فتطير من فعل الدواب ، فلم تزل البناءة
في كل يوم تبنى وتحكم ويوكل من ينسج
الدواب اذا خرجت من البحر ، فيصبحون وقد
خرجت وخربت البنائين .

فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما رأى من
البحر ، فأقبل يفكر بما الذى يصنع ، وأى
حيلة تنفع في ذلك ، حتى تدفع الأذى عن
المدينة ، فسنت له الحيلة عند خلوه بنفسه
وايراده الأمور واصدارها .

فلما أصبح دعا الصناع فاتخذوا له تابوتا
من الخشب طوله عشرة أذرع في عرض خمسة
أذرع ، وجعلت فيه جامات من الزجاج قد
أحاط بها خشب التابوت باستدارتها ، وقد

أشبه ذلك بالقر والرف وغيره من الإطية
الخاصة هذه سفرا من دخول لاه إلى
التبوت ، وقد جن فيها موانع للبحال .

ودخل الاسكندر إلى التبوت ورجلان من
كبه من له علم بالحق الكسور ، وأمر أن
تعد عنه الأبواب ، وأن تكتب بها ذكرا من
الأممية ، وأمر بركين عظيمين فأخرجوا إلى
لجة البحر وعلق في التبوت من أسفه مشكلات
الرماس والعنيد والحجارة كتهوى بالتبوت
سلا ، وجعل التبوت بين المركين ، وأصغرها
يغيب بينهما لتلا يفرقا ، وشهد بحال
التبوت إلى المركين وطول حباله ، فخلص
التبوت حتى انتهى إلى قول البحر .

فتروا إلى دواب البحر وجواهر من ذلك
الزجاج الشفاف في صفاء ماء البحر ، فأنما
يصور الشياطين على مثل الناس ، وفيهم
من له مثل رؤوس السباع وفي أيديهم القوس
مع بضعهم ، وفي أيدي بعضهم الشنير والفتع
يحكون بذلك صناع المدينة والتملة وما في
أيديهم من آلات البناء .

فأبى الاسكندر ومن معه تلك الصور ،
وحكوها بالتصوير في القرائيس على اختلاف
أصولها وتوهم ختمها وقنودها . ثم حرك
البحال ، فلما لمس بذلك من في المركين
جنبوا للبحال وأخرجوا التبوت .

فخرج الاسكندر ، وأمر صناع الحديد
والنحاس والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب
على ما صور ، فلما فرغوا منها وضعت على
العمد بجملها البحر ، ثم أمرهم فبنوا .

فلما جن الليل ظهرت الدواب والآفات من
البحر ، ففتحت إلى صورها على العمدة مقابلة
إلى البحر ، فرجعت ولم تعد بعد ذلك .
فبنيت الاسكندرية وشيدت .

وأمر الاسكندر أن يكتب على أبوابها :
هذه الاسكندرية ، أرضه . أن أبيهما على
الفتح والفتح والفتح والفتح والفتح والفتح
والفتح في المنور ، ولم يرد الباري عز وجل
ملك السموات والأرض ومعنى الأمم أن يشتها
كذلك ، فبنيتها وأحكمت بناها وشيدت
صورها . وأكأنى لله عز وجل من كل شيء
عنا وحكمة ، وسهل لي وجوه الأسباب فلم
يتعثر على في العالم شيء ما أردته ، ولا امتنع
عني شيء ما طلبته ، لظنا من الله عز وجل
ومنا لي وصلاحي لبيانه من أهل عصرى ،
والحمد لله رب العالمين ، لا اله الا هو وب كل
شيء .

ورسم بعد هذه الكتابة كل ما يحدث يبلده
من الأحداث بسده في مستقبل الزمان من
الآفات والعمران والخراب ، وما يؤول أمرها
إليه إلى وقت دنور العالم .

وكان بناء الاسكندرية طبقات ، وتحتها
قمار مقطرة عليها دور المدينة ، يسير تحتها
القمار ويده رمح لا تضيق به حتى يدور
جميع تلك الآزاج والقمار التي تحت المدينة .
وقد عمل تلك العقود والآزاج مخاروق ،
ومستنات للضياء ، ومناقد للهواء .

وقد كانت الاسكندرية تسمى بالليل بغير
مصباح لثمة يياض الرخام والمرمر ، وكانت

(١٢٨) من ١٢٨ جا خيرا

أسوانها وشوارعها وأزقتها مغطاة كلها لا
يصيب أهلها شيء من المطر . وكان فيها سبع
السور من أنواع الحجارة المحسنة الألوان ،
بينها خنادق ، وبين كل حديق وسور فصول
وربما تعلق في المدينة نهد الحرير الأخضر
لاختطاف يياض الرخام أجار الناس لثمة
يياضه .

فلما أحكم بنائها وسكنها أهلها ، كانت
آفات البحر وسكانه - على ما زعم
الأخباريون من المصريين والاسكندريين -
تختطف بالليل أهل المدينة ، فيصبحون وقد
فقد منهم العدد الكثير .

فلما علم بذلك الاسكندر اتخذ العلكسات
على أعمدة هنالك تنشى المسال ، وهي بقية
إلى هذه الغاية ، كل واحد من هذه الأعمدة
على هيئة السروة ، وطول كل واحد منها
ثمانون ذراعا ، على عدد من نحاس ، وجعل
تحتها صورا وأشكالا وكتابة .

قال مؤلفه رحمه الله : فيما تقدم من حكاية
ابن وصيف شاه ما يتبين به وهم ما نقله
المسعودي من أن الاسكندر هو الذي عمل
التبوت حتى صور أشكال حيوانات البحر ،
فإن ابن وصيف شاه أعرف بأخبار أهل مصر .
وكذلك ما ذكره للمسعودي من أن المسال من
عمل الاسكندر وهم أيضا ، بل هذه المسال
هي المناير التي كان ينور عليها ، والأعلام التي
كانت ملوك مصر القدماء تنصبها . وهي من
أعمال ملوك القبط الأول ، ومن أعمال القراغة
الذين ملكوا مصر من قديم الزمان .

ذكر الاسكندر

هو الاسكندر بن فيليس بن أمتيه
- ويقال أمتاس - بن هرقل - ويقال
مرقول - الجبار الذي هو ابن الاسكندر
الأعظم . ولما أبوه فيليس الملك في بلد
مجبوية - ويقال مقدونية - خسا
وعشرين سنة ، استبط فيها ضروبا من الكور ،
وابتدع أنواعا من الشر تقدم فيها كل من ولي
الملك بها قبله .

وكان في أول أمره قد جعله أخوه الاسكندر
رهينة عند أمير من الروم ، فقام عنده ثلاث
سني ، وكان فيلسوفا ، فتعلم عنده ضروب
القلعة .

فلما قتل أخوه الاسكندر ، اجتمع الناس
على تولية فيليس ، فولوه أميرا ، فقام في
السلطان مقاما عظيما ، فحارب الروم وغلب
عليهم ، ومضى إلى البرية فقتل بها من الناس
آلاف ، وغلب على مدائن ، فاجتمع له جمع
لا يقاد وجيش لا يرام ، فأذل جميع الروم ،
وذبحت عنه في بعض الحروب . وغر البلدان
والمدائن عارة وهلما وسيا واتهايا .

ثم حشد جميع أهل بلد الروم ، وعيى
عسكرا فيه مائتا ألف راجل وخسوف ألف
فارس ، سوى من كان فيه من أصحابه
المقدونيين ومن غيرهم من أجناس اليونانيين ،
يريد غزو القوس .

فبينا هو يجمع هذا الجمع نظر في تزويج
ابنة له يقال لها قلوبطرة من ختته (أختي
أمراته وخال ولده) الاسكندر ، وجلس قبل
العرس يومين يحدث قواده إذ سئل عن أي

الموت أحق أن يتناها الإنسان فقال :
الواجب على الرجل القوي الظافر المجرب
(يريد نفسه) ألا يتنى الموت إلا بالسيف
فجاءه ، لئلا يعذبه المرض وتحمل قوته
الأوجاع

معجل له ما تنى في ذلك العرس ، وذلك
أنه حضر لعبا كان على الخيل بين ولده
الاسكندر وخته الاسكندر ، فينسا هو في
ذلك غافله أحد أحداث الروم بطمعة فقتله بها
ثأرا بأبيه عندما تمكن منه منفردا .

موى الاسكندر الملك بعد أبيه فيليبس .
وكان أول شيء أظهر فيه قوته وعزمه في بلد
الروم ، وكانوا قد خرجوا عن طاعة المقدونيين
إلى طاعة الفرس ، فدرسهم واستأصلهم وغرب
مدنهم وجعلهم سبيًا مبيعا ، وجعل سائر
بلادهم وكورهم تؤدي إليه الخراج . ثم قتل
جميع أختائه وأكثر أقاربه في وقت تميته
لمحاربة الفرس .

وكان جميع عسكره اثنين وعشرين ألف
فارس وستين ألف راجل ، وكانت مراكبه
خمسة مائة مركب وثمانين مركبا . فحرك بهذه
العدة كبار ملوك الدنيا ، وسار إلى
الاسكندرية ، ودخل بيت المقدس وقرب فيه
فه تعالى قربانا .

وخرج يريد محاربة دارا ، وكان في عسكر
دارا ملك الفرس في أول ملاقاته اياه مائة
ألف مقاتل ، قلبه الاسكندر ، وكانت اذ ذاك
على الفرس وقعة شماء ونكية دهياء ، قتل
فيها منهم عدد لا يحصى ، ولم يقتل من عسكر

(٢٨٠) ص ١٥٠ ج ١ ط ١٠٠٠

الاسكندر الا مائة وعشرون فارسا وتسعون
راجلا

ومضى الاسكندر ففتح مدائن واتهب ما
فيها ، فبلغه أن دارا قد عصى وأقبل نحوه بجميع
عظيم ، فخاف أن يلحقه في ضيق الجبال التي
كان فيها ، فقطع نحوًا من مائة ميل في سرعة
عجيبة حتى بلغ مدينة طرسوس ، وكاد يهلك
لحرط البرد حتى انقبض عصبه .. فلاقاه دارا
في ثلثمائة ألف راجل ومائة ألف فارس

فلما التقى الجمعان كاد الاسكندر يفر
لكثرة ما كان فيه دارا وقلة ما كان فيه ، ووقع
القتال بينهما وباشر القواد الحرب بأنفسهم ،
وتنازل الأبطال ، واختلف الطعن والضرب ،
وضاق الفضاء بأهله ، فبأشر كلا الملكين
الحرب بأنفسهما : دارا والاسكندر ، وكان
الاسكندر أكمل أهل زمانه فروسية وأشجعهم
وأقوامهم جسا ، فبأشرا حتى جرحا جميعا ،
وتنادى الحرب بينهما حتى انهزم دارا ، ونزلت
الوقعة بالفرس ، فقتل من راجلهم نحو من
ثمانين ألفا ، ومن فرسانهم نحو من عشرة
آلاف ، وأسر منهم نحو من أربعين ألفا ، ولم
يسقط من عسكر الاسكندر الا مائتان
وثلاثون راجلا ومائة وخمسون فارسا .

فاتهب الاسكندر جميع عسكر الفرس ،
وأصاب فيه من الذهب والفضة والأمتعة
الشريفة ما لا يحصى كثرة ، وأصيب من جملة
الأسارى أم دارا وزوجته وأخته وابنتاه ،
فطلب دارا من الاسكندر فديتهن بنصف ملكه
فلم يجبه إلى ذلك . فعصى دارا مرة ثالثة
وحشد الفرس عن آخرهم ، واستجاش بكل
من قدر عليه من الأمم ، فبعث الاسكندر

قائدا في أسطول للفارة على بلد الفرس ،
ومضى الاسكندر إلى الشام فتلقاه هنالك
ملوك الدنيا خاضعين له ، فعفا عن بعض وتنى
بعضا وقتل بعضا ، ومضى إلى أحرار طرسوس
- وكانت مدينة زاهرة قديمة عظيمة الشأن ،
وأهلها قد وثقوا بعمون أهل أفريقية لهم لصهر
كان بينهم - فحاصروهم فيها حتى انتحها ،
ومضى منها إلى رودس وإلى مصر فاتهب
الجميع ، وبني مدينة الاسكندرية بأرض
مصر ، وقال هروشيوش : وله في بنيانها أخبار
طويلة وسياسات كرهنا تطويل كتابنا بها .

ثم إن دارا لما يش من مصالحته أقبل في
أربعمائة ألف راجل ومائة ألف فارس فتلقى
الاسكندر مقبلا من ناحية مصر ، في أعمال
مدينة طرسوس ، فكانت بينهما معركة عجيبة
شنيعة ، اجتهدا من الروم على ما كانوا خبروه
واعتادوا من الغلبة والظفر ، واجتهدا من
الفرس بالتوطين على الهلاك وتفضيل الموت
على الرق والعبودية ، فقلما يحكى عن معركة
كان القتل فيها أكثر منه في تلك المعركة .

فلما نظر دارا إلى أصحابه يتغلب عليهم
ويهزمون ، عزم على استعجال الموت في تلك
الحرب بالمباشرة لها بنفسه والصبر حتى يقتل
معترضا للقتل ، فلطف به بعض قواده حتى
سلوه فانهزم ، وذهبت قوة الفرس وعزمهم ،
وذلل بعدها سلطانهم ، وسار بلد المشرق كله
في طاعة الروم ، وانقطع ملك الفرس مدة
أربعمائة عام وخمسين عاما .

واشتغل الاسكندر بتحصيل ما أصاب في
عسكر الفرس والنظر فيه ، وقسمته على
عسكره ثلاثين يوما .

ثم مضى إلى مدينة الفرس التي كانت رأس
ملكهم ، والتي اجتمعت فيها أموال الدنيا
ونعمها فهدمها ونهب ما فيها ، فبلغه عن دارا
أنه صار عند قوم مكبلا في كبول من فضة ،
قتلها وخرج في ستة آلاف فوجده بالطريق
مجروحا بجراحات كثيرة ، فلم يلبث أن هلك
منها . فأظهر الاسكندر الحزن عليه والمرثية
له ، وأمر بدفنه في مقابر الملوك من أهل
ملكته .

وكان في أمر هذه الثلاث معارك عبرة لمن
اعتبر ، ووعظ لمن أتمط ، إذ قتل فيها من أهل
ملكة واحدة نحو من خمسة عشر ألف ألف
بين راجل ورجل من أهل بلد آسيا - وهي
المرائي - وقد كان قتل من أهل تلك المملكة
قبل ذلك بنحو من ستين سنة نحو تسعة عشر
ألف ألف إلى ألف ألف ما بين راجل ورجل
من أهل بلد العراق والشام وطرسوس ومصر
وجزيرة رودس وجميع البلدان الذين درسهم
الاسكندر أجمعين .

وكان سلطان الدنيا مقسوما بين قواده بعد
ما زلزل بدواهية العظيمة العالم كله ، وعم
أهله بعضا بالنايا الفظيعة ، وبعضا بالتوطين
عليها والمباشرة لأهوالها . وأوصى عند وفاته
أن يلقب كل قائم في اليونانيين بعده ببطليموس
تهويلا للاعداء ، لأن معناه « الحربى » .

فهذا هو الصحيح من خبر الاسكندر ، فلا
يلتفت إلى ما خالفه .

ويقال أنه كان أشقر أزرق ، وهو أول من
سمر بالليل ، وكان له قوم يضحكونه
ويحكوا له الخرافات ... يريد بذلك حفظ
ملكه وحراسة نفسه ، لا اللذة . وبه اقتدى
الملوك في السمر واتخاذ المضحكين والمخرفين .

ذكر تاريخ الاسكندر •

قال أبو الرحان محمد بن أحمد البيروني :
تاريخ الاسكندر اليوناني - الذي يلقبه
بعضهم بذي القرنين - على سنى الروم ،
وعليه عمل أكثر الأمم ، لما خرج من بلاد
يونان ، وهو ابن ست وعشرين سنة لقتال
دارا ملك الفرس .

ولما ورد بيت المقدس أمر اليهود بترك تاريخ
داود وموسى عليهما السلام ، والتحول الى
تاريخه . فأجابوه وانتقلوا الى تاريخه ،
واستعملوه فيما يحتاجون اليه ، بعد أن عملوه
من السنة السادسة والعشرين لميلاده - وهو
أول وقت تحريره - ليموا ألف سنة من لذن
موسى عليه السلام . وبقوا معتصمين بهذا
التاريخ ومستعملين له .

وعليه عمل اليونانيين ، وكانوا قبله يؤرخون
بحروج يونان بن نورس عن بابل الى المغرب .

وأول تاريخ الاسكندر يوم الاثنين أول
تشرين الأول ، وموافقته اليوم الرابع من بابه .
ومبادئ الأيام عندهم من وقت طلوع الشمس
الى وقت غروبها ، والى أن يصبح الصباح
وتطلع الشمس فقد كمل يوم بليته . ومبادئ
الشهور ترجع الى عدد واحد له نظم يجرى
عليه دائما ، وعدد شهور سنتهم اثنا عشر شهرا
يخالف بعضها بعضا في العدد .

وهذه أسماءها وعدد أيام كل شهر منها :

تشرين الأول : أحد وثلاثون يوما .

(١) ص ١٥١ ج ١ ، ط. بولاق .

تشرين الثاني : ثلاثون يوما .

كانون الأول : أحد وثلاثون يوما .

كانون الثاني : أحد وثلاثون يوما .

شباط : ثمانية وعشرون يوما وربيع .

آذار : أحد وثلاثون يوما .

نيسان : ثلاثون يوما .

ايار : أحد وثلاثون يوما .

حزيران : ثلاثون يوما .

تموز : أحد وثلاثون يوما .

آب : أحد وثلاثون يوما .

أيلول : ثلاثون يوما .

فبعضة أشهر ، كل شهر منها أحد وثلاثون
يوما ، وأربعة أشهر كل شهر منها ثلاثون
يوما ، وشهر واحد ثمانية وعشرون يوما وربيع
يوم - وذلك أنهم جعلوا شباط كل ثلاث
سنين متواليات ثمانية وعشرين يوما ، وجعلوه
في السنة الرابعة تسعة وعشرين يوما -
فيكون عدة أيام سنتهم ثلاثمائة وخمسة وستين
يوما وربيع يوم ، ويجعلون السنة الرابعة
ثلاثمائة وستة وستين يوما ويسمونها السنة
الكبيسة .

والما زادوا الربيع في كل سنة ليقرّب عدد
أيام سنتهم من عدد أيام السنة الشمسية ،
حتى تبقى أمورهم على نظام واحد ، فتكون
شهور البرد وشهور الحر وأوان الزرع ولقاح
الشجر وجنى الثمر في وقت معلوم من السنة ،
لا يتغير وقت شيء من ذلك ألبتة .



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

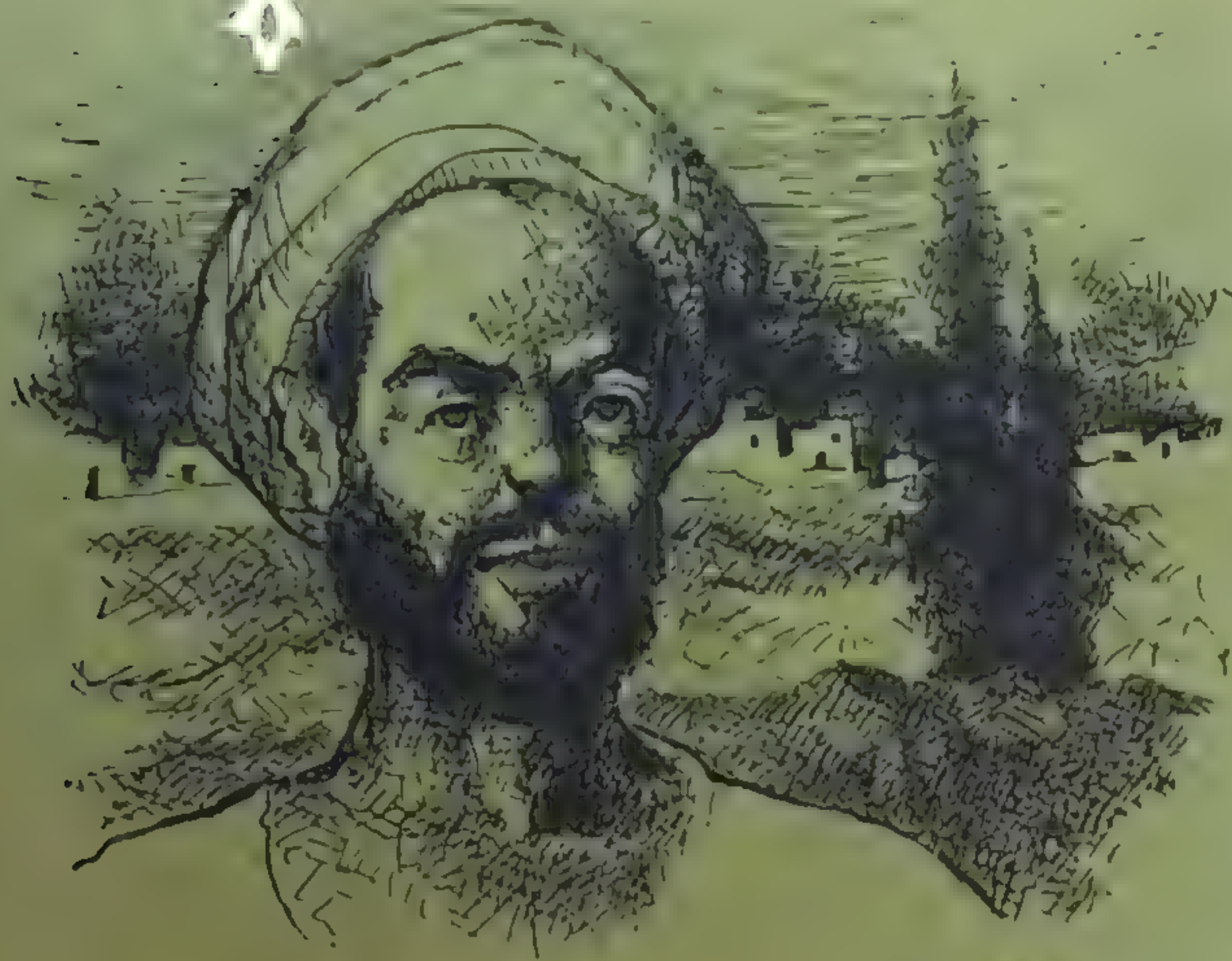
كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقرئ رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
بولاق
سنة ١٢٧٠ هجرية

التمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِئِ

٨



كتاب
التحرير

أحمد المصطفى

أول من وضع الخطوط الحرفية في اللغة العربية هو الخليل بن أحمد بن خنيزار
الغساني طاب ثراه في سنة ٢٤١ هـ وهو مؤلف كتاب «الكتاب» المعروف بـ
«كتاب الخليل» الذي كان من أجله وضع الخطوط الحرفية في اللغة العربية
سواءً في الكتابة أو في القراءة والخطوط الحرفية هي التي كانت
تسمى الخطوط الحرفية.

وكان ابتداء الكيس في السنة الثالثة من ملك الاسكندر .

وبين يوم الاثنين أول يوم من تاريخ الاسكندر هذا وبين يوم الخميس أول شهر المحرم من السنة التي هاجر نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة ومائة وخمسة وخمسون يوما .

وبينه وبين يوم الجمعة أول يوم من الطوفان ألفا سنة وسبعمائة سنة واثنان وتسعون سنة ومائة وثلاثة وتسعون يوما .

وبين ابتداء ملك بخت نصر وبين أول تاريخ الاسكندر أربعمائة وخمس وثلاثون سنة شمسية ومائتا يوم وثمانية وثلاثون يوما .

وقال أبو بكر أحمد بن علي بن قيس بن وحشية في كتاب « الفلاحة النبطية » : الشهر المسمى تموز - فيما ذكر القبط بحسب ما وجدت في كتبهم - اسم رجل كانت له قصة عجيبة طويلة ، وهو أنه دعا ملكا الى عبادة الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر ، وأن الملك قتله وعاش بعد القتل ، ثم قتله قتلات بعد ذلك قبيحة وفي كلها يعيش ، ثم مات في آخرها .

وان شهورهم هذه كل واحد منها اسم رجل فاضل عالم كان في القديم من النبط الذين كانوا مكان اقليم بابل قبل الكسدانيين . وذلك أن تموز هذا ليس من الكسدانيين ولا الكنعانيين ولا العبرانيين ولا الجرامقة ، وانما هو من الحزناسين الأولين .

ولذلك يقولون في كل شهورهم : انها اسماء رجال مضوا ، وان تشرين الأول وتشرين الثاني اسماء اخوين كانا فاضلين في العلوم ، وكذلك كان كانون الأول وكانون الثاني ، وان شباط اسم رجل لكح ألف امرأة - أبكارا كلهن - ولم ينل نساء ولا ولد ولدا ، فجعلوه في آخر الشهور لتقصاته عن النسل ، فصار النقصان من العدد فيه .

والصابئون من البابليين والحزناسين جميعا الى وقتنا هذا يتوحدون ويكون على تموز في الشهر المسمى تموز في عيد لهم فيه منسوب الى تموز ، ويعددون تعديدا عظيما ، وخاصة النساء ، فانهن يقمن ههنا جميعا وينحن ويبكين على تموز ، ويهذين في أمره هذيانا طويلا ، وليس عندهم علم من أمره أكثر من أن يقولوا هكذا وجدنا أسلافنا يتوحدون ويكون على تموز في هذا العيد المنسوب الى تموز .

والنصارى تذكر أنهم يعملونه لرجل يسمى جورجيس ، أحد حواربي عيسى عليه السلام ، دعا ملكا من الملوك الى دين النصرانية فعذبه الملك بتلك القتلات ...

فلا أدري وقع الى النصارى قصة تموز فأبدلوا مكانها اسم جورجيس وخالفوا الصابئين في الوقت ، لأن الصابئين يعملون ذكران تموز أول يوم من شهر تموز ، والنصارى يعملون لجورجيس في آخر نيسان .

ويقال ان بعض ملوك رومية زاد في شهور الروم كانون الثاني وشباط ، فان شهورهم

كانت الى زمانه عشرة أشهر كل شهر * ستة وثلاثون يوما .

ويقال ان فيورفيوس أول من ملك مدينة رومية ، وأنه أقام ملكا ثلاثا وأربعين سنة ، وزاد كانون الثاني وشباط في شهر الروم بحكم أنها كانت الى ذلك الزمان عشرة أشهر كل شهر ستة وثلاثون يوما .

وكان سبب نقص شباط يومين ، وقسوع غارة في أيام فيطن رئيس جيش الروم مع خلف وحروب بينه وبين فيروريوس آلت الى نصره فيطن وأخذ ملكة الروم ، وأمر فيروريوس فتودى عليه : « أعياء مرديا » ، وتقصيره ، أخرج ياشباط ، ثم غرق في البحر . وسماوا شهر شباط فيروريوس ليكون تذكرا سوء له ، فان هذا الفعل كان في يومى التاسع والعشرين والثلاثين من شباط ، فنقصوهما من شباط وزادوهما في تموز وكانون الثاني ، فجعلوا كل شهر منهما أحدا وثلاثين يوما .

ثم بعد زمان جاء ملك آخر فقال : لا يحسن أن يكون شباط في وسط السنة ، فنقله الى آخرها ... ولم يزل الروم من ذلك الوقت يتطيرون من شباط .

ذكر الفرق بين الاسكندر وذى القرنين وانهما رجلا

اعلم أن التحقيق عند علماء الأخبار أن ذا القرنين الذى ذكره الله في كتابه العزيز فقال : « وسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا . انا مكنا له في الأرض ، وآتيناه

(*) ص ١٥٢ ج ١ ، ط. بلاق .

من كل شيء سببا ... » الآيات ، عربى قد كثر ذكره في أشعار العرب ، وإن اسمه الصعب بن ذى مرثد بن الحارث الرائي بن الهمال ذى سدد بن عاد ذى منح بن عامر اللطاط بن سكك بن وائل بن حير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود ابن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وأنه ملك من ملوك حمير وهم العرب العاربة ، ويقال لهم أيضا العرب العرياء .

وكان ذو القرنين تبعا متوجا ، ولما ولي الملك تجبر ، ثم تواضع لله واجتمع بالخضر . وقد غلط من ظن أن الاسكندر بن فليش هو ذو القرنين الذى بنى السد ، فان لفظة ذو عربية ، وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن ، وذلك روى يوقاني .

قال أبو جعفر الطبرى : وكان الخضر في أيام أفريدون الملك بن الضحاك في قول عامة علماء أهل الكتاب الأول ، وقبل موسى بن عمران عليه السلام .

وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الأكبر الذى كان على أيام ابراهيم الخليل عليه السلام ، وإن الخضر بلغ مع ذى القرنين أيام سيره في البلاد نهر الحياة فشرب من مائه وهو لا يعلم به ذو القرنين ولا من معه ، فخلد ، وهو حي عندهم الى الآن .

وقال آخرون : ان ذا القرنين الذى كانا على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام هو أفريدون بن الضحاك ، وعلى مقدمته كان الخضر .

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب « التيجال في معرفة ملوك الزمان » بعد ما ذكر لسبب ذى القرنين الذى ذكرناه : وكان تبعا متوجا ، لما ولي الملك تجبر ، ثم تواضع واجتمع بالخضر بيت المقدس ، وسار معه مشارق الأرض ومغاربها ، وأوتى من كل شيء سببا كما أخبر الله تعالى ، وبنى السد على يأجوج ومأجوج ، ومات بالعراق .

فاما الاسكندر فانه يونانى ، ويعرف بالاسكندر المجدونى ، ويقال المقدونى .

سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن ذى القرنين : ممن كان ؟ فقال : من حمير ، وهو الصعب بن ذى مرثد الذى مكته الله تعالى في الأرض ، وآتاه من كل شيء سببا ، فبلغ قرنى الشمس ورأس الأرض ، وبنى السد على يأجوج ومأجوج .

قيل له : فالاسكندر ؟

قال : كان رجلا صالحا روميا حكيما ، بنى على البحر في أفرقية منارا ، وأخذ أرض رومة ، وأتى بحر العرب ، وأكثر على الآثار في الغرب من المصانع والمدن .

وسئل كعب الأحبار عن ذى القرنين فقال : الصحيح عندنا من أخبارنا وأسلافنا أنه من حمير ، وأنه الصعب بن ذى مرثد ، والاسكندر كان رجلا من يونان من ولد عيصو بن اسحاق بن ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهما . ورجال الاسكندر أدركوا المسيح بن مريم ، منهم جالينوس وأرسطاطاليس .

وقال الهمداني في كتاب « الأنساب » :

وولد كهلان بن سبأ زيدا ، فولد زيد عريسا

ومالكا وغالبا وعيكرب - وقال الهمشم : عيكرب بن سبأ أخو حمير وكهلان - فولد عيكرب أبا مالك فدرحا ومهيليل ابني عيكرب ، وولد غالب جنادة بن غالب - وقد ملك بعد مهليل بن عيكرب بن سبأ - وولد عريب عمرا ، فولد عمرو زيدا والميسع ، ويكنى أبا الصعب ، وهو ذو القرنين الأول ، وهو المساح والبناء . وفيه يقول النعمان بن بشير :

فمن ذا يعادنا من الناس معشرا
كراما ، فذو القرنين منا وحام

وفيه يقول الحارثي :

سموا لنا واحدا منكم فنعرفه
في الجاهلية لاسم الملك محتملا

كاتبين وذى القرنين يقبله
أهل الحجى فأحق القول ما قبلا

وفيه يقول ابن أبي ذئب الخزاعي * :

ومنا الذى بالخافقين تغريبا
وأصعد في كل البلاد وصوبا

فقد نال قرن الشمس شرقا ومغربا
وفي ردم يأجوج بنى ثم نصبا

وذلك ذو القرنين تفخر حمير
بمسكر قيل ليس يحصى فيحبا

قال الهمداني : وعلماء همدان تقول : ذو القرنين الصعب بن مالك بن الحارث الأعلى بن ربيعة بن الجبار بن مالك ، وفي ذى القرنين أقاويل كثيرة .

(*) ص ١٥٢ ج ١ ، ط. بلاق .

وقال الامام فخر الدين الرازي في كتاب « تفسير القرآن الكريم » : وما يترضى به على من قال ان الاسكندر هو ذو القرنين ان معلم الاسكندر كان أرسطاطاليس بأمره يأمر وبنيه ينتهى ، واعتقاد أرسطاطاليس مشهور ، وذو القرنين نبى ، فكيف يقتدى نبى بأمر كافر ؟ في هذا اشكال .

وقال الجاحظ في كتاب « الحيوان » : ان ذا القرنين كانت أمه آدمية ، وأبوه من الملائكة ، ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يسأى رجلا : يا ذا القرنين ، قال : أفرغتم من أسماء الأنبياء فارتعتم الى أسماء الملائكة ؟

وروى المختار بن أبى عبيد أن عليا رضى الله عنه كان اذا ذكر ذا القرنين قال : ذلك الملك الأمروط... والله أعلم .

ذكر من ولي الملك بالاسكندرية بعد الاسكندرية

قال في كتاب هرويشوش : ان الاسكندر ملك الدنيا اتى عشرة سنة ، فكانت الدنيا بأسورة بين يديه طول ولايته ، فلما مات تركها بين يدي قواده المستخلفين تحته ... فكان مثله معهم كمثل الأسد الذى ألقى صيده بين يدي أشباله ، فتقاتلت عليه تلك الأشبال بعده . وذلك أنهم اقتسموا البلاد ، فصارت مصر وأفريقية كلها وبلاد الغرب الى قائده وصاحب خيله الذى ولي مكانه وهو بطليموس بن لاوى ، ويقال بطليموس بن أرنبا المنطقى .

وذكر بقية مسالك القواد من أقصى بلاد الهند الى آخر بلاد المغرب ، ثم قال : فثارت بينهم حروب ، وسبها رسالة كانت خرجت من عند الاسكندر بأن يرجع جميع الغريباء المنفيين الى بلادهم ، ويسقط عنهم الرق والعبودية . فاستقل ذلك ملك بلاد الروم ، اذ خاف أن يكون الغريباء والمنفيون اذا رجعوا الى بلادهم ومواطنهم يطلبون النعمة لأتقهم ، فكان هذا الأمر سبب خروجهم عن طاعة سلطان المجدونيين .

وقال غيره : وبطليموس هذا سبى بنى معد بعد ما غزا فلسطين ، ثم أطلقهم وجباهم بأية جوهر وضعت في بيت المقدس ، وملك عشرين سنة .

وقال غيره : ولي أربعين سنة ، وقيل ثمانيا وثلاثين سنة .

وقيل ان اسمه فيلدفوس - وهو محب الأب - وكان مجدونيا . وهو الذى غنم اليهود وقتل كثيرا منهم الى مصر . وفي زمانه كان زينون الفيلسوف ، وكان هذا الملك فيلسوفا . وأقبل برديقا أحد قواد الاسكندر الى مصر بعسكر عظيم وجيش عرمرم ، ففرق سلطان مجدونية على قسمين .

ثم ان بطليموس جمع عساكر مصر وأفريقية ولاقى برديقا فهزمه وأصاب عسكره ، ثم قتله وأصاب ما كان معه ، وحارب عدة من قواد الاسكندر .

وقال غيره : وكان بطليموس هذا حكيما عالما شايئا مدبرا ، وهو أول من اقتنى البراة ولعب بها وضراها ، وكان من قبله من الملوك لا يلعب بها .

ولما مات ، ملك الاسكندرية بعده بطليموس الثانى ، واسمه فيلوزوفوس - ويقال له محب الأخ - وكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة . وهو الذى أطلق اليهود الذين كانوا مأسورين بأرض مصر ، ورد الأوالى المقدسة على عزيز النبى .

وهو الذى تخير السبعين مترجما من علماء اليهود الذين ترجموا كتب التوراة والأنبياء من اللسان العبرانى الى اللسان الرومى اليونانى واللاتينى ، وكان فيلسوفا منجما .

ومات ، فولى بعده ابنه بطليموس أوراهيمس - المعروف بمحب الأب - ستا وعشرين سنة ، ثم ولي بعده أخوه بطليموس فيلوبطور سبع عشرة سنة . وهو الذى قتل من اليهود نحو من ستين ألفا ، وتغلب عليهم .

ويقال انه صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب « المجسطى » .

ثم ملك بعده ابنه بطليموس أسفاميش - محب الأم - أربعين سنة .

ثم ولي بعده ابنه بطليموس فلوناطرة - وهو الصانع - خمس وثلاثين سنة ، وهو الذى غلب ملك الشام ، وحمل اليهود أنواع البلاء والعذاب .

ثم ملك الاسكندرية بعده ابنه بطليموس ابراهيمس - وهو الاسكندراني - تسعا وعشرين سنة . وفي زمانه غلب الرومانيون على الأندلس ، واحترقت مدينة قرطاجنة بالنار ، وأقامت النار فيها سبعة عشر يوما ، فهدمت وجولت أساساتها حتى صار رخام أسوارها

غبارا ، وذلك الى تسعمائة سنة من وقت بنائها ، ويبيع جميع أهلها رقيقا ، الا قليلا من خيارهم وأشرفهم . وكان المتولى لتخريبها قواد رومة .

ثم ولي بعده ابنه بطليموس شوطان - الذى يقال له الحديد - سبع عشرة سنة . وكان قبيح السيرة ، تزوج بأخته ثم فارقها على أقبح حال مما تزوجها عليه ، في خبر له ، ثم تزوج ببيته التى كانت بنت * أخته ، ثم زوجها من ابنه المولود له من أخته ... وكثرت فواحشه حتى قناه أهل الاسكندرية ، فمات منفا .

وولى أخوه بطليموس الاسكندر - وهو الجشوال - عشر سنين .

ثم ولي بعده ابنه بطليموس ديوشيش ثمانيا وثلاثين سنة . وفي زمانه غلب قائد الرومانيين على بيت المقدس ، وجعل اليهود يؤدون اليه الجزية .

وظهرت في ذلك الزمان علامات في السماء مهولة : منها أنه ظهر في السماء بناحية مطلع الشمس من مدينة رومة ما يلى ناحية الجنوب نار ملتهبة عظيمة ، وكسر قوم خبزا في صحن لهم فانتعج من الخبز دم سائل ، ونزل بمدينة رومة مدة سبعة أيام متوالية برد كان يوجد في داخله حجارة وشقاق ، واقتحت الأرض قصار فيها غور عظيم وخرج منه لهب اشتعل حتى ظنوه بلغ السماء ، ونظر أهل رومة يومئذ الى عود من الأرض الى السماء لونه لون الذهب ، وكان من عظمه تكاد الشمس أن تغيب منه .

(*) (ص) ١٥ ج ١ ، ط ١٥٠٠

ثم دلى الاسكندرية بعد كورنيلوس ،
فكانت ملكة لاسكندرية - وهي هيرة
التي تسمى - الى اولاد ملوك قيسر التي هو
اولاد ملوك الرومان ، ملكة ولسون ولسون
ت.

لميت قيسر بكتس يساكر كيرة لشمس
صر ، كترج لشمس كورنيلوس ابنة ديونيش
التي بكتسوس ، وقتل لشمس لشمس ،
وشاق قيسر . فلما لشمس قيسر بكتس ،
وحيث لشمس آلت الى فتح لاسكندرية بعد
حروب ، ولستولي قيسر على ملكة صر ،
وقتل كورنيلوس وولدها ، وقتل لشمس لشمس
زوجها . وقتل بل من قتل قتلها قتل
قيلة قيسر لها .

وقتل لها كانت قتل حرم وسيرة وعير ،
واتا حرم خليج لاسكندرية واليونان فيه
لشمس من صر ، وقت لاسكندرية ابنة
عيرة ، منها هيركل زحل ، وصلت فيه
لشمس من لشمس لشمس . وكان لشمس صر
والاسكندرية يصلون له عينا في اليوم الثاني
والثالث من حرم ، ومع اليه اليونانيون
من سائر الاقاليم ويقيمون له ذبايح لا تسمى
كيرة . فلما ظهرت ملكة الصلبي في لاسكندرية
جلوا هيركل زحل كيرة ، ولم تول الى ان
حسبها حيوش للز لشمس لشمس لشمس من
التي الى لشمس صر في سنة ثمان وخمسين
وثلثة من سني الهجرة النبوية .

وقتل ان كورنيلوس من التي بنت حائط
البحر بصر . وحسب ان يكون هذا غير
صحيح .

وقتل لها بنت خيلسا بكتس لشمس ،
وتبلى آخر بانها .

وقتل كانت مدة ملكها ثلاثين سنة . وليس
صحيح .

وسوت كورنيلوس لشمس ملكة صر ،
وصلت تحت يد ملوك الروم من لشمس مدينة
رومة ، ثم تحت يد ملوك الروم من لشمس
تحت لشمس . فلم تول تحت ايديهم يولون فيها
من قبلهم من ثلوا ، فيصير الى لاسكندرية
وتقيم بها ، الى ان قدم عمرو بن العاص
بلسان ، وفتح لشمس على يد لشمس
والاسكندرية وجب لشمس لشمس .

وقتل من كورنيلوس : الباكية .

فكان جيع للشمس التي ما بين فتل حرم
الباكية من لاسكندرية وقدم عمرو بن
العاص الى صر وقتلها سنة ثمان وخمسين
وسبعين سنة .

وق خلال هذه السنة قوى جانب ملوك
القرس على القيسرية ، وملكوا منهم
بلاد الشام ، ولستولوا على ارض صر
والاسكندرية في ايام كسرى ابرويز بن هرمز ،
فيمت قاتلوا الى صر وملك لاسكندرية وقتل
الروم ، وانقلوا بالاسكندرية سنة ثمان
سبعين .

فلما لشمس حرم قتل بكتس الروم وخرج من
التحت لشمس لشمس الاموال من سائر ملكه
لشمس حرم وشمس ، وصل الى بيت لشمس
وقد خرجا القرس قاتل يثاها ، وسار منها الى
ارض صر ، ودخل لاسكندرية وقتل من بها
من القرس ، وانقل بها بكتس ، ثم عاد الى

تحت لشمس - قاتل صر بكتس تحت
ابنة الروم ، حتى ملكها لشمس

وقتل ان كل بناء بصر من آجر هو
القرس ، وما فيها من بناء حجر هو الروم .
وانه اعلم .

ذكر ملوك الاسكندرية

قال المسعودي : فلما مائة الاسكندرية ،
لشمس لاكمرون من لشمس والاسكندراني
من عتي باخبار بكتس ان الاسكندر بن
ليش للشمس هو الذي بناها .

ومنهم من راي ان دلوكة الملكة بكتس
وجعلها مرقيا لمن يرد من العدو الى بكتس .

ومن الناس من راي ان العاصم من قرنة
صر هو الذي بناها .

ومنهم من راي ان الذي بني مدينة رومة
هو الذي بني مدينة الاسكندرية وبنائها
والاهرام بصر ، وانما اضيفت الاسكندرية
الى الاسكندر لشمس بكتس على الاكر
من سالك العالم فتمت به ، وذكروا في ذلك
لخبروا كيرة بكتس بها على ما قالوا .

والاسكندر لم يترك في هذا البحر عدو ،
ولا عاب ملكا يرد اليه في بلده ومزوره في
قوله ، فيكون هو الذي جعلها مرقيا .

وان الذي بناها جعلها على كرسى من
الزجاج على هيئة السرطان في جوف البحر ،
وعلى طرف اللسان الذي هو داخل في البحر
من البر ، وجعل على اعلاها تماثيل من
الفضة وغيره .

منها تلال قد اكلت بساتين من بكتس ،
التي نهر النهر اينما كانت من القلعة ،
وانما علك في القلعة فكتس بكتس بها نهرها ،
فلما انتقلت صلت بكتس مالا ثلثون مائة
حيث دارت .

ومنما تلال بكتس بكتس الى البحر ، فلما صارت
المدن على نهر من ليلة ، فلما صارت
ان يرى بالبحر لشمس لشمس ، سمع لشمس
التلال صوت عاكس يسم من سيرة ميلان او
ثلاثة ، فيعلم اهل المدينة ان العدو قد دنا منهم
فيمتوه باخبارهم .

ومنما تلال كلسا مضي من الليل او النهار
ساعة ، سمعوا له صوتا بخلاف ما صرت في
الساعة التي قبلها ، وصوت مطرب .

وقد كان ملك الروم في ملك الوليد بن عبد
الملك بن مروان اتحد حتما من خواص خدمه
ذا راي ودعاء ، فبعاه مستائنا الى بعض
التخوم ، فورد بالة حنة ومعها جماعة ، فبعاه
الى الوليد فآخيره انه من خواص الملك ، وانه
راد قتله لموجدة وحال بكتس انه لم يكن لها
اصل ، وانه استوحش ورغب في الاسلام .
فاسلم على يد الوليد ، وتقرب من قلبه ،
وتصح اليه في دقائق استخرجها له من بلاد
دمشق وغيرها من الشام يكتب كانت مع فيها
صفات تلك الدقائق .

فلما صارت الى الوليد تلك الاموال
والجواهر شرحت نفسه ، ولتحمك طمعه ،
فقال له الخادم : يا امير المؤمنين ، ان ههنا
اموالا وجواهر ودقائق للملوك .

فسأله الوليد عن الخبر فقال : تحت منارة الاسكندرية أموال ملوك الأرض ، وذلك أن الاسكندر لحسوى على الأموال والجواهر التي كانت لشداد بن عاد وملوك مصر ، فبنى لها أزجا تحت الأرض ، وقنطر لها الأقباء والقناطر والسراديب ، وأودعها تلك الفخائر من العين والورق والجوهر ، وبنى فوق ذلك هذه المنارة .

وكان طولها في الهواء ألف ذراع ، والمرأة في علوه ، والديابة جلوس حوله ، فإذا نظروا الى العدو في البحر في ضوء تلك المرأة صوتوا لمن قرب منهم ، ونشروا أعلاما فيراها من بعد منهم ، فتحذر الناس وتذر البلد ، فلا يكون للعدو عليهم سبيل .

فبنت الوليد مع الخادم بجيش وأفاس من ثقافته وخواصه ، فهدم نصف المنارة من أعلاها وأزيلت المرأة ، فضج الناس من هذا وعللوا أنها مكيدة وحيلة في أمرها . فلما علم الخادم استفاضة ذلك ، وأنه سينم الى الوليد ، وأنه قد بلغ ما يحتاج اليه ، هرب في الليل في مركب كان قد أعدده ، ووطأ على ذلك ، فتمت حيلته . وبقيت المنارة على ما ذكرناه الى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة .

وكانت حوالى منارة الاسكندرية في البحر مفاص يخرج منه قطع من الجوهر يتخذ منه قصوص للخواتم أنواعا من الجواهر ، يقال أن ذلك من آلات اتخذها الاسكندر للشراب ، فلما مات كسرتها أمه ورمت بها في تلك المواضع من البحر .

ومنهم من رأى أن الاسكندر اتخذ ذلك النوع من الجواهر وغرقه حول المنارة ،

لكيلا تخلو من الناس حولها ، لأن من شأن الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا في كل عصر . ويقال أن هذه المنارة انما جعلت المرأة في أعلاها لأن ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر والاسكندرية ، فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرأة ترى من يرد في البحر من عدوهم .

وكان من يدخلها يتبع فيها ، الا أن يكون عارفا بالدخول والخروج فيها ، لكثرة بيوتها وطبقاتها وممراتها .

وقد ذكر أن المغاربة ، حين وافوا في خلافة المقدندر في جيش صاحب المغرب ، دخل جماعة منهم على خيولهم الى المنارة ، فتأهوا فيها في طرق تؤول الى مهاو تهوى الى السرطان الزجاج ، وفيه مخاريق الى البحر . فتهورت دوابهم وفقد منهم عدد كثير ، وعلم بهم بعد ذلك . وقيل أن تهورهم كان على كرسى لها قدأماها .

وفي المنارة مسجد في هذا الوقت يربط فيه مطوعة المصريين وغيرهم .

وفي سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، سقط رأس المنارة من زلزلة .

ويقال أن منارة الاسكندرية كانت مبنية بحجارة مهندمة مضيبة برصاص على قناطر من الزجاج ، وتلك القناطر على ظهر سرطان ، وكان في المنارة ثلثمائة بيت بعضها فوق بعض ، وكانت الدابة تصعد بخيلها الى سائر البيوت من داخل المنارة . ولهذه البيوت طاقات تشرف على البحر . وكان على الجانب الشرقي من المنارة كتابة عربية فاذا هي : بنت هذه

المنظرة قريبا بنت مريئوس اليونانية لرصد الكواكب .

وقال ابن وصيف شاه ، وقد ذكر أخبار مصر ايم بن يعصر بن حام بن نوح : وبنوا على البحر مدنا منها رقودة مكان الاسكندرية ، وجعلوا في وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب ، والقبة مذهبة ، ونصبوا فوقها منارة عليها مرآة من أخلاط شتى ، قطرها خمسة أشبار ، وكان ارتفاع القبة مائة ذراع ، فكانوا إذا قصدهم قاصد من الأمم التي حولهم ، فإن كان مما يهيمهم أو من البحر ، عملوا لتلك المرأة عملا فألقت شعاعها على ذلك الشيء فأحرقت . فلم تزل على حالها الى أن غلب عليها البحر فنسفها .

ويقال أن الاسكندر انما عمل المنار الذي كان شيها بها ، وقد كان أيضا عليه مرآة يرى فيها من يقصدهم من بلاد الروم ، فاحتال بعض ملوك الروم فوجه من أزالها ، وكانت من زجاج مدبر .

وقال المسعودي في كتاب « التبيين والاشراف » : وقد كان وزير المتوكل عبيد الله ابن يحيى بن خاقان ، لما أمر المستعين بنفقه الى برقة في سنة ثمان وأربعين ومائتين ، صار الى الاسكندرية من بلاد مصر ، فرأى حمرة الشمس على علو المنارة التي بها وقت المغيب ، فقدر أنه يلزمه ألا يقطر اذا كان صائما أو تغرب الشمس من جميع أقطار الأرض ، فأمر انبانا أن يصعد الى أعلى منارة الاسكندرية ومعه حجر ، وأن يتأمل موضع سقوط الشمس ، فاذا سقطت رمى بالحجر ، ففعل

(*) من سنة ١٠٥٠ ج ١ ، ط ١٠٥٠

الرجل ذلك ، فوصل الحجر الى قرار الأرض بعد صلاة العشاء الآخرة ، فجعل افطاره بعد صلاة العشاء الآخرة فيما بعد اذا صام في مثل ذلك الوقت .

وكان عند رجوعه الى سر من رأى لا يقطن الا بعد العشاء الآخرة . وعنده أن هذا فرضه ، وأن الوقتين متساويان . وهذا غاية ما يكون من قلة العلم بالفرض ومجاري الشرق والغرب .

وقد ذكر أرسطاطاليس في كتاب « الآثار العلوية » أن بناحية المشرق الصيني جبلا شامخا جدا ، وأن من علامة ارتفاعه أن الشمس لا تغيب عنه الى ثلاث ساعات من الليل ، وتشرق عليه قبل الصبح ثلاث ساعات .

ومنارة الاسكندرية أحد بنيان العالم العجيب ، بناها بعض البطالة ملوك اليونانيين بعد وفاة الاسكندر بن فيليش الملك لما كان بينهم وبين ملوك رومة من الحروب في البر والبحر ، فجعلوا هذه المنارة مرقبا ، في أعاليها مرآة عظيمة من نوع الأحجار المشقة ليُشاهد منها مراكب البحر اذا أقبلت من رومة على مسافة تعجز الأبصار عن ادراكها ، فكانوا يراعون ذلك في تلك المرأة ، فيستمدون لهم قبل ورودهم .

وطول المنارة في هذا الوقت على التقريب مائتان وثلاثون ذراعا . وكان طولها قديما نحو من أربعمائة ذراع ، فهدمت على طول الأزمان وترادف الزلازل والأمطار ، لأن بلد الاسكندرية تمطر ، وليس سيلها سبيل فسطاط مصر ، إذ كان الأغلب عليها ألا تمطر الا اليسير .

وبناؤها ثلاثة أشكال : فـقـرب من النصف وأكثر من الثلث مـرج الشكل ، بناؤه بأحجار يـضـى ، يـكـون لـحـوا من مائة ذراع وعشرة أذرع على التـقـرب . ثم من بعد ذلك مـشـن الشكل ، مـبـنى بالحـجـر والجـص لـحـو من يـف وستين ذراعاً ، وحواليه فضاء يدور فيه الإنسان . وأعلىها مدور .

وكان أحمد بن طولون رم شيئاً منها ، وجعل في أعلاه قبة من الخشب ليصعد إليها من داخلها ، وهي مبطنة مـوربة بـنـير درج . ولـى الـجـة الشمالية من المـارة كـتـابة برصاص مدفون بقلم يوناني ، طول كل حرف ذراع في عرض شبر ، ومقدارها على جهة الأرض نحو من مائة ذراع ، وماء البحر قد بلغ أصلها .

وقد كان تهدم أحد أركانها الغربية مما يلي البحر ، فبناها أبو الجيش خسارويه بن أحمد ابن طولون .

وبينها وبين مدينة الاسكندرية في هذا الوقت نحو من ميل ، وهي على طرف لسان من الأرض قد ركب البحر جنبته . وهي مبنية على قم مينا الاسكندرية ، وليس بـالـيـنا القديم لأن القديم في المدينة المتيقة لا تـرسى فيه المراكب لبعده عن الممران . واليـنا هو الموضع الذي تـرسى فيه مراكب البحر .

وأهل الاسكندرية يخبرون عن أسلافهم أنهم شاهدوا بين المارة وبين البحر نحو ما بين المدينة والمارة في هذا الوقت ، فقلب عليه ماء البحر في المدة اليسيرة ، وأن ذلك في زيادة .

قل : وتهدم في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة نحو من ثلاثين ذراعاً من

أعلىها بالزلزلة التي كانت ببلاد مصر وكثير من بلاد الشام والمغرب في ساعة واحدة ، على ما وردت به علينا الأخبار المتواترة ونحن بفسطاط مصر ، وكانت عظمة جدا مهولة فظيمة أقامت نحو نصف ساعة زمامية ، وذلك نصف يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من هذا الشهر ، وهو الخامس من كانون الآخر والتاسع من طوبة .

وكان لهذه المنارة مجمع في يوم خيس العدس ، يخرج سائر أهل الاسكندرية إلى المنارة من مساكنهم بآكلهم — ولا بد أن يكون فيها عدس — فيفتح باب المنار ويدخله الناس ، فمنهم من يذكر الله ، ومنهم من يصلي ، ومنهم من يلهو ... ولا يزالون إلى نصف النهار ثم ينصرفون . ومن ذلك اليوم يحترس على البحر من هجوم العدو .

وكان في المنارة قوم مرتبون لوقود النار طول الليل ، فيقصد ركاب السفن تلك النار على بعد ، فإذا رأى أهل المنار ما يريهم أشعلوا النار من جهة المدينة ، فإذا رآها الحرس ضربوا الأبواق والأجراس ، فيتحرك عند ذلك الناس لمحاربة العدو .

ويقال أن المنار كان بعيداً عن البحر ، فلما كان في أيام قسطنطين بن قسطنطين هاج البحر وغرق مواضع كثيرة وكناش عديدة بمدينة الاسكندرية ، ولم يزل يقلب عليها بعد ذلك ويأخذ منها شيئاً بعد شيء .

وذكر بعضهم أنه قاله فكان مائتي ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً . وهي ثلاث طبقات : الطبقة الأولى مربعة ، وهي مائة واحد وبعشرون ذراعاً ونصف ذراعاً ، والطبقة الثانية

مربعة ، وهي إحدى وثلاثون ذراعاً ونصف ذراعاً . والطبقة الثالثة مدورة ، وهي إحدى وثلاثون ذراعاً ونصف ذراعاً .

وذكر ابن جبير في رحلته أن منار الاسكندرية يظهر على أزيد من سبعين ميلاً ، وأنه ذرع أحد جوابه الأربعة ، في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فأناف على خمسين ذراعاً ، وأن طول المنار أزيد من مائة وخمسين قامة . وفي أعلاه مسجد يتبرك الناس بالصلاة فيه .

وقال ابن عبد الحكم : ويقال أن الذي بنى منار الاسكندرية كلوباطرة الملكة ، وهي التي ساقته خليجها حتى أدخلته الاسكندرية ، ولم يكن يبلغها إنما كان يعدل من قرية يقال لها كسا قبالة الكريون ، فحفرته حتى أدخلته الاسكندرية ، وهي التي بلطت قاعه .

ولما استولى أحمد بن طولون على الاسكندرية بنى في أعلى المنار قبة من خشب فأخذتها الرياح .

وفي أيام الظاهر بيبرس تداعى بعض أركان المنار وسقط ، فأمر ببناء ما تهدم منه في سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، وبني مكان هذه القبة مسجداً ، وهدم في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعمائة عند حدوث الزلزلة ، ثم بنى في شهر ربيع سنة ثلاث وسبعمائة على يد الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وهو باق إلى يومنا هذا .

ولله در الوجيه الدروي حيث يقول في منار الاسكندرية :

(هـ) من ١٠٧٧ ج ١ ، ط ١٠٧٧

وسامة الأرجاء تهدى أبا البري ضياء إذا ما حنّس الليل أظلاما لبست بها برداً من الألس صافيا فكان بتذكّار الأحبة معلما وقد ظللتني من ذراعا بقبة لاحظ فيها من صحابي أنجبا فخيّل أن البحر تحثي غمامة وأنى قد خيت في كبد السام

وقال ابن قلاؤس من أبيات :
ومنزّل جاوز الجوزاء مرتقيا
كأنما فيه للنسرين أوكار
راسي القنطرة سامي القرمع في يده
للنور والنور أخبار وأخبار
أطلقت فيه عنان النظم فاطردت
خيل لها في بديع الشعر مضمار
وقال الوزير أبو عبد الله محمد بن الحسن ابن عبد ربه :

له در منار اسكندرية كم
يسمو اليه على بعد من الصدق
من شامخ الأفق في عرينه شم
كأنه ياهت في دارة الأفق
للنشآت الجوارى عند رؤيته
كموقع النوم في أجفان ذي أرق

وقال عمر بن أبي عمر الكندي في فضائل مصر : ذكر أهل العلم أن المنارة كانت في وسط الاسكندرية حتى غلب عليها البحر فصارت في جوفه ، ألا ترى الأبنية والأساسات في البحر إلى الآن عياناً ؟

وقال عبد الله بن عمرو : عجائب الدنيا أربعة : امرأة كانت معلقة بمنارة الاسكندرية ،

فكان يجلس الحائس تحتها فيرى من
بالسليمانية ، ويهيمها مرض البحر ... وذكر
الثلاثة .

ذكر الملعب الذي كان بالاسكندرية
والخبره من المجالب

قال القسائس : ومن عجائب مصر
الاسكندرية وما بها من العجائب ، فمن عجائبها
المسارة والصورى والملعب الذى كانوا
يجتمعون فيه في يوم من السنة ، ثم يرمون
بالكرة فلا تقع في حجر أحد الا ملك مصر .

وحشر عيدا من اعيادهم عمرو بن العاص ،
فوقعت الكرة في حجره فملك البلد بعد ذلك
في الاسلام .

ثم حضر هذا الملعب ألف ألف من الناس ،
فلا يكون ليهم أحد الا وهو ينظر في وجه
صاحبه . ثم ان قرىء كتاب سمعوه جيما ،
او لعب لون من اللعب راوه عن آخرهم ، لا
يتظالمون فيه بأكثر من مراتب العلية والسلية .

وقال ابن عبد الحكم : فلما كانت سنة
ثمان عشرة من الهجرة ، وقدم عمرو بن الخطاب
رضي الله عنه البادية ، خلا به عمرو بن العاص
واستأذنه في المسير الى مصر .

وكان عمرو قد دخل في الجاهلية مصر
وعرف طرقها ، ورأى كثرة ما فيها . وكان
سبب دخوله اياها أنه قدم الى بيت المقدس
لتجارة في ثمر من قرش ، فاذا هم بشناس من
شامسة الروم من اهل الاسكندرية قدم
للملاحة في بيت المقدس فخرج في بعض جبالها

يسبح ، وكان عمرو يرى الله وابل أصحابه ،
وكانت رغبة الابل لوبا بينهم .

فبينما عمرو يرى ابله ، اذ مر به ذلك
الشناس وقد أصابه عطش شديد في يوم
شديد الحر ، فوقف على عمرو فاستقاه
فسقاه عمرو من قربة له ، فشرب حتى روى
ولام الشناس مكانه . وكانت الى جنب
الشناس حث لأم حفرة ، فخرجت منها حية
عظيمة ، فبصر بها عمرو فترع لها بسهم
فقتلها .

فلما استيقظ الشناس نظر الى حية عظيمة
قد انجاه الله منها ، فقال لعمرو : ماهذه ؟

فأخبره عمرو أنه رماها فقتلها ، فأقبل الى
عمرو فقبل رأسه وقال : قد أحياني الله بك
مرتين : مرة من شدة العطش ، ومرة من هذه
الحية ، فما أقدمك هذه البلاد ؟

قال : قدمت مع أصحاب لي لطلب الفضل
في تجارتنا .

فقال له : الشساس : وكم تراك ترجو أن
نصيب في تجارتك ؟

قال : رجائي أن أصيب ما أشتري به
بعيرا ، فالي لا أملك الا بعيرين ، فأمل أن
أصيب بعيرا آخر فتكون ثلاثة أبيرة .

فقال له الشساس : أرايت دية أحدكم بينكم
كم هي ؟

قال : مائة من الابل .

فقال له الشساس : لنا أصحاب ابل ،
انما نحن أصحاب دنائير ؟

(٥) مر ١٥٨ ج ١ ، ط. بولان .

قال : تكون ألف دينار .

فقال له الشساس : اني رجل غريب في هذه
البلاد ، وانما قدمت أصلي في كنيسة بيت
المقدس واسبح في هذه الجبال شهرا ، جعلت
ذلك نذرا على نفسي ، وقد قضيت ذلك ، وآأ
أريد الرجوع الى بلادى ، فهل لك أن تبصني
الى بلادى ولك على عهد الله وميثاقه أن
أعطيك دينين ، لأن الله عز وجل أحياني بك
مرتين ؟

فقال له عمرو : أين بلادك ؟

قال : مصر ، في مدينة يقال لها
الاسكندرية .

فقال له عمرو : لا أعرفها ، ولم أدخلها
قط .

فقال له الشساس : لو دخلتها لعلمت أنك لم
تدخل قط مثلها .

فقال له عمرو : وتنى لي بما تقول ، ولي
عليك بذلك العهد والميثاق ؟

فقال له الشساس : نعم ، لك والله على العهد
والميثاق أن أفي لك ، وأن أردك الى أصحابك .

فقال له عمرو : كم يكون مكثي في ذلك ؟

قال : شهرا ، تنطلق معي ذاهبا عشرا ،
وتقيم عندنا عشرا ، وترجع في عشر . ولك
على أن أحفظك ذاهبا ، وأن أبعت ممك من
يحفظك راجعا .

فقال له عمرو : أنظرني حتى أشاور أصحابي
في ذلك .

فانطلق عمرو الى أصحابه فأخبرهم بما
عاهد عليه الشساس ، وقال لهم : تقيمون على

حتى أرجع اليكم ولكم على العهد أن أعطكم
شطر ذلك ، على أن يصحبني رجل منكم
آنس .

فقالوا : نعم ، وبعتوا معه رجلا منهم .
فانطلق عمرو وصاحبه مع الشساس ، حتى
اتموا الى مصر ، فرأى عمرو من عمارتها
وكثرة أهلها وما بها من الأموال والخير ما
أعجبه ، فقال عمرو للشساس : ما رأيت مثل
ذلك .

ومضى الى الاسكندرية ، فنظر عمرو الى
كرة ما فيها من الأموال والعمارة ، وجودة
بنائها وكثرة أهلها ، فازداد عجبا . ووافق
دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عثيما
يجتمع فيه ملوكهم وأنزاقهم ، ولهم كرة من
ذهب مكللة يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها
ياكسامهم ، وفيما اختيروا من تلك الكرة
— على ما وصفنا من مضى منهم — أنها من
وقعت الكرة في كفه واستقرت فيه لم يست
حتى يملكهم .

فلما قدم عمرو الاسكندرية أكرمه الشساس
الاکرام كله ، وكساه ثوب ديباج ألبه اياه .
وجلس عمرو والشساس مع الناس في ذلك
المجلس ، حيث يترامون بالكرة وهم يتلقونها
ياكسامهم ، فرمى بها رجل منهم ، فأقبلت تهوى
حتى وقعت في كم عمرو ، فعجبوا من ذلك
وقالوا : ما كذبتنا هذه الكرة قط الا هذه
المرة . أترى هذا الأعرابي يملكنا ؟ هذا ما لا
يكون أبدا .

وان ذلك الشساس مشى في أهل
الاسكندرية ، وأعلمهم أن عمرا أحياء مرتين ،
وأه قد ضمن له ألفي دينار ، وسألهم أن

يجتمعوا ذلك له قبا بينهم ، فقتلوا ودفنوها
الى عمرو .

فانطلق عمرو وصاحبه ، وبعث معها
الشمس دليلا ورسولا ، وزودها واكرمها
حتى رجع هو وصاحبه الى اصحابها .
فبذلك عرف عمرو منزل مصر ومخرجها ،
ورأى منها ما علم انها افضل البلاد واكثرها
اموالا .

فلما رجع عمرو الى اصحابه ، دفع اليهم
قبا بينهم اثنتي عشرة دينار ، وانكس لقمه اثنا
عشر عرو : وكان اول ما استقدمه وقتئذ .

ذكر عمود السواري

هذا العمود حجر احمر منتظم ، وهو من
الصوان اللامع ، كان حوله نحو ارساة
عمود كرمها قريبا - والى الاسكندرية في
ايام البطريق صلاح الدين يوسف بن
ايوب - ورماها بسلامي البحر ليوعر على
العمود سلكه اذا قصوا .

ويذكر ان هذا العمود من جلة اعمدة كانت
تحمل رواق ارسططليس الذي كان يدرس
به الحكمة ، وانه كان دليلا على علمه ، وفيه خزانة
كتب احرقها عمرو بن العاص بإشارة عمر بن
الخطيب رضي الله عنه .

ويقال ان ارتفاع هذا العمود سبعون
ذراعا ، وقطره خمسة أذرع .

وذكر بعضهم ان طوله بقاعدتيه اثنان
وسون ذراعا وسنن ذراع ، وهو على تنز
طوله ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف ذراع ،
فجيلة ذلك خمسة وثلاثون ذراعا وثلاث ذراع ،

وطول قاعدته السفلى اثنا عشر ذراعا ، وطول
القاعدة العليا سبعة أذرع ونصف .

قال المسعودي : ولي الجباب الغرى من
معيد مصر جبل رخام عظيم ، كانت الأولاد
تقطع منه العمود وغيرها ، وكانوا يحصلون ما
صلوا به البحر .

فاما العمود والفوائد والرؤوس التي يسميها
أهل مصر الأسواوية - ومنها حجارة
الفلوجين - فتلك تقرأ الأولون قبل حدوث
الصرائية بنين من النين ، ومنها العمود التي
بالاسكندرية ، والعمود بها الضخم الكبير
لا يعلم بالعلم عود مثله .

وقد رأيت في جبل أسوان أخا هذا العمود
وقد هتس وقر ، ولم يفصل من الجبل ، ولم
يحمل ما ظهر منه ، وانما كانوا يتفكرون به
أن يفصل من الجبل ، ثم يحمل الى حيث يريد
القوم ... انتهى .

وكان بالاسكندرية من العمود المقام ،
وانواع الحجارة والرخام الذي لا تقبل
القطعته منه الا بالكوف من الناس ، وقد علق
بين السماء والأرض على فوقه لائحة ذراع ،
وفوق رؤوس أساطين دائر الاسطوانة ما بين
الخمس عشرة ذراعا الى العشرين ذراعا ،
والحجر فوقه عشرة أذرع في عشرة أذرع في
سك عشرة أذرع ، بترائب الألوان .

وكان بالاسكندرية قصر عظيم لا نظير له في
مصور الأرض ، على ربوة عظيمة بإزاء باب
البلد ، طوله خمسمائة ذراع ، وعرضه على
النصف من ذلك ، وبابه من أعظم بناء وأتقنه ،

(١٥١) سنة ١٥١٠ - ١٥١١ - ١٥١٢

كل عصابة منه حجر واحد ، وعتبة حجر
واحد .

وكان فيه نحو مائة أسطوانة ، وبازاته
أسطوانة عظيمة لم يسمع بمثلا ، غلظها ستة
وثلاثون شبرا ، وعلوها بحيث لا يدرك أعلاها
قاذف حجر ، وعليها رأس محكم الصناعة يدل
على انه كان فوق ذلك بناء ، وتحتها قاعدة
حجر أحمر محكم الصناعة ، عرض كل ضلع
منه عشرون شبرا في ارتفاع ثمانية أشتبار .

والأسطوانة منزلة في عمود من حديد قد
خرقت به الأرض ، فاذا اشتدت الرياح رأيتها
تتحرك ، وربما وضع تحتها الحجارة فطحتها
لشدة حركتها .

وكانت هذه الأسطوانة إحدى عجائب
الدنيا . وقد زعم قوم انها مما عمله الجن
لسليمان بن داود عليهما السلام ، كما هي
عادتهم في نسبة كل ما يستعظمون عمله الى انه
من صيغ الجن ، وليس كذلك ، بل كانت مما
عمله لقضاء من أهل مصر .

وكان في وسطه قبة ، ومن حولها أساطين ،
وعلى الجميع قبة من حجر واحد رخام أبيض
كأحسن ما أفت راء من الصنائع .

ويقال ان بعض ملوك مصر دخل
الاسكندرية ، فأعجبه هذا القصر وأراد أن
يبني مثله ، فجمع الصناع والمهندسين ليقبوا
له قصرا عظيما على هيئته ، فما منهم الا من
اعترف بعمجزه عن مثله ، الا شيخا منهم فانه
التزم أن يصنع مثله .

فمر الملك ذلك ، وأذن له في طلب ما يحتاج
اليه من المؤن والآلات والرجال .

فقال : انشئوني بثورين مثليين ، وعجلة
كبيرة ... فللحال أتى بذلك .

ففض الى المقابر القديمة ، وحفر منها قبرا
أخرج منه جسيمة عظيمة ، رفعا عدة من
الرجال على العجلة ، فما يجرها الثوران ، مع
قوتها ، الا بعد جهد وعناء .

فلما وقف بها بين يدي الملك ، قال : أصلح
الله سيدنا ، ان أيتى يقوم رؤوسهم مثل هذا
الرأس ، علت لك مثل هذا القصر .

فتيقن الملك عند ذلك عجز أهل زمانه عن
اقامة مثل ذلك القصر .

وقد ذكر انه كان بالاسكندرية ضرس
السان ، عند قصاب يؤن به اللحم ، رؤس
ثمانية أرتال .

ويقال ان عمود السواري ، الموجود الآن
خارج مدينة الاسكندرية ، أحد سبعة أعمدة
أنشأها البتون بن مرة السامري ، وهو
يحمل تحت ابنته ، من جبل يرمي الأحمر قبلي
أسوان ، الى الاسكندرية ، فانكسر ضلعه
لانه كان ضعيف القوى في قومه .

فتشق ذلك على عمر بن شداد بن عاد ،
وقال : ليتني فديته بنصف ملكي .

وجاء بعمود آخر جعدر بن سنان الشودي
- وكان قويا - فحمله من أسوان تحت ابنته
وجاء ببقية رجالهم ، كل رجل بعمود ، فأقام
العمود السبعة الجاورد بن قطن المؤتفكي
- وكان بكاءها - بعد أن اختاروا لها طالعا
سعيدا كما هي عادتهم في عامة أعمالهم .

وقد ذكر غير واحد أن الصخور ، في القديم
من الدهر ، كانت تليق ، فعمل منها أعمدة

كاعط ومأرب وينون ومامر الين ، وأصله
دمشق ومصر ومدين وتلمر ، وإن كل شيء
كن يتكلم .

قال أمة بن الصلت :

ولذ هم لا ليسوس لهم عزة

ولذ صخر السلام لهم وطاب

وقال قوم : عود السورى من جلة لعدة
كانت تحمل رولقا يقال له بيت الحكمة ، وذلك
حيث انتهت علوم أهل العرب الى حسن فرق
وهم : أصحاب الرواق هذا ، وأصحاب
الأسطوانة وكانوا يميلك ، وأصحاب العقل
وهم بالطاكية ، وأصحاب البراي وكانوا
بصيد مصر ، والشامون وكانوا بتدوية .

وكانى من كل علم ينكر على إيراد هذا
التصل ، ورواه من قيل للحال ومبا وضمة
التصل ، ويجزم بكذبه ... فلا يوحى لك
حكايته له ، واسع قول الله تعالى عن عاد قوم
هود : « ولذكروا لذكركم خلفاء من بعد قوم
نوح ، وزادكم فى الخلق بسطة » ، أى طولا
وعظم جسم .

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما :
كان أطولهم مائة ذراع ، وأقصرهم ستين
ذراعا . وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم ،
وقيل على خلق قوم نوح .

وقال وهب بن منبه : كان رأس أحدكم مثل
قبة عتيبة ، وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها
السباع ، وكذلك متخرم .

وروى شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة
رضي الله عنه أنه قال : إن كان الرجل من قوم
عاد ليحمل الصراخين ، لو اجتمع عليه خمسمائة

من هذه الأمة لم يطيقوه . وإن كان أحدكم
ليتمز بقدمه الأرض فيدخل فيها .

وروى عبد الله بن لهيعة ، عن يزيد بن عمرو
المافري ، عن ابن جبرة قال : استقل سبعون
رجلا من قوم موسى عليه السلام فى قحف
رجل من الصالين .

وعن زيد بن اسلم : بلغنى أن الضببة
وأولادها ربيح فى حجاج عين رجل من
الصالين .

وقال تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك
بعاد . أرم ذات العماد . التى لم يخلق مثلا
فى البلاد » .

قال البرد : وقولها (معنى الخساء) :
رفيع الضاد ، إنما تريد الطول . يقال رجل
ممد : يريد طويلا ، ومنه قوله تعالى : « أرم
ذات العماد » ، أى الطول .

وقال البغوى : سموا ذات العماد ، لأنهم
كانوا أهل عد سيرة . وهو قول قتادة
ومجاهد والكلبي ، ورواية عطاء بن ابن
عباس .

وقال بعضهم : سموا ذات العماد ، لطول
قاعاتهم . قال ابن عباس : معنى طولهم مثل
العماد .

قال مقاتل : كان طول أحدكم اتى عشر
ذراعا .

وفى « كتاب » الزمخشري : لم يخلق مثلا
(مثل عاد) فى البلاد عظم أجرام وقوة ، كان
طول الرجل منهم أرسائة ذراع ، وكان يأتى

(١٤) من ١٦٠ ح ١٠ طبرستان

الصخرة العظيمة فيحملها فيلقبها على الحى
لميلكم

وقد ذكر غير واحد أنه وجد فى خلافة
المقتدر بالله ، أبى الفضل جعفر بن المعتض ،
كنز بمصر فيه ضلع انسان ، طوله أربعة عشر
شبرا . فى عرض ثلاثة أشبار .

واعلم أن أعين بنى آدم ضيقة ، وقد نشأت
توسهم فى محل صغير ، فإذا حدث القوم
بما يتجاوز مقدار عقولهم أو مبلغ أجسامهم
— مما ليس له عندهم أمل بقيسونه عليه إلا
ما يشاهدونه أو ياقصونه — عجلوا الى
الارتياح فيه ، وسارعوا الى النك فى الغير
عنه ، إلا من كان معه علم وفهم ، فإنه يفحص
عما ييلفه من ذلك حتى يجد دليلا على قبوله
أو رده .

وكيف يرد مثل هذه الأخبار ، وفى الصحيح
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« خلق الله آدم طوله ستون ذراعا فى السماء ،
ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن »

وذكر محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن
ربيع القيسى القرطبى فى كتاب « تحفة
الألباب » قال : نقل الشعبي فى كتاب « سير
الملوك » أن الضحاك بن علوان لما هرب منه
لام بن عامر الى ناحية الشمال ، أرسل فى
طلبه اميرين ، مع كل أمير مائة من
الجبارين ، خرج أحدهما قاصدا الى بلغار ،
والآخر الى ماشقرد . فأقام أولئك الجبارون فى
أرض بلغار وفى ماشقرد .

قال الأتليسى : وقد رأيت صورهم فى
ماشقرد ، ورأيت قبورهم بها ، فكان ما رأته

تية أحدكم ، طولها أربعة أشبار وعرضها
شبران ، وقد كان عندي فى ماشقرد نصف
أصل التية ، أخرجت لى من فكه الأسفل ،
فكان عرضها شبرا ، ووزنها ألف مثقال
ومائتا مثقال ، أذا وزنتها يدي ، وهى الآن
فى دارى فى ماشقرد ، وكان دور فكه ذلك
العادى سبعة عشر ذراعا .

وفى بيت بعض أصحابى فى ماشقرد نصف
أحدكم ، طوله لمائة وعشرون ذراعا ،
وأضلاعه كل ضلع عرضه ثلاثة أشبار وأكثر
كاللوح الرخام ، وأخرج الى نصف رسخ يد
أحدكم ، فكننت لا أقدر أن أرفعه يد واحدة
حتى أرفعه يدي جميعا .

قال : ولقد رأيت فى بلد بلغار ، سنة ثلاثين
 وخمسة ، من نسل العاديين رجلا طويلا ،
كان طوله أكثر من سبعة أذرع ، وكان يسمى
دقى ، وكان يأخذ القرص تحت ابنة كما يأخذ
الانسان القفل الصغير ، وكان اذا وقع القتال
بتلك الناحية يقاتل بشجرة من شجر البلوط :
يسكها كالصفا فى يده ، لو ضرب بها القيل
قتله . وكان خيرا متواضعا ، كلما التقانى سلم
على ورحب بى وأكرمنى ، وكان رأسى لا
يصل الى حقوه .

وكان له أخت على طوله ، رأيتها فى بلغار
مرارا عدة ، قال لى القاضى يعقوب بن التيمان
(يعنى قاضى بلغار) : إن هذه المرأة الطويلة
العادية قتلت زوجها ، وكان اسمه آدم ، وكان
من أقوى أهل بلغار ، ضمت الى صدرها
فكسرت أضلاعه ، فمات من ساعته

قال : ولم تكن فى بلغار حمام تبسمهم إلا
حمام واحدة واسعة الأبواب ... انتهى

وقد حدثني الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد القريباني ، عن أبيه ، أنه شاهد قبراً احتفر بمدينة قرطاجنة من أفريقية ، فإذا جثة رجل قدر عظم رأسه كتورين عظيمين ، ووجد معه لوح مكتوب بالقلم المسند ، وهو قلم عاد وحروفه مقطعة ، ما نصه :

« أنا كوش بن كنعان ابن الملوك من آل عاد . ملكت هذه الأرض ألف مدينة ، وبنت بها على ألف بكر ، وركبت من الخيل العتاق سبعة آلاف حمر وصفر وشهب وبيض ودهم ، ثم لم يبق مني شيء ، فأتيت من الدنيا ، فن كان عاقلاً من جاء بعدى فليعتبر بي ، وأنشد :

ياواقفا يرعى السما

برسم ربح قد وهى

قف واستمع ثم اعتبر

أن كنت من أهل النهى

بالأمر كنا فوقها

واليوم صرنا تحتها

لكل حد غاية

لكل أمر منتهى

قال : فأمر السلطان أبو بكر بن يحيى الحنفى صاحب تونس بطه ، فطم القبر .

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : وأنا أدركت شيئاً من ذلك ، وهو أنه توافع في بعض الأيام طائفة من الحجارين إلى السلطان الملك الظاهر بقوق أعوام بضع وتسعين وسبعمائة ، وقد اختلفوا على مال وجوده بجبل المقطم ...

وهو أنهم كانوا يقطعون الحجارة من مغارة فيما يلي قلعة الجبل من بحريها ، فالتكشف لهم حجر أسود عليه كتابة ، فاجتمعوا على قطع ما بين يدي هذا الحجر طمعا في وجود مال ، فاتمى بهم القطع إلى عمود عظيم قائم في قلب الجبل ، فلمجلتهم أقبلوا بساؤلهم عليه حتى تكسر قطعاً ، فإذا هو مجوف وإنسان قائم على قدميه بطوله . وتأثر لهم من جهة رأسه دنانير كثيرة ، فاقسموها وتافسوا في قسمتها ، واختلفوا حتى اشتد أمرهم وترافعوا إلى السلطان .

فبعث من كشف المغارة ، فوجد الحجر والعمود وقد تكسر ، فأخذ منهم ما وجد بأيديهم من الدنانير ، ولم يجد من يعرف ما قد كتب على الحجر .

وتسامع الناس بالخبر ، فأقبلوا إلى المغارة وعثوا برمة الميت .

فأخبرني من شاهد سنا من أسنان هذا الميت أنها سوداء يقدر الباذنجانة ، وأن عظم ساقه فيما بين قدمه إلى ركبته خمسة أذرع ، فيجىء من هذا حساب طوله عشرين ذراعاً وأزيد ، ودماع سن واحدة من أسنانه في قدر الباذنجانة ما هو إلا كالقبة الكبيرة

وأخبرني السيد الشريف ، قاضى القضاة بدمشق ، شهاب الدين أحمد بن على بن إبراهيم الحسيني ، المعروف بابن عدنان وبابن أبي الجن ، أنه وقف في سنة أربع عشرة وثمانمائة ، بمقبرة باب الصغير من دمشق ، على قبر ليدفن فيه ميت لهم ، فلما تهيأ القبر ولم يبق إلا أن يدلى فيه الميت ، انخسف

(*) من ١٦١ ج ١ ، ط ١٠٠ بلاق

وخرج من الخسف ذباب كثير كبار زرق الألوان حتى كادت تظلمهم فنزل الحفار في الخسف ، فإذا قبر طوله اثنان وعشرون ذراعاً ، وفيه بطوله ميت قد صار كالرماد .

وأخبرني أيضاً أنه شاهد بهذه المقبرة ضرس إنسان وله ثلاث شعب وقد سقطت منه قطعة ، وهو في قدر البطيخة ، وأنه وزن بحضرته فبلغ رطلين وتسع أواق بالرطل الشامي ، وأن القطعة التي انكسرت منه نحو أوقيتين بالشامي . فيكون على هذا زنة هذا الضرس نحو اثني عشر رطلاً بالمصرى . والله تعالى أعلم .

ذكر طرف مما قيل في الاسكندرية

قال أبو عمرو الكندي : أجمع الناس أنه ليس في الدنيا مدينة على ثلاث طبقات غير الاسكندرية .

ولما دخل عبد العزيز بن مروان الاسكندرية سأل رجلاً من علماء الروم عنها وعن عدد أهلها .

فقال : والله أيها الأمير ما أدرك علم هذا أحد من الملوك ، والذي أخبرك كم كان فيها من اليهود ، فإن ملك الروم أمر بإحصائهم فكانوا ستمائة ألف .

قال : فما هذا الحراب الذي في أطرافها ؟

قال : بلغني عن بعض ملوك فارس ، حين ملكوا مصر ، أنه أمر بفرض دينار على كل محتلم إمران الاسكندرية ، فأتاه كبراء أهلها وعلماءهم وقالوا : أيها الملك لا تتعب ، فإن

الاسكندرية أقام الاسكندر على بنائها ثلثمائة سنة ، وعمرت ثلثمائة سنة ، وأهلها لخراب منذ ثلثمائة سنة . ولقد أقام أهلها سبعين سنة لا يشون فيها نهارة إلا بخرق سود في أيديهم ، خوفاً على أبصارهم من شدة يابضها .

ومن فضائلها ما قاله بعض المفسرين من أهل العلم أنها المدينة التي وصفها الله عز وجل في كتابه العزيز فقال : « أرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد » .

وقال أحمد بن صالح : قال لي سفيان بن عيينة : يامصرى أين تسكن ؟

قلت : أسكن القسطنطين .

فقال : أتأني الاسكندرية ؟

قلت : نعم .

قال : تلك كنانة الله ، يجعل فيها خيار سهامه .

وقال عبد الله بن مرزوق الصديقي : لما نعى لي ابن عمي خالد بن يزيد - وكان قد توفي بالاسكندرية - لقيني موسى بن على بن رباح وعبد الله بن لهيعة والليث بن سعد متفرقين ، كلهم يقول : أليس مات بالاسكندرية ؟

فأقول : نعم .

فيقولون : هو حي عند الله يرزق ، ويجرى عليه أجر رباطه ما أقامت الدنيا ، وله أجر شهيد حتى يحشر على ذلك

وقال الذين ينظرون في الأهوية والبلدان وترتب الأقاليم والأمصار : أنه لم تطل أعمار الناس في بلد من البلدان طولها بمربوط من كورة الاسكندرية ووادي فرغانة .

وقال الحسن بن صفوان: وأما الاسكندرية وتيس وأمالها : فقربها من البحر ، وسكون الحرارة والبرد عندهم ، وظهور ريح الصبا فيهم ، مما يصلح أمرهم ، ويرق طباعهم ، ويرفع همتهم ، وليس يعرض لهم ما يعرض لأهل اليمن من غلظ الطبع والحصارية .

وقد وصف أهل الاسكندرية بالبخل ... قال جلال الدين بن مكرم بن أبي الحسن بن أحمد الخرجي ملك الحفاظ :

زحل سكندرية ليس يقرى
بغير الماء أو نعت السواري
وتحف حين يكرم بالهواء
ملاتن والاشارة للشار
وذكر البحر والأمواج فيه

ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يطعم لزيلهم بخبز
فما فيها لذاك الحرف قارى

وقال أحمد بن خرداذبة : من القسطنطينية الى ذوات الساحل أربعة وعشرون ميلا ، ثم الى مريوط ثلاثون ميلا ، ثم الى كوم شريك ثلاثون ميلا ، ثم الى كريبون أربعة وعشرون ميلا ، ثم الى الاسكندرية أربعة وعشرون ميلا .

وقال آخر : وطريق الاسكندرية اذا قطب ماء النيل يأخذ بين المدائن والضياح . وذلك اذا أخذت من شطونف الى سبك العيد ، فهو منزل فيه مئة لطيفة ، وبينهما اثنا عشر سقا .

ومن سبك الى مدينة منوف - وهي كبيرة فيها حمامات وأسواق ، وبها قوم فيهم يسار

(١٤) من ١٦٢ ج ١ ط ١٦٢

ووجوه من الناس - وبينهما ستة عشر سقا .

ومن منوف الى محلة مرد - وفيها منبر وحمام وفنادق وسوق صالح - ستة عشر سقا .

ومن محلة مرد الى سخا - وهي مدينة كبيرة ذات حمامات وأسواق وعمل واسع ، واقليم جليل له عامل بمسكر وجند ، وبه الكتان الكثير وزيت القفل وقمح عظيمة - ستة عشر سقا .

ومن سخا الى شبركية - وهي مدينة كبيرة بها جامع وأسواق - ستة عشر سقا . ومن شبركية الى مسير - وهي مدينة بها جامع وأسواق - ستة عشر سقا .

ومن مسير الى سنهور - وهي مدينة ذات اقليم كبير ، وبها حمامات وأسواق وعمل كبير - ستة عشر سقا .

ومن سنهور الى النخوم - وهي اقليم ، وبها حمامات وفنادق وأسواق - ستة عشر سقا .

ومن النخوم الى نسترو - وكانت مدينة عظيمة حنة على بحيرة اليشمون - عشرون سقا .

ومن نسترو الى البرلس - وهي مدينة كثيرة الصيد في البحيرة ، وبها حمامات - عشر سقات .

ومن البرلس الى اخنا - وهي حصن على شط بحر الملح - عشر سقات .

ومن اخنا الى رشيد - وهي مدينة على النيل ، ومنها يصب النيل في البحر من فوهة

تعرف بالاشتوم وهي المدخل - ثلاثون سقا . وكان بها أسواق سالحة وحمام ، وبها نخيل وضريبة على ما يحمل من الاسكندرية

وهذا الطريق ، الآخذ من شطونف الى رشيد ، ربما امتنع سلوكه عند زيادة النيل .

والثياب المنسوجة بالاسكندرية لا نظير لها ، وتحمل الى أقطار الأرض وفي ثياب الاسكندرية ما يباع الكتان منه ، اذا عمل ثيابا يقال لها الشرب ، كل زنة درهم بدرهم ففة ، وما يدخل في الطرز فيباع بنظير وزنه مرات عديدة .

ذكر فتح الاسكندرية

قال أبو عمرو الكندي : لما حاز المسلمون الحصن بما فيه ، أجمع عمرو على المسير الى الاسكندرية ، فسار اليها في ربيع الأول سنة عشرين .

وقال غيره : بل سار في جمادى الآخرة منها .

وذكر سيف بن عمر أن عمرو بن العاص بعث الى الاسكندرية ، وهو على عين شمس ، عوف بن مالك ، فنزل عليها وبعث يقول لأهلها : ان شئتم أن تنزلوا فلكم الأمان ، فقالوا : نعم . فرأسلهم وتربصوا أهل عين شمس ، وسار المسلمون من بين ذلك .

وقال ابن عبد الحكم (ويقال ان المقوقس انما صالح عمرو بن العاص) : لما فتح الاسكندرية حاصر أهلها ثلاثة أشهر ، وألح عليهم فخافوه ، وسأله المقوقس الصلح عنهم

كما صالحه على القبط ، على أن يستقر رأى الملك .

فحدثنا يزيد بن أبي حبيب أن المقوقس الرومي ، الذي كان ملكا على مصر ، صالح عمرو بن العاص على أن يسير من أراد من الروم المسير ، ويقر من أراد من الروم على أمر قد ساء .

فبلغ ذلك هرقل ملك الروم ، فسخط أشد السخط ، وأنكر أنشد الاسكار ، وبعث الجيوش فأغلقوا أبواب الاسكندرية ، وأذلوا عمرا بالحرب .

فخرج اليه المقوقس فقال : أسالك ثلاثا .

قال : ما هن ؟

قال : لا تبذل للروم ما بذلت لي ، فاني قد نصحت لهم فاستغشوني ، ولا تنقض القبط فان النقض لم يأت من قبلهم ، وأن تأمر بي اذا مت فادفني في بغنس .

فقال عمرو : هذه أهوتن علينا .

قال : فخرج عمرو بالمسلمين حين أمكنهم الخروج ، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط ، وقد أصلحوا لهم الطرق ، وأقاموا لهم الجور والأسواق ، وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم .

وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت وقدمت عليهم مراكب من أرض الروم فيها جمع عظيم من الروم بالعدة والسلاح ، فخرج اليهم عمرو من القسطنطينية متوجها الى الاسكندرية ، فلم ير منهم أحدا ، حتى بلغ مريوط فلقى فيها طائفة من الروم ، فقاتلهم قتالا خفيفا فهزمهم الله .

ومضى عمرو بن عمرو حتى لقي جمع الروم
يكوم شرك ، فاقبلوا ثلاثة أيام ، ثم فتح
الله على المسلمين ، وولى الروم أكتافهم .

وقال بل أرسل عمرو بن العاص شرك بن
سبي في أكتافهم ، فذكرهم عند الكوم الذي
يصال به كوم شرك ، فهزمهم . وكان على
مقدمة عمرو - و عمرو بربوط - فاجأوه
الى الكوم فاعتصم به ، واحاطت به الروم .

فلما رأى ذلك شرك بن سبي أمر أبا قحصة
مالك بن قحصة الصدقي - وهو صاحب
الفرس الأشقر الذي قال له اشتر صدف ،
وكان لا يجارى سرعة - فاحط عليهم من
الكوم . وطلب الروم فلم تتركه ، حتى أتى
عمر فأخبره .

فأقبل عمرو سوجها ، وسمت به الروم
فاصرفت ، ثم التقوا بسلطيس فاقبلوا قتالا
شديدا ، ثم هزمهم الله تعالى ، ثم التقوا
بالكرمون فاقبلوا بها بضعة عشر يوما .

وكان عيد الله بن عمرو على المقدمة ،
وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو ،
فأصاب عبد الله بن عمرو جراحات كثيرة
فقال : يا وردان لو تقهرت قليلا نصيب
الروح .

فقال وردان : الروح تريد ؟ الروح أمامك
وليس خلفك .

فتقدم عبد الله : فجاءه رسول أبيه يسأله
عن جرحه . فقال : .

أقول لها إذا جشأت وجاشت
روبدك تحدى أو تسترحى

(١٦٢ من ١٦٢ ج ١ - ط ١٦٢)

وهذا البيت لعمرو بن الأحنف ، وهو أن
رجلا من بني النجار كان مجاورا لمعاذ بن
التمان فقتل ، فقال معاذ : لا أقتل به إلا
عمرا بن الأحنف ، وهو يومئذ أشرف
الخروج ، فقال عمرو :

ألا من مبلغ الأكتاف على
وقد تهدى النصبة للنصيب

بأنكم وما ترجون شطرى
من القول المرعى والصريح

سبقتهم بعضكم عجلا عليه
وما أثر اللسان الى الجروح

أبت لى غنى وأبى بلائى
وأخذى الحمد بالثمن الريح

واعطانى على المكروه مالى
واقدامى على البطل المشيع

وفولى كلما جشأت وجاشت
مكثت تحدى أو تسترحى

لأدفع عن مآثر صالحات
وأحصى بعد عن عرض صحيح

بذى شطب كلون الملح صاف
والس لم نقر على التبيح

الشطب : شطب النخل الأخضر ، الواحدة
شطبة وجشأت : ارتفعت من حزن أو فزع ،

وجاشت : دارت للفتيان ، وقيل هما بمعنى
ارتفع والشيع : البارد المنكمش

فرجع الرسول الى عمرو فأخبره بما قال ،
فقال عمرو : هو ابنى حقا ... وصلى عمرو
يومئذ صلاة الخوف .

ثم فتح الله للمسلمين ، وقتل منهم المسلمون
مقتلة عظيمة ، وأبغصوهم حتى بلغوا
الاسكندرية . فتحصن بها الروم - وكان
عليها حصون متينة لا ترام ... حصن دون
حصن - فنزل المسلمون ومعهم رؤساء
القبط يمدونهم بما احتاجوا اليه من الأطعمة
والملوكة ، فأقاموا شهرين

ثم تحول ، فخرجت عليه خيل من ناحية
البحيرة مسترة بالحصن ، فواقوه ، فقتل
يومئذ من المسلمين اثنا عشر رجلا ... ورسل
ملك الروم تغتلف الى الاسكندرية في المراكب
بإسادة الروم .

وكان ملك الروم يقول : لنن ظهرت العرب
على الاسكندرية ، ففى ذلك انقطاع الروم
وهلاكهم ، لأنه ليس للروم كنائس أعظم من
كنائس الاسكندرية .

وانما كان عيد الروم - حين غلبت العرب
على الشام - بالاسكندرية . فقال الملك : لنن
غلبونا على الاسكندرية هلك الروم وانقطع
ملكها .

فأمر بجهازه ومصلحته لخروجه الى
الاسكندرية حتى يباشر قتالها بنفسه . فلما
فرغ من جهازه ، صرعه الله عز وجل فأماته ،
وكنى المسلمين مؤته . وكان موته في سنة
تسع عشرة ، فكسر الله بيوته شوكة الروم ،
فرجع جمع كثير ممن كان قد توجه .

وقال الليث : مات هرقل في سنة عشرين ،
وفيها فتحت قيسارية الشام .

قال : واستأسلت العرب عند ذلك ،
وألحت بالقتال على أهل الاسكندرية ،

فقاتلوهم قتالا شديدا ، وخرج طرف من
الروم من باب حصن الاسكندرية ، فحملوا
على الناس فقتلوا رجلا من مهرة ، واحتزوا
رأسه ومضوا به ، فجعل المزيون يتغضبون
ويقولون : لا ندفعه الا برأسه

فقال عمرو : تغضبون كالكم تغضبون
على من يبالي بغضبكم ، حملوا على القوم
إذا خرجوا فاقبلوا منهم رجلا ، ثم أرموا
برأسه يرمونكم برأس صاحبكم .

فخرجت الروم اليهم فاقبلوا . فقتل من
الروم رجل من بطارقتهم ، فاحتزوا رأسه
ورموا به الروم ، فرمت الروم برأس المهرى
اليهم ، فقال : دونكم الآن فادفنوا صاحبكم .

وكان عمرو يقول : ثلاث قبائل من مصر :
أما مهرة فقوم يقتلون ولا يقتلون ، وأما عافق
فقوم يقتلون ولا يقتلون ، وأما بلى فأكبرها
رجلا صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ،
وأفضلها فارسا .

وقال رجل لعمرو : لو جعلت المنجنيق
ورميته به لهدم حائطهم .

فقال عمرو : تستطيع أن يفنى مقامك من
الصف .

وقيل له : إن العدو قد غشوك ، ونحن
نخاف على رابطة (يريدون امراته) .

فقال : اذن يتخذوا أرباطا كثيرة .

ولما استبحر القتال بارز رجل من الروم
مسلمة بن مخلد ، فصرعه الرومى وألقاه عن
فرسه ، وهوى اليه ليقتله حتى حماه رجل من
أصحابه - وكان مسلمة لا يقاوم ولكنها

مقاديير - فقرحت بذلك الروم ، وثق على المسلمين .

وغضب عمرو بن العاص لذلك ، وكان مسلمة كثير اللحم ثقل البدن ، فقال عمرو عند ذلك : ما بال الرجل الته الذي يشبه النساء ، يتعرض لمداخل الرجال ويتشبه بهم . فغضب من ذلك مسلمة ولم يربح .

ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الاسكندرية ، فقاتلهم العرب في الحصن ، ثم جاءت عليهم الروم حتى أخرجهم جميعا من الحصن ، الا أربعة نفر تفرقوا في الحصن ، وأغلقوا عليهم باب الحصن ... أحدهم عمرو ابن العاص ، وآخر مسلمة ، ولم نحفظ الآخرين ، دحاهو بينهم وبين أصحابهم ، ولا يدري الروم من هم .

فلما رأى ذلك عمرو بن العاص وأصحابه ، التجأوا الى دساس من حماماتهم ، فدخلوا فيه فاحترزوا به .

فأمروا روميا أن يكلمهم بالعربية ، فقال لهم انكم قد صرتم بأيدينا أسارى ، فاستأثروا ولا تقتلوا أنفسكم ... فامتصو عليه .

لم قال لهم . ان في ايدي أصحابكم من رجال أسروهم ، ونحن نعطيكم بعهود نفادي بكم أصحابنا ولا تقتلكم . فأبوا عليه .

فلما رأى ذلك الروم منهم قال لهم : هل لكم الى خصلة وهي نصف ، فإن غلب صاحبنا صاحبكم استأثرتنا وأمكتصونا من

(٥) من ١٢٠٠ ، ط. بوندي

أنفسكم ، وإن غلب صاحبكم صاحبنا سيلكم الى أصحابكم .

فرضوا بذلك ، ونماهدوا عليه ، وعمرو ومسلمة وصاحبا في الحصن في الدساس . فتداعوا الى البراز ، فبرز رجل من الروم - وقد وثقت الروم بنجدته وشده - وقالوا . يبرز رجل منكم لصاحبنا

فأراد عمرو أن يبرز ، فمنعه مسلمة وقال : ما هذا ؟ تخطي مرتين : تشد من أصحابك وانت أمير ، وإنما قوامهم بك وقلوبهم معلقة بحوك ، لا يدرون ما أمرك ولا ترضى حتى تبارز وتعرض للقتل ، فإن قلت كان ذلك بلاه على أصحابك مكانك وأنا أكفيك ان شاء الله تعالى

فقال عمرو : دوك فربما فرجها الله بك .

فبرز مسلمة لاومي ، فتجاولا ساعة ، ثم أمانه الله عليه فقتله .

فكر مسلمة وأصحابه ، ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ، ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ، ولا يدري الروم أن أمير القوم فيهم حتى بلغهم بعد ذلك فأسفوا على ذلك ، وأكلوا أيديهم نفيا على ما فاتهم

فلما خرجوا استحياء عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب ، فقال عمرو عند ذلك : استغفر لي ما كنت قلت لك .. فاستغفر له .

وقال عمرو . ما أفحشت قط الا ثلاث مرار : مرتين في الجاهلية ، وهذه الثالثة وما منهن مرة الا وقد ندمت ، وما استحييت من واحدة منهن أشد مما استحييت مما قلت

لك . والله اني لأرجو ألا أعود الى الرابعة ما بقيت .

قال : وأقام عمرو محاصر الاسكندرية أشهر .

فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : ما أبطأوا بالفتح الا لما أحدثوا . وكتب الى عمرو بن العاص :

« أما بعد ، فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر ، انكم تقاتلونهم منذ سنين ، وما ذاك الا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم ، فإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما الا بصدق نياتهم ... »

« لا وقد كنت وجهت اليك أربعة نفر ، وأعلمت أنك أن الرجل منهم مقاوم ألف رجل على ما كنت أعرف ، الا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم ... »

« فإذا أتاك كتابي هذا ، فاخطب الناس ، وحضهم على قتال عدوهم ، ورغبهم في الصبر والنية ، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس ، ومر الناس جميعا أن يكونوا لهم صدمة واحدة كصدمة رجل واحد . وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة ، فإنها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة . وليعج الناس الى الله ، ويسألوه النصر على عدوهم . »

فلما أتى عمرو بن العاص رضى الله عنه الكتاب ، جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر رضى الله عنه . ثم دعا أولئك النفر فقدمهم أمام الناس ، وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين ، ثم يرغبوا الى الله تعالى ويسألوه النصر ... ففعلوا ، ففتح الله عليهم .

ويقال ان عمرو بن العاص استشار مسلمة فقال : أشر على في قتال هؤلاء .

فقال له مسلمة : أرى أن تنظر الى رجل له معرفة وتجارب ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعقد له على الناس ، فيكون هو الذي يياثر القتال ويكتفيك .

فقال عمرو : من ذلك ؟

قال : عبادة بن الصامت .

فدعاه عمرو ، فأتاه وهو راكب على فرسه ، فلما دنا منه أراد النزول ، فقال له عمرو : عزمت عليك ان تزل ، فأولنى مكانا رمحك . فناولته إياه . فززع عمرو عماته عن رأسه ، وعقد له وولاه قتال الروم .

فتقدم عبادة مكانه ، فصادف الروم وقاتلهم ، ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك .

وكان حصار الاسكندرية بعد موت هرقل تسعة أشهر ، وخمسة أشهر قبل ذلك . وفتحت يوم الجمعة لمستهل المحرم سنة احدى وعشرين .

وقال أبو عمرو الكندي : وحاصر عمرو الاسكندرية ثلاثة أشهر ، ثم فتحها عنوة ، وهو الفتح الأول . ويقال : بل فتحها عمرو لمستهل المحرم سنة احدى وعشرين .

قال القضاعي عن الليث : أقام عمرو بالاسكندرية ، في حصارها وفتحها ، ستة أشهر ، ثم انتقل الى القسطنطينية فاتخذها دارا في ذي القعدة .

وقال ابن عبد الحكم : فلما هزم الله تعالى الروم وفتح الاسكندرية ، هرب الروم في البر

والبحر ، فكتب عمرو بالاسكندرية اليه وجعل
من أصحابه . وكتب من معه في طلب من
هرب من الروم في البحر ، فوج من كل هرب
من الروم في البحر الى الاسكندرية ، فقتلوا
من كل قبيلة من المسلمين الا من هرب منهم .

وسمع ذلك عمرا ، فكر وليا فتحها وفتحها
بها ، وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه : « ان الله قد فتح علينا الاسكندرية بغير
عقد ولا عهد » .

فكتب اليه عمر رضي الله عنه يفتح رايه ،
وأمره ألا يجاوزها .

قال ابن لينة : وهو فتح الاسكندرية
التي . وكان سبب فتحها هذا ان رجلا يقال
له ابن بسلمة كان يوليا ، فقال عمرا ان
يؤت على نفسه وأرضه وأهل بيته وفتح
له الباب . فاجابه عمرو الى ذلك ، فتح له
ابن بسلمة الباب ، فدخل عمرو .

وقتل من المسلمين ، من حين كان من امر
الاسكندرية ما كان الى ان فتحت ، اثنان .
وعشرون رجلا .

ومر عمرو بن العاص معاوية بن خديج ،
واقفا الى عمر بن الخطاب يسرا له بالفتح ،
فقال له معاوية : ألا تكتب معي ؟

فقال له عمرو : وما أمتع بالكتاب ،
أنت رجلا عريضا تبلغ الرسالة وما رأيت
وحضرت ؟

فلما قدم على عمر أخيره بفتح الاسكندرية ،
فخر عمر صاحبنا ، وقال : الحمد لله .

ثم مره ١٢٥٠ و ١٢٥١ هـ

وقال معاوية بن خديج : يفتي عمرو بن
العاص الى عمر رضي الله عنه بفتح
الاسكندرية ، فقبلت المدينة في الظهيرة ،
ففتحت وأسلمت يساب المسجد ، ثم دخلت
المسجد .

فيما أنا قائم فيه ، إذ خرجت جارية من
مزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فرائتي
شاحبا على قليب السفر ، فالتفتي وقالت : من
أنت ؟

فقلت : أنا معاوية بن خديج رسول عمرو
ابن العاص .

فانصرفت عني ، ثم أقبلت تشد لاسع حقيف
لؤلؤها على ساقها ، حتى دنت مني ، ثم قالت :
تم تأجيل أمير المؤمنين يدعوك . . فقبعتها .

فلما دخلت ، فلما بسر يتناول ودانه بالحنى
يديه وشد لؤلؤه بالأخرى ، فقال : ما عندك ؟

فقلت : خير يا أمير المؤمنين ، فتح الله
الاسكندرية .

ففرج معي الى المسجد ، فقال للمؤذن :
لنن في الثاني « الصلاة جامعة » . فاجتمع
الناس .

ثم قال لي : تم فأخبر أصحابك . فقلت
فأخبرهم .

ثم صلى ودخل منزله ، واستلزل القبلة فلما
بدعوات .

ثم جلس فقال : يا جارية ، هل من طعام ؟

فأنت بخير وزيت ، فقال : كل ... فأكلت
حياء . ثم قال : كل ، فإن المسافر يحب
الطعام ، فلو كنت آكل لاأكلت معك . فأصبت
على حياء .

ثم قال : يا جارية ، هل من تمر ؟
فأنت بسر في طين ، فقال : كل . فأكلت
على حياء .

ثم قال : ماذا قلت يا معاوية حين أتيت
المسجد ؟

قال : قلت أمير المؤمنين قال

قال : بنس ما قلت (أو بنس ما قلت) ،
لئن كنت النهار لأضيقن الرعية ، ولئن كنت
الليل لأضيقن نفسي ، فكيف أكون مع هذين
بالمعاوية ؟

ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك الى عمر
ابن الخطاب : « أما بعد : فإني فتحت مدينة
لا أصف ما فيها ، غير اني أمت فيها أربعة
آلاف بنية بأربعة آلاف حدم ، وأربعين ألف
يهودي عليهم الجزية ، وأربعمائة ملهى
للملوك » .

وعن أبي قبيل أن عمرا لما فتح الاسكندرية
وجد فيها اثني عشر ألف بقل يبيعون البقل
الأخضر .

وترحل من الاسكندرية ، في الليلة التي
دخلها عمرو ، وفي الليلة التي خافوا فيها
دخول عمرو ، يبيعون ألف يهودي

وكان بالاسكندرية ، فيما أحصى من
الحمامات ، اثنا عشر ألف ديباس ، أصفر
ديباس منها يسع ألف مجلس ، كل مجلس
يسع جماعة نفر .

وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتي
ألف رجل ، فلحق بأرض الروم أهل القوة
ووكبوا السفن .

وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار ،
فعمل فيها ثلاثون ألفا مع ما قدموا عليه من
المال والمتاع والأهل .

وسمى من يفتي من الأسارى من بلغ
الخراج . فأحصى يومئذ ستائة ألف سوى
النساء والعيان .

فاختلف الناس على عمرو في قسمها ، فكان
أكثر الناس يريدون قسمها .

فقال عمرو : لا أقدر على قسمها حتى أكتب
الى أمير المؤمنين

فكتب اليه يملئه بفتحها وشأها ووصله
أن المسلمين طلبوا قسمها .

فكتب اليه عمر : لا تقسمها ، وذروها يكون
خراجها فينا للمسلمين ، وقوة لهم على جهاد
عدوهم .

فأقرها عمرو ، وأحصى أهلها ، وفرض
عليهم الخراج .

فكانت مصر صلحا كلها بفرضة دينارين
على كل رجل ، لا يراد على أحد منهم في
جزية رأسه أكثر من دينارين ، الا أنه يلزم
بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزروع ... الا
الاسكندرية ، فانهم كانوا يؤدون الخراج
والجزية على قدر ما يرى من وليهم ، لأن
الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ،
ولم يكن لهم صلح ولا ذمة .

وقد كانت قرى من قرى مصر قاتلت ،
فسبوا منها قرية يقال لها بلهيب ، وقرية يقال
لها الخيس ، وقرية يقال لها سلطيس ... فوقع

سبأياهم بالمدينة وغيرها ، فردهم عمرو بن الخطاب الى قرأهم ، وصيرهم وجاعة القبط أهل ذمة .

وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرا سبي أهل بلهيب وسلطيس وقرطيا وسخا ، ففرقوا وبلغ أولهم المدينة حين تقصوا . ثم كتب عمرو بن الخطاب الى عمرو يردهم ، فرد من وجد منهم .

وفي رواية أن عمرو بن الخطاب رضى الله عنه كتب في أهل سلطيس خاصة : من كان منهم في أيديكم فخيروه بين الاسلام ، فان أسلم هو من المسلمين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، وان اختار دينه ، فظفوا بينه وبين قرته ... فكان في الهيب خير يومئذ فاختار الاسلام .

وفي رواية أن أهل سلطيس وصا وبلهيب ظاهروا الروم على المسلمين في جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون ، استحلوهم وقالوا : هؤلاء لنا في مع الاسكندرية .

فكتب عمرو الى عمرو بن الخطاب بذلك .

فكتب اليه عمرو . أن تجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قرعات ذمة للمسلمين ، وتضرب عليهم الخراج ، ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ، ولا يجعلون فينا ولا عيدا . فعمل ذلك .

ويقول اننا رددهم عمرو رضى الله عنه لعمد كان تقدم لهم .

وقال ابن لهيعة : جبي عمرو جزيرة الاسكندرية ستائة ألف دينار ، لانه وجد ثمانية آلاف من أهل الذمة ، فقدر عليهم دينارين دينارين ، فبلغت ذلك .

وقيل كانت جزيرة الاسكندرية ثمانية عشر ألف دينار . فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك بلغت ستة وثلاثين ألف دينار .

ويقال ان عمرو بن العاص استقى أهل الاسكندرية ، فلم يقتل ولم يسب . بل جعلهم ذمة كامل التوبة .

ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية ، واستفاض الروم

قال ابن عبد الحكم : فلما الاسكندرية فلم يكن بها خط ، وانما كانت أخاخذ ، من أخذ منزلا قول فيه هو وبنو آية . وان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية : أقبل هو وعبادة ابن الصامت حتى علوا الكوم الذي فيه مسجد عمرو بن العاص ، فقال مصابرة بن خديج : منزل . فنزل عمرو القصر ، وقول أبو ثور منزلا كان غربي المصلى الذي عند مسجد عمرو ما بلى البحر . وقد تهدم ، ونزل معاوية ابن خديج فوق التل . وضرب عبادة بن الصامت خباء فلم يزل فيه حتى خرج من الاسكندرية . ويقال ان أبا المرداء كان معه . والله أعلم .

قال : فلما استقامت لهم البلاد قطع عمرو ابن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس ، وربما في السواحل ، والنصف مقيمون معه .

وكان بصير بالاسكندرية خاصة الربع في الصيف بقدر ستة أشهر ، ويعقب بعدهم ثمانية

لها من ١٦٦ ج ١ ، ط ١٦٦

سنة أشهر . وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه ، واتخذوا به أخاخذ

وعن يزيد بن أبي حبيب أن المسلمين لما سكنوا الاسكندرية في رباطهم ، ثم قتلوا ، ثم غزوا ابتدروا ، فكان الرجل منهم يأتي المنزل الذي كان فيه صاحبه قبل ذلك ، فيستدره فيكنه .

فلما غزوا ، قال عمرو : اني أخاف ان تخربوا المنازل اذا كنتم تتاورونها

فلما كان عند الكربون قل لهم : سيروا على بركة الله ، فمن ركز منكم رمحه في دار فمى له ولبنى بنيه .

فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه في منزل منها ، ثم يأتي الآخر فيركز رمحه في بعض بيوت الدار ، فكانت الدار تكون لقيلتين وثلاث . وكانوا يسكنونها ، حتى اذا قتلوا سكنها الروم وعليهم مرمتها .

وكان يزيد بن أبي حبيب يقول : لا يعمل من كراثها شيء ولا يعمها ، ولا يورث منها شيء ، انما كانت لهم يسكنوها في رباطهم .

وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ، ورأى بيوتها وبنائها مفروغا منها ، هم أن يسكنها وقال : مساكن قد كفيهاها . فكتب الى عمرو بن الخطاب رضى الله عنه يستأذه في ذلك .

فسأل عمرو الرسول : هل يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل .

فكتب عمرو الى عمرو : « اني لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم فتاء ولا صيفا » .

فحول عمرو بن العاص الى القسطنطينية .

قال : وكتب عمرو بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمدينة كبرى ، والى عامله بالبصرة ، والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية : « ألا تجعلوا بيني وبينكم ماء ، متى ما أردت أن أركب اليكم راحتي حتى أقدم عليكم ، قدمت » .

فحول سعد بن أبي وقاص من مدائن كبرى الى الكوفة ، وتحول صاحب البصرة من المسكن الذي كان فيه فنزل البصرة ، وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى القسطنطينية .

وكان عمرو بن الخطاب يبعث في كل سنة غزاة من أهل المدينة لرباط بالاسكندرية . وكان على الولاء : لا يغفلها ، ويكنف مرابطها ، ولا يأمن الروم عليها .

وكتب عثمان رضى الله عنه الى عبد الله بن سعد بن أبي سرح : « قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالاسكندرية ، وقد تقضت الروم مرتين فالزم الاسكندرية مرابطها ، ثم أجر عليهم أرزاقهم ، وأعقب بينهم في كل سنة أشهر » .

قال : وكانت الاسكندرية انتقضت ، وجاءت الروم ، عليهم منبول الخصى ، في المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية ، فأجابهم من بها من الروم . ولم تكن المقوقس تحرك ولا لكث . وقد كان عثمان رضى الله عنه عزلا

عمر بن العاص ، وولي عبد الله بن سعد بن
أبي سرح

فلما رأت الروم حال أهل مصر عشان أن
يترعروا حتى يفرغ من قتال الروم ، فإن له
معرفة بالحرب وهبة في العدو ، قتل .

وكان على الاسكندرية سورها ، فحلف
عمر بن العاص ، أن لا يقره الله عليهم ،
ليمنن سورها حتى يكون مثل بيت الزانية
يؤتى من كل مكان .

فخرج اليهم عمرو في البر والبحر ، فقصوا
إلى القوم من أحواله من القبط ، ولما للروم
قلم بطه منهم أحد .

قتل خارجة بن حذافة لعمرو : فاضمهم
قبل أن يكثر منهم ، فلا آمن أن تتفنى
مصر كلها .

قتل عمرو : لا ، ولكن أدهم حتى يسروا
إلى ، فأنهم يصيرون من مروا به فيخزي الله
بعضهم بعض .

فخرجوا من الاسكندرية ، ومعهم من قتل
من أهل القري ، فبطلوا يتولون القري
فيشربون خسورها ، ولا يكون أطمعها ،
ويشربون ما مروا به .

قلم يتعرض لهم عمرو حتى بلغوا قيوس ،
فقتلهم في البر والبحر فبطلت الروم القبط ،
فروا بالشباب في الماء وميا شديدا ، حتى
أصاب الشباب يومئذ فرس عمرو في لبتة
وهو في البر فمتر ، فنزل عنه عمرو .

ثم خرجوا من البحر ، فاجتمعوا هم والذين
في البر ، فقتلوا المسلمين بالشباب ، فاستأخر

للمسلمون عنهم . شيئا ، وحلوا على
المسلمين حلة ولى المسلمون منها ، وانهمز
شريك بن سبي في خيله .

وكانت الروم قد جعلت مصفوقا خلف
صفوف .

ورب يومئذ بطريق . من جاء من أرض
الروم . على فرس له ، عليه سلاح منقح ،
فدعا إلى البرلو . فيروز إلى رجل من زييد
— يقال له حومل ، يكنى أبا منجج —
فقتلوا مولا يومئذ بطريق . ثم اتقى
البرطريق الرمح وأخذ السيف ، فأتى حومل
رمحه وأخذ سيفه ، وكان يعرف بالتجدة ،
فجعل عمرو يصيح : أبا منجج ، فيجيبه :
ليك ، والثامن على شاطئ النيل في البر
على تميمهم وصفتهم ، فتجاولا ساعة
بالسيف ، ثم حمل عليه البرطريق ، فاحتله
وكان نجيفا ، فاختلط حومل خنجره كان في
منطقته أو في ذراعه ، ففرب به نحر الملح أو
تروقه فأتته ، ووقع عليه فأخذ عليه .

ثم مات حومل بعد ذلك بأيام رحمه الله ،
فرؤى عمرو يحمل سريره بين عمودي نعشه
حتى دفنه بالمقطم .

ثم شد المسلمون عليهم ، فكانت هزمتهم .
فطلبهم المسلمون حتى ألقواهم بالاسكندرية ،
فتفتح الله عليهم ، وقتل منول النخعي ، وقتلهم
عمر حتى آمن في مدينتهم .

فكلم في ذلك ، فأمر برفع السيف عنهم .
ورنى في ذلك للوضع الذي رفع فيه السيف
مجنبا ، وهو المسجد الذي بالاسكندرية ،

(8) مر 117 ج 1 ، ص 104

الذي يقال له مسجد الرحمة ، سبي بذلك لرفع
عمر السيف هناك ، وهدم سورها كله ،
وجمع ما أصاب منهم .

فجاءه أهل تلك القري ممن لم يكن قتل ،
فقالوا : قد كنا على صلحنا ، وقد مر علينا
هؤلاء المصوص ، فأخذوا متاعنا ودوابنا ،
وهو قائم في يديك . فرد عليهم عمرو ما كان
لهم من متاع عرفوه وأقاموا عليه البينة

وقال بعضهم لعمرو : ما حل لك ما صنعت
بنا ، كان لنا أن نتقاتل عنا لأننا في ذمتك ولم
نتفنى ، فأما من قتل فأبغضه الله .

فلهم عمرو وقال : باليتى كنت لقيتهم حين
خرجوا من الاسكندرية .

وكان سبب تفنى الاسكندرية هذا ، أن
غلاما صاحب اخنا قدم على عمرو فقال : أخبرنا
ما على أحدنا من الجزية فيصير لها

قتل عمرو ، وهو يشير إلى ركن كيسة :
لو أعطيتى من الركن إلى السقف ما أخبرتك ،
انما أتم خزاة لنا : أن كثر علينا كربة
عليكم ، وإن خفف عنا خففنا عنكم .

فغضب صاحب اخنا ، وخرج إلى الروم
فقدم بهم ، فهزمهم الله تعالى .

وأمر قاتني به إلى عمرو ، فقتل له الناس :
أقتله .

قتال : لا ، بل انطلق فجنبا بجيش آخر .

وسوره وتوجه ، وكساه برنس أرجوان :
فرضى بأداء الجزية ، فقتل له : لو أتيت ملك
الروم ؟

قتال : لو أتيتك لقتلتى ، وقال قتلت
أصحابي .

وعن أبي قيل أن عتبة بن أبي سفيان عقد
لعقمة القطيني على الاسكندرية ، وبث معه
أثنى عشر ألفا . فكتب عقمة إلى معاوية بن
أبي سفيان يشكو عتبة حين غرر به ومن
معه . فكتب إليه معاوية : « إني قد أمددتك
ب عشرة آلاف من أهل الشام ، وبخسة آلاف
من أهل المدينة » ، فكان في الاسكندرية
سبعة وعشرون ألفا .

وفي رواية : أن عقمة بن يزيد كان على
الاسكندرية ومعه اثنا عشر ألفا ، فكتب إلى
معاوية : « إني قد خلقتي بالاسكندرية وليس
معي الا اثنا عشر ألفا ، ما يكاد يفضنا يرى
بعضنا من القلة » .

فكتب إليه معاوية : « إني قد أمددتك
ب عبد الله بن مطيع في أربعة آلاف من أهل
المدينة ، وأمرت ممن بن يزيد السلمي أن
يكون بالرملة في أربعة آلاف مسكين بأعنة
خيولهم ، متى يلغهم عنك قزع يمسروا
إليك » .

قال ابن لهيعة : وقد كان عمرو بن العاص
يقول : ولاية مصر بجامعة تعدل الخلافة .

وكان عمرو ، حين توجه إلى الاسكندرية ،
خرب القري التي تعرف اليوم بغربة وردان .

واختلف علينا السبب الذي خربت له .
فحدثنا سعيد بن غنير أن عمرا لما توجه إلى
قيوس لقتال الروم ، عدل وردان لقتضاء

حاجته عند الصبح ، فاحتشمه أهل الغزوة
فسيوه . فقتله عمرو وسال عنه وقتل امره ،
فوجدوه في بعض دورهم ، فأمر بإخراجهما
ولخراجهم منها .

وقيل كان أهل الغزوة وهباً كلهم ،
فقتلوا بنوم من ساقه عمرو ، فقتلوه بمسد
أن بلغ عمرو الكريون ، فقام عمرو ، ووجه
اليهم وودان فقتلهم وخرجا ، فمضى خراب إلى
اليوم .

وقيل كان أهل الغزوة أهل ثوبت وخيت ،
فأرسل عمرو إلى أرضهم فأنخذ له منها جراب
فيه تراب من تراجيا ، فكلهم فلم يسيوه إلى
شيء ، فأمر بإخراجهم ، ثم أمر بالتراب ففرش
تحت مصلاه ، ثم قصد عليه ، ثم نهضهم
فكلهم ، فأجابوه إلى ما أحب . ثم أمر
بالتراب فرفح ، ثم نهضهم فلم يسيوه إلى
شيء . فمضى ذلك مرورا . فلما رأى عمرو ذلك
قال : هذه بلدة لا يصلح أن توما . فأمر
بإخراجها .

فلما حزم الله الروم لركة عثمان رضى الله عنه
أن يكون عمرو بن العاص على العرب ، وبعد
الله بن سعد على الخراج ، فقال عمرو : إذا
أخذ كلوك البقرة بقرتها وآخر يطبها ...
فأمى عمرو .

وكان فتح عمرو هنا غزوة قسرا في خلافة
عثمان سنة خمس وخشرين ، وبنه وبن الفتح
لأول أربع سنين .

وقال الليث : كان فتح الاسكندرية الأول
سنة اثنين وخشرين ، وكان فتحها لآخر سنة
خمس وخشرين .

وأقامت الجيش من السماء يقتلون الناس
سبع سنين ، بعد أن فتحت مصر ، ما يقتلون
عليهم من تلك المياه والفيض .

قال : ثم غزا عبد الله بن سعد بن أبي
سرح ذا الصولوى في سنة أربع وثلاثين .

وكان من حديث هذه الغزوة أن عبد الله بن
سعد ، لما أول ذو الصولوى ، أول نصف
الناس مع سر بن أرملة في البر . فلما مضوا
أنى أت إلى عبد الله بن سعد فقال : ما كنت
فعلت حين ينزل بك ابن هرقل في آفك مركب ،
فأقبله الساعة .

وكانت مراكب المسلمين مائى مركب ويفا .

فقام عبد الله بن سعد بين ظهراني الناس
فقال : بلغنى أن ابن هرقل قد أقبل اليكم في
آفك مركب ، فأنشروا على . فما كلفه جل
من المسلمين .

فجلس قليلا لترجع اليهم أفئدتهم ، ثم قام
ثانية فكلهم ، فما كلفه أحد .

فجلس ، ثم قام الثالثة فقال : انه لم يسبق
نبي . فأنشروا على .

فقام رجل من أهل المدينة - كان متطوعا
مع عبد الله بن سعد - فقال : أيها الأمير إن
الله جل ثناؤه يقول : لا كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين .

(١) وأقامت ... الله ، ... حكمة من الأصول التي
يبنى . وأخر ما جرى هذه الحجة : أنها لا تغنى عن سند
أو تعريف ما خبر . وكذا قوله قلنا بفسر : أهل ثوبت
وخت : ... والله بعد المراجعة لم يجهل له سر ، ونقله
محمود من ... بركة وجه . ومثلهما : إضافة بالامر
والسر .

لقد مر ١٢٨٠ سنة ، ...

فقال عبد الله : اركبوا فركوا ، وانما في
كل مركب نصف شعب . لا ، قد خرج
النصف الآخر إلى البر مع سر . فلفوهم ،
وأقتلوا بالنبل والشاب .

وأخر ابن هرقل خلاصة عرسه ،
وجعلت القوارب مختلف إلى الأختار . فقال :
ما فعلوا ؟

قالوا : قد أقتلوا بالنبل والشاب .
فقال : غلبت الروم .

ثم أتوه ، فقال : ما فعلوا ؟

قالوا : قد قتل البيل والشاب . هم يرمون
بالحجارة .

فقال : غلبت الروم .

ثم أتوه ، فقال : ما فعلوا ؟

قالوا : قد تفتت حجارة . ووطئوا
المراكب بعضها بعضا يقتلون بالسيوف .
قال : غلبت الروم .

وكانت السفن اذ ذاك تفرق بالدلائل عند
القتال .

قال : ففرق مركب عبد الله يومئذ - وهو
الأمير - بمركب من مراكب العدو ، فكان
مركب العدو يجتر مركب عبد الله اليهم ، فقام
علقمة بن يزيد القطيفي ، وكان مع عبد الله بن
سعد في المركب ، ف ضرب السلسلة بسيفه
فقطعها .

فقال عبد الله امراته بعد ذلك بمسبة ابنة
حزوة بن يشرح - وكانت مع عبد الله يومئذ ،
وكان الناس يغزون بنسائهم في المراكب -
من رأيت أشد قالاً ؟

قالت : علقمة صاحب السلسلة .

وكان عبد الله قد خطب بمسبة إلى أبيها
فقال له : إن علقمة قد خطبها ، وله على فيها
رأى . فان تركها أفضل .

فكلم عبد الله علقمة فتركها ، فزوجها عبد
الله بن سعد ، ثم ملك عنها عبد الله فزوجها
بعده علقمة بن يزيد ، ثم ملك عنها علقمة
فزوجها بعده كريب بن أبرهة وماتت بحته .

وعمل مشد الروم إلى قسطنطين بن هرقل ،
في سنة خمس وثلاثين ، فقالوا : اتسرك
الاسكندرية في أيدي العرب وهي مدينتها
الكبرى ؟

فقال : ما أصنع بكم ؟ ما تقصدون أن
تألكوا ساعة إذا لقيتم العرب .

قالوا : اخرج على آفة ثوبت ... فتبايعوا
على ذلك .

فخرج في ألف مركب يريد الاسكندرية ،
فسار في أيام غالبية الرياح ، فبعث الله عليهم
ريحا ففرقتهم ، الا قسطنطين فاته فجا بمركبه ،
فألقته الریح بصقيلة ، فسأله عن أمره ،
فأخبرهم .

فقالوا : شئت النصرانية ، وأقنيت وجاهها ،
لو دخلت العرب علينا لم نجد من يردهم .

فقال : خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا .

فصنعوا له الحمام ودخلوا عليه ، فقال :
ويلكم ، يذهب وجاهكم ، وتقتلون ملككم ؟

قالوا : كانه غرق معهم . ثم قتلوه وخلصوا
من كان معه في المركب .

قال أبو عمرو الكندي : وانما سميت غزوة
ذي الصوارى لكثرة صوارى المراكب
واجتماعها .

ذكر بحيرة الاسكندرية

قال ابن عبد الحكم : كانت بحيرة الاسكندرية كروما كلها لامرأة للمقوقس ، فكانت تأخذ خراجها منهم الخمر بفريضة عليهم ، فكثير الخمر عليها حتى شافت به ذرها ، فقالت : لا حاجة لي في الخمر ، أعطوني دلايل

فقالوا : ليس عندنا .

فأرسلت اليهم الماء ففرقتها ، فصارت بحيرة يهاد فيها الحيتان ، حتى استخرجها الخلفاء من بني العباس ، فسدوا جسورها وزرعوها

ثم صارت بحيرة طولها اقلاع يوم في عرض يوم ، وصير اليها الماء من أنشوم في البحر الرومي ، ومخرج منها الى بحيرة دونها في خليج عليه مدينتان : لمداهما الحديدية ، والأخرى التكو ، وهي كثيرة المقاني والنخل ، وكلها في الرمل

وصب في هذه البحيرة خليج من النيل - يسمى الحافر - طوله نصف يوم اقلاعا ، وهو كثير الطير والسك والعتب .

وكان السك ، بوجود هذه البحيرة في الاسكندرية ، غابة في الكثرة ، يباع بأقل القيم وأبخص الأثمان . ثم انقطع الماء عن هذه البحيرة منذ

ذكر خليج الاسكندرية

يقال ان كلوباطرة الملكة هي التي سافت خليج الاسكندرية حتى أدخلته اليها . ولم

يكن يبلغها الماء ، فحضرته حتى أدخلته الاسكندرية ، وبلغت قاعة بالرخام من اوله الى آخره ، ولم يزل يوجد ذلك فيه .

وقال أبو الحسن المخزومي في كتاب « المنهاج » : أما خليج الاسكندرية فانه من فوهة الخليج الى ترعة بودرة ليس على شيء منها سد : بومنخرج ، محلة « بتوك » ، آسنة أورين ، محلة فرلو ، محلة حسن ، مية طراد - وتعرف بالقاعة - محلة نصر ومسروق .

فاما ترعة لقانة فانها تفتح بعد سبعة أيام من توت .

والترعة الجديدة تفتح في السادس عشر من توت .

وترعة بودرة ، تفتح بعد سبعة أيام من توت .

وترعة بويحيى ، وترعة بوانسحما ، وترعة القهوقية ، ليس على شيء من ذلك سد

وترعة الشراك تفتح بعد سبعة أيام من توت .

وترعة بو خراشة ، وترعة البريط ، يشرب منها ديسو وسمخراط وشيرنوبه ومئة حماد وسنادة وبعض محلة مارية

وترعة فيشة بلخا تفتح في ثاني عشر توت .

وجرت العادة ان تفتح في السور والترعة بويط

ومقطع سمديسة يفتح في الثاني والعشرين من توت .

ومقطع ياطس يفتح في تاسع عشر توت .

(١٨) ص ١٦٦ ج ١ ، طه بولاق .

ولما سد المقطم المذكور ، عملت بعد ذلك ترعة نروي الصفقة القليلة منها ، فتفتح في يوم النوروز .

ولما استحدثت ترعة افلاقة ، وخسرت في أرض ياطس ، جرت العادة ، اذا رويت الصفقة القليلة من افلاقة ، تطلق الترعة المذكورة على القسم البحري من ياطس الى أن يروي .

وترعة القارورة محدثة

وترعة بفوها تفتح في ثاني عشر توت .

وترعة افلاقة تفتح في عاشر توت .

وترعة اسكنيدة تفتح في سادس توت .

تراع بحر دمنهور تفتح في العشرين من مسرى الى سادس توت . ويروي منها بعض طاموس ، وبعض كيسة الغيط ، وبعض قرطاس ودمنهور .

ترعة القوايس ، منها تشرب شبرا النخلة وكوم التلول .

تراع شبرا النخلة تفتح على أعاليها من أول توت .

وترعة بسطرى تفتح في خامس عشر مسرى .

وترعة مسيد تفتح في ثامن توت .

وترعة سنويه تفتح في ثامن عشر توت .

وبحر دمشوية يفتح في العشرين من مسرى ، ومنه تشرب مية رزقون ، وسفط كرداسة ، ودمشوية ، ومحلة الشيخ ومصيل .

وترعة دمشوية تفتح في تاسع توت ، ويقيم الماء عليها سبعة عشر يوما ، وتفتح الى محلة

الشيخ ، ومصيل يقيم الماء عليها ثلاثين يوما ، ويسد بعد ذلك على دمشوية سبعة أيام .

وعلى سفط ومية رزقون ترعة بوسيق . كانت تفتح في أول توت .

محلة بوسيق ليس عليها سد .

محلة الكروم تفتح في ثامن توت . ومنها تشرب عدة أماكن ، وهي محلة الكروم وكفورها ، وهي ديسة وكوم الولايد وكوم الصخرة وديرامس والصفاصف ، وما يخرج عن كمورها وهي تلسا والجلبون من حقوق محلة كيل . ومنها تشرب الجهة الغربية .

شبرا بار ليس عليها سد .

وترعة قافلة كانت تفتح في ثامن توت ، وليس عليها الآن سد .

وترعة بلقظر وكفورها ، كانت تفتح في تاسع توت ، وليس عليها الآن سد .

ترعة الراهب ليس عليها سد .

وترعة دسونس المقارضى تسقى الحلقاية ، وتفتح في ثامن توت .

وكذلك ترعة مرحنا والمعلقة ، وترعة نيلامة ويشاي ، وآخر تراع الحبيجة ، وترعة الكريون تفتح في ثامن توت .

وترعة السلقون كانت تفتح في سادس توت ، وليس عليها الآن سد .

وترعة أرمياخ تفتح في ثاني عشر توت .

وترعة أبلوق تفتح في سادس توت .

وأما جون رمسيس فان بحر رمسيس كان يضرب السد فيه على تراع رمسيس من أول

النيل الى ساج عشر توت . والذي يشرب من
النيل المذكور ، من التولمي والكتور ،
ومسي ومحلة جسر وفيلسان وبعض ابيسة
البيدي وبعض خربت وبعض البلكوس وبعض
بولن وبعض محلة واقد ، اليصاء وبعض
فيلاس .

ثم يفتح سد دكنولة ، وهو محلت يقيم
لله عليه عشرة ايام ، وتشرب منه دكنولة
ومحلة من مية املسي وبعض سيقية .

ثم يقطع سد العظمي ، وهو محلت ، ومنه
يشرب بعض جنوبة وطباسة البحرية والبرة
وأبو حار واليهوط .

ثم يقطع سد سنوس وأبو ديسار وقرعة
طبرية ، فيشرب منه دنال ، وظلموس يقيم
لله عليها ستة ايام ، ومنه تشرب مية عليا
وسلطيس .

وأما بحر دمنهور فانه يسد على سلطيس الى
ساج عشر توت ، ومنه تشرب سلطيس وزهرا
وبعض طابوس وبعض قرطسا وبعض كيسة
القيط ودمنهور .

ثم يقطع سد ندية ، وهو محلت ، فيقيم
ثمانية ايام ، ومنه تشرب ندية ودفوس
والصيرة والتسرين .

ثم يفتح ويسد على محلة خفض ومحلة كيل
ومحلة نير .

ثم يقطع سد سلطيس ، وهو محلت ، فيقيم
عشرة ايام بعد اختلاط الماءين يجر دمنهور
ورمين .

ثم يقطع جسر ملولة ، ومنه تشرب تروجة
وأرسيس والمراسي وغاية الاعناس وبعض

سمر ومحلة نير ، ويتى هناك الى اقضاء
النيل .

وأما قرعة طبرية فهي محلة ، وإذا روت
طبرية تطلق على سنوس أم دينار ، ثم تقطع
على طاموس بمقدار رحا ، ثم تطلق في النيل
المعالي على أرض قراقس ، ويطلق الماء على
قرطسا وكيسة القيط .

وخليج الطبرية اذا خرج الماء منه يسقى
منه في أول النيل ، الى أن يضرب جسر شبرا
وسيم ، فيسقى منه شبرا وسيم وبعض
البلكوس وخيصة الزعفراني وبعض بولن
ومسجد غانم والصواف وكوم شريك ومينة
مخين وقل القمامي ومحلة واقد .

ثم يقطع جسر دليجة ، ومنه يشرب بعض
خربت وبعض فيلسان وبعض بولن واليضا
ودنت وتبانة الأبراج رتل بقا والحددين
واليهودية والنوم وأبو صادة والحصن *
وقلاوة بني عبيد وطوخ دخاية ودرشا وسقرا
ودليجة ولحة وطية ، ثم يقطع على مينة
وزراقة الحجر والمحزون وبعض حيارس
واقريم وأبو سار وأم الضرور .

خليج ابن زلوم - ويعرف بخليج ابن
ظلم وسد مخرج التعدي - لا يفتح الى
عشرة ايام من توت ، ومنه يشرب شابور
وكيسة مبارك وبعض مرسية وبعض دموثة
ومينة يزيد وحوض الماصلي وحصة سلمون
وبعض سنيت وبعض التعدي وبعض
فيلسان .

ثم يفتح ، فيشرب منه أمليط وبعض انباي
وبعض كيسة عبد الملك وبعض أرمنية

(ج) ص ١٧٠ ج ١ ط ١٧٠٠

ومينا وبعض محلة عبيد وسفط خالد ومرتامة
وشبرا بوية وكسان شراس وبعض دمشق .
وتقام الحراس على جسر سفط

ويشرب من خليج الاسكندرية وما يفيض
منه ، أهل الباطن وأهل الصحرة في فحاج
وأودية ، فيكون ذلك ماء صله . وهم قبل
من دقانة والرمحة وسى إزال وسى البربر ،
وزرعوون على فيسول من هراج

وبين منساري الحرام من ناحية حوجسر
وفافوس ، وبين آخر ما يشرب من خليج
الاسكندرية ، مسيرة شهر ، كان عامرا كله
في محلول ومعقود - الى ما بعد الحسين
وثلاثمائة من سى محره ، وقد خرب معظم
ذلك .

وقال أبو بكر البرمسي . نس حذنه من
منايح البحر . أنه قال : شاهدت الاسكندرية
والصيد في الخليج مثل مرغيه . والسك فيه
يقطع الماء به كثرة حتى تصيده الأمشال
بالخرق ، ثم حجره اوائلي ومنع الناس من
صيده ، فذهب حتى كد لا يرى فيه الا
الواحدة بعد الواحدة الى يومنا هذا .

وقال أبو عمرو الكندي في كتاب «الموالي»
عن الحارث بن مسكين : انه تقلد قضاء مصر
من قبل أمير المؤمنين الوائق بالله في سنة تسع
وثلاثين ومائتين ، فذكر سيرته وقال : وحفر
خليج الاسكندرية ، وورد الكتاب بصرفه في
شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين ومائتين .

وقال جامع السيرة الطولية : وفي ربيع
الأول سنة تسع وخمسين ومائتين ، أمر أحمد
ابن طولون بحفر خليج الاسكندرية .

وقال المسعودي : وقد كان النيل تقطع من
بلاد الاسكندرية قبل سنة اثنتين وثلاثين
وثلاثمائة .

وقد كان الاسكندر بنى الاسكندرية على
هذا الخليج من النيل ، وكان عليها معظم ماء
النيل ، فكان يسقى الاسكندرية وبلاد
مربوط ، وكانت بلاد مربوط في نهاية الصارة
والجنان المتصلة بأرض بركة ، وكانت السن
تجرى في النيل وتصل بأسواق الاسكندرية .

وقد بطل أرض خليجها في المدينة بالأحجار
والمرمر ، وانقطع الماء عنها لمواضع سدت
خليجها ومنعت الناس دخوله ، فصار شربهم
من الآبار ، وصار النيل على يوم منهم .

وذكر المسيحي أن الحاكم بأمر الله ،
أبى منصور بن العزيز ، أطلق لحفر خليج
الاسكندرية ، في سنة أربع وأربعمائة ، خمسة
عشر ألف دينار ، فحفر كله .

وفي سنة اثنتين وستين ومستمائة بعث الملك
الظاهر بيبرس الأمير عليا ، أمير جاندار ،
لحفر خليج الاسكندرية ، وقد امتلأت فوخته
بالطين ، وقل الماء في الاسكندرية ، فابتدأ
بالحفر من التعدي ، وأنشأ هناك مسجدا .
وتولى مباشرة هذا الحفر الملم تما سيف ناظم
الدواوين .

ثم بعث السلطان ، في سنة أربع وستين
ومستمائة ، لحفر هذا الخليج الأمير علم الدين
سنجر المروري ، ثم سار بمائة الأمراء
والأجناد ، وبأشر الحفر بنفسه ، وعمل فيه
الأمراء وجميع الناس الى أن زالت الرمال
التي كانت على الساحل بين التعدي وقم

الخليج ، ثم عدى الى باربار ، وخرق مراكب
هناك وهي ملها بالسجارة ، فلما لم يثر
عد الى قلعة الحل

ثم تعطل استمرار جريان الماء فيه بطول
السنة ، وصار يحل سرحا بعد شهرين أو
سرحا من طول الماء اله ، واحتاج أهل
الاسكندرية في طول السنة الى القرب من
الصهاريج التي يحرق فيها الماء

الى ان كان سنة عشر وسبعائة ، فقدم
الأمير بامر الدين مكتوت الخزنداري ،
المعروف بأمر ككار ، متولى الاسكندرية الى
قلعة الجبل ، وحسن للسلطان الملك الناصر
محمد بن علاون حفره ، وذكر له ما في ذلك
من المنافع

أوما : حصل الفلأل واصناف المتجر الى
الاسكندرية في المراكب ، وفي ذلك توفير
للكثف ، وزيادة في مال الديوان .

وقالها : حارة ما على حافتي الخليج من
أراضي باتشاء الضياع والسواقي ، فينبو
الحراج جدا نوا كثيرا .

ولانها : اتفاح الناس به في حارة
بساتينهم ، وشرب ماء دائما .

فأعجب السلطان ذلك ، وكتب الأمير بدر
الدين محمد بن كدهنى بن الوزيرى مع
مكتوت لعله ، وتقدم الى جميع أمراء الدولة
بالحراج مباشرة لأحضار رجال النواحي
الجارية في إقطاعهم للعمل للحفير ، وكتب
نواة لأصل بالتوقف في العمل .

فاجتمع من النواحي نحو الأربعين ألف
رجل ، جعلت في نحو العشرين يوما ، ووقع

العمل في شهر رجب من السنة المذكورة ،
وأمر لكل أهل ناحية قطعة بطرولها حتى
كل ... فجاء قناس الحفر ، من لم يحر النيل
الى ناحية شبار ، لماية آلاف فمبة حاكية ،
ومن شبار الى الاسكندرية مثلها .

وكان الخليج الأصلي يدخل الماء اليه من
حد شبار ، فجعل لم هذا البحر يرمى عليه ،
وعمل عليه ست قصبات ، في عرض ثمانى
مصاب . فلما اتهموا الى حد الخليج الأول ،
حفر أيضا على نظير الخليج المتجدد ، فصارا
بحرا واحدا ، وركبت عليه السدود والقناطر .

ووجد في الخليج الأول عند حفره ، من
الرصاص المبني تحت الصهاريج ، شيء كثير
جدا ، فلم يتعرض السلطان لشيء منه ، وأنعم
به على الأمير بكتوت .

وعظمت المشقة في حفر هذا الخليج ، فان
الذى تجاوز البحر منه غلب عليه الماء ،
فصارت الرجال تغطس فيه وترفع الطين من
أسفله ، ثم كثر الماء فركبت السواقي حتى
رحته

الا ان عظيم النفع به سهل جميع ذلك ، فان
السفن جرت فيه طول السنة ، واستغنى أهل
الاسكندرية عن شرب ماء الصهاريج ، وبادر
الناس للمصاراة على جانبي الخليج ، فلم يفض
غير قليل حتى استجد عليه ما يزيد على مائة
ألف فدان ، زرعت بعد ما كانت سباحا ، وما
يصف على ستائة ساقية يرسم القلقاس والنيلة
والسم ، وفوق الأربعين ضيعة ، وأزيد من
ألف غيط بالاسكندرية ، وعمرت منه عدة

(١٨١) من ١٧١١ ج ١ ط ١٠٠٠

بلاد كثيرة ، وتحول عالم عظم الى مسكنى
ما استجد عليه ، وفيه .

ولما فرغ العمل في الخليج شرع الأمير
بكتوت في عمل جسر من ماله ، فان الناس
كانوا ، في وقت هيجان البحر ، يجدون مشقة
عظيمة لغلبة الماء على أراضي السباخ ، فأقام
ثلاثة أشهر حتى بنى وصيفا ، ذلك أساسه
بالحجر والرصاص وأغلاه بالحجر والكلس ،
وعمل فيه ثلاثين قنطرة .

وأشأ خانا ينزله الناس ، ورتب فيه
الخفراء ، ووقف على مصالحه رزقة ، فبلغ
مصرفه نحو الستين ألف دينار مصرية ، سوى
ما أخذ من الحجارة التي بعضها من قصر قديم
أخذ خارج الاسكندرية ، وسوى ما وجده
من الرصاص في سرب بأسفل هذا القصر
ينتهي بمن يبنى فيه الى قريب البحر ، وسوى
ما أنعم به عليه من الرصاص الموجود
بالخليج .

ولم يزل الخليج فيه الماء طول السنة الى
ما بعد سنة سبعين وسبعائة ، فانقطع الماء
منه وصار الماء لا يدخل اليه الا في أيام زيادة
ماء النيل فقط ، ثم يجف عند نقصه ، فتلف
من أجل هذا أكثر بساتين الاسكندرية
وخربت ، وثلاثى كثير من القرى التي كانت
على هذا الخليج .

وسبب انقطاع الماء عنه غلبة الروم على
الأشتموم الذى كان يعبر منه ماء بحر الملح الى
بحيرة الاسكندرية حتى جفت ، وصار الرمل
تلقبه الرياح في الخليج ، فانطم فيه وعلا
قاعه .

وقصد من أدركناه من ملوك مصر حفر
هذا الخليج لمر مرة ، فلم يتبها ذلك ... الى
ان كانت سلطنة الملك الأشرف برسباي ،
فكتب لحفره الأمير جرباش الكريشى ، المعروف
بماشق .

فتوجه اليه ، وجمع له من قدر عليه من
رجال النواحي ، فبلغت عدتهم ثمانمائة وخمسة
وسبعين رجلا ، ابتدأوا في حفره من حادى
عشر جمادى الأولى سنة ست وعشرين
وثمانمائة الى حادى عشر شعبان لتعام تسعين
يوما ، فأنهى عملهم .

ومضى الماء في الخليج حتى انتهى الى حده
من مدينة الاسكندرية ، وجرت فيه السفن ،
فر الناس به سرورا كبيرا .

وجبى ما أتفق على الصال في الحفر من
أرباب النواحي التى على الخليج ، ومن أرباب
البائين بالاسكندرية ، ولم يكن في حفره
كثير شناعة ، ما جرت به عادة الولاة في مثل
ذلك ، وشه الحمد .

وعندما انتهى قدم الأمير جرباش الى قلعة
الجبل ، فخلع السلطان عليه وشكره ، ثم
عنه حاجب الحجاب ، فلم يتر ذلك الا
قليلا حتى انطم بالرمل ، وتعذر سلوك
الخليج بالمراكب الا في أيام النيل فقط .

ذكر جمل حوادث الاسكندرية

وفي سنة ثمان وتسعين ومائة ، عثمت
الحروب بديار مصر بين المطلب بن عبد الله
الغزاعى أمير مصر ، وبين عبد العزيز بن
الوزير الجروى الناصر بتيس ، فعقد المطلب

على الاسكندرية لمحمد بن هيرة بن هانم
ابن خديج ، فاستخلف محمد خاله عمر بن
عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية
ابن خديج - الذي يقال له عمر بن ملاك -
ثم عزله للمطلب بعد ثلاثة اشهر بأخيه الفضل
ابن عبد الله بن مالك .

وكانت بالاسكندرية مراكب الأندلسيين قد
قتلوا من غزوهم . وكان سبب قدوم هذه
للمراكب ما جرى لأهل قرطبة بوقعة الرضخ مع
الحكم بن هشام في سنة اثنين وثمانين ومائة ،
فاخرج جماعة منهم ، فوصلوا الى ثغر
الاسكندرية زيادة على عشرة آلاف .

وكان سبب ثورتهم ان قصابا من
الاسكندرية رمى وجه رجل منهم بكرش ،
فأتوا من ذلك ، وصاروا الى ما صاروا اليه ،
وذلك لما نزلوا رمل الاسكندرية ليتاعوا ما
يصلحهم . وكذلك كانوا على الرمان ، وكانت
الأمراء لا يبيحهم دخول الاسكندرية ، انما
كان الناس يخرجون اليهم فيايصوفهم .

فلما عزل عمر بن ملاك ، كتب اليه عبد
المعز الجعفي يأمره بالوثوب على
الاسكندرية والدعاء له بها ، فبعث عمر بن
ملاك الى الأندلسيين ، فدعاهم الى القيام معه
في اخراج الفضل عنها ، فساروا معه ، وأخرج
الفضل ، ودعا للجعفي .

فوثب أهل الاسكندرية على الأندلسيين ،
وأخرجوهم وردوا الفضل ، وقتل من
الأندلسيين ثغر ، وانهمز الباقيون الى مراكبهم .
فعزل المطلب أخاه ، وولى عليها اسحاق
ابن أبرهة بن الصباح في شهر رمضان سنة

(١٧٢) من ١٧٢ ج ١ ، ط. بولاق .

تسع وتسعين ، ثم عزله بأبي ذكرى بن جنادة
المعافري .

فلما اقبل السري بن الحكم هو والمطلب بن
عبد الله ، وغلب السري على مصر ، وثب عمر
ابن ملاك على أبي ذكرى ، وأخرجته من
الاسكندرية ، ودعا للجعفي ، وأقبل
الأندلسيون اليه فأمسكوا ، فأمرهم بالخروج
الى مراكبهم ، فشق ذلك عليهم .

وظهرت بالاسكندرية طائفة يسمون
بالصوفية ، يأمرون بالمعروف ، ويعارضون
السلطان في أموره ، فترأس عليهم رجل منهم ،
يقال له أبو عبد الرحمن الصوفي ، فصاروا مع
الأندلسيين يدا واحدة ، واعتقدوا بلخم ،
وكانت لهم أعز من في ناحية الاسكندرية .

فخوصم أبو عبد الرحمن الصوفي الى عمر
ابن ملاك في امرأة ، فقتل على أبي عبد
الرحمن ، فوجد في نفسه من ذلك ، وأخرج
الى الأندلسيين فآلف بينهم وبين لخم ، ورجا
أهل الأندلس أن يدركوا ثارا من عمر بن
ملاك .

فساروا الى عمر بن ملاك ، وهم زهاء عشرة
آلاف ، فحصروه في قصره ، وخشي أن القصر
لا ينعيه منهم ، وخاف أن يدخلوا عليه عتوة
فيفضح في حرمه ، فاعتسل وتحنط وتكفن ،
وأمر أهله أن يدلوه اليهم ، فدلى فأخذته
السيوف فقتل .

ثم ولى أخوه محمد بن عبد الله الذي
يلقب جيوس ، فقتل .

ثم ولى عليهم عبد الله البطال ابن عبد
الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن
خديج ، فقتل .



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والساء ٣ قروش

خَطَّ الْمَقْرِزِي

٩



كتاب
التحرير

كانت مصر هي مسقط رأسي ، وطلب أترابي ، وجمع ناسي ، وفضي عشيري وعاصمي ،
وموطن فاضلي وعاصمي ، وهجو هجوي الذي رب جسامي في ذكره ، وفس مأربي ، فهو
تهوى الأنفس غير ذكره ، لا زلت منذ شذوت العالم ، وآتاني رب الغطاة والفهم ، أغرب في
معرفة أخبارها ، وأحب لإشراف على الاعتراف من آبارها ، وأصرو سائلة الركبان من مكان وإيرها ،
تقى الدين أحمد بن علي المقرزي

ثم ولي عليهم أخوه أبو هيرة الحارث ،
فقتل .

ثم ولي عليهم خديج بن عبد الواحد ،
فقتل ... وانصرف القوم ، وذلك في ذي
القعدة .

ثم فسد ما بين لخم والأندلسيين عند مقتل
ابن ملاك ، واقتلوا ، فانهزمت لخم ، فظفر
الأندلسيون بالاسكندرية في ذي الحجة ،
فولوها أبا عبد الرحمن الصوفي ، فبلغ من
الفساد والنهب والقتل ما لم يسمع بمثله ،
فغزله الأندلسيون ، وولوا رجلا منهم يعرف
بالكناني .

ثم حاربت بنو مدلج الأندلسيين ، فظفر بهم
الأندلسيون وتغروهم عن البلاد ، فلم يقدر
بنو مدلج على الرجوع الى أرض الاسكندرية
حتى طلب السرى من الأندلسيين أن يردوهم ،
فأذنوا لهم حينئذ ورجعوا .

وكان أبو قبيل يقول : أنا على الاسكندرية
من أربعين مركبا مسلمين ، وليسوا بمسلمين ،
تأتى في آخر الصيف ، أخوف منى عليهما من
الروم .

فيقال له : ما هذه الأربعون مركبا في هذا
الخلق لو كانت نيرانا تضطرم ؟

فيقول : اسكت ويلك ، منها وممن فيها
يكون خراب الاسكندرية وما حولها .

وبلغ عبد العزيز الجروى قتل ابن ملاك ،
فسار في خمسين ألفا حتى نزل على حصن
الاسكندرية ، وحصرها حتى أجهد من فيها .
ويلفه أن السرى بن الحكم بعث الى تيسع بعثا

فكر واجعا في المحرم سنة احدى ومائتين ،
فدعا الأندلسيون للسرى .

ثم لما خلع أهل مصر المأمون ، ودعوا
لابراهيم بن المهدي ، وقام الجروى بذلك ،
سار الى الاسكندرية ، وحصر الأندلسيين
حتى دخلها صلحا ، ودعى له بها ، ثم سار
عنها الى القسطنطينية ، فحارب السرى وقتل
ابنه ، ثم انصرف .

فسار الأندلسيون بمامل الجروى ،
وأخرجوه من الاسكندرية ، وخلعوا الجروى ،
ودعوا للسرى .

فسار اليهم الجروى في شهر رمضان سنة
ثلاث ومائتين ، فعارضته القبط بسخا ،
وأمدتهم بنو مدلج - وهم في نحو من
مائتي ألف - فهزمهم ، وبعث بجيوشه الى
الاسكندرية فحاصروها .

وكانت بين السرى وبين أهل الصعيد
حروب .

ثم ان الجروى سار الى الاسكندرية سيره
الرابع وحاصرها ، ونصب عليها المجانيق سبعة
أشهر ، من أول شعبان سنة أربع ومائتين الى
سلخ صفر سنة خمس ، فأصاب الجروى فلقة
من حجر منجنيقه ، فمات سلخ صفر سنة خمس
ومائتين .

وقام من بعده ابنه على ، فلم تزل الفتن
بالأندلسيين في الاسكندرية متصلة ، الى أن
قدم عبد الله بن طاهر الى مصر من قبل أمير
المؤمنين المأمون ، وأخرج عبيد الله بن السرى
من مصر ، وسار الى الاسكندرية في قواد
العجم من أهل خراسان ، مستهل صفر سنة

التي عشرة ومائتين ، فحاصرها بضع عشرة ليلة حتى خرج اليه أهلها بأمان .

وصالحه الأقبليون على أن يسيرهم من الاسكندرية حيث أحبوا ، على ألا يخرجوا في مراكبهم أحدا من أهل مصر ولا عبدا ولا أبقا ، فإن فعلوا فقد حلت له دماؤهم ، ونكت عهده ... وتوجهوا .

فبعث ابن طاهر من يفتش عليهم مراكبهم ، فوجدوا فيها جمعا من الذين اشترط عليهم ألا يخرجوهم ، فأمر بإحراق مراكبهم ، فألوه أن يردهم إلى شرطهم ، ففعل .

وساروا إلى جزيرة اقرطش وملكوها ، وكان الأمير معهم أبو حفص عمر بن عيسى ، ثم ملكها ولده من بعده ، وعمرها الأقبليون إلى أن غزاهم الروم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ، وملكها بعد حصار طويل .

وولى على الاسكندرية الياس بن أسد بن سامان ، ورجع إلى القسطنطينية في جمادى الآخرة ، ثم سار إلى العراق .

ولما انتفى أسنل الأرض في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين ، وحاربهم الأقبليين ومعه عيسى بن منصور الراقي أمير مصر ، وبعث عبد الله بن يزيد بن مزيد الشيباني إلى الغربية ، فانهزم إلى الاسكندرية ، واستجاشت عليه بنو مداح ، وحصلوه في شوال .

فسار الاثنين ، وأوقع بينه في طريقه حتى قدم الاسكندرية في جنوده ، فلقيته

في ١٢٢٤ هـ ، ١٢٢٤ هـ ، ١٢٢٤ هـ

مائة من بني مداح ، فهزمهم مرتين ، وأسر منهم وقتل .

ودخل الاسكندرية لعشر بقين من ذي الحجة ، فقر منه رؤساؤها ، وكان عليها معاوية ابن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن ابن معاوية بن خديج ، فأصلح أمرها .

ثم خرج إلى أهل البرود فاستمعوا عليه ، حتى قدم المأمون إلى مصر ، فصار إلى البرود ، والاثنين قد أوقع بالقيط بها كما تقدم ذكره .

ولما ولى ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب أفرقية في سنة إحدى وستين ومائتين ، حنت سيرته ، فكانت القوافل والتجار تسير في الشرق وهي آمنة ، وبني الحصور وانحدر على ساحل البحر ، حتى كانت توعد النار من مدينة سبتة إلى الاسكندرية ، فيصل الخبر منها إلى الاسكندرية في ليلة واحدة وبينهما مسيرة أشهر .

وفي سنة اثنين وثلاثمائة دخل حباة ، في جيوش أفرقية ، إلى الاسكندرية في المحرم ، ومعه مائة ألف أو زيادة عليها ، وقدمت الجيوش من الشرق مددا لتكن أمير مصر ، وسار حباة من الاسكندرية .

ونودي بالنفير في القسطنطينية ، لعشر بقين من جمادى الآخرة ، فلم يتخلف عن الخروج إلى الجيزة أحد من الخاصة والعامة ، إلا من عجز عن الحركة لمرض أو عذر . وأتاهم حباة ، فقتلوه وهزموه ، ثم دار عليهم ، فقتل من أهل مصر نحو من عشرة آلاف ، ونهض حباة إلى أفرقية ، وأقاموا بمصر مضطربين .

فقبل مؤنس الخادم من العراق في رمضان بعيوش كثيرة ، فصرف تكين في ذي القعدة . وولى ذكاه الأعور في صفر سنة ثلاث وثلاثمائة ، فخرج في جيوشه إلى الاسكندرية ، وتبع كل من يوما إليه بمكاتبه صاحب أفرقية ، فجن منهم وقتل كثيرا .

وجلا أهل لوية ومراقية إلى الاسكندرية ، في شوال سنة أربع وثلاثمائة ، خوفا من صاحب برقة .

وفي سنة سبع وثلاثمائة سارت مقدمة المهدي عبيد الله من أفرقية ، مع ابنه أبي القاسم ، إلى لويبة . فهرب أهل الاسكندرية وجلوا عنها ، وخرج منها مظفر بن ذكاه الأعور في جيشه ، ودخلت إليها العساكر يوم الجمعة لثمان خلون من صفر ، وفر أهل القوة من القسطنطينية إلى الشام .

فخرج ذكاه أمير مصر إلى الجيزة وعسكر بها ، ثم مرض ومات على مصافه بالجيزة في ربيع الأول .

فولى تكين بعده ولايته الثانية من قبل المختار ، ونزل الجيزة .

وأقبلت مراكب صاحب أفرقية إلى الاسكندرية عليها سليمان الخادم ، فقدم نزل الخادم ، صاحب مراكب طرسوس ، فالتقيا برشيد في شوال ، فاقتلا .

فبعث الله رجا على مراكب سليمان ألقتهما إلى البر ، فتكسر أكثرها ، وأخذ من فيها أخذا باليد ، وقتل أكثرهم ، وأسر من بقى وسبقوا إلى القسطنطينية ، فقتل منهم نحو سبعمائة رجل .

وسار أبو القاسم بن المهدي من الاسكندرية إلى القيوم ، وملك جزيرة الأسمنين والقيوم وأزال عنها جند مصر .

فمضى نمل الخادم في مراكبه إلى الاسكندرية ، فقاتل من بها من أهل أفرقية فقتلهم ، ونقل أهل الاسكندرية إلى رشيد .

وعاد إلى القسطنطينية ، ومضى في مراكبه إلى اللاهون ، ولحقته العساكر ، فدخلوا إلى القيوم في صفر سنة سبع وثلاثمائة . فخرج أبو القاسم بن المهدي إلى برقة ، ولم يكن بينهما قتال ، ورجعت العساكر إلى القسطنطينية .

وما زالت الاسكندرية وأعمالها في اضطراب إلى أن قدمت جيوش المزمز لدين الله مع القائد جوهر ، في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فملكها . وما برحت إلى أن قام بها نزار بن المستنصر ، وكان من أمره ما قد ذكر عند ذكر خزائن القصر .

وفي سنة ثنتي عشرة وستمائة ، اجتمع بالاسكندرية ثلاثة آلاف من تجار الفرنج ، وقدمت بطشة إلى المينا فيها من ملوك الفرنج ملكان ، فهموا أن يشوروا ويقتلوا أهل البلد ويملكوها .

فتوجه الملك العادل أبو بكر بن أيوب إليها ، وقبض على التجار المذكورين وعلى من بالبطشة ، واستصفي أموالهم وسجنهم ، وسجن الملكين ، وجرت خطوب حتى أطلق السلطان نساءهم ، وعاد إلى القاهرة .

وفي سنة أربع وخمسين وخمسمائة نفي
الملك الصالح طلائع بن زريك على بليس
حصنا من لبن .

وفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة كانت
وقعة البابين ، بين الوزير شاور وأسد الدين
شيركوه ، فانهزم عسكر شيركوه ، ومضى
منهم طائفة الى الاسكندرية ، ثم كانت
لشيركوه على شاور ، فانهزم منه الى
القاهرة .

ومضى شيركوه الى الاسكندرية ، فخرج
اليه أهل الثغر ، وفيهم نجم الدين محمد بن
مصال والى الثغر ، وقاضيه الأشرف بن
الخباب ، وناظره القاضي الرشيد بن الزبير ،
وسروا بقدمه ، وسلموه المدينة .

ثم سار منها يريد بلاد الصعيد ، واستخلف
ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب على
الثغر في ألف فارس . فنزل عليه شاور ، ومعه
مري ملك الفرنج ، فقام معه أهل الثغر ،
وأستعدوا لقتال شاور ، فكان ما أخرجوه
أربعة وعشرين ألف فارس .

فوعدهم شاور أن يضع عنهم المكوس
والواجبات ، ويعطيهم الخمس اذا سلموه
صلاح الدين ، فأبوا ذلك ، وألحوا في قتاله ،
فحصرهم حتى قل الطعام عندهم .

فتوجه اليهم شيركوه ، وقد حشد من
العربان جموعا كثيرة ، فبعث اليه شاور ،
وبذل له خمسة آلاف دينار على أن يرجع الى
الشام ، فأجابته الى ذلك .

(١٨٠ من ١٧٦ ج ١ ، ط . بولاق .

وفتحت المدينة ، وخرج صلاح الدين الى
مري ملك الفرنج ، وجلس معه ، فما زال به
شاور أن يسلمه صلاح الدين فلم يوافق ،
بل سيره الى عه شيركوه من البحر على عكا
بن معه الى دمشق .

ودخل شاور الى الاسكندرية في سابع عشر
شوال ، فاستر ابن مصال وفر الى الشام ،
وقبض على ابن الخباب ، وعوقب حتى فداه
أهله بمال جزيل ، ولم يقدر على ابن الزبير
وخرج الى رشيد .

هذا ، وقد امتنع الفقيه أبو الطاهر بن
عوف وجعاعة كثيرة بالنار ، فوقف عليهم
شاور ، فقال له ابن عوف : اعذروا يا أمير
الجيوش ، وسامحنا بما فعلناه .

فغفا عنهم ، وولى القاضي الأشرف أبا
القاسم عبد الرحمن بن منصور بن نجا ناظرا
على الأموال . وخرج ومعه مري ملك الفرنج
الى القاهرة ، ثم توجه مري الى بلاده .

وفي سنة احدى وسبعين وستمائة ورد الخبر
بحركة الفرنج الى ثغور مصر ، فاهتم الملك
الظاهر بيبرس بأمر الثغواني ، ونصب على
أسوار الاسكندرية نحو مائة منجنيق .

وفي يوم الخميس ، خامس شهر رجب سنة
سبع وعشرين ، خرج بعض تجار الفرنج الى
ظاهر باب البحر ، حيث تجتمع العامة للفرجة ،
وتعرض الى صبي أمرد يراوده عن نفسه .

فأنكر ذلك بعض من هناك من المسلمين ،
وقال : هذا ما يحل . فأخذ الفرنجي خفا كان
بيده وضربه على وجهه ، فصاح بالناس
فأتوه ، فقام الفرنج مع أصحابهم .

واتسع الخرق ، الى أن ركب يتولى الثغر ،
وأغلق أبواب المدينة ، وطلب من أثار الفتنة ،
ففرّوا ، وعاد الى داره وترك الأبواب مغلقة .

وكان بظاهر المدينة خلق كثير قد توجهوا
على عادتهم في حوائجهم ، فعيل بينهم وبين
بيوتهم ، وجاء الليل وهم قيام على الأبواب
يضجون ويصيحون ، فمضى أعيان البلد الى
المتولى ، وما زالوا به حتى فتح لهم .

فدخلوا مبادرين وهم يزحمون ، فمات
منهم زيادة على عشرة أنفس ، وتلفت أعضاء
جماعة ، وذهب من عائم الناس ومناديلهم
وغير ذلك شيء كثير ، وعظم البكاء والصراخ
طول الليل .

فلما كان من الغد ركب الوالى لكشف
أحوال الناس ، فتكاثروا عليه ورجعوه ،
فانهزم منهم الى داره ، فتبعوه وقتلوه ،
فقاتلهم من أعلى الدار حتى سفكت بينهما دماء
كثيرة ، وأحرقوا بابه ، ونهبوا دورا بجانيه .
فكتب يستنجد والى دمنهور ومن حوله من
العربان ، فأتوه واحتاطوا بالمدينة .

وسرح الطائر الى السلطان بخروج أهل
الاسكندرية عن الطاعة ، فاشتد غضبه ،
وخشى من اطلاقهم الأمراء المسجونين ، وبعث
الى القضاة فجمعهم واستفتاهم في قتالهم ،
فكتبوا بما يجب .

وخرج اليهم الوزير مغلطاي الجمالى ،
وطوغان شاد الدواوين ، وأيدمر أمير جندار ،
وعدة من المماليك السلطانية ، وناظر الخاص ،
ومع الوزير تذكرة باراقة دماء أهل الفساد ،

ومصادرة جماعة ، وأخذ أموال أهل البلد ،
والقبض على الأسلحة المدة بها للغزاة ،
واساك القاضي والشمود ، وحصل الأمراء
المسجونين الى القاهرة .

فساروا في عاشره ، وقدموا الثغر بعد ثلاثة
أيام ، ونزل الوزير بالحيس ، وفرض على
الناس خمسة آلاف دينار مصرية ، وأحضر
قاضي القضاة عماد الدين ونائبه في الحديد ،
وأنكر عليهما كونهما شمرا النداء في البلد
بالغزاة في سبيل الله . فأنكرا وقوع هذا
منهما ، وأنها لم يكن في قدرتهما رد السواد
الأعظم .

فضرب نائبه ابن الشبي ضربا مبرحا ،
وألزمه بحمل ستماية ألف درهم ، وألزم
القاضي بخسمائة ألف درهم ، وكان قد رسم
بشنته ، فتلطف في مكاتبه السلطان ، واعتذر
عنه وبرأه حتى عفا عنه .

وتبع العامة ، فوسط منهم ثلاثين رجلا في
يوم الجمعة ثالث عشره ، فتسارع الناس الى
دورهم من الخوف ، فذهبت عدة عسائم ،
واشتد الخوف مدة عشرين يوما ، وكتب
السلطان تتوالى بالايقاع بأهل الثغر وأخذ
أموالهم ، والوزير يحسن في الجواب الى أن
جهز الأمراء المسجونين وسار من الثغر .

وقد استعرض ما به من السلاح فوجد
سته آلاف عدة كاملة ، جعلها جميعها في قاعة
وختم عليها ، وبلغت الجباية من الناس ما ينيف
على مائتين وستين ألف دينار .

فكانت هذه من المحن العظيمة ، والحوادث
الشيعة . والله الأمر من قبل ومن بعد .

ذكر مدينة أتررب

هذه المدينة بناها أتررب بن قبطيم بن مصر
ابن بصر بن حام بن نوح عليه السلام .

قال ابن وصيف شاه : وكان أتررب قد
انتقل الى حيزه بعد موت أبيه قبطيم ، وهي
المدينة التي كان أبوه بناها له ، وكان طولها
اثني عشر ميلا ، ولها اثنا عشر بابا .

وجعل في شارعها الأعظم ثلاث قباب عالية
على أعلاها بعضها فوق بعض ، منها قبة في
وسط المدينة ، وقبتان في طرفيها ، وجعل على
كل قبة مرقبا كبيرا ، وفي كل ناحية منها ملعبا
ومجالس ومنتزهات تشرق .

وشق في غربيها نهرا ، وعقد عليه قناطر ،
وجعل من فوقها مجالس متصلة ، وحولها
النازل تدور بالخليج متصلة بالقناطر على
رياض * مزروعة من خلفها الجنان والبساتين .

وعلى كل باب من الأبواب أعجوبة من
تمائيل وأصنام متحركة ، وأصنام تنع من
يؤذى .

وجعل في داخل كل باب صورة شيطانين
من صفر ، فاذا قصدها أحد من أهل الخير
قهقه الشيطان الذي عن يمين الباب ، وإن كان
من أهل الشر بكى الشيطان الذي عن يسرة
الباب .

وجعل في كل منتزه منها من الوحش الآلف
والطيور المفردة كل مستحسن ، وفوق قباب

(١٧٥) من ١٧٥ ج ١ ، ط ١٧٥١ .

المدينة صوراً تصغر اذا هبت الرياح ، ونصب
مراة ترى البلاد البعيدة .

وبنى حذاءها في الشرق مدينة ، وجعل
فيها ملاعب وأصناما بارزة في صور مختلفة ،
وفي وسطها بركة اذا مر بها الطير سقط عليها
فلا يبرح حتى يؤخذ .

وجعل لها حصنا باثني عشر بابا ، على كل
باب تمثال يعمل أعجوبة .

وعمل حوالها جنازا ، وجعل بالقرب منها
— في ناحية الشرق — مجلسا منقوشا على
ثمانى أساطين ، وفوقه قبة عليها طائر منشور
الجناحين ، يصفر في كل يوم ثلاث تصفيرات :
بكرة ، ونصف النهار ، وعند غروب الشمس .

وأقام فيها أصناما وعجائب كثيرة .

وبنى مدنا كثيرة ، وأقام فيها رجلا يقال
له برسان ، يعمل الكيمياء ، وضرب منها
دنانير ، في كل دينار سبعة مئاقيل ، عليها
صورته .

وعاش أتررب ملكا ثلثمائة وستين سنة ،
وبلغ من العمر خمسمائة سنة .

وعمل له ناووس في جبل بالشرق ، حفر له
تحت سرب بطن بالزجاج والمرمر ، وجعل على
سرير من ذهب مرصع ، وحملت اليه ذخائره ،
وجعلوا على بابه صورة تين لا يدنو منه
أحد الا أهلكه ، وسووا عليه الرمال ، وزبروا
عليه اسمه وتاريخ وقته .

وقال ابن الكندي : أربع كور بصر ليس
على وجه الأرض أفضل منها ، ولا تحت السماء .

لهن نظير : كورة القيوم ، وكورة أتررب ،
وكورة سنود ، وكورة أنصنا

وكورة أتررب من جملة كور أسفل الأرض ،
وهي مائة وثمانى قرى .

وكان يقال مدائن السحرة من ديار مصر
سبع ، وهي : أرمنت ، وبيبا ، وبوصير ،
وأنصنا ، وصان ، وأتررب ، وصا .

ذكر مدينة تيس

تيس (بكسر التاء المنقوطة باثنتين من
فوقها وكسر النون المشددة وياه آخر
الحروف وسين مهلة) بلدة من بلاد مصر
في وسط الماء . وهي من كورة الخليج ،
سميت بتيس بن حام بن نوح . ويقال بناها
قليمنون من ولد أتررب بن قبطيم أحد ملوك
القبط في القديم .

قال ابن وصيف شاه : وملكت بعد أتررب
ابنته ، فديرت الملك وساسته بأيد وقوة ،
خمساً وثلاثين سنة ، وماتت . فقام بالملك من
بعدها ابن أختها قليمنون الملك ، فرد الوزراء
الى مراتبهم ، وأقام الكهان على مواضعهم ،
ولم يخرج الأمر عن رأيهم ، وجد في العمارات
وطلب الحكم .

وفي أيامه بنيت تيس الأولى التي غرقها
البحر ، وكان بينه وبينها شيء كثير ، وحولها
الزروع والشجر والكروم ، وقرى ومصاصر
للخمر ، وعمارة لم يكن أحسن منها .

فأمر الملك أن يبنى له في وسطها مجالس ،
وينصب له عليها قباب ، وتزين بأحسن الزينة
والنقوش ، وأمر بفرشها وأصلاحها .

وكان اذا بدأ النيل يجرى انتقل الملك اليها ،
فأقام بها الى التوروز ورجع .

وكان للملك بها أمناء يقسمون المياه ،
ويعطون كل قرية قسطها ، وكان على تلك
القرى حصن يدور بقناطر ، وكان كل ملك
يأتى يأمر بعمارتهما والزيادة فيها ، ويجعلها له
منتزها .

ويقال ان الجنتين اللتين ذكرهما الله تعالى
في كتابه العزيز ، اذ يقول : « واضرب لهما
مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب ،
وحففناهما بنخل ... » الآيات ، كانتا لأخوين
من بيت الملك أقطعهما ذلك الموضع ، فأحسنا
عمارته وهندسته وبنياته . وكان الملك يتزده
فيهما ، ويؤتى منهما بفرائب الفواكه
والبقول ، ويعمل له من الأطعمة والأشربة ما
يستطيع .

فعجب بذلك المكان أحد الأخوين ، وكان
كثير الضيافة والصدقة ، ففرق ماله في وجوه
البر . وكان الآخر ممسكا يسخر من أخيه
اذا فرق ماله ، وكلما باع من قسمه شيئا
اشتراه منه ، حتى بقى لا يملك شيئا .

وصارت تلك الجنة لأخيه ، واحتاج الى
سؤاله ، فاتهره وطرده ، وغيره بالتبذير
وقال : قد كنت أنصحك بصيانة مالك فلم
تفعل ، وتغننى امساكى فصرت أكثر منك مالا
وولدا ، وولى عنه مسرورا بماله وجنته .

قام الله تعالى البحر ، فركب تلك القرى
وغرقها جميعا ، وقبل صاحبها يولول ويدعو
بالتيسور ، وقبول بالتيسر لم اشرك برى
أحدًا ، ... قال الله جل جلاله : « ولم تكن
له فئة ينصرون من دون الله » .

وفي زمان طيوس الملك بنيت دمياط .

وملك طيوس سبعين سنة ، وعمل لنفسه
قوسا في الجبل القري ، وحول اليه
الأموال والجواهر وسائر النخائر ، وحصل
من دأبه تآليل تنور بطوايب ، في أيديها
سيوف ، من دخل قطعته .

وجعل عن يمينه وساروه أسدين من نحاس
منحوب بطواب ، من أده حضاه ، وزر عليه :
هذا قبر قليسون بن أثرب بن قبيص بن مصر ،
عمره دهر ، وأده الموت فما استطاع له
دفا . فمن وصل اليه فلا يسلبه ما عليه ،
وليأخذ من بين يديه .

وقال ابن تيسر أخ لدمياط .

وقال السعدي في كتاب « مروج الذهب »
وغیره : تيسر كانت أرضا لم يكن بمصر مثلها
استواء وطيب تربة ، وكانت جناتا وغلا
وكرما وشجرا ومزارع ، وكانت فيها مجلر
على ارتفاع من الأرض .

ولم ير الناس بلدا أحسن من هذه الأرض ،
ولا أحسن اتصالا من جناتها وكرومها ، ولم
يكن بمصر كورة يقال أنها تشبهها إلا
القيوم .

وكان لله منحرا إليها ، لا ينقطع عنها
مينا ولا شاة ، يستقون جواهرها إذا شاءوا ،

... من ٢٣ : ١٠ : ضواري .

وكذلك زروعهم ، وسائرهم يصب إلى البحر من
جميع أطرافها ، ومن للوضع المروى
بالأنتم .

وقد كان بين البحر وبين هذه الأرض مسيرة
يوم ، وكان فيما بين العرش وجزيرة قبرس
ضريق مسلول إلى قبرس تسلكه الدواب
يسا ، ولم يكن بين العرش وجزيرة قبرس
في البحر سير طويل ، حتى علا الماء الطريق
الذي كان بين العرش وقبرس .

فلما مضت للقطيافوس من ملكه مائتان
ولمضى وخسوف سنة ، هجم الماء من البحر
على بعض التواضع ، التي تسمى اليوم بحيرة
تيسر ، فغرقه ، وصار يزيد في كل عام حتى
أغرقها بأجمعها . فما كان من القرى التي في
قراها غرق ، وأما الذي كان منها على ارتفاع
من الأرض ، فبقي منه تونة وبور ، وغير
ذلك مما هو باق إلى هذا الوقت ، والماء
محيط بها .

وكان أهل القرى التي في هذه البحيرة
ينتقلون موطنهم إلى تيسر ، فبشوههم واحدا
بعد واحد . وكان استحكام غرق هذه الأرض
بأجمعها قبل أن تفتح مصر بمائة سنة .

قال : وقد كان للملك من القلوك التي كانت
دارها القرم ، مع أركون من أراكنة البليسا
وما اتصل بها من الأرض ، حروب عمت فيها
خفاف وخلفاء ، فتحت من النيل إلى البحر ،
يستع بها كل واحد من الآخر . وكان ذلك
داعيا لتسب الماء من النيل ، واستيلائه على
هذه الأرض .

وقال في كتاب « أخبار الزمان » : وكانت
تيسر عشية لها مائة باب .

وقال ابن بطالان : تيسر بلد صغير ، على
جزيرة في وسط البحر ، ميله إلى الجنوب
من وسط الأقليم الرابع خمس درج ، وأرضه
سيخة ، وهوأوه مختلف ، وشرب أهله من
مياه مخزونة في صهاريج تملأ في كل سنة عند
عذوبة مياه البحر بدخول ماء النيل إليها ،
وجميع حاجاتها مجلوبة إليها في المراكب .

وأكثر أغذية أهلها السمك والجن والبان
البقر ، فإن ضامن البين السلطاني بجماعة
دينار حسابا ، عن كل ألف قالب دينار .
ونصف ، وضمان السمك عشرة آلاف دينار .
والخلاق أهلها سهلة متفاد ، ولبائهم مائلة
إلى الرطوبة والآنونة .

قال أبو البري الطيب : أنه كان يولد بها
في كل سنة مائتا مخث ، وهم يحبون الثقافة
والدمامة والغناء واللذة ، وأكثرهم يبيتون
سكاري ، وهم قليلو الرياضة لضيق البلد ،
وأبدانهم مثقلة الأخلاط ، وحصل بها
مرض ، يقال له القواق التيسر ، أقام بأهلها
ثلاثين سنة .

وقال جامع تاريخ دمياط : وكان على تيسر
رجل ، يقال له أبو ثور ، من العرب المتصرة .
فلما فتحت دمياط سار إليها المسلمون ، فبرز
إليهم نحو عشرين ألفا من العرب المتصرة
والقبط والروم ، وكانت بينهم حروب آلت إلى
وقوع أبي ثور في أيدي المسلمين وانهمزام
أصحابه . فدخل المسلمون البلد ، وبنوا
كنيسها جامعا ، وقسموا الغنائم ، وصاروا
إلى القرم .

فلم تزل تيسر بيد المسلمين إلى أن كانت
أمرة بشر بن صفوان الكلبي على مصر ، من

قبل يزيد بن عبد الملك ، في شهر رمضان سنة
أحدى ومائة ، فنزل الروم تيسر ، فقتل مزلحم
ابن مسلمة المرائي أميرها في جميع من الموالي .
ولمهم يقول الشاعر :

الم لرج ليخبرك الرجال
بما لاقى بتيسر الموالي

وكانت تيسر مدينة كبيرة ، وفيها آثار
كثيرة للأوائل ، وكان أهلها مياهير أصحاب
زرا . وأكثرهم حاك ، وبها يحاك ثياب
النروب التي لا يصنع مثلها في الدنيا .

وكان يصنع فيها للخليفة ثوب يقال له
البدنة ، لا يدخل فيه من الغزل - سداء
ولحة - غير أوقيتين ، ونسج باقيه
بالذهب ، بصناعة معسكة لا تعوج إلى
تفصيل ولا خياطة ، يبلغ قيمته ألف دينار .
وليس في الدنيا طراز ثوب كان يبلغ الثوب
منه - وهو ساذج بغير ذهب - مائة دينار .
عينا غير طراز تيسر ودمياط .

وكان النيل إذا أطلق يشرب منه من
بشارق القرم من ناحية جرجير وفاقوس ،
من خليج تيسر ...

فكانت من أجل مدن مصر ، وإن كانت شظا
وديفو ودميرة وتونة ، وما قاربها من تلك
الجزائر ، يحصل فيها الرفيع ، فليس ذلك
يقارب التيسر والدياطي .

وكان العمل منها ، أني ما بعد سنة مستين
وثلاثمائة ، يبلغ من عشرين ألف دينار إلى
ثلاثين ألف دينار لجهاز العراق ، فلما تولى
الوزير يعقوب بن كلس تدير المال ، استأصل
ذلك بالتوائب .

وكان يسكن بمدينة تيس وديار مصر تحت النعمة ، وكان أهل تيس يصيدون السماني وغير ذلك من الطير على أبواب دورهم (والسماني طائر يخرج من البحر في تلك النبال) ، وكانت السفن تركب من تيس إلى القراما ، وهي على ساحل البحر .

ولما مات هارون الرشيد ، وقام من بعده ابنه محمد الأمين ، وأراد القدر والتسكت بالأمون ، كان على مصر حاتم بن هرثة بن أعين من قبل الأمين ، فلما ثار عليه أهل تنو ونس ، بعث إليهم السري بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروي ، فغلبا بعد انتصافه من شوال سنة أربع وتسعين ومائة .

ثم ولي الأمير جابر بن الأشعث الطائي مصر ، وصرف حاتم بن هرثة ، وكان جابر ليثا . فلما تباعد ما بين محمد الأمين وبين أخيه عبد الله للأمون ، وخلق محمد أخاه من ولاية العهد ، وترك الغطاء له على المنابر ، وعهد إلى ابنه موسى ولقبه بالشديد ، ودعى له ... تكلم الجند بمصر بينهم في خلق محمد غضبا للامون ، فبعث إليهم جابر بنهما عن ذلك ، وخوفهم عواقب القتل .

وأقبل السري بن الحكم يدعو الناس إلى خلق محمد ، وكان من دخل إلى مصر في أيام الرشيد من جند الليث بن الفضل ، وكان خائلا ، فوثق ذكره بقيامه في خلق محمد الأمين .

وكتب الأمون إلى أشراق مصر يدعوهم إلى القيام بدعوتهم ، فأجابوه وبايعوا الأمون في

(١٨٠) من ١٢٧٨ ج ١ ، ط ١٧٩٠ .

رجب سنة ست وتسعين ومائة ، ووثبوا بجابر فأخرجوه ، وولوا عباد بن محمد .

فلما بلغ ذلك محمدا الأمين ، فكتب إلى رؤساء الحوف بولاية ربيعة بن قيس الجري ، وكان رئيس قيس الحوف ، فانتاد أهل الحوف كلهم معه ، بينهما وقيسما ، وأظهروا دعوة الأمين وخلق الأمون ، وساروا إلى القسطنطينية لمعاينة أهلها ، واقتلوا فكانت بينهما قتلى ، ثم انصرفوا وعادوا مرارا إلى الحرب .

فمضى عبد بن محمد لعبد العزيز الجروي ، وسيره في جيش ليحارب القوم في دارهم ، فخرج في ذي القعدة سنة سبع وتسعين ومائة ، وحاربهم بمصر ، فانهزم الجروي ، ومضى في قومه من لخم وجذام إلى فاقوس ، فقال له قومه : لم لا تدعو لنفسك ، فما أنت بدون هؤلاء الذين غلبوا على الأرض ؟

فمضى فيهم إلى تيس فنزلها ، ثم بعث بعدهم بجيوش الحجاج من أسفل الأرض .

فبعث ربيعة بن قيس يئمه من الجبال ، وسار أهل الحوف في الحرم سنة ثمان وتسعين إلى القسطنطينية ... فقتلوا ، وقتل جمع من الخريجين . وبلغ أهل الحوف قتل الأمين ، فنفروا .

وولي امرأة مصر مطلب بن عبد الله الخزاعي من قبل الأمون ، فدخلها في ربيع الأول ، وولي عبد العزيز الجروي شمرته ، ثم عزله وعقد له على حرب أسفل الأرض .

ثم صرف مطلب ، وولي العباس بن موسى ابن عيسى في شوال ، فولي عبد العزيز

الشمرته . فلما ثار الجند ، وأعادوا المطلب في الحرم سنة تسع وتسعين ، هرب الجروي إلى تيس .

وأقبل العباس بن موسى بن عيسى من مكة إلى الحوف ، فنزل ببلبيس ودعا قيسا إلى نصرته ، ثم مضى إلى الجروي بتيس ، فأشار عليه أن ينزل دار قيس ، فرجع إلى بلبيس في جمادى الآخرة ، وبها مات مسوما في طعام دمه إليه المطلب على يد قيس .

فدان أهل الأحواف للمطلب وبايعوه ، وساروا إلى جب عميرة وسالموه عندما لقوه ، وبعث إلى الجروي يأمره بالشخص إلى القسطنطينية ، فامتنع من ذلك ، وسار في مراكبه حتى نزل شطونف .

فبعث إليه المطلب السري بن الحكم في جمع من الجند يسألونه الصلح ، فأجابهم إليه ، ثم اجتهد في القدر بهم ، فتيقظوا له ، فمضى راجعا إلى بنا ، فأتبعوه وحاربوه .

ثم عاد فدعاهم إلى الصلح ولاطف السري ، فخرج إليه في زلاج ، وخرج الجروي في مثله ، فالتقيا في وسط النيل مقابل سندفا ، وقد أعد الجروي في باطن زلاجه الجبال ، وأمر أصحابه بسندفا إذا لصق بزلاج السري أن يجروا الجبال إليها ، فلصق الجروي بزلاج السري ، فربطه في زلاجه وجر الجبال ، وأسر السري ومضى به إلى تيس فسجنه بها ، وذلك في جمادى الأولى .

ثم كر الجروي وقاتل ، فلقبه جموع المطلب بسفط سليل في رجب ، فقتل .

ولما عزل عمر بن ملاك عن الاسكندرية ، ثار بالاندلسيين ودعا للجروي . فأقبل عبد الله ابن موسى بن عيسى إلى مصر ، طالبا بدم أخيه العباس ، في الحرم سنة مائتين ، فنزل على عبد العزيز الجروي ، فسار معه في جيوش كثيرة العدد في البر والبحر حتى نزل الجزيرة .

فخرج إليه المطلب في أهل مصر ، فحاربوه في صفر ، فرجع الجروي إلى شريقون ، ومضى عبد الله بن موسى إلى الحجاز ، وظهر المطلب على أن أبا حرملة فرجا الأسود هو الذي كاتب عبد الله بن موسى وحرضه على المسير ، فطلبه ففر إلى الجروي .

وجند المطلب في أمر الجروي ، فأخرج الجروي السري بن الحكم من السجن ، وعاهده وعاقده على أن يثور بالمطلب ويخلعه ، فعاهده السري على ذلك فأطلقه ، وألقى إلى أهل مصر أن كتابا ورد بولايته ، فاستقبله الجند من أهل خراسان ، وعقدوا له عليهم .

وامتنع المصريون من ولايته ، فنزل داره بالحراء ، وأمدّه قيس بجمع منهم ، وحارب المصريين فهزمهم وقتل منهم ، فطلب المطلب منه الأمان فأمنه ، وخرج من مصر ، واستبد السري بن الحكم بأمر مصر في مستهل شهر رمضان .

فلما قتل الأندلسيون عمر بن ملاك بالاسكندرية ، سار إليها الجروي في خمسين ألفا ، فبعث السري إلى تيس بعثا ، فسكر الجروي راجعا إلى تيس في محرم سنة إحدى ومائتين . فلما ثار الجند بالسري في

(١٨٠) من ١٢٧٨ ج ١ ، ط ١٧٩٠ .

شهر ربيع الأول ، وبايعوا سليمان بن غالب ،
قام عباد بن محمد عليه وخلفه

وقام بالأمر على بن حسزة بن جعفر بن
سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس في مستهل
شعبان ، فامتنع عباد أن يبايعه ولحق
بالجروى ، ثم لحق به أيضا سليمان بن غالب ،
فكان معه .

وعاد السرى الى ولاية مصر في شعبان ،
وقوى سلطانه .

فلما كان في المحرم سنة اثنين ومائتين ،
ورد كتاب المأمون اليه يأمره بالبيعة لولى
عهده على بن موسى الرضى ، فبوج له بمصر .

وقام في فساد ذلك ابراهيم بن المهدي
ببغداد ، وكتب الى وجوه الجند بمصر يأمرهم
بخلع المأمون وولى عهده ، وبالوثوب على
السرى .

فقام بذلك الحارث بن زرعة بن محرم
بالفسطاط ، وعبد العزيز بن الوزير الجروى
بأسفل الأرض ، ومسلمة بن عبد الملك
الطحاوى الأزدي بالصعيد ، وخالقوا السرى ،
ودعوا الى ابراهيم بن المهدي ، وعقدوا على
ذلك الأمر لعبد العزيز بن عبد الرحمن
الأزدي ، فحاربه السرى وظهر به في صفر .

ولحق كل من كره بيعة على الرضى
بالجروى ، لمنعه بتيس وشدة سلطانه ،
فسار الى الاسكندرية وملكها ، ودعى له بها
وببلاد الصعيد . ثم سار في جمع كبير لمحاربة
السرى ، واستعد كل منها لصاحبه بأعظم ما
قدر عليه . فبعث اليه السرى ابنه ميوتا ،

فالتقى بشطنوف ، فقتل ميون في جمادى
الأولى سنة ثلاث ومائتين .

وأقبل الجروى في مراكبه الى القسطنط
ليحرقها ، فخرج اليه أهل المسجد وسأله
الكف ، فانصرف عنها .

وحارب الاسكندرية غير مرة ، وقتل بها من
حجر أصابه من منجنيقه في آخر صفر سنة
خمس ومائتين ، ومات السرى بعده بثلاثة
أشهر في آخر جمادى الأولى .

وقام بعد الجروى ابنه على بن عبد العزيز
الجروى ، فحارب أبا نصر محمد بن السرى
— أمير مصر بعد أبيه — بشطنوف ، ثم
التقى بدمهور ، فيقال ان القتلى بينهما يومئذ
كانوا سبعة آلاف ، وانهمز ابن السرى الى
القسطنط ، فتبعته مراكب ابن الجروى ثم
عادت ، فدخل أبو حرملة فرج بينهما حتى
اصطلحا .

ومات ابن السرى في شعبان سنة ست
ومائتين . فولى بعده أخوه عبيد الله بن
السرى ، فكف عن ابن الجروى .

وبعث المأمون مخلد بن يزيد بن مزيد
الشياني الى مصر في جيش من ربيعة ، فامتنع
عبيد الله بن السرى من التسليم له وماتعه ،
فاقتلوا .

واضمم على بن الجروى الى خالد بن
يزيد ، وأقام له الأتزال وأغانه ، وسار حتى
نزل على خندق عبيد الله بن السرى ، فاقتلا
في شهر ربيع الأول سنة سبع ومائتين ، وجرت
بينهما حروب بعد ذلك آلت الى ترفع خالد
الى أرض الحوف .

فكره ذلك ابن الجروى ، ومكر به حتى
أخرجه من عمله الى غربي النيل ، فنزل نهيا ،
وانصرف ابن الجروى الى تيس ، فصار خالد
في ضر وجهه ، وعسكر له ابن السرى في شهر
رمضان وأسر ، وأخرجه من مصر الى مكة
في البحر .

وبعث المأمون بولاية عبيد الله بن السرى
على ما في يده ، وهو فسطاط مصر وصعيدها
وغربها ، وبولاية على بن عبد العزيز الجروى
تيس مع الحوف الشرقى وضمه خراجه .

وأقبل ابن الجروى على استخراج خراجه
من أهل الحوف ، فأنعوه وكتبوا الى ابن
السرى يستمدونه عليه ، فأمدهم بأخيه ،
فالتقى بكورة بنا في بلقينة ، فاقتلوا في صفر
سنة تسع ومائتين ، وامتدت الحروب بينهما
الى أثناء ربيع الأول وهم متصنفون .

فانصرف ابن الجروى فيس معه الى
دمياط . فسار ابن السرى الى محلة شرققون
ونهبها ، وبعث الى تيس ودمياط فملكهما .

ولحق ابن الجروى بالفرما ، وسار منها
الى العريش ، فنزل فيما بينها وبين غزة ، ثم
عاد وأغار على الفرما في جمادى الآخرة ، ففر
أصحاب ابن السرى من تيس .

وسار ابن الجروى الى شطنوف ، فخرج
اليه ابن السرى . واقتلا ، فكانت لابن
الجروى في أول النهار ، ثم أتاه كمين ابن
السرى فانهزم ، وذلك في رجب ، فمضى الى
العريش ، وسار ابن السرى الى تيس
ودمياط .

ثم أقبل ابن الجروى ، في المحرم سنة عشر
ومائتين ، وملك تيس ودمياط بغير قتال ،
فبعث اليه ابن السرى البعوث ، فحاربهم .

فبينا هم في ذلك اذ قدم عبد الله بن طاهر ،
فلقاه ابن الجروى بالأموال والأتزال ، وانضم
اليه ونزل معه بيليس ، فامتنع ابن السرى
ودافع ابن طاهر ، فتراخى له ، وبعث فجبى
المال ، ونزل زفتا ، وبعث الى شطنوف عيسى
الجلودي على جسر عقده من زفتا ، وجعل
ابن الجروى على سفنه التي جاءت من الشام
لمعرفته بالحرب ، فهزم مراكب ابن السرى في
المحرم سنة احدى عشرة .

وصالح ابن طاهر عبيد الله بن السرى في
صفر ، وخلع عليه وأجازه بعشرة آلاف دينار ،
وأقره بالخروج الى المأمون ، فسكنت فتن
مصر بعبد الله بن طاهر .

وفي سنة سبع وسبعين وثلثمائة ، ولدت
بتيس معزى جديا له قرون عدة ، ورأسه مع
صدره ، وبدنه ومقدمه بصوف أبيض ،
ومؤخره شعر أسود ، وذنبه ذنب شاة .

وولدت امرأة سخلة لها رأس مدور ، ولها
يدان ورجلان وذنب .

ولثلاث بقين من ذى الحجة من هذه السنة ،
حدث بتيس رعد وبرق وريح شديدة
وسواد عظيم في الجو . ثم ظهر وقت السحر
في السماء عمود نار احمرت منه السماء
والأرض أشد حمرة ، وخرج غبار ودخان
بأخذ بالأنفاس ، فلم يزل الى الرابعة من

التيار حتى ظهرت الشمس ، ولم يزل كذلك
خسة أيام .

وفي سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة ، حضر
عند قاضي تيس أبي محمد عبد الله بن أبي
الرمس رجل وامرأة ، فطابت المرأة الرجل
بفرض ولجب عليه ، فقتل الرجل : فزوجت
بها سنة خسة أيام ، فوجدت لها ما للرجال
وما للنساء .

فبعت اليها القاضي امرأة لتصرف عليها ،
فأخبرت أن لها فوق القبل ذكرا يخصين
والفرج تحتها والذكر أفت ، وأنها راحة
الحسن ، فضلتها الزوج .

قال أبو عمرو النكتي : حدثني أبو نصر
أحمد بن علي قال : حدثني يس بن عبد الأحد
قال : سمعت أبي يقول : لما دخل عبد الله بن
ظاهر مصر كنت حين دخل عليه ، فقال :
حدثنا عبد الله بن لهيعة ، عن أبي قيس عن
سبع ، قال : دخل مصر ، كيف بكم إذا كان
في بلدكم قتي ، فوليكم فيها الأخرج ثم
الأسير ثم الأمر ، ثم يأتي رجل من ولد
الحسين ، لا يدفع ولا يمنع ، تبلغ رايته البحر
لأخضر ، يملأها شلا .

قلت : كان ذلك ... كانت الفتة : فوليا
السري وهو الأخرج ، والأسير ابنه أبو
النصر ، والأمر عبد الله بن السري ، وأفت
عبد الله بن مهران الحسين .

ثم إن عبد الله بن ماهر سار إلى
الاسكندرية ، وأصلح أمرها ، وأخرج ابن
الجوي إلى العراق .

ثم قدم به ثلاثين إلى مصر في فئ الحجة
سنة خمس عشرة ، وقد أمر الأتقي أن
يطلب بالأموال التي عنده ، فإن دفعها إليه
والأقصة ، فطلب فلم يدفع إليه شيئا ، فقتله
بعد الأضحي ثلاث قتلته .

وفي جمادى الآخرة سنة تسع عشرة
وماثني ، سار يحيى بن الوزير في تيس ،
فخرج إليه المقتريين كلوا أمير مصر ، فقاتله
في بحيرة تيس وأسر ، وتفرق عنه أصحابه .

وفي سنة تسع وثلاثين وماثني ، أمر المتوكل
بنه حسن على البحر بتيس ، فتولى عمارته
عبد بن اسحاق أمير مصر ، وأثنى فيه
وفي حسن دمياط وأمرها مالا عظيما .

وفي سنة تسع وأربعين وماثني ، عذبت
بحيرة تيس مينا وشتاء ، ثم عادت ملحا
مينا وشتاء . وكانت قبل ذلك تقيم سنة
أشهر عذبة وستة أشهر مالحة .

وفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، وصلت
مراكب من صقلية ، فتهبوا مدينة تيس .

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ، صيد
بأنثوم تيس حوت طوله ثمانية وعشرون
ذراعا ونصف ، من ذلك طول رأسه تسعة
أذرع ، وذاتو بطنه مع ظهره خمسة عشر
ذراعا ، وفتحة فيه تسعة وعشرون شبرا ،
وعرض ذنبه خمسة أذرع ونصف ، وله يطان
يجفف بها طول كل يد ثلاثة أذرع .

وهو أملس أغبر غليظ الجلد ، مخطط
البطن بياض وسواد ، ولسانه أحمر ، وقب
خل كلرش كوله نحو الذراع يعمل منه
لشاة شبه الذيل ، وله عيان كميني البقر .

فأمر أمير تيس أبو اسحاق ابن لوبة به ،
فشق بطنه وملح بمائة أردب ملح ، ورفع فكه
الأعلى بسود خشب طويل ، وكان الرجل
يدخل إلى جوفه بقفاف الملح وهو قائم غير
منحن ، وحصل إلى القصر حتى رآه العزيز
بأنه .

وفي ليلة الجمعة ، ثامن عشر ربيع الأول
سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، شاهد أهل تيس
تسعة أعداء من فار نلتهب في آفاق السماء من
تلجة الشمال ، فخرج الناس إلى ظاهر البلد
يدعون الله تعالى حتى أصبحوا ، فخبث تلك
التيران .

وفيها صيد ببخيرة تيس حوت طوله
ذراع ، ونصفه الأعلى فيه رأس وعينان وعنق
وصدر على صورة أسد ، وبداه في صدره
ببخالته ، ونصفه الأدنى صورة حوت بغير
قشر ... فحمل إلى القاهرة .

وفي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، ولدت
بجارية بتنا برأسين : أحدهما بوجه أبيض
مستدير ، والآخر بوجه أسمر فيه سهولة ،
في كل وجه عينان ، فكانت ترضعهما .
وكلاهما مركب على عنق واحد ، في جسد
واحد ، يدين ورجلين وفرج ودبر .

فحملت إلى العزيز حتى رآها ، ووهب
لأمرها جملة من المال ، ثم عادت إلى تيس
ومات بعد شهر .

وفي سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، وصل
إلى تيس ، من شواني صقلية ، نحو أربعين
مركبا ، فحصرها يومين وأقلعوا .

ثم وصل إليها من صقلية أيضا ، في سنة
ثلاث وسبعين ، نحو أربعين مركبا ، فقاتلوا
أهل تيس حتى ملكوها .

وكان محمد بن اسحاق صاحب الأسطول
قد حيل بينه وبين مراكبه ، فتحيز في طائفة
من المسلمين إلى مصلى تيس ، فلما أجهم
الليل هجم بن معه البلد على الفرنج وهم في
غفلة ، فأخذ منهم مائة وعشرين فقطع
رؤوسهم ، فأصبح الفرنج إلى المصلى ،
وقاتلوا من بها من المسلمين ، فقتل من
المسلمين نحو السبعين ، وسار من بقي منهم
إلى دمياط .

فمال الفرنج على تيس ، وألقوا فيها النار
فأحرقوها ، وساروا - وقد امتلأت أيديهم
بالغنائم والأسرى - إلى جهة الاسكندرية
بعدما أقاموا بتيس أربعة أيام .

ثم لما كانت سنة ست وسبعين وخمسمائة ،
زول فرنج عسقلان ، في عشر حراريق ، على
أعمال تيس ، وعليها رجل منهم يقال له المعز ،
فأسر جماعة . وكان على مصر الملك المعادل
من قبل أخيه الملك الناصر صلاح الدين
يوسف عندما سار إلى بلاد الشام .

ثم مضى المعز ، وعاد فأمر وذهب ، فثار به
المسلمون وقاتلوه ، فقتلهم الله به وقبضوا
عليه ، وقطعوا يديه ورجليه ، وصلبوه .

وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، اتدب
السلطان لعمارة قلعة تيس وتجديد الآلات
بها ، عندما اشتد خوف أهل تيس من الإقامة

بها ، فقدر لمصاره صورها القديم - على
أساساته الباقية - مبلغ ثلاثة آلاف دينار عن
ثمن أصناف وآجر .

وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، كتب
بإخلاء تيس ونقل أهلها إلى دمياط ، فأخليت
في سفر من الذراري والأطفال ، ولم يبق بها
سوى المقاتلة في قلعتها .

وفي ثوال من سنة أربع وعشرين وستائة ،
أمر الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر
ابن أيوب بهدم مدينة تيس ، وكانت من
المدن الجبلية ، تعمل بها الثياب الصرية ،
وتصنع بها كسوة الكعبة .

قال الفاكهي في كتاب « أخبار مكة » :
ورأيت كسوة مما يلي الركن الغربي (يعني
من الكعبة) مكتوبا عليها : « ما أمر به
السري بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير
الجروي ، بأمر الفضل بن سهل ذي الرياستين
وطاهر بن الحسين ، سنة سبع وتسعين
ومائة » .

ورأيت شقة من قباطي مصر في وسطها ، إلا
أهم كتبوا في أركان البيت بخط دقيق أسود
« ما أمر به أمير المؤمنين المأمون سنة ست
ومائتين » .

ورأيت كسوة من كسا المهدي مكتوبا عليها
« بسم الله ، بركة من الله لعبد الله المهدي
محمد أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه » ، مما
أمر به إسماعيل بن إبراهيم أن يصنع في طراز
تيس ، على يد الحكم بن عبيدة سنة اثنتين
وستين ومائة .

ورأيت كسوة من قباطي مصر مكتوبا عليها
« بسم الله ، بركة من الله ، ما أمر به عبد
الله المهدي محمد أمير المؤمنين ، أصلحه الله »
محمد بن سليمان أن يصنع في طراز تيس
كسوة الكعبة ، على يد الخطاب بن مسلبة
عامله سنة تسع وخمسين ومائة .

قال المسيحي في حوادث سنة أربع وثمانين
وثلاثمائة : وفي ذي القعدة ورد يحيى بن
اليان من تيس ودمياط والفرما بهديته ،
وهي أسفاط وتخت وصناديق مال ، وخيل
وبغال وحير ، وثلاث مظال ، وكسوثان
للكعبة .

وفي ذي الحجة سنة اثنتين وأربعمائة ،
وردت هدية تيس الواردة في كل سنة : منها
خمس نوق مزينة ، ومائة رأس من الخيل
بسروجها ولجها ، وتجافيف وصناغات عدة ،
وثلاث قباب ديقية بمراتبها ، ومترحات
وبنود ، وما جرى الرسم بحمله من المتاع
والمال والبز .

ولما قدم الحاكم ، استدعت أخته السيدة
سيدة الملك ، إلى عامل تيس عن الحاكم ،
بأن يحمل مالا كان اجتمع قبله ، ويعجل
توجيهه ، وقيل أنه كان ألف ألف دينار وألغى
ألف درهم ، اجتمعت من ارتفاع البلد ثلاث
سنين ، وأمره الحاكم بتركها عنده ... فحمل
ذلك إليها ، وبه استعانت على ما دبرت .

وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة ، ورد
الخبر على الخليفة الظاهر لأعزاز دين الله ، أبي
هاشم على بن الحاكم بأمر الله ، أن السودان
وغيرهم ثاروا بتيس وطلبوا أرزاقهم ،

وخسبوا على العامل حتى هرب ، وأنهم عاثوا
في البلد وأفسدوا ، ومدوا أيديهم إلى الناس ،
وقطعوا الطرقات ، وأخذوا من المودع الفسا
وخمسائة دينار .

فقام الجرجري وقعد ، وقال : كيف يفعل
هذا بخزانة السلطان ؟ وساءنا فعل هذا بتيس
أو بيت المال ، وسير حسين فارسا للقبض
على الجناة .

وما زالت تيس مدينة عامرة ، ليس بأرض
مصر مدينة أحسن منها ، ولا أحسن من
عمارتها ، إلى أن خربها الملك الكامل محمد
ابن العادل أبي بكر بن أيوب ، في سنة أربع
وعشرين وستائة ، فاستمرت خرابا ، ولم يبق
منها إلا رسومها في وسط البحيرة .

وكان من جملة كورة تيس : بورا ، ومنها ،
وايثوان ، وشطا .

وبحيرتها الآن يصاد منها السمك ، وهي
قليلة العمق يسار فيها بالصادي ، وتلتقي
السفيتان هذه صاعدة وهذه نازلة بريح
واحدة ، وقلع كل واحدة منهما ملوئ بالريح ،
سيرهما في السرعة مستو .

توسط البحيرة عدة جزائر تعرف اليوم
بالعزب (جمع عزبة بضم العين المهملة وزاي
ثم باه موحدة) ، سكنها طائفة من الصيادين
وفي بعضها ملاحات يؤخذ منها ملح عذب لذيد
ملوحته ، وماؤها ملح وقد يحلو أيام النيل

تونة : وكان من جملة عمل مدينة تيس
قرية يقال لها تونة ، يعمل بها طراز تيس ،
ويصنع بها من جملة الطراز كسوة الكعبة
أحيانا .

قال الفاكهي : ورأيت أيضا كسوة لهارون
الرشيد ، من قباطي مصر ، مكتوبا عليها
« بسم الله ، بركة من الله للخليفة الرشيد عبد
الله هارون أمير المؤمنين ، أكرمه الله ، ما
أمر به الفضل بن الربيع أن يصل في طراز
تونة سنة تسعين ومائة » .

سنای : قرية من قرى تيس ، غلبت عليها
بحيرة تيس فصارت جزيرة .

فلما كان في شهر ربيع الأول ، سنة سبع
وثلاثين وثمانمائة ، كشف عن حجارة وآجر
بها ، فإذا عضادات زجاج كثيرة مكتوب على
بعضها اسم الامام المعز لدين الله ، وعلى بعضها
اسم الامام العزيز بالله تزار ، ومنها ما عليه
اسم الامام الحاكم بأمر الله ، ومنها ما عليه
اسم الامام الظاهر لأعزاز دين الله ، ومنها
ما عليه اسم المستنصر ، وهو أكثرها ...
أخبرني بذلك من شاهده وراه .

بورا : كانت فيما بين تيس ودمياط ،
واليها ينسب السمك الذي يقال له
« البوري » ، واليها ينسب أيضا بنو
البوري الذين كانوا بالقاهرة والاسكندرية .

وفي سنة عشر وستائة ، وصل العدو
إليها بشوانيه وسباها ، فقدمت إليها القطائع
التي كانت على رشيد ، فسار عنها العدو .

القيس (بفتح القاف وبعدها سين مهملة) :
بلد ينسب إليها الثياب القيسية ، آثارها إلى
اليوم باقية على البحر الملح فيما بين السوادة
والورادة ، وبعدها من مدينة الفرما قريب من
سنة برد في البر .

وهناك تل عظيم من رمل ، خارج في البحر الشامي ، يقطع الفرنج صده الطريق على المارة ، وبالقرب من التل سباح ، يثبت فيه ملح يحمله العريان الى غرة والرملة ، ويقرب هذا السباح آبار يزدح عندها مقايي لعريان تلك البلاد .

ذكر مدينة صا

قال ابن وصيف شاه : ولما قسم قبطيم بن مصرام الأرض بين أشمون وأترب وقط وصا ، انتقل كل واحد الى قسمه وحيزه ، فخرج صا بأهله وولده وحشه الى حيزه — وهو بلد البحيرة والاسكندرية — حتى انتهى الى برقة ووزل مدينة صا قبل أن يبنى الاسكندرية .

وكان صا أصغر ولد أبيه وأحبهم اليه ، فلما ملك حيزه أمر بالنظر في العمارات وبناء المدائن والبلدان والهيكل ، واظهار العجائب ، كما صنع اخوته ، وطلب الزيادة في ذلك .

وقال مرهون الهندي صاحب يانه : فبنى من حد صا الى حد لوية ومراقبة على البحر أعلاما ، وجعل على رؤوس تلك الأعلام مرائي من أخلاط شتى .

فكان منها ما يمنع من دواب البحر وأذاها . ومنها ما اذا قضهم عدو من الجزائر وأصابها الشمس ، ألت شعاعا على مراكبهم فأحرقتها . ومنها ما يرى المدائن التي تعاذيهم من عدوة البحر وما يعملها أهلها . ومنها ما ينظر فيها الى اقليم مصر ، فيعلم منه ما يخصب وما يجذب في كل سنة .

وجعل فيها حمامات تنفذ من قصورها ، وجعل مستشفيات ومترحات . وكان ينزل كل يوم منها في موضع بين يمينه من خدمه وحشمه ، وجعل حواليها بساتين ، ومرح فيها الطيور المفردة والوحش المستأن والانهار المطردة والرياض الموثقة .

وجعل شرفات قصوره من حجارة ملونة ، تلعب اذا أصابتها الشمس ، فينشر شعاعها على ما حولها ، ولم يدع شيئا من آلة النعمة والرفاهية الا استعمله .

فكانت العمارة ممتدة في رمال رشيد ورمال الاسكندرية الى برقة . وكان الرجل يسافر في أرض مصر لا يحتاج الى زاد لكثرة القواكه والخيرات ، ولا يسير الا في ظلال تشره من الشمس .

وعمل في تلك الصحاري قصورا ، وغرس فيها غروبا ، وساق اليها من النيل أنهارا ... فكان يسلك من الجانب الغربي الى حد الغرب في عمارة متصلة .

فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحاري ، وخربت تلك المنازل ، وباد أهلها .

ولا يزال من دخل تلك الصحاري يحكي ما رآه فيها من الآثار والعجائب .

قال مؤلفه رحمه الله : حدثني الثقة عن دخل مدينة صا ومشي في خرابها ، فاذا هو بلبنة طولها أربعة أشبار ، فتناولها وأخذ يتأملها ، ثم كسرها ، فاذا فيها منبلة قدر شير وافر كأنها كما حصدت ، وفركها بيده ، فخرج

منها قمح أبيض كبار حبه جدا ، في قدر حب اللويا ، فأكله كله فلم يجد فيه تغيرا .

ودخل آخر اليها قبيل سنة تسعين وسبعائة ، وأخذ منها لبنة طولها ذراع ونصف في عرض ذراع ، فكسرها ، فاذا فيها منبلة قمح ، نخن كل قصعة منها في مقدار ما يكون أكبر من الحمص ، فلم يطق كسره الا بعدما رضعه بالحجارة رضا .

ووجد بها صنم لطيف طول أصبع ، فاتفق أنه ألقى في خاوية ماء نصار خمر . وكان ذلك عند رجل من تيس ، فصلحت حاله من يمينه ذلك الخمر . فطلبه الأمير الأوحده مستولى تيس ، وما زال به حتى أخذ الصنم منه .

رمل الغرابي

اعلم أن هذا الرمل ممتد في الأرض ، ويسميه بعضهم الرمل الهير ، وطوله من وراء جبل طي الى أن يتصل مشرقا بالبحر ، ويمضي من وراء جبل طي الى أرض مصر ، ثم الى بلد النوبة ، ويمتد الى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر .

ومنه عرق يضرب من القادسية الى البحرين ، فيمر بالبحرين ، فيمر على مشارق خوزستان وفارس الى أن يرد مجستان ، ويمر مشرقا الى مر ، وأخذ على جيحون في بركة خوارزم ، ويأخذ في بلاد الحدلجية الى الصين والبحر المحيط في جهة الشرق .

وهو ، على ما وصفته وسقته ، من المحيط بالشرق الى المحيط بالغرب . وفيه جبال

عظام لا ترتقى . وبعضه في أرض سهلة يتنقل من مكان الى مكان ، ومنه أصفر لين اللبس ، وأحمر وأزرق مساوي ، وأسود حالك ، وأكحل مشبع كالثيل ، وأبيض كالثلج ، ومنه ما يحكي الغبار نعومة ، ومنه خشن جريش اللبس .

وزعم بعضهم أن رمل الغرابي . وما يتصل به من حد العرش الى أرض العباس ، حادث .

وذكر في سبب كونه خير فيه معتبر ، وهو أن شداد بن هداد بن شداد بن عاد ، أحد الملوك العادية ، قدم الى مصر ، وغلب بكثرة جيوشه أشمون بن مصر بن يصر بن حام بن نوح ملك مصر ، وهدم ما بناه هو وآبائوه ، وبني لنفسه أهراما ، ونصب أعلاما زير عليها الطلسمات ، واختط موضع الاسكندرية .

وأقام هناك دهرا الى أن نزل به وبقومه وباء ، فخرجوا من أرض مصر الى جهة وادي القرى ، فيما بين المدينة النبوية وأرض الشام ، وعمروا الملاعب والمصانع لحبس المياه التي تجتمع من الأمطار والسيول ، فكان سعة كل مصنع ميلا في ميل ، وغرسوا النخل وغيره ، وزرعوا أصناف الزراعات فيما بين راية وأيلة الى البحر الغربي .

وامتدت منازلهم من الدثنة الى العريش والجفار ، في أرض سهلة ذات عيون تجري وأشجار مثمرة وزروع كثيرة ، فأقاموا بهذه

(*) من ١٨٢١ هـ ، ط . بولاق .

الأرض تضررا طويلا ، حتى غلبوا وغلبوا
وتجروا وتقتلوا ، وقتلوا : نحن لا نكفون
قوة ، لا نكفون لا نكفون .

فقط لا نكفون الروح فاعلمكم ، وعلقت
صالحهم ويغرم حتى سحبتهم رمل .

فما تراه من هذه الرمال التي بأرض الجوار
- ما بين القبلة حيث القبة التي تصرف
اليوم بالصلابة إلى العرش - من رمل
مصانع العلية وساحة مخروم ، لا نكفون
لله بالروح ، ونحرم تسمرا .

وايك والفكر فكتا حرايب ، قلى القرائ
الكرام ما يشهد لصلته - قل تعالى : ولا
تدنا من أولئك عظيم الروح العظيم - ما نكفون
شيء كنت عليه إلا جئت ككريم ، نكفون
الملك الباقى . وقيل الرقيم بيت الأرض إذا
يس ويس ، وقيل الورق الجف التحطم من
الهنس . والرقيم الخلق الباقى من كل شيء .

مراية : مائة مراية كورة من كور مصر
العريضة ، وهي آخر حد أرض مصر . وقيل
آخر أرض مراية نكفون أرض السحاب وهي
برقة ، ويصل من مائة ستره نحو من
برقين .

وكان قنزا كيا به نخل كبير ومزارع ،
وهي تيون جارة ، وجاء إلى اليوم بقية .
وشهدا جدي إلى القبة ، وزرعها إذا بشر بيت
من العبة الواحدة من الصبح مائة سبة ، وقل
ما كنت نكفون سبة ، وكذلك الأرض جارة
جدة لك . وجاء إلى اليوم بساكن متعده .

ويكفون مراية ، في التمام من الرمال ،
سكنا القبر القليل فاعلم دود عليه السلام
من أرض قننك ، فزها منهم خلاقي ، ومنه
ترفت القبر : فزكت زكاة وسبغة وضرسية
فيسل ، وزكت لولة قننك برقة ، وزكت
لولة لميلس القرب ، ثم التفت القبر
إلى السوم .

فما كنت في تونل سة الروح وقننك من
سبي الهجرة الضحية جلا أهل لولة ومروية
إلى لا سكندرية خوفا من صاحب برقة .

ولم تزل إلى هذا إلى أن لا تزل إلى رمل
وبما حد ذلك بقية جنة .

كوم تريت : هذا المكان بالقرية من
اللا سكندرية ، لا ذكر في الأحبار . فزكت
بتركت من سبي إلى عبيد بعوث من حري
القراق القليل ، من الصحبة رضى .

ويكفون على منطقة عرو من العاص إلى نكفون
اللا سكندرية التي ، ففصلت كزكت جنة
الروم ، انظر تريت إلى هذا الكوم بأصعد ،
ودفع الروم حتى آخره عرو .

وكوم تريت هذا من جنة حدود
رميس .

قبة : قرية تغارب بقية بليس . من
الخطاط إليها مرحلتان ، كانت منزلة ذابة
الحاج .

وقيل إن صواع الملك الذي قتل من
مدينة مصر ، وجد في رحل أخوة يوسف نبيه
السلام بقية هذه .

مسورة : كبر ما رواه هذه البرقة رمل
كنا . حكى ابن بطون في تاريخه إلى التمام
ما نكفون العاص ، لا سبي الكنا إلى رمال
وصوره على قربة ، قل : فما كنت نكفون
به لهذا إلى رمل حاربا .

وكان بها أيضا تريت وصور من بيتك
مصر ، فبهم قوه عبيد شلبات ، وأقدم
الحرب ، وعظيم مكتوب : هؤلاء يملكون
مدينة مصر .

أثر مدينة مصر

وسيت إلى التورة (أرض حاشان) ،
وفيها ذل يعقوب لما قدم على والده يوسف
عليهما السلام ، فأثرت بأرض حاشان ، وهي
بليس إلى العلاقة ، من أجل مواسمهم .

قل ابن سينا : بليس ، وإليها جعل حكمه
إلى القوادة ، وهي آخر حد مصر .

وإليها تنهى المعاملة بنقطة السوداء ،
وصير الناس يتعاملون بقتلوس بعدها إلى
العرش ، وهي أول الشام ، وقيل هي آخر
مصر .

وقال أبو عبيد البكري : بليس (يفتح
أوله واسكان قايه بعده بإه مثل الأولى
مفتوحة أيضا وراء ساكة وسين مهلة) وهو
موضع قريب مصر معروف .

وذكر ابن خرداذبة في كتاب « المسالك
والممالك » : أن بين بليس ومدينة فسطاط
مصر أربعة وعشرين ميلا .

وذكر الواقفي أن القنوقس زوج ابنة
أرمافوسة من قسطنطين بن هرقل ، وجسرها
بأموالها وجوارها وغناها وحشها ، تسير
إليه حتى يبنى عليها في مدينة قيسارية وهم
محاصرون لها . فخرجت إلى بليس وأقامت
بها ، وبعت حاجتها الكسر في كفى فارس .
إلى القوما ، ليحفظ الطريق ، ولا يدع أحدا
من الروم ولا غيرهم يعبر إلى مصر .

وبعت القنوقس رسله إلى أخفاف بلاده ،
مما يبنى الشام ، ألا يتركوا أحدا يفتل أرض
مصر ، مخافة أن يتحدثوا بنقطة المسلمين على
الشام ، فيفتل العرب في قلوب عساكره .

فلما قدم عمرو بن الخطاب الجاية ، وصار
عرو بن العاص إلى مصر ، نزل على بليس
- وجاء أرمافوسة ابنة القنوقس - فقاتل من
بها ، وقتل منهم زهاء ألف فارس وأسر ثلاثة
آلاف ، وانهمز من بقى إلى القنوقس ، وأخذت
أرمافوسة وجميع ماله ، وسائر ما كان للقبط
في بليس .

فأحب عمرو ملاقة القنوقس ، فسير إليه
ابنة أرمافوسة مكربة في جميع ماله مع قيس
ابن أبي العاص السهمي ، فسر بقتلوما ، ثم
سار عمرو إلى القصر .

ولم تزل من مدائن مصر الكبار ، حتى نزل
عليها مري ملك الفرنج ، وأخذها عنوة بعد
حصار طويل ، وقتل منها آلافا .
ولها أخيار كثيرة .

(8) من 187 ج 1 ، ص 100

وقد خرجت منه بعد الفجر في يوم مصر
بعد ما كانت في القلعة ، بعد ما تركها
وجاءت إلى مصر ، وفيها عدة يسكنين ،
وأولها السبع مائة وثمان مائة .

ذكر به التوراة

التوراة من جنة العنبر .

قال عبد الله بن عبد الله بن خرداذبة في
كتاب « المسالك والممالك » : وصلة الطريق
والأرض من الرملة إلى أودود اثنا عشر
ميلا ، ثم إلى غزة عشرون ميلا ، ثم إلى
العرش أربعة وعشرون ميلا في وادي ، ثم إلى
التوراة ثمانية عشر ميلا ، ثم إلى القرب
عشرون ميلا ، ثم إلى الهرما أربعة وعشرون
ميلا .

قال الخليفة لأقون :

البيت كان فيها

في قصر منه بالقاهرة

غرب في قري مصر

يقال لهم والسما

ثم إلى جرج كلاتون ميلا ، ثم إلى القاهرة
أربعة وعشرون ميلا ، ثم إلى مسجد قضاة
ثمانية عشر ميلا ثم إلى بليس أحد وعشرون
ميلا ، ثم إلى قضاة مدينة مصر أربعة
وعشرون ميلا .

وقال جامع تاريخ ديباط : ولما اقتبح
السلطان الهرما ، بعثنا اقتحوا ديباط
وتيس ، ساروا إلى البقارة فسلم من جا ،

وساروا منها إلى التوراة ، فسلم أهلها في
السلام وما حولها إلى عسكر

وقال القاضى العادل في مستدرقات شعر
الفرج : سار سار وسار وسار : وسار
التوراة بيتا على بيت التوراة . ودخل
التوراة : فوالا فرج سار جاعلا منه شعر
وتوراة . ولما كان ذلك أمر الله عليها

والتوراة من جنة العنبر . وقال أحمد
السما في التوراة . ولم يزل جميعا عمارا ندم
في الجدة إلى ما بعد السعدية .

وقد التوراة القبية في شرفي المزالة التي
يقال لها اليوم الصالحة . وجاء أكثر عسائر
ومن قبل

الصاحبة : هذه البنية اختطها الملك
السلطان نجم الدين أيوب بن الكامل محمد
ابن الملك أيوب بن بكر بن أيوب بن شاذي ،
بأمر السلطان والملازمة : في أول العمل الذي
بين مصر والشام ، وأما ما قصورا وجالما
وسورة ، لتكون منزلة المسافر إذا خرجوا من
العمل ، وذلك في سنة أربع وأربعين وستة .

ذكر مدينة أيلة

ذكر ابن حبيب أن أيل (بنهم أوله ثم) ،
منة (ولدت أيلة . وأيلة (بنهم أوله ، على
وزد نعة (مدينة على شاطئ البحر فيما بين
مصر ومكة ، سميت بأيلة بنت مدين بن
إبراهيم عليه السلام .

وأيلة أول هذه البحار ، وقد كانت مدينة
عظيمة القصر على ساحل البحر الأحمر . وهذا
البحار الكبيرة . وأهلها من البحر
وكانت حلة مدينة الروم إلى أرض مصر ،
وعلى ميل منها إلى مملكة مصر . وقد كان
فيه مملكته بالملوك المكي

وبين أيلة ودمشق مائة ميل : والبحر
الذي كلم الله نبيه موسى عليه السلام على يوم
وأيلة من أيلة

وكانت في الإسلام مملكة إلى أيلة ،
وأكثرهم موالى غنم بن غنم ، وكانوا من
الحاج . وكان بها علم كثير وآداب ، وساجر
والسوق غامرة ، وكانت كثيرة الحبل
والزروع .

ونعبة أيلة لا يصمد إليها من هو راكب ،
وأصلها قاتق ، مولى خساروه بن أحد بن
طولون ، وسوى طريقتها ، ورم ما استرم
منها .

وكان بأيلة مساجد عديدة ، وبها كثير من
اليهود ، وروعون أن عندهم يرد النبي صلى
الله عليه وسلم ، وأنه بعث إليهم أماتا ، وكانوا
يخرجونه رداء عذيا ملفوفا في الثياب قد أبرز
منه قنبر شبر فقط .

وقال ابن أيلة هي القرية التي ذكرها الله
تعالى في كتابه حيث قال : « وأسألتهم عن القرية
التي كانت حاضرة البحر ، إذ يعدون في
البيت ، إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ،
ويوم لا يستطيعون لا تأتيهم ، كذلك بلوهم
بما كانوا يفعلون » .

وقد اختلف في تعيين هذه القرية ، فقال
ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والنسبي :
هي أيلة . وعن ابن عباس أيضا أنها مدينة بين
أيلة والطور . وعن الزهري أنها قرية

وقال قتادة وزيد بن أسلم : هي ساحل من
ساحل الشام ، بين مدين وعينوبة ، قال
لها مائة

وسل الحسين بن الفضل : هل نجد في
كتاب الله الحلال لا يأتيك إلا قوتا ، والحرام
يأتيك جزا ؟

قال : نعم في قصة أيلة : إذ تأتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا ، ويوم لا يستطيعون لا
تأتيهم .

وكان من خير أهل القصرية أنهم كانوا من
بنى إسرائيل ، وقد حرم الله عليهم العمل في
يوم السبت ، فزين لهم إبليس الحيلة وقال :
أنا نهيتم عن أخذ الحيتان يوم السبت ،
فتخذوا الحياض ، فكانوا يسوقون الحيتان
إليها يوم الجمعة فتبتي فيها ، فلا يسكنها
الخروج منها لقلة الماء ، فيأخذونها يوم
الأحد .

وقيل كان الرجل يأخذ خيطا ، ويضع فيه
ومته ويلقيه في ذنب الحوت ، وهو (يتحرك
الماء واسكانها) حبيل كالطول ، ويجعل في
الطرف الآخر من الخيط وتدا ، وتركه كذلك
إلى يوم الأحد .

(أيلة) مائة ميل ، مائة ميل .

ثم تفرق الناس ، حتى رأوا من صنع هذا
لا يتلى ، حتى كثر الصيد للحيات ، ومشي به
في الأسواق ، وأعلن الصفة بصيده .

فكانت طائفة من بني إسرائيل ، وجاهرت
بأنهم ، واعتزلت وقالت : لا نساكنكم .

ففسوا القرية بجدار ، فأصبح الناهون
ذات يوم في مجالسهم ، ولم يخرج من المعتدين
أحد ، فقالوا : إن للناس لشأنا .

فملوا على الجدار ، فاذا هم قرود ، فدخلوا
عليهم ، ففرقت القرود أنسابها من الناس ،
فجعلت تأتيهم فتسم ثيابهم وتبكي ، فيقول
الناهون للقرود : ألم تمك ؟ فتقول يرأسها :
نعم .

قال قتادة : فصارت الشيايب قرود ،
والتيوخ خنازير ، فما نجا إلا الذين صوا ،
وهلك سائرهم .

وقيل إن ذلك كان في زمن بني الله داود
عليه السلام .

وقيل إن أيلة أصلها أيلالية ، وقد وقع
ذكرها في التوراة كذلك .

وقال الشريف محمد بن أحمد الجواني :
ذكاة من البربر بطن من المصامدة وقالت
طائفة : إن ذكاة ولد أيلة - ويقال أيل -
الذي سميت به عقب أيلة ، وآخر : أنهم من
دغل بن أيلة ، وأهم بعزون إلى البربر ،
ويقولون : نحن من ربيعة القرس . وفي ذلك
خلاف عظيم .

وذكر المسعودي أن جوشع بن نون عليه
السلام ، حارب السيدع بن هرمز بن مالك
المسلمي ملك الشام ، يلد أيلة نحو مدين ،
وقته واحتوى على ملكه . وفي ذلك يقول
عز بن سعيد الجرمي :

ألم تر أن المسلمي بن هرمز
بأيلة أمي لعمري قد تمزعا

تداعت عليه من يهود جحافل
شانون القبا حاسرين ودوعا

وهي آيات كثيرة

وقال ابن السحاق : فلما انتهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه تحية بن
روبة صاحب أيلة فصالحه وأعطاه الجزية ،
وأته أهل جرياء وأذرح فأعطوه الجزية ،
وكتب لهم كتابا فهو عندهم ، وكتب لتحية بن
روبة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا أمانة من
الله ومحمد النبي رسوله ، لتحية بن روبة
وأهل أيلة ، أساقهم وسائرهم ، في البر والبحر
لهم ذمة الله وذمة النبي ، ومن كان معهم من
أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن
أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون
نفسه ، وانه طيب لمن أخذه من الناس ، وانه
لا يحل أن يمنعوا ما يريدونه ، ولا طريقا
يريدونه من بر أو بحر ... هذا كتاب نجيم بن
الصلت وشرجيل بن حنة ، بإذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وكان ذلك في سنة تسع من الهجرة . ولم
تزل مدينة أيلة عامرة أهلة .

وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة ، غرق
عبد الله بن الحرس الجعفري أيلة - ومعه
بعض بني الجراح - ونهبها ، وأخذ منها
بلاحة آلاف دينار وعدة غلال ، وسبى النساء
والأطفال ، ثم انه صرف عن ولاية ولدي
القرى ، فسارت إليه سرية من القاهرة
لمحاربته .

قال القاضي القاضل : وفي سنة ست وستين
 وخمسمائة ، أنشأ الملك الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب مراكب منفعة ، وحملها على
الجمال ، وسار بها من القاهرة في عسكر
كبير لمعاربة قلعة أيلة ، وكانت قد ملكها
الفرنج واستمعوا بها ، فأنزلها في ربيع الأول ،
وأقام المراكب وأصلحها وطرحها في البحر ،
وشحنها بالمقاتلة والأسلحة .

وقال قلعة أيلة في البر والبحر حتى فتحها
في العشرين من شهر ربيع الآخر . وفل من بها
من الفرنج وأسرهم . وسكن بها جماعة من
تقاته ، وقواهم بما يحتاجون إليه من سلاح
وغيره ، وعاد إلى القاهرة في آخر جمادى
الأولى .

وفي سنة سبع وسبعين ، وصل كتاب النائب
بقلعة أيلة ، أن المراكب على تحفظ وخوف
شديد من الفرنج ، ثم وصل الأيرس - لعنه
الله - إلى أيلة وربط العقبة ، وسير عسكره
إلى ناحية تبوك ، وربط جانب الشام لخوفه
من عسكر بطله من الشام أو مصر .

فلما كان في شعبان من السنة المذكورة ،
كثر المطر بالحبل المتأيل للقلعة بأيلة ، حتى

صارت به مياه استغنى بها أهل القلعة عن
ورود العين مدة شهرين ، وتآثرت بيوت القلعة
لتساج المطر ، ووهت لضعف أساسها ،
فتدلركها أصعابها وأصلحوها .

وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب
« أخبار الزمان ومن أياحه الحديث » الكوكبة ،
وهم أمة لهم أربعة ملوك ملكوا أرض أيلة
والحجاز .

وبنى كل واحد منهم مدينة سماها باسمه ،
وجعلوا سائر الأرض خيرات وقسموها على
ثلاثين كورة ، وجعلوها أربعة أعمال لكل
عمل ملك يجلس على منبر ذهب في مدينته .

وعمل برية - وهي بيت الحكمة - وعمل
هيكلا لأخذ الكواكب ، وجعل فيه أصناما
من ذهب ، كل صنم له مرتبة .

وكانت الاسكندرية ، واسمها رقودة ،
فجعلوا لها خمس عشرة كورة ، وجعلوا فيها
كبار الكهنة ، ونصبوا في هياكلها من أصنام
الذهب أكثر مما في غيرها ، وكان فيها مائتا
صنم من ذهب .

وقسموا الصيد على ثمانين كورة ،
وجعلوه أربعة أقسام ، وكان عند مدن أهل
مصر ، الداخلة في كورها ، ثلاثين مدينة فيها
المعجائب .

وقيل إن حصيرا الأكبر ، واسمه العرنجج
ابن سبأ الأكبر - واسمه عامر ، ويعرف بعبد
شمس بن يشجب بن يرب بن قحطان - لما
ملك بعد أبيه جمع جيوشه ، وسار يبطا الأمر ،

وهو من الملوك كما قبل أبوه ، فأمعن في الشرق حتى أبعد يأجوج ومأجوج إلى مطلع الشمس ، ثم قتل نحو الغرب .

فجاء قبائل من أهل اليمن ، من بني هود ابن طاهر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، يشكون من هود بن طاهر بن عابر بن لرم بن سام بن نوح ، وما زل بهم من ظلمهم . فأمر يرفهم من أرض اليمن ، وأزلمهم أيلة ، فصرخوا من أيلة إلى ذلت لأصنام إلى أطراف جبل نجد .

قطعت هود هناك الصخور ، ونحتوا من الجبال البيوت ، وتكبروا وطغوا . فبعث الله فيهم صالحا نبيا ورسولا ، فكذبوه وسألوه أن يخرج لهم قلعة من صخره ، فأخرجها لهم ، فمقرخوا ، فأهلكهم الله بالصيحة ، فأصبحوا في ديارهم جاثقين .

وقد ذكر أن موسى عليه السلام سار بيني إسرائيل ، بعد موت أخيه هارون ، إلى أرض أولاد الميمى - وهي التي تعرف بجبال السرة - يجنب بلد الشوك . ثم مر فيها إلى أيلة ، وتوجه بعد أيام إلى بركة باب ، حيث بلاد الكرك حتى حارب تلك الأمم .

وكان إلى جانب أيلة مدينة ، يقال لها عصبون ، جليلة عظيمة .

مربوط : كورة من كور الاسكندرية ، كانت لشدة يباسها لا يكاد بين فيها دخول الليل إلا بعد وقت ، وكان الناس يشنون فيها وفي أيديهم خرق سود خوفا على أجسادهم ، ومن شدة يباسها لبس الرهبان الولد .

وكانت بلاد مربوط في نهاية الصارة والجنان للصلة بأرض بركة . وهي اليوم من قرى الاسكندرية ، ذرع بها القواك وغيرها . وقد وقعها الملك القنبر وكن الدين ييسرس الجاشنكير على جهات بر بالجامع الحاكمي من القاهرة ، وبها جامع عمر في سنة ست وستين وستائة .

ثم استأجرها الملك المؤيد شيخ الممردى ، في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، وجدد عماره بساتنها ، وقد خرب لتردد عرب لبدنة وبرقة إليه ، فاستمرت في ديوان السلطان .

وادي هيب : هذا الوادي بالجانب الغربي من أرض مصر ، فيما بين مربوط والقيوم ، يجلب منه الملح والظرون .

عرف هيب بن محمد بن معتل بن الواقعة ابن حزام بن غنان القفاري ، أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد فتح مكة ، وروى عنه أبو تميم الجشاني ، وأسلم مولى حبيب ، وسعيد بن عبد الرحمن القفاري .

وكان قد اعتزل ، عند فتنة عثمان رضي الله عنه ، هذا الوادي فعرف به ، وكان يقول : لا يفرق بين قضاء دين رمضان ، وجمع بين الصلوات في السفر .

وقال لهذا الوادي أيضا : وادي الملوك ، ووادي الظرون ، وبرة شماب ، وبرة الاستيط ، وميزان القلوب .

وكان به مائة دير للنصارى ، وبقي به سبعة ديرة .

وقد ذكرت ، عند ذكر الأدبار من هذا الكتاب : وهو واد كبير القوائد ، فيه الظرون وتحصل منه مال كبير ، وفيه الملح الاندلسي ، والملح السلطاني - وهو على هيئة ألواح الرخام - وفيه الوكت ، والكحل الأسود ، ومعمل الزجاج . وفيه الماسكة ، وهو منج أصفر في داخل حجر أسود ، يطبخ في الماء ، ويشرب لوجع المعدة . وفيه البردى لعمل الحصر ، وفيه عين الغرب ، وهو ماء في هيئة البركة ، وطولها نحو حصة ثمر ذرعا في عرض خمسة أذرع ، في مغار بالجبل ، لا يعلم من أين يأتي ولا إلى أين ينصب ، وهو حلو رائق .

ويذكر أنه خرج منه سبعون ألف راجب ، يد كل واحد عكاز ، فقتلوا عمرو بن العاص بالطرانة ، مرجعه من الاسكندرية ، بطبوز أماء لهم على أنفسهم وأديارهم .

فكتب لهم بذلك أماء بقي عندهم ، وكتب لهم أيضا بجراية الوجه البحري فاستمرت بأيديهم . وإن جراتهم جاءت في سنة زيادة على خمسة آلاف ارب ، وهي الآن لا تبلغ مائة ارب .

ذكر مدينه مدين

اعلم أن مدين - أمة شعيب - هم بنو مديان بن ابراهيم عليه السلام ، وأمهم قنطوراء ابنة يقطان الكنعانية ، ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم أم .

ومدين على بحر القلزم ، تحاذي تبوك على نحو ست مراحل ، وهي أكبر من تبوك . وبها البئر التي استقى منها موسى لسائمة شعيب ، وعمل عليها بيت .

قال القراء : مدين اسم بلد وقطر ، وقيل اسم قبيلة سميت باسم أبيها مدين . وقاله مديان بن ابراهيم ... قاله مقاتل وغيره .

والجمهور على أن مدين أعجمي ، وقيل عربي . فإن كان عربيا فإنه يحتمل أن يكون فعلا من مدن بالمكان أقام به ، وهو بناء قدو وقيل مهمل ، أو مفلا من دان فتصحيحه شاذ ، وهو متنوع الصرف على كل حال ، سواء كان اسم الأرض أو اسم القبيلة ، عجيا أو عربيا .

وقال المسمودي : قد تنازع أهل الشرائع في قوم شعيب بن نوفل بن رعويل بن مر بن عيقا بن مدين بن ابراهيم عليه السلام ، وكان لسانه العريسة ، فمنهم من رأى أهم من العرب الدائرة والأمم البائدة ، وبعض من ذكرنا من الأجيال الخالية .

ومنهم من رأى أنهم من ولد المحسن بن جندل بن يعصب بن مدين بن ابراهيم الخليل ، وأن شعيبا آخرهم في النسب .

وقد كانوا عدة ملوك ، تفرقوا في مسالك متصلة ، فمنهم المسمى بأبيجد ، وهوز ، وحطى ، وكلمن ، وسعفس ، وقرشت .

وهـ - على ما ذكره - بنو الحصن بن
جندل وتعرف الجبل من أسفله هؤلاء
الفرس ، وهي الأسانيد والفرس حرقا التي
عليها حساب الجبل . وقد قيل في هذه
الحروف غير ما ذكره من الوجوه .

فكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز .
وكان عوز وحكي ملكين ببلاد وج - وهي
القطيف - وما اتصل بذلك من أرض نجد .
وكس وسفص وقوش ملك بنين . وقيل
ببلاد مصر . وكان كس على ملك مدين .

ومن الناس من رأى أنه كان ملك جيسع
من سبأ مشاعا متصلا على ما ذكره : وأن
غلب يوم القعدة كان في ملك كس منهم ،
وأن شيبا دعاهم فكتبوه ، فوعدهم بمقابل
يوم القعدة ، ففتح عليهم باب من السماء من
قد ، ونجا شيب بن آمن مع إلى الموضع
الحروف بنية ، وهي غبضة نحو مدين .

فما أحسن التوفيق بالبلاد . والله اعلم
الحج . وأبشروا بالهلاك . فبوا شيبا ومن
آمن معه - وقد أمثلهم سحرة يفسد . مية
السيم واليهود . لا يجنون فيها الم
الحداد - فأخرجوا شيب ومن آمن معه من
مواقعهم ، وأزادوهم عن أماكنهم ، وتوهموا
أن ذلك يحيم ما قولهم ، فجعلها الله
عليهم ذرا فأت عليهم

فوت جارية بنت كس ابها ، وكانت
بالحجاز ، فقالت :

كس هدم دكي ملكك وسط الح
سيد القوم بكم السحت فورا وسط ع
كوت فورا فاضحت دار قومي مصحه
وقال لشمس بن لفتو اللذي :

لا شيب قد فقت مقالة
بنت بها عمرا وتحيى بن عمرو
م ملكوا أرض الحجاز بأوج
كس شعاع النسي في صورة البئر

وهم ففروا ليت الحرام وزنوا
ففروا وقازوا بالمسكارم وانفجروا
ملوك بني حنق وسفص في القدي
وهوز لولب القبة والحجر

قال السعدي : ول هؤلاء الملوك أخبار
عجبة من حروب وسير ، وكيفية تعليمهم على
هذه الممالك وتسلطهم عليها ، ولجدهم من كاذ
فيها قبلهم من الأمم . وقيل إن الأيكة المذكورة
في قوله تزوجل ولقد كتب أصحاب الأيكة
للمسلمين . وفي قوله سبطاه وتعالى : وإن
كان أصحاب الأيكة لفائقين فانتفت منهم ،
من مدين ، وقيل من ساحل البحر إلى مدين ،
وقيل هي غبضة نحو مدين .

وقيل بل أصحاب الأيكة الذين بعث
إليهم شيب كانوا بتسوك بين الحجر وأول
النام ، ولم يكن شيب منهم ، وإنما كان
من مدين .

وقال أبو عبد الكرى : الأيكة المذكورة
في كتاب الله تعالى : التي كانت منازل قوم
شيب ، روى عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما فيها روايتان : أحدهما أن الأيكة من
مدين إلى شيب ، والرواية الثانية أنها من
ساحل البحر إلى مدين

وكان شجرهم القل ، والأيكة عند أهل
القعدة : الشجر اللثا ، وكانوا أصحاب شجر
لثا

وقال قوم : الأيكة القبضة ، وليكة اسم
البلد وما حولها ، كما قيل مكة وبكة

وقال أبو جعفر الخليل : ولا يعلم ليكة
اسم البلد .

وقال ابن قتيبة : وكان يحسبهم يوم أن
بكة هو موضع السجدة ، وما حولها مكة ،
كما فرق بين الأيكة واليكة ، فبيل الأيكة
القبضة ، وليكة البلد حولها

وقال البكري : مدين بضم الميم
تاء غنة ، وهو المذكور في كتاب الله تعالى
وهذا وهم : بل مدين من أرض مصر .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية
إلى مدينة مدين : أميرهم زيد بن حارثة رضي
الله عنه ، فأنصاب سببا من أهل مينا (قال
ابن اسحاق : ومينا هي السواحل) فبيعوا ،
وفرق بين الأمهات والأولاد .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
يكونون ، فقال : « ما لهم ؟ » فأخبر خبرهم ،
فقال : « لا تبيعوهم إلا جيسا » .

ومدين من منازل جذام بن عدي بن الحارث
ابن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عزيب بن
كلان . وشعب التبي ، للبعوث إلى أهل
مدين ، أحمد بنى والي . بن جذام .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لوقت جذام : « مرجبا يقوم شيب
وأصهار موسى ، ولا تقوم الساعة حتى يتزوج
فيكم المسيح ويولد له » .

وقال محمد بن سهل الأحول : مدين من
أغراض المدينة ، مثل قنك والقرع ورهاط .

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : وكان بأرض
مدين عدة مدائن كثيرة قد باد أهلها وخرت ،
وعلى منها إلى يومنا هذا - وهو ستة وخمسة
وعشرين وثلاثمائة - نحو الأرمين مدينة
قائمة ، منها ما يعرف اسمه ، ومنها ما قد جهل
اسمه .

فما يعرف اسمه - فيما بين أرض الحجاز
وببلاد فلسطين وديار مصر - ست عشرة
مدينة ، منها في ناحية فلسطين عشر مدائن ،
وهي : الخلصة ، والسنيطة ، والمنورة ،
والثنية ، والأعوج ، والخويق ، والبثرين ،
والمائين ، والسبع ، والمعلق .

وأعظم هذه المدائن العشر الخلصة
والسنيطة ، وكثيرا ما تنقل حجارها إلى غزة
وينسب بها هناك .

ومن مدائن مدين بناحية بحر القلزم والطور
مدينة فاران ، ومدينة الرقة ، ومدينة القلزم ،
ومدينة أيلة ، ومدينة مدين .

(٢٥١) من ١٨٧ ج ١ ، طبع بولاق .

ومدينة مدين الى الآن آثار عجيبة ، وعظمة .

ووجد في مدينة الرامح ، أعوام ضخم وسين وسيمانة ، جب بقلعتها بعيد الهوى ، يبلغ عمقه نحو مائة ذراع ، وبقاعه عدة أسفار على رفوف ، حل منها سائر طوله ذراعان وأزيد ، قد غطى بلوحيين من خشب ، وكتابة بالقلم المسند ، طول الآلاف والألحاح نحو شبر .

فوجد ببلاد الكرك من قرأه ، فإذا هو سفر من عشرة أسفار ، قد ابتدأه بحد لله ، ثم قال : خروج موسى من أرض مصر الى بلاد مدين ، وملوك بني مدين فيما بعد شيب . فذكر لموسى عليه السلام عدة أسماء منها : له بالقرية موسى بن عمران ، وبالعبرانية موسى ، وبالقارسية دلوان ، وبالقبطية هرويس .

وذكر أنه تزوج ابنة شيب ، وأنه أقام بدين ثمانى حجج ، ثم قال لابنة شيب : قد أتيت لك شرمك ، وسأزمدك ستين فضلا مني .

بقية خبر مدينة مدين

قال : وخرج موسى متوجها الى مصر ، وللك يومئذ على مدين أبيجد .

قال : وقوى أمر أبيجد ، فطنى حتى ملك الحجاز واليمن ، وكان له خمسة أولاد ، هم : هوز ، وحطى ، وكلين ، وسمنص ، وقرشت . فقام أبيجد ملكا باليمن مائة سنة ومات .

وقد استخلف من بعده ابنه كلين باليمن ، وجعل ابنه هوز على الحجاز ، وابنه حطى على أرض مصر ، وابنه سمنص على الجزيرة وبلادها حيث الموصل وحركن الى أرض العراق ، وابنه قرشت على العراق وشارفها من خراسان .

وكان قرشت هو الجبار فيهم ، وكان سمنص وهوز وكلين أهل عدل وحلم ، وكان حطى صاحب بطش وجراة .

وكان بنو إسرائيل إذ ذاك بالشام ، فلم يملك أولاد أبيجد أرض الشام ، ولا احتوا عليها .

وكانت مدة ملكهم نحو من مائة وخمسين سنة . فتم لهم بدولة أيهم أبيجد ثلاثمائة سنة وأزيد .

ثم ملك بعدهم على بني إسرائيل ووزت ابن هوز ، وعززت بن حطى بن أبيجد ، نحو سبع سنين . ثم خرجت الدولة عن أولاد أبيجد .

وأقام هذا الكتاب عندهم زمنا ، ثم أعادوه الى الجب من قلعة الأعوج .

حدثني بهذا الخبر الحافظ المتقن الضابط أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الغرياني التوثي المالكي ، قال : حدثني به شتر بن غنيم العامري - شيخ لقيه بأرض فلسطين - أنه شاهد الكتاب المذكور وهو شاب ، وحفظ منه ما تقدم ذكره .

وقيل إن مالك بن دعر بن حجر بن جديلة ابن لخم ، كان له أربعة وعشرون ولدا ذكرا ،

فكثرت أولادهم حتى بنوا المدائن والقري والحصون ، وعسروا بلاد مدين كلها ، وغلبوا على بلاد الشام ومصر والحجاز وغيرها خمسمائة سنة .

وقيل إنما كان استيلاء ملوك مدين على مصر خمسمائة سنة ، بعد غرق فرعون موسى وهلاك دلوكة بنت زفان ، حتى أخرجهم منها نبي الله سليمان بن داود ، فعاد الملك الى القبط بعدهم .

ذكر مدينة فاران

هذه المدينة بساحل بحر القلزم ، وهي من مدن العماليق ، على تل بين جبلين ، وفي الجبلين نقوب كثيرة لا تحصى مملوءة أمواتا .

ومن هناك الى بحر القلزم مرحلة واحدة ويقال له هناك ساحل بحر فاران ، وهو البحر الذي أغرق الله فيه فرعون .

وبين مدينة فاران واليه مرحلتان .

ويذكر أن فاران اسم لجبال مكة ، وقيل اسم لجبال الحجاز ، وهي التي ذكرت في التوراة .

والتحقيق أن فاران والطور كورتان من كور مصر القبلية ، وهي غير فاران المذكورة في التوراة .

وقيل إن فاران بن عمرو بن عليق هو الذي نسب اليه جبال الحرم ، فقل جبال فاران ، وبعضهم يقول جبال فران .

وكانت مدينة فاران من جملة مدائن مدين الى اليوم ، وبها فخل كثير مشر أكلت من ثمره ، وبها نهر عظيم ، وهي خراب يمر بها العربان .

ذكر أرض الجفار

اعلم أن الجفار اسم لخمس مدائن وهي : القرما ، والبقارة ، والورادة ، والعريش ، ورفج .

والجفار كله رمل ، وسى بالجفار لشدة المني فيه على الناس والدواب ، من كثرة رمله ، وبعد مراحل .

والجفار تجفر فيه الابل ، فاتخذ له هذا الاسم ... كما قيل للجبل الذي يجر به البعير هجار ، وللذي يجر به حجار ، وللذي يمتل به عقال ، وللذي يطن به بطان ، وللذي يخطم به خطام ، وللذي يزم به زمام .

واشتقت البقارة من البقر ، والورادة من الوريد ، والعريش أخذ من العرش ، وقيل إن رفج اسم جبل .

وكان يسكن الجفار في القديم خدام بن العربان .

ويقال إن أرض الجفار كانت في الدهر الأول والزمن القابر متصلة العمارة ، كثيرة البركات ، مشهورة بالخيرات ، لكثرة زراعة أهلها الزعفران والمصفر وقصب السكر . وكان مأوها غزيرا عذبا ، ثم صار بها فخل

مصدق بها من كل النواحي ، الى أن دمرها الله تدميرا ، فصارت الى اليوم ذات رمل عظيم يسلك فيه الى العريش والى رفح ، كله قفر ، تعرف بقعته برمل الغرابي ، قليل الماء ، عديم المرعى ، لا أنيس به ... فسبحان محيل الأحوال .

ذكر صعيد مصر

الصعيد : المرتفع من الأرض ، وقيل الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة ، وقيل ما لم يخالطه رمل ولا سبخة ، وقيل هو وجه الأرض ، وقيل الأرض الطيبة ، وقيل هو كل تراب ملب .

وتسمية هذه الجهة من أرض مصر بهذا الاسم انما حدث في الاسلام ، سماها العرب بذلك لانها جهة مرتفعة عما دونها من أرض مصر ، ولذلك يقال فيها أعلى الأرض ، ولانها أرض ليس فيها رمل ولا سباح ، بل كلها أرض طيبة مباركة . ويقال للصعيد أيضا الوجه القبلي .

قال الأستاذ ابراهيم بن وصيف شاه : ولما حضرت مصرية الوفاة عهد الى ابنه قبطيم ، وكان قد قسم أرض مصر بين بنيه : فجعل لقبطيم من بلد ققط الى أسوان ، ولأشمون من بلد أشمون الى منف ، ولأثريب الحوف كله ، ولصا من ناحية صا البحيرة الى قرب برقة .

وقال لأخيه فارق : لك من برقة الى الغرب ، فهو صاحب أفريقية ، وولده الأفارق .

وأمر كل واحد من بني أن يبنى لنفسه مدينة في موضعه .

وقال ابن عبد الحكم : فلما كثر ولد مصر وأولاد أولادهم ، قطع مصر لكل واحد منهم قطعة يحولها لنفسه ولولده ، وقسم لهم هذا النيل .

فقطع لابنه ققط موضع ققط فسكنها ، وبه سميت ققط ققطا ، وما فوقها الى أسوان ، وما دونها الى أشمون في الشرق والغرب .

وقطع لأشمون من أشمون ، فما دونها في الشرق والغرب ، الى منف ، فسكن أشمون أشمون ، فسميت به .

وقطع لأثريب ما بين منف الى صا ، فسكن أثريب ، فسميت به .

وقطع لصا ما بين صا الى البحر ، فسكن صا فسميت به .

فكانت مصر كلها على أربعة أجزاء : جزين بالصعيد ، وجزين بأسفل الأرض .

وقال أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي في كتاب « الطالع الصعيد في تاريخ الصعيد » : مسافة إقليم الصعيد الأعلى مسيرة اثني عشر يوما بسير الجمال ، وعرضه ثلاث ساعات وأكثر بحسب الأماكن المامرة . ويتصل عرضه في الكورة الشرقية بالبحر الملح وأراضي البجة ، وفي الغربية بالواحد ، وهي كورتان : شرقية وغربية ، والنيل بينهما فاصل .

وأول الشرقية من مرج بن هرم ، المسلة أرضها بأراضي جرجا من عمل أخميم ، وآخرها من قبلي الهو ، ويلها أول أراضي النوبة ، وفي هذه الكورة تيج وققط وقوص .

وأول الكورة الغربية يردس تتصل أرضها بأرض جرجا ، وفي هذه الكورة الغربية مسعود ، وآخر الكورة الغربية أسوان ، وبحافته أكثر النخل من الجانبين ، تكون مساحة الأراضي التي فيها النخل والبساتين تقارب عشرين ألف فدان ، والمستولى على إقليم الصعيد المشتري .

ويقال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أراذب تمرا ، فقصبها بعض الولاة ، فلم تحمل في ذلك العام ولا ثمرة واحدة ، وكانت هذه النخلة في الجانب الغربي ، ويبيع منها في الفلأ كل وية بدينار .

ويقال لما صورت الدنيا لأمير المؤمنين هارون بن محمد الرشيد ، لم يستحسن الا كورة سيوط من صعيد مصر ، فانها ثلاثون ألف فدان في استواء من الأرض ، لو وقعت فيها قطرة ماء لاتشربت في جميعها .

وبالصعيد بقايا سحر قديم .

حكى الأمير طقطبا - والى قوص في أيام الناصر محمد بن قلاوون - قال : أمسكت امرأة ساحرة فقلت لها : أريد أن أبصر شيئا من سحرك .

فقلت : أجود على أن أسحر العقرب على اسم شخص بعينه ، فلا بد أن تقع عليه ، ويصيبه سمها فتقتله .

فقلت : أرني هذا ، واقتديني بسحرك .

فأخذت عقربا وعملت ما أحببت ، ثم أرسلت العقرب فتبعني ، وأنا أتحنى عنه ، وهو يقصدني .

فجلست على تخت وضعت على بركة ماء ، فأقبل العقرب الى ذلك الماء ، وأخذ في التوصل الى فلم يطق ذلك ، فمر الى الحائط ، وصعد فيه وأنا أشاهده ، حتى وصل الى السقف ، ومر فيه الى أن صار فوقى ، وألقى نفسه صوبى ، وسمى نحوى حتى قرب منى ، فضرته فقتله ، ثم قتلت الساحرة أيضا .

وأرض الصعيد كثيرة المواشى ، من الضأن وغير ذلك لكثرة تساجه ، حتى أن الرأس الواحد من نجاج الضأن يتولد عنه في عشر سنين ألفا وأربعة وعشرون رأسا ... وذلك بتقدير السلامة ، وأن تلد كلها اناثا ، وتلد مرة واحدة كل سنة ، ولا تلد في كل بطن غير رأس واحد ، والا فان ولدت في السنة مرتين ، وكان في كل بطن رأسان ، تضاعف العدد . وتأمل حساب ما قلناه تجده صحيحا .

وقد شوهد كثيرا أن من أغنام الصعيد ما يلد في السنة ثلاث مرات ، ويولد في البطن الواحد ثلاثة أرؤس .

وكانت الكثرة والفلة يبلد الصعيد لست قبائل وهم : بنو هلال ، وبلى ، وجهينة ، وقرش ، ولواتة ، وبنو كلاب . وكان ينزل مع هؤلاء عدة قبائل سواهم من الأنصار ومن مزينة وبنى دراج وبنى كلاب وثلبة وجذام .

ويبلغ من عسكرة الصعيد أن الرجل ، في أيام
الناصر محمد بن قلاوون وما بعدها ، كان يمر
من القاهرة إلى أسوان فلا يحتاج إلى قهوة ،
بل يجد بكل بلد وقهوة عدة دور للضيافة
لما دخل دلتها منها أحضر لدايته علقها وجيء
له بها يلق به من الأكل وشعره ، وآل أمره
لأن إلى ألا يجد الرجل أحدا فما بين القاهرة
وأسوان يضيق لفتق الحال

ثم تلتى أمر بلاد الصعيد منذ سنة الثماني
في أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد
ابن قلاوون سنة ست وسبعين وسبعائة ،
وتزايد تزايد في أيام الظاهر يرفق لجور
الولاة . ولم يزل في إظهار إلى أن كانت سنة
ست وثمانائة ، وشرقت مصر بقصور مد
الليل ، ملهى أهل الصعيد من ذلك بما لا
يوصف ، حتى أنه مات من مدينة قوص سبعة
عشر ألف إنسان ، ومات من مدينة سيوط أحد
عشر ألف إنسان ممن غسل وكفن ، ومن
مدينة هو خمسة عشر ألف إنسان ... وذلك
كه سوى الطرحى على الطرقات ، ومن لا
يعرف من الغرباء ونحوهم . ثم دمر في أيام
للمرد شيخ قلم يبق منه إلا رسوم تبذل الولاة
الجد في محورها ، قال الله حسن الخاصة .

ذكر الجنادل ولم من أخبار أرض النوبة

الجنادل ما يقل الرجل من الحجارة ، وقيل
هو الحجر كه : الواحدة جنادلة .

والجنادل الجنادل ، قال سيوه : وقالوا
جنادل يمتون الجنادل ، وصرفوه لتقصان

البناء عما لا يصرف ، وأرض جنادلة ذلك
جنادل . وقيل الجنادل المكان الغليظ فيه
حجارة ، ومكان جنادل : كثير الجنادل

قال عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني
في كتاب أخبار النوبة والقرية وعلوة والبيعة
والكيل : وأول بلد النوبة قرية تعرف بالقصر
من أسوان إليها خمسة أميال ، وآخر حصن
للمسلمين جزيرة تعرف يلاق بينها وبين قرية
النوبة ميل ، وهو ساحل بلد النوبة

ومن أسوان إلى هذا الموضع جنادل كثيرة
الحجر ، لا تسلكها المراكب إلا بالجملة ودلالة
من يخبر بذلك من الصيادين الذين يصيدون
هناك ، لأن هذه الجنادل متقطعة وشعاب
معتزة في النيل ، ولا تصابه فيها خرير عظيم
ودوي يسمع من بعد .

وهذه القرية مسلحة وباب إلى بلد النوبة ،
ومنها إلى الجنادل الأولى من بلد النوبة عشر
مراحل . وهي الناحية التي يصرف فيها
للمسلمون ، ولهم فيما قرب أملاك ، ويتجرون
في أعلاها . وفيها جماعة من المسلمين قاطنون ،
لا ينصح أحدهم بالعربة ، وشجرها كثير .

وهي ناحية ضيقة شقة كثيرة الجبال ،
وما تخرج عن النيل ، وقراها منتشرة على
شامكه ، وشجرها التخل والتقل ، وأعلاها
أوسع من أدناها ، وفي أعلاها الكروم . والنيل
لا يروى مزاولها لارتفاع أرضها ، وزروعها
القدان والقدان والثلاثة على أعناق البقر
بالغوايب .

والقمح عندهم قليل وشجر الكبر
والسك ، ويستقون الأرض الضيقة فزرعوها
في الصيف ، بعد تفرتها بالزمن والتراب ،
سحن والذرة والجوارس والسهم والموسى .

وفي هذه الناحية نجراش مدينة المرس ،
وقلعة أبريم ، وقلعة أخرى دونها ، وبها مبنا
تعرف بأدواء ينسب إليها لقمان الحكيم ودو
القون ، وبها برية عجيب

ولهذه الناحية وآل من قبل عظيم النوبة
يعرف بصاحب الجبل من أجل ولائهم لقرية
من أرض الاسلام . ومن يخرج إلى بلد النوبة
من المسلمين فمعاملته معه ، في تجارة أو هدية
إليه أو إلى مولاة ، يقبل الجميع ويكافئ عليه
بالرقيق ، ولا يطلق لأحد الصعود إلى مولاة
ولا لمسلم ولا لغيره .

وأول الجنادل من بلد النوبة قرية تعرف
بتقوى هي ساحل ، وإليها تنهى مراكب النوبة
الصاعدة من القصر أول بلدهم ، ولا تجاوزها
المراكب ، ولا يقطن لأحد من المسلمين ولا
من غيرهم الصعود منها إلا بأذن من صاحب
جبلهم ، ومنها النفس الأعلى من مراحل

وهي جنادل كلها ، وشر ناحية رتبها لهم
لصعوبتها وضيقها ومنقة مسالكها

أما بحرهما فجنادل وجبال معتزة فيه ،
حتى أن النيل ينصب من شعاب وضيق في
مواقع حتى يكون سعة ما بين الجانبين
خسيف ذراعا .

من ١٦ ج ١ ، ط ١٧٧

وبرها مجاوب ضيقة ، وجبال شاهقة ،
وطرقات ضيقة ، حتى لا يسكن الراكب أن
يصعد منها ، والراجل الضعيف يعجز عن
سلوكها ، ورمال في غربها وشرقها .

وهذه الجبال حصنهم ، وإليها يفرح أهل
الناحية التي قبلها المتصلة بأرض الاسلام

وفي جزائرها نخل يسير ، ووزع حنبر ،
وأكثر أكلهم السمك ، ويدعونون بشحه .

وهي من أرض مرس ، وصاحب الجبل
والهيم ، والمسلحة بالنفس الأعلى صاحبها من
قبل كيهم شديد الضبط لها ، حتى أن
عظيمهم إذا صار بها وقف به المسلح وأوهم
أنه يقتل عليه ، حتى يجد الطريق إلى ولده
ووزيره فمن دونها .

ولا يجوزها دينار ولا درهم ، إذ كانوا لا
يتأيمون بذلك إلا دون الجنادل مع المسلمين ،
وما فوق ذلك لا يبيع بينهم ولا شراء ، وإنما
هي معاوضة بالرقيق والمواشي والخيال
والحديد والحبوب .

ولا يطلق لأحد أن يجوزها إلا بأذن الملك ،
ومن خالف كان جزاؤه القتل كائنا من كان .
وبهذا الاحتياط تكتم أخبارهم ، حتى أن
العسكر منهم يهجم على البلد إلى البادية
وغيرهم فلا يعلمون به .

والسياد الذي يخرط به الجوهر يخرج من
النيل في هذه المواضع ، يقطن عليه فيوجد
جسه باردا مخالما للحجارة ، فإذا أشكل عليه
نزع فيه بالقلم فيعرق .

ومن هذه السلعة الى قرية تعرف بسائ
يجادل أيضا ، وهي آخر كرسيم ، ولهم فيها
نسب ، وفيها برية .

ثم ناحية سقطدا ، وتسميها السبع ولاية ،
وهي شبه الارض بالارض المتاخسة لارض
الاسلام في السمة والضيق في مواضع والتخل
والكرم والزروع وشجر التل . وفيها شيء من
شجر القطن ، ويصل منه ثياب وخشة ، وما
شجر الزيتون .

وواليها من قبل كيرم ، وتحت يده ولاية
يتصرفون .

وفيها قلعة تعرف باسموتون ، وهي اول
الجنادل الثلاثة ، وهي أشد الجنادل صعوبة
لان فيها جيلا مترضا من الشرق الى الغرب
في النيل ، ولما ينصب من ثلاثة أبواب
— وربما رجع الى باين عند انحصاره —
شديد الخراب عجب لشجر ، يتحدر الماء عليه
من علو الجبل .

وقبله قرى حجارة في النيل نحو ثلاثة يرد
الى قرية تعرف يستو ، وهي آخر قرى
مرس وأول بلد مقرة .

ومن هذا للوضع الى حد السليق لسانهم
مرسى ، وهي آخر عمل متلكم .

ثم ناحية بقون ، وتسميها العجب ، وهي
عند لسانها لسانها . وما رأيت على النيل
أوسع منها . وقنرت أن سمة النيل فيها من
الشرق الى الغرب مسيرة خمس مراحل .
الجزائر تقطعه ، والأهوار منه تجري بينها على
لوح منقضة ، وقرى متصلة ، وعسارة
حسة ، بإرجة حمام ومواشي وأغنام .

وأكثر ميرة مدينتهم منها ، وظهورها النقيط
والنوى واليضا ، وغير ذلك من الطيور
السمان . وأكثر زهرة كيرم في هذه
ال ناحية .

قال : وكنت مع في بعض الأوقات فكان
سيرنا في مثل شجر من الحافين في الخلعان
التيقة . وقيل أن التماسح لا يضر هناك ،
ورأيتهم يهرون أكثر هذه الأهوار سباحة .

ثم سفديقل وهي ناحية ضيقة شبيهة بأول
بلادهم إلا أن فيها جزائر حسانا ، وفيها دون
الرحلين نحو ثلاثين قرية بالأينية الحسان
والكتائس والأديار والتخل الكثير والكروم
والبساتين والزروع ، ومروج كبار فيها إلى
وجبال صعب مؤلمة للتاج .

وكيرمهم يكثر الدخول اليها لأن طرفها
التبلي يحاذي دقلة مدينتهم ، ومن مدينة
دقلة دار السلطنة الى أسوان خمسون مرحلة .

وذكر صفحتها ثم قال : أهم يستقون
مجالسهم بخشب السنط ، وخشب الساج
الذي يأتي به النيل في وقت الزيادة ، سقالات
منحوتة لا يدرى من أين تأتي ، ولقد رأيت
على بعضها علامة غريبة .

ومسافة ما بين دقلة الى أول بلد علوة
أكثر مما يتبين وبين أسوان ، وفي ذلك من
القرى والضياح والجزائر والمواشي والتخل
والشجر والتل والزروع والكرم أضاعف ما في
الجانب الذي يلي أرض الاسلام .

وفي هذه الأماكن جزائر عظام مسيرة أيام ،
فيها الجبال والوحش والسباع ، ومنافوز
يخفق فيها العطن .

والنيل ينحرف من هذه النواحي الى مطلع
النسب والى مغربها مسيرة أيام حتى يصير
المضمد كالنحدر . وهي الناحية التي ينبلغ
المطوف من النيل الى المضمد المعروف
بالثلة ، وهو بلد يعرف بنسفر ، ومنه خرج
العمري وتقلب على هذه الناحية الى أن كان
من أمره ما كان .

وفرس البحر يكثر في هذه المواضع

ومن هذا الموضع مرق الى سواكن
وباصع ودهلك وجزائر البحر ، وما غير من
نجا من بنى أمية عند مرهم الى النوبة

وفيها خلق من البجة يعرفون بالرويح
انتقلوا الى النوبة قديما ونصبوا هناك . وهم
على حديثهم في الرعي والعملة لا يحفظون النوبة
ولا يسكنون قراهم ، وشبههم وال من قبل
النوبة .

ذكر تشعب النيل من بلاد علوة
ومن يسكن عليه من الامة

اعلم أن النوبة والمقرة جنسان لسانين
كلاهما على النيل : فالنوبة هم المرمر
المجاورون لأرض الاسلام ، وبين أول بلدهم
وبين أسوان خمسة أميال .

وقال أن سلها جد النوبة ، ومقرى جد
المقرة ، من اليمن .

وقيل النوبة ومقرى من حبر .

وأكثر أهل الأنساب على أنهم جيعة من
ولد حام بن نوح .

عاش ١٩١ سنة ، في ١٠ من شهر ربيع الأول .

وكان بين النوبة والمقرة حروب قبل
الصرابة

وأول أرض المقرة قرية تعرف بنسافة على
مرحلة من أسوان . ومدينة ملكهم يقال لها
نجراشي ، على أقل من عشر مراحل من
أسوان . ويقال أن موسى صلوات الله عليه
غزاهم قبل مبعثه في أيام فرعون ، فأخرب
ثاقه ، وكانوا صابئة يسبدون الكواكب
وينصبون التماثيل لها ، ثم تصروا جيعة :
النوبة والمقرة .

ومدينة دقلة هي دار ملكتهم ، وأول بلاد
علوة قرى في الشرق على شاطئ النيل تعرف
بالأبواب . ولهذه الناحية وال من قبل صاحب
علوة يعرف بالرحراح .

والنيل يتشعب من هذه الناحية على سبعة
أهوار ، فمنها نهر يأتي من ناحية الشرق كثير
الماء يجف في الصيف حتى يسكن بطنه ، فإذا
كان وقت زيادة النيل تبع فيه الماء ، وزادت
البركة التي فيه ، وأقبل المطر والسيول في سائر
البلد فوقعت الزيادة في النيل . وقيل أن آخر
هذا النهر عين عقيمة تأتي من جبل .

قال مؤرخ النوبة : وحدثني سميقون
صاحب عهد بلد علوة أنه يوجد في بطن هذا
النهر حوت لا قشر له ، ليس هو من جنس
ما في النيل ، يحفر عليه قامسة وأكثر حتى
يخرج ، وهو كبير .

وعليه جنس مولد بين العلوة والبجة يقال
لهم الديجيون ، وجنس يقال لهم بازرة ، يأتي
من عليهم غير يعرف بحمام برون .

وبعد هزلاؤه أول بلاد الحبشة ، ثم النيل الأبيض . وهو نهر يأتي من ناحية الغرب شديد أبيض مثل اللبن .

قال : وقد سألت من طرق بلاد السودان من المغاربة عن النيل الذي عندهم وعن لونه ، مذكرا أنه يخرج من جبال الرمل (أو جبل الرمل) وأنه يجتمع في بلد السودان في برك عظام ، ثم ينصب إلى ما لا يعرف ، وأنه ليس بأبيض ، فاما أن يكون اكتسب ذلك اللون مما يبر عليه ، أو من نهر آخر ينصب إليه ، وعليه اجناس من جانيه

ثم النيل الأخضر ، وهو نهر يأتي من القبلة ما يلي الشرق شديد الخضرة ، صافي اللون جدا ، يرى ما في قعره من السمك ، وطعمه مختلف لطعم النيل ، يعطش الشارب منه بزرعة ، وحيثان الجميع واحدة ، غير أن الطعم مختلف ، ويأتي فيه وقت الزيادة خشب الساج والبقم والفشاء ، وخشب له رائحة كرائحة اللبان ، وخشب غليظ ينبت واصل منه مقدم . وعلى شاطئه ينبت هذا الخشب أيضا . وقيل انه وجد فيه عود البخور

قال : وقد رأيت على بعض سفلات الساج المتحولة التي تأتي فيه وقت الزيادة علامة غريبة ، ويجتمع هذان النهران الأبيض والأخضر عند مدينة متلك بلد علوة ، ويقيان على الواحها قريبا من مرحلة ، ثم يختلطان بعد ذلك وينتجا أمواج كبار عظيمة بتلاطمهما .

قال : وأخبرني من نقل النيل الأبيض وصبه في النيل الأخضر ، فيبقى فيه مثل اللبن

ساعة قبل أن يختلط ، وبين هذين النهرين جزيرة لا يعرف لها غاية ، وكذلك لا يعرف لهذين النهرين نهاية . فأولهما يعرف عرضه ، ثم يتسع فيصير مسافة شهر ، ثم لا تدرك سمتهما لحرف من يسكنهما بعضهم من بعض لأن فيهما اجناسا كثيرة وخلقًا عظيما

قال : ولغنى أن بعض متلكي بلد علوة سار فيها يريد أقصافا فلم يأت عليه بعد سنين . وأن في طرفها القبلي جنا يسكنون ودوابهم في بيوت تحت الأرض مثل السرايين بالنهار من شدة حر الشمس ، ويرحون في الليل ، وفيهم قوم عراة

والأنهار الأربعة الباقية تأتي أيضا من القبلة ، ما يلي الشرق أيضا ، في وقت واحد ، ولا يعرف لها غاية أيضا . وهي دون النهرين الأبيض والأخضر في العرض وكثرة الخلجان والجزائر .

وجميع الأنهار الأربعة تنصب في الأخضر ، وكذلك الأول الذي قدمت ذكره ، ثم يجتمع مع الأبيض . وكلها مسكونة عامرة مسلوكة فيها بالسفن وغيرها . واحد هذه الأربعة يأتي منه من بلاد الحبشة .

قال : ولقد أكثر السؤال عنها ، واستكشفتها من قوم عن قوم ، فما وجدت مخبرا يقول انه وقف على نهاية جميع هذه الأنهار . والذي انتهى إليه علم من عرفني عن آخرين إلى خراب ، وأنه يأتي في وقت الزيادة في هذه الأنهار آلة مراكب وأبواب وغير ذلك ، فيدل على عارة بعد الخراب .

فاما الزيادة ، فيجمعون أنها من الأمطار مع مادة تأتي من ذاتها . والدليل على ذلك النهر الذي يجف ويسكن بطنه ، ثم ينبع وقت الزيادة . ومن عجائبه أن زيادته في أنهار مجتمعة ، وسائر النواحي والبلدان في مصر وما يليها والصعيد وأسوان وبلد النوبة وعلوة وما وراء ذلك في زمان واحد

وأكثر ما وقف عليه من هذه الزيادة أنه ربما وجدت مثلا بأسوان ولا توجد بقوص ثم تأتي بعد فاذا كثرت الأمطار عندهم ، واتصلت السيول ، علم أنها سنة رى . واذا قصرت الأمطار علم أنها سنة ظما .

قال : وأما من طرق بلاد الزنج ، فانهم أخبروني عن مسيرهم في بحر الصين إلى بلاد الزنج بالرياح الشمالي ساحلين للجانب الشرقي من جزيرة مصر ، حتى انتهوا إلى موضع يعرف برأس حفري ، وهو عندهم آخر جزيرة مصر ، فينظرون كوكبا يمتدون به ، فيقصدون الغرب ، ثم يعودون إلى البحري ، ويصير الشمال في وجوههم ، حتى يأتوا إلى قبيلة من بلاد الزنج . وهي مدينة متلكهم * ، وتصير قبلتهم للصلاة إلى جدة .

قال : وبعض الأنهار الأربعة يأتي من بلاد الزنج لأنه يأتي فيه الخشب الزنجي .

ومسوية مدينة العلوى شرق الجزيرة الكبرى التي بين البحرين الأبيض والأخضر في الطرف الشمالي منها عند مجتمعهما ، وشرقيها النهر الذي يجف ويسكن بطنه .

(*) من ١١٢ ج ١ ، ط. بولاق .

وفيها أبنية حسان ودور واسعة وكنائس كثيرة الذهب وبنائين ، ولها رباط فيه جماعة من المسلمين .

ومتلك علوة أكثر مالا من متلك المقر ، وأعظم جيشا ، وعنده من الخيل ما ليس عند المقر ، وبلده أخصب وأوسع ، والنخل والكرم عندهم يسير .

وأكثر حبوبهم الذرة البيضاء التي مثل الأرز ، منها خبزهم ومزروهم ، واللحم عندهم كثير لكثرة المواشي والمروج الواسعة العظيمة السعة ، حتى أنه لا يوصل إلى الجبل إلا في أيام .

وعندهم خيل عتاق ، وجمال صهب عراب ، ودينهم النصرانية يماقية ، وأساقفتهم من قبل صاحب الاسكندرية كالتوبة ، وكتبهم بالرومية ، يفسرونها بلسانهم ، وهم أقل فهمًا من التوبة .

وملكهم يسرق من شاء من دعيته بجرم وبغير جرم ، ولا ينكرون ذلك عليه ، بل يسجدون له ولا يعصون أمره على المكروه الواقع بهم . وينادون : الملك يمشي ، فيمكن أمره . وهو يتوج بالذهب ، والذهب كثير في بلده .

ومما في بلده من العجائب أن في الجزيرة الكبرى التي بين البحرين جنا يعرف بالكروينا ، لهم أرض واسعة مزروعة من النيل والمطر ، فاذا كان وقت الزرع خرج كل واحد منهم بما عنده من البذر ، واختط على مقدار ما معه ، وزرع في أربعة أركان الخطة يسيرا ، وجعل البذر في وسط الخطة وشيئا

الأرض . وسألهم عن جنسه فذكروا أنه صغير
القدر بأذلاب حمر

قال : وقد رأيت جماعة واجناساً ممن تقدم
ذكر أكرمهم ، يعترفون بالباري سبحانه
وتعالى ، ويتقربون إليه بالشمس والقمر
والكواكب ، ومنهم من لا يعرف الباري ويعبد
الشمس والنار ، ومنهم من يعبد كل ما
استحسن من شجرة أو بهيمة .

وذكر أنه رأى رجلاً في مجلس عظيم المقررة
سأله عن بلده فقال : مسافته إلى النيل ثلاثة
أهلة . وسأله عن دينه فقال : ربي وربك
الله ، ورب الملك ورب الناس كلهم واحد .

وأنه قال له : فأيكون ؟

قال : في السماء وحده .

وقال أنه إذا أبطأ عنهم المطر ، أو أصابهم
الوباء ، أو وقع بدواهم آفة ، صعدوا الجبل ،
ودعوا الله فيجانبون للوقت ، وتقضى حاجتهم
قبل أن ينزلوا .

وسأله : هل أرسل فيكم رسول ؟

قال : لا .

فذكر له بمشة موسى وعيسى ومحمد
صلوات الله عليهم وسلامه ، وما أيدوا به من
المعجزات ، فقال : إذا كانوا فعلوا هذا فقد
صدقوا .

ثم قال : قد صدقتهم إن كانوا فعلوا .

قال مؤلفه رحمه الله : وقد غلب أولاد كنز
الدولة على النوبة وملكوها من سنة
وبنى بدقلة جامع يأوي إليه الغرباء .

من الزر ، والصرف منه ، فإذا أصبح وجد
ما اخطأ قد زرع وشرب الزر . فإذا كان وقت
الحصاد حصد يسيراً منه ووضعه في موضع
أراد منه مزر وينصرف ، فيجد الزرع قد
حصد بأسره وجرت . فإذا أراد حراجه وتلثرت
فصل به كذلك . وربما أراد أحدهم أن ينقي
زرعه من الحشيش ، فيلطف بقطع شيء من
الزرع فيصبح وقد قلع جميع الزرع .

وهذه الناحية التي فيها ما ذكرته بلدان
واسعة مسيرة شهرين في شهرين ، زرع
جميعها في وقت واحد .

وميرة بلد علوة وملكهم من هذه
الناحية ، فيوجهون المراكب فتوسق ، وربما
وقع بينهم حرب .

قال : وهذه الحكاية صحيحة معروفة
مشهورة عند جميع النوبة والعلوة ، وكل من
يطرق ذلك البلد من تجار المسلمين لا يشكون
فيه ، ولا يرتابون به ، ولولا أن اشتهاره
واتشاره ما لا يجوز التواطؤ على مثله ، لما
ذكرت شيئاً من لسانته .

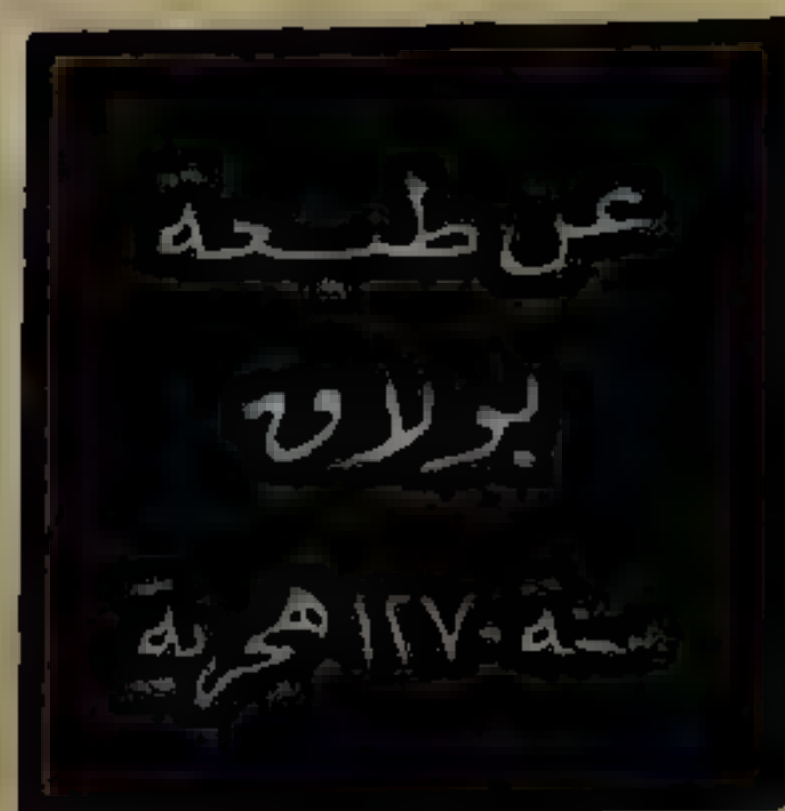
فأما أهل الناحية فيؤمنون أن الجن تفصل
ذلك ، وأنها تظهر لبعضهم وتخدمهم بحجارة
يتطاعون لهم بها ، وتعمل لهم عجائب ، وأن
السحاب يطعمهم .

قال : ومن عجائب ما حدثني به مملك
المقرة للنوبة ، أنهم يسطرون في الجبال ،
ويلتقطون منه للوقت سكا على وجه



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
ينحصر ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثمن ٦ قروش وقراء الجمهورية والمساء ٢ قروش

خَطُّ الْمُقْرِئِ

الحمد لله

١٠

كتاب
التحرير



كانت مصر هي مستقر رأسي . ولعب أدبي . وجمع ناسي . وفتح عسير . وعاصمتي .
وسيطتي . فحاصتي . وعاصمتي . وجوهبوري الذي ربي جناسي في وكري . وعشر ماري ، فلا
تهوي الألفيس غير ذكره . لازلت منذ شذوت العالم . وآتاني ربي الفطانة والفهم ، أغيب في
معرفة أخبارها ، وأحب لإشراف على الإغتراف من آبارها . وأهوى مساواة الركبان عن مكان وإيرها .
تقى الدين أحمد بن علي المقرئ

واعلم أن على ضفة النيل أيضا الكانم ،
وملكها مسلم وبينه وبين بلاد مالى مسافة
بعيدة جدا ، وقاعدة ملكه بلدة اسمها حيسى ،
وأول مملكته من جهة مصر بلدة اسمها زرلا ،
وآخرها طولاً بلدة يقال لها كاكّا ، وبينهما
نحو ثلاثة أشهر .

وهم يتلثمون ، وملكهم متحجب لا يرى
الا يومى العيدين ، بكرة وعند العصر ، وطول
السنة لا يكلمه أحد الا من وراء حجاب .

وغالب عيشهم الأرز ، وهو ينبت من غير
بذر . وعندهم القمح والذرة والتين والليمون
والباذنجان واللفت والرطب . ويتعاملون
بقماش ينسج عندهم اسمه دندى ، طول كل
ثوب عشرة أذرع ، يشترون به من ربع ذراع
فاكثر . ويتعاملون أيضا بالودع والخرز
والنحاس المكر والورق ، وجميع ذلك بسعر
ذلك القماش .

وفي جنوبها شعارى وصحارى فيها أشخاص
متوحشة كالفيول ، قرية من شكل الآدمى ،
لا يلحقها الفارس ، تؤذى الناس .

ويظهر في الليل أيضا شبه نار تضىء ، فاذا
مشى أحد ليلحقها بعدت عنه ، ولو جرى اليها
لا يصل اليها بل لا تزال أمامه ، فاذا رماها
بحجر فأصابها تشظى منها شرر .

وتعظم عندهم اليقطينة حتى تصنع منها
مراكب يعبر فيها * في النيل .

وهذه البلاد بين أفريقية وبرقة ممتدة في
الجنوب الى سمت الغرب الأوسط . وهى بلاد

(*) من ١٩٢ ج ١ ، ط. بولاق .

قحط وشن وسوء مزاج . وأول من بث بها
الاسلام الهادى العثمانى ، ادعى أنه من ولد
عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وصارت بعده
لليزنيين من بنى سيف بن ذى يزن . وهم على
مذهب الامام مالك بن أنس رحمه الله ،
والعدل قائم بينهم ، وهم يابسون في الدين لا
يلينون . وبنوا بمدينة مصر مدرسة للمالكية
عرفت بمدرسة ابن رشيق في سنى أربعين
وستمائة ، وصارت وفودهم تنزل بها ، وسيرد
ذكرها في المدارس ان شاء الله تعالى .

ذكر البجة ويقال انهم من البربر

اعلم أن أول بلد البجة ، من قرية تعرف
بالحزية معدن الزمرذ في صحراء قوص . وبين
هذا الموضع وبين قوص نحو من ثلاث
مراحل . وذكر الجاحظ أنه ليس في الدنيا
معدن للزمرذ غير هذا الموضع . وهو يوجد
في مغاير بعيدة مظلمة ، يدخل اليها بالمصاييح
وبجبال يستدل بها على الرجوع خوف
الضلال . ويحفر عليه بالمعاول فيوجد في وسط
الحجارة وحوله غشيم دونه في الصبغ
والجواهر .

وآخر بلاد البجة أول بلاد الحبشة ، وهم
في بطن هذه الجزيرة — أعنى جزيرة مصر —
الى سيف البحر الملح مما يلى جزائر سواكن
وباضع ودهلك .

وهم بادية يتبعون الكلا حيثما كان الرعى
بأخبية من جلود ، وأنسابهم من جهة النساء .
ولكل بطن منهم رئيس ، وليس عليهم ممتلك
ولا لهم دين .

وهم يورثون ابن البنت وابن الأخت دون ولد الصلب ، ويقولون ان ولادة ابن الأخت وابن البنت أصح ، فانه ان كان من زوجها أو من غيره فهو ولدها على كل حال .

وكان لهم قديما رئيس يرجع جميع رؤسائهم الى حكمه ، يسكن قرية تعرف بجحر هي أقصى جزيرة البجة .

ويركبون النجب الصعب ، وتتج عندهم ، وكذلك الجبال العرب كثيرة عندهم أيضا .

والماشى من البقر والغنم والضأن غاية في الكثرة عندهم . وبقرة حان ملعة بقرون عظام ، ومنها جم ، وكباشهم كذلك منسرة ولها ألبان . وغذاؤهم اللحم وشرب اللبن ، وأكلهم للجن قليل وفيهم من يأكله ، وأبدانهم صحاح ، وبطونهم خصاص ، وألوانهم مشرقة الصفرة ، ولهم سرعة في الجرى يباينون بها الناس .

وكذلك جمالهم شديدة المدو صبورة عليه وعلى العطش ، يسابقون عليها الخيل ، ويقاثلون عليها ، وتدور بهم كما يشتهون ، ويقطعون عليها من البلاد ما يتفاوت ذكره ، ويتطاردون عليها في الحرب ، فيرمى الواحد منهم الحربة فان وقعت في الرمية طار اليها الجمل فأخذها صاحبها ، وان وقعت في الأرض قرب الجمل بجرائه الأرض فأخذها صاحبها .

ولبع منهم في بعض الأوقات رجل يسرق بكلاز ، شديد مقدم ، وله جبل ما سمع بمثله في السرعة ، وكان أعور وصاحبه كذاث ... التزم لقومه أنه يشرف على مصلى

مصر يوم العيد ، وقد قرب العيد قريبا لا يكون للبلوغ اليها في مثله حقيقة ، فوق بذلك ، وأشرف على المقطم ، وضربت الخيل خلفه فلم يلحق .

وهذا هو الذي أوجب أن يكون في السفح طليعة يوم العيد . وكان الطولونية وغيرهم من أمراء مصر يوقتون في سفح الجبل المقطم - ما يلي الموضع المعروف بالجيش - جيشا كثيفا مراعييا للناس حتى ينصرفوا من عيدهم في كل عيد .

وهم أصحاب ذمة ، فاذا غدر أحدهم رفع المغدور به ثوبا على حربة وقال : هذا عرش فلان (يعني أبا الغادر) ، فتصير سيئة عليه الى أن يترضاه .

وهم يبالغون في الضيافة ، فاذا طرق أحدهم الضيف ذبح له ، فاذا تجاوز ثلاثة نفر نحر لهم من أقرب الأنعام اليه سواء كانت له أو لغيره ، وان لم يكن شيء نحر واحدة الضيف وعوضه ما هو خير منها .

وسلاحهم الحراب السباعية ، مقدار طول الحديد ثلاثة أذرع ، والعود أربعة أذرع ، وبذلك سميت سباعية . والحديدة في عرض السيف لا يخرجونها من أيديهم الا في بعض الأوقات ، لأن في آخر العود شيئا شبيها بالفلكة يمنع خروجها عن أيديهم .

وصناع هذه الحراب نساء في موضع لا يختلط بهن رجل الا المشتري منهن : فاذا ولدت إحداهن من الطارقين لهن جنازة استحيتها ، وان ولدت غلاما قتله . ويقطن ان الرجال بلاء وحرب .

ودرقهم من جلود البقرة مشعرة ، ودرق مقلوبة تعرف بالأكسومة من جلود الجواميس - وكذلك الدهلكية - ومن دابة في البحر .

وقسيم عرية كبار غلاظ من الصدر والشوخط ، يرمون عليها بنبل مسموم . وهذا السم يعمل من عروق شجر الغلف ... يطبخ على النار حتى يصير مثل الفرا . فاذا أرادوا تجرته شرط أحدهم جسده وسيل الدم ثم شمه هذا السم ، فاذا تراجع الدم علم أنه جيد ، ومسح الدم لئلا يرجع الى جسده فيقتله . فاذا أصاب الانسان قتل لوقته ، ولو مثل شرطة الحجام . وليس له عمل في غير الجرح والدم ، وان شرب منه لم يضر .

وبلدانهم كلها معادن ، وكلما تصاعدت كالت أجود ذهباً وأكثر . وفيها معادن الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغنيطيس والمرقشيتا والحمست والزمرد وحجارة شطب ، فاذا بليت الشطبة منها بزت ، وقدت * مثل القيلة ، وغير ذلك مما شغلهم طلب معادن الذهب عما سواه .

والبجة لا تتعرض لعمل شيء من هذه المعادن .

وفي أوديتهم شجر المقل والاهليلج والأذخر والشيخ والسنا والحنظل وشجر البان ، وغير ذلك . وبأقصى بلدهم النخل وشجر الكرم والرياحين ، وغير ذلك مما لم يزرعه أحد . وبها سائر الوحش من السباع والقيلة والنمور والفهود والقردة وعناق الأرض

(*) من ١٦٤ ج ١ ، ط. بولاق .

والزباد ، ودابة تشبه الغزال حنة المنظر لها قرنان على لون الذهب ، قليلة البقاء اذا صيدت ، ومن الطيور البغا والتقيط والنوبي والقمارى ودجاج الحبش وحمام بازين ، وغير ذلك .

وليس منهم رجل الا منزوع البيضة اليمنى ، وأما النساء فمقطوع أشفار فروجهن ، وانه يلتحم حتى يشق عنه للمتزوج بمقدار ذكر الرجل ، ثم قل هذا الفعل عندهم .

وقيل ان السبب في ذلك أن ملكا من الملوك حاربهم قديما ، ثم صالحهم وشرط عليهم قطع ثدي من يولد لهم من النساء وقطع ذكور من يولد من الرجال ... أراد بذلك قطع النسل منهم ، فوفوا بالشرط ، وقلبوا المعنى في أن جعلوا قطع الثدي للرجال والفروج للنساء .

وفيهم جنس يقلعون ثناياهم ويقولون : لا تشبه بالحمير . وفيهم جنس آخر في آخر بلاد البجة يقال لهم البازة ، نساء جميعهم يتسمون باسم واحد ، وكذلك الرجال ... فطرفهم في وقت رجل مسلم له جمال ، فدعا بعضهم بعضا وقالوا : هذا الله قد نزل من السماء ، وهو جالس تحت الشجرة ، فجعلوا ينظرون اليه من بعد .

وتعظم الحيات ببلدهم وتكثر أصنافها ، ورشت حية في غدير ماء قد أخرجت ذنبها والتفت على امرأة وردت فقتلتها ، فرؤى شحمها قد خرج من دبرها من شدة الضغط . وبها حية ليس لها رأس ، وطرفاها سواء ، منقشة ليست بالكبيرة ، اذا مشى الانسان على أثرها مات ، واذا قتلت وأمسك القاتل ما قتلها

به من هود أو حربة في يده ولم يلقه من
ساعته مات . وقتلت حية منها بغلبة ،
فانشقت الخشب . وإذا لأمل هذه الحية أحد
وهي ميتة أو حية أصابه ضررها .

وفي البجة شر ، وترع اليه ، ولهم في
الاسلام وقلة أذية على شرق صعيد مصر ...
خربوا هناك قرى عديدة . وكانت فراغة
مصر تغزوهم وتوادعهم أحيالا لصاغتهم الى
المعادن ، وكذلك الروم لما أن ملكوا مصر .
ولهم في المادئ آثار مشهورة ، وكان أصحابهم
بها وقد فتحت مصر .

قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد
الحكم : وتجمع لعبد الله بن سعد بن أبي سرح
في انصرافه من النوبة على شاطئ النيل
البجة ، فقال عن شأنهم فأخبر أن ليس لهم
ملك يرجعون اليه ، فهان عليه أمرهم وتركهم ،
فلم يكن لهم عقد ولا صلح .

وكان أول من هادتهم عبيد الله بن الحجاب
السلولي . ويذكر أنه وجد في كتاب ابن
الحجاب : لهم ثلثائة بكر في كل عام حين
يتزلون الرف مجتازين ، تجارا غير مقيمين ،
على ألا يقتلوا مسلما ولا ذميا ، فإن قتلوه فلا
عهد لهم . ولا يؤووا عبيد المسلمين ، وأن
يردوا آبائهم إذا وقموا اليهم . ويقال انهم
كانوا يؤخذون بهذا ، وبكل شاة أخذها
البحاوي فعليه أربعة دنانير ، وللبقرة عشرة ،
وكان وكيلهم مقيما بالرف رهينة بيد
المسلمين .

ثم كثر المسلمون في المدن فخالطوهم
وتزوجوا اليهم .

وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب
اسلاما ضعيفا ، وهم شوكة القوم ووجوههم ،
وهم ما يلي مصر من أول حدهم الى العلاقي
وعذاب المبر منه الى جدة وما وراء ذلك .

ومنهم جنس آخر يعرفون بالرنافج ، هم
أكثر عددا من الحدارب ، غير أنهم تبع لهم ،
وخفراؤهم يحمونهم ويحبونهم المواشي . ولكل
رئيس من الحدارب قوم من الرنافج في
حملته ، فهم كالعبيد يتوارثونهم بعد أن كانت
الرنافج قديما أظهر عليهم .

ثم كثرت أذيتهم على المسلمين ، وكان ولاية
أسوان من العراق ، فرفع الى أمير المؤمنين
المأمون خبرهم ، فأخرج اليهم عبد الله بن
الجهم ، فكانت له معهم وقائع ، ثم وادعهم
وكتب بينه وبين كنون ، رئيسهم الكبير الذي
يكون بقرتهم هجر المقدم ذكرها ، كتابا
نسخته :

« هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى
أمير المؤمنين ، صاحب جيش الفزاة ، عامل
الأمير أبي اسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد
أبقاء الله ، في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة
ومائتين ، لكنون بن عبد العزيز عظيم البجة
بأسوان ... »

« انك سألتني وطلبت الى أن أؤمنك وأهل
بلدك من البجة ، وأعقد لك ولهم أمانا على
وعلى جميع المسلمين ، فأجبتك الى أن عقدت
لك وعلى جميع المسلمين أمانا ما استقمت
واستقاموا ، على ما أعطيتني وشرطت لي في
كتابي هذا ... »

« وذلك أن يكون سهل بلدك وجبلها من
منتهى حد أسوان من أرض مصر الى حد ما
بين دهلك وباضع ملكا للمأمون عبد الله بن
هارون أمير المؤمنين أعزه الله تعالى ، وأنت
وجميع أهل بلدك عبيد لأمير المؤمنين ، إلا
أنك تكون في بلدك ملكا على ما أنت عليه
في البجة . »

« وعلى أن تؤدي اليه الخراج في كل عام
على ما كان عليه سلف البجة ، وذلك مائة من
الابل ، أو ثلثائة دينار وازنة داخلة في بيت
المال ، والخيار في ذلك لأمير المؤمنين
ولولائه . وليس لك أن تخرم شيئا عليك من
الخراج . »

« وعلى أن كل أحد منكم أن ذكر محمدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتاب الله
أو دينه بما لا ينبغي أن يذكره به ، أو قتل
أحدا من المسلمين حرا أو عبدا ، فقد برئت
منه الذمة : ذمة الله ، وذمة رسوله صلى الله
عليه وسلم ، وذمة أمير المؤمنين أعزه الله ،
وذمة جماعة المسلمين ، وحل دمه كما يحل دم
أهل الحرب وذرائعهم . »

« وعلى أن أحدا منكم أن أعان المحاربين
على أهل الاسلام ببال ، أو دله على عورة
من عورات المسلمين أو أثر لعزتهم ، فقد نقض
ذمة عهده ، وحل دمه . »

« وعلى أن أحدا منكم أن قتل أحدا من
المسلمين عمدا أو سهوا أو خطأ ، حرا أو عبدا
أو أحدا من أهل ذمة المسلمين ، أو أصاب

(*) مصر ١٩٥٠ ج ١ ، ط ١ ، بولاق .

لأحد من المسلمين أو أهل ذمتهم مالا يبلد
البجة ، أو يبلد الاسلام ، أو يبلد النوبة ، أو
في شيء من البلدان برا أو بحرا : فعليه في
قتل المسلم عشر ديات ، وفي قتل العبد المسلم
عشر قيم ، وفي قتل الذمي عشر ديات من
دياتهم ، وفي كل مال أصبموه للمسلمين وأهل
الذمة عشرة أضغافه . وإن دخل أحد من
المسلمين بلاد البجة تاجرا أو مقيما أو مجتازا
أو حاجا ، فهو آمن فيكم كأحدكم حتى يخرج
من بلادكم .

« ولا تؤووا أحدا من آتبي المسلمين ، فإن
أناكم آت ، فطليكم أن تردوه الى المسلمين . »

« وعلى أن تردوا أموال المسلمين إذا
صارت في بلادكم بلا مؤنة تلزمهم في ذلك . »

« وعلى أنكم أن تزلتم ريف صعيد مصر
لتجارة أو مجتازين ، لا تظهرون سلاحا ، ولا
تدخلون المدائن والقرى بحال . »

« ولا تمنعوا أحدا من المسلمين الدخول في
بلادكم والتجارة فيها برا ولا بحرا ، ولا
تخيفوا السبل ، ولا تقطعوا الطريق على أحد
من المسلمين ولا أهل الذمة ، ولا تشرقوا
لمسلم ولا ذمي مالا . »

« وعلى ألا تهدموا شيئا من المآجد التي
ابتنها المسلمون بصيحة وهجر ، وسائر
بلادكم طولا وعرضا ، فإن فعلتم ذلك فلا عهد
لكم ولا ذمة . »

« وعلى أن كنون بن عبد العزيز يقيم بريف
صعيد مصر ، وكيلا يفي للمسلمين بما شرط

لهم من دفع الخراج ، ورد ما أصابه البجة
للمسلمين من دم ومال .

« وعلى أن أحدا من البجة لا يعترض حد
القصر الى قرية يقال لها قبان من بلاد النوبة
حد الزائدة .

« عقد عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين
لكنون بن عبد العزيز كبير البجة الأمان على
ما سينا وشرنا في كرننا هذا ، وعلى أن
يؤاني به أمير المؤمنين . فان راغ كون أو
عاث ، فلا عهد له ولا ذمة .

« وعلى كون أن يدخل عمال أمير المؤمنين
بلاد البجة لقبض صدقات من أسلم من
البجة .

« وعلى كون الوفاء بما شرط لعبد الله
ابن الجهم ، وأخذ بذلك عهد الله عليه بأعظم
ما أخذ على خلقه من الوفاء والميثاق .

« ولكنون بن عبد العزيز ولجميع البجة
عهد الله وميثاقه ، وفتة أمير المؤمنين ، وذمة
الأمير أبي اسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد ،
وفتة عبد الله بن الجهم ، وفتة المسلمين ،
بالوفاء بما أعطاه عبد الله بن الجهم ما وفي
كون بن عبد العزيز بجميع ما شرط عليه .
فان غير كون أو يدل أحد من البجة ، فذمة
الله جل اسمه وفتة أمير المؤمنين وفتة الأمير
أبي اسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد
الله بن الجهم وفتة المسلمين برنة منهم .

وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفا حرفا
ذكرنا بن صالح الخزومي من سكان جدة ،
وعبد الله بن اساعيل القرشي . ثم نسق جماعة
من شهود أسوان .

فأقام البجة على ذلك برهة ، ثم عادوا الى
غزو الرف من صعيد مصر ، وكثر الضجيج
منهم الى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله ،
فندب لحريهم محمد بن عبد الله القسي ،
فسأل أن يختار من الرجال من أحب ، ولم
يرغب الى الكثرة لصعوبة المسالك .

فخرج اليهم من مصر في عدة قليلة ورجال
متخبة ، وسارت المراكب في البحر . فاجتمع
البجة لهم في عدد كبير عظيم قد ركبوا الابل
فهاب المسلمون ذلك ، فشغلهم بكتاب طويل
كتبه في طومار ولقه بثوب ، فاجتمعوا لقراءته ،
فحمل عليهم وفي أعناق الخيل الأجراس فنشرت
الجمال بالبجة ، ولم تثبت لصلصلة الأجراس .
فركب المسلمون أقيمتهم ، وقتلوا منهم مقتلة
عظيمة ، وقتل كبيرهم .

فقام من بعده ابن أخيه ، وبث يطلب
الهدنة ، فصالحهم على أن يطأ بساط أمير
المؤمنين . فسار الى بغداد ، وقدم على
المتوكل بسر من رأى في سنة إحدى وأربعين
ومائتين . فصولح على أداء الأداة والبقط ،
واشترط عليهم ألا يسعوا المسلمين من العمل
في المدن .

وأقام القسي بأسوان مدة ، وترك في خزائنها
ما كان معه من السلاح وآلة الغزو . فلم تزل
الولاية تأخذ منه حتى لم يبقوا منه شيئا .

فلما كثر المسلمون في المعادن واختلطوا
بالبجة قل شرهم ، وظهر التبر لكثرة طلائه ،
وتسامع الناس به فوفدوا من البلدان ، وقدم
عليهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد
الحديد المصري ، بعد محاربته النوبة في سنة

خمس وخسين ومائتين ، ومعه ربيعة وجهينة
ونجيرهم من العرب . فكثرت بهم العمارة في
البجة ، حتى سارت الرواحل التي تحمل الميرة
اليهم من أسوان ستين ألف راحلة ، غير
الجلاب التي تحمل من القلزم الى عيذاب ،
ومالت البجة الى ربيعة وروحو اليهم .

وقيل ان كهان البجة قبل اسلام من أسلم
منهم ، ذكرت من معبودهم الطاعة لربيعة
ولكنون معا ، فهم على ذلك .

فلما قتل المعري ، واستولت ربيعة على
الجزائر ، والاهم على ذلك البجة ، فأخرجت
من خالقها من العرب ، وتصاروا الى رؤساء
البجة ، وبذلك كف ضررهم عن المسلمين .

والبجة الداخلة في صحراء بلاد علوة مما
يلي البحر الملح الى أول العيشة . ورجالهم
في الظن والمواشي واتباع الرعي والمعيشة
والمراكب والسلاح ، كحال الحدارب ، الا أن
الحدارب أشجع وأهدى من الداخلة على
كفرهم من عبادة الشيطان والاعتداء بكهانهم .

ولكل بطن كاهن يضرب له قبة من آدم
معيدهم فيها . فاذا رأوا استخباره عما
يحتاجون اليه ، تعرى ودخل الى القبة
ستديرا ، ويخرج اليهم وبه أثر جنسونه
وصرع ، يقول : الشيطان يقرلكم السلام ،
ويقول لكم ارحلوا عن هذه الحلة فان الرهط
القلاني يقع بكم . وسأتم عن الغزو الى بلد
كذا ، فيروا فانكم تظفرون وتقمعون كذا
وكذا . والجمال التي تأخذونها من موضع

(*) من ١٩٦ ج ١ ، ط ١٩٧٠

كذا هي لي ، والجارية القلانية التي تجدوها
في الخباء القلاني ، والقنم التي من صفتها
كذا ... ونحو هذا القول .

فيؤمنون أنه يصدهم في أكثر من ذلك .
فاذا لمسوا أخرجوا من الغيبة ما ذكر ،
ودفعوه الى الكاهن يتموله ، ويحرمون ألبان
نوقها على من لم يقبل . فاذا أرادوا الرحيل ،
حمل الكاهن هذه القبة على جمل مفرد ،
فيؤمنون أن ذلك الجمل لا ينور الا بعهد
— وكذلك سيره — ويتصب عرقا ، والغيبة
فارغة لا شيء فيها .

وقد بقي في الحدارب جماعة على هذا
المذهب ، ومنهم من يتسك بذلك مع
اسلامه .

قال مؤرخ النوبة ، ومنه لخصت ما تقدم
ذكره : وقد قرأت في خطبة الأجساس لأمير
المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه ذكر
البجة والكجة ، ويقول عنهم : شديد كلبهم ،
قليل سلبهم . فالبجة كذلك ، وأما الكجة
فلا أعرفهم .

اتمى ما ذكره عبد الله بن أحمد مؤرخ
النوبة .

وقال أبو الحسن المسعودي : فأما البجة
فانها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر ،
وتشعبوا فرقا وملسكوا عليهم ملكا . وفي
أرضهم معادن الذهب — وهو التبر —
ومعادن الزمرد . وتصل سراياهم ومناسرهم
على النجب الى بلاد النوبة ، فيضرون
ويسبون .

وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجة الى أن قوى الاسلام وظهر ، وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعذاب ، وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن ثار بن معد بن عدنان ، فاشتدت شوكتهم ، وتزوجوا من البجة ، فقوت البجة ، ثم صاهرها قوم من ربيعة ، فقوت ربيعة بالبجة على من قاواها وجاورها من قحطان وغيرهم من سكن تلك الديار .

وصاحب المعدن في وقتنا هذا — وهو ستة اثنين وثلاثين وثلاثمائة — بشر بن مروان ابن اسحاق بن ربيعة ... يركب في ثلاثة آلاف ألف من ربيعة وأحلافها من مصر واليمن ، وثلاثين ألف حراب على النجب من البجة في الحجب التحاوية ، وهم الحدارب ، وهم مسلون من بين سائر البجة . والداخله من البجة كفار يبدون صنما لهم .

والبجة المالكة لمعدن الزمرذ يتصل ديارها بالعلاقي ، وهو معدن الذهب . وبين العلاقي والتيل خمس عشرة مرحلة ، وأقرب العمارة اليه مدينة أسوان .

وجزيرة سواكن أقل من ميل في ميل ، وبينها وبين البحر الحبشي بحر قصير يخاض . وأهلها طائفة من البجة تسمى الخاصة ، وهم مسلون ، ولهم بها ملك .

أ وقال الهمداني : فكح كنعان بن حام أرتيب بنت شاول بن ترس بن يافث ، قولدت له حقا والأساود ونوبة وقران والزنج والزغاوة وأجناس السودان .

وقيل البجة من ولد حام بن نوح ، وقيل من ولد كوش بن كنعان بن حام .

وقيل البجة قبيلة من الحبش أصحاب أخبية من شر ، والوانهم أشد سودا من الحبشة ، يتزبون بزي العرب . وليس لهم مدن ولا قرى ولا مزارع ، ومعيشتهم ما ينقل اليهم من أرض الحبشة وأرض مصر والنوبة .

وكانت البجة تعبد الأصنام ، ثم أسلموا في اماره عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وفيهم كرم وسلمة .

وهم قبائل وأفخاذ ، لكل فخذ رئيس . وهم أهل نجمة ، وطعامهم اللحم واللبن فقط .

ذكر مدينة أسوان

أسوان من قولهم أسى الرجل يأسى أسى ، اذا حزن . ورجل أسيان وأسوان ، أي حزين .

وأسوان في آخر بلاد الصعيد ، وهي تقع من تغور الاقليم يفصل بين النوبة وأرض مصر . وكانت كثيرة الحنطة وغيرها من الحبوب والفواكه والخضراوات والبقول . وكانت كثيرة الحيوان من الابل والبقر والغنم ، ولحانها هناك غاية في الطيب والسن . وكانت أسعارها أبدا رخيصة ، وبها تجارات وبضائع تحل منها الى بلاد النوبة .

ولا يتصل بأسوان من شرقها بلد اسلامي . وفي جنوبها جبل به معدن الزمرذ ، وهو في بيرة منقطعة عن العمارة ، وعلى خمسة عشر يوما من أسوان معدن الذهب .

ويتصل بأسوان من غربيها الواحات ، ويسلك من أسوان الى عذاب ، ويتوصل من عذاب الى الحجاز واليمن والهند .

قال المسعودي : ومدينة أسوان يسكنها خلق من العرب من قحطان * ونزار بن ربيعة ومضر وخلق كثير من قرش ، وأكثرهم من الحجاز . والبلد كثير النخل خصيب كثير الخير ... تودع النوبة في الأرض ، فتبت نخلة ، ويؤكل من ثمرها بعد سنتين .

ولمن بأسوان ضياع كثيرة داخله بأرض النوبة ، يؤدون خراجها الى ملك النوبة ، وابتعت هذه الضياع من النوبة في صدر الاسلام في دولة بني أمية وبني العباس .

وقد كان ملك النوبة استعدي المأمون — حين دخل مصر — على هؤلاء القوم ، يوفد وفداهم الى القسطنطين ذكروا عنه أن أناسا من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم ممن جاورهم من أهل أسوان ، وأنها ضياعه والقوم عبيد لا أملك لهم ، وإنما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العامين فيها .

فجمل المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة أسوان ، ومن بها من أهل العلم والشيخ .

وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل أسوان أنها مستزعة من أيديهم ، فاحتالوا على ملك النوبة بأن يقدموا الي من ابتاع منهم من النوبة أنهم اذا حضروا حضرة الحاكم ألا يقرأوا لملكهم بالعبودية ، وأن يقولوا : سبيلنا معاصر

(*) من ١٩٩ ج ١ ، ط ١٠٠٠ بولال .

النوبة سيحكم مع ملككم ، يجب علينا طاعة وترك مخالفتهم ، فإن كنتم أتم عبيدا لملككم وأموالكم له ، فنحن كذلك .

فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك ، أتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما أوقفهم عليه من هذا المعنى ، ففضى البيع — لعدم إقرارهم بالرق للملك — الى هذا الوقت ، وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس .

وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين : من وصفنا أحرار غير عبيد ، والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد ، وهم من سكن النوبة في غير هذه البلاد المجاورة لأسوان ، وهي بلاد مريس .

قال : وأما النوبة فافتقرت فرقتين : فرقة في شرق النيل وغربه ، فأناخت على شاطئه ، واتصلت ديارها بديار القبط من أرض صعيد مصر ، واتسمت مساكن النوبة على شاطئه النيل مصعدة ، ولحقوا بقرب من أعاليه ، وبنوا دار مملكة ، وهي مدينة عظيمة تدعى دقله . والفرقة الأخرى من النوبة يقال لها علوة ، وبنوا مدينة عظيمة سموها سرقنة .

والبلد المتصل بمملكته بأرض أسوان يعرف بمريس ، واليه تضاف الریح المرسية ، وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة أسوان .

قال : وفي الجانب الشرقي من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الأوائل تقطع منه العمود وغيرها ، فأما العمود والقواعد والرؤوس التي يسميها أهل مصر « الأسواية » ، ومنها

حجارة الطواحين ، فتلك تقرها الأولون قل حدوث النصرانية بسنين من السنين ، ومهما العمد التي بالاسكندرية .

وفي ذي الحجة سنة أربع وأربعين وثلاثمائة أغار ملك النوبة على أسوان ، وقتل جمعا من المسلمين . فخرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل أونوجور بن الاخشيد ، في محرم سنة خمس وأربعين ، فساروا في البر والبحر ، وبعثوا بمدة من النوبة أسروهم ، ففترت أعناقهم بعد ما أوقع بملك النوبة . وسار الخازن حتى فتح مدينة أيريم وسبى أهلها . وقدم الى مصر في نصف جبادى الأولى سنة خمس وأربعين بمائة وخمسين أسيرا وعدة رؤوس .

وقال القاضي القاضى : ان متحصل ثغر أسوان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة بلغ خمسة وعشرين ألف دينار .

وقال الكمال جعفر الادنوى : وكان بأسوان ثمانون رسولا من رسل الشرع . ونحصل من أسوان في سنة واحدة ثلاثون ألف اردب تمرا . وأخبرنا من وقف على مكتوب كان فيه أربعون شريكا خاصة ، وأن مكتوبا آخر رأى فيه ستين شريكا دون من عداهم .

قال : ووقفت أنا على مكتوب فيه نحو من أربعين ، مؤرخ بها بعد العشرين وستمائة من الهجرة .

وكان بثمر أسوان بنو الكنز من ربيعة ... أمراء مسدوحون مقصودون ، صنع لهم القاضى الشديد أبو الحسن بن عرام سيرة ذكر

فهما مناقبهم وأسماء من ملتهم ومن ورد عليهم

ولما أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب جيشا الى كثر الدولة وأصحابه ، ترحلوا عن البلاد ، فدخلوا بيوتهم فوجدوا بها قصائد من ملتهم ، منها قصيدة أبى محمد الحسن ابن الزبير ، قال فيها :

ونجده - ان خانه الدهر أو سطا -
آاس اذا ما أنجد الذل أتهموا

أجاروا فما تحت الكواكب خائف
وجادوا فما فوق البسيطة معدم
وأنه أجازة عليها بألف دينار ، ووقف عليه ساقية تساوى ألف دينار .

وكان بأسوان رجال من العسكر مستعدون بالأسلحة لحفظ الثغر من هجوم النوبة والسودان عليه . فلما زالت الدولة الفاطمية أهل ذلك ، فسار ملك النوبة في عشرة آلاف ، ونزل تجاه أسوان في جزيرة ، وأمر من كان فيها من المسلمين .

ثم تلاشى بعد ذلك أمر الثغر ، واستولى عليه أولاد الكنز من بعد سنة تسعين وسبعمائة ، فأفسدوا فسادا كبيرا ، وكانت لهم مع ولاية أسوان عدة حروب ... الى أن كانت المحن منذ سنة ست وثمانمائة ، وخرب اقليم الصعيد ، فارتفعت يد السلطنة عن ثغر أسوان ، ولم يبق * للسلطان في مدينة أسوان وال ، واتضع حاله عدة سنين .

(*) من ١٨٨٠ ج ١ ، ط. بلاق .

من خضرة السلق . وأمر هارون الرشيد أن يجمع له من الواح ثمر أسوان من كل صف ثمرة واحدة ، فجمع له وية ولا يعرف في الدنيا بسر يثمر قبل أن يصير رطبا الا بأسوان .

ذكر بلاق

بلاق أجل حصن للمسلمين ، وهى جزيرة تقرب من الجنادل محيط بها النيل ، فيها بلد كبير يسكنه خلق كثير من الناس . وبها نخل عظيم ، ومنير في جامع . واليها تنتهى سمن النوبة وسفن المسلمين من أسوان . وبينها وبين القرية التي تعرف بالقصر - وهى أول بلد النوبة - ميل واحد . وبينها وبين أسوان أربعة أميال . ومن أسوان الى هذا الموضع جنادل في البحر لا تسلكها المراكب الا بالحيلة ودلالة من يخبر ذلك من الصيادين الذين يصيدون هناك .

وبالقصر مسلحة وباب الى بلد النوبة .

ذكر حائط المعجون

هذا الحائط كان حصنا لأرض مصر يحقق بجميعها ، وكان فيه محارس ومسالح ، ومن ورائه خليج يجرى فيه الماء ، معقود عليه القناطر ، عملته دلوكة بنت زبا . وقد وهى وتلاشى ، ولم يبق منه الا يسير في شط النيل الشرقى ينتهى الى أسوان .

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الحكم ، في كتاب « فتوح مصر » : فبقيت مصر بعد غرقهم (يعنى فرعون)

ثم زحفت هوارة في محرم سنة خمس عشرة وثمانمائة الى أسوان ، وحاربت أولاد الكنز وهزموهم ، وقتلوا كثيرا من الناس ، وسبوا ما هناك من النساء والأولاد ، واسترقوا الجميع ، وهدموا سور مدينة أسوان ، ومضوا بالسبي ، وقد تركوها خرابا يبابا لا سكن بها . فاستمرت على ذلك بعد ما كانت بحيث يقول عنها عبد الله بن أحمد بن سليم الأسوانى في كتاب « أخبار النوبة » : ان أبا عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد العمري لما غلب على المعدن ، كتب الى أسوان يسأل التجار الخروج اليه بالجهاز من طريق المعدن ، فخرج اليه رجل يعرف بعثمان بن حيلة التيمى في ألف راحلة فيها الجهاز والبر .

وذكر أن العمري لما عاد الى بلاد البجة بعد حروبه للنوبة ، كثرت العمارة حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من أسوان ستين ألف راحلة ، غير الجلاب التي تحمل من القلزم الى عيذاب .

قال : وما شاهده جماعة من شيوخنا الثقات بأسوان بقرية تدعى أسانى ، هى من أسوان على مرحلتين ونصف ، أنهم رأوا شرقها من جانب النيل قرية بسور وخارج بابها جسيمة ، وناس يدخلون ويخرجون ، فإذا عبروا الى الموضع لم يجدوا شيئا .

وهذا يكون في الشتاء دون الصيف قبل طلوع الشمس . والناس مجمعون على رؤيتها ، وصحة هذا الخبر .

وكان بها أنواع من الثمر ، وأنواع من الرطب ، منها نوع من الرطب أشد ما يكون

(وجنوده) وليس فيها من أشرف أهلها أحد ، ولم يبق بها إلا العبيد والأجراء والنساء . فأعظم أشرف من بصر من النساء أن يولين منهم أحدا ، وأجمع رأيهم أن يولين امرأة منهم يقال لها دلوكة بنت زبا ، وكان لها عقل ومعرفة وتجارب ، وكانت في شرف منهن وموضع ، وهي يومئذ بنت مائة سنة وستين سنة .

فملكوها ، فخافت أن يتناولها ملوك الأرض ، فجمعت نساء الأشراف فقالت لهن : إن بلادنا لم يكن يطعم فيها أحد ، ولا يدب عنه إليها ، وقد هلك أكابرنا وأشرافنا ، وذهب السحرة الذين كنا نتقوى بهم . وقد رأيت أن ابني حصنا أحرق به جميع بلادنا ، فأضغ عليه المحارس من كل ناحية ، فإنا لا نأمن من أن يطعم فينا الناس .

فبنت جدارا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها ، المزارع والمدائن والقرى ، وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء ، وأقامت القناطر والترع ، وجعلت فيه محارس ومسالح ، على كل ثلاثة أميال محرس ومسلحة ، وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل . وجعلت في كل محرس رجالا ، وأجرت عليهم الأرزاق . وأمرتهم أن يحرسوا بالأجراس ، فإذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم إلى بعض بالأجراس ، فأتاهم الخبر من أي جهة كانت في ساعة واحدة فنظروا في ذلك .

فمنعت بذلك مصر ممن أرادها .

وفرغت من بنائه في ستة أشهر . وهو الجدار الذي يقال له جدار العجوز بصر ، وقد بقيت بالمعبد منه بقايا كبيرة . والله أعلم .

ذكر البقط

البقط ما يقبض من سبي النوبة في كل عام ، ويحل إلى مصر ضريبة عليهم . فإن كانت هذه الكلمة عربية ، فهي إما من قولهم : في الأرض يتقط من بقل وعشب ، أي يلد من مرض ، فيكون معناه على هذا بسطة من المال ، أو يكون من قولهم أن في بني تميم بقطا من ربيعة أي فرقة أو قطعة ، فيكون معناه على هذا فرقة من المال أو قطعة منه . ومنه بقط الأرض فرقة منها ، وبقط الشيء فرقه . والبقط أن تعطى الحبة على الثلث أو الربع . والبقط أيضا ما سقط من التمر إذا قطع فأخطأ المخرف ، فيكون معناه على هذا بعض ما في أيدي النوبة .

وكان يؤخذ منهم في قرية يقال لها القصر ، مسافتها من أسوان خمسة أميال فيما بين بلدان بلق وبلد النوبة . وكان القصر فرصة لقوص .

وأول ما تقرر هذا البقط على النوبة في أمانة عمرو بن العاص ، لما بعث عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد فتح مصر إلى النوبة مئة عشرين — وقيل سنة إحدى وعشرين — في عشرين ألفا ، فمكث بها زمانا ، فكتب إليه عمرو يأمره بالرجوع إليه .

(٥) ص ١٩٦ جزء ٤ طبع بولاق

فلما مات عمرو رضى الله عنه تقضى النوبة الصلح الذي جرى بينهم وبين عبد الله بن سعد ، وكثرت سراياهم إلى الصعيد فأخربوا وأفسدوا . فغزاهم مرة ثانية عبد الله بن سعد ابن أبي سرح وهو على أمانة مصر في خلافة عثمان رضى الله عنه سنة إحدى وثلاثين ، وحصرهم بمدينة دقلة حصارا شديدا ، ورماهم بالمنجنيق — ولم تكن النوبة تعرفه — وخسف بهم كنيستهم بحجر . فبهرهم ذلك وطلب ملكهم — واسمه قليدوروث — الصلح ، وخرج إلى عبد الله وأبدى ضعفا ومسكنة وتواضعا . فلقاه عبد الله ورفعته وقربه ، ثم قرر الصلح معه على ثلاثمائة وستين رأسا في كل سنة . ووعد عبد الله بحبب يهديها إليه لما شكاه له قلة الطعام ببلده ، وكتب لهم كتابا نسخته بعد البسطة :

« عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته ، عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة : أن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة .

« انكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبي صلى الله عليه وسلم ألا نحاربكم ، ولا نقصب لكم حربا ، ولا نفزركم ، ما أقمت على الشرائط التي بيننا وبينكم .

« على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه ، وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه .

« وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم . وإن عليكم رد كل آبق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى أرض الإسلام ، ولا تتولوا عليه ، ولا تمنعوا منه ، ولا تعرضوا لمسلم قصده وحاوره إلى أن ينصرف عنه .

« وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ، ولا تمنعوا منه مصليا ، وعليكم كسبه وإسراجه وتكرمه .

« وعليكم في كل سنة ثلاثمائة وستون رأسا تدفعونها إلى أمام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم غير الميعب ، يكون فيها ذكوران وإناث ، ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا مقل لم يبلغ الحلم ... تدفعون ذلك إلى والي أسوان .

« وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ، ولا منعه عنكم من حد أرض علوة إلى أرض أسوان .

« فإن أتم آوتم عبدا لمسلم ، أو قتلتم مسلما أو معاهدا ، أو تعرضتم للمسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم ، أو منعتم شيئا من الثلاثمائة رأس والستين رأسا ، فقد برئت منكم هذه الهدنة والأمان ، وعدنا نحن وأتم على سواء ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

« علينا بذلك عهد الله وميثاقه ودمته ودمه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدعون به من ذمة المسيح وذمة الخواريين وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتبكم ، الله الشاهد بيننا وبينكم على

وأدعى التوبى على قوم من أهل أسوان أنهم اشتروا أملاكاً من عبيده ، فأمر المعتصم بالنظر في ذلك . فأحضر وإلى البلد والمختار للحكم فيه التابعين من النوبة وسالاهم عما ادعاه صاحبهم من يمينهم ، فألصقوا ذلك وقالوا : نحن رعية . فزال ما ادعاه .

وطلب أنبياء غير ذلك من إزالة المسلحة المروفة بالتصريح عن موضعها إلى الحد الذي بينهم وبين المسلمين ، لأن المسلحة على أرضهم ، فلم يجبه إلى ذلك . ولم يزل الرسم جارياً بنقض البقطة على هذا التقرر ، ويدفع إليهم ما أجراه المعتصم ، إلى أن قلمت الدولة العباسية إلى مصر ... ذكر ذلك مؤرخ النوبة .

وقال أبو الحسن المسعودي : والبقطة هو ما يقبض من السبي في كل سنة ويحصل إلى مصر ضريبة عليهم ، وهو ثلثائة رأس وخسة وستون رأساً ليت المال ، بشرط الهدنة بين النوبة والمسلمين . وللأمير بمصر غير ما ذكرنا أربعون رأساً ، ولخليفته المقيم بأسوان - وهو المتولي لقبض البقطة - عشرون رأساً ، وللحاكم المقيم بأسوان الذي يحضر مع أمير أسوان قبض البقطة خمسة رؤوس ، ولاتى عشر شاهداً عدول من أهل أسوان يحضرون مع الحاكم لقبض البقطة اثنا عشر رأساً من السبي ... على حسب ما جرى به الرسم في صدر الإسلام في بدء إيقاع الهدنة بين المسلمين والنوبة .

وقال البلاذري في كتاب « الفتوحات » : أن التقرر على النوبة أربعمائة رأس يأخذون

بها طعاماً (أى غلة) ، والزعمهم أمير المؤمنين المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور ثلثائة وستين رأساً وزرافة .

وفي سنة أربع وسبعين وستمائة كثر خبث داود متملك النوبة ، وأقبل إلى أن قرب من مدينة أسوان ، وحرق عدة سواقي بعدما أفسد بميذاب . ففضى إليه وإلى قوص فلم يدركه ، وقبض على صاحب الخيل في عدة من النوبة ، وحملهم إلى السلطان الملك الظاهر يبيرس البندقداري بقلعة الجبل فوسطهم .

وقدم سكندة ابن أخت متملك النوبة متظلماً من خاتنه داود ، فجرد السلطان معه الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني الأساندار ، والأمير عز الدين أبيك الأفرم ، وأمير جاندار ، في جماعة كثيرة من المسكر ومن أجناد الولايات وعربان الوجه القبلي والزراقيين والرماة ورجال الحراريق .

فساروا في أول شعبان من القاهرة حتى وصلوا إلى أرض النوبة ، فخرجوا إلى لقاءهم على النجب ، بأيديهم الحراب ، وعليهم دكاك سود .

فأقبل الفريقان قتالاً كبيراً ، انهزم فيه النوبة ، وأغار الأفرم على قلعة الدر ، وقتل وسبي . وأوغل الفارقاني في أرض النوبة براً وبحراً يقتل ويأسر ، فحاز من المواشي ما لا يعد ، وزل بجزيرة ميكايل برأس الجنادل ، وقر المراكب من الجنادل .

(١٨٠١) ص ١٠١ ج ١ ط ١٠١٠٠

فقر النوبة إلى الجزائر ، وكتب لقمصر الدولة نائب داود متملك النوبة أمناً ، فحلف لسكندة على الطاعة ، وأحضر رجال المريس ومن فر .

وخاض الأفرم إلى برج في الماء وحصره حتى أخذه ، وقتل به مائتين ، وأسرا أبا لداود ، فهرب داود والمسكر في أروء مدة ثلاثة أيام ، وهم يقتلون ويأسرون ، حتى أذعن القوم .

وأسرت أم داود وأخته ، ولم يقدر على داود فقرر سكندة عرضه ، وقرر على نفسه التطيعه في كل سنة ثلاث فيلة وثلاث زرافات وخمس فهود من أاثانها ، ومائة نجيب أصعب وأربعمائة رأس من البقر المنتجة ، على أن تكون بلاد النوبة نصيباً : نصيباً للسلطان ، ونصيباً لعمارة البلاد وحفظها ، ما خلا بلاد الجنادل ، فإنها كلها للسلطان لقربها من أسوان ، وهي نحو الربع من بلاد النوبة . وأن يحصل ما بها من التمر والقطن والحقوق الجارية بها المعادة من قديم الزمان . وأن يقوموا بالجزية ما بقوا على النصرانية ، فيدفع كل بالغ منهم في السنة ديناراً عينا .

وكتب نسخة بين بذلك حلف عليها الملك سكندة ، ونسخة بين أخرى حلفت عليها الرعية .

وخرّب الأميران كنائس النوبة ، وأخذ ما فيها ، وقبض على نحو عشرين أميراً من أمراء النوبة ، وأفرج عن كان بأيدي النوبة من أهل أسوان وعيذاب من المسلمين في أسرهم .

وألصق سكندة تاج الملك ، وأفعد على سرير الملكة ، بعد ما حلف والتزم أن يحصل جميع ما لداود ولكل من قتل وأسر من مال ودواب إلى السلطان مع البقطة القديم ، وهو أربعمائة رأس من الرقيق في كل سنة وزرافة (من ذلك ما كان للخليفة ثلثائة وستون رأساً ، ولنائبه بمصر أربعون رأساً) ، على أن يطلق لهم إذا وصلوا بالبقطة تاماً من التصح ألف أردب لملكهم ، وثلثائة أردب لرسله .

ذكر صحراء عيذاب

اعلم أن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون إلى مكة - شرفها الله تعالى - إلا من صحراء عيذاب . يركبون النيل من ساحل مدينة مصر القسطة إلى قوص ، ثم يركبون الأبل من قوص ويمبرون هذه الصحراء إلى عيذاب ، ثم يركبون البحر في الجلاب إلى جدة ساحل مكة . وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة ، يردون في البحر إلى عيذاب ، ثم يسلكون هذه الصحراء إلى قوص ، ومنها يردون مدينة مصر .

فكانت هذه الصحراء لا تزال عامرة آهلة بما يهبط أو يرد من قوافل التجار والحجاج ، حتى أن كانت أحمال البهار كالقرفة واللفل ونحو ذلك لتوجد ملقاة بها ، والقفول صاعدة وهابطة ، لا يعترض لها أحد ، إلى أن يأخذها صاحبها .

فلم تزل ملكاً للحجاج في ذهابهم وإيابهم زيادة على مائتي سنة : من أعوام بفسح

ويستدل النصارى على زيادة النيل في كل سنة بقدر ما على الماء من الأرض ، فيزعمون أن الأمر في النيل زيادته يكون موافقا لذلك .

ذكر أبو بط

هذه المدينة أيضا من جملة البهنساوية ، كان بها منارة محكمة البناء ، اذا هزها الرجل تحركت بينا وشالا ، فيرى * ميلها رؤية ظاهرة بانتقال ظلها عن موضعه .

ذكر ملوى

هذه المدينة بالجانب الغربى من النيل ، وأرضها معروفة بزراعة قصب السكر ، وكان بها عدة أحجار لاغتصاره . وآخر من كان بها أولاد فضيل ، بلغت زراعتهم في أيام الناصر محمد بن قلاوون ألفا وخمسمائة فدان من القصب في كل سنة . فأوقع النشو - فاطر الخاص - الحولة على موجودهم في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، فوجد من جملة ما لهم أربعة عشر ألف قطار من القند حملها إلى دار القند بمصر ، سوى العمل . وألزمهم بحمل ثمانية آلاف قطار بعد ذلك . وأفرج عنهم ، فوجدوا لهم حاصلا لم يمتد له النشو فيه عشرة آلاف قطار قند ، سوى ما لهم من عبيد وغلل وغير ذلك .

(هـ) من ١٠٢٠ ج ١ ، طه بولاق .

ذكر مدينة أنصنا

اعلم أن مدينة أنصنا إحدى مدائن صعيد مصر القديمة ، وفيها عدة عجائب ، منها الملعب ، ويقال انه كان مقياس النيل ، وانه من بناء دلوكة أحد من ملك مصر ، وكان كالطيلسان ، وفي دائره عدد على عدة أيام السنة الشمسية ، كلها من الصوان الأحمر المانع ، ومسافة ما بين كل عمودين مقدار خطوة انسان .

وكان ماء النيل يدخل إلى هذا الملعب من فوهة عند زيادة الماء . فإذا بلغ ماء النيل الحد الذى كان اذ ذاك يحصل منه رى أرض مصر وكفايتها ، جلس الملك عند ذلك في مشرف له ، وصعد القوم من خواصه إلى رؤوس الأعمدة المذكورة ، فيتعادون عليها ما بين ذاهب وآت ، ويتساقطون من الأعمدة إلى الملعب وهو متلىء بالماء .

قال أبو عبيد البكرى : أنصنا - بفتح أوله واسكان ثانيه بعده صاد مهمله مكسورة ونون وألف - كورة من كور مصر معروفة ، منها كانت سرية النبي صلى الله عليه وسلم أم ابنه ابراهيم من قرية يقال لها حفن من قرى هذه الكورة .

ويقال ان سحرة فرعون كانوا منها ، وانه جلبهم منها يوم الموعد للقاء موسى عليه السلام .

ويقال ان التماسيح لا يضر بساحل أنصنا لطلاسم وضعت بها ، وانه اذا حاذي برها انقلب على ظهره حتى يجاوزها .

ويقال ان الذى بنى مدينة أنصنا أشمون ابن مصرام بن بصر بن حام بن نوح . وهى واقعة في شرقى النيل ، وكانت حنة الباتين والمتزهات ، كثيرة الثمار والقواكه ، وهى الآن خراب .

وقال أبو حنيفة الدينورى : ولا يثبت البنج الا بأنصنا ، وهو عود ينثر منه ألواح للسن ، وربما أرغفت ناسرها . ويبيع اللوح منها بخمسين دينارا ونحوها . واذا شد لوح منها بلوح وطرح في الماء مئة أيام ، صاروا لوحا واحدا .

وكان لأنصنا سور عتيق هدمه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وجعل على كل مركب منحدر في النيل جزءا من حمل صخره إلى القاهرة ، فنقل بأسره إليها .

ذكر القيس

اعلم أن القيس من البلاد التى تجاور مدينة البهنسا . وكان يقال القيس والبهنسا .

قال ابن عبد الحكم : يمت عمرو بن العاص قيس بن الحارث إلى الصعيد ، فسار حتى أتى القيس فنزل بها فسميت به .

وقال ابن يونس : قيس بن الحارث المرادى ثم الكعبى ، شهد فتح مصر يروى عن عمر بن الخطاب ، وكان يفتى الناس في زمانه . روى عنه سويد بن قيس - وقيل شديد بن قيس ابن ثعلبة - وروى عنه عسكر بن سودة . وهو الذى فتح القرية بصعيد مصر المعروفة بالقيس فسببت إليه .

وقال ابن الكندى : ولهم ثياب الصوف ، وأكسية المرعى ، وليس هى بالدنيا الا بمصر . وذكر بعض أهل مصر أن معاوية بن أبى سفيان لما كبر كان لا يدفا ، فاجتمعوا انه لا يدفعه الا الأكسية تعمل بمصر من صوفها المرعى العلى العين المصبوغ . فعمل له منها عدد ، فما احتاج منها الا إلى واحد . ولهم طراز القيس والبهنسا في البستور والمضارب ، يعرفون به ، ومنه طراز أهل الدنيا .

وظهر بها بالقرب من البهنسا سرب في أيام السلطان الملك الكامل محمد بن المعادل أبى بكر بن أيوب ، فأمر متولى البهنساوية بكشفه ، فجمع له أهل المعرفة بالصوم والقطس ، فسكانوا ما ينيف على مائتى رجل ما فيهم الا من نزل السرب فلم يجد له قرارا ولا جوانب .

فأمر بعمل مركب طويل رقيق بحيث يمكن ادخاله من رأس السرب وشحنه بالأزواد والرجال ، وركب فيه جبالا مربوطة في خوازيق عند رأس السرب ، وحمل مع الرجال آلات يعرفون بها أوقات الليل والنهار ، وعدة شموع وغيرها مما تستخرج به النار وتشعل به . وأمرهم أن يسلكوا بالمركب في السرب حتى ينفذ نصف ما معهم من الزاد . فساروا بالمركب في ظلمة وهم يلقيسون الجبال ولا يجدون لما هم سائرون فيه من الماء جوانب . فما زالوا حتى قلت أزوادهم ، فأبطلوا حركة المركب بالمجاذيف إلى داخل السرب وجروا الجبال ليرجعوا إلى حيث دخلوا ، حتى انتهوا إلى رأس السرب .

(ج) من ١٠٢٠ ج ١ ، طه بولاق .

فكانت مدة غيبتهم في السرب ستة أيام :
أرسل منها دخولا إلى جوفه وتطواف جوانه ،
ويومان رجوعا إلى رأس السرب . ولم يبقوا
في هذه المدة على نهاية السرب .

فكتب بذلك الأمير علاء الدين الطنغا وإلى
البنسا إلى الملك الكامل ، فتعجب عجا
كثيرا ، واشتغل عن ذلك بمحاربة الفرنج على
دمياط . فلما رحلوا عن دمياط وعادوا إلى
القاهرة ، خرج بعد ذلك حتى شاهد السرب
المذكور .

ذكر دروط بلهاسة

اعلم أن دروط — وهي بفتح الدال المهملة
وضم الراء وسكون الـ و لو وطاء — اسم ثلاث
قرى : دروط أنسوم من الأشمونين ، ودروط
سمران من الأشمونين أيضا ، ودروط بلهاسة
من ناحية البنسا بالصعيد .

وبها جامع أنشاه زياد بن المغيرة بن زياد
ابن عمرو المتكى ، ومات في المحرم سنة
لحدى وتسعين ومائة فدفن به . وقال فيه
الشاعر :

حلف الجود حلفة بشر فيها
ما بسرا الله واحدا كزياد

كان غيثا لمصر إذ كان حيا
وأمانا من السنن الشداد

ومات أخوه إبراهيم بن المغيرة سنة سبع
وتسعين ومائة ، فقال الشاعر فيه :

ابن المغيرة إبراهيم من ذهب
يزداد حسنا على طول الدهار

لو كان يملك ما في الأرض عجله
إلى العفاة ولم يصم بتأخير

ومات أحمد بن زياد بن المغيرة في المحرم
سنة ست وثلاثين ومائتين ، فقال الشاعر
فيه :

أحمد مات ماجدا مفقودا
ولقد كان أحمد محمودا

ورث المجد عن أب ثم عم
مثله ليس بعده موجودا

ذكر سكر

هي من الأمثيحية ، تجاهها واديه إلى وقتنا
هذا شكل جبل من الحجر كأكبر ما يرى
من الجبال وأحسنها هيئة . وهو قائم على
أربعة وقد استقبل بوجهه المشرق ، وعلى فخذيه
اليمين كتابة بقلهم ، وهي أحرف مقطعة في
ثلاثة أسطر .

ثم على نحو مائة وخمسين خطوة منه جبل
آخر مثله سواء ، ووجهه إلى وجه الجبل
الأول ، وليس عليه كتابة .

وفيما بين الجبلين المذكورين هيئة أعدل
قد ملئت قماتا عدتها أربعمائة ذكيرة موضوعة
بالأرض ، عشرين تجاه عشرين ، وجسمها من
حجارة ، ولا يشك من رآها أنها أحمال
قماش .

وبعد مائة وخمسين خطوة منها جبل ثالث
على هيئة الجبلين المذكورين . وهو أيضا
قائم ، وظهره إلى ظهر الجبل الثاني ، ووجهه

إلى الجبل ، وهناك آخر الوادي . وليس على
هذا الجبل أيضا كتابة ...

أخبرني بذلك من لا أنهم روايته .

ذكر منية الخصيب

هذه المدينة تنسب إلى الخصيب بن عبد
الحديد ، صاحب خراج مصر من قبل أمير
المؤمنين هارون الرشيد .

ذكر منية الناسك

هي بلدة من جملة الأمثيحية عرفت بالناسك
أخى الوزير بهرام الأرمني في أيام الخليفة
الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن
محمد ، ولي من قبل أخيه مدينة قوص سنة
تسع وعشرين وخمسائة — وولاية قوص
يومئذ أجل ولايات مصر — فجار على
المسلمين ، واشتد عنفه وأذاه لهم . فعندما
وصل الخبر بقيام رضوان بن ولخشي على
بهرام وهزيمته منه وتقلده الوزارة بعده ، ثار
أهل قوص بالناسك في جمادى الآخرة سنة
لحدى وثلاثين وخمسائة وقتلوه ، وربطوا
كلبا ميتا في رجله ، وسحبوه حتى ألقوه على
مزبلة . وكان نصرانيا .

ذكر الجيزة

قال ابن سيده : الجيزة الناحية والجانب ،
وجمعها جيز وجيز . والجيز بجانب الوادي ،
وقد يقال فيه الجيزة .

واعلم أن الجيزة اسم لقرية كبيرة جميلة
البيان على النيل من جانب الغربى تجاه مدينة
فسطاط مصر . لها في كل يوم أحد سوق عظيم
يجيء إليه من النواحي أصناف كثيرة جدا ،
ويجتمع فيه عالم عظيم . وبها عدة مساجد
جامعة .

وقد روى * الحافظ أبو بكر بن ثابت
الخطيب ، من حديث نبط بن شريط ، قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجيزة
روضة من رياض الجنة ، ومصر خزائن الله
في أرضه » .

ويقال إن مسجد التوبة الذي بالجيزة كان
فيه تابوت موسى عليه السلام الذي قذفه
أمه فيه بالنيل . وبها النخلة التي أرضعت
مريم تحتها عيسى ، فلم يشر غيرها .

وقال ابن عبد الحكم ، عن يزيد بن أبي
حبيب : فاستحبت همدان ومن والاهما الجيزة ،
فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما يعلنه بما صنع الله للمسلمين ،
وما فتح عليهم ، وما فعلوا في خططهم ، وما
استحبت همدان من النزول بالجيزة . فكتب
إليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك ،
ويقول له : كيف رضيت أن تفرق أصحابك ؟
لم يكن ينبغي لك أن ترضى لأحد من أصحابك
أن يكون بينك وبينهم بحر ، ولا تدرى ما
يفجأهم ، فلملك لا تقدر على غيائهم حين ينزل
بهم ما تكره . فاجمعهم إليك ، فإن أبوا عليك
وأعجبهم موضعهم بالجيزة وأحبوا ما هنالك ،
فإن عليهم من في المسلمين حسنا .

من يعلى وطلع إلى هذا الجن حتى
أحدته يحدث لا أحدته لأحد يصله حتى
تفارق روحى الدنيا ؟

قال النوفلي : فأخذت النسيج وحملته حتى
صرت في أعلاه ، فنزل وقال : معك ورقة ؟
قلت : لا .

قال : أبصر لي بلاءة .

وأخذ فحمة وكب : حدثني يحيى بن
أيوب ، عن يحيى بن بكير ، عن زبد بن أسلم
ابن يسار ، عن ابن عباس قال : إن جبريل أتى
إلى يوسف في هذا السجن ، في هذا البيت
المظلم ، فقال له يوسف : من أنت الذي مذ
دخلت السجن ما رأيت أحسن وجها منك ؟
فقال له : أنا جبريل .

فبكى يوسف فقال : ما يسىك يا بنى الله ؟
فقال : ايش يصل جبريل فى مقام المذنبين ؟
فقال : اما علمت ان الله تعالى يطهر البقاع
بالانبياء ، والله لقد طهر الله بك المسجن وما
حولہ .

فما أقام الى آخر النهار حتى أخرج من السجن !

قال القاضي : سقط بين يحيى وزيد رجل -

وقال الفقيه أبو محمد أحمد بن محمد بن
ملامة الطحاوي ، وذكر سجن يوسف : لو
سافر الرجل من العراق ليصلي فيه وينظر
إليه ، لما عنته في سفره .

وقال القتيه أبو اسحاق المروزي : لو
سافر الرجل من العراق لنظر اليه ما عنته .

وذكر السجى في حوادث شهر ربيع
الأول سنة خمس عشرة وأربعمائة : أن العامة
والسوقة طافت الأسواق بصر بالطبول
والبوقات ، يجمعون من التجار وأرباب
الأسواق ما يفتقرونه في مضيقهم إلى سجن
يوسف ، فقال لهم التجار : شغلنا بكم
الأموات ينفعنا من هذا . وكان قد اشتد
العلاء .

وأهوا حالهم الى الحضرة المطهرة (يعنى
أمير المؤمنين الطاهر لاعزاز دين الله ابا
الحسن على بن الحاكم بأمر الله) ، فرسم
لنائب الدولة أبى طاهر بن كافى - متولى
الشرطة السفلى - الترسيم على التجار حتى
يدفعوا اليهم ما جرت به رسومهم ، ورسم
لهم بالخروج الى سجن يوسف ، ووعدوا أن
يطلق لهم من الحضرة ضعف ما أطلق لهم فى
النه الماضى من الهبة ، فخرجوا .

وفي يوم السبت لتسع خلون من جمادى الأولى ركب القائد الأجل عز الدولة ومانها معضاد الخادم الأسود في سائر الأتراك ووجوه القواد ، وشق البلد ونزل الى الصناعة التي بالجسر بمن معه . ثم خرج من هناك وعدى في سائر عساكره الى الجيزة ، حتى رتب لأمير المؤمنين عساكر تكون معه مقية هناك لحفظه ، لانه عدى يوم الاثنين لاحدى عشرة خلت منه في أربع عشاريات وأربع عشرة بغلة من بغال النقل ، وفي جميع من معه من خاصته وحرمه الى سجن يوسف عليه السلام ، وأقام هناك يومين وليتين ، الى أن عاد الرمادية الخارجون الى السجن بالتائب والمضاحك والحكايات والسماجات ،

فَفَعَلَ مِنْهُمْ وَاسْتَظَرُّهُمْ ، وَعَادَ إِلَى قَصْرِه
بِكُرَّةٍ يَوْمَ الْآرْبَعَاءِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْهُ .

وأقام أهل الأسواق نحو الأسبوعين
يضرقون الشوارع بالخيال والساجات
والتماثيل ، ويطلقون إلى القاهرة بذلك
ليناخذهم أمير المؤمنين ، ويعودون ومعه
جبل قد كتب لهم : ألا يعارض أحد منهم في
ذهابه وعوده ، وأن يعتمد أكرامهم وصياتهم .

ولم يزالوا على ذلك الى أن تكامل
جسيمهم . وكان دخولهم من سجن يوسف
يوم السبت لأربع عشرة بقية من جمادى
الأولى ، ونسقوا السوارع بالحكايات
والساجات والتنايل ، فتمطل الناس في ذلك
اليوم عن أشغالهم ومعايشهم . واجتمع في
الأسواق خلق كثير لنظرهم ، وظل الناس
أكثر هذا اليوم على ذلك .

وأطلق لجمعهم ثمانية آلاف درهم ،
وكانوا اثني عشر سوفا ، ووزلوا مبرورين .

وبخارج مدينة الجيزة موضع يعرف بأبي
حريرة ، فيظن من لا علم له أنه أبو حريرة
الصحابي ، وليس كذلك ، بل هو منسوب
إلى ابن أخته * .

ذكر قرية نرسا

قال القساعى : وذكر أن القاسم بن عبيد الله بن الحجاب ، عامل هشام بن عبد الملك على خراج مصر ، بنى في الجيزة قرية تعرف بترسا .

(*) ص ۷۰، ج ۱، ط. بولاق =

والقاسم هذا خرج الى مصر وولى الخلافة
عن ابيه عبيد الله بن الجبابر السلولى على
الخراج فى خلافة هشام بن عبد الملك . ثم
أمره هشام على خراج مصر حين خرج أبوه
الى اماره افرقية فى سنة ست عشرة ومائة ،
فلم يزل الى سنة أربع وعشرين ومائة ، فنزع
عن مصر . وجمع لحنس بن الوليد عربيا
وعجميا ، فصار يلى الخراج والصلاات معا .
وبترسا هذه كانت وقعة هارون بن محمد
الجمدى .

ذكر منية النبوة

هي إحدى قرى الجيزة ، عرفت بأندونة
 كاتب أحمد المدايني الذي كان يتقلد ضياع
 موسى بن بفا التي بمصر ، فقبض أحمد بن
 طولون على أندونة هذا — وكان نصرايا —
 فأخذ منه خمسين ألف دينار .

ذکر وسیم

قال ابن عبد الحكم : وخرج عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر الى وسيم ، وكانت لرجل من القبط ، فسأل عبد الله أن يأتيه الى منزله ويجعل له مائة ألف دينار . فخرج اليه عبد الله بن عبد الملك .

وقيل انما خرج عبد الله الى قرية أبي النمرس مع رجل من الكتاب يقال له ابن حنظلة . فأتى عبد الله العزل وولاية قره بن

شريك وهو هناك . فلما بلغه ذلك قام ليلبس سراويله قلبه منكوسا .

وقيل ان عبد الله لما بلغه العزل ، رد المال على صاحبه وقال : قد عزلنا .

وكان عبد الله قد ركب معه الى المدينة ، وعدى أصحابه قبله وتأخر ، فورد الكتاب بمنزله فقال صاحب المال : والله لا بد أن تشرف منزلي ، وتكون ضيفي ، وتاكل طعامي . والله لا عاد لي شيء من ذلك ، ولا أدعك متصرفا . فعدى معه .

ذكر منية عقبة

هذه القرية بالجيزة عرفت بعقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه .

قال ابن عبد الحكم : كتب عقبة بن عامر الى معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما يسأله أرضا يترفق فيها عند قرية عقبة ، فكتب له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع ، فقال له مولى له كان عنده : انظر أصلحك الله أرضا سالحة .

فقال عقبة : ليس لنا ذلك ، ان في عهدهم شروطا ستة : منها ألا يؤخذ من أرضهم شيء ، ولا من ثيابهم ولا من أولادهم ، ولا يزاد عليهم ، ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم . وأنا شاهد لهم بذلك .

وفي رواية : كتب عقبة الى معاوية يسأله تقيعا في قرية يبنى فيها منازل ومساكن ، فأمر له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع ، فقال له

موااليه ومن كان عنده : انظر الى أرض تعجبك فاخط فيها وابتن .

فقال : انه ليس لنا ذلك . لهم في عهدهم ستة شروط : منها ألا يؤخذ من أرضهم شيء ، ولا يزاد عليهم ، ولا يكلفوا غير طاعتهم ، ولا تؤخذ ذرارهم ، وأن يقاتل عنهم عدوهم من ورائهم .

قال أبو سعيد بن يونس : وهذه الأرض التي اقتطعها عقبة هي المنية المعروفة بمنية عقبة في جيزة فسطاط عمر : عقبة بن عامر بن عيسى بن عمرو بن عدى بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدى بن غنم بن الربعة بن رشدان ابن قيس بن جهينة . كذا نسب أبو عمرو الكندى .

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر : عقبة ابن عامر بن حسن الجهنى من جهينة بن زيدا ابن مسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاة - وقد اختلف في هذا النسب - يكنى أبا حماد ، وقيل أبا أسد ، وقيل أبا عمرو ، وقيل أبا سعاد ، وقيل أبا الأسود .

وقال خليفة بن خياط : وقتل أبو عامر عقبة ابن عامر الجهنى يوم النهروان شهيدا ، وذلك سنة ثمان وثلاثين . وهذا غلط منه ، وفي كتابه بعد : وفي سنة ثمان وخسين توفي عقبة ابن عامر الجهنى .

قال : سكن عقبة بن عامر مصر ، وكان واليا عليها ، وابتنى بها دارا ، وتوفي في آخر خلافة معاوية . روى عنه من الصحابة جابر وابن عباس وأبو امامة ومسلمة بن مخلد ، وأما رواه من التابعين فكثير .

وقال الكندى : ثم وليها عقبة بن عامر من قبل معاوية ، وجعل له صلاتها وخراجها ، فجعل على شرطه حادا . وكان عقبة قارئاً فقيها فريضاً شاعرا ، له الهجرة والصحة السابقة . وكان صاحب بئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء الذي يقودها في الأسفار . وكان صرف عقبة عن مصر بمسلة ابن مخلد ، لعشر بقين من ربيع الأول سنة أربعين . فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر .

وقال ابن يونس : توفي بمصر سنة ثمان وخمسين ، ودفن في مقبرتها بالمقطم . وكان يخضب بالسواد ، رحمه الله تعالى .

ذكر حلوان

يقال انها تنسب الى حلوان بن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس ملك مصر بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . وكان حلوان هذا بالشام على مقدمة أبرهة ذى المنار أحد التباينة .

قال ابن عبد الحكم : وكان الطاعون قد وقع بالفسطاط ، فخرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط فنزل بحلوان داخلا في الصحراء في موضع منها يقال له أبو قرقورة ، وهو رأس العين التي احتفرها عبد العزيز بن مروان وساقها الى نخيله التي غرسها بحلوان .

فكان ابن خديج يرسل الى عبد العزيز في كل يوم بخبر ما يحدث في البلد من موت

(*) ص ٢٠٨ ج ١ ، ط . بولاق .

وغيره ، فأرسل اليه ذات يوم رسولا قائما فقال له عبد العزيز : ما اسمك ؟ فقال : أبو طالب .

فنقل ذلك على عبد العزيز وغازه . فقال له عبد العزيز : أسألك عن اسمك فتقول أبو طالب ! ما اسمك ؟ فقال : مدرك ... فتناول بذلك .

ومرض في مخرجه ذلك ومات هنالك ، فحمل في البحر يراد به الفسطاط حتى تغير ، فأنزل في بعض خصوص ساحل مريس ففعل فيه وأخرجت من هنالك جنازته ، وخرج معه بالمجامر فيها العود لما كان قد تغير من ريحه .

وأوصى عبد العزيز أن يمر بجنازته اذا مات على منزل جناب بن مرثد بن زيد بن هانيء الرعيني صاحب حره - وكان صديقا له ، وقد توفي قبل عبد العزيز - فمر بجنازته على باب جناب ، وقد خرج عيال جناب وليس السواد ووقفن على الباب صائحات ثم اتبعنه الى المقبرة .

وكان لنصيب من عبد العزيز تاحية ، فقدم عليه في مرضه فأذن له ، فلما رأى شدة مرضه أنشأ يقول :

وتزور سيدنا وسيد غيرنا
ليت التشكى كان بالمواد

لو كان يقبل قدية لفديته
بالمصطفى من طارف وتلادى

فلما سمع صوته فتح عينيه وأمر له بألف دينار . واستبشر بذلك آل عبد العزيز وفرحوا به ، ثم مات .

وقتل الكندي : ووقع الطاعون بمصر في سنة سبعين ، فخرج عبد العزيز بن مروان منها إلى الشرقية متديبا ، فمزل حلوان قاعيت ، فاحتجها وسكتها . وجعل بها الحرس والأعوان والشرط ، فكان عليهم جناب بن مرثد بملوان .

وبنى عبد العزيز بملوان الدور والمساجد ، وعمرها لحسن عبارة ولحمكها ، وغرس نخلا وكرما ، فقال ابن قيس الرقيات :

سقا لملوان ذى الكروم وما

صنف من نينه ومن عنبه

نخل موافق بالقاء من الـ

سيرنى بحر ثم فى سره

أسود سكا الحام فا

يفك غرابا على رطب

ولما غرس عبد العزيز نخل حلوان وأظم ، دخله والجند له ، فجعل يطوف فيه ويقف على غروبه وساقبه ، فقال يزيد بن عروة الجبلى : ألا قلت أيها الأمير كما قال العبد الصالح : ما شاء الله لا قوة الا بالله !

فقال : تذكرتى ، شكرا يا غلام ، قل لايتلى زيد فى عتائه عشرة دنانير .

عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى أبو الأصبح ، أمه ليلى ابنة زهران بن الأصبح السكندى . روى عن أبى هريرة وصبة بن عامر الجنى ، وروى عنه على بن رباح ويحيى بن داخره وعبد الله بن

مالك الخولاني وكعب بن علقمة ، ووقفه السامى وابن سعد .

ولما سار أبوه مروان إلى مصر ، بعثه فى جيش إلى أيلة لينزل مصر من تلك الناحية ، فبعث إليه ابن جندب أمير مصر بجيش عليهم زهير بن قيس البلوى ، فقتل عبد العزيز يمشق - وهى سطح عقبة أيلة - فقاتله فانهزم زهير ومن معه .

فلما غلب مروان على مصر فى جمادى الآخرة سنة خمس وستين ، جعل صلاتها وخراجها إلى ابنه عبد العزيز بعد ما أقام بمصر شهرين ، فقال عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، كيف أقيم ببلد ليس به أحد من بنى أبى ؟

فقال له مروان : يا بنى ، عنهم بإحصائهم يكونوا كهم بنى أيلك ، واجمل وجهك مقلنا تصنف لك مودتهم ، وأوقع إلى كل رئيس منهم أنه خاصتك دون غيره ، يكن لك عينا على غيره ، وينقاد قومه إليك . وقد جعلت معك أخاك بشرا مؤنسا ، وجعلت لك موسى ابن نصير وزيرا ومشيئا . وما عليك يا بنى أن تكون أميرا بقصى الأرض ، أليس ذلك أحسن من الخلاق بابك وخمورك فى منزلك ؟

وأوصاه عند مخرجه من مصر إلى الشام فقال : أوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وعلايته ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . وأوصيك ألا تجعل لداعى الله عليك سبيلا ، فإن المؤذن يدعو إلى فريضة افترضها الله ، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا . وأوصيك ألا تعد الناس موعدا

الا أنفذته لهم ، وإن حلتبه على الأسنة . وأوصيك ألا تجعل فى نبي من الحكم حتى تستشير ، فإن الله لو أغنى أحدا عن ذلك لأغنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن ذلك بالوحي الذى يأتيه ... قال الله عز وجل : « وشاورهم فى الأمر » .

وخرج مروان من مصر لاهلال رجب سنة خمس وستين ، فوليها عبد العزيز على صلاتها وخراجها .

وتوفى مروان لاهلال رمضان ، وبويع ابنه عبد الملك بن مروان ، فأقر أخاه عبد العزيز . ووفد على عبد الملك فى سنة سبع وستين ، وجعل على الحرس والخيال والأعوان جناب ابن مرثد الرعيني ، فاشتد سلطانه . وكان الرجل إذا أغلظ لعبد العزيز وخرج ، تناوله جناب ومن معه فضربوه وجسوه .

وعبد العزيز أول من عرف بمصر فى سنة احدى وسبعين ... قال يزيد بن أبى حبيب : أول من أحدث القعود يوم عرفة فى المسجد بعد العصر عبد العزيز بن مروان .

وفى سنة اثنتين وسبعين ، صرف بمث البحر إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير ، وجعل عليهم مالك بن شرحبيل الخولاني ، وهم ثلاثة آلاف رجل فيهم عبد الرحمن بن بجنس مولى ابن ايزى ، وهو الذى قتل ابن الزبير .

وخرج إلى الاسكندرية فى سنة أربع وسبعين ، ووفد على أخيه عبد الملك فى سنة خمس وسبعين ، وهدم جامع القسطنطين كله ، وزاد فيه من جوانبه كلها فى سنة سبع وسبعين ، وأمر بضرب الدنانير المنقوشة .

(١٤) من ٢٠٦ - ١٠٦ ، طبع بولاق .

وقال ابن عفير : كان لعبد العزيز ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره . وكانت له مائة جفنة يطاف بها على القبائل تحمل على العجل .

وكتب عبد الملك إليه أن ينزل له عن ولاية المهدي لمحمد إلى الوليد وسليمان ، فأبى ذلك وكتب إليه : أن يكن لك ولد فلنا أولاد ، ويقضى الله ما يشاء .

فغضب عبد الملك ، فبعث إليه عبد العزيز يعلى بن رباح يترضاه . فلما قدم على عبد الملك ، استعطفه على أخيه ، فشكا عبد الملك وقال : فرق الله بينى وبينه .

فلم يزل به على حتى رضى ، فقدم على عبد العزيز فأخبره عن عبد الملك وعن حاله ، ثم أخبره بدعوته فقال له : أفعل ؟ أنا والله مفارقه ، والله ما دعا دعوة قط الا أجيب .

وكان عبد العزيز يقول : قدمت مصر فى امرأة مسلمة بن مغلد ، فتزيت بها ثلاث أمانى فأدركتها : تزيت ولاية مصر ، وأن أجعل بين امرأتى مسلمة ، ويحجبنى قيس بن كليب حاجبه .

فتوفى مسلمة ، وقدم مصر فوليها ، وحجبه قيس ، وتزوج امرأتى مسلمة .

وتوفى ابنه الأصبح بن عبد العزيز تسع بقين من ربيع الآخر سنة ست وثمانين . فمرض عبد العزيز ، وتوفى ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين . فحمل فى النيل من حلوان إلى القسطنطين فدفن بها .

وقال ابن أبي مليكة : رأيت عبد العزيز بن مروان حين حضره الموت يقول : ألا ليتني لم ألك شيئا مذكورا ، ألا ليتني كاتبته من الأرض أو كراني إلى في طرفه الحجاز .

ولما مات لم يوجد له مال فاض إلا سبعة آلاف دينار ، وحلوان والقيصرية ، ونياب بعضها مرقوع ، وخيل ، ورقيق . وكانت ولايته على مصر عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما ، ولم يلقها في الإسلام قبله أطول ولاية منه .

وكان يحلوان في النيل معدية من صوان تعدى بالخيل ، تحل فيها الناس وغيرهم من البر الشرقي يحلوان إلى البر الغربي . فلما كان

وهذا من الأسرار التي في الخليقة . فإن جميع الأجسام المعدنية ، كالحديد والنحاس والفضة والرصاص والذهب والتصدير ، إذا عمل من شيء منها اثناء يسع من الماء أكثر من وزنه فإنه يسوم على وجه الماء ، ويحصل ما يسكنه ولا يترق .

وما يرح المسافرون في بحر الهند - إذا أظلم عليهم الليل ولم يروا ما يهديهم من الكواكب إلى معرفة الجهات - يعملون حديدة مجوفة على شكل سمكة ويملأونها في رقبتهما جهد للتفرد ، ثم يسيل في فم السمكة شيء من مخاطيس جيدا ، ويحك فيها بالمخاطيس ، فإن السمكة إذا وضعت في الماء دارت واستقبلت القطب الجنوبي فيها ، واستدبرت القطب الشمالي ، وهذا أيضا من أسرار الخليقة .

فإذا عرفوا جهتي الجنوب والشمال ، تخرج منهما المشرق والمغرب ، فإن من استقبل الجنوب فقد استدبر الشمال وصار المقرب عن يمينه والمشرق عن يساره . فإذا تحدثت الجهات الأربع ، عرفوا مواقع البلاد بها ، فيتصدون حينئذ جهة الناحية التي يريدونها .

ذكر مدينة العرش

العرش مدينة فيما بين أرض فلسطين وأقليم مصر . وهي مدينة قديمة من جملة المدن التي لتخت بعد الطوفان .

قال الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه عن مصريين بن مصر بن حام بن نوح عليه السلام : وكان غلاما مرفها ، فلما قرب من مصر بنى له عرشا من أنصان الشجر وستره بحشيش الأرض . ثم بنى له بعد ذلك في هذا الموضع مدينة وسما درسان (أي باب الجنة) . فزرعوا وغرسوا الأشجار والجنان من درسان إلى البحر ، فكانت كلها زروعا وجنانا وعسارة .

وقال آخر : أنا سميت بذلك لأن يصير ابن حام بن نوح تحصل في ولده ، وهم أربعة ومهم أولادهم ، فكانوا ثلاثين ما بين ذكر وأشي . وقدم ابنه مصر بن يصير أمامه نحو أرض مصر حتى خرج من حد الشام ، فتأهوا وسقط مصر في موضع العرش - وقد استند بحبه - وقام ، فرأى قائلا يشره بحصوله في أرض ذات خير وفر ومملك وفخر . فاتبه فرعا ، فإذا عليه عرش من

(١١٠ ص ١١٠ ج ١ طبرستان)

المرافى الشجر ، وحوله عيون ماء . فحمد الله وسأله أن يجعله بأبيه وأخوته ، وأن يبارك له في أرضه ، فاستجيب له ، وقادهم الله إليه فنزلوا إلى العرش وأقاموا به . فأخرج الله لهم من البحر دواب ما بين خيل وحمر وبقر وغنم وإبل ، فساقوها حتى أتوا موضع مدينة منف فنزلوه ، وبنا فيها قرية سميت بالقبطية مائة (يعني قرية ثلاثين) .

فقت ذرية مصر حتى عسروا الأرض وزرعوا ، وكثرت مواشيهم . وظهرت لهم المعادن ، فكان الرجل منهم يستخرج القطعة من الزبرجد يسيل منها مائدة كبيرة ، ويخرج من الذهب ما تكون القطعة منه مثل الأسطوانة ، وكالبحر الرابض .

وقال ابن سعيد عن اليماني : كان دخول أخوة يوسف وأبويه عليهم السلام عليه بمدينة العرش ، وهي أول أرض مصر ، لأنه خرج إلى تلقيتهم حتى نزل المدينة بطرف سلطانه . وكان له هناك عرش - وهو سرير السلطنة - فجلس أبويه عليه . وكانت تلك المدينة تسمى في القديم بمدينة العرش لذلك ، ثم سماها العامة مدينة العرش فقلب لذلك عليها .

وقال انه كان ليوسف عليه السلام حرس في أطراف أرض مصر من جميع جوانبها . فلما أصاب الشام القحط ، وسارت أخوة يوسف لتتار من مصر ، أقاموا بالعرش . وكتب صاحب الحرس إلى يوسف : إن أولاد يتقرب الكنعاني يريدون البلد لقحط نزل

بهم . فمسل أخوة يوسف عند ذلك عرشا يستظلون به من الشمس حتى يعود الجواب ، فمسي الموضع المرش . وكتب يوسف بالأذن لهم ، فكان من شأنهم ما قد ذكر في موضعه .

ويقال للعرش الح ... فهذا كما ترى . وابن وصيف شاه أعرف بأخبار مصر .

وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة ، طرقت عبد الله بن إدريس الجعفي العرش بمعاونة بني الجراح ، وأحرقها وأخذ جميع ما فيها .

وقال القاضي الفاضل : وفي جنادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، ورد الخبر بأن نخل العرش قطع الفرج أكثره وحلوا جذوعه إلى بلادهم ، وملئت منه ، ولم يجدوا مخاطبا على ذلك .

ونقل عن ابن عبد الحكم أن الجفاري بأجمعه كان أيام فرعون موسى في غاية العسارة بالمياه والقسوى والسكان ، وأن قول الله تعالى : « ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » عن هذه المواضع ، وأن العسارة كانت متصلة منه إلى اليمن ، ولذلك سميت العرش عرشا .

وقيل انها نهاية التخوم من الشام ، وإن إليه كان ينتهي رعاة إبراهيم الخليل عليه السلام بسواشيه ، وأنه عليه السلام اتخذ به عرشا كان يجلس فيه حتى تحلب مواشيه بين يديه ، فمسي العرش من أجل ذلك .

وقيل إن مالك بن دعر بن حجر بن جذيلة ابن لخم كان له أربعة وعشرون ولدا ، منهم

العرش من مالك ، وبه سبت العرش لاه
زل بها وبناها مدينة .

وعن كعب الأحبار أن بالعرش قبور
عشرة أنبياء .

ذكر مدينة القرماء

قال البكري : القرماء — بفتح أوله وتانيه
مدود على وزن فعلاء وقد يقصر — مدينة
تلقا مصر .

وقال ابن خالويه في كتاب « ليس » :
القرما هذه سبت بأخي الاسكتندر ، كان
يسمى القرماء ، وكان كافرا . وهي قرية أم
لساعيل بن ابراهيم . انتهى .

ويقال اسمه القرماء بن فيلقوس ، ويقال فيه
ابن فليس ، ويقال بليس . وكانت القرماء على
شط بحيرة تيس ، وكانت مدينة خصباء ،
وبها قبر جالينوس الحكيم .

وبني بها المشوكل على الله حصنا على
البحر ، تولى بناءه عتبة بن اسحاق أمير
مصر في سنة تسع وثلاثين ومائتين عندما بنى
حصن دياط وحصن تيس ، وأثقف فيها مالا
عظيما .

ولما فتح عمرو بن العاص عين شمس أهدى
الى القرماء أربعة من الصباح ، فصالحه
أهلها على خمسمائة دينار هرقلية وأربعمائة
ثاقه وألف رأس من الفم ، فرحل عنهم الى
البقارة .

وفي سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة زل الروم
عليها ، ففتر الناس اليهم وقتلوا منهم رجلا .

ثم زلوا في جادى الأولى سنة تسع وأربعين
وثلاثمائة ، فخرج اليهم المسلمون واخذوا
منهم مركبا ، وقتلوا من فيه وأسرؤا عشرة .

وقال اليعقوبى : القرماء أول مدن مصر من
جهة الشمال ، وبها أخلاط من الناس . وبينها
وبين البحر الأخضر ثلاثة أميال .

وقال ابن الكندي : ومنها القرماء ، وهي
أكثر عجائب ، وأقدم آثارا . ويذكر أهل مصر
أنه كان منها طريق الى جزيرة قبرس في
البر ، فغلب عليها البحر . ويقولون أنه كان
فيما غلب عليه البحر مقطع الرخام الألبق ،
وأن مقطع الأبيض بلوية .

وقال يحيى بن عثمان : كنت أربط في
القرما ، وكان بينها وبين البحر قريب من يوم ،
يخرج الناس والمرابطون في أشخاص على
الساحل ، ثم علا البحر على ذلك كله .

وقال ابن قديد : وجه ابن المدير — وكان
بتيس — الى القرماء في هدم أبواب من
حجارة شرقى الحصن لاحتاج أن يعمل منها
جيرا . فلما قلع منها حجر أو حجران خرج
أهل القرماء بالسلاح لفتحوا من قلعتها وقالوا :
هذه الأبواب التي قال الله فيها على لسان
يعقوب عليه السلام : « يا بني ، لا تدخلوا من
باب واحد ودخلوا من أبواب متفرقة » .

والقرما بها النخل العجيب الذي يثمر حين
ينقطع البر والرطب من سائر الدليا ،
فيتبدى هذا الرطب من حين يلد النخل في
الكوائن ، فلا ينقطع أربعة أشهر حتى يجىء
البلح في الربيع . وهذا لا يوجد في بلد من

(١٠) من ١١١ ج ١ ط ١٠٠٠

البلدان ، لا بالبصرة ، ولا بالحجاز ، ولا
باليمن ، ولا بغيرها من البلدان . ويكون في
هذا البر ما وزن البصرة الواحدة فوق
العشرين درهما ، وفيه ما طول البصرة نحو
الشبر والفرس .

وقال ابن المأمون البطائحي في حوادث سنة
تسع وخمسمائة : ووصلت النجابتون من والى
الشرقية تخبر بأن بغدوين ملك الفرنج وصل
الى أعمال القرماء .

فسير الأفضل بن أمير الجيوش للوقت الى
والى الشرقية بأن يسير المركزية والمقطعين
بها ، وسير الراجل من العطوفية ، وأن يسير
الوالى بنفسه بعد أن يتقدم الى العربان
بأسرهم بأن يكونوا في الفوالج ، ويطاردوا
الفرنج ، ويشارفهم بالليل قبل وصول
المساكر اليهم ... فاعتمد ذلك .

ثم أمر باخراج الخيام وتجهيز الأصحاب
والحواسي .

فلما تواصلت المساكر وتقدمها العربان ،
وطاردوا الفرنج ، وعلم بغدوين ملك الفرنج
أن المساكر متواصلة اليه ، وتحقق أن الإقامة
لا تمكنه ، أمر أصحابه بالنهب والتخرب
والاحراق ، وهدم المساجد ، فأحرق جامعها
ومساجدها وجميع البلد ، وعزم على الرحيل ،
فأخذه الله سبحانه وتعالى ، وعجل بنفسه الى
النار . فكنتم أصحابه موته ، وصاروا بعد
أن شقوا بطن بغدوين وملاؤه ملحا حتى بقى
الى بلاده ، فدفنوه بها .

وأما المساكر الاسلامية ، فانهم شنوا
الغارات على بلاد العدو ، وعادوا بعد أن
خيماوا على ظاهر عسقلان .

وكتب الى الأمير ظهير الدين مقصدك
— صاحب دمشق — بأن يتوجه الى بلاد
الفرنج . فسار الى عسقلان ، وحلت اليه
الضيافات .

وطولع بغبر وصوله فأمر بعمل الخيام
وعدة وافرة من الخيل والكسوات والبثود
والأعلام وسيف ذهب ومنطقة ذهب وطوق
ذهب وبذلة طقم وخيعة كبيرة مكحلة ومرتبة
ملوكية وفرشها وجميع آلاتها وما تحتاج اليه
من آلات الفضة .

وسير برسم شمس الخواص — وهو مقدم
كبير — خلعة مذهبة ومنطقة ذهب وسيف .

وسير برسم الميزين من الواصلين خلع
وسيوف . وسلم ذلك بثبت لأحد الحجاب ،
وسير معه فراشان برسم الخيام .

وأمر بضرب الخيمة الكبيرة وفرشها ، وأن
يركب والى عسقلان ، وظهير الدين وشمس
الخواص وجميع الأمراء الواصلين والمقيمين
بعسقلان الى باب الخيمة ويقبلوه ، ثم الى
بساطها والمرتبة المنصوبة ، ثم يجلس والى
وظهير الدين وشمس الخواص والمقدمون
ويثقف الناس بأجمعهم اجلالا وتعظيما .
ويخلع على الأمير ظهير الدين وشمس
الخواص ، وتشد المناطق في أوساطهما ،
ويقلدا بالسيوف ، ويخلع بعددها على
الميزين ، ثم يسير ظهير الدين والمقدمون
بالتشريف والأعلام والرايات المسيرة اليهم ،
الى أن يصلوا الى الخيام التي ضربت لهم .
فإذا كان كل يوم يركب والى والأميران
والمقدمون والمساكر الى الخيمة الملوكية ،

وتفاوضون قيبا يجب من تذيير العساكر ...
فامتثل ذلك .

وتواصلت القنارات على بلاد العدو ،
واسروا وقتلوا . فسيرت اليهم الخلع ثانيا ،
وجعل لشمس الخواص خاصة في هذه السفرة
عشرة آلاف دينار ، وتسلم ظهير الدين الخيمة
الكبيرة بما فيها . وكان تقدير ما حصل له
ولأصحابه ثلاثين ألف دينار . وبلغ المنفق في
هذه التوبة وعلى ذهاب يندوين وهلاكه مائة
ألف دينار .

وفي شهر رجب سنة خمس وأربعين
وخمسائة نزل الفرنج على القرم في جسر
كبير وأحرقوها ونهبوا أهلها .

وآخر أمرها أن الوزير شاور خربها لما
خرج منها متوليا ملهم أخو الفرغام في سنة
... . فاستمرت خرابا لم تضر بعد ذلك .

وكان بالقرم والبقارة والورادة عرب من
جذام يقال لهم القاطع ، وهو جرى بن عوف
ابن مالك بن شوءة بن بديل بن جشم بن
يخذا ، منهم عبد العزيز بن الوزير بن صابى
ابن مالك بن عامر بن عدى بن حرش بن بقر
ابن نصر بن القاطع ، مات في صفر سنة خمس
ومائتين .

وللسروى والجروى هنا أخبار كثيرة نبهنا
عليها في كتاب « عقد جواهر الأسفاط في
أخبار مدينة القسطنطين » .

وقال ابن الكندي : وجا مجمع البحرين ،
وهو البرزخ الذى ذكره الله عز وجل فقال :
« مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا
يبغيان » ، وقال : « وحصل بين البحرين

حاجزا » ، وهذا بحر الروم وبحر الصين ،
والحاجز بينهما مسيرة ليلة ما بين القلزم
والقرم . وليس يتقاربان في بلد من البلدان
أقرب منهما بهذا الموضع ، وبينهما في السفر
مسيرة شهر .

ذكر مدينة القلزم

القلزم - يضم القاف وسكون اللام وضم
الزاي وميم - بلدة كانت على ساحل بحر
اليمن في أقصى من جهة مصر . وهى كورة
من كور مصر ، واليه ينسب بحر القلزم ،
وبالقرب منها غرق فرعون ، وبينها وبين مدينة
مصر ثلاثة أيام .

وقد خربت ، وبصرف اليوم موضعها
بالسويس تجاه عجرود .

ولم يكن بالقلزم ماء ولا شجر ولا زرع ،
وانما يحمل الماء إليها من آبار بعيدة . وكان
بها فريضة مصر والشام ، ومنها تحصل
الحمولات الى الحجاز واليمن .

ولم يكن بين القلزم وفاران قرية ولا
مدينة . وهى لخل يسير فيه صيادو السمك .
وكذلك من فاران وجيلان الى أيلة .

قال ابن الطور : والبلد المعروف بالقلزم
أكثرها باق الى اليوم . ويراهن الراكب السائر
من مصر الى الحجاز .

وكانت في القديم ساحلا من سواحل الديار
المصرية . ورأيت شيئا من حبابه من جهة
مستخديه في حواصل القصر وما ينفق على

(*) من ٢١٢ ج ١ ، ط ١ بولاق .

واله وقاصيه ودائمه وخطيه والأجناس
المركزين به لحفظه وقربه وجامعه ومساجده ،
وكان مسكونا مأهولا .

قال المسيحي في حوادث سنة سبع ومائتين
وثلاثمائة : وفي شهر رمضان سامح أمير
المؤمنين الحاكم بأمر الله أهل مدينة القلزم ما
كان يؤخذ من مكوس المراكب .

وقال ابن خرداذبة عن التجار : فيركبون في
البحر الغربي ، ويخرجون بالقرماء ويحملون
تجاراتهم على الظهر الى القلزم - وبينهما
خسة وعشرون فرسخا - ثم يركبون البحر
الشرقي من القلزم الى تجار جدة ، ثم يمشون
الى الهند والصين . ومن القلزم ينزل
الناس في بيرة وصحراء ست مراحل الى أيلة ،
ويتزودون من الماء لهذه المراحل الست .

ويقال ان بين القلزم وبحر الروم ثلاث
مراحل ، وان ما بينهما هو البرزخ الذى ذكره
الله تعالى بقوله « بينهما برزخ لا يبغيان » .

التيه

هو أرض بالقرب من أيلة ، بينهما عقبة
لا يكاد الراكب يصعدا لصعوبتها ، الا أنها
مهلت في زمان خسارويه بن أحمد بن
طولون . ويسير الراكب مرحلتين في محض
التيه هذا حتى يوافي ساحل بحر فاران ،
حيث كانت مدينة فاران ، وهناك غرق
فرعون .

والتيه مقدار أربعين فرسخا في مثلها ، وفيه
تاه بنو اسرائيل أربعين سنة ، لم يدخلوا

مدينة ولا أووا الى بيت ، ولا بدلوا لوبا .
وفيه مات موسى عليه السلام .

ويقال ان طول التيه نحو من ستة أيام .

واتفق أن المالك البحرية لما خرجوا من
القاهرة هارين ، في سنة اثنين وخمسين
وسمائة ، مر طائفة منهم بالتيه فتأهوا فيه
خسة أيام ، ثم تراءى لهم في اليوم السادس
سواد على بعد ، فتصدوه فإذا مدينة عظيمة
لها سور وأبواب كلها من رخام أخضر ،
فدخلوا بها وطافوا بها فإذا هى قد غلب عليها
الرمال حتى طم أسواقها ودورها . ووجدوا
بها أوانى وملابس ، وكانوا اذا تناولوا منها
شيئا تناثر من طول البلى . ووجدوا في صنية
بعض البازين تسعة دنائير ذهبا ، عليها صورة
غزال وكتابة عبرانية ، وحفروا موضعا ، فإذا
حجر على صهريج ماء فثربوا منه ماء أبرد من
الثلج .

ثم خرجوا ومشوا ليلة ، فإذا بطائفة من
الريان فحملوهم الى مدينة الكرك . فدفعوا
الدنائير لبعض الصيارفة ، فإذا عليها أنها
ضربت في أيام موسى عليه السلام ، ودفع لهم
في كل دينار مائة درهم .

وقيل لهم ان هذه المدينة الخضراء من مدن
بنى اسرائيل ، ولها طوفان رمل يزيد تارة
وينقص أخرى ، لا يراها الا تائه . والله أعلم .

ذكر مدينة دمياط

اعلم أن دمياط كورة من كور أرض مصر
بينها وبين تيس اثنا عشر فرسخا .

ويقال سبت دمياط من ولد أشمن بن
مصرام بن يعصر بن حمام بن نوح عليه
السلام

ويقال ان ادريس عليه السلام كان اول ما
أقول عليه ذو القوة والجبروت : أنا الله مدين
المدائن ، القلك بأمرى وصنى ، أجمع بين
العذب والملح والتار والتلج ، وذلك بقدرته
ومكنون علمى الدال والميم والألف والطاء

قيل هم بالسريانية دمياط ، فتكون دمياط
كلمة سريانية أصلها دمت : أى القدرة ، إشارة
الى مجمع العذب والملح

وقال الأستاذ ابراهيم بن وصيف شاه :
دمياط بلد قديم بنى في زمن قليمون بن أتريب
ابن قبطيم بن مصرام على اسم غلام كانت
أمه ساحرة لقليمون .

ولما قدم المسلمون الى أرض مصر ، كان
على دمياط رجل من أخوال المقوقس يقال له
الهاموك . فلما افتتح عمرو بن العاص مصر ،
امتنع الهاموك بدمياط واستعد للحرب ، فأخذ
إليه عمرو بن العاص المقداد بن الأسود في
طائفة من المسلمين ، فحاربهم الهاموك ، وقتل
إبنه في الحرب ، فعاد الى دمياط ، وجمع إليه
أصحابه فاستشارهم في أمره .

وكان عنده حكيم قد حضر الشورى .
فقال : أيها الملك ، ان جوهر العقل لا قيمة
له ، وما استغنى به أحد الا هداه الى سبيل
التور والنجاة من الهلاك ، وهؤلاء * العرب
من بدء أمرهم لم ترد لهم راية ، وقد فتحوا
البلاد وأذلوا العباد ، وما لأحد عليهم قدرة ،

(٥) من ٢١٢ جزء ١ طبع بولاق

ولسنا بأشد من جيوش الشام ولا أعز
وأمنع . وان القوم قد أيدوا بالنصر والظفر .
والرأى ان تمقد مع القوم صلحا تسال به
الأمن وحقق الدماء وصيانة الحرم ، فما أنت
بأكثر رجالا من المقوقس .

فلم يعبا الهاموك بقوله ، وغضب منه
مقتله . وكان له ابن عارف عاقل ، وله دار
ملاصقة للسور ، فخرج الى المسلمين في الليل
ودلهم على عورات البلد ، فاستولى المسلمون
عليها وتمكنوا منها . وبرز الهاموك للحرب ،
فلم يتسعر بالمسلمين الا وهم يكبرون على
سور البلد وقد ملكوه . فعندما رأى شطا بن
الهاموك المسلمين فوق السور ، لحق بالمسلمين
ومعه عدة من أصحابه . فقت ذلك في عضد
أبيه واستأمن للمقداد . فقتل المسلمون
دمياط ، واستخلف المقداد عليها ، وسير
خبر الفتح الى عمرو بن العاص .

وخرج شطا - وقد أسلم - الى البرلس
والدميرة وأشموم طناح ، فحشد أهل تلك
التواحي وقدم بهم مددا للمسلمين وعونا لهم
على عدوهم .

وسار بهم مع المسلمين لفتح تنيس ، فبرز
لأهلها وقاتلهم قتالا شديدا حتى قتل رحمه
الله في المعركة شهيدا ، بعد ما أنكى فيهم وقتل
منهم ، فحصل من المعركة ودفن في مكانه
المعروف به خارج دمياط . وكان قتله في ليلة
الجمعة النصف من شعبان ، فلذلك صارت
هذه الليلة من كل سنة موسما يجتمع الناس
فيها من التواحي عند شطا ويضيئونها ، وهم
على ذلك الى اليوم .

وما زالت دمياط بيد المسلمين الى أن نزل
عليها الروم في سنة تسعين من الهجرة فأسروا
خالد بن كيسان - وكان على البحر هناك -
وسيروه الى ملك الروم ، فأنقذه الى أمير
المؤمنين الوليد بن عبد الملك من أجل الهدنة
التي كانت بينه وبين الروم .

فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك تازل
الروم دمياط في ثلثائة وستين مركبا ، فقتلوا
وسبوا ، وذلك في سنة احدى وعشرين
ومائة .

ولما كانت الفتنة بين الأخوين محمد الأمين
وعبد الله المأمون ، وكانت الفتن بأرض مصر ،
طمع الروم في البلاد ، ونازلوا دمياط في أعوام
بضع ومائتين .

ثم لما كانت خلافة أمير المؤمنين المتوكل
على الله ، وأمير مصر يومئذ غيبة بن
اسحاق ، نزل الروم دمياط يوم عرفة من سنة
ثمان وثلاثين ومائتين ، فملكوها وما فيها ،
 وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين ، وسبوا
النساء والأطفال وأهل الذمة . فنفروا اليهم
غيلة بن اسحاق يوم النحر في جيشه ، وتمر
كثير من الناس اليهم فلم يدركوهم . ومضى
الروم الى تنيس فأقاموا بأشتومها ، فلم
يجمعهم غيلة ، فقال يحيى بن الفضل
للمتوكل :

أترضى بأن يوطأ حريصك غوة
وأن يستباح المسلمون ويحربوا

حمار أئى دمياط والروم وثب
بتنيس رأى العين منه وأقرب

مقيمون بالأشتوم ينفون مثل ما
أصابوه من دمياط والحرب تروى

فما رام من دمياط شبرا ولا درى
من المعجز ما يأتى وما يتجيب
فلا تنسنا انا بدار مضية

بصر ، وان الدين قد كاد يذهب
فأمر المتوكل ببناء حصن دمياط ، فابتدىء
في بنائه يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر
رمضان سنة تسع وثلاثين ، وأنشأ من حينئذ
الأسطول بصر .

فلما كان في سنة سبع طرق الروم دمياط في
نحو مائتى مركب ، فأقاموا يعيشون في
السواحل شهرا وهم يقتلون ويأسرون ،
وكانت للمسلمين معهم معارك .

ثم لما كانت الفتن بعد موت كافور
الاخشيدي ، طرق الروم دمياط لعشر خلون
من رجب سنة سبع وخسين وثلثائة في بضع
وعشرين مركبا ، فقتلوا وأسروا مائة وخمسين
من المسلمين .

وفي سنة ثمان وأربعمائة ، ظهر بدمياط
سكة عظيمة طولها مائتان وستون ذراعا ،
وعرضها مائة ذراع . وكانت حير الملح تدخل
في جوفها موسوقة فتفرغ وتخرج ، ووقف
خمسائة رجل في قحفها ومعهم الجاريف
يجرفون الشحم ويناولونه الناس ، وأقام أهل
تلك التواحي مدة طويلة يأكلون من لحمها .

وفي أيام الخليفة الفائز بنصر الله عيسى ،
والوزير حينئذ الصالح طلائع بن وزيك ، نزل

على دمياط نحو ستين مركبا في جمادى
لأخرة سنة خمسين وخمسمائة بمث بها لوجيز
ابن رجا وصاحب سقاية ، فعاثوا وقتلوا ،
وئزوا تيس ورشيد والامكندرية ، فاكثروا
فيها الفساد .

ثم كانت خلافة العاضد لدين الله في وزارة
شاور بن بجير السعدي - الوزارة الثانية -
عندما حضر ملك الفرنج مري الى القاهرة
وحصرها ، وقرر على أهلها المال ، واحترقت
مدينة القسطنطين ، فنزل على تيس واشموم
ومنية غمر ، وصاحب أسطول الفرنج في
عشرين ثولة ، فقتل وأسر وسبي .

وفي وزارة الملك الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب للماضد ، وصل الفرنج الى
دمياط في شهر ربيع الأول سنة خمس وستين
 وخمسمائة ، وهم فيما يزيد على ألف
ومائتي مركب . فخرجت المراكب من
القاهرة ، وقد بلغت النفقة عليهم زيادة على
خمسمائة ألف وخمسين ألف دينار . فأقامت
الحرب مدة خمسة وخمسين يوما ، وكانت
صعبة شديدة . واتهم في هذه النوبة عدة من
أعيان المصريين بمساعدة الفرنج ومكائبتهم ،
وقبض عليهم الملك الناصر وقتلهم .

وكان سبب هذه النوبة أن الفرز لما قدموا
الى مصر من الشام صعبة أسد الدين
شيركوه ، تحرك الفرنج لغزو ديار مصر
خشية من تمكن الفرز بها ، فاستمدوا اخوانهم
أهل سقاية فأمدوهم بالأموال والصلاح ،
وسقوا اليهم بمدة وافرة . فساروا بالديابات
والعافيق ، وئزوا على دمياط في صفر

في جمادى الأولى ، فلهذا يروى

- وهم في العدة التي ذكرنا من المراكب -
وأحاطوا بها بحرا وبراً . فبعث السلطان بابن
أخيه تقي الدين عمرو ، وأبجعه بالأمير شهاب
الدين الحارثي في المراكب الى دمياط ،
وأمدهما بالأموال والميرة والصلاح . واشتد
الأمر على أهل دمياط وهم ثابتون على محاربة
الفرنج .

فسير صلاح الدين الى نور الدين محمود
ابن زنكي صاحب الشام يستجده ، ويعلمه
بأنه لا يمكن الخروج من القاهرة الى لقهاء
الفرنج خوفا من قيام المصريين عليه .

فجهز اليه المراكب شيئا بعد شيء ، وخرج
نور الدين من دمشق بنفسه الى بلاد الفرنج
التي بالساحل وأغار عليها واستباحها .

فبلغ ذلك الفرنج وهم على دمياط ، فخافوا
على بلادهم من نور الدين أن يتمكن منها ،
فرحلوا عن دمياط في الخامس والعشرين من
ربيع الأول ، بعد ما غرق لهم نحو الثلثمائة
مركب ، وقتل رجالهم بفساء وقع فيهم ،
وأحرقوا ما تقل عليهم حمله من المنجنيقات
وغيرها .

وكان صلاح الدين يقول : ما رأيت أكرم
من العاضد ... أرسل الى مدة مقام الفرنج
على دمياط ألف ألف دينار ، سوى ما أرسله
الى من الثياب وغيرها .

وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، وقعت
المقاتلة على البرجين ، وشدت مراكب الى
السلسلة ليقاتل عليها ويدافع عن الدخول من
بين البرجين ، ورم شعث سور المدينة ومدت
ثلمة ، وأتقت السلسلة التي بين البرجين ...



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأئمة
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثنى ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٢ قروش

خَطُّ الْمُقْرِئِ

بسم الله

١١



كتاب
التحرير

« كانت مصر هي مستط رأسى . ولعلب أتراب . ومجمعنا .

وسوطن فخاصتى وعاصمتى . وجنودى الذى رى جناحى فى وكرو . وعشر مارى ، وما
تهوى الانفس غير ذكره . لا زلت منذ شذوت العالم . واتانى رب الفطاة والمهم . أعرب فى
سفرة أضرارنا . وأهب الإشراف على الإغتراف من آباءنا . والعوى من

فبلغت النخلة على ذلك ألف ألف دينار .
واعتبر السور ، فكان قياسه أربعة آلاف
وستمئة وثلاثين ذراعا .

وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، أمر
السلطان بقطع أشجار بساتين دمياط وحفر
خندقها ، وعمل جسر عند سلسلة البرج .

وفي سنة خمس عشرة وستمئة ، كانت
واقعة دمياط العظمى . وكان سبب هذه
الواقعة أن الفرنج في سنة أربع عشرة وستمئة
تتابعت أمدادهم من رومية الكبرى مقر البابا
ومن غيرها من بلاد الفرنج . وساروا الى
مدينة عكا فاجتمع بها عدة من ملوك الفرنج ،
وتعاقدوا على قصد القدس وأخذوا من أيدي
المسلمين ، فصاروا بعكا في جمع عظيم .

وبلغ ذلك الملك أبا بكر بن أيوب ، فخرج
من مصر في العساكر الى الرملة . فبرز الفرنج
من عكا في جموع عظيمة . فسار العادل الى
يسان ، فقصدته الفرنج فخافهم لكثرتهم وقلة
عسكره ، فأخذ على عقبه فيق يريد دمشق .

وكان أهل يسان وما حولها قد اطمأنوا
لنزول السلطان هناك ، فأقاموا في أماكنهم .
وما هو الا أن سار السلطان ، وإذا بالفرنج قد
وضعوا السيف في الناس ، ونهبوا البلاد ،
فحازوا من أموال المسلمين ما لا يحصى كثرة ،
وأخذوا يسان وبانياس وسائر القرى التي
هناك . وأقاموا ثلاثة أيام ، ثم عادوا الى مرج
عكا بالغنائم والسبي ، وهلك من المسلمين
خلق كثير . فاستراح الفرنج بالمرج أياما ، ثم
عادوا ثانيا ونهبوا صيدا والشقيف ، وعادوا
الى مرج عكا فأقاموا به .

وكان ذلك كله فيما بين النصف من شهر
رمضان وعيد الفطر ، والملك العادل مقيم بمرج
الصفير ، وقد سير ابنه المعظم عيسى بعسكر
الى نابلس لمنع الفرنج من طروقها والوصول
الى بيت المقدس .

فنازل الفرنج قلعة الطور سبعة عشر يوما
ثم عادوا الى عكا .

وعزموا على قصد الديار المصرية فركبوا
بجموعهم البحر ، وساروا الى دمياط في صفر
فنزّلوا عليها يوم الثلاثاء رابع ربيع الأول سنة
خمس عشرة وستمئة - الموافق لثمان
حزيران - وهم نحو السبعين ألف فارس
وأربعمائة ألف راجل . فخيّموا تجاه دمياط في
البر الغربي ، وحفروا على عسكرهم خندقا ،
وأقاموا عليه سورا .

وشرعوا في قتال برج دمياط ، فانه كان
برجا منيعا فيه سلاسل من حديد غلاظ تمد
على النيل لتمنع المراكب الواصلة في البحر
الملح من الدخول الى ديار مصر في النيل .

وذلك أن النيل اذا انتهى الى فسطاط مصر
مر عليه في ناحية الشمال الى شطوف ، فاذا
صار الى شطوف انقسم قسمين : أحدهما
يمر في الشمال الى رشيد فيصب في البحر
الملح ، والشرط الآخر يمر من شطوف الى
جوجر . ثم يتفرق من عند جوجر فرقتين :
فرقة تمر الى أشموم فتصب في بحيرة تنيس ،
وفرقة تمر من جوجر الى دمياط فتصب في
البحر الملح هناك . وتصير هذه الفرقة من
النيل فاصلة بين مدينة دمياط والبر الغربي .

وهذا البر الغربي من دمياط يعرف بجزيرة دمياط ، يحيط بها ماء النيل والبحر الملح . وفي مدة إقامة الفرنج بهذا البر الغربي ، عملوا الآلات والمرايس ، وأقاموا أبراجا يزحفون بها * في المراكب الى برج السلسلة ليلسكوه ، فانهم اذا ملكوه تمكنوا من العبور في النيل الى القاهرة ومصر .

وكان هذا البرج مشحونا بالمقاتلة ، فتحل الفرنج عليه ، وعملوا برجا من الصواري على بسطة كبيرة ، وأقلعوا بها حتى استدوها اليه وقتلوا من به حتى أخذوه .

فبلغ زول الفرنج على دمياط الملك الكامل - وكان يخلف أباه الملك العادل على ديار مصر - فخرج بن معه من العساكر في ثالث يوم من وقوع الطائر بخبر زول الفرنج لخس خلون منه ، وأمر والى الغربية بجمع العربان ، وسار في جمع كبير .

وخرج الأسطول فأقام تحت دمياط ، ونزل السلطان بن معه من العساكر بمنزلة العادلية قرب دمياط . وامتدت عساكره الى دمياط لتضع الفرنج من السور . والقتال ممتد ، والبرج متنع مدة أربعة أشهر . والعادل يسير العساكر من البلاد الثمانية شيئا بعد شيء ، حتى تكاملت عند الملك الكامل .

واهتم الملك لتزول الفرنج على دمياط واشتد خوفه ، فرحل من مرج الصفر الى علفين ، فقتل به المرض ومات في سابع جمادى الآخرة . فكنم الملك المعظم عيسى موته ، وحمله في محفة وجعل عنده خادما وطيبيا

(*) ص ٢١٥ ج ١ ط ١ بولاق .

راكبا الى جانب المحفة ، والشرابدار يصلح الشراب وحمله الى الخادم فيشره ، ويوهم الناس أن السلطان شره ، الى أن دخلوا به الى قلعة دمشق ، وصارت اليها الخزائن والبيوتات ، فأعلن بموته وتسلم ابنه الملك المعظم جميع ما كان معه ، ودفنه بالقلعة ، ثم نقله الى مدرسة العادلية بدمشق .

وبلغ الملك الكامل موت أبيه وهو بمنزلة العادلية قرب دمياط ، فاستقل بمملكة ديار مصر .

واشد الفرنج وألحوا في القتال ، حتى استولوا على برج السلسلة ، وقطعوا السلاسل المتصلة به لتجوز مراكبهم في بحر النيل ويتمكنوا من البلاد . فنصب الملك الكامل بدل السلاسل جيرا عظيما لمنع الفرنج من عبور النيل ، فقاتلت الفرنج عليه قتالا شديدا الى أن قطعوه .

وكان قد أُنق على البرج والجسر ما ينيف على سبعين ألف دينار .

وكان الكامل يركب في كل يوم عدة مرار من العادلية الى دمياط لتدبير الأمور ، واعمال الحيلة في مكيدة الفرنج . فأمر الملك الكامل أن يفرق عدة من المراكب في النيل حتى تمنع الفرنج من سلوك النيل . فعصد الفرنج الى خليج هناك يعرف بالأزرق ، كان النيل يجري فيه قديما ، فحفروه وعتقوا حفره ، وأجروا فيه الماء الى البحر الملح . وأصعدوا مراكبهم فيه الى بورة على أرض جزيرة دمياط ، مقابل المنزلة التي بها السلطان ليقاقلوه من هناك . فلما صاروا في بورة جاءوه وقتلوه في الماء ،

وزحفوا اليه عدة مرار فلم يظفروا منه بطائل .

ولم يتغير على أهل دمياط شيء ، لأن الميرة والأمداد متصلة اليهم ، والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج ، وأبواب المدينة مفتحة ، وليس عليها من الحصر ضيق ولا ضرر ، والعربان تتخطف الفرنج في كل ليلة بحيث امتعوا من الرقاد خوفا من غاراتهم .

فلما قوى طمع العرب في الفرنج حتى صاروا يخطفونهم لهارا ، ويأخذون الخيم بن فيها ، أكنم الفرنج لهم عدة كمناء وقتلوا منهم خلقا كثيرا . وأدرك الناس الشتاء ، وهاج البحر على مخيم المسلمين وغرقهم ، فعمم البلاء وتزايد الغم .

والبحر الفرنج في القتال ، وكادوا أن يملكوا ، فبعث الله ريحا قطعت مراسي مرمة الفرنج - وكانت من عجائب الدنيا - فمرت الى بر المسلمين فأخذوها ، فاذا هي مصفحة بالحديد لا تعمل فيها النار ، ومساحتها خمسمائة ذراع ، فكسروها فاذا فيها مصامير زنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلا .

وبعث الكامل الى الآفاق سبعين رسولا ، يستجد أهل الاسلام لنصرة المسلمين ، ويخوفهم من غلبة الفرنج على مصر . فساروا في شوال ، وأتته النجدات من حماة وحلب .

وبينا الناس في ذلك ، اذ طمع الأمير عماد الدين أحمد ابن الأمير سيف الدين أبي الحسين على بن أحمد الهكاري المعروف بابن المشطوب في الملك الكامل عندما بلغه موت الملك العادل . وكان له ليف ينقادون اليه

ويطيعونه ، وكان أميرا كبيرا مقدما عظيما في الأكراد الهكارية ، وافر الحرمة عند الملوك ، معدودا بينهم مثل واحد منهم . وكان مع ذلك عالي الهمة ، غزير الجود ، واسع الكرم ، شجاعا ، أبي النفس ، تهابه الملوك ، وله الوقائع المشهورة . وهو من أمراء دولة صلاح الدين يوسف .

فاتفق مع جماعة من الجند والأكراد على خلع الملك الكامل ، وإقامة أخيه الملك الفائز ابراهيم ليصير له الحكم . ووافق الأمير عز الدين الحميدى ، والأمير أسد الدين الهكاري ، والأمير مجاهد الدين وجماعة من الأمراء .

فلما بلغ ذلك الملك الكامل ، دخل عليهم وهم مجتمعون والمصحف بين أيديهم ليحلفوا للفائز . فلما رأوه اتضوا ، فخشى على نفسه فخرج .

فاتفق وصول صاحب صفى الدين بن سكر من آمد الى الملك الكامل ، فانه كان استدعاء بعد موت أبيه ، فلتقاء وأكرمه وذكر له ما هو فيه ، فضمن له تحصيل المال . فلما كان في الليل ركب الملك الكامل وتوجه من العادلية في جريدة الى أشموم طناح ، فنزلها .

وأصبح العسكر بغير سلطان ، فركب كل منهم هواه ، ولم يعطف الأخ على أخيه ، وتركوا أثقالهم * وخيامهم وأموالهم وأسلحتهم ، ولحقوا بالسلطان . فبادر الفرنج في الصباح الى مدينة دمياط ، ونزلوا البر الشرقي يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة

(*) ص ٢١٦ ج ١ ط ١ بولاق .

غير متزع ولا متفزع ، وأخذوا سائر ما كان
في سكر المسلمين وكان شيب لا يحيط به
الوصف . ودخل السلطان وهم عظيم ، وكاد
أن يغرق البلاد ، فانه تخيل من جميع من
معه .

وانتد ضح الفرنج في أرض مصر كلها ،
وخشوا أنهم قد ملكوها ، إلا أن الله سبحانه
وتعالى أثبت المسلمين ، وثبت السلطان .
وولاه أخوه الملك العظيم أشموم شاح فانتد
به أزروه وقوى جيشه ، وانطلق على ما كان من
ابن المشطوب ، فوجدته بإزاحة ما يكره .

ثم إن العظيم ركب إلى خيمة ابن المشطوب
واستأذنه للركوب معه ومسيره ، فاستقبله
حتى جلس خفيه وثياب الركوب فلم يمهله
وأعجبه .

فركب معه وسأله حتى خرج به من
المسكر الكامل ، ثم قال له : يا عباد الدين ،
هذه البلاد لك ، واشتري أن تهبنا لنا . وأعطاه
قنقة ، وسلمه إلى جماعة من أصحابه يشق
بهم ، وقال لهم : أخرجوه من الرمل ، ولا
تدركوه حتى يخرج من الشام .

فلم يسمع ابن المشطوب إلا امتثل ما قال
العظيم . لأنه منه بغرده ولا قدرة له على
المناعة . فساروا به إلى حاة ، ثم مضى منها
إلى الشرق .

ولما شيع الملك العظيم ابن المشطوب ، رجع
إلى الملك الكامل ، وأمر أخاه القائد إبراهيم
أن يسير إلى ملوك الشام في رسالة عن أخيه
الملك الكامل لاستئذنه في قتال الفرنج .
فمضى إلى دمشق ، وأخرج منها إلى حاة فمات

بما مسوما على ما قيل ، فثبت للملك الكامل
أمر الملك ، وسكن روجه .

هذا والفرنج قد أحاطوا بدمياط برا
وبحرا ، وأحرقوا وضيقوا على أهلها ، ومنعوا
القوت من الوصول إليهم ، وحرقوا على
عسكرهم المحيط بدمياط خندقا ، وبنوا عليه
سورا . وأهل دمياط يقتلونهم أشد القتال ،
وسامعوتهم ، وقد غلت عندهم الأسعار لقلة
الأقوات .

ثم إن العظيم قارق الملك الكامل ، وسار
إلى بلاد الشام . وأقام الكامل لمحاربة الفرنج
واستدب سائل - أحد الجاندارية في
الركاب - للدخول إلى دمياط ، فكان يسبح
في الماء ويصل إلى أهل دمياط فيعدهم
بوصول النجدة . فحظي بذلك عند الكامل ،
وتقرب منه حتى علمه وإلى القاهرة ، وإليه
سب خزنة سائل بتهمة

فلم يزل الحال على ذلك إلى أن دخلت سنة
ست عشرة ، فجهز الملك المنصور محمد بن
عبد بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حاة ابنه
مظفر تقي الدين محمودا إلى مصر ، نجدة
لحمه الملك الكامل على الفرنج ، في جيش
كثيف . فوصل إلى العسكر ، وتلقاه الملك
الكامل وأولاه في مينة العسكر منزلة آية
وجده عند السلطان صلاح الدين يوسف .
فأبحر الفرنج في القتال ، وكان بدمياط نحو
العشرين ألف مقاتل ، فهكمتهم الأمراض ،
ونك عنهم الأسعار حتى بلغت بيضة
الحاجة تندهم عدة دنائير .

والحافظ عبد العظيم المنذرى : سمعت
الشيخ أبي الحسن علي بن فضل يقول : كان

لبعض بني خيار بقرة فذبحوها وباعوها في
الحصار ، فجاءت ثمانمائة دينار .

وقال في «المعجم المترجم» : سمعت الأمير
أبا بكر بن حسن بن خروام يقول : كنت
بدمياط في حصار العدو بها ، فبيع السكر
بها بمائة وأربعين دينارا الرطل ، والدجاجة
بثلاثين دينارا .

قال : واشترت ثلاث دجاجات بتسعين
دينارا ، والراوية بأربعين درهما ، والقبر يحمر
بأربعين مثقالا . وأخذت أختي جملا فشقت
بجوده وملاته دجاجة وفاكة وبقلا وغير ذلك ،
وخاطته ورمته في البحر ، وكتبت إلى تقول قد
فعلت كذا فإذا رأيتم جملا ميتا فخذوه ، فوقع
لنا ليلا فأخذناه ، وكان فيه ما يساوي جملة ،
ففرقته على الناس . ثم عمل بعد ذلك ثلاثة
جمال على هيئة ، ففطن لها الفرنج فأخذوها .

وامتلأت مساكنهم وطرقات البلد من
الموتى ، وعذمت الأقوات ، وصار السكر
كغزة الياقوت ، وقفلت اللحوم فلم يقدر
عليها بوجه ، وآلت بهم الحال إلى أن لم يبق
بها سوى قليل من القمح والشعير فقط .

فتصور الفرنج وأخذوا منه البلد في يوم
الثلاثاء لخمس بقين من شعبان ، وكانت مدة
الحصار ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما .

ولما أخذوا البلد وضعوا السيف في الناس ،
فتجاوزوا الحد في القتل ، وأسرفوا في مقدار
القتلى . وبلغ ذلك السلطان ، فرحل بعد
أخذ دمياط بيومين ، ونزل قبالة طلخا على
رأس بحر أشموم ورأس بحر دمياط ، وحيز
في المنزلة التي صار يقال لها المنصورة .

وحصن الفرنج أسوار دمياط ، وجعلوا
الجامع كنيسة ، وبنوا سراياهم في القرى
فقتلوا ونهبوا . وسير السلطان الكتب إلى
الأناق ليستحث الناس على الحضور لدفع
الفرنج عن ملك مصر ، وشرع العسكر في بناء
الدور والقنادق والحمامات والأسواق بمنزلة
المنصورة .

وجهر الفرنج من أسروه من المسلمين في
البحر إلى عكا ، وأخرجوا من دمياط وأزالوا
السلطان تجاه المنصورة ، وصار يسهم وبينه
بحر أشموم وبحر دمياط . وكان الفرنج في
مائتي ألف راجل وعشرة آلاف فارس .

فقدم المسلمون شوانيمهم أمام المنصورة
وعدتها مائة قطعة ، واجتمع الناس من القاهرة
ومصر وسائر النواحي من أسوان إلى
القاهرة . ووصل الأمير حاتم الدين يونس ،
والفقيه تقي الدين أبو الطاهر محمد بن
الحسن بن عبد الرحمن المحلي ، فأخرجوا
الناس من القاهرة ومصر ، ونودي بالتفريق
العام . وأخرج الأمير علاء الدين جلدك وجمال
الدين بن صيرم لجبع الناس فيما بين القاهرة
إلى آخر الحوف الشرقي ، فاجتمع عالم لا
يقع عليه حصر .

وأرسل السلطان على ناحية شرماسح ألف
فارس في آلاف من المربان ، ليحولوا بين
الفرنج ودمياط . وسارت الشوانى ومعهما
حراقة كبيرة على رأس بحر المحلة ، وعليها
الأمير بدر الدين بن حسون ، فانقطعت الميرة
عن الفرنج من البر والبحر . وسارت عساكر

المسلمين من الشرق والشام الى الديار المصرية .

وكان قد خرج الفرنج من داخل البحر لمدد الفرنج على دمياط ، فقدم منهم أمم لا تحصى يريدون التوغل في أرض مصر . فلما تكاملوا بدمياط ، خرجوا منها في حدهم وحديدهم ، ونزلوا تجاه الملك الكامل كما تقدم . فقدمت النجيدات يقدمها الملك الأشرف موسى بن العادل ، وعلى ساقها الملك المعظم عيسى ، فقتلهم الملك الكامل ، وأنزلهم عنده بالمنصورة في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة .

وتتابع مجيء الملوك ، حتى بلغت عدة فرسان المسلمين نحو أربعين ألف فارس ، فعاربوا الفرنج في البر والبحر ، وأخذوا منهم ست شواني وجمالة وبطة ، وأسروا من الفرنج اثنين ومائتين ، ثم ظفر المسلمون بثلاث قطائع آخر .

فتضعف الفرنج لذلك ، وضاق بهم المقام ، فبعثوا يطلبون الصلح ، فقدم عند مجيء رسلهم أهل الاسكندرية في ثمانية آلاف مقاتل . وكان الذي طلب الفرنج القدس وعسقلان وطبرية وجبله واللاذقية ، وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين يوسف من الساحل ، ليرحلوا عن ديار مصر .

فبذل المسلمون لهم سائر ما ذكر من البلاد خلا مدينة الكرك والشوبك ، فامتنع الفرنج من الصلح وقالوا : لا بد من أخذهم الكرك والشوبك ، ومبلغ ثلثائة ألف دينار ، عوضا عما خربه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق من أسوار القدس .

وكان المعظم لما مات أبوه العادل ، واستولى الفرنج على دمياط ، ونزلوا الملك الكامل قبالة المنصورة ، خاف أن يصل منهم في البحر من يأخذ القدس ، ويحصنوا به ، فأمر بتخريب أسواره ، وكانت أسواره وأبراجه في غاية العظيمة والمنعة ، فأتى الهدم على جميعها ما خلا برج داود . وانتقل أكثر الناس من القدس ، ولم يبق به الا القليل . ونقل المعظم ما كان بالقدس من الأسلحة والآلات .

فامتنع المسلمون من اجابة الفرنج الى ذلك وقتلوه ، وعبر جماعة من المسلمين في بحر المحلة الى الأرض التي عليها الفرنج ، وحفروا مكانا عظيما في النيل — وكان في قوة الزيادة — فركب الماء أكثر تلك الأرض وصار حائلا بين الفرنج ومدينة دمياط .

وانحصروا ، فلم يبق لهم سوى طريق ضيقة ، فأمر السلطان للوقت بنصب الجسور عند أشوم طنح ، فمرت العساكر عليها ، وملكت الطريق التي يسلكها الفرنج الى دمياط اذا أرادوا الوصول اليها . فاضطربوا ، وضاعت عليهم الأرض .

واتفق مع ذلك وصول مرمة عظيمة للفرنج في البحر حولها عدة حراقات تحميها ، وقد ملئت كلها بالميرة والأسلحة ، فقاتلتهم شواني المسلمين وظفرها الله بهم فأخذها المسلمون .

وعندما علم الفرنج ذلك أيقنوا بالهلاك . وصار المسلمون يرمونهم بالنشاب ويحملون على أطرافهم . فهدموا حينئذ خيامهم ومجانيقهم ، وألقوا فيها النار ، وهموا بالزحف على المسلمين ومقاتلتهم ليخلصوا الى دمياط ، فحال بينهم وبين ذلك كثرة الوحل

والمياه الراكبة على الأرض . وخشوا من الإقامة لقلة أقواتهم ، فذلوا وسألوا الأمان على أن يتركوا دمياط للمسلمين .

فاستشار السلطان في ذلك ، فاختلف الناس عليه : فمنهم من امتنع من تأمين الفرنج ، ورأى أن يؤخذوا عنوة ، ومنهم من جنح الى إعطائهم الأمان خوفا ممن وراءهم من الفرنج في الجزائر وغيرها . ثم اتفقوا على الأمان ، وأن يعطى كل من الفريقين رهائن . فقرر ذلك في تاسع شهر رجب سنة ثمان عشرة .

وسير الفرنج عشرين ملكا رهنا عند الملك الكامل ، وبعث الملك الكامل بابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب وجماعة من الأمراء الى الفرنج .

وجلس السلطان مجلسا عظيما لقدم ملوك الفرنج ، وقد وقف اخوته وأهل بيته بين يديه ، وصار في أبهة وناموس مهيب .

وخرج قسوس الفرنج ورهبانهم الى دمياط ، فسلموها للمسلمين في تاسع عشره ، وكان يوم تسليمها يوما عظيما .

وعندما تسلم المسلمون دمياط وصارت بأيديهم ، قدمت نجدة في البحر للفرنج ، فكان من جميل صنع الله تأخرها حتى ملكت دمياط بأيدي المسلمين ، فانها لو قدمت قبل ذلك لقوى بها الفرنج ، فان المسلمين وجدوا مدينة دمياط قد حصنها الفرنج وصارت بحيث لا ترام .

ولما تم الأمر ، بعث الفرنج بولد السلطان وأمرائه اليه ، وسير اليهم السلطان من كان عنده من الملوك في الرهن ، وتقررت الهدنة

بين الفرنج والمسلمين مدة ثمانى سنين . وكان ما وقع الصلح عليه أن كلا من المسلمين والفرنج يطلق ما عنده من الأسرى . وحلف السلطان واخوته ، وحلفت ملوك الفرنج . وتفرق الناس الى بلادهم ، ودخل الملك الكامل الى دمياط باخوته وعساكره ، وكان يوم دخوله اليها من الأيام المذكورة .

ورحل الفرنج الى بلادهم ، وعاد السلطان الى مقر ملكه . وأطلقت الأسرى من ديار مصر ، وكان فيهم من له من أيام السلطان صلاح الدين يوسف . وسارت ملوك الشام بمساكرها الى بلادها .

وعت بشارة أخذ المسلمين مدينة دمياط من الفرنج سائر الآفاق ، فان التتر كانوا قد استولوا على ممالك الشرق ، فأشرف الفرنج على أخذ ديار مصر من أيدي المسلمين .

وكانت مدة نزول الفرنج على دمياط ، الى أن أقبلوا عنها سائرين الى بلادهم ، ثلاث سنين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوما ، منها مدة استيلائهم على مدينة دمياط سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرون يوما .

فلما كان في سنة ست وأربعين وستائة ، حدث بالسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد ورم في مأبضه تكون منه ناصور فتح وعمر برؤه ، فعرض من ذلك ، وانضاف اليه قرحة في الصدر ، فلزم الفراش ، الا أن علو همة اقتضى ميره من ديار مصر الى الشام .

فسار في محفة ولزل بقلعة دمشق ، فورد عليه رسول الامبراطور ملك الفرنج الألمانية

(*) سنة ٦١٨ هـ ، ط ١٠٠٠

بجزيرة صقلية في هيئة تاجر ، وأخبره سرا بأن بواش الذي يقال له « رواد فرنس » عازم على السير الى أرض مصر وأخذها .

فثار السلطان من دمشق وهو مريض في محفة ، ونزل بأشوم طاح في الحرم سنة سبع وأربعين ، وجع في مدينة دمياط من الأقوات والأزواد والأسلحة وآلات القتال شيئا كثيرا ، خوفا أن يجري على دمياط ما جرى في أيام آية ، فأخذت بغير ذلك .

ولما نزل السلطان بأشوم ، كتب الى الأمير حسام الدين أبي علي بن أبي علي الهدياني - قائم بديار مصر - أن يجهز الأسطول من صناعة مصر . فشرع في الاهتمام بذلك ، وشحن الأسطول بالرجال والصلاح وسائر ما يحتاج اليه ، وسيره شيئا بعد شيء .

وجهر السلطان الأمير فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ ومعه الأمراء والمساكر ، فنزل بحيرة دمياط من برها الغربي ، وصار النيل بينه وبينها .

فلما كان في الساعة الثانية من نهار الجمعة تسع بقين من صفر ، وردت مراكب الفرنج البحرين ، وفيها جموعهم العظيمة ، وقد انضم اليهم فرنج الساحل ، وأرسوا بأزاء المسلمين . وبعث ملكهم الى السلطان كتابا فيه :

« أما بعد ، فإنه لم يخف عليك أنى أمين الأمة الميسورية ، كما أنه لا يخفى على أنك أمين الأمة المحمدية . وغير خاف عليك أن عندنا أهل جزائر الأندلس وما يحملونه إلينا من الأموال والهدايا ، ونحن نسوقهم سوق البقر ، ونقتل منهم الرجال ونزمل النساء ،

ونتأسر البنات والمسيان ، ونخلى منهم الديار .

« وأنا قد أبديت لك ما فيه الكفاية ، وبذلت لك النصح الى النهاية . فلو حلفت لي بكل الأيمان ، وأدخلت على الأقساء والرهبان ، وحملت قدامى النسخ طاعة للصليان ، لكنت واملا اليك ، وقاتلك في أعز البقاع اليك .

« فاما أن تكون البلاد لي ، فيأهنية حصلت في يدي ، واما أن تكون البلاد لك والغلبة على ، فيدك العليا ممتدة الى .

« وقد عرفتك وحذرتك من عساكر حضرت في طاعتي تملأ السهل والجبل ، وعددهم كعدد الحصى ، وهم مرسلون اليك بأسيايف القضاء .

فلما قرىء الكتاب على السلطان ، وقد اشتد به المرض ، بكى واسترجع . فكتب القاضي بهاء الدين زهير بن محمد الجواب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين . أما بعد ، فإنه وصل كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك ، فنحن أرباب السيوف ، وما قتل منا فرد الا جددناه ، ولا بقى علينا باغ الا دمرناه .

« ولو رأت عينك أيها المفرور حد ميوفنا ، وعظم حروينا ، وفتحنا منكم الحصون والسواحل ، وتخربنا ديار الأواخر منكم والأوائل ، لكان لك أن تعض على أناملك بالندم ، ولا بد أن نزل بك القدم ، في يوم

أوله لنا وآخره عليك . فهناك نرى القنوق ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

« فاذا قرأت كتابي هذا ، فتكون فيه على أول سورة النحل « أتى أمر الله فلا تستمجلوه » وتكون على آخر سورة ص « ولتملن بياء بعد حين » ، ونمود الى قول الله تعالى وهو صدق القائلين « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين » وقول الحكماء : ان الباغي له مصرع . وبنيك يصرك ، والى البلاء يتليك . والسلام .

وفي يوم السبت ورد الفرنج وضربوا خيامهم في أكثر البلاد التي فيها عساكر المسلمين ، وكانت خيمة الملك رواد فرانس حراء . فتأوهم المسلمون القتال ، واستشهد يومئذ الأمير نجم الدين يوسف ابن شيخ الاسلام ، والأمير صارم الدين أربك الوزيرى .

فلما أمسى الليل ، رحل الأمير فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ بمساكر المسلمين جينا وصلفا ، وسار بهم في بر دمياط ، وسار الى جهة أشوم طاح . فضاف من كان في مدينة دمياط ، وخرجوا منها على وجوههم في الليل لا يلتفتون الى شيء ، وتركوا المدينة خالية من الناس ، ولحقوا بالمسكر في أشوم وهم حفاة عرايا ، جياع حيارى ، بن معهم من النساء والأولاد ، وسروا هاربين الى القاهرة فأخذ منهم قطاع الطريق ما عليهم من الثياب * وتركوهم عرايا .

فشنت القالة على الأمير فخر الدين من كل أحد ، وعد جميع ما نزل بالمسلمين من

١١١١ ج ١ ، ط ١١١١

البلاء بسبب هزيمته ، فإن دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والأزواد العظيمة والأسلحة وغيرها ، خوفا أن يصيبها في هذه المدة ما أصابها في أيام الكامل ، فإنه ما أتى عليها ذلك الا من قلة الأقوات بها ، ومع ذلك امتنعت من الفرنج أكثر من سنة حتى فنى أهلها كما تقدم ، ولكن الله يفعل ما يريد .

ولما أصبح الفرنج يوم الأحد لسبع بقين من صفر ، قصدوا دمياط ، فاذا أبواب المدينة مفتحة ، ولا أحد يدفع عنها ، فظنوا أن ذلك مكيدة ، وتسلوا حتى ظهر لهم خلوها فدخلوا اليها من غير مانع ولا مدافع ، واستولوا على ما بها من الأسلحة العظيمة وآلات الحرب والأقوات الخارجة عن الحد في الكثرة والأموال والأمتعة ، صفوا بغير كلفة ، فأصيب الاسلام والمسلمون ببلاء لولا لطف الله لمحي اسم الاسلام ورسمه بالكلية .

وازعج الناس في القاهرة ومصر ازعاجا عظيما لما نزل بالمسلمين مع شدة مرض السلطان وعدم حركته . واما السلطان فإنه اشتد حنقه على الأمير فخر الدين وقال : أما قدرت أنت والعساكر أن تقفوا ساعة بين يدي الفرنج ، وأقام عليه القيامة ، لكن الوقت لم يكن يسع غير الصبر والاغضاء . وغضب على الكتائين الذين كانوا بدمياط ووبخهم فقالوا : ما فعل اذا كانت عساكر السلطان بأجمعهم وأمرؤه هربوا وأخربوا الزردخانة ... كيف لا نهرب نحن ؟

فأمر بشنقهم لكونهم خرجوا من دمياط بغير اذن . وكانت عدة من شق من الأمراء الكتانية زيادة على خمسين أميرا في ساعة

ولعدة ، ومن جعلتهم أمير جسيم له ابن جيل . سأل أن يشق قبل ابنه ، فأمر السلطان أن يشق ابنه قبله ، فشق الابن ثم الأب .

وقال أن شق هؤلاء كان بفتوى الفقهاء . فعاف جماعة من الأمراء وهبوا بالقيام على السلطان ، فأشار عليهم الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ بأن السلطان على خطة ، فإن مات فقد كُتِبَ أمره ، والا فهو بين أيديكم . وأخذ السلطان في إصلاح سور المنصورة ، وانتقل إليها لخمس بقين من صفر ، وجعل السائر على السور . وقتلت الشوانى إلى تجاه المنصورة وفيها المدد الكاملة ، وشرع المعسكر في تجديد الأبنية هناك ، وقدم من العربان وأهل النواحي ومن المطوعة خلق لا يحصى عددهم ، وأخذوا في الإغارة على الفرنج . فلما الفرنج أسوار مدينة دمياط بالمقاتلة والآلات .

فلما كان أول ربيع الأول ، قدم إلى القاهرة من أسرى الفرنج الذين تخططهم العربان ستة وثلاثون ، منهم فارسان . وفي خالص ربيع الآخر ورد منهم تسعة وثلاثون . وفي سابعه ورد اثنان وعشرون أسيرا . وفي سادس عشره ورد خمسة وأربعون أسيرا ، منهم ثلاثة خيالة . وفي ثامن عشر جمادى الأولى ورد خمسون أسيرا .

هذا ، ومرض السلطان بترديد ، وقواه تناقص ، حتى أيس الأطباء منه .

وفي ثالث عشر رجب ، قدم إلى القاهرة سبعة وأربعون أسيرا ، وأحد عشر فارسا ،

وعظم المسلمون بسطح للفرنج في البحر فيه مقاتلة بالقرب من سترأوة .

فلما كانت ليلة الأحد لأربع عشرة مضت من شعبان ، مات الملك الصالح بالمنصورة ، فلم يظهر موته ، وحل في تابوت إلى قلعة الروضة . وقام بامر المعسكر الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ ، فإن شجرة الدر زوجة السلطان ماتت أحضرت الأمير فخر الدين ، والطواشي جمال الدين محمدا - وإليه أمر الماليك البحرية والجاشية - وأعلنتها بموته ، فكنا ذلك خوفا من الفرنج ، لأنهم كانوا قد شرفوا على تلك ديار مصر . فقام الأمير فخر الدين بالتدبير ، وصبروا إلى الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيف القارس أقطى لأحضاره .

وأخذ الأمير فخر الدين بتخليف المعسكر لملك الصالح ، وابنه الملك المعظم بولاية العهد من بعده ، ولأمير فخر الدين بأنابكة المعسكر والقيام بامر الملك ... حتى حلفهم كهم بالمنصورة وبالقاهرة في دار الوزارة عند الأمير حسام الدين بن أبي علي في يوم الخميس لاثنتي عشرة بقيت من شعبان .

وكانت العلامات تخرج من الدهاليز السلطانية بالمنصورة إلى القاهرة بخط خادم يقال له سهل ، لا يشك من رآها أنها خط السلطان . ومضى ذلك على الأمير حسام الدين بالقاهرة .

ولم يتفوه أحد بموت السلطان ، إلى أن كان يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان ، ورد الأمر إلى القاهرة بدعاء الخطباء في الجمعة

التالية للملك المعظم بعد الدعاء للسلطان ، وأن ينقش اسمه على السكة

فلما علم الفرنج بموت السلطان ، خرجوا من دمياط بفارسهم وراجلهم - وشوانبهم تعاضدهم في البحر - حتى نزلوا فارسكور يوم الخميس لخمس بقين من شعبان . فورد في يوم الجمعة من المدد كتاب إلى القاهرة من المعسكر ، أوله : « اتقوا خفافا وتقالا ، واجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » ، وفيه مواعظ بليغة بالحث على الجهاد . فقرأ على منبر جامع القاهرة وقد جمع الناس لسماعه ، فارتجت القاهرة ومصر وفلواهرمها بالبكاء والموت ، وأيقن الناس باستيلاء الفرنج على البلاد لخلو الوقت من ملك يقوم بالأمر ... لكنهم لم يبنوا ، وخرجوا من القاهرة ومصر وسائر الأعمال ، فاجتمع عالم عظيم .

فلما كان يوم الثلاثاء أول شهر رمضان ، اقتل المسلمون والفرنج ، فاستشهد الملائي أمير مجلس وجماعة ، ونزل الفرنج شارمساح .

وفي يوم الاثنين سابعه نزلوا البرمون ، فاضطرب الناس وزلزلوا زلزالا شديدا لقرينهم من المعسكر .

وفي يوم الأحد ثالث عشره ، وصلوا تجاه المنصورة ، وصار بينهم وبين المسلمين بحر أشموم وخندقوا عليهم ، وأداروا على خندقهم سورا مستروا بكثير من السائر ، ونصبوا الجانبين ليرموا بها على المسلمين ، وصارت

(٤١) من ١٢٠ ج ١ ، ط ١٠٠٠

شوانبهم بأزائهم في بحر النيل ، وشوانى المسلمين بأزاء المنصورة ، واتحم القتال برا وبحرا .

وفي سادس عشره ، تمر إلى المسلمين ستة خيالة أخبروا بمضايقة الفرنج .

وفي يوم عيد الفطر أسروا من الفرنج كندا من أقارب الملك .

وأبلى عوام المسلمين في قتال الفرنج بلاء كبيرا ، وأنكروهم نكابة عظيمة . وصاروا يقتلون منهم في كل وقت وبأسرون ، ويلقون أنفسهم في الماء ويبرون فيه إلى الجانب الذي فيه الفرنج ويحيلون في اختطاف الفرنج بكل حيلة ، ولا يجابون الموت ، حتى أن السافا قور بطيخة وحلها على رأسه ، وغطى في الماء حتى حاذى الفرنج ، فظنه بعضهم بطيخة ونزل حتى يأخذها ، فخطفه وأتى به إلى المسلمين .

وفي يوم الأربعاء سابع شوال ، أخذ المسلمون شونة للفرنج فيها كند ومائتا رجل .

وفي يوم الخميس النصف منه ، ركب الفرنج إلى بر المسلمين واقتلوا ، فقتل منهم أربعون فارسا ، وسير في عدة إلى القاهرة سبعة وستين أسيرا ، منهم ثلاثة من أكابر الدوادارية .

وفي يوم الخميس ثاني عشره ، أحرقت للفرنج مرمة عظيمة في البحر ، واستنظر المسلمون عليهم .

وكان بحر اقنوم فيه مخاض ، فدل بعض من لا دين له من يظهر الاسلام الفرنج عليها ، فركبوا سحر يوم الثلاثاء خامس ذي القعدة اربعة ، ولم يشعر المسلمون بهم الا وقد هجموا على المعسكر .

وكان الأمير فخر الدين قد عبر الى الحام ، فانه الضريح بأن الفرنج قد هجموا على المعسكر .

فركب دهشا غير معتد ولا متحفظ ، وساق ليأمر الأمراء والأجناد بالركوب في طائفة من مماليكه ، فلقه عدة من الفرنج الدوادرية ، وحملوا عليه ففر أصحابه ، واثمة طنة في جنبه ، وأخذته السيوف من كل جانب ، حتى لعق بالله عز وجل ، وفي الحال غدت مماليكه في طائفة الى داره ، وكسروا صناديقه وخزائنه ، ونهبوا أمواله وخيوله .

وساق الفرنج عند مقتل الأمير فخر الدين الى المنصورة ، ففر المسلمون خوفا منهم ، وتفرقوا بينة ويسرة ، وكادت السكرة أن تكون ، وتسحو الفرنج كلة الاسلام من أرض مصر .

ووصل الملك رواد فرنس الى باب قصر السلطان ، ولم يبق الا أن يملكه . فأذن الله تعالى أن طائفة الممالك من البحرية والحدارية الذين استجدهم الملك الصالح ، ومن جبلتهم يبرس البندقداري ، حملوا على الفرنج حملة صدقوا فيها اللقاء ، حتى أزاحوهم عن مواقعهم ، وأبلوا في مكافحتهم بالسيوف والدبابيس فانهزموا .

وبلغت عدة من قتل من فرسان الفرنج الخيالة في هذه النوبة ألفا وخمسمائة فارس ، وأما الرجال فانها كانت وصلت الى الجسر لتعدى ، فلما تراخى الأمر حتى صاروا مع المسلمين لأعضل الداء . على أن هذه الواقعة كانت بين الأزقة والدروب ، ولولا ضيق المجال لما أفلت من الفرنج أحد .

فنجوا من بقى منهم ، وضربوا عليهم سورا ، وحفروا خندقا . وصارت طائفة منهم في البر الشرقي ، ومعظمهم في الجزيرة المتصلة بدمياط .

وكانت البطقة عند الكبسة سرحت على جناح الطائر الى القاهرة ، فأنزعج الناس ازعاجا عظيما ، ووردت السوق وبعض المعسكر ، ولم تغلق أبواب القاهرة ليلة الأربعاء .

وفي يوم الأربعاء ، سقط الطائر بالبشارة بهزيمة الفرنج وعدة من قتل منهم ، فزيت القاهرة ، وضربت البشائر بقلعة الجبل ، وسار المعظم توران شاه الى دمشق فدخلها يوم السبت آخر شهر رمضان ، واستولى على من بها .

ولأربع مضي من شوال ، سقط الطائر بوصوله الى دمشق ، فضربت البشائر في المعسكر بالمنصورة وفي قلعة الجبل .

وسار من دمشق ثلاث بقين منه ، فتواترت الأخبار بقدمه ، وخرج الأمير حسام الدين ابن أبي على الى لقائه ، فوافاه بالصالحية لأربع عشرة بقيت من ذي القعدة ، ومن يومئذ أعلن بموت الملك الصالح ، بعدما كان قبل

ذلك لا ينطق أحد بموته البتة ، بل الأمور على حالها ، والدليل السلطان بحاله ، والسماط على العادة ، وشجرة الدر أم خليل زوجة السلطان تدبر الأمور وتقول : السلطان مريض ما اليه وصول .

ثم سار من الصالحية ، فتلقيهم الأمراء والماليك . واستقر بقصر السلطنة من المنصورة يوم الثلاثاء تاسع عشر ذي القعدة .

وفي أثناء هذه المدة ، عمل المسلمون مراكب وحملوها على الجبال الى بحر المحلة وألقوها فيه ، وشحنوها بالمقاتلة . فعندما حاذت مراكب الفرنج بحر المحلة — وتلك المراكب فيه مكنة — خرجت عليهم ، ووقع الحرب بينهما .

وقدم الأسطول الاسلامي من جهة المنصورة وأحاط بالفرنج ، فظفر باثنين وخسين مركبا للفرنج ، وقتل * وأسر منهم نحو ألف رجل . فانقطعت الميرة عن الفرنج ، واشتد عندهم الفلاء ، وصاروا محصورين .

فلما كان أول يوم من ذي الحجة ، أخذ الفرنج من المراكب التي في بحر المحلة سبع حرايق ، وفر من كان فيها من المسلمين .

وفي يوم عرفة ، برزت الشواني الاسلامية الى مراكب قدمت للفرنج فيها ميرة ، فأخذت منها اثنين وثلاثين مركبا منها تسع شواني . فوهنت قوة الفرنج ، وتزايد الفلاء عندهم ، وشرعوا في طلب الهدنة من المسلمين ، على أن يسلموا دمياط ، ويأخذوا بدلا منها القدس وبعض بلاد الساحل ، فلم يجابوا الى ذلك .

(ص ٢٢١ ج ١ ، ط ١ بولاق .)

فلما كان اليوم السابع والعشرون من ذي الحجة ، أحرق الفرنج أخشابهم كلها ، وأنزلوا مراكبهم يريدون التحصن بدمياط . ورحلوا في ليلة الأربعاء ثلاث مضي من المحرم سنة ثمان وأربعين وستمئة الى دمياط ، وأخذت مراكبهم في الانحدار قبالتهم . فركب المسلمون أقيمتهم بعدما عدوا الى برهم ، وطلع الفجر من يوم الأربعاء وقد أحاط المسلمون بالفرنج ، وقتلوا وأسروا منهم كثيرا . حتى قيل أن عدد من قتل من الفرسان على فارسكور يزيد على عشرة آلاف ، وأسر من الخيالة والرجال والصناع والسوقة ما يناهز مائة ألف ، ونهب من المال والذخائر والخيول والبغال ما لا يحصى .

وانحاز الملك رواد فرنس وأكابر الفرنج الى تل ، ووقفوا مستسلمين وسألوا الأمان . فأمنهم الطوائى جمال الدين محسن الصالحى ، ونزلوا على أمانه ، وأحيط بهم وسبقوا الى المنصورة .

فقد رواد فرنس ، واعتقل في الدار التي كان ينزل فيها القاضي فخر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب الانشاء ، ووكل به الطوائى صبيح المعطى ، واعتقل معه أخوه ، ورتب له راتب يحمل اليه في كل يوم .

ورسم الملك المعظم سيف الدين يوسف بن الطورى — أحد من وصل صحبتة من الشرق — أن يتولى قتل الأسرى . فكان يخرج منهم كل ليلة ثلثمائة رجل ويقتلهم ويلقيهم في البحر حتى فنوا .

ولما قبض على الملك رواد فرس ، رحل
الملك المعظم من المنصورة ، وول بالدهليز
السلطاني على فارسكور ، وعمل له برجا من
خشب ، وترأى في قصد دمياط . وكتب
بخطه الى الأمير جمال الدين بن يمشور نائبه
بمشق وولده توران شاه :

« الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، وما
النصر الا من عند الله ويومئذ يفرح المؤمنون
بنصر الله ، وأما بقصة ربك فحدث ، وإن
تعلموا قصة الله لا تحسوها ... نبش المجلس
السامى الجالى - بل نبش المسلمين كافة -
بما من الله به على المسلمين من القفر بعدو
الدين ، فانه كان قد استكمل أمره واستحكم
شره ، وشن العباد من البلاد والأهل
والأولاد ، فتودوا لا تياسوا من روح الله .

« ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة
المباركة ، وهى سنة ثمان وأربعين وستائة ،
تم الله على الاسلام بركتها ، فتحنا الخزائن ،
وبذلنا الأموال ، وفرقنا السلاح ، وجعلنا
العربان والمطوعة ، وخلقنا لا يعلمهم الا الله ،
جاءوا من كل فج عتيق ، ومكان سحيق . فلما
رأى العدو ذلك ، أرسل يطلب الصلح على ما
وقع الاتفاق بينهم وبين الملك الكامل ،
فأبينا .

« ولما كانت ليلة الأربعاء ، تركوا خيامهم
وأموالهم وأثقالهم وقصدوا دمياط هارين ،
ففرقا في آثارهم طالين . وما زال السيف
يصل في أديارهم عامة الليل ، وقد حل بهم
الغزى والويل .

« فلما أصبحنا يوم الأربعاء ، قتلنا منهم
ثلاثين ألفا غير من ألقى نفسه في اللجج ، وأما
الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج . والتجأ
الفرنيس الى المينة وطلب الأمان ، فأمناه
وأخذناه وأكرمناه ، وسلمناه دمياط بمون الله
تعالى وقوته ، وجلاله وعظمته .

وبعث مع الكتاب غفارة الملك فرلبيس
قلبها الأمير جمال الدين بن يمشور ، وهى
أشكر لا ما أحمر بفرو سنجاب . فقال الشيخ
نجم الدين بن اسرائيل :

إن غفارة الفرنيس جاءت
فهى حقا لسيد الأمراء
كبيض الخرش لونا ولكن
صبغها سيونا بالدماء
وقال آخر :

أريد أملاك الزمان بأسرهم
تنجزت من نصر الاله وعوده
فلا زال مولانا يبيع حمى العدى
وبليس أثواب الملوك عبيده
وأخذ الملك المعظم يهدد زوجة أیه شجرة
الشر ويطلبها بمال أیه ، فغافته وكأنت
ساليك الملك الصالح تعرضهم عليه .

وكان المعظم لما وصل اليه الفارس أقطاي
الى حصن كينا ، وعده أن يعطيه امرأة فلم يف
له بها ، وأعرض مع ذلك عن ممالك أیه
وأطرح أمراءه ، وصرف الأمير حسام الدين
بن أبى على عن نيابة السلطنة وأحضره الى
العسكر ولم يعبأ به ، وأبعد غلمان أیه .

واختص بمن وصل معه من المشرق ،
وجعلهم في الوظائف السلطانية ، فجعل
الطواشي مسرورا - خادمه - أستاذارا ،
وعمل صبيحا - وكان عبدا حبشيا فعلا -
خازنداره ، وأمر أن تكون له عصا من
ذهب ، وأعطاه مالا جزيلا واقطاعات جلية .

وكان اذا سكر جمع الشمع وضرب
رؤوسها بالسيف حتى تنقطع ، ويقول : هكذا
أفعل بالبحرية ... فانه كان فيه هرج وخفة .
واحتجب على المكوف بملاذه ، فنشرت منه
النفوس .

وبقى كذلك الى يوم الاثنين تاسع عشر
المحرم ، وقد جلس على السباط ، فتقدم اليه
أحد الممالك البحرية وضربه بسيف قطع
أصابع يديه ، ففر الى البرج ، فاقتموا عليه
وسوفهم مصلة ، فصعد أعلى البرج الخشب
قرموه بالنشاب وأطلقوا النار على البرج .

فألقى نفسه ورم الى البحر وهو يقول :
ما أريد ملككم ، دعونى أرجع الى الحصن ،
يا مسلمين ، ما فيكم من يسطعننى ويجيرنى .
وسائر العساكر بالسيوف واقعة ، فلم يجبه
أحد ، والنشاب يأخذه من كل ناحية .
وأدركوه فقطع بالسيوف ، ومات حريقا غريقا
قتيلا في يوم الاثنين المذكور ، وترك على
السط ثلاثة أيام ثم دفن .

ولما قتل الملك المعظم ، اتفق أهل الدولة
على اقامة شجرة الدر والددة خليل في ملكة
مصر ، وأن يكون مقدم العسكر الأمير
عز الدين أيك التركمانى الصالحى .

(*) من ٢٢٢ ج ١ ط ١ - بولاق -

وحلف الكل على ذلك ، وسيروا اليها عز
الدين الرومى ، فقدم عليها في قلعة الجبل
وأعلمها بما اتفق ، فرضيت به ، وكتبت على
التواقيع علامتها وهى والددة خليل ، وخطب
لها على المنابر بمصر والقاهرة .

وجرى الحديث مع الملك رواد فرس في
تسليم دمياط ، وتولى مفاوضته في ذلك الأمير
حسام الدين بن أبى على الهديانى ، فأجاب
الى تسليمها ، وأن يخلى عنه بعد محاورات .
وسير الى الفرنج بدمياط بأمرهم بتسليمها
الى المسلمين ، فسلموها - بعد جهد جهيد -
من كثرة المراجعات - في يوم الجمعة ثالث
صفر ، ورفع العلم السلطاني على سورها ،
وأعلن فيها بكلمة الاسلام وشهادة الحق ،
بعدما أقامت بيد الفرنج أحد عشر شهرا
وسبعة أيام .

وأفرج عن الملك رواد فرس ، وعن أخيه
وزوجته ومن بقى من أصحابه ، الى البر
الغريب . وركبوا البحر من القد - وهو يوم
السبت رابع صفر - وأقلموا الى عكا .

وفي هذه التوبة يقول الوزير جمال الدين
يحيى بن مطروح :

قل للفرنيس اذا رجته
مقال نصح عن قول نصيح
أجرك الله على ما جرى
من قبل عباد يسوع المسيح
أتيت مصر تبغى ملكها
تحب أن الزمر يابل ربح
فساك الحين الى أدهم
ضاق به عن فظريك القسيح

وكل أصحابك أودعهم

بحسن تدبيرك بطن الضريح

خسوف السما لا يرى منهم

الا قتل أو أسير جريح

وفتك الله لأنسائها

لعل عيسى منكم يسريح

ان كان باباكم بهذا راضيا

فرب غش قد أتى من صبح

قل لهم ان أضروا عودة

لأخذ ثار أو لنقد صبح

دار ابن لسان على حالها

والقيد باق والطواشي صبيح

وقدر الله أن الفرنيس هذا بعد خلاصه

من هذه الواقعة ، جمع عدة جموع وقصد

تونس ، فقال شاب من أهلها يقل له أحمد

ابن اساعيل الزيات :

يافرنيس هذه أخت مصر

فتأهب لما إليه تصير

لك فيها دار ابن لسان قبر

وطواشيك ، منكر ونكير

فكان هذا قالا حسنا ، فانه مات وهو على

محاصرة تونس .

ولما تسلم الأمراء دمياط ، وردت البشري

الى القاهرة ، فضربت البشائر وزنت القاهرة

ومصر ، فتقدمت المساكر من دمياط يوم

الخيريس قاص مصر . فلما كان في سلطنة

الأشرف موسى ابن الملك المسعود أقيس ابن

الملك الكامل والملك المزعز الدين التركمانى ،

وكرر الاختلاف بمصر ، واستولى الملك الناصر

يوسف ابن العزيز على دمشق .. اتفق أرباب

الدولة بمصر ، وهم الماليك البحرية -

على تحرب مدينة دمياط ، خوفا من مسير

الفرنج اليها مرة أخرى . فسيروا اليها

الحجارين والقطة ، فوقع الهدم في أسوارها

يوم الاثنين الثامن عشر من شعبان سنة ثمان

وأربعين وستائة ، حتى خربت كلها ، ومجيت

آثارها ، ولم يبق منها سوى الجامع ، وصار

في قبليها أخصاص على النيل سكنها الناس

الضمنا ، وسوها المنية .

وهذا السور هو الذى بناه أمير المؤمنين

التوكل على الله كما تقدم ذكره .

فلما استبد الملك الظاهر بيسر

البنقدارى * الصالحى بمملكة مصر بعد

قل الله المظفر قطز ، أخرج من مصر عدة

من الحجارين في سنة تسع وخسين وستائة

لردم فم بحر دمياط . فمضوا وقطعوا كثيرا

من القراييس وأتوها في بحر النيل الذى

ينصب من شمال دمياط في البحر الملح حتى

ضاق وتعذر دخول المراكب منه الى دمياط .

وهو الى اليوم على ذلك ، لا تقدر مراكب

البحر الكبار أن تدخل منه ، وانما ينقل ما

فيها من البضائع في مراكب ليلية تعرف عند

أهل دمياط بالجروم (واحدا جرم) وتصير

مراكب بحر الملح واقعة بآخر البحر ، قريبا من

ملتقى البحرين .

ويزعم أهل دمياط الآن أن سبب امتناع

دخول مراكب البحر جبل في فم البحر ، أو

رمل يتربى هناك . وهذا قول باطل حملهم

عليه ما يجدونه من تلاف المراكب اذا هجمت

لها من ١٢٢٢ ج ١ ، ط ١٢٢٢

على هذا المكان ، وجهلهم بأحوال الموجود ،

وما مر من الوقائع .

والى يومنا هذا يخاف على المراكب عند

ورودها فم البحر ، وكثيرا ما تلف فيه .

وقد سرت اليه حتى شاهده ، ورأيت من

أعجب ما يراه الانسان .

وأما دمياط الآن فانها حدثت بعد تغرب

مدينة دمياط ، وعمل هناك أخصاص ... وما

برحت تزداد الى أن صارت بلدة كبيرة ذات

أسواق وحمامات وجوامع ومدارس

ومساجد . ودورها تشرف على النيل الأعظم ،

ومن ورائها البساتين . وهى أحسن بلاد الله

منظرا .

وقد أخبرنى الأمير الوزير المشير الأستاذ

يلغا السالى رحمه الله ، أنه لم ير في البلاد

التي سلكها من مرقند الى مصر أحسن من

دمياط هذه ، فظننت أنه يفلو في مدنها الى

أن شاهدها ، فاذا هى أحسن بلد وأزهره .

وليها أقول :

سقى عهد دمياط وحياء من عهد

فقد زادنى ذكراه وجدا على وجد

ولا زالت آلاؤه تسقى سحابها

ديارا حكمت من حسنها جنة الخلد

فياحسن هاتيك الديار وصيها

فكم قد حوث حسنا يجبل عن العد

فله الهمار تحف بروضها

لكالمرفق المصقول أو صفحة الحد

وبشيتها الرمان يحكى متيا

ببدل من وصل الأحبة بالصد

فقام على رجله في الدمع غارقا

يراعى لجوم الليل من وحشة القصد

وظل على الأقدام تحسب أنه

لطول انتظار من حبيب على وعد

ولا سيما تلك النواخير انها

تجدد حزن الواله المدف الفرد

أطارحها شجوى وصارت كأنها

تطارح شكواها بمثل الذى أبدى

فقد خلتها الأفلاك فيها نجومها

تدور بحض النفع منها وبالسد

وفى البرك الغراء يا حسن نوفر

حلا وغدا بالزهو يسطو على الورد

سما من البلور فيها كواكب

عجبة صبغ اللون محكمة النضد

وفى شاطئ النيل المقدس نزهة

تعيد شباب الشيب في عيشه الرغد

وتشئ رباحا تطرد الهم والأسى

وتشئ ليالى الوصل من طيها عندى

وفى مرج البحرين جم عجائب

تلوح وتبدو من قريب ومن بعد

كان التقاء النيل بالبحر اذ غدا

مليكان سارا في الجحافل من جند

وقد نزل للحرب واحتدم اللقا

ولا طعن الا بالثقفة المد

فظلا كما باتا وما برحا كما

ها من جليل الخطب في أعظم العهد

٤١٩

فكم قد مضى لى من أفانين لذة
بشائنها العذب الشهى لذى الورد

وكم قد نعمنا فى البساتين برهة
بعيش هنئ فى أمان وفى سعد

وفى البرزخ المأنوس كم لى خلوة
وعند شطأ عن أين العلم الفرد

هناك ترى عين البصيرة ما ترى
من الفضل والأفضال والخير والمجد

فيا رب هيم لى بفضلك عودة
ومثن بها فى غير بلوى ولا جهـ

وبدمياط - حيث كانت المدينة التى
هدمت - جامع من أجل مساجد المسلمين ،
تسبه العامة مسجد فتح ، وهو المسجد الذى
أسسه المسلمون عند فتح دمياط أول ما فتح
الله أرض مصر على يد عمرو بن العاص .
وعلى بابيه مكتوب بالقلم الكوفى « انه عمر
بعد سنة خسارة من الهجرة » . وفيه عدة
من عمد الرخام ، منها ما يعز وجود مثله .

وانما عرف * بجامع فتح ، لنزول شخص
يقال له فاتح به ، فقالت العامة جامع فتح .
وانما هو فاتح بن عثمان الأسر التكرورى
قدم من مراكش الى دمياط على قدم التجريد ،
وستقى بها الماء فى الأسواق احتسابا من غير
أن يتناول من أحد شيئا ، ونزل فى ظاهر
الشر ، ولزم الصلاة مع الجماعة .

وترك الناس جميعا ، ثم أقام بناحية تونة
من بحيرة تيس وهى خراب نحو سبع سنين ،
ورم مسجد بها . ثم انتقل من تونة الى جامع

(٥) من ١٢١ ج ١ ، ط. بلاق .

دمياط ، وأقام فى وكر بأسفل المنارة من غير
أن يخالط أحدا ، الا اذا أقيمت الصلاة خرج
وصلى ، فاذا سلم الامام عاد الى وكره ، فان
عارضه أحد بحديث كله وهو قائم بعد
انصرافه من الصلاة .

وكانت حاله أبدا اتصالا فى اتصال ، وقربا
فى ابتعاد ، وأنا فى قار .

وحج ، فكان يفارق أصحابه عند الرحيل ،
فلا يرويه الا وقت النزول . ويكون سيره
منفردا عنهم ، لا يكلم أحدا ، الى أن عاد الى
دمياط فأخذ فى ترميم الجامع وتنظيفه بنفسه ،
حتى تبقى ما كان فيه من الوطواط بسقوفه ،
وساق الماء الى سهاريجه ، وبلط صحته ،
وسبك سطحه بالجبس ، وأقام فيه .

وكان قبل ذلك من حين خربت دمياط لا
يفتح الا فى يوم الجمعة فقط ، فرتب فيه اماما
راتبا يصلى الخمس . وسكن فى بيت الخطابة ،
وواظب على إقامة الأوراد به ، وجعل فيه قراء
يتلون القرآن بكرة وأصيلا ، وقرر فيه رجلا
يقرأ ميعادا يذكر الناس ويعلمهم .

وكان يقول : لو علمت بدمياط مكانا أفضل
من الجامع لأقت به ، ولو علمت فى الأرض
بلدا يكون فيه الفقير أخمل من دمياط لرحلت
اليه ، وأقت به .

وكان اذا ورد عليه أحد من الفقراء ولا
يجد ما يطعمه ، باع من لباسه ما يضيفه به .
وكان يبيت ويصبح وليس له معلوم ، ولا
ما يقع عليه العين ، أو تسمعه الأذن .

وكان يؤثر فى السر الفقراء والأرامل ، ولا
يسأل أحدا شيئا ، ولا يقبل غالبا ، واذا قبل

ما يفتح الله عليه أثر به . وكان يبذل جهده
فى كم حاله ، والله تعالى يظهر خيره وبركه
من غير قصد منه لذلك .

وعرفت له عدة كرامات ، وكان سلوكه
على طريق السلف من التمسك بالكتاب
والسنة ، والنفور عن الفتنة ، وترك الدعاوى
واطراحها ، وستر حاله ، والتحفظ فى أقواله
وأفعاله .

وكان لا يرافق أحدا فى الليل ، ولا يعلم
أحد يوم صومه من يوم فطره ، ويجعل دائما
قول « ان شاء الله تعالى » مكان قول غيره
« والله » .

ثم ان الشيخ عبد العزيز الدميرى أشار
عليه بالنكاح ، وقال له : النكاح من السنة .
فتزوج فى آخر عمره بامرأتين لم يدخل على
واحدة منهما نهارا ألبة ، ولا أكل عندهما
ولا شرب قط .

وكان ليله ظرفا للعبادة ، لكنه يأتى اليهما
أحيانا ، وينقطع أحيانا لاستغراق زمنه كله
فى القيام بوظائف العبادات وإيثار الخلوة .

وكان خواص خدمه لا يعلمون بصومه من
فطره ، وانما يحمل اليه ما يأكل ويوضع عنده
بالخلوة ، فلا يرى قط أكلا .

وكان يحب الفقر ، وبؤثر حال المسكنة ،
ويتطارح على الخمول والجفا ، ويتواضع مع
الفقراء ، ويتعاطف على العظماء والأغنياء .

وكان يقرأ فى المصحف ، ويطالع الكتب ،
ولم يره أحد يخط يده شيئا . وكانت تلاوته
للقرآن بخشوع وتدبر . ولم يعمل له سجادة

قط ، ولا أخذ على أحد عهدا ، ولا لبس
طاقية ، ولا قال أنا شيخ ولا أنا فقير ، ومتى
قال فى كلامه « أنا » ، تفلن لما وقع منه ،
واستعاذ بالله من قول أنا ، ولا حضر قط
ساعا ، ولا أنكر على من يحضره .

وكان سلوكه صلاحا من غير اصلاح ،
وببالغ فى الترفع على أبناء الدنيا ، ويتراعى
على الفقراء ، ويقدم لهم الأكل ، ولم يقدم
لغنى أكلا ألبة .

واذا اجتمع عنده الناس ، قدم الفقير على
الغنى . واذا مضى الفقير من عنده ، سار
معه وشيخه عدة خطوات وهو حاف بغير نعل ،
ووقف على قدميه ينظره حتى يتوارى عنه .

ومن كان من الفقراء يشار اليه بشيخة
جلس بين يديه بأدب مع امامته ، وتقدمه فى
الطريق ويقول : ما أقول لأحد افعل أو لا
تفعل ، من أراد السلوك يكفيه أن ينظر الى
أفعاله ، فان من لم يتلك بنظره لا يتسلك
بسمه .

وقال له شخص من خواصه : ياسيدى ،
ادع الله لنا . أن يفتح علينا فحن فقراء .

فقال : ان أردتم فتح الله ، فلا تبقوا فى
البيت شيئا ثم اطلبوا فتح الله بعد ذلك ، فقد
جاء : « لا تسأل الله ولك خاتم من حديد » .

ومن كلامه : الفقير بحال البكر ، اذا سأل
زالت بكارته .

وسأله بعض خواصه أن يدعو له بسعة ،
وشكا له الضيق ، فقال : أنا ما أدعو لك
بسعة ، بل أطلب لك الأفضل والأكمل .

وكان مع اشتغاله بالعبادة واستغراق أوقاته فيها لا يفكر عن صاحبه ، ولا ينسى حاجته حتى يقضيها ، ويلتزم الوفاء لأصحابه ويحسن معاشرتهم ، ويعرف أحوال الناس على طبقاتهم ، ويعظم العلم ، ويكرم الأيتام ، ويشفق على الضعفاء والأرامل ، وببذل شفاعته في قضاء حوائج الخاص والعام من غير أن يدل ولا يتبرم بكثرة ذلك ، ويكثر من الإيثار في السر ، ولا يسك لنفسه شيئا ، ويستقل ما منه مع كثرة إحصائه ، ويستكثر ما يدفع اليه وإن كان يسيرا ، ويكافئ عليه بأحسن منه . ولم يصحب قط أميرا ولا وزيرا ، بل كان في سلوكه وطرقه يرفع في تواضع ، ويعزز مع مكنته ، وقرب في ابتعاد ، واتصال في انفصال ، وزهد في الدنيا وأهلها . وكان أكبر من خيره . *

ومن دعائه لنفسه ، ولمن يسأل له الدعاء : اللهم بعدنا عن الدنيا وأهلها ، وبعدها عنا .

وما زال على ذلك إلى أن مات آخر ليلة أسفر صباحا عن الثامن من شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستائة ، وترك ولدين ليس لهما قوت ليلة ، وعليه مبلغ ألفي درهم دينا . ودفن بجوار الجامع ، وقبره يزار إلى يومنا هذا .

ذكر شطا

شطا مدينة عند تيس ودمياط ، واليهما تنسب الثياب الشطوية .

(١٥١) ص ١٢٩ ج ١ ط ١ بولاق .

ويقال انها عرفت بشطا بن الهاموك ، وكان أبوه خال المقوقس ، وكان على دمياط . فلما فتح الله الحصن على يد عمرو بن العاص ، واستولى على أرض مصر ، جهز بعثا لفتح دمياط ، فنازلوها إلى أن ملكوا سور المدينة ، فخرج شطا في ألفين من أصحابه ولحق بالمسلمين . وقد كان قبل ذلك يحب الخير وسيل إلى ما يسمنه من سيرة أهل الاسلام .

ولما ملك المسلمون دمياط ، امتنع عليهم صاحب تيس ، فخرج شطا إلى البرلس والدميرة وأسموم ملتحا يستجد ، فجمع الناس لقتال أهل تيس ، وسار بهم مع من كان بدمياط من المسلمين ومن قدم مددا من عند عمرو بن العاص إلى قتال أهل تيس . ودفن الخريصان ، وأبلى شطا منهم بلاء حسنا وقتل من أبطل تيس اثني عشر رجلا .

واستشهد في ليلة الجمعة الصف من شعبان سنة إحدى وعشرين من الهجرة ، فقبر - حيث هو الآن - خارج دمياط ، وبني على قبره ، وصار الناس يجتمعون هناك في ليلة النصف من شعبان كل عام ، ويفدون للحضور من القرى . وهم على ذلك إلى يومنا هذا .

وكانت تعمل كسوة الكعبة بشطا .. قال القاهي : ورأيت فيها كسوة من كسا أمير المؤمنين هارون الرشيد من قباطي مصر ، مكتوبا عليها : « بسم الله ، بركة من الله لمبد الله هارون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، ما أمر الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين بصنعه في طراز شطا ، كسوة الكعبة سنة إحدى وتسعين ومائة » .

ومن المواضع المشهورة بدمياط :

البروخ : وهو منجد بحيرة دمياط ، تسميه العامة البروخ ، ولا أعرف مستخدم في ذلك .

وشاهدت فيه عجبا ، وهو أن به منارة كبيرة مبنية من الآجر ، إذا هزها أحد اهتزت ، فلما صعدت أعلاها - حيث يقف المؤذنون - وحركتها ، رأيت ظلها قد تحرك بتحريكها .

ويوجد حول هذا المسجد رمم أموات يشبه أن تكون ممن استشهد في وقائع الفرنج . والله يعلم وأتم لا تعلمون .

ديق : قرية من قرى دمياط ، ينسب إليها الثياب المثقلة ، والمعائم الشرب الملونة .

والديقي : العلم المذهب .

وكانت المعائم الشرب المذهبة تعمل بها ، ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع ، وفيها رقعات منسوجة بالذهب .. فتبلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار ، سوى الحرير والغزل . وحدثت هذه المعائم وغيرها في أيام العزيز بالله بن المعز ، سنة خمس وستين وثلثمائة ، إلى أن مات في شعبان سنة ست وثمانين وثلثمائة .

التحريرية : قرية من الأعمال القريبة ، أسس حكرها الأمير شمس الدين مستقر السعدي تقيب الجيش في أيام الناصر محمد ابن قلاوون ، وبالنح في عمارتها ، فبلفت في أيامه عشرة آلاف درهم فضة .

ثم خرج عنها فعمرت للسلطان ، واتسع أمرها حتى انتهى فيها زيادة على ثلاثين بيتا ، ووصل حكرها لكثرة سكانها إلى ألف درهم فضة لكل فدان ، وصارت بلدا كبير العمل ، يبلغ في السنة ما بين خراجي وهلال ثلثمائة ألف درهم فضة ، عنها خمسة عشر ألف دينار ذهبا .

ومات سنقر هذا في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . واليه تنسب المدرسة السعدية بخط حدة البقر خارج باب زويلة .

جزيرة بنى نصر : منسوبة إلى بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن . وذلك أن بنى حسان بن ظالم بن جميل بن عمرو بن درهمان ابن نصير بن معاوية بن بكر بن هوازن كانت لهم شوكة شديدة بأرض مصر ، وكثروا حتى ملأوا أسفل الأرض ، وغلبوا عليها حتى قوت عليهم قبيلة من البربر تعرف بلوامة - ولوامة تزعم أنها من قيس - فأجلت بنى نصر ، وأسكتها الجدار ، فصاروا أهل قرى في مكان عرف بهم وسط النيل ، وهي جزيرة بنى نصر هذه .

ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر ودمشق

أعلم أن البريد أول من رتب دوابه الملك دارا بن بهمن بن كيشتاسف بن كيهراسف ، أحد ملوك الفرس .

وأما في الاسلام فأول من أقام البريد أمير المؤمنين المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور ،

أقامه فيما بين مكة والمدينة واليمن ، وجعله
بشالا وإبلا ، وذلك في ستة وستين ومائة .

وأصل هذه الكلمة « يريد ذئب » فإن
دارا أقام في سكك البريد دواب معذوقة
للأذئب سببت « يريد ذئب » ، ثم عسرت
وحذف منها نصفها الأخير فقبل « يريد » .

وهذا الدرب ، الذي يسلكه المسافر
والتجار وغيرهم من القاهرة على الرمل إلى
مدينة غزة ، ليس هو الدرب الذي يسلك في
التقديم من مصر إلى الشام .

ولم يحدث هذا الدرب الذي يسلك فيه من
الرمل الآن إلا بعد الخمسة من سني
الهجرة ، عندما انقضت الدولة الفاطمية .

وكان الدرب أولا قبل استيلاء الفرنج على
سواحل البلاد الشامية غير هذا .. قال أبو
القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة في
كتاب « المسالك والممالك » : وصفة الأرض
والطريق من دمشق إلى الكسوة اثنا عشر
ميلا ، ثم إلى جاسم أربعة وعشرون ميلا ، ثم
إلى فيق أربعة وعشرون ميلا ، ثم إلى طبرية
مدينة الأردن ستة أميال ، ومن طبرية إلى
البحر عشرين ميلا ، ثم إلى القنسوة
عشرون ميلا ، ثم إلى الرملة مدينة فلسطين
أربعة وعشرون ميلا . والطريق من الرملة إلى
أزدود اثنا عشر ميلا ، ثم إلى غزة عشرين
ميلا ، ثم إلى العريش أربعة وعشرون ميلا في
رمل ، ثم إلى الوردية ثمانية عشر ميلا ، ثم إلى
أم العرب عشرين ميلا ، ثم إلى القرما أربعة
وعشرون ميلا ، ثم إلى جرير ثلاثون ميلا ، ثم

(٥) ص ١٦٦ ج ١ ط ١٠٠٠

إلى القاهرة أربعة وعشرون ميلا ، ثم إلى
مسجد قضاة ثمانية عشر ميلا ، ثم إلى بليس
أحد وعشرون ميلا ، ثم إلى القسطة مدينة
مصر أربعة وعشرون ميلا .

فهذا كما ترى إنما كان الدرب الملوك من
مصر إلى دمشق ، على غير ما هو الآن ،
فيسلك من بليس إلى القرما في البلاد التي
تعرف اليوم ببلاد السباخ ، من الحوف ،
ويسلك من القرما — وهي بالقرب من
قطة — إلى أم العرب — وهي بلاد خراب
على البحر فيما بين قطة والوردية ، ويقصدها
قوم من الناس ، ويخفرون في كيانها
فيجدون دراهم من فضة خالصة ، ثقيلة
الوزن ، كبيرة المقدار — ويسلك من أم
العرب إلى الوردية ، وكانت بلدة في غير
موضعها الآن ، قد ذكرت في هذا الكتاب .

فلما خرج الفرنج من بحر القسطنطينية في
سنة تسعين وأربعائة لأخذ البلاد من أيدي
المسلمين ، وأخذ بمدوين الشوبك وعمره في
سنة تسع وخمسة ، وكان قد خرب من
تقادم السنين ، وأغار على العريش وهو
يومئذ عامر ... بطل السفر حينئذ من مصر
إلى الشام ، وصار يسلك على طريق البر مع
العرب مخافة الفرنج ، إلى أن استنقذ
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت
المقدس من أيدي الفرنج في سنة ثلاث وثمانين
 وخمسة ، وأكثر من الإيقاع بالفرنج ،
وافتح منهم عدة بلاد بالساحل ، وصار يسلك
هذا الدرب على الرمل . فسلكه المسافرون
من حينئذ إلى أن ولي ملك مصر الملك الصالح
نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن

العادل أبي بكر بن أيوب ، فأنشأ بأرض
السباخ ، على طرف الرمل ، بلدة عرفت إلى
اليوم بالصالحية وذلك في سنة أربع وأربعين
 وستائة ، وصار ينزل بها ويقيم فيها ، ونزل
بها من بعده الملوك .

فلما ملك مصر الملك الظاهر بيبرس
البيندقاري ، رتب البريد في سائر الطرقات ،
حتى صار الخير يصل من قلعة الجبل إلى
دمشق في أربعة أيام ويعود في مثلها . فصار
أخبار الممالك ترد إليه في كل جمعة مرتين ،
ويحكم في سائر ممالكه بالعزل والولاية وهو
مقيم بالقلعة ، وأتفق في ذلك مالا عظيما ،
حتى تم تربيته . وكان ذلك في سنة تسع
 وخسين وستائة .

وما زال أمر البريد مستمرا فيما بين القاهرة
ودمشق ، يوجد بكل مركز من مراكزه عدة
من الخيول المعدة للركوب — وتعرف بخيل
البريد — وعندها عدة سواك ، وللخيل
رجال يعرفون بالسواقين ، ولحدهم سواك ،
يركب مع من رسم بركو به خيل البريد ليسوق
له فرسه ويخدمه مدة مسيره . ولا يركب أحد
خيل البريد إلا برسوم سلطاني ، فتارة يمنع
الناس من ركوبه إلا من اتدبه السلطان
لمهامته ، وتارة يركبه من يريد السفر من
الأعيان برسوم سلطاني .

وكانت طرق الشام عامرة ، يوجد بها عند
كل بريد ما يحتاج إليه المسافر من زاد وعلف
 وغيره . ولكثر ما كان فيه من الأمن أدركنا
المرأة تسافر من القاهرة إلى الشام بمفردها
— راكبة أو ماشية — لا تحصل زادا ولا

ماء .

فلما أخذ تيمورلنك دمشق وسبى أهلها ،
وحرقها في سنة ثلاث وثمانائة ، خربت مراكز
البريد واشتغل أهل الدولة بما نزل بالبلاد من
الحن ، وما دهبوا به من كثرة القن ، عن
إقامة البريد ، فاختلف باقطناه طريق الشام
خللا فاحتنا . والأمر على ذلك إلى وقتنا
هذا ، وهو ستة ثمان عشرة وثمانائة .

ذكر مدينة حطين

هذه المدينة آثارها إلى اليوم باقية فيما
بين حيوه والعاقولة بأرض العاقولة فيما بين
قطة والعريش ، تجاهها بيسل ماء عذب
تسبه العرب أيا العروق ، وهو شرقيها .

وهذه المدينة تسب إلى حطين ، ويقال
حطين بن الملك أبي جاد المديني . وأهل قطة
اليوم يسمون تلك الأرض ببلاد حطين
والجفر .

وملك حطين هذا أرض مصر بمسد موت
أبيه ، وكان صاحب حرب ويطش ، وكان ينزل
بقلعة في جبال الأردن قريبا من طبرية ، وإليه
تسب قرية حطين التي بها * الآن قبر شعيب
بالقرب من صفد .

ذكر مدينة الرقة

هذه المدينة من جملة مدائن مدين فيما بين
بحر القلزم وجبل الطور . كان بها عندما خرج
موسى عليه السلام بينى إسرائيل من مصر قوم
من لحم آل فرعون يمسدون البقر ، وإياهم

(٥) ص ١٦٧ ج ١ ط ١٠٠٠

عن الله بقوله تعالى « وجاوزنا ببني اسرائيل البحر ، فاتوا على قوم يكفون على أصنام لهم ... » الآية .

قال قتادة : أولئك القوم من لخم ، وكانوا زولا بالركة . وقيل كانت أصنامهم تماثيل البقر ، ولهذا أخرج لهم السامري عجلا .

وآثار هذه المدينة باقية إلى اليوم ، فيما بقى من مدينة فاران والقلم ومدين وأيلة ، تمر بها الأعراب .

ذكر عين شمس

وكان يقال لها في القديم رعسان ، وكانت عين شمس هيكلا يحج الناس إليه ، ويقصدونه من أقطار الأرض ، في جلة ما كان يحج إليه من الهياكل التي كانت في قديم الدهر .

ويقال ان الصابئة أخذت هذه الهياكل عن عاد وثمود ، وزعمون أنه عن شيث بن آدم ، وعن هرمس الأول - وهو ادريس - وأن ادريس هو أول من تكلم في الجواهر العلوية ، والحركات النجومية ، وبنى الهياكل ومجد الله فيها .

ويقال ان الهياكل كانت عدتها في الزمن الغابر اثني عشر هيكلا ، وهي : هيكل العلة الأولى ، وهيكل العقل ، وهيكل الحياة ، وهيكل الصورة ، وهيكل النفس - وكانت هذه الهياكل الخمسة مستديرات - وهيكل السادس هيكل زحل وهو مسدس ، وبعبده

هيكل المشتري وهو مثلث ، ثم هيكل المريخ وهو مربع ، وهيكل الشمس وهو أيضا مربع ، وهيكل الزهرة وهو مثلث مستطيل ، وهيكل عطارد مثلث في جوف مربع مستطيل ، وهيكل النسر مثلث

وعملوا عبادتهم للهياكل بأن قالوا : لما كان صانع العالم مقدسا عن صفات الحدوث وجب المعجز عن ادراك جلاله ، وتمن أن يتقرب إليه عبادته بالمقربين لديه ، وهم الروحانيون ، لينفموا لهم ، ويكونوا وسائط لهم عنده .

وعنوا بالروحانيين الملائكة ، وزعموا أنها المديرات للكواكب السبعة السيارة في أفلاكها . وهي هياكلها ، وأنه لا بد لكل روحاني من هيكل ، ولا بد لكل هيكل من فلك ، وأن نسبة الروحاني إلى الهيكل نسبة الروح إلى الجسد

وزعموا أنه لا بد من رؤية المتوسط بين العباد وبين بارئهم حتى يتوجه إليه العبد بنفسه ، ويستفيد منه . ففزعوا إلى الهياكل التي هي السيارات ، فعرفوا بيوتها من الفلك ، وعرفوا مطالعها ومغاربها واتصالاتها ، وما لها من الأيام والليالي والساعات والأشخاص والصور والأفالييم ، وغير ذلك مما هو معروف في موضعه من العلم الرياضي .

وسموا هذه السبعة السيارة أربابا وآلهة ، وسموا الشمس اله الآلهة ورب الأرباب ، وزعموا أنها المنيضة على السنة أنوارها ، والمظهرة فيها آثارها . فكانوا يتقربون إلى الهياكل تقربا إلى الروحانيين لتقريبهم إلى

الباري ، لزعمهم أن الهياكل أبدان الروحانيين ، وكل من تقرب إلى شخص فقد تقرب إلى روحه .

وكانوا يصلون لكل كوكب يوما يزعمون أنه رب ذلك اليوم ، وكانت صلاتهم في ثلاثة أوقات : الأولى عند طلوع الشمس ، والثانية عند استوائها في الفلك ، والثالثة عند غروبها . فيصلون لزحل يوم السبت ، وللمشتري يوم الأحد ، وللمريخ يوم الاثنين ، وللشمس يوم الثلاثاء ، وللزهرة يوم الأربعاء ، ولعطارد يوم الخميس ، وللقمر يوم الجمعة .

ويقال أنه كان يبلغ هيكل بناء بنو حمير على اسم القمر لتعارض به الكعبة ، فكانت القرص تحجه وتكسوه الحرير ، وكان اسمه نوبهر . فلما تمجست القرص عملته بيت تار ، وقيل للموكل بسداته برمك (يعني وإلى مكة) . واثمت البرمكة إلى جد خالد جد جعفر بن يحيى بن خالد ، فأسلم على يد هشام ابن عبد الملك ، وسماه عبد الله .

وخرب هذا الهيكل قيس بن الهيثم في أول خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين . وكان بناء عظيما حوله أروقة وثلاثمائة وستون مقصورة لسكن خدامه .

وكان بصنماء قصر غمدان من بناء الضحاك ، وكان هيكل الزهرة ، وهدم في خلافة عثمان بن عفان .

وكان بالأندلس ، في الجبل الفارق بين جزيرة الأندلس والأرض الكبيرة ، هيكل المشتري من بناء كلوبطرة بنت بطليموس .

وكان بفرغانة بيت يقال له كلوسان هيكل للشمس ، بناء بعض ملوك فارس الأول ، خربه المعتصم .

وقد اختلف فيمن بنى هيكل عين شمس . وساقص من أخباره ما لم أره مجسوعا في كتاب .

قال ابن وصيف شاه : وقد كان الملك مناقوس إذا ركب عملوا بين يديه التخاييل العجيبة ، فيجتمع الناس ويمجبون من أعمالهم . وأمر أن يبنى له هيكل للعبادة يكون له * خصوصا ، ويجعل فيه قبة فيها صورة الشمس والكواكب ، وجعل حولها أصناما وعجائب ، فكان الملك يركب إليه ، ويقوم فيه سبعة أيام .

وجعل فيه عمودين زبر عليهما تاريخ الوقت الذي عمله فيه ، وهما باقيان إلى اليوم ، وهو الموضع الذي يقال له عين شمس ، ونقل إلى عين شمس كنوزا وجواهر وطلسمات وعقاقير وعجائب ، ودفنها بها وبنواحيها .

وأقام ملكا إحدى وتسعين سنة ، ومات من الطاعون ، وقيل من سم .

وعمل له ناووس في صحراء الغرب ، وقيل في غربي قوص ، ودفن معه مصاحف الحكمة والصنعة ، وتماثيل الذهب والجواهر ، ومن الذهب المضروب شيء كثير .

ودفن معه تماثيل روحاني الشمس من ذهب يلعب ، وله جناحان من زبرجد ، وصنم على صورة امرأته ، وكان يحبها .

(*) مر ٢٢٨ ج ١ ، ط ١٠٠٠

فما سمع أمر أن تصل صورها في الهيكل
كله ، وعسل مسودها من ذهب ينفذ
سوداوي ، وعليها حة من جواهر منظومة
وهي جالسة على كرسى . وكان يجلسها بين
يديه في كل موضع يجلس فيه ، يتلى بذلك
عيا ، ففتحت هذه الصورة مع تحت رجليه
كلها تخفيه .

وقال الحكيم القائل أحمد بن خليفة في
كتاب « عيون الآيات في شيعات الأطباء » :
ولما أتى فيثاغورس إلى الاجتماع بالكهنة
الذين كانوا بمصر ، فورد على أهل مدينة
الشمس - المعروفة في زماننا بعين شمس -
قبلوه قبولا كريما ، وامتحنوه زمنا فلم
يجدوا عليه نقما ولا قصيرا .

فوجهوا به إلى كهنة منف كي يبالغوا في
امتحنائه ، قبلوه على كراهة ، واستقصوا
امتحنائه ، فلم يجدوا عليه ميبا ، ولا أصابوا
له شره .

فبعثوا به إلى أهل ديوسبول ليتمنوه ،
فلم يجدوا عليه طريقا ولا إلى احتافه شيلا :
فقرضوا عليه فرائض صعبة كما يتسع من
قبولها فيمنضوه ، ويحرموه طلبه مخالفة
لقرائض اليونانيين ، قبل ذلك وقام به .

فأشد انتباههم به ، وفتنا بمصر وروحه ،
حتى بلغ ذكره إلى أمابيس ملك مصر ، فأعطاه
سلطانا على ضحايا الرب وعلى سائر قراينهم :
ولم يسط ذلك لغرب قط .

ويقال أنه كان للكواكب السبعة السيارة
هياكل ، يحج الناس إليها من سائر أقطار
الدنيا ، وضعا التمام ، فجعلوا على اسم

كل كوكب هيكلا في ناحية من نواحي
الأرض .

وعصوا في البيت الأول هو الكعبة ، وأنه
ما أوصى ليرعى - الذي يسمى هرمس
الأول الثالث - أن يحج إليه : وزعموا أنه
منسوب لرحل

والبيت الثاني بيت المريخ ، وكان بمدينة
سور من الساحل الثاني .

والبيت الثالث للمشتري ، وكان بمنطق ،
بناه جيرون بن سعد بن غاد ، وموضعه الآن
جامع بني أمية .

والبيت الرابع بيت الشمس بمصر : ويقال
أنه من بناء هرشيك ، أحد ملوك الطبقة
الأولى من ملوك القوس ، وهو المسمى بعين
شمس .

والبيت الخامس بيت الزهرة ، وكان
بنتيج .

والبيت السادس بيت عطارد ، وهو بعيدا
من ساحل البحر الثاني .

والبيت السابع بيت القمر . وكان بحران
- ويقال أنه قمتها - وبني المنور . ولم
يزل عامرا إلى أن خربه التتر . ويقال أنه كان
هو هيكل الصابئة الأعظم .

وقال شافع بن علي في كتاب « عجائب
البلدان » : وعين شمس مدينة صغيرة ،
تتألف سورها محددا بها مهدوما . ويظهر من
أمرها أنها كانت بيت عبادة .

وفيها من الأصنام الهائلة العظيمة الشكل ،
من تحت الحجارة ، ما يكون طول الصنم

يقدر ثلاثين ذراعا ، وأعضاؤه على تلك النسبة
من العظيم . وكل هذه الأصنام قائمة على
قواعد ، وبعضها قاعد على تصفيات عجبية
واقفاات محكمة

ويقال للمدينة موجود إلى الآن

وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير على
شكل الإنسان وغيره من الحيوان ، وكتابة
كثيرة بالقلم المجهول ، وقلما تقرأ حجرا خلا
عن كتابة أو نقش أو صورة .

وفي هذه المدينة السلطان المشهورتان ،
وتسميان مملتي فرعون

وصفة المسلة قاعدة مربعة ، طولها عشرة
أذرع في مثلها عرضا في نحوها سمكا ، قد
وضعت على أساس ثابت في الأرض ، ثم أقيم
عليها عمود مثل مخروط ينيف طوله على
مائة ذراع ، يتدلى من القاعدة بسيطة
قطرها خمسة أذرع ، وينتهي إلى نقطة

وقد ليس رأسها بقلنسوة نحاس إلى نحو
ثلاثة أذرع منها كالقمع ، وقد تزجج بالمطر
وطول المسلة ، واخضر وبالس من خضرتها على
بسيط المسلة ، وكلها عليها كتابات بذلك
القلم .

وكانت السلطان قائمتين ، ثم خربت
لحداهما ، وانصدعت من تصنها لعظم الثقل ،
وأخذ النحاس من رأسها .

ثم إن حولها من الأصنام شيئا كثيرا لا
يحصى عنده ، على نصف تلك العظمى أو
يلها . وقلما يوجد في هذه المسال الصفار
ما هو قطعة واحدة ، بل فصوصها بعضها على

بعض ، وقد تصدم اكترها وانما بقيت
قواعدها

وقال محمد بن ابراهيم الجزري في
تاريخه : وفي رابع شهر رمضان (يعني من
سنة ست وخمسين وستائة) وقعت إحدى
مملتي فرعون ، التي بأراضي المطرية من
ضواحي القاهرة ، فوجدوا داخلها مائتي
قطار من نحاس ، وأخذ من رأسها عشرة
آلاف دينار .

ويقال إن عين شمس بناها الوليد بن دوعم
من الملوك المالقي . وقيل بناها الريان بن
الوليد ، وكانت سرور ملكه . والقوس تزعم
أن هرشيك بناها .

ويقال طول العمودية مائة ذراع . وقيل
أربعة وثمانون ذراعا . وقيل خمسون ذراعا .

ويقال إن بخت نصر هو الذي خرب عين
شمس لما دخل إلى مصر .

وقال التضاعي : وعين شمس - وهي
هيكل الشمس - بها العمودان اللذان لم ير
أعجب منهما ولا من شأنهما ، طولهما في
السماء نحو من خمسين ذراعا ، وهما
محولان على وجه الأرض ، وبينهما صورة
إنسان على دابة ، وعلى رأسهما شبه
الصومعتين من نحاس .

فإذا جاء النيل قطر من رأسيهما ما تستبينه
وتراه منهما واضحا ينبع حتى يجري من
أسافلها ، فينبت في أصلها الموضع وغيره .

وإذا دخلت الشمس دقيقة من الجندي
- وهو أقصر يوم في السنة - انتهت إلى

(١٢٩) ص ١٢٩ ج ١ ط ١٠ بولاق .

الجنوبي منها ، فطقت عليه على قمة رأسه .
ثم لما دخلت دقيقة من الزمان - وهو
أقول يوم في السنة - انتهت إلى النجالي
منها ، فطقت على قمة رأسه .

وهما ستمى لليلين ، وخط الاستواء في
الواسطة منها ، ثم خفرت بينهما ذاهبة
وجاثية سائر السنة . كما يقول أهل العلم
بذلك .

وقال ابن سينا في كتاب المقرب : وكانت
عين شمس ، في قديم الزمان ، عظمة الطول
والعرض ، متممة البناء بصر القديمة حيث
مدينة القسطنطين الآن . ولما قدم عمرو بن
القيس ، فآثر عين شمس - وكان جسع
القوم - حتى فتحها .

وقال جلع السيرة الطولية : كان بين
شمس قسم ، يستدار الرجل للعتل الخلق ،
من كذا أبيض محكم الصنعة ، يتخلل من
استمره أنه فائق .

فوصف لأحد بن كولون ، فاشاق إلى
قائه ، فنهاه ندوة عنه وقال : ما رأيك وال
قط لا عزل .

فركب إليه - وكان هذا في سنة ثمان
وخمسين ومائتين - وقامه ، ثم دعا بالقطيعين
وأمرهم بإجتنائه من الأرض ، ولم يترك منه
شيئا .

ثم قال لندوة خازنه : ياندوسة ، من
صرف منا صاحبه ؟

قال : أنت أبا الأمير .

وعاش بعدها أحد ثنتي عشرة سنة أميرا .

ومضى العزير بالله زار بن المعز قصورا بعين
شمس .

وقال أبو عبيد البكري : عين شمس
(بفتح الشين والسكان ثانيه بعده سين مهلة)
عين ماء معروفة .

قال محمد بن حبيب : عين شمس حيث بنى
فرعون الصرح . وزعم قوم أن عين شمس إلى
هذا الماء أنيف .

وأول من سى هذا الاسم سبأ بن يشجب .
وذكر الكلبي أن شمس ، الذي تسوا به ،
سمن قديم .

وقال ابن خرداذبة : وأسطواتين بعين
شمس من أرض مصر ، ومن بقايا أساسين
كانت هناك ، في رأس كل أسطوانة طوق من
نحاس ، يقطر من أحدهما ماء من تحت
الطوق إلى نصف الأسطوانة لا يجاوزه ، ولا
ينقطع قطره ليلا ولا نهارا ، فوضعه من
الأسطوانة أخضر رطب ، ولا يصل الماء إلى
الأرض . وهو من بناء أوسمك .

وذكر محمد بن عبد الرحيم في كتاب «تحفة
الألباب» أن هذا النار مريح علوه مائة ذراع
قطعة واحدة ، محدد الرأس على قاعدة من
حجر ، وعلى رأس النار غشاء من صفر
كالذهب ، فيه صورة انسان على كرسي قد
استقبل المشرق ، ويخرج من تحت ذلك الغشاء
الصفر ماء يسيل مقدار عشرة أذرع ، وقد
نبت منه شيء كالطحلب ، فلا يبرح لمعان الماء
على تلك الخضرة أبدا صيفا وشتاء ، لا ينقطع
ولا يصل إلى الأرض منه شيء .

وعين شمس نبت يورع كالقضباني يسمى
البلسم ، يتخذ منه دهن البلسان ، لا يبرق
بمكان من الأرض الا هناك ، وتؤكل لحمي
هذه القضباني فيكون له طعم ، وفيه حرارة
وحراقة لذينة .

وبناحية المطرية ، من حاضرة عين شمس ،
البلسان ، وهو شجر قصار يسمى من ماء بر
هناك ، وهذه البر تعطيها النصارى ،
وتتصدما وتقتل بها وتشتفى به .

ويخرج لاعتصار البلسان - أو ان
ادراكه - من قبل السلطان من يتولى ذلك
ويحفظه ، ويحمل إلى الخزانة السلطانية ، ثم
ينقل منه إلى قلاع الشام والمراستات لمعالجة
المبرودين ، ولا يؤخذ منه شيء الا من خزانة
السلطان ، بعد أخذ مرسوم بذلك .

وللوك النصارى - من الحبشة والروم
والفرنج - فيه غلو عظيم ، وهم يتهادونه من
صاحب مصر ، ويرون أنهم لا يصح عندهم
لأحد أن يتنصر الا أن ينغمس في ماء المعمودية
ويعتقدون أنه لا بد أن يكون في ماء المعمودية
شيء من دهن البلسان ، ويسمونه الميرون .

وكان في القديم إذا وصل من الشام خبر
اتهم إلى صاحب عين شمس ، ثم يرد من
عين شمس إلى الحصن الذي عرف بقصر
الشمع حيث الآن مدينة مصر ، ثم يرد من
الحصن إلى مدينة منف حيث كانت منف تحت
الملك .

وسبب تعظيم النصارى لدهن البلسان ما
ذكره في كتاب «السنكار» - وهو يشتمل
على أخبار النصارى - أن المسيح لما خرجت

به أمه ، ومعها يوسف النجار ، من بيت
المقدس ، فرارا من هيرودس ملك اليهود ،
نزلت به أول موضع من أرض مصر مدينة
بسطة في رابع عشر شمس ، فلم يقبلهم
أهلها ، فنزلوا بظاهرها ، وأقاموا أياما .

ثم ساروا إلى مدينة سنود ، وعدوا النيل
إلى الغريبة ، ومشوا إلى مدينة الأشمونين .
وكان بأعلاها إذ ذاك شكل فرس من نحاس ،
قائم على أربعة أعمدة ، فإذا قدم إليها غريب
صهل .. فجاءوا ونظروا في أمر القادم ،
فمنما وصلت مريم بالمسيح عليه السلام إلى
المدينة سقط القوس المذكور وتكرر ،
فدخلت به أمه .

وظهرت له عليه السلام في الأشمونين آية ،
وهو أن خصة جمال محلة زاحتهم في
مردوهم ، فصرخ فيها المسيح في الأشمونين ،
فصارت حجارة .

ثم اتهم ساروا من الأشمونين ، وأقاموا
بقية تسمى فيلس مدة أيام ، ثم مضوا إلى
مدينة تسمى قس وقام - وهي التي يقال لها
اليوم القوصية - فطلق الشيطان من أجواف
الأصنام التي بها ، وقال : ان امرأة أنت ومعها
ولدها يريدون أن يخربوا بيوت معابدكم .
فخرج إليهم مائة رجل بسلحهم ، وطردوهم
عن المدينة .

فمضوا إلى ناحية ميرة في غربي القوصية ،
ونزلوا في الموضع الذي يعرف اليوم بدير
المحرق ، وأقاموا به ستة أشهر وأياما ، فرأى

يوسف التجار في منامه قائلا مقبره بسوت
هيرويس ، وامره ان يرجع بالمسيح الى
القدس .

فمادوا من ميرة حتى نزلوا حيث الموضع
الذي يعرف اليوم في مدينة مصر بقصر
النسج ، واقاموا بمغارة تعرف اليوم بكنيسة
بوسرجة

ثم خرجوا منها الى عين شمس ، فاستراحوا
هناك بجوار ماء ، فغسلت مريم من ذلك الماء
ثياب المسيح وقد اتسخت ، وصبت غسالتها
بتلك الاراضي ، فانبت الله هناك اللسان ،
وكان اذ ذاك بالأردن ، فانقطع من هناك
وبقى هذه الارض .

وغمرت هذه البئر ، التي هي الآن موجودة
هناك ، على ذلك الماء الذي غسلت منه
مريم . وبلغني انها الى الآن اذا اعتبرت بوجود
ماؤها عينا جارية في أسفلها ... فهذا سبب
تعظيم النصارى لهذه البئر ولللسان ، فانه
الما سقى منها . والله اعلم .

المنصورة

هذه البلدة على رأس بحر أشموم ، تجاه
قاجية طلخا ، بناها السلطان الملك الكامل
ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر
ابن أيوب ، في سنة ست عشرة وستائة ،
هندما ملك الفرنج مدينة دمياط .

فتزل في موضع هذه البلدة وخيم به ، وبني
قصرا لسكناه ، وأمر من معه من الأمراء

والعاكر بالبناء ، فبنى هناك عدة دور ،
ونصبت الأسواق ، وأدار عليها سورا مسا
بلى البحر ، وستره بالآلات الحربية
والسائر .

وتسمى هذه المنزلة المدينة المنصورة ، ولم
يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط - كما
تقدم ذكره عند ذكر مدينة دمياط من كتابنا
هذا - فصارت مدينة كبيرة ، بها الحمامات
والفنادق والأسواق

ولما استنقذ الملك الكامل دمياط من
الفرنج ، ورحل الفرنج الى بلادهم ، جلس
بقصره في المنصورة وبين يديه اخوته : الملك
المعظم عيسى صاحب دمشق ، والملك الأشرف
موسى صاحب بلاد الشرق ، وغيرهما من اهله
وخواصه ... فأمر الملك الأشرف جاريته
ففتت على عودها :

ولما طغى فرعون عكا وقومه
وجاء الى مصر ليفسد في الارض

اتى نحوهم موسى وفي يده العصا
فأغرقهم في اليم بعضا على بعض

قطرب الأشرف ، وقال لها : بالله كررى .

فتش ذلك على الملك الكامل واسكتها ،
وقال لجازيته : غنى أمت .

فأخذت العود وغنت :

أياهل دين الكفر قوموا لتظروا
لما قد جرى في وقتنا وتجلدا

أعباد عيسى ان عيسى وحزبه
وموسى جميعا ينصران محمدا

وهذا البيت من قصيدة لشرف الدين بن حبارة
أولها : « أبى الوجد الا ان آيت مسهدا »

فأعجب ذلك الملك الكامل ، وأمر لكل
من الجارتين بخسائة دينار

فنهض القاضي الصدر الأجل الرئيس هبة
الله بن محاسن قاضى غزة - وكان من جملة
الجلساء - على قدمه ، وأند بقول :

هنيئا فان السعد جاء محلدا

وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا

حبا انا اله الخلق فتحا لنا بدا

ميننا وانعاما وعزا مؤبدا

تعال وجه الأرض بعد قطوبه

وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا

ولما طغى البحر الخضم بأهله اا

طفاة وأضحى بالمراكب مزبدا

أقام لهذا الدين من سل عزمه

صقيلا كما سل الحمام المهندا

فلم ينج الا كل شلو مجدل

ثوى منهم أو من تراه مقيدا

ونادى لسان الكون في الأرض رافعا

عقيرته في الخافقين ومنشدا

أعباد عيسى ان عيسى وحزبه

وموسى جميعا ينصران محمدا

فكانت هذه الليلة بالمنصورة من أحسن ليلة
مرت لملك من الملوك .

وكان عند انشاده بشير ، اذا قال عيسى ،
الى * عيسى المعظم ، واذا قال موسى ، الى

موسى الأشرف ، واذا قال محمدا ، الى
السلطان الملك الكامل

وقد قيل ان الذى انشد هذه الايات انما
هو واجح المحلى الشاعر .

العباسة

هذه القرية فيما بين بليس والصالحية من
أرض السدير ، لم يزل متنزها للملوك مصر ،
وبها ولد العباس بن أحمد بن طولون ، فسماه
لذلك أبوه العباس . وولد بها أيضا الملك
الأمجد تقي الدين عباس بن العادل أبي بكر
ابن أيوب

وكان الملك الكامل محمد بن العادل يقيم
بها كثيرا ، ويقول : هذه تملو مصر . اذا
أقمت بها أصطاد الطير من السماء ، والسمك
من الماء ، والوحش من الفضاء ، ويصل
الخيز من قلعة الجبل الى بها في قلعتى وهو
سخن . وبني بها آدرا ومناظر وبساتين ، وبني
أمرأه بها أيضا عدة مساكن في البساتين .

ولم تزل العباسة على ذلك ، حتى أنشأ
الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل
المنزلة الصالحية ، فتلاشى حينئذ أمر العباسة ،
وخربت المناظر في سلطنة الملك المعز إيبك .

فلما كانت سلطنة الملك الظاهر ركن الدين
بيبرس ، مر على السدير - وهو قم
الوادي - فأعجب به ، وبني في موضع
اختاره منه قرية سماها الظاهرية ، وأنشأ بها
جامعا ، وذلك في سنة ست وستين وستائة .

وسيت بالجبانة بنت أحمد بن طولون ،
فانه خرجت الى هذا الموضع مودعة لبنت
اخيها قطر الذي بنت خساروه بن أحمد بن
طولون ، لما حلت الى المقصد ، وضربت
هناك قساطيطها ، ثم بنت قرية فسميت
باسمها .

ذكر مدينة ققط بصعيد مصر

هذه المدينة تعرف بقطر بن قبطيم بن
مصرام بن يعصر بن حام بن نوح عليه
السلام . وكانت في الدهر الاول مدينة
الاقليم ، وانما بدأ خرابها بعد الاربعائة من
تاريخ الهجرة النبوية . وآخر ما كان فيها
— بعد السبعائة من سني الهجرة — اربعون
مبكا للسكر ، وست معاصر للقصب .

ويقال كان فيها قصاب باغالي دورها ،
وكانت اشارة من ملك من اهلها عشرة آلاف
دينار ، ان يجعل في داره قبة وبالقرب منها
معدن الزمرد ، ولم يطل الا من قرب .

فان قطر بن ولي الملك بعد ابيه قبطيم :

قال ابن وصيف شاه : كان اكبر ولد ابيه ،
وكان جبارا عظيم الخلق ، وهو الذي وضع
اساسات الاهرام المنصورة وغيرها ، وهو
الذي بنى مدينة دنبرة ومدينة الاصنام ،
وهلكت عاد بالريح في آخر ايامه .

واثار من المعادن ما لم يشه غيره . وكان
يتخذ من الذهب مثل حجر الرحي ، ومن
الزبرجد مثل الاسطوانة ، ومن الاسباشم في
صحراء الغرب كالقطة .

وعمل من العجائب شيئا كثيرا ، وبنى متارا
عاليا على جبل ققط يرى منه البحر الشرقى ،
ووجد هناك معدن زئبق فعمل منه تماثلا
كالصود لا يتحل ولا يذوب . وعمل البركة
التي سماها صيادة الطير ، اذا مر عليها طائر
سقط فيها ، ولم يقدر على الحركة حتى
يؤخذ . وهذه البركة يقال انها هناك الى
الآن ، واما النار فسقط .

وعمل عجائب كثيرة . وفي ايامه اثار عبادة
الاصنام التي كان الطوفان غرقها ، وزين
التيطان امرها وعبادتها .

ويقال انه بنى المدائن الداخلة وعمل فيها
عجائب . وبنى غربي النيل وخلف الواحات
الداخلة ، مدلا عمل فيها عجائب كثيرة ، ووكّل
بها الروحانيين الذين يسمعون منها ، فما
يستطيع احد ان يدنو اليها ولا يدخلها الا
ان يصل قرايين لأولئك الروحانيين .

واقام قطر بن ملكا اربعائة وثمانين سنة .
واكثر العجائب عملت في وقته ووقت ابنه
البوسير . ولذلك كان الصيد اكثر عجائب
من اسفل ، لان حيز قطر بن فيه .

ولما حضر قطر بن الوفاة ، عمل فاووسا في
الجبل الغربي قرب مدينة الكهان ، في سرب
نحت الارض معقود على أزج الى الارض ،
وقر تحت الجبل دارا واسعة ، وجعل دورها
خزائن متقورة ، وفي سقفها مسارب للرياح ،
وبسط السرب وجميع الدار بالمزمر .

وجعل في وسط الدار مجلسا على ثمانية
اركان ، مصفحا بالزجاج الملون المسبوك ،
وجعل في سقفه جواهر تخرج ، وجعل في كل

ركن من اركان المجلس تماثلا من الذهب بده
كالبلوق الذي يوق به .

وتحت القبة دكة مصفحة بذهب . وبها
خفاف من زبرجد . ووقد الدكة فرش من
حرير ، وجعل عليها جسد معدن طح بالزئبق
المنجفة ، ووضع في حبه آلات كالمزمر .
وبدلت عليه ثياب مسوحة بذهب . ووجهه
مكتوف ، وعلى رأسه تاج مكلل . وعن
جوانب الدكة أربعة تماثيل مجسودات من
زجاج مسبوك ، في صور النساء باليدين
مراوح من ذهب ، وعلى صدره من فوق
الثياب سيف فاخر قائمته من زبرجد .

وجعل في تلك الخزائن من الذخائر وسبائك
الذهب والتيجان والجواهر وبرابي الحكم
وأصناف العقاقير والطلسمات ومصاحف
العلوم ما لا يحصى كثرة .

وجعل * على باب المجلس ديكاً من ذهب ،
على قاعدته من زجاج أخضر ، منشور
الجناحين ، مزبورا عليه آيات مانعة .

وجعل على كل مدخل أزج صورتين من
نحاس بأيديهما سيفان ، وقدامهما بلاطة تحتها
لواء من وطنها ضربه بأسياهما فقتلاه ، وفي
سقف كل أزج كرة ، وعليهما لطوخ مدير ،
يسرج فيقد طول الزمان .

وسد باب الأزج بالاساطين المرسصة ،
ورصوا على سقفه البلاط العظام ، وردموا
فوقها الرمال ، وزبروا على باب الأزج :

« هذا المدخل الى جسد الملك المعظم ،
المهيب الكريم الشديد قطر بن ، ذي الأيد

(١٢٢) من ٢٢٢ ج ١ ، ط. بولاق .

واتقخر والغلبة والقمهر ، أقل نجسه ، وبقي
ذكره وعلمه ، فلا يصل أحد اليه ، ولا يقدر
بحيله عليه ، وذلك بعد سبعائة وسبعين
ودورات مضت من السنين .

وقال السعودي : ومعدن الزمرد في عمل
الصيد الأعلى من مدينة ققط ، ومنها يخرج
الى هذا المعدن . والموضع الذي هو فيه يعرف
بالخربة ، وهي مفازة وجبال ، والبجة تحس
هذا المكان المعروف بالخربة ، واليهما يؤدي
الخفارات من يرد الى حفر الزمرد .

ووجدت جماعة من صعيد مصر من ذوي
الدراية — ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن ،
وعرف هذا النوع من الجواهر — يخبرون
انه يكثر ويقل في فصول السنة ، فيكثر في
قوة مواد الهواء وهبوب نوع من الرياح
الأربع ، وتقوى الخضرة فيه والشماع التورى
في أوائل الشهر ، والزيادة في نور القمر .

وبين الموضع المعروف بالخربة الذي فيه
معدن الزمرد ، وبين ما اتصل من العمارة وقرب
منه من الديار ، مسيرة سبعة أيام . وهي ققط
وقوص وغيرها من صعيد مصر . وقوص
راكبة النيل . وبين النيل وققط نحو من
ميلين .

ولمدينتي ققط وقوص أخبار عجيبة في بده
عمارتهما ، وما كان في أيام القبط من
أخبارهما ، الا ان مدينة ققط في هذا الوقت
متداعية للخراب ، وقوص أعمر ، والناس فيها
أكثر .

وكان بققط يرثا موكل بها روحاني في
صورة جارية سوداء تحمل صيا أسود
صغيرا ، حكى انها رؤيت بها مرارا .

ومعدن الزمرذ في البر المتصل بأسوان ، وكان له ديوان فيه شهود وكتاب ، وينفق على المال به ، وتقال لهم المون لغيره ، واستخراج الزمرذ منه . وهو في جبال مرملة يحفر فيه ، وربما سقط على الجماعة به فماتوا . وكان يجمع ما يخرج منه ، ويحمل إلى القسطنطينية ، ومنه يحمل إلى البلاد .

وقد كان الناس يسرون من قوص إلى معدن الزمرذ في ثمانية أيام بالسير المعتدل وكانت البجاة تنزل حوله وقريبا منه لأجل القيام بغيره وحفظه .

وهذا المعدن في الجبل الآخذ على شرقى النيل ، في بحرى قطعة عظيمة من هذا الجبل تسمى قرشنة ، وليس هناك من الجبال أعلى منها ، وهو في منقطع من البر لا عمارة عنده ولا حوله ولا قريبا منه ، والماء عنه مسيرة نصف يوم أو أزيد ، وهو ما يحصل من المطر ، ويعرف بغدير أعين ، بكثرة المطر ويقل بقلته .

وهذا المعدن في صدر مفازة طويلة في حجر أبيض يستخرج منه الزمرذ . وهذا الحجر الأبيض ثلاثة أنواع : أحدها يقال له طلق كافورى ، والثاني يقال له طلق فضى ، والثالث يقال له حجر جبرى . وضرب في هذه الحجارة حتى يخرج الزمرذ ، وهو كالفرق فيه .

وأنواعه الربابى ، وهو أقل من القليل ، لا يخرج إلا في النادر ، وإذا استخرج ألقى في الزيت الحار ، ثم يعط في قطن ، ويصر ذلك القطن في خرق خام أو نحوها .

وكان الاحتراز على هذا المعدن كثيرا جدا ، ويفتش العملة عند الخروج منه كل يوم حتى تفتش عوراتهم ، ومع ذلك فيحتلسون منه بصناعات لهم في ذلك .

ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزمرذ ، إلى أن أبطل العمل منه الوزير صاحب علم الدين عبد الله بن زنبور ، في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، في سنة بضع وستين وسبعمائة .

وفي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، كانت فتنة كبيرة بمدينة ققط ، سببها أن داعيا من بسى عبد القوى ادعى أنه داود بن العاضد ، فاجتمع الناس عليه . فبعث السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب على جيش ، فقتل من أهل ققط نحو ثلاثة آلاف ، وصلبهم على شجرها ظاهر ققط بمئاتهم وطياتهم .

ذكر مدينة دندرة

هي إحدى مدن الصعيد الأعلى القديمة . بناها قطر بن مصر بن مصر بن حام ابن نوح عليه السلام . وكان فيها برجا عظيمة فيها مائة وثمانون كوة ، تدخل الشمس في كل يوم من كوة حتى تأتي على آخرها ، ثم تكرر راجعة إلى حيث بدأت . وكانت روحانياتها الموكلة بها تظهر في هيئة إنسان له رأس أسد بقرنين .

وكان بها أيضا شجرة — تعرف بشجرة العباس — متوسطة ، وأوراقها خضر مستديرة ، إذا قال الإنسان عندها : يا شجرة

العباس جاءك الفاس ، تجتمع أوراقها وتحرق لوقتها لم تعود كما كانت .

وبين دندرة وبين قوص برصد واحد . وكانت برجا دندرة أعظم من برجا أخميم .

ذكر الواحات الداخلة

الواحات منقطعة وراء الوجه القبلى في مغاربه ، ولا تعد في الولايات ولا في الأعمال ، ولا يحكم عليها من قبل السلطان وال ، وإنما يحكم عليها من قبل مقاطعها .

وبلاد الواحات ، بين مصر والاسكندرية والصعيد والثوبة والجبة ، بعضها داخل ببعض . وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ، ولا يفتقر إلى سواه . وأرضها شبيهة وزاجية ، وعيون حامضة الطعم تستعمل كاستعمال الخل ، وعيون مختلفة الطعم من الحامض والقابض والمالح . ولكل نوع منها خاصية ومنفعة ، وهي على قسمين : واحات داخلية ، وواحات خارجة ... جبلتها أربع واحات .

ويقال إن الواحات ولدوا حولها بن كوش ابن كنعان بن حام بن نوح ، وإن أخربا بن كوش أبو الحبش وأبو شنيا بن كوش أبو زغاوة وأبو شفحيا بن كوش أبو الحبش المرمم .

قال ابن وصيف شاه : ويقال إن قطر بن بنى المدائن الداخلة ، وعمل فيها عجائب : منها الماء القائم كالعبود لا ينحل ولا يذوب ، والبركة

التي تسمى فلسطين أى صيادة الطير ، إذا من عليها الطير سقط فيها ، ولم يمكنه الخروج منها حتى يؤخذ .

وعمل أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر . إذا قرب الأسد أو الحيات ، أو غيرها من الأشياء المضرة ، من تلك المدينة ، صغر تصفيرا عاليا ، فترجع تلك الدواب هاربة .

وعمل على أربعة أبواب هذه المدينة أربعة أصنام من نحاس ، لا يقرب منها غريب إلا ألقى عليه النوم والسيات ، فينام عندها ، ولا يبرح حتى يأتيه أهل المدينة وينفخوا في وجهه ليقوم ، وإن لم يفعلوا ذلك لا يزال نائما عند الأصنام حتى يهلك .

وعمل منارا لطيفا من زجاج ملون ، على قاعدة من نحاس ، وعمل على رأس المنار صورة صتم من أخلاط كثيرة ، وفي يده كالقوس كأنه يرمى عنها ، فإن عاينه غريب وقف في موضعه ، ولم يبرح حتى ينحيه أهل المدينة . وكان ذلك الصنم يتوجه إلى مهب الرياح الأربع من نفسه .

وقيل إن هذا الصنم على حاله إلى الآن ، وإن الناس تحاموا تلك المدينة — على كثرة ما فيها من السكنوز والعجائب الظاهرة — خوفا من ذلك الصنم أن تقع عين إنسان عليه ، فلا يزال قائما حتى يتلف . وكان بعض الملوك عمل على قلعه فبا أمكنه ، وهلك لذلك خلق كثير .

ويقال أنه عمل في بعض المدائن الداخلة مرآة يرى فيها جميع ما يسأل الإنسان عنه .

وبنى غربى النيل ، وخلف الواحات الداخلة ، مدنا عسل فيها عجائب كثيرة ، ووكّل الروحانيين بها الذين يتمتعون منها ، فسا يستطيع أحد أن يدنو إليها ولا يدخلها ، أو يعمل قرايين أولئك الروحانيين ، فيصل إليها حينئذ ، ويأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر .

وبنى الملك صا بن الساد — وقيل صا ابن مرقولس — بداخل الواحات مدينة ، وغرس حولها نخلا كثيرا ، وكان يسكن منف ، وملك الأحياز كلها ، وعمل عجائب ومطلسات ، ورد الكهنة إلى مراتبهم ، وتقى الملتهين وأهل الثرم من كان يصحب الساد ابن مرقولس ، وجعل على أطراف مصر أصحاب أخبار يرفعون إليه ما يجرى في حدودهم ، وعمل على غربى النيل منائر يوقد عليها إذا حاربهم أمر أو قصدهم قاصد .

وكان لما ملك البلد بأسره ، جمع الحكماء إليه ، ونظر في نجومه — وكان بها حاذقا — فرأى أن بلده لا بد أن تفرق بالطوفان من نيلها ، ورأى أنها تخرب على يد رجل يأتى من ناحية الشام ... فجمع كل فاعل بمصر ، وبنى في الواح الأقصى مدينة ، جعل طول حصنها في الارتفاع خمسين ذراعا ، وأودعها جميع الحكم والأموال .

وهى المدينة التى وقع عليها موسى بن نصير في زمن بنى أمية لما قدم من المغرب . فلما دخل مصر أخذ على الواح الأقصى — وكان عنده علم منها — فأقام سبعة أيام يسير في رمال بين الغرب والجنوب ، فظهرت

له مدينة عليها حصن وأبواب من حديد ، فلم يمكنه فتح الأبواب ، وكان إذا صعد إليها الرجال ، وعلوا الحصن وأشرقوا على المدينة ، ألقوا بأنفسهم فيها . فلما أعياها أمرها مضى ، وهلك من أصحابه عدة .

قال : وفى تلك الصحارى كانت متزهات القوم ومدنهم العجيبة وكنوزهم ، إلا أن الرمال غلبت عليها ، ولم يبق يملك ملك إلا وقد عمل للرمال طلسمًا لدفعه ، ففقدت طلسماتها لقدم الزمان .

قال : ولا ينبغي لأحد أن ينكر كثرة بنيانهم ، ولا مدائنهم ولا ما نصبوه من الأعلام العظام ، فقد كان للقوم بطش لم يكن لغيرهم ، وإن آثارهم لينة ، مثل الأهرام والأعلام والاسكندرية وما في صحارى الشرق ، والجيال المنحوتة التى جعلوا كنوزهم فيها والأودية المنحوتة ، ومثل ما بالصعيد من البرابى وما نقشوه عليها من حكمتهم ... فلو تعاظم جميع ملوك الأرض أن يبنوا مثل الهرمين ما تها لهم ، وكذلك أن ينقشوا برجا لطلال بهم الأمد ولم يسكنهم .

وحكى عن قوم من البنائين ، في ضياع الغرب ، أن عاملا عندهم علف بهم ، ففروا في صحراء الغرب ومعهم زاد إلى أن تنصلح أحوالهم ويرجعوا .

فلما كانوا على مسيرة يوم وبعض آخر ، قدموا إلى سفح جبل ، فوجدوا غيرا أهليا قد خرج من بعض الشجائب ، فتبعه بعضهم ، فاتتهى إلى مساكن وأشجار ونخل ومياه

تطرد ، وقوم هناك * يرعون ولهم مساكن ، وكلهم وأعجب بهم

فجاء إلى أصحابه ، وقدم بهم على أولئك القوم ، فسألوهم عن حالهم فأخبروهم ، وأقاموا عندهم حتى صلحت أحوالهم ، وخرجوا ليأتوا بأهاليهم ومواشيهم ويقيموا عندهم ، فساروا مدة وهم لا يعرفون الطريق ولا يتأتى لهم العود ، فأسفوا على ما فاتهم .

وفل آخرون عن الطريق في الغرب ، فوقفوا على مدينة عامرة كثيرة الناس والمواشى والنخل والشجر ، فأضافوهم وأطعموهم وسقوهم ، وباتوا في طاحونة ، فسكروا من الشراب وناموا ، فلم ينتبهوا إلا من حر الشمس ، فإذا هم في مدينة خراب ليس فيها أحد .

فخافوا وخرجوا ، وظلوا يومهم سائرين إلى المساء ، فظهرت لهم مدينة أكبر من الأولى وأعر ، وأكثر أهلا وشجرا ومواشى ، فأنسوا بهم وأخبروهم بخبر المدينة الأولى ، فجعلوا يعجبون منهم ويضحكون ، وانطلقوا بهم إلى وليمة لبعض أهل المدينة ، فأكلوا وشربوا ، وغنوا بهم حتى سكروا .

فلما كان من الغد اتبهم ، فإذا هم في مدينة عظيمة ليس فيها أحد ، وحولها نخل قد تساقط ثمره وتكدس . فخرجوا ، وهم يجدون ربح الشراب ومبادئ الخمار ، فساروا يوما إلى المساء ، وإذا راع يرعى غنما ، فسألوه عن الطريق فدلهم ، فساروا بعض يوم من الغد ، فوصلوا مدينة الأشمونين بالصعيد .

(*) (ص ٢٢٤) ج ١ ، طه بولاق

قال : وهذه مدائن القوم الداخلة القديسة قد غلب عليها الجان ، ومنها ما سترته عن العيون ، فلا ينظر إليها أحد .

وقال : إن اليودسير بن قطريم بن قبطيم ابن بصر بن حام بن نوح عليه السلام ، في أيامه بنيت بصحراء الغرب منائر ومتزهات ، وحول إليها جماعة من أهل بيته ، فعمروا تلك النواحي ، وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب عامرة كلها . وأقامت على ذلك مدة كثيرة ، فخالطهم البربر ونكحوا منهم ، ثم تحاسدوا ، فكانت بينهم حروب خربت فيها تلك الجهات وبادت ، إلا بقية منازل تسمى الواحات .

ذكر مدينه سنترية

ومدينة سنترية من جملة الواحات ، بناها مناقوش بالى مدينة اخميم . كان أحد ملوك القبط القدماء .

قال ابن وصيف شاه : وكان في حزم أييه وحنكة ، فعمم في أعين أهل مصر . وهو أول من عمل الميدان ، وأمر أصحابه برياضة أنفسهم فيه ، وأول من عمل المارستان لعلاج المرضى والزمنى ، وأودع العقاقير ، ورتب فيه الأطباء ، وأجرى عليهم ما يسعهم ، وأقام الأمان على ذلك .

وصنع لنفسه عيدا ، فكان الناس يجتمعون إليه فيه ، وسماه عيد الملك ، في يوم من السنة ، فيأكلون ويشربون سبعة أيام ، وهو مشرف عليهم من مجلس على عمد قد طوقت بالذهب ، وألبست فاخر الثياب المنسوجة

الذهب ، وعليه قبة مصنعة من داخل بالرخام
وجراج والذهب

وفي أيامه بنيت سترية في صحراء
الوحدات ، عليها من حجر أبيض مربعة ، وفي
كل حائط باب في وسطه شارع إلى حائط
معدنه . وجعل في كل شارع يسره وبيرة
أبوها تسمى خرقتها إلى داخل المدينة ، وفي
وسط المدينة ملعب يدور به من كل ناحية
سبع درج ، وعليه قبة من خشب مدهون ،
على سند عتيبة من رخام ، وفي وسطه منار
من رخام ، عليه صنم من صوان أسود يدور
مع الشمس بدورها ، وبساتين فولحى القبة
صور ممتدة نحو أربعين بلقا مختلفة .

كان الملك يجلس على الدرجة العالية من
المنصب وحوله بنوه وأقاربه وأبناء الملوك ،
وعلى الدرجة الثانية رؤساء الكهنة والوزراء ،
وعلى الثالثة رؤساء الجيش ، وعلى الرابعة
الفلاسفة والنجوم والأطباء وأرباب العلوم ،
وعلى الخامسة أصحاب الممارات ، وعلى
السادسة أصحاب المهن ، وعلى السابعة
العامة . فيقال لكل صنف منهم : انظروا إلى
من دونكم ولا تنظروا إلى من فوقكم ، لا
تحتوهم . وهذا ضرب من التأديب .

وقتل امرأته بسكين فمات . وكان ملكه
ستين سنة .

وسترية الآن بلد صغير ، يسكنه نحو
ستائة رجل من البربر يعرفون سيوة ،
ولقبتهم تعرف بالسيوة تقرب من لغة زقانة .
وبها حدائق فخل ، وأشجار من زيتون وتين
وغير ذلك ، وكرم كثير . وبها الآن نحو

الغمرين عينا تسيح بناء عظيم . ومساقتها من
الاسكندرية أحد عشر يوما ، ومن حيزة مصر
أربعة عشر يوما

وهي قرية يحيط أهلها الحصى كثيرا .
ونسرها غاية في الجودة ، وتبعث الجن بأهلها
كثيرا ، وتختطف من أفراد منهم ، وتسمع
الناس بها عريف الجن .

ذكر الواحات الغارقة

بناها أحد ملوك القبط الأول ، ويقال له
البوديسير بن قبطيم بن قبطيم بن مصرام بن
يصر بن حام بن نوح عليه السلام

قال ابن وصيف شاه : وأراد البوديسير أن
يسير مغريا لينظر إلى ما هنالك ، فوقع على
أرض واسعة متخرقة بالمياه والفيضون كثيرة
العشب ، فبنى فيها منائر ومتزهات ، وأقام
فيها جماعة من أهل بيته ، فعمروا تلك التولعى
وبنوا فيها حتى صارت أرض القرب عمارة
كلها

وأقامت كذلك مدة كثيرة ، وخالفهم
البربر ، فنكح بعضهم من بعض ، ثم انهم
تطاسدوا وبغى بعضهم على بعض ، فكانت
بينهم حروب ، فخرّب ذلك البلد وباد أهله ،
الابقية منازل تسمى الواحات .

وقال السعوى : وأما بلاد الواحات فهي
بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر
والغرب وأرض الأحابش من النوبة وغيرهم .
وبها أرض شبة وزاجية ، وعيون حامضة
وغير ذلك من الطعوم .

(١١٠) ص ١١٢ ج ١ ط ١١٠

وصاحب الواحات في وقتها هذا (وهو سنة
١١٢٠ وثلاثين وثلاثمائة) عبد الملك بن مروان ،
هو رجل من لواتة ، إلا أنه مرواني المذهب ،
برك في آلاف من الناس خيلا ونجا .

وبنه وبين الأحابش نحو من ستة أيام ،
وكذلك بينه وبين سائر ما ذكرنا من العماثر
هذا المقدار من المسافة . وفي أرضه خواص
وعجائب ، وهو بلد قائم بنفسه ، غير متصل
بغيره ولا يفترق إليه . ويحصل من أرضه
النمر والزيب والصاب

وحدثني وكيل أبي الشيخ المرحوم الدين
عمر بن محمد بن زكري الشهرزوري ،
أنه سمع يلاذ الواحات أن فيها شجرة فارنج
يقطف منها ، في سنة واحدة ، أربعة عشر
ألف حبة فارنج صفراء ، سوى ما يتسائر
وسوى ما هو أخضر .

لم أصدق ذلك مرارته . وقت حتى
شاهدت الشجرة المذكورة . وإذا هي كأعظم
ما يكون من شجر الخيسر بحزر وأكبر
وسانت مستوفى اللدعه . فحضر إلى جرائد
حساباته ، وتصنحها حتى أوفى على أن منها
في سنة كذا قطف من الدرجة العلانية أربعة
عشر ألف حبة فارنج مستوية صفراء ، سوى
ما بقي عليها من الأخضر ، وسوى ما تسائر
سها وهو صغير .

وبالواحات الشب الأبيض بواد تجاء
مدينة ادفو . كان في زمن الملك الكامل محمد
ابن العادل أبي بكر ، وفي زمن ابنه الصالح
نجم الدين أيوب ، على منقضى الواحات حمل
ألف قنطار شب أبيض في كل سنة إلى

القاهرة ، ويطلق لهم في تفسير ذلك جوالى
الواحات ، ثم أهل هذا فبطل

وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، سار ملك
النوبة في جيش عظيم إلى الواحات ، فأوقع
بأهلها وقتل منها وأسر كثيرا .

ذكر مدينة قوص

اعلم أن قوص أعظم مدائن الصعيد ، وهي
على النيل ، بنيت بعد قطف في أيام ملك من
ملوك القبط الأول يقال له سدان بن عديم
ابن البوديسير بن قبطيم . قيل سميت باسم
قوص بن قطف بن اخميم بن سيفاف بن أشمن
ابن مصر .

قال ابن وصيف شاه : سدان بن عديم هو
الذي بنى الأهرام الدهشورية من التجارة
التي قطعت في زمان أبيه ، وعمل مصاحف
الترينجات وهيكل أرمت ، وعمل في المدائن
الداخلية من أنصنا هيكل وأقام فيه في أثرب ،
وهيكل في شرقي الاسكندرية ، وبنى في
الجانب الشرقي مدائن ، وفي أيامه بنيت قوص
العالية ، وأسكن فيها قوما من أهل الحكمة
وأهل الصناعات .

وكانت الجيش والسودان قد عاثوا في
بلده ، فأخرج لهم ابنه منقشوش في جيش
عظيم ، فقتل منهم وسبي ، واستعبد الذين
سباهم وصار ذلك سنة لهم ، واقتطع معدن
الذهب من أرضهم ، وأقام ذلك السبي
يعملون فيه ويحصلون الذهب إليه .

وهو أول من أحب الصيد ، وانشأ
الجوارح ، وولد الكلاب السلوقية من الذئاب
والكلاب الأهلية ، وحصل من العجائب
والظلمات لكل فن ما لا يحصى كثرة .

وقال الأديفي في تاريخ الصيد : وقوس
بجانب ققط ، حكى بعض المؤرخين أنها شرعت
في الصارة ، وشرعت ققط في الخراب من سنة
أربعمائة قيل أنه ضرب مرة قاضي قوس ،
فخرج من أسوان أربعمائة راكب بظلة إلى

وفي شهر رمضان سنة اثنتين وستين
وستمئة ، أحضر إلى الملك الظاهر بيسرس
فلوس وجعلت ملفوفة بقوس فأخذ منها
فلس ، فإذا على أحد وجهيه صورة ملك واقف
وفي يده اليمنى ميزان وفي اليسرى سيف ،
وعلى الوجه الآخر رأس فيه أذن كبيرة وعين

وبدائر الفلس كتابة ، فقرأها راهب
يوقاني ، فكان تاريخه إلى وقت قراءته ألفين
وثلاثمائة سنة ، وفيه « أنا غياث الملك : ميزان
العدل والكرم في يميني لمن أطاع ، والسيف
في يساري لمن عصي » . وفي الوجه الآخر :
« أنا غياث الملك : أذن مفتوحة لسباع
المظلوم ، وعيني مفتوحة أنظر بها مصالح
ملكي » .

وقوس كثيرة المقارب والبام أبرص ،
وبها صنف من المقارب للقتالات ، حتى أنه
كان يقال بها أكلة المقرب ، لأنه كان لا يرجى
لن يست حياة . واجتمع بها مرة ، في يوم
حائف ، على حائط الجامع سيمون سام أبرص
صفا واحدا . وكان الواحد من أهلها إذا مشى

في الصيف ليلا خارج داره يأخذ بأحدى يديه
سرجة تطوى له ، وبالأخرى يشك من حديد
يشك به المقارب ، ثم انها ثلاث بعد سنة
ثمانمئة .

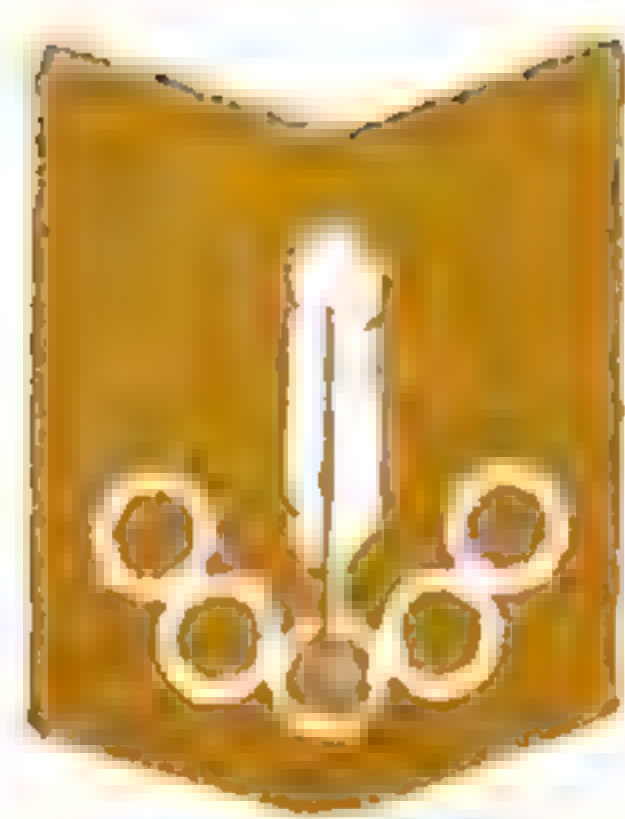
فلما كانت الحوادث والحن ، مات بها
سبعة عشر ألف انسان في سنة ست
وثلاثمئة . وكانت من الصارة بحيث أنه تعطل
منها ، في شراقي البلاد سنة ست وسبعين
وسبعمئة ، مائة وخمسون مقلقا (والمعلق
عندهم بيتان من عشرين قدالا فصاعدا ، وله
ساقية بأربعة وجوه) وذلك سوى ما تعطل
مما هو دون ذلك ، وهو كثير جدا .

ذكر مدينة اسنا

قال الأديفي : وذكر أن اسنا في سنة
حصل منها أربعون ألف اردب تمر ، وأثنا
عشر ألف اردب زيت . واسنا تشتمل على
ما يقارب ثلاثة عشر ألف منزل . وقيل أنه كان
بها في وقت سيمون شاعرا .

ذكر مدينة أدفو

ومدينة أدفو (يقال بالذال المهملة) ويقال
أيضا بالناء المشتاة من فوق) ، قال الأديفي :
أجبرني الخطيب العدل أبو بكر ، خطيب
أدفو ، أن جمارة طرحت ثلاثة شماريخ في كل
شمروخ تمر واحدة ، وأنه قلع الجمارة
بأصلها ووزنها فجاءت خمسة وعشرين درهما ،
كلها بغير بدنها وخشبها ، وذلك بأدفو .



« تصدرة دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
بولاق
سنة ١٢٧٠ هجرية

التمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٢ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِئِي

١٢



كتاب
التحرير

« كانت مصر هي مسقط رأسي . ولعل أنزاي . ومجمع ناسي . ومبنى عشيرتي وجامتي .
وموطن خاصتي وعامتي . ومجده الذي ربى جناسي في ذكره . وعنى مأربي ، فها
تهوى الأنفاس غير ذكره . لازلت منذ شذوت العام . وآمان رب الفطانة والفهم ، أغيب في
معرفة أخبارها ، وأحب لإشراف على الاعتزاز من آبارها . وأقوى مساواة الركبان عن سكان وبارها .
تقى الدين أحمد بن علي المقرئ »

ولما كان بعد سنة سبعمائة ، حفر صناع الطوب ، فظهرت صورة شخص من حجر شكل امرأة متربعة على كرسى ، وعليها مثال شبكة ، وفي ظهرها لوح مكتوب بالقلم اليونانى ... رأيتها على هذه الحالة فى مدينة أدفو .

أهناس

هى كورة من كور الصعيد ، يقال ان عيسى ابن مريم عليه السلام ولد بها ، وان نخلة مريم عليها السلام التى ذكرت فى قوله تعالى « وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » لم تزل بها الى آخر أيام بنى أمية .

والذى عليه الجماهرة أن عيسى عليه السلام انما ولد بقرية بيت لحم من مدينة بيت المقدس .

وبأهناس شجر البنج .

ذكر مدينة البهنسا

هذه المدينة فى جهة الغرب من النيل . بها تعمل الستور البهنسية ، وينسج المطرز والمقاطع السلطانية ، والمضارب الكبار والثياب المحبرة . وكان يعمل بها من الستور ما يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعا ، وقيمة الزوج مائتا مثقال ذهب .

واذا صنع بها شئ من الستور والأكسية والثياب ، من الصوف أو القطن ، فلا بد أن

يكون فيها اسم المتخذ له مكتوبا ... على ذلك مضوا جيلا بعد جيل .

وقبط مصر مجمعون على أن المسيح وأمه مريم كانا بالبهنسا ، ثم انتقلا عنها الى القدس .

وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى عن المسيح وأمه « وآويناها الى ربوة ذات قرار ومعين » : الربوة البهنسا .

وهذه المدينة بناها ملك من القبط يقال له مناوش بن منقاوش .

قال ابن وصيف شاه : واستخلف مناوش الملك ، فطلب الحكمة مثل أيه ، واستخرج كتبها ، وأكرم أهلها ، وبذل فيهم الجوائز ، وطلب الأغراب فى عمل العجائب . وكان كل من ملوكهم يجهد جهده فى أن يعمل له غريبة من الأعمال لم تعمل لمن كان قبله . وثبت فى كتبهم ، وزير على الحجارة فى تواريخهم .

وهو أول من عبد البقر من أهل مصر . وكان السبب فى ذلك أنه اعتل علة يش منه فيها ، فرأى فى منامه صورة روحانى عظيم يقول له : انه لا يخرجك من علتك الا عبادتك البقر ، لأن الطالع كان وقت حلولها بك صورة ثور بقرنين .

ففعل ذلك ، وأمر بأخذ ثور أبلق حسن الصورة ، وعمل له مجلسا فى قصره ، وسقفه بقبة مذهبة . فكان يبخره ويطيب موضعه ، ووكل به سائسا يقوم به ويكنس تحته ، ويعبده سرا من أهل مملكته ، فبرا من علتة .

وهو أول من عمل الجبل في حته ، فكان
يركب عليها السيوت من فوقها قباب الخشب .
وعمل ذلك من الحب من نسائه وخدشه الى
الفرانج والشرقات ، وكان البقر يجره ، فإذا
مر بسكان قبة أقام فيه ، وإذا مر بسكان
خرب أمر بشارته .

فيقال انه نظر الى تور من البقر الذي يجير
جبله ، ألقن حسن النسبة ، فأمر بترفيه
وسوقه بين يديه إعجابا به ، وجعل عليه
جلا من دياج .

فلما كان في يوم ، وقد خلا في موضع صار
اليه ، وقد اتحد عن عينه وخدشه ، والثور
قام ، لاذ خطبه الثور وقال له : لو رفعتني
الك من السير معه ، وجعلني في هيكل
وعبدني ، وأمر أهل ملكه بعبادتي ، كتبت
جميع ما يريد ، وغاوت على أمره ، وقوت
في ملكه ، وأزلت عنه جميع طله .

فارتاح لذلك ، وأمر بالثور ففصل وطيب
وادخل في هيكل ، وأمر بعبادته .

فأقام ذلك الثور بمدة ، وصار فيه
آية ، وهو انه لا يبول ولا يروث ، ولا يأكل
الا أطراف ورق القصب الأخضر في كل شهر
مرة ... فافتن الناس به ، وصار ذلك أصلا
 لعبادة البقر .

وبنى مواضع كنز فيها كنوزا ، وأقام عليها
أعلاما . وبني في صحراء القرب مدينة يقال
لها ديباس ، وأقام فيها منارا ، ودفن حولها
كنوزا . ويقال ان هذه المدينة قائمة ، وان

(١٥) من ١٢٧٢ هـ ، ١٢٧٢ هـ ، ١٢٧٢ هـ .

توما جازوا بها من غولي القرب وقد ضلوا
الطريق ، فسموا بها عرض الجن ، وراوا
ضوما يتراعى بها .

وفي بعض كتبهم ان ذلك الثور ، بعد مدة
من عبادتهم له ، أمرهم ان يعملوا صورته
من ذهب أجوف ، ويؤخذ من رأسه شعرات
ومن ذنبه ومن نعانة قروته وأظفاره ، ويجعل
في التمثال المذكور . وعرفهم انه يلحق
بملكه ، وأمرهم ان يجعلوا جسده في جرن من
حجر أحمر ، ويدفن في الهيكل ، وينصب
تمثاله عليه ، وزحل في شرقه ، والنسب تنظر
اليه من ثلث القمر زائد الثور ، وينقش على
التمثال علامات الكواكب السبعة .

فعملوا ذلك ، وكللوه بجميع الأصناف من
الجواهر ، وجعلوا عينيه جزعتين ، وغرسوا في
الهيكل عليه شجرة ، بعد ما دفنوه في الجرن
الأحمر ، وبنوا منارا طوله ثمانون ذراعا ،
على رأسه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تمضي
سبعة أيام ، ثم تعود الى اللون الأول .

وكسوا الهيكل ألوان الثياب ، وشقوا
نهر من النيل الى الهيكل ، وجعل حوله
طلسمات ، رؤوسها رؤوس القروذ على أبدان
الناس ، كل واحد منها لدفع مضرة وجلب
منفعة .

وأقام عند الهيكل أربعة أصنام على أربعة
أبواب ، ودفن تحت كل صنم صنفا من
الكنوز ، وكتب عليها قربانها وبخسورها ،
وأسكنها الشجرة ... فكانت تعرف بمدينة
الشجرة ، ومنها كانت أصناف الشجر تخرج .

وهو أول من عمل التيروز بمصر . وفي
زمانه بنيت البهنسا ، وأقام بها أسطوانات ،
وجعل قبة فوقها مجلسا من زجاج أسفر ،
عليه قبة مذهبة ، اذا طلعت الشمس التفت
شعاعها على المدينة .

ويقال انه ملكهم ثمانمائة وثلاثين سنة ،
ودفن في أحد الأهرام الصغار القليلة ، وقيل
في غربي الأشمونين .

ودفن معه من المال والجواهر والمجانب شيء
كثير ، وأصناف الكواكب السبعة التي يرى
الدفن والحية ، وألف سرج ذهب وفضة ،
وعشرة آلاف جام وغضار من ذهب وفضة ،
وزجاج ، وألف عقاقير لتفنون الأعمال .
وزبروا عليه اسمه ومدة ملكه ووقت موته .

وفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، ظهر
بالأشمونين ، في واد بين جبلين ، فساقى مربعة
مملوءة ماء عذبا صافيا ، فمشى شخص على
حافتها طول يوم وليلة فلم يبلغ آخرها .
ويقال انها من عمل سوريد باني الأهرام ،
لتكون عدة لما كانوا قد توقعوه من حدوث
طوفان قاري ... فقدم هذا الوادي بعد ذلك
خوفا من تلاف الناس .

يقول الشيخ الامام محمد بن أحمد
الغرياني : حدثني علي بن حسن بن خالد
الشعري (ثلاث مرات لم يختلف قوله على
فيها) قال : حدثني رجل من فزاراة الساكنين
بكورة البهنسا ، قال : خرجت أنا ورجل
رفيق لي نرتاد البلاد ، ونطلب الرزق في
الأرض ، وذلك بعد سنة عشر وثمانمائة ،

(١٦) قوله : وأصناف الكواكب ... الخ . مسكدا
في النسخ التي يدي . ولا تغلو العبارة من تحريف
فاحش لا يفهم معه الكلام ، فليست بال .

فقطعنا الجبل الغربي من ناحية البهنسا ،
وسرنا متوكئين على الله تعالى ، فافتننا أياما
ونحن نشي ما بين القرب والجنوب ، فوقفنا
في واد كبير الشجر والنبات والماء والكلأ ،
ليس فيه أنيس .

وهو واد واسع في الطول والعرض ، نحو
يوم في الطول ويوم في العرض ، كله أعين
وبساتين نخل وزيتون ، كثير الابل والمز ،
والذئب والضبغ به كثير ، والابل به متوحشة
وكذلك المز قد صارت به وحشية ، بعد ان
كانت آتية به ، وليس بالوادي لا رائح ولا
غاد من الناس .

قال : فأخبرني أنها أقاما بالوادي نعموا
من شهرين أو ثلاثة ، وأنها رأيا في وسط
الوادي مدينة حصينة منيعة عالية السور
شامخة القصور ، فإذا تقريبا من سورها سمعا
ضحيجا عظيما وأصواتا مهولة مخوفة ، ورأيا
دخانا يرتفع الى جو السماء حتى يغطي سور
المدينة وجميع ما فيها ، وأن تلك الابل
الوحشية عدت على رواحلها الانسية فأذنتها
وقتلتها .

فتحيل عند ذلك الرجلان الفزاريان بحيل ،
وفتلا حبالا وأشراكا شباكا من ليف النخل ،
وقيدا تلك الابل الوحشية ، وقتلا خواصا ،
وضفرا قفاقا من الخوص لزادهما وملاهما تمرا ،
وزلا من تلك الابل الوحشية مكان رواحلها
عوضا عنها ، وركبها متوجهين نحو الشرق ،
وحبلا معهما من الجريد ، أغنى جريد النخل ،
ما يعرفان به الطريق التي بينهما وبينها ،
ويجعلان ذلك أمارات لمرورها اليها .

فكانا كلنا مرا على شرف ، جملا عليه
جريدتين علما ، حتى وصلا الى الجبل القريب
من مصر ، فترلا الى البهنا ، فرقا قومما ،
وتصلا بأهاليهما .

فلما علوا سطح الجبل القريب ، وجدا كل
ما فرقاه من جريد النخل على رؤوس الأكام
مجتمعا في مكان واحد في أعلى الجبل ، فرجا
عند ذلك لأهاليهما ومن معهم الى أرض
البهنا .

وهذا ما حدثى به . والله أعلم .

ذكر مدينة الآشمنين

كانت من أعظم مدن الصعيد ، يقال انها من
بناء آشمن بن مصر بن يصر بن حام بن نوح
عليه السلام .

وقال ابن وصيف شاه : كان آشمن
أعبل ولد آية ، وأرغبهم في صنعة تبتى
ويبقى ذكرها . وهو الذى بنى المجالس
المصنعة بالزجاج الملون وسط النيل .

وتقول القبط : انه بنى سريا تحت الأرض ،
من الآشمنين الى أضنا تحت النيل . وقيل
انه حفره وعمله لبناء لأنهن كن يمتن الى
هيككل الشمس . وكان هذا الرب مبلط
الأرض والحيطان والسقف بالزجاج النخين
الملون .

وقيل ان آشمن كان أطول اخوته ملكا .
وقال أهل الأثر : انه ملك ثمانمائة سنة ، وان
قوم عاد اترعوا منه الملك بعد ثمانمائة سنة

(١٨) ص ١٢٨ ج ١ ط ١٩٧٧ هـ

من ملكه ، وأقاموا تسعين سنة ، واستولوا
على البلد ، فانتقلوا الى الدثينة من طريق
الحجاز الى وادى القري فمروها ، واتخذوا
بها المنازل والمصانع ، وسلط الله عليهم الشر
فأهلكهم ، وعاد ملك مصر الى آشمن .

ويقال انه حل على باب الآشمنين أوزة
من نحاس ، فكان القريب اذا جاء ليدخل
المدينة ، صاحت الأوزة وصفت بجانبها
فيعلم به ، فان أحبوا منعه ، وان أحبوا
تركوه . وكثرت الحيات في وقته ، فكانوا
يصيدونها ورسلون من لحومها أدوية
وترياقات ، ثم ساقوها بحرمهم الى وادى
الحيات في جبال لوية ومراقية ، فسجنوها
هناك .

وقال في كتاب هرويشي : ان آشمن
ابن قبط أول ملوك المصريين ، وانه كان في
زمان شاروخ بن راغو بن قالح بن عابر بن
شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وان
سنى الدنيا صارت الى زمان شاروخ ألفين
وتسعمائة وخمس سنين ، يكون ذلك بعد
الطوفان بثمانمائة وثلاث وستين سنة .

وبها كانت فرحة الخيل والبغال والحمير ،
وكان يعمل بها فرش القرمز الذى يشبه
الأرمنى .

وكان ينزل بأرض الآشمنين عدة بطون
من بنى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه
— وكانوا بادية أصحاب شوكة — وكان
مهم بنو مسلمة بن عبد الملك بن مروان حلفاء
لهم ، ومعهم بطن آخر يقال لهم بنو عسكر ،
يقال ان أباهم كان مولى لعبد الملك بن

مروان ، ويزعمون أنهم من بنى أمية صليبة .
وكان معهم أيضا حلفاء لهم بنو خالد بن يزيد
ابن معاوية بن أبى سفيان ... ينزلون أرض
دلجة عند آشمن .

ذكر مدينة اخميم

ضبطها البكرى بكر الهمة واسكان الخاء
ثم ميم وياه وميم على بناء افمیل . وهى في
الجانب الشرقى من النيل ، والذى بناها
مناقيوش أحد ملوك القبط الأول .

قال ابن وصيف شاه : كان جلدا محتكما ،
فاستأنف المسارة ، وبنى القري ، ونصب
الأعلام ، وجمع الحكم ومصاحف الملوك
والحكماء ، وغسل المعائب ، وبنى لنفسه
مدينة اتفرد بها ، وعمل عليها حصنا ، ونصب
عليه أربعة أعلام ، في كل ركن من أركانه
علم ، وبين تلك الأعلام ثمانون صنما من
نحاس ، وأخلط في أيديها السلاح ، وزبر
على صدرها آياتها .

وكان ينفذ رجل من أولاد الكهنة ، من
أعلم الناس بالسحر ، وأبصرهم بأخذ
التماسيح والسباع ، وكان يعلم الفلمان
السحر ، فاذا حذقوا علم غيرهم . فأمر الملك
أن يبنى له مدينة ، ويحول اليها وهى اخميم .

فملكهم مناقيوش ثيفا وأربعين سنة ،
ومات فدفن في الهرم المحاذى لأطفيح ، ومعه
شئ كثير من المال والجواهر والآنية
والتماثيل ، وزبر عليه اسمه والوقت الذى
هلك فيه .

قال : وذكر أهل اخميم أن رجلا أتى من
الشرق ، وكان يلزم البريا ، ورائى اليه كل
يوم يخور وخلوق ، فيخير ويطيب صورة
في عضادة الباب ، فيجد تحتها دينارا فيأخذه
وينصرف . ففعل ذلك مدة حتى وثى به غلام
له الى عامل البلد ، فقبض عليه ، فبذل مالا
وخرج عن البلد .

وكانت بريا اخميم من أعجب البراي
وأعظمها ، قد بنيت لخزن برهم ، فأنهم قضوا
على أهل مصر بالطوفان قبل وقته بقرائن ،
لكنهم اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : تكون فان
فتحرق ما على جميع وجه الأرض ، وقال
آخرون : بل يكون ماء ... ففعلوا هذه
البراي قبل الطوفان .

وكان في هذه البريا صور الملوك الذين
يلكون مصر ، وكانت مبنية بحجر المرمر ،
وطول كل حجر منها خمسة أذرع في سمك
ذراعين ، وهى شبة دهاليز ستونها حجارة ،
طول الحجر منها ثمانية عشر ذراعا في عرض
خمس أذرع ، مدهونة باللازورد وغيره من
الأصباغ التى يحسبها الناظر كأنها فرغ
الدهان منها الآن لجدها .

وكان كل دهليز منها على اسم كوكب من
الكواكب السبعة السيارة ، وجدران هذه
الدهاليز منقوشة بصور مختلفة الهياكل
والمقادير ، فيها رموز علوم القبط ، من
الكيمياء والسياسة والطلسمات والطب
والنجوم والهندسة وغير ذلك ، أودعوها
تلك الصور .

وذكر ابن جبير في رحله أن قول هذه البريا مائة وعشرون ذلعا ، وسعتها مائة وسبعون ذلعا ، وأنها قائمة على أربعين سارية سوى العيطان ، دور كل سارية خمسون شبرا ، وفي كل سارية ثلاثون شبرا .

ورؤوسها في نهاية العظم كلها منتشرة من أسفلها إلى أعلاها ، ومن رأس كل سارية إلى الأخرى لوح عظيم من الحجر المنحوت فيها ما ذرعه ستة وخمسون شبرا طولا ، في عرض عشرة أشرار وارتفاع ثمانية أشرار .

وسطحها من ألواح الحجارة ، كأنها قرنين واحد ، فيه التصاوير البديعة والأصعبة الغريبة ، كمية الطيور والآدميين ، وغير ذلك في دلخلها وخارجها .

ومرض حائط البريا ثمانية عشر شبرا من حجارة مرصومة ... كذا قاسها ابن جبير في سنة ثمان وسبعين وخمسة .

ويقال إن ذا النون عرف منها علم الكيمياء .

وما زالت هذه البريا قائمة إلى سنة ثمانين وسبعائة ، فخرها رجل من أهل أخميم ، يعرف بالخطيب كمال الدين بن بكر الخطيب علم الدين طي ، وقال منها مالا ، فلم تطل حياته ومات . ومن حينئذ ثلاثي أمر أخميم إلى أن خربت .

وقد ذكر جماعة أن بريا أخميم كانت في هيئة غلام أمرد عريان ، وأن قوما دخلوها مرة ، فقبضهم وأخذ يضربهم ضربا وجيما حتى

(٥٨) من ١٢٢٠ ج ١ ، ط ١٩٥٠

تخرجوا هارين . وحكى مثل ذلك عن دخل الأهرام أيضا .

وقد حكى أن رجلا الصق على صورة من بريا أخميم شجرة ، فكان إذا تركها في موضع التجأت العقارب إليها ، وإذا وضع الشجرة في تابوت اجتمعت العقارب حوله .

ويقال أنه كان في بريا أخميم شيطان قائم على رجل واحدة ، وله يد واحدة وقد رفعها إلى الهواء ، وفي جبهته وحواليه كتابة ، وله لحييل ظاهر ملتصق بالحائط .

وكان يذكر أن من لحال حتى يتقب على ذلك الاحليل حتى يخرج من غير أن ينكسر ، وصلته على وسطه ، فانه لا يزال منعقا إلى أن ينزعه ، ويجمع ما أحب ولا يفتر ما دام معلقا عليه ، وأن بعض من ولى أخميم اقتله فوجد منه شيئا عجيبا من ذلك .

وكانت الأنطاخ تجلب من أخميم ، وصا تعمل . ويقال أنه كان بها اثنا عشر ألف عريف على السحرة ، وكان بها شجر البنج .

ويقال أن الذي بنى بريا أخميم اسمه دومريا ، وأنه جعل هذه البريا مثالا للأمم الآتية بعده ، وكتب فيها تواريخ الأمم والأجيال ومفاخرهم التي يفتخرون بها ، وصور فيها الأنبياء والحكماء ، وكتب فيها من يأتي من الملوك إلى آخر الدهر .

وكان بناؤه إياها والنسر برأس الحمل والنسر يقيم عندهم في كل برج ثلاثة آلاف سنة .

قلت : والنسر في زماننا بآخر باب برج الجدي ، فيكون على ذلك لهذه البريا منذ بنيت نحو الثلاثين ألف سنة .

وذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسي ، في كتاب تحفة الألباب ، أن هذه البريا مربعة من حجارة منحوتة ، ولها أربعة أبواب ، يفضى كل باب إلى بيت له أربعة أبواب كلها مظلمة ، ويصعد منها إلى بيوت كالغرف على قدرها .

ذكر مدينة العقاب

قال المسعودي : مدينة العقاب غربي أهرام أبو صير بالجيزة ، على مسيرة خمسة أيام بلياليها للراكب المجد ، وقد عور طريقها ، وعسى المسلك إليها والست الذي يؤدي نحوها ، وفيها عجائب البيان والجواهر والأمنوال .

وقال ابن وصيف شاه : وكان الوليد بن دوع المليقي قد خرج في جيش كثيف يتنقل في البلدان ويظهر ملوكها ، فلما صار بالشام وجه غلاما له يقال له عون ، فسار إلى مصر وفتحها ، ثم سار فلقاه عون ودخل مصر فاستباح أهلها .

ثم سرح له أن يقف على مصب النيل ، فخرج في جيش كثيف ، واستخلف عوناً على مصر ، وأقام في غيبته أربعين سنة .

وإن عوناً ، بعد سبع سنين من مسيره ، تجبر وادعى أنه الملك ، وأنكر أن يكون غلام الوليد وإنما هو أخوه ، وغلب بالسحر ، وسبى الحرائر ، فقال الناس إليه ، ولم يدع

امراة من بنات ملوك مصر إلا نكحها ، ولا مالا إلا أخذه وقتل صاحبه . وهو مع ذلك يكرم الكهنة ، ويسلم الهياكل .

فاتفق أنه رأى الوليد في منامه وهو يقول له : من أمرك أن تتسنى باسم الملك ، وقد علمت أنه من فعل ذلك استحق القتل ؟ ولكنت بنات الملوك ، وأخذت الأموال بغير واجب . ثم أمر بقدر ملكة لرتا ، وأحييت حتى غلت ، وزرع نسا به ليلقيه فيها ، فأتاه عقاب فاخطفه وحلق به في الجو ، وجعله في هوة على رأس جبل ، فسقط إلى واد فيه حياة منتنة .

فأتته مرغوبا ، وقص ذلك على كهنته ، فقالوا : نحن نخلصك منه بأن تعمل عقابا وتعبده ، فانه الذي خلصك في نومك .

فقال : أشهد لقد قال لي : اعرف لي هذا المقام ولا تنس .

فعمل عقابا من ذهب ، وجعل عينيه جواهرتين ، ووشحه بالجواهر ، وعمل له هيكلا لطيفا ، وأرخص عليه ستور الحرير ، وأقبلوا على تبخيره وقربانه حتى نطق لهم ، فأقبل عون على عبادته ، ودعا الناس إلى ذلك فأجابوه .

ثم أمر فجمع له كل صانع بمصر ، وأخرج أصحابه إلى صحراء القرب لطلب أرض سهلة ، حسنة الاستواء ، يدخل إليها من مواضع صعبة وجبال وعرة ، بحيث تقرب من مفيض الماء — التي هي اليوم القيوم ، وكانت مفيضاً لماء النيل حتى أصلحها يوسف عليه السلام — ليجري الماء منها إلى المدينة .

تخرجوا ، وكنتمو تسكنوا يمشون فوق حتى
وجوا بيته . ثم يسى بصره على ولا
عنسى ، ولا أحد له بصر بالليله وقع
الصغير ونعتا لا وجه ليا ، وانفذ الله
رجل من العيش وبسالة شعر لعلته ،
وانفذ سم لآلات ولأزود على القمل -
وتريق هذه القمل الى القيوم في صحراء
العرب واسعة من خلف لأهرام .

فلما تكلم له ما أراد من تحت الحجرة ،
خطوا القينة ترسخت في مائها ، وحسروا
في الوسط بزا جثوا فيها تشل خنزير من
على بخلاط ، وضبو على قنينة فعلى
ودجه الى الشرق ، وقتك بطام بيت زحل
ولسنته وسلاته - وكذا في شرقه -
وبعوا خنزيرا ، واطفوا النمل بدمه في
وجهه ، وخرروه يشبه من شعره ، وحسروا
بوجه بدمه وشعره وحشاه واحه ومراوكة ،
وجثوا في ثقبه من مراوكة ، وخرقوا بقية
الخنزير ، وجثوا رماه في قبة من نحاس
ين بين النمل ، وكنتمو بآيات زحل

ثم شتوا في البئر من الجهات الأربع ، في
كل جهة سرا الى حيطان القبة ، وحسروا على
أعولها منكم تعجب الهول ، وسدوا البئر ،
وعطوا فيها قبة على حد مربعة على حيطان
القبة ، وجثوا فيها نولوع يصل كل شارع
باب من أبواب القبة ، وفصلوها بالطرقات
والشلال ، وجثوا حول القبة تشال فرسان
من نحاس بإيها حرب ، ووجودها نجاء
الأولاد .

الفرقة ١١ من ١١ : حويل .

وجثوا لئس القينة من حجر أسود ،
قوة حجر أحمر ، عليه حجر أصفر ، من قوة
حجر أخضر ، وقوى الجميع حجر أبيض
بنف . وكما مبنية بالرماس الصبوب بين
الحجارة ، وقى قلوبها أصدمة من حديد على
بناء لأهرام .

وجثوا حول حشها ستين ذولعا في عرض
عشرين ، وعلى رأس كل باب حصن بأعلاء
عقاب كبير من صخر وبخلاط قد كثر جثاه
وهو أجوف ، وعلى كل دكن قوس يده حربة
ووجهه الى خارج المدينة .

وسلك الله الى الباب الشرقي ، ينحدر في
صيه الى الباب الغربي ويخرج الى سارج ،
وكنك من الباب الجنوبي الى الشمالي ،
وقرب العقاب عيانا ذكورا ، ولجلب الرياح
الى أنواء التنايل ، فصار يسمع لها أصوات
هائلة ، ووكل بها أرواحا تنح الدخول إليها
لا أن يكون من أهلها .

ونصب العقاب الذي يتجدد له تحت القبة
في وسط المدينة ، على قنينة بأربعة أركان
على كل دكن وجه شيطان ، وجعلها على عود
بديها . فكان العقاب يحدو الى الجهات ،
فيتيم في كل جهة رج السنة .

فلما تم ذلك ، حمل الى المدينة الأموال
والجواهر التي بصر من عهد الملوك ،
والسائيل والحكم وتراب القضة والمقناقر
والسلاح ، وحول إليها كبار السحرة والكهنة
وأصحاب الصنائع والتجار ، وقسم للمساكن
بينهم ، فلا يختلط أهل صناعة بسواهم .

وصل بها رضا لأصحاب المهن والزراعة ،
وقعد على تلك الأنهار قناطر يشي عليها

ذكر مدينة القيوم

الداخل الى المدينة ، وجعل لئاء يدور حول
الارض ، ونصب عليها أعلاما وحرسا ، ثم
غرس وراء ذلك ما يتصل بالبرية النخل
والكرم ، وجميع أصناف الشجر على أقسام
مقسومة ، ومن وراء ذلك كله مزارع الفلات
من كل جهة ... كل ذلك خوفا من الوليد .

قال : وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة
أيام ، وكان يقيم فيها ويخرج إليها ، ثم يعود
الى منف ، وكان لها أربعة أعياد في السنة ،
وهي الأوقات التي يتحول العقاب فيها .

فلما تم العمون ذلك ، طأأن قلبه ... الى أن
واقى اليه كتاب الوليد من التوبة ، يأمره بحمل
الأزود ونصب الأسواق . فوجه اليه في البر
والبحر بما أراد ، وحول أهله ومن اصطفاه
من بنات الملوك والكبراء الى المدينة . فلما
قرب الوليد ، خرج إليها وتحصن فيها ،
واستخلف على منف .

فقدم الوليد ، وقد سمع ما فعله عون ،
فغضب وهشم أن يبعث اليه جيشا ، فعرف
بخبر المدينة ومنتعتها وخبر السحرة ، فكتب
اليه أن يقدم عليه ، ويحذره عاقبة التخلف .

فأجاباه : ما على الملك منى مشونة ولا
تعرض ، ولا عيب في بلده لأنى عبيده ، وأنا
له رده في هذا المكان من كل عدو يأتيه من
القرب ، ولا أقدر على السير اليه لخوفي منه ،
فليقرنى الملك بحالى كأحد عماله ، وأوجه
اليه ما يلزمى من خراجه وهداياه .

وبعث اليه بأموال جلييلة وجوهر نفيس ...
فكف عنه .

وأقام الوليد بمصر حتى مات .

اعلم أن موضع القيوم كان مغيب ماء
التيل . فلما ولي السيد يوسف الصديق عليه
السلام تدير أمور مصر ، عرها .

قال ابن وصيف شاه : ثم ملك الريان بن
الوليد - وهو فرعون يوسف ، والقبط
تسميه نيراوش - فجلس على سرور الملك ،
وكان عظيم الخلق ، يجيب الوجة ، عاقلا
متكنا . فوعده بالجميل ، واستقط عن الناس
خراج ثلاث سنين ، وفرق المال في الخاص
والعام .

وملك على البلد رجلا من أهل بيته يقال له
أصقن ، وهو الذي يسميه أهل الأثر العزيز ،
فأمر أن ينصب له في قصر الملك سرور من
قفة يجلس عليه ، ويضدو فيه وروح الى باب
الملك ، ويخرج المال والكتاب بين يديه .
فكنى نيراوش ما خالف شربه ، وقام بجميع
أموره ، وخلاه للذته .

فانفس نيراوش في لهوه ، ولم ينظر في
عمل ، ولا ظهر للناس حينا ، والبلد عامر وهو
لا يسأل عن شيء ، وعمل له مجالس من زجاج
ملون ، وحولها ماء فيه أسماك مفرطة وبلور
ملون ، فكان إذا وقعت عليه الشمس ظهر له
شعاع عجيب . وعملت له عدة متزهات على
عند أيام السنة ، فكان كل يوم في موضع
منا ، وعمل له في كل موضع من الآلية
والفرش ما ليس لغيره .

فاتصل بملوك * التواصي تشاغله بلذته
وتدبير أمتين . فسار ملك من العماليق -
يقال له أبو قابوس عاكر بن يتحوم - الى
مصر ، ووزل على حدودها ، فجهز اليه العزرا
يحيى عليه قائد يقال له برمانس ، فأقام يحاربه
ثلاث سنين ، فقتله به الصليقي وقتله ، وهدم
الأعلام والمصانع ، وقوى طمعه في البلد .

فاجتمع الناس الى قصر الملك واستأثروا ،
فخرج اليهم ، وعرض جيوشه ، وخرج في
مئة ألف مقاتل سوى الأتباع ، فالتقوا من
وراء الحوف ، وكان بينهما قتال شديد ،
فانهزم الصليقي ، وتبعه فهاوش الى حد
النار ، وقتل خلقا من أصحابه ، وأمسد
زروعهم وأشجارهم ، وحرق وصب ، ونصب
أعلاما على الأماكن التي وصلها ، وزير عليها :
« اني لمن تجاوز هذا المكان بالمرصاد » .

وقيل انه بلغ الموصل ، وضرب على أهل
الناس خراجا ، وبنى عند العرش مدينة
لطيفة وشحنها بالرجال .

ورجع الى مصر ، فحشد من جميع الأعمال
جنودا ، واستعد لغزو ملك القرب ، وخرج
في سبعمائة ألف ، فمر بأرض البربر ، وأجلى
كثيرا منهم ، وجهز قائدا في السفن من ناحية
رقودة الى جزائر بني يافث ، فعاث فيها ،
وخرج من ناحية أرض البربر ، فقتل وصالح
بعضهم على مال حملوه اليه .

ومضى الى أترقية وقرطاجنة ، فصالحوه
على مال ، ومر حتى بلغ مصب البحر الأخضر
الى بحر الروم - وهو موضع أصنام

(١٥) ص ٢١١ ج ١ ط ١٥٣

التحاس - فأقام هناك صنما زبر عليه اسمه
وتاريخ خروجه ، وضرب على أهل تلك
التواصي الخراج .

وعدى الى الأرض الكبيرة ، وسار الى
الأندلس ، فحاربه ملكها أياما ، ثم صالحه
على مال ، وأن ينسح من يغزو مصر من
ناحية .

واضرب على غير البحر مشرقا في بلاد
البربر ، فلم يمر بأمة الا ودخلت في طاعته .

ومر في الجنوب فقتل خلقا ، وبث قائدا
الى مدينة على البحر الأسود ، فخرج اليه
ملكها ، وذكر له حال الريان ومصالحة الملوك
له ، فقال : ما بلغنا أحد قط .

وسأله القائد عن البحر : هل ركب أحد
قط ؟

فقال : ما يقدر أحد على ركوبه ، وربما
أظله غمام فلا يرى أياما .

وقدم الريان ، فحملوا الهدايا اليه ، وفاكهة
أكثرها الموز ، وحجارة سوداء اذا جعلت في
الماء صارت بيضاء .

ثم سار الملك على أمم السودان الى
ملكبة النمدم الذين يأكلون الناس ،
فخرجوا اليه عراة ، فهزمهم وظفر بهم .

ومر على البحر المظلم ، فغشيهم منه غمام ،
فترجع شمالا حتى انتهى الى شمال من حجر
أحمر يومئذ يده : ارجعوا ، وعلى صدره
مزيور « ما ورائي أحد » .

فسار الى مدينة النحاس فلم يصل اليها .
ومضى الى الوادي المظلم ، فكانوا يسمون
منه جبلة عظيمة ، ولا يرون أحدا لشدة
ظلمته .

وسار الى وادي الرمل ، فرأى على ممره
أصناما عليها أسماء الملوك ، فأقام عليه صنما
زبر عليه اسمه ، فلما أثبت الرمل جاز عليه
الى الخراب المتصل بالبحر الأسود ، فرأى
سباعا يزأر بعضها على بعض ، فحكم انه لا
مذهب له من ورائها .

فرجع وعدى وادي الرمل ، ومر بأرض
المقارب ، فهلك بعض أصحابه ، ودفعوا عن
أنفسهم أذاها بالرقى ، وجازها الى مدينة
الحكماء - وتعرف بمدينة الكند - ففروا
منه الى جبل ، فأقام عليه أياما حتى كاد يهلك
جيوشه عطشا .

فنزول اليه من الجبل رجل من أفاضل
الحكماء ، وقد لبس شعره جسده ، فقال
للك : أين تريد أيها المغرور ، المدود له في
الأجل ، المرزوق فوق الكفاية ؟ أتبيت تصك
وجيشك ، ألا اجتازت بما تملكه ، واتكلت
على خالقتك ، وريحت الراحة ، وتركت العناية
والغور بهذا الخلق ؟

فمجب من قوله ، وسأله عن الماء فدلّه
عليه .

وسأله عن موضعهم ، فقال : موضع لا يصل
اليه أحد ، ولا يلقه قبلك أحد .

فقال : ما عيشك ؟

قال : من أصول النبات تنفع به ، ويكفيها
اليسير .

قال : فمن أين تشربون ؟

قال : من الأمطار والتلوج .

قال : فلم هربتم منا ؟

قال : زهادة في مخالطكم ، والا فليس لنا
ما نخافكم عليه .

قال : فكيف بكم اذا حيت الشمس ؟

قال : فأوى الى غيران تحت هذا الجبل .

قال : فهل لكم في مال أخلفه لكم ؟

قال : انما يريد المال أهل الترف ، ونحن
لا نعمل منه شيئا ، استغنيا عنه بما قد
اكتفينا به ، وعندنا منه ما لو رأته لاحتقرت
ما عندك .

قال : فأرنيه .

فانطلق بنفر من أصحابه الى أرض في سفح
جبلهم فيها قضبان ذهب ناثية ، وأراهم واديا
لهم في حافته حجارة زبرجد وفيروز .

فأمر فهاوش أصحابه أن يحملوا من كبار
تلك الحجارة ، فحملوها .

ورأى الحكيم جساعة الملك يصلون الى
صنم يحملونه معهم ، فقال الملك ألا يقيم
بأرضهم ، وخوفه من عبادة الأصنام .

فودعه وسار ، فلم يمر بأمة الا أثر فيها ،
حتى بلغ التوبة فصالحهم على مال ، وأقام على
دقلة صنما وزبر عليه اسمه ومسيره .

وسار يريد مدينة منف ، فكان أهل كل
مدينة من مدائن مصر يتلقونه بالفرح والسرور
والرياحين والطيب الى أن بلغ منف ، فخرج

أهلها إليه مع العزيز بأصناف الرامين
والغيب .

وكان العزيز قد بنى له مجلسا من زجاج
ملون ، وفرشه بأحسن فرش ، وغرس حوله
الأشجار والراحين ، وجعل فيه بحرة من
زجاج ساوى ، وفي أرضه شبه السمك من
زجاج أبيض ، فنزل الملك فيه ، وأقام الناس
ياكلون ويشربون أياما كثيرة .

وَتَقْدَحِيهِ ، فَتَقْدَحُهُمْ سَبْعِينَ أَلْفًا ،
وَرَجَدَ فِيهِمْ مِنْ أَسْرِهِ نِيفَا وَخُسَيْنَ أَلْفًا .

فكانت مدة غيبته عن مصر ، في مسيره
هذا ، إحدى عشرة سنة .

فلما بلغ الملوك قدمه هابوه ، واشتد
بأسه وتعبه ، وبني في الجانب الشرقي قصورا
من رخام ، ونصب عليها أعلاما ، وأمر بالمعارة
وإصلاح الجسور واستباط الأراضي ، حتى
زاد الخراج على مائة ألف ألف دينار .

ودخل الى البلد في أيامه غلام من أهل
النمام احتال عليه اخوته وباعوه — وكانت
قوافل النمام تمر من ناحية الموقف اليوم —
فوقف الغلام ونودي عليه ، وهو يوسف
الصادق ابن يثوب بن ابراهيم خليل الرحمن
صلوات الله عليهم وسلامه ، فاشترى اثنين
لهذه الى الملك .

فلما أتى به قصره رأت امرأته زليخا ، وهى
ابنة عمه ، فقالت : اتركه لنا فريه لينفعا .
وكان من أمرها ما قصه الله تعالى فى القرآن .

۱۰۱ ص ۱۱۱ ج ۱ طبعیاتی

102

فَكَانَتْ تَكْتُمُ جَسَدَهُ حَتَّى غَلَبَتْ ، فَخَلَّتْ بِهِ
وَوَرِثَتْ لَهُ ، وَعَرَفَتْ أَنَّهَا تَجِبُهُ ، وَأَنَّهَ إِنْ وَاتَاهَا
عَلَى مَا تَرِيدُهُ مِنْهُ جَاءَ بِهَا عَظِيمٌ ... فَامْتَسَحَ
مِنْ ذَلِكَ .

ورأت أن تغلبه ، فما زالت تعاركه ، وهو
مستع منها ، الى أن وافى زوجها ، ورآه وهو
هارب منها - وكان المزور حينئذ لا يأتي
النساء - فجعل يوسف يستتر اليه ، وقالت :
اني كنت قائمة ، فأتاني يراودني عن نفسي .

وتبين من شاهد أهلها أن الأمر من قبل امرأته ، فقال ليوسف : أعرض عن هذا (أى عن اعتذارك) ، وقال لها : استغفري لذنك .

وقد كان خير أمتين والصلام بلغ الملك ،
وكان نهراوش عاود المكوف على اللهم
والاحتجاب عن الناس .

واتصل خبر زليخا ويوسف بنساء الخاصة ،
فغيرنها بذلك ، فدعت جماعة منهن ، وصنعت
لهن طعاما وشرابا ، وعملت مجلسين مذهبن ،
وفرشتهما بديجاج أصفر مذهب ، وأرخت
عليهما ستور الديجاج ، وأمرت الموائط
بترتين يوسف وإخراجه من المجلس الذي
يحاذي المجلس الذي كانت مع النسوة فيه ،
وكان المجلس محاذيا للشمس .

فأخذته المواشط ، ونظن شعره بأصناف
الجواهر ، وألبسه ثوب دياج-أصفر ، قد
نسج بدارات حمر مذهبة فيها أطيار صفار
خضر ، مبطن ببطانة خضراء ، ومن تحته
غلالة حمراء ، وعلى رأسه تاج قد نظم بالدر
والجواهر ، وأخرج من تحت التاج أطراف
شعره على جبهته ، ورددن ذوائبه على

صدره ، وجمال جبهته مكشوفة والتاج محيط
بها ، وفي اذنيه قرطى جوهر ، ومن خلف طوق
القباء شمر مسبل بين كفيه ، منظوم مشبك
بالذهب والجوهر ، وفي عنقه طوق منظوم
بذهب ، مشدد بجوهر أحمر ودر فاخر ، وفي
وسطه منطقة ذهب ، فيها لوابل جوهر
ملون ، ولها معاليق منظومة ، وألبسه خفين
أبيضين منقوشين بأخضر على نقوش ذهب ،
وجملن للقباء الذى عليه وشاحين وافرارور
يحيط بأسنفه ، وكميه من جوهر أخضر ،
وعقربن صديغه على خديه ، وكحلن عينيه ،
ودفعن الـه مذبة شعرها أخضر .

فلما فرغ النساء من طعامهن ، وشربن
أقلاما ، قدمت اليهن مكاكين قبضهن من
جواهر ليقطن بها الفاكهة .

فیقال انهن اخذن اترجا وهن یقطعنه ، اذ
 قالت لهن : قد یلقی حدیثک فی امری مع
 عدی .

فقلن لها : الأمر كما بلغك ، لأنك أعلى
قدرا من هذا ، ومثلك يرتفع عن أولاد الملوك
لحسنك وشرfk ، فكيف ترضين بفلامك ؟

فقلت : لم يلفكن الصدق ، ولا هو
عندي هذا .

وأومات الى المواشط أن يخرجن يوسف ،
فرفعن السّور عن المجلس الذى يحاذى
مجلسها ، وبرز منه يوسف محاذيا بوجهه
الشمس ، فأشرق المجلس وما فيه من وجه
يوسف ، وأقبل بالمذبة — وهن يرمقنه —
فوقف على رأس زليخا يذب عنها .

فاستغل النساء برؤيته ، وجعلن يقطن
أيديهن موضع النافذة التي كانت معهن ، ولا
يعين الكلام ذهولا منهن بما رأين من حسن
يوسف .

فَقَالَتْ لَهَا زَيْلَخَا : مَا لَكِنْ قَدْ اسْتَغْلَتْ عَنْ
خَطَابِي بِالنَّظَرِ إِلَى عَبْدِي ؟

فقلن : معاذُ الله ! ما هذا عبدك ، ان هذا
الا ملك كريم !

ولم يبق منهن امرأة الا حاضنة ، وانزلت شهوة من محبة .

فقلت رليخاً عند ذلك : فهذا الذي كنتي
فيه .

فقلن : ما ينبغي لأحد أن يلومك في هذا ،
ومن لامك فقد ظلمك ، فدونكه .

قالت : قد فعلت فأبى علي ، فخطبته لي .

فكانت كل واحدة منهن تخاطبه ، وتدعوه
سرا الى نفسها ، وتبذل له وهو يتمتع عليها ،
فإذا رأت منه أن يجيئها لنفسها ، خاطبه
من جهة زوجها ، وقالت : مولاناك تحبك وانت
تكرهها ، ما ينبغي أن تخالفها .

فقال : ما لي بذلك حاجة .

فلما راين ذلك اجمعن على اخذه قصبا .
فقات زليخا : لا يجوز هذا ، لكنه ان لم
يفعل لامنعه اللذات ، ولا سجنه ، واتزع
جميع ما اعطيته .

فقال يوسف : « رب الجن أحب الى مما
يبدعونسى اليه » .

فأقسمت بإيها - وكان صبا من زوجه
لفرض بلس عطرده - أنه إن لم يفعل لتعطين
له ذلك .

ثم أمرت بترج ثيابه ، وألبسه الصوف ،
وسألت الخبز حبه ليزول ما قلنصا به ،
فأمر به فحبس .

ورأى الملك في منامه كان آتيا إليه فقال له
إن فلانا وفلانا قد حرما على قلبك (يريد
صاحب منامه وشرايه) فلما أصبح قررها ،
فأعترف له ، وقيل لعترف أحدهما وانكر
لآخر ، فأمر بحبسها . وكان اسم صاحب
المنام « ريسان » ، واسم صاحب الشرب
« مرطس » .

وكان يوسف عليه السلام ، وهو في
السجن ، وهوفا بين فيه ويصلهم . الترح .
فأخبره صاحب منام الملك وشرايه رؤياها
التي قصها الله في كتابه ، فوقع كما قصه
يوسف .

ورأى الملك البقرات والسناجب ، فصرقه
الساقى خير يوسف ، ففضى إليه وقصها عليه .

فلما عاد إلى الملك ، قال : جئتوني به .

فقال يوسف : ما أخرج ، أو يكشف أمر
السوة اللاتي من أجلهن حبس .

فكشف عن ذلك ، فأعترفت زليخا بالقتصة .

ووجه إليه ، فأخرج وغسل من درن
السجن ، وألبس ما يليق بالمخول على
الملك .

١٥٦

فلما رآه اعتلا قلبه من حبه والكبار ،
وسأله عن الرؤيا ، فقصها كما قال الله
تعالى .

فقال الملك : ومن يقوم لي بذلك ؟
قال : أنا .

فخط عليه خلق الملك ، وألبسه تاجا ،
وأمر أن يضاف به ، وركب الجيش معه ، وتردد
إلى قصر الملك ، وجلس على سرير العز ،
واستحققه الملك على ملكه مكانه .

ويقال إن العز أعتن كان قد مات ،
فزوجه امرأته .

وقال لها يوسف : هذا أصلح مما أردت .

فقلت : اعفوني إن زوجي كان غيبا ، ولم
ترك امرأة إلا صبا قلبها إليك من حنك .

وجاءت سنو خصب في مصر ، فجمع
يوسف الغلال وخزنها وأكثر منها . فلما جاءت
سنو الجذب بدأ النيل في النقصان ، وكان
ينقص كل سنة أكثر من التي قبلها ، فحط
البلد حتى بيع اتصح بالمال والجوهر والدواب
والثياب والآنية والعقار ، وكاد أهل مصر
يرحلون عنها لولا تدبير يوسف .

وقطع الشام أيضا ، وكان من مجيء اخوة
يوسف ما قصه الله تعالى ، ووجه إلى أبيه
فحمل إلى مصر وجميع أهله ، وأخرج في وجوه
أهل مصر فلتقاء وأدخله على الملك .

وكان يعقوب مهاجا ، فأعظمه الملك ، وسأله
عن منة وصناعته وعبادته .

فقال : سني عشرون ومائة سنة ، وأما
صناعتى فلما غتم ترعى نتنع بها ، وأعيد رب

العالمين الذي خلقك وخلقنى ، وهو اله آبائى
والهك واله كل شيء .

وكان في مجلس الملك كاهن جليل القدر ،
فقال للملك : انى أخاف أن يكون خراب مصر
على يد ولد هذا .

فقال له الملك : فأنى لنا خبره .

فقال الكاهن ليعقوب : أرى الهك أيضا
الشيخ .

قال : الهى أعظم من أن يرى .

قال : فانا نرى آلهتا .

قال : إن آلهتكم من ذهب وفضة وحجارة
وجوهر ونحاس وخشب مما يعمل به بنو آدم ،
وهم عبيد الهى ، لا اله إلا هو العزيز
الحكيم .

.. قال الكاهن : إن كل شيء لا تراه العيون
ليس بشيء .

فغضب يعقوب وكذبه ، وقال : إن الله شيء
لا كالأشياء ، وهو خالق كل شيء ... لا اله
إلا هو .

قال : فصنه لنا .

قال : إنما يوصف المخلوق ، لكنه خالق
ولحد قديم مدبر أزلى ، يرى ولا يرى .

وقام يعقوب مغضبا ، فأجلسه الملك ، وأمر
الكاهن فكف عنه .

فقال الكاهن : أنا نجد في كتبنا أن خراب
مصر يجرى على أيدي هؤلاء .

فقال الملك : هذا يكون في أيامنا ؟

قال : لا ، ولا إلى مدة كثيرة ، والصواب
أن يقتله الملك ولا يبقى من ذريته أحدا .

فقال الملك : إن كان الأمر كما تقول فلا
يسكتنا أن ندفعه ، ولا تقدر على قتل هؤلاء .

وأرسل يعقوب ومن معه بوادى السدين
إلى أن مات ، فحمل إلى قرية إبراهيم عليه
السلام ودفن عنده .

ويقال إن فهاوش الملك آمن ، وكنم إيمانه
خوفا من فساد أمره .

وأقام ملكا مائة وعشرين سنة .

وفي وقته عمل يوسف القيوم ، فإن أهل
مصر كانوا وشوا به إلى الملك ، وقالوا : قد
كبر وتقص تقه ، فاختبره .

فقال له : انى وهبت هذه الناحية لابنتى
- وكانت مغايش للماء - فديرها لها .

فعملها يوسف ، ولحال للبياء حتى أخرجها
وقلع أوحالها ، وساق المنهى وبني اللاهون ،
وجعل الماء فيها مقسوما موزونا ، وفرغ منها
في شهور أربعة ... فمجبوا من حكته .

ويقال أنه أول من هندس بمصر .

ومات فهاوش ، فخلق ابنه ذرمجوش ،
وسته أهل الأثر دارم بن الريان ، وهو
الفرعون الرابع عندهم ، فخالف سنة أبيه .
وكان يوسف خليفته ، فقبل منه بعضا ، وخالفه
في البعض .

فمات يوسف في أيامه وله مائة وعشرون
سنة ، فكفن وجعل في تابوت من رخام ،

ودفن في الجباب القبري فأخضب وقص
الشرقي ، فحول إليه فأخضب وقص القبري ،
فألقوا على أن يجلوه في الشرق دائما وفي
القبري علما ، ثم حدث لهم من الرأي أن
يجلوه له حقا وقتا وشهدوا التابوت في
وسط النيل ، فأخضب الجبابان كلاما .

وقال ابن عبد الحكم : فلهم الزمان بين
الوليد بن دؤم ، وهو صاحب يوسف التي
صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى الملك رؤياه
التي رأى وعيها يوسف ، أرسل إليه الملك
فأخرجه من السجن .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قاله
الرسول فقال : أتى حنك ثياب السجن ،
واليس ثيابا جندا ، وتم إلى الملك . فذا
له أهل السجن ، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة .

فلما أتاه ، رأى غلاما حذا فقال : أعلم
هذا رؤياي ولا تعلمها السحرة والكهنة ؟
وأخبره قدامه وقال له : لا تخف .

قال : فلما استطعت وماله ، عظم في عينيه ،
وجعل إليه أمره ، ففتح إليه خاتمه ، وولاه
ما خلف يابه ، وألبه طوقا من ذهب وثياب
حرير ، وأعطاه دابة مرسجة مزينة كدابة
الملك ، وضرب بالطليل بمصر أن يوسف خليفة
الملك .

ومن عكرمة أن فرعون قال ليوسف : قد
ملكك على مصر ، غير أني أريد أن أجعل
كرسي أطول من كرسيك بأربع أصابع .

قال يوسف : نعم .

وأجله . على السرير ، ودخل الملك يده
مع ناله ، وفوض أمر مصر كلها إليه ...
فبب عبارة رؤيا الملك ، ملك يوسف مصر .

وعن الكيث بن سعد قال : حدثني منيخة
لنا ، قالوا : اشتد الجوع على أهل مصر ،
فأشتروا الطعام بالذهب حتى لم يجدوا ذهبا ،
فأشتروا بالفضة حتى لم يجدوا فضة ،
فأشتروا بأغنامهم حتى لم يجدوا غنما . فلم
يول بيعهم الطعام حتى لم يبق لهم فضة ولا
ذهب ولا شاة ولا بقرة في تلك السنة .

فأتوه في الثالثة فقالوا : لم يبق لنا إلا
أنفسنا وأهلونا وأرضونا . فأشتري يوسف
أرضهم كلها لفرعون ، ثم أعطاهم يوسف
طعاما يرضونه على أن لفرعون الخمس .

وقال في خبر بناء يوسف عليه السلام
مدينة القيوم : أنه لما وُزر لفرعون ثلاثين سنة
عزله ، فقال : لم عزلتني ؟

قال : لم أعزلك لرية ، ولا أنسى بركتك ،
ولكن آبائي عهدوا إلى ألا يتولى لنا وزير
أكثر من ثلاثين سنة ، وأما نخشى أن يتأصل
الوزير حتى يدير على الملك .

فقال له يوسف : قد علمت نصحي لك حتى
صيرت ديار مصر كلها ملكا لك ، فأقطعتني
أرضا تكون لقوتي وقوت أهلي وعشيرتي .

فقال له فرعون : اختر حيث شئت .

فمشى يوسف في قفار الأرض ، حتى رأى
أرض القيوم . وفيها جبل حائل بين النيل
وبينها ، فوزن ماء النيل حتى رأى أن قاعها

(٥) سورة ١١ ج ١ ، طه بلاق ١١

يوكبه النيل ، فخرق خرقا في ذلك الجبل ،
وساق الماء فيه إلى القيوم فسقى الأرض

وعمل في جوانب الماء ثلاثين وستين قرية
على عدد أيام السنة ، وشحنها بالقلال
والأقنوت التي ازدرعها ، فكان إذا نقص
النيل ووقع الجوع بأرض مصر ، باع كل يوم
ما جمعه في قرية من قري القيوم ، حتى ملك
مصر لنفسه كما جمها للملك .

فمطم شأن يوسف وكثر ماله ، فرداه الملك
بعد مدة إلى وزارته . وتوفي وهو وزير ،
فأوصى بخروج جثة إلى الأرض المقدسة .

فخرج بها هارون بن افراهيم بن يوسف
في مائة ألف من بني إسرائيل ، فهزمت الجبابرة
فيما بين مصر والشام ، وهلك أكثر من معه ،
وعاد بين بقى معه إلى مصر ، فأقاموا بها حتى
بث الله موسى بن عمران عليه السلام إلى
فرعون رسولا ، فخرج بيني إسرائيل من مصر
ومعه جثة يوسف عليه السلام .

وفي ذلك الزمان استبطلت القيوم . وقيل
كان سبب ذلك أن يوسف عليه السلام لما ملك
مصر ، وعظمت منزلته من فرعون ، وجاوز
سنة مائة سنة ، قال وزراء الملك له : إن
يوسف قل علمه ، وتغير عقله ، وتعدت
حكيمته .

فغضب فرعون ، ورد عليهم مقاتلهم ، وأساء
اللفظ لهم ، فكفوا .

ثم عاودوه بذلك القول بعد سنين ، فقال
لهم : هلموا ما شئتم ، من أي شيء اختبره
به ؟

وكان بلد القيوم يومئذ يدعى الجبوبة ،
وانما كانت لمصاة ماء الصعيد وففسوله ،
فاجتمع رأيهم على أن تكون هي المحنة التي
يستحنون بها يوسف ، فقالوا لفرعون : سل
يوسف أن يصرف ماء الجبوبة عنها ويخرجه
منها ، فتزداد بلدا إلى بلدك ، وخراجا إلى
خراجك .

فدعا يوسف فقال : تعلم مكان ابنتي فلاة
منى ، وقد رأيت إذا بلغت أن أطلب لها بلدا ،
وإني لم أصب لها إلا الجبوبة - وذلك أنه بلد
بعيد قريب ، لا يرى بوجه من الوجوه إلا من
غاية أو صحراء ، وكذلك ليست هي تؤني
من ناحية من التولعى من مصر إلا من مفازة
وصحراء ، فالقيوم وسط مصر كمثل مصر في
وسط البلاد ، لأن مصر لا تؤني من ناحية
من التولعى إلا من صحراء أو مفازة - قال :
وقد اقتطعتها إياها ، فلا تترك وجها ولا نظرا
إلا بلغت .

فقال يوسف : نعم أيها الملك ، متى أردت
ذلك فابث إلى ، فإني إن شاء الله فاعل
ذلك .

قال : إن أحبه إلى وأرفعه أعجله .

فأوصى إلى يوسف أن تحفر ثلاثة خلج :
خليجا من أعلى الصعيد من موضع كذا إلى
موضع كذا ، وخليجا شرقيا من موضع كذا
إلى موضع كذا ، وخليجا غربيا من موضع
كذا إلى موضع كذا .

فوضع يوسف العمال ، فحفر خليج المنهى
من أعلى أشمون إلى اللاهون ، وأمر البنائين

أن يحفروا الآلهون ، وحفر خليج القيوم وهو
الخليج الشرقى ، وحفر خليجا بقرية يقال لها
بنهت من قرى القيوم وهو الخليج الغربى

فخرج ماؤها من الخليج الشرقى فصب في
النيل ، وخرج من الخليج الغربى فصب في
صحراء بنهت الى الغرب ، فلم يبق في الجوبة
ماء .

ثم أدخلها القملة ، فقطع ما كان فيها من
القمب والطرقاء ، وأخرجها منها .

وكان ذلك ابتداء جري النيل ، وقد
صلوات أرض الجوبة بقية بيرة ، وارتفع ماء
النيل فدخل في رأس النهر ، فجرى فيه حتر
انتهى الى الآلهون ، فقطعه الى القيوم فدخل
خليجا فسقاها ، فصارت لجة من النيل .

وخرج اليها الملك ووزراؤه — وكان هذا
كله في سبعين يوما — فلما نظر اليها الملك
قال لوزرائه أولئك : هذا عمل ألف يوم ...
فسميت القيوم ، وأقامت تزود كسا تزود
غواط مصر .

قال : وقد سمعت في استخراج القيوم غير
هذا ، أن يوسف عليه السلام ملك مصر وهو
ابن ثلاثين ، فأقام يديرها أربعين سنة ، فقال
أهل مصر : قد كبر يوسف واختلف رأيه .
فمزلوه ، وقالوا : اختر لنفسك من الموات
أرضا تنظمها لنفسك وتصلحها وتعمل رأيك
فيها ، فإن رأينا من رأيك وحسن تدبيرك ما
نظم أنك في زيادة من عقلك ، رجعناك الى
ملكك .

فاعترض البرية في نولعى مصر ، فاختر
موضع القيوم ، فأعطىها ، فشق اليها خليج .
المنى من النيل حتى أدخله القيوم كلها ،
وفرغ من حفر ذلك كله في سنة

قال يزيد بن أبى حبيب : وبلغنا أنه انا
عمل ذلك بالوحى ، وقوى على ذلك بكثرة
القملة والأعوان .

فنظروا فإذا الذى أحياء يوسف من القيوم
لا يملكون له بمصر كلها مثلا ولا نظيرا ،
فقالوا : ما كان يوسف قط أفضل عقلا ولا
رأيا ولا تدبيرا منه اليوم ... فردوا اليه
الملك

فأقام ستين سنة أخرى تمام مائة سنة ،
حتى مات وهو ابن ثلاثين ومائة سنة .

قال : ثم بلغ يوسف قول وزراء الملك ،
وأنه إنما كان ذلك على المحنة منهم له ، فقال
للملك : عندى من الحكمة والتدبير غير ما
رأيت .

فقال له الملك : وما ذاك ؟

قال : أزل القيوم من كل كورة من كور
مصر أهل بيت ، وأمر أهل كل بيت أن يبنوا
لأنفسهم قرية — وكانت قرى القيوم على عدد
كور مصر — فإذا فرغوا من بناء قراهم ،
صيرت لكل قرية من الماء بقدر ما أصير لها
من الأرض ، لا يكون في ذلك زيادة ولا
نقص ، وأصير لكل قرية شربا في زمان لا
ينالهم الماء الا فيه ، وأصير مطاطنا للمرتفع
ومرتعا للمطاطىء بأوقات من الساعات في

الليل والنهار ، وأصير لها قبضات ، فلا يتقصر
بأحد دون حقه ، ولا يزداد فوق قدره

فقال له فرعون : هذا من ملكوت السماء .
قال : نعم .

فبدأ يوسف فأمر ببناء القرى وحدد لها
حدودا . وكانت أول قرية عسرت بالقيوم قرية
يقال لها سانة ، وهى القرية التى كانت تنزلها
بنهت فرعون .

ثم أمر بحفر الخليج وبنیان القناطر . فلما
فرغوا من ذلك استقبل وزن الأرض ووزن
الماء . ومن يومئذ حدثت الهندسة ، ولم يكن
الناس يعرفونها قبل ذلك .

وكان أول من قاس النيل بمصر يوسف ،
ووضع مقياسا بنفسه .

قال جامعه : وفي التوراة أن فرعون ألزم
بنى إسرائيل البناء وضرب اللبن ، فبنوا له
عدة مدن محصنة منها فيثوم وعرمسيس ...
قال الشارح : هى القيوم وحوف رمسيس .

وفي زمان الريان بن الوليد دخل يعقوب
عليه السلام وولده مصر ، وهم ثلاثة وسبعون
نفسا ما بين رجل وامرأة ، فأزلهم يوسف ما
بين عين شمس الى القرما ، وهى أرض ويفية
برية .

وكان يعقوب لما دنا من مصر ، أرسل
يهودا الى يوسف ، فخرج اليه يوسف فلقية
فالتزما وبكى .

فلما دخل يعقوب على فرعون كله
— وكان يعقوب شيخا كبيرا حليما ، حسن

الوجه واللحية ، جبر الصوت — فقال له
فرعون : أيها الشيخ ، كم أنى عليك ؟
قال : عشرون ومائة .

وكان بهمن ساحر فرعون قد وصفه صفة
يعقوب ويوسف وموسى صلوات الله عليهم في
كبه ، وأخبر أن خراب مصر وهلاك أهلها
يكون على أيديهم ، ووضع البريات وصفات
من تخرب مصر على يديه . فلما رأى يعقوب
قام الى مجلسه ، فكان أول ما سأل عنه أن
قال : من تعبد أيها الشيخ ؟

قال له يعقوب : أعبد الله اله كل شيء .
فقال : فكيف تعبد من لا ترى ؟

قال يعقوب : انه أعظم وأجل من أن يراه
أحد .

قال : فنحن نرى آلهتنا ؟

قال يعقوب : ان آلهتكم من عمل أيدي
بنى آدم من يموت ويلى ، وان الهى لأعظم
وارفع ، وهو أقرب إلينا من جبل الوريد .

فنظر بهمن الى فرعون فقال : هذا الذى
يكون هلاك بلادنا على يديه .

قال فرعون : أى أيامنا أو فى أيام غيرنا ؟
قال : ليس فى أيامك ولا أيام بنيك .

قال الملك : فهل تجد هذا فيما قضى به
المحكم ؟

قال : نعم .

قال : فكيف تقدر أن تقبل من يريد الهه
هلاك قومه على يديه فلا يعبا بهذا الكلام ؟

ومن كعب أن يعقوب عشي في أرض مصر
مات عشرة سنة ، فلما حضرته الوفاة قال
ليوسف : لا تغني مصر ، فأقامت فحلوني
فكفوني في مقبرة جبل جرون (وجيرون
مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام ، وبنه
وبن يث لتس ثمانية عشر ميلا) .

قال : فلما مات لخصوه بر وصير ،
وجملوه في تابوت من ساج ، فكانوا يضعون
به ذلك أرمين يوما ، حتى كتم يوسف
فرعون فأظه أن أباه قد مات ، وأنه سأل
أن يقبره في أرض كنعان ، فأذن له ، وخرج
معه لشرف أهل مصر حتى دفنوا وانصرف .

وقيل : قبر يعقوب بمصر فأقام بها نحو
من ثلاث سنين ، ثم حل إلى بيت المقدس ،
وأوصاهم بذلك عند موته .

قال : ثم مات لرميا بن الوليد ، فملكهم
من بعده ابنه دارم بن الرمان . وفي زمانه
توفي يوسف عليه السلام ، فلما حضرته الوفاة
قال : انكم ستخرجون من أرض مصر إلى
أرض آبائكم ، فاحملوا عظامي معكم .

فمات فجملوه في تابوت ، ودفنوه في أحد
جاني النيل ، فأخضب الجانب الذي كان فيه
وأجذب الجانب الآخر ، فعولوه إلى الجانب
الآخر فأخضب الجانب الذي حولوه إليه
وأجذب الآخر .

فلما رأوا ذلك ، جمعوا عظامه فجعلوها في
صندوق من حديد ، وجعلوا فيه سلسلة ،
واقاموا عمودا على شاطئ النيل ، وجعلوا في
أصله سكة من حديد ، وجعلوا السلسلة في
السكة ، وألقوا الصندوق في وسط النيل ،
فأخضب الجانبان جميعا .

وكان سبب حل عظام يوسف من مصر إلى
الشام ، أن سارة ابنة لمر بن يعقوب عورت
حتى صارت عجوزا كبيرة ذاهية البصر ، فلما
سرى موسى عليه السلام بيني إسرائيل
غشيتهم ضبابا حالت بينهم وبين الطريق أن
يمضوا ، وقيل لموسى : لن تعبر إلا ومعه
عظام يوسف .

قال : ومن يدرى أين ؟ موضعا ؟
قالوا : عجوز كبيرة ذاهية البصر تركناها
في الديار .

فرجع موسى ، فلما سمعت حبه ، قالت :
ما رذك !

قال : أمرت أن أحمل عظام يوسف .

قالت : ما كنتم لتعمروا إلا وأنا معكم .

قال : دليني على عظام يوسف .

فدلت عليها ، فأخذ عظام يوسف معه إلى
البيت .

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم
 خليل الرحمن ، صلوات الله عليهم ، أحد
الأسباط الاثني عشر ، ولد بأرض كنعان من
بلاد الشام ، ورأى الأحد عشر كوكبا
والشمس والقمر له ساجدين ، وعمره سبع
عشرة سنة .

ولاد لخته على ذلك ، وباعوه من قوم
مدنين ، فأرأوا به إلى مصر وباعوه لقائد
فرعون . فأقام في منزله اثني عشر شهرا ، ثم
راودته امرأة العزيز عن نفسه فاعتصم ،
وكذبت عليه إلى أن حبس ، ومكث في
السجن عشر سنين ، وقيل غير ذلك .

(١١٦) ج ١ ، ط ١٠٠٠

قلم رول في السجن إلى أن رأى الساقى
والخباز ذبلك النامين ، وفسر لهما يوسف
وخرجا ، فأنسى الساقى يوسف سنين ، إلى
أن رأى الملك البقر والسابل ، فذكره وأناه
فقص عليه الرؤيا وعبرها ، فأخرج من السجن
وله حينئذ ثلاثون سنة ، فاستوزره الملك .

ومن ذلك الوقت إلى أن صار يعقوب إلى
مصر سبع سنين ، منها سبع سنين من سني
النبع ، وستان من سني الجوع .

وكان يعقوب في السنة التي صار فيها إلى
مصر مائة سنة وثلاثون سنة ، وكان أهل يث
حينئذ سبعين نسلا . ومنذ سار إلى مصر إلى
أن ولد موسى عليه السلام مائة وثلاثون سنة
أخرى . فلما مضى له بمصر سبع عشرة سنة
توفي وعمره مائة وسبع وأربعون سنة .

فخاف الأسباط حينئذ مقابلة يوسف أباهم ،
فقالوا : إن أباك أوصى أن تغفر ذنب أخوتك ،
فأفك وهم غيبه الله إليك .

فبكى يوسف وقال لهم : لا تحتاجون إلى
ذلك ، ووعدهم بخير ثمه لهم .

ومات يوسف وله مائة سنة وعشر سنين .
وأنه أعلم .

ذكر ما قيل في اليوم
وخلجانها وضياعها

قال اليعقوبي : كان يقال في متقدم الأيام
مصر والقيوم ، لجلالة اليوم وكثرة عمارتها ،
وبها القمح الموصوف ، وبها يعمل الخيش .
وحكى المسعودي أن مضى اليوم ألف يوم .

قال القضاي : القيوم ، وهي مدينة دبرها
يوسف النبي عليه السلام بالوحى ، وكانت
ثلاثمائة وستين ضيعة ، تدير كل ضيعة منها
مصر يوما ولحدا ، فكانت تدير مصر السنة .

وكانت تروى من اثني عشر فراعسا ، ولا
يستجر ما زاد على ذلك ، فإن يوسف عليه
السلام اتخذ لهم مجرى ، وربى ليدوم لهم
دخول الماء فيه ، وقومه بالحجارة المنفذة ،
ورضى به اللاهون .

وقال ابن رضوان : القيوم يخزن فيه ماء
النيل ، ويورد عليه مرات في السنة ، حتى
انك ترى هذا الماء إذا خلى يغير لون النيل
وطعمه ، وأكثر ما تحسن هذه الحالة في
البحيرة التي تكون في أيام القيظ سقط ونها
وصاعدا إلى ما يلي اليوم ، وهذه حالة تزيد
في رداءة أهل المدينة (يعني مصر) ولا سيما
إذا هبت ريح الجنوب ، فإن القيوم في جنوب
مدينة مصر على مسافة بعيدة من أرضها .

وقال القاضي السيد أبو الحسن على ابن
القاضي المؤتمن بقية الدولة أبي عمرو عثمان
ابن يوسف القرشي الخزومي في كتاب
« المنهاج في علم الخراج » : وهذه الأعسال
من أحسن الأشياء تديرا ، وأوسعها أرضا
وأجودها قطرا ، وإنما غلب على بعضها
الخراب لخلوها من أهلها ، واستيلاء الرمل
على كثير من أرضها .

وقد وقت على دستور عمله أبو إسحاق
إبراهيم بن جعفر بن الحسن بن إسحاق ،

الذكر خلعان لأعمال التدوير وما طبعها من الضياع . وقد أوردت هنا وإن كان من ما قد ذكر ، ومنه ما نصرت أسأله ، ومنه ما جعلت مواضع بالدور ... ولكن أوردت ليعلم من حال العمر الآن ، ويستفي به من له رغبة في عبارة ما يقدر عليه من العمر . وفي إيراد مصلحة ليعلم شرب كل موضع . ونسخت :

« مستور » على ما أوضحه الكنف من حال الخلع الأماني بمدينة القيوم ، وما لها من التواضع ، وشرب كل غيبة منها ، ورسما في اليد والفتح والتعديل والتحرير وزمان ذلك ... هل في جلدي الآخرة سنة اثنين وشرين وأرساة .

نبتني . « بعون الله وحسن توفيقه » ، يذكر حال البحر الأعظم الذي منه هذه الخلع ، فتذكر ملته التي صلاحه بصلاحها .

خليج القيوم الأعظم : يصل الماء إلى هذا الخليج من البحر الصغير المعروف باليمن ذي الحجر اليوسفي ، وفوقه هذا البحر عند الجبل المعروف بكرسي الساحرة من أعمال الأنصورية ، ومنه شرب بعض الضياع الأنصورية والقيية والاهلية ، وعلى جانبه ضياع كثيرة شربا منه وشرب كروم ما له كروم منها .

قال : « البحر اليوسفي » : والبحر اليوسفي جدار بيني بالطوب والبحير المعروف عند المسلمين بالمصاروج ، وهو البحر والزيت . وبسأله من جهة الشمال إلى الجنوب ، ويصل من نهايته من الجنوب بجدار بذاؤه مثل جناح ، على استقامة من

الغرب إلى الشرق ، ومصره - ميلان من في نهايته ، وطوله مائتا ذراعاً بفراغ العمل . ويصل بهذا الجدار ، على طول ثمانين ذراعاً من من جهة الغرب ، نهاية الجدار الأعظم من الجنوب

وقالته بناء الجدار الأعظم ، رد الماء إذا انتهى إلى حدود التي عشرة ذراعاً إلى مدينة القيوم . وطول ما يصل منه الجدار الذي من جهة الغرب إلى الشرق ، ثم يصل إلى الجبل ، ثم يتخفف من حدود هذا الليل إلى ميل مثله يقابله من جهة الشمال ، خصون ذراعاً . وبعد ما بين هذين الليلين - وهو المتخفف - مائة ذراع وعشرة أذرع . ومقدار المتخفف منه أربعة أذرع .

وهذا المتخفف هو الذي يسد ببحر من حنيش يسمى لبنا . وعرض ما يجري عليه الماء - وهو موضع البش وما قابله إلى جهة الشرق - أربعون ذراعاً ، وعليه مسك البش الثاني .

ويصل بهذا الليل إلى جهة الشمال ما طوله ثمانمائة واثان وسبعون ذراعاً ، ثم يصل به - على نهاية هذا الطول - جدار يمر على استقامة إلى الحجر مبني بالحجر ، طوله على استقامته إلى جهة الشرق مائة ذراع ، ثم يتخفف أيضاً من حيث يصل بهذا الجدار ما طوله عشرون ذراعاً ، وقدر المتخفف منه ذراعان . وهذا المتخفف أيضاً يسد ببحر حنيش يسمى الكبد .

وطول بقية الجدار إلى نهايته من جهة الشمال مائة وستة وثلاثون ذراعاً . وقبالة هذا

(١٤٠) من ٢٢٧ ج ١ - ط ١٠١٠

بطوله منه مبلط ، وفيه قنطرة مبنية بالحجر ، كانت قديماً ترد الماء إلى القيوم من الخليج القديم الذي عنده السدود اليوم ، وكان عليها أبواب ، وعدتها عشر قنطرة قديمة فيكون جميع ذراع الجدار الأعظم من نهايته سبعمائة واثان وسبعين ذراعاً بفراغ العمل ، دون الجدار المعرض من الغرب إلى الشرق

ويسر هذا الجدار الأعظم من كلتا جهتيه جميعاً حتى يصل بالجبل ، فتوجد آثاره في القبط مروراً على غير استقامة ، وعرضه مختلف . وكلما انتهى إلى سطحه قل عرضه . وعرض أعلاه مع الظاهر من أسفله جميعاً ستة عشر ذراعاً . وفيه منافس يخرج منها الماء ، وهي يرايح زجاج ملونة يشبه المينا وأزرق وسليمانى .

وهو من العجائب الحسنة في عظم البناء واتقائه ، لأنه من الأبنية اللاحقة ببناء الاسكندرية وبناء الأهرام . فمن معجزته أن النيل يمر عليه من عهد يوسف عليه السلام إلى هذه القاية وما تغير عن مستقره .

ويدخل الماء من هذا البحر ، في هذا الزمان ، إلى مدينة القيوم من خليجها الأعظم ، ما بين أرض الضيعة المصروفين بدمونة واللاهون ، ومنه شرب هاتين الضيعتين وغيرها سيحاً ، ومنه شرب كرومها بالدواليب على أغناق البقر . وإن قصر النيل عن الصمود إلى سوادها ، سقيت منه على أغناق البقر وزرعت .

ويتم في الخليج الأعظم إلى خليج يعرف بخليج الأواشي ، وليس عليه رسم في سد ولا فتح ولا تعديل .

ويتمى إلى الضيعة المعروفة بياض ، فيبلا بركها وغيرها من البرك . وللبرك مقاسم يصل إلى كل مقسم منها لغاية ومقدار شرب ما عليه .

ويتمى إلى الضيعة المعروفة بالأوسية الكبرى ، فمنه شربها من مقسمين لها ، وبرسها باب ، ومنه يشرب نخلها وشجرها ، وعلى هذا الحد ساحة تصل بالماء .

ثم يتمى إلى ثلاثة مقاسم آخرها الضيعة المعروفة بمرطية : منها مقسم لها ، ومقسم لتيالات عدة ، والمقسم الثالث يسقى أحد أحياء النخل . وهذا الحي سواق وبساتين قد خربت ، وجيز دائر به . وكان بها بيوت في أقية النخل .

ثم يتمى إلى حي ثان على صفة الأول . ثم يتمى إلى الضيعة المعروفة بالجووة فيبلا بركها . ويتمى إلى ثلاثة مقاسم في صف ، وفوقها خليج مغطى ، ويشرب من هذه المقاسم عدة ضياع . ثم يتمى للماء من هذا الخليج إلى البطس ، وهو نهايته .

وعلى الخليج الأعظم بمد هذا أباليز ، شربها منه من أفواه لها سيحاً . فإذا نصب ماء النيل نصب على أفواهها ، يرسم صيد السمك ، شباك .

ثم يتمى الخليج الأعظم ، على يمينه من يمينه القيوم ، إلى خليج يعرف بـ « بخلنج مسطوس » ، منه شرب مسطوس وغيرها ، وأباليز كثيرة تجاوز الصحراء من الشرق منه ومن قبله ، وهي ما بين هذا الخليج وخليج الأولى .

ثم ينتهي الخليج الأعظم أيضا إلى « خليج ذهالة » ، ومنه شرب عدة ضياع ، وعليه يزرع الأرز وغيره ، ثم ينتهي الخليج الأعظم إلى ثلاثة خلج .

ثم ينتهي إلى « خليج ينطاوة » . وبهذا الخليج ثلاثة أبواب قديمة يوسفية ، سعة كل باب منها ذراعان بذراع العمل ، ويسر فيه الماء . وينتهي أيضا إلى بابين يوسفيين .

ورسم هذا الخليج : أن يسد هو وسائر المطاطة على استقبال عشر تغلو من هاتور إلى سلخه ، ويفتح على استقبال كيهك إلى عشر تبقى منه ، ثم يسد إلى عشر تغلو من طوبة ، ثم يفتح ليلة الفطاس إلى سلخ طوبة ، ثم يسد على استقبال أمشير إلى عشرة تبقى منه ، ثم يفتح لعشر تبقى منه إلى عشر تغلو من برمجات ، ثم يفتح إلى عشر تغلو من برمودة ، ثم يعدل في موضعه . وقد خرب ما على بحره من الضياع ، وشرب منه عدة ضياع . ولهذا الخليج مفيض معمول تحت الجبل بقبو يخرج منه الماء في زمان تكاثره .

ثم ينتهي الخليج الأعظم إلى « خليج دله » ، وهو من المطاطة . وحكمه في السد والفتح والتعديل والتحسين كما تقدم . وهو على يسرة من يربد المدينة ، وله بابان يوسفيان مبيان بالحير سعة كل منهما ذراعان وربيع ، ومنه شرب عدة ضياع أمهات وغيرها ، وفي وسطه مفيض لزمان الاستبحار يفتح فيفيض الماء إلى البركة العظمى ، وفي أقصى هذه البركة أيضا مفيض له أبواب ، يقال أنها كانت

(٥) من ١٨٨١ ج ١ ، ط. بيروت .

من حديد ، فإذا زادت فتحت الأبواب فيفيض الماء إلى الغرب ، وقيل أنه يمر إلى مستنرة وكان على هذين الخليجين بساتين وكروم كثيرة تشرب على أعناق البتر .

وينتهي الخليج الأعظم إلى « خليج المجنونة » ، سمي بذلك لعظم ما يصير إليه من الماء . وحكمه في السد وغيره على ما ذكر . ومنه شرب ضياع كثيرة ، وبه تدار طواحين ، وإليه تصير مصالات مياه الضياع القليلة ، وإلى بركة في أقصى مدينة القيوم تجاور الجبل المعروف بأبي قطران ، ويلقى ما ينصب من مصالات الضياع البحرية فيها وهي البركة العظمى .

ثم ينتهي الخليج الأعظم إلى « خليج تلاله » ، وله بابان يوسفيان مبيان بالحير ، سعة كل منهما ذراعان وثلاث ذراع ، وليس فيه رسم سد ولا فتح ولا تعديل ولا تحييز ، إلا في تقصير النيل فانه يحيز بحشيش ، ومنه شرب طوائف المدينة وعدة أراض وضياع ، وفيه فوهة خليج البطش الذي إليه مفاضل المياه ، وفيه أبواب تسد حتى يصعد الماء إلى أراض مرتفعة بقدر معلوم . وإذا حدث بالسد حدث بفسده ، كانت النفقة عليه من الضياع التي تشرب منه بقدر استحقاقها .

ثم ينتهي الخليج الأعظم إلى خلجان من جانيه في قبليه وبحره .

ثم ينتهي إلى « خليج سوة » ، وهو على يسرة من يربد مدينة القيوم ، وهو من المطاطة ، وله بابان يوسفيان سعة كل منهما

ذراعان ونصف ، وحكمه حكم ما تقدم ، ومنه شرب طوائف كثيرة وعدة ضياع .

وينتهي إلى أربعة مقاسم بأبواب ، وإلى خلجان تسقى ضياعا كثيرة ، منها « خليج تيدود » فيه عين حلوة ، فإذا سد هذا الخليج سقى منها أراض ما جاورها . وظهرت هذه العين لما عدم الماء ، وحفر هذا الموضع ليحصل بئرا ، فظهرت منه هذه العين فاكفى بها .

ثم ينتهي الخليج الأعظم إلى خلجان بها شاذروانات ومقاسم قديمة يوسفية . وبها أبواب يوسفية بها رسوم في السد والفتح يشرب منها ضياع كثيرة .

ورسم الترع : أن يسد جميعا على استقبال عشرة أيام تغلو من هاتور إلى سلخه ، وتفتح على استقبال كيهك مدة عشرين يوما ، وتسد لعشر تبقى منه إلى الفطاس ، وتفتح يوم الفطاس إلى سلخ طوبة ، وتسد على استقبال أمشير عشرين يوما ، ثم تفتح لعشر تبقى منه إلى عشرين من برمجات ، وتفتح عشرة أيام تغلو من برمودة ، ثم تعدل فيهم بممارتها . ولهم في التعديل قسم تعطى منه كل ناحية شربها بالعدل ، بقوانين معروفة عندهم .

وقد اختصرت أسماء الضياع التي ذكرها لخرب أكثرها الآن . والله أعلم .

ذكر فتح القيوم ومبلغ خراجها وما فيها من المرافق

قال ابن عبد الحكم : فلما تم الفتح للمسلمين ، بعث عمرو بن العاص جرائد

الخيال إلى القرى التي حولها ، فأقامت القيوم سنة لا يعلم المسلمون بمسكاتها ، حتى أتاهم رجل فذكرها لهم .

فأرسل عمرو معه ربيعة بن حيش بن عرفة الصدقي . فلما سلخوا في المجابة لم يروا شيئا ، فهموا بالانصراف ، فقالوا : لا تعجلوا ، سيروا ، فإن كان قد كذب فما أقدركم على ما أردتم .

فلم يسيروا الا قليلا حتى طلع لهم سواد القيوم ، فهجموا عليها ، فلم يكن عندهم قال وألقوا بأيديهم .

قال : ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصدقي ، وهو صاحب الأشقر ، على فرسه ينفذ المجابة ولا علم له بما خلفها من القيوم ، فلما رأى سوادها رجع إلى عمرو فأخبره بذلك .

قال : ويقال بل بعث عمرو بن العاص قيس ابن الحارث إلى الصيد ، فسار حتى أتى القيس فنزل بها ، وبه سميت القيس .

فراث على عمرو خبره ، فقال ربيعة بن حيش : كفيت . فركب فرسه فأجاز عليه البحر . وكانت آتى - فأناه بالخبر . ويقال أنه أجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى إلى القيوم ، وكان يقال لفرسه الأعشى . والله أعلم .

وقال ابن الكندي في كتاب « فضائل مصر » : ومنها كورة القيوم ، وهي ثلثائة وستون قرية دبرت على عدد أيام السنة لا تنقص عن الري . فان قصر النيل في سنة من السنين ، مار بلد مصر كل يوم قرية .

وليس في الدنيا ما ينبت بالوحى غير هذه الكورة ، ولا بالدنيا بلد آمن منه ولا أخصب ولا أكثر خيرا ولا أغزر أنهارا . ولو قاينا بأنهار القيسوم أنهار البصرة ودمشق ، لكان لنا بذلك الفضل .

ولقد عد جماعة من أهل العقل والمعرفة مرافق القيسوم وخيرها فإذا هي لا تحصى ، فتركوا ذلك وعدوا ما فيها من المباح — مما ليس عليه ملك لأحد من مسلم ولا معاهد يستعين به القوى والضعيف — فإذا هو فوق السبعين متنا .

وقال ابن زولاق في كتاب « الدلائل على أمراء مصر » للكندي : وعقدت لكافور الاخشيدي القيسوم في هذه السنة (يعنى سنة ست وخسين وثلاثمائة) ستائة ألف دينار وليفيا وعشرين ألف دينار .

وقال القاضي الفاضل * في كتاب « متجددات الحوادث » ومن خطه نقلت : ان القيسوم بلغت في سنة خمس وثمانين وخسمائة مبلغ مائة ألف واثنين وخسين ألف دينار وسبعمائة وثلاثة دنانير .

وقال البكرى : والقيسوم معروف هنالك ، ينزل في كل يوم أثنى متقال ذهب .

مدينة النحرية

كانت أرضا مقطعة لعشرة من أجناد الحلقة من جبلتهم شمس الدين سنقر السعدى ، فأخذ قطعة من أراضى زراعتها ، وجعلها

(*) من ١٤٩٠ سنة ١٠٠٠ هـ ، ١٤٩٠ هـ ، ١٤٩٠ هـ

استنبلا لدوابه وخيله ، فتشكاه شركاؤه الى السلطان الملك المنصور قلاوون .

فأله عن ذلك ، فقال : أريد أن أجعله يجامعا تقام فيه الخطبة .

فأذن له السلطان في ذلك .

فابتدأ عمارته في أخريات سنة ثلاث وثمانين وستائة حتى كمل في سنة خمس وثمانين . فعمل له السلطان منبرا ، وأقيمت به الجمعة ، واستمرت الى يومنا هذا .

وأشأ السعدى حوائث حول الجامع ، فلم تزل بيده حتى مات . وورثها ابنه عز الدين خليل ركن الدين عمر ، فباعها بعد مدة للامير شيخو العمري ، فجعلها ما وقته على الخائكان والجامع اللذين أنشأها بخط صلية بجامع ابن طولون خارج القاهرة .

فعمرت هذه الأرض بعمارة الجامع ، وسكنها الناس ، فصارت مدينة من مدائن أراضى مصر بحيث بلغت أنوال الترازين فيها

وترقى سنقر السعدى في الخدم حتى صار من الأمراء ، وولى تقيب الممالك السلطانية ، وأنشأ المدرسة السعدية خارج القاهرة قريبا من حدرة البقر ، فيها بين قلعة الجبل وبركة القيل ، في سنة خمس عشرة وسبعمائة ، وبني أيضا رباطا للنساء . وكان شديد الرغبة في العمائر ، محبا للزراعة ، كثير المال ظاهر الفنى .

ثم انه أخرج الى طرابلس ، وبها مات سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

ذكر تاريخ الخليفة

اعلم انه لما كانت الحوادث لا بد من ضبطها ، وكان لا يضبط ما بين المنصور وبين أزمنة الحوادث الا بالتاريخ المستعمل العام الذى لا ينكره الجماعة أو أكثرها ، وذلك أن التاريخ المجمع عليه لا يكون الا من حادث عظيم ببلد ذكره الأسماع ...

وكانت زيادة ماء النيل ونقصانه اسما يعتبرهما أهل مصر ويحسبون أيامهما بأشهر القبط ، وكذلك خراج أراضى مصر انما يحسبون أوقاته بذلك ، وهكذا زراعات الأراضى انما يعتدون في أوقاتها أيام الأشهر القبطية عادة ، وسلكوا فيها سبل أسلافهم ، واقتنوا مناهج قدمائهم — وما يرح الناس من قديم الدهر أسراء الموائد — احتيج في هذا الكتاب الى ايراد جملة من تاريخ الخليفة لتعين موقع تاريخ القبط منها ، فان بذكر ذلك يتم الغرض ...

فأقول : التاريخ عبارة عن يوم ينسب اليه ما يأتى بعده . ويقال أيضا التاريخ عبارة عن مدة معلومة ، تعد من أول زمن مفروض ، لتعرف بها الأوقات المحدودة . ولا غنى عن التاريخ في جميع الأحوال الدنيوية والأمور الدينية . ولكل أمة من أمم البشر تاريخ تحتاج اليه في معاملاتها وفي معرفة أزمتها ، تنفرد به دون غيرها من بقية الأمم .

وأول الأوائل القديمة وأشهرها هو كون مبدأ البشر . ولأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس في كنيسته وسياقة التاريخ

منه خلاف لا يجوز مثله في التواريخ . وكل ما تتعلق معرفته بيده الخلق وأحوال القرون السالفة ، فانه مختلط بتزويرات وأساطير ، لبعد العهد وعجز المعنى به عن حفظه .

وقد قال الله سبحانه وتعالى : « ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، لا يعلمهم الا الله » . فالأولى ألا يقبل من ذلك الا ما يشهد به كتاب أنزل من عند الله يعتمد على صحته لم يرد فيه نسخ ولا طرقة تبديل ، أو خبر ينقله الثقات .

واذا نظرنا في التاريخ وجدنا فيه بين الأمم خلافا كثيرا . وسأتلو عليك من ذلك ما لا أظنك تجده مجموعا في كتاب ، وأقدم بين يدي هذا القول ما قيل في مدة بقاء الدنيا .

ذكر ما قيل في مدة أيام الدنيا ماضيها وباطنها

اعلم أن الناس قد اختلفوا قديما وحديثا في هذه المسألة ، فقال قوم من القدماء الأول بالأكوار والأدوار ، وهم الدهرية ، وهؤلاء هم القائلون بعود العوالم كلها على ما كانت عليه بعد ألف من السنين معدودة .

وهم في ذلك غالطون من جهة طول أدوار النجوم . وذلك أنهم وجدوا قوما من الهند والفرس قد عملوا أدوارا للنجوم ليصححوا بها في كل وقت مواضع الكواكب ، فظنوا أن العدد المشترك لجميعها هو عدد سنى العالم أو أيام العالم ، وأنه كلما مضى * ذلك العدد عادت الأشياء الى حالها الأول . وقد وقع في

(*) من ٢٠٠٠ سنة ١٠٠٠ هـ ، ١٤٩٠ هـ ، ١٤٩٠ هـ

هذا الفن تأسس كثير مثل أبي منير وغيره ،
وتبع هؤلاء خلق .

وانت تقف على فساد هذا الفن ان كنت
تخير من العدد شيئا ما . وذلك أنك اذا طلبت
عددا مشتركا بعده أعداد معلومة ، فانك تقدر
أن تضع لكل زوج أياما معلومة كالذي وضعه
الهند والفرس . فهؤلاء حيث جهلوا صورة
الحال في هذه الأدوار ، ظنوا أنها عدد أيام
العالم ... فتعطل ترشد .

وعند هؤلاء أن الدور هو أخذ الكواكب
من نقطة وهي سائرة حتى تعود الى تلك
النقطة ، وأن الكور هو استئناف الكواكب في
أدوارها سيرا آخر الى أن تعود الى مواضعها
مرة بعد أخرى .

وزعم أهل هذه المقالة أن الأدوار متحصرة
في أنواع خمسة :

الأول أدوار الكواكب السيارة في أفلاك
تداولها .

الثاني أدوار مراكز أفلاك التدوير في
أفلاكها الحاملة .

الثالث أدوار أفلاكها الحالة في فلك
البروج .

الرابع أدوار الكواكب الثابتة في فلك
البروج .

الخامس أدوار تلك المحيط بالكل حول
الأركان الأربعة .

وهذه الأدوار المذكورة : منها ما يكون في
كل زمان طويل مرة واحدة ، ومنها ما يكون
في كل زمان قصير مرة واحدة . فاقصر هذه

٤٧.

الأدوار أدوار تلك المحيط بالكل حول
الأركان الأربعة ، فانه يدور في كل أربع
وعشرين ساعة دورة واحدة . وباقى الأدوار
يكون في أزمنة آخر أطول من هذه ، لا حاجة
بنا في هذه المسألة الى ذكرها .

قالوا : وأدوار الكواكب الثابتة في فلك
البروج تكون في كل سنة وثلاثين ألف سنة
شمسية مرة واحدة ، وحينئذ تنقل أوجات
الكواكب وجوزهراتها الى مواضع حضيضها
ونوهراتها وبالعكس ، فيوجب ذلك عندهم
عود العوالم كلها الى ما كانت عليه من
الأحوال في الزمان والمكان والأشخاص
والأوضاع ، بحيث لا يتخالف ذرة واحدة .
وهم مع ذلك مختلفون في كمية ما مضى من
أيام العالم وما بقي .

فقال البراهمة من الهند في ذلك قولاً
غريباً ، وهو ما حكاه عنهم الأستاذ أبو الريحان
محمد بن أحمد البيروني في كتاب « القانون
المسعودي » ، أنهم يسمون الطبيعة باسم ملك
يقال له إبراهيم ، ويؤمنون أنه محدث محصور
الموت بين مبدأ وانهاء ، عمره كعمرها مائة
سنة برهومية ، كل سنة منها ثلاثمائة وستون
يوماً ، زمان النهار منها بقدر مدة دوران
الأفلاك والكواكب لا تارة الكون والفساد .

وهذه المدة بقدر ما بين كل اجتماعين
للكواكب السبعة في أول برج الحمل بأوجاتها
وجوزهراتها ، ومقدارها أربعة آلاف ألف
سنة وثلاثمائة ألف ألف سنة وعشرون ألف
ألف سنة شمسية ، وهو زمان اثني عشر ألف

دورة للكواكب الثابتة ، على أن زمان الدورة
الواحدة ثلاثمائة ألف سنة وستون ألف سنة
شمسية .

واسم هذا النهار بلغتهم « الكلية » ،
وزمان الليل عندهم كزمان النهار ، وفي الليل
نسكن المتحركات ، وتستريح الطبيعة من اثارة
الكون والفساد ، ثم يثور في مبدأ اليوم الثاني
بالحركة والتكون ، فيكون زمان اليوم بليته
من سني الناس ثمانية آلاف ألف سنة
وسبعمائة ألف ألف سنة وأربعين ألف ألف
سنة .

فاذا ضربنا ذلك في ثلاثمائة وستين ، تبلغ
سني أيام السنة البرهومية ثلاثة آلاف ألف
ألف ألف سنة وعشرة آلاف ألف ألف سنة
وأربعمائة ألف ألف سنة شمسية .

فاذا ضربناها في مائة يبلغ عمر الملك الطبيعي
البرهمني ، من سني الناس ، ثلاثمائة ألف ألف
ألف ألف سنة وأحد عشر ألف ألف ألف
سنة وأربعين ألف ألف سنة شمسية .

فاذا تمت هذه السنون بطل العالم عن
الحركة والتكوين ما شاء الله ، ثم يستأنف من
جديد على الوضع المذكور .

وقسموا زمان النهار المذكور الى تسع
وعشرين قطعة ، وسماوا كل أربع عشرة قطعة
منها نوباً ، وسماوا الخمس عشرة قطعة الباقية
فصولاً ، وجعلوا كل نوبة محصورة بين
فصلين ، وكل فصل محصوراً بين نوبتين ،
وقدموا زمان الفصل على النوبة الى تمام
المدة .

وزمان الفصل هو خمسا الدور ، والدور
جزء من ألف جزء من المدة . فاذا قسمنا المدة

على ألف ، تحصل زمان الدور أربعة آلاف
ألف سنة وثلاثمائة ألف سنة وعشرين ألف
سنة ، وخمسة - أعني زمان الفصل -
ألف ألف سنة وسبعمائة ألف سنة وثمانية
وعشرون ألف سنة .

وزمان النوبة عندهم أحد وسبعون دوراً ،
مقدارها من السنين ثلاثمائة ألف ألف سنة
وسنة آلاف ألف سنة وسبعمائة ألف سنة
وعشرون ألف سنة .

وقد قسموا الدور أيضاً بأربع قطع : أولها
أعظمها ، وهي مدة الفصل المذكور .
وثانيها ثلاثة أرباع الفصل ، ومدتها ألف
ألف سنة ومائتا ألف سنة وستة وتسعون ألف
سنة . وثالثها نصف الفصل ، ومدته ثمانمائة
ألف سنة وأربعة وستون ألف سنة . ورابعها
ربع الفصل ، وهو عشر الدور المذكور ،
ومدته أربعمائة ألف سنة واثنان وثلاثون ألف
سنة .

ولكل واحد من هذه القطع الأربع اسم
يعرف به ، فاسم القطعة الرابعة عندهم
« كلكال » لأنهم يزعمون أنهم في زمانها ،
وأن الذي مضى من عمر الملك الطبيعي
- على زعم حكيمهم الأعظم المسمى عندهم
برهمكوت - ثمان سنين وخمسة أشهر
وأربعة أيام .

ونحن الآن في نهار اليوم الخامس من
الشهر السادس من السنة التاسعة ، ومضى من
النهار الخامس ست نوب وسبعة فصول
وسبعة وعشرون دوراً من النوبة السابعة ،

(*) ص ٢٥١ ج ١ ، ط ١٠٥٠ بولاق .

وثلاث قطع من الدور المذكور - أعني تسعة أعشاره - ومضى من القطعة الرابعة - أعني من أول كلكال الى هلاك شككال عظيم ملوكهم ، الواقع في آخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة للاسكندر - ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وسبعون سنة .

وقال : انما عرفنا هذا الزمان من علم الهى وقع الينا من عظماء أنبيائنا المتألهين برواياتهم جيلا بعد جيل على ممر الدهور والأزمان .

وزعموا أن في مبدأ كل دور أو فصل أو قطعة أو نوبة تتجدد أزمنة العوالم وتتقل من حال الى حال ، وأن الماضى من أول كلكال الى شككال ثلاثة آلاف ومائة وتسع وسبعون سنة .

والماضى من النهار المذكور ، الى آخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة للاسكندر ، ألف ألف سنة وتسعمائة ألف ألف سنة واثان وسبعون ألف ألف سنة وتسعمائة ألف سنة وسبعة وأربعون ألف سنة ومائة سنة وسبع وسبعون سنة .

فيكون الماضى من عمر الملك الطيى الى آخر هذه السنة : ستة وعشرين ألف ألف ألف سنة وثلاثمائة ألف ألف ألف سنة وخمسة عشر ألف ألف ألف سنة وسبعمائة ألف ألف سنة واثين وثلاثين ألف ألف سنة وتسعمائة ألف سنة وسبعة وأربعين ألف سنة ومائة سنة وتسما وسبعين سنة .

فاذا زدنا عليها الباقي من تاريخ الاسكندر ، بعد نقصان السنين المذكورة منه ، تحصل الماضى من عمر الملك بالوقت المفروض ... والله أعلم بحقيقة ذلك .

وقال الحظا والأيمز في ذلك قولوا أعجب من قول الهند وأغرب ، على ما نقلته من زيج أدوار الأنوار ، وقد لخص هذا القول من كتب أهل الصين ، وذلك أنهم جعلوا مبادئ سنهم مبنية على ثلاثة أدوار :

الأول يعرف بالعشر ، مدته عشر سنين ، لكل سنة منها اسم يعرف به .

والثاني يعرف بالدور الاثنى عشرى ، وهو أشهرها خصوصا في بلاد الترك ، يسمون سنه بأسماء حيوانات بلغت الحظا والأيمز .

والثالث مركب من الدورين جميعا ، ومدته ستون سنة ، وبه يؤرخون سنى العالم وأيامه ، ويقوم عندهم مقام أيام الأسبوع عند العرب وغيرها .

واسم كل سنة منها مركب من اسميها في الدورين جميعا ، وكذلك كل يوم من أيام السنة .

ولهذا الدور ثلاثة أسماء وهى : شانكون ، وجونكون ، وخاون . ويصير بحسبها مرة أعظم ، ومرة أوسط ، ومرة أصغر . فيقال : دور شانكون الأعظم ، ودور جونكون الأوسط ، ودور خاون الأصغر .

وبهذه الأدوار يعتبرون سنى العالم وأيامه ، وجمعتها مائة وثمانون سنة ، ثم تدور الأدوار الثلاثة عليها مرة أخرى .

واتفق وقوع مبدأ الدور الأعظم في الشهر الأول من سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ليزدجر ، واسمها بلغتهم « كادره » . وبلغه العرب سنة الفار .

وكان دخول أول فرودين هذه السنة من سنى العرب يوم الخميس ، وهو بلغتهم سن جن ، ومن هذا اليوم وعلى هذا التاريخ ترتب مبادئ سنهم وأيامهم في الماضى والمستقبل .

وشهورهم اثنا عشر شهرا ، لكل شهر منها اسم بلفغة الحظا وبلغه الأيمز ، لا حاجة بنا هنا الى ذكرها .

ويتقسمون اليوم بليته اثني عشر قسا ، كل قسم منها يقال له جاغ ، وكل جاغ ثمانية أقسام ، كل قسم منها يقال له كه .

ويتقسمون اليوم بليته أيضا عشرة آلاف فك ، وكل فك منها مائة مياو ، فيصيب كل جاغ ثمانمائة وثلاثة وثلاثين فكاً وثلاث فكاً ، وكل كه مائة وأربعة أفناك وسدس فك .

وينسبون كل جاغ الى صورة من الصور الاثنى عشرة . ومبدأ اليوم بليته عندهم من نصف الليل . وفي منتصف جاغ كسكو يتغير أول النهار وآخره بحسب الطول والقصر ، من قبل أن كل جاغ ساعتان مستويتان . وفي منتصف النهار ينتصف جاغ يوند .

وهم يكبسون في كل ثلاث سنين قمرية شهرا واحدا يسمونه سيون ، ليحفظوا بالكس مبادئ سنى الشمس في زمان واحد من سنة أخرى ، ويكبسون أحد عشر شهرا في كل ثلاثين سنة قمرية . ولا يقع عندهم شهر الكبس في موضع واحد بعينه من السنة ، بل يقع في كل موضع منها .

وكل شهر عدة أيامه اما ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون يوما ، ولا يسكن عندهم أكثر

من ثلاثة أشهر متوالية تامة ، ولا أكثر من شهرين ناقصين .

ومبادئ شهورهم يوم الاجتماع ، ان وقع اجتماع النيرين نهارا ، فان وقع الاجتماع ليلا كان أول الشهر في اليوم الذى بعد الاجتماع .

وزمان السنة الشمسية - بحسب أرصادهم - ثلثمائة وخمسة وستون يوما ، وألفان وأربعمائة وستة وثلاثة فكاً .

والسنة أربعة وعشرون قسا : كل قسم منها خمسة عشر يوما ، وألفان ومائة وأربعة وثمانون فكاً وخمسة أمداس فك .

ولكل قسم من هذه الأقسام اسم ، وكل سنة أقسام منها فصل من فصول السنة . فاسم أول قسم من فصولها الحن ، وأوله أبدا حيث تكون الشمس في ست عشرة درجة من * برج الدلو ، وهكذا أوائل كل فصل انما تكون في حدود أواسط البروج الثابتة .

وكان بعد مدخل الحن ، من أول الدور الستينى في السنة المذكورة : أحد عشر يوما ، وسبعة آلاف وستمائة وستين فكاً .

واسم مدخله بى خاينى ، وكان بعد دخول السنة الفارسية المذكورة بنحو عشرين يوما ، ويغد مدخله عن أول الدور في كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة الدور ، وهو خمسة أيام وأربعة وعشرين فكاً . فان زادت الأيام على ستين يوما ، كان الباقي بعد الحن في تلك السنة عن أول الدور الستينى .

ويتفاضل البعد بينهما في كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة القمر التي هي ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما ، وثلاثة آلاف وستمائة واثنان وسبعون فنكا . ومقدار الفضل بينهما عشرة أيام ، وثمانية آلاف وسبعمائة وأربعة وستون فنكا . فان زادت الأيام على زمان الشهر القمري الأوسط ، الذي هو تسعة وعشرون يوما وخمسة آلاف وثلاثمائة وستة أنفك ، نقص منها هذا العدد ولحسب بالباقي .

فاذا عرفت هذا من حسابهم ، فاعلم أن عمر العالم عندهم ثلثمائة ألف ون وستون ألف ون ، كل ون عشرة آلاف سنة ... مضى من ذلك الى أول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ليزجبد - وهي دور شانكون الأعظم - ثمانية آلاف ون وثلاثمائة وثلاثة وستون وواحدة وتسعة آلاف وسبعمائة وأربعون سنة . فتكون المدة العظمى على هذا : ثلاثة آلاف ألف ألف ألف سنة وستمائة ألف ألف ألف سنة (بهذه الصورة ٣٦٠٠٠٠٠٠٠) والماضى منها الى السنة المذكورة : ثمانية وثمانون ألف ألف سنة وستائة ألف سنة وتسعة وثلاثون ألف سنة وسبعمائة سنة وأربعون سنة (بهذه الصورة ٨٨٦٣٩٧٤٠) .

وله غيب السموات والأرض ، واليه يرجع الأمر كله .

وانما ذكرت طرقا من حساب سني البراهمة ، وطرقا من حساب سني الحظا والأيزر المستخرج من حساب الصين ، ليعلم

النصف أن ذلك لم يضمه حكماؤهم عنا ... ولامر ما جدد قصير أنفه .

وكم من جاهل بالتعاليم ، اذا سمع أقوالهم في مدة سني العالم ، يبادر الى تكذيبهم من غير علم بدليلهم عليه . وطريق الحق أن يتوقف فيما لا يعلمه حتى يتبين أحد طرفيه فيرجعه على الآخر ... والله يعلم واتسم لا تعلمون .

وقال أصحاب السند هند (ومعناه الدهر الداهر) : أن الكواكب وأوجاتها وجوزهراتها تجتمع كلها في أول برج الحمل ، عند كل أربعة آلاف ألف ألف سنة وثلثمائة ألف ألف سنة وعشرين ألف ألف سنة شمسية ، وهذه مدة سني العالم .

قالوا : واذا جمعت برأس الحمل فسدت المكونات الثلاث التي يحويها عالم الكون والفساد ، المبر عنه بالحياة الدنيا ، وهذه المكونات هي المدن والنبات والحيوان ، فاذا فسدت بقي العالم السفلى خرابا دهرًا طويلا الى أن تفرق الكواكب والأوجات والجوزهرات في بروج الفلك ، فاذا تفرقت فيها بدأ الكون بعد الفساد ، فعادت أحوال العالم السفلى الى الأمر الأول ، وهذا يكون عودا بعد بدء الى غير نهاية .

قالوا : ولكل واحد من الكواكب والأوجات والجوزهرات عدة أدوار في هذه المدة ، يدل كل دور منها على شيء من المكونات ، كما هو مذكور في كتبهم ، مما لا حاجة بنا هنا الى ذكره . وهذا القول منتزع من قول البراهمة الذي تقدم ذكره .

وقال أصحاب الهازروان من قدماء الهند : أن كل ثلثمائة ألف سنة وستين ألف سنة شمسية يهلك العالم بأسره ، ويبقى مثل هذه المدة ، ثم يعود بعينه ويعقبه البدل ... وهكذا أبدا يكون الحال لا الى نهاية .

قالوا : ومضى من أيام العالم المذكورة الى طوفان نوح عليه السلام مائة ألف وثمانون ألف سنة شمسية ، ومضى من الطوفان الى سنة الهجرة المحمدية ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وعشرون سنة وأربعة أشهر وأيام ، وبقي من سني العالم حتى يتبدى ويفنى مائة ألف وبضع وسبعون ألف سنة شمسية ، أولها تاريخ الهجرة الذي يؤرخ به أهل الاسلام .

وقال أصحاب الأزهير : مدة العالم ، التي تجتمع فيها الكواكب برأس الحمل هي وأوجاتها وجوزهراتها ، جزء من ألف جزء من مدة السند هند ... وهذا أيضا منتزع من قول البراهمة .

وقال أبو معشر وابن بوبخت : أن بعض القرس يرى أن عمر الدنيا اثنا عشر ألف سنة بعدة البروج ، لكل برج ألف سنة .

فكان ابتداء أمر الدنيا في أول ألف الحمل ، لأن الحمل والثور والجوزاء تسمى أشرف الشرف ، وينسب الى الحمل الفصل ، وفيها تكون الشمس في شرفها وعلوها وطول نهارها ، ولذلك الدنيا كانت الى ثلاثة آلاف سنة علوية روحانية طاهرة .

ولأن السرطان والأسد والسنبلة منتقصة ، فان الشمس تنحط من علوها في أول دقيقة

من السرطان ، وكان قدر الدنيا وأبنائها منقطعا في الثلاثة آلاف الثانية .

ولأن الميزان أهبط الهبوط وبثر الآبار وضد البرج الذي فيه شرف الشمس ، دل على أنه أصابت الدنيا واكتسب أهلها المصيبة ، والميزان والمقرب والقوس اذا ثقلت الشمس لم تزد الا انحطاطا والأيام الا نقصانا ، فلذلك دلت على البلى والضيق والشدة والشر .

وحيث تبلغ الآلاف الى أول الجدي الذي فيه أول ارتفاع الشمس واشراقها على شرفها ، وفيه تزداد الأيام طولا ، والدلو والحوت اللذان تزداد الشمس فيهما صعودا حتى تصل لشرفها ، فيدل على ظهور الخير وضعف الشر ، وثبات الدين والعقل ، والعمل بالحق والعدل ، ومعرفة فضل العلم والأدب في تلك الثلاثة الآلاف سنة .

وما يكون في ذلك فعلى قدر صاحب الألف والمائة والعشرة ، وعلى حسب اتفاق الكواكب في أول سلطان صاحب الألف . فلا يزال ذلك في زيادة حتى يعود أمر الدنيا في آخرها الى مثل ما كان عليه ابتدائها وهي في ألف الحمل .

وكلما تقارب آخر كل ألف من هذه الألوف ، اشتد الزمان وكثرت البلى ، لأن أواخر البرج في حدود النحوس ، وكذلك في آخر المئين والعشرات ... فعلى هذا الانتضاء للدنيا اذا كان الزمان يعود الى الحمل كما بدأ أول مرة .

(*) من ٢٥٢ جزء ، طبع بولاق .

وزعموا أن ابتداء الخلق بالتحرك ، كان
والشمس في ابتداء الليل : فدار الفلك ،
وجرت المياه ، وهبت الرياح ، وانتقدت
النيران ، وتحرك سائر الخلائق بما هم عليه
من خير وشر .

والطالع تلك الساعة تسع عشرة درجة من
برج السرطان وفيه المشتري . وفي البيت الرابع
الذي هو بيت العافية ، وهو برج الميزان ،
زحل . وكان الذئب في القوس ، والمريخ
والجدي والزهرة وعطارد في الحوت ، ووسط
السماء برج الحمل ، وفي أول دقيقة منه
الشمس ، وكان القمر في الثور وفي بيت
السعادة ، وكان الرأس في برج الجوزاء وهو
بيت الشقاء .

وفي تلك الدقيقة من الساعة كان استقبال
أمر الدنيا ، فكان خيرا وشرها وإحباطها
وارتفاعها وسائر ما فيها ، على قدر مجاري
البروج والنجوم وولاية أصحاب الألف
وغير ذلك من أحوالها .

ولأن المشتري كان في السرطان في شرقه ،
وزحل في الميزان في شرقه ، والمريخ والشمس
والقمر في اشرافها ، دلت على كائنة بجيلية ،
فكان لشو العالم .

وابرز زحل فتولى الألف هو والميزان ،
وكان المشتري في الطالع مقبولا ، وكذلك
جميع الكواكب كانت مقبولة ، فدل على ثناء
العالم وحسن نشوءه .

وكان زحل هو المستولى والعالي في الفلك
والبرج طویل المطالع ، فطالت أعمار تلك
الألف ، وقويت أبدانهم ، وكثرت مياههم .

وكون الميزان تحت الأرض ، دل على خفاء
أول حدوث العالم ، وعلى أن أهل ذلك
الزمان ينظرون في عمارة الأرضين وتنشيد
البيان .

ثم ولي الألف الثاني العقرب والمريخ ، وكان
في الطالع المريخ ، فدل على القتل في ذلك
الألف ، وسفك الدماء والسبي والظلم
والجور والخوف والهلع والأحزان والفساد
وجور الملوك .

وولي الألف الثالث القوس ، وشارك
عطارد والزهرة بطلوعهما ، وكان الذئب في
القوس : فدل المشتري على التجدة في تلك
الألف والشدة والجلد والبأس والرياسة
والعدل ، وتقسيم الملوك الدنيا وسفك الدماء
بسبب ذلك . ودلت الزهرة على ظهور بيوت
العبادة وعلى الأنبياء . ودل عطارد على ظهور
العقل والأدب والكلام .

وكون البرج مجسدا ، دل على انقلاب
الخير والشر في تلك الألف مرات ، وعلى
ظهور ألوان من آيات الحق والعدل والجور .

ثم ولي الألف الرابع الجدي — وكان فيه
المريخ — فدل على ما كان في تلك الألف من
أهراق الدماء ، ودلت الشمس على ظهور
الخير والعلم ومعرفة الله تعالى وعبادته وطاعة
وطاعة أنبيائه ، والرغبة في الدين مع الشجاعة
والجلد .

وكون البرج متقلبا هو والبرج الذي فيه
الشمس ، دل على انقلاب ذلك في آخرها ،
وظهور الشر والفرق والقسم والقتل وسفك
الدماء والغصب في أصناف كثيرة ، وتحول
ذلك وتلونه .

وكون الجدي منقطعا ، دل على أنه يظهر
في آخر تلك الألف الحسن الشبه بصفة زحل
والمريخ ، وانقطاع العظماء والحكماء
وبوارهم ، وارتفاع السفلة ، وخراب العمار ،
وعمارة الخراب ، وكثرة تلون الأشياء .

وولي الألف الخامس الدلو بطلوع القمر
— وكان القمر في الثور — فدل الدلو
لبرودته وعمره على سقوط العظماء وعطلة
أمرهم ، وارتفاع السفلة والعبيد ، ومحمدة
البدلاء ، وظهور الجيش الأسود والسواد ،
وعلى كثرة التفتيش والتفكر وظهور الكلام
في الأديان ومحبة الخصومات .

وكون القمر في شرقه يدل على قهر الملوك ،
وظهور ولاية الحق ، وتقاذ الخير ، وظهور
بيوت العبادة ، والكف عن الدماء ، والراحة
والسعادة في العامة ، وثبات ما يكون من
العدل والخير وطول المدة فيه .

وكون البرج مائيا يدل على كثرة الأمطار
والفرق ، وآفة من البرد يهلك فيها الكثير .

وولي الألف السادس برج الحوت بطلوع
المشتري والرأس ، فدل على المحممة في الناس
عامة ، وعلى الصلاح والخير والسرور وذهاب
الشر وحسن العيش .

ولكل واحد من الكواكب ولاية ألف سنة ،
فصار عطارد خاتما في برج السنبلة .

وزعم ابن بويخت أن من يوم سارت
الشمس ، إلى تمام خمس وعشرين من ملك
أنو شروان ، ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبع
وستون سنة ، وذلك في ألف الجدي وتديير

الشمس . ومنه إلى اليوم الأول من الهجرة
سبع وثمانون سنة تسمية وستة وعشرون
يوما . ومن الهجرة إلى قيام يزدجرد تسع
سنين وثلثمائة وسبعة وثلاثون يوما . فذلك
الجميع إلى أن قام يزدجرد ثلاثة آلاف
وتسعمائة وست وستون سنة .

وقال أبو معشر : وزعم قوم من القرون أن
عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعدة الكواكب
السبعة . وزعم أبو معشر أن عمر الدنيا
ثلاثمائة ألف سنة وستون ألف سنة ، وأن
الطوفان كان في النصف من ذلك على رأس
مائة ألف وثمانين ألف سنة .

وقال قوم : عمر الدنيا تسعة آلاف سنة ،
لكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة
ألف سنة ، وللرأس ألف سنة ، وللذئب ألف
سنة ... وشرها ألف الذئب . وإن الأعصار
طالت في تديير آلاف الثلاثة العلوية ،
وقصرت في آلاف الكواكب السفلية .

وقال قوم : عمر الدنيا تسعة عشر ألف سنة
بعدد البروج الاثني عشر لكل برج ألف سنة ،
وبعدد الكواكب السبعة السيارة لكل كوكب
ألف سنة .

وقال قوم : عمر الدنيا أحد وعشرون ألف
سنة ، بزيادة ألف للرأس وألف للذئب .

وقال قوم : عمر الدنيا ثمانية وسبعون ألف
سنة : في تديير برج الحمل اثنا عشر ألف
سنة ، وفي تديير برج الثور أحد عشر ألف
سنة ، وفي تديير الجوزاء عشرة آلاف سنة .

فكانت الأعصار في هذا الريح أطول ،
وازمان أبعد . ثم تدير الريح الثاني مدة
أربعة وعشرين ألف سنة ، فتكون الأعصار
دون ما كانت في الريح الأول . وتدير الريح
الثالث خمسة عشر ألف سنة . وتدير الريح
الرابع ستة آلاف سنة .

وقال قوم : كانت المدة من آدم الى
الطوفان ألفين وثمانين سنة وأربعة أشهر
 وخسة عشر يوما ، ومن الطوفان الى ابراهيم
عليه السلام تسعمائة واثنين وأربعين سنة
وسبعة أشهر وخسة عشر يوما ... فذلك
ثلاثة آلاف ومائتان وثلاث وعشرون سنة .

وقال قوم من اليهود : عمر الدنيا سبعون
ألف سنة منحصرة في ألف جيل . ولتقوا ذلك
من قول موسى عليه السلام في صلاته « ان
الجيل سبعون سنة » ، ومن قوله في الزبور
« ان ابراهيم عليه السلام قطع معه الله تعالى
عهدا لبقاء البشر ألف جيل » ، فجاء من ذلك
أن مدة الدنيا سبعون ألف سنة ، واستظهروا
لتولم هذا بما في التوراة من قوله « واعلم أن
الله الهك هو القادر المهيمن العاقظ المهدد
والفضل لمحييه وحافظي وصاياه لألف
جيل » .

وذكر أبو الحسن علي بن الحسين السمودي
في كتاب « أخبار الزمان » عن الأوائل أنهم
قالوا : كان في الأرض ثمان وعشرون أمة ذات
أرواح وأبد وبطش وصور مختلفات ، يمدد
منازل القمر ، لكل منزلة أمة منفردة تصرف
بها تلك الأمة . ويرعون أن تلك الأمم كانت
الكواكب النابتة تدبرها ، وكانوا يبدونها .

وقال لما خلق الله تعالى البروج الاثني عشر
قسم دوامها في سلطانها : فجعل للحمل اثني
عشر ألف عام ، ولثور أحد عشر ألف عام ،
وللجوزاء عشرة آلاف عام ، وللسرطان تسعة
آلاف عام ، وللأسد ثمانية آلاف عام ،
وللسنبلة سبعة آلاف عام ، وللميزان ستة
آلاف عام ، وللمقرب خمسة آلاف عام ،
وللقوس أربعة آلاف عام ، وللجدي ثلاثة
آلاف عام ، وللدلو اثني عام ، وللحوت ألف
عام ... فصار الجميع ثمانية وسبعين ألف
عام .

فلم يكن في عالم الحمل والثور والجوزاء
حيوان ، وذلك ثلاثة وثلاثون ألف عام .

فلما كان عالم السرطان تكوّن دواب الماء
وهوام الأرض .

فلما كان عالم الأسد تكوّن ذوات الأربع
من الوحش والبهائم ، وذلك بعد تسعة آلاف
عام من خلق دواب الماء والهواء .

فلما كان عالم السنبلة تكون الانسانان
الأولان ، وهما آدمانوس وحنوانوس ، وذلك
لتسام سبعة عشر ألف عام لخلق دواب الماء
وهوام الأرض ، ولتسام ثمانية آلاف عام من
خلق ذوات الأربع .

وخلقت الأرض في عالم الميزان ، ويقال بل
خلقت الأرض أولا ، وأقامت خالية ثلاثة
وثلاثين ألف عام ليس فيها حيوان ولا عالم
روحاني ، ثم خلق الله تعالى هوام الماء ودواب
الأرض وما بعد ذلك على ما تقدم ذكره .

فلما تم أربعة وعشرون ألف عام لخلق
دواب الماء وهوام الأرض ، ولتسام خمسة

عشر ألف عام من خلق ذوات الأربع ، ولتسمة
سبعة آلاف عام من لدن تكون الانسانين ،
خلقت الطيور .

ويقال ان مدة مقام الانسانين ونسلهما في
الأرض مائة ألف وثلاثة وثلاثون ألف عام :
منها لرحل ستة وخمسون ألف عام ،
وللبشري أربعة وأربعون ألف عام ، وللبرخ
ثلاثة وثلاثون ألف عام .

ويقال ان الأمم المخلوقات قبل آدم هي
كانت الجيلة الأولى ، وهي ثمان وعشرون أمة
بازاء منازل القمر ، خلقت من أمزجة مختلفة
أصلها الماء والهواء والنار ، فتباين خلقها :

فمنها أمة خلقت طوالا زرقا ذوات أجنحة ،
أكلهم قرقة على صفة الأسود .

ومنهم أمة أبدانهم أبدان الأسود ،
ورؤوسهم رؤوس الطير ، لهم شعور وآذان
طوال ، وكلامهم دوى .

ومنهم أمة لها وجهان : وجه أمامها ، وجه
خلفها ، ولها أرجل كثيرة ، وكلامهم * كلام
الطير .

ومنهم أمة ضعيفة في صور الكلاب ، لها
أذنان ، وكلامهم همهمة لا يعرف .

ومنهم أمة تشبه بنى آدم ، أفواههم في
صدورهم ، يصفرون اذا تكلموا تصفيرا .

ومنهم أمة يشبهون نصف انسان ، لهم عين
واحدة ، ورجل يقفزون بها قفزا ، ويصيحون
كصياح الطير .

(*) من هذه الأجناس ، ط. بولاق

ومنهم أمة لها وجوه كوجوه الناس ،
وأصلاب كأصلاب السلاحف ، في رؤوسهم
قرون طوال ، لا يفهم كلامهم .

ومنهم أمة مدورة الوجوه ، لهم شعور
بيض وأذنان كأذنان البقر ، ورؤوسهم في
صدورهم ، لهم شعور وثدي . وهم اناث
كلهن ليس فيهن ذكر ، يلتصقن من الريح ويلدن
أمثالهن ، ولهن أصوات مطرية ، يجتمع اليهن
كثير من هذه الأمم لحسن أصواتهن .

ومنهم أمة على خلق بنى آدم ، سود
وجوههم ، ورؤوسهم كرؤوس الغربان .

ومنهم أمة في خلق الهوام والحشرات ، إلا
أنها عظيمة الأجسام ، تأكل وتشرب مثل
الأنعام .

ومنهم أمة كوجوه دواب البحر ، لها ألياب
كألياب الخنازير وآذان طوال .

ويقال ان هذه الثمانية والعشرين أمة
تناكحت فصارت مائة وعشرين أمة .

وسئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
رضي الله عنه : هل كان في الأرض خلق قبل
آدم يبدون الله تعالى ؟

فقال : نعم ، خلق الله الأرض ، وخلق فيها
الجن يسبحون الله ويقدمونه لا يفكرون .
وكانوا يطفرون الى السماء ، ويلقون للملائكة
ويسلمون عليهم ، ويستعلمون منهم خبر ما في
السماء .

ثم ان طائفة منهم تردت ، وعتت عن أمر
ربها ، وبغت في الأرض بغير الحق ، وعدا
بعضهم على بعض ، وجحدوا الربوبية ،

وكرموا بالله وعبدوا ما سواه ، وتظاهروا على الملك حتى سفكوا الدماء ، وأظهروا في الأرض الفساد ، وكثر قضايتهم ، وعلا بعضهم على بعض .

وأقام الطبيعيون لله تعالى على دينهم ، وكان إبليس من الطائفة الطبيعية لله والمبجحين له ، وكان يصعد إلى السماء فلا يجيب عنها لعن مات .

وروى أن الجن كانت تفرق على إحدى وعشرين قبيلة ، وأن بعد خسة آلاف سنة ملكوا عليهم ملكا يقال له شلال بن أرس ، ثم ائتمروا فملكوا عليهم خسة ملوك ، وأقاموا على ذلك دهرًا طويلا .

ثم اغار بعضهم على بعض وتحاسدوا ، ففككت بينهم وقائع كثيرة ، فأهبط الله تعالى إليهم إبليس - وكان اسمه بالعربية العارث ، وكنيته أبو مرة - ومعه عدد كبير من الملائكة ، فهزمهم وقتلهم .

وصار إبليس ملكا على وجه الأرض فتكبر وطغى ، وكان من امتاعه من السجود لآدم ما كان . فأهبطه الله تعالى إلى الأرض ، فسكن البحر وجعل عرشه على الماء ، فألقت عليه شهوة الجباع ، وجعل لقاحه لقاح الطير ويضه .

وقال أن قبائل الجن من الشياطين خمس وثلاثون قبيلة : خمس عشرة قبيلة تطير في الهواء ، وعشر قبائل مع لهب النار ، وثلاثون قبيلة يسترقون السمع من السماء . ولكل قبيلة ملك موكل برفع شرها .

ومنهم صنف من السحالي يتصورون في صور النساء الحسان ، ويتزوجن رجال الانس ، ويلدن منهم .

ومنهم صنف على صور الحيات ، إذا قتل أحد منهم واحدة هلك من وقته ، فإن كانت صغيرة هلك ولده أو عزير عنده .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إن الكلاب من الجن ، فإذا رأوكم تاكلون فأتقوا إليهم من طعامكم ، فإن لهم ألقا ... يعني أنهم يأخذون بالعين .

وقد روى أن الأرض كانت معمورة بأسم كثيرة ، منهم الطم والرم والجن والبن والحسن واليسن ، وأن الله تعالى لما خلق النساء عمرها بالملائكة ، ولما خلق الله الأرض عمرها بالجن ، فعاثوا وسفكوا الدماء ، فأزول الله إليهم جندا من الملائكة ، فأتوا على أكثرهم قتلًا وأسرا .

فكان من أسر إبليس - وكان اسمه عزازل - فلما صعد به إلى السماء ، أخذ نفسه بالاجتهاد في العبادة والطاعة رجاء أن يتوب الله عليه ، فلما لم يتجد ذلك عليه شيئا خامر الملائكة القنوط ، فأراد الله أن يظهر لهم خبث طويته وفساديته ، فخلق آدم ، فامتحنه بالسجود له ليظهر للملائكة تكبره وإبانه ما خفى عنهم من مكتوم أنبائه .

والى عبارة الأرض قبل آدم من أفسد فيها ، أشار بقوله تعالى حكاية عن الملائكة « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ » ... يعنون كما فعل بها من قبل . والله أعلم بمراده .

وقال أبو بكر بن أحمد بن علي بن وحشية في كتاب « القلاحة » : أنه عرب هذا الكتاب ونقله من لسان الكلدانيين إلى اللغة العربية ، وأنه وجدته من وضع ثلاثة حكماء قدماء ، وهم صعيت ، وسوساد ، وفوقاي .

ابتداء الأول وكان ظهوره في الألف السابعة من سبعة آلاف سني زحل ، وهي الألف التي يشارك فيها زحل القمر . وتسمه الثاني وكان ظهوره في آخر هذه الألف . وأكمله الثالث وكان ظهوره بعد مضي أربعة آلاف سنة من دور الشمس الذي هو سبعة آلاف سنة . وأنه نظر إلى ما بين زمان الأول والثالث ، فكان ثمانية عشر ألف سنة شمسية وبعض الألف التاسعة عشرة .

وقد اختلف أهل الاسلام في هذه المسألة أيضا . فروى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه قال : الدنيا جمعة من جميع الآخرة ، واليوم ألف سنة ، فذلك سبعة آلاف سنة .

وروى سفيان عن * الأعمش ، عن أبي صالح قال : قال كعب الأحبار : الدنيا ستة آلاف سنة .

وعن وهب بن منبه أنه قال : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمئة سنة . انى لأعرف كل زمان منها ومن فيه من الأنبياء .

ف قيل له : فكم الدنيا ؟

قال : ستة آلاف سنة .

وروى عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أنه قال : سمعت رسول

(ص) ص ١٠١ ج ١ ، ط ١٠١٠

الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس » .

وفي حديث أبي هريرة « الحقب ثمانون عاما ، اليوم منها سدنس الدنيا » . والحقب هنا يكسر الحاء وضمها .

قال أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني في كتاب « الاكليل » : وكان الدنيا جزء من أربعة آلاف وسبعمائة وثلاثة وعشرين جزءا وثلاث جزء من الحقب ، على أن السنة القمرية ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدنس يوم . فإذا كانت الدنيا ستة آلاف سنة واليوم ألف سنة ، تكون سنين قمرية ستة آلاف ألف سنة .

فإذا جعلناه جزءا وضريناه في أجزاء الحقب - وهي أربعة آلاف وسبعمائة سنة وثلاث وعشرون وثلاث - خرج من السنين ثمانية وعشرون ألف ألف ألف وثلثمائة ألف ألف وأربعمون ألف ألف . وإذا كانت جمعة من جميع الآخرة ، زدنا مع هذا العدد مثل سدسه . وهذا عدد الحقب .

وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : الصواب من القول ما دل على صحة الخبر الوارد ، فذكر قوله عليه السلام « أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس » ، وقوله عليه السلام « بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بالسبابة والوسطى ، وقوله عليه السلام « بعثت أنا والساعة جميعا ان كانت لتسبقني » .

قال : فمعلوم ان كان اليوم أوله طلوع الشمس وآخره غروب الشمس ، وكان

صحيحاً من النبي صلى الله عليه وسلم قوله
« أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة
العصر إلى مغرب الشمس » ، وقوله « بعثت
أنا والساعة كهاتين » ، وأشار بالسبابة
والوسطى . وكان قدر ما بين أوسط أوقات
صلاة العصر — وذلك إذا صار ظل كل شيء
متليه على التحري — إنما يكون قدر نصف
صبح اليوم يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً ،
وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة إنما
يكون نحواً من ذلك .

وكان صحيحاً مع ذلك قوله عليه السلام
« لن يسجد الله أن يؤخر هذه الأمة نصف
يوم » ، يعني نصف اليوم الذي مقداره ألف
سنة ... فأولى القولين ، اللذين أحدهما عن
ابن عباس والآخر عن كعب ، قول ابن عباس
« إن الدنيا جمعة من جمیع الآخرة مسبعة
آلاف » .

وإذا كان كذلك ، وكان قد جاء عنه عليه
السلام « أن الباقي من ذلك في حياته نصف
يوم » ، وذلك خمسمائة عام إذا كان ذلك نصف
يوم من الأيام التي قدر الواحد منها ألف
عام ... كان معلوماً أن الماضي من الدنيا ،
إلى وقت قوله عليه السلام ، ستة آلاف سنة
وخمسمائة سنة أو نحو ذلك .

وقد جاء عنه عليه السلام خير بدل على
صحة قول من قال : إن الدنيا كلها ستة آلاف
سنة ... لو كان صحيحاً لم يعد القول به إلى
غيره ، وهو حديث أبي هريرة يرفعه « الحقب
ثلاثون عاماً ، اليوم منها سبعمائة الدنيا ، فبين
من هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة .

وذلك أنه حيث كان اليوم ، الذي هو من
أيام الآخرة ، مقداره ألف سنة من سني
الدنيا ، وكان اليوم الواحد من ذلك سبعمائة
الدنيا ، كان معلوماً أن جميعاً ستة أيام من
أيام الآخرة ، وذلك ستة آلاف سنة .

وقال أبو القاسم السهيلي : وقد مضت
الخمسمائة من وفاته صلى الله عليه وسلم إلى
اليوم بنيف عليها ، وليس في قوله « لن يسجد
الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم » ما ينفي
الزيادة على النصف ، ولا في قوله « بعثت أنا
والساعة كهاتين » ما يقطع به على صحة تأويله
(يعني الطبري) ، فقد نقل في تأويله غير
هذا ، وهو أنه ليس بينه وبين الساعة لبس
ولا شرعة غير شرعته مع التقرب لحياتها ، كما
قال تعالى : « اقتربت الساعة » ، وقال : « أتى
أمر الله فلا تستعجلوه » .

ولكن إذا قلنا أنه عليه السلام إنما بعث في
الألف الآخر بعد ما مضت منه ستون ، ونظرنا
إلى الحروف المقطعة في أوائل السور وجدناها
أربعة عشر حرفاً ، يجمعها قولك « ألم يسطع
نص حق كره » ، ثم تأخذ العدد على حساب
أبي جاد ، فيجىء تسعمائة وثلاثة .

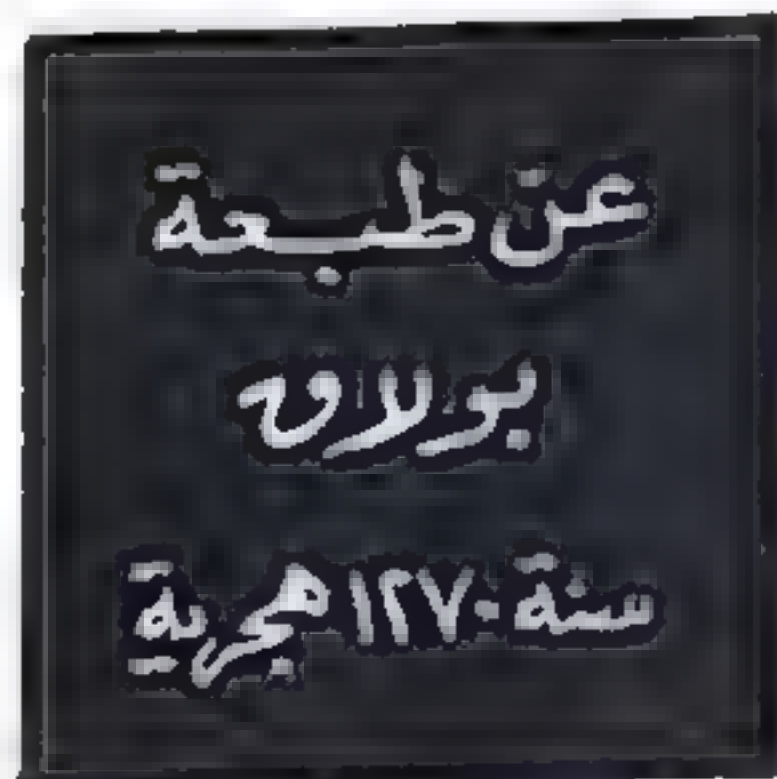
ولم يسم الله تعالى أوائل السور إلا هذه
الحروف ، فليس بعد أن يكون من بعض
مقتضياتها وبعض فوائدها ، الإشارة إلى هذا
العدد من السنين ، لما قدمناه من حديث الألف
السابع الذي بعث عليه السلام فيه .

غير أن الحساب يحتمل أن يكون من
مبعثه ، أو من وفاته ، أو من هجرته — وكل
قرب بعضه من بعض — فقد جاء أشرافها
« ولكن لا تأتكم إلا بقة » .



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

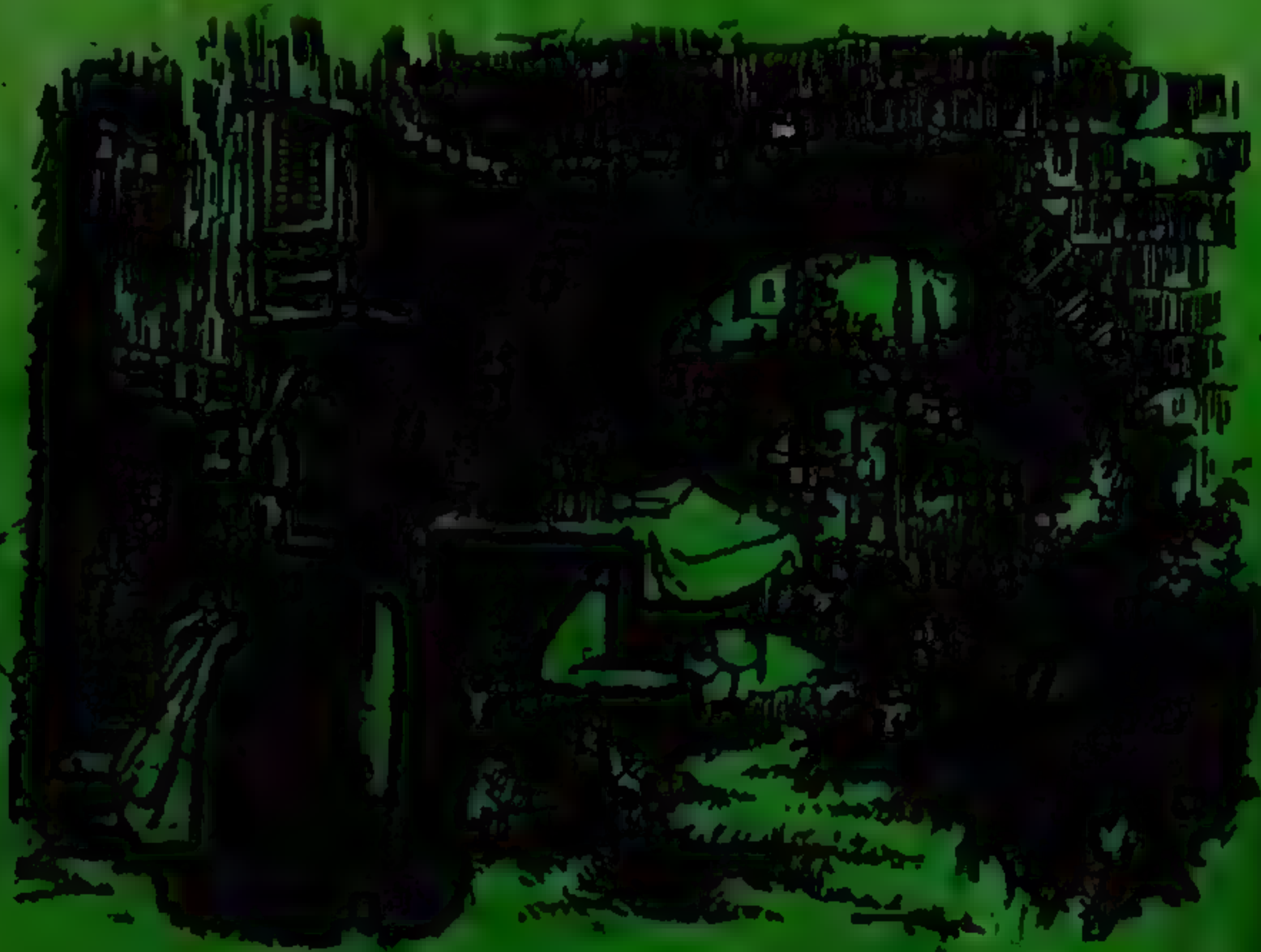


الثن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٢ قروش

خَطُّ الْمُقْرِئِ

۱۳

كتاب
التحرير



• كلمات حصرها مستطير رأسي . وعلق اوراق . ومجمع ناسي . ومغني مشهور ومقامي .
• وموطن خامسي وماسي . ومنه جودي الذي رب ماسي في ذكره . ومنه ياروب . لا
• تهرق الاغصان غير ذكره . لا يات منه شذوذ العاصي . وآثاره في الفطامه والحكمه . ارفع في
• معرفه اعيانها . واجب وشرف على ارفع من آياتها . والسرور حادها الزمان من كان رازها
• قصر الدين امر من على القدر في

وقد روى أنه عليه السلام قال : « ان أحسنت أمتي فبقاؤها يوم من أيام الآخرة (وذلك ألف سنة) ، وان أسأمت فنصف يوم » . ففى الحديث تسميم للحديث المتقدم ويان له ، اذ قد انقضت الخمسمائة والأمة باقية .

وقال شاذان البلخى النجم : مدة ملة الاسلام ثلثمائة وعشر سنين . وقد ظهر كذب قوله وثقه الحمد .

وقال أبو معشر : يظهر بعد المائة والخمسين من سنى الهجرة * اختلاف كثير .

وقال حراس : ان النجمين أخبروا كسرى أنو شروان بتملك العرب وظهور النبوة فيهم ، وأن دليلهم الزهرة وهى فى شرفها والزهرة دليل العرب ، فتكون مدة ملك نبوتهم ألفا وستين سنة ، ولأن طالع القرآن الدال على ذلك برج الميزان والزهرة صاحبه فى شرفها .

قال : وسأل كسرى وزيره بزرجمهر عن ذلك . فأعلمه أن الملك يخرج من فارس وينتقل الى العرب ، وتكون ولادة القائم بامرة العرب لخمس وأربعين سنة من وقت القرآن ، وأن العرب تملك المشرق والمغرب من أجل أن المشتري دليل فارس قد قبل تدبير الزهرة دليل العرب ، والقرآن قد انتقل من المثلثة الهوائية الى المثلثة المائية والى برج العقرب منها وهو دليل العرب أيضا . وهذه الأدلة تقتضى بقاء الملة الاسلامية بقدر دور الزهرة ، وهو ألف وستون سنة شمسية .

(١٣٥) م ٢٥٧ ج ١ ، ط ٥ بولاق .

وقال قيل الرومى وكان فى أيام بنى أمية : تبقى ملة الاسلام بقدر مدة القرآن الكبيرة ، وهى تسعمائة وستون سنة شمسية . فاذا عاد القرآن بعد هذه المدة الى برج العقرب كما كان فى ابتداء الملة ، وتغير وضع تشكيل الفلك عن هيئته فى الابتداء ، فحينئذ يفتقر العمل ، ويتجدد ما يوجب خلاف الظن .

قال : واتفقوا على أن خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك المكونات بأسرها ، وذلك اذا قطع قلب الأسد أربعا وعشرين درجة من برج الأسد ، الذى هو حد المريخ ، بعد تسعمائة وستين سنة شمسية من قرآن الملة .

ويقال ان ملك رابلستان - وهى غربة - بعث الى عبد الله أمير المؤمنين المأمون بحكيم اسمه دوبان فى جملة هدية ، فأعجب به المأمون وسأله عن مدة ملك بنى العباس ، فأخبره بخروج الملك عن عقبه واتصاله فى عقب أخيه ، وأن العجم تغلبهم على الخلافة ، فيتغلب الديلم أولا ثم يسوء حالهم ، حتى يظهر الترك من شمال المشرق فيملكوا الفرات والروم والشام .

وقال يعقوب بن اسحاق الكندى : مدة ملة الاسلام ستمائة وثلاث وتسعون سنة .

وقال الفقيه الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم : وأما اختلاف الناس فى التاريخ ، فإن اليهود يقولون أربعة آلاف سنة ، والنصارى يقولون الدنيا خمسة آلاف سنة ، وأما نحن (يعنى أهل الاسلام) فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا .

ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل ، فقد قل ما لم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لقطة تصح ، بل صح عنه عليه السلام خلافه .

بل قطع على أن للدنيا أمدا لا يملئه إلا الله تعالى ، قال الله تعالى : « ما أمتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أتم في الأمم قبلكم إلا كالشجرة البيضاء في الثور الأسود ، والشجرة السوداء في الثور الأبيض » .

وهذه نسبة من تدبرها ، وعرف مقدار عدد أهل الإسلام ، ونسبة ما بأيديهم من مصور الأرض وأنه الأكثر ، علم أن للدنيا أمدا لا يملئه إلا الله تعالى .

وكذلك قوله عليه السلام « بنت أمة والساعة كعائين » وضم أصبعيه للتسعين الساعة والوسطى - وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون إلا الله تعالى لا أحد سواه - فصح أنه صلى الله عليه وسلم إنما عني شدة القرب لا فضل الساعة على الساعات ، إذ لو أراد ذلك لأخذت نسبة ما بين الأصبعين ونسب من طول الأصبع ، فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة ، وهذا باطل .

وأيا فكان تكون نسبة صلى الله عليه وسلم إذا إلى من قبلنا بأنا كالشجرة في الثور كذبا - ومعاذ الله من ذلك - فصح أنه عليه السلام إنما أراد شدة القرب .

وله صلى الله عليه وسلم منذ بعث أرسالة عام ونيف ، والله تعالى أعلم بما بقي للدنيا .

فإذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عند ما سلف ، لتلك وثاقته بالاضافة الى ما مضى ، فهو الذي قاله صلى الله عليه وسلم من أنا فمن مضى كالشجرة في الثور أو الرقعة في ذراع الصار .

وقد رأيت بخط الأمير أبي محمد عبد الله ابن التاصر قال : حدثني محمد بن معاوية القرشي أنه رأى بالهند بلدا له اثنتان وسبعون ألف سنة .

وقد وجد محمود بن سبكتكين بالهند مدينة يورخون بأرسائة ألف سنة .

قال أبو محمد : إلا أن لكل ذلك أولا ولا بد ونهاية ، لم يكن شيء من العالم موجودا قبله . والله الأمر من قبل ومن بعد . والله أعلم .

ذكر التواريخ التي كتبت للأمم قبل تاريخ النبي

التاريخ كلفة فارسية أصلها ماروز ، ثم عرب .

قال محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف البلخي في كتاب « مفاتيح العلوم » ، وهو كتاب جليل القدر : وهذا اشتقاق بعيد لولا أن الرواية جاءت به .

وقال قدامة بن جعفر في كتاب « الخراج » : تاريخ كل شيء آخره ، وهو في الوقت غايته . يقال فلان تاريخ قومه ، أي إليه ينتهي شرفهم . وقال : ورخت الكتاب تورخا ، وأرخت تاريخا . اللغة الأولى لتسم ، والثانية لقيس .

ولكل أهل ملة تاريخ ، فكانت الأمم تؤرخ أولا بتاريخ ، الخليقة وهو ابتداء كون النسل من آدم عليه السلام ، ثم أرخت بالطوفان ، وأرخت ببخت نصر ، وأرخت بفيلبس ، وأرخت بالإسكندر ، ثم بأغسطس ، ثم بأنطيس ، ثم بدقلطيانوس وبه تؤرخ القبط ، ثم لم يكن بعد تاريخ القبط إلا تاريخ الهجرة ، ثم تاريخ يودجود ... فهذه تواريخ الأمم المشهورة ، وللتاس تواريخ أخر قد انقطع ذكرها .

فأما تاريخ الخليقة - ويقال له ابتداء كون النسل ، وبعضهم يقول بدو التحرك - فإن لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والمجوس في كنيسته وسياقة التاريخ منه خلافا كثيرا .

قال المجوس والقرن : عمر العالم اثنا عشر ألف عام على عدد بروج الفلك وشهور السنة . وزعموا أن زرادشت صاحب شريعتهم قال : إن الماضي من الدنيا إلى وقت ظهوره ثلاثة آلاف سنة مكبومة الأربع .

وبين ظهور زرادشت وأول تاريخ الإسكندر ثلاثة آلاف ومائتا سنة وثمان وخمسون سنة . وإذا حسبنا من أول يوم كيومرت ، الذي هو عندهم الإنسان الأول ، وجعنا مدة كل من ملك بعده - فإن الملك ملصق فيهم غير منقطع عنهم - كان العدد منه إلى الإسكندر ثلاثة آلاف وثلاثمائة وأربعا وخمسين سنة .

فإذا لم يتفق التفصيل مع الجملة ، وقال قوم الثلاثة الآلاف الماضية إنما هي من خلق

(١٨٠) من ٢٥٨ ج ١ ، ط ١٠٠٠ بلاق .

كيومرت ... فإنه مضى قبله ألف سنة والفلك فيها واقف غير متحرك ، والطبائع غير متحيلة ، والإمعات غير متازجة ، والكون والفساد غير موجود فيها ، والأرض غير عامرة .

فلما تحرك الفلك ، حدث الإنسان الأول في معدن النهار ، وتولد الحيوان وتوالد ، وتنازل الانس فكثروا ، وامترجت أجزاء العناصر للكون والفساد ... فعمرت الدنيا ، وانتظم العالم .

وقال اليهود : الماضي من آدم إلى الإسكندر ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان وأربعون سنة .

وقال النصارى : المدة بينهما خمسة آلاف ومائة وثمانون سنة . وزعموا أن اليهود تقصوها ليقع خروج عيسى ابن مريم عليه السلام في الألف الرابع ، وسط السبعة آلاف التي هي مقدار العالم عندهم ، حتى تخالف ذلك الوقت الذي سبقت البشارة من الأنبياء الذين كانوا بعد موسى بن عمران عليه السلام بولادة المسيح عيسى .

وإذا جمع ما في التوراة التي بيد اليهود ، من المدة التي بين آدم عليه السلام وبين الطوفان ، كانت ألفا وستمائة وستا وخمسين سنة . وعند النصارى في انجيلهم ألفان ومائتا سنة واثنتان وأربعون سنة .

وتزعم اليهود أن توراتهم بعيدة عن التخليط ، وتزعم النصارى أن تورااة السبعين التي هي بأيديهم لم يقع فيها تحريف ولا تبديل ، وتقول اليهود فيها خلاف ذلك ،

وتقول السامرة بأن توراتهم هي الحق وما عندها باطل . وليس في اختلافهم ما يزيل الشك بل يقوى الجألة له .

وهذا الاختلاف بينه بين النصارى أيضا في الانجيل ، وذلك أن له عند النصارى أربع نسخ مجموعة في مصحف واحد : أحدها انجيل متى ، والثاني لمارقوس ، والثالث للوقا ، والرابع ليوحنا ... قد ألف كل من هؤلاء الأربعة انجيلا على حسب دعوته في بلاده . وهي مختلفة اختلافا كثيرا حتى في صفات المسيح عليه السلام وأيام دعوته ، ووقت الصلب بزعيمهم ، وفي نسبه أيضا . وهذا الاختلاف لا يحتل مثله .

ومع هذا فعند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ابن ديسان انجيل يخالف بعضه هذه الأنجيل ، ولأصحاب ماني انجيل على حدة يخالف ما عليه النصارى من أوله الى آخره ، ويزعمون أنه هو الصحيح وما عداه باطل ، ولهم أيضا انجيل يسمى انجيل السبعين ينسب الى تلاميذ ، والنصارى وغيرهم يتكرونها .

واذا كان الأمر من الاختلاف بين أهل الكتاب كما قد رأيت ، ولم يكن للقياس والرأى مدخل في تمييز حق ذلك من باطله ، امتنع الوقوف على حقيقة ذلك من قبلهم ، ولم يمول على شيء من أقوالهم فيه .

وأما غير أهل الكتاب ، فانهم أيضا مختلفون في ذلك .

قال أسوش : بين خلق آدم وبين ليلة الجمعة أول الطوفان ألفا سنة ومائتا سنة

وست وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوما وأربع ساعات .

وقال ماشاء - واسمه منشا بن أثري - منجم المنصور والمأمون في كتاب «القرانات» : أول قران وقع بين زحل والمشتري في بدء التحرك (يعني ابتداء النسل من آدم) كان على مضي خمائة وتسع سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما مضت من ألف المريخ ، فوقع القران في برج الثور من المثلة الأرضية على سبع درج واثنين وأربعين دقيقة ...

وكان انتقال المر من برج الميزان ومثلثه الهوائية الى برج العقرب ومثلثه المائية ، بعد ذلك بالنسبة سنة وأربعمائة سنة واثنى عشرة سنة وستة أشهر وستة وعشرين يوما ، ووقع الطوفان في الشهر الخامس من السنة الأولى من القران الثاني من قرانات هذه المثلة المائية ...

وكان بين وقت القران الأول الكائن في بدء التحرك ، وبين الشهر الذي كان فيه الطوفان ، ألفان وأربعمائة وثلاث وعشرون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما ...

قال : وفي كل سبعة آلاف سنة وستين وعشرة أشهر وستة أيام ، يرجع القران الى موضعه من برج الثور الذي كان في بدء التحرك .

وهذا القول - أعزك الله - هو الذي اشتهر حتى ظن كثير من الملل أن مدة بقاء الدنيا سبعة آلاف سنة . فلا تفتري به ، وتنبه الى أصله تجده أوهى من بيت المنكبوت ، فاطرحه .

(*) سنة ٢٠١٤ - ١٤٣٦ هـ ، طبع بولاق

وقيل : كان بين آدم وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة ، وقيل كانت بينهما مدة ألفين ومائتين وست وخمسين سنة ، وقيل ألفان وثمانون سنة .

وأما تاريخ الطوفان فانه يطلو تاريخ الخليقة ، وفيه من الاختلاف ما لا يطمع في حقيقته ، من أجل الاختلاف فيما بين آدم وبينه ، وفيما بينه وبين تاريخ الاسكندر .

فان اليهود عندهم أن بين الطوفان وبين الاسكندر ألفا وسبعمائة واثنين وتسعين سنة

وعند النصارى بينهما ألفا سنة وتسعمائة وثمان وثلاثون سنة .

والفرس وسائر المجوس ، والكلدانيون أهل بابل ، والهند وأهل الصين وأصناف الأمم الشرقية ، ينكرون الطوفان . وأقر به بعض الفرس ، لكنهم قالوا : لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ، ولم يعم العمران كله ، ولا غرق الا بعض الناس ، ولم يتجاوز عقبة حلوان ، ولا بلغ الى ممالك المشرق .

قالوا : ووقع في زمان طهورت ، وان أهل المغرب لما أنذر حكماؤهم بالطوفان ، اتخذوا المباني العظيمة ، كالهرمين بمصر ونحوهما ، ليدخلوا فيها عند جذوته .

ولما بلغ طهورت الانذار بالطوفان ، قبل كونه بمائة واحدى وثلاثين سنة ، أمر باختيار مواضع في مملكته صحيحة الهواء والتربة ، فوجد ذلك بأصبهان ، فأمر بتجليد العلوم ودفنها فيها في أسلم المواضع .

ويشهد لهذا ما وجد بعد الثلثة من سنى الهجرة ، في حي من مدبنة أصبهان ، من التلال التي انشقت عن بيوت ملوثة أعدالا مدة كثيرة ، قد ملئت من لحاء الشجر التي تلبس بها القى وتسمى التور ، مكتوبة بكتابة لم يدر أحد ما هي .

وأما المنجمون فانهم صححوا هذه السنين من القران الأول من قرانات الملوك زحل والمشتري ، التي أثبت علماء أهل بابل والكلدانيين مثلها اذا كان الطوفان ظهوره من ناحيتهم ، فان السفينة استقرت على الجودي ، وهو غير بعيد من تلك النواحي .

قالوا : وكان هذا القران قبل الطوفان بمائتين وعشرين سنة ومائة وثمانية أيام ، واعتنوا بأمرها وصححوا ما بعدها ، فوجدوا ما بين الطوفان وبين أول ملك بخت نصر الأول ألفى سنة وستمائة وأربع سنين ، وبين بخت نصر هذا وبين الاسكندر أربعمائة وست وثلاثون سنة .

وعلى ذلك بنى أبو معشر أوساط الكواكب في زيجه ، وقال : كان الطوفان عند اجتماع الكواكب في آخر برج الحوت وأول برج الحمل . وكان بين وقت الطوفان وبين تاريخ الاسكندر قدر ألفى سنة وسبعمائة وتسعين سنة مكبوسة وسبعة أشهر وستة وعشرين يوما ، وبينه وبين يوم الخيس أول المحرم من السنة الأولى من سنى الهجرة النبوية ألف ألف يوم وثلثمائة ألف يوم وتسعة وخمسون ألف يوم وتسعمائة يوم وثلاثة وسبعون يوما ، يكون من السنين الفارسية المصرية ثلاثة

آلاف سنة وسبعمائة ستة وخمسة وعشرين سنة وثلاثمائة يوم وثمانية وأربعين يوما .

ومنهم من يرى أن الطوفان كان يوم الجمعة . وعند أبي معشر أنه كان يوم الخميس .

ولما تقرر عنده الجملة المذكورة ، وخرجت له المدة التي تسمى أدوار الكواكب - وهي يزعمهم ثلاثمائة ألف وستون ألف سنة شمسية ، وأولها متقدم على وقت الطوفان بمائة ألف وثمانين ألف سنة شمسية - حكم بأن الطوفان كان في مائة ألف وثمانين ألف سنة ، وسيكون فيما بعد كذلك .

ومثل هذا لا يقبل إلا بحجة ، أو من معصوم .

وأما تاريخ بخت نصر فانه على سنى القبط وعليه يعمل في استخراج مواضع الكواكب من كتاب المجسطي ، ثم أدوار قاليب ، وأول أدواره في سنة ثمانى عشرة وأربعمائة لبخت نصر ، وكل دور منها ست وسبعون سنة شمسية . وكان قاليب من جلة أصحاب التعاليم .

وبخت نصر هذا ليس هو الذى خرب بيت المقدس ، وإنما هو آخر كان قبل بخت نصر مخرب بيت المقدس بمائة وثلاث وأربعين سنة ، وهو اسم فارسي أصله « بخت برسى » ومعناه كثير البكاء والأين ، ويقال له بالعبرانية نصار ، وقيل تفسيره عطار ، وهو ينطق وذلك لنحيبه على الحكمة وتغريب أهلها ، ثم عرب فقل بخت نصر .

وأما تاريخ فيلبس فانه على سنى القبط ، وكثيرا ما يستعمل هذا التاريخ من موت الاسكندر البناء المقدوني ، وكلا الأمرين سواء ، فإن القائم بعد البناء هو فيلبس ، فسواء كان من موت الأول أو من قيام الآخر ، فإن الحالة المؤرخة هي كالتفصيل المشترك بينهما ... وفيلبس هذا هو أبو الاسكندر المقدوني .

ويعرف هذا التاريخ بتاريخ الاسكندرانيين وعليه بنى تاون الاسكندراني في تاريخه المعروف بالقانون ، والله أعلم .

وأما تاريخ الاسكندر فانه على سنى الروم ، وعليه يعمل أكثر الأمم الى وقتنا هذا ، من أهل الشام وأهل بلاد الروم وأهل المغرب والأندلس والفرنج واليهود ، وقد تقدم الكلام عليه عند ذكر الاسكندرية من هذا الكتاب .

وأما * تاريخ أغسطس فانه لا يعرف اليوم أحد يستعمله ، وأغسطس هذا هو أول القياصرة ، ومعنى قيصر بالرومية : شق عنه . فإن أغسطس هذا لما حملت به أمه ماتت في المخاض ، فشق بطنها حتى أخرج منه ، فقل قيصر . وبه يلقب من بعده من ملوك الروم .

ويزعم النصارى أن المسيح عليه السلام ولد لأربعين سنة من ملكه . وفي هذا القول نظر ، فانه لا يصح عند سياقة السنين والتواريخ ، بل يجيء تعديل ولادته عليه السلام في السنة السابعة عشرة من ملكه .

وأما تاريخ أنطيس فان بطليموس صحح الكواكب الثابتة في كتابه المعروف بالمجسطي لأول ملكه على الروم . وسنر هذا التاريخ رومية .

ذكر تاريخ القبط

اعلم أن السنة الشمسية عبارة عن عود الشمس في فلك البروج ، اذا تحركت على خلاف حركة الكوكب ، الى أى نقطة فرضت ابتداء حركتها ، وذلك أنها تستوفى الأزمنة الأربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ، وتحوز طوائفها الأربع ، وتنتهى الى حيث بدأت .

وفي هذه المدة يستوفى القمر اثنتى عشرة عودة وأقل من نصف عودة ، ويستهل اثنتى عشرة مرة ، فجعلت المدة التي فيها عودات القمر الاثنتا عشرة في فلك البروج ، سنة للقمر على جهة الاصطلاح ، وأسقط الكبر الذي هو أحد عشر يوما بالتقريب ، فصارت السنة على قسمين : سنة شمسية ، وسنة قمرية .

وجميع من على وجه الأرض من الأمم ، أخذوا تواريخ سنيهم من مسير الشمس والقمر : فالآخذون بسير الشمس خمس أمم ، هم اليونانيون والسرياليون والقبط والروم والفرس . والآخذون بسير القمر خمس أمم ، هم الهند والصرب واليهود والنصارى والمسلمون .

فأهل قسطنطينية والاسكندرية وسائر الروم والسريانيون والكلدانيون وأهل مصر ومن يعمل برأى المعتضد ، أخذوا بالسنة

الشمسية التي هي ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم بالتقريب ، وصيروا السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما ، وألحقوا الأرباع بها في كل أربع سنين يوما حتى انجبرت السنة ، وسوا تلك السنة كيكة لانكباس الأرباع فيها .

وأما قبط مصر القدماء فانهم كانوا يتركبون الأرباع حتى يجتمع منها أيام ستة تامة ، وذلك في كل ألف وأربعمائة وستين سنة ، ثم يكبسونها سنة واحدة ، ويتفقون حينئذ في أول تلك السنة مع أهل الاسكندرية وقسطنطينية .

وأما الفرس فانهم جعلوا السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما من غير كس ، حتى اجتمع لهم من ربع اليوم - في مائة وعشرين سنة - أيام شهر تام ، ومن خمس الساعة - الذي يتبع ربع اليوم عندهم - يوم واحد ، فألحقوا الشهر التام بها في كل مائة وست عشرة سنة . واقتضى أثرهم في هذا أهل خوارزم القدماء والصغد ومن دان بدين فارس .

وكالت الملوك البيشدادية منهم - وهم الذين ملكوا الدنيا بعد ذاقيرها - يعملون السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما ، كل شهر منها ثلاثون يوما سواء ، وكانوا يكبسون السنة كل ست سنين يوما ويسمونها كيكة ، وكل مائة وعشرين سنة بشهرين : أحدهما بسبب خمسة الأيام ، والثاني بسبب ربع اليوم . وكانوا يعظمون تلك السنة ويسمونها المباركة .

وأما قسما القبط وأهل فارس في الاسلام
وأهل خوارزم والصند ، فتركوا الكور ،
أعنى الربيع وما يتبعه أصلا .

وأما العبرانيون وجميع بني اسرائيل
والصابئون والحرايون ، فانهم أخذوا السنة
من مسير الشمس وشهورها من مسير القمر ،
لتكون أعيادهم وصيامهم على حساب
قمرى ، وتكون مع ذلك حافظة لأوقاتها من
السنة . فكروا كل سبع عشرة سنة قمرية
سنة أشهر .

ووافقهم النصارى في صومهم وبعض
أعيادهم ، لأن مدار أمرهم على نسخ اليهود ،
وخالفهم في الشهور الى مذهب الروم
والسريانيين .

وكانت العرب في جهاتها تنظر الى فضل
ما بين سنتهم وسنة القمر ، وهو عشرة أيام
واحدى وعشرون ساعة وخمس ساعة ،
فيلحقون ذلك بها شهرا كلما تم منها ما
يستوفى أيام شهر ، ولكنهم كانوا يعملون على
أنه عشرة أيام وعشرون ساعة .

وكان يتولى ذلك النساء من بنى كنانة
المعروفون بالقلماس — واحدهم قلس ،
وهو البحر الغزير — وهو أبو ثمامة جنادة
ابن عوف بن أمية بن قلع . وأول من فعل
ذلك منهم حذيفة بن عبد قيس ، وآخر من
فعله أبو ثمامة .

وأخذ العرب الكس من اليهود قبل مجيء
دين الاسلام بنحو المائتى سنة ، وكانوا
يكسبون في كل أربع وعشرين سنة تسعة
أشهر ، حتى تبقى أشهر السنة ثابتة مع الأزمنة

على حالة واحدة ، لا تتأخر عن أوقاتها ولا
تقدم

الى أن حج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وأنزل الله تعالى عليه « انما النسيء
زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا ،
يعلمونه عاما ويعرمونه عاما ليواطئوا عدة
ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، زين لهم
سوء أعمالهم ، والله لا يهدي القوم
الكافرين » ، فخطب صلى الله عليه وسلم ،
وقال : « ان الزمان قد استدار كهيته يوم
خلق الله السموات والأرض » فبطل النسيء ،
وزالت شهور العرب عما كانت عليه ،
وصارت أساؤها غير دالة على معانيها .

وأما أهل الهند ، فانهم يستعملون رؤية
الأهلة في شهورهم ، ويكسبون كل تسعمائة
سنة وسبعين يوما بشهر قمرى ، ويعملون
ابتداء تاريخهم اتفاق اجتماع في أول دقيقة
من برج ما ، وأكثر طلبهم لهذا الاجتماع أن
يتفق في احدى نقطتي الاعتدالين ، ويسمون
السنة الكيبة بذمات .

فهذه آراء الخليقة في السنة .

وأما اليوم فانه عبارة عن عود الشمس
بدوران الكل الى دائرة قد فرضت .

وقد اختلف فيه : فجعله العرب من غروب
الشمس الى غروبها من الغد . ومن أجل أن
شهور العرب مبنية على مسير القمر ، وأوائلها
متيدة برؤية الهلال — والهلال يرى لدن
غروب الشمس — صارت الليلة عندهم قبل
النهار .

(١٤١) من ٢٦١ ج ١ ط ١ - بولان .

وعند الفرس والروم اليوم بليته من طلوع
الشمس بارزة من أفق المشرق الى وقت
طلوعها من الغد ، فصار النهار عندهم قبل
الليل . واحتجوا على قولهم بأن النور وجود
والظلمة عدم ، والحركة تغلب على السكون ،
لأنها وجود لا عدم وحياة لا موت ، والسماء
أفضل من الأرض ، والعامل الثابت أصح ،
والماء الجارى لا يقبل عفونة كالراكد .

واحتج الآخرون بأن الظلمة أقدم من النور
والنور طارئ عليها فالأقدم يبدأ به ، وغلبوا
السكون على الحركة باضافة الراحة والدعة
اليه ، وقالوا : الحركة انما هي الحاجة
والضرورة والتعب تنتج الحركة ، والسكون
اذا دام في الاستقصاءات مدة لم يولد فسادا ،
فاذا دامت الحركة في الاستقصاءات واستحكمت
أفسدت ، وذلك كالزلازل والمواصف
والأمواج وشبهها .

وعند أصحاب التجيم أن اليوم بليته من
مواقة الشمس فلك نصف النهار الى موافاتها
اياها في الغد ، وذلك من وقت الظهر الى وقت
العصر ، وبنوا على ذلك حساب أزياجهم .

وبعضهم ابتداء باليوم من نصف الليل ،
وهو صاحب زيح شهر بارزانصاه ، وهذا هو
حد اليوم على الإطلاق اذا اشترط الليلة في
التركيب . فأما على التفصيل : فاليوم باتفراده
والنهار بمعنى واحد ، وهو من طلوع جرم
الشمس الى غروب جرمها ، والليل خلاف ذلك
وعكسه .

وحد بعضهم أول النهار بطلوع الفجر ،
وآخره بغروب الشمس ، لقوله تعالى :

« وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » ثم
أنسوا الصيام الى الليل » ، وقال : هذان
الحدان هما طرفا النهار .

وعورض بأن الآية انما فيها بيان طرق
الصوم لا تعرف أول النهار ، وبأن الشفق
من جهة المغرب نظير الفجر من جهة المشرق ،
وهما متساويان في العلة ، فلو كان طلوع
الفجر أول النهار لكان غروب الشفق آخره ،
وقد التزم ذلك بعض الشيعة .

فاذا تقرر ذلك فنقول : تاريخ القبط يعرف
عند نصارى مصر الآن بتاريخ الشهداء ،
ويسميه بعضهم تاريخ دقلتيانوس .

ذكر دقلتيانوس
الذى يعرف تاريخ القبط به

اعلم أن دقلتيانوس هذا أحد ملوك الروم
المعروفين بالقيصرة ، ملك في منتصف سنة
خمس وتسعين وخمسمائة من سنى
الاسكندر .

وكان من غير بيت الملك ، فلما ملك تجبر ،
وامتد ملكه الى مدائن الأكاسرة ومدينة
بابل ، فاستخلف ابنه على مملكة رومة ،
واتخذ تخت ملكه بمدينة انطاكية ، وجعل
لنفسه بلاد الشام ومصر الى أقصى المغرب .

فلما كان في السنة التاسعة عشرة من ملكه ،
وقيل الثانية عشرة ، خالف عليه أهل مصر
والاسكندرية ، فبعث اليهم وقتل منهم خلقا
كثيرا ، وأوقع بالنصارى ، فاستباح دماءهم ،

وغلث كائسهم ، ومنع من دين النصارى ، وحصل الناس على عبادة الأصنام ، وبائع في الاسراف في قتل النصارى .

وأقام ملكا لحدي وعشرين سنة ، وهلك بعد علل صعبة دوء منها بدنه ، وسقطت أسنانه .

وهو آخر من عبيد الأصنام من ملوك الروم ، وكل من ملك بعده قانسا كان على دين النصرانية ، فان الذي ملك بعده ابنه سنة واحدة ، وقيل أكثر من ذلك . ثم ملك قسطنطين الأكبر ، فأظهر دين النصرانية ونشره في الأرض .

ويقال ان رجلا ثار بمصر يقال له « أجلة » وخرج عن طاعة الروم ، قار اليه دقلطيانوس وحصر الاسكندرية ، دار الملك يومئذ ، ثانية أشهر حتى أخذ أجلة وقتله ، وعم أرض مصر كلها بالسبي والقتل .

وبعث قائده قحارب سابور ملك فارس ، وقتل أكثر عسكره ، وهزمه وأسر امراته واخوته ، وأخضع في بلاده ، وعاد بأسرى كثيرة من رجال فارس ، ثم أوقع بغامة بلاد رومة فأكثر في قتلهم وسبيهم ... فكانت أيامه شنة ، قتل فيها من أسنان الأمم ، وهدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت حصر .

وكانت واقته بالنصارى * هي الشدة العائرة ، وهي أشنع شدائدهم وأطولها ، لأنها دامت عليهم مدة عشر سنين ، لا يفتري يوما واحدا يحرق فيها كائسهم ، ويضرب رجالهم ، ويطلب من استر منهم أو هرب ليقتل ، يريد بذلك قطع أثر النصارى وإبطال دين

(*) من ١٦٩١ ج ١ ، ط ١٧٧١ .

النصرانية من الأرض ، فلهذا اتخذوا ابتداء ملك دقلطيانوس تاريخا

وكان ابتداء ملكه يوم الجمعة . وبين يوم الاثنين أول يوم من توت ، وهو أول أيام ملك الاسكندر بن فيلبس المقدوني ، خمسمائة وأربع وتسعون سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة أيام . وبين يوم الجمعة ، أول يوم من تاريخ دقلطيانوس ، وبين يوم الخميس أول يوم من سنة الهجرة النبوية ثلثمائة وثمان وثلاثون سنة قمرية وتسعة وثلاثون يوما .

وجعلوا شهور السنة القبطية اثني عشر شهرا ، كل شهر منها عدده ثلاثون يوما سواء . فإذا تمت الأشهر الاثنا عشر ، أتبعوها بخمسة أيام زيادة على عدد أيامها ، وسما هذه الخمسة الأيام أبو عتا ، وتعرف اليوم بأيام النسي .

فيكون الحال في النسي على ذلك ثلاث سنين متواليات ، فإذا كان في السنة الرابعة جعلوا النسي ستة أيام ، فتكون سنوهم ثلاث سنين متواليات كل سنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما ، والرابعة يصير عددها ثلثمائة وستة وستين يوما .

ويرجع حكم سنتهم الى حكم سنة اليونانيين ، بأن تصير سنتهم الوسطى ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربيع يوم ... الا أن الكيس يختلف ، فإذا كان كبس القبط في سنة ، كان كبس اليونانيين في السنة الداخلة .

وأسماء شهور القبط : توت ، بابيه ، هاتور ، كيهك ، طوبة ، أمشير ، برمهمات ، برمودة ، بشنس ، بؤونة ، أييب ، مسرى .

فهذه اثنا عشر شهرا ، كل شهر منها عدده ثلاثون يوما . وإذا كانت عدة شهر مسرى ، وهو الشهر الثاني عشر ، زادوا أيام النسي . بعد ذلك ، وعملوا النوروز أول يوم من شهر توت .

ذكر اسابيع الايام

اعلم ان القدماء من الفرس والصفد وقبط مصر الأول لم يكونوا يستعملون الاسابيع من الايام في الشهور . وأول من استعملها اهل الجانب الغربي من الأرض ، لا سيما اهل الشام وما حواله ، من أجل ظهور الأنبياء عليهم السلام فيسا هنالك ، واخبارهم عن الأسبوع الأول وبدء العالم فيه ، وأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام من الأسبوع .

ثم اتشر ذلك منهم في سائر الأمم ، واستعملته العرب العاربة بسبب تجاور ديارهم وديار اهل الشام ، فانهم كانوا قبل تحولهم الى اليمن يابل ، وعندهم اخبار نوح عليه السلام ، ثم بعث الله تعالى اليهم هودا ثم صالحا عليهما السلام ، وأزله فيهم ابراهيم خليل الرحمن ابنه اسماعيل عليهما السلام ، فتعرب اسماعيل .

وكانت القبط الأول تستعمل أسماء الايام الثلاثين من كل شهر ، فتجعل لكل يوم منها اسما كما هو العمل في تاريخ الفرس . وما زالت القبط على هذا الى أن ملك مصر أغشطش بن بوحس ، فأراد أن يحملهم على كبس السنين ليوافقوا الروم أبدا فيها ،

فوجدوا الباقي حينئذ الى تمام السنة الكبيسة الكبرى خمس سنين ، فانتظر حتى مضى من ملكه خمس سنين ، ثم حملهم على كبس الشهور في كل أربع سنين يسوم كما تفعل الروم .

فترك القبط من حينئذ استعمال أسماء الايام الثلاثين لاحتياجهم في يوم الكبس الى اسم يخصه ، وانقضى بعد ذلك مستعملو أسماء الايام الثلاثين من اهل مصر والعارفون بها ، ولم يبق لها ذكر يعرف في العالم بين الناس ، بل دثرت كما دثر غيرها من أسماء الرسوم القديمة والعادات الأول ... سنة الله في الذين خلوا من قبل .

وكانت أسماء شهور القبط في الزمن القديم : توت ، بؤوني ، أتور ، سواق ، طوبي ، ماكير ، فامينوت ، برموتي ، باحون ، باوني ، أفيعى ، ايتقا . وكل شهر منها ثلاثون يوما ، ولكل يوم اسم يخصه .

ثم أحدث بعض رؤساء القبط ، بعد استعمالهم الكبس ، الأسماء التي هي اليوم متداولة بين الناس بمصر . الا أن من الناس من يسمى كيهك كياك ، ويقول في برمهمات برمبوط ، وفي بشنس بشانس ، وفي مسرى ماسورى .

ومن الناس من يسمى الخمسة الايام الزائدة أيام النسي ، ومنهم من يسميها أبو عتا ، ومعنى ذلك الشهر الصغير ، وهي كما تقدم تلحق في آخر مسرى ، وفيه يزداد اليوم الكيس ، فيكون أبو عتا ستة أيام حينئذ ، ويسمون السنة الكبيسة النقط ، ومعناه العلامة .

ومن خرافات القبط أن شهورهم هي شهور منى نوح ونيث وأدم منذ ابتداء العالم ، وأنها لم تزل على ذلك الى أن خرج موسى بنى اسرائيل من مصر ، فعملوا أول سنتهم خامس عشر نيسان كما أمروا به في التوراة ، الى أن قتل الاسكندر رأس سنتهم الى أول تشرين .

وكذلك المصريون نقل بعض ملوكهم أول سنتهم الى أول يوم من ملكه ، فصار أول توت عندهم يتقدم أول يوم * خلق فيه العالم بمائتين وثمانية أيام . أولها يوم الثلاثاء ، وآخرها يوم السبت . وكان توت أوله في ذلك الوقت يوم الأحد ، وهو أول يوم خلق الله فيه العالم ، الذي يقال له الآن تاسع عشرى برمها .

وذلك أن أولاً من ملك على الأرض ، بعد الطوفان ، نرود بن كمان بن حام بن نوح ، فمصر بابل ، وهو أبو الكلدانيين . وملك بنو مصرام بن حام بن نوح عليه السلام متش ، قبض متف بمصر على النيل ، وسماها باسم جده مصرام ، وهو ثاني ملك ملك على الأرض . وهذان الملكان استملا تاريخ جدهما لوح عليه السلام ، واستن بسنتهم من جاء بعدهم حتى تغيرت كما تقدم .

ذكر اعياد القبط من النصارى بديار مصر

روى يونس ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه قال : اجتنبوا عيد اليهود

(*) من ٢٦٢ ج ١ ، ط. بولاق .

والنصارى ، فإن السخط ينزل عليهم في مجامعهم ، ولا تعلموا رطاتهم فتخلقوا ببعض خلقهم .

وعن ابن عباس في قوله تعالى « والذين لا يشهدون الزور ، وإذا مروا باللغو مروا كراما » قال : أعياد المشركين .

فقل له : أو ما هذا في الشهادة بالزور ؟

فقال : لا ، إنما آية شهادة الزور * ولا تنف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا .

اعلم أن نصارى مصر من القبط يتحلون مذهب اليعقوبية كما تقدم ذكره . وأعيادهم الآن ، التي هي مشهورة بديار مصر ، أربعة عشر عيداً في كل سنة من سنهم القبطية : منها سبعة أعياد يسمونها أعياداً كباراً ، وسبعة يسمونها أعياداً صغاراً .

فالأعياد الكبار عندهم : عيد البشارة ، وعيد الزقونة ، وعيد الفصح ، وعيد خميس الأربعين ، وعيد الخميس ، وعيد الميلاد ، وعيد الفطاس .

والأعياد الصغار : عيد الختان ، وعيد الأربعين ، وخميس العهد ، وسبت النور ، وأحد الحدود ، والتجلى ، وعيد الصليب .

ولهم مواسم آخر ليست هي عندهم من الأعياد الشرعية ، لكنها عندهم من المواسم العادية ، وهو يوم النوروز .

وسأذكر من خبر هذه الأعياد ما لا تجده مجموعاً في غير هذا الكتاب ، على ما استخرجه من كتب النصارى وتواريخ أهل الاسلام .

عيد البشارة : هذا العيد عيد النصارى ، أصله بشارة جبريل مريم بميلاد المسيح عليهما السلام ، وهم يسمون جبريل غبريال ، ويقولون مارت مريم ، ويسمون المسيح ياشوع ، وربما قالوا السيد يشوع . وهذا العيد تعله نصارى مصر في اليوم التاسع والعشرين من شهر برمها .

عيد الزقونة : ويعرف عندهم بعيد الثمانين ، ومعناه التبيح ، ويكون في سابع أحد من صومهم . وسنتهم في عيد الثمانين أن يخرجوا سحف النخل من الكنيسة ، ويربون أنه يوم ركوب المسيح العنق (وهو الحمار في القدس) ودخوله الى صهيون وهو راكب ، والناس بين يديه يسبحون ، وهو يأمر بالمصروف ، ويحث على عمل الخير ، وينهى عن المنكر ويباعد عنه .

وكان عيد الثمانين من مواسم النصارى بمصر التي تزين فيها كنائسهم . فلما كان لعشر خلون من شهر رجب ، سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ، كان عيد الثمانين ، فمنع الحاكم بأمر الله ، أبو على منصور بن العزيز بالله ، النصارى من تزين كنائسهم وحملهم الخوض على ما كانت عادتهم ، وقبض على عدة ممن وجد معه شيئاً من ذلك ، وأمر بالقبض على ما هو مجس على الكنائس من الأملاك ، وأدخلها في الديوان ، وكتب لسائر الأعمال بذلك ، وأحرقت عدة من صلبانهم على باب الجامع العتيق والشرطة .

عيد الفصح : هذا العيد عندهم هو العيد الكبير . ويؤمنون أن المسيح عليه السلام لما تملاً اليهود عليه ، واجتمعوا على تفضيله

وقتله ، قبضوا عليه وأحضره الى خشبة ليصلب عليها ، فصلب على خشبة عليها لسان .

وعندنا - وهو الحق - أن الله تعالى رفعه اليه ، ولم يصلب ولم يقتل ، وأن الذي صلب على الخشبة مع اللصين ، غير المسيح الذى الله عليه شبه المسيح .

قالوا : واقتسم الجند ثيابه ، وغشى الأرض ظلمة من الساعة السادسة من النهار الى الساعة التاسعة من يوم الجمعة خامس عشر هلال نيسان للبرانيين ، وتاسع عشرى برمها ، وخامس عشرى آذار سنة

ودفن الشبه آخر النهار بقبر ، وأطبق عليه حجر عظيم ، وختم عليه رؤساء اليهود ، وأقاموا عليه الحرس باكر يوم السبت كيلاً يرق .

فزعنوا أن المقبور قام من القبر ليلة الأحد سحراً ، ومضى بطرس ويوحنا التلميذان الى القبر ، وإذا الثياب التي كانت على المقبور بغير ميت ، وعلى القبر ملاك الله بثياب بيض ، فأخبرهما بقيام المقبور من القبر .

قالوا : وفي عشية يوم الأحد هذا ، دخل المسيح على تلاميذه وسلم عليهم ، وأكل معهم وكلمهم وأوصاهم ، وأمرهم بأمر قد تضمنها انجيلهم .

وهذا العيد عندهم بعد عيد الصلبوت * بثلاثة أيام .

خميس الأربعين : ويعرف عند أهل الشام بالسلاق ، ويقال له أيضاً عيد الصعود ، وهو

(*) من ٢٦٢ ج ١ ، ط. بولاق .

التي والاربعون من الشهر - وروعون كما
البحر عليه السلام - عند ارمه يوم من
قيته ، خرج الى بيت عينا وتلاية به ،
فوقع فيه وولدت عليم ومهد الى الله ،
يملك عند الله ثلاث وثلاثين سنة وثلاثة
اشهر .

فخرج الثلاثة الى القريتين (يثرب بيت
النبي) وقد بعثهم يشهدوا اعراسهم ، وغير
ذلك ما هو معروف عنهم . عند اعراسهم
في كتيبة رجع النبي (ومن اخصب من الله
حيات) .

باب العيس - يوم العسرة - ورواه
بعد خضت يوما من يوم القيام - ورواه ان
بعد عسرة ايام من الصوم وخضت يوم من
قيته النبي (الخج التقيت في عتبة
سيدتي) فخرج الى بيت النبي في ثياب
الملك من ارض فلسطين من ارجح القيس ،
وكتبا جميع الناس ، وخرجت من ارجح
آيات كثيرة ، فمضاهم اليهود وجسومهم ،
فجعلهم الله منهم ، وخرجوا من السجن
فدنا الى ابيهم فخرجوا بسلاسلهم الى
بيت النبي .

يوم اليلة : ورواه انه اليوم الذي ولد
فيه النبي ، وهو يوم الاثنين ، فيعيدون
حسبة ليله اليلة . وسمي فيه كورة الوقود
بالكناس ورواه . ورواه بصر في الشمس
والعشرين من كيهك .

وتم ذل جليل مصر من القوائم الشهيرة
فكان يفرق فيه - ايام القوية العظيمة -
على ارباب الرسوخ من الاستاذين الحكيم
والايراء الشرف وسائر القوائم من الكتب

وغيرهم الجماعات من العسرة القاهرة ،
والكثرة التي فيها التوبة ، وقررات العلاب ،
ونصائح الرأية ، والسمك المصروف
بالجور .

ومن رسم المصروف في اليلة القوية
بالجور .

ومن اخصب ما قيل :
- الله بصر في اليلة من الله
والما فيه الاسلام متعود

فيه بيت المصروف في رهم
عيسى بن مريم حقوق وسولود

وفكرنا اليلة بالقاهرة ومصر وسائر اقليم
مصر موصيا جيل ، يساع فيه من التسوع
الزهره والامياخ النبعة والتبيل البيضة
يقول لا تحصر ، فلا يبقى احد من الناس
السلام واخذهم حتى يشتري من ذلك الاولاد
وتابعه . وكنوا يسوعها القوايس (ولما
فانوس) ، وحقوق منها في الاسواق
بالحواليت شيا يفرج عن القيد في الكثرة
والثلاثة .

وتنقل الناس في القلعة في ايامها ، حتى
قد افرحت شمة عنت فيتح مصروفها في
درهم وخمسة درهم فضة ، عنها يومئذ ما
ينف على سبعين مثالا من الذهب .

ونعرف السور في الطرقات ايام هذه
القوائم ، وهم يبالغون الله ان يتصلق عليهم
بغناوس ، فيشتري لهم من صفار القوايس ما
يتيم ثمة القريم وما حوله .

ثم لما انتهت امور مصر ، كان من ليلة ما
يملك من عوليد القرف غسل القوايس في
اليلة الا قبله

القطاس : واصل بصر في اليوم العاشر
عشر من شهر طوبة . واصله عند الصاري ان
يحيى بن زكريا عليم السلام - المصروف
منهم يوحنا السنانى - عند النبي (اى
غسله) في بعميرة الارند ، وعندما خرج
النبي عليه السلام من الله اتصل به روح
النبي .

صار الصاري لذلك يفسون اولادهم في
الله في هذا اليوم ، ويترلون فيه باجسهم ،
ولا يكون ذلك الا في شدة البرد ، وسموه
يوم القطاس ، وكان له بصر موسم عليم الى
اليلة .

قال السورى : وليلة القطاس بصر شان
عظيم عند اهلها ، لا ينال الناس فيها ، وهي
ليلة العاشر عشر من طوبة .

ولقد حضرت ستة ثلاثين وثلاثة ليلة
القطاس بمصر ، والاخشيده محمد بن طنج
امير مصر ، في دلو المصروفة بالمختار ، في
الجزيرة الراكبة لتيل ، والتيل يطيف بها ،
وقد امر فاسرج في جانب الجزيرة وجانب
القسط آف مثل ، غير ما اسرج اهل مصر
من الشاغل والشمع .

وقد حضر بشايطي التيل في تلك الليلة
آلاف من الناس من اللين ومن الصاري :
منهم في الزولوق ، ومنهم في الدور الدانية
من التيل ، ومنهم على سائر الشطوط ، لا
يتكروون كل ما يسكنهم الشهارة من المأك

والشارب والملايس وآلات الذهب والفضة
والجور والملاهي والزرف والقفص .

وهي لحن ليلة تكون بمصر ، وانسلها
سرورا ، ولا تخلق فيها القروب ، ويغسل
اكرهم في التيل ، وروعون ان ذلك امان من
المرض وتنزلة للداء .

وقال السبي في تاريخه : من حوادث سنة
سبع وستين وثلاثة ، منع الصاري من اظهار
ما كانوا يفعلونه في القطاس من الاجتماع
وزول الله واظهار الملاهي ، ونودي ان من
عمل ذلك تقي من الحضرة .

وقال : في سنة ثمان وثلاثين وثلاثة كان
القطاس ، فضرت الخيام والمضارب والاسرة
في عنة مواضع على شاطئ التيل ، ونصبت
اسرة للرئيس فهد بن ابراهيم الصراي كاتب
الاستاذ برجوان ، واوقدت له الشموع
والشاغل ، وحضر المقنن والمهون ، وجلس
مع اهل يشرب ... الى ان كان وقت القطاس
فقطس وانصرف .

وقال : في سنة احدى وأربعمائة ، وفي ثامن
عشرى جمادى الاولى ، وهو عاشر طوبة ،
منع الصاري من القطاس ، فلم يغسل احد
منهم في البحر .

وقال في حوادث سنة خمس عشرة
وأربعمائة : وفي ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة :
كان غطاس الصاري ، فجرى الرسم من
الناس في شراء الفواكه والضان وغيره ، وزول
امير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله لقصر
جده العزيز بالله في مصر ، لتقر الغطاس ومعه

(١٠) من ٢١٩ ج ١ ط ١٠٧٠

الحرم ، ولودى ألا يختلط المسلمون مع
النصارى عند نزولهم في البحر في الليل .

وضرب بدر الدولة ، الخادم الأسود متولى
الشرطين ، خبة عند الجبر وجلس فيها ،
وأمر أمير المؤمنين بأن توقد النار والمشعل في
الليل ، وكان وفيدا كثيرا ، وحضر الرهبان
والتسوس بالصلبان والسيران ، فقصوا هناك
طويلا إلى أن غطسوا .

وقال ابن القامون في تاريخه من حوادث سنة
سبع عشرة وخمسة : وذكر الغطاس ، ففرق
أهل الدولة ما جرت به العادة لأهل الرسوم
من الأتراج والتارنج والليسون في المراكب ،
وأطان القصب والبورى ، بحسب الرسوم
المتردة بالديوان لكل واحد .

الخان : يعمل في سادس شهر بنوة .
ويزعمون أن المسيح ختن في هذا اليوم ، وهو
الثامن من الميلاد . والتقط من دون النصارى
تختن بخلاف غيرهم .

الأربعون : وهو عندهم دخول للمسيح
الميكال . ويزعمون أن سمعان الكاهن دخل
بالمسيح مع أمه وبارك عليه . ويعمل في ثامن
شهر أنشور .

خمس العمد : ويعمل قبل الفصح بثلاثة
أيام . وسببهم فيه أن يسلوا آباء من ماء
ويزمزون عليه ، ثم يفسل للترك به أرجل
سائر النصارى ، ويزعمون أن المسيح قبل
هذا بتلاميذه في مثل هذا اليوم كى يعلمهم
التواضع ، ثم أخذ عليهم العمد ألا يتفرقوا ،
وأن يتواضع بعضهم لبعض .

وعوام أهل مصر في وقتا يقولون : خميس
العنسى ، من أجل أن النصارى تطبخ فيه
العنسى المصنى . ويقول أهل الشام : خميس
الأرز ، وخميس البيض . ويقول أهل
الأندلس : خميس ايريل . وايريل اسم شهر
من شهورهم .

وكان في الدولة الفاطمية ضرب في خميس
العنسى هذا خمسمائة دينار ، فتصل خراب
تفرق في أهل الدولة رسوم مفردة ، كما ذكر
في أخبار القصر من القاهرة ، عند ذكر دار
الضرب من هذا الكتاب .

وأدركنا خميس العنسى هذا في القاهرة
ومصر وأعمالها من جملة المواسم العظيمة ،
فيباع في أسواق القاهرة من البيض المصبوغ
عدة ألوان ما يتجاوز حد الكثرة ، فيقامر به
العبد والميان والغواص ، ويحسب لذلك
من جهة الحساب من يردتهم في بعض
الأيام ، ويهادى النصارى بعضهم بعضا ،
ويهدون إلى المسلمين أنواع السمك المنوع مع
العنسى المصنى والبيض . وقد بطل ذلك لما
حل بالناس ، وبقيت منه بقية .

سبت النور : وهو قبل الفصح يوم .
ويزعمون أن النور يظهر على قبر المسيح
— يزعمهم — في هذا اليوم بكنيسة القيامة
من القدس ، فتشعل مصابيح الكنيسة كلها .
وقد وقف أهل الفصح والتفتيش على أن
هذا من جملة مخاريق النصارى لصناعة
يعملونها .

وكان يصير هذا اليوم من جملة المواسم .
ويكون ذلك يوم من خميس العنسى ، ومن
توابعه .

حد الحدود : وهو بعد الفصح بشانية
أيام ، فيعمل أول أحد بعد الفطر لأن الأحاد
قبله مشغولة بالصوم . وفيه يجندون الآلات
والآثان واللباس ، ويأخذون في المعاملات
والأمور الدنيوية والمعاش .

عيد التجلى : يعمل في ثالث عشر شهر
مصرى . يزعمون أن المسيح تجلى لتلاميذه
بعد ما رفع ، ونشئوا عليه أن يحضر لهم إيلياه
وموسى عليهما السلام ، فحضرهما إليهم
بمضى بيت المقدس ، ثم صعد إلى السماء
وتركهم .

عيد الصليب : ويعمل في اليوم السابع
عشر من شهر توت ، وهو من الأعياد المحدثه ،
وسببه ظهور الصليب — يزعمهم — على يد
هيلانة أم قسطنطين ، وله خبر طويل عندهم
ملخصه ما أنت تراه .

ذكر قسطنطين

وقسطنطين هذا هو ابن قنطنس بن
وليطنوش بن أرشميوش بن دقيون بن
كلوديش بن عايش بن كتيان أعب الأعظم
الملقب قيصر .

وهو أول من ثبت دين النصرانية ، وأمر
بقطع الأوثان وهدم هياكلها وبيضان البيع ،
وآمن من الملوك بالمسيح . وكانت أمه هيلانة
من مدينة الرها ، نشأ بها مع أمه وتعلم

العلوم ، ولم يزل في غاية من الفقر والسعادة ،
معاة متصورا على كل من حاربه .

وكان في أول أمره على دين المجوس ،
شديدا على النصارى ماقتا لدينهم ، وكان
سبب رجوعه عن ذلك إلى دين النصرانية أنه
ابتلى بجذام ظهر عليه ، فانغم لذلك غما
شديدا ، وجع الحذاق من الأطباء ، فاشتقوا
على أدوية ديروها له ، وأوجبوا أن يستقم
— بعد أخذ تلك الأدوية — في صهرج ملووه
من دماء أطفال رضع ساعة يسيل منهم .

فتقدم أمره بجمع جملة من أطفال الناس ،
وأمر بذبهم في صهرج ليستقم في دماهم
وهى طرية ، فجمعت الأطفال لذلك ، وبرز
ليمضى فيهم ما تقدم به من ذبحهم ، فسمع
نحيب النساء اللاتي أخذ أولادهن ،
فرحمن وأمر فدفع لكل واحدة ابنا ، وقال :
احتمال عشتى أولى بى وأوجب من هلاك هذه
العدة العظيمة من البشر .

فانصرف النساء بأولادهن وقد سرورن
سرورا كثيرا . .

فلما صار من الليل إلى مضجعه ، رأى في
منامه شيئا يقول له : أنك رحمت الأطفال
وأمهاتهم ، ورأيت احتمال عشتى أولى من
ذبهم ، فقد رحمتك الله ووهبك السلامة من
عشتى ، فابست إلى رجل من أهل الإيوان
يدعى « شلبشر » قد فر خوفا منك ، وقف
عندما يأمر بك به ، والتزم ما يخصك عليه تتم
لك العافية .

(٥) من ٢٦٦ ج ١ ، طبرستان .

قاتبه منعمورا ، وبعث في طلب شليستر
الأسقف ، فأتى به إليه وهو يشن أنه يريد
قتله ، لما عهده من غلقة على النصارى ومقت
لدينهم . فعند ما رآه تلقاه بالبشر وأعطاه بما
رآه في منامه ، فقص عليه دين النصرانية ،
وكانت له معه أخبار طويلة مذكورة عندهم .
فبعث قسطنطين في جمع الأساقفة المنفيين
والمسيرين ، واحترم دين النصرانية ، وشفاه الله
من الجذام ، فأيد الديانة ، وأعلن بالإيمان
بدين المسيح .

وينا هو في ذلك ، إذ توقع وثوب أهل
رومة عليه وإيقاعهم به ، فخرج عنها ، وبني
مدينة قسطنطينية بيسان جليلا فعرفت به ،
وسكنها فصارت موضع تخت الملك من بعده .

وقد كان النصارى ، من لدن زمان ييرون
الملك الذي قبل الحواريين ومن بعده من
ملك رومة ، في كل وقت يقتلون ويحبسون
ويشردون بالتفنى . فلما سكن قسطنطين مدينة
قسطنطينية ، جمع إلى نفسه أهل المسيح ،
وقوى وجوهمهم ، وأذل عباد الأوثان .

فشق ذلك على أهل رومة ، وخلصوا طاعته ،
وقدموا عليهم ملكا ، فأهه ذلك ، وموت له
معهم عدة أخبار مذكورة في تاريخ رومة .

ثم انه خرج من قسطنطينية يريد رومة ،
وقد استلموا لحربه ، فلما قاربهم أذعنوا له ،
والتزموا طاعته ، فدخلها فأقام إلى أن رجع
لحرب القرس ، وخرج اليهم فقههم ، ودانت
له أكر ممالك الدنيا .

فلما كان في عشرين سنة من دولته ، خرجت
القرس على بعض أطرافه ، فزاهم وأخرجهم
عن بلاده .

ورأى في منامه كان يتودا شبه الصليب قد
رفضت ، وقائلا يقول له : ان أردت أن تقهر
بن خاتك ، فأجعل هذه العلامات على جميع
بركك وسككك .

فلما أتته أمر بتجهيز أمه هيلانة إلى بيت
المقدس في طلب آثار المسيح عليه السلام وبناء
الكنائس وإقامة شعائر النصرانية ، فصارت
إلى بيت المقدس ، وبنت الكنائس .

فيقال ان الأسقف مقاريوس دلها على
الخشب التي زعموا أن المسيح صلب عليها ،
وقد قص عليها ما عمل به اليهود ، فخرت ،
فأذا قبر وثلاث خشبات على شكل الصليب ،
فزعوا أنهم ألقوا الثلاث خشبات على ميت ،
ولاحدة بعد واحدة ، فقام حيا عندها وضعت
عليه الخشب الثالثة منها .

فاتخذوا ذلك اليوم عيدا ، وسموه عيد
الصليب ، وكان في اليوم الرابع عشر من
أيلول والسابع عشر من ثوت ، وذلك بعد
ولادة المسيح بثلاثمائة وثمان وعشرين سنة .

وجعلت هيلانة لخشب الصليب غلانا من
ذهب ، وبنت كنيسة القمامة ببيت المقدس على
قبر المسيح يزعمهم ، وكانت لها مع اليهود
أخبار كثيرة قد ذكرت عندهم ، ثم انصرفت
بالصليب معها إلى ابنها .

وما زال قسطنطين على ممالك الروم إلى أن
مات بعد أربع وعشرين سنة من ولايته ، فقام

من بعده بممالك الروم ابنه قسطنطين
الأسفر .

وقد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم
يخرج الناس فيه إلى بني وائل بظاهر فسطاط
مصر ، ويتظاهرون في ذلك اليوم بالمشكرات
من أنواع المحرمات ، ويسر لهم فيه ما يتجاوز
الحد .

فلما قدمت الدولة الفاطمية إلى ديار مصر ،
وبنوا القاهرة واستوطنوها ، وكانت خلافة
أمير المؤمنين العزيز بالله ، أمر في ربيع شهر
رجب في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة - وهو
يوم الصليب - فمنع الناس من الخروج إلى
بني وائل ، وضبط الطرق والدروب .

ثم لما كان عيد الصليب في اليوم الرابع عشر
من شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة
خرج الناس فيه إلى بني وائل ، وجروا على
عادتهم في الاجتماع واللهو .

وفي صفر سنة اثنتين وأربعمائة ، قرى في
سابعه سجل بالجامع العتيق وفي الطرقات ،
كتب عن الحاكم بأمر الله ، يشتمل على منع
النصارى من الاجتماع على عمل عيد
الصليب ، وألا يظهرُوا يزيتهم فيه ، ولا تقربوا
كنائسهم ، وأن يمنعوا منها .

ثم بطل ذلك حتى لم يكده يعرف اليوم
بديار مصر البتة .

النيروز : هو أول السنة القبطية بمصر ،
وهو أول يوم من ثوت . وسمتهم فيه إشعال
النيران والتراش بالماء ، وكان من مواسم نهو
المصريين قديما وحديثا .

قال وهب : بردت النار في الليلة التي ألقى
فيها إبراهيم ولي صبيحتها على الأرض كلها ،
فلم يتنجس بها أحد في الدنيا تلك الليلة وذلك
الصباح ، فمن أجل ذلك بات الناس على النار
في تلك الليلة التي رمى فيها إبراهيم عليه
السلام ، ووثبوا عليها وتبحروا بها ، وسموا
تلك الليلة نيروزا ... والنيروز في اللسان
السراني ، العيد .

وسل ابن عباس عن النيروز : لم اتخذه
عيدا .

نقال : انه أول السنة الثالثة وآخر السنة
المنقطة ، فكانوا يستحبون أن يقدموا فيه
على ملوكهم بالطرف والمدايا ، فاتخذته
الاعاجم سنة .

قال العافظ أبو القاسم علي بن * صاكر
في « تاريخ دمشق » ، من طريق ابن عباس
رضي الله عنهما ، قال : ان فرعون لما قال
للملا من قومه : « ان هذا ساحر غليم » .

قالوا له : ابعت إلى السحرة .

فقال فرعون لموسى : يا موسى ، اجعل بيننا
وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت ، فتجتمع
أنت وهارون وتجتمع السحرة .

فقال موسى : موعدكم يوم الزينة .

قال : ووافق ذلك يوم السبت في أول يوم
من السنة وهو يوم النيروز .

وفي رواية : ان السحرة قالوا لفرعون :
أيها الملك واعد الرجل ، فقال : قد واعدته يوم

(١٩٧) من ١٩٧٢ ج ١ ، ط ١ ، بولاق .

الزينة وهو عيدكم الأكبر ، ووافق ذلك يوم السبت ، فخرج الناس لذلك اليوم .

قال : والنوروز أول سنة القرس ، وهو الرابع عشر من آذار وفي شهر يرمهات .

ويقال : أول من أحدثه جمشيد من ملوك القرس ، وانه ملك الأقاليم السبعة ، فلما كمل ملكه ولم يبق له عدو ، اتخذ ذلك اليوم هيدا ، وسماه نوروزا في اليوم الجديد .

وقيل ان سليمان بن داود عليهما السلام أول من وضعه ، في اليوم الذي رجع اليه فيه خاتمه .

وقيل : هو اليوم الذي شفى فيه أيوب عليه السلام ، وقال الله سبحانه وتعالى له : « اركض يرجلك هذا مفتل بارد وشراب » فجعل ذلك اليوم عيدا ، وسنوا فيه رش الماء .

ويقال : كان بالشام سبط من بنى اسرائيل أصابهم الطاعون ، فخرجوا الى العراق ، فبلغ ملك المعجم خبرهم ، فأمر أن تبني عليهم حظيرة يجمعون فيها ، فلما صاروا فيها ماتوا ، وكانوا أربعة آلاف رجل .

ثم ان الله تعالى أوحى الى نبي ذلك الزمان : أرايت بلاد كذا وكذا ، فحاربهم بسبط بنى فلان .

فقال : يارب ، كيف أحارب بهم وقد ماتوا ؟

فأوحى الله اليه اني أحبهم لك .

فأمطرهم الله ليلة من الليالي في الحظيرة ، فأصبحوا أحياء ، فهم الذين قال الله فيهم :

« ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم » .

فرفع أمرهم الى ملك فارس ، فقال : تبركوا بهذا اليوم ، وليصب بعضكم على بعض الماء ، فكان ذلك اليوم يوم النوروز ، فصارت سنة الى اليوم .

وسئل الخليفة المأمون عن رش الماء في النوروز ، فقال : قول الله تعالى « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم » ... هؤلاء قوم أجذبوا - تقول مات فلان هزالا - فغيثوا في هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا ، فأخصب بلادهم ، فلما أحياهم الله بالغيث - والغيث يسمى الحيا - جعلوا صب الماء في مثل هذا اليوم سنة يتبركون بها الى يومنا هذا .

وقد روى أن الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ، قوم من بنى اسرائيل فروا من الطاعون .

وقيل : أمروا بالجهاد ، فخافوا الموت بالقتل في الجهاد ، فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فأماهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء ، ثم أحياهم على يد خزقيل أحد أنبياء بنى اسرائيل ، في خبر طويل قد ذكره أهل التفسير .

وقال علي بن حمزة الأصفهاني في كتاب « أعياد القرس » : ان أول من اتخذ النوروز النوروز جمشيد - ويقال جمشاد - أحد ملوك القرس الأول .

ومعنى النوروز اليوم الجديد . والنوروز عند القرس يكون يوم الاعتدال الربيعي ، كما ان المهرجان أول الاعتدال الخريفي .

ويؤمنون أن النوروز أقدم من المهرجان ، فيقولون : ان المهرجان كان في أيام أفريدون ، وانه أول من عمله لما قتل الضحاك ، وهو يوزاست ، فجعل يوم قتله عيدا سماه المهرجان ، وكان حدوته بعد النوروز بألفي سنة وعشرين سنة .

وقال ابن وصيف شاه في ذكر مناوش بن مناوش أحد ملوك القبط في الدهر القديم : وهو أول من عمل النوروز بمصر ، فكانوا يقيمون سبعة أيام ياكلون ويشربون اكراما للكواكب .

وقال ابن رضوان : ولما كان النيل هو السبب الأعظم في عبارة أرض مصر ، رأى المصريون القدماء - وخاصة الذين كانوا في عهد قلديانوس الملك - أن يجعلوا أول السنة في أول الخريف عند استكمال النيل الحاجة في الأمر الأكثر ، فجعلوا أول شهرهم توت ثم بابه ثم هاتور ، وعلى هذا الولاء بحسب المشهور من ترتيب هذه الشهور .

وقال ابن زولاق : وفي هذه السنة (يعني سنة ثلاث وستين وثلاثمائة) منع أمير المؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز في السكك ، ومن صب الماء يوم النوروز .

وقال : في سنة أربع وستين ، وفي يوم النوروز ، زاد اللعب بالماء ووقود النيران ، وطاف أهل الأسواق وعملوا فيه ، وخرجوا الى القاهرة يلعبهم ، ولعبوا ثلاثة أيام ،

وأظهروا الساجات والحلى في الأسواق . ثم أمر المعز بالنداء بالكف ، وألا توقد نار ولا يصب ماء ، وأخذ قوم فحبسوا ، وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال .

وقال ابن المأمون في تاريخه : وحل موسم النوروز في اليوم التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ، ووصلت الكسوة المختصة بالنوروز من الطراز ووفر الاسكندرية ، مع ما يتبعها من الآلات المذهبة والحريرى والسوادج ، وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية ، والعين والورق ، وجميع الأصناف المختصة بالموسم على اختلافها ... بتفصيلها وأسماء أربابها .

وأصناف النوروز : البطيخ والزمان ، وعناقيد الموز ، وأفراد البسر ، وأقفاص التمر القوصى ، وأقفاص السفرجل ، وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضأن ومن لحم البقر ، من كل لون بكلة ، مع حبرير مارق .

قال : وأحضر كاتب الدفتر الحسابات بما جرت به العادة ، من إطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها ، في يوم النوروز ، وغير ذلك من جميع الأصناف ، وهو : أربعة آلاف دينار ذهبا ، وخمسة عشر ألف درهم فضة ، والكسوات عدة كثيرة من شقق ديبقية مذهبات وحريريات ، ومعاجر وعصائب نسائيات ملونات ، وستولاد مذهب وحريرى ومنسج ، وفوط ديبقية حريرية .

(*) من ٢٦٨ ج ١ - ط ١ - بولاق

فاما القمح والورق والكسوت ، فذلك لا يخرج عن نموه التصور . فهو الموزونة والتبويخ والاصطب والصوتى المستحقين وروضة المنارات ومطرها ، لم يكن لأحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك حيب .

ولما اختلف من البطح والرمق والبس واللوز والسفرجل والضب والبراقس على اختلافها ، فيمثل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ، وشركهم فيه جميع الامراء ارباب الاثبات والاصناف ، وغيرهم من الاملاك والاشياف من له بناء ورسوم في الدولة .

وقال القاضي القاضى في متجددات سنة اربع وثلاث وخمسة : يوم الثلاثاء رابع شهر رجب يوم التوروز القبطى ، وهو مستهل توت وتوت لول ستم .

وقد كان بمصر ، في الايام الاخيرة والدولة الخفية ، من مواسم طلالهم ، ومواقيت ضلالهم ، فكانت اسكرات فقرة فيه ، والقواض صرعة فيه .

ويذكر فيه امر موسوم بامر التوروز ومع جميع كبير ، ويحيط على الناس في طلب رسم ربه ، ويوم على دور الاكابر بالجلال الكبار ، ويكتب مائير ، ويطلب مرسى ، كل ذلك يخرج مخرج طير ، ويضع بليسر من العبات .

ويجمع القصور والامانات تحت قصر المؤونة ، بحيث يشاهدكم الخليفة وابائهم اللاهى ، وتوقع الاسوات ، وشرب الخمر

واللوز شربا شامرا بينهم وفي الطرقات ، وضربى الناس بقاء ، وطلاء والحمر ورواقه مزوجا بالانظار

وقال غلط مستور وخرج من بيت ، لقيه من برشه وضد ثيابه واستخف بحرمته ، فلما ان يقضى فيه ولما ان يضح . ولم يجسر العمل على هذا ، ولكن قد رش الماء في العمارات ، وقد احيا للشكرات في القصور لرباب الخمارات

وقال في متجددات سنة اثنين وتسعين وخمسة : وجرى الامر في التوروز على الطقة من رش الماء ، واستجد فيه هذا العام التراجيم بالبيض والتصاقع بالانطاع ، واقطع الناس عن التصرف ، ومن عقر به في الطرق رش بياه نجعة ، وخرق به .

وما زال يوم التوروز يصل فيه ما ذكر من الترائى بالماء ، والتصاقع بالجلود وغيرها ، الى ان كانت انعام بضع وثمانين وسبعماية ، وامر الدولة بديار مصر وتديرها الى الامير الكبير يرقوق ، قيل ان يجلس على سرير الملك وتسمى بالسلطان ، فتع من لعب التوروز ، وهذا من لعب بالقوة .

فانكف الناس عن اللعب في القاهرة ، وصاروا يعملون شيئا من ذلك في الخلقان واليرك ونحوها من مواضع التزه ، بعد ما كانت اسواق القاهرة تعطل في يوم التوروز من البيع والشراء ، ويغاطى الناس فيه من الظهو واللعب ما يخرجون عن حد الحياء والحشمة الى الغاية من القصور والمنور .

وقالنا انقضى يوم نوروز ، الا وقتل فيه قتل او اكثر ، ولم يسبق لأحد للناس من التراجيم ما يقتضى ذلك ، ولا من الرقة والبس ما يوجب لهم علة

وما احسن قول بعضهم :

كيف ابتهاجك بالتوروز باسكنى وكل ما فيه يحكىنى ولحكى

فتارة كتهيب النار في كبدي فتارة كوالى دمى في

وقال آخر :

توروز الناس ونوروزت ولكن بدموعى

وذكت نارهم والنار ما بين خلوعى

وقال آخر :

ولما اتى التوروز ياغاية المنى واقت على الاعراض والهجر والصد

بنت بنار الشوق ليلا الى الحشا فتوروزت صبحا بالدموع على الخد

ذكر ما يوافق ايام الشهور القبطية من الاعمال في الزراعات وزيادة النيل وغير ذلك على ما نقله اهل مصر عن قدامتهم واعتمدوا عليه في امورهم

اعلم ان المصريين القدماء اعتمدوا في تاريخهم السنة الشمسية ، كما تقدم ذكره ، ليصير الزمان محفوظا ، واعمالهم واقعة في اوقات معلومة من كل سنة ، لا يتغير وقت عمل من اعمالهم بتقديم ولا تأخير البتة .

في ٢٦٩ ج ١ ، طبع في

توت : بالتبلي هو ايلول . وكانت عادة مصر منذ عهد فرانتها ، في استخراج خراجها وجباية اموالها ، ان لا يتم استيفاء الخراج من اهلها الا عند تمام الماء ، واقتراشه على سائر ارضها ، ويقع اسماءه في شهر توت

فاذا كان كذلك ، وربما كانت زيادة عن ذلك ، اطلق الماء في جميع نواحيها من ترعها ، ثم لا يزال يترجح في الزيادة والتقصان حتى يفرغ توت .

وفي اوله يكون يوم التوروز ، ورابعه اول ايلول ، وسابعه يقطع الزيتون ، وثاني عشره يطلع القجر بالصرقة

وسابع عشره عيد الصليب ، فيشرط البلسان ، ويستخرج دهنه ، ويفتح ما يتأخر من الأيهر والترع ، وترب المداسة لحفظ الجور .

وفي ثامن عشره تنقل الشمس الى برج الميزان ، فيدخل فصل الخريف . وفي خامس عشره يطلع القجر بالعوا ، ويكبر صفار السمك .

وفي هذا الشهر يسم ماء النيل اراضى مصر .

وفيه تسجل التوايح ، وترفع السجلات والقوانين ، وتطلق التقاوى من الغلال لتخضير الاراضى . وفيه يدرك الزمان والبس والرطب والزيتون والقطن والفرجل .

وفيه يكون هبوب ريح الشمال اقوى من هبوب ريح الجنوب ، وهبوب الصبا اقوى من الديبور .

وكان قديما المصريين لا ينصبون فيه
أساسا وفيه يكثر بصر العنب الشتوي ،
وتكثر المحضات .

بابه : في أوله يحمى الأرض ، ويؤزر القول
والبرسيم وسائر الحبوب التي لا تنشق لها
الأرض .

وفي رابعه أول تشرين الأول .

وفي ثامنه طلوع الفجر بالسماك ، وهو نهاية
زيادة النيل وإبتداء تقصه ، وقد لا يتم الماء
فيه ، فيعجز بعض الأرض عن أن يركبها الماء ،
فيكون من ذلك نقص الخراج عن الكمال .

وفي تاسعه يكون مجيء الكراكي الى أرض
مصر . وفي عاشره يؤزر الكتان

وفي ثاني عشره يكون ابتداء شق الأرض
بصعيد مصر ، لبذر القمح والشعير

وفي ثامن عشره تنقل الشمس الى برج
العقرب ، ويقطع الخشب .

وفي تاسع عشره يكون ابتداء تقص ماء
النيل ، ويكثر البعوض .

وفي حادي عشره يطلع الفجر بالفقر .

وفي هذا الشهر تصرف المياه عن الأراضي ،
ويخرج المزارعون لتخضير الأراضي : فيبدأون
ببذر زراعة القوط ، ثم زراعة الفلة البدرية
أولا فأولا .

وفيه يستخرج دهن الآس ودهن النيلوفر ،
ويدرك التمر والزبيب والسهم والقلقاس .

وفي يكثر صغار السمك ويقل كباره ،
ويسن الراي والأبريس من السمك خاصة

وتستحكم حلاوة الرمان ، ويكون فيه أطيب
منه في سائر الشهور التي يكون فيها ، ويضع
الضأن والمز والبتر الخبية .

وفي يطلع السمك المعروف بالبوري ،
ويؤزل الضأن والمز والبقر ولا يطيب
لحومها ، وتدرك المحضات .

وفي يوجب كتابة التذاكر بالأعمال
القوصية . وفيه يغرس المنور ويؤزر
السمك .

هاتور : في خامسه يكون أول تشرين
الثاني ، ويطلع الفجر بالزيتا في رابعه .

وفي سادسه يؤزر الخشخاش . وفي سابعه
يصرف ماء النيل عن أراضي الكتان ، ويؤذر
في النصف منه ، وبعد تمام شهر يسبح .

وفي ثامنه أوان المطر الموسى ، وفي حادي
عشره تهب ريح الجنوب ، وفي خامس عشره
تبرد المياه بمصر ، وفي سابع عشره يطلع الفجر
بالأكليل ، وفي ثامن عشره تحمل الشمس برج
القوس ، وفي تاسع عشره يطلق البحر الملح ،
وفي سابع عشره تهب الرياح للواقع .

وفي هذا الشهر يلبس أهل مصر الصوف
من سابعه .

وفي يكثر ما يحتاج اليه من قصب السكر
يرسم المعاصر ، ويروح الفلة في جميع ما يحتاج
اليه فيها ، ويهتم بعلف أبقارها وجمالها بعد
بيع شارفها وعاجزها والتعويض عنه بغيره ،
وافراد الأتيان يرسم وقود القنود ، وترتيب
القوامصة لعمل الأباليج والقواديس ،
والأمطار يرسم القنود والأعمال .

وفي يدرك البنفسج والنيلوفر والمنثور ،
ومن البقولات الأسبانخ والبلسان .

واختار قديما المصريين في هاتور نصب
الأساسات ، وزرع القمح . وأطيب حملان
السنة حملة . وفيه يكثر العنب الذي كان
يحمل من قوص .

كهك : أوله الأربعينات بمصر ، ويدخل
الطير وكركه .

وفي سادسه بشارة مريم بحمل عيسى
عليهما السلام . وفي سابعه أول كانون الأول .

وفي عاشره آخر الليالي البلق ، وأولها أول
هاتور . وفي حادي عشره أول الليالي
السود ، ويدخل النمل الأحجرة .

وفي ثالث عشره يطلع الفجر بالشولة ،
وتظهر البراغيث ، ويسخن باطن الأرض .

وفي سادس عشره يسقط ورق الشجر .

وفي سابع عشره تنقل الشمس الى برج
الجدي ، فيدخل فصل الشتاء ، ويؤزر
الهيون .

وفي حادي عشره يكون آخر الليالي
البلق ، وفي ثاني عشره عيد البشارة ، وفي
ثالث عشره تزرع الحبة والترمس .

وفي سادس عشره يطلع الفجر بالنعائم .

وفي ثامن عشره يبض النعام ، وفي تاسع
عشره الميلاد .

وفي هذا الشهر يؤزر الخيار بعد * اغراق
أرضه .

وفي تكامل بذر القمح والشعير والبرسيم
الحراني .

وفي يستخرج خراج البرسيم بدار الوجه
القبلي ، وفي تربي حراس الطير .

وفي كرك قصب السكر واعتصاره ،
واستخدام الطباخين لطبخ القنود .

وفي يكون ادراك الترجس والمحضات
والقول الأخضر والكرب والجزر والسكرات
الايض واللفت .

وفي يبل هبوب ريح الشمال ، ويكثر
هبوب ريح الجنوب .

وفي يجود الجدا ، ويكون أطيب منها في
جميع الشهور التي يكون فيها .

وفي يؤزر أكثر حبوب الحرث ، ولا يؤزر
بمده في شيء من أرض مصر غير السهم
والمقاني والقطن .

طوبة : في ثالثه ابتداء زراعة الحمص
والجلبان والعدس .

وفي سادسه أول كانون الثاني .

وفي تاسعه يطلع الفجر بالبلد ، وعاشره
صوم القنطاس ، وحادي عشره القنطاس .

وفي ثاني عشره يشتد البرد ، وفي رابع
عشره يرتفع الوباء بمصر ، ويغرس النخل .

وفي سابع عشره تحمل الشمس أول برج
الدلو ، ويكثر الندى ، ويكون ابتداء غرس
الأشجار .

وفي العشرين منه يكون آخر الليالي
السود ، وحادي عشره الليالي البلق الثانية ،

وفي ثلث عشره يطلع القمر بسد الفجر ،
وفي ثلث عشره تهب الرياح الباردة

وفي ربيع عشره تخرج جوارح الطير . وفي
خمس عشره يكون تاج الابل المصودة .
وفي سابع عشره يحتو منه القيل .

وفي ثمن عشره يتكفل قترك القوط .

وفي هذا الشهر تظم الكروم ، وتنتف زرع
القمح من السيل وغيره ، وتنتف زرع
الكتك من القيل وغيره .

وفي ثلث عشره الأرضي أول سكة يرسم
الحيات والتمني والطن والسسم ، وتسمى
برشما في قول قصير

وفي ثلثي أرض القنصل والقصب ،
وتن الجوز في آخره .

وفي تسخر أول مني الخرس ، ويكثر
القصب الراس بعد اقرأ ما يحتاج اليه من
الزريعة ، وهو لكل فصل من قيراط طيب
قصب راس .

وفي يظم بسيرة السواني ، وحفر الآبار ،
ولتباع الأبقار .

وفي يظم الفوز الأخضر والبق والمليون .

وفي أيضا يكون هبوب ريح الجنوب أكثر
من هبوب الشمال ، وهبوب الصبا أكثر من
هبوب القبور .

وفي يكون البقلا الأخضر والجوز طيب
متما في غيره .

وفي يظم ماء النيل في صفاء ، ويخزن
قلا يظم في أواني ولو طال له فيها .

وفي تكيب لعم الضلأ الطيب منها في
سائر الشهور

وفي تربط الخيول والبغال على القوط من
ليل ربيعا

وضرة يطالب الناس بفتح الخراج ،
ومحابة التفلين على الثمن من السجلات من
يبيع ما يبيعهم من الحنظل والمقود .

الشمس : في أوله تغلق الرياح ، وفي
خامسه يظم القجر بسد بلح ، وفي سادسه
يكون أول شباط .

وفي ثلثه يجرى الماء في العود ، وحادي
عشره أول جيرة بلودة ، وسادس عشره تحمل
الشمس بأول برج الحوت .

وفي سابع عشره يخرج القمل من الأحجرة ،
وفي ثمن عشره يظم القجر بسد السمود .

وفي العشرين من ثاني جيرة فطرة ، وفي
ثالث عشره تظم الكروم ، وخامس عشره
تخرج القمل .

وسابع عشره ثالث جيرة حامية ، ويورق
الشجر وهو آخر غرسها ، وفي آخره يكون
آخر النبالى البلق .

وفي هذا الشهر يظم السليم ويستخرج
خرالجه ، وفي يظم يرش الصياق ، وتبرش
أيضا تلك سكة .

وفي يعمل مقامع الجسور ، وتسح
الأراضي ، ويرقد البيض في المعامل أربعة أشهر
آخرها جنس .

وفي يكون ريح الشمال أكثر الرياح
هبوا

وفي ينبغي أن تعمل أواني الخزف للساء
لستعمل فيه طول السنة ، فإن ما عمل فيه
من أواني الخزف يبرد الماء في الصيف أكثر
من تبريد ما يعمل في غيره من الشهور

وفي يتكامل غرس النجر وتظم الكروم
وفي يترك البسق وحموز الأخضر ويكثر
البنسج والشور .

وقال : أشير يقول للزروع مير ، ويطحن
بالطويل القصير .

وفي يقل البرد ، وهب الهواء الذي فيه
سخونة ما .

وفي أشير يؤخذ الناس فيه بانعام ربع
الخراج من السجلات .

برمات : أول يوم منه يطلع القجر
بالأخيرة ، وفي خامسه يحضن دود القز ،
وسادسه يزرع السسم .

وثاني عشره يطلع الكتان ، ورابع عشره
يكون أول الأعجاز ، ويطلع القجر بالقصرغ
المقدم .

وفي سادس عشره تفتح الحيات أعينها ، وفي
سابع عشره تنقل الشمس الى برج الحمل ،
وهو أول فصل الربيع ، ورأس سنة الجند ،
ورأس سنة العالم .

وفي العشرين منه يكون آخر الأعجاز ،
وثالثي عشره تاج الخيل المحمودة ، وثالث
عشره يظهر الذباب الأزرق ، وخامس عشره

تظهر هوام الأرض ، وسابع عشره يطلع القجر
بالفرغ المؤخر ، وفي آخره يتفرق الحطب .

وفي هذا الشهر تجرى المراكب السرية في
البحر الملح الى ديار مصر من المغرب والروم ،
وعنهم فيه تجريد الأجساد الى الثغور
كلاسنديرة وديباط وتيس ورتيد .

وفي كانت تجهز الأساطيل ومراكب
السواني لحفظ الثغور .

وفي زرع القاني والميني ، ويترك القول
والعنس ، ويطلع الكتان ، وتزرع أنصاب
السكر في الأرض المبروشة المختارة لذلك ،
البيضة المهداة عن الزراعة ، ويأخذ المقشرون
في تنظيف الأرض المزروعة من القش في وقت
الزراعة ، ويأخذ القطاعون في قطع الزريعة ،
ويأخذ المزارعون في رمي قطع القصب .

وفي يؤخذ في تحصيل النطرون ، وحمله
من وادي هيت الى الشونة السلطانية .

وفي يكون ريح الشمال أكثر الرياح
هبوا .

وفي تزهرا الأشجار ، وينتقد أكثر ثمارها .
وفي يكون اللبن الرائب طيب منه في جميع
الشهور التي يعمل فيها .

وفي برمات يطالب الناس بالربح الثاني
والثمن من الخراج .

برمودة : في سادسه أول نيسان ، وفي
عاشره يطلع القجر بالرشاء ، وفي ثلثي عشره
يظم القمل ، وفي سابع عشره تحمل الشمس
أول برج الثور .

وفي ثالث عشره يطلع الفجر بالشرطين ، وهو رأس الحمل وأول منازل القمر ، وفيه ابتداء كسار القول وحصاد القمح وهو ختام الزرع .

وفي هذا الشهر يتم بقطع خشب السنط من الخراج الذي كان بمصر في القديم أيام الدولة الفاطمية والأيوبيية ، ويجر الى السواحل ليرحل في زمن النيل الى ساحل مصر ، ليعمل شواني واحطابا يرسم الوقود في المطابخ السلطانية .

وفيه يكثر الورد ، ويوزع الخيار شبر والملوخيا واليادنجان . وفيه يقطف أوائل عسل النحل ، وينفض بزر الكتان . وأحسن ما يكون الورد فيه من جميع زمانه

وفيه يظهر البطن الأول من الجميز . وفيه تقع المساحة على أهل الأعمال ، ويطلب الناس باغلاق نصف الخراج من سجلاتهم ، ويحصد بدرى الزرع .

بشنس : في خامسه تكثر الفاكهة . وسادسه أول آيار ، وفيه طلوع الفجر بالبطين .

وثامنه عيد الشهيد ، وتاسعه افتتاح البحر المسالح ، ورابع عشره يزرع الأرز ، وثامن عشره تحل الشمس أول برج الجوزاء ، وفيه يطيب الحصاد .

وفي تاسع عشره يطلع الفجر بالثرما ، وفيه زراعة الأرز والسمسم .

ورابع عشره يكون عيد البلسان بالمطرية ، ويؤمنون أنه اليوم الذي دخلت فيه مريم الى مصر .

وفي هذا الشهر يكون دراس الفلة ، وهدار الكتان ، ونفض البزر والتقاوى والأتبان وحلها .

وفيه زراعة البلسان وتقليمه وسقيه ، وتكرم أراضي من بنوة الى آخر هاتور ، واستخراج دهنه بعد شرطه في نصف توت ، وإن كان في أوله فهو أصلح الى آخر هاتور . وصلاح أيامه أيام الندى ، ويقسم في الندى ستة كاملة الى أن يشرب أعكاره وأوساخه . ويطبخ الدهن في القفص الريسى في شهر برمها ، فيحصل لكل رطل مصرى أربعة وأربعون رطلا من مائة ، فيحصل منه قدر عشرين درهما وما حولها من الدهن .

وفي هذا الشهر أكثر ما يهب من الرياح الشمالية .

وفيه يدرك التفاح القاسى ، ويبتدى فيه التفاح المسكى والبطيخ العبدلى ، ويقال أنه أول ما عرف بمصر عندما قدم إليها عبد الله بن طاهر بعد المائتين من سنى الهجرة ، فنسب إليه وقيل له العبدلى .

وفيه أيضا يبتدى البطيخ الجربى والمشمش والخوخ الزهرى ، ويجنى الورد الأبيض .

وفيه تقرر المساحة ، ويطلب الناس بما يضاف الى المساحة من أبواب وجوه المال — كالصرف والجهيزة وحق المراعى والقرط والكتان — على رسوم كل ناحية .

ويستخرج فيه إتمام الربع مما تقررت عليه العقود والمساحة ، ويطلق الحصاد لجميع الناس .

بنوة : في ثايه يطلع الفجر بالدبران ، وفي خامسه يتنفس النيل ، وفي تاسعه أوان قطف النحل .

وفي حادى عشره تهب رياح السموم ، وفي ثانى عشره عيد ميكائيل فيؤخذ قاع البيل ، وفي ثالث عشره يشتد الحر ، وفي خامس عشره يطلع الفجر بالهنعة .

وفي عشره تحل الشمس أول برج السرطان ، وهو أول فصل الصيف .

وفي سابع عشره ينادى على النيل بما زاده من الأصابع . وفي ثامن عشره يطلع الفجر بالهنعة .

وفي هذا الشهر تسفر المراكب لاحتضار الغلال والتبن والقنود والأعمال وغير ذلك ، من الأعمال القوصية ونواحي الوجه البحرى .

وفيه يقطف عسل النحل ، وتخرص الكروم ، ويستخرج زكاتها .

وفيه يندى الكتان ، ويقلب أربعة أوجه في بنوة وأيب .

وفيه زراعة النيلة بالصعيد الأعلى ، وتحصد بعد مائة يوم ، ثم تترك وتحصد في كل مائة يوم حصدة ، ويحصل في أول كيهك وطوبة وأمشير وبرمها ، ويطلع في برمودة ، وتحصد في عشرة أيام من أيب ، وتقيم في الأرض الجيدة ثلاث سنين ، وتسقى كل عشرة أيام دفعتين ، وثانى سنة ثلاث دفعات ، وثالث سنة أربع دفعات .

وفي هذا الشهر يكون التين الفيومى ، والخوخ الزهرى ، والكشمري والقراصيا

والقشء والبلح والحصرم ، ويبتدى ادراك العنبر .

وفيه يدخل بعض العنب ، ويطيب التوت الأسود ، ويقطف جمهور العسل فتكون رياحه قليلة ، والتين يكون فيه أطيب منه في سائر الشهور ، وفيه يطلع النخل ، وفيه يستخرج تمام نصف الخراج مما بقى بعد المساحة .

أيب : في سابعه أول تسوز ، وفي عاشره آخر قطع الخشب ، وفي حادى عشره يطلع الفجر بالذراع ، وثانى عشره ابتداء تعطين الكتان .

وفي خامس عشره يقل ماء الآبار ، وتذكر الفواكه ، ويسوت الدود . وفي حادى عشره تحل الشمس أول برج الأسد ، وتذهب البراغيث ، ويرد باطن الأرض ، وتهيج أوجاع العين .

وفي خامس عشره يطلع الفجر بالثرمة ، وفي سادس عشره تطلع الشعري المبور اليمانية .

وفي هذا الشهر أكثر ما يهب من الرياح الشمال ، ويكثر فيه العنب ويجود .

وفيه يطيب التين المقرون بمجى العنب ، ويتغير البطيخ العبدلى وتقل حلاوته ، وتكثر الكمثرى السكرية ، ويطيب البلح .

وفيه يقطف بقايا عسل النحل ، وتقوى زيادة ماء النيل فيقال « في أيب يدب الماء ديب » .

وفيه ينقع الكتان بالميلات ، وياع برسيم البذر يرسم زراعة القرط والكتان .

وفيه تدرك ثمرة العنب ، ويحصد القرمط .
وفيه تسقط ثلاثة أرباع الخراج

مصرى : في سابعه يطلع الفجر بالطرف ،
وفي ثامنه أول آب ، وفي حادى عشره يجمع
القطن ، وفي رابع عشره يحسب الماء ولا يبرد ،
وفي سابع عشره استكمال الشار .

وفي عشره يطلع الفجر بالجبهة ، وفي حادى
عشره تحل الشمس برج النبله .

وفي ثالث عشره يتغير طعم الفاكهة لعلمه
ماء النيل على الأرض ، وفي خامس عشره
يكون آخر السوم ، وفي تاسع عشره يطلع
سهيل بمصر .

وفي هذا الشهر يكون وفاء النيل ستة عشر
ذراعا في غالب السنين ، حتى قيل ان لم يوف
النيل في مصرى فانتظره في السنة الأخرى .

وفيه يجرى ماء النيل في خليج الاسكندرية
ويسافر فيه المراكب بالغلال والبهار والسكر
وسائر أصناف المتاجر . وفيه يكثر البسر .
وكانوا يخرسون النخل ، ويخرجون زكاة
الشار في هذا الشهر ، عندما كانت الزكوات
يجبها السلطان من الرعية .

وأكثر ما يهب في هذا الشهر ريح الشمال .

وفيه يصير قبط مصر الخمر ، ويعمل الخل
من العنب . وفيه يدرك الموز ، وأطيب ما
يكون الموز بمصر في هذا الشهر .

وفيه يدرك الليمون التفاحى ، وكان من
جملة أصناف الليمون بأرض مصر ليمون يقال
له التفاحى ، يؤكل بعير سكر لقله حمضه

ولذته طعمه . وفيه يكون ابتداء ادراك
الرمان .

واذا انقضت أيام مصرى ، ابتدأت أيام
النسى ، ففى أولها ابتداء هيج النعام ، وفى
رابعها يطلع الفجر بالخراتان .

وفي مصرى يطلع الفلاسون خراج أراضي
زراعاتهم ، وكانوا يؤخرون البقايا على دق
الكتان في مصرى وأيب ، لأن الكتان يبسل
في توت ، ويدق في بابه .

ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية
إلى السنة الهجرية العربية
وكيف عمل ذلك في الاسلام

قد تقدم ، فيما سلف من هذا الكتاب ،
التعريف بالسنة الشمسية والسنة القمرية ، وما
للأهم في كبس السنين من الآراء . فلما جاء
الله تعالى بالاسلام ، تحرز المسلمون من كبس
السنين خشية الوقوع في النسيء الذى قال
الله سبحانه وتعالى فيه : « اما النسيء زيادة
في الكفر يضل به الذين كفروا » .

ثم لما رأوا تداخل السنين القمرية في السنين
الشمسية ، أوقفوا عند رأس كل اثنتين
وثلاثين سنة قمرية سنة ، وسموا ذلك
الازدلاق ، لأن لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية
اثنتين وثلاثين سنة شمسية بالتقريب .

وسأتلو عليك من نبال ذلك ما لم أره
مجموعا .

قال أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن أبي
طاهر في كتاب « أخبار أمير المؤمنين المعتضد

بأنه أبى العباس أحمد بن أبى أحمد طلحة
الموفق ابن المنوكل » ومنه نقل . وخرج أمر
المعتضد في دى الحجة سنة احدى وثمانين
ومائتين ، بتصير النوروز لاحدى عشرة ليلة
خلت من حزيران ، رافة بالرعية وإشارا
لأرافاتها

وقالوا : خرج التوقيع في المحرم سنة
اثنتين وثمانين ومائتين ، بأشاء الكعب الى
جميع العمال في النواحي والأمصار ، بترك
افتتاح الخراج في النوروز الفارسي الذى يقع
يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من
صفر ، وأن يجعل ما يفتح من خراج سنة
اثنتين وثمانين ومائتين يوم الأربعاء لثلاث
عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر من هذه
السنة ، وهو اليوم الحادى عشر من حزيران
— ويسمى هذا النوروز المعتضدى — ترفيها
لأهل الخراج ، ونظرا لهم

ونسخة التوقيع الخارج في تصير افتتاح
الخراج في حزيران :

« أما بعد ، فإن الله لما حول أمير المؤمنين
للمحل الذى أحله به من أمور عباده وبلاده ،
رأى أن من حق الله عليه ألا يكلفها الا ما به
العدل والانصاف لها والسيرة القاصدة ، وأن
يتولى لها صلاح أمورها ، ويستقرى السير
والمعاملات التى كانت تعامل بها ، ويقر منها
ما أوجب الحق اقراره ، ويزيل ما أوجب
ازالته ، غير مستكثر لها كثير ما يسقطه
العدل ، ولا مستقل لها قليل ما يلزمه اياها
الجور ...

« وقد وفق الله أمير المؤمنين لما يرجو أن
يكون لحق الله فيها قاضيا ، ولنصيبها من

العدل موازيا . وبالله يستعين أمير المؤمنين
على حفظ ما استرعاه منها ، وحياطة ما قلده
من أمورها ، وهو خير موفق ومعين ...

« وإن أبى القاسم عبيد الله رفع الى أمير
المؤمنين — فيما أمر أمير المؤمنين به ، من
رد النوروز الذى يفتح به الخراج بالعراق
والمشرق وما يتصل بهما ويجرى مجراها ، من
الوقت * الذى صار فيه من الزمان الى
الوقت الذى كان عليه متقدما ، مع ما أمر به
في مستقبل السنين من الكبس ، حتى يصير
العدل عاما في الزمان كله ، باقيا على غابر
الدهر ومر الأيام — موامرة أمير المؤمنين ،
فأمر بتسجيلها لك في آخر كتابه ، مع ما وقع
به فيها لتمثيله ... فافعل ذلك ان شاء الله
تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من
دى الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين .

نسخة الموامرة : « أنهيت الى أمير المؤمنين
أن مما أنعم الله به على رعيته ، ورزقها اياه من
رأفته وحسن نظره ، وأقامته عليها من عدله
وانصافه ، ورفعته عنها في خلافته من الظلم
الشامل ما كان الأقصى والأدنى ، والصغير
والكبير ، والمسلم والذمى فيه سواء ... ما
حررته من نقل كتب الخراج عن السنة التى
كانت تنسب اليها من سنن الهجرة ، الى السنة
التى فيها تدرك الفلات ويستخرج المال ...

« وإن ذلك ما كان بعض أهل الجهل حاوله
وبعض المتغلبين استعمله ، من تثبيت الخراج
على أهله ، ومطالبتهم به قبل وقت الزراعة ،

(*) ص ٢٧٢ ج ١ ، ط. بولاق .

ولياتهم يذكر سنة من السنين التي ينسب الخراج لاحداهما ، وتترك الحملات وضع الاستخراج في الأخرى منها ، في حساب شعور القرس التي عليها يجري العمل في الخراج بالسواد وما يليه ، والأموال وقارس الجبل وما يتصل به من جميع نواحي الشرق وما يضاف اليه ...

« اذا كان على الشام والجزيرة والوصل جرى على حساب شعور الروم الموافقة اللازمة ، فليست تختبأ أوقاتها مع الكيسة المستعملة فيها ... »

« والعمل في خراج مصر وما والاها على شعور القبط الموافقة لشعور الروم ، وكانت من شعور القرس قد خالفت موافقتها من الزمان بما ترك من الكبس ، منذ أزال الله ملك قارس ، وفتح للسلطنة بلادهم ، فصار التوروز - الذي كان الخراج يفتح فيه بالعراق والشرق - قد تقدم في ترك الكبس شهرين ، وصاروا يفتحون الحراك القلة ... »

« فأمر أمير المؤمنين - بما جيل الله عليه ربه في التوصل الى كل ما عاد صلاح رعيته ، وحسا للأسباب المؤدية الى لياتها - بتأخير التوروز الذي يقع في شعور سنة اثنين وثلاثين ومائتين من منى الهجرة ، عن الوقت الذي يقع فيه أيام سنة القرس - وهو يوم الجمعة لاحدى عشرة تخطو من صفر - مثل سنة أيام الشهرين من شعور القرس التي ترك كبها وهي ستون يوما ، حتى يكون نوروز السنة واقعا يوم الأربعاء ثلاث عشرة ليلة تخطو من شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائتين ، وهو الحادي عشر من حزيران ... »

« وهو يتصل بهما ويجري مجراهما ، وينسب وضائف اليهما ، ويستأجر أعنائهم ، وما يسهل أصحاب الحساب من التوصلات وجيع الأعمال ، وما يسهل القرس من شعورهم الى شعوره الكيسة الأولى والآخرة ، ثم يكبس بعد ذلك في كل أربع سنين من سني القرس ، ولا يقع تفاوت بينه وبينها على مرور الأيام ... »

« وليكن أبدا واقعا في حزيران ، وغير خارج عنه ، وأن يفتى ذكر كل سنة من أربع سنين تسب الى الخراج بالعراق ، وفي الشرق والغرب وسائر النواحي والآفاق ، إذ كان مقدرا سني أيام الهجرة والسنة الجامعة اللازمة التي تكامل فيها الفلات ... »

« وأن يخرج التوقيع بذلك ، لتسا الكتب به من ديوان الرسائل الى ولاية معاون والأحكام ، وتقرأ على المنابر ، ويحمل أصحاب معاون الرعية عليه ، وتأخذها بامثال ما أمر به أمير المؤمنين وسنة الأحكام في ديوان حكمهم ، لتمثيل الضمان والمقاطعين ذلك على حبه ، واستطلع رأى أمير المؤمنين في ذلك ؛ فرأى أمير المؤمنين في ذلك موفقا ان شاء الله تعالى ، وتكتب نسخة التوقيع بتنفيذ ذلك ان شاء الله تعالى . »

وكتب في شهر ذي الحجة لسنة احدى وثلاثين ومائتين .

قال : وكان السبب في نقل الخراج الى حزيران في أيام المعتضد ، ما حدثني به أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى النجم القديم ،

قال : كنت أحدث أمير المؤمنين المعتضد ، وذكرت خبر التوكل في تأخير التوروز

فاستحسنه ، وقال لي : كيف كان ذلك ؟

قلت : حدثني أبي ، قال : دخل التوكل ، قبل تأخير التوروز بعض بسائنه الخاصة التي كانت في يدي - وهو متوكله على يجلدني ، وينظر الى ما أحدث في ذلك بستان - فمر بزرع فراه أخضر ، فقال : يا بني ، ان الزرع أخضر بعد ... ما أدرك ! وقد استأمرني عبيد الله بن يحيى في افتتاح الخراج ، فكيف كانت القرس تفتح الخراج في التوروز ، والزرع لم يدرك بعد ؟

قال : فقلت له : ليس يجري الأمر اليوم على ما كان يجري عليه في أيام القرس . ولا التوروز في هذه الأيام في وقت الذي كان في أيامها .

قال : وكيف ذلك ؟

قلت : لأنها كانت تكبس في كل مائة وعشرين سنة شهرا ، وكان التوروز اذا تقدم شهرا ، وصار في خمس من حزيران ، كبست ذلك الشهر ، فصار في خمس من أيار ، وأسقطت شهرا وردته الى خمس من حزيران ، فكان لا يتجاوز هذا .

فلما تقلد العراق خالد بن عبد الله القسري ، وحضر الوقت الذي تكبس فيه القرس ، منعها من ذلك وقال : هذا من النسيء الذي نهى الله عنه فقال : « انما النسيء زيادة في الكفر » ، وأنا لا أطلقه حتى أستأمر فيه أمير المؤمنين .

فبذلوا على ذلك مالا جليلا ، فامتنع عنهم من قبوله ، وكتب الى هشام بن عبيد الملك بعرفته ذلك واستأمره ، وعلمه انه من النسيء الذي نهى الله عنه ، فأمر بمنعهم من ذلك .

فلما امتنعوا من الكبس ، تقدم التوروز تقدما شديدا حتى صار يقع في نيسان والزرع أخضر ، فقال له التوكل : فاعمل لهذا يا علي عالا ترد التوروز فيه الى وقته الذي كان يقع فيه في أيام القرس ، وعترف بذلك عبيد الله ابن يحيى ، وأدب اليه رسالة مني في أن يجعل افتتاح الخراج فيه .

قال : فصرت الى أبي الحسن عبيد الله بن يحيى ، وعرفته ما جرى بيني وبين التوكل ، وأدبت اليه رسالته .

فقال لي : يا أبا الحسن ، قد وافقه فرجت عنى وعن الناس ، وعملت عملا كثيرا يعظم ثوابك عليه ، وكسبت لأمر المؤمنين أجرا وشكرا ، فأحسن الله جزاءك ، فشكك من يجالس الخلفاء .

وأحب أن يتقدم بالعمل الذي أمر به التوكل ، وينفذه الى حتى أجرى الأمر عليه ، وأتقدم في كتب الكتب باستفتاح الخراج .

قال : فرجعت وحررت الحساب ، فوجدت التوروز لم يكن يتقدم في أيام القرس أكثر من شهر ... يتقدم من خمس تخطو من حزيران فيصير في خمسة أيام تخطو من أيار ، فتكبس ستها وترده الى خمسة أيام من حزيران .

واخذته الى عبيد الله بن يحيى ، فأمر أن
يستفتح الخراج في خمس من حزيران ، وتقدم
الى ابراهيم بن العباس في أن ينشئ كتابا عن
أمير المؤمنين في ذلك يتخذ نسخة الى
التولسي ، فعمل ابراهيم بن العباس كتابه
للمشهور في أيدي الناس .

قال أبو أحمد : فقال لي المعتضد : يا يحيى ،
هذا والله فعل حسن ، وينبغي أن يعمل به

فقلت : ما لحد أولى بفعل الحسن ، وأحياء
السنن الشريفة ، من سيدها ومولانا أمير
المؤمنين ، لما جمعه الله فيه من المحاسن ، ووجهه
له من الفضائل .

فدعا بمبيد الله بن سليمان ، وقال له : اسمع
من يحيى ما ينفعك به ، وأمض الأمر في
استفتاح الخراج عليه .

قال : فصرت مع عبيد الله بن سليمان الى
الديوان ، وعرفت الخبر ، فأحب تأخيرته عن
ذلك لئلا يجري الأمر المجري الأول بينه ،
فجعله في أحد عشر من حزيران ، واستأمر
للمعتضد في ذلك فامضاه .

فقلت في ذلك شعرا اتدته للمعتضد في
هذا المعنى :

يوم نوروزك يوم واحد لا يتأخر
من حزيران يواني أبدا في أحد عشر

قال : وأخبرني بعض مشايخ الكتاب ،
قال : وكانت الخلفاء تؤخر النوروز عن وقته
عشرين يوما وأقل وأكثر ، ليكون ذلك سببا
لتأخير افتتاح الخراج على أهله .

ولما المهرجان فلم تكن تؤخره عن وقته
يوما واحدا ، فكان أول من قلعه عن وقته
يوم ، المعتضد بمدينة السلام في سنة خمس
وستين ومائتين ، وأمر المعتضد بتأخير
النوروز عن وقته ستين يوما

وقال أبو الريمان محمد بن أحمد البيروني
في كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخالية »
- ومنه نقلت ما ذكر ابن أبي طاهر -
وزاد : وثقلت الكتب الى الآفاق (يعني عن
التوكل) في محرم سنة ثلاث وأربعين
ومائتين ، وقتل المتوكل ولم يتم له ما دبر .

واستمر الأمر حتى قام المعتضد ، فاحتذى
ما فعله المتوكل في تأخير النوروز ، غير أنه
نظر فاذا المتوكل أخذ ما بين سنة وبين أول
تاريخ يزدجرد ، فأخذ المعتضد ما بين سنة
وبين السنة التي زال فيها ملك القرم بلاك
يزدجرد ، ظنا أن أمهاتهم أمر الكيس من ذلك
الوقت ، فوجده مائتي سنة وثلاثا وأربعين
سنة ، حصتها من الأرباع ستون يوما وكسر ،
فزاد ذلك على النوروز في سنة ، وجعله
منتهى تلك الأيام - وهو من خردادماه في
تلك السنة - وكان يوم الأربعاء ، وروافقه
اليوم الحادي عشر من حزيران ، ثم وضع
النوروز على شهور الروم لتكيس شهوره اذا
كيس الروم شهورها .

وقال القاضي السعيد ، ثقة الثقات ذو
الرياستين ، أبو الحسن علي بن القاضي المؤتمن
ثقة الدولة أبي عمرو عثمان بن يوسف
الخزومي في كتاب « المنهاج في علم الخراج » :
والسنة الخراجية مركبة على حكم السنة

الشمسية ، لأن السنة الشمسية ثلثائة وخمسة
وستون يوما وربع يوم ، وربع المصرون
ستهم على ذلك ، ليكون أداء الخراج عند
ادراك الغلات من كل سنة .

ووافقت السنة القبطية لأن أيام شهورها
ثلثائة وستون يوما ، ويتبعها خمسة أيام
السنة وربع يوم بعد تقضى مري ، وفي كل
أربع سنين تكون أيام السنة ستة أيام لينجير
الكسر ، ويسمون تلك السنة كيسة ، وفي كل
ثلاث وثلثين سنة تسقط سنة ، فيحتاج الى
نقلها لأجل الفصل بين السنين الشمسية
والسنين الهلالية ، لأن السنة الشمسية ثلثائة
 وخمسة وستون يوما وربع يوم ، والسنة
الهلالية ثلثائة وأربعة وخمسون يوما
وكسر ... ولما كان كذلك احتج الى استعمال
النقل الذي تطابق به إحدى السنين الأخرى .

وقد قال أبو الحسن علي بن الحسن الكاتب
رحمة الله : عملت جباية أموال الخراج في
سنين ، قبل سنة إحدى وأربعين ومائتين من
خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة
الله عليه ، تجرى كل سنة في السنة التي
بمدها ، بسبب تأخير الشهور الشمسية عن
الشهور القمرية في كل سنة أحد عشر يوما
وربع يوم وزيادة الكسر عليه .

فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين ،
كان قد انقضى من السنين التي قبلها ثلاث
وثلاثون سنة ، أولهن سنة ثمان ومائتين من
خلافة أمير المؤمنين المأمون رحمة الله عليه ،
واجتمع من هذا المتأخر فيها أيام سنة شمسية

كاملة ، وهي ثلثائة وخمسة وستون يوما
يوما وربع يوم وزيادة الكسر ، وبها ادراك
غلات وشار سنة إحدى وأربعين ومائتين في
صفر سنة اثنتين وأربعين ومائتين .

وأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله ، رحمة
الله عليه ، بالقضاء ذكر سنة إحدى وأربعين
ومائتين ، إذ كانت قد انقضت ، ونسب
الخراج الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين .

فجرت الأعمال على ذلك سنة بعد سنة ،
الى أن انقضت ثلاث وثلاثون سنة ، آخرهن
انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين ، فلم يبق
كتاب أمير المؤمنين المعتضد على الله ، رحمة الله
عليه ، على ذلك ، إذ كان رؤساؤهم في ذلك
الوقت اسماعيل بن بلبل وبنو القرات .

ولم يكونوا عملوا في ديوان الخراج
والضبايع في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على
الله ، رحمة الله عليه ، ولا كانت أسنانهم أسنانا
بلغت معرفتهم معها هذا النقل ، بل كان مولد
أحمد بن محمد بن القرات قبل هذه السنة
بخمس سنين ، ومولد على أخيه فيها ، وكان
اسماعيل بن بلبل يتعلم في مجلس لم يبلغ أن
ينسخ .

فلما تقلدت لناصر الدين أبي أحمد طلحة
الموفق رحمة الله ، أعمال الضبايع بتزوين
ونواحيها لسنة ست وسبعين ومائتين - وكان
مقيا بأذربيجان ، وخليفته بالجبل جراد
ابن محمد وأحمد بن محمد كاتبه - واحتجت
الى رفع جماعتي اليه ، ترجمتها بجماعة سنة
ست وسبعين ومائتين التي أدركت غلاتها

وشارها في سنة سبع وسبعين ومائتين ،
ووجب الغاء ذكر سنة ست وسبعين ومائتين .

طما وقفنا على هذه الترجمة انكراها ،
وسألنا من السبب فيما ، فشرحت لها ،
وأكدت ذلك بأن عرفت ما أنى قد استخرجت
حساب السنين الشمسية والسنين القمرية من
القرآن الكريم بعدما عرضت على أصحاب
التفسير ، فذكروا أنه لم يأت فيه شيء من
الأثر ، فكان ذلك أوكد في لطف استخراجي .

وهو أن الله تعالى قال في سورة الكهف :
« ولشوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا
تسعا » فلم أجد أحدا من المفسرين عرف معنى
قوله « وازدادوا تسعا » ، وأنا خاطب الله عز
وجل فيه صلى الله عليه وسلم بكلام العرب
وما تعرفه من الحساب .

فمعنى هذه التسع أن الثلاثمائة كانت شمسية
بحساب المعجم ومن كان لا يعرف السنين
القمرية ، فإذا أضيف إلى الثلاثمائة القمرية
زيادة التسع ، كانت سنين شمسية صحيحة ...
فاحتجنا .

فلما انصرف جريدة مع الناصر لدين الله إلى
مدينة السلام ، وتوفي الناصر رحمه الله ،
وتقلد القاسم عبيد الله بن سليمان كتابة أمير
المؤمنين المتخذ بالله ، أجرى له جريدة ذكر
هذا النقل ، وشرح له سببه تقريبا إليه ، وطعنا
على أبي القاسم عبيد الله في تأخير إياه .

فلما وقف المتخذ على ذلك ، تقدم إلى أبي
القاسم بإنشاء الكتب بنقل سنة ثمان وسبعين
إلى سنة تسع وسبعين ومائتين ، وكان هذا
النقل بعد أربع سنين من وجوبه .

ثم مضت السنون سنة بعد سنة ، إلى أن
انقضت الآن ثلاث وثلاثون سنة : أولاهن
السنة التي كان النقل وجب فيها وهي سنة
خمس وسبعين ومائتين ، وآخرهن انقضاء
سنة سبع وثلاثمائة ، وقد نهيا إدراك الفلات
والشار في صدر سنة ثمان وثلاثمائة ونسبته
إليها . وقد علت نسخة هذا النقل ، نسختها
تحت هذا الموضع ليوقف عليها .

وقد كان أصحاب الدواوين في أيام
التوكل ، لما نقل سنة إحدى وأربعين ومائتين
إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، جبروا
الجوالي والصدقات لسنين إحدى واثنتين
وأربعين ومائتين في وقت واحد : لأن الجوالي
يسر من رأى ومدينة السلام وقصب المدن
المشهورة كانت تجبى على شهور الأهلة وما
كان من جماجم أهل القرى في الخراج
والضياح والصدقات والمستللات ، كان يجبى
على شهور الشمس .

وفي ثلاث وثلاثين سنة اجتمعت أيام سنة
شمسية كاملة ، فالزم أهل الذمة خاصة
بالجوالي ، ورفعها العمال في حساباتهم ، فمن
لم يرفعها ألزموه بجوالي السنة الزائدة ،
فأحفظ أنه اجتمع من ذلك ألف دراهم ، ثم
جددت الكتب إلى العمال بأن تكون حساباتهم
الجوالي على شهور الأهلة ، فجرى الأمر على
ذلك .

قال القاضي أبو الحسن : وقد كان النقل
أغفل في الديار المصرية ، حتى كانت سنة تسع
وتسعين وأربعمائة الهلالية تجري مع سنة
سبع وتسعين الخراجية ، فنقلت سنة سبع

وتسعين وأربعمائة إلى سنة إحدى وخمسمائة
هكذا رأيت في تعليقات أبي رحمه الله .

وأخر ما نقلت السنة في وقتنا هذا سنة
خمس وستين وخمسمائة إلى سنة سبع وستين
وخمسمائة الهلالية ، فتطابقت السنتان . وذلك
أتى لما قلت للقاضي الفاضل أبي علي * عبد
الرحيم بن علي اليسانى أنه قد آن نقل
السنة ، فأنشأ سجلا بنقلها نسخ الدواوين ،
وحصل الأمر على حكمه . وما يرح الملوكة
والوزراء يعتنون بنقل السنين في أحيانها .

وقال أبو الحسين هلال بن المحسن
الصابي : حدثني أبو علي قال : لما أراد الوزير
أبو محمد المهلبى نقل سنة خمس وثلاثمائة
الهلالية ، أمر أبا إسحاق والدى وغيره من
كتابه في الخراج والرسائل ، بإنشاء كتاب عن
المطبع لله في هذا المعنى .

فكتب كل منهم ، وكتب والدى الكتاب
الموجود في رسائله ، وعرضت النسخ على
الوزير فاختره منها ، وتقدم بأن يكتب إلى
أصحاب الأطراف ، وقال لأبي الفرج بن أبي
هشام خليفته : اكتب إلى العمال بذلك كتابا
محققا ، وانسخ في أواخرها هذا الكتاب
السلطاني .

ففاظد أبا الفرج وقوع التفضيل والاختيار
لكتاب والدى - وقد كان عمل نسخة اطرح
في جملة ما اطرح - وكتب : « قد رأينا نقل
سنة خمسين إلى إحدى وخمسين ، فاعمل على
ذلك » . ولم ينسخ الكتاب السلطاني .

(٥١) من ٢٧٦ ج ١ ، ط. بولاق

وعرف الوزير ما كتب به أبو الفرج فقال
له : لماذا أغفلت نسخ الكتاب السلطاني في
آخر الكتب إلى العمال وإثباته في الديوان ؟
فأجاب جوابا علك فيه .

فقال له : يا أبا الفرج ما تركت ذلك إلا
حدا لأبي إسحاق ، وهو والله في هذا الفن
أكتب أهل زمانه ، فأعد الآن الكتب ، وانسخ
الكتاب في أواخرها .

قال القاضي أبو الحسن : وأنا أذكر بشيئة
الله نسخة الكتاب الذي أشار إليه أبو الحسن
على بن الحسن الكاتب ، وكتاب أبي إسحاق
وكتاب القاضي الفاضل ، ليستين للناظر طريق
نقل السنين الخراجية إلى السنين الهلالية ...
فاذا قاربت الموافقة ، وحسنت فيما المطابقة ،
فالكتاب الفاضل أكثر نجاحا وأعظم اعجازا ،
ولا يخفى على المتأمل قدر ما أورد فيه من
البلاغة ، كما لا يخفى على العارف قدر ما
تضمنه كتاب الصابي من الصناعة .

نسخة الكتاب الذي أشار إليه أبو الحسن
الكاتب :

« إن أولى ما صرف إليه أمير المؤمنين
عنايته ، وأعل في فكره ورويته ، وشغل
فيه تفقده ورعايته ، أمر الفقه الذي خصه الله
به ، وألزمه جمعه وتوفيره وحياطته وتكثيره ،
وجعله عماد الدين وقوام أمر المسلمين ...

« وفيما يصرف منه إلى إعطيات الأولياء
والجنود ، ومن يستعان به لتحصين البيضة ،
والذب عن الحرم ، وحج البيت ، وجهاد
العدو ، وسد الثغور ، وأمن السبل ، وحقق
الدماء ، وأصلاح ذات البين ...

« وأمير المؤمنين يسأل الله تعالى ، راعيا إليه ومتوكلا عليه ، أن يحسن عونه على ما حله منه ، ويدبر توقيفه بما أراضه ، وإرشاده إلى أن يضي عنه وله ... »

« وقد نظر أمير المؤمنين فيما كان يجري عليه أمر جباية هذا القوم في خلافة آبائه الراشدين صلوات الله عليهم ، فوجده على حسب ما كان يدرك من الغلات والثمار في كل سنة أولا أولا ، على مجارى شهور سنن الشمس في النجوم التي يحل مال كل صنف منها فيها ... »

« ووجد شهور السنة الشبية متأخر من شهور السنة الهلالية أحد عشر يوما وربما وزيادة عليه ، ويكون ادراك الغلات والثمار في كل سنة بحسب تأخرها ... »

« فلا تزال السنون تنضي على ذلك سنة بعد سنة حتى تنقضي منها ثلاث وثلاثون سنة ، وتكون عدة الأيام المتأخرة منها أيام سنة شبية كاملة ، وهي ثلثائة وخمسة سنون يوما وربع يوم وزيادة عليه ، فحينئذ ينبيأ بنسبة الله تعالى وقدرته ، ادراك الغلات التي تجرى عليها الضرائب والطسوق في استقبال المحرم من سنن الأهلة ... »

« ويجب مع ذلك إلغاء السنة الحارجة إذا كانت قد انقضت ، ونسبتها إلى السنة التي أدركت الغلات والثمار فيها ، لأنه وجد ذلك قد كان وقع في أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله ، رحمة الله عليه ، عند انقضاء ثلاث وثلاثين سنة ، آخرهن سنة إحدى وأربعين ومائتين ... »

« فجزت المكائبات والحسابات وسائر الأعمال بعد ذلك سنة بعد سنة ، إلى أن مضت ثلاث وثلاثون سنة ، آخرهن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين ، ووجب إنشاء الكتب بإلغاء ذكر سنة أربع وسبعين ومائتين ونسبتها إلى سنة خمس وسبعين ومائتين ، فذهب ذلك على كتاب أمير المؤمنين المعتضد على الله ، وتأخر الأمر أربع سنين ... إلى أن أمر أمير المؤمنين المعتضد بالله ، رحمة الله عليه ، في سنة سبع وسبعين ومائتين بنقل خراج سنة ثمان وسبعين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين ... »

« فجزى الأمر على ذلك ، إلى أن انقضت في هذا الوقت ثلاث وثلاثون سنة ، أولاهن السنة التي كان يجب نقلها فيها وهي سنة خمس وسبعين ومائتين ، وآخرهن انقضاء شهور خراج سنة سبع وثلثائة ، ووجب افتتاح خراج ما يجري على الضرائب والطسوق في أولها ... »

« وإن من صواب التدبير واستقامة الأعمال ، واستعمال ما يخف على الرعية معاملتها به ، نقل سنة الخراج سنة سبع وثلثائة إلى سنة ثمان وثلثائة ... »

« فرأى أمير المؤمنين — لما يلزمه نفسه وبواخنها به من العناية بهذا القوم ، وحيطة أسبابه ولجرائها مجارها ، وسلوك سبيل آباءه الراشدين ، رحمة الله عليهم أجمعين ، فيها — أن يكتب إليك وإلى سائر العمال في النواحي بالعمل على ذلك ، وأن يكون ما يصدر إليكم من الكتب ، وتصدرونه منكم ،

(١٥) من ١٧٧٧ ج ١ ص ١٠٠ - ١٠١

وتجرى عليه أعمالكم ورفوعكم وحساباتكم وسائر مناظراتكم ، على هذا النقل ... »

« فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين ، واعمل به ، مستشعرا فيه وفي كل مضنة تقوى الله وطاقته ، ومستعملا عليه ثقات الأعوان وكلماتهم ، ومشرفا عليهم ومقوما لهم ، واكتب بما يكون منك في ذلك إن شاء الله تعالى . »

نسخة أبي اسحاق الصابي :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين لا زال مجتهدا في مصالح المسلمين ، وباعثا لهم على مراشد الدنيا والدين ، ومهيئا لهم أحسن الاختيار فيما يوردون ويصدرون ، واصوب الرأي فيما يرمون وينقضون . فلا يلوح له خلة داخلية على أمورهم الا سدها وتلافها ، ولا حال عائدة يحط عليهم الا اعتمدها وأناها ، ولا سنة عادلة الا أخذهم بأقامة رسمها وامضاء حكمها ، والاعتداء بالسلف الصالح في العمل بها والاتباع لها ... »

« وإذا عرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور ألبابها ، وتجهله العامة بقصور أفهامها ، وكانت أوامره فيه خارجة إليك وإلى أمثالك من أعيان رجاله وأمائل عماله ، الذين يكتفون بالإشارة ويعتزون بيسير الابانة والمبارة ، لم يدع أن يسلخ من تخليص اللفظ وإيضاح المعنى ، إلى العهد الذي يلحق التأخر بالمتقدم ، وجميع بين العالم والمتعلم — ولا سيما إذا كان ذلك فيما يتعلق بمعاملات الرعية ، ومن لا يعرف الا الظواهر الجلية دون البواطن الخفية ، ولا يسهل عليه الانتقال عن

العادات المتكررة إلى الرسوم النخيرة — ليكون القول بالشروح لمن يبرز في المعرفة مذكرا ، ولمن تأخر فيها مبصرا ... »

« ولأنه ليس من الحق أن تمنع هذه الطبقة من يرد اليقين في صدورهم ، ولا أن يقتصر على اللجة الدالة في مخاطبة جمهورها . حتى إذا استوت الأقدام بطوائف الناس في فهم ما أمروا به وفقه ما دعوا إليه ، وصاروا على حكمه سواء لا يعترضهم شك الشاكين ولا استرابة المسترئين ... اطمانت قلوبهم ، وانثرت صدورهم ، وسقط الخلاف بينهم ، واستمر الاتفاق بهم ، واستيقنوا أنهم مؤسسون على استقامة من المنهاج ، وعمرسون من حزائز الزينج والاعوجاج ، فكان الاتقياد منهم وهم دارون عالمون لا مقلدون مسلمون ، وطائعون مختارون لا مكروهون ولا مجبرون . »

« وأمير المؤمنين يستمد الله تعالى في جميع أغراضه ومرايه ومطالبه ومغازيه ، مادة من صنعه يقف بها على سنن الصلاح ، ويفتح له أبواب النجاح ، وينفضه بما أهله لعمله من الأعباء التي لا يدعى الاستقلال بها الا بتوقيفه ومعوته ، ولا يتوجه فيها الا بدلالاته وهدايته ... »

« وحسب أمير المؤمنين الله ولمن الوكيل » يرى أن أولى الأقوال أن يكون سدادا ، وأحرى الأفعال أن يكون رشادا ، ما وجد له في السابق من حكم الله أصول وقواعد ، وفي النص من كتابه آيات وشواهد ، وكان منصبا بالامة إلى قوام من دين أو دينا ووفاق في

آخرة أو أولى . فذلك هو البناء الذي ثبت
وبعلو ، والفرس الذي يثبت ويركو ، والسعي
الذي تنجح مباديه وهواديه ، وتبهج عواقبه
وتواليه ، وتستير سبله لسالكها ، وتوردهم
موارد السمود في مقاصدهم فيها ، غير ضالين
ولا عادلين ، ولا منحرفين ولا زائلين ...

« وقد جعل الله عز وجل لعباده من هذه
الأفلاك الدائرة والنجوم السائرة - فيما
تقلب عليه من اتصال واقتراق ، ويتعاقب
عليها من اختلاف واتفاق - منافع تظهر في
كرور الشهور والأعوام ، ومرور الليالي
والأيام ، وتفاوت الضياء والظلام ، واعتدال
المسالك والأوطان ، وتغاير الفصول والأزمان ،
ونشو النبات والحيوان ، مما ليس في نظام
ذلك خلل ولا في صناعته زلل ، بل هو منسوط
بعضه ببعض ومحوط من كل ثلثة وتقتض ...

« قال الله تعالى : « هو الذي جعل الشمس
ضياء والقمر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد
السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك الا
بالحق » ، وقال جل من قائل : « ألم تر أن
الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في
الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى
أجل مسمى ، وأن الله بما تعملون خبير » ،
وقال تعالى : « والشمس تجري لمستقر لها ،
ذلك تقدير العزيز العليم » ، وقال عزت
قدرته : « والقمر قدرناه منازل حتى عاد
كالمرجون القديم » ...

« ففضل الله تعالى بهذه الآيات بين الشمس
والقمر ، وأنبأنا - في الباهر من حكمه
والمعجز من كلامه - أن لكل منهما طريقا
سخر فيها وطبيعة جبل عليها ، وأن تلك المبينة

والمخالفة في السير يؤديان إلى موافقة وملازمة
في التدبير . فمن هنالك زادت السنة الشمسية
فصارت ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربعا
بالتقريب المعمول عليه ، وهي المدة التي تقطع
الشمس فيها الفلك مرة واحدة ، وتقصت
الهلالية فصارت ثلثمائة وأربعة وخمسين
يوما ، وهي المدة التي يجامع القمر فيها
الشمس اثنتي عشرة مرة ...

« واحتيج إذا انساق هذا الفضل إلى
استعمال النقل الذي يطابق إحدى السنتين
بالأخرى إذا افرقتا ويداني بينهما إذا تفاوتتا ،
وما زالت الأمم السالفة تكبس زيادات السنين
على افتتان من طرقها ومذاهبها ، وفي كتاب
الله عز وجل شهادة بذلك ، إذ يقول في قصة
أهل الكهف : « ولبثوا في كهفهم ثلثمائة *
سنين وازدادوا تسعا » فكانت هذه الزيادة
بأن الفضل في السنين المذكورة على تقرب
التقريب ...

« فأما الفرس فانهم أجروا معاملاتهم على
السنة المعتدلة التي شهورها اثنا عشر شهرا
وأيامها ثلثمائة وستون يوما ، ولقبوا الشهور
بأثنى عشر لقباً ، وسموا أيام الشهر منها
بثلاثين اسماً ، وأفردوا الخمسة الأيام الزائدة
وسموها المترقة ، وكبسوا الربيع في كل مائة
وعشرين سنة شهراً ...

« فلما اقترض ملكهم ، بطل في كبس هذا
الربيع تدبيرهم ، وزال نوروزهم عن سنته ،
وانفجر ما بينه وبين حقيقة وقته انفراجاً ، هو
زائد لا يقب ودائر لا ينقطع ... حتى أن
موضوعهم في النوروز أن يقع في مدخل



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِئِ

الجمعة

١٤

كتاب
التحرير



هذه هي صورة من مستطير راسي - ولعل الزاوي - والمجمع باسمي - ولحقه التبريد - وهما مني -
وموطنهما مني وهما مني - وهما مني الذي في هاتين في قلوب - وهما مني - وهما مني -
تجوي الأخص غير ذكره - فذلك من شدة العجز - وأما في الخط - وهما مني - وهما مني -
سيرة أهدى لها - وأحب إلى من في الأفق من قلوبها - وأما مني - وهما مني - وهما مني -
تقى الدين أحمد بن علي القرني

الصيف ، وسينتهى الى أن يقع في مدخل الشتاء ويتجاوز ذلك وموضوعهم في المهرجان أن يقع في مدخل الشتاء ، وينتهي الى أن يقع في مدخل الصيف ويتجاوز ...

« وأما الروم فكانوا أنقن منهم حكمة ، وأبعد نظرا في العاقبة ، لأنهم رتبوا شهور السنة على أرساد شهورها وأنواء عرفوها ، وفضوا الحصة الأيام على الشهور وساقوها على الدهور ، وكبسوا الربيع في كل أربع سنين يوما ، ورسموا أن يكون الى شباط مضافا ، فرتبوا ما بعده غيرهم ، وسهلوا على الناس أن يقتفوا أثرهم ...

« لا جرم أن المعتضد بالله رحمه الله ، على أصولهم بنى ولمثالهم احتذى ، في تضييره نوروزه اليوم الحادى عشر من حزيران ، حتى سلم مما لحق النوايرز في سالف الأزمان ...

« وتلافوا الأمر في عجز سنى الهلال عن سنى الشمس بأن جيروها بالكبس ، فكلما اجتمع من فصول سنى الشمس وما بقى تمام شهر ، جعلوا السنة الهلالية يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالا ، فربما تم الشهر الثالث عشر في ثلاث سنين ، وربما تم في سنتين بحسب ما يوجبه الحساب ، فتصير سنى الشمس والهلال عندهم متقاربتين أبدا لا يتباعد ما بينهما ...

« وأما العرب فإن الله تعالى فضلها على الأمم الماضية ، وورثها ثمرات مشاقها المنعبة ، وأجرى شهر صيامها ومواقيت أعيادها وزكاة أهل ملتها وجزية أهل ذمتها على السنة الهلالية ، وتعبدوها فيها برؤية الأهلة - إرادة

منه أن تكون مناهجها واضحة وأعلامها لائحة - فيتكافأ في معرفة الغرض ودخول الوقت ، الخاص منها والعام والناقص الفقه والتام والآتى والذكر والصغير والكبير والأكبر ، فصاروا حينئذ يحسبون في سنة الشمس حاصل الغلات المقسومة ، وخراج الأرض المسوحة ، ويحيون في سنة الهلال الجوالى والصدقات والأرجاء والمقاطعات والمستغلات وسائر مايجرى على المشاهرات...

« وحدث من التداخل بين السنين ما لو استمر لقبح جدا ، وازداد بعدا ، اذ كانت الجباية الحراجية في السنة التى ينتهى اليها تنسب الى الشمسية والى ما قبلها ، فوجب مع هذا أن تطرح تلك السنة وتلقى ، ويتجاوز الى ما بعدها ويتحطى ، ولم يجز لهم أن يعتدوا لمخالفتهم في كبس السنة الهلالية بشهر ثالث عشر ، ولأنهم لو فعلوا ذلك لرخصت الأشهر الحرم عن موافقها ، وارتجت المناسك عن حقائقها ، ونقصت الجباية في سنى الأهلة القبطية بقسط ما استفرقه الكبس منها ...

« فانتظروا بذلك الفضل الى أن تسم السنة ، وأوجب الحساب المقرب أن يكون كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية ثلاثا وثلاثين هلالية ، فنقلوا المتقدمة الى المتأخرة نقلا لا يتجاوز الشمسية ، وكانت هذه الكلفة في دنياهم مستهلة مع تلك النعمة في دينهم ...

« وقد رأى أمير المؤمنين نقل سنة خمسين وثلاثمائة الحراجية الى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة الهلالية ، جمعا بينهما ولزوما لتلك السنة فيها ، فاعمل بما ورد به أمر أمير

المؤمنين عليك وتضمنه كتابه هذا اليك ، ومثـ
الكتاب قبلك أن يحتدوا رسمه فيما يكتبون
به الى عمال نواحيك ، ويخلدونه في الدواوين
من ذكورهم ورفوعهم ، ويعدونه من خروج
الأموال ، وينظمونه في الدواوين والأعمال ،
ويثبتون عليه الجماعات والحسابات ،
ويوغرون بكتبه من الروزنامجات والبراءات ،
وليكن المنسوب من ذلك الى سنة خمس
وثلاثمائة التي وقع النقل اليها ...

« وأتم في نقوس من بحضرتك من أمان
الجند والرعية وأهل الملة والذمة ، أن هذا
النقل لا يغير لهم رسماً ، ولا يلحق بهم ثلماً ،
ولا يعسود على قابضى المطاء بتقصان ما
استحقوا قبضه ، ولا على مؤدى حق يت
المال باغضاه عما وجب أداءه ... فإن قرائع
أكرمهم فقيرة الى اهتمام أمير المؤمنين الذى
آثر أن تزاح فيه الملة ، ويسد به سهم الخلة ،
اذ كان هذا الشأن لا يتجدد الا فى المدد
الطوال التى فى مثلها يحتاج الى تعريف
الناس . وأجب بما يكون منك جواباً يحسن
موقعه لك ان شاء الله تعالى » .

وقال ابن المأمون فى تاريخه من حوادث سنة
لحدى وخمسمائة : وأول ما تحدث فيه نقل
السنة الشمسية الى العربية — وكان قد حصل
بينهما تفاوت أربع سنين — فتحدث القائد
أبو عبد الله محمد بن قاتك البطائحي ، مع
الأفضل بن أمير الجيوش فى ذلك ، فأجاب
اليه ، وخرج أمره الى الشيخ أبى القاسم
ابن الصيرفى بإنشاء سجل به ، فأنشأ ما
نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله
الذى ارتضى أمير المؤمنين أئمة فى أرضه
وخليفته ، وألهه أن يعم بحسن التدبير
عبيده وخليفته ، ووقفه لمصالح يستند أسبابها
ويفتح بحسن نظره أبوابها ، وأورثه مقام
آبائه الراشدين الذين اختصهم بشرف المنفى ،
وجعل اعتقاد مواليتهم سبب النجاة فى
المحشر ، وعناهم بقوله « يأمرهم بالمعروف
ونهاهم عن المنكر » ، وأعلى منار سلطانه
بمدبر أفلاك دولته ومبيد أعداء مملكته ،
وأشرف من نصب للجند علماً وراية ، ووقف
على مصلحة البرية نظره ورأيه ، وأرشد
بهدياته الأبواب الحائرة ، وأذهب بعمدته
الأحكام الجائرة ، السيد الأجل الأفضل ...

« وتتم النعمت بالدعاء للذى كمل تديره
نظام الصلاح وتسه ، وسدد تقريره الأمور فى
كل ما قصده ورسمه ، ونبه فى السياسة على
ما أهله من سبقه ، وأغفله من تقدمه ، وتبع
أحوال الملكة فلم يدع مشكلاً الا أوضحه
ويشئ الواجب فيه ، ولا خلا الا أصلحه وبادر
بتلافيه ، ولا مهلاً الا استعمله على ما يوافق
الصواب ولا ينافيه : ايثارا لمعارة الأعمال ،
وقصدا لما يقضى بتوفير الأموال ، وتوخيا لما
عاد بضروب الاستغلال ، واعتناء برجال الدولة
الملوية وأجنادها ، واهتماما بمصالحهم التى
ضعفت قواهم عن ارتيادها ، ورعاية لمن ضمنه
أقطار الملكة من الرعايا ، وحسلاً لهم على
أعدل السن وأفضل القضايا ...

« يحمد أمير المؤمنين على ما أعانه عليه من
حسن النظر للأمة ، وادخره لأيامه من الفضائل

التي صفت بها ملائس النعمة ، ووقفه لما
يمود على الكافة بشمول الانتفاع ، حتى صار
استبدال الحقوق بواجبات الثمرة الواضحة
الأدلة ، واستيفائها بمقتضى المعدلة فيما
يجرى على أحكام الخراج وأوضاع الأهله ...

« ويرغب اليه بالصلاة على محمد الذى
ميزه بالحكمة وفصل الخطاب ، وبين به ما
استبهم من سبل الصواب ، وأنزل عليه فى
محكم الكتاب « هو الذى جعل الشمس
ضياء والقر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد
السنين والحساب » صلى الله عليه وعلى أخيه
وابن عمه أئمة المؤمنين على بن أبى طالب
كافيه فيما أعضل لما عدم المساعد ، وواقبه
بنفسه لما تخاذل الكف والساعد ، وعلى الأئمة
من ذريتهما العاملين برضى الله تعالى فيما
يقولون ويفعلون ، والذين يهدون بالحق وبه
يبدلون ...

« وان أولى ما أولاه أمير المؤمنين حفظاً
واقفاً من تقديده ، وأسهم له جزءاً وافراً من
كرم تمهده ، ونظر اليه بعين اهتمامه ،
واختصه بالقسم الأجل من استماله ... أمر
الأموال التى يستعان بها على سد الخلل ،
وبرجائها يستدفع ما يطرق من الحادث الجلل ،
وبوفورها تستتب شئون الملكة وتستقيم
أحوال الدول ، وباستخراجها على حكم
العدل الشامل ، ووصية انصاف المعامل ،
تكون العمارة التى هى أصل زيادتها ، ومادة
كثرتها وغزارتها ...

« ولما كانت جباياتها على حكمين : أحدهما
يجب هلاليا ، وذلك ما لا يدخله عارض ولا
اشكال ولا إبهام ، ولا يحتاج فيه الى إيضاح

ولا إبهام ، لأن شهور الهلال يشترك فى
معرفة الأمير والمقصر ، ويستوى فى الفهم بها
المتقدم فى العلم والتأخر ، اذ كان الناس
آلفين لأزمة متعبداتهم السنين مما يحفظ لهم
نظام مرسومهم ...

« والآخر يجب خراجيا ، وثبت بنسبته
الى الخراج ، لأنها تضبط أوقات ما يجرى
ذلك لأجله من النيل المبارك والزراعة ،
وتحفظ أحيانه دون النة الهلالية وتحرس
أوضاعه ، ولا يستقل بمعرفته الا من باشره ،
وعرف موارده ومصادره ...

« فوجب أن يقصر على السنة الخراجية
النظر ، ويفعل فيها ما تعظم به الفائدة ويحسن
فيه الأثر ، ويعتمد فى إيضاح أمرها وتقديم
حكمها على ما تتحلى به التواريخ وتزين به
السير ، ويكون ذلك شاهداً لمساعى السيد
الأجل الأفضل الذى لا يزال ساهراً ليله فى
حياطة الهاجعين ، شاهراً سيفه فى حماية
الوادعين ، مظلماً للدولة بدور السعادة
وشموسها ، مذللاً لها صبب الحوادث
وشموسها ، فاطقة تارة بأن أمة هو راعيها ، قد
فضل الله سائسها وأسعد موسيها ...

« وهذا حين التبصير والارشاد ، وأوان
التبيين للفرض والمراد ، لتساوى العامة
والخاصة فى علمه ، وتسمعهم الفائدة فى معرفة
حكمه ، وتحقق المنفعة لهم فيما ينفع من
تداخل السنين واستقبالها ، وتيقن المعدلة
عليهم فيما يؤمن من المضار التى يحتاج الى
استدراكها ...

« ومعلوم أن أيام السنة الخراجية - وهي السنة الشمسية - بخلاف السنة الهلالية ، لأن أيام السنة الخراجية ، من استقبال النوروز الى آخر السنة ، ثلثائة وخمسة وستون يوما وربع يوم . وأيام السنة الهلالية ، لاستقبال الحرم الى آخر ذى الحجة ، ثلثائة وأربعة وخمسون يوما . والخلاف في كل سنة بالتقريب أحد عشر يوما ، وفي كل ثلاث وثلاثين سنة سنة واحدة على حكم التقريب ، ويتقضى ما تقدم من الترتيب ... »

« فإذا اتفق أن يكون أول الهلالية موافقا لمدخل السنة الخراجية ، وكانت نسبتها واحدة ، استمر اتفاق التسمية فيها ، وبقي ذلك جاريا عليها ، ولم يزل متداخلين لكون مدخل الخراجية في أثناء ظهور الهلالية الى انقضاء ثلاث وثلاثين سنة ... »

« فإذا انقضت هذه المدة بطلت المداخلة ، وخلت السنة الهلالية من نوروز يكون فيها ، وبحكم ذلك بطل اتفاق التسمية ، ويكون التفاوت سنة واحدة لليلة المقدم ذكرها . ومن أين يترتب بينهما اختلاف ، أو يعدم لهما اختلاف ؟ أم كيف يستقد ذلك أحد من البشر ، والله تعالى يقول : « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر » ؟ فقد وضع دليل التباين بما جاء منصوصا في الكتاب ، وظهر برهانه بما اقتضاه موجب الحساب ، فيحتاج بحكم ذلك الى نقل السنة الشمسية الى التي تليها ، لتكون موافقة للهلالية وجارية معها ... »

« وفائدة النقل ألا تخلو السنة الهلالية من مال خاص ينسب الى السنة الموافقة لها ،

(١٨) من ٢٨٨ ج ١ ، طبع بولاق .

لأن واجبات العسكرية على عظمها واتساعها ، وأرزاق المرتزقة على اختلاف أجناسها وأوضاعها ، جارية على أحكام الهلالية ، غير معدول بها عن ذلك في حال من الأحوال ، والمحافظة على ثمره ارتفاعا متعينة ، ومنفعة العناية بما تجرى عليه واضحة مينة ... »

« ولما أملت سنة إحدى وخمسمائة ، ودخلت فيها سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية ، الموافقة لسنة إحدى وخمسمائة الهلالية ، كان في ذلك من التباين والتعارض والتفاوت والتناحر - بحكم احوال النقل فيما تقدم - ما صارت السنة الهلالية العاصرة لا يجبي خراج ما يوافقها فيها ، ولا تدرك غلات السنة المجرى مالها عليها الا في السنة التي تليها ، فهي تستهل وتتقضى وليس لها في الخراجي ارتفاع ، والأعمال تظيف بالزراعة ولا حظ لها في ذلك ولا ارتفاع ... »

« وهذه الحال المضرة بها على بيت المال غير خفية ، والأذى فيها للرجال المقطعين بادية ، وأسباب لحوقها إياهم مستمرة متبادية ... ولا سيما من وقع له بائيات ، وأنهم عليه زيادات ، فانهم يتعجلون الاستقبال ، ويتأجلون الاستفلال ... »

« ومتى لم تنقل هذه السنة الخراجية ، كانت متداخلة بين سنتين هلالية ، وهي موافقة لغيرها ومالها يجري على سنة تجرى بينهما . لأن مدخلها في اليوم العاشر من الحرم سنة إحدى وخمسمائة ، وانقضاؤها في العشرين من الحرم سنة اثنتين وخمسمائة ، وهي متداخلة بين هاتين السنتين ، ومالها يجري على سنة

إحدى وخمسمائة . والحال في ذلك لا ينتهي الى أمد ، ولا يزال الفساد يتزايد طول الأبد ... »

« وقد رأى أمير المؤمنين ، وبالله توفيقه ، ما خرج به أمره الى السيد الأجل الأصيل الذي به على هذا الأمر وكشف غامضه ، وأزال بحسن توصله تنافيه وتناقضه ، أن يوعر الى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل مضنا ما رآه ودبره ، مودعا اتفاقا ما أحكمه وقرره ، من نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الى سنة إحدى وخمسمائة ، لتكون موافقة لها ، ويجرى عليها مالها ، ويكون ما يتأدونه من اقطاعاتهم ، ويستخرجونه من واجباتهم ، جاريا على نظام محروس ، ونطاق محيط غير منحوس ، وشاهدا بنصيب موفى غير منقوص ، ويتضح ما أبهم اشكاله التعمية ، ويؤول الاستكراه في اختلاف التسمية ، ويستمر الوفاق بين السنتين الهلالية والخراجية الى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ... »

« ونسب مال الخراج والمقاسمات ، وما يستغل ويجبي من الاقطاعات - مما كان جاريا على ذكر سنة تسع وتسعين وأربعمائة - الى سنة إحدى وخمسمائة ، وتجرى الاضافة اليها مجرى ما يرتفع من الهلالي فيها ، لتكون سنة إحدى من هذه مشتملة على ما يخصها من مالها ، وعلى مال السنة الخراجية بما يشرح من اتقائها . وكذلك نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية الثابتة بالتسمية ، الى سنة إحدى وخمسمائة المشار اليها ، ويكون مالها جاريا عليها ... »

« فليعتمد ذلك في الدواوين بالحضرة ، وفي سائر أعمال الدولة عاصيها ودانيتها وفارسها وشاميها ، وليتب كافة الكتاب والمستخدمين ، وجميع العمال والمتصرفين ، الى اقتفاء هذه السن واتباعه ، وليحذروا الخروج عن أحكامه المقررة وأوضاعه ، وليبادروا الى امتثال المرسوم فيه ، وليحذروا من تجاوزه وتعمديه ، ولينسوخ في دواوين الأموال والجيوش المنصورة ، وليخلد بعد ذلك في بيوت المال المعصورة ... »

وكتب في محرم سنة إحدى وخمسمائة .

وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة ، ومن خطه نقلت : مهمل الحرم نسخ منشور بنقل السنة الخراجية الى السنة الهلالية ، والمطابق بين اسمها لموافقة الشهور العربية للشهور القبطية ، وخلو سنة سبع من نوروز ، فنقلت سنة خمس وستين وخمسمائة الخراجية الى هذه السنة .

وكان آخر نقل نقلته هذه السنة في الأيام الأفضلية ، فان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وسنة تسع وتسعين الخراجيتين ، نقلتا الى سنة إحدى وخمسمائة الخراجية .

وسبب هذا الاتراج بينهما زيادة عدد السنة الشمسية على عدد الهلالية أحد عشر يوما ، واغفال النقل في سنة ثلاث وثلاثين في أيام الوزير الأفضل رضوان بن ولخشي ، وانسحب ذيل هذه الزيادة وتداخل السنتين بعضها في بعض ، الى أن صار التفاوت بينهما سنتين في هذه السنة ، فنقلت .

وهو انتقال لا يتعدى التسمية ، ولا يتجاوز اللفظ ، ولا يتقص . مالا لديوان ولا لمقطع ، وإنما يقصد به إزالة الالباس وحل الاشكال .

وقال القاضي أبو الحسين : ونسخة الكتاب الذي أنشأه القاضي الفاضل :

« خرجت الأوامر الملكية الناصرية — زاد الله في إعلانها — بإبداع هذا المنشور :

« أنا تؤثر من حسن النظر ما يؤثر أحسن الخبر ، ولا ينصرف بنا الفكر عما تعلو به السير وتجلو به الغير ، ولا تزال خواطرنا تتلى فتطلع الدراري ، وتفصوص فتخرج الدرر . وإن أولى ما استعدت به البصائر ، وحرمت فيه المصائر ، كل أمر يصحح المعاملات ويشرحها ، ويطلق عقولهم من عقول الاشكال ويرحمها ...

« ولما وجب نقل السنة الخراجية والمطابقة بينها وبين الهلالية ، لاتراجها بستين وموافقة الشهور الخراجية والهلالية في هذه السنة مطلع المهلين ، أمضينا هذه السنة الخالية في هذه السنة الآتية ، واستخرنا الله تعالى في نقل سنتي خمس وست وستين وخمسة إلى سنة سبع وستين وخمسة ، التي سميت بهذا النقل هلالية خراجية ، تقيا للأمور المشبهة والتسمية الموهمة ، وتزجها لسنن الإسلام عن التكييس وتاريخه عن ملابسة التليس ، واعلاما بالوفاق الذي استمرته آباؤنا وبنوهم ، واعلاما باتباعه عناية بموايد السلف التي خلفوها للخلف وبنوهم ...

(١٨١) من ٢٨١ ج ١ ط ١ - بولاق

« وفي ذلك ما تحدد به العواقب ، وتنفس به المذاهب ، وتيسر به المطالب ، ويؤول به الاشكال ، ويؤمن به الاختلال ، وينجم به القلط في الحساب ، ويؤلف بين السنين المختلفة الأنساب ، ويحفظ على القمر معاملته ويبعد عن التاريخ معاطلته ، ويقرب على الكاتب محاولته ، ويصرف عن نعمة الله هجته كونها مقدمة في السنة مؤخرة في التسمية ، وعن معاملة بيت المال وصلة كونها معذوقة بالمطل وقد بالقت في التوفية ، لأن من أعطى في سنة سبع وستين وخمسة استحقاق سنة خمس ، فلا ريب أنه قد مظل بحكم السع ، وإن كان قد أنجز بحكم الشرع ...

« فتوسم هذه السنة المباركة بالهلالية الخراجية ، وترفع الحسابات بهذا الوضع ، ويعمل في التقريرات والتسجيلات على هذا . فليعمل في ذلك ما يقضى بإرتاج هذا الاتراج وجبر هذا الصدع ، وليعلم في الدواوين علمه ، ولينفذ فيها حكمه بعد ثبوته الى حيث يثبت مثله ان شاء الله تعالى ...

وأما تاريخ القرب فانه لم يزل في الجاهلية والاسلام يعمل بشهور الأهلة . وعدة شهور السنة عندهم اثنا عشر شهرا ، الا أنهم اختلفوا في أسمائها :

فكانت العرب العاربة تسميها : ناثق ، وتقيل ، وطلیق ، وأسخ ، وأنخ ، وحلك ، وكسح ، وزاهر ، ونوط ، وحرف ، وبفش . فناتق هو المحرم ، وتقيل هو صفر ... وهكذا ما بعده على سرد الشهور .

وكانت تسمى : موجب ، وموَجِر ، ومورد ، وملزم ، ومصدر ، وهوير ، وهويل ، وموها ، وديسر ، ودابر ، وحيتل ، وميل . فموجب هو المحرم ، وموَجِر صفر ... الا أنهم كانوا يبدؤون بالشهور من ديسر وهو شهر رمضان ، فيكون أول شهور السنة عندهم .

ثم كانت العرب تسميها بأسماء آخر ، وهي : مؤنسر ، وناجر ، وخوان ، وصوان ، وحتم ، وزبا ، والأصم ، وعادل ، وباق ، ووعل ، وهواع ، وبرك .

ومعنى المؤنسر أنه يأتي بكل شيء ما تأتي به السنة من أقصيتها ، وناجر من النجر وهو شدة الحر ، وخوان فعال من الخيانة ، وصوان (بكسر الصاد وضما) فعال من الصيانة ، والزبا الداهية العظيمة المتكاثرة ، سى بذلك لكثرة القتال فيه .

ومنهم من يقول : بعد صوان الزبا ، وبعد الزبا بائدة ، وبعد بائدة الأصم ، ثم واغل ، وباطل ، وعادل ، ورنه ، وبرك .

فالباثد من القتال ، اذ كان فيه يبيد كثير من الناس ، وجرى المثل بذلك فقل « المعجب كل المعجب بين جمادى ورجب » . وكانوا يستعجلون فيه ، ويتوخون بلوغ النار والغارات قبل رجب فانه شهر حرام ، ويقولون له « الأصم » لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال ، فلا يسمع فيه صوت سلاح .

والواغل الداخل على شرب ولم يدعوه ، وذلك لأنه تهجم على شهر رمضان .

وكان يكثر في شهر رمضان شربهم الخمر ، لأن الذي يثله هو شهر الحج .

وباطل هو مكيال الخمر ، سى به لأقراطهم فيه في الشرب ، وكثرة استعمالهم لذلك المكيال .

وأما العادل فهو من العدل ، لأنه من أشهر الحج ، وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل .

وأما الزبا فلأن الأنعام كانت تزب فيه لقرب النحر . وأما برك فهو لبروك الأبل اذا حضرت النحر .

وقد روى أنهم كانوا يسمون المحرم مؤنسر ، وصفر ناجر ، وريح الأول نصار ، وريح الآخر خوان ، وجمادى الأولى حتن ، وجمادى الآخرة الرنة ، ورجب الأصم — وهو شهر مضر ، وكانت العرب تصومه في الجاهلية ، وكانت تمتاز فيه وتسير أهلها ، وكان يأمن بعضهم بعضا فيه ، ويخرجون الى الأسفار ولا يخافون — وشعبان عادل ، ورمضان ناثق ، وشوال واغل ، وذو القعدة هواع ، وذو الحجة برك ، ويقال فيه أيضا أبروك ، وكانوا يسمونه الميون .

ثم سمى العرب أشهرها بالمحرم ، وصفر ، وريش الأول ، وريش الآخر ، وجمادى الأولى ، وجمادى الآخرة ، ورجب ، وشعبان ورمضان ، وشوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة .

واشتقوا أسماءها من أمور اتفق وقوعها عند تسميتها : فالمحرم كانوا يحرمون فيه (١٨١) من ٢٨١ ج ١ ط ١ - بولاق

القتال ، وصفر كانت تصفر فيه ميوتهم لغروجهم الى الغزو ، وشهر ربيع كانا زمن الربيع ، وشهر اجادى كانا يجسد فيهما الماء لشدة البرد ، ورجب الوسط ، وشعبان يشعب فيه القتال ، ورمضان من الرضاء لانه كان يأتي فيه القيظ ، وشوال تثيل فيه الايل اذناها ، وذو القعدة لقعودهم في دورهم ، وذو الحجة لانه شهر الحج .

وانت اذا تأملت اشتقاق أسماء شهور الجاهلية أولا ، ثم اشتقاقها ثانيا ، تبين لك أن بين التسميتين زمنا طويلا ، فان صفر في أحدهما هو صميم الحروب وفي الآخر رمضان ، ولا يمكن ذلك في وقت واحد أو وقتين متقاربين .

وكانت العرب أولا تستعمل هذه الشهور على نحو ما يستعمله أهل الاسلام ، اما بطريق الهى أو لأن العرب لم يكن لها دراية بمراعاة حساب حركات النيرين ، فاحتاجت الى استعمال مبادئ الشهور لرؤية الأهلة ، وجعلت زمان الشهر بحسب ما يقع بين كل هلالين : فربما كان بعض الشهور تاما أعني ثلاثين يوما ، وربما كان ناقصا أعني تسعة وعشرين يوما ، وربما كانت أشهر متوالية تامة أكثرها أربعة وهذا نادر ، وربما كانت أشهر متوالية ناقصة أكثرها ثلاثة .

وكان يقع حج العرب في أزمان السنة كلها ، وهو أبدا عاشر ذى الحجة من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، فاذا انقضى موسم الحج تفرقت العرب طالبة أماكنها ، وأقام أهل مكة بها .

فلم يزالوا على ذلك دهر طويلا الى أن غيروا دين ابراهيم واسماعيل ، فأجبوا أن يتوسموا في معيشتهم ، ويجعلوا حجهم في وقت ادراك شغلهم من الأدم والجلود والشار ونحوها ، وأن يثبت ذلك على حالة واحدة في أطيب الأزمنة وأخصبها ... فتعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا بثرب من عهد سميرل لبي بنى اسرائيل ، وعملوا النسيء قبل الهجرة بنحو مائتى سنة ، وكان الذى يلى النسيء يقال له القلس ، يعنى الشرف . وقد اختلف في أول من أنسا الشهور منهم :

ف قيل القلس هو عدى بن زيد .

وقيل القلس هو سرور بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ، وأنه قال : أرى شهور الأهلة ثلثائة وأربعة وخمسين يوما ، وأرى شهور المعجم ثلثائة وخمسة وستين يوما . فبيننا وبينهم أحد عشر يوما ، ففى كل ثلاث سنين ثلاثة وثلاثون يوما ، ففى كل ثلاث سنين شهر .

وكان اذا جاءت ثلاث سنين قُدم الحج في ذى القعدة ، فاذا جاءت ثلاث سنين أخر في المحرم .

وكانت العرب اذا حجت قلدت الايل النعال وألبتها الجلال وأشعرتها ، فلا يتعرض لها أحد الا خشم .

وكان النسيء في بنى كنانة ، ثم في بنى ثعلبة بن مالك بن كنانة ، وكان الذى يلى ذلك منهم أبو ثمامة المالكى . ثم في بنى فقيم .

وبنو فقيم هم النسياء ، وهو منىء الشهور ، وكان يقوم على باب الكعبة فيقول : ان آلهتكم العزى قد أنسات صفر الأول ، وكان يحله عاما ويعمره عاما ، وكان أنبأهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتميم .

وآخر النسياء جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم .

وقيل القلس هو حذيفة بن عبد بن فقيم ابن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ، ثم توارث ذلك منه بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام أبو ثمامة جنادة .

وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه ، فأحل لهم من الشهور وحرم ، فأحلوا ما أحل وحرموا ما حرم .

وكان اذا أراد أن ينسيء منها شيئا ، أحل المحرم فأحلوه ، وحرم مكانه صفر فحرموه ، ليواطئوا عدة الأربعة .

فاذا أرادوا الهدى ، اجتمعوا اليه فقال : اللهم انى لا أجاب ولا أعاب في أمرى ، والأمر لما قضيت . اللهم انى قد أحللت دماء المحلين من طى وخثعم ، فاقتلوهم حيث تقتلوهم (أى ظفرتهم بهم) ، اللهم انى قد أحللت أحد الصفرين : الصفر الأول ، وأنسات الآخر من العام المقبل .

وانما أحل دم طى وخثعم ، لأنهم كانوا يعدون على الناس في الشهر الحرام من بين جميع العرب .

وقيل أول من أنسا سرور بن ثعلبة واقترض . فأنسا من بعده ابن أخيه القلس ، واسمه عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن كنانة ، ثم صار النسيء في ولده ، وكان آخرهم أبو ثمامة جنادة .

وقيل عوف بن أمية بن قلع ، عن أبيه أمية ابن قلع ، عن جده قلع بن عباد ، عن جد أبيه عباد بن حذيفة ، عن جد جده حذيفة بن عبد ابن فقيم .

وكان يقال لحذيفة القلس ، وهو أول من أنسا الشهور على العرب ، فأحل منها ما أحل ، وحرم ما حرم .

ثم كان بعد عوف المذكور ولده أبو ثمامة جنادة بن عوف ، وعليه قام الاسلام ، وكان أبعدهم ذكرا ، وأطولهم أمدا ... يقال انه أنسا أربعين سنة .

ولهم يقول غير بن قيس جندل الطعان يفتخر :

وأى الناس لم يسبق بوثر
وأى الناس لم يملك لجاما

الناس الناس على معد
شهور الحل لجعلها حراما ؟

وقال آخر * :

أترعم انى من فقيم بن مالك
لمرى لقد غيرت ما كنت أعلم

لهم ناسىء يمشون تحت لوائه
يحل اذا شاء الشهور ويحرم

(هـ) ٢٨٢ ج ١ ، ط ١٠٠٠٠٠ .

وقيل كانت العرب تكس في كل أربع وعشرين سنة قمرة بتسعة أشهر ، فكانت شهورهم ثابتة مع الأزمنة ، جارية على سنن واحد ، لا تتأخر عن أوقاتها ولا تتقدم .

وكان النسيء الأول للمحرم ، فسمى صفر باسمه ، وشهر ربيع الأول باسم صفر .

ثم والوا بين أسماء الشهور ، فكان النسيء الثاني بصفر فسمى الذي كان يتلو بصفر أيضا ، وكذلك حتى دار النسيء في الشهور الاثني عشر وعاد الى المحرم ، فأعادوا فعلهم الأول .

وكانوا يمدون أدوار النسيء ، ويحدون بها الأزمنة فيقولون : قد دارت السنون ، من لدن زمان كذا الى زمان كذا وكذا ، دورة . فان ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصله من الفصول الأربعة ، لما يجتمع من كسور سنة النسيء بقية فضل ما بينها وبين سنة القمر الذي ألحقوه بها ، كبوها كبيا ثانيا .

وكان يظهر لهم ذلك بطلوع منازل القمر وسقوطها ... حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت نوبة النسيء بلغت شعبان ، فسمى محرما وشهر رمضان صفر .

وقيل ان الناس الأول نسيء المحرم وجعله كبيا ، وآخر المحرم الى صفر ، وصفر الى ربيع الأول ، وكذا بقية الشهور . فوقع لهم في تلك السنة عاشر المحرم ، وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ، وتقل الحج بعد كل ثلاث سنين شهرا .

ففضى على ذلك مائتان وعشر سنين ، وكان انقضاؤها سنة حجة الوداع .

وكان وقوع الحج في السنة التاسعة من الهجرة عاشر ذي القعدة ، وهي السنة التي حج فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس .

ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة حجة الوداع ، لوقوع الحج فيها عاشر ذي الحجة كما كان في عهد ابراهيم واسماعيل ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في حجة هذه : « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » ... يعني رجوع الحج والشهور الى الوضع .

وأزل الله تعالى ابطال النسيء بقوله تعالى : « اما النسيء زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلون عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، زين لهم سوء أعمالهم » فيظل ما أحدثته الجاهلية من النسيء ، واستمر وقسوع الحج والصوم برؤية الأهلية ، والله الحمد .

وكانت العرب لها تواريخ معروفة عندها قد بادت ، فمما كانت تؤرخ به أن كنانة أرخت من موت كعب بن لؤي ، حتى كان عام الفيل فأرخوا به ، وهو عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان بين كعب بن لؤي والفيل خمسماية وعشرون سنة ، وكان بين الفيل وبين الفجار أربعون سنة .

ثم عدوا من الفجار الى وفاة هشام بن المغيرة فكانت ست سنين ، ثم عدوا من وفاة

هشام بن المغيرة الى بنيان الكعبة فكان تسع سنين ، ثم كان بين بنائها وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة .

ثم وقع التاريخ من الهجرة النبوية ... فعن سعيد بن المسيب قال : جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس فسألهم : من أي يوم يكتب التاريخ ؟

فقال علي بن أبي طالب : من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك ... ففعله عمر .

وعن سهل بن سعد الساعدي قال : أخطأ الناس في العدد ، ما عدوا من مبعثه ولا من وفاته ، انما عدوا من مقدمه المدينة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان التاريخ من السنة التي قدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وقال قره بن خالد عن محمد : كان عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه عامل جاء من اليمن فقال لعمر : أما تؤرخون ؟ تكتبون في سنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا .

فأراد عمر والناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قالوا من عند وفاته ، ثم أرادوا أن يكون ذلك من الهجرة .

ثم قالوا : من أي شهر ؟ فأرادوا أن يكون من رمضان ، ثم بدا لهم فقالوا من المحرم .

وقال ميمون بن مهران : رفع الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه صك

محله شعبان ، فقال : أي شعبان هو ؟ أشعبان الذي نحن فيه أو الآتي ؟

ثم جمع وجوه الصحابة فقال : ان الأموال قد كثرت ، وما قسمنا منها غير موقت ، فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك ؟

فقالوا : يجب أن يعرف ذلك من رسوم القريش .

فعندها استحضر عمر رضي الله عنه الهرمزان وسأله عن ذلك .

فقال : ان لنا حسابا نسميه « ماهروز » معناه حساب الشهور والأيام .

فعرّبوا الكلمة ، وقالوا مؤرخ ، ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه .

ثم طلبوا وقتا يجعلونه أولا لتاريخ دولة الاسلام ، فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة .

وكانت الهجرة النبوية من مكة الى المدينة وقد تصرم من شهور السنة وأيامها المحرم وصفر وأيام من ربيع الأول . فلما غزموا على تأسيس الهجرة ، رجعوا القهقري ثمانية وستين يوما ، وجعلوا التاريخ من أول محرم هذه السنة .

ثم أحصوا من أول يوم في المحرم الى آخر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت عشر سنين وشهرين .

وأما اذا حسب عمره المقدس من الهجرة حقيقة ، فيكون قد عاش صلى الله عليه

وسلم بينما تسبح سبع وأحد عشر شهرا
واثنين وعشرين يوما .

وكان بين مولده صلى الله عليه وسلم ،
وبين مولد المسيح عليه السلام ، خمسة
وثمان وسبعون سنة ، تنقص شهرين وثمانية
أيام .

وابتدأ تاريخ الهجرة يوم الخميس أول
شهر الله المحرم ، وبينه وبين الطوفان ثمانية
آلاف وستمائة وخمس وثلاثون سنة
وعشرة أشهر واثنين وعشرين يوما ، على ما
عرف من الحديث في ذلك .

وبينه وبين تاريخ الاسكندر بن فيليبس
للقنوني الروم ثمانية وأحدى وستون
سنة قرية وأربعة وخمسون يوما ، تكون من
السنن النبوية ثمانية واثنين وثلاثين سنة
ومائتين وتسعة وثمانين يوما ، منها تسعة أشهر
وتسعة عشر يوما .

وبينه وبين تاريخ القبط ثمانية وسبع
وثلاثون سنة وتسعة وثلاثون يوما .

وقال ابن ماسا الله : ان انتقال المر من
الجنة الهوائية التي هي ربح الجوزاء دولتها ،
الى ربح السرطان ومثلثة الآية التي كانت
دولة الاسلام فيها ، حشد تمام سنة آلاف
وثلاثمائة وخمس وأربعين سنة وثلاثة أشهر
وعشرين يوما من وقت القرن الأول الواقع في
بلد التحرك (يعني خلق آدم عليه السلام) ،
وان القرن من هذه المثلثة وقع في أربع درجات

فوقه : وقال ابن ١٠٠٠ : ان . مكانا هذه المدة في
صحب المسيح انه يبيد . ولا تعرف من تعرف في
كل من من يزار هذا الكتاب ، ولا يسمي انبياء الله .

وقيقة واحدة من ربح العقرب ، وهو قران
لغة الاسلامية .

قال : وفي السنة الآتية من هذا القرن ولد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بين
دخول الشمس ربح الحس في هذه السنة ،
وبين أول يوم من سنة الهجرة ، ستون
قاربية عندها إحدى وخمسون سنة وثلاثة
أشهر وثمانية أيام وست عشرة ساعة ، فكان
من وقت الطوفان الى وقت قران لغة ثلاثة
آلاف وستمائة واثنين عشرة سنة وستة أشهر
وأربعة عشر يوما .

وزعت اليهود أن من آدم عليه السلام الى
سنة الهجرة أربعة آلاف واثنين وأربعين سنة
وثلاثة أشهر .

وزعت النصارى أن بينهما خمسة آلاف
وستمائة وتسعين سنة وثلاثة أشهر .

وزعت للجوس ، أغنى القرس ، أن بينهما
أربعة آلاف ومائة واثنين وثمانين سنة وعشرة
أشهر وتسعة عشر يوما .

وقد عرفت أن شعور تاريخ الهجرة قرية ،
وأيام كل سنة منها عندها ثمانية وأربعة
وخمسون يوما وخمس وسبعون يوم .

وجميع الأحكام الشرعية مبنية على رؤية
الهلال عند جميع فرق الاسلام ، ما عدا الشيعة
فان الأحكام مبنية عندهم على عمل شعور
السنن بالعسل ، على ما ستراه في ذكر القاهرة
وخطاتها .

ثم لما احتاج منجمو الاسلام الى استخراج
ما لا بد منه ، من معرفة الأهلة وست القبلة

وغير ذلك ، بسوا أزمانهم على التاريخ
العرى ، وجعلوا شعور السنة العربية شهرا
كاملا وشهرا ناقصا ، وابتدأوا بالمحرم القصد
بالصحابية رضى الله عنهم .

فجعلوا المحرم ثلاثين يوما ، وصفر تسعة
وعشرين يوما ، وربيعا الأول ثلاثين يوما ،
وربيع الآخر تسعة وعشرين يوما ، وجبدي
الأولى ثلاثين يوما ، وجبدي الآخرة تسعة
وعشرين يوما ، ورجب ثلاثين يوما ، وشعبان
تسعة وعشرين يوما ، ورمضان ثلاثين يوما ،
وشوالا تسعة وعشرين يوما ، وذو القعدة
ثلاثين يوما ، وذو الحجة تسعة وعشرين يوما .

وزادوا من لجل كسر اليوم ، الذي هو
خمس وسبعين ، يوما في ذي الحجة اذا صار
هذا الكسر أكثر من نصف يوم ، فيكون شهر
ذو الحجة في تلك السنة ثلاثين يوما ،
ويسون تلك السنة كية ، ويصير عندها
ثلاثمائة وخمسة وخمسين يوما ، ويجمع في كل
ثلاثين من السكس أحد عشر يوما . والله
أعلم .

وأما تاريخ القرس - ويعرف أيضا بتاريخ
ردجرد - فانه من ابتداء تلك ردجرد بن
شهر بار بن كسرى أبرور ... أرخ به القرس
من أجل أن ردجرد قام في المملكة ، بعد ما
تبدد ملك فارس ، واستولى عليه التتاء
والمغلبون . وهو أيضا آخر ملوك فارس ،
ويقتله تنزق ملكهم .

وأول هذا التاريخ يوم الثلاثاء ، وبينه وبين
تاريخ الهجرة تسع سنين وثلاثمائة وثمانية
وثلاثون يوما . وأيام سنة هذا التاريخ تنقص

عن السنة النبوية ربح يوم ، فيكون في كل
مائة وعشرين سنة شهرا واحدا . ولهم في كس
السنة آراء ليس هذا موضع إيرادها . وعلى
هذا التاريخ يستند في زمننا أهل العراق وبلاد
العجم . وفيه غابة الأمور .

ذكر فسطاط مصر

قال الجوهري : الفسطاط بيت من شعور .
قال : ومنه فسطاط مدينة مصر .

انهم أن فسطاط مصر اختط في الاسلام
بعدما فتحت أرض مصر ، وصارت دار
اسلام ، وقد كانت بيد الروم والقبط وهم
نصارى ملكانية وبقوية وميانية .

وحين اختط المسلمون الفسطاط ، انتقل
كرسي الملكة من مدينة الاسكندرية ، بعد ما
كانت منزل الملك ودار الامارة زيادة على
ستمائة سنة ، وصار من حينئذ الفسطاط
دار امارة ينزل به أمراء مصر . فلم يزل على
ذلك حتى بنى المعسكر بظاهر الفسطاط ،
فنزول فيه أمراء مصر وسكنوه ، وربما سكن
بعضهم الفسطاط .

فلما أنشأ الأمير أبو العباس أحمد بن
مولون القطائع بجانب المعسكر ، سكن فيها ،
واتخذها الأمراء من بعده منزلا ... الى أن
اقرضت دولة بني طولون ، فصار أمراء مصر
من بعد ذلك ينزلون بالمعسكر خارج
الفسطاط .

وما زالوا على ذلك ، حتى قدمت عساكر
الامام المعز لدين الله أبي تميم محمد الفاطمي

(١٢٨٨ هـ) ، ١٠٠٠ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠٠ .

مع كتيبه يومه الثاني ، قيسى القاهرة وسارت
علاوة .

واستمر سكنى لربية بالقنطرة ، وخرج من
وقته الصلوة وكثرة الحلاق ما نرى على علة
منذ القصر - حنا بخت - وما زال على
ذلك حتى طلب القويح على سوانح البلاد
المنية ، وزول مري ملك الفرنج بعبودته
الكثيرة على يركة العيش يريد الاستيلاء على
سلطة مصر ونظ القنطرة والقاهرة .

فخرج القويح شاذي بن منير السطحي من
خلف القنطرة ، فمر القويح بقتلاء مدينة
القنطرة والحلاق بالقاهرة للاعتصام من
الفرنج - وكانت القاهرة لا ذلك من الحراسة
والاعتصام بحيث لا ترام - فارتحل القويح من
القنطرة ، وساروا بأمرهم إلى القاهرة ،
وتم شاذي قاتلي كتيبه الشر في القنطرة ،
فلم يزل به بشما وخسب يوما حتى احترقت
أكبر مراكبه .

فما رحل مري عن القاهرة ، واستولى
شاذي كوه على الجزيرة ، فربيع القويح إلى
القنطرة ورموا بقوى شاذي ، ولم يزل في
قصر وخرب إلى يومنا هذا . وقد سار
القنطرة يعرف في زمنا بمدينة مصر . والله
أعلم .

ذكر ما كان عليه موضع القنطرة قبل الإسلام
في أن احفظ لعموم مدينة

اعلم أن موضع القنطرة - الذي يقال
له اليوم مدينة مصر - كان أنشأ ومزارع ،
فيما بين النيل والجبل الشرقي الذي يعرف

بالجبل النظم ، ليس فيه من قبلة والصلوة
سوى حسن ، يعرف اليوم بصفه بقصر النجم
والقنطرة ، يزل به شقة الروم الكبرى على
مصر من قبل القنطرة ملوك الروم ، عند
سيره من مدينة الاسكندرية ، وقيم فيه ما
شاء ، ثم يعود إلى دار الامارة ومترى الملك
مع الاسكندرية .

وكان هذا الحصن مقلا على النيل ، وأصل
التي في النيل إلى باب القويح الذي كان
يعرف باب الحديد ، وتمت ركب القويح في
التي في النيل من باب القويح حتى غلبه
السلطان على الحصن المذكور ، وسار فيه
إلى الجزيرة التي تجاه الحصن ، وهي التي
تعرف اليوم بالقروية قبة مصر .

وكان يقابل النيل بجانب الحصن .

وقال ابن التوج : ومود القنطرة موجود
في زقاق مسجد ابن النصارى - قلت : وهو
باق إلى يومنا هذا ، انتهى سنة عشرين
وثمانمائة .

وكان هذا الحصن لا يزال مشحونا بالمقذات
وسيرد في هذا الكتاب خبره إن شاء الله
تعالى .

وكان يجاور هذا الحصن من بحره ، وهي
الجهة الشمالية ، أشجار وكروم صار موضعها
الجامع العتيق . وفيما بين الحصن والجبل
عنة كنانس وديارات لتصاروت ، في الموضع
الذي يعرف اليوم بربانة .

وبجانب الحصن - فيما بين الكروم التي
كانت بجانبه وبين الجرف الذي يعرف اليوم
بجبل يسكر ، حيث جامع ابن طولون

والكنيس - عنة كنانس وديارات لتصاروت ،
في الموضع الذي كان يعرف في أوائل الإسلام
بالبحر ، ويعرف الآن بخط قنطرة السباع
والسبع مقابل .

وعنى بالبحر عنة من الديارات إلى أن
هتكت في منطقة الملك الناصر محمد بن
قلاوون ، على ما ذكر في هذا الكتاب عند ذكر
كنائس القنطرة .

فلما فتح عمرو بن العاص مدينة
الاسكندرية فتح لأول ، زل بجوار هذا
الحصن ، واخط الجامع المعروف بالجامع
العتيق ويجمع عمرو بن العاص ، واخطت
قبائل العرب من حوله ، فصارت مدينة عرفت
بالقنطرة ، وزول الناس بها .

فانحسر بعد الفتح بأعوام ماء النيل عن
أرض تجاه الحصن والجامع العتيق ، فصار
للسلون يوتقون هناك دوابهم ، ثم اغتصموا
فيه الساكن نيتا بعد شيء .

وصار ساحل البلد حيث الموضع الذي يقال
له اليوم في مصر الماريج ، مارا إلى الكوم
الذي على بصرة الدخل من باب مصر بعدد
الكبارة . وفي موضع هذا الكوم كانت الدور
للغة على النيل .

ويمر الساحل من باب مصر المذكور إلى
حيث يستأن بن كيسان ، الذي يعرف اليوم
بـيستان القويح ، في أول مرانة مصر .

وجميع الأماكن التي تعرف اليوم بمرانة
مصر وبالجرف إلى الخليج عرضا ، ومن
حيث قنطرة المد إلى سوق الماريج طولاً ،
كان ظمرا بماء النيل ، إلى أن انحسر عنه

ماء النيل بعد سنة متتالية من سنى الهجرة ،
فصار دجلة .

ثم اخط فيه الأمرام ما يلي النيل أدرا
عندما عمر الملك الصالح نجم الدين أيوب
قلعة الروضة ، واخط بضه شوا . إلى
أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون
جامعة ، المعروف بالجامع الجديد الناصري ،
فظهر مصر ، فصر ما حوله .

وقد كان عند فتح مصر سائر المواضع التي
من منشأة العراقي إلى يركة العيش طولاً ،
ومن ساحل النيل بموردة الحطباء ، ونجباء
الجامع الجديد إلى سوق الماريج ، وما على
سنة إلى تجاه المشهد الذي يقال له مشهد
الراس - وتسميه العامة اليوم مشهد زين
العابدين - كلها بحرا . لا يحول بين
الحصن والجامع ، وما على مسحتها إلى
الحمره الدنيا التي منها اليوم خط قنطرة
السباع ، وبين جزيرة مصر التي تعرف اليوم
بالروضة ، شيء سوى ماء النيل .

وجميع ما في هذه المواضع من الأبنية ،
انكشف عنه النيل قليلا قليلا ، واخط على ما
يتبين لك في هذا الكتاب .

ذكر الحصن الذي يعرف بقصر النجم

اعلم أن هذا القصر أحدث بعد خراب مصر
على يد بخت نصر . وقد اختلف في الوقت
الذي بنى فيه ، ومن أنشأه من الملوك . فذكر
الواقدي أن الذي بناه اسمه الرمان بن الوليد
ابن أرسلان .

(١٨) من ١٨٦٠ م . ١٠٠٠ هـ .

وكان هذا القصر يوقد عليه الشمع في رأس كل شهر . وذلك انه اذا حلت الشمس في برج من البروج ، اوقد في تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر ، فيعلم الناس بوقود الشمع ان الشمس انتقلت من البرج الذي كانت فيه الى برج آخر غيره .

ولم يزل القصر على حاله الى ان خربت مصر زمن بخت نصر بن نيروز الكلداني ، فاقام خرابا خمسمائة سنة ، ولم يبق منه الا اثره فقط .

فلما غلب الروم على مصر وملكوها من ايدي اليونانيين ، ولي مصر من قبلهم رجل يقال له ارجاليس بن مقراطيس ، فبنى القصر على ما وجد من اساسه .

وقال ابن سعيد : وصارت مصر والشام بعد بخت نصر في مملكة الفرس ، فوليا منهم كشرجوش الفارسي باني قصر الشمع ، وبعده طخارست الطويل الولاية ، وتوات بعدة نواب الفرس الى ظهور الاسكندر .

وقال غيره : ان الذي بنى طخشاست ، احد ملوك الفرس ، عندما نار لمحاربة اهل مصر ، فلما غلب قسطو ملك مصر الذي يعرف بفرعون سابان ، وفر منه الى مقدونية ، غلب على ملك مصر ، واستولى عليها ، وبنى للفرس قصرا ، وجعل فيه بيت نار على شاطئ النيل الشرقي ، وعرف بقصر الشمع لانه كان له باب يقال له باب الشمع ، وجعل في القصر بيت نار ، وهو باق .

وقال ابن عبد الحكم ، عن الليث بن سعد : وكانت الفرس قد استت بناء الحصن الذي

يقال له باب اليون ، وهو الحصن الذي يسطط مصر اليوم ، فلما اكتشف جسوع فارس عن الروم ، واخرجتهم الروم من الشام ، اتت بناء ذلك الحصن واقامت به . فلم يزل مصر في ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين .

قال : وكان ابو الاسود نصر بن عبد الجبار يقولها بالميم (يعني باب اليوم) ، ويقال انها سمى كذا لانهم كانوا يقولون : من يقاتل اليوم ؟

وقال القضاي : ذكر الحصن المعروف بقصر الشمع : يقال ان فارس لما ظهرت على الروم ، وملك عليهم الشام وملك مصر ، بدأت ببناء هذا القصر ، وبت فيه هيكل ليت النار ، ولم يتم بناؤه على ايديهم الى ان ظهرت الروم عليهم ، فتمت بناءه وحصنته ، ولم يزل فيه الى حين الفتح .

وهيكل النار هو القبة المعروفة اليوم بقبة الدخان ، وبحضرتها مسجد معلق أحدثه المسلمون .

وقال ابو عبيد البكري : باب اليون بمصر ان كان عريا فانه مثل يوم ويوح مما فاؤه ياء وغينه واو ، وقد يجوز ان يكون فعلا من بين - وهو اسم موضع - على مذهب ابي الحسن في فعل من اليسع يوع ... قال : وليست الالف واللام فيه للتعريف ، فعلى هذا يجب ان ثبت في الرسم .

وقال ابو صخر :

وحلوا نهامي ارضنا وتبدلوا
بسكة باب اليون والربط بالمص

والرواية في شعر كثير عزة في قوله :

يجرى بين باب اليون والمص
دونه رياح اشفت بالنقى واشمت
بالباء وبتح النوى غير مجرور للمعجة ، على ان همزته مقطوعة وصلها للضرورة .

وقال الحازمي : باب اليون - بالباء - اسم مدينة مصر ، فتحها المسلمون وسموها القسطاط .

وقال عبد الملك بن هشام : بابليون المنسوب اليه مصر ، هو بابليون بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وان من ولده عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبا ، وهو الملك على مصر ، لما قدم اليها ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه . والقبط تسمى عمرا هذا طوطيس ، ومن ولده حلوان ابن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس ، وبه سبت حلوان .

وقال القاضي القضاي : في ظاهر القسطاط القصر المعروف بباب ليون بالشرف - ليون اسم بلد مصر بلغة السودان والروم - وقد بقيت من بنائه بقية مبنية بالحجارة * على طرف الجبل بالشرف ، وعليه اليوم مسجد .

قال المؤلف : فهذا - كما ترى - صريح في ان قصر باب اليون غير قصر الشمع ، فان قصر الشمع في داخل القسطاط ، وقصر باب اليون هذا - عند القضاي - على الجبل المعروف بالشرف ، والشرف خارج القسطاط ، وهو خلاف ما قاله ابن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر . والله اعلم .

(١٨٧ ص ٢٨٧ ج ١ ، ط ١٠٠٠)

ويقال ان في زمن فاحور بن شاروع - وهو الثامن عشر من آدم - ملك مصر رجل اسمه افطولس مدة اثنتين وثلاثين سنة ، وانه اول من اظهر علم الحساب والسحر ، وحمل كتب ذلك من بلاد الكلدانيين الى مصر . وفي ذلك الزمان بنيت بابليون على بحر النيل بمصر ، وذلك لتعام ثلاثة آلاف وثلثمائة وتسعين للعالم .

وقال ابن سعيد في كتاب المغرب : واما قسطاط مصر فان مبايضا كانت في القديم متصلة ببباني مدينة عين شمس ، وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن ، وعليه يزل عمرو بن العاص ، وضرب قسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه .

وهذا وهم من ابن سعيد ، فان قسطاط عمرو انما كان مضروبا عند درب حمام شمول بخط الجامع ... هكذا هو بخط الشريف محمد بن اسعد الجواني النساب ، وهو أقعد بخطط مصر وأعرف من ابن سعيد . واما موضع الجامع فكان كروما وجنانا ، وحاز موضعه قيسة التجيبي ثم تصدق به على المسلمين ، فعمل المسجد . وستقف على هذا ان شاء الله تعالى في ذكر جامع عمرو ، عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب .

وقال ابن المتوج : خط قصر الشمع ، هذا الخط يعرف بقصر الشمع ، وفيه قصر الروم ، وفيه أزقة ودروب ... قال : وكنيسة المعلقة بمصر بباب القصر ، وهو قصر الروم .

وقال ابن عبد الحكم : وأمر عمرو بن العاص القصر لم يقسمه ووقته .

وقتل أبو عمرو الكندي في كتاب الإمراء ،
وقد ذكر قيام علي بن محمد بن عبد الله بن
الحسن بن علي بن أبي طالب وطروق المسجد ،
في ليلة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن الهلب بن
أبي صفرة على مصر : وورد كتاب أبي جعفر
التصور على يزيد بن حاتم يأمره بالتحويل
من السكر إلى القسط ، وأن يجعل
الديوان في كائس القصر . وذلك في سنة
ست وأربعين ومائة ، والله أعلم .

ذكر حصول المسلمين للقصر وفتح مصر

اختطف الحسن في فتح مصر .

قتل محمد بن إسحاق وأبو معمر ومحمد
ابن عمرو الواقدي وزيد بن أبي حبيب وأبو
عمرو الكندي : قُتِلَ ست وعشرين .

وقال سيف بن عمر : قُتِلَ ست وستة
مئة .

وقيل قُتِلَ ست وستة مئة وعشرين ، وقيل
ستة إحدى وعشرين ، وقيل ستة اثنين
وعشرين .

والأول أصح وأشهر .

قال ابن عبد الحكم : لما قدم عمر بن
الخطاب رضي الله عنه البجاية ، قام إليه عمرو
ابن العاصي ، فخلاه ، فقال : يا أمير المؤمنين
الذي لي أن أسير إلى مصر . وحرّضه عليها
وقال : الله أن فتحها كانت قوة للمسلمين
وعزة لهم ، وهي أكثر الأرض أموالاً ، وأعجز
عن القتال والحرب .

تخشع عمرو بن الخطاب وكره ذلك ،
فلم يزل عمرو يستم أمرها عند عمرو بن الخطاب
ويخبره بها ، ويهون عليه فتحها حتى ركن
لذلك .

فتمتد له على أربعة آلاف رجل كلهم من
عك ، ويقال بل ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وقال
له عمرو : سر وأنا مستخير الله في مسيرك ،
وسأنيك كتابي سرّياً إن شاء الله تعالى ، فإن
أدركك كتابي أمرك فيه بالانصراف عن مصر
قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف ،
وإن أتت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض
لوجهك ، واستعن بالله واستمره .

فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ،
ولم يشعر به أحد من الناس .

واستخار عمر الله ، فكان تخشع عمرو بن
المسلمين في وجههم ذلك ، فكتب إلى عمرو بن
العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين ،
فأدرك عمراً الكتاب إذ هو يرفج .

تخوف عمرو أن هو أخذ الكتاب وفتح
أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمرو ، فلم
يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه ، وسار كما
هو حتى نزل قرية فيما بين رفج والعرش ،
فقال عنها ، قليل أها من مصر .

فلما بالكتاب قراءه على المسلمين ، فقال
عمرو لمن معه : أستم تعلمون أن هذه القرية
من مصر ؟

قالوا : بلى .

قال : فإن أمير المؤمنين عهد إلي ، وأمرني
أن لحقني كتابه ولم أدخل أرض مصر أن

أرجع ، ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض
مصر ، فسيروا وامضوا على بركة الله .

ويقال بل كان عمرو بفلسطين ، فتقدم عمرو
بأصحابه إلى مصر بغير إذن ، فكتب فيه إلى
عمر رضي الله عنه ، فكتب إليه عمرو وهو
دون العرش ، فحبس الكتاب فلم يقرأه حتى
بلغ العرش فقرأه ، فاذا فيه :

« من عمرو بن الخطاب إلى العاصي ابن
العاصي . أما بعد ، فإني سرت إلى مصر
ومن معك ، وبها جموع الروم ، وأنا معك
تقر يسير ، ولعمري لو نكل بك ما سرت
بهم ، فإن لم تكن بلغت مصر فارجع » .

فقال عمرو : الحمد لله آية أرض هذه ؟
قالوا : من مصر ... فتقدم كما هو .

ويقال بل كان عمرو في جنده على قيسارية
مع من كان بها من أجناد المسلمين وعمر بن
الخطاب رضي الله عنه إذ ذاك بالبجاية ، فكتب
سراً فاستأذن أن يسير إلى مصر ، وأمر
أصحابه ، فتتبعوا كالتوم الذين يريدون أن
يتحوا من منزل إلى منزل قريب ، ثم سار بهم
ليلاً .

فلما فقد أمراء الأجناد ، استكروا الذي
فعل ، ورأوا أن قد غدر ، فرفعوا ذلك إلى
عمر بن الخطاب .

فكتب إليه عمرو : « إلى العاصي ابن
العاصي . أما بعد ، فإني قد غرت بين معك ،

(٥) مائة ٢٨٨ ج ١ ، ط ١٠٠٠٠

فإن أدركك كتابي ولم تدخل مصر فارجع ؟
وإن أدركك وقد دخلت فامض ، وأعلم أنني
مصدق » .

ويقال إن عمرو بن الخطاب رضي الله عنه
كتب إلى عمرو بن العاص بعد ما فتح الشام :
« إن أئيب الناس إلى المسير معك إلى مصر ،
فمن خف معك فسر به . وبعث به مع شريك
ابن عبيدة . فتدبهم صبراً ، فأسرعوا إلى
الخروج مع عمرو .

ثم إن عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل
على عمرو بن الخطاب ، فقال عمرو : كتبت إلى
عمرو بن العاص يسير إلى مصر من الشام .

فقال عثمان : يا أمير المؤمنين ، إن عمراً
لجري ، وفيه أقدام وحب للامارة ، فأخشى
أن يخرج في غير ثقة ولا جسارة ، فيعرض
المسلمين للملكة رجاء فرصة لا يدرى تكون
أم لا .

فندم عمرو على كتابه إلى عمرو ، وأشفق
ما قال عثمان ، فكتب إليه : « إن أدركك
كتابي قبل أن تدخل إلى مصر فارجع إلى
موضعك ، وإن كنت دخلت فامض لوجهك » .

فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص
إلى مصر ، توجه إلى موضع القسطنطينية ، فكان
يجهز على عمرو الجيوش ، وكان على القصر
رجل من الروم يقال له الأعرج واليا
عليه ، وكان تحت يد المقوقس .

وأقبل عمرو حتى إذا كان بجبل الجلال
نشرت معه رائدة وقبائل من لخم ، فتوجه

عمرو حتى اذا كان بالعرش أدركه النحر ،
فضحى عن أصحابه يومئذ بكيش .

وتقدم فكان أول موضع قوتل فيه القرما ،
قاتله الروم قتالا شديدا فحوا من شهر ، ثم
فتح الله عليه . وكان عبد الله بن سعد على
مينة عمرو منذ توجه من قيسارية الى أن
فرغ من حربه .

وكان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له
أبو ميامين ، فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر ،
كتب الى القبط يعلمهم أنه لا يكون للروم
دولة ، وأن ملكهم قد انقطع ، وأمرهم بتلقى
عمرو ، فيقال ان القبط الذين كانوا بالقرما
كانوا يومئذ لعمرو أعوانا .

ثم توجه عمرو لا يدافع الا بالأمر الخفيف ،
حتى نزل القوامر ، فسمع رجل من لخم تقرا
من القبط يقول بعضهم لبعض : ألا تمجبون
من هؤلاء القوم ، يقدمون على جموع الروم
وانما هم في قلة من الناس ؟

فأجابه رجل منهم فقال : ان هؤلاء القوم لا
يتوجهون الى أحد الا ظهرنا عليه ... حتى
يقتلوا خيرهم .

وتقدم عمرو لا يدافع الا بالأمر الخفيف
حتى أتى بليس ، فقاتلوه بها فحوا من الشهر
حتى فتح الله عليه .

ثم مضى لا يدافع الا بالأمر الخفيف حتى
أتى أم دنين ، فقاتلوه بها قتالا شديدا .

وأبطأ عليه الفتح ، فسكتب الى عمر
يستدنه ، فأمدته بأربعة آلاف تمام ثانية
آلاف ، وقيل بل أمدته باثنى عشر ألفا ،
فوصلوا اليه أرسالا يتبع بعضهم بعضا ، فكان

فيهم أربعة آلاف عليهم أربعة : الزبير بن
العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن
الصامت ، ومسلمة بن مخلد ... وقيل ان
الرابع خارجة بن حذافة دون مسلمة .

ثم أحاط المسلمون بالحصن ، وأميره يومئذ
المنذور - الذى يقال له الأعيرج - من
قبل المقوقس بن قرقت اليوناني ، وكان
المقوقس ينزل الاسكندرية وهو في سلطان
هرقل ، غير أنه كان حاضر الحصن حين حاصره
المسلمون ، فقاتل عمرو بن العاص من
بالحصن .

وجاء رجل الى عمرو فقال : اندب معي
خيلا حتى آتى من دياراتهم عند القتال .

فأخرج معه خمسمائة فارس ، عليهم خارجة
ابن حذافة في قول ، فساروا من وراء الجبل
حتى دخلوا مغار بني وائل قبل الصبح .

وكانت الروم قد خندقوا خندقا ، وجعلوا
له أبوابا ، وبثوا في أفنيتهما حشك الحديد ،
فالتقى القوم حين أصبحوا ، وخرج خارجة
من ورائهم ، فانهزموا حتى دخلوا الحصن ،
وكانوا قد خندقوا حوله ، فنزل عمرو على
الحصن ، وقاتلهم قتالا شديدا يصحبهم
ويسيمهم .

وقيل انه لما أبطأ الفتح على عمرو ، كتب
الى عمر بن الخطاب يستدنه ويعلمه بذلك ،
فأمدته بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل
منهم مقام الألف : الزبير بن العوام ، والمقداد
ابن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن
مخلد ، وقيل بل خارجة بن حذافة لا يعدون
مسلمة .

وقال عمر : أعلم أن معك اثني عشر ألفا ،
ولا تغلب اثنا عشر ألفا من قلة

وقيل قدم الزبير في اثني عشر ألفا .

وان عمرا لما قدم من الشام كان في عدة
قليلة ، فكان يفرق أصحابه لرى العدو أنهم
أكثر مما هم . فلما انتهى الى الخندق نادوه :
أن قد رأينا ما صنعت ، وانما معك من
أصحابك كذا وكذا ... فلم يخطئوا برجل
واحد .

فأقام عمرو على ذلك أياما ، ينفذو في
السحر فيصف أصحابه على أفواه الخندق
عليهم السلاح ، فبينما هو على ذلك اذ جاءه خبر
الزبير بن العوام أنه قدم * في اثني عشر
ألفا ، فلتقاه عمرو ، ثم أقبلا سيران .

ثم لم يلبث الزبير أن ركب ، ثم طاف
بالخندق ، ثم فرق الرجال حول الخندق ،
وألح عمرو على القصر ، ووضع عليه
المنجنيق .

ودخل عمرو الى صاحب الحصن ، فتناظرا
في شيء مما هم فيه ، فقال عمرو : أخرج
وأستشير أصحابي .

وقد كان صاحب الحصن أوصى الذى على
الباب اذا مر به عمرو أن يلقي عليه صخرة
فيقتله ، فمر عمرو وهو يريد الخروج برجل
من العرب فقال له : قد دخلت ، فانظر كيف
تخرج .

فرجع عمرو الى صاحب الحصن فقال له :
انى أريد أن آتيك بنفر من أصحابي حتى
يسمعوا منك مثل الذى سمعت .

(٥٤) ٢٨٦ ج ١ ، ط. بولاق

فقال الملح في نفسه : قتل جماعة أحب الى
من قتل واحد . وأرسل الى الذى كان أمره
بما أمره به من قتل عمرو : ألا يتعرض له ،
رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم .

فخرج عمرو ... وعبادة بن الصامت في
ناحية يصلى وفرسه عنده ، فرآه قوم من
الروم ، فخرجوا اليه وعليهم حلية وبزة ، فلما
دنوا منه سلم من صلاته ، ووثب على فرسه ،
ثم حمل عليهم .

فلما رأوه ولوا راجعين ، فأتبعهم فجعلوا
يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن
طلبهم ، وهو لا يلتفت اليه ، حتى دخلوا
الحصن ، ورمى عبادة من فوق الحصن
بالحجارة ، فرجع ولم يتعرض لشيء مما
طرحوا من متاعهم ، حتى رجع الى موضعه
الذى كان به فاستقبل الصلاة ، وخرج الروم
الى متاعهم يجمعونه .

فلما أبطأ الفتح على عمرو ، قال الزبير :
انى أحب الله تعالى أرجو أن يفتح الله بذلك
على المسلمين .

فوضع سلما الى جانب الحصن من ناحية
سوق الحمام ، ثم صعد فأمرهم اذا سمعوا
تكبيره أن يجيبوه جميعا ، فما شعروا الا
والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه سيف ،
وتعامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو
خوفا من أن ينكسر .

وكبر الزبير ، فكبرت الناس معه ، وأجابهم
المسلمون من خارج ، فلم يشك أهل الحصن
أن العرب قد اقتحموا جميعا ، فهربوا . وعند

الوزير وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه ،
واقترح المسلمون الحصن .

فخاف المقوقس على نفسه ومن معه ،
فحينئذ سأل عمرو بن العاص الصلح ودعاه
إليه ، على أن يفرض للعرب على القبط
دينارين على كل رجل منهم ، فأجابهم عمرو إلى
ذلك . وكان مكثهم على باب القصر حتى
فتحوه سبعة أشهر .

قال : وقد سمعت في فتح القصر وجهها
آخر ، هو أن المسلمين لما حصروا باب اليون ،
كان به جماعة من الروم وأكابر القبط
ورؤسائهم وعليهم المقوقس ، فقاتلوهم شهرا .

فلما رأى القوم الجد من العرب على فتحه
والحرص ، ورأوا من صبرهم على القتال
ورغبتهم فيه ، خافوا أن يظهر عليهم ،
فتحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط ،
وخرجوا من باب القصر القبلى ودونهم جماعة
يقاتلون العرب ، فلحقوا بالجزيرة موضع
الصناعة اليوم ، وأمروا بقطع الجسر وذلك في
جرى النيل .

ويقال أن الأعرج تخلف في الحصن بعد
المقوقس ، وقيل خرج معهم ، فلما خاف فتح
الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف ،
وكالت سفنهم ملصقة بالحصن ، ثم لحقوا
بالمقوقس بالجزيرة .

فأرسل المقوقس إلى عمرو : « انكم قوم
قد ولجتم في بلادنا ، وألحتم على قتالنا ،
وطال مقامكم في أرضنا ، وإننا أتم عصية
يسيرة ، وقد أظلتكم الروم ، وجهزوا اليكم

ومعهم من العدة والصلاح ، وقد أحاط بكم
هذا النيل ، وإننا أتم أسارى في أيدينا ،
فابشوا إلينا رجالا منكم لسمع من كلامهم ،
فلعله أن يأتي الأمر فينا بيننا وبينكم على ما
تحبون ونحب ، ونقطع عنا وعنكم القتال
قبل أن تفشاكم جموع الروم ، فلا ينفضنا
الكلام ولا تقدر عليه ، ولعلكم أن تندموا
أن كان الأمر مخالفا لطلبتكم ورجالتكم ،
فابشوا إلينا رجالا من أصحابكم نعاملهم على
ما لرضى نحن وهم به من شيء » .

فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس ،
حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم
المقوقس ، فقال لأصحابه : أترون أنهم يقتلون
الرسل ، ويستحلون ذلك في دينهم ؟

وإننا أراد عمرو بذلك أن يروا حال
المسلمين .

فرد عليهم عمرو مع رسله : « أنه ليس بيني
وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال : إما أن دخلتم
في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا ،
وإن أبيتُم فاعطيتُم الجزية عن يد وأتسم
صاغرون ، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال
حتى يحكم الله بيننا وبينكم ، وهو خير
الحاكمين » .

فلما جاءت رسل المقوقس إليه قال : كيف
رأيتم هؤلاء ؟

قالوا : رأينا قوما الموت أحب إلى أحدهم
من الحياة ، والتواضع أحب إلى أحدهم من
الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا
نهمة ، إنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على
ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف

رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد منهم من
العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها
منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ، ويخشمون
في صلاتهم .

فقال عند ذلك المقوقس : والذي يحلف
به ، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ،
وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ، ولئن لم
نفتنهم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا
النيل ، لم يجيبوا بعد اليوم إذا أمكنتهم
الأرض ، وقووا على الخروج من موضعهم .

فرد إليهم المقوقس رسله : ابشوا إلينا رسلا
منكم نعاملهم ، وتبداعي نحن وهم إلى ما
عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم .

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر ، أحدهم
عبادة بن الصامت ، وكان طوله عشرة أشبار ،
وأمره أن يكون متكلم القوم ، ولا يجيبهم
إلى شيء يدعو إليه إلا إحدى هذه الثلاث
خصال ، فإن أمير المؤمنين قد تقدم إلى في
ذلك ، وأمرني ألا أقبل شيئا سوى خصلة
من هذه الثلاث خصال .

وكان عبادة أسود ، فلما ركبوا السفن إلى
المقوقس ودخلوا عليه ، تقدم عبادة ، فهابه
المقوقس لسواده ، وقال : نحوا عنى هذا
الأسود ، وقدموا غيره يكلبنى .

فقالوا جميعا : إن هذا الأسود أفضلنا رأيا
وعلما ، وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا ،
وإنما لرجع جميعا إلى قوله ورأيه ، وقد
أمره الأمير دوننا بما أمره ، وأمرنا ألا نخالف
رأيه وقوله .

(١٠) من ١٠٠٠ جلد ، طبع بولاق

قال : وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود
أفضلكم ، وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم ؟
قالوا : كلا ، إنه وإن كان أسود كما ترى ،
فإنه من أفضلنا موضعا وأفضلنا سابقة وعقلا
ورأيا ، وليس ينكر السواد فينا .

فقال المقوقس لعبادة : تقدم يا أسود
وكلنى برفق ، فإني أهاب سوادك ، وإن
اشتد كلامك على ، ازددت لك هبة .

فتقدم عليه عبادة فقال : قد سمعت
مقاتلك ، وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف
رجل أسود كلهم أشد سوادا منى وأفطع
منظرا ، ولو رأيتم لكتب أهيب لهم منك
لى ... وأنا قد وليت وأدير شبابى ، وإلى مع
ذلك — بحمد الله — ما أهاب مائة رجل من
عدوى لو استقبلونى جميعا ، وكذلك
أصحابى ...

وذلك إنما رغبنا وهمتا الجهاد في الله
وإتباع رضوانه ، وليس غزونا عدونا ممن
حارب الله لرغبة في دنيا ولا طلب للاستكثار
منها ، إلا أن الله عز وجل قد أحل لنا ذلك ،
وجعل ما غشنا من ذلك حلالا .

وما يبالي أحدنا إن كان له قنطار من ذهب
أم كان لا يملك إلا درهما ، لأن غاية أحدنا
من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعه ليلته
ونهاره ، وشئلة يلتحفها ، فإن كان أحدنا لا
يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من
ذهب أنفقته في طاعة الله ، واقتصر على هذا
الذى بيده ويبلغه ما كان في الدنيا ، لأن
نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء ،
إنما النعيم والرخاء في الآخرة .

وبذلك أمرنا الله ، وأمرنا به نبينا وصهنا
إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما
يسك جوعته ويستر مورته ، ولكون همة
وتفعله في رضوانه وجهاد عدوه .

فلما سمع المقوقس ذلك منه ، قال لمن
حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟
لقد هبت منظره ، وإن قوله لأهيب عندي من
منظره ... لأن هذا وأصحابه أخرجهم الله
لغرب الأرض ، ما أظن ملكهم إلا سيخبل
على الأرض كلها .

ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت
فقال له : أيها الرجل الصالح ، قد سمعت
مقاتلك وما ذكرت عنك وعن أصحابك .
ولعمري ما بلغت ما بلغت إلا بما ذكرت ،
وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لجهنم
الدنيا ورغبتهم فيها .

وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما
لا يحصى عدده ... قوم معروفون بالنجدة
والشدّة ، ما يبالي أحدهم من لقي ولا من
قاتل . وإنا لنعلم أنكم لم تقدروا عليهم ، ولن
نطبقوهم لضغفكم وقتلكم .

وقد أقسم بين أظهرنا أشهرنا وأتم في ضيق
وشدة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرق
عليكم لضغفكم وقتلكم وقلة ما بين أيديكم ،
ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن
تعرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ،
ولأميركم مائة دينار ، ولخليفكم ألف دينار .
فتقبضوها وتصرفوها إلى بلادكم قبل أن
يشاكم ما لا نوام لكم به .

فقال عبادة بن الصامت : يا هذا لا تفرق
نفسك ولا أصحابك . أما ما تخوفنا به من
جمع الروم وعددهم وكثرتهم وإنا لا نقوى
عليهم ، فلعمرى ما هذا بالذي تخوفنا به ،
ولا بالذي يكسرتنا عما نحن فيه .

وإن كان ما قلتم حقا فذلك والله أرفع ما
يكون في قتالهم ، وأشد لحرمنا عليهم ، لأن
ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه . إن
قتلنا من آخرنا ، كان أمكن لنا في رضوانه
وجته ، وما شيء أقر لأعيننا ، ولا أحب لنا
من ذلك .

وإنا منكم حينئذ لعلى إحدى الحسينين ،
أما أن نعظم لنا بذلك غنية الدنيا إن ظهرنا
بكم ، أو غنية الآخرة إن ظفرت بكم ، ولأنها
أحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا . وإن
الله عز وجل قال لنا في كتابه : « كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع
الصابرين » .

وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحا
ومساء أن يرزقه الشهادة ، وألا يرد إلى بلده
ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده ، وليس
لأحد منا هم فيما خلقه ، وقد استودع
كل واحد منا ربه أهله وولده ، وإنا هنا
ما أماننا .

وأما قولك إنا في ضيق وشدة من معاشنا
وحالنا ، فنحن في أوسع السعة ... لو كانت
الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما
نحن عليه .

فانظر الذي تريد فينه لنا ، فليس يتنا
ويتنا خصلة تقبلها منك ولا نجيك إليها ،

إلا خصلة من ثلاث ، فاختر أيها شئت ، ولا
تطمع نفسك في الباطل ... بذلك أمرني .
الأمير ، وبها أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل
إلينا :

أما إن أجيتم إلى الإسلام الذي هو الدين
القيم الذي لا يقبل الله غيره ، وهو دين أنبيائه
ورسله وملائكته ، أمرنا الله تعالى أن نقاتل
من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه ، فإن فعل
كان له ما لنا وعليه ما علينا ، وكان أخانا
في دين الله . فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك ،
فقد سمعتم في الدنيا والآخرة ، ورجعنا عن
قتالكم ، ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم .

وإن أيسم إلا الجزية ، فأدوا إلينا الجزية عن
يد وأتم صاغرون ، وأن نعاملكم على شيء
نرضى به نحن وأتم في كل عام أبدا ما بقينا
وبقيتم ، ونقاتل عنكم من ثاؤاكم وعرض لكم
في شيء من أرضكم ودماؤكم وأموالكم ،
وتقوم بذلك عنكم إذ كنتم في ذمتنا ، وكان
لكم به عهد علينا .

وإن أيسم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة
بالسيف حتى نموت من آخرنا ، أو نصيب
ما نريد منكم ... هذا ديننا الذي ندين الله
تعالى به ، ولا يجوز لنا فينا وبيننا غيره ،
فانظروا لأنفسكم .

فقال المقوقس : هذا ما لا يكون أبدا ، ما
تريدون إلا أن تتخذونا عبيدا ما كانت
الدنيا .

فقال له عبادة : هو ذاك ، فاختر لنفسك
ما شئت .

(ج) من ٢٩١ ج ١ ط ١ بيان .

فقال المقوقس : أنلا تجيونا إلى خصلة غير
هذه الثلاث خصال ؟

فرفع عبادة يديه إلى السماء فقال : لا ورب
هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء ،
ما لكم عندنا خصلة غيرها ، فاختاروا
لأنفسكم .

فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه
فقال : قد فرغ القوم فما نرون ؟

فقالوا : أوبرضى أحد بهذا الذل ؟ أما ما
أرادوا من دخولنا في دينهم ، فهذا لا يكون
أبدا أن تترك دين المسيح بن مريم وتدخل
في دين غيره لا نصره . وأما ما أرادوا أن
يسيونا ويجعلونا عبيدا ، فالموت أيسر من
ذلك ... لو رضوا منا أن نضعف لهم ما
أعطيناهم مرارا كان أهون علينا .

فقال المقوقس لعبادة : قد أبى القوم فما
تري ، فراجع صاحبك على أن نعطيكهم في
مرتكم هذه ما تمنيت وتصرفون .

فقال عبادة وأصحابه : لا .

فقال المقوقس عند ذلك : أطيمنوني وأجيئوا
القوم إلى خصلة من هذه الثلاث ، فوالله
ما لكم بهم طاقة ، ولئن لم تجيئوا إليها طائعين
لتجيينهم إلى ما هو أعظم كارهين .

فقالوا : وأي خصلة نجيبهم إليها ؟

قال : إذن أخيركم ، أما دخولكم في غير
دينكم فلا آمركم به ، وأما قتالهم فأنا أعلم
أنكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم ،
ولابد من الثالثة .

قالوا : فنكون لهم عبيدا أبدا .

قال : نعم تكونون عبيدا مسليطين في بلادكم ، آمنين على أنفسكم وأموالكم وذرائعكم ، خير لكم من أن تصوتوا من آخركم ، وتكونوا عبيدا تباعوا وتمزقوا في البلاد ، مستبدين أبدا أئمت وأهلكم وذرائعكم .

قالوا : فالموت أهون علينا .

وأمرؤا بقطع الجبر من القسطنطينية ، وبالجزيرة وبالقصر من جميع القبط والروم كثير . فآلح المسلمون عند ذلك بالقتال على من بالتصر حتى ظفروا بهم ، وأمكن الله منهم ، فقتل منهم خلق كثير ، وأسر من أسر . وانجرت السفن كلها إلى الجزيرة ، وصار المسلمون يراقبونها ، وقد أحرق بهم الماء من كل وجه ، لا يقدرّون على أن ينفذوا نحو الصيد ، ولا إلى غير ذلك من المدن والقرى .

والمقوقس يقول لأصحابه : ألم أعلمكم وأخافه عليكم ، ما تنتظرون ؟ فوالله لتجبنهم إلى ما أرادوا طوعا ، أو لتجبنهم إلى ما هو أعظم منه كرها ، فأطيعوني من قبل أن تندموا .

فلما رأوا منهم ما رأوا ، وقال لهم المقوقس ما قال ، أذعنوا بالجزيرة ، ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه .

وأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص : اني لم أزل حرصا على اجابتكم إلى خصلة من تلك الخصال التي أرسلت إلى بها ، فأبى على من حضرنى من الروم والقبط ، فلم يكن لي أن أفتات عليهم في أموالهم . وقد عرفوا

نصحي لهم وحبي صلاحهم ، ورجعوا إلى قولي ، فأعطنى أمانا أجمع أنا وأنت : أنا فى ثمر من أصحابي ، وأنت فى ثمر من أصحابك ، فإن استقام الأمر بيننا تم ذلك جيما ، وإن لم يتم رجنا إلى ما كنا عليه .

فاستشار عمرو أصحابه في ذلك ، فقالوا : لا نجيبهم إلى شيء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا ، وتصير الأرض كلها لنا فينا وغنيمة ، كما صار لنا القصر وما فيه .

فقال عمرو : قد علمتم ما عهد إلى أمير المؤمنين في عهده ، فإن أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التي عهد إلى فيها ، أجبتهم إليها وقبلت منهم ، مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم .

فاجتمعوا على عهد بينهم ، واصطلحوا على أن يفرض لهم على جميع من بمصر ، أعلاها وأسفلها ، من القبط : ديناران ديناران عن كل نفس ، شريفهم ووضيعهم ، ممن بلغ منهم الحلم ، ليس على الشيخ القاصي ، ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ، ولا على النساء شيء .

وعلى أن للمسلمين عليهم النزل بجماعتهم حيث نزلوا ، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك ، كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم ، وأن لهم أرضهم وأموالهم ، لا تعرض لهم في شيء منها .

فشرط ذلك كله على القبط خاصة .

وأحصوا عدد القبط يومئذ ، خاصة من بلغ منهم الجزية وفرقن * عليهم الديناران — وقع

ذلك عرفاؤهم بالإيمان المؤكدة — فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر — أعلاها وأسفلها — من جميع القبط ، فيما أحصوا وكتبوا ورفعوا ، أكثر من ستة آلاف ألف نفس ، فكانت فريشتهم يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار في كل سنة .

وقال ابن لهيعة ، عن يحيى بن ميسون الحضرمي : لما فتح عمرو مصر ، صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط ، ممن راحق الحلم إلى ما فوق ذلك ، ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبي ، فأحصوا بذلك على دينارين دينارين ، فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف .

قال : وشرط المقوقس للروم أن يخبروا : فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا ، أقام على ذلك لازما له مفترضا عليه ، ممن أقام بالاسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها . ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم ، خرج .

وعلى أن للمقوقس الخيار في الروم خاصة ، حتى يكتب إلى ملك الروم ويعلمه ما فعل ، فإن قبل ذلك ورضيه ، جاز عليهم ، والا كانوا جميعا على ما كانوا عليه .

وكتبوا به كتابا وكتب المقوقس إلى ملك الروم كتابا يعلمه بالأمر كله

فكتب إليه ملك الروم يقبح رأيه ويمجزه ، ويرد عليه ما فعل ، ويقول في كتابه : « أنا أناك من العرب اثنا عشر ألفا ، وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى ، فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى

العرب واختاروهم علينا ، فإن عندك بمصر من الروم ، وبالاسكندرية ومن معك ، أكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة ، والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت ، فمجزت عن قتالهم ، ورضيت أن تكون أنت ومن معك من الروم في حال القبط أذلاء ، فقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت أو تظهر عليهم ، فأنهم فيكم ، على قدر كثرتم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم ، كالكلية ... ناهضهم القتال ، ولا يكن لك رأى غير ذلك » .

وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا إلى جماعة الروم .

فقال المقوقس لما أناه كتاب ملك الروم : والله أعلم أنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على قوتنا وكثرتنا . إن الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا ، وذلك أنهم قوم الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ... يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل يتنى ألا يرجع إلى أهله ولا ببلده ولا ولده ، ويرون أن لهم أجرا عظيما فيمن قتلوه منا ، ويقولون أنهم إن قتلوا دخلوا الجنة ، وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة إلا قدر بلفة العيش من الطعام واللباس . ونحن قوم نكره الموت ، ونحب الحياة ولذتها ... فكيف نستقيم نحن وهؤلاء ، وكيف صبرنا معهم ؟

واعلموا معشر الروم ، والله اني لا أخرج مما دخلت فيه ، ولا صالحت العرب عليه ، واني لأعلم أنكم سترجعون غدا إلى قولي ورأبي ، وتتمنون أن لو كنتم أطعتموني ، وذلك أني قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم

يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه ، أما يرضى
لحكمكم أن يكون أمنا في دمه على نفسه
وماله وولده بدينارين في السنة .

ثم أقبل للفرق إلى عمرو فقال له : إن
الملك قد كره ما فعلت وعجزني ، وكب إلى
والى جماعة الروم ألا يرضى بمصالحك ،
وأمرهم بمصالحك حتى يقتروا بك أو تقتل
بهم ، ولم أكن لأخرج ما دخلت فيه وعاقبتك
عليه ، وأنا سلطان على قسي ومن أعاضى .

وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ولم
يأت من قبلهم قسي ، وأما قسم لك على
قسي ، والقبط متبون لك على الصلح الذي
صالحتهم عليه وعاقبتهم . وأما الروم فآثامتهم
يرى .

وأما أطلب إليك أن تعطيني ثلاث خصال :
لا تقتض بالقبط وأدخلني معهم والزمني ما
لزمهم ، وقد اجتمعت كلتي وكلتهم على ما
عاقبتك عليه فهم متبون لك على ما تعجب .
وأما الثانية أن سألك الروم بعد اليوم أن
تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فينا
وعيننا ، فافهم أهل ذلك لأنني نصحتهم
فاستغشوني ، وتكررت لهم فاتهموني . وأما
الثالثة أطلب إليك أن آثامتهم أن
يدخلوني بجسر الاسكندرية .

فأنهم له عمرو بذلك ، وأجابه إلى ما طلب ،
على أن يضمنوا له الجسرين جيما ، ويقيموا
لهم الأتزال والضيافة والأسواق والجسور ،
ما بين القسطنطين إلى الاسكندرية .

فتملوا ، وصارت لهم القبط أعوانا كما
يبدأ في الحديث .

وقال ابن وهب في حديثه عن عبد الرحمن
ابن شرح : فسار عمرو بن معمر حتى وُل
على الحصن ، فحاصروهم حتى سألوه أن
يسير منهم بضعة عشر أهل بيت وفتحوا له
الحصن ، ففعل ذلك ، ففرض عليهم عمرو لكل
رجل من أصحابه ديناراً وجية وورثا وصامة
وخفين .

وسألوه أن يأذن لهم أن يهتوا له ولأصحابه
صنعا ، ففعل ، وأمر عمرو أصحابه فتهينوا
ولبوا البرود ثم أقبلوا .

فلما فرغوا من طعامهم سألهم عمرو : كم
أنتقم ؟

قالوا : عشرين ألف دينار .

قال عمرو : لا حاجة لنا بصنيعكم بعد
اليوم ، أدوا لنا عشرين ألف دينار .

فجاءه النفر من القبط ، فاستأذنوه إلى
قراهم وأهلهم ، فقال لهم عمرو : كيف رأيتم
أمرنا .

قالوا : لم نر إلا حسنا .

فقال الرجل الذي قال في المرة الأولى :
انكم لن تزالوا تظهرون على كل من لقيتم
حتى تقتلوا خيركم رجلا .

فغضب عمرو وأمر به ، فطلب إليه أصحابه
وأخبروه ، أنه لا يدرى ما يقول حتى خلصوه .

فلما بلغ عمرا قتل عمر بن الخطاب رضي
الله عنه ، أرسل في طلب ذلك القبطي فوجدوه
قد هلك ، فغضب عمرو من قوله .

(8) من 112 ج 1 ط 1 بولان

ويقال إن عمرو بن العاص قال : فلما طعن
عمر بن الخطاب ، قلت : هو من قتل القبطي .
وما حدثت أنه أنسا قتله أبو ثورثة رجلا
عراقي ، قلت : لم يمن هذا أنسا عنى من قتله
المسلمون . فلما قتل عثمان ، عرفت أن ما قل
رجل حق .

فلما فرغ القبط من صنيعهم ، أمر عمرو بن
العاص بطعام فصنع لهم ، وأمرهم أن يحضروا
لذلك ، فصنع لهم الثريد والعراق ، وأمر
أصحابه بلباس الأكسية واشتعال الصفاء
والتمود على الركب .

فلما حضرت الروم ، وضموهم كرامى
الدياج فجلسوا عليها ، وجلست العرب إلى
جوانبهم ، فجعل الرجل من العرب يلتهم اللقمة
العظيمة من الثريد ، وينهش من ذلك اللحم ،
فيتطاول على من إلى جنبه من الروم .

فبشمت الروم ذلك وقالت : أين أولئك
الذين كانوا أنونا قبل ؟ فقبل لهم أولئك
أصحاب المشورة ، وهؤلاء أصحاب الحرب .

وقال الكندي : وذكر يزيد بن أبي حبيب
أن عدد الجيش الذين كانوا مع عمرو بن
العاص خمسة عشر ألفا وخمسمائة .

وذكر عبد الرحمن بن سعيد بن مقلص أن
الذين جرت سهماتهم في الحصن من المسلمين
اثنا عشر ألفا وثلاثمائة ، بعد من أصيب منهم
في الحصار بالقتل والموت .

ويقال إن الذين قتلوا في هذا الحصار من
المسلمين دفنوا في أصل الحصن .

وذكر القاضي أن مصر فتحت يوم الجمعة
مستهل المحرم سنة عشرين ، وقيل فتحت سنة
ست عشرة ، وهو قول الواقدي ، وقيل فتحت
والاسكندرية سنة خمس وعشرين ، والأكثر
على أنها فتحت قبل عام الرمادة ، وكانت
الرمادة في آخر سنة سبع عشرة وأول ثمان
عشرة .

ذكر ما قيل في مصر هل فتحت بصلح أو عنوة

وقد اختلف في فتح مصر فقال قوم : فتحت
صلحا ، وقال آخرون : أنها فتحت عنوة .

فأما الذين قالوا : كان فتح مصر بصلح ،
فإن حسين بن شفي قال : لما فتح عمرو بن
العاص الاسكندرية بقي من الأسارى بها ،
من بلغ الخراج وأحصى يومئذ ، ستمائة
ألف سوى النساء والصبيان .

فاختلف الناس على عمرو في قسمهم ، فكان
أكثر المسلمين يريد قسمها .

فقال عمرو : لا أقدر على قسمها حتى أكتب
إلى أمير المؤمنين .

فكتب إليه يعلمه بفتحها وشأنها وأن
المسلمين طلبوا قسمها .

فكتب إليه عمر رضي الله عنه : لا تقسمها ،
وذرمهم يكون خراجهم فينا للمسلمين ، وقوة
لهم على جهاد عدوهم .

فأقرها عمرو ، وأحصى أهلها ، وفرض
عليهم الخراج .

فكانت مصر كلها صلحا بفرضة دينارين
دينارين ، الا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من
الأرض والزرع ... الا الاسكندرية ، فانهم
كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى
من وليهم ، لأن الاسكندرية فتحت عنوة بغير
عهد ولا عقد ، ولم يكن لهم صلح ولا
ذمة .

وقال الليث عن يزيد بن أبي حبيب : مصر
كلها صلح ، الا الاسكندرية فانها فتحت
عنوة .

وقال عبد الله بن أبي جعفر : حدثني رجل
من أدرك عمرو بن العاص قال : للقبط عهد
عند فلان ، وعهد عند فلان ، فسمى ثلاثة
قمر .

وفي رواية : أن عهد أهل مصر كان عند
كبرائهم .

وفي رواية : سألت شيخا من القدماء عن
فتح مصر قلت له : فإن تأسا يذكرون أنه لم
يكن لهم عهد .

فقال : ما يبالى الا يهلى من قال انه ليس
لهم عهد .

فقلت : فهل كان لهم كتاب ؟

فقال : نعم ، كتب ثلاثة : كتاب عند ظلما
صاحب اخنا ، وكتاب عند قرمان صاحب
رشيد ، وكتاب عند يحيى صاحب البرلس .

قلت : كيف كان صلحهم ؟

قال : دينارين على كل انسان جزية ،
وأرذاق المسلمين .

قلت : فتعلم ما كان من الشروط ؟

قال : نعم ، ستة شروط : لا يخرجون من
ديارهم ، ولا تترع ساؤهم ، ولا كفورهم ،
ولا أراضيهم ، ولا يزداد عليهم .

وقال يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي جمعة
مولى عقبة ، قال : كتب عقبة بن عامر ، الى
معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ، يسأله
أرضا يسترقق بها عند قرية عقبة . فكتب له
معاوية بألف ذراع في ألف ذراع .

فقال له مولى له كان عنده : انظر
— أصلحك الله — أرضا صالحة .

فقال له عقبة : ليس لنا ذلك . ان في عهدهم
شروطا ستة : لا يؤخذ من أنفسهم شيء ، ولا
من نسائهم ، ولا من أولادهم ، ولا يزداد
عليهم ، ويدفع عنهم موضع الخوف من
عدوهم ... وأنا شاهد لهم بذلك .

وعن يزيد بن أبي حبيب ، عن عوف بن
حطان ، أنه كان لقربات من مصر — منهن أم
دنين وبلييت — عهد ، وأن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه لما سمع بذلك ، كتب الى عمرو
يأمره أن يخيرهم : فإن دخلوا في الاسلام
فذاك ، وإن كرهوا فارددهم الى قراهم .

وقال يحيى بن أيوب وخالد بن حميد :
فتتح الله أرض مصر كلها بصلح ... غير
الاسكندرية ، وثلاث قربات ظاهرت الروم
على المسلمين — سلطيس ، ومصيل ،
وبلييت — فانه كان للروم جمع ، فظاهروا
الروم على المسلمين .

فلما ظهر عليها المسلمون استحلوها ،
وقالوا : هؤلاء لنا في مع الاسكندرية .

فكتب * عمرو بن العاص بذلك الى عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر أن
يجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قربات ذمة
للمسلمين ، ويضربون عليهم الخراج ، ويكون
خراجهم وما صالح عليه القبط كله قوة
للمسلمين ، لا يجعلون فينا ولا عبيدا ...
ففعلوا ذلك الى اليوم .

وقال آخرون : بل فتحت مصر عنوة بلا
عهد ولا عقد .

قال سفيان بن وهب الخولاني : لما افتتحنا
مصر بغير عهد ولا عقد ، قام الزبير بن العوام
فقال : اقسما يا عمرو بن العاص .

فقال عمرو : والله لا أقسمها .

فقال الزبير : والله لنقسمها كما قسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم خير .

فقال عمرو : والله لا أقسمها حتى أكتب الى
أمير المؤمنين .

فكتب الى عمر ، فكتب اليه عمر : أقرها
حتى يغزو منها جبل الحيلة .

وصولح الزبير على شيء أرضى به .

وقال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة : ان
مصر فتحت عنوة .

وعن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال :
سمعت أشياخنا يقولون ان مصر فتحت عنوة
بغير عهد ولا عقد ، منهم أبي يحدثنا عن أبيه ،
وكان فيمن شهد فتح مصر .

وعن أبي الأسود ، عن عروة ، ان مصر
فتحت عنوة .

وعن عمرو بن العاص أنه قال : لقد قعدت
مقعدى هذا وما لاحد من قبط مصر على عهد
ولا عقد ... الا أهل انطاكس ، كان لهم عهد
يوفى به : ان شئت قبلت ، وان شئت خست ،
وان شئت بعث .

وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أن عمرو
ابن العاص فتح مصر بغير عهد ولا عقد ، وأن
عمر بن الخطاب رضى الله عنه حبس درها
وضرعها أن يخرج منه شيء ، نظرا للاسلام
وأهله .

وعن زيد بن أسلم قال : كان تابوت لعمر
ابن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد
من عاهده ، فلم يوجد فيه لأهل مصر عهد
فمن أسلم منهم أقامه ، ومن أقام منهم قومه .

وكتب حيان بن شريح الى عمر بن عبد
المزني يسأله أن يجعل جزية موتى القبط على
أحيائهم .

فسأل عمر عراك بن مالك فقال : عراك ما
سمعت لهم بعهد ولا عقد ، وإنما أخذوا
عنوة بمنزلة العبيد .

فكتب عمر الى حيان أن يجعل جزية موتى
القبط على أحيائهم .

وقال يحيى بن عبد الله بن بكير : خرج
أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد الاسكندرية في
سفينة ، فاحتاج الى رجل يجذف ، فسخر
رجلا من القبط ، فكلم في ذلك ، فقال : انما
هم بمنزلة العبيد ان احتجنا اليهم .

وقال ابن لهيعة عن الصلت بن أبي عاصم :
انه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز الى حيان ابن
شريح أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا
عقد .

ذكر من شهد فتح مصر
من الصحابة رضي الله عنهم

قال ابن عبد الحكم : وكان من حشد من
الذين شهدوا فتح مصر ، من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قریش وغيرهم ،
ومن لم يكن له برسول الله صلى الله عليه
وسلم صحبة : الزبير بن العوام ، وسعد بن
أبي وقاص ، وعمر بن العاص - وكان أمير
القوم - وعبد الله بن عمرو ، وخارجة بن
حذافة العدوي ، وعبد الله بن عمر بن
الخطاب ، وقيس بن أبي العاص السهمي ،
والمقداد بن الأسود ، وعبد الله بن أبي سفيان
ابن أبي مرثد العامري ، ونافع بن عبد قيس
القمي - ويقال بل هو عقبة بن نافع -
وأبو عبد الرحمن يزيد بن أنيس القهري ،
وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وابن عبدة ، وعبد الرحمن وربيعة
ابنا شرحبيل بن حسنة ، ووردان مولى عمرو
ابن العاص ، وكان حامل لواء عمرو بن
العاص .

وقد اختلف في سعد بن أبي وقاص ، فقيل
أنا دخلها بعد الفتح .

وشهد الفتح من الأنصار : عبادة بن
الصامت ، وقد شهد بدرا وبيعة العقبة ،
ومحمد بن مسلمة الأنصاري - وقد شهد
بدرا وهو الذي بعث عمر بن الخطاب رضي
الله عنه إلى مصر ، فقاسم عمرو بن العاص
ماله ، وهو أحد من كان صعد الحصن مع
الزبير بن العوام - ومسلمة بن مخلد

(٥) مر ١٩٥ ، ج ١ ، ط ١٩٥٤

وعن عبيد الله بن أبي جعفر أن كاتب حيان
حدثه أنه احتجج إلى خشب لصناعة الجزيرة ،
فكتب حيان إلى عمر بن عبد العزيز يذكر
ذلك له ، وأنه وجد خشبا عند بعض أهل
الذمة ، وأنه كره أن يأخذها منهم حتى
يسلمه .

فكتب إليه عمر : خذها منهم بقيمة عدل ،
فأني لم أجِد لأهل مصر عهدا أفى لهم به .

وقال عمر بن عبد العزيز لسالم : أنت تقول
ليس لأهل مصر عهد ؟

قال : نعم .

وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده
أن عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب
في رهبان يترهبون بمصر ، فيبوت أحدهم
وليس له وارث .

فكتب إليه عمر : « إن من كان منهم له
عقب فادفع ميراثه إلى عقبه ، فإن لم يكن له
عقب فاجعل ماله في بيت مال المسلمين ، فإن
ولاه للمسلمين » .

وقال ابن شهاب : كان فتح مصر بعضها
بعهد وذمة ، وبعضها عنوة ، فجعلها عمر بن
الخطاب رضي الله عنه جميعا ذمة ، وحملهم
على ذلك ، فمضى ذلك فيهم إلى اليوم .

واشترى الليث بن سعد شيئا من أرض
مصر لأنه كان يحدث عن يزيد بن أبي حبيب
أن مصر صلح .

وكان مالك بن أنس ينكر على الليث ذلك ،
وأنكر عليه أيضا عبد الله بن لهيعة ونافع بن
يزيد لأن مصر عندهم كانت عنوة .

٥٥٤

الأنصاري ، يقال له صحبة ، وأبو أيوب خالد
ابن زيد الأنصاري ، وأبو الدرداء عويمر بن
عامر ، وقيل عويمر بن زيد .

ومن أحياء القبائل : أبو نصره جميل بن
نصرة الففاري ، وأبو در جندب بن جادة
الففاري وشهد الفتح مع عمرو بن العاص ،
وهيب بن معقل - وأليه ينسب وادي هيب
الذي بالمغرب - وعبد الله بن الحارث بن
جزء الزبيدي ، وكعب بن ضبة العبسي
- ويقال كعب بن يسار بن ضبة - وعقبة بن
عامر الجهني - وهو كان رسول عمر بن
الخطاب إلى عمرو بن العاص حين كتب إليه
بأمره أن يرجع إن لم يكن دخل أرض مصر -
وأبو زمعة البلوي ، وبرح بن حنكل
- ويقال برح بن عسكر - وشهد فتح مصر
واختط بها ، وجنادة بن أمية الأزدي ،
وسفيان بن وهب الخولاني وله صحبة ،
ومعاوية بن خديج الكندي - وهو كان
رسول عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب
بفتح الاسكندرية وقد اختلف فيه : فقال قوم
له صحبة ، وقال آخرون : ليست له صحبة
- وعامر مولى جبل ، الذي يقال له عامر
جبل ، شهد الفتح وهو مملوك ، وعمار بن
ياسر ، ولكن دخل بعد الفتح في أيام عثمان ،
وجهه إليها في بعض أموره .

قال ابن عبد الحكم : منهم من اختط بالبلد
فذكرنا خطته ، ومنهم من لم يذكر له خطة .

قال : فاخطط عمرو بن العاص داره التي
عند باب المسجد بينهما الطريق ، وداره
الأخرى اللاصقة إلى جنبها ، وفيها دفن عبد

الله بن عمرو - فيما زعم بعض مشايخ
البلد - لحدث كان يومئذ في البلد ، والحمام
الذي يقال له حمام القار ... وإنما قيل له
حمام القار ، لأن حمامات الروم كانت
ديمسات كبارا ، فلما بنى هذا الحمام ورأوا
صفوه ، قالوا : من يدخل هذا ؟ هذا حمام
القار .

ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالقسطاط

قال ابن عبد الحكم ، عن يزيد بن أبي
حبيب : أن عمرو بن العاص لما فتح
الاسكندرية ، ورأى بيوتها وبناءها مفروغا
منها ، همم أن يسكنها وقال : ماكن قد
كفيهاها .

فكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يتأذنه في ذلك ، فسأل عمر الرسول : هل
يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل .

فكتب عمر إلى عمرو : « إني لا أحب أن
تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم
في شتاء ولا صيف » . فتحول عمرو من
الاسكندرية إلى القسطاط .

قال : وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه
إلى سعد بن أبي وقاص وهو نازل ببداين
كسرى ، وإلى عامله بالبصرة ، وإلى عمرو بن
العاص وهو نازل بالاسكندرية : « ألا تجعلوا
بيننا وبينكم ماء ، متى أردت أن أركب إليكم
وراحلتني حتى أقدم عليكم قدمت » .

فتحول سعد من مدائن كبرى الى الكوفة ، وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل البصرة ، وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى القسطنطينية .

قال : وانما سميت القسطنطينية لأن عمرو بن العاص لما أراد التوجه الى الاسكندرية لقتال من بها من الروم ، امر بنزع قسطنطينية فلما فيه يوم قد فرخ ، فقال عمرو : لقد تحرم منا بتحريم . فامر به فامر كما هو ، وأوصى به صاحب القصر .

فلما قتل المسلمون من الاسكندرية قالوا : أين نزل ؟

قالوا : القسطنطينية ، لقسطنطين عمرو الذي كان خلقه ، وكان مضروباً في موضع النار التي تعرف اليوم بدار الحصار عند دار عمرو الصغيرة .

قال الشريف محمد بن أحمد الجواني : كان قسطنطين عمرو عند درب حمام شمول بخط الجامع .

وقال ابن قتيبة في كتاب « غرب الحديث » في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، انه قال : « عليكم بالجماعة ، فان يد الله على القسطنطينية » ... يرويه سويد بن عبد العزيز ، عن النعمان بن المنذر ، عن مكحول ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

والقسطنطينية المدينة ، وكل مدينة قسطنطينية ، ولذلك قيل لمصر قسطنطينية .

وقال البكري القسطنطينية (يضم أوله وكسره واسكان ثانيه) اسم لمصر .

وقال قسطنطين وفسطاط . قال المطرزي : وفسطاط وفسطاد ، وبكسر أوائل جميعهما ، فهي عشر لغات .

قال ابن قتيبة : كل مدينة فسطاط ، وذكر حديث « عليكم بالجماعة » فان يد الله على القسطنطينية .

وأخبرني أبو حاتم ، عن الأصمعي ، انه قال : حدثني رجل من بني تميم قال : قرأت في كتاب رجل من قرش : هذا ما اشتري فلان ابن فلان من عجلان مولى زياد ... اشتري منه خمسمائة جرب حيال القسطنطينية (يريد البصرة) .

ومنه قول النحبي في الآبق : اذا أخذ قسطنطينية عشرة ، واذا أخذ خارجاً عن قسطنطينية أرمون .

واراد أن يد الله على أهل الأمصار ، وإن من نذ عنهم ، وفارقهم في الرأي ، فقد خرج عن يد الله . وفي ذلك آثار ، والله أعلم .

ذكر الخطط التي كانت بمدينة القسطنطينية

اعلم أن الخطط التي كانت بمدينة قسطنطينية مصر ، بمنزلة الحارات التي هي اليوم بالقاهرة ، قليل لتلك في مصر خطة * ، وقيل لها في القاهرة حارة .

قال القاضي : ولما رجع عمرو من الاسكندرية ، ونزل موضع قسطنطينية ، انضمت القبائل بعضها الى بعض ، وتنافسوا في المواضع .

(١٠) ص ١١٦ ج ١ ط ١٠٠٠

فولى عمرو على الخطط معاوية بن خديج النجيبى ، وشريك بن سمي العظيفى ، وعمرو ابن قحزم الخولانى ، وجيول بن ناشرة المغافرى . وكانوا هم الذين أنزلوا الناس ، وفصلوا بين القبائل ، وذلك في سنة احدى وعشرين .

خطة أهل الراية : أهل الراية جماعة من قرش والأنصار وخزاعة وأسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وتقيف ودوس وعيس بن بغيض وحوش من بني كنانة وليث بن بكر ، والعقاة منهم ، إلا أن منزل العقاة في غير الراية .

وانما سموا أهل الراية ، ونسبت الخطة اليهم ، لأنهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما يتفرد بدعوة من الديوان ، فكره كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته .

فجعل لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها الى أحد ، فقال : يكون موقعكم تحتها ، فكانت لهم كالنسب الجامع ، وكان ديوانهم عليها .

وكان اجتماع هذه القبائل لما عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاية بينهم .

وهذه الخطة محيطة بالجامع من جميع جوانبه ، ابتدأوا من المصف الذي كانوا عليه في حصارهم الحصن - وهو باب الحصن الذي يقال له باب الشمع - ثم مضوا بخطتهم الى حمام القار ، وشرعوا بقربها الى النيل ، فاذا بلغت الى النحاسين ، فالجانبان لأهل الراية الى باب المسجد الجامع ، المعروف باب الوراقين ، ثم يسلك على حمام شمول .

وفي هذه الخطة زقاق القناديل الى قرية غفان ، الى سوق الحمام ، الى باب القصر الذي بدأنا بذكره .

خطة مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف ابن قضاعة بن ميث بن حير : وخطة مهرة هذه قبلى خطة الراية . واختلت مهرة أيضاً على سفح الجبل الذي يقال له جبل يشكر مما يلي الخندق ، الى شرقى المكر ، الى جنان بني مكن .

ومن جملة خطة مهرة الموضع الذي يعرف اليوم بساطب الطباخ ، واسم حد .

وقال ان الخطة التي لهم قبلى الراية ، كانت حوزاً لهم يربطون فيها خيلهم اذا رجعوا الى الجمعة ، ثم انقطعوا اليها وتركوا منازلهم يشكر .

خطة نجيب : وتجب هم بنو عدى وسعد ابني الأشتر بن شبيب بن السكن بن الأشتر بن كندة ، فمن كان من ولد عدى وسعد يقال لهم تجيب . وتجب أمهم .

وهذه الخطة تلى خطة مهرة ، وفيها درب المصوصة ، آخره حائط من الحصن الشرقى .

وخطط لحم في موضعين : فمنها خطة لحم ابن عدى بن مرة بن أدد ومن خالطها من جذام ، فابتدأت لحم بخطتها من الذي انتهت اليه خطة الراية ، وأصلدت ذات الشمال .

وفي هذه الخطة سوق بربر ، وشارعه مختلط فيما بين لحم والراية .

ولهم خطتان أخريان : إحداهما منسوبة الى بني ربة بن عمرو بن الحارث بن وائل

ابن راشد من لخم ، وأولها شرقو الكنيسة
المعروفة بمكايل التي عند خليج بنى وائل .
وهذا الموضع اليوم وراقات يصل فيها الورق
بالتقرب من باب القنطرة خارج مصر .

والخطة الثانية خطة راشد بن أدب بن
جزيلة من لخم ، وهي متاخمة للخطة التي
قبلها . وفي هذه الخطة جامع راشد ، وجبان
كهس بن مصر الذي عرف بالمادرائي ، ثم
عرف بجبان الأمير تميم ، وهو اليوم يقال له
المشوق ، بجوار الآثار النبوية .

ولهم مواضع مع اللقيف ، وخطط أيضا
بالحرارة .

خطط اللقيف : إنما سموا بذلك لالتفاف
بعضهم ببعض . وسبب ذلك أن عمرو بن
العاص لما فتح الاسكندرية ، أخبر أن مراكب
الروم قد توجهت الى الاسكندرية لقتال
المسلمين ، فبعث عمرو بعمرو بن جمالة الأزدي
الحجري ليأخيه بالخبر ، فمضى .

وأمرت هذه القبائل التي تدعى اللقيف ،
وتعاقدوا على اللحاق به ، واستأذنوا عمرو بن
العاص في ذلك ، فأذن لهم ، وهم جمع كثير ،
فلما رأهم عمرو بن جمالة استكثرهم ، وقال :
تالله ما رأيت قوما قد سدوا الأنف مثلكم ،
وانكم كما قال الله تعالى : « فإذا جاء وعد
الآخرة جئنا بكم لغيفا » ، فبذلك سموا من
يومئذ اللقيف .

وسألوا عمرو بن العاص أن يفردهم لهم
دعوة ، فامتعت عشائرهم من ذلك ، فقالوا
لعمرو : فانا نجتمع في المنزل حيث كنا .
فأجابهم الى ذلك .

فكانوا مجتمعين في المنزل ، متفرقين في
الدبوان ، إذا دعى كل بطن منهم انضم الى
بنى أبيه .

قال قتادة ومجاهد والضحاك بن مزاحم في
قوله : « جئنا بكم لغيفا » قال : جيما .

وكان عامتهم من الأزدي من الحجر ومن
غسان ومن شجاعة ، والتف بهم قوم من جذام
ولخم والزحاف وتبوخ من قضاعة ، بهم
مجمعون في المنزل ، متفرقون في الديوان .

وهذه الخطة أولها ما يلي الرابية ، سالكا
ذات الشمال الى تقاشى البلاط ، وفيها دار
ابن عثرات الى نحو من سوق وردان .

خطط أهل الظاهر : إنما سمي هذا المنزل
بالظاهر ، لأن القبائل التي نزلت كانت
بالاسكندرية ، ثم قفلت بعد قتل عمرو بن
العاص ، وبعد أن اختط الناس خططهم .

فخاصمت الى عمرو ، فقال لهم معاوية بن
خديج ، وكان ممن يتولى الخطط يومئذ :
أرى لكم أن تظهروا على أهل هذه القبائل ،
فتخذوا منزلا ، فسمى الظاهر بذلك .

وكانت القبائل التي نزلت الظاهر *
العتقاء ، وهم جماعة من القبائل كانوا يقطعون
على أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعث
اليهم ، فأثنى بهم أمرى فاعتقهم ، فقيس لهم
العتقاء .

ودبوانهم مع أهل الرابية ، وخطتهم بالظاهر
متوسطة فيه ، وكان فيهم طوائف من الأزدي
وفهم .

(*) من ١١٧٢ ميلاد ١٠٠٠ ميلاد

وأول هذه الخطة من شرقى خطة لخم ،
وتصل بموضع المسكر .

ومن هذه الخطة سوية المراقين ، وعرفت
بذلك لأن زيادا لما ولاء معاوية بن أبي سفيان
البصرة ، غرب جماعة من الأزدي الى مصر ،
— وبها مسلمة بن مخلد — في سنة ثلاث
وخسين ، فنزل منهم هنا نحو من مائة
وثلاثين ، فقبل لموضعهم من خطة الظاهر
سوية المراقين .

خطط غافق : هو غافق بن الحارث بن عك
ابن عدنان بن عبد الله بن الأزدي .

وهذه الخطة تلي خطة لخم الى خطة
الظاهر ، بجوار درب الأعلام .

خطط الصدف : واسمه مالك بن سهل بن
عمرو بن قيس بن حمير ، ودعوتهم مع
كندة .

خطط الفارسيين : واستبد بخطة خولان من
حضر فتح مصر من الفارسيين ، وهم بقايا جند
بإذان عامل كسرى على اليمن قبل الاسلام ،
أسلموا بالشام ، ورغبوا في الجهاد .

فنفروا مع عمرو بن العاص الى مصر ،
فاختلطوا بها ، وأخذوا في سفح الجبل الذي
يقال له جبل باب اليون . وهذا الجبل اليوم
شرقي من وراء خطة جامع ابن طولون ، تعرف
أرضه بالأرض الصفراء ، وهي من جملة
المسكر .

خطة منجج (بالحاء قبل الجيم) : وهو
مالك بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان .

خطة غطيف بن مراد .

خطة وعلان بن قرن بن ناجية بن مراد ،
وكلمهم من منجج ، فاختلفت وعلان من الزقاق
الذي فيه الصنم المعروف بسيرة فرعون ،
وهذا الزقاق أوله باب السوق الكبير ،
واختلفت أيضا بخولان .

ثم التردت وعلان بخطها مقابل المسجد
المعروف بالدينوري ، واستندت الى خولان .
وهذه الخطة اليوم كيان تطل على قبر
القاضي بكار .

خطة يحصب بن مالك بن أسلم بن زيد
ابن غوث : وهذه الخطة موضعا كيان ،
وهي تصل بالشرف ، الذي يعرف اليوم
بالرصد ، المطل على راشد .

خطة رعين بن زيد بن سهل .

خطة ذى الكلاع بن شرحبيل بن سعد من
حمير .

خطة المغافر بن يعفر بن مرة بن أدد : وهذه
الخطة من الرصد الى سقاية ابن طولون .
وهي القنطرة التي تطل على حفصة ، وتفصل
بين القرافتين . والقنطرة للمغافر ، ولهم الى
مصلى خولان ، وإلى الكوم المشرف على
المصلى .

خطة مبا وخطة الرحبة بن زرعة بن كعب .
خطة السلف بن سعد : فيما بين الكوم
المطل على القاضي بكار وبين المغافر .

خطة بنى وائل بن زيد مائة بن أنصى بن
إياس بن حرام بن جذام بن عدى : وهي من
سفح الشرف المعروف بالرصد الى خطة
خولان .

خطة القبض (بالتحريك) بن مرثد : وهي بجانب خطة بنى وائل الى نحو بركة الجيش .

قال : وكان سبب نزول بنى وائل والقبض ورية وراشدة والفارسيين هذه المواضع ، أنهم كانوا في طوالع عمرو بن العاص ، فنزلوا في مقدمه الناس ، وحازوا هذه المواضع قبل الفتح

خطط الحمراوات الثلاث . قال الكندي : وكانت الحمراء على ثلاثة : بنو نيه ، ورويل ، والأزرق . وكانوا من سار مع عمرو بن العاص من الشام الى مصر من عجم الشام ، ممن كان رغب في الاسلام من قبل اليرموك ، ومن اهل قيسية وغيرهم .

وقال القضاعي : وانما قيل الحمراء لنزول الروم بها .

وهي خطط بلى بن عمرو بن لعاف بن قضاة ، وفهم ، وعدوان ، وبعض الأزرق وهم ثراد ، وبنى بحر ، وبنى سلامان ، ويشكر بن لخم ، وهذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، وبنى نيه ، وبنى الأزرق وهم من الروم ، وبنى رويل وكان يهوديا فأسلم .

قاول ذلك : الحمراء الدنيا خطة بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، ومنها خطة ثراد من الأزرق ، وخطة فهم بن عمرو بن قيس عيلان ، ومنها خطة بنى بحر بن مسودة من الأزرق .

ومن ذلك : الحمراء الوسطى : منها خطة بنى نيه وهم قوم من الروم حضر الفتح منهم مائة رجل ، ومنها خطة هذيل بن مدركة بن

الياس بن مضر ، ومنها خطة بنى سلامان من الأزرق ، ومنها خطة عدوان .

ومن ذلك : الحمراء القصوى ، وهي خطة بنى الأزرق ، وكان روميا ، حضر الفتح منهم أربعائة ، وخطة بنى رويل ، وكان يهوديا فأسلم ، وحضر الفتح منهم ألف رجل ، وخطة بنى يشكر بن جزيلة بن لخم .

وكانت منازل يشكر مفرقة في الجبل ، فدثرت قديما وعادت صحراء ، حتى جاءت المسودة (يعني جيوش بنى العباس) فعمروها . وهي الآن خراب

وقال ابن المتوج : الحمراوات ثلاث : أولى ، ووسطى ، وقصوى .

فأما الأولى فتجمع جابر الأور وعقبة العداسين ، وسوق وردان ، وخطة الزيسر ، الى نقاشى البلاط ، طولاً وعرضاً ، على قدر ذلك

وأما الوسطى ، فمن درب نقاشى البلاط الى درب معاني ، طولاً وعرضاً على قدره .

وأما القصوى فمن درب معاني الى القناطر الظاهرية (يعني قناطر السباع) ، وهي حد ولاية مصر من القاهرة .

وكانت هذه الحمراوات جل عمارة مصر في زمن الروم .

فاذا الحمراء الأولى والوسطى هما الآن خراب ، وموضعها فيما بين سوق المعاريج ، وحمام طن من شرقيهما * الى ما يقابل المراغة في الشرق .

(م) ١٩٨٨ ج ١ ، ط ١٠٠ بولاق

وأما الحمراء الدنيا فهي الآن تعرف بخط قناطر السباع ، وبخط السبع ستبايات ، وببحر الخليلي وبحر أقبا ، والكوم حيث الأسرى ، ومنها أيضا خط الكيش ، وخط الجامع الطولوني والعسكر ، ومنها حدرة بن قبيصة الى حيث قنطرة السد ، وبستان الطواشي وما في شرقيه الى مشهد الرأس المعروف بزين العابدين .

وسأني لذلك مزيد بيان ، ان شاء الله تعالى ، عند ذكر العسكر .

وكانت مدينة القسطنطينية على قسمين : هما صل فوق ، وصل أسفل .

فصل فوق له طرفان : غربي ، وشرقي . فالغربي من شاطئ النيل في الجهة القبلية ، وأنت سار في الشرف ، المعروف اليوم بالرصدة ، الى القرافة الكبرى . والشرقي من القرافة الكبرى الى العسكر .

وعمل أسفل ما عدا ذلك الى حد القاهرة .

ذكر أمراء القسطنطينية من حين فتحت مصر الى ان بنى العسكر

اعلم أن عدة من ولى مصر من الأمراء في الاسلام — منذ فتحت وسكن القسطنطينية الى أن بنى العسكر — تسعة وعشرون أميراً في مدة مائة وثلاث عشرة سنة وسبعة أشهر .

أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة النبوية — وهو يوم فتح مصر — وآخرها سلخ شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، آخر ولاية صالح بن علي بن

عبد الله بن عباس على مصر ، وأول ولاية أبي عون عبد الملك ، وهو أول من سكن العسكر من أمراء مصر .

وأول أمراء القسطنطينية بعد الفتح — على ما ذكر الكندي وغيره — عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك ... أبو عبد الله .

كان تاجرا في الجاهلية ، وكان يختلف بتجارته الى مصر — وهي الأدم والطر — ثم ضرب الدهر ضرباته حتى فتح المسلمون الشام ، فخلا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فاستأذنه في السير الى مصر ، فسار في سنة تسع عشرة ، وأتى الحصن فعاصره سبعة أشهر ، الى أن فتحه في يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين .

وقيل كان فتح مصر في ثاني عشر بثونة سنة سبع وخسين وثلاثمائة لدقطنيانوس ، فعلى هذا يكون فتح مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة .

وتحرر ذلك أن الذي بين يوم الجمعة ، أول يوم من ملك دقطنيانوس ، وبين يوم الخميس أول سنة الهجرة ، ثمان وثلاثون وثلاثمائة سنة فارسية وتسعة وثلاثون يوما .

فاذا ألقينا ذلك من تاريخ مصر في ثاني عشر بثونة سنة سبع وخسين وثلاثمائة ، بقي ثمان عشرة سنة وثمانية أشهر وثلاثة أيام . وهذه سنون شمسية ، عنها من سنن القسطنطينية تسع عشرة سنة وشهر وثلاثة عشر يوما ، فيكون ذلك في ثالث عشر ربيع الأول سنة

عشرين ... فحمل الروم وقع في الشهر
القبلي .

وحاز الحصن بما فيه ، وسار الى
الاسكندرية في ربيع الاول مها ، فحاصرها
ثلاثة اشهر ، ثم فتحها عنوة - وهو الفتح
الاول - ويقال بل فتحها منهل سنة احدى
وعشرين ، ثم سار عنها الى بركة ، فافتحها
عنه في سنة اثنتين وعشرين ، وقيل في سنة
ثلاث وعشرين .

وقدم على امير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فليتين : استخلف في احدىهما
زكريا بن جهم البدرى ، وفي الثانية ابنه
عبد الله .

وثبني عمر رضي الله عنه في ذي الحجة سنة
ثلاث وعشرين ، وبويع امير المؤمنين عثمان بن
عفان رضي الله عنه ، فوفد عليه عمرو ، وسأله
عزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن حميد
مصر - وكان عمر ولواء الصميد - فامتنع
من ذلك عثمان ، وعقد لعبد الله بن سعد على
مصر كلها .

فكانت ولاية عمرو على مصر ، صلاتها
وخراجها ، منذ افتتحها الى ان صرف عنها ،
اربع سنين واشهر .

عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، واسمه
الحسام بن العارث بن حبيب بن جذيمة بن
نصر بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤي ،
ولي من قبل امير المؤمنين عثمان رضي الله
عنه ، فجاءه الكتاب بالقيوم ، فجعل لاهل
اطواف جلا ، فلقموا به القسطاط .

ثم ان منول القصى سار الى الاسكندرية
في سنة اربع وعشرين ، فسأل اهل مصر عثمان

ان يرد عمرو بن العاص لمعاربته ، فردده واليا
على الاسكندرية ، فعارب الروم بها حتى
افتحها ، وعبد الله بن سعد مقيم بالقسطاط ،
حتى فتحت الاسكندرية الفتح الثاني عنوة في
سنة خمس وعشرين .

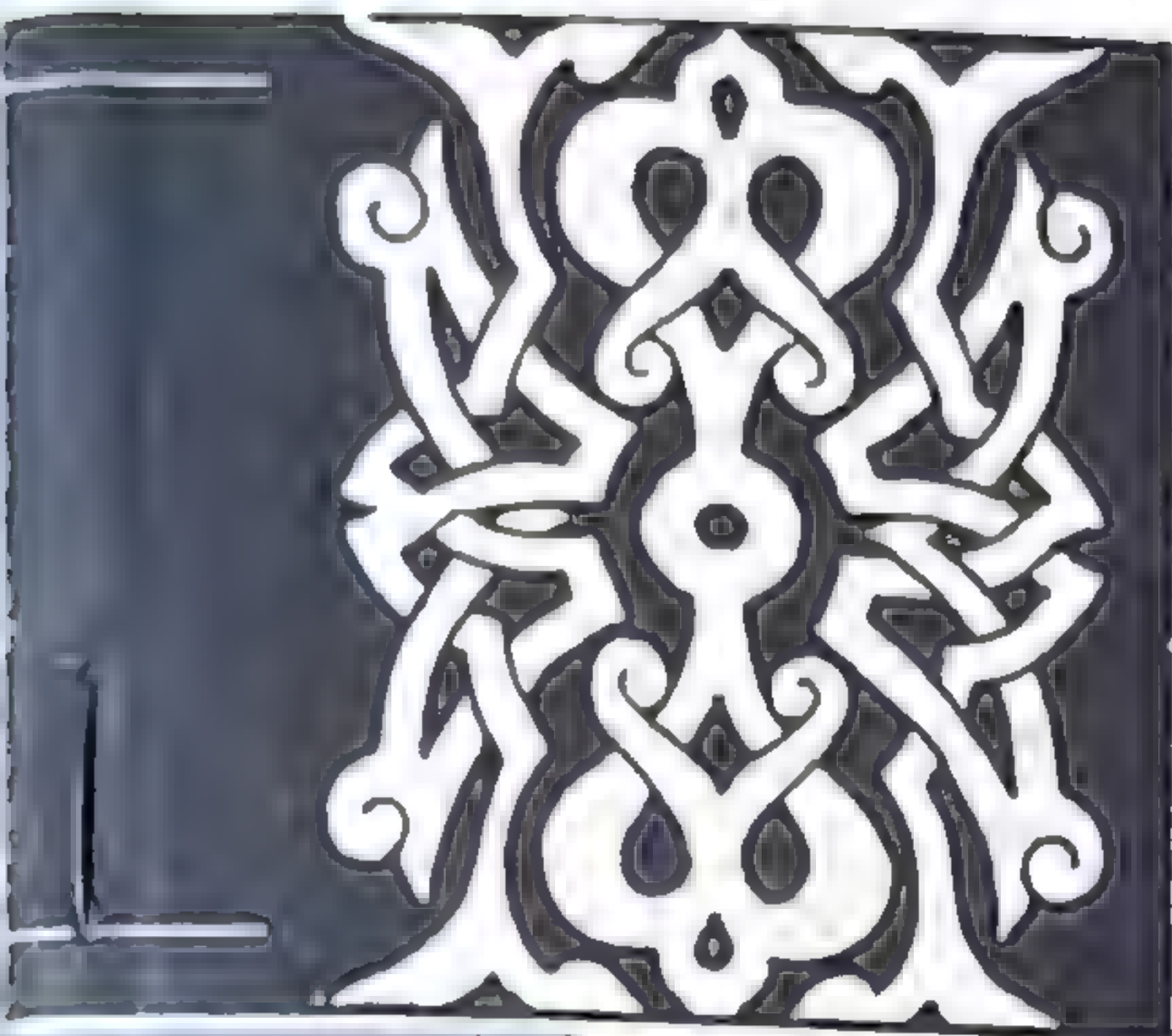
ثم جمع لعبد الله بن سعد امير مصر ،
صلاتها وخراجها ، ومكث اميرا مدة ولاية
عثمان رضي الله عنه كلها ، محمدا في ولايته .

وغزا ثلاث غزوات كلها لها شان : غزا
افريقية سنة سبع وعشرين ، وقتل ملكها
جرجير . وغزا غزوة الاسود حتى بلغ دقله في
سنة احدى وثلاثين . وغزا ذا الصواري في
سنة اربع وثلاثين ، فلقبهم قسطنطين بن هرقل
في ألف مركب ، وقيل في سبعائة مركب
والمسلمون في مائتي مركب ، فهزم الله الروم .

والما سميت غزوة ذي الصواري ، لكثرة
صواري المراكب واجتماعها .

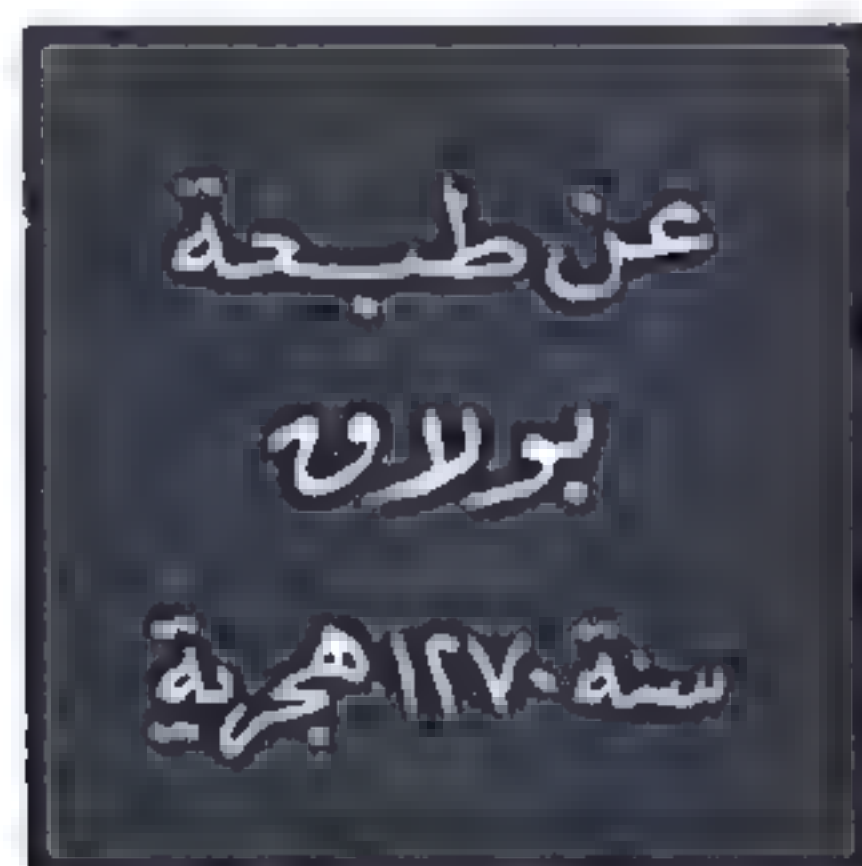
ووقد على عثمان * حين تكلم الناس بالظعن
على عثمان ، واستخلف عقبة بن عامر الجهني
- وقيل السائب بن هشام العامري - وجعل
على خراجها سليمان بن عتر التجيبي ، وكان
ذلك سنة خمس وثلاثين في رجب .

محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن
عبد شمس بن عبد مناف : أمر في شوال سنة
خمس وثلاثين ، على عقبة بن عامر خليفة
عبد الله بن سعد ، فأخرجه من القسطاط ،
ودعا الى خلع عثمان ، وأسر البلاد ، وحرّض
على عثمان بكل شر يقدر عليه .



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثنى ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خَطُّ الْمُقْرِئِ

١٥

١٥



كتاب
التحرير

هات هصر هي مستط رأسي ، ولعلب أنزاي ، ومجمع ناسي ، ومفتي عشيرتي وعاصمي ،
وسوطن خامستي وعاصمي ، وهجره جري الذي رب منامي في وكري ، وعشر ماري ، فديو
تهوي الأنفس غير ذكره ، لوزت من شذوذ العالم ، وآمان رب القطاة والفهم ، أرفب في
معرفة أخبارها ، وأحب لوزت على لوزت من آبارها ، وأصرو سادو لكران من كان ما رها

نقى العرين المحرم على المقرري

فاعتزله شيعة عثمان وناذوه - وهم معاوية بن خديج ، وخارجة بن حذافة ، وبسر ابن أوطاة ، ومسلمة بن مخلد ، في جمع كثير - وبعثوا الى عثمان بأمرهم وبصنيع ابن أبي حذيفة .

فبعث سعد بن أبي وقاص ليصلح أمرهم ، فخرج اليه جماعة ، فقبلوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه ، فركب وعاد راجعا ، ودعا عليهم .

واقبل عبد الله بن سعد ، فمنعوه أن يدخل ، فأنصرف الى عسقلان . وقتل عثمان رضي الله عنه وابن سعد بعسقلان .

ثم أجمع ابن أبي حذيفة على بعث جيش الى عثمان ، فجهز اليه ستائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي .

ثم قتل عثمان في ذي الحجة منها ، فثار شيعة عثمان بمصر ، وعقدوا لمعاوية بن خديج ، وبابعوه على الطلب بدم عثمان ، وساروا الى الضعيف ، فبعث اليهم ابن أبي حذيفة خيلا فهزمت .

ومضى ابن خديج الى برقة ، ثم رجع الى الاسكندرية . فبعث اليه ابن أبي حذيفة بجيش آخر ، فاقتلوا بخربتا في أول شهر رمضان سنة ست وثلاثين ، فانهزم لجيش ، وأقامت شيعة عثمان بخربتا .

وقدم معاوية بن أبي سفيان يريد القسطنطينية فنزل سلمنت في شوال ، فخرج اليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر فمنعوه ، ثم اتفقا على أن يجعلا رهنا ويتركا الحرب .

فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم ابن الصلت ، وخرج في الرهن هو وابن عديس وعدة من قتلة عثمان ، فلما بلغوا لدا سجنهم معاوية بها وسار الى دمشق ، فهربوا من السجن ، وتبعهم أمير فلسطين فقتلهم في ذي الحجة سنة ست وثلاثين .

قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري : ولاء أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه ، لما بلغه مصاب بن أبي حذيفة ، وجمع له الخراج والصلات .

فدخل مصر مستهل ربيع الأول سنة سبع وثلاثين ، فاستمال الخارجية بخربتا شيعة عثمان ، وبعث اليهم أعطيائهم ، ووعد عليهم وفدهم فأكرمهم .

وكان من ذوى الرأي ، فجهد عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان على أن يحرجاه من مصر ليغلبا على أمرها ، فأنها كانت من جيش على رضي الله عنه ، فامتنع منهما بالدهاء والمكايدة ، فلم يقبدا على مصر ، حتى كاد معاوية قيسا من قبل على رضي الله عنه ، فأشاع أن قيسا من شيعة ، وأنه يبعث اليه بالكتب والنصيحة سرا .

فسمع ذلك جواسيس على رضي الله عنه ، وما زال به محمد بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر ، حتى كتب الى قيس بن سعد يأمره بالقدوم اليه .

فولبها الى أن عزل أربعة أشهر وخمسة أيام ، وصرف لخمس خلوة من جب سنة سبع وثلاثين .

فوليا الأكثر ملك بن العارث بن خالد
القي ، من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب ، فلما قدم القرم شرب خلاقات ،
فبلغ ملك عمرا وسعوية ، فقال عمرو : إن الله
يبتليكم من عمل .

ثم وليها محمد بن أبي بكر الصديق من
قبل علي رضي الله عنه ، وجسج له صلاتها
وخرابها ، فنهضها لثمن من رمضان سنة
سبع وثلاثين ، فهدم دور شيعة عثمان ، وهب
أموالهم ، وسجن فرلهم ، فصبوا له
العرب ، ثم صالحهم على أن يسيرهم إلى
معاوية ، فقتلوا معاوية بالثمام .

فبث معاوية عمرو بن العاص في جيوش
أهل الشام إلى القسطنطينية ، وتغيب ابن أبي
بكر ، فقتل به معاوية بن خديج قتله ، ثم
جسه في حية حلزونية ، وأحرقه بالنار لأرج
شجرة ظلت من صنو سنة ثمان وثلاثين .
فكانت ولايته خسة أشهر .

ثم وليها عمرو بن العاص ولايته الثانية ،
من قبل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ،
فقتل بولايته شهر ربيع الأول سنة ثمان
وثلاثين ، وجعل إليه الصلات والخراج جيما ،
وجعلت مصر له طمة بعد عتق جندها والنفقة
في صلحتها .

ثم خرج عمرو للحكومة ، واستخلف علي
مصر ابنه عبد الله ، وقيل بل خارجة بن
حذافة ، ورجع إلى مصر .

وتعاقد بنو لخم عبد الرحمن وقيس وزيد
على قتل علي ومعاوية وعمره ، وتواعدوا ليلة
من رمضان سنة أربعين ، قضى كل منهم إلى

صاحبه ، وكان يزيد هو صاحب عمرو ،
فرضت لعمرو عتق منته من حضور المسجد ،
فصلى خارجه بالناس ، فشد عليه يزيد فضربه
حتى قتله .

فقتل به علي عمرو ، فقال : أما والله ما
أرقت غيرك بأعمرو .

قال عمرو : ولكن الله أراد خارجه .

وله در القائل :

وليتما إذ فقت عمرا بخارجه

فقت عليا بمن شامت من البشر

وعقد عمرو لشريك بن سمير على غزو لواءة
من البربر ، فزلمهم في سنة أربعين وصالحهم .

ثم انتقضوا ، فبث إليهم عقبة بن نافع ،
في سنة إحدى وأربعين ، فزلمهم حتى هزمهم .

وعقد لعقبة أيضا على غزو هواة ، وعقد
لشريك بن سمير على غزو لبدة ، فزولها
في سنة ثلاث وأربعين ، فقتلا وعمرو شديد
القتل في مرض موته .

وتوفي ليلة الطهر ، ففصله عبد الله بن
عمرو ، وأخرجه إلى المصلى وصلى عليه . فلم
يكن أحد شهد العبد إلا صلى عليه ، ثم صلى
بالناس صلاة العيد ، وكان أبوه استخلفه .

وخلف عمرو بن العاص سيمين بهارا دقائير
(واليهار جلد تور ، وميلقه أردبان بالمصري)
فلما حضرته الوفاة أخرجه ، وقال : من يأخذه
بأبيه ؟

فأبى ولداه أخذه وقالوا : حتى ترد إلى كل
ذي حق حقه .

(١٨٠ ص ٢٠٠ ج ١ طبع في المطبعات)

فقال : والله ما أجمع بين اثنين منهم .

فبلغ معاوية ، فقال : نحن تأخذه بأبيه .

ثم وليها عقبة بن أبي سفيان من قبل أخيه
معاوية بن أبي سفيان ، على صلاتها ، فقدم في
ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين ، وأقام شهرا .

ثم وفد على أخيه ، واستخلف عبد الله بن
قيس بن العارث - وكان فيه شدة - فكره
الناس ولايته ، وأمتعوا منها .

فبلغ ذلك عقبة ، فرجع إلى مصر ، وصعد
المنبر فقال : يا أهل مصر ، قد كنتم تعصفرون
بعض المنع منكم لبعض الجور عليكم ، وقد
وليكم من إذا قال فصل ، فإن أيتهم دراكم
بيده ، فإن أيتهم دراكم بيسفه ، ثم رجا في
الآخر ما أدرك في الأول . إن البيعة شائعة :
لنا عليكم السمع ، ولكم علينا العدل ، وأينا
غدر فلا ثمة له عند صاحبه .

فناداه المصريون من جنبات المسجد : سمعا
سمعا ، فتأداهم : عدلا عدلا ، ثم نزل .

ثم جمع له معاوية الصلات والخراج .
وعقد عقبة لعقمة بن يزيد على الاسكندرية
في اثني عشر ألفا من أهل الديوان تكون لها
رابطة . ثم خرج إليها مرابطا في ذي الحجة
سنة أربع وأربعين ، فمات بها ، واستخلف على
مصر عقبة بن عامر الجهني .

فكانت ولايته ستة أشهر .

ثم وليها عقبة بن عامر بن عيس الجهني ،
من قبل معاوية ، وجعل له صلاتها وخراجها ،
وكان قارئاً فقيها مفرضاً شاعرا ، له الهجرة
والصحة والسابقة .

ثم وفد مسلمة بن محمد بن الأنصاري على
معاوية ، فولاه مصر وأمره أن يكتب ذلك عن
عقبة بن عامر ، وجعل عقبة على البحر ، وأمره
أن يسير إلى رودس .

فقدم مسلمة فلم يعلم بأمارته ، وخرج مع
عقبة إلى الاسكندرية ، فلما توجه سائرا
استوى مسلمة على سرير أمارته ، فبلغ ذلك
عقبة فقال : أخلعوا وغربة !

وكان صرفه لعشر بقين من ربيع الأول سنة
سبع وأربعين ، وكانت ولايته ستين وثلاثة
أشهر .

فولى مسلمة بن مخلد بن صامت بن نيار
الأنصاري ، من قبل معاوية ، وجمع له الصلات
والخراج والغزو ، فاستطعت غزواته في البحر
والبحر .

وفي أمارته نزلت الروم البرلس في سنة
ثلاث وخمسين ، فاستشهد يومئذ وردان مولى
عمرو بن العاص في جمع من المسلمين .

وهدم ما كان عمرو بن العاص بناء من
المسجد وبناء ، وأمر بإبشاء منارات المساجد
كلها إلا خولان وتجب .

وخرج إلى الاسكندرية في سنة ستين ،
واستخلف عابس بن سعيد .

ومات معاوية بن أبي سفيان في رجب منها ،
واستخلف ابنه يزيد بن معاوية ، فأقر مسلمة ،
وكتب إليه بأخذ البيعة ، فبايحه الجند إلا عبد
الله بن عمرو بن العاص ، فدعا عابس بالنصار
ليحرق عليه بابه ، فحينئذ بايع ليزيد .

وقدم مسلمة من الاسكندرية ، فجمع
لعبس مع الشرط القضاء في سنة احدى
وستين .

وقال مجاهد : صليت خلف مسلمة بن
مخلد ، فقرأ سورة البقرة فما ترك الفا ولا
واوا .

وقال ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد : كان
مسلمة بن مخلد يصلى بنا ، فيقوم في الظهر ،
فربما قرأ الرجل البقرة .

وتوفي مسلمة وهو وال لخمس بقين من
رجب سنة اثنين وستين ، فكانت ولايته خمس
عشرة سنة وأربعة أشهر ، واستخلف عابس بن
سعيد .

ثم وليها سعيد بن يزيد بن علقمة بن يزيد
ابن عوف الأزدي من أهل فلسطين . فقدم
مستهل رمضان سنة اثنين وستين ، فقتلاه
عسرو بن قحزم الخولاني فقال : يغفر الله لأمر
المؤمنين ، أما كان قينا مائة شاب كلهم مثلك
يولى علينا أحدهم ؟

ولم تزل أهل مصر على الشنآن له ،
والاعراض عنه ، والتكبر عليه حتى توفي يزيد
ابن معاوية .

ودعا عبد الله بن الزبير رضى الله عنه الى
قبه ، فقامت الخوارج الذين بمصر وأظهروا
دعوته ، وسار منهم اليه ، فبعث لعبد الرحمن
ابن جحدم فقدم .

واعتزل سعيدا . فكانت ولايته ستين غير
شهر .

ثم وليها عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم ،
من قبل عبد الله بن الزبير ، فدخل في شيمان

سنة أربع وستين في جمع كثير من الخوارج ،
فأظهروا التحكيم ودعوا اليه ، فاستعظم الجند
ذلك ، وبأيامه الناس على غل في قلوب شيعة
بنى أمية .

ثم بويج مروان بن الحكم بالخلافة في أهل
الشام ، وأهل مصر معه في الباطن ، فسار
اليها ، وبعث ابنه عبد العزيز في جيش الى أيلة
ليدخل مصر من هناك .

وأجمع ابن جحدم على حربه ، وحفر
الخنق في شهر ، وهو الذي في شرقي
الترافة .

وقدم مروان فحاربه ابن جحدم ، وقتل
بينهما كثير من الناس ، ثم اصطلحا ، ودخل
مروان لعشر من جمادى الأولى سنة خمس
وستين .

فكانت مدة ابن جحدم تسعة أشهر .

ووضع مروان العطاء ، فبايحه الناس ، الا
تقرا من المغافر قالوا : لا نخلع ببيعة ابن
الزبير ، ف ضرب أعناقهم — وكانوا ثمانين
رجلا — وذلك للنصف من جمادى الآخرة .

ويومئذ مات عبد الله بن عسرو بن
العاص * ، فلم يستطع أن يخرج بجنازته الى
المقبرة لشغب الجند على مروان .

وجعل مروان صلات مصر وخراجها الى
ابنه عبد العزيز وسار ، وقد أقام بها شهرين
لهلال رمضان .

عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي
العاص أبو الأصبح : ولى من قبل أبيه ، لهلال

(*) من ٢٠١ ج ١ ط ١ بولاق .

وجب سنة خمس وستين ، على الصلات
والخراج .

ومات أبوه ، وبويج من بعده عبد الملك بن
مروان ، فأقر أخاه عبد العزيز .

ووقع الطاعون بمصر سنة سبعين ، فخرج
عبد العزيز منها ، ونزل حلوان فاتخذها دارا
وسكنها ، وجعل بها الأعوان ، وبنى بها الدور
والمساجد ، وعمرها أحسن عمارة ، وغرس
نخلها وكرمها .

وعُثر بمصر — وهو أول من عرف
بها — في سنة احدى وسبعين ، وجهز البعث
في البحر لقتال ابن الزبير في سنة اثنتين
وسبعين .

ثم مات لثلاث عشرة خلت من جمادى
الأولى سنة ست وثمانين ، فكانت ولايته
عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما .

فولى عبد الله بن عبد الملك بن مروان من
قبل أبيه ، على صلاتها وخراجها ، فدخل يوم
الاثنين لاحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة
سنة ست وثمانين ، وهو ابن تسع وعشرين
سنة ، وقد تقدم اليه أبوه أن يقتل آثار عمه
عبد العزيز ، فاستبدل بالعمال وبالأصحاب .

ومات عبد الملك ، وبويج ابنه الوليد بن
عبد الملك ، فأقر أخاه عبد الله .

وأمر عبد الله فنسخت دواوين مصر
بالعربية ، وكانت بالقبطية .

وفي ولايته غلت الأسعار ، فشاءم الناس
به — وهى أول شدة رأوها بمصر — وكان
يرتشى .

ثم وفد على أخيه في مصر سنة ثمان
وثمانين ، واستخلف عبد الرحمن بن عسرو بن
قحزم الخولاني ، وأهل مصر في شدة
عظيمة .

ورفع سقف المسجد الجامع في سنة تسع
وثمانين ، ثم صرف . فكانت ولايته ثلاث
سنين وعشرة أشهر .

فولى قرة بن شريك بن مرثد بن الحارث
العيسى الوليد بن عبد الملك ، على صلات
مصر وخراجها ، فقدمها يوم الاثنين لثلاث
عشرة خلت من ربيع الأول سنة تسعين .

وخرج عبد الله بن عبد الملك من مصر بكل
ما ملكه ، فأحيط به في الأردن ، وأخذ سائر
ما معه ، وحمل الى أخيه .

وأمر الوليد بهدم ما بناء عبد العزيز في
المسجد ، فهدم أول سنة اثنتين وتسعين
وبنى .

واستبسط قرة بن شريك بركة الحبش من
الموات وأحيائها ، وغرس فيها القصب ، فقبل
لها اصطبل قرة واصطبل القاش .

ثم مات وهو وال ليلة الخميس لست بقين
من ربيع الأول سنة ست وتسعين ، واستخلف
على الجند والخراج عبد الملك بن رفاعة ...
فكانت ولايته ست سنين وأياما .

ثم ولى عبد الملك بن رفاعة بن خالد بن
ثابت القهسي ، من قبل الوليد بن عبد الملك ،
على صلاتها .

وتوفي الوليد ، واستخلف سليمان بن عبد
الملك ، فأقر ابن رفاعة .

وتوفي سليمان ، وبويع عمر بن عبد العزيز
فمرل ابن رفاعه ... فكانت ولايته ثلاث
سنتين .

ثم ولي ايوب بن شرحبيل بن اكوم بن
ابرهة بن الصباح ، من قبل عمر بن عبد
العزيز ، على صلاتها في ربيع الاول سنة تسع
وتسعين .

فورد كتاب امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
بالزيادة في اعطيات الناس عامة ، وخمرت
الخير ، وكسرت وعطت حاناتها ، وقسم
للقارين بخسة وعشرين ألف دينار ، وزعت
موارث القبط عن الكور واستعمل المسلمون
عليها ، ومنع الناس الحمامات .

وتوفي عمر بن عبد العزيز ، واستخلف يزيد
ابن عبد الملك ، فأقر ايوب على الصلات ، الى
أن مات لاحدى عشرة ، وقيل لسبع عشرة ،
خلت من رمضان سنة لحدى ومائة ... فكانت
ولايته ستين ونصفا .

فولي بشر بن صفوان الكلبى ، من قبل
يزيد بن عبد الملك ، قدمها لسبع عشرة خلّت
من رمضان سنة لحدى ومائة .

وفي امرته نزل الروم تيس .

ثم ولاء يزيد على افرقية ، فخرج اليها في
شوال سنة اثنين ومائة ، واستخلف أخاه
حنظلة .

فولي حنظلة بن صفوان باستخلاف أخيه ،
فأقره يزيد بن عبد الملك ، وخرج الى
الاسكندرية في سنة ثلاث ومائة ، واستخلف
عقبة بن مسلمة التجيبى .

وكتب يزيد بن عبد الملك ، في سنة أربع
ومائة ، بكسر الأصنام والتماثيل ، فكسرت
كلها ومحيت التماثيل .

ومات يزيد بن عبد الملك ، وبويع هشام بن
عبد الملك ، فصرف حنظلة في شوال سنة
خمس ومائة ... فكانت ولايته ثلاث سنين .

وولي محمد بن عبد الملك بن مروان بن
الحكم ، من قبل أخيه هشام بن عبد الملك ،
على الصلات ، فدخل مصر لاحدى عشرة
خلت من شوال سنة خمس ومائة .

ووقع وباء شديد بمصر ، فترفع محمد الى
الصعيد هاربا من الوباء أياما ، ثم قدم وخرج
عن مصر لم يلها الا نحو من شهر ، وانصرف
الى الأردن .

فولي الحر بن يوسف بن يحيى بن
الحكم ، من قبل هشام بن عبد الملك ،
على صلاتها ، فدخل لثلاث خلون من ذى
الحجة سنة خمس ومائة .

وفي امرته كان أول انتفاض القبط في
سنة سبع ومائة . ورابط بدمياط ثلاثة أشهر ،
ثم توفد الى هشام بن عبد الملك ، فاستخلف
حفص بن الوليد . وقدم في ذى القعدة من
سنة سبع ، وانكشف النيل عن الأرض فبنى
فيها .

وصرف في ذى القعدة سنة ثمان ومائة
ياستغفائه ، لمغاضبة كانت بينه وبين عبد الله *
ابن الجباب متولى خراج مصر ... فكانت
ولايته ثلاث سنين سواء .

القبط ، وحاربهم في سنة احدى وعشرين
ومائة .

وقدم رأس زيد بن على الى مصر في سنة
اثنين وعشرين ومائة .

ثم ولاء هشام افرقية ، فاستخلف حفص
ابن الوليد بامرة هشام .

وخرج لسبع خلون من ربيع الآخر سنة
أربع وعشرين ومائة ... فكانت ولايته هذه
خمس سنين وثلاثة أشهر .

وولي حفص بن الوليد الحضرمى ثانيا ،
باستخلاف حنظلة له ، على صلاتها ، فأقره
هشام بن عبد الملك الى ليلة الجمعة لثلاث
عشرة خلّت من شعبان سنة أربع وعشرين ،
فجمع له الصلات والخراج جميعا ، واستبقى
الناس وخطب ودعا ، ثم صلى بهم .

ومات هشام بن عبد الملك ، واستخلف من
بعده الوليد بن يزيد ، فأقر حفصا على
الصلات والخراج .

ثم صرف عن الخراج بميسى بن أبى عطاء ،
لسبع بقين من شوال سنة خمس وعشرين
ومائة ، وانفرد بالصلات ، ووفد على الوليد
ابن يزيد ، واستخلف عقبة بن نعيم الرعينى .

وقتل الوليد بن يزيد وحفص بالشم ،
وبويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فأمر
حفصا باللاحاق بجنده ، وأمره على ثلاثين
ألفا . وفرض الفروض ، وبعث يعة أهل مصر
الى يزيد بن الوليد .

ثم توفي يزيد ، وبويع ابراهيم بن الوليد ،
وخلعه مروان بن محمد الجعدي ، فكتب

وولي حفص بن الوليد بن سيف بن عبد
الله ، من قبل هشام بن عبد الملك ، ثم صرف
بعد جمعته يوم الأنصحر بشكوى بن
الجباب منه ، وقيل صرف سلخ ثمان ومائة .
فولي عبد الملك بن رفاعه ثانيا على
الصلات ، فقدم من الشام عيلا لثتى عشرة
بقيت من المحرم سنة تسع ومائة ، وكان أخوه
الوليد يخلقه من أول المحرم . وقيل بل ولي
أول المحرم ، ومات للنصف منه . وكانت
ولايته خمس عشرة ليلة .

ثم ولي أخوه الوليد بن رفاعه باستخلاف
أخيه ، فأقره هشام بن عبد الملك على
الصلات .

وفي ولايته تلت قيس الى مصر ولم يكن
بها أحد منهم ، وخرج وهيب اليحصى شاردا
في سنة سبع عشرة ومائة من أجل أن الوليد
أذن للنصارى في ابتناء كنيسة « يومنا »
بالحمراء .

وتوفي وهو وال أول جمادى الآخرة سنة
سبع عشرة ، واستخلف عبد الرحمن بن
خالد ... فكانت امرته تسع سنين وخمسة
أشهر .

فولي عبد الرحمن بن خالد بن مسافر
القمي أبو الوليد ، من قبل هشام بن عبد
الملك ، على صلاتها .

وفي امرته نزل الروم على تروجة فحاصروها
ثم اقتتلوا فأسروا ، فصرفه هشام ... فكانت
ولايته سبعة أشهر .

وولي حنظلة بن صفوان ثانيا ، فقدم لخمس
خلون من المحرم سنة تسع ومائة ، فانتفض

خصم يستغفبه من ولاية مصر ، فاضاه
مروان ... فكانت ولاية خصم هذه ثلاث
سنة الأشهر .

وولي حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن
التحبي وهو بالشام ، فكتب الى خير بن نعيم
بإستخلافه ، فلم خصم الى خير .

ثم قدم حسان لثني عشرة خلت من جنادي
الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة على الصلوات ،
وعيسى بن أبي عطاء على الخراج ، فأسقط
حسان فروض خصم كلها ،

فوثبوا به وقتلوا : لا فرضي إلا بخصم .

وركبوا الى المسجد ، ودعوا الى خلق
مروان ، وحصروا حسان في داره ، وقالوا له :
أخرج منا ، فإنا لا نقيم معنا يلبد .

وأخرجوا عيسى بن أبي عطاء صاحب
الخراج وذلك في آخر جنادي الآخرة ،
وأقاموا خصما ... فكانت ولاية حسان سنة
عشر يوما .

فولي خصم بن الوليد الثالثة كرها ، أخذه
قواد القروى بذلك ، فأقام على مصر رجب
وشعبان ، ولحق حسان بمروان .

وقدم حنظلة بن صفوان من إفريقية - وقد
أخرجه أهلها - فنزل الجيزة ، وكتب مروان
بولايتيه على مصر .

فامتص المصريون من ولاية حنظلة ، وأظهروا
الخلق ، وأخرجوا حنظلة الى الحوف الشرقي ،
ومنعه من المقام بالقسطنطين .

وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين يريد
القسطنطين ، فحاربوه وهزموه .

وسكت مروان عن مصر بقية سنة سبع
وعشرين ومائة ، ثم عزل خصما مستهل سنة
ثمان وعشرين .

وولي الحوثة بن سهيل بن العجلان
الباهلي ، فسار اليها في آلاف ، وقدم أول
للمحرم وقد اجتمع الجند على منعه ، فأمر
عليهم خصم ، فحافوا حوثة وسألوه الأمان ،
فأمنهم .

ويزل ظاهر القسطنطين وقد طمانوا اليه ،
فخرج اليه خصم ووجوه الجند ، فقبض عليهم
وقيلهم ، فانهزم الجند .

ودخل معه عيسى بن أبي عطاء على الخراج
لثني عشرة خلت من المحرم ، وبعث في طلب
رؤساء القبة ، فجمعوا له وضرب أعناقهم ،
وقتل خصم بن الوليد .

ثم صرف في جنادي الأولى سنة إحدى
وثلاثين ومائة ، وبعث مروان الى العراق
فقتل ، واستخلف على مصر حسان بن عتاهية ،
وقيل أبا الجراح بشر بن أوس ، وأخرج لعشر
خلون من رجب . وكانت ولايته ثلاث سنين
وسنة أشهر .

ثم ولي القيرة بن عبيد الله بن القيرة
الغزاري على الصلوات من قبل مروان ، فقدم
لثني عشر من رجب سنة إحدى وثلاثين ،
وأخرج الى الاسكندرية ، واستخلف أبا
الجراح الحرشي .

وتوفي لثني عشرة خلت من جنادي الأولى
سنة اثنين وثلاثين ومائة ... فكانت ولايته
عشرة أشهر .

سنة ثمان وعشرين ومائة .

واستخلف ابنه الوليد بن القيرة ، ثم صرف
الوليد في النصف من جنادي الآخرة .

وولي عبد الملك بن مروان بن موسى بن
نصير ، من قبل مروان ، على الصلوات
والخراج - وكان واليا على الخراج قبل
أن يولي الصلوات - في جنادي الآخرة سنة
اثنين وثلاثين ومائة ، فأمر باتخاذ المنابر في
السكرور ولم تكن قبله ، وأما كانت ولاية
السكرور يخطبون على العصي الى جانب القبلة .

وأخرج القبط فحاربهم ، وقتل كثيرا منهم .

وخالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن
مروان على مروان ، واجتمع عليه جمع من
قيس في الحوف الشرقي ، فبعث اليهم عبد
الملك بجيش ، فلم يكن حرب .

وسار مروان بن محمد الى مصر منهزما
من بني العباس ، فقدم يوم الثلاثاء لثمان
بقيت من شوال سنة اثنين وثلاثين ومائة ،
وقد سود أهل الحوف الشرقي وأهل
الاسكندرية وأهل الصعيد وأسوان .

فغزم مروان على تعدي النيل ، وأحرق دار
آل مروان المذبة ، ثم رحل الى الجيزة وخرق
الجسرين ، وبعث بجيش الى الاسكندرية ،
فاقتلوا بالكربون .

وخالفت القبط برشيد ، فبعث اليهم
وهزمهم ، وبعث الى الصعيد .

فقدم صالح بن علي بن عبد الله بن عباس
في طلب مروان ، هو وأبو غون عبد الملك بن
يزيد ، يوم الثلاثاء للنصف من ذي الحجة ،
فأدرك صالح مروان ويوصير من الجيزة

- بعد ما استخلف على القسطنطين معاوية بن
بحيرة بن ريسان - فحارب مروان حتى قتل
يوصير يوم الجمعة لسبع بقيت من ذي
الحجة .

ودخل صالح الى القسطنطين يوم الأحد لثمان
خلون من المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة ،
وبعث برأس مروان الى العراق .

وانقضت أيام بني أمية .

فولي صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ،
ولي من قبل أمير المؤمنين أبي العباس عبد الله
ابن محمد السفاح ، فاستقبل بولايتيه المحرم
سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وبعث بوفد أهل
مصر الى أبي العباس السفاح يبيعه أهل مصر ،
وأمر عبد الملك بن موسى بن نصير وجاعة ،
وقتل كثيرا من شيعة بني أمية ، وحصل طائفة
منهم الى العراق ، فقتلوا بقتلوة من أرض
فلسطين .

وأمر للناس بأعطياتهم للمقاتلة والعيال ،
وقسم الصدقات على اليتامى والمساكين ،
وزاد صالح في المسجد .

وورد عليه كتاب أمير المؤمنين السفاح
بإمارته على فلسطين والاستخلاف على مصر ،
فاستخلف أبا عون مستهل شعبان سنة ثلاث
وثلاثين ، وسار ومعه عبد الملك بن نصير
ملزما وعدة من أهل مصر صحابة لأمير
المؤمنين ، وأقطع الذين سودوا قطائع ، منها
منية بولاق وقرى أهناس وغيرها .

ثم من بعد صالح بن علي ، سكن أمراء
مصر السكر ، وأول من سكنه أبو عون .
وأنه تعالى أعلم .

ذكر المعسكر الذي بنى نضاهر مدينه فسطاط مصر

اعلم أن موضع المعسكر قد كان يعرف في صدر الاسلام بالحراء القصوى . وقد تقدم أن الحراء القصوى كانت خطة بنى الأزرق وبنى رويل وبنى يشكر بن جزيلة ، ثم دثرت هذه الخطط بعد العمارة بتلك القبائل حتى صارت صحراء .

فلما قدم مروان بن محمد ، آخر خلفاء بنى أمية ، الى مصر منهزما من بنى العباس ، نزلت عساكر صالح بن على وأبى عون عبد الملك بن يزيد في هذه الصحراء — حيث جبل يشكر — حتى ملأوا الفضاء ، وأمر أبو عون أصحابه بالبناء فيه ، فبنوا وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة .

فلما خرج صالح بن على من مصر ، خرب أكثر ما بنى فيه ... الى زمن موسى بن عيسى الهاشمى ، فابتنى فيه دارا أنزل فيها حشمه وعبيده ، وعمر الناس .

ثم ولى السرى بن الحكم ، فأذن للناس في البناء ، فابتوا فيه وصار ملوكا بأيديهم ، واتصل بناؤه ببناء الفسطاط ، وبنيت فيه دار الامارة ومسجد جامع عرف بجامع المعسكر ، ثم عرف بجامع ساحل القلة .

وعملت الشرطة أيضا في المعسكر ، وقيل لها الشرطة العليا ، والى جانبها بنى أحمد بن طولون جامع الموجود الآن .

وسمى من حينئذ ذلك الفضاء بالمعسكر ، وصار أمراء مصر اذا ولوا ينزلون به من بعد أبى عون ، فقال الناس من يومئذ : كنا بالمعسكر ، وخرجنا الى المعسكر .

وكتب من المعسكر ، وصار مدينة ذات محال وأسواق ودور عظيمة .

وفيه بنى أحمد بن طولون مارستانه ، فأقيم عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار ، وكان بالقرب من بركة قارون التى صارت كيانا ، وبعضها بركة على يسرة من سار من حدرة ابن قبيصة يريد قنطرة السد .

وعلى بركة قارون هذه كانت جنان بنى مسكين ، وبنى كافور الاخشيدى دارا أنفق عليها مائة ألف دينار ، وسكنها في رجب سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، وانتقل منها بعد أيام لوباء وقع في غلمانها من بخار البركة .

وعظمت العمارة في المعسكر جدا ، الى أن قدم أحمد بن طولون من العراق الى مصر ، فنزل بدار الامارة من المعسكر ، وكان لها باب الى جامع المعسكر ، وينزلها الأمراء منذ بناها صالح بن على بعد قتله مروان * .

وما زال بها أحمد بن طولون الى أن بنى القصر والميدان بالقطائع ، فتحول من المعسكر وسكن قصره بالقطائع .

فلما ولى أبو الجيش خسارويه بن أحمد ابن طولون بعد أبيه ، جعل دار الامارة ديوان الخراج ، ثم فرقت حجرا بعد دخول محمد ابن سليمان الكاتب الى مصر وزوال دولة بنى طولون ، فسكن محمد بن سليمان بدار

(*) ص ٢٠٠ ج ١ ط ١ بولاق .

الامارة في المعسكر عند المصلى القديم ، وكان المصلى القديم حيث الكوم المطل الآن على قبر القاضى بكار .

وما زالت الأمراء تنزل بالمعسكر ... الى أن قدم القائد جوهر من المغرب ، وبنى القاهرة المعزية .

ولما بنى أحمد بن طولون القطائع ، اتصلت مبانيها بالمعسكر ، وبنى جامع على جبل يشكر ، فعمر ما هنالك عمارة عظيمة تخرج عن الحد في الكثرة .

وقدم جوهر القائد بعساكر مولاه المعز لدين الله ، في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، والمعسكر عامر ، الا أنه منذ بنيت القطائع ، هجر اسم المعسكر ، وصار يقال مدينة الفسطاط والقطائع ، وربما قيل والمعسكر أحيانا .

فلما خرب محمد بن سليمان قصر ابن طولون وميدانه ، بقى في القطائع مساكن جليلة حيث كان المعسكر .

وأزيل المعز لدين الله عنه أبا على في دار الامارة ، فلم يزل أهله بها الى أن خربت القطائع ، في الشدة العظمى التى كانت في خلافة المستنصر ، أعوام بضع وخمسين وأربعمائة . فيقال انه كان هناك زيادة على مائة ألف دار سوى البساتين .

وما هذا بعيد ، فان ذلك كان ما بين سفح الشرف الذى عليه الآن قلعة الجبل ، وبين ساحل مصر القديم حيث الآن الكيابة خارج مصر ، وما على سمتها الى كوم الجارج ، ومن

كوم الجارج الى جامع ابن طولون وخط قناطر السباع وخط السبع سقايات ، الى قنطرة السد ومراغة مصر ، الى المعاريج بمصر ، والى كوم الجارج ... ففى هذه المواضع كان المعسكر والقطائع .

ويخص المعسكر من ذلك ما بين قناطر السباع وحدرة ابن قبيصة ، الى كوم الجارج ، حيث الفضاء الذى يتوسط ما بين قنطرة السد وبين سور القرافة الذى يعرف بيباب المجدم ... فهذا هو المعسكر

ولما استولى الخراب في المحنة ، أمر ببناءه حائط يستر الخراب عن نظر الخليفة اذا سار من القاهرة الى مصر ، فيما بين المعسكر والقطائع وبين الطريق ، وأمر ببناء حائط آخر عند جامع ابن طولون .

فلما كان في خلافة الأمر بأحكام الله أبى على منصور بن المستعلى ، أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فاتك — المنعوت بالأجل المأمون — بن البطايحي فنودى مدة ثلاثة أيام في القاهرة ومصر : بأن من كان له دار في الخراب أو مكان فليعمره ، ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقل شيء من أنقاضه ، ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه ... وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق .

وكان سبب هذا النداء أنه لما قدم أمير الجيوش بدر الجبالى في آخر الشدة العظمى وقام بعمارة اقليم مصر ، أخذ الناس في نقل ما كان بالقطائع والمعسكر من أنقاض المساكن ، حتى أتى على معظم ما هنالك الهدم ، فصار

موحشا ، وخرب ما بين القاهرة ومصر من
الساكن ، ولم يبق هناك الا بعض الباقين .

فما قلنى الوزير القمون ، عمر الناس ما
كان من ذلك ما بين القاهرة من جهة الشهد
التيى الى ظهر باب زويلة - كما يرد خير
ذلك في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله
تعالى - وقتلت اهلنى المسكر كما تقدم .
فصار هذا القضاء الذى يتوصل اليه من مشهد
السيدة قبية ومن الجامع الطولونى ومن
قطرة السد ومن باب الجطم في سور القراة ،
وسلك في هذا القضاء الى كوم الجارج .

ولم يبق الآن من المسكر ما هو خارج سوى
جبل يشكر القى عليه جامع ابن طولون ،
وما حوله من الكيش وحفرة ابن قبيحة ،
الى خط السبع ستايت وخط قنطر الباع
الى جامع ابن طولون .

وتما سوق الجامع من قبله ، وما وراء ذلك
الى الشهد التيى والى القبيات والرمية
تحت القبة ، فاما هو من القنطر ، كما
سلف عليه عند ذكر القنطر ، وعند ذكر هذه
الخط لا شاء الله تعالى .

وطنا سلك هذا القضاء الذى بين جامع
ابن طولون وكوم الجارج حيث كان المسكر ،
وتذكرت ما كان هناك من الدور الجيلة
والمنازل العظيمة والمساجد والاسواق
والحمامات والبساتين والبركة البديعة
والارستان العجيب ، وكيف باتت حتى لم يبق
شيء منها اثر البتة ، فانتدت أقول :

وبادوا فلا مخير لهم
وماتوا جيما وهذا الخبر

فمن كان قنا حيرة فليكن
فطينا قنى من مضى معتبر

وكان لهم اثر صالح
فان هم نم أين الامر ؟

وسأنى لذلك مزيد بيان عند ذكر القنطر ،
وعند ذكر خط قنطر الباع وغيره من هذا
الكتاب ان شاء الله تعالى .

ذكر من نزل المسكر من امراء مصر
من حين بنى الى ان بنيت القنطر

اعلم ان امراء مصر ما يرحوا ينزلون
قنطر مصر ، منذ اختط بعد افتتاح الى ان
بنى أبو عون المسكر ، فصارت امراء مصر
من عهد أبى عون انما ينزلون بالمسكر .

وما يرحوا على ذلك الى ان انشا الأمير أبو
العباس أحمد بن طولون القصر والميدان
والقنطر ، فتحول من المسكر الى القصر
وسكن فيه ، وسكنه الأمراء من أولاده بعده
الى ان زالت دولتهم .

فسكن الأمراء بعد ذلك المسكر الى ان
زالت دولة الاخشيدية ، بتقديم جوهر القائد
من المغرب .

وأول من سكن المسكر من امراء مصر أبو
عون عبد الملك بن يزيد ، من أهل جرجان ،
ولى صلات مصر وخراجها باستخلاف صالح
ابن على له في مستهل شعبان سنة ثلاث
وثلاثين ومائة .

(١) سنة ٢٠٥ هـ ١١٠٠ م .

ووقع الوياة بمصر ، فهرب أبو عون الى
يشكر ، واستخلف صاحب شرته عكرمة بن
عبد الله بن عمرو بن قحزم . وخرج الى
دمياط في سنة خمس وثلاثين ومائة ،
واستخلف عكرمة ، وجعل على الخراج عطاء
ابن شرحيل .

وخرج القبط بسنود ، فبعث اليهم
وقتلهم .

وورد الكتاب بولاية صالح بن على بن
مصر وفلسطين والمغرب ، جمعت له ، ووردت
الجيش من قبل أمير المؤمنين السفاح لغزو
المغرب .

فولى صالح بن على الثانية على الصلات
والخراج ، فدخل خمس خلون من ربيع
الآخر سنة ست وثلاثين ومائة ، فأقر عكرمة
على شرطة القساط ، وجعل على شرطته
بالمسكر يزيد بن هانى الكندى ، وولى أبى
عون جيوش المغرب ، وقدم أمامه دعاة لأهل
أفريقية .

وخرج أبو عون في جمادى الآخرة ،
وجهازت المراكب من الاسكندرية الى برقة .

فمات السفاح في ذى الحجة ، واستخلف
أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور ، فأقر
صالحا ، وكتب الى أبى عون بالرجوع ، ورد
الدعاة وقد بلغوا شبر .

وبلغ أبو عون برقة ، فأقام بها أحد عشر
يوما ، ثم عاد الى مصر في جيشه ، فجهزه
صالح الى فلسطين لحربه ، فغلب وسير الى
مصر ثلاثة آلاف رأس .

ثم خرج صالح الى فلسطين ، واستخلف
ابنه الفضل ، فبلغ بليس ورجع .

ثم خرج لأربع خلون من رمضان سنة سبع
وثلاثين ، فلقى أبى عون بالقرما ، فأمره على
مصر صلاتها وخراجها ، ومضى .

فدخل أبو عون القساط لأربع بقين من
رمضان . فولى أبو عون ولايته الثانية من
قبل صالح بن على ، ثم أقره أبو جعفر
بولايتها .

وقدم أبو جعفر بيت المقدس ، وكتب الى
أبى عون بأن يستخلف على مصر ويخرج اليه ،
فاستخلف عكرمة على الصلات وعطاء على
الخراج ، وخرج للنصف من ربيع الأول سنة
لحدى وأربعين ومائة .

فلما صار الى أبى جعفر بيت المقدس ،
بعث أبو جعفر موسى بن كعب ... فكانت
ولاية أبى عون هذه ثلاث سنين وستة أشهر .

فوليا موسى بن كعب بن عينة ابن عائشة
أبو عينة من تميم ، من قبل أبى جعفر
المنصور - وكان أحد ثقباء بنى العباس -
فدخلها لأربع عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة
لحدى وأربعين ومائة ، على صلاتها وخراجها .

ونزل المسكر وبها الناس من الجند يفدون
ويروحون اليه كما كانوا يفعلون بالأمراء
قبله ، فانتهاوا عنه حتى لم يكن أحد يلزم
بابه .

وكان قد اتهم في خراسان بأمر أبى مسلم ،
فأمر به أسد بن عبد الله البجلي ، والى
خراسان ، فألجم بلجام ، ثم كبرت أسنانه ،

فكان يقول بمصر : كانت لنا أمانان وليس عندنا خبز ، فلما جاء الخبز ذهبت الأمانان .

وكتب اليه أبو جعفر : « اني عزلتك من غير سخط ، ولكن بلغني ان غلاما يقتل بمصر يقال له موسى ، فكرهت ان تكونه » ... فكان ذلك موسى بن مصعب زمن المهدي ، كما يأتي ان شاء الله تعالى .

فولي موسى بن كعب سبعة أشهر ، وصرف في ذي القعدة ، واستخلف على الجند ابن خاله ابن حبيب ، وعلى الخراج نوفل بن القرات ، وخرج لست بقين منه .

فولي محمد بن الأشعث بن عتبة الخزاعي من قبل أبي جعفر ، على الصلات والخراج ، وقدم لخمس خلون من ذي الحجة سنة احدى وأربعين ومائة .

وبعث أبو جعفر الى نوفل بن القرات « ان اعرض على محمد بن الأشعث ضمان خراج مصر ، فان ضمه فاشهد عليه واشخص الي ، وان أبي فاعمل على الخراج » .

فعرض عليه ذلك فأبى ، فانتقل نوفل الدواوين ، فافتقد ابن الأشعث الناس ، ف قيل له « هم عند صاحب الخراج » ، فقدم على تليسه ، وعقد على جيش بعث به الى المغرب لحربه فانهزم .

وخرج ابن الأشعث يوم الاضحى سنة اثنتين وأربعين ، وتوجه الى الاسكندرية ، واستخلف محمد بن معاوية بن بجير بن رمان صاحب شرطه .

ثم صرف ابن الأشعث ... فكانت ولايته سنة وشهرا .

وولي حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد ابن سعدان الطائي من قبل أبي جعفر ، على الصلات والخراج ، فدخل في عشرين ألفا من الجند لخمس خلون من رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة ، ثم قدم عسكر آخر في شوال .

وقدم على بن محمد بن عبد الله بن حسن ابن الحسن داعية لايه وعنه ، فمضى اليه حميد فتغيب ، فكتب بذلك الى أبي جعفر ، فصرقه * في ذي القعدة ، وخرج لثمان بقين من ذي القعدة سنة أربع وأربعين .

فولي يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، من قبل أبي جعفر ، على الصلات والخراج ، فقدم على البريد للنصف من ذي القعدة ، فاستخلف على الخراج معاوية بن مروان بن موسى بن نصير .

وفي امرته ظهرت دعوة بني الحسن بن علي بمصر ، وتكلم بها الناس ، وباع كثير منهم لعلي بن محمد بن عبد الله . وطرق المسجد لعشر خلون من شوال سنة خمس وأربعين ، كما يذكر في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

ثم قدمت الخطباء برأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي في ذي الحجة فنصب في المسجد .

وورد كتاب أبي جعفر بأمر يزيد بن حاتم بالتحول من العسكر الى القسطنطين ، وأن يجعل الديوان في كنائس القصر ، وذلك في سنة ست وأربعين ومائة ، من أجل ليلة المسجد .

(٥٧) ٢٠٦ هـ - ١٠١٠ م - ١٠١٠ هـ

ومنع يزيد أهل مصر من الحج سنة خمس وأربعين ، فلم يجمع أحد منهم ولا من أهل الشام ، لما كان بالعجاز من الاضطراب بأمر بني حسن .

ثم حج يزيد في سنة سبع وأربعين ، واستخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية ابن خديج صاحب شرطه ، وبعث جيشا لغزو البجسة من أجل خارجي ظهر هناك ، فظفر به الجيش ، وقدم رأسه في عدة رؤوس ، فحملت الى بغداد .

وضم يزيد برقة الى عمل مصر - وهو أول من ضمها الى مصر - وذلك في سنة ثمان وأربعين .

وخرج القبط بسخا ، في سنة خمسين ومائة ، فبعث اليهم جيشا ، فشتت القبط ورجع منهزما . فصرقه أبو جعفر في ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ومائة ... فكانت ولايته سبع سنين وأربعة أشهر .

وولي عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية ابن خديج ، من قبل أبي جعفر ، على الصلات لثنتي عشرة بقية من ربيع الآخر ، وهو أول من خطب بالسواد .

وخرج الى أبي جعفر لعشر بقين من رمضان سنة أربع وخمسين ومائة ، واستخلف إخاء محمدا ، ورجع في آخرها .

ومات وهو وال مستهل صفر سنة خمس وخمسين ومائة ، واستخلف أخاه محمدا ... فكانت ولايته سنتين وشهرين .

فولي محمد بن عبد الرحمن بن معاوية ابن خديج باستخلاف أخيه ، فأقره أبو جعفر على الصلات .

ومات وهو وال للنصف من شوال ، فكانت ولايته ثمانية أشهر ونصف ، واستخلف موسى ابن علي .

فولي موسى بن علي بن رباح باستخلاف محمد بن خديج ، فأقره أبو جعفر على الصلات . وخرج القبط بهيب في سنة ست وخمسين فبعث اليهم وهزمهم .

وكان يروح الى المسجد مائيا وصاحب شرطه بين يديه يحصل الحرية . واذا أقام صاحب الشرطة الحدود يقول له : « ارحم أهل البلاد » ، فيقول : « أيها الأمير ما يصلح الناس الا ما يفعل بهم » . وكان يحدث فيكتب الناس عنه .

ومات أبو جعفر لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وبويع ابنه محمد المهدي ، فأقر موسى بن علي الى سابع عشر ذي الحجة سنة احدى وستين ومائة ... فكانت ولايته ست سنين وشهرين .

وولي عيسى بن لقمان بن محمد الجمحي ، من قبل المهدي ، على الصلات والخراج ، فقدم لثلاث عشرة بقية من ذي الحجة سنة احدى وستين ومائة ، وصرف لثنتي عشرة بقية من جمادى الاولى سنة اثنتين وستين ومائة ... فوليا أربعة أشهر .

ثم ولي واضح مولى أبي جعفر ، من قبل المهدي ، على الصلات والخراج ، فدخل لست بقين من جمادى الاولى ، وصرف في رمضان .

فولى منصور بن يزيد بن منصور الرعي
— وهو ابن خال المهدي — على الصلات ،
فقدم لاحدى عشرة خلت من رمضان سنة
اثنين وستين ومائة ، وصرف للنصف من ذى
الحجة ... فكان مقامه شهرين وثلاثة ايام .

ثم ولى يحيى بن داود أبو صالح من أهل
خراسان ، من قبل المهدي ، على الصلات
والخراج . فقدم في ذى الحجة ، وكان أبوه
تركيا ، وهو من أشد الناس ، وأعظمهم هية ،
واقدمهم على الدم ، وأكثرهم عقوبة .

فمنع من غلق الدروب بالليل ومن غلق
الحواليت ، حتى جعلوا عليها شرائح القصب
لمنع الكلاب .

ومنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها ،
وقال : من ضاع له شيء فعلى أداؤه . وكان
الرجل يدخل الحمام ، فيضع ثيابه ويقول :
يا أبا صالح اجرسها ... فكانت الأمور على
هذا مدة ولايته .

وأمر الأشراف والفقهاء وأهل النوبات بلبس
القلائس الطوال ، والدخول بها على السلطان
يوم الاثنين والخيس بلا أردية .

وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكره قال :
« هو رجل يخافني ولا يخاف الله » ... فولى
الى الحرم سنة أربع وستين .

وقدم سالم بن سواذة التيسى ، من قبل
المهدي ، على الصلات ، ومعه أبو قطيعة
اسماعيل بن ابراهيم على الخراج لثنتي عشرة
خلت من الحرم .

ثم ولى ابراهيم بن صالح بن علي بن عبد
الله بن عباس ، من قبل المهدي ، على الصلات
والخراج ، فقدم لاحدى عشرة خلت من الحرم
سنة خمس وستين ، وابتنى دارا عظيمة
بالموقف من المسكر .

وخرج دحية بن المصعب بن الأصمغ بن عبد
العزيز بن مروان بالصعيد ، وابذل ودعا الى
نفسه بالخلافة ، فترأخى عنه ابراهيم ، ولم
يعفل بأمره حتى ملك عامة الصعيد .

فسخط المهدي لذلك ، وعزله عزلا قبيحا
لسبع خلون من ذى الحجة سنة سبع
وستين ... فوليا ثلاث سنين .

ثم ولى موسى بن مصعب بن الربيع من أهل
الموصل ، على الصلات والخراج ، من قبل
المهدي ، فقدم لسبع خلون من ذى الحجة
المذكور ، فرد ابراهيم ، وأخذ منه ومن عياله
له ثلثمائة ألف دينار ، ثم سيره الى بغداد .

وشدد موسى في استخراج الخراج ، وزاد
على كل فدان ضعة ما يقبل به ، وارتنى في
الأحكام ، وجعل خراجا على أهل الأسواق
وعلى الدواب ... فكرهه الجند والابذوة ،
وثارت قيس واليمانية ، وكاتبوا أهل
الفسطاط فاتفقوا عليه .

وبعث بجيش الى قتال دحية بالصعيد ،
وخرج في جند مصر كلهم لقتال أهل الحوف .
فلما التقوا ، انهزم عنه أهل مصر بأجمعهم
وأسلموه ، فقتل من غير أن يتكلم أحد من
أهل مصر لتسع خلون من شوال سنة ثمان
وستين ومائة ... فكانت ولايته عشرة أشهر .

(*) من ٢٠٧ ج ١ ، ط . بولاق

وكان ظالما غاشما ، سمعه الليث بن سعد
يقرا في خطبته « انا اعتدنا للظالمين تارا أحاط
بهم سرادقها » ، فقال الليث : اللهم لا تمقتا .

ثم ولى هشامة بن عمرو باستخلاف موسى
ابن مصعب ، وبعث الى دحية جيشا مع أخيه
بكار بن عمرو ، فحارب يوسف بن نصير وهو
على جيش دحية ، فقتلنا ، ووضع يوسف
الرمح في خاصرة بكار ، ووضع بكار الرمح
في خاصرة يوسف ، فقتلا معا ، ورجع الجيشان
منهزمين وذلك في ذى الحجة .

وصرف هشامة ، لثلاث عشرة خلت من ذى
الحجة ، بكتاب ورد عليه من الفضل بن صالح
بأنه ولى مصر وقد استخلفه ، فخلعه الى
سلخ الحرم سنة تسع وستين ومائة .

ثم قدم الفضل بن صالح بن علي بن عبد
الله بن عباس ، سلخ الحرم المذكور ، في
جيوش الشام .

ومات المهدي في الحرم هذا ، وبويع موسى
الهادي ، فأقر الفضل .

وقدم مصر يضطرب من أهل الحوف ومن
خروج دحية ، فأن الناس كانوا قد كاتبوه
ودعوه ، فسير المساكر حتى هزم دحية ،
وأسر وسبق الى القسطنطينية ، فضربت عنقه ،
وصلب في جمادى الآخرة سنة تسع وستين .

فكان الفضل يقول : أنا أولى الناس بولاية
مصر ، لقيامي في أمر دحية وقد عجز عنه
غيري ... فعزل ، وندم على قتل دحية .

والفضل هو الذي بنى الجامع بالمسكر
في سنة تسع وستين ، فكانوا يجمعون فيه .

ثم ولى علي بن سليمان بن علي بن عبد الله
ابن عباس ، من قبل الهادي ، على الصلات
والخراج . فدخل في سنة تسع وستين
ومائة .

ومات الهادي للنصف من ربيع الأول سنة
سبعين ومائة ، وبويع هارون بن محمد
الرشيدي ، فأقر علي بن سليمان .

وأظهر في ولايته الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر ، ومنع الملاهي والخسور ، وهدم
الكنايس المحدثه بمصر ، وبذل له في تركها
خسون ألف دينار فامتنع .

وكان كثير الصدقة في الليل ، وأظهر أنه
تصلح له الخلافة وطمع فيها . فسخط عليه
هارون الرشيد ، وعزله لأربع بقين من ربيع
الأول سنة احدى وسبعين ومائة .

ثم ولى موسى بن عيسى بن موسى بن محمد
ابن علي بن عبد الله بن عباس ، من قبل
الرشيدي ، على الصلات . فأذن للنصارى في
بنيان الكنائس التي هدمها علي بن سليمان ،
فبنت بشورة الليث بن سعد وعبد الله بن
لهيعة .

ثم صرف لأربع عشرة خلت من رمضان
سنة اثنين وسبعين ومائة ... فكانت ولايته
سنة وخمسة أشهر ونصفا .

ثم ولى مسلمة بن يحيى بن قرعة بن عبيد
الله البجلي من أهل جرجان ، من قبل الرشيد ،
على الصلات ، ثم صرف في شعبان سنة ثلاث
وسبعين ... فوليا أحد عشر شهرا .

ثم ولي محمد بن زهير الأزدي على الصلات والخراج لخمس خلون من شعبان ، فبادر الجند لعمر بن غيلان صاحب الخراج ، فلم يدفع عنه ، فصرف بعد خمسة أشهر في سلخ ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة .

فولي داود بن يزيد بن حاتم بن فيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، وقدم هو وإبراهيم بن صالح بن علي ، فولي داود الصلات ، وبعث بإبراهيم لإخراج الجند الذين ثاروا من مصر .

فدخل لأربع عشرة خلت من المحرم سنة أربع وسبعين ومائة ، فأخرجت الجند المدينة إلى المشرق والمغرب في عالم كثير ، فساروا في البحر فأسرهم الروم . وصرف لست خلون من المحرم سنة خمس وسبعين ... فكانت ولايته سنة ونصف شهر .

ثم ولي موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، على الصلات والخراج ، من قبل الرشيد . فدخل سبع خلون من صفر سنة خمس وسبعين ، وصرف لليتين بقيتا من صفر سنة ست وسبعين ومائة ... فولي سنة واحدة .

ثم ولي إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ثانيا من قبل الرشيد ، فكتب إلى عامة بن عمرو فاستخلفه . ثم قدم نصر ابن كلثوم خليفته على الخراج مستهل ربيع الأول .

وتوفي عسامة لسبع بقين من ربيع الآخر ، فقدم روح بن روح بن زباج خليفة لإبراهيم على الصلات والخراج . ثم قدم إبراهيم

للنصف من جمادى الأولى ، وتوفي وهو وال ثلاث خلون من شعبان . فكان مقامه بصير شهرين * وثمانية عشر يوما .

وقام بالأمر بعده ابنه صالح بن إبراهيم ، مع صاحب شرطته خالد بن يزيد .

ثم ولي عبد الله بن المسيب بن زهير بن عمرو الضبي ، من قبل الرشيد ، على الصلات لاحدى عشرة بقيت من رمضان سنة ست وسبعين ومائة ، وصرف في رجب سنة سبع وسبعين ومائة .

فولي اسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، من قبل الرشيد ، على الصلات والخراج مستهل رجب . فكشف أمر الخراج ، وزاد على المزارعين زيادة أجحت بهم . فخرج عليه أهل الحوف ، فحاربهم فقتل كثير من أصحابه .

فكتب إلى الرشيد بذلك ، فعقد لهزيمة ابن أعين في جيش عظيم وبعث به ، فنزل الحوف ، فلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا ، فقبل منهم واستخرج الخراج كله .

فكان صرف اسحاق في رجب سنة ثمان وسبعين ومائة .

فولي هرثة بن أعين من قبل الرشيد ، على الصلات والخراج لليتين خلتا من شعبان ، ثم سار إلى إفريقية لثنتي عشرة خلت من شوال ... فأقام بصير شهرين ونصفا .

(*) ص ٢٠٨ ج ١ ، ط بولاق .

ثم ولي عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، من قبل الرشيد ، على الصلات والخراج . فلم يدخل مصر ، واستخلف عبد الله بن المسيب بن زهير الضبي ، وصرف في سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة .

فولي عبيد الله بن المهدي محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن عباس ، من قبل الرشيد ، على الصلات والخراج في يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من المحرم سنة تسع وسبعين ومائة ، فاستخلف ابن المسيب ، ثم قدم لاحدى عشرة خلت من ربيع الأول ، وصرف في شهر رمضان ، فولي تسعة أشهر ، وخرج من مصر لليتين خلتا من شوال .

فأعاد الرشيد موسى بن عيسى وولاه مرة ثالثة على الصلات ، فقدم ابنه يحيى بن موسى خليفة له ، ثلاث خلون من رمضان ، ثم قدم آخر ذي القعدة ، وصرف في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة .

فولي الرشيد عبيد الله بن المهدي ثانيا على الصلات ، فقدم داود بن حباش خليفة له لسبع خلون من جمادى الآخرة ، ثم قدم لأربع خلون من شعبان ، وصرف ثلاث خلون من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة .

فولي اسماعيل بن صالح بن علي بن عبد الله ابن عباس على الصلات لسبع خلون من رمضان ، فاستخلف عون بن وهب الخزاعي ، ثم قدم لخمس بقين منه .

قال ابن عفير : ما رأيت على هذه الأعواد أخطب من اسماعيل بن صالح .

ثم صرف في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائة .

فولي اسماعيل بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، من قبل الرشيد ، على الصلات . فقدم لأربع عشرة بقيت من جمادى الآخرة ، وصرف في رمضان .

فولي الليث بن الفضل البيوردي ، من أهل بيورد ، على الصلات والخراج ، وقدم لخمس خلون من شوال .

ثم خرج إلى الرشيد لسبع بقين من رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائة بالمال والهدايا ، واستخلف أخاه الفضل بن علي ، ثم عاد في آخر السنة .

وخرج ثانيا بالمال لتسع بقين من رمضان سنة خمس وثمانين ، واستخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج ، وقدم لأربع عشرة خلت من المحرم سنة ست وثمانين .

فكان كلما غلق خراج سنة ، وفرغ من حسابها ، خرج بالمال إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ومعه الصناديق .

ثم خرج عليه أهل الحوف ، وساروا إلى القسطنطينية . فخرج إليهم في أربعة آلاف ليومين بقيا من شعبان سنة ست وثمانين ومائة ، واستخلف عبد الرحمن بن موسى بن علي بن رباح على الجند والخراج .

(١) قوله : أخاه الفضل بن علي ، هكذا في النسخ التي بيدي . ولعله أباه الفضل ... الخ . تأمل . ١٠٠ ص ٥٨١ .

فواقع أهل الحوف ، والهزم عنه الجند
فقرر في نحو الثلاثين ، فحصل له هزم القوم
من أرض الحبلى إلى عيه ، وبعث إلى القسطنطين
بشاهين وثنا وقدم

فخرج أهل الحوف ، وضموا الخراج
فخرجت إلى الرشيد ، وسلكه في ريعت منه
بمعيوش ، فله لا يفسد على استخراج
الخراج من أهل الأحوف إلا بعيش .

فخرج محمود بن صفوان إلى خراج
مصر عن آخره بغير سوط ولا عصا . فوله
الرشيد الخراج ، وصرف بها عن الصلوات
والخراج . وبعث أحمد بن إسحاق على
الصلوات مع سوط .

وكانت ولاية بيت لوزج ستين وسبعة
أشهر .

فولى أحمد بن إسحاق بن عيسى بن ...
الصلوات ، من قبل الرشيد ، على الصلوات
والخراج . وقدم خمس بقتن من جندى
الآخرة سنة سبع وثلاثين ، ثم صرف ثمانين
عشرة خلت من شعبان سنة سبع وثلاثين ...
فولى ستين وثمنا وخمنا .

ثم ولى عبد الله بن محمد بن إبراهيم
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس على
الصلوات ، واستخلف أمة بن عيسى بن أمة
الحضرمي ، ثم قدم النصف من شوال .

وصرف لأحدى عشرة بقتن من شعبان سنة
تسعين ومائة وخرج ، واستخلف هاشم بن عبد
الله بن عبد الوحيد بن معاوية بن خديج .

فولى الحسن بن جميل ، من قبل الرشيد ،
على الصلوات . وقدم عشر خلون من

رمضان ، ثم جمع له الخراج مع الصلوات في
رجب سنة ثمان وتسعين .

وخرج أهل الحوف ، وامتصوا من ... أداء
الخراج . وخرج أبو الفداء بأية في مصر
ألف رجل ، قطنع الطريق بأيلة وشعب
ومنين ، وأغار على بعض قرى الشام ،
وضوى إليه من جندام جصاعة ، فبلغ من
الهرب والقتل مبلغا عظيما .

فبعث الرشيد من بغداد جيشا لذلك ،
وبعث الحسن بن جميل من مصر عبد العزيز
ابن الوفاء بن صالح الجوى في عسكر .
فالتقى العسكران بأيلة ، فقتل عبد العزيز
بأيام الفداء .

وسار جيش الرشيد إلى بليس في شوال
سنة ثمان وتسعين ومائة ، فذعن أهل الحوف
بالخراج .

وصرف ابن جميل لثني عشرة خلت من
ربيع الآخرة سنة اثنين وتسعين ومائة .

فولى مالك بن دهم بن عيسى الكلبي
على الصلوات والخراج . وقدم لسبع بقتن من
ربيع الآخر .

وفزع يحيى بن معاذ أمير جيش الرشيد
من أمر الحوف ، وقدم القسطنطين عشر بقتن
من جمادى الآخرة ، فكتب إلى أهل
الأحواف : لا أن أقدموا حتى أوصى بكم
مالك بن دهم . فدخل الرؤساء من اليمانية
والتيمة ، فأخذت عليهم الأبواب وقيدوا ،
وساد بهم النصف من رجب .

(١٠٩٠ م) ٢٠٩٠ هـ ١١٠٠ م ١١٠٠ هـ

وصرف مالك زارم خلت من صفر سنة
ثلاث وتسعين ومائة .

فولى الحسن بن التختاح بن التختكان
على الصلوات والخراج ، فاستخلف أملاء بن
مسم الخولاني ، وقدم ثلاث خلون من ربيع
الأول .

ثم مات الرشيد ، واستخلف به محمد
الأمين ، فثار الجند بمصر . وبعث به
عليه قتل فيها عدة . وسير الحسن ما
مصر ، فوثب أهل الرملة وأخذوه .

وبلغ الحسن عزله ، فصار من طريق الحجاز
لثلاث طرق الشام ثمان بقتن من ربيع الأول
سنة أربع وتسعين ومائة ، واستخلف عوف بن
وهب على الصلوات ، ومحمد بن زياد بن طبق
القيسي على الخراج .

فولى حاتم بن هرثة بن أعين ، من قبل
الأمين ، على الصلوات والخراج . وقدم في
ألف من الأبناء قتل بليس ، فصالحه أهل
الأحواف على خراجهم .

وثار عليه أهل بنو تميم وعسكروا ،
فبعث إليهم جيشا فانهزموا ، ودخل حاتم إلى
القسطنطين ومعه نحو مائة من الرهائن لأربع
خلون من شوال . وصرف في جمادى الآخرة
سنة خمس وتسعين ومائة .

فولى جابر بن الأشعث بن يحيى الطائي ،
من قبل الأمين ، على الصلوات والخراج
لخمس بقتن من جمادى الآخرة ، وكان لينا .

قلنا حدثت فتنة الأمين والمأمون ، قام
البري بن الحكم غيا لمأمون ، ودعا الناس

إلى خلق الأمين ، فأجابوه وبأبهموا المأمون
لثمان بقتن من جمادى الآخرة سنة ست
وتسعين ، وأخرجوا جابر بن الأشعث ...
وكانت ولايته سنة .

فولى عباد بن محمد بن حيان أبو نصر ، من
قبل المأمون ، على الصلوات والخراج لثمان
خلون من رجب ، بكتاب هرثة بن أعين
- وكان وكيله على ضياعه بمصر - في
الثامن من رجب سنة ست وتسعين .

فبلغ الأمين ما كان بمصر ، فكتب إلى ربيعة
ابن قيس بن الزبير الجرجسي - رئيس قيس
الحوف - بولاية مصر ، وكتب إلى جصاعة
بمعاوته .

فقاموا ببيعة الأمين ، وخلصوا المأمون ،
وساروا لمحاربة أهل القسطنطين ... فخذق
عباد .

وكانت حروب ، فقتل الأمين .

وصرف عباد في صفر سنة ثمان وتسعين
ومائة ، فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر .

فولى المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي ،
من قبل المأمون ، على الصلوات والخراج .
فدخل من مكة للنصف من ربيع الأول ،
فكانت في أيامه حروب ، وصرف في شوال
بعد سبعة أشهر .

فولى العباس بن موسى بن عيسى بن موسى
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، من
قبل المأمون ، على الصلوات والخراج .

فقدم ابنه عبد الله ، ومعه الحسين بن غيد
ابن لوط الأنصاري ، في آخر شوال فسجنا
المطلب .

فشار الجند مرارا ، فمنهم الأنصاري أعطيتهم وتهددهم ، وتحامل على الرعية وصنعها وتهدد الجميع ، فشاروا وأخرجوا المطلب من الحبس ، وأقاموه لأربع عشرة خلت من المحرم سنة تسع وتسعين ومائة .

وأقبل العباس فنزل بليس ، ودعا قيسا إلى نصرته ، ومضى إلى الجروي بتيس ، ثم عاد فمات في بليس ثلاث عشرة بقية من جمادى الآخرة ، ويقال إن المطلب دس إليه سنا في طعامه فمات منه .

وكانت حروب وقتن ... فكانت ولاية المطلب هذه سنة وثمانية أشهر .

ثم ولي السري بن الحكم بن يوسف - من قوم الزط ومن أهل بلخ - بإجماع الجند عليه عند قيامه على المطلب في مستهل رمضان سنة مائتين .

ثم ولي سليمان بن غالب بن جبريل الجلي على الصلات والخراج ، بسياسة الجند له ، لأربع خلون من ربيع الأول سنة إحدى ومائتين ، فكانت حروب .

ثم صرف بعد خمسة أشهر .

وأعيد السري بن الحكم ثانيا ، من قبل المأمون ، على الصلات والخراج . فماتت ولايته ، وأخرج الجند من الحبس لثني عشرة خلت من شعبان ، وتبع من حاربه وقوى أمره ، ومات وهو وال لانسلاخ جمادى الأولى سنة خمس ومائتين ... فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما .

فولي ابنه محمد بن السري أبو نصر ، أول جمادى الآخرة ، على الصلات والخراج ، وكان الجروي قد غلب على أسفل الأرض ، فجرت بينهما حروب .

ثم مات لثمان خلون من شعبان سنة ست ومائتين . وكانت ولايته أربعة عشر شهرا .

ثم ولي عبيد الله بن السري بن الحكم ، بسياسة الجند ، تسع خلون من شعبان ، على الصلات والخراج . فكانت بينه وبين الجروي حروب ... إلى أن قدم عبد الله بن طاهر ، وأذن له عبيد الله في آخر صفر سنة إحدى عشرة ومائتين .

فولي عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ، من قبل المأمون ، على الصلات والخراج . فدخل يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة إحدى عشرة ومائتين ، وأقام في معسكره حتى خرج عبيد الله بن السري إلى بغداد للنصف من جمادى الأولى .

ثم سار إلى الاسكندرية مستهل صفر سنة اثنتي عشرة ، واستخلف عيسى بن يزيد الجلودي ، فحصرها بضع عشرة ليلة ، ورجع في جمادى الآخرة ، وأمر بالزيادة في الجامع المتين فزيد فيه مثله .

وركب النيل متوجها إلى العراق لخمس بقين من رجب ، وكان مقامه بمصر واليا سبعة عشر شهرا وعشرة أيام .

(٥) من ٢١ ج ١ ، ط. بولاق

ثم ولي عيسى بن يزيد الجلودي ، باستخلاف ابن طاهر ، على صلاتها إلى سابع عشر ذي القعدة سنة ثلاث عشرة ، فصرف ابن طاهر .

وولي الأمير أبو اسحاق بن هارون الرشيد مصر ، فأقر عيسى على الصلات فقط ، وجعل على الخراج صالح بن شيرازاد ، فظلم الناس وزاد عليهم في خراجهم .

فاتقض أهل أسفل الأرض وعسكروا ، فبعث عيسى بابنه محمد في جيش ، فحاربوه ، فانهزم وقتل أصحابه في صفر سنة أربع عشرة .

فولي عمير بن الوليد التميمي ، باستخلاف أبي اسحاق بن الرشيد ، على الصلات لسبع عشرة خلت من صفر ، وخرج ومعه عيسى الجلودي لقتال أهل الحوف في ربيع الآخر ، واستخلف ابنه محمد بن عمير .

فاقتلوا ، وكانت بينهم معارك قتل فيها عمير لست عشرة خلت من ربيع الآخر ... فكانت مدة أمره ستين يوما .

فولي عيسى الجلودي ثانيا لأبي اسحاق على الصلات ، فحارب أهل الحوف بمنية مطر ، ثم انهزم في رجب .

وأقبل أبو اسحاق إلى مصر في أربعة آلاف من أتراكه ، فقاتل أهل الحوف في شعبان ، ودخل إلى مدينة القسطنطين ثمان بقين منه ، وقتل أكابر الحوف . ثم خرج إلى الشام غرة المحرم سنة خمس عشرة ومائتين في أتراكه ، ومعه جمع من الأسارى في ضر وجهه شديد .

وولي على مصر عبدويه بن جبلة من الأبناء على الصلات ، فخرج قاس بالهوف في شعبان ، فبعث إليهم وحاربهم حتى ظفروا بهم .

ثم قدم الأفشين حيدر بن كاوس الصفدي إلى مصر ثلاث خلون من ذي الحجة ، ومعه على بن عبد العزيز الجروي لأخذ ماله ، فلم يدفع إليه شيئا فقتله .

وصرف عبدويه ، وخرج إلى برقة .

وولي عيسى بن منصور بن موسى بن عيسى الرافعي . فولي من قبل أبي اسحاق أول سنة ست عشرة على الصلات ، فاتقضت أسفل الأرض - عربيا وقبطيا - في جمادى الأولى ، وأخرجوا العمال لسوء سيرتهم ، وخلصوا الطاعة .

فقدم الأفشين من برقة للنصف من جمادى الآخرة ، ثم خرج هو وعيسى في شوال ، فأوقعا بالقوم وأسرا منهم وقتلا ، ومضى الأفشين ورجع عيسى ، فشار الأفشين إلى الحوف وقتل جماعتهم .

وكانت حروب ... إلى أن قدم أمير المؤمنين عبد الله المأمون ، لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين ، فسخط على عيسى ، وحل لواءه ، فأخذ بلباس البياض ، ونسب الحدث إليه وإلى عماله .

وسير الجيوش ، وأوقع بأهل القصاد ، وسبي القبط وقتل مقاتلتهم ، ثم رحل لثمان عشرة خلت من صفر بعد تسعة وأربعين يوما .

وولي كيدر - وهو نصر بن عبد الله أبو مالك الصمدى - فورد كتاب المأمون عليه بأخذ الناس بالحنة في جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة ، والقضى بمصر يومئذ هارون بن عبد الله الزهرى ، فأجاب وأجاب النعمود ، ومن وقف منهم سقطت شهادته ، وأخذ بها القضية والمحدثون والمؤذنون ... فكاتبوا على ذلك من سنة ثمان عشرة الى سنة اثنتين وثلاثين .

ومات المأمون في رجب سنة ثمان عشرة ، وبورج أبو إسحاق المعتصم ، فورد كتابه على كيدر بيعته ، وبأمره بإسقاط من في الديوان من العرب وقطع المعطاء عنهم ، ففعل ذلك . فخرج يحيى ابن الوزير الجروى في جمع من لخم وجذام .

ومات كيدر في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين .

فولى ابنه المقتر بن كيدر ، باستخلاف أبيه ، وخرج الى يحيى بن وزير ، وقتله وأسره في جمادى الآخرة .

ثم صرف مصر الى أبى جعفر شناس ، فدعى له بها ، وصرف مقتر في شعبان .

فولى موسى بن أبى العباس ثابت ، من قبل شناس ، على الصلوات مستهل شهر رمضان سنة تسع عشرة ، وصرف في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائتين ... فكاتب ولأيه أربع سنين وسبعة أشهر .

فولى مالك بن كيدر بن عبد الله الصمدى ، من قبل شناس ، على الصلوات . وقدم لسبع

بقيت من ربيع الآخر ، وصرف ثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين . فولى ستين وأحد عشر يوما ، وتوفى لعشر خلون من شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائتين .

فولى على بن يحيى الأرمنى ، من قبل شناس ، على صلاتها . وقدم لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين ومائتين .

ومات المعتصم في ربيع الأول سنة سبع وعشرين ، وبورج الواثق بالله ، فأقره الى سابع ذى الحجة سنة ثمان وعشرين ومائتين . فكاتب ولأيه ستين وثلاثة أشهر .

ثم ولى عيسى بن منصور الثانية ، من قبل شناس ، على صلاتها . فدخل لسبع خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومائتين .

ومات شناس سنة ثلاثين ، وجعل مكانه إيتاح ، فأقر عيسى .

ومات الواثق ، وبورج المتوكل ، فصرف عيسى للتصف من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، وقدم على ابن مبرويه خليفة هرثة بن النضر . ثم مات عيسى في قبة الهواء بعد عزله لأحدى عشرة خلت من ربيع الآخر .

فولى هرثة بن نضر الجبلى ، من أهل الجبل ، لإيتاح على الصلوات . وقدم لست خلون من رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائتين . فورد كتاب المتوكل بترك الجدل في القرآن لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين ومائتين .

(١٠) مر ٢١١ ج ١ ، ط. بولاق .

ومات هرثة وهو وال لسبع بقين من رجب سنة أربع ، واستخلف ابنه حاتم بن هرثة .

فولى حاتم بن هرثة بن النضر باستخلاف أبيه له ، على الصلوات ، وصرف لست خلون من رمضان .

فولى على بن يحيى بن الأرمنى الثانية ، من قبل إيتاح على الصلوات لست خلون من رمضان .

وصرف إيتاح في المحرم سنة خمس وثلاثين ، واستمنعت أمواله بمصر ، وترك الدعاء له ، ودعى للمتصر مكانه ، وصرف على في ذى الحجة منها .

فولى إسحاق بن يحيى بن معاذ بن مسلم الجبلى ، من قبل المتصر ولأيه عهد أليه المتوكل على الله ، على الصلوات والخراج . فقدم لأحدى عشرة خلت من ذى الحجة ، فورد كتاب المتوكل والمتصر باخراج الطالبين من مصر الى العراق ، فأخرجوا .

ومات إسحاق بعد عزله أول ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين .

فولى خسوط عبد الواحد بن يحيى بن منصور بن ملحمة بن زريق ، من قبل المتصر ، على الصلوات والخراج . فقدم لتسع بقين من ذى القعدة سنة ست وثلاثين ومائتين ، وصرف عن الخراج لتسع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين ، وأقر على الصلوات . ثم صرف سلخ صفر سنة ثمان وثلاثين بخليفته غيبة على الصلوات والشركة في الخراج مستهل ربيع الأول .

فولى غيبة بن إسحاق بن شمر بن جهم أبو جابر ، من قبل المتصر ، على الصلوات وشريكا لأحد بن خالد الضريقى صاحب الخراج . فقدم لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وأخذ المال يرد المظالم ، وأقامهم للناس ، وأنصف منهم ، وأظهر من العدل ما لم يسمع بمثله في زمانه .

وكان يروح ماشيا الى المسجد الجامع من المسكر ، وكان ينادى في شهر رمضان : السحور ، وكان يرمى بسنبل الخوارج .

وفي ولايته نزل الروم دمياط ، وملكوها وما فيها ، وقتلوا بها جمعا كثيرا من الناس ، وسبوا النساء والأطفال . فنفر اليهم يوم النحر من سنة ثمان وثلاثين في جيشه وكثير من الناس ، فلم يدركهم .

وأضيف له الخراج مع الصلوات ، ثم صرف عن الخراج أول جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين وأقره بالصلوات ، وورد الكتاب بالدعاء للفتح بن خاقان في ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين ، فدعا له .

وعتبة هذا آخر من ولى مصر من العرب ، وآخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع ، وصرف أول رجب منها .

فقدم العباس بن عبد الله بن دينار خليفة يزيد بن عبد الله ، بولاية يزيد .

وكانت ولاية غيبة أربع سنين وأربعة أشهر ، وخرج الى العراق في رمضان سنة أربع وأربعين .

فولى يزيد بن عبد الله بن دينار أبو خالد من الموالى ، ولأه المتصر على الصلوات ، فقدم

لعمري بقتن من رجب سنة اثنين وأربعين ، فأخرج المؤتئين من مصر ، وضرهم وطاف بهم ، ومنع من النداء على الجنائز ، وضرب فيه ، وخرج الى دمياط مرابطا في المحرم سنة خمس وأربعين ، ورجع في ربيع الأول ، فبلغه زول الروم الفرما ، فرجع اليها فلم يلقيهم .

وعطل الرهان ، وباع الخيل التي تتخذ للسلطان ، فلم تجر الى سنة تسع وأربعين وتبع الزوافض ، وحملهم الى العراق ، وبني مقياس النيل في سنة سبع وأربعين . وجرت على العلويين في ولايته شدائد .

ومات المتوكل في شوال ، وبويع ابنه محمد المتصر ، ومات الفتح بن خاقان ، فأقر المتصر يزيد على مصر .

ثم مات المتصر في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ، وبويع المستعين ، فورد كتابه بالاستسقاء لقط كان بالعراق ، فاستسقوا لسبع عشرة خلت من ذي القعدة ، واستسقى أهل الآفاق في يوم واحد .

وخلع المستعين في المحرم سنة اثنين وخمسين ، وبويع المعتز ، فخرج جابر بن الوليد بأرض الاسكندرية ، وكانت هناك حروب ابتدأت من ربيع الآخر ، فقدم مزاحم بن خاقان من العراق معينا ليزيد في جيش كنيف لثلاث عشرة بقيت من رجب ، فواقهم حتى ظفروا بهم .

ثم صرف يزيد ، وكانت مدته عشر سنين وسبعة أشهر وعشرة أيام .

فولى مزاحم بن خاقان بن عرطوج أبو القوارس التركي ، لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، على الصلوات من قبل المعتز .

وخرج الى الحوف فأوقع بأهله وعاد ، ثم خرج الى الجيزة ، فسار الى تروجة فأوقع بأهله ، وأسر عدة من أهل البلاد ، وقتل كثيرا ، وسار الى اليوم قطاش سيفه وكثر إبقاعه بسكان النواحي ، وعاد .

وولى الشرطة أرجوز ، فمنع النساء من الحمامات والمقابر ، وسجن المؤتئين والنوائح ، ومنع من الجهر بالبسلة في الصلاة بالجامع في رجب سنة ثلاث وخمسين ، ولم يزل أهل مصر على الجهر بها في الجامع منذ الاسلام الى أن منع منها أرجوز .

وأخذ أهل الجامع يتأم الصوف ، ووكل بذلك رجلا من العجم يقوم بالسوط من مؤخر المسجد ، وأمر أهل الحلق بالتحول الى القبلة قبل إقامة الصلاة ، ومنع من المساند التي يستند اليها ، ومن الحصر التي كانت للمجالس في الجامع .

وأمر أن تصلى التراويح في رمضان خمس تراويح ، ولم يزل أهل مصر يصلونها سنا الى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين . ومنع من الثوب ، وأمر بالأذان يوم الجمعة في مؤخر المسجد ، وأن يفلس بصلاة الصبح .

ونهى أن يشق ثوب على ميت ، أو يسود وجه ، أو يخلق شعر ، أو تصيح امرأة ، وعاقب في ذلك وشدد فيه .

(*) من ١١٢ ج ١ ، ط ١٠٠٠٠٠

ثم مات مزاحم لخمس مضي من المحرم سنة أربع وخمسين .

فاستخلف ابنه أحمد بن مزاحم ، فولى باستخلاف أبيه على الصلوات ، الى أن مات لسبع خلون من ربيع الآخر ، فكانت ولايته شهرين ويوما . فاستخلف أرجوز بن أولع طرخان التركي على الصلوات ، فولى خمسة أشهر ونصف .

وخرج أول ذي القعدة بعد أن صرف بأحمد ابن طولون في شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين . واليه كان أمر البلد جميعه من أيام مزاحم ، وفي أيام ابنه أحمد أيضا . والله تعالى أعلم .

ذكر القطائع ودولة بني طولون

اعلم أن القطائع قد زالت آثارها ، ولم يبق لها رسم يعرف .

وكان موضعها من قبة الهواء التي صار مكانها قلعة الجبل الى جامع ابن طولون ، وهذا أشبه أن يكون طول القطائع . وأما عرضها فانه من أول الرميطة تحت القلعة الى الموضع الذي يعرف اليوم بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذي يقال له الآن زين العابدين .

وكانت مساحة القطائع ميلا في ميل . قبة الهواء كانت في سطح الجرف الذي عليه قلعة الجبل ، وتحت قبة الهواء قصر ابن طولون ، وموضع هذا القصر الميدان السلطاني تحت القلعة ، والرميلة التي تحت

القلعة مكان سوق الخيل والحمير والجمال كانت بستانا ، ويجاورها الميدان ، في الموضع الذي يعرف اليوم بالقييات ، فيصير الميدان فيما بين القصر والجامع الذي أنشأه أحمد بن طولون . وبهذا الجامع دار الامارة في جهة القبلة ، ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة المحيطة بمصلى الأمير الى جوار المحراب . وهناك أيضا دار الحرم .

والقطائع عدة قطع تسكن فيها عبيد ابن طولون وعساكره وغلماؤه ، وكل قطعة لطائفة . فيقال قطعة السودان ، وقطعة الروم ، وقطعة الفرائسين ، ونحو ذلك ... فكانت كل قطعة لسكنى جماعة بمنزلة الحارات التي بالقاهرة .

وكان ابتداء عبارة هذه القطائع وسببها أن أمير المؤمنين المتصم بالله ، أبا اسحاق محمد ابن هارون الرشيد ، لما اختص بالأتراك ، ووضع من العرب وأخرجهم من الديوان وأستط أسماهم ومنعهم العطاء ، وجعل الأتراك أنصار دوله وأعلام دعوته ... كان من عظمت عنده منزلته ، قلده الأعمال الجليلة الخارجة عن الحضرة ، فيستخلف على ذلك العمل الذي تقلده من يقوم بأمره ، ويحمل اليه ماله ، ويدعى له على منابرهم كما يدعى للخليفة . وكانت مصر عندهم بهذه السيل .

وقصد المتصم ومن بعده من الخلفاء ، بذلك العمل مع الأتراك ، محاكاة ما فعله الرشيد بعبد الملك بن صالح ، والمأمون بظاهر ابن الحسين ... ففصل المتصم مثل ذلك بالأتراك ، فقلده اشناس ، وقلده الواثق إيتاح ،

وقلد المتوكل قفا ووصيف ، وقلد المهدي ماجور ، وغير من ذكرنا من اصال الاقاليم ما قد نقصته كتب التاريخ ، فقلد ياكباك مصر ، وطلب من يخلفه عليها .

وكان أحمد بن طولون قد مات أبوه في سنة أربعين ومائتين ، ولأحمد عشرون سنة منذ ولد من جارية كانت تدعى قاسم ، وكان مولده في سنة عشرين ومائتين ، وولدت أيضا أخاه موسى وجبسية وسانة .

وكان طولون من البطرغر ما حمله نوح ابن أسد عامل بخارى الى المأمون - فيما كان موظفا عليه - من المال والرفيق والبراذين وغير ذلك في كل سنة ، وذلك في سنة مائتين .

فنشأ أحمد بن طولون نشأ جليلا غير نشأ أولاد العجم ، فوصف بعلو الهمة ، وحسن الأدب ، والذهاب بنفسه عما كان يترامى اليه أهل طبقة ، وطلب الحديث ، وأحب الغزو ، وخرج الى طرسوس ٤ مرات ، ولقى المحدثين وسع منهم ، وكتب العلم ، وصحب الزهاد وأهل الورع ، فتأدب بأدابهم .

وظهر فضله ، فاشتهر عند الأولياء ، وتميز على الأتراك ، وصار في عداد من يوثق به ، ويؤتمن على الأموال والأسرار ... فزوجه ماجور ابنته ، وهي أم ابنه العباس وابنته فاطمة .

ثم إنه سأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقه على الثغر ، فأجاب ، وخرج

(٥) من ٢١٢ ج ١ ، طبع بولاق .

الى طرسوس فأقام بها . وشق على أمه مفارقتها ، فكاتبته بما أقلته .

فلما قتل الناس الى سر من رأى ، سار معهم الى لقاء أمه ، وكان في القافلة نحو خمسمائة رجل ، والخليفة اذ ذاك المستعين بالله أحمد بن المعظم ، وكان قد أنفذ خادما الى بلاد الروم لعل أشياء تقيية ، فلما عاد بها - وهي وقر بغل - الى طرسوس ، خرج مع القافلة .

وكان من رسم الغزاة أن يسيروا متفرقين ، فطرق الأعراب بعض سوادهم ، وجاء الصائح ، فبدر أحمد بن طولون لقتالهم وتبعوه ، فوضع السيف في الأعراب ، ورمى بنفسه فيهم حتى استنقذ منهم جميع ما أخذوه وفروا منه .

وكان من جملة ما استنقذ من الأعراب البغل المحمل بتاع الخليفة ، فعظم أحمد بما فعل عند الخادم ، وكبر في أعين القافلة .

فلما وصلوا الى العراق ، وشاهد المستعين ما أحضره الخادم أعجب به ، وعرفه الخادم خروج الأعراب وأخذهم البغل بما عليه ، وما كان من صنع أحمد بن طولون ، فأمر له بألف دينار ، وسلم عليه مع الخادم ، وأمره أن يعرفه به اذا دخل مع المسلمين ... ففعل ذلك .

وتوالت عليه صلات الخليفة حتى حسنت حاله ، ووهبه جارية اسمها مياس استولدها ابنه خمارويه في النصف من المحرم سنة خمسين ومائتين .

فلما خلع المستعين ، وبوع المعز ، أخرج المستعين الى واسط ، واختار الأتراك أحمد ابن طولون أن يكون معه ، فسلم اليه ومضى به ، فأحسن عشرته ، وأطلق له التزهر والسيد ، وخشى أن يلحقه منه احتشام ، فأنزله كاتبه أحمد بن محمد الواسطي ، وهو ان ذاك غلام حسن الشاهد حاضر النادرة ، فأنس به المستعين .

ثم ان فتحة أم المعز كتبت الى أحمد بن طولون بقتل المستعين وقلدته واسط ، فامتنع من ذلك ، وكتب الى الأتراك يخبرهم بأنه لا يقتل خليفة له في رقبته بيعة .

فزاد محله عند الأتراك بذلك ، ووجهوا سعيدا الحاجب ، وكتبوا الى ابن طولون يسلم المستعين له ، فتسله منه وقتله ، وواراه ابن طولون ، وعاد الى سر من رأى ، وقد تقلد ياكباك مصر وطلب من يوجهه اليها ، فذكر له أحمد بن طولون ، فقلده خلافة ، وضم اليه جيشا .

وسار الى مصر ، فدخلها يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين ، متقلدا للقصة دون غيرها من الأعمال الخارجة عنها كالاكندرية ونحوها . ودخل معه أحمد بن محمد الواسطي .

وجلس الناس لرؤيته ، فسأل بعضهم غلام أبي قبيل صاحب الملاحم - وكان مكفوبا - عما يجده في كتبهم .

فقال : هذا رجل نجد صفته كذا وكذا ، وأنه يتقلد الملك هو وولده قريبا من أربعين سنة . فما تم كلامه حتى أقبل أحمد بن طولون ، واذا هو على النعت الذي قال .

ولما تسلم أحمد بن طولون مصر ، كان على الخراج أحمد بن محمد بن المدير - وهو من دهاة الناس وشياطين الكتاب - فأهدى الى أحمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار ، بعد ما خرج الى لقائه هو وشقيق الخادم ، غلام فتحة أم المعز ، وهو يتقلد البريد .

فراى ابن طولون بين يدي ابن المدير مائة غلام من القور ، قد اتخبرهم وصيرهم عدة وجمالا ، وكان لهم خلق حسن وطول أجسام وبأس شديد ، وعليهم أقبية ومناطق تقال غراض ، وبأيديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقربة مقمعة من فضة ، وكانوا يقفون بين يديه في حافتى مجلسه اذا جلس ، فاذا ركب ركبوا بين يديه ، فيصير له بهم هيئة عظيمة في صدور الناس .

فلما بحث ابن المدير بهديته الى ابن طولون ردها عليه ، فقال ابن المدير : ان هذه لهمة عظيمة ، من كانت هذه همة لا يؤمن على طرف من الأطراف .

فخافه وكره مقامه بمصر معه ، وسار الى شقيق الخادم صاحب البريد ، وانفقا على مكتبة الخليفة بازالة ابن طولون .

فلم يكن غير أيام حتى بحث ابن طولون الى ابن المدير يقول له : قد كنت - أعزك الله - أهديت لنا هدية وقع الفنى عنها ، ولم يجز أن يفتن مالك - كثره الله - فرددتها توفيراً عليك ، ونحب أن تجعل العوض منها الفلمان الذين رأيتم بين يديك ، فأنا اليهم أحوج منك .

قال ابن المدير لما بلغته الرسالة : هذه
أخبرني عظم ما تقدم مدعيت من هذا
الرجل ، إذ كان يود الأعراس والأموال ،
ويستهدي الرجل ويثير عليهم . ولم يجد
بدا من أن منهم إليه .

فحولت هبة ابن المدير إلى ابن طولون ،
وقصصت مهابة ابن المدير بفارقة العنان
مجلسه فكتب ابن المدير فيه إلى الحضرة
يخبرني به ويحرض على عزله ، فبلغ ذلك ابن
طولون فكتب إليه ولم يرد .

واتفق موت المنتز في رجب سنة خمس
وخسين ، وفيام الهندى بالله محمد بن
الواثق ، وقتل بأكبال ورد جميع ما كان يده
إلى ماجور التركي ، حسو ابن طولون ،
فكتب إليه : « تسلم من نفسك لنفسك » ،
وزاده الأعمال الخارجة عن نصبة مصر ،
وكتب إلى اسحاق بن دينار وهو يتنقل
الاسكندرية ، أن يسلمها لأحمد بن طولون .

فعمقت لذلك منزله ، وكثر قلق ابن المدير
وغه ، ودعت ضرورة الخوف من ابن طولون
إلى ملائته والترب من خاطره .

وخرج ابن طولون إلى الاسكندرية ،
وتسلمها من اسحاق بن دينار ، وأقره عليها .

وكان أحمد بن عيسى بن شيخ الشيباني
يتنقل جندى فلسطين والأردن ، فلما مات وب
إبنة على الأعمال واستبد بها ، فبث ابن
المدير سبعمائة ألف وخسين ألف دينار حملا
من مال مصر إلى بغداد ، فقبض ابن شيخ
عليها ، وفرقتها في أصحابه ، وكانت الأمور قد

(٥١) من ٢١٤ ج ١ ، ط. بولاق .

استمر بغداد ، فطمع ابن شيخ في انقلب
عن شانه ، وانشعق له يريد مصر

فما قبل الهندى في رجب سنة
وخسين ، وبوج المنتد بالله أحمد بن
التوكل ، ليهرب ابن شيخ له ، ولا يبيع مو
ولا أصحابه فبث إليه بتقليد أرمينية ريدة
من مصر من بلاد الشام ، ونسج له في
الحداد عليها والأدوية على عمله . فلهذا
حينئذ المنتد .

وكتب إلى ابن طولون أن يتأهب لحرب ابن
شيخ ، وأن يمد في عدته ، وكتب لابن المدير
أن يطلق له من المال ما يريد .

فعرض ابن طولون الرجال ، وأثبت من
بصلح ، واشترى العبيد من الروم والسودان ،
وعمل سائر ما يحتاج إليه ، وخرج في نجل
كبير وجيش عظيم ، وبعث إلى ابن شيخ
يدعوه إلى طاعة الخليفة ، ورد ما أخذ من
المال ، فأجاب بجواب قبيح .

فسار لست خلون من جمادى الآخرة ،
واستخلف أخاه موسى بن طولون على مصر ،
ثم رجع من الطريق بكتاب ورد عليه من
العراق ، ودخل القسطنطينية في شعبان .

وقدم من العراق ماجور التركي لمحاربة ابن
شيخ ، فلقبه أصحاب ابن شيخ وعليهم ابنه ،
فانهزموا منه وقتل الابن ، واستولى ماجور
على دمشق ، ولحق ابن شيخ بنواحي أرمينية ،
وتنقل ماجور أعمال الشام كله .

وصار أحمد بن طولون ، من كثرة العبيد
والرجال والآلات ، بحال ضيق به داره ، ولا
يسع له ، فركب إلى سفح الجبل في شعبان ،

وأمر بحرق قبور اليهود والصاري ، واختط
بموسمها ، فبني القصر والميدان ، وتقدم إلى
أصحابه وغلماؤه وأتباعه أن يحيطوا لأسمهم
حوله ، فأخطوا وبوا حتى وصل جبه
لمسرة القسطنطين .

ثم نظمت القلاع . وسلك كل قسمة باسم
من سكنها : فكانت للمويه قسمة مفردة
تعرف بهم ، وللروم قسمة مفردة تعرف بهم ،
وللعراق قسمة مفردة تعرف بهم ، ولكل
صف من الغلمان قسمة مفردة تعرف بهم .

وبنى القواد مواضع متفرقة ، فعمرت
القطائع عبارة عنه ، وتعرفت بها السكك
والأزقة ، وبنيت فيها المساجد الحسان
والطواحين والحمامات والأفران .

وسيت أسواقها : فبني سوق العيارين
وكان يجمع المطارين والبازين . وسوق
القاميين ويجمع الخزازين والبقالين والشوايين ،
فكان في دكاكين القاميين جميع ما في دكاكين
نظرائهم في المدينة وأكثر وأحسن ، وسوق
الطباخين ويجمع الصيارف والخبازين
والحلوانين ، ولكل من الباعة سوق حسن
عامر .

فصارت القلاع مدينة كبيرة أعمر وأحسن
من الشام .

وبنى ابن طولون قصره ووسعه وحسنه ،
وجعل له ميادانا كبيرا يضرب فيه بالصوائجة ،
فسمى القصر كله الميدان ، وكان كل من أراد
الخروج من صغير وكبير إذا سئل عن ذهابه
يقول : إلى الميدان .

وعمل للميدان أبوابا لكل باب اسم ،
وهي . باب الميدان ومنه كان يدخل ويخرج
معظم الجيش ، وباب الصوائجة ، وباب
الخاصة ولا يدخل منه إلا خاصة ابن طولون ،
وباب الجبل لأنه ما يلي جبل المقطم ، وباب
الحرم ولا يدخل منه إلا خادم حصي أو حرمة ،
وباب الدرمون لأنه كان يجلس عنده حاجب
أسود عظيم الحلقه تنقلد جبايات الغلمان
السودان الرجالة فقط ، يقال له الدرمون ،
وباب دعناج لأنه كان يجلس عنده حاجب
يقال له دعناج ، وباب الساح لأنه عمل من
خشب الساج ، وباب الصلاة لأنه كان في
الشارع الأعظم ومنه يتوصل إلى جامع ابن
طولون ، وعرف هذا الباب أيضا بباب السباع
لأنه كان عليه صورة سبعين من جيس .

وكان الطريق الذي يخرج منه ابن طولون
— وهو الذي يخرج منه إلى القصر — طريقا
واسعا ، فقطعه بحائط ، وعمل فيه ثلاثة أبواب
كبيرة ما يكون من الأبواب ، وكانت متصلة
بعضها ببعض واحدا بجانب الآخر .

وكان ابن طولون إذا ركب يخرج معه
عسكر مكثف يخرج على ترتيب حسن يعبر
زحمة ، ثم يخرج ابن طولون من الباب
الأوسط من الأبواب الثلاثة بفردة من غير
أن يختلط به أحد من الناس .

وكانت الأبواب المذكورة تفتح كلها في يوم
العيد ، أو يوم عرض الجيش ، أو يوم صدقة ،
وما عدا هذه الأيام لا تفتح إلا بترتيب في
أوقات معروفة .

وكان القصر له مجلس يشرف منه ابن طولون يوم العرض ويوم الصدقة لينظر من أعلاه من يدخل ويخرج . وكان الناس يدخلون من باب الصوالة ، ويخرجون من باب الباع .

وكان على باب الباع مجلس يشرف منه ابن طولون ليلة العيد على القطار ، ليرى حركات الفلمان وأهليهم وتصرفهم في حوايجهم ، فإذا رأى في حال أحد منهم نقصا أو خلا ، أمر له بما يتبع به ويؤيد في تجلته . وكان يشرف منه أيضا * على البحر ، وعلى باب مدينة القسطنطين وما يلي ذلك ... فكان متزا حنا .

وبنى الجامع فعرف بالجامع الجديد ، وبني العين والسقاية بالمغافر ، وبني تنور فرعون فوق الجبل . واتمت أحواله ، وكثرت اصطبلاته وكراته ، وعظم صيته ، فخافه ماجور ، وكتب فيه إلى الحضرة يفرى به ، وكتب فيه ابن المدير وشقيق الخادم .

وكان لابن طولون عين وأصحاب أخبار يطالعونه بسائر ما يحدث . فلما بلغه ذلك ، تلمظ أصحاب الأخبار له بيقداد عند الوزير ، حتى سیر إلى ابن طولون بكتب ابن المدير وكتب شقيق من غير أن يعلموا بذلك ، فإذا فيها « ان أحمد بن طولون عزم على التغلب على مصر والعصيان بها » .

فكتب خبر الكتب ، وما زال بشقيق حتى مات ، وكتب إلى الحضرة يسأل صرف ابن المدير عن الخراج وتقليد هلال ، فأجيب إلى

(*) منه ٢١ ج ١ ، ط. بولاق .

ذلك ، وقبض على ابن المدير وجسه ، وكانت له معه أمور آلت إلى خروج ابن المدير عن مصر .

وتقدم ابن طولون خراج مصر مع المعونة والنفور الثمانية ، فأسقط المصاوي والمرافق . وكانت بمصر خاصة في كل سنة مائة ألف دينار . فأظفروا الله عقيب ذلك بكنز فيه ألف ألف دينار بنى منه المدارس .

وخرج إلى الشام وقد تقلدها ، فتسلم دمشق وحمص ، ونازل أنطاكية حتى أخذها .

وكانت صدقاته على أهل المسكنة والستر وعلى الضعفاء والفقراء وأهل التجمل متواترة ، وكان راتبه لذلك في كل شهر ألفي دينار ... سوى ما يطراً عليه من النذور وصدقات الشكر على تجديد النعم ، وسوى مطابخه التي أقيمت في كل يوم للصدقات في داره وغيرها ، يذبح فيها البقر والكباش ، ويعرف للناس في القدور الفخار والقصاع ، على كل قدر أو قصعة لكل مسكين أربعة أرغفة ، في اثنين منها فالزوج ، والاثنان الآخران على القدر .

وكانت تعمل في داره وينادي : من أحب أن يحضر دار الأمير فليحضر . وتفتح الأبواب ، ويدخل الناس الميدان ... وابن طولون في المجلس الذي تقدم ذكره ينظر إلى المساكين ، ويتأمل فرحهم بما ياكلون ويحملون ، فيسرم ذلك ويحمد الله على نعمته .

ولقد قال له مرة إبراهيم بن قراطغان ، وكان على صدقاته : أيد الله الأمير ، أنا نقف في المواضع التي تفرق فيها الصدقة ، فتخرج

لنا الكف الناعمة المخضوبة نقشا ، والمعصم الرائع فيه الحديدية ، والكف فيها الخاتم .

فقال : يا هذا ، كل من مسد اليك يده فضعه ، فهذه هي اللطيفة المستورة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه فضل . يحسبهم الجاهل أغنياء من العفف . فاحذر أن ترد يدا امتدت إليك ، وأعط كل من يطلب منك .

فلما مات أحمد بن طولون . وقام من بعده ابنه خسارويه ، أقبل على قصر أبيه وزاد فيه ، وأخذ الميدان الذي كان لأبيه فجعله كله بستانا ، وزرع فيه أنواع الرياحين وأنصاف الشجر ، ونقل إليه الودي اللطيف الذي ينال ثمره القائم ، ومنه ما يتساوله الجالس من أنصاف خيار النخل ، وحمل إليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد ، وزرع فيه الزعفران .

وكسا أجسام النخل نحاسا مذهبا حسن الصنعة ، وجعل بين النحاس وأجساد النخل مزاريب الرصاص ، وأجرى فيها الماء المدير ، فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء ، فتتحدث إلى فساقى معمولة ، ويفيض منها الماء إلى مجار تسقى سائر البستان .

وغرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معمولة وكتابات مكتوبة ، يتعاهدها البستاني بالمقراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة ، وزرع فيه النيلوفر الأحمر والأزرق والأصفر والجنوى العجيب ، وأهدى إليه من خراسان وغيرها كل أصل عجيب ، وطعموا له شجر المشمش باللوز ، وأشباه ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن .

وبنى فيه برجا من خشب الساج المنقوش بالنقش النافذ ليقوم مقام الأقباص ، وزوجه بأنصاف الأصباغ ، وبلط أرضه ، وجعل في تضاعيفه أنهارا لطافا ، جداولها يجري فيها الماء مدبرا من السواقي التي تدور على الآبار العذبة ، ويسقى منها الأشجار وغيرها .

وسرح في هذا البرج من أنصاف القمارى والدبابى والتونيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت ، فكانت الطير تترب وتقتل من تلك الأنهار الجارية في البرج ، وجعل فيه أوكارا في قواديس لطيفة مسكنة في جوف الحيطان لتفرخ الطيور فيها ، وعارض لها فيه عيانا مسكنة في جوانبه لتقف عليها إذا تطايرت حتى يجابو بعضها بعضا بالصياح ، وسرح في البستان من الطير العجيب ، كالطواويس ودجاج الحبش ونحوها ، شيئا كثيرا .

وعمل في داره مجلسا يرواقه سماء بيت الذهب ، طلى حيطانه كلها بالذهب المجاول باللازورد ، المعمول في أحسن نقش وأظرف تفصيل ، وجعل فيه - على مقدار قامة ونصف - صورا في حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حطاياه والمغنيات اللاتي تغنيه ، بأحسن تصوير وأبهج تزويق ، وجعل على رؤوسهن الإكالييل من الذهب الخالص الأبريز الرزين ، والكواذن المرصعة بأنصاف الجواهر ، وفي آذانها الأجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة ، وهي مسخرة في الحيطان ، ولونت * أجسامها بأنصاف أشياء الثياب من الأصباغ العجيبة ... فكان هذا البيت من أعجب مباني الدنيا .

(*) منه ٢١ ج ١ ، ط. بولاق .

وجعل بين يدي هذا البيت فسحة مقبرة ، وملاها زبنا ... وذلك أنه شكا الى طبيبه كثرة السهر ، فأشار عليه بالتفكير ، فأف من ذلك وقال : لا أقدر على وضع يد أحد على .

فقال له : تأمر بعمل بركة من الزئبق .

فعمل بركة — يقال انها خسون ذراعا طولاً في خسين ذراعا عرضاً — وملاها من الزئبق ، فألق في ذلك أموالاً عظيمة ، وجعل في أركان البركة سكناً من الفضة الخالصة ، وجعل في السكك زناير من حرير محكمة الصنعة في حلق من الفضة ، وعمل فرشاً من آدم يحس بالريح حتى يتنفخ فيحكم حينئذ شدة ، ويلقى على تلك البركة الزئبق ، وتشد زناير الحرير التي في حلق الفضة بسكك الفضة ، وينام على هذا الفرش ، فلا يزال الفرش يرتج ويتحرك بحركة الزئبق ما دام عليه .

وكانت هذه البركة من أعظم ما سمع به من الهمم الملوكية ، فكان يرى لها في الليالي المقمرة منظر عجيب اذا تألف نور القمر بنور الزئبق . ولقد أقام الناس بعد خراب القصر مدة يحفرون لأخذ الزئبق من شقوق البركة ، وما عرف ملك قط تقدم خمارويه في عمل مثل هذه البركة .

وبنى أيضاً في القصر قبة تضاهي قبة الهواء مساهاً الدكة ، فكانت أحسن شيء بني ، وجعل لها السر التي تقى الحر والبرد ، فتسبل اذا شاء وترفع اذا أحب ، وفرش أرضها بالفرش السرية ، وعمل لكل فصل فرشاً يليق به .

وكان كثيراً ما يجلس في هذه القبة ليشرف منها على جميع ما في داره من البستان وغيره ، ويرى الصحراء والنيل والجبل وجميع المدينة . وبني ميداناً آخر أكبر من ميدان أبيه .

وكان أحمد بن طولون قد اتخذ حجرة يقربه فيها رجال ساهم بالمكبرين ، عدتهم اثنا عشر رجلاً ، يبيت منهم في كل ليلة أربعة يتعاقبون الليل نوباً ، يكبرون ويسبحون ويحمدون ويهللون ، ويقرأون القرآن تطرياً بالحنان ، ويتوسلون بتقصائد زهدية ، ويؤذنون أوقات الأذان .

فلما ولي خمارويه ، أقرهم على حالهم ، وأجراهم على رسمهم . وكان يجلس للشرب مع حطاياه في الليل وقتائه تغنيه ، فاذا سمع أصوات هؤلاء يذكرون الله والقدح في يده وضعه بالأرض وأسكت مغنياته ، وذكر الله معهم أبداً حتى يسكت القوم ... لا يضجره ذلك ، ولا يغيظه أن قطع عليه ما كان فيه من لذته بالسماع .

وبنى أيضاً في داره داراً للسباع ، عمل فيها بيوتا بأزاج ، كل بيت يسع سبعة ولبؤته ، وعلى تلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها بحركات ، ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت يفرسه بالزبل ، وفي جانب كل بيت حوض من رخام يميزاب من نحاس يصب فيه الماء .

وبين يدي هذه البيوت قاعة فسيحة متعة ، فيها رمل مفروش بها ، وفي جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير .

فاذا أراد سائس سبع من تلك السباع تنظيف بيته ، أو وضع وظيفة اللحم التي لغذائه ، رفع الباب بحيلة من أعلى البيت ، وصاح بالسبع فيخرج الى القاعة المذكورة ، ويرد الباب ، ثم ينزل الى البيت من الطاق ، فيكنس الزبل ، ويبدل الرمل بغيره مما هو نظيف ، ويضع الوظيفة من اللحم في مكان معد لذلك بعد ما يخلص ما فيه من الغدد ، ويقطعه لهما ، ويفسل الحوض ويملاه ماء ، ثم يخرج ويرفع الباب من أعلاه .

وقد عرف السبع ذلك ، فحبال ما يرفع السائس باب البيت ، دخل اليه الأسد فاكل ما هبى له من اللحم حتى يستوفيه ، ويشرب من الماء كفايته .

فكانت هذه مملوءة من السباع ، ولهم أوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع ، فتخرج الى القاعة وتتمشى فيها ، وتمرح وتلعب ويهارش بعضها بعضاً ، فتقيم يوماً كاملاً الى العشي ، فيصيح بها السواس ، فيدخل كل سبع الى بيته لا يتخطاه الى غيره .

وكان من جملة هذه السباع سبع أزرق العينين — يقال له زريق — قد أنس بخمارويه ، وصار مطلقاً في الدار لا يؤذى أحداً ، ويقام له بوظيفته من الغذاء في كل يوم . فاذا نصبت مائدة خمارويه ، أقبل زريق معها ، وريض بين يديه ، فرمى اليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة ، والفضلة الصالحة من الجدي ، ونحو ذلك مما على المائدة ، فيتفكه به .

وكانت له لبؤة لم تستأنس كما أنس ، فكانت مقصورة في بيت ، ولها وقت معروف يجتمع معها فيه .

فاذا نام خمارويه جاء زريق ليحرسه . فان كان قد نام على سرير رريض بين يدي السرير ، وجعل يراعيه ما دام نائماً . وان كان انما نام على الأرض ، بقى قريباً منه ، وتظن لمن يدخل ويقصد خمارويه ، لا يفصل عن ذلك لحظة واحدة .

وكان على ذلك دهره ، قد ألف ذلك ودرب عليه ، وكان في عنقه طوق من ذهب ، فلا يقدر أحد أن يدنو من خمارويه ما دام نائماً لمراعاة زريق له وحراسته اياه ... حتى اذا شاء الله انقاذ قصائه في خمارويه ، كان بدمشق وزريق غائب عنه بمصر ، ليعلم أنه لا يفنى حذر من قدر .

وبنى أيضاً دار الحرم ، ونقل اليها أمهات أولاد أبيه مع أولاده ، وجعل معهم المعزولات من أمهات أولاده ، وأفرد لكل واحدة حجرة واسعة ، نزل في كل حجرة منها بعد زوال دولتهم ، قائد جليل قوسقه ، وفضل عنه منها شيء .

وأقام لكل حجرة ، من الأتزال والوظائف الواسعة ، ما كان يفضل عن أهلها منه شيء كثير .

فكان الخدم الموكلون بالجزم ، من الطباخين وغيرهم ، يفضل لكل منهم — مع كثرة عددهم — بعد التوسع في قوته ، الزلة الكبيرة والتي فيها العدة من الدجاج ، فمنها

ما قلع فخلعا ومنها ما قد تشب صدرها ، ومن الفراخ مثل ذلك ، مع القطع الكبار من الجدى ولحم الضأن ، والعدة من ألوان عديدة ، والقطع الصالحة من الفالودج ، والكثير من اللوزنج والقطائف ، والمهراس من المعيدة التي تعرف اليوم في وقتها هذا بالماموية ، وأنباء ذلك مع الأرغفة الكبار .

واشتهر بمصر يجمعهم لذلك وعرفوا به ، فكان الناس يتناوبونهم لذلك . وأكثر ما تباع الزلة الكبيرة منها بدرهمين ، ومنها ما يباع بدرهم ، فكان كثير من الناس يتفككون من هذه الزلات .

وكان ثياب موجودا في كل وقت لكثرة واتساعه ، بحيث أن الرجل إذا طرقة ضيف خرج من قوره الى باب دار الحرم ، فيجد ما يشتره لينجل به لضيئه ، مما لا يقدر على حمل مثله ، ولا يتبها له من اللحوم والفراخ والدجاج والعلوى مثل ذلك .

واشتهر أيضا اصطبلات خسارويه ، فعمل لكل صنف من الدواب اصطبلا مفردا : فكان للخيل الخاص اصطبل مفرد ، والدواب الثلمان اصطبلات عدة ، ولينجال القباب اصطبلات ، ولينجال النقل غير بغال القباب اصطبلات ، وللنجايب والبخاى اصطبلات ... لكل صنف اصطبل مفرد ، للاتساع في المواضع ، والتفنن في الأتقال .

وعمل للنور دارا مفردة ، وللنهود دارا مفردة ، ولليلة دارا ، وللزرافات دارا .

كل ذلك سوى الاصطبلات التي بالجيزة ، فإنه كان له في عدة ضياع من الجيزة

اصطبلات ، مثل لها ووسيم وسفط وظهرمس وغيرها ، وكانت هذه الضياع لا تزرع الا القرط يرسم الدواب .

وكان للخليفة أيضا بمصر اصطبلات ، سوى ما ذكر ، تتج فيها الخيل لعبة السباق ، وللرباط في سبيل الله تعالى يرسم الفرو . وكان لكل دار من الدور المذكورة ، ولكل اصطبل ، وكلاء لهم الرزق السنوي والوظائف الكثيرة والأموال المتعة .

وبلغ رزق الجيش في أيام خسارويه تسعمائة ألف دينار في كل سنة ، وقام مطبخه - المعروف بطبخ العامة - بثلاثة وعشرين ألف دينار في كل شهر ، سوى ما هو موظف لجواريه وأرذاق من يخدمهم ويتصرف في حوائجهم .

وكان قد اتخذ لنفسه ، من ولد العوف وشنارة الضياع ، قوما معروفين بالشجاعة والبأس ، لهم خلق عظيم تام وعظم أجسام . وأدر عليهم الأرزاق ، ووسع لهم في المطاه ، وشغلهم عما كانوا فيه من قطع الطريق وأذية الناس بخدته ، والبسم الأبية وجواثن الدياج ، وصاغ لهم المناطق العراض الثقال ، وقلدهم السيوف المحلاة يضمنونها على أكتافهم .

فاذا مشوا بين يديه وموكبه على تربيته ، ومضت أصناف المسكر وطوائفه ، تلاهم السودان وعدتهم ألف أسود ، لهم درق من حديد محكم الصنعة ، وعليهم أقبية سود وعسائم سود ، فيخالهم الناظر اليهم بحرا أسود يسير لسواد ألوانهم وسواد ثيابهم ،

وبصير لبريق درقهم وحلى سيوفهم والبيض التي تلمع على رؤوسهم من تحت العمائم زى بهج .

فاذا مضى السودان قدم خسارويه وقد القرد عن موكبه ، وصار بينه وبين الموكب نحو نصف غلوة سهم والمختارة تحف به ، وكان تام الظهر ويركب فرسا تاما ، فيصير كالوكب إذا أقبل لا يخفى على أحد ، كأنه قطعة جبل في وسط المختارة .

وكان مهيا ذا سطوة ، وقد وقع في قلوب الكافة أنه متى أشار اليه أحد بأصبعه أو تكلم أو قرب منه ، لحقه مكروه عظيم ... فكان إذا أقبل كما ذكرنا ، لا يسمع من أحد كلمة ولا سلة ولا عطة ، ولا نحنة البتة ، كأنما على رؤوسهم الطير .

وكان يتقلد في يوم العيد سيفا بحائل .

ولا يزال يتفرج ويتنزه ، ويخرج الى مواضع لم يكن أبوه يشي إليها ، كالأهرام ومدينة العقاب ونحو ذلك ، لأجل الصيد فإنه كان مشغوبا به ، لا يكاد يسمع بسمع الا قصده ومعه رجال عليهم لبود ، فيدخلون الى الأسد ويتناولونه بأيديهم من غابه عنوة وهو سليم ، فيضمونه في أقفاص من خشب محكمة الصنعة يسع الواحد منها السبع وهو قائم ، فاذا قدم خسارويه من الصيد ، سار القنص وفيه السبع بين يديه .

وكانت حلبة السباق في أيامهم تقوم مقام الأعياد ، لكثرة الزينة وركوب سائر الثلمان والمساكر - على كثرتهم - بالسلاح التام والعدد الكاملة ، فيجلس الناس لمشاهدة ذلك

كما يجلسون في الأعياد ، وتطلق الخيل من غايتها ، فتر متفاوته يقدم بعضها بعضا حتى يتم السبق .

قال القاضي : المنظر بناء أحمد بن طولون في ولايته لعرض الخيل . وكان عرض الخيل من عجائب الاسلام الأربعة التي منها هذا العرض ، ورمضان بسكة ، والعيد كان بطرسوس ، والجمعة ببغداد ... فبقى من هذه الأربعة شهر رمضان بسكة ، والجمعة ببغداد ، وذهبت اثنتان .

قال كاتبه : وقد ذهبت الجمعة ببغداد أيضا بعد القضاء ، يقتل هولاء للخليفة المستعصم ، وزوال شعائر الاسلام من العراق ، وبقيت مكة - شرقها - الله تعالى - وليس في شهر رمضان الآن بها ما يقال فيه أنه من عجائب الاسلام .

ولما تكامل عز خسارويه وانتهى أمره ، بدأ يسترجع منه الدهر ما أعطاه . فأول ما طرقة موت حظيته بوران التي من أجلها بنى بيت الذهب ، وصور فيه صورتها وصورته كما تقدم ، وكان يرى أن الدنيا لا تطيب له الا بسلامتها وينظره إليها وتبتمه بها ، فكدر موتها عيشه ، وانكسر انكسارا بان عليه .

ثم أنه أخذ في تجهيز ابنته ، فجهزها جهازا ضاهى به نعم الخلافة ، فلم يبق خطيرة ولا طرفة من كل لون وجنس الا حمله معها . فكان من جملة ذكة أربع قطع من ذهب ، عليها قبة من ذهب مشبك ، في كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ، ومائة هون من ذهب .

قال القاضي : وعقد المعتضد الكاخ على
ابن (بنى ابنه خارويه) قصر السدي ،
فجعلها أبو الجيش خارويه مع عبد الله بن
الخصاص ، وحمل معها ما لم ير مثله ، ولا
يسح به .

ولما دخل إليه ابن الخصاص يودعه ، قال له
خارويه : هل بقي بيني وبينك حساب ؟

قال : لا .

قال : انظر حسابك .

قال : كسر بقي من الجواز .

قال : انصروه .

فأخرج ربح طومار فيه سبت ذكر الثقة ،
فإذا هي أرسالة ألف دينار .

قال محمد بن علي اللادواني : فتطرت في
الطومار ، فإذا فيه « وألف تكة ، الثمن عنها
عشرة آلاف دينار » ... فطلق له الكل .

قال القاضي : وانما ذكرت هذا الخبر
لتستدل به على شيء : منها سعة قس أبي
الجيش . ومنها كثرة ما كان يملكه ابن
الخصاص ، حتى أنه قال : « كسر بقي من
الجواز » ، وهو أرسالة ألف دينار ، لو لم
يقتضه ذلك لم يذكره . ومنها ميسور ذلك
الزمان ، لما طلب فيه ألف تكة من أثمان عشرة
دنانير قلر عليها في أيسر وقت وبأهون سعي ،
ولو طلب اليوم خصمون لم يقدر عليها .

قال كاتبه : ولا يعرف اليوم ، في أسواق
القاهرة ومصر ، تكة بعشرة دنانير إذا طلبت
توجد في الحال ، ولا يصد شهر ، ألا أن
يتعنى بعملها فتعمل .

ولما قرغ خارويه من جهاز ابنته ، أمر فبنى
لها - على رأس كل مرحلة تنزل بها - قصر
فيما بين مصر وبغداد ، وأخرج معها أخاه
شيان بن أحمد بن طولون في جماعة مع ابن
الخصاص ، فكانوا يسرون بها سير الطفل في
الهد ، فإذا واقت المنزل وجدت قصرا قد فرش
فيه جسيم ما يحتاج إليه ، وعلقت فيه الستور ،
وأعد فيه كل ما يصلح لثلاثها في حال الإقامة .

فكانت في مسيرها من مصر إلى بغداد
- على بعد الثقة - كأنها في قصر أبيها ،
تنتقل من مجلس إلى مجلس ، حتى قدمت
بغداد أول المحرم سنة اثنتين ومائتين ،
فوفت على الخليفة المعتضد .

وبعد ذلك قتل خارويه بدمشق .

وكانت مدة بني طولون بمصر سبعا وثلاثين
سنة وستة أشهر واثنين وعشرين يوما ، وولى
منهم خمسة أمراء .

أولهم أحمد بن طولون : ولى مصر من قبل
المعر على صلاتها ، فدخل يوم الخميس لسبع
بقي من شهر رمضان سنة أربع وخمسين
ومائتين .

وخرج بها الأصغر ، وهو أحمد بن محمد
ابن عبد الله بن طباطبغا ، فيما بين برقة
والاسكندرية ، في جمادى الأولى سنة خمس
وخمسين ، ومار إلى الضميد ، فقتل في
الحرب ، وحمل رأسه إلى القسطنطيني لآحدى
عشرة بقيت من شعبان .

وخرج ابن الصوفي العلوي ، وهو إبراهيم
ابن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن
عمر بن علي بن أبي طالب ، ودخل اسنا في

في القعدة ، فنهب وقتل . فبعث إليه ابن
طولون جيشا ، فهزم الجيش في ربيع الأول
سنة ست وخمسين ، فبعث بجيش آخر ،
فواقعه بأخميم في ربيع الآخر ، فانهزم ابن
الصوفي إلى الواح فأقام به .

وخرج أحمد بن طولون يريد حرب عيسى
ابن الشيخ ، ثم عاد فابتدأ في بناء الميدان .

وقدم العباس وخارويه ، ابنا أحمد بن
طولون ، من العراق على طريق مكة سنة سبع
وخمسين .

وورد كتاب ماجور بتسلم أحمد بن طولون
الأعمال الخارجة عن يده من أرض مصر ،
فتسلم الاسكندرية ، وخرج إليها لثمان خلون
من شهر رمضان ، واستخلف طنج صاحب
الشرط .

ثم قدم لأربع عشرة بقيت من شوال ،
وسخط على أخيه موسى ، وأمره بلباس
البياض ، وخرج إلى الاسكندرية ثانيا لثمان
بقيت من شعبان سنة تسع وخمسين ،
واستخلف ابنه العباس .

وقدم لثمان خلون من شوال ، وأمر ببناء
المسجد الجامع على الجبل في صفر سنة تسع
وخمسين ، وبناء المارستان للرضى .

وورد كتاب المعتمد يستحثه في حمل
الأموال ، فكتب إليه : « لست أطيق ذلك
والخراج يبد غيري » .

فأنفذ المعتمد قيسا الخادم بتقليد أحمد بن
طولون الخراج ، وبولايته على الثغور
الشامية . فأقر أبا أيوب أحمد بن محمد بن

شجاع على الخراج خليفة له عليه ، ومقدم
لطخشي بن بليرد على الثغور ، فخرج في
جمادى الأولى سنة أربع وستين .

وتقدم أبو أحمد الموفق إلى موسى بن بزا
في صرف أحمد بن طولون وتقليدها ماجور
التركي وإلى دمشق ، فكتب إليه بذلك ،
فتوقف لمجزه عن مقاومة ابن طولون ، فخرج
موسى بن بزا ونزل الرقة .

فبلغ ابن طولون أنه سائر إليه ، فابتدأ في
بناء الحصن بالجزيرة ليكون مقلا لاله
وحرمة في سنة ثلاث وستين ، واجتهد في عمل
المراكب الحربية ، وأطافها بالجزيرة .

فأقام موسى بالرقة عشرة أشهر ، واضطربت
أموره ، ومات في صفر سنة * أربع وستين .
ومات ماجور بدمشق ، واستخلف ابنه علي
ابن ماجور .

فحرك ذلك أحمد بن طولون على السير ،
وكتب إلى ابن ماجور أنه سائر إليه ، وأمره
بإقامة الأتزال والميرة ... فأجاب بجواب
حسن .

وشكا أهل مصر إلى ابن طولون ضيق
المسجد الجامع يوم الجمعة بجنده وسوداته ،
فأمر ببناء المسجد الجامع بجبل يشكو ،
فابتدأ بنيائه في سنة أربع ، وتم في سنة ست
وستين ومائتين .

وخرج في جيوشه لثمان بقيت من شعبان سنة
أربع وستين ، واستخلف ابنه العباس ، وضم
إليه أحمد بن محمد الواسطي مدبرا ووزيرا ،

فبلغ الرملة ، وتلقاه محمد بن رافع واليها ،
واقام له بها الدعوة ، فآخذه .

ومضى الى دمشق ، فلقاه علي بن ماجور ،
واقام له بها الدعوة ، فاقام عنى استوثق له
أمرها .

ومضى الى حصن قنسرين ، وبث الى
سبا الطويل - وهو بالطاكية - يأمره
بالدعاء له ، فأبى ، فسار اليه في جيش عظيم
وحاصره ، ورماه بالمجانيق حتى دخلها في
الحرم سنة خمس وستين ، فقتل سبا ،
واستباح أمواله ورجاله .

ومضى الى طرسوس فدخلها في ربيع
الأول ، فضاقت به وغلا الحرب بها ، فسأله
أهلها لقاتلهم ، وأمر أصحابه أن ينهزموا عن
أهل طرسوس ليبلغ طالعبة الروم فيعلم أن
جيوش ابن طولون - مع كثرتها وشدها -
لم تقم لأهل طرسوس فانهزموا .

وخرج عنهم ، واستخلف عليها طغشى ،
فورد الخبر عليه بأن ابنه العباس قد خالف
عليه ، فأزعجه ذلك وسار . فخاف العباس
وقيد الواسطي ، وخرج بطائفته الى الحيرة
لثمان خلون من شعبان سنة خمس وستين
ومائتين فسكر بها ، واستخلف أخاه ريعة
ابن أحمد ، وأظهر أنه يريد الاسكندرية وسار
الى برقة .

فقدم أحمد بن طولون من الشام لأربع
خلون من رمضان ، فألقه القاضي بكار بن
قتيبة في ثمر بكتابه الى العباس ، فساروا اليه
ببرقة ، فأبى أن يرجع ، وعاد بكار في أول ذي
الحجة .

ومضى العباس يريد أفرقية في جمادى
الأولى سنة ست وستين ، فنهب لبدية ، وقتل
من أهلها عدة ، وضجت نساؤهم ، فاجتمع
عليه جيش ابن الأغلب والأباضية ، فقاتلهم
بنفسه وحسن بلاؤه يومئذ ، وقال :

قد درى اذ أعدو على فرسى
الى الهياج وقار الحرب تستمر
وقى يدي عسارم أفرى الرؤوس به
في حده الموت لا يبقى ولا يذر

ان كنت سائلة عنى وعن خبرى
فها أنا الليث والصمصامة الذكر
من آل طولون أصلى ان سألت فما
فوقى لمفتخر بالجوود مفتخر

لو كنت شاهدة كرى بليدة اذ
بالسيف أضرب والهامة تبذر
اذن لعانت منى ما تبادره
عنى الأحاديث والأنباء والخبر

وقتل يومئذ صناديد عسكره ووجوه
أصحابه ، وهبت أمواله ، وفر الى برقة في
ضر

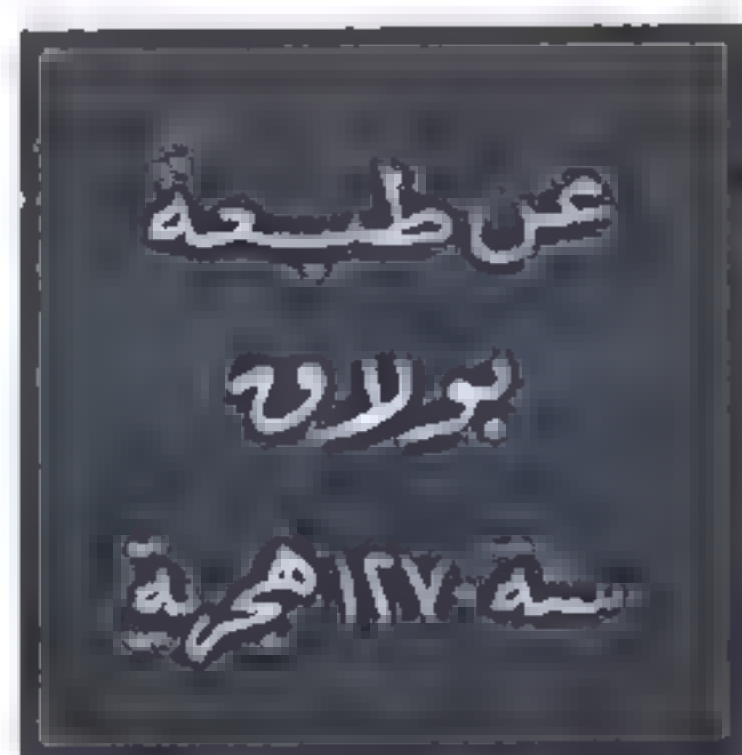
وعقد أحمد بن طولون على جيش ، وبث
به الى برقة في رمضان سنة سبع وستين .

ثم خرج بنفسه في عسكر عظيم ، يقال انه
بلغ مائة ألف ، لثنتي عشرة خلت من ربيع
الأول سنة ثمان وستين ، فاقام بالاسكندرية ،
وفر اليه أحمد بن محمد الواسطي من عند
العباس ، فصر عنده أمر العباس ، فعقد على
جيش سيره الى برقة ، فواقفوا أصحاب
العباس وهزموهم وقتلوا منهم كثيرا ،
وأدركوا العباس لأربع خلون من رجب .



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأبنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثنى ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِئِي

الحج

١٦

كتاب
التحرير

كانت مصر هي مسقط رأسي، وولعت أنزاي، وجميع ناسي، ومعنى عشيري وعاصتي،
وموطن عاصتي وعاصتي، وهو مصري الذي ربي مناصي في ذكره، وعش ماري، ودار
تهوي الأيمن غير ذكره، لا زلت منذ شذوذ العالم، وآثاني ربي القطار والعزم، أغيب في
معرفة أخبارها، وأحب الاستزاف على الاعتراف من آثافها، والنوي سارة الكيان من كان وإيرفا
تقي الدين أحمد بن علي المقرئ

وعاد أحمد إلى القسطنطينية ثلاث عشرة خلت
منه ، وقدم العباس والأسرى في شوال ، ثم
أخرجوا أول ذى القعدة ، وقد بنيت لهم دكة
عالية ، فضربوا وألقوا من أعلاها .

ثم بعث بلؤلؤ في جيش إلى الشام ،
فخالف على أحمد ومال مع الموفق وصار
إليه ، فخرج أحمد ، واستخلف ابنه خماروه
في صفر سنة تسع وستين ، فنزل دمشق
— ومعه ابنه العباس مقيد — فخالف عليه
أهل طرسوس ، فخرج يريد محاربتهم ، ثم
توقف لورود كتاب المعتمد عليه أنه قادم عليه
ليلتجئ إليه .

فخرج كالمصيد من بغداد ، وتوجه نحو
الرقبة . فبلغ أبا أحمد الموفق مسيره — وهو
محارب لصاحب الزنج — فعمل عليه حتى عاد
إلى سامرا ، ووكل به جماعة ، وعقد لاسحاق
ابن كنداح الخزري على مصر .

فبلغ ذلك ابن طولون ، فرجع إلى دمشق ،
وأحضر القضاة والفقهاء من الأعمال ، وكتب
إلى مصر كتابا قرىء على الناس : بأن أبا أحمد
الموفق نكث ببيعة المعتمد ، وأمره في دار
أحمد بن الخصب ، وأن المعتمد قد صار
من ذلك إلى ما لا يجوز ذكره وأنه بكى بكاء
شديدا .

فلما خطب الخطيب يوم الجمعة ذكر ما
نيل من المعتمد ، وقال : اللهم فاكفه من حصره
وظلمه .

وخرج من مصر بكار بن قتيبة وجماعة إلى
دمشق ، وقد حصر أهل الشامات والثغور ،

فأمر ابن طولون بكتاب فيه خلع الموفق من
ولاية العهد لمخالفة المعتمد وحصره إياه ،
وكتب فيه : « إن أبا أحمد الموفق خلع الطاعة
وبرىء من الذمة ، فوجب جهاده على
الأمة » .

وشهد على ذلك جميع من حضر ، إلا بكار
ابن قتيبة ، وآخرين ، وقال بكار : لم يصح
عندي ما فعله أبو أحمد ولم أعلمه . وامتنع
من الشهادة والخلع ... وكان ذلك لأحدى
عشرة خلت من ذى القعدة .

فبلغ ذلك الموفق ، فكتب إلى عماله بلمن
أحمد بن طولون على المناير ، فلمن عليها بما
صيغته : اللهم العنه لعنا يفل حده ويتمن
جده ، واجعله مثالا للغابرين ، انك لا تصلح
عمل المفسدين .

ومضى أحمد إلى طرسوس فنازلها ، وكان
البرد شديدا ، ثم رحل عنها إلى أذنة ، وسار
إلى لمصينة فنزلت به علة الموت .

فأعد السير يريد مصر حتى بلغ القرما ،
فركب النيل إلى القسطنطينية ، فدخل لعشر بقين
من جمادى الآخرة سنة سبعين ، فأوقف بكار
ابن قتيبة ، وبعث به إلى السجن .

وتزايدت به العلة حتى مات ليلة الأحد
لعشر خلون من ذى القعدة سنة سبعين
ومائتين .

فلما بلغ المعتمد موته اشتد وجده وجزعه
عليه ، وقال يرثيه :

(*) من ٢٢٠ ج ١ ، ط ١٠ بولاق .

الى الله أشكو أسى عرائى كوقع الأسل
على رجل أروع يرى منه فضل الوجل
شهاب خبا وقده وعارض غيث أقل
نكت دولتى فقدمه وكان يزين الدول
فقام بعده ابنه أبو الجيش خسارويه بن
أحمد بن طولون ، وبإيمه الجند يوم الأحد
لعشر خلون من ذى القعدة ، فأمر بقتل أخيه
العباس لامتناعه عن مبايعته .

وعقد لأبى عبد الله أحمد الواسطى على
جيش الى الشام لست خلون من ذى الحجة ،
وعقد لسعد الأعر على جيش آخر ، وبعث
بمراكب في البحر لتقيم على السواحل
الشامية .

فنزل الواسطى فلسطين ، وهو خائف من
خسارويه أن يوقع به لأنه كان أشار عليه
بقتل أخيه العباس ، فكتب الى أبى أحمد
الموفق بصغر أمر خسارويه ، ويعرضه على
المير اليه .

فأقبل من بغداد ، وانضم اليه اسحاق بن
كنداح ومحمد بن أبى الساج ، ونزل الرقة
فتسلم قسرين والعواصم ، وسار الى شيرز ،
فقاتل أصحاب خسارويه وهزمهم ، ودخل
دمشق .

فخرج خسارويه في جيش عظيم ، لعشر
خلون من صفر سنة احدى وسبعين ، فالتقى
مع أحمد بن الموفق بنهر أبى بطرس
- المعروف بالطواحين - من أرض فلسطين ،
واقبلا ، فانهزم أصحاب خسارويه ، وكان في

سبعين ألفا وابن الموفق في نحو أربعة
آلاف ، واحتوى على عسكر خسارويه بما
فيه .

ومضى خسارويه الى القسطنطينية ، وأقبل
كئين له عليه سعد الأعر ، ولم يعلم بهزيمة
خسارويه ، فعارب ابن الموفق حتى أزاله عن
المسكر ، وهزموه اتى عشر ميلا ، ومضى الى
دمشق فلم يفتح له .

ودخل خسارويه الى القسطنطينية ثلاث خلون
من ربيع الأول ، وسار سعد الأعر والواسطى
فملكا دمشق .

وخرج خسارويه من مصر لسبع بقين من
رمضان ، فوصل الى فلسطين ، ثم عاد لاثنتي
عشرة بقيت من شوال ، ثم خرج في ذى
القعدة سنة اثنتين وسبعين ، فقتل سعدا
الأعر ، ودخل دمشق لسبع خلون من المحرم
سنة ثلاث وسبعين .

وسار لقتال ابن كنداح ، فكانت على
خسارويه فانهزم أصحابه ، وثبت هو في
طائفة ، فهزم ابن كنداح وأتبعه حتى بلغ
أصحابه سر من رأى ، ثم اصطلحا وتظاهرا ،
وأقبل الى خسارويه فأقام في عسكره ، ودعا
له في أعماله التي يده .

وكتب خسارويه أبا أحمد الموفق في
الصلح ، فأجابته الى ذلك ، وكتب له بذلك
كتابا ، فورد عليه به فالتى الخادم الى مصر في
رجب ، ذكر فيه أن المعتد والموفق وابنه
كيسوه بأيديهم ، وبولاية خسارويه وولده
ثلاثين سنة على مصر والشامات .

ثم قدم خسارويه سلخ رجب ، فأمر بالدعاء
لأبى أحمد الموفق وترك الدعاء عليه ، وجعل
على المظالم بمصر محمد بن عبدة بن حرب .

وبلغه مير محمد بن أبى الساج الى
أعماله ، فخرج اليه في ذى القعدة ، ولقيه
شعبة العقاب من دمشق ، فانهزم أصحاب
خسارويه ، وثبت هو فحاربه حتى هزمه أقبح
هزيمة .

وعاد الى مصر ، فدخلها لست بقين من
جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ، ثم خرج
الى الاسكندرية لأربع خلون من شوال ،
وورد الخبر أنه دعى له بطرسوس في جمادى
الآخرة سنة سبع وسبعين ، وخرج الى الشام
لسبع عشرة من ذى القعدة .

ومات الموفق في سنة ثمان وسبعين ، ثم
مات المعتد في رجب سنة تسع وسبعين .

وبويح المعتد أبو العباس أحمد بن
الموفق ، فبعث اليه خسارويه بالهدايا ، وقدم
من الشام لست خلون من ربيع الأول سنة
ثمانين .

فورد كتاب المعتد بولاية خسارويه على
مصر هو وولده ثلاثين سنة ، من الفرات الى
برقة ، وجعل له الصلات والخراج والقضاء
وجميع الأعمال ، على أن يحمل في كل عام
مائتى ألف دينار عما مضى ، وثلثمائة ألف
للمستقبل .

ثم قدم رسول المعتد بالخلع ، وهى اثنتا
عشرة خلعة وسيف وتاج ووشاح ، مع خادم
في رمضان .

وعقد المعتد لكاح قطر الندى بنت
خسارويه في سنة احدى وثمانين ، وفيها خرج
خسارويه الى نزهته يربوط في شعبان ، ومضى
الى الصعيد فبلغ سيوط ، ثم رجع من الشرق
الى القسطنطينية أول ذى القعدة .

وخرج الى الشام ثمان خلون من شعبان
سنة اثنتين وثمانين ، فأقام بسنية الأصبح ومئة
مطر ، ثم رحل حتى أتى دمشق ، فقتل بها
على فراشه ... ذبحه جواريه * وخدمه

وحمل في صندوق الى مصر ، وكان لدخول
تابوته يوم عظيم ، واستقبله جواريه وجواري
غلمان ونساء قواده ونساء القضاة بالصياح
وما يصنع في المآتم ، وخرج الغلمان وقد حلوا
أقيتهم ، وفيهم من سود ثيابه وشققها ،
وكانت في البلد ضجة عظيمة وصرخة تتمتع
القلوب حتى دفن .

وكانت مدته اثنتي عشرة سنة وثمانية عشر
يوما .

ثم ولى أبو العساكر جيش بن خسارويه بن
أحمد بن طولون ، ليلة بقيت من ذى القعدة
سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، بدمشق . فسار
الى مصر ، واشتغل على أمور أنكرت عليه ،
فاستوحش من عطاء الجند وتنكر لهم ،
فخافوه ودأبوا في الفساد .

فخرج متزها الى منية الأصبح ، ففر جماعة
من عطاء الدولة الى المعتد ، وخلصه أحمد
ابن طغان وكان على الثغر ، وخلصه طنج بن
ابن جف بدمشق ، فوثب جيش على عمه

(*) ص ٢٢١ ج ١ ، ط ١ ، بولاق .

مضر بن أحمد بن طولون قتلته ، فوثب عليه الجيش وخلصوه ، وجمعوا الفقهاء والقضاة ، فبشروا من بيعته وحملهم منها .

وكان خلع له عشر خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ، فولى ستة أشهر واثني عشر يوما ، ومات في السجن بعد أيام .

ثم ولي أبو موسى هارون بن خمارويه يوم خلع جيش ، فقام طائفة من الجند ، وكانوا ربيعة بن أحمد بن طولون وكان بالاسكندرية ودعوه ووعده بالقيام معه .

فجمع جمعا كثيرا من أهل البحيرة ومن البربر وغيرهم ، وسار حتى نزل ظاهر فسطاط مصر ، فخذله القوم وخرج اليه القواد ، فقاتلوه وأسروه لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة أربع وثمانين ، وضرب ألف سوط ومائتي سوط ، فمات .

ومات المعتضد في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ، وبويع ابنه محمد المكتفى بالله ، وخرج القرمطي بالشام في سنة تسعين ، فخرج القواد من مصر وحاربوه فهزمهم .

وبعث المكتفى محمد بن سليمان الكاتب فنزل حمص ، وبعث بالمراكب من الثغر الى سواحل مصر ، وأقبل الى فلسطين . فخرج هارون يوم التروية سنة احدى وتسعين ، وسير المراكب الحربية ، فالتقوا بمراكب محمد بن سليمان في تيس فغلبوا ، وملك أصحاب محمد بن سليمان تيس ودمياط .

فسار هارون الى العباسية ، ومعه أهله وأصنامه في ضيق وجهه ، فترق عنه كثير من

أصحابه ، وبقي في ثغر يسير وهو متشاغل باللهو .

فاجمع عنده شيان وعدى ابنا أحمد بن طولون على قتله ، فدخلا عليه وهو نمل ، فقتلاه ليلة الأحد لاحدى عشرة بقيت من صفر سنة اثنتين وتسعين ، ومنه يومئذ اثنتان وعشرون سنة ، فكانت ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر وأياما .

ثم ولي شيان بن أحمد بن طولون أبو المواقيت لعشر بقين من صفر ، فرجع الى القسطنطينية .

وبلغ طنج بن جف وغيره من القواد قتل هارون ، فأنكروه وخالفوا على شيان ، وبعثوا الى محمد بن سليمان فأمهم ، وحركوه على السير الى مصر ، فسار حتى نزل العباسية ، فلقه طنج في ناس من القواد كثير ، فساروا به الى القسطنطينية ، وأقبل اليهم عامة أصحاب شيان .

فخاف حينئذ شيان ، وطلب الأمان ، فأمنه محمد بن سليمان ، وخرج اليه ليلة خلت من ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، وكانت ولايته اثني عشر يوما .

ودخل محمد بن سليمان يوم الخميس أول ربيع الأول ، فألقى النار في القنائع ، ونهب أصحابه القسطنطينية ، وكسروا السجون وأخرجوا من فيها ، وهجموا الدور ، واستباحوا الحرم ، وهتكوا الرعية ، وافترضوا الأيكار ، وساقوا النساء ، وفعلوا كل قبيح ، من اخراج الناس من دورهم وغير ذلك .

وأخرج ولد أحمد بن طولون وهم عشرون السا ، وأخرج قوادهم ... فلم يبق بمصر منهم أحد يذكر ، وخت منهم الديار ، وعفت منهم الآثار ، وتعطلت منهم المنازل ، وحل بهم الذل بعد العز ، والتطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونصرة الملك ومساعدة الأيام .

ثم سيق أصحاب شيان الى محمد بن سليمان وهو راكب ، فذبخوا بين يديه كما تذبج الشياه ، وقتل من السودان سكان القنائع خلقا كثيرا .

فقال أحمد بن محمد الحبشي :

الحمد لله اقرارا بما وهبا
قد لم بالأمن شعب الحق فانشبا
الله أصدق هذا الفتح لا كذب
فسوء عاقبة الثوى لمن كذبا
فتح به فتح الدنيا محمدا
وفرغ الظلم والاضلام والكربا
لا ريب رب هياج يقتضى دعة
وفي القصاص حياة تذهب الربا
رمى الامام به عذراء غادرة
فافتض عذرتها بالسيف واقتضا

محمد بن سليمان أعزهم
نصا وأكرمهم في الداهين أبا
سرى بأسد الشرى لو لم يروا بشر
أضحى غرهم الخطى لا القضا
جثم القضاء على اليموم حين أتوا
مثل الزبا يمتحون الزينة الذابا *

(*) مر ٢٢٢ ج ١ ، ط ١٠٠٠٠٠

أما علوت على الأيام مرتبة
أبا على ترى من دونها الرب
لما أطال بنو طولون خطبتهم
من الخطوب وعافت منهم الخطبا
هارت بهارون من ذكراك بقته
وشيب الرب شيانا وقد رجا
وكم ترى لهم من جنة آف
ومن لعيم جنى من غدرهم عطا
فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم
كأنها من زمان غير ذهب

وقال أحمد بن يعقوب :

ان كنت تسأل عن جلالة ملكهم
فارتع وعج برابع الميدان
وانظر الى تلك القصور وماحوت
واسرح بزهرة ذلك البستان
وان اعتبر فيه أيضا عبرة
تبيك كيف تصرف العصران
ياقتل هارون اجتثت أصولهم
وأشبت رأس أميرهم شيان

لم يغن عنكم بأس قيس اذا غدا
في جحفل لجب ولا غسان
وعديه البطل الكسى وخزرج
لم ينصرا بأخيها عدنان
زفت الى آل النبوة والهدى
وتزقت عن شيعه الشيطان

وقال اسماعيل بن أبي هاشم :

ف وقتة بقباب باب الساج
والتصر ذى الثرفات والأبراج

وربوع قوم أزعجوا عن دارهم
بعد الإقامة أيضا أزعاج

كانوا مصايحا لدى ظلم الدجى
يسرى بها السارون فى الادلاج

وكان أوجههم اذا أبصرتها
من فسة يضاء أو من عجاج

كانوا ليوتا لا يرام حمامهم
فى كل ملحمة وكل هياج

فانظر الى آثارهم تلقى لهم
علما بكل ثبة وفجاج

وعليهم ما عشت لا أدع البكا
مع كل ذى نظر وطرف ساجى

وقال سعيد القاسم :

يجرى دمه ما بين سحر الى نحر
ولم يجز حتى أملت يد الصبر

وبات وقينا للذى خامر الحشا
ين كما أن الأسير من الأسر

وهل يستطيع الصبر من كان ذا أمى
بيت على جبر ويضحي على جبر

تابع أحداث يضيمن صبره
وغدر من الأيام والدهر ذو غدر

أصاب على رغم الأنوف وجدعها
ذوى الدين والدنيا بقاصمة الظهر

طوى زينة الدنيا ومصباح أهلها
بفقد بنى طولون والأنجم الزهر

وقد بنى طولون فى كل موطن
أمر على الإسلام فقدا من القطر

فبادوا واضحوا بعد عز ومنعة
أحاديث لا تخفى على كل ذى حجر

وكان أبو العباس أحمد ماجدا
جسيل المعيا لا بيت على وتر

كان ليالى الدهر كانت لحنها
واشراقها فى عصره ليلة القدر

يدل على فضل ابن طولون همة
محلقة بين السكاكين والفقر

فان كت تبغى شاهدا ذا عدالة
يخير عنه بالجلى من الأمر

فبالجبل الغربى خلة يشكر
له مسجد يغنى عن المنطق الهذر

يدل ذوى الألباب أن بناءه
وبنايه لا بالضيق ولا الفقر

بناء بأجر وساج وععر
وبالمرمر المسنون والجص والصخر

بميد مدى الأقطار سام بناؤه
وثيق المباني من عقود ومن جدر

فسيح رحاب يحصر الطرف دونه
رفيق نسيم طيب العزف والنشر *

وتتور فرعون الذى فوق قلة
على جبل عال على شاطئ وعر

بنى مسجدا فيه يروق بشاؤه
ورعدى به فى الليل ان ضل من يسرى

تخال سنا قنديله وضيائه
سهلا اذا ملاح فى الليل للسفر

وعين معين الشرب عين زكية
وعين اجاج للرواة وللطهر

كان وفود النيل فى جنباتها
تروح وتغدو بين مد الى جزر

فأرك بها مستبطا لمينها
من الأرض من بطن عيق الى ظهر

بناء لو ان الجن جاءت بشله
لقيل لقد جاءت بمستقطع نكر

ير على أرض المغافر كلها
وشعبان والأصوار والحي من بشر

قبائل لا نوء السحاب يدها
ولا النيل يروها ولا جدول يجرى

ولا تنس مارستانه واتساعه
وتوسعة الأرزاق للحول والشهر

وما فيه من قسوامه وكفاته
ورفقتهم بالمعتفين ذوى الفقر

فلليت المقبور حسن جهازه
وللحي رفيق فى علاج وفى جبر

وان جئت رأس الجسر فانظر تأملا
الى الحصن أو فاعبر اليه على الجسر

ترى أثرا لم يبق من يستطيعه
من الناس فى بدو البلاد ولا حضر

مأثر لا تبلى وان باد أهلها
ومجد يؤدى واريه الى الفخر

لقد ضمن القبر المقدر ذرعه
أجل اذا ما قيس من قبتى حجر

وقام أبو الجيش ابنه بعد موته
كما قام ليت الغاب فى الأسر

أته النايا وهو فى أمن داره
فأصبح مملوبا من النهى والأمر

كذلك الليالى من إعارته بهجة
فيالك من ناب حديد ومن ظفر

وورث هارون ابنه تاج ملكه
كذلك أبو الأشبال ذو الناب والهر

وقد كان جيش قبله فى محله
ولكن جيشا كان مستقر العمر

فقام بأمر الملك هارون مدة
على كلف من ضيق باع ومن حصر

وما زال حتى زال والدهر كاشح
عقارب من كل ناحية تسرى

تذكرتهم لما مضوا فتابعوا
كما أرفض سلك من جان ومن شذر

فمن يك شيئا ضاع من بعد أهله
لقد هم فليك حزنا على مصر

لييك بنى طولون اذ بان عصرهم
فبورك من دهر وبورك من عصر

وقال أيضا :

من لم ير الهدم للبيدان لم يره
تبارك الله ما أعلى وأقدره

لو ان غين الذى أنشاه تبصره
والخادئات تعاديه لأكبره

كانت عيون قورى تنبؤا
 لا تحب اليك عسكره
 في تلك التي كانت تعمل به
 وتين من كان بلا عذر ديرة
 وتين من كان بعبه وعبه
 من كل بيت بجانب البيت منقرو
 صلاح الزمان بين فيه قهرهم
 وحط رب القلي فيه غنقرو
 وتلقى القهر منه حين جنة
 مثل الكتاب من القصر لسطرو
 دكت منقرو ولجنت جوسته
 كأنما الخف قلجاء قنقرو
 لو حب لصلو قورى جواته
 فلك سرور في تلك منقرو
 كم كان قورى اليه في مقاصره
 لعل في غنقرو الخرقاء حوره
 كم كان فيه لهم من مشرب غنقرو
 سب صرف الرضى فيه فكنقرو
 أين ابن طولون يابيه وساكه
 لعله لك لأشئ قاتيره
 ما نوضح الأمر لو صحت لنا فكر
 طوي لمن خصه رند فذكره
 وقال أحمد بن إسحق الجفر :
 وقا ما لودت العجوة الله
 من زلها فاطر الى الميدان
 تنظر البين والهموم وأنوا
 ما تواتر به من الانجان
 (م) من ٣٣ ج ١ ، ص ١٠١

بسم العالم البصر الى الله
 هر فيما يراه ذو القور
 أين ما فيه من نعيم ومن به
 من رضى وغنى وقصرة وحسار
 أين ذلك لك الذى ديف باله
 ير بعتا وعلى بالزغفران
 أين ذلك الخمر الضائع والود
 وما استظفروا من الكفن
 أين تلك القيان تنبؤ على القهر
 من ما استنقروا من الأجران
 حوز القهر آل طولون في هو
 قور مسكوقا غير دق
 وتلقى الميدان من بعد أهل
 دكيا قورى بتلك المعاني
 ثم أمر الحسن بن أحمد القدراني ، متولى
 خراج مصر ، بفتح القيوان ، فاستدعى في
 ههنا في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين
 ومائتين ، وبعث أخاه وذر كاه لم يكن .
 فقال محمد بن طوسه :
 وكان الميدان تكلى نصيت
 بجيب قد ضاع ليله عرس
 تغنى الريح منه محلا
 كان لصون في ستور المنقش
 وفرش الأضرحة والبط والد
 باج في قبة وفي لين لمن
 ووجوه من الوجوه حسان
 وخدود مثل الكلى ملين

كل ليلاء كاتزال ونجلا
 ورواح من بين حور ولس
 آل طولون كتم زينة لأر
 من قاضي الجديد أهدام ليس
 وقال ابن أبي هاشم :
 يامرلا لبني طولون قد ذرا
 لك صرف القواني القطر والمطرا
 يامرلا صرت أجفوه وأهجره
 وكان بعدل عندي السح والبصرا
 بانه عندك علم من اجبتا
 أم هل سمعت لهم من بعدنا خبرا
 وقال :
 ألا فاسأل الميدان ثم اسأل الجيل
 عن تلك الماضى ابن طولون ما فعل
 وعن ابنه العباس ان كنت سائلا
 وأين أبو الجيش التماقصة البطل
 وجيش وهارون الذى قام بعده
 وشيخان بالأس الذى خاه الأمل
 ومن قبله أروى ربيعة يومه
 وكان هزبرا لا يطاق اذا حل
 وأين ذرارهم وأين جوعهم
 وكيف تقضى عنهم الملك فاضحل
 وأين بناء القصر والجوسق الذى
 عهداه معصور النساء له زجل
 لقد ملكوه برهة من زماننا
 بدولتهم ثم انتفضوا بانتضا الدول

فما منهم خلق يحسن ولا يرى
 يذكر طوال الدهر لما انقضى الأجل
 وصاروا لحاديتا لمن جاء بعدهم
 وكان بهم في ملكهم يضرب المثل
 وقال :
 قد وقفة وانظر الى الميدان
 وانصر فى الشرفات والأبواب
 والجوسق العالى المنيف بناؤه
 ما باله قمر من السكان
 أين الذين لهوا به وغشوا به
 زمان مع القينات والتسوان
 يجيى الخراج اليهم في دارهم
 لا يرهبون غوائل العدنان
 جموا الجوع مع الجوع فاكثروا
 واستأثروا بالروم والسودان
 فانظر الى ما شيدوا من بعدهم
 هل فيه غير اليوم والقران
 أين الآلى حفروا العيون بأرضه
 وتأنقوا ليه ولق البيان
 غرسوا صنوف النخل في ساحاته
 وغرائب الأغصان والرمان
 والزعفران مع اليهار بأرضه
 والورد بين الآس والريحان
 كانوا ملوك الأرض في أيامهم
 كبراء كل مدينة ومكان
 فتزقوا وتفرقوا فهناك هم
 تحت الثرى يبلون في الأكفان
 (م) من ٣٣ ج ١ ، ص ١٠١

الا لفيلة أسارى بدمهم
في دار مضيفة ودار هوان
متلذذين بأسرهم قد شردوا
وقفوا عن الأهلين والأوطان
واقه وارث كل حي بدمهم
وله البقاء وكل شيء فان
وقال :

ان في قبة الهواء لدى اللب معتبر
والقصور للشيدات مع الدور والحجر
والبساتين والمجالس واليت والزهر
والجوارى المنقيات ذوى الدل والخمر
يتخترن في الحرير وفي الوشي والحبر
وملوك عيدهم عند الشوك والشجر
وجيوش مؤيدون لدى الباس بالظفر
من صنوف السودان والترك والروم والخمر
عسروا الأرض مدة ثم صاروا الى الحفر
واستبد الزمان من عاش منهم فلم يذر
فهم في الهوان والذل أسرى على خطر
وهم بعد صفو عيش من الذل في كدر
يال طولون ما لكم صرتم للورى سر
يال طولون كتم خيرا فانقضى الخبر
وقال :

مررت على الميدان معتبرا به
فناديته أين الجبال الشوامخ
خمار وعباس واحد قبلهم
وأي ترى شباههم والشايخ
وأي ذراى آل طولون بدمهم
أما فيك منهم أيها الربيع صارخ

وأي ثياب الخز والوشى والحلى
وأربابها ، أم أين تلك المطايخ
وأي فئات المسك والحرير الذى
غنيت به دهرنا وتلك اللطايخ
لقد غالك الدهر الخنوق بصرفه
فأصبحت منحطا وغيرك بازخ
وقال :

مررت على الميدان بالأمس ضاحيا
فأبصرته قصر الجباب فراعنى
فناديت فيه : يال طولون ما لكم
فمود قما حلق بحرف أجابنى
فأذرت عينا ذات دمع غزيرة
ورحت كتيب القلب مما أصابنى
وانى عليهم ما بقيت لموجع
ولست أبالى من لحانى وعابنى

وحدث محمد بن أبى يعقوب الكاتب ،
قال : لما كانت ليلة عيد القطر ، من سنة
اثنين وتسعين ومائتين ، تذكرت ما كان فيه
آل طولون في مثل هذه الليلة ، من الزى
الحسن بالصلاح وملونات البنود ، والأعلام ،
وشهرة الثياب ، وكثرة الكراع ، وأصوات
الأبواق والطبول ، فاعتراى لذلك فكرة ،
ونمت في ليلتي فسمعت هاتفا يقول : ذهب
الملك والتملك والزينة لما مضى بنو طولون .

وقال القاضى أبو عمرو عثمان النابلسى في
كتاب « حسن السيرة في اتخاذ الحصن
بالجزيرة » : رأيت كتابا قدر اثنى عشرة
كراسة ، مضمونه فهرست شعراء الميدان

الذى لأحمد بن طولون ... قال : فاذا كانت
أساء الشعراء في ثنى عشرة كراسة ، كم
يكون شعرهم مع أنه لم يوجد من ذلك الآن
ديوان واحد !!

وقال أبو الخطاب بن حمية في كتاب
« النبراس » : وخربت قطائع أحمد بن طولون
(يعنى في الشدة العظمى زمن الخليفة
المستمر) ، وهلك جميع من كان بها من
الساكين ، وكانت نيفا على مائة ألف دار
نزهة للناظرين محدقة بالجنان والبساتين . واقه
يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

ذكر من ولى مصر من الأمراء بعد خراب القطائع
الى ان بنيت القاهرة المعز على يد القائد جوهري

وكان أول من ولى مصر — بعد زوال دولة
بنى طولون وخراب القطائع — محمد بن
سليمان الكاتب ، كاتب لؤلؤ غلام أحمد بن
طولون ، دخل مصر يوم الخميس مستهل ربيع
الأول سنة اثنيتين وتسعين ومائتين ، ودعا على
المنبر لأمير المؤمنين المكتفى بالله وحده ، وجعل
أبا على الحسين بن أحمد المادرائى على
الخراج ، عوضا عن أحمد بن على المادرائى .

ثم ورد كتاب المكتفى بولاية عيسى بن
محمد النوشرى أبى موسى ، فولى على
الصلوات ، ودخل خليفته لأربع عشرة خلت من
جمادى الأولى ، فتسلم الشرطتين وسائر
الأعمال .

ثم قدم عيسى لسبع خلون من جمادى
الآخرة . وخرج محمد بن سليمان مستهل
رجب ، وكان مقامه بمصر أربعة أشهر .

فأخرج كل من بقى من الطولونية ، فلما
بلغوا دمشق ، انخس عنهم محمد بن على بن
الخليج في جمع كثير ممن كره مفارقة مصر
من القواد ، فمقدوا له عليهم ، وبايعوه بالامرة
في شعبان ، ورجع الى مصر .

فبعث اليه النوشرى بجيش أول رمضان
وقد دخل أرض مصر ، ثم خرج اليه
النوشرى ، وعسكر بباب المدينة أول دى
القمعة ، وسار الى العباة ، ثم رجع ثلاث
عشرة خلت منه ، وخرج الى الجيزة من غده ،
وأحرق الجبرين ، وسار يريد الاسكندرية ،
ففر عنه طائفة الى ابن الخليج ، فبعث اليه
بجيش فهزمه ، وسار الى الصعيد .

ودخل محمد بن الخليج القسطنط لأربع
عشرة بقيت من ذى القعدة ، فوضع العطاء ،
وفرض الفروض .

وقدم أبو الأعز من قبل المكتفى في طلب
ابن الخليج ، فخرج اليه ثلاث خلون من
المحرم سنة ثلاث وتسعين وحاربه ، فانهزم منه
أبو الأعز ، وأسر من أصحابه جمعا كثيرا ،
وعاد لثمان بقين منه

فقدم فأتاك المتضدى من بغداد في البر
فمسكر ، وقدم دميانة في المراكب ، فنزل فأتاك
النورية . فخرج ابن الخليج وعسكر بباب
المدينة ، وقام في الليل بأربعة آلاف من
أصحابه ليبيت فأتاك ، فأضلوا الطريق ،
وأصبحوا قبل أن يبلغوا النورية ، فعلم بهم
فأتاك ، فنهض بأصحابه وحارب ابن الخليج ،
فانهزم عنه أصحابه ، وثبت في طائفة ، ثم
انهزم الى القسطنط ثلاث خلون من رجب
فاستمر .

ودخل دميانة في مراكب الثور .

واقبل عيسى النوشري ، ومعه الحسين المادرائي ومن كان معهما ، لخمس خلون منه ، فعاد النوشري الى ما كان عليه من صلاتها ، والمادرائي الى ما كان عليه من الخراج .

وعرف النوشري بسكان ابن الخليج ، فهجم عليه وقبده لست خلون من رجب . وكانت مدة ابن الخليج بمصر سبعة أشهر وعشرين يوما .

ودخل فاتهك في عسكره الى القساط لشر خلون من رجب ، فأخرج ابن الخليج في البحر لست خلون من شعبان ، فلما قدم بغداد طيف به وبأصحابه وهم ثلاثون تمرا ، فكان يوما مذكورا .

وابتدى في هدم ميدان بنى طولون في شهر رمضان ، ويبت أنقاضه .

وأخرج فاتهك الى العراق للنصف من جمادى الأولى سنة أربع وتسعين .

وأمر النوشري بنفى المؤتئين ، ومنع النوح والنداء على الجنائز ، وأمر بإغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلاتين ، ثم أمر بفتحه بعد أيام .

ومات المكتنى في ذي القعدة سنة خمس وتسعين ، فشعب الجند بمصر ، وحاربوا النوشري على طلب مال البيعة ، فظفر بجماعة منهم .

وبويج جعفر المقندر ، فأقر النوشري على الصلات .

وقدم زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب أمير أفريقية مهزوما من أبي عبد الله الشيعي ، في

رمضان سنة ست وتسعين الى الجيزة ، فتممه النوشري من العبور ، وكانت بين أصحابه وبين جند مصر منافسة ، ثم أذن له أن يعبر وحده .

ومات النوشري لأربع بقين من شعبان سنة سبع وتسعين وهو وال . فكانت ولايته خمس سنين وشهرين ونصفا ، منها مدة ابن الخليج سبعة أشهر وعشرون يوما .

وقام من بعده ابنه أبو الفتح محمد بن عيسى .

ثم ولي تكين الخزري أبو منصور من قبل المقندر على الصلات ، فدعى له بها يوم الجمعة لاحدى عشرة خلت من شوال ، وقدم خليفته لسبع بقين منه ، ثم قدم تكين لليلتين خلتا من ذي الحجة .

وتقدم اليه بالجد في أمر المغرب والاحتراس منه ، فبعث جيشا الى برقة عليه أبو اليمن ، فحاربه حباشة بن يوسف بعاكر المهدي عبيد الله الفاطمي صاحب أفريقية ، واستولى على برقة ، وسار الى الاسكندرية في زيادة على مائة ألف ، فدخلها في المحرم سنة اثنتين وثلاثمائة .

فقدمت الجيوش من العراق مددا لتكين في صفر ، وقدم الحسين المادرائي وأحمد بن كيغلغ في جمع من القواد ، وبرزت العساكر الى الجيزة في جمادى الأولى ، وأخرج تكين ... فكانت واقعة حباشة قتل فيها آلاف من الناس ، وعاد حباشة الى المغرب .

وقدم مؤنس الخادم من بغداد في جيوشه للنصف من رمضان ومعه جمع من الأمراء ،

فتزل الحمره ، ولقى الناس منهم شذائد ، وأخرج ابن كيغلغ الى الشام في رمضان .

وصرف تكين لأربع عشرة خلت من ذي القعدة ... صرفه مؤنس ، فأخرج لسبع خلون من ذي الحجة ، وأقام مؤنس يدعى ويخاطب بالأستاذ .

ثم ولي ذكا الرومي أبو الحسن الأعور من قبل المقندر على الصلات ، فدخل لثنتي عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأخرج موسى بجميع جيوشه لثمان خلون من ربيع الآخر .

وأخرج ذكا الى الاسكندرية في المحرم سنة أربع وثلاثمائة ، ثم عاد في ثامن ربيع الأول ، وتبع كل من يوما اليه بمكاتبة المهدي صاحب أفريقية ، فسجن منهم وقطع أيدي أناس وأرجلهم ، وجلا أهل لويبة ومراقية الى الاسكندرية خوفا من صاحب برقة ، وسير العساكر الى الاسكندرية ، ثم فسد ما بينه وبين الرعية بسبب سب الصحابة رضى الله عنهم وسب القرآن .

وقدمت عساكر المهدي صاحب أفريقية الى لويبة ومراقية عليها أبو القاسم ، فدخل الاسكندرية ثامن صفر سنة سبع وثلاثمائة ، وفر الناس من مصر الى الشام في البر والبحر ، فهلك أكثرهم .

وأخرج ذكا الجند المخالفون له ، فمسكر بالجيزة .

وقدم أبو الحسن بن أحمد المادرائي واليا على الخراج ، فوضع العطاء .

(*) ص ٢٢٧ ج ١ ، ط ١٠٠٠ بولاق .

وجد ذكا في أمر الحرب ، واحتقر خندقا على عسكره بالجيزة . فمرض ومات لاحدى عشرة خلت من ربيع الأول بالجيزة . فكانت امرته أربع سنين وشهرا .

فولى تكين مرة ثانية من قبل المقندر ، وقدمت جيوش العراق عليها محمود بن حمل وابراهيم بن كيغلغ في ربيع الأول ، ودخل تكين لاحدى عشرة خلت من شعبان ، فتزل الجيزة وحفر خندقا ثانيا ، واقبلت مراكب المغرب فظفر بها في شوال .

وقدم مؤنس الخادم من بغداد بعاكره لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وثلاثمائة ، فتزل الجيزة وكان في نحو ثلاثة آلاف ، وسير ابن كيغلغ الى الأشمونين ، فمات بالهنسا أول ذي القعدة .

وملك أصحاب المهدي القيوم وجيزة الأشمونين ، فقدم جنى الخادم من بغداد في عسكر آخر ذي الحجة ، فمكر بالجيزة ... فكانت حروب مع أصحاب المهدي بالقيوم والاسكندرية ، ورجع أبو القاسم بن المهدي الى برقة .

وصرف تكين لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة تسع وثلاثمائة .

فولى مؤنس أبا قابوس محمود بن حمل ، فأقام ثلاثة أيام وعزله ، ورد تكين لخمس بقين من ربيع الأول ، ثم صرفه بعد أربعة أيام وأخرجه الى الشام في أربعة آلاف من أهل الديوان .

ثم ولي هلال بن بدر من قبل المقندر على الصلات ، فدخل لست خلون من ربيع الآخر ،

وخرج مؤلف كتابه سنة ثمان مائة وخمسة عشر سنة
حتى ، فكتب الجند على حلال ، وخربوا إلى
سنة الأصبغ وسهم محمد بن طاهر صاحب
الشرط ، فكتب اليه وكتبه وكتبه بمصر ،
إلى أن صرف عنها في ربيع الآخر سنة ثمان
عشرة وثمان مائة ، وخرج في قمر من أصحابه .

مولى محمد بن كيتخ من قبل القنصل على
الصلوات ، وقدم إليه أبو العباس طيلة له أول
جندى الأول ، ثم قدم ومعه محمد بن
الحسين بن عبد الوهاب الحميرى على الخراج
في وجب ، فأحضروا الجند ووجهه الجند
وأنشأ كثيرا من الرجاء - وكانت تلك سنة
الأصبغ - فمروا بولاية به ، فمروا إلى فاقوس ،
وخرجوا إلى القنصلية تلك خرق من
شوال ، وقدم ابن كيتخ بفاقوس إلى أن
صرف عنهم رسول تمكن في ثلاث سنين .

مولى تمكن مرة ثمانية من قبل القنصل على
الصلوات ، وكتب ابن مجرور إلى أن قدم يوم
عشر مائة التي عشرة وثمان مائة ، فأنشأ
كثيرا من الرجاء - وكانوا أهل الشر
والهم - ونفى يراة العمة من قدم منه
بالطرق ، وعلى الحمة في دار الإمارة
بالسكر ، وذاك حيدر الحمة في مسجد
السكر والسجد الجامع المتبق في سنة سبع
عشرة ، ولم يصل قبله أحد من الأمراء في دار
الإمارة الحمة .

ثم قتل القنصل في شوال سنة ثمان مائة ،
وبعث أبو منصور القنصل به ، فمروا تمكن
حتى مات في شوال سنة ربيع الأول سنة
ثمان وعشرين وثمان مائة ، فعزل إلى بيت

القنصل . وكانت لمرته هذه تسع سنين
وشعير وخسة أيام

قدم ابن محمد بن تمكن موضعه ، وقدم
أبو بكر محمد بن على القنصلى بأمر البلد
كه ، وفمر في أماله ، فكتب الجند عليه
في طلب أرزاقهم ، وأحرقوا دورهم ودور أهله .

فخرج ابن تمكن إلى مية الأصبغ ، فبث
إليه القنصلى بأمره بالخروج من أرض مصر ،
وعسكر بباب المدينة وأقام هناك بعد ما رحل
ابن تمكن إلى سلخ ربيع الأول ، فلقى ابن
تكنن بدمشق ، ثم أقبل يريد مصر فصفه
القنصلى .

ثم ولى محمد بن طنج بن جف القنصلى
أبو بكر ، من قبل القنصل بالله ، على الصلوات .
فورد كتابه لسبع خلون من رمضان سنة
ثمان وعشرين ، ودعى له وهو بدمشق مدة
اثنتين وثلاثين يوما - إلى أن قدم رسول
لحمد بن كيتخ بولايته الثانية من قبل القنصل
بأنه تسع خلون من شوال ، ولنسخط أبا
الفتح بن عيسى التوشري .

فكتب الجند في أرزاقهم على القنصلى
صاحب الخراج ، فلبس منهم ، فأحرقوا دورهم
ودور أهله ، وكانت فتن قتل فيها جماعة ...
إلى أن أقام محمد بن تمكن من فلسطين ثلاث
عشرة خلون من ربيع الأول سنة اثنتين
وعشرين .

فأنكر القنصلى ولايته ، وتعصب له مائة ،
ودعى له بالإمارة ، وخرج قوم إلى الصعيد
فيهم ابن التوشري ، فأمروه عليهم وهم على
الصلوات .

الدعاء لابن كيتخ ، فنزل مية الأصبغ ثلاث
خلون من رجب ، فلقى به كثير من أصحاب
تكنن ، فمروا ابن تكنن ليلا ، ودخل ابن كيتخ
المدينة لتس خلون منه . وكان مقام ابن تكنن
بالسقاط مائة يوم وأتى عشر يوما .

وخلع القاهر ، وبعث أبو العباس الراضى
بالله ، فمروا ابن تكنن وأظهر أن الراضى ولاءه .
فخرج إليه السكر وحاربوه فيها بين بليس
وفاقوس ، فاضرم وجيء به إلى المدينة ،
فصل إلى الصعيد .

فورد الخبر بأن محمد بن طنج سار إلى
مصر بولاية الراضى له ، فبث إليه ابن كيتخ
بجيش لينموه من دخول القنصل ، فأقبلت
مراكب ابن طنج إلى تيس ، وسارت مقدمته
في البر ، وكانت بينهما حروب في تاسع عشر
شعبان سنة ثلاث وعشرين كانت لأصحاب ابن
طنج ، وأقبلت مراكبه إلى السقاط سلخ
شعبان ، وأقبل فسكر ابن كيتخ للنصف من
رمضان ، ولما كان لسبع بقين منه ، فلم ابن
كيتخ إلى محمد بن طنج من غير قتال .

وولى محمد بن طنج الثانية من قبل الراضى
على الصلوات والخراج ، فدخل لتس بقين من
رمضان ، وقدم أبو الفتح الفضل بن جعفر
ابن محمد بن فرات بالخلع لمحمد بن طنج .
وكانت حروب مع أصحاب ابن كيتخ انهزموا
منها إلى يرقه ، وساروا إلى القنائم بأمر الله
محمد بن المهدي بالمغرب ، فحرضوه على أخذ
مصر ، فجهز جيشا سار إلى مصر ، فبث ابن
طنج عسكره إلى الاسكندرية والصعيد .

ثم ورد الكتاب من بغداد بالزيادة في اسم
الأمير محمد بن طنج ، فلقب الأخشيد
ودعى له بذلك على المنبر في رمضان سنة
سبع وعشرين .

وسار محمد بن رائق إلى الشامات ، ثم
سار إلى الحرم سنة ثمان وعشرين ، واستخلف
أخاه الحسن بن طنج ، فنزل القنصل وابن رائق
بالرملة ، فسكر بينهما الحسن بن طاهر بن
يحيى العلوى في الصلح حتى تم ، وعاد إلى
السقاط مستهل جمادى الأولى .

ثم أقبل ابن رائق من دمشق في شعبان ،
فسير إليه الأخشيد الجيوش ، ثم خرج لتس
عشرة خلون من شعبان ، والتقى للنصف من
رمضان بالمرش ... فكانت بينهما وقعة
عظيمة انكسرت فيها ميرة الأخشيد ، ثم
حل بنفسه فهزم أصحاب ابن رائق ، وأسر
كثيرا منهم ، وأخذهم قتل وأسرا .

ومضى ابن رائق فقتل الحسين بن طنج
باللجون ، ودخل الأخشيد الرملة بخمسة
أسير ، فمدعى ابن طنج وابن رائق إلى
الصلح ، فمضى ابن رائق إلى دمشق على
صلح ، وقدم الأخشيد محمد بن طنج إلى
مصر ثلاث خلون من المحرم سنة تسع
وعشرين .

ومات الراضى بالله ، وبوسع المتقى فم
إبراهيم في شعبان ، فأمر الأخشيد ، وقتل
محمد بن رائق بالموصل ، قتله بنو حمدان في
شعبان سنة ثلاثين وثمان مائة ، فبث الأخشيد
بجيوشه إلى الشام ، ثم سار لتس خلون من
شوال ، واستخلف أخاه أبا المقتر الحسن
ابن طنج ، ودخل دمشق .

ثم عاد لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى سنة احدى وثلاثين ، فنزل البستان الذي يعرف اليوم بالكافورى من القاهرة ، ثم دخل داره وأخذ البيعة لابنه أبى القاسم أونوجور على جميع القواد آخر ذى القعدة .

وسار المتقى لله الى بلاد الشام ومعه بنو حدان ، فسار الاخشيد لثمان خلون من رجب سنة اثنتين وثلاثين ، واستخلف أخاه الحسن ، فلقى المتقى ، ثم رجع فنزل البستان لأربع خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين .

وخلع المتقى ، وبويع عبد الله المستكنى لسبع خلون من جمادى الآخرة ، فأقر الاخشيد .

وبعث الاخشيد بعائنه وكافور في الجيوش الى الشام ، ثم خرج لخم خلون من شعبان سنة ست وثلاثين ، واستخلف أخاه الحسن . فلقى على بن عبد الله بن حدان بأرض قسرين وحاربه ، ومضى فأخذ منه حلب .

وخلع المستكنى ، ودعى للطبع لله الفضل ابن جعفر في شوال سنة أربع وثلاثين ، فأقر الاخشيد الى أن مات بدمشق يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة .

فولى بعده ابنه أونوجور أبو القاسم باستخلافه إياه ، وقبض على أبى بكر محمد ابن على بن مقاتل في ثالث المحرم سنة خمس وثلاثين ، وجعل مكانه على الخراج محمد بن على المادرائى ، وقدم المسكر من الشام أول صفر .

فلم يزل أونوجور واليا الى أن مات لسبع خلون من ذى القعدة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، وحل الى القدس فدفن عند أبيه .

وكان كافور متحكما في أيامه ، ويطلق له في السنة أربعمائة ألف دينار ، فلما مات قوى كافور ... وكانت ولايته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر .

فأقام كافور أخاه على بن الاخشيد أبا الحسن ثلاث عشرة خلت من ذى القعدة ، فأقره المطيع لله على الحرب والخراج بمصر والشام والحرمين ، وصار خليفته على ذلك كافور غلام أبيه ، وأطلق له ما كان يطلق لأخيه في كل سنة .

وفي سنة احدى وخمسين ترفع السر ، واضطربت الاسكندرية والبحيرة بسبب المغاربة الواردين اليها ، وتزايد الغلاء ، وعز وجود القمح .

وقدم القرمطى الى الشام في سنة ثلاث وخمسين ، وقل ما النيل ، ونهبت ضياع مصر ، وتزايد الغلاء .

وسار ملك النوبة الى أسوان ، ووصل الى اخميم ، فقتل ونهب وأحرق ، واشتد اضطراب الأعمال .

وقد ما بين كافور وبين على بن الاخشيد ، فمنع كافور من الاجتماع به ، واعتل على بعد ذلك علة أخيه ، ومات لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، فحل الى القدس .

(*) ص ٢١٩ ج ١ ، ط. بولاق .

وبقيت مصر بغير أمير أياما ، ولم بدع بها الا للمطيع لله وحده ، وكافور يدبر أمورها ومعه أبو الفضل جعفر بن القرات .

ثم ولى كافور الخصى الأسود مولى الاخشيد ، من قبل المطيع ، على الحرب والخراج وجميع أمور مصر والشام والحرمين . فلم يغير لقبه ، وإنما كان يدعى ويخاطب بالأستاذ ، وأخرج كتاب المطيع بولايته لأربع بقين من المحرم سنة خمس وخمسين ، فلم يزل الى أن توفي لعشر بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة .

فولى أحمد بن على الاخشيد أبو الفوارس وسنة احدى عشرة سنة ، في يوم وفاة كافور ، وجعل الحسين بن عبيد الله بن طعج يخلقه ، وأبو الفضل جعفر بن القرات يدبر الأمور ، وسول الاخشيدى العساكر .

الى أن قدم جوهر القائد من المغرب بجيوش المعز لدين الله في سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، ففر الحسين بن عبيد الله ، وتسلم جوهر البلاد كما سيأتى ان شاء الله تعالى .

فكانت مدة الدعاء لبني العباس بمصر ، منذ ابتدئت دولتهم الى أن قدم القائد جوهر الى مصر ، مائتى سنة وخمسا وعشرين سنة . ومدة الدولة الاخشيدية بها أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما . ومنذ افتتحت مصر الى أن انتقل كرسى الامارة منها الى القاهرة ثلاثمائة سنة وسبع وثلاثون سنة وأشهر . والله تعالى أعلم .

ذكر ما كانت عليه مدينة القسطنطين
من كثرة العمارة

قال ابن يونس ، عن الليث بن سعد : ان حكيم بن أبى راشد حدثه ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، أنه وقف على جزار فسأله عن السر ، فقال : بأربعة أفلس الرطل .

فقال له أبو سلمة : هل لك أن تعطينا بهذا السر ما بدا لنا وبدا لك ؟ قال : نعم .

فأخذ منه أبو سلمة ، ومرو في القصة حتى اذا أراد أن يوفيه ، قال : يعنى بدينار ، ثم قال : اصرفه فلوما ثم وفه .

وقال الشريف أبو عبد الله محمد بن أسعد الجوائى النسابة في كتاب « التلطف على الخطط » : سمعت الأمير تأييد الدولة تميم ابن محمد ، المعروف بالضمضام ، يقول في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة : وحدثنى القاضي أبو الحسين على بن الحسين الخلمى ، عن القاضي أبى عبد الله القضاءى ، قال : كان في مصر القسطنطين من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد ، وثمانية آلاف شارع مملوك ، وآلف ومائة وسبعون حماما ، وان حمام جنادة في القرافة ما كان يتوصل اليها الا بعد غناء من الزحام ، وان قبالتها في كل يوم جمعة خمسمائة درهم .

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاءى في كتاب « الخطط » : انه طلب لقطر الندى ابنة خارويه بن أحمد بن طولون ألف تكة بعشرة آلاف دينار ، من اثمان كل

تكة عشرة دنانير ، خرجت في السوق في
أبصر وقت وفاة سمي .

وذكر عن القاسم بن عبيد الله لما صرف عن
قضاء مصر ، كان في الطودع مائة ألف دينار ،
وفي قضاة مولى أحمد بن طولون اشترى دارا
بشرقي ألف دينار ، وسلم الثمن إلى البائع
وأعطاه شمر .

فلما انقضى لأجل ، سمع قاضي صليبا
عظيما وبكة ، فقال عن ذلك ، فقيل لهم
الذين باعوا الدار ، فقامهم وسألهم عن ذلك ،
فقالوا : إنما نيكى على جولوك .

فأمر بالكتب فرددت عليهم ، ووجه
لهم الثمن ، وركب إلى أحمد بن طولون
فأخبره ، فاستصوب رأيه واستحسن فله .

وعلم أنه كان لثائق مشاة فرقة ، كل
فرقة لحية مشاة .

وإن دار الحرم بناها خماروه لحرمه ، وكان
أبوه اشترى لها ، فقام عليه الثمن وأجرة
الصانع والبناء ببيعة ألف دينار .

وإن عبد الله بن أحمد بن جلالا الحسيني
دخل الجامع ، فلم يجد مكانا في الصف
الأول ، فوقف في الصف الثاني ، فالتفت أبو
حنيف بن الجلاب ، فلما رآه فخر ، وقدم
الشرف مكانه ، فكافاه على ذلك بعملة حلها
إليه ودار ابتاعها له ، وقال نعمت اليها بعد أن
كساهم وحلاهم .

وذكر غير القضاة أنه دفع إليه خسارة
دينار ... قال : ويقال أنه أهدى إلى أبي جعفر
الطحاوي كبا قيسها ألف دينار .

وإن رشيقا الأخشيدي استجبه أبو بكر
محمد بن علي اللادرائي ، فلما مضت عليه سنة
رفع فيه أنه كسب عشرة آلاف دينار ، فطأه
في ذلك ، فكتب بالإيمان المليحة على بطلان
ذلك ، فاقسم أبو بكر اللادرائي بثل ما أقسم
به : لئن خرجت ستا هذه ولم تنكس هذه
تجعة ، لا صحتي !

ولم يزل في صحبه إلى أن صودر أبو
بكر ، فأخذ منه ومن رشيقي مال جزيل .

وذكر أن الحسن بن أبي المهاجر ، موسى
ابن الساعيل بن عبد الحميد بن بحر بن سعد ،
كان على البريد في زمن أحمد بن طولون
وقته خساروه . وسبب ذلك ما كان في نقص
على بن أحمد اللادرائي منه ، فأغرى خساروه
به ، وقال : قد بقي لأبيك مال غير الذي ذكره
في وصيته ، ولم يبق عليه غير ابن مهاجر ،
فطأه .

فلم يزل خساروه بآبن مهاجر إلى أن وصف
له موضع المال من دار خساروه ، فأخرج فكان
مبلغه ألف ألف دينار ، فسلمه إلى أحمد
اللدرائي ، فحمله إلى داره .

وأقبلت توقيعات خساروه ترد إليه بالصلاات
والفتات ، فيخرجها من فضول أموال الضياع
والرافق ، وحصلت له تلك الأموال ، ولم
يضع يده عليها إلى أن قتل .

وصودر أبو بكر محمد بن علي في أيام
الأخشيدي وقبضت ضياعه ، فعاد إلى تلك
الآلاف ألف دينار مع ما سواها من ذخائره
وأغراضه وعقده ... فما ظنك برجل ذخيره
ألف ألف دينار !

في ص ٢٢ ج ١ ، ط ٢٠٠٧ .

سوى ما ذكر عن أبي بكر محمد بن علي
اللدرائي أنه قال : بعث إلى أبو الجيش
خساروه أن اشترى له أردية وأقمصة
للجوارى ، وعمل دعوة خلا فيها بنفسه وبهم ،
ونعدت متروفا لغيره ، فقتل لى أنه طرب
لما هو فيه ، فشر دنانير على الجوارى
والغلمان ، وتقدم اليهم أن ما سقط من
ذلك في البركة فهو لمحمد بن علي كاتبى .
فلما حضرت وبلغنى ذلك ، أمرت الغلمان
فتزلوا في البركة ، فأصعدوا إلى منها سبعين
ألف دينار ... فما ظنك ببال شر على الناس
فتطير منه إلى بركة ماء هذا المبلغ !

وقال ابن سعيد في كتاب « المغرب في حل
المغرب » : وفي القساط دار ، تعرف بمسجد
العزى ، يصب فيها لمن بها في كل يوم أربعمئة
راوية ماء ... وحسبك من دار واحدة يحتاج
أهلها في كل يوم إلى هذا القدر من الماء !

وقال ابن التوج في كتاب « إيقاظ المتغفل
واتعاط المتأمل » عن ساحل مصر : ورأيت من
قلل عن قلل عن رأى الأسطال التي كانت
بالطافات المظلة على النيل ، وكان عددها ستة
عشر ألف سطل مؤبدة بيكر وأظناب بها ترخي
وتملأ ... أخبرنى بذلك من أثق بنقله .

قال : وكان بالقساط في جهته الشرقية
حمام من بناء الروم عامرة زمن أحمد بن
طولون ... قال الراوى : دخلتها في زمن
خساروه بن أحمد بن طولون ، وطلبت بها
صانعا يخدمنى ، فلم أجده فيها صانعا متروفا
لخدمتى ، وقيل لى أن كل صانع معه اثنان
يخدمهم وثلاثة .

فسألت : كم فيها من صانع !

فأخبرت أن بها سبعين صانعا قل من معه
دون ثلاثة ، سوى من قضى حاجته وخرج .

قال : فخرجت ولم ادخلها لعدم من يخدمنى
بها ، ثم طقت غيرها ، فلم أقدر على من أجده
فارغا الا بمسء أربع حمامات ، وكان الذى
خدمنى فيها ثانيا .

فأنظر - رحمك الله - ما اشتمل عليه
هذا الخبر ، مع ما ذكره القضاة من عدد
الحمامات وأنها ألف ومائة وسبعون حماما ،
تعرف من ذلك كثرة ما كان بمصر من
الناس ... هذا والسر راخ ، والقصح كل
خسة أرادب بدينار ، ويبت عشرة أرادب
بدينار في زمن أحمد بن طولون .

قال ابن التوج : خطبة مسجد عبد الله
أدركت بها آثار دار عظيمة قيل انها كانت دار
كافور الأخشيدي ، ويقال ان هذه الخطبة
تعرف بسوق المسكر ، وكان به مسجد
الزكاة ، وقيل انه كان منه قصبة سوق متصلة
إلى جامع أحمد بن طولون .

وأخبرنى بعض المشايخ المدول عن والده
- وكان من أكابر الصالحاء - أنه قال :
عددت من مسجد عبد الله إلى جامع ابن
طولون ثلثمائة وتسعين قدر حصص مصلوق
بقصبة هذا السوق بالأرض ، سوى المقاعد
والحوانيت التى بها الحصص .

فأتمل - أعزك الله - ما في هذا الخبر مما
يدل على عظمة مصر ، فإن هذا السوق كان
خارج مدينة القساط ، وموضعه اليوم
القضاء الذى بين كوم الجارح وبين جامع ابن
طولون .

ومن المعروف أن الأسواق التي تكون بداخل المدينة أعظم من الأسواق التي هي خارجها ، ومع ذلك ففي هذا السوق من صنف واحد من المأكول هذا القدر ، فكيف ترى تكون جملة ما فيه من سائر أصناف المأكول ، وقد كان إذ ذاك بمصر عشرة أسواق كلها أو أكثرها أجل من هذا السوق !!

قال : ودرب السفافير بنى فيه زقاق بنى الرصاص ، كان به جماعة إذا عقد عندهم عقد لا يحتاجون إلى غرب ، وكانوا هم وأولادهم نحوا من أربعين قسا .

وقال ابن زولاق في كتاب « مسيرة المادرائين » : ولما قدم الأستاذ مؤنس الخادم من بغداد إلى مصر ، استدعى أبو على الحسين ابن أحمد المادرائي ، المعروف بأبي زنبور ، الدقاق — وهو الذي نسيه اليوم الطحان — وقال : إن الأستاذ مؤنسا قد وافى ، ولى يشتول قدر ستين ألف أردب قمحا ، فإذا وافى فقم له بالوظيفة .

فكان يقوم له بما يحتاج إليه من دقيق حشوارى مدة شهر . فلما كمل الشهر ، قال كاتب مؤنس للدقاق : كم لك حتى ندفعه إليك ؟

فأعلمه الخبر ، فقال : ما أحب الأستاذ يرضى أن يكون في ضيافة أبي على .

وأعلم مؤنسا بذلك ، فقال : أنا آكل خبز حين لا ييزح الرجل حتى يقبض ماله .

فمضى الدقاق وأعلم أبا زنبور ، فقام من قوره إلى مؤنس فأكب على رجليه ، فاحتشم

منه وقال : والله لا أجيبك إلا هذا الشهر الذي مضى ، ولا تعارذ .

ثم رجع فقال للدقاق : قم له بالوظيفة في المستقبل ، وأعمل ما يريد .

قال : فجئته وقد فرغ القمح ، ومضى الحساب وأربعمئة دينار .

قال : ايض هذا ؟

فقلت : بقية ذلك القمح .

فقال : أغضى منه ... وتركه .

فتأمل ما اشتمل عليه هذا الخبر من سمة حال كاتب من كتاب مصر ، كيف كان له في قرية واحدة هذا القدر من صنف القمح ، وكيف صار مما يفصل عنه حتى يجعله ضيافة ، وكيف لم يعبأ بأربعمئة دينار حتى وهبها لدقاق قمح . وما ذاك إلا من كثرة المعاش ، وقس عليه باقى الأحوال .

وقال عن أبي بكر محمد بن على المادرائي : إنه حج اثنتين وعشرين حجة متوالية ، أتفق في كل حجة مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار ، وأنه كان يخرج معه تسعين ناقة لقبته التي يركبها ، وأربعمئة لجهازه وميرته ، ومعه المحامل فيها أحواض البقل وأحواض الرياحين وكلاب الصيد ، وينفق على الأشراف وأولاد الصحابة ولهم عنده ديوان بأسمائهم ، وأنه أتفق في خمس حجرات آخر ألفى دينار ومائتى ألف دينار .

وكانت جاريته تواصل معه الحج ، ومعهما نفسها ثلاثون ناقة لقبتها ، ومائة وخمسون عربيا لجهازها .

(*) من ٢٢١ ج ١ ، ط. بولاق .

وأحصى ما يعطيه كل شهر لحاشيته وأهل البتر وذوى الأقدار ، جناية من الدقيق الحشوارى ، فكان بضمنا وثمانين ألف رطل .

وكان سنة القرمطى بسكة ، فمن جملة ما ذهب له به مائتا قيس ديقى ، ثمن كل ثوب منها خمسون دينارا .

وقال مرة وهو في عطلة : أخذ منى محمد ابن طنج الاخشيد عينا وعرضا يبلغ ألفا وثمانين وبيه دنائير .

فاستعظم من حضر ذلك ، فقال ابنه : الذى أخذ أكثر ، وأنا أوقفه عليه .

ثم قال لأبيه : يامولاي ، أليس نكبت ثلاث مرات ؟

قال : بلى .

قال : أليس أخذت ضياعك بالشام ؟

قال : نعم .

قال : فكيف ثمنها ؟

قال : ألف ألف دينار .

قال : وضياعك بمصر

قال : قريب منها .

قال : وعرض وعين ؟

قال : كذلك .

فأمر بعض الحساب بضبط ذلك ، فجاء ما ينيف عن ثلاثين أردبا من ذهب

فأنظر ما تضمنته أخبار المادرائي ، وقس عليها بقية أحوال مصر ، فما كان سوى كاتب الخراج وهذه أمواله كما قد رأيت .

وقال الشريف الجوانى : إن أبا عبد الله محمد بن مفسر قاضى مصر سمع بأن المادرائي

عمل في أيامه الكمك المحشو بالسكر ، والقرص الصغير المسى « افطن له » ... فأمرهم بعمل القشق الملبس بالسكر الأبيض القانيد المطيب بالملك ، وعمل منه في أول الحال أشياء عوض له لب ذهب في صحن واحد ، فمضى عليه جملة ، وخطف قدماه ، تخاطقه الخاضرون ، ولم يعد لعمله بل القشق الملبس .

وكان قد سمع في سيرة المادرائين أنه عمل له هذا « الافطن له » وفي كل واحدة خمسة دنائير ، ووقف أستاذ على الساط فقال لأحد الجلساء : افطن له .

وكان عمل على الساط عدة صحنون من ذلك الجنس ، لكن ما فيه الدنائير صحن واحد ، فلما رمز الأستاذ لذلك الرجل بقوله « افطن له » وأشار إلى الصحن ، تناول ذلك الرجل منه ، فأصاب الذهب واعتمد عليه فحصل له جملة ، وراه الناس وهو إذا أكل يخرج من فمه ويجمع بيده ويحط في حجره ، فتبهوا له وتزاحوا عليه ، فقبل لذلك من يومئذ « افطن له » .

وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في « تاريخ مصر » : حدثنى بعض أصحابنا بتفسير رؤيا رآها غلام ابن عقيل الخشاب عجبة ، فكانت حقا كما قمرت ، فسألت غلام ابن عقيل عنها .

فقال لى : أنا أخبرك ... كان أبى فى سوق الخشابين ، فأثقف بضاعته ورثت حاله ومات ، فأسلمتلى أمى إلى ابن عقيل — وكان صديقا لأبى — فكننت أخذه ، وأفتح حانوته

واكتسما ، لم أفرق له ما يجلس عليه ، فكان
يجرى على رزقا أتقوت به ...

فاني يوما في الحانوت وقد جلس استاذي
ابن عقيل ، فجاء ابن المسال مع رجل من أهل
الريف يطلب عود خشب لطاحونة ، فاشترى
من ابن عقيل عود طاحونة بخمسة دنانير .
فسمعت قوما من أهل السوق يقولون : هذا
ابن المسال المفسر للرؤيا عند ابن عقيل ، فجاء
منهم قوم وقصوا عليه منامات راوها ، ففسرها
لهم .

فذكرت رؤيا رأيتها في ليلتي ، فقلت له :
اني رأيت الباردة في نومي كذا وكذا ...
فقصت عليه الرؤيا .

فقال لي : أي وقت رأيتها من الليل ؟
فقلت : انتهت بعد رؤياي في وقت كذا .
فقال لي : هذه رؤيا لست أفسرها الا
بدنانير كثيرة .

فألححت عليه ، فقال استاذي ابن عقيل :
فشرح عنه ، هذا غلام صغير فقير لا يملك
شيئا .

فقال : لست آخذ الا عشرين ديناراً .
فقال له ابن عقيل : ان قريت علينا وزنت أنا
لك ذلك من عندي .

فلم يزل به ينزله حتى قال : والله لا آخذ
أقل من ثمن المود الخشب : خمسة دنانير .

فقال له ابن عقيل : ان صحت الرؤيا
دفعت اليك المود بلا ثمن .

فقال له : ياخذ مثل هذا اليوم ألف دينار .

قال استاذي : فاذا لم يصح هذا ؟

فقال : يكون المود عندك الى مثل هذا
اليوم ، فان كان لم يصح آخذ ما قلت له في
ذلك اليوم فليس لي عندك شيء ، ولا أفسر
رؤيا أبدا .

فقال له استاذي : قد انصفت .

ومضت الجمعة ، فلما كان مثل ذلك اليوم
غدوت مثل ما كنت أهدو الى دكان استاذي ،
ففتحتها ورششتها ، واستلقت على ظهري
أفكر فيما قال لي ، ومن أين يمكن أن يصير
الي ألف دينار ، فقلت : لعل سقط المكان
ينفجر فيسقط منه هذا المال ، وجعلت أجعل
فكري ...

واني كذلك الى ضحى ، اذ وقف على
جماعة من أغوان الخراج معهم ناس ، فقالوا :
هذه دكان ابن عقيل ، ثم قالوا لي : قم .

فقلت لهم : لست ابن عقيل ، أنا غلامه .
فقالوا : بل أنت ابنه ، وجذبوني فأخرجوني
من الدكان .

فقلت : الى أين ؟

فقالوا : الى ديوان الأستاذ أبي علي الحسين
ابن أحمد (يعنون أبا زبور) .

فقلت : وما يصنع بي ؟

فقالوا : اذا جئت سمعت كلامه وما يريد
منك .

وكنت بعقب علة ضعيف البدن ، فقلت :
ما أقدر أمشي .

فقالوا : اكبر حمارا تركبه .

ولم يكن معي ما أكرى به حمارا ، فنزعت
تكة سراويلي من وسطى ودفعتها على درهمن

(١٥) ص ٢٢٢ ج ١ ، ط ١٤٠٧ هـ

لن أكراني الحمار ، ومضيت معهم فجاءوا بي
الى دار أبي زبور ، فلما دخلت قال لي : أنت
ابن عقيل ؟

فقلت : لا ياسيدي ، أنا غلام في حانوته .

قال : أفليس تبصر قيمة الخشب ؟

قلت : بلى .

قال : فاذهب مع هؤلاء فتقوم لنا هذا
الخشب ، فانظر بحيث لا يزيد ولا ينقص

فمضيت معهم ، فجاءوا بي الى شط البحر
الى خشب كثير من أثل وسنط جاف ، وغير
ذلك مما يصلح لبناء المراكب ، فقوته تقوم
جزع حتى بلغت قيمته ألفي دينار .

فقالوا لي : انظر هذا الموضع الآخر فيه من
الخشب أيضا .

فنظرت فاذا هو أكثر مما قومت بنحو
مرتين ، فأعجلوني ولم أضبط قيمة الخشب .

فردوني الى أبي زبور ، فقال لي : قومت
الخشب كما أمرتك ؟

ففرغت ، فقلت : نعم .

فقال : هات كم قومت ؟

فقلت : ألفا دينار .

فقال : انظر لا تغلط .

فقلت : هو قيمته عندي .

فقال لي : فخذ أنت بألفي دينار .

فقلت : أنا فقير لا أملك دينارا واحدا ،
فكيف لي بقيته ؟

قال : ألت تحسن تديره وتبيمه ؟

فقلت : بلى .

قال : فديره وبمه ، ونحن نصبر عليك
بالثن الى أن تباع شيئا شيئا وتودي ثمنه .
فقلت : أفعل .

فأمر بكتاب يكتب على في الديوان بالمال ،
فكتب على ، ورجعت الى الشط أعرف عدد
الخشب ، وأوصى به الحراس .

فوافيت جماعة أهل سوقنا وشيوخهم قد
أتوا الى موضع الخشب ، فقالوا لي : ايش
صنعت ، قومت الخشب ؟

قلت : نعم .

قالوا : بكم قومت ؟

فقلت : بألفي دينار .

فقالوا لي : وانت تحسن تقوم الا يساوي
هذا هذه القيمة .

فقلت لهم : قد كتب على كتاب في الديوان
وهو عندي يساوي أضعاف هذا .

فقالوا لي : اسكت لا يسمعك أحد .

وكانوا قد قوموه قبلي لأبي زبور بألف
دينار ، فقال بعضهم لبعض : أعطوا هذا ربحه
وتسلوه أتم ... فقال قائل : أعطوه ربحه
خمسائة دينار .

فقلت : لا ، والله لا آخذ .

فقالوا : قد رأى رؤيا فزيدوه .

فقلت : لا ، والله لا آخذ أقل من ألف
دينار .

قالوا : فلك ألف دينار ، فحول اسمك
من الديوان نعطك اذا بمنا ألف دينار .

فقلت : لا والله لا أفعل حتى آخذ الألف
دينار في وقتي هذا .

فصنوا الى حوائثهم والى منازلهم حتى
جاءوا بآلف دينار ، قلت : لا آخذها الا
بتقد الميرى وميراه

فصنيت معهم الى صيرى الناحية حتى
وزلوا عنه آلف دينار ، وقدتها واخذتها
فتدتها فى طرف ردائى ، وصنيت معهم الى
الديوان ، وحولت اسماءهم مكان اسمى ،
ووفوا حق الديوان من عندهم .

ورجعت وقت الظهر الى استاذى فقال لى :
قيمت آلف دينار منهم ١

قلت : نعم ، يتركك ... وتركك الدنانير
بن يديه ، وقلت له : يا استاذ خذ ثمن المود
الخشب .

فقال : لا والله لا آخذ منك شيئا ، انت
عندى مقام ابنى .

وجاء فى الوقت ابن المال ، فدفع اليه
استاذى المود الخشب ، فمضى ... فهذا خير
رؤيا وتفسيرها

فأمل - أعزك الله - ما يشمل عليه من
عظم ما كانت عليه مصر ، وسعة حال الديوان ،
وكيف فضل فيه خشب يساوى آلاما من
الذهب ... ونحن اليوم فى زمن اذا احتيج فيه
الى صارة شئ من الأماكن السلطانية بخشب
أو غيره ، آخذ من الناس اما بغير ثمن أو
بأخس القيم ، مع ما يصيب مالكة من الخوف
والخسارة للأعوان .

وكيف لما قوم هذا الخشب ، لم يكلف
المشتري دفع المال فى الحال ... وفى زمنا اذا
مرحت البضاعة السلطانية على الباعة يكتفون

حل ثمنها بالسرعة ، حتى ان فيهم من يبيها
بأقل من نصف ما اشتراها به ، ويكمل الثمن
لما من ماله أو بقرضه يربح

وكيف لما علم اهل السوق أن الخشب بيع
بدون القيمة ، لم ينفوا الى الديوان .
ويذمون فيه زيادة : اما لقلة شره الناس
اذ ذاك وتركهم الأخلاق الرذيلة من الحسد
ولحود ، أو لعلمهم بميل السلطان وأنه لا
ينكت ما عقده ... وفى زمنا لو ادعى عدو
على عدوه أن البضاعة التى كان اشتراها من
الديوان قيمتها أكثر مما آخذها به ، لقبول قوله
وغترم زيادة على ما ادعاه عدوه من قلة
القيمة جملة أخرى

لا تجرم أنه تظاهر سفاه الناس بكل رذيلة
وذمية من الأخلاق ، فان الملك سوق بجبى
اليه ما تلق به .

وكيف لما علم ابن عقيل أن غلامه استفاد
على اسمه آلف دينار ، لم يشره الى آخذها ،
بل دفع عنه خمسة الدنانير . وما ذلك الا من
انتشار الخير فى الناس ، وكثرة أموالهم ،
وسعة حال كل أحد بحسبه ، وطيب قسوس
الكافة ... ولعمري لو سمع فى زمنا أحد من
الأمراء والوزراء - فضلا عن الباعة - أن
غلاما من غلمانه آخذ على اسمه عشر هذا
المبلغ ، لقامت قيامته

وكيف اتعت أحوال الخشابين حتى وزلوا
آلف دينار فى ساعة ... وأنه ليصر اليوم على
الخشابين أن يزولوا فى يوم مائة دينار .

وهذا كله من وفور غنى الناس بمصر ،
وعظم أمرهم ، وكثرة معاداتهم .

وكان - القسطنطى - نحو ثلث مقدار
- ومقداره فرسخ - على غاية العسارة
والخشب والطية واللذة ، وكانت مساكن
أهلها خمس طبقات وستا وسبعا ، وربما سكن
فى الدار الواحدة المائتان من الناس
وكان فيه دار عبد العزيز بن مروان يصب
فيها لمن فيها فى كل يوم أربعمئة راوية ماء ،
وكان فيها خمسة مساجد وحمامان وعدة
أفران يخبز بها عجين أهلها .

وقد قال أبو داود فى كتاب « السنن » :
شربت قتادة بمصر ثلاثة عشر شبرا ، ورايت
أترجة على بغير قطعتين : قطعت وصيرت على
مثل عدلين ... ذكره فى باب صدقة الزرع
من كتاب الزكاة .

قلت : وقد ذكر أن هذا كان فى جنان بنى
سنان البصرى خارج مدينة القسطنطى ، وكانت
بجانب لم ير أبدع منها .

فلما قدم أمير المؤمنين عبد الله المأمون بن
هارون الرشيد مصر سنة سبع عشرة ومائتين ،
رأى جنسان بنى سنان هذه ، فأعجب بهما
وسأل إبراهيم بن سنان : كم عليه من الخراج
لجنانه ؟

فذكر أنه يحمل الى الديوان فى كل سنة
عشرين ألف دينار .

فقال المأمون : وكم ترد عليك هذه
الجنان ؟

قال : لا أستطيع حصره ، الا أن ما زاد على
مائة ألف دينار أتصدق به ولو درهما .

هذا وله ولد اسمه أحمد بن إبراهيم بن
سنان يوصف بعلم وزهد . والله تعالى أعلم .

(٥) من ٢٢٢ ج ١ ، ط ٥ بولاق

ذكر الآثار الواردة فى خراب مصر

روى قاسم بن أصبغ ، عن كعب الأحبار ،
قال : الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب
أرمينية ، ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب
الجزيرة ، والكوفة آمنة من الخراب حتى
تكون الملحة ، ولا يخرج الدجال حتى تفتح
القسطنطينية .

وعن وهب بن منبه أنه قال : الجزيرة آمنة
من الخراب حتى تخرب أرمينية ، وأرمينية
آمنة من الخراب حتى تخرب مصر ، ومصر
آمنة من الخراب حتى تخرب الكوفة ، ولا
تكون الملحة الكبرى حتى تخرب الكوفة ،
فاذا كانت الملحة الكبرى فتحت القسطنطينية
على يد رجل من بنى هاشم .

وخراب الأندلس من قبل الزنج ، وخراب
أفريقية من قبل الأندلس ، وخراب مصر من
انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها ،
وخراب العراق من قبل الجوع والسيوف ،
وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم
يخفروهم حتى لا يستطيعوا أن يشربوا من
الفرات قطرة ، وخراب البصرة من قبل
العراق ، وخراب الأيلة من قبل عدو يخفروهم
مرة برا ومرة بحرا ، وخراب الرى من قبل
الديلم ، وخراب خراسان من قبل التبت ،
وخراب التبت من قبل الصين ، وخراب الصين
من قبل الهند ، وخراب اليمن من قبل الجراد
والسلطان ، وخراب مكة من قبل العبيثة ،
وخراب المدينة من قبل الجوع .

وفي رواية : وخراب أرمينية من قبل الرجف والصواعق ، وخراب الأندلس وخراب الجزيرة من سوابك الخيل واختلاف الجيوش .

وعن عبد الله بن الصامت قال : إن أسرع الأرضين خرابا البصرة ومصر .

ف قيل له : وما يخرىها وفيها عيون الرجال والأموال ؟

فقال : يخرىها اقتتل الأحمر والجويع الأخير ... كاني بالبصرة كأنها نعمة جائسة ، وأما مصر فإن فيها ينضب (أو قال ييس) فيكون ذلك خرابها .

وعن الأوزاعي : إذا دخل أصحاب الرايات الصفراء مصر ، فلتحنر أهل الشام أسرابا تحت الأرض .

وعن كعب : علامة خروج المهدي الوباء قبل من قبل المغرب عليها رجل من كسرة أعرج ، فإذا ظهر أهل المغرب على مصر ، فبطن الأرض يومئذ خير لأهل الشام .

وعن سفيان الثوري قال : يخرج عتق من البربر ، فويل لأهل مصر .

وقال ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن مولى لشرحيل بن حسنة — أو عمرو بن العاص — قال : سمعته يوما واستبقنا فقال : ايها لك مصر إذا رميت بالقى الأربع : قوس الأندلس ، وقوس الحبشة ، وقوس الترك ، وقوس الروم .

وعن قاسم بن أصبغ ، حدثنا أحمد بن زهير ، حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ضمرة عن الشيباني قال : هلك مصر غرقا أو حرقا .

وعن عبد الله بن مغلا أنه قال لابنته : إذا بلغك أن الاسكندرية قد فتحت ، فإن كان خسارك بالمغرب فلا تأخذه حتى تلحق بالشرق .

وذكر مقاتل بن حيان عن عكرمة ، عن ابن عباس يرفعه ، قال : أنزل الله تعالى من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار : سيحون وهو نهر الهند ، وجيحون وهو نهر بلخ ، ودجلة والفرات وهما نهران العراق ، والنيل وهو نهر مصر ... أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة ، من أسفل درجة من درجاتها ، على جناح جبريل عليه السلام ، واستودعها الجبال ، وأجراها في الأرض ، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم ، وذلك قوله عز وجل « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض » .

فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج ، أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام ، فرفع من الأرض القرآن كله والعلم كله والحجر من ركن البيت ومقام إبراهيم وثابوت موسى بما فيه ، وهذه الأنهار الخمسة ... فيرفع كل ذلك إلى السماء ، فذلك قوله تعالى « وأنا على ذهاب به » لقادرون ، فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض ، فقدت أهلها خير الدنيا والدين .

وقال ابن لهيعة ، عن عتبة بن عامر الحضرمي ، عن حيان بن الأعين ، عن عبد الله ابن عمرو ، قال : إن أول مصر خرابا أنطابلس .

(٢٠) من ٢٢٤ ج ١ ، ط. بولاق .

وقال اللث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سالم بن أبي سالم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : اني لأعلم السنة التي تخرجون فيها من مصر .

قال : فقلت له : ما يخرجها منها يا أبا محمد أعدو ؟

قال : لا ، ولكن يخرجكم منها نيلكم هذا ... يغور فلا تبس منه مطره حتى تكون فيه الكثبان من الرمل ، وتاكل سباع الأرض حياتها .

ذكر خراب القسطنطينية

وكان لخراب مدينة قسطنطينية مصر بيان : أحدهما الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر بالله الفاطمي ، والثاني حريق مصر في وزارة شاور بن بجير السعدي .

فأما الشدة العظمى فإن سببها أن السر ارتفع بمصر في سنة ست وأربعين وأربعمائة وتبع الغلاء وباء ، فبعث الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر لأعزاز دين الله أبي الحسن علي ، إلى متسلك الروم بقسطنطينية أن يحل الغلال إلى مصر ، فأطلق أربعمائة ألف أردب ، وعزم على حملها إلى مصر ، فأدركه أجله ومات قبل ذلك .

فقام في الملك بعده امرأة ، وكبت إلى المستنصر تسأله أن يكون غونا لها ، ويدها بمساكر مصر إذا ثار عليها أحد ، فأبى أن يسعفها في طلبتها ، فحدث لذلك ، وعاشت الغلال عن المسير إلى مصر .

ففتح المستنصر ، وجيز العساكر — وعلمها مكين الدولة الحسن بن ملهم — وسارت إلى اللاذقية ، فحاربتها بسبب لقص المدنة وامسك الغلال عن الوصول إلى مصر ، وأمدتها بالعساكر الكثيرة .

ونودي في بلاد الشام بالغزو ، فنزل ابن ملهم قريبا من قامية ، وضائق أهلها ، وجال في أعمال أنطاكية فبى وضب ، فأخرج صاحب قسطنطينية ثمانين قطعة في البحر ، فحاربها ابن ملهم عدة مرار ، وكالت عليه ، وأسر هو وجنادة كثيرة في شهر ربيع الأول منها .

فبعث المستنصر ، في سنة سبع وأربعين ، أبا عبد الله القاضي برسالة إلى القسطنطينية . فوافى إليها رسول طغرل السلجوقي من العراق بكتابة يأمر متسلك الروم بأن يمكن الرسول من الصلاة في جامع القسطنطينية ، فأذن له في ذلك ، فدخل إليه وصلى فيه صلاة الجمعة ، وخطب للخليفة القائم بأمر الله المباسي .

فبعث القاضي القاضي إلى المستنصر يخبره بذلك ، فأرسل إلى كنية قمامة بيت المقدس وقبض على جميع ما فيها — وكان شيئا كثيرا — من أموال النصارى ، ففقد من حينئذ ما بين الروم والمصريين حتى استولوا على بلاد الساحل كلها ، وحاصروا القاهرة كما يرد في موضعه إن شاء الله تعالى .

واشتد في هذه السنة الغلاء ، وكثر الوباء بمصر والقاهرة وأعمالها إلى سنة أربع وخسين وأربعمائة ، فحدث مع ذلك القسبة العظيمة التي خرب بسببها إقليم مصر كله .

وذلك أن المستنصر لما خرج على عادته في كل سنة على التجب مع النساء والعشم إلى أرض الجب خارج القاهرة ، جرد بعض الأتراك سيفاً وهو سكران على أحد جيبه الثراء ، فاجتمع عليه كثير من العبيد وقتلوه .

فحق لقتله الأتراك ، وساروا بجميعهم إلى المستنصر وقالوا : إن كان هذا عن رضاك فالسح والطاعة ، وإن كان من غير رضا أمير المؤمنين فلا نرضى بذلك .

فتبرأ المستنصر مما جرى وأنكره .

فجمع الأتراك لمحاربة العبيد ، وكانت بينهما حروب شديدة بتأجيد كرم شريك قتل فيها عدة من العبيد ، وانهزم من بقي منهم .

فحق ذلك على أم المستنصر ، فانها كانت السبب في كثرة العبيد السود ينصر . وذلك أنها كانت جارية سوداء فأجبت الاستكثار من جنسها ، واشترتهم من كل مكان . وعرفت رغبتها في هذا الجنس ، فجلبت الناس إلى مصر منهم حتى يقال أنه صار في مصر إذا ذاك زيادة على خمسين ألف عبد أسود .

فلما كانت وقعة كرم شريك ، أمدت العبيد بالأموال والسلاح سرا .

وكانت أم المستنصر قد تحكمت في الدولة ، وحصلت على الأتراك ، وحثت على قتلهم مولاهم أبا سعد التتري ، فقوت العبيد لذلك حتى صار الواحد منهم يحكم بما يختار ، فسكرت الأتراك ذلك ... وكان ما ذكر .

فمقر بعض الأتراك يوماً بشيء من المال والسلاح قد بعث به أم المستنصر إلى العبيد تسلم به بعد انهزامهم من كرم شريك ، فاجتمعوا بأسرهم ، ودخلوا على المستنصر ، وأغلظوا في القول . فحلف أنه لم يكن عنده علم بما ذكر ، وصار إلى أمه فانكرت ما فعلت .

وخرج الأتراك فصار السيف قائماً ، ووقعت القتلة ثانياً ، فأتى المستنصر أبا التمرج بن المغربي ليصلح بين الطائفتين ، فاصطلحا على غل ، وخرج العبيد إلى شبرا دمنهور ... فكان هذا أول اختلال أحوال أهل مصر .

ودبت عقارب العداوة بين الفتيين إلى سنة تسع وخمسين ، فقوت شوكة الأتراك ، وضروا على المستنصر ، وزاد طمعهم فيه ، وطلبوا منه الزيادة في واجباتهم وضائق أحوال العبيد ، واشتدت ضرورتهم ، وكثرت حاجتهم ، وقل مال السلطان ، واستضعف جانبه .

فبعث أم المستنصر إلى قواد العبيد تغريهم بالأتراك ، فاجتمعوا بالجيزة ، وخرج إليهم الأتراك ، ومقدمهم ناصر الدين حسين بن حمدان ، فاقتلا عدة مرار ظهر في آخرها الأتراك على العبيد ، وهزموهم إلى بلاد الصعيد .

فعاد ابن حمدان إلى القاهرة ، وقد عظم أمره وقوى جأشه ، وكبرت قسمة واستخف بالخليفة ، فجاءه الخبر أنه قد تجمع من العبيد ببلاد الصعيد نحو خمسة عشر ألف فارس ،

(٥) مره ٢٢٥ ج ١ ط ٥ بولاق .

فقلق وبعث يستقدمي الأتراك إلى المستنصر ، فانكر ما كان من اجتماع العبيد ، وجفوا في خطابهم ، وفارقوه على غير رضا منهم ، فبعثت أم المستنصر إلى من بحضرتها من العبيد تأمرهم بالإيقاع على غفلة بالأتراك ، فهجموا عليهم وقتلوا منهم عدة .

فبادر ابن حمدان إلى الخروج ظاهر القاهرة ، وتلاحق به الأتراك ، وبرز إليهم العبيد المقيمون بالقاهرة ومصر ، وحاربوهم عدة أيام . فحلف ابن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه حتى ينفصل الأمر إما له أو عليه . وجد كل من الفريقين في القتال ، فظهرت الأتراك على العبيد ، وانهضوا في قتلهم وأسروهم ، فمادوا إلى القاهرة ، وتبع ابن حمدان من في البلد منهم حتى أفنى معظمهم .

هذا والعبيد ببلاد الصعيد على حالهم ، وبالإسكندرية أيضاً منهم جمع كثير ، فصار ابن حمدان إلى الإسكندرية وحاصروهم فيها مدة حتى سألوه الأمان ، فأخرجهم وأقام فيها من يشق به .

واقضت هذه السنة كلها في قتال العبيد .

ودخلت سنة ستين وأربعمائه وقد خرق الأتراك فاموس المستنصر . واستهانوا به واستخفوا بقدره ، وصار مقرهم في كل شهر أربعمائة ألف دينار بعد ما كان ثمانية وعشرين ألف دينار ، ولم يبق في الخزائن مال ، فبعثوا بطلبونه بالمال ، فاعتذر إليهم بمجزه عما طلبوه ، فلم يعذروه وقالوا : بع ذخائرنا ، فلم يجد بدا من اجابتهم ، وأخرج ما كان في القصر من الذخائر ، فصاروا يقومون ما يخرج

اليوم بأحسن القيم وأقل الأثمان ، ويأخذون ذلك في واجباتهم .

وتجهز ابن حمدان ، وصار إلى الصعيد يريد قتال العبيد - وكانت ضرورتهم قد كثرت ، وضررهم وفسادهم قد تزايد - فلقيهم وواقعهم غير مرة ، والأتراك تنكسر منهم وتعود إلى محاربتهم ... إلى أن حصل العبيد عليهم حلة انهزموا فيها إلى الجيزة .

فأفحشوا عند ذلك في أمر المستنصر ، ونسبوه إلى مباينة العبيد وتقويتهم ، فانكر ذلك وحلف عليه .

فأخذوا في إصلاح شأنهم ولثم شعنتهم ، وساروا لقتال العبيد ، وما زالوا يلحون في قتالهم حتى انكسرت العبيد كسرة شنيعة ، وقتل منهم خلق كثير وفر من بقي ، فذهبت شوكتهم ، وزالت دولتهم .

ورجع ابن حمدان وقد كشف قناع العياش ، وجهر بالسوء للمستنصر ، واستبد بسلطنة البلاد .

ودخلت سنة إحدى وستين وابن حمدان مستبد بالأمر مجاف للمستنصر ، فثقل مكانه على الأتراك ، وتفرغوا من العبيد ، والتفتوا إليه وقد استبد بالأمور دونهم ، واستأثر بالأموال عليهم ، ففسد ما بينهم وبينه ، وشكوا منه إلى الوزير خطير الملك ، فأغراهم به ، ولامهم على ما كان من تقويته ، وحسن لهم الثورة به .

فصاروا إلى المستنصر ووافقوه على ذلك ، فبعث إلى ابن حمدان يأمره بالخروج عن مصر ، ويهدده أن امتنع . فلم يقدر على

الاتباع من تصاد الإثراك عليه وميلهم مع
المستمر ، فخرج إلى الجزيرة ، وانهب الثمن
عوده وصور حوائبه .

فلما جئتن عليه الليل ، غدا من الجزيرة
سرا إلى دار القائد تاج الشوك شاذي ، وتراعى
عليه وقبل رجليه ، وسأله النصرة على الذكر
وأوزر الخطير ، فأنها قلما بهذه القوة ،
فتجاوبه إلى ذلك ، ووعدته بقتل المذكورين ،
وفارقه ابن حمدان .

فلما كان من القدر ركب شاذي في أصحابه ،
ولمخذ يسير بين القصرين بالقاهرة ، وأقبل
الوزير الخطير في مركبه ، فباعد شاذي على
حين غفلة وقته ، فصر الذكور إلى الصر والتجا
بللمستمر ، فلم يكن بأسرع من قدوم ابن
حمدان وقد استعد للحرب فيمن معه .

فركب المستمر بلامعة الحرب ، واجتمع إليه
الأجناد والعامة ، وصار في عدد لا ينحصر
وبرزت القوسان . فكانت بين الخليفة وابن
حمدان حروب آلت إلى هزيمة ابن حمدان ،
وقتل كثير من أصحابه ، فنضى في طائفة إلى
البحيرة ، وتراعى على بني مسيس وتزوج
منهم .

فعمم الأمر بالقاهرة ومصر ، من شدة الغلاء
وقلة الأقوات ، لما قد من الأعمال بكثرة
التهب وقطع الطرق ، حتى أكل الناس الجيف
والليثات ، ووقف أرباب القصاد في الطرق ،
فصاروا يقتلون من شقروا به في أزقة مصر ،
فهلك من أهل مصر في هذه الحروب واقتن ما
لا يمكن حصره .

وامتد ذلك إلى أن دخلت سنة ثلاث
وستين ، فجهز المستمر عساكره لقتال ابن

حمدان بالبحيرة ، فسارت إليه ولم يوفق في
محاربه ، فكسرهما كلها واحتوى على ما كان
سما من سلاح وكراع ومال ، فتقوى به وقطع
الميرة عن البلد ، ونهب أكثر الوجه البحري ،
وقطع منه الخطبة للمستمر ، ودنا للخليفة
القائم بأمر الله العباسي بالإسكندرية ودمياط
وعامة الوجه البحري .

فلشد الجوع ، وتزايد الموتان بالقاهرة
ومصر ، حتى أنه كان يموت الواحد من
أهل البيت ، فلا يفضى يوم وليلة من مونه
حتى يموت سائر من في ذلك البيت ولا يوجد
من يستولى عليه .

ومنت الأجناد أيديها إلى النهب ، فخرج
الأمر من الحد ، ونجا أهل القوة بأنفسهم من
مصر ، وصاروا إلى الشام والعراق ، وخرج
من خزائن القصر ما يجلب وصفه . وقد ذكر
طرف من ذلك في أخبار القاهرة عند ذكر
خزائن القصر .

فاضطر الأجناد ما هم فيه من شدة الجوع
إلى مصالحة ابن حمدان ، بشرط أن يقيم في
مكانه ويحمل إليه مال مقرر ، وينوب عنه
شاذي بالقاهرة . فرضى بذلك وسير الغلال
إلى القاهرة ومصر ، فسكن ما بالناس من شدة
الجوع قليلا ...

ولم يكن ذلك إلا نحو شهر ، ووقع
الاختلاف عليه ، فقدم من البحيرة إلى مصر
وحاصرها واتهمها ، وأحرق دورا عديدة
بالساحل ، ورجع إلى البحيرة .

فدخلت سنة أربع وستين والعمال على
ذلك ، وشاذي قد استبد بأمر الدولة ، وفسد

(هـ) ٣٣٦ ج ١ ، ط ١٠٠٠

ما يسه وبين ابن حمدان ، ومنعه من المال
الذي تقرر له ، وشح به عليه فلم يوصله إلا
الليل .

فجحد من ذلك ابن حمدان ، وجمع العريان
وصار إلى الجزيرة ، وخدع شاذي حتى صار
إليه ليلا في عدة من الأكابر ، فقبض عليه
وعطيمه ، وبعث أصحابه فنهبوا مصر وأطلقوا
فيها النار ، فخرج اليهم عسكر المستمر من
القاهرة وهزمهم .

فعاد إلى البحيرة ، وبعث رسولا إلى
الخليفة القائم بأمر الله بعداد بومة الخطبة
له ، وسأله الخلع والشارف فاضحل أمر
المستمر ، وتلاشى ذكره ، وتفاقم الأمر في
الشد من الغلاء حتى هلكوا .

فسار ابن حمدان إلى البلد وليس في أحد
قوة يسعه بها ، فملك القاهرة ، واضم
المستمر بالقصر ، فسير إليه رسولا يعيب
منه المال ، فوجدوه وقد ذهب سائر ما كان
يعملده من أجرة الخلافة حتى جلس على
حصير ، ولم يبق معه سوى ثلاثة من الخدم ،
فبلغه رسالة ابن حمدان ، فقال للمستمر
للمرسول : ما يكفي ناصر الدولة أن أجلس في
مثل هذا البيت على هذا الحال ؟

فيكي الرسول رقة له ، وعاد إلى ابن
حمدان ، فأخبره بما شاهد من اتضاع أمر
المستمر وسوء حاله .

فكف عنه ، وأطلق له في كل شهر مائة
دينار ، وامتدت يده وتحكم . وبلغ في أهله
المستمر مبالغة عظيمة ، وقبض على أمه
وغاقبها أشد العقوبة . واستصفى أموالها
فحاز منها شيئا كثيرا .

فتفرق حينئذ عن المستمر جميع أقاربه
وأولاده من الجوع ، فمنهم من سار إلى
المغرب ، ومنهم من سار إلى الشام والعراق .

قال الشريف محمد بن أسعد الجواني
النسابة في كتاب « النقط » : حل بصر غلاء
شديد في خلافة المستمر بأهله ، في سنة سبع
وخسين وأربعمائة ، وأقام إلى سنة أربع
وستين وأربعمائة ، وعم مع الغلاء وباء شديد ،
فأقام ذلك سبع سنين ، والنيل يند وينزل فلا
يجد من يزرع .

وشمل الخوف من العسكرية وفساد
العبيد ، فانقطعت الطرقات برا وبحرا إلا
بالخفارة الكثيرة مع ركوب الغرر ، وترا
المارقون بعضهم على بعض ، واستولى الجوع
لعدم القوت ، وصار الحال إلى أن بيع رغيف
من الخبز الذي وزنه رطل بزقاق القساويل ،
كيع الطرف في النداء ، بأربعة عشر درهما ،
ويع أرب من القمح بشانين دينارا ، ثم عدم
ذلك وأكلت الكلاب والقطاط ، ثم تزايد
الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا .

وكان بصر طوائف من أهل القصاد قد
سكنوا بيوتا قصيرة السقوف ، قريبة من
يسعى في الطرقات ويطوف ، وقد أعدوا سلبا
وخطاطيف ، فإذا مر بهم أخذ شالوه في أقرب
وقت ، ثم ضربوه بالأخشاب وشرحوه لحمه
وأكلوه .

قال : وحدثني بعض نساينا الصالحات
قالت : كانت لنا من الجارات امرأة ترينا
أفخاذها وفيها كالخفر ، فكنا نسألها فتقول :
أنا من خطفتي أكلة الناس في الشدة فأخذني

انسان - وكنت ذات جسم وسن -
لأدخلني الى بيت فيه سكاكين وآثار الدماء
وزفرة القتلى ، فأضجني على وجهي وربط
في يدي وربط سلاي الى أوتاد حديد عريانة ،
ثم شرح من أفخذي شرائح والا أستحيث ولا
أحد يجيني ، ثم أضرم الفحم ونسوى من
لحمي وأكل أكلا كثيرا ، ثم سكر حتى وقع
على جنبه لا يعرف أين هو ...

فأخذت في الحركة الى أن الحل أحد
الأوتاد ، وأعان الله على الخلاص وتخلصت ،
وحللت الرباط ، وأخذت خسرًا من داره
ولفتت بها أفخذي ، وزحفت الى باب الدار ،
وخسرت أزحف الى أن وقعت الى المامن ،
وجئت الى بيتي وعرفتهم بموضعهم ، فمضوا
الى الوالي ، فكبس عليه وضرب عنقه ، وأقام
الدواء في أفخذي سنة الى أن ختم الجرح
وبقي كذا حلرا .

وبسبب هذا الغلاء خرب القسطنطين ، وخلا
موضع السكر والقطائع وظاهر مصر ما يلي
الترافة حيث الكيمان الآن الى بركة الحبش .
فلما قدم أمير الجيوش بدر الجبالي الى مصر
وقام بتدبير أمرها ، بليت أنقاض ظاهر مصر
ما يلي القاهرة حيث كان العسكر والقطائع ،
وصار قضاء وكيانا فيما بين مصر والقاهرة ،
وفيما بين مصر والترافة ، وتراجعت أحوال
القسطنطين بعد ذلك حتى قارب ما كان عليه
قبل الشدة .

وأما حريق مصر فكان سببه أن الفرنج لما
تغلبوا على ممالك الشام ، واستولوا على
السواحل حتى صار بأيديهم ما بين ملطية *

(*) من ٢٢٢٢ هـ ، ط ١٠٠٠

الى بليس ، الا مدينة دمشق فقط ، وصار
أمر الوزارة بديار مصر لساور بن مجير
السدي ، والخليفة يوشع العاضد لدين الله
عبد الله بن يوسف اسم لا معنى له ، وقام في
منصب الوزارة بالقوة في صفر سنة ثمان
وخمسين وخمسة ، وتلقب بأمير الجيوش ،
وأخذ أموال بني رزيك ووزراء مصر وملوكها
من قبله .

فلما استبد بالامرة ، حسده ضرغام صاحب
الباب ، وجمع جموعا كثيرة وغلب شاور على
الوزارة في شهر رمضان منها ، فسار شاور
الى الشام ، واستقل ضرغام بسلطنة مصر ،
فكان بمصر في هذه السنة ثلاثة وزراء هم :
العدل بن رزيك بن طلائع بن رزيك ، وشاور
ابن مجير ، وضرغام . فأساء ضرغام السيرة في
قتل أمراء الدولة ، وضعفت من أجل ذلك
دولة القاطنين بذهاب رجالها الأكابر .

ثم ان شاور استنجد بالسلطان نور الدين
محمود بن زنكي صاحب الشام ، فأنجده
وبعث معه عسكرا كثيرا في جمادى الأولى
سنة تسع وخمسين ، وقدم عليه أسد الدين
شيركوه ، على أن يكون نور الدين ، اذا عاد
شاور الى منصب الوزارة ، ثلث خراج مصر
بعد اقطاعات العساكر ، وأن يكون شيركوه
عنده بمساكره في مصر ولا يتصرف الا بأمر
نور الدين .

فخرج ضرغام بالعسكر وحاربه في بليس ،
فانهزم وعاد الى مصر ، فنزل شاور بمن معه
عند التاج خارج القاهرة ، وانتشر عسكره
في البلاد ، وبعث ضرغام الى أهل البلاد ،
فأنوه خوفا من الترك القادمين معه ، وأنته

الطائفة الرحالية والطائفة الجيوشية ،
فاجتمعوا بالقاهرة وتطاردوا مع طلائع شاور
بأرض الطيالة .

فنزل شاور في المقص ، وحارب أهل
القاهرة فغلبوه حتى ارتفع الى بركة الحبش ،
فنزل على الرصد فاستولى على مدينة مصر ،
وأقام أياما فمال الناس اليه ، وانحرفوا عن
ضرغام لأموار . فنزل شاور باللوق ، وكانت
بينه وبين ضرغام حروب آلت الى احراق
الدور من باب سعادة الى باب القنطرة خارج
القاهرة ، وقتل كثير من الفريقين ، واختل
أمر ضرغام وانهزم .

فملك شاور القاهرة ، وقتل ضرغام آخر
جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين ، فأخلف
شيركوه ما وعد به السلطان نور الدين .
وأمره بالخروج عن مصر ، فأبى عليه واقتلا .
وكان شيركوه قد بعث بابن أخيه صلاح
الدين يوسف بن أيوب الى بليس ليجمع له
الغالل وغيرها من الأموال ، فحشد شاور
وقاتل الشاميين ، فجرت وقائع ، واحترق وجه
الخليج خارج القاهرة بأسره وقطعة من حارة
زويلة .

فبعث شاور الى الفرنج واستنجد بهم ،
فقطعوا في البلاد ، وخرج ملكهم مري من
عسقلان بجموعه ، فبلغ ذلك شيركوه ، فرحل
عن القاهرة بعد طول محاصرتها ونزل
بليس ، فاجتمع على قتاله بها شاور وملك
الفرنج ، وحصروه بها - وكانت اذ ذاك
حصينة ذات أسوار - فأقام محصورا مدة
ثلاثة أشهر .

وبلغ ذلك نور الدين ، فأغار على ما قرب
منه من بلاد الفرنج وأخذها من أيديهم ،
فخافوه ووقع الصلح مع شيركوه على عوده
الى الشام ، فخرج في ذي الحجة ولحق بنور
الدين .

فأقام وفي نفسه من مصر امر عظيم ، الى
أن دخلت سنة اثنتين وستين ، فجهزه نور
الدين الى مصر في جيش قسوى في ربيع
الأول وسيره . فبلغ ذلك شاور ، فبعث الى
مري ملك الفرنج مستنجدا به ، فسار بجموع
الفرنج حتى نزل بليس ، فوافاه شاور وأقام
حتى قدم شيركوه الى أطراف مصر ، فلم يطلق
لقاء القوم ، فسار حتى خرج من أطيح الى
جهة بلاد الصعيد من ناحية بحر القلزم .

فبلغ شاور أن شيركوه قد ملك بلاد
الصعيد ، فسقط في يده ، ونهض للنور من
بليس ومعه الفرنج . فكان من حروبه مع
شيركوه ما كان حتى انهزم بالأسونين ، وسار
منها بعد الهزيمة الى الاسكندرية ، فملكها
وأقر بها ابن أخيه صلاح الدين ، وخرج الى
الصعيد ، فخرج شاور بالفرنج وحصر
الاسكندرية أشد حصار ، فسار شيركوه من
قوص ونزل على القاهرة وحاصرها فرحل الى
شاور . وكانت أمور آلت الى الصلح ، وسار
شيركوه بمن معه الى الشام في شوال .

فقطع مري في البلاد ، وجعل له شحنة
بالقاهرة ، وصارت أسوارها بيد فرسان
الفرنج ، وتقرر لهم في كل سنة مائة ألف
دينار ، ثم رحل الى بلاده وترك بالقاهرة من
يثق به من الفرنج ، وسار شيركوه الى
الشام .

فتحكم الفرنج في القاهرة حكاما جائرا ،
وركبوا المسلمين بالأذى العظيم ، وبتقوا عجز
الدولة عن مقاومتهم ، وانكشفت لهم غورات
الناس ... الى أن دخلت سنة أربع وستين ،
فجمع مري جمعا عظيما من اجناس الفرنج ،
واقطعهم بلاد مصر ، وسار يريد اخذ مصر .

بعث اليه شاور رساله عن سبب مييره ،
فاعتل بأن الفرنج غلبوه على قصد ديار مصر ،
وأنه يريد ألقى ألف دينار يرضيهم بها ، وسار
فنزل على بليس وحاصرها حتى أخذها عنوة
في سفر فسي أهلها ، وقصد القاهرة .

فسير العاضد كبه الى نور الدين - وفيها
شعور نساء وبناته - رساله انقاذ المسلمين
من الفرنج .

وسار مري من بليس ، فنزل على بركة
الحش - وقد انضم الناس من الأعمال الى
القاهرة - فنأدى شاور بمصر ألا يقيم بها
أحد ، وأزعج الناس في النقلة منها ،
فتركوا أموالهم وأثقالهم ، ونجوا بأنفسهم
وأولادهم .

وقد ماج الناس واضطربوا كالما خرجوا
من قبورهم الى المحشر : لا يعبأ والد بولده ،
ولا يلتفت أخ الى أخيه ، وبلغ كراء الدابة
من مصر الى القاهرة بضعة عشر دينارا ،
وكراء الحمل الى ثلاثين دينارا .

ونزلوا بالقاهرة في المساجد والحمامات
والأزقة وعلى الطرقات ، فصاروا مطروحين
بمياهم وأولادهم ، وقد سلبوا سائر أموالهم ،
ويتظرون هجوم العدو على القاهرة بالسيف
كما فعل بمدينة بليس .

(٢٢٨) ج ١ ، ط ١ ، بولاق .

وبعث شاور الى مصر بعشرين ألف قارورة
نقط وعشرة آلاف مشعل نار فرق ذلك فيها ،
فارتفع لهب النار ودخان الحريق الى السماء ،
فصار منظرا مهولا ، فاستمرت النار تأتي على
ساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من
سفر لتنام أربعة وخمسين يوما ، والنهابة من
العبيد ورجال الأسطول وغيرهم بهذه المنازل
في طلب الخيايا .

فلما وقع الحريق بمصر ، رحل مري من
بركة الحش ، ونزل بظاهر القاهرة مما يلي
باب البرقية ، وقاتل أهلها قتالا كثيرا حتى
زلزلوا زلزالا شديدا ، وضجعت نفوسهم
وكادوا يؤخذون عنوة ، فعاد شاور الى مقاتلة
الفرنج ، وجرت أمور آلت الى الصلح على
مال .

فبينما هم في جبايته ، اذ بلغ الفرنج مجيء
أسد الدين شيركوه بعساكر الشام من عند
السلطان نور الدين محمود ، فرحلوا في سابع
ربيع الآخر الى بليس ، وساروا منها الى
فاقوس ، فصاروا الى بلادهم بالساحل .

ونزل شيركوه بالمقس خارج القاهرة ،
وكان من قتل شاور واستيلاء شيركوه على
مصر ما كان ... فمن حينئذ خربت مصر
الفسطاط هذا الخراب الذي هو الآن كيمان
مصر وتلاشى أمرها ، وافقر أهلها وذهبت
أموالهم وزالت نعمهم .

فلما استبد شيركوه بوزارة العاضد ، أمر
باحضار أعيان أهل مصر الذين خلوا عن
ديارهم في الفتنة وصاروا بالقاهرة ، وتغم
لمصائبهم ، وسفه رأى شاور في احراق المدينة ،
وأمرهم بالعود اليها .

فشكوا اليه ما بهم من الفقر والفاقة وخراب
المنازل ، وقالوا : الى أي مكان نرجع ؟ وفي
أي مكان لنزل ونأوى . وقد صارت كسا
تري ؟

وبكوا وأبكوا ، فوعدهم جميلا ، وترفق
بهم ، وأمر فتودى في الناس بالرجوع الى
مصر .

فتراجع اليها الناس قليلا قليلا ، وعسروا ما
حول الجامع ، الى أن كانت المحنة من الغلاء
والوباء العظيم في سلطنة الملك العادل أبي
بكر بن أيوب لستى خمس وست وخمسة
فخرب من مصر جانب كبير .

ثم تحايا الناس بها ، وأكثروا من العمارة
بجانب مصر الغربي على شاطئ النيل لما عثر
الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة ،
وسار بمصر عدة آدر جليلة وأسواق ضخمة .

فلما كان مصر والوباء الكائن في
سلطنة الملك العادل كبتا سنة ست وتسعين
وستمائة ، خرب كثير من مساكن مصر ،
وتراجع الناس بعد ذلك في العمارة ، الى سنة
تسع وأربعين وسبعمائة ، فحدث القناء الكبير
الذي أقفر منه معظم دور مصر وخربت .

ثم تحايا الناس من بعد الوباء ، وصار
ما يحيط بالجامع العتيق وما على شط النيل
عامرا الى سنة ست وسبعين وسبعمائة ،
فشرقت بلاد مصر ، وحدث الوباء بعد الغلاء ،
فخرب كثير من عامر مصر .

ولم يزل يخرب شيئا بعد شيء الى سنة
تسعين وسبعمائة ، فعظم الخراب في خط زقاق
القناديل وخط النحاسين ، وشرع الناس في
هدم دور مصر وبيع أبقاضها ، حتى صارت
على ما هي عليه الآن « وتلك القرى أهلكتهم
لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا » .

تم الجزء الأول من كتاب « الخطط » للمقريزي

وأول الجزء الثاني « ذكر ما قيل في مدينة فسطاط مصر »

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المقرئى صاحب كتاب الخطط ... (١)		ذكر عجائب النيل ... ١١٩	
خطبة الكتاب ... ٢		ذكر طرف من مقدمة المعرفة بحال النيل ... ١٢٢	
ذكر الرؤوس الثمانية ... ٤		في كل سنة ... ١٢٣	
فصل اول من رتب خطط مصر وأثارها ٦		ذكر ميد الشهيد ... ١٢٥	
ذكر طرف من هيئة الأفلاك ... ٧		ذكر الخلجان التى شقت من النيل ... ١٢٧	
ذكر صورة الأرض وموضع الأقاليم منها ... ١٤		خليج سخا ... ١٢٧	
ذكر محل مصر من الأرض وموضعها من الأقاليم السبعة ... ٢٤		خليج سرديوس ... ١٢٨	
ذكر حدود مصر وجهاتها ... ٢٥		خليج الاسكندرية ... ١٢٩	
ذكر بحر القلزم ... ٢٧		خليج القيوم والمنهى ... ١٣٠	
ذكر البحر الرومى ... ٢٩		خليج القاهرة ... ١٣٠	
ذكر اشتقاق مصر ومكانها وتقسيد اسمائها ... ٢١		بحر ابي المنجا ... ١٣١	
ذكر طرف من فضائل مصر ... ٢٩		الخليج الناصرى ... ١٣١	
ذكر المجائب التى كانت بمصر من الظلمات والبرايى ونحو ذلك ٥٥		ذكر ما كانت عليه أرض مصر في الزمن الاول ... ١٣١	
ذكر الدقائق والكنوز التى تسمىها اهل مصر المطالب ... ٧٢		ذكر اعمال الديار المصرية وكورها ... ١٣٢	
ذكر هلاك اموال اهل مصر ... ٧٦		ذكر ما كان يعمل في اراضي مصر من حفر الترغ وصناعة الجسور ونحو ذلك من اجل ضبط ماء النيل وتصريفه في اوقاته ... ١٣٥	
ذكر اخلاق اهل مصر وطبائعهم وامزجتهم ... ٧٧		ذكر مقدار خراج مصر في الزمن الاول ... ١٣٧	
ذكر شيء من فضائل النيل ... ٩١		ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصر في الخراج وما كان من أمر مصر في ذلك مع القبط ... ١٣٩	
ذكر مخرج النيل وانبعائه ... ٩٢		ذكر انتفاض القبط وما كان من الاحداث في ذلك ... ١٤٥	
فصل في الرد على من اعتقد ان النيل من سيل يفيض ... ١٠٠		ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع معاشا وما كان في نزولهم من الاحداث ... ١٤٦	
ذكر مقاييس النيل وزيادته ... ١٠٤		ذكر قبالات اراضي مصر بعد ما فشا الاسلام في القبط ، ونزول العرب في القرى ، وما كان من ذلك الى الروك الاخير الناصرى ... ١٥٠	

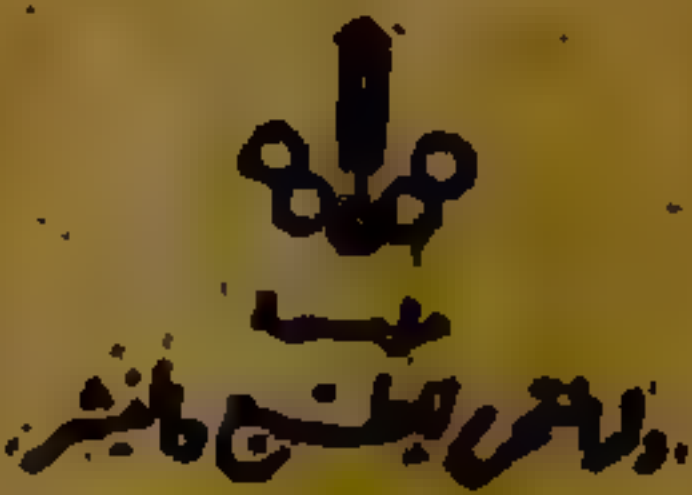
الموضوع	الصفحة
ذكر الروك الاخير الناصرى ... ١٦١	
ذكر الديوان ... ١٦٧	
ذكر ديوان العساكر والجيوش ... ١٦٨	
ذكر القطائع والاقطاعات ... ١٧٦	
ذكر ديوان الخراج والاموال ... ١٨١	
ذكر خراج مصر في الاسلام ... ١٨٢	
ذكر اصناف اراضي مصر واقسام زراعتها ... ١٨٥	
ذكر اقسام حال مصر ... ١٩١	
ذكر الاهرام ... ٢٠٧	
ذكر العنم الذى يقال له ابو الهول ... ٢١٧	
ذكر الجبال ... ٢٢٨	
ذكر جبل المقطم ... ٢٢٩	
الجبل الاحمر ... ٢٣١	
جبل يشكر ... ٢٣٢	
الكباش ... ٢٣٢	
الشرف ... ٢٣٢	
ذكر الرصد ... ٢٣٢	
ذكر مدائن أرض مصر ... ٢٣٨	
ذكر مدينة امسوس وعجائبها وملوكها ... ٢٤٠	
ذكر مدينة منف وملوكها ... ٢٥٠	
ذكر مدينة الاسكندرية ... ٢٦٨	
ذكر الاسكندر ... ٢٧٩	
ذكر تاريخ الاسكندر ... ٢٨٢	
ذكر الفرق بين الاسكندر وذى القرنين وانهما رجلا ... ٢٨٤	
ذكر من ولى الملك بالاسكندرية بعد الاسكندر ... ٢٨٦	
ذكر منارة الاسكندرية ... ٢٨٩	
ذكر الملعب الذى كان بالاسكندرية وغيره من العجائب ... ٢٩٤	
ذكر عمود السوارى ... ٢٩٦	

الموضوع	الصفحة
ذكر طرف مما قيل في الاسكندرية ... ٢٠١	
ذكر فتح الاسكندرية ... ٢٠٢	
ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية ، وانتفاض الروم ... ٢١٠	
ذكر بحيرة الاسكندرية ... ٢١٦	
ذكر خليج الاسكندرية ... ٢١٦	
ذكر جمل حوادث الاسكندرية ... ٢٢١	
ذكر مدينة اريب ... ٢٢٨	
ذكر مدينة تيبس ... ٢٢٩	
سمنى ... ٢٢٩	
ذكر مدينة صا ... ٢٤٠	
رمل الغرابى ... ٢٤١	
ذكر مدينة بليس ... ٢٤٢	
ذكر بلد الورداء ... ٢٤٤	
ذكر مدينة ايلة ... ٢٤٤	
ذكر مدينة مدين ... ٢٤٩	
بقية خبر مدينة مدين ... ٢٥٢	
ذكر مدينة فاران ... ٢٥٢	
ذكر ارض الجفار ... ٢٥٢	
ذكر صعيد مصر ... ٢٥٤	
ذكر الجنادل ولمع من اخبار ارض النوبة ... ٢٥٦	
ذكر تشعب النيل من بلاد علوة ومن يسكن عليه من الامم ... ٢٥٩	
ذكر البجة ويقال انهم من البربر ... ٢٦٢	
ذكر مدينة اسوان ... ٢٧٠	
ذكر بلاق ... ٢٧٢	
ذكر حائط العجوز ... ٢٧٢	
ذكر القبط ... ٢٧٤	
ذكر صحراء عيلاب ... ٢٧٩	
ذكر مدينة الاقصر ... ٢٨١	
ذكر البليشا ... ٢٨١	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالفسطاط ... ٥٥٥		ذكر ما يوافق أيام الشهور القبطية من الأعمال في الروايات وزيادة النيل ولغير ذلك على ما نقله أهل مصر من قدامتهم واعتمدوا عليه في أمورهم ... ٥٥٥	
ذكر الخطط التي كانت بمدينة الفسطاط ذكر أمراء الفسطاط من حين فتح مصر إلى أن بنى العسكر ... ٥٦١		ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية إلى السنة الهلالية العربية ، وكيف عمل ذلك في الإسلام ... ٥١٢	
ذكر العسكر الذي بنى بظاهر مدينة فسطاط مصر ... ٥٧٢		ذكر فسطاط مصر ... ٥٣٥	
ذكر من نزل العسكر من أمراء مصر من حين بنى إلى أن بنى القطائع ... ٥٧٤		ذكر ما كان عليه موضع الفسطاط قبل الإسلام إلى أن اختطه المسلمون مدينة ... ٥٣٦	
ذكر القطائع ودولة بني طولون ... ٥٨٩		ذكر الحصن الذي يعرف بقصر الشمع ذكر حصار المسلمين للنصر وفتح مصر ذكر ما قبل في مصر هل فتح بصلح أو عنوة ... ٥٥١	
ذكر من ولي مصر من الأمراء بعد خراب القطائع إلى أن بنى القاهرة المعز على يد القائد جوهر ... ٦١٢		ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضي الله عنهم ... ٥٥٤	
ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة ... ٦١٩			
ذكر الآثار الواردة في خراب مصر ... ٦٢٧			
ذكر خراب الفسطاط ... ٦٢٩			

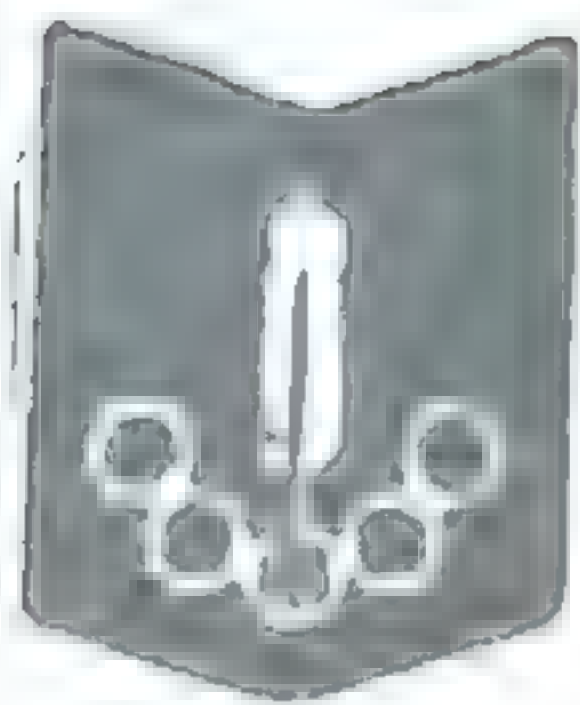


الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
ذكر سمهود ... ٢٨١		ذكر مدينة فسطاط بمصر ... ٤٣٤	
ذكر أرجنوس ... ٢٨١		ذكر مدينة دندرة ... ٤٣٦	
ذكر أبو بط ... ٢٨٢		ذكر الواحات الداخلة ... ٤٣٧	
ذكر ملوى ... ٢٨٢		ذكر مدينة سترية ... ٤٣٩	
ذكر مدينة انصا ... ٢٨٢		ذكر الواحات الخارجة ... ٤٤٠	
ذكر القيس ... ٢٨٣		ذكر مدينة قوص ... ٤٤١	
ذكر دروط بلهاسة ... ٢٨٤		ذكر مدينة اسنا ... ٤٤٢	
ذكر سكر ... ٢٨٤		ذكر مدينة أدفو ... ٤٤٢	
ذكر متبة الخصب ... ٢٨٥		أهناس ... ٤٤٣	
ذكر متبة الناسك ... ٢٨٥		ذكر مدينة البهنسا ... ٤٤٣	
ذكر الجزيرة ... ٢٨٥		ذكر مدينة الأشمونين ... ٤٤٦	
ذكر سجن يوسف عليه السلام ... ٢٨٧		ذكر مدينة أخميم ... ٤٤٧	
ذكر قرية ترسا ... ٢٨٩		ذكر مدينة العقاب ... ٤٤٩	
ذكر متبة الدونة ... ٢٨٩		ذكر مدينة الفيوم ... ٤٥١	
ذكر وسيم ... ٢٨٩		يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام ... ٤٦٢	
ذكر متبة عقبة ... ٢٩٠		ذكر ما قبل في الفيوم وخلقها وضياعها ذكر فتح الفيوم ومبلغ خراجها وما فيها من المرافق ... ٤٦٧	
ذكر حلوان ... ٢٩١		مدينة التحرير ... ٤٦٨	
عبد العزيز بن مروان ... ٢٩٢		ذكر تاريخ الخليفة ... ٤٦٩	
ذكر مدينة العريش ... ٢٩٤		ذكر ما قبل في مدة أيام الدنيا ماضيها وباقها ... ٤٦٩	
ذكر مدينة الفرما ... ٢٩٦		ذكر التواريخ التي كانت للامم قبل تاريخ القبط ... ٤٨٤	
ذكر مدينة القلزم ... ٢٩٨		ذكر تاريخ القبط ... ٤٨٩	
التيه ... ٢٩٩		ذكر دقلطيانوس الذي يعرف تاريخ القبط به ... ٤٩١	
ذكر مدينة دمياط ... ٢٩٩		ذكر أسابيع الأيام ... ٤٩٣	
ذكر شطا ... ٤٢٢		ذكر أعياد القبط من النصرى بديار مصر ... ٤٩٤	
ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر ودمشق ... ٤٢٣		ذكر قسطنطين ... ٤٩٩	
ذكر مدينة حطين ... ٤٢٥			
ذكر مدينة الرقة ... ٤٢٥			
ذكر عين شمس ... ٤٢٦			
المنصورة ... ٤٢٢			
العباسة ... ٤٢٢			



شركة الإعلانات الشرقية

تليفون : ١٠٠٠



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثنى ٦ فروش ولقراء الجمهورية والسنة ٣ فروش

خَطُّ الْمُقْرِئِ

الحمد لله

١٧

كتاب
التحرير

«مات مصر هي مستط رأسي، وطلع أترابي، وجمع ناسي، وفعني عنبري وجماسي،
وموطن خاصتي وعماستي، وجو جوي الذي رب جناحي في ذكره، وعنس مأربي، فهد
تهوي الأنفس غير ذكره، لازلت منذ شذوت العالم، وأنا في رب الطائفة والغهم، أعجب في
معرفة أخبارها، وأحب لإشراف على الاعتراف من آبارها، وألمى مسالة الكيان عن مكان ديارها»
نقى العرين أحمد بن علي المقرئ

خَطُّ الْمُقْرِئِ

كتاب الموعظ والاعتبار
بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر
والنيل وذكر المتاهة
وما يتعلق بها وبإقليمها..
تأليف سيدنا الشيخ
الإمام علامة الأبنام
تقي الدين أحمد بن علي
ابن عبد الفتادر بن محمد
المعروف بالمقريزي
رحمه الله ونفع بعلمه
آمين.

الجزء الثاني

تصدره
دار التحرير للطبع والنشر

عن
طبعة بولاق
سنة ١٢٧٠ هجرية

ذكر ما قيل في مدينة فسطاط مصر

قال ابن رضوان : والمدينة الكبرى اليوم بأرض مصر ذات أربعة أجزاء : الفسطاط ، والقاهرة ، والجزيرة ، والجيزة .

وبعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة ، والجبل المقطم في شرقها وبينها وبين مقابر المدينة . وقد قالت الأطباء : ان أردا المواضع ما كان الجبل في شرقه يعوق ريح الصبا عنه .

وأعظم أجزائها هو الفسطاط ، وبلى الفسطاط من الغرب النيل ، وعلى شط النيل الغربي أشجار طوال وقصار .

وأعظم أجزاء الفسطاط موضع في غور ، فانه يعلوه من المشرق المقطم ، ومن الجنوب الشرف ، ومن الشمال الموضع العالي من عمل فوق ... أعني الموقف والعسكر وجامع ابن طولون .

ومتى نظرت الى الفسطاط من الشرق ، أو من مكان آخر عال ، رأيت وضعها في غور . وقد بين أبقراط أن المواضع المتسفلة أسخن من المواضع المرتفعة وأردأ هواء ، لاحتقان البخار فيها ، ولأن ما حولها من المواضع العالية يعوق تحليل الرياح لها .

وأزقة الفسطاط وشوارعها ضيقة ، وأبنيتها عالية ، وقد قال روفس : اذا دخلت مدينة فرأيتها ضيقة الأزقة مرتفعة البناء ، فاهرب منها لأنها بيئة ... أراد أن البخار لا ينحل منها كما ينبغي لضيق الأزقة وارتفاع البناء .

ومن شأن أهل الفسطاط أن يرموا ما يموت في دورهم من السنائر ، والكلاب ونحوها من الحيوان الذي يخالط الناس في شوارعهم وأزقتهم ، فتعفن وتخالط عفوتها الهواء .

ومن شأنهم أيضا أن يرموا في النيل الذي يشربون منه فضول حيواناتهم وجيفها ، وخرارات كنفهم تصب فيه ، وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء . وفي خلال الفسطاط مستودعات عظيمة يصعد منها في الهواء دخان مفرط .

وهي أيضا كثيرة الغبار لسخانة أرضها ، حتى انك ترى الهواء في أيام الصيف كدرا يأخذ بالنفس ، ويتسخ الثوب النظيف في اليوم الواحد .

واذا مر الانسان في حاجة لم يرجع الا وقد اجتمع في وجهه ولحيته غبار كثير ، ويلبثها في العشيات — خاصة في أيام الصيف — بخار كدر أسود وأغبر ، سيما اذا كان الهواء سليما من الرياح .

واذا كانت هذه الأشياء كما وصفنا ، فمن البين أنه يصير الروح الحيواني الذي فيها حاله كهذه الحال ، فيتولد اذن في البدن من هذه الأعراض فضول كثيرة واستعدادات نحو العفن ، الا أن أهل الفسطاط لهذه الحال وأنسهم بها ، يعوق عنهم أكثر شرها ، وان كانوا على كل حال أضرع أهل مصر وقوعا في الأمراض .

وما يلي النيل من الفسطاط يجب أن يكون أرطب مما يلي الصحراء ، وأهل الشرق أصلح

حالا لتغرق الرياح لدورهم ، وكذلك عمل
موق والحمر ، الا أن أهل الشرف الذي
يشربونه أجود ، لأنه يستقى قبل أن تغالطه
غفوة القسطاط .

فاما القرافة فوجود هذه المواضع ، لأن
المقطم يعوق بخار القسطاط من المرور بها ،
واذا هبت ريح الشمال مرت بأجزاء كثيرة من
بخار القسطاط والدمرة على الشرف فغيرت
حاله .

وظاهر أن المواضع المكتوفة في هذه المدينة
هي أصح هواء ، وكذلك حال المواضع
المرتفعة . وأردأ موضع في المدينة الكبرى هو
ما كان من القسطاط حول الجامع المتيق الى
ما يلي النيل والواحد .

واذا كان في الشتاء وثل الربيع ، حل
من بحر الملح سمك كثير ، فيصل الى هذه
المدينة وقد غش وصارت له رائحة منكزة جدا
فيباع في القاهرة ، ويأكله أهلها وأهل
القسطاط فيجتمع في أبدانهم منه فضول
كثيرة غثة ... فلولا اعتدال أمزجتهم ، وصحة
أبدانهم في هذا الزمان ، لكان ذلك يولد في
أبدانهم أمراضا كثيرة قاتلة ، الا أن قوة
الاستمرار تعوق عن ذلك .

وربما انقطع النيل في آخر الربيع وأول
الصيف من جهة القسطاط ، فيعفن بكثرة ما
يلقى فيه الى أن يبلغ غفنه الى أن تصير له
رائحة منكزة محسوسة . وظاهر أن هذا الماء
إذا صار على هذه الحال غير مزاج الناس
تغيرا محسوسا .

قل : فمن البين أن أهل هذه المدينة الكبرى
بأرض مصر أسرع وقسوعا في الأمراض من
جميع أهل هذه الأرض ، ما خلا أهل اليوم
فانها أيضا قريبة ، وأردأ ما في المدينة الموضع
الغائر من القسطاط .

ولذلك غلب على أهلها الجبن وقلة الكرم ،
وأنه ليس أحد منهم يقيت ولا يضيف الغرب
الا في النادر ، وصاروا من السعاية والاعتياب
على أمر عظيم . ولقد بلغ بهم الجبن الى أن
خمس أعوان تسوق منهم مائة رجل وأكثر ،
ويسوق الأعوان المذكورين رجل واحد من
أهل البلدان الآخر ومن قد تدرب في
الحرب .

فقد استبان اذن العلة والسبب في أن صار
أهل المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا
في الأمراض من جميع أهل هذه الأرض ،
وأضعف ألقا .

ولعل لهذا السبب اختار القدماء اتخاذ
المدينة في غير هذا الموضع : فمنهم من جعلها
بسف وهي مصر القديمة ، ومنهم من جعلها
بالاسكندرية ، ومنهم من جعلها بغير هذه
المواضع ، وبدل على ذلك آثارهم .

وقل ابن سعيد عن كتاب « الكنائس » :
وأما قسطاط مصر فان مبانيها كانت في القديم
متصلة ببباني مدينة عين شمس ، وجاء
الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن ،
وعليه نزل عمرو بن العاص ، وضرب قسطاطه ،
حيث المسجد الجامع المنسوب اليه .

ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل ،
ونسبت المدينة اليه ، فقليل قسطاط عمرو ،

وتداولت عليها بعد ذلك ولاية مصر فاتخذوها
مرورا للسلطنة ، وتضاعفت عمارتها ، فأقبل
الناس من كل جانب اليها ، وقصروا أمانيسهم
عليها ... الى أن رسخت بها دولة بني طولون ،
فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع ،
وبها كان مسجد ابن طولون الذي هو الآن
الى جانب القاهرة .

وهي مدينة مستطيلة يمر النيل مع طولها ،
ويحيط في ساحلها المراكب الآتية من شمال
النيل وجنوبه بأنواع القوائد ، ولها
متنزعات ، وهي في الاقليم الثالث ، ولا ينزل
فيها مطر الا في النادر ، وترباها تشبه الأرجل
وهو قبيح اللون تتكدر منه أرجاؤها ويسوء
بسيه هواؤها ، ولها أسواق ضخمة الا أنها
ضيقة ، ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على
طبقة .

ومذ بنيت القاهرة ضعفت مدينة القسطاط ،
وفرط في الاغتباط بها بعد الافراط ، وبينهما
نحو ميلين .

وأشد فيها الشرب المقيلى :

أخن الى القسطاط شوقا واتى
لأدعو لها ألا يحل بها القطر .

وهل في الحيا من حاجة لجناها
وفي كل قطر من جوانبها قمر

تبدت عروسا والمقطم تاجها
ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

وقال عن كتاب آخر : فالقسطاط هي قصبة
مصر ، والجبل المقطم شرقها وهو متصل
بجبل الزمرذ .

(٥) من ٢٠٠٠ : ط ١٠٠٠ : ط ١٠٠٠

وقال عن كتاب ابن حوقل : والقسطاط
مدينة حنة ينقسم النيل لديها ، وهي كبيرة
نحو ثلث بغداد ، ومقدارها نحو فرسخ ، على
غاية العمارة والطيبة واللذة ، ذات رحاب في
محالها ، وأسواق عظام فيها ضيق ومتاجر
فخام ، ولها ظاهر أنيق وبساتين فرة ،
ومتزهات على مر الأيام خضرة .

وفي القسطاط قبائل ، وخطط للعرب تنب
اليها كالبصرة والكوفة ، الا أنها أقل من
ذلك ، وهي سبخة الأرض ، غير نقية التربة ،
وتكون بها الدار سبع طبقات وستا وخسا ،
وربما يسكن في الدار المائتان من الناس ،
ومعظم بنيانهم بالطوب ، وأسفل دورهم غير
مكون ، وبها مسجدان للجمعة : بني
أحمد بن عمرو بن العاص في وسط القسطاط ،
والآخر على الموقف بناء أحمد بن طولون .

وكان خارج القسطاط أبنية ، بناها أحمد
ابن طولون ميلا في ميل ، يسكنها جنده تعرف
بالقطائع ، كما بنى بنو الأغلب خارج القيروان
وقادة . وقد خربت في وقتنا هذا ، وأخلف
الله بدل القطائع - يظهر مدينة القسطاط -
القاهرة .

قال ابن سعيد : ولما استقرت بالقاهرة
تشوقت الى معاينة القسطاط ، فصار معي أحد
أصحاب العزلة ، فرأيت عند باب زويلة من
الحمير المعدة لركوب من يسير الى القسطاط
جيلة عظيمة لا عهد لي بمثلها في بلد ، فركب
منها حمارا وأشار الى أن أركب حمارا آخر ،
فأثقت من ذلك بجريا على عادة ما خلقت في

بلاد القرب ، فاعطى له غير معيب على أعيان مصر ، وعاشت الفتاة وصحاب البزة والسادة العظيمة يركبونها ، فركبت .

وعندما استوت راكبا ، أشار المكارى على الحمار فدار به ، ودار من الخيل الأسود ما أنسى عيني وذنى ثيابى ، وعاشت ما كرهت .

وقتها معرفتى بركوب الحمار وثمة عدوه على قانون لم أعده ، وقمة رفق المكارى ، وقتت فى تلك القصة العشرة من ذلك المصباح ، قلت :

لبيت بصر أشد البوار
وركوب الحمار وكحل الغبار

وخفى مكارى يفوق الريح
لا يعرف الرقيق بصى انتظار

أدبه مهلا فلا يعوى
الى أن سجلت سجود الحمار

وقد مد فوقى رواق الثرى
وأحد فيه ضياء النهار

فلقدت الى المكارى أجرته ، وقلت له : لمساك الى أن تركنى أمشى على رجلى ، ومنيت الى أن بلغتها ، وقدرت الطريق بين القاهرة والقسطاط ، وحتت بعد ذلك نحو النيلين .

ولما أقبلت على القسطاط أدبرت عنى المرة ، وعلت أسوارا مثله سوداء ، وآفاقا مغبرة .

ودخلت من بابها وهو دون غلق ، مضى الى خراب معمر بسان سيرة الوضع غير مستقيمة السوارع ، قد بنيت من الطوب الأدكن

وانصب والتحيل طبقة فوق طبقة ، وحول أبوابها من التراب الأسود والأزبال ما يقبض نفس النظيف وينفض طرف الطريف .

فمرت وأنا معاين لاستحباب تلك الحال ، الى أن مرت فى سواقها الضيقة ، فقايت من ازدحام الناس فيها بحوائج السوق ، والروايا التى على الجبال ، ما لا ينفى به الا مشاهدته ومقاساته ، الى أن انتهت الى المسجد الجامع ، فعايت من ضيق الأسواق التى حوله ما ذكرت به ضده فى جامع اثيلية وجامع مراکش .

ثم دخلت اليه ، فعايت جامعا كبيرا قديم البناء ، غير مزخرف ولا محتفل فى حصره التى تدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه ، وبصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا يؤمونه أقدامهم ، يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق ، والياعون ييمون فيه أمثاف المكبرات والكملك وما جرى مجرى ذلك ، والناس يأكلون منه فى أمكنة عديدة غير محتسبين لجرى العادة عندهم بذلك وعنة صبيان يؤانى ماء يطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منهم رزقا ، وفضلات ما كلهم مطروحة فى صحن الجامع وفى زواياه ، والعنكبوت قد عظم نسجه فى السقوف والأركان والحيطان ، والصبيان يلعبون فى صحنه ، وحيطانه مكتوبة بالفحم والحرمة بخطوط قيحة مختلفة من كتب فقهاء العامة ، الا أن مع هذا كله على الجامع المذكور من الروتق وحسن القبول وانسباط النفس ، ما لا تجده فى جامع اثيلية مع زخرفته والبستان الذى فى صحنه .

ولقد تأملت ما وجدت فيه من الارسياس والآس دون منظر يوجب ذلك ، فعلت أنه سر مودع من وقوف الصحابة رضوان الله عليهم فى ساحته عند بنائه ، واستحسنت ما أبصرته فيه من خلق المصدين لاقراء القرآن والفقهاء والنحو فى عدة أماكن ، وسألت عن موارد أرزاقهم فأخبرت أنها من فروض الزكاة وما أثبت ذلك ، ثم أخبرت أن اقتضاهما يصعب الا بالجهاء والتب .

ثم اتفطنا من هنالك الى ساحل النيل ، فראيت ساحلا كدر التربة ، غير نظيف ولا متسع الساحة ولا مستقيم الاستقامة ولا عليه سور أيضا ، الا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الأرزاق التى تصل من جميع أقطار الأرض والنيل ، ولئن قلت انى لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل ، فانى أقول حقا .

والنيل هنالك ضيق لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعة ، قد توسطت الماء ، ومالت الى جهة القسطاط ، ويحس سورها المبيض الشامخ حسن منظر القرعة فى ذلك الساحل .

وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون متدا من القسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ، ومن الجبابب الآخر الى البر الغربى - المعروف ببر الجيزة - جسر آخر من الجزيرة اليه . وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب ، لأن هذين الجسرين قد احترما بحصولهما فى حيز قلعة السلطان ،

(٢٠) ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، طبع بولاق

ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الجزيرة والقسطاط راكبا احتراما لموضع السلطان

وبنا فى ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل ، فقلت :

زنا من القسطاط أحسن منزل
بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد

وقد جمعت فيه المراكب سحرة
كسرب قطا أضفى ردى على ورد

وأصبح يطفى الموج فيه ويرتسى
ويطفو حنافا وهو يلعب الترد

غدا ماؤه كالريق من أحبه
فمدت عليه جليلة من حلى الخد

وقد كان مثل الزهر من قبل مده
فأصبح لما زاده المد كالورد

قلت هذا لأنى لم اذق فى المياه أحلى من مائه ، وأنه يكون قبل المد الذى يزيد به وينفض على أقطاره أيضا ، فاذا كان عباب النيل صار أحمر .

وأشددنى علم الدين فخر الترك أيلمر ، عتيق وزير الجزيرة ، فى مدح القسطاط وأهلها :

حبذا القسطاط من والده
جنب أولادها در الجناب

يرد النيل اليها كدرا
فاذا مازج أهلها صفا

لطفوا فالزن لا يألهم
خجلا لما رآهم الطفا

ولم أر في أهل البلاد أطف من أهل
الفسطاط حتى انهم أطف من أهل القاهرة
وينها نحو ميلين . وجلة الحال أن أهل
الفسطاط في نهاية من اللطافة واللين في
الكلام ، وتحت ذلك من اللين وقلة المبالاة
برعاية قدم الصلبة وكثرة المازجة والألفة
ما يظول ذكره .

وأما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر
الاسكندراني والبحر الحجازي فانه فوق ما
يوصف ، وبها مجيع ذلك لا بالقاهرة ، ومنها
تجوز الى القاهرة وسائر البلاد .

وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون
ومعظم ما يجري هذا المجرى ، لأن القاهرة
ينبت للاختصاص بالجند ، كما أن جميع زى
الجند بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط ، وكذلك
ما ينسج ويصاغ وسائر ما يصل من الأشياء
الرفيعة اللطانية .

والخراب في الفسطاط كثير ، والقاهرة أجد
وأعمر وأكثر زحمة بسبب انتقال السلطان
اليها ، وسكنى الأجناد فيها .

وقد تمخ روح الاعتناء والنمو في مدينة
الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية ،
وكثير من الجند قد انتقل اليها للتقرب من
الخدمة ، وبنى على سورها جماعة منهم مناظر
تبهج الناظر ... يبنى ابن سعيد ما بنى على
شقة مصر من جهة النيل .

ذكر ما عليه مدينة مصر الآن وصفها

قد تقدم من الأخبار جملة تدل على عظم
ما كان بمدينة فسطاط مصر من المباني
وكثرتها ، ثم الأسباب التي أوجبت خرابها .
وآخر ما رأيت من الكتب التي صفت في
خطط مصر كتاب « إيقاظ المتغفل واتمناط
المنازل » تأليف القاضي الرئيس تاج الدين
محمد بن عبد الوهاب بن المتوج الزبيرى
رحمه الله ، وقطع على سنة خمس وعشرين
وسبعمائة .

فذكر من الأخطاط المشهورة بذاتها لعمده
اثني وخمسين خطا ، ومن الحارات ثنتي
عشرة حارة ، ومن الأزقة المشهورة ستة
وثمانين زقاقا ، ومن الدروب المشهورة ثلاثة
وخمسين دربا ، ومن الخوخ المشهور خمسا
وعشرين خوخة ، ومن الأسواق المشهورة
تسعة عشر سوقا ، ومن الخطط المشهورة
بالدور ثلاثة عشر خطا ، ومن الرحاب
المشهورة خمس عشرة رحبة ، ومن المقبات
المشهورة احدى عشرة عتبة ، ومن الكيمان
المسماة ستة كيمان ، ومن الأقباء عشرة أقباء ،
ومن البرك خمس برك ، ومن السقائف خمسا
وستين سقيفة ، ومن القياسر سبع قياسر ،
ومن مطابخ السكر العامرة ستة وستين
مطبخا ، ومن الشوارع ستة شوارع ، ومن
المحارس عشرين محرسا ، ومن الجوامع التي
تقام فيها الجمعة بمصر وضاهرها من الجزيرة
والقرافة أربعة عشر جامعا ، ومن المساجد
أربعمائة وثمانين مسجدا ، ومن المدارس سبع

(ج ١ ص ٣٤٢ ج ١ ص ٣٤٢ ج ١ ص ٣٤٢)

عشرة مئونة ، ومن الزوايا ثمانى زوايا ، ومن
الربط التي بمصر والقرافة بضعا وأربعين
رباطا ، ومن الأحباس والأوقاف كثيرا ، ومن
العمامات بضعا وسبعين حماما ، ومن الكنائس
وديارات النصارى ثلاثين مائين دير وكنيسة .

وقد ياد أكثر ما ذكره ودثر . وسيرد ما
قاله من ذلك في مواضعه من هذا الكتاب إن
شاء الله تعالى .

فأقول : إن مدينة مصر محدودة الآن
بحدود أربعة :

فحددها الشرقى اليوم من قلعة الجبل وأنت
أخذ الى باب القرافة ، فتمر من داخل السور
الفاصل بين القرافة ومصر الى كوم الجارج ،
وتمر من كوم الجارج وتجعل كيمان مصر كلها
عن يمينك حتى تنتهى الى الرصد حيث أول
بركة الجيش ... فهذا طول مصر من جهة
المشرق ، وكان يقال لهذه الجهة عمل فوق .

وحدها الغربى من قناطر السباع خارج
القاهرة الى موردة الحلفاء ، وتأخذ على
شاطئ النيل الى دير الطين ... فهذا أيضا
طولها من جهة المغرب .

وحدها القبلى من شاطئ النيل بدير الطين
حيث ينتهى الحد الغربى ، الى بركة الجيش
تحت الرصد حيث انتهى الحد الشرقى ...
فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التى تسمىها
أهل مصر الجهة القبلىة .

وحدها البحرى من قناطر السباع ، حيث
ابتداء الحد الغربى ، الى قلعة الجبل حيث
ابتداء الحد الشرقى ... فهذا عرض مصر من
جهة الشمال التى تعرف بمصر بالجهة البحرية .

وما بين هذه الجهات الأربع فانه يطلق عليه
الآن مصر ، فيكون أول عرض مصر في الغرب
بحر النيل ، وآخر عرضها في الشرق أول
القرافة ، وأول طولها من قناطر السباع ،
وآخره بركة الجيش .

فاذا عرفت ذلك ، ففى الجهة الغربية خط
السبع سقايات ، ويجاوره الخليج ، وعليه من
شرقيه حكر أقينا ، ومن غربيه المرس ومنشأة
المهرانى ، ويعاذى المنشأة من شرقى الخليج
خط قنطرة السد وخط بين الزقاقين وخط
موردة الحلفاء وخط الجامع الجديد ، ومن
شرقى خط الجامع الجديد خط المراغة ،
ويتصل به خط الكبارة وخط المصاريج ،
ويجاور خط الجامع الجديد من بحره الدور
التي تطل على النيل ، وهى متصلة الى جسر
الأفرم المتصل بدير الطين وما يجاوره الى بركة
الجيش .

وهذه الجهة هى أعمر ما فى مصر الآن .

وأما الجهة الشرقية فليس فيها شىء عامر الا
قلعة الجبل وخط المراغة المجاور لباب القرافة
الى مشهد السيدة نفيسة ، ويجاور خط مشهد
السيدة نفيسة من قبله القضاء الذى كان
موضع الموقف والعسكر الى كوم الجارج ،
ثم بخط كوم الجارج ، وما بين كوم الجارج
الى آخر حد طول مصر عند بركة الجيش
تحت الرصد فانه كيمان .

وهى الخطط التى ذكرها القضاء ،
وخربت فى الشدة العظمى زمن المتصر ،
وعند حريق شاور لمصر كما تقدم .

وأما عرض مصر الذى من قناطر السباع الى ملعة فانه عامر ، ويشتمل على بركة النيل الصغرى بجوار خط السبع مقيات ، ويجاور الدور التى على هذه البركة من شرقها خط الكيش ، ثم خط جامع أحمد بن طولون ، ثم خط القبيات ، وينتهى الى القضاء الذى يتصل بقلعة الجبل .

وأما عرض مصر الذى من شاطئ النيل ، بخط دير الطين الى تحت الرصد حيث بركة الحبش ، فليس فيه عبارة سوى خط دير الطين ، وما عدا ذلك فقد خرب بخراب الخطط ، وكان فيه خط بنى وائل وخط رائدة ، فأما خط السبع مقيات فانه من جملة الحمراء الدنيا ، وسيرد عند ذكر الأخطاط ان شاء الله تعالى ، وما عدا ذلك فانه يتبين من ذكر ساحل مصر .

ذكر ساحل النيل بمدينة مصر

قد تقدم أن مدينة فسطاط مصر اختطها المسلمون حول جامع عمرو بن العاص وقصر الشمع ، وأن بحر النيل كن ينتهى الى باب قصر الشمع الغربى المعروف باباب الجديد .

ولم يكن عند فتح أرض مصر بين جامع عمرو وبين النيل حائل ... ثم انحصر ماء النيل عن أرض تجاه الجامع وقصر الشمع ، فابتنى فيها عبد العزيز بن مروان ، وحاز منه بشر ابن مروان لما قدم على أخيه عبد العزيز ، ثم حاز منه هشام بن عبد الملك فى خلافة وبنى فيه .

فلما زالت دولة بنى أمية ، قبض ذلك فى الصوائف ، ثم أنظمه الرشيد السرى بن الحكم ، فصار فى يد ورثته من بعده يكترونه ويأخذون حكره . وذلك أنه كان قد اختط فيها المسلمون شيئا بعد شيء ، وصار شاطئ النيل — بعد انحسار ماء النيل عن الأرض المذكورة — حيث الموضع الذى يعرف اليوم بسوق الماريج .

قال القضاى : كان ساحل أسفل الأرض بازاء الماريج * القديم ، وكانت آثار الماريج قائمة سبع درج حول ساحل البيما الى ساحل البورى اليوم ، فعرف ساحل البورى بالماريج الجديد (يعنى بالماريج الجديد موضع سوق الماريج اليوم) .

وكان من جملة خطط مدينة فسطاط مصر الحمراوات الثلاث : فالحمراء الأولى من جعلتها سوق وردان ، وكان يشرف بغريبه على النيل ، ويجاوره الحمراء الوسطى ، ومن بعضها الموضع الذى يعرف اليوم بالكبارة . وكانت على النيل أيضا ، وبجانب الكبارة ، الحمراء القصوى ، وهى من بحرى الحمراء الوسطى الى الموضع الذى هو اليوم خط قناطر السباع ، ومن جملة الحمراء القصوى خط خليج مصر من حد قناطر السباع الى نجاه قنطرة السد من شرقيها ، وبآخر الحمراء القصوى الكيش وجبل يشكر .

وكان الكيش يشرف على النيل من غريبه ، وكان الساحل القديم فيما بين سوق الماريج اليوم الى دار التفاح بمصر وأنت مار الى باب

مصر بجوار الكبارة ، وموضع الكوم المجاور لباب مصر من شرقيه .

فلما خربت مصر بحرق شاور بن مجير إياها ، صار هذا الكوم من حينئذ وعرف بكوم المشايق ، فانه كان يشق بأعلاه أرباب الجرائم ، ثم بنى الناس فوقه دورا فعرف الى يومنا هذا بكوم الكبارة . وكان يقال لما بين سوق الماريج وهذا الكوم لما كان ساحل النيل « القالوص » .

قال القضاى : رأيت بخط جماعة من العلماء « القالوص » بألف ، والذى يكتب فى هذا الزمان « القلوص » بحذف الألف . فأما القلوص بحذف الألف فهى من الأبل والنعام الشابة ، وجمعها قلص وقلاص وقلائص . والقلوص من الحبارى الأتى الصغيرة .

فلعل هذا المكان سمي بالقلوص لانه فى مقابلة الجمل الذى كان على باب الرمحان الذى يأتى ذكره فى عجائب مصر . وأما القالوص بالألف فهى كلمة رومية ، ومعناها بالعربية مرجبا بك ، ولعل الروم كانوا يصفقون لراكب هذا الجمل ، ويقولون هذه الكلمة على عادتهم .

وقال ابن المتوج : والساحل القديم أوله من باب مصر المذكور (يعنى المجاور للكبارة) والى الماريج جميعه كان يحرا يجرى فيه ماء النيل ، وقيل ان سوق الماريج كان موردة سوق السمك ... يعنى ما ذكره القضاى من أنه كان يعرف بساحل البورى ثم عرف بالماريج الجديد .

قال ابن المتوج : وقتل أن بستان الجرف المقابل لبستان حوض ابن كيسان كان صناعة المسارة . وأدركت أنا فيه بابها ، ورأيت زرية من ركن المسجد المجاور للحوض من غريبه تصل الى قبالة مسجد المادل الذى بمراغة الدواب الآن .

قال مؤلفه رحمه الله : بستان الجرف يعرف بذلك الى اليوم ، وهو على ينة من ملك الى مصر من طريق المراغة ، وهو جار فى وقف الخاتقاء ، التى تعرف بالواصلة ، بين الزقاقين .

وحوض ابن كيسان يعرف اليوم بحوض الطواشى تجاه غيط الجرف المذكور ، يجاوره بستان ابن كيسان الذى صار صناعة — وقد ذكر خبر هذه الصناعة عند ذكر مناظر الخلفاء — ويعرف بستان ابن كيسان اليوم ببستان الطواشى أيضا ، وبين بستان الجرف وبستان الطواشى هذا مراغة مصر السلوك منها الى الكبارة وباب مصر .

قال ابن المتوج : ورأيت من قل عن قل عن رأى هذا القلوص يتصل الى آدر الساحل القديم ، وأنه شاهد ما عليه من الصائر المطة على بحر النيل من الرباع والدور المطة ، وعد الأسطال التى كانت بالطاقات المطة على بحر النيل ، فكانت عدتها ستة عشر ألف سطل مؤبدة بيكر ، مؤبد فيها أطشاب ترخى بها وتملا . أخبرنى بذلك من أتق بنقله ، وقال : انه أخبره من يتق به متملا بالشاهد له الموثوق به .

قال : وباب مصر الآن بين البستان الذي قبل الجامع الجديد (يعنى بستان العالة) وبين كوم المشايخ (يعنى كوم الكبار) ، ورايت السور يتصل به الى دار الحاس ، وجبج ما بظاهرة شون .

ولم يزل هذا السور القديم ، الذى هو قبل بستان العالة ، موجودا اراه وأعرفه ... الى أن اشترى أرضه من باب مصر الى موقف الكارثة بالحشائش القديمة الأمير حسام الدين طرغاي المنصورى ، فاجر مكانه للعامة . وصار كل من استاجر قطعة هدم ما بها من البناء بالطوب اللبن ، وقلع الأساس الحجر وبنى به ، فزال السور المذكور ، ثم حدث الساحل الجديد .

قال مؤلفه رحمه الله : وهذا الباب الذى ذكره ابن المتوج ، كان يقل له باب الساحل . وأول حفر ساحل مصر فى سنة ست وثمانين وثلثمائة ، وذلك أنه جف النيل عن بر مصر حتى احتاج الناس أن يستقوا من بحر الجيزة الذى هو فيما بين جزيرة مصر - التى تدعى الآن بالروضة - وبين الجيزة ، وصار الناس يشنون هم والدواب الى الجزيرة ، فحفر الأستاذ كنور الاخشيدى - وهو يومئذ مقدم أمراء الدولة لأونوجور بن الاخشيد - خليجا حتى اتصل بخليج بنى وائل ، ودخل الماء الى ساحل مصر .

ثم انه لما كان قبل سنة ستمائة ، تقلص الماء عن ساحل مصر القديمة ، وصار فى زمن الاحتراق يتل حتى تصير الطريق الى المقياس يسا .

فلما كان فى سنة ثمان وعشرين وستائة ، خاف السلطان الملك الكامل * محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب من تباعد البحر عن الممران بمصر ، فاهتم بحفر البحر من دار الوكالة بمصر الى صناعة التمر الفاضلية ، وعمل فيه بنفسه ، فوافقه على العمل فى ذلك الجهم الفقير ، واستوى فى المساعدة السوقة والأمير ، وقسط مكان الحفر على الدور بالقاهرة ومصر والروضة والمقياس .

فاستر العمل فيه من مستهل شعبان الى سلخ شوال مدة ثلاثة أشهر ، حتى صار الماء يحيط بالمقياس وجزيرة الروضة دائما بممد ما كان عند الزيادة يصير جدولا رقيقا فى ذيل الروضة ، فاذا اتصل ببحر بولاق فى شهر أيب كان ذلك من الأيام المشهودة بمصر .

فلما كانت أيام الملك الصالح ، وعمر قلعة الروضة ، أراد أن يكون الماء طول السنة كثيرا فيما دار بالروضة ، فأخذ فى الاهتمام بذلك ، وغرق عدة مراكب مملوءة بالحجارة فى بر الجيزة - تجاه باب القنطرة خارج مدينة مصر ومن قبلى جزيرة الروضة - فانمكس الماء ، وجعل البحر حينئذ يمر قليلا قليلا ، وتكاثر أولا فأولا فى بر مصر من دار الملك الى قريب المقس ، وقطع المنشأة الفاضلية .

قال ابن المتوج عن موضع الجامع الجديد : وكان فى الدولة الصالحية (يعنى الملك الصالح نجم الدين أيوب) رملة تمرغ الناس فيها الدواب فى زمن احتراق النيل وجفاف البحر

الذى هو أمامها . فلما عمر السلطان الملك الصالح قلعة الجزيرة ، وصار فى كل سنة يحفر هذا البحر بجنده ونقسه ويطرح بعض رمله فى هذه البقعة ، شرع خواص السلطان فى المارة على شاطئه هذا البحر .

فذكر من عمر على هذا البحر من قبالة موضع الجامع الجديد الآن الى المدرسة المعزية ، وذكر ما وراء هذه الدور من بستان العالة المطل عليه الجامع الجديد وغيره ، ثم قال : وإنما عرف بالعالة لأنه كان قد حله السلطان الملك الصالح لهذه للعالة ، فعمرت بجانبه منقرة لها ، وكان الماء يدخل من النيل لباب المنقورة المذكورة ، فلما توفيت بقى البستان مدة فى يد ورثتها ثم أخذ منهم .

وذكر أن بقعة الجامع الجديد كانت قبل عمارته شوتا للآتيان السلطانية ، وكذلك ما يجاورها . فلما عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الجامع الجديد ، كثرت المائر من حد موردة الحلفاء على شاطئه النيل حتى اتصلت بدير الطين ، وعمر أيضا ما وراء الجامع من حد باب مصر - الذى كان بحرا كما تقدم - الى حد قنطرة السد .

وأدركنا ذلك كله على غاية المارة ، وقد اختل منذ الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة ، فخرّب خط بين الزقاقين المطل من غريه على الخليج ، ومن شرقيه على بستان الجرف ، ولم يبق به الا قليل من الدور ، وموضعه كما تقدم كان فى قديم الزمان غامرا بماء النيل ، ثم ربي جرفا وهو بين الزقاقين المذكور ، فعمر عمارة كبيرة ، ثم خرب الآن ، وخرب

أيضا خط موردة الحلفاء ، وكان فى القديم غامرا بالماء .

فلما ربي النيل الجرف المذكور ، وتربت الجزيرة قدام الساحل القديم - الذى هو الآن الكبارة الى الماريج - وأثناء الملك الناصر محمد بن قلاوون الجامع الجديد ، عمرت موردة الحلفاء هذه ، واتصلت من بحرهما بمنشأة المهراني ، ومن قبليها بالأمالك التى تمتد من تجاه الجامع الجديد الى دير الطين ، وصارت موردة الحلفاء عظيمة تقف عندها المراكب بالفلال وغيرها ، ويسلا منها الناس الروايا .

وكان البحر لا يريح طول السنة هناك ، ثم صار ينشف فى فصل الربيع والصيف ، واستمر على ذلك الى يومنا هذا ، وخرب ما خلف الجامع الجديد أيضا من الأماكن التى كانت بحرا تجاه الساحل القديم ، ثم لما انحصر الماء صارت مراغة للدواب ، فعرفت اليوم بالمراغة .

وهى من آخر قنطرة السد الى قريب من الكبارة ، ويحصرها من غربيها بستان الجرف المقدم ذكره وعدة دور كانت بستانا وشوتا الى باب مصر ، ومن شرقيها بستان ابن كيسان الذى صار صناعة ، وعرف الآن ببستان الطواشي ، ولم يسق الآن بخط المراغة الا مساكن يسيرة حقيرة .

ذكر المنشأة

اعلم أن خليج مصر كان يخرج من بحر النيل فيمر بطريق الحمراء القصوى ، وكان

في الجانب الغربي من هذا الخليج عدة بساتين من جبلتها بستان عرف بستان الغناب ، ثم خرب هذا البستان ، وموضعه الآن يعرف بالمريس .

فلما كان بعد الحسمالة من سني الهجرة ، انحسر النيل عن أرض فيما بين ميدان القوق - التي ذكره في الأحكام طاهر القاهرة أن شاء الله تعالى - وبين بستان الغناب المذكور ، فعرفت هذه الأرض بمنشأة القاضل ، لأن القاضي القاضل عبد الرحيم بن علي البيهقي أنشأ بها بستاناً عظيماً كان يسير أهل القاهرة من ثارده وأعابيه ، وعمر بجانبه بجامعا ، وبنى حوله ، فقبل تلك الخطة منشأة القاضل .

وكرت بها العمارة ، وأنشأ بها موقف الدين محمد بن أبي بكر المهدوي الغساني الديباجي بستاناً دفع له فيه ألف دينار في أيام الظاهر بيبرس ، وكان الصرف قد بلغ ٠ كل دينار ثمانية وعشرين درهما ونصفا .

فاستولى البحر على بستان القاضل وجامعه ، وعلى سائر ما كان بمنشأة القاضل من البساتين والدور ، وقطع ذلك حتى لم يتبق شيء منه أثر .

وما يرحب بركة الغناب بالقاهرة ومصر تنادي على الغناب ، بعد خراب بستان القاضل هذا ، عدة سنين « رحم الله القاضل يا غناب » إشارة لكثرة أغناب بستان القاضل وحسنها .

وكان أكل البحر لمنشأة القاضل هذه بعد سنة ستين وستائة ، وكان الموقف الديباجي

(١٤) مره ٢٠٠ ح ١ ، ض. مرقا .

المذكور يتولى خطابة جامع القاضل الذي كان بالمنشأة ، فلما تلف الجامع باستيلاء النيل عليه ، سأل صاحب بهاء الدين بن حنا ، وألح عليه - وكان من الزامه - حتى قام في عمارة الجامع بمنشأة المهراني .

ومنشأة المهراني هذه موضعها فيما بين النيل والخليج ، وفيها من الحمراء القصوى فوهة الخليج انحسر عنها ماء النيل قديما ، وعرف موضعها بالكوم الأحمر من أجل أنه كان يعمل فيها آفنة الطوب .

فلما سأل صاحب بهاء الدين بن حنا الملك الظاهر بيبرس في عمارة جامع بهذا المكان ، ليقوم مقام الجامع الذي كان بمنشأة القاضل ، أجابه إلى ذلك ، وأنشأ الجامع بخط الكوم الأحمر كما ذكر في خبره عند ذكر الجوامع .

فأنشأ هناك الأمير سيف الدين بلبان المهراني دارا وسكنها ، وبنى مسجدا ، فعرفت هذه الخطة به ، وقيل لها منشأة المهراني ، فإن المهراني المذكور أول من ابتنى فيها بعد بناء الجامع .

وتتابع الناس في البناء بمنشأة المهراني ، وأكثروا من العمارات حتى يقال أنه كان بها فوق الأربعين من أمراء الدولة ، سوى من كان هناك من الوزراء وأماثل الكتاب وأعيان القضاة ووجوه الناس ، ولم تزل على ذلك حتى انحسر الماء عن الجهة الشرقية فخربت ، وبها الآن بقية يسيرة من الدور .

ويتصل بخط الجامع الجديد خط دار النحاس ، وهو مظل على النيل . ودار النحاس

هذه من الدور القديمة وقد دثرت ، وصار الخط يعرف بها .

قال القاضي : دار النحاس اختطها وردان مولى عمرو بن العاص ، فكتب مسلمة بن مخلد - وهو أمير مصر - إلى معاوية بسأله أن يجعلها ديوانا ، فكتب معاوية إلى وردان بسأله فيها ، وعوضه فيها دار وردان التي بسوقه الآن .

وقال ربيعة : كانت هذه الدار من خطة الحجر من الأزدي ، فاشتراها عمر بن مروان وبنائها ، فكانت في يد ولده ، وقبضت عنهم وييمت في الصواني سنة ثمان وثلاثمائة ، ثم صارت إلى شمول الأخشيدي ، فبنائها قيسارية وحماما ، فصارت دار النحاس قيسارية شمول .

وقال ابن المتوج : دار النحاس خط نسب لدار النحاس ، وهو الآن فندق الإشراف ذو البابين : أحدهما من رجة أمامة ، والثاني شارع بالساحل القديم .

وبآخر هذه الشقة التي تطل على النيل جسر الأفرم ، وهو في طرف مصر فيسا بين المدرسة المعزية وبين رباط الآثار ، كان مطلا على النيل دائما ، والآن ينحصر الماء عنه عند هبوط النيل ، وعرف بالأمير عز الدين أيمن الأفرم الصالحى النجوى أمير جندار ، وذلك أنه لما استأجر يركة الشميية - كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب - جعل منها فدائين من غريبها أذن للناس في تحكيرها ، فحكوت وبنى عليها عدة دور بلغت الغاية في اتقان العمارة .

وتنافس عظماء دولة الناصر محمد بن قلاوون من الوزراء وأعيان الكتاب في المساكن بهذا الجسر ، وبنوا وتأنقوا وتفتتوا في بديع الزخرفة ، وبالفن في تحسين الرخام ، وخرجوا عن الحد في كثرة اتفاق الأموال العظيمة على ذلك ، بحيث صار خط الجسر خلاصة العامر من إقليم مصر ، وسكانه أرق الناس عيشا وأرق المتسعين حياة وأوفرهم نمسا ، ثم خرب هذا الجسر بأسره وذهبت دوره .

وأما الجهة الشرقية من مصر ففيها قلعة الجبل ، وقد أفردنا لها خبرا مستقلا يحتوي على فوائد كثيرة تضمنه هذا الكتاب ، فانظره .

ويتصل آخر قلعة الجبل بخط باب القرافة ، وهو من أطراف القطن والمسكر ، ويلى خط باب القرافة القضاة الذي كان يعرف بالمسكر ، وقد تقدم ذكره ، وكان بأطراف المسكر ما يلي كوم الجراح .

الموقف ... قال ابن وصيف شاه في أخبار الريان بن الوليد ، وهو فرعون لبي الله يوسف صلوات الله عليه : ودخل إلى البلد في أيامه غلام من أهل الشام احتال عليه أخوته وباعوه - وكانت قوافل الشام تمرس بتاحية الموقف اليوم - فأوقف الغلام ونودي عليه ، وهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم ، فاشتراه ألقين العزيز .

ويقال إن الذي أخرج يوسف من الحب مالك بن دعر بن حجر بن جزيلة بن لخم بن

هدى بن العارث بن مرة بن آدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وقال القاضي : كان الموقف فضاء لام عبد الله بن مسلمة بن مخلد ، فتصدقت به على المسلمين ، فكان موقفا تباع فيه الدواب ، ثم ملك بعد . وقد ذكرته في الظاهر (يعني في خطط أهل الظاهر) فان الموقف من جملة خطط أهل الظاهر .

وقل ابن المتوج « بقعة خط الصفاء » : هذا الخط دثر جميعه ولم يبق له أثر ، وهو قبلى لفسطاط أوله بجوار المصنع . وخط الطحانين * أدركه كان صفين طواحين متلاصقة متصلة من درب الصفاء الى كوم الجارح ، وأدركت به جماعة من أكابر المصريين أكثرهم عدول ، وكان المار بين هذين الصفين لا يسمع حديث رفيقه اذا حدثه لقوة دوران الطواحين ، وكان من جبلتها طاحون واحد فيه سبعة أحجار ... دثر جميع ذلك ولم يبق له أثر .

قال : وبقعة درب الصفاء هو الدرب الذي كان باب مصر ، وقيل انه كان بظاهره سوق يوسف عليه السلام ، وكان بابا بمصرعين يعلوهما عقد كبير ، وهو بقعة كبيرة سفلى من صوان ، وكان بجوار المصنع الخراب الموجود الآن ، وكان حول المصنع عند رخام بدائره حاملة الساباط يعلوه مسجد معلق ... هدم ذلك جميعه في ولاية سيف الدين ، المعروف بابن سائر ، والى مصر في دولة

(*) مر ٢٤٦ ج ١ ط ١٠٧٧

الظاهر بيبرس . وهذا الدرب يسلك منه الى درب الصفاء والطحانين .

قال مؤلفه رحمه الله : كان هذا الباب المذكور أحد أبواب مدينة مصر ، وبابها الآخر من ناحية الساحل الذي موضعه اليوم باب مصر بجوار الكبارة . وأنا أدركت آثار باب الصفاء المذكور والمصنع الخراب ، وكان يصب فيه الماء للسيل ، وهو قريب من كوم الجارح . وسيأتى ذكر كوم الجارح في ذكر الكيمان من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

وأما الذى يلى كوم الجارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش فانها الخطط القديمة . وأدركتها عامرة لاسيما خط النخالين وخط زقاق التناديل وخط المصاصة ، وقد خرب جميع ذلك ، وبيعت أنقاضه من بعد سنة تسعين وسبعمائة .

وأما الجهة القبلىة من مصر ، فان خط دير الطين حدثت العمارة فيه بعد سنة ستمائة ، لما أنشأ صاحب فخر الدين محمد بن صاحب بهاء الدين على بن حنا الجامع هناك ، وعمر الناس في جسر الأفرم ، وكان قبل ذلك آخر عمارة مدينة مصر دار الملك التى موضعها الآن بجوار المدرسة المعزية .

وأما موضع الجسر فانه كان بركة ماء تنصل بخط راشدة حيث جامع راشدة ، ومن قبلى هذه البركة البستان الذى كان يعرف بستان الأمير تميم بن المعز ، ويعرف اليوم بالمشوق ، وهو وقف على رباط الآثار ، ويجاور المشوق بركة الحبش ، وما بين خط

دير الطين وآخر عرض مصر من الجهة القبلىة طرف خط راشدة .

وأما الجهة البحرية من مصر ، فانه يتصل بخط السبع سقايات الدور المطلة على البركة التى يقال لها بركة قارون ، وهى التى تجاور الآن حذرة ابن قميحة ، وهى من جملة الحمراء القصوى ، وبقبلى البركة المذكورة الكوم المعروف بالأسرى ، وهو من جملة العسكر ، وسيرد ان شاء الله تعالى ذكره عند ذكر الكيمان .

ويجاور البركة المذكورة كورة خط الكبش — وقد ذكر في الجبال ، ويأتى ان شاء الله تعالى له خبر عند ذكر الأخطاط — وبلى خط الكبش خط الجامع الطولونى ، وبلى خط الجامع القبيبات وخط المشهد النفيسى . وجميع ذلك الى قلعة الجبل من جملة القطائع .

ذكر أبواب مدينة مصر

وكان لفسطاط مصر أبواب في القديم خربت وتجدد لها بعد ذلك أبواب آخر :

باب الصفاء : هذا الباب كان هو في الحقيقة باب مدينة مصر وهى في كمالها ، ومنه تخرج العساكر وتعب القوافل ، وموضعه الآن بالقرب من كوم الجارح ، وهدم في أيام الملك الظاهر بيبرس .

باب الساحل : كان يقضى بسالكة الى ساحل النيل القديم ، وموضعه قريب من الكبارة .

باب مصر : هذا الباب هو الذى بناه قراقوش ، ومنه يسلك الآن من دخل الى مدينة مصر من الطريق التى تعرف بالمرافة ، وهو مجاور للكوم الذى يقال له كوم المشايق ويعرف اليوم بالكبارة .

وكان موضع هذا الباب غامرا بقاء النيل . فلما انحصر الماء عن ساحل مصر ، صار الموضع المعروف بالمرافة ، والموضع المعروف بغيط الجرف الى موردة الحلفاء ، فضاء لا يصل اليه ماء النيل أبدا .

فأحب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أن يدير سورا يجمع فيه القاهرة ومصر وقلعة الجبل ، فزاد في سور القاهرة ، على يد قراقوش ، من باب القنطرة الى باب الشعبة والى باب البحر ... يريد أن يمد السور من باب البحر الى الكوم الأحمر — الذى هو اليوم حافة خليج مصر تجاه خط بين الزقاقين — ليصل أيضا من الكوم الأحمر الى باب مصر هذا ، فلم يتيأ له هذا ، وانقطع السور عند جامع المقس .

وزاد في سور القاهرة أيضا من باب النصر الى قلعة الجبل فلم يكمل له ، ومد السور من قلعة الجبل الى باب القنطرة خارج مصر ، فصار هذا الباب غير متصل بالسور .

باب القنطرة : هذا الباب في قبلى مدينة مصر . عرف بقنطرة بنى وائل التى كانت هناك ، وهو أيضا من بناء قراقوش * .

(*) مر ٢٤٧ ج ١ ط ١٠٧٧

لحم أن القاهرة العزبة رابع موضع اتفق
سرى السلطة اليه من أرض مصر في اليوم
الاسلامية ، وذلك أن الامارة كانت بمدينة
القطاط ، ثم صار محلها المعسكر خراج
القطاط ، فلما عثرت القطاط صارت دار
الامارة التي هي خربت .

فكان الامراء والمعسكر الى أن قدم القائد
جوهر بـمـكر مولاه الامام العزيز لدين الله
ممد ، فبنى القاهرة حصنا ومعتلا بين يدي
الندية ، وصارت القاهرة دار خلافة يراها
الحنية بحرمه وخواتمه الى أن انقرضت
الدولة الفاطمية .

فسكنها من بعدهم السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب ، وابنه الملك العزيز عثمان ،
وابنه الملك المنصور محمد ، ثم الملك الناصر
أبو بكر بن أيوب ، وابنه الملك الكامل محمد
واتلى من القاهرة الى قلعة الجبل ، فسكنها
بحرمه وخواتمه ، وسكنها الملوك من بعده
الى يومنا هذا .

فصارت القاهرة مدينة سكنى ، بعد ما
كانت حصنا يعتل به ودار خلافة يتجأ اليها ،
فكانت بعد العز ، وابتدأت بعد الاحترام .

وهذا شأن الملوك ، ما زالوا يطمسون
آثار من قبلهم ويبستون ذكر أعدائهم ، فقد
هدموا بذلك السبب أكثر المدن والحصون ،
وكذلك كانوا أيام العجم وفي جاهلية العرب ،
وهم ظنوا ذلك في أيام الاسلام ، فقد هدم
عثمان بن عفان صومعة عثمان وهدم الآرام

التي كانت بالمدينة ، وقد هدم زهد كل قصر
ومصنع كان لابن عمر ، وقد هدم بنو
العباس مدن الشام لبنى مروان .

وانا تأملت البقاع وجدتها
تشتى كما تشتى الرجال وتسمد

وسيتى من أخبار القاهرة ، والكلام على
خفتها وآثارها ، ما تنهى اليه قدرتي ،
ويصل الى معرفته على . وفوق كل ذي علم
عظيم

ذكر ما قيل في نسب الخلفاء الفاطمين بنى القاهرة

اسلم أن التوم كانوا يتسبون الى الحسين
بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما . والناس
فريقان في أمرهم : فريق يثبت صحة ذلك .
وفريق يمنعه وينفيهم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ويرغم أنهم أدعياء من ولد ديصان
البونى الذى ينسب اليه البونة ، وأن ديصان
كان له ابن اسمه ميمون القداح كان له مذهب
في القلو ، فولد ميمون عبد الله .

وكان عبد الله عالما بجميع الشرائع والسنن
والمذاهب ، وأنه رتب سبع دعوات يندرج
الانسان فيها حتى ينحل عن الأديان كلها ،
ويصير معظلا اباحيا لا يرجو ثوابا ولا يخاف
عقابا ، ويرى أنه وأهل نحلته على هدى
وجميع من خالفهم أهل ضلالة ...

وأنه قصد بذلك أن يجعل له أتباعا ، وكان
ينسب الى الامام من آل البيت محمد بن
اسماعيل بن جعفر الصادق ، وأنه كان من

الأهواز ، واشتهر بالملم والتبج ، وصار له
دعاة ، وقصد بالمكروه ، ففر الى البصرة
فاشتهر أمره ، وصار منها الى سلية من أرض
الشام ، فولد له ابن بها اسمه أحمد ومات .

فقام من بعده أحمد ، وبث بالحسين
الأهوازى داعية الى العراق ، فلقى أحمد بن
الاشعث - المعروف بقرط - في سواد
الكوفة ، ودعاه الى مذهبه فأجابه ، وقام
هناك بالأمر . والى قرط هذا تسبب
الترامطة ...

وولد لأحمد بن عبد الله بن ميمون القداح
الحسين ومحمد المعروف بأبى الشلمع . فلما
مات أحمد خلفه ابنه الحسين في الدعوة حتى
مات ، فقام من بعده أخوه أبو الشلمع . وكان
لأحمد بن عبد الله ولد اسمه سعيد فصار تحت
حجر عه ، وبث أبو الشلمع بداعين الى
المغرب ، وهما أبو عبيد الله وأخوه أبو
العباس ، فنزلا في البربر ودعواهما .

واشتهر سعيد بسلمية بعد موت عه ،
وكثر ماله فطالبه السلطان ، ففر من سلمية الى
مصر يريد المغرب . وكان على مصر عيسى
النوشري ، فورد عليه كتاب الخليفة ببغداد
بالتبض عليه فقاته ، وصار بسلمية في رى
التجار . فبعث المعتضد من بغداد في طلبه ،
فأخذ وجلس حتى أخرجه أبو عبد الله الشيبى
من محبته .

فسمى حينئذ بعبيد الله ، وتكنى بأبى
محمد ، وتلقب بالمهدى ، وصار اماما علويا
من ولد محمد بن جعفر الصادق ، وانما هو

سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن
ميمون القداح بن ديصان البونى الأهوازى ،
وأصله من الجوس ... فهذا قول من ينكر
نسبهم .

وبعض منكرى نسبهم في العلوية يقول :
أن عبيد الله من اليهود ، وأن الحسين بن أحمد
المذكور تزوج امرأة يهودية من نساء سلمية ،
كان لها ابن من يهودى حناني مات وترك لها ،
فرباه الحسين وأدبه وعلمه ، ثم مات عن غير
ولد فمهد الى ابن امراته هذا ، فكان هو
عبيد الله المهدى .

وهذه أقوال ان أنصت تبين لك أنها
موضوعة ، فان بنى على بن أبى طالب رضى
الله عنه قد كانوا اذ ذاك على غاية من وفور
المدد وجلالة القدر عند الشيعة ، فما العامل
لشيعتهم على الاعراض عنهم والدعاء لابن
مجوسى أو لابن * يهودى ، فهذا ما لا يفضله
أحد ولو بلغ الناية في الجهل والسفخ .

وانما جاء ذلك من قبل ضفة خلفاء بنى
العباس عند ما غصوا بمكان الفاطمين ، فانهم
كانوا قد اتصلت دولتهم فحسوا من مائتين
وسبعين سنة ، وملكوا من بنى العباس بلاد
المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين
واليمن ، وخطب لهم ببغداد نحو أربعين
خطبة .

وعجزت عساكر بنى العباس عن مقاومتهم
فلأنت حينئذ بتغير الكافة عنهم باشاعة الطعن
في نسبهم ، وبث ذلك عنهم خلفاؤهم ، وأعجب
به أولياؤهم وأمراء دولتهم الذين كانوا
يعاربون عساكر الفاطمين كي يدفعوا بذلك
(هـ) ص ٢٨٨ ج ١ ، ط ١٩٧٠ .

عن اسمهم وملكهم معرفة المعجز عن
مادتهم ، ومنهم عما حبوا عليه من غبار
مصر والشام والعرب حتى الشتر ذلك
يعد .

والحق الصداقة بينهم من قبل المولى ،
وتعهد بدلت من ايام الناس جيدة ، منهم
الشريفة الرضى وخرمى وابو حامد
الاسرى ، وسورى في حنة وحرمة ، عمن
يجمعو بدلت في سنة ثمان واربعة ايام
الامر .

وكانت شهرة القوة في ذلك على الساع ،
في شهر وخريف بين الناس بغيره . وانته
انهم شيعة بني العباس المأثرون في هذا
الجب ، والسيوف من بني علي بن ابي
طالب ، المأثرون بغيره من ابناء دولتهم
الماثين الشيعة . فليس الاخيرون وان
الاربع مائة كسوة ، ورووه حسب
لقوه من غير تدوير .

والحق من وراء هذا . وكانت يكتف
الملك من حركات بني العباس حدة . وله
كف في شال عبيد الله الى اس لانه
والسيوف من مزار بسجاسة بالكل شي
فيه الله .

مصر - نزل الله - الصحة هذه
العهدة . من العتمة لولا صحة لب عبيد
الله ما كتب في ذكره بالكل شي . ان
القوم حيث لا يتناول لشيء البتة . ولا
يتناول له بوجه ، ولا يتناول في كل
سنة بعد ما وقع . وهو كل عام من
الاشياء لا مرة يفكر . ولا حدة على شيعة
من صبيح الاربع .

وانما كان قوم - انحنى بنى على بن ابي
طالب - تحت زعم الحوف من بني العباس
فعلهم نعم في كل وقت ، وقصدتهم ايامهم
رأى باجوع من العذب ، فصاروا ما بين طريد
شدة ون غلقة يترقب . ومع ذلك فن
تجميعهم الكثيرة الشرة في اقطارهم ، من
شعبة بهم والاقبال عليهم ، ما لا مراد عليه .

وتكرر قيام الرجل منهم مرة بعد مرة ،
والطب عليهم من ورثهم ، فادوا بالاختفاء
وهو يكرهوا يعرفون ، حتى تسمى معده بن
الدين الامام ، جد عبيد الله المهدي ،
بمكوه ... ساء بذلك الشيعة عند اندهم
في حدة حفر من شغلين عليهم .

وكانت الشيعة فرقا : فمنهم من كان يذهب
الى ان الامام من ولد جعفر الصادق هو
الدين ابيه ، وهؤلاء يعرفون من بين فرق
الشيعة بالاساطيلية من اجل انهم يرون ان
الامام من بعد جعفر ابنه اساطيل ، ون
الامام بعد اساطيل بن جعفر الصادق هو ابنه
محمد المكوم ، وبعد ايه محمد المكوم ايه
جعفر الصادق ، ومن بعد جعفر الصادق ابنه
محمد الحبيب . وكانوا اهل غلو في دعويهم
في هؤلاء الائمة ، وكان محمد بن جعفر هذا
يؤمن ظهوره ، وله يصير له دولة .

وكان يالين من اهل هذا المذهب كبير ،
ومن وافرقة وفي كرامة وغرة ، تلقوا ذلك
من عهد جعفر الصادق . فقدم على محمد بن
جعفر والله عبيد الله رجل من شيعة يالين ،
فبعث معه الحسن بن حوشب في سنة ثمان
ومئين ومائتين ، فمهرامهم يالين ،

ومهرام الدعوة في سنة سبعين ، وصار لابن
حوشب دولة بضماء ، وث الدعاة باقطار
الارض ، وكان من جملة دعائه ابو عبد الله
الشيبي ، فسيره الى المغرب فلقى كرامة
ودعاهم .

فلما مات محمد بن جعفر عهد لابنه عبيد
الله ، فطلبه المكتفى العباسي . وكان يسكن
عكر مكرم ، فسار الى الشام ، ثم سار الى
المغرب ، فكان من امره ما كان .

وكانت رجال هذه الدولة الذين قاموا
ببلاد المغرب وديار مصر ١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ عشر
رجلا .

هذه خلاصة اخبارهم في انسابهم ، فتفنن
ولا تقتصر يزخر القول الذي لقوه من الطعن
فيهم . والله جدى من يشاء .

ذكر الخلفاء العاطميين

وكان ابتداء الدولة العاطمية : ان ابا عبد
الله الحسين بن احمد بن محمد بن زكرياء
الشيبي ، سار الى ابي القاسم الحسين بن
فرج بن حوشب الكوفي القائم ببلاد اليمن ،
وصار من كبار اصحابه وله علم وعنده دهاء
ومكر .

فورد على ابن حوشب من المغرب خبر
موت العلواني داعيه في المغرب ورفيقه ،
فقال لابي عبد الله الشيبي : قد خرب
العلواني وابو يوسف بلاد المغرب وقد ماتا ،
وليس للبلاد الا انت فانها موطاة مهدة .

(١) حكاه بعض بالاصل . انه اربعة عشر رجلا .
يؤخذ من بعض التواريخ . انه .

فخرج ابو عبد الله الى مكة ، وقصد
حجاج كرامة فجلس قريبا منهم ، وسمهم
يتحدثون بنفائل البيت فحدثهم في معناه ،
فسالوا اليه وسالوه ان ياذن لهم في زيارته ،
فلما زاروه سالوه عن مقصده ، فلم يخبرهم
واوهمهم انه يريد مصر ، فساروا بصحبته
ورحلوا وهو رفيقهم ، فشهدوا من عبادته
وزعمه ما زادهم رغبة فيه . هذا وهو يسألهم
عن احوالهم وفياتهم حتى صار يعرف جميع
امورهم .

فلما وصلوا مصر ، هضم بفارقتهم ،
فقالوا : اي شيء تطلب من مصر ؟
فقال : اطلب التعليم بها .

فقالوا : اذا كان قصدك هذا فبالدنا اقم
لك . وما زالوا به حتى سار معهم .

فلما وصلوا بلادهم اقترحوا فيمن يضيفه
منهم ومن بقية اصحابهم ، ووصلوا به ارض
كرامة للنصف من ربيع الاول سنة ثمان
ومائتين ومائتين ، وكادوا يحترقون عليه اهم
ينزل عنده .

فابى ان ينزل عندهم ، وقال : اين يكون
فج الاخيار ؟
فمجبوا لذلك اذ لم يكونوا ذكروه له
قط ، فدلوه عليه .

فسار اليه وقال : هذا فج الاخيار ، وما
سى الابكم . ولقد جاء في الآثار للهمدي
هجرة عن الاوطان ينصره فيها الاخيار من
اهل ذلك الزمان . قوم اسمهم مشتق من
الكتمان . وبخروجكم في هذا الفج سى
فج الاخيار .

(٢) من ٢٢١ ج ١ ، ط ١٠٠٠٠

فصامت به القبائل وأتوه ، فعمم أمره وهو لا يذكر اسم المهدي البتة .

فبلغ خبره إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أمير أفرقية ، فبحث يسأل عن خبره ، وكانت له معه قصص آلت إلى قيام أبي عبد الله ومحاربت له لمن خالفه ، فظفر بهم وصارت إليه أموالهم ، وغلب على مدائن ، وهزم جيوش ابن الأغلب ، وقتل كثيرا من أصحابه .

فمات إبراهيم بن الأغلب ، وولى زيادة الله ابن الأغلب ، وكان كبير اللهو ، فقوى أمر أبي عبد الله ، وانتشرت جنوده في البلاد ، وصار يقول : المهدي يخرج في هذه الأيام ويملك الأرض ، فيأطوي لمن هاجر إلى وأطاعني وبغى الناس زيادة الله بن الأغلب وبغيه ، وكان أكثر خواص زيادة الله شيعة ، فلم يكن يسوءهم ظفر أبي عبد الله .

وأكثر من ذكر كرامات المهدي والارسل إلى أصحاب زيادة الله إلى أن تمكن ، فبحث برجال من كتامة إلى سلمية من أرض الشام ، فقدموا على عبيد الله وأخبروه بما فتح الله عليه — وكان قد اشتهر هناك وطلبه الخليفة المكتفي — فخرج من سلمية فارا ، ومعه ابنه أبو القاسم زار ، ومعهما أهلها ومواليهما فأقاما بمصر مستترين .

فوردت على عيسى النوشري ، أمير مصر ، الكتب من بغداد بصفة عبيد الله وحليته ، وأنه يأخذ عليه الطريق ويقبضه . فبلغ ذلك عبيد الله فخرج والأعوان في طلبه . ويقال إن النوشري ظفر به ، فنأشده الله في أمره ، فخلى عنه ووصله .

فصار إلى طرابلس وقد سبق خبره إلى زيادة الله ، فصار إلى قسطنطينية ، فقدم كتاب زيادة الله بن الأغلب إلى عامل طرابلس بأخذ عبيد الله وقد فاتهم فلم يدركوه .

فرحل إلى سلجاسة وأقام بها ، وقد أقيمت له المراصد بالطرقات ، فتلف باليسع ابن مدرار صاحب سلجاسة وأهدى إليه ، فكف عنه . ووافاه كتاب زيادة الله بالقبض على عبيد الله ، فلم يجد بدا من أن قبض عليه وسجنه .

واشتغل زيادة الله بجمع العساكر لمحاربة أبي عبد الله وتجهيزهم إليه ، فغلبهم أبو عبد الله ، وغنم سائر ما معهم ، وقتل أكثرهم . وبلغه ما كان من سجن عبيد الله ، فكتب إليه يشره ، فوصل إليه الكتاب وهو بالسجن مع قصاب دخل به إليه وهو يبيع اللحم .

وما زال أبو عبد الله يضابق زيادة الله إلى أن فر إلى مصر ، وقام من بعده إبراهيم بن الأغلب ، فلم يتم له أمر .

وملك أبو عبد الله القيروان ، ونزل برقادة مستهل رجب سنة ست وتسعين ومائتين ، فأمر وبه ، وبث العمال في الأعمال ، وقتل من يخاف شره ، وأمر فنقش على السكة في أحد الوجهين « بلفت حجة الله » ، وفي الآخر « تفرق أعداء الله » ، ونقش على السلاح « عدة في سبيل الله » ، ووسم الخيل على أفخاذها « الملك لله » ، وأقام على ما كان عليه من لبس الخشن الدون وتناول القليل الفليط من الطعام .

فلما دخل شهر رمضان سار من رقادة ، في جيوش عظيمة اهتز لها المغرب بأسره ، يريد سلجاسة ، فعاربه اليسع يوما كاملا إلى الليل ، ثم فر في خاصته .

فدخل أبو عبد الله من القد إلى البلد ، وأخرج عبيد الله وابنه ، ومضى في ركبهما بجميع رؤساء القبائل وهو يقول للناس : هذا مولاكم ، وهو ييكن من شدة الفرح ، حتى وصل بهما إلى قسطنطينية في العسكر فأزلهما فيه ، وبث الخيل في طلب اليسع ، فأدركته وجاءت به فقتله .

وأقام عبيد الله بسلجاسة أربعين يوما ، ثم سار إلى أفرقية في ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ، ونزل برقادة ، وأمر يوم الجمعة أن يذكر في الخطبة ، وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين .

فدعى له في جميع البلاد بذلك ، وجلس بعد الصلاة الدعاة ، ودعوا الناس كافة إلى مذهبهم . فمن أجاب قبل منه ، ومن أبى قتل .

وعرض جوارى زيادة الله ، واختار منهم لنفسه ولولده ، وفرق بما بقي على وجوه كتامة ، وقسم عليهم أعمال أفرقية ، ودون الدواوين ، وجبى الأموال ، ودانت له البلاد .

فشق ذلك على أبي عبد الله ، ونافس المهدي ، وحسده من أجل أنه كف يده ويد أخيه أبي العباس ، فعظم عليه النظام عن الأمر والنهي والأخذ والعطاء .

وأقبل أبو العباس يزري على المهدي في مجلس أخيه ، ويؤوب أخاه على ما فعل حتى

أثر في نفسه ، فقال المهدي أن يفوض إليه الأمور ويجلس في القصر .

وكان قد بلغ المهدي ما يجهر به أبو العباس من السوء في حق ، فرد أبا عبد الله ردا لطيفا ، وأسرهما في نفسه .

وأكثر أبو العباس من قوله حتى أغرى المقدمين بالمهدي ، وقال : ما هذا بالذي كنا نعتقد طاعته وندعو إليه ، لأن المهدي يأتي بالآيات الباهرة .

فقال إليه جماعة ، وواجه بعضهم المهدي بذلك ، وقال له : إن كنت المهدي فأظهر لنا آية ، فقد شككنا فيك .

فبعد ما بين المهدي وبين أبي عبد الله ، وأوجس كل منهما في نفسه خيفة من الآخر ، وأخذ أبو العباس يدبر في قتل المهدي ، والمهدي يحل ما كان يرمه ، ثم وتب رجالا .

فلما ركب أبو عبد الله وأخوه إلى قصر المهدي ثار بهما الرجال ، فقال أبو عبد الله : لا تفعلوا . فقالوا له : إن الذي أمرتا بطاعته أمرنا بقتلك .

فقتل هو وأخوه للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة . فثارت فتنة بسبب قتلها ، فركب المهدي حتى سكنت ، وتبع جماعة منهم فقتلهم .

فلما استقام له الأمر ، عهد إلى ابنه أبي القاسم ، وتبع بني الأغلب فقتل منهم جماعة .

(ب) من سنة ٢٠٥٠ ج ١ ، طبع في

وجوز في سنة إحدى وثلاثمائة به أبو القاسم
بالحرب إلى مصر ، فأخذ بركة ولاسكندرية
واليوم . وكانت له مع عساكر مصر وعساكر
العراق الواردة إلى مصر مع مؤنس الخادم
عدة حروب ، وعاد إلى القرب .

فجهز القيس في سنة اثنين وثلاثمائة حجة
يجيوش إلى مصر ، فلقب على الاسكندرية ،
وكان من أمره ما تقدم ذكره .

وكان للمهدي يولد القرب عدة حروب .

وكان يوجد في السكب خروج أبي يزيد
السكرى على دولته . فبنى القهية ، ودار
عليها سوراً جعل فيه أبواباً زينة كل مصراع
منها مائة قطار من الحديد ، وكان ابتداء بنائها
في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وبنى
المصلى بظهره . وقال : إلى هنا يصل صاحب
الحدار (يعني أبا يزيد) فكان كذلك . وأثناء
صناعتها فيها تسعة شوية ، وقال : لما بنيت
هذه لتعظم القوائم بها ساعة من نهار ،
فكان كذلك .

ثم إنه جاز ابنه أبا القاسم في سنة ست
وثلاثمائة على جيش إلى مصر ، فأخذ
الاسكندرية ، ومنك جزيرة لأشموين وكثيراً
من صعيد مصر ، وكانت هناك حروب مع
عساكر مصر والعراق ، ثم عاد إلى القرب .

وخرج أبو القاسم في سنة خمس عشرة
بالحجوش إلى القرب ، فحارب قوماً وعاد .

فمات عبيد الله في ليلة الثلاثاء متصفاً
شهر ربيع الأول سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة ،
بالمهدي من القيروان عن ثلاث وستين سنة .

وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وشهراً
وعشرين يوماً . ولما مات أخفى ابنه موته

وقام من بعده عبيد الله المهدي ولي عهده
عنه . ثم أمر الله أبو القاسم محمد - وقال
كان اسمه بالشرق عبيد الرحمن ، فسمى في
بلاد القرب بمحمد - وذلك بسلبية في
أحرم سنة ثمانين ومائتين . فلما فرغ من
جميع ما يريد وتوكل ، ظهر موت أبيه .

واستل بالأمر وله سبع وأربعون سنة ،
ونبع سيرة أبيه ، ودار عليه جماعة ففقر بهم ،
وبت جيوشه في البر والبحر فسبوا وغنموا من
بند جنوة ، وبنت جيشاً إلى مصر ، فملكوا
الاسكندرية والاشييد يومئذ أمير مصر .

فلما كان في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ،
خرج عليه أبو يزيد مخلص بن كندار النكاري
الخارجي بفريقية ، واشتدت شوكة ، وكثرت
تباينه ، وهزم جيوش القائم غير مرة ، وكان
مذهبه تكثير أهل الملة واراقة دمائهم ديانة ،
فملك باجة وحرقتها ، وقتل الأتقال وسبي
السوان ، ثم ملك القيروان .

فاضطرب القائم ، وخاف الناس ، وهما
بالنقطة من زويلة .

وقوى أمر أبي يزيد ، ونازل المهدي وحصر
القائم بها ، وكاد أن يلقب عليها . فلما بلغ
المصلى حيث أشار المهدي أنه يصل ، هزمه
أصحاب القائم ، وقتلوا كثيراً من أصحابه .

وكانت له قصص وأنباء ... إلى أن مات
القائم ثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع
وثلاثين وثلاثمائة ، عن أربع وخمسين سنة .

وسبعة أشهر ، ولم يرق منبراً ، ولا ركب دابة
لمزيد مدة خلافته حتى مات ، وصلى مرة
على جنازة ، وصلى بالناس العيد مرة واحدة .

وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة وستة
أشهر وأياماً ، وترك أبا الظاهر اسماعيل
وأبا عبيد الله جعفرًا وحزوة وعدنان وعدة آخر .

وقام من بعده ، ابنه المنصور بمصر الله .
أبو الظاهر اسماعيل ، وكنم موت أبيه خوفاً
أن يعلم أبو يزيد فانه كان قريباً منه ، وأبني
الأمور على حالها ، ولم يتسم بالخليفة ، ولا
غير السكة ولا الخطبة ولا النبوة ، وجد في
حرب أبي يزيد حتى ظهر به ، وحمل إليه ،
فمات من جراحات كانت به سلخ المحرم سنة
ست وثلاثين وثلاثمائة .

ولم يزل المنصور إلى أن مات سلخ شوال
سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، عن إحدى
وأربعين سنة وخمسة أشهر . وكانت مدة
خلافته ثمان سنين ، وقيل سبع سنين وعشرة
أيام . وقد اختلف في تاريخ ولادته : فقيل
ولد أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث
وثلاثمائة بالمهدي ، وقيل بل ولد في سنة
اثنين ، وقيل سنة إحدى وثلاثمائة .

وكان خفياً بليلاً يرتجل الخطه لوفته .
شجاعاً عاقلاً .

وقام من بعده ابنه المعز لدين الله أبو تميم
معد وعمره نحو أربع وعشرين سنة ، فانه
ولد للنصف من رمضان سنة سبع وخمسة
وثلاثمائة ، فاقاد إليه البربر وأحسن إليهم ،
فعمم أمره .

(*) ص ٢٥١ ج ١ ، ط. بولاق .

واختص من مواله بجوهراً ، وكناه بأبي
الحسين ، وأعلى قدره ، وصيره في رتبة
الوزارة ، وعقد له على جيش كنيف ، فيهم
الأمير زيري بن منساذ الصنهاجي . فدوخ
المغرب ، وافتتح مدنا ، وقهر عدة أكابر
وأسرهم ، حتى أتى البحر المحيط فأمر
باضطياد سكة منه ، وسيرها في قلة من ماء
إلى المز إشارة إلى أنه ملك حتى سكان البحر
المحيط الذي لا عارة بعده ، ثم قدم لخالصا
مظفراً ، فعمم قدره عند المعز .

ولما كان في بعض الأيام ، استسقى المعز
في يوم شات عدة من شيوخ كامة ، فدخلوا
عليه في مجلس قد فرش بالبسود ، وحوله
كساء وعليه حبة ، وحوله أبواب مفتحة تفضي
إلى خزائن كتب ، وبين يديه دواة وكتب ،
فقال :

يا أخواتنا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء
والبرد ، فقلت لأم الأمراء - وألها الآن بحيث
تسمع كلامي - أترى أخواتنا يظنون أنا في
مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ، وتقلب في
الثقل والديباج والحرير والفنك والسمور
والمسك والخمر والقباء كما يفعل أرباب
الدنيا ...

ثم رأت أن أتخذ اليكم فأحضرتكم
لتشاهدوا حالي إذا خلوت دونكم واحتجبت
عنكم ، وأني لا أفضلكم في أحوالكم إلا بما
لا بد لي منه من دنياكم ، وبما خصني الله به
من إمامتكم ، وأني مشغول بكتب ترد على
من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطي ، وأني
لا أشتغل بشيء من ملاذ الدنيا ، إلا بما

هوية أولادكم ، وصبر بآذانكم ، ومثل
نفسكم ، وضع أيمانكم .

فصروا يسيروا في حوائكم مثل ما أمركم ،
ولا تطغوا بالكبر والتجبر ، فيترفع الله العدة
عليكم ، ويهلككم ، ويهلككم ، ويهلككم ،
يهلككم من لا يصل إلى كبحتي عليكم ،
ليتمن في الناس الجليل ، ويكثر الخير ،
ويكثر الخير .

وقبلوا بصد على مسالككم ، والزموا
الولادة التي تكون لكم : ولا تشرهوا إلى
تكثر من الرغبة فيكم ، فيتفقد عيشكم ،
وتعود الضررة عليكم ، وتهلكوا أيمانكم ،
وتذهب قوتكم وتذهب قوتكم ، فصب
الرجل الواحد الولادة ، ومن محتاجون إلى
نصرتكم يؤنسكم وشوقكم .

وتعلموا أنكم أنتم ما أمركم به ،
رجوت أن يقرب الله علينا أمر الشرق كما قرب
أمر المغرب بكم ، فخرجوا وحكم الله
وعزكم . فخرجوا عنه .

ولستى يوما أنا جعفر حين بن مهذب
منصب بيت المال - وهو في وسط القصر قد
يضي على صندوق ، وفي يده ألوف مناديق
مبنية - قال له : هذه مناديق مال ، وقد
شئت على تربيها فأنظرها وربها .

قال : فأخذت أجمعها إلى أن صارت
ربية ، وفي يده جماعة من خدام بيت المال
والقرايين ، فأخذت إليه أظنه ، فأمروا برفعها
في الخزائن على تربيها ، وأن يفتق عليها
وتختم بخاتمه ، وقال : قد خرجت عن خاتمتنا
وصارت إليك . فكانت حبتها أربعة وعشرين

ألف ألف دينار ، وذلك في سنة سبع وخمسين
وثلاثة ، فأنقضا أجمع على المسائر التي
سيرها إلى مصر من سنة ثمان وخمسين إلى
سنة اثنين وستين وثلاثة .

وما أخذ في تجهيز جوهر بالمساكر إلى أخذ
دينار مصر ، حتى نهيا أمره ورز طسير ،
بنت حمز خفيها المتقبي إلى شيوخ كرامة
يقول : يا أخواتي قد رأينا أن تفلح رجلا إلى
بذل كرامة يقيمون بينهم ، وأخذون
صدقاتهم ومراميتهم ، ويحفظونها عليهم في
بلادهم ، فإذا احتجنا إليها أنقذا خلتها
فاستما بها على ما نحن بسيله .

فقال بعض شيوخهم لخفيف لما بلغه ذلك :
قل لولاء والله لا نقصا هذا أبدا ، كيف تؤدي
كرامة الجزية ، وصير عليها في الديوان
ضريبة ، وقد نزعها الله قديما بالاسلام ،
وحديثا معكم بالإيمان ، وسيوفنا بقاتلهم
في الشرق والمغرب ؟

فعاد خفيف إلى المز بذلك ، فامر بلخضار
جماعة كرامة ، فدخلوا عليه وهو راكب
قرص ، فقال : ما هذا الجواب الذي صدر
عنكم ؟

فقالوا : هذا جواب جماعتنا ، ما كنا
بأمولاء بالذي يؤدي جزية تبقى علينا .

فقام المز في ركابه وقال : بارك الله فيكم ،
نكهننا أردت أن تكونوا ، وأنا أردت أن
أختبركم فأنظر كيف أتم بعدي .

فصار جوهر ، وأخذ مصر كما قد ذكر في
ترجعت عند ذكر سور التاهرة من هذا
الكتاب .

فلما ثبت قدم جوهر بمصر ، كتب إليه
المز جوابا عن كتابه : وأما ما ذكرت يا جوهر
من أن جماعة بني حمدان وصلت إليك كتبهم
يبدلون الطاعة ، ويصدون بالمسارعة في المسير
إليك ، فاسمع لما أذكرك لك : احذر أن
تبتدىء أحدا من آل حمدان بمكاتبة ترهبا
له ولا ترغيبا ، ومن كتب إليك كتابا منهم
فأجبه بالحسن الجليل ولا تستدنه إليك ،
ومن ورد إليك منهم فأحسن إليه ، ولا تمكن
أحدا منهم من قيادة جيش ولا ملك طرف ..
فبنو حمدان يتظاهرون بثلاثة أشياء عليها
مدار العالم وليس لهم فيها نصيب : يتظاهرون
بالتدين وليس لهم فيه نصيب ، ويتظاهرون
بالكرم وليس لولمعد منهم كرم في الله ،
ويتظاهرون بالشجاعة ، وشجاعتهم للدنيا
لا للأخرة ... فاحذر كل احذر من الاستناد
إلى أحد منهم .

وما عزم المز على المسير إلى مصر ، أجل
فكره فيمن يخلفه في بلاد المغرب ، فوقع
اختياره على جعفر بن علي الأمير ، فاستدعاه
وأمر إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب .

فقال : تترك معي أحد أولادك أو أخوتك
يجلس في القصر وأنا أدبر ، ولا تسألني عن
شيء من الأموال لأن ما أجيبه يكون بإزاء
ما أنقته من الأموال ، وإذا أردت أمرا فعلته
من غير أن أقرر ورود أمرك فيه لئلا ما بين
مصر والمغرب ، ويكون تقليد القضاء
والخراج وغيره إلى .

فغضب المز وقال : يا جعفر عزلتني عن
ملكى ، وأردت أن تجعل لي فيه شريكا في

أمرى ، واستبدت بالأعمال والأموال دولي .
ثم فقد أخفات حثك ، وما أصبت رشداك ...
فخرج عنه .

ثم انه استدعى يوسف بن زري الصنهاجي
وقال له : تأهب لخلافة المغرب .

فأكبر ذلك وقال : يا مولانا أنت وآباؤك
الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما صفا لكم المغرب ، فكيف يصلو لي
وأنا صنهاجي بربري ؟ قلتني يا مولانا بغير
سيف ولا رمح .

فما زال به المز حتى أجاب بشرطة أن المز
يولي القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ،
ويجعل الحيز لمن يثق به ، ويحمله قائما بين
أيدي هؤلاء ، فمن استعص عليهم بأمره
هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب ، ويكون
الأمر لهم ، ويصير كالخادم بين أولئك ...
فأجاب المز ما قال وشكره .

فلما انصرف قال أبو طالب بن القائم بآمن
الله للمز : يا مولانا ، وتثق بهذا القول من
يوسف ، وأنه يقوم بوفاء ما ذكر ؟

فقال المز : يا نعمنا ، كم بين قول يوسف
وقول جعفر ، فاعلم يا نعم أن الأمر الذي طلبه
جعفر ابتداء هو آخر ما يصير إليه أمر
يوسف ، وإذا تطاولت المدة سينفرد بالامر ،
ولكن هذا أولا أحسن وأجود عند ذوى
العقل ، وهو نهاية ما يفعله .

وكانت أم الأمراء قد وجهت من المغرب
صبية لتباع بمصر ، فعرضها وكيلها في مصر
للبيع ، وطلب فيها ألف دينار . فحضر إليه

في بعض الأيام امرأة شابة على حمار لتقلب الصية ، فساوت فيها وإبتاعتها منه بمائة دينار ، فإذا هي ابنة الأخشيدي محمد بن طنج ، وقد بلغها خبر هذه الصية ، فلما رأتها شغفتها حبا فاشتريتها لتستمتع بها .

فعاد الوكيل الى المغرب وحدث الممزر بذلك فاحضر الشيوخ ، وأمر الوكيل فقص عليهم خبر ابنة الأخشيدي مع الصيبة الى آخره ، فقال الممزر : يا اخوانا انفضوا الى مصر ، فلن يحول بينكم وبينها شيء ، فان القوم قد بلغ بهم الشرف الى ان صارت امرأة من بنات الملوك فيهم تخرج بنفسها وتشتري جارية لتستمتع بها ، وما هذا الا من ضعف نفوس رجائهم وذهب غيرتهم ، فانهضوا لمسيرة اليهم .

فقالوا : السمع والطاعة .

فقال : خذوا في حوايجكم . فنحن تقدم الاختيار لمسيرتنا ان شاء الله تعالى .

وكان قبصر ومقر الصقليين قد بلغا رتبة عظيمة عند المنصور وولد الممزر ، وكان الممزر يدل على الممزر من أجل أنه علمه الخط في صفه ، فعرد عليه مرة وولى ، فسمعه الممزر يتكلم بكلمة صقلية امتراب منها ، ولقنها منه وأنت نفسه من السؤال عن معناها . فأخذ يحفظ اللغات : فابتدأ بتعلم اللغة البربرية حتى أحكمها ، ثم تعلم الرومية والسودانية حتى أتقنها ، ثم أخذ يتعلم الصقلية ، فمرت به تلك الكلمة ، فإذا هي صبي قبيح ، فأمر بمقتله فقتل من أجل تلك الكلمة .

وبلغه أمر الحرب التي كانت بين بني حسن وبني جعفر بالحجاز ، حتى قتل من بني حسن أكثر من قتل من بني جعفر ، فأنفذ مالا ورجالا في السر ما زالوا بالطائفتين حتى اصطلحا ، وتحلل الرجال عن كل منهما الحملات ، فجاء الفضل في القتل لبني حسن عند بني جعفر نحو سبعين قتيلا ، فأدوا عنهم ، وعقدوا بينهم الصلح في الحرم تجاه الكعبة ، وتحملوا عنهم الديار من مال الممزر ، وكان ذلك في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة .

فصارت هذه القملة يدا عند بني حسن للممزر . فلما ملك جوهر مصر ، يادر حسن ابن جعفر الحسني بالدعاء للممزر في مكة ، وبعث الى جوهر بالخبر ، فسير الى الممزر يعرفه بأقامة الدعوة له بمكة ، فأنفذ اليه بتقليده الحرم وأعماله .

وصار الممزر يماكره من المغرب حتى نزل بالجيزة ، فعقد له جوهر جيرا جديدا عند المختار بالجزيرة ، فسار عليه ، وقد زينت له مدينة النسطر فم يشقها ، ودخل الى القاهرة بجميع أولاده وأخوته وسائر أولاد عبيد الله المهدي وبتوايت آبائه ، وذلك لسبع خلون من رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة .

فعندما دخل القصر صلى ركعتين ، فاقتدى به من حضر ، وبات به ، ثم أصبح فجلس للهناء ، وأمر فكتب في سائر مدينة مصر « خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب » ، وأثبت اسم الممزر لدين الله واسم أبيه عبيد الله الأمير ، وجلس في القصر على السرير .

الذهب ، وصلى بالناس صلاة عيد القطر في المصلى ، فسبح في كل ركعة وفي كل سجدة ثلاثين تسبيحة ، ثم خطب بعد الصلاة .

وزكب لفتح خليج مصر يوم الوفاء ، وعمل عيد غدير حم ، ومات بعض بني عمه فصرى عليه وكبر سبعا ، وكبر على ميت آخر خمسا . وقدمت القرامطة الى مصر ، فسير اليهم الجيوش وهزموهم .

وما زال الى أن توفي من غلة اعتلها بعد دخوله الى القاهرة بستين وسبعة أشهر وعشرة أيام ، وعمره خمس وأربعون سنة وستة أشهر تقريبا . فان مولده بالمهدية في حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة ، ووفاته بالقاهرة لأربع عشرة خلت من ربيع * الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة ، وكانت مدة خلافته بالمغرب وديار مصر ثلاثا وعشرين سنة وعشرة أيام .

وهو أول الخلفاء القاطنين بمصر واليه تنسب القاهرة الممزية ، لأن عبده جوهرا القائد بناها حسب ما رسم له كما ذكر في خبر بنائها .

وكان الممزر عالما فاضلا جوادا حسن السيرة ، منصفا للرعية ، مغرما بالنجوم ، أقيمت له الدعوة بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين وبعض أعمال العراق .

وقام من بعده ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار ، فأقام في الخلافة احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفا ، ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر

(*) من ٢٥٢ هـ ، ١٠٠٠ م . بولاق .

يوما ، في الثامن والعشرين من رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة ، بمدينة بليس وحمل الى القاهرة .

وقام من بعده ابنه الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور ، وكانت مدة خلافته الى أن فقد خمس وعشرين سنة وشهرا ، وفقد وعمره ست وثلاثون سنة وسبعة أشهر في ليلة السابع والعشرين من شوال سنة احدى عشرة وأربعمائة . وقد بسطت خبر العزيز والحاكم عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب .

وقام من بعده ابنه القاهر لا عزاز دين الله أبو الحسن علي بن الحاكم بأمر الله . ولد بالقاهرة يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمائة ، وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة احدى عشرة وأربعمائة وعمره ست عشرة سنة .

فخرج الى صلاة العيد وعلى رأسه المظلة وحوله المساكر ، وصلى بالناس في المصلى ، وعاد فكتب بخلافته الى الأعمال .

وشرب الخمر ، ورخص فيه للناس وق سماع الفناء ، وشرب القنقاع ، وأكل اللوخيا وجميع الأسماك ، فأقبل الناس على اللهو .

ووزر له الخشير رئيس الرؤساء أبو الحسن عمار بن محمد ، وكان يلي ديوان الانشاء وغيره ، واستوزره الحاكم الى أن فقد ، فتولى اليمة للظاهر ، ثم قتل بعد سبعة أشهر في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة .

فاستوزر بعده بدر الدولة أبا الفتح موسى بن الحسين ، وكان يتولى الشرطة ،

ثم ولى ديوان الانشاء بعد ابن حيران ،
وصرف عن الوزارة في المحرم سنة ثلاث
عشرة ، وقبض عليه في شوال وقتل ، فوجد
له من العين مائة ألف دينار وعشرون ألف
دينار .

وولى بعده الوزارة الأمير شمس الملوك
المكين محمود بن طاهر .

وفي سنة أربع عشرة قلد منتخب الدولة
الدرزى متولى قيارية ولاية فلسطين ،
فكانت له مع حسان بن مفرح بن جراح
الطائي حروب .

وفيها نزع السر بمصر ، وتمذر وجود
الجز .

وفي المحرم سنة خمس عشرة لقب الخادم
الأسود معضاد ، بالقائد عز الدولة وسائها
أبى الفوارس معضاد الطاهر ، وخلع عليه .

ونار رجل من بنى الحسين ببلاد الصعيد
فقبض عليه ، وأقر أنه قتل الحاكم بأمر الله ،
ووجد معه قطعة من جلد رأسه وقطعة من
الثوب التي كانت عليه ، فسل عن سبب قتله
أيام ، فقال : غرت فة وللإسلام . ثم قتل
فقه بكين كانت معه ، فقطعت رأسه
وسيرت الى القاهرة .

وفيها اشتد الفلاء بمصر ، وكثر نقص
النيل .

وفيها قرر الشريف الكبير المجبى والشيخ
نجيب الدولة الحرراى والشيخ العبيد
محسن بن بدوس مع القائد معضاد ، ألا
يلخل على الطاهر أحد غيرهم ، وكانوا

يدخلون كل يوم خلوة ، ويخرجون
فيتصرفون في سائر أمور الدولة والظاهر
مشغول ببلذاته .

وصار شمس الملوك مظفر صاحب المظلة ،
وابن حيران صاحب الانشاء ، وداعى لدعاة ،
ونقيب نقباء الطالبين ، وقاضى القضاة ،
وبسا دخلوا على الطاهر في كل عشرين يوما
مرة ، ومن عداهم لا يصل الى القاهرة البتة .
والثلاثة الأول هم الذين يقضون الأشغال ،
ويمنون الأمور بعد الاجتماع عند القائد
معضاد .

ومنع الناس من ذبح الأبقار لقلتها ، وعزت
الأقوات بمصر ، وقلت البهائم كلها حتى بيع
الرأس البقر بخمسين دينارا .

وكثر الخوف في ظواهر البلد ، وكثر
اضطراب الناس ، وتحديث زعماء الدولة
بمصادرة التجار ، فاختلف بعضهم على
بعض ، وكثر ضجيج طوائف المسكر من الفقر
والحاجة فلم يجابوا ، وتحاسد زعماء الدولة ،
فقبض على العبيد محسن وضرب عنقه .

واشتد الفلاء ، وفشت الأمراض ، وكثر
الموت في الناس ، وفقد الحيوان فلم يقدر
على دجاجة ولا فروج ، وعز الماء لقلته الظهر .
فعم البلاد من كل جهة ، وعرض الناس
أمتعتهم للبيع فلم يوجد من يشتريها .

وخرج الحاج ، فقطع عليهم الطريق بعد
رحيلهم من بركة الجب ، وأخذت أموالهم ،
وقتل منهم كثير ، وعاد من بقى ، فلم يحج
أحد من أهل مصر .

وتفاقم الأمر في شدة الفلاف فصاح الناس
بالظاهر : الجوع ، الجوع ، الجوع بأمر المؤمنين ،
لم يصنع بنا هذا أبوك ولا جدك ، فأنه الله في
أمرنا .

وطرقت عساكر بن جراح الفرسما ، ففر
أهلها الى القاهرة .

وأصبح الناس بمصر على أفبح حال من
الأمراض والموتان وشده العلاء وعدم
الأقوات ، وكثر الخوف من الدعار التي
تكبس ... حتى انه لما عمل سباط عيد الحر
بالقصر ، كبس العبيد على السباط وهم
يصيحون : الجوع ، ونهبوا سائر ما كان
عليه * .

ونهب الأرياف ، وكثر طمع العبيد
وبهم ، وجرت أمور من العامة قبيحة .

واحتاج الطاهر الى القرص . فحمل بعض
أهل الدولة اليه مالا ، وامتنع آخرون .

واجتمع نحو الألف عبيد تنهب البلد من
الجوع ، فنودى بأن من تعرض له أحد من
العبيد فليقتله ، ونذب جماعة لحفظ البلد ،
واستعد الناس ، فكانت نهبات بالساحل ،
ووقائع مع العبيد احتاج الناس فيها الى أن
خندقوا عليهم خنادق ، وعملوا الدروب على
الأزقة والشوارع .

وخرج معضاد في عسكر فطردهم ، وقبض
على جماعة منهم ضرب أعناقهم ، وأخذ
العبيد في طلب الحرراى وغيره من وجوه
الدولة ، فحرسوا أنفسهم وامتنعوا في
دورهم .

(من ٢٥٤ ج ١ ، ط ١٠٠٠)

واقضت السنة والناس في انواع من
البلاء .

وفي سنة ست عشرة ، أمر الطاهر فأخرج
من بمصر من الفقهاء المالكية وغيرهم ، وأمر
الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الاسلام
ومختصر الوزير ، وجعل لمن حفظ ذلك مالا .

وفي سنة سبع عشرة ، ثار بمصر رعاف
عظيم بالناس ، وكثرت زيادة النيل عن
العادة ، وتصدق الطاهر بمائة ألف دينار من
أجل أنه سقط عن فرسه وسلم .

وفي سنة ثمان عشرة ، وقعت الهدنة مع
صاحب الروم ، وخطب للطاهر في بلاده ،
وأعاد الجامع بقسطنطينية وعمل فيه مؤذنا ،
فأعاد الطاهر كنيسة قمامة بالقدس ، وأذن لمن
أظهر الاسلام في أيام الحاكم أن يمود الى
النصرانية ، فرجع اليها كثير منهم .

وصرف الطاهر وزيره عبيد الدولة
وناصحها أبا محمد الحسن بن صالح
الروذبادى ، وأقام بدله أبا القاسم على بن
أحمد الحرراى .

وفي سنة عشرين كانت فتنة بين المغاربة
والأتراك قتل فيها كثير .

وفي سنة إحدى وعشرين ، بويع لابن
الظاهر بولاية العهد وعمره ثمانية أشهر ،
وأتق على ذلك في خلع لأهل الدولة وطعام
وتار للعامة ما يجلب وصفه .

وفي سنة اثنتين وعشرين ، تحرك السر
لنقص ماء النيل ، ثم زاد بعد أوانه بأربعة
أشهر .

وفي سنة ثلاث وعشرين ، قتل الظاهر أحد الدعاة ، فاضطربت الرعية والجند ، وتحدث الناس بخلعه ، ثم سكنت الفتنة بعد اتفاق مال جزيل .

وفي سنة أربع وعشرين ، ركب ولي العهد من القاهرة الى مصر وقد زينت الطرقات ، فكان اذا مر يقوم قبلوا له الأرض ، وتر يومئذ على العامة مبلغ خمسة آلاف دينار . فكان يوما عظيما .

وفي سنة خمس وعشرين ، بث الظاهر دعائه ببغداد عند اختلاف الأتراك بها ، فكثرت دعائه هناك ، واستجاب لهم خلق كثير .

فلما كان في سنة ست وعشرين ، كثر الوياح بمصر . ومات الظاهر للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة عن اثنتين وثلاثين سنة الا أياما ، فكانت مدة خلافته خمس عشر سنة وثمانية أشهر وأياما .

وكان مشغوبا باللهو مجبا للفناء ، فتأنت الناس في أيامه بمصر ، واتخذوا المفيئات والرقاصات ، وبلغوا من ذلك مبلغا عظيما .

واتخذ حبرا للماليكة ، وعلمهم أنواع العلوم وسائر فنون الحرب ، واتخذ خزانة البنود ، وأقام فيها ثلاثة آلاف صانع ، وراسل الملوك ، واستكثر من شراء الجواهر ، وكانت مملكته بأفريقية ومصر والشام والحجاز .

وغلب صالح بن مرداس على حلب في أيامه واستولى على ما يليها ، وتغلب حسان ابن جراح على أكثر بلاد الشام ، فتضعفت الدولة .

وقام من بعده ابنه ولي العهد وبويع له ، وهو المستنصر بالله أبو تميم معد ، ومولده في السادس عشر من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة ، وبويع للخلافة للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين ، وعمره يومئذ سبع سنين ، فأقام ستين سنة وأشهر في الخلافة ، كانت فيها أنباء وقصص شنيعة بديار مصر .

منها أن أمه كانت أمة سوداء لتاجر يهودي

يقال له أبو سعد سهل بن هارون التتري ، فابتاعها منه الظاهر ، واستولدها المستنصر .

فلما أفضت الخلافة اليه استدنت أمه أبا سعد ورقته درجة عليّة . وكان الوزير يومئذ أبا القاسم الحرراي ، فلم يتمكن أبو سعد من اظهار ما في نفسه حتى مات الحرراي .

وتولى أبو منصور صدقة بن يوسف العلاجي الوزارة ، فانبسط يد أبي سعد ، وصار العلاجي يأتى بأمره ، فعمل عليه وقله كما ذكر في خبر خزانة البنود . فحققت أم المستنصر على العلاجي وصرفته عن الوزارة ، واستقر أبو البركات صفى الدين الحسين بن محمد بن أحمد الحرراي في الوزارة .

وفي سنة أربعين صار ناصر الدولة الحسين ابن حمدان ، متولى دمشق ، بالعاكر الى حلب ، وحارب متوليها ثمال بن صالح بن مرداس ، ثم رجع بغير طائل . فنقلد مظفر الصقلبي دمشق ، وقبض على ابن حمدان . وصادره ، واعتقله بصور ثم بالرملة .

وخرج أمير الأمراء رفق الخادم على عسكر تبلغ عدته نحو الثلاثين ألفا ، بلغت النفقة عليه أربعمائة ألف دينار ، يريد الشام ومعارية بنى مرداس .

وفي المحرم سنة إحدى وأربعين ، صرف قاضى القضاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عن القضاء بعد ما باشره ثلاث عشرة سنة وشهرا وأربعة أيام ، وتقلد وظيفة القضاء بعده القاضى الأجل خطير الملك أبو محمد البازورى .

وفيها * حارب رفق بنى مرداس ، فظفروا به وأسروه فمات بقلعة حلب ، فأفرج عن ابن حمدان وبقي بالحضرة ، وقبض على الوزير أبى البركات الحرراي ونفى الى الشام ، وعمل أبو الفضل صاعد بن مسعود واسطة لا وزيرا ، ثم قلد قاضى القضاة أبو محمد البازورى الوزارة مع وظيفة القضاء ، ولقب بسيد الوزراء .

وفي سنة اثنتين وأربعين ، كانت حروب البحيرة ، واخراج بنى قرة منها ، وانزال بنى سنيس بعدهم بها . وفيها دعا على بن محمد الصليحي باليمن للمستنصر ، وبعث اليه بمال النجوة والهدن .

وفي سنة أربع وأربعين ، كتب ببغداد محاضر بالقدح في نسب الخلفاء المصريين ، ونفيهم من الانتساب الى على بن أبى طالب ، وسيرت الى الآفاق .

وقصر مد النيل ، فتحرك السعر بمصر . ثم قصر أيضا مد النيل في سنة ست وأربعين ، فقوى الغلاء ، وكثر الموت في الناس .

(٢٥٥) ٢٥٥ ج ١ ، ط. بولاق .

وفي سنة ثمان وأربعين ، خرج أبو العارض البساسيري من بغداد متتميا للمستنصر ، فسيرت اليه الأموال والخلع .

وفي سنة ثمان وأربعين عادت حلب الى ملكة المستنصر .

وفي سنة خمسين قبض على الوزير الناصر للدين أبى محمد البازورى ، وتقلد بعده الوزارة أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي ابن عبد الله بن محمد ، وولى القضاء بعد البازورى أبو على أحمد بن عبد الحكم ، ثم صرف بعد الحاكم المليحي .

وفيها أخذ البساسيري ببغداد ، وأقام فيها الخطبة للمستنصر ، وفر الخليفة القائم بأمر الله العباسي الى قرش بن بدران ، فبث به الى غانة ، وسيرت ثياب القائم وعماته وغير ذلك من الأموال الى مصر .

وفيها صار ناصر الدولة الى دمشق أميرا عليها .

وفي سنة إحدى وخمسين ، أقيمت دعوة المستنصر بالبصرة وواسط وجميع تلك الأعمال ، فقدم طغرل الى بغداد ، وأعاد الخليفة القائم بعد ما خطب للمستنصر ببغداد أربعون خطبة ، وقتل البساسيري .

وفيها قطعت خطبة المستنصر أيضا من حلب ، فسار اليها ابن حمدان وحارب أهلها ، فالكسر كسرة شديدة شنيعة ، وعاد الى دمشق .

وفيها صرف أبو الفرج بن المغربي عن الوزارة ، وعبد الحاكم عن القضاء ، وأعيد

الى الوزارة أبو الفرج الباطني ، واستقر في
وظيفة القضاء أحد بن أبي ذكرى .

وفي سنة ثلاث وخمسين ، كثر صرف
الوزراء والقضاة وولايتهم ، لكثرة مخالطة
الزعماء للخليفة وتقدم الأراذل ، بحيث كان
يحل اليه في كل يوم ثمانمائة رقعة فيما
المرافعات والسماعات . فتشبهت عليه الأمور ،
وتدقت الأحوال ، ووقع الاختلاف بين
عيد الدولة ، وضمت قوى الوزراء عن
التصير لتصر مدة كل منهم ، وخرت الأعمال
وقل ارتفعوا ، وتغلب الرجال على ممضها مع
كثرة النفقات والاستخفاف بالأمور وضياع
الأكابر .

الى أن آل الأمر الى حدوث الشدة العظمى
كما قد ذكر في موضعه من هذا الكتاب ،
وكان من قدوم أمير الجيوش بدر الجمالي في
سنة ست وستين وأربعمائة وقيامه بسلطنة
مصر ، ما ذكر في ترجمته عند ذكر أبواب
القاهرة .

فلم يزل المستنصر مدة أمير الجيوش ،
ملجأ عن التصرف الى أن مات في سنة سبع
وثمانين ، فأقام العسكر من بعده في الوزارة
إبنة الأفضل شاهنشاه ، فبشر الأمور يسيرا .

ومات المستنصر ليلة الخميس ليلتين بقيتا
من ذي الحجة سنة سبع وثمانين عن سبع
وستين سنة وخمسة أشهر . منها في الخلافة
ستون سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام ، مرت
فيها أهوال عظيمة ، وشدائد آلت به الى أن
جلس على نعش ، وفقد القوت فلم يقدر عليه ،
حتى كانت امرأة من الأشراف تصدق عليه
في كل يوم بتب فيه قنيت ، فلا يأكل سواء

مرة في كل يوم . وقد مر في غير موضع من
هذا الكتاب كثير من أخباره .

فلما مات المستنصر ، أقام الأفضل بن أمير
الجيوش ، في الخلافة من بعده ، إبنة المستنصر
بإبنة أبا القاسم أحمد . وكان مولده في
المنين من المحرم سنة سبع وستين
وأربعمائة ، فخالف عليه أخوه زار وفر الى
الاسكندرية ، وكان القائم بالأمور كلها
الأفضل ، فحاربه حتى ظفر به وقتله ، كما
تقدم في خبر أفتكين عند خزائن القصر .

وفي سنة تسعين وقع بمصر غلاء ووباء ،
وقطعت الخطبة من دمشق للمستنصر ، وخطب
بها للعباسي ، وخرج الفرنج من قسطنطينية
لأخذ سولح الشام وغيرها من أيدي
المسلمين ، فملكوا انطاكية .

وفي سنة إحدى وتسعين خرج الأفضل
بمسكر عظيم من القاهرة ، فأخذ بيت المقدس
من الأرمن ، وعاد الى القاهرة .

وفي سنة اثنتين وتسعين ، ملك الفرنج
الرملة وبيت المقدس ، فخرج الأفضل
بالمسار ، ومار الى عتلاق ، فسار اليه
الفرنج وقتلوه ، وقتلوا كثيرا من أصحابه ،
وغنموا منه شيئا كثيرا وحصلوه ، فنجوا
بنفسه في البحر وصار الى القاهرة .

وفي سنة ثلاث وتسعين ، عم الوباء أكثر
البلاد ، فهلك بمصر عالم عظيم .

وفي سنة أربع وتسعين ، خرج عسكر
مصر لقتال الفرنج ، وكانت بينهما حروب
كثيرة .

وفي سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، مات
المستنصر بإبنة ثلاث عشرة بقية من صفر ،
وعمره سبع وعشرون سنة وسبعة وعشرون
يوما ، ومدة خلافته سبع سنين وشهران .

وفي أيامه اختلت الدولة ، واقطعت
الدعوة من أكثر مدن الشام ، فانما صارت بين
الأتراك والفرنج ، وصارت الاسمايلية
فرقتين : فرقة لزارية تظعن في امامة المستنصر ،
وفرقة ترى صحة خلافته .

ولم يكن للمستنصر مع الأفضل أمر ولا
نهي ولا تموذ كلمة ، وقيل انه سم ، وقيل
يل قتل سرا .

فلما مات ، أقام الأفضل من بعده في
الخلافة إبنة الأمر بأحكام الله أبا علي
منصورا ، وعمره خمس سنين وشهر وأيام ،
فقتل الأفضل في أيامه ، وأقام في الخلافة تسعا
وعشرين سنة وثمانية أشهر ونصفا . وقد
ذكرت ترجمته عند ذكر الجامع الأقمر في ذكر
الجوامع من هذا الكتاب .

ولما قتل الأمر بأحكام الله ، أقيم من بعده
الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن
الأمير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله ،
وكان قد ولد بمسقلان في المحرم سنة سبع ،
وقيل في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، لما
أخرج المستنصر إبنة أبا القاسم مع بقية
أولاده في أيام الشدة ، فلذلك كان يقال له ،
في أيام الأمر بأحكام الله ، الأمير عبد المجيد
المسقلاني ابن عم مولانا .

(هـ) سنة ٢٥٦٠ يحد ، ط. بولاق .

ولما قتل الوزارة الخليفة الأمر ، أقام
برغش وهزار الملوك الأمير عبد المجيد في
دست الخلافة ، ولقباه بالحافظ لدين الله ،
وانه يكون كميلا لمتنظر في بطن أمه من أولاد
الأمر ، واستقر هزار الملوك وزرا . فصار
العسكر وأقاموا أبا علي بن الأفضل وزرا ،
وقتل هزار الملوك ، ونهب شارع القاهرة ،
وذلك كله في يوم واحد .

فاستبد أبو علي بالوزارة يوم السادس
عشر من ذي القعدة سنة أربع وعشرين
وخمسمائة ، وقبض على الحافظ وسجنه
مقيدا ، فاستمر الى أن قتل أبو علي في
سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين ،
فأخرج من معتقله ، وأخذ له العهد على أنه
ولي عهد كميل لمن يذكر اسمه ، فاتخذ
الحافظ هذا اليوم عيدا سماه عيد النصر ،
وصار يعمل كل سنة .

ونهب القاهرة يومئذ ، وقام يانس صاحب
الباب بالوزارة ، الى أن هلك في ذي الحجة
منها بعد تسعة أشهر ، فلم يتورز الحافظ
بعده أحدا ، وتولى الأمور بنفسه الى سنة
ثمان وعشرين ، فأقام إبنة سليمان ولي عهده
مقام وزير ، فلم تطل أيامه سوى شهرين
ومات ، فجعل مكانه ابن حيدرة ، فعق إبنة
حسن وثار بالفتة ، وكان من أمره ما ذكر في
خبر الحارة اليانية من هذا الكتاب .

فلما قتل حسن ، قام بهرام الأرمني وأخذ
الوزارة في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ،
وكان نصرانيا ، فاشتد ضرر المسلمين من
النصارى ، وكثرت أذيتهم .

فصار رضوان بن ولختي - وهو يومئذ متولي الغربة - وجع الناس لحرب بهرام . وسار الى القاهرة ، فانهزم بهرام ، ودخل رضوان القاهرة ، واستولى على الوزارة في جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين ، فوقع بالنصارى واليهود ، فسكره الناس ... الا انه كان خفيضا عجولا ، فاخذ في اعادة حوائج الخليفة وهم بخمه ، وقال : ما هو بامام ، وانما هو كليل تقيده وذلك خير لم يصح . فتوحش الخلفاء منه ، وما زال يدبر فيه حتى ثارت فتنة انهزم فيها رضوان ، وخرج الى الشام فجمع وعاد في سنة اربع وثلاثين ، فجهز له الخلفاء المذكر لمخاربه ، فقاتلهم وانهزم منهم الى المييد ، فقبض عليه واقتل ، فلم يستوزر الخلفاء احدا بعده ... الى ان كانت سنة ست وثلاثين ، فظلت الاسمار بصرى ، وكثر الفراء ، وامتد الى سنة سبع وثلاثين فمطمع الفراء .

وفي سنة اثنين وأربعين ، خلع رضوان من معتقه بالصرى ، وخرج من قلب ومصر بجدة ، وكانت فتنة آلت الى قتله .

وفي سنة اربع وأربعين ، ثارت فتنة بالقاهرة بين خواتم الممكرو ، فمات الخلفاء ليلة الخامس من جمادى الآخرة عن سبع وسبعين سنة ، منها مئة خلافة ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يوما أصابته فيها شدائد كثيرة . وكان حازما سيوبا كثير المداراة ، عارفا جادا لسانا ، مغريا بعلوم النجوم ، يطلب عليه العلم .

فما مات والفتنة قائمة ، أقيم ابنه الظاهر بأمر الله أبو منصور السعيد ، ومولده نصف من ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسة ، فمات في الخلافة أربع سنين وثلاثة أشهر لا خمسة أيام ، وكان محكوما عليه من الوزارة .

وفي ثوبه تخلصت عتلاته ، فظهر الخلل في الدولة . وقد ذكرت أخباره في خط الخشبية عند ذكرنا لحفظ من هذا الكتاب .

فما قتل ، أقيم من بعده ابنه الظاهر بنصر الله أبو القاسم عيسى . أقامه في الخلافة بعد مقتل أبيه الوزير عباس ، وعمره خمس سنين .

فقدم ملائح بن رزك والى الأشمونين بجيوشه الى القاهرة ، ففر عباس ، واستولى ملائح على الوزارة ، وتلقب بالصلح ، وقام بأمر الدولة الى ان مات الفاتر ثلاث عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين عن احدى عشرة سنة وستة أشهر ويومين ، منها في الخلافة ست سنين وخمسة أشهر وأيام لم ير فيها خيرا ، فانه لما أخرج ليقيم خليفة رأى عذابه قلى وسمع الصراخ ، فاقتل عتله وصار يصرخ حتى مات .

فأقام الصالح بن رزك في الخلافة بعده العاضد لدين الله أبا محمد عبد الله ابن الأمير يوسف بن الحافظ لدين الله . ومولده لعشر بقين من المحرم سنة ست وأربعين وخمسة ، وكان عمره يوم يبيع نحو احدى عشرة سنة .

في سنة ٢٤٢ هـ ، ١٠ ، طبرستان .

وقام الصالح بتدبير الأمور الى ان قتل في رمضان سنة ست وخمسين . كما ذكر في حربه عند ذكر الجوامع .

فقدم من بعده ابنه رزك بن ملائح وحسن سيرته ، فمات شاور بن مجير السعدي عن ولاية قوص ، فلم يقبل عزل ، وحشد وسار على طريق الواحات في بيرة الى بروجيه . وجمع الناس وسار الى القاهرة . فلم يشرك رزك وفر ، فقبض عليه بالصلح .

واستقر شاور في الوزارة لا أيام خلت من سفر سنة ثمان وخمسين ، فقام الى ان تار ضرغام صاحب الباب ، ففر منه الى الشام ، واستبد ضرغام بالوزارة فقتل أمراء الدولة ، وأضعفها سبب ذهاب أكرام .

فقدم الفرنج وبارلو ميه يسير معه . ودفعهم المسلمون عنه مرار حتى عدوا الى بلادهم بالساحل . ورجع الممكرو الى القاهرة وقد قتل منهم كثير .

فوصل شاور بممكرو الشام في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين . فحربه ضرغام على بليس بممكار مصر . وكانت لهم معه معارك انهزموا في آخرها ، وغنم شاور ومن معه سائر ما أخرجوا به - وكان شيب جليلا - فسروا بذلك . وساروا الى القاهرة فكانت بين التوتيقين حروب آلت الى هزيمة ضرغام وقتله في شهر رمضان منها .

فاستولى شاور على اوزاره مرة ثانية ، واختلف مع الفز القادمين معه من الشام . وكانت له معهم حروب آلت الى ان شاور كتب الى مري ملك الفرنج يستدنيه الى

القاهرة ، ليعينه على معارضة شيركوه ومن معه من الفز ، فحضر وقد صار شيركوه في مدينة بليس .

فخرج شاور من القاهرة ، وزل هو ومري على بليس ، وحصرا بشيركوه ثلاثة أشهر ، ثم وقع الصلح ، فسار شيركوه بالفز الى الشام ، ورحل الفرنج ، وعاد شاور الى القاهرة في سنة ستين وخمسة ، فلم يزل الى ان قدم شيركوه من الشام بالساكر مرة ثانية في ربيع الآخر .

فخرج شاور من القاهرة الى لقائه ، واستدعى مري ملك الفرنج ، فسار شيركوه على الشرق وخرج من أطيح ، فسار اليه شاور بالفرنج ، وكانت له معه الوقعة المشهورة ، فسار شيركوه بعد الوقعة من الأشمونين وأخذ الاسكندرية ، وعاد شاور الى القاهرة .

وخرج شيركوه من الاسكندرية بعد ان تخلف عليهما ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولم يزل يسير من الاسكندرية الى قوص وهو يجيى البلاد . فخرج شاور من القاهرة بالفرنج ، وقاؤه الاسكندرية ، فبلغ شيركوه ذلك ، فعاد من قوص الى القاهرة وحصرها ، ثم كانت أمور آخرها يسير شيركوه وأصحابه من أرض مصر الى الشام في شوال .

وقد طمع الفرنج في البلاد ، وتسلموا أسوار القاهرة ، وأقاموا فيها شحنة معه عدة من الفرنج لمقاسمة المسلمين ما يتحصل من مال البلد ، وفحش أمر شاور وساءت سيرته ، وكثر تجرئه على الدماء واتلافه للأموال .

فلما كان في سنة أربع وستين ، قوى تمكن الفرنج في القاهرة ، وجاروا في حكمهم بها ، وركبوا المسلمين بأمواع الإهانة ، فصار مري يريد أخذ القاهرة ، ووزل على مدينة بليس وأخذها عنوة .

فكتب العاضد إلى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يتصرخه ، ويحثه على نجدة الإسلام وانتقاذ المسلمين من الفرنج . فجهز أسد الدين شيركوه في عسكر كثير ، وجهزم وسيرهم إلى مصر ، وقد أحرق شاور مدينة مصر كما تقدم .

ووزل مري ملك الفرنج على القاهرة ، وألح في قتل أهلها حتى كاد أن يأخذها عنوة ، فسير إليه شاور وخادعه حتى رضى بمال يجمعه له ، فترفع في جبايته وإذا بالخبر ورد بقدم شيركوه فرحل الفرنج عن القاهرة في سابع ربيع الآخر .

ووزل شيركوه على القاهرة بالنز ثالث مرة ، فخلع عليه العاضد وأكرمه ، فأخذ شاور يفتك بالنز على عادته ، فكان من قتله ما ذكر في موضعه ، وذلك في سابع ربيع الآخر المذكور .

وتقلد شيركوه وزارة العاضد ، وقام بالدولة شهرين وخمسة أيام ، ومات في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة .

فقوض العاضد الوزارة لصالح الدين يوسف بن أبوب ، فأسس الأمور ودير نفسه ، فبذل الأموال ، وأضعف العاضد باستفاد ما عنده من المال . فلم يزل أمره في ازدياد ، وأمر العاضد في تصمان ، وصار

يخطف من بعد العاضد للسلطان محمد نور الدين ، وأقطع أصحابه البلاد ، وأبعد أهل مصر وأضعفهم ، واستبد بالأمور ، ومنع العاضد من التصرف ، حتى تبين للناس ما يريد من إزالة الدولة ، إلى أن كان من واقعة المييد ما ذكر ، فأبادهم وأفناهم .

ومن حينئذ ثلاثي العاضد وانحل أمره ، ولم يبق له سوى إقامة ذكره في الخطبة فقط ...

هذا وصالح الدين يوالى الطلب منه في كل يوم ليضعفه ، فأتى على المال والخيال والرقيق وغير ذلك ، حتى لم يبق عند العاضد غير فرس واحد ، فطلبه منه وألجأه إلى إرساله ، وأبطل ركوبه من ذلك الوقت ، وصار لا يخرج من القصر البتة .

وتتبع صلاح الدين جند العاضد ، وأخذ دور الأمراء واقطاعاتهم فوجها لأصحابه ، وبعث إلى أبيه وأخوته وأهله فقدموا من الشام عليه .

فلما كان في سنة ست وستين أبطل المكوس من ديار مصر ، وهدم دار المعونة بمصر ، وعمرها بمدرسة للشافعية ، وأنشأ مدرسة أخرى للمالكية ، وعزل قضاء مصر الشيعة ، وقتل القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس الشافعي ، وجعل إليه الحكم في إقليم مصر كله . فعزل سائر القضاة ، واستأب قضاء شافعية ، فتظاهر الناس من تلك السنة بمنصب مالك والشافعي رضى الله عنهما ، واختفى مذهب الشيعة إلى أن نسي من مصر .

(٥) من ٤٥٨ هـ ، طبع بولاق

وأخذ في غزو الفرنج ، فخرج إلى الرملة وعاد في ربيع الأول ، ثم سار إلى أيلة ، ونازل قلعتها حتى أخذها من الفرنج في ربيع الآخر ، ثم سار إلى الاسكندرية ولم تمت سورها وعاد ، وسير نوران شاه ، فأوقع بأهل الصعيد ، وأخذ منهم ما لا يمكن وصفه كثرة وعاد .

فكرر القول من صلاح الدين وأصحابه في ذم العاضد ، وتحدثوا بحلمه وإقامه الدعوة العباسية بالقاهرة ومصر . ثم قبض على سائر من بقى من أمراء الدولة وأزل أصحابه في دورهم في ليلة واحدة ، فأصبح في البلد من العويل والبكاء ما يذهل ، وتبعكم أصحابه في البلد بأيديهم ، وأخرج اقطاعات سائر المصريين لأصحابه ، وقبض على بلاد العاضد ومنع عنه سائر مواده ، وقبض على القصور وسلمها إلى الطوائف بهاء الدين قراقوش الأسدي ، وجعله زمامها .

فضيق على أهل القصر ، وصار العاضد معتقلا تحت يده ، وأبطل من الأذان حتى على خير العمل ، وأزال شعار الدولة ، وخرج بالعزم على قطع خطبة العاضد ... فمرض ومات وعمره إحدى وعشرون سنة الا عشرة أيام ، منها في الخلافة إحدى عشرة سنة وستة أشهر وسبعة أيام ، وذلك في ليلة يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة ، بعد قطع اسمه من الخطبة والدعاء للمستجد العباسي بثلاثة أيام .

وكان كريما لين الجانب ، مرت به مخاوف وشدائد ، وهو آخر الخلفاء الفاطميين بمصر .

وكانت مدتهم بالمرتب ومصر ، منذ قام عبيد الله المهدي إلى أن مات العاضد ، مائتي سنة واثنين ومبشرين سنة وإياما ، بالقاهرة منها مائتان ومائتي سنتين ، فبجان الباقي .

ذكر ما كان عليه موضع القاهرة قبل وضعها

اعلم أن مدينة الاقليم ، منذ كان فتح مصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه ، كانت مدينة القسطنطين - المعروفة في زماننا بمدينة مصر - قبلى القاهرة . وبها كان محل الأمراء ومنزل ملكهم ، واليهما تجبى ثمرات الأقاليم ، وتأوى الكافة .

وكانت قد بلغت من وفور العمارة ، وكثرة الناس ، وسعة الأرزاق ، والتفنن في أنواع الحضارة ، والتألق في النعيم ، ما أريت به على كل مدينة في المعمور ... حاشا بقداد ، فانها كانت سوق العالم ، وقد زاحتها مصر ، وكادت أن تسامها الا قليلا .

ثم لما انقضت الدولة الاخشيدية من مصر ، واختل حال الاقليم بتوالى الفلوات وتواتر الأوباء والفنوات ، حدثت مدينة القاهرة عند قدوم جيوش المعز لدين الله أبى تميم معبد أمير المؤمنين ، على يد عبده وكتابه القائد جوهر ، فنزل حيث القاهرة الآن ، وأناخ هناك .

وكانت حينئذ رملة - فيما بين مصر وعين شمس - يمر بها الناس عند مسيرهم من القسطنطين إلى عين شمس ، وكانت فيما بين

الخليج المعروف في أول الإسلام بخليج أمير المؤمنين ، ثم قيل له خليج القاهرة ، ثم هو الآن يعرف بالخليج الكبير وبالخليج الحاكسي ، وبين الخليج المعروف بالبحاميم ، وهو الجبل الأحمر .

وكان الخليج المذكور فاصلا بين الرملة المذكورة وبين القرية التي يقال لها أم دهن ثم عرفت الآن بالمقس . وكان من يسافر من القسطنطينية الى بلاد الشام ينزل بطرف هذه الرملة ، في الموضع الذي كان يعرف بمنية الأصبح ، ثم عرف الى يومنا بالخلق .

وتنزل المساكن والتجار وغيرهم من منية الأصبح الى بني جعفر على غيفة وسلمت الى بليس ، وبينها وبين مدينة القسطنطينية أربعة وعشرون ميلا ، ومن بليس الى العاقلة الى القرماء .

ولم يكن الدروب الذي يسلك في وقتنا من القاهرة الى العرش في الرمل يعرف في القديم ، وإنما عرف بعد خراب قيس والقرماء ، وإزالة الفرنج عن بلاد الساحل بعد تملكهم له مدة من السنين .

وكان من يسافر في البر من القسطنطينية الى العجاز ينزل ببج عميرة ، المعروف اليوم بركة الجب وبركة الحاج .

ولم يكن عند نزول جوهر بهذه الرملة فيها بيان سوى أماكن هي بستان الاخشيدي محمد بن طنج - المعروف اليوم بالكافوري - من القاهرة ، ودير للنصارى يعرف بدير المقام ، تزعم النصارى أن فيه بعض من أدرك المسيح عليه السلام ، وبقي الآن بش

هذا الدين ، وتعرف بئر المقام - والمامة تقول بئر العظيمة - وهي بجوار الجامع الأقمر من القاهرة ، ومنها ينقل الماء اليه .

وكان بهذه الرملة أيضا مكان ثالث يعرف بقصر الشوك - بصيغة التصغير - تنزله بنو عذرة في الجاهلية ، وصار موضعه عند بناء القاهرة يعرف بقصر الشوك من جملة القصور الزاهرة ... هذا الذي اطلعت عليه أنه كان في موضع القاهرة قبل بنائها بعد الفحص والتفتيش .

وكان النيل حينئذ يشاطئ المقس يمر من موضع الساحل القديم بقصر - الذي هو الآن سوق الماريج ، وحمام طن ، والمراغة ، وبستان الجرف ، وموردة الحلقاء ، ومنشأة المهراني - على ساحل الحمراء ، وهي موضع قناطر السباع ، فيمر النيل بساحل الحمراء الى المقس ، موضع جامع المقس الآن ، وفيما بين الخليج وبين ساحل النيل بساتين القسطنطينية .

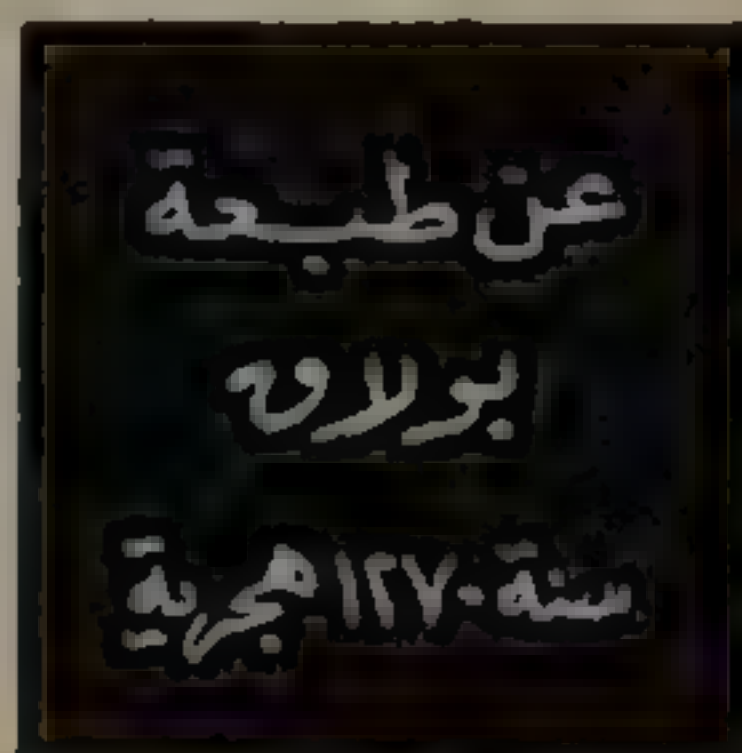
فإذا صار النيل الى المقس ، حيث الجامع الآن ، مر من هناك على طرف الأرض ، التي تعرف اليوم بأرض الطبالة ، من الموضع المعروف اليوم بالجرف ، وصار الى البعل ، ومر على طرف منية الأصبح من غربي الخليج الى المنية .

وكان فيما بين الخليج والجبل ، مما يلي بحري موضع القاهرة ، مسجد بني علي رأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ثم مسجد تبر الاخشيدى ، فعرف بمسجد تبر ، والمامة تقول مسجد التين .



« تملوه دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خَطُّ الْمَقْرِئِ

الحج

١٨



كتاب
التحرير

« كانت مصر هي مسقط رأسي ، ولعلب أترابي ، وجميع ناسي ، يعني عشروا وعاصتي ،
وموطن ضامتي وعاصتي ، وهبؤهؤي الذي رب جناسي في وكز ، وعشر ماري ، فدر
تهوي الأنفس غير ذكره . لازلت منذ شذوت العام ، وآتاني رب الفطانة والفهم ، أغيب في
سفرة أة بارها ، أحب لإشراف على الاعتراف من آبارها ، وأصوي مساولة الركبان عن سكان دارها »

أقوى الدين إسمه رجب عنى المقدري

ولم يكن المر من القسطنطين الى عين شمس
والى الحوف الشرقى والى البلاد الشامية ،
الا بحافة الخليج ، ولا يكاد يمر بالرملة التى
فى موضعها الآن مدينة القاهرة كثير جدا ،
ولذلك كان بها دير للنصارى ... الا أنه لما
عمر الاخشيد البستان المعروف بالكافورى ،
أنشأ بجانبه ميدانا وكان كثيرا ما يقيم به ،
وكان كافور أيضا يقيم به .

وكان فيما بين موضع القاهرة ومدينة
القسطنطين ، مما يلى الخليج المذكور ، أرض
تعرف فى القديم منذ فتح مصر بالحصراء
القصوى ، وهى موضع قناطر السباع وجبل
يشكر ، حيث الجامع الطولونى وما دار به .
وفى هذه الحصراء عدة كنائس وديارات
للنصارى خربت شيئا بعد شيء ، الى أن
خرب آخرها فى أيام الملك الناصر محمد بن
قلاوون .

وجميع ما بين القاهرة ومصر ، مما هو
موجود الآن من العماير ، فانه حادث بعد
بناء القاهرة ، ولم يكن هناك قبل بنائها شيء .
ألبتة سوى كنائس الحصراء . وسيأتى بيان
ذلك مفصلا فى موضعه من هذا الكتاب ان
شاء الله تعالى .

ذكر حد القاهرة

قال ابن عبد الظاهر فى كتاب « الروضة
البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة » :
الذى استقر عليه الحال أن حد القاهرة من
مصر من السبع سقايات ، وكان قبل ذلك من
المجنونة الى مشهد السيدة رقية عرضا اه .

والآن تطلق القاهرة على ما حازه السور
الحجر الذى طوله من باب زويلة الكبير الى
باب الفتوح وباب النصر ، وعرضه من باب
سعادة وباب الخوخة الى باب البرقية والباب
المحروق .

ثم لما توسع الناس فى العمارة بظاهر
القاهرة ، وبنوا خارج باب زويلة حتى اتصلت
العماير بمدينة قسطنطين مصر ، وبنوا خارج
باب الفتوح وباب النصر الى أن انتهت العماير
الى الريدانية ، وبنوا خارج باب القنطرة الى
حيث الموضع الذى يقال له بولاق حيث
شاطئ النيل ، وامتدوا بالعمارة من بولاق
على الشاطئ الى أن اتصلت بمنشأة المهرانى ،
وبنوا خارج باب البرقية والباب المحروق الى
سفح الجبل بطول السور ... فصار حينئذ
العامر بالسكنى على قسمين : أحدهما يقال له
القاهرة ، والآخر يقال له مصر .

فأما مصر فان حدها — على ما وقع عليه
الاصطلاح فى زماننا هذا الذى نحن فيه —
من حد أول قناطر السباع الى طرف بركة
الحبش القبلى مما يلى بساتين الوزير ، وهذا
هو طول حد مصر . وحدها فى العرض من
شاطئ النيل ، الذى يعرف قديما بالساحل
الجديد ، حيث فم الخليج الكبير وقنطرة
السد الى أول القرافة الكبرى .

وأما حد القاهرة فان طولها من قناطر
السباع الى الريدانية ، وعرضها من شاطئ
النيل ببولاق الى الجبل الأحمر ... ويطلق
على ذلك كله مصر والقاهرة .

وفي الحقيقة القاهرة المز التي أسماها القائد جومر ، عند قدومه من حضرة مولاه المزم الذين لله أبي تميم معد إلى مصر في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، أنا هي ما دار عليه السور فقط . غير أن السور المذكور الذي أداره القائد جومر ، تغير وعمل - منذ بنيت إلى زماننا هذا - ثلاث مرات ، ثم حدثت السائر قيا وراء السور من القاهرة ، فصار يقال لدخل السور القاهرة ، ولما خرج من السور ظهر القاهرة .

وظهر القاهرة أربع جهات :

الجهة القبيلة وفيها الآن معقم المسارة ، وحد هذه الجهة طولاً من عتبة باب زويلة إلى الجامع الطولوني ، وما بعد الجامع الطولوني قاعة من حد مصر . وحدها عرضاً من الجامع الطيرسي بشاطئ النيل غربى الرئيس إلى قلعة الجبل ، وفي الاصطلاح الآن أن القلعة من حكم مصر .

والجهة البحرية وكانت ، قبل السبعماية من سى الهجرة وبعدما إلى قيل الوفاء الكبير ، فيها أكثر المسائر والمساكن ثم ثلاث من بعد ذلك ، وطول هذه الجهة من باب القنطرة وباب النصر إلى الريدانية . وعرضها من مئة الأمراء ، المعروفة في زماننا الذي نحن فيه بنية الشرج ، إلى الجبل الأحمر . ويدخل في هذا الحد مسجد تبر والريمانية .

والجهة الشرقية قانها حيث ترب أهل القاهرة ، ولم تحدث بها السائر من التربة إلا بعد سنة اثني عشرة وسبعماية . وحد هذه

الجهة طولاً من باب القلعة المعروف باب القلعة إلى ما يحاذي مسجد تبر في سفح الجبل . وحدها عرضاً فيما بين سور القاهرة والجبل .

والجهة الغربية لأكثر السائر بها لم يحدث أيضاً إلا بعد سنة اثني عشرة وسبعماية ، وأما كانت بساتين وبحرا . وحد هذه الجهة طولاً من مئة الشرج إلى منشأة المهراني بحافة بحر النيل . وحدها عرضاً من باب القنطرة وباب القنطرة وباب سعادة إلى ساحل النيل .

وهذه الأربع جهات من خارج السور يطلق عليها ظهر القاهرة .

وتحوى مصر والقاهرة من الجوامع والمساجد والربط والمدارس والزوايا ، والدور العقبة والمساكن الجليلة ، والمناظر البهجة والتصور الشامخة ، والبساتين النضرة ، والحمامات الفاخرة ، والقياسر المعمورة بصفات الأنواع ، والأسواق الملوحة مما تنتمى إلى الناس ، والخانات المشحونة بالواديين ، والفنادق الكافة بالسكان ، والتراب التي تحكى القصور ... ما لا يمكن حصره ، ولا يعرف ما هو قدره . إلا أن قدر ذلك - بالتقريب الذي يصدق الاختبار - طولاً يزيد ما يزيد عليه ، وهو من مسجد تبر إلى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش ، وعرضاً يكون نصف يزيد فما فوقه ، وهو من ساحل النيل إلى الجبل .

من ٢٠٠ م - ٢٢٠ م ، ط. بولاق .

ويدخل في هذا الطول والعرض بركة الحبش وما دار بها ، وسطح الجرف المسمى بالرصد ، ومدينة القسطنطين التي يقال لها مدينة مصر ، والقرافة الكبرى والصغرى ، وجزيرة الحصن المعروف اليوم بالروضة ، ومنشأة المهراني ، وقطائع ابن طولون التي تعرف الآن بحدرة ابن قبيصة ، وخط جامع ابن طولون ، والرميلة تحت القلعة ، والقييات وقلعة الجبل ، والميدان الأسود - الذي هو اليوم مقابر أهل القاهرة - خارج باب البرقية إلى قبة النصر ، والقاهرة المزينة وهو ما دار عليه السور الحجر ، والحسينية والريدانية ، والخندق وكوم الرشن وجزيرة القيل ، وبولاق ، والجزيرة الوسطى المعروفة بجزيرة أروى ، وزربية قوصون ، وحكر ابن الأثير ، ومنشأة الكاتب ، والأحكار التي فيما بين القاهرة وساحل النيل ، وأراضى اللوق ، والخليج الكبير الذي تسميه العامة بالخليج الحاكمي ، والجبانة والصليبة والتبانة ، ومشهد السيدة قبيصة ، وباب القرافة ، وأرض الطبالة ، والخليج الناصري ، والمقص والدكة ، وغير ذلك مما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وقد أدركنا هذه المواضع وهي عامرة ، والمشيخة تقول هي خراب بالنسبة لما كانت عليه قبل حدوث طاعون سنة تسع وأربعين وسبعماية ، الذي يسميه أهل مصر القضاء الكبير ، وقد تلاشت هذه الأماكن ، وعمها الخراب منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة . وفيه عاقبة الأمور .

ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه في الدولة الفاطمية

وذلك أن القائد جومر الكاتب ، لما قدم الجزيرة بمساكن مولاه الامام المزم لدين الله أبي تميم معد ، أقبل في يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وسارت عساكره بعد زوال الشمس ، وعبرت الجسر أفواجا ، وجوهر في فرسانه ، إلى المناخ الذي رسم له المزم موضع القاهرة الآن ، فاستقر هناك واختط القصر .

وبين المصريين : فلما أصبحوا حضروا للبناء ، فوجدوه قد حفر أساس القصر بالليل ، وكانت فيه أزوارات غير معتدلة ، فلما شاهدوا جومر لم يعجبه ، ثم قال : قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة . فتركه على حاله وأدخل فيه دير النظام .

ويقال أن القاهرة اختطها جومر في يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين ، واختطت كل قبيلة خطة عرفت بها : فزويلة بنت الحارة المعروفة بها ، واختطت جماعة من أهل برقة الحارة البرقية ، واختطت الروم حارتين : حارة الروم الآن ، وحارة الروم الجوانية بقرب باب النصر .

وقصد جومر باختطاط القاهرة حيث هي اليوم أن تصير حصناً فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقاثلهم من دونها ، فأدار السور اللبن على مناخه الذي نزل فيه بمساكره ، وأنشأ من داخل السور جامعاً وقصراً ، وأعدّها معقلاً يتحصن به وتنزله عساكره ،

ولم يترك المتبق من جهة القبلة لستم
المتنح من جهة القبلة إلى القاهرة وما
وربعاً من القبلة .

وكان مقبل القاهرة حيثما كان من
مقدمات اليوم ، فإن أبوابها كانت من الجهات
لأربعة :

على الجهة القبلة - التي تسمى بالمالك
منها إلى مدينة مصر - بإذن متجاوزين يقال
لها باباً زويلة ، وموضعها الآن بحذاء
المسجد الذي تسمى قلعة بسلام بن نوح ،
ولم يبق من هذا الموضع سوى عتقه ، وعرف
باب القوس . وما بين باب القوس هذا وباب
زويلة الكبير ليس هو من المدينة التي أسسها
القائد جوهر ، وإنما هي زويلة حدثت بعد
ذلك .

وكان في جهة القاهرة البحرية - وهي
التي يسمونها الآن من بين شين - بإذن :
أحدهما باب النصر وموضع أول الرحلة
التي قدام الجامع ، الحاكم الآن ، وأخرت
قصة من كانت قدام الركن الغربي من
المنارة القديمة . وما بين هذا المكان وباب
النصر الآن ما زيد في مقبل القاهرة بعد
جوهري .

والباب الآخر من الجهة البحرية باب
الفتوح ، وعنده باق إلى يومنا هذا مع
علائقه اليسرى وعليه أسطر مكتوبة بالعلم
الكنوز . وموضع هذا الباب الآن بآخر سوق
الرحمن وأول وأولى حارة بقاء الذين ما يلي
هنا من جهة الجنوب .

باب الجامع الحاكم . وفيما بين هذا المقدم
وباب الفتوح ، من المقدمات التي زينت في
القاهرة من بعد جوهر .

وكان في الجهة الشرقية من القاهرة - وهي
الجهة التي يسمونها الآن إلى الجبل - بإذن :
أحدهما يعرف الآن باب القوس ، والآخر
يقال له باب البرقية ، وموضعها دون
مكانها الآن . وقال له هذه الزيادة من هذه
الجهة « بين السورين » . ولحمداً الباقين
القديمين موجود إلى الآن أسكنه .

وكان في الجهة الغربية من القاهرة - وهي
المقطة على الخليج الكبير - بإذن : أحدهما
باب سعادة ، والآخر باب القوس . وباب ثالث
- يعرف باب الخوخة - أنه حدث بعد
جوهري .

وكان دخل سور القاهرة يستل على
قصرين وجامع . يقال لأحد القصرين القصر
الكبير الشرقي ، وهو منزل سكنى الخليفة
ومحل حرمه ، وموضع جلوسه لدخول
العاكر وأهل الدولة ، وفيه الدواوين وبيت
الملك وخزائن السلاح وغير ذلك . وهو الذي
أسسه القائد جوهر ، وزاد فيه المعز ومن
بعده من الخلفاء .

والآخر تجاه هذا القصر ، ويعرف بالقصر
الغربي ، وكان يشرف على البستان الكافوري
وتحول إليه الخليفة في أيام النيل للترفيه
على الخليج ، وعلى ما كان إذ ذلك بجانب
الخليج الغربي من البركة التي يقال لها بطن
البقرة ، ومن البستان المعروف بالبغدادية ،

وغيره من البساتين التي كانت تتصل بأرض
اللقوق وجنان الزمري .

وكان يقال لمجموع القصرين القصور
القاهرة ، ويقال للجامع جامع القاهرة والجامع
الأزهر .

فأما القصر الكبير الشرقي ، فإنه كان من
باب الذهب الذي موضع الآن محراب
المدرسة القاهرة التي أنشأها الظاهر ركن
الدين يبرس البندقداري ، وكان يملو عقد
باب الذهب منقرة يشرف الخليفة فيها من
طاقات في أوقات مرفوعة ، وكان باب الذهب
هذا هو أعظم أبواب القصر .

ويسلك من باب الذهب المذكور إلى باب
البحر ، وهو الباب الذي يعرف اليوم بباب
قصر يشترك مقابل المدرسة الكاملية ، وهو من
باب البحر إلى الركن المخلوق ، ومنه إلى باب
الريح .

وقد أدركنا منه ضاديه وأسكنه ، وعليها
أسطر بالقلم الكوفي ، وجميع ذلك مبنى
بالحجر ، إلى أن هذه الأمير الوزير المشير
جمال الدين يوسف الأستادار . وفي موضعه
الآن قيسارية أنشأها المذكور بجوار مدرسته
من جهة باب العيد .

ويسلك من باب الريح المذكور إلى باب
الزمرذ - وهو موضع المدرسة الحجازية
الآن - ومن باب الزمرذ إلى باب العيد ،
وعنده باق وفوق قبة إلى الآن في درب
السلامي بخط جهة باب العيد .

وكان قبالة باب العيد هذا رحبة عظيمة
في غاية الانساع ، تقف فيها العساكر الكثيرة
من الفارس والراجل في يومى العيدين ، تعرف
برحبة العيد ، وهي من باب الريح إلى خزنة
البود .

وكان يلي باب العيد السفينة ، وبجوار
السفينة خزنة البود ، ويسلك من خزنة
البود إلى باب قصر الشوك .

وأدركت منه قطعة من أحد جانيه كانت
تجاه الحمام التي عرفت بحمام الأيدمرى ، ثم
قل لها في زمنا حمام يونس ، بجوار المكان
المعروف بخزنة البود .

وقد عمل موضع هذا الباب زقاق يسلك
منه إلى المارستان العتيق وقصر الشوك ودرب
السلامي وغيره ، ويسلك من باب قصر
الشوك إلى باب الديلم ، وموضع الآن
المشهد الحسيني .

وكان فيما بين قصر الشوك وباب الديلم
رحبة عظيمة ، تعرف برحبة قصر الشوك ،
أولها من جهة خزنة البود ، وآخرها حيث
المشهد الحسيني الآن . وكان قصر الشوك
يشرف على اصطبل الطارمة .

ويسلك من باب الديلم إلى باب تربة
الزعفران - وهي مقبرة أهل القصر من
الخلفاء وأولادهم ونسائهم - وموضع باب
تربة الزعفران فندق الخليلى في هذا الوقت
ويعرف بخط الزراكية العتيق .

وكان فيما بين الديلم وباب تربة الزعفران ،
الخوخ السبع التي يتوصل منها الخليفة إلى
الجامع الأزهر في ليالى الوقفات ، فيجلس

بمنارة الجبل الأزهر وبمنارة حرمه كالحكمة
الوقت والجمع . ويجوز الصلح السبع
المسجل الطرقة ، وهو رسم الخيل العام
لجنة لركب الخيطة .

وكذلك مشايخ باب القيس ، ومن وراء
المسجل الطرقة ، الجبل لحد غلاة الخيطة
بالمسجل أيام الجمع ، وهو الذي يعرف في
وقتها مكانا بالجمع الأزهر ، ويسمى في كتب
التاريخ بجمع القاهرة ، وقدم هذا الجبل
رجلة متعة من حد المسجل الطرقة إلى
الموضع الذي يعرف اليوم بلاككتين .

وسمى من باب توبة الزعفران إلى باب
الزهوة ، وموضع الذي باب مرقعة مرقعة
الصلحية من الدار الصالحية ، وفيما بين
توبة الزعفران وباب الزهوة دار العلم
وخزانة الكتب .

وسمى من باب الزهوة إلى باب القعب
المذكور أولا . وهذا هو دور القصر الشرقي
الكبير .

وكذلك بحد رجلة باب القعب دار الصليحة ،
وهي الدار المروية بدار سبعة السعداء
التي هي اليوم حقله للصوفية -
وقد كان دار القوزة ، وهي حيث الوقت
التي لباب سبعة السعداء ، والحدسية
المرتبطة ، وحقله يرس وما يجاورها
إلى باب الجواتية .

وما وراء هذه الأماكن ، ويجوز دار
الوزيرة ، الحبر ، وهي من حد دار الوزيرة
يجوز باب الجواتية إلى باب القصر القديم .
من حد دار سبعة السعداء .

ومن وراء دار الوزيرة المساح السبعة ،
وبجوار حارة المطوقية ، وحارة الروم
الجواتية .

وكذلك جامع القنطرة - الذي يعرف اليوم
بجامع الحاكم - خرجا عن القاهرة ، وفي
غربي الزفة التي هي بقية إلى اليوم ،
وكانت أمراء لحد القلعة التي تسمى بالقاهرة
كما هي عامة الحصون .

وكذلك في غربي الجبل الأزهر حارة القيسم ،
وحارة الروم البوقية ، وحارة لأحواك
- وهي تعرف اليوم بحد باب لأحواك -
وحارة الباطية .

وفيما بين باب الزهوة ، والجمع الأزهر
وهذه الحارات ، حوش القصر وهي حارة
الكتب ، وحارة لأخرة ، وحارة السروج ،
وحارة الخيم ، وحوش القوس ، وحوش
الكسوت ، وحوش دار القسطنطين ، ودار
الظيرة ، ودار السبعة ، وغير ذلك من
الحوش - هذا ما كان في الجهة الشرقية من
القاهرة .

وأما القصر الصغير العربي فله موضع
قربان الكبر للصوري إلى جوار حارة
برجوان . ومن هذا القصر ومن القصر الكبير
الشرقي فضاء تمتد بقية عدة آلاف من
المساكن ، ما بين دارين ودارين ، يقال له بين
القصرين .

وبجوار القصر العربي الميدان - وهو
الموضع الذي يعرف بالخرتف - واسطيل
الطرقة . وحداء الميدان البستان الكافوري
الذي من غرب على الخليج الكبير . ويجوز

الميدان دار برجوان المزوي ، وحدائها رجلة
الأبيل ، ودار الصليحة القديمة ، ويقال لهذه
المواضع الثلاثة حارة برجوان .

ويقال دار برجوان لشر ، وموضع الآن
يعرف بالحدوب الأسر ، ويصل إلى من قبالة
خاتمة يرس . وفيما بين ظهر الشر وباب
حارة برجوان سوق أمير الجيوش ، وهو من
باب حارة برجوان الآن إلى باب الجامع
الحاكمي .

وبجوار حارة برجوان من بحرهما المسجل
البحرية ، وهو متصل باب القنطرة الأول ،
وموضع باب المسجل البحرية يعرف اليوم
بحد القنطرة والقيصرية ، تجاه الجبلون
الصغير وسوق المرحطين . وتجاه المسجل
البحرية الزمالة ، وفيما بين الزمالة والشر
درب القرنية .

وبجوار البستان الكافوري حارة زويلة ،
وهي متصل بالخليج الكبير من غربها . وتجاه
حارة زويلة المسجل الجيزة ، وفيه خيول
الخليفة أيضا . وفي هذا المسجل بئر زويلة ،
وموضعها الآن قيسارية معقودة على البئر
المذكورة ، بلوها رجم يعرف بقيصرية بونس
من خط البنتانيين .

فكان المسجل الجيزة المذكور فيما بين
القصر العربي من بحرهما وبين حارة زويلة ،
وموضع الآن قيسارية باب سر لارستان
للتصوري إلى البنتانيين .

وحذاء القصر العربي من قبله ، مطبخ
القصر تجاه باب الزهوة المذكور ، والمطبخ
موضع الآن الصلحة قبالة الدار الصالحية .

وبجوار المطبخ الحارة المسدودة ، وهي من
الموضع الذي يعرف بحدام خشية إلى حيث
الصلح الذي يقال له فلتق الزمام . ويجوز
الحديقة حارة الأمراء ، ويقال لها اليوم سوق
الرجلين وسوق الحريرين الشرابين .

وبجوار الصلحة القديمة جس للموت ،
وهو موضع قيسارية الصبر . وتجاه جس
الموت عبة الصباغين وسوق القشاشين ، وهو
يعرف اليوم بالخراتين . ويجوز جس الموت
دكة الحبة ودار العيار ، ويعرف موضع دكة
الحسبة الآن بالأبوابين . وفيما بين دكة
الحسبة وحاشي الروم والديلم سوق
الرجلين ، ويقال له الآن الشواين . ويعرف
سوق السرايين مسجد ابن البناء الذي تسميه
العلمة سام بن نوح . ويجوز هذا المسجد باب
زويلة .

وكان من حداء حارة زويلة ، من ناحية
باب الخوخة ، دار الوزير يعقوب بن كلس ،
وصارت بعده دار الدياح ودار الاستمال ،
وموضعها الآن المدرسة الصالحية وماوراءها .
وتصل دار الدياح بالحارة الوزيرة ، وإلى
جانب الوزيرة الميدان الآخر إلى باب سعادة
وفيما بين باب سعادة وباب زويلة أمراء أيضا
وسطح .

هذا ما كانت عليه صفة القاهرة في الدولة
الفاطمية ، وحدثت هذه الأماكن شيئا بعد
شيء . ولم تزل القاهرة دار خلافة ومنزل ملك
ومعقل قتال ، لا يترها إلا الخليفة وعساكره
وخواصه الذين يشرفهم بقرية فقط .

وأما ظهر القاهرة من جهاتها الأربع ، فانه كان في الدولة الفاطمية على ما أذكر :

أما الجهة القبيلة - وهي التي فيما بين باب زويلة ومصر طولاً ، وفيما بين الخليج الكبير والجبل عرضاً - فانه كانت قسطن : ما حاذى بينك اذا خرجت من باب زويلة ترب مصر ، وما حاذى شمالك اذا خرجت منه نحو الجبل .

فاما ما حاذى بينك - وهي المواضع التي تعرف اليوم بدار القناح ، وتحت الرمح ، والتبساتين ، ومنطقة باب الخرق ، وما على حاذى الخليج من جانيه ، طولاً الى الحمراء التي يقال لها اليوم خط قناطر السباع ، ويخل في ذلك سوقة عصفور ، وحارة الحزين ، وحارة بنى سوس الى الشارع ، وركة القبل والملاية والحسودية ، الى العلية ومنه المدينة قبة - فان هذه الأماكن كلها كانت بساكن تعرف بجنان الزهرى ، وبستان سيف الاسلام وغير ذلك .

ثم حدث في الدولة هناك حارات للسودان وعمر الباب الجديد - وهو الذي يعرف اليوم باب القوس - من سوق الطيور في الشارع عند رأس ١٠٠٠ ٠٠٠ ، وحدثت الحارة الملاية ، والحارة للحسودية .

وأما ما حاذى شمالك - حيث الجامع المعروف بجمع الصالح ، والدرج الأحمر ، الى قطع ابن طولون التي هي الآن الرملة واليدان تحت القلعة - فان ذلك كان متابراً أهل القاهرة .

١٥٠ من ٢١٦ ج ١ ، ص ١٠١ .
(١) مكان يسمى بر الامم .

وأما جهة القاهرة الغربية - وهي التي فيها الخليج الكبير ، وهي من باب المنطرة الى القوس وما جاور ذلك - فانه كانت بساكن من غربها النيل ، وكان ساحل النيل بالمقس حيث الجامع الآن ، فيسر من المقس الى المكان الذي يقال له الجرف ، ويسمى على شمالي أرض الطباعة الى النيل ، وموضع كوم الرش الى النية .

ومواضع هذه البساتين اليوم أراضي التوت والزهرى ، وغيرها من المحكورة التي في بر الخليج الغربي الى بركة قرموط والخسور وبولاق . وكان فيما بين باب سعادة وباب الخوخة وباب القرج وبين الخليج قضاء لا يبان فيه ، والمناظر تشرف على ما في غربي الخليج من البساتين التي وراءها بحر النيل .

ويخرج الناس فيما بين المناظر والخليج للترفة ، فيجتمع هناك من أرباب البطالة والهموما لا يحصى عددهم ، ويسر لهم هناك من اللذات والمرات ما لا تسع الأوراق حكاية ، خصوصاً في أيام النيل عندما يتحول الخليفة الى التوارة ، ويتحول خاصته الى دار الذهب وما جاورها ، فانه يكثر حينئذ الملاذ بسعة الأرزاق والدرار النعم في تلك المدة ، كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى .

وأما جهة القاهرة البحرية فانه كانت قسطن : خارج باب القنوج ، وخارج باب النصر .

أما خارج باب القنوج فانه كان هناك منظر الخلفاء ، وقدامها البستانان الكبيران : وأولهما من زقاق الكحل ،

وآخرهما منية مطر التي تعرف اليوم بالمطرية . ومن غربي هذه المنطرة - في جانب الخليج الغربي - منطرة البعل فيما بين أرض الطبالة والخندق ، وبالتقرب منها مناظر القوس وجوه والتاج ذات البساتين الأنيقة المنصوبة لتزده الخليفة .

وأما خارج باب النصر فكان به مصلى العيد التي عمل من بعضها مصلى الأموات لا غير ، والقضاء من المصلى الى الريدانية وكان يتألفا عظيمًا ، ثم حدث فيما خرج من باب النصر تربة أمير الجيوش بدر الجبالي ، وعمر الناس التربة بالتقرب منها ، وحدث فيما خرج عن باب القنوج عائر منها الحسينية وغيرها .

وأما جهة القاهرة الشرقية - وهي ما بين السور والجبل - فانه كان قضاء ، ثم أمر الحاكم بأمر الله أن تبنى أثرية القاهرة من وراء السور لتنع السيول أن تنزل الى القاهرة ، فصار منها الكيمان التي تعرف بكيمان البرقية ، ولم تزل هذه الجهة خالية من العمارة الى أن انقضت الدولة الفاطمية . فبحان الباقي بعد فناء خلقه .

ذكر ما صار الى القاهرة
بعد استيلاء الدولة الأيوبية عليها

قد تقدم أن القاهرة انما وضعت منزل سكنى للخليفة وحرمه وجنده وخواصه ، ومنقل قتال يتحصن بها ويلتجأ اليها . وأنها ما برحت هكذا حتى كانت السنة العظمى في خلافة المستنصر .

ثم قدم أمير الجيوش بدر الجبالي وسكن القاهرة ، وهي بساب دائرة خاوية على عروشها غير عامرة . فأباح للناس من العسكرية والملحية والأرمن ، وكل من وصلت قدرته الى عبادة ، بأن يعمر ما شاء في القاهرة ما خلا من فسطاط مصر ومات أهله ، فأخذ الناس ما كان هناك من أنقاض الدور وغيرها ، وعسروا به المنازل في القاهرة وسكنوها .

فمن حينئذ سكنها أصحاب السلطان ، الى أن انقضت الدولة الفاطمية باستيلاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ابن شاذي في سنة سبع وستين وخمسائة ، فنقلها عما كانت عليه من الصيانة ، وجعلها مثابة لكن العامة والجمهور ، وحط من مقدار قصور الخلافة وأسكن في بعضها ، وتهدم البعض وأزيلت معالمه وتغيرت معاهده ... فصارت خططاً وحارات وشوارع ومالك وأزقة .

ويزل السلطان منها في دار الوزارة الكبرى حتى بنيت قلعة الجبل ، فكان السلطان صلاح الدين يتردد اليها ويقيم بها ، وكذلك ابنه الملك العزيز عثمان وأخوه الملك العادل أبو بكر .

فلما كان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب ، تحول من دار الوزارة الى القلعة وسكنها ، ونقل سوق الخيل والجمال والحصير الى الرملة تحت القلعة .

فلما خرب المشرق والعراق ، بهجوم عساكر
التر منذ كان جنكز خان في أعوام بضع
عشرة وستائة ، الى أن قتل الخليفة المستعصم
ببغداد في صفر سنة ست وخسين وستائة ،
كثر قدوم المشاركة * الى مصر ، وعمرت
حافى الخليج الكبير وما دار على بركة القيل ،
وعظمت عمارة الحينية ...

فلما كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن
قلاوون الثالثة بعد سنة إحدى عشرة
وسبعائة ، واستجد بقلعة الجبل المباني
الكثيرة من القصور وغيرها ، حدثت فيما
بين القلعة وقبة النصر عدة ترب ، بعد ما كان
ذلك المكان قضاء يعرف بالميدان الأسود
وميدان القبق .

وتزايدت العمارات بالحينية حتى صارت
من الريانية الى باب القنوج .

وعبر جميع ما حول بركة القيل والصلية
الى جامع ابن طولون ، وما جاوره الى المشهد
النقي ، وحكر الناس أرض الزهري وما
قرب منها ، وهو من قناطر السباع الى منشأة
المهراني ، ومن قناطر السباع الى البركة
الناصرية الى اللوق الى المقس .

فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون
الخليج الناصري ، اتسعت الخطة فيها بين
المقس والدكة الى ساحل النيل ، وأنشأ الناس
فيها البساتين العظيمة والمساكن الكثيرة
والأسواق والجوامع والمساجد والحمامات
والشون ، وهى من المواضع التى من باب
البحر خارج المقس الى ساحل النيلسمى

(*) من ٢٦٤ هـ ، ط. بولاق .

ببولاق ، ومن بولاق الى منية الشيرج ، ومنه
في القبله الى منشأة المهراني .

وعمر ما خرج عن باب زويلة سنة ويرة
من قنطرة الخرق الى الخليج ، ومن باب زويلة
الى المشهد النقي . وصارت القرافة من باب
القرافة الى بركة الحبش طولاً ، ومن القرافة
الكبرى الى الجبل عرضاً ... حتى انه استجد
في أيام الناصر بن قلاوون بضع وستون
حكراً ، ولم يبق مكان يحكر .

واتصلت عمار مصر والقاهرة ، فصارا بلداً
واحداً يشتمل على البساتين والمناظر والقصور
والدور والرباع والقياسر والأسواق والقنادق
والخانات والحمامات والشوارع والأزقة
والدروب والخطط والحارات والأحكار
والمساجد والجوامع والزوايا والربط والمشاهد
والمدارس والترب والحواسن والمطابخ
والشون والبرك والخلجان والجزائر والرياض
والمتنزهات ، متصلاً جميع ذلك ببعضه ببعض ،
من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلى بركة
الحبش ، ومن شاطئ النيل بالجيزة الى الجبل
المقطم .

وما زالت هذه الأماكن ، في كثرة العمارة
وزيادة العدد ، تضيق بأهلها لكثرتهم ،
وتختال عجايبهم لما بالقوا في تحسينها وتأنقوا
في جودتها وتنميتها ... الى أن حدث الفناء
الكبير في سنة تسع وأربعين وسبعائة ، فخلا
كثير من هذه المواضع ، وبقي كثير أدركناه .

فلما كانت الحوادث من سنة ست وثمانائة
وقصر جرى النيل في مده ، وخربت البلاد
الشامية بدخول الطاغية تيمورلنك وتحريقها

وقتل أهلها ، وارتفع أسعار الديار المصرية ،
وكثرة الغلاء فيها وطول مدته ، وتلاف النقود
المتعامل بها وفسادها ، وكثرة الحروب والفتن
بين أهل الدولة ، وخراب الصعيد وجلاء
أهلته عنه ، وتداعى أسفل أرض مصر من البلاد
الشرقية والغربية الى الخراب ، وانفصاع
أمور ملوك مصر ، وسوء حال الرعية ،
واستيلاء الفقير والحاجة والمسكنة على الناس
وكثرة تنوع المظالم الحادثة من أرباب الدولة
بمصادرة الجمهور ، وتبع أرباب الأموال
واحتجاب ما بأيديهم من المال بالقوة والقهر
والغلبة ، وطرح البضائع مما يتجر فيه
السلطان وأصحابه على التجار والباعة بأعلى
الأثمان ، الى غير ذلك مما لا يتسع لأحد
ضبطه ، ولا تسع الأوراق حكايته ... كثر
الخراب بالأماكن التى تقدم ذكرها وعم
سائرهما ، وصارت كيمانا وخرائب موحشة
مقفرة يأويها البوم والرخم ، أو مستهدمة
واقعة أو آيلة الى السقوط والدثور ... سنة
الله التى قد خلت في عبادته ، ولن تجد لسنة
الله تبديلاً .

ذكر طرف مما قيل في القاهرة ومتنزهاتها

قال أبو الحسن على بن رضوان الطبيب :
ويلى القسطنطين في العظم وكثرة الناس
القاهرة ، وهى في شمال القسطنطين ، وفي
شرقيها أيضاً الجبل المقطم يعوق عنها ريح
الضبا ، والنيل منها أبعد قليلاً ، وجميعها
مكتشوف للهواء ، وإن كان غل فوق ربما
عاق عن بعض ذلك .

وليس ارتفاع الأبنية بها كارتفاع القسطنطين
لكن دونها كثيراً ، وأزقتها وشوارعها
— بالقياس الى أزقة القسطنطين وشوارعها —
أنظف وأقل وسخاً وأبعد عن العفن ، وأكثر
شرب أهلها من مياه الآبار ، وإذا هبت ريح
الجنوب أخذت من بخار القسطنطين على
القاهرة شيئاً كثيراً ، وقرب مياه آبار القاهرة
من وجه الأرض مع سخافتها موجب ضرورة
أن تكون يصل إليها بالرشح من عفونة الكنف
شيء ما .

وبين القاهرة والقسطنطين بطائح تمتلأ من
رشح الأرض في أيام فيض النيل ، ويصب
فيها بعض خرابات القاهرة ، ومياه البطائح
هذه رديئة وسخة أرضها ، وما يصب فيها من
العفونة يقتضى أن يكون البخار المرتفع منها
على القاهرة والقسطنطين زائداً في رداءة الهواء
بها . ويطرح في جنوب القاهرة قذو كثير
نحو حارة الباطلية ، وكذلك يطرح في وسط
حارة * العيد .

الا أنه اذا تأملنا حال القاهرة كانت
— بالإضافة الى القسطنطين — أعدل وأجود
هواء وأصلح حالاً ، لأن أكثر عفوناتهم ترمى
خارج المدينة ، والبخار ينحل منها أكثر .
وكثير أيضاً من أهل القاهرة يشرب من ماء
النيل وخاصة في أيام دخوله الخليج ، وهذا
الماء يستقى بعد مروره بالقسطنطين واختلاطه
بعفوناتها .

قال وقد اقتصر أمر القسطنطين والجيزة
والجزيرة : فظاهر أن أصح أجزاء المدينة

(*) من ٢٦٤ هـ ، ط. بولاق .

الكبرى القرفة ، ثم القاهرة والشرف وعسى
عن مع الصرة والبرية ، وهناك القاهرة
أصبح من جميع هذه المدن على مدار القضاة
بقره من القضاة ، وألقى موضع في القبة
الكبرى هو ما كان من القضاة حول الجبل
التي إلى ما بين النيل والقوسول . وإلى
جانب القاهرة من القضاة الحسن ، وهو في
نور ، تصويره لما لهذا السب . أما
التي مجريته التي لهذا السب .

وقال ابن سعيد في كتابه العرب في حلي
العرب ، عن القبط : ولما منيت القاهرة
في القبة القاهرة التي تسمى فيها القبطيون
والمصريون ، ولما ، وأخبروا بها للعلماء
والمؤرخين ، فليس القضاة ، وهذه فيه
بعد الإتيان .

قال : وسيت القاهرة ولما تسمى من سنة
هذا وزاد من سنة القاهرة ، وقصروا في منها
يسكنون لأرض ويستولون على قهر الأمم ،
وكانوا يظهرون تلك ويتحنون به .

قال ابن سعيد : هذه القبة لها نظم
مها ، وكان يسمى أن تكون في ترتيبها
وميلها على خلاف ما عليه ، لأنها مدينة
بها القضاة نظم هذه القبة . وكان
سقطه قد تم جميع طول القرب من طول
القبر الصرة إلى البحر المحيط ، وخطبه
في البحر من حيرة عند القرفة ، وفي مكة
والقبة وبلاد اليمن وما جاورها ، وقد عث
كثيرة ، وسارت من القس في كل بقعة ،
وهي مبرور الفرج في البحر ، لا سيما
وقد عث ما بين أيمن القصور في مدينة

المصورة التي إلى جانب القبر ، وعلى
القبة مدينة هذه القبة ، لكن
القبة القبطية القاهرة على قصور القضاة
بالقاهرة ، وهي القبة إلى الآن باسم القبر .
بما من القبر .

من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر

أما من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر

وأما من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر
من القبر إلى القبر

والقبر المعروف في القاهرة به
القبر ، هو إلى القبر القبطي ، لأن
هنا ساحة من القبر القبطي والقبرين ما بين
القبرين .

ولو كانت القاهرة عظمة القبر كلمة القبة
القبطية ، ولكن ذلك أمث قليل ، ثم تسمى
من القبر إلى القبر ، ونرى في قبر كبر حرج
من القبرين ، أما القبرين في القبر مع
القبرين كان ذلك ما بين من القبرين ،
ومن من القبرين .

ولقد عثت يوما وزير القولة وبين يديه
أمره القولة ، وهو في موكب جليل ، وقد تقي
في طريقه عجة بقر تحمل حجارة ، وقد سلت
جميع القرب بين يدي القبرين ، ووقف
الوزير ، وعظم الأرحام ، وكان في موضع
يطلق والقبرين في وجه الوزير وعلى ثيابه ،
وقد كثر يملك القصة ، وكنت أملك في
يصلهم .

وأكثر عروب القاهرة ضيقة مظلة كثيرة
التراب والأثران ، والبساتي عليها من قصب
وطين مرتفعة قد ضيقت ملك الهواء والقوة
بينها ، ولم أر في جميع بلاد القرب أسوأ
حالا منها في ذلك ، ولقد كنت إذا منيت
فيها يضيق صدري ، ويذكرني وحشة عظمة
حتى أخرج إلى بين القصرين .

ومن عيوب القاهرة أنها في أرض النيل
الأخضر ، ويسوت الإنسان فيها عشا بعدما
عن مجرى النيل للصادرها وماكل ديارها ،
وإذا احتاج الإنسان إلى فرجة في نيلها مشى
في سافة بعيدة بظاهرها بين الباني التي خارج
السور إلى موضع يعرف بالقبر ، وجوها لا
يرج كثيرا يسا تيره الأرجل من التراب
الأسود .

وقد قلت فيها حين أكثر على رفاقي من
الحض على العود فيها :

يقولون سافر إلى القاهرة
وما لي بها راحة ظاهري
بحام وضيق وكرب وما
تسير بها أرجل السائرة

وعندما يقبل السافر عليها يرى سورا
أسود كثيرا وجوا مغبرا ، فتقبض نفسه ،
وغير أنه .

ولحسن موضع في ضواها القرفة أرض
القبالة ، لا سيما أرض القرب والكثبان ،
قلت .

سقى الله أرضا كلها زرت أرضها
كساعا وحلاها يرتته القرب

تجلى عروسا ولياء عقودها
وفي كل قطر من جوانبها قطر
وفيها خليج لا يزال يصفى بين خضرتها
حتى يصير كما قال الرصافي :

ما زالت الأنهار تأخذ
حتى غدا كذوبة النجم

وقلت في نوار الكثبان على جانبي هذا
الخليج :

أظن إلى النهر والكثبان يرمقه
من جانبيه بأجفان لها حشفة

رأته سينا عليه للصبأ شطب
فتألمته بأحداق بها أرق

وأصبحت في يد الأرواح تسجها
حتى غلت حلقا من فوقها حلق

قم وزرها ووجه الأفق متضج
أو عند صفرة أن كنت تفتيق

وأعجبنى في ظاهرها بركة القبل ، لأنها
دائرة كاليد ، والمناظر فوقها كالنجوم .

وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل ، وترج
(*) من ٢٢٦ ، طبع في ١٩٠٠

أصحاب المناظر على قدر همتهم وقدرتهم ،
فيكون بذلك لها منظر عجيب وفيها أقول :

انظر الى بركة النيل التي اكتفت
بها المناظر كالأمداب للبصر

لأننا هي والأبصار ترمقها
كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت إليها ، وقد قابلتها الشمس بالغدو ،
فقلت :

انظر الى بركة النيل التي نحررت
لها الغزاة نحرًا من مطالعها

وخل طرفك مجنونًا يبهجتها
تهم وجدا وجبا في بدائعها

والقسطاط أكثر أرزاقا وأرخص أسعارا من
القاهرة ، لقرب النيل من القسطاط ، فالمرآب
التي تصل بالخيرات تحط هناك ، ويبيع ما
يصل فيها بالقرب منها ، وليس يتفق ذلك في
ساحل القاهرة لأنه بعيد عن المدينة .

والقاهرة هي أكثر عسارة واحتراما وحشمة
من القسطاط ، لأنها أجل مدارس ، وأضخم
خانات ، وأعظم دقارا لسكنى الأمراء فيها ،
لأنها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل
منها ، فأمور السلطنة كلها فيها أيسر وأكثر ،
وبها الطراز وسائر الأشياء التي تزين بها
الرجال والنساء .

الآن أن في هذا الوقت ، لما اختفى السلطان
الآن ببناء قلعة الجزيرة التي أمام القسطاط
وصيرها سرير السلطنة ، عظمت عسارة
القسطاط ، وانتقل إليها كثير من الأمراء ،
وضخت أسواقها ، وبني فيها للسلطان أمام

الجسر الذي للجزيرة قيسارية عظيمة ، تنقل
إليها من القاهرة سوق الأجناد التي يباع فيها
القراء والجوخ وما أشبه ذلك .

ومعاملة القاهرة والقسطاط بالدرهم
المعروفة بالسوداء ، كل درهم منها ثلث من
الدرهم الناصري ، وفي المعاملة بها شدة
وخساسة في البيع والشراء ، ومخاصمة مع
الترقيين . وكان بها في القديم القلوس ،
فقطعها الملك الكامل ، فبقيت إلى الآن
مقطوعة منها .

وهي في الاقليم الثالث ، وهوؤها رديء لا
سيما إذا هب المريسي من جهة القبلة ، وأيضا
رمد العين فيها كثير ، والمعاش فيها متعذرة
ثورة لا سيما أصناف الفضلاء ، وجوامك
المدارس قليلة كدرة .

وأكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى
في كتابة الخراج والطب . والنصارى بها
يتأزرون بالزناز في أوساطهم ، واليهود بعلامة
صفراء في عسائهم ، ويركبون البغال ،
 ويلبسون الملابس الجليلة .

وماكل أهل القاهرة الدميس والصير
والصحنة والبطارخ ، ولا تصنع النيدة
— وهي حلاوة القمح — إلا بها وبغيرها من
الديار المصرية ، وفيها جوار طبافات ، أصل
تعليمهم من قصور الخلفاء الفاطميين ، لهم في
الطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة .

ومطابخ السكر ، والمطابخ التي يصنع فيها
الورق المنصوري ، مخصصة بالقسطاط دون
القاهرة .

ويصنع فيها من الأنطاع المستحسنة ما يسفر
إلى الشام وغيرها ، ولها من الشروب
الدمياطية وأنواعها ما اختصت به ، وفيها
صناع للقسي كثيرون متقدمون ، ولكن قسي
دمشق بها يضرب المثل وإليها النهاية .

ويسفر من القاهرة إلى الشام ما يكون من
أنواع الكمرانات ، وخرايط الجلد والسيور
وما أشبه ذلك .

وهي الآن عظيمة أهلة ، يجبي إليها من
الشرق والغرب والجنوب والشمال ، ما لا
يحيط بجملته وتفصيله إلا خالق الكل جل
وعلا .

وهي مستحسنة للفقير الذي لا يخاف على
طلب زكاة ولا ترسيميا وعذابا ، ولا يطلب
برفيق له إذا مات ، فيقال له : ترك عندك
مالا . فربما سجن في شأنه ، أو ضرب
وعصر .

والفقير المجرد فيها مستريح من جهة رخص
الخبز وكثرته ، ووجود الساعات والفرج
في ظواهرها ودواخلها ، وقلة الاعتراض عليه
فيما تذهب إليه نفسه * ... يحكم فيها كيف
شاء من رقص في السوق ، أو تجريد ، أو
سكر من حشيشة أو غيرها ، أو صحة
المردان وما أشبه ذلك ، بخلاف غيرها من
بلاد المغرب .

وسائر الفقراء لا يعترضون بالقبض
للأسطول ، إلا المغاربة فذلك وقف عليهم
لمعرفتهم بمعاناة البحر ، فقد عم ذلك من
يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف ، وهم
في القدوم عليها بين حالين : أن كان المغربي

(*) من ٣٦٧ ج ١ ، ط. بولاق .

غنيا فلوبب بالزكاة وضيق عليه أنفاسه حتى
يفر منها . وإن كان مجردا فقيرا حصل إلى
السجن حتى يجيء وقت الأسطول .

وفي القاهرة أزاهير كثيرة غير منقطعة
الاتصال ، وهذا الشأن في الديار المصرية
تفضل به كثيرا من البلاد .

وفي اجتماع النرجس والورد فيها أقول :

من فضل النرجس وهو الذي
يرضى بحكم الورد إذ يرأس

أما ترى الورد غدا قاعدا
وقام في خدمته النرجس

وأكثر ما فيها من الثمرات والفواكه
الريمان والموز والتفاح ، وأما الأجاص فقليل
غال ، وكذلك الخوخ ، وفيها الورد
والنرجس والسرير والليشوفر والبنفسج
والياسمين والليمون الأخضر والأصفر .

وأما العنب والتين فقليل غال ، ولكثرة ما
يعصرون العنب في أرياف النيل لا يصل منه
إلا القليل ، ومع هذا فتراؤه عندهم في نهاية
الغلاء . وعامتها يشربون المزر الأبيض المتخذ
من القمح ، حتى أن القمح يطلع عندهم سعره
بسببه فينادى النادي من قبل الوالي بقطعه
وكسر أواليه .

ولا ينكر فيها اظهار أواني الخمر ، ولا
آلات الطرب ذوات الأوتار ، ولا تبرج النساء
العواهر ، ولا غير ذلك مما ينكر في غيرها من
بلاد المغرب .

وقد دخلت في الخليج الذي بين القاهرة
ومصر ، ومعظم عمارته فيما يلي القاهرة ،

فركت فيه من تلك العجائب ، وربما وقع فيه
من سبب قسرك فيجس فيه القرب ، وذلك
في بعض الأحيان .

وهو عريق عليه في العجائب مائة كثيرة
التي لا يمكن القرب والتمكيد والظلمة ، حتى
أن الشمس والقمر لا يميزون فيكونان
في مركب ، والشمس في جانب والبدر في
جانب ، وكثيرا ما يخرج فيه أهل القصر
يخرجون . وفي ذلك قول :

لا ترك في خليج مصر
لا تترك في خليج مصر

قد علمت الذي عليه
من علم كظم مقام

مقام القرب في الملا
صلاح ما ينتم كلام

يسمى لا تترك في
لا تترك في خليج مصر

والتي تترك في القصر
عليه من قلة شام

والشمس قد رقت عليه
سما حبيب لا تترك

وهو قد رقت والياني
عليه في خلة قيام

في كم حجة جنة
مقام القرب في خليج مصر

التي . وفيه تحلل كبر .

وقال زكي الدين الحبيب من رسالة كبر
من مصر ، في شهر رجب سنة الف

وسمى إلى القبة وهو ضيق بتسويق
البحر ، وذكر ما فيها من التواضع والكرم
ومع من مصر بقوله :

لا تترك في خليج مصر
لا تترك في خليج مصر
وهو عريق عليه في العجائب مائة كثيرة
التي لا يمكن القرب والتمكيد والظلمة ، حتى
أن الشمس والقمر لا يميزون فيكونان
في مركب ، والشمس في جانب والبدر في
جانب ، وكثيرا ما يخرج فيه أهل القصر
يخرجون . وفي ذلك قول :

فأجابه من تحت بكتاب من جنته عن
الملك شمس كبرياؤه :

« ودينا لولا أنزل . كيف سمعت
نظيرك البلية ، ومروءتك الكرمية ،
ومروءتك الشفوية ، ومروءتك الحافظة ،
ومروءتك الرقاب السلاطة ، بدم من جنت
نعمها ، وسكنت حرمها ، وقلت مصر
وتسورها ، وقلت عليها القول من كل

جانب ، واستمرت لها الشكر حتى في الشارب
والشارب ...

« وعلا ذكرتها وقد باكرها بيل نيل
الشمس بغيره بيل . السيم بكس من
كسبه ، وهذا البحر عليها زائرا فقامها عن
بكتها السحاب وتجيده ، وعم مقام أرضها ،
وعب عبايه في طولها وعرضها ، حتى كاد يعلو
رفيع قصورها ، وتسور بسورها شامخ
سورها . ومع قالا نراه جسورا على ضفاف
يسورها ، قد طبق التهام والأجناد ، وغرق
الأكام والوهاد ، وعلا أنلى العميد والعماد ،
وانتد البر سلطانا بعرا بالآزدياد ...

« قلنا لوتوى نواك أكياد البلاد ، وروى
السيل والوعر والتمساح والوهاد ، وذهب
لما في الأرض بكل ملقة وخليج ، وانجاب
عنها فاهتوت ورت ، وأبنت من كل زوج
يحيج ... بنت روضة خضرة بأملق منقطة ،
كزمردة خضراء بقل مرصعة : فكم من غدير
مستور كيدر منير ، وثقيق مستطيل كيف
صقيل ، وكم من قلب قلاب بماء كجلاب ،
وكم من عظيم يركة حركها السيم بلقمة ،
وطيها غير غيرها فضخها بكته ، وزعت
به هو يلقونها قمرها برفه ، وكم ترى من
ملقة لينة ، عليها عيون الترجس محلفة ،
كصحن خد عروس منقة ...

« والتولو قد دلوت بدم التلى ككوسه ،
وبجالت في فراح الأقراح قوسه ، ونجم نجده
وابتم عروسه ، وسلمه الرخاذه السهل ،
ولاكره الطل فلكه بؤقوه وقلمه ، وزلزه
« ... »

السيم لعل فلقته وأقلمه ، وللق أرضه
وروسه ونعبه ونفضه ...

« قد تاهت برضاها الفناء ، وزعت
بفرخها وزنتها الحناء ، واستد بساطها
الزمردي ، وأبسط مدادها الزرجدي ، فلا
يفرك أقصاه آخر مسافر ، ولا يحيط بستانها
خيل ولا خيل ...

« فقه قمرها من روضة مزق ، وكعبة
حسن ، ومنقعات بناء غير آسن ، وحرم بحر
لججاج طير آمن . ألاما حبيج الطير من كل
فج عبق ، مليا دلى حسنها من كل مكان
سحق ، قد انتفى ركبها متون الرياح ، وعلا
جنتها عالم الأرواح ، ووصلن الإدلاج
بالمصباح ، وقطن أجناح الليل بفتاق الجناح
كأنهن القلري السولري ، أو اللشأت
الجوارى ، أو المعايا الهاري ...

تواصل من جو حوائض نيل
صعود على حكم الطريق ذول

« رفاق تعاقدن على الوفاء ، وتعاقدن على
العناء والبلاء ، خرجن مهاجرات من الأوطان
أوقا ، وقطن صافات كالمصائف صفوفا ،
يقطنن دليل كالك امام ، قد قتل طرق الأفاق
خيرا واستوى لديه الأضواء والأظلام ، أبصر
من زرقاء البياض ، وأطير من الورقاء والهامة ،
وأهدى من النجم ، وأشد من السهم ...
يتلحن بلغات أنجيات ، مبهات بالحنان
مطربات ، فظن في حرمها الأمن ، واعتبرن
بذلك الحاسن .

« فتراها عند أقبال نوحا وحومها في
جوها ، ما تستقيم خطا مستقيا ، وإن كانت
تصطف صفا عاليا : فستأ ما يستل هلالا ،

ومنها ما يحكى بنات نضج حالا ، ومنها ما
ينشئ بدلالة دالا ، ومنها ما يخط نونا نونا
فيحكي حاجيا مقروفا ، ومنها ما يكتب زنا
ليبيدها عينا ، ومنها ما يصور ميم الهجاء
فيشاهد بسبب النساء ، ومنها ما يأتي زرافات
ورحدا ، فيدع في اعجاب حسنا واحسانا .

« فكم من جبل أوز معلق بالسما يخلق
الى ذلك الماء ، وأوانس عريسات أيسات
كيات ، وصور صور كالمثال حور ، وطير
لنلق مكس يدياج مصيغ ، وجليل جرج
كطليح متوج ، وكركي عرض طول كيمير
كير جيل ، وغرور غر منور متغير ، وسيطر
شديد شوهر ، وكم ضخم اللسيعة جوال
ككوهي بالقوة اللينة صوان ، ورخام مرزم
كذي امرة معتم ، وجلالة نر في السامع
القانع والعناصر الواقع ، أي من الشر
الطائر والواقع ، وعظم عتاب تم الصن
يعته وكل الصيد في ضنة ، وكمن من
خضاري وحرمان ، وشنون وشهران ،
صوائ وغير صوائ ، وكمن من بط على شط
وخط ، وقطقط منقط ، وغر وغرغورق ،
وكرسوخ مشوق ، ونورس ستانس ...

« وقد امتلأت من الأفاق ، وتكلمت
بجوامع الاملاق ، وشرين من جريالها
فذكرهن الاصباح والاعتبات : فكم من
سود كخال بخد ، وأزرق كالأزورد ، وأشقر
كوه ورد ، أحمر طمع ، وأصفر فاقع ،
وأبيض في خطاب غنمي ، بلطيف متقار
يقى ، وميرقتى وميتق ، ومعمم ومتع ،
وأشقر منتقى ، وأرقش مرشش ، وعسودي
وعشقي ، وصيني مئي ، وعيتني كياقوتيني

قد رصعتا في لجين ، وكمن من طائر أبي من
قمر سائر ، بفرق مثل صبح سافر .

« قترامن في الماء صونا وقوفا ، صفوفا
عكوف ، كصور أصنام ، أو حجارة مبددة في
أكام ، وكمن من أطياف طراف ملاح لطاف ،
ذوات الحان ونضرة وألوان ، وخلق وأخلاق ،
ونطق وأطواق ، وأيناس مع شماس ... قد
ازدانت الأرض بأصوانها ، واختلاف لغاتها
وعجائب صفاتها ، فبرزت بأنواع الأعاجيب ،
وتجلت بأجل الجلايب ، وأبدعت في صور
الاحسان ، وتصورت في بدائع الألوان ...

« فإذا بدت زرقاء في زهر كنانها ، مذهبة
بأزهار لبانها ، مفضضة بنجوم أحنواها ،
خلعت السماء عليها خلعة جميل أردانها . وإذا
فاح نثر نوار قرطها ، شمت المسك الذكي
من مرطها ، ورأيت لآلي سطها ، مبسومة
على خضر سطها ، ومغالاتها بغالية نور
فولها ، وهزاتها إذا رقل النسيم في ذبولها ،
قد رصعت أغصانها بفصوص لجينها ، ونقطته
من حننها بسواد عينها : فعيوه كميون
غزلاتها في فتكها ، وأحنقه كالأحداق ولذاتها
من تركها .

« وكمن لها من حرة معتبرة ، وجبهة منورة ،
ووجه مزخرفة ، وملاحة منشورة معصفرة ،
وخد مورد ، وطرف مهند ، ولها صيغ من
عقيق الشقيق ، وسكرها من ذلك الريق على
التحقيق .

« وأين يزوغ بشينها ، وامتداد بطينها ،
وأين حلاوة غرائس نخلاتها ، وطلاوة أوانس

من ٣٥٠ ج ١ ، ص ١٠٠

قاماتها بمشابهتها في صفاتها ، وغرائس
فيلاتها ، وأين لفيد ملعها ، وحيد فرعها
ومديد جذعها ، وفر جمارها عن غرة جمارها
واخضرار أكمامها ، واحمرار لثامها ، وبنان
بسرهما المطرف ، وبنان نثرهما المنرف ،
واقظام سرورها بإتسام مشورها ...

« وورد واديا ومنحناها ، وندي ندها
ونمر حناها ، وآسى آسها ، وطيب طيب
أنفاسها ، وتبرجها بآترجها وتبرجها بنارنجها ،
وتختها بمختها ، وتبسها عن بلسها ،
وتشتق أبرادها عن نهود كبادها ، وتضاعف
أرجها بمضاعف بنفجها ...

« وجلالة مقدارها إذا فتحت أزرارها عن
جبل نازها ، وطيب شميمها من أشمومها ،
ولسيمها ووسيمها بأوسيمها ، وجنان قليوبها ،
وحرمان قليها ، وأحواضها يمينها ورياضها ،
وطيرتها بمطيرتها ، وتيس أنسا بمقسها ،
وغرب غرسها يلقسها ، وعظيم آسها بمحلق
مقياسها ...

« وكريم تحيتها من قبل اليمن هبوب
أنفاسها ، واجتماع أسعدتها ، وارتفاع
رصدتها ، وسواقيها الحثانة في سجمها ، الهانة
بسكبها من دمها ، وحنة لوقها ، ولجة
بولاتها ، وبركة فيلها من بركة نيلها ، وجزيرة
ذهبها ، وقلعة الجزيرة بذهبها ...

« من عجيبها حكت فلكتها في بحرها ،
واحكمت مملكتها في برها ، وعظم جللها بقلعة
جبلها ، واعتلاه أعلامها ببناء أهرامها ...

« وإذا نظرت الى سمود صمودها الى
سميد صعيدا ، واغباطها بانعطاطها الى
صوب سكندريتها ودمياطها ، الهتك عن حسن
الثريا ومناطها ...

« ولا تنس الجوارى المنشآت في البحر
كالأعلام ، التي تسبق عند طياب الرياح
منفوقات السهام ، واعجابها بغرباها البحرية ،
وحراقاتها الحرية ، وشوانها وهول مبالها ،
وجلال شكلها وجمال معانيها : تبدو موشاة
بالنصار الأحمر ، منقشة باللون الأفخر ، فهي
كالأرقم المنر ، أو كتلون الشر ، أو الطاووس
الذكر ، أو الناووس البني الأصفر ... مصرية
يأس الحديد والأحجار ، محمولة على سيج
الماء التيار ، مشحونة بالرجال ، منصورة عند
القتال ، مصونة بالمجن والنبال ، تبرز مذكرة
بالآية النوحية ، وتضمن لحراز الهمة العلية
الفتحية ...

« حصون أمنع من أغز قلاع ، تطير اذا
فتح لها جناح القلاع ، فتسبق وفد الريح عند
الاسراع ، وتفوق سرعة السحاب عند
الانساع : فمن مع العقبان في النيق حوم ،
ومن مع البنيان في البحر عوم ، لو أقسم من
رأها ، ولو قال مشاهد معناها : ان الله تفخ
فيها الروح فأحيها ، لبر في يمينه التي أقسم
وتلاها ...

« وكمن من مركب ، لحنه معجب ، وكمن
من سفن قوى أمين ، وخضاري جليل ،
وعشارى طويل ، وممارى طويل جميل ،
وفستراوى عكاوى ، ولكة ودرمونة ومعدية
مكيئة ، وسلور دقيق ، وشختور رشيق ،

وقرقرور رقيق ، وزورق ذى زوارق ، وطريدة
بغيل الطراد معمورة ، دهاء بحل الجياد
والأجناد مشمورة ، ومخلوف فى الآفاق
بالمعروف معروف ..

« وما أحلى بنان رطبها المخضب ، ورثيق
قائمة قصبها المقصب ، وبهجة فوزها بطلح
موزها ، وخضر أعلام أوراقها ، وصفر كرام
أعلاقها ... فلا البلاغة تبلغ من احصاء فضلها
مراما ، ولا التفصاحة تصوغ لوصف تشبيها
كلاما . فقال الله تعالى أن يكتفها بركته
الذى لا يرام ، ويحرسها بعينه التى لا تام ،
ببنة وكرمه . »

وقال الرئيس شهاب الدين أحمد بن محيى
الدين يحيى بن فضل الله الغمرى كاتب السر :

لمصر فضل باهر
بعيشها الرغد النضر

فى كل سفح يلتقى
ماء الحياة والخضر

وقال ابراهيم بن القاسم الكاتب - الملقب
بالرثيق - يشوق الى مصر ، وقد خرج عنها
فى سنة ست وثمانين وثلثائة ، من قصيدة :

هل الريح ان سارت مشرقة ترى
تودى تحياتى الى ساكنى مصر ؟

فما خطرت الا بكيت صباية
وحملتها ما ضاق عن حمله صدرى *

لانى اذا هبت قبولا بنهرهم
شمت نسيم الملك من ذلك النثر

(*) من ٢٧١ ج ١ ، ط ١٠٠٠

فكم لى بالأهرام أو دير نصية
مصابد غزلان المطايد والقصر

الى جيزة الدنيا وما قد تضمنت
جزيرتها ذات المواخر والجسر

وبالمقصر والبستان للعين منظر
أنيق الى شاطئ الخليج الى القصر

وفى بئر دوس متراد وملعب
الى دير مرجنا الى ساحل البحر

فكم بين بستان الأمير وقصره
الى البركة النضراء من زهر نضر

تراها كسراة بدت فى رفارف
من السننس الموشى تنثر للتجر

وكم ليلة لى بالقرافة خلتها
لما نلت من لذاتها ليلة القدر

وقال أحمد بن رستم بن اسفهلار
الديلمى ، يخاطب الوزير نجم الدين أبا يوسف
ابن الحسين المجاور ، وتوفى فى رابع عشر ذى
الحجة سنة احدى وعشرين وستمائة :

حى الديار بشاطئ مقياسها
فالمقسم الفيح بين دهاسها

فالروشتين وقد تضوع عرفها
أرج البنفسج فى غضارة آسها

فمنازل العين المنيفة أصبحت
يفنى سناها عن سنا نبراسها

فخليجها لذاته مطلوبة
تسو محاسنه علا بأناسها

خافاته مخسوفة بمنازل
نزلت بها الآرام دون كناسها

وقال العلامة جلال الدين محمد الشيرازى
المعروف بامام منكلى بقا :

حيا الحيا مصرا وسكانها
وباكرا الوسمى كتابها

وجاد صوب المزن من أرضها
معاهد الانس وأوطانها

معاهد بالانس معمورة
لم أنس مهما عشت احسانها

كم أبقتنى فى ذرا دوحها
عجباء لا تقه الحانها

وكم نعيم قد تخيلته
فيها وكم غازلت غزلانها

وعاينت عيني بها أغيدا
منفس المقلقة وسنانها

تحرى بالتفتير الحائل
كان من بابل شيطانها

وكم شجت قلبى بها غادة
قد كحلت بالفتج أجفانها

اذا دعت صبا الى حبها
لا يستطيع الصب عصيانها

وكم ليالى لى بها قد مضت
تسحب بالاعجاب أردانها

والهف نفسى كيف شطت بها
حوادث قوض بنيانها

فارتقت لا عن قلبى صدنى
عنها فراق الروح جسمانها

واعترضت عن غزلانها والمها
نعايج جيرون وثيرانها

ياسائلى عن حالتى بعدها
هأنذا أذكر عنوانها

ما حال من فارق أصحابه
وفارق الدنيا وجيرانها

تقلب فوق الجبر أحشاؤه
توجج الأشواق ليرانها

والعين لا تنفك من عبرة
ترسل فوق الخد طوفانها

ياسائق النوق يث الثرى
كشل بث السحب تهانها

حى ربا مصر وجناتها
وحورها العين وولدانها

ودورها الزهر وساحاتها
وبين قصرها وميدانها

وأرضها المخضب أرجاؤها
ونيلها الزاهى وخلقانها

والروضة الفيحاء تلك التى
تجلو عن الأنفس أحزانها

ومنية السرج لا تسها
وقرطها الأحوى وكناها *

والتاج والخس وجوه التى
أضحت من العين اناسها

وحى يابرق وجد بالحيا
جزيرة النيل وغيظانها

وبانها الفض ونسرتها
ووردها البكر وورحانها

وظلها الضافى وأزهارها
وماءها الصافى وغدرانها

(*) من ٢٧١ ج ١ ، ط ١٠٠٠

هذه اللغة اتفق حال القاهرة وأهلها أخصا
فيها .

ومن الأوقات المشهورة لها أيضا اقتران
زحل والريخ في برج السرطان ، ويكون ذلك
في كل ثلاثين سنة شعبة ، ويترقق في سنة
تساع عشرة وثمانمائة ، وفي سنة تنقضي
الأربعة والاحدى والترون سنة التي ذكر
أما عن القاهرة في سنة تسع عشرة
وثمانمائة .

وشولحد الحال اليوم تصدق ذلك ، في
عليه أهل القاهرة الآن من القتر والفاقة وقلّة
المال ، وخواب الضياع والتسرى ، وتقلص
التور للقطوط ، وشول الخراب أكثر مسود
القاهرة ، واختلاف أهل الدولة ، وقرب
انقضاء مدتهم ، وغلاء سائر الأسعار .

ولقد سمعت عن يرجع إليه ل مثل ذلك ،
أن العادة تنقل من القاهرة إلى يركة الحبش،
فيصير هناك مدينة .. والله تعالى أعلم .

ذكر مساكن القاهرة وشوارعها على ما هي عليه الآن

وقبل أن تذكر خطط القاهرة فليبتدىء
بذكر شوارعها ومساكنها ، السلوك منها إلى
الأزقة والحارات ، لتعرف بها الحارات
والخطط والأزقة والشروب ، وغير ذلك مما
ستقف عليه إن شاء الله تعالى .

فالشوارع الأعم (قبة القاهرة) من باب
زويلة إلى باب النصرين ، عليه باب الخرقش
أو الخرقش ، ومن باب الخرقش ينفرق من
هناك طرقتان : ذات اليسار ويسلك منها إلى

الركن المخلق ورجبة باب العيد إلى باب
النصر ، وذات اليسار ويسلك منها إلى الجامع
لأقصر ، وإلى حارة يرجوان إلى باب الفتوح .

ثم اجتبا السالك بالدخول من باب زويلة ،
فإن يجد بينة الزقاق الفسيق الذي يعرف
اليوم بسوق الخلفين ، وكان قديما يسرق
بالخنايين ، ويسلك من هذا الزقاق إلى حارة
الطبقة وخوخة حارة الروم البرانية .

ثم يسلك الدخول أمامه فيجد على يمينه
سجن متولى القاهرة - المعروف بخزانة
نعماني - وقيارة سنقر الأنسر ودرب
الصفيرة .

ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه حمام
الفاضل الممتدة للدخول الرجال ، وعلى يمينه
- تجاه هذه الحمام - قيسارية الأمير جهاء
الدين وعلان الدولدار الناصري ، إلى أن
يتهي بين الحوائيت والرباع فوقها إلى باب
زويلة الأول ، ولم يبق منهما سوى عقدة
أحدهما ، ويعرف الآن بباب القوس .

ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الزقاق
السلوك فيه إلى سوق الحدادين والحجارين
- المعروف اليوم بسوق الانباطين وسكن
الملاهي - وإلى الحمودية ، وإلى سوق
الأخفائين ، وحارة الجودرية والصوافين
والتصارين والتحامين وغير ذلك . ويجد تجاه
هذا الزقاق عن يمينه المسجد المعروف قديما
بأين البناء - وتسميه العامة الآن بسام بن
نوح - وهو في وسط سوق الفراجلين
والمناخلين ومن معهم من الضبيين .

ثم يسلك أمامه فيجد سوق الراجلين
- ويعرف اليوم بالسيولين - ول هذا
السوق على يمينه الجامع المطري ، المعروف
بجامع الحكمين ، وحده الزقاق السلوك من
إلى حارة النبل وسوق الناصين وسوق
الطيورين والأكمسين القديمة المعروفة الآن
بسكنى دقاقي السيل . ويجد على يمينه
الزقاق السلوك من إلى حارة الجودرية ودرب
كركامة ودكة الحبة ، المعروفة قديما بسوق
الحدادين ، وسوق الوراقين القديمة ، وإلى
سوق التاميين ، المعروف اليوم بالأبازرة ،
وإلى غير ذلك .

ثم يسلك أمامه إلى سوق الحلاويين الآن ،
فيجد عن يمينه الزقاق السلوك فيه إلى سوق
الكعكيين ، المعروف قديما بالقطانين وسكنى
الأساكفة ، وإلى بابي قيسارية جهاركس ،
وعن يمينه قيسارية الشرب .

ثم يسلك * أمامه إلى سوق الشرايين ،
المعروف قديما بسكنى الخافقين ، وعن يمينه
درب قيطون .

ثم يسلك أمامه شاقا في سوق الشرايين ،
فيجد عن يمينه قيسارية أمير على ، ويجد عن
يمينه سوق الجبلون الكبير ، السلوك فيه
إلى قيسارية ابن قريش ، وإلى سوق المطارين
والوراقين ، وإلى سوق الكفتين والصارف
والاخفائين ، وإلى بشر زويلة والبندقائين ،
وإلى غير ذلك .

ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه الزقاق
السلوك فيه إلى سوق القرائين الآن - وكان

يسرق أولا بطرب البيضاء - وإلى درب
الأسواني وإلى الجامع الأزهر وغير ذلك ،
ويجد عن يمينه قيسارية بني أسامة .

ثم يسلك أمامه شاقا في سوق الجوخين
والخمين ، فيجد عن يمينه قيسارية الروح ،
وعن يمينه قيسارية ١٠٠٠٠٠٠ .

ثم يسلك أمامه إلى سوق السقطين
والمهامزين ، فيجد عن يمينه درب النسي ،
ويقابله باب قيسارية الأمير علم الدين
الخياط ، وتعرف اليوم بقيسارية المعصر .

ثم يسلك أمامه شاقا في السوق المذكور ،
فيجد عن يمينه الزقاق السلوك فيه إلى سوق
التشائين وعقبة الصباغين ، المعروف اليوم
بالخراطين ، وإلى سوق الخمين ، وإلى
الجامع الأزهر وغير ذلك . ويجد قبالة هذا
الزقاق عن يمينه قيسارية الغنبر ، المعروفة
قديما بحبس المعونة .

ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الزقاق
السلوك فيه إلى سوق الوراقين وسوق
الحريين الشرايين ، المعروف قديما
بسوق الصاغة القديمة ، وإلى درب شمس
الدولة ، وإلى سوق الحريرين ، وإلى بشر
زويلة والبندقائين ، وإلى سوقة الصاحب
والحارة الوزيرية ، وإلى باب سعادة وغير
ذلك .

ثم يسلك أمامه شاقا في بعض سوق
الحريين وسوق التمشين - وكان قديما
سكنى الدجاجين والكعكيين ، وقبل ذلك أولا

(١) مكنا يباس نر الاسل *

(٢) من ٢٧٢ ج ١ ، ط. بولاق *

مكنى السيوفية - فيجد عن يمينه قيسارة
المعادين ، وكانت قديما تعرف بفندق
الدبابين . ويجد عن يمينه مقابلها دار
الأمون البطاني المروقة بملوحة الحنية ،
ثم عرفت اليوم بالمدسة السيوفية ، لأنها
كانت في سوق السيوفين .

ثم يسلك أمامه في سوق السيوفين ، الذي
هو الآن سوق التيسين ، فيجد عن يمينه خان
سرور وحجرتي الرقيق ، ودكة المالك
بينهما - ولم تزل موضعا لجلوس من يعرض
من المالك الترك والروم ونحوهم للبيع إلى
أوائل أيام تلك الظاهر يرقوق ، ثم بطل
ذلك - ويجد عن يمينه قيسارة الرملين
وخان العجر ، ويعرف اليوم هذا الخط بسوق
باب الزهومة .

ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه الزقاق
والسباط السلوك في إلى حمام خفية ودرب
تس النولة ، وإلى حارة العنودة المروقة
اليوم بفندق الزمام ، وإلى حارة زوطة وغير
ذلك . ويجد بعد هذا الزقاق ، قريبا منه في
منه ، درب السلطة .

ومن هنا ابتداء خط بين القصرين . وكان
قديما ، في أيام النولة القاطية ، مرلما
وأما ليس فيه علامة البتة بقف فيه شجرة
آلاف قارس .

والقصران هما موضع مكنى الحليفة :
أحدهما شرقي وهو القصر الكبير ، وكان على
بنة السالك من موضع خان سرور طالبا
باب مصر وباب النوح . وموضع الآن
المدارس الصالحية الجديدة ، والمدسة

الظاهرة الركبة ، وما في صحتها من الحوائث
والرباع إلى رجة العيد ، وما وراء ذلك إلى
البرقية .

وقابل هذا القصر الشرقي القصر الغربي ،
وهو القصر الصغير . ومكانه الآن للمارستان
التصوري ، وما في صفة من المدارس
والحوائث إلى تجاه باب الجامع الأقمر .

فإذا ابتدأ السالك بدخول بين القصرين من
جهة خان سرور ، فإنه يجد على يمينه درب
السلطة .

ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الزقاق
السلوك في إلى سوق الأمشاطين للقبائل
للمدسة الصالحية التي للحنية والحنابلة ،
وإلى الزقاق اللاسق لسور للمدسة
المذكورة ، السلوك في إلى خط الزواكسة
التيق حيث خان الخليلي وخان منجك ، وإلى
الغوخ السبع حيث الآن سوق الأبارين ، وإلى
الجامع الأزهر ، وإلى المشهد الحسيني وغير
ذلك .

ثم يسلك أمامه شاقا في سوق السيوفين
لأن ، فيجد على يساره دكاكين السيوفين ،
وعلى يمينه دكاكين التقيين ، ظاهر سوق
الكسبي الآن ، وعلى يساره سوق الصيارف
برأس باب الصلابة ، وكان قديما مطبخ القصر
قبالة باب الزهومة .

ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه باب
المدارس الصالحية تجاه باب الصلابة .

ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه القبة
الصالحية ، ويجولها المدسة الظاهرة
الركبة . ويجد على يساره باب المارستان

التصوري ، وفي داخله القبة المصورة التي
فيها قبور الخوكة ، ونحت نسبها ذلك
التقنيات التي فيها الحوائث ونحوها فيما
بين القبة المذكورة والمدسة الظاهرة
المذكورة . وفي داخله أيضا المدسة
التصورية ، ونحت نسبها أيضا ذلك
التقنيات فيما بين نسبها ونسبها
المدسة الصالحية التي شاعبه وبالكية ،
وتحتها خيمة الطراد بحوار قب الصالح ،
وفي داخله أيضا المارستان الكبير التصوري
الموصول من باب سره إلى حارة زوطة ، وإلى
الخريشف وإلى الكافوري وإلى البسوقين
وغير ذلك .

ثم يسلك من باب المارستان . فيجد على
يمينه سوق السلاح والسيفين . لأن تحت
الريح المعروف بوقت أمير سعيد . ويجد على
يساره المدسة المصرية ملاصقة بقبة
التصورية .

ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه خان
بشاك وفوقه الريح - وعرف الآن هذا الخان
بالمستخرج - ويجد على يساره المدسة
الظاهرة الجديدة بجوار المدسة المصرية .
وكانت قبل إنشاء مدسة هذا يعرف بخان
الزكاة .

ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه باب قصر
بشاك ، ويجد على يساره المدسة الكليلة
المروقة بدار الحديث ، وهي ملاصقة
للمدسة الظاهرة الجديدة .

ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الزقاق
السلوك في إلى بيت أمير سلاح المعروف

(8) من ١٧١١ ج ١ مدقوق .

بقصر أمير سلاح ، وهو الأمير فخر الدين
بكتاش التتوي الصالحى التجسى ، وإلى دار
الأمير سلاسل باب السلطنة ، وإلى دار
الخواري سابق الدين ومدسة التي يقال لها
المدسة السابقة .

وكان في داخل هذا الزقاق مكان يتوصل
إليه من تحت قبو المدسة السابقة ، يعرف
بالسودوس ، فيه عدة مساكن صارت كلها
أيوم دارا واحدة ابتداء الأمير جمال الدين
الأستدار ، وكان تجاه باب المدسة السابقة
ريح تحت قون ، ومن وراءه عدة مساكن يعرف
مكاتها بالحدرة ... فهذه الأمير جمال الدين
المذكور الريح وما وراءه ، وحفر فيه صهريجاً ،
وأثناء به عنة آدر هي الآن جارية في أوقافه .

وكان يسلك من باب السابقة ، على باب
الريح والتمن المذكورين ، إلى دغلي طويل
معلم ينتهي إلى باب القصر ، تجاه سور سعيد
السعداء ، ومنه يخرج السالك إلى رجة باب
العيد ، وإلى الركن المخلق ... فهذه الأمير
جمال الدين ، وجعل مكانه قيسارة ، وركب
على رأس هذا الزقاق - تجاه حمام
ليسى - دريا في داخله دروب ليصوق
أمواله ، واتقطع الشطرق من هذا الزقاق ،
وصار دريا غير قائم .

ويجد السالك عن يمينه قبالة هذا الزقاق
- وصار دريا مندرجا - باب قصر اليسرى ،
وقد بنى في وجهه حوائث بجانبها حمام
اليسرى .

ومن هنا ينقسم شارع القاهرة المذكور إلى
طريقين : أحدهما ذات اليمين ، والأخرى
ذات اليسار .

فأما ذات اليسار فاما تمة القصبة المذكورة . فإذا مر السالك من باب حمام الأمير يسرى ، فانه يجد على يستره باب الخرنشف ، السلوك فيه الى باب سر اليزرية ، وإلى باب حارة برجوان الذى يقال له أبو تراب ، وإلى الخرنشف واصطبل القبطية ، وإلى الكافورى ، وإلى حارة زويلة ، وإلى البندقين وغير ذلك .

ثم يسلك أمامه فيجد سوقا — يعرف أخيرا بالوزانين والدجاجين — يباع فيه الأوز والدجاج والمصاير وغير ذلك من الطيور ، وأدركناه عامرا سوقا كبيرا ، من جملة دكان لا يباع فيها غير المصاير ، فيشترها الصغار للعب بها . وفي هذا السوق ، على يمينه السالك ، قيسارية يعلوها ربع كانت مدة سوقا يباع فيه الكتب ، ثم صارت لملل الجلود ، وكانت من جملة أوقاف المارستان المنصوري ، فهدمها بعض من كان يتحدث في نظره عن الأمير أيتش في سنة احدى وثمانائة ، وعمرها على ما هي عليه الآن .

وعلى يسرة السالك في هذا السوق ربع يجرى في وقف المدرسة الكاملية ، وكان هذا السوق يعرف قديما بالتانين والقماحين .

ثم يمر سالكا أمامه فيجد سوق الشعاعين متصلا بسوق الدجاجين ، وكان سوقا كبيرا فيه صفان عن اليمين واليسار من حوائت باعة السمك ... أدركناه عامرا ، وقد بقى منه الآن يسير .

وفي آخر هذا السوق ، على يمينه السالك ، الجامع الأقمر ، وكان موضعه قديما سوق القماحين ، وبقائه كدرب الخضري . وبجانب

الجامع الأقمر من شرقيه الزقاق الذى يعرف بالمحارين ، ويسلك فيه الى الركن المخلق وغيره ، وقبالة هذا الزقاق بئر الدلاء .

ثم يسلك المار أمامه فيجد على يمينه زقاقا ضيقا ينتهى الى دور ومدرسة تعرف بالترابشية ، يتوصل من باب سرها الى الدرب الأصغر تجاه خانقاه بيرس .

ثم يسلك أمامه في سوق المتعشين ، فيجد على يستره باب حارة برجوان .

ثم يسلك أمامه شاقا في سوق المتعشين . وقد أدركناه سوقا عظيما لا يكاد يعدم فيه شيء مما يحتاج اليه من المأكولات وغيرها ، بحيث اذا طلب منه شيء من ذلك في ليل أو نهار وجد ، وقد خرب الآن ولم يبق منه إلا اليسير .

وكان هذا السوق قديما يعرف بسوق أمير الجيوش ، وبآخيه خان الرواسين ، وهو زقاق على يمينه السالك غير نافذ .

ويقابل هذا الزقاق على يسرة السالك الى باب الفتوح ، شارع يسلك فيه الى سوق يعرف اليوم بسوقه أمير الجيوش ، وكان قبل اليوم يعرف بسوق الخروقيين ، ويسلك من هذا السوق الى باب القنطرة في شارع معمر بالحوائت من جانبيه ، ويعلموها الرباع ، وفيما بين الحوائت دروب ذات مساكن كثيرة .

ثم يسلك أمامه من رأس سوقه أمير الجيوش ، فيجد على يمينه الجملون الصغير المعروف بجملون ابن صيرم ، وكان مسكنا للوزانين ، فيه عدة حوائت عامرة بأصناف

التياب أدركناها عامرة ، وفيه مدرسة ابن صيرم المعروفة بالمدرسة الصيرمية ، وفي آخره باب زيادة الجامع الحاكي . وكان على بابها عدة حوائت تعمل فيها الضرب التي برسوم الأبواب .

ويخرج من هذا الجملون الى طريقين : احدهما يسلك فيها الى درب الفرنجية وإلى دار الوكالة وشارع باب النصر ، والأخرى الى درب الرشيدى النافذ الى درب الجوانية .

ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه شباك المدرسة الصيرمية ، ويقابله باب قيسارية خوند أردكين الأشرفية .

ثم يسلك أمامه شاقا في سوق المرحلين ، وكان صفين من حوائت عامرة فيها جميع ما يحتاج اليه في ترحيل الجمال ، وقد خرب وبقى منه قليل . وفي هذا السوق على يسرة السالك زقاق يعرف بحارة الوراق ، وفيه أحد أبواب قيسارية خوند المذكورة وعدة مساكن . وكان مكانه يعرف قديما بامطبل الحجرية .

ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه أحد أبواب الجامع الحاكي وميضائه ، ويجد باب الفتوح القديم ، ولم يبق منه سوى عقده وشيء من عضادته ، وبجواره شارع على يسرة السالك يتوصل منه الى حارة بهاء الدين وباب القنطرة .

ثم يسلك أمامه شاقا في سوق المتعشين ، فيجد على يمينه بابا آخر من أبواب الجامع الحاكي . ثم يسلك أمامه فيجد عن يستره

(٢٨) من ٢٧٥ ج ١ ط ٠ بولاق .

زقاقا بساباط ينفذ الى حارة بهاء الدين ، فيه كثير من المساكن .

ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه باب الجامع الحاكي الكبير ، ويجد عن يساره فندق العادل ، ويشق في سوق عظيم الى باب الفتوح ، وهو آخر قصبة القاهرة .

وأما ذات اليمين من شارع بين الفصرين ، فان المار اذا سلك من الدرب الذى يقابل حمام اليسرى طالبا الركن المخلق ، فانه يشق في سوق القصاصين وسوق الحصرين الى الركن المخلق ، ويباع فيه الآن النعال ، وبه حوض في ظهر الجامع الأقمر لترب الدواب تسميه العامة حوض النبی ، ويقابله مسجد يعرف بمراكم موسى .

وينتهى هذا السوق الى طريقين : احدهما الى بئر العظام التى تسميها العامة بئر العظمة ، ومنها ينقل الماء الى الجامع الأقمر والحوض المذكور بالركن المخلق ، ويسلك منه الى المحارين .

والطريق الأخرى تنتهى الى الفندق المعروف بقيسارية الجلود ، ويعلموها ربع ... أنشأت ذلك خوند بركة أم الملك الأشرف شعبان بن حسن . وبجوار هذه القيسارية بوابة عظيمة قد سترت بحوائت يتوصل منها الى ساحة عظيمة هي من حقوق المنحر ، كانت خوند المذكورة قد شرعت في عمارتها قصرا لها ، فمات دون اكماله .

ثم يسلك أمامه فيجد الرباع التى تعلو الحوائت ، والقيسارية المستجدة في مكان باب القصر الذى كان ينتهى الى مدرسة سابق

اعلم أن القاهرة مذ أسست عمل سورها ثلاث مرات : الأولى وضعه القائد جوهر ، والمرة الثانية وضعه أمير الجيوش بدر الجمالي في أيام الخليفة المستنصر ، والمرة الثالثة بناء الأمير الخصى بهاء الدين قراقوش الأسدي في سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب أول ملوك القاهرة .

السور الأول : كان من لبن ، وضعه جوهر القائد على مناخه الذي نزل به هو وعساكره حيث القاهرة الآن ، فأداره على القصر والجامع .

وذلك أنه لما سار من الجيزة ، بعد زوال الشمس من يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخسين وثلاثمائة ، بمساكره وقصد إلى مناخه الذي رسمه له مولاه الامام المعز لدين الله أبو تميم معد ، واستقرت به الدار اختط القصر ، وأصبح المصريون يهنونه فوجدوه قد حفر الأساس في الليل ، فأدار السور اللبن ، وسماها المنصورية ... إلى أن قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب إلى مصر ونزل بها ، فسماها القاهرة .

ويقال في سبب تسميتها أن القائد جوهر لما أراد بناءها أحضر المنجمين ، وعرفهم أنه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقم بها الجند ، وأمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الأساس بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم أبدا .

فأختاروا طالعا لوضع الأساس وطالعا لحفر السور ، وجعلوا بدائر السور قوائم خشب

ثم يسلك * أمامه فيجد على يمينه دار الأمير شهاب الدين أحمد ابن خالة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ودار الأمير علم الدين سنجر الجاولي - وهما من حقوق الحجر التي كانت بهما ماليك الخلفاء وأجنادهم - ويجد على يسره وكالة الأمير قوصون .

ثم يسلك من باب الوكالة ، فيجد مقابل باب قاعة الجاولي خان الجاولي وبمدها باب النصر القديم . وأدركت فيه قطعة كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربي ، وقد زال .

ويسلك منه إلى رحمة الجامع الحاكمي ، فيجد على يمينه المدرسة القاصدية ، وعلى يسره بابي الجامع الحاكمي ، وتجاه أحدهما الشارع السلوك فيه إلى حارة العبدانية وحارة العطوفية وغير ذلك . ومن باب الجامع الحاكمي ينتهي إلى باب النصر فيما بين حوائت ورياح ودور .

فهذه صفة القاهرة الآن ، وستقف إن شاء الله تعالى على كيفية ابتداء وضع هذه الأماكن ، وما صارت إليه ، وذكر التعريف بسن نسبت إليه أو عرفت به ، على ما التقطت ذلك من كتب التواريخ ومجامع الفضلاء ، ووقفت عليه بخطوط الثقة ، وأخبرني بذلك من أدركته من المشيخة ، وما شاهدته من ذلك سالكا فيه سبيل التوسط في القول بين الاكثار والاختصار . والله الموفق بمنه وكرمه لا اله غيره .

المعروفة بدار سعيد السعداء ، فيجد عن يمينه زقاقا بجوار سور دار الوزارة يسلك فيه إلى خرائب تر ، وإلى خط القهادين ، وإلى درب ملوخيا وغير ذلك .

ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه المدرسة القراسنقرية وخانقاه ركن الدين بيبرس ، وهما من جملة دار الوزارة وما بجوار الخانقاه إلى باب الجوائية .

وتجاه خانقاه بيبرس الدرب الأصفر ، وهو المنحر الذي كانت الخلفاء تنحصر فيه الأضاحي .

ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه دار الأمير قزمان بجوار خانقاه بيبرس ، وبجوارها دار الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الوزير ، وقد عرفت الآن بدار خوند طولوباي زوجة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، وبجوارها حمام الأمير الأعسر المذكور ... وجميع هذا من دار الوزارة . ويجد على يسره درب الرشيدى تجاه حمام الأعسر السلوك فيه إلى درب الفرنجية وجمالون ابن صيرم .

ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الشارع السلوك فيه إلى الجوائية ، وإلى خط القهادين ، وإلى درب ملوخيا وإلى العطوفية . وقد خربت هذه الأماكن . ويجد على يسره الوكالة المستجدة من انشاء الملك الظاهر بريقوق .

ثم يسلك أمامه فيجد على يسره زقاقا ، يسلك فيه إلى جمالون ابن صيرم وإلى درب الفرنجية .

الدين وبن القصرين ، وكان أحد أبواب القصر ، ويعرف بباب الريح . وهذه الرباع والقيارية من جملة انشاء الأمير جمال الدين الأستاذار ، وكانت قبله حوائت وريعا ، فهدمها وانشأها على ما هي عليه اليوم .

ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه مدرسة الأمير جمال الدين المذكور ، وكان موضعها خانا وظاهره حوائت ، فبنى مكانها مدرسة وحوضا للسيل وغير ذلك . ويقال لهذه الأماكن رحبة باب العيد ، ويسلك منها إلى طريقين : أحدهما ذات اليمين ، والأخرى ذات اليسار .

فأما ذات اليمين فانها تنتهي إلى المدرسة الحجازية ، وإلى درب قراصيا ، وإلى حبس الرحبة ، وإلى درب السلامي السلوك منه إلى باب العيد الذي تسميه العامة بالقاهرة ، وإلى المارستان العتيق ، وإلى قصر الشوك ودار الضرب ، وإلى باب سر المدارس الصالحية ، وإلى خزانة البنود .

ويسلك من رأس درب السلامي هذا ، في رحبة باب العيد ، إلى السفينة وخط خزانة البنود ورحبة الأيدمرى والمشهد الحسيني ودرب الملوخيا والجامع الأزهر والحارة الصالحية والحارة البرقية ، إلى باب البرقية والباب المحروق والباب الجديد .

وأما ذات اليسار من رحبة باب العيد ، فإن المار يسلك من باب مدرسة الأمير جمال الدين إلى باب زاوية الخدام ، إلى باب الخانقاه

بين كل قائمتين جبل فيه أجراس ، وقالوا
للصال : اذا تحركت الأجراس ، فارموا ما
بأيديكم من الطين والحجارة .

فوقموا ينتظرون الوقت المصالح لذلك .
فاتفق أن غرابا وقع على جبل من تلك الجبال
التي فيها الأجراس فتحركت كلها ، فظن الصال
أن المجسم قد حركوها ، فالتقوا ما بأيديهم من
الطين والحجارة وبنوا ، فصاح المنجبون :
القاهر في الطالع ... فمضى ذلك ، وفاتهم ما
قصده .

ويقال أن المريح كان في الطالع ، عند ابتداء
وضع الأساس - وهو قاهر الفلك -
فسوها القاهرة ، واقتضى نظرم أنها لا تزال
تحت القمر .

وأدخل في دائر هذا السور بئر العظام ،
وجعل القاهرة حارات للواصلين صحبتها
وصحة مولاه المعز ، وعمر القصر بترتيب ألقاه
إليه المعز .

ويقال أن المعز لما رأى القاهرة لم يمجبه
مكانها ، وقال لجوهر : لما فاتك عمارة القاهرة
بالساحل ، كان ينبغي عمارتها بهذا الجبل ...
يعنى سطح الجرف الذي يعرف اليوم بالرصد
المشرف على جامع راشدة .

ورتب في القصر جميع ما يحتاج إليه الخلفاء
بحيث لا تراهم الأعين في النقلة من مكان إلى
مكان ، وجعل في ساحاته البحرة والميدان
والبستان ، وتقدم بمسيرة المصلى بظاهر
القاهرة .

وقد أدركت من هذا السور اللبن قطعا ،
وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين

باب البرقية ودرب بطوط ، هدمها شخص من
الناس في سنة ثلاث وثلاثمائة ، فشاهدت من
كبر لبنها ما يتعجب منه في زماننا ، حتى أن
اللبنة تكون قدر ذراع في ثلثي ذراع .

وعرض جدار السور عدة أذرع يسع أن
يمر به فارسان ، وكان يميذا عن السور
الحجر الموجود الآن ، وبينهما نحو الخسين
ذراعا . وما أحسب أنه بقي الآن من هذا
السور اللبن شيء .

وجوهر هذا مملوك رومي رياه المعز لدين
الله أبو تميم معد ، وكان بأبي الصن ، وعظم
محلّه عنده في سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ،
وصار في رتبة الوزارة ، فصيره قائد
جيوشه .

وبعث في صفر منها ومعه عساكر كثيرة ،
فيهم الأمير زري بن مناد الصنهاجي وغيره
من الأكابر ، فسار إلى تاهرت وأوقع بمدة
أقوام وافتتح مدنا ، وسار إلى فاس فنازلها
مدة ولم يشل منها شيئا ، فرحل عنها إلى
سجلماسة وحارب قائرا فأمره بها .

وانتهى في مسيره إلى البحر المحيط ،
واستطاد منه سكا ، وبعثه في قلة ماء إلى
مولاه المعز ، وأعلمه أنه قد استولى على ما
مر به من المدائن والأمم حتى انتهى إلى البحر
المحيط ، ثم عاد إلى فاس فألح عليها بالقتال
إلى أن أخذها عنوة ، وأسير صاحبها وحمله
هو والثائر بسجلماسة في قمصين مع هدية إلى
المعز ، وعاد في أخريات السنة وقد عظم شأنه
وبعد صيته .

(ج) من ٢٧٧ ج ١ ط ١ برلان *

ثم لما قوى عزم المعز على تسير الجيوش
لأخذ مصر ونهيا أمرها ، فقدم عليها القائد
جوهرا ، وبرز إلى رمادة ومعه ما ينبغي على
مائة ألف فارس ، وبين يديه أكثر من ألف
صندوق من المال ، وكان المعز يخرج إليه في
كل يوم ويخلو به ، وأطلق يده في ييوت
أمواله ، فأخذ منها ما يريد زيادة على ما حله
معه .

وخرج إليه يوما فقام جوهر بين يديه وقد
اجتمع الجيش ، فالتفت المعز إلى المشايخ
الذين وجههم مع جوهر وقال : والله لو خرج
جوهر هذا وحده لفتح مصر ، ولتدخلن إلى
مصر بالأردية من غير حرب ، ولتنزلن في
خرابات ابن طولون ، وتبنى مدينة تسمى
القاهرة تقهر الدنيا .

وأمر المعز بإفراغ الذهب في هيئة الأرحية ،
وحملها مع جوهر على الجبال ظاهرة ، وأمر
أولاده وأخوته الأمراء وولى العهد وسائر أهل
الدولة أن يشوا في خدمته وهو راكب ،
وكتب إلى سائر عماله يأمرهم إذا قدم عليهم
جوهر أن يترجلوا مشاة في خدمته .

فلما قدم برقة افتدى صاحبها من ترجمه
ومثيه في ركابه بخسين ألف دينار ذهبا ،
فأبى جوهر إلا أن يمشي في ركابه ورد المال ،
فمضى .

ولما رحل من القيروان إلى مصر ، في يوم
السبت رابع عشر ربيع الأول سنة ثمان
 وخسين وثلاثمائة ، أنشد محمد بن هاني في

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع
وقد راغنى يوم من العشر أروع

غداة كان الأفق سد بثله
فعاد غروب النسيم من حيث تطلع

فلم أدر إذ ودعت كيف أودع
ولم أدر إذ شيعت كيف أشيع

ألا إن هذا حشد من لم يثق له
غرار الكرى جفن ولا بات يجمع

إذا حل في أرض بناها مدائنا
وإن سار عن أرض غدت وهي بلقع

تحل ييوت المال حيث محله
وجم العطايا والرواق المرفح

وكبرت الفرسان شه إذا بدا
وظل السلاح المتفضى يتقمقع

وعب عباب الموكب التخم حوله
ورق كما رق الصباح الملمع

رحلت إلى القسطنطين أول رحلة
بأيمن قال بالذي أنت تجمع

فإن يك في مصر ظمأ لمورد
فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع

ويسهم من لا يضار نعمة
فيسلبهم لكن يزيد قيوصح

ولما دخل إلى مصر واختلط بالقاهرة ، وكتب
بالبشارة إلى المعز ، قال ابن هاني :

تقول بنو العباس قد فتحت مصر
فقل لبني العباس قد قضى الأمر

وقد جاوز الاسكندرية جوهر
نصاحيه البشرى ويقدمه النصر

ولم يزل معقبا مطاعا ، وله حكم ما فتح من بلاد الشام حتى ورد المصّر من المغرب الى القاهرة .

وكان جعفر بن فلاح يرى نفسه أجل من جوهر ، فلما قدم معه الى مصر سيره جوهر الى بلاد الشام في العساكر ، فأخذ الرملة وغلب الحسن بن عبد الله بن طنج ، وسار فملك طبرية ودمشق . فلما صارت الشام له ، شغلت نفسه عن مكانة جوهر ، فأخذ كبة من دمشق الى المصّر وهو بالمغرب سرا من جوهر ، يذكر فيها طاعته ، ويقع في جوهر ، ويصف ما فتح الله للمصّر على يده .

فغضب المصّر لذلك ، ورد كبة كما هي مختومة ، وكب اليه : قد أخطأت الرأي نفسك ، نحن قد اتفدناك مع قائدنا جوهر فاكب اليه ، فما وصل منك اليها على يده قرأناه ، ولا تتجاوز بهد ، فلما فعل لك ذلك على الوجه الذي أردته وان كنت أهله عندنا ، ولكننا لا نستمد جوهرنا مع طاعته لنا .

فزاد غضب جعفر بن فلاح ، وانكشف ذلك لجوهر ، فلم يمت ابن فلاح لجوهر يسأله فجلة خوفا ألا ينجده بمسكر ، وأقام مكانه لا يكتب جوهرنا بشيء من أمره ، الى أن قدم عليه الحسن بن أحمد القرمطي ، وكان من أمره ما قد ذكر في موضعه .

ولما مات المصّر ، واستخلف من بعده ابنه العزيز ، وورد الى دمشق هفتكين الترابي من بغداد ، نذب العزيز بالله جوهرنا القائد الى الشام ، فخرج اليها بخزائن السلاح والأموال والعساكر العظيمة ، فنزل على دمشق لثمان

بقيت من ذي القعدة سنة خمس وستين وثلاثمائة ، فأقام عليها وهو يحارب أهلها الى أن قدم الحسن بن أحمد القرمطي من الأحساء الى الشام .

فرحل جوهر في ثالث جمادى الأولى سنة ست وستين ، فنزل على الرملة والقرمطي في أثره فهلك ، وقام من بعده جعفر القرمطي يحارب جوهرنا ، واشتد الأمر على جوهر وسار الى عسقلان ، وحصره هفتكين بها حتى بلغ من الجهد مبلغا عظيما ، فصالح هفتكين وخرج من عسقلان الى مصر ، بعد أن أقام بها وبظاهر الرملة نحو من سبعة عشر شهرا ، فقدم على العزيز وهو يريد الخروج الى الشام .

فلما ظفر العزيز بهفتكين ، واصطنعه في سنة ثمانين وثلاثمائة ، واصطنع منجوتكين التركي أيضا ، أخرجه راكبا من القصر وحده في سنة احدى وثمانين ، والقائد جوهر وابن عمار ومن دونهما من أهل الدولة مشاة في ركابه ، وكانت يد جوهر في يد ابن عمار ، فزفر ابن عمار زفرة كاد أن ينشق لها وقال : لا حول ولا قوة الا بالله .

فنزح جوهر يده منه ، وقال : قد كنت عندي يا أبا محمد أثبت من هذا ، فظهر منك انكار في هذا المقام . لأحدثك حديثا عسى أن يسليك عما أنت فيه ، والله ما وقف على هذا الحديث أحد غيري ...

لما خرجت الى مصر ، وأتقت الى مولانا المصّر من أسرته ، ثم حصل في يدي آخرون

(٢٧٨) من ٢٧٨ ج ١ ط ٠ بولاق ٠

اعتقلتهم ، وهم ينف على ثلاثمائة أسير من مذكورهم والمعروفين فيهم ، فلما ورد مولانا المصّر الى مصر أعلته بهم ، فقال : اعرضهم على ، واذكر في كل واحد حاله ...

ففعلت — وكان في يده كتاب مجلد يترا فيه — فجعلت آخذ الرجل من يد الصقالبة ، وأقدمه اليه وأقول : هذا فلان ومن حاله وحاله ، فيرفع رأسه وينظر اليه ويقول : يجوز . ويعود الى قراءة ما في الكتاب ، حتى أحضرت له الجماعة ، وكان آخرهم غلاما تركيا ، فنظر اليه وتأمله ، ولما ولي أبيه بصره ...

فلما لم يسبق أحد قبل الأرض وقلت : يا مولانا ، رأيتك فعلت لما رأيت هذا التركي ما لم تفعله مع من تقدمه ...

فقال : يا جوهر يكون عندك مكتوما حتى ترى . انه يكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس تنفق له فتوحات عظيمة في بلاد كثيرة ، ويرزقه الله على يده ما لم يرزقه أحد منا مع غيره .

وأنا أظن أنه ذاك الذي قال لي مولانا المصّر ، ولا علينا اذا فتح الله لموالينا على أيدينا أو على يد من كان ...

يا أبا محمد لكل زمان دولة ورجال ، أنريد نحن أن نأخذ دولتنا ودولة غيرنا ؟ لقد أرجل لي مولانا المصّر ، لما سرت الى مصر ، أولاده وأخوته وولي عهده وسائر أهل دولته ، فتعجب الناس من ذلك ، وهأنذا اليوم أمشي راجلا بين يدي منجوتكين . أعزونا وأعزوا بنا

غيرنا ، وبعد هذا فأقول : اللهم قرب أجلى ومدتي ، فقد أتت على الثمانين أو أنا فيها .

فمات في تلك السنة . وذلك أنه اعتل ، فركب اليه العزيز بالله عائدا ، وحمل اليه قبل ركوبه خسة آلاف دينار ومرتبة مثقل ، وبعث اليه الأمير منصور بن العزيز بالله خسة آلاف دينار .

وتوفي يوم الاثنين لسبع بقيت من ذي القعدة سنة احدى وثمانين وثلاثمائة . فبعث اليه العزيز بالحنوط والكفن ، وأرسل اليه الأمير منصور بن العزيز أيضا الكفن ، وأرسلت اليه السيدة العزيزية الكفن ، فكفن في سبعين ثوبا ما بين مثقل ووشى مذهب ، وصلى عليه العزيز بالله ، وخلع على ابنه الحسين وحمله ، وجعله في مرتبة آية ، ولقبه بالقائد ابن القائد ، ومكنه من جميع ما خلفه أبوه .

وكان جوهر عاقلا ، محسنا الى الناس ، كاتبنا بليغا . فمن متحن توقيعاته على قصة رفعت اليه بمصر : « سوء الاجترام أوقع بكم حلول الانتقام ، وكفر الانعام أخرجكم من حفظ الذمام . فالواجب فيكم ترك الايجاب ، واللازم لكم ملازمة الاحتساب ، لأنكم بدأنتم فأسأتم ، وعدتم فتعدتم . فابتدأكم ملوم ، وعودكم مذموم ، وليس بينهما فرجة الا تقتضى الذم لكم والاعراض عنكم ، ليري أمير المؤمنين صلوات الله عليه رأيه فيكم » . ولما مات رثاه كثير من الشعراء .

السور الثاني : بنأه أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة ثمانين وأربعمائة ، وزاد فيه الزيادات التي فيما بين بابي زويلة وباب زويلة

الكبير ، وفيما بين باب الفتوح الذي عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح الآن ، وزاد عند باب النصر أيضا جميع الرحبة التي تجاه جامع الحاكم الآن الى باب النصر ، وجعل السور من لبن ، وأقام الأبواب من حجارة .

وفي نصف جمادى الآخرة سنة ثمانى عشرة وثمانائة ، ابتدئ بهدم السور الحجر قيسا بين باب زويلة الكبير وباب الفرج ، عندما هدم الملك المؤيد شيخ الدور لبنى جامع ، فوجد عرض السور في الأماكن نحو العشرة أذرع .

السور الثالث : ابتدا في عمارته السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ست وستين وخمسة ، وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله . فلما كانت سنة تسع وستين وقد استولى على المملكة ، اتدب لمسل السور الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي ، فبناه بالحجارة على ما هو عليه الآن .

وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر والقلمة سورا واحدا ، فزاد في سور القاهرة القلمة التي من باب القنطرة الى باب الشرية ، ومن باب الشرية الى باب البحر .

وبنى قلعة المقس وهي برج كبير ، وجعله على النيل بجانب جامع المقس ، واقطع السور من هناك ، وكان في أمه مد السور من المقس الى أن يتصل * بسور مصر .

وزاد في سور القاهرة قطعة منا يلى باب النصر ، ممتدة الى باب البرقية والى درب

(١٥) من ٢٧٦ ج ١ ط ٠ برلن .

بطوط والى خارج باب الوزير ، ليتصل بسور قلعة الجبل ، فانقطع من مكان يقرب الآن من الصوة تحت القلمة لموته . والى الآن آثار الجدر ظاهرة لمن تأملها فيها بين آخر السور الى جهة القلمة . وكذلك لم يثبأ له أن يصل سور قلعة الجبل بسور مصر .

وجاء دور هذا السور المحيط بالقاهرة الآن تسعة وعشرين ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وذراعين بذراع المسل ، وهو الذراع الهاشمي : من ذلك ما بين قلعة المقس على شاطئ النيل والبرج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ، ومن قلعة المقس الى حائط قلعة الجبل بسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلاثمائة واثنيان وتسعون ذراعا ، ومن جانب حائط قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة الى البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع ، ومن وراء القلمة بحيال مسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتان وعشرة أذرع . وذلك طول قوسه في أبراجه من النيل الى النيل .

وقلعة المقس المذكورة كانت برجا مطالا على النيل في شرقي جامع المقس ، ولم تزل الى أن هدمها الوزير صاحب شمس الدين عبد الله المقسى عندما جدد الجامع المذكور في سنة سبعين وسبعمائة ، وجعل في مكان البرج المذكور جنيته وذكر أنه وجد في البرج مالا ، وأنه انما جدد الجامع منه ، والعمامة تقول اليوم جامع المقسى بالاضافة .

وكان يحيط بسور القاهرة خندق شرع في حفره من باب الفتوح الى المقس في الحرم سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وكان أيضا

من الجهة الشرقية خارج باب النصر الى باب البرقية وما بعده . وشاهدت آثار الخندق باقية ، ومن ورائه سور بأبراج له عرض كبير مبنى بالحجارة ، الا أن الخندق انطم ، وتهدمت الأسوار التي كانت من ورائه .

وهذا السور هو الذي ذكره القاضي الفاضل في كتابه الى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فقال : والله يحيى المولى حتى يستدير بالبلدين لطاقه ، ويمتد عليهما رواقه ، فما عقيلة ما كان معصما لترك بغير سوار ، ولا خصرها ليتحلى بغير منطقة نضار . والآن قد استقرت خواطر الناس ، وأمنوا به من يد تخطف ، ومن يد مجرم يقدم ولا يتوقف .

ذكر ابواب القاهرة

وكان للقاهرة من جهتها القبلية بابان متلاصقان يقال لهما بابا زويلة . ومن جهتها البحرية بابان متباعدان : أحدهما باب الفتوح ، والآخر باب النصر . ومن جهتها الشرقية ثلاثة أبواب متفرقة : أحدها يعرف الآن بباب البرقية ، والآخر بالباب الجديد ، والآخر بالباب المحروق . ومن جهتها الغربية ثلاثة أبواب : باب القنطرة ، وباب الفرج ، وباب سعادة ، وباب آخر يعرف بباب الخوخة .

ولم تكن هذه الأبواب على ما هي عليه الآن ، ولا في مكانها عند ما وضعها جوهر .

باب زويلة

كان باب زويلة ، عندما وضع القائد جوهر القاهرة ، باين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم بسلام بن فوح . فلما قدم المعز الى القاهرة دخل من أحدهما - وهو الملاصق للمسجد الذي بقى منه الى اليوم عقد ، ويعرف بباب القوس - فتيا من الناس به ، وصاروا يكثررون الدخول والخروج منه ، وهجروا الباب المجاور له ، حتى جرى على الألسنة أن من مر به لا تقضى له حاجة .

وقد زال هذا الباب ولم يبق له أثر اليوم ، الا أنه يفضى الى الموضع الذي يعرف اليوم بالحجارين ، حيث تباع آلات الطرب من الطناير والعيذان ونحوهما ، والى الآن مشهور بين الناس أن من يسلك من هناك لا تقضى له حاجة ، ويقول بعضهم : من أجل أن هنالك آلات المنكر ، وأهل البطالة من المغنين والمغنيات .

وليس الأمر كما زعم ، فإن هذا القول جار على السنة أهل القاهرة من حين دخل المعز اليها ، قبل أن يكون هذا الموضع سوقا للمعازف ، وموضعا لجلوس أهل المعاصى .

فلما كان في سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، بنى أمير الجيوش بدر الجمالي ، وزير الخليفة المستنصر بالله ، باب زويلة الكبير الذي هو باق الى الآن وعلى أبراجه ، ولم يعمل له باشورة - كما هي عادة أبواب الحصون من أن يكون في كل باب عطف حتى لا تهجم عليه العساكر في وقت الحصار ،

ويتعدى سوق الخيل ودخولها جملة - لكنه عمل في بابه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة ، بحيث اذا هجم عكر على القاهرة لا تثبت خواتم الخيل على الصوان .

فلم تزل هذه الزلاقة باقية الى أيام السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، فاتفق مروءه من هنالك ، فاقتل فرسه وزلق به * وأحسبه سقط عنه ، فأمر بتقصها فنقضت ، وبقي منها شيء يسير ظاهر .

فلما ابتنى الأمير جمال الدين يوسف الاستادار المسجد المقابل لباب زويلة ، وجعله باسم الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق ، ظهر عند حفره الصهيرج الذى به بعض هذه الزلاقة ، وأخرج منها حجارة من صوان لا تعمل فيها العدة الماضية ، وأشكالها في غاية من الكبر لا يستطيع جرها الا أربعة أرؤس بقر ، فأخذ الأمير جمال الدين منها شيئا . وإلى الآن حجر منها ملقى تجاه قبر الخرنشف من القاهرة .

ويذكر أن ثلاثة اخوة قدموا من الرها ، بنائين بنوا باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح ، كل واحد بنى بابا ، وأن باب زويلة هذا بنى في سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وأن باب الفتوح بنى في سنة ثمانين وأربعمائة .

وقد ذكر ابن عبد الظاهر في كتاب « خطط القاهرة » أن باب زويلة هذا بناء العزيز بالله

(*) ص ٢٨٠ ج ١ ، ط. بولاق .

تزار بن المعز ، وتممه أمير الجيوش . وأنشد لعلى بن محمد النيلي :

يا صاح لو أبصرت باب زويلة
لعلت قدر محله بنيانا

باب قازر بالمجرة وارتدى ال
شعرى ولاث برأيه كيوانا

لو ان فرعونًا بناء لم يرد
صرحا ولا أوصى به هامانا

وسمعت غير واحد يذكر أن فردتيه يدوران في سكرتين من زجاج .

وذكر جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون ، أن في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة رتب أيديكين - وإلى القاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون - على باب زويلة خلية تضرب كل ليلة بعد العصر .

وقد أخبرني من طاف البلاد ، ورأى مدن المشرق ، أنه لم يشاهد في مدينة من المدائن عظم باب زويلة ، ولا يرى مثل بدتيه اللتين عن جاليه .

ومن تأمل الأسطر التي قد كتبت على أعلاه من خارجه ، فانه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه .

وقد كانت البدتان أكبر مما هما الآن بكثير . هدم أعلاه الملك المؤيد شيخ لما أنشأ الجامع داخل باب زويلة ، وعمر على البدتين منارتين . ولذلك خبر تجده في ذكر الجوامع عند ذكر الجامع المؤيدى .

باب النصر

كان باب النصر أولا دون موضعه اليوم . وأدركت قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى بحيث تكون الرحبة التي فيما بين المدرسة القاصدية وبين بابى جامع الحياكم القبليين خارج القاهرة . ولذلك تجد في أخبار الجامع الحاكم أنه وضع خارج القاهرة .

فلما كان في أيام المستنصر ، وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا ، وتقلد وزارته وعمر سور القاهرة ، نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر الى حيث هو الآن ، فصار قريبا من مصلى العيد ، وجعل له باشورة أدركت بعضها ... الى أن احترت أخت الملك الظاهر برقوق الصهيرج السيل تجاه باب النصر ، فهدمته وأقامت السيل مكانه .

وعلى باب النصر مكتوب بالكوفى في أعلاه « لا اله الا الله محمد رسول الله ، على ولى الله ، صلوات الله عليهما » .

باب الفتوح

وضعه القائد جوهر دون موضعه الآن ، وبقي منه الى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى ، وعليه أسطر من الكتابة بالكوفى ، وهو برأس حارة بهاء الدين من قبلها دون جدار الجامع الحاكمى .

وأما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح ، فانه من وضع أمير الجيوش ، وبين يديه

باشورة قد ركبها الآن الناس بالبيان لما عمر ما خرج عن باب الفتوح .

أمير الجيوش أبو النجم بدر الجمالى : كان ملوكا أرمنيا لجمال الدولة بن عمار ، فلذلك عرف بالجمالى ، وما زال يأخذ بالجد من زمن سبه فيما يباشره ، ويوطن نفسه على قوة العزم ، ويتنقل في الخدم حتى ولى إمارة دمشق ، من قبل المستنصر ، في يوم الأربعاء ثالث عشرى ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة .

ثم سار منها كالهارب في ليلة الثلاثاء لأربع عشرة خلت من رجب سنة ست وخمسين ، ثم وليها ثانيا يوم الأحد سادس شعبان سنة ثمان وخمسين ، فبلغه قتل ولده شعبان بمقتلان ، فخرج في شهر رمضان سنة ستين وأربعمائة ، فثار العكر وأخربوا قصره ، وتقلد نيابة عكا .

فلما كانت الشدة بمصر من حدة الغلاء وكثرة الفتن ، والأحوال بالحضرة قد قسدت ، والأمور قد تغيرت ، وطوائف المعسكر قد شفت ، والوزراء يقتسمون بالاسم دون تقاض الأمر والنهى ، والرخاء قد أيس منه ، والصلاح لا مطمع فيه ، ولوانة قد ملكت الريف ، والصعيد بأيدي المبيد ، والطرق قد انقطعت برا وبحرا الا بالخفارة الثقيلة .

فلما قتل بلدكوش ناصر الدولة حسين بن حمدان ، كتب المستنصر اليه يستدعيه ليكون المتولى لتدبير دولته ، فاشتراط أن يحضر معه من يختاره من المساكر ، ولا يبقى أحدا من عسكر مصر ، فأجابه المستنصر الى ذلك .

(*) ص ٢٨١ ج ١ ، ط. بولاق .

فاستخدم منه سكرا ، وركب البحر من
سكا في أول كالون ، وسار بساثة مركب ، بعد
أن قيل له أن العادة لم تجر بركوب البحر في
الشتاء ليجاهه وخوف التلف ، فأبى عليهم
وأقلع ، فتناهى المصحو والسكون مع الريح
الطية مدة أربعين يوما ، حتى كثر التعب
من ذلك ، وعد من سعادته .

فوصل الى تيس ودمياط ، واقرض المال
من تجارها ومياسيرها . وقام بأمر ضيافته
وما يحتاج اليه من الغلال سليمان اللواتي
كبير أهل البصرة . وسار الى قليوب فنزل
بها وأرسل الى المستنصر يقول : لا أدخل الى
مصر حتى تقبض على بلدكوش — وكان أحد
الأمراء ، وقد ائتمد على المستنصر بعد قتل
ابن حمدان — فبادر المستنصر وقبض عليه
واعقله بغزاة النود .

فقدم بدر عشية الأربعاء ، ليلتين بقيتا من
جمادى الأولى سنة خمس وستين وأربعمائة ،
فتهاى له أن قبض على جميع أمراء الدولة .
وذلك أنه لما قدم لم يكن عند الأمراء علم
من استدعائه ، فما منهم الا من أضافه وقدم
اليه ... فلما اتققت نواصيرهم في ضيافته ،
استلغاهم الى منزله في دعوة منعها لهم ،
وسيت مع أصحابه أن القوم اذا أجنهم الليل
فانهم لا يد محتاجون الى الخلاء ، فمن قام
منهم الى الخلاء يقتل هناك ، ووكل بكل واحد
واحد من أصحابه ، وأتم عليه بجميع ما
يتركه ذلك الأمير من دار ومال واقطاع
وغيره . فصار الأمراء اليه ، وظلوا فصارهم
عنده ولبثوا مطمئنين ، فما طلع ضوء النهار

حتى استولى أصحابه على جميع دور
الأمراء ، وصارت رؤوسهم بين يديه .

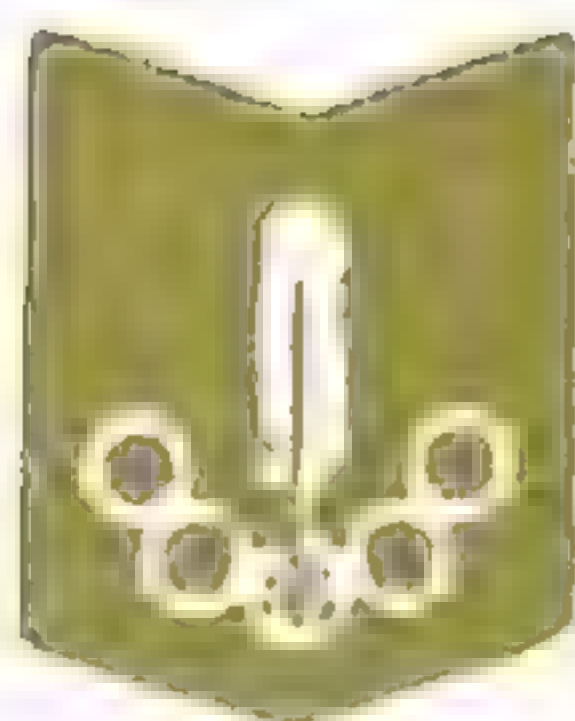
فقوت شوكة ، وعظم أمره ، وخلع عليه
المستنصر بالطيسان المقور ، وقلده وزارة
السيف والقلم ، فصارت القضاة والدعاة
وسائر المتخلفين من تحت يده ، وزيد في
ألقابه « أمير الجيوش ، كافل قضاة المسلمين ،
وهادى دعاة المؤمنين » ، وتبع المفسدين فلم
يبق منهم أحدا حتى قتله ، وقتل من أمائل
المصريين وقضاةهم ووزرائهم جماعة .

ثم خرج الى الوجه البحرى ، فأسرف في
قتل من هنالك من لواتة ، واستصفى أموالهم ،
وأزاح المفسدين وأفساهم بأنواع القتل ،
وصار الى البر الشرقى فقتل منه كثيرا من
المفسدين .

ونزل الى الاسكندرية ، وقد ثار بها جماعة
مع ابنه الأوحى ، فحاصرها أياما من المحرم
سنة سبع وسبعين وأربعمائة الى أن أخذها
عنوة ، وقتل جماعة ممن كان بها ، وعمر جامع
المطارين من مال المصادرات ، وفرغ من بناءه
في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

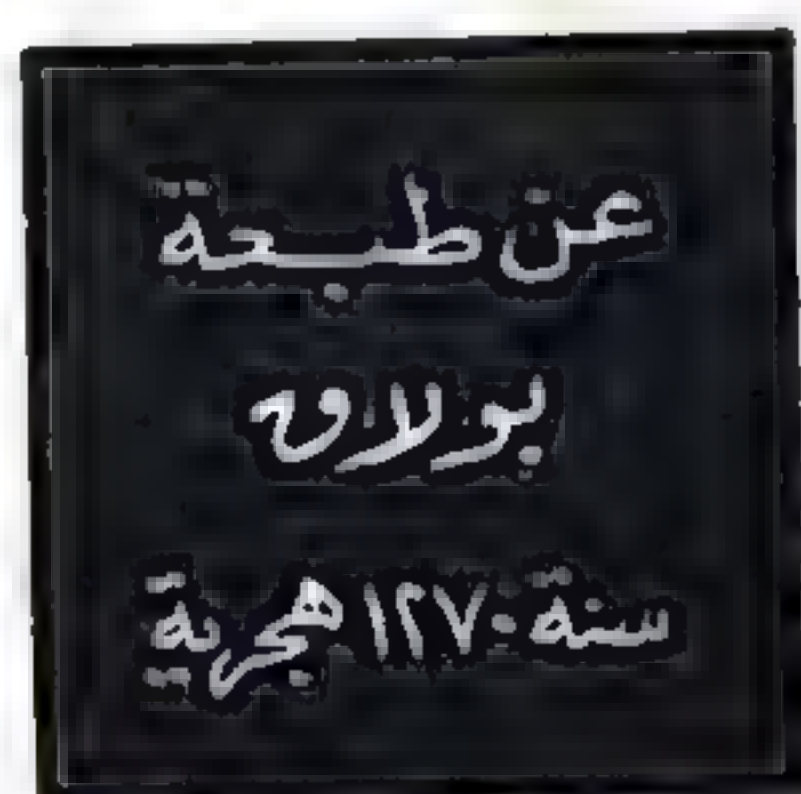
ثم سار الى الصعيد ، فحارب جهينة
والشعابة ، وأقنى أكثرهم بالقتل ، وغنم من
الأموال ما لا يعرف قدره كثرة ... فصلح به
حال الاقليم بعد فساد .

ثم جهز المساكر لمحاربة البلاد الشامية ،
فسارت اليها غير مرة وحاربت أهلها ، ولم
يظهر منها بظائل ، واستتاب ولده شاهنشاه
وجعله ولي عهده .



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المحروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثنى ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خَطُّ الْمُقَرَّرِ

الحج

١٩



كتاب
التحرير

هذه كتاب مصر هي مستطع ركني خلد ملعب أنراب . ويجمع ناسي . ومفني عنسيفي وها مني
وسوطن هياصتي وعماصتي . وهيو جوي الذي رب جناحي في ذكره . وعش ما ربي ، فهو
تهوي الأنفس غير ذكره . لا زلت منذ شذوت العاهم ، وآتاني رب النظانة والفهم ، أعقب في
معرفة أقباليها ، وأحب الإشراف على الإشراف من آبارها . وأهوي مسائلة الركبان عن مكان وبارها .
نعم الدين أحمد بن علي المقرري

فما كان في سنة سبع وخمسين وأربعمائة
مات في سبع الآخرة ، وقيل في جملة الأولى
سنة .

وقد تمكن في عصر تحكم الكوكب ، ولم
يقع المستعرة من غير ، والسبب بالأسباب
التي هي من السبب . وكان شديد الهبة ،
وقد العربة ، مخوف السيرة .

لكن من عصر حلت لا يحسبها لا حلتها ،
منها أنه قال من أهل البحيرة نحو العترة
التي هي من أهل تلك من أهل السبب
والأسكندرية والريانة والريانة وذلك السبب
والسواقي وأهل القنطرة ومنه لا أنه من
البلاد ، وأهلها بعد فلتها وتربها بكتان
التي من أهلها . وكان له يوم مات نحو
التي من .

وكان له محسن : منها أنه ألبس الأرض
التي كانت تلك سنة حتى توفيت أعمال
البلاد واستقر في أبنه ، ومنها حضور
التي من عصر لكثرة علمه بعد التواضع
من في أيام السنة ، ومنها كرامة كرمه

وكان سنة ألبس عصر الحسن وشحن
منه ، وهو أول من ألبس السيوف التي حذروا
على الخلف عصر .

ومن كرمه البقية بالقنطرة ، باب زوارة ،
ومن الفروع ، ومن العصر .

وقد من بعد الأمر به سبعة ، لكن
التي من أهل السبب ، ومنه ويكفي
التي من أهل السبب ، ومنه ولا
لكنه ، ومنه السبب ، ومنه ولا
والمسائل لحوال أهلها .

وقد من أهل السبب ، ومنه ولا
من حكمة جود من ، ومنه ولا
لأنه من رجال دولتهم فيه . والله يعلم وأتم
لا علم .

باب القنطرة

وقد من أهل السبب ، ومنه ولا
من حكمة جود من ، ومنه ولا
لأنه من رجال دولتهم فيه . والله يعلم وأتم
لا علم .

باب القنطرة

وقد من أهل السبب ، ومنه ولا
من حكمة جود من ، ومنه ولا
لأنه من رجال دولتهم فيه . والله يعلم وأتم
لا علم .

باب سبعة

وقد من أهل السبب ، ومنه ولا
من حكمة جود من ، ومنه ولا
لأنه من رجال دولتهم فيه . والله يعلم وأتم
لا علم .

وقد من أهل السبب ، ومنه ولا
من حكمة جود من ، ومنه ولا
لأنه من رجال دولتهم فيه . والله يعلم وأتم
لا علم .

تغييرها ، فقال : قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة ... فتركه على حاله .

وكان ابتداء وضعه ، مع وضع أساس سور القاهرة ، في ليلة الأربعاء الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، وركب عليه بابان يوم الخميس ثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين ، ثم انه اُدار عليه سورا محيطا به في ستة ستين وثلثمائة .

وهذا القصر كان دار الخلافة ، وبه سكن الخلفاء الى آخر أيامهم . فلما القرضت الدولة على يد السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، أخرج أهل القصر منه ، وأمكن فيه الأمراء . ثم خرب أولا فأولا .

وذكر ابن عبد الظاهر في كتاب « خطط القاهرة » ، عن مرهف بواب باب الزهومة ، أنه قال : اعلم هذا الباب المدة الطويلة ، وما رأته دخل اليه حطب ، ولا رمى منه تراب . قال : وهذا أحد أسباب خرابه لوقود أخشابه وتكوين ترابه .

قال : ولما أخذ صلاح الدين ، وأخرج من كان به ، كان فيه اثنا عشر ألف نسمة ، ليس فيهم فعل إلا الخليفة وأهله وأولاده ، فأمكنهم دار المغر بحارة برجوان ، وكانت تعرف بدار الضيافة .

قال : ووجد الى جانب القصر بئر تعرف ببئر الصنم ، كان الخلفاء يرمون فيها القتلى ، فقليل ان فيها مطبا وقصد تغويرها ، فقليل انها مصورة بالجان ، وقتل عابريها جماعة من أشياعه ، فردمت وتركيت ... انتهى .

وكان صلاح الدين لما أزال الدولة أعطى هذا القصر الكبير للأمراء دولته ، وأنزلهم فيه فسكنوه ، وأعطى القصر الصغير الغربي لأخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب فسكنه ، وفيه ولد له ابنه الكامل ناصر الدين محمد .

وكان قد أنزل والده نجم الدين أيوب بن شاذي في منطرة اللؤلؤة .

ولما قبض على الأمير داود ابن الخليفة العاضد - وكان ولي عهد أبيه ، وبعث بالحامد لله - اعتقله وجميع أخوته ، وهم أبو الأمانة جبريل ، وأبو الفتوح وابنه أبو القاسم ، وسليمان بن داود بن العاضد ، وعبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد ، وإسماعيل ابن العاضد ، وجعفر بن أبي الظاهر بن جبريل ، وعبد الظاهر بن أبي الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجماعة .

فلم يزالوا في الاعتقال بدار المغر وغيرها ، الى أن انتقل الكامل محمد بن العادل من دار الوزارة بالقاهرة الى قلعة الجبل ، فنقل معه . ولد العاضد وأخوته وأولاده ، واعتقلهم بها ، وفيها مات داود بن العاضد . ولم يزل بقيتهم معتقلين بالقلعة .

الى أن استبد السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ، فأمر في سنة ستين بالاشهاد على كمال الدين إسماعيل بن العاضد ، وعناد الدين أبي القاسم ابن الأمير أبي الفتوح بن العاضد ، وبدر الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد : أن جميع المواضع التي قبلى المدارس الصالحية من القصر الكبير ، والموضع المعروف بالتربة باطنا

وظاهرا بخط الخوخ السبع ، وجميع الموضع المعروف بالقصر الشافعي بالخط المذكور ، وجميع الموضع المعروف بالحياسة بالخط المذكور ، وجميع الموضع المعروف بخزائن السلاح السلطانية وما هو بحطه ، وجميع الموضع المعروف بسكن أولاد شيخ * الشيوخ وغيرهم ، من القصر الشارع باب قباله دار الحديث النبوي الكاملة ، وجميع الموضع المعروف بالقصر الغربي ، وجميع الموضع المعروف بدار القنطرة بحط المشهد الحسيني ، وجميع الموضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان ، وجميع الموضع المعروف بدار الذهب بظاهر القاهرة ، وجميع الموضع المعروف باللؤلؤة ، وجميع قصر الزمرذ ، وجميع البستان الكافوري ... ملك بيت المال ، بالنظر المولوى السلطاني الملكى الظاهري ، من وجه صحيح شرعى لا رجعة لهم فيه ، ولا لواحد منهم في ذلك ولا في شيء منه ولا ولا شبهة ، بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه كلها ، خلا ما في ذلك من مسجد لله تعالى ، أو مدفن لأبائهم .

فأشهدوا عليهم بذلك ، وورخوا الاشهاد بالثالث عشر من جمادى الأولى سنة ستين وستمائة ، وأثبت على يد قاضى القضاة صاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعي . وتقرر مع المذكورين أنه مهما كان قبضوه من أثمان بعض الأماكن المذكورة التي عاقد عليها وكلاؤهم واتصلوا اليه ، بحاسبوا به من جملة ما تحرر منه عند وكيل بيت المال .

(٥) من ٢٨٤ ج ١ ، ط. بولاق .

وقبضت أيدي المذكورين عن التصرف في الأماكن المذكورة ، وغيرها مما هو منسوب الى آبائهم ، ورسم بيع ذلك ، فباعه وكيل بيت المال كمال الدين ظافر شيئا بعد شيء . ونقضت تلك المباني ، وابتنى في مواضعها على غير تلك الصفة من المساكن وغيرها ، كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى .

وكان هذا القصر يستل على مواضع منها :

قاعة الذهب : وكان يقال لقاعة الذهب قصر الذهب ، وهو أحد قاعات القصر الذي هو قصر المعز لدين الله معد .

وبنى قصر الذهب العزيز بالله نزار بن المعز ، وكان يدخل اليه من باب الذهب الذي كان مقابلا للدار القطيعة التي هي اليوم المارستان المنصوري ، ويدخل اليه أيضا من باب البحر الذي هو الآن تجاه المدرسة الكاملية . وجدد هذا القصر من بعد العزيز الخليفة المستنصر في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

وبهذه القاعة كانت الخلفاء تجلس في الموكب يوم الاثنين ويوم الخميس . وبها كان يعمل سباط شهر رمضان للأمراء وسباط العيدين . وبها كان سرير الملك .

هيئة جلوس الخليفة بمجلس الملك : قال الفقيه أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق في كتاب « سيرة المعز » : وكان وصول المعز لدين الله الى قصره بمصر في يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وستين

وثلاثة ، ولما وصل الى قصره خر ساجدا ،
ثم صلى ركعتين ، وصلى بصلاته كل من دخل
معه .

واستقر في قصره بأولاده وحشمه وخواص
عيده . والقصر يومئذ يشتمل على ما فيه
من عبيد وورق وجوهر وحلى وفرش وأوان
وثياب وسلاح وأسقاط وأعدال وسروج
ولحم ، ويت المال بحاله بما فيه ، وفيه جميع
ما يكون للسلوك .

وللنصف من رمضان جلس المعز في قصره
على السرير الذهب الذي عمله عبده القائد
جوهر في الايوان الجديد ، وأذن بدخول
الإشراف أولا ، ثم أذن بخدمهم للأولياء ولسائر
وجوه الناس . وكان القائد جوهر قائما بين
يديه يقدم الناس قوما بعد قوم .

ثم مضى القائد جوهر ، وأقبل بهديته
التي عباها ظاهرة يراها الناس ، وهي : من
الخل مائة وخسون فرسا مرسجة ملجعة
منها مذهب ومنها مرصع ومنها معبر ،
واحدى وثلاثون قبة على نوك بخاني بالديباج
والمناطق والفرش منها تسعة بديباج مثقل ،
وتسع نوك مجنوبة مزينة بمنقل ، وثلاثة
وثلاثون بغلا منها سبعة مرسجة ملجعة ، ومائة
وثلاثون بغلا للثقل ، وتسعون نجيا ، وأربعة
صناديق مشبكة يرى ما فيها ، وفيها أواني
الذهب والقضة ، ومائة سيف محلى بالذهب
والقضة ، ودرجان من قضة مخرقة فيها
جوهر ، وشانية مرصعة في غلاف ، وتسعمائة
ما بين سبط وتخت فيها سائر ما أعد له من
فخائر مصر .

وفي يوم عرفة نصب المعز الشمسية التي
عملها للكعبة على ايوان قصره ، وسعتها اثنا
عشر شبرا في اثني عشر شبرا ، وأرضها
ديباج أحمر ، ودورها اثنا عشر هلال ذهب ،
في كل هلال أترجة ذهب ملبك ، جوف كل
أترجة خسون درة كبار كبيض الحمام ،
وفيها الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق ،
وفي دورها كتابة آيات الحج بزمرد أخضر
قد فرس ، وحشو الكتابة در كبير لم ير مثله ،
وحشو الشمسية المسك المسحوق ، يراها
الناس في القصر ومن خارج القصر لعلوا
موضعها ، وانما نصبها عدة فرائين ، وجروها
لثقل وزنها .

وقال في كتاب « الذخائر والتحف » وما
كان بالقصر من ذلك : ان وزن ما استعمل
من الذهب الايزر الخالص في سرير الملك
الكبير مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال ،
ووزن ما حلى به السر الذي أنشأه سيد
الوزراء أبو محمد اليازوري من الذهب أيضا
ثلاثون ألف مثقال ، وانه رصع بألف
 وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر
ألوانه .

وذكر أن في الشمسية الكبيرة ثلاثين ألف
مثقال ذهباً وعشرين ألف درهم مخرقة ، وثلاثة
آلاف وستمائة قطعة جوهر من سائر ألوانه
 وأنواعه ، وأن في الشمسية التي لم تتم من
الذهب : سبعة عشر ألف مثقال .

وقال المرتضى أبو محمد عبد السلام بن
محمد بن الحسن بن عبد السلام بن الطوير
القهرى القيصراني الكاتب المصرى في كتاب

(٢٨٥ ج ١ ، ط : بولاق .)

« نزهة المقلتين في أخبار الدولتين » الفاطمية
والصلاحية (الفصل العاشر في ذكر هيتهم
في الجلوس العام بمجلس الملك) : ولا يتعدى
ذلك يومى الاثنين والخميس ، ومن كان أقرب
الناس اليهم ، ولهم خدم لا تخرج عنهم ،
ويتنظر لجلوس الخليفة أحد اليومين
المذكورين ، وليس على التوالى بل على
التفريق .

فاذا تمها ذلك في يوم من هذه الأيام ،
استدعى الوزير من داره صاحب الرسالة على
الرسم المعتاد في سرعة الحركة ، فيركب في
أهنته وجماعته على الترتيب المقدم ذكره (يعنى
في ذكر الركوب أول العام ، وسيأتى ان شاء
الله تعالى في موضعه من هذا الكتاب) ،
فيسير من مكان ترجمه عن دابته بدهليز
العمود الى مقطع الوزارة ، وبين يديه أجلاء
أهل الامارة ... كل ذلك بقاعة الذهب التي
كان يسكنها السلطان بالقصر .

وكان الجلوس قبل ذلك بالايوان الكبير
— الذى هو خزائن السلاح — في صدره
على سرير الملك ، وهو باق في مكانه الى الآن
من هذا المكان الى آخر أيام المستعلى .

ثم ان الأمر نقل الجلوس الى هذا المكان ،
واسمه مكتوب بأعلى بأذهنجه الى اليوم .

ويكون المجلس المذكور معلقا فيه ستور
الديباج شتاء والديبقي صيفا ، وفرش الشتاء
يسط الحرير — عوضا عن الصوف — مطابقا
لستور الديباج ، وفرش الصيف مطابقا لستور
الديبقي ما بين طبرى وطبرستانى مذهب
معدوم المثل ، وفي صدره المرتبة المؤهلة

لجلوسه في هيئة جليلة على سرير الملك المغشى
بالقروبي ، فيكون وجه الخليفة عليه قبالة
وجوه الوقوف بين يديه .

فاذا تمها الجلوس استدعى الوزير من
المقطع الى باب المجلس المذكور — وهو معلق
وعليه ستر — فيقف بحداته ، وعن يمينه
زمام القصر ، وعن يساره زمام بيت المال .

فاذا اتصب الخليفة على المرتبة ، وضع
أمين الملك مقطع — أحد الاستادين المحبين
الحواص — الدواة مكانها من المرتبة ، وخرج
من المقطع الذى يقال له « فرد الكم » ، فاذا
الوزير واقف أمام باب المجلس ، وحواليه
الأمراء المصطفون أرباب الحدم الجليلة
وعيرهم ، وفي حلاتهم فراء الخضرة .

فيشير صاحب مجلس الى الاستادين ،
فيرفع كل منهم جاب الستر ، فيظهر الخليفة
جانبا بمصبه المذكور ، فتستفتح الفراء
بقراءة القرآن الكريم ، ويسلم الوزير بعد
دخوله اليه ، فيقبل يديه ورجليه ، ويتأخر
مقدار ثلاثة أذرع وهو قائم قدر ساعة
زمانية ، ثم يؤمر بأن يجلس على الجباب
الأيمن ، وتطرح له مخدة تشريف .

ويقف الأمراء في أماكنهم المقررة : فصاحب
الباب وأسفسلار العساكر من جانبي الباب
يسينا ويسارا ، ويليه من خارجه لاصقا بعبته
زمام الامرية والحافظية كذلك ، ثم يرتبهم
على مقاديرهم ، فكل واحد لا يتعدى
مكانه ... هكذا الى آخر الرواق ، وهو
الافرىز العالى عن أرض القاعة ، ويعلموه
السباط على عقود القناطر التي على العهد
هناك .

ثم أرباب القصب والعماريات بمئة وميرة كذلك . ثم الأماثل والأعيان من الأجناد المترشحين للتقدمة ، ويقف مستدا للصدر الذي يقابل باب المجلس بواب الباب والحجاب . ولصاحب الباب في ذلك المحل الدخول والخروج ، وهو الموصل عن كل قائل ما يقول .

فإذا انتظم ذلك النظام ، واستقر بهم المقام ، فأول ماثل للخدمة بالسلام قاضي القضاة والشهود المعروفون بالاستخدام ، فيجيز صاحب الباب القاضي دون من معه ، فيسلم متادبا ، ويقف قريبا . ومعنى الأدب في السلام أنه يرفع يده اليمنى ، ويشير باللمحة ويقول بصوت مسموع : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فيتخصص بهذا الكلام دون غيره من أهل السلام .

ثم يسلم بالأشراف الأقارب زمامهم ، وهو من الأستاذين المحنكين . وبالأشراف الطالبين قديمهم ، وهو من الشهود المعدلين ، وتارة يكون من الأشراف المميزين . فيمضي عليهم كذلك ساعتان زمامتان أو ثلاث .

ويخص بالسلام في ذلك الوقت من خلع عليه لقوص أو الشرقية أو الغربية أو الاسكندرية ، فيشرفون بتقيل القبة .

فإن دعت حاجة الوزير الى مخاطبة الخليفة في أمر ، قام من مكانه وقرب منه منحيا على سيفه ، فيخاطبه مرة أو مرتين .

ثم يؤمر الحاضرون فيخرجون ، حتى يكون آخر من يخرج الوزير بعد تقيل يد الخليفة ورجله ، ويخرج فيركب على عادته الى داره وهو مخدوم بأولئك .

ثم يرخى الستر ويغلق باب المجلس الى يوم مثله ، فيكون الحال كما ذكر ، ويدخل الخليفة الى مكانه المستقر فيه ومعه خواص أستاذه .

وكان أقرب الناس الى الخلفاء الأستاذون المحنكون ، وهم أصحاب الأئس لهم ، ولهم من الخدم ما لا يتطرق اليه سواهم ، ومنهم زمام القصر ، وشاد التاج الشريف ، وصاحب بيت المال ، وصاحب الدفتر ، وصاحب الرسالة ، وزمام الأشراف الأقارب ، وصاحب المجلس ، وهم المطلعون على أسرار الخليفة .

وكالت لهم طريقة محمودة في بعضهم بعضا منها أنه متى ترشح أستاذ للتحنيك وحك ، حمل اليه كل واحد من المحنكين بدلة من ثياب ومنديلا وقرشا وسيفا ، فيصبح لاحقا بهم وفي يديه مثل ما في أيديهم .

وكان لا يركب أحد في القصر الا الخليفة ، ولا ينصرف ليلا ونهارا الا كذلك ، وله في الليل شدادات من النساء يخدمن البغلات والحسير الاناث ، للجه : في السرايب القصيرة الأقباء ، والطلوع من الزلاقات الى أعالي المناظر والأماكن .

وفي كل محلة من محلات القصر فتحة مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق في الليل .

كيفية سباط شهر رمضان بهذه القاعة

قال ابن الطوير : فإذا كان اليوم الرابع من شهر رمضان ، رتب عمل السباط كل ليلة بالقاعة بالقصر الى السادس والعشرين منه ، ويستدعى له قاضي القضاة ليالى الجمع توقيرا له ، فأما الأمراء ففي كل ليلة منهم قوم بالنوبة ، ولا يحرمونهم الافطار مع أولادهم وأهاليهم ، ويكون حضورهم بسطور يخرج الى صاحب الباب واسفهلاره ، فيعترف صاحب كل نوبة ليلته فلا يتأخر . ويحضر الوزير فيجلس صدره ، فإن تأخر كان ولده أو أخوه ، وإن لم يحضر أحد من قبله كان صاحب الباب .

ويهتم فيه اهتماما عظيما تاما بحيث لا يفوته شيء من أصناف المأكولات الفاتقة والأغذية الرائقة ، وهو مبسوط في طول القاعة ، ماد من الرواق الى ثلثي القاعة المذكورة . والفراشون قيام لخدمة الحاضرين وحواشي الأستاذين ، يحضرون الماء البخر في كيزان الخزف يرسم الحاضرين .

ويكون انفصالهم العشاء الآخرة ، فيعصم ذلك ويصل منه شيء الى أهل القاهرة من بعض الناس لبعض ، وماخذ الرجل الواحد ما يكفي جماعة .

فإذا حضر الوزير ، أخرج اليه مما هو بحضرة الخليفة ، وكانت يده فيه ، تشريفا له وتطيبا لنفسه ، وربما حمل لسحوره من خاص ما يعين لسحور الخليفة نصيب وافر .

ثم يفرق الناس الى أماكنهم بعد العشاء الآخرة بساعة أو ساعتين

قال : ومبلغ ما ينفق في شهر رمضان لسباطه ، مدة سبعة وعشرين يوما ، ثلاثة آلاف دينار .

عمل سباط عيد الفطر بهذه القاعة

قال الأمير المختار عز الملك بن عبيد الله بن أحمد بن اسماعيل بن عبد العزيز المسيحي في تاريخه الكبير : وفي آخر يوم منه (يعني شهر رمضان ستة ثمانين وثلاثمائة) حصل يانس الصقلي ، صاحب الشرطة السفلى ، السباط وقصور السكر والتماثيل وأطباقا فيها تماثيل حلوى ، وحل أيضا على بن سعد الحبيب القصود وتماثيل السكر .

وقال ابن الطوير : فأما الأسطة الباطنة التي يحضرها الخليفة بنفسه ، ففي يوم عيد الفطر اثنان ، ويوم عيد النحر واحد .

فأما الأول من عيد الفطر ، فإنه يعين في الليل بالايوان قدام الشباك الذي يجلس فيه الخليفة ، فيمد ما مقداره ثلثائة ذراع في عرض سبعة أذرع ، من الخشكتان والتايزد والبسندود ، المقدم ذكر عمله بدار الفطرة .

فإذا صلى الفجر في أول الوقت ، حضر اليه الوزير وهو جالس في الشباك ، ويمكن الناس من ذلك الممدود ، فأخذ وحل ونهب . فيأخذه من يأكله في يومه ، ومن يلخره لفته ، ومن لا حاجة له به فيبيعه ، ويتسلط عليه أيضا حواشي القصر المقيمون هناك .

فالذا فرغ من ذلك وقد برغت الشمس ،
ركب من باب الملك بالايوان ، وخرج من باب
العيد الى المصلى والوزير معه - كما وصفنا
في هيئة ركوب هذا العيد في فصله - مغليا
لقاعة الذهب لساط الطعام .

فينصب له سرير الملك قدام باب المجلس في
الرواق ، وينصب فيه مائدة من فضة - ويقال
لها المدورة - وعليها أواني الفضييات
والذهبيات والفضيات الحاوية للأطعمة الخاص ،
القائحة الطيب الشمية ، من غير خضراوات ،
سوى الدجاج القائق للسمن المعمول بالأمزجة
الطيبة النافعة .

ثم ينصب الساط أمام السرير الى باب
المجلس قبالة - ويعرف بالمحول - طول
القاعة ، وهو اليوم الباب الذي يدخل منه
اليها من باب البحر ، الذي هو باب القصر
اليوم .

والساط خشب مدهون شبه الدكك
اللاطية ، فيصير من جمعه للأواني ساطا عاليا
في ذلك الطول ويعرض عشرة أذرع ، فيقرش
فوق ذلك الأزهار ، ويرص الخبز على حافته
سواميد ، كل واحد ثلاثة أرتال من قفى
الدقيق ، ويدهن وجهها عند خبزها بالماء ،
فيحصل لها بريق ويحسن منظرها .

ويعمر داخل ذلك الساط على طوله بأحد
وعشرين طبقا : في كل طبق أحد وعشرون
تيا سينا مشويا ، وفي كل من الدجاج
والفرايح وفراخ الحمام ثلاثة وخمسون
طائرا ، فيبقى طائلا مستظيلا ، فيكون كقائمة
الرجل الطويل ، ويسور بشرائح الحلواء
الياسة ، ويزين بألوانها المصبغة .

ثم يسد خلل تلك الأطباق بالصحنون
الخرفية التي في كل واحد منها سبع دجاجات ،
وهي مترعة بالألوان الفاتحة من الحلواء *
المائعة والطاهجة المشقة ، والطيب غالب على
ذلك كله ، فلا يعد أن تهاز عدة الصحنون
المذكورة خمائة صحن ، ويرتب ذلك
أحسن ترتيب من نصف الليل بالقاعة الى حين
عود الخليفة من المصلى والوزير معه .

فالذا دخل القاعة ، وقف الوزير على باب
دخول الخليفة لينزع عنه الثياب العيدية التي
في عمامتها السمة ، ويلبس سواها من خزائن
الكسوات الخاصة التي قدما ذكرها .

وقد عمل بدار الفطرة قصران من حلوى ،
في كل واحد سبعة عشر قطارا ، وحملتا :
فمنها واحد يضى به من طريق قصر الشوك
الى باب الذهب ، والآخر يشق به بين القصرين
يحملهما العتالون ، فينصبان أول الساط
وأخره ، وهما شكل مليح ، مدهونان بأوراق
الذهب ، وفيهما شخوص فاتلة كأنها مسبوكة
في قوالب لوحا لوحا .

فالذا عبر الخليفة راكبا ، ونزل على السرير
الذي عليه المدورة الفضة وجلس ، قام على
رأسه أربعة من كبار الأستاذين المحسكين ،
وأربعة من خواص الفرائين . ثم يستدعى
الوزير فيطلع اليه ، ويجلس عن يمينه ،
ويستدعى الأمراء المطوقين ومن يليهم من
الأمراء دونهم ، فيجلسون على الساط
كقيامهم بين يديه ، فيأكل من أراد من غير
الزام ، فإن في الحاضرين من لا يعتقد الفطر
في ذلك اليوم . فيستولى على ذلك المعمول

(١٤٨) من ٢٨٧ ج ١ ، ط - بولاق .

الايوان الكبير

قال القاضي الرئيس محيى الدين عبد الله
ابن عبد الظاهر الروحى الكاتب في كتاب
« الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية
القاهرة » : الايوان الكبير بناء العزيز بالله
أبو منصور تزار بن المعز لدين الله معمد في
سنة تسع وستين وثلاثمائة ... انتهى .

وكان الخلفاء أولا يجلسون به في يومى
الاثنين والخميس الى أن تقل الخليفة الأمر
بأحكام الله الجلوس منه في اليومين المذكورين
الى قاعة الذهب كما تقدم . وبصدر هذا
الايوان كان الشباك الذى يجلس فيه
الخليفة ، وكان يطلو هذا الشباك قبة .

وفي هذا الايوان كان يسد ساط الفطرة
بكبة يوم عيد الفطر كما تقدم ، وبه أيضا
كان يعمل الاجتماع والخطبة في يوم عيد
الغدير . وكان بجانب هذا الايوان الدواوين .
وكان بهذا الايوان ضلعا سكة اذا أقيما
واريا الفارس بفرسه ، ولم يزالا حتى بعثها
السلطان صلاح الدين يوسف الى بغداد فى
هدية .

عيد الغدير : اعلم أن عيد الغدير لم يكن
عيدا مشروعا ، ولا عمله أحد من سالف الأمة
المقتدى بهم . وأول ما عرف في الاسلام
بالعراق أيام معز الدولة على بن بويه ، قاله
أحدثه في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ،
فاتخذته الشيعة من حينئذ عيدا

وأصلهم فيه ما خرج به الامام أحمد فى
مسنده الكبير ، من حديث البراء بن عازب

الأكلون ، وينقل الى دار أرباب الرسوم ،
ويباح فلا يبقى منه الا الساط فقط ، فيصم
أهل القاهرة ومصر من ذلك نصيب وافر .

فالذا انقضى ذلك عند صلاة الظهر ، انقضى
الناس ، وخرج الوزير الى داره مخدوما
بالجماعة الحاضرين ، وقد عمل ساطا لأهله
وحواشيته ومن يعز عليه ، لا يلحق بأيسر يسير
من ساط الخليفة

وعلى هذا العمل يكون ساط عيد النحر
أول يوم منه ، وركوبه الى المصلى كما ذكرنا ،
ولا يخرج عن هذا المنوال ، ولا يتقص عن
هذا المثال ، ويكون الناس كلهم مفطرين ،
ولا يفوت أحدا منهم شئ كما ذكرنا في عيد
الفطر .

قال : ومبلغ ما ينفق في ساطى الفطر
والأضحى أربعة آلاف دينار .

وكان يجلس على أسطة الأعياد في كل
سنة رجلان من الأجناد ، يقال لأحدهما ابن
فائز والآخر الديلمى ، يأكل كل واحد منهما
خروفا مشويا وعشر دجاجات محلاة وجام
حلوى عشرة أرتال ، ولهما رسوم تحصل
اليها بعد ذلك من الأسطة لبيوتهما ، ودنانير
وافرة على حكم الهبة .

وكان أحدهما أسر بمسقلان في تجريدة
جرد اليها ، وأقام مدة في الأسر . فاتفق أنه
كان عندهم عجل سمين فيه عدة قناطير لحم ،
فقال له الذى أسره وهو يداعبه : ان أكلت
هذا العجل اعتقتك .

ثم ذبحه وسوى لحمه وأطعمه حتى أتى
على جميعه ، فوفى له وأعتقه ، فقدم على أهله
بالقاهرة ، ورأيت ياكل على الساط .

رضي الله عنه ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر لنا ، فنزلنا بغدير حم ، ونودي « الصلاة جامعة » ، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين فعلى الظهر ، وأخذ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : « أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم » .

قالوا : بلى .

قال : « أستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه » ؟

قالوا : بلى .

فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه .

قال : فلقية عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : هنيئا لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة .

وبغدير حم على ثلاثة أميال من الحجة بيرة الطريق ، وتصب فيه عين ، وحوله شجر كثير .

ومن سنتهم في هذا العيد - وهو أبدا يوم الثامن عشر - من ذي الحجة - أن يحيوا ليك بالصلاة ، ويصلوا في صيحاته وكمثين قبل الزوال ، ويلبوا فيه الجديد ، ويعتقوا الرقاب ، ويكثروا من عمل البر ومن الذبائح .

ولما عمل الشيعة هذا العيد بالمراق ، أرادت عوام النية مضاهاة فعلهم ونكائتهم ، فاتخذوا في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة - بعد عيد الغدير بشاية أيام - عيدا

(*) من ٢٨٨ ج ١ ، طبع بولاق .

أكثروا فيه من السرور واللغو ، وقالوا : هذا يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وبالعوا في هذا اليوم في اظهار الزينة ونصب القباب وإيقاد النيران ، ولهم في ذلك أعمال مذكورة في أخبار بغداد .

وقال ابن زولاق : وفي يوم ثمانية عشر من ذي الحجة سنة اثنين وستين وثلاثمائة ، وهو يوم الغدير ، تجتمع خلق من أهل مصر والمغاربة ومن تبعهم للدعاء لأنه يوم عيد ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيه واستخلفه ، فأعجب المعز ذلك من فعلهم ، وكان هذا أول ما عمل بمصر .

قال الميحي : وفي يوم الغدير ، وهو ثامن عشر ذي الحجة ، اجتمع الناس بجامع القاهرة والقراء والفقهاء والمنشدون ، فكان جمعا عظيما أقاموا إلى الظهر ، ثم خرجوا إلى القصر فخرجت اليهم الجائزة . وذكر أن الحاكم بأمر الله كان قد منع من عمل عيد الغدير .

قال ابن الطوير : إذا كان العشر الأوسط من ذي الحجة ، اهتم الأمراء والأجناد بركوب عيد الغدير ، وهو في الثامن عشر منه ، وفيه خطبة وركوب الخليفة بغير مظلة ولا سعة ، ولا خروج عن القاهرة ، ولا يخرج لأحد شيء .

فاذا كان ذلك اليوم ركب الوزير ، بالاستدعاء الجاري به العادة ، فيدخل القصر ، وفي دخوله بروز الخليفة لركوبه من الكرسي على عادته ، فيخدم ويخرج ويركب من مكانه

من الدهليز ، ويخرج فيقف قبالة باب القصر ، ويكون ظهره إلى دار فخر الدين جهار كرسى اليوم .

ثم يخرج الخليفة راكبا أيضا ، فيقف في الباب - ويقال له القوس - وجوابه الأستاذون المحنكون رجالة ، ومن الأمراء المطوقين من يأمره الوزير بإشارة خدمة الخليفة على خدمته ، ثم يجوز زى كل من زى على مقدار همة .

فأول ما يجوز زى الخليفة ، وهو الظاهر في ركوبه ، فتجد الجنائب الخاص التي قدمنا ذكرها أولا . ثم زى الأمراء المطوقين لأنهم غلمانهم ، واحدا فواحدا بعددهم وأسلحتهم وجنائبهم ، إلى آخر أرباب القصب والعماريات . ثم طوائف العسكر أزمتهما أمامها وأولادهم مكانهم لأنهم في خدمة الخليفة ، وقوف بالباب طائفة طائفة ، فيكونون أكثر عددا من خمسة آلاف فارس . ثم المترجلة الرماة بالقسي بالأيدي والأرجل ، وتكون عدتهم قريبا من ألف .

ثم الراجل من الطوائف الذين قدمنا ذكرهم في الركوب ، فتكون عدتهم قريبا من سبعة آلاف ، كل منهم بزمام وبنود ورايات وغيرها ، بترتيب مليح مستحسن .

ثم يأتي زى الوزير مع ولده أو أحد أقاربه ، وفيه جماعته وحاشيته في جمع عظيم وهيئة هائلة . ثم زى صاحب الباب وهم أصحابه وأجناده وبواب الباب وسائر الحجاب .

ثم يأتي زى اسفيلار العساكر بأصحابه وأجناده في عدة وافرة

ثم يأتي زى وإلى القاهرة ، وزى وإلى مصر .

فاذا فرغا خرج الخليفة من الباب ، والوقوف بين يديه مشاة في ركابه ، خارجا عن صبيان ركابه الخاص . فاذا وصل إلى باب الزهومة بالقصر ، انعطف على يساره داخلا من الدرب هناك ، جائزا على الخوخ

فاذا وصل إلى باب الديلم الذي داخله المشهد الحسيني ، فيجد في دهليز ذلك الباب قاضي القضاة والشهود ، فاذا وازاهم خرجوا للخدمة والسلام عليه ، فيسلم القاضي كما ذكرنا من تقبيل رجله الواحدة التي تليه ، والشهود أمام رأس الدابة بمقدار قصبة .

ثم يعودون ويدخلون من ذلك الدهليز إلى الايوان الكبير ، وقد علق عليه السور القرقوية جميعه على سعتة وغير القرقوية سترافسترا ، ثم يعلق بدائره على سعتة ثلاثة صفوف : الأوسط طوارق فارسيات مدهونة ، والأعلى والأسفل درق ، وقد نصب فيه كرسي الدعوة وفيه تسع درجات لخطابة الخطيب في هذا العيد ، فيجلس القاضي والشهود تحته ، والعالم من الأمراء والأجناد والمتشيعين ومن يرى هذا الرأي من الأكابر والأصاغر .

فيدخل الخليفة من باب العيد إلى الايوان إلى باب الملك ، فيجلس بالشباك وهو بنظر القوم ، ويخدمه الوزير عندما ينزل ، ويأتي هو ومن معه فيجلس بمفرده على يسار منبر

الخطبة ، ويكون قد سب خطبة صلاة من
يخطب فيها ، ويقتلون ويصلوا ، ويخطب له
كرامى حور من حور الجنة ، يخطب على
الخطبة من التي على كفة عليه وسلم في
اليومين على من أي ملك ، كرم له وجه
يرى له ، ويسمى .

فما قرع وول ، سبى قسى القصة
يخطب ويخطب . فاما قسيت الصلاة ، قام
فوجد الى الشيك فيقيم الخطبة ، ويخطب
التي به الحار من الاساية بطنه
بضار وهو عظمي انهم من عيد البحر ،
ويخرج فيه الكرم .

قال : وكان الحافظ الذي له أبو اليزيد
عيد العيد : لا سم من يد التي على من
التي - القرب كيف - لا يند له
ويخرج عليه ، على عيد في ذلك اليوم
- وهو السبى من الحرم - من عيد
وكوب ولا حركة : بل ان الايواف يبق على
فوتته وتبعته من يوم العيد .

فقد حضر الحور اليوم في الايواف
التي به حور - وكان يخطب الايواف
التي التي هو اليه حور السلاج -
يخطب فوتر ، ويخطب له بركة مائة قرية
من العنجة ، ويخطب لرب النوبة سببا
وقد ابراهيم الى الايواف الى باب الملك
الحرم الملك .

يخرج الخطبة الى الجبل ، فيخرج
على به وجه به الحار ، يخطب على
الجنة ، ويخطب به سببا الى باب
الحرم الملك .

الخطبة ، ثم جعل قدامه كرسى السورة وعليه
عشرة قرقرى ، وجوابه الامراء والسياسة
والرطب القرب .

فيصعد قسى القصة ، ويخرج من كفة
كولة مسطحة تنصب فصولا كاترج بعد
الخطبة يتم طبع ، يذكر فيه كل من امرائه
من الاشياء والصلح والكلوك سنة وفوج
له عه ، ولما فواتها ، حتى يصل الى
الحافظ ، وتكون هذه الكولة محوطة من
تيوان الامراء . فاما تكلمت قراعتها ، ول
من غير ودخل الى الخليفة ، ولا يكون عنده
من الباب ليل ما ليه ، ويكون قد حل
الى القامى قبل خطبة صلاة صلاة يسلمها
الخطبة ، ويوصل اليه بعد الخطبة خسوف
ينزل .

وقال الامير جمال الدين ابو على موسى بن
الامون في عيد له صعد من قدامه بن مختار
الخطبة في تاريخه : واستعمل عيد العنبر
(يعني من سنة ست عشرة وخمسة)
ويخرج الى باب الالح (يعني الوزير الامون
الخطبة) القصة والساكن من البلاد ،
ومن انضم اليهم من العوالي والايوان ، على
عندهم في طلب الحلال وتوزيع الايام ،
ويصلوا موصلا يرصد كل احد : ويرقيه كل
شي وقتر - فخرج في معروقه على راسه ،
ويخرج الشعراء في بطنه يثلك .

ويصلت كسوة العيد التذكير ، فوصل
ما يختص بالخطبة والوزير : ولما بترقة ما
يختص بترقة الحاكم : فلبسها ولبسها ، من
من وكسوة . ويصل ما يختص به من العن
بجعة وتسعة دينار ، ومن الكسوة مائة

ونزع وتوصوف قصة . واليهبة للخدمة بهذا
العيد يرسم كبره النوبة ونبوغها ونمراتها
ونبوغها ، والاساتين للحسين والسيزين
سهم ، خراجا عن تولاد الوزير والخصوة .
ويخرج من ماله الوزير بعد الخلع عليه القلان
وعساة ديتل ونماتون ديترا ، ولما بتطيق
جيسع ابواب القصور ، وتفرقة للوزنين
بالجوامع والساجد عليها ، وتقدم بان تكون
الاسعة بقاعة الشعب على حكم ساط قول
يوم من عيد البحر .

وفي ياكرو هذا اليوم ، توجه الخليفة الى
البيد ، وذهب ما جرت به العادة ، وذهب
الجزائرون بعده مثل عند الكباش للقبوحة
في عيد البحر ، ولما بترقة ذلك للخصوص
دون الصوم .

ويجلس الخليفة في الشجرة ، وخدمت
الرهبة ، وتقدم الوزير والامراء وسلاوا ،
فما حان وقت الصلاة والوزنون على ابواب
القصر يذكرون تكبير العيد ، الى ان دخل
الوزير فوجد الخبيب على الشير قد فرغ ،
فتقدم القامى ابو الحجاج يوسف بن ابوب
تصلى به وبالعجالة صلاة العيد ، وطع
الشرف من أفس النوبة وخطب خطبة العيد .

ثم توجه الوزير الى باب الملك ، فوجد
الخليفة قد جلس قداما للقمة ، وقد ضرت
الكتمة ، فأمره بالمشي اليها ، وخطب عليه
خطة مكسة من بدلات البحر ، ونوحا نصر
بالسنة الدالية ، وقدمه سببا موصا
باليقوت والجور ، وعلمها نفس ليقبل
لأرض ، وجده قد اعد له العقد الجور ،
ورقه في غننه يند ، وراح في اكرامه .

ويخرج من باب الملك ، فتلقاه القربون ،
وسارع القامى الى خدمه ، ويخرج من باب
العيد وتولاده والخصوة والامراء السيزون
بعينه . وخدمت الرهبة وضرت الرية ،
ولوكب جيسه بزه وقد اصبحت العاكر ،
وتقدم الى والده بالجلوس على اسطه
وتفرقا يوسوما .

وتوجه الى القصر واستفتح القربون ،
فسلم الحاضرون . وجري الرسم في السط
لالول والثاني ، وتفرقة الرسوم والمواثد ،
على حكم اول يوم من عيد البحر .

وتوجه الخليفة بعد ذلك الى السط
الشاك الخاضع بقمار البطنة لاقامه
وجلسه .

ولما انقضى حكم التميز ، جلس الوزير في
مجلسه ، واستفتح القربون ، وحضر الكبراء
ورماض البلقين انتهى بالعيد والخلع ، ويخرج
الرسم ، وتقدم الشعراء فأتشدوا وشرحوا
الحال ، وحضر متولى خزائن الكسوة الخاص
بالباب التي كانت على الامون قبل الخلع ،
وقبضوا الرسم الجارى به العادة وهو مائة
دينار ، وحضر متولى بيت المال وصحبه
متنوق فيه خسة آلاف دينار يرسم فلكه
العقد الجور والسيف الرمس .

فامر الوزير لأمون الشيخ ابا الحسن بن
أبي أسامة ، كاتب القست الشرف ، بكتب
مطاعة الى الخليفة بما حل اليه من المال يرسم
متنيل الكم ، وهو ألف دينار ، يرسم
لاخوة والأقارب ألف دينار ، وتسلم متولى
النوبة بقية المال ليرق على الامراء المطوقين
والسيزين والضيوف والسندمين .

« المحول » : قال ابن عبد القاهر : المحول هو مجلس الداعي ، ويدخل اليه من باب الريح ، وبابه من باب البحر ، ويعرف بقصر البحر . وكان في أوقات الاجتماع يصلي الداعي بالناس في رواقه .

وقال المسيحي : وفي ربيع الأول (يعني من سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة) جلس القاضي محمد بن النعمان على كرسى بالقصر لقراءة علوم آل البيت ، على الرسم المعتاد المتقدم له ولأخيه بصير ولأبيه بالمغرب ، فبات في الرحمة أحد عشر رجلا فكف عنهم العزير بالله .

وقال ابن الطوير : وأما داعي الدعاة فإنه يلي قاضي القضاة في الرتبة ، ويتزيا بزيه في اللباس وغيره . ووصفه أنه يكون عالما بجميع مذاهب أهل البيت يقرأ عليه ، ويأخذ العهد على من يتقل من مذهبه إلى مذهبهم ، وبين يديه من ثقباه المملين اثنا عشر نقيباً ، وله نواب كتاب الحكم في سائر البلاد ، ويحضر إليه فقهاء الدولة ، ولهم مكان يقال له دار العلم ، ولجماعة منهم على التصدير بها أرزاق واسعة .

وكان الفقهاء منهم يتفقون على دفتر يقال له مجلس الحكمة ، في كل يوم اثنين وخميس ، ويحضر مبيضا إلى داعي الدعاة فينفذه اليهم ، ويأخذ منهم ويدخل به إلى الخليفة في هذين اليومين المذكورين ، فيتلو عليه إن أمكن ، ويأخذ علامته بظاهره ، ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين في مكانين :

(٥٨) من ٢٩٠ ج ١ ، ط ١٩٠٩ .

للرجال على كرسى الدعوة بالأيوان الكبير ، وللنساء بجلس الداعي وكان من أعظم المبالي وأوسعها .

فاذا فرغ من تلاوته على المؤمنين والمؤمنات حضروا اليه لتقبيل يديه ، فيسبح على رؤوسهم بكتاب العلامة ، أغنى خط الخليفة ، وله أخذ التجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالها لا سيما الصعيد ، ومبلغها ثلاثة دراهم وثلاث ، فيجتمع من ذلك شيء كثير يحمله إلى الخليفة بيده بينه وبينه ، وأما في ذلك مع الله تعالى ، فيفرض له الخليفة منه ما يعينه لنفسه وللقباء .

وفي الاساعيلية المولدين من يحمل ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاثي دينار على حكم التجوى ، وصحة ذلك رقعة مكتوبة باسمه ، فيتميز في المحول ، فيخرج له عليها خط الخليفة « بارك الله فيك وفي مالك وولدك ودينك » ، فيدخر ذلك ويتفاخر به .

وكانت هذه الخدمة متعلقة بقوم يقال لهم بنو عبد القوي ، أيا عن جد ، آخرهم الجليس . وكان الأفضل بن أمير الجيوش تناسلهم إلى المغرب ، فولد الجليس بالمغرب ورعى به ، وكان يسيل إلى مذهب أهل السنة ، وولى القضاء مع الدعوة ، وأدركه أسد الدين شيركوه وأكرمه ، وجعله واسطة عند الخليفة العاضد ، وكان قد حجر على العاضد ، ولولاه لم يبق في الخزائن شيء لكرمه ، وكأنه علم أنه آخر الخلفاء .

قال المسيحي : وكان الداعي يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الأولياء

والدعوى المتصلة ، فكان يفرد للأولياء مجلساً ، وللخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلساً ، ولعوام الناس وللطوائف على البلد مجلساً ، وللنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر مجلساً ، وللحرم وخواص نساء القصور مجلساً .

وكان يعمل المجالس في داره ، ثم ينفذها إلى من يختص بخدمه الدولة ، ويحدد لهذه المجالس كتباً ييصلونها بعد عرضها على الخليفة . وكان يقبض في كل مجلس من هذه المجالس ما يتحصل من التجوى من كل من يدفع شيئاً من ذلك عينا وورقا من الرجال والنساء ، ويكتب أسماء من يدفع شيئاً على ما يدفعه ، وكذلك في عيد الفطر يكتب ما يدفع عن الفطرة ، ويحصل من ذلك مال جليل يدفع إلى بيت المال شيئاً بعد شيء ، وكانت تسمى مجالس الدعوة مجالس الحكمة .

وفي سنة أربعمائة كتب سجل عن الحاكم بأمر الله فيه رفع الخس والزكاة والفطرة والتجوى التي كانت تحل ، ويتقرب بها ، وتجرى على أيدي القضاة . وكتب سجل آخر يقطع مجالس الحكمة التي تقرأ على الأولياء يوم الخميس والجمعة ... انتهى .

وظيفة داعي الدعاة كانت من مفردات الدولة الفاطمية . وقد لخصت من أمر الدعوة طرفاً أحببت إيرادها هنا .

وصف الدعوة وترتيبها : وكانت الدعوة مرتبة على منازل ، دعوة بعد دعوة .

الدعوة الأولى : سؤال الداعي لمن يدعو إلى مذهبه عن المشكلات ، وتأويل الآيات ، ومعالي الأمور الشرعية ، وشيء من الطبيعيات ومن الأمور الغامضة ، فإن كان المدعو غارفا سلم له الداعي ، والا تركه يعمل فكره فيما ألقاه عليه من الأسئلة ، وقال له : يا هذا إن الدين مكتوم ، وإن الأكثر له منكرون وبه جاهلون ، ولو علمت هذه الأمة ماخص الله به الأئمة من العلم لم تختلف .

فيتشوق حينئذ المدعو إلى معرفة ما عند الداعي من العلم ، فاذا علم منه الاقبال ، أخذ في ذكر معاني القراءات وشرائع الدين ، وتقرير أن الآفة التي نزلت بالأمة وشئت الكلمة ، وأورثت الأهواء المضلة ، ذهب الناس عن أئمة نصبوا لهم ، وأقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقيقتها ، ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها .

غير أن الناس لما عدلوا عن الأئمة ، ونظروا في الأمور بعقولهم ، واتبعوا ما حسن في رأيهم ، وقلدوا سفلتهم ، وأطاعوا ساداتهم وكبراءهم ، اتبعا للملوك ، وطلبوا للدنيا التي هي أيدي متبعي الائم وأجناد الظلمة وأعوان الفسقة ، الذين يحبون العاجلة ، ويجتهدون في طلب الرئاسة على الضعفاء ، ومكابدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته ، وتغيير كتاب الله عز وجل ، وتبديل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومخالفة دعوته ، وإفساد شريعته ، وسلوك غير طريقته ، ومعاودة الخلفاء الأئمة من بعده

(٥٩) من ٢٩١ ج ١ ، ط ١٩٠٩ .

يختر من قبل ذلك ، وصار الناس الى انواع
الفلالات

فان دين محمد صلى الله عليه وسلم ما جاء
بالخلق ، ولا بمالي الرجال ، ولا شهوات
الناس ، ولا بما خف على الآلة وعرقته
دهاء العامة ، ولكنه صعب مستصعب ،
وأمر مستقيل ، وعظم خفي غامض ستره الله
في حبه ، وعظم شانه عن ابتدال أسراوه .
فهو سر الله المكتم ، وأمره المستور الذي لا
يطيق حمله ، ولا يتطهر بأعيانه وثقله ، الا
ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أو عبد مؤمن
امتحن الله قلبه للثقوى ... فإذا ارتبط المدعو
على الداعي وأنس له ، نقله الى غير ذلك .

فمن سائلهم : ما معنى رمي الجبار والمدو
بين الصفا والمروة ، ولم كانت العائض تقضى
الصوم ولا تقضى الصلاة ، وما بال الجنب
يقتل من ماء دافق يسير ، ولا يقتل من
البول النجس الكثير القدر ، وما بال الله خلق
الدنيا في ستة أيام ، أعجز عن خلقها في ساعة
واحدة ، وما معنى الصراط المضروب في
القرآن مثلا ، والكاتبين العافقين ، وما لنا
لا نراها ، أخاف أن نكأه ونجأه حتى
أدلى العيون ، وأقام علينا الشهود ، وقيد
ذلك في القراطيس بالكتابة ؟

وما تبدل الأرض غير الأرض ، وما عذاب
جهنم ، وكيف يصح تبدل جلد مذب بجلد
لم يذنب حتى يذنب ، وما معنى « ويحل
عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ، وما
إبليس ، وما الشياطين ، وما وصفوا به وأين
مستقرهم ، وما مقدار قدرهم ، وما يأجوج
وماجوج وهاروت وماروت ، وأين مستقرهم ،

وما سبعة أبواب النار ، وما ثمانية أبواب
الجنة ، وما شجرة الزقوم النابتة في الجحيم ،
وما دابة الأرض ورؤوس الشياطين والشجرة
الملعونة في القرآن ، والتين والزيتون ؟

وما الخس الكنس ، وما معنى ألم والمص ،
وما معنى كيمص وحبس ، ولم جعلت
السوات سبعا ، والأرضون سبعا ، والمثالي
من القرآن سبع آيات ، ولم فجرت العيون
اثني عشرة عينا ، ولم جعلت الشهور اثني
عشر شهرا ، وما يعمل معكم عمل الكتاب
والسنة ، ومعاني القرائن اللازمة ؟

فكروا أولا في أنفسكم : أين أرواحكم ،
وكيف صورها ، وأين مستقرها ، وما أول
أمرها ، والانسان ما هو ، وما حقيقته ، وما
الفرق بين حياته وحياة البهائم ، وفضل ما
بين حياة البهائم وحياة الحشرات ، وما الذي
بانت به حياة الحشرات من حياة النبات ؟

وما معنى قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم « خلقت حواء من ضلع آدم » ؟

وما معنى قول الفلاسفة : الانسان عالم
صغير ، والعالم انسان كبير ؟

ولم كانت قامة الانسان متصبة دون غيره
من الحيوانات ، ولم كان في يديه من الأصابع
عشر ، وفي رجله عشر أصابع ، وفي كل أصبع
من أصابع يديه ثلاثة شقوق ، الا الإبهام فان
فيه شقين فقط ؟

ولم كان في وجهه سبع ثقب وفي سائر
بدنه ثقبان ، ولم كان في ظهره اثنا عشرة
عقدة وفي عنقه سبع عقد ، ولم جعل عنقه

صورة نيم ، وبداه حاء ، وبطنه ميسا ، ورجلاه
دالا ، حتى صار ذلك كتابا مرسوما يترجم عن
محمد ؟

ولم جعلت قامت اذا اتصب صورة الف ،
واذا ركم صارت صورة الام ، واذا سجد
صارت صورة هاء ، فكان كتابا يدل على
الله ؟

ولم جعلت أعداد عظام الانسان كذا ،
وأعداد أسنانه كذا ، والأعضاء الرئيسة
كذا ؟

الى غير ذلك من التشریح والقول في
العروق والأعضاء ووجوه منافع الحيوان .

ثم يقول الداعي : ألا تفكرون في حالكم
وتعتبرون ، وتعلمون أن الذي خلقكم حكيم
غير مجازف ، وأنه فعل جميع ذلك لحكمة ،
وله فيها أسرار خفية حتى جمع ما جمع وفرق
ما فرق ؟

فكيف يسعكم الاعراض عن هذه الأمور
وأتم تسمعون قول الله عز وجل « وفي
الأرض آيات للسوقين . وفي أنفسكم أفلا
تبصرون » ، « ويضرب الله الأمثال للناس
لعلهم يتفكرون » ، « سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

فأي شيء رآه الكفار في أنفسهم وفي
الآفاق حتى عرفوا أنه الحق ؟ وأي حق عرفه
من جحد الديانة ؟ ألا يدلكم هذا على أن
الله جل اسمه أراد أن يرشدكم الى بواطن
الأمور الخفية ، وأسرار فيها مكتومة لو
تنبهتم لها وعرفتموها لزال عنكم كل حيرة ،
ودحضت كل شبهة ، وظهرت لكم المعارف
السنية ؟

الا ترون أنكم جهلتم أنفسكم التي من
جهلها كان حريا ألا يعلم غيرها ؟ أليس الله
تعالى يقول : « ومن كان في هذه أعمى فهو
في الآخرة أعمى وأهل سبيلا » .

ونحو ذلك من تأويل القرآن ، وتفسير
السنن والأحكام ، وإيراد أبواب من التجوز
والتعليل .

فاذا علم الداعي أن نفس المدعو قد تعلقت
بما سألته عنه ، وطلب منه الجواب عنها ، قال
له حينئذ : لا تعجل فان دين الله أعلى وأجل
من أن يبذل لغير أهله ، ويجعل غرضا للعب .
وجرت عادة الله وسنته في عبادته ، عند شرع
من نصبه ، أن يأخذ العهد على من يرشده ،
ولذلك قال : « واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن
مريم ، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » .

وقال * عز وجل : « من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى
نجه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » .

وقال جل جلاله : « يا أيها الذين آمنوا
أوفوا بالعقود » ، وقال : « ولا تنقضوا
الآيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم
كفيلا ، ان الله يعلم ما تفعلون » ، « ولا
تكونوا كالتى تقضت غزلهما من بعد قوة
أنكاثا » ، وقال : « لقد أخذنا ميثاق بني
إسرائيل » ، ومن أمثال هذا .

فقد أخبر الله تعالى أنه لم يملك حقه الا لمن
أخذ عهده ، فأعطنا صفقة يمينك ، وعاهدنا
بالموكد من أيمانك وعقودك : ألا تفشى لنا

سرا ، ولا تظاهر علينا أحدا ، ولا تطلب لنا غيلة ، ولا تكتسب نصحا ، ولا توالى لنا عدوا .

فإذا أعطى العهد قال له الداعي : أعطنا جملا من مالك نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الأمور وتعرفك إياها - والرسم في هذا الجمل بحسب ما يراه الداعي - فإن امتنع المدعو أمك عنه الداعي ، وإن أجاب وأعطى نقله الى الدعوة الثانية .

وانما سبب الاسماعيلية بالبائية ، لأنهم يقولون : لكل ظاهر من الأحكام الشرعية باطن ، ولكل تنزيل تأويل .

الدعوة الثانية : لا تكون الا بعد تقدم الدعوة الأولى . فإذا تقرر في نفس المدعو جميع ما تقدم وأعطى الجمل ، قال له الداعي : ان الله تعالى لم يرض في اقامة حق ما شرعه لعباده ، الا أن يأخذوا ذلك عن أئمة نصبهم للناس ، وأقامهم لحفظ شريعته على ما أراد الله تعالى .

وبذلك في تقرير هذا ، ويستدل عليه بأمور مقرونة في كتبهم ، حتى يعلم أن اعتقاد الأئمة قد ثبت في نفس المدعو ، فإذا اعتقد ذلك نقله الى الدعوة الثالثة .

الدعوة الثالثة مرتبة على الثانية ، وذلك أنه إذا علم الداعي من دعاه أن ارتباطه على دين الله لا يعلم الا من قبل الأئمة ، قرر حيث شذ عنه أن الأئمة سبعة ، قد رتبهم البارئ تعالى كما رتب الأمور الجليلة ، فإنه جعل الكواكب السيارة سبعة ، وجعل السموات سبعة ، وجعل الأرضين سبعة ، ونحو ذلك مما هو سبع من الموجودات .

وهؤلاء الأئمة السبعة هم : علي بن أبي طالب ، والحسن بن علي ، والحسين بن علي ، وعلي بن الحسين الملقب زين العابدين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد الصادق ، والسابع هو القائم صاحب الزمان .

وهم - أعني الشيعة - مختلفون في هذا القائم : فمنهم من يجعله محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق ويسقط اسماعيل بن جعفر ، ومنهم من يعد اسماعيل بن جعفر اماما ، ثم يعد ابنه محمد بن اسماعيل .

فإذا تقرر عند المدعو أن الأئمة سبعة ، انحل عن معتقد الإمامية من الشيعة القائلين بإمامة اثني عشر اماما ، وصار الى معتقد الاسماعيلية بأن الإمامة انتقلت الى محمد ابن اسماعيل بن جعفر .

فإذا علم الداعي ثبات هذا العقد في نفس المدعو ، شرع في ثلب بقية الأئمة الذين قد اعتقد الإمامية فيهم الإمامة ، وقرر عند المدعو أن محمد بن اسماعيل عنده علم المستورات وبواطن المعلومات التي لا يمكن أن توجد عند أحد غيره ، وأن عنده أيضا علم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الأمور ، وعنده سر الله تعالى في وجه تديره المكتوم ، واتقان دلائله في كل أمر يسأل عنه في جميع المسدومات ، وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كله ، والتأويلات وتأويل التأويلات .

وإن دعائه هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة ، لأنهم أخذوا عنه ، ومن جهة رووا ، وأن أحدا من الناس المخالفين لهم لا يستطيع أن يساويهم ، ولا

يقدر على التحقق بما عندهم الا منهم ... ويحتج لذلك بما هو معروف في كتبهم ما لا يسع هذا الكتاب حكايته لطوله . فإذا اتقاد المدعو وأذعن لما تقرر ، نقله الى الدعوة الرابعة .

الدعوة الرابعة : لا يشرع الداعي في تقريرها حتى يتيقن صحة انقياد المدعو لجميع ما تقدم . فإذا تيقن منه صحة الانقياد ، قرر عنده أن عدد الأنبياء الناصخين للشرائع ، المبطلين لأحكامها ، أصحاب الأدوار وتقليب الأحوال ، الناطقين بالأمور ، سبعة فقط كعدد الأئمة سواء .

وكل واحد من هؤلاء الأنبياء لابد له من صاحب يأخذ عنه دعوته ويحفظها على أمته ، ويكون معه ظهيرا له في حياته ، وخليفة له من بعد وفاته الى أن يبلغ شريعته الى أحد يكون سبيله معه كسبيله هو مع نبيه الذي اتبعه ، ثم كذلك كل مستخلف خلفه .. الى أن يأتي منهم على تلك الشريعة سبعة أشخاص ، ويقال لهؤلاء السبعة الصامتون ، لثباتهم على شريعة اقتنوا فيها أثر واحد هو أولهم ، ويسمى الأول من هؤلاء السبعة « السوس » .

وأنه لابد عند انقضاء هؤلاء السبعة ونفاذ دورهم ، من استفتاح دور ثان يظهر فيه نبى ينسخ شرع من مضى من قبله ، ونسكون الخلقاء من بعده أمورهم تجري كآمر من كان قبلهم ، ثم يكون من بعدهم نبى ناسخ يقوم من بعده سبعة صمت أبدا ... وهكذا حتى يقوم النبى السابع من النطقاء ، فينسخ جبه الشرائع التي كانت قبله ، ويكون صاحب الزمان الأخير .

فكان أول هؤلاء الأنبياء النطقاء آدم عليه السلام ، وكان صاحبه وسوسه ابنه شيث . وعدوا تمام السبعة الصامتين على شريعة آدم .

وكان الثانى من الأنبياء النطقاء نوح عليه السلام ، فإنه نطق بشرعية نسخ بها شريعة آدم ، وكان صاحبه وسوسه ابنه سام ، ونلاه بقية السبعة الصامتين على شريعة نوح .

ثم كان الثالث من الأنبياء النطقاء ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه ، فإنه نطق بشرعية نسخ بها شريعة نوح وآدم عليهما السلام ، وكان صاحبه وسوسه في حياته ، والخليفة القائم من بعده المبلغ شريعته ، ابنه اسماعيل عليه السلام ، ولم يزل يخلفه صامت بعد صامت على شريعة ابراهيم حتى تم دور السبعة الصمت .

وكان الرابع من الأنبياء النطقاء موسى بن عمران عليه السلام ، فإنه نطق بشرعية نسخ بها شريعة آدم ونوح وابراهيم ، وكان صاحبه وسوسه أخوه هارون . ولما مات هارون في حياة موسى ، قام من بعد موسى نوح بن نون خليفة له صمت على شريعته وبلغها ، فأخذها عنه واحد بعد واحد الى أن كان آخر الصمت على شريعة موسى يحيى بن زكرياء ، وهو آخر الصمت .

ثم كان الخامس من الأنبياء النطقاء المسيح عيسى بن مريم صلوات الله عليه ، فإنه نطق بشرعية نسخ بها شرائع من كان قبله ، وكان

صاحبه وسوسه شقوق الصفا ، ومن بعده
تمام السبعة الصمت على شريعة المسيح

الى ان كان السادس من الانبياء النطقاء
نبيا محمد صلى الله عليه وسلم ، فانه تلقى
بشريعة نسخ بها جميع الشرائع التي جاء بها
الانبياء من قبله ، وكان صاحبه وسوسه على
ابن ابي طالب رضى الله عنه ، ثم من بعد على
سنة صلتوا على الشريعة المحمدية ، وقاموا
بسيرات أسرارها ، وهم : ابنه الحسن ، ثم
ابنه الحسين ، ثم على بن الحسين ، ثم محمد
ابن على ، ثم جعفر بن محمد ، ثم اسماعيل بن
جعفر الصادق ، وهو آخر الصمت من الأئمة
المستورين

والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان ،
وعند هؤلاء الاسماعيلية أنه محمد بن
اسماعيل بن جعفر ، وأنه الذي انتهى اليه علم
الأولين ، وقام يعلم بواطن الأمور وكشفها ،
واليه المرجع في تفسيرها دون غيره ، وعلى
جميع الكافة اتباعه والخضوع له والاقبياد
اليه والتسليم له ، لأن الهداية في موافقته
واتباعه ، والضلال والحرية في المذول عنه .
فاذا تقرر ذلك عند المدعو ، انتقل الداعي الى
الدعوة الخامسة .

الدعوة الخامسة مترتبة على ما قبلها .
وذلك أنه إذا صار المدعو في الرتبة الرابعة
من الاعتقاد ، أخذ الداعي يقرر أنه لا بد مع
كل امام قائم في كل عصر حجج متفرقون في
جميع الأرض عليهم تقصوم ، وعدة هؤلاء
الحجج أبدا اثنا عشر رجلا في كل زمان ،
كما أن عند الأئمة سبعة .

ويستدل لذلك بأمور : منها أن الله تعالى لم
يخلق شيئا عبثا ، ولا بد في خلق كل شيء
من حكمة . والا فلم خلق النجوم التي بها
قوام العالم سبعة ، وجعل أيضا السموات
سبعاً ، والأرضين سبعاً ، والبروج اثني عشر ،
والشهور اثني عشر شهراً ، وبقايا بني اسرائيل
اثني عشر قبيلاً ، وبقايا رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الأنصار اثني عشر قبيلاً .

وخلق تعالى في كفه كل انسان أربع
اصابع ، وفي كل اصبع ثلاثة شقوق ، تكون
جملتها اثني عشر شقاً . على أنه في إبهام كل
يد شقان دلالة على أن الانسان بدنه
كلأرض ، واصابعه كالجزائر الأربع ،
والشقوق التي في الأصابع كالحجج ، والإبهام
الذي به قوام جميع الكف وسداد الأصابع ،
كالذي يقوم الأرض بقدر ما فيها ، والشقان
الليذان في الإبهام إشارة الى أن الامام
وسوسه لا يفترقان .

ولذلك صار في ظهر الانسان اثنا عشرة
خرزة إشارة الى الحجج الاثني عشر ، وصار
في عنقه سبع ، فكان العنق عالياً على خرزات
الظهر ، وذلك إشارة الى الانبياء النطقاء
والأئمة السبعة ، وكذلك الأتقاب السبعة التي
في وجه الانسان العالي على بدنه ... وأشياء
من هذا النوع كثيرة . فاذا تمهد عند المدعو
ما دعاه اليه الداعي وتقرر ، نقله حينئذ الى
الدعوة السادسة .

الدعوة السادسة : لا تكون الا بعد ثبوت
جميع ما تقدم في نفس المدعو . وذلك أنه اذا
صار الى الرتبة الخامسة ، أخذ الداعي في
تفسير معاني شرائع الاسلام — من الصلاة

والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من
الشرائع — بأمور مخالفة للظاهر ، بعد
تمهيد قواعد تبين في أزمنة من غير عجلة ،
تؤدي الى أن هذه الأشياء وضعت على جهة
الرموز لمصلحة العامة وسياستهم ، حتى
يستغلوا بها عن بني بعضهم على بعض ،
وتصددهم عن القصاد في الأرض .. حكمة من
الناسيب للشرائع ، وقوة في حسن سياستهم
لاتباعهم ، واتقاناً منهم لما رتبوه من النواميس
ونحو ذلك حتى يتمكن هذا الاعتقاد في نفس
المدعو .

فاذا طال الزمان ، وصار المدعو يعتقد أن
أحكام الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز
لإيالة العامة ، وأن لها معاني أخر غير ما يدل
عليه الظاهر ، نقله الداعي الى الكلام في
الفلسفة ، وحضه على النظر في كلام أفلاطون
وأرسطو وفيثاغورس ومن في معناتهم ، ونهاه
عن قبول الأخبار والاحتجاج بالسمعيات ،
وزين له الاقتداء بالأدلة العقلية والتحويل
عليها .

فاذا استقر ذلك * عنده واعتقده ، نقله
بعد ذلك الى الدعوة السابعة ، ويحتاج ذلك
الى زمان طويل .

الدعوة السابعة : لا يفصح بها الداعي ما
لم يكثر أنه بمن دعاه ، ويتبين أنه قد تأهل
الى الانتقال الى رتبة أعلى مما هو فيه ،
فاذا علم ذلك منه قال : ان صاحب الدلالة
والناسيب للشريعة لا يستغنى بنفسه ، ولا بد
له من صاحب معه يعبر عنه ، ليكون أحدهما
الأصل والآخر عنه كان وصدر .

(٥) من ٢٩٤ ج ١ ، ط. بولاق .

وهذا انما هو إشارة العالم السفلى لما
يعويه العالم العلوى ، فان مدير العالم في
أصل الترتيب وقوام النظام صدر عنه أو
موجود بعير واسطة ولا سبب نشأ عنه ، واليه
الإشارة بقوله تعالى : « انما أمره اذا أراد
شيئاً أن يقول له كن فيكون » إشارة الى
الأول في الرتبة ، والآخر هو القدر الذي قال
فيه : « انا كل شيء خلقتنا به » وهذا
معنى ما نسمعه من أن الله أول ما خلق القلم
فقال للقلم « اكتب » فكتب في اللوح ما هو
كائن .

وأشياء من هذا النوع موجودة في كتبهم ،
وأصلها مأخوذ من كلام الفلاسفة القائمين :
الواحد لا يصدر عنه الا واحد . وقد أخذ
هذا المعنى المتصوفة ، وبسطوه بمبارات أخر
في كتبهم .

فان كنت ممن ارتاض وعرف مقالات
الناس ، تبين لك ما ذكرت . ولا يحتل هذا
الكتاب بسط القول في هذا المعنى .

واذا تقرر ما ذكر في هذه الدعوة عند
المدعو ، نقله الداعي الى الدعوة الثامنة .

الدعوة الثامنة : متوقفة على اعتقاد سائر
ما تقدم ، فاذا استقر ذلك عند المدعو ديناً
له ، قال له الداعي : اعلم أن أحد المذكورين
الذين هما مدير الوجود والصادر عنه ، انما
تقدم السابق على اللاحق تقدم العلة على
المعلول ، فكانت الأعيان كلها ناشئة وكائنة
عن الصادر الثاني بترتيب معروف في بعضهم .

ومع ذلك فالسابق عندهم لا اسم له ولا
صفة ولا يعبر عنه ولا يقيد ، فلا يقال هو

موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ، وكذلك سائر الصفات - فان الالبات عندهم يقتضى شركة بينه وبين المحدثات ، والنفي يقتضى التعطيل - وقالوا : ليس بقديم ولا محدث ، بل القديم أمره وكلته ، والمحدث خلقه وفطرته ... كما هو مبسوط في كتبهم .

فاذا استقر ذلك عند المدعو ، قرر عنده الداعي أن التالي يدأب في أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق ، وأن الصامت في الأرض يدأب في أعماله حتى يصير بمنزلة التامق سواء ، وأن الداعي يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة الوس وحاله سواء . وهكذا تجرى أمور العالم في أكواره وأدواره .

ولهذا القول بسط كثير ، فاذا اعتقده المدعو قرر عنده الداعي أن معجزة النبي الصادق التامق ليست غير أشياء ينتظم بها سياسة الجمهور ، وتشمل الكافة مصلحتها . بترتيب من الحكمة تحوى معاني فلسفية تنبئ عن حقيقة آية السماء والأرض ، وما يشتمل العالم عليه بأسره من الجواهر والأعراض : فتارة يرموز بعقلها العالمون ، وتارة بانفصاح يعرفه كل أحد ، فينتظم بذلك للنبي شريعة يتبعها الناس .

ويقرر عنده أيضا أن القيامة والقرآن والثواب والعقاب معناها سوى ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر الذهن اليه ، وليس هو إلا حدوث أدوار عند انقضاء أدوار من أدوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها ، من كون وفساد

جاء على ترتيب الطوائف ، كما قد بسطه الفلاسفة في كتبهم ، فاذا استقر هذا المقصد عند المدعو ، نقله الداعي الى الدعوة التاسعة .

الدعوة التاسعة : هي النتيجة التي يحاول الداعي ، بتقرر جميع ما تقدم ، رسوخها في نفس من يدعوه . فاذا تيقن أن المدعو جاهل لكشف السر والانفصاح عن الرموز ، أحاله على ما تقرر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الالهي ، وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية

حتى اذا تمكن المدعو من معرفة ذلك ، كشف الداعي قناعه وقال : ما ذكر من الحدوث والأصول رموز الى معاني المبادئ وتقلب الجواهر ، وأن الوحي انما هو صفاء النفس ، فيجد النبي في فهمه ما يلقي اليه ويتزل عليه ، فيبرزه الى الناس ، ويعبر عنه بكلام الله الذي ينظم به النبي شريعته ، بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الكافة .

ولا يجب حينئذ العمل بها الا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء ، بخلاف المعارف فانه لا يلزمه العمل بها ، ويكفيه معرفته فانها اليقين الذي يجب المصير اليه ، وما عدا المعرفة من سائر المشروعات ، فالصا هي انقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة لمعرفة الأعراض والأسباب .

ومن جملة المعرفة عندهم أن الأنبياء النطقاء أصحاب الشرائع انما هم لسياسة العامة ، وأن الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصة ، وأن الامام انما وجوده في العالم الروحاني اذا صرنا بالرياضة في المعارف اليه ، وظهوره الآن انما

هو ظهور أمره ونهيه على لسان أوليائه ، ولحق ذلك ما هو مبسوط في كتبهم وهذا حاصل علم الداعي ، ولهم في ذلك مصنفات كثيرة منها اختصرت ما تقدم ذكره .

ابتداء هذه الدعوة : اعلم أن هذه الدعوة منسوبة الى شخص كان بالعراق يعرف بسيمون القداح ، وكان من غلاة الشيعة . فولد ابنا عرف بعبد الله بن ميمون ، اتسع علمه ، وكثرت معارفه ، وكاد أن يطلع على جميع مقالات الخليفة ، فرتب له مذهبا ، وجعله في تسع دعوات ، ودعا الناس الى مذهبه ، فاستجاب له خلق ، وكان يدعو الى الامام محمد بن اسماعيل ، وظهر من الأهواز وقول بمكر مكرم ، فصار له مال واشتهرت دعائه ، فأفكر الناس عليه وهبوا به ، ففر الى البصرة ومعه من أصحابه الحسين الأهوازي .

فلما اتشر ذكره بها طلب ، فصار الى بلاد الشام وأقام بسلمية ، وبها ولد له ابنه أحمد ، فقام من بعد أبيه عبد الله بن ميمون ، فسير الحسين الأهوازي داعية له الى العراق ، فلقى حميدان بن الأشعث المعروف بقرمط بسواد الكوفة ، فدعاه واستجاب له ، وأزله عنده . وكان من أمره ما هو مذكور في أخبار القرامطة من كتابنا هذا ، عند ذكر المعز لدين الله معد .

ثم انه ولد لأحمد بن عبد الله ابنه الحسين ومحمد المعروف بأبي الشلمع ، فلما هلك أحمد خلفه ابنه الحسين ، ثم قام من بعده

(*) من ٢٩ ج ١ : ط. بولاق .

أخوه أبو الشلمع ، وكان من أمرهم ما هو مذكور في موضعه .

فانتشرت الدعوة في أقطار الأرض ، وتفقها في الدعوة حتى وضعوا فيها الكتب الكثيرة ، وصارت علما من العلوم المدونة ، ثم اضحلت الآن وذهبت بذهاب أهلها ، ولهذا يقال أن أصل دعوة الاسماعيلية مأخوذ من القرامطة ، ونسبوا من أجلها الى اللاحاد .

صفة العهد الذي يؤخذ على المدعو : وهو أن الداعي يقول لمن يأخذ عليه العهد ويحلفه : جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه ، وذمة رسوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسله ، وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق ، أنك نستر جميع ما تسمعه وتسعته وعلته وتعلمه وعرفته وتعرفه من أمرى وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق ، الامام الذي عرفت اقرارى له ونصحى لمن عقد ذمته ، وأمور اخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ، ومخالفته له من الذكور والاناث والصغار والكبار ... فلا تظهر من ذلك شيئا قليلا ولا كثيرا ، ولا شيئا يدل عليه الا ما أطلقت لك أن تتكلم به ، أو أطلقت لك صاحب الأمر المقيم بهذا البلد ، فتعمل في ذلك بأمرنا ، ولا تتعداه ولا تزيد عليه ...

وليكن ما تعمل عليه قبل العهد وبعبده بقولك وفعلك : أن تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وتشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وتشهد أن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الموت حق ، وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وتقيم الصلاة لوقتها ، وتؤتي

الزكاة لحقها ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت الحرام ، وتجاهد في سبيل الله من جهاده على ما أمر الله به ورسوله ، ونوالى أولياء الله ، ومعادى أعداء الله ، وتصوم بفرائض الله وسنة وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين طاهرا وباطنا وعلاية سرا وجبرا .

فإن ذلك يؤكد هذا العهد ولا يصدمه ، وشبه ولا يوطئه ، وقربه ولا يباعده ، وشبهه ولا يضعفه ، ويوجب ذلك ولا يبطئه ، ويوضحه ولا يصيبه . كذلك هو الظاهر والباطن ، وسائر ما جاء به التيون من رحم صلوات الله عليهم أجمعين على الشرائط المبينة في هذا العهد ... وصلت على نفسك الوفاء بذلك قل نعم . فيقول المدعو : نعم .

ثم يقول الداعي له : والصيانة له بذلك وأداء الأمانة ، على ألا تظهر شيئا أخذ عليك في هذا العهد في حياته ولا بعد وفاته ، لا في غضب ولا على حال رضى ، ولا على رغبة ولا في حال رهبة ، ولا عند شدة ولا في حال رخاء ، ولا على منع ولا على حرمان ... تلقى الله على السر لذلك والصيانة له ، على الشرائط المبينة في هذا العهد .

وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه ودفعت وقعة رسوله صلى الله عليه وسلم : أن تمنع جميع من أسبه لك وأبته عندك ما تمنع منه نفسك ، وتصح لنا ولوليك ولى الله نصحا طاهرا وباطنا ، فلا تخن الله ووليه ولا أحدا من أخواتنا وأوليائنا ومن تعلم أنه منا ، بسبب في أهل ولا مال ، ولا رأى ولا عهد ولا عند تأول عليه بما يبطئه .

فإن فعلت شيئا من ذلك - وأنت تعلم أنك قد خالفته ، وأنت على ذكر منه - فأنت يرى من الله خالق السموات والأرض الذى سوى خلقك وألف تركيبك ولحسن اليك في دينك وديارك وآخرتك ، وتبرا من رسله الأولين والآخرين وملائكته المقربين الكرويين والروحانيين والكلمات التامات والسبع المثاني والقرآن العظيم ، وتبرا من التوراة والإنجيل والزيور والذكر الحكيم ، ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ، ومن كل عبد رضى الله عنه ...

وأنت خارج من حزب الله وحزب أوليائه ، وخذلك الله خذلافا بينا يجعل لك بذلك النعمة والعقوبة والمصير الى نار جهنم التى ليس الله فيها رحمة ، وأنت يرى من حول الله وقوته ملجأ الى حول نفسك وقوتك ، وعليك لعنة الله التى لمن الله بها ابليس وحرمة عليه بها الجنة وخلقه في النار ، أن خالفت شيئا من ذلك ، ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان ...

وفه عليك أن تحج الى بيته الحرام ثلاثين حجة حجا واجبا ماشيا حافيا ، لا يقبل الله منك الا الوفاء بذلك . وكل ما تملك في الوقت الذى تخالقه فيه ، فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم ، لا بأجر لك الله عليه ، ولا يدخل عليك بذلك منفعة . وكل ملوك لك من ذكر أو أنثى في ملكك ، أو تستفيدة الى وقت وفاتك ، أن خالفت شيئا من ذلك ، فهم أحرار لوجه الله عز وجل . وكل امرأة لك أو تزوجها الى

(١٠) من ٢١٦ ج ١ ، د - بولاق .

وقت وفاتك ، أن خالفت شيئا من ذلك ، فمن طوائق ثلاثا بته ، طلاق الحرج لا منوية لك ولا خيار ولا رجعة ولا ميثقة . وكل ما كان لك من أهل ومال وغيرهما ، فهو عليك حرام ، وكل ظهار فهو لازم لك ...

وأنا المستحلف لك لامامك وحجتك ، وأنت الحالف لهما . وإن فوت أو عقلت أو أضرت خلاف ما أحسلك عليه وأحلفك به ، فهذه اليمين من أولها الى آخرها مجدة عليك لازمة لك ، لا يقبل الله منك الا الوفاء بها ، والقيام بما عاهدت بينى وبينك ، قل نعم ، فيقول نعم .

ولهم مع ذلك وصايا كثيرة أضربنا عنها خسية الإطالة ، وفيما ذكرناه كفاية لمن عقل .

الدواوين

وكانت دواوين الدولة الفاطمية ، لما قدم المعز لدين الله الى مصر ونزل بقصره في القاهرة ، محلها بدار الإمارة من جوار الجامع الطولوني .

فلما مات المعز ، وقلد العزيز بالله الوزارة ليعقوب بن كلس ، نقل الدواوين الى داره . فلما مات يعقوب نقلها العزيز بعد موته الى القصر ، فلم تزل به الى أن استبد الأفضل بن أمير الجيوش ، وعمر دار الملك بمصر ، فنقل اليها الدواوين ، فلما قتل عادت من بعده الى القصر ، وما زالت هناك حتى زالت الدولة .

قال في كتاب « النخائر والتحف » : وحدثني من أثق به قال : كنت بالقاهرة يوما

من شهور سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، وقد استفتح أمر المارقين ، وقويت شوكتهم ، وامتدت أيديهم الى أخذ النخائر المصونة في قصر السلطان بغير أمره .

فرايت وقد دخل من باب الديلم ، أحد أبواب القصور المصورة الزاهرة ، المعروف بتاج الملوك شادى ، وفخر العرب على بن ناصر الدولة بن حمدان ، ورضى الدولة بن رضى الدولة ، وأمير الأمراء بحتكين بن بسكتكين ، وأمير العرب بن كيخلف ، والأعز ابن سنان ، وعدة من الأمراء أصحابهم البغداديين وغيرهم ، وصاروا في الأيوان الصغير .

فوقفوا عند ديوان الشام لكثرة عددهم وجماعتهم ، وكان معهم أحد التراسخين المستخدمين برسم القصور المصورة ، فنخلوا الى حيث كان الديوان النظري في الديوان المذكور ، وصحبتهم قلعة ، واتفوا الى حائط مجير ، فأمروا القلعة بكشف الجير عنه ، فظهرت حنية باب مسدود فأمروا بصدمه ، فتوصلوا منه الى خزانة ذكر أنها عزورية من أيام العزيز بالله .

فوجدوا فيها من السلاح ما يروق الناظر ، ومن الرماح العززية المطية أستها بالذهب ، ذات مهارك فضة مجرة بسواد مسحوق وفضة يياض ثقيلة الوزن ، عدة رزم أعوادها من الزان الجيد ، ومن السيوف المجوهرمة النصول ، ومن النشاب الخنجى وغيره ، ومن الدرق اللطى والحجف التينى وغير ذلك ، ومن الدروع المكلل سلاح بعضها ، والمحلى

بعضها بالقفة المركبة عليه ، ومن التخافيف والجواشن والكرايميدات الملبسة ديباجا ، المكوكية بكواكب فضة ، وغير ذلك مما ذكر أن قيمته تزيد على عشرين ألف دينار ... فحملوا جميع ذلك بعد صلاة المغرب .

ولقد شاعت بعض حواشيهم وركاياتهم يكسرون الرماح ، ويتلقفون بذلك أعوادها الزان ليأخذوا المارك القضة ، ومنهم من يجعل ذلك في سراويله وعصاته وجيبه ، ومنهم من يستوهب من صاحبه السيف الثمين

وكان فيها من الرماح الطوال الخطية السر الجياد عدة ، حملوا منها ما قدروا عليه ، وبقي منها ما كسره الركابية ومن يجرى مجراهم كانوا يبيعونه للمغازلين ولصناع الماردن حتى كثر هذا الصنف بالقاهرة . ولم تعترضهم الدولة ، ولا التفت الى قدر ذلك ولا احتلت به ، وجعلته هو وغيره فداء لأموال المسلمين وحفظا لما في منازلهم .

ديوان المجلس

قال ابن الطوير : ديوان المجلس هو أصل الدواوين قديما ، وفيه علوم الدولة بأجمعها ، وفيه عدة كتاب ، ولكل واحد مجلس مفرد ، وعنده معين أو معينان . وصاحب هذا الديوان هو المتحدث في الاقطاعات ، ويلحق بديوان النظر ، ويطلع عليه وينشأ له السجل ، وله المرتبة والسند والدواة والحاجب الى غير ذلك .

قال : ذكر خدمهم الخاصة المتصلة بهم . فاولها دفتر المجلس ، وصاحبه من الأستاذين المحنكين ، ثم يتولاه أجل كتاب الدولة ممن يكون مترشحا لرأس الدواوين .

وتضمن ذلك الدفتر - وله مكان ديوان بالقصر - الباطن من الانعام في العطايا ، والظاهر من الرسوم المعروفة في غرة السنة ، والضحايا ، والمرتب من الكسوات للأولاد والأقارب والجهات وأرباب الرتب على اختلاف الطبقات ، وما يرد من ملوك الدنيا من التحف والهدايا ، وما يرسل اليهم من الملاحظات ، ومقادير الصلات ، للترسلين بالمكاتبات ، وما يخرج من الأكفان لمن يموت من أرباب الجهات المحترمت .

ثم يضبط ما ينفق في الدولة من المهمات ليحلم ما بين كل سنة من التفاوت : فالصرة المنعم بها في أول العام من الدناير والرباعية والقراريط تقرب من ثلاثة آلاف دينار ، ومن الضحايا يقرب من ألفي دينار ، وما ينفق في دار القطرة فيما يفرق على الناس سبعة آلاف دينار ، وما ينفق في دار الطراز للاستعمالات الخاص وغيرها في كل سنة عشرة آلاف دينار ، وما ينفق في مهم فتح الخليج غير المطاعم الفا دينار ، وما ينفق في شهر رمضان في سباطه ثلاثة آلاف دينار ، وما ينفق في سباطي القطر وانحر أربعة آلاف دينار .

وهذا خارج عما يطلق للناس أصنافا من خزائنه من المأكول والمشروب والمواصلة من الهبات ، وما تخرج به الخطوط من التشرفات

(١٠) ص ٢٩٧ ج ١ ط ١٩٧٠

والمباحثات ، وما يطلق من الأهرام من الغلات ... حتى لا يفوتهم علم شيء من هذه المطلقات .

وفي هذه الخدمة كاتب مستقل بين يدي صاحب ديوانه الأصلي ، ومعه كاتبان آخران لتزجل ذلك في الدفتر . والدفتر عبارة عن جرائد مسطوحات ينزل ذلك فيها في أوقاته من غير فوات .

قال : وإذا انقضى عيد النحر من كل سنة ، تقدم بعمل الاستيثار لتلك السنة تمام ذي الحجة منها ، فيجتمع كتاب ديوان الرواتب عند متوليه ، وتحمل العروض اليه .

فإذا تحررت نسخة التحرير يثبت بعد أن يستدعى من المجلس أوراق بالادرار الذي يقبض بغير خرج - وفي الادرار ماهو مستقر بالوجهين - فيضاف هذا المبلغ بجهاته الى المبالغ المعلومة بديوان الرواتب وجهاتها ، حتى لا يفوت من الاستيثار شيء من كل ما تقرر شرحه ، ويعلم مقداره عينا وورقا وغلة وغير ذلك .

فينحر ذلك كله بأسماء المرتزقين ، وأولهم الوزير ومن يلوذ به ، وعلى ذلك الى أن ينتهي الجميع الى أرباب الضر .

فإذا تكلل استدعى له من خزانة الفرش وطاء حرير لشده ، وشرابة لمسكه اما خضراء أو حمراء ، ويعمل له صدر من الكلام اللائق بما بعده .

وهذا كله خارج عن الكسوات المطلقة لأربابها ، والرسوم المعدة في كل سنة ، وما يحمل من دار القطرة من الأصناف يرسم عيد

القطر ، وعما يشهد به دفتر المجلس من العطايا الخافية والرسوم . وقد انعقد مرة - وأنا أنولى ديوان الرواتب - على ما مبلغه ليف ومائة ألف دينار أو قريب من مائتي ألف دينار ، ومن القمح والشعير على عشرة آلاف اردب .

فإذا فرغ من مسكه في الشراية ، حمل الى صاحب ديوان النظر ان كان ، والا فلصاحب ديوان المجلس ليعرضه على الخليفة ان كان (يعني مستبدا) أو الوزير ، لاستقبال المحرم من السنة الآتية في أوقات معلومة ، فيتأخر في العرض ، وربما يستوعب المحرم ليحيط العلم بما فيه ، فإذا كمل العرض أخرج الى الديوان وقد شطب على بعضه .

وكانوا يخرجون من الاقامات على مال الدولة التي لا أصل لها وعلى غير متوفر ، ويتجزها أربابها بالمستقبلات على الخلفاء والوزراء ، وينقص قوم للاستكثار ، ويؤاد قوم للاستحقاق ، ويصرف قوم ويستخدم آخرون ، على ما تقتضيه الآراء في ذلك الوقت ، ثم يسلم لرب هذا الديوان ، فيحمل الأمر على ما شطب عليه ، وعلامة الاطلاق خروجه من العرض .

وقيل انه عمل مرة في أيام المستصر بالله ، فلما استؤذن على عرضه قال : هل وقع أحد بما فيه غيرنا ؟

قيل له : معاذ الله يامولانا ، ما تم انعام الا لك ، ولا رزق الا من الله على يديك .

فقال : ما ينقض به أمرنا ولا خطنا وما صرفناه في دلتنا بأذنتنا .

وتقدم الى ولي الدولة ابن جبران كاتب
الانشاء بامضائه للناس من غير عرض ، وحمل
الأمر على حكمه ، ووقع عن الخليفة بظاهرة :
« القتر مر اللذاق ، والحاجة تذل الأعناق ،
وحراة النعم بادوار الأرزاق ، فليجروا على
رسومهم في الاطلاق ، ما عندكم ينفد وما عند
الله باق » .

ووقع في خلافة الحافظ لدين الله على
استيثار الرواتب ما نصه : « أمير المؤمنين لا
يستكر في ذات الله كثير الاعطاء ، ولا يكدره
بالتأخير له والتسويق والابطاء . ولما انتهى
اليه ما أرباب الرواتب عليه من القلق للامتاع
من إيجاباتهم ، وحمل خروجاتهم : قد ضعفت
قلوبهم ، وقطعت نفوسهم ، وسامت
ظنهم ... شملهم برحمة ورافته ، وأنهم
ما كانوا وجلين من مخافته ، وجعل التوقيع
بذلك بخط يده تأكيدا للانعام والمن ، وتهنة
بصدقة لا تتبع بالأذى والمن ... »

« فليعتد في ديوان الجيوش المنصورة
إجراء ما تضمنت هذه الأوراق ذكرهم ، على
ما ألقوه وعهدوه من رواتبهم ، وإيجابها على
سياقها ليكافئهم ، من غير تأول ولا تمت ،
ولا استدراك ولا تعقب . وليجروا في نياتهم
على عادتهم ، لا ينقض من أمرهم ما كان
ميرما ، ولا ينسخ من رسمهم ما كان محكما ،
كرما من أمير المؤمنين وفعلا مبرورا ، وعلا
بما أخبر به عز وجل في قوله تعالى « انسا
نظعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا
شكورا » . وينسخ في جميع الدواوين
بالحضرة ان شاء الله تعالى » .

وقال في كتاب « كثر الدرر » : ان في سنة
ست وأربعمائة ، عرض على الحاكم بأمر الله
الاستيثار باسم المتقنين والقراء والمؤذنين
بالقاهرة . ومصر ، وكانت الجلة في كل سنة
أحدا وسبعين ألف دينار وسبعمائة وثلاثة
وثلاثين دينارا وثلاثي دينار وربع دينار .
فأمضى جميع ذلك .

وقال ابن المأمون : وأما الاستيثار فبلغني
من أثنى به أنه كان في الأيام الأفضلية اثني
عشر ألف دينار ، وصار في الأيام المأمونية
لاستقبال سنة ست عشرة وخمسمائة سنة عشر
ألف دينار . وأما تذكرة الطراز فالحكم فيها
مثل الاستيثار . والنشائع فيها أنها كانت
تشمّل في الأيام الأفضلية على أحد وثلاثين
ألف دينار ، ثم اشتملت في الأيام المأمونية على
ثلاثة وأربعين ألف دينار ، وتضاعفت في الأيام
الأمرية .

وعرض روزنامج بما أثنى عينا من بيت
المال - في مدة أولها محرم سنة سبع عشرة
 وخمسمائة وآخرها سلخ ذي الحجة منها -
في العساكر المسيرة لجهاد الفرنج برا
والأساطيل بحرا ، والمتفق في أرباب النفقات
من الحجرية والمصطمية والسودان على
اختلاف قبوضهم ، وما ينصرف برسم خزانة
القصور الزاهرة ، وما يتناع من الحيوان
برسم المطايخ ، وما هو برسم منديل الكم
الشريف في كل سنة مائة دينار ، والمطلق في
الأعياد والمواسم ، وما ينعم به عند الركوبات
من الرسوم والصدقات وعند العبود منها ،
ومن الأمتعة المتباعة من التجار على أيدي

(١٠) سنة ٢١٨ هـ ، ج ١ ، ط ١٠١٠

الوكلاء ، والمطلق برسم الرسل والضيوف
ومن يصل متاعا ودار الطراز ودار
الديباج ، والمطلق برسم الصلات والصدقات
ومن يتدى للإسلام ، وما ينعم به على الولاة
عند استخدامهم في الخدم ، وثقات بيت المال
والعساكر ... وهو من العين : أربعمائة ألف
وثمانية وستون ألفا وسبعمائة وسبعة وتسعون
دينارا ونصف ، من جلة خمسمائة ألف
وسبعة وستين ألفا ومائة وأربعين دينارا
ونصف .

يكون العاصل بعد ذلك ، مما يحمل الى
الصناديق الخاص برسم المهات لما يتجدد من
تفسير العساكر ، وما يحمل الى الثغور عند
تفاد ما بها : ثمانية وتسعين ألفا ومائة وسبعة
وتسعين دينارا وربعا وسدسا . ولم يكن
يكتب من بيت المال وصول ولا مجرى ولا
تعرف .

وذلك خارج عما يحمل مشاهرة برسم
الديوان المأموني والأجلاء اخوته وأولاده ،
وما أنعم به على ما تضمنت اسمه مشاهرة
من الأصحاب والحواسي وأرباب الخدم ،
والكتاب والأطباء والشعراء ، والفراشين
الخاص والجوق والمؤذنين ، والخياطين
والرفائين وصبيان بيت المال ونواب الباب
ونقباء الرسائل ، وأرباب الرواتب المستقرة من
ذوى النسب واليسوتات ، والضغفاء ،
والصعاليك من الرجال والنساء ، عن
مشاهرتهم : ستة عشر ألفا وستمائة واثنيان
وثمانون دينارا وثلاثا دينار ، يكون في السنة
مائتي ألف ومائة دينار .

فتكون الجلة سبعمائة ألف وسبعة وستين
ألفا ومائتين وأربعة وتسعين دينارا ونصف .

قال : وفي هذا الوقت (يعني شوال سنة
سبع عشرة وخمسمائة) وقعت مرافعة في
أبي البركات بن أبي الليث ، متولى ديوان
المجلس ، صورتها :

« الملوك يقبل الأرض ، وينهى أنه ما
واصل انهاء حال هذا الرجل وما يعتمد له
أهل أن ينال خدمة ، وانما هي نصيحة تلزمه
في حق سلطانه ، وقد حصل له من الأموال
والذخائر ما لا عدد له ولا قيسة عليه ، ويضرب
الملوك عن وجوه الجنابة التي هي ظاهرة ،
لأن السلطان لا يرضى بذكرها في عالي
مجلسه ، ولا ساعها في دواخله ، وله ولاهله
مستخدمون في الدولة ست عشرة سنة ،
بالجاري الثقيل لكل منهم ... »

« ويذكر الملوك ما وصلت قدرته الى
عليه ، ما هو باسمه خاصة دون من هو
مستخدم في الدواوين من أهله وأصحابه ،
ويبدأ بما باسمه : مياومة ادرارا من بيت
المال والخزائن ودار التعمية والمطابخ وشون
الخطب - وهو ما يبين برسم البقولات
والتوابل - نصف دينار ، ومن الفان رأس
واحد ، ومن الحيوان ثلاثة أطيار ، ومن
الخطب حلة واحدة ، ومن الدقيق خمسة
وعشرون رطلا ، ومن الخبز عشرون وظيفة ،
ومن الفاكهة ثمرة زهرة قصرين وثمالة ... »

وفي كل اثنين وخميس من السباط بقاعة
الذهب : طيفور خاص ، وصحن من
الأوائل ، وخمسة وعشرون رغيفا من الخبز

الموالدي والسيد . وفي كل يوم أحد وأرماء
من الأسطة بلاد القامونية مثل ذلك . وفي
كل يوم سبت وثلاثة من أسطة الركوبات :
خروف مشوى ، وجام حلوى ، وراعى
عيا ...

ويحضر اليه في كل يوم من الاصطبلات :
بطة يركوب محلى ، وبطة يرسم الرجل ،
وفراشين من الخوق يرسم خدمته وتبيت على
بابه . وإذا خرج من بين يدي السلطان في
الليل ، كان له شعة من التوكيات توصله الى
داره ، وزها سبعة عشر رطلا ، ولا تعود .
ويرسم ولده في كل يوم : ثلاثة أرطال لحم ،
وعشرة أرطال دقيق ، وفي أيام الركوبات
رابعى ..

« والمناهرة جارى ديوان الخاص والمجلس
يرسم مائة وعشرون ديناراً ، ويرسم ولده
راتبا عشرة دنانير ... »

« واثبت أربعة غلمان نصارى ، ولسبهم
للاسلام ، في جلة المستخدمين في الركاب ،
ولم يختموا لا في الليل ولا في النهار ، بما
يلفقه سبعة دنانير . ومن السكر خمسة عشر
رطلا ، ومن عمل التحل عشرة أرطال ، ومن
قلب القشق ثلاثة أرطال ، وقلب البندق
خمس أرطال ، وقلب اللوز أربعة أرطال ،
وورد مري رطلان ، زيت طيب عشرة أرطال ،
شريح خمسة أرطال ، زيت حار ثلاثون رطلا ،
خل ثلاث جرار ، أرز نصف وية ، سباق
أربعة أرطال ، حصرم وكشك وجب رمان
وقراصيا بالسوية اثنا عشر رطلا ، سكر
واثنان وية ، ومن الكيزان عشرون شربة

(١٨١) من ٢٦٦ ج ١ - طبرستان .

عزوية وتنجية ولحمة ، ومن التسم ست
شعاعات : منهن اثنتان منويات ، وأربعة
رطيات ...

« والمناهرة في بكور القرة : يرسم الخاصة
خمس دنانير ، وخمس ربابية ، وعشرة
قراريط جلد . ويرسم ولده دينار ربابى ،
وثلاثة قراريط ، وخروف مقوم ، وخمس
أرؤس ، وربع قنطار خبز بر ماذق ، وصحن
أرز بلبن وسكر ... »

« ومن الساط بالتصريف في اليوم المذكور :
خروف شواء ، وزبادى ، وجام حلوى ،
والخبز وقطعة منقوخ ، ومن التسم ثلثمائة
أرب ، ومن التسم مائة وخمسون أردبا ،
وفي المواليد الأربعة أربع صواني فطرة .

« وكسوة الشتاء : يرسم خاصة منديل
حريرى ، وشقة ديتى حريرى ، وشقة ديباج ،
ورداء اطلس ، وشقة ديباج دارى ، وشقتان
سقلاتون احدهما اسكندرانى ، وشقتان
عتابى ، وشقتان خز مغربى ، وشقتان
اسكندرانى ، وشقتان دميالى ، وشقة طلى
مرش وفوطة خاص . ويرسم ولده شقة
سقلاتون دارى ، وشقة عتابى دارى ،
وشقة خز مغربى ، وشقتان دميالى ، وشقتان
اسكندرانى ، وشقة طلى وفوطة . ويرسم
من عنده منديلا كم احدهما خزائنى خاص ،
وضيفى أردية ديتى ، وشقة سقلاتون
دارى ، وشقة عتابى ، وشقة سومى ، وشقة
دميالى ، وشقتان اسكندرانى وفوطة

ويرسم أيضا في عيد القنطر : طيفوران
فطرة مشورة ، ومائة حبة بورى ، وبدلة

مذهبة مكحلة ، ولولده بدلة حريرى ، ويرسم من
عنده حلة مذهبة . وفي عيد النحر يرسم مثل
عيد القنطر ، ويريد عنه حبة مائة دينار . ولولده
مثل عيد القنطر وزيادة عشرة دنانير ، وساق
اليه من القنم ما لم يكن باسمه ...

« وفي موسم فتح الخليج : أربعون ديناراً ،
وصنية فطرة ، وطيفور خاص من القصر ،
وخروف شواء ، وجام حلواء . ويرسم ولده :
خمس دنانير ... »

« وللخاصة في النوروز : ثلاثون ديناراً ،
وشقة ديتى حريرى ، وشقة لاذ . ومعجبر
حريرى ، ومنديل كم حريرى ، وفوطة ، ومائة
بطيخة ، وسبعمائة حبة رمان ، وأربعة عناقيد
موز ، وفرد بر ، وثلاثة أقفاص تمر قوصى ،
وقصان سفرجل ، وثلاث بكالى هرسة :
واحدة بدجاج وأخرى بلحم ضأن ، والثالثة
بلحم بقرى ، وأربعو رطلا خبز بر ماذق .

ولولده خمس دنانير ، وحوائج النوروز بما
تقدم ذكره ...

« ويرسمه في الميلاد : جام قاهرة ، ومترد
سميد معضى ، وزلاية ، وست قرابات
جلاب ، وعشر حبات بورى ... »

« ويرسم الفيض : خمسمائة حبة ترنج
ونارنج وليسون مركب ، وخمس عشرة طن
قصب ، وعشر حبات بورى . وباسمه في عيد
القدير من الساط بالقصر مثل عيد النحر .

« وله حبة عن رسم الخلع من المجلس
الأموى (يعنى مجلس الوزارة) ثلاثون
ديناراً ، وورده حبة دنانير ... »

« ومن تكون هذه رسومه ، في أى وجه
تصرف أمواله ؟ »

« والذي باسم أخيه نظير ذلك ، وكذلك
سمره في ديوان الوزارة ، وابن أخيه في
الديوان التاجى . ووجوه الأموال من كل جهة
واصلة اليهم ، والأمانة مصروفة عنهم

« وقد اختصر الملوك فيما ذكر . والذي
باسمه أكثر . وإذا أمر بكشف ذلك من
الدواوين ، تبين صحة قول الملوك ، وعلم
أنه ممن يتجنب قول المحال ولا يرضاه
لنفسه ، سيما أن رفعه الى المقام الكريم . »

وشنع ذلك بكثرة القول فيهم ، وعرض
بالقبض عليهم ، وأوجب على نفسه أنه يثبت
في جهاتهم من الأموال التى تخرج عن هذا
الانعام ، ما يجده حاضرا مدخورا عند من
يعرفه مائة ألف دينار .

فلم يسمع كلامه الى أن ظهر الراهب في
الأيام الأمرية ، فوجد هو وغيره الفرصة
فيهم ، وكثر الوقائع عليهم ، فقبض عليهم عن
آخرهم ومن يعرفهم ، وأخذ منهم الجملة
الكبيرة ، ثم بعد ذلك عادوا الى خدمهم بما
كان من أسمائهم ، وتجدد من جاههم ،
واتقاهم من أعدائهم أكثر مما كان أولا . انتهى .

فانظر - أعزك الله - الى سعة أحوال
الدولة من معلوم رجل واحد من كتاب
دواوينها ، يتبين لك - بما تقدم ذكره في
هذه المرافعة - من عظم الشأن وكثرة
العطاء ، ما يكون دليلا على باقى أحوال
الدولة .

ديوان النظر

قال ابن الطوير : أما دواوين الأموال فإن أجلاها من يتولى النظر عليهم ، وله العزل والولاية ، ومن يده عرض الأوراق في أوقات معروفة على الخليفة أو الوزير ، ولم ير فيه نصرا في إلا الأخرم ، ولم توصل إليه إلا بالفسان . وله الاعتقال بكل مكان يتعلق بنواب الدولة ، وله الجلوس بالمرتبة والمسند ، وبين يديه حاجب من أمراء الدولة ، وتخرج له الدواة بغير كرسى . وهو يتدب المترسلين لطلب الحساب ، والحث على طلب الأموال ، ومطالبة أرباب الدولة ، ولا يعترض * فيما يقصده من أحد من الدولة .

ديوان التحقيق

هو ديوان مقتضاه المفايلة على الدواوين ، وكان لا يتولاه إلا كاتب خبير ، وله الخلع والمرتبة والحاجب ، ويلحق برأس الديوان (يعني متولى النظر) ، ويفتقر إليه في أكثر الأوقات .

وقال ابن المأمون : وفي هذه السنة (يعني سنة إحدى وخمسمائة) فتح ديوان المجلس .

قال : ولما كثرت الأموال عند ابن أبي الليث صاحب الديوان ، رغب في التبجح على الأفضل بن أمير الجيوش بنهضة ، ورساله أن يشاهده قبل حمله ، وذكر أنه سبعمائة ألف دينار خارجا عن نفقات الرجال .

(١٠٠) من ١٠٠٠ دينار ، ١٠٠٠ دينار

الحداد

فجعلت الدنانير في صناديق بجواب ، والدراهم في صناديق بجواب ، وقام ابن أبي الليث بين الصنفين . فلما شاهد الأفضل ابن أمير الجيوش ذلك ، قال لابن أبي الليث : يا شيخ ، تفرحني بالمال وترية أمير الجيوش أن يلفني أن يثرا معطلة ، أو أرضا بالثرة ، أو بلدا خراب ، لأضربن عنقك .

فقال : وحق نعمتك لقد حاشا الله إياك أن يكون فيها بلد خراب ، أو بئر معطلة ، أو أرض بور ... فأبى أن يكشف عما ذكر . انتهى .

وقتل ابن أبي الليث في سنة ثمان عشرة وخمسمائة .

ديوان الجيوش والرواتب

قال ابن الطوير : أما الخدمة في ديوان الجيوش فتتقسم قسمين :

الأول ديوان الجيش ، وفيه مستوف أصيل ، ولا يكون إلا مسلما ، وله مرتبة على غيره لجلوسه بين يدي الخليفة داخل حبة باب المجلس ، وله الطراحة والمسند ، وبين يديه الحاجب ، وترد عليه أمور الأجناد ، وله العرض والحلى والثياب .

ولهذا الديوان خازنان برسم رفع الشواهد .

وإذا عرض أحد الأجناد ، ورضى به عرض دوايه ، فلا يثبت له إلا الفرس الجيد من ذكور الخيل ولانها ، ولا يترك لأحد منهم برذون ولا بفل وإن كان عندهم البراذين والبغال ،

وليس لهم تغيير أحد من الأجناد إلا برسم ، وكذلك أقطاعهم

ويكون بين يدي هذا المستوف تقياء الأمراء يهون إليه متجددات الأجناد من الحياة والموت والمرض والصحة ، وكان قد فسح للأجناد في مقايضة بعضهم بعضا في الاقطاع بالتوقيعات بغير علامة ، بل بتخريج صاحب ديوان المجلس .

ومن هذا الديوان تعمل أوراق أرباب الجرايات ، وما كان لأمير - وإن علا قدره - بلد مقور إلا نادرا .

وأما القسم الثاني من هذا الديوان فهو ديوان الرواتب ، ويشتمل على أسماء كل مرتزق وجار وجارية ، وفيه كاتب أصيل بطراحة ، وفيه من المعينين والمبيضين نحو عشرة أنفس . والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من هو مستمر ، ومباشرة من استجد ، وموت من مات ، ليوجب استحقاقه على النظام المستقيم .

وفي هذا الديوان عدة عروض :

العرض الأول يشتمل على راتب الوزير وهو في الشهر خمسة آلاف دينار ، ومن يليه من ولد وأخ من ثلثمائة دينار إلى مائتي دينار ، ولم يقرر لولد وزير خمسمائة دينار سوى شجاع بن شاور المنعوت بالكامل ، ثم حواشيهم على مقتضى عدتهم من خمسمائة إلى أربعمائة إلى ثلثمائة ... خارجا عن الاقطاعات .

العرض الثاني حواشي الخليفة : وأولهم الأستاذون المحضكون على رتبهم وجوارى

خدمهم التي لا يشارها سواهم . فوام القصر ، وصاحب بيت المال ، وحامل الرسالة ، وصاحب الدفتر ، ومشاد التاج ، وزمام الأشراف الأقارب ، وصاحب المجلس : لكل واحد منهم مائة دينار في كل شهر . ومن دونهم ينقص عشرة دنانير ، حتى يكون آخرهم من له في كل شهر عشرة دنانير ، وتزيد عدتهم على ألف نفس . ولطبيي الخاص ، لكل واحد خمسون دينارا . ولن دونهما من الأطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير .

العرض الثالث يتضمن أرباب الرتب بحضرة الخليفة : فأوله كاتب الدست الشريف وجاريه مائة وخمسون دينارا ، ولكل واحد من كتابه ثلاثون دينارا ، ثم صاحب الباب وجاريه مائة وعشرون دينارا ، ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل منهما سبعون دينارا ، وبقية الأئمة على العساكر والسودان من خسين إلى أربعين دينارا إلى ثلاثين دينارا .

العرض الرابع يشتمل على المستقر لقاضي القضاة ومن يلي قاضي القضاة مائة دينار ، وداعى الدعاة مائة دينار ، ولكل من قراء الحضرة عشرون دينارا إلى خمسة عشر إلى عشرة ، ولخطباء الجوامع من عشرين دينارا إلى عشرة ، وللشعراء من عشرين دينارا إلى عشرة دنانير .

العرض الخامس يشتمل على أرباب الدواوين ومن يجري مجراهم : وأولهم من يتولى ديوان النظر وجاريه سبعون دينارا ، وديوان التحقيق جاريه خمسون دينارا ،

كانت الدولة اذا خلت من وزير صاحب سيف ، جلس صاحب الباب في باب الذهب بالقصر وبين يديه النقباء ، والحجاب ، فينادي المنادي بين يديه : يا ارباب المظالم ... فيحضرون : فمن كانت غلامته مشافهة أرسلت الى الولاية والقضاة رسالة بكشفها . ومن تعظم ممن ليس من أهل البلدين أحضر قصة بأمره ، فيسلمها الحاجب منه .

فاذا جمعها أحضرها الى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ، ثم تحمل الى الموقع بالقلم الجليل ، فيسط ما أشار اليه الموقع الأول ، ثم تحمل في خريطة الى الخليفة ، فيوقع عليها ، ثم تخرج في الخريطة الى الحاجب ، فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع لصاحبه .

فان كان وزيره صاحب سيف ، جلس للمظالم بنفسه ، وبقائه قاضي القضاة ومن جانيه شاهدان معتبران ، ومن جانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ، ويلي صاحب ديوان المال ، وبين يديه صاحب الباب واسنفسلار العساكر ، وبين أيديهما النواب والحجاب على طبقاتهم .

ويكون الجلوس بالقصر في مجلس المظالم في يومين من الأسبوع .

وكان الخليفة اذا رفعت اليه القصة وقع عليها « يعتقد ذلك ان شاء الله تعالى » ويوقع

الشيخ وفراشون ، وله المرتبة الهائلة والمخاد والمسند ، والدواة لكنها بغير كرسى ، وهي من أخص الدوى ، ويحملها أستاذ من أستاذي الخليفة .

التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم

وكان لابد للخليفة من جلس بذاكره ما يحتاج اليه من كتاب الله ، وتجويد الخط وأخبار الأنبياء والخلفاء ، فهو يجتمع به في أكثر الأيام ومعه أستاذ من المحنكين مؤهل لذلك فيكون الأستاذ قائلها ، ويقرأ على الخليفة ملخص السير ، ويكرر عليه ذكر مكارم الأخلاق ، وله بذلك رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب الست .

ويكون صحبته للجلوس دواة محلاة ، فاذا فرغ من المجالسة ألقى في الدواة كاغد فيه عشرة دنانير ، وقرماس فيه ثلاثة مناقيل ند مثلث خاص ليتخير به عند دخوله على الخليفة ثاني مرة .

وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق ، وله طراحة ومسند وفراش يقدم اليه ما يوقع عليه ، وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل اليه أحد الا باذن ، وهو يلي صاحب ديوان المكاتبات في الرسوم ، والكساوى وغيرها .

التوقيع بالقلم الجليل

وهي رتبة جليلة ، ويقال لها الخدمة الصغرى ، ولها الطراحة والمسند بغير حاجب ، بل الفراش لترتيب ما يوقع فيه .

مقدم المتقدمين وهو صاحب الركاب اليمنى ، ولكل من هؤلاء المتقدمين في كل شهر خسون ديناراً . ولهم نقباء من جهة المذكورين يعرفونهم ، وهم مقررون جوقاً على قدر جوارهم : جوقاً لكل منهم خمسة عشر ديناراً ، وجوقاً لكل منهم عشرة دنانير ، وجوقاً لكل منهم خمسة دنانير . ومنهم من يتدب في الخدم السلطانية ، ويكون لهم نصيب في الأعمال التي يدخلونها ، وهم الذين يحصلون الملحقات لركوب الخليفة في المواسم وغيرها .

وأول من قرر العطاء لعلمائه وخدمه ، وأولادهم الذكور والآثان ونسائهم ، وفقر لهم أيضا الكسوة العزى بأثر قرار بن المعز .

ديوان الإنشاء والمكاتبات

وكان لا يتولاه الا أجل كتاب البلاغة ، ويخاطب بالشيخ الأجل ، ويقال له كاتب الست الشرف ، ويسلم المكاتبات الواردة محتومة ، فيعرضها على الخليفة من بعده ، وهو الذي يأمر بتزليلها والاجابة عنها للكتاب والخليفة يستشير في أكثر أموره ، ولا يحجب عنه متى قصد المشورة بين يديه ، وهذا أمر لا يصل اليه غيره ، وربما بات عند الخليفة ليالي . وكان جواره مائة وعشرين ديناراً في الشهر .

وهو أول أرباب الاقطاعات وأرباب الكسوة والرسوم والملاطقات ، ولا سبيل أن يدخل الى ديوانه بالقصر ، ولا يجتمع بكتابه أحد الا الخواص ، وله حاجب من الأمراء

وديونان المجلس أربعون ديناراً ، وصاحب دفتر المجلس خمسة وثلاثون ديناراً ، وكتابه خمسة دنانير ، وديوان الجيوش وجواره أربعون ديناراً ، والموقع بالقلم الجليل ثلاثون ديناراً ، ولجميع أصحاب الدواوين الجارى فيها المعاملات لكل واحد عشرون ديناراً ، ولكل معين من عشرة دنانير الى سبعة الى خمسة دنانير .

المرض السادس يشتمل على المستخدمين بالقاهرة ومصر : لكل واحد من المستخدمين في ولاية القاهرة وولاية مصر في النهر خسون ديناراً والحياة بالأمراء ، والمناجات ، والجوالي ، والبائين ، والأملاك ، وغيرها ، لكل منهم من عشرون ديناراً الى خمسة عشر الى عشرة الى خمسة دنانير .

المرض السابع : الفراشون بالتصوير يرسم خدمهما وتطعيمها خارجاً وداخلاً ، وهب السائر المحتاج اليها ، وخدمة المناظر الخارجة عن القصر . فمنهم خاص يرسم خدمة الخليفة وعدتهم خمسة عشر رجلاً ، منهم صاحب المائدة وحامي المطايخ ، من ثلاثين ديناراً الى ما حولها ، ولهم رسوم متيزة ، ويقربون من الخليفة في الأسطة التي يجلس عليها . ويليهم الرشاشون داخل القصر وخارجه ولهم عرفاء ، وشولي أمرهم أستاذ من خواص الخليفة ، وعدتهم نحو الثلاثمائة رجل ، وجارهم من عشرة دنانير الى خمسة دنانير .

المرض الثامن : صبيان الركاب وعدتهم تزيد على ألقى رجل ، ومقدمهم أصحاب ركاب الخليفة وعدتهم اثنا عشر مقدماً ، منهم

في الجبال لأجل منها . يوقع ذلك ،
متخرج إلى صاحب ديوان المجلس . يوقع
عليه جديلا . ويحلى بكنز الصلاة ، فيعلم
عليه العبد وقت
وكانت علامتهم أيضا (الحسد لله رب
الخلق) .

وكان الخليفة يوقع في الخدمة والتسوية
والخمس « قد أمنا بختك ، وقد أمنا
دعك » . وكان إذا أراد أن يقيم ذلك الشيء
الذي انتهى وقع « يخرج ليل في ذلك » .
فكان يحضر إليه لتراج الخلد ، علم عليه .
من كان حيث وزير ، وقع الخليفة بختك
« وزير السيف الأجل » - وذكر منه
المعروف به - أمنا الله بختك ، يقدم بنجار
ذلك أن شاء الله تعالى ، فيكتب الوزير
تحت خط الخليفة « يستل أمر مولانا أمير
الفرمان صلوات الله عليه ، وثبت في
الدواوين » .

رتب الأُمراء

وكان أجل خدم الأُمراء أرباب البيوت ،
خدمة الباب . وقال لتولي هذه الخدمة
صاحب الباب ، ورتب أولا بالمعظم .

وأول من خدم بها المعظم خديش في أيام
الخليفة الحافظ ، وكان من العتلاء ، وقاب
عن الحافظ في مرضه ، فلما عوفي أُلد على
الوزارة فاستمع

وهو نائب بخل « النائب » وتسمى الخدمة
فيها بالتيبة الشريفة . ومنقضاها أنها مينة .

ولا يليها إلا أعيان الدواوين وأرباب المسام ،
ورتب أيضا بعض الملوك .

وهو الذي يتلقى الرسل الواسلة من
الدول ، ومنه نواب الباب في خدمته ،
ويحفظهم ويترلمهم بالأماكن المخصصة لهم ،
ويقسمهم للسلام على الخليفة والوزير مع
صاحب الباب ، فيكون صاحب الباب يمشي
وهو يسار ، ويتولى اقتضادهم والحث على
ضياقتهم ، ولا يمكن من التصير في حقوقهم
والاجتماع الناس بهم ، والامتناع على ما جاءوا
فيه ، ولا من ينقل الأخبار إليهم .

ويلى رتبة صاحب الباب الاستفشار ،
وهو زمام كل زمام ، وإليه أمور الأجناد .

ثم يليه حامل سيف الخليفة أيام الركوب
بالنقطة واليعة ، ثم من يوم طاعتى الحافظة
والأمرية وهما وجه الأجناد . وهؤلاء أرباب
الأطواق ، ويليهم أرباب القصب والعمارات
وهي الأعلام ، ثم زى الطوائف ، ثم من
يتروح لذلك من الأماثل .

وكانت الدولة لا تسند ذلك إلا إلى أرباب
الشجاعة واتجدة ، ولهذا دخل فيه خلطاء
الناس من الأرمن والروم وغيرهم . وعلى ذلك
كان عليهم لا للزينة والسياسة .

قاضى القضاة

وكان من عادة الدولة أنه إذا كان وزير رب
سيف ، فله بقلد القضاة رجلا يبايه عنه ،
وهذا إنما حدث من عهد أمير الجيوش بدر
الجبالي .

وإذا كان الخليفة مستبدا ، قلد القضاة
رجلا ونعت بقاضى القضاة ، وتكون رتبته
أجل رتب أرباب المسام وأرباب الأعلام ،
وتكون في بعض الأوقات داعيا ، فيقال له
حينئذ قاضى القضاة وداعى الدعاة ، ولا يخرج
شيء من الأمور الدينية عنه .

ويجلس السبت والثلاثاء بزيادة جامع عمرو
ابن العاص بصر على طراحة ومسند حرير ،
يلبى ولي ابن عقيل القضاة وقع المرتبة
والمسند ، وجلس على طراحت السامان ،
فاستمر هذا الرسم .

ويجلس الشهود حواله يمينه ومرة بحسب
تاريخ عدالتهم ، وبين يديه خمسة من
الحجاب : اثنان بين يديه ، واثنان على باب
المتصورة ، وواحد ينفذ الخصوم إليه .

وله أربعة من الموقمين بين يديه ، اثنان
يقابلان اثنين . وله كرسي الدواة ، وهي دواة
محللة بالقضاة تحمل إليه من خزائن القصور ،
ولها حامل بجامكية في الشمر على الدولة .

ويقدم له من الاصطبلات برسم ركوبه على
الدوام بغلة شهباء ، وهو مخصص بهذا
اللون من البغال دون أرباب الدولة ، وعليها
من خزانة السروج سرج محلى ثقيل وراءه
دفتر قضاة ، ومكان الجلد حرير .

وتأتيه في المواسم الأطواق ، ويخلع عليه
الخلع المذهبة بلا طيل ولا بوق ... إلا إذا
ولى الدعوة مع الحكم ، فإن للدعوة في
خلعها الطيل والبوق والبند الخاص ، وهي

(١٥) من ٢٠٢ ج ١ ، طه بولاق .

نظير البند الذى يشرف بها الوزير صاحب
السيف

وإذا كان للحكم خاصة ، كان حواله
القراء رجالة ، وبين يديه المؤذنون يعلنون
بذكر الخليفة والوزير أن كان ثم ، ويحصل
بنواب الباب والحجاب ، ولا يتقدم عليه أحد
في محضر هو حاضره من رب سيف وقلم ،
ولا يحضر إلا ملاك ولا جنازة إلا باذن ، ولا
يسبل إلى قيامه لأحد وهو في مجلس الحكم ،
ولا يعدل شاهد إلا بأمره .

ويجلس بالقصر في يومى الاثنين والخميس
أول النهار للسلام على الخليفة ، ونوابه لا
يفترون عن الأحكام ، ويحضر إليه وكيل بيت
المال .

وكان له النظر في ديوان الضرب لفسيط
ما يضرب من الدنانير ، فكان يحضر مباشرة
التغليق بنفسه ، ويختم عليه ويحضر لفتح .

وكان القاضى لا يصرف إلا بجنحة ، ولا
يعدل أحدا إلا بتزكية عشرين شاهدا ، عشرة
من مصر وعشرة من القاهرة ، ورضى الشهود
به ، ولا يحتج أحد على الشرع ، ومن قل
ذلك أدب

قاعة القضاة

وهي من جملة قاعات القصر .

قاعة السلوة

كانت بجوار المدرسة والتربة الصالحية ،
واشتراها قاضى القضاة شمس الدين محمد
ابن إبراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور

للنفس الخليلي ، مدرس الطائفة بالمدرسة
الصالحية ، بألف وخمسة وتسعين ديناراً ، في
واحد عشر ربيع الآخر سنة ستين وستائة ،
من كتبه الدين طاهر ابن القتيبي لعمركم وكيل
بيت المال ، ثم بألفها لشمس الدين المذكور
للملك الظاهر يبرس في عاشر عشر ربيع
لآخر المذكور . وكان يحصل إليها من باب
البحر .

قاعة الخيم

كانت تسمى قاعة السيرة . وقد بنيت قاعة
السيرة وقاعة الخيم في مكان المدرسة
الظاهرية السنية .

قصر الثلاث

استجمع الوزير المأمون البطائحي ، وزير
الخلافة الأمر بأحكام الله ، إحداهن من باب
الذهب وباب البحر ، والأخرى على قوس باب
الذهب ، وبمنظرة تالفة . وكان يقال لها الواحدة
والثالثة والناضرة . وكان يجلس الخليفة
في أحدها لمرض التماسك يوم عيد العدير ،
ويقف الوزير في قوس باب الذهب .

قصر الشوك

قال ابن عبد الظاهر : كان منزلاً لبني علوية
قبل القاهرة يعرف بقصر الشوك ، وهو الآن
أحد أبواب القصر ... انتهى
والعامة تقول « قصر الشوك » .

وأدركت مكانه داراً استجلبت بعد الدولة
الفاطمية ، هدمها الأمير جمال الدين يوسف
الأستادار في سنة إحدى عشرة وثمانمائة
لبنائها داراً ، فمات قبل ذلك .
وموضعه اليوم بالقرب من دار الضرب فيما
بينه وبين المارستان العتيق .

قصر اولاد الشيخ

هذا المكان من جملة القصر الكبير ، وكان
قاعة ، سكنها الوزير الصاحب الأمير الكبير
معين الدين حسن ابن شيخ الشيوخ صدر
الدين بن حمويه ، في أيام الملك الصالح نجم
الدين أيوب ، فعرف به .

وأدركت هذا المكان خطأ يعرف بالقصر ،
يتوصل إليه من زقاق تجاه حمام يسرى ،
وفيها عدة دور : منها دار الطواشي سابق
الدين ، ومدرسته المعروفة بالمدرسة السابقة .
وكان يتوصل إليه من الركن المخلق أيضاً ،
من الباب المظلم تجاه سور سعيد السعداء ،
المعروف قديماً بباب الريح .

ثم عرف بقصر ابن الشيخ ، وعرف في
زمنه بباب القصر ، إلى أن هدمه جمال الدين
الأستادار كما يأتي أن شاء الله تعالى .

قصر الزمرذ

هو من جملة القصر الكبير ، وعرف أخيراً
بقصر قومسون ، ثم عرف في زمننا بقصر
المنارة . وقيل له قصر الزمرذ لأنه كان

أما من قبله ، فلهذا .



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأبنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
بولاق
سنة ١٢٧٠ هجرية

الثنى ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خَطُّ الْمُقَرَّرِ

الحمد لله

٢٠



كتاب
التحرير

• كانت مصر هي مستطير رأسي • ولعلب أزياء • ومجمع ناسي • وعش عشيق وعاصتي •
وسوطن قباصتي وعاصتي • وهجو جوي الذي ربي جناحي في ذكره • وعش ماري • فدا
تهوي الألفس غير ذكره • ولازلت منذ شذوت العالم • وآتاني ربي الفطامة والفهم • أعجب في
معرفة أخيارها • وأحب لإشراق على الاعتراف من آبارها • وألوى مساولة الكيان من مكان دارها
تقى الدين أحمد بن علي المقرئ

بجوار باب الزمرذ أحد أبواب القصر . ووجد به في سنة بضع وسبعين وسبعمائة تحت التراب عمودان عظيمان من الرخام الأبيض ، فعمل لهما ابن عابد رئيس الحراريق السلطانية أساقيل ، وجرها إلى المدرسة التي أنشأها الملك الأشرف شعبان بن حسين ، تجاه الطليخانة من قلعة الجبل .

وأدركنا لجر هذين العمودين أوقاتا في أيام تجمع الناس فيها من كل أوب لمشاهدة ذلك ، ولهجوا بذكرهما زمنا ، وقالوا فيهما شعرا وغناء كثيرا ، وعملوا نموذجات من ثياب الحرير وتطرز المناديل عرفت بجر العمود .

وكانت الأنفس حينئذ منبسطة ، والقلوب خالية من الهموم ، وللناس اقبال على اللهو لكثرة نعمهم وطول فراغهم .

وكان العمودان المذكوران مما ارتدم من أنقاض القصر ، فسبحان الوارث .

الركن المخلق

موضعه الآن تجاه حوض الجامع الأحمر ، على يمنية من أراد الدخول إلى المسجد المعروف الآن بمعبد موسى . وقيل له الركن المخلق لأنه ظهر في سنة ستين وستمائة في هذا الموضع حجر مكتوب عليه « هذا مسجد موسى عليه السلام » ، فخلق بالزعفران ، وسمى من ذلك اليوم بالركن المخلق .

وأخبرني الأمير الوزير أبو المعالي يلبغا السالمى أنه قرأ في الأسطر المكتوبة بأسكفة باب الجامع الأحمر كلاما من جملته « والخوانيت

التي بالركن المخلق » بواو بعد الخاء . قرأت بعد ذلك في « الأمالي » للقالي وقال أبو عبيدة ، عن أبي عمرو : الخوقاء الصحراء التي لا ماء بها ، ويقال الواسعة ، وأخوق واسع .

فلعله سى المخلق بمعنى الاتساع ، فكان ركنا متسعا وفي بناء واسع ، أو يكون المخلق باللام من قولهم قدح مخلق - بضم الميم وفتح الخاء وتشديد اللام وفتحها - أى مستو أملس . وكل ما لين وملس فقد خلق ، فكل ملس مخلق ، وسماه العامة بعد ذلك الركن المخلق عندما خلقوه بالزعفران ، والله أعلم .

السقيفة (١)

وكان من جملة القصر الكبير موضع يعرف بالسقيفة يقف عنده المتظلمون . وكانت عادة الخليفة أن يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين ، فإذا ظلم أحد وقف تحت السقيفة وقال بصوت عال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، على ولى الله . فيسمعه الخليفة فيأمر بإحضاره إليه ، أو يفوض أمره إلى الوزير أو القاضي أو الوالى .

ومن غريب ما وقع أن الموفق بن الخلال لما كان يتحدث في أمور الدواوين أيام الخليفة الحافظ لدين الله ، وخرج من اتدب بعد انحطاط النيل من العدول والنصارى

(١) قوله السقيفة ، هكذا هنا في النسخ . بالقاف والفاء ، وهو الظاهر المتبادر ، خلافا لما مر من أنها سفينة بالقاف والنون . ١٠ ص . مصححه .

الكتاب الى الاعمال ، تحرير ما شمله الرى
وزرع من الاراضى ، وكتابة المكلفات .

فخرج الى بعض التولى من يسحها من
شاد وناظر وعدول ، وتأخر الكاتب النصارى
ثم لحقهم وأراد التعدي الى الناحية ، فحصله
ضامن تلك المعدية الى البر ، وطلب منه أجرة
التمدية ، فنفق فيه النصارى وبه وقال : أنا
ماسح هذه البلدة ، وتريد منى حق التعدي ؟

فقال له الضامن : ان كان لى زرع خذه .
وقلح لجام بغلة النصارى ، وألقاه فى معديته .
فلم يجد النصارى بدا من دفع الأجرة اليه
حين أخذ لجام بغلة .

فلما تم مساحة البلد ، وبيض مكلفة
المساحة ليحطها الى دواوين الباب - وكانت
عادتهم حينئذ كىب الجملة بزيادة عشرين
فداناً - ترك يياضاً فى بعض الأوراق ، وقابل
العدول على المكلفة ، وأخذ الخطوط عليها
بالصحة ، ثم كتب فى الياض الذى تركه
« أرض اللجام باسم ضامن المعدية : عشرين
فداناً قطيعة . كل فدان أربعة دنائير ، عن ذلك
ثمانون ديناراً » . وحل المكلفة الى ديوان
الأصل .

وكانت العادة اذا مضى من السنة الخراجية
أربعة أشهر ، ندى من الجند من فيه حراسة
وشدة ، ومن الكتاب العدول ، وكاتب
نصارى . فيخرجون الى سائر الأعمال
لاستخراج تلك الخراج على ما تشهد به
المكلفات المذكورة ، فينفق فى الأجناد ، فانه
لم يكن حينئذ للأجناد اقطاعات كما هو
الآن .

وكان من العادة أن يخرج الى كل ناحية
من ذكر من لم يكن خرج وقت المساحة ، بل
يتسحب قوم سواهم . فلما خرج الشاد
والكتاب والعدول لاستخراج تلك مال
الناحية ، استدعوا أرباب الزرع على ما تشهد
به المكلفة ، ومن جملتهم ضامن المعدية . فلما
حضر أزم ستة وعشرين ديناراً وثلاث دنانير ،
عن نظير تلك المال الثمانين ديناراً التى تشهد
بها المكلفة عن خراج أرض اللجام ،

فأنكر الضامن أن تكون له زراعة بالناحية ،
ومدحه أهل البلد . فلم يقبل الشاد ذلك
- وكان صوفاً - وأمر به فضرب بالمقارع ،
واحتج بخط العدول على المكلفة ، وما زال
به حتى باع معديته وغيرها ، وأورد تلك المال
الثابت فى المكلفة * .

وسار الى القاهرة ، فوقف تحت السقيفة ،
وأعلن بما تقدم ذكره ، فأمر الخليفة الحافظ
باحضاره . فلما مثل بحضوره قص عليه
ظلامته مشافهة ، وحكى له ما اتفق منه فى
حق النصارى ، وما كاده به .

فأحضر ابن الخلال وجميع أرباب
الدواوين ، وأحضرت المكلفات التى عملت
للناحية المذكورة فى عدة سنين ماضية ،
وتصفحت بين يديه سنة سنة ، فلم يوجد
لأرض اللجام ذكر البتة .

فحينئذ أمر الخليفة الحافظ باحضار ذلك
النصارى وسمر فى مركب ، وأقام له من
يطعمه ويسقيه ، وتقدم بأن يطاف به سائر
الأعمال ، وينادى عليه ... ففعل ذلك .

(١٢) ص ٤٠٠ ج ١ ط ١ بولاق .

وأمر بكف أيدي النصارى كلها عن الخدم
فى سائر المملكة ، فتعطلوا مدة الى أن سامت
أحوالهم .

وكان الحافظ مفرماً بعلم النجوم ، وله عدة
من المنجمن من جملتهم شخص صار اليه
عدة من أكابر كتاب النصارى ، ودفعوا اليه
جملة من المال ، ومعهم رجل منهم يعرف
بالأخرم بن أبى زكريا ، وسألوه أن يذكر
للحافظ فى أحكام تلك السنة حلية هذا
الرجل ، فانه ان أقامه فى تدبير دولته زاد
النيل ، ونما الارتضاع ، وزكت الزروع ،
وتجت الأغنام ، ودرت الضروع ، وتضاعفت
الأسماك ، وورد التجار ، وجرت قوانين
المملكة على أجمل الأوضاع .

فطمع ذلك المنجم فى كثرة ما عاينه من
الذهب ، وعمل ما قرره النصارى معه .

فلما رأى الحافظ ذلك تعلقت نفسه
بمشاهدة تلك الصفة ، فأمر باحضار الكتاب
من النصارى ، وصار يتصفح وجوههم من غير
أن يطلع أحداً على ما يريد ، وهم يؤخرون
الأخرم عن الحضور اليه - قصداً منهم ،
وخشية أن يفتن بمكرهم - الى أن اشتد
الزامهم باحضار سائر من بقى منهم ،
فأحضروه بعد أن وضعوا من قدره .

فلما رآه الحافظ ، رأى فيه الصفات التى
عينها منجمه ، فاستدناه اليه وقربه ، وآل
أمره الى أن ولاه أمير الدواوين .

فأعاد كتاب النصارى أوفر ما كانوا عليه ،
وشرعوا فى التجير ، وبالقوا فى اظهار الفخر ،

وتظاهروا بالملايس العظيمة ، وركبوا البغلات
الرائعة والخيول المسومة بالسروج المحلاة
واللجم الثقيلة ، وضائقوا المسلمين فى أرزاقهم
واستولوا على الأحباس الدينية والأوقاف
الشرعية ، واتخذوا العبيد والماليك
والجوارى من المسلمين والمسلمات .

وصودر بعض كتاب المسلمين فألجأته
الضرورة الى بيع أولاده وبناته ، فيقال انه
أشتراهم بعض النصارى ، وفى ذلك يقول ابن
الخلال :

إذا حكم النصارى فى الفروج
وغالوا بالبيع وبالسروج

وذلك دولة الاسلام طرا
وصار الأمر فى أيدي العلوج

فقل للأعور الدجال هذا
زمانك ان عزمت على الخروج

وموضع السقيفة فيما بين درب السلامى
وبين خزانة البنود ، يتوصل اليه من تجاه
البئر التى قدام دار كانت تعرف بقاعة ابن
كيلة . ثم استولى عليها جمال الدين
الأستادار ، وجعلها مكناً لأخيه ناصر الدين
الخطيب ، وغير بابها .

دار الضرب

هذا المكان ، الذى هو الآن دار الضرب من
بعض القصر ، كان خزانة بجوار الايوان
الكبير ، سجن بها الخليفة الحافظ لدين الله
أبو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبى القاسم
محمد بن المنتصر بالله أبى تميم معد .

وذلك أن الأمر لما قتل في يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة قام العادل برغش وهزار الملوك جوامرد — وكانا أخص فلان الأمر — بالأمير عبد المجيد ، ولباه خليفة ، ونمته بالحافظ لدين الله ، وهو يومئذ أكبر الأقارب سناً .

وذكر أن الأمر قال قبل أن يقتل بأسبوع عن نفسه : « المسكين المقتول بالسكين » ، وأنه أشار إلى أن بعض جهاته حامل منه ، وأنه رأى أنها ستلد ذكراً وهو الخليفة من بعده ، وأن كفايته للأمير عبد المجيد . فجلس على أنه كافل للمذكور ، وندب هزار الملوك للوزارة ، وخلق عليه .

فلم ترض الأجناد به ، وثاروا بين القصرين — وكبيرهم رضوان بن ولخشي — وقاموا بأبي على بن الأفضل ، الملقب بكتيفات ، وقالوا : لا نرضى إلا أن يصرف هزار الملوك ، وتفوض الوزارة لأحد بن الأفضل في سادس عشره .

فكان أول ما بدأ به أن أحاط على الخليفة الحافظ وسجنه بالقاعة المذكورة وقيده ، وهم بخلمه فلم يأت له ذلك . وكان إمامياً ، فأبطل ذكر الحافظ من الخطبة ، وصار يدعو للقائم المنتظر ، وتتش على السكة « الله الصلح . الإمام محمد » .

فلما قتل في يوم الثلاثاء ، سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة ، بالميدان خارج باب الفتوح ، سارع صبيان الخاص الذين تولوا قتله إلى الحافظ ،

وأخرجوه من الخزانة المذكورة ، وقسكوا عنه قيده — وكان كبيرهم يانس — وأجلسوه في الشباك على منضب الخلافة ، وطيف برأس أحمد بن الأفضل ، وخلق على يانس خلق الوزارة .

وما زالت الخلافة في يد الحافظ حتى مات ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، عن سبع وستين سنة : منها خليفة ، من حين قتل ابن الأفضل ، ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وأيام .

خزائن السلاح

كانت بالأيوان الكبير الذي تقدم ذكره ، في صدر الشباك الذي يجلس فيه الخليفة ، تحت القبة التي هدمت في سنة سبع وثمانين وسبعمائة كما تقدم .

وخزائن السلاح المذكورة هي الآن باقية بجوار دار الضرب خلف المشهد الحسيني ، وعقد الأيوان باق وقد تشعث .

المارستان العتيق

قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة : في تاسع ذي القعدة أمر السلطان (يعني صلاح الدين يوسف بن أيوب) بفتح مارستان للرضى والضعفاء ، فاختير له مكان بالقصر ، وأفرد برسه من

(*) من ٤٠٦ ج ١ ، ط. بولاق .

أجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار ، وغلات جهاتها اليوم .

واستخدم له أطباء وطبائعين وجراحيين ومشارف وعاملاً وخداماً . ووجد الناس به رفقا ، وإليه متروحا ، وبه تقعا .

وكذلك بصر أمر بفتح مارستانها القديم ، وأفرد برسه من ديوان الأحباس ما تقدير ارتفاعه عشرون ديناراً ، واستخدم له طبيب وعامل ومشارف ، وارتفق به الضعفاء ، وكثر بسبب ذلك الدعاء .

وقال ابن عبد الظاهر : كان قاعة بنسائها العزيز بالله في سنة أربع وثمانين وثلثمائة . وقيل أن القرآن مكتوب في حيطانها ، ومن خواصها أنه لا يدخلها نمل لطلسم بها .

ولما قيل ذلك لصلاح الدين رحمه الله قال : هذا يصلح أن يكون مارستاناً . وسألت مباشره عن ذلك فقالوا : إنه صحيح .

وكان قديماً المارستان — فيما بلغني — القشاشين ، وأظنه المكان المعروف بدار الديلم انتهى .

والقشاشين المذكورة تعرف اليوم بالخراطين ، السلوك فيها إلى الخمين والجامع الأزهر .

التربة المعزية

كان من جملة القصر الكبير التربة المعزية ، وفيها دفن المعز لدين الله آباه الدين أحضرهم في توأبيت معه من بلاد المغرب وهم : الإمام

المهدي عبيد الله ، وابنه القائم بأمر الله محمد ، وابنه الإمام المنصور بنصر الله إسماعيل .

واستقرت مدفن يدفن فيه الخلفاء وأولادهم ونسأؤهم ، وكانت تعرف بتربة الزعفران ، وهو مكان كبير من جملة الموضع الذي يعرف اليوم بخط الزراكنة العتيق ، ومن هناك يابها .

ولما أنشأ الأمير جهاركني الخليلي خان المعروف به بالخط المذكور ، أخرج ما شاء الله من عظامهم ، فألقيت في المزابل على كيسان البرقية . ويمتد من هناك من حيث المدرسة البديرية ، خلف المدارس الصالحة النجبية ، وبها إلى اليوم بقايا من قبورهم .

وكان لهذه التربة عوايد ورسوم : منها أن الخليفة كلما ركب بمظلة وعاد إلى القصر ، لا بد أن يدخل إلى زيارة آياه بهذه التربة ، وكذلك لا بد أن يدخل في يوم الجمعة دائماً ، وفي عيدي الفطر والأضحى ، مع صدقات ورسوم تفرق .

قال ابن المأمون : وفي هذا الشهر (يعني شوالاً سنة ست عشرة وخمسمائة) تنبه ذكر الطائفة النزارية ، وتقرر بين يدي الخليفة الأمر بأحكام الله أن يسير رسول إلى صاحب الموق ، بعد أن جمعوا الفقهاء من الاسماعيلية والامامية ، وقال لهم الوزير المأمون البطائحي : ما لكم من الحجة في الرد على هؤلاء الخارجين على الاسماعيلية ؟

فقال كل منهم : لم يكن لنزار امامة ، ومن اعتقد هذا فقد خرج عن المذهب وضل ،

ووجب منه ما ذكرناه من كتب ، فكتب

ووصف كتب من سوانس الكوفة تسمى
في القوم غوت شوكم ، وكتبت في اليد
سليم ، وكتب سيرة آلان ثلاثة آلاف رسم
التجوى ورسم المؤمنين الذين تولى الرسل
علمهم ، وكتبت في مسلم .

كتب الوزير يحيى بن علي ، والاعتراف
الحام على الخليفة في ركوه وستره ،
وسلط القوم والاسواق ، ولم يزل يبحث في
علم الى ان وجنوا فمترخوا في خسة منهم
في الرسل والوصفون بذلك ... فكتبوا .

وأما الملك ، وهو القادر ، فان الخليفة
في قبه ، وتمر في بيت في السودان عيد
الفرار . والحضر من بيت الملك في البيع ،
وتقدم في صانع به فتيان من ذهب
ومطبخات ، من قبة ، وقد جعل منها فتيان
قرب وقتيق قبة الى مشهد الحسين بن علي
عنته ، وقسم الى التربة لكسة - تربة
لاحة بالقصر .

وتمر الوزير القوم بإطلاق في ديار
من ماله ، وتقدم في صانع بها فتيان ذهب
وسلطة قبة رسم الشهد المستلاني ، وقد
صانع على الصنف الذي بخط أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب ، ويجمع القوم بمصر من
قوت القبة ذهب .

وأما حامل الصديق التي تستل على
مال التجوى رسم الصنفات عشرة آلاف
درهم تشرق في الجوامع الثلاثة : لأمر
... ..

بالقمة ، والفتيق بمصر ، وجميع القرافة ،
وعلى قراء المؤمنين على أبواب القصور

وتنطق من القراء التي لرب قضا ،
وتعشق على عدة من الجهات بجملة كثيرة ،
وتسمرت عدة جوار من الحبر ، وكتب
على الوقت ، وتلقى سر الحسن .

وقال في كتاب « الفخار » : ان الأثر
عليه من المستمر شقة في أيام السدة
فماهم ، وأهم عجبوا على التربة للدفون
فيها أجدهم فأنصفوا ما فيها من قساويل
الذهب . وكانت قيمة ذلك مع ما اجتمع اليه
من الآلات الموجودة هناك - مثل المدافع
والجواهر وحلي الحارب وغير ذلك - حين
الفرار .

القصر الثاني

قال ابن عبد الظاهر : القصر الثاني قرب
التربة ، يقرب من جهة السج خوخ ، كان فيه
عجوز من عجائر القصر وأقارب الأشراف ...

تسمى .
وموضع هذا القصر اليوم قنق المنشار
التي بقي فيه الذهب ، وما في قبليه من خان
منج ، ودلو خولجا عيد العزوة المجاورة
للسجد التي بعثه خان منجك ، وما بجوار
دلو خولجا من الزقاق المعروف بسرب
الجيش .

وكان حد هذا القصر العربي يسمى الى
القنق التي بالخمين ، المعروف قديما بخان
مشكورس ، وسرف اليوم بخان القاضي .

خزائن الكتب

قال المسي : وذكر عند العزيز بالله كتاب
« العين » للخليل بن أحمد ، فأمر خزان
دلاله فأخرجوا من خزائنه ليلًا وثلاثين نسخة
من كتاب « العين » منها نسخة بخط الخليل
ابن أحمد .

وحصل اليه رجل نسخة من كتاب « تاريخ
الطبري » اشتراها بمائة دينار ، فأمر العزيز
الخزان فأخرجوا من الخزائنة ما ينيف عن
عشرين نسخة من « تاريخ الطبري » ، منها
نسخة بخطه .

وذكر عنه كتاب « الجهرة » لابن دريد ،
فأخرج من الخزائنة مائة نسخة منها .

وقال في كتاب « الفخار » : عدة الخزائن
التي برسم الكتب ، في سائر العلوم بالقصر ،
أربعون خزائنة : خزائنة من جبلتها ثمانية عشر
ألف كتاب من العلوم القديمة . وإن الموجود
فيها من جملة الكتب المخرجة في شدة
المستمر ، ألقان وأربعائة ختمة قرآن في
ربعات بخطوط منسوبة ، زائدة الحسن ،
محلاة بذهب وفضة وغيرها . وإن جميع
ذلك كله ذهب فيا أخذه الأثر في واجباتهم
ببعض قيمته ، ولم يسق في خزائن القصر
البرانية منه شيء بالجملة ، دون خزائن القصر
الدخلة التي لا يتوصل اليها .

ووجبت صناديق ملوثة أقلاما مبرية من
براية ابن مقلة وابن البواب وغيرها .

واشترى بعض هذا القصر ، لما بيع بعد
زوال العقولة ، الأمير ناصر الدين عثمان بن
سفر الكامل المنشار ، الذي يعرف بلندق
المنشار ، بعد أن كان اصطبلًا له .

واشترى بعضه الأمير حسام الدين لاجين
أرابدمري - المعروف بالدرليل - ودوا دار
الملك الظاهر بيبرس ، وعمره اصطبلًا ودوا ،
وهي الدار التي تعرف اليوم بخولجا عبد
العزيز على باب درب الجيش ، ثم عمل
الاصطبل الخزان الذي يعرف اليوم بخان
منجك .

وابتني الناس في مكان درب الجيش
الدور ، وزان أثر القصر فلم يبق منه شيء
البنة .

الخزائن التي كانت بالقصر

وكانت بالقصر الكبير عدة خزائن ، منها :
خزائنة الكتب ، وخزائنة البشود ، وخزائن
السلح ، وخزائن الدوق ، وخزائن السروج ،
وخزائنة القرش ، وخزائنة الكسوات ، وخزائن
الأدم ، وخزائن الشراب ، وخزائنة التوابل ،
وخزائن الخيم ، ودار التعبة ، وخزائن دار
أفتكين ، ودار القطرة ، ودار العلم ، وخزائنة
الجوهر والطيب .

وكان الخليفة يضي الى موضع من هذه
الخزائن ، وفي كل خزائنة دكة عليها طراحة ، وله
ولها فرائش مخطما ونظمتها طول السنة ، وله
جار في كل شهر ... فيطوفها كلها في السنة .

قال : وكنت بمصر في الشهر الأول من حرم سنة إحدى وستين وأربعمائة ، فرأيت فيها حصة وعشرين جلا موقرة كتباً محمولة إلى * دار الوزير أبي القرج محمد بن جعفر المغربي ، فسألت عنها ، فمرت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير ابن الموفق في الدين بإيجاب وجبت لهما عما يستحقانه وغلماهما من ديوان النجيين .

وإن حصة الوزير أبي القرج منها قومت عليه ، من جاري ماله وغلماها ، بخصة آلاف دينار . وذكر لي من له خبرة بالكتب أنها تبلغ أكثر من مائة ألف دينار .

وتعب جميعها من داره يوم انهزم قصر الدولة ابن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة ، مع غيرها مما ذهب من دور من سار معه من الوزير أبي القرج وابن أبي كدية وغيرها .

هذا سوى ما كان في خزائن دار العلم بالقاهرة ، وسوى ما صار إلى عماد الدولة أبي الفضل بن المحرق بالإسكندرية ، ثم انتقل بعد مقتله إلى المغرب .

وسوى ما غفرت به لوانة محمولا مع ما صار إليه بالابتاع والغصب في بحر النيل إلى الإسكندرية ، في سنة إحدى وستين وأربعمائة وما بعدها ، من الكتب الجليلة المتقدرة المندومة المثل في سائر الأمصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة ، التي أخذ جلودها عيديم وأماؤهم يرسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم ، وأحرق ورقها فأولا

(*) من يد ١٠١ ، ط ١٠١٠

منهم أنها نخرجت من قصر السلطان - أعز الله أنصاره - وأن فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذاهبهم .

سوى ما غرق وتلف وحمل إلى سائر الأقطار . وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الريح التراب ، قصار تلالا باقية إلى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب .

وقال ابن الطور : خزانة الكتب كانت في أحد مجالس المارستان اليوم (يعني المارستان العتيق) ، فيجيء الخليفة راكبا ، ويترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ، ويحضر إليه من يتولواها - وكان في ذلك الوقت الجليس بن عبد القوي - فيحضر إليه المصاحف بالخطوط المنسوبة ، وغير ذلك مما يقترحه من الكتب . فإن عن له أخذ شيء منها أخذه ثم يعيده .

وتحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم ، والرفوف مقطعة بحواجز ، وعلى كل حاجز باب مقفل بمنفصلات وقتل .

وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات ، وسير من المجردات : فمنها الفقه على سائر المذاهب ، والنحو واللغة ، وكتب الحديث ، والتواريخ وسير الملوك ، والتجامة والروحانيات والكيماويات ، من كل صنف نسخ . ومنها النواقص التي ما تمت ... كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة ، وما فيها من المصاحف الكريمة ، في مكان فوقها .

وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائره كإين البواب وغيره ، وتولى بيعها ابن صورة في أيام الملك الناصر صلاح الدين .

فإذا أراد الخليفة الاتصال ، مشى فيها مشية لنظرها ، وفيها ناسخان وفراشان : صاحب المكتبة وآخر ، فيعطى الشاهد عشرين دينارا ، ويخرج إلى غيرها .

وقال ابن أبي طي ، بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر : ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب ، وكانت من عجائب الدنيا .

ويقال أنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر . ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتا نسخة من « تاريخ الطبري » إلى غير ذلك

ويقال أنها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب . وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة ... انتهى

ومما يؤيد ذلك أن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي ، لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة ، جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد ، وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة في مدة أعوام ... فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضي الفاضل منها شيء .

وذكر ابن أبي واصل أن خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مجلد .

خزانة الكسوة

قال ابن أبي طي : وعمل (يعني المعز لدين الله) دارا وسأها دار الكسوة . كان يفصل فيها من جميع أنواع الثياب والبز ، ويكسو بها الناس على اختلاف أصنافهم كسوة الشتاء والصيف ، وكانت لأولاد الناس ولسائهم كذلك . وجعل ذلك رسما يتوارثونه في الأعقاب ، وكتب بذلك كتابا ، وسى هذا الموضع خزانة الكسوة .

وقال عند ذكر القراض الدولة : ومن أخبارهم أنهم كانوا يخرجون من خزائن الكسوة إلى جميع خدمهم وحواشيهم ، ومن يلود بهم من صغير وكبير ورفيع وحقير ، كسوات الصيف والشتاء من العمامة إلى الراويل ، وما دونه من الملابس والمنديل ، من فاخر الثياب وتيس الملبوس . ويقومون لهم بجميع ما يحتاجون إليه من تيس المطعومات والمشروبات .

وسعت من يقول : أنه حضر كما القصر التي تخرج في الصيف والشتاء ، فكان مقدارها ستمائة ألف دينار وزيادة .

وكانت خلعتهم على الأمراء الثياب الديبقي والعمائم بالطراز الذهب . وكان طراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار ، ويخلع على أكابر الأمراء الأطواق والأسورة والسيوف المحلاة . وكان يخلع على * الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر .

(*) من يد ١٠١ ، ط ١٠١٠

وقال ابن المأمون : وجلس الأجل (يعني الوزير المأمون) في مجلس الوزارة لتنفيذ الأمور وعرض المطالعات ، وحضر الكتاب ومن جملتهم ابن أبي الليث كاتب الدفتر ، ومعه ما كان أمر به من عمل جرائد الكسوة للشاء بحكم حلوله وأوان تفرقتها ، فكان ما انتحل عليه المتفق فيها ، لسنة ست عشرة وخسمائة ، من الأصناف أربعة عشر ألفا وثلاثمائة وخمسي قطع .

وان أكثر ما اتفق عن مثل ذلك في الأيام الأفضلية ، في طول مدتها ، في سنة ثلاث عشرة وخسمائة : ثمانية آلاف وسبعمائة وخمسين وسبعون قطعة ، يكون الزائد عنهما - بحكم ما رسم به في متفق سنة ست عشرة - خمسة آلاف وستمائة وأربعمائة وثلاثين قطعة .

ووصلت الكسوة المختصة بالعيد في آخر الشهر ، وقد تضاعفت عما كانت عليه في الأيام الأفضلية لهذا الموسم . وهي تشتتل على ذهاب ولف دون العشرين ألف دينار ، وهو عندهم الموسم الكبير ، ويسمى بعيد الحل ، لأن الحل فيه تعم الجبابة ، وفي غيره للأعيان خاصة .

فاحضر الأمير افتخار الدولة ، مقدم خزانة الكسوة الخاص ، ليتسلم ما يختص بالخليفة ، وهو برسم الموكب : بدلة ١ خاص جليلة مذهبة ، ثوبها موشح مجاوم مذابل ، عدتها باللفافتين إحدى عشرة قطعة : السلف عنها

(١) قوله ١ بدلة خاص ، الخ ٠٠ مذكوره في نسخة البدلة ، وما يسميها من الكسوة والحلل . تصحيحه في الأصل لم يوافق أجباله على معنى ما يسمي من النسخ ٠ ولا يخفى معنى عباراته ، في هذا المقام وإسناده من المثلث وخالفه المصرية ١٠٠ ص ١٠٠

مائة وستة وسبعون دينارا ونصف ، ومن الذهب العالي المغزول ثلاثمائة وسبعة وخمسون مثقالا ونصف ، كل مثقال أجرة غزله ثمن دينار ، ومن الذهب العراقي ألفان وتسعمائة وأربع وتسعون قصبة .

تفصيل ذلك : ثياشية طميم : السلف ديناران وسبعون قصبة ذهباً عراقياً . منديل بعمود ذهب : السلف سبعون وألفان ومائتان وخمسون قصبة ذهباً عراقياً ... فان كان الذهب نظير المصري ، كان الذي يرقم فيه ثلاثمائة وخمسة وعشرين مثقالا ، لأن كل مثقال نظير تسع قصبات ذهباً عراقياً .

وسط سرب بطانة للمنديل : السلف عشرة دنائير وسبعون قصبة ذهباً عراقياً . ثوب موشح مجاوم مطرف : السلف خمسون دينارا وثلاثمائة وأحد وخمسون مثقالا ونصف ذهباً عالياً ، أجرة كل مثقال ثمن دينار ، تكون جلة مبلغه وقيمة ذهبه ثلاثمائة وأربعة وتسعين دينارا ونصفا .

ثوب ديبقي حريري وسطاني : السلف اثنا عشر دينارا . غلالة ديبقي حريري : السلف عشرون دينارا . منديل كم أول مذهب : السلف خمسة دنائير ومائتان وأربع قصبات ذهباً عراقياً . منديل كم ثان حريري : السلف خمسة دنائير . حجره : السلف أربعة دنائير . عرضي مذهب : السلف خمسة دنائير وخمسة عشر مثقالا ذهباً عالياً . عرضي لفاقة للتخت : دينار واحد ونصف .

بدلة ثافية برسم الجلوس على السباط ، عدتها باللفافتين عشر قطع : السلف مائة

وأربعة عشر دينارا ، ومن الذهب العالي خمسة وخمسون مثقالا ، ومن الذهب العراقي سبعمائة وأربعون قصبة .

تفصيل ذلك : ثاشية طميم : السلف ديناران وسبعون قصبة ذهباً عراقياً . منديل : السلف ستون دينارا وستمائة قصبة ذهباً عراقياً . شقة وكم : السلف ستة عشر دينارا وخمسة وخمسون مثقالا ذهباً عالياً ، أجرة كل مثقال ثمن دينار . شقة ديبقي حريري وسطاني : اثنا عشر دينارا . شقة ديبقي غلالة : ثمانية دنائير . منديل الكم الحريري : خمسة دنائير . حجره : أربعة دنائير . عرضي : خمسة دنائير . عرضي برسم التخت : دينار واحد ونصف .

وهذه البدلة لم تكن فيما تقدم في أيام الأفضل ، لأنه لم يكن ثم سباط يجلس عليه الخليفة ، فانه كان قد نقل ما يعمل في القصور من الأسطحة والدواوين الى داره فصار يعمل هناك .

ما هو برسم الأجل أبي الفضل جعفر أخي الخليفة - الأمر : بدلة مذهبة مبلغها تسعون دينارا ونصف ، وخمسة وعشرون مثقالا ذهباً عالياً ، وأربعمائة وسبعون قصبة ذهباً عراقياً .

تفصيل ذلك : منديل : السلف خمسون دينارا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهباً عراقياً . شقة ديبقي حريري وسطاني : السلف عشرة دنائير . شقة غلالة ديبقي : السلف ثمانية دنائير . حجره : ثلاثة دنائير وثلاث . عرضي ديبقي : ثلاثة دنائير .

الجهة العالية بالدار الجديدة التي يقوم بخدمتها جوهر : حلة مذهبة موشح مجاوم مذابل مطرف ، عدتها خمس عشرة قطعة : سلفها ستة آلاف ، وثلاثمائة وثلاثون قصبة .

تفصيل ذلك : مذهب مكلف موشح مجاوم السلف خمسة عشر دينارا وستمائة وستون قصبة . سداسي مذهب : السلف ثمانية عشر دينارا ومائتا قصبة . معجر أول مذهب موشح مجاوم مطرف : السلف خمسون دينارا وألف وتسعمائة قصبة . معجر ثان حريري : السلف خمسة وثلاثون دينارا ونصف . رداء حريري أول : السلف عشرة دنائير ونصف . رداء حريري ثان : السلف تسعة دنائير . ذراعة ذراعة موشح مجاوم مذابل مذهبة : السلف خمسة وتسعون دينارا ، ومن الذهب العراقي ألفان وستمائة وخمسين وخمسون قصبة .

شقة ديبقي حريري وسطاني : السلف عشرون دينارا ونصف . شقة ديبقي بغير رقم برسم عجز التفصيل : ثلاثة دنائير . ملاءة ديبقي : السلف أربعة وعشرون دينارا وستمائة قصبة . منديل كم أول : السلف ستة دنائير ومائة وستون قصبة . منديل كم ثان : السلف خمسة دنائير ومائة وستون قصبة . منديل كم ثالث : السلف خمسة دنائير . حجره : ثلاثة دنائير . عرضي ديبقي : ثلاثة دنائير . جهة مكنون القاضي بمثل ذلك على الشرح والعدة .

جهة مرشد : حلة مذهبة عدتها أربع عشرة قطعة : السلف مائة وأحد وأربعون دينار ،

(١٠٠) من ١٠٠ ج ١ ، ط ١٠٠

ومن ضمن القربى القريبين له وستة وستون
وثلثون نسبة . جهة غير مثل ذلك .
السيدة جهة على مثل ذلك . جهة منجب مثل
ذلك .

الأمير أبو القاسم بن عبد الصمد . بدلة
منجية . الأمير داود بن عبد الله . السيدة العمة :
جهة منجية . السيدة العائمة العمة مثل
ذلك .

الوالي الجليل من بني الأصنام ، وهم :
أبو القيسون ابن عبد الحميد ، والأمير أبو
القيس ابن الأمير محسن ، والأمير أبو علي ابن
الأمير جعفر ، والأمير حنيفة ابن الأمير عبد
الحميد ، والأمير موسى ابن الأمير عبد الله ،
والأمير أبو عبد الله ابن الأمير داود : لكل
منهم بدلة منجية .

البنون والبنات من بني الأصنام غير
الجليل : لكل منهم بدلة حريري .

ست سيدات : لكل منهن جهة حريري .

جهة الولي أبي الفضل جعفر التي يقوم
بخدمتها ربحان : جهة منجية .

جهة الولي عبد الصمد : جهة حريري .

ما يختص بالشارع العيوشية والقصيرة ،
فقط ما كان يأمنهم .

الخدمات لخزاة الكسوة الخاص : زين
الخزان المقدمة جهة منجية . ست خزان لكل
منهن جهة حريري . عشر وثلاثون لكل منهن
كذلك . المعلقة مقدمة المائة كذلك . رايات
مقدمة خزان الشراب كذلك .

الخدمات من أرباب الصنائع من
التصويرات ومن الصنائع اليمن من
الأصليات : مائة وسبعون جهة منجية
وحريري ، على التفصيل المتقدم .

الخدمات عند الجهات العالية : جهة
جوهر عنرون جهة منجية وحريري . وكذلك
الخدمات عند مكنون .

الأمراء الاستاذون الخشكون : الأمير الثقة
زمام التصور : بدلة منجية . الأمير نسيب
المولة مرشد ، متولى التدبير ، كذلك . الأمير
حصة المولة ربحان ، متولى بيت المال ،
كذلك . الأمير عظيم المولة وسيفها ، حامل
المطلة ، كذلك . الأمير صارم المولة صف ،
متولى السر ، كذلك . وفي المولة اسطاف ،
متولى المائدة ، مثله . الأمير اقتضار الدولة
جنب : بدلة منجية نظير البدلة المختصة
بالأمير الثقة .

ولكن من غير هؤلاء المذكورين جهة
حريري أربع قطع ، ولقاعة فوطه .

مختار المولة على : بدلة حريري . ستة
استاذين في خزاة الكسوة الخاص عند الأمير
اقتضار الدولة جنب : لكل منهم بدلة
منجية . جوهر زمام الدار الجديدة : بدلة
حريري . تاج الملك أمين بيت المال مثله . مفلح
يرسم الخدمة في المجلس مثله . مكنون
متولى خدمة الجهة العالية مثله . فنون متولى
خدمة التربة مثله . مرشد الخاص مثله .

انواب عند الأمير الثقة في زمام التصور
— وعدتهم أربعة — لكل منهم بدلة حريري .
خسرواني العظمى ، مقدم خزاة الشراب ،

ورقيقته : لكل منها بدلة كذلك . القتالية
أرباب المذاب — وعدتهم أربعة — لكل منهم
بدلة حريري وشقة وفوطه . نائب السر مثل
ذلك .

الاستاذون يرسم خدمة المطلة — وعدتهم
خمس — لكل منهم منديل سوس وشقة
دمياطي وشقة اسكتدراني وفوطه . الاستاذون
الشدادون يرسم الدواب — وعدتهم ستة —
كذلك .

ما حمل يرسم السيد الأجل المأمون (يعني
الوزير) : بدلة خاصة منجية كبيرة موكية ،
عدها إحدى عشرة . وما هو يرسم جهاته ،
ويرسم أولاده : الأجل تاج الرئاسة ، وتاج
الخلافة ، وسعد الملك محمود ، وشرف
الخلافة جمال الملك موسى — وهو صاحب
التاريخ — نظير ما كان باسم أولاد الأفضل
ابن أمير الجيوش ، وهم حسن وحسين
وأحمد .

الأجل المؤمن سلطان الملوك (يعني أخا
الوزير) عن مقدمة العساكر وزم الأمانة ،
ويرسم الجهة المختصة به . وركن الدولة عز
الملوك أبو الفضل جعفر عن حمل السيف
الشرف — خارجا عما له من حيازة خزاة
الكسوة وصناديق النفقات ، وما يحمل
أيضا للخزائن المأمونية ، مما يتفق منها على
من يحسن في الرأي من العاشية المأمونية —
ثلاثون بدلة .

الشيخ الأجل أبو الحسن بن أبي أسامة ،
كاتب الدست الشريف ، بدلة منجية عدها
خمس قطع ، وكم وعرضي .

الأمير فخر الخلافة حسام الملك ، متولى
حجية الباب ، بدلة منجية كذلك . القاضي
ثقة الملك ابن النائب في الحكم : بدلة منجية
عدها أربع قطع ، وكم وعرضي .

الشيخ الداعي ولي الدولة ابن أبي
الحقيق : بدلة منجية . الأمير الشريف أبو علي
أحمد بن عقيل ، تقيب الإشراف ، بدلة
حريري ثلاث قطع ، وفوطه . الشريف أنس
الدولة ، متولى ديوان الانشاء ، بدلة
كذلك .

ديوان المكاتب : الشيخ أبو الرضى ابن
الشيخ الأجل أبي الحسن ، النائب عن والده
في الديوان المذكور ، بدلة منجية عدها ثلاث
قطع ، وكم . أبو المكارم هبة الله أخوه : بدلة
منجية ثلاث قطع ، وفوطه . أبو محمد حسن
أخوها كذلك . أخوهم أبو الفتح : بدلة
حريري قطعتان وفوطه .

الشيخ أبو الفضل يحيى بن سعيد الندمي ،
منشئ ما يصدر عن ديوان المكاتب ،
ومحرر ما يؤمر به من المهمات : بدلة منجية
عدها ثلاث قطع ، وكم ، ومزور . أبو سعيد
الكاتب : بدلة حريري . أبو الفضل الكاتب
كذلك . الحاج موسى المعين في الإصباح
كذلك .

وأما الكتاب بديوان الانشاء فلم يتفق
وجود الحساب الذي فيه أسماؤهم فيذكرها ،
ومن القياس أن يكونوا قريبا من ذلك .

الشيخ ولي الدين أبو البركات ، متولى
ديوان المجلس والخاص ، بدلة منجية عدها

(*) مراد ١١١ ج ١ ، ط ١٠٠٠٠

تخس قطع ، وكم ، وعرض . ولامرأته حلة مذهبة .

الشيخ أبو الفضال هبة الله بن أبي الليث ، متولى القدر وما جمع إليه ، بدلة . أبو المجد ولده : بدلة حررى . عدى الملك أبو البركات ، متولى دار الضيافة ، بدلة مذهبة . وسعد الضيوف الواردون الى الدولة جسيمهم منهم من له بدلة مذهبة ، ومنهم من له بدلة حررى . وكذلك من يتلقى حضوره من الرسل على هذا الحكم .

مقدمو الركاب : عفيف الدولة مقبل : بدلة مذهبة . القائد موفق والقائد تميم مثل ذلك . أربعة من المقدمين يرسم الشكيمة : لكل منهم بدلة حررى . الرواض عدتهم ثلاثة لكل منهم بدلة حررى . الخاص من القرائين - وهم اثنان وعشرون رجلا - منهم أربعة ممييزون لكل منهم بدلة مذهبة ، وبقيتهم لكل واحد بدلة حررى .

الانباء : الشديد أبو الحسن على بن أبي الشديد : بدلة حررى . أبو الفضل التطورى : بدلة حررى . وكذلك القصة المستخدمون يرسم الحمام - وهم ثمانية - مقدمهم : بدلة مذهبة ، وبقيتهم لكل واحد بدلة حررى .

والى القاهرة ووالى مصر : لكل منهما بدلة مذهبة .

المستخدمون فى المواكب : الأمير كوكب الدولة ، حامل الرمح الشرف وراه الموكب والدفقة المعزية ، بدلة حررى . حاملا الرمحين

المعزية أيضا أمام الموكب بغير درق : لكل منها منديل وشقة وفوطه .

وهؤلاء الثلاثة رماح ما هى عربية ، بل هى خشبوت قدم بها المعز من المغرب .

حاملا لواء الحمد المختصان بالخليفة عن يمينه ويساره : لكل منهما بدلة .

متولى بغل الموكب الذى يحمل عليه جميع العدة المغربية : بدلة حررى .

متولى حمل المظلة كذلك . عشرة نفر من صبيان الخاص ، يرسم حمل العشرة رماح العربية المغشاة بالديباج وراه الموكب ، لكل منهم منديل وشقة وفوطه . حامل السبع وراه الموكب : بدلة حررى .

المقدمون من صبيان الخاص - وهم عشرون - لكل منهم بدلة . عرفاء القرائين الذين ينحطون عن قرائى الخاص وقرائى المجلس وقرائى خزائن الكسوة الخاص : لكل منهم بدلة حررى .

القرائشون فى خزائن الكسوات المستخدمون بالايوان - وهم الذين يشدون ألوية الحمد بين يدى الخليفة ليلة الموسم ، فانها لا تشد الا بين يديه ، ويبدأ هو باللف عليها يديه على سبيل البركة ، ويكمل المستخدمون بقية شدتها ، وما سوى ذلك من القضب الفضة وألوية الوزارة وغيرها - وعدتهم سبعة : لكل منهم منديل سوسى وشقان اسكندراني .

المستخدمون يرسم حمل القضب الفضة ولواءى الوزارة : أربعة عشر كذلك . مشارف خزانة الطيب - وكانت من الخدم

الجليلة ، وكان بها أعلام الجواهر التى يركب بها الخليفة فى الأعياد ، ويستدعى منها عند الحاجة ، ويعاد إليها عند الفنى عنها ، وكذلك السيف والثلاثة رماح المعزية - مشارف خزانة السروج : بدلة حررى .

مشارف خزائن الفرش . وكاتب بيت المال ، ومشارف خزائن الشراب ، ومشارف خزائن الكتب : كل منهم بدلة حررى . بركات الأدمى ، والمستخدمون بالدولة بالباب ، وسنان الدولة من الكركندى عن زم الرحبة ، والمبيت على أبواب القصور - وكانت من الخدم الجليلة - والصبيان الحجرية المشدون بلواء الموكب بعد المقربين وعدتهم عشرين : لكل منهم الكسوة فى الشتاء والعيدى وغيرها .

وعدة الذين يقبضون الكسوة فى العيدين من القرائين أكثر من صبيان الركاب ، وذلك أنهم يتولون الأسطة ويقفون فى تقدمتها ، وينفرد عنهم المستخدمون فى الركاب بما لهم من المتحصل فى المخلقات فى العيدين ، وهو ما يبلغه ستة آلاف دينار ، ما لأحد معهم فيها نصيب .

وكان يكتب فى كل كسوة هى برسم وجوه الدولة رقعة من ديوان الانشاء ، فما كتب به من انشاء ابن الصيرفى ، مقترنة بكسوة عيد الفطر من سنة خمس وثلاثة وخمسمائة :

« ولم يزل أمير المؤمنين منعنا بالرغائب ، موليا احسانه كل حاضر من أوليائه وغائب ، مجزلا حظهم من منائحه ومواهبه ، موصلا اليهم من الحياء ما يقصر شكرهم عن حقه

وواجبه . وانك أيها الأمير لأولاهم من ذلك بجسيمه ، وأحرامهم باستنطاق نبيهم ، وأخلقهم بالجزء الأول من منه عند فضه وتقسيمه . اذ كنت فى سماء المسابقة بدرا ، وفى جرائد المناصحة صدرا ، ومن أخلص فى الطاعة سرا وجهرا ، وحظى فى خدمة أمير المؤمنين بما عطر له وصفا وسير له ذكرا ..

« ولما أقبل هذا العيد السعيد - والعادة فيه أن يحسن الناس هيتهم ، ويأخذوا عند كل مسجد زيتهم - ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف أوليائه وخدمه فيه ، وفى المواهب التى تجاربه ، بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال ، ولا يبقى بعدها مطمع للأمال ، وكنت من * أخص أمراء المقدمين ... »

قال : ووصلت الكسوة المختصة بغرة شهر رمضان وجسميته : يرسم الخليفة للغزة بدلة كبيرة موكية مكلمة مذهبة . ويرسم الجامع الأزهر للجمعة الأولى من الشهر ، بدلة موكية حررى مكلمة ، منديلها وطيلسانها بياض . ويرسم الجامع الأنور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شعري .

وما هو برسم أخى الخليفة للغرة خاصة بدلة مذهبة ، ويرسم له مع جهات الخليفة الخليفة أربع حلل مذهبات . ويرسم الوزير للغرة بدلة مذهبة مكلمة موكية ، ويرسم الجعثن بدلتان حررى .

ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير فى ذلك شئ . فيذكر .

(ب) من (١١٢) ج ١ ، ط ١ ، بولاق .

ورسمت الكسوة المحتصة بفتح الخيلج .
وهي رسم الخليفة تحتان ضمتها بدلتان :
لحدتها متبيلها ويطاها طيسم يرسم
لقى ، والأخرى جيمها حررى يرسم
العود . وكذلك ما يتكى بأخوه وجهاته
بدلتان مدعيتان ، وأرج حل مدعبة . ويرسم
الوزير بدلة موكية مدعبة في تحت . ويرسم
أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مدعبة . ويرسم
جته حلة مدعبة في تحت . وبقية ما يخص
المتخمين وابن أبي الرداء في تحت : كل
تحت عدة بدلات .

وحضر متولى القنطرة ، واستأذن علي ما
يحمل يرسم الخليفة ، وما يفرق وفصل يرسم
الخط ، وما يخرج من حاصل الخزائن عن
الواصل - وهو ما يفصل يرسم الخاص من
القلان - يرسم سيمائة قباء وخمسة
وشقين سقلاطون دارى ، ويرسم رؤساء
العشاريات من الشق النيماطى والماديل
السوس والقوط الحرير الحمر ، ويرسم
التواية التى يرسم الخاص من العشارية من
الشق الاسكندراني والكلوذات .

وقد تقدم تفصيل الكسوات جميعها
وعندها ، وأسماء المترين لقبها .

وقال في كتاب « الفخائر » : وحدثني من
أقرب به ، عن ابن عبد العزيز ، أنه قال : قوما
ما يخرج من خزائن القصر (يعنى في متى
الليلة أيام المستصر) من سائر ألوان
الخزرواني ما يريد على خسين ألف قطعة ،
أكثرها منذهب .

وسألت ابن عبد العزيز فقال : أخرج من
الخزائن ما حررت قيمته على يدي وحضرتي
أكثر من ألف قطعة .

وحدثني أبو الفضل يحيى بن إبراهيم
الحدادي - أحد أصحاب الدواوين
بالحضرة - أن الذى تولى أبو سعيد
الهاوئلى ، المعروف بالمتد ، يبعه خاصة
من مخرج القصر ، دون غيره من الأمناء ، في
مدة يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بطور ،
ويحكم منها ما يساوى الألف دينار إلى عشرة
دنانير وفيه ، وعشرون ألف قطعة خسرواني .

وحدثني عبيد الملك أبو الحسن علي بن
عبد الجليل فخر الوزراء بن عبد الحاكم ،
أن قامر الدولة أرسل يطالب المستصر بما
بقى لقلماه ، فذكر أنه لم يبق عنده شيء إلا
ملابسه ، فأخرج ثمانمائة بدلة من ثيابه بجميع
ألوانها كاملة ، فتومت وحملت إليه .

وقال ابن الظهير : الخدمة في خزائن
الكسوات لها رتبة عظيمة في المباشرات . وهما
خزانتان : فالظاهرة يتولاهما خاصة أكبر
حواشي الخليفة إما أستاذ أو غيره . وفيها من
الحواصل ما يدل على اسباغ نعم الله تعالى
على من يشاء من خلقه من الملابس الثروب ،
والخاص الديقنى الملونة رجالية ونسائية ،
والديجاج الملونة والسقلاطون . وإليها يحمل
ما يستعمل في دار الطراز بتيسر وديمياط
واسكندرية من خاص المستعمل . وبها
صاحب القص ، وهو مقدم الخياطين ،
ولأصحابه مكان لخياصتهم . والتفصيل سئل
على مقدار الأوامر وما تدعو الحاجة إليه .

ثم ينقل إلى خزانة الكسوة الباشة ما هو
خاص للباس الخليفة . ويتولاهما امرأة تحت
بزين الخزائن أبدا ، وبين يديها ثلاثون جارية
فلا يغير الخليفة أبدا ثيابه إلا عندها ، وللباش
خافيا الثياب الدارية ، وسعة أكمامها سعة
نصف أكمام الظاهر . وليس في جهة من جهاته
ثياب أصلا ، ولا يلبس إلا من هذه الخزانة .

وكان يرسم هذه الخزانة بستان من أملاك
الخليفة على شاطئ الخليج - يعنى فيه أبدا
الشرين والياسين - فيحمل في كل يوم منه
شيء في الصيف والشتاء ، لا يتقطع البتة ،
يرسم الثياب والصناديق .

فإذا كان أوان التفرقة الصيفية أو
الشتوية ، شد لمن تقدم ذكره من أولاد
الخليفة وجهاته وأقاربه وأرباب الرواتب
والرسوم : من كل صنف شدة - على ترتيب
مفروض - من شقق الديجاج الملون
والسقلاطون إلى السوسى والاسكندراني ،
على مقدار القصول من الزمان ، ما يقرب
من مائتى شدة .

فالخواص في العراضى الديقنى ، ودونهم
في أوطية حرير ، ودونهم في قوط اسكندرية .
ويدخل في ذلك كتاب ديوانى الإنشاء
والمكاتبات دون غيرهم من الكتاب ، على
مقدارهم . وذلك يخرج من الجوارى في
الشهر المطلقات .

وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة
سبع وستين وخمسة ، بعد وفاة العاضد :
وكشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر ،
فقل أن الموجود فيها مائة صندوق كسوة

فاخرة : من موشى ومرصع ، وعقود ثمينة ،
وذخائر فضة ، وجواهر قبيصة ، وغير ذلك
من ذخائر عظيمة الخطر . وكان الكاشف بها
الدين قراقوش .

خزائن الجواهر والطيب والطرانف

قال ابن المأمون : وكان بها الأعلام
والجواهر التى يركب بها الخليفة في الأعياد ،
ويستدى منها عند الحاجة ، ويعاد إليها عند
الغنى عنها ، وكذلك السيف الخاص والثلاثة
وماح المعزية .

وقال في كتاب « الفخائر والتحف » :
وذكر بعض شيوخ دار الجواهر بمصر أنه
استدى يوما ، هو وغيره من الجواهريين من
أهل الخبرة بقيمة الجواهر ، إلى بعض خزائن
القصر (يعنى في أيام الشدة زمن المستصر)
فأخرج صندوق كيل منه سبعة أمداد زمرد ،
قيمتها على الأقل ثلثائة ألف دينار .

وكان هناك جالسا فخر العرب ابن حمدان ،
وابن سنان ، وابن أبي كديشة ، وبعض
المخالفين . فقال بعض من حضر من الوزراء
المعطين للجواهريين : كم قيمة هذا الزمرد ؟
فقالوا : انما نعرف قيمة الشيء إذا كان مثله
موجودا ، ومثل هذا لا قيمة له ولا مثل .

فاغتاظ وقال ابن أبي كديشة : فخر العرب
كثير المؤنة ، وعليه خرج . فالتفت إلى كتاب
الجيش وبيت المال فقال : يحسب عليه فيه
خمسائة دينار ... فكتب ذلك ، وقبضه .

وأخرج عقد جوهري قيمته على الأقل من ثمانين ألف دينار فصاعدا ، فتحريا فيه ، فقال : يكتب بألفي دينار . وتساغلو بنظر ما سواه ، وانقطع سلكه فتأثر به ، فأخذ واحد منهم واحدة فجعلها في جيبه ، وأخذ ابن أبي كدينة أخرى ، وأخذ فخر العرب بعض الحب ، وباقي المخالفين التقطوا ما بقي منه ، وغاض كل من لم يكن .

وأخذ ما كان أنقذه الصليحي من نفيس الدر الرقيق الرائع وكيله — على ما ذكر — سبع وريات .

واخذوا ألفا ومائتي خاتم ذهب وقضة ، فصوصها من سائر أنواع الجواهر المختلف الألوان والقيم والأشكال والأنواع — مما كان لأجداده وله ، وصار إليه من وجوه دولته — منها ثلاثة خواتم ذهب مربعة عليها ثلاثة فصوص ، أحدها زمرد والآخران ياقوت ساقى ورماني ، بيعت بأثنى عشر ألف دينار بعد ذلك .

وأحضر خريطة فيها نحو وربة جواهر ، وأحضر الخبراء من الجوهريين وتقدم اليهم بقيمتها ، فذكروا أن لا قيمة لها ، ولا يشتري مثلها إلا الملوك ، فقامت بعشرين ألف دينار . فدخل جوهري الكاتب ، المعروف بالمختار عز الملك ، إلى المستنصر وأعلمه أن هذا الجواهر اشتراه جده بسبعمئة ألف دينار واسترخه ، فتقدم باتفاقه في الأثر ، فقبض كل واحد منهم جزءا بقيمة الوقت ، وفرق عليهم .

قال : فأما ما أخذ مما في خزائن البلور والمحكم والمينا المجرى بالذهب والمجروح والبغدادي والخيارى والمدمونه ، والخلنج والعيني والذهبي والأمدى ، وخزائن القرش والبسط والستور والتعليق ، فلا يحصى كثرة .

وحدثني من أثق به من المستخدمين في بيت المال أنه أخرج يوما في جملة ما أخرج من خزائن القصر عدة صناديق ، وأن واحدا منها فتح فوجد فيه على مثال كيزان الفقاع من صافي البلور المنقوش والمجروح شيء كثير ، وأن جميعها ملوء من ذلك وغيره .

وحدثني من أثق به أنه رأى قدح بلور بيع مجرودا بمائتين وعشرين دينارا ، ورأى خردادي بلور بيع بثلاثمائة وستين دينارا ، وكوز بلور بيع بمائتين وعشرة دنانير ، ورأى صحن مينا كثيرة تباع من المائة دينار إلى ما دونها .

وحدثني من أثق بقوله أنه رأى بطرابلس قطعتين من البلور الساذج الغاية في النقاء وحسن الصنعة : أحدهما خردادي ، والأخرى باطية ، مكتوب على جانب كل واحدة منهما اسم العزيز بالله ، سمع الباطية سبعة أرطال بالمصري ماء ، والخردادي تسعة . وأنه عرضهما على جلال الملك أبي الحسن على بن عمار ، فدفع فيهما ثمانمائة دينار . فاستمتع من بيعهما ، وكان اشتراهما من مصر من جملة ما أخرج من الخزائن .

وأن الذي تولى بيعه أبو سعيد النهاوندي من مخرج القصر ، دون غيره من الأمناء ، في

مدينة يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بلور ، ويحكم منها ما يساوي ألف دينار إلى عشرة دنانير .

وأخرج من صواني الذهب المجرة بالمينا وغير المجرة ، المنقوشة بسائر ألوان النقوش ، الملوء جميعها من سائر ألوانه والواله وأجناسه ، شيء كثير جدا .

ووجد فيما وجد غلاف خيار مبطن بالحرير محلاة بالذهب ، مختلفة الأشكال ، خالية مما فيها من الألوان ، عدتها سبعة عشر ألف غلاف ، كان في كل قطعة إما بلور مجروح أو محكم أو ما يشاكله . ووجد أكثر من مائة كأس بادزهر ونصب وأشباهاها على أكثرها اسم هارون الرشيد وغيره .

ووجد في خزائن القصر عدة صناديق كثيرة ملوءة سكاكين مذهبة ومفضضة بنصب مختلفة من سائر الجواهر ، وصناديق كثيرة ملوءة من أنواع الدوى ، المربعة والمدورة والصفار والكبار ، المعسولة من الذهب والفضة والصنل والعود والأبنوس الزنجي والعاج ، وسائر أنواع الخشب المحلاة بالجواهر والذهب والفضة ، وسائر الأنواع الغريبة ، والصنعة المعجزة الدقيقة بجميع آلاتها ... فيها ما يساوي ألف دينار والأكثر والأقل ، سوى ما عليها من الجواهر .

وصناديق ملوءة مشارب ذهب وقضة مخرقة بالسواد صفار وكبار ، مصنوعة بأحسن ما يكون من الصنعة وعدة أزيار صيني كبار مختلفة الألوان ، ملوءة كافورا

قيصوريا . وعدة من جواهر العنبر الشحري ، ولوافج المسك التبتى وقواريره ، وشجر العود وقطعه .

ووجد للسيدة رشيدة ابنة المعز ، حين ماتت في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ، ما قيمته ألف ألف دينار وسبعمئة ألف دينار : من جملة ثلاثون ثوب خز مقطوع ، وأثنا عشر ألفا من الثياب المصمت ألوانا ، ومائة قاطرميز ملوءة كافورا قيصوريا .

ومما وجد لها ممسات بجواهرها ، من أيام المعز وبيت هارون الرشيد ، الخز الأسود الذي مات فيه بطوس . وكان من ولى من الخلفاء ينتظرون وفاتها ، فلم يقض ذلك إلا للمستنصر بالله ، فحازه في خزائنه .

ووجد لعبد بن المعز أيضا — وماتت في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة — ما لا يحصى ... حدثني بعض خزان القصر أن خزائن السيدة عبدة ومقاصيرها وصناديقها ، وما يجب أن يختم عليه ، ذهب من النعم في خواتيمه — على الصحة والمشاهدة — أربعون رطلا بالمصري ، وأن بطائق المتاع الموجود كتبت في ثلاثين رزمة ورق .

ومما وجد لها أيضا أربعمائة قمطرة ، وألف وثلاثمائة قطعة مينا فضة مخرقة ، زنة كل مينا عشرة آلاف درهم ، وأربعمائة سيف محلى بالذهب ، وثلاثون ألف شقة صقلية ، ومن الجواهر ما لا يحصى كثرة ، وزمرد كيلة اردب واحد .

وأن سيد الوزراء أبا محمد البازوري وجد في موجوداتها طستا وأبريقا ، فلنصرط

التي هي لها سال للصنعة ،
فهيها له . ووجد بعض ياقوت لمر وذا
سنة وعشرون مثقالا . وأخرج أيضا سمون
طنا وسمون أربعا من سائل البلور .

ووجد في القصر خزائن ملوثة من سائر
أنواع الصنعة . منها ابلقيني صيني كبير
مطلة ، كل لباة منها على ثلاثة أرجل ، على
صورة الوحوش والسباع ، قيمة كل قطعة
منها ألف دينار ، صورة لسل التليد .

ووجد عدة أقماس ملوثة ببعض صيني ،
مستول على حية البيض في خلقه وملكه ،
يصل فيها ماء البيض التي برئت يوم
القيامة . ووجد حصر ذهب وزنها ثمانية
عشر رطلا ، ذكر أنها المعبر التي جليت عليها
بيرون بنت الحسن بن سهل على لأموال .

وأخرج ثلث وعشرون مينة نيشا معرى
بالذهب بكتوب ، كان أرسلها ملك الروم إلى
الرجل بلة ، قومت كل مينة منها بثلاثة
آلاف دينار ، أخذ جميعا إلى قصر الدولة .

ووجد عدة صناديق ملوثة من لحي حديد
من صيني ومن زجاج الليتا لا يصح ما فيها
كثير ، جميعا على بالذهب المشبك
والقطعة ، ومنها للكمال بالبحر في غلاف
الذهب ، وسائر أنواع الحرير والخيزران
والحرير ، صلب بالذهب والفضة ، ولها
التي هي من الصين وغيره .

وأخرج من الخزانة وقصبا الفضة والذهب
فيها من الخزائن الفضة ما
فيها من الخزائن الفضة من الخزائن الفضة من

الفضة ، المجرى بالذهب ، فيها ما زنة القطعة
الواحدة منه خمسة آلاف درهم ، الفريسة
النقش والصنعة ، التي تساوي خمسة دراهم
بدينار . وأن جيمه بيع كل عشرين درهما
بدينار ... سوى ما أخذ من المصارفات
للوكية ، وأربعة الخيام وقصب المطال ،
والمتحرقات والأعلام والتناديل والصناديق ،
والثوبقات والروايز والبروج واللجم ،
والناثق التي للمصارفات ، والقباب وغيرها
مثل ذلك وأصنافه .

وأخرج من الشطرنج والتريد المصولة من
سائر أنواع الجواهر والذهب والفضة والماج
والأبنوس ، برقع الحرير والمذهب ، ما لا
يحصى ككرة وقفاة . وأخرج آلات فضة وزنها
ثلاثمائة ألف ولف وأربعمائة ألف درهم ،
تساوي ستة دراهم بدينار .

وأخرج أقماس ملوثة من سائر آلات
مصوغة مجرة بالذهب ، عدتها أربعمائة
قصص كبار ، سبكت جميعها ، وفرفت على
المخالفين . وأخرجت أربعمائة آلاف زرجية
مجوفة بالذهب يصل فيها الترجس ، وألصقا
بنفسجية كذلك .

وأخرج من خزنة الطرائف ستة وثلاثون
ألف قطعة من محكم وبلور ، وقوم السكاكين
بأقل القيم ، فجاءت قيمتها على ذلك ستة
وثلاثين ألف دينار ، وأخرج من تماثيل الصبر
اثنان وعشرون ألف قطعة ، أقل تيشال منها
وزنه اثنا عشر مينا وأكبره يجاوز تلك ، ومن
تماثيل الخليفة ما لا يحصى ، من جعلتها ثمانمائة
بطيخة كافور .

وأخرجت الكلوثة المرسمة بالجواهر ،
وكانت من غريب ما في القصر ونفيسه . ذكر
أن قيمتها ثلاثون ألف دينار ومائة ألف
دينار ، قومت بشائين ألف دينار ، وكان وزن
ما فيها من الجواهر سبعة عشر رطلا . اقتسمها
فخر المرب وتاج الملوك ، فصار إلى فخر
العرب منها قطعة بلخش وزنها ثلاثة وعشرون
مثقالا ، وصار إلى تاج الملوك - ما وقع
إليه - حبات در ، كل حبة ثلاثة مثاقيل ،
عدتها مائة حبة . فلما كانت هزيمتهم من مصر
هبت .

وأخرج من خزائن الطيب خمسة صواري
عود هندي ، كل واحد من تسعة أذرع إلى
عشرة أذرع . وكافور قيصوري زنة كل حبة
من خمسة مثاقيل إلى ما دونها . وقطع غير
وزن القطعة ثلاثة آلاف مثقال .

وأخرج متارد صيني محمولة على ثلاثة
أرجل ، ملء كل وعاء منها مائتا رطل من
الطعام ، وعدة قطع شب * وبادزهر : منها
جام سعة ثلاثة أشبار ونصف وعمقه شير
مليح الصنعة ، وقاطرميز بلور في صور ثابتة
تسع سبعة عشر رطلا ، وبلور في بلور مجرور
تسع عشرين رطلا وقصرية نصب كبيرة جدا ،
وطابع لد فيه ألف مثقال كان فخر الدولة أبو
الحسن على بن ركن الدولة بن بويه الديلمي
عمله ، مكتوب في وسطه « فخر الدولة شمس
الملكة » ، وأبيات منها :

ومن يكن شمس أهل الأرض قاطبة
فنده طابع من ألف مثقال

(١١) مره ١١ ج ١ ط ١١ ولاق .

وطاووس ذهب مرصع بنفيس الجواهر ،
عيناه من ياقوت أحمر ، ورشحه من الزجاج
المينا المجري بالذهب على ألوان ريش
الطاووس . وديك من الذهب له عرف
مفروق . كأكبر ما يكون من أعراف الديوك ،
من الياقوت الأحمر ، مرصع بسائر الدر
والجواهر ، وعيناه ياقوت . وغزال مرصع
بنفيس الدر والجواهر ، وبطنه أبيض ، قد نظم
من در رائع . ومجمع سكارج من بلور تخرج
منه وتعود فيه ، فتحته أربعة أشبار ، مليح
الصنعة في غلاف خيزران . وبطيخة من
الكافور في شبك ذهب مرصعة ، وزنها خالصة
سبعون مثقالا من كافور . وقطعة غير تسمى
الخروف ، وزنها سوى ما يسكها من الذهب
ثمانون مينا . وبطيخة كافور أيضا وجد ما عليها
من الذهب ثلاثة آلاف مثقال . ومائدة نصب
كبيرة واسعة ، قوائمه منها . وبطيخة بلخش ،
وزنها سبعة وعشرون مثقالا ، أشد صفاء من
الياقوت الأحمر . وقاطرميز بلور مليح التقدير
يسع مروتين ، قوم في المخرج بشائمائة
دينار ... دفع إلى تاج الملوك فيه بعد ذلك
ألفا دينار ، فامتاع من يمه . ومائدة جزع
يقعد عليها جماعة قوائمه مخروطة منها .
ونخلة ذهب مكللة بالجواهر وبديع الدر في
أجانة ذهب ، تجمع الطلع والبلح والوطب
بشكله ولونه وعلى صفته وهيته ، من
الجواهر لا قيمة لها . وكوز زير بلور يعمل
عشرة أرمال ماء . ودارج مرصع بنفيس
الجواهر لا قيمة له . ومزيرة مكللة بحب
لؤلؤ نفيس .

وقبة المشرك وكثرة وكسوة رطله الذي
 نكس به على بن أحمد الجبري ، وفيه مائة
 ألف وسبعة وسبعون ألفا وسبعمائة درهم
 قرعة ، وثلثي كسوة عن قبة سليمان ،
 وتمن ذهب للعلماء ، الفلك والهيئة والطب .
 وكان من القصة حينئذ كل مائة درهم ستة
 دنانير درهم ، من ستة عشر درهما بدينار .
 وأخرج المشركي القضي التي نكسها على
 ابن أحمد لأم التمسك ، وكان فيه مائة ألف
 وعشرون ألف درهم قرعة ، وصرفه فجيرة
 سبعة ومائة ألف وثلثمائة دينار ، وكسوة
 بثلث دينار .

وأخرج جميع كسا المنكرات التي رسم
 التوبة والبحيرة ، ومنها وسائطها وزدوس
 منقرات وأطراف ومنقرات - وكانت لروضة
 ألف دينار لسة وثلثين عشر درهما - وعنة
 يابك قصة فيها ما وزنه مائة وتسعة أرطال
 قضة .
 وأخرج بسنن أرضه قصة مخرقة ذبها ،
 وفيه ثلث ، وأشجاره قصة متعبة مصوغة ،
 وكثيرة غير وغيره ، وزنه ثلثمائة وستة
 أرطال . وضيعة ككفور وزنها ستة عشر ألف
 مثقال . وقطع بقوت أودق زنة كل قطعة
 سبعون درهما . وقطع زمرد زنة كل قطعة
 ثمانون درهما . وعصا مائة من زمرد له
 طول وثلث - كل تلك أخذها الخلفون .

خزائن القروش والانتصبة

قال في كتاب « الخزانة » : وحشيتي من
 القروش : عن ابن عبد العزيز لأبناهي : قال :

قوما ما أخرج من خزائن القروش من سائر
 الخسرواني ما يزيد على خمسين ألف قطعة ،
 أكثرها ذهب .

وسلك ابن عبد العزيز : قال : أخرج
 من الخسرواني ما حشرت فيمنه على يدي
 وحشيتي أكثر من مائة ألف قطعة .

وأخرج مرتبة خسرواني حشيرة يمين بئلا
 الآلاف وخمسائة دينار ، ومائة قطنوني يمين
 باليون والرومانية دينار ، واللاتون ستمائة
 يمين كز والخدمة منها بئلاتين ديناراً وثلث :
 وعشرون ألف قطعة خسرواني في هذه لم
 يقطع منها شيء .

وكانت قبة الحرم السبع بثلث القيم ويزيد
 بئلات في مئة خمسة عشر يوما من صفر
 ستة سنين والرومانية - سوى ما عهد
 وسرق - بئلات ألف ألف دينار ، فقبض
 جميعها الجند والأشراف ... ليس لأحد منهم
 درهم واحد قبضه عن استحقاق .

وحشيتي الأمير أبو الحسن على بن الحسن
 - أحد مضمعي الحسين بقتل - أن
 القروش نحلوا إلى بعض خزائن القروش ،
 ما انتهت مثالية عراقي المستصر بالمال ،
 إلى الخزائنة المعروفة بخزائنة الرقوص
 - وسيت بذلك كثرة رفوفها ، ولكل رف
 منها سلم مقرد - فأولوا منها القوي عمل
 نطق زعيم صديها ، من سائر أنواع
 الخسرواني وغيره : لم تستعمل عند ، وجميع
 ما فيها من ذهب معقول سائر الأشكال
 والنور . وأهم فتحوا غللا منها فوجدوا ما

فيه أجنة معسولة لليلة من : خسرواني لحد
 مذهب كحسن ما يكون من العمل ، وموضع
 زول أخذ القيل ورجليه ساذجة بغير
 ذهب .

وأخرج من بعض الخسرواني ثلاثة آلاف
 قطعة خسرواني لحد مفرز ببيض في هذه
 لم يخلص ، من كسا يسوت كاملة بجميع
 آلاتها ومقاسمها ، وكل يت يستل على
 مساقته ومخلده ومساوره ومراتبه وسطه
 وعقبه ومقلمه وستوره ، وكل ما يحتاج إليه
 فيه .

قال : وأخرج من خزائن القروش من البيوت
 الكاملة القروش ، من القطنوني والديني من
 سائر ألوان وأنواع ، المفضل والخسرواني
 والدياج للكنز والخز وسائر الخسرواني
 جميع ألوانه ونوعه ... ما لا يحصى كثرة ،
 ولا يعرف قدره قطرة .

وأخرج من الحصر والأخاخ الساماني
 المطرزة بالذهب والفضة وغير المطرزة من
 اللخمة ، والطيور والقبيلة المصورة بسائر
 أنواع الصور ، شيء كثير .

والتمس بعض الأشراف من المستصر مقومة
 (يعني ستارة) سنن أخضر مذهبة ،
 فأخرج غل منها مكتوب عليه « مائة
 وثمانية وثمانون » ، من جلة أعدل فيها من
 الشاع .

ووجد من الستور الحرير المنسوجة
 بالذهب ، على اختلاف ألوانها وألوانها ، عدة
 مئتي تقارب الألف ، فيها صور الدول

(١١٦) ص ١١٦ ج ١ ، طبع في ...

وملوكها والشاهير فيها ، مكتوب على صورة
 كل واحد اسمه ومدة إقامه وشرح حاله
 وأخرج من خزائن القروش أربعة آلاف
 رزمة خسرواني مذهب ، في كل رزمة قرش
 مبطن يسطه وتعاليفه وسائر آلاته ،
 منسوجة في خيط واحد ، باقية على حالها لم
 تنس .

وصار إلى فخر العرب مفتح من الحرير
 الأزرق الستوري القرقوي ، غريب الصنعة ،
 منسوج بالذهب وسائر ألوان الحرير ، كان
 للمز الذين أمر بسله في سنة ثلاث وخسين
 وثلثائة . فيه صورة أقاليم الأرض وجبالها
 وبحارها ومدنها وأهوارها ومالكها شبه
 جغرافية ، وفيه صورة مكة والمدينة مينة
 للناظر . مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد
 ونهر وسمر وطريق اسمه بالذهب أو الفضة
 أو الحرير ، وفي آخره « ما أمر بسله للمز
 لعين الله شوقا إلى حرم الله واتساعا لمعالم
 رسول الله في سنة ثلاث وخسين وثلثائة » ،
 والثقة عليه اثنان وعشرون ألف دينار .

وصار إلى تاج الملوك بيت أرمني لحد
 منسوج بالذهب ، عمل للتوكل على الله ،
 لا مثل له ولا قيمة ، وبساط خسرواني دفع
 إليه فيه ألف دينار فامتدح من يمينه .

وقال ابن الطور : خزائنة القروش - وهي
 قرية من باب الملك - يحضر إليها الخليفة
 من غير جلوس ، ويطوف فيها ويستخير عن
 أحوالها ، ويأمر بإدامة الاستعمال . وكان من
 حقوقها استعمال السمان في أماكن خارجها
 بالقاهرة ومصر ، ويعطى مستخدمها خمسة
 عشر دينارا (يعني يوم يطوف بها الخليفة) .

والتي حلت من قرأت ودجلة
 واجمع مثل الذين بعد تفرق
 وتول من ركب المصنفين في دولته من
 حيوة بترابك القعب في التولسم ، التوز
 بقا وزين لفر .

خزانة الخيم

قال في كتاب « السفر » : وأخبرني سادة
 الرؤساء أبو الحسن علي بن أحمد بن مقبر ،
 فذكر قصر القوة ، قال : أخرج فيما أخرج
 من خزائن القصر عدة لم تحص من أمثال
 الخيم والتهارب والقصور والسفطات
 والجوكرات والحصون والقصور والشرائط
 والشراع والتقاطيع ، السورة من الديق
 والخلل والخرواني والديجاج الشكي
 والارمني والبنساري والكردواني والجد
 من الطين ، وما أشبه ذلك من سائر ألوانه
 وألوانه .

ومن الستس والظيم أيضا : منها الخيل
 والبع والخيول والظوس والظير ، وغير
 ذلك من سائر الوحوش والظير ، والآنسين
 من سائر الأشكال والصور البديعة الرائعة .
 ومنها السلاج والفتوش في قاعه بصراب
 الفتوش بجميع ألوانها ، من الأصعدة القبة
 القبيب القبة ، والباب القبة وغير القبة
 من سائر ألوانها وألوانها ، والصرفات القبة
 على أشكالها ، والجمال القبة القطن
 والحري ، والأوتاد وسائر ما يحتاج إليه من
 جميع ألوانها وعندها ، البطن جميعا بالتيق

الظيم القعب والخرواني القعب ، والباب
 الخمر الصيني والستري والظيب ،
 والرجيع والشرق والستري والديجاج
 والمرش ، وسائر أنواع الحرير من سائر
 الأتوان وألوانها كبلوا وصنغارا ، منها ما
 يعمل خرقة وأوتاده وعنده وسائر عده على
 عشرين سيرا ودون ذلك وفوقه .

فالسفح بيت مرج له أربعة حيطان وستف
 ستة أعمدة ، منها عمودان تحتلطان الواحد
 للرفوع للتحول والخروج .

والخيمة ظهرها حائط مرج ، وسقفها
 إلى الباب حائط مرج ، وأركانها شولوك من
 الجانيين على قعر القمام ، وفيها أربعة
 أعمدة : اثنتان في الباب ، واثنتان في وسطها .
 وكلتا زائدت زلة عندها وسقفها ، ولها حيطان
 مشروكتان من الجانبين .

والشراع حائط في القعر مستف على
 الرأس بعمودين ، من أي موضع دارت
 الشمس حول إلى جهة الشمس . والشرعة
 فيه مثل الفتحة على عمود واحد تام وشراع
 سائر خلفها ، من أي موضع دارت الشمس
 غير واقية على حالها .

وحدثني أبو الحسن علي بن الحسن
 الخنسي قال : أخرجنا في جلة ما أخرج من
 خزائن القصر أيام المارقين ، حين انتهت
 المطالبة على السلطان ، فطاما كبيرا ما
 يكون ، يسي المنورة الكبيرة ، يقوم على
 فرد عمود طوله خمسة وستون ذراعا بالكبير

(في نسخة 111 ج 1 ، مديان .

وذائر فلكه عشرون ذراعا ، وقطرها ستة
 أنواع وثلاث ذراع ، وذائره خمسمائة ذراع ،
 وعلته قطع خرقة أربع وستون قطعة كل قطعة
 منها تحزم في حبل واحد ... يجمع بعضه إلى
 بعض بمرى وشراروب حتى ينصب ، يحصل
 خرقة وجباله وعنده على مائة جبل .

وفي صفه العمود من القصة ثلاثة
 قناطير مصرية ، يحملها من داخلها قضبان
 حديد من سائر نواحيها ، تتلىء ماء من راوية
 جبل ... قد صور في رفرقه كل صورة حيوان
 في الأرض ، وكل عقد مليح وشكل عريف .
 وفيه باقنح سوله ثلاثون ذراعا في أعلاه .

كان أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن
 البازوري أمر بعمله أيام وزارته فعمله الصانع
 - وعندهم مائة وخمسون صائغا - في مدة
 تسع سنين ، واشتلت النفقة عليه على ثلاثين
 ألف دينار . وكان عمله على مثال القاتول
 القتي كان العزيز بالله أمر بعمله أيام خلافته ...
 إلا أن هذا أعلى عمودا منه وأوسع وأعظم
 وأحسن .

وكان الخليفة أئمة إلى متلك الروم في
 ملك عمودين للقطاط طول كل واحد منهما
 سبعون ذراعا بعد أن غرم عليهما ألف دينار :
 أحدهما في هذا القسطاط بعد أن قطع منه
 خمسة أنواع ، والآخر حمله ناصر الدولة بن
 حمدان حين خرج على الخليفة المستنصر بالله
 إلى الاسكندرية ، وما أدري ما فعل به .

قال : وأتينا مدة طويلة في تفصيل بعضه
 من بعض ، وتقطيعه خرقا وشقها قومت على
 المذكورين بأكل القيم ، وتفرق في الإفاق .

وقال لي أيضا : أخرجنا مسطحا قتلونيا
 مغدلا موجعا من جانيه - عمل بتيس للعزيز
 بالله - يسي دار البطح . وسطه بكنيس
 على ستة أعمدة أربعة منها في أركان الكنيس ،
 وفي أربعة الأركان أربع قباب ، ومن القبة إلى
 القبة رواق دائر عليه والقباب دونه ، وفي كل
 قبة أربعة أعمدة ، طول كل عمود من أعمدة
 الكنيس ثمانية عشر ذراعا وكذلك طول قائم
 القباب . وفعلنا به مثل ما فعلنا في الأول .

وقال لي : أخرجنا مسطحا عمل للظاهر
 لاخوارز دين الله بتيس . ذهب في ذهب طيس
 قائم على عمود ، له ست صفاري بلور ،
 وستة أعمدة فضة . ألق على أربعة عشر
 ألف دينار . ومسطحا ديتيا كبيرا منعبا
 بدوائر كردواني منقوش .

وأخرجنا قصورا تحيط بالخيام ، بشرفات
 من المخل والقلوني والديسقي والديجاج
 الخرواني ، والحرير من سائر أنواعه وألوانه
 المذهبة للنقوش ، بياضها ودككها ومصاطبها
 وقدورها وزجاجها وسائر عدها .

وأخرجنا من الخيام الكردواني شيئا
 كبيرا . وأخرجنا خيمة كبيرة مدورة كردواني
 مليحة النقش والصنعة ، عدها قطع كبيرة ،
 طول عمودها خمسة وثلاثون ذراعا ... فعلنا
 بجميعها مثل ما فعلنا بالأول .

وأخرج في جبلتها القسطاط الكبير المعروف
 بالمدورة الكبيرة ، المشولي عمله بحلب أبو
 الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الأيسر
 في سني نيف وأربعين وأربعمائة ، المنفق على

خرقة ونقشه وعمله وعدته ثلاثون ألف دينار ،
الذي عوده أطول ما يكون من سوارى
دراهم الروم البنادقة أربعون ذراعا ، ودائر
فلكة عوده أربعة وعشرون شبرا ، وحصل
على سبعين جملا ، ووزن صفرته الفضة
قنطاران ، سوى أنابيب عبده ، ويتولى اتقان
عده ونصبه مائتا رجل من فراش ومعين .
وهو يشيه بالقاتول العززي ، وسمى
بالقاتول لأنه ما نصب قط الا وقتل رجلا أو
رجلين ممن يتولى اتقانه من فراش وغيره .

قال : ووجد في خزائن ملوثة من سائر
أنواع الصواني المذهونة بعداد المذهبة ،
التي حثت كل واحدة منها بما دوحها في
السعة الى ما سعة دون الدرهم . ومن سائر
أنواع الأطباق الخلع الرازي في هذه السعة ،
وفوق ذلك ودونه ، قد حثت بطونها بما
دوحها في السعة الى ما سعة دون الدينار
ومن الموائد القوائية ، الصغار والكبار ،
ألوف . ومن موائد الكرم وما أشبهها شيء
كثير . ومن الجفاني الحور الواسعة التي قد
عملت مقابضها من الفضة ، وحليت بأنواع
الحلى ، التي لا يقدر الجبل القوى على حمل
جفتين منها لعظمها ، تساوى الواحدة منها
مائة دينار وفوقها ودونها ... شيء كثير .

ووجد من الذكك والمحاروب والأسرة ،
العود والصندل والعاج والأبنوس والبقم ،
شيء كثير مليح الصنعة .

وقال ابن ميسر : وعمل الأفضل ابن أمير
الجيش خيمة سماها خيمة الفرح ، اشتملت

(*) من ١١٩ ج ١ ، ط. بولاق .

على ألف ألف وأربعمائة ألف ذراع ، وقائنها
ارتفاعه خسون ذراعا بفراغ العمل . صرف
عليها عشرة آلاف دينار ، ومدحها جماعة من
الشعراء .

خزانة الشراب

قال ابن المأمون : ولم يكن في الايوان فيما
تقدم شراب حلو ، بل انها قررت في استقبال
النظر المأموني ، وأطلق لها من السكر مائة
 وخمسة عشر قنطارا ، وبزسم الورد المربى
خمسة عشر قنطارا . وأما ما يستعمل
بالكافورى من الحلو الفانيذ والحامض
فالمبلغ في ذلك — على ما حصره شاهده —
في السنة ستة آلاف وخمسمائة دينار . وما
يحمل للكافورى أيضا يرسم كرك الماورد ما
ستدعيه متولى الشراب .

وقال ابن الطوير : خزانة الشراب — وهى
أحد مجالسه أيضا (يعنى القاعة التي هى الان
المارستان العتيق) — فاذا جلس الخليفة على
السرير عرض عليه ما فيها حاميتها وهو من
كبار الأساذين ، وشاهدها ... فيحضر اليه
فراشوها بين يدي مستخدمها من عيون
الأصناف العالية من المعاجين العجيبة في
الصينى والطافير الخلسج ، فيذوق ذلك
شاهدها بحضرته ، ويستخير عن أحوالها
بحضور أطباء الخاص .

وفيه من الآلات والأزيار الصينى والبرابى
عدة عظيمة للورد والبنفسج والمرسين ،
وأصناف الأدوية من الراوند الصينى ومايجرى

مجره مما لا يقدر أحد على مثله الا هناك ،
وما يدخل في الأدوية من آلات العطر الى
ذلك .

ويسأل عن الدرياق الفاروق ، ويأمرهم
بحصيل أصنافه ليستدرك عمله قبل انقطاع
الحاصل منه ، ويؤكد في ذلك تأكيداً عظيماً

ويستأذن على ما يطلق منها في رفاع .
أطباء الخاص للجهات وحوائى القصر ، فاذن
في ذلك ، ويعطى العامى للفرقة في الجماعة
ثلاثين دينارا

خزانة التوابل

وقال ابن المأمون : فاما التوابل ، العالي
منها والدون ، فانها جملة كثيرة . ولم يقع
لى شاهد بها ، بل اتنى اجتمعت بأحد من
كان مستخدما في خزانة التوابل ، فذكر انها
تشتمل على خمسين ألف دينار في السنة ،
وذلك خارج عما يحمل من البقولات — وهى
باب مفرد — مع المستخدم في الكافورى

والذى استقر اطلاقه على حكم الاستيبار
من الجرايات المختصة بالقصور والرواتب
المستجدة ، والمطلق من الطيب ... ويذكر
الطراز وما يتنازع من الثغور ويستعمل بها ،
وغير ذلك .

فأولها جراية القصور ، وما يطلق لها من
بيت المال ادرارا لاستقبال النظر المأموني :
سنة آلاف وثلثمائة وثلاثة وأربعون دينارا .

تفصيله : متدبل الكم الخاص الأمرى في
الشهر ثلاثة آلاف دينار عن مائة دينار كل

يوم . أربع حج الحمام في كل جمعة مائة
دينار أربعمائة دينار . ويرسم الأخوة
والأخوات ، والسيدة الملكة والسيدات ،
والأمير أبى على وأخوته ، والمبوالى
والمستخدمات ، ومن استجد من الأفضليات :
الفان وتسعمائة وثلاثة وأربعون دينارا .

ولم يكن للمصور في الأيام الأفضلية من
الطبيب راتب فيذكر ، بل كان اذا وصلت
الهدية والجاوى من البلاد الينة تحمل برمتها
الى الايوان ، فينقل منها بعد ذلك للأفضل
والطبيب المطلق للخليفة من جملتها . فانتج
هذا الحكم ، وصار المرتب من الطبيب مياومة
ومشاهرة على ما يأتى ذكره .

ما هو يرسم الخاص الشرف في كل شهر :
ثد مثلك ثلاثون مثقالا ، عود صيفى مائة
 وخمسة دراهم ، كافور قديم خمسة عشر
درهما ، غير خام عشرة مثاقيل ، زعفران
عشرون درهما ، ماء ورد ثلاثون رطلا .

يرسم بخور المجلس الشرف في كل شهر
في أيام السلام : ثد مثلك عشرة مثاقيل ،
عود صيفى عشرون درهما ، كافور قديم
ثمانية دراهم ، زعفران شعر عشرة دراهم .

ما هو يرسم بخور الحمام في كل ليلة جمعة
عن أربع جمع في الشهر : ثد مثلك أربعة
مناقيل ، عود صيفى عشرة مثاقيل .

ما هو يرسم السيدات والجهات والأخوة
في كل شهر : ثد مثلك خمسة وثلاثون مثقالا ،
عود صيفى مائة وعشرون درهما ، زعفران

شعر تحسوق درهما ، غير تمام عشرون
مثقالا ، كافور قديم عشرون درهما ، مسك
خسة عشر مثقالا ، ماء ورد أربعون رطلا .

ما هو برسم المائدة الشريفة ما يتسلمه
المعلمة : مسك خسة عشر مثقالا ، ماء ورد
خسة عشر رطلا .

ما هو برسم خزانة الشراب الخاص : مسك
ثلاثة مثاقيل ، ند * مثك سبعة مثاقيل ، عود
صيفى خسة وثلاثون درهما ، ماء ورد
عشرون رطلا .

ما هو برسم بخور المواكب الستة ، وهى
الجمعان الكائناتان في شهر رمضان برسم
الجامعين بالقاهرة (يعنى الجامع الأزهر
والجامع الحاكمى) والعيدان ، وعيد العدير ،
وأول السنة بالجوامع والمصلى : ند خاص
بجملة كثيرة لم تتحقق فتذكر .

ولم يكن للفرتين : غرة السنة ، وغرة شهر
رمضان ، وفتح الخليج ، بخور فيذكر .

وعدة البخارين في المواكب ستة : ثلاثة عن
اليمن ، وثلاثة عن الشمال . وكل منهم
مشدود الوسط ، وفي كفه فحم برسم تعجيل
المدخنة . والمدخن فضة .

وحامل الدرج الفضة الذى فيه البخور أحد
مقدمى بيت المال ، وهو فيما بين البخارين
طول الطريق ، ويضع يده البخور في
المدخنة .

واذا مات أحد هؤلاء البخارين لا يخدم
عوضا عنه الا من يتبرع بمدخنة فضة ، لأن

(*) من (٢٠) ج ١ ، ط. بولاق .

مسك ، وديناران برسم المؤن لعمل
خشكناج وبسندود في قميان ، وسلال
صنصاف . ويعمل ثلثا ذلك الى القصر ،
والثلث الى الدار المأمونية .

قال : وجرت مفاوضة بين متولى بيت المال
ودار الفطرة بسبب الأصناف ، ومن جعلتها
الفتق وقلة وجوده ، وتزايد سعره الى أن
بلغ رطل ونصف بدينار . وقد وقف منه
لأرباب الرسوم ما حصل شكواهم بيه .
فجاوبه متولى الديوان بأن قال : ما تم موجب
الاتفاق لما هو راتب من الديوان .

وطالما المقام العالى بأنه لما رسم لهما ، ذكرنا
جميع ما اشتمل عليه ما هو مستقر الاتفاق
من قلب الفتق .

والذى يطلق من الخزائن من قلب الفتق
اذاروا مستقرا بغير استدعاء ولا توقيع ،
مياومة كل يوم حسابا في الشهر التام عن
ثلاثين يوما : خمسمائة وخسة وثمانون رطلا
وفي الشهر الناقص عن تسعة وعشرين يوما
خمسائة وخسة وستون رطلا ، حسابا عن
كل يوم تسعة عشر رطلا ونصف .

من ذلك ما يتسلمه الصانع الحلاويون
والمستخدمون بالايوان مما يصنع به خاص .
خارجا عما يصنع بالمطابخ الآمرية ، عن اثني
عشر جام حلوى خاص ، وزنها مائة وثمانية
أرطال : منها رطب ستون رطلا ، ويابس وغيره
ثمانية وأربعون رطلا ... مما يصل في يومه
وساعته : منها ما يحمل مختوما برسم المائدتين
الآمرتين بالبازنج والدار الجديدة ، اللتين
ما يحضرهما الا من كبرت منزلته وعظمت

وجاهته ، جامان رطبا ويابسا . وما يفرق في
العوالى من الموالى والجهات ، على أوضاع
مختلفة ، تسع جامات . وما يحمل الى الدار
المأمونية ، برسم المائدة بالدار دون الساط ،
جام واحد تسعة المياومة المذكورة .

ما يتسلمه مقدم الترائين في خدمة المائدة
الشريفة التى تتولاها المعلمة بالقصور
الزاهرة ، أربعة أرطال فتق .

ما يتسلمه الشاهد والشارف على المطابخ
الآمرية ، مما يصنع فيها برسم الجمامات
العلوى وغيره ، مما يكون على المدورة فى
الأسطة المستمرة بقاعة الذهب في أيام السلام
وفي أيام الركوب وحلول الركاب بالمناظر :
أربعة أرطال .

وما يتسلمه الحاج مقبل الترائين برسم
المائدة المأمونية مما يوصله لزمام الدار دون
المطابخ الرجالية : رطلان .

الحكم الثانى يطلق مشاهرة - بغير توقيع
ولا استدعاء - بأسماء كبراء الجهات
والمستخدمين من الأصحاب والحواسنى في
الخدم الميزة ، وهو في الشهر ثلاثة عشر
رطلا . والديوان شاهد بأسماء أربابه .

وما يطلق من هذه الخزائن السعيدة
بالاستدعاءات والمطالعات ويوقع عليه
بالإطلاق من هذا الصنف في كل سنة على
ما يأتى ذكره .

وما يستدعى برسم التوسعة في الراتب ،
عند تحويل الركاب العالى الى اللؤلؤة مدة
أيام النيل المبارك ، في كل يوم رطلان .

وما يستدعى برسم الصيام مدة تسعة وخمسين يوما ، رجب وشعبان ، حسابا عن كل يوم رطلان : مائة وثمانية عشر رطلا .

وما يستدعى لما يصنع بدار الفطرة في كل ليلة برسم الخاص خشكناج لطيفة وبسندود وجوارشات ولواطف ، ويحمل في سلال صنفاف لوقته ، عن مدة أولها مستهل رجب وآخرها سلخ رمضان ، عن تسعة وثمانين يوما : مائة وثمانية وسبعون رطلا ، لكل ليلة رطلان . ويسمى ذلك بالتعبية .

وما يستدعى صاحب بيت المال ومتولى الديوان ، فيما يصنع بالايوان الشريف برسم الموالد الشريفة الأربعة : النبوي ، والعلوي ، والفاطمي ، والآمري — مما هو برسم الخاص والموالي والجهات بالقصور الزاهرة والدار المأمونية والأصحاب والحواشي — خارجا عما يطلق ما يصنع بدار الوكالة ، ويفرق على الشهود والمتصدرين والفقراء والمساكين مما يكون حسابا من غير هذه الخزائن : عشرون رطلا قلب فسق ، حسابا لكل يوم مؤبد منها خمسة أرطال .

ما يستدعى برسم ليالي الوقود الأربع ، الكائنات في رجب وشعبان ، مما يعمل بالايوان برسم الخاصين والقصور خاصة : عشرون رطلا ، لكل ليلة خمسة أرطال .

وأما ما ينصرف في الأسطة والليالي المذكورات ، في الجامع الأزهر بالقاهرة والجامع القاهري بالقراة ، فالحكم في ذلك

(*) من ١٢١٢ ج ١ ط ١٠٠٠

يخرج من هذه الخزائن ، ويرجع الى مشارف الدار السعيدة

وكذلك ما يستدعى المستخدمون في المطابخ الأمرية من التوسعة من هذا الصنف المذكور في جند غيره ، برسم الأسطة لمدة تسعة وعشرين يوما من شهر رمضان وسلحه لأسار فيه ، وفي الأعياد جميعها بقاعة الذهب .

وما يستدعى النائب برسم ضيافة من يصرف من الأمراء في الخدم الكبار ويعود الى الباب ، ومن يرد اليه من جميع الضيوف .

وما يستدعى المستخدمون في دار الفطرة برسم فتح الخليج ، وهي الجبلتان الكبيرتان ... فجميع ذلك لم يكن في هذه الخزائن محاسبته ولا ذكر جلته . والمعاملة فيه مع مشارف الدار السعيدة .

وأما ما يطلق من هذا الصنف من هذه الخزائن في هذه الولائم والأفراح وإرسال الأنعام ، فهو شيء لم تحقق أوقاته ولا مبلغ استدعائه ... أنهى المملوكان ذلك . والمجلس فضل السور والقدرة فيما يأمر به ان شاء الله تعالى .

دار التعبئة

قال ابن المأمون : دار التعبئة كانت في الأيام الأفضلية تستعمل على مبلغ يسير ، فاتمى الأمر فيها الى عشرة دنائير كل يوم ، خارجا عما هو موظف على البساتين السلطانية ، وهو النرجس والنيوفران الأصفر

والأحمر ، والنخل الموقوف برسم الخاص ، وما يصل اليه من القيوم ونفر الاسكندرية .

ومن جعلتها تعبئة القصور للجهات والخاص والسيدات ولدار الوزارة ، وتعبية المناظر في الركوبات الى الجمع في شهر رمضان ، خارجا عن تعبئة الحمامات ، وما يحمل كل يوم من الزهرة ، وبرسم خزانة الكسوة الخاص ، وبرسم المائدة ، وتفرقة الشرة الصيفية في كل سنة على الجهات والأمراء والمستخدمين والحواشي والأصحاب ، وما يحمل لدار الوزارة والضيوف وحاشية دار الوزارة .

خزانة الآدم

قال : وأما الراتب من عند بركات الآدمي ، فانه في كل شهر ثمان زوجا أوطية . من ذلك : برسم الخاص ثلاثون زوجا ، برسم الجهات أربعون زوجا ، برسم الوزارة عشرة أزواج ... خارجا عن السباغيات ، فانها تستدعى من خزانة الكسوة ، وفي كل موسم تكون مذهبة .

خزائن دار الفتكين

قال ابن الطوير : وكانت لهم دار كبرى يسكنها نصر الدولة أفتكين ، الذي وافق نزار بن المستنصر بالاسكندرية ، جعلوها برسم برسم الخزن ، فقيل خزائن دار أفتكين . وتحتوي على أصناف عديدة من الشمع المحمول من الاسكندرية وغيرها ، وجميع القلوب المأكولة من الفسق وغيره ، والأعسال

على اختلاف أصنافها ، والسكر والقند والسيرج والزيت .

يخرج من هذه الخزائن — سيد حاميا وهو من الأستادين الميزين ، ومشارفها وهو من المعدلين — راتب المطابخ خاصا وعاما يوم أو لايام : ينفق منها للمستخدمين ، ثم لأرباب التوقيعات من الجهات ، وأرباب الرسوم في كل شهر من أرباب الرتب ، حتى لا يخرج عما يحتاجونه فيها الا اللحم والخضراوات ، فهي أبدا معصورة بذلك . انتهى .

« خير زار وأفتكين » : لما مات الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معد ابن الامام الظاهر لاغاز دين الله أبي الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور ، في ليلة الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، بادر الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي الى القصر ، وأجلس أبا القاسم أحمد بن المستنصر في منصب الخلافة ، ولقبه بالمستعلي بالله .

وسير الى الأمير نزار والأمير عبد الله والأمير اسماعيل أولاد المستنصر فجاءوا اليه ، فاذا أخوهم أحمد — وهو أصغرهم — قد جلس على سرير الخلافة ، فامتعضوا لذلك وشق عليهم .

وأمرهم الأفضل بتقيل الأرض ، وقال لهم : قبلوا الأرض لمولانا المستعلي بالله وبايعوه ، فهو الذي نص عليه الامام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده .

(*) من ١٢١٢ ج ١ ط ١٠٠٠

فامتعوا من ذلك وقال كل منهم ان اياه
قد وعده بالخلافة

وقال زرار : لو قطعت ما بايعت من هو
أصغر مني سنا . وخط والذي عندي بأني
ولي عهده وأنا أحضره

وخرج مرغا ليحضر الخط ، فمضى لا
يدري به أحد ، وتوجه الى الاسكندرية .

فلما ابطل ما فيه بعث الأفضل اليه ليحضر
بالخط ، فلم يعلم له خبرا ، فأتزعج لذلك
اتزعاجا عظيما .

وكانت قرة زرار من الأفضل لأمر : منها
أنه خرج يوما فاذا بالأفضل قد دخل من
باب القصر وهو راكب ، فصاح به زرار :
انزل يا أرمى الجنى . فحقدها عليه ، وصار
كل منهما يكره الآخر .

ومنها أن الأفضل كان يمارض زراراً في أيام
أبيه ، ويستخف به ، ويضع من حوائيه
وأسيابه ، ويطن بخله . فلما مات
المستمر خافه لأنه كان رجلاً كبيراً ، وله
حاشية وأعوان ، فقدم لذلك أحد بن
المستمر بعدما اجتمع بالأمراء وخوفهم من
زرار ، وما زال بهم حتى وافقوه على الاعراض
عنه

وكان من جملتهم محمود بن مصال ، فسير
خفية الى زرار ، وأعلمه بما كان من اتفاق
الأفضل مع الأمراء على إقامة أخيه أحمد
وإدارته لهم عنه . فامتد إلى السير إلى
الاسكندرية هو وابن مصال .

فلما فارق الأفضل ليحضر اليه بخط أياه ،
خرج من القصر متسكراً ، وصار هو وابن
مصال إلى الاسكندرية وبها الأمير نصر
الدولة أفتكين ، أحد مماليك أمير الجيوش
بدر الجبالي ، ودخلا عليه ليلاً ، وأعلماه بما
كان من الأفضل ، وتراهما عليه ، ووعد زرار
بأن يجعله وزيراً مكان الأفضل . فقبلهما
أنهم قبول وبأبح زرار ، وأحضر أهل الثغر
لبايعته فبايعوه ، ونمت بالمصطفى لدين الله .

فبلغ ذلك الأفضل ، فأخذ يتجهز لمحاربتهم
وخرج في آخر المحرم سنة ثمان وثمانين
بمساركة ، وصار إلى الاسكندرية . فبرز اليه
زرار وأفتكين ، وكانت بين الفريقين عدة
حروب شديدة انكر فيها الأفضل ، ورجع
بمن معه منهزماً إلى القاهرة . فقوى زرار
وأفتكين ، وصار اليهما كثير من العرب ،
واشتد أمر زرار وعظم ، واستولى على بلاد
الوجه البحرى .

وأخذ الأفضل يتجهز ثانياً إلى السير لمحاربة
زرار ، ودس إلى أكابر العربان ووجوه
أصحاب زرار وأفتكين ، وصاروا إلى
الاسكندرية فنزل الأفضل اليها وحاصرها
حصاراً شديداً ، وألح في مقاتلتهم ، وبعث إلى
أكابر أصحاب زرار ووعدهم .

فلما كان في ذى القعدة ، وقد اشتد البلاء
من الحصار ، جمع ابن مصال ماله وفر في
البحر إلى جهة بلاد المغرب . ففت ذلك في
عقد زرار ، وتبين فيه الانكسار .

واشتد الأفضل وتكاثر جموعه ، فبعث
زرار وأفتكين إليه يطلبان الأمان منه فأمتهما ،

ودخل الاسكندرية ، وقبض على زرار
وأفتكين ، وبعث بهما إلى القاهرة . فأما زرار
فانه قتل في القصر بأن أقيم بين حائطين بنينا
عليه فمات بينهما ، وأما أفتكين فانه قتله
الأفضل بعد قدومه .

ودار أفتكين هذه كانت خارج القصر ،
وموضعها الآن حيث مدرسة القاضي الفاضل
وآدره بدرب ملوخيا .

خزانة البنود

البنود هي الرايات والأعلام ، ويشبه ان
تكون هي التي يقال لها في زمننا المصائب
السلطانية .

وكانت خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير
ومن حقوقه فيما بين قصر الشوك وباب
العيد . بناها الخليفة الظاهر لأعزاز دين الله
أبو هاشم على بن الحاكم بأمر الله . وكان
فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين في سائر
الصنائع .

وكانت أيام الظاهر هذا سكوناً وطمانينة ،
وكان مشتغلاً بالأكل والشرب والنزه وسماع
الأغاني . وفي زمانه تأتى أهل مصر والقاهرة
في اتخاذ الأغاني والرقاصات ، وبلغ من ذلك
المبالغ العجيبة ، واتخذت له حجرة الممالك ،
وكانوا يعلمونهم فيها أنواع العلوم ، وأنواع
آلة الحرب ، وصنوف حيلها من الرماية
والمطاعة والمسابقة وغير ذلك .

وقال في كتاب « النخائر والتحف » : ولما
وهب السلطان (يعنى الخليفة المستنصر)

لسعد الدولة ، المعروف بسلام عليك ، ما في
خزانة البنود من جميع المتاع والآلات وغير
ذلك ، في اليوم السادس من صفر سنة إحدى
وستين وأربعمائة ، حل جميعه ليلاً .

وكان فيما وجد * سعد الدولة فيها ألفا
وتسعمائة درقة ، إلى ما سوى ذلك من آلات
الحرب وما سواه ، وغير ذلك من القضب
الفضة والذهب والبنود وما سواه . وفي خلال
ذلك سقط من بعض القراشين مقط شمع
موقد نارا ، فصادف هناك أعدال كان ومتاعا
كثيراً ، فاحترق جميعه . وكانت تلك غلبة
عظيمة وخوف شديد فيما يليها من القصر
ودور العامة والأسواق .

وأعلمنى من له خبرة بما كان في خزانة
البنود أن مبلغ ما كان فيها من سائر الآلات
والأمتعة والنخائر لا يعرف له قيمة عظيمة ،
وأن المنفق فيها كل سنة من سبعين ألف دينار
إلى ثمانين ألف دينار ، من وقت دخول القائد
جوهر وبناء القصر من سنة ثمان وخمسين
وثلاثمائة إلى هذا الوقت ، وذلك زائد عن
مائة سنة ، وأن جميعه باق فيها على الأيام لم
يتغير ، وأن جميعه احترق حتى لم يبق منه
باقية ولا أثر ، وأنه احترق في هذه الليلة من
قربات النفط عشرات ألوف ، ومن ذراقات
النفط أمثالها .

فأما الدرق والسيوف والرماح والشباب
فلا تحصى بوجه ولا سبب ، مع ما فيها من
قضب الفضة وثيابها المذهبة وغيرها ، والبنود
المجلمة ، وسروج ولجم ، وثياب القرجية

المبقات والبنادين وغيرها ، بعد أن أخذوا ما قدروا عليه ، حتى لواء العدد وسائر البنود وجميع العلامات والألوية .

وحدثني من أتى به أيضا أنه لحرق فيها من السيوف عشرات ألوف وما لا يحصى كثرة . وأن السلطان بعد ذلك بسنة طويلة احتاج إلى اخراج شيء من السلاح لبعض مهامه ، فأخرج من خزانة واحدة - ما بقي وسلم - خمسة عشر ألف سيف مجوهره سوى غيرها ... حدثني بجيئه الأجل عظيم الدولة متولى السر الشريف . انتهى

وجعلت خزانة البنود بعد هذا الحرق حيا . وفيها يقول القاضي المهذب بن الزبير لما اعتقل بها ، وكتب بها للكامل بن شاور :

أيصاحبي سجن الخزانة خليا
نسيم الصبا يرسل إلى كبدى تحيا
وقولا لضوء الصبح هل أنت عائد
إلى نظري أم لا أرى بعدها صبا ؟
ولا تياسا من رحمة الله أن أرى
سرعا بفضل الكامل العفو والصفحا
وقال :

أيصاحبي سجن الخزانة خليا
من الصبح ما يبدو سناه لناظري
فوائده ما أدري أطرق ساهر
على طول هذا الليل أم غير ساهر ؟
ومالي من أشكو إليه إذا كما
سوى ملك الدنيا شجاع بن شاور

واستمرت سجنًا للأمراء والوزراء والأعيان إلى أن زالت الدولة ، فأنقذها ملوك بني أيوب أيضا سجنًا تعتقل فيه الأمراء والماليك .

ومن غريب ما وقع بها أن الوزير أحمد ابن علي الجرجاني لما توفي ، طلب الوزارة الحسن بن علي الأنباري ، فأجيب إليها ، فتعجل من سواه التدبير قبل تسامه ما فوته مراده ، وضع ماله وقصه .

وذلك أنه كان قد نبغ في أيام الحاكم بأمر الله أخوان يهوديان يتصرف أحدهما في التجارة ، والآخر في الصرف وبيع ما يعله التجار من العراق ، وهما أبو سعد إبراهيم وأبو نصر هارون ابنا سهل التتري ، واشتهر من أمرهما في اليسوع واطهار ما يحصل بينهما من الودائع الخفية لمن يفقد من التجار في القرب والبعد ، ما ينشأ به جيل الذكر في الآفاق ، فاتسع حالهما لذلك .

واستخدم الخليفة الظاهر لأعزاز دين الله أبا سعد إبراهيم بن سهل التتري في إتياع ما يحتاج إليه من صنوف الأمتعة ، وتقدم عنده قباع له جارية سوداء ، فتخطى بها الظاهر وأولدها ابنه المستنصر . فرعت لأبي سعد ذلك . فلما أفضت الخلافة إلى المستنصر ولدها ، قلعت أبا سعد وتخصصت به في خدمتها .

فلما مات الوزير الجرجاني ، وتكلم ابن الأنباري في الوزارة ، قصده أبو نصر أخو أبي سعد ، فجيئه أحد أصحابه بكلام مؤلم ، فظن أبو نصر أن الوزير ابن الأنباري إذا بلغه ذلك ينكر على غلامه ويعتذر إليه ، فجاء منه

خلاف ما ظنه ، وبلغه عنه أضعاف ما سمعه من الغلام ، فشكا ذلك إلى أخيه أبي سعد ، وأعلمه بأن الوزير متغير النية لهما .

فلم يفتر أبو سعد عن ابن الأنباري ، وأغرى به أم المستنصر مولاه ، فتحدثت مع ابنها الخليفة المستنصر في أمره حتى عزله عن الوزارة . فسمى أبو سعد عند أم المستنصر لأبي نصر صدقة بن يوسف الفلاحى في الوزارة ، فاستوزره المستنصر ، وتولى أبو سعد الاشراف عليه ، وصار الوزير الفلاحى منقادا لأبي سعد تحت حكمه .

وأخذ الفلاحى يعمل على ابن الأنباري ويفرغ به ، ويصنع عليه ديونا ، ويذكر عنه ما يوجب الغضب عليه حتى تم له ما يريد ، فقبض عليه ، وخرج عليه من الدواوين أموالا كثيرة مما كان يتولاه قديما ، وألزمه بحملها ، ونوع له أصناف العذاب ، واستصنى أمواله وهو معتقل بخزانة البنود ، ثم قُتل في يوم الاثنين الخامس من المحرم سنة أربعين وأربعمائة بها .

فاتفق أن الفلاحى لما صرف عن الوزارة ، اعتقل بخزانة البنود حيث كان ابن الأنباري ثم قتل بها . وحفر له ليدفن فظهر في الحفر رأس ابن الأنباري ، قبل أن يمضى فيه القتل ، فقال : لا إله إلا الله ، هذا رأس ابن الأنباري إنا قتلته ودفنته ههنا . وأنشد :

رب لحد قد صار لحد مرارا
ضاحكا من تراحم الأضداد

(ج ١٢ ص ١٤) ج ١ ، ط. بولاق .

قتل ودفن في تلك الحفرة مع ابن الأنباري بعد ذلك من غرائب الاتفاق

ثم إن خزانة البنود جعلت منازل للأسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية أيام كانت محاربة المسلمين لهم . فأُزيل بها الملك الناصر محمد بن قلاوون الأسارى بعد حضوره من الكرك ، وأبطل السجن بها .

فلم يزالوا فيها بأهاليهم وأولادهم في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون . فصار لهم فيها أفعال قبيحة ، وأمور منكرة شنيعة من التجاهر ببيع الخمر ، والتظاهر بالزنا واللباطة ، وحماية من يدخل إليها من أرباب الديون وأصحاب الجرائم وغيرهم ، فلا يقدر أحد - ولو جل - على أخذ من صار إليهم واحتسب بهم ... والسلطان يفضي عنهم ، لما يرى في ذلك من مراعاة المصلحة ، والسياسة التي اقتضاها الحال من مهادة ملوك الفرنج .

وكان يكن بالقرب منها الأمير الحاج آل ملك الجوكندار ، ويبلغه ما يفعله الفرنج من المظالم الشنيعة فلا يقدر على منعهم .

وفحش أمرهم ، فرفع الخبر إلى السلطان ، وأكثر من شكائهم غير مرة ، والسلطان يتعافل عن ذلك ... إلى أن كثرت مفاوضات الحاج آل ملك للسلطان في أمرهم ، فقال له السلطان : اقتل أنت عنهم يأمر .

فلم يسمع إلا الاعراض عن ذلك ، وعسر داره التي بالحسنية والاسطبل والجامع المعروف بآل ملك والحمام والفندق ، وانتقل من داره التي كان فيها بجوار خزانة البنود ،

وسكن بالحينة الى أن مات السلطان الملك
التاسع في آخر مات سنة إحدى وأربعين
وسبعمائة .

وتقل الملك في أولاده ... الى أن جلس
الملك الصالح عباد الدين اسماعيل ابن الملك
التاسع محمد بن قلاوون ، وضرب شورى
على من يكون نائب السلطنة بالديار المصرية
يدير احوال المملكة - كما كانت العادة في
ذلك مدة الدولة التركية - فاشير بتولية
الأمير بدر الدين جنكل بن البابا ، قتصل من
ذلك وأبى قبوله .

فرضت النيابة على الأمير الحاج آل
ملك ، فاستبشر وقال : لى شروط أشربها على
السلطان ، فإن أجابني إليها فملت ما يرسم
به ، وهى : ألا يفصل شيء في المملكة الا
برأى ، وأن يسع الناس من شرب الخمر ،
ويقام منار الشرع ، ولا يتعرض على أمر من
الأمور ... فأجيب الى ما سأل .

واحضرت التشاريف ، فأفيضت عليه
بالجامع من قلعة الجبل في يوم الجمعة الثاني
عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة ،
وأصبح يوم السبت جالسا في دار النيابة من
القلعة ، وحكم بين الناس .

وأول ما بدأ به أن أمر والى القاهرة
بالتزول الى خزنة البنود ، وأن يحتاط على
جميع ما فيها من الخمر والتواحيش ، ويخرج
الأسرى منها ، ويهدمها حتى يجعلها دكا
ويسوى بها الأرض .

فنزول إليها ومعه الحاجب في عدة واقرة ،
وهجموا على من فيها وهم آمنون ، ولحاطوا

بأثر ما تستعمل عليه - وقد اجتمع من
العامة والغوغاء ما لا يقع عليه حصر -
فأراقوا منها خبورا كثيرة تتجاوز الحد في
الكثرة ، وأخرج من كان فيها من النساء
البغايا وغيرهن من الشباب وأرباب القصاد ،
وقبض على الفرنج والأرمن ، وهدمها حتى لم
يبق لها أثر .

ونودى في الناس فحكروها ، وبنوا فيها
الدور والطواحين على ما هى عليه الآن . وأمر
بالأسرى فأزولوا بالقرب من المشهد النفيسى
بجوار كيمان مصر فمهم هناك الى الآن ،
وأزول من كان منهم أيضا بقلعة الجبل
فأسكنوا معهم .

وطهر الله تلك الأرض منهم ، وأراح العباد
من شرهم . فانها كانت شر بقعة من بقاع
الأرض . يباع فيها لحم الخنزير على الوضغ
كما يباع لحم الضأن ، ويعصر فيها من
الخبور في كل سنة ما لا يستطيع أحد
حصره ... حتى يقال انه كان يعصر بها في كل
سنة اثنان وثلاثون ألف جرة خمر ، ويبيع
فيها الخمر نحو اثني عشر رطلا بدرهم ، الى
غير ذلك من سائر أنواع الفسوق .

دار الفطرة

قال ابن الطوير : دار الفطرة خارج القصر
بناها العزيز بالله ، وهو أول من بناها ، وقرر
فيها ما يعمل مما يحمل الى الناس في العيد .
وهى قبالة باب الديلم من القصر الذى يدخل
منه الى المشهد الحسيني .

ويكون مبدء الاستعمال فيها ، وتحصيل
جميع أصنافها من السكر والعسل والقلوب
والزعفران والطيب والدقيق ، لاستقبال
النصف الثاني من شهر رجب كل سنة ليلا
ونهارا ، من الخشكناج والبندود ،
وأصناف الفانيد الذى يقال له كعب * الغزال ،
والبرماورد والفتق ، وهو شواير منال
الصنج .

والمستخدمون يرفعون ذلك الى أماكن
وسيلة مصونة ، فيحصل منه في الحاصل شيء
عظيم هائل يد مائة صانع : للحلاويين مقدم .
وللخشكنايين آخر . ثم يندب لها مائة فراش
لحبل طيافير للفرقة على أرباب الرسوم .
خارجا عن هو مرتب لخدمتها من الفرائشين
الذين يحفظون رسومها ومواعينها الحاصلة
بالدائم ، وعدتهم خمسة

فيحضر اليها الخليفة والوزير معه ، ولا
يصحبه في غيرها من الخزائن لأنها خارج
القصر وكلها للفرقة . فيجلس على سريره بها ،
ويجلس الوزير على كرسى ملين على عادته في
النصف الثاني من شهر رمضان ، ويدخل معه
قوم من الخواص ، ثم يشاهد ما فيها من تلك
الحواصل المعمولة المعبأة مثل الجبال من كل
صنف ، فيفرقها من ربع قنطار الى عشرة
أرطال الى رطل واحد وهو أقلها .

ثم ينصرف الخليفة والوزير بعد أن ينعم
على مستخدميها بستين دينارا .

ثم يحضر الى حاميتها ومشارفها الادعية
المعمولة المخرجة من دفتر المجلس ، كل يدعو

(ج) من ٤٢٥ ج ١ ط ٠ بولاق

لتفريق فريق من خاص وغيره ، حتى لا يبقى
أحد من أرباب الرسوم الا واسه واود في
دعو من تلك الادعية .

ويندب صاحب الديوان الكتاب المسلمين
في الديوان ، فيسيرهم الى مستخدميهما ،
فيسلم كل كاتب دعوا أو دعوين أو ثلاثة ،
على كثرة ما يحتويه وقلته ، ويؤمر بالفرقة
من ذلك اليوم .

فيقدمون أبدا مائتي طيفور من العالي
والوسط والدون ، فيحملها الفرائشون برفاق
من كتاب الادعية باسم صاحب ذلك الطيفور
علا أو دفا ، وينزل اسم الفرائش بالدعو أو
عريفه حتى لا يضح منها شيء ولا يختلط .

ولا يزال الفرائشون يخرجون بالطيافير
ملاى ويلخلون بها فارغة ، فبقدر ماتحمل
المائة الأولى غيت المائة الثانية ، فلا يفر ذلك
طول الفرقة .

فأجل الطيافير ما عدد خشكنايه مائة حبة ،
ثم الى سبعين وخمسين . ويكون على صاحب
المائة طرحة فوق قوارته ، ثم الى خمسين ،
ثم الى ثلاث وثلاثين ، ثم الى خمس وعشرين ،
ثم الى عشرين . ونسبة منشور كل واحد على
عدد خشكنايه .

ثم العيد السودان بغير طيافير ، كل طائفة
يتسلمه لها عرفاؤها في افراد الخواص ، لكن
طائفة على مقدارها الثلاثة الافراد والخسة
والسبعة الى العشرة .

فلا يزالون كذلك الى أن ينقضى شهر
رمضان ، ولا يفوت أحدا شيء من ذلك ،
ويتهاداه الناس في جميع الاقليم .

قال : وما يتفق في دار الفطرة ، فيما يفرق
على الناس منها ، سبعة آلاف دينار .

وقال ابن عبد القاهر : دار الفطرة بالقاهرة
قبالة مشهد الامام الحسين عليه السلام ، وهي
الضيق الذي بناه الأمير سيف الدين بهادر
الآن في سنة ست وخمسين وستائة . أول من
ربما الامام العزيز بالله ، وهو أول من منها .

وكانت الفطرة قبل أن ينتقل الأفضل الى
مصر تحصل بالايوان وتفرق منه . وعندما
تحول الى مصر نقل الدواوين من مصر
اليها ، واستجد لها مكانا قبالة دار الملك
بايوانى للكتابات والانشاء ، فاهما كانا بقرب
الدار ، وتحصل اليهما من القاعة الكبرى
التي فيها جلوسه .

ثم استجد للفطرة دارا حصلت بعد ذلك
وراقة ، وهي الآن دار الأمير عز الدين الأفرم
بمصر قبالة دار الوكالة ، وحصلت بها الفطرة
مدة ، وفرق منها ... الا ما يخص الخليفة
والجبات والسيدات والمستخدمات والاستاذين
فانه كان يحصل بالايوان على العادة .

ولما تولى الأفضل ، وعادت الدواوين الى
مواضعها ، أنهى خاصة الدولة رمضان - وكان
يتولى بيت المال - أن المكان بالايوان يضيق
بالفطرة ، فأمره المأمون أن يجمع المهندسين ،
ويقطع قطعة من اسطبل الطارمة يبنيه دار
الفطرة .

فألتأ الدار المذكورة قبالة مشهد الحسين
وبالباب الذي بمشهد الحسين يعرف بباب
الديلم ، وصار يحصل بها ما استجد من رسوم
المواليد والوقوداث . وعقدت لها جملتان :

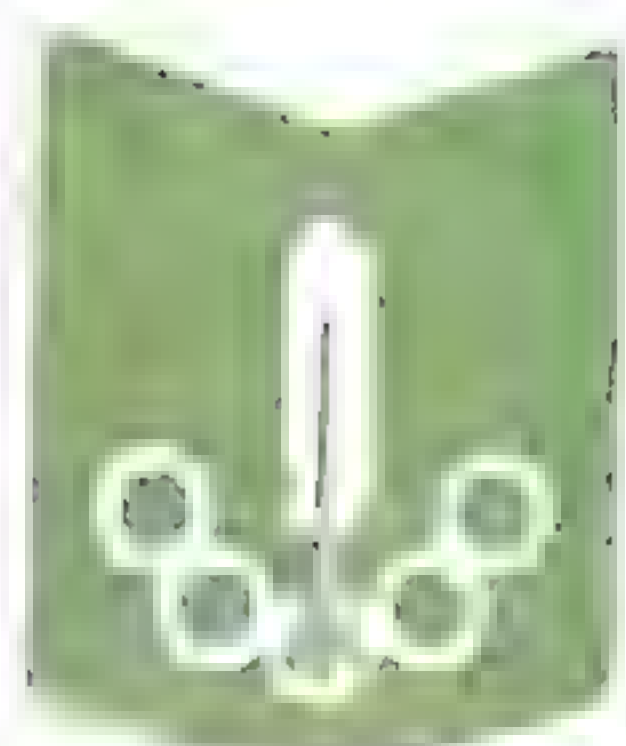
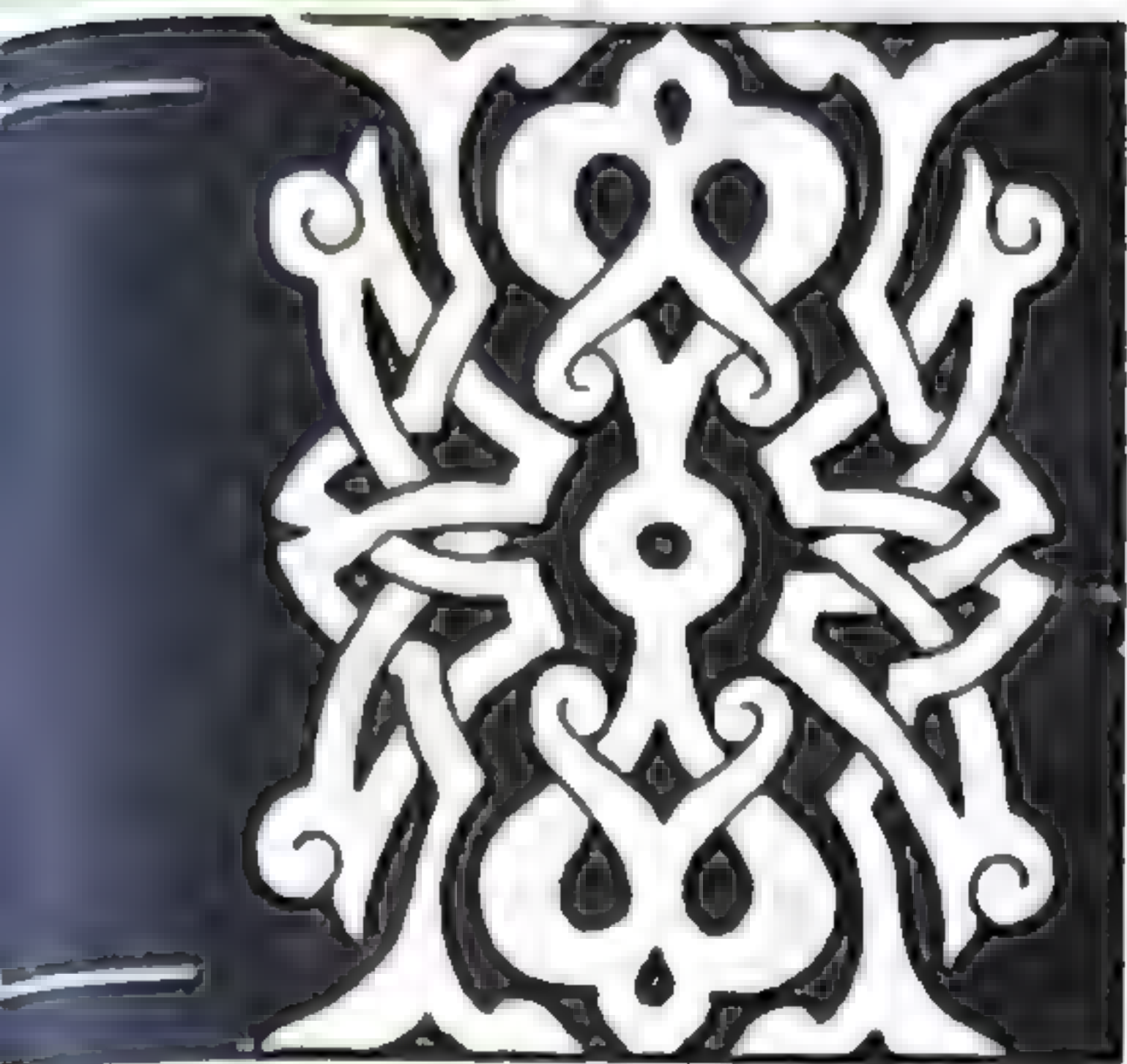
لحداهما وجعلت فطرت ، وهي عشرة آلاف
دينار ، خارجا عن جوارى المستخدمين .

والجملية الثانية حصلت فيها الاصناف .
وترجها : دقيق ألف حيلة ، سكر سبعمائة
قنطار ، قلب لستق ستة قناطير ، قلب لوز
ثمانية قناطير ، قلب بندق أربعة قناطير ، تمر
أربعمائة أردب ، زبيب ثلثمائة أردب ، خل
ثلاثة قناطير ، عسل نحل خمسة عشر قنطارا ،
شيرة مائتا قنطار ، حطب ألف ومائتا حيلة ،
سهم أردبان ، آيسون أردبان ، زيت طيب
برسم الوقود ثلاثون قنطارا ، ماء ورد لحون
رطلا ، مسك خمس نوافج ، كافور قديم
عشرة مثاقيل ، زعفران مطحون مائة وخمسون
درهما .

ويعد الوكيل برسم المواعين والبيض
والسقاين وغير ذلك من المؤن ، على ما
يعاسب به ، وبرفع المعازيم : خمسمائة دينار .

ووجلت بخط ابن ساكن قال : كان المرب
في دار الفطرة ولها ما يذكر ، وهو : زيت
طيب برسم القناديل خمسة عشر قنطارا ،
مقاطع سكندري برسم القوارات ثلثمائة
مقطع ، طياثير جدد برسم الساط ثلثمائة
طيفور ، شمع برسم الساط وتوديع الأمراء
ثلاثون قنطارا ، أجرة الصانع ثلثمائة دينار ،
جاري الحامى مائة وعشرون دينارا .

جاري العامل والمشارف مائة وثمانون
دينارا ، وشقة ديقى يياض حريرى ، ومنديل
ديققى كبير حريرى ، وشقة سقلاطون ألدلى
يلبسها قدام الفطرة يوم حملها ، ليفرق طياثير



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأبنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
بولا
سنة ١٢٧٠ هجرية

الثن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطُطُ الْمُقْرِئِي

الحمد لله

٢١

كتاب
التحرير



خاتمة العبد

« كانت مصر هي مستقر رأسي ، وطبع أتراي ، وجميع ناسي ، وخطي عشيري وعاصتي ،
وموطن فياصتي وعماصتي ، وهجر هجرتي الذي رب جناحي في ذكره ، وعش ما ربي ، فهو
تهوى الألفين غير ذكره . لا زلت منذ شذوت العالم ، وآتاني ربي الفطانة والفهم ، أغيب في
معرفة أخبارها ، وأهب الإشراف على الاعتراف من آبارها . وأهوى مسادة الركبان عن مكان ديارها .
نقى الدين أحمد بن علي المقرئ »

القطرة على الأمراء وأرباب الرسومات وعلى طبقات الناس ، حتى يعم الكبير والصغير والضعيف والقوى .

ويبدأ بها من أول رجب الى آخر رمضان . ذكر ما اختص من صفة الطيافير : الأعلى منها طيفور فيه مائة حبة خشكناج وزنها مائة رطل ، وخمس عشرة قطعة حلاوة زيتها مائة رطل ، سكر سليمانى وغيره عشرة أرطال ، قلوبات مئة أرطال ، بسندود عشرون حبة ، كمك وزيب وتمر قنطار ... جملة الطيفور ثلاثة قناطير وثلاث الى ما دون ذلك ، على قدر الطبقات ، الى عشر حبات .

وقال ابن أبى طى : وعمل الممز لدين الله دارا سماها دار القطرة . فكان يعمل فيها من الخشكناج والحلواء والبسندود والفانيذ والكمك والتمر والبندق شئ كثير ، من أول رجب الى نصف رمضان ، فيفرق جميع ذلك فى جميع الناس ، الخاص والعام على قدر منازلهم ، فى أوان لا تستعاد . وكان قبل ليلة العيد يفرق على الأمراء الخيول بالمراكب الذهب والخلع النفيسة والطراز الذهب ، والثياب برسم النساء .

المشهد الحسينى

قال الفاضل محمد بن على بن يوسف بن مير : وفى شعبان سنة احدى وتسعين وأربعمائة ، خرج الأفضل بن أمير الجيوش بعساكر جمة الى بيت المقدس ، وبه مكان وأبلغاوى ابننا أرتق فى جماعة من أقاربها ورجالهما وعساكر كثيرة من الأتراك ،

فراسلها الأفضل يلتصق منها تسليم القلنس اليه بغير حرب ، فلم يجيباه لذلك ، فقاتل البلد ، ونصب عليها المجاليق وهدم منها جانبا ، فلم يجدا بدا من الاذعان له وسلماه اليه ، فخلع عليهما وأطلقهما .

وعاد فى عساكره وقد ملك القدس ، فدخل عسقلان ، وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، فأخرجه وعطره ، وحمله فى سبط الى أجل دار بها ، وعمر المشهد ، فلما تكامل حصل الأفضل الرأس الشريف على صدره ، وسمى به ماشيا الى أن أحله فى مقره . وقيل إن المشهد بعسقلان بنىه أمير الجيوش بدر الجمالى ، وكنىه ابنه الأفضل .

وكان حمل الرأس الى القاهرة من عسقلان ووصوله اليها فى يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة . وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها كان ، والقاضى المؤتمن ابن مسكين مشارفها . وحصل فى القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور .

ويذكر أن هذا الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان ، وجد دمه لم يجف ، وله ريح كريح المسك . فقدم به الأستاذ مكنون فى عشارى من عشاريات الخدمة ، وأنزل به الى الكافورى ، ثم حمل فى السرداب الى قصر الزمرذ ، ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة .

فكان كل من يدخل الخدمة يقبل الأرض أمام القبر . وكانوا ينحرون فى يوم عاشوراء

عند قصر الأبل والبقر والغنم ، ويكثرون
نوح والبيكة ، ويسبون من قتل الحسين .
ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم .

وقال ابن عبد الظاهر : مشهد الإمام
الحسين صلوات الله عليه قد ذكره ابن خلائع
ابن رزيق ، انعمت بالصالح ، كان قد قصد
قصر الرأس الشريف من عسلان في حافة عليها
من الخرج ، وبني جامع خارج باب زينة
ليدفنه به ويفوز بهذا الفخر . فغلبه أهل
القصر على ذلك وقتلوا : لا يكون ذلك إلا
عندنا ، فعمدوا إلى هذا المكان ، وبنوه له
واقنوا الرخم إليه ، وذلك في خلافة النضر
على يد ضلائع في سنة تسع وأربعين
وخمسة .

وسمعت من يحكي حكاية يستدل بها على
بعض شرف هذا الرأس الكريم المبارك ، وهي
أن السلطان الملك الناصر رحمه الله لما أخذ
هذا القصر ، وشي إليه بخادم له قنر في الدولة
الفرسية - وكان زمان القصر - وقيل أنه
يعرف الأموال التي يقتصر والدقائق ، فأخذ
وسق ، فلم يجب بشيء وتجاهل .

وأمر صلاح الدين نوابه بتعذيبه ، فأخذ
متولى العترة ، وجعل على رأسه خاقس ،
وشد عليها قرمزية - وقيل إن هذه أشد
العتوبات ، وإن الإنسان لا يطيق الصبر عليها
ساعة إلا تقب دمه وقتله - ففعل ذلك
به مرارا وهو لا يتأوه ، وتوجد الخنافس
ميتة .

فمجب من ذلك وأخبره ، وقال : هذا سر
فيك ، ولا بد أن تمرى به .

قتل : والله ما سب هذا إلا أني لما وصلت
رأس الإمام الحسين حلتها
قال : ولئى سر أعظم من هذا ! وراجع في
شأنه ، فعنا عنه .

ولما ملك السلطان الملك الناصر جعل به
حجرة تدرس وفقه ، وفوضها لتفقيه البهاء
التمنقى ، وكان يجلس لتدريس عند
الحراب الذى الضريح خلفه . فلما وزر معين
الدين حيق بن شيخ - النيوخ بن حمويه ،
ورد إليه أمر هذا المشهد بعد أخوته ، جمع
من لواقفه ما بنى به إيوان التدريس الآن
ويوت التفهاء العلوية خاصة .

واحترق هذا المشهد في الأيام الصالحة
في سنة بضع وأربعين وستائة ، وكان الأمير
جمال الدين بن يسمور قابلا عن الملك الصالح
في القهرة . وسببه أن أحد خزان الشمع
دخل ليأخذ شيئا فسقطت منه شمعة ، فوقف
الأمير جمال الدين المذكور بنفسه حتى
مضى .

وأشدته حينئذ قتل :

قلوا تعصب للحسين ولم يزل
بالنفس للهول المخوف معرضا
حتى انضوى ضوء الحريق وأصبح
مسود من تلك المخاوف أيضا
أرضى الله بما أتى فكانه
من الأنعام بفعله موسى الرضا

قال : ولحفظ الآثار وأصحاب الحديث
وقتة الأخبار ما إذا طول وقف منه على

(١٢) من ١٢٧٠ هـ ، ط. بولاق

المسطور ، وعلم منه ما هو غير المشهور .
وانما هذه البركات مشاهدة مرئية ، وهي
بصحة الدعوى ملية ، والعمل بالنية .

وقال في كتاب « الدر النظيم في أوصاف
القاضي القاضى عبد الرحيم » : ومن جملة
مباهي الميضة قرب مشهد الإمام الحسين
بالقاهرة والمسجد والساقية ، ووقف عليها
أراضى قريب الخندق بظاهر القاهرة . ووقفها
دار جاز ، والاتقاع بهذه المثوبة عظيم . ولما
هدم المكان الذى بنى موضعه مثذبة ، وجد
فيه شيء من طمس لم يعلم لأى شيء هو ،
فيه اسم الظاهر بن الحاكم واسم أمه رصد .

« خبر الحسين » : هو الحسين بن على بن
أبى طالب - واسمه عبد مناف - بن عبد
المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، أبو
عبد الله ، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع ،
وقبل سنة ثلاث ، وعق عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم سابعه بكيش ، وحلق رأسه
وأمر أن يتصدق بوزنه فقة ، وقال : « أرولى
ابنى ، ما سيموه ؟ » .

فقال على بن أبى طالب : حريا .

فقال : « بل هو حسين » .

وكان أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه
وسلم ما كان أسفل من صدره ، وكان فاضلا
دينا ، كثير الصوم والصلاة والحج .

وقتل يوم الجمعة ، لعشر خلون من المحرم
يوم عاشوراء سنة إحدى وستين من الهجرة ،

بموضع يقال له « كربلاء » من أرض العراق
بناحية الكوفة ، وبصرف الموضع أيضا
بالطف ... قتله سنان بن أنس اليحصبي ،
وقيل قتله رجل من منجج ، وقيل قتله
شمر بن ذى الجوشن وكان أبرص ، وأجهز
عليه خولى بن يزيد الأصمجي من حمير ...
حز رأسه وأتى عيد الله بن زياد وقال :

أوقر ركابى فقة وذها
انى قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أما وأبا
وخيرهم اذ ينسبون نسبنا

وقيل قتله عمرو بن سعد بن أبى وقاص ،
وكان الأمير على الخيل التى أخرجها عيد الله
ابن زياد إلى قتل الحسين ، وأمر عليهم عمرو
ابن سعد ، ووعدته أن يوليه الرى إن ظفر
بالحسين وقتله .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى الناس
نصف النهار ، وهو قائم أشعث أغبر يده
قارورة فيها دم ، قتلت : بأبى أنت وأمى
ما هذا ؟ قال : « هذا دم الحسين لم أزل
ألتقطه منذ اليوم » . فوجدته قد قتل في ذلك
اليوم .

وهذا البيت زعموا قديما لا يدرى قائله ؟

أترجو أمة قتلت حسينا

شفاعة جده يوم الحساب !!

وقتل مع الحسين سبعة عشر رجلا ، كلهم
من ولد فاطمة ، وقيل قتل معه من أهل بيته
وأخوته ثلاثة وعشرون رجلا .

وكان سبب قتله أنه لما مات معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه في سنة ستين ، وردت بيعة يزيد على الوليد بن عقبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها . فأرسل إلى الحسين بن علي وإلى عبد الله بن الزبير ليلا ، فأتى بهما .

فقال : مثالا يباع سرا ، ولكننا يباع على رؤوس الناس إذا أصبحنا .

فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلتهما إلى مكة ، وذلك ليلة الأحد لليتين بقيتا من رجب . فقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة ، وخرج يوم التروية يريد الكوفة يكتب أهل العراق إليه .

فلما بلغ عبيد الله بن زياد مير الحسين من مكة ، بعث الحسين بن تميم التميمي صاحب شرطته ، فنزل القادسية ونظم الخيل ما بينهما وبين جبل لعل . فبلغ الحسين الحاجز له عن البلاد ، فكتب إلى أهل الكوفة يعرفهم بقدومه مع قيس بن مسهر ، ففقر به الحسين ، وبعث به إلى ابن زياد فقتله .

وأقبل الحسين يسير نحو الكوفة ، فأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل وخبر قتل أخيه من الرضاعة ، فقام حتى أعلم الناس بذلك ، وقال : قد خذلنا شيعتنا ، فمن أحب أن ينصرف فلينصرف ، فليس عليه ذمام منا .

فتفرقوا حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من مكة ، وسار فأدركه الخيل ، وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ، ونزل الحسين فوقفوا تجاهه وذلك في نحر الظهيرة ، فقتل الحسين الخيل .

(ع) من ٢٨ ج ١ ط ١٠٧٠

وحضرت صلاة الظهر فأذن مؤذنه ، وخرج فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس انما معذرة إلى الله واليكم ، اني لم آتكم حتى آتني كيبكم ورسلكم : أن أقدم علينا فليس لنا امام لعل الله أن يجعلنا بك على الهدى . وقد جئكم فان تعطلوا ما أمسنا إليه من عهدكم أقدم مصركم ، وان لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي قبلت منه ... فسكتوا .

وقال للمؤذن : أقم . فقام .

وقال الحسين للحر : أريد أن تصلى أنت بأصحابك ؟

قال : بل صل أنت ونصلي بصلاتك .

فصلى بهم ، ودخل فاجتمع إليه أصحابه ، وانصرف الحر إلى مكانه .

ثم صلى بهم العصر ، واستقبلهم فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : يا أيها الناس انكم ان تنقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى الله . ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم ، السائرين فيكم بالجور والعدوان . فان أتم كرهتمونا وجهلتم حقنا ، وكن رأيكم غير ما آتني به كتبكم ، انصرفت عنكم .

فقال الحر : انا والله ما ندرى ما هذه الكتب والرسائل التي تذكر .

فأخرج خرجين مملوءين صحفا فنشرها بين أيديهم .

فقال الحر : انا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد أمرنا اذا نحن لقيناك ألا نقارئك حتى تقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد .

فقال الحسين : الموت أدنى إليك من ذلك . ثم أمر أصحابه لينصرفوا فركبوا ، فممنهم الحر من ذلك ، فقال له الحسين : فكلكك أمك ، ما تريد ؟

فقال له : والله لو كان غيرك من المرب يقولها ما تركت ذكر أمه بالشكل كائنا من كان . والله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما تقدر عليه .

فقال له الحسين : ما تريد ؟

قال : أريد أن أطلق بك إلى ابن زياد .

وتراد الكلام ، فقال له الحر : اني لم أؤمر بقتالك ، وانما أمرت ألا أفارقك حتى أدخلك الكوفة ، فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تزول إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد ، وتكتب أنت إلى يزيد أو إلى ابن زياد ، فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك .

فتياسر عن طريق المذيب والقادسية ، والحر يساره .

فلما كان يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة إحدى وستين ، قدم عمرو بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف ، وبعث إلى الحسين رسولا يسأله : ما الذي جاء به ؟

فقال : كتب إلى أهل مصركم هذا أن أقدم عليهم ، فاذا كرهوني فأنا أنصرف عنهم .

فكتب عمرو إلى ابن زياد يعرفه ذلك . فكتب إليه أن يعرض على الحسين بيعة يزيد ، فان فعل رأينا فيه رأينا ، والا فمنعه ومن معه الماء .

فأرسل عمرو بن سعد خمائة فارس ، فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء ، وذلك قبل قتله بثلاثة أيام ، ونادى مناد : يا حسين ألا تنظر الماء ، لا ترى منه قطرة حتى تموت عطشا ؟

ثم اتقى الحسين بعمرو بن سعد مرارا .

فكتب عمرو بن سعد إلى عبيد الله بن زياد : أما بعد ، فان الله قد أطلقا الثائرة وجمع الكلمة . وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه ، أو أن تسيره إلى أي ثغر من الثغور شاء ، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده وفي هذا لكم رضى ولأمة صلاح .

فقال ابن زياد لشمر بن ذي الجوشن : أخرج بهذا الكتاب إلى عمرو ، فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكي ، فان فعلوا فليبعث بهم ، وان أبوا فليقاتلهم . فان فعل فاسمع له وأطع ، وان أبى فانت الأمير عليه وعلى الناس ، واضرب عنقه وابعث إلى برأيه .

وكتب إلى عمرو بن سعد : أما بعد ، فاني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتنيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندى شافعا . انظر فان نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا ، فابعث بهم إلى سلما ، وان أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم ، فانهم لذلك مستحقون ، فان قتل الحسين فأوطىء الخيل صدره وظهره ، فانه عاق شاق قاطع ظلوم . فان أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع ، وان أنت آيت فاعتزل جندنا ، وغل بين شمر وبين المسكر . والسلام .

فلما أتاه الكتاب ركب والناس معه بعد
الحصر ، فأرسل إليهم الحسين : ما لكم ؟

فقالوا : جاء أمر الأمير بكنا .

فاستسلمهم إلى غدوة .

فلما أسوا قام الحسين ومن معه الليل كله
يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون .
فلما صلى عمرو بن سعد الغداة يوم السبت
— وقيل يوم الجمعة يوم عاشوراء — خرج
فيمن معه . وعبي الحسين أصحابه ، وكان معه
اثنان وثلاثون فارسا وأربعون رجلا ، وركب
ومعه مصحف بين يديه وضعه أمامه ، واقتل
أصحابه بين يديه .

واخذ عمرو بن سعد سهما فرمى به وقال :
اشهدوا أنني أول من رمى الناس . وحمل
أصحابه قصرعوا رجلا ، وأحاطوا بالحسين
من كل جانب ، وهم يقاتلون قتالا شديدا حتى
اتصف النهار ، ولا يقدر أن يتوغم إلا من
وجه واحد . وحمل شر حتى بلغ قساطر
الحسين .

وحضر وقت الصلاة فقال الحسين أن
يكنوا عن القتال حتى يصلي ، ففعلوا . ثم
اقتلوا بعد الظهر أشد قتال ، ووصل إلى
الحسين وقد صرعت أصحابه ، ومكث
طويلا . من النهار كلما انتهى إليه رجل من
الناس رجع عنه وكره أن يتولى قتله .

فأقبل عليه رجل من كندة يقال له مالك ،
فضربه على رأسه بالسيف قطع اليرس
وأدماه ، فأخذ الحسين دمه بيده فصبه في
الأرض ، ثم قال : اللهم ان كنت جئت عنا

(١٠) من ١٢٩ جلد ١ ط ١٢٩

النصر من النساء ، فأجعل ذلك لما هو خير ،
واقتم من هؤلاء الظالمين .

واشتد عطشه فدا ليشرب ، فرماه حصين
ابن نسيم بسهم فوق في فمه ، فتلقي الدم بيده
ورمى به إلى السماء ، ثم قال بعد حمد الله
والثناء عليه : اللهم اني أشكو إليك ما يصنع
بابن بنت نبيك . اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم
بندا ، ولا تبق منهم أحدا .

فأقبل شر في نحو عشرة إلى منزل
الحسين ، وحالوا بينه وبين رحله ، وأقدم عليه
وهو يحمل عليهم وقد بقي في ثلاثة ، ومكث
طويلا من النهار ، ولو شاءوا أن يقتلوه
لقتلوه ، ولكنهم كان يتقى بعضهم ببعض ،
ويحب هؤلاء أن يكفيم هؤلاء .

فنادى شر في الناس : ويحكم ما تنتظرون
بالرجل ؟ اقتلوه نكلتكم أمكم .

فحملوا عليه من كل جانب ، فضرب زرعة
ابن شريك التميمي كفه الأمير ، وضرب عاتقه
وهو يقوم ويكبو . فحمل عليه في تلك الحال
ستان بن أنس النخعي قطعته بالرمح فوق ،
وقال لخولي بن يزيد الأصبحي : احترأ
رأسه . فأرعد وضعف .

فنزول عليه وذبحه ، وأخذ رأسه فدفعه
إلى خولي ، ولبس الحسين ما كان عليه حتى
سراويله ، ومال الناس فاقتهوا ثقله ومتاعه
وما على النساء . ووجد بالحسين ثلاث
وثلاثون طعنة وأربع وأربعون خربة .

ونادى عمرو بن سعد في أصحابه : من
يتدب للحسين فيوطه فرسه ؟ فالتب عشرة

فداسوا الحسين بخيولهم حتى رقتوا ظهره
وصدره .

وكان عدة من قتل معه اثنين وسبعين
رجلا ، ومن أصحاب عمرو بن سعد ثمانية
وثلاثين رجلا غير الجرحى .

ودفن أهل العاصرية من بني أسد الحسين
بعد قتله بيوم ، وبعد أن أخذ عمرو بن سعد
رأسه ورؤوس أصحابه ، وبعث بها إلى ابن
زياد ، فأحضر الرؤوس بين يديه ، وجعل
ينكت بتقريب ثيابا الحسين وزيد بن أرقم
حاضر .

وأقام ابن سعد بعد قتل الحسين يومين ،
ثم رحل إلى الكوفة ومعه ثياب الحسين
وأخوانه ومن كان معه من الصبيان ، وعلى
ابن الحسين مرض ، فأدخلهم على زياد .

ولما مرت زنت بالحسين صريحا صاحت :
يا محمداه هذا حين بالعراء مزمل بالدماء
مقطع الأعضاء ، يا محمد بناتك سبايا وذريتك
مقتلة ! فأبكت كل عدو وصديق .

وطيف برأسه بالكوفة على خشبة ، ثم
أرسل بها إلى يزيد بن معاوية ، وأرسل
النساء والصبيان وفي عتق على بن الحسين
ويديه الفل ، وحملوا على الأقطاب .

فدخل بعض بني أمية على يزيد ، فقال :
أبشر يا أمير المؤمنين ، فقد أمكنك الله من عدو
الله وعدوك ، قد قتل ووجه برأسه إليك .

فلم يلبث إلا أياما حتى جئ برأس
الحسين ، فوضع بين يدي يزيد في طشت ،
فأمر الغلام فرفع الثوب الذي كان عليه ، فحين
رآه خمر وجهه يكفه كأنه سم منه رائحة ،

وقال : الحمدة لله الذي كلفنا المؤنة بغير مؤنة .
« كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » .

قالت ربا حاضنة يزيد : فدنوت منه فنظرت
إليه وبه ردغ من حناه . والذي أذهب نفسه ،
وهو قادر على أن يغفر له ، لقد رأيت يقرع
ثيابه بتقريب في يده ، ويقول آياتا من شعر
ابن الزبير .

ومكث الرأس مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام
ثم أنزل في خزان السلاح ... حتى ولى
سليمان بن عبد الملك الملك فبعث إليه ، فجاءه
به وقد محل وبقي عظما أبيض ، فجعله في
سقط وطيه ، وجعل عليه ثوبا ، ودفنه في
مقابر المسلمين .

فلما ولى عمر بن عبد العزيز ، بعث إلى
خازن بيت السلاح : أن وجهه إلى برأس
الحسين بن علي . فكتب إليه أن سليمان أخذه
وجعله في سقط ، وصلى عليه ودفنه .

فلما دخلت المسودة سألوا عن موضع
الرأس الكريمة الشريفة ، فنبشوه وأخذوه .
والله أعلم ما صنع به .

وقال السري : لما قتل الحسين بن علي
بكت السماء عليه ، وبكاؤها حمرتها .

وعن عطاء في قوله تعالى « فما يكت عليهم
السماء والأرض » قال : بكأؤها حصرة
أطرافها .

وعن علي بن مسهر ، قال : حدثني جدتي
قالت : كنت أيام الحسين جارية شابة ، فكانت
السماء أياما كأنها علقه .

وعن الزهرى : بلغنى انه لم يقب حجر من
الحجارة ليتلصق يوم قتل الحسين الا وجد
تحت دم عيط .

وقال ابن الدنيا انكسرت يوم قتل ولدا ، ولم
يسر احد من زعمائهم شيئا فبعثه على
وجهه الا لخرق . وانهم اصابوا ايلافى عسكر
الحسين يوم قتل ، ففروا وطبخوها فصارت
مثل الحنظل ، فما استطاعوا ان يسيقوا منها
شيئا .

وروى ان النساء اضررت دما ، فاصبح كل
شيء لهن ملان دما .

ما كان يعمل في يوم عاشوراء

قال ابن زولاق في كتاب « سيرة المر لادين
الله » : في يوم عاشوراء سنة ثلاث وستين
وتسائة ، انصرف خلق من الشيعة وانشاعهم
الى الشهدين قبر كئوم وقية ، ومعهم
جماعة من فرسان الغلرية ورجالهم ، بالياحة
والبكاء على الحسين عليه السلام ، وكسروا
اواني السقاين في الاسواق ، وشققوا الروايا ،
وسبوا من يتفق في هذا اليوم ، وزلوا حتى
يلتقوا مسجد الرح ، وقارت عليهم جماعة من
رعية اسفل .

فخرج ابو محمد الحسين بن عمار - وكان
يسكن هناك في دار محمد بن ابي بكر -
واشلق الدرب ومنع القرقين ، ورجع الجميع ،
فحسب موقع ذلك عند المر . ولولا ذلك
لنكسرت القبة ، لان الناس قد غفوا الدكاكين
وابواب الدور ، وغطوا الاسواق .

(١٢٠٠ من ١٢٠٠)

وانما قوت انفس الشيعة يكون المر
بمصر ، وقد كانت مصر لا تخلو منهم في ايام
الاشيدية والكافورية في يوم عاشوراء عند
قبر كئوم وقبر قية . وكان السودان
وكافور يتعصبون على الشيعة ، وتعلق
السودان في الطرقات بالناس ويقولون
لرجل : من خالك ؟ فان قال معاوية اكرموه ،
وان سككت لقي المكروه ، واخذت نيايه
وما معه ... حتى كان كافور قد وكل
بالصحراء ، ومنع الناس من الخروج .

وقال الميحي : وفي يوم عاشوراء (يعني
من سنة ست وتسعين وتسائة) جرى الامر
فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل
الاسواق ، وخروج الشهدين الى جامع
القاهرة ، وزولهم مجتمعين بالتوح والشد .

ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد
العز بن التعمان مسائر الشهدين الذين
يتكسبون بالتوح والشد ، وقال لهم : لا
تؤرموا الناس اخذ شيء منهم اذا وقفتم على
حوائثهم ، ولا تؤذوهم ، ولا تتكسبوا
بالتوح والشد ، ومن اراد ذلك فعليه
بالصحراء .

ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة
في الجامع العتيق بعد الصلاة واشتدوا ،
وخرجوا على الشارع بجمعهم وسبوا السلف .
فقبضوا على رجل ، ونودى عليه : هذا جزاء
من سب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم .
وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه .

وقال ابن المأمون : وفي يوم عاشوراء
(يعني من سنة خمس عشرة وخسمائة) عبي

السلطان بمجلس العظايا من دار الملك بمصر
التي كان يسكنها الأفضل بن أمير الجيوش .
وهو السلطان المختص بعاشوراء ، وهو يعي
في غير المكان الجاري به العادة في الأعياد ،
ولا يعمل مدورة خشب ، بل سفرة كبيرة من
أدم ، والسلطان يملوها من غير مراافع نحاس ،
وجميع الزبدي أحيان وسلطان ومخللات
وجميع الخبز من شعير .

وخرج الأفضل من باب فرد الكم ، وجلس
على ساط صوف من غير مشورة ، واستفتح
المقرئون ، واستدعى الأشراف على طبقاتهم ،
وخيل السلطان لهم . وقد عمل في الصحن
الأول الذي بين يدي الأفضل الى آخر
السلطان عيسى أسود ، ثم بعده عيسى مصفى
الى آخر السلطان ، ثم رفع وقدمت صحون
جميعها عمل نعل .

ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة
 وخسمائة ، جلس الخليفة الأمر بأحكام الله
على باب الباذنج (يعني من القصر) بعد
قتل الأفضل وعود الأسطة الى القصر ، على
كرسي جريد بغير مخدة ، مثلثا هو وجميع
حاشيته ، فلم عليه الوزير المأمون وجميع
الأمراء الكبار والصغار بالقرايمز ، وأذن
للقاضي والداعي والأشراف والأمراء بالسلام
عليه ، وهم بغير مناديل ملثون حفاة .

وعبي السلطان في غير موضعه المعتاد ،
وجميع ما عليه خبز الشعير والحواضر على ما
كان في الأيام الأفضلية . وتقدم الى والي
مصر والقاهرة بالآلا يسكنها أحدا من جمع ولا
قراءة مصرع الحسين . وخرج الرسم المطلق

للمتصدرين والقراء الخاص والوعاط
والشعراء وغيرهم على ما جرت به عادتهم .

قال : وفي ليلة عاشوراء من سنة سبع
عشرة وخسمائة ، اعتمد الأجل الوزير المأمون
على السنة الأفضلية من المضي فيها الى التربة
الجيوشية ، وحضور جميع المتصدرين
والوعاط وقراء القرآن الى آخر الليل ،
وعوده الى داره . واعتمد في صبيحة الليلة
المذكورة مثل ذلك ، وجلس الخليفة على
الأرض مثلثا يرى به الحزن ، وحضر من
شرف بالسلام عليه والجلوس على السلطان بنا
جرت به العادة .

قال ابن الطوير : اذا كان اليوم العاشر من
الحرم احتجب الخليفة عن الناس ، فاذا علا
النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا
زهم فيكونون كما هم اليوم ، ثم صاروا
الى المشهد الحسيني - وكان قبل ذلك يعمل
في الجامع الأزهر - فاذا جلسوا فيه ومن
معهم من قراء الحضرة والمتصدرين في
الجوامع ، جاء الوزير فجلس صدرا ،
والقاضي والداعي من جانبه ، والقراء يقرأون
نوبة بنوبة ، وينشد قوم من الشعراء غير
شعراء الخليفة شعرا يرثون به أهل البيت
عليهم السلام . فان كان الوزير رافضيا
تغالوا ، وان كان منيا اقتصدوا .

ولا يزالون كذلك الى أن تمضي ثلاث
ساعات ، فيستدعون الى القصر بنقباء
الرسائل ، فيركب الوزير وهو بمنديل صغير
الى داره ، ويدخل قاضي القضاة والداعي
ومن معهم الى باب الذهب ، فيجدون

الملك قد فرشت مصائبها بالبحر بطل
السط ، ونصب في الأماكن الخالية من
الضارب ذلك لتتحق بالضارب لفرش ،
ويجئون صاحب الباب جائلاً هناك . فيجلس
القاضي والقاضي إلى جانبه ، والحاس على
لصاف يلقاهم ، فيقرأ القراء ويتند
لشعرون أيضاً .

ثم يفرش عليهما سلال الحزن مقدلو
ألف زينة من الصندس واللوحات والمخللات
والأحياء والألياف الساذجة والأعمال التحل
والطير والخيز لتبر لونه بالقمع . فلما قرب
القصر وقف صاحب الباب وصاحب اللائنة ،
وأدخل . الحاس للأكل منه . فيدخل القاضي
والقاضي ، ويجلس صاحب الباب نيابة عن
الوزير ، والمذكوران إلى جانبه ، وفي الحاس
من لا يدخل ، ولا يلزم أحد بذلك .

فلما فرغ التوم اتصلوا إلى أماكنهم وكباف
بذلك الزى الذي يظهروا فيه ، وطاف التواح
بالقاهرة ذلك اليوم ، ونطق اليساعون
حوائتهم إلى جواز العصر ، فيفتح الحاس بعد
ذلك وتصرفون .

ذكر أبواب القصر الكبير الشرقي

وكان لهذا القصر الكبير الشرقي تسعة
أبواب : أكبرها وأجلها باب الذهب ، ثم باب
البحر ، ثم باب الريح ، ثم باب الزمرد ، ثم
باب العيد ، ثم باب قصر الشوك ، ثم باب
الطيطم ، ثم باب قرية الزعفران ، ثم باب
الزهومة .

١٧٠ من ١٧١ ج ١ ط ١٠ برلان .

باب الذهب : وهو باب القصر الذي تدخل
منه المراكب وجميع أهل الدولة ، في يوم
الاثنين والخميس ، للموكب المقدم ذكره بقاعة
الذهب .

قال ابن أبي طي : عن المزمع لدين الله : انه
لم يخرج من بلاد المغرب أخرج أموالاً كانت
له ببلاد المغرب ، وأمر بسبكها أرحية كالأرحية
الطواحين ، وأمر بها حين دخل إلى مصر
فأقيمت على باب قصره ، وهي التي كان
الحاس يسمونها الحشرات .

ولم تزل على باب القصر إلى أن كان زمن
الغلاء في أيام الخليفة المستنصر بالله . فلما
ضاق بالناس الأمر ، أذن لهم أن يردوا منها
بسيار ، فاتخذ الناس مبادر حادة ، وغرمهم
الضع حتى ذهبوا بأكثرها ، فأمر بحمل الباقي
إلى القصر فلم تر بعد ذلك .

وقال ابن ميسر : ان المزمع لما قدم إلى
القاهرة كان معه مائة جبل عليها الطواحين
من الذهب . وقال غيره : كانت خمسمائة
جبل على كل جبل ثلاثة أرحية ذهباً ، وانه
عمل عضادتي الباب من تلك الأرحية ، واحدة
فوق أخرى ، فسمى باب الذهب .

جلس الخليفة في الموالد بالمنظرة علو باب
الذهب : قال ابن المأمون في أخبار سنة ست
عشرة وخمسة : وفي الثاني عشر من المحرم
كان كالمولد الأمري ، وانفق كونه في هذا
الشهر يوم الخميس ، وكان قد تقرر أن
يعمل أربعون صينية خشكناج وحلوى
وكعك ، وأطلق يرسم المشاهد المحتوية على

الفرائح الشريفة لكل مشهد سكر وعسل
ولوز ودقيق وشيرج .

وتقدم بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى ،
وتفرق على المصدرين والقراء والفقراء :
للمصدرين ومن معهم في صحن ، وللقرءاء
على أرغفة السيد .

ثم حضر في الليلة المذكورة القاضي والداعي
والشهود ، وجميع المصدرين وقراء الحضرة ،
وفتحت الطاقات التي قبلي باب الذهب ،
وجلس الخليفة وسلموا عليه .

ثم خرج متولى بيت المال بصندوق
مختوم ، ضمنه عينا مائة دينار وألف وثمانمائة
وعشرون درهما يرسم أهل القرافة وساكنيها
وغيرهم .

وفرت الصواني بعد ما حمل منها للخاص ،
وزمام القصر ، ومتولى الدفتر خاصة ، وإلى
دار الوزارة ، والأجلاء الأخوة والأولاد ،
وكاتب الدت ، ومتولى حجية الباب ،
والقاضي ، والداعي ، ومتولى الدولة ، ومتولى
دار العلم ، والمقرئين الخاص ، وأئمة الجوامع
بالقاهرة ومصر وبقية الأشراف .

قال : وخرج الأمر (يعني في سنة سبع
عشرة وخمسمائة) بإطلاق ما يخص المولد
الأمري يرسم المشاهد الشريفة من سكر
وعسل وشيرج ودقيق ، وما يصنع مما يفرق
على الساكنين بالجامعين الأزهر بالقاهرة
والمتيق بمصر وبالقرافة خمسة قناطير حلوى
وألف رطل دقيق ، وما يعمل بدار القطرة
ويحمل للأعيان والمستخدمين من بعد التصور
والذار المأمونية صينية خشكناج .

وحضر القاضي والداعي والمستخدمون بدار
العيد والشهود في عشية اليوم المذكور ،
وقطع سلوك الطريق بين القصرين ، وجلس
الخليفة في المنظرة ، وقبلوا الأرض بين يديه ،
والمقرئون الخاص جميعهم يقرأون القرآن ،
وتقدم الخطيب وخطب خطبة وسبح القول
فيها ، وذكر الخليفة والوزير ، ثم حضر من
أشد وذكر فضيلة الشهر والمولود فيه . ثم
خرج متولى بيت المال ومعه صندوق من مال
التجاوى خاصة ، مما يفرق على الحكم المتقدم
ذكره .

قال : واستهل ربيع الأول . وبدأ يسا
شرف به الشهر المذكور ، وهو ذكر مولد
سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه
وسلم لثلاث عشرة منه ، وأطلق ما هو يرسم
الصدقات من مال التجاوى خاصة ستة آلاف
درهم ، ومن الأصناف من دار القطرة أربعون
صينية فطرة ، ومن الخزائن يرسم التسولين
والسدنة للمشاهد الشريفة التي بين الجبل
والقرافة التي فيها أعضاء آل رسول الله صلى
الله عليه وسلم سكر ولوز وعسل وشيرج لكل
مشهد ، وما يتولى تفرقة سنا الملك بن ميسر
أربعمائة رطل حلاوة وألف رطل خبز .

قال : وكان الأفضل بن أمير الجيوش قد
أبطل أمر الموالد الأربعة : النبوي ، والعلوي ،
والفاطمي ، والامام الحاضر وما يعتم به ،
وقدم العهد به حتى لى . ذكرها ، فأخذ
الاستاذون يحددون ذكرها للخليفة الأمر
بأحكام الله ، ويرددون الحديث معه فيها ،
ويحسنون له معارضة الوزير بسببها واعادتها

(*) من ١٧٢ ج ١ ط ١٠ برلان .

واقامة الجوارى والرسوم فيها . فأجاب الى ذلك ، وعمل ما ذكر .

وقال ابن الطبر : ذكر جلوس الخليفة في الموالد الستة في تواريخ مختلفة ، وما يطلق فيها - وهى : مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ومولد فاطمة عليها السلام ، ومولد الحسن ، ومولد الحسين عليهما السلام ، ومولد الخليفة الحاضر - ويكون هذا الجلوس في المنطرة التى هى أنزل المناظر ، وأقرب الى الأرض ، قبالة دار فخر الدين جهار كس والفندق المستجد .

فاذا كان اليوم الثانى عشر من ربيع الأول ، تقدم بأن يعمل في دار القطرة عشرون قطارا من السكر اليابس حلواء يابسة من طرائفها ، وتسمى فى ثلثائة صنية من النحاس - وهو مولد النبى صلى الله عليه وسلم - فتفرق تلك الصواني فى أرباب الرسوم من أرباب الرب ، وكل صينية فى قوارة ، من أول النهار الى ظهره .

قاول أرباب الرسوم قاضى القضاة ، ثم داعى الدعاة ، ويدخل فى ذلك القراء بالحضرة ، والخطباء والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة وقومة المشاهد . ولا يخرج ذلك مما يتعلق بهذا الجالب يدعوا يخرج من دفتر المجلس كما قدمناه .

فاذا صلى الظهر ركب قاضى القضاة والشهود بأجمعهم الى الجامع الأزهر ، ومعه أرباب تفرقة الصوائى ، فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة .

ثم يستدعى قاضى القضاة ومن معه ، فان كانت الدعوة مضافة اليه - والا حضر الداعى معه بنقاء الرسائل ، فيركبون ويسيرون الى أن يصلوا الى آخر المضي من السيوفين ، قبل الابتداء بالسلوك بين القصرين ، فيقفوا هناك . وقد سلك الطريق على السالكين من الركن المخلق ومن سويقة أمير الجيوش عند الحوض هناك ، وكنت الطريق فيما بين ذلك ، ورشت بالماء رشا خفيفا ، وفرش تحت المنطرة المذكورة بالرمل الأصفر .

ثم يستدعى صاحب الباب من دار الوزارة ، ووالى القاهرة ماض وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة . فيكون بروز صاحب الباب من الركن المخلق ، هو وقت استدعاء القاضى ومن معه من مكان وقوفهم ، فيقربون من المنطرة ، ويترجلون قبل الوصول اليها بخطوات ، فيجتمعون تحت المنطرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لانتظار الخليفة .

فتفتح احدى الطاقات فيظهر منها وجهه وما عليه من المنديل ، وعلى رأسه عدة من الأستاذين المحنكين وغيرهم من الخواص منهم . ويفتح بعض الأستاذين طاقة ، ويخرج منها رأسه ويده اليمنى فى كفه ، ويشير به قائلا : أمير المؤمنين يرد عليكم السلام ، فيسلم بقاضى القضاة أولا بنعمته ، وبصاحب الباب بعده كذلك ، وبالجماعة الباقية جيلة جيلة من غير تعيين أحد .

فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة ، ويكونون قايما فى الصدر وجوههم للحاضرين ،

وظهورهم الى حائط المنطرة . فيقدم خطيب الجامع الأنور - المعروف بجامع الحاكم - فيخطب كما يخطب فوق المنبر الى أن يصل الى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فيقول : وان هذا يوم مولده الى ما من الله به على ملة الاسلام من رسالته ، ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة ، ثم يؤخر . ويقدم خطيب الجامع الأزهر ، فيخطب كذلك ، ثم خطيب الجامع الأحمر فيخطب كذلك . والقراء فى خلال خطابة الخطباء يقرأون .

فاذا انتهت خطابة الخطباء ، أخرج الأسناد رأسه ويده فى كفه من طاقته ، ورد على الجماعة السلام ، ثم تغلق الطاقتان فتتفض الناس . ويجرى أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام الى حين فراغها على عدتها من غير زيادة ولا نقص ... انتهى .

وهذا الباب صار بعد زوال الدولة الفاطمية يقابل دار الأمير فخر الدين جهار كس الصلاحى ، التى عرفت بعد ذلك بالدار القطبية ، وهى الآن المارستان المنصورى ، وصار موضع هذا الباب محراب مدرسة الظاهر ركن الدين بيبرس .

باب البحر : هو من انشاء الحاكم بأمر الله أبى على منصور ، وهدم فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ، وشوهد فيه أمر عجيب .

قال جامع السيرة الظاهرية : لما كان يوم عاشوراء (يعنى من سنة اثنتين وسبعين وستمائة) رسم بنقض علو أحد أبواب القصر المسمى بباب البحر ، قبالة المدرسة دار

الحديث الكاملية ، لأجل ثقل عمد فيه لبعض العمار السلطانية ، فظهر صندوق فى حائط عليه .

فللوقت حضرت الشهود وجماعة كثيرة ، وفتح الصندوق ، فوجد فيه صورة من نحاس أصفر مفرغ ، على كرسى شبه الهرم ارتفاعه قدر شبر ، له أربعة أرجل تحمل الكرسى ، والصنم جالس متوركا ، وله يدان مرفوعتان ارتفاعا جيدا ، يحمل صحيفة دورها قدر ثلاثة أشبار .

وفى هذه الصحيفة أشكال ثابتة ، وفى الوسط صورة رأس بغير جسد ، ودائره مكتوب كتابة بالقبطى وبالقفطيريات ، والى جانبها فى الصحيفة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة ، والى الجانب الآخر شكل آخر وعلى رأسه صليب ، والآخر فى يده عكاز وعلى رأسه صليب ، وتحت أرجلهم أشكال طيور ، وفوق رؤوس الأشكال كتابة .

ووجد مع هذا الصنم فى الصندوق لوح من ألواح الصبيان التى يكتبون فيها بالكتابة ، مدهون وجهه الواحد أبيض ، ووجهه الواحد أحمر ، وفيه كتابة قد تكشط أكثرها من طول المدة . وقد بلى اللوح ، وما بقيت الكتابة تلتئم ولا الخط يفهم .

وهذا نص ما فيه ، وأخليت مكان كتابته التى تكشطت ، وأما الوجه الأبيض فهو مكتوب بقلم الصحيفة القبطى . والمكتوب فى الوجه الأحمر على هذه الصورة :

(٢٢٣) ج ١ ، ط ٥ - بولاق .

السطر الأول : ببقى منه مكتوبا
الاسكندر .

السطر الثاني : الأرض وهبها له .

السطر الثالث : وجرب لكل .

السطر الرابع : أصحاب .

السطر الخامس : وهو يحرس .

السطر السادس : واحترازه بقوة .

السطر السابع : الملك مرجو وأبواب .

السطر الثامن : غير يته سبعة .

السطر التاسع : عالم حكيم عالم في عقله .

السطر العاشر : وصفها فلا تفسد .

السطر الحادي عشر : طارد كل سوء ،
والذى صاغها النساء .

السطر الثاني عشر : سد أيضا كل آثار
أبدية بيرس وهي أحد .

السطر الثالث عشر : بيرس ملك الزمان
والحكمة . كلمة الله عز وجل .

هذا صورة ما وجد في اللوح مما ببقى من
الكتابة ، والبقية قد تكشط .

وقيل ان هذا اللوح بخط الخليفة الحاكم .
وأعجب ما فيه اسم السلطان ، وهو بيرس .

ولما شاهد السلطان ذلك أمر بقراءته ،
فعرض على قراء الأقلام فقرأ ، وذلك بالقلم
القبلي .

ومضونه ملسم عمل للظاهر بن الحاكم ،
واسم أمه رصد ، وفيه أسماء الملائكة وعزائم
ورقي وأسماء روحانية وصور ملائكة ، أكثر
حرس لديار مصر وثغورها ، وصرف الأعداء
هنما وكفهم عن طروقهم إليها ، وإتهال الى الله

تعالى بأقسام كثيرة لحاية الديار المصرية ،
وصولها من الأعداء ، وحفظها من كل طارق
من جميع الأجناس .

وتضمن هذا الطلسم كتابة بالقلفطريات
وأوفاقا وصورا وخواص لا يعلمها الا الله
تعالى . وحصل هذا الطلسم الى السلطان ،
وبقى في دخائره .

قال : ورأيت في كتاب عتيق رث سماه
مصنفه « وصية الامام العزيز بالله والد الامام
الحاكم بأمر الله لولده المذكور » . وقد ذكر
فيه الطلسمات التي على أبواب القصر ،
ومن جعلتها أن أول البروج الحمل ، وهو
بيت المريخ وشرف الشمس ، وله القوة على
جميع سلطان الفلك لانه صاحب السيف
واسفهلارية العسكر بين يدي الشمس
الملك ، وله الأمر والحرب والسلطان والقوة ،
والمستولى لقوة روحانيته على مدينتنا . وقد
أقمنا ملسم لساعته ويومه ، لقهر الأعداء وذلك
المتافقين ، في مكان أحكمناه على اشرافه عليه ،
والحصن الجامع لقصر ، مجاورا لأول باب
بنياء ... هذا نص ما رأيت . انتهى .

ولعل معنى كتابة بيرس في هذا اللوح
إشارة الى أن هدم هذا الباب يكون على زمان
بيرس ، فان القوم كانت لهم معارف كثيرة ،
وعنايتهم بهذا الفن وافرة كبيرة . والله أعلم .

وموضع باب البحر هذا اليوم يعرف بباب
قصر بشتاك قبالة المدرسة الكاملية .

باب الريح : كان على ما أدركته تجاه سور
سعيد السعداء ، على يمنة السالك من الركن
المخلق الى رحبة باب العيد . وكان بابا مربعا

يسلك فيه من دهليز مستطيل مظلم الى حيث
المدرسة السابقة ودار الطوائى سابق الدين
وقصر أمير السلاح ، وينتمى الى ما بين
القصرين تجاه حمام اليسرى .

وعرف هذا الباب في الدولة الأيوبية بباب
قصر ابن الشيخ . وذلك أن الوزير صاحب
معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ ، وزير
الملك الصالح نجم الدين أيوب ، كان يسكن
بالقصر الذي في داخل هذا الباب ، ثم قيل له
في زمنا باب القصر .

وكان على حاله له عضادتان من حجارة ،
ويعلوه أسكفة حجر مكتوب فيها تقرا في
الحجر عدة أسطر بالقلم الكوفي لم يتهيا لي
قراءة ما فيها ، وكان دهليز هذا الباب عريضا
يتجاوز عرضه فيما أقدر العشرة أذرع في طول
كبير جدا ، ويعلو هذا الباب دور للسكنى
تشرف على الطريق .

وما زال على ذلك الى أن أنشأ الأمير
الوزير المشير جمال الدين يوسف الأستادار
مدرسته برحبة باب العيد ، واغتصب لها أملاك
الناس ، وكان مما اغتصب ما بجوار المدرسة
المذكورة من الحوائت والرباع التي فوقها
وما جاور ذلك ، وهدمها ليبنها على ما يريد .

فهدم هذا الباب في صفر سنة احدى عشرة
وثمانمائة . وبنى في مكانه ، ومكان الدهليز
المظلم الذي كان ينتهى بالسالك فيه من هذا
الباب الى المدرسة السابقة ، هذه القيسارية
الكبيرة ذات الحوائت والسقيفة والأبواب
الجديدة ، ودخل فيها بعض ما كان بجانبى
هذا الباب من الحوائت وعلوها .

ولما هدم هذا الباب ظهر في داخل بنيائه
شخص . وبلغنى ذلك فمرت الى الأمير
المذكور - وكان بينى وبينه صحبة -
لأشاهد هذا الشخص المذكور ، والتست منه
لحضاره . فأخبرنى أنه أحضر اليه شخص من
حجارة ، قصير القامة ، لحدى عينيه أصفر
من الأخرى .

فقلت : لا بد لى من مشاهدته .

فأمر * بالحضاره الموكل بالعمارة - وأنا
معه اذ ذاك في موضع الباب ، وقد هدم ما
كان فيه من البناء - فذكر أنه رماه بين
أحجار العمارة ، وأنه تكسر وصار فيما بينها ،
ولا يستطيع تميزه منها . فأغلظ عليه وبألت
في التحص عنه ، فأعياهم احضاره .

فسألت الرجل حينئذ عنه فقال لى : انهم
لما انتهوا في الهدم الى حيث كان هذا الشخص
اذا بدائرة فيها كتابة وبوسطها شخص قصير ،
صغير احدى العينين ، من حجارة .

وهذه كانت صفة جمال الدين ، فانه كان
قصير القامة احدى عينيه أصفر من الأخرى .
ويشبه - والله أعلم - أن يكون قد عين في
تلك الكتابة التي كانت حول الشخص أن
هذا الباب يهدمه من هذه صفة ، كما وجد
في باب البحر اسم بيرس الذى هدم على
يديه وبأمره .

وقد ظفر جمال الدين هذا بأموال عظيمة ،
وجدها في داخل هذا القصر ، لما أنشأ داره
الأولى في الحجرة من داخل هذا الباب في سنة
ست وتسعين وسبعمائة . وكان لكثرة هذا

الحال لا يستطيع كتابته . ومن شدة خوفه يومئذ من الظاهر يرقوق أن يظهر عليه لا يقدر أن يصرح به . فكان يقول لأصحابه وخوادمه : وجدت في هذا المكان سبعين قفة من حديد ... أخبرني اثنان رئيسان من أعيان الدولة عنه أنه قال لهما هذا القول .

وكتب لذلك أيام عمارته لهذه القاعة ، أتردد لشيخنا سراج الدين عمر بن الملقن رحمه الله تعالى بالمدسة السابقة - وبها كان يسكن - فتعرفت بجمال الدين منه .

وكان يومئذ من عرض الجند ، ويعرف بأستادار نحاس ، فاستمر هناك أنه وجد - حال خدمه وعمارته القاعة والرواق بالحدرة - مكانا مبنا تحت الأرض مبيض الحيطان فيه مال . فما كان عنده شك أنه من أموال خبايا القاطنين ، فانه قد ذكر غير واحد من الاخباريين أن السلطان صلاح الدين ، لما استولى على القصر بعد موت العاضد ، لم يقتصر بشيء من الخبايا ، وعاقب جماعة فلم يوقفوه على أمرها .

باب الزمرد : مسمى بذلك لأنه كان يتوصل منه إلى قصر الزمرد . وموضعه الآن المدرسة الحجازية بخط رجة باب العيد .

باب العيد : هذا الباب مكانه اليوم في داخل درب السلامي بخط رجة باب العيد . وهو عقد محكم البناء ، ويعلوه قبة قد عثت مسجدا ، وتحتها حانوت يسكنه سقاء ، ويقابله مصطبة .

وأدركت العامة وهم يسون هذه القبة بالقاهرة ، وروعنون أن الخليفة كان يجلس

بها ويرضى كنه ، فتأني الناس وتقبله . وهذا غير صحيح .

وقيل لهذا الباب باب العيد ، لأن الخليفة كان يخرج منه في يومى العيد إلى المصلى بظاهر باب النصر ، فيخطب بعد أن يصلى بالناس صلاة العيد ، كما ستقف عليه عند ذكر المصلى أن شاء الله تعالى .

وفي سنة إحدى وستين وستمائة ، بنى الملك الظاهر يبرس خانا للسبيل بظاهر مدينة القدس ، ونقل إليه باب العيد هذا فعلمه بإياها له . وتم بناؤه في سنة اثنتين وستين .

باب قصر الشوك : وهو الذى كان يتوصل منه إلى قصر الشوك . وموضعه الآن تجاه حمام عرفت بحمام الأيدمرى - ويقال لهما اليوم حمام يونس - عند موقف المكارية بجوار خزانة البنود ، على يمين المالك منها إلى رجة الأيدمرى .

وهو الآن زقاق ينتهى إلى بئر يستقى منها بالدلاء ، ويتوصل من هناك إلى المارستان العتيق وغيره . وأدركت منه قطعة من جانيه الأسر .

باب الديلم : وكان يدخل منه إلى المشهد الحسيني . وموضعه الآن درج ينزل منها إلى المشهد تجاه الفندق الذى كان دار القطرة ، ولم يبق لهذا الباب أثر البتة .

باب تربة الزعفران : مكانه الآن بجوار خان الخليلى من بحريه ، مقابل فندق المهنداد الذى يلقى فيه ورق الذهب ، وقد بنى بأغلاء طبقة ورواق ، ولا يكاد يعرفه كثير من الناس ، وعليه كتابة بالقلم الكوفى . وهذا

الباب كان يتوصل منه إلى تربة القصر المذكورة فيما تقدم .

باب الزهومة : كان في آخر ركن القصر ، مقابل خزانة الدوق التى هى اليوم خان مسرور . وقيل له باب الزهومة لأن اللحوم وحوائج الطعام ، التى كانت تدخل إلى مطبخ القصر الذى للحوم ، إنما يدخل بها من هذا الباب ، فقبيل له باب الزهومة ، يعنى باب الزفر .

ركان تجاهه أيضا درب السلسلة الآتى ذكره أن شاء الله تعالى . وموضعه الآن قاعة الخنايلة من المدارس الصالحية ، تجاه فندق مسرور الصغير ، ومن بعد باب الزهومة المذكور باب الذهب الذى تقدم ذكره ... فهذه أبواب القصر الكبير التسعة .

ذكر النحر *

وكان بجوار هذا القصر الكبير النحر ، وهو الموضع الذى اتخذ الخلفاء لنحر الأضاحى في عيد النحر وعيد الغدير ، وكان تجاه رجة باب العيد .

وموضعه الآن يعرف بالدرب الأصفر تجاه خانقاه يبرس . وصار موضعه ما في داخل هذا الدرب من الدور والطاحون وغيرها ، وظاهره تجاه رأس حارة برجوان ، بفصل بينه وبين حارة برجوان الحوايت التى تقابل باب الحارة .

(*) مره ٢٢ ج ١ ، ط. بولاق .

ومن جملة المنح الساحة العظيمة التى عثت لهما خوند بركة ، أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حين ، البوابة العظيمة بخط الركن المخلوق ، بجوار قيسارية الجلود التى عمل فيها حوائت الأساكمة .

وكان الخليفة إذا صلى صلاة عيد النحر وخطب ، ينحر بالمصلى ، ثم يأتى المنح المذكور ويخلقه المؤذنون يجهرون بالتكبير ، ويرفعون أصواتهم كلما نحر الخليفة شيئا . وتكون الحربة في يد قاضى القضاة وهو بجانب الخليفة ليناوله إياها إذا نحر . وأول من سن منهم إعطاء الضحايا وتفرقتها في أولياء الدولة ، على قدر رتبهم ، العزيز بالله نزار .

ما كان يعمل في عيد النحر

قال المسيحي : وفي يوم عرفة (يعنى من سنة ثمانين وثلثمائة) حمل ياقص صاحب الشرطة السباط ، وحمل أيضا على بن سعد المحتسب سباطا آخر . وركب العزيز بالله يوم النحر فصلى وخطب على العادة ، ثم نحر عدة نوق بيده ، وانصرف إلى قصره ، فنصب السباط والموائد وأكل ، ونحر بين يديه ، وأمر بتفرقة الضحايا على أهل الدولة . وذكر مثل ذلك في باقى السنين .

وقال ابن المأمون في عيد النحر من سنة خمس عشرة وخمسمائة : وأمر بتفرقة عيد النحر والهبة وجملة العين ثلاثة آلاف وثلثمائة وسبعون دينارا ، ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع يرسم الأمراء المطوقين والأستاذين

للطلة بدار العلم ، والتصديق بجوامع القاهرة ، وهبها المؤمنين بها من الشيعة للتبرك .

فإذا انتهى ذلك خلق الخليفة على الوزير ثيابه الحر التي كانت عليه ، ومنديلا آخر بغير السة والمقد المنظوم من القصر عند عود الخليفة من المنحرف . فيركب الوزير من القصر بالخلق المذكورة شاقا القاهرة ، فإذا خرج من باب زويلة انطلق على يمينه سالكا على الخليج ، فيدخل من باب القنطرة الى دار الوزارة ... وبذلك اتصال عيد النحر .

وقال ابن أبي طي : عدة ما يذبح في هذا العيد ، في ثلاثة أيام النحر وفي يوم عيد الغدير ، الثمان وخسمائة وأحد وستون رأسا . تفصيله : فوق مائة وسبعة عشر رأسا ، بقر أربعة وعشرون رأسا ، جاموس عشرون رأسا ... هذا الذي ينحرفه الخليفة ويذبحه يده في المصلى والمنحرف وباب الساباط . ويذبح الجزارون بين يديه من الكباش ألفا وأربعمائة رأس .

وقال ابن عبد الظاهر : كان الخليفة ينحرف بالبحر مائة رأس ، ويمسود الى خزانة الكسوة ، فيغير قمائه ويتوجه الى الميدان — وهو الخرنشف بباب الساباط — للنحر والذبح ، ويعود بعد ذلك الى الحمام ويغير ثيابه للجلوس على الأسمطة . وعدة ما يذبحه ألف وسبعمائة وستة وأربعون رأسا : مائة وثلاث عشرة ناقة ، والباقي بقر وغنم .

قال ابن الطوير : وثمن الضحايا على ما تقرر ما يقرب من ألفي دينار . وكانت تخرج

المخلطات الى الأضلاع بشائر يركوب الخليفة في يوم عيد النحر . فسا كتب به الأستاذ البارح أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب ، المعروف بابن الصيرفي ، النعوت بتاج الرئاسة :

« أما بعد . فالتحدي الذي رفع منار الشرع وحفظ نظامه ، ونشر راية هذا الدين وأوجب اعظامه ، وأطلع بخلافة أمير المؤمنين كواكب سموده ، وأظهر للمؤلف والمخالف عزة أحزابه وقوة جنوده ، وجعل فرقه ساميا ثاميا وأصله ثابتا راسخا ، وشرفه على الأديان بأمرها ، وكان لمرأها فاصما وأحكامها ناسخا ...

« يحمد أمير المؤمنين أن ألزم طاعته الخليفة ، وجعل كراماته الأسباب الجديرة بالامارة الخليفة . ويرغب اليه في الصلاة على جده محمد الذي حاز الفخار أجمعه ، وضمن الجنة لمن آمن به واتبع النور الذي أنزل معه ، ورفع الى أعلى منزلة تخير له منها المحل ، وأرسله بالهدى ودين الحق ، فزهق الباطل وخمدت ثاره واضمحلت ...

« صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : خير الأمة وامامها ، وحبر الملة وبدر تمامها ، والموفق يومه في الطاعات على ماضي أمه ، ومن أقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المباهلة مقام نفسه ، واختصه بأبعد غاية في مسورة برامة فتادى في الحج بأولها ، ولم يكن غيره ينفذ قناده ولا يسد مكانه ، لأنه قال لا يبلغ عنى إلا رجل من أهل بيتي عملا في ذلك بما أمر الله سبحانه ...

« وعلى « الأئمة من ذريتهما خلفاء الله في أرضه ، والقائمين في سبابة خلقه بصرح الإيمان ومعه ، والمعكن من أمر الدين ما لا وجه لحله ولا سبيل الى قفاه . وسلم عليهم أجمعين سلاما يتصل دوامه ولا يخفى انصرامه ، ومجدد وكرم ، وشرف وعظم ...

« وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الأحد عيد النحر ، من سنة ست وثلاثين وخمسة ، الذي تبليج فجره عن سيئات محضت ، وتغوس من آثام الذنوب خلصت ، ورحمة امتلحت ظلالها وانتشرت ، ومفطرة هنأت ونشرت ...

« وكان من خبر هذا اليوم أن أمير المؤمنين يبرز لكافة من بحضرته من أوليائه ، متوجها لقضاء حق هذا العيد السيد وأدائه ، في غرة راسخة قواعدها متمكنة ، وعساكر جمة تضيق عنها ظروف الأمكنة ، ومواكب تتوالى كتوالى السيل ، وتهاج هبة مجية في الليل ، بأسلحة تحجر لها الأبصار وتبرق ، وتترتاع الأفتدة منها وتشرق : فمن مشرق اذا ورد تورده ، ومن سميرى اذا قصد تقصده ، ومن عند اذا عدت تبرأت المغافر من ضماها ، ومن قصى اذا أرسلت بناتها وصلت الى القلوب بغير استئذانها ...

« ولم يزل سائرا في هدى الامامة وأنوارها ، وسكينة الخلافة ووقارها ، الى أن وصل الى المصلى قدام المحراب ، وأدى الصلاة اذ لم يكن بينه وبين التقييل حجاب . ثم علا المنبر فاستوى على ذروته ، ثم هلك

(٥٨) من ٢٢٧ ج ١ ، ط ١٩٧٠

الله وكبر وأثنى على عطشته ، واحسن الى الكافة بتبليغ مواعظ ، وتوجه الى ما أعد من البدن فنحرفه تكميلا لقرته ، وانتهى في ذلك الى ما أمر الله عز وجل ، وعاد الى قصوره المكرمة ومنازله المقدسة ... قد رضى الله عنه ، وشكر نعمه وتقبله ...

« أعطك أمير المؤمنين بذلك لتشكر الله على النعمة فيه ، وتذميه قبلك على الرسم ما تجاربه ، فاعلم هذا واعلم به ان شاء الله تعالى .

ذكر دار الوزارة الكبرى

وكان بجوار هذا القصر الكبير الشرقي ، تجاه رجة باب العيد ، دار الوزارة الكبرى . ويقال لها الدار الأنضلية والدار السلطانية .

قال ابن عبد الظاهر : دار الوزارة بنساها بدر الجمالي أمير الحيوش ، ثم لم يزل يسكنها من يلى امرة الحيوش الى أن انتقل الأمر عن المصريين وصار الى بني أيوب . فاستقر سكن الملك الكامل بقعة الجبل خارج القاهرة ، وسكنها السلطان الملك الصالح ولده ، ثم أرصدت دار الوزارة لمن يرد من الملوك ورسل الخليفة الى هذا الوقت .

وكانت دار الوزارة قديما تعرف بدار القباب ، وأضافها الأفضل الى دور بني هرسة وعمرها دارا ، وسماها دار الوزارة ... انتهى .

والذي تدل عليه كتب ابتياعات الأملاك القديمة التي بتلك الخطة أنها من بناء الأفضل

لا من عارة آية بخر . والدار التي عمرها
أمير الجيوش بدر هي داره بخوة يروجوا
التي قيل لها دار المقتر .

وما زال وزراء الدولة القاطنة أرباب
السيوف ، من عهد الأفضل بن أمير الجيوش ،
يسكنون بدار الوزارة هذه إلى أن زالت
الدولة . فاستقر بها السلطان الملك الناصر
صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وابنه من
بعده الملك العزيز عثمان ، ثم ابنه الملك
النصور ، ثم الملك العادل أبو بكر بن أيوب ،
ثم ابنه الملك الكامل ، وصاروا يسوقها الدار
الطانية .

وأول من اقتل عنها من الملوك وسكن
بالتقعة الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن
الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وجعلها
متزلا للرسل .

فلما ولي قنطرة منطقة ديار مصر ، وتلقب
بملك العادل في سنة سبع وخمسين وثمانية ،
وحضر إليه الجزيرة - ومهمهم يبرس
البنقلاري وقلاوون الأتقي - من الشام ،
خرج الملك العادل قنطرة إلى لقائهم ، وأرسل
الأمير ركن الدين يبرس بدار الوزارة ، فلم
زل بها حتى سافر سحبة قنطرة إلى الشام
وقته ، وعاد إلى مصر فتسلطن وسكن بقعة
الجيل .

وفي سنة ثلاث وتسعين وثمانية لما قتل
الإشراف خليل بن قلاوون في واقعة يندرا ، ثم
نقل يندرا وأجلس الملك الناصر محمد على
نحت الملك ، وقارت الأشرافية من الممالك
على الأمراء ، وقتل من قتل منهم ... خاف بقية
الأمراء من شر الممالك الأشرافية ، فقبض

منهم على نحو السبعة ملوك ، وأرسل بهم
من التقعة ، وأسكن منهم نحو السبعة دار
الوزارة ، وأسكن منهم كثير في منابر
الكيش ، وأجريت عليهم الرواتب ، ومنعوا
من الركوب ... إلى أن كان من أمرهم ما هو
مذكور في موضعه من هذا الكتاب .

ولما كانت سنة سبعمائة أخذ الأمير شمس
الدين قرا سنقر النصورى ، نائب السلطنة في
أيام الملك النصور حسام الدين لاجين ،
قطعة من دار الوزارة ، فبنى بها الربع المقابل
خاتاه سعيد السعداء ، ثم بنى المدرسة
المعروفة بالقرا سنقرية ومكتب الأيتام .

فلما كانت دولة النرجسية بنى الأمير ركن
الدين يبرس الجاشنكير الخاتاه الركبية
والرباط بجانبها من جملة دار الوزارة ، وذلك
في سنة تسع وسبعمائة ، ثم استولى الناس
على ما بقي من دار الوزارة وبنوا فيها .

فن حنوقها : الربع تجاه الخاتاه الصلاحية
دار سعيد السعداء ، والمدرسة القرا سنقرية .
وخاتاه ركن الدين يبرس ، وما بجوارها من
دار قزمان ودار الأمير شمس الدين سنقر
الأعسر الوزير - المعروفة بدار خوند
طولوياني الناصرية ، جهة الملك الناصر حس
ابن محمد بن قلاوون - وحمام الأعسر التي
بجانبها ، والحمام المجاورة لها .

وما وراء هذه الأماكن من الآدر وغيرها ،
وهي القرن والطاحون التي قبلى المدرسة
القرا سنقرية ، ومن الآدر والخربة التي قبلى
ربع قرا سنقر ، وما جاور باب سر المدرسة
القرا سنقرية من الآدر - وخربة أخرى هناك ،

(٢٨ من ٢٨) ج ١ ، طبع بولاق

والدار الكبرى المعروفة بدار الأمير سيف
الدين برلغى الصغير صهر الملك المنصور يبرس
الجاشنكير - المعروفة اليوم بدار الغزوى
- وفيها السرداب الذي كان رزك بن
الصالح رزك فتحه في أيام وزارته من دار
الوزارة إلى سعيد السعداء ، وهو باق إلى
الآن في صدر قاعتها ، وذكر أن فيه حبة
عظيمة .

ومن حنوق دار الوزارة المناخ المجاور
لهذه القاعة .

وكان على دار الوزارة سور مبنى
بالحجارة ، وقد بقي الآن منه قطعة في حد دار
الوزارة الغربى وفي حدهما القبلى - وهو
الجدار الذي فيه باب الطاحون والساقية
تجاه باب سعيد السعداء ، من الزقاق الذي
يعرف اليوم بخرائب تتر - ومنه قطعة في
حدهما الشرقي عند باب الحمام والمستوقد
بياب الجوانية .

وكان بدار الوزارة هذا الشباك الكبير
المعمول من الحديد ، في القبة التي دفن
تحتها يبرس الجاشنكير من خاتاه ، وهو
الشباك الذي يقرأ فيه القراء ، وكان موضوعا
في دار الخلافة ببغداد يجلس فيه الخلفاء من
بنى العباس .

فلما استولى الأمير أبو العارث الباسيرى
على بغداد ، وخطب فيها للخليفة المستنصر بالله
القاطنى أربعين جمعة ، واتهب قصر الخلافة ،
وصار الخليفة القائم بأمر الله العباسى إلى
عانة ، وسير الباسيرى الأموال والتحف من
بغداد إلى المستنصر بالله بمصر في سنة سبع

وأربعين وأربعمائة ... كان من جملة ما بعث
به متدبل الخليفة القائم بأمر الله الذى عساه
ييده ، في قالب من رخام قد وضع فيه كما هو
حتى لا تتغير شدته ، ومع هذا المنديل رداءه ،
والشباك الذى كان يجلس فيه ويتكىء
عليه .

فاحتفظ بذلك إلى أن عثرت دار الوزارة
على يد الأفضل بن أمير الجيوش ، فجعل هذا
الشباك بها يجلس فيه الوزير ويتكىء عليه .
وما زال بها إلى أن عمر الأمير ركن الدين
يبرس الجاشنكير الخاتاه الركبية ، وأخذ
من دار الوزارة أقتاضا منها هذا الشباك ،
فجعله في القبة . وهو شباك جليل .

وأما العمامة والرداء فما زالوا بالقصر حتى
مات العاضد ، وتملك السلطان صلاح الدين
ديار مصر ، فسيرها في جملة ما بعث من مصر
إلى الخليفة المستنصر بالله العباسى ببغداد ،
ومعهما الكتاب الذى كبه الخليفة القائم على
نفسه ، وأشهد عليه المدول فيه أنه لا حق
لبنى العباس ، ولا له من جملتهم ، في الخلافة
مع وجود بنى فاطمة الزهراء عليها السلام
- وكان الباسيرى ألزمه حتى أشهد على
نفسه بذلك ، وبعث بالاشهاد إلى مصر -
فأتمه صلاح الدين إلى بغداد مع ما سير به
من التحف التي كانت بالقصر .

وأخبرنى شيخ معمر ، يعرف بالشيخ على
السعودى ، ولد في سنة سبع وسبعمائة ، قال :
رأيت مرة وقد سقط من ظهر الرباط المجاور
لخاتاه يبرس ، من جملة ما بقي من سور
دار الوزارة ، جانب ظهرت منه علة فيها رأس
إنسان كبير .

وعتق ابن هذا الراس من جلة رؤوس
الأمراء البرقية الذين قتلهم ضرغام في أيام
وزارته للعاصد بعد شاور . فانه كان على
الحية طليم يدار الوزارة ، وصار يستعنى
والحنا بعد واحد الى خزنة بالدار ، ويومهم
انه يخلع عليهم ، قلنا صار واحد منهم في
الخزنة قتل وقطع راسه ، وذلك في سنة
ثمان وخمسين وخمسة .

وكانت دار الوزارة في الدولة القاطية
تحتل على عدة قاعات ومساكن وبستان
وغيره . وكان فيها مائة وعشرون مقصدا للماء
الذي يجري في يركها ومطبخها ونحو ذلك .

ذكر رتبة الوزارة وهيئة خلعهم ومقدار جاريهم وما يتعلق بذلك

أما المزددين لله ، أول الخلفاء القاطيين
بديار مصر ، فانه لم يوقع اسم الوزارة على
أحد في أيامه . وأول من قيل له الوزير في
الدولة القاطية الوزير يعقوب بن كلس ،
وزير العزيز بالله أبي منصور عزار بن المزد ،
واليه تسب الحارة الوزيرية كما ستقف عليه
عند ذكر الحارات من هذا الكتاب . فلما مات
ابن كلس لم يستوزر العزيز بالله بعده أحدا ،
وانما كان رجل يلي الوسامة والسفارة ،
فاستمر في ذلك جنة كيرة بقية أيام العزيز
وسائر أيام ابنه أبي على منصور الحاكم بأمر
الله .

ثم ولي الوزارة أحمد بن علي الجرجاني
في أيام الظاهر أبي هاشم علي بن الحاكم

(١٢٣٥ هـ) ، خديوي .

وما زال الوزراء من بعده واحدا بعد واحد
— وهم أرباب أقلام — حتى قدم أمير
الجيوش بدر الجمالي .

قال ابن الطوير : وكان من زى هؤلاء
الوزراء أهم يليسون للتباديل الطبيعية
بأحكام تحت خلوقهم مثل المدول الآن ،
ويترددون بلبس ثياب قصار يقال لها الثراريم
(واحدا ذرلة) وهي مشققة أمام وجهه
الى قريب من رأس القنود بأزوار وعرة ،
ومنهم من تكون أزواره من ذهب مشبك ،
ومنهم من أزواره لؤلؤ . وهذه علامة الوزارة .

ويحمل له الدولة المحلاة بالذهب ، ويقف
بين يديه العجائب ، وأمره لا ينفذ في أرباب
السيوف من الأجناد وأرباب الأقلام . وكان
آخرهم الوزير ابن القريب الذي قدم عليه
أمير الجيوش بدر الجمالي من عسكا ، ووزر
لمستمر وزير سيف ، ولم يتقدمه في ذلك
أحد . انتهى .

وترتيب وزارته بأن تكون وزارته ودارة
صاحب سيف ، بأن تكون الأمور كلها مردودة
اليه ومنه الى الخليفة دون سائر خدمه ، فمقد
له هذا المقعد ، وأتى له السجل ، ونعت
بالسيد الأجل أمير الجيوش — وهو النعت
الذي كان لصاحب ولاية دمشق — وأضيف
اليه كفل قضاء المسلمين ، وهادى دعة
للمؤمنين ، وجعل القاضي والداني قائمين عنه
ومقلدين من قبله .

وكتب له في سجله : « وقد قللك أمير
المؤمنين جميع جوامع تديره ، وقاط بك النظر
في كل ما وراء سريره . فباشر ما قللك أمير

للمؤمنين من ذلك مدبرا للبلاد ، ومصلحا
للقساد ، ومدمرا أهل العناد . »

وخلع عليه بالعقد المنقوش بالجواهر مكان
الطوق ، وزيد له الحنك مع الذؤابة المرخاة
والطيلسان المقور زى قاضي القضاة ، وذلك
في سنة سبع وستين وأربعمائة . فصارت
الوزارة من حينئذ وزارة تفويض ، ويقال
لتمويلها أمير الجيوش ، وبطل اسم الوزير .

فلما قام شاهنشاه بن أمير الجيوش من
بعد أبيه ، ومات الخليفة المستر ، وأجلس
ابن بدر في الخلافة أحمد بن المستر ولقبه
بالمستعلي ، صار يقال له الأفضل ، ومن بعده
صار من يتولى هذه الرتبة يلقب به أيضا .

وأول من لقب بالملك منهم مضافا الى بقية
الألقاب رضوان بن ولخشي ، عندما وزر
للحاظ لدين الله ، فقيل له السيد الأجل الملك
الأفضل ، وذلك في سنة ثلاثين وخمسمائة .

وقبل ذلك من بعده ، فلقب بطلائح بن
رزيك بالملك المنصور ، وتلقب ابنه رزيك بن
طلائح بالملك العادل ، وتلقب شاور بالملك
المنصور ، وتلقب آخرهم صلاح الدين يوسف
ابن أيوب بالملك الناصر . وصار وزير السيف
من عهد أمير الجيوش بدر الى آخر الدولة
هو سلطان مصر ، وصاحب الحل والمقد ،
واليه الحكم في الكافة من الأمراء والأجناد
والقضاة والكتاب وسائر الرعية ، وهو
الذي يولى أرباب المناصب الديونية
والدينية .

وصار حال الخليفة معه كما هو حال ملوك
مصر من الأتراك اذا كان السلطان صغيرا

والقائم بأمره من الأمراء ، وهو الذي يتولى
تدبير الأمور كما كان الأمير يلعبها الخاصكي
مع الأشرف شعبان ، وكما أدركنا الأمير
برقوق قبل سلطته مع ولدي الأشرف ، وكما
كان الأمير أيتش مع الملك الناصر فرج بعد
موت الظاهر برقوق .

قال ابن أبي طي : وكانت خلعهم (يعني
الخلفاء القاطيين) على الأمراء الثياب
الديقية ، والمعائم القصب بالطراز الذهب .
وكان طراز الذهب والمعائم من خمسمائة
دينار ، ويخلع على أكابر الأمراء الأطواق
بالذهب والأسورة والسيوف المحلاة . وكان
يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد
جواهر .

قال ابن الطوير : وخلع عليه (يعني على
أمير الجيوش بدر الجمالي) بالعقد المنقوش
بالجواهر مكان الطوق ، وزيد له الحنك مع
الذؤابة المرخاة والطيلسان المقور زى قاضي
القضاة .

وهذه الخلع تشابه خلع الوزراء وأرباب
الأقلام في زمنا هذا . غير أنه لتصور أحوال
الدولة ، جعل عوض العقد الجواهر الذي كان
للوزير — وفك بخمسة آلاف مثقال ذهبا —
قلادة من عنبر مفضوش يقال لها العنبرية ،
ويتميز بها الوزير خاصة ، ويلبس أيضا
الطيلسان المقور ويسمى اليوم بالطرحة ،
ويشاركه فيها جميع أرباب المعائم اذا خلع
عليهم ، فانه تكون خلعهم بالطرحة .

وترك أيضا اليوم من خلع الوزير وغيره
الذؤابة المرخاة وهي العنبرية ، وصارت الآن

من رأى القصة قطعه وهجرها الوزراء . وشبهه
— ولله أعلم — أن يكون وضعها في الدولة
القاضية للوزير في خلفه إشارة إلى أنه كبير
أرباب السيوف والأقلام ، فانه كان مع ذلك
يتقن بالسيف . وكذلك ترك في الدولة
التركية من خلف الوزراء تقليد السيوف ، وانه
لا يحكم له على أرباب السيوف .

ولما قام الأفضل بن أمير الجيوش خلف
أيضا عليه بالسيف والغيلسان للثور . وبعد
لأفضل لم يخلع على أحد من الوزراء
كذلك إلى أن قدم ملائح بن رزك ، ولقب
بذلك الصالح عندما خلف عليه للوزارة ،
وجعل في خلفه السيوف والغيلسان للثور .

قال ابن المأمون : وفي يوم الجمعة ثانيه
(يعني ثاني في الحجة يعني ستة خسن
شجرة وخمسائة) خلف على القائد ابن فلك
البيضاقي من اللابس الخاص الشرقة في
فرد كم مجلس الكعبة ، وطوق بطوق ذهب
مرصع . وسيف ذهب كذلك ، وسلم على
الخليفة الأمر بأحكام الله . وأمر الخليفة
الاستاذين الحنكيين بالخروج بين يديه ، وأن
يركب من المكان الذي كان الأفضل بن أمير
الجيوش يركب منه .

ومنى في ركابه القواد على عادة من
تقدمه ، وخرج يتصرف الوزارة (يعني من
باب الذهب) ، ودخل من باب العيد راكبا ،
وجرى الحكم فيه على ما تقدم للأفضل ،
ووصل إلى داره فضلت الرسوم ، وأطلق
الهيئات .

الملك محمد بن طاهر ، حيدرآباد .

ولما كان يوم الاثنين خامس ذي الحجة ،
اجتمع أمراء الدولة لتقيل الأرض بين يدي
الخليفة لأمر على المائة التي قررهما
مستجدة ، واستدعى الشيخ أبا الحسن بن
أبي أسامة .

فلما حضر أمر بإحضار السجل للأجل
الوزير المأمون من يده ، وقبله وسلمه لزمام
القصر ، وأمر الخليفة الوزير المأمون بالجلوس
عن يمينه .

وقرئ السجل على باب المجلس — وهو
أول سجل قرئ في هذا المكان ، وكانت
سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالايوان —
ورسم للشيخ أبي الحسن أن ينقل النسبة
للأمراء وللخسكين من الأمراء إلى المأموني
لناس أجمع ، ولم يكن أحد منهم يتسب
لأفضل ولا لأمير الجيوش . وقدمت الدواة
للمأمون ، فعلم في مجلس الخليفة ، وتقدمت
الأمراء والأجناد ، فقبلوا الأرض وشكروا
على هذا الاحسان .

وأمر الخليفة بإحضار الخلع لحاجب
الحجاب حسام الملك ، وطوق بطوق ذهب
وسيف ذهب ومنطقة ذهب . ثم أمر بالخلع
للشيخ أبي الحسن بن أبي أسامة باستلوازه
على ما يسده من كتابة الدست الشريف ،
وشرفه بالخول إلى مجلس الخليفة .

ثم استدعى الشيخ أبا البركات بن أبي
الليث ، وخلع عليه بدلة مذهبة ، وكذلك أبو
الرضى سالم ابن الشيخ أبي الحسن ، وكذلك
أبو المكارم أخوه وأبو محمد أخوهما ، ثم
أبو الفضل بن الليثي ، ووجهه دنانير كثيرة .

بحكم أنه الذي قرأ السجل ، وخلع على
الشيخ أبي الفضائل بن أبي الليث صاحب
دفتر المجلس .

ثم استدعى عدى الملك سعيد بن عماد
الضيف ، متولى أمور الضيافات والرسائل
الواصلين إلى الحضرة من مجلس الأفضل ،
ولا يصل لقبه أحد لا حاجب الحجاب ولا
غيره سوى عدى الملك هذا ، فانه كان يقف
من داخل العتبة . وكانت هذه الخدمة في ذلك
الوقت من أجل الخدم وأكبرها ، ثم عادت من
أهون الخدم وأقلها .

فعند ذلك قال القاضي أبو الفتح بن قادوس
يمدح الوزير المأمون عند مثوله بين يديه ،
وقد زيد في نفوته :

قالوا أثناء التمت وهو السيد
مأمون حقا والأجل الأشرف
ومنيث أمة أحمد ومجيرها
ما زادنا شيئا على ما نعرف

قال : ولما استرح حسن نظر المأمون للدولة
وجميل أفعاله ، بلغ الخليفة الأمر بأحكام الله ،
فشكره وأثنى عليه ، فقال له المأمون : ثم كلام
يحتاج إلى خلوة .

فقال الخليفة : تكون في هذا الوقت . وأمر
بخلو المجلس .

فعند ذلك مثل بين يدي الخليفة وقال له :
يامولانا امثالنا الأمر صعب ومخالفته
أصعب ، وما يتسع خلافه قدام أمراء دولته
وهو في دست خلافته ومنصب آباءه وأجداده ،
وما في قواي ما يرومه مني ، وبكفيني هذا
المقار ، وهيئات أن أقوم به ، والأمر كبير .

فعند ذلك تغير الخليفة ، وأقسم أن كان
لي وزير غيرك ، وهو في نفسي من أيام
الأفضل .

وهو مستتر على الاستغناء إلى أن بان له
التغير في وجه الخليفة ، وقال : ما اعتقدت
أنك تخرج عن أمري ، ولا تخالفني .

فقال له المأمون عند ذلك : لي شروط ،
وأنا أذكرها .

فقال له : مهما شئت اشترط .

فقال له : قد كنت بالأمر مع الأفضل ،
وكان قد اجتهد في النموت وحل المنطقة فلم
أفعل .

فقال الخليفة : علمت ذلك في وقته .

قال : وكان أولاده يكتبون إليه بما يعلمه
مولاي من كوني قد خنته في الماء والأهل ،
وما كان والله العظيم ذلك مني يوما قط ، ثم
مع ذلك معاداة الأهل جسيما والأجناد وأرباب
الطيالس والأقلام ، وهو يعطيني كل رقعة
تصل إليه منهم ، وما سمع كلام أحد منهم
في .

فعند ذلك قال له الخليفة : فإذا كان فعل
الأفضل معك ما ذكرته ... إيش يكون
فعلي أنا ؟

فقال المأمون : يعرفني المولى ما يأمر به
فأمثله بشرط ألا يكون عليه زائد .

فأول ما ابتدأ به أن قال : أريد الأموال
لا تجبي إلا بالقصر ، ولا تصل الكسوات
من الطراز والثغور إلا إليه ، ولا تفرق إلا
منه ، وتكون أسطة الأعياد فيه ، ويوسع

في رواتب القصور من كل صنف ، وزيادة
رسم منديل الكم .

فعند ذلك قال له المأمون : سمعا وطاعة .
أما الكسوات والجبابة من الأسطة فماتكون
إلا بالقصور ، وأما توسعة الرواتب فما ثم من
يخالف الأمر ، وأما زيادة رسم منديل الكم
فقد كان الرسم في كل يوم ثلاثين ديناراً ،
يكون في كل يوم مائة دينار . ومولانا
— سلام الله عليه — يشاهد ما يعمل بعد
ذلك في الركوبات واسطة الأعياد وغيرها في
سائر الأيام .

ففرح الخليفة ، وعظمت مسرته .

ثم قال المأمون : أريد بهذا مسطوراً بخط
أمير المؤمنين ، ويقسم لي فيه بآبائه الطاهرين
ألا يلتفت لحاسد ولا مبغض ، ومهما ذكر
في يطلعني عليه ، ولا يأمر في بأمر سرا ولا
يجهر بما يكون فيه ذهب تقى وانحطاط
قدرى . وهذه الأيمان باقية إلى وقت وفاتي ،
فاذا توفيت تكون لأولادى ولمن خلفه
بعدي .

فحضرت الدواة ، وكتب ذلك جميعه ،
وأشهد الله تعالى في آخرها على نفسه .
فعندما حصل الخط بيد المأمون ، وقف وقبل
الأرض وجعله على رأسه . وكان الخط
بالأيمان نسختين ، أحدهما في قصبة فضاء .

قال : فلما قبض على المأمون في شهر
رمضان سنة تسع وعشرين وخمسة ، أفتد
الخليفة الأمر بأحكام الله يطلب الأيمان ، فنفذ
له التي في القصبة القصة ، فحرقها لوقتها ،

(*) من ١١١ ج ١ ، ط. بولاق .

وبقيت النسخة الأخرى عندي ، فعدمت في
الحركات التي جرت .

وقال ابن ميسر في حوادث سنة خمس عشرة
 وخمسمائة : وفيها تشرف القائد أبو عبد الله
 محمد ابن الأمير نور الدولة أبي شجاع فأتك
 ابن الأمير منجد الدولة أبي الحسن مختار
 المستنصرى — المعروف بابن البطالحي — في
 الخامس من ذي الحجة ، وكان قبل ذلك عند
 الأفضل استاداره ، وهو الذي قدمه إلى هذه
 المرتبة .

واستقرت نعمته في سجله المقرر على كافة
 الأمراء والأجناد : بالأجل المأمون ، تاج
 الخلافة ، وجيه الملك ، فخر الصنائع ، ذخ
 أمير المؤمنين . ثم تجدد له من النعوت بعد
 ذلك : الأجل المأمون ، تاج الخلافة ، عز
 الاسلام ، فخر الأنام ، نظام الدين والدنيا . ثم
 نعت بما كان ينعت به الأفضل ، وهو : السيد
 الأجل المأمون ، أمير الجيوش ، سيف
 الاسلام ، ناصر الأنام ، كافل قضاة المسلمين ،
 وهادى دعاة المؤمنين .

ولما كان يوم الثلاثاء التاسع من ذي الحجة
 — وهو يوم الهناء بعيد النحر — جلس
 المأمون في داره عند أذان الصبح ، وجاء
 الناس لخدمته للهناء على طبقاتهم من أرباب
 السيوف والأقلام ، ثم الأمراء والأستاذون
 المحنكون والشعراء بعدهم .

فركب إلى القصر ، وأتى باب الذهب ،
 فوجد المرتبة المختصة بالوزارة قد هيئت له في
 موضعها الجارى به العادة ، وأغلق الباب الذي
 عندها على الرسم المعتاد لوزراء السيوف
 والأقلام . وهذا الباب يعرف بباب السرداب .

فعندما شاهد الحال في المرتبة ، توقف عن
 الجلوس عليها لأنها حالة لم يجر معه حديث
 فيها ، ثم ألبأته الضرورة لأجل حضور الأمراء
 إلى الجلوس ، فجلس عليها ، وجلس أولاده
 الثلاثة عن يمينه ، وأخوه عن يساره ،
 والأمراء المطوقون خاصة دون غيرهم قيام بين
 يديه ، فإنه لا يصل أحد إلى هذا المكان
 سواهم . فلم يكن بأسرع من أن فتح الباب ،
 وخرج عدة من الأستاذين المحنكين بسلام
 أمير المؤمنين .

وخرج إليه الأمير الثقة ، متولى الرسالة
 وزمام القصور ، فعند حضوره وقف له أولاد
 المأمون وقبل الأرض ، وعاد فجلس مكانه ،
 المرتبة وقال : أمير المؤمنين يرد على السيد
 الأجل المأمون السلام . فوقف عند ذلك
 المأمون وقبل الأرض ، وعاد فجلس مكانه .
 وتأخر الأمير إلى أن نزل من المصطبة ، وقبل
 الأرض وقبل يد المأمون ، ودخل من فوره من
 الباب ، وأغلق الباب على حاله على ما كان
 عليه الأفضل .

وكان الأفضل يقول : ما أزال أعد تقى
 سلطاناً حتى أجلس على تلك المرتبة ، والباب
 يعلق في وجهى والمخاض في ألقى ، فإن الحمام
 كانت من خلف الباب في السرداب .

ثم فتح الباب وعاد الثقة ، وأشار بالدخول
 إلى القصر ، فدخل إلى المكان الذى هيئ له
 وعاد لمجلس الوزارة ، وبقي الأمراء بالدهاليز
 إلى أن جلس الخليفة . واستفتح القراء ،
 واستدعى المأمون فحضر بين يديه ، وسلم عليه
 أولاده وأخوته ، وأحبل الأمراء على قدس

طبقاتهم : أولهم أرباب الأطواق ، ويلهم
 أرباب العصاريات والأقصاب ، ثم السيوف
 والأشراف .

ثم دخل ديوان المكاتب وسلم بهم الشيخ
 أبو الحسن بن أبي أسامة ، ثم ديوان الانشاء
 وسلم بهم الشريف ابن أس الدولة ، ثم بقية
 الطالبين من الأشراف ، ثم سلم القاضي ابن
 الرسمى بشهوده ، والداعى ابن عبد الحق
 بالمؤمنين ، ثم سلم القائد مقبل مقدم الركاب
 الآمرى بجميع المتقدمين الآمرة ، ثم سلم
 بعدهم الشيخ أبو البركات بن أبي الليث
 متولى ديوان الملكة . ثم دخل الأجناد من
 باب البحر ، وسلم كل طائفة بمقدمها .

فلما انقضى ذلك دخل وإلى القاهرة ووالى
 مصر ، وسلم كل منها بياض أهل البلدين ،
 ثم دخل البطرك بالنصارى وفيهم كتاب الدولة
 من النصارى ، ورئيس اليهود ومعه الكتاب
 من اليهود ، ثم سلم المقربون وقد قارب
 القصر . ودخل الشعراء على طبقاتهم ، وأشد
 كل منهم ما سمعت به قريحته .

قال : فكان هذا رتبة الوزير المأمون .

قال ابن المأمون : وأما ما قرر للوزارة صينا
 في الشهر ، بغير إيجاب بل يقبض من بيت
 المال ، فهو ثلاثة آلاف دينار .

تفصيلها : ما هو على حكم النيابة في
 العلامة ألف دينار ، وما هو على حكم الراتب
 ألف وخمسمائة دينار ، وما هو عن مائة
 غلام — برسم مجلسه وخدمته — لكل غلام
 خمسة دنائير في الشهر .

فاما الغلمان الركابية ، وغيرهم من
الفراسين والطباخين ، فعلى حكم ما يرغب في
اثباته .

وفي السنة : من الاقطاعات خمسون ألف
دينار ، منها دهشور وجزيرة الذهب ، وبقية
الجملة صفقات . ومن البساتين ثلاثة :
بستان * الأمير تميم ، وبستانان يكوم
أشفين . ومن القوت (يعني القمح) ، ومن
القمح (يعني الشعير) والبرسيم في السنة
عشرون ألف اردب قمحا وشعيرا . ومن الغنم
برسم مطابخه ساقه من المراحات ثمانية آلاف
رأس .

وأما الحيوان والأحطاب وجميع التوابل ،
العال منها والدون ، فهما استدعاء متولى
المطابخ يطلق من دار أفكين وشون الأحطاب
وغير ذلك .

وقد تقدم مقرر كوة الوزارة في الميدين ،
وفصلى الشتاء والصيف ، وموسم عيد
الغدير ، وفتح الخليج ، وغير ذلك من غرمتي
شهر رمضان وأول العام وغيره ، كما سيرد
في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

وقد استقصيت سير الوزراء في كتابي
الذي سميت « تلقيح العقول والآراء في تنقيح
أخبار الجلة الوزراء » فانظره .

ذكر الحجر التي كانت برسم الصبيان الحجرية

وكان بجوار دار الوزارة مكان كبير يعرف
بالحجر (جمع حجرة) فيها الغلمان المختصون

(*) ص ٤٤٢ ج ١ ، ط. بولاق .

بالخلفاء ، كما أدركنا بالقلمة البيوت التي كان
يقال لها الطباقي .

وكانت هذه الحجر من جانب حارة
الجوانية ، وإلى حيث المسجد الذي يصرف
بمسجد القاصد ، تجاه باب الجامع الحاكمي
الذي يفضى إلى باب النصر .

فمن حقوق هذه الحجر : دار الأمير بهادر
اليوسفي السلاحدار الناصري ، التي تجاور
المسجد الكائن على يمينه من سلك من باب
الجوانية طالبا باب النصر ، ومنها الحوض
المجاور لهذه الدار ، ودار الأمير أحمد قريب
الملك الناصر محمد بن قلاوون ، والمسجد
المعروف بالنخلة ، وما بجواره من القاعتين
اللتين تعرف احدهما بقاعة الأمير علم الدين
سنجر الجاولي ، وما في جانبها إلى مسجد
القاصد ، وما وراء هذه الدور .

وكان لهؤلاء الحجرية اصطبل برسم دوابهم
سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى . وما زالت هذه
الحجر باقية ، بعد انقضاء دولة الخلفاء
الفاطميين ، إلى ما بعد السبعمئة فهدمت ،
وابتني الناس مكانها الأماكن المذكورة .

قال ابن أبي طي عن المعز لدين الله : وجعل
كل ماهر في صنعة صانعا للخاص ، وأفرد لهم
مكانا برسمهم ، وكذلك فعل بالكتاب
والأفاضل ، وشرط على ولادة الأعمال عرض
أولاد الناس بأعمالهم ، فمن كان ذا شهامة
وحسن خلق أرسله ليعتمد في الركاب .
فسيروا إليه علما من أولاد الناس ، فأفرد لهم
دورا وسماها الحجر .

وقال ابن الطوير : وكوب الأفضل بن
أمير الجيوش من عسقلان باجتماع الفرنج .
فاهتم للتوجه إليها ، فلم يبق مسكنا من مال
وسلاح وخيل ورجال ، واستأجر أخاه المظفر
أبا محمد جعفر بن أمير الجيوش بدر بين
يدى الخليفة مكانه ، وقصد استنقاذ الساحل
من يد الفرنج ، فوصل إلى عسقلان ، وزحف
عليها بذلك العسكر ، فخذل من جهة عسكره
— وهي نوبة النص — وعلم أن السبب في
ذلك من جنده . ولما غلب حرق جميع ما كان
معه من الآلات .

وكان عند الفرنج شاعر منتجع اليهم ، فقال
يخاطب صنجل ملك الفرنج :

نصرت بسيفك دين المسيح
فله درك من صنجل
وما سمع الناس فيما روه
بأقبح من كسرة الأفضل

فتوصل الأفضل إلى ذبح هذا الشاعر .
ولم يتفع بعد هذه النوبة أحد من الأجناد
بالأفضل ، وحظر عليهم النعوت ، ولم يسمح
لأحد منهم كلمة .

وأنشأ سبع حجر ، واختار من أولاد الأجناد
ثلاثة آلاف راجل ، وقسمهم في الحجر ، وجعل
لكل مائة زماما وتقييا ، وزم الكل بأمير يقال
له الموفق ، وأطلق لكل منهم ما يحتاج إليه من
خيل وسلاح وغيره ، وعنى بهؤلاء الأجناد .
فكان إذا دهم أمر مهم ، جهزهم إليه مع
الزمام الأكبر .

وقال ابن المأمون : وكان من جملة الحجرية
الذين يحضرون السباط رجل يعرف بابن

زحل . وكان يأكل خروفا كبيرا مشويا
ويستوفيه إلى آخره ، ثم يقدم له صحن كبير
من القصور المعمولة بالسكر ، وجميع صنوف
الحيوانات على اختلاف أجناسها ما لم يعمل
قط مثله من الأطعمة ، فيأكل معظمه . وكان
يقعد في طرف المدورة حتى يكون بالقرب من
نظر الخليفة للميزته ، وكان من الأجناد وأسر
في أيام الأفضل ، وقيده الفرنجي الذي أسره
وعذبه ، وطالت مدته في الأسر وكان فقيرا .

فاتفق أن ذكر للفرنجي كثرة أكله ، فأراد أن
يبتحنه ، فقال له : أحضر لي عجلا ، أكبر
عجل عندكم ، آكله إلى آخره .

فضحك منه الفرنجي ، ونقص عقله ، وأناه
بمجل كبير ، ويقال بخنزير ، فقال له : اذبحه
واشوه ، وائتني معه بجرة خل . ثم قال : اذا
أكلته ما يكون لي عندك ؟

فعلط الفرنجي وقال له : أطلقك تمضي إلى
أهلك .

فاستحلفه على ذلك ، وغلظ عليه اليمن .
وأحضر الفرنجي عدة من أصحابه ليشاهدوا
فعله . فلما استوفى العجل جميعه ، صلب
كل من الحاضرين على وجهه * ، وتعجب من
فعله ، وأطلقه .

فقال : أخاف من أن يعتقد أتى هربت ،
فأرد اليكم .

فأحضر الفرنجي من العريان من سلمه اليهم
ولم يشعر به إلا بباب عسقلان فطلع منها ،
وأغفى بعد ذلك من السفر ، وبقي برسم
الأسطة .

(*) ص ٤٤٢ ج ١ ، ط. بولاق .

وقال ابن عبد الظاهر : الحجر قريب من باب النصر ، وهو مكان كبير في صف دار الوزارة ، الى جانبه باب القوس الذي يسمى باب النصر قديما ، على ينة الخارج من القاهرة ... كان تربى فيه جماعة من الشباب يسون صبيان الحجر يكونون في جهات متعددة ، وهم يناهزون خسة آلاف نسمة . ولكل حجرة اسم تعرف به ، وهي المنصورة والتفتح ، والجديد وغير ذلك ... مفردة لهم ، وعندهم سلاحهم .

فاذا جردوا خرج كل منهم لوقته لا يكون له ما يمنعه ، وكانوا في ذلك على مثال الذواية والاستار ، وكانوا اذا سمى الرجل منهم يعقل وشجاعة خرج من هناك الى الامرة او التقدمة ، مثل على بن السار وغيره ، ولا يأوى أحد منهم الا بحجرته بفرسه وعدته وقمائه . وللصبيان الحجرية حجرة مفردة : عليهم استاذون يبيتون عندهم ، وخدام يرسمهم .

ذكر المناخ السعيد

وكان من وراء القصر الكبير ، فيما يلي ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر ، المناخ . وهو موضع يرسم طواحين القمح التي تطحن جريات القصور ، ويرسم مخازن الأخشاب والحديد ونحو ذلك .

قال ابن الطوير : وأما المناخات ففيها من الحواصل ما لا يحصره الا القلم من الأخشاب والحديد والطواحين النجدية والفشمية ، وآلات الأساطيل من الأسلحة المعمولة يسد

الفرج القاطنين فيه ، والقنب والكتان والمنجنيقات المعدة ، والطواحين الدائرة يرسم الجريات المتقدم ذكرها ، والزفت في المخازن الذي عليه الأثرية ولا ينقطع الا بالمعاول . وقد أدركت هذه الدولة (بمعنى دولة بنى أبوب) منه شيئا كثيرا في هذا المكان اتفح به .

واليه يأوى الفرّج في بيوت يرسمهم ، وكانت عدتهم كثيرة ، فيه من التجارين والجزارين والدهانين والخبازين والخياطين والقلمة ، ومن العجائين والطحانين في تلك الطواحين ، والترانين في أفران الجريات .

وفي هذا المكان مادة أكثر أهل الدولة ، وحاميه أمير من الأمراء ، ومشارفه من العدول . وفيه أيضا شاهد النفقات ، وعامل يتولى التنفيذ مع المشارف ، وعامل يرسم نظم الحساب من تعلقاتها بجار غير جوارهم ، لأن أوقاتهم مستغرقة في مباشرة الاطلاقات وغيرها .

وذكر ابن الطوير أن المأمون بن البطائحي استجد طواحين يرسم الرواتب .

ذكر اصطلب الطارمة

الطارمة بيت من خشب ، وهو دخیل . وكان بجوار القصر الكبير ، تجاه باب الديلم من شرقي الجامع الأزهر ، اصطلب .

قال ابن الطوير : وكان لهم اصطلبلان : أحدهما يعرف بالطارمة يقابل قصر الشوك ، والآخر بحارة زويلة يعرف بالجميزة .

وكان للخليفة الحاضر ما يقرب من ألف رأس - في كل اصطلب النصف من ذلك - منها ما هو يرسم الخاص ، ومنها ما يخرج يرسم العواري لأرباب الرتب والمستخدمين دائما ، ومنها ما يخرج أيام المواسم . وهي التغيرات المتقدم ذكر ارسالها لأرباب الرتب والخدم .

والمرتب لكل اصطلب منهما : لكل ثلاثة رؤوس سائس واحد ملازم ، ولكل واحد منها شداد يرسم تسييرها . وفي كل اصطلب بشر باقية تدور الى أحواض ، ومخازن فيها الشعير والأقراط اليابسة المحمولة من البلاد اليها ، ولكل عشرين رجلا من السواس عريف يلتزم دركهم بالضمان ، لأنهم الذين يتسلمون من خزائن السروج المركبات بالحلى ، ويعيدونها اليها كما تقدم ذكره في خزائن السروج .

ولكل من الاصطبلين رائض كأمير اخور ، ولهما ميرة وجامكية متسعة . وللعرفاء على السواس ميرة ، وللجماعات الجريات من القمح والخبز خارجا عن الجامكيات .

فاذا بقى لأيام المواسم التي يركب فيها الخليفة بالمظلة مدة أسبوع ، أخرج الى كل رائض في الاصطبل مع أستاذ مظلة ديبقى مركبة على قفطارية مدهونة ، ويختص الرائض على ما يركبه الخليفة اما فرسين أو ثلاثة ، وعليهما المركبات الحلى التي يركبها الخليفة ، فيركبها الرائض بحائل بينه وبين السرج ، ويركب الأستاذ بغلة مظلة ، ويحمل تلك المظلة ويسير في براح الاصطبل - وفيه سعة عظيمة - مارا وعائدا وحولها البوق والطبل .

فيكرر ذلك عدة دفعات في كل يوم مدة ذلك الأسبوع ، ليستقر ما يركبه الخليفة من الدواب على ذلك ، ولا ينفر منه في حال الركوب عليه ، فيعمل كذلك في كل اصطلب من الاصطبلين .

والدواب والبغلة التي تنهى هي التي يركبها الخليفة وصاحب المظلة يوم الموسم ، ولا يختل ذلك . ويقال انه ما رأت دابة * ولا بالت والخليفة راكبها ، ولا بغلة صاحب المظلة أيضا الى حين نزولهما عنهما .

وكان في الساحل بطريق مصر من القاهرة ، في البساتين المنسوبة الى ملك صارم الدين حلبيا ، شوتان ملوستان تبنا ، مبيتان كعيت في المراكب كالجيلين الشاهقين . ولهما مستخدمون حام ومشارف وعامل بجامكية جيدة .

تصل بذلك المراكب التبانة المؤهلة له من موظف الأتبان بالبلاد الساحلية ، وغيرها مما يدخل اليه في أيام النيل . ولها رؤساء ، وأمرها جار في ديوان العماير والصناعة . والاتفاق منها بالتوقيعات السلطانية للاصطبلات المذكورة ، وغيرها من الأواشي الديوانية وعوامل بساتين الملك .

واذا جرى بين المستخدمين خلف في الشنف التبن المعتبر ، عادوا الى قبضه بالوزن ، فيكون الشنف التبن ثلثائة وستين رطلا بالمصري تقيا . واذا اتفقوا درسا قد تغيرت صورة قته ، كان عن القته اثنا عشر رطلا . ولم يزل ذلك كذلك الى آخر وقته .

ومما يخبر عنهم أنهم لم يركبوا حصانا
أدهم قط ، ولا يرون أصافته الى دوابهم
بالاصطبلات .

وقال ابن عبد الظاهر : اصطبل الظامرة
كان اصطبلًا للخليفة ، فلما زالت تلك الأيام
اختط وبنى آدرا .

ذكر دار الضرب وما يتعلق بها

وكان بجوار خزانة الدرق ، التي هي اليوم
خان سرور الكبير ، دار الضرب . وموضعها
حينئذ كان بالقشاشين التي تعرف اليوم
بالخرائطين . وصار مكان دار الضرب اليوم
درب يعرف يدرب الشمس في وسط سوق
السقطين الماهزين . وباب هذا الدرب تجاه
قيصرية المعصر .

فاذا دخلت هذا الدرب ، فما كان على
على يسارك من الدور فهو موضع دار
الضرب ، وبجوارها دار الوكالة الحافطية .
فجملت الحوائت التي على يمينه من سلك من
رأس الخرائطين تجاه سوق العنبر ، طالبا الجامع
الأزهر ، في ظهر دار الضرب .

وانشأ هذه الحوائت وما كان يعلوها من
اليوت الأمير المعظم خمرقاش الحافطي ،
ويصلها وقتا ، وقال في كتاب وقتها : وحد هذه
الحوائت الغربي ينتهي الى دار الضرب والى
دار الوكالة . وقد صارت هذه الحوائت الآن
من جملة أوقاف المدرسة الجمالية مما اغتصب
من الأوقاف .

وما زالت دار الضرب هذه في الدولة
الفاطمية باقية الى أن استبد السلطان صلاح
الدين ، فصارت دار الضرب حيث هي اليوم
كما تقدم ذكره .

وكان لدار الضرب المذكورة في أيامهم
أعمال ، ويعمل بها دنائير الغرة ودنائير خميس
العدس ، ويتولاها قاضي القضاة لجلالة قدرها
عندهم .

قال ابن المأمون : وفي شوال منها - وهي
سنة ست عشرة وخمسمائة - أمر الأجل ببناء
دار الضرب بالقاهرة المحروسة ، لكونها مقر
الخلافة وموطن الامامة ، فبنيت بالقشاشين
قبالة المارستان ، وسيت بالدار الآمرية ،
واستخدم لها المدول ، وصار دينارها أعلى
عيارا من جميع ما يضرب بجميع الأمصار ...
انتهى .

وكانت دار الضرب المذكورة تجاه المارستان
فكان المارستان بجوار خزانة الدرق : فما عن
يمينك الآن ، اذا سلكت من رأس الخرائطين ،
فهو موضع دار الضرب ودار الوكالة هكذا
الى الحمام التي بالخرائطين وما وراءها . وما
عن يسارك فهو موضع المارستان .

قال ابن عبد الظاهر : في أيام المأمون بن
البيطاحي ، وزير الأمر بأحكام الله ، بنيت دار
الضرب في القشاشين قبالة المارستان الذي
هناك ، وسيت بالدار الآمرية .

دار العلم الجديدة : وكان بجوار القصر
الكبير الشرقي دار في ظهر خزانة الدرق من
باب تربة الزعفران ، لما أغلق الأفضل بن أمير
الجيوش دار العلم التي كان الحاكم بأمر الله

فتحها في باب التباين ، اقتضى الحال بعد قتله
اعادة دار العلم .

فامتنع الوزير المأمون من اعادتها في
موضعها ، فأشار الثقة زمام القصور بهذا
الموضع ، فعمل دار العلم في شهر ربيع الأول
سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وولاهها لأبي
محمد حسن بن آدم ، واستخدم فيها مقررئين .
ولم تزل دار العلم عامرة حتى زالت الدولة
الفاطمية .

قال ابن عبد الظاهر : رأيت في بعض كتب
الأملاك القديمة ما يدل على أنها قريبة من
القصر النافعي . وكذا ذكر لي السيد الشريف
الحلي أنها دار ابن أزدمر ، المجاورة لدار
سكنى الآن ، خلف فندق سرور الكبير .
وكذلك قال لي والدي رحمه الله . وقد بناها
جمال الدين الأستاذ دار الحلي دارا عظيمة
غرم عليها مائة ألف وأكثر من ذلك على ما
ذكره ... انتهى .

وموضع دار العلم هذه دار كبيرة ذات
زلافة بجوار درب ابن عبد الظاهر ، قريبا من
خان الخليلى بخط الزراكشة العتيق .

موسم أول العام : قال ابن المأمون :
وأُسفرت غرة سنة سبع عشرة وخمسمائة ،
وبادر المستخدمون في الخزائن وصناديق
الاتفاق بحمل ما يحضر بين يدي الخليفة من
غين وورق من ضرب السنة المستجدة ، ورسم
جميع من يختص به من اخوته وجهاته
وقرأته ، وأرباب الصنائع والخدمات ،
وجميع الأساذين العوالى والأدوان . وثنوا

(١٥٠) سنة ٤٤٠ هـ ، ١٠٤٠ م ، ١٠٤٠ م ، ١٠٤٠ م

بحمل ما يختص بالأجل المأمون وأولاده
واخوته ، واستأذنوا على تفرقة ما يختص
بالأجل المأمون وأولاده والأصحاب والحوائى
والأمراء والضيوف والأجناد ، فأمروا
بتفرقة . والذي اشتمل عليه المبلغ في هذه
السنة نظير ما كان قبلها .

ويجلس المأمون باكرا على السطاط يداره
وفرت الرسوم على أرباب الخدم والميزين
من جميع أصنافه على ما تضمنته الأوراق
وحضرت التعاشير والتشرقات وزى الموكب
الى الدار المأمونية ، وتسلم كل من المستخدمين
المدارج بأسماء من شرف بالحجبة ومصفات
المساكر وترتيب الأسطة ، وأصد كل منهم
الى شغله وتوجه لخدمته .

ثم ركب الخليفة ، واستدعى الوزير
المأمون ، ثم خرج من باب الذهب وقد نشرت
مظليته ، وخدمت الرهجية ، ورتب الموكب
والجنائب ومصفات المساكر عن يمينه
وشماله ، وجميع تجار البلدين - من
الجوهرين والصيارف والصاغة والبرازين
وغيرهم - قد زينوا الطريق بما تقتضيه
تجارة كل منهم ومعاشه لطلب البركة بنظر
الخليفة .

وخرج من باب الفتوح ، والمساكر فارما
وراجلها بتجملها وزينها ، وأبواب حارات
العبيد معلقة بالستور ، ودخل من باب النصر ،
والصدقات تمن المساكين ، والرسوم تفرق على
المستقرين ... الى أن دخل من باب الذهب ،
فلقيه المقرئون بالقرآن الكريم في طول
الدهاليز ، الى أن دخل خزانة الكسوة الخاص

وغير ثياب الموكب بغيرها ، وتوجه الى تربة آياته للترجيم على عادته ، وبعد ذلك الى ما رآه من قصوره على سبيل الراحة .

وعيت الأسطة . وجرى الحال فيها ، وفي جلوس الخليفة ومن جرت عادته ، وتهينة . قصور الخلافة وتفرقة الرسوم ، على ما هو مستقر . وتوجه الأجل المأمون الى داره ، فوجد الحال في الأسطة على ما جرت به العادة ، والتوسعة فيها أكثر مما تقدمها .

وكذلك الهناء في صيحة الموسم بالدار المأمونية والقصور ، وحضر من جرت المادة بحضوره للهناء ، وبمدهم الشعراء على طبقاتهم ، وعادت الأمور في أيام السلام والركوبات وترتيبها على المعهود .

وأحضر كل من المستخدمين في الدواوين ما يتعلق بديوانه من التذاكر والمطالعات : ما تحتاج اليه الدولة في طول السنة ، وينعم به ويتصدق ، ويحمل الى الحرمين الشريفين من كل صنف على ما فصل في التذاكر على يد المندوبين ، ويحمل الى الثغور ويخزن من سائر الأصناف ما يستعمل ويبيع في الثغور والبلاد ، والاستيثار وجريدة الأبواب ، وتذكرة الطراز والتوقيع عليها .

وقال ابن الطوير : فاذا كان العشر الأخير من ذي الحجة في كل سنة ، انتصب كل من المستخدمين بالأماكن لخراج آلات الموكب من الأسلحة وغيرها ، فيخرج من خزائن الأسلحة ما يجمله صيان الركاب حول الخليفة من الأسلحة - وهو الصاصم المصقولة المذهبة مكان السيوف المحدبة ، والدبابيس الكيسخت

الأحمر والأسود ورؤوسها مدورة مفرسة ، والتوت كذلك ورؤوسها مستطيلة مفرسة أيضا ، وآلات يقال لها المستوفيات ، وهي عمد حديد من طول ذراعين مربعة الأشكال ، يبقاض مدورة ، في أيديهم بعدة معلومة من كل صنف - فيتسلها تباؤهم ، وهي في ضانهم ، وعليهم اعادتها الى الخزائن بعد تقضى الخدمة بها .

ويخرج للطائفة من العبيد الأقوياء السودان الشباب - ويقال لهم أرباب السلاح الصفر ، وهم ثلاثمائة عبد - لكل واحد حربتان بأنة مصقولة تحتها جلب فضة كل اثنتين في شراية ، وثلاثمائة درقة بكوامخ فضة ... يتسلم ذلك عرفاؤهم على ما تقدم ، فيسلمونه للعبيد لكل واحد حربتان ودرقة .

ثم يخرج من خزانة التجميل - وهي من حقوق خزائن السلاح - القصب البضة برسم تشريف الوزير والأمراء أرباب الرتب ، أزمة المساكر والطوائف من الفارس والراجل . وهي رماح ملبسة بأنابيب الفضة المنقوشة بالذهب الا ذراعين منها ، فيشد في ذلك الخالي من الأنابيب عدة من المساجر الترتب الملونة ، ويترك أطرافها المرقومة منسبلة كالصناجق ، وبرؤوسها رماحين منقوخة فضة مذهبة وأهلة منجوفة كذلك ، وفيها جلاجل لها حس اذا تحركت ، وتكون عدتها ما يقرب من مائة .

ومن العماريات - وهي شبه الكخاوات - من الديباج الأحمر وهو أجملها والأصفر والقرقوبي والسقلاطون ، مبطنة مضبوطة بزنانير حرير ، وعلى دائر التربع منها مناطق

بكوامخ فضة مسورة في جلد ... نظير عدد القصب : فيسير من القصب عشرة ، ومن العماريات مثلها من الحر خاصة .

ويخرج للوزير خاصة لواءان على رمحين طويلين ملبسين بشمل تلك الأنابيب ، وتقس اللواء ملفوف غير منشور . وهذا التشريف يسير أمام الوزير ، وهو للأمراء من ورائهم . ثم يسير للأمراء أرباب الرتب في الخدم - وأولهم صاحب الباب ، وهو أجملهم - خمس قصبات وخمس عماريات ، ويرسل لأسفهلار * المساكر أربع قصبات وأربع عماريات من عدة ألوان ، ومن سواها من الأمراء على قدر طبقاتهم ثلاث ثلاث ، واثنتان اثنتان ، وواحدة واحدة .

ثم يخرج من البنود الخاص الديبقي المرقوم الملون عشرة رماح ملبسة بالأنابيب ، وعلى رؤوسها الرماحين والأهلة ، للوزير خاصة . ودون هذه البنود ما هو من الحرير على رماح غير ملبسة ، ورؤوسها ومامينها من نحاس مجوف مطلي بالذهب . فتكون هذه تمام الأمراء المذكورين ، من تسعة الى سبعة أذرع برأسها طلعة مصقولة ، وهي من خشب القنطاريات داخلة في الطلعة وعقبها حديد مدور أسفل ، فهي في كف حاملها الأيمن ، وهو يفتلها فيه فتلا متدارك الدوران ، وفي يده اليسرى نشابة كبيرة يخطر بها ، وعدتها ستون مع ستين رجلا يسرون رجالة في الموكب يسرون يسنة ويسرة . ثم يخرج من النقارات حمل عشرين بغلا ، على كل بغل ثلاث ، مثل نقارات الكوسات بغير كوسات

(١٤٦) من ٤٤٦ جلد ، مطبوع في

- يقال لها بطول - فيتسلها صناعها ، ويسرون في الموكب اثنين اثنين ، ولها حسن مستحسن ، وكان لها ميزة عندهم في التشريف .

ثم يخرج لقوم متطوعين - بغير جبار ولا جريئة - تقرب عدتهم من مائة رجل ، لكل واحد درقة من درق اللط وهي واسعة وسيف ، ويسرون أيضا رجالة في الموكب - هذا وظيفة خزائن السلاح .

ثم يحضر حامى خزائن المروج - وهو من الأستاذين المحنكين - اليها مع مشارفها - وهو من الشهود المعدلين - فيخرج منها برسم خاص الخليفة من المركبات العلى ما هو برسم ركوبه وما يجب في موكب مائة سرج : منها سبعون على سبعين حصالا ، ومنها ثلاثون على ثلاثين بغلة .

كل مركب مصنوع من ذهب ، أو من ذهب وفضة ، أو من ذهب منزل فيه المينا ، أو من فضة منزلة بالمينا ، وروادفها وقرايسها من نسيها ، ومنها ما هو مرصع بالجواهر الفاتكة .

وفي أعناقها الأطواق الذهب وقلائد العنبر ، وربما يكون في أيدي وأرجل أكثرها خلاخل مسطوخة دائرة عليها ، ومكان الجلد من السروج الديباج الأحمر والأصفر وغيرها من الألوان ، والسقلاطون المنقوش بالوان الحرير ... قيمة كل دابة وما عليها من العدة ألف دينار .

فيشرف الوزير من هذه بعثرة حصن
لركوبه وأولاده وأخوته ومن يمز عليه من
أقاربه .

ويسلم ذلك لعرفاء الاصطبلات ، بالمرض
عليهم من الجرائد التي هي ثابتة فيها علامات
في أماكنها وأعدادها ، وعدد كل مركب منقوش
عليه مثل أول وثان وثالث إلى آخرها — كما
هو مسطور في الجرائد — فيعرف بذلك قطعة
قطعة ، ويسلمها العرفاء للشدادين بضمان
عرفانهم إلى أن تعود ، وعليهم غرامة ما نقص
منها وإعادتها برمتها .

ثم يخرج من الخزائن المذكورة لأرباب
الدواوين المرتبين في الخدم ، على مقاديرهم ،
مركبات أيضا من العلى — دون ما تقدم
ذكره — ما تقرب عدته من ثلثمائة مركب على
خيل وبغال وبغال ، يتسلمها العرفاء المتقدم
ذكرهم على الوجه المذكور ، ويتنصب حاجب
يحضر على اتفرقة لفلان وفلان من أرباب
الخدم سيفا . وقلما ، فيعرف كل شداد صاحبه ،
فيحضر إليه بالقاهرة ومصر سحر يوم
الركوب ، ولهم من الركاب رسوم من دينار
إلى نصف دينار إلى ثلث دينار .

فإذا تكمل هذا الأمر ، وسلم أيضا
الجمالون بالمناخات أغشية العمارات ، ويكون
أربعة في ذلك كله إلى آخر الثامن والعشرين
من ذي الحجة ، وأصبح اليوم التاسع
والعشرين من سلخه على رأى القوم ... عزم
ال خليفة على الجلوس في الشباك لعرض دوابه
الخاص المقدم ذكرها ، ويقال له يوم عرض
ال خيل .

فيستدعى الوزير بصاحب الرسالة — وهو
من كبار الأستاذين المحنكين وفصحائهم
وعقلائهم ومحصلهم — فيضى إلى استدعائه
في هيئة المرعين على حصان دهرج ، امتالا
لأمر الخليفة بالاسراع ، على خلاف حركته
المعتادة . فإذا عاد مثل بين يدي الخليفة وأعلمه
باستدعائه الوزير .

فيخرج راكبا من مكانه في القصر — ولا
يركب أحد في القصر إلا الخليفة — وينزل
في السد لا بد هليز باب الملك الذي فيه
الشباك ، وعليه من ظاهره للناس ستر . فيقف
من جانبه الأيمن زمام القصر ، ومن جانبه
الأيسر صاحب بيت المال ، وهما من الأستاذين
المحنكين .

فيركب الوزير من داره وبين يديه الأمراء ،
فإذا وصل إلى باب القصر ترجل الأمراء وهو
راكب ، ويكون دخوله في هذا اليوم من باب
العيد ، ولا يزال راكبا إلى أول باب من
الدهاليز الطوال ، فينزل هناك ويمشي فيها
وحوايه حاشيته وغلمايه وأصحابه ومن يراه
من أولاده وأقاربه ، ويصل إلى الشباك فيجد
تحت كرسيا كبيرا من كراسي البلق الجيد ،
فيجلس عليه ورجلاه تبطأ الأرض .

فإذا استوى جالسا ، رفع كل أستاذ الستر
من جانبه ، فيرى الخليفة جالسا في المرتبة
الهائلة ، فيقف ويسلم ويخدم بيده إلى الأرض
ثلاث مرات ، ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه
فيجلس ، ويستفتح القراء بالقراءة قبل كل
شيء بآيات لائقة بذلك الحال مقدار نصف
ساعة ، ثم يسلم الأمراء .

ويسرع في عرض الخيل والبغال الخاص
المقدم ذكرها دابة دابة ، وهي هادئة كالمرائس
بأيدي شداديتها ، إلى أن يكمل عرضها ،
فيقرأ القراء لخم ذلك الجلوس ، ويرضى
الأستاذان الستر ، فيقدم الوزير ويدخل إليه
ويقبل يديه ورجليه ، وينصرف عنه إلى داره ،
فيركب من مكان لزوله والأمراء بين يديه
لوداعه إلى داره وركبانا ومشاة إلى قرب
المكان .

فإذا صلى الخليفة الظهر بعد انقضاء ما
تقدم ، جلس لعرض ما يلبسه في عيد تلك
الليلة — وهو يوم افتتاح العام — بخزائن
الكسوات الخاص ، ويكون لباسه فيه البياض
غير الموشح ، فيعين على منديل خاص وبدلة .

فاما المنديل فيسلم لشاد التاج الشريف .
ويقال له شدة الوقار — وهو من الأستاذين
المحنكين ، وله ميزة لممارسة ما يملو تاج
ال خليفة — فيشداه شدة غريبة لا يعرفها
سواه ... شكل الاهليجة .

ثم يحضر إليه اليتيمة ، وهي جوهرة عظيمة
لا يعرف لها قيمة ، فتتظم هي وحواليها مادونها
من الجواهر ، وهي موضوعة في الحافر ،
وهو شكل الهلال من فاقوت أحمر ليس له
مثال في الدنيا ، فتتظم على خرقة حرير أحسن
وضع ، ويخطها شاد التاج بخيطة خفيفة
مكنة ... فتكون بأعلى جبهة الخليفة
— ويقال إن زنة الجوهرة سبعة دراهم ، وزنة
الحافر أحد عشر مثقالا — وبدائلها قصبة
زمرذ ذبابي له قدر عظيم .

(٥١٧ من ٥١٨) ، طبع بولاق

ثم يؤمر بشد المظلة التي تشابهها تلك
البدلة المحضرة بين يديه ، وهي مناسبة للثياب ،
ولها عندهم جلالة لكونها تملو رأس الخليفة .
وهي اثنا عشر شوركا ، عرض سفلى كل
شورك شبر ، وطوله ثلاثة أذرع وثلاث ،
وآخر الشورك من فوق دقيق جدا ، فيجتمع
ما بين الشورك في رأس عودها بدائرة ، وهو
قطارية من الزان ملبسة بأنابيب الذهب ، وفي
آخر الأنبوية تلى الرأس من جسمه فلكة بارزة
مقدار عرض إبهام ، فيشد آخر الشورك في
حلقة من ذهب ، ويترك متسعا في رأس الرمح
وهو مفروض ، فتلقى تلك الفلحة فتضع المظلة
من العود في العمود المذكور . ولها أضلاع
من خشب الخلنج مربعات مكسوة بوزن
الذهب ، على عدد الشورك ، خفاف في الوزن
طولها طول الشورك ، وفيها خطاطيف لطاق
وحلق يمسك بعضها بعضا ، وهي تنضم
وتتفتح على طريقة شوكات الكيزان ، ولها
رأس شبه الرمانة ، ويطوله رمانة صغيرة كلها
ذهب مرصع بجوهر يظهر للعيان ، ولها رفرف
دائر يفتحها من نسبتها عرضه أكثر من شبر
ونصف ، وسفل الرمانة فاصل يكون مقداره
ثلاث أصابع . فإذا أدخلت الحلقة الذهب
الجامعة لآخر شورك المظلة في رأس العمود ،
ركبت الرمانة عليها ولت في عرض ديبقي
مذهب ، فلا يكشفها منه إلا حاملها عند
تسليمها إليه أول وقت ركوبه .

ثم يؤمر بشد لواءي الحمد المختصين
بالخليفة ، وهما رمحان طويلان ملبسان بشل
أنابيب عمود المظلة إلى حد نصفهما ، وهما من
الحرير الأبيض المرقوم بالذهب ، وغير

ثم يخرجون بن مكرولين على جسم الرمح ،
فيصعدون ليخرجوا بمروج المظلة الى اميرين من
سكنة الخليفة يرسم حلما .

ويخرج لصلبي وعشرون راية لطاف من
الحرير المرقوم ملونة بكتابة بخالف الواحا من
لحمه ، ونص كتابتهما « نصر من الله وفتح
قريب » على رماح مقومة من القنا المتقى ،
طول كل راية فراعان في عرض ذراع ونصف ،
في كل واحدة ثلاث طرازات ... فتسلم لأحد
وعشرين رجلا من فرسان صيان الخاص ،
ولهم بشارة هود الخليفة سالا عشرون ديناراً .

ثم يخرج رمحان رؤوسهما أهلة من ذهب
ضامة ، في كل واحد سبع من دياج أحمر
وأصفر ، وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيها
الرمح ، فينتحان فيظهر شكلهما ، وتسلمهما
فارسان من صيان الخاص ، فيكونان أمام
الرايات .

ثم يخرج السيف الخاص ، وهو من صاعقة
وقعت على ما يقال ، وجلبته ذهب مرصعة
بالجواهر في خريطة مرقومة بالذهب ، لا يظهر
الا رأسه ليسلم الى حامله وهو أمر عظيم
القدر . وهذه عندهم رتبة جليلة المقدار ،
وهو أكبر حامل .

ثم يخرج الرمح ، وهو رمح لطيف في غلاف
منظوم من اللؤلؤ ، وله سنان مختصر بحلية
ذهب ، ودرقة يكوامخ ذهب ، فيها سعة
منسوبة الى حمزة بن عبد المطلب رضي الله
عنه ، في غشاء من حرير ، لتخرج الى حاملها
وهو أمير مميز . ولهذه الخدمة صاحبها
عندهم جلالة .

ثم تشر الناس بطريق الموكب ، وسلوكه
لا يمتد دورتين : أحدهما كبرى ، والأخرى
صغرى . أما الكبرى فمن باب القصر الى باب
النصر ، مارا الى حوض عز الملك بيا
- ومسجده هناك وهو اقصاها - ثم ينطفئ
على يساره طالبا باب الفتوح الى القصر .
والأخرى اذا خرج من باب النصر سار حافا
بالسور ، ودخل من باب الفتوح .

فيعلم الناس بسلوك أحدهما ، فيسيرون
اذا ركب الخليفة فيها من غير تبديل للموكب ،
ولا تشويش ولا اختلال . فلا يصبح الصبح
من يوم الركوب الا وقد اجتمع من بالقاهرة
ومصر من أرباب الرتب وأرباب التميزات من
أرباب السيوف والأقلام قياما بين القصرين ،
وكان براما وأما خاليا من البناء الذي فيه
اليوم ، فيسح القوم لانتظار الخليفة .

ويكر الأمراء الى الوزير الى داره ، فيركب
الى القصر من غير استدعاء لأنها خدمة لازمة
للخليفة ، فيسير أمامه تشريفه المقدم ذكره ،
والأمراء بين يديه ركبا ومشاة ، وأمامه
أولاده وأخوته ، وكل منهم مرخي الذؤابة بلا
حنك ، وهو في أبهة عظيمة من الثياب الفاخرة
والمنديل وهو بالحنك ، ويتقلد بالسيف
المذهب .

فاذا وصل القصر ترجل قبله أهله في أخص
مكان لا يصل الأمراء اليه ، ودخل من باب
القصر وهو راكب دون الحاضرين الى دهليز
يقال له دهليز السمود ، فيترجل على مصطبة
هناك ، ويمشي بقية الدهليز الى القاعة ،



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأئمة
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة

ببرلاق

سنة ١٢٧٠ هجرية

الثلث ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطُطُ الْمُقْرِئِ

٢٢



كتاب
التحرير

فيدخل مقطع الوزارة هو وأولاده وأخوته
وخواص حاشيته ، ويجلس الأمراء بالقاعة على
ذلك معدة لذلك مكسوة في الصيف بالحصر
السامان وفي الشتاء بالبسط الجهرمية
المحفورة .

فاذا أدخلت الدابة لركوب الخليفة ،
وأُسندت إلى الكرسي الذي يركب عليه من
باب المجلس ، أخرجت المظلة إلى حاملها ،
فيكشفها مما هي ملفوفة فيه غير مطوية ،
فيتسلمها باعانة أربعة من الصقالبة يرسم
خدمتها ، فيركزها في آلة حديد متخذة شكل
القرن ، وهو مشدود في ركاب حاملها الأيمن
بقوة وتأکید ، فيمسك العمود بحاجز فوق يده
فيبقى وهو منتصب واقف . ولم يذكر قط
أنها اضطربت في ريح عاصف .

ثم يخرج بالسيف ، فيتسلمه حامله ، فاذا
تسلمه أرخيت ذؤابته ما دام حاملا له . ثم
تخرج الدواة فتسلم لحاملها وهو من
الاستاذين المحنكين ، وكان الوزراء حملوها
لقوم من الشهود المعدلين . وهي الدواة التي
كانت من أعاجيب الزمان ، وهي في نفسها من
الذهب وحليتها مرجان ، وهي ملفوفة في منديل
شرب بياض مذهب .

وقد قال فيها بعض الشعراء يخاطب الخليفة
التي صنعت حلية المرجان في وقته ، وهذا من
أغرب ما يكون ، ذكر ذلك في بيتين وهما :

ألين لداود الحديد كرامة

فقد رمنه السرد كيف يريد

ولان لك المرجان وهو حجارة

ومقطعه صعب المرام شديد

فيخرج الوزير ومن كان معه من المقطع ،
وتنضم إليه الأمراء ، ويقفون إلى جاب
الراية .

فيرفع صاحب المجلس الست ، فيخرج من
كان عند الخليفة للخدمة منهم ، وفي أثرهم يبرز
الخليفة بالهيئة المشروح حالها في لباسه :
الثياب المعروضة عليه ، والمنديل الحامل
للتيمة بأعلى جبهته ، وهو محضك مرخى
الذؤابة مما يلي جانبه الأيسر ، ويتقلد بالسيف
المعربى ، ويده قضيب الملك وهو طول شبر
ونصف من عود مكسو بالذهب المرصع بالدر
والجواهر .

فيسلم على الوزير قوم مرتبون لذلك ،
وعلى أهله وعلى الأمراء بعدهم ، ثم يخرج
أولئك أولا فأولا ، والوزير يخرج بعد الأمراء
فيركب ويقف قبالة باب القصر بهيته .

ويخرج الخليفة وحواليه الاستاذون ،
ودابته ماشية على بسط مفروشة خيفة من
زلقتها على الرخام . فاذا قارب الباب وظهر
وجهه ، ضرب رجل يسوق لطيف من ذهب
معوج الرأس — يقال له الغريبة — بصوت
عجيب يخالف أصوات البوقات .

فاذا سمع ذلك ضربت الأبواق في الموكب ،
ونشرت المظلة ، وبرز الخليفة من الباب ،
ووقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب الاستاذين
المحنكين وغيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا
بالقاعة للخدمة ، وسار الخليفة وعلى يساره
صاحب المظلة وهو يبالغ ألا يزول عنه ظلها .

ثم يكتنف الخليفة مقدمو صبيان الركاب :
منهم اثنان في الشكيمة ، واثنان في عنق الدابة

من الجانبين ، واثمان في ركابه . فلايسن مقدم المقربين ، وهو صاحب المقرعة التي يتناولها ويتناولها ، وهو المؤدى عن الخليفة مدة ركوبه الأوامر والتوامي .

وسير الموكب بالحث ، فأوله فروع الأمراء وأولادهم ، وأخلاق بعض العسكر الأماثل ، إلى أرباب القصب ، إلى أرباب الأطواق ، إلى الأستاذين المحنكين ، إلى حامل الكواحين من الجانبين ، إلى حامل الدولة - وهي يته وبين قروم السرج - إلى صاحب السيف وهما في الجانب الأيسر ... كل واحد من تقدم ذكره بين عشرة إلى عشرين من أصحابه . ويحجبه أهل الوزير المقدم ذكرهم من الجانب الأيسر بعد الأستاذين المحنكين .

ثم يأتي الخليفة وحواليه صيان الركاب المذكورة تفرقة السلاح فيهم ، وهم أكثر من ألف رجل ، وعليهم المناديل الطيبات ، ويتقلدون بالسيوف ، وتوسايمهم مشدودة بسناديل ، وفي أيديهم السلاح مشهور ، وهم من جانبي الخليفة كالجناتحين المادين ، وبينهما فرجة لوجه القوس ليس فيها أحد ، وبالقرب من رأسها الصقليان الحاملان للذبتين . وهما مرفوعتان كأنخلتين . لا يسقط من طائر وغيره . وهو سائر على تودة ورق .

وفي طول الموكب من نوله إلى آخره وإلى القاهرة مار وعائد بمسح الطرقات ويسير الركبان . فيلقى في عوده الاسفهلار كذلك مارا وعائدا تحت الأجناد في الحركة والافتكار على المواضع المتراضين ، ويلقى في عوده صاحب الباب - ومروره في زمرة الخليفة -

إلى أن يصل إلى الاسفهلار ، فيعود لترتيب الموكب وحراسة طرقات الخليفة ، وفي يد كل منهم ديوس ، وهو راكب خير دوايه ، وأسرعا ... هذا لمن أمام الموكب .

ثم يسير خلف دابة الخليفة قوم من صبيان الركاب لحفظ أعقابهم ، ثم عشرة يحملون عشرة سيوف في خرائط دياج أحمر وأصفر بشرارب غزيرة - يقال لها سيوف الدم - يرسم ضرب الأعناق . ثم يسير بعدهم صبيان السلاح الصغير أرباب الترنجيات المقدم ذكرهم أولا .

ثم يأتي الوزير في هيئة ، وفي ركابه من أصحابه قوم يقال لهم صيان الزرد ، من أقوام الأجناد يختارهم لنفسه ، ما مقداره خمسمائة رجل من جانيه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة ، وكأنه على وفز من حراسة الخليفة ، ويجتهد ألا يغيب عن نظره ، وخلفه الضبول والصنوج والصفاير ، وهو مع عدة كثيرة تدوى بأصواتها وحسها الدنيا .

ثم يأتي حامل الرمح المقدم ذكره ودرقه حرساء ، ثم طوائف الرجال من الركائبة والحيوية وقبلهما المضامدة ، ثم الترنجية ، ثم الوزيرية زمرة زمرة في عدة وافرة تزيد على أربعة آلاف في الوقت الحاضر وهم أضعاف ذلك ، ثم أصحاب الرايات والسبعين ، ثم طوائف العساكر من الأمرية والحجرية الكبار والحافضية والحجرية الصغار المنقولين والأفضلية والحيوية ، ثم الأتراك المصطنعون ثم الديلم ، ثم الأكراد ، ثم الغز المصطنعة .

(١٠٠٠) مر ١١٠٠ ج ١ ، ط ١٠٠٠

وقد كان تقدم هؤلاء الفرسان عدة واقرة من المترجلة أرباب قسي اليد وقسي الرجل في أكثر من خمسمائة ، وهم المدون للأساطيل ، ويكون من الفرسان المقدم ذكرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف . وهذا كله بعض من كل .

فإذا انتهى الموكب إلى المكان المحدود عادوا على أدراجهم ، ويدخلون من باب الفتوح ، ويقفون بين القصرين بعد الرجوع كما كانوا قبله .

فإذا وصل الخليفة إلى الجامع الأقصر بالقصاحين اليوم ، وقف وقفة يجلسه في موكب ، واقترح الموكب للوزير فتحرك مسرعا ليصير أمام الخليفة حتى يدخل بين يديه ، فيسير الخليفة ويسكن له مكمة ظاهرة ، فيشير الخليفة للسلام عليه إشارة خفية - وهذه أعظم مكارمة تصدر عن الخليفة ، ولا تكون إلا للوزير صاحب السيف - وسبقه إلى دخول باب القصر راكبا على عادته إلى موضعه ، ويكون الأمراء قد نزلوا قبله لأنهم في أوائل الموكب .

فإذا وصل الخليفة إلى باب القصر ودخله ، ترجل الوزير ، ودخل قبله الأستاذون المحنكون وأحدقوا به ، والوزير أمام وجه القوس مكان ترجله إلى الكرسي الذي ركب منه ، فينزل عليه ويدخل إلى مكانه بعد خدمة المذكورين له .

فيخرج الوزير ويركب من مكانه الجاري به على عادته ، والأمراء بين يديه وأقاربه حواليه ، فيركبون من أماكنهم ويسيروا صحت إلى داره ، فيدخل وينزل أيضا إلى مكانه على كرسي ، فتخدمه الجماعة بالوداع .

ويشترك الناس إلى أماكنهم ، فيجدون قد أحضر إليهم الغرة . وهو أنه يقدم الخليفة بأن يضرب بدار الضرب في العشر الآخر من ذي الحجة ، بتاريخ السنة التي ركب أولها في هذا اليوم ، جملة من الدنانير والريعية والدراهم المدورة المسقطة .

فيحل إلى الوزير منها ثلثمائة وستون ديناراً وثلثمائة وستون ربايعاً وثلثمائة وستون قيراطاً ، وإلى أولاده وأخوته من كل صنف من ذلك خمسون ، وإلى أرباب الرتب من أصحاب السيوف والأقلام من عشرة دنانير وعشر ربايعات وعشرة قيراطات إلى دينار واحد ورباعي واحد وقيراط واحد ، فيقبلون ذلك على حكم البرمكية من مبلغ الخليفة .

قال : ومبلغ الغرة التي ينعم بها في أول العام المقدم ذكرها ، من الدنانير والرياعيات والقيراطات ، ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار ، والله تعالى أعلم .

ذكر ما كان يضرب في خميس العدى من خرايب الذهب

قال ابن المأمون : وأحضر الأجل المأمون كاتب الدفتار ، وأمره بالكشف عما كان يضرب برسم خميس العدى من الخرايب الذهب ، وهو خمسمائة دينار عن عشرين ألف خروبة . واستدعى كاتب بيت المال ، ووقع له بأطلاق ألف دينار ، وأمره بإحضار مشارف دار الضرب وسلمها إليه .

فاعتمد ذلك ، وضربت عشرون ألف خروبة وأحضرها ، فأمر بحملها إلى الخليفة ، فسير

الخطبة منها إلى المأمون ثلثة ديار . وذكر أنها لم تضرب في مدة خلافة العاطف لدين الله غير سنة واحدة ، ثم بطل حكمها ونسوا ذكرها .

قال : وصار ما يضرب باسم الخطبة (يعني الأمر بأحكام الله) في ستة مواضع : القاهرة ، ومصر ، وقوس ، وعسقلان ، ومصر ، والاسكندرية .

وقال ابن عبد الظاهر : حينئذ كان يضرب فيه خمسمائة تميل عشرة آلاف خروية . كان الأفضل بن أمير الجيوش يحمل منها للخطبة مائتي دينار ، والبقية يرسله . ثم جعلت في الأيام للأموية ألف دينار ، وربما زادت أو نقصت يسيرا .

وقد تقدم أن قاضي القضاة كان يتولى عبار دار الضرب ، ويحضر التخليق بنفسه ويحتم عليه ، ويحضر للسعد الآخر لفتح .

ذكر دار الوكالة الامرية

كانت دار الوكالة المذكورة بجانب دار الضرب ، وموضعها الآن على يمين السالك من رأس الخرافين إلى سوق الخمين والجامع الأزهر .

قال ابن المأمون في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة : ثم أتينا (يعني المأمون بن البطاحي ، وزير الخليفة الأمر بأحكام الله) دار الوكالة بالقاهرة المحروسة لم يصل من العراقيين والشاميين وغيرها من التجار ، ولم يسبق إلى ذلك .

(١٥٠٠) ج ١ ، ص ١٠٠ .

ذكر مصلى العيد

وكان في شرقي القصر الكبير مصلى العيد من خارج باب النصر . وهذا المصلى بناء القائد جوهر لأجل صلاة العيد في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، ثم جددته العزيز بالله . وقد بقي إلى الآن بعض هذا المصلى ، واتخذ في جانب منه موضع مصلى الأموات اليوم .

ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها

قال ابن زولاق : وركب المزمع لدين الله يوم القطر لصلاة العيد إلى مصلى القاهرة التي بناها القائد جوهر ، وكان محمد بن أحمد بن الأندلس الحنفي قد بكر وجلس في المصلى تحت القبة في موضع ، فجاء الخدم وأقاموه وأقاموا موضعه أبا جعفر ملما ، وأقاموه هو دونه . وكان أبو جعفر مسلم خلف المزمع عن يمينه وهو يصلي .

وأقبل المزمع في زيه وبنوده وقبائه ، وصلى بالناس صلاة العيد تامة طويلة ، قرأ في الأولى بأم الكتاب و « هل أتاك حديث الفاشية » ، ثم كر بعد القراءة ، وركع فأطال ، وسجد فأطال — أنا سبحت خلقه في كل ركعة وفي كل سجدة نيفا وثلاثين تسبيحة — وكان القاضي النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير .

وقرأ في الثانية بأم الكتاب وسورة والضحي ، ثم كبر أيضا بعد القراءة — وهي صلاة جده على بن أبي طالب عليه السلام —

وأطال أيضا في الثانية الركوع والسجود — أنا سبحت خلقه نيفا وثلاثين تسبيحة في كل ركعة وفي كل سجدة — وجهر بيسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة .

وأفكر جماعات يتوسمون بالعلم قراءته قبل التكبير لقلة علمهم ، وتقصيرهم في العلوم ... حدثنا محمد بن أحمد قال : حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا عبد الله ورجاء عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث عن علي عليه السلام ، أنه كان يقرأ في صلاة العيد قبل التكبير .

فلما فرغ المزمع من الصلاة صعد المنبر ، وسلم على الناس يمينا وشمالا ، ثم ستر بالسترين اللذين كانا على المنبر ، فخطب وراءهما على راسه .

وكان في أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل ، فجلس عليها بين الخطبتين ، واستفتح الخطبة بيسم الله الرحمن الرحيم — وكان معه على المنبر القائد جوهر وعمار بن جعفر وشفيق صاحب المظلة — ثم قال : الله أكبر الله أكبر ، واستفتح بذلك ، وخطب وأبلغ وأبكى الناس وكانت خطبة بخشوع وخضوع .

فلما فرغ من خطبته ، انصرف في عاكفه ، وخلفه أولاده الأربعة بالجواشن والحدود على الخيل بأحسن زى ، وساروا بين يديه بالقيلين .

فلما حضر في قصره أحضر الناس فاكلوا ، وقدمت اليهم السمط ، ونشطهم إلى الطعام ، وعقب على من تأخر ، وهدد من بلغه عنه صيام العيد .

وقال المسيحي في حوادث آخر يوم من رمضان سنة ثمانين وثلثمائة : وبقيت مصاطب ما بين القصور والمصلى الجديدة ظاهر باب النصر عليها المؤذنون ، حتى يتصل التكبير من المصلى إلى القصر .

وفيه تقدم أمر القاضي محمد بن النعمان باحضار المتفقهة والمؤمنين (يعني الشيعة) ، وأمرهم بالجلوس يوم العيد على هذه المصاطب ، ولم يزل يرتب الناس ، وكب رقاعا فيها أساء الناس ، فكانت تخرج رقعة رقعة ، فيجلس الناس على مصطبة مصطبة بالترتيب .

وفي يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد ، وبين يديه الجنايب وألقاب الديباج بالحلى ، والعسكر في زيه من الأتراك والديلم والعزنية ، والاشيذية والكافورية ، وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق الذهب ، وعلى الجنايب السروج الذهب بالجواهر والسروج بالعنبر ، وبين يديه القيلة عليها الرجال بالسلاح والزراقة . وخرج بالمظلة الثقيلة بالجواهر ، ويده قضيب جده عليه السلام ، فصلى على راسه وانصرف .

وقال ابن المأمون : ولما توفي أمير الجيوش بدر الجمالي ، وانتقل الأمر إلى ولده الأفضل ابن أمير الجيوش ، جرى على سن والده في صلاة العيد ، ويقف في قوس باب داره الذي عند باب النصر (يعني دار الوزارة) .

فلما سكن بصر ، صار يطلع من مصر باكرا ، ويقف على باب داره على العسالة الأولى حتى تستحق الصلاة ، فيدخل من باب العيد إلى الإيواء ، ويصلي به القاضي ابن

الزمنى ، ثم يجلس بعد الصلاة على المرتبة الى أن تنتهى الخطبة ، فيسجل من باب الملك ، وسلم على الخليفة بحيث لا يراه أحد غيره ، ثم يخرج عليه ، ويتوجه الى داره بمصر ، فيكون الساطع بها مدى الأعياد .

فما قتل الأفضل ، واستقر بعده المأمون بن البطاحى في الوزارة ، قال : هذا قص في حق أمير ، ولا يعلم السبب في كون الخليفة لا يظهر .

فقال له الخليفة الأمر بحكم الله : فما تراه أنت ؟

فقال : يجلس مولانا في المنقرة التي استجنت بين باب الذهب وباب البحر . فإذا جلس مولانا في المنقرة وفتحت الطاقات ، وقف الملوك بين يديه في نقوس باب الذهب ، وتجويز العساكر فارسها ورجالها ، وتشملها بركة تهر مولانا اليها . فإذا حان وقت الصلاة ، توجه الملوك بملوك والزي وجميع الأمراء والأجناد ، واجتاز بأبواب القصر ودخل الأيوان .

فاستحسن ذلك منه ، واستصوب رأيه ، وبأن في شكره .

ثم عاد المأمون الى مجلسه ، وأمر بتفريق كوة العيد والهيئات ... يعنى في عيد التحريم سنة خمس عشرة وخمسة .

وجملة العين ثلاثة آلاف وثلاثمائة دينار وسبعة دنانير ، ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع ، يرسم الأمراء المطوقين والأستاذين

(من ١٠٠٠ دينار) ، خيول .

الحككين وكتاب التفت ومتولى حية الباب وغيرهم .

قال : ووصلت الكوة المختصة بالعيد في آخر شهر رمضان (يعنى من سنة ست عشرة وخمسة) وهي تستل على دون العشرين ألف دينار . وهو عتدهم للموسم الكبير ، ويسمى بعيد الحلل لأن الحلل فيه تسم الجبابة ، وفي غيره للأعيان خاصة . وقد تقدم تفصيلها عند ذكر خزانة الكسوة من هذا الكتاب .

قال : ولما كان في التاسع والعشرين من شهر رمضان ، خرجت الأوامر بأضفاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين في كل ليلة يرسم الحور ، بحكم أنها ليلة ختم الشهر .

وحضر المأمون في آخر النهار الى القصر لتقطور مع الخليفة والحضور على الأسطة على العادة ، وحضر اخوته وعمومهم وجميع الجلوساء ، وحضر المقرئون والمؤذنون ، وسلموا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن .

وحل من عند معظم الجهات والسيدات والسيئات من أهل القصور بلاحي وموكيات مملوءة ماء ملقوفة في عرائش ديتى ، وجعلت أمام المذكورين ليشملها بركة ختم القرآن ، واستفتح المقرئون من الحمد الى خاتمة القرآن تلاوة وتظييرا .

ثم وقف بعد ذلك من خطب فسمع ودعا فبلغ ، ورفع القرائون ما أعدوه يرسم الجهات ، ثم كبر المؤذنون وهللوا ، وأخذوا في الصوفيات الى أن ترفع عليهم من الروشن درايم ودقائير ودرجات .

وقدمت جنسان القفاط على الرسم مع الحلوى ، فجزوا على عادتهم وملأوا أكسامهم ، ثم خرج أستاذ من باب الدار الجيلة بخلع خلعها على الخطيب وغيره ، ودراهم تفرق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين .

ورسم أن تحمل القطرة الى قاعة الذهب ، وأن تكون التحية في مجلس الملك ، وتسمى الطيافير المنورة الكبار من السرير الى باب المجلس ، وتسمى من بساب المجلس الى ثلثي القاعة ساطا واحدا مثل ساط الطعام ، ويكون جميعه سدا واحدا من حلاوة الموسم ، وزين بالقطع المنفوخ ... فامتثل الأمر .

وحضر الخليفة الى الأيوان ، واستدعى المأمون وأولاده واخوته ، وعرضت المطال المنعبة المحامدة ، وكان المقرئون يلوحنون عند ذكرها بالآيات التي في سورة النحل وواحه جعل لكم مما خلق ظلالا ، الى آخرها .

وجلس الخليفة ، ورفعت الستور ، واستفتح المقرئون ، وجدد المأمون السلام عليه ، وجلس على المرتبة عن يمينه ، وسلم الأمراء جميعهم على حكم منازلهم لا يتمدى أحد منهم مكانه ، والنواب جميعهم يستدعونهم بنعوتهم وترتيب وقوفهم ، وسلم الرسل الواصلون من جميع الأقاليم ، ووقفوا في آخر الأيوان ، وختم المقرئون وسلموا .

وخدمت الرهجية ، وتقدم متولى كل اصطبيل من الرواض وغيرهم يقبل الأرض وينقف ، ودخلت الدواب من باب الديلم ، والمستخدمون في الركاب بالمناديل يتسلمونها من الشدادين ، ويدورون بها حول الأيوان .

ودواب المظلة متميزة عن غيرها يتسلمها الأستاذون والمستخدمون في الركاب ، ويمتلون بها الى قرب من الشباك الذي فيه الخليفة .

وكذا عرض دواب اصطبيل قبل الأرض متولى وانصرف ، وتقدم متولى غيره على حكمه ، الى أن يعرض جميع ما أحضروه ، وهو ما يزيد على ألف فرس ، خارجا عن البغال وما تأخر من العشاريات والحججور والمهارة .

ولما عرضت الدواب ، أبطلت الرهجية ، وعاد افتتاح المقرئين ، وكانوا محنين فيما ينتزعونه من القرآن الكريم ما يوافق الحال ، مثل الآية من آل عمران « زين للناس حب الشهوات » الى آخرها ، ثم بعدها « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء » الى آخرها .

وعرضت الوحوش بالأجلة الديباج والديقى بقباب الذهب والمناطق والأهله ، وبعدها النجب والبختى بالأتساب الملبسة بالديقى الملون المرقوم ، وعرض السلاح وآلات الموكب جميعها ، ونصبت الكسوات على باب العيد ، وضربت طول الليل .

وحملت الفطرة الخاص التي يفطر عليها الخليفة بأصناف الجوارشات بالملك والعمود والكافور والزعفران ، والتصور المصبغة التي يستخرج ما فيها وتحشى بالطيب وغيره وتد وتختم ، وسلمت للمستخدمين في القصور ، وعبت في مواضع الذهب المكحلة بالجواهر ، وخرجت الأعلام والبند . وركب المأمون ،

(من ١٠٠٠ دينار) ، خيول .

فلما حصل بقاعة الذهب ، أخذ في مشاهدة الساطع من سرير الملك الى آخرها .

وخرج الخليفة لوقته من الباذنج ، وطلع الى سرير ملكه وبين يديه الصواني المقدم ذكرها ، واستدعى بالأمون فجلس عن يمينه بعد أداء حق السلام ، وأمر بإحضار الأمراء المميزين والقاضي والداعي والضيوف ، وسلم كل منهم على حكم ميزته ، وقدمت الرسل وشرفوا بتقيل الأرض ، والمقرئون يتلون ، والمؤذنون يمللون ويكبرون .

وكشفت القوارات الشرب المذهبات عما هو بين يدي الخليفة ، فبدأ وكبر ، وأخذ يسهه نعمة فاقطر عليها ، وقال مثلها الوزير فظهر القطر عليها ، وأخذ الخليفة في أن يتعمل من جميع ما حضر ، وناول وزيره منه وهو يقبله ويحمله في كفه .

وتقدمت الأجلة اخوة الوزير وأولاده من تحت السرير ، وهو يناولهم من يده ، فيجعلونه في أكمامهم بعد تقيله ، وأخذ كل من الحاضرين كذلك ، ويومئ بالقطر ويجعله في كفه على سبيل البركة . فمن كان رايه القطور أفقر ، ومن لم يكن رايه أوماً وجعله في كفه ... لا ينتقد على أحد فعله .

ثم قال الأمون بعد ذلك : ما على من يأخذ من هذا المكان نقيصة ، بل به له الشرف والميزة . ومد يده وأخذ من الطيفور الذي كان بين يديه حود نبات ، وجعله في كفه بعد تقيله ، وأشار الى الأمراء فاعتمد كل من الحاضرين ذلك ، وملأوا أكمامهم .

ودخل الناس فأخذوا جميع ذلك .

ثم خرج الوزير الى داره والجساعة في ركبته ، فوجد التبعة فيها من صدر المجلس الى آخره على ما أمر به ، ولم يعدم ما كان بالتصريح غير الصواني الخاصة . فجلس على مرتبه والأجلة أولاده .

واستدعى بالعوالي من الأمراء والقاضي والداعي والضيوف ، فحضرُوا وشرفوا بجلوسهم معه ، وحصل من مسرتهم بذلك ما سيطم ، ورفعوا اليه ما حضر على سبيل الشرف ، ثم انصرفوا ، وحضرت الطوائف والرسل على طبقاتهم ، الى أن حمل جميع ما كان بالدار بأسره .

وانقضى حكم الفطور . وعاد للتنفيذ في غيره ، وضربت الطبول والأبواق على أبواب القصور والدار المأمونية ، وأحضرت التفاير وفرقت على أربابها من الأجناد والمستخدمين ، وخرجت أزمة العساكر فارسيها وراجلها ، ونذب الحاجب الذي يسه الدعوة لترتيب صفوفها من باب القصر الى المصلى .

ثم حضر الى الدار المأمونية الشيوخ الميزون ، وجلس الأمون في مجلسه وأولاده بهيمة العيد وزيته ، ورفع الستور ، وأبدأ المقرئون ، وسلم متولى الباب والشيوخ ، ولم يدخل المجلس غير كاتب الدست ومتولى الحجة ، وبالنح كل منهما في زيه وملبوسه ، وجروا على رسمهم في تقيل الأرض وعتبة المجلس .

ووصل الى الدار المأمونية التجمل الخاص الذي يرسم الخليفة . — جميعه بالقصب

القصة ، والأعلام ، والمنجوقات ، والمقبات ، والعماريات ، ولواء الوزارة لركوب الخليفة بالظلة بالطيتم ، والمراكيب الذهب المرصعة بالجواهر ، وغير ذلك من التجللات .

وركب الأمون من داره ، وجبجج الشاريف الخاص بين يديه ، وخدعت الرهجية ومن جملتهم الغرية — وهي أبواق لطاف عجبية غرية الشكل ، تضرب كل وقت يركب فيه الخليفة ، ولا تضرب قدام الوزير الا في المواسم خاصة وفي أيام الخلع عليه — والأمراء مصطفون عن يمينه وعن شماله ، ويلهم اخوته ، وبعدهم أولاده .

ودخل الى الايوان ، وجلس على المرتبة المختصة به ، وعن يمينه جميع الأجلة والميزون وقوف أمامه ، ومن انحط عنهم من باب الملك الى الايوان قيام .

ويخرج خاصة الدولة ربحان الى المصلى بالفرش الخاص وآلات الصلاة ، وعلق المحراب بالشروب المذهبة ، وفرش فيه ثلاث سجادات متراكبة ، وأعلماها السجادة اللطيفة التي كانت عندهم معطيه — وهي قطعة من حصير ذكر أنها كانت من جملة حصير لجمهر ابن محمد الصادق عليها السلام يصلى عليها — وفرش الأرض جميعها بالحصير المحاريب .

ثم علق على جانبي المنبر ، وفرش جميع درجه ، وجعل أعلاه المحاد التي يجلس عليها الخليفة ، وعلق اللواءان عليه ، وقعد تحت القبة خاصة الدولة ربحان والقاضي ، وأطلق البخور ، ولم يفتح من أبوابه الا باب واحد وهو الذي يدخل منه الخليفة .

ويقعد الداعي في الدهليز وتقباه المؤمن بين يديه ، وكذلك الأمراء والأشراف والشيوخ والشهود ومن سواهم من أرباب الحرف ، ولا يسكن من الدخول الا من يعرفه الداعي ويكون في ضلته .

واستفتحت الصلاة ، وأقبل الخليفة من قصوره بغاية زيه ، والعلم الجوهري في منديله ، وقضيب الملك يده ، وبنو عه وأخوته وأستاذوه في ركبته ، وتلقاه المقرئون عند وصوله والخواص ، واستدعى بالأمون ، فتقدم بفردته وقبل الأرض ، وأخذ السيف والرمح من مقدمي خزائن الكسوة ، والرهجية تخدم ، وحمل لواء الحمد بين يديه الى أن خرج من باب العيد .

فوجد المظلة قد نشرت عن يمينه ، والذي بيده الدعوى في ترتيب الحجة لن شرف بها ... لا يتعدى أحد حركه . وسائر المواكب بالجنائب . الخاص وخيل التخافيف ومصفات العساكر ، والطوائف جميعها يزينا وراياتها وراء الموكب الى أن وصل الى قرب المصلى ، والعماريات والزرافات . وقد شد على القيلة بالأسرة ملوثة رجالا مشيكة بالسلاح لا يتبين منهم الا الأحداق ، وبأيديهم السيوف المجردة والدرق الحديد الصيني .

والعساكر قد اجتمعت وترادفت صفوفها من الجانبين الى باب المصلى ، والنظارة قد ملأت الفضاء لمشاهدة ما لم يلفوه ، والموكب سائر بهم . وقد أحاط بالخليفة والوزير صبيان الخاص ، وبعدهم الأجناد بالدروع المسبلة ،

والزرديات بالمخافير ملثمة ، والبروك الحديد
بالصامص والدبابيس .

ولما طلع الموكب من ربوة المصلى ، ترجل
متولى الباب والحجاب ، ووقف الخليفة بجمعه
بالمظلة الى أن اجتاز المأمون راكبا بمن حول
ركابه ، ورد الخليفة السلام عليه بكفه ،
وضار أمامه ، وترجل الأمراء المميزون
والاستاذون المحكون بعدهم وجميع الأجلاء ،
وضار كل منهم يبدأ بالسلام على الوزير ثم
على الخليفة الى أن صار الجميع في ركابه .

ولم يدخل من باب المصلى راكبا غير الوزير
خاصة ، ثم ترجل على بابه الثاني الى أن وصل
الخليفة اليه ، فاستدعى به ، فلم يأخذ
الشكيمة بيده الى أن ترجل الخليفة في
الدهليز الآخر ، وقصد المحراب والمؤذنون
يكبرون قدامه .

واستفتح الخليفة في المحراب ، وسامته فيه
وزيره والقاضى والداعى عن يمينه وشماله ،
ليوصلوا التكبير لجماعة المؤذنين من
الجانبين ، ويتصل منهم التكبير الى مؤذلى
مصلى الرجال والنساء الخارجين عن المصلى
الكبير ، وكاتب الدست وأهله ومتولى ديوان
الانشاء يصلون تحت عقد المنبر ، ولا يمكن
غيرهم أن يكون معهم .

ولما قضى الخليفة الصلاة وهى ركعتان : قرأ
في الأولى بفتحة الكتاب و « هل أتاك حديث
الغاشية » ، وكبر سبع تكبيرات ، وركع
وسجد ، وفي الثانية بالفتحة وسورة
« والشمس وضحاها » ، وكبر خمس تكبيرات

— وهذه سنة الجميع ومن ينوب عنهم في
صلاة العيدين على الاستمرار — وسلم .

وخرج من المحراب وعطف عن يمينه ،
والحرص عليه شديد ، ولا يصل اليه الا من
كان خصيصا به ، وصعد المنبر بالجشوع
والسكينة ، وجميع من بالمصلى والتربة لا
يسام نظره ، ويكثرون من الدعاء له .

ولما حصل في أعلى المنبر أشار الى المأمون
قبل الأرض ، وسارع في الطلوع اليه ، وأدى
ما يجب من سلامه وتعظيم مقامه ووقف بأعلى
درجة . وأشار الى القاضى ، فتقدم وقبل كل
درجة الى أن يصل الى الدرجة الثالثة ،
وقف عندها ، وأخرج الدعوى من كفه وقبله
ووضعه على رأسه ، وأعلى بما تضمنه ، وهو
ما جرت به العادة من تسمية يوم العيد وسنته
والدعاء للدولة .

وكانت الحال في أيام ووزراء الأقالام
والسيوف اذا حصل الخليفة في أعلى المنبر بقى
الوزير مع غيره ، وأشار الخليفة الى القاضى ،
فيقبل الأرض ويطلع الى الدرجة الثالثة ،
ويخرج الدعوى من كفه وقبله ويضعه على
رأسه ، ويذكر يوم العيد وسنته والدعاء
للدولة ، ثم يستدعى بالوزير بعد ذلك ،
فيصعد بعد القاضى .

فراعى الخليفة ذلك الأمر في حق الوزير ،
فجعل الإشارة منه اليه أولا ، ورفعته عن أن
يكون مأمورا مثل غيره ، وجعلها له ميزة على
غيره ممن تقدمه ، واستمرت فيما بعد .

واستفتح الخليفة بالتكبير الجارى به العادة
في الفطر والخطبتين الى آخرهما ، وكبر

المؤذنون ، ورفع اللواءان ، وترجل كل أحد
من موضعه ، كما كان ركوبه ، وصار الجميع
في ركاب الخليفة ، وجرى الأمر في رجوعه
على ما تقدم شرحه ، ومضى الى تربة آبائه .
وهى ستهم في كل ركبة بمظلة ، وفي كل يوم
جمعة ، مع صدقات ورسوم تفرق .

وأما الوزير المأمون فانه توجه ، وخرج من
باب الميد والأمراء بين يديه الى أن وصل الى
باب الذهب ، فدخل منه بعد أن أمر ولده
الأكبر بالوصول الى داره ، والجلوس على
سماط العيد على عادته .

ولما دخل المأمون بقاعة الذهب ، وجد
الشروع قد وقع من المستخدمين بتسمية
السماط ، فأمر بتفرقة الرسوم على أربابها ،
وهو ما يحصل الى مجلس الوزارة برسم
الحاشية .

ولكل من حاشية أولاده واخوته ، وكاتب
الدست ، ومتولى حجرة الباب ، ومتولى
الديوان ، وكاتب الدفتر ، والنائب ... لكل
منهم رسم يصرف قبل جلوس الخليفة ، وعند
انقضاء الأسطة لغير المذكورين على قدر
منزلة كل منهم .

ثم حضر أبو الفضائل بن أبى الليث ،
واستأذن على طيافير الفطرة الكبار التى فى
مجلس الخليفة ، فأمره الوزير بأن يعتمد فى
تفرقتها على ما كان يعتمد فى الأيام الأفضلية ،
وهو لكل من يصعد المنبر مع الخليفة طيفور .

فلما أخذ الخليفة راحة بعد مضيه الى
التربة ، جلس على السرير وبين يديه المائدة
اللطيفة الذهب بالمينا معبأة بالزبادى الذهب ،

واستدعى الوزير ، واصطف الناس من
المدورة الى آخر السماط من الجانبين على
طبقاتهم ، ورفعت الستور واستفتح المؤذنون .

وروى الدولة اسعاف متولى المائدة مشدود
الوسط ، ومقدم خزانة الشرب بيده شربة فى
مرفع ذهب وغطاء مرصعين بالجوهر
والياقوت ، ومتولى خزائن الاتفاق بيده
خريطة ملوثة دنائير لمن يقف يطلب صدقة
وانعاما ، فيؤمر بما يدفع * اليه ، وتفرقة
الرسوم الجارى بها العادة . ولعبت المنافقون
والتحارية ، وتناوب القراء والمنشدون .

وأرخت الستور ، وعبى السماط ثانيا
على ما كان عليه أولا ، ثم رفعت الستور ،
وجلس على المدورة والسماط من جرت العادة
به ، وفرت الدناير على المقرئين والمنشدين
والتحارية والمنافقين ، ومن هو معروف
بكثرة الأكل ، ونهبت قصور الخليفة ،
وفرق من الأصناف ما جرت به العادة .

وأرخت الستور ، وأحضر متولى خزانة
الكسوة الخاص للخليفة بدلة الى أعلى السرير
حسبما كان أمره ، فلبسها وخلع الثياب التى
كانت عليه على الوزير بعد ما بالغ فى شكره
والثناء عليه .

وتوجه الى داره ، فوصل اليه من الخليفة
الصوانى الخاص المكلفة معبأة على ما كانت
بين يديه ، وغيرها من الموائد ، وكذلك الى
أولاده واخوته صينية صينية ، ولكاتب
الدست ومتولى حجرة الباب مثل ذلك .

(مر) ٥٠ ج ١ ، ط ١٠ بلاق .

ويكبر الوزير بجلوسه في داره معلنا ،
وتسارع الناس على طبقاتهم بالعيد والخلع ،
وبما جرى في صعود المنبر ، وحضر الشعراء
وأُسْنِيت لهم الجوائز .

وجرى الحال يومئذ في جلوس الخليفة وفي
السلام لجميع الشيوخ والقضاة والشهود
والأمراء والكتاب ومقدمي الركاب والمتصدرين
بالجوامع والفقهاء والقاهريين والمصريين
واليهود برئيسهم والنصارى ببطريقتهم ، على
ما جرت به عادتهم ، وختم المقرئون ، وقدمت
الشعراء على طبقاتهم إلى آخرهم ، وجدد
لكل من الحاضرين سلامه .

وانكفأ الخليفة إلى الباذنح لأداء فريضة
الصلاة والراحة بمقدار ما عيت المائدة
الخاص ، واستحضر المأمون وأولاده وأخوته
على عادتهم ، واستدعى من شرف بحضور
المائدة — وهم : الشيخ أبو الحسن كاتب
الدست ، وأبو الرضى سالم ابنه ، ومتولى
حجبة الباب ، وظهير الدين الكنانى — على
ما كان عليه الحال قبل الصيام . وانقضى حكم
العيد .

وقال ابن الطوير : إذا قرب آخر العشر
الأخر من شهر رمضان ، خرج الزى من أماكنه
على ما وصفنا في ركوب أول العام ، ولكن
فيه زيادات يأتي ذكرها ، ويركب في مستهل
شوال بعد تمام شهر رمضان ، وعدته عندهم
أبدا ثلاثون يوما ،

فإذا تهيأت الأمور من الخليفة والوزير
والأمراء وأرباب الرتب على ما تقدم ، وصار
الوزير بجماعته إلى باب القصر ، ركب الخليفة
بهيئة الخلافة من المظلة واليئمة والآلات المقدم

ذكرها ، ولبسه في هذا اليوم الثياب البياض
الموشحة المحومة وهي أجل لباسهم ، والمظلة
كذلك فانها أبدا تابعة لثيابه ، كيف كانت
الثياب كانت ، ويكون خروجه من باب العيد
إلى المصلى ، والزيادة ظاهرة في هذا اليوم في
المساكر ، وقد انتظم القوم له صفين من باب
القصر إلى باب المصلى .

ويكون صاحب بيت المال قد تقدم على
الرسم لفرش المصلى ، فيفرش الطراحت على
رسمها في المحراب مطابقة ، ويلقى سترين
يمنة ويسرة : في الأيمن البسلة والقاتحة
و « سبح اسم ربك الأعلى » ، وفي الأيسر
مثل ذلك و « هل أتاك حديث الفاشية » ،
ثم يركز في جانب المصلى لواءين مشدودين
على رمحين ملبسين بأنايب الفضة ، وهما
مستوران مرخيان .

فيدخل الخليفة من شرقى المصلى إلى مكان
ليستريح فيه دقيقة ، ثم يخرج محفوظا كما
يحفظ في جامع القاهرة ، فيصير إلى المحراب ،
ويصلى صلاة العيد بالتكبيرات المستوثة ،
والوزير وراءه والقاضى ، ويقرأ في كل ركعة
ما هو مرقوم في السترين .

فإذا فرغ وسلم ، صعد المنبر للخطابة
العيدية يوم الفطر ، فإذا جلس في الذروة
— وهناك طراحة سامان أو ذبقي على
قدرها ، وباقيه يستر بياض على مقداره في
تقطيع درجه وهو مضبوط لا يتغير — فيراه
أهل ذلك الجمع جالسا في الذروة .

ويكون قد وقف أسفل المنبر الوزير ،
وقاضى القضاة ، وصاحب الباب استهملار

المساكر ، وصاحب السيف ، وصاحب
الرسالة ، وزمام القصر ، وصاحب دفتر
المجلس ، وصاحب المظلة ، وزمام الأشراف
الأقارب ، وصاحب بيت المال ، وحامل الرمح ،
وتقيب الأشراف الطالبين ، ووجه الوزير
إليه ، فيشير إليه فيصعد ويقرب وقوفه منه ،
ويكون وجهه موازيا لرجليه فيقبلهما بحيث
يراه العالم ، ثم يقوم ويقف على يمينه .

فإذا وقف أشار إلى قاضى القضاة ، فيصعد
إلى سابع درجة ، ويتطلع إليه صاغيا لما يقول ،
فيشير إليه ، فيخرج من كفه مدرجا قد أحضر
إليه أمن من ديوان الانشاء بعد عرضه على
الخليفة والوزير ، فيعلن بقراءة مضمونه ،
ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، ثبت بمن
شرف بصموده المنبر الشريف في يوم كذا
— وهو عيد الفطر من سنة كذا — من عيد
أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه
الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، بعد صعود السيد
الأجل ، ونعوته المقررة ودعائه المحرر .

فإن أراد الخليفة أن يشرف أحدا من أولاد
الوزير وأخوته ، استدعاه القاضى بالنعته
المذكور ، ثم يتلو ذلك ذكر القاضى — وهو
القارىء — فلا يتسع له أن يقول عن نفسه
نعوته ولا دعائه ، بل يقول الملوكة فلان بن
فلان .

وقراء مرة القاضى ابن أبى عقيل ، فلما
وصل إلى اسمه قال : العيد الذليل ، المعترف
بالصنع الجليل في المقام الجليل ، أخذ من
عبد الرحمن بن * أبى عقيل . فاستحسن ذلك
منه .

(*) من ٥٥٥ : ٥٥٦ ، ط - بولاق

ثم حذا حذوه الأعز بن سلامة — وقد
استقضى في آخر الوقت — فقال : الملوكة في
محل الكرامة ، الذى عليه من الولاء أصدق
علامه ، حسن بن على بن سلامة .

ثم يستدعى من ذكرنا وقوفهم على باب
المنبر بنعوتهم ، وذكر خدمهم ودعائهم على
الترتيب . فإذا طلع الجماعة — وكل منهم
يعرف مقامه في المنبر يمنا ويسرة — أشار
الوزير إليهم ، فأخذ من هو من كل جانب
بيده نصيبا من اللواء الذى بجانبه ، فيستر
الخليفة ويسترون ، وينادى في الناس بأن
ينصتوا .

فيخطب الخليفة من المسطور على العادة ،
وهي خطبة بليغة موافقة لذلك اليوم . فإذا
فرغ ألقى كل من في يده من اللواء شىء خارج
المنبر ، فينكشفون وينزلون أولا فالولا الأقرب
فالأقرب إلى التهقير .

فإذا خلا المنبر منهم ، قام الخليفة هابطا ،
ودخل إلى المكان الذى خرج منه ، فلبث
يسيرا وركب في زيه المفخم ، وعاد من طريقه
بمينا إلى أن يصل إلى قريب القصر ، فيتقدمه
الوزير كما شرحنا .

ثم يدخل من باب العيد ، فيجلس في الشباك
وقد نصب منه إلى فسقية كانت في وسط
الايوان ، مقدار عشرين قصبة سباط من
الخسكتان والبندود والبرماورد مثل الجبل
الشاهق ، وفيه القطة وزنها من ربع قنطار
إلى رطل .

فيدخل ذلك الجمع إليه ، ويفطر منه من
يفطر ، وينقل منه من ينقل ، ويباح ولا يحجر

عليه ، ولا مانع دونه . فيسر ذلك بأيدي الناس ، وليس هو ما يعتد به ولا يعبى ، مما يفرق للناس ويحمل الى دورهم .

ويعمل في هذا اليوم سباط من الطعام في القاعة يحضر عليه الخليفة والوزير .

فاذا انقضى ذو القعدة ، وهل هلال ذي الحجة ، اهتم بركوب عيد النحر . فيجرب حاله كما جرى في عيد الفطر من الزى والركوب الى المصلى ، ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشح ، ولا ينخرم منه شيء ... انتهى .

وصعد مرة الخليفة الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد المنبر يوم عيده ، فوقف الشريف ابن انس الدولة بازائه ، وقال مشيراً الى الحاضرين :

خشوعاً فان الله هذا مقامه وهما فهذا وجهه وكلامه

وهذا الذى فى كل وقت بروزه تحياته من رينا وسلامه

فغضب الحافظ الجانب الايسر من المنبر ، فرقى اليه زمام القصر ، فقال له : قل للشريف حسبك قضيت حاجتك . ولم يدعه يقول شيئاً آخر .

وكانت تكتب المخلقات بركوب أمير المؤمنين لصلاة العيد ، ويبعث بها الى الأعمال . فما كتب به من انشاد ابن الصيرى :

« أما بعد . فالحمد لله الذى رفع بأمير المؤمنين عماد الايمان وثبت قواعده ، وأعز بخلافته معتقده وأذل بهابته معالده ، وأظهر

من نوره ما انبسط في الآفاق وزال معه الاظلام ، ونسخ به ما تقدمه من الملل فقال ان الدين عند الله الاسلام ، وجعل المعتصم بحبله مفضلاً على من يفاخره ويباهيه ، وأوجب دخول الجنة وخلودها لمن عمل بأوامره ونواهيه ...

« وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى اصطفى له الدين ، وبثه الى الاقربين والابعدين ، وأيده في الارشاد حتى صار العاصى مطيعاً ، ودخل الناس في التوحيد فرادى وجميعاً ، وغدوا بمعروته الوثقى متمسكين ، وأنزل عليه « قل انى هدائى ربي الى ضراط مستقيم ، ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين » .

« وعلى أخيه وابن عمه آيينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب امام الأمة ، وكاشف الغمة ، وأوجه الشفعاء لشيعة يوم العرض ، ومن الاخلاص في ولائه قيام بحق وأداء فرض ، وعلى الأئمة من ذريتهما سادة البرية ، والعبادين في القضية ، والعاملين بالسيرة المرضية ، وسلم وكرم ، وشرف وعظم ...

« وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الثلاثاء عيد الفطر من سنة ست وثلاثين وخمسة ، وقد كان من قيام أمير المؤمنين بحقه وأدائه ، وجريه في ذلك على عادته وعادة من قبله من آبائه ، ما ينبئك به ، ويطلعك على مستوره عنك ومغيبه . وذلك أن دنس ثوب الليل لما بيضه الصباح ، وغاد المحرم المحظور بما أطلقه المحلل المباح ، توجهت عساكر أمير المؤمنين من مظانها الى بابه ، وأفطرت بين يديه بعدما حازته من أجر الصيام وثوابه ...

« ثم انتت الى مصافها في الهيئات التى يقصر عنها تجريد الصفات ، وتغنى مهايتها عن تجريد المزهفات ، وتشهد أسلحتها وعددها بالتأفيس في الهمم ، وتقلق مواضعها في أغمارها شوقاً الى الطلى والقسم . وقد امتلأت الأرض بإزدحام الرجل والخيول ، وثار العجاج فلم ير أغرب من اجتماع النهار والليل ...

« وبرز أمير المؤمنين من قصوره ، وظهر للأبصار على أنه محتجب بضياءه ونوره ، وتوجه الى المصلى في هدى جده وأبيه ، والوقار الذى ارتفع فيه عن النظر والشبه . ولما انتهى اليه قصد المحراب واستقبله ، هادى الصلاة على وضع رضىه الله وتقبله ، وأجرى أمرها على أفضل المعهود ، ووفأها حقها من القراءة والتكبير والركوع والسجود ...

« وانتهى الى المنبر فعلا وكبر * الله ، وهلك على ما أولاه ، وذكر الثواب على اخراج الفطرة وبشر به ، وان المسارعة اليه من وسائل المحافظة على الخير وقربه ، ووعظ وعظاً ينتفع قابله في عاجلته ومنقلبه ...

« ثم عاد الى قصوره الزاهرة ، مشغولاً بالوقاية ، مكتوفاً بالكفاية ، منتهياً فى ارشاد عبيده ورعاياه أقصى الغاية ...

« أعلمك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن اليه ، وتعلن بتلاوته على الكافة ليشتركوا فى معرفته ويشكروا الله عليه . فاعلم هذا ، واعمل به ان شاء الله تعالى . وكان من أهل برقة طائفة ، تعرف بصبيان الخف ، لها اقطاعات وجرايات وكسوات

(٥) من سنة ٤٠٤ ج ١ ، ط. بولاق .

ورسوم . فاذا ركب الخليفة فى العيدين مدوا حبلين مسطوحين من أعلى باب النصر الى الأرض : حبلاً عن يمين الباب ، وحبلاً عن شماله .

فاذا عاد الخليفة من المصلى ، نزل على الحبلين طائفة من هؤلاء على أشكال خيل من خشب مدهون ، وفى أيديهم رايات ، وخلف كل واحد منهم رديف ، وتحت رجله آخر معلق بيديه ورجليه . ويعملون أعمالاً تذهل العقول .

ويركب منهم جماعة فى الموكب على خيول ، فيركضون وهم يتقلبون عليها ، ويخرج الواحد منهم من تحت ابط الفرس وهو يركض ، ويعود يركب من الجانب الآخر ، ويعود وهو على حاله لا يتوقف ، ولا يسقط منه شيء الى الأرض ، ومنهم من يقف على ظهر الحصان فيركض به وهو واقف .

ذكر القصر الصغير الغربى

وكان تجاه القصر الكبير الشرقى الذى تقدم ذكره ، فى غربيه ، قصر آخر صغير يعرف بالقصر الغربى .

ومكانه الآن حيث المارستان النصورى وما فى صفه من المدارس ، ودار الأمير يسرى ، وباب قبو الخرنشف ، وربع الملك الكامل المثل على سوق الدجاجين اليوم - المعروف قديماً بالتبائن - وما يجاوره من الدرب المعروف اليوم بدرب الخضيرى تجاه الجامع الأقمر ، وما وراء هذه الأماكن الى الخليج .

وقال ابن عبد الظاهر : كان في القصر باب يعرف باب السباط ، كان الخليفة في العيد يخرج منه إلى الميدان - وهو الخرنشف الآن - لينخر فيه الضحايا .

باب التباين : هذا الباب مكان باب الخرنشف الآن ، وجعل في موضعه دار العلم التي بناها الحاكم ، التي ذكرها أن شاء الله تعالى .

باب الزمرد : كان موضع اصطبل القطيعة قريبا من باب البستان الكافوري الموجود الآن .

ذكر دار العلم

وكان بجوار القصر الغربي من بحريه دار العلم ، ويدخل إليها من باب التباين - الذي هو الآن يعرف بقبر الخرنشف - وصار مكان دار العلم الآن الدار المعروفة بدار الخيزري ، الكائنة بدرب الخيزري المقابل للجامع الأقمر . ودار العلم هذه اتخذها الحاكم بأمر الله ، فاستمرت إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش .

قال الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله الميحي : وفي يوم السبت هذا (يعني العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة) فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة ، وجلس فيها الفقهاء ، وحملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة .

ودخل الناس إليها ، ونسخ كل من التمس نسخ شيء منها فيها ما تشاء ، وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها . وجلس فيها القراء

والنجوم وأصحاب النحو واللغة والأطباء ، بعد أن فرشت هذه الدار وزخرقت ، وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور ، وأقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم وسلوا بخدمتها .

وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ، من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ، ما لم ير مثله مجتمعا لأحد قط من الملوك ، وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها . فكان ذلك من المحاسن الماثورة أيضا التي لم يسمع بمثلا ، من اجراء الرزق السني لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها ، من فقيه وغيره .

وحضرها الناس على طبقاتهم : فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ، ومنهم من يحضر للنسخ ، ومنهم من يحضر للتعليم ، وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والورق والمحابير . وهي الدار المعروفة ببختر الصقلي .

قال : وفي سنة ثلاث وأربعمائة ، أحضر جماعة من دار العلم من أهل الجبال والمنطق ، وجماعة من الفقهاء منهم عبد الغني ابن سعيد ، وجماعة من الأطباء ، إلى حضرة الحاكم بأمر الله ، وكانت كل طائفة تحضر على انفرادها للنظر بين يديه ، ثم خلع على الجميع ووصلهم .

ووقف الحاكم بأمر الله أماكن في فسطاط مصر على عدة مواضع ، وضمتها كتابا ثبت على

(٢٨٥) ج ١ ، طبع بولاق .

قاضي القضاة مالك بن سعيد - وقد ذكر عند ذكر الجامع الأزهر - وقال فيه وقد ذكر دار العلم : ويكون العشر وثمان العشر لدار الحكمة ، لما يحتاج إليه في كل سنة ، من العين المغربي مائتان وسبعة وخسون دينارا .

من ذلك لثمن الحصر العبداني وغيرها لهذه الدار عشرة دنانير ، ومن ذلك لورق الكتاب (يعني النسخ) تسعون دينارا ، ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعمائة دينارا ، ومن ذلك لثمن الماء اثنا عشر دينارا ، ومن ذلك للفراش خمسة عشر دينارا ، ومن ذلك للورق والحبر والأقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر دينارا ، ومن ذلك لمرمة الستارة دينار واحد ، ومن ذلك لمرمة ما عسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها اثنا عشر دينارا ، ومن ذلك لثمن لبود للفرش في الشتاء خمسة دنانير ، ومن ذلك لثمن طنافس في الشتاء أربعة دنانير .

وقال ابن المأمون : وفي هذا الشهر (يعني شهر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة) جرت نوبة القصار - وهي طويلة وأولها من الأيام الأفضلية ، وكان فيهم رجلان يسمى أحدهما بركات ، والآخر حميد بن مكي الأتقيحي القصار - مع جماعة يعرفون بالبدينية ، وهم على الاسلام والمذاهب الثلاثة المشهورة ، وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة .

فاعتمد بركات من جملتهم أن استند عقول جماعة ، وأخرجهم عن الصواب

- وكان ذلك في أيام الأفضل - فأمر للوقت بفتح دار العلم والقبض على المذكور ، فهرب .

وكان من جملة من استند عقوله بركات المذكور أستاذان من القصر . فلما طلب بركات المذكور واستر ، دقق الأستاذان الخيلة إلى أن أدخلاه عندهما في زى جارية اشترياها ، وقاما بحقه وجميع ما يحتاج إليه ، وصار أهله يدخلون إليه في بعض الأوقات .

فرض بركات عند الأستاذين ، فحاروا في أمره ومداواته ، وتعذر عليهما احضار طبيب له ، واشتد مرضه ومات ، فأعلا الحيلة ، وعرفا زمام القصر أن أحدى عجائزها قد توفيت ، وأن عجائزهما يغسلنها على عادة القصور ، ويشيعنها إلى تربة النعمان بالترافة ، وكبا عدة من يخرج .

ففسخ لهما في العدة ، وأخذوا في غسله ، وألبسوا ما أخذاه من أهله - وهو ثياب معلة وشاشية ومنديل وطيلسان مقور - وأدرجوه في الديبقي ، وتوجه مع التابوت الأستاذان المشار إليهما .

فلما قطعوا به بعض الطريق أرادا تكميل الأجر له على قدر عقولهما ، فقالا للحمالين : هو رجل تربته عندنا ، فنادوا عليه نداء الرجال ، واكتموا الحال . وهذه أربعة دنانير لكم ، فسر الحمالون بذلك .

فلما عادوا إلى صاحب الدكان عرفوه بما جرى ، وقاسموه الدنانير . فخافت نفسه ، وعلم أنها قضية لا تخفى ، فمضى بهم إلى

السوالى وشرح له القضية . فأودعهم في الاعتقال ، وأخذ الذهب منهم ، وكتب مطالعة بالحل .

فمن أول ما سمع القائد أبو عبد الله بن فاتك ، الذي قيل له بعد ذلك المأمون ، بالقضية - وكان مديبر الأمور في الأيام الأفضلية - قال : هو يركات المطلوب .

وأمر بإحضار الأستاذين والكشف عن القضية ، وإحضار الحمالين والكشف عن القبر بحضورهم . فإذا تحققوا أمرهم بلغه : فمن أجاب إلى ذلك منهم أطلقوه ، ومن أبي أحضروه ... فحققوا معرفته : فنتهم من ينصق في وجهه وتبرأ منه ، ومنهم من هم بتثيله ولم يتبرأ منه .

فجلس الأفضل واستدعى السوالى والياق ، واستدعى من كان تحت الحوطة من أصحابه ، فكل من تبرأ منه ولعنه أطلق سبيله ، وبقي من الجساعة ممن لم يتبرأ منه خبسة ترقى وصي لم يبلغ العلم ، فأمر بضرب رقابهم ، وطلب الأستاذين فلم يقدر عليهما .

وقال للصبى من لفظه : تبرأ منه وأنعم عليك وأطلق سبيلك .

فقال له : الله يطالبك إن لم تلحقني بهم ، فإني مشاهد ما هم فيه . وأخذ بسيفه على الأفضل ، فأمر بضرب عنقه .

فلما توفي الأفضل أمر الخليفة الأمر بإحكام الله وزيره المأمون بن البطاحي ، باتخاذ دار العلم وفتحها على الأوضاع الشرعية .

ثم عاد حميد القصار المثنى بذكره ، وظهر ، وسكن مصر يدين الثياب بها ، ويطلع إلى دار

العلم ، وأفسد عقل أستاذ وخياط وجساعة وادعى الربوبية .

فحضر الداعي ابن عبد الحقيق إلى الوزير المأمون ، وعرفه بأن هذا قد تعرف بطرف من علم الكلام على مذهب أبي الحسن الأشعري ، ثم انسلخ عن الاسلام وسلك طريق الحلاج في التوبة ، فاستهوى من ضعف عقله وقلت بصيرته .

فإن الحلاج في أول أمره كان يدعى أنه داعية المهدي ، ثم ادعى أنه المهدي ، ثم ادعى الالهية وأن الجن تخدمه ، وأنه أحياء عدة من الطيور .

وكان هذا القصار شيعي الدين ، وجرت له أمور في الأيام الأفضلية ، وتقى دفعة واعتقل أخرى ، ثم هرب بعد ذلك ، ثم حضر وسار بواسطة طلوع الجبل ، واستصحب من استهواه من أصحابه .

فإذا أبعد قال لبعضهم بعد أن يصلى ركعتين : نطلب شيئا تأكله أصحابنا . فيمضي ولا يلبث دون أن يعود ومعه ما كان أعده مع بعض خاصته الذين يطلعون على باطنه .

فكانوا يهابونه ويعظمونه حتى أنهم يخافون الائم في تأمل صورته ، فلا ينفكون مطرقين بين يديه . وكان قصيرا دميم الخلقة ، وادعى مع ذلك الربوبية .

وكان من اختص بحميد رجل خياط وخصي . فرسم المأمون بالقبض على المذكور

(١٠) من ١٠١ ج ١ ، ط ١٠١٠

وعلى جميع أصحابه . فهرب الخياط وطلب فلم يوجد ، ولودى عليه ، وبذل لمن يحضر به مال فلم يقدر عليه .

واعتقل القصار وأصحابه ، وقرروا فلم يقرروا بشيء من حاله .

وبعد أيام تماوت في الحبس فلما استؤمر عليه أمر بدفنه ، فلما حمل ليدفن ظهر أنه حي ، فأعيد إلى الاعتقال ، وبقي كل من لم يتبرأ منه معتقلا ، ما خلا الخصي فإنه لم يتبرأ منه .

وذكر أن القتل لا يصل إليه ، فأمر بقطع لسانه ورمى قدماه وهو مصر على ما في نفسه ، فأخرج القصار والخصي ومن لم يتبرأ منه من أصحابه ، فصلبوا على الخشب وضربوا بالنشاب ، فماتوا لوقتهم .

ثم لودى على الخياط ثانيا ، فأحضر وفعل به ما فعل بأصحابه بعد أن قيل له : هانت تنظرة . فلم يتبرأ منه ، وصلب إلى جانيه .

وذكر أن بعض أصحاب هذا القصار ممن لم يعرف أنه كان يشترى الكافور ، ويرمي به بالقرب من خشبته التي هو مصلوب عليها ، فيستقبل رائحته من سلك تلك الطريق ، ويقصد بذلك أن يربط عقول من كان القصار قد أضله . فأمر المأمون أن يحطوا عن الخشب ، وأن تخلط رممهم ويدفنوا متفرقين حتى لا يعرف قبر القصار من قبورهم .

وكان قتلهم في سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وأبتداء هذه القضية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة .

قال : وكان الشريف عبد الله يحدث عن صديق له مأمون القول ، أنه أخبره أنه لما شاع خبر هذا القصار وما ظهر منه ، أراد أن يستخنه ، فتسبب إلى أن خالطه ، وصار في جملة أصحابه ومن يعظمه ويطلع معه إلى الجبل ، فأفسد عقله وغير معتقده ، وأخرجه عن الاسلام .

وأنه لأمه على ذلك وردعه ، فحدثه بمجائب منها أنه قال : والله ما من الجساعة الذين يطلعون معه إلى الجبل أحد إلا ويسأله ويستدعيه ما يريد على سبيل الامتحان ، فيحضره إليه لوقته .

وأن يده سكيلا لا تقطع الا بيده ، وإذا أمسك طائرا وقبضه أحد من الحاضرين ، يدفع السكين التي معه له ويقول له : اذبحه ، فلا تمشي في يده ، فيأخذها هو ويذبحه بها ويجري دمه ، ثم يعود ويسكه بيده ويسرحه فيطير ، ويقول أن الحديد لا يعمل فيه ، ويوسع القول فيما يشاهده منه ويسمعه .

فلما اعتقل القصار ، بقي هذا الرجل مصرا على اعتقاده ، فلما قتل وخرج إليه وشاهده وتحقق موته ، علم أن ما كان فيه سحر ووزور وافك ، فتصدق بجملة من ماله ، وعاد إلى مذهبه وصح معتقده .

وقال ابن عبد الظاهر : دار العلم كان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطلها ، وهي بجوار باب التبانين ، وهي متصلة بالقصر الصغير ، وفيها مدفون الداعي المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الأعجمي ، وكان لا

بما لها أمور سببها اجتماع الناس ، والحوض في المذهب ، والخوف من الاجتماع على المذهب التزاري .

ولم يزل الخدام يتوصلون الى الخليفة الأمر بأحكام الله حتى تحدث في ذلك مع الوزير المأمون ، فقال : أين تكون هذه الدار ؟

فقال بعض الخدام : تكون بالدار التي كانت أولا .

فقال المأمون : هذا لا يكون لأنه باب صار من جملة أبواب القصر وبرسم الحوائج ، ولا يمكن الاجتماع ، ولا يؤمن من غريب يتحصل به .

فأشار كل من الاستاذين بشيء ، فأشار بعضهم أن تكون في بيت المال القديم .

فقال المأمون : يا سبحان الله قد منعنا أن تكون متاخمة للقصر الكبير الذي هو سكن الخليفة لجعلها ملاصقة .

فقال الثقة زمام القصور : في جوارى موضع ليس ملاصقا للقصر ولا مخالفا له ، يجوز أن يعمر ويكون دار العلم .

فأجاب المأمون الى ذلك وقال : بشرط أن يكون متوليا رجلا دينا ، والداعي الناطق فيها ، ويقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن .

فاستخدم فيها أبو محمد حسن بن آدم فتولاهما ، وشرط عليه ما تقدم ذكره ، واستخدم فيها مقرنون .

ذكر دار الضيافة

خرج مالك في الموطن ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، أنه قال : « كان إبراهيم عليه السلام أول من ضيف الضيف » .

وأول من اتخذ دار ضيافة في الاسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة ٦٠ سبع عشرة ، وأعد فيها الدقيق والسمن والعسل وغيره ، وجعل بين مكة والمدينة من يحمل المنقطعين من ماء الى ماء حتى يوصلهم الى البلد .

فلما استخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه أقام الضيافة لأبناء السبيل والمتعبدين في المسجد .

وأول من بنى دار الضيافة بمصر للناس عثمان بن قيس بن أبي العاص السهمي ، أحد من شهد فتح مصر من الصحابة .

وكان ميدان القصر الغربي - الذي هو الآن الخرنسف - دار الضيافة بحارة برجوان . وكانت هذه الدار أولا تعرف بدار الأستاذ برجوان ، وفيها كان يسكن حيث الموضع المعروف بحارة برجوان .

ثم لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي في أيام الخليفة المستنصر من عكا ، واستبد بأمر الدولة ، أنشأ هناك دارا عظيمة وسكنها ، ولم يكن بدار الديباج التي كانت دار الوزارة القديمة .

(١) ص ٢٦٠ ج ١ ، ط. بولاق .

فلما مات أمير الجيوش بدر ، واستولى على سلطنة ديار مصر ابنه الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش ، وأنشأ دار القباب - التي عرفت بدار الوزارة الكبرى - قريبا من رحبة باب العيد ، أقر أخاه أبا محمد جعفرا المنعوت بالمظفر بن أمير الجيوش ، بدار أمير الجيوش من حارة برجوان ، فعرفت بدار المظفر ، وما زال بها حتى مات وقبر بها ، والى اليوم قبره بها ، وتسميه العامة جعفرا الصادق .

ولما مات المظفر اتخذت داره المذكورة دار ضيافة برسم الرسل الواردين من الملوك ، واستمرت كذلك الى أن انقرضت الدولة ، فأزول بها السلطان صلاح الدين أولاد المعاضد ، الى أن قلهم الى قلعة الجبل الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب .

فلما كان في سنة تسع وسبعين وستائة ، تقدم أمر الملك المنصور قلاوون ، لوكيل بيت المال القاضي نجد الدين عيسى بن الخشاب ، ببيع دار المظفر ، فباع القاعة الكبرى وما هو من حقوقها ، وبيعت دار المظفر الصغرى ، وهدمها الناس وبنوا في مكانها دورا .

وموضعها الآن دار قاضي القضاة شمس الدين محمد الطربلسي الحنفي ، وما بجوارها الى الدار التي بها سكنى اليوم ، وهي من حقوق دار المظفر الصغرى ، على ما في كتبها القديمة . ولما أنشأ قاضي القضاة شمس الدين المذكورة داره في سنة سبع ، أو سنة ثمان ، وثمانين وسبعمائة ، ظهر من تحت الأرض عند حفر الأساس حجر عظيم ، قيل انه عتبة دار المظفر الكبرى . وكان اذ ذلك الأمير

جهازكس الخليلي يتولى عمارة مدرسة الملك الظاهر برقوق التي في خط بين القصرين ، فلما بلغه خبر هذا الحجر بعث اليه ، وأمر بحجره الى العمارة ، فعمل عتبة باب المزملة التي للمدرسة .

وكان من وراء هذه الدار رحبة الأفيال ، أدركتها ساحة ثم عمر فيها .

قال ابن الطوير : الخدمة المعروفة بالضيافة للقاء المرسلين - وهي خدمة جليلة - يقال لتوليها النائب ، وينعت بعدي الملك ، وهو ينوب عن صاحب الباب في لقاء الرسل الوافدين على مسافة ، وإزالة كل واحد في دار تصلح له ، ويقوم له من يقوم بخدمته ، وله نظير في دار الضيافة ، وهو يسمى اليوم بمهندار ، ويرتب لهم ما يحتاجون اليه ، ولا يمكن أحدا من الاجتماع بهم ، ويذكر صاحب الباب بهم ، ويبالغ في نجاز ما وصلوا فيه .

وهو الذي يسلم بهم أبدا عند الخليفة والوزير ، وينفذ بهم ويستأذن عليهم . ويدخل الرسول وصاحب الباب قابض على يده اليمنى ، والنائب بيده اليسرى ، فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم ، ويجتهد في انفصالهم على أحسن الوجوه ، ويبقى يديه من الفراشين المقدم ذكرهم عدة لاعاته ، وإذا غاب أقام عنه نائبا الى أن يعود ، وله من الجارى خمسون دينارا في كل شهر ، وفي اليوم نصف قنطار خبز ، وقد يهدي اليه المرسلون طرفا فلا يتناولها الا بأذن ... انتهى .

وفي هذه الدولة التركية يقال لتولي هذه الوظيفة مهندار ، ولا يليها عندهم الا صاحب

سيف من الأمراء العشراوات . وكانت في الدولة القاطية ، على ما ذكره ابن الطور ، لا يلحقها إلا أعيان القبول وأرباب المعاش ، ومنعت أبداً عنى الملك . وأصل هذه الكلمة بـتـقـارـسية مـمـان دار (ومعناها ملكتي الصيوف) .

ذكر اصطبل الحجرة

وكان بجوار دار الضيافة اصطبل الصياف الحجرة المقدم ذكرهم . وموضع هذا الاصطبل اليوم يعرف بخان الوراق ، داخل باب القروح القديم بسوق المرحلين ، على يسرة من أراد الخروج من باب القروح القديم ، تجاه زيادة الجامع الحاكمي .

ومن حقوق هذا الاصطبل أيضاً الموضع الذي فيه الآن التيارية للمروقة بتيارية الست ، التي هي اليوم تجاه المدرسة الصيرمية والجلتون الصغير . وكانت بهذا الاصطبل خيول الصياف الحجرة ، إحدى طوائف العساكر في زمن الخلفاء القاطيين .

ذكر مطبخ القصر

وكان بجوار القصر الغربي ، قبالة باب الزهومة من القصر الكبير ، مطبخ القصر وموضعه الآن الصائفة تجاه المدارس الصالحية . ولما كانت مطبخاً كان يخرج إليه من باب الزهومة . وذكر ابن عبد القاهر أنه كان يخرج من المطبخ المذكور ، مدة شهر رمضان ،

(*) من ١٦٦١ ج ١ ، ط ١٧٧٧ .

ألف ومائتا قدر من جميع ألوان الطعام ، تفرق كل يوم على أرباب الرسوم والضرائب .
درب السلسلة : وكان بجوار مطبخ القصر درب السلسلة .

قال ابن الطور : وببيت خارج باب القصر في كل ليلة خمسون فارساً . فإذا أذن بالمشاء الآخرة داخل القساعة ، وصلى الإمام الراتب بها بالمقيمين فيها من الاستاذين وغيرهم ، وقف على باب القصر أمير . يقال له سنان الدولة ابن الكركندي ، فإذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق ، ولوائقهما من عدة وافرة ، بطرائق مستحقة مدة ساعة زمانية .

ثم يخرج بعد ذلك استاذ يرسم هذه الخدمة فيقول : أمير المؤمنين يرد على سنان الدولة السلام ، فيصتق ويغرس حرية على الباب ، ثم يرفعها يده ، فإذا رفعها أغلق الباب ، وسار حوالى القصر سبع دورات .

فإذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين والقرايين المقدم ذكرهم ، وانصرف المؤذنون إلى خزائهم هناك ، وترمى السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين فيقطع المار من ذلك المكان إلى أن تضرب النوبة سحراً قرب القجر ، فتصرف الناس من هناك بارتفاع السلسلة .

وقال ابن عبد الظاهر : درب السلسلة الذي هو الآن إلى جانب السيوفيين ، كانت عنده سلسلة منه إلى قبالة تعلق كل يوم من الظهر حتى لا يعبر راكب تحت القصر . وهذا الدرب يعرف بسنان الدولة بن الكركندي . وهذا الدرب هو المختص بالتقوية .

وهذه التقوية أمرها مستطرف ، لا من قبل الحسن بل من قبل التعجب من العقول ، ولها خمسة أوقات ، وهي : ليالى العيدين ، وغرة السنة ، وغرة شهر رمضان ، ويوم فتح الخليج .

وهو أنه يقف راكباً في وسط الزلافة التي لباب الذهب قبالة الدار القطبية ، فيخرج إليه السلام من الخليفة ، ثم يخدم الرهجية ، ثم يصعد على كندرة باب الزهومة وقدامه دواب المظلة بسنة ويسرة ، والرهجية تخدم ، وأرباب الضوء ومستخدمو الطرق على السلسلة .

فإذا كان الطرف وصلوا إليه ، واجتمعت الرهجية كلهم ، وركب فرساً وعليه ثياب حنة ، وكشف عن راياته وأخذ بيده رمحا ، واجتمعت الرهجية حوله ، ويعبر مشورا وأولئك خلفه بالصراخ والصياح بشعار الإمام ، ثم يسير بذلك الجمع وخيل المظلة إلى أبواب القصر ، فيقف عند كل باب تدم الرهجية إلى أن يعودوا إلى باب الذهب ، ثم إلى دار الوزارة للهناء .

فلم يزالوا كذلك إلى ولاية ابن الكركندي فبطلت هذه السنة في الأيام الآمرة .

وصاحب التقوية من وصل آباءه صحبة المعز لدين الله من بلاد المغرب فكانت هذه سنتهم .

ذكر الدار المأمونية

وكان بجوار درب السلسلة الدار المأمونية وهي المدرسة السيوفية ، وكانت هذه الدار سكن المأمون بن البطائحي ، وعرفت قديماً

بقوام الدولة حبوب ، ثم جندوها المأمون محمد ابن فاتك .

المأمون البطائحي : هو أبو عبد الله محمد ابن الأمير نور الدولة أبي شجاع فاتك بن الأمير منجد الدولة أبي الحسن مختار المستصرى . اتصل بخدمة الأفضل بن أمير الجيوش في شهر شوال سنة إحدى وخمسمائة عندما تغير على تاج المعالي مختار الذي كان اصططعه وفخم أمره وسلم إليه خزائن أمواله وكسواته ، وسلم ما كان يبيده من الخدمة لمحمد بن فاتك ، فتصرف فيها .

وقرر له الأفضل ما كان باسم مختار من العين خاصة دون الاقطاع ، وهو مائة دينار في كل شهر ، وثلاثون ديناراً عن جارى الخزائن ، مضافاً إلى الأصناف الراتبية مياومة ومشاهرة ومساهة .

فحسن عند الأفضل موقع خدمته ، فاعتمد عليه ، وسلم له جميع أموره ، وصرفه في كل أحواله . فلما كثر عليه الشغل ، استعان بأخويه أبي تراب حيدرة وأبى الفضل جعفر ، فأطلق الأفضل لهما ما وسع به عليهما من المياومة والمشاهرة والمساهة . ونمت الأفضل بالقائد ، فصار يخاطب بالقائد ويكتب به ، وصار عنده بمنزلة الاستادار .

فلما قتل الأفضل ليلة عيد الفطر من سنة خمس عشرة وخمسمائة ، قام القائد أبو عبد الله بن فاتك لخدمة الخليفة الأمر بأحكام الله ، وأطلع على أموال الأفضل ، وبالحق في مناصحته حتى لقد اتهم أنه هو الذي دبر في قتل الأفضل بإشارة الخليفة .

(*) من ١٦٦١ ج ١ ، ط ١٧٧٧ .

فخلع عليه الأمر في مستهل ذي القعدة
بمجلس اللعبة من القصر ، وهو المجلس الذي
يجلس فيه الخليفة ، ولم يخلع قبله على أحد
فيه ، وحل المنطقة من وسطه ، وخلع على
ولده وحل منطقته ، وخلع على اخوته .

واستمر تنفيذ الأمور اليه الى أن استهل ذو
الحجة . ففى يوم الجمعة ثانياً خلع عليه من
الملابس الخاص ، ففى فرد كم مجلس اللعبة ،
طوق ذهب مرصع وسيف ذهب كذلك ، وسلم
على الخليفة .

وتقدم الأمر للأمراء وكافة الأساقفة
المحكى بالخروج بين يديه ، وأن يركب من
المكان الذى كان الأفضل يركب منه ، ومضى
فى ركابه القواد على عادة من تقدمه ، وخرج
بتشريف الوزارة ، ودخل من باب العيد
راكباً . ووصل الى داره ، فضاغف الرسوم
وأطلق الهبات .

فلما كان يوم الاثنين خامس ، اجتمع الأمراء
بين يدي الخليفة ، وأحضر السجل فى لفافة
خاص مذهب ، فسلمه الخليفة له من يده ،
قبله وسلمه لزمام القصر ، فأمره الخليفة
بالجلوس الى جانبه عن يمينه ، وقرئ السجل
على باب المجلس . وهو أول سجل قرئ
هناك ، وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ
بالايوان .

ورسم للشيخ أبى الحسن بن أبى أسامة ،
كاتب الدست ، أن ينقل نسبة الأمراء
والمحكى من الأمر الى المأمونى ، وكذا
الناس أجمع . ولم يكن أحد ينتسب الى
الأفضل ولا لأمير الجيوش . وقدمت له الدواة
فعلم فى مجلس الخليفة .

ونعت باليد الأجل المأمون تاج الخلافة ،
ووجيه الملك فخر الصنائع ، ذخر أمير المؤمنين
عز الاسلام ، فخر الأنعام نظام الدين ، أمير
الجيوش ، سيف الاسلام ناصر الأنعام ، كافل
قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين .

وكان يجلس يداره فى يومى الأحد والأربعاء
للراحة والنفقة فى العسكر الباسط الى
الظهر ، ثم يرفع النفقة ويحط السباط ،
ويجلس بعد العصر والكتاب بين يديه ، فينفق
فى الراجل الى آخر النهار .

وفى يوم الجمعة يطلق للمقرئين بحضرته
خسة دنانير ، ولكل من هو مستر القراءة
على بابه من الضعفاء والأجراء ما هو ثابت
بأسائهم خمسمائة درهم ، ولبقية الضعفاء
والمساكين خمسمائة درهم أخرى . فاذا توجه
يوم الجمعة الى القرافة يكون المبلغ المذكور
مستقراً لأربابه .

ولم يزل الى ليلة السبت الرابع من رمضان
سنة تسع عشرة وخمسمائة ، فقبض الأمر
المذكور عليه وعلى اخوته الخمسة مع ثلاثين
رجلاً من خواصه وأهله واعتقله ، ثم صلبه
مع اخوته فى سنة اثنتين وعشرين .

قيل ان سب القبض عليه ما بلغ الأمر عنه
أنه بعث الى الأمير جعفر بن المستعلى يغريه
بقتل أخيه ليقبض مكانه فى الخلافة . وكان
الذى بلغ الأمر ذلك الشيخ أبى الحسن بن
أبى أسامة . وبلغه أيضاً أنه سير لجيب
الدولة أبى الحسن الى اليمن ليضرب سكة
عليها الامام المختار محمد بن نزار . وذكر عنه
أنه سم شيئاً ودفعه لقصاد الخليفة فتم عليه
القصاد .

وكان مولد المأمون فى سنة ثمان وسبعين
وأربعمائة ، وكان من ذوى الآراء والمعرفة
النامة بتدبير الدول ، كريماً واسع الصدر ،
سفاكاً للدماء ، كثير التحرز والتطلع الى معرفة
أحوال الناس من العامة والجند ، فكثرت
الوشاة فى أيامه .

حبس المعونة : وكان بجوار الدار المأمونية
حبس المعونة ، وموضعه اليوم قيسارية
العبر .

قال ابن المأمون : فى سنة سبع عشرة
وخمسمائة ، تقدم أمر المأمون الى والى
بصر والقاهرة بإحضار عرفاء السقائين ،
وأخذ الحجج على المتعشين منهم بالقاهرة
بمحضورهم متى دعت الحاجة اليهم ليلاً
ونهاراً ، وكذلك يعتمد فى القرين ، وأن
يبيتوا على باب كل معونة ومعهم عشرة من
القملة بالطوارى والمساكى ، وأن يقوموا لهم
بالعشاء من أموالهما بحكم فقرهم ... انتهى .

وكان حبس المعونة هذا يسجن فيه أرباب
الجرائم كما هو اليوم السجن المعروف بخزانة
شمائل ، وأما الأمراء والأعيان فيسجنون
بخزانة البنود كما تقدم . ولم يزل هذا الموضع
سجناً مدة الدولة الفاطمية ومدة دولة بنى
أيوب ... الى أن عمره الملك المنصور قلاوون
قيسارية ، أسكن فيها العنبرانيين فى سنة
ثمانين وستمائة .

ذكر الحسبة ودار العيار

وكان بجوار حبس المعونة دكة الحسبة ،
ومكانها اليوم يعرف بالأبازرة ومكسر
الخطب ، بجوار سوق القصارين والفحامين

قال ابن الطوير : وأما الحسبة فإن من
تسند اليه لا يكون الا من وجوه المسلمين
وأعيان المعدلين ، لأنها خدمة دينية ، وله
استخدام النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع
أعمال الدولة كنواب الحكم ، وله الجلوس
بجامعى القاهرة ومصر يوماً بعد يوم .

ويطوف نوابه على أرباب الحرف
والمعاش ، ويأمر نوابه بالختيم على قدور
الهراسين ونظر لحملهم ومعرفة من جزارة ،
وكذلك الطباخون ، ويتبعون الطرقات ،
ويمنعون من المضايقة فيها ، ويلزمون رؤساء
المراكب ألا يحملوا أكثر من وسق السلامة ،
وكذلك مع الحمامين على البهائم .

ويأمر السقائين بتغطية الروايا بالأكبة
— ولهم عيار وهو أربعة وعشرون دلو ،
كل دلو أربعون رطلاً — وأن يلبسوا
السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم وهى
زرق ، وينذرون معلمى المكاتب بالآلا يضربوا
الصبيان ضرباً مبرحاً ولا فى مقتل ، وكذلك
معلمو العوم بتحذيرهم من التعزير بأولاد
الناس ، ويقفون على من يكون سبى المعاملة
فينهونه بالردع والأدب ، وينظرون المكاييل
والموازين

وللمحتسب النظر فى دار العيار ، ويطلع
عليه ، ويقرأ سجله بمصر والقاهرة على
النبر ، ولا يحال بينه وبين مصلحة إذا رآها ،
والولاية تشد معه إذا احتاج الى ذلك ،
وجاريه ثلاثون ديناراً فى كل شهر ... انتهى .

وكان للعيار مكان يعرف بدار العيار تعير فيه الموازين بأسرها وجميع الصنح . وكان يتفق على هذه الدار من الديوان السلطاني فيما تحتاج اليه من الأصناف ، كالنحاس والحديد والخشب والزجاج ، وغير ذلك من الآلات وأجر الصناع والمشارفين ونحوهم . ويحضر المحتب أو نائبه الى هذه الدار ليعير المعمول فيها بحضوره ، فان صح ذلك أمضاه ، والا أمر باعادة عمله حتى يصح .

وكان بهذه الدار أمثلة يصحح بها العيار ، فلا تباع الصنح والموازين والأكيال الا بهذه الدار ، ويحضر جميع البلعة الى هذه الدار باستثناء المحتب لهم ، ومعهم موازينهم وصنجم ومكاييلهم ، فتعير في كل قليل . فان وجد فيها الناقص استهلك ، وأخذ من صاحبه لهذه الدار ، وألزم بشراء نظيره مما هو محروم بهذه الدار والقيام بشئ . ثم سُمح للناس ، وصار يلزم من يظهر في ميزانه أو صنجه خلل بإصلاح ما فيها من فساد فقط ، والقيام بأجرته فقط .

وما زالت هذه الدار باقية جميع الدولة الفاطمية . فلما استولى صلاح الدين على السلطة ، أقر هذه الدار ، وجعلها وفقا على سور القاهرة مع ما كان جاريا في أوقاف السور من الرباع والنواحي الجارية في ديوان الأسوار . وما زالت هذه الدار باقية .

اصطبل الجميزة : وكان بجوار القصر الغربي من قليه اصطبل الجميزة ، من جانب باب السباط الذي هو الآن باب سر المارستان المتصوري . وقيل له اصطبل الجميزة من أجل أنه كان في وسطه شجرة بجميز كبيرة .

وكان موضع هذا الاصطبل تجاه من يخرج من باب السباط ، فينزل من الحدرية التي هي الآن تجاه باب سر المارستان المتوصل منها الى حارة زويلة ، ويستند فيما حاذاه يسارك اذا وقف بأول هذه الحدرية حيث الطاحون الكبيرة التي هي الآن في أوقاف المارستان وما وراءها ، ويحاذيها الى الموضع المعروف اليوم بالبندقانيين .

وكانت بئر تعرف ببئر زويلة ، وعليها ساقية تنقل الماء لشرب الخيول . وموضع هذه البئر اليوم قيسارية تعرف بقيسارية يونس تجاه درب الأنجب . وقد شاهدت هذه البئر لما أنشأ الأمير يونس الدواذر هذه القيسارية والربع علوها ، فرأيت بئرا كبيرة جدا ، وقد عقد على فوهتها عقد ركب فوقه بعض القيسارية ، وترك منها شيء . ومنها الآن الناس تسقى بالدلاء .

وما زال هذا الاصطبل باقيا الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فحُكروا ، وبني في مكانه الآدر التي هي موجودة الآن ، وحُكروا جار في أوقاف الصلاح الأزبكي . وقد تقدم ذكر هذا الاصطبل عند ذكر اصطبل الطارمة ، فانظر رسومه هناك .

دار الديباج : وكان بجوار اصطبل الطارمة من غربيه دار الديباج ، وهي حيث المدرسة صاحبة بسوقه الصاحب ، وما جاورها من جانبها وما خلفها الى الوزيرية ، وكانت هي دار الوزارة القديمة .

وأول من أنشأها الوزير يعقوب بن يونس بن كلس وزير العزيز بالله ، ثم سكنها الوزير

الناصر للدين ، قاضي القضاة وداعي الدعاة ، علم المجدا أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن البازوري .

وما زالت سكن الوزراء الى أن قدم أمير الجيوش بدر الجمالي من عكا ، ووزره المستنصر ، وصار وزيرا مستبدا ، فأنشأ داره بحارة برجوان وسكنها ، وسكن من بعده ابنه الأفضل بن أمير الجيوش بدار القباب التي عرفت بدار الوزارة الكبرى .

وصارت هذه الدار تعرف بدار الديباج ، لأنه يعمل فيها الحرير الديباج ، ويتولاهوا الأمانيل والأعيان . فمن وليها أبو سعيد بن قرقة الطيب متولى خزائن السلاح وخزائن السروج والصناعات .

فلما انقرضت الدولة الفاطمية ، بنى الناس في مكان دار الديباج المدرسة السيفية ، وما وراءها من المواضع التي تعرف أماكنها اليوم بدرب الحريري ، وما جاور هذا الدرب الى المدرسة صاحبة وما بجوارها وما هو في ظهرها . فصار يعرف خط دار الديباج في زمنا بخط سوقه الصاحب .

الأهراء السلطانية : وكانت أهراء الفلّال السلطانية ، في دولة الخلفاء الفاطميين ، حيث المواضع التي فيها الآن خزائن شمائل ، وما وراءها الى قرب الحارة الوزيرية .

قال ابن الطور : وأما الأهراء فانها كانت في عدة أماكن بالقاهرة هي اليوم اصطبلات ومناخات ، وكانت تحتوى على ثلثمائة ألف

(١٠٠) من ١٦١ ج ١ ، طبع بولاق .

أردب من الفلات وأكثر من ذلك . وكان فيها مخازن يسمى أحدها بغدای ، وآخر الفول ، وآخر القرافة .

ولها الحماة من الأمراء والمشارفين من العدول ، والمراكب واصله اليها بأصناف الفلات الى ساحل مصر وساحل المقس ، والحمالون يحملون ذلك اليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمنائها من كل ناحية سلطانية ، وأكثر ذلك من الوجه القبلي .

ومنها اطلاق الأقوات لأرباب الرب والخدم وأرباب الصدقات وأرباب الجوامع والمساجد ، وجرايات العييد السودان بتعريفات ، وما يتفق في الطواحين برسم خاص الخليفة ، وهي طواحين مدارها مغل وطواحينها علو حتى لا تقارب زبل الدواب ، ويحل دقيقتها للخاص ، وما يختص بالجهات في خرائط من شقق حلية .

ومن الأهراء تخرج جرايات رجال الأسطول - وفيها ما هو قديم يقطع بالمساحي ، ويخلط في بعض الجرايات بالجديد بجرايات المذكورين - وجرايات السودان ، ومنها ما يستدعى بدار الضيافة لأخبار الرسل ومن يتبعهم ، وما يعمل من القمح برسم الكعك لزاد الأسطول .

فلا يفتقر مستخدموها من دخل وخرج ، ولهم جامكية مميزة وجرايات برسم أقواتهم وشعير لدوابهم . وما يقبض من الواصلين بالفلال الا ما يماثل العيون المختومة معهم ، والا ذرى وطلب العجز بالنسبة .

فيها من المعاسن ما لم يكن . وقد أخذت الأيام نصيبها من ذلك ، وبقيت الليالي — وقد كان بها مواسم قد زال حكمها ، وكان فيها توسعة وبر وفققات — وهي ليالي الوقود الأربع ، وقد آن وقتهم ، فأنتمى نقرهم .

فامتثل الأمر ، وتقدم بأن يحصل إلى القاضي خسون ديناراً يصرفها في ثمن التمتع وأن يعتد الركوب في الأربع الليالي — وهي ليلة مستهل رجب ، وليلة نصفه ، وليلة مستهل شعبان ، وليلة نصفه — وأن يتقدم إلى جميع الشهود بأن يركبوا صحبه ، وأن يطلق للجوامع والمساجد توسعة في الزمت برسم الوقود ، ويتقدم إلى متولى بيت المال بأن يهتم برسم هذه الليالي من أصناف الحلوات ، مما يجب برسم القصور ودار الوزارة خاصة .

وقال في سنة سبع عشرة وخمسة : وفي الليلة التي صيحتها مستهل رجب ، حضر القاضي أبو الحجاب يوسف بن أيوب المغربي ، ووقع له بما استجد املاقه في العام الماضي ، وهو خسون ديناراً من بيت المال لابتساع التمتع برسم أول ليلة من رجب .

واستدعى ما هو برسم التمتين : أحدهما للتقصيرة ، والأخرى للدار المأمونية — يحكم الصيام من مستهل رجب إلى سلخ رمضان — ما يصنع في دار الفطرة خشكانج صغير وبندود ، في كل يوم قطار سكر ومثقالا مسكا وديناران مؤونة .

وكان يطلق في أربع ليالي الوقود — برسم الجوامع الستة الأزهر والأقصر والأنور

بالقاهرة والطولوني والعتيق بمصر وجوامع القرافة ، والمشاهد التي تضمنت الأعضاء الشريفة ، وبعض المساجد التي لأربابها وجاهة — جملة كبيرة من الزيت الطيب . ويختص بجامع رائدة ، وجامع ساحل القلة بمصر ، والجامع بالمقس ، يسير .

قال : ولقد حدثني القاضي المكين بن حيدرة ، وهو من أعيان الشهود ، أن من جملة الخدم التي كانت يده مشارفة الجوامع العتيق ، وأن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدة إلى أن يكملوا ثمانية عشر ألف قتيلة ، وأن المطلق برسمه خاصة ، في كل ليلة برسم وقوده ، أحد عشر قنطاراً ونصف قنطار زيت طيب .

وذكر ركوب القاضي والشهود في الليلة المذكورة على جاري العادة قال : وتوجه الوزير المأمون يوم الجمعة ثاني الشهر بسوكبه إلى مشهد السيدة نفيسة وما بعده من المشاهد ، ثم إلى جامع القرافة ، وبعده إلى الجامع العتيق بمصر . وقد عم معروفة جميع الضعفاء وقومة المساجد والمشاهد ، وصلى الجمعة .

وعند انقضاء الصلاة ، أحضر إليه الشريف الخطيب المصحف الذي بخط أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه ، فوقع بإطلاق ألف دينار من ماله ، وأن يصاغ عليه فوق حلية الفضة حلية ذهب ، وكتب عليه اسمه .

وفي الخامس عشر من الشهر المذكور ليلة الوقود ، جرى الحال في ركوب القاضي وشهوده على الترتيب الذي تقدم في أول الشهر . ولما وصل إلى الجامع وجده قد

عبي في الرواق الذي عن يمين الخارج منه ، ساط كعك وخشكانج وحلوى ، فجلس عليه بشهوده * ، ونهيه الفقراء والمساكين . وتوجه بعده إلى ما سواه من جامع القرافة وغيره ، فوجد في رواق الجامع المذكور ساطاً مثل الساط المذكور ، فاعتمد فيه على ما ذكر . وله أيضاً رسم صدقة في هذا النصف للفقراء وأهل الربط ، مما يفرقه القاضي ، عشرة دنانير يفرقها القاضي .

وقال ابن الطوير : إذا مضى النصف من جمادى الآخرة — وكان عدده عندهم تسعة وعشرين يوماً — أمر أن يسبك في خزائن دار أفتكين ستون شمعة ، وزن كل شمعة منها سدس قنطار بالمصري ، وحملت إلى دار قاضي القضاة لركوب ليلة مستهل رجب .

فإذا كان بعد صلاة العصر من ذلك اليوم ، اهتم الشهود أيضاً ، فمنهم من يركب بثلاث شمعات إلى ثنتين إلى واحدة . ويبقى أهل مصر منهم إلى القاهرة ، فيصلون المغرب في الجوامع والمساجد ، ثم ينتظرون ركوب القاضي .

فيركب من داره بهيئته ، وأمامه الشمع المحمول إليه موقوداً مع المندوبين لذلك من القرايين من الطبقة السفلى ، من كل جانب ثلاثون شمعة ، وبينهما المؤذنون بالجوامع يذكرون الله تعالى ، ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقدر محفوظ .

ويندب في حجته ثلاثة من نواب الباب ، وعشرة من الحجاب ، خارجاً عن حجاب الحكم

(*) ص ٤٦٦ ج ١ ، ط. بولاق .

المستقرين وعدتهم خمسة في زى الأمراء ، وفي ركابه القراء يطربون بالقراءة ، والشهود وراءه على الترتيب في جلوسهم بمجلس الحكم الأقدم فالأقدم ، وحوالي كل واحد ما له من شمع .

فيشقون من أول شارع فيه دار القاضي إلى بين القصرين . وقد اجتمع من العالم في وقت جوازهم ما لا يحصى كثرة ، رجلاً ونساء وصبياناً ، بحيث لا يعرف الرئيس من المرووس . وهو مار إلى أن يأتي هو والشهود باب الزمرد من أبواب القصر ، في الرحبة الوسيعة ، تحت المنطرة العالية ، في السعة العظيمة من الرحبة المذكورة ، وهي التي تقابل درب قراصيا .

فيحضر صاحب الباب ووالى القاهرة والقراء والخطباء ، كما شرحنا في المواليد الستة ، ويترجلون تحتها ريشاً يجلس الخليفة فيها وبين يديه شمع ، وبين شخصه ، ويحضر بين يديه الخطباء الثلاثة ويخطبون كالمواليد ، ويذكرون استهلال رجب ، وأن هذا الركوب علامته ، ثم يسلم الأستاذ من الطاقة الأخرى استفتاحاً وانصرافاً كما ذكرنا .

ثم يركب الناس إلى دار الوزارة ، فيدخل القاضي والشهود إلى الوزير ، فيجلس لهم في مجلسه ، ويسلمون عليه ، ويخطب الخطباء أيضاً بأخف من مقام الخليفة ، ويدعون له ويخرجون عنه . فيشق القاضي والجماعة القاهرة ، وينزل على باب كل جامع بها ويصلى ركعتين .

ثم يخرج من باب زويلة طالباً مصر بغير نظام ، ووالى القاهرة في خدمته اليوم ،

مستكثرا من الأعوان والحفظة في الطرقات ، الى جامع ابن طولون ، فيدخل القاضي اليه للصلاة ، فيجد والى مصر عنده للقاء القوم وخدمتهم ، فيدخل المشاهد التي في طريقه أيضا .

فاذا وصل الى باب مصر ترتب كما ترتب في القاهرة ، وصار شاقا الشارع الأعظم الى باب الجامع من الزيادة التي يحكم فيها ، فيوقد له التنور القضة الذي كان معلقا فيه . وكان مليحا في شكله وتعليقه ، غير منافر في العلول والعرض ، واسع التدوير ، فيه عشر مناطق في كل منطقة مائة وعشرون براقة ، وفيه سروات بارزة مثل النخيل ، في كل واحدة عدة براقات ، تقرب عدة ذلك من ثلاثمائة ، ومعلق يدائر سفله مائة قنديل نجومية .

ويخرج له الحاكم فان كان ساكنا بمصر استقر بها ، وان كان ساكنا بالقاهرة وقف له والى القاهرة . بجامع ابن طولون ، فيودعه والى مصر ، ويرى معه والى القاهرة الى داره .

فاذا مضى من رجب أربعة عشر يوما ، ركب ليلة الخامس عشر كذلك ، وفيه زيادة ملوحة — بعد صلاته بجامع مصر — الى الترافة ليصلى في جامعها ، والناس يجتمعون له لينظروه ومن معه في كل مكان ، ولا يسلون من ذلك .

فاذا انقضت هذه الليلة ، استدعى منه الشنع ليكمل بعضه ، حتى يركب به في أول شعبان ونصفه على الهيئة المذكورة ... والأسواق معمورة بالحلواء ، ويتفرغ الناس لذلك هذه الأربع الليالي .

منظرة اللؤلؤة : وكان للخلفاء الفاطميين منظرة — تعرف بقصر اللؤلؤة ، وبمنظرة اللؤلؤة — على الخليج بالقرب من باب القنطرة . وكان قصرا من أحسن القصور وأعظمها زخرفة ، وهو أحد متزهات الدنيا المذكورة ، فانه كان يشرف من شرقه على البستان الكافوري ، ويطل من غربه على الخليج .

وكان غربي الخليج اذ ذاك ليس فيه من المباني شيء ، وانما كان فيه بساتين عظيمة وبركة تعرف ببطن البقرة ، فيرى الجالس في قصر اللؤلؤة جميع أرض الطبالة وسائر أرض اللوق وما هو من قبلها ، ويرى بحر النيل من وراء البساتين .

قال ابن ميسر : هذه المنظرة بناها العزيز بالله . ولما ولي برجوان وزارة الحاكم بأمر الله ، بعد أمين الدولة ابن عمار الكتامي ، سكن بمنظرة اللؤلؤة في جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثمائة ابي أن قتل .

وفي السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة ، أمر الحاكم بأمر الله بهدم اللؤلؤة ونهبها ، فهدمت ونهبت ويبيع ما فيها .

وقال المسيحي * : وفي سادس عشر ربيع الآخر (يعني سنة اثنتين وأربعمائة) أمر الحاكم بأمر الله بهدم الموضع المعروف باللؤلؤة على الخليج موازاة المقس ، وأمر بهب أنقاضه ، فنهبت كلها ، ثم قبض على من وجد عنده شيء من نهب أنقاض اللؤلؤة واعتقلوا .

(*) من ٦٧ ، ج ١ ، طه بولاق .

وقال ابن المأمون : ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام فيها مدة النيل على الحكم الأول (يعني قبل وزارة أمير الجيوش بدر وابنه الأفضل) أمر بإزالة ما لم تكن العادة جارية به من مضايقتها بالبناء .

ولما بدت زيادة النيل ، وعول الخليفة الأمر بأحكام الله على السكن باللؤلؤة ، أمر الأجل الوزير المأمون بأخذ جماعة الفرائسين ، الموقوفين برسم خدمتها ، بالمبيت بها على سبيل الحراسة لا على سبيل السكن بها ، وعندما بلغ النيل ستة عشر ذراعا أمر بإخراج الخيم .

وعندما قارب النيل الوفاء ، تحول الخليفة في الليل من قصوره ، بجميع جهاته وأخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماته ، الى اللؤلؤة ، وتحول المأمون الى دار الذهب ، وأسكن الشيخ أبا الحسن محمد بن أبي أسامة الغزالي على شاطئ الخليج ، وسكن حسام الملك حاجب الباب داره على الخليج .

وأمر متولى المعونة أن يكشف الآدر المظلة على الخليج قبلى اللؤلؤة ، ولا يسكن أحدا من السكن في شيء منها الا من كان له ملك ، ومن كان ساكنا بالأجرة ينقل ، ويقام بالأجرة لرب الملك ليسكن بها حواشي الخليفة مدة سنة .

وقرر من التوسعة في النفقات ، وما يكون يرسم المستخدمين في الميئات ، ما يختص برواتب القصور مدة المقام في اللؤلؤة في أيام النيل ، مياومة من الغنم والحيوان وجميع الأصناف ، وهي جملة كبيرة . وأمر متولى

الباب أن يسدب في كل يوم خروف سواء وقطار خبز .

وكذلك جميع الدروب من يحرسها ، ويطلق لهم برسم الغداء مثل ذلك ، وتكون نوبة دائرة بينهم ، وبقية مستخدمى الركاب ملازمون لأبواب القصر على رسمهم ، وفي يومى الركوب يجتمعون للخدمة الا من هو في نوبته فيما رسم له .

وأمر متولى زمام الماليك الخاص أن يكونوا بأجمعهم حيث يكون الخليفة ، وفي الليل يبيت منهم عدة برسم الخدمة تحت اللؤلؤة ، ولهم في كل يوم مثل ما تقدم . والرهجة تقسم قسمين : أحدهما على أبواب القصور ، والآخر على أبواب اللؤلؤة ، وأصحاب الضوء مثل ذلك .

وقرر للجماعة المقدم ذكرها في الليل ، عن رسم المبيت وعن ثمن الوقود ، ما يخرج اليهم مختوما بأسماء كل منهم . ويعرضهم متولى الباب في كل ليلة بنفسه عند رواحه وعوده .

وكذلك ما يختص بدار الذهب من الحرس عليها من باب سعادة ومن باب الخوخة ، ولهم رسوم كما تقدم لغيرهم ، والمتخرجون يخرجون كل ليلة للترهة عليهم ، ويقسمون الى بعض الليل حتى ينصرفوا ، من غير خروج في شيء من ذلك عما يوجبه الشرع .

وفي يومى السلام يضي الخليفة من قصوره بحيث لا يراه الا أستاذوه وخواصه ، الى قاعة الذهب من القصر الكبير الشرقي ، ويحضر الوزير على عادته اليه ... فيكون السلام بها على مستمر العادة ، والأسطحة بها

في يومى الاثنين والخميس ، وتكون الركوبات من اللؤلؤة في يومى السبت والثلاثاء الى المتزهات .

وقال في سنة سبع عشرة وخمسة : ولما جرى النيل ، وبلغ خمسة عشر ذراعا ، أمر بأخراج الخيام والمضارب الديقى والديجاج ، وتحول الخليفة الأمر بأحكام الله الى اللؤلؤة بحاشيته .

وأطلقت التوسعة في كل يوم لما يخص الخاص والجهات والأستاذين من جميع الأصناف . وانضاف اليها ما يطلق كل ليلة عينا وورقا وأطعمة للبياتين بالنسوبة برسم الحرس بالنهار والنهر في طول الليل ، من باب القنطرة بما دار الى مسجد الليمونة ، من الترين من صبيان الخاص والركاب والرهجية والسودان والحجاب ... كل طائفة بنقيها . والعرض من متولى الباب واقع بالعدة في طرفى كل ليلة ، ولا يمكن بعضهم بعضا من المنام ، والرهجية تخدم على الدوام .

وتحول الوزير المأمون الى دار الذهب ، وأطلقت التوسعة ، والحال في اطلاق الأسطة لهم في الليل والنهار مستمر .

وقال ابن عبد الظاهر : المنطرة المعروفة باللؤلؤة على بر الخليج . بناها الظاهر لاغزاز دين الله ابن الحاكم (يعنى بعد ما هدمها أبوه الحاكم) ، وكانت معدة لنزهة الخلفاء ، وكان التوصل اليها من القصر (يعنى القصر الغربى) من باب مراد . وأظنه ، فيما ذكره لى علم الدين بن ممانى الوراق ، أنه شاهد في كتب دار ابن كوخيا العتيقة أنه بابها .

وكانت عادة الخلفاء أن يقيموا بها أيام النيل . ولما حصل التوهم من التزارية والحشيشية قبل تصرفهم - لا سيما لصغر سن الخليفة وقلة حواشيه - أمر بسد باب مراد المذكور ، الذى يتوصل منه الى الكافورى والى اللؤلؤة ، وأسكن في بعضها فراشين لحفظها .

فاذا كان في صبيحة كسر الخليج ، استؤذن الأفضل بن أمير الجيوش في فتح باب مراد ، الذى يتوصل منه الى اللؤلؤة وغيرها ، فيفتح ويروح الخليفة ليتفرج هو وأهله من النساء ، ثم يعود ويسد الباب ... هذا الى آخر أيام الأفضل . فلما راجع الوزير المأمون فى ذلك سارع الى ، فأصلحت وأزيل ما كان أنشئ قبالتها على ما سيذكر فى مكانه ان شاء الله تعالى . اهـ .

ومات بقصر اللؤلؤة من خلفاء الفاطميين الأمر بأحكام الله ، والحافظ لدين الله ، والقائز . وحملوا الى القصر الكبير الشرقى من الراديب

ولما قدم نجم الدين أيوب بن شادى من الشام على ولده صلاح الدين يوسف ، وخرج الخليفة العاضد لدين الله الى لقائه بطجرا الهليلج بآخر الحينية عند مسجد تبر ، أنزل سنطرة اللؤلؤة ، فسكنها حتى مات فى سنة سبع وستين وخمسة .

واتفق أن حضر يوما عنده الفقيه لحم الدين عمارة اليمنى ، والرضى أبو سالم .

(*) مائة ١٦٨ ج ١ ط. بلاق .

الأحلب بن أبى حصيبة الشاعر فى قصر اللؤلؤة بعد موت الخليفة العاضد ، فأنشد ابن أبى حصيبة نجم الدين أيوب فقال :

يا مالك الأرض لا أرضى له طرفا
منها وما كان منها لم يكن طرفا

قد عجل الله هذى الدار تسكنها
وقد أعد لك الجنات والغرفا

تشرفت بك عن كان يسكنها
فالبس بها العز وتلبس بك الشرفا

كانوا بها صدفا والدار لؤلؤة
وأنت لؤلؤة صارت لها صدفا

فقال الفقيه عمارة يرد عليه :

أنت يامن هجا السادات والخلفا
وقلت ما قلت في ثلبهم سخفا

جعلتهم صدفا حلوا بلؤلؤة
والعرف ما زال سكنى اللؤلؤ الصدفا

وانما هى دار حل جواهرهم
فيها وشف فأسناها الذى وصفا

فقال لؤلؤة عجبا يبهجتها
وكونها حوت الأشراف والشرفا

فهم بسكناهم الآيات اذ سكنوا
فيها ومن قبلها قد أسكنوا الصخفا

والجواهر الفرد نور ليس يعرفه
من البرية الا كل من عرفا

لولا تجسمهم فيه لكان على
ضعف البصائر للأبصار مختظا

فالكلب ياكلب أسنى منك مكرمة
لأن فيه حفاظا دائما ووفى

فله در عمار ، لقد قام بحق الوفاء ، ووفى بحسن الحفاظ كما هى عادته . لا جرم أنه قتل فى واجب من يهوى كما هى سنة المحين . فانه يرحمه ويتجاوز عنه .

منطرة الغزالة : وكان بجوار منطرة اللؤلؤة منطرة تعرف بالغزالة على شاطئ الخليج ، تقابل حمام ابن قرقة ، وقد خربت هذه المنطرة أيضا ، وموضعها الآن تجاه باب جامع ابن الغربى الذى من ناحية الخليج .

وقد خربت أيضا حمام ابن قرقة ، وصار موضعها فندقا بجوار حمام السلطان التى هناك يعرف بفندق عماد .

وموضع منطرة الغزالة اليوم ربع ، يعرف بربع غزالة ، الى جانب قنطرة الموسيقى فى الحد الشرقى .

وكان يسكن بهذه المنطرة الأمير أبو القاسم بن المستنصر والد الحافظ لدين الله ، ثم سكنها أبو الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست ، وكان بعد ذلك ينزلها من يتولى الخدمة فى الطراز أيام الخلفاء .

قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الأمر بأحكام الله الى اللؤلؤة : وأسكن الشيخ أبا الحسن بن أبى أسامة ، كاتب الدست ، الغزالة التى على شاطئ الخليج ، ولم يسكن

أحد فيها قبله ممن يجرى مجراه ، ولا كانت
الا سكن الأمير أبي القاسم ولد المتصر
والد الامام الحافظ .

قال : وأما ما يذكره الطراز فالحكم فيه
مثل الاستيثار . والشائع فيها أنها كانت
تشتل في الأيام الأفضلية على أحد وثلاثين
ألف دينار ، فمن ذلك السلف خاصة خمسة
عشر ألف دينار ، قيمة الذهب الصراقي
والمصري ستة عشر ألف دينار . ثم اشتلت
في الأيام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف
دينار ، وتضاعفت في الأيام الأمرية .

وقال ابن الطوير : الخدمة في الطراز ،
وینت بالطراز الشريف ، ولا يتولاه الا اعيان
المستخدمين من أرباب العمام والسيوف ،
وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين ،
ومقامه يديماط وتيس وغيرهما ، وجاربه
أمير الجوارى ، وبين يديه من المندوبين مائة
وجل لتفید الاستشارات بالقرى ، وله
عشارى دناس مجرد معه ، وثلاثة مراكب من
الدكاسات ، ولها رؤساء ونواتية لا يبرحون ،
وتقائمهم جارية من مال الديوان .

فاذا وصل بالاستشارات الخاصة التي منها
المظلة وبدلتها والبدة واللباس الخاص
الجمعي وغيره ، هيء بكرامة عظيمة ، وتلب
له دابة من مراكب الخليفة لا تزال تحته حتى
يعود الى خدمته ، وينزل في الغزالة على
شاطئ الخليج — وكانت من المناظر
السلطانية ، وجددها شعاع بن شاور — ولو
كان لصاحب الطراز في القاهرة عشر دور
لا يمكن من زوله الا بالغزالة ، وتجري عليه
الضيافة كالغرياء الواردين على الدولة .

فيستل * بين يدي الخليفة بعد حمل
الأسفاط المشدودة على تلك الكساوى
العظيمة ، ويعرض جيع ما معه ، وهو ينسبه
على شيء فشيء بيد فرائى الخاص في دار
الخليفة مكان سكنه ، ولهذا حرمة عظيمة ،
ولا سيما اذا وافق استعماله غرضهم . فاذا
انقضى عرض ذلك بالمدرج الذي يحضره ،
سلم لمستخدم الكسوات ، وخلع عليه بين
يدي الخليفة باطنا ، ولا يخلع على أحد كذلك
سواه ، ثم ينكفئ الى مكانه .

وله في بعض الأوقات التي لا يتسع له
الانفصال ، نائب يعمل عنه بذلك غير غريب
منه ، ولا يمكن أن يكون الا ولدا أو أخا ،
قان الرتبة عظيمة ، والمطلق له من الجامكية
في الشهر سبعون دينارا ، ولهذا النائب
عشرون دينارا ، لانه يتولى عنه اذا وصل
بنفسه ، ويقوم اذا غاب في الاستعمال مقامه .

ومن أدواته أنه اذا عبي ذلك في الأسفاط ،
استدعى والى ذلك المكان ليشاهده عند
ذلك ، ويكون الناس كلهم قياما لحلول نص
المظلة وما يليها من خاص الخليفة في مجلس
دار الطراز ، وهو جالس في مرتبة ، والوالى
واقف على رأسه خدمة لذلك . وهذا من
رسوم خدمته وميزتها .

« دار الذهب » : وكان بجوار الغزالة دار
الذهب ، وموضعها الآن على يسرة الخارج من
باب الخوخة فيما بينه وبين باب سعادة ،
وكانت مظلة على الخليج ، وفي مكانها اليوم
دار تعرف ببهادر الأعسر . وبقي منها عقد

(*) من ٤٦٦ هـ - ١ - ط - بولاق

بجوار دار الأعسر ، يعرف الآن بقبو الذهب ،
من خطة بين السورين .

قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الأمر
بأحكام الله الى اللؤلؤة : ثم أحضر الوزير
المأمون وكيله أبا البركات محمد بن عثمان ،
وأمره أن يضى الى دارى الفلك والذهب
اللتين على شاطئ الخليج . فالدار الأولى
التي من حيز باب الخوخة ، بناها فلك الملك
— وذكر أنه من الأستاذين الحاكمة — ولم
تكن تعرف الا بدار الفلك .

ولما بنى الأفضل بن أمير الجيوش الدار
الملاصقة لها التي من حيز باب سعادة ،
وسماها دار الذهب ، غلب الاسم على
الدارين وصلاح ما فسد منهما وضيف اليهما
دار الشابورة . وذكر أن هذه الدار لم تسم
بهذا الاسم الا لأن جزءا منها يسع في أيام
الشد في زمن المتصر بشابورة .

قال : وعندما قارب النيل الوفاء تحول
الخليفة في الليل من قصوره ، بجميع جهاته
واخوته وأعمامه والسيدات كرائه وعساته ،
الى اللؤلؤة ، وتحول الإجل المأمون بالأجلاء
أولاده الى دار الذهب وما أضيف اليها .

وقال ابن عبد الظاهر : دار الذهب بناها
الأفضل بن أمير الجيوش . وكانت عادة
الأفضل أن يستريح بها : اذا كان الخليفة
باللؤلؤة يكون هو بدار الذهب ، وكذلك
كان المأمون من بعده . وكان حرس دار
الذهب يسلم للوزيرية : من باب سعادة يسلم
لهم ، ومن باب الخوخة للصامدة أرباب
الشعور وصبيان الخاص .

وكان المقرر لهم في كل يوم مساطين :
أحدهما بقاعة الفلك للماليك الخاص
والحاشية وأرباب الرسوم ، والآخر على باب
الدار يرسم المصاندة ... حتى انه من إجاز
ورأى أنه يجلس معهم على الساط لا ينح ،
والصفاء والصاليك يتقدمون بعدهم ، وفي
أول الليل يمشى ذلك . ولكل منهم رسم لجميع
من بيت من أرباب الضوء الى الأعلى .

منظرة السكر : وكان من جملة مناظر
الخطاء ، منظرة تعرف بمنظرة السكر ، في
ير الخليج الغربى ، يجلس فيها الخليفة يوم
فتح الخليج ، وكان لها بستان عظيم . بناها
العزير باقة بن المعز .

وقد دثرت هذه المنظرة ، ويثب أن يكون
موضعها في المكان الذي يقال له اليوم المريس
قريبا من قنطرة الد .

وكانت السكر من جنات الدنيا المزخرفة ،
وفيها عدة أماكن معدة لنزول الوزير وغيره
من الأستاذين .

ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليج

قال ابن زولاق في كتاب « سيرة المعز »
لدين الله : وفي ذى القعدة (يعنى من سنة
اثنين وستين وثلاثمائة ، وهى السنة التي قدم
فيها الخليفة المعز لدين الله الى القاهرة من
بلاد المغرب) ركب المعز لدين الله عليه السلام
لكسر خليج القنطرة ، فكرر بين يديه .

ثم سار على شاطئ النيل حتى بلغ الى
بنى وائل ، ومر على سطح الجرف في موكب

عظيم ، وخلفه وجوه أهل الدولة ، ومعه أبو جعفر أحمد بن نصر يسير معه ، ويعرفه بالمواضع التي يجتاز عليها ، ونجعت له الرعية بالدعاء .

ثم عطف على بركة الجيش ، ثم على الصحراء على الخندق الذي حفره القائد جوهر ، ومر على قبر كافور ، وعلى قبر عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسني وعرفه به ، ثم عاد إلى قصره .

وذكر الأمير المسيحي في تاريخه الكبير ركوب العزيز بالله بن المعز ، وركوب الحاكم بأمر الله بن العزيز ، وركوب الظاهر لأعزاز دين الله بن الحاكم ، في كل سنة لفتح الخليج .

وقال ابن المأمون في سنة ست عشرة وخمسة : وعندما بلغ النيل ستة عشر ذراعا ، أمر باخراج الخيم ، وأن يضرب الثوب الكبير الأفضلى المعروف بالقاتول . وهو أعظم ما في الحاصل : بأربعة دهاليز * وأربع قاعات خارجا عن القاعة الكبيرة ، ومساحته على ما ذكر ألف ذراع وأربعمئة ذراع بالذراع الكبير خارجا عن سرادقه ، وعمود القاعة الكبيرة منه ارتفاعه خمسون ذراعا .

ولما كمل استعماله في أيام الأفضل ونصب ، تأذى منه جماعة ومات رجلان ، فسمى بالقاتول لأجل ذلك . وما زال لا يضرب إلا بحضور المهندسين ، وتنصب له أساقيل عدة بأخشاب كثيرة ، والمستخدمون يكرهون ضربه ، ويرغبون في ضرب أحد الثوين

(*) من ٢٧٠ ج ١ ، طبع ولاق .

الجوئين ، وإن كانا عظيمين إلا أنهما لا يصلان بجملتهما إلى مقايسته ولا مؤولته ولا منته .

وأقام هذا الثوب في الاستعمال عدة سنين مع جمع الصناع عليه ، وما يضرب منه سوى القاعة الكبيرة لا غير وأربعة الدهاليز وبعض السرادق الذي هو سور عليه ، لضيق المكان الذي يضرب فيه ، وكونه لا يسعه بجملته .

قال : ووصلت كسوة موسم فتح الخليج ، وهي ما يختص بالخليفة وأخيه وبعض جهاته والوزير .

فأما ما يختص بالخليفة خاصة فبدلة ، شرحها :

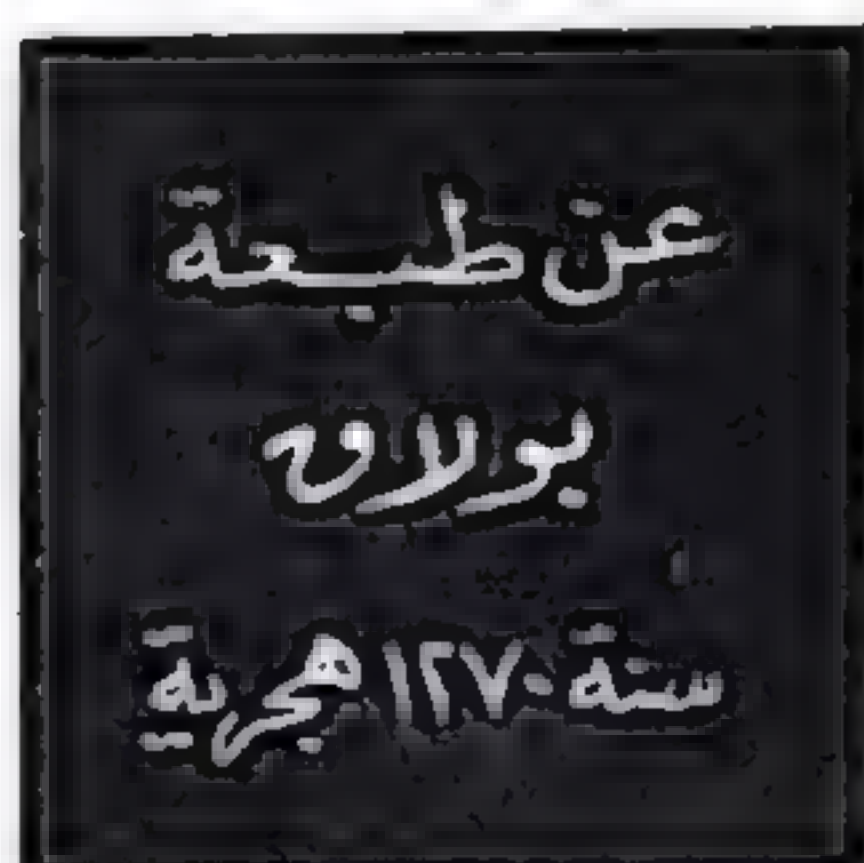
بدلة طميم منديل سلفه مائة وعشرون دينارا ، وأحد طرفيه ثلاثة عشر ذراعا ذهباً عراقياً دمجا لوحا واحدا ، والثاني ثلاثة أذرع سلفه أربعة وعشرون دينارا . ثوب طميم سلفه خمسون دينارا ، والذهب الذي في الثوب والمنديل والحك ألف دينار وخمسة دنانير . فتكون جملتها بالسلف ألف دينار ومائة وخمسة وسبعين دينارا .

شاشية طميم للسلف ديناران وسبعون قصبة ذهباً عراقياً ، فتكون جملة سلفها وقيمة ذهبها ثمانية دنانير . منديل سلام سلفه ديناران وسبعون قصبة ، قيمته كذلك . وسط يرسم المنديل بخوص ذهب سلفه اثنا عشر دينارا وسبعون قصبة ، قيمة ذلك عشرون دينارا . شقة ديبقى وسلطاني حريري السلف اثنا عشر دينارا . غلالة ديبقى حريري السلف عشرة دنانير .



« تصدره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأبنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثنى ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِئِي

٢٢

كتاب
التحرير



«كانت مصر هي مستوطنة الرعي، وتلقب أترابي، وجميع ناسي، ومعنى عشيرتي وعاصمتي،
وموطن خاصتي وعاصمتي، رجب ميثري الذي رببنا في ذكره، وعش ماري، فهو
تهوى الأرض غير ذكره، للوزات من شذوذ العالم، وآتاني رب القطار والفهم، أريد في
معرفة أخبارها، وأحب الإشراف على الإشراف من آبارها، وأمرى سائر الركبان عن مكان ريارها»
نقي العرين أحمد بن علي المقرئ

منديل كم مذهب السلف خمسة دنانير ،
ومائتا قسبة وأربع قصبات ذهباً عراقياً ، قيمة
ذلك خمسة وعشرون ديناراً ، منديل كم ثان
حريري خمسة دنانير ، حجره أربعة دنانير ،
عرضي لفافة خاص خمسة دنانير وستة عشر
مثقالاً ذهباً مصرية ، فتكون سلفه وذهب
خمس وعشرين ديناراً ، عرضي ثان برسم
تغطية التخت دينار واحد ونصف .

تخت ثان ضمنه بدلة خاص حريري برسم
العود من السكر ، شرحها :

منديل حريري سلفه ستون ديناراً ، وسط
شرب رسمه اثنا عشر ديناراً ، شقة ديسقي
وكم عشرون ديناراً ، شقة وسطاني اثنا عشر
ديناراً ، غلالة خمسة عشر ديناراً ، غلالة عشرة
دنانير ، منديل سلام ديناران ، منديل كم
خمس دنانير ، منديل كم ثان أيضاً خمسة
دنانير ، شاشية حريري ديناران ، حجره أربعة
دنانير ، عرضي لفافة خمسة دنانير ، عرضي
ثان برسم لفافة التخت دينار واحد ونصف .

قال : ورأيت شاهداً أن قيمة كل حلة من
هذه الحلل وسلفها إذا كانت حريري ثلثمائة
وستة دنانير ، وإذا كانت مذهبة ألف دينار .
واختصر ما باسم أبي الفضل جعفر أخى
الخليفة وأربع جهات .

وأما ما يختص بالوزير فبدلة مذهبة ،
شرحها : منديل سلفه سبعون ديناراً
 وخمسمائة وسبعون قسبة عراقية ، جملة
سلفه وذهب مائة وأربعة عشر ديناراً ، شقة
ديسقي وكم السلف ستة عشر ديناراً وثمانية
وعشرون مثقالاً ذهباً عالياً ، تكون جملة ذلك

خمسین ديناراً ، نصف شقة ديسقي وسطاني
اثنا عشر ديناراً ، ونصف شقة وسطاني برسم
العود ثلاثة دنانير ، غلالة ديسقي سبعة دنانير ،
ونصف شقة برسم الغلالة ديناران ، ونصف
منديل كم سبعة دنانير واثنا عشر مثقالاً
ذهباً ، تكون قيمته تسعة عشر ديناراً ، حجره
ثلاثة دنانير ، عرضي أربعة دنانير وأحد عشر
مثقالاً ، تكون سلفه وذهب سبعة عشر
ديناراً .

ثم ذكر بعد ذلك ما يكون لجهة الوزير ،
وما يكون برسم صبيان الحمام ، وما يفصل
برسم المالك الخاص صبيان الرايات
والرماح : خمسمائة شقة سقلاطون دارى
تكون قيمتها سبعمائة وخمسين قباء ، يحل
منها برسم علمان الوزير مائة قباء ، ويفرق
جميع ذلك .

قال : ولم يكن لأحد من الأصحاب
والخواشي وغيرهم في هذا الموسم شيء
فيذكر ، بل لهم من الهبات العین والرسوم
الخارجة عن ذلك ما يأتى ذكره في موضعه .

وفي صبيحة هذا الموسم خلع على ابن أبي
الرداد وعلى رؤساء المراكب وغيرهم ، وحمل
الى المقياس — برسم المبيت ، وركوب الخليفة
بتجمله ومواكبه الى الكرة — ما فصله وبينه
ما يطول ذكره .

وقال في سنة سبع عشرة وخمسمائة : ولما
جرى النيل ، وبلغ خمسة عشر ذراعاً ، أمر
بإخراج الخيام والمضارب الديسقي والديباج ،
وتحول الخليفة الى اللؤلؤة بحاشيته ،
وتحول المأمون الى دار الذهب .

ووصلت كسوة الموسم المذكور من الطراز ، وان كانت ييرة العدة فهي كثيرة القية ، ولم تكن للصوم من العاشية والمستخدمين ، بل للخليفة خاصة واخوته وأربع من خواص جهاته والوزير وأولاده وابن أبي الرداد

فلما وفي النيل ستة عشر ذراعاً ، ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ، ورميت العشاريات بين أيديهما ، ثم عديا في لحداهما الى المقياس وصليا ، وزل الثقة صدقة ابن أبي الرداد منزله وخلق العمود .

وعاد الخليفة على قوره ، وركب البحر في العشارى القضى ، والوزير صحبه ، والرهجية تخدم برا وبحرا ، والمساكر طول البر قبالة الى أن وصل الى المقس

ورتب الموكب ، وقدم العشارى بالخليفة الأمر بأحكام الله والوزير المأمون ، وسار الموكب والرهجية تخدم ، والصدقات والرسوم تفرق ، ودخل من باب القنطرة ، وقصد باب العيد ، واعتمد ما جرت به العادة من تقديم الوزير وترجله في ركابه الى أن دخل من باب العيد الى قصره .

وتقدم بالخلع على ابن أبي الرداد : بدلة مذهبة ، وثوب ديبقى حررى ، وطلسان مقور ، وياض مذهب ، وشقة سقلاطون ، وشقة تحتانى ، وشقة خز ، وشقة ديبقى ، وأربعة أكياس دراهم . ونشرت قدماه الاعلام الخاص الديبى المحامدة بالألوان المختلفة

(٥٠) ص ١٧١ ج ١ ط ١٠٠٠

التي لا ترى الا قدماه لأنها من جملة تجمل الخليفة ، وأطلق له يرسم البيت من البخور والشموع والأغنام والحلاوات كثير .

قال : وهيئ المقصورة في منظر السكرة يرسم راحة الخليفة وتغيير ثيابه ، وقد وقعت المبالغة في تمليتها وفرشها وتعبيتها ، وقدم بين يديه الصواني الذهب التي وقع التامى فيها من هم الجهات ، من أشكال الصور الآدمية والوحشية من الفيلة والزرافات ونحوها ، الممسولة من الذهب والفضة والصبر ، والمرسبين المشدود والمظفور عليها ، المكمل باللؤلؤ والياقوت والزبرجد .

من الصور الوحشية ما يشبه الفيلة جميعها غير معجون كخلفة الفيل ، وأبواب فضة ، وعيناه جوهرتان كبيرتان في كل منهما مسمار ذهب مجرى سواده ، وعليه سرير منجور من عود بستكات فضة وذهب ، وعليه عدة من الرجال ركبان ، وعليهم اللبوس تشبه الزرديات ، وعلى رؤوسهم الخود ، وبأيديهم السيوف المجردة والدق ، وجميع ذلك فضة .

ثم صور السباع منجورة من عود ، وعيناه ياقوتتان حراوان ، وهو على فريسته ، وبقية الوحوش ، وأصناف تشد من المرسين المكمل باللؤلؤ شبه الفاكهة .

قال : ومن جملة ما وقع الاهتمام به في هذا الموسم ما صار يستعمل في الطراز ، وان لم يتقدم نظيره للولائم التي تتخذ يرسم تغطية الصواني ، عدة من عراضى ديبقى ، ثم قوارات شرب تكون من تحت العراضى على

الصواني ، مفتوح كل قوارة منهن دون أربعة أشبار ، سلف كل واحدة منهن خمسة عشر دينارا ، ورقم في كل منهن سجع ذهب عراقى ثمنه من أربعين الى ثلاثين دينارا ، تكون الواحدة بخمسين دينارا .

ويشتمل أيضا يرسم الطرح ، من فوق القوارات الاسكندراني التي تشد على الموائد التي تحمل من عند كل جهة ، قوارات ديبقى مقصور من كل لون محاومة بالرقم الحريرى ، مفتوح كل قوارة أربعة أذرع ، يكون الثمن عن كل واحدة أربعين دينارا .

ولقد بيعت عدة من القوارات الشرب ، فسارع التجار العراقيون الى شرائها ، ونهاية ما بلغ ثمن كل واحدة منهن ستة عشر دينارا ، وسافروا بها الى البلاد ، فلم يسع لهم منها سوى اثنتين ، وعادوا بالبقية الى الديار المصرية في سنة ست وثمانين وخمسمائة وحفظوا منهن شيئا عن السوق فلم يحفظ لهم رأس مالهن .

قال : وكان ما تقدم من الزبدي في الطيافير من الصينى الى آخر أيام الأفضل بن أمير الجيوش وأيام المأمون ، وانما استجبت الأواني الذهب في أواخر الأيام الآمرية . والذي يعنى بين يدي الخليفة قوائمها منها عدة من الطيافير المحمولة بالمرافع الفضة يرسم الأطباق الحارة .

وليس في المواسم مائدة بغير سباط للأمراء ويجلس عليها الخليفة ، غير هذا الموسم . وان كان يجرى مجرى الأعياد ، وله البخور مطلق مثلها ، ويتفرد بالجلوس معه الجلساء

الميزون والمستخدمون . وعند كمال تعبتهما وبخورها جلس الخليفة عليها ، عن يمينه وزيره ، وعن يساره أخوه ومن شرف بحضوره . وفي آخرها فرق منها ما جرت به العادة على سبيل البركة

وقال في سنة ثمان عشرة وخمسمائة : ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج ، وهي يرسم الخليفة تختان ضمنهما بدلتان : احدهما منديلها وثوبها طيم يرسم المضى ، والأخرى جميعها حررى يرسم العمود . وكذلك ما يخص اخوته وجهاته بدلتان مذهبتان ، وأربع حلل مذهبة . ويرسم الوزير بدلة موكية مذهبة في تخت . ويرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة . ويرسم جهته حلة مذهبة في تخت . وهؤلاء الميزون لكل منهم تخت . وبقية ما يخص المستخدمين وابن أبي الرداد في تخوت ، كل تخت فيه عدة بدلات .

وحضر متولى الدفتر ، واستأذن على ما يحمل يرسم الخليفة ، وما يفرق وما يفصل يرسم الخلع ، وما يخرج من حاصل الخزائن غير الواصل . وهو ما يفصل يرسم الفيلان الخاص عن سبعمائة قباء خمسمائة وشقتان سقلاطون دارى ، ويرسم رؤساء العشارى من الشقق الدمياطى والمناديل السوسى والفوط الحرير الأحمر ، ويرسم النواتية التي يرسم الخاص من العشارية من الشقق الاسكندراني والكلوتات .

فوقع باتفاق جميع ذلك وتفصيل ما يجب منه . ثم ابتاع ذلك بطلاعة ثانية ، يرسم ما هو مستر العموم من النقد العين والورق

توسم المذكور ، وهو من اليمن أربعة آلاف
وخمسة ، دينار ، ومن الورق خمسة عشر
الف درهم . فوضع بخلاف ذلك

وذكر تحصيل الكسوة والتهلبت بأسماء
أربابها

وحضر متولى الخزانة لأمرية بقطاعه
يستحق ما جرت به العادة في هذا الموسم من
العيون والصلوات والبقرة ، وغير ذلك من
الامتياز ، يوسم التبرقة والأسمعة . وحضر
متولى دار النعمية يستحق ما يتأخر به التبرقة
والزهرية وهيئة الثعينة ثنية السكر ، لأجل
حلول الركوب بها ومقتله فيها ، ونعمية جميع
مناصيرها التي يوسم الاستاذين والامهات
والعواتي ، وهو مائة دينار ، فوضع بخلافها .

وفي العشر من شهر المذكور (يسمى شهر
رجب) وفي اليوم ستة عشر قراطا ، فتوجه
الأمير إلى مشيخة القضاة بصر ، ودميت
العشريات بين يديه ، وقد جنت وزنت
جميعا بالستور الدقيق القوة والكواخ
والأمانة الذهب والفضة ، وشمل الأضام أرباب
الرسم على غلاتهم .

وعلى في إحدى العشريات إلى القليل ،
وحتى العود بما جرت به عادتهم من الطيب ،
وفوقت رسوم الأطلاق ، وانكفا إلى دار
الذهب ، وأمر بإطلاق ما يخص البيت في
القبائل بجميع اليهود والنصارى ومي
العشرات : من الخبز عشرة قاطير ، وعشرة
خراف شوي ، وعشر جملات حوي ، وعشر
شعيرات .

في شهر رجب سنة ١٢٧٢ هـ

وأول من حضر البيت الشريف الخليل
سيد القريش ونديم الصمدون ، ووه وللجاعة
من القرام التي تترك أولي نصيب .

قال : وخرج الخليفة يرى الخلافة ووقعها
وقاموسها : بالتياب الطيب التي تفعل
لأصغر ، والمخيل بالثقة العربية التي يتفرد
بإسائها في الأعياد والمواسم خاصة لا على
العوام . وكانت تسمى عندهم ثنية
الوقر . - مرسعة بخالي اليافوت والزمرد
والجور

وعند لباسها تخفق لها الأعلام ، وتجب
الكلام ورجاء ، ولا يكون سلام قريب منه
وخليل غير الوزير إلا بتقيل الأرض من بعيد
من غير دعو ، ثم بين يديه من مقضى خزانة
من يحمل سيفه ورمحه المرصعين بآمنر ما
يكون ، ثم القاب التي كل منها عودها ذهب
وتفرد بحملها الصقابة .

ورسنى بين الصفيين المرتين راجلا على
سبط حرير فرشت له ، وكل من الصفيين
يتأخر في مواصلة تقيل الأرض إلى أن وصل
إلى مجلس خلافة ، وسعد على الكرسي
لغنى بالدياج المنسوب برسم ركوبه .

وقد صفت الرواض وأزمة الاصطبلات
خليل المقة بعد أن أزالوا الأغشية الحرير
والشق الدقيق المنهبة عن السروج ، وبيت
كما وصفها الله تعالى في كتابه ، تقدم إليه
ما وقع اختياره عليه ، وأمر بأن يجنب البقعة
في الركوب بين يديه .

ولما علا ما تقدم إليه استفتح مقرئو الحضرة ،
وتسلم جميع مقضى الركوب ركابه والرواض

الشكبة ، وزال حكم الاستاذين المستخدمين
في كلب وعادت الموالى والآقاب إلى
محلهم ، استلمى بالوزير بجميع نصوته ،
فوصل تقيل الأرض إلى أن قبل كتابه ،
وشرفه بتقيل يده بحكم خلوها من قفيب
الملك في هذه المواسم .

ولما أدى ما يجب من فرض السلام ، أخذ
السيف من الأمير افتخار الدولة - أحمد
الأمراء الاستاذين المميزين الحكيم - متولى
خزانة الكسوة الخاص ، وسلمه بعد أن قبله
لأخيه الذي يتوله حمله في الركوب بعد أن
أرخصت عذبة تشرفا له مدة حمله خاصة .

وترفع بعد ذلك ، وشهد وسطه بالمنطقة
الذهب تأديبا وتنظيما لما معه ، وسلم الرمح
والدرة لمن يتولى حملها بلواء الركوب . ولم
يكن للخدمة المذكورة عذبة مرخاة ولا
منطقة . واستلمى ركوب الوزير وأولاده من
عند باب قاعة الذهب

وخرج الخليفة من القاعة المذكورة إلى أول
دهليز ، فلقته جماعة صبيان ركابه عشرة
المقمنين أرباب المينة والميرة ، وصبيان وراء
صبيان الرسائل وصبيان السلام ، كل منهم
في الخدمة المينة لا يخرج عنها سواها ،
وجميعهم بالتبادل الثروب المعلقة ،
وبأوساطهم العراض الديبتي لمقصورة ،
ونيس الجميع عيدا بشراء ولا ، بل
مولدة وأولاد أعيان وأهل فهم ولسان .

ثم احتاط بركابه بعضهم من هو على غير
زهم ، بل بالقنايز المفرجة والمناديل السوسى ،
وهم المتولون لحمل السلاح الخاص -

الذي لا يكون إلا في موكبة خاصة على
الاستراو - من الصواري والترجييات
والدبابيس والتوت والصمام بالندق
الصيني واليمنى بالكواخم الفضة والذهب .

وحصل الاستدعاء من صبيان السلام في
مسافة الدعايز ، لكل من هو مستخدم في
الموكب ركوبه من محل حجته .

لي أن خرج الخليفة من باب الذهب ، وقد
ضربت الغرية وأبواق السلام ، واجتمع الرهج
من كل مكان ، ونشرت المظلة ، فاجتمع إليها
الزوبلة بالعدد الغرية ، وظل بها وسارت
بسيده ، والقرآن الكريم عن يمينه ويساره ،
والحجيرة الصبيان المنتدون .

واجتمع الموكب بجملته على ما ذكر أولا ،
والترتيب أمامه لتولى الباب وحجابه وتلوه
لتولى الشر ، وكل منهم على حكم المداير
التي وصلت إليه ، لا سبيل إلى الخروج عما
رسم فيها .

وسار بجملته موكبه على ترتيب أوضاعه
بين حصنين مانعين من طوارق عساكره
فارسا وراجلها ، كل طائفة بقدمها زمامها ،
وقد ازدحموا في الصفات بالعدد المذهبة
الحرية والآلات المانعة المفضية ، وليس بينهم
طريق لسالك .

وقد زين لهم جميع ما يكون أمامهم من
الطرق جميعها ، حوائيتها وآدنها وجميع
مساكنها وأبواب حاراتها ، بأنواع من التور
والدياج والديبتي على اختلاف أجناسها ،
ثم بأصناف السلاح .

(٢٧٢) ج ١ ، طه بلاق .

وملات الثقارة القجاج والبطاج والنوهاد والربا ، والصدقات والرسوم ثم أهل الجانبين من أرباب الجوامع والمساجد ، وروابي الأبواب والفقارين والفقراء والمساكين في طول الطريق ، الى أن أهل على الخيام النصوية فوق يسوكه .

واستدعى الوزير بعده من مقدمي ركابه ، فاجتاز راكبا بفروده ، وجمع حاشيته بسلاحهم رجالة في ركابه ، بعد أن بالغ في الإيلاء بتقيل الأرض أمامه ، فرد عليه بكلمة السلام .

وعاد الخليفة في سيره بالموكب بعد أن حصل الوزير أمامه ، وترجل جميع من شرف بحجته في ركابه ، وآخروهم متولى حمل سيفه ورمحه ، وصبيان السلام يستدعون كل منهم الى تقيل الأرض بجميع نفوسه اكبارا له وتيسرا ، واحتاطوا بركابه ، ووصل الى المضارب في الحرس الشديد على أبوابها وسراقاتها من كل جانب ، وقد تبين وجاهة من حصل بها ، ومكن من الدخول اليها .

وترجل الوزير في الدهليز الثالث من دهاليزها ، وتقدم الى الخليفة وأخذ شكية القرس من يد الرواض ، وثنى به الخيام التي جمعت جميع الصور الآدمية والوحشية ، وقد فرشت جميعها بالبسط الجهرمية والأندلسية الى أن وصل الى القاعة الكبرى فيها .

وترجل على سرير خلافة ، وجلس في محل عظمته ، وأجلس وزيره على الكرسي الذي أعد له ، واحتاط به المستخدمون حلة السلاح المتصب جميعه ، وحجبوا العيون

عن النظر اليه ، وصنف بين يديه الأمراء والضيوف والمشرفون بحجته ، وختتم المقرئون القرآن العظيم ، وقدم عدى الملك النائب شعراء المجلس على طبقاتهم .

وعند انقضاء خدمة آخرهم ، عادت المستخدمون والرواض مقدمة ما أمروا به من الدواب ، فعلاه الخليفة والوزير يسكن الشكية بيده ، وانتظم موكبا عظيما ، والقراء عوض الرهجية ، والجساعة في ركابه رجالة على حكم ما كانوا عليه أولا ، وصعد من القاعة التي في دهاليز الباب القبلي منها ، فخرج منه ، واقتضت خدمة جميع الأمراء والضيوف من ركابه بأحسن وداع من تقيل الأرض .

وصعد الخليفة ووزيره وأولاده وأخوته والأصحاب والحواشي الى السكرة ، وهي من جنات الدنيا المزخرفة ، وتلقاه أخوه بمظلة سلامه وتقبل الأرض بين يديه ، وجلس لوقته ، وفتحت الطاقات التي في المنطرة ، وعن يمينه وزيره ، وعن يساره أخوه جالسان ، واعتد الناس جميعهم عند مشاهدته تقبيل الأرض له وإدامة النظر نحوه .

والمستخدمون جميعهم على السد مشدودي الأوساط واقفين عليه ، فلما أمرهم الوزير أن يكسروه ، قبلوا الأرض جميعا وانصرفوا عنه ، وتوكل القعلة في البساتين السلطانية بالفتح من الجانبين ، والقرآن والتكبير من الجانب الغربي حيث الخليفة ، والرهج واللعب من الجانب الشرقي .

ولما كمل فتحه انحدرت المشاريات عن آخرها ، اللطيف منها يقدم الكبير ، والجميع

مزينة بالنهب والتففة والستور المرقومة ، ورؤساؤهم وخدامهم بالكسوات الجبيلة .

وبعد ذلك غلقت الطاقات ، وحل الخليفة بالمقصورة التي لراحته ، وكذلك الوزير وأولاده وأخوته ، وجميع الأمراء الأستاذين والأصحاب والحواشي .

واستدعى للوقت والى مصر من البر الشرقي ، وخلع عليه بدلة منديلها وثوبها مذهبان ، وثوبان عتاي وسقلاطون ، وقبل الأرض من تحت المنطرة ، وعدى في البحر الى حفظ مكانه .

ثم استدعى بعده حامى البساتين ومشارفها ، فخلع عليهما بدلتين حريري وثوبين سقلاطون وعتاي . ثم متولى ديوان العتائر كذلك ، ثم مقدمى الرؤساء كذلك .

واعتمد كل من سلم اليه الاثباتات المشتمة على أصناف الانعام من العين والورق وصواني القطرة ، والموائد التي يهنم بها جميع الجهات ، والخراف المشوية ، والجمامات الحلواء ... تفرقة ذلك على ما رسم ، وهو شامل غير مخصص : من أخى الخليفة والوزير ، الى الأصحاب والحواشي من أرباب السيوف والأقلام ، ثم الأمراء المستخدمين والضيوف المميزين من الأجناد ، وغيرهم من الأدوان ممن يتعلق به خدمة تختص بالموسم من البحارة ، وأرباب اللعب وغيرهم .

وعينت الأسطة في المسطحات النصوية لها بالجانب من الباب الغربي من الخيام ، وأمر الوزير أخاه بالمضى اليها والجلوس عليها ، فتوجه وبين يديه متولى حجة الباب ونوابه

والمروفة والحجاب ، واستدعت الأمراء والضيوف بالسقا من خيلهم ، وأجلس كل منهم على الساط في موضعه على عادتهم ، وتلاههم العساكر على طبقاتهم ، ولم يمنع حضورهم ما يسير لكل منهم من جميع ماذكر على حكم ميزته .

ولما انقضى حكم الأسطة المختصة بالأمراء الكبار ، عاد أخو الوزير الى حيث مقر الخلافة ، وبقي متولى الباب . جالسا لأسطة العيد وجميع المستخدمين من الراجل والسودان ، وعينت المائدة الخاص بالسكرة التي ما يحضرها الا العتوالي الخاص المستخدمون في الخدم الكبار ، ويجمع له حالتان : حضوره في أشرف مقام ، وجلوسه في محل يحصل له به حرمة وخدام .

وجلس الخليفة عليها ، وأخوه على شماله ووزيره على يمينه ، بعد أن أدى كل منهما ما يجب من سلامه وتعظيمه ، وحضر أولاد الوزير وأخوته ، والشيخ أبو الحسن كاتب الدت وابنه سالم ، ومن الأستاذين المحنكين أرباب الخدم .

وجرى الحال في المائدة الشريفة على ما هو مألوف ، وفرق من جملتها لكل من أرباب الخدم الذين لم يحضروا عليها ما هو لسكل منهم على سبيل الشرف .

وتميز في ذلك اليوم خاصة ما يختص بالقاضي وشهوده والداعي وابن خاله ، الذين يخصصون عن سواهم بمقامهم دون غيرهم في قاعة الخيمة الكبرى أمام سرير الخلافة

(*) (ص ٢٧) ج ١ ، ط ١ بولاق .

المنسوب مدة النهار ، مع ما يحل اليهم من الموائد وغيرها مما هو بأسائهم في الاثبات المذكور

ولما تكامل وضع المائدة ، وانقضى حكمها ، قبل كل من الحاضرين الأرض ، وانصرف بعد أن استحب منها ما تقتضيه نفسه على حكم الشرف والبركة . ويقضى بعد ذلك الفرائض الوجبة في وقتها ، ولا بد من راحة بعدها .

وحضر مقدما الركاب ، وحاسبا كاتب الدفتر على ما معها يرسم تفرقة الرسوم والصدقات في مسافة الطريق ، فأكمل لهما على ما بقى معها مثل ما كان أولا .

ولما استحق العود ، عاد كل من المستخدمين الى شغلته من ترتيب الموكب ومصافات العساكر ، ورتيب من يشرف بالحضرة من الأمراء والضيوف .

وفرت الصواني الخاص التي تكون بين يدي الخليفة مدة النهار ، الجامعة للثروة من كل جهة ، والزينة من كل معنى ، والغرامة من كل صنف .

وقد جمعت ملاذ جميع الحواس ، والعدة منها يسيرة ، وليس ذلك لتقصير من هم الجهات التي تتوع فيها بالفرائب ، بل للتعبد الشديد عليها ، ثم لضيق الزمان ، لأن كلا منها لا مندوحة أن يكون فيه زهرة وثمره ، وطول المكث كذلك يثقل ما فيها . وإذا شملت - مع قتلها - من له الوجاهة العالية من أخى الخليفة والوزير ، لم يكن له غير صنية واحدة .

واخذ كل من الحاشية أهية تجعله لموضع ميزته ، وغير الخليفة ثيابه بما يقتضيه الموكب وهو بدلة حريري بشدة الوقار ، وعلم الجواهر .

وسير الى الوزير ، صجبه مقدم خزانة الكسوة الخاص على يد المستخدمين عنده من الأستاذين ، من جملة بدلات الجمع التي يتوجه منها الى زيه ما يؤمر به من يسمى اليه ، بدلة مكسوة حريري ومنديلها يياض بالشدة الداية غير العريية .

ولما لبس ما سير اليه ، وحضر بين يديه لشكر نعمته ، أمره بركوب أخيه في إحدى العشاريات ، فامتلأ أمره ، وتوجه صجبه من السكرية بجميع خواصه وحواشيه ، وفتح لهم الباب الذي هو منها بشاطئ الخليج ، وقدم له إحدى العشاريات الموكية ، وفيها مقدم رياضة البحرية .

فركب فيها بجمعه ، والوزير واقف راجل على شاطئ الخليج خدعة له ، الى أن انحدرت العشاريات جميعها قدماه ، ومراكب اللعب بغير أحد من أرباب الرهج ، والمستخدمون في البرين يسمعون من يقاربه ، والمتفرجون لا يصدحهم ويردهم ما يحل بهم ، بل يرمون أنفسهم من على الدواب ، ويسيروا بسيره .

وعاد الوزير الى السكرية ، فلما شاهد الخليفة الدواب الخاص التي يرسم ركوبه ، أمره بما وقع عليه اختياره منها وغلام ، فاحتاط بركابه مقدمو الركاب ، واستفتح القراء ، وخرج من باب السكرية ، ودخل من باب الخليفة القبلي . وشرف فاعها على سرير

ملكته ، وخص بالسلام فيها شيوخ الكتاب العوالي والقاضي والداعي ومن معها ، وأهم بذلك ميزة عظيمة يختصون بها دون غيرهم .

وخرج منها الى البستان المعروف بنزار ، وسار في ميدانه ... وجيعة من الجانبين سور معقود من شجر نارنج أصولها مفترقة وفروعها مجتمعة ، وظلت الطريق ، وعليها من الثرة التي أخرجها من وقته الى هذا اليوم ، وقد خرجت بهجتها عن المعتاد ، وحصل عليها ثرة سنتين : أحدهما انتهت ، والأخرى في الابتداء .

وهو بهيته وزيه وترتيب عساكره وأمرائه ، وخرج من الباب بعد أن عم من له رسم بأنعامه ، وعاد الرهج والموكب على ما كان عليه فلما وصل الى الد الذي على بركة الجيش كسر بين يديه .

وقال في كتاب « النخائر » : إن مما أخرج من القصر في سنة إحدى وستين وأربعمائة ، في خلافة المستنصر ، قبة العشاري وقاربه وكسوة رحله . وهو مما استعمله الوزير أحمد بن علي الجرجاني في سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم ففة نقرة . وإن المطلق لصناع الصاغة من أجرة ذلك ، وفي ثمن ذهب لطلائه خاصة ، ألفان وسبعمائة دينار .

وعمل أبو سهل التستري لوالدة المستنصر عشاريا يعرف بالقضى ، وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ، ولزم ذلك أجرة الصناعة وطلاله بعضه ألفان

وأربعمائة دينار ، واستعمل كسوة برسمه .

بمال جليل .
واتفق على العشاريات التي يرسم التزه البحرية ، التي عدتها ستة وثلاثون عشاريا بالتقدير ، بجميع آلاتها وكساها وحلاها من مناطق وروؤوس منجوقات وأهلة وصنفيات وغير ذلك ، أربعمائة ألف دينار .

وقال ابن الطوير : إذا أذن الله سبحانه وتعالى بزيادة النيل المبارك ، طالع ابن أبي الرداد بما استقر عليه أذرع القاع في اليوم الخامس والعشرين من بؤونة ، وأرخه بما يوافقه من أيام الشهور العربي .

فعلم ذلك من مطالعته ، وأخرجت الى ديوان المكاتبات ، فنزلت في السير المرتب بأصل القاع ، والزيادة بعد ذلك في كل يوم تؤرخ يومه من الشهر العربي ، وما وافقه من أيام الشهر القبطي ... لا يزال كذلك ، وهو محافظ على كتمان ذلك لا يعلم به أحد قبل الخليفة وبعده الوزير .

فاذا انتهى في ذراع الوفاء ، وهو السادس عشر ، الى أن يبقى منه أصبح أو اصبعان ، وعلم ذلك من مطالعته ، أمر أن يحل الى المقياس في تلك الليلة من المطايخ عشرة قناطير من الخبز النبيذ ، وعشرة من الخراف المشوية ، وعشرة من الجمامات الطواه ، وعشر شمعات .

ويؤمر بالمبيت في تلك الليلة بالمقياس ، فيحضر اليه قراء الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ، ومن يجرى

(١٠٠) ص ٢٧ ج ١ ، ط ١٠٠٠

مجرهم . . فيستعملون ذلك ، ويقدون الشمع عليهم من العشاء الآخرة ، وهم يتلون القرآن يرفق ، ويطربون بمكان التطريب ، فيختون الختمة الشريفة . ويكون هذا الاجتماع في جامع المقياس ، فيوفى الماء ستة عشر ذراعا في تلك الليلة .

ولوفاء النيل عندهم قدر عظيم ، ويتجهجون به ابتهاجا زائدا . وذلك لأنه عمارة الديار ، وبه التام الخلق على فضل الله ، فيحسن عند الخليفة موقعه ، ويهتم بأمره اهتماما عظيما أكثر من كل المواسم .

فاذا أصبح الصباح من هذا اليوم ، وحضرت مطالعة ابن أبي الرداد اليه بالوفاء ، ركب الى المقياس لتخليقه ، فيستدعى الوزير على العادة فيحضر الى القصر ، فيركب الخليفة بسرى أيام الركوب ، من غير مظلة ولا ما يجري مجراها بل في هيئة عظيمة من الثياب ، والوزير تابعه في الجمع الهائل على ترتيب الموكب .

ويخرج شاقا من باب زويلة ، وسالكا الشارع الى آخر الركن من بستان عباس ، المعروف اليوم بسيف الاسلام ، فيعطف سالكا على جامع ابن طولون — والجبر الأعظم بين الركنين — الى الساحل بمصر ، الى الطريق السلوكية على طرف الخشابين الشرقي على دار الفاضل الى باب الصاغة بجوارها — وله دهليز ماد بمصاطب مفروشة بالحصر العبداني بسطا وتأزيرا — فيشتها والوزير تابعه ، ويخرج منها متعطفًا على الصناعة الأخرى — وكانت يرسم المكس — الى السيوفين ، ثم على منازل العز التي هي اليوم مدرسة ،

ثم الى دار الملك ، فيدخل من الباب المقابل لسلوكه ، فيترجل الوزير عنده للدخول بين يديه ماشيا الى المكان المعد له .

ويكون قد حصل أمس ذلك اليوم من القصر البيت المتخذ للمشاري الخاص . وهو بيت مشن من عاج وأبنوس ، عرض كل جزء ثلاثة أذرع ، وطوله قامة رجل تام ، فيجمع بين الأجزاء الثمانية ، فيصير يتا دوره أربعة وعشرون ذراعا ، وعليه قبة من خشب محكم الصناعة ، وهو بقبته ملبس بصفائح الفضة والذهب ... فيتسله رئيس المشاريات الخاص ، ويركبه على المشاري المختص بالخليفة ، ويجعل باكر ذلك اليوم الذي يركب فيه الخليفة على الباب الذي يخرج منه للركوب الى المقياس .

فاذا استقر الخليفة بالمنظرة بدار الملك التي يخرج من بابها الى المشاري وأسند اليه ، استدعى الوزير من مكانه ، فيحضر اليه ويخرج بين يديه الى أن يركب في المشاري . فيدخل البيت المذهب وحده ، ومعه من الأستاذين المحنكين من يأمره من ثلاثة الى أربعة ، ثم يطلع في المشاري خواص الخليفة خاصة ، ورسم الوزير اثنان أو ثلاثة من خواصه .

وليس في المشاري من هو جالس سوى الخليفة باطنا ، والوزير ظاهرا في رواق من باب البيت الذي هو بمرانيس من الجانبين قائمة مخروطة من أخف الخشب ، وهي مدهونة مذهبة ، وعليها من جانبيها ستور معبولة يرسمها على قدرها .

فاذا اجتمع في المشاري من جرت عادته بالاجتماع ، اندفع من باب القنطرة طالبا باب المقياس العالي على الدرج التي يعلوها النيل ، فيدخل الوزير ومعه الأستاذون بين يدي الخليفة الى القسقية ، فيصلى هو والوزير ركعات كل واحد بمفرده .

فاذا فرغ من صلاته ، أحضرت الآلة التي فيها الزعفران والمسك ، فيديفها يده بآلة ، ويتناولها صاحب بيت المال ، فيناولها لابن أبي الرداد ، فيلقى نفسه في القسقية وعليه غلالته وعمامته ، والعنود قريب من درج القسقية ، فيتعلق فيه برجليه ويده اليسرى ، ويخلقه يده اليمنى ، وقراء الحضرة من الجانب الآخر يقرأون القرآن نوبة بنوبة .

ثم يخرج على فوره راكبا في المشاري المذكور ، وهو بالخيار : اما أن يعود الى دار الملك ويركب منها عائدا الى القاهرة ، أو ينحدر في المشاري الى المقس . فيتبعه الموكب الى القاهرة .

ويكون في البحر في ذلك اليوم ألف قرقورة مشحونة بالعالم فرحا . بوفاء النيل وينظر الخليفة

فاذا استقر بالقصر ، اهتم بركوب فتح الخليج ، وفيه همة عظيمة ظاهرة للابتهاج بذلك

ثم يصير ابن أبي الرداد ، باكر ثاني ذلك اليوم ، الى القصر بالاويان الكبير الذي في الشباك الى باب الملك بجواره ، فيجد خلعة معبأة هناك ، فيؤمر بلبسها ، ويخرج من باب

(*) من ٢٧٦ ج ١ ، ط. بولاق .

العبد شاقا بها بين القصرين من أوله قصدا لاشاعة ذلك — فان ذلك من علامة وفاء النيل ، ولأهل البلاد الى ذلك تطلع — وتكون خلعة مذهبة .

وكان من العدول المحنكين ، فيشرف في الخلعة بالطليسان المقصور ، وينسحب له من التغيرات ولمن يريده خمس تغيرات مركبات بالحلى ، ويحمل أمامه على أربع بقال ، مع أربعة من مستخدمى بيت المال ، أربعة أكياس في كل كيس خمسمائة درهم ظاهرة في أكفهم ، وبصحته أقاربه وبنو عه وأصدقائه ، وينسحب له الطبل والبوق ، ويكتنف به عدة كثيرة من المتصرفين الرجالة .

فيخرج من باب الميد ، ويركب إحدى التغيرات وهي أميزها ، وشرف أمامه بجملين من النقارات التي قدمنا ذكرها (يعنى فى ركوب أول العام) من زى الموكب فيسير شاقا القاهرة ، والأبواق تضرب أمامه كبارا وصغارا ، والطبل وراعه مثل الأمراء ، وينزل على كل باب يدخل منه الخليفة ، ويخرج من باب القصر فيقبله ويركب ... وهكذا يعمل كل من يخلع عليه من كبير وصغير من الأمراء المطوقين الى من دونهم سيفا وقلما .

ويخرج من باب زويلة طالبا مصر من الشارع الأعظم الى مسجد عبد الله الى دار الأنباط ، جائزا على الجامع الى شاطئ البحر ، فيعبدى الى المقياس بخلعه وأكياسه . وهذه الأكياس معدة لأرباب الرسوم عليه في خلعه ولنفسه ولبنى عه بتقرير من أول الزمان .

فإذا انقضى هذا الشأن ، شرع في الركوب الى فتح الخليج ثالي يوم - وقد كان وقع الاهتمام به منذ دخلت زمادة النيل ذراع الوفاء اعتاما عتيا - فيعمل في بيت المال من التنايل شكل الوحوش من الغزلان والسباع والقبيلة والزرافات عدة وافرة : منها ما هو ملبس بالغير ، ومنها ما هو ملبس بالمندل ، ثم شكل التفاح والارجح اللطيف ، والوحوش مفرقة العين والأعضاء بالذهب الى غير ذلك .

ثم تخرج الخيمة التي يقال لها القاتول ، لان فراشا سقط من أعلى عودها فمات فسميت بذلك ، وطوله سبعون ذراعا ، وأعلاه صغرة فضة تسع راوية ماء ، وعليه الطلعة التي كانت في الايوان الى قريب الوقت . ثم يعمل في أول العود شقة دائرة ، ثم أوسع منها ، ويتوالى ذلك الى إحدى عشرة شقة ... فتصير سعة الخيمة ما يريد على فدانين مستديرة ، وتنصب في بر الخليج القريب على حافته مكان بيتان الحلى اليوم .

وكانت ثم منطرة ، يقال لها السكر ، برسم جلوس الخليفة لفتح الخليج في مثل هذا اليوم .

وينصب أرباب الرتب من الأمراء من بحرى تلك الخيمة الكبرى خياما كثيرة ، ويتناوون فيما على قدر همتهم ، وضرهم اياها في الأماكن الأقرب فالأقرب على قدر رتبهم .

فإذا تم ذلك ، وعزم الخليفة على الركوب ثالث يوم التخليق أو رابعه ، أخرج كل من المستخدمين في المواضع المقدم ذكرها في ركوب أول العام آلات الموكب على عادته ،

وزاد فيه اخراج أربعين بوقا ، عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة ، ويكون بواقوها ركبا ، وأرباب الأيوان النحاس مشاة ، ومن الطبول الكبار التي مكان خشبها فضة عشرة .

فإذا حضر الوزير الى باب القصر ، خرج الخليفة في هيئة عظيمة وهمة عالية ، وقد تضاعفت همم الأجناد في ذلك اليوم فارسمها وراجلها ، وبخرج زى الخليفة من المطة والسيف والرمح والآلوية والدواة ، وغير ذلك من الاستاذين المحنكين .

ويركب في ذلك اليوم من الأقارب المقيمين بالقصر عشرون أو ثلاثون ، وهم بالنوبة في كل سنة ، فيتقدمون الى المنطرة في مكان لهم صحة استاذين لخدمتهم وحفظهم ، ويكون قد لف عود الخيمة الكبرى المشار اليه بما بدياج أبيض أو أحمر أو أصفر من أعلاه الى أسفله ، وينصب مندا الى سرير الملك ، ويغشى بقرقوبى ، وعرايسه ذهب ظاهرة .

فيخرج الخليفة للركوب ويركب ، فيخرج من باب القصر وعليه ثوب يقال له البدنة - وهو كله ذهب وحرير مرقوم ، والمظلة من شكله ، ولا يلبس هذا الثوب في غير هذا اليوم - ويسير الموكب الهائل ، شاقا القاهرة من الطريق التي ركب منها لتخليق المقياس ، الا أنه لا يدخل طروق مصر من الخشابين ، بل خارجها من طريق الساحل .

فإذا جاز على جامع ابن طولون ، وجد قد ربط من رأس المنارة - من مكان العشارى النحاس - حبل طويل قوى موضوع آخره في الطريق ، وفيه قوم يقال لهم التحشيرية ،

واحد في زى فارس على شكل فارس وفى يده رمح وبكته درقة ، فينحدر على بكرة في رجله آخر ممسكها ، وهو يتقلب في الهواء بطنا وظهرا حتى يصل الى الأرض .

ويكون قاضى القضاة وأعيان الشهود جلوسا في باب الجامع من هذه الجهة ، فإذا وزاهم الخليفة - وكانوا قد ركبوا - وقف لهم وقفة ، فيسلم على القاضى ، ثم يدخل فيقبل الرجل التي من جابه لا غير ، ويدخل بالشهود في الفرجة أمام وجه الدابة بمقدار قصبة المساحة ، فيسلم عليهم ، ويرجعون الى دوابهم فيركبون .

ويكون قد نصب لهم بالقرب من الخيمة الكبرى خيمتان : احدهما ديباج أحمر ، والاخرى ديبقى أبيض ، بصفارى فضة لكل واحدة ، فيتم الخليفة بهيته الى أن يدخل من باب الخيمة ، ويكون الوزير قد تقدمه على العادة ليخدمه ، فيجده راجلا على باب الخيمة ، فيمشى بين يديه الى سرير الملك .

فينزل ويجلس على المرتبة المنصوبة فيه ، ويحيط به الاستاذون المحنكون والأمراء المطوقون بعدهم .

ويوضع للوزير الكرسي الجارى به عادته ، فيجلس عليه ورجلاه تحك الأرض ، ويقف أرباب الرتب صافين من ناحية سرير الملك الى ناحية الخيمة ، والقراء يقرأون القرآن ساعة زمانية . فإذا ختموا قراءتهم ، استأذن صاحب الباب على حضور الشعراء للخدمة بما يطلق هذا اليوم ، فيؤمر بتقديمهم واحدا بعد

(*) من ٢٧٧ - ٢٧٨ ، طه بولاق .

واحد ، ولهم منازل على مقدار أقدارهم ، فالواحد يتقدم الواحد بخطوة في الانشاد ، وهو أمر معروف عند مستخدم يقال له النائب .

وتقدم شاعر ، يقال له ابن جبر ، وأثن قصيدة منها :

فتح الخليج فسال منه الماء
وعلت عليه الراية البيضاء

فصفت مواردنا فكانه
كف الامام فعرها الاعطاء

فاتتقد الناس عليه في قوله « فسال منه الماء » ، وقالوا : أى شئ يخرج من البحر غير الماء ؟ فضيح ما قاله بعد هذا المطلع

وتقدم شاعر ، يقال له مسعود الدولة بن جرير ، وأثن :
ما زال هذا السد ينظر فتحه
اذن الخليفة بالنوال المرسل

حتى اذا برز الامام بوجهه
وسطا عليه كل حامل حول

فجرى كأن قد ديف فيه غير
يعلوه كافور بطيب المنديل

فاتتقدوا عليه أيضا قوله في البيت الثانى ، وقالوا : أهلك وجه الامام بسطوات المعاول عليه ، وان كان قصد فتح السد بالمعاول ، لكنه ما نظمه الا قلعا

ثم تقدم له شاعر شاهد ، يقال له كافى الدولة أبو العباس أحمد ، وأثن قصيدة شهد

٢٥٢

٢٥٢

له جماعة منهم القاضي الأكبر بن سنان ، قاله
عليها بحضوره بهيما :

لمن اجتاع الخلق في قبال الشهد
التيلى أم لك يا ابن بنت محمد

لم لا اجتاعكم ما في مخرج
واقيتا فيه لأصلى موعده

ليس اجتاع الخلق إلا كفى
حز القضيلى منكما في الولد

شكروا لكل منكما لوقته
بالسى لكن ميلهم للأجود

ولم لنا قصد الوقت قصده
بالقصد ليس له كن لم يقصده

هذا يضى وسود ينقض تارة
وتسد أنت القضى ان لم يرد

وقوله ان بلغ النهاية قصرت
ولذا بلغت الى النهاية تبتدى

فلآن قد ضاقت منك سببه
بالسد فهو به يحال مقيد

فما أردت صلاحه فافتح له
ليرى جبابا مخصبا وترى تبتدى

وأمر بقصد العرق منه فما شكنا
جسم فصح الجسم ان لم يقصد

واسلم الى أمثال يومك هكذا
في شيش مقبوط وعز مغلد

فأمر له على القور بخس ديسارا ، وخلص
عليه وزر في جاريه .

ثم يقوم الخليفة عن السرور واكبسا ،
والوزير بين يديه ، حتى يطلع على المنطرة
المروقة بالسكر ، وقد فرشت بالترش المنة
لها ، فيجلس فيها ، ويتبأ أيضا للوزير مكان
يجلس فيه ، ويحيط بالسد حامى البساتين
ومشارفها لآء من حقوق خدمتها ، فتفتح
لحمى طاقات المنطرة ، ويصل منها الخليفة على
الخليج ، وطاقة تشارفها يتطلع منها أستاذ من
الخواص ، ويشير بالفتح فيفتح بأيدى عمال
البساتين بالملاول ، ويخدم بالطبل والبوق
من البين .

فإذا اعتدل الماء في الخليج ، دخلت
العشاريات الطفاف - ويقال لها السراوات
- وكانها خدم بين يدي العشارى الذهبى
المقدم ذكره ، ثم العشاريات الخاص الكبار
وهى ستة : الذهبى المذكور ، والقضى ،
والأحمر ، والأصفر ، والأزوردى ، والصقلى
- وكان أثناء فجار من رؤساء الصناعة
صقلى ، وزاد فيه على الانتشاء المعتاد فنسب
إليه - وهذه العشاريات لا تخرج عن خاص
الخليفة في أيام النيل وتحوله الى اللؤلؤة
للقرجة ... وسارت في الخليج ، وعلى بيت
كل منها النور الميضى اللؤلؤة ، ويرؤوسها
وفى أعناقها الأمانة وقلائد من * الخرز ،
فتسد الى البر الذى فيه المنطرة الجالس فيه
الخليفة .

فإذا استقر جلوس الخليفة والوزير بالمنطرة
ودخل قاضى القضاة والشهود الخيمة الديتية

(٢٨٤) ص ١٠١ ، طبع بولاق .

اليضاء ، وصلت المائدة من القصر في الجانب
الغربى من الخليج ، على رؤوس الفرائسين
محببة صاحب المائدة ، وعدتها مائة شدة في
الطيافير الواسعة ، وعليها القوارات الحرير ،
وفوقها الطرلحات ، ولها رواء عظيم ومسك
قائح ، فتوضع في خيمة واسعة منصوبة
لذلك .

ويحصل للوزير ما هو مستقر له بعادة جارية
ومن صوائى التماثيل المذكورة ثلاث صوان ،
ويخصص منها أيضا لأولاده وأخوته خارجا عن
ذلك أكراما واقتصادا ، ويحصل الى قاضى
القضاة والشهود شدة من الطعام الخاص من
غير تماثيل توقيرا للشرع ، ويحصل الى كل
أمير في خيمته شدة طعام وصينية تماثيل ،
ويصل من ذلك الى الناس شىء كبير .

ولا يزالون كذلك الى أن يؤذن بالظهر ،
فيصلون ويقيمون الى العصر ، فإذا أذن به
صلى ، وركب الموكب كله لانتظار ركوب
الخليفة ، فيركب لابسا غير البدنة بل بهيته ،
والمظلة مناسبة لثيابه التى عليه ، واليتممة
والترتيب بأجمعه على حاله .

ويسير في البر الغربى من الخليج ، شاقا
البساتين هناك ، حتى يدخل من باب المنطرة
الى القصر ، والوزير تابعه على الرسم المعتاد ،
ويسير فيه للقوم أحسن الأيام ، ويمضى الوزير
الى داره مخدوما على العادة .

وقال في كتاب « النخائر والتحف » : ان
المستعمل من القضاة قبة العشارى المعروف
بالمقدم وقاربه وكسوة رحله ، في سنة ست
وثلاثين وأربعمائة في وزارة على بن أحمد

الجزجراى ، مائة ألف وسبعة وستون ألفا
وسبعمائة درهم تقرة . وان المطلق للصناع
عن أجرة الصناعة ، وفي ثمن ذهب لطلائه
خاصة ، ألفان وتسعمائة دينار وسبعون .
وكانت القضاة في ذلك الوقت كل مائة درهم
بسة دنانير وربع ، سمر ستة عشر درهما
بدينار .

ولما تولى أبو سعيد سهل التستري الوسامة
سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، استعمل لأم
المستصر عشاريا يعرف بالقضى ، وحلى رواقه
بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألفا درهم ،
ولزم ذلك أجرة الصناعة وطلائه بعضه ألفان
وأربعمائة دينار ، سوى كسوة له بسال
جليل .

والمنفق على سنة وثلاثين عشاريا يرسم
النزه البحرية لألائها وحلاها ، من مناطق
ورؤوس منجوقات وأهلة وصرفيات وغير
ذلك ، أربعمائة ألف دينار .

وكانت العادة عندهم اذا حصل وفاء النيل
أن يكتب الى العمال . فما كتب من انشاء
تاج الرئاسة أبى القاسم على بن منجب بن
سليمان الصيرفى :

« أما بعد ، فإن أحق ما وجبت به التهنئة
والبشرى ، وغدت المسار منتشرة تسوالى
وتترى ، وكان من اللطائف التى غمرت بالمنة
العظمى والنعمة الجسيمة الكبرى ... ما
استدعى الشكر لموجد العالم وخالقه ، وظلت
النعمة به عامة لصامت الحيوان وناطقه . وتلك
الموهبة بوفاء النيل المبارك الذى يسره الله
تعالى - وله الحمد - يوم كذا ... »

« فان هذه العظية تؤدي الى خصب البلاد وصارتها ، وشمول المصالح وغزارتها ، وتغنى بتضاعف المنافع والخيرات ، وتكاثر الأرزاق والأقوات ، وتساهم الفائدة فيها جميع العباد . وتنتمى البركة بها الى كل دان وقاه وكل حاضر وباد . فاذع هذه النعمة قبلك ، وانشرها في كل من يتدبر عملك ، رحمتهم منى مواصلة الشكر لهذه الألفاظ الشاملة لهم ولك . فاعلم هذا ، واعمل به ان شاء الله تعالى » .

وكتب أيضا : « ان أولى ما تضاعف به الابتهاج والجدل ، وانتج فيه الرجاء واتسع الأمل ، ما غم قعه صامت الحيون وقاطقه ، وأحدث لكل أحد اغتباطا لزمه وآلى الا يفارقه . وذلك ما من الله به من وفاء النيل المبارك الذي تحيا به كل أرض موات ، وتكتس بعد اشتهارها حلة الثياب ، ويكون سببا لتوافر الأقوات . فانه وفي المقدار الذي يحتاج اليه ... فلتذع هذه المنة في القاسى والدانى ، لتستعمل الكفاية بينهم ضروب البشائر والتهانى ، ان شاء الله تعالى » .

وكتب أيضا : « من لطف الله السواحب حمده ، اللازم شكره وفضله ، الذي لا يمل بشرة ، ولا ينام ذكره ومثله ، الذي استبشر به الأنام ، وتضاعف فيه الانعام ، ومثل الله الحياة به في قوله تعالى « انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام » . . أمر النيل المبارك الذي يعم النجود والتهائم ، وتنتفع به الخلائق ، وترتع فيما يظهره البهائم ...

« وقد توجه اليك هذا الكتاب بهذه البشرى فلان ، فأجره على ربه في اظهاره مجلا وإيصاله الى ربه مكملا ، واذاعة هذه النعمة على الكافة لتساهبوا الاغتباط بها ، ويبالغوا في الشكر لله سبحانه وتعالى بمقتضاها وعلى حسبها . فاعلم ذلك ، واعمل به ان شاء الله تعالى » .

منظرة الدكة . وكان من جملة مناظر الخفاء الفاطميين منظرة تعرف بالدكة ، لها بستان عظيم بجوار المقس ، فيه بين وبين أراضى اللوق ، وما زالت باقية حتى زلت الدولة ، وحكر مكان البستان ، وصار خلة تعرف الى اليوم . بخط الدكة ، فخرت المنظرة وزال أثره .

قال ابن عبد الظاهر . الدكة بالمقس كانت بستانا ، وكان الخليفة اذا كبر من كسر الخليج من السكرة بمظلتها يسير في البسرة القرمي ، ومضارب الناس والأمراء وخيمهم عن يمينه وشماله ، انى أن يصل الى هذا البستان المعروف بالدكة ، وقد غلقت أبوابه ودهاليزه .

فيدخل اليه بمفرد ، ويسفر منه الفرس الذي تحت — وهي قضية ذكر المؤرخ للسيرة المأمورية أنهم كانوا يعتدون بها الى آخر وقت ، ولم يعلم سببها . يخرج ويسير الى أن يقف على التربة الآتى ذكرها ، ويمسح من باب القنطرة ، وينزل الى القصر .

والدكة الآن آدر وحارات شهرتها تغنى عن وصفها . فسبحان من لا يتغير .

(٢٧) من ١٧٩١ ج ١ ، ط . بولاق .

وقال ابن الطوير عن الظاهر لا عراز دين الله أبى هاشم على بن الحاكم بأمر الله : كان بمنظرة يقال لها الدكة بساحل المقس (يعنى انه مات بها) .

منظرة المقس : وكان من جملة مناظرهم أيضا منظرة بجوار جامع المقس ، الذى تسميه العامة اليوم جامع المقسى . وكانت هذه المنظرة بحرى الجامع المذكور ، وهى مظلة على النيل الأعظم ، وكان حينئذ ساحل النيل بالمقس .

وكانت هذه المنظرة معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الأسطول الى غزو الفرنج . فتحضر رؤساء المراكب بالشوالى وهى مزينة بأنواع العدد والصلاح ويلعبون بها في النيل ، حيث الآن الخليج الناصرى ، تجاء الجامع ، وما وراء الخليج من غريبه .

قال ابن المأمون ، وذكر تجهيز العساكر في البر عند ورود كتب صاحبى دمشق وحلب ، في سنة سبع عشرة وخمسمائة ، ما يحس على غزو الفرنج ومسيرها مع حسام الملك : وركب الخليفة الأمر بأحكام الله ، وتوجه الى الجامع بالمقس ، وجلس بالمنظرة في أعلاه ، واستدعى مقدم الأسطول الثانى ، وخلع عليه ، وانحدرت الأساطيل مشحونة بالرجال والعدد والآلات والأسلحة ، واعتمد ما جرت العادة به من الانعام عليهم .

وعاد الخليفة الى البستان المعروف بالبعيل الى آخر النهار ، وتوجه الى قصره بعد تفرقة جميع الرسوم والصدقات والهبات الجارى بها العادة في الركوبات .

وقال ابن الطوير : فاذا تكملت النفقة ، وتجهزت المراكب وتجهزت للسفر ، ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقس . وكان هناك على شاطئ البحر بالجامع منظرة يجلس فيها الخليفة يرسم وداعه (يعنى الأسطول) ولقائه اذا عاد .

فاذا جلس هو والوزير للوداع ، جاءت القواد بالمراكب من مصر الى هناك للحركات في البحر بين يديه ، وهى مزينة بأسلحتها ولبوسها ، وفيها المنجنيقات تلعب ، فتحدر وتقلع بالمجاذيف كما يفعل في لقاء العدو بالبحر الملح .

ويحضر بين يدي الخليفة المقدم والرئيس فيوصيهما ، ويدعو للجماعة بالنصرة والسلامة ، ويعطى المقدم مائة دينار ، والرئيس عشرين دينارا .

وتحدر الى دمياط ، وتخرج الى البحر الملح ، فيكون لها بيلاد العدو صيت وهيبة . فاذا وقع لهم مركب لا يسألون عما فيه سوى الصغار والرجال والنساء والصلاح ، وما عدا ذلك فللأسطول .

واتفق مرة أن قدم على الأسطول سيف الملك الجمل ، فكسب بطشة عظيمة فيها ألف وخمسمائة شخص بعد أن بعث عليهم بالقتال ، وقتل منهم نحو من مائة وعشرين رجلا ، وحضر الى القاهرة .

ففرح الخليفة وركب الى المقس ، وجلس بالمنظرة للقائهم ، وأطلقوا الأسرى بين يديه تحت المنظرة من جانب البر . فاستدعت الجمال لركوبهم ، وشق بهم القاهرة ومصر ،

وهم كل اثنين على جمل ظهر لظهر . وعدد الخليفة الى القصر فجلس في احدى مناظره لنظرهم في جوارهم .

فلما عادوا بهم من مصر ، صاروا بهم الى المناخات ، فصح منهم ألف رجل ، فانضافوا الى من في المناخ .

وأما النساء والصبيان فانهم دخلوا بهم الى القصر ، بعد أن حصل منهم للوزير نصيب وافر ، وأخذ الجهات والأقارب بقيتهن ، فيخدمونهن ويعلمونهن الصنائع ، ويتولى الأستاذون تربية الصبيان وتعليمهم الخط والرماية ، ويقال لهم الترايب .

ومن استريب به من الأسرى ، ونبه عليه بقوة ، أوقع به . والشيخ الذي لا ينتفع به يضى فيه حكم السيف بكان يقال له بئر النامة في الخراب قرب مصر . ولم يسمع على الدولة قط أنها فادت أسيرا ببال ولا بأسير مثله . وهذه الحال في كل سنة آخذة في الزيادة لا النقص .

وقدم على الأسطول مرة أمير يقال له حرب ابن فور ، صاحب الحاجب لؤلؤ ، فكسب بطشه حصل فيها خمسمائة رجل ... انتهى .

وقد خربت هذه المنطرة . وكان موضعها برج كبير ، صار يعرف في الدولة الأيوبية بقلعة المقس ، مشرف على النيل . فلما جدد صاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى جامع المقس ، على ما هو عليه الآن في سنة سبعين وسبعمائة ، هدم هذا البرج ، وجعل مكانه جنية شرقى الجامع ، وتحدث الناس أنه وجد فيه مالا . والله أعلم .

منطرة البعل : وكان من مناظرهم بظاهر القاهرة منطرة في بستان أتيق ، يعرف بالبعل ، أنشاء الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجبالى . وموضع هذا البستان الى اليوم يعرف بالبعل ، وصارت أرضه مزرعة * في جانب الخليج الغربى بحرى أرض الطبالاة في كوم الریش مقابل قناطر الأوز .

وقد خربت المنطرة ، وبقي منها آثار أدركتها يعطن بها الكتان ، تدل على عظمتها وجلالتها في حال عمارتها . وكانت منطرة البعل من أجل متزهاتهم ، وكان لهم بها أوقات عقيمة المبرات جليلة الخيرات .

قال ابن المأمون : فأما يوم السبت والثلاثاء فيكون ركوب الوزير من كاديه بالرهجية ، ويتوجه الى القصر . فيركب الخليفة الى ضواحي القاهرة للنزهة في مثل الروضة والمشتهى ودار الملك والتاج والبعل وقبة الهواء والخصة وجوه والبستان الكبير . وكان لكل منطرة منهن قرش معلوم مستقر فيها من الأيام الأفضلية للصيف والشتاء .

وتشرق الرسوم ، ويسلم لمقدمى الركاب اليمين والشمال لكل واحد عشرون دينارا وخمسون رباعيا ، وتالى مقدم الركاب اليمين مائة كاغدة في كل كاغدة ثلاثة دراهم ، ومائة كاغدة في كل كاغدة درهمان ، وتالى مقدم الشمال مثل ذلك .

أما الدنانير فلكل باب يخرج منه من البلد دينار ، ولكل باب يدخل منه دينار ، ولكل جامع يجتاز عليه دينار ، ما خلا جامع مصر فإن

(*) من ٤٨٠ ج ١ ، ط. بولاق .

وصه خمسة دنانير ، ولكل مسجد يجتاز عليه رباعى ، ولكل من يقف ويقلو القرآن كاغدة ، والفقراء والمساكين من الرجال والنساء لكل من يقف كاغدة ، ولكل من يركب الخليفة ديناران . ويكون مع هذا متولى صناديق الاتفاق يحجب الخليفة ، ويبيده خريطة ديباج فيها خمسمائة دينار لما عساه يؤمر به .

فاذا حصل في احدى المناظر المذكورة ، فرق من العين ما مبلغه سبعة وخمسون دينارا ، ومن الرباعية مائة وستة وثمانون دينارا للحواشي والأستاذين وأصحاب الدواوين والشعراء والمؤذنين والمقرئين والمنجيين وغيرهم ، ومن الخراف الشواء خمسون رأسا : منها طبقان حارة مكحلة مشورة برسم المائدة الخاص - مضافا لما يحضر من القصور من الموائد الخاص والحلاوات - وطبق واحد برسم مائدة الوزير ، وبقيّة ذلك بأسماء أربابه ، ورأسا بقر برسم الهرائس .

فاذ جلس الخليفة على المائدة ، استدعى الوزير دخواصه ومن جرت العادة بجلوسه معه . ومن تأخر عن المائدة ممن جرت عادته بحضورها ، حمل اليه من بين يدي الخليفة على سبيل التشريف . وعند عود الخليفة الى القصر ، يحاسب متولى الدفتر مقدمى الركاب على ما أتيق عليه في مسافة الطريق من جامع ومسجد وباب ودابة . وأما تفرقة الصدقات فهم فيها على حكم الأمانة .

قال : واذا وقع الركوب الى الميادين ، جرى الحال فيها على الرسم المستقر من الانعام ، ويؤمر متولى خزائن الخاص وصناديق الاتفاق

أن يكون معه خريطة في السرج ديباج ، تسمى خريطة الموكب ، فيها ألف دينار معدة لمن يؤمر بالانعام عليه في حال الركوب .

منطرة التاج : هي من جملة المناظر التى كانت الخلفاء تنزلها للنزهة ، بناها الأفضل ابن أمير الجيوش ، وكان لها فرش معد لها للشتاء والصيف . وقد خربت ولم يبق لها سوى أثر كوم ، توجد تحت الحجارة الكبار ، وما حول هذا الكوم صار مزارع من جملة أراضى منية الشيرج .

قال ابن عبد الظاهر : وأما التاج فكان حوله البساتين عدة ، وأعظم ما كان حوله قبة الهواء ، وبعدها الخمس وجوه التى هي باقية .

منطرة الخمس وجوه : كانت أيضا من مناظرهم التى يتزهون فيها ، وهى من انشاء الأفضل بن أمير الجيوش ، وكان لها فرش معد لها ، وبقي منها آثار بناء جليل على بئر مسعة كان بها خصة أوجه من المحال الخشب التى تنقل الماء لسقى البستان العظيم الوصف البديع الزى البهيج الهيئة . والعمامة تقول التاج والسبع وجوه الى الآن .

وموضعها الى وقتنا هذا من أعظم متفرجات القاهرة ، وبنيت هناك في أيام النيل عندما يعم تلك الأراضى البشينة ، فتفتن رؤيته وتبهج النفوس نضارته وزينته ، فاذا نضب ماء النيل زرعت تلك البسطة قرطا وكتانا يقصر الوصف عن تعداد حسنه . وأدركت حول الخمس وجوه غروسا من نخل وغيره تشبه أن تكون من بقايا البستان القديم ، وقد تلاشت الآن .

ثم ان السلطان الملك المؤيد شيخ الموحدين
الظاهرى ، جدد عمارة منطرة فوق الخس
وجوه ، ابتدا بنائها في يوم الاثنين اول شهر
ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة .

منطرة باب الفتوح : وكان للخلفاء الفاطميين
منطرة خارج باب الفتوح ، وكان يومئذ ما
خرج عن باب الفتوح براحا فيما بين الباب
وبين الباتين الجيوشية . وكانت هذه المنطرة
معدة لجلوس الخليفة فيها عند عرض العساكر
ووداعها اذا سارت في البر الى البلاد الشامية .

قال ابن المأمون : وفي هذا الشهر (يعنى
المحرم سنة سبع عشرة وخسمائة) وصلت
رسل ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق ،
وآق سنقر صاحب حلب ، بكتب * الى
الخليفة الأمر بأحكام الله ، والى الوزير المأمون
الى القصر ، فاستدعوا لتقبل الأرض كما
يجرت العادة من اظهار التجمل .

وكان مضمون الكتب - بعد التصدير
والتعظيم والسؤال والضراعة - أن الأخبار
تظافرت بقلعة الفرنج بالأعمال الفلسطينية
والثغور الساحلية ، وأن الفرصة قد أمكنت
فيهم والله قد أذن بهلاكهم ، وأنهم ينتظرون
انعام الدولة العلوية وعوايد أفضالها ،
ويستصرون بقوتها ، ويحشون على نصرة
الاسلام ، وقطع دابر الكفر ، وتجهيز العساكر
المنصورة والأساطيل المظفرة ، والمساعدة على
التوجه نحوهم لتلا يتواصل مددهم ، وتعود
الى القوة شوكتهم .

(١٨١) ج ١ ، ط ١ ، بولاق .

فقوى العزم على النفقة في العساكر فارمها
وراجلها ونجربدها ، وتقدم الى الأمانة بإحضار
الرجال الأقوياء ، وأبتدىء بالنفقة في الفرسان
بين يدي الخليفة في قاعة الذهب ، وأحضر
الوزانون وصناديق المال ، وأفرغت الأكياس
على البساط .

واستمر الحال بعد ذلك في الدار المأمونية ،
وتردد الرأي فيمن يتقدم ، فوقع الاتفاق على
حسام الملك البرنى ، وأحضر مقدم الأساطيل
الثانية لأن الأساطيل توجهت في الغزو ، وخلع
عليه ، وأمر بأن ينزل الى الصناعتين بمصر
والجزيرة ، وينفق في أربعين شينياً ، ويكمل
تققاتها وعددها ، ويكون التوجه بها صحبة
العسكر .

وأنفق في عشرين من الأمراء للتوجه صحبه
فكملت النفقة في الفارس والراجل ، وفي
الأمراء السائرين ، وفي الأطباء والمؤذنين
والقراء ، ونذب من الحجاب عدة ، وجعل لكل
منهم خدمة : فمنهم من يتولى خزانة الخيام ،
وسير معه من حاصل الخزائن - برسم ضعفاء
العسكر ومن لا يقدر على خيمة - خيم ،
ومنهم حاجب على خزائن السلاح .

وأنفق في عدة من كتاب ديوان الجيش
لعرض العساكر ، وفي كتاب العربان . وأحضر
مقدمو الحراسين بالخفار ، وتقدم اليها بأنه من
تأخر عن العرض بعسقلان وقبض النفقة ، فلا
واجب له ولا اقطاع .

وكتب الكتب الى المستخدمين بالثغور
الثلاثة ، الاسكندرية ودمياط وعسقلان ،
باطلاق وإتياع ما يستدعى برسم الأسطة على

ثغر عسقلان للعساكر والعربان من الأصناف
والغلال ، ووقع الاهتمام بنجاز أمر الرسل
الواصلين .

وكتب الأجوبة عن كتبهم ، وجهر المال
والخلع المذهبات ، والأطواق والسيوف
والمناطق الذهب ، والخييل بالمرابك الحلى
الثقال وغير ذلك من التجملات . وخلع على
الرسل ، وأطلق لهم النغير ، وسنت اليهم
الكتب والتذاكر ، وتوجهوا صحبه العسكر .

وركب الخليفة الأمر بأحكام الله الى باب
الفتوح ، ونظر بالمنطرة ، واستدعى حسام
الملك ، وخلع عليه بدلة جليلة مذهبة ، وطوقه
بطوق ذهب ، وقلده ومنطقه مثل ذلك .

ثم قال الوزير المأمون للأمراء بحيث يسمع
الخليفة : هذا الأمير مقدمكم ومقدم العساكر
كلها ، وما وعد به أنجزته ، وما قرره أمضيته .
فقبلوا الأرض ، وخرجوا من بين يديه .

وسلم متولى بيت المال وخزائن الكسوة
لحسام الملك الكتب بما ضمنته الصاديق من
المال وأعدال الكسوات ، وحملت قدامه .

وفتحت طاقات المنطرة ، فلما شاهد العساكر
الخليفة قبلوا الأرض ، فأشار اليهم بالتوجه ،
فساروا بأجمعهم .

وركب الخليفة ، وتوجه الى الجامع بالمقس
وجلس بالمنطرة ، واستدعى مقدم الأسطول
وخلع عليه ، وانحدرت الأساطيل مشحونة
بالرجال والعدة .

منطرة الصناعة : وكان من جملة مناظر
الخلفاء منطرة بالصناعة ، في الساحل القديم
من مصر ، يجلس بها الخليفة تارة حتى تقدم

له العشاريات ، فيركبها ويسير للمقياس حتى
يخلق بين يديه عند الوفاء . وكان بهذه الصناعة
ديوان العماير .

وأنشأ هذه المنطرة والصناعة التى هى فيها
الوزير المأمون ، ولم تزل الى آخر الدولة ،
ودهليزها ماد بمصاطب مفروشة بالحصر
العبدانى بسطا وتأريرا . وقد خربت هذه
الصناعة والمنطرة ، وصار موضعها الآن
بستانا كان يعرف ببستان ابن كيسان ، ويعرف
في زماننا هذا الذى نص فيه الآن ببستان
الطواشى ، وهو بأول مراة مصر تجاه غيط
الجرف ، على نيرة من يسلك من المراة يريد
الكبارة وباب مصر .

قال ابن المأمون : وكانت يبيع مرابك
الأساطيل ما تشاء الا بالصناعة التى بالجزيرة .
فأنكر الوزير المأمون ذلك ، وأمر بأن يكون
انشاء الثوانى وغيرها من المراكب النيلية
الديوانية بالصناعة مصر ، وأضرب اليه دار
الريب ، وأنشأ المنطة . ، واستدعى الى
الآن عليها . وقصد بذلك أن يكرن حلول
الخليفة يوم تقدمه الأساطيل ورميه بالمنظرة
المذكورة ، وأن يكون ما يشاء من الجرانى
والشنديات فى الصناعة بالجزيرة .

قال : ولما وفى النيل ستة عشر ذراعاً ، ركب
الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ، ورميت
العشاريات بين أيديهما ، ثم عديا فى إحداها
الى المقياس .

وقال ابن الطوير : الخدمة فى ديوان الجهاد
- ويقال له ديوان العماير - وكان محله
بصناعة الانشاء بمصر للأسطول والمرابك
الحاملة للغلات السلطانية والأحطاب وغيرها ،

وكانت تزيد على خمسين عشاريا ، ولطيفها عشرون ديماسا ، منها عشرة يرسم خاص الخليفة أيام الخليج وغيرها . ولكل منها رئيس ولوائى لا يرحون يثلق فيهم من مال هذا الديوان .

وبقية العشاريات الدواميس يرسم ولاية الأعمال الميزة ، ففى تجر لهم ، وينفق فى رؤسائها ورجالها أيضا كانوا من مال هذا الديوان ، وتقيم مع أحدهم مدة مقامه ، فإذا صرف عاد فيه ، وخرج المتولى الجديد فى العشارى المرسى بالصناعة ، ولا يخرج الا بتوقيع باطلاته والاتفاق فيه . وللشارفين بالأعمال عشاريات دون هذه .

وفى هذا الديوان ، يرسم خدمة ما يجرى فى الأساطيل ، فائبان من قبل مقدم الأسطول . وفيه من الحواصل لمارة المراكب شئ كثير . وإذا لم يف ارتقاعه بما يحتاج اليه استدعى له من يت المال ما يسد خلله .

قال : وكان من أهم أمورهم احتفالهم بالأساطيل والأجناد ، ومواصلة انشاء المراكب بمصر والاسكندرية ودمياط ، من الشوانى الحرية والتلنديات والمسطحات ، الى بلاد الساحل حين كانت بأيديهم ، مثل صور وعكا وعسقلان .

وكانت جريدة قواده أكثر من خمسة آلاف مدونة : منهم عشرة أعيان تصل جامكية كل منهم الى عشرين ديناراً ، ثم الى خمسة عشر ، ثم الى عشرة دنائير ، ثم الى ثمانية ، ثم الى دينارين وهى أقلها . ولهم انقطاعات تعرف

(١٨٢ ص ١٨٢) ، ط : بولاق .

بأبواب الغزاة بما فيه من التطرون ، فيصل دينارهم بالمناصفة الى نصف دينار وحواليه .

وعين من هؤلاء القواد العشرة من ينفع الاجماع عليه لرياسة الأسطول المتوجه للغزو ، فيكون معه القانوس ، وكلهم يستدون به ، ويقلمون باقلاعه ، ويرسون بارسائه . ويقدم على الأسطول أمير كبير من أعيان الأمراء وأقوامهم جنائنا ، ويتولى النفقة فيهم للغزو الخليفة بنفسه بحضور الوزير .

فإذا أراد النفقة فيما تمين من عدة المراكب السائرة - وكانت آخر وقت تزيد على خمسة وسبعين شينيا ، وعشر مسطحات ، وعشر حمالة - فيتقدم الى التقاء باحضار الرجال ، ويسمع بذلك من هو خارج مصر والقاهرة ، فيدخل اليها . ولهم المشاهرة والجرايات المقررة مدة أيام السفر ، وهم معروفون عند عشرين تقبياً ، ولا يعترض أحد أحدا الا من رغب فى ذلك من نفسه .

فإذا اجتمعت المدة المنفقة للمراكب المطلوبة ، أعلم المقدم بذلك الوزير ، فطالع الخليفة بالحوال ، وفرز يوم للنفقة ، فيحضر الوزير بالاستدعاء على العادة . فيجلس الخليفة على هيئة فى مجلس ، ويجلس الوزير فى مكانه ، ويحضر صاحباً ديوان الجيش وهما المستوفى ، وهو أميرها ، ويجلس داخل عتبة المجلس - وهذه رتبة له مميزة - وكاتب الجيش الأصل ويجلس بجانبه تحت العتبة على حصر مفروشة بالقاعة . ولا يخلو المستوفى أن يكون عدلاً ، أو من أعيان الكتاب المسلمين . وأما كاتب الجيش فيهودى فى الأغلب .

ويفرش أمام المجلس أنطاخ تصب عليها الدراهم ، ويحضر الورايون بين المال بذلك . فإذا تم الاتفاق أدخل القابضون مائة مائة ، ويقفون فى آخر الوقوف بين يدي الخليفة من جانب واحد تقابة تقابة ، وتكون أساورهم قد ربت فى أوراق لاستدعائهم بين يدي الخليفة

ويستدعى مستوفى الجيش من تلك الأوراق واحدا واحدا ، فإذا خرج اسمه عبر من الجانب الذى هو فيه الى الجانب الخالى ، فإذا تكمل عشرة رجال وزن الوزانون أهم النفقة - وكانت لكل واحد خمسة دنائير ، صرف كل دينار ستة وثلاثون درهما - فيسلمها النقيب ، وتكتب بيده وباسمه . وتمضى النفقة كذلك الى آخرها .

فإذا تم ذلك اليوم ، ركب الوزير من بين يدي الخليفة ، وانقض ذلك الجمع ، فيحمل من عند الخليفة مائدة يقال لها غداء الوزير ، وهى سبع مجيفات أوساط ، أحداها بلحم دجاج وفستق والبقية من شواء ، وهى مكسورة بالأزهار ، فتكون هذه عدة أيام تارة متوالية وتارة متفرقة .

فإذا تكملت النفقة ، وتجهزت المراكب ونهيات للسفر ، ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقس .

وذكر ابن أبى طى أن المعز لدين الله أنشأ مئذنة مركب لم ير مثلاً فى البحر على مدينة ، وعمل دار صناعة بالمقس .

« دار الملك » : وكان من جملة مناظرهم دار الملك بمصر ، وهى من انشاء الأفضل بن أمير الجيوش . ابتداء فى بنائها وانشائها فى

سنة احدى وخمسمائة ، فلما كملت تحول اليها من دار القباب بالقاهرة وسكنها ، وحول اليها الدواوين من القصر فصارت بها ، وجعل فيها الأسطة ، واتخذ بها مجلساً سماه مجلس العطايا كان يجلس فيه .

فلما قتل الأفضل صارت دار الملك هذه من جملة متزهات الخلفاء ، وكان بها بستان عظيم ، وما زالت عظيمة الى أن انقرضت الدولة ، فجعلها الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب دار متجر ، ثم عملت فى أيام الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى دار وكالة وموضع دار الملك ما وراء حبة الخروب بجوار المدرسة المعزية ، وبقي منها جدار يجلس تحته يباعو الحناء .

قال ابن المأمون : ومن جملة ما قرره القائد أبو عبد الله من تعظيم الملكية ، وتفخيم أمر السلطنة ، أن * المجلس الذى يجلس فيه الأفضل بدار الملك يسمى مجلس العطايا ، فقال القائد : مجلس يدعى بهذا الاسم ما يشاهد فيه دينار يدفع لمن يسأل .

وأمر بتفصيل ثمانية ظروف ديباج أطلس من كل لون اثنين ، وجعل فى سبعة منها خمسة وثلاثين ألف دينار ، فى كل ظرف خمسة آلاف دينار سكب ، وبطاقة بوزنه وعدده وشراية حرير كبيرة : من ذلك ستة ظروف دنائير بالسوية عن اليمين والشمال فى مجلس العطايا الذى يرسم الجلوس ، وعند مرتبة الأفضل بقاعة اللؤلؤة ظرفان : أحدهما دنائير ، والآخر دراهم جدد .

(١٨٢ ص ١٨٢) ، ط : بولاق .

فألقى في اللؤلؤة برسم ما يستدعيه الأفضل إذا كان عند الحرم . وأما الذي في مجلس العطايا فإن جميع الشعراء لم يكن لهم في الأيام الأفضلية ولا فيما قبلها على الشعر جار . وأما كان لهم ، إذا اتفق طرب السلطان واستحسانه لشعر من أشد منهم ، ما يسهله الله على حكم الجائزة . فرأى القائد أن يكون ذلك من بين يديه من الظروف . وكذلك من يتضرع ويسأل في طلب صدقة أو ينعم عليه ابتداء بغير سؤال يخرج ذلك من الظروف . وإذا انصرف الحاضرون نزل القائد المبلغ بخطه في البطاقة ، ويكتب عليه الأفضل بخطه « صح » ، ويعاد إلى الطرف ويختتم عليه .

فلما استهل رجب من سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ، وجلس الأفضل في مجلس العطايا على عادته ، وحضر الأجل المظفر أخوه للهنا وجلس بين يديه ، وشاهد الظروف والقائد وولده وأخوه قيام على رأسه ، وتقدمت الشعراء على طبقاتهم ... أمر لكل منهم بجائزة .

وشاع خبر الظروف ، وكثر القول فيها ، واستعظم أمرها ، وضوعف مبلغها واتسع هذا الانعام بالصدقات الجارية بها العادة في مثل هذا الشهر لفقهاء مصر والرباطات بالقرافة وفقرائها .

وقال ابن الطوير ، وقد ذكر ركوب الخليفة في أول العام وحضور الغرة : وينقطع الركوب بعد هذا اليوم الذي هو أول العام ، فيركبون في أحاديث الأيام إلى أن يكمل شهر ، ولا يتعدى ذلك يومى السبت والثلاثاء .

فإذا عزم الخليفة على الركوب في أحد هذه الأيام أعلم بذلك - وعلامته اتفاق الأسلحة في صبيان الركاب من حزاة السلاح خاصة دون ما سواها ، وأكثر ذلك إلى مصر - ويركب الوزير صحبه من ورائه على أخضر من النظام المتقدم (يعنى في ركوب أول العام) وأقل جمع فيخرج شاقا القاهرة وشوارعها على الجامع الطولوي على المشاهد إلى رب الصفاء - ويقال له الشوارع الأعظم - إلى دار الأنباط إلى الجامع العتيق .

فإذا وصل إلى بابه ، وجد الشريف الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب ، مفروشة بحصر معلق عليها سجادة ، وفي يده المصحف المنسوب خطه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو من حاصله . فإذا وازاه وقف في موضعه ، وناول المصحف من يده ، فيسلمه منه وقبله ويترك به مرارا . ويعطيه صاحب الخريطة المرسومة للصلوات ثلاثين دينارا ، وهي رسمه متى اجتاز به ، فيوصلها الشريف إلى مشارف الجامع ، فيكون نصيبها منها خمسة عشر دينارا ، والباقي للقومة والمؤذنين دون غيرهم .

ويسير إلى أن يصل دار الملك ، فينزلها والوزير معه . ومنذ يخرج من باب القصر إلى أن يصل إلى دار الملك ، لا يمر بمسجد إلا أعطى قيمه من الخريطة دينارا .

فلا يزال بدار الملك نهاره ، فتأتيه المائدة من القصر ، وعدتها خمسون شدة على رؤوس الفرائش مع صاحب المائدة - وهو أساذ جليل غير محنك - وكل شدة فيها طيفور فيها الأواني الخاصة ، وفيها من الأطعمة

الخاص من كل نوع شهي وكّل صنف من المطاعم العالية ، ولها رواء ورائحة المسك فائحة منها ، وعلى كل شدة طرحة حرير تعلو القوارة التي هي الشدة . فيحمل أي الوزير منها جزءا وافر ، ولين صحبه وللأمراء ولكافة الحاضرين في الخدمة ، ويصل منها أي الناس بمصر من بعضهم بعضا شيء كثر .

ولا يزال إلى أن يؤذن عليه بالعصر فيصلى ، ويتحرك أي العود إلى القاهرة ، فيس في طريقه لنظره ، فيركب

وزيه في هذه الأيام أنه يلبس الثياب المذهبة البياض والملونة ، ولنديل بن النسي ، وهو مشدود شدة مفردة عن شادات النار ، وذؤابته مرخاة من نسيه الأيسر ، ويتقلد بالسيف العربي لمجوهر حنك ولا مظلة ولا يتيمة ، أن ذلك في أوقات مخصوصه .

ولا يمر أيضا بمسجد في سلوكه في هذه الطريق بالساحل إلا ويعطى قيمه دينارا أيضا كما جرى في الرواح ، وينعطف من باب ق ويدخل من باب زويلة شاقا القاهرة حتى يدخل القصر ، فيكون ذلك من المحرم إلى شهر رمضان أما أربع مرات أو خمس مرات .

ومن شعر الأسعد أسعد بن مهذب بن زكريا بن أبي سيح مما في دار الملك هذه :

حللت بدار الملك وانيل آخذ
بأطرافها والموج يوسعها ضربا
فخيلته قد عار لما وطئتها
عليها فأضحى عند ذاك لها حربا

مسائل العزيز

بناها السيدة تغريد أم العزيز بالله بن العزيز ، ولم يكن بمصر أحسن منه ، وكانت مظلة على إيل لا يحجب شيء عن نظر . وما زال الحلفاء من بعد العزيز يتداولوه ، وكانت معدة لنزهتهم ، وكان بجوارها حمام ، ولها منها باب ، وموضعها الآن مدرسة تعرف بمدرسة التقوية منسوبة لملك المظفر تقي الدين عمرو ابن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي .

الهودج ، وكان من متزهاتهم العظيمة البناء ، العريضة البديعة الزى ، بناء في جزيرة القساطل - التي تعرف اليوم بالروضة - يقال له الهودج . بنى الخليفة الأمر بأحكام الله لمحبوته البدوية التي غلب عليه حبها بجوار البستان المختار ، وكان يتردد إليه كثيرا ، وقتل وهو موجه إليه ، وما زال مترها للخلعاء من بعده .

قال ابن سعيد في كتاب «المحلى بالأشعار» : قال اقرسى في تاريخه . تذاكر الناس في حديث اليدوية وابن مياح من بنى عنها ، وما يتعلق بذلك من ذكر الأمر ، حتى صارت روايتهم في هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك .

والاخصار منه أن يقال إن الأمر كان قد يلي بعشق الجوارى العرييات ، وصارت له عيون بالبوادي . فيلغ أن جارية بالصعيد من أكمل العرب وأظرفهم شاعرة جميلة ، فيقال أنه تزيا بزي بداء الأعراب ، وكان يجول في

الأحياء إلى أن انتهى إلى جها ، وملك هناك
في ضيقة ، وتعمل حتى عاينها هناك ، فلما
ملك سيره ، ورجع إلى مكر ملكه ، وأرسل
إلى أهلها يخطبها ويزوجها .

فلما وصلت صلب عليها مفارقة ما اعتاده ،
ولمحت أن تشرح طرفها في القضاء ولا تنقبض
تسما تحت حيطان المدينة . فبنى لها البناء
الشهور في جزيرة القسطنطينية المعروف
بالهودج ، وكان غريب الشكل ، على شط
البحر .

وقيت متعلقة خاطر بآين عم لها ريت معه
يعرف بآين مياح ، فكبت إليه من قصر الأمر :

يا آين مياح إليك الشكوى
ملك من بعدكم قد ملكا

كنت في حين مضى آمرا
فلا ما شئت منكم مفركا

فلا لأن يقصر مرصد
لا أرى الأخشا مسكا

كم شينا كضمان القوا
حيث لا تخشى علينا دركا

فاجابها :

يت عسى والتي غديتها
بالهوى حتى علا واحتيكما

يحت بالشكوى وتسلمت ضعفتها
لو غدا ينفع منا الشكوى

ملك الأمر إليه أنتكى
ملك وهو الذي قد ملكا

قال : وتلقى في قلب ابن مياح واختلافه
أخبار تقول . وكان من عرب ملهى في قصر الأمر
مراد بن مهمل النسبي ، قبلته هذه القضية
قال :

ألا بلغوا الأمر المصطفى
قال مراد ونعم المقال

قلت الألفين عن أمة
بها سر الحى بين الرجال

كذا كان آيتك الأكرمون
سألت فقل لي جواب السؤال

قال الخليفة الأمر لما بلغته الأبيات : جواب
سؤاله قطع لسانه على فضوله .

وطلب في أحياء العرب قلم يوجد ، فقالت
العرب : ما أخطر صفقة مراد ، باع آيات
الحى بثلاثة آيات !

وكان بالاسكندرية مكين الدولة أبو طالب
أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن
حفيد ، له مروءة عظيمة ، ويحتذى أقوال
البرامكة ، وللشعراء فيه أمداح كثيرة ...
منحه طاهر الحداد ، وأمية بن أبى اليسر
وغيرهما .

وكان له بستان يفرج فيه به جرن كبير من
رخام ، وهو قطعة واحدة ، وينحدر فيه الماء
فيبقى كالبركة من كبره . وكان يجد في نفسه
يرؤيته زيادة على أهل التعمم والمباهاة في
تصره .

فوشى به للبدوية مجبوبة الأمر ، فسألت
الخليفة الأمر في حل الجرن إليها ، فأرسل
إلى ابن حديد بإحضار الجرن ، فلم يجد بدا

من حله من البستان . فلما صار إلى الأمر ،
أمر بمله في الهودج

فقلق ابن حديد ، وصارت في قلبه حرارة
من أخذ الجرن ، فأخذ يخدم البدوية ومن
يلوذ بها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن
الحد في الكثرة ، حتى قالت البدوية : هذا
الرجل أخجلنا بكثرة تحفه ، ولم يكلفنا قط
أمرا نقدر عليه عند الخليفة مولانا .

فلما قيل له هذا القول عنها قال : ما لي
حاجة ، بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول
حياتها في عز ، غير رد التسمية التي قلت من
دارى التي بنيتها ، في أيامهم من نعمتهم ، ترد
إلى مكانها .

فتعجبت من ذلك ، وردتها عليه ، فتيل له :
حصلت في حد أن خيرتك البدوية في جيب
المطالب ، فنزلت هتاك إلى قطعة حجر !

فقال : أنا أعرف بنفسى ، ما كان لها أمل
سوى إلا تغلب في أخذ ذلك الحجر من مكانه ،
وقد بلغها الله أملها .

وكان هذا المكين متولى قضاء الاسكندرية
وتنظرها في أيام الأمر ، وبلغ من علو همته
وعظم مروءته أن سلطان الملوك حيدرة ، أخا
الوزير المأمون بن البطائحى ، لما قلده الأمر
ولاية نجر الاسكندرية في سنة سبع عشرة
 وخمسمائة ، وأضاف إليه الأعمال البحرية ،
ووصل إلى الثغر ، ووصف له الطيب دهن
شمع بحضور القاضي المذكور ، فأمر في الحال
بعض غلماناه بالمضى إلى داره لاحتضار دهن
شمع .

(٥٨٠) ج ١ ، طه بولاق .

فما كان أكثر من مسافة الطريق إلا أن
أحضر حقا مختوما فك عنه ، فوجد فيه مندبل
لطيف مذهب على مضاف بلور فيه ثلاثة
بيوت ، كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة
بياقوت وجوهر : بيت دهن بسك ، وبيت
دهن بكافور ، وبيت دهن بغير طيب . ولم
يكن فيه شيء مصنوع لوقته .

فبعثها أحضره الرسول ، تعجب المؤمن
والحاضرون من علو همته . فبعثها شاهد
القاضى ذلك بالغ في شكر انصامه ، وحلف
بالحرام أن عاد إلى ملكه . فكان جواب
المؤمن : قد قبلت منك لا لحاجة إليه ، ولا
لنظر في قيمته ، بل لظهار هذه الهمة
واذاغتها . وذكر أن قيمة هذا المضاف وما عليه
خمسائة دينار .

فانظر — رحك الله — إلى من يكون دهن
النسج عنده في اثناء قيمته خمسمائة دينار ،
ودهن النسج لا يكاد أكثر الناس يحتاج إليه
ألبه ، فماذا تكون ثيابه وحلى نسائه ولحرفن
داره وغير ذلك من التجليات .

وهذا انما هو حال قاضى الاسكندرية ،
ومن قاضى الاسكندرية بالنسبة إلى أعيان
الدولة بالحضرة ، وما نسبة أعيان الدولة
— وان عظمت أحوالهم — إلى أمر الخلافة
وأجتها لا يسير حقير .

وما زال الخليفة الأمر يتردد إلى الهودج
المذكور . إلى أن ركب يوم الثلاثاء رابع ذى
القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة يريد
الهودج ، وقد كمن له عدة من التزارية في قرن
عند رأس الجسر من ناحية الروضة ، فوثبوا

عليه وأتخوه بالبراعة حتى ملك ، وحمل في
الشارى الى التلوة فبات بها ، وقيل قيل أن
يصل اليها .

وقد غرّب هذا الودج ، وجعل مكانه من
الروضة ، وفيه عاقبة الأمور .

قصر القرافة : وكان لهم بالقرافة قصر بنته
السيدة نمرود أم العزيز بالله بن المزي في سنة
ست وستين وثلاثمائة ، على يد الحسين بن عبد
العزيز القارسي المحتسب ، هو والحمام الذي
في غريسه ، وبنت البئر والبستان وجامع
القرافة .

وكان هذا القصر تربة من التربة من أحسن
الآثار في اتقان البناء وصحة أركانه ، وله
منظرة مليحة كبيرة محمولة على قبو ماد تجوز
المارة من تحته ، ويقبل المافرون في أيام
القيظ هناك ، ويركب الراكب اليه على
زلافة . وكان كالحسن ما يكون من البناء ،
وتحت حوض لسقى الدواب يوم الحلول فيه ،
وكان مكانه بالقرب من مسجد الفتح .

ولما كان في سنة عشرين وأربعمائة ، جدد
الخليفة الأمر ، وعمل تحت مصطبة للصوفية ،
وكان يجلس في الطاق بأعلى القصر ، ويرقص
أهل الطريقة من الصوفية ، والمجامر بالألوية
موضوعة بين أيديهم ، والشموع الكثيرة
تزهري ، وقد بسط تحتهم حصر من فوقها
يسط ، ومدت لهم الأسطة التي عليها كل نوع
لذيذ وشهى من الأطعمة والحلوى أصنافا
مصنفة .

فاتفق أن تواجد الشيخ أبو عبد الله بن
الجوهري الواعظ ، ومزق مرقته ، وفرقت

على العادة خرقا ، وسأل الشيخ أبو اسحاق
ابراهيم - المعروف بالقارح المقرئ - خرقه
منها ووضعها في رأسه . فلما فرغ التزيين قال
الخليفة الأمر بأحكام الله من طاق بالمنظرة ؛
ياشيخ أبا اسحاق . قال : ليك يامولانا .
قال : أين خرقتي ؟ فقال مجيبا في الحال :
هاهي على رأسي ياأمير المؤمنين .

فاتحسن الأمر ذلك ، وأعجبه موقعه .
فأمر في الساعة والوقت من أحضر من خزائن
الكسوات ألف لصفية ، ففرقت على الحاضرين
وعلى فقراء القرافة ، وثر عليهم متولى بيت
المال من الطاق ألف دينار . فتخاطبها
الحاضرون ، وتماهد المغربلون الأرض التي
هناك أباما لأخذ ما يواريه التراب .

وما برح قصر الأندلس بالقرافة حتى زالت
الدولة ، فهدم في شهر ربيع الآخر سنة سبع
وستين وخمسائة .

المنظرة ببركة الجيش : وكانت لهم منظرة
تشرف على بركة الجيش .

قال الشريف أبو عبد الله محمد الجواني
في كتاب « النقط على الخطط » : أن الخليفة
الأمر بأحكام الله بنى على المنظرة التي يقال
لها بئر دكة الحركة ، منظرة من خشب
مدھونة ، فيها طاقات تشرف على خضرة بركة
الجيش ، وصور فيها الشعراء كل شاعر
وبلده ، واستدعى من كل واحد منهم قطعة
من الشعر في المدح وذكر الحركة ، وكتب
ذلك عند رأس كل شاعر ، وبجانب صورة
كل منهم وفي لطيف مذهب .

(١٨٦) ص ١٨٦ ، طبع في بيروت .

فلما دخل الأمر وقرأ الأشعار ، أمر أن
يحط على كل رف صرة مختومة فيها خسون
دينارا ، وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرته
بيده . ففعلوا ذلك وأخذوا صرورهم ، وكانوا
عدة شعراء .

البستانين : وكان للخلفاء عدة بساتين
يتزهون بها ، منها البستانين الجيوشية ، وهما
بستانان كبيران : أحدهما من عند زقاق
الكحل خارج باب الفتوح الى المطرية ، والآخر
يمتد من خارج باب القنطرة الى الخندق .
وكان لهما شأن عظيم .

ومن شدة غرام الأفضل بالبستان الذي كان
يجاور بستان البعل ، عمل له سورا مثل سور
القاهرة ، وعمل فيه بحرا كبيرا وقبة عشارى
تحمل ثمانية أراذب ، وبني في وسط البحر
منظرة محمولة على أربع عواميد من أحسن
الرخام ، وحفها بشجر النارج ، فكان نارنجها
لا يقطع حتى يتساقط ، وسلط على هذا البحر
أربع سواق ، وجعل له معبرا من نحاس
مخروط زنته قنطار ، وكان يسلا في عدة
أيام . وجلب اليه من الطيور المسوعة شيئا
كثيرا ، واستخدم للحمام الذي كان به عدة
مطيرين ، وعمر به أبراجا عدة للحمام والطيور
المسوعة ، ومرح فيه كثيرا من الطاووس .

وكان البستانان اللذان على يسار الخارج
من باب الفتوح بينهما بستان الخندق ، لكل
منهما أربعة أبواب من الأربع جهات ، على كل
منها عدة من الأرمن . وجميع الدهاليز مؤزرة
بالحصر العبداني ، وعلى أبوابها سلاسل كثيرة
من حديد ، ولا يدخل منها الا السلطان
وأولاده وأقاربه .

قال ابن عبد الظاهر : وافقت جماعة على
أن الذى يشتل عليه ميعهما في السنة ، من
زهر وثمر ، ليف وثلاثون ألف دينار ، وأنها
لا تقوم بمؤنهما على حكم اليقين لا الشك .
وكان الحاصل بالبستان الكبير والمحسن الى
آخر الأيام الأمرية - وهي سنة أربع وعشرين
وخمسائة - ثمانمائة واحد عشر رأسا من
البقر ، ومن الجمال مائة وثلاثة رؤوس ، ومن
العمال وغيرهم ألف رجل .

وذكر أن الذى دار سور البستانين ، من
سنت وجيز وأتل ، من أول حدهما الشرقي
- وهو ركن بركة الأرمن - مع حدهما
البحري والغربي جميعا ، الى آخر زقاق
الكحل ... في هذه المسافة الطويلة سبعة عشر
ألف ألف ومائتا شجرة ، وبقي قبليهما جميعا
لم يحصن .

وأن السنت تفصن حتى لحق بالجيز في
المظم ، وأن معظم قرطه يسقط الى الطريق
فياخذه الناس ، وبعد ذلك يباع بأربعمائة
دينار .

وكان به كل ثمرة لها دويرة مفردة ، وعليها
سياج ، وفيها نخل منقوش في ألواح عليها
برسم الخاص لا تجنى الا بحضور المشارف ،
وكان فيهما ليمون تفاحى يؤكل بقشره بغير
سكر .

وأقام هذان البستانان بيد الورثة الجيوشية
مع البلاد التي لهم ، مدة أيام الوزير المأمون ،
لم تخرج عنهم . وكشف ذلك في أيام الخليفة
الحافظ ، فكان فيهما ستمائة رأس من البقر ،

وشانوق جلا . وقوم ما عليهما من الأكل
والجيز ، فكانت قيمته مائتي ألف دينار .

وعلى الأمير شرف الدين - وكانت له
حرمة عظيمة - من الخليفة الحافظ قطع
شجرة واحدة من سنط ، فأبى عليه ، فيتشجع
إليه وقومت بسبعين دينارا ، فرسم الخليفة
أن كانت وسط البستان تقطع ، والا فلا .

ولما جرى في آخر أيام الحافظ ما جرى من
الخلق ، ذبحت أبقاره وجماله ، ونهب ما فيه
من الآلات والأثاث ، ولم يبق إلا الجيز
والسنط والأكل لعدم من يشتريه ... انتهى .

وكان هذان البستانان من جملة الحبس
الجيشي . وهو أن أمير الجيوش بدرا
الجمالي حبس عدة بلاد وغيرها - منها في
البر الشرقي ناحية بخت والأمنية والمنية ،
وفي البر الغربي ناحية سنط ونها ووسيم -
مع هذين البستانين المذكورين ، على عقبه .

فاستأجر هذا الحبس الوزراء مدة سنتين
بأجرة يسيرة ، وصار يزرع في الشرق منه
الكتان ، ومنه ما تبلغ قطيعته ثلاثة دنائير
وتصفا وربما عن كل فدان ، فيتأولون فيه
ربعا جزلا لأنفسهم .

فلما بعد العهد انقضت أعقابه ، ولم يبق
من ذرته سوى امرأة كبيرة . فأفتى الفقهاء
بأن هذا الحبس باطل ، فصار للديوان
السلطاني يتصرف فيه ، ويحصل متحصله مع
أموال بيت المال .

وتلاشت البساتين ، وبنى في أماكنها ما يأتي
ذكره إن شاء الله تعالى .

وبنى العزيز بالله بستانا بناحية سردوس .

« قبة الهواء » : وكان من أحسن متزهات
الخلق القاطنين قبة الهواء . وهي مستشرف
بحج يدع فيما بين التاج والخمس وجسوه ،
يحيط به عدة بساتين لكل بستان منها اسم ،
ولهذه القبة فرش معدة في الشتاء والصيف ،
ويركب إليها الخليفة في أيام الركوبات التي
هي يوم السبت والثلاثاء .

« بحر أبي المنجا » : وكان من متزهات
الخلق يوم فتح بحر أبي المنجا .

قال ابن المأمون : وكان الماء لا يصل إلى
الترقية إلا من السردوس ومن الصاصم ومن
المواضع البعيدة ، فكان أكثرها يشرق في أكثر
السنين . وكان أبو المنجا اليهودي مشارف
الأعمال المذكورة ، فتضرر المزارعون إليه ،
وسألوا في فتح ترعة يصل الماء منها في ابتدائه
اليهم ، فابتدأ بحفر خليج أبي المنجا في يوم
الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست
 وخمسة .

وركب الأفضل بن أمير « الجيوش ضحى ،
وصحبه القائد أبو عبد الله محمد بن فائق
البطائحي وجميع أخوته والمساكر تحاذيه في
البر ، وجمعت شيوخ البلاد وأولادها ،
وركبوا في المراكب ومعهم حزم البوص من
البحر ، وصار العشاري والمراكب تتبعها إلى
أن رماها الموج إلى الموضع الذي حفروا فيه
البحر ، وأقام الحفر فيه سنتين ، وفي كل سنة
تبين الفائدة فيه ، ويتضاعف من ارتفاع
البلاد ما يمتون الغرامة عليه .

(١٨٧ ص ١٨٧ ج ١ ط ١ بولاق)

ولما عرض على الأفضل جملة ما أثنى فيه
استعظمه ، وقال : غرنا هذا المال جميعه
والاسم لأبي المنجا . فقير اسمه ودعى بالبحر
الأفضلي . فلم يتم ذلك ، ولم يعرف إلا بأبي
المنجا .

ثم جرى بين أبي المنجا وبين ابن أبي الليث
صاحب الديوان ، بسبب الذي أثنى ، خطوط
أدت إلى اعتقال أبي المنجا عدة سنين ، ثم
نفي إلى الاسكندرية بعد أن كادت نفسه
تتلف ، ولم يزل القائد أبو عبد الله بن فائق
يتلطف بحاله إلى تضاعف من عبدة البلاد ما
سهل أمر النفقة فيه .

ورأيت بخط ابن عبد الظاهر : وهذا
أبو المنجا هو جد بني صغير الحكماء اليهود ،
والذين أسلموا منهم .

ولما طال اعتقال أبي المنجا في الاسكندرية
في مكان بمفرده مضيقا عليه ، تحيل في تحصيل
مصحف وكتب ختمة ، وكتب في آخرها
« كتبها أبو المنجا اليهودي » ، وبعثها إلى
السوق لبيعها .

فقامت قيامة أهل الثغر ، وطولع بأمره إلى
الخليفة ، فأخرج وقيل له : ما حملك على
هذا ؟

فقال : طلب الخلاص بالقتل . فأدب ،
وأطلق سبيله .

وقيل أنه كان في محبة حية عظيمة ،
فأحضر إليه في بعض الأيام لبن ، فرأى الحية
وقد شربت منه ودخلت حجرها ، فصار في
كل يوم يحضر لها لبنا ، فتخرج وتشرب منه
وتدخل مكانها ولم تؤذ .

ولما ولي المأمون البطائحي وزارة الأمور
بأحكام الله ، بعد الأفضل بن أمير الجيوش ،
تحدث الأمر معه في رؤية فتح هذا الخليج ،
وأن يكون له يوم كخليج القاهرة . فتدب
الأمر معه عدى الملك أبا البركات بن عثمان
وكيله ، وأمره بأن يبنى على مكان السد
منظرة متعة تكون من بحرى السد ، وشرع
في عمارتها بعد كمال النيل .

وما زال يوم فتح سد هذا البحر يوما
مشهودا إلى أن زالت الدولة الفاطمية . فلما
استولى بنو أيوب من بعدهم على مملكة مصر
أجروا الحال فيه على ما كان .

قال القاضي الفاضل في متجددات سنة
سبع وسبعين وخمسة : وركب السلطان
الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب
لفتح بحر أبي المنجا وعاد .

قال : وفي سنة تسعين وخمسة ، كسر
بحر أبي المنجا بعد أن تأخر كسره عن عيد
الصلب بسبعة أيام ، وكان ذلك لتقصير النيل
في هذه السنة ، ولم يباشر السلطان الملك
العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين بنفسه ،
وركب أخوه شرف الدين يعقوب الطواشي
لكسره .

وبدت في هذا اليوم من مخايل القبوط ما
يوجبه سوء الأفعال ، من المجاهرة بالملكيات ،
والإعلان بالقواحيش . وقد أفرط هذا الأمر ،
واشترك فيه الأمر والأمور ، ولم ينسلخ شهر
رمضان إلا وقد شهد ما لم يشهده رمضان
قبله في الإسلام .

وبدا عقاب الله في الماء الذي كانت المعاصي على ظهره . فان المراكب كان يركب فيها في رمضان الرجال والنساء مختلطين مكشفات الوجوه ، وأيدى الرجال تنال منها ما تنال في الخلوات ، والطبول والعبدان مرتفعات الأصوات والصنجات ، واستنابوا في الليل عن الخمر بالماء والجلاب ظاهرا ، وقيل لهم شربوا الخمر مستورا ، وقربت المراكب بعضها من بعض ، وعجز المنكر عن الإنكار إلا بقله .

ورفع الأمر الى السلطان ، فندب حاجبه في بعض الليالي ، ففرق منهم من وجده في الحالة العاهرة ، ثم عادوا بعد عوده . وذكر أنه وجد في بعض المعادي خمرًا فأراقه .

ولما استهل سؤال ، وهو مطوع فيه ، تضاعف هذا المنكر ، وفشت هذه الفاحشة . ونسأل الله العفو والعافية عن الكبائر ، والتجاوز عما تسقط فيه المعاذر

وقال في سنة اثنين وتسعين وخمسمائة : كسر بحر أبي المنجا ، وياشر العزيز كسره ، وزاد النيل فيه أصبعا وهي الأصبع الثامنة عشرة من ثمانى عشر ذراعا . وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى .

وقد تلاثى في زمنا أمر الاجتماع في يوم فتح سد بحر أبي المنجا ، وقل الاحتفال به لشغل الناس بهم الميثة .

« قصر الورد بالخاقانية » : وكان من أيام متزهات الخلفاء يوم قصر الورد بناحية الخاقانية . وهي قرية من قرى قلوب كانت من خاص الخليفة ، وبها جنان كثيرة للخليفة ، وكانت من أحسن المتزهات المصرية ، وكان

بها عدة دورات يزرع فيها الورد . فيسبر إليها الخليفة يوما ، ويصنع فيها قصر عظيم من الورد ، ويخدم بضيافة عظيمة

قال ابن الطوير عن الخليفة الأمر بأحكام الله : وعمل له بالخاقانية - وكانت من خاص الخليفة - قصر من ورد ، فسار إليها يوما ، وخدم بضيافة عظيمة .

فلما استقر هناك خرج إليه أمير - يقال له حمام الملك - من الأمراء الذين كانوا مع المؤمنين أخى المأمون البطاحي وتخاذلوا عنه ، فوصل إلى الخاقانية وهو لا بس لامة حربه ، والتس المتول بين يديه (يعنى الخليفة)

فاستقل ما جاء به في ذلك الوقت ، مسا بنافى ما فيه الخليفة من الراحة والنزهة ، وحيل بينه وبين مقصوده ، فقال لجماعة من حواشي الخليفة : أقم منافقون على الخليفة ، ان لم أصل إليه فإنه يعاقبكم بذلك

فأطلعوا الخليفة على أمره وحليته بالسلاح وقوله ، فأمر باحضاره . فلما وقعت عينه عليه قال : يا مولانا لمن تركت أعدائك (يعنى الوزير المأمون البطاحي وأخاه ، وكان الأمر قد قبض عليهما واعتقلهما) هذا والعهد قريب غير بعيد ، أأنت الغدر ؟

فما أجابه إلا وهو على الرهاويج من الخيل . فلم تمض ساعة إلا وهو بالقصر ، فسعى إلى مكان اعتقال المأمون وأخيه ، فزادها وثاقا وحراسة .

وفي أثناء ذلك وصل ابن نجيب الدولة الذى كان سيره المأمون في وزارته إلى

(١٨٨) من ١٨٨١ ج ١ ، ط ١٠٠٠

المن ، لتحقيق نسيبه أنه ولد من جارية زار ابن المستنصر لما خرجت من القصر وهي به حامل ، ويدعو إليه بقية الناس . وأحضر إلى القاهرة على جمل مشوه ، فأدخل خزنة البود ، وقتل هو والمأمون وجماعة في ذلك الليلة ، وصلبوا ظاهر القاهرة .

« بركة الجب » : بظاهر القاهرة من بحريها ، ونسبها العامة في زمنا هذا الذى نحن فيه بركة الحاج ، لنزول الحاج بها عند سيرهم من القاهرة إلى الحج في كل سنة ، ونزلهم عند العود بها ، ومنها يدخلون إلى القاهرة .

ومن الناس من يقول : جب يوسف . وهو خطأ ، وإنما هي أرض جب عميرة . وعميرة هذا هو ابن تميم بن جزء التجيبى من بنى القرناء ، نسبت هذه الأرض إليه ، فقبل لها أرض جب عميرة ... ذكره ابن يونس .

وكان من عادة الخليفة المستنصر بالله ، أبى تميم معد بن الظاهر بن الحاكم ، في كل سنة أن يركب على النجيب مع النساء والحشم إلى جب عميرة هذا - وهو موضع نزهة - بهيئة أنه خارج إلى الحج على سبيل اللعب والمجاجة ، وربما حمل معه الخمر في الروايا عوضا عن الماء ، ويسقيه من معه .

وأشده مرة الشرف أبو الحسن على بن الحسين بن حيدرة العقيلي في يوم عرفة :

قم فأنحر الراح يوم النحر بالماء ولا تضح ضحى إلا بصبايا وادرك حجاج الندامى قبل نفرهم إلى منى قصصهم مع كل هيفاء

وعج على مكة الروحاء مبتكرا

فطف بها حول ركن العود والثاني

قال ابن دحية : فخرج في ساعته بروايا الخمر تزجى بنغمات حداة الملاهي وتساق ، حتى أفاخ بعين شمس فى كبكة من القساق ، فأقام بها سوق القسوق على ساق . وفى ذلك العام أخذه الله تعالى وأهل مصر بالسنين ، حتى بيع في أيامه الرغيف بالثلث الثمن ، وعاد ماء النيل بعد غدوته كالغسلين ، ولم يبق بشاطئيه أحد بعد أن كانوا محفوفين بحور عين .

وقال ابن ميسر : فلما كان في جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، خرج المستنصر على عادته إلى بركة الجب ، فاتفق أن بعض الأتراك جرد سيفا في سكر منه على بعض عبيد الشراء ، فاجتمع عليه طائفة من العبيد وقتلوه .

فاجتمع الأتراك بالمستنصر ، وقالوا : ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة ، وان كان عن غير رضاك فلا نرضى بذلك .

فأنكر المستنصر ما وقع ، وتبرا ما فعله العبيد . فتجمع الأتراك لحرب العبيد ، وبرز بعضهم إلى بعض . وكان بين الفريقين قتال شديد على كوم شريك انهزم فيه العبيد ، وقتل منهم عدد كبير .

وكانت أم المستنصر تعين العبيد ، وتمدهم بالأموال والأسلحة . فاتفق في بعض الأيام أن بعض الأتراك ظفر بشيء مما تبعث به أم المستنصر إلى العبيد ، فأعلم بذلك أصحابه - وقد قويت شوكتهم بانهاز العبيد -

فاجتمعوا بأمرهم ، ودخلوا على المستمر ،
وخاطبوه في ذلك ، وأغلظوا في القول ،
وجهروا بما لا ينبغي . وصار السيف قائما ،
والحروب متابعة ، الى أن كان من خراب
مصر بالغلاء والتقت ما كان . وكان من قبل
المستمر يترددون الى بركة الجب .

قال الميحي : ولاتنتي عشرة خلت من ذي
القعدة سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، عرض
العزير بالله صاكره بظاهر القاهرة عند سطح
الجب ، فنصب له مضرب ديباج رومى فيه
ألف ثوب بصفري فضة ، ونصبت له فاية
ممثل وقبة مثل بالجوهر ، وضرب لآبته
الأمير أبى على منصور مضرب آخر .

وعرضت العساكر ، وكان عدتها مائة
عسكري ، وأقبلت أسارى الروم وعدتهم
مائتان وخمسون ، فطيف بهم . وكان يوما
عظيما حسنا لم تزل العساكر تسير بين يديه من
ضحوة النهار الى صلاة المغرب .

وما زالت بركة الجب متزها للخلفاء
والملوك من بنى أيوب . وكان السلطان صلاح
الدين يبرز اليها للصيد ، ويقم فيها الأيام ،
وفعل ذلك الملوك من بعده . واعتنى بها الملك
الناصر محمد بن قلاوون ، وبنى بها أحواشا
وميدانا كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى .

وبركة الجب وما يليها فى درب بنى صبرة .
وهم ينسبون الى صبرة * بن بطيح بن مغالة
ابن دعبان بن غلب بن الكلب بن أبى عمرو
ابن دمية بن جدس بن أريش بن أراش بن
جزيلة بن لخم . فهم أحد بطون لخم ، وفيهم

(*) ص ٤٨٩ ، ط ١ ، ط ٢ ، ط ٣

بنو جذام بن صبرة بن بصرة بن غنم بن
غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام
أخى لخم .

« المشتى » : وكان من مواضعهم التى
أعدت للترهة المشتى .

ذكر الأيام التى كان الخلفاء الفاطميون
يتخلونها أعيادا ومواسم تتسع بها
أحوال الرعية وتكثر نعمهم

وكان للخلفاء الفاطميين فى طول السنة
أعياد ومواسم ، وهى : موسم رأس السنة ،
وموسم أول العام ، ويوم عاشوراء ، ومولد
النبي صلى الله عليه وسلم ، ومولد على بن
أبى طالب رضى الله عنه ، ومولد الحسن ،
ومولد الحسين عليهما السلام ، ومولد فاطمة
الزهراء عليهما السلام ، ومولد الخليفة
الحاضر ، وليلة أول رجب ، وليلة نصفه ،
وليلة أول شعبان ، وليلة نصفه ، وموسم
ليلة رمضان ، وغرة رمضان ، وسماط
رمضان ، وليلة الختم ، وموسم عيد الفطر ،
وموسم عيد النحر ، وعيد الفدير ، وكسوة
الشتاء ، وكسوة الصيف ، وموسم فتح
الخليج ، ويوم النوروز ، ويوم الغطاس ،
ويوم الميلاد ، وخميس العدس ، وأيام
الركوبات .

موسم رأس السنة : وكان للخلفاء الفاطميين
اعتناء بليلة أول المحرم فى كل عام لأنها أول
ليالى السنة وابتداء أوقاتها . وكان من
رسومهم فى ليلة رأس السنة أن يعمل بمطبخ
القصر عدة كثيرة من الخراف المقسوم ،

والكثير من الرؤوس المقسوم ، وتفرق على
جميع أرباب الرتب وأصحاب الدواوين من
الموالى والأدوان أرباب السيوف والأقلام ،
مع جفان اللبن والخبز وأنواع الحلواء . معهم
ذلك سائر الناس من خاص الخليفة وجهاته
والأستاذين المحكين الى أرباب الضوء وهم
المشاعلية ، ويتنقل ذلك فى أيدي أهل القاهرة
ومصر .

موسم أول العام : وكان لهم بأول العام
عناية كبيرة . فيه يركب الخليفة بزيه المفخم
وهيته العظيمة كما تقدم ، ويفرق فيه دنائير
الغرة التى مر ذكرها عند ذكر دار الضرب ،
 ويفرق من السماط الذى يعمل بالقصر ، لأعيان
أرباب الخدم من أرباب السيوف والأقلام ،
بتقرير مرتب : خرفان شواء ، وزبادى طعام ،
وجامات حلواء وخبز ، وقطع منسوخة من
سكر ، وأرز بلبين وسكر . فيتناول الناس
من ذلك ما يجل وصفه ، ويتسبطون بما يصل
اليهم من دنائير الغرة من رسوم الركوب كما
شرح فيما تقدم .

يوم عاشوراء : كانوا يتخذونه يوم حزن
تتعطل فيه الأسواق ، ويعمل فيه السماط
العظيم المسمى سماط الحزن . وقد ذكر عند
ذكر المشهد الحسينى فانظره . وكان يصل
الى الناس منه شئ كثير .

فلما زالت الدولة ، اتخذ الملوك من بنى
أيوب يوم عاشوراء يوم سرور ، يوسعون فيه
على عيالهم ، ويتسبطون فى المطاعم ،
ويصنعون الحلوات ، ويتخذون الأواني
الجديدة ، ويكتحلون ويدخلون الحمام ،

جرى على عادة أهل الشام التى سننها لهم
الحجاج فى أيام عبد الملك بن مروان ، ليرغوا
بذلك آثاف شيعه على بن أبى طالب كرم الله
وجهه ، الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء
وحزن فيه على الحسين بن على لأنه قتل
فيه . وقد أدركنا بقايا ما عمله بنو أيوب من
اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط . وكلا
الفتلين غير جيد ، والصواب ترك ذلك
والاقتداء بفعل السلف فقط .

وما أحسن قول أبى الحسين الجزار الشاعر
يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الأهراء ،
وكتب بها اليه ليلة عاشوراء عندما أخر عنه
ما كان من جاريه فى الأهراء :

قل لشهاب الدين ذى الفضل الندى
والسيد بن السيد بن السيد
أقسم بالفرد العلى العهد
أن لم يبادر لنجاش موعدى
لأحضرن للنساء فى غد
مكحل العينين مخضوب اليد

يعرض للشريف بما يرمى به الأشراف من
التشيع ، وأنه اذا جاءه بهيمة السرور فى يوم
عاشوراء غاظه ذلك ، لأنه من أفعال الغضب .
وهو من أحسن ما سمعته فى التعريض فله
دوره .

عيد النصر : وهو السادس عشر من المحرم .
عمله الخليفة الحافظ لدين الله لأنه اليوم الذى
ظهر فيه من مجبه ، ويفعل فيه ما يفعل فى
الأعياد من الخطبة والصلاة والزينة والتوسعة
فى النفقة .

وكتب فيه أبو القاسم على بن الصيرفي الى بعض الخطباء : « عيد النصر ، وهو أفضل الأعياد وأسمها وأعلاها ، وأدله على تقصير الواصف ، اذا بلغ وتام . ونحن نأمرك أن تبرز في يوم الأحد السادس عشر من المحرم سنة اثنين وثلاثين وخمسة على الهبة التي جرت العادة بثلثها في الأعياد ، وتوعد بأن تقرأ على الناس الخطبة التي سيرناها اليك قرين هذا الأمر بشرح هذا اليوم وتفصيله ، وذكر ما خصه الله به من تشريفه وتفضيله ، وتعتمد في ذلك ما جرى الرسم فيه في كل عيد ، وتنتهي فيه الى الغاية التي ليس عليها مزيد . فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى » .

المواليد الستة : كانت مواسم جليلة يعمل الناس فيها ميزات من ذهب وقضة وخشكناج وحلواه كما مر ذلك .

ليالي الوقود الأربع : كانت من أبهج الليالي وأحسنها . يحضر الناس لمشاهدتها من كل أوب ، وتصل الى الناس فيها أنواع من البر ، وتعظم فيها ميزة أهل الجوامع والمشاهد . فانظره في موضعه تجده .

موسم شهر رمضان : وكان لهم في شهر رمضان عدة أنواع من البر ، منها كشف المساجد .

قال الشريف الجواني في كتاب «النقط» : كان القضاء بمصر اذا بقي لشهر رمضان ثلاثة أيام ، طافوا يوما على المشاهد والمساجد بالقاهرة ومصر ، فيبدأون بجامع المقس ، ثم بجوامع القاهرة ، ثم بالمشاهد ، ثم بالترافة ،

(١٠) من ١٩٠٠ ج ١ ، طبع بولاق .

ثم بجامع مصر ، ثم بمشهد الرأس ... لنظر حصر ذلك وقناده وعشارته وإزالة شعته . وكان أكثر الناس ، ممن يلوذ بباب الحكم والشهود والقطييون ، يمتنعون لذلك اليوم والطواف مع القاضي لحضور الساط .

إبطال المسكرات : قال ابن المأمون : وكانت العادة جارية من الأيام الأفضلية ، في آخر جنادى الآخرة من كل سنة ، أن تغلق جميع قاعات الخسارين بالقاهرة ومصر وتختتم ، ويحظر من بيع الخمر . فرأى الوزير المأمون لما ولي الوزارة بعد الأفضل بن أمير الجيوش أن يكون ذلك في سائر أعمال الدولة . فكتب به الى جميع ولاة الأعمال ، وأن ينادى بأنه من تعرض لبيع شيء من المسكرات أو لشراؤها سرا أو جهرا ، فقد عرض نفسه لتلافها ، وبرئت الذمة من هلاكها .

ومنها غرة رمضان : وكان في أول يوم من شهر رمضان يرسل لجميع الأمراء ، وغيرهم من أرباب الرتب والخدم ، لكل واحد طبق ، ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق ، فيه حلواء وبوسطة صرة من ذهب . فيعم ذلك سائر أهل الدولة ، ويقال لذلك غرة رمضان .

ومنها ركوب الخليفة في أول شهر رمضان : قال ابن الطوير : فاذا انقضى شعبان ، اهتم بركوب أول شهر رمضان - وهو يقوم مقام الرؤية عند المتشيعين - فيجرى أمره في اللباس والآلات والأسلحة والعرض والركوب والترتيب والموكب والطريق السلوكية ، كما وصفناه في أول العام ، لا يختل بوجه . ويكتب الى الولاة والنواب والأعمال بساطير مخلقة يذكر فيها ركوب الخليفة .

ومنها سباط شهر رمضان : وقد تقدم ذكر السباط في قاعة الذهب من القصر

سحور الخليفة : قال ابن المأمون - وقد ذكر أسطة رمضان ، وجلوس الخليفة بعد ذلك في الروشن الى وقت السحور ، والمقرئون تحته يتلون عشرا وبطريون بحيث يشاهدهم الخليفة - ثم حضر بعدهم المؤذنون ، وأخذوا في التكبير وذكر فضائل السحور ، وختموا بالدعاء ، وقدمت المخاد للوعاظ ، فذكروا فضائل الشهر ومدح الخليفة والصوفيات ، وقام كل من الجماعة للرقص .

ولم يزالوا الى أن انقضى من الليل أكثر من نصفه ، فحضر بين يدي الخليفة أستاذ بما أنعم به عليهم وعلى الفرائسين ، وأحضرت جفان القطائف وجرار الجلاب يرسمهم ، فاكلوا وملأوا أكمامهم ، وفضل عنهم ما تخطفه الفرائشون .

ثم جلس الخليفة في السدلا التي كان بها عند الفطور ، وبين يديه المائدة معبأة جميعها من جميع الحيوان وغيره ، والقعبة الكبيرة الخاص مملوءة أوساطه بالهمة المعروفة ، وحضر الجلوس واستعمل كل منهم ما اقتدر عليه ، وأوما الخليفة بأن يستعمل من القعبة فيفرق الفرائشون عليهم أجمعين . وكل من تناول شيئا قام وقبل الأرض ، وأخذ منه على سبيل البركة لأولاده وأهله - لأن ذلك كان مستقاضا عندهم غير معيب على فاعله - ثم قدمت الصحون الصينية مملوءة قطائف ، فأخذ منها الجماعة الكفاية

وقام الخليفة وجلس بالباذنج ، وبين يديه السحورات المطيبات من لبين رطب

ومخض ، وعدة أنواع عصارات وانطلوات ، وسويق ناعم وجريش ... جميع ذلك بقلوبات وموز ، ثم يكون بين يديه صينية ذهب مملوءة سفوقا . وحضر الجلوس ، وأخذ كل منهم في تقبيل الأرض والسؤال بما ينعم عليه منه . فتناولوه المستخدمون والأستاذون ، وفرقوه ، فأخذوا القوم في أكمامهم ، ثم سلم الجميع وانصرفوا

ومنها الحتم في آخر رمضان : وكان يعمل في التاسع والعشرين منه ... قال ابن المأمون : ولما كان التاسع والعشرين من شهر رمضان ، خرج الأمر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين في كل ليلة برسم السحور ، بحكم أنها ليلة ختم الشهر .

وحضر الأجل الوزير المأمون في آخر النهار الى القصر للفطور مع الخليفة والحضور على الأسطة على العادة ، وحضر اخوته وصومته وجميع الجلوس ، وحضر المقرئون والمؤذنون وسلموا على عاداتهم ، وجلسوا تحت الروشن .

وحمل من عند معظم الجهات والسيدات والميزات من أهل القصور ثلاثي وموكيات مملوءة ماء ملفوفة في عراضى ديبقى ، وجعلها امام المذكورين لتشملها بركة ختم القرآن الكريم ، واستفتح المقرئون من الحمد الى خاتمة القرآن تلاوة وتطريبا .

ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ، ودعا فأبلغ ، ورقع الفرائشون ما أعدوه يرسم الجهات ، ثم كبر المؤذنون وهللوا ، وأخذوا

(١١) من ١٩١٠ ج ١ ، طبع بولاق .

في الصوفيات الى أن ثر عليهم من الروشن
دنانير ودرهم ورباعيات ، وقدمت جفان
التطائف على الرسم مع البندود والحلواء ،
فجروا على عاداتهم وملأوا أكمامهم

ثم خرج أستاذ من باب الدار الجديدة
بخلع خلعه على الخطيب وغيره ، ودرهمهم
تفرق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين .

ذكر ملابهم في اول الشهور

اعلم أن القوم كانوا شيعة ، ثم غلوا حتى
عدوا من غلاة أهل الرفض . وللشيعة في أثناء
الشهور عمل أحسن ما رأيت فيه ما حكاه
أبو الرضاح محمد بن أحمد البيروني في كتاب
« الآثار الباقية عن القرون الخالية » قال ١ :

وفي سنين من الهجرة نجحت ناجمة لأجل
أخذهم بالتأويل الى اليهود والنصارى ، فإذا
لهم جداول وحسابات يستخرجون بها
شهورهم ، ويعرفون منها صيامهم -
والسلون مضطرون الى رؤية الهلال ، وتفقد
ما اكتسب القمر من النور - وجدوهم شاكين
في ذلك ، مختلفين فيه ، مقلدين بعضهم بعضا
في عمل رؤية الهلال بطريق الزيجات .

فرجعوا الى أصحاب علم الهيئة ، فألفوا
زيجاتهم مفتحة بمعرفة أوائل ما يراد من
شهور العرب بصنوف الحسابات ، فظنوا
أنها معسولة لرؤية الأهلة ، فأخذوا بعضها

(١) قوله « ول سنين ... الخ » - هكذا هذه العبارة
موجودة في جميع النسخ التي بيدي . ولا يخفى ما فيها
من الركاكة والسقطة . فتنحروا بمراجعة أصلها . اهـ .
مصحح .

ونسبوه الى جعفر بن محمد الصادق عليهما
السلام ، وزعموا أنه سر من أسرار النبوة .

وتلك الحسابات مبنية على حركات
التدوير الوسطى دون المعدلة ، أو معسولة
على سنة القمر التي هي ثلثمائة وأربعة
وخمسون يوما وخمس يوم وسدس يوم ، وأن
سنة أشهر من السنة تامة ، وستة أشهر
ناقصة ، وأن كل ناقص منها فهو تال تام .

فلما قصدوا استخراج الصوم والفطر بها ،
خرجت قبل الواجب يوم في أغلب الأحوال ،
فأولوا قوله عليه السلام « صوموا لرؤيته
وأفطروا لرؤيته » وقالوا : معنى صوموا
لرؤيته ، أى صوموا اليوم الذي يرى في
عشيه ، كما يقال تهاؤوا لاستقباله ، فيقدم
التهيؤ على الاستقبال .

قال : ورمضان لا ينقص عن ثلاثين يوما
أبدا .

قافلة الحاج : قال في كتاب « النخائر
والتحف » : أن المنفق على الموسم كان في كل
سنة تسافر فيها القافلة مائة ألف وعشرين
ألف دينار : منها ثمن الطيب والحلواء
والشمع راتبا في كل سنة عشرة آلاف دينار ،
ومنها نفقة الوفد الواصلين الى الحضرة أربعون
ألف دينار ، ومنها في ثمن الحمايات والصدقات
وأجرة الجمال ومعونة من يسير من العسكرية
وكبير الموسم وخدم القافلة وخفر الآبار وغير
ذلك ستون ألف دينار . وإن النفقة كانت في
أيام الوزير البازوري قد زادت في كل سنة ،
وبلغت الى مائتي ألف دينار ، ولم تبلغ النفقة
على الموسم مثل ذلك في دولة من الدول .

موسم عيد الفطر : وكان لهم في موسم
عيد الفطر عدة وجوه من الخيرات : منها
تفرقة الفطرة ، وتفرقة الكسوة ، وعسل
الساط ، وركوب الخليفة لصلاة العيد . وقد
تقدم ذكر ذلك كله فيما سبق .

عيد النحر : فيه تفرقة الرسوم من الذهب
والفضة ، وتفرقة الكسوة لأرباب الخدم من
أهل السيف والقلم ، وفيه ركوب الخليفة
لصلاة العيد ، وفيه تفرقة الأضاحى ... كما مر
ذلك مبينا في موضعه من هذا الكتاب .

عيد الغدير : فيه تزويج الأيامى ، وفيه
الكسوة وتفرقة الهبات لكبراء الدولة
ورؤسائها وشيوخها وأمرائها وضيوفها
والأستاذين المحنكين والمميزين ، وفيه النحر
أيضا وتفرقة النحائر على أرباب الرسوم ،
وهنق * الرقاب وغير ذلك ... كما سبق بيانه
فيما تقدم .

كسوة الشتاء والصيف : وكان لهم في كل
من فصلي الشتاء والصيف كسوة تفرق على
أهل الدولة وعلى أولادهم ونسائهم . وقد مر
ذكر ذلك .

موسم فتح الخليج : وكانت لهم في موسم
فتح الخليج وجوه من البر : منها الركوب
لتخليق المقياس ، ومبيت القراء بجامع
المقياس ، وتشريف ابن أبي الرداد بالخلع
وغيرها ، وركوب الخليفة الى فتح الخليج ،
وتفرقة الرسوم على أرباب الدولة من الكسوة
والعين والمآكل والتحف . وقد تقدم تفصيل
ذلك .

(*) من ١٩٢٢ سنة ١٠٠٠ هـ - طه بلاق .

ذكر النوروز

وكان النوروز القبطي في أيامهم من جملة
المواسم . فتحتل فيه الأسواق ، ويقتل فيه
سعى الناس في الطرقات ، وتفرق فيه الكسوة
لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسائهم
والرسوم من المال وحوائج النوروز .

قال ابن زولاق : وفي هذه السنة (يعنى
سنة ثلاث وستين وثلثمائة) منح المزمز لدين الله
من وقود النيران ليلة النوروز في السكك ،
ومن صب الماء يوم النوروز .

وقال في سنة أربع وستين وثلثمائة : وفي
يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران ،
وطاف أهل الأسواق ، وصلوا فيلة وخرجوا
الى القاهرة بلعبهم ، ولعبوا ثلاثة أيام ،
وأظهروا الساجات والحلى في الأسواق . ثم
أمر المزمز بالنداء بالكف ، وألا توقد نار ،
ولا يصب ماء . وأخذ قوم فحبسوا ، وأخذ
قوم فطيف بهم على الجبال .

وقال ابن ميسر في حوادث سنة ست عشرة
 وخمسمائة : وفيها أراد الأمر بأحكام الله أن
يحضر الى دار الملك في النوروز الكائن في
جنادى الآخرة في المراكب ، على ما كان عليه
الأفضل بن أمير الجيوش ، فأعاد المأمون عليه
أنه لا يمكن ، فإن الأفضل لا يجرى مجراه
مجرى الخليفة ، وحصل اليه من الثياب الفاخرة
يرسم النوروز للجهات ما له قيمة جلية .

وقال ابن المأمون : وحل موسم النوروز في
التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ،
ووصلت الكسوة المختصة به من الطراز ونحو

الاستكبرية ، مع ما يحتاج من القلب للتعبة
والترديد والسودج ، وأطلق جميع ما هو
من المنكرات الرجالية والصلابة
وعلى الورود ، ربيع الحسنات المصونة
بقرص على اختلافها بضميلها وأسماء
الزواجا .

وأما التورود : البطيخ ، والرمضان ،
والسودج ، والقرابة البسر ، وأما
الشمس القوي ، وأما السرجيل ، وكل
الرسائل من لم السراج ولم الشان
ولم البقر ، من كل لون بكفة مع خبز
طري .

قال : ولما كتب القدر الايات بما
جرت الصلوة من لائق الن والورق
والكسوت على اختلافها في يوم التورود ،
وفي ذلك من جميع الحسنات ، وهو أربعة
آلاف دينار وخمسة عشر ألف درهم فقة ،
والكسوت عدة كثيرة من شقق ديتي
منجيات وحريريات ومماير وعصائب
مشومات ملوكت وشقق لاذ منج وحرير
المنج ، وقوط ديتي حريري .

فما بين الورق والكسوت ، فذلك لا
يخرج من تعوزه التصور ودار الوزارة
والشيوخ والأساطب والعتاشي والمستخفي
ورؤساء الشاربات ومطابخها ، ولم يكن
لأحد من الأمراء على اختلاف درجاتهم في
ذلك نصيب .

ولما ألتفت من البطيخ والرمضان والبسر
والشمس والسرجيل والصلابة والهراس على
اختلافها ، فمثل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ،
وخركم في ذلك جميع الأمراء أرباب

الأملاك والأصناف وسائر الأمان ، وقد تقدم
شرح ذلك ، فوضع الوزير للأمن على جميع
ذلك بالاتفاق .

وقال القاضي القاضل في تعليق التجلدات
لثة أربع وثمانين وخمسمائة : يوم الثلاثاء
رابع عشر رجب يوم التورود القبطي ، وهو
مستهل ثوت - وتوت أول شهر - وقد
كان عصر في الأيام الماضية والدولة الخالية
(يعني دولة الظفراء القاطنين) من مواسم
بطالهم ، ومواقيت ضلالهم . فكانت
للمنكرات ظاهرة فيه ، والقواش صريحة في
يومه .

وركب فيه أمير موسوم بأمير التورود
ومعه جمع كبير ، وتسلط على الناس في طلب
رسم وتبته على دور الأكابر بالجل الكبار ،
ومكتب منشير ، وشطب مرمي . كل
ذلك يخرج مخرج الطير ، ويقع بالميسور من
الحيات .

وتجمع المؤثون والقاسقات تحت قصر
القلوة بحيث يشاهد من الخليفة ، وبأيديهم
اللاهي ، وترقع الأصوات ، وتشرب الخمر
واللور شربا ظاهرا بينهم وفي الطرقات ،
وتتراش الناس بالماء ، وبلاء والخمر ، وبلاء
مزوجا بالأقدار .

فإن غلط مستور وخرج من داره ، لقيه من
يرشه وضد ثيابه ، ويستخف بعمرته ، فاما
قلبي قسه واما قضع . ولم يجر - الحال في
هذا التورود على هذا ، ولكن قد رشح الماء في
الطارات ، وأحيا المنكر في الدور أرباب
الخسارات .



« تصوره دار التحرير للطبع والنشر »

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأبنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
بولاق
سنة ١٢٧٠ هجرية

الثن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِئِي

٢٤

كتاب
التحرير



وكانت مصر هي مستقر رأسي، وطلب أترابي، وجمع ناسي، وبنى عشيرتي وعاصمتي،
وموطن قباصتي وعاصمتي، وجهز هبؤي الذي ربي بهنامي في وكرو، وعش ماري، فهو
تهوى الأنفس غير ذكره. لا زلت منذ شذويت العالم، وأتاني رب الظلمات والغم، أرب في
معرفة أخبارها، وأحب الإشراف على الاعتراف من آبارها، وألغى مسادلة الكيان عن سكان ديارها.
تقى الدين أحمد بن علي المقرئ

وقال في سنة اثنين وتسعين وخمسمائة :
وجرى الأمر في النوروز على العادة من رش
الماء ، واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض
والتصافح بالأنطاع ، واقطع الناس عن
التصرف ، ومن غفر به في الطريق رش بمياه
نجسة وخرق به .

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : ان أول من
اتخذ النوروز جمشيد - ويقال في اسمه أيضا
جمشاد - أحد ملوك الفرس الأول . ومعناه
اليوم الجديد . وللفرس فيه آراء وأعمال على
مصطلحهم ، غير أنه في غير هذا اليوم .

وقد صنف على بن حميرة الأصفهاني كتابا
مفيدا في أعياد الفرس .

وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر ، من
طريق حماد بن سلمة ، عن محمد بن زياد ،
عن أبي هريرة قال : كان اليوم الذي رد الله
فيه إلى سليمان بن داود خاتمه يوم النوروز ،
فجاءت إليه الشياطين بالتحف ، وكانت تحفة
الخطاطيف أن جاءت بالماء في مناقيرها فرشته
بين يدي سليمان . فاتخذ الناس رش الماء من
ذلك اليوم .

وعن مقاتل بن سليمان قال : سمي ذلك
اليوم نيروزا ، وذلك أنه وافق هذا اليوم
الذي يسمونه التيروز ، فكانت الملوك تتيمن
بذلك اليوم ، واتخذوه عيدا ، وكانوا يرشون
الماء في ذلك اليوم ويهدون كفعل الخطاف ،
ويتيمنون بذلك .

والله در القائل :

كيف ابتهاجك بالنوروز ياسكني
وكل ما فيه يحكيني وأحكيه

فناره كليب النار في كبدى
وماؤه كسوالى دمتى فيه
وقال آخر :

نوروز الناس ونوروز ت ولكن بدموعى
وذكت نارهم والنار ما بين ضلوعى

وقال غيره :

ولما أتى النوروز ياغاية المنى
وأنت على الأعراض والهجر والصيد

بعثت بشار الشوق ليلا إلى الحشى
فنورزت صبحا بالدموع على الخد

الميلاد : وهو اليوم الذي ولد فيه عبد الله
ورسوله المسيح عيسى بن مريم صلى الله عليه
وسلم . والنصارى تتخذ ليلة يوم الميلاد عيدا ،
وتعمله قبط مصر في التاسع والعشرين من
كبهك . وما يرح لأهل مصر به اعتناء .

وكان من رسوم الدولة الفاطمية فيه تفرقة
الجماعات المملوءة من الحلاوات القاهرية ،
والمترار التى فيها السمك ، وقرابات انجلاب
وطيافير الزلاية والبورى . فيشمل ذلك
أرباب الدولة أصحاب السيوف والأقلام ،
بتقرير معلوم على ما ذكره ابن المأمون في
تاريخه .

الغطاس : ومن مواسم النصارى بمصر عمل
الغطاس في اليوم الحادى عشر من طوبة .

قال المسعودى في « مروج الذهب » :
وليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها
لا ينام الناس فيها ، وهى ليلة إحدى عشرة من
طوبة .

ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة
القطاس بمصر ، والاخشيذ محمد بن طنج في
داره المرولة بالمختار في الجزيرة الراكبة على
النيل ، والنيل مطيف بها . وقد أمر فأخرج من
جانب الجزيرة وجانب القضاة ألف مشعل
غير ما أخرج أهل مصر من المشاعل والنسج .

وقد حضر النيل في تلك الليلة مئو ألف
من الناس من المسلمين والنصارى ، منهم في
الزوارق ، ومنهم في الدور الداية من النيل ،
ومنهم على الشطوط . لا يتسكرون كل ما
يسكنهم اظهاره من المأكول والمشروب والآلات
الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف
والقصف .

وهي أحسن ليلة تكون بمصر ، وأشملها
سرورا ، ولا تغلق فيها الدروب ، ويقطس
أكثرهم في النيل ، ويؤمنون أن ذلك أمان من
المرض وتثيرة للداء .

وقال المسيحي في سنة ثمان وثمانين
وثلاثمائة : كان غطاس النصارى ، فضربت
الخيام والمضارب والأشترعة في عدة مواضع
على شاطئ النيل ، فنصبت أسرة للرئيس فهد
ابن إبراهيم النصراني كاتب الأستاذ يرجوان ،
وأوقعت له الشموع والمشاعل ، وحضر
المغنون والمهون ، وجلس مع أهله يشرب إلى
أن كان وقت الغطاس ، فقطس وانصرف .

وقال في سنة خمس عشرة وأربعمائة :
وفي ليلة الأربعاء رابع ذي القعدة ، كان
غطاس النصارى ، فجرى الرسم من الناس
في شراء الفواكه والضأن وغيره ، ونزل أمير
المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم

لقصر جده العزيز بالله بمصر ، لنظر الغطاس
ومعه الحرم .

ونودي ألا يختلط المسلمون مع النصارى
عند نزولهم إلى البحر في الليل ، وضرب بدر
الدولة الخادم الأسود ، متولى الشرطين ،
خيمة عند الجسر ، وجلس فيها .

وأمر الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله بأن
توقد المشاعل والنار في الليل ، فكان وقيدا
كثيرا ، وحضر الرهبان والقسوس بالصليان
والنيران ، فقصوا هناك طويلا إلى أن
غطوا .

وقال ابن المأمون : أنه كان من رسوم الدولة
أنه يفرق على سائر أهل الدولة الترنج
والنارنج والليون المراكبي ، وأطنان القصب
والسك والبوري ، برسوم مقررة لكل واحد
من أرباب السيوف والأقلام .

خمس العهد : ويسميه أهل مصر من العامة
خيس العدس ، ويعمله نصارى مصر قبل
الفصح بثلاثة أيام ، ويتهادون فيه . وكان من
جملة رسوم الدولة الفاطمية في خيس العدس
ضرب خمسمائة دينار ذهبيا عشرة آلاف
خروبة ، وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم
كما تقدم .

أيام الركوبات : وكان الخليفة يركب في كل
يوم سبت وثلاثاء إلى متزهاته بالبساتين
والتاج وقبة الهواء والخمس وجوه وبساتين
البلع ودار الملك ومنازل العز والروضة ،
فيجمع الناس في هذه الأيام من الصدقات أنواع
ما بين ذهب ومأكول وأشربة وحلاوات ، وغير

(١٥٠) من ١٩١ ج ١ ، ط ١٩٧٠

ذلك كما تقدم يسانه في موضعه من هذا
الكتاب .

صلاة الجمعة : وكان الخليفة يركب في كل
سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس : في
جامع القاهرة الذي يعرف بالجامع الأزهر
مرة ، وفي جامع الخطبة المعروف بالجامع
الحاكمي مرة ، وفي جامع عمرو بن العاص
بمصر أخرى . فينال الناس منه في هذه الجمع
الثلاث رسوم وهبات وصدقات ، كما ستقف
عليه أن شاء الله تعالى عند ذكر الجامع
الأزهر .

وكان في القبة عمارة البني ، فقد ضمن
مرثيته أهل القصر جملا مما ذكر . وهي
القصيدة التي قال ابن سعد فيها : « ولم يسمع
فيما يكتب في دولة بعد اقتراضها أحسن
منها » :

رمت يادهر كف المجد بالشلل
وجيده بعد حسن الحل بالعلل
سمعت في منهج الرأي العشور فان
قدرت من عشرات الدهر فاستقل
جدعت مارتك الأتني فاتفك لا
ينفك ما بين قرع السن والخجل
هدمت قاعدة المعروف عن عجل
سمعت مهلا أما تمشي على مهل
لهني ولهف بني الآمال قاطبة
على فجيئتها في أكرم الدول
قدمت مصر فأولتني خلائفها
من المكارم ما أرى على الأمل
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن
كمالها أنها جاءت ولم أسل

وكنيت من وزراء ألدست حتى سما
رأس الحصان يهاديه على الكتل

ونلت من عطاء الجيش مكرمة
وخلة حرست من عارض الخلل
ياغاذلي في هوى أبناء فاطمة
لك الملاحة أن قصرت في عدلي

بالله در ساحة القصرين وإبك معي
عليهما لا على صفين والجلل
وقل لأهليهما والله ما التحت
فيكم جراحى ولا فرحى بسندمل

ماذا عسى كانت الافرنج فاعلة
في نسل آل أمير المؤمنين على

هل كان في الأمر شيء غير قسمة ما
ملكتم بين حكم السبي والنفل

وقد حصلت عليها واسم جدكم
محمد وأبوكم غير متقل

مرت بالقصر والأركان خالية
من الوقود وكانت قبلة القبل

فملت عنها بوجهي خوف متقد
من الأعادي ووجه الود لم يمل

أسلت من أسفى دمعى غداة خلت
رحابكم وغدت مهجورة السبل

أبكى على ما تراءت من مكارمكم
حال الزمان عليها وهي لم تحل

دار الضيافة كانت أنسى وافدكم
واليوم أوحش من رسم ومن طلل

وفطرة الصوم إذ أضحيت مكارمكم
تشكو من الدهر حيفا غير محتل

وكسوة الناس في القصلين قد درست
ورث منها جديد عندهم وبلى
وموسم كان في يوم الخليج لكم
باني تجللكم فيه على الجبل
وأول العام والمدين كم لكم
فيهن من ويل جود ليس بالوئيل .
والأرض تهتز في يوم القدير كما
يهتز ما بين قصركم من الأسل
والخيل تعرض في وئيل وفي شية
مثل العرائس في حلى وفي حل
ولا حلتكم قرى الأضياف من سعة الأ
طبايق الا على الأكشاف والمجل
وما خصتم بئر أهل ملتكم
حتى عستم به الأقصى من الملل
كانت روايتكم للذمتين ولا
ضيف المقيم وللطاري من الرسل
ثم الطراز بتيس الذي عظمت
منه الصلات لأهل الأرض والدول
وللجوامع من احافكم نعم
لمن تصدر في علم وفي عل
وربما عادت الدنيا فمعلها
منكم وأضحت بكم محلولة العقن
والله لا فاز يوم الحشر ميفضكم
ولا نجيا من عذاب الله غير ولي
ولا سقى الماء من حر ومن ظمأ
من كف خير البرايا خاتم الرسل
ولا رأى جنة الله التي خلقت
من خان عهد الامام العاضد بن علي
(هـ) سنة ١١٩٠ هـ ، طبرستان .

أمتي وهدائي والخيرة لي
إذا ارتفعت بما قدمت من علي
تأله لم أوفهم في المدح حقهم
لأن فضلهم كالوابل المثل
ولو تضاعفت الأقوال واتسعت
ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل
باب النجاة هم دنيا وآخرة
وحبهم فهو أصل الدين والعمل
نور الهدى ومصابيح الدجى ومه
ل الغيث ان ربت الأنواء في المحل
ائسة خلقوا نورا فنورهم
من محض خالص نور الله لم يقل
والله اما زلت عن حبي لهم أبدا
ما أخر الله لي في مدة الأجل
وبسب هذه القصيدة قتل عبارة رحمه
الله ، وتمحلت له الذلوب ... انتهى ما ذكره
رحمه الله تعالى .

ذكر ما كان من أمراء القصرين والمناظر بعد زوال الدولة الفاطمية

ولما مات العاضد لدين الله في يوم عاشوراء
سنة سبع وستين وخمسة ، احتاط الطواشي
قراقوش على أهل العاضد وأولاده - فكانت
عدم الإشراف في القصور مائة وثلاثين ،
والأصقال خمسة وسبعين - وجعلهم في مكان
أفرد لهم خارج القصر ، وجمع عيومتهم
وعشيرتهم في ايوان بالقصر واحترز عليهم ،
وفرق بين الرجال والنساء لئلا يتاسلوا ،
وليكون ذلك أسرع لاقتراضهم .

وتسلم السلطان صلاح الدين يوسف بن
أيوب القصر بما فيه من الخزائن والدواوين
وغيرها من الأموال والنقائس ، وكانت عظيمة
الوصف ، واستعرض من فيه من الجوارى
والعبيد ، فأطلق من كان حرا ، ووهب
واستخدم باقيهم ، وأطلق البيع في كل جديد
وعتيق ، فاستمر البيع فيما وجد بالقصر عشر
سنين .

وأخلى القصور من سكانها ، وأغلق
أبوابها ، ثم ملكها أمراءه وضرب الألواح
على ما كان للخلفاء وأبناهم من الدور
والرباع ، وأقطع خواصه منها وباع بعضها ،
ثم قسم القصور : فأعطى القصر الكبير للأمراء
فكنوا فيه ، وأسكن أباه نجم الدين أيوب
ابن شادى في قصر اللؤلؤة على الخليج ،
وأخذ أصحابه دور من كان ينسب الى الدولة
الفاطمية . فكان الرجل اذا استحسن دارا
أخرج منها سكانها ونزل بها .

قال القاضي الفاضل : وفي ثالث عشره
(يعنى ربيعا الآخر سنة سبع وستين) كشف
حاصل الخزائن الخاصة بالقصر ، فقليل ان
الموجود فيه مائة صندوق كسوة فاخرة من
موشح ومرصع وعقود ثمينة وفخائر فخمة
وجواهر نفيسة ، وغير ذلك من ذخائر جمة
الخطر . وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش
وبيان .

وأخليت أمكنة من القصر الغربي سكن
بها الأمير موسك ، والأمير أبو الهيجاء
السجنى وغيره من الغز ، وملك المناظر
المصونة عن الناظر ، والمتزهات التي لم يخطر

ابتذالها في خاطر . فسبحان مظهر العجائب
ومحدثها ، ووارث الأرض ومورثها .

قال : ومقدار ما يحسن أنه خرج من
القصر ، ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر
ونحاس وملبوس وأثاث وقماش وسلاح ، ما
لا ينفى به ملك الأكاسرة ، ولا تتصوره
الخواطر الحاضرة ، ولا يشتغل على مثله
الممالك العامرة ، ولا يقدر على حيايه الا من
يقدر على حساب الخلق في الآخرة .

وقال الحافظ جمال الدين يوسف
اليعمورى : وجدت بخط المذهب أبى طالب
محمد بن على بن الخيسى : حدثنى الأمير
عبد الدين مرهف بن مجد الدين سويد
الدولة بن منقذ ، أن القصر أغلق على ثمانية
عشر ألف نسمة : عشرة آلاف شريف وشرفه ،
وثمانية آلاف عبد وخادم وأمة ومولدة
وتربية .

وقال ابن عبد الظاهر عن القصر لما أخذه
صلاح الدين وأخرج من به : كان فيه اثنا
عشر ألف نسمة ليس فيهم فحل الا الخليفة
وأهله وأولاده ، ولما أخرجوا منه أسكنوا في
دار المنظر .

وقبض أيضا صلاح الدين على الأمير داود .
ابن العاضد - وكان ولي العهد ، وبنت
بالحامد لله - واعتقل معه جميع أخوته الأمير
أبو الأمانة جبريل ، وأبو الفتوح ، وإبنة
أبو القاسم ، وسليمان بن داود ، وعبد
الظاهر حيدرة بن العاضد ، وعبد الوهاب بن
ابراهيم بن العاضد ، واسماعيل بن العاضد ،

(هـ) سنة ١١٩٠ هـ ، طبرستان .

وجعفر بن أبي الظاهر بن جبريل ، وعبد
الظاهر بن أبي الفتوح بن جبريل بن الحافظ ،
وجماعة من بني أعصاه .

فلم يزالوا في الاعتقال بدار الأفضل من
حارة برجوان ، إلى أن انتقل الملك الكامل
محمد بن العادل بن أبي بكر بن أيوب من
دار الوزارة بالقاهرة إلى قلعة الجبل ، فنقل
معه ولد العاضد وأخوته وأولاد عمه واعتقلهم
بالقلعة ، وبها مات العاضد . واستمر البقية
حتى انقرضت الدولة الأيوبية .

وملك الأتراك إلى أن تسلط الملك الظاهر
ركن الدين بيبرس البندقداري . فلما كان في
سنة ستين وستائة ، أشهد على من بقي منهم
— وهم كمال الدين اسماعيل بن العاضد ،
وعباد الدين أبو القاسم بن الأمير أبي الفتوح
ابن العاضد ، وبدر الدين عبد الوهاب بن
إبراهيم بن العاضد — أن جميع المواضع التي
قبل المدارس الصالحة من القصر الكبير ،
والموضع المعروف بالتربة ظاهرا وباطنا بخط
الخوخ السبع ، وجميع الموضع المعروف
بالقصر الياضي بالخط المذكور ، وجميع
الموضع المعروف بسكن أولاد شيخ الشيوخ
وغيرهم من القصر الشارع باب قباله دار
الحديث النبوي الكاملة ، وجميع الموضع
المعروف بالقصر الغربي ، وجميع الموضع
المعروف بدار الفطرة بخط المشهد الحسيني ،
وجميع الموضع المعروف بدار الضيافة بخارة
برجوان ، وجميع الموضع المعروف بالؤلؤة ،
وجميع قصر الزمرذ ، وجميع البستان
الكافوري ... ملك لبيت المال المولوي
السلطاني الملكي الظاهري ، من وجه صحيح

شرعي لا رجعة لهم فيه ، ولا لواحد منهم في
ذلك ولا في شيء منه ، ولا مثوبة بسبب يد
ولا ملك ولا وجه من الوجوه كلها ، خلا
ما في ذلك من مسجد لله تبارك وتعالى أو
مدفن لأبائهم .

وورخ ذلك الاثهاد بثالث عشر ربيع
الأول سنة ستين وستائة ، وأثبت على قاضي
القضاة صاحب تاج الدين عبد الوهاب بن
بنت الأعر الشافعي رحمه الله تعالى . وتقرر
مع المذكورين أن مهما كان قبضوه من أثمان
بعض الأماكن المذكورة التي عاقد عليها
وكلاؤهم ، واتصلوا إليه ، يحاسبوا به من
جيلة ما يحرز ثمنه عند وكيل بيت المال .

وقبضت أيدي المذكورين عن التصرف في
الأماكن المذكورة وغيرها ورسم بيعها . فباعها
وكيل بيت المال كمال الدين ظافر أولا فأولا ،
وتقتض شيئا فشيئا ، وبني في أماكنها ما يأتي
ذكره إن شاء الله تعالى .

واشترى قاعة السدرة بجوار المدرسة
والتربة الصالحة قاضي القضاة شمس الدين
محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن
منور المقدسي الحنبلي ، مدرس الحائلة
بالمدرسة الصالحة ، بألف وخمسة وسبعين
دينارا ، في رابع جمادى الآخرة سنة ستين
وستائة ، من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر
وكيل بيت المال ، ثم باعها المذكور للملك
الظاهر بيبرس في حادى عشرى جمادى الآخرة
المذكور .

وقاعة السدرة هذه ، قد صارت هي وقاعة
الخيم أصل المدرسة الظاهرية الركنية
البيرسية البندقدارية .

قال القاضي القاضى : وفي يوم الاثنين
سادس شهر رجب (يعنى من سنة أربع وثمانين
وخمسمائة) ظهر تسحب رجلين من المعتقلين
في القصر : أحدهما من أقارب المستصر ،
والآخر من أقارب الحافظ .

وأكبرهما سنا كان معتقلا بالايوان . حدث
به مرض وأثنى فيه ، ففك حديدته وقتل إلى
القصر الغربى في أوائل سنة ثلاث وثمانين ،
واستمر لما به ولم يستقل من المرض ، وطلب
ففقد ، واسمه موسى بن عبد الرحمن أبي
حسزة بن حيدرة بن أبي الحسن أخى
الحافظ .

واسم الآخر موسى بن عبد الرحمن بن أبي
محمد بن أبي اليسر بن محسن بن المستصر ،
وكان طفلا في وقت الكائنة بأهله ، وأقام
بالقصر الغربى مع من أسر به إلى أن كبر
وشب .

قال : وذكر أن القصر الغربى قد استولى
عليه الخراب ، وعلا على جدرانها التثعب
والهدم ، وأنه يجاور اصطبلات فيها جماعة
من المفسدين ، وربما تسلق إليه للتطرق
للنساء المعتقلات . والمتسلق منه إذا قويت
نفسه على التسحب لم تكن عقلته في القصر
المذكور مانعة من التسحب .

قال : وعدد من بقى من هذه الذرية ، بدار
المظفر والقصر الغربى والايوان ، مائتان واثنان
وخمسون شخصا : ذكور ثمانية وتسعون ،
واناث مائة وأربعة وخمسون ... تفصيله :

المقيمون بدار المظفر أحد وثلاثون * ذكور
أحد عشر كلهم أولاد العاضد لصلبه . اناث

عشرون بنات العاضد ، خمسة أخوته ، أربع
بجيات العاضد ، أربع بنات الحافظ ، ثلاث
بجيات يوسف ابنه ، وجبريل ابن عمه أربع .

المعتقلون بالايوان خمسة وخمسون رجلا ،
منهم الأمير أبو الظاهر بن جبريل بن الحافظ .

المقيمون بالقصر الغربى مائة وستة وستون
شخصا : ذكور اثنان وثلاثون ، أكبرهم عمره
عشرون سنة ، وأصغرهم عمره سبع عشرة
سنة . اناث مائة وأربع وثلاثون : بنات أربع
وستون ، أخوات وعصات وزوجات سبعون .

قال : وفي جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين
وخمسمائة ، كانت عدة من في دار المظفر بخارة
برجوان ، والقصر الغربى والايوان ، من أولاد
العاضد وأقاربه ومن معهم مضافا إليهم ،
ثلاثمائة واثنين وسبعين نفسا : دار المظفر
أحرار ومساكين مائة وست وستون نفسا .
القصر الغربى أحرار مائة وأربعون نفسا .
الايوان تسعة وسبعون رجلا بالفون .

وأما منازل العز فاشتراها الملك المظفر تقي
الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب
ابن شادى في نصف شعبان سنة ست وستين
وخمسمائة ، وجعلها مدرسة للفقهاء الشافعية
واشترى الروضة وجعلها وقفا على المدرسة
المذكورة . والله تعالى أعلم بالصواب ، وإليه
المرجع والمآب ، وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وسلم * .

ذكر حرات القاهرة وقواهرها

قال ابن سيده : والحارة كل محلة ذات سائر لها . قال : والحارة منزل النعم .

وبالقاهرة وقواهرها عدة حارات ، وهي : « حارة جهنم القين » : هذه الحارة كانت قديما خارج باب الترحيق الذي وضعه القائد جوهر عندما لقط أسس القاهرة من الطوب التي . وقد بقي من هذا الباب عتبة يرمى حارة جهنم القين .

وصلت هذه الحارة اليوم من داخل باب الترحيق الذي وضعه أمير الحيوات بدر الجاني ، وهو الموجود الآن .

وحد هذه الحارة عرضا من خط باب الترحيق الآن إلى خط حارة الورقة يسوق للمرحطين ، وحدها طولاً فيما وراء ذلك إلى خط باب المنيرة .

وكانت هذه الحارة تعرف بحارة الرياحية والوزيرية - وهما عاتقتان من طوائف عسكر الخلفاء القاطنين - قال بها كانت ساكنهم ، وكان فيها لهاتين الطائفتين دور عطية وحواريت عديدة . وقبل لها أيضا بن الحارثين ، وانصلت العمارة إلى السور .

ولم تزل الرياحية والوزيرية بهذه العمارة إلى أن كانت واقعة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالميد .

ذكر القصة التي د

وسببها أن مؤمن الخلافة جوهر - أحد الأساقفة الحكيم - بالقصر - تحدث في إزالة صلاح الدين يوسف بن أيوب من وزارة الخليفة العاضد لدين الله عندما ضايق أهل القصر ، وشدد عليهم ، واستبد بأمر الدولة ، وأضعف بجانب الخلافة ، وقبض على أكابر أهل الدولة .

فصار مع جوهر عدة من الأمراء المصريين والجنود ، واتفق رأيهم أن يبعثوا إلى الفرنج يلاذ الساحل يستلغونهم إلى القاهرة ، حتى إذا خرج صلاح الدين إلى قتالهم بمصر ، قروا وهم بالقاهرة ، واجتمعوا مع الفرنج على إخراجهم من مصر .

فسيروا رجلا إلى الفرنج ، وجعلوا كتبهم التي معه في نخل ، وحفظت بالجلد مخافة أن يظن بها . فسار الرجل إلى البحر الأبيض قريبا من بليس ، فأذ بعض أصحاب صلاح الدين هناك ، فأنكر أمر الرجل من أجل أنه جعل النخلين في يده ، ورأها وليس فيها أثر لشيء والرجل رث الهيئة ، فأرتاب وأخذ النخلين وشقهما فوجد الكتب مبطنتهما .

فحمل الرجل والكتب إلى صلاح الدين ، فتبع خطوط الكتب حتى عرفت ، فإذا الذي كتبها من اليهود الكتاب ، فأمر بقتله ، فاعتصم بالإسلام وأسلم ، وحده الخير .

(1) الحكيم : العاقل . كما يؤخذ من «القبوري» .

فبلغ ذلك مؤمن الخلافة ، فاستعمر الشر ، وخاف على نفسه ، ولزم القصر ، وامتنع من الخروج منه . فعرض صلاح الدين عن ذلك جيلة .

وطال الأمد ، فظن الخصم أنه قد أهمل أمره ، وشرع يخرج من القصر ، وكانت له منقرة بناها بناحية الخرقاسة في بستان ، فخرج إليها في جساعة . وبلغ ذلك صلاح الدين ، فأهض إلى عدة مجسوا عليه ، وقتلوه في يوم الأربعاء لحس بقين من ذي القعدة سنة أربع وستين وخمسة ، واحتروا رأسه وأثروا بها إلى صلاح الدين .

فاشتهر ذلك بالقاهرة وأشيع ، فغضب المسكر المصري ، وثاروا بأجسهم في سادس عشره ، وقد انضم اليهم عالم عظيم من الأمراء والعامه حتى صاروا ما ينيف على خمسين ألفا ، وساروا إلى دار الوزارة ، وفيها يومئذ ساكنا بها صلاح الدين ، وقد استعدوا بالأسلحة .

فبادر شمس الدولة فخر الدين نوران شاه أخو صلاح الدين ، وصرخ في عساكر الغز ، وركب صلاح الدين وقد اجتمع إليه طوائف من أهله وأقاربه وجيش الغز ، ورتبهم ووقت الطائفة الرياحية ، والطائفة الجيوشية والطائفة الفرجية ، وغيرهم من الطوائف السودانية ، ومن انضم اليهم بين القصرين .

فثارت الحروب بينهم وبين صلاح الدين ، واشتد الأمر ، وعظم الخطب حتى لم يبق إلا هزيمة صلاح الدين وأصحابه . فعند ذلك

(2) من 1 ج 2 ، ط. بولاق .

أمر نوران شاه بالحملة على السودان ، فقتل فيها لحد مقدميهم ، فأنكف بأسمهم قليلا ، وعطت حملة الغز عليهم ، فأنكسروا إلى باب الذهب ثم إلى باب الزهومة ، وقتل حينئذ عدة من الأمراء المصريين وكثير من عداهم .

وكان العاضد في هذه الواقعة يشرف من المنقرة . فلما رأى أهل القصر كسرة السودان وعساكر مصر ، رموا على الغز من أعلى القصر بالنشاب والحجارة حتى أنكروا فيهم ، وكفهم عن القتال وكادوا ينهزمون . فأمر حينئذ صلاح الدين التفاضلين بإحراق المنقرة ، فأحضر شمس الدولة التفاضلين ، وأخذوا في تطيب قارورة النفط ، وصوبوا بها على المنقرة التي فيها العاضد .

فخاف العاضد على نفسه ، وفتح باب المنقرة زعيم الخلافة أحد الأساقفة ، وقال بصوت عال : أمير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ، ويقول دولكم والعبيد الكلاب ، أخرجوهم من بلادكم .

فلما سمع السودان ذلك ضعفت قلوبهم وتخاذلوا ، فحصل عليهم الغز فأنكسروا ، وركب القوم أقيمتهم إلى أن وصلوا إلى السيوفين ، فقتل منهم كثير وأسر منهم كثير ، وامتصوا هناك على الغز بسان فأحرق عليهم .

وكان في دار الأرمن التي كانت قريبا من بين القصرين خلق عظيم من الأرمن كلهم رماة ، ولهم جار في الدولة يجسرى عليهم ، فعندما قرب منهم الغز رموهم عن يد واحدة ، حتى امتصوا عن أن يسيروا إلى الميد ،

فأحرق شمس الدولة دارهم حتى هلكوا حرقاً
وقتل ، وبنوا إلى العيد .

فصاروا كما دخلوا مكاناً لحرق عليهم ،
وتكاثروا فيه ، إلى أن وصلوا إلى باب زويلة ،
فكان هو مفتوح ، فحصبوا هناك ، واستمر
فيهم القتل مدة يومين ، ثم بلغهم أن صلاح
الدين أحرق المنصورة التي كانت أعظم
حصونهم .

ونفذت عليهم أموال السكك ، فقبضوا
أنهم قد أخذوا لا مطاعة ، فسلحوا : الأمان ،
فأمروا ، وذلك يوم السبت لثلاثين بقية من
ذي القعدة ، وفتح لهم باب زويلة ، فخرجوا
إلى الحيزة . فمدا عليهم شمس الدولة في
المسكر - وقد قوروا بأموال المهزومين
وأسلحتهم - وحكوا فيهم اليف حتى لم
يبق منهم إلا الشريد ، وثلاثين من هذه الواقعة
أمر العاضد .

وكان من غرائب الاتفاقات أن الدولة
القاطية كان الذي اقتح لها بلاد مصر وبني
القاهرة جوهر القائد ، والذي كان سياً في
إزالة الدولة وخراب القاهرة جوهر المنصور
بؤنن الخلافة هذا .

ثم لما استبد صلاح الدين يوسف بسلطة
الديار المصرية ، بعد موت الخليفة العاضد
لدين الله ، سكن هذه الحارة الأمير الطوائى
الخصى بهاء الدين قراقوش بن عبد الله
الأسدي ، فعرفت به .

« حارة برجوان » : منسوبة إلى الأستاذ
أبي القحح برجوان الخادم . وكان خصياً
أيضاً تام الخلق ، ربي في دار الخليفة العزيز

بالله ، وولاه أمر المنصور ، فلما حضرته الوفاة
وصاه على ابنه الأمير أبي علي منصور .

فلما مات العزيز بالله ، أقيم ابنه منصور في
الخلافة من بعده ، وقام بتدبير الدولة أبو
محمد الحسن بن عمار الكتامي ، فدير الأمور
وبرجوان يتأكله فيما يصدر عنه ، ويختص
بطوائف من المسكر دونه ، إلى أن أقعد أمر
ابن عمار . فنظر برجوان في تدبير الأمور يوم
الجمعة ثلاث بقين من رمضان سنة سبع
وشائين وثلاثمائة ، وصار الوسطة بين الحاكم
وبين الناس ، فأمر بجمع القلمان ، وهما من
التعرض لأحد من الكتامين والمغاربة .

ووجه إلى دار ابن عمار ، فسمع الناس عنها
بعد أن كانوا قد أحاطوا بها واتهبوا منها ،
وأمر أن يجري لأصحاب الرسوم والرواتب
جميع ما كان ابن عمار قطعته ، وأجرى لابن
عمار ما كان يجري له في أيام العزيز بالله من
الجرايات لنفسه ولأهله وحرمة .

ومبلغ ذلك من اللحم والتوابل خسارة
دينار في كل شهر ، يزيد عن ذلك أو ينقص
عنه على قدر الأسعار ، مع ما كان له من
القائمة وهو في كل يوم سلة بدينار ، وعشرة
أرطال شع بدينار ونصف ، وحمل بلح .

وجعل كاتبه أبا العلاء . فهد بن إبراهيم
النصراني يوقع عنه ، وينظر في قصص الرافعين
وعظماهم . فجلس لذلك في القصر ، وصار
يطالعه بجميع ما يحتاج إليه .

ورتب القلمان في القصر ، وأمرهم بملازمة
الخدمة وتفقد أحوالهم ، وأزال علل أولياء

(١٠٠) جزء ١ ، طبع في بيروت .

الدولة ، وتفقد أمور الناس وأزال ضرورتهم ،
وسمع الناس كافة من الترجل له .

فكان الناس يلتقونه في داره ، فإذا تكامل
لقاؤهم ركبوا بين يديه إلى القصر ، ما عدا
الحسين بن جوهر والقاضي ابن التمان فقط ،
فانهما كانا يتقدمانه من دورهما إلى القصر أو
يلحقانه ، ويكون سلامهما عليه في القصر ،
حتى أنه لقب كاتبه بهذا بالرئيس ، فصار
يخاطب بذلك ويكتب به .

وكان برجوان يجلس في دهاليز القصر ،
ويجلس الرئيس فهد بالدهليز الأول يوقع
وينظر ، ويطلع برجوان ما يحتاج إليه مما
يطالع به الحاكم ، فيخرج الأمر بما يكون
العمل به .

وترقت أحوال برجوان إلى أن بلغ النهاية ،
فقص من الخدمة ، وتشاغل ببلذاته ، وأقبل
على سماع الغناء ، وأكثر من الطرب . وكان
شديد المحبة في الغناء ، فكان المغنون من
الرجال والنساء يحضرون داره ، فيكون معهم
كأحدهم .

ثم يجلس في داره حتى يبضى صدر النهار ،
وتكامل جميع أهل الدولة وأرباب الأشغال
على باب . فيخرج راكباً ، ويبضى إلى القصر
فيمشي من الأمور ما يختار بغير مشاورة .

فلما تزايد الأمر وكثر استبداده ، تحرد نه
الحاكم ، وتقم عليه أشياء من تجريبه عليه
ومعاملته له بالاذلال وعدم الامتثال ، منها أنه
استدعاء يوماً وهو راكب معه ، فصار إليه
وقد ثنى رجله على عنق فرسه ، وصار باطن
قدمه وفيه الخف قبالة وجه الحاكم ، ونحو
ذلك من سوء الأدب .

فلما كان يوم الخميس سادس عشر شهر
ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة ، أغد إليه
الحاكم عشية للركوب معه إلى المقياس ، فجاء
بعد ما تباطأ وقد ضاق الوقت ، فلم يكن
بأسرع من خروج عتيق الخادم باكياً يصيح :
قتل مولاي . وكان هذا الخادم عيناً لبرجوان
في القصر .

فاضطرب الناس ، وأشرف عليهم الحاكم ،
وقام زيدان صاحب المظلة فصاح بهم : من
كان في الطاعة فليصرف إلى منزله ، ويسكر
إلى القصر المعمور ... فانصرف الجميع .

فكان من خبر قتل برجوان أنه لما دخل
إلى القصر ، كان الحاكم في بستان يعرف
بذويرة التين والعناب ومعه زيدان ، فوافاه
برجوان بها وهو قائم فسلم ووقف ، فسار
الحاكم إلى أن خرج من باب الدويرة ، فوثب
زيدان على برجوان وضربه بسكين كانت معه
في عنقه ، وأبتدره قوم كانوا قد أعدوا للفتك
به ، فأخذوه جراحة بالخناجر ، واحتروا
رأسه ودفنوه هناك .

ثم إن الحاكم أحضر إليه الرئيس فهداً بعد
العشاء الأخيرة ، وقال له : أنت كاتبى .
وأمنه وطنه .

فكانت مدة نظر برجوان في الوساطة سنتين
وشائية أشهر تنقص يوماً واحداً .

ووجد الحاكم في تركته مائة منديل
- بمعنى عمامة - كلها شروب ملونة معصية
على مائة شائبة ، وألف سراويل ديبقية بألف
تكة حرير أرمنى ، ومن الثياب المخيطة
والصالح والحلى والمصاغ والطيب والقرش

والعياض الذهب والفضة ما لا يحصى كثره ، ومن العين ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، ومن الخيل الركابية مائة وخمسين فرسا وخمسين بئلا ، ومن بغال النقل ودواب الغلمان نحو ثلثمائة رأس ، ومائة وخمسين سرجا منها عشرون ذهبا ، ومن الكتب شيء كثير . وحل لجارته من مصر الى القاهرة رحل على ثمانين حمارا .

قال ابن خلكان : وبرجوان بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الجيم والواو وبعد الألف نون ... هكذا وجدته مقيدا بخط بعض الفضلاء .

وقال ابن عبد الظاهر : ويسمى الوزغ ، سناه به الحاكم .

« حارة زويلة » : قال ابن عبد الظاهر : لما نزل القائد جوهر بالقاهرة ، اختطت كل قبيلة خطة عرفت بها . فزويلة بنت الحارة المعروفة بها . والبئر التي تعرف ببئر زويلة في المكان الذي يعمل فيه الآن الروايا ، والبابان المعروفان ببابي زويلة .

وقال ياقوت : زويلة - بفتح الزاي وكسر الواو وياء ساكنة وفتح اللام - أربعة مواضع :

الأول : زويلة السودان ، وهي قصبة من أعمال فزان في جنوب أفريقية ، مدينة كثيرة التخل والزروع .

الثاني : زويلة المهديّة ، بلد كالريض للمهديّة ، اختطه عبد الله الملقب بالمهدي ، وأسكنه الرعية ، وسكن هو بالمهديّة التي

استجدها فكانت دكاكين الرعية وأمتعتهم بالمهديّة ، ومنزلهم وحرمهم بزويلة ، فكانوا يطلون بالنهار في المهديّة ، ويبيتون ليلا بزويلة . وزعم المهدي أنه فعل بهم ذلك ليأمن غائلتهم ... قال : أحول بينهم وبين أموالهم ليلا ، وبينهم وبين لسانهم نارا .

الثالث : باب زويلة بالقاهرة من جهة السطاط .

الرابع : حارة زويلة ، محلة كبيرة بالقاهرة بينها وبين باب زويلة عدة محال ، سميت بذلك لأن جوهر غلام المزم لما اختط محله بالقاهرة ، أنزل أهل زويلة بهذا المكان فتسمى بهم .

« حارة المحمودية » : الصواب في هذه الحارة أن يقال حارة المحمودية على الإضافة ، فإنها عرفت بطائفة من طوائف عسكر الدولة الفاطمية كان يقال لها الطائفة المحمودية .

وقد ذكرها المسيحي في تاريخه مزارا ... قال في سنة أربع وتسعين وخمسمائة : وفيها اقتلت الطائفة المحمودية والباسية .

واشتهر أمر هذه الحارة على ابن عبد الظاهر ، فلم يعرف نسبتها لمن ، وقال : لا أعلم في الدولة المصرية من اسمه محمود إلا ركن الاسلام محمود بن أخت الصالح بن رزيك صاحب التربة بالقراقة ، اللهم إلا أن يكون محمود بن مصال الملكي الوزير ، فقد ذكر ابن القفطي أن اسمه محمود ، ومحمود صاحب المسجد بالقراقة ، وكان في زمن الرعي بن الحكم قبل ذلك .

(*) من ١ ج ٢ ، ط. بولاق .

وهذا وهم آخر ، فإن ابن مصال الوزير اسمه سليمان ، وينعت بنجم الدين .

ووقعت في هذه الحارة فكة ... قال القاضي الفاضل في متجددات سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، والسلطان يومئذ بمصر الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين : وكان في شعبان قد تنابح أهل مصر والقاهرة في اظهار المنكرات وترك الانكار لها ، وإباحة أهل الأمر والنهي فعلها ، وتفاخس الأمر فيها إلى أن غلا سعر العنب لكثرة من يعصره .

وأقيمت طاحون بالمحمودية لطحن حشيشة المزر وأفردت برسه ، وحيت يبيت المزر وأقيمت عليها الضرائب الثقيلة ، فمنها ما انتهى أمره في كل يوم إلى ستة عشر دينارا ، ومنع المزر البيوتى ليتوفر الشراء من مواضع الحمى ، وحملت أواني الخمر على رؤوس الأشهاد وفي الأسواق من غير منكر ، وظهر من عاجل عقوبة الله تعالى وقوف زيادة النيل عن معتادها ، وزيادة سعر الغلة في وقت ميسورها .

« حارة الجودرية » : هذه الحارة عرفت أيضا بالطائفة الجودرية ، إحدى طوائف المسكر في أيام الحاكم بأمر الله ، على ما ذكره المسيحي .

وقال ابن عبد الظاهر : الجودرية منسوبة إلى جماعة تعرف بالجودرية اختطوها ، وكانوا أربعمائة . منهم أبو على منصور الجودري الذي كان في أيام العزيز بالله ، وزادت مكائته في الأيام الحاكية ، فأضيفت

إليه مع الأحباس الحبية وسوق الرقيق والسواحل وغير ذلك .

ولها حكاية سمعت جماعة يحكونها . وهي أنها كانت سكن اليهود والمعروفة بهم ، فبلغ الخليفة الحاكم أنهم يجتمعون بها في أوقات خلواتهم ويغنون :

وأمة قد ضلوا ودينهم معتل

قال لهم ليهم نعم الأدام الخل

ويسخرون من هذا القول ، ويتعرضون إلى ما لا ينبغي ساعة . فأتى إلى أبوابها وسدها عليهم ليلا وأحرقها . قالى هذا الوقت لا بيت بها يهودى ، ولا يسكنها أبدا .

وقد كان في الأيام العزيزية جودر الصقلي أيضا ... ضرب عتقه ، ونهب ماله في سنة ست وثمانين وثلثائة .

« حارة الوزيرية » : هي أيضا تنسب إلى طائفة يقال لها الوزيرية من جملة طوائف المسكر . وكانت أولا تعرف بحارة بستان المصودى ، وعرفت أيضا بحارة الأكراد .

قال ابن عبد الظاهر : الوزيرية منسوبة إلى الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس .

وقال ابن الصيرفي : والطائفة المنعوتة بالوزيرية إلى الآن منسوبة إليه ... يعنى الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس أبو الفرج . كان يهوديا من أهل بغداد ، فخرج منها إلى بلاد الشام ، ونزل بمدينة الرملة وأقام بها ، فصار فيها وكيلًا للتجار بها ، واجتمع في قبله مال عجز عن أدائه .

فقر الى مصر في أيام كافور الأخشيدي ،
فتعلق بخدمته ، ووثب اليه بالتجر ، فباع
اليه أمتعة أحيل بشنها على ضياع مصر ،
فكثر لذلك تردده على الريف ، وعرف أخبار
القرى .

وكان صاحب حيل ودعاء ومكر ومعرفة ،
مع ذكاء مفرد وفطنة ، فمهر في معرفة الضياع
حتى كان اذا سئل عن أمر غلالها ومبلغ
ارتفاعها وسائر أحوالها القاهرة والياض ،
أتى من ذلك بالغرض .

فكثرت أمواله ، واتسعت أحواله . وأعجب
به كافور لما خبر فيه من الفطنة وحسن
السياسة ، فقال : لو كان هذا مسلما لصلح
أن يكون وزيرا .

فلما بلغه هذا عن كافور ، تافت نفسه الى
الولاية ، وأحضر من علمه شرائع الاسلام
سرا .

فلما كان في شعبان سنة ست وخسين
وثلاثمائة ، دخل الى الجامع بمصر وصلى صلاة
الصبح ، وركب الى كافور ومعه محمد بن
عبد الله بن الخازن في خلق كثير . فخلع عليه
كافور ، ونزل الى داره ومعه جمع كثير ،
وركب اليه أهل الدولة يهنونه ، ولم يتأخر
عن الحضور اليه أحد .

فقص بسكاته الوزير أبو الفضل جعفر بن
الفرات ، وقتل بسببه ، وأخذ في التدبير عليه
ونصب الجبال له حتى خافه يعقوب ، فخرج
من مصر فارا منه يريد بلاد المغرب في شوال
سنة سبع وخسين ، وقد مات كافور .

فلحق بالمعز لدين الله أبي تميم معد ، فوقع
منه موقعا حسنا ، وشاهد منه معرفة
وتديرا .

فلم يزل في خدمته حتى قدم من المغرب الى
القاهرة في شهر رمضان سنة اثنين وستين
وثلاثمائة ، فقلده في رابع عشر المحرم سنة
ثلاث وستين الخراج ، وجميع وجوه الأموال
والحبة والسواحل والأعشار والجوالي
والأجاس والموارث والشرطتين ، وجميع ما
يضاف الى ذلك ، وما يطرا في مصر وسائر
الأعمال . وأشرك معه في ذلك كله عسلوج بن
الحسن ، وكتب لهما سجلا بذلك قرى في
يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون .

فقبضت أيدي سائر العمال والمتضمنين ،
وجلس يعقوب وعسلوج في دار الامارة في
جامع أحمد بن طولون للتداع على الضياع
وسائر وجوه الأموال ، وحضر الناس *
للقبالات ، وطالبا بالبقايا من الأموال مما على
الناس من المالكين والمتقبلين والعمال ،
واستقصيا في الطلب ، ونظرا في المظالم .

فتوفرت الأموال ، وزيد في الضياع ،
وتزايد الناس وتكاثفوا ، وامتنعا أن يأخذا
الا دينارا معزيا ، فانضغ الدينار الراضى
وانحط ، ونقص من صرفه أكثر من ربع
دينار ، فخر الناس كثيرا من أموالهم في
الدينار الأبيض والدينار الراضى . وكان صرف
المعزى خمسة عشر درهما ونصفا .

واشتد الاستخراج ، فكان يستخرج في
اليوم نيف وخمسون ألف دينار مغزية ،

(*) منه ج ٢ ، ط. بولاق .

واستخرج في يوم واحد مائة وعشرون ألف
دينار مغزية ، وحصل في يوم واحد من مال
تيسن ودمياط والأشونين أكثر من مائتي
ألف دينار وعشرين ألف دينار ... وهذا شيء
لم يسمع قط بمثله في بلد .

فاستمر الأمر على ذلك الى المحرم سنة
خمس وستين وثلاثمائة ، فتشاغل يعقوب عن
حضور ديوان الخراج ، وانفرد بالنظر في
أمور المعز لدين الله في قصره وفي الدور
الموافق عليها .

وبعد ذلك بقليل مات المعز لدين الله في شهر
ربيع الآخر منها ، وقام من بعده في الخلافة
ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار ، ففوض
ليعقوب النظر في سائر أموره ، وجعله وزيرا
له في أول المحرم سنة سبع وستين وثلاثمائة .

وفي شهر رمضان سنة ثمان وستين لقيه
بالوزير الأجل ، وأمر ألا يخاطبه أحد ولا
يكاتبه الا به ، وخلق عليه وحمل ، ورسم له
في المحرم سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة أن يبدأ
له في مكاتباته باسمه على عنوانات الكتب
النافذة عنه ، وخرج توقيع العزيز بذلك .

وفي هذه السنة اعتقل في القصر ، ورد
الأمر الى خير بن القاسم . فأقام معتقلا عدة
شهور ، ثم أطلق في سنة أربع وسبعين ، وحمل
على عدة خيول ، وقرى سجل برده الى تدبير
الدولة ، ووهبه خمسمائة غلام من الناشئة
وآلف غلام من المغاربة ملكه العزيز رقابهم .

فكان يعقوب أول وزراء الخلفاء الفاطميين
بديار مصر ، فدير أمور مصر والشام والحرمين
وبلاد المغرب ، وأعمال هذه الأقاليم كلها من

الرجال والأموال والقضاء والتدبير ، وعمل
له اقطاعا في كل سنة بمصر والشام مبلغها
ثلاثمائة ألف دينار ، واتسعت دائرته ، وعظمت
مكاته حتى كتب اسمه على الطرز وفي
الكتب .

وكان يجلس كل يوم في داره يأمر وينهى ،
ولا يرفع اليه رقعة الا وقع فيها ، ولا
يسأل في حاجة الا قضاه . ورتب في داره
الحجاب نوبا ، وأجلسهم على مراتب ،
والبسهم الديباج وقلدهم السيوف ، وجعل
لهم المناطق ، ورتب فرسين في داره للتوبة لا
تبرح واقفة بسروجها ولجمها لهم يرد .

ونصب في داره الدواوين : فجعل ديوانا
للمغزية فيه عدة كتاب ، وديوانا للجيش فيه
عدة كتاب ، وديوانا للأموال فيه عدة كتاب
وعدة جهابذة ، وديوانا للخراج ، وديوانا
للسجلات والانشاء ، وديوانا للمستغلات ،
وأقام على هذه الدواوين زمنا . وجعل في
داره خزانة للكسوة ، وخزانة للمال ، وخزانة
للدفاتر ، وخزانة للأشربة ، وعمل على كل
خزانة ناظرا .

وكان يجلس عنده في كل يوم الأطباء
لينظروا في حال الغلمان ، ومن يحتاج منهم
الى علاج أو اعطاء دواء ، ورتب في داره
الكتاب والأطباء يقفون بين يديه ، وجعل فيها
العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين
وأرباب الصنائع ، لكل طائفة مكان مفرد ،
وأجرى على كل واحد منهم الأرزاق .

وآلف كتب في الفقه والقراءات ، ونصب
له مجلسا في داره يحضره في كل يوم ثلاثاء ،

ويحضر اليه الفقهاء والشكليون وأهل الجدل
يتناظرون بين يديه .

فمن تأليفه كتاب في القراءات ، وكتاب في
الأديان - وهو كتاب الفقه واختصره -
وكتاب في آداب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وكتاب في علم الأديان وصلاحها في
ألف ورقة ، وكتاب في الفقه ما سمعه من
الامام المزمع لدين الله والامام العزيز بالله .

وكان يجلس في يوم الجمعة أيضا ، ويقرأ
مصنفاته على الناس بنفسه ، وفي حضرته
اقتضاة والفقهاء والقراء وأصحاب الحديث
والنحاة والشهود . فاذا فرغ من قراءة ما يقرأ
من مصنفاته ، قام الشعراء ينشدون مدائحهم
فيه .

وكان في داره عدة كتاب ينسخون القرآن
الكريم والفقه والطب وكتب الأدب وغيرها
من العلوم ، فاذا فرغوا من نسخها قوبلت
وضبطت ، وجعل في داره قراء وآلة يضلون
في مسجد داره ، وأقام بداره عدة مطابخ
لنقه ولجلالته ولعلمائه وحواشي .

وكان ينصب مائدة لخاصته يأكل هو
وخواصه من أهل العلم ووجوه كتابه وخواص
علمائه ومن يستلجيه عليها ، وينصب عدة
موائد لبقية الحجاب والكتاب والحواشي .

وكان اذا جلس يقرأ كتابه في الفقه الذي
سمعه من المزمع والعزيز ، لا ينسج أحد من
مجلسه ، فيجتمع عنده الخاص والعام . ورب
عند العزيز بالله جماعة لا يخاطبون الا بالقائد ،
وأنشأ عدة مساجد ومساكن بمصر والقاهرة .

وكان يقيم في شهر رمضان الأطمسة للفقهاء ،
ووجوه الناس وأهل الستر والتعفف ،
ولجماعة كثيرة من الفقهاء . وكان اذا فرغ
الفقهاء والوجوه من الأكل معه يطاف عليهم
بالطيب .

ومرض مرة من علة أصابت يده ، فقال فيه
عبد الله بن محمد بن أبي الجرع * :

يد الوزير هي الدنيا فان ألت
رأيت في وكل شيء ذلك إلا

تأمل الملك وانظر فرط عتبه
من أجله ، واسأل القرطاس والقلبا
وشاهد البيض في الأغناد حائنة
الى العدا ، وكثيرا ما روين دما

وأفس الناس بالشكوى قد اتصلت
كأننا أشمرت من أجله سقما
هل ينهض المجد الا أن يؤيده
ساق يقدم في انهاضه قدما ؟

لولا العزيز وآراء الوزير معا
تحققنا خطوب تشعب الأما

فقل لهذا وهذا أتما شرف
لا أوهم الله ركنيه ولا انهتما

كلاكما لم يزل في الصالحات يدا
مبسومة ولسانا ناطقا وقفا

ولا أصابكما أحداث دهركما
ولا طوى لكما ما عشتا علما

ولا انصحت عنك يامولاي عافية
فقد محوت بما أوليتي العدا

الجمعة ١٢٠٢ هـ - ١٢٠٢ هـ

وكان الناس يفتون بكتابه في الفقه ، ودرس
فيه الفقهاء بجامع مصر ، وأجرى العزيز بالله
لجماعة فقهاء يحضرون مجلس الوزير أرزاقا
في كل شهر تكفيهم .

وكان للوزير مجلس في داره للنظر في رقاع
المرافعين والمتظلمين ، ويوقع بيده في الرقاع ،
ويخاطب الخصوم بنفسه .

وأراد العزيز بالله أن يسافر الى الشام في
زمن ابتداء الفساقة ، فأمر الوزير أن يأخذ
الأهبة لذلك ، فقال : يامولاي لكل سفر أهبة
على مقداره ، فما الغرض من السفر ؟

فقال : اني أريد التفرج بدمشق لآكل
القراصيا .

فقال : السمع والطاعة .

وخرج فاستدعى جميع أرباب الحمام ،
وسألهم عما بدمشق من طيور مصر وأسماء
من هي عنده - وكانت مائة ولينا وعشرين
طائرا - ثم التمس من طيور دمشق التي هي
في مصر عدة ، فأحضرها ، وكتب الى فائيه
بدمشق يقول : ان بدمشق كذا وكذا طائرا ،
وعرفه أسماء من هي عنده ، وأمره بأحضارها
اليه جميعها ، وأن يصيب من القراصيا في كل
كاغدة ، ويشدها على كل طائر منها ، ويسرحها
في يوم واحد .

فلزم يعض الا ثلاثة أيام أو أربعة حتى
وصلت الحمام كلها ، ولم يتأخر منها الا نحو
عشر ، وعلى جناحها القراصيا . فاستخرجها من
الكواغد ، وعملها في طبق من ذهب وغطاها ،
وبعث بها الى العزيز بالله مع خادم ، وركب

اليه وقدم ذلك ، وقال : يامير المؤمنين قد
حضرنا قبالك القراصيا ههنا ، فان أغناك هذا
القدر والا استدعينا شيئا آخر .

فعجب العزيز بالوزير ، وقال : مثلك يخدم
الملوك ياوزير .

واتفق أنه سابق العزيز بين الطيور ، فسبق
طائر الوزير يعقوب طائر العزيز . فشق ذلك
على العزيز ، ووجد أعداء الوزير سبيلا الى
الظلم فيه ، فكتبوا الى العزيز « انه قد اختار
من كل صنف أعلاه ، ولم يترك لأمير المؤمنين
الا أدناه حتى النخام » .

فبلغ ذلك الوزير ، فكتب الى العزيز :

قل لأمير المؤمنين الذي
له العلى والمثل الشاقب

طائرنا السابق لكنه
لم يأت الا وله حاجب

فأعجب العزيز ذلك ، وأعرض عما وشى به .

ولم يزل على حال رفيعة ، وكلمة نافذة الى
أن ابتدأت به عتبه يوم الأحد الحادي
والعشرين من شوال سنة ثمانين وثلثمائة ،
ونزل اليه العزيز بالله يعوده ، وقال له : وددت
أنك تباع فأبتاعك بمالي ، أو تفدى فأفديك
بولدي ، فهل من حاجة توصي بها يايعقوب ؟

فبكى وقبل يده ، وقال : أما فيما يخصني
فأنت أرعى بحقي من أن أسترعيك إياه ،
وأرأف علي من أن أوصيك به . ولكني
أنصح لك فيما يتعلق بك وبدولتك : سألهم
الروم ما سألوك ، واقنع من الحدانية

بالسوة والشكر ، ولا يسئ على من خرج من
تحت لث عرفت لك فيه فرقة

والصرف العز ، فالتفت السكة . وكان
في بيت الموت يقول : لا يغيب الله قلب .

ثم قضى عليه ليلة الأحد لحسن خورق من
من العجبة . فأرسل العز بك إلى داره
الكنز والحنوط ، وتولى عنه القاضى محمد
بن الصلح ، وقال : كنت والله أقبل لحيته
ولما لرق به خورق قد قطع عنه في وجع .

وكان في خلع ثوبه ثلاثين مثقالا - يعنى
منوجا بطنه - ووشى مطعيا وترب
دينى متعيا وحة كقورا وقارورى ملك :
وخضع ما له ورد . وقلت قيسة الكفن
والحنوط عشرة آلاف دينار .

وخرج مختار العسكى وعلى بن عمر
العسكى والرجل بين أيديهم يتكفون : لا يتكلم
تعد ولا يمشى . وقد اجتمع الناس فيما بين
القصر ودار الوزير التى عرفت بدار الدياج .

ثم خرج العز من القصر على ياقة :
والنبي يشوق من يديه وخلفه بغير مقية
والحنوط قاهر عليه ، حتى وصل إلى داره ،
فترى وصلى عليه وقد طرح على تابوته ثوب
مقل ، ووقف حتى دفن بآنية التى كان بها
وهو يكى ، ثم انصرف .

وسمى العز وهو يقول : وليل . نسى
عليك بخير ، والله لو قدر أنيتك بجميع
ما أنتك لمت .

هذا ما سمعنا من عهود .

وأمر بإجراء غشاه على عظامه ، وشق
جميع ملبسه ، وأقام ثلاثة أيام على
مائه ، ولا يحضر ما من علة الحضور .

وعمل على قبره ثوبان مقلان ، وأقام الناس
عند قبره شهرا ، وقفا الشراء إلى قبره ،
فرقة مائة شاة أخيرا كهم .

وضع العز في عليه ستة عشر ألف دينار
دينا ، فأرسل بها إلى قبره ، فوضعت عليه ،
وقرعت على أبواب الكيون ، وأقام القراء
بأقام على قبره ، وأجرى عليهم الطعام .

وكانت لولادة تحضر إلى قبره كل يوم ستة
شهر . يحضر ثمانية الفضة كل يوم وسمن
ثمان الفضة ، فتقوم الجوارى بأكلها الفضة
والبلور وملائق الفضة ، فيستقن النساء
الأخرة والسوق بالسكر ، ولم تأخر عشرة
ولا لانية عن حضور القبر مدة الشهر .

وحف أملاكها وضياعا فياسير وولغا ،
ونينا وورقا ، وأواني ذهب وفضة وجوهر
وعنبر وألبا ولبا ، وقرشا ومصاحف وكبا ،
وجوارى ونينا ، وخيلا وبغالاً وثوقا وخجرا
وبلا وغللا ، وخزائن مائى لشربة وأضمة ...
قومت بأربعة آلاف ألف دينار ، سوى ما جهز
به بيت وهو ما قبله ما كان في دينار . وخلف
ثلاثة حطة سوى جوارى الخيمة .

ثم تعرض العز لشيء ما يملكه أهله
وجوارى وغشاه ، وأمر بحفظ جهاز ابنته
إلى أن زوجها ، وأجرى لمن في داره كل شهر
سبعة دنانير للنفقة ، سوى الكسوة

والجوارى وما يحفل اليه من الأضمة من
القصر ، وأمر بسل ما حمله إلى القصر .
ثم لم يبق من يوم وفاته شهر . فضع الأمير منصور
ابن العز جميع ممتلكاته

وأمر العز جميع ما له من الجوارى وما ولده
من العمال على حدة ، وأجرى الرسوم إلى
كان بجرجا ، وأمر غشاه على حاتم وولده
مؤلا صائغى - وكانت عدة غلمان الوزير
أربعة آلاف غلام عرفوا بالفاقة الزورية -
وزاد العز أرزاقهم عما كانت عليه وأداهم .
وأنسبهم تسبب الزورية ، فأما كمال
مسالكهم

واتفق أن الوزير عشرة الف الف على حدة
عشر ألف دينار . وآخر ما قل : لقد مال أمر
هذه القبة ... هذه فة ، هذه زينة فكذلك
كذلك ، ودفن تحتها . وموضع قبره اليوم
المدرسة الصاحبة .

واتفق أنه وجد في داره دفعة مكتوب
فيها :

أخبروا من حوائث الأزمان
وتوقفوا موارق الحداث

قد أتم رب الزمان وسم
رب خوف مكنى في الأمان

فلما قرأها قل : لا حول ولا قوة الا بالله
العلى العظيم . ولم يلبث بعدها الا أياما
يسيرة ومرض فمات .

« حارة الباطية » : عرفت بفاقة يقال لهم
الباطية . قال ابن عبد القاهر : وكان العز

لما قسم العطاء في الناس ، جاءت مائة فسال
عطاء ، فقبل لها فرغ ما كان حاضرا ولم يبق
شيء ، فقالوا : رجا نحن في الباطل ... فسوا
الباطية ، وعرفت هذه الحارة بهم .

وفي سنة ثلاث وستين وستائة اعتسرت
حارة الباطية ، عندما كثر الحريق في القاهرة
ومصر ، وأقام النصارى بفعل ذلك . فجمعهم
ملك القاهر بيبرس ، وحملت لهم الأحطاب
الكثيرة والحلقة ، وقسموا ليجرقوا بالنار .
فتشبع لهم الأمير فارس الدين أتمى أبوك
المساكر ، على أن يتسزموا بالأموال التى
أحترقت ، وأن يحطوا إلى بيت لعل حسين
كف دينار ... فتركوا .

وجرى في ذلك ما تتحن حكاية . وهو
أنه قد جمع مع النصارى سائر اليهود ، وركب
السلطان ليجرقهم بقاهر القاهرة ، وقد اجتمع
الناس من كل مكان لتشنى بحرقهم لما ظاهم
من البلاء فيما دعوا به من حريق الأمان ،
لا سيما الباطية فانها أتت النار عليها حتى
حرقت بأسرها .

فلما حضر السلطان ، وقدم اليهود
والنصارى ليجرقوا ، برز ابن الكاثيرونى
اليهودى - وكان صيرفا - وقال للسلطان :
سألك بالله لا تحرقنا مع هؤلاء الكلاب
الملائع أعدائنا وأعدائكم ، أحرقتنا ناحية
وحدة .

فضحك السلطان والأمراء ، وحينئذ تقر
لأمر على ما ذكر . فندب لاستخراج المال
منهم الأمير سيف الدين بليان المهراني ،
فاستخلص بعض ذلك في عدة سنين . وتناول

الحال فدخل كتاب الأمراء مع متخاديمهم ،
وتحلبوا في ابطال ما بقي ، فبطل في أيام
السعيد بن الظاهر .

وكان سبب فعل النصارى لهذا الحريق
حنتهم لما أخذ الظاهر من الفرنج أرسوف
وقيسارية وطرابلس وياقا وانطاكية .

وما زالت الباطلية خرابا ، والناس تضرب
بحريقها المثل لمن يشرب الماء كثيرا فيقولون :
كان في باطنه حريق الباطلية .

ولما عمر الطوائى بمصادر المقدم داره
بالباطلية ، عمر فيها مواضع بعد سنة خمس
وثمانين وسبعمائة .

« حارة الروم » : قال ابن عبد الظاهر :
واختطت الروم حارتين : حارة الروم الآن ،
وحارة الروم الجوانية . فلما نقل ذلك عليهم
قالوا : الجوانية لا غير .

والوراقون الى هذا الوقت يكتبون حارة
الروم السفلى ، وحارة الروم العليا المعروفة
اليوم بالجوانية .

وفي سابع عشر ذي الحجة سنة تسع
وتسعين وثلاثمائة ، أمر الخليفة الحاكم بأمر الله
بهدم حارة الروم ، فهدمت ونهيت .

« حارة الديلم » : عرفت بذلك لنزول
الديلم الواصلين مع هفتكين الشرايى ، حين
قدم ومعه أولاد * مولاه معز الدولة البويهى
وجماعة من الديلم والأتراك ، في سنة ثمان
وستين وثلاثمائة ، فسكنوا بها فعرفت بهم .

(*) مر ٨٠ ج ٢ ، ط ١٠٠٠ .

وهفتكين هذا يقال له هفتكين أبو منصور
التركي الشرايى ، غلام معز الدولة أحمد بن
بويه ، ترقى في الخدم حتى غلب في بغداد على
معز الدولة مختار بن معز الدولة ، وكان فيه
شجاعة وثبات في الحرب .

فلما سارت الأتراك من بغداد لحرب
الديلم ، جرى بينهم قتال عظيم اشتهر فيه
هفتكين ، ألا أن أصحابه انهزموا عنه وصار
في طائفة قليلة ، فولى بمن معه من الأتراك وهم
نحو الأربعمائة ، فسار الى الرحبة ، واخذ
منها على البر الى أن قرب من حوشية إحدى
قرى الشام ، وقد وقع في قلوب العربان منه
مهابة .

فخرج اليه ظالم بن مرهوب العقيلي من
بعلبك ، ويث الى أبى محمود إبراهيم بن
جمهر ، أمير دمشق من قبل الخليفة المعز لدين
الله ، يعلمه بتقدم هفتكين من بغداد لأقامة
الخطبة العباسية وخوفه منه . فانفذ اليه
عسكرا وسار الى ناحية حوشية يريد
هفتكين ، وسار بشارة الخادم من قبل أبى
المعالى بن حمدان عوناً لهفتكين ، فرد ظالم
الى بعلبك من غير حرب ، وسار بشارة
بهفتكين الى حمص ، فحمل اليه أبو المعالى ،
وتلقاه وأكرمه .

وكان قد ثار بدمشق جماعة من أهل
الدعارة والفساد ، وحاربوا عمال السلطان ،
واشتد أمرهم ، وكان كبيرهم يعرف بابن
الماورد . فلما بلغهم خبر هفتكين بعثوا اليه
من دمشق الى حمص يستدعونه ، ووعدوه
بالقيام معه على عساكر المعز وإخراجهم من

دمشق ليلى عليهم . فوقع ذلك منه بالموافقة ،
وصار حتى نزل بشية العقاب لأيام بقيت من
شعبان سنة أربع وستين وثلاثمائة .

فبلغ عسكر المعز خبر الفرنج ، وأنهم قد
قصدوا طرابلس ، فساروا بأجمعهم الى لقاء
العدو . ونزل هفتكين على دمشق من غير
حرب فأقام أياما ، ثم سار يريد محاربة ظالم
ففر منه ، ودخل هفتكين بعلبك . فطره العدو
من الروم والفرنج ، واتهبوا بعلبك ،
وأحرقوا وذلك في شهر رمضان ، وانتشروا
في أعمال بعلبك والبقاع يقتلون ويأسرون
ويحرقون ، وقصدوا دمشق وقد التحق بها
هفتكين ، فخرج اليهم أهل دمشق ، وسألوهم
الكف عن البلد والتزموا ببال .

فخرج اليهم هفتكين وأهدى اليهم ، وتكلم
معه في أنه لا يستطيع جباية المال لقوة ابن
الماورد وأصحابه ، وأمر ملك الروم به فقبض
عليه وقيده ، وعاد فجئى المال من دمشق
بالعنف ، وحمل الى ملك الروم ثلاثين ألف
دينار ، ورجل الى يروت ، ثم الى طرابلس .
فتمكن هفتكين من دمشق ، وأقام بها الدعوة
لأبى بكر عبد الكريم الطائع بن المطيع
العباسى ، وسير الى العرب الرايا فظفرت ،
وعادت اليه بعدة ممن أسرته من رجال العرب
فقتلهم صبرا .

وكان قد تخوف من المعز ، فكاتب القرامطة
يستدعيهم من الأحساء للقدوم عليه لمحاربة
عساكر المعز ، وما زال بهم حتى وافوا دمشق
في سنة خمس وستين ، ونزلوا على ظاهرها
ومعهم كثير من أصحاب هفتكين الذين كانوا

قد نشئوا في البلاد . فتقوى بهم ، ولقى
القرامطة وحمل اليهم وسر بهم ، فأقاموا على
دمشق أياما ، ثم رحلوا نحو الرملة وبها أبو
محمود فلحق ياقا ، ونزل القرامطة الرملة ،
ونصبوا القتال على ياقا حتى كل الفريقان ،
وشنوا جميعا من طول الحرب .

وسار هفتكين على الساحل ، ونزل صيدا
وبها ظالم بن مرهوب العقيلي وابن الشيخ من
قبل المعز ، فقاتلهم قتالا شديدا انهزم منه
ظالم الى صور ، وقتل بين الفريقين نحو أربعة
آلاف رجل ، فقطع أيدي القتلى من عسكر
المعز ، وسيرها الى دمشق فطيف بها ، ثم سار
عن صيدا يريد عكا وبها عسكر المعز . وكان
قد مات المعز في شهر ربيع الآخر ، وقام من
بعده ابنه العزيز بالله ، وسير جوهر القائد في
عسكر عظيم الى قتال هفتكين والقرامطة .

فبلغ ذلك القرامطة وهم على الرملة ،
ووصل الخبر بمسيره الى هفتكين وهو على
عكا ، فخاف القرامطة وفروا عنها ، فنزلها
جوهر . وسار من القرامطة الى الأحساء التي
هى بلادهم جماعة ، وتأخر عدة ، وسار
هفتكين من عكا الى طبرية ، وقد علم بمسير
القرامطة وتأخر بعضهم ، فاجتمع بهم في طبرية
واستعد للقاء جوهر وجمع الأقوات من بلاد
حوران والثنية وأدخلها الى دمشق ، وسار
اليها فتحصن بها . ونزل جوهر على ظاهر
دمشق لثمان بقين من ذى القعدة ، فبنى على
معسكره سورا ، وحفر خندقا عظيما وجعل له
أبوابا . وجمع هفتكين الناس للقتال ، وكان
قد بقى بعد ابن الماورد رجل يعرف بقسام
التراب ، وصار في عدة وافرة من الدمار ،

فأعانه هفتكين وقواه وأمدّه بالسلاح وغيره .
ووقعت بينهم وبين جوهر حروب عظيمة
طويلة إلى يوم الحادي عشر من ربيع الأول
سنة ست وستين وثلاثمائة ، فاختل أمر
هفتكين وهم بالفرار ، ثم انه استظهر .

ووردت الأخبار بقدم الحسن بن أحمد
القرمطي إلى دمشق ، فطلب جوهر الصلح
على أن يرحل عن دمشق من غير أن يتبعه
أحد . وذلك أنه رأى أمواله قد قلت ، وهلك
كثير مما كان في عسكره حتى صار أكثر
عسكره رجالة وأعوزهم العلف ، وخشى
قدم القرامطة . فأجابه هفتكين وقد عظم
فرجه واشتد سروره . فرحل في ثالث جمادى
الأولى ، وجد في السير وقد قرب القرامطة
فأناخ بطبرية .

فبلغ ذلك القرمطي ، فقصده وقد سار
عنها إلى الرملة ، فبعث إليه بسرية كانت لها
مع جوهر وقعة قتل فيها جماعة من العرب ،
وأدركه القرمطي وسار في أثره هفتكين .
فمات الحسن بن أحمد القرمطي بالرملة ، وقام
من بعده بأمر القرامطة ابن عمه جعفر ، ففسد
ما بينه وبين هفتكين ، ورجع عن الرملة إلى
الأحساء ، وناصب هفتكين القتال ، وألح فيه
على جوهر حتى ألهم عنه وسار إلى عسقلان .
وقد غنم هفتكين ما كان معه شيئا يجلب عن
الوصف ، ونزل على البلد محاصرا لها . وبلغ
ذلك العزيز فاستعد للسير إلى بلاد الشام .

فلما طال الأمر على جوهر ، راسل هفتكين
حتى يقرر الصلح على مال يحمله إليه ، وأن

(*) مرة جلاء ، ط. بولاق .

يخرج من تحت سيف هفتكين ، فعلق سيفه
على باب عسقلان ، وخرج جوهر ومن معه من
تحت ، وساروا إلى القاهرة ، فوجد العزيز قد
برز يريد السير فصار معه . وكان مدة قتال
هفتكين لجوهر على ظاهر الرملة وفي عسقلان
سبعة عشر شهرا .

وسار العزيز بالله حتى نزل الرملة . وكان
هفتكين بطبرية ، فصار إلى لقاء العزيز ومعه
أبو اسحاق وأبو طاهر أخو عز الدولة بن
بختيار بن أحمد بن بويه ، وأبو اللحاد مرزبان
عز الدولة بن بختيار بن عز الدولة بن بويه ،
فصار بويه فلم يكن غير ساعة حتى هزمت
عساكر العزيز عساكر هفتكين ، وملكوه في
يوم الخميس لسبع بقين من المحرم سنة ثمان
وستين وثلاثمائة .

واستأمن أبو اسحاق ومرزبان بن بختيار ،
وقتل أبو طاهر أخو عز الدولة بن بختيار ،
وأخذ أكثر أصحابه أسرى ، وطلب هفتكين
في القتلى فلم يوجد ، وكان قد فر وقت
الهزيمة على فرس مفردة ، فأخذه بعض
العرب أسيرا ، فقدم به على مفرج بن دعلج
ابن الجراح الطائي وعمامته في عنقه ، فبعث
به إلى العزيز ، فأمر به فشهر في السكر ،
وطيف به على جبل ، فأخذ الناس يلطمونه
ويهزون لحية حتى رأى في نفسه العير .

ثم سار العزيز بهفتكين والأسرى إلى
القاهرة ، فاصطنعه ومن معه ، وأحسن إليه
غاية الاحسان ، وأنزله في دار وواصله بالعطاء
والخلق ، حتى قال : لقد احتشمت من ركوبى
مع مولانا العزيز بالله وتطوفى إليه ، بما غمرنى
من فضله واحسانه .

فلما بلغ ذلك العزيز قال لعنه حيدرة :
يا عم ، والله إلى أحب أن أرى النعم عند الناس
ظاهرة ، ورأى عليهم الذهب والفضة والجوهر
ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار ، وأن
يكون ذلك كله من عندى .

وبلغ العزيز أن الناس من العامة يقولون :
ما هذا التركي ؟ فأمر به فشهر في أجمل حال .
ولما رجع من تطوقه ، وهب له مالا جزيلا ،
وخلع عليه ، وأمر سائر الأولياء بأن يدعوه
إلى دورهم . فما منهم الا من عمل له دعوة ،
وقدم إليه ، وقاد بين يديه الخيول

ثم ان العزيز قال له بعد ذلك : كيف رأيت
دعوات أصحابنا ؟

فقال : يا مولانا حسنة في الغاية ، وما فيهم
الا من أنعم وأكرم .

فصار يركب للصيد والتفرج ، وجمع إليه
العزيز بالله أصحابه من الأتراك والديلم ،
واستحبه واختص به . وما زال على ذلك
إلى أن توفي في سنة اثنتين وسبعين
وثلاثمائة . فاتهم العزيز وزيره يعقوب بن كلس
أنه سمه لأنه (هفتكين) كان يترفع عليه ،
فاعتقله مدة ثم أخرجه .

« حارة الأتراك » : هذه الحارة تجاه
الجامع الأزهر ، وتعرف اليوم بدرب الأتراك ،
وكان نافذا إلى حارة الديلم . والوراقون
القدماء تارة يفردون من حارة الديلم ، وتارة
يضيفونها إليها ويجعلونها من حقوقها .
فيقولون تارة : حارة الديلم والأتراك ، وتارة
يقولون : حارتي الديلم والأتراك .

وقيل لها حارة الأتراك لأن هفتكين لما غلب
بغداد ، سار معه من جنسه أربعمائة من
الأتراك ، وتلاحق به عند ورود القرامطة عليه
بدمشق عدة من أصحابه ، فلما جمع لحرب
العزيز بالله كان أصحابه ما بين ترك وديلم .

فلما قبض عليه العزيز ، ودخل به إلى
القاهرة في الثاني والعشرين من شهر ربيع
الأول سنة ثمان وستين وثلاثمائة كما تقدم ،
نزل الديلم مع أصحابهم في موضع حارة
الديلم ، ونزل هفتكين بأتراكه في هذا المكان
فصار يعرف بحارة الأتراك .

وكانت مختلطة بحارة الديلم لأنها أهل
دعوة واحدة ، الا أن كل جنس على حدة
لتخالفها في الجنسية ، ثم قيل بعد ذلك درب
الأتراك .

« حارة كتامة » : هذه الحارة مجاورة
لحارة الباطلية ، وقد صارت الآن من جملتها .
كانت منازل كتامة بها عندما قدموا من المغرب
مع القائد جوهر ثم مع العزيز . وموضع هذه
الحارة اليوم حمام كواي وما جاورها مسا
وراء مدرسة ابن الغنام - حيث الموضع
المعروف بدرب ابن الأعر إلى رأس
الباطلية - وكانت كتامة هي أصل دولة
الخلفاء الفاطميين .

ذكر ابن عبد الله الشيعي

هو الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا
الشيعي ، من أهل صنعاء اليمن ، ولي الحبة
في بعض أعمال بغداد ، ثم سار إلى ابن
حوشب باليمن ، وصار من كبار أصحابه ،
وكان له علم وفهم ، وعنده دهاء ومكر .

ولما تمكن قتل أبا عبد الله وأخاه في يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين ، فكان هذا ابتداء أمر الخلفاء القاطنين * .

وما زالت كتامة هي أهل الدولة مدة خلافة المهدي عبيد الله ، وخلافة ابنه القاسم القائم بأمر الله ، وخلافة المنصور بنصر الله اسماعيل ابن القاسم ، وخلافة محمد المعز لدين الله ابن المنصور . وبهم أخذ ديار مصر لما سيرهم إليها مع القائد جوهر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وهم أيضا كانوا أكابر من قدم معه من المغرب في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة .

فلما كان في أيام ولده العزيز بالله نزار ، اصطحب الديلم والأتراك ، وقدمهم وجعلهم خاصة ، فتنافسوا وصار بينهم وبين كتامة تحاسد . إلى أن مات العزيز بالله ، وقام من بعده أبو على المنصور الملقب بالحاكم بأمر الله ، فقدم ابن عمار الكتامي ، وولاه الوساطة — وهي في معنى رتبة الوزارة — فاستبد بأمور الدولة ، وقدم كتامة وأعطاهم ، وحط من القلمان الأتراك والديلم الذين اصطحبهم العزيز .

فاجتمعوا إلى برجوان — وكان صقلييا وقد تآقت نفسه إلى الولاية — فأغرى المصطنعة بابن عمار حتى وضعوا منه واعتزل عن الأمر ، وتقلد برجوان الوساطة ، فاستخدم القلمان المصطنعين في القصر ، وزاد في عطايهم وقواهم . ثم قتل الحاكم ابن عمار وكثيرا من رجال دولة أبيه وجده ، فضعفت كتامة ، وقوت القلمان .

(*) ص ١١ ج ١ ، ط. بولاق .

فلما مات الحاكم ، وقام من بعده ابنه الظاهر لأعزاز دين الله على ، أكثر من اللهو ، ومال إلى الأتراك والمشاركة ، فانحط جانب كتامة ، وما زال ينقص قدرهم ويتلاشى أمرهم ... حتى ملك المستنصر بعد أبيه الظاهر ، فاستكرت أمه من العبيد حتى يقال أنهم بلغوا نحو من خمسين ألف أسير ، واستكثر هو من الأتراك ، وتنافس كل منهما مع الآخر ، فكانت الحرب التي آلت إلى خراب مصر وزوال بهجتها .

إلى أن قدم أمير الجيوش بدر الجبالي من عكا ، وقتل رجال الدولة ، وأقام له جندا وعسكرا من الأرمن ، فصار من حينئذ معظم الجيش الأرمن ، وذهبت كتامة ، وصاروا من جملة الرعية ، بعد ما كانوا وجوه الدولة وأكابر أهلها .

« حارة الصالحية » : عرفت بقلبان الصالح ملائح بن رزك ، وهي موضعان : الصالحية الكبرى ، والصالحية الصغرى . وموضعها فيما بين المشهد الحسيني ورجبة الأيدمرى وبين البرقية . وكانت من الحارات العظيمة ، وقد خربت الآن ، وبقيها متداع إلى الخراب .

قال ابن عبد الظاهر : الحارة الصالحية منسوبة إلى الصالح ملائح بن رزك ، لأن غلصانه كانوا يسكنونها ، وهي مكانان . وللصالح دار يحارة الديلم كانت سكنه قبل الوزارة ، وهي باقية إلى الآن ، وبها بعض ذرته . والمكان المعروف بخوخة الصالح نسبة إليه .

« حارة البرقية » : هذه الحارة عرفت بطائفة من طوائف العسكر في الدولة القاطية يقال لها الطائفة البرقية ... ذكرها المسيحي .

قال ابن عبد الظاهر : ولما نزل بالقاهرة (يعني المعز لدين الله) اختطت كل طائفة خطة عرفت بها . قال : واختطت جماعة من أهل يريقة الحارة المعروفة بالبرقية . انتهى . وإلى هذه الحارة تنسب الأمراء البرقية .

ذكر الأمراء البرقية ووزارة ضرغام

وذلك أن الصالح ملائح بن رزك كان قد أنشأ في وزارته أمراء يقال لهم البرقية ، وجعل ضرغاما مقدمهم . فترقى حتى صار صاحب الباب ، وطمع في شاور السعدي لما ولي الوزارة بعد رزك بن الصالح ملائح بن رزك ، فجمع رفقة ، وتخوف شاور منه ، وصار العسكر فرقتين : فرقة مع ضرغام ، وفرقة مع شاور .

فلما كان بعد تسعة أشهر من وزارة شاور ، ثار ضرغام في رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسائة ، وصاح على شاور فأخرجه من القاهرة ، وقتل ولده الأكبر المسمى بطي ، وبقي شجاع المنعوت بالكامل . وخرج شاور من القاهرة يريد الشام كما فعل الورير رضوان بن ولخشي ، فانه كان رفيقا له في تلك الكرة .

واستقر ضرغام في وزارة الخليفة العاضد لدين الله بعد شاور ، وتلقب بالملك المنصور . فشكر الناس سيرته ، فانه كان فارس عصره ،

وكان كاتبًا جميل الصورة ، فكه المحاضرة ، عاقلا كريما ، لا يضع كرمه إلا في سمعة رفقته أو مداراة تنفعه . إلا أنه كان أذنا مستجيلا على أصحابه ، وإذا ظن في أحد شرا جعل الشك يقينا ، وعجل له العقوبة .

وغلب عليه مع ذلك في وزارته أخواه ناصر الدين همام وفخر الدين حسام ، وأخذ يتكر لرفقته البرقية الذين قاموا بنصرته ، وأعانوه على اخراج شاور وتقليده للوزارة ، من أجل أنه بلغه عنهم أنهم يحدونه ويضمون منه ، وأن منهم من كاتب شاور وحنه على القدوم إلى القاهرة ووعدته بالمعاونة له .

فأظلم الجو بينه وبينهم ، وتجرد للإيقاع بهم على عادته في أسرع العقوبة ، وأحضرهم إليه في دار الوزارة ليلا ، وقتلهم بالسيف صبرا ، وهم : صبح بن شاهنشاه ، والطهر مرتفع المعروف بالجلواص ، وعين الزمان ، وعلى بن الزيد ، وأسد القازي ، وأقاربهم وهم نحو من سبعين أميرا سوى أتباعهم ، فذهبت لذلك رجال الدولة ، واختلت أحوالها وضعفت بذهاب أكابرها ، وفقد أصحاب الرأي والتدبير .

وقصد الفرنج ديار مصر ، فخرج إليهم همام أخو ضرغام وانهمزم منهم ، وقتل منهم عدة ، ونزلوا على حصن بليس ، وملكوا بعض السور ثم ساروا . وعاد همام عودا ردينا ، فبث به ضرغام إلى الاسكندرية وبها الأمير مرتفع الجلواص ، فأخذته العرب ، وقاده همام إلى أخيه فضرب عنقه وصلبه على باب زويلة .

(*) ص ١٢ ج ١ ، ط. بولاق .

فما هو إلا أن قدم رسول الفرنج على ضرغام في طلب مال الهدنة المقرر في كل سنة ، وهو ثلاثة وثلاثون ألف دينار ، وإذا بالخبر قد ورد بتقدم شاور من الشام ، ومعه أسد الدين شيركوه في كثير من الفرز . فازعجه ذلك ، وأصبح الناس يوم التاسع والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وخمسائة خائفين على أنفسهم وأموالهم ، فجمعوا الأقوات والماء وتحولوا من مساكنهم .

وخرج همام بالمعسكر أول يوم من جمادى الآخرة ، فسار إلى بليس ، وكانت له وقعة مع شاور انهزم فيها ، وصار إلى شاور وأصحابه جميع ما كان مع عسكر همام وأسروا عدة . ونزل شاور بن معه إلى التاج ظاهر القاهرة في يوم الخميس سادس جمادى الآخرة . فجمع ضرغام الناس ، وضم إليه طائفة الریحانية والطائفة الجيوشية بداخل القاهرة ، وشاور مقيم بالتاج مدة أيام وطواله من العريان ، فطارد عسكر ضرغام بأرض الطبالة خارج القاهرة .

ثم سار شاور ونزل بالمقس ، فخرج إليه عسكر ضرغام وحاربوه ، فانهزم هزيمة قبيحة ، وسار إلى بركة الجيش ، ونزل بالشرف الذي يعرف اليوم بالرصد ، وملك مدينة مصر ، وأقام بها أياما . فأخذ ضرغام مال الأيتام الذي كان بسودع الحكم ، فكرمه الناس واستعجزوه ، ومالوا مع شاور . فتكر منهم ضرغام ، وتحدث بإيقاع العقوبة بهم ، فزاد بغضهم له .

ونزل شاور في أرض اللوق خارج باب زويلة ، وطارد رجال ضرغام ، وقد حلت المصورة والهلالية ، وثبت أهل اليانسيه بها ، وزحف إلى باب سعادة وباب القنطرة ، وطرح النار في اللؤلؤة وما حولها من الدور . وعظمت الحروب بينه وبين أصحاب ضرغام ، وقضى كثير من الطائفة الریحانية ، فبعثوا إلى شاور ووعدوه بأنهم عون له ، فأنحل أمر ضرغام ، فأرسل العاضد إلى الرماة يأمرهم بالكف عن الرمي ، فخرج الرجال إلى شاور ، وصاروا من جملة .

وقبرت همة أهل القاهرة ، وأخذ كل منهم يعمل الحيلة في الخروج إلى شاور . فأمر ضرغام بضرب الأبواق لتجتمع الناس ، فضربت الأبواق والطبول ما شاء الله من فوق الأسوار ، فلم يخرج إليه أحد ، وأثقت عنه الناس ، فسار إلى باب الذهب من أبواب القصر ومعه خمسمائة فارس ، فوقف وطلب من الخليفة أن يشرف عليه من الطاق ، ونضرب إليه وأقسم عليه بآبائه ، فلم يجبه أحد . واستمر واقفا إلى العصر ، والناس تنحل عنه حتى بقي في نحو ثلاثين فارسا ، فوردت عليه رقعة فيها « خذ نفسك وانج بها » .

وإذا بالأبواق والطبول قد دخلت من باب القنطرة ومعه عساكر شاور ، فمر ضرغام إلى باب زويلة ، فصاح الناس عليه ولعنوه وتخطفوا من معه ، وأدركه القوم فأردوه عن فرسه قريبا من الجسر الأعظم فيما بين القاهرة ومصر ، واحتزوا رأسه في سلخ جمادى الآخرة ، وفر منهم أخوه إلى جهة المطرية ، فأدركه الطلب ، وقتل عند مسجد تبر خارج

القاهرة ، وقتل أخوه الآخر عند بركة النيل ، فصار حسد ضرغام ملقى يومين ، ثم حمل إلى القرافه ودفن بها .

وكانت وزارته تسعة أشهر ، وكان من أجل أعيان الأمراء ، وأشجع فرسانهم وأجودهم لعبا بالكرة ، وأشدهم رميا بالسهم ، ويكتب مع ذلك كتابه ابن مقله ، وينظم الموشحات الجيدة .

ولما جرى برأسه إلى شاور ، رفع على قنطرة وطيف به ، فقال الفقيه عمارة :

أرى جنك الوزارة صار سيفا

يحرز بحده جيد الرقاب

كأنك رائد البلوى والا

بشير بالمنية والمصاب

فكان كما قال عمارة ، فإن البلى والمنايا من حينئذ تابعت على دولة الخلفاء الفاطميين حتى لم يبق منهم عين تطرف . والله عاقبة الأمور .

« حارة العطوفية » : هذه الحارة تنسب إلى طائفة من طوائف المعسكر يقال لها العطوفية .

وقال ابن عبد الظاهر : العطوفية منسوبة لعطوف ، أحد خدام القصر ، وهو عطوف غلام الطويلة ، وكان قد خدم ست الملك أخت الحاكم .

قال : وسكنت (يعني الطائفة الجيوشية) بحارة العطوفية بالقاهرة .

والله در الأديب إبراهيم المعمار إذ يقول :
مواليا يشتمل على ذكر حارات القاهرة ، وفيها تورية :

في الجودرية رأيت صورة هلاله
للباطلية نيل لا للعطوفية

لها من اللؤلؤة ثغرين منيه
أن حركوا وجهها بنت الحسينيه

وكانت العطوفية من أجل مساكن القاهرة ، وفيها من الدور العظيمة والحمامات والأسواق والمساجد ما لا يدخل تحت حصر ، وقد خربت كلها ، ويبعث أنقاضها ويبيوتها ومنازلها ، وأضحت أوحش من وتد غير في قاع .

وعطوف هذا كان خادما أسود . قتله الحاكم بجماعة من الأتراك وقتلوا له في دهليز القصر ، واحتزوا رأسه في يوم الأحد لاحدى عشرة خلت من صفر سنة إحدى وأربعمائة ... قاله المسيحي .

« حارة الجوانية » : كان يقال لهذه الحارة أولا حارة الروم الجوانية ، ثم ثقل على الألسنة ذلك ، فقال الناس : الجوانية . وكان أيضا يقال لها حارة الروم العليا المعروفة بالجوانية .

وقال المسيحي ، وقد ذكر ما كتبه أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الأمانات في سنة خمس وتسعين وثلثمائة : وذكر أنه كتب أماما للعرافة الجوانية . فدل أنه كان من جملة الطوائف قوم يعرفون بالجوانية .

قال ابن عبد الظاهر : قال لي مؤلفه القاضي زين الدين وفقه الله : أن الجوانية منسوبة للأشراف الجوانيين . منهم الشريف التساية الجواني .

قال مؤلفه رحمه الله : فعلى هذا يكون
فتح الجيم . فان الجواني - بفتح الجيم
وتشديد الواو وقتحها وبعد الواو ألف ساكنة
ثم نون - نسبة الى جوان على وزن حران ،
وهي قرية من عمل مدينة طيبة على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام .

وعلى القول الأول تكون الجوانية بفتح
الجيم أيضا مع فتح الواو وتشديدها . فان
أهل مصر يقولون لما خرج عن المدينة أو الدار
« برا » ولما دخل « جوا » بضم الجيم ، وهو
خطا . ولهذا كان الوراقون يكتبون حارة
الروم البرانية لأنها من خارج القصر ،
ويكتبون حارة الروم الجوانية لأنها من داخل
القاهرة ، ولا يصار إليها إلا بعد المرور على
القصر . وكان موضعها اذ ذاك من وراء القصر
خلف دار الوزارة والحجر ، فكانها في داخل
البلد .

ولذلك أصل ... قال ابن سيده في مادة
« ج و » من كتاب المحكم : « وجوا البيت
داخله ... لفظة شامية » فتعين فتح الجيم من
الجوانية ، ولا عبرة بما تقوله العامة عن
ضمها .

وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني ابن
الحسن بن محمد الجواني ابن عبيد الله
الجواني ابن حسين بن علي بن الحسين بن
علي بن أبي طالب : وقيل لمحمد بن عبد الله
« الجواني » بسبب ضيعة من ضياع المدينة ،
على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، يقال لها
الجوانية .

وكانت تسمى البصرة الصغرى لخيراتها
وغلالها ، لا يطلب شيء إلا وجد بها ، وهي

قرية من « صرار » ضيعة الامام أبي جعفر
محمد بن علي الرضى .

وكانت الجوانية ضيعة لعبيد الله فتوفى
عنها ، فورثها بعده ولده وأزواجه ، فاشترى
محمد الجواني ولده - بما حصل له
بالميراث - الباقي من الورثة ، فحصل له
كاملة فصرف بها ، فقبل الجواني .

قال : ولم تزل أجداد مؤلفه يبعدون الى حين
قدوم ولده أسعد النحوى مع أبيه من بغداد
الى مصر . ومولده بالموصل في سنة اثنين
وتسعين وأربعمائة .

« حارة البستان » : ويقال لها حارة بستان
المصودى ، وحارة الأكراد أيضا ، وهي الآن
من جملة الوزيرية التى تقدم ذكرها .

« حارة المرتاحية » : هذه الحارة عرفت
بالطائفة المرتاحية احدى طوائف العسكر . قال
ابن عبد الظاهر : خط باب القنطرة يعرف في
كتب الأملاك القديمة بالمرتاحية .

« حارة الفرحية » بالحاء المهملة : كانت
سكن الطائفة الفرحية ، وهي بجوار حارة
المرتاحية . قال يومنا هذا ، فيما بين سويقة
أمير الجيوش وباب القنطرة ، زقاق يعرف
بدرج الفرحية .

والفرحية كانت طائفة من جملة عبيد
الشراء ، وكانت عبيد الشراء عدة طوائف ،
وهم : الفرحية ، والجسنية ، والميمونية ،
ينسبون الى ميمون ، وهو أحد الخدام .

« حارة فرج » بالجيم : كانت تعرف قديما
بدرج النيرى ، ثم عرفت بالأمير جمال الدين

فرج من أمراء بنى أبوب ، وهي الآن داخلية
في درب الطفل من خط قصر الشوك

« حارة قائد القواد » : هذا الحارة تعرف
الآن بدرج ملوخيا ، وكانت أولا تعرف بحارة
قائد القواد ، لأن حسين بن جوهر - الملقب
قائد القواد - كان يسكن بها فعرفت به .

وهو حسين بن القائد جوهر أبو عبد الله
الملقب بقائد القواد . لما مات أبوه جوهر القائد
خلع العزيز بالله عليه ، وجعله فى رتبة آية ،
ولقبه بالقائد ابن القائد ، ولم يتعرض لشيء
مما تركه جوهر .

فلما مات العزيز ، وقام من بعده ابنه
الحاكم ، استدناه ، ثم انه قلده البريد
والانشاء في شوال سنة ست وثمانين وثلثمائة ،
وخلع عليه ، وحمله على فرس بموكب . وقاد
بين يديه عدة أفراس ، وحمل معه ثيابا كثيرة .
فاستخلف أبا منصور بشر بن عبيد الله بن
سورين الكاتب النصراني على كتابة الانشاء ،
واستخلف على أخذ رقاع الناس وتوقيعاتهم
أمير الدولة الموصلى .

ولما تقلد برجوان النظر في تدبير الأمور ،
وجلس للوساطة بعد ابن عمار ، كان الكفاة
يلقونه في داره ، ويركبون جميعا بين يديه من
داره الى القصر . ما خلا القائد حسين ومحمد
ابن النعمان القاضى ، فانهما كانا يسلان عليه
بالقصر فقط .

فلما قتل الحاكم الأستاذ برجوان كما
تقدم ، خلع على القائد حسين ثلاث عشرة
ليلة خلت من جمادى الأولى سنة تسعين
وثلثمائة ثوبا أحمر وعمامة زرقاء مذهبة ،

وقلده سيفا محلى بذهب ، وحمله على فرس
برج ولجام من ذهب ، وقاد بين يديه ثلاثة
أفراس يراكبها ، وحمل معه حسين ثوبا
صاحا من كل نوع ، ورد اليه التوقيعات
والنظر في أمور الناس ، وتدبير المملكة كما
كان برجوان ، ولم يطلق عليه اسم وزير .

فكان يكر الى القصر ، ومعه خليفته
الرئيس أبو العلاء فهد بن ابراهيم النصراني
كاتب برجوان * ، فينظران في الأمور ، ثم
يدخلان وينهيان الحال الى الخليفة ، فيكون
القائد جالسا ، وفهد من خلفه قائما .

ومنع القائد الناس أن يلقيه في الطريق ،
أو يركبوا اليه في داره ، وأن من كان له حاجة
فليبلغه اياها بالقصر ، ومنع الناس من مخاطبته
في الرقاع بسيدنا ، وأمر ألا يخاطب ولا
يكتب الا بالقائد فقط ، وتشدد في ذلك
لحوفه من غيرة الحاكم .

حتى انه رأى جماعة من القواد الأتراك
قيام على الطريق ينتظرونه ، فأمسك عنان
فرسه ، ووقف وقال لهم : كلنا عبيد مولانا
صلوات الله عليه ومما ليكه ، ولست والله أبرح
من موضعى أو تنصرفوا عني ، ولا يلقاني
أحد الا فى القصر . فانصرفوا .

وأقام بعد ذلك خدما من الصقالية الطرادين
على الطريق بالنوبة ، لمنع الناس المجئ الى
داره ومن لقائه الا فى القصر ، وأمر أبا الفتوح
معمود الصقلبي صاحب الستر أن يوصل
الناس بأسرهم الى الحاكم ، وألا يمنع أحدا
عنه .

فلما كان في سابع عشر جمادى الآخرة ،
قرئ سجل على سائر النابر بتلقيب القائد
حسن بقائد القواد ، وخلع عليه .

وما زال الى يوم الجمعة سابع شعبان سنة
ثان وثمينة وثلاثمائة . فاجتمع سائر اهل
الدولة في القصر بعدما طلبوا ، وخرج الأمر
اليهم ألا يقام لاحد ، وخرج خادم من عند
ال خليفة فأمر الى صاحب الستر كلاما ،
فصاح : صالح بن علي

فقام صالح بن علي الرودي ، متقلدا
ديوان الشام ، فأخذ صاحب الستر بيده وهو
لا يعلم هو ولا أحد ما يراد به ، فأدخل الى
بيت المال ، وأخرج وعليه دراعة مصمتة وعبامة
منذبة ومعه مسعود ، فأجلسه بحضرة قائد
القواد ، وأخرج سجلا قرأه ابن عبد السميع
الخطيب ، فاذا فيه رد سائر الأمور التي ينظر
فيها قائد القواد حسن بن جوهر اليه ، فعندما
سمع من السجل ذكره قام وقبل الأرض ، فلما
انتهت قراءة السجل قام قائد القواد ، وقبل
خد صالح وهناه والصرف .

فكان يركب الى القصر ، ويحضر الأسطة
الى اليوم الثالث من شوال ، أمره الحاكم
أن يلزم داره هو وصهره قاضي القضاة عبد
العزيز بن النعمان ، وألا يركبا هنا وسائر
أولادهما . فلما الصوف ، ومنع الناس من
الاجتماع بهما ، وصاروا يجلسون على
حصر .

فلما كان في قاسع عشر ذي القعدة ، حفا
عنهما الحاكم ، وأذن لهما في الركوب . فركبا

الى القصر برضا من غير خلق شعر ولا تغير
حال الحزن

فلما كان في حادى عشر جمادى الآخرة سنة
ثمينة وثمينة وثلاثمائة ، قبض على عبد العزيز
ابن النعمان ، وطلب حسن بن جوهر من هو
وابه في جناته ، وكرر الصباح بدار عبد
العزيز ، وغلفت حوايت القاهرة وأسواقها ،
فأفرج عنه ونودي : ألا يخلق أحد

فرد حسن بعد ثلاثة أيام بابنيه ، وتسلوا
بحضرة الحاكم ، فعفا عنهم ، وأمرهم بالمسير
الى دورهم بعد أن خلق على حسن وعلى
صهره عبد العزيز وعلى أولادهما ، وكتب لهما
أمانان . ثم أعيد عبد العزيز في شهر رمضان
الى ما كان يتقلده من النظر في المطالم .

ثم رد الحاكم ، في شهر ربيع الأول سنة
أربعمائة ، علي حسن بن جوهر وأولاده
وصهره عبد العزيز ما كان لهم من الاقطاعات ،
وقرئ لهم سجل بذلك .

فلما كان ليلة التاسع من ذي القعدة ،
فر حسن بأولاده وصهره وجميع أموالهم
وسلاحهم . فسير الحاكم الخيل في طلبهم نحو
دجوة فلم يدركهم ، وأوقع الحوطة على سائر
دورهم ، وجعلت للديوان المفرد - وهو
ديوان أحداثه الحاكم يتعلق بما يقبض من
أموال من يسخط عليه - وحصل سائر ما
وجد لهم بعد ما ضبط

وخرجت المساكر في طلب حسن ومن معه ،
وأصبح أنه قد صار الى بني قرة بالبحيرة ،
فأقنعت اليه الكتب بتأمينه واستدعائه الى
الحدود ، فأعاد الجواب : بأنه لا يدخل

مادام أبو نصر بن عبدون النصراني الملقب
بالسكاني ، ينظر في الوساطة ، ويوقع عن
ال خليفة ، فاني أحنت اليه أيام نظري ، فسمي
بى الى أمير المؤمنين ، وقال منى كل منال ،
ولا أعود أبدا وهو وزير .

فصرف ابن عبدون في رابع المحرم سنة
لحدى وأربعمائة ، وقدم حسن بن جوهر
ومعه عبد العزيز بن النعمان وسائر من خرج
معهما . فخرج جميع اهل الدولة الى لقائه ،
وتلقته الخلع فأقيضت عليه وعلى أولاده
وصهره ، وقيد بين أيديهم الدواب . فلما
وصلوا الى باب القاهرة ترجلوا ومشوا ،
ومشى الناس بأسرهم الى القصر فصاروا
بحضرة الحاكم .

ثم خرجوا وقد عفا عنهم ، وأذن لحسين
أن يكتب بقائد القواد ، ويكون اسمه تاليا
للقبه ، وأن يخاطب بذلك . وانصرف الى
داره ، فكان يوما عظيما ، وحمل اليه جميع
ما قبض له من مال وعقار وغيره ، وأنعم
عليه ، وواصل الركوب هو وعبد العزيز بن
النعمان الى القصر .

ثم قبض عليه وعلى عبد العزيز ، واعتقلا
ثلاثة أيام ، ثم حللأ أهما لا يفيسان عن
الحضرة ، وأشهدا على أنفسهما بذلك ، وأفرج
عنهما ، وحلف لهما الحاكم في أمان كبيه
لهما .

فلما كان في ثاني عشر جمادى الآخرة سنة
لحدى وأربعمائة ، ركب حسن وعبد العزيز
على رسهما الى القصر . فلما خرج للسلام

على الناس قيل للحقبة وصعد العزى وأبى
على أخى الفضل لجلسوا لأمر تزيده الحضرة
منكم

فجلس الثلاثة ، وانصرف الناس ، فقبض
عليهم وقتلوا في وقت واحد ، وأحيط
بأموالهم وضياعهم ودورهم ، وأخذت
الأمانات والسجلات التي كتبت لهم ،
واستدعى أولاد عبد العزيز بن النعمان وأولاد
حسن بن جوهر ، ووعدوا بالجيبيل وخلع
عليهم وجملوا . والله يفعل ما يشاء .

« حارة الأمراء » : ويقال لها أيضا حارة
الأمراء الأشراف الأقارب ، وموضعها يعرف
بدرج شمس الدولة ، وسيأتي ذكره ان شاء
الله تعالى .

« حارة الطوازي » : ويقال لها أيضا حارة
صبيان الطوارق ، وهم من جملة طوائف
المسكر ، كانوا معدين لحمل الطوارق .
وموضع هذه الحارة في طريق من سلك من
الريق سوق الخلمين داخل باب زويلة طالبا
الباطلية ، بالزقاق الطويل الضيق الذي يقال
له اليوم حلق الجبل ، السالك الى درب
أرقطاي .

« حارة الشراية » : عرفت بذلك لأنها
كانت موضع سكن الغلمان الشراية لحدى
طوائف المسكر ، وكانت فيما بين الباطلية
وحارة الطوارق .

« حارة الدميري وحارة الشامين » : هما
من جملة المعطوفية .

(١٥١ مرة ١٥٢ مرة ١٥٣ مرة ١٥٤ مرة ١٥٥ مرة ١٥٦ مرة ١٥٧ مرة ١٥٨ مرة ١٥٩ مرة ١٦٠ مرة ١٦١ مرة ١٦٢ مرة ١٦٣ مرة ١٦٤ مرة ١٦٥ مرة ١٦٦ مرة ١٦٧ مرة ١٦٨ مرة ١٦٩ مرة ١٧٠ مرة ١٧١ مرة ١٧٢ مرة ١٧٣ مرة ١٧٤ مرة ١٧٥ مرة ١٧٦ مرة ١٧٧ مرة ١٧٨ مرة ١٧٩ مرة ١٨٠ مرة ١٨١ مرة ١٨٢ مرة ١٨٣ مرة ١٨٤ مرة ١٨٥ مرة ١٨٦ مرة ١٨٧ مرة ١٨٨ مرة ١٨٩ مرة ١٩٠ مرة ١٩١ مرة ١٩٢ مرة ١٩٣ مرة ١٩٤ مرة ١٩٥ مرة ١٩٦ مرة ١٩٧ مرة ١٩٨ مرة ١٩٩ مرة ٢٠٠ مرة ٢٠١ مرة ٢٠٢ مرة ٢٠٣ مرة ٢٠٤ مرة ٢٠٥ مرة ٢٠٦ مرة ٢٠٧ مرة ٢٠٨ مرة ٢٠٩ مرة ٢١٠ مرة ٢١١ مرة ٢١٢ مرة ٢١٣ مرة ٢١٤ مرة ٢١٥ مرة ٢١٦ مرة ٢١٧ مرة ٢١٨ مرة ٢١٩ مرة ٢٢٠ مرة ٢٢١ مرة ٢٢٢ مرة ٢٢٣ مرة ٢٢٤ مرة ٢٢٥ مرة ٢٢٦ مرة ٢٢٧ مرة ٢٢٨ مرة ٢٢٩ مرة ٢٣٠ مرة ٢٣١ مرة ٢٣٢ مرة ٢٣٣ مرة ٢٣٤ مرة ٢٣٥ مرة ٢٣٦ مرة ٢٣٧ مرة ٢٣٨ مرة ٢٣٩ مرة ٢٤٠ مرة ٢٤١ مرة ٢٤٢ مرة ٢٤٣ مرة ٢٤٤ مرة ٢٤٥ مرة ٢٤٦ مرة ٢٤٧ مرة ٢٤٨ مرة ٢٤٩ مرة ٢٥٠ مرة ٢٥١ مرة ٢٥٢ مرة ٢٥٣ مرة ٢٥٤ مرة ٢٥٥ مرة ٢٥٦ مرة ٢٥٧ مرة ٢٥٨ مرة ٢٥٩ مرة ٢٦٠ مرة ٢٦١ مرة ٢٦٢ مرة ٢٦٣ مرة ٢٦٤ مرة ٢٦٥ مرة ٢٦٦ مرة ٢٦٧ مرة ٢٦٨ مرة ٢٦٩ مرة ٢٧٠ مرة ٢٧١ مرة ٢٧٢ مرة ٢٧٣ مرة ٢٧٤ مرة ٢٧٥ مرة ٢٧٦ مرة ٢٧٧ مرة ٢٧٨ مرة ٢٧٩ مرة ٢٨٠ مرة ٢٨١ مرة ٢٨٢ مرة ٢٨٣ مرة ٢٨٤ مرة ٢٨٥ مرة ٢٨٦ مرة ٢٨٧ مرة ٢٨٨ مرة ٢٨٩ مرة ٢٩٠ مرة ٢٩١ مرة ٢٩٢ مرة ٢٩٣ مرة ٢٩٤ مرة ٢٩٥ مرة ٢٩٦ مرة ٢٩٧ مرة ٢٩٨ مرة ٢٩٩ مرة ٣٠٠ مرة ٣٠١ مرة ٣٠٢ مرة ٣٠٣ مرة ٣٠٤ مرة ٣٠٥ مرة ٣٠٦ مرة ٣٠٧ مرة ٣٠٨ مرة ٣٠٩ مرة ٣١٠ مرة ٣١١ مرة ٣١٢ مرة ٣١٣ مرة ٣١٤ مرة ٣١٥ مرة ٣١٦ مرة ٣١٧ مرة ٣١٨ مرة ٣١٩ مرة ٣٢٠ مرة ٣٢١ مرة ٣٢٢ مرة ٣٢٣ مرة ٣٢٤ مرة ٣٢٥ مرة ٣٢٦ مرة ٣٢٧ مرة ٣٢٨ مرة ٣٢٩ مرة ٣٣٠ مرة ٣٣١ مرة ٣٣٢ مرة ٣٣٣ مرة ٣٣٤ مرة ٣٣٥ مرة ٣٣٦ مرة ٣٣٧ مرة ٣٣٨ مرة ٣٣٩ مرة ٣٤٠ مرة ٣٤١ مرة ٣٤٢ مرة ٣٤٣ مرة ٣٤٤ مرة ٣٤٥ مرة ٣٤٦ مرة ٣٤٧ مرة ٣٤٨ مرة ٣٤٩ مرة ٣٥٠ مرة ٣٥١ مرة ٣٥٢ مرة ٣٥٣ مرة ٣٥٤ مرة ٣٥٥ مرة ٣٥٦ مرة ٣٥٧ مرة ٣٥٨ مرة ٣٥٩ مرة ٣٦٠ مرة ٣٦١ مرة ٣٦٢ مرة ٣٦٣ مرة ٣٦٤ مرة ٣٦٥ مرة ٣٦٦ مرة ٣٦٧ مرة ٣٦٨ مرة ٣٦٩ مرة ٣٧٠ مرة ٣٧١ مرة ٣٧٢ مرة ٣٧٣ مرة ٣٧٤ مرة ٣٧٥ مرة ٣٧٦ مرة ٣٧٧ مرة ٣٧٨ مرة ٣٧٩ مرة ٣٨٠ مرة ٣٨١ مرة ٣٨٢ مرة ٣٨٣ مرة ٣٨٤ مرة ٣٨٥ مرة ٣٨٦ مرة ٣٨٧ مرة ٣٨٨ مرة ٣٨٩ مرة ٣٩٠ مرة ٣٩١ مرة ٣٩٢ مرة ٣٩٣ مرة ٣٩٤ مرة ٣٩٥ مرة ٣٩٦ مرة ٣٩٧ مرة ٣٩٨ مرة ٣٩٩ مرة ٤٠٠ مرة ٤٠١ مرة ٤٠٢ مرة ٤٠٣ مرة ٤٠٤ مرة ٤٠٥ مرة ٤٠٦ مرة ٤٠٧ مرة ٤٠٨ مرة ٤٠٩ مرة ٤١٠ مرة ٤١١ مرة ٤١٢ مرة ٤١٣ مرة ٤١٤ مرة ٤١٥ مرة ٤١٦ مرة ٤١٧ مرة ٤١٨ مرة ٤١٩ مرة ٤٢٠ مرة ٤٢١ مرة ٤٢٢ مرة ٤٢٣ مرة ٤٢٤ مرة ٤٢٥ مرة ٤٢٦ مرة ٤٢٧ مرة ٤٢٨ مرة ٤٢٩ مرة ٤٣٠ مرة ٤٣١ مرة ٤٣٢ مرة ٤٣٣ مرة ٤٣٤ مرة ٤٣٥ مرة ٤٣٦ مرة ٤٣٧ مرة ٤٣٨ مرة ٤٣٩ مرة ٤٤٠ مرة ٤٤١ مرة ٤٤٢ مرة ٤٤٣ مرة ٤٤٤ مرة ٤٤٥ مرة ٤٤٦ مرة ٤٤٧ مرة ٤٤٨ مرة ٤٤٩ مرة ٤٥٠ مرة ٤٥١ مرة ٤٥٢ مرة ٤٥٣ مرة ٤٥٤ مرة ٤٥٥ مرة ٤٥٦ مرة ٤٥٧ مرة ٤٥٨ مرة ٤٥٩ مرة ٤٦٠ مرة ٤٦١ مرة ٤٦٢ مرة ٤٦٣ مرة ٤٦٤ مرة ٤٦٥ مرة ٤٦٦ مرة ٤٦٧ مرة ٤٦٨ مرة ٤٦٩ مرة ٤٧٠ مرة ٤٧١ مرة ٤٧٢ مرة ٤٧٣ مرة ٤٧٤ مرة ٤٧٥ مرة ٤٧٦ مرة ٤٧٧ مرة ٤٧٨ مرة ٤٧٩ مرة ٤٨٠ مرة ٤٨١ مرة ٤٨٢ مرة ٤٨٣ مرة ٤٨٤ مرة ٤٨٥ مرة ٤٨٦ مرة ٤٨٧ مرة ٤٨٨ مرة ٤٨٩ مرة ٤٩٠ مرة ٤٩١ مرة ٤٩٢ مرة ٤٩٣ مرة ٤٩٤ مرة ٤٩٥ مرة ٤٩٦ مرة ٤٩٧ مرة ٤٩٨ مرة ٤٩٩ مرة ٥٠٠ مرة ٥٠١ مرة ٥٠٢ مرة ٥٠٣ مرة ٥٠٤ مرة ٥٠٥ مرة ٥٠٦ مرة ٥٠٧ مرة ٥٠٨ مرة ٥٠٩ مرة ٥١٠ مرة ٥١١ مرة ٥١٢ مرة ٥١٣ مرة ٥١٤ مرة ٥١٥ مرة ٥١٦ مرة ٥١٧ مرة ٥١٨ مرة ٥١٩ مرة ٥٢٠ مرة ٥٢١ مرة ٥٢٢ مرة ٥٢٣ مرة ٥٢٤ مرة ٥٢٥ مرة ٥٢٦ مرة ٥٢٧ مرة ٥٢٨ مرة ٥٢٩ مرة ٥٣٠ مرة ٥٣١ مرة ٥٣٢ مرة ٥٣٣ مرة ٥٣٤ مرة ٥٣٥ مرة ٥٣٦ مرة ٥٣٧ مرة ٥٣٨ مرة ٥٣٩ مرة ٥٤٠ مرة ٥٤١ مرة ٥٤٢ مرة ٥٤٣ مرة ٥٤٤ مرة ٥٤٥ مرة ٥٤٦ مرة ٥٤٧ مرة ٥٤٨ مرة ٥٤٩ مرة ٥٥٠ مرة ٥٥١ مرة ٥٥٢ مرة ٥٥٣ مرة ٥٥٤ مرة ٥٥٥ مرة ٥٥٦ مرة ٥٥٧ مرة ٥٥٨ مرة ٥٥٩ مرة ٥٦٠ مرة ٥٦١ مرة ٥٦٢ مرة ٥٦٣ مرة ٥٦٤ مرة ٥٦٥ مرة ٥٦٦ مرة ٥٦٧ مرة ٥٦٨ مرة ٥٦٩ مرة ٥٧٠ مرة ٥٧١ مرة ٥٧٢ مرة ٥٧٣ مرة ٥٧٤ مرة ٥٧٥ مرة ٥٧٦ مرة ٥٧٧ مرة ٥٧٨ مرة ٥٧٩ مرة ٥٨٠ مرة ٥٨١ مرة ٥٨٢ مرة ٥٨٣ مرة ٥٨٤ مرة ٥٨٥ مرة ٥٨٦ مرة ٥٨٧ مرة ٥٨٨ مرة ٥٨٩ مرة ٥٩٠ مرة ٥٩١ مرة ٥٩٢ مرة ٥٩٣ مرة ٥٩٤ مرة ٥٩٥ مرة ٥٩٦ مرة ٥٩٧ مرة ٥٩٨ مرة ٥٩٩ مرة ٦٠٠ مرة ٦٠١ مرة ٦٠٢ مرة ٦٠٣ مرة ٦٠٤ مرة ٦٠٥ مرة ٦٠٦ مرة ٦٠٧ مرة ٦٠٨ مرة ٦٠٩ مرة ٦١٠ مرة ٦١١ مرة ٦١٢ مرة ٦١٣ مرة ٦١٤ مرة ٦١٥ مرة ٦١٦ مرة ٦١٧ مرة ٦١٨ مرة ٦١٩ مرة ٦٢٠ مرة ٦٢١ مرة ٦٢٢ مرة ٦٢٣ مرة ٦٢٤ مرة ٦٢٥ مرة ٦٢٦ مرة ٦٢٧ مرة ٦٢٨ مرة ٦٢٩ مرة ٦٣٠ مرة ٦٣١ مرة ٦٣٢ مرة ٦٣٣ مرة ٦٣٤ مرة ٦٣٥ مرة ٦٣٦ مرة ٦٣٧ مرة ٦٣٨ مرة ٦٣٩ مرة ٦٤٠ مرة ٦٤١ مرة ٦٤٢ مرة ٦٤٣ مرة ٦٤٤ مرة ٦٤٥ مرة ٦٤٦ مرة ٦٤٧ مرة ٦٤٨ مرة ٦٤٩ مرة ٦٥٠ مرة ٦٥١ مرة ٦٥٢ مرة ٦٥٣ مرة ٦٥٤ مرة ٦٥٥ مرة ٦٥٦ مرة ٦٥٧ مرة ٦٥٨ مرة ٦٥٩ مرة ٦٦٠ مرة ٦٦١ مرة ٦٦٢ مرة ٦٦٣ مرة ٦٦٤ مرة ٦٦٥ مرة ٦٦٦ مرة ٦٦٧ مرة ٦٦٨ مرة ٦٦٩ مرة ٦٧٠ مرة ٦٧١ مرة ٦٧٢ مرة ٦٧٣ مرة ٦٧٤ مرة ٦٧٥ مرة ٦٧٦ مرة ٦٧٧ مرة ٦٧٨ مرة ٦٧٩ مرة ٦٨٠ مرة ٦٨١ مرة ٦٨٢ مرة ٦٨٣ مرة ٦٨٤ مرة ٦٨٥ مرة ٦٨٦ مرة ٦٨٧ مرة ٦٨٨ مرة ٦٨٩ مرة ٦٩٠ مرة ٦٩١ مرة ٦٩٢ مرة ٦٩٣ مرة ٦٩٤ مرة ٦٩٥ مرة ٦٩٦ مرة ٦٩٧ مرة ٦٩٨ مرة ٦٩٩ مرة ٧٠٠ مرة ٧٠١ مرة ٧٠٢ مرة ٧٠٣ مرة ٧٠٤ مرة ٧٠٥ مرة ٧٠٦ مرة ٧٠٧ مرة ٧٠٨ مرة ٧٠٩ مرة ٧١٠ مرة ٧١١ مرة ٧١٢ مرة ٧١٣ مرة ٧١٤ مرة ٧١٥ مرة ٧١٦ مرة ٧١٧ مرة ٧١٨ مرة ٧١٩ مرة ٧٢٠ مرة ٧٢١ مرة ٧٢٢ مرة ٧٢٣ مرة ٧٢٤ مرة ٧٢٥ مرة ٧٢٦ مرة ٧٢٧ مرة ٧٢٨ مرة ٧٢٩ مرة ٧٣٠ مرة ٧٣١ مرة ٧٣٢ مرة ٧٣٣ مرة ٧٣٤ مرة ٧٣٥ مرة ٧٣٦ مرة ٧٣٧ مرة ٧٣٨ مرة ٧٣٩ مرة ٧٤٠ مرة ٧٤١ مرة ٧٤٢ مرة ٧٤٣ مرة ٧٤٤ مرة ٧٤٥ مرة ٧٤٦ مرة ٧٤٧ مرة ٧٤٨ مرة ٧٤٩ مرة ٧٥٠ مرة ٧٥١ مرة ٧٥٢ مرة ٧٥٣ مرة ٧٥٤ مرة ٧٥٥ مرة ٧٥٦ مرة ٧٥٧ مرة ٧٥٨ مرة ٧٥٩ مرة ٧٦٠ مرة ٧٦١ مرة ٧٦٢ مرة ٧٦٣ مرة ٧٦٤ مرة ٧٦٥ مرة ٧٦٦ مرة ٧٦٧ مرة ٧٦٨ مرة ٧٦٩ مرة ٧٧٠ مرة ٧٧١ مرة ٧٧٢ مرة ٧٧٣ مرة ٧٧٤ مرة ٧٧٥ مرة ٧٧٦ مرة ٧٧٧ مرة ٧٧٨ مرة ٧٧٩ مرة ٧٨٠ مرة ٧٨١ مرة ٧٨٢ مرة ٧٨٣ مرة ٧٨٤ مرة ٧٨٥ مرة ٧٨٦ مرة ٧٨٧ مرة ٧٨٨ مرة ٧٨٩ مرة ٧٩٠ مرة ٧٩١ مرة ٧٩٢ مرة ٧٩٣ مرة ٧٩٤ مرة ٧٩٥ مرة ٧٩٦ مرة ٧٩٧ مرة ٧٩٨ مرة ٧٩٩ مرة ٨٠٠ مرة ٨٠١ مرة ٨٠٢ مرة ٨٠٣ مرة ٨٠٤ مرة ٨٠٥ مرة ٨٠٦ مرة ٨٠٧ مرة ٨٠٨ مرة ٨٠٩ مرة ٨١٠ مرة ٨١١ مرة ٨١٢ مرة ٨١٣ مرة ٨١٤ مرة ٨١٥ مرة ٨١٦ مرة ٨١٧ مرة ٨١٨ مرة ٨١٩ مرة ٨٢٠ مرة ٨٢١ مرة ٨٢٢ مرة ٨٢٣ مرة ٨٢٤ مرة ٨٢٥ مرة ٨٢٦ مرة ٨٢٧ مرة ٨٢٨ مرة ٨٢٩ مرة ٨٣٠ مرة ٨٣١ مرة ٨٣٢ مرة ٨٣٣ مرة ٨٣٤ مرة ٨٣٥ مرة ٨٣٦ مرة ٨٣٧ مرة ٨٣٨ مرة ٨٣٩ مرة ٨٤٠ مرة ٨٤١ مرة ٨٤٢ مرة ٨٤٣ مرة ٨٤٤ مرة ٨٤٥ مرة ٨٤٦ مرة ٨٤٧ مرة ٨٤٨ مرة ٨٤٩ مرة ٨٥٠ مرة ٨٥١ مرة ٨٥٢ مرة ٨٥٣ مرة ٨٥٤ مرة ٨٥٥ مرة ٨٥٦ مرة ٨٥٧ مرة ٨٥٨ مرة ٨٥٩ مرة ٨٦٠ مرة ٨٦١ مرة ٨٦٢ مرة ٨٦٣ مرة ٨٦٤ مرة ٨٦٥ مرة ٨٦٦ مرة ٨٦٧ مرة ٨٦٨ مرة ٨٦٩ مرة ٨٧٠ مرة ٨٧١ مرة ٨٧٢ مرة ٨٧٣ مرة ٨٧٤ مرة ٨٧٥ مرة ٨٧٦ مرة ٨٧٧ مرة ٨٧٨ مرة ٨٧٩ مرة ٨٨٠ مرة ٨٨١ مرة ٨٨٢ مرة ٨٨٣ مرة ٨٨٤ مرة ٨٨٥ مرة ٨٨٦ مرة ٨٨٧ مرة ٨٨٨ مرة ٨٨٩ مرة ٨٩٠ مرة ٨٩١ مرة ٨٩٢ مرة ٨٩٣ مرة ٨٩٤ مرة ٨٩٥ مرة ٨٩٦ مرة ٨٩٧ مرة ٨٩٨ مرة ٨٩٩ مرة ٩٠٠ مرة ٩٠١ مرة ٩٠٢ مرة ٩٠٣ مرة ٩٠٤ مرة ٩٠٥ مرة ٩٠٦ مرة ٩٠٧ مرة ٩٠٨ مرة ٩٠٩ مرة ٩١٠ مرة ٩١١ مرة ٩١٢ مرة ٩١٣ مرة ٩١٤ مرة ٩١٥ مرة ٩١٦ مرة ٩١٧ مرة ٩١٨ مرة ٩١٩ مرة ٩٢٠ مرة ٩٢١ مرة ٩٢٢ مرة ٩٢٣ مرة ٩٢٤ مرة ٩٢٥ مرة ٩٢٦ مرة ٩٢٧ مرة ٩٢٨ مرة ٩٢٩ مرة ٩٣٠ مرة ٩٣١ مرة ٩٣٢ مرة ٩٣٣ مرة ٩٣٤ مرة ٩٣٥ مرة ٩٣٦ مرة ٩٣٧ مرة ٩٣٨ مرة ٩٣٩ مرة ٩٤٠ مرة ٩٤١ مرة ٩٤٢ مرة ٩٤٣ مرة ٩٤٤ مرة ٩٤٥ مرة ٩٤٦ مرة ٩٤٧ مرة ٩٤٨ مرة ٩٤٩ مرة ٩٥٠ مرة ٩٥١ مرة ٩٥٢ مرة ٩٥٣ مرة ٩٥٤ مرة ٩٥٥ مرة ٩٥٦ مرة ٩٥٧ مرة ٩٥٨ مرة ٩٥٩ مرة ٩٦٠ مرة ٩٦١ مرة ٩٦٢ مرة ٩٦٣ مرة ٩٦٤ مرة ٩٦٥ مرة ٩٦٦ مرة ٩٦٧ مرة ٩٦٨ مرة ٩٦٩ مرة ٩٧٠ مرة ٩٧١ مرة ٩٧٢ مرة ٩٧٣ مرة ٩٧٤ مرة ٩٧٥ مرة ٩٧٦ مرة ٩٧٧ مرة ٩٧٨ مرة ٩٧٩ مرة ٩٨٠ مرة ٩٨١ مرة ٩٨٢ مرة ٩٨٣ مرة ٩٨٤ مرة ٩٨٥ مرة ٩٨٦ مرة ٩٨٧ مرة ٩٨٨ مرة ٩٨٩ مرة ٩٩٠ مرة ٩٩١ مرة ٩٩٢ مرة ٩٩٣ مرة ٩٩٤ مرة ٩٩٥ مرة ٩٩٦ مرة ٩٩٧ مرة ٩٩٨ مرة ٩٩٩ مرة ١٠٠٠ مرة ١٠٠١ مرة ١٠٠٢ مرة ١٠٠٣ مرة ١٠٠٤ مرة ١٠٠٥ مرة ١٠٠٦ مرة ١٠٠٧ مرة ١٠٠٨ مرة ١٠٠٩ مرة ١٠١٠ مرة ١٠١١ مرة ١٠١٢ مرة ١٠١٣ مرة ١٠١٤ مرة ١٠١٥ مرة ١٠١٦ مرة ١٠١٧ مرة ١٠١٨ مرة ١٠١٩ مرة ١٠٢٠ مرة ١٠٢١ مرة ١٠٢٢ مرة ١٠٢٣ مرة ١٠٢٤ مرة ١٠٢٥ مرة ١٠٢٦ مرة ١٠٢٧ مرة ١٠٢٨ مرة ١٠٢٩ مرة ١٠٣٠ مرة ١٠٣١ مرة ١٠٣٢ مرة ١٠٣٣ مرة ١٠٣٤ مرة ١٠٣٥ مرة ١٠٣٦ مرة ١٠٣٧ مرة ١٠٣٨ مرة ١٠٣٩ مرة ١٠٤٠ مرة ١٠٤١ مرة ١٠٤٢ مرة ١٠٤٣ مرة ١٠٤٤ مرة ١٠٤٥ مرة ١٠٤٦ مرة ١٠٤٧ مرة ١٠٤٨ مرة ١٠٤٩ مرة ١٠٥٠ مرة ١٠٥١ مرة ١٠٥٢ مرة ١٠٥٣ مرة ١٠٥٤ مرة ١٠٥٥ مرة ١٠٥٦ مرة ١٠٥٧ مرة ١٠٥٨ مرة ١٠٥٩ مرة ١٠٦٠ مرة ١٠٦١ مرة ١٠٦٢ مرة ١٠٦٣ مرة ١٠٦٤ مرة ١٠٦٥ مرة ١٠٦٦ مرة ١٠٦٧ مرة ١٠٦٨ مرة ١٠٦٩ مرة ١٠٧٠ مرة ١٠٧١ مرة ١٠٧٢ مرة ١٠٧٣ مرة ١٠٧٤ مرة ١٠٧٥ مرة ١٠٧٦ مرة ١٠٧٧ مرة ١٠٧٨ مرة ١٠٧٩ مرة ١٠٨٠ مرة ١٠٨١ مرة ١٠٨٢ مرة ١٠٨٣ مرة ١٠٨٤ مرة ١٠٨٥ مرة ١٠٨٦ مرة ١٠٨٧ مرة ١٠٨٨ مرة ١٠٨٩ مرة ١٠٩٠ مرة ١٠٩١ مرة ١٠٩٢ مرة ١٠٩٣ مرة ١٠٩٤ مرة ١٠٩٥ مرة ١٠٩٦ مرة ١٠٩٧ مرة ١٠٩٨ مرة ١٠٩٩ مرة ١١٠٠ مرة ١١٠١ مرة ١١٠٢ مرة ١١٠٣ مرة ١١٠٤ مرة ١١٠٥ مرة ١١٠٦ مرة ١١٠٧ مرة ١١٠٨ مرة ١١٠٩ مرة ١١١٠ مرة ١١١١ مرة ١١١٢ مرة ١١١٣ مرة ١١١٤ مرة ١١١٥ مرة ١١١٦ مرة ١١١٧ مرة ١١١٨ مرة ١١١٩ مرة ١١٢٠ مرة ١١٢١ مرة ١١٢٢ مرة ١١٢٣ مرة ١١٢٤ مرة ١١٢٥ مرة ١١٢٦ مرة ١١٢٧ مرة ١١٢٨ مرة ١١٢٩ مرة ١١٣٠ مرة ١١٣١ مرة ١١٣٢ مرة ١١٣٣ مرة ١١٣٤ مرة ١١٣٥ مرة ١١٣٦ مرة ١١٣٧ مرة ١١٣٨ مرة ١١٣٩ مرة ١١٤٠ مرة ١١٤١ مرة ١١٤٢ مرة ١١٤٣ مرة ١١٤٤ مرة ١١٤٥ مرة ١١٤٦ مرة ١١٤٧ مرة ١١٤٨ مرة ١١٤٩ مرة ١١٥٠ مرة ١١٥١ مرة ١١٥٢ مرة ١١٥٣ مرة ١١٥٤ مرة ١١٥٥ مرة ١١٥٦ مرة ١١٥٧ مرة ١١٥٨ مرة ١١٥٩ مرة ١١٦٠ مرة ١١٦١ مرة ١١٦٢ مرة ١١٦٣ مرة ١١٦٤ مرة ١١٦٥ مرة ١١٦٦ مرة ١١٦٧ مرة ١١٦٨ مرة ١١٦٩ مرة ١١٧٠ مرة ١١٧١ مرة ١١٧٢ مرة ١١٧٣ مرة ١١٧٤ مرة ١١٧٥ مرة ١١٧٦ مرة ١١٧٧ مرة ١١٧٨ مرة ١١٧٩ مرة ١١٨٠ مرة ١١٨١ مرة ١١٨٢ مرة ١١٨٣ مرة ١١٨٤ مرة ١١٨٥ مرة ١١٨٦ مرة ١١٨٧ مرة ١١٨٨ مرة ١١٨٩ مرة ١١٩٠ مرة ١١٩١ مرة ١١٩٢ مرة ١١٩٣ مرة ١١٩٤ مرة ١١٩٥ مرة ١١٩٦ مرة ١١٩٧ مرة ١١٩٨ مرة ١١٩٩ مرة ١٢٠٠ مرة ١٢٠١ مرة ١٢٠٢ مرة ١٢٠٣ مرة ١٢٠٤ مرة ١٢٠٥ مرة ١٢٠٦ مرة ١٢٠٧ مرة ١٢٠٨ مرة ١٢٠٩ مرة ١٢١٠ مرة ١٢١١ مرة ١٢١٢ مرة ١٢١٣ مرة ١٢١٤ مرة ١٢١٥ مرة ١٢١٦ مرة ١٢١٧ مرة ١٢١٨ مرة ١٢١٩ مرة ١٢٢٠ مرة ١٢٢١ مرة ١٢٢٢ مرة ١٢٢٣ مرة ١٢٢٤ مرة ١٢٢٥ مرة ١٢٢٦ مرة ١٢٢٧ مرة ١٢٢٨ مرة ١٢٢٩ مرة ١٢٣٠ مرة ١٢٣١ مرة ١٢٣٢ مرة ١٢٣٣ مرة ١٢٣٤ مرة ١٢٣٥ مرة ١٢٣٦ مرة ١٢٣٧ مرة ١٢٣٨ مرة ١٢٣٩ مرة ١٢٤٠ مرة ١٢٤١ مرة ١٢٤٢ مرة ١٢٤٣ مرة ١٢٤٤ مرة ١٢٤٥ مرة ١٢٤٦ مرة ١٢٤٧ مرة ١٢٤٨ مرة ١٢٤٩ مرة ١٢٥٠ مرة ١٢٥١ مرة ١٢٥٢ مرة ١٢٥٣ مرة ١٢٥٤ مرة ١٢٥٥ مرة ١٢٥٦ مرة ١٢٥٧ مرة ١٢٥٨ مرة ١٢٥٩ مرة ١٢٦٠ مرة ١٢٦١ مرة ١٢٦٢ مرة ١٢٦٣ مرة ١٢٦٤ مرة ١٢٦٥ مرة ١٢٦٦ مرة ١٢٦٧ مرة ١٢٦٨ مرة ١٢٦٩ مرة ١٢٧٠ مرة ١٢٧١ مرة ١٢٧٢ مرة ١٢٧٣ مرة ١٢٧٤ مرة ١٢٧٥ مرة ١٢٧٦ مرة ١٢٧٧ مرة ١٢٧٨ مرة ١٢٧٩ مرة ١٢٨٠ مرة ١٢٨١ مرة ١٢٨٢ مرة ١٢٨٣ مرة ١٢٨٤ مرة ١٢٨٥ مرة ١٢٨٦ مرة ١٢٨٧ مرة ١٢٨٨ مرة ١٢٨٩ مرة ١٢٩٠ مرة ١٢٩١ مرة ١٢٩٢ مرة ١٢٩٣ مرة ١٢٩٤ مرة ١٢٩٥ مرة ١٢٩٦ مرة ١٢٩٧ مرة ١٢٩٨ مرة ١٢٩٩ مرة ١٣٠٠ مرة ١٣٠١ مرة ١٣٠٢ مرة ١٣٠٣ مرة ١٣٠٤ مرة ١٣٠٥ مرة ١٣٠٦ مرة ١٣٠٧ مرة ١٣٠٨ مرة ١٣٠٩ مرة ١٣١٠ مرة ١٣١١ مرة ١٣١٢ مرة ١٣١٣ مرة ١٣١٤ مرة ١٣١٥ مرة ١٣١٦ مرة ١٣١٧ مرة ١٣١٨ مرة ١٣١٩ مرة ١٣٢٠ مرة ١٣٢١ مرة ١٣٢٢ مرة ١٣٢٣ مرة ١٣٢٤ مرة ١٣٢٥ مرة ١٣٢٦ مرة ١

« حارة المهاجرين » : وموضعها الآن من بجلة المكان الذي يعرف بالرفيق المد لسوق الخلعين بجوار باب زويلة ، وكان بعد ذلك سوق الخشابين ، ثم هو الآن سوق الخلعين .

وموضع هذه الحارة بجوار الخوخة التي كانت تعرف بالشيخ السعيد بن فسيحة النصراني الكاتب ، وهي الخوخة التي يسلك إليها من الزقاق المقابل لحمام الفاضل الممد لدخول النساء ، ويتوصل منها إلى درب كوز الزير بحارة الروم . وقد صارت هذه الحارة تعرف بدرب ابن المجدار ، وسيأتي ذكره إن شاء الله .

« حارة العدوية » : قال ابن عبد الظاهر : العدوية هي من باب الخشية إلى أول حارة زويلة ، عند حمام الحمام الجلدكي الآن ، منسوبة لجاعة عدوين نزلوا هناك ، وهذا المكان اليوم هو عبارة عن الموضع الذي نلقاه عند خروجك من زقاق حمام خشية ، الذي يتوصل إليه من سوق باب الزهومة ، فإذا انتهيت إلى آخر هذا الزقاق وأخذت على يمينك ، صرت في حارة العدوية . وموضعها الآن من قنطرة بلال المقينى إلى باب سر المارستان .

وتدخل في العدوية رحبة يبرس التي فيها الآن قنطرة الرخام ، عن يمينك إذا خرجت في الرحبة المذكورة - التي صارت الآن دربا - إلى باب سر المارستان ، وما عن يارك إلى حمام الكريك وحمام الجوى

— الذي تقول له العامة الجيني — وإلى سوق الزجاجين . وكل هذه المواضع هي من حقوق العدوية .

وكانت العدوية قديما واقعة فيما بين الميدان الذي يعرف اليوم بالخرشتف وحارة زويلة وبين سقيفة العداس والصاغة القديمة ، التي صار موضعها الآن سوق الحريرين الشرايين برأس السوراقين وسوق الزجاجين .

« حارة الميدانية » : كانت تعرف أولا بحارة البديمين ، ثم قيل لها بعد ذلك الحبابية ، من أجل البستان الذي يعرف بالحبابية ، الجارى في وقف الخاتمة الصلاحية سعيد السعداء . ويتوصل إلى هذه الحارة من تجاه قنطرة آق سنقر ، وبعض دورها الآن يشرف على بستان الحبابية ، وبعضها يطل على بركة النيل .

« حارة الحمزين » : كانت أولا تعرف بالحبابية ، ثم قيل لها حارة الحمزين من أجل أن جماعة من الحمزين نزلوا بها : منهم الحاج يوسف بن فائق الحمزي — والحمزيون أيضا ينسبون إلى حمزة بن أدركة السارى . خرج بخراسان في أيام هارون بن محمد الرشيد ، فعاث وأفسد ، وفض جموع عيسى ابن على عامل خراسان ، وقتل منهم خلقا ، وانهمزم عيسى إلى بابل ، ثم غرق حمزة بواد في كرمان ، فعرفت طائفة بالحمزية — وأخوه ضرغام بن فائق بن ساعد الحمزي ، والحاج عولى الطحان ابن يوسف بن فائق الحمزي ،

ورضوان بن يوسف بن فائق الحمزي الحسامي ، وأخوه سالم بن يوسف بن فائق الحمزي ، وكان هؤلاء بعد سنة ست مائة .

، وهذه الحارة خارج باب زويلة .

ومن بلاد إفريقية قرية يقال لها حمزي ، ينسب إليها محمد بن محمد بن خلف القيسي الحمزي من أهل القرية ، وقاضيا توفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، ولا يبعد أن تكون هذه الحارة نسبت إلى أهل قرية حمزة هذه لنزولهم بها ، كنزول بني سوس وكثامة وغيرهم في المواضع التي نسبت إليهم .

« حارة بني سوس » : عرفت بطائفة من المصامدة يقال لهم بنو سوس كانوا يكتنون بها .

« حارة اليانسية » : تعرف بطائفة من طوائف العسكر يقال لها اليانسية ، منسوبة لخادم خصي من خدام العزيز بالله ، يقال له أبو الحسن يانس الصقلي ، خلفه على القاهرة ، فلما مات العزيز أقره ابنه الحاكم بأمر الله على خلافة القصور ، وخلع عليه وحمله على فرسين .

فلما كان في المحرم سنة ثمان وثمانين وثلثمائة سار لولاية برقة بعدما خلع عليه ، وأعطى خمسة آلاف دينار ، وعدة من الخيل والسياب .

قال ابن عبد الظاهر : اليانسية خارج باب زويلة . أطلقها منسوبة ليانس وزير الحافظ لدين الله ، الملقب بأبى الجيوش سيف الاسلام ، ويعرف يانس الفاصد ، وكان

أرمنى الجنس ، وسمى الفاصد لأنه قصص الأمير حسن بن الحافظ ، وتركه محلولاً فصاده حتى مات .

وله خبر غرب في وفاته . كان الحافظ قد تقم عليه أشياء طلب قتله بها باطنا ، فقال لطيبه : اكفى أمره بياكل أو مشرب . فأبى الطبيب ذلك خوفا أن يصير عند الحافظ بهذه العين وربما قتله بها ، والحافظ يحثه على ذلك .

فاتفق ليانس الوزير المذكور أنه مرض بجزير ، وأن الحافظ خاطب الطبيب بذلك ، فقال : يامولاي قد أمكنتك القرعة ، وبلغت مقصودك . ولو أن مولانا عاده في هذه المرضة اكتسب حسن ألدوة .

وهذه المرضة ليس دواؤه منها إلا الدعة والسكون ، ولا شيء أضر عليه من الانزعاج والحركة . فبجرد ما سمع بقصد مولانا له تحرك ، واهتم ببقاء مولانا وانزعج ، وفي ذلك تلاف نفسه . ففعل الخليفة ذلك ، وأطال الجلوس عنده ... فمات .

وهذا الخبر فيه ساوهم : منها أنه جعل اليانسية منسوبة ليانس الوزير ، وقد كانت اليانسية قبل يانس هذا بدة طويلة . ومنها أنه ادعى أن حسن بن الحافظ مات من فصادة ، وليس كذلك ، وإنما مات مسموما . ومنها أنه زعم أن يانس تولى قصده ، وليس كذلك ، بل الذي تولى قتله بالسم أبو سعيد بن قرقة . ومنها أن الذي تقم عليه الحافظ من

(*) من ١٦٦٠ ج ٢ ، طبعوني .

الأمراء فخان في ابنه حسن ، إنما هو الأمير
المعظم جلال الدين محمد المعروف بجلب
راغب .

وهذا نص الخبر ، فتره بالك ، والله تعالى
أعلم .

ذكر وزارة أبي الفتح ناصر الجيوش يونس الأرميني

وكان من خبر ذلك أن الخليفة الأمر
بأحكام الله أبا علي منصور لما قتله التزارية ،
في ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسائة ،
أقام هزبر الملوك جوامرد العادل برغش الأمير
أبا الميمون عبد المجيد في الخلافة كميلا للجل
الذي تركه الأمر ، ولقب بالحافظ لدين الله ،
ولبس هزبر الملوك خلع الوزارة .

فثار الجند ، وأقاموا أبا علي أحمد الملقب
بكتيفات ، ولد الأفضل بن أمير الجيوش ، في
الوزارة . وقتل هزبر الملوك ، واستولى
كتيفات على الأمر ، وقبض على الحافظ ،
وسجنه بالقصر مقيدا إلى أن قتل كتيفات
في المحرم سنة ست وعشرين وخمسائة .

وبادر صبيان الخاص الذين تولوا قتله إلى
القصر ، ودخلوا معهم الأمير يونس متولي
الباب إلى الخزنة التي فيها الحافظ ،
وأخرجوه إلى الشباك ، وأجلسوه في منصب
الخلافة ، وقالوا له : والله ما حركنا على هذا
إلا الأمير يونس .

فجازاه الحافظ بأن فوض إليه الوزارة في
الحال وخلع عليه ، فباشرها مباشرة جيدة .

وكان عاقلا مهابا متمسكا متحفظا لقوانين
الدولة . فلم يحدث شيئا ، ولا خرج عما
يعينه الخليفة له . إلا أنه بلغه عن أستاذ من
خواص الخليفة شيء يكرهه ، فقبض عليه
من القصر من غير مشاورة الخليفة ، وضرب
عقه بخزانة البنود . فاستوحش منه الخليفة
وخشى من زيادة معناه ، وكانت هذه الغلطة
غلطة منه .

ثم أنه خاف من صبيان الخاص أن يفتكوا
به كما فتكوا بكتيفات ، فتنكر لهم ،
وتخوفوه أيضا . فركب في خاصته وأركب
العسكر ، وركب صبيان الخاص ، فكانت
بينهما وقعة قبالة باب التباين بين القصرين ،
قوى فيها يونس ، وقتل من صبيان الخاص ما
يزيد على ثلثمائة رجل من أعيانهم فيهم فتلة
أبي علي كتيفات ، وكانوا نحو الخمسمائة
فارس ، فالتكسرت شوكتهم ، وضعف
جانهم .

واشتد بأس يونس وعظم شأنه ، فثقل على
الخليفة وتحيل منه ، فأحسن بذلك ، فأخذ
كل منهما في التديير على الآخر ، فأعجل
يونس وقبض على حاشية الخليفة ، ومنهم
قاضي القضاة وداعي الدعاة أبو الفخر وأبو
الفتح بن قادوس ، وقتلها .

فاشتد ذلك على الحافظ ، ودعا طبيبه
وكان : اكفى أمر يونس . فيقال أنه سمع في
ماء المستراح ، فانتفح دبره ، واتسع حتى ما
بقي يقدر على الجلوس .

فقال الطبيب : يا أمير المؤمنين قد أمكنتك
الفرصة ، وبلغت مقصودك . فلو أن مولانا

عاده في هذه المرصة اكتسب حين الأحدث ،
فإن هذا المرض ليس له دواء إلا الدعة
والسكون ، ولا شيء عليه أضر من الحركة
والانزعاج . وهو إذا سمع بقصد مولانا له
تحرك ، واهتم للقاء وانزعج ، وفي ذلك تلاف
نفسه . فنهض لعيادته .

وعندما بلغ ذلك يونس قام ليلقاه ، ونزل عن
الفراش وجلس بين يدي الخليفة . فأطال
الخليفة جلوسه عنده وهو يحادثه ، فلم يقم
حتى سقطت أمعاء يونس ، ومات من ليلته في
سادس عشر ذي الحجة سنة ست وعشرين
وخمسائة .

وكانت وزارته تسعة أشهر وأياما ، وترك
ولدين كفلهما الحافظ وأحسن إليهما .

وكان يونس هذا مولى أرمنيا لباديس جد
عباس الوزير ، فأهداه إلى الأفضل بن أمير
الجيوش ، وترقى في خدمته إلى أن تأمر ، ثم
ولى الباب — وهي أعظم رتب الأمراء —
وكنى بأبي الفتح ، ولقب بالأمير السعيد .
ثم لما ولى الوزارة نعت بناصر الجيوش سيف
الاسلام ، وكان عظيم الهمة ، بعيد الغور ،
كثير الشر ، شديد الهيبة .

ذكر الأمير حسن بن الخليفة الحافظ

ولما مات الوزير يونس ، تولى الخليفة
الحافظ الأمور بنفسه ولم يستورز أحدا ،
وأحسن السيرة .

فلما كان في سنة ثمان وعشرين وخمسائة
عهد إلى ولده سليمان — وكان أسن أولاده
وأحبهم إليه — وأقامه مقام الوزير ، فمات

بعد شهرين من ولاية العهد ، فجعل مكانه
أخاه حيدرة في ولاية العهد ، ونصبه للنظر في
المظالم .

فشق ذلك على أخيه الأمير حسن — وكان
كثير المال متسع الحال ، له عدة بلاد ومواشي
وحاشية وديوان مفرد — فسمى في تقضى
ذلك بأن أوقع الفتنة بين الطائفة البيونسية
والطائفة الريحانية ، وكانت الريحانية قوة
الشوكة مهابة مخوفة الجانب .

فاشتعلت نيران الحرب بين الفريقين ،
وصاح الجند : يا حسن يا منصور يا للحمينية .
والتقى الفريقان فقتل بينهما ما يزيد على
خسة آلاف نفس ، فكانت هذه الواقعة أول
مصائب الدولة الفاطمية من فقد رجالها وتقضى
عساكرها ، فلم يبق من الطائفة الريحانية إلا
من نجا بنفسه من ناحية المقس ، وألقى نفسه
في بحر النيل .

واستظهر الأمير حسن وقام بالأمر ، وانضم
إليه أوباش الناس ودعاهم ، ففرق فيهم
الزرد ، وسماهم صبيان الزرد ، وجعلهم
خاصة . فاحتفوا به وصاروا لا يفارقونه ،
فإن ركب أحاطوا به ، وإن نزل لازموا داره ،
فقامت قيامة الناس منهم .

وشرع في تبسح الأكابر ، فقبض على ابن
العصاف وقتله ، وقصد أباه الخليفة الحافظ
وأخاه حيدرة بالضرر حتى خافا منه وتنبيا ،
فجد في طلب أخيه حيدرة ، وهتك بأوباشه
الذين اختارهم حرمة القصر ، وخرق ناموسه ،

وسلطهم يفتشون القصر في طلب الخليفة الحافظ وابنه حيدرة ، واشتد بأسهم ، وحسنوا له كل رذيلة ، وجروه على الأذى .

فلم يجد الحافظ بدا من مداراة حسن وتلافى أمره عساه ينصلح ، وكتب سجلا بولايته العهد ، وأرسله إليه فقرأه على الناس . فما زاده ذلك الا جراءة عليه وافسادا له ، وتشد في التضييق على أبيه ، وأخذ بأنفاسه . فبعث حينئذ الخليفة بالأستاذ ابن اسعاف الى بلاد الصعيد ليجمع من يقدر عليه من الرعيانية ، فمضى واستصرخ الناس لنصرة الخليفة على ولده حسن ، وجمع أمما لا يحصيها الا الله وسار بهم .

فبلغ ذلك حسنا ، فزج عسكريا للقاه اسعاف فالتقا ، وكانت بينهما وقعة هبت فيها ربح سوداء على عسكر اسعاف حتى هزمتهم ، وركبهم عسكر حسن فلم ينج منهم الا القليل ، وغرق أكثرهم في البحر ، وأخذ اسعاف أسيرا ، فحمل الى القاهرة على جبل وفي رأسه طرطور لبد أحمر ، فلما وصل بين القصرين رشق بالنشاب حتى هلك ، ورمى من القصر الغربي بأستاذ آخر فقتل . وقتل الأمير شرف الدين .

فاشتد ذلك على الحافظ وخاف على نفسه فكتب ورقة ، وكاد ابنه بأن ألقى اليه تلك الورقة وفيها : يا ولدي أنت على كل حال ولدي ، ولو عمل كل منا لصاحبه ما يكره الآخر ما أراد أن يصيه مكروه ، ولا يحلني قلبى ، وقد انتهى الأمر الى أمراء الدولة

— وهم فلان وفلان — وقد شددت وطأتك عليهم وخافوك ، وهم معولون على قتلك ، فخذ حذرك يا ولدي .

فعندما وقف حسن على الورقة ، غضب ولم يتأن ، وبعث الى أولئك ، فلما صاروا اليه أمر صبيان الزرد بقتلهم ، فقتلوا عن آخرهم — وكانوا عدة من أعيان الأمراء — وأحاط بدورهم وأخذ سائر ما فيها .

فاشتدت المصيبة ، وعظمت الرزية ، وتخوف من بقى من الجند وتروا منه . فانه كان جريا مفيدا ، شديد الفحص عن أحوال الناس والاستقصاء لأخبارهم ، يريد انقلاب الدولة وتغييرها ليقيم أوباشه ، وأكثر من مصادرة الناس ، وقتل قاضي القضاة أبا الثريا نجم لأنه كان من خواص أبيه ، وقتل جماعة من الأعيان ، ورد القضاء لابن ميسر .

وتفاقم أمره وعظم خطبه ، واشتدت الوحشة بينه وبين الأمراء والأجناد ، وهموا بخلع الحافظ ومخارية ابنه حسن ، وصاروا يدا واحدة ، واجتمعوا بين القصرين وهم عشرة آلاف ما بين فارس وراجل ، وسيروا الى الحافظ يشكون ما هم فيه من البلاء مع ابنه حسن ، ويطلبون منه أن يزيله من ولاية العهد .

فعجز حسن عن مقاومتهم ، فانه لم يسبق معه سوى الراجل من الطائفة الجيوشية ، ومن يقول بقولهم من الغز الغبراء ، فتحين وخاف على نفسه ، فالتجأ الى القصر ، وصار الي أبيه الحافظ . فما هو الا أن تمكن منه أبوه ، فقبض عليه وقيده ، وبعث الى الأمراء

يخبرهم بذلك ، فأجمعوا على قتله ، فرد عليهم أنه قد صرفه عنهم ، ولا يسكنه أبدا من التصرف ، ووعدهم بالزيادة في الأرزاق والاقطاعات ، وأن يكفوا عن طلب قتله .

فألحوا في قتله ، وقالوا : اما نحن ، واما هو ... اشتد طلبهم اياه حتى أحضروا الأحطاب واليران ليحرقوا القصر ، وبالفوا في التجري على الخليفة ، فلم يجد بدا من اجابتهم الى قتله ، وسألهم أن يسهلوه ثلاثا ، فأناخوا بين القصرين ، وأقاموا على حالهم حتى تنقضى الثلاث .

فما وسع الحافظ الا أن استدعى طيبيه — وهما أبو منصور اليهودي ، وابن قرقة النصراني — وبدأ بأبي منصور ، وفاوضه في عمله سقية قاتلة ، فامتنع من ذلك ، وحلف بالتوراة أنه لا يعرف عمل شيء من ذلك . فتركه وأحضر ابن قرقة ، وكلسه في هذا ، فقال : الساعة ، ولا يتقطع منها جسده ، بل تفيض النفس لا غير .

فأحضر السقية من يومه ، فبعثها الى حسن مع عدة من الصقالبة ، وما زالوا يكرهونه على شربها حتى فعل ، ومات في العشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

فبعث الحافظ الى القوم سرا يقول : قد كان ما أردتم ، فامضوا الى دوركم . فقالوا : لا بد أن يشاهده منا من تثق به * .

(*) من ١٨ ج ٢ ، ط ١٠٠٠ بولاق .

ولدبوا منهم أميرا معروفا بالجراءة والشرف يقال له المعظم جلال الدين محمد — ويعرف بجلب راغب الآمرى — فدخل الى القصر ، وسار جنب حسن ، فاذا به قد سجد بثوب ، فكشف عن وجهه ، وأخرج من وسطه آله من حديد ، وغرزه بها في عدة مواضع من بدنه الى أن تيقن أنه قد مات ، وعاد الى القوم وأخبرهم ، ففترقوا .

وعندما سكنت الدهماء ، حقد الحافظ لابن قرقة وقتله بخزاة البنود ، وأنعم بجميع ما كان له على أبي منصور اليهودي ، وجعله رئيس الأطباء ... فهذا ما كان من خبر يائس وكيفية موته ، وخبر حسن والخبر عن قتله .

« حارة المتجنية » : قال ابن عبد الظاهر : بلغنى أن رجلا كان يتحجب لشمس الدين قاضي زادة ، كان يقول : ان هذه الخطة منسوبة لجده متجيب الدولة .

« الحارة المنصورية » : هذه الحارة كانت كبيرة متسعة جدا فيها عدة مساكن السودان . فلما كانت واقعتهم في ذى القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة ، كما تقدم في ذكر حارة بهاء الدين ، أمر صلاح الدين يوسف بن أيوب بتخريب المنصورة هذه وتنعية أثرها ، فخر بها خطيبا بن موسى الملقب صارم الدين ، وعملها يستانا .

وكان للسودان بديار مصر شوكة وقوة . فتبعهم صلاح الدين ببلاد الصعيد حتى أفناهم ، بعد أن كان لهم بديار مصر في كل قرية ومحلة وضيمة ، مكان مفرد لا يدخله وال ولا غيره احتراماً لهم . وقد كانوا يزيدون

على خمسين ألفا ، واذا ثاروا على وزير
قتلوه ، وكان الضرر بهم عظيما لامتداد
أيديهم الى أموال الناس وأهاليهم . فلما
كثر بينهم ، وزاد تعددهم ، أهلكهم الله
بذلهم .

وفي واقعة السودان وتخرب المنصورة ،
وقتل مؤتمن الخلافة الذي تقدم ذكره ، يقول
العماد الأصمهاني الكاتب ، يخاطب بهاء الملك
الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب :

ياملك الناصر امتارت
في عصرنا أوجه الفضائل

يوسف مصر الذي اليه
تشد آمالنا الرواحل

زأيك في الدهر عن رزايا
يجلى مهماته الجلائل

أجبرت نيل في ثراها
ليل فجيع ونيل نائل

كم كرم من نذاك جاز
وكم دم من عداك سائل

وكم معاد يلا معاد
ومستطيل بغير طائل

وحاسد كاسد المساعي
ومائد نافق الوسائل

أقررت حين الإسلام حتى
لم يبق فيها قذى لبائل

وكيف يزهي بملك مصر
من يستقل ذبا لنائل

وما ثبت السودان حتى
حكمت البيض في المقاتل

صيرت رجب الفضا مضيقا
عليهم كفه لجائل

وكل رأى منهم كرا
وأرض مصر كلام واصل

وقد جلت منهم المغاني
وأقرت منهم المنازل

وما أصيوا الا بطل
فكيف لو أمطروا بوابل

وقد تجلى الحق ما بال
باطل في مصر كان عاجل

والسود بالبيض قد تنحوا
فهي بواديهم نوازل

مؤتمن القوم خان حتى
عالبه من شره القوائل

عاملكم بالخنا فاضحي
ورأسه فوق رأس عامل

وحالف الذل بعد عز
والدهر أحواله حوائل

يامخجل البحر بالأيادي
قد آن أن تفتح السواحل

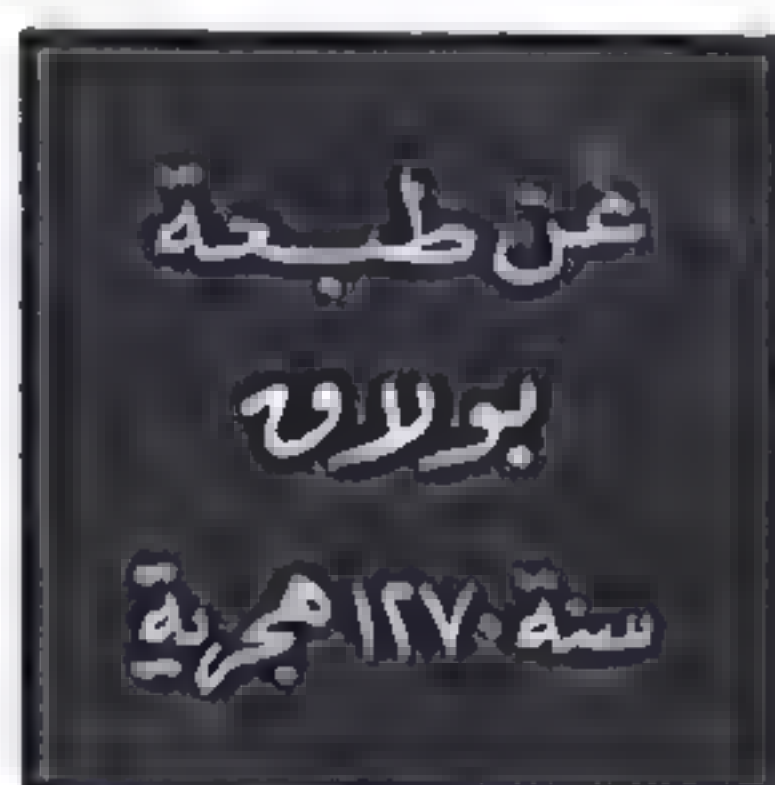
تقدس القدس من خباث
أرجاس كفر غثم أراذل

وكان موضع المنصورة على يمنة من سلك
في الشارع خارج باب زويلة .



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأئمة
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المحروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثنى ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطُطُ الْمُقْرِئِي

٢٥

كتاب
التحرير



كانت مصر هي مسقط رأسي ، وطبع أترابي ، وجمع ناسي . وفتني عشيرتي وحامتي ،
وموطن خصاصتي وعامتي . وحبوبتي الذي ربى جناسي في ذكره . وعش ماري ، فهد
تهوي الأنفس غير ذكره . لازلت منذ ذروت العام ، وآتاني رب الفطاة والغم ، أرغب في
معرفة أخبارها ، وأحب لإشراف على الاعتراف من آبارها . وأهوى مساواة الركبان عن مكان ديارها .
نقي الدين أحمد بن علي المقرئ

قال ابن عبد القاهر : كانت للسودان حارة تعرف بهم تسمى المنصورة . غربها صلاح الدين ، وأخذها خطيبا فصرها بستانا وحوضا . وهي الى جانب الباب الجديد (يعنى الذى يعرف اليوم بالفوس) عند رأس المتجبة فيما بينها وبين الهلالية . وقد حكر هذا البستان فى الأيام القاهرية .

وبعضها (يعنى المنصورة) من جهة بركة الفيل الى جانب بستان سيف الاسلام ، ويسى الآن بحكر . الفتى ، لأن الفتى هذا كان شرع بستان سيف الاسلام ، فحكر هذه الجهة ، وهي الآن أحكار الديوان السلطانى .

وحكر الفتى ، الذى كان بستان سيف الاسلام ، يعرف اليوم بدرب ابن البابا تجاه البندقدارية بجوار حمام الفارقانى ، قرب من صليبة جامع ابن طولون .

« حارة المصامدة » : هذه الحارة عرفت بطائفة المصامدة ، إحدى طوائف عساكر الخلفاء الفاطميين ، واختطت فى وزارة المأمون البطايحي وخلافة الأمر بأحكام الله بعد سنة خمس عشرة وخمسمائة .

قال ابن عبد القاهر : حارة المصامدة ... مقدمهم عبد الله المصمودى . وكان المأمون البطايحي ، وزير الخليفة الأمر بأحكام الله ، قدمه ونوه بذكره ، وسلم له أبوابه للمبيت عليها ، وأضاف اليه جماعة من أصحابه . فلما استخلص المصامدة وقربهم ، سير أبا بكر المصمودى ليختار لهم حارة . فتوجه بالجماعة

(١٤١) من ١١ ج ١ ط ١ بولاق .

الى الياضية بالشارع ، فلم يجد بها مكانا ، ووجدتها تضيق عنهم .

فسير المهندسين لاختيار حارة لهم . فاتفقوا على بناء حارة ظاهر باب الحديد ، على يمنة الخارج على شاطئ بركة الفيل ، فقال : بل تكون على يسرة الخارج والفسح قدامها الى بركة الفيل . فبنت الحارة على يسرة الخارج من الباب المذكور ، وبني بجانبها مسجد على زلاقة الباب المذكور ، وبني أبو بكر المصمودى مسجدا أيضا — وهذه فيما اعتقد هي الهلالية — وحذر من بناء شيء قبالتها ، فى الفضاء الذى بينها وبين بركة الفيل ، لانتفاع الناس بها .

وصار ساحل بركة الفيل من المسجد قبالة هذه الحارة الى آخر حسن دويرة مسمود الى الباب الحديد . ولم يزل ذلك الى بعض أيام الخليفة الحافظ لدين الله .

ذل : وبني فى صف هذه الحارة من قبلها عدة دور بحوانيت تحتها ، الى أن اتصل البناء بالمساجد الثلاثة الحاكمة المعلقة ، والقنطرة المعروفة بدار ابن طولون ، وبعدها بستان ذكر أنه كان فى جملة قاعات الدار المذكورة .

قال : وأظن المساجد هي التى قبالة حوض الجاولى ... قال : وبني المأمون ظاهره حوضا ، وأجرى الماء له ، وذلك قبالة مشهد محمد الأصغر ومشهد السيدة سكيئة .

قال : وأظن هذا البستان ، هو الذى بنته شجر الدر بستانا ودارا وحمامات قريب من مشهد السيدة نفيسة .

من الفساد أن تدثر وتمحي آثارها ، كما دثر
سواها ، والله در القائل :

والله ان لم يداركها وقد رحلت
بلمحة أو بلفظ من لديه خفي

ولم يجد بئلا فيها على عجل
ما أمرها صائر إلا الى تلف

« حارة حلب » : هذه الحارة خارج باب
زويلة ، تعرف اليوم بزقاق حلب ، وكانت
قديما من جلة مساكن الأجناد .

قل ياقوت في باب حلب : الأول حلب
المدينة المشهورة بالشام ، وهي قصبة نواحي
قصرين والمواصم اليوم . الثاني حلب
الساجود من نواحي حلب أيضا . الثالث كتر
حلب من قرأها أيضا . الرابع محلة بظاهر
القاهرة بالشارع من جهة القساط . والله
تعالى أعلم .

ذكر أخطاء القاهرة وظواهرها

قد تقدم ذكر ما يطلق عليه حارة من
الأخطاء . ونريد أن نذكر من الخطط ما لا
يطلق عليه اسم حارة ولا درب ، وهي كثيرة ،
وكل قليل تغير أساؤها ، ولا بد من إيراد
ما تير منها .

« خط خان الوراق » : هذا الخط فيما
بين حارة بهاء الدين وسوق أمير الجيوش ،
وفي شرقيه سوق المرجلين ، وهو يشمل على
عدة مساكن ، وبه طاحون ، وكان موضعه
قديما اصطبل الصبيان الحجرية لموقف

حيولهم كما تقدم . فلما زالت الدولة الفاطمية
اختط مواضع للسكنى ، وقد شمله
الخراب .

« خط باب القنطرة » : هذا الخط كان
يعرف قديما بحارة المراحية وحارة الفرجية
والراحين . وكان ما بين الرماحين - الذي
يعرف اليوم بباب القوس داخل باب
القنطرة - وبين الخليج قضاء لا عمارة فيه ،
بطول ما بين باب الرماحين الى باب الخوخة
والى باب سعادة والى باب الفرج . ولم يكن
اذ ذلك على حافة الخليج عمارات البتة ، وإنما
العمائر من جانب الكافورى - وهي مناظر
اللؤلؤة - وما جاورها من قبلتها الى باب
الفرج . وتخرج العامة عصريات كل يوم الى
شاطئ الخليج الشرقى تحت المناظر للفرج ،
فان بر الخليج الغربى كان قضاء ما بين بساتين
وبرك ، كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى .

قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع
وثمانين وخمسائة : في شوال قطع النيل
الجبور ، واقتلع الشجر ، وغرق النواحي ،
وهدم المساكن ، وأتلف كثيرا من النساء
والأطفال . وكثر الرخاء بمصر : فالقمح كل
مائة اردب بثلاثين دينارا ، والخبز البايث ستة
أرطال بربع درهم ، والرطب الأمهات ستة
أرطال بدرهم ، والموز ستة أرطال بدرهم ،
والرمان الجيد مائة حبة بدرهم ، والحمل
الخيار بدرهمين ، والتين ثمانية أرطال بدرهم ،
والعنب ستة أرطال بدرهم في شهر بابه بعد
انقضاء موسم المهود بشهرين ، والياسمين
خسة أرطال بدرهم .

(*) من ٢٢ ج ٢ ، ط. بولاق .

وآل أمر أصحاب البساتين الى ألا يجنوا
الزهر لنقص ثمنه عن أجرة جمعه ، ونهر
الحناء عشرة أرطال بدرهم ، والبسر عشرة
أرطال بدرهم من جيده ، والمتوسط خمسة
عشر رطلا بدرهم . وما في مصر الا متسخط
بهذه النعمة .

قال : ولقد كنت في خليج القاهرة من جهة
المقس لا تقطع الطرق بالمياه ، فرأيت الماء
مملوها سمكا والزيادة قد طبقت الديسا ،
والنخل مملوها تمرا ، والمكشوف من الأرض
مملوها ريحانا وبقولا . ثم نزلت فوصلت الى
المقس ، فوجدت من القلعة التى بالمقس الى
منية السرج غلالا قد ملأت صبرها الأرض ،
فلا يدري الماشى أين يضع رجله متصلا عرض
ذلك الى باب القنطرة وعلى الخليج عند باب
القنطرة من مراكب القلة ما قد ستر سواحلها
وأرضه .

قال : ودخلت البلد فرأيت في السوق من
الأخباز واللحوم والألبان والقواكه ما قد
ملاها ، وهجمت منه العين على منظر ما رأيت
قبله مثله .

قال : وفي البلد من البغى ، ومن المعاصي
ومن الجهر بها ، ومن الفسق بالزنا واللواط ،
ومن شهادة الزور ، ومن مظالم الأمراء
والفقهاء ، ومن استحلال الفطر في نهار رمضان
وشرب الخمر في ليلة ممن يقع عليه اسم
الاسلام ، ومن عدم النكير على ذلك جميعه ...
ما لم يسمع ولم يعهد مثله ، فلا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم . وظفر بجماعة مجتمعين
في حارة الروم يتفدون في قاعة في نهار
رمضان فما كلموا ، ويقوم مسلمين ونصارى

اجتمعوا على شرب خمر في ليل رمضان فسا
أقيم فيهم حد .

وخط باب القنطرة فيما بين حارة بهاء الدين
وسوق أمير الجيوش ، وينتهى من قبله الى
خط بين السورين .

« خط بين السورين » : هذا الخط من حد
باب الكافورى في الغرب الى باب سعادة ،
وبه الآن صفان من الأملاك : أحدهما مشرف
على الخليج ، والآخر مشرف على الشارع
المسلوك فيه من باب القنطرة الى باب سعادة .
ويقال لهذا الشارع بين السورين ... تسيه
العامة بها ، فاشتهر بذلك .

وكان في القديم بهذا الخط البستان
الكافورى . يشرف عليه بحده الغربى ثمة
مناظر اللؤلؤة ، وقد بقيت منها عقود مبنية
بالآجر يمر السالك في هذا الشارع من تحتها ،
ثم مناظر دار الذهب ، وموضعها الآن دار
تعرف بدار بهادر الأسر ، وعلى بابها بئر
يستقى منها الماء في حوض يشرب منه
الدواب ، ويجاورها قبو معقود يعرف بقبو
الذهب هو من بقية مناظر دار الذهب .

ويحد دار الذهب منظر الغزالة ، وهي
يجوار قنطرة الموسيقى . وقد بنى في مكانها
ربع يعرف الى اليوم بربع غزالة ، ودار ابن
قرقة - وقد صار موضعها جامع ابن
المغربى - وحمام ابن قرقة ، وبقي منها البئر
التى يستقى منها الى اليوم بحمام السلطان ،
وعدة دور كلها فيما يلى شقة القاهرة من صف
باب الخوخة .

وكان ما بين الشمر والخبيج برأحا ، ولم
يكن شيء من هذه المدن التي بحدة الخبيج
يومئذ . وكان يحكم بمصر في سنة
الحمد والرحمة ، منع من الركوب في
الركاب الخبيج ، ومنه أبواب القاهرة التي
في الخبيج . وأبواب القصر التي هناك
والمنازل التي عليه ... على ما حكمه
الشيخ .

وقال ابن الأثير في حوادث سنة ست
عشرة وخمسة : وما وقع لأهله بسكن
القاهرة . والله بما منة الله على الحكمة
الاول (يعني قبل يوم أمير الجيوش بمر
وبه لأفضل) ورواية ما لم تكن العدة جارية
فيه من مصادقة السلطنة باليه . ولما صدرت
حركات تعرف بالرحمة والسودان وغيره ...
أمر حكام تلك منوى به بإحضار عروسة
الرحمة . ولا تكرر عليهم في تجديدهم على ما
استحوذوا وتمسكوا به .

فاستدروا بكثرة الرجل وضيق الإمكة
عليهم . فبوا لهم قبة بسيرة . فقام
(يعني أمير القصر) إلى منولى باب
بلاطهم عليهم ، وشي جميع من سوا في هذه
القبة ثلاثة آلاف درهم . وأن يقيم بينهم
بالسيرة ويأمرهم بقتل قسهم . وأن يبنوا
بها حرة قبة بستان الوزير (يعني ...)
فخرج (خرج باب الجبل من الشارع
خرج باب روية .

قال : وتحول الحفنة إلى السلطنة
بحديث . وأنت التوسعة في كل يوم ...

... ..

بخصر الحصى والحناء والستاذين من جميع
الاصناف ، وصدق اليها ما يصل كل ليلة
عيا وورقا وأربعة ألبان بالهوية - برسم
الحرس بدار والسهر في شوال قيل . من
باب مطرة بدار إلى مسجد السيوف من
البرق ... من صبيح الحاصل والركاب
والرهجة والسودان والحجاب ... كل مائة
بنيته . والحرس من منولى الباب واقع
بالهوية في منى كل ليلة ، ولا يمكن معصوم
بعض من ... والرهجة تحم على السوام .

أخط الكافوري : ... هذا الخط كان
بستان من قبل بستان القاهرة وتمت الدعوة
التي به بستان مصر . فقام الأمير أبو بكر
محمد بن صفح بن جف بستان بالأخشيد ،
وكان يجده بستان في الحيول ، وله أبواب
من حديد . فقام جوهر بستان إلى مصر ،
جعل هذا البستان من دخل القاهرة ، وعرف
بستان كافور ، وقيل له في الدعوة الخفية
بستان الكافوري . ثم أخط مسكن بعد
ذلك .

قال ابن زولاق في كتابه سيرة
الأخشيد : ... ولست أحول من شوال سنة
... ..

قال : وكان يكون بستان بستان . وقد
شرع في الخروج إلى الشام في آخر سفره
وسار مسكرا - وكان دارا في بستانه في
موضع القاهرة اليوم - فركب لمسير .
فكان خرج من باب البستان عترة شيخ
يعرف بسعود السوي بستان إليه . فقرأ له
نصيره وقال : حمود بخيوة .

فطرح ، وضرب خمس عشرة مفرقة وهو
مركب ، فقال الأخشيدي : هو ذا بتناظر
بستان كافور : قد مات .

وأخرج واستقال سفرته وعاد لبستانه ،
وأحضر أهل الرجل واستحلهم ، وأطلق لهم
ثمنه دينار ، وحمل الرجل إلى منزله ميتا ،
وكانت جنازته عظيمة . وسافر الأخشيدي فلم
يرجع إلى مصر ، ومات بدمشق .

وقال في كذب : نتمه كذب أمراء مصر ،
لشكدي : وكان كافور الأخشيدي أمير مصر
يوصل الركوب إلى الميدان وإلى بستانه في
يوم الجمعة ويوم الأحد ويوم الثلاثاء .

قال : وفي غد هذا اليوم (يعني يوم
الثلاثاء) مات الأستاذ كافور الأخشيدي
بمصر سنة من جمادى الأولى سنة سبع
وخمسين وثلثمائة . ويوم مات الأستاذ كافور
الأخشيدى ، خرج الغلمان والجند إلى
المنقرة . وخربوا بستان كافور ، وهبوا
دوابه ، وحلبوا ما أبيعته .

وقال ابن عبد الظاهر : البستان الكافوري
هو الذي كان بستانا لكافور الأخشيدي .
وكان كثيرا ما يتزده به ، وبنيت القاهرة
عنده ، ولم يزل إلى سنة إحدى وخمسين
ومستمائة ، فاختطت البحرية والعززية به
اصطبلات ، وأزيلت أشجاره .

قال : ولعمري إن خرابه كان يحق . فإنه
كان عرف بالحبيشة التي يتساو لها الفقراء
وأنى تظن به ... يضرب بها المثل في الحسن .
قال شاعرهم نور الدين أبو الحسن على
ابن عبد الله بن علي النيمي نفسه :

رب ليل قطمته ولديني
شاهدي وهو مسعى ومسير
مجلس مسجد وشرب من خف
راه تزهو بحسن لون نصير
قال لي صاحبي وقد فاح منها
نثرها مزرعا بشر العير :
أمن الملك ! قلت ليست من المـ
لك ، ولكنها من الكافوري

وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد
ابن محمود بن أحمد بن محمد الأسدي
الدمشقي المروفي باليمسوري : أنتدني
الامام العالم ، المروفي بجموع الفضائل ، زين
الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد
القادر الحنفي لنفسه ، وهو أول من عمل
فيها :

وخضراء كافورية بات فعلها
بالبابا فمسل الرحيق المقت
إذا تقحتا من شذاها بنفحة

تلب لنا في كل عضو ومنطق
غيت بها عن شرب خر ممتق
وبالدلق عن لبس الجديد المزوق

وأنتدني الحافظ جلال الدين أبو المعز
ابن أبي الحسن بن أحمد بن الصانع المغربي
لنفسه :

عاطني خضراء كافورية
يكتب الخمر لها من جندها
أسكرتنا فوق ما تنكرنا
وربحنا أنفسا من حدها

وأشدنى لعمه :

قم عسى حضراء كسورية
قمت مدام سلافة الصهباء
يبدو العقير اذا تناول درهما
مها له تيه على الامراء *
وتراه من اقوى الورى فاذا خلا
مها عديدها من الضعفاء
وأشدنى من لفظه لعمه ايضا :

عظيت من أهوى وقد زارلى
كلبدر وافي ليلة البدر
والبحر قد مد على متنه
شعاعه جبرا من التبر
حضراء كسورية ونحت
أعطفه من شدة السكر
يحمل مها درهم فوق ما
تمل أرطال من الخمر
فراح تشوانا بها غفلا
لا يعرف الحلو من المر
قل وقد نال بها أمره
فات سرددا الى أمرى
قلتى قلت نعم سيدى
فتلين بالسكر وباليحمر

قل : وأمر السلطان الملك الصالح (يعنى
نجم الدين أيوب) الأمير جمال الدين أبا الفتح
موسى بن منصور ، أن يمنع من يزرع فى
الكافورى من العثينة شيئا . فدخل ذات
يوم ، فأبى فيه مها شيئا كثيرا ، فأمر بأن
يجمع فجمع ونحرق .

(١٥) مره ١٥ ج ١ ، ط. بولاق .

فأشدنى الى الواقعة الشيخ الأديب الفاضل
شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف
لعمه ، وذلك فى ربيع الأول سنة ثلاث
وأربعين وستائة :

سرف الزمان وحادث المقدور
تركنا لكثير الخطب غير تكير
ما سالما حيا ولا ميئا ولا
موتا ما بل دكدكا بالطور

لهنى وهل يجدى التلف فى ردى
طرب الفنى وأنس كل فقير
أخت المذلة لارتكاب محرم
قطب السرور بأيسر الميسور
جمع محاسن ما اجتمعن لغيرها
من كل شيء كان فى الميسور

مها طعام والشراب كلاهما
والبقل والريحان وقت حضور
هى روضة ان شتها ورياضة
يفنى بها عن روضة وخمور
ما فى المدامة كلها منها سبوى
ائم المدام وصحبة المخمور

كلا ونكهة خمرة هى شاهد
عدل على حد وجلد ظهور
أسفا لدمر لها ، زلربما
ظل الكرم بذلة المأسور

جمعت له الأشهاد كرما أخضرا
كمروسة تجلى بخضر حرين
زفوا لها نارا فخلنا جنة
برزت لك قد زوحت بالنور

ثم اكست منها غلالة صفرة

فى خضرة مقرونة زرقا
فكانها لهيب اللظى فى خضرة
منها وطرف رمادها المشور
يجارى النصار على مذاب زمرد
تركا فثيت المسك فى الكافورى

له درك حبه او مه
من منظر بهج بصر نظير
أوديب غر دميته على الحيا
نربا تفسس مسك دوب غير
عندى لذكرك ما يبعث محلدا
سح الدموع ونفثه المصدور

ذكر كافور الاخشيدى

كان عبدا أسود خصيا ، مشوب السفة
السفلى ، بطينا قبيح القدمين ثقل البدن .
جلب الى مصر ، وعمره عشر سنين فسا
فوقها ، فى سنة عشر وثلاثمائة . فلما دخل الى
مصر تمتنى أن يكون أميرها ، فباعه الذى حله
لمحمد بن هاشم ، أحد المماليك للصياح ،
فباعه لابن عباس الكاتب .

فمر يوما بمصر على منجم ، فنظر له فى
نجومه وقال له : أنت تصير الى رجل جليل
القدر ، وتبلغ معه مبلغا عظيما .

فدفع اليه درهمن لم يكن معه سواهما ،
فرمى بها اليه وقال : أبشرك بهذه البشارة
وتعطيتى درهمن .

ثم قال له : وأزيدك ، أنت تملك هذه
البلد وأكثر منه ، فأذكرنى .

واتفق أن ابن عباس الكاتب أرسله بهدية
يوما الى الأمير أبى بكر محمد بن طنج
الاشيدى - وهو يومئذ أحد قواد تكين
أمير مصر - فأخذ كافورا ورد المدينة ،
فترقى عنده فى الخدم حتى صار من أخصى
خدمته .

ولما مات الاخشيد بدمشق ضبط كافور *
الأمور ، ودارى الناس ووعدهم ، الى أن
سكنت الدهماء بعد أن اضطرب الناس ،
وجهر أساذه وحمله الى بيت المقدس ، وصار
الى مصر فدخلها .

وقد انعقد الأمر بعد الاخشيد لابنه أبى
القاسم أونوجور ، فلم يكن بأسرع من ورود
الخبر من دمشق بأن سيف الدولة على بن
حدان أخذها وصار الى الرملة فخرج كافور
بالمساكر ، وضرب الدباديب - وهى
الطبول - على باب مضربه فى وقت كن
صلاة ، وصار فظفر وغنم . ثم قدم الى مصر
وقد عظم أمره ، فقام بخلافة أونوجور ،
فخطبه القواد بالامتياز ، وصار القواد
يجتمعون عنده فى داره ، فيخلع عليهم
ويحلبهم ويعطيهم ... حتى انه وقع لجبانك
- أحد القواد الاخشيدية - فى يوم بأربعة
عشر ألف دينار ، فما زال عبدا له حتى مات .

وانبسطت يده فى الدولة ، فعزل وولى
وأعطى وكرم ، ودعى له على المنابر كلها الا
منبر مصر والرملة وطبرية ، ثم دعى له بها فى
سنة أربعين وثلاثمائة ، وصار يجلس للمظالم
فى كل سبت ، ويحضر مجلسه القضاة

(١٦) مره ١٦ ج ١ ، ط. بولاق .

والوزراء والشهود ووجوه البلد . فوقع بينه وبين الأمير أوجور ، وتحرز كل منهما من الآخر ، وقويت الوحشة بينهما ، واقترب العبد فصار مع كل واحد مائة .

وافترق موت أوجور في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة - وقيل انه سنة - فقام أخاه أبا الحسن علي بن الأخيد من بعده ، واستبد بالأمر دونه ، وأطلق له في كل سنة أربعمائة ألف دينار ، ولتقل بسائر أحوال مصر والشام .

تقدم ما بينه وبين الأمير أبي الحسن علي ، قضيت عليه كافور ، ومنع أن يدخل عليه أحد ، فقتل بطة أخيه ومات - وقد مات به - في محرم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة . فبقيت مصر بغير أمير إذا ما ، لا يدعى فيها سوى للخليفة المطيع فقط ، وكافور يدبر أمر مصر والشام في الخراج والرجال .

فما كان لأربع بقين من المحرم المذكور ، أخرج كافور كتابا من الخليفة المطيع بتقليده بعد علي بن الأخيد . فلم يغير لقبه بالأستاذ ، ودعى له على المنبر بعد الخليفة .

وكانت له في أيامه تنص عظام . وقدم عسكر من المعز لدين الله أبي تميم معد من المغرب إلى الولايات ، فجهز إليه جيشا أخرجا العسكر وقتلوا منهم ، وصارت القبول تضرب على بابه خمس مرات في اليوم والليلة ، وعدتها مائة ميلة من نعاس .

وقدمت عليه دعاة المعز لدين الله من بلاد المغرب يدعوونه إلى طاعته فلاصتهم ، وكان أكثر الأخشيدي والكافورية وسائر الأولياء والكتاب قد أخذت عليهم البيعة للمعز .

وقصر مد النيل في أيامه ، فلم يبلغ تلك السنة سوى اثني عشر ذراعا وأصابع . فاشتد الجلاء ، ونفح الموت في الناس حتى عجزوا عن تكفينهم ومواراتهم .

وأرجف بسير الترامطة إلى الشام ، وبدت غلابة تنكر له ، وكانوا ألفا وسبعين غلاما تركيا سوى الروم والمولدين ، فسات لعشر بقتين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة عن سبعين سنة .

فوجد له من العتق سبعمائة ألف دينار ، ومن الورق والحلى والجواهر والعنبر والطيب والثياب والآلات والفرش والخيام والميد والجواري والدواب ما قوم بستمائة ألف ألف دينار .

وكانت مدة تمييزه أمر مصر والشام والحرمين إحدى وعشرين سنة وشهرين وعشرين يوما ، منها منفردا بالولاية بعد أولاد أستاذة ستان وأربعة أشهر وتسعة أيام . ومات عن غير وصية ولا صدقة ولا مائة يذكر بها ، ودعى له على المنابر بالكنية التي كناه بها الخليفة ، وهي أبو المسك ، أربع عشرة جمعة .

وبعد اختل مصر ، وكادت تدمر ، حتى قدمت جيوش المعز على يد القائد جوهر ، فصارت مصر دار خلافة .

ووجد على قبره مكتوب :

ما بان قبرك يكفور مفردا .
بصائح الموت بعد المعكر اللجب .

يدوس قبرك من أدنى الرجال وقد
كانت أسود الشرى تخشاك في الكشب .

ووجد أيضا مكتوب :

انظر إلى غير الأيام ما صنعت
أفت أناسا بها كانوا وما فئت
ديارهم أضحكت أيام دولتهم
حتى إذا فئت ناحت لهم وبكت

« خط الخرشتف » : هذا الخط فيما بين حارة برجوان والكافوري ، ويتوصل إليه من بين القصرين ، فيدخل له من قبو يعرف بقبو الخرشتف - وهو الذي كان يعرف قديما بباب الثبائن - ويسلك من الخرشتف إلى خط باب سر المارستان ، وإلى حارة زويلة .

وكان موضع الخرشتف ، في أيام الخلفاء الفاطميين ، ميدانا بجوار القصر الغربي والبستان الكافوري . فلما زالت الدولة اختط ، وصار فيه عدة مساكن ، وبه أيضا سوق .

وانما سمي بالخرشتف لأن المعز أول من بنى فيه الاصطبلات بالخرشتف ، وهو ما يتحجر مما يؤخذ به على مياه الحمامات من الأربال وغيرها .

قال ابن عبد الظاهر : الحارة المعروفة بالخرشتف كانت قديما ميدانا للخلفاء . فلما ورد المعز بنوا به اصطبلات ، وكذلك القصر

الغربي . وقد كان النساء اللاتي أخرجن من القصر يسكن بالقصر النافعي ، فامتدت الأبدى إلى طوبه * وأخشا به وبيعت ، وثلاثي حاله ، وبنى به وبالميدان اصطبلات ودويرات بالخرشتف فسمى بذلك ، ثم بنى به الآدو والطواحين وغيرها ، وذلك بعد الستائة . وأكثر أراضي الميدان حكر للآدر القطبية .

« خط اصطبل القطبية » : هذا الخط أيضا من جملة أراضي الميدان . ولما انتقلت القاعة التي كانت سكن أخت الحاكم بأمر الله بعد زوال الدولة الفاطمية ، صلت إلى الملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، فاستقر بها هو وذريته ، فصار يقال لها الدار القطبية . واتخذ هذا المكان اصطبلا لهذه القاعة ، فعرف باصطبل القطبية .

ثم لما أخذ الملك المنصور قلاوون القاعة القطبية من مؤسسة خاتون ، المعروفة بدار اقبال ، ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، أخت المفضل قطب الدين أحمد المعروفة بخاتون القطبية ، وعملها المارستان المنصوري ، بنى في هذا الاصطبل المساكن ، وصارت من جملة الخطط المشهورة ، ويتوصل إليه من وسط سوق الخرشتف ، ويسلك فيه من آخره إلى المدرسة الناصرية والمدرسة الظاهرية المستجدة ، وعمل على أوله دربا يعلق . وهو خط عامر .

« خط باب سر المارستان » : هذا الخط يسلك إليه من الخرشتف ، ويصير السالك فيه إلى البندقانيين . وبعض هذا الخط ،

(*) من ٢٧ ج ٢ ، ط . بولاق .

ورؤية ما تشتمل الأضواء وتلف الأضواء مما فيه
لغة للحواس الخمس .

وكانت تقدم فيه عدة خلق لمرآة السير
والأخضر وانشاد الأسماء والتفنن في أنواع
الحب والتهور فيصير مجعلا لا يقدر قدره
ولا يمكن حكاية وصفه . وما تلو عليك من
أنا ذلك لا تجد مجموعا في كتاب .

قال السجى في حوادث جمادى الآخرة سنة
خمس وتسعين وثمانمائة : وفيه منع لل أحد
من يك مع المكارين أن يدخل من باب
القاهرة راجعا ، ولا المكارين أيضا محيرهم .
ولا يجلس أحد على باب الزهومة من التجار
وغيرهم ، ولا يجلس أحد ملاصق القصر من
باب الزهومة إلى أقصى باب الزمرذ . ثم عني
عن المكارين بعد ذلك ، وكتب لهم أمان
قوى .

وقال ابن الطوير : وببيت خارج باب القصر
كل ليلة خمسون فارسا . فإذا أذن العشاء
الآخرة داخل القاعة ، وصلى الإمام الراتب بها
بالمقيمين فيها من الأتاذين وغيرهم ، وقف
على باب القصر أمير يقال له ستان الدولة بن
الكريندى . فإذا علم بفرار الصلاة ، أمر
بضرب التوابات من الطل والنوق وتوابعها
من عدة واقرة بطريق مستحسنة ساعة زمانية .

ثم يخرج بعد ذلك تسعة برسم هذه الخدمة
يقول : أمير المؤمنين يرد على ستان الدولة
السلام . فيضع ويغرس حربة على الباب ، ثم
يرفعها بيده . فإذا رفعها أغلق الباب ، وسار
إلى حوالى القصر سبع دورات . فإذا انتهى
ذلك جعل على الباب اليانين والفراشين المقدم

وهو جله ومعه ، من جلة اصطبل الجزيرة
الذى كان فيه خيول الدولة القاضية ، وقد
تقدم ذكره . وموضع باب سر المارستان
المصورى هو باب السباط . فلما زالت
الدولة وانقطع الكاثورى والحرفى واصطل
القضية ، صار هذا الخط واقعا من هذه
الأخطاء ، ونسب إلى باب سر المارستان لأنه
من هناك . وأدركت بعض هذه الخطأ وهي
خراب .

ثم أتى فيه القاضى جمال الدين محمود
القيصرى ، سجن القاهرة ، في أيام ولايته
نظر المارستان في سنة إحدى وثمانين
وسبعمائة ، المتحون القضية ذات الأحجار
والمرن والربع طوله في المكان الخراب ، وجعل
ذلك جارا في جلة أوقاف المارستان
المصورى .

« خط بين القصرين » : هذا الخط أعسر
أخطأ القاهرة وأزوها . وقد كان في الدولة
القاضية قضاء كبيرا وبراجا واسعا يقف فيه
ضرة آلاف من العسكر ما بين فارس ورجال
ويكون به طرادهم ووقوفهم للخدمة كما هو
الحال اليوم في الرملة تحت قلعة الجبل .

فلما انقضت أيام الدولة القاضية ، دخلت
القصور من أهاليها . ونزل بها أمراء الدولة
الأيوية وغيرهم وأصلها ... صار هذا الموضع
سوقا مبتذلا بعد ما كان ملاذا مبهجا ، وقد
فيه الباعة بأنصاف المأكولات من اللحمن
المتنوعة والحلاوات المصنعة والقائمة وغيرها .
فصار متزها ترفيه أعيان الناس وأماثلهم
في الليل مشاة لرؤية ما هناك من المرج
والضاديل الخارجة عن الحد في الكثرة ،

ذكرهم ، وأفضى المؤذنون إلى خزانهم هناك ،
ورميت السلسلة عند المقيمين آخر بين القصرين
من جانب السيوفين ، فيقطع المار من ذلك
المكان إلى أن تضرب التوبة سحرا قرب
التجر ، فتصرف الناس من هناك بإرتفاع
السلسلة . انتهى .

وأخبرنى المشيخة أنه ما زال الرسم إلى
قريب : أنه لا يمر بشارع بين القصرين حمل
تبين ولا حمل حطب ، ولا يستطيع حد أن
يسوق فرسا فيه ، فإن ساق أحد أنكر عليه
وخرق به .

وقال ابن سبيد في كتاب « المغرب » :
والمكان الذى كان يعرف فى القاهرة « بين
القصرين » هو من الترتيب السلطاني ، لأن
هناك ساحة متعة للعسكر والمتفرجين ما بين
القصرين . ولو كانت القاهرة كلها كذلك ،
كانت عظيمة القدر ، كاملة الهمة السلطانية .

وقال ياقوت : وبين القصرين كان ينفذ
باب الطاق ، يراد به قصر أسماء بنت المنصور
وقصر عبد الله بن المهدي ، وكان يقال لهما
أيضا بين القصرين . وبين القصرين بصر
والقاهرة ، وهما قصران متقابلان بينهما طريق
العامة والسوق ، يمرهما ملوك مصر المتعاقبة
المتعلونة الذين ادعوا أنهم علوية .

وحدثنى الفاضل الرئيس تقي الدين عبد
الوهاب ، فاطر الخواص الشريفة ، ابن الوزير
الصاحب فخر الدين عبد الله بن أبى شاهر ،
أنه كان يشتري في كل ليلة من بين القصرين
بعد العشاء الآخرة — برسم الوزير الصاحب
فخر الدين عبد الله بن خصيب — من الدجاج

(ج) من ٢٨ ج ٢ ط ٥ بولاق

المطجن والقطا وفراخ الحمام والمصافير المقلدة
ببيلغ مائتى درهم وخمسين درهما فضة ،
يكون عنها يومئذ نحو من اثني عشر مثقالا
من الذهب ، وإن هذا كان دأبه في كل ليلة .
ولا يكاد مثل هذا ، مع كثرته لرخاء الأسفار ،
يؤثر نقصه فيها كان هنالك من هذا العنف ،
لعظم ما كان يوضع في بين القصرين من هذا
النوع وغيره .

ولقد أدركنا ، في كل ليلة من بعد العصر ،
يجلس الباعة بصنف لحمان الطيور التي تولى
صفا من باب المدرسة الكاملية إلى باب
المدرسة الناصرية ، وذلك قبل بناء المدرسة
الظاهرية المستعجلة ، فيباع لحم اللجاج
المطجن ولحم الأوز المطجن كل رطل بدرهم ،
وتارة بدرهم وربع ، وتباع المصافير المقلدة
كل عصفور بفلس ، حسابا عن كل أربعة
وعشرين بدرهم . والمشيخة تقول : أنا حينئذ
في غلاء لكثرة ما تصف من سعة الأرزاق
ورخاء الأسفار في الزمن الذى أدركوه قبل
الفناء الكبير .

ومع ذلك فلتقد وقع في سنة ست وثمانين
شيء لا يكاد يصدق اليوم من لم يدرك ذلك
الزمان . وهو أنه كان لنا ، من جيرائنا بحارة
برجوان ، شخص يعالى الجندية ويركب
الخيال . فبلغنى عن غلامه أنه خرج في ليلة من
ليالى رمضان — وكان رمضان اذ ذاك في
فصل الصيف — ومعه رفيق له من غلمان
الخيال ، وألها سرقا من شارع بين القصرين
وما قرب منه بضعا وعشرين بطيخة خضراء ،
وبضعا وثلاثين شقة جبن . والشقة أبدا من
نصف رطل إلى رطل .

فما منا إلا من تعجب من ذلك ، وكيف تمها
لأثنين فعل هذا ، وحمل هذا القبر يحتاج
إلى دابتين ... إلى أن قدر الله تعالى لي بعد
ذلك أن اجتمعت بأحد الغلامين المذكورين
وسأله عن ذلك فاعترف لي به .

قلت : صف لي كيف عملنا .

فذكر أنهما كانا يقفان على حانوت الجبان
أو مقعد البطيخى - وكان إذا ذاك يعمل من
البطيخ فى بين القصرين مرصات كثيرة جدا ،
فى كل مرص ما شاء الله من البطيخ - قال :
فإذا وقتنا قلب أحدا بطيخة ، وقلب الآخر
أخرى ، فقلصة ازدحام الناس يتناول أحدا
بطيخته بخفة يد وصناعة ، ويقوم فلا يقطن
به ، أو يقلب أحدا ورفيقه قائم من ورائه ،
والبيع مشغول بالبال لكثرة ما عليه من
المشترين وما فى ذلك الشارع من غزو
الناس ، فيحذفها من تحته وهو جالس
الترفصاء ، فإذا أحس بها رفيقه تناولها ومر ،
وكذلك كان فعلهم مع الجبانين وكانوا كثيرا .
فانظر - أعزك الله - إلى بضاعة يسرق
منها مثل هذا القدر ، ولا يقطن به من كثرة
ما هنالك من البضائع ولعظم الخلق .

ولقد حدثنى غير واحد ، ممن قدم مع
قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى ، أنه
لما قدموا من الكرك فى سنة اثنتين وتسعين
وسبعائة ، كادوا يذهلون عند مشاهدة بين
القصرين . وقال لى ابنة محب الدين محمد :
أول ما شاهدت بين القصرين حسيت أن رفة
أو جنازة كبيرة تمر من هنالك ، فلما لم ينقطع
المارة سألت : ما بال الناس مجتمعين للبرور
من هنا ؟ فقبل لى هذا دأب البلد دائما .

ولقد كنا نسمع أن من الناس من يقوم
خلف الشاب أو المرأة ، عند التمشى بعد
العشاء بين القصرين ، ويجمع حتى يقضى
وطره وهما مائيان من غير أن يدركهما أحد ،
لشدة الزحام واشتغال كل أحد بملهوه .

وما برحت أجد من الازدحام مشقة ، حتى
أفادنى بعض من أدركت أن من رأى فى المشى
أن يأخذ الإنسان فى منيه نحو شماله ، فإنه
لا يجد من المشقة كما يجد غيره من الزحام .
فاعتبرت ذلك آلاف مرات فى عدة سنين فما
أخطأ معى ، ولقد كنت أكثر من تأمل المارة
بين القصرين ، فإذا هم صفال كل صف يمر
من صوب شماله كالسيل إذا اندفع . وعال
هذا الذى أفادنى أن القلب من يسار كل
أحد ، والناس تيل إلى جهة قلوبهم ، فلذلك
صار مشيهم من صوب شائلمهم ، وكذا صح
لى مع طول الاعتياد .

ولما حدثت هذه المحن بعد سنة ست وثمانين
وثمانائة ، تلاشى أمر بين القصرين ، وذهب
ما هناك . وما أخوفنى أن يكون أمر القاهرة
كما قيل :

هذه بلدة قضى الله بإصا
ح عليها كما ترى بالخراب
فتف العيس وقصة وابك من كا
ن بها من شيوخها والشباب

واعتب ان دخلت يوما إليها
فهى كانت منازل الأجباب

« خط الخشية » : هذا الخط يتوصل
إليه من وسط سوق باب الزهومة ، ويسلك

فيه إلى الحارة العدوية ، حيث فندق الرخام
برجبة بيرس ، وإلى درب شمس الدولة .

وقبل له خط الخشية من أجل أن الخليفة
الظاهر لما قتله نصر بن عباس * ، وبني على
مكانه الذى دفنه فيه المسجد الذى يعرف
اليوم بمسجد الخلمين ، ويعرف أيضا بمسجد
الخلفاء ... نصبت هناك خشبة حتى لا يمر أحد
من هذا الموضع راكبا ، فعرف بخشية تصغير
خشبة .

وما زالت هناك حتى زالت الدولة الفاطمية
وقام السلطان صلاح الدين بسلطنة مصر ،
فأزال الخشية ، وعرف هذا الخط بها إلى
اليوم . ويقال له خط حمام خشية من أجل
الحمام التى هناك .

ولمقتل الظاهر خبر يحسن ذكره هنا .

ذكر مقتل الخليفة الظاهر

وكان من خير الظاهر أنه لما مات الخليفة
الحافظ لدين الله ، أبو الميمون عبد المجيد ابن
الأمير أبى القاسم محمد بن المستنصر ، فى
ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة
سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، ببيع ابنه أبو
المنصور اسماعيل ، ولقب بالظاهر بأمر الله
بوصية من أبيه له بالخلافة ، وقام بتسيير
الوزارة الأمير نجم الدين سليمان بن محمد بن
مصال .

فلم يرض الأمير المظفر على بن السلار
- وإلى الاسكندرية والبحيرة يومئذ -

(*) من ٢٦٠ ج ٢ ، ط. بولاق .

بوزارة ابن مصال ، وحشد وسار إلى القاهرة .
ففر ابن مصال ، واستقر ابن السلار فى
الوزارة ، وتلقب بالمادل . فجهز الماكر
لمحاربة ابن مصال فحاربه وقتل .

فقوى واستوحش منه الظاهر ، وخاف منه
ابن السلار واحترز منه على نفسه ، وجعل له
رجالا يشنون فى ركابه بالزرد والحدود
- وعددهم ستائة رجل بالنوبة - وتقل
جلوس الظاهر من القاعة إلى الايوان فى البراح
والسعة ، حتى إذا دخل للخدمة يكون أصحاب
الزرد معه .

ثم تأكدت النفرة بينهما ، فقبض على صبيان
الخاص وقتل أكثرهم ، وفرق باقيهم وكانوا
خمسائة رجل . وما زال الأمر على ذلك إلى
أن قتله ربيه عباس بن تميم بيد ولده نصر ،
واستقر بعده فى وزارة الظاهر .

وكان بين ناصر الدين نصر بن عباس الوزير
وبين الظاهر مودة أكيدة ومخالطة ، بحيث كان
الظاهر يشغل به عن كل أحد ، ويخرج من
قصره إلى دار نصر بن عباس التى هى اليوم
المدرسة السيوفية .

فخاف عباس من جراءة ابنه ، وخشى أن
يحملة الظاهر على قتله ، فيقتله كما قتل الوزير
على بن السلار زوج جدته أم عباس . فنهأه
عن ذلك ، وألحف فى تأنيبه وأفرط فى لومه ،
لأن الأمراء كانوا مستوحشين من عباس ،
وكارهين منه تقريبه أسامة بن منقذ لما علموه
من أنه هو الذى حسن لعباس قتل ابن السلار
كما هو مذكور فى خبره ، رهموا بقتله ،
وتحدثوا مع الخليفة الظاهر فى ذلك .

فبلغ أسامة ما هم عليه - وكان غربا من الدولة - فأخذ يفرى الوزير عباس بن نعيم بابنه نصر ، ويبالغ في تقييح مخالطته للظافر ، الى أن قال له مرة : كيف تصبر على ما يقول الناس في حق ولدك من أن الخليفة يفعل به ما يفعل بالنساء ؟ فأثر ذلك في قلب عباس .

واتفق أن الظافر أنعم بمدينة قلوب على نصر بن عباس . فلما حضر الى أبيه ، وأعلمه بذلك ، وأسامة حاضر فقال له : يا ناصر الدين ما هي بمهرك غالية ... يعرض له بالفحش .

فأخذ عباس من ذلك ما أخذه ، وتحلت مع أسامة لثقت به في كيفية الخلاص من هذا ، فأشار عليه بقتل الظافر اذا جاء الى دار نصر على عادته في الليل ، فأمره بمفاوضة ابنه نصر في ذلك . فاعتصمها أسامة ، وما زال بنصر يشنع عليه ، ويحرضه على قتل الظافر حتى وعده بذلك .

فلما كان ليلة الخميس آخر المحرم من سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، خرج الظافر من قصره متكررا ومعه خادمان كما هي عادته ، ومشى الى دار نصر بن عباس ، فاذا به قد أعد له قوما ، فعندما صار في داخل داره وثبوا عليه ، وقتلوه هو وأحد الخادمين ، وتوارى عنهم الخادم الآخر ولحق بعد ذلك بالقصر ، ثم دفنوا الظافر والخادم تحت الأرض في الموضع الذي فيه الآن المسجد .

وكان سنة يوم قتل احدى وعشرين سنة وتسعة أشهر ونصف ، منها في الخلافة بعد أبيه أربع سنين وثمانية أشهر تنقص خمسة أيام ، وكان محكوما عليه في خلافته . وفي

أيامه ملك الفرنج مدينة عسقلان ، وظهر الوهن في الدولة ، وكان كثير اللهو واللعب ، وهو الذي أنشأ الجامع المعروف بجامع الفاكهين .

وبلغ أهل القصر ما عمله نصر ابن عباس من قتل الظافر ، فكاتبوا طلائع بن رزيق - وكان على الأشموين - وبشوا اليه بشعور البهاء يتصرخون به على عباس وابنه . فقدم بالجموع ، وفر عباس وأسامة ونصر . ودخل طلائع وعليه ثياب سود ، وأعلامه وبندوه كلها سود ، وشعور النساء التي أرسلت اليه من القصر على الرماح ... فكان فالأ عجيبا . فانه بعد خمس عشرة سنة دخلت أعلام بني العباس السود من بغداد الى القاهرة لما مات العاضد واستبد صلاح الدين بملك ديار مصر .

وكان أول ما بدأ به طلائع أن مضى ماشيا الى دار نصر ، وأخرج الظافر والخادم وغسلهما وكفنهما ، وحمل الظافر في تابوت مغطى ، ومشى طلائع حافيا والناس كلهم حتى وصلوا الى القصر ، فصلى عليه ابنه الخليفة الفائز ، ودفن في تربة القصر .

« خط سقيفة العداس » : هذا الخط قبا بين درب شمس الدولة والبندقانيين . كان يقال له أولا سقيفة العداس ، ثم عرف بالصاغة القديمة * ، ثم عرف بالأساكفة ، ثم هو الآن يعرف بالحريرين الشراريين ، ويسوق الزجاجين ، وفيه يساع الزجاج ، وهو خط عامر .

(١٠٠) ص ٣٠ ج ٢ ، ط ١٠٠ بولاق .

وهذا العداس هو على بن عمر بن العداس أبو الحسن . ضمن في أيام المعز لدين الله كورة بوسير ، فخلع عليه وحمله ، وسار خليفته بالبندود والطبول في جمادى الأولى سنة أربع وستين وثلثمائة . فلما كان في أول خلافة العزيز بالله بن المعز لدين الله ، ولاء الوساطة - وهي رتبة الوزارة - بعد موت الوزير يعقوب بن كلس ، ولم يلقيه بالوزير .

فجلس في القصر لتسع عشرة خلت من ذي الحجة سنة احدى وثمانين وثلثمائة ، وأمر ونهى ، ونظر في الأموال ، ورتب الصال ، وأمر ألا يطلق شيء الا بتوقيعه ، ولا ينفذ الا ما أمر به وقرره . وأمره العزيز بالله ألا يرتفق ، أى يرتشى ، ولا يرتزق - يعنى أنه لا يقبل هدية - ولا يضيغ دينارا ولا درهما .

فأقام سنة ، وصرف في أول المحرم من سنة ثلاث وثمانين ، فقرر في ديوان الاستيفاء .

الى أن كان جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، حشّن لأبى طاهر محمود النخوى الكاتب - وكان منقطعا اليه - أن يلتقى الحاكم بأمر الله ، ويلفه ما تشكوه الناس من تظافر النصارى وغلبتهم على المملكة وتوازرهم ، وأن فهد بن ابراهيم هو الذى يقوى نفوسهم ، ويفسوس أمر الأموال والدواوين اليهم ، وأنه آفة على المسلمين وعدة للنصارى .

فوقف أبو طاهر للحاكم ليلا في وقت طوافه في الليل وبلغه ذلك ، ثم قال : يامولانا ان كنت تؤثر جمع الأموال واعزاز الاسلام ،

فأرني رأس فهد بن ابراهيم في ثلثت ، والا لم يتم من هذا شيء .

فقال له الحاكم : ويحك ، ومن يقوم بهذا الأمر الذى تذكره ويضمنه ؟

فقال : عبدك على بن عمر بن العداس .

فقال : ويحك ، أوفى هذا ؟

قال : نعم ياأمير المؤمنين .

قال : قل له يلقاتني ههنا في غد .

ومضى الحاكم . فجاء أبو طاهر الى ابن العداس وأعلمه بما جرى ، فقال : ويحك قتلتى وقتلت نفسك .

فقال : معاذ الله ! أنصبر لهذا الكلب الكافر على ما يفعل بالاسلام والمسلمين ، ويتحكم فيهم من اللعب بالأموال ؟ والله ان لم تسع فى قتله ليسعين فى قتلك .

فلما كان في الليلة القسابة ، وقف على بن عمر لعداس للحاكم ووافقه على ما يحتاج اليه . فوعده بانجاز ما اتفقا عليه ، وأمره بالكتمان . وانصرف الحاكم .

فلما أصبح ركب العداس الى دار قائد القواد حسين بن جوهر القائد ، فلقى عنده فهد بن ابراهيم ، فقال له فهد : يا هذا ، كم تؤذيني وتقذح في عند سلطاني ؟

فقال العداس : والله ما يقذح ولا يؤذيني عند سلطاني ، ويسمى على غيرك .

فقال فهد : سلط الله على من يؤذى صاحبه فينا ويسمى به سيف هذا الامام الحاكم بأمر الله .

فقال العباس : آمين ، وعجل ذلك ولا تمهله .

فقتل فهد في ثامن جمادى الآخرة وضربت عنقه ، وكان له منذ نظر في الرئاسة خمس سنين وتسعة أشهر واثني عشر يوما ، وقتل العباس بعده تسعة وعشرين يوما . واستجيب دعاء كل منهما في الآخر ، وذهبا جميعا ، ولا يظلم ربك أحدا .

وذلك أن الحاكم خلق على العباس في رابع عشره وجعله مكان فهد ، وخلق على ابنه محمد بن علي . فهناك الناس ، واستمر إلى خامس عشر رجب منها . فضربت رقبة أبي طاهر محمود بن النحوي — وكان ينظر في أعمال الشام — لكثرة ما رفع عليه من التجبر والعسف . ثم قتل العباس في سادس شعبان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، وأحرق بانار .

« خط البندقيين » : هذا الخط كان قديما اصطبل الجميزة ، أحد اصطبلات الخلفاء الفاطميين ، فلما زالت الدولة أخط ، وصارت فيه مساكن ، وسوق من جبلته عدة دكاكين لعمل قسي البندق ، فعرف الخط بالبندقيين لذلك

ثم أنه احترق يوم الجمعة للنصف من صفر سنة إحدى وخسين وسبعمائة ، والناس في صلاة الجمعة ، فما قضى الناس الصلاة إلا وقد عظم أمره . فركب إليه وإلى القاهرة والنيزان قد ارتفع لهما ، واجتمع الناس فلم يعرف من أين كان ابتداء الحريق .

واتفق هبوب رياح عاصفة ، فحملت شرر النار إلى آمد بعيد ، ووصلت أشعتها إلى أن

رؤيت من القلعة . فركب الوزير منجك بمسايلك الأمراء ، وجمعت السقاؤون لطفى النار ، فمجزوا عن ألقائها .

واشتد الأمر فركب الأمير شيخو والأمير طاز والأمير مغلطاي أميرأخور ، وترجلوا عن خيولهم ، ومنعوا النهابة من التعرض إلى نهب البيوت التي احترقت .

وعم الحريق دكاكين البندقيين ودكاكين الرسامين وحواليت الفقاعين والفندق المجاور لها والربيع علوه ، وصلت إلى الجاني الذي يلي بيت بيسرس وكن الدين ، الملقب بالملك المظفر ، والربيع المجاور لعالي زقاق الكنيسة . فما زال الأمير شيخو واقفا بنفسه ومسايلكه ومعه الأمراء إلى أن هدم ما هنالك .

والنار تأكل ما تمر به إلى أن وصلت إلى بئر الدلاء — التي كانت تعرف قديما ببئر زويلة ، ومنها كان يستقى لاصطبل الجميزة — فأحترقت ما جاور البئر من الأماكن إلى حوائت الفكاه والطباخ وما يجاورهما من الحوائت والربيع المجاور لدار الجوكندار ، وكادت أن تصل إلى دار القاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر ، المجاورة لحمام الشيخ نجم الدين بن عبود .

ولم يبق أحد في ذلك الخط حتى حول متاعه خوفا من الحريق . فكان أهل البيت * ينسأهم في نقل ثيابهم ، وإذا بالنار قد أحاطت بهم ، فيتركون ما في الدار وينجسون بأنفسهم ... والأمر يعظم ، والهدم واقع في الدور المجاورة لأماكن الحريق خشية من تعلق

(*) من ٢١ ج ١ ، ط. بولاق .

النار بها ، فسرى إلى جميع البلد إلى أن أتى الهدم على سائر ما كان هنالك .

فأقام الأمر كذلك يومين وليلتين والأمراء وموقف . فلما خف انصرف الأمراء ، ووقف وإلى القاهرة ومعه عدة من الأمراء لطفى ما بقي ، فاستروا في طفته ثلاثة أيام آخر .

وكان المصاب بهذا الحريق عظيما ... تلف فيه للناس من المال والثياب والمصاغ وغيره بالحريق والنهب ما لا يعلم قدره إلا الله . هذا مع ما كالأ في الأمراء من منع النهابة ، وكفهم عن أموال الناس ، إلا أن الأمر كان قد تجاوز الحد ، وعطب بالنار جماعة كثيرة ، ووصل حريق النار إلى قيسارية طشتر وربيع بكتر الساقى .

فلما كفى الله أمر هذا الحريق ، وأعان على طفته ، بعد أن هدمت عدة أماكن جليلة ما بين رباع وحنوايت ، وقع الحريق في أماكن من داخل القاهرة وخارج باب زويلة . ووجد في بعض المواضع التي بها الحريق كمكات بزيب وقطران ، فعلم أن هذا من فعل النصارى ، كما وقع في الحريق الذي كان في أيام الملك الناصر ، وقد ذكر في خبر السيرة الناصرية

فنسودي في الناس أن يحترسوا على مساكنهم . فلم يبق أحد من الناس ، أعلاهم وأدناهم ، حتى أعد في داره أوعية مملئة بالماء ما بين أحواض وأزيار ، وصاروا يتناوبون السهر في الليل ، ومع ذلك فلا يدرى أهل البيت إلا والنار قد وقعت في بيتهم ، فيتداركون طفتها لئلا تشتعل ويصعب أمرها .

وتترك جماعة من الناس الطبخ في الدور ، وتصادى ذلك في الناس من نصف صفر إلى عاشر ربيع الأول . فأحضر الأمير سيف الدين تشتر شاد الدواوين نشابة في وسطها تقط قد وجدها في سطح داره ، فأراها للأمراء وهي محروقة النصل .

فصدر أمر الوزير منجك للأمير علاء الدين علي بن الكوراني وإلى القاهرة بالقبض على الحرافيش ، وتقييدهم وسجنهم خوفا من غائلتهم ونهبهم الناس عند وقوع الحريق . فتبعهم وقبض عليهم في الليل من بيوتهم ومن الحوايت حتى خلت السكك منهم .

ثم أن الأمراء كلموا الوزير في أمرهم ، فأمر بإطلاقهم ، ونودي في البلد ألا يقيم فيها غريب ، وطلبوا الخفاء وولاية المراكز ، وأمرُوا بالاحتفاظ وتبع الناس ، وأخذ من تتوهم فيه ريبة أو يذكر بشيء من أمر . هذا والحريق أمره في تزايد ، وصار وإلى القاهرة من ذلك في تعب كبير ، لا ينام هو ولا أعوانه في الليل البتة لكثرة الضجات في الليل .

ووقع حريق في شونة حلفاء بمصر مجاورة لمطابخ السكر السلطانية . فركب القاضي علم الدين بن زبور ناظر الخاص في جماعة ، وخرج عامة أهل مصر ، وتكاثروا على الشونة حتى طفت . ووقع الحريق في عدة أماكن بمصر ، واستمر الحريق بمصر والقاهرة مدة شهر من ابتدائه بالبندقيين ولم يعلم له سبب .

واستمر أكثر خط البندقيين خرابا إلى أن عمر الأمير يونس النوروزي ، دوا دار الملك

الظاهر برقوق ، الربع فوق بئر الدلاء التي كانت تعرف ببئر زويلة ، وأنشأ بجوار درب الألب الحوائت والرباع والقيصرية في سنة ثمانين وسبعمائة .

ثم أنشأ الأمير تميم الدين أحمد الحاجب ، ابن أخت الأمير جمال الدين يوسف ، الاستادار ، داره بجوار حمام ابن عبود ، فاقصص ظهرها بدكاكين البندقانيين ، فصار فيها ما كان من خراب الحريق هناك حيث الحوض الذي أنشأه تجاه دار بيرس .

ولقد أدركنا في خط البندقانيين عدة كثيرة من الحوائت التي يباع فيها الفصاع ببلغ نحو العشرين حانوتا . وكانت من أزهى ما يرى ، فأنها كانت كلها مرخنة بأنواع الرخام الملون ، وبها مصانع من ماء تجري إلى فوارات تقذف بالماء على ذلك الرخام حيث كيزان الفصاع مرصوفة ، فيستحسن منظرها إلى الغاية ، لأنها من الجانبين والناس يرون بينهما .

وكان بهذا الخط عدة حوائت تعمل قسي البندق ، وعدة حوائت لرسم أشكال ما يطرز بالذهب والحرير ، وقد بقيت من هذه الحوائت بقايا يسيرة . وهو من أخطاط القاهرة الجيدة .

« خط دار الدياج » : هذا الخط هو فيما بين خط البندقانيين والوزيرية . وكان أولا يعرف بخط دار الدياج ، لأن دار الوزير يعقوب بن كلس - التي من جعلتها اليوم المدرسة الصاحبية ودرب الحريري والمدرسة السيفية - علت دارا ينح فيها الدياج

والحرير برسم الخلفاء الفاطميين ، وصارت تعرف بدار الدياج ، فنسب إليها الخط . إلى أن سكن هناك الوزير صلى الدين عبد الله بن علي بن شكر ، في أيام الصالح أبي بكر بن أيوب ، فصار يعرف بخط سويقة الصاحب . وهو خط جسيم به مساكن جليلة وسوق ومدرسة .

« خط الملحنيين » : هذا الخط فيما بين الوزيرية والبندقانيين من وراء دار الدياج ، وتسميه العامة خط طواحين اللوحين - بواو بعد اللام وقبل الحاء المهملة - وهو تحريف . وإنما هو خط الملحنيين ، عرف بطائفة من طوائف المعسكر في أيام الخليفة المستنصر بالله يقال لها الملحية ، وهم الذين قاموا بالفتنة في أيام المستنصر إلى أن كان من الغلاء ما أوجب خراب البلاد ، ونهب خزائن الخليفة المستنصر .

فلما قدم أمير * الجيوش بدر الجمالي إلى القاهرة ، وتقلد وزارة المستنصر ، وتجرد لأصلاح إقليم مصر ، وتبع المفسدين وقتلهم ، وسار في سنة سبع وستين وأربعمائة إلى الوجه البحري ، وقتل لواتة وقتل مقدمهم سليمان اللواتي وولده ، واستصفي أموالهم ، ثم توجه إلى دمياط وقتل فيها عدة من المفسدين .

فلما أصلح جميع البر الشرقي ، عدى إلى البر الغربي ، وقتل جماعة من الملحية وأتباعهم بشعر الاسكندرية بعدما أقام أياما محاصرا البلد وهم يستنعمون عليه ويقاثلونه ... إلى أن أخذها عنوة ، فقتل منهم عدة كثير .

(٢٢) ص ٢٢ ج ٢ ، ط. بولاق .

وكان بهذا الخط عدة من الطواحين ، فسمى بخط طواحين الملحنيين ، به إلى الآن يسير من الطواحين .

« خط المسطاح » : هذا الخط فيما بين خط الملحنيين وخط سويقة الصاحب . وفيه اليوم سوق الرقيق - الذي يعرف بسوق الجوار - والمدرسة الحسامية ، وما دار به ويعرف المسطاح . وبخارج باب القطر ، قريب من باب الشعيرة أيضا ، خط يعرف بالمسطاح .

« خط قصر أمير سلاح » : هذا خط قصر الأمير سيف الدين يوسف بن الحسين . سلك منه إلى مدرسة الطوائف سابق الدين المعروفة بالسامية ، وكان يعرف باسم راحة يد العبد من باب القصر ... إلى أن هدمه الأمير جلال الدين يوسف الأستار ، وبنى في مكانه القسارية المسجدة بجوار مسجد من راحة يد العبد ، فصار هذا الخط غير نافذ . وكان شارعاً مملوكاً يسير فيه الناس والدواب بالأحمال . فركب منه حال لدن المذكور دروبا لحفظ أمواله .

وكان هذا الخط من أخص أماكن القصر الكبير الشرقي . فلما زالت الدولة الفاطمية ، وتفرق أمراء صلاح الدين يوسف القصر ، عرف هذا المكان بقصر شيخ الشيوخ ابن حصويه الوزير لكنه فيه ، ثم عرف بعد ذلك بقصر أمير سلاح وبقصر سابق الدين ، وهو إلى الآن يعرف بذلك . وسبب شهرته بأمر سلاح أنه اتخذ به عمائر جليلة هي بيد ورثته إلى الآن .

وأمر سلاح هذا هو « بكتاش الصوري » الأمير بدر الدين أمير سلاح الصالح النجسي . كان أولا مملوكاً لقصر الدين ابن الشيخ ، فصار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وتقدم عنده من جملة من قدمه من المالك البحرية الذين ملكوا الديار المصرية من بعد انقضاء الدولة الأيوبية .

وتأمر في أيام الملك الصالح ، وتقدم في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيرس البندقاري ، واستمر أميرا ما ينيف على الستين سنة لم ينكب فيها قط .

وعظم في أيام الملك المنصور قلاوون الأتقي ... بحيث أن الأمير حسام الدين طرنتاي ، نائب السلطة بديار مصر في أيام قلاوون ، تجارى مرة مع السلطان في حديث الأمراء . فقال له السلطان المنصور : أما اليوم فما بقي في الأمراء غير أمير سلاح : إذا قلت درس خيل شجاع ما يرد وجهه من عدوه ، وإذا حلف ما يخون ، وإذا قال صدق .

فقال طرنتاي : والله ياخوند له اقطاع عظيم ما كان يصلح إلا لي .

فاحمر وجه السلطان وغضب ، وقال له : ويلك ! إياك أن تتكلم بهذا . والله مكان يصل فيه سيف أمير سلاح ما يصل نسايبك ولا نسايب غيرك .

وكان كريها شجاعا . يسافر كل سنة مجردا بالمعسكر ، فيصل إلى حلب للغارة ومحاصرة فلاح العدو ، فاشتهر بذلك في بلاد العدو ، وعظم صيته ، واشتدت مهابته . وكانت له رغبة في شراء الممالك والخيول بأعلى القيم ،

وكان يبعث للأمراء المجريين معه النفقة ، ويقوم لهم بالنصير والأعوان . وبلغت ماله في الغاية في العسنة ، وكان اقتطاع كل منهم في السنة عشرين ألف درهم فضة ، عنها يؤمّن ألف مقل من الذهب . ولكل من جنده خبز مبلغه في السنة عشرة آلاف درهم ، سوى كتفهم من الشعر واللحم .

ومع ذلك فكان خيرا دينيا ، له صدقات ومعروف وإحسان كثير . ومات بعدما ترك لمرقه في مرضه الذي مات فيه للنصف من ربيع الآخر سنة ست وسبعائة ، رحمه الله .

وهذا الخط عدة دور جليّة . يأتي ذكرها عند ذكر الدور من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

« أولاد شيخ الشيوخ » : جماعة أصنام الذي يتسبون إليه حموه بن علي . يقال انه من ولد وزم بن يوتان أحد قواد كسرى أبو شروان ، وولي قيادة جيش نصر بن نوح بن سامان ودير دوله ، وهو جد شيخ الاسلام محمد وأخيه أبي سعد بنى حموه بن محمد ابن حموه .

وكان محمد وأبو سعد من ملوك خراسان ، فتركا الدنيا وأقبلوا على طريق الآخرة ، ومات ركن الاسلام أبو سعد بنجران من قرى جون . في سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، ومات أخوه شيخ الاسلام محمد بها في سنة ثلاثين وخمسمائة .

وترك أبو سعد زين الدين أحمد وبنات ، وترك شيخ الاسلام محمد ولدا واحدا وهو

أبو الحسن علي . فتزوج علي بن محمد بابتة عمه أبي سعد ، ورزق منها سعد الدين ومعين الدين حسنا وعساة الدين عمر . وترك زين الدين أحمد بن أبي سعد ركن الدين أبا سعد وعز الدين وزين الدين القاسم .

فقدم عساة الدين عمر بن علي بن محمد بن حموه الى دمشق ، وصار شيخ الشيوخ بها ، وقدم عليه ابنه شيخ الشيوخ صدر الدين علي .

فلما مات عمر في رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة بدمشق ، أقر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده صدر الدين محمدا موضعه ، وصار شيخ الشيوخ بدمشق . فتزوج بابتة القاضي شهاب الدين ابن أبي عسرون ، ورزق منها عشرة بنين : منهم عساة الدين عمر ، وفخر الدين يوسف ، وكمال الدين أحمد ، ومعين الدين حين .

فرضت أمهم - بنت أبي عسرون - السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، فصار أخا لأولاد صدر الدين شيخ الشيوخ من الرضاة . وقدم صدر الدين الى القاهرة ، وولي تدريس الشافعي بالقراة ومشيخة الخاتاه الصلاحية بمسجد السعدا ، ثم سافر فمات بالموصل في رابع عشر جمادى الأولى سنة سبع عشرة وستائة .

واستبد الملك الكامل بسلطة مصر بعد أبيه . فرقى أولاد صدر الدين شيخ الشيوخ محمد بن حموه الأربعة ، وبعث عساة الدين عمر في الرسالة الى الخليفة ببغداد ، وجع له

(١٨) ص ٢٢ ج ٢ ، طبع في بيروت .

بفتح رسالة العلم والقلم في سنة ثلاث وثلاثين وستائة ، ولم يجتمع ذلك لاحد في زمانه .

وما زال على ذلك الى ان مات الملك الكامل ، وقام من بعده في سلطنة مصر ابنه الملك العادل أبو بكر بن الكامل . فخرج الى دمشق ليحضر اليه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مردود بن العادل أبي بكر بن أيوب نائب السلطنة بدمشق ، فجلس عليه من قتله على باب الجامع في سادس عشرى جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وستائة .

وأما فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ صدر الدين . فان الملك الكامل جعله أحد الأمراء ، وألبسه الشربوش والقباء وقادمه ، وبعث في الرسالة عنه الى ملك الفرنج ، ثم الى أخيه المعظم بدمشق ثم الى الخليفة ببغداد ، وأقامه يتحدث بمصر في تدبير المملكة وتحصين الأموال ، ثم بعثه حتى تسلم حران والرها ، وجهزه الى مكة على عسكره . فقاتل صاحبها الأمير راجح الدين بن قتادة ، وأخذها بالسيف ، وقتل عسكره البين .

وما زال مكروما محترما حتى مات الملك الكامل ، فقبض عليه العادل ابن الكامل واعتقله . فلما خلع العادل بأخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، أطلقه وأمره وبالح في الأحسان اليه ، وبعثه على المعسكر الى الكرك . فأوقع بالخوارزمية وبدد شملهم ، وكانوا قد قدموا من المشرق الى غزة ، وأقام الدعوة للصالح في بلاد الشام وعاد .

ثم قدمه على المعسكر . فأخذ طبرية من الفرنج وهدمها ، وأخذ عسقلان من الفرنج

وهدم حصونها ، وأزال حصن حتى أشرف على أخذها . ثم تقدم على المعسكر بقتال الفرنج بدمياط ، فمات السلطان عند المنصورة وقام بتدبير الدولة بعده خمسة وسبعين يوما الى أن استشهد في رابع ذي القعدة سنة سبع وأربعين وستائة ، فحمل من المنصورة الى القراة فدفن بها .

وأما كمال الدين أحمد . فان الملك الكامل استأبته بحران والجزيرة ، وولى تدريس المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر ، وتدرس الشافعي بالقراة ، ومشيخة الشيوخ بديار مصر ، وقدمه الملك الصالح نجم الدين أيوب على المعسكر غير مرة ، ومات بغزة في صفر سنة تسع وثلاثين وستائة .

وأما معين الدين حسن فانه ولى مشيخة الشيوخ بديار مصر ، وبعثه الملك الكامل في الرسالة عنه الى بغداد ، ثم أقامه نائب الوزارة الى أن مات . فاستوزره الملك الصالح نجم الدين أيوب في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستائة ، وجهزه على المعسكر في هيئة الملوك الى دمشق ، فقاتل الصالح اسماعيل بن العادل حتى ملكها ، ومات بها في ثاني عشرى رمضان سنة ثلاث وأربعين وستائة .

وقد ذكرت أولاد شيخ الشيوخ في كتاب « تاريخ مصر الكبير » ، واستقصيت فيه أخبارهم . والله تعالى أعلم .

« خط قصر بشتاك » : هذا الخط من جملة القصر الكبير ، ويتوصل اليه من تجاه المدرسة الكاملية ، حيث كان باب القصر المعروف بباب البحر ، وهدمه الملك الظاهر بيبرس كما تقدم

في ذكر أبواب القصر ، وصار اليوم في داخل هذا الباب حارة كبيرة ، فيها عدة دور جليلة منها قصر الأمير بشتاك ، وبه عرف هذا الخط .

و « بشتاك » هذا هو الأمير سيف الدين بشتاك الناصري ، قربه الملك الناصر محمد ابن قلاوون وأعلى محله ، وكان يسميه - بعد موت الأمير بكتسر الساقى - بالأمير قى غيبه . وكان زائد التيه ، لا يكلم أستاذاره وكاتبه الا بترجمان ، ويعرف بالعربى ولا يتكلم به ، وكان اقطاعه ست عشرة مبلخانة أكبر من اقطاع قوصون .

ولما مات بكتسر الساقى ، ورثه في جميع أحواله واصطبله الذى على بركة الفيل وفي امراته أم أحمد ، واشترى جاريته جوبى ستة آلاف دينار ، ودخل معها ما قيمته عشرة آلاف دينار ، وأخذ ابن بكتسر عنده . وزاد أمره ، وعظم محله ، فثقل على السلطان ، وأراد القتل به فما تمكن .

وتوجه الى الحجاز ، وأتفق في الأمراء وأهل الركب والفقراء والمجاورين بسكة والمدينة شيئا كثيرا الى الغاية ، وأعطى من الألف دينار الى المائة دينار الى الدينار ... بحسب مراتب الناس وطبقاتهم .

فلما عاد من الحجاز لم يشعر به السلطان الا وقد حضر في نفر قليل من مماليكه ، وقال : ان أردت امساكى فها أنا قد جئت اليك برقبتي . فقال له السلطان ، وطيب خاطره . وكان يرمى بأوباد ودواهي من أمر الزنا . وجرده السلطان لامساك تنكز نائب الشام . فحضر الى دمشق بعد امساكه هو وعشرة من

الأمراء ، فنزلوا القصر الأبلق ، وحلف الأمراء كلهم للسلطان ولزنته ، واستخرج ودائع تنكز ، وعرض حواصله ومماليكه وجواربه وخيله . وسائر ما يتعلق به ، ووسط طغاي وحفای مملوكى تنكز فى سوق الخيل ، ووسط دران أيضا بحضوره يوم المركب . وأقام بدمشق خمسة عشر يوما ، وعاد الى القلعة ، وبقي في نفسه من دمشق ، وما تجاسر يفتاح السلطان في ذلك .

فلما مرض السلطان وأشرف على الموت ، ألبس الأمير قوصون مماليكه . فدخل بشتاك ، فعرف السلطان ذلك ، فجمع بينهما ونصالحا قدامه ، ونص السلطان على أن الملك بعده لولده أبى بكر . فلم يوافق بشتاك ، وقال : لا أريد إلا سيدى أحمد .

فلما مات السلطان ، قام قوصون الى الشباك وطلب بشتاك ، وقال له : يا أمير المؤمنين أنا ما يجىء منى سلطان ، لأنى كنت أبيع الطما والبرغالى والكشاتون ، وأنت اشترت منى وأهل البلاد يعرفون ذلك . وأنت ما يجىء منك سلطان لأنك كنت تبيع الكوزا ، وأنا اشترت منك وأهل البلاد يعرفون ذلك . وهذا أستاذنا هو الذى وصى لمن هو أخير به من أولاده ، وما يسعنا الا امثال أمره حيا وميتا ، وأنا ما أخالفك ان أردت أحمد أو غيره ، ولو أردت أن تعمل كل يوم سلطانا ما خالفتك .

فقال بشتاك : هذا كله صحيح ، والأمر أمرك .

(٢٤٨) من ٢٤٨ ج ٢ ، ط ١٠ بولاق

وأحضر المصحف وحلفا عليه وتعاثا ، ثم قاما الى رجلى السلطان فقبلاهما ، ووضعما أبا بكر بن السلطان على الكرسي ، وقبلا له الأرض وحلفا له ، وتلقب بالملك المنصور .

ثم ان بشتاك طلب من السلطان الملك المنصور نيابة دمشق . فأمر له بذلك وكتب تقييده . وبرز الى ظاهر القاهرة وأقام يومين ، ثم طلع فى اليوم الثالث الى السلطان ليودعه . فوثب عليه الأمير قطلوبغا الفخرى وأمسك سيفه ، وتكاثروا عليه فأمسكوه ، وجهزوه الى الاسكندرية فاعتقل بها ، ثم قتل فى الخامس من ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة لأول سلطنة الملك الأشرف كجك .

وكان شابا أبيض اللون ظريفا ، مديد القامة نحيفا ، خفيف اللحية كأنها عذار ، على حركاته رشاقة ، حسن العمة يحسم الناس على مثاها . وكان يشبه بأبى سعيد ملك العراق ، الا أنه كان غير عفيف الفرج ، زائد الهرج والمرج ، لم ينف عن مليحة ولا قبيحة ، ولم يدع أحدا يفوته ، حتى يسك نساء الفلاحين وزوجات الملاحين ، واشتهر بذلك ورمى فيه بأوباد .

وكان زائد البذخ ، منهكا على ما يقتضيه غنفوان الشبيبة ، كثير الصلف والديه ، لا يظهر الرافة ولا الرحمة فى تأنيه . ولما توجه بأولاد السلطان ليخرجهم فى دمياط ، كان يذبح لسانه فى كل يوم خمسين رأسا من الغنم وفرسا لا بد منه ، خارجا عن الأوز والدجاج . وكان راتبه دائما كل يوم من الفحم برسم المشوى مبلغ عشرين درهما عنها مثقال ذهب ، وذلك سوى الطواري .

وأطلق له السلطان كل يوم بتجة قماش من اللصافة الى الخف الى القيصم والبباس والملوطة والبخلطاق والقباء الفوقالى بوجه اسكندرا الى على سنجاب طرى مطرز مزركش رقيق وكلوثة وشاش ، ولم يزل يأخذ ذلك كل يوم الى أن مات السلطان . وأطلق له فى يوم واحد ، عن ثمن قرية تبنى بساحل الرملة ، مبلغ ألف ألف درهم فضة ، عنها يومئذ خمسون ألف مثقال من الذهب . وهو أول من أمسك بعد موت الملك الناصر .

وقال الأديب المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، ومن كتابه قلت ترجمة بشتاك :

قال الزمان وما سمعنا قوله والناس فيه رهائن الأشرار

من ينصر المنصور من كيدى وقد صاد الردى بشتاك لى بشرار

« خط باب الزهومة » : هذا الخط عرف بباب الزهومة ، أحد أبواب القصر الكبير الشرقى الذى تقدم ذكره ، فانه كان هناك . وقد صار الآن فى هذا الخط سوق وفندق وعدة آدر ، يأتي ذكر ذلك كله فى موضعه ان شاء الله تعالى .

« خط الزراكنة العتيق » : هذا الخط فيما بين خط باب الزهومة وخط السبع خوخ ، وبعضه من دار العلم الجديدة ، وبعضه من جملة القصر النافى ، وبعضه من تربة الزعفران وفيه اليوم فندق المهندار الذى يدق فيه الذهب ، وخان الخيللى ، وحان

منجك ، ودار خولجا ، ودرب الحبش ، وغير ذلك كما ستقف عليه ان شاء الله .

« خط السبع خوخ العتيق » : هذا الخط فيما بين خط اصطبل القارمة وخط الزراكنة العتيق . كان فيه قديما أيام الخلفاء القاطنين سبع خوخ يتوصل منها الى الجامع الأزهر . فلما انقضت أيامهم ، اختط مساكن وسوقا يباع فيه الأبر التي يخط بها وغير ذلك ، صرف بالأبارين .

« خط اصطبل القارمة » : هذا الخط كان اصطبلًا لخاص الخليفة يشرف عليه مصر الشوك والقصر القامسي ، وقد تقدم الكلام عليه . وكانت فيه طارمة يجلس الخليفة تحتها ، فعرف بذلك ، ثم هو الآن حارة كبيرة فيها عدة من المساكن ، وبه سوق وحمام ومساجد . وهذا الخط فيما بين رجة قصر الشوك ورجة الجامع الأزهر ، كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى في ذكر الرحاب .

« خط الأكفانيين » : هذا الخط كان يعرف بخط الخرقين : جمع خرقة .

« خط المناخ » : هذا الخط فيما بين البرقية والمطوقية . كان مواضع طولحين القصر ، وقد تقدم ذكره . ثم اختط به ذلك ، وصار حارة كبيرة ، وهو الآن متداخ للحراب .

« خط سوقة أمير الجيوش » : كان حارة القرحية ، وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى في الأسواق . وهذا الخط فيما بين حارة يروجوا وخط خان الوراق .

(٥٠) ص ٢٥٤ ج ١ ، طبع بولاق .

« خط بركة الحبة » : هذا الخط يعرف اليوم بكسر الحطب ، وفيه سوق الأبارزة ، وهو فيما بين البندقانيين والمحمودية ، وفيه عدة أسواق ودور .

« خط المهادين » : هذا الخط فيما بين الجوابية والساح .

« خط خزنة البنود » : هذا الخط فيما بين رجة باب العيد ورجة المشهد الحسيني ، وكان موضعه خزنة تعرف بخزنة البنود ، وكان أولا يعمل فيها السلاح ، ثم صارت سجنًا لأمراء الدولة وأعيانها ، ثم أسكن فيها الترنج الى أن هدمها الأمير الحاج آل ملك ، وحكر مكانها ، فبنى فيه الطاحون والمساكن كما تقدم .

« خط السقيفة » : هذا الخط فيما بين درب السلام من رجة باب العيد وبين خزنة البنود . كان يقف فيه المتعلمون للخليفة كما تقدم ذكره ، ثم اختط فصار فيه مساكن ، وهو خط صغير .

« خط خان النيل » : هذا الخط خارج باب القنوج ، وهو من جملة أخطا الحسنية .

قال ابن عبد القاهر : خان النيل بناء الأمير جاء الدين قراقوش ، وأرصده لأبناء السيل والمسافرين بغير أجره ، وبه بنو ساقية وحوض . انتهى .

وأدركنا هذا الخط في غاية العمارة يعمل فيه عرصة تباع بها الفلال ، وكان فيه سوق يباع فيه الخشب ، ويجتمع الناس هناك بكثرة .

كل يوم جمعة ، فيباع فيه من الأوز والدجاج ما لا يقدر قدره ، وكانت فيه أيضا عدة مساكن ما بين دور وحوانيت وغيرها . وقد اختل هذا الخط .

« خط بستان ابن صيرم » : هذا الخط أيضا خارج باب القنوج مما يلي الخليج وزقاق الكحل . كان من جملة حارة اليازرة ، فأنشأه زمام القصر المختار الصقلي بستانا ، وبنى فيه منظره عظيمة . فلما زالت الدولة القاطمية ، استولى عليه الأمير جمال الدين سويح بن صيرم ، أحد أمراء الملك الكامل ، فعرف به . ثم اختط وصار من أجل الأخطا عمارة تسكنه الأمراء والأعيان من الجند ، ثم هو الآن آيل الى الدثور .

« خط قصر ابن عمار » : هذا الخط من جملة حارة كتامة ، وهو اليوم درب يعرف بالقصاحين ، وفيه حمام كرائي ودار خوند شقرا ... يسلك اليه من خط مدرسة الوزير كريم الدين بن غنام ، ويسلك منه الى درب المنصوري .

وابن عمار هذا هو أبو محمد الحسن بن عمار بن علي بن أبي الحسن الكلبي ، من بني أبي الحسن أحد أمراء صقلية وأحد شيوخ كتامة . وصاه العزيز بالله تزار بن المعز لدين الله فاحتضر ، هو والقاضي محمد بن النعمان ، علي ولده أبي علي منصور .

فلما مات العزيز بالله ، واستخلف من بعده ابنه الحاكم بأمر الله ، اشترط الكتاميون - وهم بومذ أهل الدولة - ألا ينظر في أمورهم غير أبي محمد بن عمار ... بعدما

تجمعوا ، وأخرج منهم طائفة نحو المصلى ، وسألوا صرف عيسى بن مشطورس ، وأن تكون الوساطة لابن عمار .

فتلب لذلك ، وخلع عليه في ثالث شوال سنة خمس وسبعين وثلثمائة ، وقلد سيف من سيوف العزيز بالله ، وحمل على فرس بروج ذهب ، ولقب بأمين الدولة - وهو أول من لقب في الدولة القاطمية من رجال الدولة - وقيد بين يديه عدة دواب ، وحمل معه خمسون ثوبا من سائر البز الرفيع ، وأصرف الى داره في موكب عظيم .

وقرى سجله ، فتولى قرأته القاضي محمد ابن النعمان بجلوسه للوساطة ، وتلقيه بأمين الدولة . وألزم سائر الناس بالترجل اليه ، فترجل الناس بأسرهم له من أهل الدولة ، وصار يدخل القصر راكبا ، ويشق الدواوين ، ويدخل من الباب الذي يجلس فيه خدام الخليفة الخاصة ، ثم يعدل الى باب الحجر التي فيها أمير المؤمنين الحاكم ، فينزل على بابها ويركب من هناك .

وكان الناس من الشيوخ والرؤساء على طبقانهم يسكرون الى داره ، فيجلسون في الدهاليز بغير ترتيب والباب مغلق ، ثم يفتح فيدخل اليه جماعة من الوجوه ، ويجلسون في قاعة الدار على حصير وهو جالس في مجلسه ، ولا يدخل له أحد ساعة ، ثم يأذن لوجوه من حضر - كالتقاضي ووجوه شيوخ كتامة والقواد - فتدخل أعيانهم .

ثم يأذن لسائر الناس ، فيزدحمون عليه بحيث لا يقدر أحد أن يصل اليه ، فمنهم من

يومىء بتقيل الأرض ، ولا يرد السلام على أحد .

ثم يخرج فلا يقدر أحد على تقيل يده سوى أناس بأعيانهم ، إلا أنهم يومنون إلى تقيل الأرض ، وشرف أكابر الناس بتقيل ركابه ، وأجل الناس من يقبل ركبه .

وقرب كثامة ، واتفق فيهم الأموال وأعظام الخيول ، وباع ما كان بالاصطبلات من الحيل والبغال والنجب وغيرها وكانت شيئا كثيرا ، وقطع أكثر الرسوم التي كانت تطلق لأولياء الدولة من الأتراك ، وقطع أكثر ما كان في المطابخ ، وقطع أرزاق جماعة ، وفرق كثيرا من جوارى القصر — وكان به من الجوارى والخدم عشرة آلاف جارية وخدام — فباع من اختار البيع ، وأعتق من سأل العتق طلبا للتوفير .

واصطنع أحداث المغاربة ، فكثرت عليهم ، وامتدت أيديهم إلى الحرام في الطرقات ، وشلحوا الناس ثيابهم . فضج الناس منهم ، واستغاثوا إليه بشكايتهم ، فلم يبد منه كبير نكير . فأقرط الأمر حتى تعرض جماعة منهم للعلماء الأتراك وأرادوا أخذ ثيابهم ، فثار بسبب ذلك شر قتله فيه غلام من الترك وحدث من المغاربة ، فتجمع شيوخ الفريقين ، واقتتلوا يومين آخرهما يوم الأربعاء تاسع شعبان سنة سبع وثمانين وثلثائة .

فلما كان يوم الخميس ركب ابن عمار لابسا آلة الحرب وحوله المغاربة ، فاجتمع الأتراك ، واشتدت الحرب ، وقتل جماعة وجرح كثير ،

فعاد إلى داره . وقام برجوان بنصرة الأتراك ، فامتدت الأيدي إلى دار ابن عمار واصطبلاته ودار رشا غلامه ، فتهبوا منها ما لا يحصى كثرة فصار إلى داره بمصر في ليلة الجمعة ثلاث بقين من شعبان ، واعتزل عن الأمر . فكانت مدة نظره أحد عشر شهرا إلا خمسة أيام ، فأقام بداره في مصر سبعة وعشرين يوما .

ثم خرج إليه الأمر بعوده إلى القاهرة ، فعاد إلى قصره هذا ليلة الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، فأقام به لا يركب ولا يدخل إليه أحد إلا أتباعه وخدمه . وأطلقت له رسومه وجراياته التي كانت في أيام العزيز بالله ، ومبلغها عن اللحم والتوابل والقواكه خمسمائة دينار في كل شهر ، وفي اليوم سلة فاكهة بدينار وعشرة أرطال شمع ونصف حمل ثلج .

فلم يزل بداره إلى يوم السبت الخامس من شوال سنة تسعين وثلثائة . فأذن له الحاكم في الركوب إلى القصر ، وأن ينزل موضع نزول الناس ، فواصل الركوب إلى يوم الاثنين رابع عشره . فحضر عشية إلى القصر وجلس مع من حضر ، فخرج إليه الأمر بالانصراف ، فلما انصرف ابتدره جماعة من الأتراك وقفوا له ، فقتلوه واحتزوا رأسه ودفنوه مكانه ، وحمل الرأس إلى الحاكم ، ثم نقل إلى تروته بالقرافة فدفن فيها .

وكانت مدة حياته ، بعد عزله إلى أن قتل ، ثلاث سنين وشهرا واحدا وثمانية وعشرين يوما . وهو من جملة وزراء الدولة المصرية . وولى بعده برجوان ، وقد مر ذكره .

ذكر الدروب والأزقة

قد اشتملت القاهرة وظواهرها من الدروب والأزقة على شيء كثير . والغرض ذكر ما يتيسر لي من ذلك .

« درب الأتراك » : هذا الدرب أصله من خط جارة الديلم ، وهو من الدروب القديمة ، وقد تقدم ذكره في الحارات ، ويتوصل إليه من خطة الجامع الأزهر ، وقد كان فيما أدركناه من عصر الأماكن .

أخبرني خادمتنا محمد بن السعدي قال : كنت أسكن في أجوام بضع وستين ومبعمائة بدرب الأتراك ، وكنت أعاني صناعة الخياطة ، فجاءني في موسم عيد الفطر من لجيران أطباق الكعك والخشكناج — على عدة أهل مصر في ذلك — فمالت زيرا كبيرا كان عندي مما جاءني من الخشكناج خاصة لكثرة ما جاءني من ذلك ... إذ كان هذا الخط خاصا بكثرة الأكابر والأعيان . وقد خرب اليوم منه عدة مواضع .

« درب الاسواني » : ينسب إلى القاضي أبي محمد الحسن بن هبة الله الأسواني ، المعروف بابن عتاب .

« درب شمس الدولة » : هذا الدرب كان قديما يعرف بحارة الأمراء كما تقدم . فلما كان مجيء المعز إلى مصر ، واستيلاء صلاح الدين يوسف على مملكة مصر ، سكن في هذا المكان الملك المعظم شمس الدولة توران شام ابن أيوب فعرف به ، وسمى من حينئذ درب شمس الدولة ، وبه يعرف إلى اليوم .

« توران شاه » : الملقب بالملك المعظم شمس الدولة بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان . قدم إلى القاهرة مع أهله من بلاد الشام ، في سنة أربع وستين وخمسمائة ، عندما تقلد صلاح الدين يوسف بن أيوب وزارة الخليفة العاضد لدين الله ، بعد موت عمه أسد الدين شيركوه .

ركانت له أعمال في واقعة السودان تولاهما بنفسه ، واقتحم الهول ، فكان أعظم الأسباب في نصرة أخيه صلاح الدين وهزيمة السودان ، ثم خرج إليهم بعد انهزامهم إلى الجيزة ، فأفناهم بالسيف حتى أبادهم . وأعطاه صلاح الدين قوص وأسوان وعيذاب ، وجعلها له اقطاعا ، فكانت عبرتها في تلك السنة مائتي ألف وستة وستين ألف دينار .

ثم خرج إلى غزو بلاد النوبة في سنة ثمان وستين ، وفتح قلعة أبريم ، وسبى وغنم ، ثم عاد بعد ما أقطع أبريم بعض أصحابه .

وخرج إلى بلاد اليمن في سنة تسع وستين وكان بها عبد النبي أبو الحسن علي بن مهدي قد ملك زبيد وخطب لنفسه . وكان الفقيه عسارة قد انقطع إلى شمس الدولة ، وصار يصف له بلاد اليمن ، ويرغبه في كثرة أموالها ، ويفريه بأهلها ، وقال فيه قصيدته المشهورة التي أولها :

العلم مذ كان محتاج إلى القلم
وشفرة السيف تستغنى عن القلم

فبعثه ذلك على المسير إلى بلاد اليمن . فسار إليها في مستهل رجب ، ودخل مكة معتمرا ، وسار منها فنزل على زيد في سابغ

شوال . وفي نهار الاثنين ثامن شوال فتعها
بالسيف ، وقبض على علي بن المهدي واخوته
وأقاربه ، واستولى على ما كان في خزائنه من
مال ، وتسلم الحصون التي كانت بيده .

وفي مستهل ذي القعدة توجه قاصدا عدن ،
وبذل لياسر بن بلال في كل سنة ثلاثين ألف
دينار ، وسلمها اليه ، فما رغب في ذلك ، وكان
قصده أن يقيم بها نائبا عن المجلس . الفخري ،
فلما أبى ذلك نزل عليها في يوم الجمعة تاسع
عشر ذي القعدة ، وملكها في ساعة بالسيف ،
وقبض على ياسر واخوته وولدي الداعي ،
فاحتوى على ما فيها ، وقبض على عبد النبي .
واستولى أيضا على تمز وتفكر وصنعا وظفار
وغيرها من مدن اليمن وحصونها ، وثلقب
بالمملك المعظم ، وخطب لنفسه بعد الخليفة
العباسي .

وما زال بها الى سنة احدى وسبعين .
فسار منها الى لقاء أخيه صلاح الدين ووصل
اليه ، وملكه دمشق في شهر ربيع الأول سنة
اثنين وسبعين ، فأقام بها الى أن خرج
السلطان صلاح الدين مرة من القاهرة الى
بلاد الشام ، فجهزه في ذي القعدة سنة أربع
وسبعين الى مصر ، وكان قد عمل نائبا
بمملك ، فاستأب عنه فيها ، ودخل الى
القاهرة ، وأسلم عليه صلاح الدين .
بالاسكندرية ، فسار اليها وأقام بها الى أن
توفي في مستهل صفر سنة ست وسبعين
وخمسائة بالاسكندرية فدفن بها .

وكان كريما واسع العطاء ، كثير الانفاق .
مات وعليه مائتا ألف دينار مصرية دينارا ،

فمضاها عنه أخوه صلاح الدين . وكان سبب
خروجه من اليمن أنه التفت بدنه بزييد ،
فارتجل له سيف الدولة مبارك بن متقذ :
وإذا أراد الله سوما بامرئ
وأراد أن يحييه غير سعيد

اغراه بالترحال من مصر بلا
سبب واسكنه بصنع زبيد
فخرج من اليمن كما تقدم .

وحكى الأديب الماضل مذهب الدين
أبو طالب محمد بن علي الحلبي ، المعروف بابن
الخيبي ، قال : رأيت في النوم المعظم شمس
الدولة وقد ملحته وهو في القبر ميت ، فله ،
كفه ورماه الى وأنشدني :

لا تستقلن معروفا سمحت به
ميتا ، وأميت عنه عاريا بدني

ولا تظنن جودي شابه بخل
من بعد بذلي بملك الشام واليمن

اني خرجت عن الدنيا وليس معي
من كل ماملكت كفى سوى كفى

وهذا الدرب من أعمر أخطاط القاهرة . به
دار عباس الوزير وجماعة ، كنا نراه ان شاء
الله تعالى .

« درب ملوخيا » : هذا الدرب كان يعرف
بحارة قائد القواد كما تقدم ، وعرف
بدرب ملوخيا . وملوخيا كان صاحب ركاب
ال خليفة الحاكم بأمر الله ، ويعرف بملوخيا
الفراس ، وقتله الحاكم وياشر قتله - وفي
هذا الدرب مدرسة القاضي الفاضل ، وقد
اتصل به الآن الخراب .

« درب السلسلة » : هذا الدرب تجاه باب
الزهومة . يعرف بالسلسلة التي كانت تد كل
ليلة بعد العشاء الآخرة كما تقدم ، وكان
يعرف بدرب افتخار الدولة الأسعد ، وعرف
بسنان الدولة بن الكركندي ، وهو الآن
درب عامر .

« درب الشسي » : هذا الدرب بسوق
المهاجرين تجاه قيسارية العنصر . عرف بالأمير
علاء الدين كشتندي الشسي ، أحد الأمراء
في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس
البنقداري ، وقتل على عكا في سنة تسعين
وستمئة بيد الفرنج شهيدا .

وكان هذا الدرب في القديم موضعه دار
الضرب ، ثم صار من حقوق درب ابن طلائع
بسوق الفرائين . وقد هدم بعض هذا الدرب
الأمير جمال الدين يوسف الأستادار لما
اغتصب الحوائث التي كانت على ينة
النالك من الخراطين الى سوق الخمين ،
وكانت في وقف المعظم تمرتاش الحافظي ، كما
سيأتي ذكره عند ذكر مدرسته ان شاء الله
تعالى .

« درب ابن طلائع » : هذا الدرب على
يسرة من سلك من سوق الفرائين الآن ، الذي
كان يعرف قديما بالخرقين ، طالبا الى الجامع
الأزهر . ويسلك في هذا الدرب الى قيسارية
السروج وباب سر حمام الخراطين ودار الأمير
الدمر .

وعرف هذا الدرب أولا بالأمير نور الدولة
أبي الحسن علي بن نجا بن راجح بن طلائع ،
ثم عرف بدرب الجاولي الكبير - وهو الأمير

عز الدين جاولي الأسدي مملوك آسد الدين
شيركوه بن شادي - ثم عرف بدرب العباد
سنيات ، ثم عرف بدرب الدمر ، وبه يعرف
الى الآن .

« الدمر أمير جان دار سيف الدين » :
أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون .
خرج الى الحج في سنة ثلاثين وسبعمئة .
وكان أمير حاج الركب العراقي تلك السنة
يقال له محمد الحويج من أهل توريز . بعثه
أبو سعيد ملك العراق الى مصر ، وخف على
قلب الملك الناصر ، ثم بلغه عنه ما يكرهه
فأخرجه من مصر .

ولما بلغه أن حويج في هذه السنة أمير
الركب العراقي ، كتب الى الشريف عطيفة أمير
مكة أن يعمل الحيلة في قتله بكل ما يمكن .
فأطلع على ذلك ابنه مباركا وخواص قواده ،
فاستعدوا لذلك .

فلما وقف الناس بعرفة ، وعادوا يوم النحر
الى مكة ، قصد العبيد اثاره فتنه ، وشرعوا
في النهب لينالوا غرضهم من قتل أمير الركب
العراقي ، فوقع الصارخ - وليس عند
المصريين خبر مما كتبه السلطان - فنهض
أمير الركب الأمير سيف الدين خاص ترك ،
والأمير أحمد قرب السلطان ، والأمير الدمر
أمير جان دار في ممالिकهم .

وأخذ الدمر يسب الشريف رمية ، وأمسك
بعض قواده وأحرق به . فقام اليه الشريف
عطيفة ولاطفه ، فلم يرجع . وكان حديد النفوس
شجاعا ، فأقدم اليهم - وقد اجتمع قواده

مكة وأشراقها وهم ملبسون بربودون الركب المراقى - وضرب مبارك بن عطيفة بدبوس فأخطاه ، وضربه مبارك بحربة قفلت من صدره ، فسقط عن فرسه الى الأرض . فارتج الناس ووقع القتال ، فخرج أمير الركب المراقى ولحترس على نفسه فلم . وسقط في يد أمير مكة إذ فات مقصوده ، وحصل ما لم يكن ياراده . ثم سكنت الفتنة ، ودفن الدم .

وكان قتله يوم الجمعة راجع عشر ذي الحجة ، فكانوا ينادون في القاهرة والقلة ، والناس في صلاة العيد ، بقتل الدم ووقع الفتنة بمكة ، ولم يبق أحد حتى تحدث بذلك ، وبلغ السلطان فلم يكثر بالخبر ، وقال : أين مكة من مصر ، ومن أتى بهذا الخبر ؟

واستفيض هذا الخبر بقتل الدم حتى انتشر في إقليم مصر كله . فما هو الا أن حضر مبشر الحاج في يوم الثلاثاء ثاني المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، فأخبروا بالخبر مثل ما أنصح . فكان هذا من أغرب ما سمع به .

ولما بلغ السلطان خبر قتل الدم ، غضب غضبا شديدا ، وصار يقوم ويقعد ، وأبطل السباط . وأمر فجرد من المعسكر ألف فارس ، كل منهم بخودة وجوشن ومائة فودة شارب وقاس يرايين أحدهما للقطع والآخر للهدم ، ومع كل منهم جملان وفرسان ومجن . ورسم لأمير هذا المعسكر أنه إذا وصل الى ينبع وعده ، لا يرفع رأسه الى السماء بل ينظر الى الأرض ، ويقتل كل من يلقاه من العريان ، الا من علم أنه أمير عرب

فانه يقتله ويحبه معه . وجرد من دمشق سبعة فارس على هذا الحكم .

وطلب الأمير أيتش أمير هذا الجيش ومن معه من الأمراء والمقدمين ، وقال له بدار العدل يوم الخدمة : وإذا وصلت الى مكة لا تدع لحدا من الأشراف ولا من القواد ولا من عييدهم يسكن مكة ، وإذا فيها من أقام بمكة حل دمه ، ولا تدع شيئا من النخل حتى تحرقه جميعه ، ولا ترك بالحجاز دفنة عامرة ، وأخرى الساكن كلها ، وأقم في مكة بمن ملك حتى أبعث اليك بمسكر ثان .

وكان القضاء حاضرين ، فقال قاضي القضاة جلال الدين القزويني : يا مولانا السلطان هذا حرم قد أخبر أنه عنه أن من دخله كان آمنا وشرفه . فرد عليه جوابا في غضب .

فقال الأمير أيتش : يا خوند ، فإن حضر رمية للطاعة وسأل الأمان ؟

فقال : أمه .

ثم لما سكن عنه الغضب ، كتب باستقرار أهل مكة وثأمينهم ، وكتب أمانا نسخته :

« هذا أمان الله سبحانه وتعالى ، وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم وأمانا ، للمجلس العالي الأسدي رمية بن الشريف نجم الدين محمد بن أبي نصر ، بأن يحضر الى خدمة الصنجن الشريف ، صحيفة الجباب العالي السيفي أيتش الناصري ، آمنا على نفسه وأهله وماله وولده وما يتعلق به ... لا يخشى حلول سطوة قاصة ، ولا يخاف مؤاخنة حاسة ، ولا يتوقع خديعة ولا مكرا ، ولا

يعتد سوا ولا ضررا ، ولا يستمر مخافة ولا ضرارا ، ولا يتوقع وجلا ، ولا يرهق بأسا . وكيف يرهق من أحسن عملا ؟

« بلا يحضر الى خدمة الصنجن آمنا على نفسه وماله وآله ، مطمئا واتقا بالله ورسوله ، وبهذا الأمان الشريف المؤكد الأسباب ، البيض الوجه ، الكريم الحساب . وكلما يخطر بباله أنا تؤاخذ به فهو مفسور ، وفي عاقبة الأمور . وله منا الأقبال والتقديم ، وقد صفنا الصفح الجميل ، وإن ربك هو الخلاق العليم ...

« فليثق بهذا الأمان الشريف ، ولا يسئ به القسبون ، ولا يصنف الى قول الذين لا يظلمون ، ولا يستشير في هذا الأمر الا نفسه . فيومه عندنا فاسخ لأمره ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : « آة عند ظن عبدي بي ، فليظن بي خيرا » ...

« فتسك بعروة هذا الأمان فانها وتقى ، واعمل عمل من لا يضل ولا يشقى . ونحن قد أمناك فلا تخف ، ورعينا لك الطاعة والشرف ، وعفا الله عما سلف ، ومن أمناه فقد فاز ، فطب قلوبنا وقر عيننا فأنت أمير الحجاز . والحمد لله وحده .

وكان الدم فيه شهامة وشجاعة ، وله سعادة طائلة ضخمة ، ومتاجر وزراعات اقتنى بها أموالا جزيلا ، وزوج ابنه بابنة قاضي القضاة جلال الدين القزويني .

« درب قيطون » : هذا الدرب بين قيسارية وجهاركس وقيسارية أمير على ، وهو نافذ الى

خلف مسوقه حده القاضي . وكان من حقوق درب الأسواني .

« درب السراج » : هذا الدرب على يسرة من سلك من الجامع الأزهر غالبا درب الأسواني وخط الأكفانيين . وكان من جملة خط درب الأسواني ، ثم أفرد فصار من خط الجامع الأزهر . وكان يعرف أولا بدرب السراج ، ثم عرف بدرب الشامي ، وهو الآن يعرف بدرب ابن الصدر عمر .

« درب القاضي » : هذا الدرب يقابل مستوقد حمام القاضي ، على ينة من سلك من درب الأسواني الى الجامع الأزهر ، وهو من حقوق درب الأسواني . كان يعرف أولا بزقاق عزاز غلام أمير الجيوش شاور السعدي وزير العاضد ، ثم عرف بالقاضي السعيد أبي العالي هبة الله بن فارس ، ثم عرف بزقاق ابن الامام ، وعرف أخيرا بدرب ابن لؤلؤ ، وهو شعب الدين محمد بن لؤلؤ التاجر بقيسارية جهاركس .

« درب البيضاء » : هو من جملة خط الأكفانيين الآن ، الملوك اليه من الجامع الأزهر وسوق القرايين . وعرف بذلك لأنه كان به دار تعرف بالدار البيضاء .

« درب المنقدي » : هذا الدرب بين سوق الخيمين وسوق الخراطين ، على ينة من سلك من الخراطين الى الجامع الأزهر . كان يعرف قديما بزقاق غزال - وهو صنعة الدولة أبو الطاهر اساميل بن مفضل بن

(١٦٠ من ٢٠٠) ص ١٠٠

غزال - ثم عرف بدرب المتقدي ، وهو الآن يعرف بدرب الأمير بكتر أستاذ العلى .

« درب خراية صالح » : هذا الدرب على يسرة من سلك من أول الخراطين الى الجامع الأزهر . كان موضعه في القديم مارستانا ، ثم صار مساكن وعرف بخراية صالح . وفيه الآن دار الأمير طينال التي صارت بيد ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر ، وفيه أيضا باب سوق الصناديق .

« درب الحمام » : هذا الدرب على يسرة من سلك من آخر سوق الباطلية الى الجامع الأزهر . عرف بحمام الدين لاجين الصفدى أستاذ الأمير منجك .

« درب المنصوري » : هذا الدرب ياول الحارة الصالحة تجاه درب أمير حسين . عرف أولا بدرب الجوهري - وهو شهاب الدين أحمد بن منصور الجوهري ، كان حيا في سنة ثمانين وستائة - وعرف أخيرا بدرب المنصوري . وهو الأمير قطلوبغا المنصوري حاجب الحجاب في أيام الملك الأشرف شعبان ابن حين .

« درب أمير حين » : هذا الدرب في طريق من سلك من خط خان الدميري طالبا الى حارة الصالحة وحارة البرقية . استجده الأمير حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ومات في ليلة السبت رابع شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبعائة ، وكان آخر من بقى من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وهو والد الملك الأشرف شعبان بن حين .

« درب القساحين » : هذا الدرب كان يعرف بخط قصر ابن عمار من جملة حارة كاتمة قريبا من الحارة الصالحة . وفيه اليوم دار خوند شقرا ، وحمام كراى وراء مدرسة ابن الغمام .

« درب العسل » : هذا الدرب على يسرة من خرج من خط السبع خوخ يريد المشهد الحسينى . كان يعرف أولا بخوخة الأمير عقيل ابن الخليفة المعز لدين الله أبى تميم معمد أول خلفاء الفاطميين بالقاهرة ، ومات في سنة أربع وسبعين وثلثمائة هو وأخوه الأمير تميم بن المعز بالقاهرة ، ودفنا بتربة القصر .

« درب الجبابة » : هذا الدرب تجاه من يخرج من سوق الأبارين الى المشهد الحسينى . وهو من جملة القصر الكبير ، وبه دار خوخي التي تعرف اليوم بدار بهادر .

« درب ابن عبد الظاهر » : هذا الدرب بجوار فندق الذهب بخط الزراكية العتيق وفي صفه . وهو من حقوق دار العلم التي استجدت في خلافة الأمر ووزارة المأمون البطايحي . فلما زالت الدولة اختط مساكن ، وسكن هناك القاضي محيى الدين ابن عبد الظاهر فعرف به .

« درب الخازن » : هذا الدرب ملاصق لسور المدرسة الصالحة التي للحنابلة ، ومجاور لباب سر قاعة مدرسة الحنابلة والسبيل الذى على باب فندق مسرور الصغير . استجده الأمير علم الدين سنجر الخازن الأشرفى ، والى القاهرة ، النسوب اليه حكر الخازن بخط الصليبة .

وسنجر هذا كانت فيه حشة ، وله ثروة زائدة ، ويجب أهل العلم . تنقل في المباشرات الى أن صار والى القاهرة ، فاشتهر بدقة الفهم وصدق الحدس الذى لا يكاد يحطى به ، مع غفل وسياسة واحسان الى الناس ، وعزل بالأمير فديدار ، ومات عن تسعين سنة في ثامن جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبعائة .

« درب الحيشى » : هذا الدرب على يسرة من سلك من خط الزراكية العتيق طالبا سوق الأبارين ، وهو بجوار دار خواجا المجاورة لخان منجك . أصله من جملة القصر النافى ، وكان يعرف بخط القصر النافى ، ثم عرف بخط سوق الوراقين ، وهو الآن يعرف بدرب الحيشى . وهو الأمير سيف الدين بليان الحيشى ، أحد الأمراء الظاهرية ببرس .

« درب بقولا » الصفار : بحارة الروم . كان يعرف بدرب الرومى الجزار .

« درب دغش » : هذا الدرب ينفذ الى الخوخة التي تخرج قبالة حمام الفاضل المرسوم لدخول النساء . كان يعرف قديما بدرب دغش - ويقال طغش - ثم عرف بدرب كوز الزبر - ويقال كوز الزيت - ويعرف بدرب القضاة بنى غثم من حقوق حارة الروم .

« درب أرقطاي » : هذا الدرب بحارة الروم . كان يعرف بدرب الشباع ، ثم عرف بدرب شمش - وهو تاج العرب شمش الحلبي - ثم عرف بدرب المعظم . وهو الأمير عز الملك المعظم ابن قوام الدولة جبر -

بجيم وباء موحدة - ثم عرف بدرب أرسل ، وهو الأمير عز الدين أرسل بن قرا وعلان الكاملى والد الأمير جاولى المعظمى المعروف بجاولى الصغير ، ثم عرف بدرب الباسردى ، وهو الأمير علم الدين سنجر الباسردى ، أحد أكابر المماليك البحرية الصالحة النجبية ، وولى نيابة حلب .

ثم عرفت الى الآن بدرب ابن أرقطاي - والعامة تقول رقطاي بغير همز - وهو أرقطاي الأمير سيف الدين الحاج أرقطاي ، أحد مماليك الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، وصار الى أخيه الملك الناصر محمد فجعله جمدارا .

وكان هو والأمير أيتش نائب الكرك بينهما اخوة ، ولهما معرفة بلان الترك القيقاقى ، ويرجع اليهما فى « الياسة » التي هى شريعة جنكز خان * ، التي تقول العامة وأهل الجبل فى زماتنا : هذا حكم السياسة ... يريدون حكم الياسة .

ثم ان الملك الناصر أخرجه مع الأمير تنكر الى دمشق ، ثم استقر فى نيابة حمص لسبع مضي من رجب سنة عشر وسبعائة ، فباشرها مدة . ثم نقله الى نيابة صند فى سنة ثمان عشرة ، فأقام بها وعمر فيها أملاكا وتربة .

فلما كان فى سنة ست وثلاثين ، طلب الى مصر ، وجهز الأمير أيتش أخوه مكانه ، وعسل أمير مائة بمصر . فلما توجه العسكر الى اياس خرج معهم وعاد ، فكان يعمل نيابة الفية اذا خرج السلطان للصيد . ثم أخرج

الى ولاية طرابلس عرفا من طينل ، فقام جا
الى ان توجه النبطا الى طنطر قاب حلب ،
وكان معه يسكر طرابلس .

لما جرى من حروب النبطا ما جرى كان
ارتقلى معه ، فاسك واحتل بكسرة . ثم
اخرج من ارتقلى في اول سلطة الملك الصالح
اسماعيل بوسلة الأمير ملكس العجazy ،
وجعل أميرا الى ان مات الصالح ، وقام من
بند الملك الكامل شعبان ، ودم له بياضة
حلب عرفا عن الأمير بلبا الجيوى ، فضر
اليها في جلوس الأولى سنة ست وأربعين ،
فقام بما نوحه أئمة .

ثم طلب الى مصر فضر اليها ، فلم يكن
في قتل حتى خلع الكامل وملك القصر
حمى ، وولاه بياضة السلطة بمصر . فبشرها
الى ان خلع للقصر ، وأقيم في السلطة لللك
القصر ، انتهى من البياضة وسأل بياضة
حلب ، فأجاب وولى بياضة حلب ، وخرج
اليها .

وما زال قبا الى ان غل منها الى بياضة
دمشق ، فخرج أهلها به وماروا الى حلب .
فحمل عنها قتل به مرض ، وصار وهو
مرض ، فمات بين مباركة ظلم حلب يوم
الأربعاء خامس جلوس الأولى سنة خمس
وسبعمائة ، وقد ألق عن السجين . فناد
أهل دمشق خاتين .

وكان ذكيا فظا ، محبا لسا ، مع حجة
في لسانه ، وله تسيب مطبوع ، وميل الى
المرور الجيلة ، ما يكاد يملك فيه اذا
تأملها ، مع كرم في الأكل .

« حرب البتدين » بعبارة الروم : يعرف
البتدين من جلة طوائف الماكر في الدولة
الفاطمية ، ثم عرف بدرب أمير جائقار ، وهو
يتخذ الى حمام القاضل للرسوم بغير
الرجال . ولما جائقار هذا هو الأمير علم
الدين منجر الصالح المعروف بأمير جائقار .

« حرب المكرم » بعبارة الروم : يعرف
بالقاضي للمكرم جلال الدين حنن بن ياقوت
اليزار نائب ابن سنا لللك .

« حرب الضيف » بعبارة الديلم : عرف
بالقاضي قة لللك أبي منصور نصر بن القاضي
الموفق أمير لللك أبي القادر اسماعيل بن
القاضي أمين الدولة أبي محمد الحسن بن علي
ابن نصر ابن الضيف ... كان موجودا في سنة
ثمان وثمانين وخمسة . وبه أيضا رحمة
تعرف بوجه الضيف منورة اليه .

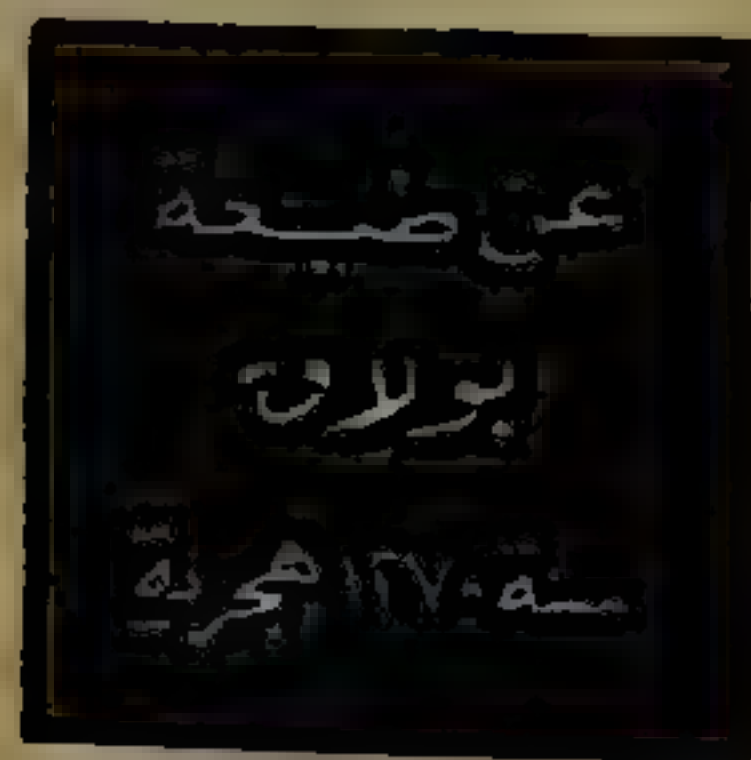
« حرب الرصاص » بعبارة الديلم : هذا
الدرب كان يعرف بحكر الأمير سيف الدين
حنن بن أبي الهيثم ، من بني رزك من
وزراء الدولة الفاطمية ، ثم عرف بحكر تاج
لللك بدران بن الأمير سيف الدين المذكور ،
ثم عرف بالأمير عز الدين أيك الرصاص .

« حرب ابن الجاور » : هذا الدرب على
سيرة من دخل من أول حارة الديلم . كان
فيه دار الوزير نجم الدين بن الجاور ، وزير
اللك العزيز عثمان ، عرف به . وهو يوسف
ابن الحسين بن محمد بن الحسين أبو التتح
نجم الدين القارسي الشيرازي المعروف بابن
الجاور .



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب للمواعظ والاعتبار بذكر الخطوط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



التمن ٦ قروش والقرء الجمهورية والسنة ٣ قروش

خَطُّ الْمُقْرِئِ

٢٦

كتاب
التعريف

• كانت مصر هي مسقط رأسي ، ولعلب أترابي ، وجميع ناسي ، وفضلي عشيري وعاصتي ،
وموطن خصاصتي وعاصتي ، وموطني الذي رب جناسي في ذكره ، وعش ماري ، فقل
لهوي الأنفاس غير ذكره ، لا زالت منذ شذت العام ، وآتاني رب الفطارة والغرم ، أغيب في
معرفة أخبارها ، وأحب لأشرف على الاعتراف من آباؤها ، والصوم مساواة الركبان عن سكان وإيرها -
تقى الدين محمد بن علي المقرئ

كان والده صوفيا من أهل فارس ثم من شيراز . قدم دمشق وأقام في ديرة الصوفية بها ، وكان من الزهد والدين بمكان ، وأقام بمكة وبها مات في رجب سنة ست وثمانين وخمسائة . وكان أخوه أبو عبد الله قد سمع الحديث وحدث ، وقدم الى القاهرة ، ومات بدمشق أول رمضان سنة خمس وعشرين وستائة .

«درب الكهارية» : هذا الدرب في المدرسة الكهارية بجوار حارة الجودرية المملوك اليه من القماحين ، ويتوصل منه الى المدرسة الشرفية .

«درب الصغيرة» : بتشديد الفاء : هذا الدرب بجوار باب زويلة ، وهو من حقوق حارة المحمودية ، وكان نافذا الى المحمودية ، وهو الآن غير نافذ .

وأصله درب الصفياء — تصغير صفراء ، هكذا يوجد في الكتب القديمة — وقد دخل بجميع ما كان فيه من الدور الجليلة بالجامع المؤيدي .

«درب الأنجب» : هذا الدرب تجاه بئر زويلة التي من فوق فوهتها اليوم ربع يونس من خط البندقانيين . يعرف بالقاضي الأنجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن نصر بن علي أحد الشهود في أيام قاضي القضاة سنان الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله بن ميسر ، وكان حيا في سنة بضع وعشرين وخمسائة . وينسب الى الحسين بن الأنجب المقدسي أحد الشهود المعدلين ، وكان موجودا في سنة ستائة . ثم عرف هذا الدرب بأولاد العميد

الدمشقي فإنه كان مسكنهم . ثم عرف بالبساطي ، وهو قاضي القضاة جمال الدين يوسف .

«درب كنيسة جدة» : يضم الجيم : هذا الدرب بالبندقانيين . كان يعرف بدرب بنت جدة ، ثم عرف يدرب الشيخ السديد الموفق .

«درب ابن قطز» : هذا الدرب بجوار مستوقد حمام الصاحب ورباط الصاحب من خط سوقة الصاحب . عرف بناصر الدين ابن بليغاق بن الأمير * سيف الدين قطز المنصوري ، ومات بعد سنة ثمان وتسعين وستائة .

«درب الحريري» : هذا الدرب من جملة دار الديباج هو ودرب ابن قطز المذكور قبله ، ويتوصل اليه اليوم من أول سوقة الصاحب ، وفيه المدرسة القطبية . عرف بالقاضي نجم الدين محمد بن القاضي فتح الدين عمر المعروف بابن الحريري ، فإنه كان ساكنا فيه .

«درب ابن عرب» : هذا الدرب بخط سوقة الصاحب . كان يعرف بدرب بني أسامة الكتاب أهل الانشاء في الدولة الفاطمية ، ثم عرف بدرب بني الزبير الأكابر الرؤساء في الدولة الفاطمية . ثم سكنه القاضي علاء الدين علي بن عرب ، محتسب القاهرة في أيام الأمير بليغاق وكيل بيت المال ، فعرف به الى اليوم .

وابن عرب هذا هو علاء الدين أبو الحسن علي بن عبد الوهاب بن عثمان بن علي بن محمد ، عرف بابن عرب ، ولي الحسبة

(*) ص ١٤١ ج ٢ ، ط . بولاق .

وتمرة في آخر صفر سنة خمس وستين
وسبحة ، ووزن وكفة بين مال أيضا
وتون .

« درب ابن منير » : هذا الدرب بجاء
البرية الحامية . عرف أخيرا بفتح العين
موسى كاتب السمي وهو الحاصل في الأيام
العهدة يرقون ، وله به در ملحمة . وكان
مجا منتهك يرمى بالسوء ، ولم العدة له
قبلي ، ومنه أخذ محمد بن إبراهيم بن
عرب وجنة زهر الحاصل وعقبه بن يمينه ،
ثم صار يتردد بعد ذلك إلى محضه . وهناك
في واقعة تيوركت بمنش في شعب سنة
ثلاث وخمسة ، بعد ما احترق بالسرطان
احترقت منش ، وكل الكتاب بمعه

« درب مشترك » : هذا الدرب يقرب من
درب الحاصل . تجده الحظ الذي كان يعرف
السطح ، وفيه الآن سوق الجوزي . عرف
أولا بدرب الأخاذي قاضي القضاة بدهن الدين
الحاكي وهو كان يسكن فيه . ثم هو الآن يقابل
له درب مشترك .

وهذه كسرة تركية أصلها بدهن « فتح ترك »
— هي المرة وشامها ثم جيم بين الحيم
وشين — بمعنى ذلك ثلاث ، وترك — —
مئة من فوق ثم راء مهة وكاف — ومعناها
الحل . ومعنى هذا الاسم ثلاث نعين .
« غربة الحمة فدت » مشترك . وهو مشترك
اللاج دار الظاهر يرقون . وهو سكن ،
ومات في سنة

« درب حامي » : هذا الدرب بمين
درب الحيم ودارونه . عرف بمين بن حير
الحاصل صاحب سبحة حامي .

« درب كاتب سيدي » : هذا الدرب من
حمة حظ الحين . كان يعرف بدرب تنقي
الدين الأخراني ، أحد موقفي الحكم عند
قاضي القضاة تنقي الدين الأخذوي ، ثم عرف
بالوزير صاحب علم الدين عبد الوهاب
التنقي الشهير بكاتب سيدي .

« وزير كاتب سيدي » : تنقي لما أسلم
بعد الوهاب بن القيس . وتلقب علم الدين ،
وعرف بين كتّاب الأقباط بكاتب سيدي .
وترقى في الحدم الديوانية حتى ولى ديوان
الترنج ، وتخصص بالوزير صاحب شمس
الدين إبراهيم كان أولان ، فلما أشرف من
مرفه على فوت عين الوزارة من بعده علم
الدين هذا .

فولاه تحت الظاهر وظيفة الوزارة بعد
موت الوزير شمس الدين ، في سادس عشر
شعبان سنة سبع وثمانين وسبعمائة ، فبأشر
الوزارة إلى يوم السبت رابع عشر رمضان
سنة تسعين وسبعمائة . ثم قبض عليه ، وأقيم
في منصب الوزارة بدهن الوزير صاحب كريمة
الدين بن حمة ، وولاه إليه .

وكان قد أورد مصادرة كريم الدين . فاتفق
مستقراره في الوزارة وتمسكه منه ، فترجمه
حين ما قرر له عليه . فيقول له حل في هذا
اليوم ثلثة ألف درهم ، عنها إذ ذلك نحو
أشربة كلاف مثقل ذهب . ومات بعد ذلك
من همة سنة . وكان كاتب بلغة ، كتب بيده
بعد أربعين رزمة من الخورق . وكانت أيامه
سكة . والأحوال متضنية ، وفيه لين .

« درب مخلص » : هذا الدرب بحارة
زويلة . عرف بمخلص الدولة أبي العياء مطرف
المستصري ، ثم عرف بدرب الرايض ، وهو
الأمير طراز الدولة الرايض باصطبل الخلافة .

« درب كوكب » : هذا الدرب هو الآن
زقاق شارع يملك فيه من حارة زويلة إلى
درب الصقالية . عرف أولا بالقائد الأعز
محمود المستصر ، ثم عرف بكوكب الدولة
ابن الحناكي .

« درب الوشاقى » بحارة زويلة : عرف
بالأمير حسام الدين سنقر الوشاقى ، المعروف
بالأعسر السلاح دار ، أحد أمراء السلطان
صلاح الدين يوسف بن أيوب .

« درب الصقالية » بحارة زويلة : عرف
بطائفة الصقالية ، لحدى طوائف المساكر في
أيام الخلفاء القاضيين ، وهم جماعة .

« درب الكتنجى » بحارة زويلة : كان يعرف
بدرب حيلة ، ثم عرف بالأمير شمس الدين
سنقر شاه الكتنجى الحاجب القاهري ... قتله
قلاوون أول سلطنة .

« درب رومية » : هذا الدرب كان في
التقديم فيما بين زقاق القابلة ودرب الزقاق .
فرقاق القابلة فيه اليوم كنيسة اليهود بحارة
زويلة ، ويتوصل منه إلى السبع سقايات ودار
يبرس التي عرفت بدار كاتب السر ابن فضل
الله تجاه حمام ابن عبود . ودرب الزقاق هو
اليوم من جملة خط سوقة صاحب . وبينهما
الآن دور لا يوصل إليه الا بعد قطع مسافة .

« درب رومية » كان يعرف أولا بزقاق حنيق
ابن ادريس العززي ، أحد أتباع الخليفة
العززي بالله . قرار بين المزلدين الله ، ثم عرف
بدرب رومية . وهو بجوار زقاق القابلة الذي
عرف بزقاق العسل ، ثم عرف بزقاق المعصرة ،
وعرف اليوم بزقاق الكنيسة .

« درب الخضيري » : هذا الدرب يقابل
باب الجامع الأقمر البحري ، وهو من جملة
حقوق القصر الصغير الغربي . عرف بالأمير
عز الدين أيمن الخضيري ، أحد أمراء الملك
النصور قلاوون .

« درب شطة » : هو الشارع المملوك فيه
من باب درب ملوخيا إلى خط القضاة
والمطوية . وقد خرب .

« درب نادر » : هذا الدرب بجوار المدرسة
الجمالية ، قيسا بين درب راشد ودرب
ملوخيا . عرف بسيف الدولة نادر المقلبي ،
وتوفي لاثنتي عشرة خلت من صفر سنة اثنتين
وثمانين وثلثمائة . فبث إليه الخليفة العززي
بالله لكفنه خمسين قطعة من ديباج مثقل .
وخلف ثلثمائة ألف دينار عينا وآتية من ففة
وذهب وعبيدا وخيلا ، وغير ذلك ما بلغت
قيمه نحو ثمانين ألف دينار . وكان أحد
الخدام ... ذكره المسيحي في تاريخه .

وقد ذكر ابن عبد الظاهر أن بالسوقة التي
دون باب القطرة دريا يعرف بدرب نادر ،
فلعله نسب إليه درب كان هناك في التقديم
أيضا .

(١٠) (١٢) ج ١ ، طبع بولاق

« درب راشد » : هذا الدرب تجاه خزانة البود . عرف يمين الدولة راشد العززي .

« درب النيرى » : عرف بالأمير سيف المجاهدين محمد بن النيرى ، أحد أمراء الخليفة الحافظ لدين الله ، وولى عقلا في سنة ٥٠٠ وثلثين وخمسة ، وكانت ولايتها أكبر من ولاية دمشق .

وهذا الدرب كان ينفذ الى درب راشد ، وهو الآن غير نافذ . وفى داخله درب يعرف بولاد النداية طاهر وقاسم الأفضلين أحد أتباع الأفضل بن أمير الجيوش ، وعرف الآن بدرب الطفل . وهو من جملة خطة قصر الشوك ، فانه قبالة باب قصر الشوك ، وبينهما سورقة رجة الأيدمرى .

« درب قراصيا » : هذا الدرب من جملة الدروب القديمة ، وكان تجاه باب قصر الرمرد الذى فى مكانه اليوم المدرسة الحجازية .

وهذا الدرب اليوم من جملة خطه رجه باب العيد بجوار سجن الرجة . وقد هدمه الأمير جمال الدين يوسف الأستادار ، وهدم كثيرا من دوره وعملها وكالة ، فمات ولم تكمل ، وهى الى الآن بغير تكلية . ثم كسبه الملك المؤيد شيخ ، وجعله وقفا على جامع ، وهو الى الآن خان عامر .

« درب السلامى » : هذا الدرب من جملة خط رجة باب العيد ، وفيه الى اليوم أحد أبواب القصر المسى باب العيد ، والعمامة تسميه القاهرة . وهذا الدرب يسلك منه الى خط قصر الشوك ، وإلى المارستان العتيق الصلاحى ، وإلى دار الضرب وغير ذلك .

عرف بخواجى « مجد الدين السلامى » اسماعيل بن محمد بن ياقوت الخواجى مجد الدين السلامى ، تاجر الخاص فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان يدخل الى باب الطغر ، ويتجر ويعود بالرقيق وغيره ، واجتهد مع جويان الى أن اتفق الصلح بين الملك الناصر وبين القان أبى سعيد ، فانتظم ذلك بسفارته وحسن سعيه ، فازدادت وجاهته عند الملكين .

وكان الملك الناصر يسفرو ويقرر أموراً ، فيتوجه ويتضيها على وفق مراده بزيادات . فأجبه وقربه ، ورتب له الرواتب الوفيرة فى كل يوم من الدراهم واللحم والعليق والسكر والحلواء والكماج والرقاق ، مما يبلغ فى اليوم مائة وخمسين درهما : عنهما يومئذ ثمانية مثاقيل من الذهب ، وأعطاه فرية أراك يعلبك ، وأعطى مالبكة اقطاعات فى الحلقة .

وكان يتوجه الى الأردن ، ويقيم فيه الثلاث سنين والأربع والبريد لا ينقطع عنه ، وتجهز اليه التحف والأقشعة ليفرقها على من يراه من خواص أبى سعيد وأعيان الأردن ... ثقة بمعرفته ودرايته . وكان النشو ناظر الخاص لا يفارقه ، ولا يصبر عنه . ومن أملاكه بيلاد المشرق : السلامة ، والمأخوذة ، والمرأزة ، والمناصف . ولما مات الملك الناصر ، تغير عليه الأمير قوصون ، وأخذ منه مبلغا يسيرا .

وكان ذا عقل وافر وفكر مصيب ، وخبرة بخلاق الملوك وما يليق بخواطرها ، ودراية بما

يتحنها به من الرقيق والجواهر ، ولطق سعيد ، وخلق رضى ، وشكالة حسنة ، وطلعة جيدة . ومات فى داره من درب السلامى هذا يوم الأربعاء سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، ودفن بترته خارج باب النصر .

ومولده فى سنة إحدى وسبعين وستمائة بالسلامية — بلدة من أعمال الموصل على يوم منها بالجانب الشرقى — وهى بفتح السين المهمة وتشديد اللام وبعد الميم ياء مثناة من تحت مشددة ثم تاء التانيث .

« درب خاض ترك » : هذا الدرب برجة باب العيد . عرف بالأمير الكبير ركن الدين بيبرس — المعروف بخاص الترك الكبير — أحد الأمراء الصالحة النجمية ، أو بالأمير عز الدين أيك المعروف بخاص الترك الصغير ، سلاح دار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى .

« درب شاطى » : هذا الدرب يتوصل منه الى قصر الشوك . عرف بالأمير شرف الدين شاطى ، السلاح دار فى أيام الملك المنصور قلاوون . وكان أميرا كبيرا مقدما بالديار المصرية ، وأخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الشام فأقام بدمشق ، وكانت له حرمة وافرة وديانة وفيه خير ، ومات بها فى الحادى والعشرين * من شعبان سنة اثنين وثلثين وسبعمائة .

« درب الرشيدى » : هذا الدرب مقابل باب الجوانية . عرف بالأمير عز الدين أيدمر

الرشيدى ، مملوك الأمير بلشان الرشيدى خوش داش الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى .

وولى الأمير أيدمر هذا أستادارا لأستاده بلشان ، ثم ولى أستادارا للأمير سار ، ومات فى تاسع عشر شوال سنة ثمان وسبعمائة . وكان سكنه فى هذا الدرب ، وكان عاقلا ذا ثروة وجاه . وكان فى القديم موضع هذا الدرب يراحا قدام الحجر .

« درب الفريحية » : هذا الدرب على يمين من خرج من الجبلون الصغير طالبا درب الرشيدى المذكور ، وهو من الدروب التى كانت فى أيام الخلفاء .

« درب الأصفر » : هذا الدرب تجاه خاتناه الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وموضع هذا الدرب هو النحر الذى تقدم ذكره .

« درب الطاووس » : هذا الدرب فى الحدة التى عند باب سر المارستان النصورى ، على يمين من ابتداء الخراج منه ، وكان موضعه بجوار باب السباط أحد أبواب القصر الصغير وقد تقدم ذكره .

ودرب الطاووس أيضا بالقرب من درب العداس فيما بين باب الخوخة والوزيرية .

« درب ماينجار » : : هذا الدرب بجوار جامع أمير حنين من حكر جوهر التونى خارج القاهرة . عرف بالأمير ماينجار الرومى الواقدي أيام الملك الظاهر بيبرس . وقد خربت تلك الديار فى سلطنة الملك المؤيد شيخ .

« درب كوسا » : هو الآن يسلك فيه على شاطئ الخليج الكبير من قنطرة الأمير حين إلى قنطرة الموسكى . عرف بحمام الدين كوسا ، أحد مقدمى الحلقة فى أيام الملك المنصور قلاوون ، مات بعد سنة ثلاث وثمانين وستائة .

وهذا الموضع تجاه دار الذهب التى تعرف اليوم بدار الأمير حين الطبرى ، السلاح دار الناصرى ، وقد خربت أيضا .

« درب الجاكى » : هذا الدرب بالحكر . عرف بالأمير شرف الدين ابراهيم بن على ابن الجيد الجاكى المهندار المنصورى . وقد دثر فى أيام المؤيد على يد الأمير فخر الدين عبد الفتى بن أبى الفرج الأستاذ لما خرب ما هناك .

« درب الحرامى » بالحكر : عرف بعد الدين حين بن عمر بن محمد الحرامى وابنه محبى الدين يوسف : وكانا من أجناد الحلقة .

« درب الزقاق » بالحكر : عرف بالأمير عز الدين أيمن الزقاق أحد الأمراء . ولاء الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون نيابة غزة فى سنة خمس وأربعين وسبعائة ، فقام بها مدة ، ثم استعفى بعد موت الملك الصالح وعاد إلى القاهرة ، ثم توجه إلى دمشق للحومة على موجود الخاصية بلبغا الحيواوى فى الأيام المظفرية وعاد .

فلما ركب العسكر على الملك المظفر ، لم يكن معه سوى الزقاق وآق سنقر وأيدمر التمسى . فنقم الخاصية عليهم ذلك ،

وأخرجوهم إلى الشام ، فوصلوا إليها فى أول شوال سنة ثمان وأربعين ، فقام الزقاق بدمشق . ثم ورد مرسوم السلطان حسن بتوجيههم إلى حلب ، فتوجه إليها على إقطاع وبها مات . وكان دينا لنا فيه خير .

وكان هذا الدرب عامرا ، وفيه دار الزقاق الدار العظيمة . وقد خرب هذا الدرب وما حوله منذ كانت الحوادث فى سنة ست وثمانائة ، ثم نقضت الدار فى أيام المؤيد شيخ على يد ابن أبى الفرج .

« زقاق طريف » بالطاء المهمة : هذا الزقاق من أزمة البرقية . عرف بالأمير فخر الدين طريف بن بكتوت ، وكان يعرف بزقاق منار ابن ميمون بن منار . توفى فى ذى الحجة سنة اثنين وثمانين وخمسائة .

« زقاق منعم » بحارة الديلم : كان يعرف بمناط الديلم والأتراك ، ثم عرف بالأمير منعم الدولة باتكين البوسحاقى ، ثم عرف بزقاق جمال الدولة ، ثم بزقاق الجلامى ، ثم بزقاق الصهرجتى . وهو القاضي المنتخب ثقة الدولة أبو الفضل محمد بن الحسين بن هبة الله بن وهيب الصهرجتى ، وكان حيا فى سنة ستين وخمسائة .

« زقاق الحمام » بحارة الديلم : عرف قديما بخوخة المنقذى ، ثم عرف بخوخة سيف الدين حين بن أبى الهيضاء صهر بنى رزيك ، ثم عرف بزقاق حمام الرصاصى ، ثم عرف بزقاق المزار .

« زقاق الحرون » بحارة الديلم : عرف بالأمير الأوحى سلطان الجيوش زرى الحرون

رفيق العادل بن السلار ، وزير مصر فى أيام الخليفة الظاهر بأمر الله ، ثم عرف بابن مسافر حين القضاة ، ثم عرف بزقاق القبة .

« زقاق الغراب » بالجودرية : كان يعرف بزقاق أبى المعز ، ثم عرف بزقاق ابن أبى الحسن المقيلى ، ثم قيل له زقاق الغراب نسبة إلى أبى عبد الله محمد بن وضوان الملقب بغراب .

« زقاق عامر » بالوزيرية : عرف بماسر القماح فى حارة الأقانصة .

« زقاق فرج » بالجيم : من جملة أزقة درب ملوخيا . عرف بفرج مهتار الطشتخاناه للملك المنصور قلاوون . كان حيا فى سنة ثلاث وثمانين وستائة .

« زقاق حدره » الزاهدى بحارة برجوان : عرفت بالأمير ركن الدين ييرس الزاهدى الرماح الأحذب أحد الأمراء ، ومن له عدة غزوات فى الفرنج . ولما تمألا الأمراء على الملك السعيد ابن الظاهر وسبهم إلى القلعة ، كان قدامه ييرس الزاهدى هذا ، فسقط عن فرسه ، وخرجت له حربة فى ظهره ، ومات فى سنة ثلاث وتسعين وستائة * .

وكان مكان هذه الحدره أخصا ، وهى الآن مساكن بينها زقاق يسلك فيه من رأس الحارة إلى رحبة الأقبال .

(*) مرة ١ : ج ٢ ، ط ١ : بلاق ٢

ذكر الخوخ

والقصد أراد ما هو مشهور من الخوخ أو لذكره فائدة . والا فالخوخ والدروب والأزقة كثيرة جدا .

« الخوخ السبع » : كانت سبع خوخ ، فيما يقال ، متصلة باصطبل الطارمة . يتوصل منها الخلفاء إذا أرادوا الجامع الأزهر ، فيخرجون من باب الديلم — الذى هو اليوم باب المشهد الحسينى — إلى الخوخ ، ويعبرون منها إلى الجامع الأزهر . فانه كان حينئذ فيما بين الخوخ والجامع رحبة كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى .

وكان هذا الخط يعرف أولا بخوخة الأمير عقيل ، ولم يكن فيه ساكن . ثم عرف بعد انقضاء دولة الفاطميين بخط الخوخ السبع ، وليس لهذه الخوخ اليوم أثر البتة . ويعرف اليوم بالأبارين .

« باب الخوخة » : هو أحد أبواب القاهرة مما يلي الخليج ، فى حد القاهرة البحرى ، يسلك إليه من سوقة صاحب ومن سوقة السمودى . وكان هذا الباب يعرف أولا بخوخة ميمون دبه ، ويخرج منه إلى الخليج الكبير . وميمون دبه يكنى بأبى سعيد ، أحد خدام العزيز بالله ، كان خصيا .

« خوخة أيدغش » : هذه الخوخة فى حكم أبواب القاهرة . يخرج منها إلى ظاهر القاهرة عند غلق الأبواب فى الليل وأوقات القتن اذا غلقت الأبواب ، فينتهى الخارج منها

أى القرب لأمر والياسية ، وسلك من
هنا إلى باب زويلة ، وبصر إليه من داخل
القاهرة لما من سوق الرقيق أو من حدة
الروم من درب أرطقي . وهذه الخوخة
بجوار حرم أيشق .

وهو « أيشق السمرى » لأمير بلاد
الدين . أنه من ممالك أمير سيف الدولة
بنى الصالحى ، ثم صار إلى الملك السمر
محمد بن قارون . فلما قدم من الكرك جله
أمير خور عوصا عن الأمير يرس الحاجب ،
ولم يزل حتى مات الملك السمر ، فقدم مع
قوصون ، ووقع على خلع الملك المنصور أبى
بكر ابن الملك السمر .

ثم لما هرب الخليفة الفخرى ، اتفق الأمراء
مع أيشق على الأمير قوصون ، فوقعهم
على محاربه ، وقبض على قوصون وجناته ،
وجبرهم إلى الاسكندرية ، وجوز من أمست
الخليفة ومن معه ، وأرسلهم أيضا إلى
الاسكندرية .

وبصر أيشق في هذه البوابة هو المنار
إليه في الحل والقتل ، فزمل إليه في جادة
من الأمراء وشيوخ إلى الكرك بسبب الحذر
أحد ابن الملك السمر محمد . فلما حضر
أحد من الكرك ، وتلقب بملك السمر ،
واستقر أمره بصر ، أخرج أيشق فلبا
بحسب .

فسار إلى عن جالوت ، وإذا بالفخرى قد
صار إليه مستجيرا به ، قامت وتزله في خبة .
فلما انتهى ته سلاحه وانذر ، قبض عليه
وجبره إلى ملك السمر أحد ، وتوجه إلى

حب فقام بها ... إلى أن استقر الملك الصالح
السابع بن محمد في السلطة ، نقله عن نيابة
حب إلى يسة دمشق . فنقلها في يوم
العشرين من صفر سنة ثلاث وأربعين
وبسملة ، وما زال بها إلى يوم الثلاثاء ثلاث
جده في الآخرة بها .

فقدم من مضمم ضوره ، وجلس بدار
العدة حتى التفت الخيمة ، وأكل العاري
ونحمت ، ثم دخل إلى داره فلما جواربه
يختصن ، فحرب واحدة منهن ضربتين ،
وشرع في الضربة الثالثة فستظ ميتا ، ودفن
من القيد في تربته خارج ميدان الحصى ظاهر
دمشق .

وكان جوادا كريما ، وله مكانة عند الملك
الناصر الكبير بحيث أنه أمر أولاده الثلاثة .
وكان قد بعث الملك الصالح بالتبض عليه ،
فبلغ القصد موته في قضا فداد .

« خوخة لأرقى » بحارة الباطنية : يخرج
مها إلى سوق القم وغيره ، وهى بجوار
داره .

« خوخة عيلة » : هذه الخوخة من الخوخ
تقبة الدنية ، وهى بحارة الباطنية ما يلي
حارة الديلم ، فى ظهر الزقاق المعروف بخرابة
المجلى . بجوار دار الست حديق .

« خوخة الصالحية » : هذه الخوخة بجوار
حس الديلم ، قرية من دار الصالح طلائع بن
رزك التى هتمها ابن قيسار وغيرها . وكانت
تعرف هذه الخوخة أولا بخوخة بحتكين
— وهو الأمير جمال الدولة بحتكين
القاهرى — ثم عرفت بخوخة الصالح طلائع

ابن رزك ، لأن داره كانت هناك ، وبها كان
سكنه قبل أن يلى وزارة الظاهر

« خوخة المطوع » : هذه الخوخة بحارة
كنانة ، فى أولها ما يلي الجامع الأزهر ، عند
اصطبل الحمام الصفدى . عرفت بالمطوع
الشيرازى .

« خوخة حسين » : هذه الخوخة فى الزقاق
الضيق المقابل لمن يخرج من درب الأسوانى ،
وسلك فيه إلى حكر الرصاصى بحارة
الديلم . ويعرف هذا الزقاق بزقاق المزار ،
وفيه قبر تزعم العامة ومن لا علم عنده أنه
قبر يحيى بن عقب ، وأنه كان مؤدبا للحسين
ابن على بن أبى طالب .

وهو كذب مخلوق وافك مفترى . كقولهم
فى القبر الذى بحارة برجوان أنه قبر جعفر
الصديق ، وفى القبر الآخر أنه قبر أبى تراب
التخشبى ، وفى القبر « الذى على يسرة من
خرج من باب الحديد ظاهر زويلة أنه قبر
زارع النوى وأنه صحابى ، وغير ذلك من
أكاذيبهم التى اتخذها لهم شياطينهم أنصابا
ليكونوا لهم عزا .

وسأنى الكلام على هذه المزارات فى
مواضعها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

و « حسين » هذا هو الأمير سيف الدين
حسين بن أبى الهيجاء ، صهر بنى رزك وزوج
ابنة الصالح بن رزك ، وكان كرديا .

قدمه الصالح بن رزك ابن الصالح لما ولى
الوزارة وفوه به . فلما مات ، وقام من بعده
رزك بن الصالح فى الوزارة ، كان حسين

منه ١٠ ح ١٠ ط ١٠

هذا هو مدير أمره بوصية الصالح . واستشار
حسينا فى صرف شاور عن ولاية قوص ،
فأشار عليه بإبقائه ، فأبى وولى الأمير أبى
الرفعة مكانه .

ويبلغ ذلك شاور ، فخرج من قوص إلى
طريق الوحات . فلما سمع رزك بسيره ،
رأى فى النوم مناما عجيبا ، فأخبر حسينا
بأنه رأى مناما . فقال : إن بصر رجلا يقال
له أبو الحسن على بن نصر الأرتاجى ، وهو
حافق فى التعبير

فأحضره وقال : رأيت كأن القمر قد أحاط
به حش ، وكأنتى رواس فى حانوت .

فغالبه الأرتاجى فى تعبير الرؤيا ، وظهر
ذلك لحسين ، فأمسك حتى خرج وقال له :
ما أعجبنى كلامك ، والله لا بد أن تصدقنى
ولا بأس عليك .

فقال : يامولاي ، القمر عندنا هو الوزير ،
كما أن الشمس الخليفة ، والحش المستدير
عليه جس مصحف ، وكونه رواس ألقبها
تجدما شاور مصحفا ، وما وقع لى غير هذا .
فقال حسين : اكتم هذا عن الناس .

واخذ حسين فى الاهتمام بأمره ، ووطأ أنه
يريد التوجه إلى مدينة الرسول صلى الله عليه
وسلم . وكان قد أحسن إلى أهلها ، وحل
إليها مالا وقماتا وأودعه عند من يثق به .

هذا وأمر شاور بقوى وتزايد ، ويصل
الارجاف به إلى أن قرب من القاهرة . فصاح
الصالح فى بنى رزك — وكانوا أكثر من
ثلاثة آلاف فارس — قؤل من نجا بنفسه
حين يسار .

فقال له رزك ، فقالوا : خرج . فاشتم
قلبه لأن حسينا كان مذكورا بالشفاعة
مشهورا بها ، وله تقدم في الدولة ومكانة
ومارسة للحروب وخبرة بها . ولم يثبت بعد
خروج حسين ، بل انهم الى ظهر امّتيح .
فتبني عليه ابن النيف مقدم العرب ، وانضروا
الى شاور فحبسه ، وصنفت رؤياه .

ومات حسين في سنة

« خوخة الخبي » : هذه الخوخة في آخر
اصبل القرمة بجوار حمام الأمير علم الدين
سنجر الخبي ، وفي ظهر داره .

« سنجر الخبي » : أحد المالكين
العالمية . ترقى في الخضم الى أن ولاء الملك
الظفر سيف الدين قنقز نيابة دمشق . فلما
قتل قنقز على عين جالوت ، وقام من بعده في
السلطة بالديار المصرية الملك الظاهر بيبرس ،
ثار سنجر بدمشق في سنة ثمان وخمسين
وستمائة ، ودعا الى نفسه ، وتلقب بالملك
المجاهد . وبقي أشهر وأملك الظاهر يكاتب
أمرائه دمشق الى أن خاضروا على سنجر ،
وحاصروه بقسمة دمشق أياما .

فلما خشي أن يقبض عليه ، فر من القسمة
الى بعلبك . فجهز اليه الظاهر الأمير علاء الدين
مبيرس العزيزي . وما زال يحاصره حتى
أخذه أسيرا ، وبعث به الى الديار المصرية ،
واعتقه الظاهر . وما زال في الاعتقال من سنة
تسع وخمسين الى سنة تسع وثمانين وسبعمائة .
مئة تيف على ثلاثين سنة . مدة أيام الملك
الظاهر وولديه وأيام الملك المنصور قلاوون .

فلما ولي الملك الأشرف خليل بن قلاوون ،
أخرجه من السجن ، وخلع عليه ، وجعله أحد
الأمراء الأكابر على علاته . فلم يزل أميرا
بمصر الى أن مات على فراشه في سنة اثنتين
وتسعين وسبعمائة ، وقد جاوز تسعين سنة ،
وانحنى ظهره وتقوس .

« خوخة الجوهرة » : هذه الخوخة بآخر
حارة زويلة . عرفت اليوم بخوخة الوالي
قريها من دار الأمير علاء الدين الكوراني
والي القاهرة ، وكان من خير الولاة يحفظ
كتاب الحاوي في الفقه على مذهب الإمام
الشافعي رضي الله عنه ، وأقام في ولاية القاهرة
من محرم سنة تسع وأربعين وسبعمائة بعد
استمرار التنجي والى القاهرة الى

« خوخة مصطفي » : هذه الخوخة بآخر
زقاق الكنيسة من حارة زويلة . يخرج منها
الى القبو الذي عند حمام طاب الزمان ،
السلوك منه الى قبر منظره المثلثة على
الخليج . عرفت بالأمير فارس المسكين
مصطفي أحد أمراء بني أيوب الملوك ، وهو
أيضا صاحب هذا الحمام .

« خوخة ابن المأمون » : هذه الخوخة في
حارة زويلة ، بالندوب الذي بقرب حمام
الكويك ، ويقال لهذه الخوخة اليوم باب حارة
زويلة ، وأصلها خوخة في درب ابن المأمون
البذيحي .

« خوخة كوتية آق سنقر » : هذه الخوخة
في الزقاق الذي بظهر المدرسة الفخرية بآخر
سوقه صاحب . كان يسلك منها الى الخليج
من جوار باب الذهب ، وموضعها بعذاء بيت
التنفيذين الذين ظهر الدولة . ولم تزل الى

أن ينزل المنيار عبد الرحمن البابا داره بجوارها
في سنة بضع وتسعين وسبعمائة ، فسدما .

وعرفت هذه الخوخة أخيرا بخوخة
السيدي . وهو قصر الدين بن السيد
السيدي .

« خوخة أمير حسين » : هذه الخوخة
من جملة الوزيرة ، يخرج منها الى تجاه
قطرة أمير حسين . فتحها الأمير شرف
الدين * حسين بن أبي بكر بن اسماعيل بن
حيدرة بك الرومي ، حين بنى القطرة على
الخليج الكبير ، وأتت الجامع بحكر جوهر
النوبي .

وجرى في فتح هذه الخوخة أمر لا بأس
بإيراده . وهو أن الأمير حين قصد أن يفتح
في السور خوخة لتمر الناس من أهل القاهرة
فيها الى شارع بين السورين ليتمر جامعه .
فمنعه الأمير علم الدين سنجر الخازن والى
القاهرة من ذلك ، الا بمشاوره السلطان الملك
الناصر محمد بن قلاوون .

وكان للأمير حين اقدام على السلطان ،
وله به مؤانسة . فعرفه أنه أنشأ جامعا ، وماله
أن يفسح له في فتح مكان من السور ليصير
طريقا فأفذا يمر فيه الناس من القاهرة
ويخرجون اليه . فأذن له في ذلك وسمح به ،
فنزل الى السور وخرق منه قدر باب كبير ،
ودهن عليه رنكه بعد ما ركب هناك بابا ، ومر
الناس منه .

واتفق أنه اجتمع بالخازن والى القاهرة ،
وقال له على سبيل المداعبة : كم كنت تقول
ما أخليك تفتح في السور بابا حتى تشاور

(3) من ١٦٠٠ ، ١٦٠٠ ، ١٦٠٠ .

السلطان . هانا قد شاورته ، وفتحت بابا على
رغم أمك .

فتعق الخازن من هذا القول ، وصعد الى
القلعة ، ودخل على السلطان وقال : ياخوند ،
أنت رسمت للأمير شرف الدين أن يفتح في
السور بابا ، وهو سور حسين على البلد ؟

فقال السلطان : انما شاورني أن يفتح
خوخة لأجل حضور الناس للصلاة في جامع .

فقال الخازن : ياخوند ، ما فتح الا بابا
يعادل باب زويلة ، وعمل عليه رنكه ، وقصد
يصل سلطانا على البار ، وما جرت عادة أحد
بفتح سور البلد .

فأثر هذا الكلام من الخازن في نفس
السلطان أثرا قويا ، وغضب غضبا شديدا ،
وبعث الى النائب - وقد اشتد حنقه - بأن
يسفر حين بن حيدر الى دمشق بحيث لا
يبيت في المدينة . فخرج من يومه من البلد
بسبب ما تقدم ذكره .

ذكر الرحاب

الرجة - باسكان الحاء وفتحها -
للموضع الولع ، وجسمها رحاب .

اعلم أن الرحاب كثيرة لا تتغير الا بأن يبنى
فيها فتذهب ويبقى اسمها ، أو يبنى فيها
وينصب اسمها ويجهل ، وربما انهدم بستان
وصار موضعه رجة أو دارا أو مسجدا .
والغرض ذكر ما فيه فائدة .

« رجة باب العيد » : هذه الرجة كان
أولها من باب الرج - أحد أبواب القصر ،

الذي أدركنا هدمه على يد الأمير جمال الدين
الأسطبار في سنة إحدى عشرة وثمانمائة -
والى خزانة البنود .

وكانت رجة عظيمة في الطول والعرض ،
غاية في الاتساع . يصف فيها المساكن ،
فارسها وراجلها ، في أيام مواكب الأعياد
ينتظرون ركوب الخليفة وخروجه من باب
الميد ، ويذهبون في خدمته لصلاة العيد
بالمصلى خارج باب النصر ، ثم يمودون الى
أن يدخل من الباب المذكور الى القصر . وقد
تقدم ذكر ذلك .

ولم تزل هذه الرجة حالية من البناء الى
ما بعد الستمائة من الهجرة . فاخطت فيها
الناس ، وعمرها فيها الدور والمساجد وغيرها ،
فصارت خطئة كبيرة من أجل أخطأت القاهرة ،
وبقي اسم رجة باب الميد باقيا عليها لانتعرف
الاية .

« رجة قصر الشوك » : هذه الرجة كانت
قبلى القصر الكبير الشرقى في غاية الاتساع
كبيرة المقدار . وموضعها من حيث دار الأمير
الحاج آل ملك ، بجوار المشهد الحسيني
والمدرسة الملكية ، الى باب قصر الشوك عند
خزانة البنود . وبينها وبين رجة باب الميد
خزانة البنود والسيف .

وكان السالك من باب الديلم - الذي هو
اليوم المشهد الحسيني - الى خزانة البنود
يمر في هذه الرجة ، ويصير سور القصر على
يساره ، والمناخ ودار أفتكبن على يمينه ، ولا
يتصل بالقصر ببيان ألبته .

وما زالت هذه الرجة باقية الى أن خرب
القصر بفناء أهله ، فاخطت الناس فيها شيئا

بمد شئ ، حتى لم يبق منها سوى قطعة
صغيرة تعرف برجة الأيدمرى .

« رجة الجامع الأزهر » : هذه الرجة
كانت أمام الجامع الأزهر ، وكانت كبيرة جدا
تبتدىء من خط اصطبل الطارمة الى الموضع
الذي فيه مقعد الأكفائيين اليوم ، ومن باب
الجامع البحري الى حيث الخراطين ، ليس بين
هذه الرجة ورجة قصر الشوك سوى اصطبل
الطارمة .

فكان الخلفاء حين يصلون بالناس بالجامع
الأزهر ، تترجل المساكن كلها ، وتقف في هذه
الرجة حتى يدخل الخليفة الى الجامع .
وسياتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر
الجوامع .

ولم تزل هذه الرجة باقية الى أثناء الدولة
الأيوبية ، فشرع الناس في العمارة بها الى أن
بقي منها ، قدام باب الجامع البحري ، هذا
الفرد اليسير .

« رجة الحللى » : هذه الرجة الآن من
خط الجامع الأزهر ، ومن بقية رجة الجامع
التي تقدم ذكرها . عرفت بالقاضى نجم الدين
أبى العباس أحمد بن شمس الدين على بن
نصر الله بن مظفر الحللى التاجر العادل لأنها
تجاه داره .

« رجة البانياسى » : هذه الرجة بدرب
الأتراك ، تجاه دار الأمير طيدير الجمدار
الناصرى ، وعرفت بالأمير نجم الدين محمود
ابن موسى البانياسى لأن داره كانت فيها ،
ومسجده المعلق هناك . ومات بعد سنة
خمسائة .

« رجة الأيدمرى » : هذه الرجة من جملة
رجة باب قصر الشوك ، وعرفت بالأيدمرى
لأن داره هناك .

و « الأيدمرى » هذا مملوك عن الدين
أيدمر الحللى نائب السلطنة في أيام الملك
الظاهر بيبرس . ترقى في الخدم حتى تآمر في
أيام الملك الظاهر بيبرس ، وعلت مثولته في
أيام الملك المنصور قلاوون ، ومات سنة سبع
وثمانين وستمائة ، ودفن بترتته في القرافة
بجوار الشافعى رضى الله عنه .

« رجة البدرى » : هذه الرجة يدخل
اليها من رجة الأيدمرى من باب قصر الشوك
ومن جهة المارستان العتيق ، وهى من جملة
القصر الكبير . عرفت بالأمير ييدمر البدرى
صاحب المدرسة البدرية ، فإن داره هناك .

« رجة ظروف » : هذه الرجة بجوار
دار آل ملك ، وهى من جملة رجة قصر
الشوك . عرفت بالأمير ظروف الحاجب فإنه
كان يسكن هناك .

« رجة أقبغا » : هذه الرجة هى الآن
سوق الخيمين ، وهى من جملة رجة الجامع
الأزهر التى مر ذكرها . عرفت بالأمير أقبغا
عيد الواحد أستاذ الملك الناصر ، وصاحب
المدرسة الأقبغاوية .

« رجة مقبل » : هذه الرجة كانت تعرف
بخط بين المسجدين ، لأن هناك مسجدين
أحدهما يقابل الآخر ، ويسلك من هذه الرجة
الى سوقة الباطلية والى زقاق تريبه . وعرفت

(ج) من ٢٧ ج ٢ ، طه بولاق .

أخيرا بالأمير زين الدين مقبل الرومى أمير
جندار الملك الظاهر بريقوق .

« رجة الدمر » : هذه الرجة في الدرب
أول سوق الفرائين ما يلي الأكفائيين . عرفت
بالأمير سيف الدين الدمر الناصرى المقتول
بسكة .

« رجة قردية » : هذه الرجة بخط
الأكفائيين تجاه دار الأمير قردية الجمدار
الناصرى . وكانت هذه الدار تعرف قديما
بالأمير سجر الشكارى ، وله أيضا مسجد
معلق يدخل من تحت الى الرجة المذكورة .
وهناك اليوم قاعة الذهب التى فيها الذهب
الشرط لعمل المراكش .

« رجة المنصوري » : قبالة دار المنصوري :
عرفت بالأمير قطلوبغا المنصوري المقدم
ذكره .

« رجة المشهد » : هذه الرجة تجاه المشهد
الحسينى . كانت رجة فيما بين باب الديلم
أحد أبواب القصر - الذى هو الآن المشهد
الحسينى - وبين اصطبل الطارمة .

« رجة أبى البقاء » : هذه الرجة من
جملة رجة باب الميد تجاه باب قاعة ابن كيلة
بخط السقينة . عرفت بقاضى القضاة بقاء
الدين أبى البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى
ابن على بن تمام السبكى الشافعى ، ومولده
فى سنة سبع وسبعائة ، أحد العلماء الأكابر .
تقلد قضاء القضاة بديار مصر والشام ، ومات
فى

« رجة الحجازية » : هذه الرجة تجاه
المدرسة الحجازية ، وهى من جملة رجة باب
الميد . عرفت برجة الحجازية .

« رجة قصر بستانك » : هذه الرجة تجاه
قصر بستانك : وهي من جبهة القضاة التي بين
التمرين .

« رجة سائر » : تجاه حمام اليسرى ودار
الأمير سائر نائب السلطة . هي أيضا من جبهة
القضاة التي كان بين التمرين .

« رجة الخري » : هذه الرجة بخط
الكافوري : تجاه دار الأمير سيف الدين
قطرغا الطويل الخري السلاح دار الأشراف ،
أحد أبراج الملك الناصر محمد بن قلاوون .

« رجة الأكر » : بخط الكافوري : هذه
الرجة تجاه دار الأمير سيف الدين الأكر
الناصرى الوزير ، وتعرف أيضا بـ رجة
الأبويكرى لأنها تجاه دار الأمير سيف الدين
الأبويكرى السلاح دار الناصرى . وهي
شارعة فى الطريق : يملك إليها من دار الأمير
تكر ، ويتوصل منها إلى دار الأمير مسعود
وبقية الكافورى .

« رجة جعفر » : هذه الرجة تجاه حارة
برجوان ، ويشرف عليها شباك مسجد تزينم
الموام فى فيه قبر جعفر الصادق . وهو كذب
محقق واقك مفترى ... ما اختلف أحد من
أهل العلم بالحديث والآثار والتاريخ والسير
أن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام مات
قبل بناء القاهرة بدمر ، وذلك أنه مات سنة
ثمان وربعين ومائة ، والقاهرة بلا خلاف
اختلفت فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعد
موت جعفر الصادق بنحو مائتى سنة وعشر
سنة .

والذى قل أنه دفن بترية أبيه أمير
الجيوش بدر الجمالى ، المكنى بأبى
محمد المتق بنظر . وما ولى أخوه الأفضل
بن أمير الجيوش الوزارة من بعد أبيه ، جعل
أخاه المتق جعفرا بلى العلامة عنه . ونعت
الرجل المتق ، سيف الامام ، جلان الاسلام ،
شرف الزمام ، ناصر الدين خليل ، أمير المؤمنين
أبى محمد جعفر بن أمير الجيوش بدر
الجمالى .

وتوفى ليلة الخميس لسبع خلون من جمادى
الأولى سنة أربع عشرة وخمسة مئة مقتولا ...
يقال قتله خذمه جوهر ببساطة من القائد أبى
عبد الله محمد بن فتنك البطيحي . ويقال بل
كان يخرج فى الليل يشرب ، فجاء ليلة وهو
سكران ، فمأزحه دراب حارة برجوان ،
وتراميا بالحجارة ، فوقعت ضربة فى جنبه
آلت به الى الموت .

والذى قل أنه دفن بترية أبيه أمير
الجيوش . فلما أن يكون دفن هنا أولا ثم
نقل ، أو لم يدفن هنا ولكنه من جملة ما
نسب اليه . فإنه بجوار دار المتق التى من
جملتها دار قاضى القضاة شمس الدين محمد
الغرابلى وما قاربها ، كما يستقف عليه أن
شاء الله تعالى عند ذكر دار المتق .

« رجة الأفيال » : هذه الرجة من جملة
حارة برجوان . يتوصل إليها من رأس
الحارة ، ويسلك فى حجرة الزاهدى إليها .
وأدركها ساحة كبيرة والشيخة تسميها رجة

(١٨٠) ج ١ ط ١ - ١٩٠٠

الأفيال ، وكذا يوجد فى مكاتب الدور
التدسية . ويقال أن القيلة فى أيام الخلفاء
كانت تربط بهذه الرجة أمام دار الضيافة .

ولم تزل خربة الى ما بعد سنة سبعين
وسبعمائة ، فصر بها دوريات ، ووجد فيها بئر
متعة ذات وجهين تنبئ أن تكون البئر التى
كانت سوانس القيلة يستقون منها ، ثم طمت
هذه البئر بالتراب .

« رجة مازن » : هذه الرجة بحارة
برجوان ، تجاه باب دار مازن التى خربت ،
وفيهما المسجد المعروف بسجد بنى الكويك .

« رجة أقوش » : هذه الرجة بحارة
برجوان ، تجاه قاعة الأمير جمال الدين أقوش
الرومى السلاح دار الناصرى ، التى حل وقفا
بهاه الدين محمد بن البرجى ، ثم بيعت من
بعده . ومات أقوش سنة خمس وسبعمائة .

« رجة برلقى » : هذه الرجة عند باب سر
المدرسة القراستقية ، تجاه دار الأمير سيف
الدين برلقى الصغير ، صهر الملك المتق ركن
الدين يبرس الجاشنكير . وهذه الرجة من
جملة خط دار الوزارة .

« رجة لؤلؤ » : هذه الرجة بحارة الديلم
فى الدرب الذى بخط ابن الزلابى . وهي
تجاه دار الأمير بدر الدين لؤلؤ الزدكاشى
الناصرى . وهو من جملة من فر مع الأمير
قراستقر وأقوش الأقرم الى ملك التبر
بوسعيد .

« رجة كوكاي » : هذه الرجة بحارة
زويلة . عرفت بالأمير سيف الدين كوكاي

السلاح دار الناصرى ، وفيها المدرسة القطبية
الجديدة .

« رجة ابن أبى ذكرى » : هذه الرجة
بحارة زويلة ، وهي التى فيها البئر السائلة
بالقرب من المدرسة العاشورية . عرفت بالأمير
ابن أبى ذكرى ، وهي من الرحاب القديمة
التي كانت أيام الخلفاء ، وبها الآن سوق حارة
اليهود القراين .

« رجة بيرس » : هذه الرجة يتوصل
إليها من سوقة السمودى ومن حمام ابن
عبود . عرفت بالملك المتق ركن الدين بيرس
الجاشنكير ، فإن بصدرها داره التى كانت
سكنه قبل أن يتقلد سلطنة ديار مصر ، وقد
حل وقتها ويصمت .

« رجة بيرس الحاجب » : هذه الرجة
بخط حارة العدوية عند باب سر الصاغة .
عرفت بالأمير بيرس الحاجب لأن داره بها .
ويبرس هذا هو الذى نسب اليه غيط
الحاجب بجوار قنطرة الحاجب .

وهذه الرجة الآن فندق الأمير الطواشى ،
زامام الدور السلطانية ، زين الدين مقبل . وبه
صار الآن هذا الخط يعرف بخط فندق الزمام
بعد ما كنا نعرفه يعرف بخط رجة بيرس
الحاجب .

« رجة الموفق » : تعرف هذه الرجة بحارة
زويلة ، تجاه دار صاحب الوزير موفق الدين
أبى البقاء هبة الله بن ابراهيم المعروف بالموفق
الكبير ، وهي بالقرب من خوخة الموفق
المتوصل منها الى الكافورى من حارة زويلة .

« رجة أبي تراب » : هذه الرجة فيما بين الخريشت وحارة برجوان تبه أن تكون من جيلة الميدان ... أدركتها رجة بها كيسان تراب .

وسب نسبتها الى أبي تراب أن هناك مسجدا من مساجد الخلفاء القاطنين ترمع العامة ، ومن لا خلاق له ، أن به قبر أبي تراب النخشي .

وهذا القول من أبطل الباطل وأقبح شيء في الكذب . فإن أبا تراب النخشي هو أبو تراب عسكر بن حصن النخشي ، صاحب حاتما الأصم وغيره ، وهو من مشايخ الرسالة ، ومات بالبادية ... نهته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين قبل بناء القاهرة بنحو مائة وثلاث سنين .

وقد أخبرني القاضي الرئيس تاج الدين أبو القداء اساعيل بن أحمد بن عبد الوهاب ابن الخطباء المخزومي ، خال أبي رحمه الله ، قبل أن يختلط ... قال : أخبرني مؤدبي الذي قرأت عليه القرآن ، أن هذا المكان كان كوما ، وأن شخصا حفر فيه ليبنى عليه دارا فظهرت له شرافات ، فما زال يتبع الحفر حتى ظهر هذا المسجد ، فقال الناس : هذا أبو تراب من حينئذ .

ويؤيد ما قال أني أدركت هذا المسجد محفوظا بالكيمان من جهاته ، وهو نازل في الأرض ينزل اليه بنحو عشر درج . وما يرح كذلك الى ما بعد سنة ثمانى وسبعائة ، فنقلت الكيمان التراب التي كانت هناك حوله ، وعمر مكانها ما هنالك من دور ، وعمل عليها درب من بعد سنة تسعين وسبعائة ، وزالت

الرجة والمسجد على حاله . وأنا قرأت على يابه - في رخامة قد نقش عليها بالقلم الكوفي - عدة أسطر تتضمن أن هذا قبر أبي تراب حيدرة بن المستنصر بالله أحد الخلفاء القاطنين . وتاريخ ذلك - فيما أظن - بعد الأربعائة .

ثم لما كان في سنة ثلاث عشرة وثمانائة ، سوت نقش بعض السفهاء من العامة له أن يتقرب - بزعمه - الى الله تعالى بهدم هذا المسجد ، ويعيد بناءه . فجبى من الناس مالا شحذه منهم ، وهدم المسجد - وكان بناء حنا - وردمه بالتراب نحو سبعة أذرع حتى ساوى الأرض التي تسلك المارة منها ، وبناء هذا البناء الموجود الآن . وبلغنى أن الرخامة التي كانت على الباب نصبوها على شكل قبر أحدثوه في هذا المسجد .

وبالله أن الفتنة بهذا المكان ، وبالمكان الآخر من حارة برجوان الذي يعرف بجعفر الصادق ، لعطية . فانهما صارا كالأنصاب التي كانت تتخذها مشركو العرب ... يلجأ اليهما سفهاء العامة والنساء في أوقات الشدائد ، وينزلون بهذين الموضعين كربهم وشدائدهم التي لا ينزلها العبد الا بالله ربه ، ويسألون في هذين الموضعين ما لا يقدر عليه الا الله تعالى وحده من وفاة الدين من غير جهة معينة وطلب الولد ونحو ذلك ، ويحبلون النذور من الزيت وغيره اليهما ظنا أن ذلك ينجيهم من المكاره ، ويجلب اليهم المنافع . ولعمري ان هي الا كرة خاسرة ، والله الحمد على السلامة .

(١٩) من ١٩ ج ١ ، طبراني .

« رجة أرقطاي » : هذه الرجة بحارة الروم ، قدام دار الأمير الحاج أرقطاي نائب السلطنة بالديار المصرية .

« رجة ابن الضيف » : هذه الرجة بحارة الديلم ، وهي من الرحاب القديمة . عرفت بالقاضي أمين الملك اساعيل بن أمين الدولة الحسن بن علي بن نصر بن الضيف ، وفي هذه الرجة الدار المعروفة بأولاد الأمير طنبغا الطويل بجوار حكر الرصاص . وتعرف هذه الرجة بحمدان البزاز ، وبابن المخزومي .

« رجة وزير بغداد » : هذه الرجة بدرب ملوخيا . عرفت بالأمير الوزير نجم الدين محمود بن علي بن شردين المعروف بوزير بغداد . قدم الى مصر يوم الجمعة ثامن صفر سنة ثمان وثلاثين وسبعائة ، هو وحمام الدين حسن بن محمد بن محمد الغوري الحنفي ، فارين من العراق بعد قتل موسى ملك التتر . فأنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون باقطاع امرة مقدمة ألف مكان الأمير طاز بقا ، عند وفاته في ليلة السبت ثامن عشرى جمادى الأولى من السنة المذكورة .

فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقام في الملك من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر بن محمد ، قلده الوزارة بالديار المصرية للأمير نجم الدين محمود وزير بغداد في يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعائة ، وبنى له دار الوزارة بقلعة الجبل - وأدركناها دار النياية - وعمل له فيها شباك يجلس فيه . وكان هذا قد أبطله الملك الناصر محمد ، وخربت قاعة صاحبه .

فلم يزل الى أن صرف في أيام الملك الصالح اساعيل بن محمد بن قلاوون عن الوزارة بالأمير ملكشهر السرجواني في مستهل رجب سنة ثلاث وأربعين وسبعائة ، ثم أعيد في آخر ذي الحجة بعد تمنع منه ، واشترط أن يكون جمال الكفاة ناظر الخاص معه صفة مشير . فأجيب الى ذلك .

فلما قبض على جمال الكفاة ، صرف وزير بغداد ، وولى بعده الوزارة الأمير سيف الدين أيتش الناصري ، في يوم الأربعاء ثاني عشرى ربيع الآخر سنة خمس وأربعين ، بحكم استغفائه منها . فباشرها أيتش قليلا ، وسأل أن يعفى من المباشرة ، فأعفى وذلك لقلة المتحصل وكثرة المصروف في الانعام على الجوارى والخدام وحواشيهم .

وكانت الكلف في كل سنة ثلاثين ألف ألف دينار ، والمتحصل خلسة عشر ألف ألف نحو النصف . ومرتب السكر في شهر رمضان كان ألف قنطار ، فبلغ ثلاثة آلاف قنطار .

« رجة الجامع الحاكمي » : هذه الرجة من غير القاهرة المعز التي وضعها القائد جوهر ، وكانت من جملة القضاء الذي كان بين باب النصر والمصلى . فلما زاد أمير الجيوش بدر الجمالي في مقدار السور ، صارت من داخل باب النصر الآن .

وكانت كبيرة فيما بين الحجر والجامع الحاكمي ، وفيما بين باب النصر القديم وباب النصر الموجود الآن ، ثم بنى فيها المدرسة القاصدية التي هي تجاه الجامع وما في صفها الى حمام الجاولي . وبنى فيها الشيخ قطب

الدين الهرامس دارا ملاصقة لجدار الجامع ،
ثم مدت كما سيأتي في خبرها ان شاء الله
تعالى عند ذكر الدور .

وفي موضعها الآن الربيع والحوائث سفله ،
والقاعة الجارية ذلك في أملاك ابن الحاجب ،
وأدركت اتساعها فيما بعد سنة ثلاثين . وهذه
الرجبة تؤخذ أجرتها لجة وقف الجامع .

« رجبة كنبغا » : هذه الرجبة من جملة
اصطبل الجبيزة ، وهي الآن من خط
الصارف ، يملك اليها من الجبلون الكبير
يسوق الثراشين ومن خط طواحين الملحجين
وغیره . عرفت بالملك العادل زين الدين
كنبغا ، فانها تجاه داره التي كان يسكنها
وهو أمير قبل أن يستقر في السلطنة ،
وسكنها بنوه من بعده فعرفت به ، ثم حل
وقتها في زمنا ويصمت .

« رجبة خوند » : هذه الرجبة بآخر حارة
زويلة ، قريبا بينها وبين سوقة السمودي ،
يتوصل اليها من درب الصقالية ومن سوقة
السمودي ، وهي من الرحاب القديمة .
كانت تعرف في أيام الخلفاء برجبة ياقوت ،
وهو الأمير ناصر الدولة ياقوت والي قوص ،
أحد أجلاء الأمراء .

ولما قام طلائع بن وزيك بالوزارة في سنة
تسع وأربعين وخمسة ، هم ناصر الدولة
ياقوت بالقيام عليه . فبلغ طلائع الملقب
بالصالح بن وزيك ذلك ، فقبض عليه وعلى
أولاده ، واعتقلهم في يوم الثلاثاء تاسع
عشر ذي الحجة سنة اثنين وخمسين
وخمسة . فلم يزل في الاعتقال الى أن مات

فيه يوم السبت سابع عشر رجب سنة ثلاث
وخمسين . فالخرج الصالح أولاده من
الاعتقال ، وأمرهم وأحسن اليهم .

ثم عرفت هذه الرجبة من بعده بولده
الأمير ربيع الاسلام محمد بن ياقوت . ثم
عرفت في الدولة . الأيوبية برجبة ابن منقذ ،
وهو الأمير سيف الدولة مبارك بن كامل بن
منقذ . ثم عرفت برجبة القلك المسيري ،
وهو الوزير قلك الدين عبد الرحمن المسيري
وزير الملك العادل أبي بكر بن الملك العادل
ابن أيوب .

ثم عرفت الآن برجبة خوند . وهي الست
الجبيلة أردوتكين ابنة نوغيه السلاح دار ،
زوج الملك الأشرف خليل بن قلاوون ،
وامرأة أخيه من بعده الملك الناصر محمد ،
وهي صاحبة تربة الست خارج باب القرافة .
وكانت خيرة ، وماتت أيضا في سنة أربع
وعشرين وسبعائة .

« رجبة قرانقر » : هذه الرجبة برأس
حارة بهاء الدين تجاه دار الأمير قرانقر ،
وبها الآن حوض تشرب منه الدواب .

« رجبة يفر » : بدرب ملوخيا : عرفت
بالأمير سيف الدين يفر لأنها تجاه داره .

« رجبة الفخري » : بدرب ملوخيا : عرفت
بالأمير منكلي بقا الفخري ، صاحب التربة
بظاهر باب النصر ، لأنها تجاه داره .

« رجبة سنجر » : هذه الرجبة بحارة
الصالحية في آخر درب المنصوري . عرفت

(١٠) ص ٢٠٠ ج ٢ ، ط ١٩٠٩

بالأمير سنجر الجندار علم الدين الناصري
لأنها تجاه داره . ثم عرفت برجبة ابن طرغاي
وهو الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير
سيف الدين طرغاي الجاشنكير ، نائب
طرابلس .

« رجبة ابن علكان » : هذه الرجبة
بالجودرية في الدرب المجاور للمدرسة
الشرقية . عرفت بالأمير شجاع الدين عثمان
ابن علكان الكردي زوج ابنة الأمير يازكوج
الأسدي ، وبابنه منها الأمير أبو عبد الله
سيف الدين محمد بن عثمان . وكان خيرا
استشهد على غرة ييد الفرنج في غرة شهر
ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وستائة ،
وكانت داره ودار أبيه بهذه الرجبة .

ثم عرفت بعد ذلك برجبة الأمير علم الدين
سنجر الصيرفي الصالح .

« رجبة أزدمر » : بالجودرية : هذه الرجبة
بالدرب المذكور أعلاه . عرفت بالأمير عز
الدين أزدمر الأعشى الكاشف لأنها كانت أمام
داره .

« رجبة الأخنای » : هذه الرجبة فيما بين
دار الديساج والوزيرية بالقرب من خوخة
أمير حسين . عرفت بقاضي القضاة برهان
الدين ابراهيم ابن قاضي القضاة علم الدين
محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران
الأخنای المالكی لأنها تجاه داره . وقد عمر
عليها درب في أعوام بضع وتسعين وسبعائة .

« رجبة باب اللوق » : رحاب باب اللوق
خمس رحاب ينطلق عليها كلها الآن رجبة باب
اللوق . وبها تجتمع أصحاب الحلق وأرباب

الملاعب والحرف ، كالمشعبذين والمخايلين
والحواة والمتافين وغير ذلك ، فيحشر هناك
من الخلائق للفرجة ولعمل الفساد ما لا ينحصر
كثرة .

وكان قبل ذلك ، في حدود ما قبل الشانين
وسبعائة من سني الهجرة ، انما تجتمع
الناس لذلك في الطريق الشارع المسلوك من
جامع الطباخ بالخط المذكور الى قنطرة
قدادار .

« رجبة التبن » : هذه الرجبة قريبة من
رجبة باب اللوق ، في بحري منشاة الجوابية ،
شارعة في الطريق المعظم المسلوك فيها من
رجبة باب اللوق الى قنطرة الدكة ، ويتوصل
اليها السالك من عدة جهات .

وكانت هذه الرجبة قديما تقف بها الجمال
بأحمال التبن لتباع هناك ، ثم اختلت
وعمرت ، وصارت بها سوقة كبيرة عامرة
بأنصاف المأكولات . والخط انما يعرف برجبة
التبن ، وقد خرب بعد سنة ست وثمانائة .

« رجبة الناصرية » : هذه الرجبة كانت
فيما بين الميدان السلطاني والبركة الناصرية
أيام كانت تلك الخطة عامرة . وكان يتفق في
ليالي أيام ركوب السلطان الى الميدان في كل
سنة من الاجتماع والأنس ما مستقف على بعض
وصفه عند ذكر المتزهات ان شاء الله تعالى .
وقد خربت الأماكن التي كانت هناك ، وجعلت
هذه الرجبة الا عند القليل من الناس .

« رجبة أرغون أزك » : والعامرة تقول رجبة
أزكي يساء . وهي رجبة كبيرة بالقرب من

التي كانت الحاضرة . وهذه الرحلة وما حاربها من
جيلة بسطة الإغريق التي ذكره ابن شاه في
في الأحكام ، وعرفت بالأمير فرعون التركي .

دار النور

قال ابن سبويه : هذا النور يجمع البهاء
والبركة التي هي من دار يسود للكرة حركات
التي فيها : والجسم النور والحر والبر
وبهجة وديارات وديان وغير ونور
والصورة في الدار ، والدار البهجة .

والبيت من النور ما زاد على طرفة
ونحة ، وهو مذكور يقع على الصخر
والكبر ، وقد يقال للبيت . والبيت أنص
من غير الآية التي هي لأخيه يت . وجمع
البيت بيت وبيت وبيت وبيت .
والبيت أنص من النور ، فكل دار بيت ولا
يملك .

ولم تكن العرب تعرف البيت إلا للغياء .
ثم لما سكوا القرى والأصبار ، وبنوا بطن
والبن ، سوا منازلهم التي سكنوها دورا
وبيتا .

وكانت القرى لا تبيح شرف البيان ، كما
لا تبيح شرف الأساء ، إلا لأهل البيوت ،
كمنعهم في التوابيس والحمامات والقباب
الخضر والشرف على حيطان الدار ، وكاعتد
على النخل .

« دار الأحمدى » : هذه الدار من جيلة
حارة بها الفين ، وبها مشرف عال فوق بدة
من بساتين سور القاهرة ، ينظر منه أرض

منها ما جده ، فمروا .

الطاقة ، وخارج باب القنوج ، وهي إحدى
نور التسمية . عرفت بالأمير يسوس
والأحمدى .

« دار الأحمدى » ركن الدين أمير
جامع : تكل في الخدم أيام الملك الناصر
محمد بن قلاوون إلى أن صار أمير جامع
أحد التمكن . فلما مات الملك الناصر ، قوى
عزم قوصون على إقامة الملك النصور أبي
يكر بعد أبيه وخالفه بشك . فلما نسب
النصور إلى القبر ، حضر إلى باب النصر
بقعة الجبل وقتل : أي شيء هذا القبر .

فلما ولي الناصر أحمد أخرجه لنيابة
صفد ، فأقام بها مدة . ثم أحس من الناصر
أحمد بسوء ، فخرج من صفد بمسكوه إلى
دمشق وليس بها نائب ، فمهم الأمراء بأماكه ،
ثم أخرجوا ذلك وأرسلوا إليه الإقامة ، فقدم
البريد من القيد بأماكه . فكتب الأمراء من
دمشق إلى السلطان يشنعون فيه ، فعاد
الجواب بأنه لا بد من القبض عليه وغيب ماله
وقطع رأسه وأرسله ، فأبوا من ذلك ، وخطبوا
الطاعة ، وشقوا العصا جميعا .

فلم يكن بأسرع من ورود الخبر من مصر
بخلع الناصر أحمد ، وإقامة الصالح اسماعيل
في الملك بدله ، والأحمدى مقيم بقصر تسكر
من دمشق . فورد عليه مرسوم بنباية طرابلس
فتوجه إليها وأقام بها نحو الشهرين ، ثم ملك
إلى مصر فصار إليها ، وأخرج لمعاينة أحمد
بالكرك ، فحصره مدة ولم يزل منه شيئا ، ثم
عاد إلى القاهرة ، فأقام بها حتى مات في يوم
الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة ست وأربعين
وسبعمائة ، وله من العمر نحو الثمانين سنة .

وكان أحد الأبطال الموصوفين بقوة النفس ،
وشدة العزم ، ومحبة القراءة ، وإبشار
الصالحين ، وله ممالك قد عرفوا بالشجاعة
والجيلة ، وكان ممن يمتدح برأيه ، وتبسط
آثاره لمعرفته بالأيام والوقائع . وما برحت
ذريته بهذه الدار إلى الآن ، وأنشأها موقوفة
عليهم .

« دار قرانتر » : هذه الدار برأس حارة
بها الدين . أنشأها الأمير شمس الدين
قرانتر ، وبها كان سكنه ، وهي إحدى
الدور الجليلة ، ووجد بها في سنة اثني عشرة
وسبعمائة لما أحيط بها اثنان وثلاثون ألف ألف
دينار ، ومائة ألف وخمسون ألف درهم فضة ،
وسروج مذهبة وغير ذلك . فحمل الجميع إلى
بيت المال .

ولم تزل جارية في أوقاف المدرسة
القرانترية . إلى أن اغتصبها الأمير جمال
الدين يوسف الأستادار فيما اغتصب من
الأوقاف ، وجعلها وقفا على مدرسته التي
أنشأها بوجبة باب العيد . فلما قتل الملك
الناصر فرج بن برقوق ، ارتجع جميع ما
خلقه ، وصار في جملة الأموال السلطانية .

ثم أفرد من الأوقاف التي جعلها جمال الدين
على مدرسته شيئا ، وجعل باقيها لأولاده
وعلى تربيته التي أنشأها على قبر أبيه الملك
الظاهر برقوق بالصحراء تحت الجبل خارج
باب النصر . فلما قتل الملك الناصر فرج ،
صارت هذه الدار بيد الأمير طوغان الداودار .
وكانوا كسارق من سارق .

وما من قتل يقتل إلا وعلى ابن آدم الأول
كفل منه ، لأنه أول من سن القتل .

« دار البلقيني » : هذه الدار بجاء مدرسة
شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني من حارة
بها الدين . أنشأها قاضي قضاة العساكر
بدر الدين محمد بن شيخ الاسلام سراج الدين
عمر بن رسلان البلقيني الشافعي ، ومات في
يوم الخميس لست يقين من شهر ربيع الآخر
سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ولم تكمل .
فاستراها أخوه قاضي القضاة جلال الدين عبد
الرحمن بن شيخ الاسلام وكلها ، وبها الآن
سكنه ، وهي من أجل دور القاهرة صورة
ومعنى .

وقد ذكرت الأخوين وإبامها في كتابي
المنوت بـ « دور العقود القريفة في تراجم
الأيان النفيدة » فانظر هناك أخبارهم .

« دار منكوتر » : هذه الدار بحارة
بها الدين بجوار المدرسة المنكوترية .
أنشأها الأمير منكوتر نائب السلطنة بجوار
مدرسته التي ذكرها عند ذكر المدارس ان شاء
الله تعالى ، وهي من الدور الجليلة ، وبها إلى
اليوم بعض ذريته ، وهي وقف .

« دار المظفر » : هذه الدار كانت بحارة
برجوان . أنشأها أمير الجيوش بدر الجمالي
إلى أن مات . فلما ولي الوزارة من بعده ابنه
الأفضل بن أمير الجيوش ، وسكن دار القباب
التي عرفت بدار الوزارة — وقد تقدم
ذكرها — صار أخوه المظفر أبو محمد جعفر
ابن أمير الجيوش بهذه الدار ، فعرفت به ،
وقيل لها دار المظفر ، وصارت من بعده دار
الضيافة كما مر في هذا الكتاب .

وآخر ما أعرفه أنها كانت ربعا وحماما
وخرائب ، فسقط الربيع بعد سنة سبعين

وسيمائة ، وكانت الحمام قد خربت قبل ذلك ، فلم يزل خرابا الى سنة ثمان وثمانين وسيمائة . فشرع قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الطرابلسي الحنفي في عمارتها ، فلما حفر أساس جداره القبلي ، ظهر تحت الردم حبة عظيمة من حجر صوان مانع يشبه أن يكون عتبة دار المقبر .

وكان الأمير جهار كس الخليلي إذ ذاك يتولى عمارة المدرسة التي أنشأها الملك الظاهر برفوق بخط بين القصرين ، فبعث بالرجال لهذه العتبة ، وتكاثروا على جرحها الى العمارة ، فجعلها في المزملة التي تشرب منها الناس الماء بدهليز المدرسة الظاهرية .

وكل قاضي القضاة شمس الدين بناء داره حيث كانت دار المقبر ، فجاءت من أحسن دور القاهرة ، وتحول اليها بأهله ، وما زال فيها حتى مات بها - وهو متقلد وظيفه قضاء . القضاة الحنفية بالديار المصرية - في ليلة السبت الثامن عشر من ذي الحجة سنة تسع وتسعين وسيمائة ، وله من العمر سبعون سنة وأشهر .

ومولده بطرابلس الشام ، وأخذ الفقه على مذهب أبي حنيفة رحمه الله عن جماعة من أهل طرابلس ، ثم خرج منها الى دمشق ، فقرأ على صدر الدين محمد بن منصور الحنفي ، ووصل الى القاهرة وقاضي الحنفية بها قاضي القضاة جمال الدين عبد الله التركماني ، فلزمه وولاه العقود ، وأجلنه ببعض حوائت السهود ، فتكسب ممن تحمل الشهادة مدة ، وقرأ على

(هـ) من تاريخ مصر ، طبع في بيروت .

قاضي القضاة مراج الهدي ولزمه ، فولاه نيابة القضاء بالسارح ، فباشرها مباشرة مشكورة ، وأجازته العلامة شمس الدين محمد ابن الصائغ الحنفي بالافتاء والتدريس .

فلما مات صدر الدين بن منصور ، قلده الملك الظاهر برفوق قضاء القضاة مكانه في يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين وسيمائة . فباشر القضاء بعبء وصيانة وقوة في الأحكام لها النهاية ، ومهابة وحرمة وصوله تدفع لها الخاصة والعامة . الى أن صرف في سابع عشر رمضان سنة إحدى وتسعين وسيمائة بشيخنا قاضي القضاة مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم التركماني .

فلم يزل الى أن عزل مجد الدين ، وولى من بعده قاضي القضاة وناظر الجيوش جمال الدين محمود القيصرى ، وهو ملازم داره وما بيده من التدريس ، وهو على حال حسنة وتجلد من الكافة ... الى أن استدعاه السلطان في يوم الثلاثاء تاسع شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وسيمائة ، فقلده وظيفه القضاء عوضا عن محمود القيصرى ، فلم يزل حتى مات من عامه رحمه الله تعالى .

وهذه الدار على يسرة من سلك من باب حارة يرجوان طالبا المسجد المسمى بجعفر . وأما الحمام فانها في مكانها اليوم ساحة بجوار دار قاضي القضاة شمس الدين . ومن جملة حقوق دار المقبر رجة الأفيال وحذرة الزاهدائى ، الى الدار المعروفة بسكنى قريبا من حمام الرومى .

« دار ابن عبد العزيز » : هذه الدار بحارة يرجوان ، على يسرة من سلك من باب العمارة طالبا حمام الرومى ، هي أيضا من جملة دار المقبر . كانت طاحونا ثم خربت ، فابتدأ عمارتها فخر الدين أبو جعفر محمد بن عبد اللطيف بن الكوكب ناظر الأحياس ، ومات ولم تكمل .

فصارت لامراته وابنة عنه خديجة ، فماتت في رجب سنة اثنتين وستين وسيمائة ، وقد تزوجت من بعده بالقاضي الرئيس بدر الدين حسن بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبي طالب بن على بن عبد الله بن سيدهم النجوى السيراونى ، فانتقلت اليه ، ومات في سنة أربع وسبعين وسيمائة في العشرين من جمادى الأولى .

وورثه من بعده موته كريم الدين ابن أخيه - وهو عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز ابن عبد الكريم بن أبي طالب بن على بن عبد الله بن سيدهم ، ومات آخر ربيع الأول سنة سبع وثمانمائة عن سبعين سنة ، وولى ناظر الجيوش بديار مصر للظاهر برفوق - فباعها لقريبه شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد العزيز ، وكملها وسكنها مدة طويلة الى أن باعها في سنة خمس وتسعين وسيمائة بالتقى دينار ذهبيا لخوند فاطمة ابنة الأمير منجك ، فوفقتها على عتائها ، وهى الى اليوم يدهم .

وتعرف بيت ابن عبد العزيز المذكور لطول سكنه بها . وكان خيرا عارفا بلى كتابة ديوان الجيش وعدة مباشرات ، ومات ليلة الثاني عشر من صفر سنة ثمان وتسعين وسيمائة .

« دار الجمقدار » : هذه الدار على يسرة من سلك من باب حارة يرجوان تحت القبور طالبا حمام الرومى . عرفت بالأمير علم الدين سنجر الجمقدار من الأمراء البرجية ، وقدمه الملك الناصر محمد تقدمة ألف بعد مجيئه من الكرك الى مصر ، ثم أخرجه الى الشام ، فأقام بها الى أن حضر قتلوه بفسا القفري في نوبة أحمد بالكرك ، فحضر معهم واستقر من الأمراء بالديار المصرية الى أن مات يوم الجمعة تاسع رمضان سنة خمس وأربعين وسيمائة ، وقد كبر وارتعش ، وكان روميا ألخ .

ثم صارت لخالد بن الزراد المقدم . فلما قبض عليه ، ومات في ثاني عشر جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وسيمائة تحت المقارع ، ارتجعت عنه لديوان السلطان حسن ، فصارت في يد ورثه الى أن باع بعض أولاده أسما منها ، فاشترها الأمير سودون الشيخونى نائب السلطنة . ثم تنقلت - وبمضاها وقت بيد أولاد السلطان حسن بن محمد بن قلاوون - الى أن ملك ما تملك منها بالشراء قاضي القضاة عماد الدين أحمد ابن عيسى الكركى ، وسكنها الى أن سافر ، فصارت من بعده لورثته ، فباعوها للشيخ زين الدين أبي بكر القنى ، وهى يدهم الآن .

« دار أقوش » الرومى بحارة يرجوان : هذه الدار من أجل دور القاهرة ، وبابها من نحاس بديع الصنعة يشبه باب المارستان المنصورى ، وكان تجاهها اسطبل كبير يطويه ربع فيه عدة مساكن . عرفت بالأمير جمال الدين أقوش الرومى السلاح دار الناصرى ،

وتوفي سنة سبع وسبعمائة ، وهي ما وقفه على تربته بالقرافة ، وقد خرب اصطبلها وعلوه ويسع قفص ذلك ، وتصدعت الدار أيضا للسقوط فبيعت ألقاضا ، وصارت من جملة الأملاك .

« دار بنت السعيدى » : هذه * الدار بحارة برجوان . عرفت بقاعة حنيفة بنت السعيدى الى أن اشتراها شهاب الدين أحمد ابن طوغان دوا دار الأمير سودون الشيخونى نائب السلطان ، في سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، فأخذ عدة مساكن مما حولها وهلمها وصيرها ساحة بها .

فصارت من أعظم الدور اتساعا وزخرفة ، وفيها آبار سبعة معينة ، وفسقية ينقل اليها الماء بساقية على فوكة بئر . وما زال صاحبها شهاب الدين فيها الى أن سافر الى الإسكندرية في محرم سنة ثمان وثمانمائة ، فمات رحمه الله ، وانتقلت من بعده لغير واحد بالبيع .

« دار الحاجب » : هذه الدار فيما بين الخرشف وحارة برجوان . كان مكانها من جملة الميدان ، وكان يسلك من حارة برجوان في طريق شارة الى باب الكافورى . فلما عمر الأمير بكتر هذه الدار ، جعل اصطبلها حيث كانت الطريق ، وركب بابا بخوخة مما يلي حارة برجوان ، واشترط عليه الناس ألا يمنع المارة من سلوك هذا المكان ، فوفى بما اشترط .

وما يرخ الناس يمرؤن من هذا الطريق في وسط الاصطبل على باب داره ، سالكين من

(*) من ٢٥٠ جزء ، ط. بولاق .

حارة يرجوان الى الكافورى والخرشف ومنه الى حارة برجوان . وأنا سلكت من هذه الطريق غير مرة ، وكان يقال لها خوخة الحاجب . ثم لما طال الأمد ، وذهبت المشيخة لبست هذه الطريق ، وقتل الباب ، وانقطع سلوك الناس منه ، وصارت تلك الطريق من جملة حقوق الدار .

وما برحت هذه الدار ينصب على بابها الطوارق دائما كما كانت عادة دور الأمراء في الزمن القديم . فلما تغيرت الرسوم ، وبطل ذلك ، قلعت الطوارق من جانبي الباب وأعلى أسكفته .

وباب هذه الدار تجاه باب الكافورى ، وعرفت بالأمير سيف الدين بكتر الحاجب صاحب الدار خارج باب النصر والمدرسة بجواره ، ثم حل وقتها سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ، وبيعت كما بيع غيرها من الأوقاف . وهناك ترى ترجمته .

« دار تنكر » : هذه الدار بخط الكافورى كانت للأمير أيلك البغدادى ، وهي من أجل دور القاهرة وأعظمها . أنشأها الأمير تنكر نائب الشام ، وأظنه أوقفها في جملة ما أوقف ، وكان بها ولده .

وسكنها قاضى القضاة برهان الدين ابراهيم ابن جماعة ، فأثقف في زخرفتها على ما أشيع سبعة عشر ألف درهم ، عنها يومئذ ما ينيف عن سبعمائة دينار مصرية . ولم تزل هذه الدار وقتا الى أن بيعت ، على أنها ملك في سنة احدى وعشرين وثمانمائة بدون ألف دينار ،

لزين الدين عبد الباسط بن خليل ، فجدد بناءها ، وبني تجاهها جامع .

« تنكر الأشراف » : سيف الدين أبو سعيد خليل . جلبه الى مصر وهو صغير الخواجا علاء الدين السوسى ، فنشأ بها عند الملك الأشرف خليل بن قلاوون .

فلما ملك السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، أمره امرأة عشرة قبل توجهه الى الكرك ، وسافر معه الى الكرك ، وترسل عنه منها الى الأفرم ، فاتهمه أن معه كتباً الى الأمراء بالشام وعرض عليه العقوبة ، فأرجف منه وعاد الى الناصر ، فقال له : ان عدت الى الملك فأنت نائب دمشق .

فلما عاد الى الملك جهزه الى دمشق فوصلها في العشرين من ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ، فباشر النيابة وتمكن فيها ، وسار بالمساكر الى ملطية ، وافتتحها في محرم سنة خمس عشرة ، وعظم شأنه ، وأمن الرعايا حتى لم يكن أحد من الأمراء يظلم ذمياً ، فضلاً عن مسلم ، خوفاً من بطشه وشدة عقوبته .

وكان السلطان لا يفعل شيئاً بمصر الا ويشاوره فيه وهو بالشام ، وقدم غير مرة على السلطان ، فأكرمه وأجله بحيث أنه أنعم عليه في قدومه الى مصر سنة ثلاث وثلاثين بما مبلغه ألف ألف درهم وخمسون ألف درهم ، عنها خمسون ألف دينار ونيف ، سوى الخيل . وزادت أملاكه وسعاده ، وأنشأ جامعاً بدمشق يديع الوصف بهج الزى وعدة مواضع .

وكان الناس في أيامه قد أمنوا كل سوء ... الا أنه كان يتخيل خيالا ، فيحتد خلقه ويشدد

غضبه ، فهلك بذلك كثير من الناس ، ولا يقدر أحد أن يوضح له الصواب لشدة هيته . وكان اذا غضب لا يرضى ألبته بوجه ، واذا بطش كان بطشه بطش الجبارين ، ويكون الذنب صغيراً . فلا يزال يكبره حتى يخرج فى عقوبة فاعله عن الحد .

ولم يزل الى أن أشيع بدمشق أنه يريد العبور الى بلاد الططر . فبلغ ذلك السلطان ، فتكر له ، وجهز اليه من قبض عليه في ثالث عشرى ذى الحجة سنة أربعين ، وأحيط بيماله .

وقدم الأمير بشتاك الى دمشق لقبضه ، وخرج الى القصر ومعه من مال تنكر . وهو من الذهب العين ثلثائة ألف وستة وثلاثون ألف دينار ، ومن الدراهم الفضة ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، ومن الجواهر واللؤلؤ والزركش والقماش ثمانمائة حمل . ثم استخرج بعد ذلك من بقايا أمواله أربعون ألف دينار ، وألف ألف ومائة ألف درهم .

فلما وصل تنكر الى قلعة الجبل جهز الى الاسكندرية ، واعتقل فيها نحو الشهر ، وقتل في محبسه ، ودفن بها في يوم الثلاثاء حادى عشرى المحرم سنة احدى وأربعين وسبعمائة .

ومن الغريب أنه أمسك يوم الثلاثاء ، ودخل مصر يوم الثلاثاء ، ودخل الاسكندرية يوم الثلاثاء ، وقتل يوم الثلاثاء . ثم نقل الى دمشق فدفن بتربته جوار * جامع ليلة الخامس من رجب سنة أربع وأربعين

(*) من ٢٥٠ جزء ، ط. بولاق .

وسبعمائة ، بعد ثلاث سنين ونصف ، بشفاة
ابته .

« دار أمير مسعود » : هذه الدار بآخر
خط الكافوري . عرفت بالأمير بدر الدين
مسعود بن خنيز الرومي أحد الأمراء بمصر .
أخرجه الملك الناصر محمد بن قلاوون في ذي
الحجة سنة أربعين وسبعمائة إلى نياية غزة ،
ثم نقل منها إلى امرة دمشق ، وولى نياية
طرابلس ، ثم أعيد إلى دمشق .

وأصله من أتباع الأمير تنكز ، فشكره
عند الملك الناصر ، وقدمه حتى صار أميراً
حاجباً . فلما قتل تنكز أخرجه نياية غزة ،
وتنقل في نياية طرابلس ثلاث مرات إلى أن
استغنى من النياية ، فأنعم عليه بامرة في
دمشق ، وعلى ولديه بامرة طبلخانة .

وما زال مقيماً بها حتى مات في سبع
شوال سنة أربع وخسين وسبعمائة بدمشق .
ومولده بها ليلة السبت سبع جمادى الأولى
سنة ثلاث وثمانين وستائة .

« دار نائب الكرك » : هذه الدار فيما بين
خط الخرشف وخط باب سر المارستان
المنصوري ، وهي من جملة أرض الميدان .
عرفت بالأمير أقوش الأشرقي ، المعروف بنائب
الكرك ، صاحب الجامع .

« أقوش الأشرقي » جمال الدين : ولام
الملك الناصر محمد بن قلاوون نياية دمشق
بعد مجيئه من الكرك ، وعزله تنكز بعد
قليل ، واعتقله إلى شهر رجب سنة خمس
عشرة وسبعمائة ، ثم أفرج عنه وجعله رأس

المينة ، وصار يقوم له إذا قدم مميزاً له عن
غيره من الأمراء .

وكان لا يلبس مصقولاً ، ويبنى من داره
هذه إلى الحمام وهو حامل المئزر والطاسة
وحده ، فيدخل الحمام ويخرج عرياناً . فاتفق
مرة أن رجلاً رآه فعرقه ، وأخذ الحجر وحك
رجله وغسله ، وهو لا يكلمه كلمة واحدة .
فلما خرج وصار إلى داره ، طلب الرجل
وضربه ، وقال له : أنا مالي مملوك ، ما عندي
غلام ، ما لي طاسة حتى تجرأ على أنت .

وكان يتوجه إلى معبد له في الجبل الأحمر ،
وينفرد فيه وحده اليومين والثلاثة ، ويدخل
منه إلى القاهرة وهو ماش وذيله على كتفه
حتى يصل إلى داره . وبأشر نظر المارستان
المنصوري مباشرة جيدة .

ثم أخرجه السلطان إلى نياية طرابلس في
أول سنة أربع وثلاثين وسبعمائة فأقام بها ،
ثم طلب الإقالة ، فأعفى وقبض عليه واعتقل
بقلعة دمشق ، ثم نقل منها إلى صفد فحبس
بها في برج ، ثم أخرج منها إلى الاسكندرية
فمات بها معتقلاً في سنة ست وثلاثين
وسبعمائة .

وكان عسوقاً جباراً حتى بطشه ، مات عدة
من الناس تحت الضرب قدامه ، وكان كرسياً
سحاً إلى الغاية . وعرف بنائب الكرك لأنه
أقام في نيايتها من سنة تسعين وستائة إلى
سنة تسع وسبعمائة .

« دار ابن صغير » : هذه الدار من جملة
الميدان ، وهي اليوم من خط باب سر
المارستان المنصوري . أنشأها علاء الدين على

ابن نجم الدين عبد الواحد بن شرف الدين
محمد بن صغير رئيس الأطباء ، ومات بحلب
عندما توجه إليها في خدمة الملك الظاهر برقوق
في يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة سنة
ست وتسعين وسبعمائة ودفن بها ، ثم نقلته
ابنته إلى القاهرة ودفنته بظاهرها .

« دار يبرس الحاجب » : هذه الدار بخط
حارة العلوية ، وهي الآن من خط باب سر
المارستان . عرفت بالأمير يبرس الحاجب
صاحب غيظ الحاجب فيما بين جسر بركة
الرطلي والجرف .

« يبرس الحاجب » الأمير ركن الدين .
ترقى في الخدم إلى أن صار أميراً خور . فلما
حضر الملك الناصر من الكرك ، عزله بالأمير
أيدغمش ، وعمله حاجباً ، وناب في الغيبة عن
الأمير تنكز بدمشق لما حج .

ثم تجرد إلى اليمن وعاد ، فتسكر عليه
السلطان ، وجبه في ذي القعدة سنة خمس
وعشرين وسبعمائة ، وأفرج عنه في رجب
سنة خمس وثلاثين ، وجهزه من الاسكندرية
إلى حلب ، فصار بها أميراً من أمرائها .

ثم تنقل منها إلى امرة بدمشق بعد عزل
تنكز . فلم يزل بها إلى أن توجه إلى قنطرة
وطشتمر إلى مصر ، فأقره على نياية الغيبة
بدمشق ، وكان قد أسن ، ومات في شهر
رجب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

وأدركنا له حفيداً يعرف بعلاء الدين أمير
على بن شهاب الدين أحمد بن يبرس
الحاجب . قرأ القراءات السبع على ولده ،
وكان حسن الأداء للقراءة ، مشهوراً بالعلاج

يعالج بمائة وعشرة أرتال . مات وهو ساح
في سبع ربيع الآخر سنة إحدى وثمانمائة .

« دار عباس » : هذه الدار كانت في درب
شمس الدولة . عرفت بالوزير عباس بن يحيى
ابن تميم بن المعز ابن باديس . أصله من
المغرب ، وترقى في الخدم حتى ولى القرية ،
ولقب بالأمير ركن الاسلام .

وكانت أمه تحت الأمير المنصور على بن
السلار وإلى البحراء والاسكندرية . فلما
رحل على بن السلار إلى القاهرة ، وأزال
الوزير نجم الدين سليمان بن مصال من
الوزارة ، واستقر مكانه في وزارة الخليفة
الظاهر بأمر الله ، وتلقب بالعدل ، قدمه
لمحاربة ابن مصال فلم ينل غرضاً ، فخرج إليه
عباس حتى ظفر به .

وولى ناصر الدين نصير بن عباس ولاية
مصر بشفاة جدته أم عباس . فاخص به
الخليفة الظاهر ، واشتغل به عن سواه
— وكان جريماً مقداماً — فخرج إليه أمر
عباس بالمعسكر لحفظ عسكران من الفرنج ،
ومعه من الأمراء ملهم والفرغام وأسامة
ابن منقذ ، وكان أسامة خصباً بعباس .

فلما نزلوا بلبس تذاكر عباس وأسامة
مصر وطبيها ، وما هم خارجون إليه من
مقاساة السفر ولقاء العدو ، فتأوه عباس
أسفاً على مفارقة لذاته بمصر ، وأخذ يشرب
على العادل بن السلار ، فقال له أسامة : لو
أردت كنت أنت سلطان مصر .

فقال : كيف لي بذلك ؟

(ج) ص ٢٠٥ ج ٢ ، ط ١٠٩٩

قال : هذا ولدك ناصر الدين ينه وبين
ال خليفة مودة عظيمة ، فخاطبه على لسانه أن
تكون سلطان مصر موضع زوج أمك ، فانه
يجبك ويكرمه ، فاذا أجابك فاقتله وصر في
منزله .

فأعجب عباس ذلك ، وجهز ابنه لتقرير ما
أشار به أسامة ، فسار الى القاهرة ودخلها
على حين غفلة من العادل ، واجتمع بالخليفة
وفارضة فيما تقرر ، فأجابه اليه ، وئول الى
دار جدته . وكان من قتله للعادل على بن
سار ما كان .

فماج الناس ، وشرح الطائر من القصر
الى عباس وهو على بليس في الانتظار ، فقام
من قوره ودخل القاهرة سحر يوم الأحد ثاني
عشر المحرم سنة ثمان وأربعين وخمسائة ،
فوجد عدة من الأتراك قد تفرروا وخرجوا يدا
واحدة الى الشام ، فصار الى القصر ، وخلع
عليه خلع الوزارة ، فباشر الأمور ، وضبط
الأحوال ، وأكرم الأمراء ، وأحسن الى
الأجنال .

وازدادت مخالطة ولده للخليفة ، فخاف أن
يقتله كما قتل ابن السار ، فما زال به حتى
قتل الخليفة الطائر كما تقدم ذكره ، وصار
الى القصر على العادة . فلما جلس في مقطع
الوزارة سأل الاجتماع على الخليفة ، فدخل
الزمام الى دور الحرم فلم يجد الخليفة ، فلما
عاد اليه أحضر أخوى الطائر واتهمها بقتله
وقتلها قدامه ، واستدعى بولد الطائر عيسى
ولقبه بالفائز بنصر الله .

وكررت النباحة على الطائر ، وبحث أهل
القصر على كيفية قتله ، فكتبوا الى ملائح بن

رزك - وهو والى الأشمونين - يستدعونه
فحشد وسار . فاضطرب عباس ، وكثرت
مناكدة أهل القاهرة له ، حتى انه مر يوما
فرمى من طاقة تشرف على شارع بقدر مملوه
طعاما حارا ، فعول على الفراز ، وخرج ومعه
ابنه وأسامة بن منقذ وجسيع ما لهم من أتباع
ومال وسلاح .

ودخل ملائح الى القاهرة ، واستقر في
وزارة الخليفة الفائز ، فسار أهل القصر الى
الفرنج البريد بطلب عباس ، فخرجوا اليه .
وكانت بينهم وبينه وقعة فر فيها أسامة في
جماعة الى الشام ، فظفر به الفرنج وقتلوه ،
وأخذوا ابنه في قصص من حديد ، وجهزوه
الى القاهرة ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة
تسع وأربعين وخمسائة ، فلما وصل ابنه
الى القصر قتل ، وصلب على باب زويلة ،
وأُهرق بعد ذلك .

ثم عرفت هذه الدار بعد ذلك بدار تقي
الدين صاحب حماة ، ثم خربت ، وحكر
مكانها ، فصار يعرف بحكر صاحب حماة ،
وبنى فيه عدة دور . وموضعها الآن بداخل
درب شمس الدولة بالقرب من حمام عباس ،
التي تعرف اليوم بحمام الكوكب .

« دار ابن فضل الله » : هذه الدار فيسا
بين حارة زويلة والبندقائين ، كان موضعها
من جملة اصطبل الجيزة ، عرفت بابن فضل
الله .

وبنو فضل الله جماعة : أولهم بمصر شرف
الدين عبد الوهاب بن صاحب جمال الدين
أبى المآثر فضل الله ابن الأمير عز الدين
الحلى بن دعيجان العمري . ولى كتابة السر

للملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم صرفه
سما وزولاه كتابه اسر بدمشق . فلم يزل بها
حتى مات في ثلاث شهر رمضان سنة سبع
عشرة وسبعمائة .

وقد عمر وبلغ أربعا وتسعين سنة ، وخلف
أموالا جملة . ورثاه الشهاب محمود وقد ولى
بعده ، ورثاه علاء الدين على بن غسانم
والجمال ابن نباتة . وكان فاضلا بارعا أدبيا ،
عاقلا وقورا فاهضا ، ثقة أمينا مشكورا ، مليح
الخط جيد الانشاء . حدث عن الشيخ عز
الدين عبد العزيز بن عبد السلام وغيره .

ومنهم « محبى الدين » يحيى بن صاحب
جمال الدين أبى المآثر فضل الله بن مجلى
ابن دعيجان بن خلف بن نصر بن منصور بن
عبد الله بن على بن محمد بن أبى بكر عبد
الله بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب القرشى
العدوى العمري . ولى كتابة السر بالديار
المصرية عن الملك الناصر ، نقل اليها من كتابة
سر دمشق لما مرض علاء الدين باستدعائه
الى مصر ، وأقيم بدله في كتابة سر دمشق
شرف الدين أبو بكر بن الشهاب محمود .

وكان استقراره في محرم سنة ثلاثين
وسبعمائة ، فباشرها الى ثمانى عشر شعبان
سنة ثنتين وثلاثين ، ونقل منها الى كتابة السر
بدمشق ، وطلب شرف الدين ابن الشهاب
محمود ، فاستقر في كتابة السر بمصر الى
شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين ، وطلب
محبى الدين من دمشق هو وابنه شهاب الدين
أحمد ، فوصلا الى القاهرة غرة جمادى

الأولى ، وخلع عليهما ورسم لهما بكتابة
السر ، ونقل ابن شهاب محمود الى كتابة السر
بدمشق .

فلم يزل محبى الدين يباشر كتابة السر هو
وابنه الى أن كان من تنكز السلطان لولده
شهاب الدين ما كان . وذلك أنه كان استغنى
من الوظيفة لثقل سمعه وكبر سنه ، فأذن له
أن يقيم ابنه القاضى شهاب الدين يباشر عنه ،
فصار الاسم لمحبى الدين ، والمباشر ابنه
شهاب الدين ... الى أن حضر الأمير تنكز
نائب الشام الى القلعة ، وسأل السلطان فى
علم الدين محمد بن قطب الدين أحمد بن
مفضل - المعروف بابن القطب - أن يوليه
كتابة السر بدمشق .

وكان السلطان لا يمنح تنكز شيئا يسأله ،
فخلع عليه ، وأقره فى ذلك عوضا عن جمال
الدين عبد الله بن الأثير . فأخذ شهاب الدين
ينقصه عند السلطان بأنه نصرانى الأصل ،
وليس من أهل صناعة الأنشاء ونحو ذلك ،
والسلطان مغض عنه غير ملتفت الى ما يرمى
به رعاية لتنكز .

فلما كتب توقيع ابن القطب ، أواد تنكز
الألقاب والزيادة له فى المعلوم . فامتنع شهاب
الدين من كتابة ذلك . وكان حاد المزاج ، قوى
النفس ، شرس الأخلاق ، ففاجأ السلطان بغلظة
ومخاشنة فى القول .

وكان من كلامه : كيف تعمل قبطيا أسليا
كاتب السر وتزيد فى معلومه ؟ وبالنسبة فى
الجراءة حتى قال : ما يفلح من يخدمك ،

وخدمتك على حرام . ونهض قائما لخدمة
حقه . وكان هذا منه بحضرة الأمراء ،
فغضبوا لذلك وهموا بضرب عنقه ، فانضى
السلطان عنه .

وبلغ محبى الدين ما كان من ابنه . فبادر
الى السلطان ، وقبل الأرض ، واعترف بخطأ
ابنه ، واعتذر عن تأخره بتل سبعة . فرسم
له أن يكون ابنه علاء الدين على يدخل ويقرأ
البريد ، فاعتذر بأنه صغير لا يقوم بالوظيفة .
فقال السلطان : أنا أريه مثل ما أعرف .
فصار يخلف أباه كما كان شهاب الدين .

واقطع شهاب الدين في منزله مدة سنين
الى أن مات أبوه محبى الدين في يوم الأربعاء
تاسع شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين
وسبعمائة بالقاهرة ، عن ثلاث وتسعين سنة ،
وهو متع بعوانه . فدفن ظاهر القاهرة ،
ثم نقل الى تربتهم من سفح قاسيون
بدمشق .

وكان صدرا معظما ، وزينا كامل السؤدد ،
حركا كاتبا بارعا . دبر الأقاليم بكفائته
وحسن سياسته ووقور عقله وأمانته وشدة
تحرزه ، وله النظم والنثر البديع الرائق .
فمن شعره :

تضاحكتى ليلي فأحب ثغرها
سنا البرق لكن أين منه سنا البرق

وأخفت نجوم المصباح حين تبست
فقت بفرصتها أشد على الشرق

وقلت سواء ينجح ليل وشعرها
ولم أدر أن الصبح من جهة الفرق

« علاء الدين » على بن يحيى بن فضل الله
المصرى . استقل بوظيفة كتابة السر قبل موت
أبيه محبى الدين ، وخلق عليه يوم الاثنين
رابع شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة
وله من العمر أربع وعشرون سنة . فخرج وفي
خدمته صاحب الدواidar ، وتقدم أمر
السلطان للموقعين بامثال ما يأمرهم به عن
السلطان . فشق ذلك على أخيه شهاب الدين
وحده ، وربما قيل أنه سه ، فكان يعتره
دم منه الى أن مات .

ثم أنه كتب قصة يال فيها السر الى
الشام ، وشكا كثرة التكلفة . وكان
قبل ذلك جرى ذكره في مجلس السلطان ،
فدعه وتهدده . فعندما قرئت عليه قصته
تحرك ما كان ساكنا من غضبه ، ورسم بإيقاع
الحوطة عليه . فحصل من داره الى قاعة
الصاحب من قلعة الجبل في رابع عشر
شعبان سنة تسع وثلاثين ، وخرج اليه الأمير
طاجر الدواidar ، وأمر به فعرض من ثيابه
ليضرب بالمقارع ، فرفق به ولم يضربه ،
واستكتبه خطه بحمل عشرة آلاف . فأحيط
بداره ، وأخرج سائر ما وجد له وبيع عليه ،
وأرسل مملوكه الى بلاد الشام ، فباع كل
ما له فيها ، واقترض خمسين ألف درهم حتى
حصل من ذلك كله مائة وأربعين ألف درهم ،
عنها سبعة آلاف دينار .

فمكن أمره ، وخف الطلب عنه ، وأقام
الى ثالث عشر ربيع الآخر سنة أربعين مدة
سبعة أشهر وثمانية عشر يوما ... ففرج الله
عنه بأمر عجيب . وهو أنه لما كان يباشر عن
أبيه ، وقع شخص من الكتاب بشيء زور ،

فرسم السلطان بقطع يده ، وأمر به فسجن
طول هذه السنين الى أن قدر الله سبحانه أنه
رفع قصة يال فيها العفو عنه .

فلما قرئت على السلطان لم يعرفه ، فسأل
عن خبره وشأنه ، فقيل له لا يعرف خبر هذا
الا شهاب الدين بن فضل الله ، فبعث اليه
بقاعة الصاحب يستخبره عنه ، فطالعه بقصته
وما كان منه ، فالأن الله له قلب السلطان ،
ورسم بالافراج عن الرجل وعن شهاب الدين
وعن مملوكه ، ففرج الله عن الثلاثة .

ونزل شهاب الدين الى داره ، وأقام الى
أن قبض السلطان على الأمير تنكز نائب
الشام ، فاستدعى شهاب الدين الى حضرته
وحلفه ، وولاه كتابة السر بدمشق عوضا عن
شرف الدين خالد بن عماد الدين اسماعيل
ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن خالد بن
نصر المخزومي ، المعروف بابن القيراني ،
فباشرها حتى مات دمشق .

واقتصد أخوه علاء الدين بكتابة السر الى
أن مات ليلة الجمعة التاسع والعشرين من
شهر رمضان ، سنة تسع وستين وسبعمائة ،
بنزله من القاهرة عن سبع وخمسين سنة ،
وترك ستة بنين وأربع بنات .

« بدر الدين » محمد بن على بن يحيى
ابن فضل الله . ولده الملك الأشرف شعبان بن
حسين كتابة السر ، وأبوه في مرض موته ،
يوم الخميس ثامن عشر شهر رمضان سنة
تسع وستين وسبعمائة ، وله من العمر تسع
عشرة سنة ، وجعل أخاه عز الدين حمزة نائبا
عنه .

فباشر الى شوال سنة أربع وثمانين
وسبعمائة . فصرف بأوحد الدين عبد الواحد .
ابن اسماعيل بن يس ، ولزم داره فلم يره أحد
البته الى أن مات أوحد الدين ، فنزل اليه
الأمير يونس الدواidar واستدعاه ، فركب
بثياب جلوسه من غير خف ولا فرجية ولا
شاش ، وصعد الى القلعة ، فخلق عليه في
اليوم الرابع من ذي الحجة سنة ست
وثمانين .

فلما ثار الأمير يلغا الناصري على الملك
الظاهر وخلعه من الملك ، وأقام الملك الصالح
حاجى بن الأشرف شعبان بن حسين ولقبه
بالمملك المنصور ، ثم خرج الملك الظاهر برقوق
من محبه بالكرك ، وصار الى محاربة الأمير
تربغا منطاش ومعه المنصور حاجى ، فخرج
ابن فضل الله .

فلما انهزم منطاش على شقيب ، واستولى
برقوق على المنصور والخليفة والقضاة
والخزائن ، وكان ابن فضل الله وأخوه عز
الدين في من فر مع منطاش الى دمشق ، فأقام
بها ، واستولى برقوق على تخت الملك بقلعة
الجبل ، فولى علاء الدين على بن عيسى
الكركى كتابة السر .

وأخذ ابن فضل الله يتحيل في الخروج من
دمشق ، وسير الى السلطان مطالعة فيها من
شعره :

يقبل الأرض عبد بعد خدمتكم
قد مسه ضرر ما مثله ضرر

حضر وحسب وترسيم أقام به
وفرقه الأهل والأولاد والمكر

لكنه والورى مستبشرون بكم
يرجو بكم فرجا يأتى وتنتظر

والنخل يقضى لأن الناس قد فعلوا
اذ عابوا الجور من منطاش ينشر

يجوزوا كما فرطوا في حقكم وراوا
فلما عظما به الأكباد تنفطر

والله ان جاءهم من بابكم أحد
قاموا له معكم بالروح واتصروا

الله ينصركم طول المدى أبدا
بامن زمانهم من دهرنا غرور

قدم الى القاهرة ، ومعه أخوه عز الدين
حمزة ، وجمال الدين محمود القيصر ناظر

الحيش ، وتاج الدين عبد الرحيم بن أبى
شاهر ، وشمس الدين محمد بن صاحب .

فما زال فى داره الى أن سافر الملك الظاهر
الى بلاد الشام فى سنة ثلاث وتسعين . فتقدم

أمره اليه بالمسير مع المكر فصار بطالا ،
وقدر الله تعالى ضعف علاء الدين الكرعى ،

فولاه كتابة السر ، وصرف الكرعى فى
شوال .

وكانت هذه ولاية ثالثة . فباشروا وتكن
هذه المرة من سلطانه تمكنا زائدا ، الى أن

سافر السلطان الى البلاد الشامية فى سنة ست
وتسعين ، فمات بدمشق يوم الثلاثاء لعشرين

من شوال سنة ست وتسعين وسبعائة ، ودفن
ببريتهم بسفح قاسيون ، ومات أخوه حمزة

بدمشق أيضا فى أوائل المحرم سنة سبع
وتسعين وسبعائة ، ودفن بها .

واقطع بموتها هذا البيت ، فلم يبق من
بعضها الا كما قال الله سبحانه : فخلق من
بمدهم خلقه أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات
سوف يلقون عيا .

ومن شعر البدر محمد بن فضل الله ماكتبه
عنوان لكتاب الملك الظاهر برفوق ، جوابا على

كتاب تمرلك الوارد الى مصر فى سنة ست
وتسعين وسبعائة ، وعنوانه :

سلام واهداء السلام من البعد
دليل على حفظ المودة والعهد

فاتتح البدر العنوان بقوله :

طول حياة المرء كاليوم فى العمد
فخبرته الا يزيد على المد

فلا بد من نقص لكل زيادة
لأن شديد البطش يقتص للعبد

وكتب فيه من شعره أيضا جوابا عن كثرة
تهديد تمرلك وافتخاره :

السيف والرمح والنشاب قد علمت
منا الحروب فل منها تليكا

اذا التفتنا نجد هذا مشاهدة
فى الحرب قاثبت فأمر الله آتيكا

بخدمة الحرمين الله شرفنا
فضلا وملكنا الأمصار سلك

وبالجميل وحلو النصر عودنا
خذ التواريخ واقراها قتيكا

والألياء لنا الركن الشديد وكم
بجاههم من عدو راح مفكوكا

ومن يكن ربه الفتح ناصره
من يخاف وهذا القول يكفيكا
وقال :

اذا المرء لم يعرف قبيح خطيئة
ولا الذنب منه مع عظيم بليته

فذلك عين الجهل منه مع الخطا
وسوف يرى عقابه عند منيته

وليس يجازى المرء الا بفعله
وما يرجع الصياد الا بنيه *

وهذه الدار كانت موجودة قبل بنى فضل
الله ، وتعرف بدار يبرس ، فمصر فيها محبى

الدين وابنه علاء الدين ، وكانت من أبهج
دور القاهرة وأعظمها .

وما زالت بيد أولاد بدر الدين وأخيه
عز الدين حمزة الى أن تغلب الأمير جمال

الدين على أموال الخلق . فأخذ ابن أخيه
الأمير شهاب الدين أحمد الحاجب - المعروف

بسيدي أحمد - ابن أخت جمال الدين دار
بنى فضل الله منهم ، كما أخذ خاله دور الناس

وأوقفهم ، وعوض أولاد ابن فضل الله عنها ،
وغير كثيرا من معالمها .

وشرع فى الازدياد من العمارة اقتداء بخاله ،
فأخذ دورا كانت بجوار مستوقد حمام ابن

عبود المقابلة لدار ابن فضل الله ، واغتصب لها
الرخام والأحجار والأخشاب ، وهدم عدة دور

وكثيرا من الترب بالقراقة - منها تربة الشيخ
عز الدين بن عبد السلام ، وكانت عجينة

البناء - وأدخل ذلك فى عمارته المذكورة ،
ووسع فيها من جهة البندقين ما كان خرابا

منذ الحريق الذى تقدم ذكره ، وأنشأ من
هناك حوض ماء يشرب منه الدواب .

فلما قارب اكمالها ، قبض الملك الناصر فرج
على خاله جمال الدين يوسف أستاذار وقتله ،

وكان أحمد هذا ممن قبض عليه معه . فوضع
الأمير تغرى بردى - وهو يومئذ أجل أمراء

الناصر - يده على هذه الدار ، وما رضى
بأخذها حتى طلب كتابها ، فاذا به قد تضمن

أن أحمد قد وقف هذه الدار ، فلم يزل بقضاة
العصر حتى حكموا له بهذه الدار ، وجعلوها

له بطريق من طرقهم ، فأقام فيها حتى أخرجه
الناصر لنيابة دمشق فى سنة ثلاث عشرة

وسبعائة ، فنزل بها الأمير دمرداش .

فلما قتل الناصر ، وقام من بعده الملك
المؤيد شيخ وقبض على الأمير دمرداش ، ثارت

ابنة جمال الدين - وهى امرأة أحمد المذكور
ولها منه أولاد - وأرادت استرجاع الدار

كما فعلت فى مدرسة أبيها ، وكان لها ولورثة
تغرى بردى مخصصات ، واستقرت لبني

تغرى بردى .

« دار يبرس » : هذه الدار فيما بين دار
ابن فضل الله والسبع قاعات ، فى ظهر حارة

زويلة وقريبة من سوقة المسعودى ، تشبه
أن تكون من جملة اصطبل الجميزة . كانت

دار الشريف بن تغلب صاحب المدرسة الشرفية
برأس حارة الجودرية .

ثم عرفت بالأمير ركن الدين يبرس
الباشكير ، فانه كان يسكنها وهو أمير قبل
أن يلى السلطنة ، وجدد رخامها من الرخام

الذى دل عليه الأمير ناصر الدين محمد ، ابن
الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح ،

بالقصر الذي عرف بقصر أمير سلاح من جملة قصر الخلفاء ... كما سيأتي خبر ذلك عند ذكر الخاقان الركبة بيرس ، فإن بيرس هذا هو الذي أنشأها .

ولم تزل إلى أن هدمها ناصر الدين محمد ابن البارزى الحوى كاتب السر بعد ما اشتراها نقضا ، كما اشترى غيرها من الأوقاف وذلك في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة .

« السبع قاعات » : هذه الدار عرفت بالسبع قاعات ، وهي يتوصل إليها من جوار دار بيرس المذكورة ومن سوقة صاحب ، وقد صارت عدة مساكن جليلة ، ومكانها من جملة اصطبل الجيزة . أنشأها الوزير صاحب علم الدين بن زنبور ، ووقفها من جملة ما وقف . فلما قبض عليه الأمير صرغتمش حل أوقافه ، ووعد بالسبع قاعات خوند قطلونك ابنة الأمير تنكز الحسامى نائب الشام ، أم السلطان الملك الصالح صالح ابن الناصر محمد بن قلاوون .

ولقنه الشرفان شرف الدين على بن حسين ابن محمد تقيب الأشراف وأبو العباس الصفراوى : أن الناصر لما قبض على كريم الدين الكبير ، بعث إلى كريم الدين من شهد عليه أن جميع ما صار بيده من الأملاك — وقفها وملكها — إنما هو من مال السلطان دون ماله ، وشهد بذلك عند قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، فأثبت بهذه الشهادة أن أملاك كريم الدين جارية في أملاك السلطان فأقر السلطان ما وقفه كريم الدين منها على حاله ، وساء الوقف الناصرى .

فلما جلس السلطان الملك الصالح بدار العدل ، وحضر قاضى القضاة والأمراء وغيرهم من أهل الدولة على العادة ، تكلم الأمير صرغتمش مع قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن جماعة في حل أوقاف ابن زنبور ، فإلها ملك السلطان ومن ماله اشتراها ، وذكر قضية كريم الدين .

فأجاباه بأن تلك القضية كانت صحتها مشهورة . وذلك أن خزائن السلطان وحواسله وأمواله كلها كانت بيد كريم الدين وفى داره يتصرف فيها على ما يختاره ... جعل له السلطان بتوكيله والأذن له فى التصرف . بخلاف ابن زنبور فإنه كان يتصرف فى ماله الذى اكتسبه من المتجر وغيره ، فما وقفه وثبت وقفه وحكم قضاة الاسلام بصحته ، لا سبل إلى حله . وساعده فى ذلك القاضى موفق الدين عبد الله الخبلى .

وتردد الكلام بينهما فى ذلك ، فاحتج عليهما الأمير صرغتمش بما لقنه الشريفان من مشاورة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عماله ، وأخذه من كل عامل نصف ماله ، وأن مال الوزير جميعه من مال السلطان .

فقال له ابن جماعة : يا أمير ان كنت تبحث معنا فى هذه المسألة بحثنا معك ، وإن كان أحد قد ذكرها لك فليحضر حتى نبحث معه فيها ، فإن الذى ذكر لك هذه المسألة إنما قصد أن تصدر الناس وتأخذ أموالهم . فوافقه رفقه الثلاثة قضاة على قوله .

وأراد ابن جماعة بقوله هذا التعريض بالشرقيين * — وكان اختصاصهما بالأمير صرغتمش وقيامهما على ابن زنبور مشهورا — فتسق هذا على الأمير صرغتمش ، وانقض المجلس وقد اشتد حنقه لما رد عليه من كلامه ، وعورض فيه من مراده .

فبعثت خوند أم السلطان إلى ابن جماعة تعرفه ما وعدت به من مصير السبع قاعات إليها ، وأكدت عليه فى ألا يعارضها فى حل أوقاف ابن زنبور . فأجابها بتقييح هذا ، وخوفها سوء عاقبته . فكفت عنه .

ولقوة غيظ الأمير صرغتمش مرض مرضا شديدا من انتحاح صدره ، ونقشه الدم حتى خيف عليه الموت ، ثم عوفى بعد ذلك بأيام ، وذلك كله فى سنة أربع وخمسين وسبعمائة .

وانتمرت السبع قاعات وقفا بيد ذرية ابن زنبور إلى يومنا هذا ... إلا أن الأمير صرغتمش المذكور أخذ رخامها ، ووجد فيها شيئا كثيرا من صينى ونحاس وقماش وغير ذلك قد أخفى فى زواياها .

« علم الدين » عبد الله بن تاج الدين أحمد ابن ابراهيم ، المعروف بابن زنبور ، أول ما باشر به استيفاء الوجه القبلى شريكا لوهب بن سنجر ، وطلع صحبته الأمير علم الدين عبد الرزاق كاشف الوجه القبلى ونهض فيه . فلما كانت مصادرة ابن الجيعان كاتب الاصطبل ، طلب السلطان سائر الكتاب — وكان منهم ابن زنبور — فعرضهم ليختار

(*) ص ٩٥ ج ٢ ، ط - بولاق .

منهم ، فشكر الفخر ناظر الجيش منه ، وقال : هو ولد تاج الدين رفيقه . وشكره الأكوز .

فلما انقض المجلس طلبه وخلع عليه . فباشر نظر الاصطبل فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، وقال فيه سعادة طائلة ، واستمر إلى أن مات السلطان الملك الناصر محمد ، وحكم الأمير أيدغمش ، فباشر استيفاء الصحة .

فلما قبض على حمال الكفاة ، ناظر الخاص وناظر الجيش ، وعلى الموفق ناظر الدولة ، وعلى الصفى ناظر البيوت — المعروف بكاتب قوصون — فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، ومات حمال الكفاة فى العقوبة يوم الأحد سادس شهر ربيع الأول ... عين ابن زنبور لوظيفة ناظر الخاص ، ثم قرر فيها القاضى موفق الدين هبة الله بن ابراهيم ناظر الدولة .

وكان ابن زنبور وهو مستوفى الصحة ، قد سيره حمال الكفاة قبل القبض عليه لكشف القلاع الشامية ، ومعه جاراكثر صاحب ابعادا له ، وكان الأمير أرغون العلاتى يعنى به . فلما قبض على حمال الكفاة ، تحدث له العلاتى مع السلطان الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون فى نظر الخاص ، فبعث فى طلبه ، ثم لم يحضر إلا بعد شهر ، فتحدث الوزير نجم الدين محمود بن على — المعروف بوزير بغداد — مع السلطان فى ولاية الموفق نظر الخاص ، فخلع عليه .

وحضر ابن زنبور من الشام ، فباشر نظر الدولة علم الدين بن سهلوك ، وابن زنبور على ما هى عادته فى استيفاء الصحة ، ونهض فى المباشرة ، وحصل الأموال ، ودخل هو

والوزير نجم الدين ، وشكيا توقف الدولة من كثرة الانعامات والاطلاقات للخدم والجواري ومن يلوذ بهم .

فقرر الحال مع الأمراء على كتابة أوراق بكلغة الدولة . فلما قرئت بمحضر من الأمراء ، بلغت الكلف ثلاثين ألف ألف درهم ، والمتحصل خمسة عشر ألف درهم . فأبطل ما استجد بعد موت الملك الناصر بأمره ، فلم يستمر غير شهر واحد حتى عاد الأمر على ما كان عليه ، بحيث بلغ مصروف الحوائج خاناه في كل يوم اثنين وعشرين ألف درهم ، بعدما كانت في أيام الناصر محمد ثلاثة عشر ألف درهم .

فلما مات الملك الصالح اسماعيل ، وأقيم في الملك من بعده أخوه الملك الكامل سيف الدين شعبان بن محمد ، صرف الموفق عن نظر الخاص ، وقتل ابن زنبور من استيفاء الصبة إليها ، واستقر فخر الدين السعيد في استيفاء الصبة ، وذلك في ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة . فباشر ذلك إلى أخريات وجب ثيفا وثماليين يوما . فولى الملك الكامل نظر الخاص لفخر الدين ابن السعيد مستوفى الدولة ، وأعاد ابن زنبور من نظر الخاص إلى استيفاء الدولة .

فلما كان في المحرم سنة سبع وأربعين ، أعيد نجم الدين وزير بغداد إلى الوزارة ، وقرر ابن زنبور في نظر الدولة . فاستمر إلى أن قتل الكامل شعبان ، وأقيم في الملك من بعده أخوه الملك المنظر حاجي في مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين ، فطلب ابن زنبور ، وأعيد إلى نظر الخاص ، وقبض على

فخر الدين بن السعيد وطولب بالحمل ، وأضيف إليه نظر الجيش ، فباشر ذلك إلى سنة إحدى وخمسين ، فأضيف إليه الوزارة في يوم الخميس سابع عشرين ذي القعدة ، وخلع عليه ، وكان له يوم عظيم جدا .

فلما كان يوم السبت ، جلس بشباك قاعة صاحب من القلعة في دست الوزارة ، واستدعى جميع المباشرين ، وطلب المقدم ابن يوسف ، وشد وسطه على ما كان عليه ، وطلب المعاملين وسلفهم على اللحم وغيره ، واستكتب المباشرين أنه لم يكن في بيت المال ولا الأهراء من الدراهم والغلال شيء البتة ، ودخل بها وقرأها على السلطان والأمراء .

وشرع في عرض أرباب الوظائف كلهم ، وطلب حساب الأقاليم بأمرها ، وولى صهره فخر الدين ماجد فرويته نظر البيوت ، وأتفق جامكية شهر ، وحصل الرواتب إلى الدور السلطانية ، والأسطحة من السكر والزيت والقلوبات وغير ذلك ، وأقام بكثر المومني في وظيفة شد الدواوين ، وألزم نفسه في المجلس السلطاني بحضرة الأمراء أنه يباشر الوزارة بغير معلوم ، وقرر * ابنه في ديوان المال والتزم أنه لا يتناول معلوما بل يوفر المومنين للسلطان .

وأبطل رمى الشعير والبرسيم من بلاد مصر — وكان يحصل برميها ضرر كبير ، فان ذلك كان يحصل من سائر البلاد ، فيغرم على كل أردب أكثر من ثمنه — والتزم بتكفية بيت المال من الشعير والبرسيم بغير ذلك ، فبطل

(*) من ٦٠ ج ١ طه بلاق .

على يديه ، وكتب به مرسوم . وكتب نقشا على حجر في جانب باب القلعة من قلعة الجبل ، وأمر بقياس أراضي الجيزة ، فجاء زيادتها عن الارتفاع الذي مضى ثلثمائة ألف درهم ، وعنها خمسة عشر ألف دينار .

فلم يزل إلى سابع عشرين شوال سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، فأحيط به ، وقبض عليه حدا له على ما صار إليه ولم يجتمع لغيره في الدولة التركية . وتولى القيام عليه الأمير صرغتمش لأنه علم أنه من جهة الأمير شيخو ، ويقوم له بجميع ما يختاره ، وأعانه عليه الأمير طاز .

وما زال يدأب في ذلك إلى أن عاد السلطان الملك الصالح من دمشق في يوم الاثنين خامس عشرين شوال سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة إلى قلعة الجبل ، وعمل يوم الخميس سباطا مهما في القلعة ، ولما انقض السباط ، خلع على سائر أرباب الوظائف من الأمراء ، وعلى الوزير وسائر المباشرين .

فاتفق — لما قدره الله تعالى — أنه حضر إلى الأمير صرغتمش — وهو يومئذ رأس نوبة عشر — تشريف غير تشريفه ، ودون رتبته ، فأخذه ودخل إلى الأمير شيخو ، وألقى البقجة قدامه ، وقال : انظر فعل الوزير معي . وكشف الخلعة .

فقال شيخو : هذا غلط .

فقام وقد أخذه من الغضب شبه الجنون ، وقال : هذا شغل الوزير ، وأنا ما أصبر على أن أهان لهذا الحد ، ولا بد لي من القبض عليه ، ومهما شئت أنت افعل بي .

وخرج فإذا الوزير داخل لشيخو وعليه خلعة ، فصاح في ماليكه : خذوه .

فكشفوا الخلعة عنه ، وسحبوه إلى بيت صرغتمش ، وسرح ماليكه في القبض على جميع حاشية الوزير ، فقبض على سائر من يلوذ به لأنهم كانوا قد اجتمعوا بالقلعة .

وخالطت العامة المالك في القبض على الكتاب ، وأخذوا منهم في ذلك اليوم شيئا كثيرا . حتى أن بعض العلماء صار إليه في ذلك اليوم ست عشرة دواة من دوى الكتاب ، فلم يمكن منها أربابها إلا ببال يأخذه على كل دواة ما بين عشرين إلى خمسين درهما . وأما ما سلبوه من المعائم والثياب والمهائم الفضة فشيء كثير .

وخرج الأمير قشتمر الحاجب وغيره في جماعة إلى دوره التي بالصوصة من مصر ، فأوقعوا الحوطة على حريمه وأولاده ، وختوا سائر بيوته ويسوت حواشيه — وكانوا قد اجتمعوا وتزبنوا لقدوم رجالهم من السفر — وأئزل الوزير في مكان مظلم من بيت صرغتمش .

فلما أصبح طلب ولد الوزير ، وصار به صرغتمش إلى بيت أبيه ، وأحضر أمه ليعاقبه وهي تنظره حتى يدلوه على المال . ففتحو له خزانة وجد فيها خمسة عشر ألف دينار وخمسين ألف درهم فضة ، وأخرج من ثرو صندوق فيه ستة آلاف دينار وثنى من المصالح ، وحضرت أحصاه من السفر ، فوجد فيها ستة آلاف دينار ومائة وخمسون ألف درهم وفضة ، وغير ذلك من تحف وثياب وأصناف .

والزم والى مصر باحضار بناته . فسودى ملين فى مصر والقاهرة ، وهجرت عدة دور بسببهم . وقال الناس من فكايه أعدائهم فى هذه الكائنة كل غرض ، فانه كان الرجل يتوجه الى أحد من جهة صرغتمش ، ويرمى عدوه بأن عنده بعض حواشى ابن زنبور ، فيؤخذ بمجرد التهمة . ولقى الناس من ذلك بلاه عظيم .

ثم حمل الى داره وعرى ليضرب ، فدل على مكان استخرج منه نحو من خمسة وستين ألف دينار ، فضرب بعد ذلك ، وعريت زوجته ، وضرب ولده فوجد له شيء كثير الى الغاية .

قال الصفيى خليل بن أيك ، الملقب صلاح الدين ، فى كتاب « أعيان العصر » : وأما ما أخذته فى المصادرة فى حال حياته ، فنقلت من خط الشيخ بدر الدين الحمصى فى ورقة بخطه ، على ما أملاه القاضى شمس الدين محمد البهنسى :

أوانى ذهب وقضة ستون قنطارا ، جواهر ستون رطلا ، لؤلؤ اربان ، ذهب مصكوك مائتا ألف وأربعة آلاف دينار ضمن صندوق ، ستة آلاف حياصة ضمن صناديق ، زركش ستة آلاف كلوتة ، ذخائر عدة ، قماش بدنة ألفان وستائة فرجية ، بسط ... آلاف منجبة ، دراهم خمسون ألف درهم ، شاشات ثلثمائة شاش ، دواب عاملة سبعة آلاف حلابة ، ستة آلاف خيل وبغال ألف ، دراهم ثلاثة أرباب ، معاصر سكر خمس وعشرون معصرة ، اقطاعات سبعمائة كل اقطاع خمسة وعشرون ألف درهم ، عبيد مائة ، خدام ستون ، بجوارى سبعمائة ، أملاك القيمة عنها

ثلثمائة ألف دينار ، مراكب سبعمائة ، رخام القيمة عنه مائتا ألف درهم ، نحاس قيمته أربعة آلاف دينار ، سروج وبدلات خمسمائة ، مخازن ومناجر أربعمائة ألف دينار ، لطوع سبعة آلاف ، دواب خمسمائة ، بساتين مائتان ، سواقى ألف وأربعمائة .

وكان فى وقت القبض عليه أشد الناس قياما فى انساد صورته الشريف شرف الدين على بن الحسين نقيب الأشراف ، والشريف أبو العباس الصفراوى ، وبدر الدين فاطر ، الخاص ، وأمين الدين ، والصوف ، وأستادار الأمير صرغتمش .

فأول ما فتحوه من أبواب المكاييد أن حننوا لصرغتمش أن يأمره بالاشهاد عليه ، أن جميع ما له من الأملاك والبساتين والأراضي الوقف والطلاق ، جميعها من مال السلطان دون ماله ، فصور اليه ابن الصدر عمر وشهود الخزانة ، فأشهد عليه بذلك .

ثم كتبوا قتيلا فى رجل يدعى الاسلام ويوجد فى بيته كنيسة وصلبان وشخص من تصاوير النصرانى ولحم الخنزير ، وزوجته نصرانية ، وقد رضى لها بالكفر وكذلك بناته وجواريه ، وانه لا يصلى ولا يصوم ونحو ذلك . وبالقوا فى تحسين قتله حتى قالوا لصرغتمش : والله لو فتحت جزيرة قبرص ، ما كتب لك أجر من الله بقدر ما يؤجرك الله على ما فعلته مع هذا .

فأخرج فى باشا وزنجير ، وضرب فى رحبة قاعة الصاحب من القلعة بالمقارع ، وتوالت

(ج) ص ٦١ ج ٢ ط ١ بولاق .

عقوبته ، واسلم لئساد الدواوين ليعاقبه حتى يموت .

فقام الأمير شيخو فى أمره ، فردده صرغتمش الى داره وأكرمه ، وأقام عنده الى سبع عشرى الحرم سنة أربع وخمسين ، فأخرجه من داره ، وتسلمه شاد الدواوين ، وعاقبه عقوبة الموت فى قاعة الصاحب .

فالتقى ركوب الأمير شيخو من داره الى القلعة وابن زنبور يعاقب ، فغضب من ذلك ووقف ومنع من ضربه . وبلغ الخبر صرغتمش فصعد الى القلعة ، وجرى له مع شيخو عدة مفاوضات كادت تنفض الى فتنة ، وآل الأمر فيها الى تسفير ابن زنبور الى قوص ، فأخرج من ليلته . وكانت مدة شدته ثلاثة أشهر .

وأقام بمدينة قوص الى أن عرض له مرض أقام به أحد عشر يوما ، ومات يوم الأحد سبع عشر ذى القعدة سنة أربع وخمسين وسبعمائة . وله بالقاهرة السيل الذى على يسرة من دخل من باب زويلة بجوار خزانة شمائل ، وقد دخل فى الجامع المؤيدى .

« دار الدوادار » : هذه الدار فيما بين حارة زويلة واصطبل الجميزة ، وهى اليوم من جملة خط السبع قاعات عرفت

« دار فتح الله » : هذه الدار اليوم بخط سوقة المسعودى . كان موضعها زقاقا يعرف بزقاق البنادة ، وفيه باب قاعة أنشأها سعد الدين ابراهيم بن عبد الوهاب بن النجيب أبى الفضائل الميمونى ، أحد مباشرى ديوان الجيش . وهى قاعة فى غاية الملاحاة من جودة رخام وكثرة دهان وحسن ترتيب .

ومات الميمونى فى ثمانى ذى الحجة سنة خمس وتسعين وسبعمائة ، فسكنها فتح الله ابن معتمد وهو يومئذ رئيس الأطباء . فلما ولى كتابة السر شره الى العمارة ، فأخذ ما فى الزقاق المذكور من الدور شيئا بعد شيء ، وأخرج منها سكانها وهدمها ، وأبنتى قاعة تجاه قاعة الميمونى ، وجعل فيها بئرا وفسقية ماء ، وبنى بها حماما ، ثم أنشأ اصطبلا كبيرا لخيوله .

ولم يقع بذلك حتى حصل القضية على الحكم له باستبدال دار الميمونى - وكانت وقتا على أولاد الميمونى ، ومن يعلمهم على الحرمين - فعمل له طريق فى جواز الاستبدال بها ، على ما صار القضية يعتمدونه منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة .

فلما تم حكم القضية له بملكها غير بابها ، وزاد فى سعتها ، وأضاف اليها عدة مواضع مما كان بجوارها ، وغرس فى جانبها عدة أشجار ، وزرع كثيرا من الأزهار التى حملت اليه من بلاد الشام ، وبالغ فى تحسين رخام هذه الدار .

وأنشأ دهيشة كية الى الغاية ، بوسطها فسقية ماء ينحدر اليها الماء من شاذوران عجيب الصنعة بهج الزى ، وتشرف هذه الدهيشة على هذه الجنية التى أبدع فيها كل الابداع . وركب علو هذه القاعة الأروقة العظيمة ، وبنى بجوارها عدة مساكن لماليكه ، ومسجدا معلقا كان يصلى فيه وراء امام راتب قرره له بملوم جار . فجاءت هذه الدار من أجل دور القاهرة وأصبها .

ووقف ذلك كله مع أشياء غيرها على تربته
التي أنشأها خارج باب البرقية ، وعلى
عدة جهات من البر . فلما نكب أكره حتى
رجع عن وقف هذه الدار على ما عينه في كتاب
وقته ، وجعلها وقفا على أولاد السلطان الملك
المؤيد شيخ ، فلما مات المؤيد عاد ذلك إلى
وقف فتح الله .

« فتح الله » : ابن معتصم بن تقيس
الاسرايلى الدوايدى العنالى التبريزى ، رئيس
الاطباء وكاتب السر ، ولد بتبريز في سنة
تسع وخمسين وسبع مائة . وكان قد قدم جده
تقيس إلى القاهرة في سنة أربع وخمسين ،
فأسلم وعظم بين الناس .

ثم قدم فتح الله مع أبيه ، فثبأ بالقاهرة في
كفالة عمه ، ونظر في الطب ، وعاشر الفقهاء ،
واتصل بصحبة بعض الأمراء ، فعرف منه أحد
مماليكه ، وكان يسمى بشيخ ، فلما تأمر شيخ
قربه وأنكحه أمة ، وفوض إليه أمر ديوانه .

ثم مات عمه بديع بن تقيس ، فأقره الملك
الظاهر برقوق مكانه في رئاسة الأطباء .
فباشرها مباشرة مشكورة ، واختص بالملك
الظاهر برقوق اختصاصا كبيرا ، فلما مات بدر
الدين محمود الكلسانى قلده وظيفه كتابة
السر ، وخلق عليه في يوم الاثنين حادى عشر
جمادى الأولى سنة احدى وثمانمائة ، ومات
الظاهر ، وقد جعله أحد أوصيائه . فما زال
إلى أوائل ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة ،
فقبض عليه ، واستقر بدله في كتابة السر سعد
الدين ابراهيم بن غراب ، وضرب حتى حمل
مالا ، ثم أفرج عنه ، فلزم داره * إلى شهر

(*) مر ٦٢ ج ٢ ، ط. بولاق .

رمضان ، فحمل إلى دار الوزير فخر الدين
ماجد بن غراب ، وألزم بمال آخر فحمله
وأطلق .

فقام الأمير جمال الدين يوسف الأستاذ
في أمره ، وما زال بالملك الناصر فرج إلى أن
أعاده إلى كتابة السر في أوائل ذى الحجة .
فاستقر فيها وتسكن من أعدائه ، وأراه الله
مصارعهم ، وانتمت أحواله ، وانقرض بسلطانه
وأنيط به جل الأمور . فأصبح عظيم المصر ،
نافذ الأمر ، قائما بتدبير الدولة ، لا يجد أحد
من عظماء الدولة بدا من حسن سفارته ،
وأبدى للناس ديناً وخيراً وتواضعا وحسن
وساطة بين الناس وبين السلطان .

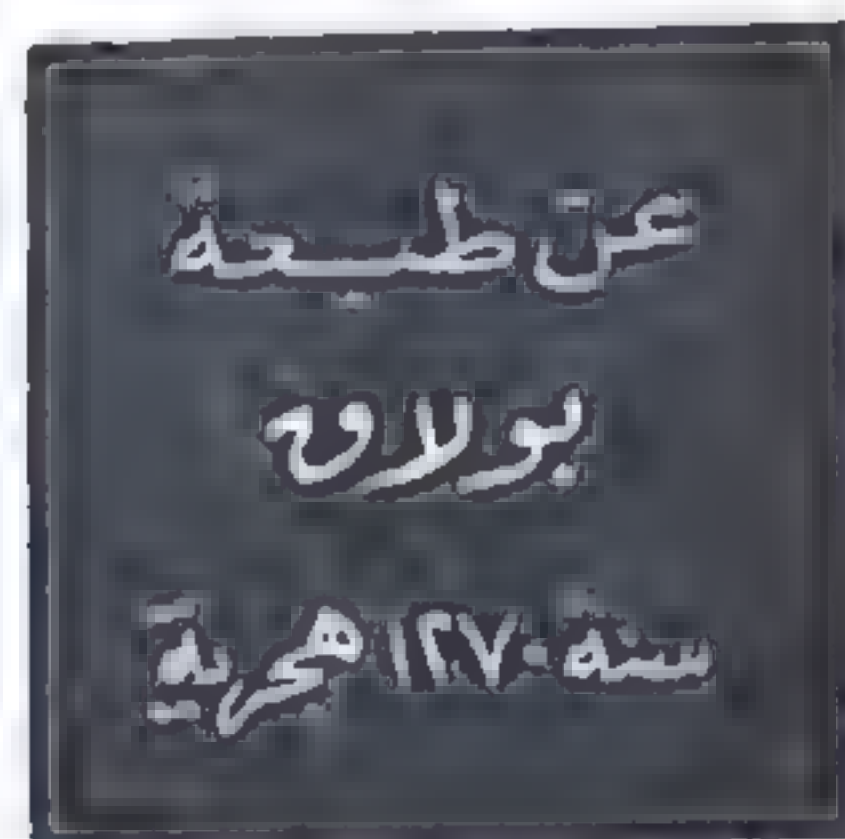
فلما كان من أمر الناصر وهزيمته على
اللاجئون ما كان ، وقع فتح الله مع الخليفة
المستعين بالله العباسى ابن محمد المتوكل على
الله ، وعدة من كتاب الدولة ، في قبضة الأمير
ابن شيخ ونوروز ، وما زال عندهما حتى قتل
الناصر ، وأقيم من بعده أمير المؤمنين المستعين
بالله ، وهو على حاله من تقوذ الكلمة وتدبير
الأمور .

فلما استبد الأمير شيخ بمملكة الديار
المصرية ، واعتقل الخليفة ، وتلقب بالملك المؤيد
شيخ في شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة ،
أقر فتح الله على رتبته . ثم قبض عليه يوم
الخميس تاسع شوال ، وعوقب غير مرة ،
وأحيط بجميع أمواله وأسبابه وحواشيه ،
وبيع عليه بعض ما وجد له ، وحمل ما تحصل
منه فبلغ ما ينيف عن أربعين ألف دينار سوى
ما أخذ مما لم يبيع وهو ما يجاوز ذلك .



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثلث ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خَطُّ الْمُقْرِئِ

٢٧

كتاب
التحرير



وكانت مصر هي مستقر رأسي ، وطلعت أترابي ، وجمع ناسي . وفضلي عتيق ورحامتي ،
وسوطي ضامتي وعامتي ، وجوهي الذي ربي جناحي في ذكره . وعش ما ربي ، فهد
تهوي الأنفس غير ذكره . لازلت صدقته العام . وآتاني ربي الفطانة والفهم ، أرغب في
معرفة أخصارها ، وأحب لإشراف على الاعتراف من آبارها . وأمرى مساولة الركبان عن مكان وإبرها ،
فقى الدين أحمد بن علي المقرئ

وما زال في العقوبة إلى أن خسق في ليلة
الأحد خامس عشر شهر ربيع سنة ست عشرة
وثمانمائة ، وحمل من القدر إلى تربته فدفن
بها .

وكان رحمه من خير أهل زمانه رياضة
وديانة ، وطيب مقال وتأله وتنسك ، ومحبة
لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسن
قيام مع السلطان في أمر الناس ، وبه كفى الله
عن الناس من شر الناصر فرج شيئا كثيرا .
وقد ذكرته بأبسط من هذا في كتابي « درر
العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة » وفي
كتابي « خلاصة التبر في أخبار كتابة السر » .

« دار ابن قرقة » : هذه الدار من الدور
القديمة ، وهي بخط سويقة المسعودي إلى
خط بين السورين ، وقد تغيرت معالمها .

قال ابن عبد الظاهر : دار ابن قرقة هي الآن
سكن الأمير صارم الدين المسعودي وإلى
القاهرة ، بأول حارة زويلة من جهة باب
الخوخة على يسرة السالك إلى داخل الحارة ،
وهي معروفة اليوم ، وإلى جانبها الحمام
المعروفة بابن قرقة أيضا .

وهذه الدار والحمام أنشأهما أبو سعيد بن
قرقة الحكيم ، وباعهما في حال مصادرتة مما
خرج عليه ، فابتاعهما منه علم السعداء ، ثم
سكنها الكامل بن شاور ، وهما من جهة
الخليج . انتهى .

وهذه الدار والحمام قد هدمتا ، وصار
موضع الدار الجامع المعروف بجامع ابن
المغربى برأس سويقة صاحب وما يجاوره من
دور ابن أبي شاعر ، وآخر ما بقي منها شيء

هدمه الوزير صاحب تاج الدين عبد الرحيم
ابن الوزير صاحب فخر الدين عبد الله بن
تاج الدين موسى بن أبي شاعر في رمضان سنة
أربع وتسعين وسبعمائة .

و « ابن قرقة » هذا كان يتولى الاستعمالات
بدار الديباج وخزائن السلاح ، وكان ماهرا في
علم الطب والهندسة ونحو ذلك من علوم
الأوائل . وقتله الخليفة الحافظ لدين الله من
أجل أنه دبر السم لابنه حسن بن الحافظ ،
عندما ثار الجند وطلبوا من الخليفة قتل ابنه
حسن كما تقدم ذكره ، فلما سكنت الدهماء
قبض عليه الخليفة ، واعتقله بخزانة البند ،
وقتل في سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

« دار خوند » : هذه الدار من حقوق حارة
زويلة . عرفت بالست الجيلة خوند أردوتكين
ابنة نوغية السلاح دار الططري . تزوج بها
الملك الأشرف خليل بن قلاوون ومات عنها ،
فتزوجها من بعده أخوه الملك الناصر محمد
ابن قلاوون ، وولدت منه ولدين وماتا ، ثم
طلقها ونزلت من القلعة ، فسكنت هذه الدار ،
وأنشأت لها تربة بالقرافة تعرف الآن بتربة
الست ، وجعلت لها عدة أوقاف .

وكانت من الخير على جانب عظيم ، لها
معروف وصدقات واحسان عظيم ، وماتت ولها
ما ينيف على الألف ما بين جارية وخادم
أعتقتهم كلهم ، وخلفت أموالا تخرج عن الحد
في الكثرة ، وكانت وفاتها في ليلة السبت ثالث
عشر المحرم سنة أربع وعشرين وسبعمائة ،
ودفنت بتربتها .

فتقدم أمر السلطان للأمراء والقضاة
لشهود جنازتها ، وحمل ما تركته من الأموال

والجواهر . وطلب أخوها جمال الدين خضر
ابن نونية ، وصولح على إرضائه منها بسائة
وعشرين ألف درهم ، عنها يومئذ سبعة آلاف
دينار .

ولم تزل هذه الدار الى أن هدمت . فآخذها
الأمير صلاح الدين محمد ، استأدار السلطان
ابن الصالح بدر الدين حسن بن نصر الله ،
في شهر رجب سنة أربع وعشرين وثمانمائة ،
وأدخلها في داره التي أثنأها ، فجاءت من
أجل دور القاهرة .

« دار الذهب » : هذه الدار خارج القاهرة
فيما بين باب الخوخة وباب سعادة . بناها
الأفضل أبو القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش
بدر الجبالي . وكان فيما بين باب القنطرة
وباب الخوخة منقرة اللؤلؤة التي تقدم ذكرها
عند ذكر مناظر الحلقاء ، وجاورها من حيز
باب الخوخة دار القللك ، وبناها فللك
للك . أحد الأستاذين الحاكية ، وبلاستها
دار الذهب هذه ، وجاور دار الذهب دار
الشابورة .

ودار الذهب عرفت أخيرا بدار الأمير بهادر
الأعسر شاد الدواوين ، ثم الآن عرفت بدار
الأمير الوزير لشير الأستادار فخر الدين عيد
الضبي ابن الأمير الوزير الأستادار تاج الدين
عيد الرزاق بن أبي الفرج الأرمني الأصل ،
وعنى بها ، وهدم كثيرا من الدور التي كانت
تجاهها على بر الخليج الشرقي ، وأثنأ هناك
دارا يتطرق إليها من هذه الدار بساباط ،
وأثنأ بجوارها جامع الآتي ذكره وحمامه .

(١٥١) من ٦٢ ج ١ ، طبع في ١٣٧١ .

ثم هدم كثيرا من الدور التي كانت على
الخليج ، وما وراءها بتلك الأحكار التي في
الجانب الغربي من الخليج ، وغرس في أراضي
تلك الدور الأشجار ، وجعلها بستانا تجاء
داره ، فمات قبل أن تكمل ، وصار أكثر
مواضع الدور التي غربها هناك كيمانا .

« دار الحاجب » خارج باب النصر تجاه
معلي الأموات : هذه الدار أثنأها الأمير
سيف الدين كهرداش المنصوري ، أحد
الماليك الزرقاين ، وهو الذي فتح جزيرة
أرواد في المراكب المتوجهة الى بلاد الفرنج ،
وتولى عمارة مئذنة المدرسة المنصورية لما
هدمت في الزلزلة ، وتقدم وكثرت أمواله ،
ومات بدمشق في سنة أربع عشرة وسبعمائة .

فاستري هذه الدار الأمير سيف الدين
بكتسر الحاجب ، ولم تزل بها ذريته من بعد
الأمير جمال الدين عبد الله بن بكتسر والأمير
ناصر الدين محمد بن عبد الله ، وبها الآن
ولدا الأمير ناصر الدين ، وهما الأمير على
وعبد الرحمن . وما يرح هذا البيت فيه الامرة
والسعادة .

« بكتسر الحاجب » الأمير سيف الدين : كان
أميرا خور ، ثم ولي شد الدواوين بدمشق
في نيابة الأفرم ، ولم يكن لأحد معه كلام في
عزل ولا ولاية ، ثم ولي الحجوية .

وتوجه الى صفد كاشفا على الأمير ناهض
الدين عمر بن أبي الخير ، والى الولاية وشاد
الدواوين بها ، ومعه معين الدين بن حشيش ،
فحرر الكشف ، ورفع حتى قال فيه زين
الدين عمر بن حلاوات موقع صفد :

يا قاصدا صفدا فمصد عن بلدة

من جور بكتسر الأمير خراب

لا شافع تغنى شفاعة ولا

جان له ما جاء متاب

حشر وميزان ونشر صحائف

وجرائد معروضة وحساب

وبها زبانية تحت على الوري

وسلال ومقام وعقاب

ما فاتهم من كل ما وعدوا به

في الحشر الا راحم وهاب

ولما قدم الملك الناصر محمد بن قلاوون من
الكرك الى دمشق ولاء الحجوية ، ودخل في
خدمته الى مصر وهو حاجب ، ثم أخرجه ثانيا
نائبا الى غزة في سنة عشر وسبعمائة فأقام بها
قليلًا ، وطلبه وولاه الوزارة بالديار المصرية ،
عوضا عن صاحب فخر الدين بن الخليلي ،
في رمضان سنة عشر ، فباشر الوزارة الى أن
قبض عليه مستهل ربيع الأول سنة خمس
عشرة ، واعتقل مدة سنة ونصف ، وأخذ كثير
من ماله .

ثم أفرج عنه وأخرج الى صفد نائبا في سنة
ست عشرة ، وأنعم عليه بمائة ألف درهم :
عنها يومئذ خمسة آلاف دينار ، فأقام بها عشرة
أشهر ، وطلب الى مصر فصار من الأمراء
المشهورة ، فإذا تكلم السلطان في المشورة لا
يرد عليه غيره لما عنده من المعرفة والخبرة ،
وتزوج بابة الأمير جمال الدين أقوش المعروف
بنائب الكرك وأولاده الذين ذكرنا منها .

وسرق له مال كثير من خزائنه بهذه الدار
ادعى أنه مبلغ مائتي ألف درهم ، وكان في
الباطن - على ما قيل - سبعمائة ألف
درهم ، فما جبر يتقوه خوفا من السلطان .
وكان إذ ذاك والي القاهرة الأمير سيف الدين
قدادار ، المنسوب اليه القنطرة على الخليج ،
فتقدم أمر السلطان اليه بتبع من سرق الماله .

فدس اليه الأمير بكتسر الساقى والوزير
مغلطاي الجبالي والقاضي فخر الدين فاطر
الجيش في السر ، أن يتهاون في أمر السرقة
نكاية لبكتسر ، وأخذوا يحتجون لكل من
اتهم ، ويقولون للسلطان : لمن الله ساعة هذه
العلة ، كل يوم يموت من الناس تحت المقارع
عدة ، والى متى يقتل المتهم الذي لا ذنب له .

فلما طال الأمر شكوا بكتسر الى السلطان في
دار العدل ، فأحضر والي وسبه السلطان ،
فقال : ياخوند ، اللصوص الذين أمسكتهم
وعاقبتهم أقروا أن سيف الدين بخشي
خازن داره اتفق معهم على أخذ المال وجباة من
ألزاه الذين في بابه .

فقال السلطان للجبالي الوزير : احضر
هؤلاء المذكورين وعاقبهم .

فأخذ بخشي وعصره - وكان عزيزا عند
بكتسر ، قد زوجه بابته ، وهو يشق بعقله
ودينه وأماته - فشق ذلك عليه ، واغتم غما
شديدا مات منه فجأة فيما بين الظهر الى العصر
من يومه سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

وكان خبيرا بالأمور ، بصيرا بالحوادث ،
طويل الروح في الكلام ، لا يمل من تطويله
ولو قصد في الحكم الواحد بين الأميرين

واليهودى ثلاثة أيام ، ولا يلحقه من ذلك سائمة .
أبنة ، مع معرفة نامة وخبرة بالسياسة . لم
ير مثله في حق أصحابه لكثرة تذكركم في
غيتهم ، والمكر في مصالحهم . ، وتنفذ
أمرهم ، ومن جاءهم منهم عتب عليه .

وكان ساجدا بجلعه ، بخيلا بانه الى الغاية ،
ساقط الهمة في ذلك ، وله منابر وأماكن
وسعة لا تكاد تنحصر . ومع ذلك فله قدور
يكبرها لصلاتي القول والعصم ، وغير ذلك
من التمدد والآلات ، وسلاحك على أجبرها
ساحكة يستحي من ذكرها ، وأتت عدة تور ،
وحتى كثيرا من البائين .

وولى من بعده ابنه الأمير جمال الدين عبد
الله الأمانة ، وكان حليبا ، ولأبيه في سيرة
البخل والحرص الشديد تاجا ومقلدا ، وولى
لمرة العلاج غير مرة . وخرج في سنة ست
وثمانين وسبعائة من القاهرة لولاية كتف
الجسور بالقرية ، فورد عليه كتاب السلطان
للك الظاهر يرقوق بالإنكار وفيه تهديد
مهور ، فخلطه الخوف ومرضى ، فعزل في
سحنة الى القاهرة ، فدخلها يوم الأربعاء
التصاف من جمادى الأولى من تلك السنة ،
قلت من يومه ، وأخذ أقباط الأمير يودى .
وصار ابنه ناصر الدين أحد الأمراء
العتراوات ، بالسكا طريق أبيه وجده في
الأملاك ، الى أن مات خمس عشر شهر
ربيع الآخر سنة اثنين وثمانمائة ، ودفع
برثتهم خارج باب النصر .

« دار الجاولى » : هذه الدار من جملة
الحجر التي تقدم ذكرها ، وهي تجاه الخان
(١٠٠) سنة ٦٠٢ هـ ، ضوايق .

لجاولى لوكالة قوصون . أنشأها الأمير علم
الدين سبج الجاولى ، وجعلها وقفا على
الخدمة المعروفة بالجاولية بخط الكباش جوار
الجامع الطولونى .

وعرفت في زماننا بقاعة البخادة ، لسكنى
عبد الصمد الجوهري البغدادي بها هو
وأولاده في سنة سبع وأربعين وسبعائة الى
بمد سنة ست عشرة وثمانمائة . وهي من
الدور الجبلية ، إلا أنها قد تسمنت لطول
الزمن .

« دار أمير لحد » : هذه الدار بجوار دار
الجاولى من غربها . عرفت بأمر أحمد قرب
الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وعرفت في
زماننا يسكن أبو فتن ناظر الموارث .

وهي من جملة ما اغتصبه جمال الدين
يوسف الاستادار من الدور الوقف ، وجعلها
لأخيه شمس الدين محمد اليرى قاضى حلب
وشيخ الخاقاه اليسرية ، فقبر بابها وشرع
في عمارتها ، فقبض عليه عند القبض على أخيه
وهو جا .

« دار اليوسفى » : هذه الدار بجوار باب
الجوانية فيما بينها وبين الحوض المعد لشرب
الدواب . أنشأها هي والحوض الأمير سيف
الدين عبادر اليوسفى السلاح دار الناصرى .

« دار ابن البقرى » : هذه الدار أنشأها
الوزير صاحب سعد الدين سعد الله بن
البقرى ، ابن أخت القاضى شمس الدين شاكرو
ابن غزلى البقرى صاحب المدوسة البقرية .
أظهر الاسلام ، وباشر في الخدم الديوانية الى
أن ولاه الملك الظاهر يرقوق وظيفة نظر

الديوان المفرد ونظر الخاص ، عوضا عن
الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكاس ،
في ثالث شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين
وسبعائة . فبأثر ذلك الى تاسع شهر رمضان
سنة خمس وثمانين ، فقبض عليه .

وولى الأمير يونس الدوادار والأمير
قرقناس الخازندار الى داره هذه ، وأحاط
بها ، وأخذ جميع ما فيها من المال والنياب
والأواني والعلى والجوارى وغير ذلك ،
وحمل الى القلعة ، فبلغ قيمة ما وجد بداره في
هذه النوبة مائتى ألف دينار .

وسلم ابن البقرى لشاد الدواوين بقساعة
الصاحب من القلعة ، فضرب بالمقارع نيفا
وثلاثين شيا ، وولى موفق الدين أبو الفرج
نظر الخاص .

ثم ان الملك الظاهر لما عاد الى المملكة
— بعد ثورة الأمير بليغا الناصرى والأمير
تربغا منطاش عليه ، وخلعه من الملك وسجنه
بالكرك ، ثم قيامه بأهل الكرك ودخوله الى
القاهرة ، وعوده الى المملكة — ولى ابن
البقرى الوزارة في يوم الاثنين سابع عشر شهر
ربيع الآخر سنة اثنين وتسعين وسبعائة ،
عوضا عن موفق الدين أبى الفرج ، ثم صرف
في يوم الخميس لعشرين من شهر رمضان ،
وأعيد الوزير أبو الفرج ، وأحيط بدور ابن
البقرى ، وأسلم هو وابنه تاج الدين عبد الله
الى الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آخ .

فلما استقر الأمير ناصر الدين محمد بن
الحسام الصفدى في الوزارة يوم الثلاثاء سابع
عشرى ذى الحجة منها ، عوضا عن الوزير أبى

الفرج ، اشترط على السلطان أمورا منها
استخدام الوزراء الموزولين . فجلس بشباك
قاعة الصاحب من القلعة ، وبث الى من
بالقاهرة من الوزراء الموزولين ، وهم خمس
الدين عبد الله المقسى ، وعلم الدين عبد
الوهاب بن الطساوى المعروف بسن ابرة ،
وسعد الدين سعد الله بن البقرى ، وموفق
الدين أبو الفرج ، وفخر الدين عبد الرحمن
ابن عبد الرزاق بن ابراهيم بن مكاس .

فأقر المقسى وسن ابرة معا في نظر الدولة ،
وأقر ابن البقرى ناظر البيوت ومستوفى
الدولة ، وقرر أبى الفرج في استيفاء الصبة ،
وابن مكاس في استيفاء الدولة شريكا لابن
البقرى .

فكانوا يركبون في خدمته دائما ، ويجلسون
بين يديه ، وربما وقف ابن البقرى على قدميه
بحضرته ، بعد أن كان ابن الحسام دواداره ،
ولا يزال قائما بين يديه . فعد الناس هذا من
أعظم المحن التي لم يشاهد في الدولة التركية
مثلا ، وهو أن يصير الرجل خادما لمن كان
في خدمته ، فعمود باقه من المحن .

ثم ان الوزير ابن الحسام قبض على ابن
البقرى ، وألزمه بحمل سبعين ألف درهم . ثم
أعيد الى الوزارة بعد القبض على الصاحب
تاج الدين عبد الرحيم بن عبد الله بن موسى
ابن أبى بكر بن أبى شاكرو في ذى القعدة سنة
خمس وتسعين ، وقبض عليه وعلى ولده في
حادى عشرى شهر ربيع الأول سنة ست
وتسعين ، وسلموا مع عدة من الكتاب لشاد
الدواوين ، ثم أفرج عنهما على حل مال .

(١٠٠) مره ٦٠٢ هـ ، طه بولاق .

فلما ولي الأمير ناصر الدين محمد بن رجب ابن كلفت الوزارة ، بعد الوزير أبي الفرج ، قرر ابن البقرى في نظر الدولة عوضا عن بدر الدين الأقمسى ، واستخدم بقية الوزراء كما فعل الوزير ابن الحمام . فلما خلع السلطان على الأمير ناصر الدين محمد بن تنكز ، وجعله استادار الأملاك في رجب سنة سبع وتسعين ، قرر ابن البقرى ناظر الأملاك وخلع عليه ، فصار يتحدث في نظر الدولة ونظر الأملاك .

فلما كان يوم الخميس رابع رجب سنة ثمان وتسعين ، أعيد إلى الوزارة ، وصرف عنها الأمير مبارك شاه ناظر القاهري ، واستقر بدر الدين محمد بن محمد الطوخى في نظر الدولة . ثم قبض عليه في يوم الخميس رابع ربيع الأول سنة تسع وتسعين ، وأحيط بسائر ما قدر عليه من موجوده ، وولى الوزارة بعده ابن الطوخى ، وعوقب عقابا شديدا في دار الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى .

ثم أخرج فهارا - وهو عار مكشوف الرأس ، ويده جبل يجربه ، وثيابه مضمومة بيده الأخرى ، والناس تراه - من درب قراصيا برجة باب العيد في السوق إلى دار ابن الطبلاوى ، وقد اتهمك يده من شدة الضرب ، فجن بدار هناك ، ثم خنق في ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وسبعمئة .

وكان أحد كتاب الدنيا الذين اتهمت اليهم السيادة في كتابة الرسوم الديوانية ، مع عفة الفرج ، وجودة الرأي ، وحسن التدبير ... إلا أنه لم يؤت سعدا في وزارته ، وما يرح ينكب كل قليل ، وكان يظهر الاسلام ، ويكتب بخطه

كتب الحديث وغيرها ، ويتم في باطن الأمر بالتشدد في النصرانية .

وولى ابنه تاج الدين عبد الله الوزارة ، ونظر الخاص ، ومات قتيلا تحت العقوبة عند الأمير جمال الدين يوسف الاستادار في سنة ثمان وثمانمئة .

ودار ابن البقرى هذه من أعظم دور القاهرة ، وهى من جملة خط حارة الجوانية في أولها .

« دار طولباى » : هذه الدار بجوار حمام الأعرس ، برأس حارة الجوانية ، تجاه درب الرشيدى . أنشأها الأمير شمس الدين سنقر الأعرس الوزير ، ثم عرفت بخوند طولباى الناصرية جهة الملك الناصر .

« طنباي » - ويقال دليبة ، ويقال طلوية - اينة طفاجى بن هند بن بكر بن دوشى خان ابن جنكز خان ، ذات الستر الرفيع الحانوتى .

كان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قد جهز الأمير أيدغدى الخوارزمى في سنة ست عشرة وسبعمئة ، يخطب إلى أزيك ملك التار بتنا من الذرية الجنكزية .

فجمع أزيك أمراء التومانات - وهم سبعون أميرا - وكلمهم الرسول في ذلك ، فنفروا منه . ثم اجتمعوا ثانيا ، بعد ما وصلت اليهم هداياهم ، وأجابوا ثم قالوا : إلا أن هذا لا يكون إلا بعد أربع سنين : سنة اسلام ، وسنة خطبة ، وسنة مهادة ، وسنة زواج ، واشتطوا في طلب المهر . فرجع السلطان عن الخطبة .

ثم توجه سيف الدين طوخى بهدية وخلة لأزيك ، فلبسها وقال لطوخى : قد جهزت لأخي الملك الناصر ما كان طلب ، وعينت له بتنا من بيت جنكز خان من نسل الملك ياطر خان .

فقال طوخى : لم يرسلنى السلطان في هذا .

فقال أزيك : أنا أرسلها إليه من جهتى .

وأمر طوخى بحمل مهرها ، فاعتذر بعدم المال ، فقال : نحن نقترض من التجار . فاقترض عشرين ألف دينار وحملها .

ثم قال : لا بد من عمل فرح تجتمع فيه الخواتين . فاقترض مالا آخر نحو سبعة آلاف دينار ، وعمل الفرح .

وجهازت الخاتون « طنباي » ومعها جماعة من الرسل ، وهم : بابنجار من كبار المغل ، وطقبغا ، ومنموش ، وطرحى ، وعثمان ، وبكتسر ، وقرطبا ، والشيخ برهان الدين امام الملك أزيك ، وقاضى حراى .

فصاروا في زمن الخريف ، وأقلموا فلم يجدوا ريبا تسير بهم ، فأقاموا في بر الروم على ميناء ابن مشتا خمسة أشهر ، وقام بخدمتهم هو والأشكرى ملك قسطنطينية ، وأتفق عليهم الأشكرى ستين ألف دينار ، فوصلوا إلى الاسكندرية في شهر ربيع الأول سنة عشرين وسبعمئة .

فلما طلعت الخاتون من المراكب ، حملت في خروكة من الذهب على العجل ، وجبرها المماليك إلى دار السلطنة بالاسكندرية .

وبعث السلطان إلى خدمتها عدة من الحجاب وثمانى عشرة من الحرم ونزلت في الحراقة ، فوصلت إلى القلعة يوم الاثنين خامس عشر ربيع الأول المذكور ، وفرض لها بالمناظر في الميدان دهليز أطلس معدنى ، ومد لهم ساط .

وفي يوم الخميس ثمانى عشره ، حضر السلطان رسل أزيك ، ووصل رسل ملك الكرج ورسل الأشكرى بتقدمهم . ثم بعث إلى الميدان الأمير سيف الدين أرغون النائب والأمير بكتسر الساقى والقاضى كريم الدين ناظر الخاص ، فمشوا في خدمة الخاتون إلى القلعة وهى في عز .

ثم عقد عليها يوم الاثنين سادس ربيع الآخر على ثلاثين ألف دينار ، حالة المعجل منها عشرون ألفا ، وعقد العقد قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، وقيل عن السلطان * النائب أرغون وبني عليها .

وأعاد الرسل بعد أن شملهم من الانعام ما أربى على أملهم ، ومعهم هدية جلية ، فساروا في شعبان ، وتأخر قاضى حراى حتى حج ، وعاد في سنة احدى وعشرين .

وماتت في رابع عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وسبعمئة ، ودفنت بترتها خارج باب البرقية بجوار تربة خوند طفاى أم أنوك .

« دار حارس الطير » : هذه الدار بداخل درب قراصيا بخط رجة باب العيد . عرفت بالأمير سيف الدين سنبغا حارس الطير . ترقى في الخدم إلى أن صار نائب السلطنة بديار

مصر في أيام السلطان حسن بن محمد بن قلاوون بعد طبعا روس .

ثم عزل بالأمير قبلاي ، وجعل في نيابة غزة فقام بها شهرا ، وقبض عليه وحضر مقبدا إلى الاسكندرية في شعبان سنة اثنين وخمسين وسبعائة ، فسجن بها مدة . ثم أخرج إلى القنس ، فقام بطلا مدة ، ثم نقل إلى نيابة غزة في شعبان سنة ست وخمسين وسبعائة .

« الدار القردية » : هذه الدار خارج باب زويلة بخط الموزين من الشارع السلوك فيه إلى رأس النجيلة . بناها الأمير الجاي الناصري ملوك السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون .

وكان من أمره أنه ترقى في الخدم السلطانية حتى صار دوا دار السلطان بغير إمرة ، رفيقا للأمير بهاء الدين أرسلان الدوا دار . فلما مات بهاء الدين ، استقر مكانه بأمرة عشرة مدة ثلاث سنين ، ثم أعطى إمرة بلخاغا .

وكان قتها حنيفا ، يكتب الخط اللبح ، ونسخ بخطه القرآن الكريم في رعة ، وكان غنيا عن القولح ، حليما لا يكاد يغضب ، مكبا على الاستغال بالعلم ، محبا لآقتله الكتب ، مواظبا على مجالسة أهل العلم .

وبالبح في اتقان عبارة هذه الدار بحيث أنه أتقن على بوابتها خاصة مائة ألف درهم قصة ، عنها يومئذ نحو الخمسة آلاف متقال من الذهب . فلما تم بناؤها لم يستع بها غير قليل ، ومرض فمات في أوائل شهر رجب - وقيل في

رمضان - سنة اثنين وثلاثين وسبعائة وهو كهل ، فدفن بقرافة مصر .

نسكنها من بعده خورقة عائشة خاتون - المعروفة بالقردية - ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون زمانا تعرفت بها . وكانت هذه المرأة ممن يضرب بناتها وسعادتها للثل ، إلا أنها عرت طولها ، وتصرفت في مالها تصرفا غير مرضي ، فتلقت في اللهو حتى صارت تصد من جلة الساكنين . وماتت في الخامس من جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وسبعائة ، ومخدتا من ليف .

ثم سكن هذه الدار الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستاذ مدة ، وأتت نجاها مدرسة .

« دار الصالح » : هذه الدار بحارة الديلم قريبا من السجن ، وكانت دار الصالح ملائح ابن رزك يسكنها وهو أمير قبل أن يلي الوزارة ، بناها في سنة سبع وأربعين وخمسة . وما زالت باقية إلى أن خرها الأمير الوزير دكن الدين عمر بن محمد بن قايسار في سنة أربع وتسعين وسبعائة ، وبناها على ما هي عليه الآن .

« دار جادر » : هذه الدار بالقاهرة جوار للشهد الحسيني ، في درب جرجي المقابل للأبارين السلوك من إلى دار الضرب وغيره . أنشأها الأمير جادر رأس قوية ، أحد ممالك تلك التصور قلاوون ، واتفق أنه كان ممن ملا الأمير بدر الدين يلوا على قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون . فلما قدر الله بانتقاض أمر يسدرا ، وقتله ، وإقامة الملك

الناصر محمد بن قلاوون بعد أخيه الأشرف خليل ، قبض على جماعة ممن وافق على قتل الملك الأشرف خليل .

وقد تجسست الممالك الأشرفية مع الأمير علم الدين سنجر الشجاع ، وهو يومئذ وزيرا لديار مصر ، في دار النيابة من قلعة الجبل عند الأمير زين الدين كينا نائب السلطنة ، وإذا بالأمير جادر المذكور قد حضر هو والأمير جمال الدين أقوش الموصل العاجب المعروف بنيلة - وكانا قد اختفا فرقا من سطوة الأشرفية حتى دبر أمرهما النائب ، وأذن لهما في ملوك القلعة - فما هو إلا أن أبصرهما الأشرفية حتى سلوا سيوفهم ، وضربوا رقبتهما في أسرع وقت . فدعس الحاضرون ، وما استطاعوا أن يتكلموا خوفا من الأشرفية .

واتفق في بناء هذه الدار ما فيه عبرة لمن اعتبر . وذلك أن جادر هذا لما حفر أساسها وجد هناك قبورا كثيرة ، فأخرج تلك المقام ورمها . فبلغ ذلك قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد ، فبعث إليه بإنهاء عن نبش القبور ورمى المقام ، ويخوفه عاقبة ذلك .

فقال : إذا مت يجروا رجلى ورموني .

فقال القاضي لما أعيد عليه هذا الجواب : وقد يكون ذلك .

فقهر الله أنه لما ضربت رقبته ورقبة أقوش ، رُبط في رجليهما جبل ، وجرا من دار النيابة بالقلعة إلى المجاور والكيان . فعوذ بالله من سوء عاقبة القضاء .

ثم عرفت هذه الدار بيت الأمير جركنر ابن جادر المذكور . وكان خصيصا بالأمير قوصون ، فبعث لقتل السلطان الملك المنصور أبي بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، لما قاه إلى مدينة قوص بعد خلع ، فتولى قتله . فلما قبض على قوصون ، قبض على جركنر في ثاني شعبان سنة اثنين وأربعين وسبعائة ، وقتل بالاسكندرية هو وقوصون في ليلة الثلاثاء ثامن عشر شوال ... تولى قتلها الأمير ابن طشتر طلبة وأحمد بن صليح .

وكان جركنر هذا فيه أدب ، وحشة . وأول أمره كان من أصحاب الأمير بيسرس الجاشنكيرى ، فقلعه وأعطاه إمرة عشرة ، ثم اتصل بالأمير أرغون النائب ، فأعطاه إمرة بلخاغا ، وكان يلعب بالأكرة ، ويجيد في لعبها إلى الغاية .

ثم عرفت هذه الدار بالأمير سيف الدين جادر المتحكي أستاذ الملك الظاهر برفوق ، لكنه بها وتجديد عمارتها ، وأنشأ بجوارها حماما ، وكانت وفاته يوم الاثنين الثاني من جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعائة . وهذه الدار باقية إلى اليوم نسكنها الأمراء .

« دار البقر » : هذه الدار خارج القاهرة فيما بين قلعة الجبل وبركة القيل ، بالخط الذي يقال له اليوم حدة البقر ، كانت دارا للأبقار التي يرسم السواقى السلطانية ، ومثرا للزبل وفيه ساقية . ثم إن الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأها دارا واصطبل ، وغرس بها عدة أشجار .

وقولي عمارتها القاضى كرم الدين عيسى
الكريم الكبير ، فبلغ المصروف على عمارتها
الف الف درهم . وغرت بالأمير بكسر
الفتحة ، ثم عرفت بشار الأمير طاش ثم
حصن انصر . وهذه القلعة بقية الى وقتنا
هذا يترها لمره القلعة .

« قصر بكسر الساقى » : هذا القصر من
أعظم ماكن مصر ، ولجها قنرا وأحسنها
بيلا ، وموضع تحلة السكينة على يركة
الخي . أثناء الملك الناصر محمد بن قلاوون
سكن ليل لمره دوك الأمير بكسر الساقى ،
ووقل فيه أرض البيت التى أتاها الملك
الملك كبر .

وقصد أن يأخذ قلعة من يركة القلعة ليعم
بها الامتيل الذى للأمير بكسر بجوار هذا
القصر ، فبث الى قاضى القضاة شمس الدين
الحررى الحنفى ليحكم باستبدالها على قلعة
منجبة . فقتل من ذلك قنرا وتورعا ،
واجتمع بالسلطان وحده فى ذلك . فلما رأى
كرة ميل السلطان الى أخذ الأرض ، فغض
من المجلس مضيا ، وصار الى منزله .

قوسل القاضى كرم الدين الكبير ، فخر
الخواص ، الى سراج الدين الحنفى عن أمر
السلطان ، وقتل قنرا مصر متفردا على
القاهرة ، فحكم باستبدال الأرض فى غزة
وجب سنة سبع عشرة وسبعمائة ، فلم يلبث
سوى مئة شهرين ، ومات فى أول شهر
رمضان . فاستثنى السلطان قاضى القضاة
شمس الدين الحررى ، وأعاد الى ولايته .

وكل القصر والامتيل على هيئة قل ما
ولت لأعين مثله . بلغت الثقة على عماره

فى كل يوم مبلغ الف وخمسة درهم فقة ،
مع جاء العمل ... لأن الجبل التى تحصل
الحجارة من عند السلطان ، والحجارة أيضا
من عند السلطان ، والقلعة فى المصاره أهل
البحر القديون من الحايين .

وقدر لو لم يكن فى هذه المصاره جاء ولا
سفرة ، فكان مصروفها فى كل يوم مبلغ ثلاثة
آلاف درهم فقة . وأقاموا فى عماره مدة
عشرة أشهر ، فتجاوزت الثقة على عماره
بلغ الف الف درهم فقة ، عنها زيادة على
خمس الف دينار ، سوى ما حل وسوى
من سفر فى العمل وهو بنحو ذلك .

فلما تمت عماره سكة الأمير بكسر
الساقى ، وكان له فى اصطبله هذا مائة سكل
تدلى لثمة سائس ، كل سائس على ستة
نوروس خيل ، سوى ما كان له فى الحشرات
والنواحي من الخيل ، وكان من القرب يطلق
باب اصطبله ، فلا يصير لأحد به حى .

ولما تزوج أموك بن السلطان الملك الناصر
محمد بن قلاوون بآية الأمير بكسر الساقى ،
فى سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة ، خرج
تولوها من هذا القصر .

وكان عدة الحمالين ثمانمائة حمال :
المائة الزركش على أربعين حمالا عندها عشرة
سقاء ، والدورات ستة عشر حمالا ،
والكراسى اثنا عشر حمالا ، وكراسى لطاق
أربعة حمالين ، وقضيات تسعة وعشرون
حمالا ، وسلم الدكك أربعة حمالين ، والدكك
والنخوت الأبنوس المنقضة واللوشقة مائة
واثنين وستين حمالا ، والطحس الكفت ثمانية

وأربعين حمالا ، والحصنى ثلاثة وثلاثين حمالا ،
والزجاج المنجب اثني عشر حمالا ، والطحس
السلس اثني وعشرين حمالا ، والبليكي
المدهون اثني عشر حمالا ، والغوليجات
والحافى والزركش والطحس تسعة وعشرين
حمالا ، وصناديق الحوائج خاتمة ستة حمالين ،
وغير ذلك تسعة المدة ، والبغال المحملة القرش
والحف والبسط والصناديق التى فيها
للمصاغ تسعة وتسعين بغلا .

قال العلامة صلاح الدين خليل بن أيسك
الصفدى : قال لى المنجب الكتاب : الزركش
والمصاغ ثمانون قنارا بالمصرى ذهب .

ولما مات بكسر هذا صار هذا الوقت من
بعده من جلة أوقافه ، فتولى أمره وأمر سائر
أوقافه أولاده حتى انقرض أولاده وأولاد
أولاده ، فصار أمر الأوقاف الى ابن أخته ،
وهو أحمد بن محمد بن قرقى المعروف بأحمد
ابن بنت بكسر .

وهذا القصر فى غاية من الحسن ، ولا يتره
الا أعيان الأمراء ... الى أن كانت سنة سبع
عشرة وثمانمائة ، وكان المعرك غلبا عن مصر
مع الملك التويد شيخ فى محاربة الأمير نوروز
الحافى بدمشق ، عند هذا المذكور الى
القصر ، فأخذ رخامه وشبابيكه وكثيرا من
سقفه وأبوابه وغير ذلك ، وباع الجميع ،
وعمل بدل ذلك الرخام البلاط ، وبدل
الشبابيك الحديد بالخشب . وفطن به أعيان
الناس فقصده ، وأخذوا منه أصنافا عظيمة
بشن وبغير ثمن ، وهو الآن قائم البناء
يسكنه الأمراء .

(١٩) ص ١٢١ ، ذ. ب. ١٠

« الدار اليسرى » : هذه الدار بخط بين
القصرين من القاهرة . كانت فى آخر القلعة
القاضية ، لما قوت شوكة الفرنج ، قد أنعت
لن يجلس فيها من قصاد الفرنج عندها تقرر
الأمر معهم على أن يكون نصف ما يحصل
من مال البلد للفرنج ، فصار يجلس فى هذه
الدار قاصد معتبر عند الفرنج يقبض المال .

فلما زالت القلعة بالغز ، ثم زالت دولة بنى
أيوب ، وولى سلطة مصر الملوك من الترك ...
الى أن كانت أيام الملك الظاهر ركن الدين
يبرس الينقدارى ، شرع الأمير ركن الدين
يسرى الشمس الصالحى التجسى فى عمارتها
فى سنة تسع وخمسين وستائة ، وفاقى فى
عمارتها ، وبالح فى كنة المصروف عليها .

فأنكر الملك الظاهر ذلك من فعله ، وقال
له : يا أمير بدر الدين أى شيء خلعت للفرقة
والترك !

فقال : صفقات السلطان ، والله ياخوند ما
بيت هذه الدار الا حتى يصل خبرها الى بلاد
العدو ، ويقال بعض ممالك السلطان عسر
دارا غرم عليها مالا عظيما .

فأعجب من قوله ذلك السلطان ، وأتم عليه
بألف دينار عينا . وعد هذا من أعظم انعام
السلطان .

فجاء سنة هذه الدار باصطبلها ومساكنها
والحمام بجانبها نحو قنارين ، ورخامها من
أجج رخام عيل فى القاهرة وأحسنه صنعة ،
فكثرت تعجب الناس لذك من عظمها لما كان
فيه أمراء الدولة ورجالها حينئذ من الاقتصاد ،

حتى ان الواحد منهم اذا صار اميرا لا يتغير
عن دله التي كان يسكنها وهو من الاجناد .

وعندما كنت عابرة هذه الدار وقتها ،
واللهد عليه بوقتها التي وتسمى عدلا : من
يجتهد قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق
العيد ، وقاضي القضاة تقي الدين ابن بنت
الآثر ، وقاضي القضاة تقي الدين بن رزين ،
قبل ولايتهم القضاة في حال تحملهم الشهادة .

وما زالت يد ورثة يسرى الى سنة ثلاث
وقلتين وسبعماية . فتمت قس الامير
قوسون الى اخنها ، وسأل السلطان الملك
الناصر محمد بن قلاوون في ذلك ، فاذن له في
التحدث مع ورثة يسرى ، فأرسل اليهم
ووعدهم ومنهم وأرضاهم حتى أقتنوا له .

فبعث السلطان الى قاضي القضاة شرف
الدين الحراني الحنبلي . يتس من الحكم
باعتدالها ، كما حكم باستبدال بيت قاتل
السبع وحامه الذي أتا جامع بخط خارج
الباب الجديد من الشارع ، فأجاب الى ذلك .

وؤل اليها علاء الدين بن هلال الدولة شاد
الدواوين ومعه شهود القية . فتومت بمائة
ألف درهم وتسعين ألف درهم قرة ، وتكون
القيمة ثلاثم عشرة آلاف درهم قرة لتسم
الجلية مائتي ألف درهم قرة . وحكم قاضي
القضاة شرف الدين الحراني بيبها ، وكان
هذا الحكم ما شنع عليه فيه .

ثم اختلفت الأيدي في الاستيلاء على هذه
الدار ، واقتدى القضاة بعضهم ببعض في
الحكم باستبدالها . وآخر ما حكم به من

استبدالها في أعوام بضع وثلاثين وسبعماية ،
تصلت من جلة الأوقات الظاهرة يرتوق ،
وهي الآن يد ابنة يرم .

وكان لها باب يوابه من اعظم ما عمل من
البوابات بالاهرة ، ويتوصل الى هذه الدار
من هذا الباب ، وهو بجوار حمام يسرى من
شارع بين القصرين ، وقد بنى نجباء هذا
الباب حوائط حتى خفي ، وصار يدخل الى
هذه الدار من باب آخر بخط الخرشف .

« يسرى » : الأمير شمس الدين الشمس
الصالح اتجى ، أحد ممالك الملك الصالح
نجم الدين أيوب البحرية ، تنقل في الخدم
حتى صار من أجل الأمراء في أيام الملك الظاهر
بيبرس البندقداري ، واشتهر بالشجاعة
والكرم وظل الهمة .

وكانت له عدة ممالك وآتب كل واحد منهم
مائة رجل لحم ، وفيهم من له عليه في اليوم
مبلغ مئتي عقيقة لحيه ، وبلغ عقيق خيله
وخيل ماله في كل يوم ثلاثة آلاف عقيقة
سوى علف الجبال ، وكان يتم بالألف دينار
وبالخمسة غير مرة .

ولما فرق الملك العادل كتبها الممالك على
الأمراء ، بعث اليه بستين مملوكا ، فأخرج
اليهم في يومهم لكل واحد فرسين وبغلا .

وشكا اليه أستاذله كثرة خرجه ، وحسن
له الاقتصاد في النفقة ، فحقق عليه وعزله وأقام
غيره ، وقال : لا يرني وجهه أبدا . ولم يعرف
عنه أنه شرب الماء في كوز واحد مرتين ، وإنما
يشرب كل مرة في كوز جديد ، ثم لا يصادد
الشرب منه .

وتذكر عليه الملك المنصور قلاوون نسجه
في سنة ثمانين وستماية ، وما زال في نسجه
الى أن مات الملك المنصور ، وقام من بعده
ابنه الملك الأشرف خليل ، فأخرج عنه في سنة
الثنتين وتسعين وستماية ، بعد عوده من دمشق
بشاعة الأمير بيدرا والأمير منجر الشجاعى ،
أمر أن يحصل اليه تترف كامل ، ويكتب
له منشور بأمرة مائة فارس ، وأنه يلبس
الشرف من السجن .

فجهز الشرف ، وحمل اليه المنصور في
كيس حرير أبيض ، وعظم فيه تعظيا زائدا ،
وأتى عليه ثاء جسا ، وسار اليه بيدرا
والشجاعى والدوادار والأفرم الى السجن
ليشعوا في خدمته الى أن ينف بين يدي
السلطان . فامتنع من لبس الشرف ، والتم
بأيمان مغلفة أنه لا يدخل على السلطان الا
بقيده ولباسه الذي كان عليه في السجن .

وتسامعت الأمراء وأهل القلعة بخروجه ،
فهرعوا اليه . وكان لخروجه نهار عظيم ،
ودخل على السلطان ببقيدته ، فأمر به ففك
بين يديه ، وأفيض عليه الشرف ، فقبل
الأرض ، وأكرمه السلطان وأمره . فنزل الى
داره ، وخرج الناس الى رؤيته ، وسروا
بخلاصه .

فبعث اليه السلطان عشرين فرسا وعشرين
أكديشا وعشرين بغلا ، وأمر جميع الأمراء أن
يبعثوا اليه ، فلم يبق أحد حتى سير اليه
ما يقدر عليه من التحف والسلاح ، وبعث

(١٤) من ٦٦ ج ١ ، طبع بولاق .

اليه أمير سلاح الكي دينار عينا . وكانت مدة
سجته إحدى عشرة سنة وأشهر ، فصار يكتب
بعد خروجه من السجن يسرى الأشرفي بعدما
كان يكتب يسرى الشمسى .

وما زال الى أن تسلط الملك المنصور لاجين
فأخذ الأمير منكوتمر بغريه بالأمير يسرى
وبخونه منه ، وأنه قد تعين للسلطة . فسمه
كاشف الجيزة ، وأمره أن يحضر الخلعة يومى
الاثنتين والخميس بالقلعة ، ويجلس رأس
الهيئة تحت انقوائى حمام الدين بلال المعينى
لأجل كبره وتقدمه .

ثم زاد منكوتمر في الاغراء به والسلطة
تستلمه ، الى أن قبض عليه وسجنه في سنة
سبع وتسعين وستماية ، وأحاط بسائر
موجوده ، وحبس عدة من مماليكه . فر
منكوتمر بسكه سرورا عظيما .

واستر في السجن الى أن مات في تاسع
عشر شوال سنة ثمان وتسعين وستماية وعليه
ديون كثيرة ، ودفن بترته خارج باب النصر
رحمه الله تعالى .

« قصر بشتاك » : هذا القصر هو الآن
تجاه الدار البيرية . وهو من جلة القصر
الكبير الشرقى الذي كان مسكنا للخلفاء
القاسيين ، وبذلك اليه من الباب الذي كان
يعرف في أيام عبادة القصر الكبير في زمن
الخلفاء بباب البحر ، وهو يعرف اليوم بباب
قصر بشتاك تجاه المدرسة الكاملية .

وما زال الى أن اشتراه الأمير بدر الدين
بكاشى التخرى - المعروف بأمير سلاح -
وأثأ دورا واسطبلات ومساكن له ولحواليه

وصار يزول اليه هو والأمير بدر الدين يسرى عند انصرافهما من الخدمة السلطانية بقلمة الجبل في موكب عظيم زائد العتمة ، ويخل كل منهما الى داره . وكان موضع هذا القصر عدة مساجد ، فلم يتعرض لهدمها ، وأبقاها على ما هي عليه .

فلما مات أمير سلاح ، وأخذ الأمير قوصون الدار اليسرى كما تقدم ذكره ... أحب الأمير بشتاك أن يكون له أيضا دار بالقاهرة . وذلك أن قوصون وبشتاك كانا يتناظران في الأمور ، ويتضادان في سائر الأحوال ، ويقصد كل منهما أن يسامى الآخر ويريد عليه في التجمل .

فأخذ بشتاك يعمل في الاستيلاء على قصر أمير سلاح حتى اشتراه من ورثته ، فأخذ من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قطعة أرض كانت داخل هذا القصر من حقوق بيت المال ، وهدم دارا كانت قد أنشئت هناك عرفت بدار قطوان الباقي ، وهدم أحد عشر مسجدا وأربعة معابد كانت من آثار الخلفاء يسكنها جماعة الفقهاء ، وأدخل ذلك في البناء إلا مسجدا منها فإنه عسره ، ويعرف اليوم بسجد التجمل .

فجاء هذا القصر من أعظم مباني القاهرة ، فاق ارتفاعه في الهواء أربعون ذواعا ، وزول أساسه في الأرض مثل ذلك ، والماء يجري بأعلاه ، وله شبابيك من حديد تشرف على شارع القاهرة ، وينظر من أعلاه علما القاهرة والقلمة والنيل والبساتين . وهو مشرق جليل ، مع حسن بنائه ، وتأنق زخرفته ، والمبالغة في تزويجه وتزويجه .

وأما أيضا في أسفله حوائيت كان يساع فيها العلوي وغيرها ، فصار الأمر أخيرا كما كان أولا بتسمية الشارع بين القصرين . فإنه كان أولا - كما تقدم - بالقاهرة القصر الكبير الشرقي الذي قصر بشتاك من جعلته ، وتجاءه القصر الغربي الذي الخشتف من جعلته ، فصار قصر بشتاك وقصر يسرى وما بينهما من الشارع يقال له بين القصرين .

ومن لا علم له يظن أنما قيل لهذا الشارع بين القصرين لأجل قصر يسرى وقصر بشتاك ، وليس هذا بصحيح ، وإنما قيل له بين القصرين قبل ذلك من حين بنيت القاهرة ، فإنه كان بين القصرين : القصر الكبير الشرقي ، والقصر الصغير الغربي . وقد تقدم ذلك مشروحا مبينا .

ولما أكمل بشتاك بناء هذا القصر والحوائيت التي في أسفله ، والخان المجاور له في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، لم يبارك له فيه ولا تسع به ، وكان إذا زل اليه ينقبض صدره ، ولا تبسط نفسه ما دام فيه حتى يخرج منه فترك المجيء اليه ، فصار يتعاهده أحيانا فيمتريه ما تقدم ذكره ، فكرهه وباعه لزوجته بكتر الساقى .

وتداوله ورثتها الى أن أخذه السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، فاستقر بيد أولاده الى أن تحكم الأمير الوزير المشير جمال الدين الأستاذار في مصر ، أقام من شهد عند قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الخنفي بأن هذا القصر يضرب بالجدار والمار ، وأنه مستحق للإزالة والهدم كما عمل ذلك في غير موضع بالقاهرة .

فحكم له باستبدانه ، وصار من جملة أملاكه . فلما قتل الملك الناصر فرج بن برقوق ، استولى على سائر ما تركه ، وجعل هذا القصر فيما عينه للتربة التي أنشأها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر .

فاستمر في جملة أوقاف التربة المذكورة الى أن قتل الملك الناصر بدمشق في حرب الأمير * شيخ والأمير نوروز ، وقدم الأمير شيخ الى مصر هو والخليفة المستعين بأبيه العباسي ابن محمد ، وقف له من بقى من أولاد جمال الدين وأقاربه - وكان لأهل الدولة يومئذ بهم عناية - فحكم قاضى القضاة صدر الدين على بن آدمي الخنفي بارتجاع أملاك جمال الدين التي وقفها على ما كانت عليه ، فتسلمها أخوه ، وصار هذا القصر اليهم ، وهو الآن يدهم .

« قصر الحجازية » : هذا القصر بخط رجة باب العيد بجوار المدرسة الحجازية . كان يعرف أولا بقصر الزمرذ ، في أيام الخلفاء القاطنين ، من أجل أن باب القصر الذي كان يعرف بباب الزمرذ كان هناك ... كما تقدم ذكره في هذا الكتاب عند ذكر القصور .

فلما زالت الدولة القاطية ، صار من جملة ما صار بيد ملوك بني أيوب ، واختلفت عليه الأيدي الى أن اشتراه الأمير بدر الدين أمير مسعود بن خضير الحاجب من أولاد الملوك بني أيوب ، واستمر بيده الى أن رسم بتسفيره من مصر الى مدينة غزة ، واستقر نائب السلطنة

(١٤) من ٧٠٠ هـ ، ط. بولاق .

ما في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، وكاتب الأمير سيف الدين قوصون عليه وملكه إياه . فشرع في عمارة سبع قاعات ، لكل قاعة اصطبل ومنافع ومرافق ، وكانت مساحة ذلك عشرة أفدنة ، قامت قوصون قبل أن يتم بناء ما أراد من ذلك .

فصار يعرف بقصر قوصون الى أن اشترته خوند تر الحجازية ، ابنه الملك الناصر محمد ابن قلاوون وزوج الأمير ملكتر الحجازي ، فعمرته عمارة ملوكية ، وثابت فيه تائقا زائدا ، وأجرت الماء الى أعلاه ، وعملت تحت القصر اصطبلا كبيرا لخيول خدامها ، وساحة كبيرة يشرف عليها من شبابيك حديد ، فجاء شيئا عجيبا حسنه . وأنشأت بجواره مدرستها التي تعرف الى اليوم بالمدرسة الحجازية ، وجعلت هذا القصر من جملة ما هو موقوف عليها

فلما مات سكنه الأمراء بالأجرة الى أن عمر الأمير جمال الدين يوسف الأستاذار داره المجاورة للمدرسة السابقة ، وتولى أستاذارية الملك الناصر فرج ، صار يجلس برجة هذا القصر والمقعد الذي كان بها ، وعمل القصر سجنا يجس فيه من يعاقبه من الوزراء والأعيان . فصار موحشا يروع النفوس ذكره ، لما قتل فيه من الناس خنقا وتحت العقوبة ، من بعد ما أقام دهره وهو مفتى صابيات ، وملعب أثواب ، وموطن أقراح ، ودار عز ، ومنزل لهو ، ومحل أمانى النفوس ولذاتها .

ثم لما فحش كلب جمال الدين ، وشنع شره في اغتصاب الأوقاف ، أخذ هذا القصر

يتبعث منه من زخارفه ، وحكمه له قاضي القضاة كمال الدين عمر بن المصطفى الحنفى باستجابه - كما تقدم الحكم في ظاهره - تقع رخله ، فلما قتل صار مظلما ، وهم الملك الناصر فرج يثاق رها ، ثم اتى عزه عن ذلك .

فلما عزم على السير الى محاربة الأمير شيخ والأمر غرور في سنة أربع عشرة وثمانائة ، دل اليه الوزير صاحب سعد الدين إبراهيم بن البصري ، وقع شيايكة الحديد لتصل آلات حرب .

وهو الآن بغير رغام ولا شيايكة ، قائم على أمره لا يكاد يتبع به . الا أن الأمير الشيخ بشر الدين حسن بن محمد الأستاذ ، لما سكن في بيت الأمير جمال الدين ، جعل ساحة هذا القصر اصطفا لخيوله ، وصار يحبس في هذا القصر من يصاحبه أحياء .

وفي رمضان سنة عشرين وثمانائة ذكر الأمير فخر الدين عبد القنى بن أبى الفرج الأستاذ ، ما يجده المسجونون في السجن المستجد عند باب الفتوح بعد هدم خزافة شاذلي ، من شدة الضيق وكثرة القم ، فعين هذا القصر ليكون سجناً لأرباب الجرائم ، وأنهم على جهة وقف جمال الدين بمشقة آلاف درهم فلما عن أجرة ستين ، فشرعوا في عمله سجن ، وأزالوا كثيراً من معالقه ، ثم ترك على ما بقى فيه ولم يتخذ سجن .

« قصر يلبغا الجياوى » : هذا القصر موضعه الآن مدرسة السلطان حسن المظلة على الرملة تحت قلعة الجبل . وكان قصراً عظيماً أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ،

في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، يثاقه لسكن الأمير يلبغا الجياوى ، وكان يبنى أيضاً قصر يقابله يرسم سكنى الأمير الصبغا القاردينى ، ترايد رغبته فيهما وعظم معبته لهما ، حتى يكونا تجاهه ، وينظر اليهما من قلعة الجبل . فوكب بنفسه الى حيث سوق الخيل من الرملة تحت القلعة ، وسار الى حمام الملك السيد ، وجنى اصطبل الأمير أينغش أمير الخور - وكان تجاهها - ليمره هو وما يقابله قصرين متقابلين ، وضاف اليه اصطبل الأمير مائتر الساقى واصطبل الجوق ، وأمر الأمير قوصون أن يشتري ما يجاور اصطبله من الأملاك ، ويوسع في اصطبله ، وجعل أمر هذه العمارة الى الأمير أقبغا عبد الواحد . فوقع الهدم فيما كان بجوار بيت الأمير قوصون ، وزيد في الاصطبل ، وجعل باب هذا الاصطبل من تجاه باب القلعة المعروف باب السلسلة ، وأمر السلطان بالفتحة على العمارة من مال السلطان على يد النشو .

وكان للملك الناصر رغبة كبيرة في العمارة بحيث انه أقرد لها ديواناً ، وبلغ مصروفها في كل يوم اثني عشر ألف درهم قرة . وأقل ما كان يصرف من ديوان العمارة في اليوم ، يرسم العمارة ، مبلغ ثمانية آلاف درهم قرة .

فلما كثر الاهتمام في إنشاء القصرين المذكورين * ، وعظم الاجتهاد في عمارتهما ، صار السلطان ينزل من القلعة لكشف العمل ، وستحث على فراغهما .

وأول ما بدى به قصر يلبغا الجياوى ، فعمل أساسه حاضرة واحدة انصرف عليها

(١٨٠) مرآة ٧١ ج ١ ، طبع بولاق ٨

وحدها مبلغ أربعمائة ألف درهم قرة ، ولم يبق في القمامة ومصر مساح به تعلق في العمارة الا وعلى فيها حتى كمل القصر . فعاد في غاية الحسن ، وبلغت الفتحة عليه سبع أربعمائة ألف ألف وستين ألف درهم قرة : منها ثمن لازورد خامة مائة ألف درهم . فلما كملت العمارة دل السلطان لرؤيتها .

وحضر يومئذ من عند الأمير سيف الدين طرغى نائب حلب نقمة : من جعلها عشرة أزواج بسط أحدهم حريز . وعضة زواى من بلور ونحوه وخيل وبخاتى ، فأنهم بالجسيم على الأمير يلبغا الجياوى ، وأمر الأمير أقبغا عبد الواحد أن ينزل الى هذا القصر ، ومنه اخوان سائر برفقته وسائر أرباب الوظائف ، فعمل مهم . فبات النشو ناظر الخاص هناك لتعنية ما يحتاج اليه من اللحوم والتساول ونحوها .

فلما تهيأ ذلك حضر سائر أمراء الدولة من دول التهار ، وأقاموا بقصر يلبغا الجياوى في أكل وشرب ولهو . وفي آخر النهار حضرت اليهم التشارف السلطانية - وعدتها أحد عشر تشرفاً - يرسم أرباب الوظائف ، وهم الأمير أقبغا عبد الواحد ، والأستاذ ، والأمير قوصون الساقى ، والأمير بشتاك ، والأمير مقوودمر أمير مجلس في آخرين . وحضر بقية الأمراء خلق وأقبية على قدر مراتبهم .

فلبس الجميع التشارف والخلق والأقبية ، وأركبوا الخيول المحضرة اليهم من الاصطبل السلطاني بسروج وكسايش ما بين ذهب وقضة بحسب مراتبهم ، وساروا الى منازلهم .

ودفع في هذا اليوم ستتمائة راس غنم وأرصوص بقرة وعشرون فرساً ، وعسل فيه ستتمائة قطار سكر يرسم المشروب ... فأن القوم يومئذ لم يكونوا يتظاهرون بشرب الخمر ولا شيء من السكرات البتة ، ولا يحصر أحد على عمله في مهم البتة .

وما زالت هذه القمار باقية الى أن هدمها السلطان الملك الناصر حسن ، وأتت موضعاً مدرسته الموجودة الآن .

« اصطبل قوصون » : هذا الاصطبل بجوار مدرسة السلطان حسن ، وله بابان : باب من الشارع بجوار حاضرة البقر ، وبابه الآخر تجاه باب السلسلة الذى يتوصل منه الى الاصطبل السلطاني وقلعة الجبل . أنشأه الأمير علم الدين سنجر الجغتدار ، فأخذه من الأمير سيف الدين قوصون ، وصرف له ثلثه من بيت المال ، فزاد فيه قوصون اصطبل الأمير سنقر الطويل .

وأمره الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمارة هذا الاصطبل ، فبنى فيه كثيراً ، وأدخل فيه عدة عمار ما بين دور واصطبلات ، فجاء قصراً عظيماً الى الغاية ، وسكنه الأمير قوصون مدة حياة الملك الناصر .

فلما مات السلطان ، وقام من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر ، عمل عليه قوصون وخلفه ، وأقام بعده بدله الملك الأشرف كجك ابن الملك الناصر محمد . فلما كان في سنة اثنين وأربعين وسبعمائة ، حدث في شهر رجب منها فتنة بين الأمير قوصون وبين الأمراء وكبيرهم أينغش أمير الخور ، فنادى

أيدغش في العامة : ياكسابة ، عليكم باصطبل
قوصون انهوه ... هذا وقوصون محصور
بقلعة الجبل .

فأقبلت العامة من السوال والغلمان والجند
الى اصطبل قوصون ، فمتهم المالك الدين
كانوا فيه ، ورموهم بالنشاب ، وأتلفوا منهم
عدة . فثارت مسايلك الأمير يلغا اليحاوي
من أعلى قصر يلغا - وكان بجوار قصر
قوصون حيث مدرسة السلطان حسن -
ورموا مسايلك قوصون بالنشاب حتى انكفوا
عن رمي النهاية .

فاقتحم غوغاه الناس اصطبل قوصون ،
واتهبوا ما كان بركاب خاناته وحواسله ،
وكسروا باب القصر بالفوس ، وصعدوا اليه
بعد ما تسلقوا الى القصر من خارجه .
فخرجت مسايلك قوصون من الاصطبل يدا
واحدة بالسلاح ، وشقوا القاهرة ، وخرجوا
الى ظاهر باب النصر يريدون الأمراء الواصلين
من الشام .

فأنت النهاية على جيسع ما في اصطبل
قوصون من الخيل والروج وحواصل المال
التي كانت بالقصر ، وكانت تشتمل من أنواع
المال والقماش والأواني الذهب والفضة على
ما لا يحصى ولا يعد كثرة . وعندما خرجت العامة
بما نهبته ، وجدت مسايلك الأمراء والأجناد
قد وقفوا على باب الاصطبل في الرميلا لانتظار
من يخرج ، وكان اذا خرج أحد بشيء من
النهب أخذه منه أقوى منه ، فان امتنع من
إعطائه قتل .

واحتل النهاية أكياس الذهب ، وتروها في
الدعاليق والطرق ، وشتروا بجواهر نفيسة

وذخائر ملوكية وأمتعة جليلة القدر وأسلحة
عظيمة وأقشة مشنة ، وجروا البسط الرومية
والأمدية وما هو من عمل الشرف ، وتقاتلوا
عليها ، وقطعوها قطعاً بالسكاكين وتقاوسوها ،
وكسروا أواني البلور والصيني ، وقطعوا
سلاسل الخيل الفضة والروج الذهب
والفضة وفكوا اللحم ، وقطعوا الخيم وكسروا
الخزكاوات ، وأتلفوا سترها وأغشيتها الأملس
والزرككت .

وذكر عن كاتب قوصون أنه قال : أما
الذهب المكيس والفضة فكان ينف على
أربعمائة ألف دينار . وأما الزركش والحوايص
والمصبات ، ما بين خوانات وأطباق فضة
وذهب ، فانه فوق * المائة ألف دينار ، والبلور
والمصاغ المعمول برسم النساء فانه لا يحضر .
وكان هناك ثلاثة أكياس أملس فيها جواهر قد
جمعه في طول أيامه لكثرة شغفه بالجواهر لم
يجمع مثله ملك ، كان ثمنه نحو المائة ألف
دينار .

وكان في حاصله عدة مائة وثمانين زوج
بسط ، منها ما طوله من أربعين ذراعاً الى ثلاثين
ذراعاً عمل البلاد ، وستة عشر زوج من عمل
الشرف بصر ، ثمن كل زوج اثنا عشر ألف
درهم نقرة ، منها أربعة أزواج بسط من حرير .
وكان من جملة الخام نوبة خام جميعها أملس
معدني قصب ... جيسع ذلك نهب وكسر
وقطع . وانحط سعر الذهب بديار مصر عقيب
هذه النهبة من دار قوصون ، حتى بيع المثقال
بأحد عشر درهما لكثرتة في أيدي الناس ،
بعدما كان سعر المثقال عشرين درهما .

(٣) ص ٧٢ ج ٢ ، طه بلاق .

ومن حينئذ تلاشى أمر هذا القصر لزوال
رخامه في النهب ، وما برح مسكننا لاكابر
الأمراء ، وقد اشتهر أنه من الدور المشنومة ،
وقد أدركت في عرى غير واحد من الأمراء
سكنه ، وآل أمره الى ما لا خير فيه . ومن
سكنه الأمير بركة الزنبي ، ونهب نهبته
فاحشة ، وأقام عدة أعوام خراباً لا يسكنه
أحد ثم أصلح ، وهو الآن من أجل دور
القاهرة .

« دار أرغون الكاملى » : هذه الدار
بالجسر الأعظم على بركة الفيل . أنشأها الأمير
أرغون الكاملى في سنة سبع وأربعين
وسبعمائة ، وأدخل فيها من أرض بركة الفيل
عشرين ذراعاً .

« أرغون الكاملى » : الأمير سيف الدين
قائب حلب ودمشق . تبنى الملك الصالح
اسماعيل بن محمد بن قلاوون ، وزوجه أخته
من أمه ، بنت الأمير أرغون العلاني ، في سنة
خمس وأربعين وسبعمائة ، وكان يعرف أولاً
بأرغون الصغير .

فلما مات الملك الصالح ، وقام من بعده
في مملكة مصر أخوه الملك الكامل شعبان بن
محمد بن قلاوون ، أعطاه امرأة مائة وتقدمة
ألف ، ونهى أن يدعى أرغون الصغير ، وتسمى
أرغون الكاملى .

فلما مات الأمير قطليجا الحموى في نيابة
حلب ، رسم له الملك الناصر حسن بن محمد
ابن قلاوون نيابة حلب ، فوصل اليها يوم
الثلاثاء حادى عشر شهر رجب سنة خمسين
وسبعمائة ، وعمل النيابة بها على أحسن ما

يكون من العزلة والمهابة ، وهابه التركمان
والعرب ، ومشت الأحوال به .

ثم جرت له فتنة مع أمراء حلب ، فخرج في
نفر يسير الى دمشق ، فوصلها لثلاث بقين من
ذى الحجة سنة إحدى وخمسين ، فأكرمه
الأمير أيتمش الناصرى قائب دمشق ، وجهزه
الى مصر ، فأنعم عليه السلطان وأعادته الى
نيابة حلب .

فأقام بها الى أن عزل أيتمش من نيابة دمشق
في أول سلطنة الملك الصالح صالح بن محمد
ابن قلاوون ، فنقل من نيابة حلب الى نيابة
دمشق ، فدخلها في حادى عشر شعبان سنة
اثنين وخمسين وأقام بها ، فلم يصف له بها
عيش ، فاستغنى فلم يجب ، وما زال بها الى
أن خرج يلغا روس وحضر الى دمشق ،
فخرج الى لد ، واستولى يلغا روس على
دمشق .

فلما خرج الملك الصالح من مصر ، وسار
الى بلاد الشام بسبب حركة يلغا روس ، تلقاه
أرغون وسار بالعاكر الى دمشق ، ودخل
السلطان بعده وقد فر يلغا روس ، فقلده
نيابة حلب في خامس عشر شهر رمضان ،
وعاد السلطان الى مصر .

فلم يزل الأمير أرغون بحلب ، وخرج منها
الى الأبلستين في طلب ابن دلفادر ، وحرقها
وحرق قراها ، ودخل الى قيصرية ، وعاد الى
حلب في رجب سنة أربع وخمسين .

فلما خلع الملك الصالح بأخيه الملك الناصر
حسن في شوال سنة خمس وخمسين ، طلب
الأمير أرغون من حلب في آخر شوال . فحضر

الى مصر ، وعمل أمير مائة مقدم الف الى تاسع
صفر سنة ست وخسين ، فأسك وحل
الى الاسكندرية ، واعتقل فيها وعنده
زوجته . ثم نقل من الاسكندرية الى القدس ،
فأقام بها بطلا ، وبني هناك قرية ، ومات بها
يوم الخميس لخمس بقين من شوال سنة
ثمان وخسين وسبعائة .

« دار طاز » : هذه الدار بجوار المدرسة
البنية ليرة تجاه حمام القاراني ، على يمين
من ملك من الصلية يريد حجرة البقر وباب
زويلة . أنشأها الأمير سيف الدين طاز في
سنة ثلاث وخسين وسبعائة ، وكان موضعها
عدة مساكن هدمها يرضي أربابها وبغير
رضاهم ، وتولى الأمير متجك عمارتها ،
وصار يقف عليها بنفسه حتى كملت ، فجاءت
قصرًا مشيدًا واصطبلًا كبيرًا ، وهي باقية الى
يومنا هذا يسكنها الأمراء .

وفي يوم السبت سابع عشر جمادى الآخرة
سنة أربع وخسين ، عمل الأمير طاز في هذه
الدار ولاية عظيمة حضرها السلطان الملك
الصالح صالح وجميع الأمراء . فلما كان وقت
انصرافهم قدم الأمير طاز للسلطان أريسة
أقرس بسروج ذهب وكايش ذهب ، وقدم
للأمير سنجر فرسخ كذلك ، وللأمير صرغتمش
فرسخ ، ولكل واحد من أمراء الألو فوسا
كذلك . ولم يمض قبل هذا أن أحدا من ملوك
الأنراك نزل الى بيت أمير قبل الصالح هذا .
وكان يوما مذكورا .

« طاز » : الأمير سيف الدين أمير مجلس .
اشتهر ذكره في أيام الملك الصالح استاعيل ،
ولم يزل أميرًا الى أن خلق الملك الكامل

شعبان وأقيم المقبر حاجي ، وهو أحد الأمراء
السة أرباب الحل والمقد . فلما خلق الملك
المقبر ، وأقيم الملك الناصر حسن ، زادت
وجاهته وحرته .

وهو الذي أسك الأمير يلغا روس في
طريق الحجاز ، وأسك أيضا الملك المجاهد
سيف الاسلام على بن المؤيد صاحب بلاد
اليمين بسكة ، وأحضره الى مصر . وهو الذي
قام في غوة السلطان حسن لما خلق ، وأجلس
للك الملك الصالح صالح على كرسى الملك .

وكان يلبس في درب الحجاز عباءة وسرقولا
ويختفي نفسه ليتجسس على أخبار يلغا
روس . ولم يزل على حاله الى ثاني شوال
سنة خمس وخسين وسبعائة ، فخلق الصالح
وأعيد الناصر حسن ، فأخرج طاز الى نيابة
حلب وأقام بها .

« دار صرغتمش » : هذه الدار بخط بئر
الوطايط ، بالقرب من المدرسة الصرغتمشية
المجاورة لجامع أحمد بن طولون من شارع
الصلية . كان موضعها مساكن ، فاشتراها
الأمير صرغتمش ، وبنها قصرًا واصطبلًا في
سنة ثلاث وخسين وسبعائة ، وحل اليه
الوزراء والكتاب والأعيان من الرخام وغيره
شيئًا كبيرًا . وقد ذكر التعريف به عند ذكر
المدرسة الصرغتمشية من هذا الكتاب في ذكر
المدارس .

وهذه الدار عامرة الى يومنا هذا ، يسكنها
الأمراء ، ووقع الهدم في القصر خاصة في شهر
ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

(٣٠) من ٧٢ ج ٢ ط - بولاق

« دار الماس » : هذه الدار بخط حوض ابن
حسن ، فيما بينه وبين حدة البقر ، بجوار
جامع الماس . أنشأها الأمير الماس الحاجب ،
واعتسى برخامها عناية كبيرة ، واستدعى به
من البلاد .

فلما قتل في صفر سنة أربع وثمانين
وسبعائة ، أمر السلطان الملك الناصر محمد
ابن قلاوون بقطع ما في هذه الدار من الرخام ،
فقطع جميعه ونقل الى القلعة . وهذه الدار
باقية الى يومنا هذا ينزلها الأمراء .

« دار جهادر المقدم » : هذه الدار بخط
الباطلية من القاهرة . أنشأها الأمير الطواشي
سيف الدين جهادر ، مقدم المالك السلطانية
في أيام الملك الظاهر بركات .

وبهادر هذا من ممالك الأمير يلغا ، وأقام
في مقدمة المالك جميع الأيام القاهرة ، وكثر
ماله ، وطال عمره حتى هرم ، ومات في أيام
الملك الناصر فرج ، وهو على امرته وفي
وظيفته مقدمة المالك السلطانية ، يوم الأحد
سابع عشر رجب سنة اثنين وثمانمائة .

وموضع هذه الدار من جملة ما كان احترق
من الباطلية في أيام الملك الظاهر بيبرس ، كما
تقدم في ذكر حارة الباطلية عند ذكر الحارات
من هذا الكتاب . ولما مات المقدم بهادر
استقرت من بعده منزلا للأمراء الدولة ، وهي
باقية على ذلك الى يومنا هذا .

« دار الست شقراء » : هذه الدار من
جملة حارة كتامة ، وهي اليوم بالقرب من
مدرسة الوزير صاحب كريم الدين بن غنام
بجوار حمام كراي ، وهي من الدور الجليلة .

عرفت بخوند الست شقراء ابنة السلطان الملك
الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، وتزوجها
الأمير روس ، ثم انحط قدرها وانضمت في
نفسها الى أن ماتت في يوم الثلاثاء ثامن عشر
جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وسبعائة .

« دار ابن عنان » : هذه الدار بخط الجامع
الأزهر . أنشأها نور الدين على بن عنان
التاجر بقيارية جهاركن من القاهرة ، وتاجر
الخاص الشريف السلطاني في أيام الملك
الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن
قلاوون .

كان ذا ثروة ، ونعمة كبيرة ، ومال متسع .
فلما زالت دولة الأشرف أجمع وداخله وهم ،
أظهر فاقة ، وتذكر أنه دفن مبلغًا كبيرًا من
الآلف مثقال ذهب في هذه الدار ، ولم يعلم
به أحد سوى زوجته أم أولاده . فاتفق أنه
مرض وخرس ، ومرضت زوجته أيضا ،
فمات يوم الجمعة ثامن عشر شوال سنة تسع
وثمانين وسبعائة ، وماتت زوجته أيضا .

فأسف أولاده على فقد ماله ، وحفروا
مواضع من هذه الدار فلم يفتقروا بشيء
ألبتة ، وأقامت مدة بأيديهم وهي من وقف
أيهم ، ومات ولده شمس الدين محمد بن على
ابن عنان يوم السبت تاسع صفر سنة ثلاث
وثمانمائة ، ثم ياعوها سنة سبع عشرة وثمانمائة
كما بيع غيرها من الأوقاف .

« دار جهادر الأعسر » : هذه الدار بخط
بين السورين ، فيما بين سويقة المسعودي من
القاهرة وبين الخليج الكبير الذي يعرف اليوم
بخليج اللؤلؤة . كان مكانها من جملة دار

الذهب التي تقدم ذكرها في ذكر منظر الخلفاء من هذا الكتاب ، والى يومنا هذا بجوار هذه الدار قبو ، فيما بينها وبين الخليج ، يعرف بقبر الذهب من جملة آباء دار الذهب ، ويرى الناس من تحت هذا القبو .

بشار هذا هو الأمير سيف الدين بشار الأعرس الحيواي . كان مشرقا بسطخ الأمير سيف الدين فجا الأمير شكار ، ثم صار زردكش الأمير الكبير يلغا الخاصكي ، وولي بعد ذلك مهتار السلطان بشار الضيافة ، وولي وظيفة شد الدواوين .

الى أن قدم الأمير يلغا الناصري نائب حلب بعاكر الشام الى مصر ، وأزال دولة الملك الظاهر برقوق في جمادى سنة إحدى وتسعين وسبعائة ، قبض عليه وقام من القاهرة الى غزة ، ثم عاد بعد ذلك الى القاهرة ، وأقام بها الى أن مات بهذه الدار في يوم عيد الفطر سنة ثمان وتسعين وسبعائة ، وحسرت تركته وكان فيها عدة كتب في أنواع من العلوم .

وهذه الدار باقية الى يومنا هذا ، وعلى بابها بئر بجانبها حوض . يسلا لشرب الدواب منه .

« دار ابن رجب » : هذه الدار من جملة أراضي البستان الذي يقال له اليوم الكافوري كان اسطبلًا للأمير علاء الدين علي بن كلفت التركماني شاد الدواوين فيما بين داره ودار الأمير تنكر نائب الشام . فلما استقر ناصر الدين محمد بن رجب في الوزارة ، أنشأ هذا

(١٨) من ٧ ج ١ ، طبع في ١٩٠٧

الاصطبل متعلما صار يجلس فيه وقصر كبيرا ، واستولى من بعده على ذلك كله أولاده .

فلما عمر الأمير جمال الدين يوسف الاستادار مدرسته بخط رجلة باب العيد ، أخذ هذا القصر والاصطبل في جملة ما أخذ من أملاك الناس وأوقافهم . فلما قتله الملك الناصر فرج ، واستولى على جميع ما خلفه ، أفرد هذا القصر والاصطبل فيما أفرد للمدرسة المذكورة ، فلم يزل من جملة أوقافها الى أن قتل الملك الناصر فرج ، وقدم الأمير شيخ نائب الشام الى مصر .

فلما جلس على تخت الملك ، وتلقب بالملك المؤيد في غرة شعبان سنة خمس عشرة وثمانائة ، وقف اليه من بقى من أولاد علاء الدين علي بن كلفت ، وهما امرأتان كانت احدهما تحت الملك المؤيد قبل أن يلي نيابة طرابلس ، وهو من جملة أمراء مصر في أيام الملك الظاهر برقوق ، وذكرنا أن الأمير جمال الدين الاستادار أخذ وقف أيهما بغير حق ، وأخرجتا كتاب وقف أيهما .

فقوض أمر ذلك لقاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقيني الشافعي ، فلم يجد يبيد أولاد جمال الدين مستدا ، فقضى بهذا المكان لورثة ابن كلفت ، وبقيته على ما وقفه حسبما تضمنه كتاب وقفه . فتسلم مستحقو وقف ابن كلفت القصر والاصطبل ، وهو الآن بأيديهم ، ويستم ويبن أولاد ابن رجب نزاع في القصر فقط .

« محمد بن رجب » بن محمد بن كلفت : الأمير الوزير ناصر الدين . نشأ بالقاهرة على طريقة مشكورة ، فلما استقر ناصر الدين محمد بن الحسام الصفدي شاد الدواوين ، بعد انتقال الأمير جمال الدين محسود بن علي من شد الدواوين الى استادارية السلطان في يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعائة ، أقام ابن رجب هذا استادارا عند الأمير سودون باق ، وكانت أول مباشراته .

ثم ولي شد الدواوين بعد الأمير ناصر الدين محمد بن أقبا آص في ثامن شهر رمضان سنة اثنين وتسعين ، فبأمر ذلك الى أن صرف بابن أقبا آص في سابع عشر ذي الحجة ، وعوض في شد الدواوين بشد دواليب الخاص عوضا عن خاله الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام عند انتقاله الى الوزارة .

فلم يزل الى أن توجه الملك الظاهر برقوق الى الشام ، وأقام الأمير محسود الاستادار . فقدم عليه ابن رجب بكتاب السلطان وهو مختوم ، فإذا فيه أن يقبض على ابن رجب ، ويلزمه بحمل مبلغ مائة وستين ألف درهم نقرة . فقبض عليه في رابع شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ، وأخذ منه مبلغ سبعين ألف درهم نقرة .

فلما كان في يوم الاثنين رابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ، صرف السلطان عن الوزارة صاحب موفق الدين أبا الفرج ، واستقر بابن رجب في منصب الوزارة وخلع عليه . فلم يغير زى الأمراء ، وبأمر الوزارة

على قالب ضخمة وناموس مهابة ، وصار أميراً وزيرا مدير الممالك .

وسلك سيرة خاله الوزير ناصر الدين محمد ابن الحسام في استخدام كل من بأمر الوزارة ، فأقام صاحب سعد الدين بن نصر الله بن البقرى ناظر الدولة ، والصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام ناظر اليسوت ، والصاحب علم الدين عبد الوهاب بن ابرة مستوفى الدولة ، والصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبي شاعر رفيقا له في استيفاء الدولة .

وأعظم عليه بامرة عشرين فارسا في سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين . فلم يزل على ذلك ، الى أن مات من مرض طويل في يوم الجمعة لأربع بقين من صفر سنة ثمان وتسعين وسبعائة وهو وزير من غير لكبة ، فكانت جنازته من الجنائز المذكورة . وقد ذكرته في كتاب « دور العقود القريفة في تراجم الأعيان المفيدة » .

« دار القليجي » : هذه الدار من جملة خط قصر بشتاك ، كانت أولا من بعض دور القصر الكبير الشرقي ، الذي تقدم ذكره عند ذكر قصور الخلفاء ، ثم عرفت بدار جمال الكفاة .

وهو القاضي جمال الدين ابراهيم ، المعروف بجمال الكفاة ، ابن خالة النشو ناظر الخاص . كان أولا من جملة الكتاب النصارى فأسلم ، وخدم في بستان الملك الناصر محمد بن قلاوون - الذي كان مبيدانا للملك الظاهر بيبرس بأرض اللوق - ثم خدم في ديوان الأمير بيدمر البدرى .

فلما عرض السلطان دواوين الأمراء ، واختار منهم جماعة ، كان من جملة من اختاره السلطان جمال الكفاة هذا ، فجعله مستوفيا الى أن مات المهذب كاتب الأمير يكثر الساقى ، فولاه السلطان مكانه في ديوان الأمير يكثر ، فخدمه الى أن مات ، فخدم بديوان الأمير بشتاك . الى أن قبض الملك الناصر على النشو ناظر الخاص ، ولأه وظيفة نظر الخاص بعد النشو ، ثم أضاف اليه وظيفة نظر الجيش بعد المكين بن قزوين عند غلبه عليه ومصادرته .

فباشر الوظيفتين الى أن مات الملك الناصر ، فاستمر في أيام الملك المنصور أبى بكر والملك الأشرف كجك والملك الناصر أحمد . فلما ولي الملك الصالح اسماعيل ، جعله مشير الدولة مع ما بيده من نظر الخاص والجيش - وكان الوزير اذ ذاك الأمير نجم الدين محمود وزير بغداد - وكتب له توقيع باستقراره في وظيفة الاشارة .

فعظم أمره ، وكثر حاده الى أن قبض عليه وضرب بالمقارع ، وخلق ليلة الأحد سادس شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين وسبعمئة ، ودفن بجوار زاوية ابن عيود من القرافة ، وكانت مدة نظره في الخاص خمس سنين وشهرين تنقص أياما . وكان مليح الوجه ، حسن العبارة ، كثير التصرف ذكيا ، يعرف باللسان التركي ويتكلم به ، ويعرف باللسان النوبى والتكرورى .

ولم تزل هذه الدار بغير تكملة الى أن قرأ القاضي شمس الدين محمد بن أحمد

(١٠) سنة ٧٥٠ هـ ، ط. بولاق .

القليجي الحنفى . كان أولا يكتب على ميفة الغزل وهى يومئذ مضنة لديوان السلطان ، ثم اتصل بقاضى القضاة سراج الدين عمر بن اسحاق الهندى وخدمه ، فرفع من شأنه واستأنبه فى الحكم .

فميب ذلك على الهندى ، وقال فيه شمس الدين محمد بن محمد الصائغ الحنفى :

ولما رأينا كاتب المكس قاضيا علمنا بأن الدهر عاد الى ورا فقلت لصحبى ليس هذا تمجيبا

وهل يجلب الهندى شيئا سوى الخرا

وولى افتاء دار العلم ، وناب عن القضاة فى الحكم بعد مباشرة توقيع الحكم عدة سنين . فعظم ذكره ، وبعد صيته ، وصار يتوسط بين القضاة والأمراء فى حوائجهم ، ويخدم أهل الدولة فيما يعين لهم من الأمور الشرعية .

فصار كثير من أمور القضاة لا يقوم به غيره . حتى لقد كان شيخنا الأستاذ قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون يسميه دريد بن الصمة ... يعنى أنه صاحب رأى القضاة ، كما أن دريد بن الصمة كان صاحب رأى هوازن يوم حنين .

فلما فخم أمره أخذ هذه الدار ، وقد تم بناء جدرانها ، فرخمها وزخرفها وبيضاها ، فجاءت فى أعظم قالب وأحسن هندام وأبهج زى ، وسكنها الى أن مات يوم الثلاثاء لعشرين من شهر رجب سنة سبع وتسعين وسبعمئة بعدما وقفا ، فاستمرت فى يد أولاده مدة الى أن أخذها الأمير جمال الدين يوسف الأستاذار كما أخذ غيرها من الدور .

« دار بهادر المعزى » : هذه الدار بدرب راشد المجاور لخزانة البود من القاهرة . عمرها الأمير سيف الدين بهادر المعزى

كان أصله من أولاد مدينة حلب من أبناء التركمان ، واشتراه الملك المنصور لاجين قبل أن يلى سلطنة مصر وهو فى لياحة السلطنة بدمشق ، فترقى حتى صار أحد أمراء الألوف الى أن مات فى يوم الجمعة تاسع شعبان سنة تسع وثلاثين وسبعمئة عن ابنتين : احدهما تحت الأمير أسد مر المعزى ، والأخرى تحت مملوكه أقتمر .

وترك مالا كثيرا : منه ثلاثة عشر ألف ألف دينار ، ومستمئة ألف درهم لقرة ، وأربعمئة فرمن ، وثلاثمئة جمل ، ومبلغ خمسين ألف اردب غلة ، وثمان حوايص ذهب ، وثلاث كلونات زركش ، واثني عشر طراز زركش وعقارا كثيرا . فأخذ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جميع ما خلفه .

وكان جميل الصورة ، معروفا بالفروسية ، ورعى فى القبق الشباب يمينه ويساره ، ولعب الرمح لعبا جيدا . وكان لين الجانب ، حلو الكلام ، جميل العشرة ... الا أنه كان مقترا على نفسه فى مأكله وسائر أحواله لكثرة شحه ، بحيث انه اعتقل مرة فجمع من راتبه الذى كان يجرى عليه وهو فى السجن مبلغ اثني عشر ألف درهم لقرة ، أخرجها معه من الاعتقال .

« دار طينال » : هذه الدار بخط الخرامين ، فى داخل الدرب الذى كان يعرف بخربة صالح ، كان موضعها وما حولها فى الدولة

سنين وشهرين تنقص الذى كان يعرف بخربة صالح ، كان موضعها وما حولها فى الدولة القاطية مارستانا .

وانشأ هذه الدار الأمير طينال أحد ممالك الناصر محمد بن قلاوون . أقامه ساقيا ، ثم عمله حاجبا صغيرا ، ثم أعطاه أمرة دكتور ، وجعله أمير مائة مقدم ألف . فباشر ذلك مدة .

ثم أخرجه لنيابة طرابلس فأقام بها زمانا ، ثم نقله الى نيابة صند ، فمات بها فى ثالث شهر ربيع سنة ثلاث وأربعين وسبعمئة .

وكان ترى الجنس ، قصيرا الى الغاية ، مليح الوجه ، مشكورا فى أحكامه ، مجبا لجمع المال شحيا . وهذه الدار تشتمل على قائمتين متجاورتين ، وهى من الدور الجبلية . ولطينال أيضا قيسارية بسوقة أمير الجيوش .

« دار الهرماس » : هذه الدار كانت بجوار الجامع الحاكمى من قبله ، شارعة فى رجة الجامع ، على يسرة من يمر الى باب النصر . عمرها الشيخ قطب الدين محمد بن المقدسى ، المعروف بالهرماس ، وسكنها مدة .

وكان أثيرا عند السلطان الملك الناصر الحسن بن محمد بن قلاوون ، له فيه اعتقاد كبير . فعظم عند الناس قدره ، واشتهر فيما بينهم ذكره . الى أن دبت بينه وبين الشيخ شمس الدين محمد بن النقاش عقارب الحسد ، فسعى به عند السلطان الى أن تغير عليه وأبعده .

ثم ركب فى يوم ، سنة احدى وستين وسبعمئة ، من قلعة الجبل بمساركه الى باب زويلة . فعندما وصل اليه ترجل الأمراء كلهم

عن خيولهم ، ودخلوا مشاة من باب زويلة كما هي العادة ، وصار السلطان راكبا بفردة وابن النقاش أيضا راكب بجانبه ، وسائر الأمراء والمماليك مشاة في ركابه على ترتيبهم * ، إلى أن وصل السلطان إلى المارستان المنصوري بين القصرين ، فنزل إليه ودخل القبة ، وزار قبر أبيه وجده وأخوته ، وجلس .

وقد حضر هناك مشايخ العلم والقضاة ، فتذاكروا بين يديه مسائل علمية ، ثم قام إلى النظر في أمور المرضى بالمارستان ، فدار عليهم حتى انتهى غرضه من ذلك ، وخرج فركب وصار نحو باب النصر ، والناس مشاة في ركابه إلا ابن النقاش فإنه راكب بجانبه ، إلى أن وصل إلى رجة الجامع الحاكمي ، فوقف تجاه دار الهرماس وأمر بهدمها ، فهدمت وهو واقف ، وقبض على الهرماس وابنه ، وضرب بالمقارع عدة شيوخ ، وتقى من القاهرة إلى مصيف .

فقال الامام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى في ذلك :

قد ذاق هرماس الخسارة
من بعد عز وجساره
حب البهتان يبقى
أخرب الله دياره

فلما قتل السلطان في سنة اثنتين وستين ، عاد الهرماس إلى القاهرة ، وأعاد بعض داره .

فلما كانت سنة ثمانين وسبعمائة ، صارت هذه الدار إلى الأمير جمال الدين عبد الله بن

(*) من ٧٧٠ هـ ، طه بولاق .

بكتسر الحاجب ، فأنشأها قاعة وعدة حوائث وربما علو ذلك ، وانتقل من بعده إلى أولاده ، وهو بأيديهم إلى اليوم .

« دار أوحده الدين » : هذه الدار بداخل درب السلامي ، في رجة باب العيد مقابل قصر الشوك ، وإلى جانب المارستان العتيق الصلاحي . كان موضعها من حقوق القصر الكبير ، وصار أخيرا طاحوتا ، فهدمها القاضي أوحده الدين عبد الواحد أيام كان يباشر توقيع الأمير الكبير برقوق بعد سنة ثمانين وسبعمائة .

فلما حفر أساس هذه الدار ، وجد فيه هيئة قبة معقودة من لبن ، وفي داخلها انسان ميت قد بليت أكفانه ، وصار عظما فخرا ، وهو في غاية طول القامة يكون قدر خمسة أذرع ، وعظام ساقيه خلاف ما عهد من الكبير ، ودماعه عظيم جدا .

فلما كملت هذه الدار سكنها أيام مباشرته وظيفة كتابة السر إلى أن مات بها ، وقد حبسها على أولاده ، فاستمرت بأيديهم إلى أن أخذها منهم الأمير جمال الدين يوسف الأستاذ دار ، كما أخذ غيرها من الأوقاف ، فاستمرت في جملة ما بيده إلى أن قتله الملك الناصر فرج ، فقبضها فيما قبض مما خلفه جمال الدين .

فلما قتل الملك الناصر فرج ، واستقل الملك المؤيد شيخ بملكة مصر ، استرجع أولاد جمال الدين ما كان أخذه الناصر من أملاك جمال الدين ، وصارت بأيديهم إلى أن وقف له أولاد أوحده الدين في طلب دار أبيهم ، فعقد لذلك مجلس اجتمع فيه القضاة ، فبين

أن الحق بيد أولاد أوحده الدين ، ففرض بإعادة الدار إلى ما وقفها عليه أوحده الدين ، فتسلمها أولاد أوحده الدين من ورثة جمال الدين ، وهي الآن بأيديهم .

« عبد الواحد » : بن اسماعيل بن ياسين الحنفى ، أوحده الدين كاتب السر ، ولد بالقاهرة ، ونشأ بها في كنف قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن علي التركماني الحنفى لصهاره كانت بين أبيه وبين التركمانية ، وباشر توقيع الحكم مدة .

واتفق أن أميراً من أمراء الملك الأشرف شعبان بن جسين ، يعرف يونس الرماح ، مات . فادعى برقوق العشاني ، أحد المماليك اليلغاوية ، أنه ابن عم يونس هذا ، وأنه يستحق ارثه لموته عن غير ولد ، وحضر إلى المدرسة الصالحية بين القصرين - حيث يجلس القضاة للحكم بين الناس - حتى ثبت ما ادعاه .

فلما أراد الله من اسماعيل جد أوحده الدين ، لم يقف برقوق على أحد من موقعي الحكم إلا عليه ، وأخبره بما يريد . فبادر إلى توريق سؤال باسم برقوق ، وانهاه أنه ابن عم يونس الرماح ، وأن عنده بيعة تشهد بذلك ، ودخل بهذا السؤال إلى قاضي القضاة ، وأنهى العمل حتى ثبت أن برقوق ابن عم يونس يستحق ارثه .

فلما فرغ من ذلك دفع برقوق إلى أوحده الدين مبلغ دراهم أجرة توريقه ، كما هي عادة أهل مصر في هذا ، فامتنع من أخذها ، وألحف برقوق في سؤاله وهو يستع . فتقلد له برقوق

المنة بذلك ، واعتقد أماته ونخيره ، وصار - لكثرة ركوبه إليه - إذا قدم فلاحوا إقطاعه يعثهم إليه حتى يعاسبهم عما حلوه من الخراج .

فلما قتل الملك الأشرف ، وثارت المماليك وكان من أمرهم ما كان ... إلى أن تغلب برقوق ، وصار من جملة الأمراء ، واستولى على الاصطبل السلطاني في شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، وصار أمير الخور أقام أوحده الدين موقفا عنده .

وما زال أمر برقوق يزداد قوة حتى أنيطت به أمور المملكة كلها ، فصار أوحده الدين صاحب الحل والعقد ، وكاتب السر بدر الدين محمد بن علي بن فضل الله اسما لا معنى له ... إلى أن جلس الأمير برقوق على تخت المملكة في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، فقرر القاضي أوحده الدين في وظيفة كتابة السر عوضا عن ابن فضل الله ، وخلص عليه في يوم السبت ثاني عشر شوال من السنة المذكورة . فباشر كتابة السر على القالب الجائر ، وضبط الأمور أحسن ضبط ، وعكف سائر الناس على يابه لتمكنه من سلطانه .

وكان الأمير يونس الدوادار يرى أنه أكثر الناس من الأمراء تمكينا من السلطان ، وجزت العادة * بانتفاء كاتب السر إلى الدوادار . فأحب أوحده الدين الاستبداد على الأمير يونس الدوادار ، فقال للسلطان سرا في غيبة يونس : أن السلطان يرسم بكتابة مهمات الدولة وأسرار المملكة إلى البلاد الشامية

(*) من ٧٧٠ هـ ، طه بولاق .

وغيرها ، والأمير الدوادار يريد من الملوك أن يطلع على ذلك ، فلم يقدر الملوك على مخالفته ، ولا أمكنه اعلامه الا باذن .

فاتفق السلطان من ذلك ، وقال : العذر أن يطلع على شيء من مهمات السلطان أو أسرار .

فقال : أخاف منه ان سأل ولم أعلمه .

فقال السلطان : ما عليك منه .

فراى أنه قد تمكن حينئذ فأمسك أياما .

ثم أراد الازدياد من الاستبداد ، فقال للسلطان سرا : قد رسم السلطان ألا يطلع أحد على سر السلطان ، ولا يعرف بما يكتب من المهمات ، وطائفة البريدية كلهم يشنون في خدمة الدوادار ، فإذا اقتضت آراء السلطان تفسير أحد منهم في مهم ، يحتاج الملوك الى استدعائه من خدمة الأمير الدوادار ، فإذا التمس منى أنى أخبره بالمعنى الذى توجه فيه البريدى لا أقدر على اعلامه بذلك ، ولا آمن ان كتمه . وانصرف .

فلما كان من الغد ، وطلع الأمراء الى الخدمة على العادة ، قال السلطان للأمير يونس الدوادار : أرسل البريدية كلهم الى كاتب السر ليسوا ويركبوا معه . فلم يجد بدا من إرسالهم ، وحصل عنده من إرسالهم المقيم المتعد .

فصار البريدية يركبون نوبا في خدمة أوحد الدين ، ويتصرف في أمور الدولة وحده مع سلطانه . فانفرد بالكلمة ، وخضع له الخاص والعام . الا أنه نفص عليه في نفسه ،

ومرض مرضا طويلا سقطت معه شهوة الطعام بحيث أنه لم يكن يشتهى شيئا من الغذاء ، وتووع له المآكل بين يديه لكن تيل نفسه الى شيء منها ، ومتى تناول غذاء تقياه في الحال .

وما زال على ذلك الى أن مات عن سبع وثلاثين سنة ، في يوم السبت ثانى ذى الحجة سنة ست وثمانين وسبعمائة ، ودفن خارج باب النصر . فلم يتأخر أحد من الأمراء والأعيان عن جنازته .

وكان حسن السياسة ، رضى الخلق ، عاقلا ، كثير السكون ، جيد السيرة ، جميل الصورة ، حسن الهيئة ، عارفا بأمر دينه ، محبا للمداراة ، صاحب باطن ، قليل العلم . رحمه الله .

« ربيع الزيتى » : هذا الربيع كان بجوار قنطرة الحاجب التى على الخليج الناصرى ، وكان يشتل على عدة مساكن ينزلها أهل الخلاعة للقصف . فانه كان يشرف من جهاته الأربع على رياض وبساتين .

ففى شرقه غيط الزيتى وقد خرب وموضعه اليوم بركة ماء . وفى غريبه غيط الحاجب بيرس - وأدركه عامرا ، وهو اليوم مزارع بعد ما كان له باب كبير بجانبه حوض ماء للسيل ، وعليه سياج من ملين دائر به - ومن قبلى هذا الربيع الخليج وقنطرة الحاجب والجنيحة التى بأرض الطبالة . ومن بحريه بساتين تتصل بالبلع وكوم الرش .

وما زال هذا الربيع معمورا باللذات ، أهلا بكثرة المسرات ... الى أن كانت سنة الفقرة

— وهى سنة خمس وخمسين وسبعمائة — فحرب دور كوم الرش وغيرها ، ووصل ماء النيل الى قنطرة الحاجب ، فغرب ربيع الزيتى ، وأهل أمره ، حتى صار كوما عظيما ، تجاء قنطرة الحاجب وغيظ الحاجب . وسمعت من أدركه يخبر عن هذا الربيع بعجائب من الملاذ التى كانت فيه .

وكانت العامة تقول في هزلها : متى أين كنتى وأين رحتى وأين جيتى . قالت : من ربيع الزيتى .

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكانها وكأنهم أحلام « الدار التى فى أول البرقية من القاهرة التى حيطانها حجارة بيض منحوتة » : هذه الدار بقى منها جدار على يمين من سلك من المشهد الحسينى يريد باب البرقية ، وبقى منها أيضا جدار على يمين من سلك من رجة الأيدمرى الى باب البرقية . وهى دار الأمير صبيح بن شاهنشاه ، أحد أمراء الدولة الفاطمية فى أيام الصالح طلائع بن رزك ، وكانت فى غاية الكبر والتحسين .

قال بعض أصحاب الصالح : يامولانا أبقاك الله حتى تتم دار ابن شاهنشاه .

وكان الضرغام ، قبل أن يلى وزارة مصر ، قد فرس العادل أبا شجاع رزك بن الصالح طلائع بن رزك ، فظهر منه فارسا فى غاية الفروسية ، بحيث أنه قد حضر فى يوم عيد الحلقة ، وأخذ رمحا وحرية وقوسا وسهما ، فأخذ الحلقة بالرمح ، ورمى بالسهم فأصاب الغرض ، وحذف بالحرية فأثبتها فى المرمى ،

ولعب بالرمح فى غاية الحسن . ثم دخل صبيح ابن شاهنشاه ، فسل مثل ذلك .

فتحرك الضرغام — وكان يلبس عمامة بمذبة وأكمام واسعة على زى المصيرين يومئذ — فتلثم بمذبة ، ولف أكمامه ، وأخذ رمحه ، ولعب به فى غاية الحسن ، وطرده كذلك ، ودخل فى الحلقة وأخذها .

فمجب منه كل من فى الصكر ، فأخذ عند ذلك الأمير صبيح بن شاهنشاه المبخرة ، وأنى اليه وقال : يامولاي كفاك الله أمر العين ، فان هذا شيء ما يقدر عليه أحد . وجعل يدور حول فرسه ويخفه ، والضرغام يتسم ويمعجه ذلك .

وبعد هذا كان قتل ابن شاهنشاه على يده فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، ولم تكل هذه الدار .

« دار التمر » : هذه الدار بمدينة مصر من خارجها ، فيما انحصر * عنه ماء النيل بعد الخمسمائة من سنى الهجرة ، وتعرف اليوم بصناعة التمر ، تجاء الصاغة بخط سوق المعاريج ، ومن جملتها بيت برهان الدين ابراهيم الحلى ومدرسته . وهذه الدار وقفها القاضى عبد الرحيم بن على اليمسانى على فكالك الأسرى من المسلمين ببلاد الفرنج .

قال القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر فى كتاب « الدر النظيم فى أوصاف القاضى الفاضل عبد الرحيم » : ومن جملة بناءه دار التمر بمصر المحروسة ، ولها دخل عظيم يجمع ويشترى به الأسرى من بلاد

الفرنج ، وذلك مستمر الى هذا الوقت . وفي كل وقت يحضر بالأسارى فيلبون ويطوفون ويدعون له ، وسمعتهم مرارا يقولون : « يا الله يارحم يارحم ، ارحم القاضي الفاضل عبد الرحيم » .

وقال القاضي جمال الدين بن شيث : كان للقاضي الفاضل ربع عظيم يؤجره بمبلغ كبير ، فلما عزم على الحج ركب ، ومر به ووقف عليه ، وقال : « اللهم انك تعلم ان هذا الخان ليس شيء أحب الى منه (أو قال أعز على منه) ، اللهم فاشهد ألى وقفه على فكاك الأسرى من بلاد الفرنج » .

وقال ابن المتوج : ومن جملة الأوقاف الوقف الفاضلى . وهو الدار المشهورة بصناعة ألتز ، الوقف على فكاك الأسرى من يد العدو ، المشتلة على مخازن وأخصاص وشون ومنازل علوية وحوانيت بسجازها وظاهرها ، وهى اثنا عشر حانوتا ، وخمسة مقاعد ، وثمانية وخسون مخزنا ، وخمسة عشر خصا ، وست قاعات وساحة ، وست شون ، وخمسة وسبعون منزلا ، وخمسة مقاعد علوية ... الأجرة عن ذلك جميعه ، الى آخر شعبان سنة تسع وثمانين وستمائة ، فى كل شهر ألف ومائة وستة ثلاثون درهما نقرة . واستجد بها القاضي جمال الدين الوجيزى خليفة الحكم بمصر ، حين كان ينظر فى الأوقاف ، دارا من ربع الوقف فاكلها البحر ، فأمر ببناء زريبة أمامها من مال الوقف .

« عبارة أم السلطان » : هذه العمارة من جملة المنحر . كانت دارا تعرف بالأمير جمال الدين أيدغدى العزى ، ولها باب من الدرب

الأسفر الذى هو الآن تجاه خانقاه بيرس ، وباب من الحارين تجاه الجامع الأقمر . عرفت هذه الدار بالأمير مظفر الدين موسى الصالح على بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألتى ، ثم خربت فأنشأتها خوند أم الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، وجعلت منها قيسارية بخط الركن المخلوق يباع بها الجلود ، ويعملوها ربع جليل لكن العامة يشتمل على عدة طباق ، ووقفت ذلك على مدرستها بخط التبانة خارج باب زويلة .

فلم تزل جارية فى وقفها الى أن اغتصبها الوزير الأمير جمال الدين يوسف الأستادار فيما أخذ من الأوقاف ، وجعلها وقفا على مدرسته بخط رجة باب العيد من القاهرة .

وجعلت خوند بركة من جملة هذه الدار قاعة لم يعمر فيها سوى بوابتها لا غير ، وهى أجل بوابات الدور ، وقد دخلت أيضا فيما أخذه جمال الدين ، وصارت بيد مباشرى مدرسته الى أن أخذها السلطان الملك الأشرف أبو العزى برسباى الدقماقى الظاهرى ، وأبتدأ بعملها وكالة فى شوال سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، فكملت فى رجب سنة ست وعشرين ، وغير من الطراز المنقوش فى الحجارة بجانبى باب الدخول اسم شعبان بن حسين وكتب برسباى ، فجاءت من أحسن المبانى ، ويعملوها طباق للسكنى .

ولم يسخر فى عمارتها أحد من الناس كما أحدثه ولاية السوء فى عمارتهم ، بل كان العمال من البنائين والفعلة ونحوهم يوفون أجورهم من غير عنف ولا عسف ، فانه كان

القائم على عمارتها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيش ، وهذه عادته فى أعماله ألا يكلف فيها العمال غير طاعتهم ، ويدفع اليهم أجورهم . والله أعلم .

ذكر الحمامات

قال ابن سيده : الحمام والحميم والحمية جميعا الماء الحار ، والحمية أيضا المخص اذا سخن ، وقد أحمه وحمه ، وكلما سخن فقد حم .

قال ابن الأعرابى : والحمام جمع الحميم الذى هو الماء الحار . وهذا خطأ لأن فعلا لا يجمع على فعائل ، وانما هو جمع الحمية الذى هو الماء الحار لفة فى الحميم مذكر ، وهو أحد ما جاء من الأسماء على فعال نحو القذاف والبيان ، والجمع حمامات .

قال سيبويه : جمعوه بالآلف والتاء وان كان مذكرا حيث لم يكرر ... جعلوا ذلك عوضا من التكسير .

والاستحمام الاغتسال بالماء الحار ، وقيل هو الاغتسال بأى ماء كان ، والحميم العرق ، واستحم الرجل عرق .

وأما قولهم لداخل الحمام اذا خرج « طاب حميمك » فقد يعنى به العرق ، أى طاب عرقك . واذا دعى له بطيب العرق فقد دعى له بالضحة ، لأن الصحيح يطيب عرقه .

وروى عن سفيان الثورى أنه قال : مادهم ينفعه المؤمن هو فيه أعظم أجرا من درهم

يعطيه صاحب حمام ليخليه له . قال محمد بن اسحاق فى كتاب « المبتدى » : ان أول من اتخذ الحمامات والطلاء بالنورة سليمان بن داود عليهما السلام ، وانه لما دخل ووجد حميه قال : « أواه من عذاب الله أواه » .

وذكر المسحى فى تاريخه أن العزيز « بالله نزار بن المعز لدين الله أول من بنى الحمامات بالقاهرة .

وذكر الشريف أسعد الجوائى ، عن القاضي القضاعى ، أنه كان فى مصر القسطنط ألف ومائة وسبعون حماما .

وقال ابن المتوج : ان عدة حمامات مصر فى زمنه بضع وسبعون حماما .

وذكر ابن عبد الظاهر أن عدة حمامات القاهرة الى آخر سنة خمس وثمانين وستمائة تقرب من ثمانين حماما . وأقل ما كانت الحمامات ينفد ، فى أيام الخليفة الناصر أحمد بن المستنصر ، نحو الألتى حمام .

« حماما السيدة العمة » : قال ابن عبد الظاهر : حماما الكافى يعرفان بحمامى السيدة العمة ، وانتقلتا الى الكامل بن شاور ، ثم الى ورثة الشريف بن ثعلب ، وهما الآن بأيديهم ، ولا تدور الا الواحدة .

وهاتان الحمامان كانتا على ينة من يدخل من أول حارة الروم ، تجاه ربع الحاجب ، المعروف الآن بربع الزياتين ، علو التندق الذى باب به سوق الشوايين . وكانت احدهما برسم الرجال ، والأخرى برسم النساء ، وقد خربتا ولم يبق لهما أثر ألبته .

« حمام السباط » : قال ابن عبد الظاهر : كان في القصر الصغير باب يعرف بسباط السباط . كان الخليفة في العيد يخرج منه الى الميدان - وهو الخرشف الآن - الى المنحدر لينحرف فيه الضحايا .

قلت : حمام السباط هذا يعرف في زمنا بحمام المارستان المنصوري ، وهو برسم دخول النساء عند باب سر المارستان المنصوري . وهذا الحمام هو حمام القصر الصغير الغربي ، ويعرف أيضا بحمام الصنية .

فلما زالت دولة الخلفاء الفاطميين من القاهرة ، باعها القاضي مؤيد الدين أبو المنصور محمد بن المنذر بن محمد العدل الأنصاري الشافعي ، وكيل بيت المال في أيام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، للأمير عز الدين أيك العزيزي ، هي وساحات تحاذيها ، بألف ومائتي دينار في ذي الحجة سنة تسعين وخمسمائة .

ثم باعها الأمير عز الدين أيك للشيخ أمين الدين قيمار بن عبد الله الحموي التاجر بألف ومستمائة دينار ، فورثها من بعده من استحق ارثه ، ثم اشترى من الورثة نصفها الأمير الفارس صارم الدين خطيبا الكامل العادلي في سنة سبع وثلاثين ومستمائة ، وانتقلت أيضا منها حصة الى ملك الأمير علاء الدين أيديكين البندقداري الصالح النجمي ، أستاذار الملك الظاهر بيبرس ، في سنة ثمان ومبشرين ومستمائة .

فلما تملك الملك المنصور قلاوون الألفي ، وأنشأ المارستان الكبير المنصوري ، صارت فيما هو موقوف عليه ، وهي الآن في أوقافه ، ولها شهرة في حمامات القاهرة .

« حمام لؤلؤ » : هذه الحمام برأس رجة الأيدمرى ملاسقة لدار السناني . أنشأها الأمير حمام الدين لؤلؤ الحاجب في أيام ...

« حمام الصنية » : هذه الحمام كانت بالقرب من خزانة البنود ، على يسرة من سلك في رجة باب العيد الى قصر الشوك ، وقد خربت وعمل في موضعها مبيضة للغزل بالقرب من الجمالية .

« حمام تر » : هذه الحمام كانت بخط دار الوزارة الكبرى ، وقد خربت وصار مكانها دارا عرفت بالأمير الشيخ علي ، وهي الدار المجاورة للمدرسة النابلسية في الزقاق المقابل للخانقاه الصلاحية سعيد السعداء .

و « تر » هذا - بتأوين مفتوحين كل منهما منقوط بنقطتين من فوق - أحد ممالك أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . استولى على هذه الحمام ، وكانت معدة لدار الوزارة في مدة الدولة الفاطمية ، فعرفت به وما حولها . والى الآن يعرف ذلك الخط بخط خرائب تر ، والعامه تقول : خرائب التر بالتعريف ، وهو خطأ .

« حمام كرجي » : هذه الحمام كانت بخط خرائب تر أيضا ، في جوار المدرسة النابلسية تجاه باب الخانقاه الصلاحية . عرفت بالأمير علم الدين كرجي الأسدي ، أحد الأمراء الأسدية في أيام السلطان صلاح الدين يوسف

ابن أيوب . وقد خربت هذه الحمام ، وبني في مكانها هذا البناء الذي تجاه باب الخانقاه بأول الزقاق .

« حمام كيلة » : هذه الحمام كانت داخل باب الخوخة برأس سوقة الصاحب . عرفت أخيرا بالأمير صارم الدين ساروج شاد الدواوين ، ثم خربت في أيام ومكانها الآن مسط يذبح فيه الغنم وتسط .

« حمام ابن أبي الدم » : هذه الحمام كانت فيما بين سوقة المسعودي وباب الخوخة . أنشأها ابن أبي الدم اليهودي ، أحد كتاب الانشاء في أيام الخليفة الحاكم ، وتولى ابن خيران الديوان ، وتقل عنه أنه وسع بين السطور في كتاب كبه الى الخليفة وهذه مكتابة الأعلى الى الأدنى . فلما حضر وأفكر عليه ، ألحق بين السطر والسطر سطرا مناسبا للفظ والمعنى من غير أن يظهر ذلك ، فمفعا عنه .

وقد خربت ، وصار مكانها دربا فيه دور يعرف بسكن القاضي بدر الدين حسن البرديني أحد خلفاء الحاكم العزيزي الشافعي . وأدركت بعض آثار هذه الحمام .

« حمام الحصينة » : هذه الحمام كانت في سوقة الصاحب من داخل درب الحصينة ، الذي يعرف اليوم بدرب ابن عرب ، وقد خربت .

« حمام الذهب » : هذه الحمام كانت بدار الذهب ، إحدى مناظر الخلفاء الفاطميين التي ذكرت في المناظر من هذا الكتاب ، وقد خربت هذه الحمام ولم يبق لها أثر * .

(*) من ٨٠ - ج ٢ - ط ١ - بولاق

« حمام ابن قرقة » : هذه الحمام كانت بخط سوقة المسعودي من حارة زويلة . أنشأها أبو سعيد بن قرقة الحكيم ، متولي الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح في الدولة الفاطمية ، بجوار داره التي تقدمت في الدور من هذا الكتاب .

ثم عرفت هذه الحمام في الدولة الأيوبية بالأمير صارم الدين المسعودي والى القاهرة ، المنسوب اليه سوقة المسعودي المذكورة في الأسواق من هذا الكتاب .

ثم خربت هذه الحمام ، وعمل في موضعها فندق عرف أخيرا بفندق عمار الحمامي بجوار جامع ابن المغربي من جانبه الغربي ، وأخذت بتر هذه الحمام فعملت للحمام التي تعرف اليوم بحمام السلطان .

« حمام السلطان » : هذه الحمام يتوصل اليها الآن من سوقة المسعودي ومن قنطرة الموسكى ، وهي من الحمامات القديمة . عرفت في الدولة الفاطمية بحمام الأوحده ، ثم عرفت في الدولة الأيوبية بحمام ابن يحيى ، وهو القاضي المفضل هبة الله بن يحيى العدل ، ثم عرفت بحمام الطيرسي ، ثم هي الآن تعرف بحمام السلطان .

« حمام خولد » : هذه الحمام بجوار رجة نخوند المذكورة في الرحاب من هذا الكتاب . وكانت يرسم الدار التي تعرف الآن بدار خولدة أردتكنين ، ثم أفردت وصارت الى الآن حماما يدخله عامة الرجال في أوائل النهار ، ثم تعقبهم النساء من بعد ... الى أن هدمها الأمير صلاح الدين محمد أستاذار السلطان ابن الأمير

الوزير صاحب بكتو الدين حسن بن نصر الله
في شهر رجب سنة أربع وعشرين وثمانمائة ،
وصل موضعها من بجلة داره التي هناك .

« حمام ابن عبود » : هذه الحمام موضعها
فيما بين اصطبل الجيزة ، المذكور في
اصطبلات الخلفاء من هذا الكتاب ، وبين رأس
حارة زوطة ، وهي من الحمامات القديمة .
عرفت بحمام القلك ، وهو القاضي فلك الملك
العاقل ، ثم عرفت بالأمير علي بن أبي
القوارس .

ثم عرفت بابن عبود . وهو الشيخ نجم
الدين أبو علي الحسين بن محمد بن اسماعيل
ابن عبود القرشي الصوفي ، مات في يوم الجمعة
ثالث عشر شوال سنة اثنين وعشرين
وسبعمائة ، بعد ما عظم قلوه ، وتقد في أرباب
الدولة فيه وأمره . وهو صاحب الزاوية
المعروفة بزاوية ابن عبود بلحف الجبل قريبا
من الدينوري من القرافة ، فانظرها في الزوايا
من هذا الكتاب .

ولم تزل هذه الحمام جارية في أوقاف التربة
المذكورة الى أن تسلط الأمير جمال الدين
على أموال أهل مصر . فاعتصب ابن أخته
الأمير شهاب الدين أحمد ، المعروف بسيدي
أحمد ابن أخت جمال الدين ، هذه الحمام ،
واغتصب دار ابن فضل الله التي تجاه هذه
الحمام ، واعتصب آدرا آخر بجوارها ، وعمر
هناك دارا عظيمة كما قد ذكر في الدور من
هذا الكتاب .

« حمام صاحب » : هذه الحمام بسوق
الصاحب . عرفت بالصاحب الوزير صفي

الدين عبد الله بن شكر الثوري ، صاحب
المدرسة الصحابية التي بسوقه صاحب ، ثم
تمت مدة سنين . فلما ولي الأمير تاج الدين
الشويكي ولاية القاهرة في أيام الملك المؤيد
شيخ يندما ، وأدار بها الماء في سنة سبع
عشرة وثمانمائة .

« حمام السلطان » : هذه الحمام كان
موضعها قديما من بجلة دار الدياج ، وهي
الآن بخط بين العواميد من البندقيين ،
بجوار خوخة سوق الجوار ومدرسة سيف
الاسلام . أنشأها الأمير فخر الدين عثمان بن
قزل أستاذار السلطان الملك الكامل محمد
ابن العادل أبي بكر بن أيوب ، وتقلت الى
أن صارت في أوقاف الملك الناصر محمد بن
قلاوون .

« حماما طغريك » : هاتان الحمامان بجوار
فندق فخر الدين بالقرب من سوق حارة
الوزيرية . أنشأها الأمير حمام الدين طغريك
المهراني أحد الأمراء الأيوبيين .

« حمام السوباشي » : هذه الحمام كانت
بدرج ملائح بخط الخروقيين الذي يعرف
اليوم بسوق الفرائين . عرفت بالأمير الفارس
حمام الدين أبو سعيد يرغش السوباشي ،
واسمه عمرو بن كحت بن شيرك العزيزي ،
والي القاهرة .

« حمام عجينة » : هذه الحمام كانت بخط
الأكفانيين . أنشأها الأمير فخر الدين ، أخو
الأمير عز الدين موسك ، في الدولة الأيوبية ،
وتقلت حتى صارت بيد أولاد الملك الظاهر
بيبرس البندقداري مما أوقف عليهم ، وعرفت

أخيرا بحمام عجينة ، ثم خربت بعد سنة أربعين
وسبعمائة ، وموضعها الآن خربة بجوار
الفندق الكبير المعد لديوان الموارث .

« حمام دري » : هذه الحمام كانت بخط
الأكفانيين الآن . عرفت بشهاب الدولة دري
الصغير غلام المظفر بن أمير الجيوش .

قال الشريف محمد بن أسعد الجواني في
كتاب « النقط لمعجم ما أشكل من الخطط » :
شهاب الدولة دري - المعروف بالصغير
المظفري - غلام المظفر أمير الجيوش . كان
أرميا وأسلم ، وكان من المشددين في مذهب
الامامية ، وقرأ الجصل في النحو للزجاجي ،
وكتاب اللع لابن جني .

وكانت له خرائط من القطن الأبيض في
يديه ورجليه ، وكان يتولى خرائن الكسوة ،
ولا يدخل على بسط السلطان ولا بسط
ال خليفة الحافظ لدين الله ، ولا يدخل مجلسه
الا بتلك الخرائط في رجليه ، ولا يأخذ من
أحد شيئا الا وفق يديه خريطة .

يظن أن كل من لمسه نجسه ... وسوسة
منه . فاذا اتفق أنه صافح أحدا ، أو مس رقعة
بيده من غير خريطة ، لا يمس ثوبه بها أبدا
حتى يغسلها ، فإن لمس ثوبه بها غسل الثوب .
وكان الأستاذون المحضون يرمون له في بساط
ال خليفة الحافظ العنب ، فاذا مشى عليه وانقجر
ووصل مأؤه الى رجليه سيهم وحرد . فيعجب

(١٠) من ٨١ جزء ، طبع بولاق

ال خليفة من ذلك ويضحك ، ولا يؤاخذ بما
صدر منه . ومات بعد سنة ثلاث وثلاثين
وخسائة .

وقد خربت هذه الحمام ، ولم يبق لها أثر
يعرف .

« حمام الرصاصي » : هذه الحمام كانت
بحارة الديلم . أنشأها الأمير سيف الدين
حسين بن أبي الهيجاء المرواني ، حامل السيف
المنصور ، وأوقفها هي وجميع الآدر المجاورة
لها على أولاده وذريته . فلما زالت الدولة
الفاطمية ، عرفت بالأمير عز الدين أيك
الرصاصي ، ولم تزل باقية الى بعد سنة
أربعين وسبعمائة ثم خربت .

« حمام الجيوشي » : هذه الحمام كانت
بحارة برجوان ، على ينة من دخل من رأس
الحارة ، وكانت من حقوق دار المظفر ابن أمير
الجيوش ، ثم صارت بعد زوال الدولة الفاطمية
من جملة ما أوقفه الملك العادل أبو بكر ابن
أيوب على رباطه الذي كان يخط النخالين من
فسطاط مصر . ثم وضع بنو الكوكب ، أصهار
قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة ،
أيديهم عليها في جملة ما وضعوا أيديهم عليه
من الأوقاف بحارة ابن جماعة ، واتفصوا
بربعها مدة سنين ، ثم خربوها بعد سنة
أربعين وسبعمائة .

وموضعها الآن بجوار دار قاضي القضاة
شمس الدين محمد الطرابلسي ، وبعضها داخل
في الدار المذكورة ، وبئرها بجوار القبو الذي
يسلك من تحته الى حمام الرومي داخل حارة
برجوان ، ويعلم هذا العقد حاصل الماء الذي

للحمام ، ويمر على مجراه من حجرة مركبة على جدار بجوار القبو الى الحمام المذكورة ، وآثار هذا الجدار باقية الى اليوم .

وكان قد استاجر هذه البئر والقبو بعد تعطل الحمام القاضي أبو الفداء تاج الدين اسماعيل بن أحمد بن الخطباء المخزومي ، من مباشرى أوقاف رباط العادل ، وبنى على البئر وبجوارها دارا سكنها مدة أعوام ، وأنشأ بأعلى حاصل الماء المركب على القبو مشرفا عاليا تأتى في ترخيمه ودهانه ، وكتب بدائرته :

مسترف كم شبهوه الأدبا

لحنه اذ جاء شيئا عجبا

فقال قوم قلعة مبنية

وآخرون شبهوه مرقبا

وشاعر أعجبه ترخيمه

فقال تلك روضة فوق الربا

وقائل ماذا ترى تشبيهه

فقلت هذا منبر ابن الخطباء

ثم خربت هذه الدار بعد موت ابن الخطباء واحترقت في سنة تسع وثمانمائة ، وآثارها باقية . وما زال ابن الخطباء يدفع حكر هذه البئر وهذا القبو لجهة الرباط العادلي حتى خرب ، وغنى أثره وجهل مكانه . وقد رأيت في سنة أربع وتسعين وسبعمائة عامرا .

« حمام الرومى » : هذه الحمام بجوار حارة برجوان . عرفت بالأمير سنقر الرومى الصالحى ، أحد الأمراء في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ، أنشأها

بجوار اصطبله الذى يعرف اليوم باصطبل ابن الكويك ، وذلك نجاه رجبة داره التى عرفت بدار مازان ، ووقف هذه الدار والاصطبل والحمام المذكورة في سنة اثنتين وستين وستمائة .

فأما الدار قالها صارت أخيرا بيد رجل من عامة الناس يعرف بعبى البناء ، فباعها أنقاضا بعدما خربها في سنة سبع وثمانمائة لرجل من المباشرين ، فهدمها ليعمرها عمارة جلييلة ، فلم يمهل وعاجله القضاء فمات وصارت خربة ، فابتاعها بعض الناس من ورثة المذكور ، وشرع في عمارة شيء منها .

وأما الاصطبل والحمام ، فوضع بنو الكويك أيديهم عليهما مدة أعوام حتى صاروا ملكا لهم يورثان ، وهما الآن بيد شرف الدين محمد بن محمد بن الكويك ، وقد جعل ما يخصه من الحمام وقفا على نفسه ثم على أناس من بعده .

وفي هذه الحمام حصة أيضا وقفها شيخنا يرهان الدين ابراهيم الشامى الضرير على أمته وهى بيدها .

« سنقر الرومى » الصالحى النجمى : أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب البحرية . ترقى عنده في الخدم حتى صار جامدار ، وكان من خوشداسية بيبرس البندقدارى وأصدقائه .

فلما قتل الفارس أقطاي في أيام المعز أيك التركمانى ، وخرج البحرية من القاهرة الى بلاد الشام ، كان سنقر ممن خرج ورافق

بيبرس ، وارتفق بصحبته ونال منه مالا وثيابا وغير ذلك ، وتنقل معه في الكرك ... الى أن كان من أمره في الصيد مع صاحب الكرك ، فطلب سنقر من بيبرس شيئا فلم يجبه ، وامتنع من إعطائه ، فعشق وفارقه الى مصر فقام بها .

ثم إن بيبرس قدم الى مصر بعد ذلك وقد صار أميرا ، فلم يعبأ سنقر به ، ولا قدم اليه شيئا كعادة خوشداسية . فلما صار الأمر الى بيبرس ، وملك بعد قتل ، قدم سنقر وأعطاء * الاقطاعات الجلييلة ونوه بقدره فلم يرض ، فصار اذا ورد عليه الانعام السلطاني لا يأخذه بقبول ، ويخلو كل وقت بجماعة بعد جماعة ، ويفرق فيهم المال ، فيبلغ ذلك السلطان ويعضى عنه ، وربما بعث اليه وحذره مع الأمير قلاوون وغيره فلم ينته .

ثم أنه قتل ملوكين من مماليكه بغير ذنب ، فمز قتلهم على السلطان ، فطلبه في رابع عشرى ذى الحجة سنة ثلاث وستين وستمائة واعتقله . فقال : أريد أعرف ذنبى .

فبعث اليه السلطان يمدد ذنوبه ، فتحسر وقال : أواه لو كنت حاضرا قتل الملك المظفر قطز حتى أعاند في الذى جرى .

وكان كثيرا ما يقول ذلك . وبلغ هذا القول منه السلطان في حال امرته ، فقال : أنت أخى ، وتحسر كونك ما قدرت أن تعين على .

« حماما سويد » : هاتان الحمامان بآخر سوقة أمير الجيوش . عرفت بالأمير عز الدين

(*) من ٨٢٤ هـ ، ط ١٠٠٠ بولاق

معالي بن سويد . وقد خربت احدهما - ويقال انها غارت في الأرض ، وهلك فيها جماعة - وبقيت الأخرى ، وهى الآن بيد الخليفة أبى الفضل العباسى بن محمد التوكل . « حمام طلق » : هذا الحمام بجوار درب المنصورى من خط حارة الصالحية . صارت أخيرا بيد ورثة الأمير قطلونغا المنصورى حاجب الحجاب في أيام الملك الأشرف شعبان بن حسن . وكانت معمدة لدخول الرجال ، ثم تعطلت بعد سنة تسعين وسبعمائة وأخذ حاصلها . وعهدى بها بعد سنة ثمانمائة أملا لا واهية .

« حمام ابن علكان » : هذه الحمام كانت بحارة الجودرية . أنشأها الأمير شجاع الدين عثمان ابن علكان ، صهر الأمير الكبير فخر الدين عثمان بن قزل ، ثم انتقلت الى الأمير علم الدين سنجر الصيرفى الصالحى النجمى ، وما زالت الى أن خربت بعد سنة أربعين وسبعمائة ، فمزم مكانها الأمير أزدملر الكاشف اصطبلا بعد سنة خمسين وسبعمائة .

« حمام الصاحب » : هذه الحمام يخط ملوачين الملحين .

« حمام كبتا الأسدى » : هذه الحمام موضعها الآن المدرسة الناصرية يخط بين القصرين .

« حمام التطمش خان » : هذه الحمام كانت بجوار ميساة الملك ركن الدين الظاهر بيبرس المجاورة للمدرسة الظاهرية يخط بين القصرين . أنشأها الخاتون التطمش خان ،

زوجته الملك الظاهر ركن الدين يبرس ، ثم خربت وصار موضعها زقاقا .

فلما ولي كمال الدين عمر بن العديم قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية في سلطنة الملك الناصر فرج ، شرع في عمارة هذا الزقاق فمات ولم يكمله ، فوضع الأمير جمال الدين يده في العمارة ، وأنشأها فندقا جعله وقفا فيما وقف على مدرسته التي أنشأها برجة باب العيد .

فلما قتل الملك الناصر فرج ، واستولى على جميع ما تركه ، جعل هذا الفندق من جملة ما أرصده للترية التي أنشأها على قبر أبيه الملك الظاهر برفوق خارج باب النصر .

« حمام القاضي » : هذه الحمام من جملة خط درب الأسواني ، وهي من الحمامات القديمة . كانت تعرف بإنشاء شهاب الدولة بدر الخاس أحد رجال الدولة الفاطمية .

ثم انتقلت إلى ملك القاضي رضى الدين عبد الناصر بن تقي الدين فمرفت به ، ثم صارت إلى ملك القاضي السيد أبي المعالي هبة الله ابن فارس ، وصارت بعده إلى ملك القاضي كمال الدين أبي حامد محمد ابن قاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درياس الماراني ، فمرفت بحمام القاضي إلى اليوم .

ثم باع ورثة أبي حامد منها حصة للأمير عز الدين أيمن الحلبي نائب السلطنة في أيام الملك الظاهر ركن الدين يبرس ، وصارت منها حصة إلى الأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري ، فجعلها وقفا على مدرسته المجاورة للجامع الأزهر .

« حمام الخراطين » : هذه الحمام أنشأها الأمير نور الدين أبو الحسن علي بن نجار بن راجح بن طلائع ، فمرفت بحمام ابن طلائع . وكان بجوارها ثم حمام أخرى تعرف بحمام السوباشي فخرت . ومستوفد حمام ابن طلائع هذه إلى الآن من درب ابن طلائع الشارع بسوق الفرائين الآن ، ولها منه أيضا باب .

وصارت أخيرا في وقف الأمير علم الدين سنجر السروري ، المعروف بالخياط ، وإلى القاهرة وتوفي في سنة ثمان وتسعين وستائة . فاشتريها الأمير جمال الدين يوسف الأستادار في جملة ما اغتصب من الأوقاف والإملاك وغيرها ، وجعلها وقفا على مدرسته برجة باب العيد ، وهي الآن موقوفة عليها .

« حمام الخشية » : هذه الحمام بجوار درب السلسلة . كانت تعرف بحمام قوام الدولة خير ، ثم صارت حماما لدار الوزير المأمون ابن البطائحي . فلما قتل الخليفة الأمر بأحكام الله ، وعلت خشية تمنع الراكب أن يسر من تجاه المشهد الذي بنى هناك ، عرفت هذه الحمام بخشية (تصغير خشية) ، وقد تقدم ذلك مبسوطا عند ذكر الأخطاط من هذا الكتاب .

قال ابن عبد الظاهر : مدرسة السيوفيين وقفا الأمير عز الدين فرج شاه على الحنفية . وكانت هذه الدار قديما تعرف بدار المأمون بن البطائحي وحمام الخشية كانت لها فيعت . وهذه الحمام هي الآن في أوقاف خوند ملغاي أم أنوك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون .

على تربتها التي في الصحراء خارج باب البرية .

« حمام الكويك » : هذه الحمام فيما بين حارة زويلة ودرب شمس الدولة . أنشأها الوزير عباس أحد وزراء الدولة الفاطمية ، لداره التي موضعها الآن درب شمس الدولة ، ثم جددتها شخص من التجار يعرف بنور الدين علي بن محمد بن أحمد بن محمود بن الكويك الربيعي التكريتي ، في سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، فمرفت به إلى اليوم .

« حمام الجويني » : هذه الحمام بجوار حمام ابن الكويك فما بينها وبين البندقانيين . عرفت بالأمير عز الدين إبراهيم بن محمد بن الجويني ، وإلى القاهرة في أيام الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، تولى سلخ جمادى الأولى سنة إحدى وستائة ، فأنشأها بجوار داره . والعامية تقول : حمام الجهني ، بهاء ، وهو خطأ .

وتنقلت إلى أن اشراها القاضي أوحد الدين عبد الواحد بن ياسين ، كاتب السر الشريف في أيام الملك الظاهر برفوق ، بطريق الوكالة عن الملك الظاهر ، وجعلها وقفا على مدرسته العظمى بخط بين القصرين ، وهي الآن في جملة الموقوف عليها .

« حمام القفاصين » : هذه الحمام بالقرب من رأس حارة الديلم . أنشأها نجم الدين يوسف بن المجاور ، وزير الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

(*) من ٨٢ ج ٢ ، طه بولاق .

« حمام الصغيرة » : هذه الحمام على ينة من سلك من رأس حارة بهاء الدين ، وهي تجاه دار قراستقر . أنشأها الأمير فخر الدين ابن رسول التركماني . ورسول هذا جد ملوك اليمن الآن . وقد تمطت هذه الحمام منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة .

« حمام الأعر » : هذه الحمام موضعها من جملة دار الوزارة ، وهي الآن بجوار باب الجوانية . أنشأها الأمير شمس الدين سقر المزي الظاهري المنصوري .

« سقر الأعر » : كان أحد مماليك الأمير عز الدين أيمن الظاهري نائب الشام ، وجعله دواذره ، فباشر الدواذرية لأستاده بدمشق ونهه تكبر عنها .

فلما عزل أيمن من لياية الشام في أيام الملك المنصور قلاوون وحضر إلى قلعة الجبل ، اختار السلطان عدة من مماليكه منهم سقر الأعر هذا ، فاشتراه وولاه لياية الأستادارية ثم سيره في سنة ثلاث وثمانين وستائة إلى دمشق وأعطاه امرأة ، وولاه شد الدواوين بها وأستادارا .

فصارت له بالشام سمعة زائدة إلى أن مات قلاوون ، وقام من بعده الأشرف خليل ، واستوزر الوزير شمس الدين السلموس ... طلب سقر إلى القاهرة وعاقبه وصادته . فتوصل حتى تزوج بابنة الوزير على صداق مبلغه ألف وخمسمائة دينار فأعاده إلى حاله . ولم يزل إلى أن تسلطن الملك العادل كييفا ، واستوزر الصاحب فخر الدين بن خليل ،

وفي وزارته هذه كانت هزيمة الملك الناصر
بساكره من غازان . فتولى ناصر الدين
الشيخ ، والى القاهرة ، جباية الأموال من
التجار وأرباب الأموال لأجل النفقة على
الساكر .

وقرر في وزارته على كل ارب غلة خروبة
إذا طلع الى الطحان ، وقرر أيضا نصف
الشيرة - ومنها ما أنه كان للنسادي على
الثياب اجرة دلالة على كل ما مبلغه مائة
درهم درهين ، فيؤخذ منه درهم منهما
ويفضل له درهم - واستخدم على هاتين
الجهتين نحو مائتين من الأجناد البطالين ،
وتحصل في بيت المال من أموال المصادرات
مبلغ عظيم .

ثم خرج الوزير بمائة من ممالك السلطان ،
وتوجه الى بلاد الصعيد - وقد وقعت له في
النفوس مهابة عظيمة - فكبس البلاد ، وأتلف
كثيرا من المفسدين ، من أجل أنه لما حصلت
وقعة غازان كثر طمع العربان في الغل ، ومنعوا
كثيرا من الخراج ، وعصوا الولاة ، وقطعوا
الطريق .

وما زال يسير الى الأعمال القوصية ، فلم
يدع فرسا لقلاح ولا قاض ولا متعسم حتى
أخذه ، وتبع السلاح ، ثم حضر بألف وستين
فرسا وثمانمائة وسبعين جملا وألف وستمائة
رمح وألف ومائتي سيف وتسعمائة درقة
وسنة آلاف رأس غنم ، وقتل عدة من
الناس ، فتمهلت البلاد ، وقبض الناس معهم
بتامه .

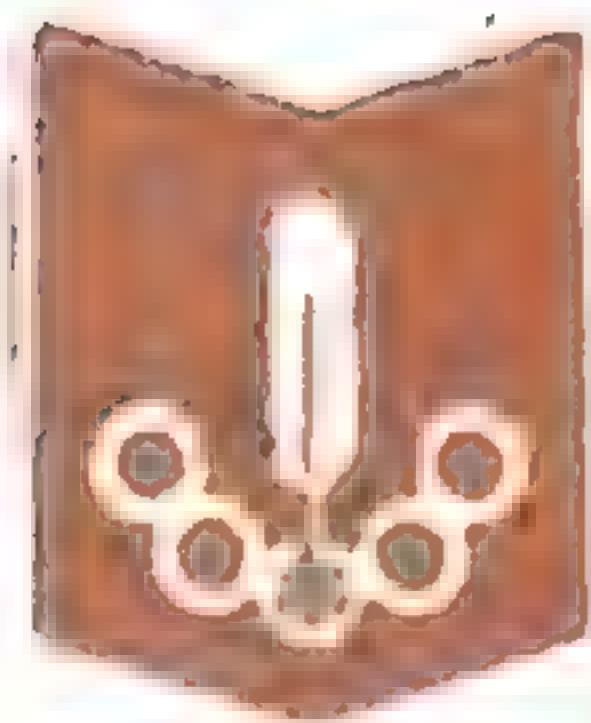
وقبض على سنقر وعلى سيف الدين استنصر
وصاحبهما ، وأخذ من سنقر خمسمائة ألف
درهم ، وعزله عن شد الدواوين ، وأخضره
الى القاهرة .

فلما وثب الأمير حسام الدين لاجين على
كبنا ولسطن ، ولي سنقر الوزارة عوضا عن
ابن خليل في جمادى الاولى سنة ست وتسعين
وسبعمائة ، ثم قبض عليه في ذى الحجة منها .
وذلك أنه تناظم في وزارته ، وقام بحق المنصب
يريد أن يتب بالنجاشي ، وصار لا يقبل
شظية أحد من الأمراء ويخرق بنواجم .

وكان في نفسه متعلما ، وعنده شمس
الى الناية ، مع سكون في كلامه بحيث أنه اذا
فاوض السلطان في مهمات الدولة - كما هي
عادة الوزراء - لا يجيب السلطان بجواب
شاف . وصار يتبين منه للسلطان قلة الاكترات
به ، فأخذ في نفسه ، وعيه بما عنده من الكبر ،
وصادفه الغرض من الأمراء ، وشرعوا في الحط
عليه حتى صرف وقيد .

فأرسل يسأل السلطان عن الذنب الذي
أوجب هذه العقوبة ، فقال : ما له عندي ذنب
غير كبره ، فاني كنت اذا دخل الى أحسب أنه
هو السلطان وأنا الأعسر ، فصدره مقام ،
وحديثي معه كالي أحدث استاذي . وقرر من
بعده في الوزارة ابن الخليل .

فلما قتل لاجين ، وأعيد الملك الناصر محمد
ابن قلاوون الى الملك ثانية ، أخرج من سنقر
الأعسر وعن جماعة من الأمراء ، وأعاد الأعسر
الى الوزارة في جمادى الاولى سنة ثمان
وتسعين وسبعمائة .



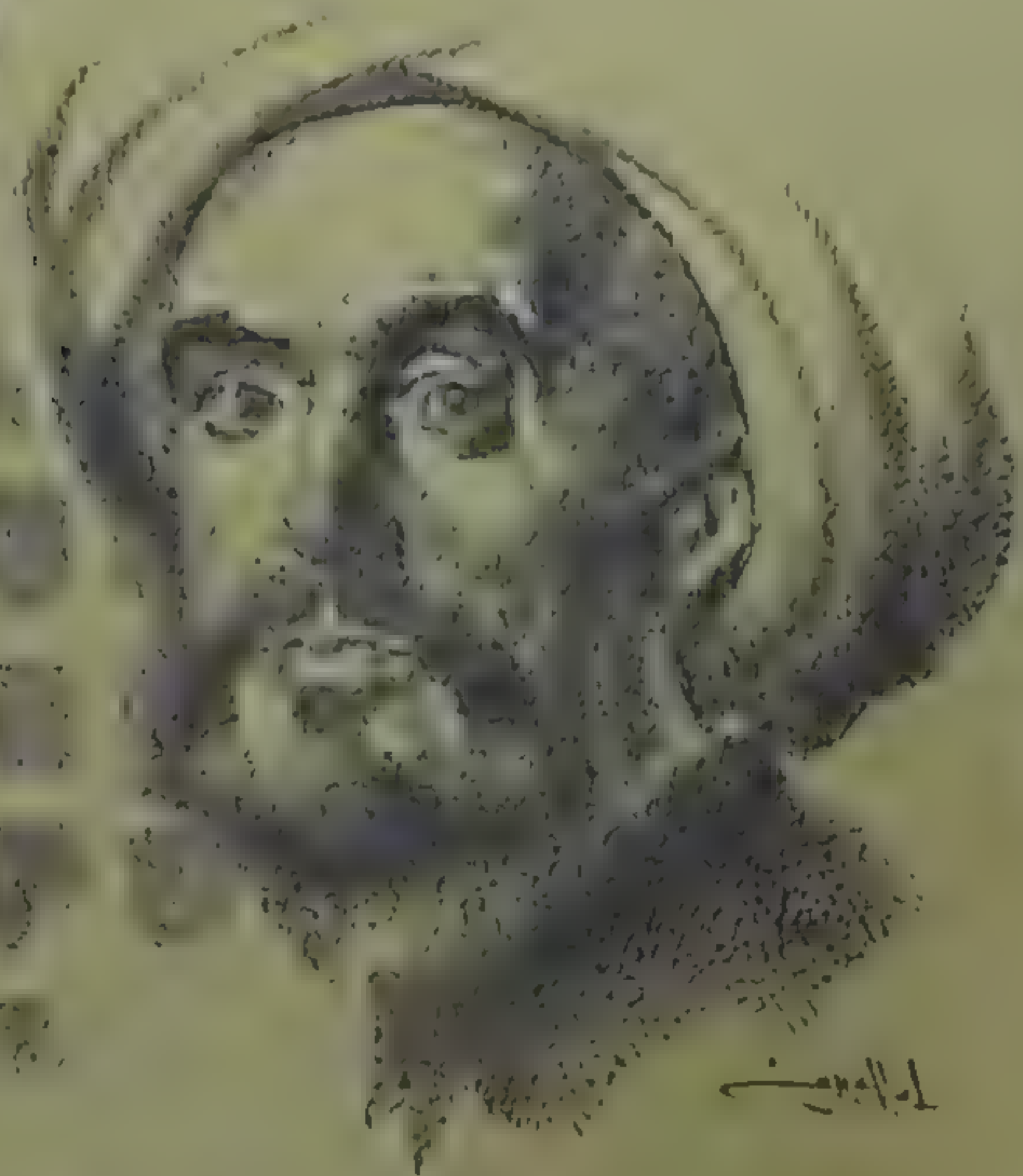
تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثنى ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

۲۸



وكان حجة من مشركي العرب . وطلب إليه أن يبعث إليهم . فكتب إليهم رسالة فيها
وصف خلقه خاسئ ومعامتي . وهدم جدي الذي ربي بهما في ذكره . وكتب ما ربي ، فهدم
تهدى الأنفس غير ذكره . لازلت منذ شذوت العالم . وآتاني رب العظيمة والفهم ، أغرب في
معرفة أخبارها . وأحب لإشراف على الاعتراف من آباؤها . وأشهر مساكن الركبان عن مكان دارها .
تقى الدين أحمد بن علي القريني

وانتقلت واقعة النصارى - التى ذكرت عند ذكر كنائس النصارى من هذا الكتاب - فى أيامه . فأمر بالتاج ابن سعيد الدولة أحد مستوفى الدولة - وكان فيه زهو وحسب عظيم ، وله اختصاص بالأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى - فعزى وضرب بالمقارع ضربا مبرحا ، فأظهر الاسلام وهو فى العقوبة ، فأمسك عنه ، وألزمه بحمل مال ، فالتجأ الى زاوية الشيخ نصر المنيحى وترامى على الشيخ ، فقام فى أمره حتى غنى عنه .

فكره الأمراء الأعسر لكثرة شتمه وتعاطفه ، فكلّموا الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى - وأليه أمر الدولة - فى ولاية الأمير عز الدين أيبك البغدادى الوزارة ، وساعدتهم على ذلك الأمير سلاّر . فولى الأعسر كشف القلاع الشامية وإصلاح أمورها وترتيب رجالها وسائر ما يحتاج إليه ، وخلع على الأمير أيبك خلع الوزارة فى آخر سنة سبعمائة .

فلما عاد استقر أحد أمراء الألف ، وحج فى صحبة الأمير سلاّر ، ومات بالقاهرة بعد أمراض فى سنة تسع وسبعمائة . وكان عارفا خيرا مهيبا له سعادات طائلة ومكارم مشهورة ، ولحاشيته ثروة متسعة ، وغالب مماليكه تأمروا بعده ، ومن مدحه الوداعى وابن الوكيل .

« حمام الحمام » : هذه الحمام بداخل باب الجوانية .

« حمام الصوفية » : هذه الحمام بجوار الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء . أنشأها

السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لصوفية الخانقاه ، وهى الى الآن جارية فى أوقافهم ، ولا يدخلها يهودى ولا نصرانى .

« حمام بهادر » : هذه الحمام موضعها من جملة القصر ، وهى بجوار دار جرجى . أنشأها الأمير بهادر أستاذ الملك الظاهر برقوق ، وقد تعطلت .

« حمام الدود » : هذه الحمام خارج باب زويلة ، فى الشارع تجاه زقاق خان حلب ، بجوار حوض سعد الدين مسعود بن هنى . عرفت بالأمير سيف الدين الدود الجاشنكيرى أحد أمراء الملك المعز أيبك التركمانى ، وخال ولده الملك المنصور نور الدين على ابن الملك المعز أيبك .

فلما وثب الأمير سيف الدين قطز ، نائب السلطنة بديار مصر ، على الملك المنصور على ابن الملك المعز أيبك واعتقله ، وجلس على سرير المملكة ، قبض على الأمير الدود فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة واعتقله . وهذه الحمام الى اليوم بيد ذرية الدود من قبل بناته موقوفة عليهم .

« حمام ابن أبى الحوافر » : هذه الحمام خارج مدينة مصر بجوار الجامع الجديد الناصرى . كان موضعها وما حولها عامرا بماء النيل ، ثم انحسر عنه الماء وصار جزيرة ، فبنى الناس عليها بعد الخمسمائة من سنن الهجرة ، كما ذكر عند ذكر ساحل مصر من هذا الكتاب .

وعرفت هذه الحمام بالقاضي فتح الدين
أبي العباس أحمد ابن الشيخ جمال الدين
أبي عمرو عثمان بن حبة الله بن أحمد بن عقيل
ابن محمد بن أبي الحوافر ، رئيس الأطباء
بديار مصر ، ومات ليلة الخميس الرابع عشر
من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وستمائة ،
ودفن بالقرافة .

« حمام قتال السبع » : هذه الحمام خارج
باب القوس من ظاهر القاهرة ، في الشارع
المسلوك فيه من باب زويلة الى صليبة جامع
ابن طولون ، وموضعها اليوم بجوار جامع
قوصون . عمرها الأمير جمال الدين أقوش
المنصوري ، المعروف بقتال السبع ، الموصلي
بجانب داره التي هي اليوم جامع قوصون .

فلما أخذ قوصون الدار المذكورة ، وهندما
وعمر مكانها هذا الجامع ، أراد أخذ الحمام
— وكانت وقتها — فبعث الى قاضي القضاة
شرف الدين الحنبلي الحراني يلتص منه حل
وقتها ، فأخرب منها جانباً ، وأحضر شهود
القيصة ، فكتبوا محضراً يتضمن أن الحمام
المذكورة خراب .

وكان فيهم شاهد امتنع من الكتابة في
المحضر ، وقال : ما يعني من الله أن أدخل
بكثرة النهار في هذا الحمام وأطهر فيها ، ثم
أخرج منها وهي عامرة وأشهد بعد ضحوة
نهار من ذلك اليوم أنها خراب . فشهد غيره ،
وأثبت القاضي الحنبلي المحضر المذكور ،
وحكم ببيعها ، فاشترها الأمير قوصون من
ورثة قتال السبع ، وهي اليوم عامرة بمسارحة
ما حولها .

(٨٨) ص ٨٨ ج ٢ ط ٢ بولاق

« حمام لؤلؤ » : هذه الحمام برأس رجة
الأيدي ملامقة لدار السالي من القاهرة .
الناسها الأمير حمام الدين لؤلؤ الحاجب .

« لؤلؤ الحاجب » : كان أرمني الأصل ومن
جملة أجناد مصر في أيام الخلفاء الفاطميين .
فلما استولى صلاح الدين يوسف بن أيوب
على مملكة مصر ، خدم مقدمة الأسطول ،
وكان حينما توجه فتح واتصر وغنم . ثم ترك
الجنديّة وزوج بناته — وكن أربعاً — بجهاز
كاف ، وأعطى ابنه ما يكفيهما ، ثم شرع
يتصدق بما بقي معه على الفقراء بترتيب لا
خلل فيه ، ودواماً لا سائمة معه .

وكان يفرق في كل يوم اثنين عشر ألف
رغيف مع قدور الطعام ، وإذا دخل شهر
رمضان أضعف ذلك ، وتبطل للفرقة من الظهر
في كل يوم الى نحو صلاة العشاء الآخرة ،
ويضع ثلاثة مراكب طول كل مركب أحد
وعشرون ذراعاً ملوثة طعاماً ، ويدخل الفقراء
أقواجا وهو قائم مشدود الوسط كأنه راعي
غنم ، وفي يده مغرفة وفي الأخرى جرة سمن ،
وهو يصلح صفوف الفقراء ، ويقرب اليهم
الطعام والودك ، ويبدأ بالرجال ثم بالنساء ،
ثم بالصبيان .

وكان الفقراء مع كثرتهم لا يزدحمون لعلمهم
أن المعروف يعمهم . فإذا انتهت حاجة الفقراء
بسط ساطاً للأغنياء تعجز الملوك عن مثله .

وكان له مع ذلك على الاسلام منة توجب
أن يترحم عليه المسلمون كلهم . وهي أن فرنج
الشوبك والكرك توجهوا نحو مدينة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لينبشوا قبره صلى
الله عليه وسلم ، ونقلوا جسده الشريف
المقدس الى بلادهم ، ويدفنوه عندهم ، ولا
يسكنوا المسلمين من زيارته الا بجمل .

فأنشأ البرلس أرباط صاحب الكرك سفناً
حملها على البر الى بحر القلزم ، وأركب فيها
الرجال ، وأوقف مركبين على جزيرة قلعة
القلزم تمنع أهلها من استقاء الماء . فسارت
الفرنج نحو عيذاب ، فقتلوا وأسروا ، ومضوا
يريدون المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل
الصلاة والتسليم ، وذلك في سنة ثمان
وتسعين وخمسمائة .

وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن
أيوب على حران . فلما بلغه ذلك بعث الى
سيف الدولة ابن منقذ ، نائبه على مصر ، يأمره
بتجهيز الحاجب لؤلؤ خلف العدو . فاستعد
لذلك ، وأخذ معه قيوداً ، وسار في طلبهم الى
القلزم ، وعمر هناك مراكب ، وسار الى أيلة
فوجد مراكب للفرنج فحرقها وأسر من فيها .

وسار الى عيذاب ، وتبع الفرنج حتى
أدركهم ولم يبق بينهم وبين المدينة النبوية ،
على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم ، الا
مسافة يوم — وكانوا ثلثمائة وثيقاً ، وقد
انضم اليهم عدة من العريان المرتدة — فعندما
لحقهم لؤلؤ ، فرت العريان فرقا من سطوته ،

ورغبة في عطيته ، فانه كان قد بذل الأموال
حتى انه علق أكياس القضة على رؤوس
الرياح .

فلما فرت العريان التجأ الفرنج الى رأس
جبل صعب المرتقى ، فصعد اليهم في عشرة
أنفس وضايقتهم فيه ، فخارت قواهم بعدما
كانوا معدودين من الشجعان ، واستسلموا ،
فقبض عليهم وقيدهم ، وحملهم الى القاهرة .
فكان لدخولهم يوم مشهود ، وتولى قتلهم
الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة ، بعدما ساق
رجلين من أعيان الفرنج الى منى ، ونحرهما
هناك كما تنحر البدن التي تساق هدياً الى
الكعبة .

ولم يزل على فعل المعروف الى أن مات
رحمه الله في صميم الفلا ، وقد قرب منتهاه ،
في اليوم التاسع من جمادى الآخرة سنة ست
وتسعين وخمسمائة ، ودفن بترت من القرافة ،
وهي التي حفر فيها البر ، ووجد في قبرها عند
الماء أسطام مركب .

وهذه الحمام تفتح تارة وتغلق كثيراً ، وهي
باقية الى يومنا هذا من جملة أوقاف الملك .
والله تعالى أعلم بالصواب .

ذكر القياس

ذكر ابن المتوج قياس مصر ، وهي :
قياسية المجلى ، وقياسية الضيافة وقف
المارستان المنصوري ، وقياسية شبل الدولة ،
وقياسية ابن الأرسوفى ، وقياسية ورثة
الملك الظاهر بيبرس ، وقياسية ابن ميسر .
وقد خربت كلها .

« قيسارية ابن قرش » : هذه القيسارية في صدر سوق الجبلون الكبير بجوار باب سوق الوراقين ، ويسلك إليها من الجبلون ومن سوق الاخفايين الملوك اليه من البنداقين . وبعضها الآن سكن الأرمنين ، وبعضها سكن البرازين .

قال ابن عبد الظاهر : استجدها القاضي المرتضى ابن قرش في الأيام الناصرية الصلاحية وكان مكانها اصطبلًا . انتهى .

وهو القاضي المرتضى صفي الدين أبو المجد عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن علي بن قرش المخرومي ، أحد كتاب الانشاء في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، قتل شهيدا على عكا في يوم الجمعة عاشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسائة ، ودفن بالقدس . ومولده في سنة أربع وعشرين وخمسائة ، وسمع السلفي وغيره .

« قيسارية الشرب » : هذه القيسارية بشارع القاهرة تجاه قيسارية جهاركس .

قال ابن عبد الظاهر : وقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على الجماعة الصوفية (يعنى بخاتمه سعيد السعداء) وكانت اصطبلًا . انتهى .

وما برحت هذه القيسارية مرعية الجانب اكراما للصوفية ... الى أن كانت أيام الملك الناصر فرج ، وحدثت الفتن ، وكثرت مصادرات التجار ، انخرق ذاك السياج ، وعومل سكانها بأنواع من المصنف . وهي اليوم من أعمر أسواق القاهرة .

« قيسارية ابن أبي أسامة » : هذه القيسارية بجوار الجبلون الكبير ، على يسرة من سلك الى بين القصرين ، يسكنها الآن الخردفوية . وقفها الشيخ الأجل أبو الحسن علي بن أحمد ابن الحسن بن أبي أسامة ، صاحب ديوان الانشاء في أيام الخليفة الأمر بأحكام الله .

وكانت له ربة خطيرة ، ومنزلة رفيعة ، وبنيت بالشيخ الأجل كاتب اللست الشريف ، ولم يكن أحد يشاركه في هذا التعت بديار مصر في زمانه . وكان وقف هذه القيسارية في سنة ثمان عشرة وخمسائة . وتوفي في شوال سنة اثنتين وعشرين وخمسائة .

« قيسارية سنقر الأشقر » : هذه القيسارية على يسرة من يدخل من باب زويلة ، فيما بين خزانة شمائل ودرب الصغيرة ، تجاه قيسارية الفاضل . أنشأها الأمير شمس الدين سنقر الأشقر الصالح النجفي ، أحد المماليك البحرية ، ولم تزل الى أن هدمت وأدخلت في الجامع المؤيدى لأيام من جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة .

« قيسارية أمير علي » : هذه القيسارية بشارع القاهرة تجاه الجبلون الكبير بجوار قيسارية جهاركس يفصل بينهما درب قيطون . عرفت بالأمير علي ابن الملك المنصور قلاوون الذي عهد له بالملك ولقبه بالملك الصالح ، ومات في حياة أبيه ... كما قد ذكر في فندق الملك الصالح .

(*) من ٨٦٦ ج ٢ ، ط ١٠٠٠٠٠

« قيسارية رسلان » : هذه القيسارية فيما بين درب الصغيرة والحجارين . أنشأها الأمير بهاء الدين رسلان الدوادار ، وجعلها وقفا على خاتمه له بنشأة المهراني ، وكانت من أحسن القياسر . فلما عزم الملك المؤيد شيخ علي بناء مدرسته ، هدمها في جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وثمانمائة ، وعوض أهل الخاتمه عنها خمسمائة دينار .

« قيسارية جهاركس » : قال ابن عبد الظاهر : بناها الأمير فخر الدين جهاركس في سنة اثنتين وتسعين وخمسائة ، وكانت قبل ذلك يعرف مكانها بفندق الفراخ ، ولم تزل في يد ورثته ، وانتقل الى الأمير علم الدين أيتش منها جزء بالميراث عن زوجته والى بنت شومان من أهل دمشق ، ثم اشترت لوالدة خليل - المسماة بشجرة الدر الصالحة - في سنة خمس وخمسين وستمائة . وهي مع حسناتها واتقان بنائها كلها ، تجرد من الغصب جميع ما فيها .

وذكر بعض المؤرخين أن صاحبها جهاركس نادى عليها حين فرغت ، فبلغت خمسة وتسعين ألف دينار على الشريف فخر الدين اسماعيل ابن ثعلب ، وقال لصاحبها : أنا أقدمك ثمنها أى نقد شئت ، أن شئت ذهباً ، وأن شئت فضة ، وأن شئت عروض تجارة .

وقيسارية جهاركس تجرى الآن في وقف الأمير بكتر الجوكندار ، نائب السلطنة بعد سار ، على ورثته .

وقال القاضي شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان : « جهاركس » بن عبد الله فخر

الدين أبو المنصور الناصري الصلاحى ، كان من أكبر أمراء الدولة الصلاحية ، وكان كريماً نبيل القدر على الهمة .

بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة اليه ... رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون : لم نر في شيء من البلاد مثلاً في حسناتها وعظمتها واحكام بنائها . وبنى بأعلامها مسجداً كبيراً وربما مطلقاً . وتوفي في بعض شهور سنة ثمان وستمائة بدمشق ، ودفن في جبل الصالحية ، وتربته مشهورة هناك ، رحمه الله .

وجهاركس ، بفتح الجيم والهاء وبعد الألف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهمل ، ومعناه بالعربي أربعة أنص ، وهو لفظ عجى .

وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد ابن محمود اليعقوبى : سمعت الأمير الكبير الفاضل شرف الدين أبا الفتح عيسى ابن الأمير بدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد بن أحمد الهكاري البعري الطائي المقدسى بالقاهرة - ومولده سنة ثلاث وتسعين وخمسائة بالبيت المقدس ، شرفه الله تعالى ، وتوفي بدمشق في ليلة الأحد تاسع عشر ربيع الآخر سنة تسع وستائة ، ودفن بسفح جبل قاسيون ، رحمه الله - قال :

حدثني الأمير صارم الدين خطيبا التبنينى ، صاحب الأمير فخر الدين أبي المنصور جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحى رحمه الله ، قال : بلغ الأمير فخر الدين أن بعض الأجناد عنده فرس قد دفع له فيه ألف دينار ولم يسمح ببيعه ، وهو في غاية الحسن .

فقال لى الأمير : ياخطبا اذا ركبنا ورايت
فى الموكب هذا القرس فبني عليه حتى
أبصره .

فقلت : السمع والطاعة .

فلما ركبنا فى الموكب مع الملك العزيز عثمان
ابن الملك الناصر ، رحمه الله ، رايت الجندي
على قوسه ، فتقدمت الى الأمير فخر الدين ،
وقلت له : هذا الجندي وهذا القرس راكبه .

فنظر اليه وقال : اذا خرجنا من سباط
السلطان ، فانظر أين القرس وعرفنى به .

فلما دخلنا الى سباط الملك العزيز ، عجل
الأمير فخر الدين وخرج قبل الناس ، فلما بلغ
الى الباب قال لى : أين القرس ؟

قلت : ها هو مع الركاب دار .

فقال لى : ادعه .

فدعوته اليه . فلما وقف بين يديه والقرس
معه ، أمره الأمير بأخذ الغاشية ، ووضع
الأمير رجله فى ركابه وركبه ، ومضى به الى
داره وأخذ القرس .

فلما خرج صاحبه ، عرفه الركاب دار بما
فعله الأمير فخر الدين ، فسكت ومضى الى
بيته ، وبقي أياما ولم يطلب القرس .

فقال لى الأمير فخر الدين : ياخطبا ، ماجاء
صاحب القرس ولا طلبه ، اطلب لى صاحبه .

قال : فاجتمعت به ، وأخبرته بأن الأمير
يطلب الاجتماع به . فسارع الى الحضور .

فلما دخل عليه ، أكرمه الأمير ورفع مكانه ،
وحده وآتاه وبسطه ، وحضر سباطه فتربه
وخصمه من طعامه . فلما فرغ من الأكل ،
قال له الأمير : يا فلان ما بالك ما طلبت فرسك
وله عندنا مدة ؟

فقال : ياخوند وما عسى أن يكون من هذا
القرس ، وما ركبته الأمير الا وهو قد صلح
له ، وكلما صلح للمولى فهو على المبد
حرام . ولقد شرفنى مولانا بأن جعلنى اهلا أن
يتصرف فى عبده ، والمملوك يحسب أن هذا
القرس قد أصابه مرض فمات . وأما الآن فقد
وقع فى محله وعند أهله ، ومولانا أحق به ،
وما أسعد المملوك اذا صلح لمولانا عنده شيء .
فقال له الأمير : بلى لى أنك أعطيت فيه
ألف دينار .

قال : كذلك كان .

قال : فلم لم تبعه ؟

فقال : يا مولانا ، هذا القرس * جعلته
للجهاد ، وأحسن ما جاهد الانسان على فرس
يعرفه ويشق به ، وما مقدار هذا القرس له
أسوة .

فاستحسن الأمير همة وشكره ، ثم أشار
الى ، فتقدمت اليه فقال لى فى أذنى : اذا خرج
هذا الرجل ، فاخلع عليه الخلعة الفلانية من
أفخر ملبوس الأمير ، وأعطه ألف دينار
وفره .

(*) من ٨٧ ج ٢ ، ط ١٠٠٠٠٠

فلما نهض الرجل أخذته الى القوس خاتمه ،
وخلمت عليه الخلعة ، ودفعت اليه الكيس وفيه
ألف دينار .

فخدم وشكر وخرج ، فقدم اليه فرسه
وعليه سرج خاص من سروج الأمير وعدة فى
غاية الجودة ، فقيل اركب فرسك ، فقال :
كيف اركبه وقد أخذت ثمنه ، وهذه الخلعة
زيادة على ثمنه ؟

ثم رجع الى الأمير فقبل الأرض ، وقال :
ياخوند تشرف مولانا لا يرد ، وهذا ثمن
القرس قد أحضره المملوك .

فقال له الأمير فخر الدين : يا هذا نحن
جربناك فوجدناك رجلا جيذا ولك همة ، وانت
أحق بفرسك ، خذ هذا ثمنه ولا تبعه لاحد .

فخدمه وشكره ، ودعا له ، وأخذ القرس
والخلعة والألف دينار وانصرف .

وأخبرنى أيضا الأمير شرف الدين بن أبى
القاسم ، قال : أخبرنى صارم الدين التبنين
أيضا أن الأمير فخر الدين خدم عنده بعض
الأجناد ، فعرض عليه فأعجبه شكله ، وقال
لديوانه : استخدموا هذا الرجل .

فتكلموا معه ، وقدروا له فى السنة اثنى
عشر ألف درهم ، فراضى الرجل ، وانتقل الى
حلقة الأمير قوصون ، وضرب خيمته وأحضر
بركه .

فلما كان بعض الأيام رجع الأمير من
الخدمة ، فعبى فى جنب خيمة هذا الرجل ،
فراى خيمة حسنة ، وخيلا جيادا وجمالا

وبغالا وبركا فى غاية الجودة ، فقال : هذا
البرك لى ؟

فقيل : هذا برك فلان الذى خدم عند
الأمير فى هذه الأيام .

فقال : قولوا له ما لك عندنا شغل تمنى
فى حال سيالك .

فلما قيل للرجل ذلك ، أمر بأن تحط
خيمته ، وأتى الى وقال : يا مولانا أنا رائج ،
وها أنا قد حصلت بركى ، ولكن أشتى منك
أن تسأل الأمير : ما ذنبى ؟

قال : فلعلت الى الأمير ، وأخبرته بسا
قال الرجل .

فقال : والله ما له عندى ذنب ، الا أن هذا
البرك وهذه الهمة يستحق بها أضعاف ما
أعطى ، فأنكرت عليه كيف رضى بهذا القدر
اليسير ، وهو يستحق أن تكون أربعين ألف
درهم ، وتكون قليلة فى حقه ، فإذا خدم
بثلاثين ألف درهم يكون قد ترك لنا عشرة
آلاف درهم . فهذا ذنبه عندى .

فرجعت الى الرجل فأعلته بسا قال
الأمير . فقال : انسا خدمت عند الأمير ،
ورضيت بهذا القدر لعلنى أن الأمير اذا عرف
حالى فيما بعد لا يتنع لى بهذا الجارى ، فكنت
على ثقة من لسان الأمير أبقاه الله ، وأما
الآن فلا أرضى أن أخدم الا بثلاثين ألف
درهم كما قال الأمير .

فرجعت الى الأمير وأخبرته بسا قال
الرجل ، فقال : يجزى له ما طلب . وخلص
عليه ، وأحسن اليه .

وكان الأمير فخر الدين جباركس مقدم
القاهرة . والحاكم بمصر في أيام تلك
العزيم شاذي بن صلاح الدين يوسف بن
أيوب الذي أتت منه العزيم . فعاد الأمير فخر
الدين جباركس إلى ولاية ابن الملك العزيم ،
وقبض في ذلك الأمير سيف الدين بركوج
الأسدي ، وهو يومئذ مقدم الطاقة الأسدية
- وكان ذلك العزيم قد أوصى بذلك تولد
معه ، وأن يكون الأمير القواش جاءه الدين
فراقوش الأسدي بغير أمره - فأشار
بتركوج بقتله الملك الأفضل على بن صلاح
الدين في تيسير أمر ابن العزيم . فذكره
جباركس ذلك .

ثم انهم أقاموا ابن العزيم ، وقيوه بذلك
النصور ، وعمره نحو تسع سنين ، وصيوا
قراقوش أتابكا وهم في البلقن يحتلون عليه .
وما زالوا يسوقون عليه في إبطال أمر قراقوش
حتى اتفوا على مكتبة الأفضل المتقدم ذكره
وحضروه إلى مصر ، ووصل أتابكية النصور
مدة سبع سنين حتى بدأه بالاستبداد بذلك ،
بشرط ألا يرفع فوق رأسه شئ من الملك ، ولا
يذكر اسمه في خفية ولا سكة .

فلما صار القاصد إلى الأفضل بكتب
الأمر له : بمقتضى جباركس في الجانب قاصدا ،
على لسانه ولسان الطاقة الصلاحية ، بكتبهم
إلى الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وكتب
إلى الأمير أيوب التتري صاحب قايطن
بأنه بالأصلح الملك الأفضل ، ولا يحلف له .
فاتفق خروج الملك الأفضل من مرخذ ،
ولقاء قاصد فخر الدين جباركس ، فآخذته
الكتب وقال له : أرجع فقد قضيت الحاجة .

وسار إلى القاهرة ومعه القاصد فلما
خرج الأمير من القاهرة إلى قايطن بكتبهم
صلى الله عليه وسلم فخر الدين جباركس به احتلا
وكانوا يريدون منه ، فمروا عند أخيه الملك
العزيز نجم الدين مسعود ، فاتفق ذلك على
جباركس . وجاء إلى حلفه .

فلما فرغ من تمام أخيه ، صار إلى خيمة
جباركس وقعد ليلياكل ، فأتى جباركس
ومعه القاصد إليه في خيصة الأفضل ،
ومعه وبنو بشار . فدخل استأذن لأفضل
فدبوحه إلى الحرب المحمدين بغير مصر
ليصبح يده . فذكره .

وقام من قومه ، واحتج الأمير زين الدين
براجا والأمير أسد الدين فراقوش . وحسن
لما مضى لأفضل . فلما معه إلى القنص
وعلوا عليه . ووافقتهم الأمير عز الدين أسامة ،
والأمير مسعود التتري . فقدم عليهم في
سعادة قايطن . وما ساروا كلمة واحدة ،
كتبوا إلى ذلك العادل يستخونه للقيام
بأتابكية ذلك . النصور محمدين بن العزيز
بصر .

ولما الأفضل قد دخل من بليس إلى
القاهرة ، قام تدير الدولة وأمر الملك . بحيث
لم ينل النصور معه سوى مجرد الاسم
فقط ، وشرع في القبض على الطاقة الصلاحية
نصحت جباركس . ففروا منه إلى جباركس
بالقنص . فقبض على من قدر عليه منهم وجب
أموالهم .

في سنة ٦٨٠ هـ .

فلما زالت دولة الأفضل من مصر بقدم
الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، استولى
فخر الدين جباركس على بانياس بأمر العادل ،
ثم انصرف عنه ، وكانت له أبناء إلى أن مات .
فانقضى أمر الطاقة الصلاحية بسوته وموت
الأمير قراجا وموت الأمير أسامة ، كما انقضى
أمر غيرهم .

« قيسارية القاضل » : هذه القيسارية على
بنة من يخل من باب زويلة . عرفت بالقاضي
القاضل عبد الرحيم بن علي البيهقي ، وهي
الآن في أوقات المارستان للنصوري .

أخبرني شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد
العزيم العفري البشيشي ، رحمه الله ، قال :
أخبرني القاضي بشار الدين أبو اسحاق إبراهيم
ابن القاضي صدر الدين أبي البركات أحمد بن
فخر الدين أبي الروح عيسى بن عمر بن خالد
ابن عبد المحسن ، المعروف بابن الغضاب ، أن
قيسارية القاضل وقعت بضع عشرة مرة ، منها
مرتين أو أكثر زف كتاب وقتها بالأغالي من
شارع القاهرة .

وهي الآن تشتمل على قيسارية ذات بخرة
ماء للوضوء بوسطها ، وأخرى بجانبها يساع
فيها جهاز النساء وشوارهن ، ويعملوها رج فيه
عدة مساكن .

« قيسارية بيرس » : هذه القيسارية على
رأس باب الجودرية من القاهرة . كان موضعها
دارا تعرف بدار الأنباط اشتراها وما حولها
الأمير ركن الدين بيرس الجاشنكيرى قبل
ولايته السلطة وهدمها ، وعمر موضعها هذه

القيسارية والريح فوقها ، وتولى صارة ذلك
مجد الدين بن سالم الموقع .

فلما كملت طلب سائر تجار قيسارية
جباركس وقيسارية القاضل ، وأكرمهم بإخلاء
حوائطهم من القيسارين وسكناتهم بصفه
القيسارية ، وأكرمهم على ذلك ، وجعل لجرة
كل حائوت منها مائة وعشرين درهما ثرة .

فلم يسح التجار الا استجار حوائطها ،
وصار كثير منهم يقوم بأجرة الحائوت الذي
أكرم به في هذه القيسارية من غير أن يشرك
حائوته الذي هو معه بأحدى القيسارين
المذكورين . وتقل أيضا صناع الأخفاف ،
واسكنهم في الحوائط التي خارجها ، فسمرت
من داخلها وخارجها بالناس في يومين .

وجاء إلى مخدومه الأمير بيرس - وكان
قد ولي السلطنة ، وتلقب بالملك المقطر -
وقال : بسعادة السلطان أسكنت القيسارية
في يوم واحد .

فنظر إليه طويلا ، وقال : يا قاضي إن كنت
أسكنتها في يوم واحد ، فهي تخلو في ساعة
واحدة .

فجاء الأمر كما قال . وذلك أنه لما فر بيرس
من قلعة الجبل ، لم يبق في هذه القيسارية
لأحد من سكانها قطعة قماش ، بل تفلوا كل
ما كان لهم فيها ، وخلت حوائطها مدة طويلة ،
ثم سكنها صناع الأخفاف كل حائوت بعشرة
دراهم ، ولي حوائطها ما أجرت ثمانية دراهم .

وهي الآن جارية في أوقاف الخاقاه الركبة
ببيرس ، وسكنها صناع الأخفاف ، وأكثر

حواليتها غير مسكون لخرابها ولقلة الأخفافين
ويعرف الخط الذي هي فيه اليوم بالأخفافين
رأس الجودرية .

« القيسارية الطويلة » : هذه القيسارية في
شارع القاهرة بسوق الخردفوشين ، فيما بين
سوق المهامزين وسوق الجوخين ، ولها باب
آخر عند باب سرحام الخراطين . كانت تعرف
قديما بـ « قيسارية السروج » . بناها

« قيسارية ... » : هذه القيسارية تجاه
قيسارية السروج ، المعروفة الآن بالقيسارية
الطويلة . بعضها وقته القاضي الأشرف ابن
القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البياني
على ملء الصهرج بدرب ملوخيا ، وبعضها
وقف الصالح طلائع بن رزيك الوزير .

وقد هدمت هذه القيسارية . وبناها الأمير
جاني بك داودار السلطان الملك الأشرف
برساي الدقماقي الظاهري ، في سنة ثمان
وعشرين وثمانمائة ، تريعة متصل بالوراقين ،
ولها باب من الشارع ، وجعل علوها طباقا
وعلى بابها حوائت ، فجاءت من أحسن
المباني .

« قيسارية العصف » : هذه القيسارية
بشارع القاهرة ، لها باب من سوق المهامزين
وباب من سوق الوراقين ، عرفت بذلك من
أجل أن العصف كان يلق بها . أنشأها علم
الدين سنجر المروزي المعروف الخياط ، وإلى
القاهرة ، ووقفها في سنة اثنتين وتسعين
وستمائة . ولم تزل باقية بيد ورثته إلى أن
ولى القاضي ناصر الدين محمد بن البارزي
الحوى كتابة السر في أيام المؤيد شيخ ،

فأنجزها مدة أعوام من مستحقها ، ونقل
إليها العنبرين فصارت قيسارية عنبر ، وذلك
في سنة ست عشرة وثمانمائة ، ثم انتقل منها
أهل العنبر إلى سوقهم في سنة ثمان عشرة
وثمانمائة .

« قيسارية العنبر » : قد تقدم في ذكر
الأسواق أنها كانت سجنًا ، وأن الملك المنصور
قلاوون عمرها في سنة ثمانين وستمائة ،
وجعلها سوق عنبر .

« قيسارية الفائز » : هذه القيسارية
كانت بأول الخراطين مما يلي المهامزين ، لها
باب من المهامزين وباب من الخراطين .

أنشأها الوزير * الأسعد شرف الدين أبو
القاسم هبة الله بن صاعد بن وهيب الفارسي .
كان من جملة نصارى صعيد مصر ، وكتب
على مباحض ناحية سيوط ب درهم وثلاث في كل
يوم ، ثم قدم إلى القاهرة وأسلم في أيام الملك
الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ،
وخدم عند الملك الفائز إبراهيم ابن الملك
العادل فنسب إليه ، وتولى نظر الديوان في
أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب مدة
يسيرة .

ثم ولي بعض أعمال ديار مصر ، فنقل عنه
ما أوجب الكشف عليه ، فندب موفق الدين
الأمدي لذلك ، فاستقر عوضه ، وسجنه
مدة ثم أفرج عنه . وسافر إلى دمشق ، وخدم
بها الأمير جمال الدين يغموور نائب السلطنة
بدمشق .

فلما قدم الملك المعظم توران شاه بن الصالح
نجم الدين أيوب من حصن كبغا إلى دمشق ،
بعد موت أبيه ليأخذ مملكة مصر ، سار معه إلى
مصر في شوال سنة سبع وأربعين وستمائة .
فلما قامت شجرة الدر بتدبير الملكة بعد قتل
المعظم ، تعلق بخدمة الأمير عز الدين أيبك
التركمانى مقدم العساكر ، إلى أن تسلطن
وتلقب بالملك المعز ، فولاه الوزارة في سنة
ثمان وأربعين وستمائة .

فأحدث مظالم كثيرة ، وقرر على التجار
وذوى اليسار أموالا تجبى منهم ، وأحدث
التقويم والتصحيح على سائر الأملاك ، وجبى
منها مالا جزيلًا ، ورتب مكوسا على الدواب
من الخيل والجمال والحير وغيرها ، وعلى
الرقيق من العبيد والجواري ، وعلى سائر
المبيعات ، وضمن المنكرات من الخمر والمزور
والحشيش وبيوت الزواني بأموال ، وسمى
هذه الجهات بالحقوق السلطانية والمعاملات
الديوانية .

وتمكن من الدولة تمكنا زائدا إلى الغاية ،
بحيث أنه سار إلى بلاد الصعيد بعساكر لمحاربة
بعض الأمراء ، وكان الملك المعز أيبك يكاتبه
بالمملوك ، وكثر ماله وعقاره حتى أنه لم يبلغ
صاحب قلم في هذه الدول ما بلغه من ذلك ،
واقبى عدة ممالك منهم من بلغ ثمنه ألف
دينار مصرية .

وكان يركب في سبعين مملوكا من ممالكه
سوى أرباب الأقاليم والأتباع ، وخرج بنفسه
إلى أعمال مصر ، واستخرج أموالها . وكان
ينوب عنه في الوزارة زين الدين يعقوب بن
الزبير ، وكان فاضلا يعرف اللسان التركي ،

فصار يضبط له مجالس الأمراء ، ويعرفه ما
يدور بينهم من الكلام .

فلم يزل على تمككه وبسط يده وعظم شأنه
إلى أن قتل الملك المعز ، وقام من بعده ابنه
الملك المنصور نور الدين علي وهو صغير ،
فاستقر على عاقبة ... حتى شهد عليه الأمير
سابق الدين بوزيا الصيرفي والأمير ناصر الدين
محمد ابن الأطروش الكردي أمير جانداز أنه
قال : الملكة لا تقوم بالمصبيان الصغار ،
والرأى أن يكون الملك الناصر صاحب الشام
ملك مصر ، وأنه قد عزم على أن يسير إليه
يستدعيه إلى مصر ويساعده على أخذ
المملكة .

فخافت أم السلطان منه ، وقبضت عليه
وحبسته عندها بقلعة الجبل ، ووكلت بمذابه
الصارم أحمريه العبادي الصالحى ، فعاقبه
عقوبة عظيمة ، ووقعت الحولة على سائر
أمواله وأسبابه وحوائثه ، وأخذ خطه بمائة
ألف دينار ، ثم خنق ليال مضت من جمادى
الأولى سنة خمس وخمسين وستمائة ، ولف في
نخ ودفن بالقرافة . واستقر من بعده في
الوزارة قاضي القضاة بدر الدين السنجارى
مع ما يده من قضاء القضاة .

ولم تزل هذه القيسارية باقية - وكانت
تعرف بقيسارية الشاب - إلى أن أخذها
الأمير جمال الدين يوسف الأستادار ، هي
والحوانيت على ينة من سلك من الخراطين
يريد الجامع الأزهر - وفيما بينهما كان باب
هذه القيسارية ، وكانت هذه الحوائت
تعرف بوقف تمرناش - وهدم الجميع وشرع

في بناءه ، فقتل قبل أن يكمل ، وأخذ الملك
الناصر فرج .

فبنت الحوايت التي هي على الشارع
بسوق المهامرين ، وصار ما بقي سلحة عندها
القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل
الدمشقي فأظفر الجيش قيسارية يملوها ربح ،
وبنى أيضا على حوايت جمال الدين ربحا ،
وذلك في سنة خمس وعشرين وثمانمائة .

وقال الامام عفيف الدين أبو الحسن على
بن عدلان يمدح الأسعد القارزي ، رحمه الله ،
ابن صاعد وابنه المرتضى :

مذ تولى أمورا لم ازل منه ذاهبه
وهو ان دام أمره شدة العيش ذاهبه

« قيسارية بكتر » : هذه القيسارية بسوق
الحريين بالقرب من سوق الوراقين . كانت
تعرف قديما بالصاغة ، ثم صارت فندقا يقال
له فندق حكم . وأصلها من جملة الدار
المظلى التي تعرف بدار المأمون بن البطاحي ،
وبعضها المدرسة السيوفية . أنشأ هذه
القيسارية الأمير بكتر الساقى في أيام الناصر
محمد بن قلاوون .

« قيسارية ابن يحيى » : هذه القيسارية
كانت تجاه باب قيسارية جهاركس حيث سوق
الطيور وقاعات الحلوى .

أنشأها القاضي المفضل هبة الله بن يحيى
التيسمى المعدل . كان موثقا كاتباً في الشروط
الحكمية في حدود سنة أربعين وخمسمائة في
الدولة الفاطمية ، ثم صار من جملة العدول ،
وبقى الى سنة ثمانين .

وله ابن يقال له كمال الدين عبد المجيد .
ابن القاضي المفضل . ولكمال الدين ابن يقال
له جلال الدين محمد بن كمال الدين عبد
المجيد ابن القاضي المفضل هبة الله بن يحيى .
مات في آخر سنة ستين وسبعمائة .

وقد خربت هذه القيسارية ، ولم يبق لها
أثر .

« قيسارية طاشتر » : هذه القيسارية
بجوار الوراقين ، لها باب كبير من سوق
الحريين على يسرة من ملك الى الزجاجين
وباب من الوراقين .

أنشأها الأمير طاشتر في أعوام بضع
وثلاثين وسبعمائة . وسكنها عقادو الأزرار
حتى غصت بهم مع كبرها وكثرة حوائيتها ،
وكان لهم منظر يبيح فان أكثرهم من يخاص
الناس ، وتحت يد كل معلم منهم عدة صبيان
من أولاد الأحرار وغيرهم . فطالما مرت منها
الى سوق الوراقين ، وداخلني حياء من كثرة
من أمر به هناك .

ثم لما حدثت المحن في سنة ست وثمانمائة ،
تلاشى أمرها ، وخرب الربع الذي كان عليها
وبيعت أبقاضه ، وبقيت فيها اليوم بقية
يسرة .

« قيسارية القراء » : هذه القيسارية خارج
باب زويلة بخط تحت الربع . أنشأها

« قيسارية بشتاك » : خارج باب زويلة
بخط تحت الربع . أنشأها الأمير بشتاك
الناصرى ، وهي الآن

(١٠) من ٩٠ ج ٢ ، ط ١٠٠٠

« قيسارية المحنى » : خارج باب زويلة
تحت الربع ، أنشأها الأمير بدر الدين يلبك
المحنى والى الاسكندرية ، ثم والى القاهرة .
كان شجاعا مقداما ، فأخرجه الملك الناصر
محمد بن قلاوون الى الشام ، وبها مات في
سنة سبع وثلاثين وسبعمائة . فأخذ ابنه الأمير
ناصر الدين محمد بن يلبك المحنى أمره .

فلما مات الملك الناصر قدم الى القاهرة ،
وولاه الأمير قوصون ولاية القاهرة في سبع
عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة . فلما
قبض على قوصون في يوم الثلاثاء آخر شهر
رجب منها ، أمسك ابن المحنى ، وأعيد نجم
الدين الى ولاية القاهرة ، ثم عزل من يومه
وولى الأمير جمال الدين يوسف والى الجيزة ،
فأقام أربعة أيام ، وعزل بطلب العامة عزله
ورجعه ، فأعيد نجم الدين .

« قيسارية الجامع الطولونى » : هذه
القيسارية كان موضعها في القديم من جملة
قصر الامارة الذى بناه الأمير أبو العباس
أحمد بن طولون ، وكان يخرج منه الى الجامع
من باب في جداره القبلى . فلما خرب صار
ساحة أرض ، فممر فيها القاضي تاج الدين
المنأوى ، خليفة الحكم عن قاضى القضاة عز
الدين عبد العزيز بن جماعة ، قيسارية في سنة
خمسین وسبعمائة من فائض مال الجامع
الطولونى ، فكمل فيها ثلاثون خانوتا .

فلما كانت ليلة النصف من شهر رمضان
من هذه السنة ، رأى شخص من أهل الخير
رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه ، وقد
وقف على باب هذه القيسارية وهو يقول :
« بارك الله لمن يسكن هذه القيسارية » ،

وكرر هذا القول ثلاث مرات . فلما قص هذه
الرؤيا رغب الناس في سكناها ، وصارت الى
اليوم هى وجيع ذلك السوق في غاية
العمارة .

ول سنة ثمانى عشرة وثمانمائة ، أنشأها
قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن ابن
شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن نصير بن
رسلان البلقينى ، من مال الجامع المذكور ،
قيسارية أخرى . فرغب الناس في سكناها
لوفور العمارة بذلك الخط .

« قيسارية ابن مير الكبرى » : هذه
القيسارية أدركتها بمدينة مصر في خط سويقة
وردان وهى عامرة يباع بها القماش الجديد
من الكتان الأبيض والأزرق والطرح ، وتضى
تجار القاهرة اليها في يومى الأحد والأربعاء
لشراء الأصناف المذكورة .

وذكر ابن المتوج أن لها خسة أبواب وأنها
وقف ، ثم وقعت الحومة عليها فجرت في
الديوان السلطاني ، وقصدوا يبعها مرارا فلم
يقدر أحد على شرائها ، وكان بها عدد رخام
فأخذها الديوان وعوضت بعمد كدان ، وأنه
شاهدها مسكونة جميعها عامرة . انتهى .

وقد خرب ما حولها بعد سنة ستين
وسبعمائة ، وتزايد الخراب حتى لم يبق حولها
سوى كيمان ، فعمل لها باب واحد ، وتردد
الناس اليها في اليومين المذكورين لا غير .
فلما كانت الحوادث منذ سنة ست وثمانمائة ،
واستولى الخراب على اقليم مصر ، تعطلت
هذه القيسارية ، ثم هدمت في سنة ست عشرة
وثمانمائة .

« قيسارية عبد الباسط » : هذه القيسارية يرأس الخراطين من القاهرة . كان موضعها يعرف قديما بمقبة الصباغين ، ثم عرف بالقشاشين ، ثم عرف بالخراطين .

وكان هناك مارستان ووكالة في الدولة الفاطمية ، وأدركنا بها حوائث تعرف بوقف نصراتش المعطى ، فأخذها الأمير جمال الدين الأستاذار فيما أخذ من الأوقاف . فلما قتل أخذ الناصر فرج جانباً منها ، وجدد عمارتها ، ووقفها على تربة أبيه الظاهر برقوق .

ثم أخذها زين الدين عبد الباسط بن خليل في أيام المؤيد شيخ ، وعمل في بعضها هذه القيسارية وعلوها ، ووقفها على مدرسته وجامعه . ثم أخذ السلطان الملك الأشرف برسبى بقية الحوائث من وقف جمال الدين ، وجدد عمارتها في سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

ذكر الخانات والفنادق

« خان مسرور » : خان مسرور مكانان : أحدهما كبير ، والآخر صغير . فالكبير على يرة من سلك من سوق باب الزهومة إلى الحرمين ، كان موضعه خزانة الدرق التي تقدم ذكرها في خزائن القصر . والصغير على ينة من سلك من سوق باب الزهومة إلى الجامع الأزهر ، كان ساحة يباع فيها الرقيق بعدما كان موضع المدرسة الكاملية هو سوق الرقيق .

قال ابن الطوير : خزانة الدرق كانت في المكان الذي هو خان مسرور ، وهي يرسم

(*) ص ٩١ ج ٢ : ط. بولاق .

استعمالات الأساطيل من الكبورة الخرجية والخود الجلودية وغير ذلك .

وقال ابن عبد الظاهر : فندق مسرور : مسرور هذا من خدام القصر . خدم الدولة المصرية ، واختص بالسلطان صلاح الدين رحمه الله ، وقلبه على حلقته . ولم يزل مقدما في كل وقت ، وله بر واحسان ومعروف ، ويقصد في كل حنة وأجر وبر ، وبطل الخدمة في الأيام الكاملية ، وانقطع الى الله تعالى ولزم داره .

ثم بنى الفندق الصغير الى جانبه ، وكان قبل بنائه ساحة يباع فيها الرقيق ، اشترى ثلثها من والدي رحمه الله والثلثين من وريثة ابن عتر . وكان قد ملك الفندق الكبير لعلامه ربحان وجسه عليه ، ثم من بعده على الأسرى والفقراء بالحرمين ، وهو مائة بيت إلا بيتا ، وبه مسجد تقام فيه الجماعة والجمع .

ولمسرور المذكور بر كثير بالشام وببصر . وكان قد وصى أن تعمل داره — وهي بخط حارة الأمراء — مدرسة ، ويوقف الفندق الصغير عليها . وكانت له ضيعة بالشام بيعت للأمير سيف الدين أبي الحسن القيمري بجملة كبيرة ، وعمرت المدرسة المذكورة بعد وفاته . انتهى .

وقد أدركت فندق مسرور الكبير في غاية العمارة تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم وكان فيه أيضا مودع الحكم الذي فيه أموال اليتامى والغياب ، وكان من أجل الخانات وأعظمها .

فلما كثرت المحن بخراب بلاد الشام منذ سنة تيمورلنك ، وتلاشت أحوال اقليم مصر ، قل التجار وبطل مودع الحكم ، فقلت ممابة هذا الخان ، وزالت حرمة ، وتهدمت عدة أماكن منه . وهو الآن بيد القضاء .

« فندق بلال المغيش » : هذا الفندق فيما بين خط حمام خشبية وحارة المدوية . أنشاه الأمير الطواشي أبو المناقب حمام الدين بلال المغيش ، أحد خدام الملك المغيث صاحب الكرك ، كان حبشى الجنس حالك السواد ، خدم عدة من الملوك ، واستقر لالا الملك الصالح على ابن الملك المنصور قلاوون ، وكان معظما الى الغاية يجلس فوق جميع أمراء الدولة .

وكان الملك المنصور قلاوون اذا رآه يقول : رحمه الله أنتأذا الملك الصالح نجم الدين أيوب . أنا كنت أحمل شرموزة هذا الطواشي حمام الدين كلما دخل الى السلطان الملك الصالح حتى يخرج من عنده فأقدمها له .

وكان كثير البر والصدقات ، وله أموال جزيلة ، ومدحه عدة من الشعراء ، وأجاز على المديح ، وتجاوز عمره ثمانين سنة .

فلما خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون لقتال التتر ، في سنة تسع وتسعين وستمائة ، سافر معه فمات بالسوادة ودفن بها ، ثم نقل منها بعد وقعة شقحب الى تربته بالقرافة فدفن هناك .

وما برح هذا الفندق يودع فيه التجار وأرباب الأموال صناديق المال . ولقد كنت أدخل فيه فإذا يدائره صناديق مصطفة ما بين

صغير وكبير ، لا يفضل عنها من الفندق غير ساحة صغيرة بوسطه ، وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يجلب وصفه .

فلما أنشأ الأمير الطواشي زين الدين مقبل الزمام الفندق بالقرب منه ، وأنشأ الأمير قلمطاي الفندق بالزجاجين ، وأخذ الأمير يلبغا السالى أموال الناس في واقعة تيمورلنك في سنة ثلاث وثمانمائة ، تلاشى أمر هذا الفندق ، وفيه الى الآن بقية .

« فندق الصالح » : هذا الفندق بجوار باب القوس الذي كان أحد بابي زويلة ، فمن سلك اليوم من المسجد المعروف بسام بن نوح يريد باب زويلة ، صار هذا الفندق على يساره . وأنشاه ، هو وما يعلوه من الريح ، الملك الصالح علاء الدين على ابن السلطان الملك المنصور قلاوون .

وكان أبوه لما عزم على السير الى محاربة التتر ببلاد الشام ، سلطه وأركبه بشعار السلطنة من قلعة الجبل في شهر رجب سنة تسع وسبعين وستمائة ، وشق به شارع القاهرة من باب النصر الى أن عاد الى قلعة الجبل ، وأجلسه على مرتبته وجلس الى جانبه ، فمرض عقيب ذلك ، ومات ليلة الجمعة الرابع من شعبان .

فأظهر السلطان لموته جزعا مفترطا وحزنا زائدا ، وصرخ بأعلى صوته « واولداه » ، ورمى كلوته عن رأسه الى الأرض ، ويقى مكشوف الرأس الى أن دخل الأمراء اليه وهو مكشوف الرأس يصرخ « واولداه » ، فعندما

هابنوه كذلك ألقوا كلواتهم عن رؤوسهم
وبكوا ساعة .

ثم أخذ الأمير طرطاي النائب شاش
السلطان من الأرض ، وناوله للأمير سنقر
الأشقر ، فأخذه ومشى وهو مكشوف الرأس ،
وبأس الأرض وناول الشاش للسلطان ، فدفعه
وقال : إيش أصل بالملك بعد ولدى .

وامتنع من لبسه . فقبل الأمراء الأرض
يسألون السلطان قى لبس شاشه ، ويخضعون
له فى السؤال ساعة ، حتى أجابهم وغطى
رأسه .

فلما أصبح خرجت جنازته من القلعة ، ومعها
الأمراء من غير حضور السلطان ، وساروا
بها الى تربة أمه المعروفة بتربة خاتون ، قريبا
من المشهد النقيى ، فواروه وانصرفوا .

فلما كان يوم السبت ثانيه ، نزل السلطان
من القلعة وعليه الياس تحزنا على ولده ،
وسار ومعهم الأمراء بشاب الحزن الى قبر ابنه ،
وأقيم العزاء لموته عدة أيام .

« خان السيل » : هذا الخان خارج باب
الفتوح .

قال ابن عبد الظاهر : خان السيل بنى
الأمير بهاء الدين أبو سعيد قراقوش بن عبد
الله الأسدي ، خادم أسد الدين شيركوه
وعتيقه ، لأبناء السيل والمسافرين بغير
أجرة ، وبه بئر ساقية وحوض .

وقراقوش هذا هو الذى بنى السور المحيط
بالقاهرة ومصر وما بينهما ، وبنى قلعة الجبل
وبنى القناطر التى بالجيزة على طريق الأهرام ،

(١٢٠) من ٩٢ ج ١ : ط. بولاق .

وعمر بالمقنن وبابا ، وأسره الفرنج قى عكا
وهو واليها ، فافتكه السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب بعشرة آلاف دينار ، وتوفى
مستهل رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة ،
ودفن بسفح الجبل المقطم من القرافة .

« خان منكورش » : هذا الخان بخط سوق
الخيمن بالقرب من الجامع الأزهر .

قال ابن عبد الظاهر : خان منكورش بناء
الأمير ركن الدين منكورش زوج أم الأوحى
ابن العادل ، ثم انتقل الى ورثته ، ثم انتقل
الى الأمير صلاح الدين أحمد بن شيمان
الأوبلى فوقه ، ثم تحيل ولده فى إبطال
وقته ، فاشتراه منه الملك الصالح بعشرة
آلاف دينار مصرية ، وجعله مرصدا لوالدة
خليل ، ثم انتقل عنها . انتهى .

قال مؤلفه : ومنكورش هذا كان أحد
ممالك السلطان صلاح الدين يوسف بن
أيوب ، وتقدم حتى صار أحد الأمراء الصالحة
وعرف بالشجاعة والتجدة واصابة الرأي
وجودة الرمي وثبات الجأش . فلما مات فى
شوال سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، أخذ
اقطاعه الأمير ياركوج الأسدي .

وهذا الخان الآن يعرف بخان النشارين على
يسرة من سلك من الخراطين الى الخيمن ،
وهو وقف على جهات بر .

« فندق ابن قريش » : هذا الفندق ... قال
ابن عبد الظاهر : فندق ابن قريش استجده
القاضى شرف الدين ابراهيم بن قريش كاتب
الانشاء ، وانتقل الى ورثته . انتهى .

« ابراهيم بن عبد الرحمن بن على بن عبد
العزير بن على بن قريش » : أبو اسحاق
القريشى المخزومي المصري الكاتب شرف
الدين ، أحد الكتاب المجيدين خطا وانشاء ،
خدم فى دولة الملك العادل أبى بكر بن
أيوب ، وفى دولة ابنه الملك الكامل محمد ،
بديوان الانشاء ، وسمع الحديث بمكة ومصر ،
وحدث .

وكانت ولادته بالقاهرة فى أول يوم من ذى
القعدة سنة اثنين وسبعين وخمسمائة ، وقرأ
القرآن ، وحفظ كثيرا من كتاب « المذهب » فى
التفه على مذهب الامام الشافعى ، وبرع فى
الأدب ، وكتب بخطه ما يزيد على أربعمائة
مجلد ، ومات فى الخامس والعشرين من
جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

« وكالة قوصون » : هذه الوكالة فى معنى
الفنادق والغانات . ينزلها التجار ببضائع
بلاد الشام من الزيت والشيرج والصابون
والدبس والفتق والجوز واللوز والخرنوب
والرب ونحو ذلك . وموضعها فيما بين الجامع
الحاكى ودار سعيد السعداء .

كانت أخيرا دارا تعرف بدار تمويل
البوغاني ، فأخربها وما جاورها الأمير
قوصون ، وجعلها فندقا كبيرا الى الغاية
وبدائره عدة مخازن ، وشرط ألا يؤجر كل
مخزن الا بخمسة دراهم من غير زيادة على
ذلك ، ولا يخرج أحد من مخزنه ، فصارت
هذه المخازن تسوارث لقله أجزتها وكثرة
قوائدها .

وقد أدركنا هذه الوكالة ، وان رؤيتها من
داخلها وخارجها لتدهش ، لكثرة ما هنالك من

أصناف البضائع ، وازدحام الناس ، وشدة
أصوات العتالين عند حمل البضائع ونقلها لمن
يساعها . ثم تلاشى أمرها منذ خربت الشام فى
سنة ثلاث وثمانمئة على يد تيمورلنك ، وفيها
الى الآن بقية .

ويعلو هذه الوكالة رباع تشتمل على ثلثمائة
وستين بيتا أدركناها عامرة كلها ، ويحضر أنها
تحتوى نحو أربعة آلاف قس ما بين رجل
وامرأة وصغير وكبير . فلما كانت هذه المحن
فى سنة ست وثمانمئة ، خرب كثير من هذه
البيوت ، وكثير منها عامر آهل .

« فندق دار التفاح » : هذه الدار هى فندق
نجاه باب زويلة . يرد اليه القواكه على
اختلاف أصنافها مما يبت فى بساين ضواحي
القاهرة ، ومن التفاح والكمثرى والسررجل
الواصل من البلاد الشامية انما يباع فى وكالة
قوصون اذا قدم ، ومنها ينقل الى سائر
اسواق القاهرة ومصر ونواحيهما . وكان
موضع دار التفاح هذه فى القديم من جملة
حارة السودان التى علت بستانا فى أيام
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

وأنشأ هذه الدار الأمير طقوزدمر بعد سنة
أربعين وسبعمئة ، ووقفها على خاقانه بالقرافة .
ويطاهر هذه الدار عدة حوايت تباع فيها
الفاكهة ، تذكر رؤيتها وشم عرفها الجنة
لطيبها وحن منظرها ، وتائق الباعة فى
تنفيضا ، واحتافها بالراحين والأزهار . وما
بين الحوايت مقفوف حتى لا يصل الى
القواكه حر الشمس .

ولا يزال ذلك الموضع غضا طريا ، إلا أنه قد اختل منذ سنة ست وثمانمائة ، وفيه بقية ليست بذلك ، ولم تزل إلى أن هدم علو الفندق وما بظاهره من الحوائط في يوم السبت سادس عشر شعبان سنة ١٠٠٠ لحدى وعشرين وثمانمائة .

وذلك أن الجامع المؤيدى جاء شبائكه القرية من جهة دار التفاح ، فعمل فيها كسا صار يعمل في الأوقاف ، وحكم باستبدالها ، ودفن في ثمن ثمنها ألف دينار إفريقية عنها مبلغ ثلاثين ألف مؤيدى قفة .

وتحصل من أجرها إلى أن ابتدئ بهدمها في كل شهر سبعة آلاف درهم قلوها : عنها ألف مؤيدى . فاستنح هذا العمل . ومات الملك المؤيد ولم تكمل عمارة الفندق .

« وكالة باب الجوانية » : هذه الوكالة تجاه باب الجوانية من القاهرة ، فيما بين درب الرشيدى ووكالة قوصون . كان موضعها عدة مساكن ، فابتدأ الأمير جمال الدين محمود بن على الاستادار بهدمها في يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وسبعائة ، وبناها فندقا وربعا بأعلاه .

فلما كملت رسم الملك الظاهر برقوق أن تكون دار وكالة يرد إليها ما يصل إلى القاهرة ، وما يرد من صنف متجر الشام في البحر كالزيت والرب واللبس ، ويصير ما يرد في البر يدخل به على عادته إلى وكالة قوصون ، وجعلها وقفا على المدرسة الخاقية التي أنشأها بخط

(١٠٠) من ١٢٢ ج ٢ ، ط. بولاق .

بين القصرين ، فاستمر الأمر على ذلك إلى اليوم .

« خان الخليلي » : هذا الخان بخط الزراكية العتيق . كان موضعه قرية القصر التي فيها قبور الخلفاء الفاطميين ، المعروفة بقرية الزعفران ، وقد تقدم ذكرها عند ذكر القصر من هذا الكتاب .

أنشأه الأمير جهاركس الخليلي ، أمير اخور الملك الظاهر برقوق ، وأخرج منها عظام الأموات في المزابل على الحميم ، وألقاها بكيسان البرقية هوانا بها . فانه كان يلوذ به شمس الدين محمد بن أحمد القليجي ، الذي تقدم ذكره في ذكر الدور من هذا الكتاب ، وقال له : إن هذه عظام الفاطميين ، وكانوا كفارا رفضة .

فاتفق للخليلى في موته أمر فيه عبدة لاولى الألباب ، وهو أنه لما ورد الخبر بخروج الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب ، ومجيء الأمير منطاش نائب ملطية إليه ومسيرهما بالساكر إلى دمشق ، أخرج الملك الظاهر برقوق خمسمائة من المماليك ، وتقدم لعدة من الأمراء بالمسير بهم .

فخرج الأمير الكبير أيتش الناصرى والأمير جهاركس الخليلي هذا والأمير يونس الدوادار والأمير أحمد بن يلبغا الخاصكى والأمير نذكار الحاجب ، وساوروا إلى دمشق ، فلقاهم الناصرى ظاهرا دمشق ، فانكسر عسكر السلطان لمخامرة ابن يلبغا ونذكار ، وفر أيتش إلى قلعة دمشق .

وقتل الخليلي في يوم الاثنين حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبعائة وترك على الأرض عاريا وسوائه مكشوفة ، وقد اتفخ - وكان طويلا عريضا - إلى أن تمزق وبلى ، عقوبة من الله تعالى بما هتك من رمم الأئمة وأبنائهم

ولقد كان - عفا الله عنه - عارفا خيرا بأمر ديناه كثير الصدقة ، ووقف هذا الخان وغيره على عمل خبز يفرق بسكة على كل فقير منه في اليوم ولخيفان ، فعمل ذلك مدة سنين . ثم لما عظمت الأسعار بمصر ، وتغيرت تقودها من سنة ست وثمانمائة ، صار يحمل إلى مكة مال ويفرق بها على الفقراء .

« فندق طرطاي » : هذا الفندق كان بخارج باب البحر ظاهر المنس ، وكان ينزل فيه تجار الزيت الواردون من الشام ، وكان فيه ستة عشر عمودا من رخام ، طول كل عمود ستة أذرع بذراع العمل في دور ذراعين ، ويعلوه ربع كبير .

فلما كان في واقعة هدم الكنائس ، وحرق القاهرة ومصر في سنة احدى وعشرين وسبعائة ، قدم تاجر بعد العصر بوزن في مكه عشرين ألف درهم نقرة ، سوى أصناف آخر قيمتها مبلغ تسعين ألف درهم نقرة ، فلم يتهما له الفراغ من نقل الزيت إلى داخل هذا الفندق إلا بعد العشاء الآخرة .

فلما كان نصف الليل ، وقع الحريق بهذا الفندق في ليلة من شهر ربيع الآخر منها ، كما كان يقع في غير موضع من فعل النصارى ، فأصبح وقد احترق جميعه حتى الحجارة التي

كان مبنيا بها ، وحتى الأعمدة المذكورة ، وصارت كلها جيرا ، واحترق علوه ، وأصبح التاجر يستعطي الناس . وموضع هذا الفندق

ذكر الأسواق

قال ابن سيده : والسوق التي يتعامل بها تذكر وتوث ، والجمع أسواق . وفي التنزيل « الا اهل لي بكون الطعام ومشون في الأسواق » . والسوقة لغة فيها . والسوقة من الناس من لم يكن ذا سلطان ، الذكر والآتى في ذلك سواء .

وقد كان بمدينة مصر والقاهرة وظواهرها من الأسواق شيء كثير جدا قد باد أكثرها ، وكفاك دليلا على كثرة عددها أن الذي خرب من الأسواق ، فيما بين أراضي اللوق إلى باب البحر بالمنس ، اثنان وخمسون سوقا أدركناها غامرة ، فيها ما يبلغ حوائطه نحو الستين حانوتا . وهذه الخطة من جملة ظاهر القاهرة الغربي ، فكيف ببقية الجهات الثلاث مع القاهرة ومصر .

وسأذكر من أخبار الأسواق ما أجده سيلا إلى ذكره إن شاء الله تعالى .

« القصبة » : قال ابن سيده : قصبة البلد مدينته ، وقيل معطيه

والقصبة هي أعظم أسواق مصر . وسمعت غير واحد ممن أدركه من المعمرين يقول : إن القصبة تحتوى على اثني عشر ألف حانوت . كأنهم يفتنون ما بين أول الحنية

(١٠١) من ١٢٢ ج ٢ ، ط. بولاق .

مما يلي الرمل الى المشهد النقي . ومن اعتبر هذه المسافة اعتبارا جيدا لا يكاد أن ينكر هذا الخبر .

وقد أدركت هذه المسافة بأسرها عامرة الحوائت ، خاصة بأنواع المأكول والمشارب والأمتعة ، تبهج رؤيتها ، وسحب الناظر هبتها ، وسحب العاد عن احصاء ما فيها من الأنواع ، فضلا عن احصاء ما فيها من الأشخاص . وسمعت الكافة ممن أدركت يفاخرون بصبر سائر البلاد ، ويقولون : يرعى بصبر في كل يوم ألف دينار ذهبيا على الكيمان والمزابل .

يعنون بذلك ما يستعمله اللبانون والجبانون والطباخون من الشقاق الحمر التي يوضع فيها اللبن ، والتي يوضع فيها الجبن ، والتي تاكل فيها القراء الطعام بحوائت الطباخين ، وما يستعمله يباعو الجبن من الخيط والحصر التي تعمل تحت الجبن في الشقاق ، وما يستعمله العطارون من القراطيس والورق القوى والخيوط التي تشد بها القراطيس الموضوع فيها حوائج الطعام من الجيوب والأفاويه وغيرها . فان هذه الاصناف المذكورة اذا حلت من الأسواق ، وأخذ ما فيها ، ألقيت الى المزابل .

ومن أدرك الناس قبل هذه المحن ، وأمن النظر فيما كانوا عليه من أنواع الحضارة والترف ، لم يستكثر ما ذكرناه . وقد اختل حال القصة وخرب ، وتمطل أكثر ما تشتمل عليه من الحوائت ... بعدما كانت مع سعتها تضيّق بالباغة ، فيجلسون على الأرض في طول القصة بأطباق الخبز واصناف المعاش ، ويقال

لهم اصحاب المقاعد ، وكل قليل يتعرض للحكام لمعهم واقامتهم من الأسواق ، لما يحملهم من تضيّق الشوارع ، وقلة يسر أرباب الحوائت . وقد ذهب والله ما هناك ، ولم يبق الا القليل .

وفي القصة عدة أسواق منها ما خرب ، ومنها ما هو باق . وسأذكر منها ما يتيسر ان شاء الله تعالى .

« سوق باب الفتوح » : هذا السوق في داخل باب الفتوح ، من حد باب الفتوح الآن الى رأس حارة بهاء الدين ، معمور الجانبين بحوائت اللحامين والخضرين والقسمين والشراعية وغيرهم ، وهو من أجل أسواق القاهرة وأعمرها . يقصده الناس من أقطار البلاد لشراء أنواع اللحمان الضأن والبقر والمز ، ولشراء اصناف الخضراوات .

وليس هو من الأسواق القديمة ، وانما حدث بعد زوال الدولة الفاطمية عندما سكن قراقوش في موضعه المعروف بحارة بهاء الدين ، وقد تناقص عما كان فيه منذ عهد الحوادث ، وفيه الى الآن بقية صالحة .

« سوق المرحلين » : هذا السوق أدركته ، من رأس حارة بهاء الدين الى بحرى المدرسة الصيرمية ، معمور الجانبين بالحوائت المملوءة برحالات الجمال وأقنابها وسائر ما تحتاج اليه ، يقصد من سائر اقليم مصر خصوصا في مواسم الحج . فلو أراد الانسان تجهيز مائة جبل وأكثر في يوم لما شق عليه وجود ما يطلبه من ذلك ، لكثرة ذلك عند التجار في الحوائت بهذا السوق وفي المخازن .

فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة وكثر سفر الملك الناصر فرج بن برقوق الى محاربة الأمير شيخ والأمير نوروز بالبلاد الشامية ، صار الوزراء يستدعون ما يحتاج اليه الجمال من الرحال والأقناب وغيرها ، فاما لا يدفع ثمنها أو يدفع فيها الشيء اليسير من الثمن . فاختل من ذلك حال المرحلين ، وقلت أموالهم بعد ما كانوا مشتهرين بالغناء الوافر والسعادة الطائلة ، وخرب معظم حوائت هذا السوق ، وتمطل أكثر ما بقي منها ولم يتأخر فيه سوى القليل .

« سوق خان الرواسين » : هذا السوق على رأس سويقة أمير الجيوش . قيل له ذلك من أجل أن هناك خانا تعمل فيه الرؤوس المغمومة . وكان من أحسن أسواق القاهرة : فيه عدة من البياعين ، ويشتمل على نحو العشرين حانوتا مملوءة بأصناف المأكول . وقد اختل وتلاشى أمره .

« سوق حارة برجوان » : هذا السوق من الأسواق القديمة ، وكان يعرف في القديم أيام الخلفاء الفاطميين بسوق أمير الجيوش . وذلك أن أمير الجيوش بدر الجمالي لما قدم الى مصر في زمن الخليفة المستنصر — وقد كانت الشدة العظمى — بنى بحارة برجوان الدار التي عرفت بدار المظفر ، وأقام هذا السوق برأس حارة برجوان .

قال ابن عبد الظاهر : والسويقة المعروفة بأمير الجيوش معروفة بأمير الجيوش بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر ، وهي من باب حارة برجوان الى قرب الجامع الحاكمي . وهكذا تشهد مكاتيب دور حارة برجوان

القديمة ، فان فيها « والحد القبلي يتنهي الى سويقة أمير الجيوش ، وسوق حارة برجوان هو في الحد القبلي من حارة برجوان » .

وأدركت سوق حارة برجوان أعظم أسواق القاهرة . ما يرخا ونحن شباب تغامر بحارة برجوان سكان جميع حارات القاهرة ، فنقول : بحارة برجوان حمامات (يعني حمامي الرومي وحمام سويد ، فانه كان يدخل اليها من داخل الحارة) وبها فرتان ، ولها السوق الذي لا يحتاج ساكنها الى غيره .

وكان هذا السوق من سوق خان الرواسين الى سوق الشمايين معمور الجانبين بالمعدة الوافرة من يباعي لحم الضأن السليخ ، ويباعى اللحم * السبيط ، ويباعى اللحم البقرى . وبه عدة كثيرة من الزبائن ، وكثير من الجانبين والخبازين واللبانين والطباخين والشوانين والبواردية والمطارين والخضرين ، وكثير من يباعى الأمتعة .

حتى انه كان به حانوت لا يباع فيه الا حوائج المائدة ، وهي البقل والكراث والشمار والتنعاع ، وحانوت لا يباع فيه الا الشيرج والقطن فقط برسم تمير القناديل التي تخرج في الليل . وسمعت من أدركت أنه كان يشتري من هذا الحانوت في كل ليلة شيرج مما يوضع في القناديل بثلاثين درهما فضة ، عنها يومئذ دينار ونصف . وكان يوجد بهذا السوق لحم الضأن النقي ، والمطبوخ الى تلك الليل الأول ومن قبل طلوع الفجر بساعة .

وقد خرب أكثر حوائت هذا السوق ولم يبق لها أثر ، وتمطل بأسره بعد سنة ست وثمانمائة ، وصار أوحش من وتد في قاع ، بعد أن كان الإنسان لا يستطيع أن يمر فيه من ازدحام الناس ليلا ونهارا إلا بمشقة . وكان فيه قباني يرسم وزن الأمتعة والمال والبضائع لا يتفرغ من الوزن ، ولا يزال مشغولا به ومعه من يستحقه ليزن له .

فلما كان بعد سنة عشر وثمانمائة ، أنشأ الأمير طوغان الدوادار بهذا السوق مدرسة ، وعمر ربما وحوائت ، فتعابى بعض الشيء ، وقبض على طوغان في سنة ست عشرة وثمانمائة ولم تكمل عمارة السوق ، وفيه الآن بقية يسيرة .

« سوق الشاعين » : هذا السوق من الجامع الأحمر إلى سوق الدجاجين . كان يعرف في الدولة الفاطمية بسوق القماحين ، وعنده بنى المأمون بن البطائح الجامع الأحمر باسم الخليفة الأمر بأحكام الله ، وبنى تحت الجامع دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح .

وأدركت سوق الشاعين من الجانبين معمور الحوائت بالشموع الموكية والفالوسية والطوافات ، لا تزال حوائته مفتحة إلى نصف الليل . وكان يجلس به في الليل بغايا يقال لهن « زعيرات الشاعين » ، لهن سيما يعرفن بها وزي يميزن به ، وهو لبس الملاءات الطرح ، وفي أرجلهن سراويل من أديم أحمر . وكن يمانين الزعارة ، ويقفن مع الرجال المشائين في وقت لعبهم ، وفيهن من تحصل الحديد معها .

وكان يباع في هذا السوق في كل ليلة من الشمع بمال جزيل . وقد خرب ولم يبق به إلا نحو الخمس حوائت ، بعدما أدركتها يزيد على عشرين حائوتا ، وذلك لقلة ترف الناس ، وتركهم استعمال الشمع . وكان يعلق بهذا السوق الفوائس في موسم الغطاس ، فتسير رؤيته في الليل من أثره الأشياء .

وكان به في شهر رمضان موسم عظيم ، لكثرة ما يشتري ويكترى من الشموع الموكية التي تزن الواحدة منهن عشرة أرطال فما دونها ، ومن المزهرات العجيبة الزى المليحة الصنعة ، ومن الشمع الذي يحمل على العجل ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار وما فوقه ... كل ذلك يرسم ركوب الصبيان لصلاة التراويح ، فيمر في ليالي شهر رمضان من ذلك ما يعجز البليغ عن حكاية وصفه ، وقد تلاشى الحال في جميع ما قلنا لفقر الناس وعجزهم .

« سوق الدجاجين » : هذا السوق كان مما يلي سوق الشاعين إلى سوق قبو الخرشف . كان يباع فيه من الدجاج والأوز شيء كثير جليل إلى الغاية ، وفيه حاولت فيه العصفائر التي يتاعها ولدان الناس ليعتقوها ، فيباع منها في كل يوم عدد كثير جدا ، ويباع العصفور منها بفلس ، ويخدع الصبي بأنه يسبح فمن اعتقه دخل الجنة ، ولكل واحد حينئذ رغبة في فعل الخير . وكان يوجد في كل وقت بهذه الحوائت من الأقفاص التي بها هذه العصفائر آلاف ، ويباع بهذا السوق عدة أنواع من الطير ، وفي كل يوم جمعة

يباع فيه بكرة أصناف القمارى والمزازات والشارير والبيفا والسمان .

وكنا نسمع أن من السمان ما يبلغ ثمنه المئات من الدراهم ، وكذلك بقية طيور المسموع يبلغ الواحد منها نحو الألف ، لتنافس الناس فيها وتوفر عدد المعتنين بها ، وكان يقال لهم غواة طيور المسموع ... سيما الطواشية ، فانه كان يبلغ بهم الترف أن يقتنوا السمان ، ويتألقوا في أقفاصه ، ويتغالوا في أمثاله ، حتى بلغنا أنه بيع طائر من السمان بألف درهم فضة ، عنها يومئذ نحو الخمسين ديناراً من الذهب . كل ذلك لأعجابهم بصوته ، وكان صوته على وزن قول القائل : ططط وعوع ، وكلما كثر صياحه كانت المغالة في ثمنه .

فاعتبر بما قصصه عليك حال الترف الذي كان فيه أهل مصر ، ولا تتخذ حكاية ذلك هزواً تسخر به ، فتكون ممن لا تنفعه المواعظ بل يمر بالآيات معرضاً غافلاً ، فتحرم الخير .

وكان بهذا السوق قيسارية عملت مرة سوقاً للكاتبين ، ولها باب من وسط سوق الدجاجين ، وباب من الشارع الذي يسلك فيه من بين القصرين إلى الركن المخلق . فاتفق أن ولى ثيابة النظر في المارستان المنصوري ، عن الأمير الكبير أيتمش النحاسي الظاهري ، أمير يعرف بالأمير خضر ابن التنكزية ، فهدم هذا السوق والقيصرية وما يملوها ، وأنشأ هذه الحوائت والرباع التي فوقها تجاه ربع الكامل ، الذي يملو ما بين درب الخضير وقبو الخرشف ، فلما كل أسكن في

الحوائت عدة من الزبائن وغيرهم . وبقي من الدجاجين بهذا السوق بقية قليلة .

« سوق بين القصرين » : هذا السوق أعظم أسواق الدنيا فيما بلغنا . وكان في الدولة الفاطمية براحا واسعا يقف فيه عشرة آلاف ما بين فارس وراجل ، ثم لما زالت الدولة ابتذل ، وصار سوقا يعجز الواسف عن حكاية ما كان فيه . وقد تقدم ذكره في الخطط من هذا الكتاب ، وفيه إلى الآن بقية تحزنت رؤيتها إذ صارت إلى هذه القلة .

« سوق السلاح » : هذا السوق فيما بين المدرسة الظاهرة ببيرس وبين باب قصر بشتاك . استجد فيما بعد الدولة الفاطمية في خط بين القصرين ، وجعل لبيع القسي والنشاب والزرديات وغير ذلك من آلات السلاح . وكان تجاهه خان يقابل الخان الذي هو الآن بوسط سوق السلاح ، وعلى يابه من الجانبين حوائت تجلس فيها الصيارف طول النهار .

فاذا كان عسرات كل يوم جلس أرباب المقاعد تجاه حوائت الصيارف لبيع أنواع من المأكول ، ويقابلهم تجاه حوائت سوق السلاح أرباب المقاعد أيضا . فاذا أقبل الليل أشعلت السرج من الجانبين ، وأخذ الناس في التشي بينهما على سبيل الاسترواح والتزده ، فيمر هنالك من الخلاعات والمجون ما لا يعبر عنه بوصف .

فلما أنشأ الملك الظاهر برقوق المدرسة الظاهرة المستجدة ، صارت في موضع الخان

وحوائيت الصرف تجاه سوق السلاح ، وقل ما كان هناك من المتساعد ، وبقي منها شيء يسير .

« سوق القمصان » : بصيفة الجمع والتصغير ... هكذا يعرف ، كأنه جمع قميص . فانه كله معد لجلوس أناس على تخوت تجاه شبائك القبة المنصورية ، وفوق تلك التخوت أقماس صغار من حديد مشبك ، فيها الطراف من الخواتيم والقصوص وأساور النوان وخلاخيلهم وغير ذلك . وهذه الأقماس يأخذ أجرة الأرض التي هي عليها مباشرة المارستان المنصوري .

وأصل هذه الأرض كانت من حقوق أرض موقوفة على جامع المقس ، فدخل بعضها في القبة المنصورية ، وصار بعضها كما ذكرنا ، وإلى اليوم يدفع من وقف المارستان حكر هذه الأرض لجامع المقس .

ولما ولي نثر المارستان الأمير جمال الدين أقوش ، المعروف بنائب الكرك ، في سنة ست وعشرين وسبعمائة ، عمل فيه أشياء من ماله : منها خيمة ذراعها مائة ذراع ، نشرها من أول جدار القبة المنصورية بحذاء المدرسة الناصرية إلى آخر حد المدرسة المنصورية بجوار الصاغة ، فصارت فوق مقاعد الأقباس تظلم من حر الشمس ، وعمل لها حبالا تمتد بها عند الحر وتجمع بها إذا امتد الظل ، وجعلها مرتفعة في الجو حتى ينحرف الهواء . ثم لما كان شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، نقلت الأقباس منه إلى القيسارية التي استجبت تجاه الصاغة .

« سوق باب الزهومة » : هذا السوق عرف بذلك من أجل أنه كان هناك في الأيام الفاطمية باب من أبواب القصر ، يقال له باب الزهومة ، تقدم ذكره في ذكر أبواب القصر من هذا الكتاب .

وكان موضع هذا السوق في الدولة الفاطمية سوق الصيارف ، ويقابله سوق السيوفيين من حيث الخشية إلى نحو رأس سوق الحريرين اليوم ، وسوق العبر الذي كان اذ ذاك سجا يعرف بالمعونة ، ويقابل السيوفيين اذ ذاك سوق الزجاجين ، وينتهي إلى سوق القشائين الذي يعرف اليوم بالخرائين .

فلما زالت الدولة الفاطمية تغير ذلك كله ، فصار سوق السيوفيين من جوار الصاغة إلى درب السلسلة ، وبنى فيما بين المدرسة الصالحية وبين الصاغة سوق فيه حوائت — مما يلي المدرسة الصالحية — يباع فيها الأمشاط بسوق الأمشاطين ، وفيه حوائت — فيما بين الحوائت التي يباع فيها الأمشاط وبين الصاغة — بعضها سكن الصيارف ، وبعضها سكن الثقليين ، وهم الذين يبيعون القسق واللوز والزبيب ونحوه .

وفي وسط هذا البناء سوق الكتبيين يحيط به سوق الأمشاطين وسوق الثقليين ، وجميع ذلك جار في أوقاف المارستان المنصوري .

وكان سوق باب الزهومة من أجل أسواق القاهرة وأقربها ، موصوفا بحسن الماكل وطيبها .

واثق في هذا السوق أمر يستحسن ذكره لغرابته في زماننا . وهو أنه عبر متولى الحبة بالقاهرة ، في يوم السبت سادس عشر شهر رمضان سنة اثنين وأربعين وسبعمائة ، على رجل بواردي بهذا السوق ، يقال له محمد بن خلف ، عنده مخزن فيه حمام ووزراير متغيره الرائحة لها نحو خسين يوما ، فكشف عنها قبلت عدتها أربعة وثلاثين ألفا ومائة وستة وتسعين طائرا : من ذلك حمام ألف ومائة وستة وتسعون ، ووزراير ثلاثة وثلاثون ألفا ، كلها متغيرة اللون والريح ، فأدبه وشهره . وفيه إلى الآن بقايا .

« سوق الماهزين » : هذا السوق مما استجد بعد زوال الدولة الفاطمية ، وكان بأوله حبس المعونة الذي عمله الملك المنصور قلاوون سوق العبر ، ويقابله المارستان والوكالة ودار الضرب في الموضع الذي يعرف اليوم بدرب التمسى وما يحذائه من الحوائت إلى حمام الخراطين وما تجاه ذلك .

وهذا السوق معد لبيع الماهيز . وأدركت الناس وهم يتخذون المهاز كله ، قالبه وسقطه ، من الذهب الخالص ومن الفضة الخالصة ، ولا يترك ذلك الا من يتسورع ويتدين ، فيتخذ القالب من الحديد ويظليه بالذهب أو الفضة ، ويتخذ السقط من الفضة . وقد اضطر الناس إلى ترك هذا ، قتل من بقي سقط مهازه فضة ، ولا يكاد يوجد اليوم مهاز من ذهب .

وكان يباع بهذا السوق البدلات الفضة التي كانت يرسم لجم الخيل ، وتعمل تارة من

(ج) من ١٧ ج ٢ ، طبع بولاق .

الفضة المجرة بالنياب ، وتارة بالفضة المطلية بالذهب ، فيبلغ زنة ما في البدلة من خمسمائة درهم فضة إلى ما دونها . وقد بطل ذلك .

وكان يباع به أيضا سلاسل الفضة ومخاطم الفضة المطلية ، تجعل تحت لجم الحجور من الخيل خاصة ، فيركب بها أعيان الموقعين وأكابر الكتاب من القبط ورؤساء التجار . وقد بطل ذلك أيضا .

ويباع فيه أيضا الدوى ، والطرف التي فيها الفضة والذهب ، كسكاكين الأقلام ونحوها . وكانت تجار هذا السوق تعد من يياض العامة .

ويتصل بسوق الماهزين هذا « سوق اللجمين » : ويباع فيه آلات اللجم ونحوها مما يتخذ من الجلد . وفي هذا السوق أيضا عدة وافرة من الطلائين ، وصناعات الكفت يرسم اللجم والركب والماهيز ونحو ذلك ، وعدة من صناعات مياتر السروج وقرايسها .

وأدركت السروج تعمل ملونة ما بين أصفر وأزرق ، ومنها ما يعمل من الدبل ، ومنها ما يعمل سيورا من الجلد البلغاري الأسود . ويركب بهذه السروج السود القضاة ومشايخ العلم ، اقتداء بمادة بنى العباس في استعمال السود ، على ما جنده بديار مصر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد زوال الدولة الفاطمية .

وأدركت السروج التي تركب بها الأجناد والكتاب يعمل للرج في قربوسه ستة أطواق من فضة مقبلة مطلية بالذهب ومقربات من فضة ، ولا يكاد أحد يركب فرسا بـرج سادج

الا ان يكون من القضاة وشايع العلم وأهل
الودع .

فلما تملطن الملك الظاهر برقوق ، اتخذ
سائر الأجناد السروج المقرقة ، وهي التي
يصنع قرايسها من ذهب أو فضة اما مطلية
أو سادجة ، وكثر حمل ذلك حتى لم يسق
من المعرك فارس الا ومرجه كما ذكرنا ،
ويطال السرج للسقط . فلما كانت الحوادث
بعد سنة ست وثمانائة ، غلب على الناس
القفقر وكثرت القن ، فقلت سروج الذهب
والفضة ، وبقي منها الى اليوم بقايا يركب بها
أعيان الأمراء وأماك المالك .

« سوق الجوخين » : هذا السوق يلي
مسوق اللجين ، وهو معد ليح الجوخ
المجلوب من بلاد الفرنج لعمل المقاعد والستائر
وثياب السروج وغواشيها .

وأدركت الناس وقتها تجد فيهم من يلبس
الجوخ ، وانما يكون من جلة ثياب الأكابر
جوخ لا يلبس الا في يوم المطر ، وانما يلبس
الجوخ من يرد من بلاد المغرب والفرنج وأهل
الاستكندرية وبعض عوام مصر ، فأما الرؤساء
والأكابر والأعيان فلا يكاد يوجد فيهم من
يلبسه الا في وقت المطر ، فإذا ارتفع المطر
فزع الجوخ .

وأخبرني القاضي الرئيس تاج الدين أبو
القضاء اسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب ابن
الخطيب المخرومي ، خال أبي رحمه الله ، قال :
كنت أنوب في حبة القاهرة عن القاضي ضياء
الدين المحتسب ، فدخلت عليه يوما وانا لابس
جوخة لها وجه صوف مربع ، فقال لي : وكيف

ترضى ان تلبس الجوخ ؟ وهل الجوخ الا
لأجل البخل ؟ ثم أقسم على أن أخلعها .

وما زال بي حتى عرفته أني اشتريتها من
بعض تجار قيسارية القاضل ، فاستدعاه في
الحال ودفعها اليه ، وأمره بإحضار ثمنها ، ثم
قال لي : لا تعد الى لبس الجوخ استهجانا له .
فلما كانت هذه الحوادث ، وغلت الملابس ،
دعت الضرورة أهل مصر الى ترك أشياء مما
كانوا فيه من الترفه ، وصار معظم الناس
يلبسون الجوخ ، فتجد الأمير والوزير
والقاضي ، ومن دونهم من ذكرنا ، لباسهم
الجوخ .

ولقد كان الملك الناصر فرج ينزل أحيانا
الى الأسطبل وعليه قمجون من جوخ ، وهو
ثوب قصير الكمين والبذ يخاط من الجوخ
بغير بطاقة من تحته ولا غشاء من فوقه ،
فتداول الناس لبسه ، ولجلب الفرنج منه
شيئا كثيرا لا توصف كثرته . ومحل يبعه
هذا السوق .

ويلى سوق الجوخين هذا « سوق
الشرابيين » : وهذا السوق مما أحدث بعد
الدولة الفاطمية . وياع فيها الخلع التي يلبسها
السلطان للأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم .

وانما قيل له سوق الشرابيين ، لأنه كان
من الرسم ، في الدولة التركية ، أن السلطان
والأمراء وسائر العساكر انما يلبسون على
رؤوسهم كلوة صفراء مضرية تضربا عريضا ،
ولها كلاليب بغير عمامة فوقها ، وتكون
شعورهم مضمورة مدلاة بدبوقه ، وهي في

كيس حرير اما أحمر أو أصفر ، وأوساطهم
مشدودة أبنود من قطن بعلبكي مصبوح
عوضا عن الحوائص ، وعليهم أقبية اما يلبس
أو مشجرة أحمر وأزرق ، وهي ضيقة الأكمام
على هيئة ملابس الفرنج اليوم ، وأخفافهم من
جلد بلغاري أسود ، وفي أرجلهم من فوق
الخف سقمان وهو خف ثان ، ومن فوق أقبيا
كمران بخلق وأبزيم ، وصوالق بلغاري كبار
يسمى الواحد منها أكثر من نصف وية غلة ،
مغروز فيه منديل طوله ثلاثة أذرع .

فلم يزل هذا زيهم منذ استولوا بديار مصر
على الملك من سنة ثمان وأربعين وستمائة ...
الى أن قام في المملكة الملك المنصور قلاوون ،
فغير هذا الزي بأحسن منه ، ولبسوا
الشاشات * ، وأبطلوا لبس الكم الضيق ،
واقترح كل أحد من المنصورية ملابس حسنة .

فلما ملك ابنه الأشرف خليل جمع خاصيته
ومماليكه ، وتخبر لهم الملابس الحسنة ، وبذل
الكلوات الجوخ والصفر . ورسم لجميع
الأمراء أن يركبوا بين مماليكهم بالكلوات
الزركش والطرازات الزركش والسكنايش
الزركش والأقبية الأطلس المعدني حتى يميز
الأمير بلبسه عن غيره ، وكذلك في الملبوس
الأبيض أن يكون رفيعا ، واتخذ السروج
المرصعة والأكوار المرصعة فعرفت بالأشرافية .
وكانت قبل ذلك سروجهم بقرايس كبار
شعنة ، وركب كبار بشعة .

فلما ملك ديار مصر السلطان الملك الناصر
محمد بن قلاوون ، استجد العمام المصرية ،
وهي صفار .

(*) من ١٨٨٠ ج ٢ ، ط ١٠٠٠٠٠٠

فلما قام الأمير بلغا المعري الخاصكي ،
عمل الكلوات اليلغاوية ، وكانت كبارا .
واستجد الأمير سائر ، في أيام الملك الناصر
محمد ، القباء الذي يعرف بالسلاوي ، وكان
قبل ذلك يعرف بيلغومات .

فلما تملك الملك الظاهر برقوق ، عمل هذه
الكلوات الجركية ، وهي أكبر من اليلغاوية
وفيه عوج .

وأما الخلع فإن السلطان كان اذا أمر أحدا
من الأتراك البسه الشربوش ، وهو شيء يشبه
التاج كأنه شكل مثك : يجعل على الرأس
بغير عمامة ، ويلبس معه على قدر رتبته اما
ثوب يخ أو طرد وحش أو غيره . فعرف هذا
السوق بالشرابيين نسبة الى الشرابيين
المذكورة . وقد بطل الشربوش في الدولة
الجركية .

وكان بهذا السوق عدة تجار لشراء
التشريف والخلع ، ويعمها على السلطان في
ديوان الخاص وعلى الأمراء ، وينال الناس
من ذلك فوائد جلية ، ويقسئون بالمتجر في
هذا الصنف سماعات طائلة .

فلما كانت هذه الحوادث منع الناس من بيع
هذا الصنف الا للسلطان ، وصار يجلس به
قوم من عمال ناظر الخاص لشراء سائر ما
يحتاج اليه ، ومن اشترى من ذلك شيئا سوى
عمال السلطان فله من العقاب ما قدر عليه .
والأمر على هذا الى يومنا الذي نحن فيه .

وأول من علمته خلع عليه من أهل الدول
جعفر بن يحيى البرمكي . وذلك أن أمير
المؤمنين هارون الرشيد قال في اليوم الذي

افقد له فيه الملك : ما أخى باجمفر ، قد أمرت لك بتقصوره في دارى ومه صلح ، من القرائش ، وعشر جوار تكن فيها ليلة ميتك عندنا .

فقال : يا أمير المؤمنين ما من نعمة متواترة ولا فضل متظاهر ، إلا ورأى أمير المؤمنين أجمل وأنم .

ثم انصرف وقد خلع عليه الرشيد ، وحمل بين يديه مائة بكرة دراهم ودنانير ، وأمر الناس فركبوا اليه حتى سلموا عليه ، وأعطاه خاتم الملك ليختم به على ما يريد . فبلغ بذلك صيته أقطار الأرض ، ووصل الى ما لم يصل اليه كاتب بعده . فاقتردى بالرشيد من بعده ، وخلصوا على أولياء دولتهم وولاة أعمالهم . واستمر ذلك الى اليوم .

وأول ما عرف شد السيوف في أوساط الجند ، أن سيف الدين غازى ابن عماد الدين أتابك زنكى بن آق منقر صاحب الموصل ، أمر الأجناد ألا يركبوا إلا بالسيف في أوساطهم والديابيس تحت ركبهم . فلما فعل ذلك اقتدى به أصحاب الأطراف . وهو أيضا أول من حمل على رأسه المنجق في ركوبه .

وغازى هذا هو أخو الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى ، ومات في آخر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسة مائة ، وولى الموصل بعده أخوه قطب الدين مودود .

« سوق الحوائص » : هذا السوق يتصل بسوق الشرايين ، وتباع فيه الحوائص — وهى التى كانت تعرف بالمنطقة

في القديم — فكانت حوائص الأجناد أولا أربع مائة درهم فضة ونحوها . ثم عمل المنصور قلاوون حوائص الأمراء الكبار ثلثمائة دينار ، وأمراء الطليحات مائتى دينار ، ومقدمى الحلقة من مائة وسبعين الى مائة وخمسين دينارا .

ثم صار الأمراء والخاصكية ، في الأيام الناصرية وما بعدها ، يتخذون الحياصة من الذهب ، ومنها ما هو مرصع بالجوهر . ويفرق السلطان في كل سنة على المالك من حوائص الذهب والفضة شيئا كثيرا ، وما زال الأمر على ذلك الى أن ولى الناصر فرج . فلما كان في أيام الملك المؤيد شيخ ، قل ذلك .

ووجد في تركة الوزير صاحب علم الدين عبد الله بن زبور لما قبض عليه ستة آلاف حياصة ، وستة آلاف كلوته جهار كس .

وما برح تجار هذا السوق من يياض العامة ، وقد قل تجار هذا السوق في زمننا ، وصار أكثر حوائصه يباع فيها الطواقى التى يلبسها الصبيان ، وصارت الآن من ملابس الأجناد .

« سوق الحلاوين » : هذا السوق معد لبيع ما يتخذ من السكر حلوى ، وإنما يعرف اليوم بحلاوة منوعة . وكان من أبعج الأسواق لما يشاهد في الحوائص التى بها من الأواني وآلات النحاس الثقيلة الوزن البديعة الصنعة ذات القيم الكبيرة ، ومن الحلاوات المصنعة عدة ألوان وتسمى المجعة ، وشاهدت بهذا

السوق السكر ينادى عليه كل قنطار بمائة وسبعين درهما .

فلما حدثت المحن ، وغلا السكر لخراب الدوايب التى كانت بالوجه القبلى ، وخراب مطابع السكر التى كانت بمدينة مصر ... قل عمل الحلوى ، ومات أكثر صانعتها . ولقد رأيت مرة طبقا فيه نقل ، وعدة شفاف من خرف أحمر في بعضها لبن ، وفي بعضها أنواع الأجبان ، وفيما بين الشفاف الخيار والموز ، وكل ذلك من السكر المعمول بالصناعة . وكانت أيضا لهم عدة أعمال من هذا النوع يحير الناظر حسنها .

وكان هذا السوق في موسم شهر رجب من أحسن الأشياء منظرا ، فإنه كان يصنع فيه من السكر أمثال خيول وسباع وقطاط وغيرها تسمى العلالق — واحدها علاقة — ترفع بخيوط على الحوائص ، فمنها ما يزن عشرة أرباط الى ربع رطل ، تشتري للأطفال . فلا يبقى جليل ولا حقير حتى يتساع منها لأهله وأولاده ، وتمتلىء أسواق البلدين مصر والقاهرة وأريافهما من هذا الصنف ، وكذلك يعمل في موسم نصف شعبان . وقد بقى من ذلك الى اليوم بقية غير طائلة .

وكذلك كانت تروق رؤية هذا السوق في موسم عيد الفطر ، لكثرة ما يوضع فيه من حب الخشكناج وقطع البسندود والمشاش ، ويشترى في عمل ذلك من نصف شهر رمضان ، فتلا منه أسواق القاهرة ومصر والأرياف ، ولم ير في موسم سبعة عشر وثمان مائة

(ج) ص ٩٩ ج ٢ ، ط ١٠ بولاق .

من ذلك شيء بالأسواق البتة . فسبحان محفل الأحوال لا اله الا هو .

« سوق الشواين » : هذا السوق أول سوق وضع بالقاهرة ، وكان يعرف بسوق الشرايين ، وهو من باب حارة الروم الى سوق الحلاوين . وما زال يعرف بسوق الشرايين الى أن سكن فيه عدة من يباع الشواء في حدود البعانة من سنى الهجرة ، فزالت عنه النسبة الى الشرايين وعرف بالشواين ، وهو الآن سكن المتعشين . وانتقل سوق الشرايين في زماننا الى خارج باب زويلة ، وعرف بالبسطين كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى .

قال ابن زولاق في كتاب « سيرة المعز » : وفي شهر صفر من سنة خمس وستين وثلثمائة أنشئ سوق الشرايين بالقاهرة . وذكر ذلك ابن عبد الظاهر في كتاب « خطط القاهرة » .

وكان في القديم باب زويلة الذى وضعه القائد جوهر عند رأس حارة الروم ، حيث العقد المجاور الآن للمسجد الذى عرف اليوم بسام بن نوح ، وكان بجواره باب آخر موضعه الآن سوق الماطين .

فلما نقل أمير الجيوش باب زويلة الى حيث هو الآن ، اتسع ما بين سوق الشرايين المذكور وبين باب زويلة الكبير ، وصار الآن فيه سوق الغرابلين ، وفيه عدة حوائص تعمل مناخل الدقيق والغرابيل ، ويقابلهم عدة حوائص يصنع فيها الأغلاق المعروفة بالضبيب ، وما بعد ذلك الى باب زويلة فيه كثير من

الحوادث يجلس بعضها عدة من الجبانين لبيع أنواع البجن المجلوب من البلاد الشامية . وأدركنا هناك الى أن حدثت الحن من ذلك شيئا كثيرا يتجاوز الحد في الكثرة .

وفي بعض تلك الحوادث قوم يجلسون لعلاج من عاه ينصدع له عظم أو ينكر أو يصيبه جرح ، يعرفون بالمجبرين . وهناك منهم بقية الى يومنا هذا . وبقية الحوادث ما بين صياغة وبيع طرف ومتعشين في الماكل وغيرها .

فهذه قصبة القاهرة ، وما في ظاهر باب زويلة فانه خارج القاهرة ، والله تعالى أعلم .

الشارع خارج باب زويلة

هذا الشارع هو تجاه من خرج من باب زويلة ، ويمتد فيما بين الطريق السالك ذات اليمن الى الخليج ، وبين الطريق المسلك فيه ذات اليسار الى قلعة الجبل .

ولم يكن هذا الشارع موجودا على ما هو عليه الآن عند وضع القاهرة ، وانما حدث بعد وضعها بمدة أعوام على غير هذه الهيئة . فلما كثرت العمارات خارج باب زويلة ، بعد سنة سبعمائة من سنى الهجرة ، صار على ما هو عليه الآن .

فأما أول أمره فان الخليفة الحاكم بأمر الله أنشأ الباب الجديد على يسرة الخارج من باب زويلة على شاطئ بركة القيل ، وهذا الباب أدركت عقده عند رأس المنجبية بجوار سوق الطيور . ثم لما اختطت حارة اليانية وحارة الهلالية ، صار ساحل بركة القيل قبالتها ،

واتصلت العمارات من الباب الجديد الى الفضاء الذي هو الآن خارج المشهد النقيص .

فلما كانت السدة العظمى في خلافة المستنصر ، وخربت القوائم والعسكر ، صارت مواضعها خرابا الى خلافة الأمر بأحكام الله . فعمر الناس حتى صارت مصر والقاهرة لا يتخللها خراب ، وبنى الناس في الشارع من الباب الجديد الى الجبل عرضا حيث قلعه الجبل الآن ، وبنى حائط يستر خراب القوائم والعسكر .

فعمر من الباب الجديد طولا الى باب الصفا بمدينة مصر ... حتى صار المتعيشون بالقاهرة والمستخدمون يصلون العشاء الآخرة بالقاهرة ، ويتوجهون الى سكنهم في مصر ، ولا يزالون في ضوء ورج وسوق موقود من الباب الجديد خارج باب زويلة الى باب الصفا حيث الآن كوم الجراح ، والمعاش مستمر في الليل والنهار .

ووقف القاضي الرئيس المختار العدل زكي الدين أبو العباس أحمد بن مرتضى بن سيد الأهل بن يوسف حصة من البستان الكبير ، المعروف يومئذ بالمخاريق الكبرى الكائن فيما بين * القاهرة ومصر بمسودة الخليج ، على القربات ، وشرط أن الناظر يشتري في كل فصل من فصول الشتاء من قماش السكتان الخام أو القطن ما يراه ، ويعمل ذلك جبانا وبغالطيقا محشوة قطن ، وتفرق على الأيتام الذكور والانات الفقراء غير البالغين بالشارع الأعظم خارج باب زويلة ، فيدفع لكل واحد جبة واحدة أو بغطا ، فان تعذر ذلك كان

(*) من ١٠٠ ج ٢ ، ط ١٠٠ بلاق *

على الأيتام المتصفين بالصفات المذكورة بالقاهرة ومصر وقرافتهما . وكان هذا الوقف في سنة ستين وستائة .

فلما كثرت العمارات خارج باب زويلة ، في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد سنة سبعمائة ، صار هذا الشارع أوله تجاه باب زويلة وآخره في الطول الصلبة التي تنتهي الى جامع ابن طولون وغيره . لكنهم لا يربدون بالشارع سوى الى باب القوس الذي بسوق الطيورين ، وهو الباب الجديد .

وبعد باب القوس سوق الطيورين ، ثم سوق جامع قوصون ، وسوق حوض ابن هنس ، وسوق ربع طنجي . وهذه أسواق بها عدة حوائت ، لكنها لا تنتهي الى عظم أسواق القاهرة ، بل تكون أبدا دونها بكثير ... فهذا حال القصبة والشارع خارج باب زويلة .

وقد بقيت عدة أسواق في جانبي القصبة ولها أبواب شائعة ، وفيها أسواق آخر في نواحي القاهرة ومسالكها سيأتي ذكرها بحسب القدرة ان شاء الله تعالى .

« سوق أمير الجيوش » : هذه السوق الآن ، فيما بين حارة برجوان وحارة بهاء الدين ، كانت تعرف بسوق الخروقيين فيما بعد زوال الدولة الفاطمية . وفي هذا السوق عمر الأمير مازكوج الأسدي مدرسته المعروفة الآن بالأزكجية .

وأدركت الناس الى هذا الزمن الذي نحن فيه لا يعرفون هذا السوق الا بسوق أمير الجيوش ، ويعبرون عنه بصيغة التصغير ، ولا

أعرف لهم مستدا في ذلك . والذي تشهد به الأخبار أن سوق أمير الجيوش هو السوق الذي برأس حارة برجوان ، ويمتد الى رأس سوق أمير الجيوش الآن .

وهذه السوق من أكبر أسواق القاهرة . بها عدة حوائت فيها الرفاؤون والحباكون ، وعدة حوائت للرسمين ، وعدة حوائت للفرادين وعدة حوائت للخياطين ، ومعظمها لسكن البزازين والخلمين ، وفيها عدة من يباعى الأقباع .

ويباع في هذا السوق سائر الثياب المخيطة والأمتعة من القرش ونحوها . وهو شارع من شوارع القاهرة يسلك فيه من باب الفتوح وبين القصرين وباب النصر الى باب القنطرة وشاطئ النيل وغيره .

وكان ما بعد هذا السوق الى باب القنطرة معمور الجبانين بالحوائت ، المدة لبيع الطرائف والمغازل والسكتان والأنواع من الماكل والعطر وغيره ، وقد خرب أكثر هذه الحوائت في سنى المنحة وما بعدها . ولسوق أمير الجيوش عدة قياس وفنادق ، والله أعلم .

« سوق الجلون الصغير » : هذا السوق يسلك فيه من رأس سوق أمير الجيوش الى باب الجوانية وباب النصر ورجة باب العيد . وهو مجاور لدرب الفرحة ، وفيه المدرسة الصيرمية ، وباب زيادة الجامع الحاكمي . وكان أولا يعرف بالأمراء القرشيين بنى النورى ، ثم عرف بالجلون الصغير ، وبجلون ابن صيرم . وهو الأمير جمال الدين شويخ ابن صيرم أحد الأمراء في أيام الملك

الكامل محمد بن الصادق أبي بكر بن أيوب ،
والله نسب المدرسة الصربية ، والخط
المعروف خارج باب القصر يستأن ابن
صيرم .

وأدركت هذا الجبل من مسود الجانب من
أوله إلى آخره بالحرارية : ففى أوله كتب
من البزائن الذين يبيعون ثياب الكتان من
الغام والأندق وأنواع الطرح وأنصاف ثياب
القطن ، وضادى فيه على الثياب بجراح حراج ،
وفيه عدة من الخياطين ، وعدة من البايعة
للمدين لنسج الثياب وصقلها . وبآخره كثير
من الصيغ ، بحيث لو أراد أحد أن يشتري
منه ألف ضبة فى يوم لما عسر عليه ذلك .

فلما حدثت للحزن خرب هذا السوق بخلو
حوادثه ، وصار مقرا من ساكنيه ، ثم انه صر
بعد سنة عشر وثلاثمائة ، وفيه الآن قمر من
البزائن وقليل من سواهم .

« سوق الحارثين » : هذا السوق فيسا
بين الجامع الأقمر وبين جبلون بن صيرم .
يسلك فيه من سوق حارة برجوان ومن سوق
الشعابين إلى الركن المخلق ورجة باب العيد ،
وهو من شوارع القاهرة الملوكة ، وفيه عدة
حوادث لعمل الحارثين التي يسافر فيها إلى
العجاز وغيره ، وكان فيه تاجران قد تراءيا
على ما يشتريانه من الحارثين المرفعة للبيح .
ولهذا السوق موسم عظيم عند سفر الحاج ،
وعند سفر الناس إلى القدس .

ويطعن عن شيخ كان بهذا السوق أنه أوصى
بعض صيائه فقال له : يا بني لا تراعى أحدا في
بيع فانه لا يحتاج إليك إلا مرة فى صبره ، فخذ

عنده فى لمن الحارة فانه لا تخشى من عوده
مرة أخرى إليك ، وسوف اذا عاد من سفره
لما إلى العجاز أو القدس فانه يحتاج إلى
بيع . فتردد عليه فى ثمنها ، واشترها
بأربعين .

وكذلك يفعل أهل هذا السوق إلى اليوم ،
فانهم لا يراعون بالثمن ولا مشترى . إلا أن
سومهم لم يبق كما أدركناه ، فانه حدث سوق
آخر يساع به الحارثين بسوق الجامع
الطولونى ، وصار بسوق الخيتمين أيضا
صاع . للحارثين .

ويطعن أن بالحارثين هذه أوقف أهل مصر
امراة من جريد مؤكرة ، بيدها ورقة فيها
سب الخليفة الحاكم بأمر الله ولعنه ، عندما
منع النساء من الخروج فى الطرقات ، فعندما
مر من هناك حبسها امراة تساله حاجة ، فأمر
بأخذ الورقة منها ، فاذا فيها من السب ما
أنفضه ، فأمر بها أن تؤخذ فاذا هى من جريد
قد ألبس ثيابا ، وعمل كهيئة امراة . فاستند
عند ذلك غضبه ، وأمر المييد بأحراق مدينة
مصر ، فحرموا فيها النار .

ولم آت على هذا الخبر مطورا . وقد
ذكر المسيحي حريق الحاكم بأمر الله لمصر ، ولم
يذكر قصة المرأة .

« الصاغة » : هذا المكان تجاه المدارس
الصالحية بخط بين القصرين .

قال ابن عبد الظاهر : الصاغة بالقاهرة كانت
مطبخا للقصر يخرج إليه من باب الزهومة ،

(١٠) ص ١٠١ - ١٠٢ ، طبع بولاق .

وهو الباب الذى هدم وبني مكانه قاعة شيخ
الحنابلة من المدارس الصالحية .

وكان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر
رمضان ألف ومائتا قدر من جميع الألوان فى
كل يوم تفرق على أرباب الرسوم والضغاء ،
وسمى باب الزهومة - أى باب الزفر - لأنه
لا يدخل باللحم وغيره إلا منه فاختص بذلك .
انتهى .

والصاغة الآن وقف على المدارس الصالحية
وقفها الملك السعيد بركة خان ، المسمى بناصر
الدين محمد ، ولد الملك الظاهر ركن الدين
يبرس البندقدارى ، على الفقهاء المقررين
بالمدارس الصالحية .

« سوق الكتبيين » : هذا السوق فيما بين
الصاغة والمدرسة الصالحية . أحدث فيما اظن
بعد سنة سبعمائة ، وهو جار فى أوقف
المرستان المنصورى .

وكان سوق الكتب قبل ذلك بمدينة مصر
تجاه الجانب الشرقى من جامع عمرو بن
العاص ، فى أول زقاق القناديل بجوار دار
عمرو ، وأدركه وفيه بقية بعد سنة ثمانين
وسبعمائة ، وقد دثر الآن فلا يعرف موضعه .

وكان قد نقل سوق الكتبيين من موضعه
الآن بالقاهرة إلى قيسارية كانت فيما بين سوق
الدجاجين المجاور للجامع الأقمر وبين سوق
الحصريين المجاور للركن المخلق . وكان يعلو
هذه القيسارية ربع فيه عدة مساكن ،
فتضررت الكتب من ندوة أقبية البيوت
وقد بعضها ، فعادوا إلى سوق الكتب الأول
حيث هو الآن .

وما يرح هذا السوق مجعلا لأهل العلم
يرتدون إليه . وقد انشئت قديما لبعضهم :

مجسسه السوق مملوءة
ومنه مجسسى قد تحسب
ولا تقرين غير سوق الجياد
وسوق السلاح وسوق الكتب
فهايك آتة أهل الوغى
وهايك آتة أهل الأدب

« سوق الصناديق » : هذا السوق تجاه
المدرسة السيوفية . كان موضعه فى القديم
من جملة المارستان ، ثم عرف بفندق الدبابيلين ،
وقيل له الآن سوق الصناديق . وفيه تباع
الصناديق والخزائن والأسرة مما يعمل من
الخشب .

وكان ما بظاهرها قديما يعرف بسكن
الدجاجين ، وأدركناه يعرف بسوق
السيوفيين ، وكان فيه عدة طباطخين لا يزال
دخان كواثينهم منعقدا لكثيره ... حتى قال
لى شيخنا قاضى القضاة مجد الدين اسماعيل
ابن ابراهيم الحنفى : ان قاضى القضاة جلال
الدين جاد الله قال له : هذا السوق قطب دائرة
الدخان .

وفى سوق الصناديق إلى الآن بقية .

« سوق الحريرين » : هذا السوق من باب
قيسارية العنبر إلى خط البندقائين . كان
يعرف قديما بستیفة العداس ، ثم عمل صاغة
القاهرة ، ثم سكن هناك الأساكفة .

قال ابن عبد الظاهر : وكانت الصاغة قديما
فيما تقدم مكان الأساكفة الآن . وهو إلى
الآن معروف بالصاغة القديمة ، وكان يعرف

الدولة التركية من آخر الأتراك التي لا يستطيع
أحد أن يفسرها .

وقد أخبرني الطوقس القبيح الكاتب
المعجب الطوقس زين الدين متبيل ، الرومي
أجل العروق بالنسي ، غير السطاح تلك
الناصر الحسن بن محمد بن قلاوون : أنه
وجد في تركة بعض أمراء السطاح حسن فيه
يقرب قاتم ، فاستكر ذلك عليه ونسب منه ،
وصار يعكس ذلك مدة ليرة هذا الصنف
والعزلة ، لكونه من ملابس السطاح وملابس
نساءه .

ثم تبينت لأستاذي المذكورة حتى صار
ليس السور أحد الأجناد وأحد الكتائب
وكثر من العوام ، ولا تكاد امرأة من نساء
بغداد التي تظن من لبس السور ونحوه ؟
والتي لأن عند الناس من هذا الصنف وغيره
من العروق نساء كثيرة .

« سوق الخياطين » : هذا السوق قديما
من سوق الجبلون الكبر وفيه قيسارة
الغرب التي ذكرها ابن شاه الله . تعالى عند
ذكر القيسار . ويطلب هذا السوق شارع من
الغابة ، ويعرف بسوق الخنية (تصغير
خنية) قاله عمل على باب المذكور خنية
تسح التراكب من التوصل إليه .

وبذلك من هذا السوق إلى قيسارة
الغرب وغيرها ، وهو معصور الجبانين
بالحوادث المنة لبيع الكواشي والخرق التي
تلبسها الصياد والبنات . ويظهر هذا السوق
أيضا في القبة مدة حوائت لبيع الخرق
وصلها .

الكتاب ١٠٠٠ ج ١ ، خريف .

وقد ذكر ليس وجه الدولة ، من الأمانة
والسياسة والأجناد ومن يتبعه هم ، الطوقس
في الدولة العبركية ، وصاروا يلبسون
الطقية على رؤوسهم بغير علامة ، وسروا
كلهم في التسويع والاسواق والجوامع
والطواكب — لا يرون بذلك بأنا بعضا كان
يرفع الصلابة عن الرأس علوا وفضيحة ، وتوعوا
منه الطوقس ما يجد أنظر وأنصر وتزوق
وبغيره من الأتوان .

وكانت أولا ترفع نحو سلس ذراع ،
وسل انلاما منورا مطحا . فحدث في أيام
ذلك أنصر فرج منها شيء ، عرف بالطوقس
العبركية ، يكون ارتفاع عصابة الطقية
منها نحو سلس ذراع ، وانلاما منور منيب .
وكانوا في تلبس الطقية بالورق والسكينة
فيما بين البيضة للبشرة للرأس والوجه القاهر
كلس ، وجلسوا من أسفل الصلابة المذكورة
زفة من قرو القرض الأسود يقال له القندس ،
في عرض نحو ثمن ذراع ، يصير دائرا بجهة
الرجل وأعلى عنقه . وهم على استعمال هذا
الذي إلى اليوم ، وهو من نسج ما عاينوه .

وينسب الرجال في لبس ذلك بالنساء
لأنهم : أحسناء الله تعالى في أهل الدولة محبة
الذكرا ، قصد نساؤهم النسب بالذكرا
ليستل قلوب رجالهم ، فافتدى بعضهم في
ذلك عفة نساء البلد .

ولأنهما ما حدث بالنسب من الفقر ، وذل
هم من العاقة ، فأنظر حال نساء أهل مصر
التي ترك ما تحركا فيه النساء من لبس الذهب
والفضة والجواهر وليس الحرير ، حتى لبس

منه الطوقس ، والحق في علمها من الفهم
والحرر ونحوه ، وتواصين على لبسها .

ومن تأمل لسوء الوجود ، عرف كيف تنشا
أمور الناس في عاداتهم وأخلاقهم ومذاهبهم .

« سوق الخطين » : هذا السوق قديما
في قيسارة القاضل ، التي ذكرها ابن شاه الله
تعالى ، ومن باب زويلة الكبير . وكان يعرف
قديما بالخناجين ، وعرف اليوم بالرقيق
— تصغير رفاق — وعرف أيضا بسوق
الخطين ، كما جسع خطي . والخطين في
زماننا هو الذي يتعلم بيع التبايب الخلع ،
وهي التي قد لبست .

وهذا السوق اليوم من أنصر أسواق
القاهرة لكثرة ما يباع فيه من ملابس أهل
الدولة وغيرهم ، وأكثر ما يباع فيه الثياب
للخيفة ، وهو معصور الجوانب بالحوادث ،
وبذلك فيه من القصة ليلا ونهارا إلى حارة
الباطية وخوخة أيدغش وغير ذلك . وفي
دخل القاهرة أيضا عدة أسواق ، وقد خرب
لأن أكثرها .

« سوق الخياطين » : هذه السوق يملك
إليها من خط البندقين ومن باب الخوخة
وغير ذلك ، وهي من الأسواق القديمة . كانت
في الدولة القاطية تعرف بسوق الوزر
— يعني أبا القراج يعقوب بن كلس ، وزير
الخليفة العزيز بالله قار بن العزيز ، الذي نسب
إليه حارة الوزيرة — قائما كانت على باب
داره التي عرفت بعده في الدولة القاطية بدار
الدياج .

وصار موضعها الآن المدرسة الصاحية ، ثم
صار تعرف بسوق دار الدياج — يعني

دار الطوقس — ينسج فيها الدياج الذي هو
الحرير ، وقيل لذلك الموضع كله خط دار
الدياج ، ثم عرف هذا السوق بالسوق الكبير
في آخر أيام الدولة القاطية .

فلما ولي منى الدين عبد الله بن شكري
القمي وزارة الملك العادل أبي بكر بن
أيوب ، سكن في هذا الخط ، وأنشأ به
مدرسته التي تعرف إلى اليوم بالمدرسة
الصاحية ، وأنشأ به أيضا رباطه وحمامه
المجاورين للمدرسة المذكورة ... عرف من
حينئذ هذه السوق بسوق الصاحب
المذكور ، واستمرت تعرف بذلك إلى يومنا
هذا .

ولم تزل من الأسواق المتبعة . يوجد فيها
أكثر ما يحتاج إليه من المأكول ، لوفور نسج
من يسكن هناك من الوزراء وأعيان الكتاب .
فلما حدثت المحن طرقتا ما طرقت غيرها من
أسواق القاهرة ، فاختلت عما كانت ، وفيها
بقية .

« سوق البندقين » : هذا السوق يملك
إليه من سوق الزجاجين ومن سوق الصاحب
ومن سوق الأيوانين وغيره . وكان يعرف
قديما بسوق بئر زويلة .

وكان هناك بئر قديمة تعرف ببئر زويلة ،
يرسم اصطبل الجميزة الذي كان فيه خيول
الخلفاء القاطين ، وصار موضعه خط
البندقين بعد ذلك ، كما ذكر عند اصطبلات
الخلفاء القاطين من هذه الكتاب . وموضع
هذه البئر اليوم قيسارة يونس والريح الذي
يملوها ، وبقي منها موضع ركب عليه حجر ،
وأعدت لملء السقاين منها .

فلما زالت الدولة ، واختط موضع اصطبل
الجسيمة الدور وغيرها ، وعرف موضع
الاصطبل بالبندقاين ... قبل لهذا السوق
سوق البندقاين . وأدركه سوقا كبيرا ،
مصور الجانبين بالحوائيت التي قد تهدم
أعلاها منذ كان الحريق بالبندقاين في سنة
أحدى وخسين وسبعمائة ، كما ذكر في خط
البندقاين عند ذكر الأخطاط من هذا
الكتاب .

وفي هذا السوق كثير من أرباب المعاش
المعدين لبيع المأكولات من الشواء والطعام
المطبوخ وأنواع الأحياء والألبان والبوارد
والخبز والفواكه ، وعدة كثيرة من صناعات
قنى البدق ، وكثير من الرسامين ، وكثير من
بياعى القفاح . فلما حدثت المحن بعد سنة
ست وثمانمائة ، اختل هذا السوق خلا كبيرا
وتلاشى أمره .

« سوق الأخفائين » : هذا السوق بجوار
سوق البندقاين ، يباع فيه الآن خفاف
النساء ونعالهن . وهو سوق مستجد أنشأه
الأمير يونس النوروزى ، دوا دار الملك الظاهر
برقوق ، قى سنة بضع وثمانين وسبعمائة ،
ونقل اليه الأخفائين يباعى أخفاف النساء من
خط الحريرين والزجاجين .

وكان مكانه ما خرب في حريق البندقاين
فركب بعض التيسارية على بئر زويلة ، وجعل
بابها تجاه درب الأنجب ، وبنى بأعلاها ربعا
كبيرا فيه عدة مساكن ، وجعل الحوائيت
بظاهرها وبظاهر درب الأنجب ، وبنى فوقها
أيضا عدة مساكن . فمصر ذلك الخط بعمارة

(١٠٠ ص) ١٠٠ ج ٢ ، ط ١٠٠ بولاق .

هذه الأماكن ، وبه الى الآن مسكن يباعى
أخفاف النساء ونعالهن التي يقال للنحل منها
« سرموزة » ، وهو لفظ فارسي معناه « رأس
الخف » ، فإن سر رأس ، وموزة خف .

« سوق الكفتين » : هذا السوق يسلك
اليه من البندقاين ومن حارة الجودرية ومن
الجلولون الكبير وغيره ، ويشتمل على عدة
حوائيت لعمل الكفت ، وهو ما تطعم به أوالى
النحاس من الذهب والفضة .

وكان لهذا الصنف من الأعمال بديار مصر
رواج عظيم ، وللناس في النحاس المكفت رغبة
عظيمة ... أدركنا من ذلك شيئا لا يبلغ وصفه
واصف لكثرة ، فلا تكاد دار تخلو بالقاهرة
ومصر من عدة قطع نحاس مكفت ، ولا بد أن
يكون في ثورة العروس دكة نحاس مكفت .

والدكة عبارة عن شيء شبه السرير يعمل
يعمل من خشب مطعم بالعاج والأبنوس ، أو
من خشب مدهون . وفوق الدكة دست
طاسات من نحاس أصفر مكفت بالفضة ، وعدة
الدست سبع قطع بعضها أصغر من بعض ،
تبلغ كبرها ما يبلغ نحو الأردب من القمح ،
وطول الأكفات التي تقش بظاهرها من الفضة
نحو الثلث ذراع في عرض أصبعين ، ومثل
ذلك دست أطباق عدتها سبعة بعضها في جوف
بعض ، ويفتح أكبرها نحو الذراعين وأكثر ،
وغير ذلك من المناير والسرر وأحقاق الأشنان
والطشت والأبريق والمبخرة . فتبلغ قيمة الدكة
من النحاس المكفت زيادة على مائتى دينار
ذهبا .

وكانت العروس من بنات الأمراء أو الوزراء
أو أعيان الكتاب أو أمائل التجار ، تجهز في

شورتها ، عند بناء الزوج عليها ، سبع دكة :
دكة من فضة ، ودكة من كفت ، ودكة من
نحاس أبيض ، ودكة من خشب مدهون ، ودكة
من صيني ، ودكة من بلور ، ودكة كداهى ،
وهى آلات من ورق مدهون تحمل من الصين
أدركنا منها في الدور شيئا كثيرا . وقد عدم
هذا الصنف من مصر الا شيئا يسيرا .

حدثنى القاضى الفاضل الرئيس تاج الدين
أبو الفداء اسماعيل أحمد بن عبد الوهاب ابن
الخطباء المخرومى ، رحمه الله ، قال : تزوج
القاضى علاء الدين بن عرب محتسب القاهرة
بامراة من بنات التجار تعرف بست العمام ،
فلما قارب البناء عليها والدخول بها ، حضر
اليه في يوم وكيلا وأنا عنده ، فبلغه سلامها
عليه وأخبره أنها بعثت اليه بمائة ألف درهم
فضة خالصة ليصلح بها لها ما عساه احتل
من الدكة الفضة .

فأجابته الى ما سأل وأمره باحضار الفضة .
فاستدعى الخدم من الباب فدخلوا بالفضة في
الحال ، وبالوقت أمر المحتسب بصناع الفضة
وطلائها ، فأحضروا وشرعوا في اصلاح ما
أرسلته ست العمام من أوالى الفضة واعادة
طلائها بالذهب ... فشاهدنا من ذلك منظرا
بديعا .

وأخبرنى من شاهد جهاز بعض بنات
السلطان حسن بن محمد بن قلاوون - وقد
حمل في القاهرة - عندما زفت على بعض
الأمراء في دولة الملك الأشرف شعبان بن
حسين بن محمد بن قلاوون ، فكان شيئا
عظيما من جملة دكة من بلور تشتمل على
عجائب ، منها زبر من بلور قد نقش بظاهره

صور ثابتة على شبه الوحوش والطيور ،
وقدر هذا الزبر ما يسح قرية ماء .

وقد قل احتمال الناس في زماننا هذا
للنحاس المكفت وعز وجوده ، فإن قوما لهم
عدة سنين قد تصدوا لشراء ما يباع منه ،
وتتحية الكفت عنه طلبا للفائدة .

وبقى بهذا السوق الى يومنا هذا بقية من
صناع الكفت قليلة .

« سوق الأقباعين » : بخط تحت الربيع
خارج باب زويلة ما يلى الشارع السلوك فيه
الى قنطرة الخرق .

ما كان منه على يمنة السالك الى قنطرة
الخرق ، فانه جار في وقت الملك الظاهر بيبرس
هو وما فوقه على المدرسة الظاهرية بخط بين
القصرين وعلى أولاده ، ولم يزل الى يوم
السبت خامس شهر رمضان سنة عشرين
وثمانمائة ، فوقع الهدم فيه ليضاف الى عمارة
الملك المؤيد شيخ المجاورة لباب زويلة .

وما كان من هذا السوق على يسرة من ملك
الى القنطرة ، فانه جار في وقت أقبغا عبد
الواحد على مدرسته المجاورة للجامع الأزهر ،
وبعضه وقف امرأة تعرف بدينا .

« سوق السقطين » : هذا السوق خارج
باب زويلة بجوار دار التفاح ، أنشأه الأمير
أقبغا عبد الواحد ، وهو جار في وقته .

« سوق خزانة البنود » : هذه السوق
على باب درب راشد وتمتد الى خزانة البنود ،
وكانت تعرف أولا بسوق ريدان الصقلي
المنسوب اليه الريدانية خارج باب النصر .

(١٠٠ ص) ١٠٠ ج ٢ ، ط ١٠٠ بولاق .

« سوقة المسودي » : هذه السوقة من
عقوق حارة زوطة بالقاهرة . تنسب الى الأمير
صارم الدين قايمار المسودي ، مملوك الملك
للمسود أميس ابن الملك الكامل .

وولي للمسودي هذا ولاية القاهرة
— وكان ظالما غاشما جارا — من أجل أنه
كان في دار ابن قرقة التي من جعلتها جامع ابن
للنعمي وبيت الوزير ابن أبي فاكرو . ثم ان
فتح الدين بن متمم الداودي التبرلي كاتب
الر يندما في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ،
لأنه كان يسكن هناك .

ومات المسودي في يوم الاثنين النصف من
قضى الحجة سنة أربع وستين وثمانمائة . فبره
فخص في دار العدل بسكنى كان يريد أن
يقتل بها الأمير عز الدين الحلبي نائب السلطنة ،
فوقعت في غزواد المسودي فمات لوقت .

« سوقة طلق » : هذه السوقة على
وأس العارة الصالحية منا يلي الجامع الأزهر .
عرفت بالأمير سيف الدين طلق السلاح دار ،
صاحب حمام طلق التي بالقرب من الجامع
الأزهر على باب درب المنصوري ، وصاحب
دار طلق التي عرفت اليوم بدار المنصوري
في الدرب المذكور .

وأول ما عرفت هذه السوقة لم يكن فيها
غير أربع حوانيت ، ثم عرفت عمارة كبيرة لما
خرت سوقة الصالحية التي كانت مما يلي
باب البرقية في حدود سنة ثمانين وسبعمائة ،
ثم ثلاث من سنة ست وثمانمائة كما تلاحظ
غيرها من الأسواق ، وبقي فيها يسير جدا .

« سوقة الصواني » : هذه السوقة خارج
باب النصر وباب القشوح يحيط بستان ابن

صيرم . عرفت بالأمير علاء الدين أبي الحسن
على بن مسعود الصواني ، مشد الدواوين في
أيام الملك الناصر ركن الدين بيبرس
البنقداري ، وقيل بل قراجا الصواني أحد
مقدمي الحلقة في أيام الملك المنصور قلاوون ،
وكان في حدود سنة إحدى وثمانين وثمانمائة
موجودا ، وكانت داره هناك .

وكان أيضا في أيام الملك المنصور قلاوون
الأمير زين الدين أبو المالى أحمد بن شرف
الدين أبي المظفر محمد الصواني ، شاد
الدواوين ، وكان يسكن بمدينة مصر . والأمير
علم الدين سنجر الصواني أحد الأمراء المقدمين
الألوف في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون
والملك المظفر بيبرس ، وهو صاحب البئر التي
بالباطنية المعروفة ببئر الدواوين . وعز الدين
أيك الصواني .

« سوقة البلشون » : هذه السوقة خارج
باب القشوح . عرفت بسابق الدين سنقر
البلشون أحد ممالك السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب وسلاح درايته ، وكان له
أيضا بستان بالمقنن خارج القاهرة من جوار
الدكة يعرف بستان البلشون .

« سوقة اللفت » : هذه السوقة كانت
خارج باب النصر من ظاهر القاهرة حيث البئر
التي في شمالي مصلى الأموات ، المعروف ببئر
اللفت ، تجاه دار ابن الحاجب . كانت تشتمل
على عدة حوانيت يباع فيها اللفت والكرب ،
ويحمل منها الى سائر أسواق القاهرة ، ويباع
اليوم في بعض هذه الحوانيت الدريس لطف
الدواين .



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأبنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
بولاق
سنة ١٢٧٠ هجرية

الثن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِئِ

الحمد لله

٢٩٠

كتاب
التحرير



• كانت مصر هي مستقر رأسي ، ولعب أترابي ، وجميع ناسي ، ومفني غشيري وهاشمي ،
وموطن خاصتي وعاصمتي ، وهجو هجو الذي ربي بها في وكره ، وعش ماري ، فهد
تهوى الأنفاس غير ذكره ، لا زالت منذ شذوت العام ، وآتاني ربي الفطامة والفهم ، أقرب في
معرفة أخبارها ، وأحب لإشراف علي الإشراف من آبارها ، وأمرى مسارة الركب من مكان دارها ،
نقي الدين أحمد بن علي المقرئ

« سوق زاوية الخدام » : هذه السوق خارج باب النصر بحرى سوقة اللت . كان فيها عدة حوانيت يباع فيها أنواع المأكول ، فلما كانت سنة ست وثمانمائة خربت ، ولم يبق فيها سوى حوانيت لا طائل بها .

« سوق الرمل » : هذه السوق كانت فيما بين سوقة زاوية الخدام وجامع آل ملك حيث مصلى الأموات التى هناك . كان فيها عدة حوانيت مملوءة بأصناف المأكول قد خرب سائرهما ، ولم يبق لها أثر البتة .

« سوق جامع آل ملك » : أدركتها الى سنة ست وثمانمائة ، وهى من الأسواق الكبار ، فيها غالب ما يحتاج اليه من الأدام . وقد خربت لخراب ما يجاورها .

« سوقة أبى ظهير » : كانت تلى سوقة جامع آل ملك . أدركتها عامرة .

« سوقة السناطة » : كانت هناك . عرفت بقوم من أهل سناط سكنوا بها . أدركتها أيضا عامرة .

« سوقة العرب » : هذه السوق كانت تتصل بالريذانية ، خربت فى الغلاء الكائن فى سنة ست وسبعين وسبعمائة . وأدركت حوانيت هذه السوق وهى خالية من السكان إلا يسيرا وعقودها من اللبن . ويقال له وما وراه خراب الحسينية .

وكانت فى غاية العمارة . وكان بأولها مما يلى الحسينية قرن ، أدركته عامرا الى ما بعد سنة تسعين وسبعمائة . بلغنى أنه كان قبل ذلك فى أعوام ستين وسبعمائة يخبز فيه كل يوم نحو سبعة آلاف رغيف لكثرة من حوله

من السكان . وتلك الأماكن اليوم لا ساكن فيها إلا اليوم ، ولا يسمع بها إلا الصدى .

« سوقة العزى » : هذه السوق خارج باب زويلة قريبا من قلعة الجبل . كانت من جملة المقابر التى خارج القاهرة فيما بين الباب الجديد والحارات وبركة النيل وبين الجبل الذى عليه الآن قلعة الجبل * . فلما اختطت هذه الجهة ، كما تقدم ذكره عند ذكر ظواهر القاهرة ، عرفت هذه السوق بالأمير عز الدين أيبك العزى نقيب الجيوش ، واستشهد على عكا عندما فتحها الأشرف خليل بن قلاوون فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة . وهذه السوق عامرة بمساحة ما حولها .

« سوقة العياطين » : هذه السوق بخط المقس بالقرب من باب البحر . عرف بالفقير المعتقد مسعود بن محمد بن سالم العياط لكنه بالقرب منها ، وله هناك مسجد بناه فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

وأخبرنى الشيخ المفسر حسام الدين حسن ابن عمر الشهرزورى ، وكيل أبى رحمه الله ، أن النشور ناظر الخاص فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، طرح على أهل هذه السوق عدة أقطار غسل قصب ، وألزمهم فى ثمن كل قطار بعشرين درهما . فوققوا الى السلطان وعيطوا حتى أعفاهم من ذلك ، فقبل لها من حينئذ سوقة العياطين .

ولفظه عياط عند أهل مصر بمعنى صياح ، والعياط الصياح . وأصل ذلك فى اللغة أن العططة تتابع الأصوات واختلافها فى الحرب ،

(*) مرة ١٠٦ ج ٢ ، ط ٠ بولاق .

وهي أيضا حكاية أصوات المجان إذا قالوا عيط عيط وذلك إذا غلبوا قوما ، وقد عططوا وعطط بالذئب إذا قال له عاط عاط . فحرف عامة مصر ذلك ، وجعلوا العياط الصباح ، واشتقوا منه القعل . فاعرف ذلك .

« سوقة العراقيين » : هذه السوق بمدينة مصر القباط . وإنما عرفت بذلك لأن قريبا الأزدي وزحافا الطائي — وكانا من الخوارج — خرجا على زياد بن أمية بالبصرة ، فاتهم زياد بهما جماعة من الأزدي ، وكتب إلى معاوية ابن أبي سفيان يستأذنه في قتالهم ، فأمر بتجريهم عن أوطانهم .

فسيرهم إلى مصر ، وأميرها مسلمة بن مخلد ، وذلك في سنة ثلاث وخمسين ، وكان عددهم نحو من مائتين وثلاثين ، فأثزلوا بالظاهر أحد خطط مصر — وكان إذا ذاك مرقا — أراد أن يسد بهم ذلك الموضع . فثزلوا في الموضع المعروف بكوم سراج ، وكان قضاء ، فبنوا لهم مجلدا ، واتخذوا سوفا لأتسهم ، فسمى سوقة العراقيين .

ذكر العوايد التي كانت بقصبة القاهرة

اعلم أن قصبة القاهرة ما برحت محترمة ، بحيث أنه كان في الدولة الفاطمية إذا قدم رسول متملك الروم ينزل من باب القنوج ، ويقبل الأرض وهو ماش ، إلى أن يصل إلى القصر . وكذلك كان يفعل كل من غضب عليه الخليفة ، فانه يخرج إلى باب القنوج ، ويكشف رأسه ويستنث بعفو أمير المؤمنين حتى يؤذن له بالمسير إلى القصر .

وكان لها عوايد : منها أن السلطان من ملوك بني أيوب ، ومن قام بعدهم من ملوك الترك ، لا بد إذا استقر في سلطنة ديار مصر أن يلبس خلعة السلطان بظاهر القاهرة ، ويدخل إليها راكبا والوزير بين يديه على فرس ، وهو حامل عهد السلطان الذي كبه له الخليفة بسلطنة مصر على رأسه وقد أمسكه بيديه ، وجميع الأمراء ورجال المكار مشاة بين يديه ، منذ يدخل إلى القاهرة من باب القنوج أو من باب النصر ، إلى أن يخرج من باب زويلة . فإذا خرج السلطان من باب زويلة ركب حينئذ الأمراء وبقية العسكر .

ومنها أنه لا يمر بقصبة القاهرة حمل تبن ولا حمل حطب ، ولا يسوق أحد فرسا بها ، ولا يمر بها سقاء إلا وراوته مغطاة .

ومن رسم أرباب الحوانيت أن يعدوا عند كل حانوت زيرا مملوا بالماء ، مخسافة أن يحدث الحريق في مكان فيطفا بسرعة ، ويلزم صاحب كل حانوت أن يعلق على حانوته قنديلا طول الليل يصرج إلى الصباح .

ويقام في القصبة قوم يكنسون الأربال والأثربة ونحوها ، ويرشون كل يوم ، ويجعل في القصبة طول الليل عدة من الخفراء يطوفون بها لحراسة الحوانيت وغيرها ، ويتعاهد كل قليل بقطع ما عساه تربي من الأوساخ في الطرقات حتى لا تعلق الشوارع .

وأول من ركب بخلع الخليفة في القاهرة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة : تاسع شهر رجب

وصلت الخلع التي كانت تفتت إلى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي من الخليفة بغداد ، وهي جبة سوداء وطوق ذهب ، فلبسها نور الدين بدمشق اظهرا لشعارها ، وسيرها إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ليلبسها . وكانت أفتت له خلعة ذكر أنه استقصاها واستزراها واستصغرها دون قدره .

واستقر السلطان صلاح الدين بداره ، وباتت الخلع مع الواصل بها شاه ملك براس الطاية . فلما كان العاشر منه ، خرج قاضي القضاة والشهود والمقرئون والخطباء إلى خيته ، واستقر المسير بالخلعة — وهو من الأصحاب النجية — وزينت البلد ابتهاجا بها .

وفيه ضربت النوب الثلاث بالباب الناصري على الرسم النوري في كل يوم . فأما دمشق فالنوب المضروبة بها خمس على رسم قديم ، لأن الأتابكية لها قواعد ورسم مستقرة بينهم في بلادهم .

وفي حادي عشره ركب السلطان بالخلع ، وشق بين القصرين والقاهرة . ولما بلغ باب زويلة نزع الخلع ، وأعادها إلى داره ، ثم شمر للعب الكرة . ولم يزل الرسم كذلك في ملوك بني أيوب حتى انقضت أيامهم ، وقام من بعدهم مماليكهم الأتراك ، فجروا في ذلك عادة ملوك بني أيوب .

إلى أن قام في ملكة مصر السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ، وقتل هولاء الخليفة المستعصم بالله — وهو آخر

(*) من ١٠٧٠ هـ : ١٢٠٠ هـ بولاق .

خلفاء بني العباس ببغداد — وقدم على الملك الظاهر أبو العباس أحمد ابن الخليفة الظاهر بالله ابن الخليفة الناصر ، في شهر رجب سنة تسع وخمسين وستمائة ، فلقاه وأكرمه وباعه ، ولقبه بالخليفة المستعصم بالله ، وخطب باسمه على المنابر ونقش السكة باسمه .

فلما كان في يوم الاثنين الرابع من شعبان ، ركب السلطان إلى خيمة ضربت له بالبستان الكبير من ظاهر القاهرة ، ولبس خلعة الخليفة وهي جبة سوداء ، وعمامة بنفسجية ، وطوق من ذهب ، وسيف بداوي . وجلس مجلسا عاما ، حضر فيه الخليفة والوزير والقضاة والأمراء والشهود ، وصعد القاضي فخر الدين إبراهيم بن لقمان كاتب السر منبرا نصب له ، وقرأ تقليد السلطان الذي عهد به إليه الخليفة ، وكان بخط ابن لقمان ومن انشأه .

ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق ، ودخل من باب النصر ، وشق القاهرة وقد زينت له ، وعمل الوزير صاحب بهاء الدين محمد بن علي بن حنا التقليد على رأسه قدام السلطان والأمراء ، ومن دونهم مشاة بين يديه ، حتى خرج من باب زويلة إلى قلعة الجبل . فكان يوما مشهودا .

وفي ثالث شوال سنة اثنتين وستين وستمائة ، سطن الملك الظاهر بيبرس ابنه الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ، وأركبه بشعار السلطنة ، ومشي قدامه وشق القاهرة كما تقدم ، وسائر الأمراء مشاة من باب النصر إلى قلعة الجبل ، وقد زينت القاهرة .

وأخر من ركب بشعار السلطنة وخلمة الخلافة والتقليد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، عند دخوله الى القاهرة من البلاد الشامية ، بعد قتل السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين ، واستيلائه على المملكة في ثامن جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وستمائة .

وقال المسيحي في حوادث سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة : نودي في القنائين أن ينفطوا روايا الجمال والبغال لتلا تعيب ثياب الناس .

وقال في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة : أمر الممزر بالله أمير المؤمنين بنصب أزيار الماء ملووة ماء على الحوائط ، ووقود المصايح على الدور ، وفي الأسواق . وفي ثالث ذي الحجة سنة احدى وتسعين وثلاثمائة ، أمر أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله الناس بأن يقدوا القناديل في سائر البلد على جميع الحوائط وأبواب الدور والمحال والسكك الشارعة وغير الشارعة ، ففعل ذلك . ولازم الحاكم بأمر الله الركوب في الليل ، وكان ينزل كل ليلة الى موضع موضع وإلى شارع شارع وإلى زقاق زقاق .

وكان قد ألزم الناس بالوقيد . فتساوروا فيه ، واستكثروا منه في الشوارع والأزقة ، وزنت القياسر والأسواق بأنواع الزينة ، وصار الناس في القاهرة ومصر طول الليل في بيع وشراء ، وأكثروا أيضا من وقود الشموع العظيمة ، وأنفقوا في ذلك أموالا

عظيمة جليلة لاجل التلاهي ، ويستقلوا في الماكول والشارب وسماع الأغاني .

ومنع الحاكم الرجال المشاة يتن بدية من المشى بقربه ، وزجرهم واتهمهم ، وقال : لا تمنعوا أحدا مني . فأحدث الناس به ، وأكثروا من الدماء له . وزنت الصاغة وخرج سائر الناس بالليل للفرج ، وغلب النساء الرجال على الخروج بالليل ، وعظم الازدحام في الشوارع والطرقات ، وأظهر الناس اللهو والنساء وشرب المسكرات في الحوائط وبالشوارع من أول المحرم سنة احدى وتسعين وثلاثمائة . وكان معظم ذلك من ليلة الأربعاء تاسع عشر الى ليلة الاثنين رابع عشره .

فلما تزايد الأمر ومنع ، أمر الحاكم بأمر الله ألا تخرج امرأة من العشاء ، ومتى ظهرت امرأة بعد العشاء فكل بها ، ثم منع الناس من الجلوس في الحوائط ، فامتنعوا .

ولم يزل الحاكم على الركوب في الليل الى آخر شهر رجب . ثم نودي في شهر رجب سنة خمس وتسعين وثلاثمائة : ألا يخرج أحد بعد عشاء الآخرة ، ولا يظهر لبيع ولا شراء . فامتنع الناس .

وفي سنة خمس وأربعمائة تزايد في المحرم منها وقوع النار في البلد ، وكثر الحريق في عدة أماكن . فأمر الحاكم بأمر الله الناس باتخاذ القناديل على الحوائط وأزيار المساء ملووة ماء ، وبطرح السقائف التي على أبواب الحوائط والرواشن التي تظل الباعة . فأزيل جميع ذلك من مصر والقاهرة .

ذكر طواهر القاهرة المعزية

اعلم أن القاهرة المعزية يحصرها أربع جهات وهي : الجهة الشرقية ، والجهة الغربية ، والجهة الشمالية التي تسمى أهل مصر البحرية والجهة الجنوبية التي تعرف في أرض مصر بالقبليّة .

فأما الجهة الشرقية فانها من سور القاهرة * الذي فيه الآن باب البرقية والباب الجديد والباب المحروق ، وتنتهي هذه الجهة الى الجبل المقطم .

وأما الجهة الغربية فانها من سور القاهرة الذي فيه باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة ، وتنتهي هذه الجهة الى شاطئ النيل .

وأما الجهة القبليّة فانها من سور القاهرة الذي فيه باب زويلة ، وتنتهي هذه الجهة الى حد مدينة مصر .

وأما الجهة البحرية فانها من سور القاهرة الذي فيه باب النصر وباب الفتوح ، وتنتهي هذه الجهة الى بركة الجب التي تعرف اليوم ببركة الحاج .

وقد كانت هذه الجهة الشرقية ، عندما وضعت القاهرة ، فضاء فيما بين السور وبين الجبل لا بنيان فيه البتة ، وما زال على هذا الى أن كانت الدولة التركية ، فقبل لهذا الفضاء الميدان الأسود وميدان القبقق - وسيرد ذكر هذا الميدان ان شاء الله تعالى - فلما كانت سلطنة الملك الناصر

(*) من ١٠٨٠ ج ٢ ، ط ١٠٨٠ ب ١٠٨٠

محمد بن قلاوون ، علّ هذا الميدان مقبرة لأموات المسلمين ، وبنت فيه التراب الموجودة الآن كما ذكر عند ذكر المقابر من هذا الكتاب .

وكانت الجهة الغربية تنقسم قسمين : أحدهما بر الخليج الشرقي ، والآخر بر الخليج الغربي .

فأما بر الخليج الشرقي فكان عليه بستان الأمير أبي بكر محمد بن طنج الاخشيد وميدانه ، وعرف هذا البستان بالكافوري . فلما اختط القائد جوهر القاهرة ، أدخل هذا البستان في سور القاهرة ، وعمل بجانبه الميدان الذي يعرف اليوم بالخرشتف ، فصارت القاهرة تشرف من غربها على الخليج . وبنت على هذا الخليج مناظر ، وهي منظره اللؤلؤة ومنظره دار الذهب ومنظره غزالة ، كما ذكر عند ذكر المناظر من هذا الكتاب .

وكان فيما بين البستان الكافوري والمناظر المذكورة وبين الخليج شارع تجلس فيه عامة الناس للفرج على الخليج وما وراءه من البساتين والبرك ، ويقال لهذا الشارع اليوم بين السورين ، ويتصل بالبستان الكافوري وميدان الاخشيد بركة النيل وبركة قارون ، ويشرف على بركة قارون الدور التي كانت متصلة بالعسكر ظاهر مدينة فسطاط مصر . كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب ، عند ذكر البرك وعند ذكر العسكر .

وأما بر الخليج الغربي فان أوله الآن من موردة الخلفاء ، فيما بين خط الجامع الجديد خارج مصر وبين منشأة المهراني ، وآخره أرض التاج والخمس وجوه وما بعدها من بحرى

القطرة . وكذا قوله هذا الخليج عند وقوف
القطرة . ويطلب خط البيع من تحت ، وكذا
من خط البيع من تحت وجه الخارج .
مصر قمرية . كما ذكر في سفر
مصر من هذا الكتاب .

وكانت القطرة التي يخرج منها ماء وهو
التي من شجرة توتة خلف خليج من تحت
كما ذكر عند ذكر القطر من هذا الكتاب .
وكذا عند مرقاة الشجرة التي يخرج منها
الماء يوم فتح الخليج ، ولا يستعمل غيره
ويعرف مرقاة اليوم بخرق .

ويصل بئر بئر الشجرة ، كما
الزهرى . وهي من خط قنطرة السبع
التي جرت لأن يخط خط البيع من تحت
الزهرى . وتصل بالزهرى عند بئر
التي هي . وقد صار موضع الزهرى ، وما
كان يعرف على يد الخليج من البساتين .
يعرف بالحكمة من أيام تلك الممر بعد
أن قنطرة التي وقتها هنا ، كما ذكر عند
ذكر الأحكام من هذا الكتاب .

وكذا الزهرى وما بجوارها من البساتين
التي على يد الخليج العريش والقيس ، في
ذلك على على النيل ، وليس له الخليج
العريش كذا عريش ، وإنما هو النيل في عريش
البساتين على الرفق الذي يعرف اليوم
بالقيس إلى القيس ، القيس القيس هو ما
القطرة ، وتسمى الزاوية التي موضع جامع
القيس التي يعرف اليوم بجمع القيس ، فكان
ما من الخليج المذكور ومية غيبة التي يعرف
الحية يعرف النيل .

وقد ورد في بعض النسخ إلى ما بعد سنة
سنة . كما ذكر في سفر مصر ، النيل ،
من القنطرة من على البحر ، عن أرض
القيس من الزهرى . وقد كانت سنة القنطرة
ويصل بئر . وهذا الماء الذي يعرف
بمئة يفرس ما إلى مئة الهول ،
والبحر الذي هو أرض من النيل الذي في
بحر القطرة ، عرف هذه الأرض بجزيرة
القيس .

وما يروح منه النيل ينحصر عن نهر بعد
نهر إلى ما بعد سنة بسيطة . فبقيت سنة
ومن بئر بين مئة الهول ومن جزيرة
القيس ، وفيما بين القيس وسهل القيل ، عرف
القيس فيما للأفلاك والشمار والقيس من بعد
سنة التي شجرة وسبحة ، وحر القيس
التي من تحت بين قنطرة فيها الخليج للوقوف
اليوم فخليج الزهرى ، فصار في الخليج
القيس بعد ذلك تعرف ما كان يولا من النيل
أعز من النيل عن يد مصر الشرق .

ويعرف هذا اليوم بمئة مواضع . وهي
في الجهة خط مئة الهول ، وخط القيس ،
وخط مئة الكنية ، وخط قنطرة السباع ،
وخط مئة السطاح ، وخط البيرة
الشمرة ، وخط الحكورة ، وخط الجامع
القيسي ، وخط بئر بئر ، وخط السطاح ،
وخط باب القوق ، وقنطرة الخرق ، وخط
بئر القنة ، وخط زوية قوصون ، وخط
حكر القيس ، وقم الخيز ، وخط الخليج
الزهرى ، وخط بولاق ، وخط جزيرة
القيس ، وخط القدة ، وخط القيس ، وخط

من ١٠ ج ١٠ ص ١٠

بركة قوصون ، وخط أرض القنطرة ، وخط
القيس ، وأرض النيل وكوم القريش ، ويصل
القيس ، وخط باب القنطرة ، وخط باب
الشمرة ، وخط باب البحر وغير ذلك .
ويقال من ذكر هذه المواضع ما يمكن
ويقال في شأن الله تعالى .

وكانت جهة القطرة القبلية من ظهرها ليس
فيها سوى بركة القيل وبركة قنطرة ، وهي
قنطرة : يرى من خرج من باب زوية عن يمين
الخليج ومودة السقاني ، وكانت تبعد باب
القنطرة ، وروى عن بئر القيل ، وروى
تبعد قنطرة بين طولون التي تصل بالمسكة
وروى جامع بين طولون وسهل القيس الذي
يعرف عليه بستان الزهرى ، وروى بركة القيل
التي كان يعرف عليها الشرف الذي فوقه قبة
القيس . ويعرف اليوم هذا الشرف بقنطرة
القيس .

وكان من خرج من مصلى العيد بقصر مصر
يرى بركة القيل وقنطرة والقيل . فلما كانت
أيام الخليفة الحاكم بأمر الله ، أتى على منصور
ابن العزيز بلة أي منصور زولو ابن الامام
الفرعاني الله أي تميم مد ، هل خارج باب
زوية بابا عرف بالباب الجديد ، واختلف خارج
باب زوية عدة من أصحاب السلطان :
فلتفت المصانة حارة المصانة ، واختلفت
البنانية والنجية وغيرها . كما ذكر في
موضع من هذا الكتاب .

فلما كانت السنة العشر في خلافة المستر
بلة ، اختلفت أحوال مصر ، وخرت خرابا
شيئا . ثم عثر خارج باب زوية في أيام

الخليفة الأمر بالحكم الله ووزارة لأشرف هذه
ابن قنطرة بن الباطني بعد سنة بسيطة .

فلما زالت الثورة القبلية ، عدم السلطان
صلاح الدين يوسف بن أيوب حارة القنطرة
التي كانت سكن القيد خارج باب زوية ،
وعلمها بستانا . فصار ما خرج عن باب زوية
بساتين إلى الممد القيس ، وبجانب البساتين
طريق يصل منها إلى قلعة القيل التي أشاءها
السلطان صلاح الدين المذكور على يد الأمير
بهاء الدين قرقوش الأسدي ، وصار من يلق
على باب جامع ابن طولون يرى باب زوية .

ثم حدثت الصار التي هي الآن خارج باب
زوية بعد سنة بسيطة ، وصار خارج باب
زوية لأن ثلاثة شوارع : أحدها ذات اليمن
والآخر ذات الشمال ، والشوارع الثالث تجاه
من خرج من باب زوية . وهذه الشوارع
الثلاثة تشتمل على عدة أخطاط .

فلما ذات اليمن فإن من خرج من باب
زوية لأن يجد عن يمينه شارعا سالكا يتصل
به في الرض إلى الخليج حيث القطرة التي
تعرف بقنطرة الخرق ، وتسمى به في الطول من
باب زوية إلى خط الجامع الطولوني . وجميع
ما في هذا الطول والعرض من الأماكن كان
بساتين إلى ما بعد البساتين .

وفي هذه الجهة اليمنى خط دار السباح ،
وسوق السطحي ، وخط تحت الريح ، وخط
القناتين ، وخط قنطرة الخرق ، وخط شق
التيان ، وخط قنطرة آسنفر ، وخط العباية
وبركة القيل ، وخط قبو السكرمالي ، وخط
قنطرة متزدر والمجد للعنق ، وخط قنطرة

عمر سنة ، وخط القوس السابع ، وخط العشر
 الاظم ، وخط الكبر والجمع المرفوع ،
 وخط العلية ، وخط الخارج ، وما هناك من
 العبارات التي ذكرت عند ذكر العبارات من
 هذا الكتاب .

ولما كانت البسائر قد من خرج من باب
 زوية الاقل بعد من يسار ثلثة يسرى به
 في العرض الى الجبل ، وتسمى به في القول
 الى القروية . ويجمع ما في هذه الجهة اليسرى
 كل قننة لا صورة فيه اليه الى ما بعد سنة
 خمسة من البيرة .

فما من القوس السابع ملاح في بركة
 جنب الصالح الوجود لان خارج باب زوية ،
 من ما يرد الى غير قطاع بين طولون
 طرية لاهل القننة الى ان ذات دولة القننة
 القننين ، وكذا السلطان صلاح الدين
 يوسف بن ايوب قننة الجبل على راس الشرق
 القوس على القطاع ، وما يربك الى القننة
 من هذه الجهة اليسرى فيما بين القننين
 والجبل .

ثم حدثت بعد الحق هذه القنن الوجود
 هناك ثلثة بعد ثلثة من سنة سبعة ، وما
 في هذه القننة حد بين البسائر ، وخط
 العرب الاحمر ، وخط جمع البسائر ، وخط
 سوق الخنم ، وخط البياض ، وخط باب القوز
 وخط العيسر والريبة ، وخط القيسر ،
 وخط باب القروية .

ولما ما هو تاجه من خارج من باب زوية
 يعرف بالشرج - وقد كنم ذكره عند ذكر
 الاسواق من هذا الكتاب - وهو يسمى
 بالملك الى خط العلية المذكور آنفا ،

والى خط الجمع المرفوع وخط القوس
 القيسر ، والى القوس وكروم الخارج وهو
 ذلك من بقية خط طاهر القننة ومعه .

وكانت جهة القننة البيرة من طاهر
 هذه يسرى الى ركة الحب ، والى مينة
 والجمع التي عرفت بالخنق ، والى مينة طر
 التي تعرف بالقننة ، والى عن تسمى وما وراء
 ذلك - لا انه كان تحت القننة يستل
 يخط ، ويعرف اليوم بالزمانية ، وعند
 على اليد خارج الى القوس - حيث يسمى
 بالاسواق - كما يزل هناك الى
 سائر القنن .

فما كان قبل سنة خمسة ، وحدثت فيه
 الحيدوس من القنن ، في سنة سبع وثمانين
 بالرياسة ، في خارج باب القنن قننة بين
 بها - وهي ايضا خارج الى القنن مطرة
 - فذكر حرمه عند ذكر القنن من هذا
 الكتاب - وما ايضا فيما بين باب القنن
 والقرية يسمى قد كنم حرمها .

ثم حدثت القننة الحسبية بعد سنة
 خمسة ، خارج باب القنن ، قننة منقول
 تحت بالخنق ، وما يزل خارج باب القنن
 قننة الى ما بعد سنة سبعة . فصر القنن
 به حتى تحت العساكر من باب القنن الى
 الزمانية ، وحدثت القننة من القننة ، ثم
 تلت من بعد سنة سبع وثمانين وسبعة
 الى ان قنن خرابها من حين حدثت القنن في
 سنة ست وثمانين .

في سنة ١١١١ هـ ، طرقت .

فما كان طاهر القننة سنة تلت والى
 يوم هذا ، وحدثت ما ذكره الى مزنة
 بين . وكنه نغم .

ذكر مبدل القنن

هذا الموضع خارج القننة من شرقها ،
 فيما بين القننة التي يزل من قننة الجبل
 اليها ومن قننة القنن التي تحت الجبل الاحمر ،
 ويقال له ايضا ليدن الاسود ، ومبدل
 القنن ، واليدن الاخضر ، ومبدل القنن .

وهو مبدل السلطان الملك الظاهر ركن
 الدين يوسف بن القننار الصالح النجس .
 يسمى به مصفاة في الحرم من سنة ست وستين
 وستة ، عندما احتل يوسف بن القنن وأموار
 القنن ، وحدث القنن على الحب الرمح ورمى
 القنن ونحو ذلك ، وما يزل كل يوم الى
 هذه المصفاة من القنن ، فلا يركب منها الى
 القنن لآخره ، وهو يرمى ويحرض القنن
 على الرمي والفضل والرهان . فما بقي القنن
 ولا ملوك الا وهذا شغل ، وتوفر القنن
 على الحب الرمح ورمى القنن .

وما يروح من بعده من اولاده ، والملك
 المنصور سيف الدين قلاوون لائق الصالح
 النجس ، والملك الاشرف خليل بن قلاوون ،
 يركبون في النوك لهذا المبدل ، وتقف الامراء
 والماليك السلطانية تسابق بالخيول فيه
 قدامهم ، وتنزل العساكر فيه لرمى القنن .

والتيق عبارة عن خشبة عالية جدا تصب
 في يراح من الارض ، ويصل باعلاها دائرة
 من خشب ، وتقف الرماة بقسيها ، وترمي

القنن جوف الدائرة لكي تنرم من القنن الى
 غرض هناك ، ترميها لهم على الحكم الرمي .
 ويصير من هذا القنن في قننة القنن .

قد جمع البيرة القننة : وفي سابع عشر
 الحرم من سنة سبع وستين وستة ، حدث
 السلطان الملك الظاهر ركن الدين يوسف
 بن القننار جميع القنن على راس القنن
 ولعب الرمح ، خصوصا خوامه وماليكه .

وزل الى القنن باب القنن طاهر القننة
 - ويعرف بمبدل القنن - ومن مصفاة
 هناك ، واقام يزل في كل يوم من القنن ،
 ويترك منها عشاء لآخره ، وهو واقف في
 القنن يرمى ويحرض القنن على الرمي
 والرهان . فما بقي القنن ولا ملوك الا وهذا
 شغل ، واستمر الحال في كل يوم على ذلك
 حتى صارت قننة القنن لا تسع القنن ،
 وما بقي لأحد شغل الا لعب الرمح ورمى
 القنن .

وفي شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين
 وستة ، تقدم السلطان الملك الظاهر الى
 عساكره بالثعب لركوب والقنن بالقنن ورمى
 القنن . واتلفت قننة غريبة ، وهو انه أمر
 يرش ليدن الاسود تحت القننة لأجل اللعب ،
 فصر القنن في ذلك ، وكان يوما شديدا
 الحر ، فامر السلطان بتبديل الرش رحمة
 الناس ، وقال : القنن صيام ، وهذا يوم
 شديد الحر . فبطل الرش .

وارسل الله تعالى مطرا جودا استمر ليلتين
 ويوما حتى كثر الوحل ، وتلبست الارض ،
 وسكن العجاج ، ورد الجو ، ولطف الهواء .
 فوكل السلطان من يحفظه من السوق فيه

يوم الدين - وهو يوم الصبح السالبي
والشريعة من نور وحق - وهو يوم
جنته الجنة من كل حرة خلق ، وكذلك من
كل امرئ من كل خلق ولا تصح الدنيا
مع .

فوكيوا في الجمع ذي وأجل الدين والحق
شكل وأمر من ، وركب السلطان ومنه من
خواب وسلكه الفوف ، وحقوا في السلطان
بالروح . فكان من أهل جمع على السلطان .
ثم سئل في ملكه الخواص كلمة ، وروى
أجل قلوب ، وأطلق يوم الفلق الجواهر ،
فكانت الشمس أمة طيبة .

ثم أقيم القيت ، وخلق الشمس لرمي
الملك ، ورجع في أصل من القليلة وجل
الجنة البحرية والبحيرة الصالحية وغيرهم
بغلة يستحب ، والأمر قوسا من حبه
الحس بصله ، ورواه الشيخية والصحية
ومرواه .

وما زال في هذه الأيام على هذه الصورة
يتخرج في خواتم وخروجه : كلمة بالروح ،
وكلمة بالكتاب ، وكلمة بالقبول ، وكلمة
بالسيف مطروقة . وذلك أنه سئل على هذه
في الحب ، وسأل به ، وسأل سالكه
سؤالهم ، وحصل من رسالته حلة رجاء
واحد ، فوحي الله من هذا .

وقام على ذلك إلى يوم من تكلمه الممار
في قرب القرب ، وقد عرفت العلم بالروح
الروح ، والصلاة ، والروح التي في السيف
الحمد والثناء ، وتخرج من كل شيء . فكانت
هذه الأيام من الأيام السعيدة .

ولم يزل أحد من أبناء الترك ، ولا غيره ،
ولا أمر كبير ولا صغير ، ولا غرض ، ولا
مقدم من ملكي للغة ، وملك البحرية
الصالحية ، وملك ، والمالكة الطرية
البحرية ، ولا صاحب ثقل ، ولا خلق عدا
في حنة السلطان على يده ، ولا حامل شيء
في ركب السلطان ، ولا أحد من خواص كتاب
السلطان - لا وشرف بما يلق به على قدر
منه . ثم تعني لملك السلطان لعدة
السلام والأكسة وتعود خزانة السلطان ،
فترجم جميع ، ثم الرواة كتم .

وأصبحوا بكرة يوم الأحد ، فمن عثري
نور وحق : لا يسبح الفتح . جميع في
أحسن صورة وأجمع ذي وأمر شكل وأجل
زينة : بالكنوز التي يذهب واللايس
قلى ما سمع بأن أعتاد يحد بينها ، وهي
قوف . وختم الناس جميع ، وقبوا الأرض
وعظم الفتح ، ووكيوا وأبوا ظاهري على
الجنة . والأموال تحرق ، والأسمعة تصف ،
والصناعات تنق ، والرقاب تنق .

وما زال إلى أن أهل تلك الدول . قام
الناس وطمعوا للغة ، فجلس لهم وعظم
حله . ثم ركب يوم العيد إلى مصلاه ، في
خية يحترق السلطة وأمة الملك ، فعلى .
ثم طع قلة العيال ، وجلس على الأسمعة
- وكان الاحتفال بها كبيرا - وأكل الناس ،
ثم أتيه الفراق . وقم إلى مقر سلطانه بالية
البيعة ، وقد غلت وفورث بأنواع السور
والكل والجرش .

في سنة ١١١١ هـ ، سنة ١١١١ هـ .

وكان قد تقدم إلى الأمر بالفضل
قواتهم ، فأحضروا وفتح عليهم الفتح الصلة
على قلوبهم . فلما كان هذا اليوم أحضروا ،
وحسوا بأجسامهم بين يدي السلطان ، وأخرجوا
فصلوا في الحظرات إلى بيوتهم ، وهم النساء
كل دار . ثم أحضر الأمير نجم الدين خضر
وكان السلطان فتن ، ورسم ليلي جنة من
الأموال ، اجتمع منها خزانة ملك كبير ، فوفت
على من يشر الختان من العسكاه والفرق
وغيرهم .

والقمت هذه الأيام . وجرى السلطان فيها
على عاتقه كما كان . من كونه لم يكف أحد
من خلق الله تعالى جنية بينها ولا نعمة ينفعه
بها في مثل هذه المرة ، كما جرت عادة من
يقدمه من الترك . ولم يسبق من لا شيء
لصاحبه غير أرواب اللامى والأغاني ، فانه كان
في أيامه لم يتفق لهم مبلغ البتة .

ومن لعب بهذا الميدان اتقى السلطان الملك
الأشرف خليل بن قلاوون ، وعمل فيه لهم
التي لم يصل في دولة ملوك الترك بمصر
منه . وذلك أن خوقة أودوتكني ابنة فوكية
- وقال توعية - السلطنة لتتلمت من
السلطان الملك الأشرف على حل ، ففن أنها
تد ابنا ذكرا يوث الملك من بعده .

فأخذ عندما قارت الوضع في الاحتفال ،
ورسم لوزيوه الصاحب شمس الدين محمد
ابن السلوس أن يكتب إلى دمشق بصل
مائة شعلان نحاس مكفت بأقارب السلطان ،
ومائة شعلان آخر ، منها خمسون من ذهب
وخمسون من فضة ، وخمسين سرجا من
سروج الزدكش ، ومائة وخمسين سرجا من

لخمين ، وألف شمة ، وأكسياه كثيرة نحو
ذلك .

فقد الله تعالى أنها ولدت بنتا ، فاجتمع
لذلك ، وكره أبها ما قد استمر عنه .
فأمر أنه يريد خلق أخيه محمد وابن أخيه
مقرر الدين موسى ابن الملك الصالح على بن
قلاوون ، ورسم لقب القيس والمجيب
بالعلم للأمراء والمسكر أن يلبسوا كتم آفة
الحرب من السلاح الكامل هم وغيولهم ،
وحسروا بأجسامهم كذلك في الميدان الأسود
أخرج باب النصر .

قامت الأمراء والعسكر لغتسا كبيرا
لذلك ، وأخذوا في نصب العمد ، وهاجموا
في التقي ، وتلقوا في الظلم التجمل
الزائد . وخرج في اليوم الرابع من اعلام
الأمراء ، السوقة وضربوا عدة صواوين فيها
سائر البقول والفاكل ، فصار بالميدان سوق
عظيم .

وول السلطان من قلة الجبل بفساكره
وعظيم لامة الحرب ، وقد خرج سائر من في
القاهرة ومصر من الرجال والنساء ، إلا من
خلقته العثر ، لرؤية السلطان . فقام السلطان
يومه ، وحصل في ذلك اليوم للناس بهذا
الاجتماع من السرور ما يمز وجود مثله .

وأصبح السلطان وقد استمد العيبكر
بأجمعه لرمي القيق ، ورسم للحجاب بالآ
يسموا أعتا من الجند ولا من المالك ولا من
غيرهم من الرمي ، ورسم للأمير يسرى
والأمير بنو الدين بكشاش القفري أمير
سلاح أن يتلقا الناس في الرمي . فاستقبل
الأمير يسرى القيق ونحته سرج قد صنع

قريبه الذي من خلفه وطيئا ، فصار مستلقيا على قفاه وهو يرمى ويصيب ينة ويسرة ، والناس بأسرهم قد اجتمعوا للنظر حتى ضاق بهم الفضاء .

فلما فرغ دخل أمير سلاح من بعده ، وتلاه الأمراء على قدر منازلهم واحدا واحدا فرموا ، ثم دخل بعد الأمراء مقدمو الحلقة ، ثم الأجناد - والسلطان يعجب برميهم ، وتزايد سروره - حتى فرغ الرمي فعاد الى عليه ، ودار السقا على الأمواء بأواني الذهب والفضة والبلور يسقون السكر المذاب ، وشرب الأجناد من أحواض قد ملئت من ذلك - وكانت عدتها مائة حوض - فشربوا ولهموا ، واستروا على ذلك يومين .

وفي اليوم الثالث ركب السلطان ، واستدعى الأمير يسرى وأمره بالرمي . فسأل السلطان أن يعفيه من الرمي ، ويسن عليه بالتفرج في رمي الشباب من الأمراء وغيرهم . فأعفاه .

ووقف مع السلطان في منزله . وتقدم طمع وعين الغزال وأمير عمر وكيلكدي وقتشر العجوى ويرلنى وأغناق الحسامى وبكتوت ، ولحقو الخسین * من أمراء السلطان الشبان الذين أنشأهم من خاصيته ، وعليهم تريات حرير أطلس بطرازات زركش ، وكلونات زركش وحوائن ذهب - وكانوا من الجمال البارع بحيث يذهل حسنتهم الناظر ، ويدهش جمالهم الخاطر - فتعاطلت مرة السلطان برؤيتهم ، وكثر إعجابه ، وداخله العجب ، واستخفه الطرب . وارتجت

(١١٢) ص ١١٢ ج ٢ ، ط ١٩٠٠ بولاق .

الدنيا بكثرة من حضر هناك من أرباب الملاهي والأغاني وأصحاب الملعب .

فلما انقضى اللعب عاد السلطان الى دهليزه في ريته ، ومرح في مشيته فيها وصلفا . فما هو الا أن عبر الدهليز ، والناس من الطرب والسرور في أحسن شيء يقع في العالم ، وإذا بالجو قد أظلم ، وثار ريح عاصف أسود الى أن طبق الأرض والسماء ، وقلع سائر تلك الخيم ، وألقى الدهليز السلطاني ، وتزايد حتى ان الرجل لا يرى من بجانبه .

فاختلط الناس وماجوا ، ولم يعرف الأمير من الحفير ، وأقبلت السوق والعامية تنهب ، وركب السلطان يريد النجاة بنفسه الى القلعة ، وتلاحق المسكر به ، واختلفوا في الطرق لشدة الهول ، فلم يعبر الى القلعة حتى أشرف على التلف . وحصل في هذا اليوم من نهب الأموال وانتهاك الحرم والنساء ما لا يمكن وصفه ، وما ظن كل أحد الا أن الساعة قد قامت . فتغص سرور الناس ، وذهب ما كان هناك .

وما استقر السلطان بالقلعة حتى سكن الرياح ، وظهرت الشمس ، وكان ما كان لم يكن . فأصبح السلطان وطلب أرباب الملاهي بأجمعهم ، وحضر الأمراء لختان أخيه وابن أخيه ، وعمل مهم عظيم في القاعة التي أنشأها بالقلعة وعرفت بالأشرقية . وقد ذكر خبر هذا المهم عند ذكر القلعة من هذا الكتاب .

وما برح هذا الميدان فضاء من قلعة الجبل الى قبة النصر ليس فيه بنيان ، وللملوك فيه من الأعمال ما تقدم ذكره ... الى أن كانت سلطة الملك الناصر محمد بن قلاوون . فترك

النزول اليه ، وبني مصطبة برسم طعم طيور الصيد بالقرب من بركة الحبش ، وصار ينزل هناك .

ثم ترك تلك المصطبة في سنة عشرين وسبعمائة ، وعاد الى ميدان القبق هذا ، وركب اليه على عادة من تقدمه من الملوك ، الى أن بنيت فيه التربة شيئا بعد شيء حتى انسدت طريقه ، واتصلت المباني من ميدان القبق الى تربة الروضة خارج باب البرقية . وبطل السباق منه ورمى القبق فيه من آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، كما ذكر عند ذكر المقابر من هذا الكتاب .

وأنا أدركت عواميد من رخام قائمة بهذا الفضاء تعرف بين الناس بعواميد السباق ، بين كل صودين مسافة بعيدة . وما برحت قائمة هناك الى ما بعد سنة ثمانين وسبعمائة ، فهدمت عند ما عمر الأمير يونس الدوادار الظاهري تربيته تجاه قبة النصر ، ثم عمر أيضا الأمير قجساس ابن عم الملك الظاهر برقوق تربة هناك ، وتتابع الناس في البنيان الى أن صار كما هو الآن . والله أعلم .

ذكر بر الخليج الغربي

قد تقدم أن هذا الخليج حفر قبل الاسلام يدهر ، وأن عمرو بن العاص رضى الله عنه ، جدد حفره في عام الرمادة ، بإشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حتى صب ماء النيل في بحر القلزم ، وجرت فيه السفن بالغلال وغيرها حتى عبرت منه الى البحر الملح ، وأنه ما برح على ذلك الى سنة

خمسین ومائة فطم ، ولم يبق منه الا ما هو موجود الآن .

الا ان فم هذا الخليج ، الذي يصب فيه الماء من بحر النيل ، لم يكن عند حفره هذا الفم الموجود الآن . ولست أدري أين كان فمه عند ابتداء حفره في الجاهلية ، فان مصر فتحت وماء النيل عند الموضع الذي فيه الآن جامع عمرو ابن العاص بمصر ، وجبج ما بين الجامع وساحل النيل الآن انحصر عنه الماء بعد الفتح .

وآخر ما كان ساحل مصر من عند سوق المعاريج الذي هو الآن بمصر الى تجاه الكبش من غريبه . وجميع ما هو الآن موجود من الأرض ، التي فيما بين خط السبع سقايات الى سوق المعاريج ، انحصر عنه الماء شيئا بعد شيء ، وغرس بساتين . فعمل عبد العزيز ابن مروان أمير مصر قنطرة على فم هذا الخليج في سنة تسع وستين من الهجرة ، بأوله عند ساحل الحمراء ، ليتوصل من فوق هذه القنطرة الى جنان الزهرى الآتى ذكرها ان شاء الله تعالى . وموضع هذه القنطرة بداخل حكر أقبيا المجاور لخط السبع سقايات .

وما برحت هذه القنطرة عندها السد الذي يفتح عند الوفاء الى ما بعد الخمسمائة من الهجرة ، فالنصر ماء النيل عن الأرض ، وغرس بساتين . فعمل الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي هذه القنطرة - التي تعرف اليوم بقنطرة السد - خارج مصر ، ليتوصل من فوقها الى بستان الخشاب ، وزيد في طول الخليج ما بين قنطرة السباع الآن

وحيث تذكره السند المذكورة ، وصلا ما في شرقه - ما انصرف عنه الله - بمسألة عرف يستأن الطيرة ، وما في غريبه يعرف يستأن الطيرة .

وكان طرف خط السبع متقابلت كبسة الحمراء ومدة كائن آخر ، بينما الآن بحكم أبقا تعرف رواية الشيخ يوسف الجبي ، لكناه بها ، عندما هنت بدتة شرب وسبحة .

وما يريحت هذه البساتين موجودة الى ان استولى عليها الأمير أبقا عبد الوليد ، استدار تلك التامر محمد بن قلاوون ، وقلم لغشائها ، وأخذ للتل في حارثا . فعكرا الكس ، وبثوا فيها الآدم وغيرها ، فمضت بحكم أبقا .

وبأول هذا الخليج الآن من غريبه منسلة المهراني - وقد تقدم خيرا ما في هذا الكتاب عند ذكر مدينة مصر - ويجاور منسلة المهراني بستان الخشاب ، وبهذه الآن يعرف بالمريس ، وبهذه منه الملك التامر محمد بن قلاوون ميذا يشرف على النيل مر غريبه . ويعرف ساحل النيل هناك بموردة الجبي ، كما ذكر عند ذكر الميادين في هذا الكتاب ... ويجاور بستان الخشاب بستان الزهري .

وهذه الواضحة التي ذكرت ، كلها ما انصرف عنه النيل ما خلا بستان الزهري فانها من قبل ذلك . وستقف على خيرا وخير ما يجاورها من الأحكام ان شاء الله تعالى .

(١٩١٠ م ١١٢٠ م ، ١١٢٠ م ١١٢٠ م)

ذكر الأحكام التي في نهر الخليج

قال ابن سيده : الأحكام جمع الحكم ونحوه ما يؤكل ، ولحياته انظار وقت الغلاء به . والحكمة والعكر جيبا ما لعكر ، وحكمه يحكمه حكرا كله وتلفه وأما مستتره . انتهى .

فالحكم على هذا النهر . فتقول أهل مصر : حكم قلان أرض للأن ، يتون منع غيره من البناء عليها .

« حكم الزهري » : هذا الحكم يدخل فيه جميع بساتين التبان التي ذكره ان شاء الله تعالى ، وثق التبان ، وطق البقرة ، وسوقة القيروى ، وسوقة صنية ، وبرة الشقاق ، وبرة السباتين ، وقطرة الخرق ، وحسرة المراديين ، وحكم الطين ، وحكم البوانقي ، وحكم كرجي ، وما يجانبه الى قاطر السباع ، وميدان المهارى الى الميدان الكبير السلطاني بموردة الجبي ، وكان هذا قديما يعرف ببستان الزهري ، ثم عرف ببستان الزهري .

قال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف في « تاريخ القراء » : عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري يكنى أبا العباس ، وأمه أم شنان بنت شنان بن العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان . مدني قدم مصر ، وولى الشرط بفسطاط مصر ، وحدث يروي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة . روى عنه من أهل مصر أصبغ بن الفرج ، ومحمد بن أبي مريم ، وعثمان بن صالح ، ومحمد بن غير وغيرهم .

وهو صاحب الجبلان التي بالقنطرة - قنطرة عبد العزيز بن مروان - تعرف ببستان الزهري ، وهو حسن على ذلك الى اليوم . وكان كتاب حبس الحال عند جدي يوسف بن عبد الأسر ودعا عليه مكسوب « ودبة نولد ابن الحسن الزهري ، لا يدفع لأحد الا أن يغري به سلطان » . الكتاب عندى الى الآن . توفي عبد الوهاب بن موسى بمصر في رمضان سنة عشرة ومائتين .

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة ابن جعفر القاضي في كتاب « معرفة الحفظ والآثار » : حبس الزهري هو الجبل الذي عند القنطرة بالحرم ، وهو عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز الزهري . فمصر مصر وولى الشرط بها . والبستان حبس على والده .

وقال القاضي تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج في كتاب « علم المعنى وانماط التأمل » : حبس الزهري ... فذكره ، ثم قال : وهذا الحبس أكثره الآن أحكام ما بين بركة الشقاق وحليج شق التبان ، وقد استولى وكيل بيت المال على بعضه ، وباع من أرضه وآجر منها ، واجتمع هو ومجبه بين يدي الله عز وجل . انتهى .

ولما قال الأمد صار الزهري عدة بساتين : منها بستان أبي البان ، وبستان السراج ، وبستان الحباية ، وبستان عزز ، وبستان تاج الدولة قيسر ، وبستان الترغاني ، وبستان أرض الطيلسان ، وبستان البطرك ، وغيط الكردي ، وغيط الصفار . ثم عرف بستان التبان بعد ذلك .

وقال القاضي يحيى الدين عبد الله بن عبد الحميد في كتاب « فروضة الجبل الزاهرة في خطط المغيرة القاهرة » : شاطئ الطيخ المعروف بستان : « ابن التبان » المذكور هو رئيس المراكب ، الدولة المصرية ، وكان له قصر وأبنة في الأيام الآخرة وغيرها .

ولما كان في الأيام الآخرة ، تقدم الى الناس بالمعارة قبالة الخرق غربي الطيخ . فأول من ابتاعا وعثر الرئيس ابن التبان ، « أنا مسجدا وبستانا ودارا » فمضت تلك الحقبة به الى الآن . ثم بنى سعد الدولة والي القاهرة ، وقام على الدولة على ، وعنى الدولة أبو التبركت محمد بن عثمان ، وجعلته من مراكبي الخصى . واتصلت المسارة ، بالأجر واستوفى التبة والأبواب الشظومة ، من باب البستان المعروف بالحفة على شاطئ الطيخ القريب ، الى البستان المعروف بأبي البان .

ثم ابتنى جده غيرهم من يرغب في الأجرة والتبرج ، على التراجع التي تصرف من الطيخ الى الزهري والبستان ، من المتأول والدكاكين شية كبر ، وهي الشابة المعروفة الآن بشق التبان وسوقة القيروى ، الى أن وصل البناء الى قبالة البستان المعروف بنور الدولة أرمي . وهذا البستان معروف في هذا الوقت بالحفة المذكورة ، وهو متلاشي الحال بسبب ملوحة بئر .

وبستان نور الدولة هو الآن الميدان القاهري والمسطر به ، وتفرقت الشوارع والطرق ، وسكنت الدكاكين والدور ، وكثر المترددون اليه وانماض فيه الى أن استأب

(١٩١٠ م ١١٢٠ م ، ١١٢٠ م ١١٢٠ م)

والى القاهرة بها قاليا عنه . ثم ثلاث تلك الأحوال ، وتغيرت الى أن صارت أملا ، وقت تلك الآثار . ثم بعد ذلك حكر آدرا وبساتين ، وبني على غير تلك الصفة المقدم ذكرها ، وبني على ما هو عليه .

ثم حكر بستان الزهرى آدرا ، ولم يبق من الا قطعة كبيرة بستانا ، وهو الآن أحكر تعرف بالزهرى ، ويعرف البر جسيمه ببر ابى التبان الى هذا الوقت ، وولايته تعرف بولاية الحكر . وبني به حمام الشيخ نجم الدين بن الرفعة ، وحمام تعرف باتيسرى ، وحمام تعرف بحمام الداية على شاطئ الخليج . انتهى .

وبستان ابى اليمان يعرف اليوم مكانه بحكر أقبغا ، وفيه جامع الست مسكة ، وسوقه السباعين . وبستان السراج فى أرض باب اللوق يعرف موضعه الآن بحكر الخليلي . ويأتى ذكرهما ان شاء الله تعالى .

وقصار هو تاج الدولة ، صهر الأمير بهرام الأرمنى وزير الخليفة الحافظ لدين الله ، وقتل عند دخول الصالح طلائع بن رزك الى القاهرة فى سنة تسع وأربعين وخمسة . وهزاز هو غلام الوزير شاور بن مجير السعدى وزير الخليفة العاهد لدين الله .

« حكر الخليلي » : هذا الحكر هو الخط الذى يقرب سوق السباعين وجامع الست مسكة ، وهو بجوار حكر الزهرى . وكان بستانا يعرف بستان ابى اليمان ، ومنهم من يكتب بستان ابى اليمان بغير ألف بعد الميم ، ثم عرف بستان ابن جن حلوان . وهو الجمال

محمد بن الزكى يحيى بن عبد النعم بن منصور ، التجار فى ثمة البساتين ، عرف بابن جن حلوان ، مات فى سنة احدى وتسعين وستة .

وحد هذا البستان القبلى الى الخليج ، وكان فيه بابا وهاليا ، والحد البحرى انتهى الى غيط قيسار ، والشرقى الى الآدر المتكر ، والغربى انتهى الى قطعة تعرف قديما بابن أبى التاج . ثم عرف بستان ابن السراج ، واستأجره ابن جن حلوان من الشيخ نجم الدين بن الرفعة الفقيه المشهور ، فى سنة ثمان وثمانين وستة ، تعرف به . ثم ان هذا البستان حكر بعد ذلك ، تعرف بحكر الخليلي وهو

« حكر قوصون » : هذا الحكر مجاور لقناطر السباع . كان بستانين : أحدهما يعرف بالمخاريق الكبرى ، والآخر يعرف بالمخاريق الصغرى .

فما المخاريق الكبرى فان القاضى الرئيس الأجل المختار العدل الأمين ، زكى الدين أبى العباس أحمد بن مرقضى بن سيد الأهل بن يوسف ، وقف حصاة من جميع البستان المذكور الكبير - المعروف بالمخاريق الكبرى - الذى بين القاهرة ومصر ، بعدوة الخليج ، فيما بين البستانين المعروف أحدهما بالمخاريق الصغرى - ويعرف قديما بالشيخ الأجل ابن أبى أسامة ، ثم عرف بغيره - والبستان الذى يعرف بدويرة دينار ... يفصل بينهما الطريق بخط بستان الزهرى ، وبستان ابى اليمان ، وكثائن النصارى قبالة جمايز السعدية والسبع سقايات .

ولهذا البستان حثولا أربعة : القبلى انتهى الى الخليج القاصلى بينه وبين الموضع المروقة بجمايز السعدية والسبع سقايات ، والحد الشرقى انتهى الى البستان المعروف بالمخاريق الصغرى المقابل للمجنونة ، والبحرى انتهى الى البستان المعروف قديما بابن أبى أسامة ، القاصلى بينه وبين بستان ابى اليمان المجاور للزهرى ، والحد الغربى انتهى الى الطريق .

وجعل هذا البستان على القربى بعد صارت ، وشرط أن الناظر يشتري فى كل فصل من فصول الشتاء ما يراه من قماش الكتان الخام أو القطن ، ويصنع ذلك جبابا وبغالطين محشوة قطن ، ويفرقها على الأقسام الذكور والآثاث الفقراء غير البالغين بالتارح الأعظم خارج باب زويلة ... لكل واحد جبة أو بغطا . فان تملر ذلك كان على الأقسام المتصنفين بالصفة المذكورة بالقاهرة ومصر وقرايتهم ، فان تملر ذلك كان للفقراء والمساكين أينما وجدوا .

وتاريخ كتاب هذا الوقف فى ذى الحجة سنة ستين وستة .

وأما المخاريق الصغرى فانه بعدوة الخليج قبالة المجنونة بالقرب من بستان ابى اليمان ، ثم عرف أخيرا بستان بهادر رأس نوبة ، ومساحتها خمسة عشر فدانا . فاشترى الأمير قوصون ، وقلع غرومه ، وأذن للناس فى البناء عليه ، فحكروه وبنوا فيه الآدر وغيرها ، وعرف بحكر قوصون .

« حكر الحلبي » : هذا الحكر الآن يعرف بحكر يبرس الحاجب ، وهو مجاور للزهرى ولبركة الشفاف من غريبها ، وأصله من جملة

أراضي الزهرى اتقطع منه ، وبه القاضى مجد الدين بن الخشاب وكيل بيت المال لابتى السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون فى سنة أربع وتسعين وستة ، وكان يعرف حين هذا اليح بستان البصل بن جن حلوان وبنيط الكردي وبستان الطيلسان وبستان القرغالى .

وحد هذه القطعة القبلى الى بركة الطواين ، والى المدير الصغير . والحد البحرى انتهى الى بستان القرغالى ، والى بستان البواشقى . والحد الشرقى الى بركة الشفاف ، والى الطريق الموصلة الى المدير الصغير . والحد الغربى الى بستان القرغانى .

ثم انتقل هذا البستان الى الأمير دكن الدين ميرس الحاجب ، فى أيام الملك الناصر محمد ابن قلاوون ، وحكروه فعرف به .

« حكر البواشقى » : عرف بالأمير أزدمن البواشقى ملوك الرشيدى الكبير ، أحد الممالك البحرية الصالحة ، ومن قام على الملك المزايك عندما قتل الأمير فارس الدين أقطاي فى ذى القعدة سنة احدى وخمسين وستة ، وخرج الى بلاد الروم . ثم عرف الآن بحكر كرجى ، وهو بجوار حكر الحلبي المعروف بحكر يبرس .

« حكر أقبغا » : هذا الحكر بجوار السبع سقايات ، بمضه بجانب الخليج الغربى ، وبمضه بجانب الخليج الشرقى . كان بستانا يعرف قديما بستان الحارة ، وسلك اليه من خط قناطر السباع على بمشة السالك طالبا

السبع سقايات بالقرب من كنيسة الحمراء .
وكان بعض بستانا ، يعرف ببستان المحلى ،
وهو الذى فى غربى الخليج .

وكان بستان جنان الحارة بجوار بركة
قارون ، وينتمى الى حوض الدميالى الموجود
الآن على يسرة من سلك من خط السبع
سقايات الى قطرة السد . فاستولى عليه الأمير
أقبغا عبد الواحد استدار الملك الناصر محمد
ابن قلاوون ، وأذن للناس فى تحكيره . فحكر
وبنى فيه عدة مساكن ، والى يومنا هذا يجبى
حكره ويصرف فى مصارف المدرسة الأقباغوية
المجاورة للجامع الأزهر بالقاهرة .

وأول من عمر فى حكر أقبغا هذا استدار
الأمير جنكل بن البابا ، فبناه الناس . وفى
موضع هذا الحكر كانت كنيسة الحمراء التى
هدمها العامة فى أيام الملك الناصر محمد بن
قلاوون ، كما ذكر عند ذكر الكنائس من هذا
الكتاب ، وهى اليوم زاوية تعرف بزاوية
الشيخ يوسف العجمى ، وقد ذكرت فى الزوايا
أيضا . وهذا الحكر لما بنى الناس فيه عرف
بالأدر لكثرة من سكن فيه من التتر والواقفية
من أصحاب الأمير جنكل بن البابا .

وعمر تجاه هذا الحكر الأمير جنكل حامين
هنا هنالك الى اليوم ، وأنشأ بعمارة هذا
الحكر بعماره سوق وجامع ، وعمر ما على
البركة أيضا ، واتصلت العمارة منه فى الجانبين
الى مدينة مصر .

واتصلت به عائر أيضا ظاهر القاهرة ،
بعدما كان موضع هذا الحكر مخوفا يقطع فيه
الزعار الطريق على المارة من القاهرة الى مصر ،
وكان والى مصر يحتاج الى أن يركز جماعة

من أعوانه بهذا المكان لحفظ من يسر من
المفسدين . فصار لما حكر كأنه مدينة كبيرة ،
وهو الى الآن عامر ، وأكثر من يسكنه الأمراء
والأجناد .

وهذا الحكر كان يعرف قديما بالحمراء
الدنيا - وقد ذكر خبر الحمراوات الثلاث
عند ذكر خطط مدينة فسطاط مصر من هذا
الكتاب - وفى هذا الحكر أيضا كانت قطرة
عبد العزيز بن مروان التى بناها على الخليج
ليتوصل منها الى جنان الزهرى ، وبعض هذا
الحكر ما انحصر عنه النيل ، وهى القطعة
التي تلى قطرة السد .

« حكر الست حديق » : هذا الحكر يعرف
اليوم بالمريس ، وكان بستانين من بعضهما بستان
الخشاب ، فعرف بالست حديق من أجل أنها
أنشأت هناك جامعا كان موضعه منظره
السكرة ، فبنى الناس حوله .

وأكثر من كان يسكن هناك السودان . وبه
يتخذ المزر وماوى أهل القواش والقاذورات
وصار به عدة مساكن ، وسوق كبير يحتاج
محتب القاهرة أن يقيم به فأبنا عنه للكشف
عما يباع فيه من المعاش .

وقد أدر كنا المريس على غاية من العمارة ،
الا أنه قد اختل منذ حدثت الحوادث من سنة
ست وثمانائة ، وبه الى الآن بقية من فساد
كبير .

« حكر الست مسكة » : هذا الحكر
بسوقه السباعين بقرب جوار حكر الست
حديق . عرف بالست مسكة لأنها أنشأت به
جامعا . وهذا الحكر كان من جملة الزهرى ،
ثم أفرد وصار بستانا تنقل الى جماعة كثيرة .

فلما عمرت الست مسكة فى هذا الحكر
الجامع ، بنى الناس حوله حتى صار متصلا
بالعمارة من سائر جهاته ، وسكنه الأمراء
والأعيان ، وأنشأوا به الحمامات والأسواق
وغير ذلك .

وكانت حديق ومسكة من جوارى السلطان
الملك الناصر محمد بن قلاوون . نشأنا فى
داره ، وصارتا قهرمانتين لبيت السلطان يقتدى
برأيهما فى عمل الأعراس السلطانية والمهمات
الجليلة التى تعمل فى الأعياد والمواسم وتريب
شئون الحرم السلطاني وتربية أولاد
السلطان . وطال عمرهما ، وصار لهما من
الأموال الكثيرة والسعادات العظيمة ما يجلب
وصفه ، وصنما برا ومعروفا كبيرا ، واشتهرا
وبعد صيتهما واتشر ذكرهما .

« حكر طقزدمر » : هذا الحكر كان بستانا
مساحتها نحو الثلاثين فدانا ، فاشتراه الأمير
طقزدمر الحموى نائب السلطنة بديار مصر
ودمشق ، وقلع أخشابها ، وأذن للناس فى البناء
عليه . فحكروه ، وأنشأوا به الدور الجليلة ،
واتصلت عمارة الناس فيه بسائر العمائر من
جهاته . وأنشأ الأمير طقزدمر فيه أيضا على
الخليج قطرة ليمر عليها من خط المسجد المعلق
الى هذا الحكر .

وصار هذا الحكر مسكن الأمراء والأجناد ،
وبه السوق والحمامات والمساجد وغيرها ،
وهو مما عمر فى أيام الملك الناصر محمد بن
قلاوون . ومات طقزدمر فى ليلة الخميس
مستهل جمادى الآخرة سنة ست وأربعين
وسبعمائة .

(٤) من ١١٦ ج ٢ ، ط. بولاق .

« اللوق » : يقال لاق الثوب يلوقه لوقا
ولوقة لينة . وفى الحديث الشريف « لا آكل
الا ما لوق لى » . ولواق أرض معروفة ...
قاله ابن سيده .

فكان هذه الأرض لما انحصر عنها ماء النيل
كانت أرضا لينة . والى الآن فى أراضى مصر
ما اذا نزل عنها ماء النيل ، لا تحتاج الى
الحرث لئنها ، بل تلاق لوقا .

فصواب هذا المكان أن يقال فيه أراضى
اللوق بفتح اللام . الا أن الناس لما عهدواهم
يقولون قديما : باب اللوق ، وأراضى باب
اللوق بضم اللام . ويجوز أن يكون من اللق
بضم اللام وتشديد القاف .

قال ابن سيده : واللوق كل أرض ضيقة
مستطيلة ، واللوق الأرض المرتفعة ، ومنه كتاب
عبد الملك بن مروان الى الحجاج « لا تدع
حقا ولا لقا الا زرعه » ... حكاه الهروى فى
الغريبين . انتهى .

والحق - بضم الخاء المعجمة وتشديد
القاف - القدير اذا جف . وقيل الحق ما
اطمان من الأرض ، واللوق ما ارتفع منها .

وأراضى اللوق هذه كانت بساتين
ومزروعات ، ولم يكن بها فى القديم بناء ألبنة ،
ثم لما انحصر الماء عن منشأة الفاضل عمر فيها
كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب .

ويطلق اللوق فى زمننا على المكان الذى
يعرف اليوم بباب اللوق ، المجاور لجامع

الطباخ المطل على بركة الشاف ، وما يمتد الى الخليج الذي يعرف اليوم بخليج قم الخور . وينتهي اللوق من الجانب الغربي الى منشأة المهراني ، ومن الجانب الشرقي الى الدكة بجوار المقس .

وكان القاضي الفاضل قد اشترى قطعة كبيرة من اراضي اللوق هذه من بيت المال وغيره بجملة كبيرة من المال ، ووقفها على العين الزرقاء بالمدينة النبوية ، على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، وعرفت هذه الارض ببستان ابن قريش ، وبعضها دخل في الميدان الظاهري ، وعوض عنها اراض باكثر من قيمتها . وكان متحصل هذا الوقف يحصل في كل سنة الى المدينة لتنظيف العين وتنظيف مجاريها .

واما الجانب الغربي من خليج قم الخور — المعروف اليوم بحكر ابن الاثير ، وبسوقه الموفق وموردة الملح — وساحل بولاق كله ، فانه محدث عمر بعد سنة سبعماية كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى قريبا . فان النيل كان يمر من ساحل الحمراء بغربي الزهري على الاراضي التي لما انحصر عنها عرفت باراضي اللوق ، الى ان ينتهي الى ساحل المقس .

وكانت طاقات المناظر التي بالدكة تشرف على النيل الاعظم ، ولا يحول بينها وبين رؤية بر الجيزة شيء ، ويمر النيل من الدكة الى المقس ، ويمتد الى زريبة جامع المقس الذي هو الآن على الخليج الناصري .

فلما انحصر ماء النيل عن اراضي اللوق ، اتصلت بالمقس ، وصارت عدة أماكن تعرف

بظاهر اللوق ، وهي : بستان ابن ثعلب ، ومنشأة ابن ثعلب ، وباب اللوق ، وحكر قردمية ، وحكر كريم الدين ، ورجة التين ، وبستان السعدي ، وبركة قرموط ، وخور الصعبي .

وصار بين اللوق وبين منشأة المهراني ، التي هي بأول بر الخليج الغربي ، منشأة الفاضل ، والمنشأة المستجدة ، وحكر الخليلي ، وحكر السباط — ويعرف بحكر بستان القاصد — وحكر كريم الدين الصغير ، وحكر المطوع ، وحكر العين الزرقاء .

وفي غربي هذه المواضع على شاطئ النيل زريبة قوصون ، وموردة البلاط ، وموردة الجبس ، وخط الجامع الطيرسي ، وزريبة السلطان ، ويرجع بكثر .

وأول ما بنيت الدور للسكن في اللوق أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري . وذلك أنه جهز كشافة من خواصه ، مع الأمير جمال الدين الرومي السلاح دار والأمير علاء الدين آق سنقر الناصري ، ليعرف أخبار هولاء ، ومعهم عدة من العريان . فوجدوا طائفة من الترمستامين وقد عزموا على قصد السلطان بمصر .

وذلك أن الملك بركة خان ملك التتر كان قد بعثهم نجدة لهولاء . فلما وقع بينهما كتب اليهم بركة يأمرهم بمفارقة هولاء والمصير اليه ، فان تعذر عليهم ذلك صاروا الى عسكر مصر ، فانه كان قد ركن الى الملك الظاهر ، وترددت القصاد بينهم بعد واقعة بغداد ورحيل هولاء عن حلب ، فاختلف هولاء مع ابن

عنه بركة خان وتواقما ، فقتل ولد هولاء في المصاف ، وانهمز عسكره ، وفر الى قلعة في بحيرة أذربيجان .

فلما وردت الأخبار بذلك الى مصر ، كتب السلطان الى نواب الشام باكرامهم وتجهيزهم الاقامات لهم ، وبعث اليهم بالخلع والانعامات ، فوصلوا الى ظاهر القاهرة — وهم نيف على مائتي فارس بنسائهم وأولادهم — في يوم الخميس رابع عشرين ذي الحجة سنة ستين وستماية .

فخرج السلطان يوم السبت سادس عشره الى لقاءهم بنفسه ومعه العساكر ، فلم يبق أحد حتى خرج لمشاهدتهم ، فاجتمع عالم عظيم تبهر رؤيتهم العقول ، وكان يوما مشهودا . فأزلهم السلطان في دور كان قد أمر بعمارته من أجلهم في اراضي اللوق ، وعمل لهم دعوة عظيمة هناك ، وحمل اليهم الخلع والخيول والأموال .

وركب السلطان الى الميدان ، وأركبهم معه للعب الأكرة ، وأعطى كبراءهم أمريات : فمنهم من عمله أمير مائة ، ومنهم دون ذلك ، ونزل بقسمهم من جملة البحرية ، وصار كل منهم من سعة الحال كالأمير في خدمته الأجناد والعلمان وأفرز لهم عدة جهات يرسم مرتبهم ، وكثرت نعمهم ، وتظاهروا بدين الاسلام .

فلما بلغ التتر ما فعله السلطان مع هؤلاء ، وقد عليه منهم جماعة بعد جماعة ، وهو يقابلهم بمزيد الاحسان . فتكاثروا بديار مصر ، وتزايدت العنائر في اللوق وما حوله ،

(*) من ١١٧ هـ ، ط . بولاق .

وصار هناك عدة أحكار عامرة أهلة ، الى أن خربت شيئا بعد شيء وصارت كيانا ، وفيها ما هو عامر الى يومنا هذا .

ولما قدمت رسل القان بركة في سنة احدى وستين وسبعماية ، أزلهم السلطان الملك الظاهر باللوق ، وعمل لهم فيه مهابا ، وصار يركب في كل سبت وثلاثاء للعب الأكرة باللوق في الميدان .

وفي سادس ذي الحجة من سنة احدى وستين ، قدم من الغل والبهادرية زيادة على ألف وثلاثمائة فارس ، فأزولوا في مساكن عمرت لهم باللوق بأهاليهم وأولادهم . وفي شهر رجب سنة احدى وستين وسبعماية قدمت رسل الملك بركة ورسل الاشكري ، فعملت لهم دعوة عظيمة باللوق .

فأما بستان ابن ثعلب فانه كان بستانا عظيم القدر مساحته خمسة وسبعون فدانا ، فيه سائر الفواكه بأسرها ، وجميع ما يزرع من الأشجار والنخل والسكر والرجس والهلين والورد والبنين والياسمين والخوخ والكشري والسنارنج واللبون التفاحي والليمون الراكب والمختن والجوز والقراصيا والرمان والزيتون والتوت الشامي والمصري والمرسين والتامرخنا واليان وغير ذلك . وبه الآبار المعينة ، وله الهاليات ، وفيه منظرة عظيمة وعدة دور .

ومن حقوق هذا البستان الأرض التي تعرف اليوم ببركة قرموط ، والأرض التي تعرف اليوم بالخور قسالة الأرض المعروفة بالبيضاء بجوار بستان السراج ، وبستان

الزهرى ، وبستان البورجى فيما بين هذه البساتين وبين خليج الدكة والمنس .

وكان على بستان ابن ثعلب سور مبنى ، وله باب جليل . وحده القبلى الى منشأة ابن ثعلب . وحده البحرى الى الأرض المجاورة للميدان السلطاني الصالحى وإلى أرض الجزائر ، وفى هذا الحد أرض الخور وهى من حقوقه . وحده الشرقى الى بستان الدكة وبستان الأمير قراقوش . وحده الغربى الى الطريق المسلوك فيها الى مودة السقائين قبالة بستان السراج . ومودة السقائين هذه موضع قنطرة الخرق الآن .

وابن ثعلب هذا هو الشريف الأمير الكبير فخر الدين اسماعيل بن ثعلب الجعفرى الزنبى ، أحد أمراء مصر فى أيام الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب وغيره ، وصاحب المدرسة الشرفية بجوار درب كركامة على رأس حارة الجودرية من القاهرة .

واتقل من بعده الى ابنه الأمير حصن الدين ثعلب . فاشتراه منه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى ، بثلاثة آلاف دينار مصرى ، فى شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وستائة . وكان باب هذا البستان فى الموضع الذى يقال له اليوم باب اللوق .

وكان هذا البستان ينتهى الى خليج الخور ، وآخره من الشرق ينتهى الى الدكة بجوار المنس . ثم انقسم بعد ذلك قطعا ، وحسرت أكثر أرضه وبني الناس عليها الدور وغيرها . وبقيت منه الى الآن قطعة عرفت ببستان الأمير

أرغون النائب بديار مصر أيام الملك الناصر ، ثم عرف بعد ذلك ببستان ابن غراب .

وهو الآن على شاطئ الخليج الناصرى ، على يمين من سلك من قنطرة قدادار بشاطىء الخليج من جانبه الشرقى الى بركة قرموط ، وبقيت من بستان ابن ثعلب قطعة تعرف ببستان بنت الأمير بيبرس الى الآن ، وهو وقف . ومن جملة بستان ابن ثعلب أيضا الموضع الذى يعرف ببركة قرموط ، والموضع المعروف بنم الخور .

وأما « منشأة ابن ثعلب » فالحا بالقرب من باب اللوق ، وحسرت فى أيام الشريف فخر الدين بن ثعلب المذكور فعرفت به ، وهى تعرف اليوم بمنشأة الجوائية لأن جوائية النعم كانوا يسكنون فيها فعرفت بهم . وأدركتها فى غاية العمارة بالناس والمساكن والحواميت وغيرها ، وقد اختلت بعد سنة ست وثمانمائة ، وأكثرها الآن ذرائب للبقر .

وأما « باب اللوق » فانه كان هناك ، الى ما بعد سنة أربعين وسبعمائة بمدة ، باب كبير عليه طوارق حربية مدهونة ، على ما كانت العادة فى أبواب القاهرة وأبواب القلعة وأبواب بيوت الأمراء ، وكان يقال له باب اللوق .

فلما أنشأ القاضي صلاح الدين بن المغربى قيسارته التى بباب اللوق ، وجعلها ليسع غزل الكتان ، هدم هذا الباب ، وجعله فى الركن من جدار القيسارية القبلى مما يلى الغربى . وهذا هو باب الميدان الذى أنشاه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل لما

اشترى بستان ابن ثعلب . وقد ذكر خبر هذا الميدان عند ذكر الميادين من هذا الكتاب .

وأما « حكر قردميه » فانه على يمين من سلك من باب اللوق المذكور الى قنطرة قدادار ، وكان من جملة بستان ابن ثعلب فحكر ، وصار أخيرا بيد ورثة الأمير قوصون .

وكان حكرا عامرا الى ما بعد سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، فحرب عند وقوع الوباء الكبير بمصر ، وحفرت أراضيها وأخذ طينها ، فصارت بركة ماء عليها كيسان خلف الدور التى على الشارع المسلوك فيه الى قنطرة قدادار .

وأما « حكر كريم الدين » فانه على يسرة من سلك من باب اللوق الى رحبة التبن وإلى الدكة ، وكان يعرف قبل كريم الدين بحكر الصمبولى . وهذا الحكر الآن آكل الى الدور .

وأما « رحبة التبن » فانه فى بحرى منشأة الجوائية ، شارع فى الطريق العظمى التى يسلك فيها الى قنطرة الدكة من رحبة باب اللوق . عرفت بذلك لأنه كانت أحمال التبن تقف بها لتباع هناك ، فإن القاهرة كانت توقر من مرور أحمال التبن والحطب ونحوهما بها . ثم اختطت من جملة ما اختط فى غربى الخليج ، وصار بها عدة مساكن وسوق كبير ، وقد أدركته غاصا بالعمارة ، وانما اختل حال هذا الخط من سنة ست وثمانمائة .

(ج) ص ١١٨ جزء ٤ ط ١٠٠٠ بولاق

وأما « بستان السعيدى » فانه بشرف على الخليج الناصرى فى هذا الوقت ، وأدركنا ما حوله عامرا . وقد خربت الدور التى كانت هناك من جهة الطريق الشارع من باب اللوق الى الدكة ، وبها بقية آتلة الى الدور .

وأما « بركة قرموط » فانه من حقوق بستان ابن ثعلب . ولما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى رضى فيها ما خرج عند خفوه من الطين ، وأدركناها من أعبر بقعة فى أرض مصر ، وهى الآن خراب كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب .

وأما « الخور » فإن الخور فى اللغة مصب الماء ، وهو هنا اسم للأرض التى ما بين الخليج الناصرى والخليج الذى يعرف بنم الخور ، وجميع هذه الأرض من جملة بستان ابن ثعلب .

وكان يعرف بالخور الصمبى ، لأنه كانت به مناظر ، تعرف بمناظر الصمبى ، تشرف على النيل . وكان على شاطئ الخليج الكبير ، فى هذا الجانب الغربى الذى نحن فى ذكره ، بجوار بستان الخشاب الذى كان يتوصل اليه من قنطرة السد ، وبعضه الآن الميدان السلطاني ، بستان يعرف بالجزيرة ... يعنى بستان الجزيرة المعروف بالصمبى ، وكان من البساتين الجلييلة .

وهذا الصمبى هو الشيخ كريم الدولة عبد الواحد بن محمد بن على الصمبى . مات فى شهر رمضان سنة ثلاث وستمائة بمصر . وكان له أخ يعرف بعبد العظيم بن محمد الصمبى .

كما النصر ماه النيل من الرملة التي قبل لها منية بولاق تجاه المنس ، وصورت هناك الدور ، اتصلت من قبلها بالخور ، والتي يتطوى النيل الذي بالخور دور تجمل عن الوصف ، واتصلت منها واحدا من بولاق الى منشأة المعراى وموردة الحلقاء ، ومن موردة الحلقاء على ساحل مصر الجديد الى دير الطين غربي بركة الجيش ... لو أحصى ما أفتق على بناء هذه الدور لقام بخراج مصر أيام كانت عامرة ، وقد خرب معظمها من سنة ست وخمسمائة . وقد تقدم ذكر منشأة القاضل .

وأما حكر الساباط وحكر كرم الدين الصغير وحكر المطوح وحكر العين الزرقاء ، فالها بالقرب من الميدان الكبير السلطاني ، وقد خربت بعدما كانت عامرة بالدور والمتزهات .

« بستان العدة » : هذا المكان من جولة الأحكام التي في غربي الخليج ، وهو بجوار قنطرة الخرق وبجوار حكر التوي ، قرب من باب اللوق تجاه الدور المطلة على الخليج من شرقيه ، المقابلة لباب سعادة وحارة الوزيرة

كان بستانا جليلا . وقفه الأمير فارس المسلمين بدر بن رزيك أخو الصالح طلائع بن رزيك ، صاحب جامع الصالح خارج باب زويلة ، ثم انه خرب ، فعكر ، وبني عليه عدة مساكن . وحكره بمساطاه وورقة فارس المسلمين .

« حكر جوهري التوي » : هذا الحكر تجاه الحارة الوزيرة من ير الخليج الغربي في شرق بستان العدة ، وبمسلك منه الى قنطرة أمير حسن من طريق تجاه باب جامع أمير حسين

الذي ملوه المنقة . وما زال بستانا الى يومنا هذه سنة ست وخمسمائة ، فحكر وبني فيه الدور في أيام الظاهر بيبرس .

وعرف بجوهري التوي أحد الأمراء في أيام الكاملية ، وقد تقدم بديار مصر تقدما رائدا ، وكان حصيا ، وهو من قار على الملك العادل أبي بكر بن الكامل وخلعه . فلما ملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بعد أخيه العادل ، قبض على جوهري في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة .

« حكر خزائن السلاح » : هذا الحكر كان يعرف قديما بحكر الأوسية ، وهو فيما بين الدكة وقنطرة الموسكى . وقفه السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب على مصالح خزائن السلاح ، هو وعدة أماكن بمدينة مصر مع مدينة قلوب وأراضها ، في جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وخمسمائة . وظهر كتاب الوقف المذكور من الخزائن السلطانية في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبعمائة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون . وقد خرب أكثر هذا الحكر وصار كيانا .

« حكر تكان » : هذا الحكر بجوار سوقة المعجى الفاصلة بينه وبين حكر خزائن السلاح ، وكان يعرف قديما بحكر كونج . وخذة القبلى ينتهى الى حكر ابن الأسد جفريل ، والحد البحرى ينتهى الى حكر العلالى ، والحد الشرقى ينتهى الى حكر البغدادية ، والحد الغربى ينتهى الى حكر خزائن السلاح وسوقة المعجى .

وتكان هو الأمير سيف الدين تكان ، ويقال « تكام » بالميم عوضا عن النون .

وهذا الحكر استقر أخيرا في أوقاف خوند اردوتكين ابنة نوكة السلاح دار ، روجه الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، على لربتها التي ألتأها خارج باب القراة التي تعرف اليوم بثرية الست . وقد خرب هذا الحكر ، وبيعت أبقاضه في أعوام بضع وثمانين وسبعمائة ، وجعل بعضه بستانا في سنة ست وثمانين وسبعمائة .

« حكر ابن الأسد جفريل » : هذا الحكر في قبلى حكر تكان . كان بستانا فحكر . وعرف بالأمير شمس الدين موسى ابن الأمير أسد الدين جفريل ، أحد أمراء الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بمصر .

« حكر البغدادية » : هذا الحكر بجوار خليج الذكر . كان من أعظم البساتين في الدولة الفاطمية ، فأزال الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب أشجاره ونخله وجعله ميادنا ، ثم حكر وصارت فيه عدة مساكن . وهو الآن خراب يباب لا يابويه الا اليوم والرخم .

« حكر خطيبا » : هذا الحكر حده القبلى الى الخليج ، وحده البحرى الى الكوم الفاصل بينه وبين حكر الأوسية المعروف بالجاوى ، وحده الشرقى الى بستان الجليس الذى عرف بابن منقذ ، والحد الغربى الى زقاق هناك .

وكان هذا الحكر بستانا اشتراه جمال الدين الطواشى ، من جمال الدين عمر بن ناصح الدين داود بن اسماعيل الملكى الكاملى ، في سنة ست عشرة وخمسمائة . ثم ابتاعه منه

(*) من ١١٩ ج ٢ ط ١ - بولاق .

الطواشى محمى الدين منقذ الكاملى في سنة عشرين وخمسمائة ، وباعه للأمير الفارس صادم الدين خطيبا الكاملى في سنة احدى وعشرين وخمسمائة ، فعرف به .

وهو خطيبا بن موسى الأمير صادم الدين الفارسى التتوى الموصلى الكاملى . استقر في ولاية القاهرة سنة اثنين وسبعين وخمسمائة ، في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم أضيفت له ولاية اليوم في سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، ثم صرف عنها ، وصار متسلما الى اليمن ليصلها ، فتلها في جمادى الأولى .

وصار هو في سادس شوال منها واليا على مدينة زيد باليمن ، ومعه خمسمائة رجل ورفيقه الأمير باخل ، فبلغت الثقة عليه عشرين ألف دينار ، وكتب للطواشية بنفقة عشرة دنانير لكل منهم على اليمن . فقام باليمن مدة ، ثم قدم الى القاهرة وصار من أصحاب الأمير لحر الدين جهاركس ، وتأخر الى أيام الملك الكامل ، وصار من أمرائه بالقاهرة الى أن مات في ثالث شعبان سنة خمس وثلاثين وخمسمائة .

« حكر ابن منقذ » : هذا الحكر خارج باب القنطرة بعدوة خليج الذكر ، وكان بستانا يعرف ببستان الشريف الجليس ، ويعرف أيضا بالبطائحي ، ثم عرف بالأمير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ نائب الملك المعز سيف الاسلام ظهير الدين ططكين بن نجم الدين أيوب بن شادى على مملكة اليمن .

واتقل بعد ابن منقذ الى الشيخ عبد المحسن بن عبد العزيز بن على المخزومى ،

المعروف بابن الصيرق ، فوقته على جهات
تؤول أخيرا الى القراء والمساكين المقيمين
بشبه السيدة قيسية ، والقراء والمساكين
المعتلين في حبوس القاهرة ، في سنة ثلاث
وأربعين وستائة . ثم أزيلت أنشأ هذا
الستان ، وحسرت أرضه ، وبنت الدور
والمساكن عليها . وهو الآن خراب .

« حكر فارس المسلمين بدر بن رزك » :
هذا الحكر تجاه منقرة التلوة . كان من
جملة البركة المعروفة بطن البقرة ، ثم حكر
وبنى فيه ، واكثره الآن خراب .

« حكر شمس الخواص سرور » : هذا
الحكر فيما بين خليج الذكر وحكر ابن
منقذ . كان بستانا لشمس الخواص سرور
الطواشي ، أحد الخدام الصالحية ، مات في
نصف شوال سنة سبع وأربعين وستائة
بالقاهرة . ثم حكر وبني فيه الدور ، وموسمه
الآن كيمان .

« حكر العلائي » : هذا الحكر بجوار
« حكر تكان » من بحره . وكان بستانا جليل
القدر ثم حكر ، وصار بعضه وقف تذكاري
خاتون ابنة الملك الطاهر يبرس ، وقتها في
سنة أربع وثلاثين وسبعائة على نفسها ، ثم
من بعد على الرباط الذي أنشأه داخل
الدرب الأصغر تجاه خانقاه يبرس - وهو
الرباط المعروف برواق البغدادية - وعلى
المسجد الذي يحكر سيف الاسلام خارج باب
ذو بلة ، وعلى تربتها التي بجوار جامع ابن عبد
الطاهر بالقرافة .

وصار بعض هذا الحكر في وقف الأمير
سيف الدين جادر العلائي متولى البهلاء ،

وكان وقته في سنة إحدى وأربعين وسبعائة ،
فحرق بالحكر العلائي المذكور .

وأدركت هذا الحكر وهو من عصر الأحبار
وفيه درب الأمير عز الدين أيمن الزرقاني ،
أمير جندار ووالي القاهرة ، وداره العظيمة
ومساكنه الكثيرة . فلما حدث المحن منذ سنة
ست وثمانمائة خرب هذا الحكر ، وأخذت
أفانقه ، وبقيت دار الزرقاني الى سنة سبع
عشرة وثمانمائة ، فشرع في الهدم فيها لأجل
انقاضها الجليلة .

« حكر الحريري » : هذا الحكر بجوار
حكر العلائي المذكور من حده البحري ، وهو
من جملة الأرض المعروفة بالأرض البيضاء ،
وكان بستانا ثم حكر وصار في وقف خزائن
السلح . وأدركتها عامرا ، وفيه سوق يعرف
بالسوق البيضاء كانت بها عدة حوانيت
وقد خرب هذا الحكر . وهذا الحريري هو
الصاحب محي الدين .

« حكر المساح » : عرف بالأمير شمس
الدين سنقر المساح ، أحد أمراء الطاهر
يبرس ، قبض عليه في عدة من الأمراء في ذي
الحجة سنة تسع وستين وستائة .

« الدكة » : هذا المكان كان بستانا من
أعظم بساتين القاهرة ، فيما بين أراضي اللوق
والمقس . وبه منقرة للخلفاء القاطنين تشرف
طاقاتها على بحر النيل الأعظم ، ولا يحول بينها
وبين بر الجيزة شيء .

فلما زالت الدولة القاطمية تلاشى أمر هذا
الستان وخرب ، فحكر موضعه وبني الناس

(هـ) من ١١٠٠ هـ ١٢٠٠ هـ - بولاق -

فيه ، فصار خطة كبيرة كانه بلد جليل ، وصار
به سوق عظيم ، ومسكنه الكتاب وغيرهم من
الناس ، وأدركتها عامرا ، ثم انه خرب منذ
سنة ست وثمانمائة ، وبه الآن بقية عما قليل
تذكر كما ذكر ما هنالك وصار كيمانا .

ذكر المقس وفيه الكلام على المكس وكيف كان أصله في أول الاسلام

اعلم أن المقس قديم ، وكان في الجاهلية
قرية تعرف بأمر دين ، وهي الآن محلة بظاهر
القاهرة في بر الخليج الغربي . وكان عند وضع
القاهرة هو ساحل النيل ، وبه أنشأ الإمام المعز
لدين الله أبو تميم معد الصناعة التي ذكرت
عند ذكر الصناعات من هذا الكتاب ، وبه
أيضا أنشأ الإمام الحاكم بأمر الله أبو علي
منصور جامع المقس الذي تسميه عامة أهل
مصر في زماننا بجامع المقس ، وهو الآن يطل
على الخليج الناصري .

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن
عبد الحكم في كتاب « فتوح مصر » وقد ذكر
مسير عمرو بن العاص رضي الله عنه الى فتح
مصر : فتقدم عمرو بن العاص رضي الله عنه ،
لا يدافع الا بالأمر الخفيف حتى أتى بليس ،
فقاتلوه بها لحوا من شهر حتى فتح الله سبحانه
وتمسالى عليه . ثم مضى لا يدافع الا بالأمر
الخفيف حتى أتى أم دين ، فقاتلوه بها قتالا
شديدا ، وأبطأ عليه الفتح فكتب الى أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
يستعده ، فأمدته بأربعة آلاف ثمانمائة
آلاف . فقاتلهم ... وذكر تمام الخبر .

وقال القاضي أبو عبد الله القاضي : المقس
كانت ضيعة تعرف بأمر دين ، والسا حيت
المقس لأن العائر كان يقصد بها وصاحب
المكس . فقبل المكس ، فقبل فقبل المقس .

قال المؤلف رحمه الله : المكس هو العائر ،
وأصل المكس في اللغة الجباية .

قال ابن سيده في كتاب « المحكم » :
المكس الجباية ، مكسه يمكسه مكسا .
والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في
الأسواق في الجاهلية ، ويقال للمشار صاحب
مكس ، والمكس انتقاض الثمن في البيعة .

قال الشاعر :

أني كل أسواق العراق أتاوة
وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم

ألا ينتهي عنا رجال وتنتهي
محارمنا .. لا يفرأ الدم بالدم

الاتاوة الخراج ، ومكس درهم أي تقص
درهم في بيع ونحوه .

قال : وعشر القوم بعشرهم عشرا وعشورا ،
وعشرهم أخذ عشر أموالهم ، وعشر المال نفسه
وعشره كذلك ، والمشار قابض العشر ، ومنه
قول عيسى بن عمرو لابن هبيرة وهو يضرب
بين يديه بالصياط : تاله ان كانت الا ثيابا في
أسفاط قبضها عشاروك .

وقال الجاحظ : ترك الناس مما كان
مستعلا في الجاهلية أمورا كثيرة . فمن ذلك
تسيتهم للاتاوة بالخراج ، وتسيتهم لما يأخذ
السلطان من العلوان والمكس بالرشوة .

وقال الخارجي: أي كل أسواق العراق
أثاوة... البيت.

وكما قال العبدى في الجارود:

أكابن المعلى خلتنا أم حبتنا
صواري نعطي الماكسين مكوسا
الصواري الملاحون، والمكس ما يأخذه
العشار. انتهى.

ويقال إن قوم شعيب عليه السلام كانوا
مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه، ومنه
قيل للمكس البخس، لقوله تعالى: «ولا
تبخسوا الناس أشياءهم».

وذكر أحمد بن يحيى البلاذري، عن سفيان
الثوري، عن إبراهيم بن مهاجر، قال: سمعت
زياد بن جرير يقول: أنا أول من عثر في
الإسلام.

وعن سفيان، عن عبد الله بن خالد، عن
عبد الرحمن بن معقل، قال: سألت زياد بن
جرير من كنتم تعشرون؟

فقال: ما كنا نعشر مسلما ولا معاهدا، بل
كنا نعشر تجار أهل الحرب كما كانوا يعشرون
إذا أتيناهم.

وقال عبد الملك بن جبيب السلمي في كتاب
«سيرة الإمام»: العدل في مال الله، عن
السائب بن يزيد أنه قال: كنت على سوق
المدينة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه،
فكنا تأخذ من القبط العشر.

وقال ابن شهاب: كان ذلك يؤخذ منهم في
الجاهلية، فالزمهم ذلك عمر بن الخطاب.

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله
عنهما قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كان يأخذ بالمدينة من القبط من الحنطة
والزبيب نصف العشر، يريد بذلك أن يكثر
الحمل إلى المدينة من الحنطة والزبيب، وكان
يأخذ من القبطية العشر.

وقال مالك رحمه الله: والسنة أن ما أقام
الذمة في بلادهم التي صالحوا عليها فليس
عليهم فيها إلا الجزية، إلا أن يتجروا في بلاد
المسلمين ويختلفوا فيها، فيؤخذ منهم العشر
فيما يديرون من التجارة. وإن اختلفوا في
العام الواحد مزارا إلى بلاد المسلمين، فعليهم
كلما اختلفوا العشر. وإذا اتجر الذمي في
بلاد من أعلاها إلى أسفلها، ولم يخرج منها
إلى غيرها، فليس عليه شيء... مثل أن يتجر
الذمي الشامى في جميع الشام، أو الذمي
المصري في جميع مصر، أو الذمي العراقي في
جميع العراق.

وليس العمل عندنا على قول عمر بن عبد
العزيز لزريق بن حيان: «واكتب لهم بما
يؤخذ منهم كتابا إلى مثله من الحول، ومن
مريك من أهل الذمة فخذ مما يديرون من
التجارات من كل عشرين دينارا دينارا، فما
يقص في حساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير،
فإن نقص منها ثلث دينار فدعها ولا تأخذ
منها شيئا». والعسل على أن يؤخذ منهم
العشر، وإن خرجوا في السنة مرارا من كل ما
اتجروا به قل أو كثر. وهذا قول ربيعة وابن
هرمز.

وقال القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم
الحضرمي، أحد أصحاب الإمام أبي حنيفة
رضي الله عنه، في كتاب «الرسالة» إلى أمير

(١٢١) من ١٢١ جزء، طبع بولاق

المؤمنين هارون الرشيد، وهو كتاب جليل
القدر: حدثنا اسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر،
قال: سمعت أبي يذكر، قال: سمعت زياد
ابن جرير، قال: أول من بعث عمر بن
الخطاب رضي الله عنه منا على العشور أنا،
فأمرني ألا أقتس أحدا، وما مر على من شيء
أخذت من حساب أربعين درهما درهما من
المسلمين، وأخذت من أهل الذمة من عشرين
واحدا، ومن لا ذمة له العشر، وأمرني أن
أغلظ على نصاري بنى تغلب قال: انهم قوم
من العرب وليسوا من أهل الكتاب، فلعلهم
يسلمون.

قال: وكان عمر رضي الله عنه قد اشترط
على نصاري بنى تغلب ألا ينصروا أولادهم

وحدثنا أبو حنيفة عن الهيثم، عن أنس بن
سيرين، عن أنس بن مالك رضي الله عنه،
قال: بعثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه
على العشور، وكتب لي عهدا أن آخذ من
المسلمين مما اختلفوا به لتجاراتهم ربع العشر،
ومن أهل الذمة نصف العشر، ومن أهل
الحرب العشر.

وحدثنا عاصم بن سليمان الأحول عن
الحسن، قال: كتب أبو موسى الأشعري إلى
عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: «إن تجارا
من قبلنا من المسلمين يأتون أهل الحرب
فيأخذون منهم العشر».

فكتب إليه عمر رضي الله عنه: «فخذ أنت
منهم كما يأخذون من تجار المسلمين، وخذ من
أهل الذمة نصف العشر، ومن المسلمين من كل
أربعين درهما درهما، وليس فيما دون المائتين

شيء، فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم،
فما زاد فيحسابه».

وحدثنا عبد الملك بن جريج، عن عمرو بن
شعيب، قال: إن أهل منبج - قوما من أهل
الشرك وراء البحر - كتبوا إلى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه: «دعنا ندخل أرضك
تجارا وتعشرا».

قال: فشاور عمر رضي الله عنه أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، فاشاوروا
عليه به. فكانوا أول من عثروا من أهل
الحرب.

وحدثنا السدي بن اسماعيل، عن عامر
الشعبي، عن زياد بن جرير الأسدي، قال:
إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعثه على
عشور العراق والشام، وأمره أن يأخذ من
المسلمين ربع العشر، ومن أهل الذمة نصف
العشر، ومن أهل الحرب العشر.

فمر عليه رجل من بنى تغلب من نصاري
لعب ومعه فرس، فقومها بعشرين ألفا،
فقال: أمسك الفرس وأعطني ألفا، أو خذ
مني تسعة عشر ألفا وأعطني الفرس... قال:
أعطاه ألفا وأمسك الفرس.

قال: ثم مر عليه راجعا في سته، فقال:
عطني ألفا أخرى. فقال له التغلبي: كلنا
مرت بك تأخذ مني ألفا؟

قال: نعم.

فرجع التغلبي إلى عمر بن الخطاب رضي
الله عنه فوافاه سكة وهو في بيت له،
فاستأذن عليه، فقال: من أنت؟

فقال : أنا رجل من نصارى الغرب . وقص عليه قصته .

فقال له عمر رضى الله عنه : كفيت . ولم يزد على ذلك .

قال : فرجع الرجل الى زياد بن جبر ، وقد وطن نفسه على أن يعطيه ألفا ، فوجد كتاب عمر رضى الله عنه قد سبق اليه « من مر عليك فأخذت منه صدقة ، فلا تأخذ منه شيئا الى مثل ذلك اليوم من قابل ... الا أن تجد فضلا » .

قال : فقال الرجل : قد والله كانت نفسي طيبة أن أعطيك ألفا ، وإنى أشهد الله تعالى أنى برىء من النصرانية ، وألى على دين الرجل الذى كتب اليك هذا الكتاب .

وحدثني يحيى بن سعيد ، عن ذريق بن حيان — وكان على مكس مصر — فذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب اليه « أن انظر من مر عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم وما ظهر لك من التجارات ، من كل أربعين دينارا ديناراً ، فما نقص فحسابه حتى تبلغ عشرين ديناراً ، فإن نقصت فضعها ولا تأخذ منها . وإذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يديرون من تجارتهم من كل عشرين ديناراً ديناراً ، فما نقص فحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ، ثم دعها لا تأخذ منها شيئا ، واكتب لهم كتاباً بما تأخذ منهم الى مثلها من الحول » .

وحدثني أبو حنيفة ، عن حماد عن ابراهيم ، أنه قال : إذا مر أهل الذمة بالحر للتجارة أخذ من قيمتها نصف العشر ، ولا يقبل قول

الذمى في قيمتها حتى يؤتى برجلين من أهل الذمة يقومانها عليه ، فيؤخذ نصف العشر من الذمى .

وحدثنا قيس بن الربيع : عن أبي فزارة ، عن يزيد بن الأصم ، عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، أنه قال : إن هذه المصائر والقاطر سحت لا يحل أخذها .

فبعث عمالا الى اليمن ، ونهاهم أن يأخذوا من عاصر أو قنطرة أو طريق شيئا . فقدموا ، فاستقل المال ، فقالوا : نهيتا . فقال : خذوا كما كنتم تأخذون .

وحدثنا محمد بن عبيد الله ، عن أنس بن سيرين ، قال : أرادوا أن يستعملوني * على عشور الأبله فأبيت ، فلقيني أنس بن مالك رضى الله عنه فقال : ما يمنحك ؟

قلت : العشور أخبث ما عمل عليه الناس .

قال : فقال لى : لم لا تفعل ؟ عمر بن الخطاب رضى الله عنه صنعه : فجعل على أهل الاسلام ربع العشر ، وعلى أهل الذمة نصف العشر ، وعلى أهل المنزل ممن ليس له ذمة العشر .

وقال أبو الحسن المسعودى : إن كيباذ ، أحد ملوك الفرس ، أول من أخذ العشر من الأرض ، وعمر بابل ومملكة الفرس . ورأيت في التوراة التى في يد اليهود أن أول من أخرج العشر من مواشيه وزروعه وجميع ماله خليل الله ابراهيم عليه السلام ، وكان يدفع ذلك الى ملك اورشليم التى هى أرض القدس واسمه ملكى صادق .

(ج) ص ١٢٢ ج ٢ ، طه بلاق .

فلما مات الخليل ابراهيم ، صلوات الله عليه وسلامه ، اقتدى به بنوه في ذلك من بعده ، وصاروا يدفعون العشر من أموالهم ... الى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام . فأوجب على بنى اسرائيل اخراج العشر في كل ما ملكت أيانهم من جميع أموالهم بأنواعها ، وجعل ذلك حقا لسبط لاوى الذين هم قرابة موسى عليه السلام .

وقال ابن يونس في « تاريخ مصر » : كان ربيعة بن شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه — أحد من شهد فتح مصر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — واليا لمرو ابن العاص رضى الله عنه على المكس^١ . وكان ذريق بن حيان على مكس أبله في خلافة عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه .

قال مؤلفه رحمه الله : ومع ذلك فقد كان أهل الورع من السلف يكرهون هذا العمل . روى ابن قتيبة في كتاب « الغريب » أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله سهيلا ، كان عشارا باليمن ، ففسخه الله شهابا » . وروى ابن لهيعة ، عن عبد الرحمن بن ميمون ، عن أبي ابراهيم المعافى ، عن خالد بن ثابت ، أن كعبا أوصاه ، وتقدم اليه حين مخرجه مع عمرو بن العاص ألا يقرب المكس .

فهذا — أعزك الله — معنى المكس عند أهل الاسلام . لا ما أحدثه الظالم هبة الله بن صاعد الفائزى ، وزير الملك المعز أيبك التركمانى — أول من أقام من ملوك الترك بقلعة الجبل — من المظالم التى سماها الحقوق

(١) بنائى ما تقدم من يحيى بن سعيد من أنه كان على مكس مصر ، قلعه ولى الملقب . وليحرر .

السلطانية والمعاملات الذبوانية ، وتعرف اليوم بالمكوس .

فذلك الرجس النجس الذى هو أقبح المعاصى والذنوب الموبقات ، لكثرة مطالبات الناس له وفلاواتهم عنده ، وتكرر ذلك منه ، واتهامه للناس ، وأخذ أموالهم بغير حقها ، وصرفها في غير وجهها . وذلك الذى لا يقربه متق ، وعلى آخذه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

ولترجع الى الكلام في المقس فنقول : من الناس من يسميه المقسم — بالميم بعد السين — قال ابن عبد الظاهر فى كتاب « خطط القاهرة » : وسمعت من يقول انه المقسم ، قيل لأن قسمة الغنائم عند الفتح كانت به ، ولم أره مسطورا .

وقال العماد محمد بن أبى الفرج محمد ابن حامد الكاتب الأصفهاني فى كتاب « منا البرق الشامى » : وجلس الملك الكامل محمد ابن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، فى البرج الذى بجوار جامع المقسم ، فى السابع والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة .

وهذا المقسم على شاطئ النيل يزار ، وهناك مسجد يترك به الأبرار ، وهو المكان الذى قسمت فيه الغنائم عند استيلاء الصحابة رضى الله عنهم على مصر . فلما أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بإدارة السور على مصر والقاهرة ، تولى ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش ، وجعل نهايته التى تلى القاهرة عند المقسم ، وبنى فيه برجا مشرفا على

النيل ، وبني مسجدا جامعاً ، واتصلت العمارة منه إلى البلد ، وجامعه تقام فيه الجمعة والجماعات .

وهذا البرج عرف بقلعة قراقوش . وما برح هنالك إلى أن هدده صاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى ، وزير الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، في سنة بضع وسبعين وسبعمائة عندما جدد جامع المقسى الذي أنشأه الخليفة الحاكم بأمر الله ، فصار يعرف بجامع المقسى هذا إلى اليوم . وما برح جامع المقسى هذا يشرف على النيل الأعظم إلى ما بعد سنة سبعمائة بعدة أعوام .

قال جامع السيرة الطولونية : وركب أحمد ابن طولون في غداة باردة إلى المقسى ، فأصاب بشاطئ النيل صيادا عليه خلق لا يواريه منه شيء ، ومعه صبي له في مثل حاله ، وقد ألقى شبكه في البحر . فلما رآه رق لحاله ، وقال : يا نسيم ادفع إلى هذا عشرين ديناراً . فدفعها إليه ولحق ابن طولون .

فسار أحمد بن طولون ولم يعمد ، ورجع فوجد الصياد ميتاً والصبي يبكي ويصيح ، فظن ابن طولون أن بعض سودائه قتله وأخذ الدنانير منه ، فوقف بنفسه عليه ، وسأل الصبي عن أبيه ، فقال له : هذا الغلام (وأشار إلى نسيم الخادم) دفع إلى أبي شيئا ، فلم يزل يقلبه حتى وقع ميتاً .

فقال : قتله يا نسيم .

فنزل وفتشه ، فوجد الدنانير معه بحالها ، فحرض الصبي أن يأخذها . فأبى وقال : هذه قتلت أبي ، وإن أخذتها قتلتني .

فأحضر ابن طولون قاضي المقسى وشيوخه ، وأمرهم أن يشتروا للصبي داراً بخسمائة دينار تكون لها غلة ، وأن تجلس عليه ، وكتب اسمه في أصحاب الجرايات وقال : أنا قتلت أباه لأن الغنى يحتاج إلى تدرج والاقتل صاحبه . هذا . كان يجب أن يدفع إليه دينار بعد دينار حتى تأتيه هذه الجملة على تفرقة فلا تكثر في عينه .

وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي رحمه الله في تعليق المتجددات لسنة سبع وسبعين وخسمائة : وفيه (يعني يوم الثلاثاء) لت بقتن من المحرم) ركب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، أعز الله نصره ، لمشاهدة ساحل النيل — وكان قد انحسر وتشرع عن المقسى وما يليه ، وبعد عن السور والقلعة المستجدين بالمقسى — وأحضر أرباب الخبرة ، واستشارهم . فأشير عليه بإقامة الجراريف لرفع الرمال التي قد عارضت جزائرها طريق الماء ، وسدته ووقفت فيه .

وكان الأفضل بن أمير الجيوش لما تربي قدام دار الملك جزيرة رمل ، كما هي اليوم ، أراد أن يقرب البحر وينقل الجزيرة . فأشير عليه بأن يبني مما يلي الجزيرة أنفاً خارجاً في البحر ليلقى التيار وينقل الرمل . فعمر هذا ، وعظمت غرامته .

فأشار عليه ابن سيد بأن يأخذ قصارى فخار ، تثقب ويعمل تحتها رؤوس براغي وتلطخ بالزفت ، وتكب القصارى عليها وتدفن في الرمل . فإذا زاد النيل وركبها ، نزل من

(*) من ١٢٢ جزء ٢ ، طبع بولاق .

خروج القصارى إلى الرؤوس فأدارها الماء ، ومنعتها القصارى أن تنحدر ، ودامت حركة الرمل بتحريك الماء للرؤوس ، فانتقل الرمل . وذكر أن للزفت خاصية في تحويل الرمل .

قال : وفي هذا الوقت احترق النيل ، وصار البحر مخاضاً يقطعها الرجل ، وتوحد فيه المراكب ، وتشرع الماء عن ساحل المقسى ومصر ، ودرى جزائر رملية أشفق منها على المقياس لئلا يتقلص النيل عنه ويحتاج إلى عمل غيره ، وخشى منها أيضاً على ساحل المقسى لكون بنيان السور كان اتصل بالماء ، وقد تباعد الآن عن السور ، وصار المد قوته من بر الغرب . ووقع النظر في إقامة جراريف لقطع الجزائر التي رباها البحر ، وعمل أنوف خارجة في بر الجزيرة ليميل بها الماء إلى هذا الجانب ، ولم يتم شيء من ذلك .

وقال ابن المتوج : في سنة خمسين وستمائة انتهى النيل في احتراقه إلى أربعة أذرع وسبعة عشر أصبعاً ، وانتهى في زيادته إلى ثمانية عشر ذراعاً ، وكان مثل ذلك في دولة الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، وكان نيلاً عظيماً سد فيه باب المقسى ... يعني الباب الذي يعرف اليوم بباب البحر عند المقسى . وفي سنة اثنتين وستين وستمائة ، أحضر إلى الملك الظاهر بيبرس مقل وجد ميتاً بساحل المقسى ، له رأسان وأربعة أعين وأربعة أرجل وأربعة أيد .

وأخبرني وكيل أبي الشيخ المعمر حسام الدين حسن بن عمر السهروردي رحمه الله ، ومولده سنة اثنتين وسبعمائة بالمقسى ، أنه يعرف باب البحر هذا : إذا خرج منه الإنسان فإنه يرى بر الجزيرة لا يحول بينه وبينها حائل ،

فإذا زاد ماء النيل صار الماء عند الوكالة التي هي الآن خارج باب البحر ، المعروفة بوكالة الجين ، وإذا كان أيام احتراق النيل بقيت الرمال تجاه باب البحر ، وذلك قبل أن يحفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري . فلما حفر الخليج المذكور ، أنشأ الناس البساتين والدور ، كما يجيء أن شاء الله تعالى ذكره .

وأدركنا المقسى خلة في غاية العمارة بها عدة أسواق ، ويسكنها أمم من الأكراد والأجناد والكتاب وغيرهم . وقد ثلاثت من بعد سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، عند حدوث الغلاء بمصر ، في أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين . فلما كانت المحن منذ سنة ست وثمانمائة ، خربت الأحكام والمقسى وغيره . وفيه إلى الآن بقية صالحة ، وبه خسة جوامع تقام بها الجمعة وعدة أسواق ، ومعظمه خراب .

ذكر ميدان القمح

هذا المكان خارج باب القنطرة . يتصل من شرقيه بعدوة الخليج ، ومن غربيه بالمقسى ، وبعضهم يسميه ميدان القلة . وكان موضعاً للفلال أيام كان المقسى ساحل القاهرة . وكانت صير القمح وغيره من الفلال توضع من جانب المقسى إلى باب القنطرة عرضاً ، وتقف المراكب من جانب المقسى إلى منية الشيرج طولاً ، ويصير عند باب القنطرة في أيام النيل من مراكب القلة وغيرها ما يستر الساحل كله .

قال ابن عبد الظاهر : المكان المعروف بميدان القلة وما يجاوره إلى ما وراء الخليج .

لما ضعف أمر الخلافة ، وهجرت الرسوم القديمة من التخرج في اللؤلؤة وغيرها ، بنت الطائفة الفرحية الساكنون بالمقس لأهم ضاق بهم المقس ، قبالة اللؤلؤة ، حارة سميت بحارة اللصوص ، بسبب تمسدهم فيها مع غيرهم ، إلى أن غيروا تلك المعالم . وقد كان ذلك قديماً بتاتاً سلطانياً ، يسمى بالمقس ، أمر الظاهر بن الحاكم بنقل أنشائه ، وحفره وجعله بركة قدام اللؤلؤة مختلطة بالخليج .

وكان للبتان المقدم ذكره نرعة من البحر يدخل منها الماء إليه — وهو خليج الذكر الآن — فأمر بإبقائها على حالها مسلطة على البركة والخليج يستتق الماء فيها . فلما نسي ذلك على ما ذكرناه ، عمد المذكورون وغيرهم إلى اقتطاع البركة من الخليج ، وجعلوا بينها وبين الخليج جسراً ، وصار الماء يصل إليها من النرعة دون الخليج ، وصارت متزها للسودان المذكورين في أيام النيل . والربيع .

ولما كانت الأيام الآمرة أحب إعادة النزهة . فتقدم وزيره المأمون بن البطاحي بأحضار عرقاء السودان المذكورين ، وألكر عليهم ذلك ، فاعتزروا بكثرة الرمال ، فأمر بنقل ذلك وأعطاهم العاما ، فبنوا حارة بالقرب من دار كاقور التي أسكنت بها الطائفة المأمونية ، قبالة بستان الوزير ، ومن المساجد الثلاثة المعلقة في شرفها . ثم أحضر الأبقار من البساتين والعدد والآلات ، ونقض الجسر الذي بين البركة والخليج ، وعشق البركة إلى أن صار الخليج مسلطاً عليها .

(١٤) ص ١٢٤ ج ٢ ط ١ بولاق

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : هذه البركة عرفت بطن البقرة ، وقد ذكر خبرها عند ذكر البرك من هذا الكتاب . وقد صار هذا الميدان اليوم سوقاً تباع فيه القشنة من النحاس العتيق والحصر وغير ذلك ، وفي بعض سوق الغزل ، وبه جامع يشرف على الخليج ، وسكن هناك طائفة من المشارقة الحياك ، وفيه سوق عامر بالمعاش .

ذكر أرض الطبالة

هذه الأرض ، على جانب الخليج الغربي بجوار المقس ، كانت من أحسن متزهات القاهرة . يمر النيل الأعظم من غربيها عندما يندفع من ساحل المقس — حيث جامع المقس الآن — إلى أن ينتهي إلى الموضع الذي يعرف بالجرف ، على جانب الخليج الناصري بالقرب من بركة الرمل .

ويسر من الجرف إلى غربي البعل ، فتصير أرض الطبالة نقطة وسط : من غربيها النيل الأعظم ، ومن شرقيها الخليج ، ومن قبليهما البركة المعروفة بطن البقرة ، والبساتين التي آخرها حيث الآن باب مصر بجوار الكبارة ، وحيث المشهد النفيسي ، ومن بحريها أرض البعل ومنظرة البعل ومنظرة التاج والخمس وجوه وقبة الهواء .

فكانت رؤية هذه الأرض شيئاً عجيباً في أيام الربيع ، وفيها يقول سيف الدين علي بن قزل الشد :

إلى طبالة يمزون أرضاً لها من سندس الريحان بسط

وقد كتب الشقيق بها سطوراً وأحسن شكلها للطل لقط رياض كالمرائس حين تجلى

يزين وجهها تاج وقرط وإنما قيل لها أرض الطبالة . لأن الأمير أبا الحارث أرسلان الباسيري ، لما غاضب الخليفة القائم بأمر الله العباسي ، وخرج من بغداد يريد الانتماء إلى الدولة الفاطمية بالقاهرة ، أمدده الخليفة المستنصر بالله ووزيره الناصر لدين الله عبد الرحمن البازوري ، حتى استولى على بغداد ، وأخذ قصر الخلافة ، وأزال دولة بني العباس منها ، وأقام الدولة الفاطمية هناك ، وسير عمارة القائم ونيابه وشباكه الذي كان إذا جلس يستند إليه ، وغير ذلك من الأموال والتحف إلى القاهرة في سنة خمسين وأربعمائة .

فلما وصل ذلك إلى القاهرة ، سر الخليفة المستنصر سروراً عظيماً ، وزنت القاهرة والقصور ومدينة مصر والجزيرة . فوقفت « نسب » طبالة المستنصر — وكانت امرأة مرجلة تقف تحت القصر في المواسم والأعياد ، وتسير أيام الموكب وحولها طائفتها وهي تضرب بالليل وتشد — فأنشدت وهي واقفة تحت القصر :

يا بني العباس ردوا ملك الأمر معد ملككم ملك معار والمواري تسترد فأعجب المستنصر ذلك منها ، وقال لها :

تمشي فسألت أن تقطع الأرض المجاورة للمقس . فأقطعها هذه الأرض ، وقيل لها من حينئذ :

« أرض الطبالة » ، وأنشأت هذه الطبالة تربة بالقرافة الكبرى تعرف بتربة نسب .

قال ابن عبد الظاهر : أرض الطبالة منسوبة إلى امرأة مغنية تعرف بسب — وقيل بطرب — مغنية المستنصر ... قال : فوهبها هذه الأرض المعروفة بأرض الطبالة ، وحكمت وبنت آدرا ويوتا ، وكانت من ملح القاهرة وبهجتها . انتهى .

ثم إن أرض الطبالة خربت في سنة ست وتسعين وستمائة ، عند حدوث الغلاء والوباء في سلطنة الملك العادل كنيهاً ، حتى لم يبق فيها إنسان يلوح ، وبقيت خراباً إلى ما بعد سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، فشرع الناس في سكناها قليلاً قليلاً .

فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري ، في سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، كانت هذه الأرض بيد الأمير بكتمر الحاجب . فما زال بالملهنسين حتى مروا بالخليج من عند الجرف على بركة الطوائف — التي تعرف اليوم ببركة الحاجب وببركة الرمل — فمروا به من هناك حتى صب في الخليج الكبير من آخر أرض الطبالة .

فعمر الأمير بكتمر المذكور هناك القنطرة ، التي تعرف بقنطرة الحاجب ، على الخليج الناصري ، وأقام جسراً من القنطرة المذكورة إلى قريب من الجرف . فصار هذا الجسر فاصلاً بين بركة الحاجب والخليج الناصري ،

وأذل الناس في تحكيره ، فبتوا عليه وعلى البركة الدور .

وعمرت بسبب ذلك أرض الطبالة ، وصار بها عدة حارات : منها حارة العرب ، وحارة الأكراد ، وحارة البزازرة ، وحارة الصياطين وغير ذلك . وبقى فيها عدة أسواق وحمام وجوامع تقام بها الجمعة ، وأقبل الناس على التزه بها أيام النيل والرياح ، وكثرت الرغبات فيها لقرتها من القاهرة .

وما برحت على غاية من العمار . إلى أن حدث القلاء في سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، أيام الأشرف شعبان بن حسين ، فخرّب كثير من حارات أرض الطبالة ، وبقيت منها بقية إلى أن دثرت منذ سنة ست وثمانمائة ، وصارت كيانا .

وبقى فيها من العمار الآن الأملاك المطلة على البركة ، التي ذكرت عند ذكر البرك من هذا الكتاب ، وفيها بقعة تعرف بالجنيشة - تصغير جنة - من الحبث بقاع الأرض . يعمل فيها بعض الناس الله عز وجل ، وتعرف ببيع الحنيشة التي يتلها أراذل الناس .

وقد فشت هذه الشجرة الخبيثة في وقتنا هذا فقتلوا زائدا ، وولع بها أهل الخلاعة والسخف ولوعا كثيرا ، وتظاهروا بها من غير احتشام ... بعدما أدركناها تعدد من أراذل الخبائث ، وأقبح القاذورات ، وما شئ في الحقيقة أفسد لطباع البشر منها . ولاشتهاها في وقتنا هذا عند الخاص والعام ، بصير والشام والعراق والروم ، تعين ذكرها . والله تعالى أعلم .

(18) مره 11 ج 1 ط 1 بولاق

ذكر حنيشة الفقراء

قال الحسن بن محمد في كتاب « السوانح الأدبية في مدائح القنية » : سألت الشيخ جعفر بن محمد النجاشي الحيدري ببلدة نستر ، في سنة ثمان وخمسين وستائة ، عن السبب في الوقوف على هذا العقار ، ووصوله إلى الفقراء خاصة ، وتعبه إلى العوام عامة .

فذكر لي أن شيخه ، شيخ الشيوخ حيدرا رحمه الله ، كان كثير الرياضة والمجاهدة ، قليل الاستعمال للغذاء ، قد فاق في الزهادة ، وبرز في العبادة . وكان مولده بنشاور من بلاد خراسان ، ومقامه بجبل بين نشاور ومارماه ، وكان قد اتخذ بهذا الجبل زاوية وفي صحته جماعة من الفقراء ، واقطع في موضع منها ، ومكث بها أكثر من عشر سنين لا يخرج منها ، ولا يدخل عليه أحد غيري للقيام بخدمته .

قال : ثم إن الشيخ طلع ذات يوم ، وقد اشتد الحر وقت القائلة ، منفردا بنفسه إلى الصحراء ، ثم عاد وقد علا وجهه نشاط وسرور بخلاف ما كنا نعهده من حاله قبل ، وأذل لأصحابه في الدخول عليه ، وأخذ يحادثهم .

فلما رأينا الشيخ على هذه الحالة من المؤانسة ، بعد إقامته تلك المدة الطويلة في الخلوة والعزلة ، سأله عن ذلك فقال : بينما أنا في خلوتي إذ خطر ببالي الخروج إلى الصحراء منفردا ، فخرجت فوجدت كل شيء من النبات ما كنا لا يتحرك لعدم الريح وشدة

التيظ . ومررت بنبات له ورق ، فزادني في تلك الحال بمس بلطف ، وتحرك من غير عنف كالثلج النشوان ، فجعلت أقطف منه أوراقا وأكلها ، فحدث عندي من الارتياح ما شاهدتموه ، وقوموا بنا حتى أوقفكم عليه لتعرفوا شكله .

قال : فخرجنا إلى الصحراء ، فأوقفنا على النبات ، فلما رأيناه قلنا : هذا نبات يعرف بالقمب . فأمرنا أن نأخذ من ورقه ونأكله ، ففعلنا . ثم عدنا إلى الزاوية فوجدنا في قلوبنا من السرور والفرح ما عجزنا عن كتمان .

فلما رأانا الشيخ على الحالة التي وصفنا أمرنا بصيانة هذا العقار ، وأخذ علينا الإيمان ألا نعلم به أحدا من عوام الناس ، وأوصانا ألا نخفيه عن الفقراء ، وقال : إن الله تعالى قد خصكم بسر هذا الورق ، ليذهب بأكله همومكم الكثيفة ، ويخلص بفضله أفكاركم الشريرة . فراقبوه فيما أودعكم ، وراعوه فيما استرعاكم .

قال الشيخ جعفر : فزرعتها بزاوية الشيخ حيدر بعد أن وقفنا على هذا السر في حياته ، وأمرنا بزراعتها حول ضريحه بعد وفاته . وعاش الشيخ حيدر بعد ذلك عشر سنين وأنا في خدمته ، لم أره يقطع أكلها في كل يوم ، وكان يأمرنا بتقليل الغذاء وأكل هذه الحنيشة .

وتوفي الشيخ حيدر سنة ثمان عشرة بزاوية في الجبل ، وعمل على ضريحه قبة عظيمة ، وأتته النذور الوفيرة من أهل خراسان ، وعظموا قدره وزاروا قبره ، واحترموا أصحابه . وكان قد أوصى أصحابه عند وفاته

أن يولّدوا طرأه أهل خراسان وكبرائهم من هذا العقار وسره ، فاستعملوه .

قال : ولم يزل الحنيشة شائعة دائمة في بلاد خراسان ومعاملات فارس . ولم يكن يعرف أكلها أهل العراق ، حتى ورد إليها صاحب هرمز ومحمد بن محمد صاحب البحرين - وهما من ملوك سيف البحر المجاور لبلاد فارس - في أيام الملك الامام المستر بالله ، وذلك في سنة ثمان وعشرين وستائة ، فحصلها أصحابهما معهم ، وأظهروا للناس أكلها . فاشتهرت بالعراق ، ووصل خبرها إلى أهل الشام ومصر والروم . فاستعملوها .

قال : وفي هذه السنة ظهرت الدواهي ببغداد ، وكان الناس ينقلون القراضة .

وقد نسب اظهار الحنيشة إلى الشيخ حيدر الأديب محمد بن علي بن الأعمى الدمشقي في آيات ، وهي :

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر
مغبرة خضراء مثل الزبرجدة
يعاطيكها ظبي من الترك أغيد
يسس على غصن من البان أملد
فتحبها في كنه إذ يديها
كرقم عذار فوق خد مورد

يرفعها أدنى نسيم تسمت
فتهفو إلى برد التيم المردد
وتشدو على أنفاسها الورق في الضحى
فيطربها صبح الحمام المردد

(19) مره 11 ج 1 ط 1 بولاق

وفيها معان ليس في الخمر مثلها
 فلا تستمع فيها مقال مفند
 من بكر لم تتكح بناء محابة
 ولا عصرت يوما يرجل ولا يد
 ولا اجت القيس يوما بكاسها
 ولا قربوا من دله كل مقعد
 ولا نص في تحرسها عند مالك
 ولا حد عند الشامي واحد
 ولا أثبت النعمان تجيب عنها
 فغفها بعد الشرق الهند
 وكف أكف الهم بالكف واسترح
 ولا تطرح يوم السرور الى قد
 وكذلك نسب اظهارها الى الشيخ جيدر
 الاديب احمد بن محمد بن الرسام الحلبي
 فقال :
 ومهتف يادى التفار عهده
 لا التيه قط غير معبس
 فرائه بعض الليالى ضاحكا
 سهل العريكة رضا في المجلس
 فقتيت منه ماري وشكرته
 اذ صار من بعد التافر مؤنسى
 فاجابنى لا تشكون خلاقتى
 واشكر شفيك فهو خير المنلى
 فحشيت الأفراح تشفع عندنا
 للعاشقين يسطها للانس
 واذا همت بصيد ظبي تافر
 فاجهد بأن يرعى حشيش القيس

واشكر عصاة جيدر اذ اظهروا
 لذوى الخلاعة مذهب المتخس
 ودع المعطل للسرور وخلصني
 من حن ظن الناس بالمتس
 وقد حدثني الشيخ محمد الشيرازي
 القلندري : أن الشيخ جيدرا لم يأكل
 العنينة في عمره البتة ، وانما عامة أهل
 خراسان نسبوا اليه لاشتهار أصحابه بها ،
 وأن اظهارها كان قبل وجوده بزمان طويل .
 وذلك أنه كان بالهند شيخ يسمى ييرطن هو
 أول من أظهر لأهل الهند أكلها ، ولم يكونوا
 يعرفونها قبل ذلك ، ثم شاع أمرها في بلاد
 الهند حتى ذاع خبرها ببلاد اليمن ، ثم فشا
 الى أهل فارس ، ثم ورد خبرها الى أهل
 العراق والروم والشام ومصر في السنة التي
 قدمت ذكرها .

قال : وكان ييرطن في زمن الأكاسرة ،
 وأدرك الاسلام وأسلم ، وأن الناس من ذلك
 الوقت يستعملونها .
 وقد نسب اظهارها الى أهل الهند على بن
 مكي في آيات أشد منها من لفظه ، وهى :
 ألا فاكف الأحزان عني مع الضر
 بمذراء زفت في ملاحفها الخضر
 تجلت لنا لما تحلت بسندس
 فجلت عن التشبه في النظم والنثر
 بدت تملأ الأبصار نورا بحسنا
 فأخجل نورالروض والزهر بالزهر
 عروس يبر النفس مكنون سرها
 وتصيح في كل الحواس اذا تسرى

فللذوق منها مطعم الشهد رائقا
 وللشم منها فائق المسك بالشر
 وفي لونها للطرف احسن زمة
 يسيل الى رؤياه من سائر الزهر
 تركب من قاذ وأبيض فانت
 تيه على الأرهار عالية التقدر
 فيكشف نور الشمس حرة لونها
 وتخجل من ميفه طلعة البدر
 علت رتبة في حسنها وكأنا
 زيرجد روض جناده وابل القطر
 تبست فابت ما أجن من الموى
 وجاءت فقلت جند همى والفكر
 جبيلة أوصاف جبيلة رتبة
 تغالت فغالى في مدائحها شعري
 فقم فاقف جيش الهم واكف يد العنا
 بهندية أمضى من البيض والسر
 بهندية فى أصل اظهار أكلها
 الى الناس لا هندية اللون كالسر
 تظل لهيب الهم عنا بأكلها
 وتهدي لنا الأفراح في السر والجهر
 قال : وأنا أقول انه قديم معروف منذ أوجد
 الله تعالى الدنيا ، وقد كان على عهد
 اليونانيين . والدليل على ذلك ما نقله الأطباء
 في كتبهم ، عن بقراط وجالينوس ، من مزاج
 هذا العقار وخواصه ومنافعه ومضاره .
 قال ابن جزلة في كتاب « منهاج البيان » :
 القنب الذى هو ورق الشهدانج : منه يستانى
 (ج) من ١٢٧ ج ١ ، ط. بولاق

ومنه يرى . والبستاني أجوده ، وهو حار
 يابس في الدرجة الثالثة ، وقيل حرارته في
 الدرجة الأولى ، ويقال انه بارد يابس في
 الدرجة الأولى . والبرى منه حار يابس في
 الدرجة الرابعة .
 قال : وبسى بالكف . أشدنى تقي الدين
 الموصلى :
 كف كف الموم بالكف فالكف
 ، شفاء للعاشق المموم
 بانه القنب الكريمة لا ياب
 نة كرم بعدا لبنت الكروم
 قال : والفقراء العا يتصدون استماله
 - مع ما يجدون من اللذة - تجفينا للنس ،
 وفي ابطاله قطع لشهوة الجماع كي لا تبسل
 نفوسهم الى ما يوقع في الوثا .
 وقال بعض الأطباء : ينبت لمن يأكل
 الشهدانج أو ورقه أن يأكله مع اللوز أو
 الفستق أو السكر أو العسل أو الخشخاش ،
 ويشرب بعده السكجيين لينفع ضرره ، واذا
 قلى كان أقل لضرره ، ولذلك جرت العادة
 قبل أكله أن يقلى ، واذا أكل غير مقلى كان
 كبير الضرر .
 وأمزجة الناس تختلف في أكله : فمنهم من
 لا يقدر أن يأكله مضافا الى غيره ، ومنهم من
 يضيف اليه السكر أو العسل أو غيره من
 الحلوات .
 وقرأت في بعض الكتب أن جالينوس قال :
 انها تبرئ من التخمة ، وهى جيدة للهضم .

وذكر ابن جزلة في كتاب « المتهاج » أن بور
شجر القنب البستاني هو الشهدانج ، وثمره
يشبه حب السمكة ، وهو حب يصبر منه
الدهن .

وحكى عن حنين بن اسحاق أن شجرة
البري تخرج في القفار المنقطعة على قدر
ذراع ، وورقه يغلب عليه البياض .

وقال يحيى بن ماسويه في كتاب « تدير
أبدان الأصحاء » : أن من غلب على بدنه البلغم
ينبغي أن تكون أغذيته مسخنة مجففة ،
كالزبيب والشهدانج .

وقال صاحب كتاب « اصلاح الأدوية » :
أن الشهدانج يدر البول ، وهو غير الانضمام
ردىء الخلط للمعدة .

قال : ولم أجد لازالة الزفر من اليد أبلغ من
غسلها بالحبشية ، ورأيت من خواصها أن
كثيرا من ذوات السموم - كالحيية
ولحوا - إذا شمت ريحها هربت ، ورأيت
أن الانسان إذا أكلها ووجد فعلها في نفسه ،
وأحب أن يفارقه فعلها قطر في متخذه شيئا من
الزيت ، وأكل من اللبن الحامض . ومما يكسر
قوة فعلها ويضعفه السباحة في الماء الجاري ،
والنوم يطله .

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : دع نزاهة
القوم ، فما بلى الناس بأفسد من هذه الشجرة
لأخلاقهم . ولقد حدثني القاضي الرئيس تاج
الدين اسماعيل بن عبد الوهاب ابن الخطباء
المخزومي ، قبل اختلاطه ، عن الرئيس علاء
الدين بن تقيس ، أنه سئل عن هذه الحبشية

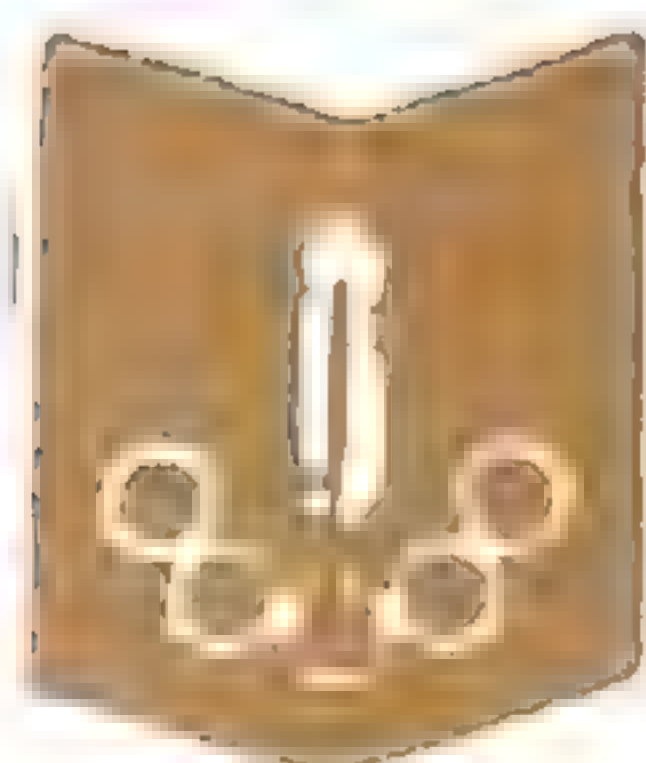
فقال : اعتبرتها فوجدتها تورث السفالة
والرذالة . وكذلك جربنا في طول عمرنا من
عائناها ، فانه ينحط في سائر أخلاقه إلى ما لا
يكاد أن يبقى له من الإنسانية شيء البتة .

وقد قال ابن البيطار في كتاب المفردات :
ومن القنب نوع ثالث يقال له القنب الهندي ،
ولم أره بغير مصر ، ويزرع في البساتين ،
ويقال له الحبشية عندهم أيضا ، وهو يسكر
جدا إذا تناول منه الانسان قدر درهم أو
درهمين ، حتى أن من أكثر منه يخرج به إلى
حد الرعونة ، وقد استعمله قوم فاختلفت
عقولهم ، وأدى بهم الحال إلى الجنون ، وربما
قتلت .

ورأيت الفقراء يستعملونها على أنفاس
شئ . فمنهم من يطبخ الورق طبخا بليغا ،
ويدعكه باليد دعكا جيدا حتى يتعجن ،
ويعمل منه أقراصا . ومنهم من يجففه قليلا ،
ثم يحمصه ويفركه باليد ، ويخلط به قليل
سمسم مقشور وسكر ويستفه ويطل مضعه .
فانهم يطربون عليه ، ويفرحون كثيرا ، وربما
أسكرهم فيخرجون به إلى الجنون أو قريب
منه . وهذا ما شاهدته من فعلها .

وإذا خيف من الاكثار منه ، فليادر إلى
القيء بسمن وماء سخن حتى تنقى منه المعدة ،
وشراب الحماض لهم في غاية النفع .

فانظر كلام العارف فيها ، واحذر من
افساد بشرتك وتلاف أخلاقك باستعمالها .
ولقد عهدناها وما يرمى بتعاطيها إلا أراذل
الناس ، ومع ذلك فيأثفون من اتساعهم لها
لما فيها من الشنة .



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



التمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِئِ

٣٠



كتاب
التعريف

كانت مصر هي مستقر رأسي، ولعب أترابي، وجمع ناسي، وفتى عشيري وعامتي،
وسوطن فحاصتي وعامتي، وجوهيزي الذي ربّ جناحي في وكرو، وعش ما ربي، فهد
تهوي الألفس غير ذكره، لا زلت منذ شذوت العالم، وآمان ربي الفطامة والفهم، أرفع في
مدنيت أفيارها، وأحب الإشراف على الإغتراف من آبارها، وأهوى مسارات الكيان من سكان ديارها.
تقى الدين أحمد بن علي القريري

وكان قد تبع الأمير مسودون الشيخولى رحمه الله الموضع الذى يعرف بالجينة ، من أرض الطبالة وباب اللوق ، وحكر واصل بيولاى ، وأتلف ما هنالك من هذه الشجرة الملعونة ، وقبض على من كان يتلعمها من أطراف الناس ورذلائهم ، وعاقب على فعلها بقطع الأضراس ، فقطع أضراس كثير من العامة فى نحو سنة ثمانين وسبعمائة .

وما برحت هذه الخبيثة تعد من القاذورات حتى قدم سلطان بغداد أحمد بن أويس ، فاراً من تيمورلنك ، الى القاهرة فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة . فتظاهر أصحابه بأكملها ، وشنع الناس عليهم ، واستقبحوا ذلك من فعلهم ، وعابوه عليهم . فلما سافر * من القاهرة الى بغداد ، وخرج منها ثانياً وأقام بدمشق مدة ، تعلم أهل دمشق من أصحابه التظاهر بها .

وقدم الى القاهرة شخص من ملاحدة المعجم . صنع الحشيشة بعسل خلط فيها عدة أجزاء مجففة كعرق اللقاح ونجوه ، وسماها العقدة ، وباعها بخفية . فشاع أكلها ، وفشا فى كثير من الناس مدة أعوام .

فلما كان فى سنة خمس عشرة وثمانمائة ، شنع التجاهر بالشجرة الملعونة ، فظهر أمرها واشتهر أكلها ، وارتفع الاحتشام من الكلام بها ، حتى لقد كادت أن تكون من تحف المترفين .

وبهذا السبب غلبت السفالة على الأخلاق ، وارتفع ستر الحياء والحشمة من بين الناس ، وجهروا بالسوء من القول ، وتفاحروا

(*) ص ١٢٨ ج ٢ ، ط . بولاق .

بالمعائب ، وانحطوا عن كل شرف وفضيلة ، وتعلوا بكل ذميمة من الأخلاق ورذيلة ... فلولا الشكل لم تقض لهم بالإنسانية ، ولولا الحس لما حكمت عليهم بالحيوانية . وقد بدا المسخ فى الشائل والأخلاق ، المنذر بظهوره على الصور والذوات ، عافانا الله تبارك وتعالى من بلائه .

وأرض الطبالة الآن بيد ورثة الحاجب .

ذكرى أرض البعل والتاج

قال ابن سيده : البعل الأرض المرتفعة التى لا يصيبها المطر الا مرة واحدة فى السنة ، وقيل البعل كل شجر أو زرع لا يسقى ، وقيل البعل ما سقته السماء ، وقد استبعل الموضع . والبعل من النخل ما شرب بعروقه من غير سقى ولا ماء سماء ، وقيل هو ما اكتفى بماء السماء ، والبعل ما أعطى من الأتاوة على سقى النخل ، واستبعل الموضع والنخل صار بعلاً .

وأرض البعل هذه بجانب الخليج متصل بأرض الطبالة . كانت بستاناً يعرف بالبعل وفيه منظر ، أنشأه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى ، وجعل على هذا البستان سوراً . وإلى جانب بستان البعل هذا بستان التاج ، وبستان الخمس وجوه . وقد ذكرت مناظر هذه البساتين ، وما كان فيها للخلفاء الفاطميين من الرسوم ، عند ذكر المناظر من هذا الكتاب .

وأرض البعل فى هذا الوقت مزرعة تجاه قنطرة الاوز التى على الخليج . يخرج الناس للتنزه هناك أيام النيل وأيام الربيع .

وكذلك أرض الشاح فانها اليوم قد زالت منها الاشجار . واستقرت من أراضي اليه احرابية . وفي يوم النيل ينب فيه نيلان يعرف بالينين ، له ساق طويل وزهره شبه الينوفر ، ولما اشرقت الشمس افتح فصار مطرا ابيض ، ولما غربت الشمس صمم .

ويذكر ان من اصغير نوعا صغيرا يجس مصفورا في دوح البنية . ورا قبل النيل انصبت فيه وعظمت في الماء ، وبها في جوفها كما ان في شرق النيل . فصار بنية وتفتح فطر المصفور . وهو شيء ما رجا تسمه .

وهذا الشيء يصع من زهره دهن يداخ به في الرسم وتزمن المدغ فيجمع ، وانه يعرف بالبارون . يجمعه الاغنياء ويكويه بنف ومضوخا ، وهو يميل الى احمره بغير . ويرى في اليه . ويسحق لونه ويغويه . يتبع احمر . ذكر ذلك ابن بطر في كتاب العودات .

وفي يوم الربيع يزرع هذه الاراضي ، فتذكر حسم وعادتها جة . فخذ التي وعند النول . وتذكرت بهمة الارض بقايا نحل وانجر

ذكر ضواحي القاهرة

ول ابن سيده : ضواحي كل شيء تولاهه ببارزة الشمس . والضواحي من النخل . كان خارج النور على صفة ثانية ، لانها تضحى الشمس .

وفي كتاب النسي صلى الله عليه وسلم لاهل مصر : لكم نصامة من النحل ، ولما الضاحية من بعل يعني بنصامة ما اذف به سور النية .

وضواحي الروم ما صير من بلادهم وبرز . ويقال في زماننا ما خرج عن القاهرة ، مما هو في جبي الخلع من القرى ، ضواحي القاهرة

ويعرف البلاد التي من ضواحي في غربي خليج بحس الجيوش . وهي بهتين ودميرية ونية . وكان أيضا بدية الجيزة ، من حمة بحس الجيوش ، حمة سقط وبها ووسم بحس هذه البلاد أمير الجيوش بمر الجبلي على غبه .

فما رأت الدولة الدنية . جعل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أمير الأسطول واخيه الغافل في بكر بن أيوب ، وسلمه له في سنة سبع وثلاثين وخمسة . وفرد لبيون الأسطول من الأبواب الديوانية الزكاة التي كانت تجي من الناس بمصر ، والحبس الجيوش بغير . والنظرون والخراج وما معه من ثمن القرض . وساحل السقط والمراكب الديوانية . وانما وصتدي . وأحيل ورثة أمير جيوش على غير الحبس الذي لهم . ثم أفتى فقهاء بطلان الحبس ، وقبضت الضواحي ، وصارت من جملة أموال الخراج ، فعرفت ببلاد المثلث .

وهذه الضواحي الآن منها ما هو وقف ، ومنها ما هو في الديوان السلطاني ، وخراجها

يتميز على غيرها من النواحي ، ويردع اكثرها من الكتان والمقاني وغيرها

ذكر منية الامراء

قال ياقوت في كتاب « المشترك » : المنية ثلاثة وأربعون موضعا ، وجميعها بمصر غير واحدة ، وبمصر من القرى المسماة بهذا الاسم ما يقارب المائتين .

قال : ومنية الشيرج - ويقال لها منية الأمير ، ومنية الامراء - بليدة فيها أسواق على فرسخ من القاهرة في طريق الاسكندرية . وذكر الشريف محمد بن أسعد الجواني النجارية ، أن قتلى أهل الشام الذين قتلوا في وقعة الخندق بين مروان بن الحكم وعبد الرحمن بن جندب أمير مصر ، في سنة خمس وستين من الهجرة ، دفنوا حيث موضع منية الشيرج هذه ، وكانوا نحو من اثني مائة .

وقال ابن عبد الظاهر : منية الامراء من الحبس الجيوش الشرقي الذي كان حبسه أمير الجيوش ثم ارتفع . وفي كل سنة يأكل البحر منها جانبا ، ويجدد جامعها ودورها حتى صار جامعها القديم ودورها في بر الجيزة ، وغلب البحر عليها .

وهذه المنية من محاسن متزهات القاهرة . وكانت قد كثرت المآثر بها ، واتخذها الناس منزل قصف ودار لعب ولهو ومقنى ضيافات ، وبها كان يعمل عيد الشهيد - الذي تقدم ذكره عند ذكر النيل من هذا الكتاب - لقربها من ناحية شبرا ، وبها سوق في كل يوم

(١٥١٢ سنة ١٢١٢ هـ ، ط . بولاق)

أحد يباع فيه البقر والغنم والقلل ، وهو من أسواق مصر المشهورة ، وأكثر من كان يسكن بها النصارى .

وكانت تعرف بمصر الخير ونيمة . حتى انه لما عظمت زيادة ماء النيل في سنة ثمان عشرة وسبعمئة ، وكانت الفرقة المشهورة وغرقت شبرا والنية ، تلف فيها من جرار الخير ما ينيف على ثمانين ألف جرة ملوثة بالخير ، وباع نصراني واحد مرة في يوم عيد الشهيد بها خرا بائني عشر ألف درهم فضة : عنها يومئذ نحو الستمائة دينار ، وكسر منها الأمير يلغا السالى في صفر سنة ثلاث وثمانمائة ما ينيف على أربعين ألف جرة ملوثة بالخير .

وما برحت تفرق في الأنيال العالية الى أن عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون ، في سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة ، الجسر من بولاق الى المنية - كما ذكر عند ذكر الجور من هذا الكتاب - فأمن أهلها من الفرق . وأدركاها عامرة بكثرة المساكن والناس والأسواق والمناظر ، وتقصد للزهوة بها أيام النيل والربيع ، لا سيما في يومى الجمعة والأحد ، فانه كان للناس بها في هذين اليومين مجتمع ينفق فيه مال كثير .

ثم لما حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة ، ألح المناسر بالهجوم عليها في الليل ، وقتلوا من أهلها عدة . فارتحل الناس منها ، وخلت أكثر دورها ، وتمطت حتى لم يبق بها سوى طاحون واحدة لطحن القمح بعد ما كان بها ما ينيف على ثمانين طاحونة ، وبها الآن بقية . وهي جارية في الديوان السلطاني المعروف بالمفرد .

ذكر كوم الريش

هذا اسم لبلد فيما بين أرض البعل ومنية الشيرج ، كان النيل يمر بغربها بعد مروره بغربي أرض البعل ، وأدركت آثار الجسوف باقية من غربي البعل وغربي كوم الريش الى أطراف المنية . حتى تغيرت الأحوال من بعد سنة ست وثمانائة ، ففاض ماء النيل في أيام الزيادة ، ونزل في الدرب الذي كان يسلك فيه من أرض الطيلة الى المنية ، فانقطع هذا الدرب وترك الناس سلوكه .

وكان كوم الريش من أجل متزهات القاهرة ، ورغب أعيان الناس في سكناها للتنزه بها .

وأخبرني شيخنا قاضي القضاة مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم الحنفى ، وخال أبى تاج الدين اسماعيل بن أحمد بن الخطباء ، أنهما أدركا يكوم الريش عدة أمراء يسكنون فيها دائما ، وأنه كان من جملة من يسكن فيها دائما نحو الثمانمائة من الجند السلطاني .

وأنا أدركت بها سوقا عامرا بالمعاشيات بأنواعها من المأكول ، لا أعرف اليوم بالقاهرة مثله في كثرة المأكول . وأدركت بها حساما وجامعين تقام بهما الجمعة ، وموقف مكارية ، ومنارة لا يقدر الوصف أن يعبر عن حسنهما لما اشتلت عليه من كل معنى رائع بهج .

وما برحت على ذلك الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانائة . فطرقها أنواع الرزايا حتى صارت بلاقع ، وجهلت طرقها ، وتغيرت معاهدها ، ونزل بها من الوحشة ما أبكاني ، وأنشدت في رؤيتها عندما شاهدتها خرابا :

قرا كأنك لم تكن تلهو بها

في نعمة وأوانس أتراب

« وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، ان أخذه اليه شديد » .

ذكر بولاق

قد تقدم في غير موضع من هذا الكتاب أن ساحل النيل كان بالمقس ، وأن الماء انحصر بعد سنة سبعين . وخمسمائة عن جزيرة عرف بجزيرة النيل . وتقلص ماء النيل عن سور القاهرة الذي ينتهي الى المقس ، وصارت هناك رمل وجزائر ما من سنة الا وهي تكثر ، حتى بقي ماء النيل لا يمر بها الا أيام الزيادة فقط ، وفي طول السنة ينبت هناك البوص والحلفاء ، وتنزل الممالك السلطانية لرمى الشباب في تلك التلال الرمل .

فلما كان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، رغب الناس في العمارة بديار مصر ، لشغف السلطان الملك الناصر بها ومواظبه عليها ، فكانوا نودى في القاهرة ومصر ألا يتأخر أحد من الناس عن إنشاء عمارة ، وجد الأمراء والجند والكتاب والتجار والعامه في البناء ، وصارت بولاق حينئذ تنبسط بولاق التكرور ، يزرع فيها القصب والقلقاس على ساقية تنقل الماء من النيل حيث جامع الخطيرى الآن .

فمصر هناك رجل من التجار منظره ، وأحاط جدارا على قطعة أرض غرس فيها عدة أشجار وتردد اليها للتنزه . فلما مات انتقلت الى نصر الدين محمد بن الجوكندار ، فمصر الناس

ص ١٣ ج ٢ ، ص ١٠٠ بولاق .

بجانبها دورا على النيل ، وسكنوا ورغبوا في السكنى هناك ، فامتدت المناظر على النيل من الدار المذكورة الى جزيرة النيل ، وتفاخروا في إنشاء القصور العظيمة هناك ، وغرسوا من ورائها البساتين العظيمة . وأنشأ القاضي ابن المغربي رئيس الأطباء بستانا ، اشتراه منه القاضي كريم الدين ناظر الخاص للأمير سيف الدين طشتر الساقى بنحو مائة ألف درهم فضة .

وكرر التنافس بين الناس في هذه الناحية ، وعصروها حتى انتظمت العمارة في الطول على حافة النيل من منية الشيرج الى موردة الخلفاء بجوار الجامع الجديد خارج مصر ، وعمر في العرض على حافة النيل الفريسة من تجاه الخندق بحرى القاهرة الى منشأة المهراني ، وبقيت هذه المسافة العظيمة كلها بساتين وأحكارا عامرة بالدور والأسواق والحمامات والمساجد والجوامع وغيرها ، وبلغت بساتين جزيرة النيل خاصة ما ينيف على مائة وخمسين بستانا بعد ما كانت في سنة احدى عشرة وسبعمائة نحو العشرين بستانا .

وأنشأ القاضي الفاضل جلال الدين القزوينى وولده عبد الله دارا عظيمة على شاطئ النيل بجزيرة النيل عند بستان الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب ، وأنشأ الأمير عز الدين الخطيرى جامع ببولاق على النيل ، وأنشأ بجواره ربعين ، وأنشأ القاضي شرف الدين بن زنبور بستانا ، وأنشأ القاضي فخر الدين المعروف بالفخر ناظر الجيش بستانا ، وحكر الناس حول هذه البساتين وسكنوا هناك .

ثم حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، فمصر الناس على جانبى هذا الخليج . وكان أول من عمر ، بعد حفر الخليج الناصرى ، الممايزى أنشأ بستانا ومسجدا هما موجودان الى اليوم ، وتبعه الناس في العمارة حتى لم يبق في جميع هذه المواضع مكان بغير عمارة ، وبقي من يمر بها يتمجب ، اذ ما بالمهد من قدم يينا هي تلال رمل وحلاف ، اذ صارت بساتين ومناظر وقصورا ومساجد وأسواقا وحمامات وأزقة وشوارع .

وفي ناحية بولاق هذه كان خص الكيالة الذي يؤخذ فيه مكس الغلة ، الى أن أبطله الملك الناصر محمد بن قلاوون كما ذكر في الروك الناصرى من هذا الكتاب . ولما كانت سنة ست وثمانائة انحصر ماء النيل عن ساحل بولاق ، ولم يزل يبعد حتى صار على ما هو عليه الآن .

وناحية بولاق الآن عامرة ، وتزايدت العمائر بها ، وتجدد فيها عدة جوامع وحمامات ورباع وغيرها .

ذكر ما بين بولاق ومنشأة المهراني

وكان فيما بين بولاق ومنشأة المهراني خط فم الخور ، وخط حكر ابن الأثير ، وخط زربية قوصون ، وخط الميدان السلطاني بموردة الملح ، وخط منشأة الكتبة .

فأما فم الخور فكان فيه من المناظر الجميلة الوصف عدة تشرف على النيل ، ومن ورائها البساتين ، ويفضل بين البساتين والدور المطلة

على النيل شارع ملوك ، وأنشئ هناك حمام وجامع وسوق . وقد تقدم ذكر الخور .

وأنشأ هناك القضى علاء الدين بن الأثير دارا على النيل ، وكان اذ ذاك كاتب السر ، وبني الناس بجواره ، فعرف ذلك الخط بحكر ابن الأثير ، واتصلت العمارة من بولاق الى قم الخور ، ومن قم الخور الى حكر ابن الأثير . وما يرح فيه من مساكن الأكابر من الوزراء والأعيان ومن الدور العظيمة ما يتجاوز الوصف .

وأما الزرية فإن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، لما وهب البستان الذي كان بالميدان القاهري للأمير قوصون ، أنشأ قدامه على النيل زرية ووقفها . فمصر الناس هناك حتى اتظمت العمارة من حكر ابن الأثير الى الزرية ، وعمر هناك حمام وسوق كبير وطواحين وعدة مساكن اتصلت باللوق .

وأما زرية السلطان فإن الملك الناصر محمد ابن قلاوون ، لما عمر ميدان المهارى المجاور لقناطر الباع الآن ، أنشأ زرية في قبلى الجامع الطيرسى * ، وحفر لأجل بناء هذه الزرية البركة المعروفة الآن بالبركة الناصرية حتى استعمل طينها في البناء ، وأنشأ فوق هذه الزرية دار وكنة وربيعين عظيمين : جعل أحدهما وقتا على الخاتاه التى أنشأها بناحية سرداقوس ، وأنعم بالآخر على الأمير بكتسر الساقى ، فأنشأ الأمير بكتسر بجواره حمامين : أحدهما يرسم الرجال ، والآخرى يرسم النساء .

(٤) من ١٢١١ هـ ، ط . بولاق .

فكثر بناء الناس فيما هناك حتى اتصلت العمارة من بحرى الجامع الطيرسى بزريرة قوصون ، وصار هناك أزقة وشوارع ودروب ومساكن من وراء المناظر المظلة على النيل تصل بالخليج ، وأكثر الناس من البناء فى طريق الميدان السلطاني ، فصارت المماثر منتظمة من قناطر السباع الى الميدان من جهاته كلها ، وتنافس الناس فى تلك الأماكن ، وتغالوا فى أجراها .

وعمر المكين ابراهيم بن قزوينه ناظر الجيش فى قبلى زرية السلطان - حيث كان بستان الخشاب - دارا جليلة ، وعمر أيضا صلاح الدين الكحال ، والصاحب أمين الدين عبد الله ابن الغنام ، وعدة من الكتاب ، فقليل لهذه الخطة منشاء الكتاب ، وأنشأ فيها الصاحب أمين الدين خاتناه بجوار داره ، وعمر أيضا كريم الدين الصغير حتى اتصلت العمارة بنشأة المهرانى .

فصار ساحل النيل من خط دير الطين قبلى مدينة مصر الى منية الشيرج بحرى القاهرة : مسافة لا تقصر عن أزيد من نصف بريد بكثير ... كلها منتظمة بالمناظر العظيمة ، والمساكن الجليلة ، والجوامع والمساجد ، والخوانك والحمامات ، وغيرها من البساتين . لا تجد فيما بين ذلك خرابا ألبتة .

واتظمت العمارة من وراء الدور المظلة على النيل حتى أشرفت على الخليج . فبلغ هذا البر الغربى من وفور العمارة ، وكثرة الناس ، وتنافسهم فى الاقبال على اللذات ، وتأنقهم فى الانهماك فى المسرات ، ما لا يسكن وصفه ولا يتأتى شرحه .

حتى اذا بلغ الكتاب أجله ، وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة ، وتقلص ماء النيل عن البر الشرقى ، وكثرت حاجات الناس وضروراتهم ، وتساهل قضاة المسلمين فى الاستبدال فى الأوقاف وبيع تقضها ... اشترى شخص الربيعى والحمامين ودار الوكالة التى ذكرت على زرية السلطان بجوار الجامع الطيرسى فى سنة سبع وثمانمائة ، وهدم ذلك كله ، وباع أبقاضه ، وحفر الأساسات ، واستخرج ما فيها من الحجر وعمله جيرا ، فنال من ذلك ربحا كثيرا .

وتابع الهدم فى شاطئ النيل ، وباع الناس أبقاض الدور ، فرغب فى شرائها الأمراء والأعيان وطلاب الفوائد من العامة . حتى زال جميع ما هنالك من الدور العظيمة والمناظر الجليلة ، وصار الساحل - من منشاء المهرانى الى قريب من بولاق - كيانا موحشة وخرائب مقفرة . كان له تكن معنى صبايات ، وموطن أفراح ، وملعب أتراب ، ومرتع غزلان تفتن النساك هناك ، وتعيد الحليم سفيها ... « سنة الله فى الذين خلوا من قبل »

وانى اذا تذكرت ما صارت اليه ، أنشد قول عبد الله بن المعتز :

سلام على تلك المعاهد والربا
سلام وداع لا سلام قدوم

وصار بهذا العهد ما بين أول بولاق من قبلى الى أطراف جزيرة القيل عامرا : من غريبه المفضى الى النيل ، ومن شرقيه الذى ينتهى الى الخليج . الا أن النيل قد تشأت فيه جزائر ورمال يعد بها الماء عن البر الشرقى ،

وكرر الغناء لبعده ، وفى كل عام تكثر الرمال ويعد الماء عن البر . وفيه عاقبة الأمور .

فهذا حال الجهة الغربية من طواهر القاهرة فى ابتداء وضعها والى وقتنا هذا ، وبقي من طواهر القاهرة الجهة القبلى والجهة البحرية ، وفيها أيضا عدة أخطاط تحتاج الى شرح وتبيان . والله تعالى أعلم بالصواب .

ذكر خارج باب زويلة

اعلم أن خارج باب زويلة جهتان : جهة تلى الخليج ، وجهة تلى الجبل . فأما الجهة التى تلى الخليج فقد كانت عند وضع القاهرة بساتين كلها فيما بين القاهرة الى مصر . وعندى فيما ظهر لى أن هذه الجهة كانت فى القديم غامرة بماء النيل ، وذلك أنه لا خلاف بين أهل مصر قاطبة أن الأراضى التى هى من طين ابليز لا تكون الا من أرض ماء النيل .

فإن أرض مصر تربة رملة سبخة ، وما فيها من الطين طرح يعلوها عند زيادة مائة النيل ، ما يحمله من البلاد الجنوبية من مسيل الأودية ، فلذلك يكون لون الماء عند الزيادة متغيرا ، فاذا مكث على الأرض قعد ما كان فى الماء من الطين على الأرض ، فساه أهل مصر ابليز ، وعليه تزرع الفلال وغيرها ، وما لا يشمله ماء النيل من الأرض لا يوجد فيه هذا الطين ألبتة .

وأنت ان عرفت أخبار مصر بتأملك ما تضمنه هذا الكتاب ، ظهر لك أن موضع جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه كان كروما مشرقة على النيل ، وأن النيل انحر بعد

الظاهر . فامتنع الملك المنصور من الرضا بقيامه على الساط وما زال به حتى جلس . ثم وصلت الخلع والمواهب اليه والى ولده وخواصه .

وفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، أنزل بهذه المناظر نحو ثلثمائة من ممالك الأشرف خليل ابن قلاوون ، عندما قبض عليهم بعد قتل الأشرف المذكور .

ثم إن الملك الناصر محمد بن قلاوون هدم هذه المناظر المذكورة في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، وبناها ببناء آخر ، وأجرى الماء إليها ، وجدد بها عدة مواضع ، وزاد في سعتها ، وأنشأ بها اصطبلًا تربط فيه الخيول .

وعمل زفاف ابنته على ولد الأمير أرغون ، نائب السلطنة بديار مصر ، بعد ما جهزها جهازًا عظيمًا : منه بشخاناه ، وداير بيت ، وستارات ... طرز ذلك بشانين ألف مثقال ذهب مصري ، سوى ما فيه من الحرير وأجرة الصانع . وعمل سائر الألوان من ذهب وفضة ، فبلغت زينة الألوان المذكورة ما ينيف على عشرة آلاف مثقال من الذهب . وتناهى في هذا الجهاز ، وبالنسبة في الاتفاق عليه حتى خرج عن الحد في الكثرة ، فانها كانت أول بنائه .

ولما نصب جهازها بالكبش نزل من قلعة الجبل ، وصعد إلى الكبش وعينه ورتبه بنفسه ، واهتم في عمل العرس اهتمامًا ملوكيًا ، وألزم الأمراء بحضوره . فلم يتأخر أحد منهم عن الحضور ، ونقط الأمراء الأغاني على مراتبهم من أربعمائة دينار كل أمير إلى مائتي دينار ، سوى الشقق الحرير .

واستمر الفرح ثلاثة أيام بلياليها . فذكر الناس حينئذ أنه لم يعمل فيما سلف عرس أعظم منه ، حتى حصل لكل جوقة من جوق الأغاني اللاتي كن فيه خمسمائة دينار مصرية ، ومائة وخمسون شقة حرير . وكان عدة جوق الأغاني التي قسم عليهن ثمان جوق من أغاني القاهرة ، سوى جوق الأغاني السلطانية وأغاني الأمراء ، وعدتهن عشرون جوقة ، لم يعرف ما حصل لهذه العشرين جوقة من كثرة ما حصل .

ولما انقضت أيام العرس ، أنعم السلطان لكل امرأة من نساء الأمراء بتعبية قماش على مقدارها ، وخلق على سائر أرباب الوظائف من الأمراء والكتاب وغيرهم . فكان مهمًا عظيمًا تجاوز المصروف فيه حد الكثرة .

وسكن هذه المناظر أيضا الأمير صرغتمش في أيام السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون ، وعمر الباب الذي هو موجود الآن وبدت الحجر اللتين بجانب باب الكبش بالحدرة .

ثم إن الأمير يلبغا العمري ، المعروف بالخاصكي ، سكنه إلى أن قتل في سنة ثمان وستين وسبعمائة . فسكنه من بعده الأمير استدر ، إلى أن قبض عليه الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، وأمر بهدم الكبش . فهدم وأقام خرابًا لا ساكن فيه إلى سنة خمس وسبعين وسبعمائة ، فحكره الناس ، وبنوا فيه مساكن ، وهو على ذلك إلى اليوم .

« خطب درب ابن البابا » : هذا الخط يتوصل إليه من تجاه المدرسة البندقارية بجوار حمام الفارقاني ، ويسلك فيه إلى خط واسع يشتمل على عدة مساكن جليلة ، ويتوصل منه إلى الجامع الطولوني وقناطر السباع وغير ذلك .

وكان هذا الخط يستأن يعرف بستان أبي الحسين بن مرشد الطائي ، ثم عرف بستان نامش ، ثم عرف أخيرًا بستان سيف الاسلام طفتكين بن أيوب . وكان يشرف على بركة النيل ، وله بهاليز واسعة عليها جواسق تنظر إلى الجهات الأربع .

ويقابله — حيث الدرب الآن ، المدرسة البندقارية وما في صفها إلى الصليبة — بستان يعرف بستان الوزير ابن المغربي ، وفيه حمام مليحة . ويتصل بستان ابن المغربي بستان عرف أخيرًا بستان شجر الدر ، وهو حيث الآن سكن الخلفاء بالقرب من المشهد النفيسي . ويتصل بستان شجر الدر بساتين إلى حيث الموضع المعروف اليوم بالكبارة من مصر .

ثم إن بستان سيف الاسلام حكره أمير يعرف بعلم الدين الفتى . فبنى الناس فيه الدور في الدولة التركية ، وصار يعرف بحكر الفتى ، وهو الآن يعرف بدرب ابن البابا .

وهو الأمير الجليل الكبير جنكلى بن محمد ابن البابا بن جنكلى بن خليل بن عبد الله بدر الدين المعلى ، رأس الميمنة ، وكبير الأمراء الناصرية — محمد بن قلاوون — بعد الأمير جمال الدين نائب الكرك . قدم إلى مصر في

أوائل سنة أربع وسبعمائة ، بعدما طلبه الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، ورغبه في الحضور إلى الديار المصرية ، وكتب له منشور باقناع جيد ، وجهزه إليه . فلم يتفق حضوره إلا في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان مقامه بالقرب من آمد ، فأكرمه وعظمه وأعطاه امرة .

ولم يزل مكرمًا معظما . وفي آخر وقته — بعد خروج الأمير أرغون النائب من مصر — كان السلطان يبعث إليه الذهب مع الأمير بكتر الساقى وغيره ، ويقول له : لا تبس الأرض على هذا ، ولا تنزله في ديوانك . وكان أولا يجلس رأس الميمنة ... ثاني نائب الكرك . فلما سار نائب الكرك لنيابة طرابلس ، جلس الأمير جنكلى رأس الميمنة ، وزوج السلطان ابنه ابراهيم بن محمد بن قلاوون بابنة الأمير بدر الدين .

وما زال معظما في كل دولة . بحيث أن الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون كتب له عنه « الأتابكي الوالدى البدرى » ، وزادت وجاهته في أيامه إلى أن مات يوم الاثنين سابع عشر ذي الحجة سنة ست وأربعين وسبعمائة .

وكان شكلا مليحا حلما ، كثير المعروف والجود ، غفيرا لا يستخدم مملوكا أمرد ألبنة ، واقتصر من النساء على امرأته التي قدمت معه إلى مصر ومنها أولاده . وكان يحب العلم وأهله ، ويطرح مسائل علمية ، ويعرف ربح العبادات ويحيده ، ويتكلم على الخلاف فيه ، ويميل إلى الشيخ تقي الدين أحمد بن

تيمية ، ويمدني من يدايه ، ويكرم أصحابه
ومكتب كلامه ، مع كثرة الإحسان إلى الناس
بمنه وجانه . وكان ينسب إلى إبراهيم بن
أدهم ، وهو من محاسن الدولة التركية ، رحمه
الله .

« حكر الخزان » : هذا المكان ، فيما بين
بركة النيل وخط الجامع الخوونى ، كان من
جملة البساتين ، ثم صار اصطبلًا للجوق الذى
فيه خيول المالك السلطانية . فلما تملطن
الملك العادل كبحًا أخرج منه الخيول ، وعمله
ميدانًا يشرف على بركة النيل فى سنة خمس
وتسعين وستمائة ، ونزل إليه ولعب فيه
بالكرة أيام سلطته كلها ... إلى أن خلع
الملك المنصور لأجله ، وقام فى الملك من بعده ،
فأهل أمره .

وعمر فيه الأمير علم الدين منجر الخزان
والى القاهرة بيتا ، فمرف من حينئذ بحكر
الخزان ، وتبعه الناس فى البناء هناك ،
وأنشأوا فيه الدور الجليلة . فصار من أجل
الأخطاط وأعمرها ، وأكثر من يسكن به
الأمراء والماليك .

« منجر الخزان » : الأمير علم الدين
الأشرف ، أحد ماليك الملك المنصور قلاوون ،
وتقل فى أيام ابنه الملك الأشرف خليل ،
وصار أحد الخزائن فمرف بالخزان . ثم ولى
شد النواوين مع صاحب أمين الدين ،
وانتقل منها إلى ولاية البنها ، ثم إلى ولاية
القاهرة وشد الجهات . فبأثر ذلك بمقل
وسيادة وحسن خلق ، وقلة ظلم ومجبة للسر
وتغافل عن مساوىء الناس ، وأقاة عشرات

دوى الهبات ، مع العصبية والمعرفة وكثرة
المال وسعة الحال واقتناء الأملاك الكثيرة .

ثم أنه صرف عن ولاية القاهرة بالأمير
قندار فى شهر رمضان سنة أربع وعشرين
وسبعمائة ، فوجد الناس من عزله بقندار
شدة . وما زال بالقاهرة إلى أن مات ليلة
انبت من جمادى الأولى سنة خمس وثلثين
وسبعمائة ، فوجد له أربعة عشر ألف أردب
غلة عتيقة وأموال كثيرة ، وله من الآثار
مسجد بناه فوق درب استجده بحكر الخزان ،
وخطاه بالترافه دفن فيها ، عفا الله عنه .

« ربع الزادرة » : هذا الربع تحت قلعة
الجيل بسوق الخيل . عمر بعد سنة ثلاث
عشرة وسبعمائة ، وكان مكانه لا عمارة فيه ،
فبنى الأجناد بجواره عدة مساكن ، واستجدوا
حكرين من جواره . فامتلت العمارات إلى تربة
شجر اندر - حيث كان البستان المعروف
بشجر السر - وهناك الآن سكن الخلفاء .
وامتلت العمارات من تربة شجر الدر إلى المشهد
النفسى ، ومروا من تجاه المشهد بالعمائر
إلى أن اتصلت بعمائر مصر وباب الترافه .

« خط قنات السباع » : كان هذا الخط
فى أول الإسلام يعرف بالحمره ، نزل فيه
حائفة تعرف ببني الأزرق وبني رويل . ثم
دثرت هذه الخطه ، وبقيت صحراء فيها
ديارات وكناس للنصارى تعرف بكنايس
الحمره . فلما زالت دولة بني أمية ، ودخل
أصحاب بني العباس إلى مصر فى سنة اثنين
وثلثين ومائة ، نزلوا فى هذه الخطه ، وعمرها

بها فصارت تصلح بالعسكر . وقد تقدم خبر
العسكر فى هذا الكتاب .

فلما حارب العسكر : وصار هذا المكان
بساتين وغيرها . إلى أن حفر الملك الناصر
محمد بن قلاوون البركة الناصرية ، وأنشأ
ميدان المهارى والزربية والربيع بجوار الجامع
الطيرسى على شاطئ النيل ، بنى الناس فى
حكر أبغا ، واتصلت العمارات من خط السبع
سقايات وخط قنات السباع حتى اتصلت
بالقاهرة ومصر والترافه ، وذلك كله من بعد
سنة عشرين وسبعمائة .

« بئر الوطايط » : هذه البئر أنشأها
الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر
ابن القرات - المعروف بابن خترابة - ليقبل
منها الماء إلى السبع سقايات التى أنشأها
وحبسها لجميع المسلمين التى كانت بخط
الحمره ، وكتب عليها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لله الأمر من
قبل ومن بعد ، وله الشكر وله الحمد ، ومنه
المن على عبده جعفر بن الفضل بن جعفر بن
القرات ، وما وقته له من البناء لهذه البئر
وجريانها إلى السبع سقايات التى أنشأها ،
وحبسها لجميع المسلمين ، وحبه وسبله وقفا
مؤبدا لا يحل تغييره ولا المدول بشئ من
مائه ، ولا يتقل ولا يطل ، ولا يساق إلا إلى
حيث مجراه إلى السقايات المسبلة ، فمن بدله
بعد ما سمعنا قلنا أنه على الذين يدلونه أن
الله سميع عليم . وذلك فى سنة خمس وخمسين
وثلثمائة ، وصلى الله على نبيه محمد وآله
وسلم . »

فلما حال الأمر خربت السقايات ، وإلى
اليوم يعرف موضعها بخط السبع سقايات ،
وبنى فوق البئر المذكورة ، وتولد فيها كثير
من الوطايط ، فمصرقت بئر الوطايط .
ولما أكثر الناس من بناء الأماك ، فى أيام
الناصر محمد بن قلاوون ، عمر هذا المكان ،
وعرف إلى اليوم بخط بئر الوطايط . وهو
خط عامر .

فهذا ما فى جهة الخليج مما خرج عن باب
زويلة .

وأما جهة الجبل فانها كانت عند وضع
القاهرة صحراء . وأول من أعلم أنه عمر خارج
باب زويلة من هذه الجهة الصالح ملائع بن
رزك ، فانه أنشأ الجامع الذى يقال له جامع
الصالح ، ولم يكن بين هذا الجامع وبين هذا
الشرف الذى عليه الآن قلعة الجبل بناء
آلية .

الا أن هذا الموضع الآن عمل الناس فيه
مقبرة ، فيما بين جامع الصالح وبين هذا
الشرف ، من حين بنيت العمارات خارج باب
زويلة . فلما عمرت قلعة الجبل ، عمر الناس
هذه الجهة شيئا بعد شئ ، وما برح من بنى
هناك يجد عند الحفر رمم الأموات .

وقد صارت هذه الجهة فى الدولة التركية
- لا سيما بعد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة -
من أعمر الأخطاط ، وأنشأ فيها الأمراء
الجوامع والدور الملوكية ، وتجددت هناك
عدة أسواق ، وصار الشارع خارج باب زويلة
ينصل بين هذه الجهة وبين الجهة التى من
حد الخليج . وكلتا هاتين الجهتين الآن عامرة .

وفي جهة الجبل خط البسفين ، وخط الدرب الأحمر ، وخط سوق الفم ، وخط جامع المارديني ، وخط التابة ، وخط باب الوزير ، وخط المصنع ، وخط سوقة العزى ، وخط مدرسة الجابي ، وخط الرملة ، وخط القبيات ، وخط باب القرافة .

ذكر خارج باب الفتوح

اعلم أن خارج باب الفتوح الى الخندق كان كه بيتين ، وتمتد الباتين من الخندق بحافتي الخليج الى عين شمس . فيقابل باب الفتوح من خارجه المنطرة ، المقدم ذكرها عند ذكر المناظر التي كانت للخلفاء من هذا الكتاب ، وبلى هذه المنطرة بستان كبير عرف بالبستان الجيوشي ، أوله من عند زقاق الكحل الى المطرية . ويقابله في بر الخليج الغربي بستان آخر يتوصل اليه من باب المنطرة ، وينتهي الى الخندق . وقد ذكر خبر هذين الباتين عند ذكر مناظر الخلفاء .

وكان بين هذين الباتين بستان الخندق ، وكان على حافة الخليج من شرقيه ، فيما بين زقاق الكحل وباب المنطرة - حيث المواضع التي تعرف اليوم بركة جناح وبالكداين - الى قرب من حارة بهاء الدين حارة ، تعرف بحارة اليازرة ، اختفت في نحو من سنة عشرين وخمسة ، وكانت مناظرها تشرف على الخليج ، وبجوارها بستان مختار الصقلي ، وعرف بعد ذلك ببستان ابن صيرم الذي حكر ، وبنيت فيه المساكن الكثيرة بعد ذلك .

وكان أيضا خارج باب الفتوح حارة الحسينية ، وهم الرحمانية إحدى طوائف عسكر الخلفاء الفاطميين ، وهذه الحارة اختطت بعد السدة العظمى التي كانت بمصر في خلافة المستنصر ، فصارت على يمين من خرج من باب الفتوح الى صحراء الهليلج . ويقابلها حارة أخرى تنتهي الى بركة الأرمين التي عند الخندق ، وتعرف اليوم ببركة قراجا ، وقد ذكرت هذه الحارات عند ذكر حارات القاهرة وضواهرها من هذا الكتاب .

ذكر الخندق

هذا الموضع قرية خارج باب الفتوح كانت تعرف أولا بمنية الأصينج . ثم لما اختط القائد جوهر القاهرة أمر المغاربة أن يحفروا خندقا ، من جهة الشام من الجبل الى الابلز ، عرضه عشرة أذرع في عسق مثلها . فبدى به يوم السبت حادي عشر شعبان سنة ستين وثمناة ، وفرغ في أيام يسيرة .

وحفر خندقا آخر قدامه وعفته ، ونصب عليه بابا يدخل منه - وهو الباب الذي كان على ميدان البستان الذي للاخشيذ - وقصد أن يقاتل القرامطة من وراء هذا الخندق ، ففيل له من حينئذ الخندق ، وخندق العبيد ، والحفرة . ثم صار بستانا جليلا من جملة الباتين السلطانية في أيام الخلفاء الفاطميين ، وأدركناها من متزهات القاهرة البهجة الى أن خربت .

قل ابن عبد الحكم : وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أقطع ابن سندر منية الأصينج ،

فحاز لنفسه منها ألف فدان . كما حدثنا يحيى بن خالد ، عن الليث بن سعد رضي الله عنه ، ولم يبلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقطع أحدا من الناس شيئا من أرض مصر ، الا ابن سندر فإنه أقطعه منية الأصينج ، فلم تزل له حتى مات ، فاشتراها الأصينج بن عبد العزيز من ورثته ، فليس بمصر قطعة أقدم منها ولا أفضل .

وكان سبب إقطاع عمر رضي الله عنه ما أقطعه من ذلك - كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، عن ابن لهيعة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده - أنه كان لزباج بن روح الجذامي غلام يقال له سندر ، فوجده يقبل بجارية له ، فجهه وجده أنه وأذنه .

فأتى سندر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الى زباج فقال : « لا تحملوهم من العمل ما لا يطيقون ، وأطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ، فإن رضيتم فأمسكوا ، وإن كرهتم فبيعوا ، ولا تمذبوا خلق الله . ومن مثل به أو أحرق بالنار فهو حر ، وهو مولى الله ورسوله » .

فأعتق سندر ، فقال : أوصى بي يارسول الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوصى بك كل مسلم » .

فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتى سندر أبا بكر رضي الله عنه فقال : احفظ في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعاله أبو بكر رضي الله عنه حتى توفي .

ثم أتى عمر رضي الله عنه فقال : احفظ في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عمر رضي الله عنه : نعم إن رضيته أن نقيم عندي أجريت عليك ما كان يجري عليك أبو بكر رضي الله عنه ، والا فانظر أي موضع أكتب لك .

فقال سندر : مصر لأنها أرض ريف .

فكتب له الى عمرو بن العاص « احفظ في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فلما قدم الى عمرو رضي الله عنه ، أقطع له أرضا واسعة ودارا . فجعل سندر يعيش فيها ، فلما مات قبضت في مال الله تعالى .

قال عمرو بن شعيب : ثم أقطعها عبد العزيز ابن مروان الأصينج بعد ، فهي من خير أموالهم ... قال : ويقال سندر وابن سندر .

وقال ابن يونس : مسروح بن سندر الخصى مولى زباج بن روح بن سلامة الجذامي ، يكنى أبا الأسود ، له صحبة . قدم مصر بعد الفتح بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالوصاة ، فأقطع منية الأصينج بن عبد العزيز . روى عنه أهل مصر حديثين ، روى عنه يزيد ابن عبد الله البرني ، وريعة بن لقيط التجيبي .

ويقال سندر الخصى ، وابن سندر أثبت ، توفي بمصر في أيام عبد العزيز بن مروان . ويقال كان مولاه وجده يقبل جارية له ، فجهه وجده أنه وأذنه ، فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا ذلك اليه ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زباج فقال : « لا تحملوهم (يعني العبيد) ما لا يطيقون ،

ومن من ذوات في كتب «سيرة الإمام
العزيز» في «ومن خطه» . وفي هذا
الشمس (يسمي الحرم) ثلاث وسبعين
ونصفه (يسمي الحرم) في نوحى القرية
والمعبر وما فيها . فمزوا في سور ،
وأخرجوا من دورهم . وبنوا السكك ،
وشرعوا في السكنى في المدينة . وكان المعروف
أنهم أن يسكنوا في أمهم . فخرج
الناس واستلموا بنهر ، وأمهم أن يسكنوا
بواحي غير شمس .

وركب نهر بسمه حتى شمس موضع سي
يرون فيها ، وأمهم بسمه يسكن به
— وهو موضع الذي يعرف اليوم بالحمص
والحمص وحصى العيد — وجعل لهم وليا
وولي . ثم سكن بكرهم بمدينته مخلفين
لأهل مصر . ولم يكن القائد جوهر يبيعهم
سكنى المدينة ولا بيت بها ، وحظر ذلك
عليهم . وكان مدينته يذبح كل شية : لا
يبن أحد في المدينة من القرية .

وفي يافوق : منية الأصبح تنسب إلى
الأصبح بن عبد العزيز بن مروان ، ولا يعرف
اليوم بصر موضع يعرف بهذا الاسم ،
ورعوا لها نخرة المعروفة بالخنق قريبا من
شرق القاهرة .

وقد ابن عبد ظفر : الخنق هو منية
الأصبح . وهو الأصبح بن عبد العزيز بن
مروان .

ول مؤلفه رحمه الله : وقد وهم ابن عبد
الظاهر فجعل أن الخنق احتقره العزيز بالله ،
والا احتقره جوهر كما تقدم . وأدركت

الخنق قرية لطيفة يبرز الناس من القاهرة
لها ليزهوا بها في أيام النيل والرياح ،
ويسكنها عائلة كبيرة ، وفيها بساكن عامرة
بشغل النخل والتمر والدار ، وبها سوق وجامع
تسم به الجمعة وعليه قطعة أرض من أرض
الحسن بولائها حطيه

وقد كانت الحوادث والمحن من منه ست
ونسبة حريت قرية الخنق ، ورحل أهلها
منه ، وبنى الخنقة من جامعته إلى جامع
بالحسينية ، وبنى معظما من ذكر الله تعالى
وومه صلاة مدة . ثم في شعبان سنة
حسن عشرة ونسبته هدمه الأمير طوغان
الدواجر ، وأخذ عنده وحنه ، فلم يبق إلا
بنة ضالة . وكانت قرية الخنق كأنها من
حنها ضرة لسكوم الرش ، وكانت تجاهها
من شرقها ، فخربت جميعا .

« صحراء الأهليلج » : هذه البقعة شرقى
الخنق في الرمل ، واليها كانت تنهى عمارة
الحسينية من جهة باب الفتوح ، وكان بها
شجر الأهليلج الهندى فعرفت بذلك . وأظن
أن هذا الأهليلج كان من جملة بستان ريدان
الذى يعرف اليوم بالريدانية .

ذكر خروج باب النصر

أما خارج القاهرة من جهة باب النصر فانه ،
عندما وضع القائد جوهر القاهرة ، كان قضاء
ليس فيه سوى مصلى العيد الذى بناه
جوهر . وهذا المصلى اليوم يصلى على من
مات فيه .

وما برح ما بين هذا المصلى وبستان ريدان ،
الذى يعرف اليوم بالريدانية ، لا عمارة
فيه ... إلى أن مات أمير الجيوش بدر
الجبالي في سنة سبع وثمانين ، وأربعمئة ،
فدفن خارج باب النصر بحرى المصلى ، وبنى
على قبره قرية جليلة وهى باقية إلى اليوم
هناك . فتابع بناء التراب من حينئذ خارج
باب النصر فيما بين التربة الجيوشية
والريدانية ، وقبر الناس موتاهم هناك ، لا
سيما أهل الحارات التى عرفت خارج باب
الفتوح بالحسينية ، وهى الريدانية وحارة
اليزادة وغيرها .

ولم تزل هذه الجهة مقبرة إلى ما بعد
البعثانة بمدة . فرغب الأمير سيف الدين
الحاج آل ملك في البناء هناك ، وأنشأ الجامع
المعروف به في سنة اثنين وثلاثين وسبعمئة ،
وعمر دارا وحماما ، فاقتدى الناس به وعبروا
هناك . وكان قد بنى تجاه المصلى قبل ذلك
الأمير سيف الدين كهراس المنصورى دارا
تعرف اليوم بدار الحاجب ، فسكن في هذه
الجهة أمراء الدولة ، وعملوا فيما بين
الريدانية والخنق مناخات الجمال ، وهى
باقية هناك .

فصارت هذه الجهة في غاية العمارة ، وفيها
من باب النصر إلى الريدانية سبعة أسواق
جليلة يشتمل كل سوق منها على عدة حوانيت
كثيرة : فمنها سوق اللفت ، وهو تجاه باب
بيت الحاجب الآن عند البر ، كان فيه من
جانبه حوانيت يباع فيها اللفت ، ومن هذا
السوق يشتري أهل القاهرة هذا الصنف

(*) من ١٢٨ ج ٢ ، ط ١٠ بولاق .

والكرب . وتعرف هذه البر إلى اليوم ببر
اللفت .

ويليها سوق زاوية الخدام ، وأدركت بهذه
السوق بقية صالحة ، ويلى ذلك سوق جامع
آل ملك ، وكان سوقا عامرا ، فيه غالب ما
يحتاج إليه من المأكول والأدوية والتواكه
والخضر وغيرها ، وأدركه عامرا . ويلىه
سوق السابطة ، عرفت يقوم من أهل ناحية
سباط سكنوا بها ، وكانت سوقا كبيرا ،
وأدركه عامرا . ويلىها سوقة أبى ظهير ،
وأدركها عامرة . ويلىها سوقة الغرب ،
وكانت تتصل بالريدانية ، وتشتمل على
حوانيت كثيرة جدا أدركها عامرة وليس فيها
سكان ، وكانت كلها من لبن معقود عقودا .

وكان بأول سوقة العرب هذه قرن أدركه
عامرا أهلا . بلغنى أنه كان يخبر فيه ، أيام
عمارة هذا السوق وما حوله ، كل يوم نحو
السبعة آلاف وغف . وكان من وراء هذا
السوق أحواش فيها قباب معقودة من لبن ،
أدركها قائمة وليس فيها سكان ، وكان من
جملة هذه الأحواش حوش فيه أربعمئة قبة
يسكن فيها اليزادة والمكارية ، أجرة كل قبة
درهمان في كل شهر ، فيحصل من هذا
الحوش في كل شهر مبلغ ثمانمائة درهم
نفة ، وكان يعرف بحوش الأحمدى .

فلما كان الغلاء في زمن الملك الأشرف
شعبان بن حسن ، سنة سبع وسبعين
وسبعمئة ، خرب كثير مما كان بالقرب من
الريدانية ، واختلت أحوال هذه الجهة ... إلى
أن كانت المحن من سنة ست وثمانمئة ،

فثلاثت وهدمت دورها وبيعت أبقاضها ،
وفيهما بقية آتلة الى الدثور .

الريديانية

كانت بستانا لريدان الصقلي أحد خدام
العزيز بالله نزار بن المزمز . كان يحصل المظنة
على رأس الخليفة ، واختص بالحاكم ، ثم قتله
في يوم الثلاثاء لعشر بقين من ذى الحجة سنة
ثلاث وتسعين وثلاثمائة .

وريدان ان كان اسما غريبا ، فانه من
قولهم : ربح ريدة ورادة وريدانة ، أى لينة
الهبوب . وقيل ربح ريدة كثيرة الهبوب .

ذكر الخليجان التي بظاهر القاهرة

اعلم أن الخليج جميعه خليجان ، وهو نهر
صغير يختلج من نهر كبير أو من بحر . وصل
الخليج الاتزاع ، خلجت الشئ من الشئ
إذا اتزعت .

وبأرض مصر عدة خلجان : منها بظاهر
القاهرة خليج مصر ، وخليج قم الخور ،
وخليج الذكر ، والخليج الناصري ، وخليج
قطرة القنجر . وسترى من أخبارها ما فيه
كفاية ان شاء الله تعالى .

ذكر خليج مصر

هذا الخليج بظاهر مدينة فسطاط مصر ،
ويسر من غربي القاهرة . وهو خليج قديم
احتفروه بعض قدماء ملوك مصر بسبب هاجر أم
اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن ، صلوات
الله وسلامه عليهما ، حين أسكنها وابنها
اسماعيل خليل الله ابراهيم عليهما الصلاة

والسلام بركة . ثم تبادت الدهور والأعوام ،
فجدد حفره ثانيا بمض من ملك مصر من ملوك
الروم بعد الاسكندر .

فلما جاء الله سبحانه بالاسلام — وله الحمد
والمنة — وفتحت أرض مصر على يد عمرو بن
العاص ... جدد حفره ، بإشارة من أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فى
عام الرمادة . وكان يصب فى بحر القلزم ،
فتسير فيه السفن الى البحر الملح ، وتمر فى
البحر الى الحجاز واليمن والهند .

ولم يزل على ذلك الى أن قدم محمد بن
عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى
طالب بالمدينة النبوية ، والخليفة حينئذ بالعراق
أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور ، فكتب
الى عامله على مصر يأمره بطم خليج القلزم
حتى لا تحمل الميرة من مصر الى المدينة .
فطمه ، واقتطع * من حينئذ اتصاله ببحر
القلزم ، وصار على ما هو عليه الآن .

وكان هذا الخليج أولا يعرف بخليج مصر .
فلما أنشأ جوهر القائد القاهرة بجانب هذا
الخليج من شرقيه ، صار يعرف بخليج
القاهرة . وكان يقال له أيضا خليج أمير
المؤمنين — يعنى عمر بن الخطاب رضى الله
عنه — لأنه الذى أشار بتجديد حفره .
والآن تسميه العامة بالخليج الحاكمى ، وتزعم
أن الحاكم بأمر الله أبأ على منصوروا احتفروه .
وليس هذا بصحيح ، فقد كان هذا الخليج
قبل الحاكم بسدد متطاولة . ومن العامة من
يسيه خليج اللؤلؤة أيضا .

(ج) من ١٢٩ ج ٢ ، مذبولاق .

وساقص عليك من أخبار هذا الخليج ما
وقفت عليه من الأباء .

قال الأستاذ ابراهيم بن وصيف شاه ، فى
أخبار طيطوس بن ماليا بن كلكن بن خربتا
ابن مالىق بن تدراس بن صا بن مرقونس بن
صا بن قبطيم بن مصر بن يصر بن حام بن
نوح : وجلس على سرير الملك بعد أبيه ماليا ،
وكان جبارا جريئا شديد البأس مهيا ، فدخل
عليه الأشراف وهنوه ودعوا له ، فأمرهم
بالاقبال على مصالحهم وما يعينهم ، ووعدهم
بالاحسان . والتبسط تزعم أنه أول الفراغة
بمصر ، وهو فرعون ابراهيم عليه السلام ،
وأن الفراغة سبعة هو أولهم ، وأنه استغف
بأمر الهياكل والكهنة .

وكان من خبر ابراهيم عليه السلام معه :
أن ابراهيم لما فارق قومه ، أشفق من المقام
بالشام ، لئلا يتبعه قومه ويردوه الى النمرود ،
لأنه كان من أهل كوثا من سواد العراق ،
فخرج الى مصر ومعه سارة امراته ، وترك
لوطا بالشام وسار الى مصر . وكانت سارة
أحسن نساء وقتها ، ويقال ان يوسف عليه
السلام ورث جزءا من جمالها .

فلما سار الى مصر رأى الحرس المقيمون
على أبواب المدينة سارة ، فمجبوا من حسنها
ورفعوا خبرها الى طيطوس الملك ، وقالوا :
دخل الى البلد رجل من أهل الشرق معه امرأة
لم ير أحسن منها ولا أجمل .

فوجه الملك الى وزيره ، فأحضر ابراهيم
صلوات الله عليه ، وسأله عن بلده فأخبره ،
وقال : ما هذه المرأة منك ؟

فقال : أختى .

فعرف الملك بذلك ، فقال : مره أن يجتنى
بالمرأة حتى أراها .

فعرفه ذلك ، فامتنع منه ولم تمكنه
مخالفته ، وعلم أن الله تعالى لا يسوءه فى
أهله ، فقال لسارة : قومى الى الملك فانه قد
طلبك منى .

قالت : وما يصنع بى الملك وما رآنى قبل ؟
قال : أرجو أن يكون لخير .

فقامت معه حتى أتوا قصر الملك ، فادخلت
عليه ، فنظر منها منظرا راعه وقتته ، فأمر
بإخراج ابراهيم عليه السلام ، فأخرج وندم
على قوله انها أخته ، وانما أراد انها أخته
فى الدين .

ووقع فى قلب ابراهيم عليه السلام ما يقع
فى قلب الرجل على أهله ، وتنى أنه لم يدخل
مصر ، فقال : اللهم لا تفضح نيك فى أهله .

فراودها الملك عن نفسها ، فامتعت عليه ،
فذهب ليمد يده اليها فقالت : انك ان وضعت
يدك على أهلك تصك لأن لى ربا يمنعنى
منك .

فلم يلتفت الى قولها ، ومد يده اليها
فجفت يده ، وبقي حائرا فقال لها : أزيلنى عنى
ما قد أصابنى .

فقلت : على ألا تعاود مثل ما آتيت .

قال : نعم .

فدعت الله سبحانه وتعالى ، فزال عنه
ورجعت يده الى حالها .

قلما وثق بالصحة راودها ومناها ووعدها
بإحسان ، فامتعت وقالت : قد عرفت ما
جري .

ثم مد يده اليها فجفت ، وضربت عليه
أعضاؤه وعصبه ، فاستغاث بها وتوسم
بالآلеме انها ان ازالته عنه ذلك فانه لا
يعاودها ، فسالت الله تعالى فزال عنه ذلك ،
ورجع الى حاله .

فقال : ان لك لربا عظيما لا يضيئك .
فأنعم قدرها وسألها عن ابراهيم ، فقالت :
هو قريبي وزوجي .

قال : فانه قد ذكر أنك اخته .

قالت : صدق أنا اخته في الدين ، وكل من
كان على ديننا فهو أخ لنا .

قال : نعم الدين دينكم .

ووجه بها الى ابنته جوريا - وكانت من
الكمال والعقل بمكان كبير - ففتنى الله
تعالى محبة سارة في قلبها . فكانت تعظمها
وأضافتها أحسن ضيافة ، ووهبت لها جوهرها
ومالا . ففتت به ابراهيم عليه السلام ، فقال
لها : رديه فلا حاجة لنا به ، فردته .

وذكرت ذلك جوريا لآيها ، فمجب منها
وقال : هذا كريم من أهل بيت الطهارة ،
فتحلى في برها بكل حيلة .

فوهبت لها جارية قبطية من أحسن
الجواري يقال لها آجر ، وهي هاجر أم
اسماعيل عليه السلام ، وجعلت لها سلالا من
الجلود ، وجعلت فيها زادا وحلوى ، وقالت :

يكون هذا الزاد معك ، وجعلت تحت الحلوى
جوهرا ثيبا وحليا مكدلا .

فكانت سارة : أشاور صاحبى .

ففتت ابراهيم عليه السلام واستدثته ،
فقال : اذا كان ماكولا فخذيه . فقبله منها .

وخرج ابراهيم . فلما مضى وأمنوا في
السير ، أخرجت سارة بعض تلك السلال ،
فأصاب الجوهر والحلى ، فعرفت ابراهيم
عليه السلام ذلك ، فباع بعضه وحفر من ثمنه
البر التي جعلها للسبيل ، وفرق بعضه في
وجوه البر ، وكان يضيف كل من مر به .

وعاش طيطوس الى أن وجهت هاجر من
مكة تعرفه أنها بمكان جذب وتستغيثه . فامر
بحفر نهر في شرقي مصر بسفح الجبل حتى
يتصل الى مرقى السفن في البحر الملح ، فكان
يحمل اليها الحنطة وأصناف الغلات فتصل
الى جدة ، وتحصل من هناك على المطايا .
فأحبى بلد الحجاز مدة .

ويقال انما حليت الكعبة في ذلك العصر مما
أهداه ملك مصر * . وقيل انه لكثرة ما كان
يحمله طيطوس الى الحجاز منتهه العرب
وجرهم « الصادوق » ، ويقال انه سأل
ابراهيم عليه السلام أن يبارك له في بلده ،
فدعا بالبركة لمصر ، وعرفه أن ولده
سيملكها ، ويصير أمرها اليهم قرنا بعد قرن .

وطيطوس أول فرعون كان بمصر . وذلك
انه أكثر من القتل حتى قتل قراياته وأهل بيته
وبنى عمه وخدمه ونسائه وكثيرا من الكهنة

(١٢) من ١٢٠ ج ٢ ، ط ١٠٠٠

والحكهاء ، وكان حرصا على الولد فلم يرزق
ولدا غير ابنته جوريا أو جورباق . وكانت
حكيمه عاقلة تأخذ على يده كثيرا ، وتمنعه
من سفك الدماء ، فأبغضت ابنته ، وأبغض
جميع الخاصة والعامة ، قلما رأت أمره يزيد
خاف على ذهاب ملكهم فستت ، وهلك .

وكان ملكه جيمين سنة . واختلفوا فيمن
يملك بعده ، وأرادوا أن يقيموا واحدا من
ولد أنسريب ، فقام بعض الوزراء ودعا
لجورباق ، فتم لها الأمر ، وملك .

فهذا كان أول أمر هذا الخليج . ثم حفره
مرة ثانية أدريان قيصر ، أحد ملوك الروم ،
ومن الناس من يسميه أندرويانوس ، ومنهم
من يقول هوريانوس .

قال في تاريخ مدينة رومة : وولي الملك
أدريان قيصر أحد ملوك الروم ، وكانت ولايته
أحدى وعشرين سنة ، وهو الذي درس اليهود
مرة ثانية إذ كانوا راموا التفات عليه ، وهو
الذي جدد مدينة يروشالم (يعنى مدينة
القدس) ، وأمر بتبديل اسمها وأن تسمى
إيليا .

وقال علماء أهل الكتاب عن أدريان هذا :
وغزا القدس وأخربه في الثانية من ملكه ،
وكان ملكه في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة من
سنى الاسكندر ، وقتل عامة أهل القدس ،
وبنى على باب مدينة القدس منارا ، وكتب
عليه « هذه مدينة إيليا » - ويسمى موضع
هذا العمود الآن محراب داود - ثم سار من
القدس الى بابل فحارب ملكها وهزمه ، وعاد
الى مصر فحفر خليجا من النيل الى بحر

القلزم ، وسارت فيه السفن ، وبقي رسنه
غدا فتح الاسلامي فحفره عمرو بن العاص ،
وأصاب أهل مصر منه شدة ، والزمهم
بعبادة الأصنام .

ثم عاد الى بلاده يملك الروم ، فابتنى
ببرس أعين الأطباء ، فخرج يسير في البلاد
يبتنى من يداويه ، فمر على بيت المقدس
- وكان خرابا ليس فيه غير كيسة للنصارى -
فأمر ببناء المدينة وحصنها ، وأعاد اليها
اليهود ، فأقاموا بها وملكوا عليهم رجلا
منهم . فبلغ ذلك أدريان قيصر ، فبعث اليهم
جيشا لم يزل يحاصرهم حتى مات أكثرهم
جوعا وعطشا وأخذها عنوة ، فقتل من اليهود
ما لا يحصى كثرة ، وأخرب المدينة حتى
ضارت تلالا لا عامر فيها البتة .

وتبع اليهود يريد ألا يدع منهم على وجه
الأرض أحدا ، ثم أمر طائفة من اليونانيين ،
فتحولوا الى مدينة القدس وسكنوا فيها .
فكان بين خراب القدس الخراب التالى على
يد طيطوس وبين هذا الخراب ثلاث وخمسون
سنة ، فعمرت القديس باليونان . ولم يزل
قيصر هذا ملكا حتى مات .

فهذا خبر حفر هذا الخليج في المرة الثانية ،
قلما جاء الاسلام جدد عمرو بن العاص
حفره .

قال ابن عبد الحكم في ذكر حفر خليج
أمير المؤمنين رضى الله عنه : « حدثنا عبد الله
ابن صالح ، عن الليث بن سعد ، قال : ان
الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد في خلافة
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في

سنة الرمادة ، فكتب رضى الله عنه الى عمرو ابن العاص وهو بمصر : « من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، الى العاصي بن العاصي ... سلام . أما بعد ، فاعمرى يا عمرو ما تبالي اذا شجبت أنت ومن معك أن أهلك أنا ومن معي ، فياغوثاه ، ثم ياغوثاه ... » يردد ذلك . فكتب اليه عمرو : « من عبد الله عمرو بن العاصي الى أمير المؤمنين . أما بعد ، فياليك ثم ياليك ، قد بنت إليك بعير أولها عندك وآخرها عندي ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . » فبعت اليه بعير عظيمة . فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر ، يتبع بعضها بعضا .

فلما قدمت على عمر رضى الله عنه ، وسح بها على الناس ، ودفع الى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيرا بما عليه من الطعام ، وبعت عبد الرحمن بن عوف والزيير بن العوام وسعد بن أبي وقاص يقسمونها على الناس ، فدفعوا الى أهل كل بيت بعيرا بما عليه من الطعام ليأكلوا الطعام ، ويأتمموا بلحمه ، ويحتذوا بجلده ، ويتنعموا بالوعاء الذي كان فيه الطعام فيما أرادوا من لحاف أو غيره ... فوسع الله بذلك على الناس .

فلما رأى ذلك عمر رضى الله عنه حمد الله ، وكتب الى عمرو بن العاص أن يقدم عليه هو وجماعة من أهل مصر معه ، فقدموا عليه . فقال عمر : يا عمرو ان الله قد فتح على المسلمين مصر ، وهي كثيرة الخير والطعام ، وقد ألقى في روعي - لما أحببت من الرقيق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم ، حين فتح الله عليهم مصر ، وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين -

أن أحفر خليجا من يلها حتى يسيل في البحر ، فهو أسهل لما يريد من حمل الطعام الى المدينة ومكة ، فإن حملته على الظهر يبعد ولا يبلغ ما يريد ، فانطلق أنت وأصحابك فتشاوروا في ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم . فانطلق عمرو فأخبر من كان معه من أهل مصر ، فقتل ذلك عليهم وقالوا : تخوف أن يدخل من هذا ضرر على مصر ، فترى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين ، وتقول له ان هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ، ولا لجند اليه سبيلا .

فرجع عمرو بذلك الى عمر . فضحك عمر رضى الله عنه حين رآه ، وقال : « والذي نفسي بيده لكأنى أنظر اليك يا عمرو ، والى أصحابك ، حين أخبرتهم بما أمرنا به من حفر الخليج ، فقتل ذلك عليهم ، وقالوا يدخل من هذا ضرر على أهل مصر ، فترى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين ، وتقول له ان هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ، ولا لجند اليه سبيلا .

فمجب عمرو من قول عمر ، وقال : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، لقد كان الأمر على ما ذكرت .

فقال له عمر رضى الله عنه : انطلق بعزيمة منى حتى تجسد في ذلك ، ولا يأتى عليك الحول حتى تفرغ منه أن شاء الله تعالى .

فانصرف عمرو ، وجمع لذلك من الفعلة ما بلغ منه ما أراد ، ثم احتفر الخليج في حاشية القساط ، الذي يقال له خليج أمير المؤمنين ، فساقه من النيل الى القلزم ، فلم يأت الحول

(*) من ١٤١ هـ ، ٢٤٠ م .

حتى جرت فيه السفن ، فحمل فيه ما أراد من الطعام الى المدينة ومكة ، ففتح الله بذلك أهل الحرمين ، وسقى خليج أمير المؤمنين .

ثم لم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه بعد عمر بن عبد العزيز ، ثم سبعة الولاة بعد ذلك ، فترك وغلب عليه الرمل فامطع . فصار مساه الى ذنب الساج من ناحية سطح القلزم .

قال : ويقال ان عمر رضى الله عنه ولعمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : يا عمرو ، وكادت أن تغلب على رحلى ، وفقد عرفت الذي أصابها ، وليس جند من الأجناد أرجى عندي أن يغيث الله بهم أهل الحجاز من جندك ، فإن استطعت أن تحتال لهم حيلة حتى يغنيهم الله تعالى .

فقال عمرو : ما شئت يا أمير المؤمنين . قد عرفت أنه كانت تأتينا سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الاسلام ، فلما فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج واستد وتركه التجار ، فان شئت أن نحفره فنشئ فيه سفنا يحمل فيها الطعام الى الحجاز ، فعلته .

فقال عمر رضى الله عنه : نعم ، فافعل .

فلما خرج عمرو من عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ذكر ذلك لرؤساء أهل أرضه من قبط مصر ، ففسالوا له : ماذا جئت به أصلح الأمير ؟ تريد أن تخرج طعام أرضك وخصبها الى الحجاز وتخرب هذه ، فإن استطعت فاستقل من ذلك .

فلما ودع عمر رضى الله عنه قال له : يا عمرو انظر الى ذلك الخليج ، ولا تسين حفره .

فقال له : يا أمير المؤمنين انه قد السد ، وتدخل فيه ثققات عظيمة .

فقال له : أما والذي نفسي بيده انى لأظنك حين خرجت من عندي حدثت بذلك أهل أرضك ، فعمطوه عليك وكرهوا ذلك . أعزم عليك الا ما حفرته وجعلت فيه سفنا .

فقال عمرو : يا أمير المؤمنين انه متى ما يجد أهل الحجاز طعام مصر وخصبها مع صحة العجاز لا يخفوا الى الجهاد .

قال : فاني سأجعل من ذلك أمرا ، لا يحمل في هذا البحر الا رزق أهل المدينة وأهل مكة .

فحفره عمرو وعالجه ، وجعل فيه السفن . قال : ويقال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى عمرو بن العاص « الى العاصي ابن العاصي ، فانك لعمرى لا تبالي اذا سنت أنت ومن معك أن أعجف أنا ومن معي ، فياغوثاه وياغوثاه . »

فكتب اليه عمرو : « أما بعد ، فياليك ثم ياليك ، أتتك غير أولها عندك وآخرها عندي ، مع أنى أرجو أن أجد السيل الى أن أحمل اليك في البحر . »

ثم ان عمرا ندم على كتابه في الحمل الى المدينة في البحر ، وقال : ان أمكنت عمر من هذا خرب مصر ، ونقلها الى المدينة . فكتب اليه : « انى نظرت في أمر البحر ، فاذا هو عسر ولا يلتام ولا يستطاع . »

فكتب اليه عمر رضى الله عنه : « الى العاصي بن العاصي ، قد بلغنى كتابك تعتل

في الذي كنت كتبت الى به من أمر البحر ،
وأيم الله لتعلمن أو لا تعلمن بأذنك ، ولأبعثن
من يفعل ذلك .

فعرف عمرو أنه الجند من عمر رضى الله
عنه ، ففعل .

فبعث اليه عمر رضى الله عنه « ألا تدع
بمصر شيئا من طعامها وكسوتها وبصلها
وعدسها وخلها الا بعث اليها منه » .

قال : ويقال ان الذي دل عمرو بن العاص
على الخليج رجل من القبط ، فقال لعمرو :
أرايت ان ذلك على مكان تجرى فيه السفن
حتى تنتهي الى مكة والمدينة ، أنفصع عنى
الجزية وعن أهل يتي ؟
قال : نعم .

فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله
عنه ، فكتب اليه أن افعل .

فلما قدمت السفن خرج عمر رضى الله عنه
حاجا أو معتمرا ، فقال للناس : سيروا بنا
ننظر الى السفن التى سيرها الله تعالى اليها من
أرض فرعون حتى آتنا . فأتى الجار ، وقال :
اغسلوا من ماء البحر فانه مبارك .

فلما قدمت السفن الجار وفيها الطعام ،
صك عمر رضى الله عنه للناس بذلك الطعام
صكوكا ، فتبايع التجار الصكوك بينهم قبل
أن يتقبضوها ، فلقى عمر بن الخطاب رضى الله
عنه العلاء بن الأسود رضى الله عنه فقال : كم
ربح حكيم بن حزام ؟

فقال : ابتاع من صكوك الجار بمائة ألف
درهم ، وربح عليها مائة ألف .

فلقيه عمر رضى الله عنه فقال له : يا حكيم
كم ربحت ؟

فأخبره بمثل خبر العلاء . قال عمر : رضى
الله عنه : فبعث قبل أن تقبضه ؟
قال : نعم .

قال عمر رضى الله عنه : فإن هذا بيع لا
يصح ، فأردده .

فقال حكيم : ما علمت أن هذا بيع لا
يصح ، وما أقدر على رده .

فقال عمر رضى الله عنه : لا بد .

فقال حكيم : والله ما أقدر على ذلك وقد
تفرق وذهب ، ولكن رأس مالى وربحى
صدقة .

وقال القضاى فى ذكر الخليج : أمر عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن العاص
عام الرمادة بحفر الخليج الذى بحاشية
الفسطاط ، الذى يقال له خليج أمير
المؤمنين * ، فساقه من النيل الى القلزم . فلم
يأت عليه الحول حتى جرت فيه السفن ،
وحمل فيه ما أراد من الطعام الى المدينة
ومكة ، فنفع الله تعالى بذلك أهل الحرمين ،
فسمى خليج أمير المؤمنين .

وذكر الكندى فى كتاب « الجند العربى »
أن عمرا حفره فى سنة ثلاث وعشرين ، وفرغ
منه فى ستة أشهر ، وجرت فيه السفن ووصلت
الى الحجاز فى الشهر السابع ، ثم بنى عليه
عبد العزيز بن مروان قنطرة فى ولايته على
مصر .

(*) من ١٤٢٠ هـ - ١٤٢١ هـ - ١٤٢٢ هـ

قال : ولم يزل يعمل فيه الطعام حتى حمل
فيه عمر بن عبد العزيز ، ثم أضاعته الولاة بعد
ذلك فترك وغلب عليه الرمل ، فانقطع وصار
منتهاه الى ذئب التمساح من ناحية بطحاء
القلزم .

وقال ابن قديد : أمر أبو جعفر المنصور
بسد الخليج ، حين خرج عليه محمد بن عبد
الله بن حسن بالمدينة ، ليقطع عنه الطعام ،
فسد الى الآن .

وذكر البلاذرى أن أبا جعفر المنصور ، لما
ورد عليه قيام بن عبد الله ، قال : يكتب
الساعة الى مصر أن تقطع الميرة عن أهل
الحرمين ، فانهم فى مثل الحرجة اذا لم تأتهم
الميرة من مصر .

وقال ابن الطوير ، وقد ذكر ركوب الخليفة
لفتح الخليج : وهذا الخليج هو الذى حفره
عمرو بن العاص لما ولى على مصر ، فى أيام
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،
من بحر فسطاط مصر الحلو ، وألحقه بالقلزم
بشاطئ البحر الملح ، فكانت مسافته خمسة
أيام ، لتقرب معونة الحجاز من ديار مصر فى
أيام النيل . فالمرابك النيلية تفرغ ما تحمله
من ديار مصر بالقلزم ، فاذا فرغت حملت ما فى
القلزم مما وصل من الحجاز وغيره الى مصر .
وكان مسلكا للتجار وغيرهم فى وقته المعلوم .

وكان أول هذا الخليج من مصر يشق
الطريق الشارح السلوك منه اليوم الى
القاهرة ، حافا بالقربوص الذى على البستان
المعروف بابن كيسان مادا . وآثاره اليوم مادة
باقية الى الحوض المعروف بسيف الدين

حسنى ، صهر ابن رزك ، والبستان المعروف
بالمنشى . وفيه آثار المنطرة التى كانت معدة
لجلوس الخليفة لفتح الخليج من هذا الطريق ،
ولم تكن الآدر المبنية على الخليج ولا شئ
منها هناك .

وما برح هذا الخليج متنزها لأهل القاهرة
يعبرون فيه بالمرابك للنزهة ، الى أن حفر
الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج
المعروف الآن بالخليج الناصرى .

قال الميحي : وفى هذا الشهر (يعنى
الحرم سنة احدى وأربعمائة) منع الحاكم بأمر
الله من الركوب فى القوارب الى القاهرة فى
الخليج ، وشدد فى المنع . وسدت أبواب
القاهرة التى يتطرق منها الى الخليج ، وأبواب
الطاقات من الدور التى تشرف على الخليج ،
وكذلك أبواب الدور والخوخ التى على
الخليج .

قال القاضى الفاضل فى متجددات حوادث
سنة أربع وتسعين وخمسمائة : ونهى عن
ركوب المتفرجين فى المراكب فى الخليج ، وعن
إظهار المنكر ، وعن ركوب النساء مع الرجال ،
وعلق جماعة من رؤساء المراكب بأيديهم .

قال : وفى يوم الأربعاء تاسع عشر رمضان ،
ظهر فى هذه المدة من المنكرات ما لم يمهذ
فى مصر فى وقت من الأوقات ، ومن الفواحش
ما خرج من الدور الى الطرقات ، وجرى الماء
فى الخليج بنعمة الله تعالى بعد القنوط ووقوف
الزيادة فى الذراع السادس عشر .

فركب أهل الخلاعة وذوو البطالة فى مراكب
فى نهار شهر رمضان ، ومعهم النساء الفواجر ،

وبأيديهن الزاهر يضررن بها وتسمع أصواتهن ووجوههن مكشوفة ، وحرفاؤهن من الرجال معهن في المراكب : لا يسمعون عنهن الأيدي ولا الأبصار ، ولا يخافون من أمير ولا مأمور شيئا من أسباب الإنكار ، وتوقع أهل المراقبة ما يتلو هذا الخطب من العقابة .

وقال جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون : وفي سنة ست وسبعائة ، رسم الأميران ييرس وسلار : بنسج الثخاير والمراكب من دخول الخليج الحاكى والتفرج فيه ، بسبب ما يحصل من الفساد ، والتظاهر بالمشكرات اللاتي تجمع الخمر وآلات الملاهي ، والنساء المكشوفات الوجوه ، المترينات بأفخر زينة من كوافي الزركش والقنابيز والحلى العظيم ، ويصرف على ذلك الأموال الكثيرة ، ويقتل فيه جماعة عديدة .

ورسم الأميران المذكوران لتولي الصناعة بمصر : أن يمنع المراكب من دخول الخليج المذكور ، إلا ما كان فيه غلة أو متجرا وما تاسب ذلك ... فكان هذا معدودا من حسناتهما ، ومسطورا في صحائفهما .

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : أخبرني شيخ مصر ولد بعد سنة سبعائة ، يعرف بمحمد المسمودي ، أنه أدرك هذا الخليج والمراكب تمر فيه بالناس للزهوة ، وأنها كانت تعبر من تحت باب القنطرة غادية ورائحة . والآن لا يمر بهذا الخليج من المراكب إلا ما يحمل متاعا من متجرا أو لحوه ، وصارت مراكب الزهوة والتفرج إنما تمر في الخليج الناصري فقط .

وعلى هذا الخليج الكبير في زماننا هذا أربع عشرة قنطرة يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في القناطر ، وحافتا هذا الخليج الآن معمورتان بالدور . وسيأتي إن شاء الله ذكر ذلك في مواضعه من هذا الكتاب .

وقال ابن سعد : وفيها خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافي :

ما زالت الأنحاء تأخذه
حتى غدا كذؤابة النجم
وقلت في نور الكتان الذي على جانبي هذا الخليج :

انظر الى النهر والكتان يرمقه
من جانبيه بأجفان لها حدق
قد سل سيفا عليه للصبأ شطب
فقابلته بأحداق بها أرق

وأصبحت في يد الأرواح تنسجها
حتى غدت حلقا من فوقها حلق
فقم نزرها ووجه الأرض متضح
أو عند صفرتها إن كنت تغتبيق

قال وقد ذكر مصر : ولا ينكر فيها اظهار أواني الخمر ولا آلات الطرب ذوات الأوتار ، ولا تبرج النساء العواهر ، ولا غير ذلك مما ينكر في غيرها . وقد دخلت في الخليج الذي بين القاهرة ومصر ، ومعظم عبارته فيما يلي القاهرة ، فرأيت فيه من ذلك العجائب ، وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب ، وذلك في بعض الأحيان .

(*) من ١٢٢ ج ٢ ، ط. بولاق

وهو ضيق ، وعليه من الجهتين مناظر كثيرة العبارة بعالم الطرب والتهكم والمجاعة . حتى إن المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به في مركب ، وللسرج في جانبه بالليل منظر فنان ، وكثيرا ما يتفرج فيه أهل السر . وفي ذلك أقول :

لا تركبن في خليج مصر
إلا إذا يسدل الظلام

فقد علمت الذي عليه
من عالم كلم طغام
صفان للحرب قد أظلا
سلاح ما بينهم كلام

باسيدي لا تسر اليه
إلا إذا هوم النيام
والليل ستر على التصابي
عليه من فضله لثام

والسرج قد بددت عليه
منها دنائير لا ترام
وهو قد امتد والمباني
عليه في خدمة قيام

الله كم دوحة جنيئا
هناك أثمارها الأثام

وقال ابن عبد الظاهر عن مختصر تاريخ ابن المأمون : إن أول من رتب حفر خليج القاهرة على الناس المأمون بن البطائحي ، وكذلك على أصحاب البساتين في دولة الأفضل ، وجعل عليه واليا بمفرده .

وفه در الأسعد بن خضير المصاني حيث يقول :

خليج كالصام له صقال
ولكن فيه للرائي مسره
رأيت به الملاح تجيد حوما
كأنهم نجوم في مجره

وقال بهاء الدين أبو الحسن علي بن الساعاتي في يوم كسر الخليج :

إن يوم الخليج يوم من الحـ
ن بديع المرئي والمسموع
كم لديه من ليث غاب مسؤول
ومهاة مثل الغزال المروع

وعلى المد عزة قبل أن ته
لكه ذلة الحب الخضوع
كسروا جبره هناك فحاكي
كسر قلب يتلوه فيض دموع

ذكر خليج فم الخور وخليج الذكور

قال ابن سيده في كتاب « المحكم في اللغة » : الخور مصب الماء في البحر ، وقيل هو خليج من البحر ، والخور المظلم من الأرض .

وخليج فم الخور يخرج الآن من بحر النيل ويصب في الخليج الناصري ليقوى جرى الماء فيه وينزره . وكان قبل أن يحفر الخليج الناصري يمد خليج الذكور ، وكان أصله ترعة يدخل منها ماء النيل للبستان الذي عرف بالمقسي ، ثم وسع .

قال ابن عبد الطاهر : وكان يخرج من البحر للمقسي الماء في البرايخ ، فوسعه الملك الكامل وهو خليج الذكر . ويقال ان خليج الذكر حفره كافور الاخشيدى . فلما زال البستان المقسى في أيام الخليفة الطاهر بن الحاكم ، وجعله بركة قدام المنطرة المعروفة باللؤلؤة ، صار يدخل الماء اليها من هذا الخليج . وكان يفتح هذا الخليج قبل الخليج الكبير .

ولم يزل حتى أمر الملك الناصر محمد بن قلاوون ، في سنة أربع وعشرين وسبعمائة ، بحفره فحفر ، وأوصل بالخليج الكبير . وشرع الأمراء والجند في حفره من أخريات جمادى الآخرة ، فلما فتح كادت القاهرة * أن تغرق ، فسدت المنطرة التي عليه فهدمها الماء . ومن حينئذ عزم السلطان على حفر الخليج الناصرى . وأنا أدركت آثاره ، وفيه ينبت القصب المسمى بالقارسى .

وأخبرنى الشيخ المعمر حسام الدين حسين ابن عمر الشهرزورى أنه يعرف خليج الذكر هذا وفيه الماء ، وسبح فيه غير مرة ، وأرائى آثاره . وكان الماء يدخل اليه من تحت قنطرة الدكة — الآتى ذكرها في القناطر ان شاء الله تعالى — وعلى خليج قم الخور الآن قنطرة ، وعلى خليج الذكر قنطرة ... يأتى ذكرهما ان شاء الله تعالى عند ذكر القناطر .

وانما قيل له خليج الذكر لأن بعض أمراء الملك الطاهر ركن الدين بيبرس — كان يعرف بشمس الدين الذكر الكركى — كان له فيه أثر من حفره فحفر به . وكان للناس عند هذا الخليج مجتمع يكثر فيه لهوهم ولعبهم .

(*) ص ١١٤ ج ٢ ، ط. بولاق .

قال المسيحي : وفي يوم الثلاثاء لخمس بقين منه (يعنى المحرم سنة خمس عشرة وأربعمائة) كان ثالث الفتح . فاجتمع بقنطرة المقس عند كنية المقس من النصارى والمسلمين ، في الخيام المنصوبة وغيرها ، خلق كثير للأكل والترب واللهو ، ولم يزالوا هناك الى أن انقضى ذلك اليوم .

وركب أمير المؤمنين (يعنى الطاهر لا عزاز دين الله أبا الحسن على بن الحاكم بأمر الله) في مركبه الى المقس ، وعليه عمامة شرب منقوشة بسواد وثوب ديبقى من شكل العمامة ، ودار هناك طويلا ، وعاد الى قصره سالما . وشوهد من سكر النساء وتهكهن ، وحملهن في قفاف الحماليين سكارى ، واجتماعهن مع الرجال ، أمر يقبح ذكره .

ذكر الخليج الناصرى

هذا الخليج يخرج من بحر النيل ، ويصب في الخليج الكبير .

وكان سبب حفره أن الملك الناصر محمد ابن قلاوون لما أنشأ القصور والخانات بناحية سرياقوس ، وجعل هناك ميدانا يسرح اليه ، وأبطل ميدان القيق المعروف بالميدان الأسود ظاهر باب النصر من القاهرة ، وترك المسطبة التي بناها بالقرب من بركة الحبش لمطعم الطيور والجوارح ... اختار أن يحفر خليجا من بحر النيل ، لتمر فيه المراكب الى ناحية سرياقوس ، لحمل ما يحتاج اليه من الغلال وغيرها .

فتقدم الى الأمير سيف الدين أرغون ، نائب السلطنة بديار مصر ، بالكشف عن عمل ذلك . فنزل من قلعة الجبل بالمهندسين وأرباب الخبرة الى شاطئ النيل ، وركب النيل . فلم يزل القوم في فحص وتفتيش الى أن وصلوا بالمراكب الى موردة البلاط ، من أراضى بستان الخشاب ، فوجدوا ذلك الموضع أوطأ مكان يمكن أن يحفر الا أن فيه عدة دور . فاعتبروا قم الخليج من موردة البلاط ، وقدروا أنه اذا حفر مر الماء فيه من موردة البلاط الى الميدان الظاهرى الذى أنشأه الملك الناصر بستانا ، ويمر من البستان الى بركة قرموط حتى ينتهى الى ظاهر باب البحر ، ويمر من هناك على أرض الطبالة فيصب في الخليج الكبير .

فلما تعين لهم ذلك عاد النائب الى القلعة وطالعه بما تقرر . فبرز أمره لسائر أمراء الدولة باحضار الفلاحين من البلاد الجارية في أقطاعاتهم ، وكتب الى ولاية الأعمال بجمع الرجال لحفر الخليج . فلم يمض سوى أيام قلائل حتى حضر الرجال من الأعمال ، وتقدم الى النائب بالنزول للحفر ومعه الحجاب . فنزل لمعمل ذلك ، وقاس المهندسون طول الحفر من موردة البلاط — حيث تعين قم الخليج — الى أن يصب في الخليج الكبير ، وألزم كل أمير من الأمراء بمعمل أقصاب فرضت له .

فلما أهل شهر جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، وقع الشروع فى العمل . فبدأوا بهدم ما كان هناك من الأملاك التى

من جهة باب اللوق الى بركة قرموط ، وحصل الحفر فى البستان الذى كان للنائب ، فأخذوا منه قطعة ، ورسم أن يعطى أرباب الأملاك أنشائها : فمنهم من باع ملكه وأخذ ثمنه من مال السلطان ، ومنهم من هدم داره وتقل أنقاضها . فهدمت عدة دور ومساكن جليلة ، وحفر فى عدة بساتين . فاتمى العمل فى سلخ جمادى الآخرة على رأس شهرين ، وجرى الماء فيه عند زيادة النيل .

فأنشأ الناس عدة سواق ، وجرت فيه السفن بالغلال وغيرها . فر السلطان بذلك ، وحصل للناس رفق ، وقويت رغبتهم فيه ، فاشتروا عدة أراض من بيت المال غرست فيها الأشجار ، وصارت بساتين جليلة . وأخذ الناس فى العمارة على حافى الخليج ، فعمر ما بين المقس وساحل النيل بيولاك ، وكثرت العائز على الخليج حتى اتصلت من أوله بموردة البلاط الى حيث يصب فى الخليج الكبير بأرض الطبالة ، وصارت البساتين من وراء الأملاك المطلة على الخليج .

وتنافس الناس فى السكنى هناك ، وأنشأوا الحمامات والمساجد والأسواق . وصار هذا الخليج مواطن أفراح ، ومنازل لهو ، ومعنى صبايات ، وملعب أتراب ، ومحل تيه وقصف فيما يمر فيه من المراكب ، وفيما عليه من الدور . وما برحت مراكب التزهة تمر فيه بأنواع الناس على سبيل اللهو ، الى أن منعت المراكب منه بعد قتل الأشرف ، كما يرد عند ذكر القناطر ان شاء الله تعالى * .

(*) ص ١١٤ ج ٢ ، ط. بولاق .

ذكر خليج قنطرة الفخر

هذا الخليج يتدنى من الموضع الذى كان ساحل النيل ببولاق ، وينتهى الى حيث يصب في الخليج الناصرى ، ويصب أيضا في خليج لطيف تستقى منه عدة بساتين . وكل من هذين الخليجين معمور الجبابين بالأملأك المطللة والبساتين . وجميع المواضع التى يمر فيها الخليج الناصرى ، وأرض هذين الخليجين ، كانت غامرة بالماء ، ثم انحسر عنها الماء شيئا بعد شيء كما ذكر في ظواهر القاهرة . وهذا الخليج حفر بعد الخليج الناصرى .

ذكر القناطر

اعلم أن قناطر الخليج الكبير عدتها الآن أربع عشرة قنطرة ، وعلى خليج فم الخور قنطرة واحدة ، وعلى خليج الذكر قنطرة واحدة ، وعلى الخليج الناصرى خمس قناطر ، وعلى بحر أبى المنجا قنطرة عظيمة ، وبالجيزة عدة قناطر .

ذكر قناطر الخليج الكبير

قال القضاى : القنطرتان اللتان على هذا الخليج (يعنى خليج مصر الكبير) . أما التى في طرف القسطنط بالحمراء القصوى ، فإن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بناها في سنة تسع وستين وكتب عليها اسمه ، وابتنى قناطر غيرها .

وكتب على هذه القنطرة المذكورة « هذه القنطرة أمر بها عبد العزيز بن مروان الأمير . اللهم بارك له في أمره كله ، وثبت سلطانه على ما ترضى ، وأقر عينه في نفسه وحشمه ، آمين » . وقام بينائها سعد أبو عثمان .

وكتب عبد الرحمن في صفر سنة تسع وستين : ثم زاد فيها تكين أمير مصر في سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ورفع سلكها ، ثم زاد عليها الاخشيد في سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة ، ثم عمرت في أيام العزيز بالله .

وقال ابن عبد الظاهر : وهذه القنطرة ليس لها اثر في هذا الزمان .

قلت : موضعها الآن خلف خط السبع سقايات . وهذه القنطرة هى التى كانت تفتح عند وفاء النيل في زمن الخلفاء . فلما انحسر النيل عن ساحل مصر اليوم ، أهملت هذه القنطرة ، وعملت قنطرة السد عند فم بحر النيل . فإن النيل كان قد ربي الجرف حيث غيط الجرف الذى على يمنة من سلك من المراغة الى باب مصر بجوار الكبارة .

« قنطرة السد » : هذه القنطرة موضعها ما كان غامرا بماء النيل قديما ، وهى الآن يتوصل من فوقها الى منشأة المهراني وغيرها من بر الخليج الغربى . وكان النيل عند انشائها يصل الى الكوم الأحمر ، الذى هو جانب الخليج الغربى الآن ، تجاه خط بين الزقاقين . فإن النيل كان قد ربي جرفا قدام الساحل القديم ، كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب ، فأهملت القنطرة الأولى بعد النيل ،

وقدم هذه القنطرة الى حيث كان النيل ينهى ، وصار يتوصل منها الى بستان الخشاب الذى موضعه اليوم يعرف بالمريس وما حوله . وكان الذى أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن امداد أبى بكر بن أيوب في أعوام بضع وأربعين وستائة ، ولها قوسان .

وعرفت الآن بقنطرة السد من أجل أن النيل لما انحسر عن الجانب الشرقى ، وانكشفت الأراضي التى عليها الآن خط بين الزقاقين الى موردة الخلفاء ، وموضع الجامع الجديد الى دار النحاس ، وما وراء هذه الأماكن الى المراغة وباب مصر بجوار الكبارة والكشف من أراضي النيل أيضا الموضع الذى يعرف اليوم ببنشأة المهراني ... صار ماء النيل اذا بدت زيادته يجعل عند هذه القنطرة سد من التراب حتى يسند الماء اليه الى أن تنتهى الزيادة الى ست عشرة ذراعا ، فيفتح السد حينئذ ، ويمر الماء في الخليج الكبير ، كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب ، والأمر على هذا الى اليوم .

« قناطر السباع » : هذه القناطر جانبها الذى يلى خط السبع سقايات من جهة الحمراء القصوى ، وجانبها الآخر من جهة جنان الزهرى . وأول من أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ، ونصب عليها سباعا من الحجارة — فإن رنكه كان على شكل سبع — فقبل لها قناطر السباع من أجل ذلك ، وكانت عالية مرتفعة .

فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان السلطاني ، في موضع بستان الخشاب

حيث موردة البلاط ، وتردد اليه كثيرا ، صار لا يمر اليه من قلعة الجبل حتى يركب قناطر السباع . فتضرر من علوها وقال للامراء : ان هذه القنطرة حين أركب الى الميدان وأركب عليها يتألم ظهري من علوها .

ويقال انه أشاع هذا . والقصد انما هو كراهته لنظر أثر أحد من الملوك قبله ، وبغضه أن يذكر لأحد غيره شيء يعرف به ، وهو كلما يمر بها يرى السباع التى هى رنك الملك الظاهر ، فأحب أن يزيلها لتبقى القنطرة منسوبة اليه ومعروفة به ، كما كان يفعل دائما في محو آثار من تقدمه ، وتخليد ذكره ومعرفة الآثار به ونسبتها له .

فاستدعى الأمير * علاء الدين على بن حسن المروانى ، والى القاهرة وشاد الجهات ، وأمره بهدم قناطر السباع وعمارتها أوسع مما كانت بعشرة أذرع وأقصر من ارتفاعها الأول . فنزل ابن المروانى وأحضر الصناع ، ووقف بنفسه حتى انتهت ، في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبعائة ، في أحسن قالب على ماهى عليه الآن ، ولم يضع سباع الحجر عليها .

وكان الأمير الطنطا الماردنى قد مرض ، ونزل الى الميدان السلطاني فأقام به ، ونزل اليه السلطان مرارا . فبلغ الماردنى ما يتحدث به العامة من أن السلطان لم يخرب قناطر السباع الا حتى تبقى باسمه ، وأنه رسم لابن المروانى أن يكسر سباع الحجر ويرميمها في البحر .

واتفق أنه عوفى عقيب الفراغ من بناء القنطرة وركب الى القلعة . فسر به السلطان

(*) من ١٤٦ ج ٢ ، ط. بولاق .

— وكان قد شغفه حباً — فقال له عن حاله ،
وحادثه الى أن جرى ذكر القنطرة ، فقال له
السلطان . أعجبتك عاصرتها ؟

فقال : واه ياخوند لم يعمل مثلاً ، ولكن
ما كملت .

فقال : كيف ؟

قال : السباع التي كانت عليها لم توضع
مكائنها ، والتاسي يتحدثون أن السلطان له
غرض في إزالتها لكونها رثك سلطان غيره .

فامتنع لذلك ، وأمر في الحال بإحضار
ابن المرواني ، وألزمه بإعادة السباع على ما
كانت عليه . فبادر الى تركيبها في أماكنها ،
وهي باقية هناك الى يومنا هذا . الا أن
الشيخ محمداً ، المعروف بصائم الدهر ، شوه
صورها كما فعل بوجه أبي الهول ، فثنا منه
أن هذا التعلل من جملة القريات . والله در
القائل :

وانما غاية كل من وصل

صيد بنى الدنيا بأنواع الحيل

« قنطرة عمر شاه » : هذه القنطرة على
الخليج الكبير . يتوصل منها الى بر الخليج
الغربي .

« قنطرة طرزدمر » : هذه القنطرة على
الخليج الكبير ، بخط المسجد المعلق ، يتوصل
منها الى بر الخليج الغربي وحكر قوصون
وغيره .

« قنطرة آق سنقر » : هذه القنطرة على
الخليج الكبير . يتوصل اليها من خط قبو
الكرمانى ومن حارة البديمين ، التي تعرف

اليوم بالجانية ، ويمر من فوقها الى بر الخليج
الغربي . وعرفت بالأمير آق سنقر ، شاد
العمار السلطانية في أيام الملك الناصر محمد
ابن قلاوون ، عمرها لما أنشأ الجامع بالبركة
الناصرية ، ومات بدمشق سنة أربعين
وسبعمائة .

« قنطرة باب الخرق » : يقال للأرض
البيدة التي تخرقها الريح لاستوائها الخرق ،
وهذه القنطرة على الخليج الكبير . كان
موضعها ساحلاً وموردة للسقائين في أيام
الخلفاء الفاطميين . فلما أنشأ الملك الصالح
نجم الدين أيوب الميدان السلطاني بأرض
اللق ، وعمر به المناظر في سنة تسع وثلاثين
وسمائه ، أنشأ هذه القنطرة ليمر عليها الى
الميدان المذكور . وقيل لها قنطرة باب الخرق .

« قنطرة الموسكى » : هذه القنطرة على
الخليج الكبير . يتوصل اليها من باب الخوخة
وباب القنطرة ، ويمر فوقها الى بر الخليج
الغربي . أنشأها الأمير عز الدين موسك ،
قريب السلطان صلاح الدين يوسف بن
أيوب . وكان خيراً يحفظ القرآن الكريم ،
ويؤاظ على تلاوته ، ويجب أهل العلم
والصلاح ويؤثرهم . ومات بدمشق يوم
الأربعاء ثامن عشر شعبان سنة أربع وثمانين
 وخمسمائة .

« قنطرة الأمير حسين » : هذه القنطرة على
الخليج الكبير ، ويتوصل منها الى بر الخليج
الغربي . فلما أنشأ الأمير سيف الدين حسين
ابن أبي بكر بن اسماعيل بن حيدر بك الرومى
الجامع المعروف بجامع الأمير حسين في حكر

جوهري النوبى ، أنشأ هذه القنطرة ليصل من
فوقها الى الجامع المذكور .

وكان يتوصل اليها من باب القنطرة ، فنقل
عليه ذلك ، واحتاج الى أن فتح في السور
الخوخة المعروفة بخوخة الأمير حسين من
الوزيرية ، فصارت تجمه هذه القنطرة . وقد
ذكر خبرها عند ذكر الخوخ من هذا الكتاب ،
والله تعالى أعلم .

« قنطرة باب القنطرة » : هذه القنطرة على
الخليج الكبير . يتوصل اليها من القاهرة ،
ويمر فوقها الى المقص وأرض الطبالة . وأول
من بناها القائد جوهري لما نزل بمناخه وأدار
السور عليه وبنى القاهرة . ثم قدم عليه
القرمطى ، فاحتاج الى الاستعداد لمحاربه ،
فحفر الخندق ، وبنى هذه القنطرة على الخليج
عند باب جنان أبي المسك كافور الاخشيدى ،
الملاصق للميدان والبستان الذى للأمير أبي
بكر محمد الاخشيد ، ليتوصل من القاهرة
الى المقص ، وذلك في سنة ثنتين وستين
وثلاثمائة ، وبها تسمى باب القنطرة .

وكانت مرتفعة بحيث تمر المراكب من
تحتها ، وقد صارت في هذا الوقت قرية من
أرض الخليج لا يمكن المراكب العبور من
تحتها ، وتسد بأبواب خوفاً من دخول الزعرار
الى القاهرة .

« قنطرة باب الشعيرة » : هذه القنطرة على
الخليج الكبير . يملك اليها من باب الفتوح ،
ويمشى من فوقها الى أرض الطبالة ، وتعرف
اليوم بقنطرة الخروبى .

« القنطرة الجديدة » : هذه القنطرة على
الخليج الكبير . يتوصل اليها من زقاق الكحل
وخط جامع الظاهر ، ويتوصل منها الى أرض
الطبالة والى منية الشيرج وغير ذلك . أنشأها
الملك الناصر محمد بن قلاوون ، في سنة
خمس وعشرين وسبعمائة ، عندما انتهى
حفر الخليج الناصرى .

وكان ما على جانبي الخليج من القنطرة
الجديدة هذه الى قناطر الاوز عامراً بالأماك ،
ثم خربت شيئاً بعد شيء من حين حدث فصل
الباردة بعد سنة ستين وسبعمائة ، وفحش
الخراب هناك منذ كانت سنة الشراقي في زمن
الملك الأشرف شعبان بن حسين في سنة سبع
وسبعين وسبعمائة . فلما غرقت الحينية بعد
سنة الشراقي ، خربت المساكن التي كانت في
شرقى الخليج ما بين القنطرة الجديدة وقناطر
الاوز ، وأخذت أقاضها ، وصارت هذه
البرك الموجودة الآن .

« قناطر الاوز » : هذه القناطر على الخليج
الكبير . يتوصل اليها من الحينية ، ويسلك
من فوقها الى أراضي البعل وغيرها . وهي
أيضاً مما أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون
في سنة خمس وعشرين وسبعمائة . وأدركت
هناك أملاكاً مطلة على الخليج بعد سنة ثمانين
وسبعمائة .

وهذه القناطر من أحسن متزهات أهل
القاهرة أيام الخليج لما يصير فيه من الماء ، ولما
على حافته الشرقية من البساتين الأنيقة ، الا
أنها الآن قد خربت . وتجمه هذه القنطرة

منطرة البعل ، التي تقدم ذكرها عند ذكر مناظر الخلفاء ، وبقيت آثارها الى الآن . أدركناها بطن فيها الكتان ، وبها عرفت الأرض التي هناك ، فسيت الى الآن بأرض البعل .

وكان هناك صف من شجر السنط قد امتد من تجاه قناطر الاوز الى منطرة البعل ، وصار فاصلا بين مزرعتين يجلس الناس تحته في يومى الأحد والجمعة للنزهة ، فيكون هناك من أصناف الناس رجالهم ونسائهم ما لا يقع عليه حصر ، ويبيع هناك ماكل كثيرة .

وكان هناك حانوت من طين تجاه المنطرة يباع فيها السك . أدركتها وقد استوجرت بخمسة آلاف درهم في السنة ، عنها يومئذ نحو مائتين وخمسين مثقالا من الذهب . على أنه لا يباع فيها السك الا نحو ثلاثة أشهر أو دون ذلك .

ولم يزل هذا السنط الى نحو سنة تسعين وسبعمئة فقطع . وإلى اليوم تجتمع الناس هناك ، ولكن شتان بين ما أدركنا وبين ما هو الآن . وقيل لها قناطر الاوز .

« قناطر بنى وائل » : هذه القناطر على الخليج الكبير تجاه التاج . أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعمئة . وعرفت بقناطر بنى وائل من أجل أنه كان بجانبها عدة منازل يسكنها عرب ضعاف بالجانب الشرقي ، يقال لهم بنو وائل ، ولم يزالوا هناك الى نحو سنة تسعين وسبعمئة .

وكان بجانب هذه القناطر ، من الجانب الغربي ، مقعد أحدثه الوزير صاحب سعد

الدين نصر الله بن البرقي لأخذ المكوس ، واستمر مدة ثم خرب . ولم ير أحسن منظرا من هذه المنطرة في أيام النيل وزمن الربيع .

« منطرة الأميرة » : هذه المنطرة هي آخر ما على الخليج الكبير من القناطر بضواحي القاهرة ، وهي تجاه الناحية المعروفة بالأميرة فيما بينها وبين المطرية . أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعمئة .

وعند هذه المنطرة ينسد ماء النيل اذا فتح الخليج عند وفاء زيادة النيل ست عشرة ذراعا ، فلا يزال الماء عند سد الأميرة هذا الى يوم النوروز ، فيخرج وإلى القاهرة اليه ، ويشهد على مشايخ أهل الضواحي بتغليق أراضي نواحيهم بالرئ . ثم يفتح هذا السد ، فيمر الماء الى جسر شيبين القصر ، ويسد عليه حتى يروى ما على جانبي الخليج من البلاد . فلا يزال الماء واقفا عند سد شيبين الى يوم عيد الصليب — وهو اليوم السابع عشر من النوروز — فيفتح حينئذ بعد شمول الري جميع تلك الأراضي .

وليس بعد منطرة الأميرة هذه منطرة سوى منطرة ناحية سراقوس ، وهي أيضا أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون . وبعد منطرة سراقوس جسر شيبين القصر ، وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الجور من هذا الكتاب .

« منطرة النحر » : هذه المنطرة بجوار موردة البلاط ، من أراضي بستان الخشاب برأس الميدان ، وهي أول منطرة صمرت على

الخليج الناصري على قدمه . أنشأها القاضي نصر الدين محمد بن فضل الله بن خروف البجلي — المعروف بالفخر لظفر الجيش — في سنة خمس وعشرين وسبعمئة عند انتهاء حفر الخليج الناصري . ومات في رجب سنة اثنين وثلاثين وسبعمئة ، وقد أنال على السبعين سنة ، وتمكن في الرياسة تمكنا كبيرا .

« منطرة قدادار » : هذه المنطرة على الخليج الناصري . يتوصل اليها من الدوق ، ويشي فوقها الى بر الخليج الناصري مما يلي القبل . وأول ما وضعت كانت تجاه البستان الذي كان ميدانا في زمن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ... الى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان الموجود الآن بسوردة البلاط ، من جملة أراضي بستان الخشاب ، ففُرس في الميدان الظاهري الأشجار وصار بستانا عظيما كما ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب .

وعرفت هذه المنطرة بالأمير سيف الدين قدادار ، مملوك الأمير برقي ، وكان خبره أنه تنقل في الخدم حتى ولي الغربية من أراضي مصر في سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة ، فلقى أهل البلاد منه شرا كثيرا ، ثم انتقل الى ولاية البحيرة .

فلما كان في سنة أربع وعشرين ، كثرت الشناعة في القاهرة بسبب القلوس ، وتعت الناس فيها ، وامتنعوا من أخذها حتى وقف الحال وتحسن السعر . وكان حينئذ يتقلد الوزارة الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي ،

١٤٨٠ هـ - ١٠٩٠ م - ١٧٠٠ م

ويتقلد ولاية القاهرة الأمير علم الدين سنجار الخازن

فلما توجه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من قلعة الجبل الى السرحة بطاحية سراقوس ، بلغه توقف الحال ، وطمع السوق في الناس ، وأن متولى القاهرة فيه لين ، وأنه قليل الحرمة على السوق . وكان السلطان كثير النفور من العسامة لشديد البغض لهم ، ويريد كل وقت من الخازن أن يخلص بالحرافيش ويؤثر فيهم آثارا قيحة ، ويظهر منهم جماعة ، فلم يبلغ من ذلك لحرصه ... فكرهه ، واستدعى الأمير أرفسول نائب السلطنة ، وتقدم اليه بالأحلاط في القول على الخازن بسبب فساد حال الناس ، وهم يبرول أمره بالقبض عليه وأخذ ماله .

فلما زال به التائب حتى ضا منه ، وقال : السلطان بعزله ويولى من ينفع في مثل هذا الأمر . فاختار ولاية قدادار موصيه لما يعرف من بقلته وشهامته وجراسته على سفك الدماء ، فاستدعاه من البحيرة ، وولاه ولاية القاهرة في أول شهر رمضان من السنة المذكورة .

فأول ما بدا به أن أحضر الخبازين والباعة ، وضرب كثيرا منهم بالمقارح ضربا مبرحا ، وسر عدة منهم في درارب حوايتهم ، ولأدى في البلد « من رد فلان سر » ، ثم عرض أهل السجن ، ووسط جماعة من المفسدين عند باب زويلة ... فهاجته العامة ، ولصروا منه .

وأخذ يتبع من مصر خرا ، وأحضر حريف العمالين وألزمه بأحضر من كاله يحمل العنب . فلما حضروا عنده استلامهم أسماء من يشتري العنب ومواضع مساكنهم ، ثم

أحضر خفراء الحارات والأخطاط ، ولم ير
بهم حتى دلوه على سائر من عصر الخمر .

فاشتهر ذلك بين الناس وخافوه . فحول
أهل حارة زويلة ، وأهل حارثي الروم والديلم
ولغير ذلك من الأماكن ، ما عندهم من الخمر ،
وصبوا في البلايح والأقبية ، وأنفوها في
الأزقة ، وبذلوا المال لمن يأخذها منهم .

فحصل لكثير من العامة والأطراف منها
شئ كثير ، حتى صارت تباع كل جرة خمر
بدرهم ، ويسر الناس بآبواب الدور والأزقة
فترى من جرار الخمر شئ كثيرا ، ولا يقدر
أحد أن يتعرض لشئ منها .

ثم ركب وكبس خط باب اللوق ، وأخذ
منه شئ كثيرا من الحشيش وأحرقه عند
باب زويلة ، واستمر الحال مدة شهر ... ما من
يوم إلا ويهرق فيه خمر عند باب زويلة ،
ويحرق حشيش . فظهر الله به البلد من ذلك
جميعه ، وتبع الزعار وأهل الفساد ، فخافوه
وَفَرُّوا مِنَ الْبَلَدِ .

فصار السلطان يشكره ، ويشنى عليه لما
يبلغه من ذلك ، وأما العامة فإنه ثقل عليها
وكرهته . حتى أنه لما قام ابن الأمير بكتمر
الساقى ، وركب إلى القبة المنصورية على
العادة . ومنه أبوه والنائب وسائر الأمراء ...
صاحت العامة للأمير بكتمر الساقى : يا أمير
بكتمر بخياة ولدك اعزل هذا الظالم ، ورد
علينا والينا (يعنون الخازن) .

فلما عرف بكتمر السلطان ذلك أعجبه ،
وقال : يا أمير ما تخشى العامة والسوقة ألا
ظالما مثل هذا ما يخاف الله تعالى .

وزاد أعجاب السلطان به حتى قال له : لا
تساور في أمر المسدين .

فلم يقتر بذلك ، ورفع إليه جميع ما يتفق
له ، وشاوره في كل جليل وحثير ، وقال له :
إن جماعة من الكتاب والتجار قد عسروا
الخمر ، واستأذنه في طلبهم ومصادرتهم .
فتقدم له بمشاورة النائب في ذلك ، وأعلامه
أن السلطان قد رسم بالكشف عن عصر من
الكتاب والتجار الخمر .

فلما صار إلى النائب وعرفه الخبر ، أهانه
وقال : إن السلطان لا يرضى بكبس يسوت
الناس ، وهتك حرمتهم وسرهم واقامة
الشعاع .

وقام من فوره إلى السلطان ، وعرفه ما
يكون في فعل ذلك من الفساد الكبير ، وما
زال به حتى صرف رأيه عما أشار به قدادار
من كبس الدور . وأخذ الناس في مفاقته ،
والإخراق به في كل وقت . فإنه كان يعنى
بالخازن ، ولم يعجبه عزله عن الولاية .

فكثر جور قدادار ، وزاد تتبعه للناس ،
ونادى « ألا يعمل أحد حلقة فيما بين القصرين
ولا يسر هناك » ، وأمر ألا يخرج أحد من
بيته بعد عشاء الآخرة ، وأقام عنه نائبا من
بطالي الحسينية ضمن المسطبة منه في كل يوم
بثلثائة درهم . وانحصر الناس منه ، وضاقوا
به ذرعا لكثرة ما هتك أستارهم ، وخرق
بكثير من المستورين . وتسلطت المستنمعة
وأرباب المظالم على الناس ، وكانوا إذا رأوا
سكران أو شموا منه رائحة خمر أحضروه
إليه .

فتوفي الناس شره ، وشكاه الأمراء غير
مرة إلى السلطان فلم يلتفت لما يقال فيه .
والنائب مستمر على الإخراق به إلى أن قبض
عليه السلطان ، فخلا الجو لقدادار ، وأكثر
من سفك الدماء ، وأغلاف النفوس ، والتسلط
على العامة لبغضهم إياه . والسلطان يعجبه منه
ذلك ... بحيث أنه أبرز مرسوما لسائر عماله
وولاته أن أحدا منهم لا يقتص ممن وجب
عليه القصاص ، في النفس أو القطع ، إلا أن
يشاور فيه ويطلع بأمره . ما خلا قدادار
مستولي القاهرة ، فإنه لا يشاور على مفد
ولا غيره ، ويده مطلقة في سائر الناس .

فهدى الناس منه بعظائم ، وشرع في كبس
بيوت السعداء ، ومشت جماعة من
المستعنين في البلد * ، وكبسوا الأوراق
ورموها في بيوت الناس بالتهديد ، فكثر
أسباب الضرر ، وكثر بلاء الناس به . وتعت
على الباعة ، ونادى : ألا يفتح أحد حانوته
بعد عشاء الآخرة . فامتنع الناس من الخروج
بالليل حتى كانت المدينة في الليل موحشة .

واستجد على كل حارة دربا ، وألزم الناس
بعمل ذلك . فجبيت بهذا السبب دراهم
كثيرة ، وصار الخفراء في الليل يدورون
ومعهم الطبول في كل خط ، فظفر بانسان قد
سرق شئنا من بيت في الليل ونزى بزي النساء ،
فسمره على باب زويلة . وما زال على ذلك
حتى كثرت الشعاع ، فعزله السلطان في سنة
تسع وعشرين بناصر الدين ابن المحسن .
فقام إلى أيام الحج وسافر إلى الحجاز ،

(١٠٠) من ١٤٩ ج ٢ ، طبع بولاق .

ورجع وهو ضعيف ، فمات في سادس عشر
صفر سنة ثلاثين وسبعائة .

« قنطرة الكتبة » : هذه القنطرة على
الخليج الناصري ، يخط بركة قرموط ، عرفت
بذلك لكثرة من كان يسكن هناك من
الكتاب . أنشأها القاضي شمس الدين عبد الله
ابن أبي سعيد بن أبي السرور - الشهير
بغبريال بن سعيد - ناظر الدولة ، وولى نظر
الدواوين بدمشق في سنة ثلاث عشرة
وسبعائة ... تمل إليها من نظر البيوت بديار
مصر .

ثم استسعى من دمشق ، وقرر في وظيفة
ناظر النظار شريكا للقاضي شهاب الدين
الأقهي ، واستقر كريم الدين الصغير مكانه
ناظرا بدمشق وذلك في شهر رمضان سنة أربع
وعشرين وسبعائة . ثم صرف غبريال من
النظر بديار مصر ، وسفر إلى دمشق في ثامن
عشر صفر سنة ست وعشرين ، وطلب كريم
الدين الصغير من دمشق . ثم قرر في مكان
غبريال في وظيفة النظر بديار مصر الخطير
كاتب أرغون أخو الموفق ، وأعيد غبريال إلى
نظر دمشق . ومات بدمشق ، بعدما صودر
وأخذ منه نحو ألفي ألف درهم ، في سنة
اثنين وثلاثين وسبعائة .

وأدركنا الأملاك منتظمة بجانب هذا الخليج
من أوله بموردة البلاط إلى هذه القنطرة ،
ومن هذه القنطرة إلى حيث يصب في الخليج
الكبير .

فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة
شرع الناس في هدم ما على هذا الخليج من
الناظر البهجة والمساكن الجليلة وينع أنقاضها ،

حتى ذهب ما كان على هذا الخليج من المنازل
ما بين قطرة الفجر التي تقدم ذكرها وآخر
لحد بركة قرموط ، وأصبحت موحشة قفراء
بعدما كانت موطن أفراح ومفنى صبايات ،
لا يورها إلا الثريان واليوم ... سنة الله في
الذين خلوا من قبل .

« قطرة المقي » : هذه القطرة على
خليج قم الخور ، وهو الذي يخرج من بحر
النيل ، ويلتقي مع الخليج الناصري عند
الدكة ، فيصيران خليجا واحدا يصب في
الخليج الكبير .

كان موضعها جبرا يستند عليه الماء اذا
بغت الزيادة الى أن تكمل أربعة عشر ذراعا
فيفتح ، ويرى الماء فيه الى الخليج الناصري
وبركة الرطلى ، ويتأخر فتح الخليج الكبير
حتى يرقى الماء مئة عشر ذراعا .

فلما انطرد ماء النيل عن البر الشرقي ، بقي
تجاه هذا الخليج في أيام إحتراق النيل رملة
لا يصل اليها الماء الا عند الزيادة ، وصار
يتأخر دخول الماء في الخليج مدة ، واذا كسر
سد الخليج الكبير عند الوفاء مر الماء بهذا
الخليج مروراً قليلاً .

وما زال موضع هذه القطرة سدا الى أن
كانت وزارة صاحب شمس الدين أبي الفرج
عبد الله المقي ، في أيام السلطان الملك
الأشرف شعيان بن حسين ، فأنشأ بهذا المكان
القطرة فصرفت به ، واتصلت العمار أيضا
وجالبي هذا الخليج من حيث يتبدى الى أن
يلتقي مع الخليج الناصري ، ثم خرب أكثر ما
عليه من العمار والمساكن بعد مئة سنة
وثمانيائة .

وكان للناس بهذا الخليج مع الخليج
الناصرى في أيام النيل مرور في المراكب للنزهة
يخرجون فيه من العدد بكثرة التمتع والتمتع
بكل ما يلهم ... الى أن ولي أمر الدولة ، بعد
قتل الملك الأشرف شعيان بن حسين ، الأميران
برقوق وبركة . فقام الشيخ محمد ، المعروف
بصائم الدهر ، في منع المراكب من المرور
بالمترجين في الخليج .

واستغنى شيخ الاسلام سراج الدين عمر
ابن رسلان البلقيني . فكتب له بوجوب منعهم
لكثرة ما ينتهك في المراكب من الحرمات ،
ويتجهر به من الفواحش والمنكرات . فبرز
مرسوم الأميرين المذكورين بمنع المراكب من
الدخول الى الخليج ، وركبت سلسلة على
قطرة المقي هذه في شهر ربيع الأول سنة
أحدى وثلاثين ومبعمائة ، فامتعت المراكب
بأسرها من عبور هذا الخليج الا أن يكون فيها
غلة أو متاع . فقلق الناس لذلك ، وشق
عليهم .

وقال الشهاب أحمد بن العطار الدينوري
في ذلك :

حديث قم الخور المسلسل ماؤه
بقطرة المقي قد سار في الخلق
ألا فاعجبوا من مطلق ومسلسل
يقول لقد أوقتم الماء في حلقى
وقال :

تسللت قطرة المقي من
أقد جرى والمنع أضفى شاملاً
وقال أهل طينة في مجنهم
قوموا بنا تقطع السلاسل



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأبنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



التمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِئِي

الحمد لله

٣١

كتاب
التحرير



« كانت مصر هي مستقر رأسي ، ومطلب أترابي ، ومغنى عنبري وجامعي ،
وموطن خاستي وعاستي ، وهوى جوي الذي رب جنامي في ذكره ، وعش حاري ، فهد
تهوي الأُنفس غير ذكره . لازلت منذ شذرت العاصم . وآتاني رب الفطانة والفهم ، أعجب في
سفرة أخبارها ، وأحب لإشراف على الاعتراف من آبارها ، وأهوى صاولة الركبان عن مكان وإيرها .
تقى الدين أحمد بن علي المقرئ

ولم تزل مراكب الفرجة مستعة من عبور الخليج الى ان زالت دولة الظاهر برقوق في سنة احدى وتسعين وسبعمائة ، فاذن في دخولها ، وهي مستمرة الى وقتنا هذا .

« قنطرة باب البحر » : هذه القنطرة على الخليج الناصري . يتوصل اليها من باب البحر ، ويسير الناس من فوقها الى بولاق وغيره . وهي مما أنشاه الملك الناصر محمد ابن قلاوون عند انتهاء حفر الخليج الناصري في سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

وقد كان موضعها في القديم غامرا بالماء عندما كان جامع المقس مطلا على النيل . فلما حصر الماء عن بر القاهرة ، صار ما قدام باب البحر رملة . فاذا وقف الانسان عند باب البحر رأى البر الغربي لا يحول بينه وبين رؤيته بنيان ولا غيره ، فاذا كان اوان زيادة ماء النيل صار الماء الى باب البحر ، وربما جلفظ في بعض السنين خوفا من غرق المقس .

ثم لما طال المدى غرق خارج باب البحر بأرض باطن اللوق ، وغرس فيه الأشجار ، فصار بساتين ومزارع ، وبقي موضع هذه القنطرة جرفا ، ورمى الناس عليه التراب فصار كوما يشق عليه أرباب الجرائم ، ثم نقل ما هنالك من التراب ، وأنشئت هذه القنطرة ، وتودى في الناس بالعمارة .

فأول ما بنى في غربي هذه القنطرة مسجد المهايمزي وبستانه ، ثم تتابع الناس في العمارة حتى انتظم ما بين شاطئ النيل ببولاق وباب البحر عرضا ، وما بين منشأة المهراني ومنية

الشيرج طولا ، وصار ما بجانبى الخليج مصورا بالدور ، ومن ورائها البساتين والأسواق والحمامات والمساجد ، وتقسمت الطرق ، وتعددت الشوارع ، وصار خارج القاهرة من الجهة الغربية عدة مدائن .

« قنطرة الحاجب » : هذه القنطرة على الخليج الناصري . يتوصل اليها من أرض الطبالة ، ويسير الناس عليها الى منية الشيرج وغيرها . أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب في سنة ست وعشرين وسبعمائة ، وذلك أنه كانت أرض الطبالة بيده . فلما شرع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في حفر الخليج الناصري التمس بكتمر من المهندسين ، اذا وصلوا بالحفر الى حيث الجرف ، أن يروا به على بركة الطواين التي تعرف اليوم ببركة الرطلى ، وينتهوا من هناك الى الخليج الكبير ، ففعلوا ذلك . وكان قصدهم أولا أنه اذا انتهى الحفر الى الجرف مروا فيه الى الخليج الكبير من طرف البعل .

فلما تمها لبكتمر ذلك ، عمرت له أراضى الطبالة ، كما يأتى ذكرها ان شاء الله تعالى عند ذكر البرك ، فعمرت هذه القنطرة في سنة خمس وعشرين وستمائة ، وأسند اليها جسرا عمله حاجزا بين بركة الحاجب المعروفة ببركة الرطلى وبين الخليج الناصري ، وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الجسور .

ولما عمرت هذه القنطرة اتصلت العمائر فيما بينها وبين كوم الریش ، وعمر قبالتها ربيع عرف بربيع الزيتى . وكان على ظهر القنطرة صفان من حوائيت ، وعليها سقيفة تقى عن

النفس وغيره . فلما غرق كوم الرش في سعة
يفح وستين وسبعمائة ، صار هذا الكوم
الذي خارج القنطرة ، ومن تحت هذه القنطرة
يصب الخليج الناصري في الخليج الكبير ،
ويسر الى حيث القنطرة الجديدة وقناطر الأوز
وغيرها كما تقدم ذكره .

« قنطرة الدكة » : هذه القنطرة كانت
تصرف بقطرة الدكة ، ثم عرفت بقطرة
التركماني من أجل أن الأمير بدر الدين
التركماني عمرها . وهذه القنطرة كانت على
خليج الذكر ، وقد انطم ما تحتها ، وصارت
معدودة على التراب لتلاف خليج الذكر .

وشه در ابراهيم المعمار حيث يقول :

يا طالب الدكة تلت المنى
وفزت منها ببلوغ الوطر
قنطرة من فوقها دكة
من تحتها تلقى خليج الذكر

« قناطر بحر أبي المنجا » : هذه القناطر من
أعظم قناطر مصر وأكبرها . أنشأها السلطان
الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري
في سنة خمس وستين وسبعمائة ، وتولى عمارتها
الأمير عز الدين أيك الأفرم .

« قناطر الجيزة » : قال في كتاب « عجائب
البيان » : أن القناطر الموجودة اليوم في
الجيزة من الأبنية العجيبة ، ومن أعمال
الجبارين ، وهي ليف وأربعون قنطرة . عمرها
الأمير قراقوش الأسدي — وكان على المعمار
في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن
أيوب — بما هدمه من الأهرام التي كانت

بالجيزة ، وأخذ حجيرها فبنى منه هذه القناطر ،
وبنى سور القاهرة ومصر وما بينهما ، وبني
قلعة الجبل . وكان خصيا روميا ساسي الهمة ،
وهو صاحب الأحكام المشهورة والحكايات
المذكورة ، وفيه صف الكتاب المشهور المسمى
بـ « القاقوش في أحكام قراقوش » .

وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، تولى
أمر هذه القناطر من لا بصيرة عنده ، فهدمها
رجاء أن يحبس الماء ، ففوت عليها جربة الماء
فزولت منها ثلاث قناطر وانثقت ، ومع ذلك
فما روى ما رجا أن يروى .

وفي سنة ثمان وسبعمائة رسم الملك المنظر
بيبرس الجاشنكير برمها ، فمصر ما خرب
منها ، وأصلح ما فسد فيها ، فحصل النفع
بها . وكان قراقوش لما أراد بناء هذه القناطر
بنى وصيفا من حجارة ابتداء به من حيز النيل
بازاء مدينة مصر ، كأنه جبل ممتد على الأرض
مسيرة ستة أميال ، حتى يتصل بالقناطر .

ذكر البرك

قال ابن سيده : البركة مستنقع الماء ،
والبركة شبه حوض يحفر في الأرض ، انتهى .
وقد رأيت بخط معتبر ما مثاله « وملأوا
البركة ماء » فنصب الباء وكسر الراء وفتح
الكاف والتاء .

« بركة الحبش » : هذه البركة كانت تعرف
بركة المغافر ، وتعرف ببركة حمير ، وتعرف
أيضا باصطبل قره ، وعرفت أيضا باصطبل
قامش . وهي من أشهر برك مصر ، وهي في

(١٤١٠ هـ) ١٤١٠ هـ ١٤١٠ هـ

ظاهر مدينة القنطاظ من قبلها فيما بين الجبل
والنيل .

وكانت من الموات . فاستتبها قره بن
شريك العنبي أمير مصر ، وأحيائها وغرسها
قصباً . فسميت باصطبل قره ، وعرفت أيضا
باصطبل قامش ، وتقلت حتى صارت تعرف
بركة الحبش . ودخلت في ملك أبي بكر
المارداني ، فجعلها وقفا ، ثم أوصدت لبني
حسن وبني حسين ابني علي بن أبي طالب
رضي الله عنهم ، فلم تزل جارية في الأوقاف
عليهم الى وقتنا هذا .

قال أبو بكر الكندي في كتاب الأمراء :
وقدم قره بن شريك من وفادته في سنة ثلاث
وتسعين ، فاستبطن الاصطبل لنفسه من
الموات ، وأحياء وغرسه قصباً . فكان يسمى
اصطبل قره ، ويسمى أيضا اصطبل قامش ،
يعنون القصب ، كما يقولون : قامش مروان .

وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
ابن عبد الحكم في كتاب « فتوح مصر » :
وكان الاصطبل للأزد ، فاشتراه منهم الحكم
ابن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان بن
الحكم فبناه . وكان يجري على الذي يقرأ في
المصحف الذي وضعوه في المسجد ، الذي
يقال له مصحف أسماء ، من كراه في كل شهر
ثلاثة دنائير .

فلما حيزت أموالهم (يعني أموال بني
أمية) ، وضمت الى مال الله ، حيز الاصطبل
فيما حيز . وكتب بأمر المصحف الى أمير
المؤمنين أبي العباس السفاح ، فكتب « أن
أقروا مصحفهم في مسجدهم على حاله ،

وأجروا على الذي يقرأ فيه ثلاثة دنائير في كل
شهر من مال الله تعالى » .

وقال القاضي : بركة الحبش كانت تعرف
بركة المغافر وحمير ، وتعرف باصطبل قامش .
وكانت في ملك أبي بكر محمد بن علي
المارداني بجميع ما تشتمل عليه من المزارع
والجنان خلا الجنان التي في شرقها ، وأغنها
الجنان المنسوبة الى وهب بن صدقة وتعرف
بالحبش ، فاني رأيت في شرط هذه البركة
« أن الحد الشرقي يمتد الى القضاء القاصل
بينها وبين الجنان المعروفة بالحبش » . فدل
على أن الجنان خارجة عنها .

وذكر ابن يونس في تاريخه أن في قبلي بركة
الحبش جنانا تعرف بقتادة بن قيس بن حبشي
الصدق ، شهد فتح مصر ، والجنان تعرف
بالحبش ، وبه تعرف بركة الحبش . وذكر بهذا
هذا الشرط أن الحد البحري يمتد الى البئر
الطولونية ، والى البئر المعروفة بموسى بن أبي
خليفة ، وهذه البئر هي البئر المعروفة بالعتش .

ورأيت في كتاب شرط هذه البركة : أنها
محبسة على البئر اللتين استتبهما أبو بكر
المارداني ، في بني وائل ، بحضرة الخليج ،
والقنطرة — المعروفة لحداهما بالعتش —
والأخرى بالعتيق — وعلى السرب الذي
يدخل منه الماء الى البئر الحجازية — المعروفة
بالروا — التي في بني وائل ، ذات القناطر
التي يجري فيها الماء الى المصنعة التي بحضرة
العقبة التي يصار منها الى حصص — وهي
المصنعة المعروفة بدليلة — وعلى القنات
المتصلة بها التي تصيب الى المصنعة ذات الممد

الرخام الدثة فيها ، المعروفة بسينة ، وهي التي في وسط بحصب . ويقال ان هناك كانت سوق لبحصب .

وذكر في هذا الشرط دارا له في موضع السقاية المعروفة بسقاية زوف ، وشرط أن تشاء هذه الدار مصنعة على مثل هذه المصنعة المقدم ذكرها المعروفة بسينة - وهي سقاية زوف اليوم - وعلى القناة التي يجري فيها الماء الى مصنعة ذكر أنه كان أنشأها عند البئر المعروفة اليوم ببئر القبة ، والحوض الذي هناك بحضرة المجد المعروف بمسجد القبة . وكانت هذه المصنعة تسمى ربا .

وجعل هذا الحبس أيضا على البئر التي له بالحباينة بحضرة الخندق . وذكر أنها تعرف بالقباينة ، وأن ماءها يجري الى المصنعة المقابلة للميدان من دار الامارة في طريق المصلى القديم ، ثم الى المصنعة التي تحت مسجده المقابل لدار عبد العزيز ، ثم الى المصنعة المقابلة لمسجد التربة المجاورة لمسجد الأخضر ... وتاريخ هذا الشرط شهر رمضان سنة سبع وثلاثمائة .

وجعل ما يفضل عن جميع ذلك مصروفا في ابتاع بقر وكباش تذبح ويطبخ لحمها ، ويتاع أيضا معها خبز بر ودراهم وأكبة وأعيية ، ويتصدق بذلك على الفقراء والمساكين بالمغافر وغيرها من القبائل بمصر . وكان بناؤه السقايتين اللتين بالموقف ، والسقايات التي بالمغافر وبزوف ويحصب وبني وائل ، وعمل المجاري في سنة أربع ، وقيل في سنة ثلاث وثلاثمائة . وقد حبس أبو بكر على الحرمين

ضياعا كان ارتفاعها نحو مائة ألف دينار ، منها سيوط وأعمالها وغيرها . انتهى .

وفي تواريخ النصارى أن الأمير أحمد بن طولون صادر البطريق ميخائيل بطرك اليعاقبة على عشرين ألف دينار . مباع * النصارى رباع الكنائس بالاسكندرية ، وأرض الحبس بظاهر مصر ، والكنيسة المجاورة للمعلقة بنصر الشمع بمصر لليهود ... قلت : هكذا في تواريخهم ، ولا أعلم كيف ملكوا أرض الحبس ، فلعل المدراني هو الذي اشتراها ثم وقتها .

وقال ابن المتوج « بركة الحبس » : هذه البركة مشهورة في مكانها . وقد اتصل ثبوت وقتها عند قاضي القضاة بدر الدين أبي عبد الله محمد بن سعد الله بن جماعة ، رحمه الله عليه ، على أنها وقف على الأشراف الأقارب والطالبيين نصفين بينهما بالسوية : النصف الأول على الأقارب ، والنصف الآخر على الطالبيين .

وثبت قبله عند قاضي القضاة بدر الدين أبي المعاسن يوسف بن الحسن السنجاري ، أن النصف منها وقف على الأشراف الأقارب بالاستفاضة ، بتاريخ ثالث عشر ربيع الأول سنة أربعين وستمائة - وهم الأقارب الحسنيون ، وهو اذ ذاك قاضي القضاة بالقاهرة والوجه البحري - وما مع ذلك من البلاد الشامية المضافة الى ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب .

(*) من ١٥٦١ هـ ، ١٥٦١ هـ ، ١٥٦١ هـ

وثبت عند قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، رحمه الله تعالى - وكان قاضي القضاة بمصر والوجه القبلي وخطيب مصر - بالاستفاضة أيضا أن البركة المذكورة وقف على الأشراف الطالبيين ، بتاريخ التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة . وبمدها قاضي القضاة وجيه الدين البهنسي في ولايته .

ثم لقدمها بعد تنفيذ وجيه الدين المذكور ، في شعبان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة ، وهو حاكم الديار المصرية ، خلا لثغر الاسكندرية . وروى أصل خبر هذه البركة مبينا مشروحا من أصلها في مكانه ان شاء الله تعالى .

قال : فمن جملة الأوقاف بركة الأشراف المشهورة ببركة الحبس . وهذه البركة حدودها أربعة : الحد القبلي ينتهي بعنه الى أرض المدوية يفصل بينهما جسر هناك ، وباقيه الى غبطان بساكن الوزير . والحد البحري ينتهي بعنه الى ابنة الأدر التي هناك المطلة عليها ، وإلى الطريق وإلى الجسر القاصل بينها وبين بركة الشعيبة . والحد الشرقي الى حد بساكن الوزير المذكورة . والحد الغربي ينتهي بعنه الى بحر النيل وإلى أراضي دير الطين ، وإلى بعض حقوق جزيرة ابن الصابوني وجسر بستان المشوق الذي هو من حقوق الجزيرة المذكورة .

وهذه البركة وقف الأشراف الأقارب والطالبيين ، نصفين بينهما بالسوية . والذي

شاهدته من أمرها إلى وقت على اسجال قاضي القضاة بدر الدين أبي المعاسن يوسف السنجاري ، رحمه الله تعالى عليه ، تاريخه ثاني عشر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة - وهو حينذاك حاكم القاهرة والوجه البحري - على محضر شهد فيه بالاستفاضة أن نصف هذه البركة وقف على الأشراف الأقارب الحسنيين ، وثبت ذلك عنده .

ورأيت اسجال الشيخ قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله ، على محضر شهد فيه بالاستفاضة - وهو حين ذلك قاضي مصر والوجه القبلي - وأشهد عليه أنه ثبت عنده أن البركة المذكورة جميعها وقف على الأشراف الطالبيين ، وتاريخ اسجاله التاسع والعشرون من شهر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة . ثم تقدمها جميعا في تاريخ واحد قاضي القضاة وجيه الدين البهنسي ، وهو قاضي القضاة حينذاك ، ثم تقدمها قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة ، وهو قاضي القضاة بالديار المصرية .

واستقر النصف من ريع هذه البركة على الأشراف الأقارب مع قلتهم ، والنصف على الأشراف الطالبيين مع كثرتهم . وتنازعوا غير مرة على أن تكون بينهم جميع بالسوية فلم يقدروا على ذلك ، وعقد لهم مجلس غير مرة فلم يقدروا على تغييره .

وأحسن ما وصفت به بركة الحبس قول عيسى بن موسى الهاشمي أمير مصر ، وقد خرج الى الميدان الذي بطرف المقابر ، فقال لمن معه : أتأملون الذي أرى ؟

عليهم ، فيأمر لهم به ، ويأمر لمن يغني لهم ،
ويقتل منهم الى غيرهم بثل هذا الفعل عامة
ليه ، ثم ينصرف الى قصوره وبساتينه التي
على هذه البركة ، فلا يزال على هذه الحال
حتى تنقضي هذه الايام ويتفرق الناس .

وقال محمد بن أبي بكر بن عبد القادر
الرازي الحنفي ، وتوفي بدمشق سنة احدى
وخسين وستائة ، يصف بركة الجيش في ايام
الربيع :

اذا زين الحساء قرط فهذه
يزينها من كل ناحية قرط
ترقرق فيها أدمع الطل غدوة
فقلت لآل قد تضمنها قرط

وقال ابن سبيد في كتاب « المغرب » :
وخرجت مرة حيث بركة الجيش التي يقول
فيها أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي
عفا الله عنه :

له يومى يبركة الجيش
والأفق بين الفياء والغبن
والنيل تحت الرياح مضطرب
كصارم في يمين مرتضى

وعاينت من هذه البركة أيام فيض النيل
عليها أبهج منظر ، ثم زرتها أيام غاض الماء
وبقيت فيها مقطعات بين خضر من القرط
والكتان تفتن الناظر ، وفيها أقول :

يا بركة الجيش التي يومى بها
طول الزمان مبارك وصيد
حتى كذاك في البسيطة جنة
وكان دهرى كله يك صيد

يا حسن ما يبدو بك الكتان في
نواره أو زره معقود
والماء منك سيوفه مسلولة
والقرط فيك رواقه ممدود
وكان أبراجا عليك عرائس
جليت وطيرك حولها غريد

يا ليت شجرى هل زمانك عائد
فالشوق فيه مبدى ومعيد
وكان ماء النيل يدخل الى بركة الجيش من
خليج بنى وائل ، وكان خليج بنى وائل مسا
يلى باب مصر من الجهة القبلى ، الذى يعرف
الى يومنا هذا باب القنطرة من أجل أن هذه
القنطرة كانت هناك .

قال ابن المتوج : ورأيت ماء النيل في زمن
النيل يدخل من تحته الى خليج بنى وائل .
قلت : وفي أيام الناصر محمد بن قلاوون
استولى النشو ناظر الخاص على بركة
الجيش ، وصار يدفع الى الأشراف من بيت
المال مالا فى كل سنة . فلما مات الناصر وقام
من بعده ابنه المنصور أبو بكر ، أعيدت لهم .

ذكر المارداني

هو أبو بكر محمد بن على بن محمد بن
رستم بن أحمد ، وقيل محمد بن على بن
أحمد بن عيسى بن رستم ، وقيل محمد بن
على بن أحمد بن إبراهيم بن الحسين بن عيسى
ابن رستم المارداني ، أحد عظماء الدنيا ، ولد
بنصيبين ثلاث عشرة خلت من شهر ربيع
الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وقدم الى

مصر فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، وخلف
أباه على بن أحمد المارداني أيام نظره فى أمور
أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ،
وسنة يومئذ خمس عشرة سنة .

وكان معتدل الكتابة ، ضعيف الحظ من
النحو واللغة . ومع ذلك فكان يكتب الكتب
الى الخليفة فمن دونه على البديهة من غير
نسخة ، فيخرج الكتاب سليما من الغلط .
ولما قتل أبوه فى سنة ثمانين ومائتين استوزره
هارون بن خمارويه ، فدبر أمر مصر ... الى
أن قدم محمد بن سليمان الكاتب من بغداد
الى مصر ، وأزال دولة بنى طولون وحمل
رجالهم الى العراق . فكان أبو بكر من
حمله ، فأقام ببغداد الى أن قدم صحبة
المساكر لقتال خيصة ، فدبر أمر البلد ، وأمر
ونهى ، وحدث بمصر عن أحمد بن عبد الجبار
المطاردى وغيره بسماحه منهم فى بغداد .

وكان قليل الطلب للعلم ، تغلب عليه محبة
الملك وطلب الرياسة . ومع ذلك كان يلزم
تلاوة القرآن الكريم ، ويكثر من الصلاة ،
ويؤاظ على الحج . وملك بمصر من الضياع
الكبار ما لم يملكه أحد قبله ، وبلغ ارتفاعه
فى كل سنة أربعمائة ألف دينار سوى
الحراج ، وذهب وأعطى ، وولى وصرف ،
وأفضل ومنع ، ورفع ووضع ، وحج سبعا
وعشرين حجة أفق فى كل حجة منها مائة
وخمسين ألف دينار . وكان تكنى أمير مصر
بشيمه اذا خرج للحج ، وتلقاه اذا قدم .

وكان يحمل الى الحجاز جميع ما يحتاج
اليه ، ويفرق بالحرمين الذهب والفضة

(٥) من ١٥٥٠ ج ٢ ، ط - بولاق ٢

والثياب والحلوى والطيب والحبوب ، ولا
يفارق أهل الحجاز الا وقد أغضاهم . وقيل
مرة وهو بالمدينة النبوية ، على ساكنها أفضل
الصلاة والسلام : ما بات فى هذه الليلة أحد
بسكة والمدينة وأصاها الا وهو فبجان من
طعام أبى بكر المارداني .

ولما قدم الأمير محمد بن طنج الاخشيد
الى مصر استر منه ، فانه كان منه من دخول
مصر ، وجمع المساكر لقتاله . فاجتمع له زيادة
على ثلاثين ألف مقاتل ، وحارب بهم بعد موت
تكنى أمير مصر ، وموت به خطوط لكثرة
قتن مصر اذ ذاك ، وأحرقت دوره ودور أهله
ومجاوريه ، وأخذت أمواله ، واستر قبض
على خليفته وعاله .

فكتب الى بغداد يسأل أمانة مصر ، وكتب
محمد بن تكنى بالقدس يسأل ذلك ، فعاد
الجواب بأمانة ابن تكنى ، وأن يكون المارداني
يدبر أمر مصر ويولى من شاء . فظهر عند ذلك
من الاستار ، وأمر ونهى ، ودبر أمر البلد ،
وصار الجيش بأسره يندو الى بابه ، فاتفق فى
جماعة واصطنع قوما ، وقتل عدة من أصحاب
ابن تكنى .

وكان محمد بن تكنى بالقدس - وأمر
مصر كله للمارداني بمفرده - ومعه أحمد
ابن كيفلغ ، وقد قدم من بغداد بولاية ابن
تكنى على مصر وولاية أبى بكر المارداني تدير
الأمور . فاستمال أبو بكر أحمد بن كيفلغ
حتى صار معه على ابن تكنى وحاربه ، وكان
من أمره ما كان ... الى أن قدمت عساكر
الاخشيد . فقام أبو بكر لمحاربتهم ، ومنع
الاخشيد من مصر ، فكان الاخشيد غالبا له

ودخل البلد . فاستر منه أبو بكر إلى أن
دل عليه ، فأخذته وسلمه إلى الفضل بن جعفر
ابن القرات .

فلما صار إلى ابن القرات قال له : إيش
هذا الاستيحاء والتستر ، وأنت تعلم أن
الحج قد أثل وسحتاج لأقامة الحج .

فقال له أبو بكر : إن كان إلى خمسة
عشر ألف دينار .

فقال ابن القرات : إيش خمسة عشر
ألف دينار !

قال : ما عندي غير هذا .

فقال ابن القرات : بهذا ضربت وجه
السلطان بالسيف ، ومنعت أمير البلد من
الدخول . ثم صاح : يا شادن ، خذك إليك .

فقيم وأدخل إلى بيت ، وكان يومئذ
صائما ، فامتص من تناول الطعام والشراب ،
ولزم تلاوة القرآن والصلاة طول يومه وليته
وأصبح ، فامتص ابن القرات من الأكل أجلا
له . فلما كان وقت الفطر من الليلة الثانية ،
امتص أبو بكر من الفطر كما امتص في الليلة
الأولى ، فامتص ابن القرات أيضا من الأكل ،
وقال : لا آكل أبدا ، أو يأكل أبو بكر .

فلما بلغ ذلك أبا بكر أكل .

فأخذ ابن القرات في مصادمته ، وقبض
على ضياعه التي بالشام ومصر ، وتبع
أسبابه ، ثم خرج به معه إلى الشام وعاد به
إلى مصر ، ثم خرج به ثانيا إلى الشام . فمات
الفضل بن القرات بالرملة ورجع أبو بكر
إلى مصر . فرد إليه الأخشيدي أمور مصر

كلها ، وخلص على ابنه ، وتقلد السيف ولبس
المنطقة ، ولبس أبو بكر الدراعة تنزها .

ثم تنكر عليه الأخشيدي ، وقبضه في سنة
لحدى وثلاثين وثلاثمائة ، وجعله في دار ،
وأعد له فيها من الفرش والآلات والأواني
والملبوس والطيب والطرائف وأنواع المأكول
والشارب ما بلغ فيه الغاية ، وتفقدتها بنفسه ،
وظافها كلها .

فقال له : عملت هذا كله لمحمد بن علي
المارداني .

فقال : نعم هذا ملك ، وأردت ألا يحتقر
بشيء لنا ، ولا يحتاج أن يطلب حاجة إلا
وجدها ، فانه إن فقد عندنا شيئا مما يريد
استدعى به من داره ، فنسقط نحن من عينه
عند ذلك ، فلم يزل معتقلا حتى خرج الأخشيدي
إلى لقاء أمير المؤمنين المتقي لله ، فحمله معه .

ولما مات الأخشيدي بدمشق كان أبو بكر
بمصر . فقام بأمر أونوجور بن الأخشيدي ،
وقبض على محمد بن مقاتل وزير الأخشيدي ،
وأمر ونهى ، وصرف الأمور ... إلى أن كانت
واقعة غلبون واتصال أبي بكر به . فلما عادت
الأخشيدي ، قبض على أبي بكر ، ونهبت
دوره ، وأحرق بعضها ، وأخذ ابنه ، وقام
أبو الفضل جعفر بن الفضل بن القرات بأمر
الوزارة .

فمنما قدم كافور الأخشيدي من الشام
بالمساكر التي كانت مع الأخشيدي ، أطلق أبا
بكر وأكرمه ، ورد إليه ضياعه وضياع
ابنه . فلما ماتت أم ولده ، لحقه كافور ومعه
الأمير أونوجور عند المقابر ، وترجلا له

وعزاه ، ثم ركب معه حتى صليا عليها . فلما
مرض مرض موته ، عاده كافور مرارا إلى أن
مات في شهر شوال سنة خمس وأربعين
وثلاثمائة ، فدفن بداره ، ثم نقل إلى المقابر .

وكانت فضائله جمة : منها أنه أقام أربعين
سنة يصوم الدهر كله ، ويركب كل يوم إلى
المقابر بكرة وعشية ، فيقف له الموكب حتى
ينفضي إلى تربة أولاده وأهله ، فيقرأ عندهم
ويدعو لهم ، وينصرف إلى المساجد في
الصحراء فيصلي بها والناس وقوف له ... إلا
أنه كان في غاية العجلة ، لا يراجع فيما يريده
ولو كان ما كان .

ولما أراد المقتدر أن يقيم وزيرا كتب رقعة
فيها أسماء جماعة ، وأقنعت إلى علي بن عيسى
ليشير بواحد منهم - وكان أبو بكر ممن
كتب معهم اسمه - فكتب تحت اسم كل
واحد منهم ما يستحقه من الوصف ، وكتب
تحت اسم أبي بكر محمد بن علي المارداني
« مترف عجول » .

وبني أبو بكر السقايات والمساجد في
المغافر وفي حصب وبني وائل ، وليس لشيء
منها اليوم أثر يعرف . ومرت له في هذا
الكتاب أخبار ، وقد أفرد له ابن زولاق سيرة
كبيرة وهذا منها ، والله أعلم .

ذكر بساتين الوزير

هذه البساتين في الجهة القبلية من بركة
الجبش . وهي قرية فيها عدة مساكن وبساتين
كثيرة ، وبها جامع تقام فيه الجمعة ، وعرفت

(١٠٠٠) ص ١٥٠ ج ٢ ، ط ١٩٧٠ .

بالوزير أبي القرج محمد بن جعفر بن محمد
ابن علي بن الحسين بن علي بن محمد
المغربي . وبنو المغربي أصلهم من البصرة ،
وصاروا إلى بغداد . وكان أبو الحسن علي
ابن محمد تخلف على ديوان المغرب ببغداد ،
فنسب به إلى المغرب ، وولد ابنه الحسين بن
علي ببغداد ، فتقلد أعمالا كثيرة ، منها تدير
محمد بن ياقوت عند استيلائه على أمر الدولة
ببغداد .

وكان خال ولده علي - وهو أبو علي
هارون بن عبد العزيز الأوارجي الذي ملحه
أبو الطيب المتبى - من أصحاب أبي بكر
محمد بن رائق . فلما لحق ابن رائق ما لحقه
بالموصل ، صار الحسين ابن علي بن المغربي
إلى الشام ، ولقي الأخشيدي وأقام عنده ،
وصار ابنه أبو الحسن علي بن الحسين
ببغداد ، فأخذ الأخشيدي غلامه قاتك المجنون ،
فحمله ومن يليه إلى مصر .

ثم خرج ابن المغربي من مصر إلى حلب ،
ولحق به سائر أهله ، وزلوا عند سيف الدولة
أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان مدة
حياته ، وتخصص به الحسين بن علي بن
محمد المغربي ، ومدحه أبو نصر بن نباتة ،
وتخصص أيضا علي بن الحسين بسعد الدولة
ابن حمدان ، ومدحه أبو العباس التامى .

ثم شجر بينه وبين ابن حمدان قسارته ،
وصار إلى بكجور بالركة ، فحسن له مكاتبة
العزيز بأفه نزار والتحيز إليه .

فلما وردت على العزيز مكاتبة بكجور
قبله واستدعاه ، وخرج من الرقة يريد

دمشق ، فوافاه عبد العزيز بولاية دمشق وخلفه ، فقتلها وخرج لمحاربه ابن حصدان بحلب بمشورة علي بن المغربي ، فلم يسم له أمر ، وتأخر عنه من كنه ، فقال لابن المغربي : غررتني فيما شرب به علي ، وتذكر له ففر منه الى الرقة .

وكانت بين بكجور وبين ابن حصدان خلوب آلت الى قتل ابن بكجور ومسير ابن حصدان الى الرقة . ففر ابن المغربي منها الى الكوفة ، وكتب العزيز بالله يستأذنه في التقدم ، فذن له .

وقدم الى مصر في جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وثلثمائة ، وخدم بها وتقدم في الخدم ، فعرض العزيز على أخذ حلب . فمكث ينجوتكين بلاد الشام ، وضم اليه ابا الحسن بن المغربي ليقوم بكتابه ، ونظر الشام وتدير الرجال والأموال . فسار الى دمشق في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ، وخرج الى حلب ، وحارب ابا الفضائل بن حصدان وغلامه لؤلؤ ، فكذب لؤلؤ ابا الحسن بن المغربي ، واستأله حتى صرف بجوتكين عن محاربة حلب ، وعاد الى دمشق .

وبلغ ذلك العزيز بالله . فاستد حنته على ابن المغربي ، وصرفه بصالح بن علي الروذبادي ، واستقدم ابن المغربي الى مصر . ولم يزل بها حتى مات العزيز بالله ، وقام من بعده ابنه الحاكم بأمر الله أبو علي منصور ، فكان هو وولده أبو القاسم حسين من جلسائه . فلما شرع الحاكم بأمر الله في قل رجل الدولة من التواد والكتاب والنقضا ، قبض على علي بن محمد ابني المغربي

وقتلها ، ففر منه أبو القاسم حسين بن علي ابن المغربي الى حسان بن مفرج بن الجراح ، فنجاره .

وقد الحاكم يارجتكين الشام . فعنه ابن جراح لكثرة عساكره ، فعين له ابن المغربي مهاجته ، ففرق يارجتكين في مسيره على غلة واسره ، وعاد الى الرملة فشن الغارات على رساتينها ، وخرج العسكر الذي بالرملة فقتل العرب قتلا شديدا كادت العرب أن تهزم لولا ثبتها ابن المغربي ، وأشار عليهم بأشهار الداء باباحة النهب والغنيمة فثبتوا ، ونادوا في الناس ، فاجتمع لهم خلق كثير ، وزحفوا الى الرملة فملكوها ، وبالقوا في النهب والقتل .

فأزعج الحاكم لذلك ازعاجا عظيما ، وكتب الى مفرج بن جراح يعذره سوء العاقبة ، ويلزمه باخلاق يارجتكين من يد حسان ابنه وارساله الى القاهرة ، ووعدته على ذلك بخمسين ألف دينار . فبادر ابن المغربي لما بلغه ذلك الى حسان ، وما زال يفرقه بقتل يارجتكين حتى أحضره وضرب عنقه . فشق ذلك على مفرج ، وعلم أنه قد ما بينه وبين الحاكم .

فأخذ ابن المغربي بحسن لمفرج خلق طاعة احاكم والمشاء لغيره الى أن استجاب له . فراسل ابا القتوح الحسن بن جعفر العلوي أمير مكة بدعوه الى الخلافة ، وسهل له الأمر ، ومير اليه بابل المغربي يحثه على المسير ، وجراه على أخذ مال تركه بعض المياسير ، ونزع المحارب الذهب والفضة

للنصرة على الكعبة وضربها دنانير ودواهم وساما الكعبة .

وخرج ابن المغربي من مكة فلما العرب من سليم وعلال وعوف بن عامر ، ثم سار به وبين اجتمع عليه من العرب حتى قتل الرملة . فلتقاء بنو الجراح ، وقبلوا له الأرض ، وسلموا عليه بأمره المؤمنين ، وأدى في الناس بالأمان ، وصلى بالناس الجمعة .

فامتص الحاكم لذلك ، وأخذ في استمالة حسان ومفرج وغيرها ، وبذل لهم الأموال ، فتكروا على أبي القتوح ، وقتل أيضا مكة بعض بني عم أبي القتوح . فضف أمره ، وأحسن من حسان بالقدر ، فرجع الى مكة وكتب الحاكم واعتذر اليه ، فقبل عذره .

وأما ابن المغربي فانه لما احل امر أبي القتوح ، ورأى ميل بني الجراح الى الحاكم كتب اليه :

وأنت ، وحسبي أنت تعلم أن لي لسانا أمام المجد يني وبهمد وليس حليما من تياس بينه فيرضى ، ولكن من تعض فيحلم

فسير اليه أمانا بخطه . وتوجه ابن المغربي قبل وصول أمان الحاكم اليه الى بغداد ، وبلغ القادر بالله خبره ، فاتهمه بأنه قدم في فساد الدولة العباسية ، فخرج الى واسط واستعطف القادر ، فعطف عليه وعاد الى بغداد ، ثم مضى الى قرواش بن المقلد أمير العرب ، وسار معه الى الموصل فقام بها مدة .

(*) من ١٥٧٧ - ١٥٧٨ ، ص ١٥٧٧

وخافه وزير قرواش فأخرجه الى ديار بكر ، فقام عند أميرها نصير الدولة أبي نصر أحمد ابن مروان السكردى ، وتصرف له ، وكان يلبس في هذه المدة المرقعة والصوف . فلما تصرف غير لباسه وانكشف حاله ، فصار كمن قيل فيه ، وقد ابتاع غلاما تركيا كان يصواه قبل أن يتأه : قبل أن يتأه :

تبدل من مرقعة ونسك بأنواع المسك والشعوق

وعن له غزال ليس يحوى هواه ولا رضاء بلبس صوف فعاد أشد ما كان اتهاكا كذاك الدهر مختلف العروق

وأقام هناك مدة طويلة في أعلى حال وأجل رتبة وأعظم منزلة ، ثم كوث بالمسير الى الموصل ليستوزره صاحبها . فسار عن ميافارقين وديار بكر الى الموصل ، فقتل وزارتها ، وتردد الى بغداد في الوساطة بين صاحب الموصل وبين السلطان أبي علي بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة أبي شجاع بن دكن الدولة أبي علي بن بويه ، واجتمع برؤساء الديلم والأتراك ، وتحدث في وزارة الحضرة حتى تقلدها ، بغير خلق ولا لقب ولا مفارقة الدراعة ، في شهر رمضان سنة خمس عشرة وأربعمائة ، فقام شهورا ، وأغرى رجال الدولة بعضهم ببعض .

وكانت أمور طويلة آلت الى خروجه من الحضرة الى قرواش ، فتجدد للقادر بالله فيه سوء ظن بسبب ما أقاربه من الفتنة العظيمة

بالسكوة ، حتى ذهب فيها عدة قهوس
وأموال . فمر إلى أبي نصر بن مروان ،
فكرمه وأقطعه ضياعاً وأقام عنده ، فكتب
من بغداد بالعود إليها ، فبرز عن مياقاري
يريد السير إلى بغداد فسم ذلك ، وعاد إلى
المدينة فمات بها لأيام خلت من شهر رمضان
سنة ثمان عشرة وأربعمائة . ومولده بمصر
ليلة الثالث عشر من ذي الحجة سنة سبعين
وثلاثمائة .

وكان أسر شديد السرة ، بساطاً عدا
بليغاً مترلاً ، متفتناً في كثير من العلوم
الندية والأدبية والنحوية ، شارحاً الله في
قوة الذكاء والقطعة وسرعة الحاضر والبيديه ،
عظيم القدر . صاحب سياسة وبديع وحيل
كثيرة وأمور نظام . دوح المالك . وقلب
الدول ، وسع الحديث ، وروى وصف عدة
تصانيف . وكان ملولاً حتموداً . لا تلين كبده .
ولا تحل عنده . ولا يحس غوده . ولا ترحى
وعوده . وله رثى يرين له الحقوق . ويبغض
إليه رعاية الحقوق . كانه من كره قد رك
الثقت . واستولى على ذات الحب .

وكان بمصر من بني معري أبو الفرج
محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
المعري ، قد قبل الحاكم جده محمداً مع أبيه
علي بن الحسين كما تقدم . فلما نشأ أبو
جعفر صار إلى العراق وخدم هناك ، وتنقلت
به الأحوان ، ثم عاد إلى مصر ، وأصغره
الوزير البازي ، وولاه ديوان الجيش ،
وكانت الميدة أم المستر تفتى به . فلما
مات الوزير البازي . وولى بعده الوزير أبو
الفرج عبد الله بن محمد البابلي . فبض عليه

في جملة أصحاب البازي واعتقله . ففترت
نه الوزارة وهو في الاعتقل ، وخلق عليه
في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر
سنة خمسين وأربعمائة ، ولقب بالوزير الأجل
الكامل الأواحد صفى أمير المؤمنين وخالسته .
فما تعرض لأحد ، ولا فعل في البابلي ما فعله
البابلي فيه وفي أصحاب البازي ، فقام
ستين شهوراً ، وصرف في تاسع شهر رمضان
سنة اثنين وخمسين وأربعمائة .

وكان الوزراء إذا صرفوا لم يصرفوا .
واقترح أبو الفرج بن المعري لما صرف أن
يولى بعض الدواوين . فولى ديوان الإنشاء
الذي يعرف اليوم بوظيفة كتابة السر ، وهو
الذي استبط هذه الوظيفة بديار مصر ،
واحدث استخدام الوزراء بعد صرفهم عن
الوزارة . ولم يزل ثابته القدر إلى أن توفي
سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

« بركة الشمية » : هذه البركة موضعها
حرف جر الأفهم ، فيما بينه وبين الجرف
الذي يعرف اليوم بالرصد ، وكانت تجاور
بركة الحب من بحرهما ، وقد انقطع عنها
ماء ، وصارت بساتين ومزارع وغير ذلك .

قل ابن المتوج : بركة الشمية بظاهر
مصر . كان يدخل إليها ماء النيل ، وكان لها
خليجان : أحدهما من قبلها ، وهو الآن
بجوار منقرة صاحب تاج الدين بن حنا
المعروفة بمنقرة المشوق . والثاني من
بحرها ، ويقال له خليج بني وائل ، عليه
منقرة بها عرف باب المنقرة بمصر . وكان

٥٧٤ ١٥٨٠ هـ - ١١٩٠ م - ١٧٩٠

يجرى فيها الماء من النيل إليها ، فكان الماء
يدخل إليها في كل سنة ومائها ، ويدخل إليها
الشخير .

وكان بدائرهما من جانبيها الشرقي آدر
كثيرة ، وكانت تروى المصريين . فلما استاجرهما
الأمير عز الدين أيك الأفهم من الناظر عليها
من جهة الحكم العززي ، حازها بالجور من
الماء ، وغرس فيها الأشجار والكروم ، وحفر
الآبار .

وهذه البركة مساحتها أربعة وخمسون
فداناً ، ولها حدود أربعة : الحد القبلي ينتهي
بمضه إلى بعض أرض المشوق الجباري في
وقت ابن الصابولي ، وإلى الجسر القاصل
بينها وبين بركة الحبش ، وفي هذا الجسر
الآن منقرة يدخل إليها الماء من خليج بركة
الأشراف . والحد البحري كان ينتهي بمضه
إلى منقرة قاضي القضاة بدر الدين السجاري
وإلى جسر . والحد الشرقي ينتهي إلى الآدر
التي كانت مظلة عليها ، وقد خرب أكثرها ،
وكانت مسكن أعيان المصريين من القضاة
والكتاب . والحد الغربي ينتهي إلى جسر
النيل .

ولما استاجرهما الأفهم شرط له خمسة أفدنة
يسمر عليها ، ويؤجرها لمن يسمر عليها : منها
فدان واحد من بحرهما ، وفدانان من غربيها
ملاصقان لجدار البساتين ، وفدانان بالجرف
الذي من حقوقها . فلما مات الأفهم طمع
الأمير علم الدين الشجاع في ورثته وفي
الوقف وأربابه ، فقصب أرض الجرف وجعلتها
فدانان ثم تركها . فلما كان في أثناء دولة

الناصر محمد بن قلاوون ووزارة الأعر ،
يبتع أرضها لأرباب الأبنية التي عليها . وهذه
البركة وقتها الخطير بن ماتي ، ودخل معهم
بنو الشمية لاختلاط أساجم بالتاسل .

وقال في موضع آخر : ومن جملة الأوقاف
بركة الخطير بن ماتي المشهورة بيسر
الشمية ، ومساحة أرضها أربعة وخمسون
فداناً وربع ، ولها حدود أربعة : القبلي من
البركة الصغرى منها إلى الجسر القاصل
بينها وبين بركة الحبش ، وفيه منقرة يمر منها
الماء إلى هذه البركة ، وباقى هذا الحد إلى
بعض أبنية مناظر المشوق .

ومن جملة حقوق هذا الوقف المجاز
المستطيل الملوك فيه إلى المنقرة المذكورة ،
ومنتهى دهيها والايوان البحري . وهذا جميعه
رأيت ترعة من ترايع هذه البركة المذكورة يمر
الماء فيها في زمن النيل إليها . وكان باقي هذه
المنقرة داراً مظلة على بحر النيل من شرقها ،
وعلى هذه التربة من بحرهما ، ثم ملكها
الصاحب تاج الدين بن حنا وهبتها وردم
الخليج ، وعمر المنقرة والحمام والبيوت
الموجودة الآن ، وباقى ذلك كله في أرض ابن
الصابوني .

وحد هذه البركة من الجهة البحرية إلى
الطريق الآن ، وكان فيه جسر - يعرف بجسر
الحيات - كان يفصل بين هذه البركة وبين
بركة شطا ، وكان فيه منقرة يجري الماء فيها
من هذه البركة إلى بركة شطا ، وكان في
هذا الحد ترعة أخرى يجري الماء فيها في
زمن النيل من البحر إلى هذه البركة ، ورأيت

يجرى فيها ، ورأيت الشاخير تدل فلما
الى هذه البركة .

واما جدنا الشرقى فانه كان الى ابناء
الدر المطلة على هذه البركة . واما جدنا
الغربي فانه كان الى بحر النيل .

ولم نزل كذلك الى ان استاجرها الأمير
عز الدين ابيك الأفرم ، فقدم هذه التربة ،
وبنى جيطان هذا البستان : وجبر عليه ،
وزرع فيه الشول والحفراوات . وأقام على
ذلك عدة سنين ، ثم استاجر اجارة ثابتة ،
واشترط البناء على ثلاثة أفدنة في جانبه
الغربي وفدان في جابه البحرى . فمصر الناس
واستغنى عن البصور ، ورخص على الناس
حتى رعبوا في الصارة ، وآجر كل مائة ذراع
من ذلك بعشرة دراهم تقرة ، وهجر البئر
المشورة بين السواقي فمصرت احسن عمارة .

فلما توفي الأفرم طمع الشجاعى في ارباب
الوقف وفى ورثته ، وزرع منهم القدادين
المطلة على بحر النيل ، وابتاع ذلك من وكيل
بيت المال ، وأعان عليه قوم آخرون يجتمعون
عند الله تعالى .

ذكر المشوق

اعلم ان المشوق اسم لكان فيه اشجار
بظاهر مصر ، من جملة خطة راشدة ، عرف
أولا بجنان كهمن بن معمر ، ثم عرف بجنان
الماردانى ، ثم عرف بجنان الأمير نعيم بن المعز
لدين الله ، ثم جدد الأفضل بن أمير الجيوش

فصرف . وآخرها صار من وقف ابن
الصابونى ، فأخذها صاحب تاج الدين محمد
ابن حنا ، وعمر به مناظر ، وأوصى بمسارة
رباط الآثار النبوية وأن توقف عليه .

فلما انتهى الرباط المذكور ، أرصد
لمصالحه ، وهو الآن وقف عليه . وأرض هذا
البستان مما وقفه ابن الصابونى على بنيه ،
وعلى رباطه المجاور لقبه الامام الشافعى رضى
الله تعالى عنه بالترافة . وبنو الصابونى
يستادون من المتحدث على رباط الآثار شيئا
في كل سنة عن حكر أرض بستان المشوق .
قال القاضي في ذكر خطة راشدة : ومنها
المقبرة المعروفة بمقبرة راشدة ، والجنان
المعروفة . كانت تعرف بكهمن بن معمر ، ثم
عرفت بالماردانى ، وهو المعروف الآن بالأمير
نعيم بن المعز

هذا وقد بنى المعتمد على الله أحمد بن
المتوكل . في الجباب الشرفى من « مر من
راى » قصرا سماه المشوق وأقام به . وبين
بغداد وتكرت منزلة فيها آثار بناء وقصور
تسمى العاشق والمشوق . وفيه أنشد الشريف
زهرة بن على بن زهرة بن الحسن الحسينى ،
وقد اجناز به يريد الحج :

قد رأيت المشوق وهو من الهجر

ر بحال تنبو النواظر عنه

أثر الدهر فيه آثار سوء

قد أدالت يد الحوادث منه

وقال : ابن يونس كهمن بن معمر بن
محمد بن معمر بن حبيب ، يكنى أبا القاسم ،

(٢٠) ص ١٠٩ ج ٢ ، ط ١٠٩٠

كان أبوه بصريا ، وولد هو بمصر ، وكان
عقلا ، وكانت القضاة تقبله . حدث عن محمد
ابن رمح وعيسى بن حماد زغبة وسلمة بن
شبيب ونحوهم . توفي في يوم الاثنين لأربع
خلون من شهر ربيع الأول سنة احدى عشرة
وثلاثمائة .

وقال ابن خلكان : تميم بن المعز بن
النصور بن القائم بن المهدي . كان أبوه
صاحب الديار المصرية والمغرب ، وهو الذى
بنى القاهرة المعزية . وكان تميم فاضلا شاعرا
ماهرا لطيفا ظريفا ، ولم يل الملكة لأن ولاية
المهد كانت لأخيه العزيز فوليا بعد أبيه ،
واشعاره كلها حسنة ، وكانت وفاته في ذى
القعدة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة . وقد ذكر
كلا من الماردانى وابن حنا والأفضل .

وأما ابن ممتى فانه أحمد بن مهذب بن
زكريا بن قدامة بن فينا ، شرف الدين ممتى
أبى المكارم بن سعيد بن أبى المليلح ، الكاتب
المصرى . أصله من نصارى سيوط من صعيد
مصر ، واتصل جده أبو المليلح بأمير الجيوش
بدر الجمالى ، وزير مصر في أيام الخليفة
المتنصر بالله ، وكتب في ديوان مصر ، وولى
استيفاء الديوان .

وكان جوادا مدوحا . انقطع اليه أبو
الظاهر اسماعيل بن محمد ، المعروف بابن
مكينة الشاعر ، فمن قوله فيه لما مات :

طويت سماء المكرما

ت وكورت شمس المديح

وتناثرت شهب العلا

من بعد موت أبى المليلح

ما كان بالنكس الدنى
من الرجال ولا الشحيح

كفر النصارى بعدما
عذروا به دون المسيح

ورثاه جماعة من الشعراء . ولما مات ولى
ابنه المهذب بن أبى المليلح زكريا ديوان الجيش
بمصر في آخر الدولة الفاطمية . فلما قدم
الأمير أسد الدين شيركوه ، وتقلد وزارة
الخليفة العاضد ، شدد على النصارى ،
وأمرهم بشد الزناير على أوساطهم ، ومنعهم
من ارخاء الذؤابة التى تسمى اليوم بالمذبة ،
فكتب لأسد الدين :

يا أسد الدين ومن عدله

يحفظ فينا سنة المصطفى

كفى غيارا شد أوساطنا

فما الذى أوجب كشف القفا

فلم يسفه بطلته : ولا مكنه من ارخاء
الذؤابة .

وعندما أيس من ذلك أسلم ، فقدم على
الدواوين حتى مات . فخلفه ابنه أبو المكارم
أسعد بن مهذب ، الملقب بالخطير ، على ديوان
الجيش ، واستمر في ذلك مدة أيام السلطان
صلاح الدين يوسف بن أيوب وأيام ابنه
الملك العزيز عثمان ، وولى نظر الدواوين
أيضا ، واختص بالقاضى الفاضل وحظى
عنده ، وكان يسميه بلبل المجلس لما يرى من
حسن خطابه .

وصنف عدة مصنفات : منها « تلقين
اليقين » فيه الكلام على حديث « بنى الإسلام
على خمس ... » ، وكتاب « حجة الحق على

يحب نوره في الدنيا . قنوة : منارة
المنيرة .

قال : ما نصيب فيه .

قال : فيقولون له : قدوة وطاعة .

فيقول : ما صنعت فيه .

قالوا : فما تقول أنت ؟

قال : الحبيب الذي أظفر في الحرية ولا
أفتر لغيره .

وهي هذه البركة لأن هذه أكرم جبهة ،
وجمع وحكم وغير ذلك . وله على نفسه
بالعقاب .

« بركة النيل » : هذه البركة في ما بين مصر
والشيرة ، وهي كبيرة جدًا ، ولم يكن في
القديم عليها بيل . وقد وضع جوهر القلعة
معية الشيرة كانت تجاه الشيرة ، ثم حدثت
حارة السودان وغيره خارج باب زويلة .
وكان ما بين حارة السودان وحارة الخياض
ومن بركة النيل فضاء ، ثم غير الناس حول
بركة النيل بعد الستة حتى صارت مساكنها
تحت مساكن مصر كلها .

قال ابن سعد وقد ذكر الشيرة : وأنجبني
في ظهرها بركة النيل ، لأنها دائرة كالبحر
والأشجار فوقها كالجوام . وعادة السلطان أن
يركب فيها بالليل ، وتخرج أصحاب الأسر
على قنرهم وقنبرتهم ، فيكون بذلك لها
منظر عجيب ، وفيها قول :

أظفر في بركة النيل التي اكتفت

بها الأسر كالأهواب لبحر

(١٨١ من ١٨١ - ١٨١ - ١٨١)

كانت هي والواصل ترميها
كوكب قد اناروها على القصر

وخطرت اليها ، وقد قبضتها الشمس بالعمو ،
قلت :

أظفر في بركة النيل التي بعثت
لها العروة نحرا من مفاصلها

وحل مررت مخوفة يهيجها
تعب وجها وجها في بياضها

وماء النيل يسيل في بركة النيل من الموضع
الذي يعرف اليوم بجسر الأنعام تجاه
الكبيش . وبني له كان هناك قنطرة كبيرة
فسمت : وعلى مكانيها هذه الجاذيل الحجر
التي يمر عليه الناس .

ويجرب ماء النيل في هذه البركة أيضا من
البحر الكبير من تحت قنطرة تعرف قديما
وحديثا بالجنوة ، وهي الآن لا تشبه
الناظر ، وكانت سرب يمر منه الماء ، وفوقه
بقية منه من ناحية الخليج ، كان قد عقده
الأمير الفيرس وبني فوقه متزاها ، قتل فيه
علم الدين بن العاصب :

وقد عجبت من الفيرس وصحبه
وعقولهم بعقوده مفتونة
عقلوا شتوا لا تصح لأهم
عقلوا الجنون على مجنونة

وكان الفيرس هذا يعتره الجنون . واتفق
أن هذا العقد لم يصح وهم ، وآثاره باقية
إلى اليوم .

« بركة الشقاق » : هذه البركة في بين
الخليج الغربي بجوار القوق ، وعليها الجامع

المعروف بجامع الطباخ في خند باب القوق .
وكانت هذه البركة من جملة أراضي الزهري
- كما ذكر في حكر الزهري عند ذكر
الأحكار - وكان عليها في القديم عدة
مناظر منها منقرة الأمير جند الدين موسى
بن منصور ، وذلك أيام كانت أراضي القوق
مواضع لزراعة ، قبل أن تحكر وبني دورا ،
وذلك بعد سنة ست مائة . وله تعالى العلم .

« بركة السباعين » : عرفت بذلك لأنه
أخذ عليها دار للسباع ، وهي موجودة هناك
إلى يومنا هذا ، وهي من جملة حكر الزهري
وعليها الآن دور . ولم تحدث بها العمارة إلا
بعد سنة سبعمائة ، وإنما كان جميع ذلك
الخط ، وما حوله من متعة الهوا إلى
النفس بساكنين ، ثم حكرت .

« بركة الرمل » : هذه البركة من جملة
أرض الطباة . عرفت بركة الطواين من أجل
أنه كان يسيل فيها الطوب . فلما حفر الملك
الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري ،
اتمس الأمير بكتر الحاجب من المهندسين أن
يجعلوا حفر الخليج على الجرف إلى أن يمر
بجانب بركة الطواين هذه ، وصب من بحري
أرض الطباة في الخليج الكبير ، فوافقوه
على ذلك ، وجر الخليج من ظاهر هذه البركة
كما هو اليوم . فلما جرى ماء النيل فيه روى
أرض البركة ، فعرفت بركة الحاجب ، فأما
كانت يد الأمير بكتر الحاجب المذكور .
وكان في شرقي هذه البركة زاوية بها نخيل
كثير ، وفيها شخص يصنع الأبطال العديد

التي ترون بها البسطة ، فساها الناس بركة
الرمل نسبة لصانع الأبطال ، وبقيت نخيل
الزويلة قائمة بالبركة إلى ما بعد سنة تسعين
وسبعمائة .

فلما جرى الماء في الخليج الناصري ، ودخل
منه إلى هذه البركة ، عمل الجسر بين البركة
والخليج ، فعكسه الناس ، وبنيوا فوقه
الدور ، ثم تابصوا في البناء حول البركة حتى
لم يبق بناؤها خلوا ، وصارت المراكب تعبر
إليها من الخليج الناصري ، فتدورها تحت
اليوت وهي مشحونة بالناس ، فتمر هناك
لناس أحول من القوم يقصر عنها الوصف .

وتظاهر الناس في المراكب بأنواع المنكرات
من شرب السكرات ، وتبرج النساء القباير
والخلائع بالرجال من غير انكار . فلما غضب
ماء النيل زرعت هذه البركة بالقرط وغيره ،
فيجتمع فيها من الناس في يومى الأحد
والجمعة عالم لا يحصى لهم عدد .

وأدركت هذه البركة ، من بعد سنة سبعمائة
وسبعمائة إلى سنة ثمانمائة ، أوقا انكفت
فيها عن كان بها أيدي القير ، ووقفت عن
أهاليها أعين الحوادث ، وساعدتهم الوقت إذ
الناس فاس والزمان زمان . ثم لما تكدر جو
المرات ، وتقلص ظل الرفاهة ، وانزلت
سحاب الحزن من سنة ست وثمانمائة -
ثلاثي أمرها .

وفيها إلى الآن بقية حياية ، ومما لم أنس ،
وآثار تبني عن حسن عهد . وله ذو القائل :

في أرض طباة بركة
مدحمة للعين والعقل

تخرج في مبرك من غري
كل بعد الأرض من

« بركة البركة بين القري »
البركة كانت في أرض مصر
القري . يصل إليها النيل من البحر .
فيخرج من حبيج المذكور إليها . وكانت تحده
مصر القنطرة . وكان الممر إلى البحر
البحري . وذلك ما عرفت من خبر هذه البركة
فما كانت بين القري . بل بين القري وجبال
الزهرى . عرفت بالبين القري نسبة إلى
القري . وشرف على بحر القري من غريه ،
وعلى الخليج الكبير من غريه .

فما كان في أيام الخليفة العادل بالزهرى
أنه أنى منهم على من الحكم بالمرأة ، أمر
بعد سنة عشر وأربعين بركة أنساب هذه
البيتان ، وذلك بين بركة قدام القنطرة التي
تعرف بالقنطرة . فلما كانت السنة العشر في
زمن الخليفة المسترشد بالله ، هجرت البركة ،
وكان في موضعها عدة أماكن عرفت بعبارة
القصير لا ذلك .

فما كان في أيام الخليفة لأمر بالحكم له ،
وتنفيذ الأجل الآمن محمد بن قنك
البيطاني ، أزلت الأبنية ، وعش حفر الأرض
وسلط عليها ماء النيل من خليج الذكر ،
فصار بركة عرفت بين القري ، وما يرحل
إلى ما بعد سنة سبعة .

وكان قد تولى أمرها من كانت القنطرة ،
في زمن الملك العادل كتباً من سبع وثلاثين
وستة ، فكان من خرج من باب القنطرة
لما من ١٢٦٠ هـ ، فذكرت .

بعد عن باب أرض القنطرة من جانب الخليج
البحري إلى حد القري ، ووجدت بين القري عن
يساره من جانب الخليج البحر إلى حد
القري . وبعد النيل الأنجم بجري في غري
بين القري على حافة القري إلى غري أرض
القري . وبعد من حيث الموضع المعروف اليوم
بالجري إلى غري النيل ، ويجري إلى منية
البحر . فكان خارج القنطرة أحسن منزلة
في مصر من الأنصار .

وموضع بين القري يعرف اليوم بكوم
الحكيك الجوز فيقال القنطرة وما جاور تلك
الكيمان والخرباب التي نحو باب القري .
وحسن في غير واحد من القري من شيوخ
القري عن متاعنة أكل هذه البركة ، وأنخروني
عن شأني فيها . وإلى زمان هذا موضع
من غري الخليج فيما يلي ميسان القنطرة ،
يعرف بين القري ، بقية من تلك البركة
يجتمع فيه الناس للزراعة .

« بركة جاني » : هذه البركة خارج باب
القنطرة . كانت بالقرب من منقرة باب القنطرة
التي تقدم ذكرها في القنطرة ، وكان ما حولها
بساتين ، ولم يكن خارج باب القنطرة شيء من
هذه الأبنية ، وإنما كان هناك بساتين ، فكانت
هذه البركة فيما بين الخليج الكبير وميسان
ابن مريم . فلما حكر بستان ابن مريم ،
وعمر في مكة لأكثر وغيرها ، وعمر الناس
خارج باب القنطرة ، عمر ما حول هذه البركة
بالبحر ، وسكنها الناس . وهي إلى الآن
عامرة ، وتعرف ببركة جاني .

« بركة الحجاج » : هذه البركة في الجهة
البحرية من القنطرة على نحو يرد منها .
عرفت أولاً ببج عسيرة ، ثم قيل لها أرض
الحج ، وعرفت إلى اليوم ببركة الحجاج من
أجل قول حجاج البكري ما عند مدينتهم من
القنطرة وعند عودهم . وبعض من لا معرفة
به بأحوال أرض مصر يقول : « حج يوسف
عليه السلام » ، وهو خطأ لا أصل له .

وما يرحل هذه البركة منزلاً لثوب
القنطرة .

وقال ابن يونس : عسيرة بن تميم بن جوه
الجيسي : من بني القري . صاحب الحج
المعروف ببج عسيرة ، إلى الموضع الذي يرد
إليه الحاج من مصر فخرجهم إلى مكة .

وقال أبو عمر السكندري في كتاب
« الخلق » : أن قريش الخنق من جب
عسيرة بن تميم بن جوه ، وصاحب جب عسيرة
من بني القري . فمن في تلك الأيام ، فحدثت
فحدث بعد ذلك .

وقال في كتاب « لأمر » : ثم إن أهل
الحوف خرجوا على ليت بن الفضل أمير
مصر . وكان السبب في ذلك أن ليتاً بن
يساح يسبحون عليهم أراضي زرعهم ،
فقتلوا من القصب أمواج . فظلم الناس
إلى ليت فلم يسمع منهم ، فمكروا وماروا
إلى القنطرة .

فخرج إليهم ليت في أربعة آلاف من جنده
مصر ليومين بقيا من شعبان سنة ست وثلاثين
وبمائة ، فالتقى مع أهل الحوف لئلا عشرة
خلت من شهر رمضان ، فانهزم الجيش عن

ليت ، وبقى في مائتين أو ثلثمائة ، فحصل عليهم
من معه فنهزمهم حتى بلغ بهم غينة . وكان
النهزم في أرض جب عسيرة ، وبعث ليت
إلى القنطرة بثمانين رأساً ، ورجع إلى
القنطرة .

وقال المسبحي : ولما خلى من
في القنطرة سنة أربع وثلاثين ، عرض
أمير المؤمنين العزيز بالله عاكره بظاهر القنطرة
عند سطح الحج ، فقتل له مضرب فيصاح
رومي فيه أنه ثوب منقورة قنطرة ، وتصلت له
قنطرة مستقلة وقبة مستقلة بالبحر ، وضرب
لأبيه المنصور مضرب آخر ، وعرضت الماكر
فكانت عدتها مائة عسكر ، وأقبلت أسارى
الروم . وعدتهم مائتان وخمسون - فطلبه
بهم . وكان يوماً عتيباً حثاً لم تزل الماكر
تسير بين يديه من ضحوة النهار إلى صلاة
الغروب .

وقال ابن ميسر : كان من عادة أمير المؤمنين
للمستمر بالله أن يركب في كل سنة على
الحج ، مع النساء والعظماء ، إلى جب عسيرة
- وهو موضع قنطرة - بجبة أنه خارج
للحج على سبل الهزؤ والمجاجة ، ومنه الخبر
في الروايات عوضاً عن الله وسقيه الناس .

وقال أبو الخطاب بن دحية : وخطب ليت
عيد يفتقد أرومين جمعة ، وذلك
للمستمر بل البطل المستر .

أشهد القنطرة صبيحة يوم عرفة :
ثم فأنحر الراح يوم الشعر بالله
ولا تضي ضحي إلا بصباه

وأدرك حجيج الندامى قبل تفرقه
إلى مى نصفتهم مع كل هيفاء
ووصل ألف الفم للضرورة وهو جائز .

فخرج في ساعته يروايا الخمر تزجي بنفحات
حدأة الملامى ونسق ، حتى أناخ بعين شمس
في كبكبة من المساق ، فقام بها سوق
الفسوق على ساق . وفي ذلك العام أخذه الله
وأخذ أهل مصر بالسنين ، حتى بيع القرص
في أيامه بالثمن اثنين .

وقال القاضي القاضى في حوادث الحرم
سنة سبع وسبعين وخمسة : وفيه خرج
السلطان (يعنى صلاح الدين يوسف بن
أيوب) إلى بركة الحب للعبد ولعب الكرة ،
وعاد إلى القاهرة في سادس يوم من خروجه .
وذكر من ذلك كثيرا عن السلطان صلاح الدين
وابنه الملك العزيز عثمان .

وقال جمع سيرة الناصر محمد بن قلاوون ،
وفي حوادث صفر سنة اثنين وعشرين
وسبعائة : وفيه ركب السلطان إلى بركة
الحجاج لرمى على الكراكى ، وطلب كريم
الدين طرأ خاص ، ورسم أن يعمل فيها
أحواشا للخيول والعمال وميدانا ، وللأمير
بكثر السقى مثله .

فقام كريم الدين بنفسه في هذا العمل ،
ولم يدع أحدا من جميع الصنائع المحتاج اليهم
يعمل في القاهرة عملا ، فكان فيها فحوا الأثني
رجل ومائة زوج بقر ... حتى تست المواضع
في مدة قرية . وركب السلطان إليها ، وأمر
بعمل ميدان لتاج الخيل فعمل . وما برح
الملك يركبون إلى هذه البركة لرمى

الكراكى ، وهم على ذلك إلى هذا الوقت .
وقد خربت المباني التي أنشأها الملك الناصر .

وأدركنا هذه البركة مراحا عظيما للأغنام ،
التي يطنها التركمانى حب القطن وغيره من
العلف ، فبلغ الغاية في السمن ... حتى أنه
يدخل بها إلى القاهرة محمولة على العجل
لنعم جتها وثقلها وعجزها عن المشى ، وكان
يقال كبش يركاوى نبة إلى هذه البركة .
وشاهدت مرة كبشا من كباش هذه البركة
وزنت شفته اليمنى فبلغت زنتها خمسة وسبعين
رطلا سوى الآلية ، وبلغنى عن كبش أنه وزن
ما في بطنه من اللحم خمسة فبلغ أربعين
رطلا . وكانت آلاما تلك الكباش تبلغ الغاية
في الكبر .

وقد بنى هذا من القاهرة ، منذ كانت
الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة ، حتى لا
يكدر معرفه اليوم إلا أفراد من الناس . وبركة
الحجاج اليوم أرباب دركها قوام من العرب
يعرفون ببى صبرة .

وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى في
كتاب « الجوهر المكنون في معرفة القبائل
والبطون » . بنو بطيخ بطن من لحم ، وهم
ولد بصيخ بن مغارة بن دععان بن عشت بن
كليب بن أبى الحارث بن عمرو بن ربيعة بن
جدس بن أريش بن أراش بن جديلة بن لخم ،
وفخذها بنو صبرة بن بطيخ ، ولهم حارة
مجاورة للخطة المعروفة اليوم بكوم دينار
السيس .

وصبرة في خندف وفي قيس وزار ويمين :
وتى في خندف في بنى جعفر الطيار بنو صبرة

ابن جعفر بن داود بن محمد بن جعفر بن
إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر
ابن أبى طالب فخذ ، والتي في قيس بنو صبرة
ابن بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد
ابن قيس بن خيلان فخذ ، وأما التي في زرار
ففى شيان بنو صبرة بن عوف بن محكم بن
ذهل بن شيان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب
ابن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هب
ابن دهمس بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن زرار
فخذ .

وأما التي في بن قفى لحم وجذام : فأما
التي في لحم فبنو صبرة بن بطيخ بن مغالة بن
دعجان بن عيث بن كليب بن أبى الحارث بن
عمرو بن ربيعة بن جدس بن أريش بن أراش
ابن جديلة بن لحم ، وأما التي في جذام فبنو
صبرة بن نصيرة بن غطفان بن سعد بن أناس
ابن حرام بن جذام ، وأبوه يرجع المصيريون ،
وهم بالشام ، والله تعالى أعلم .

« بركة فرموط » : هذه البركة فيما بين
القوق والمقس . كانت من جملة بستان ابن
ثعلب . فلما حفر ملك الناصر محمد بن
قلاوون الخليج الناصرى من موردة البلاط ،
رمى ما خرج من الطين في هذه البركة ، وبنى
الناس الدور على الخليج ، فصارت البركة من
ورائها ، وعرفت تلك الحطة كلها ببركة
فرموط .

وأدركنا بها ديارا جليلة تنامى أربابها في
لحكام بنائها وتحسين مقوفها ، وبالقوا في
زخرفتها بالرخام والدهان ، وغرسوا بها
الأشجار ، وأجروا إليها المياه من الآبار ،

فكانت تعد من المساكن البتة التزهة . واكثر
من كان يسكنها الكتاب مسلموهم ونصاراهم
وهم في الحقيقة المترفون أولو النعمة ، فكم
حوت تلك الديار من حسن ومستحسن .

وانى لأذكرها وما مررت بها قط إلا وبيعت
لى من كل دار هناك آكار التهم : أما روائع
نقالي المطابخ ، أو غير بخور المود والتد ، أو
نعمات الخمر ، أو صوت فناء ، أو دق
هاون ، ومع ذلك ما بين عن طرف سكان
تلك الديار ورقاعة هيشهم وغضارة لسمهم .
ثم هى الآن موحشة خراب ، قد هدمت تلك
النازل ، ويبت أبقاضها منذ كانت الحوادث
بعد سنة ست وثمانمائة . فزالت الطرق ،
وجعلت الأزقة ، وانكسفت البركة ، وبقي
حولها بساتين خراب .

وبلغنى أن المراكب كانت تعبر إلى هذه
البركة للتزهة ، وما أحب ذلك كان ، فأما
كانت من جملة البستان ، ولم ينقل أنه كان
بقربها خليج سوى الخور ، ويعد أن يصل
إليها . والله أعلم .

وقرموط هذا هو أمين الدين قرموط ،
مستوفى الخزانة السلطانية .

« بركة قرايا » : هذه البركة خارج
الحينة قريبا من الخندق . عرفت بالأمير
زين الدين قراجا التركمانى ، أحد أمراء
مصر ، أنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد
ابن قلاوون بالأمرة في سنة سبع عشرة
وسبعائة .

« البركة الناصرية » : هذه البركة من
جملة جنان الزهرى . فلما خربت جنان

الزهرى ، صار موضعها كوم تراب . الى ان
اتى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون
ميدان المعارى فى سنة عشرين وسبعمائة ،
واراد بناء الزوية بجانب الجامع الطيرسى ،
لحاج فى بنائها الى مين . فركب وعين مكان
هذه البركة ، وأمر الفخر ناظر الجيش فكتب
أوراقا بأسماء الأمراء ، وانتدب الأمير يبرس
الحاجب . فنزل بالمهندسين ، فقاموا دور
البركة ، ووزع على الأمراء بالأقصاب ، فقتل
كل أمير وضرب خيمة لعل ما ينصه .

فابتدأوا العمل فى يوم الثلاثاء تاسع عشر
شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين
وسبعمائة . فتأدى الحفر الى جانب كية
الزهرى - وكان لاذك فى تلك الأرض عدة
كنائس ، ولم يكن هناك شئ من المائر التى
هى اليوم حول البركة الناصرية ، ولا من
المائر التى فى خط قاطر السباع ، ولا فى
خط السبع سقايات الى قنطرة البد ، وإنما
كانت بساتين وكنائس ودبورة للنصارى -
فاستولى الحفر على ما حول كية الزهرى ،
وصارت فى وسط الحفر حتى تطلت .

وكان القصد أن تسقط من غير قصد
هدمها . فأراد الله تعالى هدمها على يد العامة ،
كما ذكر فى خبرها عند ذكر كنائس النصارى
من هذا الكتاب .

فلما تم حفر البركة نقل ما خرج منها من
الطين الى الزية ، وأجرى إليها الماء من جوار
الميدان السلطانى الكائن بأرضي بستان
الخشاب عند موردة البلاط . فلما امتلأت

بالماء صارت مساحتها سبعة أفدنة ، فحسرو
الناس ما حولها ، وبنوا عليها الدور المطيعة .
وما يرح خط البركة الناصرية عامرا . الى أن
كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة ،
فشرع الناس فى هدم ما عليها من الدور ، فهدم
كثير ما كان هناك ، والهدم مستمر الى يومنا
هذا .

ذكر الجسور

الجسر - بفتح الجيم - الذى تسميه
العامة جسرا ... عن ابن دريد . وقال الخليل :
الجسر والجسر لفتان ، وهو القنطرة ونحوها
ما يعبر عليه .

وقال ابن سيده : والجسر الذى يعبر عليه ،
والجمع القليل أجسر ... قال :

ان فراخا كفراخ الأوكر
بأرض بغداد وراء الأجر

والكثير جسور .

« جسر الأفرم » : هذا الجسر بظاهر مدينة
مصر ، فيما بين المدرسة المعزية برحلة الحناء
قبلى مصر وبين رباط الآثار النبوية . كان
موضعه فى أول الاسلام غامرا بماء النيل ، ثم
انصر عنه الماء فصار فضاء الى بحرى الخليج
بنى وأئل ، ثم ابتنى الناس فيه مواضع ، وكان
هناك الهرى قريبا من الخليج . ثم صار
موضع جسر الأفرم هذا ترعة يدخل منها ماء
النيل الى البركة الشعبية .

فلما استأجر الأمير عز الدين إيبك الأفرم
بركة الشعبية ، وجعلها بستانا كما تقدم ذكره

فى البرك ، ردم هذه التربة ، وبنى حيطان
البستان وجسر عليه ، فأقام على ذلك سنين .
ثم لما استأجر أرض البركة - بعدما غرسها
بالأشجار - اجارة ثانية ، اشترط البناء على
ثلاثة أفدنة فى جانب البستان الغربى وفدان
فى جانبه البحرى ، ونادى فى الناس بتحكيه ،
وأرخص سعر الحكر ، وجعل حكر كل مائة
ذراع عشرة دراهم .

فهرع الناس اليه ، واحتكروا مئة المواضع ،
وبنوا فيها الدور المطلة على النيل . فاستغنى
بالمائر عن عمل الجسر فى كل سنة بين البحر
والبستان الذى أنشأه ، وبقي اسم الجسر
عليه الى يومنا هذا . الا أن الأدر التى كانت
هناك خربت منذ انطرد النيل عن البر الغربى ،
بعدما بلغ ذلك الخط الغاية فى العساة ، وكان
سكن الوزراء والأعيان من الكتاب وغيرهم .

« الجسر الأعظم » : هذا الجسر فى زماننا
هذا قد صار شارعا ملوكا يشى فيه من
الكباش الى قناطر السباع . وأصله جسر
يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل ، وبينهما
سرب يدخل منه الماء ، وعليه أحجار يراها من
يمر هناك ، وبلغنى أنه كان هناك قنطرة
مرتفعة . فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن
قلاوون الميدان السلطانى عند موردة البلاط ،
أمر بهدم القنطرة فهدمت ، ولم يكن اذ ذاك
على بركة الفيل من جهة الجسر الأعظم مبان ،
وانما كانت ظاهرة يراها المار . ثم أمر السلطان
بممل حائط قصير بطولها ، فأقسم الحائط
وصغر بالطين الأصفر ، ثم حدثت الدور
هناك .

« الجسر بأرض الطالة » : هذا الجسر
يفصل بين بركة الرطلى وبين الخليج *
الناصرى . أقامه الأمير الوزير سيف الدين
بكتصر الحاجب ، فى سنة خمس وعشرين
وسبعمائة لما انتهى حفر الخليج الناصرى ،
وأذن للناس فى البناء عليه . فحكر وبيت
فوقه الدور ، فصارت تشرف على بركة الرطلى
وعلى الخليج ، وتجتمع العامة تحت مناظر
الجسر ، وتمر بحافة الخليج للترعة . فكثرت
اغتياب غوغاء الناس وفساقهم بهذا الجسر الى
اليوم . وهو من أنزه فرج القاهرة ، لولا ما
عرف به من القاذورات الفاحشة .

« الجسر من بولاق الى منية الشيرج » :
كان السبب فى عمل هذا الجسر أن ماء النيل
توت زيادته فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة
حتى أخرج من ناحية بستان الخشاب ، ودخل
الماء الى جهة بولاق ، وقاض الى باب اللوق
حتى اتصل بباب البحر وبساتين الخضور .
فهدمت عدة دور كانت مطلة على البحر وكثير
من بيوت الحكورة ، وامتد الماء الى ناحية
منية الشيرج .

فقام الفخر ناظر الجيش بهذا الأمر ، وعرف
السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أنه
متى غفل دخل الماء الى القاهرة وغرق أهلها
ومساكنها . فركب السلطان الى البحر ومعه
الأمراء ، فرأى ما هاله ، وفكر فيما ينفذ ضرر
النيل عن القاهرة ، فاقضى رأيه بعمل جسر
عند نزول الماء ، وانصرف .

فقرت الزيادة ، وقاض الماء على منشأة
المهراني ومنشأة الكتبة ، وغرق يساتين بولاق
والجزيرة حتى صار ما بين ذلك ملقة واحدة .
وركب الناس المراكب للقرجة ، ومروا بها تحت
الأنجار ، وصاروا يتناولون التار بأيديهم
وهم في المراكب . فتقدم السلطان لتسولي
القاهرة ومتولى مصريي الأعوان في القاهرة
ومصر لرد الحير والجمال التي تنقل التراب
الى الكيمان ، وألزمهم بالقاء التراب بناحية
بولاق . ونودي في القاهرة ومصر : من كان
عنده تراب ، فليرمه بناحية بولاق وفي الأماكن
التي قد علا عليها الماء .

فأهتم الناس من جهة زيادة الماء اهتماما
كبيرا ، خوفا أن يغرق الماء ويدخل الى
القاهرة . وألزم أرباب الأملاك التي ببولاق
والخور والمناشيء أن يقف كل واحد على
اصلاح مكانه ، ويحترس من عبور الماء على
غفلة . فتطلب كل أحد من الناس القعلة من
غوغاء الناس لنقل التراب ، حتى عسدت
الحرافيش ، ولم تكن توجد لكثرة ما أخذهم
الناس لنقل التراب ورميه . وتضررت الأدر
القرية من البحر بنزها ، وغرقت الأقباص
والقلقاس والنيلة وسائر الدوايت التي بأعمال
مصر .

فلما انقضت أيام الزيادة ، ثبت الماء ولم
ينزل في أيام ثروله . ففسدت مطامير القلات
ومخازنها وشوها ، وتحسن سعر السكر
والعسل ، وتأخر الزرع عن أوانه لكثرة ما
مكث الماء . فكتب لولاة الأعمال بكسر الترع

والجسور كي ينصرف الماء عن أراضي الزرع
الى البحر الملح ، واحتاج الناس الى وضع
الخراج عن يساتين بولاق والجزيرة ،
ومسامحتهم بنظر ما قد من الفرق ،
وفسدت عدة يساتين الى أن أذن الله تعالى
بنزول الماء ، فسقط كثير من الدور .

وأخذ السلطان في عمل الجسور ،
واستدعى المهندسين ، وأمرهم بإقامة جسر
يصد الماء عن القاهرة خفية أن يكون نيل
مثل هذا ، وكتب بإحضار خولة البلاد . فلما
تكاملوا أمرهم ، فساروا الى النيل وكشفوا
الساحل كله ، فوجدوا ناحية الجزيرة مسا
بلى المنية قد صارت أرضها وطينة ، ومن هناك
يخاف على البلد من الماء .

فلما عرفوا السلطان بذلك ، أمر بالزام من
له دار على النيل بمصر أو منشأة المهراني أو
منشأة الكتبة أو بولاق ، أن يعمر قدامها على
البحر زرية ، وأنه لا يطلب منهم عليها حكر ،
ونودي بذلك ، وكتب مرسوم بمسامحتهم من
الحكر عن ذلك . فشرع الناس في عمل
الزرايين ، وتقدم الى الأمراء بطلب فلاحي
بلادهم ، وإحضارهم بالقر والجراريف لعمل
الجسر من بولاق الى منية الشيرج .

ونزل المهندسون فقاموا الأرض ، وفرضوا
لكل أمير أقصاها معينة ، وضرب كل أمير
خيته ، وخرج لمباشرة ما غلبه من العمل .

فقاموا في عمله عشرين يوما حتى فرغ ،
ونصب عندهم الأسواق . فجاء ارتفاعه من
الأرض أربع قصبات في عرض ثمانين
قصبات ، فانتفع الناس به انتفاعا كبيرا .

وقدر الله سبحانه وتعالى أن الزرع في تلك
السنة حسن الى الغاية ، وأفلح فلاحا عجيبا ،
وانحط السعر لكثرة ما زرع من الأراضي
وخصب السنة .

وكان قد اتفق في سنة سبع عشرة وسبعمئة
غرق ظاهر القاهرة أيضا . وذلك أن النيل وفي
سنة عشر ذراعا في ثالث عشر جمادى الأولى
— وهو التاسع والعشرون من شهر ايب ،
أحد شهور القبط — ولم يعهد مثل ذلك ،
فان الأيال البدرية يكون وفاؤها في العشر
الأول من مري .

فلما كسر سد الخليج ، توقفت الزيادة مدة
أيام ، ثم زاد وتوقف الى أن دخل تاسع ثوت
والماء على سبعة عشر ذراعا وتسعة أصابع .
ثم زاد في يوم تسعة أصابع ، واستمرت الزيادة
حتى صار على ثمانية عشر ذراعا وستة
أصابع . ففاض الماء ، واقطع طريق الناس
فيما بين القاهرة ومصر وفيما بين كوم الريش
والمنية ، وخرج من جانب المنية وغرقها .
فكتب بفتح جميع الترع والجسور بسائر
الوجه القبلي والبحري ، وكسر بحر أبي
المنجا ، وفتح سد بليس وغيره قبل
عيد الصليب ، وغرقت الأقباص والزراعات
الصيفية .

وعم الماء ناحية منية الشيرج وناحية شبرا ،
فخربت الدور التي هناك ، وتلف للناس مال
كثير : من جملة زيادة على ثمانين ألف جرة
خمر فارغة تكسرت في ناحية المنية وشبرا عند

(*) من ١٦٦٠ ج ٢ ، ط بولاق .

هجوم الماء ، وتلفت مطامير القلة من الماء حتى
بيع قدح القمح بفلس — والفلس يومئذ جزء
من ثمانية وأربعين جزءا من درهم — وصار
من بولاق الى شبرا بحرا واحدا تمر فيه
المراكب للنزهة في يساتين الجزيرة الى شبرا ،
وتلفت القواكه والمشومات ، وقتل الخضر
التي يحتاج اليها في الطعام ، وغرقت منشأة
المهراني .

وقاض الماء من عند خاتماه وعلان ، وأفسد
بستان الخشاب ، واتصل الماء بالجزيرة التي
تعرف بجزيرة الفيصل الى شبرا ، وغرقت
الأقباص التي في الصعيد ، فان الماء أقام عليها
سنة وخسين يوما ، فمصرت كلها صلا فقط ،
وخربت سائر الجسور وعلاها الماء ، وتأخر
هبوطه عن الوقت المعتاد ، فسقطت عدة دور
بالقاهرة ومصر ، وفسدت منشأة الكتاب
المجاورة لمنشأة المهراني ... فلذلك عمل
السلطان الجسر المذكور خوفا على القاهرة من
الغرق .

« الجسر بوسط النيل » : وكان سبب عمل
هذا الجسر أن ماء النيل قوى رمية على ناحية
بولاق ، وهدم جامع الخطيرى ، ثم جدد
وقوت عمارته وتيار البحر لا يرداد من ناحية
البر الشرقى الا قوة . فأهم الملك الناصر
أمره ، وكتب في سنة ثمان وثلاثين وسبعمئة
بطلب المهندسين من دمشق وحلب والبلاد
الفراتية ، وجمع المهندسين من أعمال مصر
كلها قبليها وبحريها .

فلما تكاملوا عنده ، ركب بمساكره من
قلعة الجبل الى شاطئ النيل ، ونزل في

الحراقة وبين يديه الأمراء وسائر أرباب الخبرة من المهندسين وخولة الجسور ، وكشف أمر شطوط النيل . فاقضى الحال أن يعمل جسرا فيما بين بولاق وناحية أنبوية من البر الغربي ، ليرد قوة التيار عن البر الشرقي إلى البر الغربي

وعاد إلى القلعة . فكتبت مراسيم إلى ولاية الأعمال بإحضار الرجال صلبة المشدين ، واستدعى شاد العمار السلطانية ، وأمره بطلب الحجارين وقطع الحجر من الجبل ، وطلب رئيس البحر وشاد الصناعة لإحضار المراكب . فلم يمس سوى عشرة أيام حتى تكامل حضور الرجال مع الشادين من الأقاليم .

وتذنب السلطان لهذا العمل الأمير أقبغا عبد الواحد والأمير برصفا الحاجب فبرزا لذلك . وأحضر وإلى القاهرة ووالى مصر ، وأمرا بجمع الناس وتسخير كل أحد للعمل . فركبا وأخذوا الحرافيش من الأماكن المعروفة بهم ، وقبضا على من وجد في الطرقات وفي المساجد والجوامع ، وتبعاهم في الأسواق .

ووقع الاهتمام الكبير في العمل من يوم الأحد عاشر ذي القعدة — وكانت أيام القيظ — فهلك فيه عدة من الناس ، والأمير أقبغا في الحراقة يستحث الناس على إنجاز العمل ، والمراكب تحمل الحجر من القصر الكبير إلى موضع الجسر .

وفى كل قليل يركب السلطان من القلعة ، ويقف على العمل ، ويهين أقبغا ويستهبه ويستحبه . حتى تم العمل للتصف من ذي الحجة .

وكانت عدة المراكب التي غرقت فيه وهي منحوتة بالحجارة اثني عشر مركبا ، كل مركب منها تحمل ألف أردب غلة . وعدة المراكب التي ملئت بالحجر حتى هدم وصار جسرا ثلاثة وعشرون ألف مركب ، سوى ما عمل فيه من آلات الخشب والسرقات .

وحفر في الجزيرة خليج وطى . فلما جرى النيل في أيام الزيادة مر في ذلك الخليج ، ولم يتأثر الجسر من قوة التيار ، وصارت قوة جرى النيل من ناحية أنبوية بالبر الغربي ومن ناحية التكرورى أيضا . فسر السلطان بذلك ، وأعجبه إعجابا كثيرا . وكان هذا الجسر سبب انطراد الماء عن بر القاهرة حتى صار إلى ما صار إليه الآن .

« الجسر فيما بين الجزيرة والروضة » : كان السبب المقضى لعمل هذا الجسر أن الملك الناصر لما عمل الجسر فيما بين بولاق وناحية أنبوية وناحية التكرورى ، انطرد ماء النيل عن بر القاهرة ، وانكشفت أراض كثيرة ، وصار الماء يخاض من بر مصر إلى المقياس ، وانكشف من قبالة منشأة المهراني إلى جزيرة القيل وإلى منية الشيرج ، وصار الناس يجدون مشقة لبعد الماء عن القاهرة ، وغلت روايا الماء حتى بيعت كل راوية بدرهمين بعدما كانت بنصف وربع درهم .

فشكا الناس ذلك إلى الأمير أرغون العلاني ، وإلى السلطان الملك الكامل شعبان ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون . فطلب المهندسين ورئيس البحر ، وركب السلطان بأمرائه من القلعة إلى شاطئ النيل ، فلم

يتبأ عمل لما كان من ابتداء زيادة النيل ... إلا أن الرأي اقتضى نقل التراب والشقاف من مطابخ السكر التي كانت بمصر ، والقاء ذلك بالروضة لعمل الجسر .

فنقل شيء عظيم من التراب في المراكب إلى الروضة ، وعمل جسر من الجيزة إلى نحو المقياس في طول نحو ثلثي ما بينهما من المسافة فعاد الماء إلى جهة مصر عودا يسيرا ، وعجزوا عن إيصال الجسر إلى المقياس لقلعة التراب ، وقويت الزيادة حتى علا الماء الجسر بأسره . واتفق قتل الملك الكامل بعد ذلك ، وسلطنة أخيه الملك المنظر حاجي بن محمد بن قلاوون أول جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمئة .

فلما دخلت سنة ثمان وأربعين ، وقف جماعة من الناس للسلطان في أمر البحر ، واستغاثوا من بعد الماء وانكشاف الأراضي من تحت البيوت وغلاء الماء في المدينة ، فأمر بالكشف عن ذلك .

فنزل المهندسون ، واتفقوا على إقامة جسر ليرجع الماء عن بر الجزيرة إلى بر مصر والقاهرة وكتبوا تقدير ما يصرف فيه مائة وعشرين ألف درهم فضة . فأمر بجبايتها من أرباب الأملاك التي على شط النيل ، وأن يتولى القاضي ضياء الدين يوسف بن أبي بكر المحتسب جبايتها واستخراجها .

فقيست الدور ، وأخذ عن كل ذراع من أراضيها خمسة عشر درهما . وتولى قياسها أيضا المحتسب ووالى الصناعة ، فبلغ قياسها

سبعة آلاف وستمئة ذراع ، وجبى نحو السبعين ألف درهم . فاتفق عزل الضياء عن الحبة ونظر المارستان المنصوري ونظر الجوالي ، وولاية ابن الأطروش مكانه ، ثم قتل الملك المنظر وولاية أخيه الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون سلطنة مصر بعده في شهر رمضان منها .

فلما كان في سنة تسع وأربعين وسبعمئة ، وقع الاهتمام بعمل الجسر . فنزل الأمير بلبغا أروس نائب السلطنة ، والأمير منجك الأستاذار — وكان قد عزل من الوزارة — والأمير قيلاي الحاجب ، وجماعة من الأمراء ومعهم عدة من المهندسين إلى البحر في الحرايق والمراكب إلى بر الجزيرة ، وقاسوا ما بين بر الجزيرة والمقياس ، وكتب تقدير المصروف : نحو المائة والخمسين ألف درهم ، وألف خشة من الخشب ، وخمسمئة صار ، وألف حجر في طول ذراعين وعرض ذراعين ، وخمسة آلاف شفة ، وغير ذلك من أشياء كثيرة .

فركب النائب والوزير والأمير شيخو والأمراء إلى الجزيرة ، وأعادوا النظر في أمر الجسر ومعهم أرباب الخبرة . فالتزم الأمير منجك بعمل الجسر ، وأن يتولى جباية المصروف عليه من سائر الأمراء والأجناد والكتاب وأرباب الأملاك بحيث أنه لا يبقى أحد حتى يؤخذ منه .

فرسم لكتاب الجيش بكتابة أسماء الجند ، وقرر على كل مائة دينار من الاقطاعات درهم واحد ، وعلى كل أمير من خمسة آلاف درهم

الى أربعة آلاف درهم ، وعلى كل كاتب أمير
ألف مائتا درهم ، وكاتب أمير المبلغات
مائة درهم ، وعلى كل حانوت من حوالت
التجار درهم ، وعلى كل دار درهمان .

وعلى كل بستان القذاذ من عشرين درهما
الى عشرة دراهم ، وعلى كل طاحون خمسة
دراهم عن الحجر ، وعلى كل صهرج في قرية
بالقرافة أو في ظاهر القاهرة أو في مدرسة من
عشرة دراهم الى خمسة دراهم ، وعلى كل
تربة من ثلاثة دراهم الى درهمين ، وعلى
أصحاب المقاعد والمتعشين في الطرقات شيء .

وكشفت البساتين والدور التي استجدت
من بولاق الى منية النيرج ، والتي استجدت
في الحكورة ، والتي استجدت على الخليج
الناصري وعلى بركة الحاجب وفي حكر أخى
ماروجا . وقيت أراضيها كلها ، وأخذ عن
كل ذراع منها خمسة عشر درهما ، وأخذ عن
كل قمين من أقنة الطوب شيء ، وعن كل
فاخورة من القواخير شيء .

وفرض على كل وقف بالقاهرة ومصر
والقراطين ، من الجوامع والمساجد والخوانك
والزوايا والربط ، شيء .

وكتب الى ولاية الأعمال بالجباية من ديورة
النصارى وكنائسهم من مائتى درهم الى مائة
درهم ، وقرر على القنادق والخانات التي
بالقاهرة ومصر شيء . وقرر على ضامنة
الإغاني مبلغ خمسين ألف درهم . وأقيم لكل
جهة شاد وصيرفي وكتاب وفير ذلك من
المستحقين من الأعوان .

فنزول من ذلك بالناس بلاه كبير وشدة
عظيمة . فانه أخذ حتى من الشيخ والمعجوز
والأرملة ، وجبى المال منهم بالعنف . وأبطل
كثير منهم سببه لسميه في الغرامة ، ودمى
الناس مع الغرامة بتسلط الظلمة من العرفاء
والفضائل والرسول . فكان يفرم كل أحد
للقباض والشاد والصيرفي والشهود - سوى
ما قرر عليه - جملة دراهم . فكثير كلام
الناس في الوزير ، حتى صاروا يلهمجون
بقولهم : هذه سخطة مرمصة نزلت من السماء
على أهل مصر . وقاسوا شدة أخرى في
تحصيل الأصناف التي يحتاج اليها

ونزل الوزير منجك ، وضرب له خيمة على
جانب الروضة ، ونادى في الحرافيش والفعلة
و من أراد العمل يحضر ، ويأخذ أجرته درهما
ولصفا وثلاثة أرغفة .

فاجتمع اليه عالم كثير ، وجعل لهم شيئا
يستقلون به من حر الشمس ، وأحسن اليهم ،
ورتب عدة مراكب لنقل الحجر ، وأقام عدة
من الحجارين في الجبل لقطع الحجر ، وجبالا
وحيرا تنقلها من الجبل الى البحر ، ثم تحمل
من البر في المراكب الى بر الجزيرة .

وابتدأ بعمل الجسر من الروضة الى ساقية
علم الدين بن زليور ، وعادته بجسر آخر من
بستان التاج اسحاق الى ساقية ابن زليور ،
وأقام أخشابا من الجنتين ، وردم بينهما
بالتراب والحجر والحلقاء ، ورتب الجمال
السلطانية لقطع الطين من بر الروضة وحمله

الى وسط الجسر ، وأمر ألا يبقى بالقاهرة
ومصر صانع الا حضر العمل ، وألزم من كان
بالقرب من داره كوم تراب أن ينقله الى
الجسر . ففرم كل واحد من الناس في نقل
التراب من ألف * درهم الى خمسمائة
درهم . وكان كل ما ينقل في المراكب من
الحجر وغيره يرمى في وسط جسر المقياس ،
وتحمله الجمال الى الجسر .

ثم اقتضى الرأي حفر خليج بجري الماء فيه
عند زيادة النيل لتضعف قوة التيار عن
الجسر . فأحضرت الأبقار والجراريف والرجال
لأجل ذلك ، وابتدأوا حفره من رأس موردة
الحلقاء تحت الدور الى بولاق ، وكانت الزيادة
قد قرب أوانها ، فما انتهى الحفر حتى زاد ماء
النيل وجرى فيه ، فر الناس به سرورا
كثيرا ، وانتهى عمل الجسر في أربعة أشهر .

الا أن الشناعة قوت على الوزير ، وبلغ
الأمراء النائب ما يقال عن منجك من كثرة
جباية الأموال . فحدثه في ذلك ومنعه . فاعتذر
بأنه لم يسخر أحدا ، ولا استعمل الناس الا
بالأجرة ، وأن في هذا العمل للناس عدة منافع
وما على من قول أصحاب الأغراض الفاسدة
ونحو ذلك ، وتمادى على ما هو عليه .

فلما جرى الماء في الخليج الذي حفر تحت
البيوت من موردة الحلقاء الى بولاق ، مرت
فيه المراكب بالناس للفرجة ، واحتاج منجك
الى نقل خيمته من بر الروضة الى بر الجزيرة ،
وأحضر المراكب الكبار وملاها بالحجارة ،
وغرق منها عشرة مراكب في البحر ، وردم

(*) من ١٦٨ ج ٢ ، ط . بولاق .

التراب عليها الى أن كمل نحو ثلثي العمل ،
فقوت زيادة الماء ، وبطل العمل .

فلما كثرت الزيادة ، جمع منجك الحرافيش
والأسرى ، وردم على الجسر التراب وقواه .
فتحامل الماء عن البر الغربي الى البر الشرقي ،
ومر من تحت الميدان السلطاني وزريعة
قوصون الى بولاق ، فصار معطيه من هذه
المواضع ، وحصل الغرض بكون الماء بالقرب
من القاهرة . وانتهى طول جسر منجك الى
مائتين وتسعين قصبة في عرض ثمان قصبات
وارتفاع أربع قصبات . والجسر الذي من
الروضة الى المقياس طوله مائتان وثلاثون
قصبة . وعدة ما رمى في هذا العمل من
المراكب المشحونة بالحجر اثنا عشر ألف مركب
سوى التراب وغير ذلك .

وكان ابتداء العمل في مستهل المحرم ،
وانتهائه في سلخ ربيع الآخر . ولم تنحصر
الأموال التي جبيت بسببه ، فانه لم يبق
بالقاهرة ومصر دار ولا فندق ولا حمام ولا
طاحون ولا وقف جامع أو مدرسة أو مسجد
أو زاوية ولا رزقة ولا كنيسة ، الا وجبى
منه . فكان الرجل الواحد يفرم العشرة
دراهم ، ومن خصه درهمان يحتاج الى غرامة
أمثالهما وأضعافهما . وناهيك بما ليجبى من
الديار المصرية على هذا الحكم كثرة .

وقد بقيت من جسر منجك هذا بقية ، هي
معروفة اليوم في طرف الجزيرة الوسطى .

« جسر الخليلي » : هذا الجسر فيما بين
الروضة من طرفها البحرى وبين جزيرة أروى ،

المروفة بالجزيرة الوسطى ، تجاه الخور .
وكان سبب عمله أن النيل لما قوى رمى تياره
على بر القاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن
قلاوون ، وقام في عمل الجسر ليصير رمى
التيار من جهة البر الغربى كما تقدم ذكره ،
انطرد الماء عن بر القاهرة ، وانكشف ما تحت
الدور من منشاء المهرالى الى منية الشيرج .

وعمل منجك الجسر الذى مر ذكره ليعود
الماء فى طول السنة الى بر القاهرة ، فلم يتعباً
كما كان أولاً ، وجرى فى الخليج الذى احتره
تحت الدور من موردة الحلفاء بمصر الى
بولاق ، وصار تجاه هذا الخليج جزيرة .
والماء لا يزال ينطرد فى كل سنة عن بر القاهرة
الى أن استبد بتدبير مصر الأمير الكبير
برقوق .

فلما دخلت سنة أربع وثمانين وسبعمائة ،
قصد الأمير جهمار كس الخليلى عمل جسر
ليعود الماء الى بر القاهرة ، ويصير فى طول
السنة هناك ويكثر النفع به ، فيرخص الماء
المحصل فى الروايا ، ويقرب مرسى المراكب
من البلد ، وغير ذلك من وجوه النفع .

فشرع فى العمل أول شهر ربيع الأول ،
وأقام الخوازيق من خشب السط ، طول كل
خازوق منها ثمانية أذرع ، وجعلها صفيين فى
طول ثلثمائة قصبة وعرض عشر قصبات ،
وسم فيها أفلاق النخل الممتدة ، وألقى بين
الخوازيق تراباً كثيراً ، واتصب هناك بنفسه
وماليكه ، ولم يجب من أحد مالا أبسة .

فانتهى عمله فى أخريات شهر ربيع الآخر ،
وحفر فى وسط البحر خليجاً من الجسر الى
زريبة قوصون .

وقال شعراء العصر فى ذلك شعراً كثيراً ،
منهم عيسى بن حجاج :

جسر الخليلى المثر لقد رسا
كالطود وسط النيل كيف يريد

فاذا سألتم عنهما قلنا لكم
ذا ثابت دهر ، وذاك يزيد

وقال الأديب شهاب الدين أحمد بن
القطار :

شكت النيل أرضه للخليلى فاحصره
ورأى الماء خائفاً أن يطاها فجسره
وقال :

رأى الخليلى قلب الماء حين طغى
بنى على قلبه جسراً وحيره *

رأى ترمل أرضيه ووحدتها
والنيل قد خاف يفشاها فجسره

ومع ذلك ما ازداد الماء الا انطراداً عن بر
القاهرة ومصر . حتى لقد انكشف بعد عمل
هذا الجسر شيء كثير من الأراضى التى كانت
غامرة بباء النيل ، وبعد النيل عن القاهرة
بعدا لم يعهد فى الاسلام مثله قط .

« جسر شيبين » : أنشأه الملك الناصر
محمد بن قلاوون ، فى سنة سبع وثلاثين
وسبعمائة ، بسبب أن إقليم الشرقية كانت له

(١٦) من ١٦٩٠ هـ ، ط : بولاق .

سدود كلها موقوفة على فتح بحر أبى المنجا ،
وفى بعض السنين تشرق ناحية شيبين وناحية
مرصفاً وغير ذلك من النواحي التى أراضها
عالية ، فشكا الأمير بشتاك من تشرق بعض
بلاده التى فى تلك النواحي .

فركب السلطان من قلعة الجبل ، ومعه
المهندسون وخولة البلاد — وكانت له معرفة
بأمور العمار ، وحسن جيد ، ونظر سميد ،
ورأى مصيب — فسار لكشف تلك النواحي
حتى اتفق رأى على عمل الجسر من عند
شيبين القصر الى بناها العمل . فوقع الشروع
فى عمله ، وجمع له من رجال البلاد اثنى عشر
ألف رجل ومائتى قطعة جرافة ، وأقام فيه
القناطر . فصار محبباً لتلك البلاد ، وإذا فتح
بحر أبى المنجا امتلأت الاملاق بالماء ، وأسند
على هذا الجسر .

وفى أول سنة عمل هذا الجسر أبطل فتح
بحر أبى المنجا تلك السنة ، وفتح من جسر
شيبين هذا . وحصل بهذا الجسر تقع كبير
بلاط العلو ، واستبحر منه عدة بلاد وطينة .
والعمل على هذا الجسر الى يومنا هذا ، والله
أعلم .

« جسر مصر والجزيرة » : اعلم أن الماء فى
القديم كان محيطاً بجزيرة مصر — التى تعرف
اليوم بالروضة — طول السنة . وكان فيما
بين ساحل مصر وبين الروضة جسر من خشب ،
وكذلك فيما بين الروضة وبر الجزيرة جسر من
خشب ، يمر عليهما الناس والدواب من مصر
الى الروضة ، ومن الروضة الى الجزيرة .

وكان هذان الجسران من مراكب مصقفة
بعضها بعضاً بعض وهى موقفة ، ومن فوق
المراكب أخشاب ممتدة فوقها تراب ، وكان
عرض الجسر ثلاث قصبات .

قال القاضي : وأما الجسر فقال بعضهم :
رأيت فى كتاب — ذكر أنه خط أبى عبد الله
ابن فضالة — صفة الجسر وتعطيله وإزالته ،
وأنه لم يزل قائماً الى أن قدم المأمون مصر ،
وكان غريباً . ثم أحدث المأمون هذا الجسر
الموجود اليوم الذى تمر عليه المارة وترجع من
الجسر القديم . فبعد أن خرج المأمون عن
البلد ، أتت ريح عاصف فقطعت الجسر
الغريب ، فصدمت سفنه الجسر المحدث فذهب
جميعاً ، فبطل الجسر القديم وأثبت الجديد .
ومعالم الجسر القديم معروفة الى هذه الغاية .

وقال ابن زولاق فى كتاب « اتسام أمراء
مصر » : ولعشر خلون من شعبان سنة ثمان
 وخمسين وثلثمائة ، سارت العساكر لقتال
القائد جوهر ، ونزلوا الجزيرة بالرجال
والسلاح والعدة ، وضبطوا الجسرين . وذكر
ما كان منهم ... الى أن قال : فى عبور جوهر
أقبلت العساكر ، فعبرت الجسر أفواجا
أفواجا ، وأقبل جوهر فى فرسانه الى المناخ
موضع القاهرة .

وقال فى كتاب « سيرة المعز لدين الله » :
وفى مستهل رجب سنة أربع وستين وثلثمائة ،
أصلح جسر القسطنطين ، ومنع الناس من
ركوبه ، وكان قد أقام سنين معطلاً .

وقال ابن سعيد فى كتاب « المغرب » :
وذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون متدا من

التسقط الى الجزيرة ، وهو كبح كقول ، ومن الجانب الآخر الى البر الغربي ، المعروف ببر الجزيرة ، يمر آخر من الجزيرة اليه . واكثر يولت الناس بأنفسهم ودوابهم في المراكب ، لأن هذين البحرين قد لحقهما بحولهما في حيز قلعة السلطان ، ولا يجوز أحد على البحر الذي بين التسقط والجزيرة واكبا لحراهما لموضع السلطان ... يعني الملك الصالح نجم الدين أيوب .

وكان رأس هذا البحر الذي ذكره ابن سعيد - حيث للفرسة المروية - من اشياء البحر لحد بن محمد الخروبي الساجر على ساحل مصر ، قبل خط دار النحاس .

وما يرح هذا البحر الى أن خرب الملك المنز أيك التركمان قلعة الروضة ، بعد سنة ثمان وأربعين ومائة ، فاحصل . ثم عمره الملك الظاهر ركن الدين يبرس على المراكب ، وصله من ساحل مصر الى الروضة ، ومن الروضة الى الجزيرة ، لأجل عبور المسكر عليه ما ينفذ حركة الفرنج ، مثل ذلك .

« البحر من قلوب الى ديباط » : هذا البحر أثناء السلطان للملك المظفر ركن الدين يبرس للتصوري - المعروف بالجاشنكير - في الخرب سنة ثمان وسبعائة . وكان من خيره أنه ورد التصديق بموافقة صاحب قبرس عدة من ملوك الفرنج على غزو ديباط ، وأنهم أخذوا ستين قطعة .

فاجتمع الأمراء ، وانفقوا على إنشاء جسر من القاهرة الى ديباط خوفا من حركة الفرنج في أيام النيل ، فيتمتع الوصول الى ديباط .

وعين لسلطان ذلك الأمير أقوش الرومي الصامي ، وكب الأمراء الى بلادهم بخروج الرجال والأبقار ، ورسم للولاة بمساعدة أقوش ، وأن يخرج كل وال الى العمل برجاله معه وأبقارهم . فما وصل أقوش الى ناحية فارسكور ، حتى وجد ولاة ، الأعمال قد حضروا بالرجال والأبقار ، فربب الأمور ، فسل فيه لثلاثة يرافقة بمائة رأس بقرة وثلاثين ألف رجل .

واقم أقوش الحرمة - وكان عبوسا قليل الكلام مهابا الى الغاية - فجند الناس في العمل لكثرة من ضربه بالمقارح ، أو خزم الله ، أو قطع أذنه ، أو أخرق به ... الى أن فرغ في نحو شهر واحد . فجاء من قلوب الى ديباط مائة يومين في عرض أربع فصبات من أعلاه وست فصبات من أسفله ، ومشي عليه ستة رؤوس من الخيل صفا واحدا . فعم التمع به ، وسلك عليه المسافرون بعدما كان يمتلئ السلوك أيام النيل لمسوم الماء والأراض . والله تعالى أعلم .

(وقد وجد بخط المؤلف رحمه الله في أصله هنا ما صورته) :

أمراء الغرب ببيروت بيت حنة ومكارم : مقامهم بجبال الغرب من بلاد بيروت ، ولهم خدم على الناس وتفضيل ، وهم ينسبون الى الحسين بن اسحاق بن محمد التوخي الذي ملحه أبو الطيب المتنبى بقوله :

شدوا بابن اسحاق الحسين فصانحت وقارصا كيزافا والنصارق

(المراد من ١٧ جزء ١ طبع في ١٩٠٧)

ثم كان كرامة بن بجير بن علي بن ابراهيم ابن الحسين بن اسحاق بن محمد التوخي . فهاجر الى الملك العادل نور الدين الشهيد محمود بن زكي ، فأقطعته الغرب وما معه بأمرته ، فمضى أمير الغرب . وكان منشوره بخط العماد الأسفها الى الكاتب .

فتحضر الأمير كرامة بعد البداوة ، وسكن حصن بلجور من نواحي اقطاعه ، ويعملو على تل أعمال بغير بناء . ثم أنشأ أولاده هناك حصنا ، وما زالوا به .

وكان كرامة ثقيل على صاحب بيروت ، وذلك أيام الفرنج ، فأراد أخذه مرارا فلم يجد اليه سبيلا . فأخذ في الحيلة عليه ، وهادن أولاده وسألهم حتى نزلوا الى الساحل ، وألقوا الصيد بالطير وغيره ، فراسلهم حتى صار يصطاد معهم ، وأكرمهم وجباهم وكساهم ، وما زال يستلزمهم مرة بعد مرة ، ثم أخرج ابنه معه وهو شاب ، وقال : قد غرمت على زواجه .

ثم دعا ملوك الساحل وأولاد كرامة الثلاثة فأتوه ، وتأخر أصغر أولاد كرامة مع أمه بالحصن في عدة قليلة . فامتلا الساحل بالشوالي والمدينة بالفرنج ، وتلقوهم بالشمع والأغاني ، فلما صاروا في القلعة ، وجلسوا مع الملوك ، غدر بهم وأمسكهم وأمسك غلمانهم وغرقهم ، وركب بجموعه ليلا الى الحصن .

فأجفل الفلاحون والحريم والصبيان الى الجبال والشمع والكهوف ، وبلغ من بالحصن أن أولاد كرامة الثلاثة قد غرقوا ففتحوه . وخرجت أمهم ومعهما ابنتها حبي بن كرامة

- وعمره سبع سنين - ولم يبق من بينهم سواه . فأدرك السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، وتوجه اليه لما فتح صيدا وبيروت وباس رجله في ركابه . فلمس يده رأسه وقال له : أخذنا نأرك طيب قلبك أنت مكان أميك . وأمر له بكتابة أملاك أبيه بستين فارسا .

فلما كانت أيام المنصور قلاوون ، ذكر أولاد تغلب بن مسر التجاعي أن بيد الخليفة أملاكا عظيمة بغير استحقاق ومن جعلتهم أمراء الغرب . فحملوا الى مصر ، ورسم السلطان باقطاع أملاك الجبلية مع بلاد طرابلس لأمرائها وجنودها ، فأقطعت لعشرين فارسا من طرابلس . فلما كانت أيام الأشرف خليل بن قلاوون قدموا مصر ، وسألوا أن يخدموا على أملاكهم بالعدة ، فرسم لهم وأن يزيدوها عشرة أرماع .

فلما كان الروك الناصري ، ونيابة الأمير تنكز بالشام ، وولاية علاء الدين بن سعيد كشف تلك الجهات ... رسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أن يستمر عليها بستين فارسا ، فاستمرت على ذلك .

ثم كان منهم الأمير ناصر الدين الحسين بن خضر بن محمد بن حبي بن كرامة بن بجير ابن علي ، المعروف بابن أمير الغرب ، فكثرت مكارمه واحسانه وخدمته كل من يتوجه الى تلك الناحية . وكانت اقامته بقرية أعينة بالجبل ، وله دار حنة في بيروت . واتصلت خدمته الى كل غاد ورائح ، وباد الأكابر والأعيان ، مع رياسة كبيرة ، ومعرفة عدة صنائع يتقنها ، وكفاية جييدة ، وترسل وعدة

قصائد . ومولده في محرم سنة ثمان وستين
وستائة ، وتوفي للنصف من شوال سنة
أحدى وخسين وسبعائة . انتهى ؟

(ووجد بخطه أيضا من أخبار اليمن ما
مثاله) :

كان ابتداء دولة بني زياد : أن محمد بن
إبراهيم بن عبد الله بن زياد سلمه المأمون ،
مع عدة من بني أمية ، إلى الفضل بن سهل
ابن ذي الرياستين . فورد على المأمون اختلال
اليمن ، فأثنى الفضل على محمد هذا ، فبعث
المأمون أميرا على اليمن ، فحج ومضى إلى
اليمن ، وتبع بها من بعد معارضة العرب ،
وملك اليمن ، وبني مدينة زيد في سنة
ثلاث ومائتين ، وبث مولاه جعفرا بهدية
جيلة إلى المأمون في سنة خمس ، وعاد إليه
في سنة ست ومعه من جهة المأمون ألفا
فارس .

فقتل ابن زياد وملك جميع اليمن ، وقلد
جعفرا الجبال ، وبني بها مدينة الدمجرة .
فظهرت كثافة جعفر لكثرة دهائه ، فقتله ابن
زياد ، ثم مات محمد بن زياد . فملك بعده
ابنه إبراهيم ، ثم ملك بعده ابنه أبو الجيش
اسحاق بن إبراهيم ، وطالت مدته ، ومات
سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، وترك مقلدا
اسمه زياد . فأقيم بعده ، وكنى أخته هند
ابنة اسحاق ، وتولى معها رشيد عبد أبي
الجيش حتى مات .

(٥) من ١٧١ جزء ٢ ط. بولاق

فولي بعد رشيد عبده حسين بن سلامة
— وكان عفيفا — فوزر لهند ولأخيهما حتى
ماتا .

ثم انتقل الملك إلى مقل من آل زياد ، وقام
بأمره عتة وعبد لحين بن سلامة اسمه
مرجان ، وكان لمرجان عبدان قد تغلبا على
أمره — يقال لأحدهما قيس ، وللآخر
نجاح — فتافسا على الوزارة ، وكان قيس
عسوقا ونجاح رقيقا ، وكان مرجان سيدهما
يبيل إلى قيس ، وعمة الطفل تبيل إلى نجاح .
فشكا قيس ذلك إلى مرجان ، فقبض على
الملك الطفل إبراهيم وعلى عتة تملك ، فبني
قيس عليهما جدارا . فكان إبراهيم آخر ملوك
اليمن من آل زياد ، وكان القبض عليه وعلى
عتة سنة سبع وأربعمائة . فكانت مدة بني
زياد مائتي سنة وأربعا وستين سنة .

فمظم قتل إبراهيم وعتة تملك على نجاح ،
وجمع الناس ، وحارب قيسا يزيد حتى قتل
قيس ، وملك نجاح المدينة في ذي القعدة سنة
اثنى عشرة ، وقال لسيده مرجان : ما فعلت
بمواليك ومواليينا .

فقال : هم في ذلك الجدار .
فأخرجهما وصلى عليهما ودفنهما ، وبني
عليهما مسجدا ، وجعل سيده مرجان موضعهما
في الجدار ، ووضع معه جثة قيس ، وبني
عليهما الجدار .

واستبد نجاح بمملكة اليمن ، وركب
بالمظلة ، وضربت السكة باسمه . ونجاح مولى
مرجان ، ومرجان مولى حسين بن سلامة ،
وحسين مولى رشيد ، ورشد مولى بني زياد .
ولم يزل نجاح ملكا حتى مات سنة اثنى

وخمسين وأربعمائة ... ستمه جارية أهداها
إليه الصليحي . وترك من الأولاد عدة ، فملك
منهم سعيد الأحول وأخوته عدة سنين حتى
استولى عليهم الصليحي ، فهربوا إلى دهلوك .

ثم قدم منهم جياش بن نجاح إلى زيد
متكررا ، وأخذ منها وديعة وعاد إلى دهلوك .
فقدمها أخوه سعيد الأحول بعد ذلك واختفى
بها ، واستدعى أخاه جياشا ، وسارا في سبعين
رجلا يوم التاسع من ذي القعدة سنة ثلاث
وسبعين ، وقصدوا الصليحي وقد سار إلى
الحج ، فوافوه عند بئر أم معبد ، وقتلوه في
ثاني عشر ذي القعدة المذكور ، وقتل معه
ابنه عبد الله واحتز سعيد رأسيهما ، واحتاط
على امرأته أسماء بنت شهاب ، وعاد إلى زيد
ومعه أخوه جياش ، والرأسان بين أيديهما على
هودج أسياء ، وملك اليمن .

فجمع المكرم ابن أسياء ، في سنة خمس
وسبعين ، وسار من الجبال إلى زيد وقتل
سعيدا ، ففر سعيد ، وملك المكرم — واسه
أحمد — وأزول رأس الصليحي وأخيه
ودفنهما ، وولي زيد خاله أسعد بن شهاب ،
وماتت أسماء أمه بعد ذلك في صماء سنة
سبع وسبعين . ثم عاد ابن نجاح إلى زيد ،
وملكها في سنة تسع وسبعين ، ففر أحمد
ابن شهاب . ثم غلبها أحمد المكرم بن علي
الصليحي ، وقتل سعيد بن نجاح في سنة
أحدى وثمانين ، وفر أخوه جياش إلى الهند .
ثم عاد وملك زيد في سنة أحدى وثمانين
المذكورة ، فولدت له جاريته الهندية ابنة
الفاتك بن جياش .

وبقي المكرم في الجبال يغير على بلاد
جياش ، وجياش يملك تهامة حتى مات آخر
سنة ثمان وتسعين . فملك بعده ابنه فاتك .
وخالف عليه أخوه إبراهيم ، ومات فاتك سنة
ثلاث وخمسمائة . فملك بعده ابنه منصور بن
فاتك وهو صغير ، فتار عليه عنه إبراهيم فلم
يظفر ، وثار يزيد عبد الواحد بن جياش
وملكها ، فسار إليه عبد فاتك واستعادها .

ثم مات منصور ، وملك بعده ابنه فاتك بن
منصور . ثم ملك بعده ابن عتة فاتك بن
محمد بن فاتك بن جياش ، في سنة أحدى
وثلاثين وخمسمائة ، حتى قتل سنة ثلاث
وخمسين وخمسمائة ، وهو آخر ملوك بني
نجاح . فتغلب على اليمن علي بن مهدي في
سنة أربع وخمسين .

وأما « الصليحي » فإنه علي ابن القاضي
محمد بن علي . كان أبوه في طاعته أربعون
ألفا ، فأخذ ابنه التشيع عن عامر بن عبد الله
الرواحي ، أحد دعاة المستضيء ، وصحبه
حتى مات . وقد أسند إليه أمر الدعوة فقام
بها ، وصار دليلا لحاج اليمن عدة سنين ، ثم
ترك الدلالة في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ،
وصعد رأس جبل مسار في سنين رجلا ،
وجمع حتى ملك اليمن في سنة خمس وخمسين
وأقام على زيد أسعد بن شهاب بن علي
الصليحي — وهو أخو زوجته وابن عتة —
ثم أنه حج فقتله بنو نجاح في ذي القعدة سنة
ثلاث وسبعين .

واستقرت التهام لبني نجاح ، واستقرت
صماء لأحمد بن علي الصليحي المقتول ،

وعلق بالملك المكرم ، ثم جمع وقصد سعيد
ابن نجاح يزيد ، وقتله وهزمه الى دعلك ،
وملك يزيد في سنة خمس وسبعين . فساد
سعيد وملك يزيد في سنة تسع وسبعين ، فآلاه
المكرم وقتله في سنة احدى وثلاثين . فملك
جياش اخو سعيد .

ومات المكرم بعشاء سنة أربع وثلاثين .
فملك بعده أبو حنيفة بن أحمد المظفر بن
علي الصليحي في سنة أربع وثلاثين ، حتى
مات سنة خمس وتسعين . وهو آخر
الصليحيين .

فملك بعده علي بن ابراهيم بن عبيد
الدولة . فقدم من مصر الى جبال اليمن في
سنة ثلاث عشرة وخمسة ، وقام بأمر الدعوة
والمملكة التي كانت بيد سبأ ، ثم قبض
عليه بأمر الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمي
بعد سنة عشرين وخمسة ، واثقل الملك
والدعوة الى الزريع بن عباس المكرم .
وآل الزريع من آل عدن ، وهم من حيدان ،
ثم من جشم . وينسب المكرم يعرفون بال
الذبي .

وكانت عدن للزريع بن عباس وأحمد بن
مسعود بن المكرم ، فقتل علي يزيد ، وولي
بمديهما ولداهما أبو السعود بن زريع وأبو
الغارات بن مسعود . ثم استولى علي الملك
والدعوة سبأ بن أبي السعود بن زريع حتى
مات سنة ثلاث وثلاثين وخمسة . فولي
بعده ولده الأعز علي بن سبأ - وكان مقامه
بالرمادة - فمات بالسل ، وملك أخوه المعظم
محمد في سنة ثمان وثلاثين . وولي من

الصليحيين أيضا الملكة : السيدة سنة بنت
أحمد بن جعفر بن موسى الصليحي ، زوجة
أحمد المكرم ، ولقيت بالحره ، ومولدها سنة
أربعين وأربعمائة ، وربتها أسماء بنت شهاب ،
وتزوجها الملك المكرم أحمد بن أسماء - وهو
ابن علي الصليحي - سنة احدى وستين ،
وولاهما الأمر في حياته ، فقامت بتدبير الملكة
والحروب ، وأقبل زوجها علي لذاته حتى
مات وتولى ابن عمه سبأ ، فاستمرت في الملك
حتى مات سبأ .

وتولى ابن عبيد الدولة حتى مات سنة
اثنين وثلاثين وخمسة ، وشاركه في الملك
المفضل أبو البركات بن الوليد العميري ،
وكان يحكم بين يدي الملكة الحره وهي من
وراء العجائب . ومات المفضل في رمضان سنة
أربع وثلاثين وخمسة ، وملك بلاده ابنه
الملك المنصور منصور بن المفضل ، حتى ابتاع
منه محمد بن سبأ بن أبي السعود بمقابل
الصليحيين ، وعدتها ثمانية وعشرون حسنا ،
بمائة ألف دينار ، في سنة سبع وأربعين
وخمسة . وبقي المنصور بعد حتى مات
بعدها ملك نحو ثمانين سنة .

وأما « علي بن مهدي » فآله حيرى بن
سواحل زبيد . كان أبوه مهدي رجلا صالحا ،
ولشأ ابنه علي طريقة حسنة ، وجع ووعظ .
وكان فصيحاً حسن الصوت ، عالماً بالتفسير
وغيره ، يتحدث بالخصيات فتكون كذا يقول ،
وله عدة أتباع كثيرة وجموع عديدة . ثم
قصد الجبال ، وأقام بها إلى سنة احدى
وأربعين وخمسة ، ثم عاد الى أملاكه
ووعظ .



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأئمة
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
بولاق
سنة ١٢٧٠ هجرية

الثن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِئِي

٣٢

كتاب
التحرير



• كانت مصر هي مستقر رأسى . وطالب أنزاي . ومجمع ناسى . وعضى عشيرى وهامسى .
 وموطن خراسنى وهامسى . وهو جوى الذى ربى جناحى فى ذكره . وعضى ماربى ، فهدى
 تهوى الألفس فى ذكره . لوزلت منذ شذوت العام ، وآتاني ربى الفطانة والفهم ، أوجب فى
 معرفته أهدى الهدى ، وأجب لإشراف على أوغراف من آبارها ، وأعوى مساداة الزمان من مكان دارها .
 تقى العبد أحمد بن على المقرئ

ثم عاد الى الجبال ودعا الى نفسه . فأجابه
بطن من خولان ، فساهم الأنصار ، وسمى
من سعد معه من تهامة المهاجرين ، وولى على
خولان سبأ ، وعلى المهاجرين رجلا آخر ،
وسمى كلا منهما شيخ الاسلام ، وجعلهما
نقيين على طائفتيهما فلا يخاطبه أحد غيرهما ،
وهما يوصلان كلامه الى من تحت أيديهما .

وأخذ يغادى الغارات ويرأوحها على التهام
حتى أجلى البوادي ، ثم حاصر زبيد حتى قتل
فانك بن محمد آخر ملوك بني نجاح ، فحارب
ابن مهدي عبيد فانك حتى غلبهم ، وملك زبيد
يوم الجمعة رابع عشر رجب سنة أربع
 وخمسين وخمسمائة ، فبقى على الملك شهرين
وأحدا وعشرين يوما ومات .

فملك بعده ابنه مهدي ، ثم عبد الغنى بن
مهدي ، وخرجت المملكة عن عبد الغنى الى
أخيه عبد الله ، ثم عادت الى عبد الغنى .
واستقر حتى سار اليه توران شاه بن أيوب
من مصر ، فى سنة تسع وستين وخمسمائة ،
وفتح اليمن ، وأسر عبد الغنى . وهو آخر
ملوك بني مهدي : يكفر بالمعاصى ، ويقتل من
يخالف اعتقاده ، ويستبيح وطء نسائهم
واسترقاق أولادهم . وكان حنفى الفروع ،
ولأصحابه فيه غلو زائد ، ومن مذهبه قتل من
شرب الخمر ومن سمع الغناء .

ثم ملك توران شاه بن أيوب عدن من ياسر
وملك بلاد اليمن كلها ، واستقرت فى ملك
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وعاد
شمس الدولة توران شاه بن أيوب الى مصر
فى شعبان سنة ست وسبعين ، واستخلف على
عدن عز الدين عثمان بن الزنجلى ، وعلى زبيد

حطان بن كليل بن منقذ الكافى ، فمات شمس
الدولة بالاسكندرية ، فاختلف نوابه .

فبعث السلطان صلاح الدين يوسف جيشا
فاستولى على اليمن ، ثم بعث فى سنة ثمان
وسبعين أخاه سيف الاسلام ظهير الدين
طفتكين بن أيوب . فقدم اليها وقبض على
حطان بن كليل بن منقذ ، وأخذ أمواله
— وفيها سبعون غلاف زردية مملوءة ذهباً
عينا — وسجنه ، فكان آخر العهد به ، ونجا
عثمان بن الزنجلى بأمواله الى الشام ، فظفر
بها سيف الاسلام ، وصفت له مملكة اليمن
حتى مات بها فى شوال سنة ثلاث وتسعين .

فأقيم بعده ابنه الملك المعز اسماعيل بن
طفتكين بن أيوب ، فجعل وادعى أنه أموى ،
وخطب لنفسه بالخلافة ، وعمل طول كنه
عشرين ذراعا . فثار عليه مماليكه وقتلوه فى
سنة تسع وتسعين ، وأقاموا بعده أخاه الناصر
ومات بعد أربع سنين . فقام من بعده زوج
أمه غازى بن حزيل أحد الأمراء ، فقتله جماعة
من العرب .

وبقى اليمن بغير سلطان ، فتغلبت أم الناصر
على زبيد . فقدم سليمان بن سعد الدين
شاهنشاه بن أيوب الى اليمن ، فعبر يحمل
ركوته على كتفه ، فملكته أم الناصر البلاد
وتزوجت به ، فاشتد ظلمه وعثوه ... الى أن
قدم الملك المسعود أقيس بن الملك الكامل
محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب من مصر
فى سنة اثنتى عشرة وستمائة ، فقبض عليه
وحمله الى مصر * ، فأجرى له الكامل ما يقوم

(*) من ١٧٣ ج ٢ ، ط. بولاق .

به الى أن استشهد على المنصورة سنة سبع وأربعين وستائة .

وأقام المسعود باليمن ، وحج وملك مكة أيضا في شهر ربيع الأول سنة عشرين وستائة وعاد الى اليمن ، ثم خرج عنها واستخلف عليها أستاذه على بن رسول ، فمات بمكة سنة ست وعشرين .

فقام على بن رسول على ملك اليمن حتى مات في سنة تسع وعشرين ، واستقر عوضه ابنه عمر بن علي بن رسول ، وتلقب بالمنصور حتى قتل سنة ثمان وأربعين . واستقر بعده ابنه المقر يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، وصفا له اليمن ، وطالت أيامه .

انتهى ما ذكره المصنف بخطه في تاريخه ، صفا الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مقرا ومثواه .

(ووجد بخطه أيضا ما مثاله) :

السلطان محمد بن طلق شاه ، وطلق يلقب غياث الدين ، وهو مملوك السلطان علاء الدين محمود بن شهاب الدين مسعود ملك الهند . مقر ملكه مدينة دهلي ، وجميع البلاد برا وبحرا بيده الا الجزائر المغلفة في البحر ، وأما الساحل فلم يبق منه قيد شبر الا وهو بيده .

وأول ما فتح ملكة تكنك ... عدة قراها مائة ألف قرية وسبعائة قرية . ثم فتح بلاد حاجنكيز ، وبها سبعون مدينة جيلة كلها بنادر على البحر .

ثم فتح بلاد لنكوتى ، وهي كرسى تسعة ملوك . ثم فتح بلاد دواكير ، وبها أربع وثمانون قلعة كلها جليلات المقدار ، وبها ألف ألف قرية ومائتا ألف قرية . ثم فتح بلاد ورسند ، وكان بها ستة ملوك . ثم فتح بلاد المعبر ، وهو اقليم جليل له سبعون مدينة بنادر على البحر .

وجملة ما بيده ثلاثة وعشرون اقليما وهي اقليم دهلي ، واطليم الدواكير ، واطليم الملتان ، واطليم كهران ، واطليم سامان ، واطليم سويستان ، واطليم وجا ، واطليم هاسي ، واطليم سرسني ، واطليم المعبر ، واطليم تكنك كحرات ، واطليم بداون ، واطليم عوض ، واطليم التيوج ، واطليم لنكوتى ، واطليم بهار ، واطليم كره ، واطليم ملاوة ، واطليم بهادر ، واطليم كلافور ، واطليم حاجنكيز ، واطليم بليخ ، واطليم ورسند .

وهذه الأقاليم تشتل على ألف مدينة ومائتي مدينة .

ومدينة دهلي دور عمرانها أربعون ميلا ، وجملة ما يطلق عليه اسم دهلي احدى وعشرون مدينة ، وفي دهلي ألف مدرسة كلها للحنفية الا واحدة فانها للشافعية ، ونحو سبعين مارستانا ، وفي بلادها من الخوانك والربط نحو ألفين ، وبها جامع ارتفاع مثذته ستائة ذراع في الهواء .

والسلطان خدمة مرتين في كل يوم : بكرة ، وبعد العصر . ورتب الأمراء على هذه الأنواع : أعلاهم قدرا الخانات ، ثم الملوك ، ثم الأمراء ، ثم الاسفهلارية ، ثم الجند .

وفي خدمته ثمانون خانا ، وعسكره تسعمائة ألف فارس ، وله ثلاثة آلاف فيل تلبس في الحروب البرك أسطونات الحديد المذهب ، وتلبس في أيام السلم جلال الديباج وأنواع الحرير ، وتزين بالقصور والأسرة المصنعة ، ويشد عليها بروج الخشب يركب فيها الرجال للحرب ، فيكون على الفيل من عشرة رجال الى ستة .

وله عشرون ألف مملوك أترك ، وعشرة آلاف خادم خصي ، وألف خازندار ، وألف مشبقدار ، ومائتا ألف غبد ركايية تلبس السلاح وتمشي بركابه وتقاتل رجاله بين يديه . والاسفهلارية لا يؤهل منهم أحد لقرب السلطان ، وإنما يكون منهم نوع الولاة .

والخان يكون له عشرة آلاف فارس ، وللملك ألف ، وللأمير مائة فارس ، وللأسفهلار دون ذلك . ولكل خان عبدة لكن - كل لك مائة ألف تنكة ، كل تنكة ثمانية دراهم - ولكل ملك من ستين ألف تنكة الى خمسين ألف تنكة ، ولكل أمير من أربعين ألف تنكة الى ثلاثين ألف تنكة ، ولكل اسفهلار من عشرين ألف تنكة الى ما حولها ، ولكل جندي من عشرة آلاف تنكة الى ألف تنكة ، ولكل مملوك من خمسة آلاف تنكة الى ألف تنكة ، سوى طعامهم وكساويهم وعليتهم ، ولكل غبد في الشهر مئتان من الحنطة والأرز ، وفي كل يوم ثلاثة أستان

لحم وما يحتاج اليه ، وفي كل شهر عشر تنكات بيضاء ، وفي كل سنة أربع كساو .

والسلطان دار طراز فيها أربعة آلاف قزاز لعمل أنواع القماش ، سوى ما يعمل له من الصين والعراق والاسكندرية ، ويفرق كل سنة مائتي ألف كسوة كاملة : في فصل الربيع مائة ألف ، وفي فصل الخريف مائة ألف . ففي الربيع غالب الكسوة من عمل الاسكندرية ، وفي الخريف كلها حري من عمل دار الطراز بدعلى وقماش الصين والعراق . ويفرق على الخوانك والربط الكساوي ، وله أربعة آلاف زركتي تعمل الزركتي ، ويفرق كل سنة عشرة آلاف فرس مرسجة وغير مرسجة ، سوى ما يعطى الأجناد من البراذين فانه بلا حساب يعطى جشارات ، ومع هذا فالخيل عنده غالية مطلوبة .

والسلطان نائب من الخانات - يسمى ايريت - اقطاعه قدر اقليم بحر العراق ، ووزير اقطاعه كذلك ، وله أربعة نواب مسمى كل واحد منهم من أربعين ألف تنكة الى عشرين ألف تنكة ، وله أربعة ريسان - أي كتاب سر - لكل واحد منهم ثلثائة كاتب ، ولكل كاتب اقليم عشرة آلاف تنكة . ولصدر جهان - وهو قاضي القضاة - قرى يتحصل منها على نحو ستين ألف تنكة ، ولصدر الاسلام - وهو أكبر نواب القضاة - ولشيخ الاسلام - وهو شيخ الشيوخ - مثل ذلك ، وللمحتسب ثمانية آلاف تنكة * .

(*) من ١٧٤ ج ٢ ، ط ١٠٠ بولاق .

وله ألف طيب ومائتا طيب ، وعشرة آلاف يردار ترك الخيل ونحل طيور الصيد . وله ثلاثة آلاف سونق لتحصيل الصيد ، وخمسة عشرين وثمانين ومائتان قلابي ، سوى مائة ومائة ألف ملك ، وألف ثمانمائة الفرسية والفارسية والهندية يجري عليهم ديوانه ، ومتى غنى أحد منهم لغيره فقه ، ولكل عظيم قريشان أو قرية ، ومن أربعين ألف تنكة إلى ثلاثين ألف تنكة إلى عشرين ألف تنكة ، سوى الخلع والكواوي والامتدادات .

وسد في وقت كل خيمة في المرتين من كل يوم ساد ياكل من عشرون ألفا ، مثل الخنازير والكلاب والامراء والاستهلاكية والبيان الاجناد . وله طعام خاص ياكل معه القهاء - وعندهم مائتا فقيه - في القداء والعشاء ، فيأكلون ويتباحسون بين يديه . ويخرج في مطبخه كل يوم ألفان وخمسمائة رأس من البقر ، وألفا رأس من الغنم ، سوى الغنم وأنواع الطير .

ولا يضر مجلته من الجند الا الأعيان ومن دعت ضرورة إلى الحضور والتمناء ، وأرباب الأغاني يحضرون بالنسوة ، وكذلك الريسان والأعيان ونحوهم لكل طائفة تولى تضر فيها الخدمة ، والشعراء تضر في العيدين والمواسم وتول شهر رمضان ، وإذا تجدد ضر على عدو أو قنوح ونحو ذلك مما يبنى به السلطان .

وأمر الجند والعامه مرجعها إلى أيرت ، وأمر القضاة كلهم مرجعهم إلى سدر جهان ، وأمر القضاة إلى شيخ الاسلام . وأمر

الواردين والوافدين والأدباء والشعراء إلى الريسان وهم كتاب السر .

وجوز هذا السلطان مرة أحد كتاب سره إلى السلطان أبي سعيد رسولا ، وبث معه ألف ألف تنكة ليتصدق بها في مشاهد العراق ، وخمسمائة فرس . فقدم بغداد وقد مات أبو سعيد .

وكان هذا السلطان ترعد القرائن لمهابته ، وترزول الأرض لموكبه : يجلس بنفسه لانصاف رعيته وتقرأة القصص عليه جلوسا عاما ، ولا يدخل أحد عليه ومعه سلاح ولو السكين ، ويجلس وتنده سلاح كامل لا يفارقه أبدا .

وإذا ركب في الحرب فلا يسكن وصف هيبه ، وله أعلام سود في أوساطها تباين من ذهب تير عن يمينه ، وأعلام حمراء فيها تباين من ذهب تير عن يساره ، ومعه مائتا رجل قنارات ، وأربعون رجلا كوسات كيارا ، وعشرون يوقا ، وعشرة صنوج ، ويطلق له خمس نوب كل يوم .

وإذا خرج إلى الصيد كان في جف ، وعدة من معه زيادة على مائة ألف فارس ومائتي فيل ، وأربعة قصور خشب على ثمانمائة جبل ، كل قصر منها على مائتي جبل كلهما ملبية حريرا مذهبا ، كل قصر طبقتان سوى الخيم والجركاوات .

وإذا انتقل من مكان إلى مكان للترهه ، يكون معه نحو ثلاثين ألف فارس ، وألف جنين مبرجة ملبجة بالذهب المرصع بالجوهر والياقوت . وإذا خرج في قصره من موضع إلى آخر ، يسير بالكبار وعلى رأسه الجبر ،

والسلاح دارة وراه بأيديهم السلاح ، وحوله نحو اثنا عشر ألف مملوك مشاة ، لا يركب منهم الا حامل الجبر والسلاح دارة والجدارة حلة القماش .

وإذا خرج للحرب أو سفر طويل ، حمل على رأسه سبع حبورة ، منها اثنان مرصعان ليس لهما قبة ، وله فخامة عظيمة وقوانين وأوضاع جليلة . والخانات والملوك والأمراء لا يركب أحد منهم في السفر والحضر الا بالأعلام ، وأكثر ما يحمل الخان سبعة أعلام ، وأكثر ما يحمل الأمير ثلاثة ، وأكثر ما يجره الخان في الحضر عشرة جنائب ، وأكثر ما يجره الأمير في الحضر جنبيان ، وأما في السفر فحسبا يختار .

وكان للسلطان بر واحسان ، وفيه تواضع . ولقد مات عنده رجل فقير فشهد جنازته ، وحمل نعشه على عنقه . وكان يحفظ القرآن العزيز العظيم والهداية في فقه الحنفية ، ويجيد علم العقول ، ويكتب خطا حسنا ، ولذته في الرياضة وتأديب النفس ، ويقول الشعر ويبحث العلماء ، ويؤاخذ الشعراء ، ويأخذ بأطراف الكلام على كل من حضر على كثرة العلماء عنده . والعلماء تحضر عنده ، وتقطر في رمضان معه بتعين صدر جهان لهم في كل ليلة .

وكان لا يترخص في محذور ، ولا يقر على منكر ، ولا يتجاسر أحد في بلاده أن يتظاهر بمحرم . وكان يشدد في الخمر ، ويبالغ في العقوبة على من يتعاطاه من المقربين منه . وعاقب بعض أكابر الخانات على شرب

الخمر ، وقبض عليه ، وأخذ أمواله . وجعلتها أربعمائة ألف ألف مثقال وسبعة وثلاثين ألف ألف مثقال ذهبا أحمر ، زنتها ألف وسبعمائة قطار بالمصري .

وله وجوه بر كثيرة : منها أنه يتصدق في كل يوم بلكين : عنهما من نقد مصر ألف ألف وستمائة ألف درهم ، وربما بلغت صدقته في يوم واحد خمسين لكا ، ويتصدق عند كل رؤية هلال شهر بلكين دائما ، وعليه راتب لأربعين ألف فقير ، كل واحد منهم درهم في كل يوم ، وخمسة أرطال بر وأرز ، وقرود ألف فقيه في مكاتب لتعليم الأطفال القرآن ، وأجرى عليهم الأرزاق .

وكان لا يدع بدع بدعلى سائلا ، بل يجري على الجميع الأرزاق ، ويبالغ في الاحسان إلى الغرباء .

وقدم عليه رسول من أبي سعيد مرة بالسلام والتودد ، فخلع عليه وأعطاه حملا من المال . فلما أراد الانصراف أمره أن يدخل الخزانة ويأخذ ما يختار ، فلم يأخذ غير مصحف ، فسأله عن ذلك فقال : قد أغناني السلطان بفضله ، ولم أجد أشرف من كتاب الله . فزاد إعجابه به ، وأعطاه مالا جعلته ثمانمائة تومان . والتوما عشرة آلاف دينار ، وكل دينار ستة دراهم ، تكون جملة ذلك ثمانية آلاف ألف دينار ، عنها ثمانية وأربعون ألف ألف درهم .

وقصده شخص من بلاد فارس ، وقدم له كتابا في الحكمة ، منها كتاب « الشفاء » لابن سينا ، فأعطاه جوهرًا بعشرين ألف مثقال من الذهب . وقصده آخر من بخارى يحمل بطيخ أصفر ، قتلف غلبه حتى لم يبق منه الا اثنان وعشرون بطيخة ، فأعطاه ثلاثة آلاف مثقال ذهباً . وكان قد التزم ألا ينطق في محلاته بأقل من ثلاثة آلاف مثقال ذهباً .

وبعث ثلاث لكوك ذهباً الى بلاد ما وراء النهر ليفرق على العلماء لك ، وعلى الفقهاء لك ، ويتاع له حوائج بك . وبعث للبرهان الضياء عزه جي ، شيخ سرقند ، بأربعين ألف تنكة .

وكان لا يفارق العلماء سفراً وحضراً . ومارى الشرع في أيامه قائم ، والجهاد مستمر . فبلغ مبلغاً عظيماً في إعلاء كلمة الإيمان ، فشر الاسلام في تلك الأقطار ، وهدم ييوت النيران ، وكسر التدود والأصنام ، واتصل به الاسلام الى أقصى الشرق ، وعمر الجوامع والمساجد ، وأبطل الثوب في الأذان ، ولم يخل له يوم من الأيام من بيع آلاف من الرقيق لكثرة البسى . حتى ان الجارية لا يتعدى ثمنها بمدينة دهلي ثمان تنكات ، والبرية خمس عشرة تنكة ، والعبد المراهق أربعة دراهم .

ومع رخص قيمة الرقيق فانه تبلغ قيمة الجارية الهندية عشرين ألف تنكة لحسنها ولطف خلقها ، وحفظها القرآن وكتابتها الخط ، وروايتها الأشعار والأخبار ، وجودة غنائها ، وضربها بالعود ، ولعبها بالشرنج .

ومن يتفارق فتقول الواحدة : آخذ قلب سيدى في ثلاثة أيام ، فتقول الأخرى : أنا آخذ قلبه في يوم ، فتقول الأخرى : أنا آخذ قلبه في ساعة ، فتقول الأخرى : أنا آخذ قلبه في طرفة عين .

وكان ينعم على جميع من في خدمته ، من أرباب السيوف والأقلام ، بكل جليل من البلاد والأموال والجواهر والخيول المجللة بالذهب وغير ذلك . الا القيلة فانه لا يشاركه فيها أحد ، وللثلاثة آلاف فيل راتب عظيم ، فأكثرها مؤنة له في كل يوم أربعون رطلا من أرز ، وستون رطلا من شعير ، وعشرون رطلا من مسن ، ونصف حل من حشيش . وقيمتها بجليل القدر اقطاعه مثل اقليم العراق .

واذا وقف السلطان للحرب ، كان أهل العلم حوله ، والرماة قدامه ، وخلفه وأمامه القيلة كما تقدم عليها القيلة وقدامها العبيد المشاة ، والخيول في المينة والميرة . فتها له من النصر ما لا تها لأحد ممن تقدمه ، ففتح الممالك ، وهدم قواعد الكفار ، ومحا صور معابدهم ، وأبطل فخرهم .

وكان يجلس كل يوم ثلاثاء جلوساً عاماً على تخت مصفح بالذهب ، وعلى رأسه حبر في موكب عظيم ، وينادى مناديه : من له شكوى في شخص ... فينظر في ظلمات الناس . وكان لا يوجد يدهلى في أيامه خسر ألبته .

وأول من ملك مدينة دهلي قطب الدين أيك . وذلك أن شهاب الدين محمد بن سالم بن الحسين ، أحد الملوك الفورية ، فتح

الهند بعد عدة حروب ، وأقطع مملوكه أيك هذا مدينة دهلي . فبعث أيك صكراً عليه محمد بن بختيار ، فأخذ الى تخوم الصين ، وذلك كله في سنة سبع وأربعين وخمسمائة .

ثم ولى بعده أيتش بن أيك أربعين سنة ، فقام بعده ابنه علاء الدين على بن أيتش بن أيك ، ثم أخوه معز الدين بن أيتش ، ثم أخته رضية خاتون فأقامت ثلاث سنين ، ثم أخوها ناصر الدين بن أيتش ، فأقام أربعاً وعشرين سنة ، ثم قام بعده مملوكه غياث الدين بليان سبعاً وعشرين سنة ، ثم بعده معز الدين نيازا خمس سنين ، ثم ابنه شمس الدين كيروزس سبعة أشهر .

ثم خرج الملك عن بيت السلطان شمس الدين أيتش ، وقويت التركمان العلجية — وكانوا أمراء يقال للواحد منهم خان — واستبد كبيرهم جلال الدين فيروز سبع سنين . ثم ابن أخيه علاء الدين محمود بن شهاب الدين محمود اثنتين وعشرين سنة ، ومات سنة خمس عشرة وسبعمائة . ثم ابنه شهاب الدين عمر بن محمود بن محمود سنة واحدة ، ولقب غياث الدين . ثم أخوه قطب الدين مبارك بن محمود أربع سنين ، وقتل سنة عشرين وسبعمائة . ثم علاء الدين خسرو ، مملوك علاء الدين محمود ، سبعة أشهر . وملك غياث الدين طغلق شاه ، مملوك السلطان علاء الدين محمود بن مسعود ، في أول شعبان سنة عشرين وسبعمائة . ثم ملك بعده ابنه محمد بن طغلق شاه صاحب الترجمة .

هذا آخر ما وجد بخطه رحمه الله تعالى .

(ووجد بخطه أيضاً رحمه الله تعالى) :

ما أحسن قول الأديب محمد بن حسن بن شاور النقيب :

مشت أيامكم لا بل نراها
جرت جرماً على غير اعتياد
وما عقدت نواصيها بخير
ولا كانت تعد من الجياد

« بدخشان » : مدينة فيما وراء النهر . بها معدن اللؤلؤ البديع — وهو المسمى بالبلخش — وبها معدن اللازورد الفائق ، وهما في جبل بها يخفر عليهما في معادتهما ، فيوجد اللازورد بسهولة ، ولا يوجد اللؤلؤ الا بتعب كبير واتفاق زائد ، وقد لا يوجد بعد التعب الشديد والنفقة الكثيرة ، ولهذا عز وجوده وغلت قيمته .

وأقصر ليل بلغار بالبحرين أربع ساعات ونصف . وأقصر ليل أفتكون ثلاث ساعات ونصف ، فهو أقصر من ليل بلغار ساعة واحدة . وبين بلغار وأفتكون مسافة عشرين يوماً بالسير المعتاد . انتهى .

« السلطانية » : من عراق العجم . بشاه السلطان محمد خدابنده أوكايق بن أرغون ابن أبقا بن هولأكو . وخدابنده ملك بعد أخيه محمود غازان ، وملك بعد خدابنده ابنه السلطان أبو سعيد بهادر خان ، وكان الشيخ حسن بن حسين بن أبقا مع قائد السلطان محمد بن طشتر بن استير بن عترجي . ومات أبو سعيد لم يجمع بعده على طاعة ملك ، بل تفرقوا ، وقام في كل ناحية قائم . انتهى .

(١٧٦ ج ٢ ، طه بولاق)

(ووجد بخطه أيضا ما نصه) :

وفه در أبي اسحاق الأديب حيث قال :

إذا كنت قد أقتت أنك هالك

فمالك ما دون ذلك تشفق

ومما يشين المرء ذا العلم أنه

يرى الأمر حتما واقعا ثم يفلق

وحيث يقول :

ومن ضوى الخسين من عمره

لاقي أمورا فيه مستكره

وان تخطاها رأى بعدها

من حادثات الدهر ما لم يره

اتمى ما وجد بخطه في أصله .

ذكر الجزائر

اعلم أن الجزائر التي هي الآن في بحر النيل كلها حادثة في الملة الإسلامية ، ما عدا الجزيرة التي تعرف اليوم بالروضة تجاه مدينة مصر . فإن العرب لما دخلوا مع عمرو بن العاص إلى مصر وحاصروا الحصن - الذي يعرف اليوم بقصر الشمع في مصر - حتى فتحه الله تعالى عنوة على المسلمين ، كانت هذه الجزيرة حينئذ تجاه القصر . ولم يبلغني إلى الآن متى حدثت ، وأما غيرها من الجزائر فكلها قد تجددت بعد فتح مصر .

وقال - والله أعلم - أن بلهيب ، الذي يعرف اليوم بأبي الهول ، طلم وضعه القدماء لقلب الرمل عن بر مصر الغربي الذي يعرف

اليوم ببر الجزيرة . وأنه كان في البر الشرقي ، بجوار قصر الشمع ، صنم من حجارة على مسافة أبي الهول - بحيث لو امتد خيط من رأس أبي الهول وخرج على استواء لسقط على رأس هذا الصنم - وكان مستقبل المشرق ، وأنه وضع أيضا لقلب الرمل عن البر الشرقي .

فقدّر الله سبحانه وتعالى أن كسر هذا الصنم على يد بعض أمراء الملك الناصر محمد ابن قلاوون في سنة إحدى عشرة وسبعماية ، وحفر تحته حتى بلغ الحفر إلى الماء فلما أنه يكون هناك كنز ، فلم يوجد شيء ، وكان هذا الصنم يعرف عند أهل مصر بسمية أبي الهول . فكان عقيب ذلك غلبة النيل على البر الشرقي ، وصارت هذه الجزائر الموجودة اليوم .

وكذلك قام شخص من صوفية الخائفة الصلاحية سعيد السعداء ، يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر ، في تغيير المنكر أعوام بضع وثمانين وسبعماية . فشوه وجوه سباع الحجر التي على قناطر السباع خارج القاهرة وشوه وجه أبي الهول ، فقلب الرمل على أراضي الجزيرة . ولا ينكر ذلك ، فله في خليقته أسرار يطلع عليها من يشاء من عباده ، والكل بخلقه وتقديره .

وقد ذكر الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه ، في كتاب « أخبار مصر » في خبر الواحات الداخلة ، أن في تلك الصحاري كانت أكثر مدن ملوك مصر العجيبة وكنوزهم ، إلا أن الرمال غلبت عليها ... قال : ولم يبق بمصر

ملك إلا وقد حصل للرمال طلسماء لدفعها ، ففست طلسماتها لقدم الزمان .

وذكر ابن يونس ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أنه قال : اني لأعلم السنة التي تخرجون فيها من مصر .

قال ابن سالم ، فقلت له : ما يخرجنا منها يا أبا محمد ، أعدو ؟

قال : لا ، ولكنكم يخرجكم منها يلکم هذا ... يفور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه الكثبان من الرمل ، وتاكل سباع الأرض حياتها .

وقال الليث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير قال : ان الصحابي حدثه أنه سمع كعبا يقول : مستعرك العراق عرك الأديم ، وتفت مصر فت البعرة .

قال الليث ، وحدثني رجل عن وهب المعافري أنه قال : وتشق الشام تشق الشعرة . وسأذكر من خبر هذه الجزائر المشهورة ما وصلت إلى معرفته ان شاء الله تعالى .

ذكر الروضة

اعلم أن الروضة تطلق في زماننا هذا على الجزيرة التي بين مدينة مصر ومدينة الجزيرة . وعرفت في أول الاسلام * بالجزيرة وجزيرة مصر ، ثم قيل لها جزيرة الحصن ، وعرفت إلى اليوم بالروضة . وإلى هذه الجزيرة انتقل

(من ١٧٧ ج ٢ ، ط ١٠٠٠٠٠)

المقوقس لما فتح الله تعالى على المسلمين القصر وصار بها هو ومن معه من جنود الروم والقبط .

وبها أيضا بنى أحمد بن طولون الحصن ، وبها كانت الصناعة - يعني صناعة السفن الحربية ، أي كانت بها دار الصناعة - وبها كان الجنان والمختار ، وبها كان الهودج الذي بناه الخليفة الأمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية ، وبها بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب القلعة الصالحة ، وبها إلى اليوم مقياس النيل .

وسأورد من أخبار الروضة هنا ما لا تجده مجتمعا في غير هذا الكتاب .

قال ابن عبد الحكم - وقد ذكر محاصرة المسلمين للحصن - : فلما رأى القوم الجدد من المسلمين على فتح الحصن والعرض ، وراوا صبرهم على القتال ورغبتهم فيه ، خافوا أن يظهروا عليهم . ففتحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط ، وخرجوا من باب الحصن القبلى - ودونهم جماعة يقاتلون العرب - فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم ، وأمروا بقطع الجسر وذلك في جرى النيل .

وتخلف في الحصن بعد المقوقس الأعرج . فلما خاف فتح باب الحصن ، خرج هو وأهل القوة والشرف - وكانت سفنهم ملصقة بالحصن - ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة .

قال : وكان بالجزيرة (يعني بعد فتح مصر) في أيام عبد العزيز بن مروان ، أمير مصر ،

تساعة قاتل ستة لعمري يكون في البلد
أو منهم .

وقال القاضي : جزيرة فسطاط مصر .
قال الكندي : بيت بالجزيرة الصلابة في سنة
أربع وخسين ، وحصن الجزيرة بنه أحمد
ابن طولون في سنة ثلاث ومائتين ليحرس فيه
حرمة وماله . وكان بب ذلك مير موسى بن
بنا الرائي من الرائق واليا على مصر وجب
أعمال ابن طولون ، وذلك في خلافة المتعد
على الله . فلما بلغ أحمد بن طولون ميده ،
استعد لعمري ومنه من دخول أصالة .

فلما بلغ موسى بن بنا إلى الرقة ، تناقل
من السير لطم شأن ابن طولون وقوة . ثم
عرضت لموسى عدة طالت به وكان بها مائة ،
وكلوره التلطان وطلبوا منه الأرزاق ، وكان
ذلك سبب تركه للسير . فلم يلبث موسى بن
بنا أن مات ، وكفى ابن طولون أمره . ولم
يزل هذا المصن على الجزيرة حتى أخذ
الليل شيئا بعد شيء ، وقد بقيت منه شيا
متعلقة إلى الآن .

وقد اختصر القاضي القاضي رحمه الله في
ذكر سبب بناء ابن طولون حصن الجزيرة .

وقد ذكر جامع « سيرة ابن طولون » أن
ملايكة الزنج لما قدم البصرة ، في سنة أربع
وخسين ومائتين ، ولتسليم أمره . أخذ
إليه أمير المؤمنين المتعد على الله تعالى ، أبو
العباس أحمد ابن أمير المؤمنين المتوكل على
الله جعفر بن المتصم بن الرشيد ، رسولاً في
حل أمته الموفق بالله أبو أحمد طلحة من
سنة ١١٠٠ . وكان الظيفة للعتلى بالله محمد

ابن الوائى بن المتصم قام إليها . فلما وصل
إليه ، جعل إليه بالثلاثة من ببلد لآيته
للفوز ، وبعد للفوز تكون الخلافة للموفق
طلحة ، وجعل غرب للمالك الإسلامية
للفوز وشرقاً للموفق ، وكب بينهما بذلك
كتاباً أرعن فيه أيامهما بالولاء بما قد وقت
عليه الشروط .

وكان الموفق بعد أخاه للمتعد على
الخلافة ولا يراد لهلاً لها . فلما جعل المتعد
الخلافة من بعده لآيته ثم للموفق بعده ، تنق
ذلك عليه ، وزاد في حقه .

وكان المتعد متشغلاً بملاة نفسه من
صيد والعب والتردد بجواره ، فصاعت
الأمر ، وفقد تدبير الأحوال ، ولما كان كل من
كان متعلماً صلاً بما تعلمه .

وكان في الشروط التي كتبها المتعد بين
للفوز والموفق : أنه ما حدث في عمل كل
واحد منهما من حيث ، كانت النفقة عليه من
مال خراج نفسه .

ولتختلف على قسم ابنه للفوز موسى بن
بنا ، فاستكتب موسى بن بنا عبيد الله بن
سليمان بن وهب ، وأقرده الموفق بقسمه من
ملك الشرق ، وتقدم إلى كل منهما ألا ينظر
في حل الآخر ، وخلد كتاب الشروط بالكعبة
وأقرده الموفق لمخارية صاحب الزنج ، وأخرجه
إليه وضم معه الجنوش .

فلما كبر أمره ، وطالت محاربتة إياه ،
واقطعت مولاة خراج الشرق عن الموفق ،
وتقاعد التائب عن حمل المال الذي كان يعمل

في كل عام ، واحتجوا بأشياء ... دعت
الضرورة الموفق إلى أن كتب إلى أحمد بن
طولون - وهو يومئذ أمير مصر - في
حل ما يستعين به في حروب صاحب الزنج .

وكانت مصر في قسم الفوضى لأنها من
الممالك القريبة . إلا أن الموفق شكك في
كتابته إلى ابن طولون شدة حاجته إلى المال
بسبب ما هو بسيله ، وأتخذ مع الكتاب
تحريراً خادماً المتوكل ليقبض منه المال . فما
هو إلا أن ورد تحرير على ابن طولون بمصر ،
وإذا بكتاب المتعد قد ورد عليه يأمره فيه
بحمل المال إليه على راسه ، مع ما جرى
الرسم بحمله مع المال في كل سنة من الطراز
والرقيق والخيل والشمع وغير ذلك ، وكتب
أيضاً إلى أحمد بن طولون كتاباً في السر . أن
الموفق إنما أتخذ تحريراً اليك عينا ومستقياً
على أخبارك ، وأنه قد كاتب بعض أصحابك ،
فاحتس منه ، وأحمل المال إلينا ، وعجل
اتقاده .

وكان تحرير لما قدم إلى مصر أنزله أحمد
ابن طولون معه في داره بالميدان . ومنعه من
الركوب ، ولم يسكنه من الخروج من الدار
التي أنزله بها حتى سار من مصر ، وتلطف في
الكتب التي أجاب بها الموفق . ولم يزل بتحرير
حتى أخذ جميع ما كان معه من الكتب التي
وردت من العراق إلى مصر ، وبعث معه إلى
الموفق ألف دينار ومائتي ألف دينار ،
وما جرى الرسم بحمله من مصر ، وأخرج معه
العدول ، وسار بنفسه صحبته حتى بلغ به

(١٠) ص ١٧٨ ج ٢ ، ط . بولاق .

المرش ، وأرسل إلى ماخوذ متولى الشام ،
فقدم عليه بالعرش ، وسلحه إليه هو والمال ،
وأشهد عليه بتسليم ذلك . ورجع إلى مصر ،
ونظر في الكتب التي أخذها من تحرير ، فإذا
هي إلى جاعة من قواده باستمالتهم إلى
الموفق ، فقبض على أربابها ، وعاقبهم حتى
هلكوا في عقوبته .

فلما وصل جواب ابن طولون إلى الموفق
ومعه المال ، كتب إليه كتاباً ثانياً يستل فيه
المال ، ويقول : إن الحساب يوجب أضفاف
ما حملت . وبسط لسانه بالقول ، والتس
فمن معه من يخرج إلى مصر ويتقلدها عوضاً
عن ابن طولون ، فلم يجد أحداً عوضه لما
كان من كيس أحمد بن طولون وملاطفته
وجوه الدولة .

فلما ورد كتاب الموفق على ابن طولون
قال : وأي حساب بيني وبينه ، أو حال توجب
مكاتبتى بهذا أو غيره ؟

وكتب إليه بعد البسلة : « وصل كتاب
الأمير ، أيدى الله تعالى ، وفهمته . وكان ،
أعده الله ، حقيقاً بحسن التخير لمثلي ،
وتصيره إياي عمدة التي يعتمد عليها ،
وسيفه الذي يصول به ، وسنانه الذي يتقى
الأعداء بعده ، لأنى دائب في ذلك ، وجعلته
وكدي ، واحتملت الكلف العظيم والمؤن
الثقال باستجذاب كل موصوف بشجاعة ،
واستدعاء كل منعوت بشئ وكفاية ، بالتوسعة
عليهم ، وتواصل الصلات والمعاون لهم :
صيانة لهذه الدولة ، وذبا عنها ، وحما
لأطباع المشوفين لها والمتحرفين عنها ... »

« ومن كانت هذه سبيله في الموالاة ،
ومتوجه في المناصحة ، فهو حري أن يعرف
له حقه ، ويوفر من الاعظام قدره ، ومن كل
حال جليلة حقه ومنزلة ... »

« فعملت ضد ذلك من المطالبة بحمل
ما أمر به ، والجفاء في المخاطبة بشير حال
توجب ذلك ، ثم أكلت على الطاعة جملا ،
والزم في المناصحة لنا . وعهدى بمن استدعى
ما استعاه الأمير من طاعته أن يستلعيه
بالذل والاعطاء والارغاب والارضاء والاكرام
لا أن يكلف ويحصل من الطاعة مؤنة وثقلا ... »

« واني لا أعرف السبب الذي يسوجب
الوحشة ، ويوقتها بيني وبين الأمير — أيده
الله تعالى — ولا ثم معاملة تقتضى معاملة
أو تحدث منافرة ، لأن العمل الذي أنا بسبيله
لغيره ، والمكاتب في أموره الى من سواه ، ولا
أنا من قبله . فانه والأمير جعفر المفاوض
— أيده الله تعالى — قد اقتسا الأعمال ،
وصار لكل واحد منهما قسم قد ائرد به دون
صاحبه ، وأخذت عليه البيعة فيه أنه من تقض
عهده ، أو أخفر ذمته ولم يف لصاحبه بما أكد
على نفسه ، فالأمة بريئة منه ومن بيعته ، وفي
حل وسعة من خلفه ... »

« والذي عاملني به الأمير من محاولة
صرفي مرة ، ولسقاط رسمي أخرى ، وما
يأتيه ويسومني فاقض لشرطه مفد لعده .
وقد التمس أوليائي ، وأكثروا الطلب في
اسقاط اسمه وإزالة رسمه ، فأثرت الإبقاء
وان لم يؤثره ، واستعملت الأداة إذ لم تستعمل
معي ، ورأيت الاحتمال والكظم أنه بذوى
المعرفة والتمهم ، فصبرت نفسي على أمر من

الجبر وأمر من الصبر ، وعلى ما لا يصح
به الصدر ... »

« والأمير ، أيده الله تعالى ، أولى من أعاتى
على ما أوتره من لزوم عهده ، وأتوخاه من
تأكيد عقده ، بحسن العشرة والانصاف ،
وكف الأذى والمضرة ، وألا يضطرب الى ما
يعلم الله عز وجل كرهى له : أن أجعل ما قد
أعدته لحياة الدولة من الجيوش المتكاثفة ،
والساكن المتضاعفة التي قد ضرت رجالها
من الحروب ، وجرت عليهم محن الخطوب ،
مصرفا الى تقضها ... »

« فعندنا وفي حيزنا من يرى أنه أحق بهذا
الأمر وأولى من الأمير ، ولو آمنوني على
أنفسهم — فضلا عن أن يعثروا منى على
ميل أو قيام بنصرتهم — لاشتدت شوكتهم ،
ولصعب على السلطان معاركتهم . والأمير يعلم
أن بازائه منهم واحدا قد كبر عليه ، وفض
كل جيش أنهضه اليه ، على أنه لا ناصر له الا
تقيف البصرة وأوياش عامتها ، فكيف من يجد
ركنا منيعا وناصرا مطيعا ... »

« وما مثل الأمير في أصالة رأيه يصرف
مائة ألف عتار عدة له ، فيجعلها عليه بغير
ما سبب يوجب ذلك . فإن يكن من الأمير
اعتاب أو رجوع الى ما هو أشبه به وأولى ،
والا رجوت من الله عز وجل كفاية أمره ،
وحسم مادة شره ، واجراءنا في الحياة على
أجمل عادته عندنا . والسلام ... »

فلما وصل الكتاب الى الموفق أقلقه ، وبلغ
منه مبلغا عظيما ، وأغاضه غيظا شديدا .
وأحضر موسى بن بغا — وكان عون الدولة

وأشد أهلها بأسا وأقداما — فتقدم اليه في
صرف أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها
ماخور ، فامثل ذلك ، وكتب الى ماخور كتاب
التقليد وأثذته اليه . فلما وصل اليه الكتاب ،
توقف عن ارساله الى أحمد بن طولون لعجزه
عن مناهضته .

وخرج موسى بن بغا عن الحضرة مقدرًا
أنه يدور عمل المفاوض ليحمل الأموال منه ،
وكتب الى ماخور أمير الشام والى أحمد بن
طولون أمير مصر — لما بلغه * من توقف
ماخور عن مناهضته — يأمرهما بحمل
الأموال ، وعزم على قصد مصر والايقاع بابن
طولون ، واستخلاف ماخور عليها ، فسار الى
الرقبة .

وبلغ ذلك ابن طولون فأقلقه وغه ، لا لأنه
يقصر عن موسى بن بغا ، لكن لتحمله هتك
الدولة ، وأن يأتي سبيل من قاوم السلطان
وحاربه وكسر جيوشه . الا أنه لم يجد بدا
من المحاربة ليدفع عن نفسه ، وتأمل مدينة
فسطاط مصر ، فوجدها لا تؤخذ الا من جهة
النيل . فأراد — لكبر هتته ، وكثرة فكره في
عواقب الأمور — أن يبني حصنا على الجزيرة
التي بين الفسطاط والجزيرة ليكون معقلا
لحرمة وذخائره ، ثم يشتغل بعد ذلك بحرب
من يأتي من البر .

وقد زاد فكره فيمن يقدم من النيل . فأمر
ببناء الحصن على الجزيرة ، واتخذ مائة مركب
حرية سوى ما ينضاف اليها من العلايات

(*) ١٧٦٠ هـ ، ط. بلاق .

والحصائم والعشاريات والسنايك وقوارب
الخدمة . وعهد الى سد وجه البحر الكبير ،
وأن يمنع ما يجيء اليه من مراكب طرسوس ،
وغيرها من البحر الملح الى النيل ، بأن توقف
هذه المراكب الحرية في وجه البحر الكبير
خوفا مما سيجىء من مراكب طرسون — كما
فعل محمد بن سليمان من بعده بأولاده ، كأنه
ينظر الى الغيب من ستر رقيق — وجعل فيها
من يذب عن هذه الجزيرة ، وأثذ الى الصعيد
والى أسفل الأرض يمنع من يحمل الغلال الى
البلاد ، لينع من يأتي من البر الميرة .

وأقام موسى بن بغا بالرقبة عشرة أشهر ،
وقد اضطربت عليه الآثارك ، وطالبوه بأرأقتهم
مطالبة شديدة ، بحيث استر منهم كاتبه عبيد
الله بن سليمان لتعذر المال عليه وخوفه على
نفسه منهم . فخاف موسى بن بغا عند ذلك ،
ودعته ضرورة الحال الى الرجوع ، فعاد الى
الحضرة ولم يبق بها سوى شهرين ، ومات
من علة في صفر سنة أربع وستين ومائتين * .

هذا وأحمد بن طولون يجد في بناء الحصن
على الجزيرة ، وقد ألزم قواده وثقاته أمر
الحصن ، وفرقه عليهم قطعًا قام كل واحد بما
لزمه من ذلك ، وكد نفسه فيه . وكان
يتعاهد بهم بنفسه في كل يوم ، وهو في غفلة
عما صنعه الله تعالى له من الكفاية والغنى
عما يمايه . ومن كثرة ما بذل في هذا العمل
قدر أن كل طوبة منه وقفت عليه بدرهم
صحيح .

ولما لواترت الأخبار بسوت موسى بن بعا ،
كثت عن العمل ، وتصلق ببال كثير شكرا
فه تعالى على ما من به عليه من صياته عما
يقبح فيه عنه الاحدوتة .

وما رأى الناس شيئا كان أعظم من عظيم
الجد فى بناء هذا الحصن ، ومباكرة الصناع
له فى الأسفار حتى فرغوا منه ، فانهم كانوا
يخرجون اليه من منازلهم فى كل بكرة من
تلقاه اتسهم من غير استحثاث ، لكثرة ما
سخر به من بذل المال : فلما انقطع البناء لم ير
أحد من الصناع التى كانت فيه مع كثرتها ،
كانما هى غار صب عليها ماء فطفت لوقتها .
ووهب للصناع مالا جزيلا ، وترك لهم جميع
ما كان سلفا معهم . وبلغ مصروف هذا الحصن
ثمانين ألف دينار ذهبا .

وكان ما حل أحمد بن طولون على بناء
الحصن أن الموفق أراد أن يشغل قلبه ،
فرقت نعله من بيت حطية لا يدخلها الا
تقاته ، وبعثها الموفق اليه ، فقال له الرسول :
من قدر على أخذ هذه النعل من الموضع
الذى تعرفه ، أليس هو بقادر على أخذ
روحك ؟ فواته أيها الأمير لقد قام عليه أخذ
هذه النعل بخمسين ألف دينار . فمعد ذلك
أمر ببناء الحصن .

وقال أبو عمر الكندى فى كتاب « أمراء
مصر » : وتقدم أبو أحمد الموفق الى موسى
ابن بعا فى صرف أحمد بن طولون عن مصر
وتقليدها لماخور التركى . فكتب موسى بن
بعا بذلك الى ماخور - وهو والى دمشق

يومئذ - فتوقف لمجزه عن مقاومة أحمد بن
طولون ، فخرج موسى بن بعا فتزل الرقة ،
وبلغ ابن طولون أنه سائر اليه ، ولم يجد
بدا من محاربه . فأخذ أحمد بن طولون
فى الحذر منه ، وابتدأ فى ابتناء الحصن
الذى بالجزيرة التى بين الجسرين ، ورأى أن
يجعله معقلا لئلا يحرره ، وذلك فى سنة
ثلاث وستين ومائتين . واجتهد أحمد بن
طولون فى بناء المراكب الحربية ، وأطافها
بالجزيرة ، وأظهر الامتاع من موسى بن بعا
بكل ما قدر عليه .

وأقام موسى بن بعا بالركة عشرة أشهر ،
وأحمد بن طولون فى احكام أموره ،
واضطربت أصحاب موسى بن بعا عليه ،
وضاق بهم منزلهم ، وطالبوا موسى بالسير أو
الرجوع الى العراق ... فيينا هو كذلك توفى
موسى بن بعا فى سنة أربع وستين ومائتين .
وقال محمد بن داود لأحمد بن طولون وفيه
تحامل :

لما ثوى بن بعا بالرقتين ملا
ساقيه زرقا الى الكعنين والمقب
بنى الجزيرة حصنا يستجن به
بالصف والضرب والصناع فى تعب
وراقب الجيزة القصوى فخذلها
وكاد يصعق من خوف ومن رعب
له . مراكب فوق النيل راكدة
فما سوى القار للنظار والخشب

ترى عليها لباس الذل مذ بيت
بالشط منسوعة من عزة الطلب
فما بناها لغزو الروم محسبا
لكن بناها غداة الروح والمطب
وقال سعيد بن القاضى من أبيات :
وان جئت رأس الجسر فانظر تأملا
الى الحصن أو فاعبر اليه على الجسر
ترى أثرا لم يبق من يستطيعه
من الناس فى بدو البلاد ولا حضر
مآثر لا تبلى وان باد أهلها
ومجد يودى واريه الى الفخر

وما زال حصن الجزيرة هذا عامرا أيام بنى
طولون ، وعملت فيه صناعة مصر التى تنشا
فيها المراكب الحربية . فاستمر صناعة الى أن
تقلد الأمير محمد بن طنج الاخشيد امارة
مصر من قبل أمير المؤمنين الرضى بالله ، وسير
مراكب من الشام عليها صاعد بن الكلکم ،
فدخل تيس ، وصارت مقدمته فى البر ،
ودخل صاعد دمياط ، وسار فهزم جيش مصر
الذى جهزه أحمد بن كيفلغ اليه بتدبير محمد
ابن على الماردانى على بحيرة نوسا ، وأقبل
فى مراكبه الى القسطنطين فكان بالجزيرة .

وقدم محمد بن طنج ، وتسلم البلد لست
بقيين من رمضان سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ،
وفر منه جماعة الى الفيوم . فخرج اليهم
صاعد بن الكلکم فى مراكبه ، وواقعهم
بالفيوم فقتل فى عدة من أصحابه ، وقدمت
الجماعة فى مراكب ابن كلکم ، فأرسوا

(١٨٠) من ١٨٠٠ ج ٢ ، ط ١٠ بولاق

بجزيرة الصناعة وحرقوها ، ثم مضوا الى
الاسكندرية وساروا الى برقة . فقال محمد
ابن طنج : الصناعة هنا خطا . وأمر بمسل
صناعة فى بر مصر .

وحكى ابن زولاق فى « سيرة محمد بن
طنج » أنه قال : أذكر انى كنت آكل مع أبى
منصور تكين أمير مصر ، وجرى ذكر الصناعة
فقال تكين : صناعة يكون بيننا وبينها بحر
خطا . فأشارت الجماعة بنقلها ، فقال : الى
أى موضع ؟ فأردت أن أشير عليه بدار خديجة
بنت الفتح بن خاقان ، ثم سكت ، وقلت أدع
هذا الراى لنفى اذا ملكت مصر ، فبلغت
ذلك والحمد لله وحده .

ولما أخذ محمد بن طنج دار خديجة كان
يتردد اليها حتى عمت . فلما ابتدأوا بانشاء
المراكب فيها ، صاحبت به امرأة ، فقال :
خذوها . فساروا بها الى داره ، فأحضرها
مساء ، واستخبرها عن أمرها . فقالت : ابعت
معى من يحمل المال .

فأرسل معها جماعة الى دار خديجة هذه ،
فدلتهم على مكان استخرجوا منه عينا وورقا
وحليا وثيابا وعدة ذخائر لم ير مثلا ، وصاروا
بها الى محمد بن طنج . فطلب المرأة ليكافئها
على ما كان منها ، فلم توجد . فكان هذا أول
مال وصل الى محمد بن طنج بمصر .

قال : واستدعى محمد بن طنج الاخشيد
صالح بن نافع وقال له : كان فى نفى اذا
ملك مصر أن أجعل صناعة العمارة فى دار
ابنة الفتح ، وأجعل موضع الصناعة من

الجزيرة بستانا أسية المختار ، قارب وخط
لى بستانا ودارا ، وقدر لى التفقة عليها
قرب صالح بجماعة ، وخطوا بستانا فيه
دار للفلسان ودار للنوبة وخزائن للكسوة
وخزائن للطعام ، وصوروه وألوا به ،
فأستعنه وقال : كم قدرتم التفقة ؟
قالوا : ثلاثين ألف دينار .

فأستكثرها ... فلم يزالوا يضعون من
التقدير حتى صار خمسة آلاف دينار . فأذن
فى عمله . ولما شرعوا فيه ألزمهم المال من
عندهم ، فقسط على جماعة ، وقرغ من بنائه .
فأخذوا الأخشيذ متزها له ، وصار يفخر به
أهل العراق .

وكان نقل الصناعة من الجزيرة الى ساحل
النيل بمصر فى شعبان سنة خمس وعشرين
وثلاثمائة .

فلم يزال البستان المختار متزها الى أن
زالت الدولة الاخشيدية والكافورية ، وقدمت
الدولة الفاطمية من بلاد المغرب الى مصر .
فكان يتزها فيه المزمز لدين الله معبد وابنه
العزيز بالله تزار ، وصارت الجزيرة مدينة
عامرة بالناس لها وال وقاض ، وكان يقال
القاهرة ومصر والجزيرة .

فلما كانت أيام استيلاء الأفضل شاهنشاه بن
أمير الجيوش بدر الجبالى ، وحججه على
الخلفاء ، أنشأ فى بحرى الجزيرة مكانا تزها
سماء الروضة ، وتردد اليها ترددا كثيرا ،
فكان يسير فى العشاريات الموكيات من دار
الملك التى كانت سكته بمصر الى الروضة ،

ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف
بالروضة . فلما قتل الأفضل بن أمير الجيوش ،
واستبد الخليفة الأمر بأحكام الله أبو على
منصور بن المستعلى بالله ، أنشأ بجوار البستان
المختار من جزيرة الروضة ، مكانا لمحبوبته
العالية البدوية سماء الودج .

« الودج » : قال ابن سعيد فى كتاب
« المحلى بالأشعار » عن تاريخ القرطبي :
قد أكثر الناس فى حديث البدوية وابن مياح
من بنى عمها ، وما يتعلق بذلك من ذكر الخليفة
الأمر بأحكام الله ، حتى صارت رواياتهم فى
هذا الشأن كاحاديث البطال وألف ليلة وليلة
وما أشبه ذلك .

والاختصار منه أن يقال ان الخليفة الأمر
كان قد ابتلى بعشق الجوارى العريصات ،
وصارت له عيون فى البوادي . فبلغه أن
بالصعيد جارية من أكمل العرب وأنظر
نسائهم شاعرة جميلة .

فيقال انه تزها بزى بداة الأعراب ، وصار
يجول فى الأحياء الى أن انتهى الى حيها ،
وبات هناك . فى ضائقة ، وتحيل حتى غابها
فما ملك صبره ، ورجع الى مقر ملكه وسرير
خلافته ، فأرسل الى أهلها يخطبها ، فأجابوه
الى ذلك وزوجوها منه .

فلما صارت الى القصور ، صعب عليها
مفارقة ما اعتادت ، وأجبت أن تشرح طرفها
فى القضاء ، ولا تقبض نفسها تحت حيطان
المدينة . فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة

(*) من ١٨١ ج ٢ ، ط. بولاق .

الفسطاط المعروف بالهودج ، وكان على
شاطئ النيل فى شكل غريب .

وكان بالاسكندرية القاضى مكين الدولة
أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن
الحسن بن حديد ، قد استولى على أمورها ،
وصار قاضيا وناظرها ، ولم يبق لأحد معه
فيها كلام ، وضمن أموالها بجملة يحملها .

وكان ذا مروءة عظيمة يحتذى أعمال
البرامكة ، وللشعراء فيه مدائح كثيرة ، ومن
مدحه ظافر الحداد ، وأمية بن أبى الصلت ،
وجماعة . وكان الأفضل بن أمير الجيوش اذا
أراد الاعتناء بأحد كتب معه كتابا الى ابن
حديد هذا ، فيغنيه بكثرة عطائه .

وكان له بستان يتفرج فيه ، به جرن كبير
من رخام قطعة واحدة ينحدر فيه الماء فيبقى
كالبركة من سعته ، وكان يجد فى نفسه برؤية
هذا الجرن زيادة على أهل النعم ، ويساهى
به أهل عصره . فوشى به للبدوية محبوبة
الخليفة ، فطلبت من الخليفة ، فأقنذ فى الحال
بإحضاره .

فلم يسع ابن حديد الا أن قلعه من مكانه ،
وبعث به وفى نفسه حزازة من أخذه منه ،
وخدم البدوية ، وخدم جميع من يلوذ بها ،
حتى قالت : هذا الرجل أخجلنا بكثرة هداياه
وتحفه ، ولم يكلفنا قط أمرا تقدر عليه عند
الخليفة مولانا .

فلما بلغه ذلك عنها قال : ما لى حاجة ،
بعد الدعاء لله تعالى بحفظ مكانها وطول
حياتها ، غير رد الجرن الذى أخذ من دارى
التي بنيتها فى أيامهم من نعمهم الى مكانه .

فلما سمعت هذا عنه تمجبت منه ، وأمرت
برد الجرن اليه . فقيل له : قد وصلت الى حد
أن خيرتك البدوية فى جميع المطالب ، فنزلت
هناك الى قطعة حجر .

فقال : أنا أعرف بنفسى ... ما كان لها أمل
سوى الا تغلب فى أخذ ذلك الجرن من
مكانه ، وقد بلغها الله أملها .

وبقيت البدوية متعلقة خاطر بابن عم لها
ريت معه يعرف بابن مياح ، فكتبت اليه
وهى بقصر الخليفة الأمر :

يا ابن مياح اليك المشتكى
مالك من بعدكم قد ملكا

كنت فى حبي مرا مطلقا
ناثلا ما شئت منكم مدركا

فأنا الآن بقصر مؤصد
لا أرى الا حيسا ممسكا

كم تثنينا بأغصان اللوا
حيث لا نخشى علينا دركا

وتلاعبنا برملات الحمى
حيثما شاء طليق سلكا

فأجابها :

بت عنى والتى غذيتها
بالهوى حتى علا واحتكا

بحت بالشكوى وعندى ضعفها
لو غدا ينفع منها المشتكى

مالك الأمر اليه يشتكى
مالك وهو الذى قد هلكا

أن داود غدا في مصر
مبديا باليه ما قد ملكا

فيلت الأمر ، قتل : لولا أنه أساء الأب
في البيت الرابع لرددتها إلى حيه ، وزوجتها

قال القرطبي : وثلاث في طلب ابن مباح
ولخفته أخبار طول .

وكان من عرب طيء في عصر الخليفة
الأمر طراد بن مهليل . فلما بلغه قضية الأمر
مع العالية البدوية قال :

آلا ابلغوا الأمر المصطفى
مقال طراد ونعم المقال

ففت الألفين عن آفة
بها سر الحى بين الرجال
كنا كن آياؤك الأتقون

سألت فقل لي جواب السؤال

فلما بلغ الأمر شعره ، قال : جواب السؤال
قطع لسانه على فضوله . ولم يلقه في أحياء
العرب ، فمر ولم يقدر عليه ، فقالت العرب :
ما أحر صفة طراد ، بأع آيات الحى بثلاثة
آيات !

ولم يزل الأمر يتردد إلى الهودج بالروضة
للزخمة فيه . إلى أن ركب من القصر بالقاهرة
يريد الهودج ، في يوم الثلاثاء رابع ذي
القعدة سنة أربع وعشرين وخمسائة ، فلما
كان يرأس الجسر وثب عليه قوم من التزارة ،
قد كنسوا له في فرن تجاه رأس الجسر
بالروضة ، وضربوه بالسكاكين حتى أمخوه ،

وجرحوا جماعة من خدامه ، فحمل إلى منقرة
القلعة بناطلي الخليج وقد مات .

ذكر قلعة الروضة

علم أنه ما برحت جزيرة الروضة متزها
ملوكيا ومسكنا للناس ، كما تقدم ذكره ، إلى
أن ولي الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن
الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر
ابن أيوب سلطة مصر ، فأنشأ القلعة
بالروضة . فعرفت بقلعة المقياس ، وبقلعة
الروضة ، وبقلعة الجزيرة ، وبالقلعة
الصالحية .

وشرع في حفر أساسها يوم الأربعاء خامس
شعبان ، وابتدأ بنائها في آخر الساعة الثالثة
من يوم الجمعة سادس عشره .

وفي عشر ذي القعدة وقع الهدم في الدور
والتصور والمساجد التي كانت بجزيرة
الروضة ، وتحول الناس من مساكنهم التي
كانوا بها ، وهدم كنيسة كانت للعباقبة بجانب
المقياس وأدخلها في القلعة .

وأفق في عمارتها أموالا جمة ، وبنى فيها
الدور والتصور ، وغسل لها ستين برجا ، وبنى
بها جامعا ، وغرس بها جميع الأشجار ، وقل
إليها عند الصوان من البرابي وعند الرخام ،
وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب ، وما يحتاج
إليه من الغلال والأزواد والأقوات ، خشية

(١٨١) من ١٨١ ج ٢ ، طبع بولاق .

من محاصرة القريج فاهم كانوا حينئذ على
عزم قصد بلاد مصر .

وبالغ في اتفاقها بمبالغة عظيمة ، حتى قيل
أنه استقام كل حجر فيها بدينار ، وكل طوبة
بدرهم .

وكان الملك الصالح يقف بنفسه ويرتب ما
يصل ، فصارت تدعى من كثرة زخرفتها ،
وتحير النظر إليها من حسن مقومها المرونة
وبديع رخمها .

ويقال أنه قطع من الموضع الذي أنشأ فيه
هذه القلعة ألف فغلة مشرة ، كان رطبها
يهدى إلى ملوك مصر لحسن منظره وطيب
طعمه ، وخرب الهودج والبستان المختار ،
وهدم ثلاثة وثلاثين مسجدا عمرها خلفاء مصر
وسراة المصريين لذكر الله تعالى وإقامة
الصلوات .

واتفق له في هدم بعض هذه المساجد
خير غريب . قال الحافظ جمال الدين يوسف
ابن أحمد بن محمود بن أحمد الأسدي ،
الشهير باليعقوبي : سمعت الأمير الكبير
الجواد جمال الدين أبا الفتح موسى ابن الأمير
شرف الدين يعقوب بن جلدك بن عبد الله ...
قال : ومن عجيب ما شاهدته من الملك الصالح
أبى القسوح نجم الدين أيوب ابن الملك
الكامل ، رحمه الله تعالى ، أنه أمرني أن أهدم
مسجدا كان في جوار داره بجزيرة مصر .

فأخبرت ذلك ، وكرهت أن يكون هدمه
على يدي ، فأعاد الأمر وأنا أكسر عنه . وكأنه
فهم مني ذلك ، فاستدعى بعض خدمه من
نوابي وأنا غائب ، وأمره أن يهدم ذلك

المسجد ، وأن يبنى في مكانه قاعة ، وقدر له
صفتها . فهدم ذلك المسجد ، وعمر تلك
القاعة مكانه وكملت .

وقدمت القريج إلى الديار المصرية ، وخرج
الملك الصالح مع عساكره إليهم ، ولم يدخل
تلك القاعة التي بنيت في المكان الذي كان
مسجدا . فتوفي السلطان في المنصورة ،
وجعل في مركب ، وأتى به إلى الجزيرة ،
فجعل في تلك القاعة التي بنيت مكان المسجد
مسدة إلى أن بنيت له التربة التي في جنب
مدارسه بالقاهرة في جانب القصر ، غفا الله
عنه .

وكان النيل - عندما عزم الملك الصالح
على عارة قلعة الروضة - من الجانب
الغربي ، فيما بين الروضة وبر العيزة ، وقد
انطرد عن بر مصر ، ولا يحيط بالروضة إلا في
أيام الزيادة . فلم يزل يفرق السفن في البر
الغربي ، ويحفر فيما بين الروضة ومصر ما
كان هناك من الرمال ، حتى عاد ماء النيل
إلى بر مصر ، واستمر هناك ، فأنشأ جبرا
عظيما امتدا من بر مصر إلى الروضة ، وجعل
عرضه ثلاث قصبات .

وكان الأمراء إذا ركبوا من منازلهم يريدون
الخدمة السلطانية بقلعة الروضة ، يترجلون عن
خيولهم عند البر ، ويشبون في طول هذا
الجسر إلى القلعة ، ولا يمكن أحد من العبور
عليه راكبا سوى السلطان فقط .

ولما كملت تحول إليها بأهله وحرمة ،
واتخذها دار ملك ، وأسكن فيها معه مماليكه
البحرية ، وكانت عدتهم نحو الألف مملوك .

قال العلامة علي بن سعيد في « كتاب المغرب » وقد ذكر الروضة : هي أمام القسطنطينية فيما بينها وبين منظر الجزيرة ، وبها مقياس النيل ، وكانت متزها لأهل مصر . فاختارها الصالح بن الكامل سرير السلطنة ، وبنى بها قلعة مسورة بسور ساطع اللون ، محكم البناء على السك ، لم تر عيني أحسن منه .

وفي هذه الجزيرة كان الهودج الذي بناه الأمر خليفة مصر لزوجه البدوية التي هام في حبها ، والمختار بستان الاخشيد وقصره ، وله ذكر في شعر تيسم بن المعز وغيره . ولشعراء مصر في هذه الجزيرة أشعار ، منها قول أبي القحح بن قادوس الديلمي :

أرى سرح الجزيرة من بعيد
كأحداق تفازل في مفازل
كان مجرة الجوزا أحاطت
وأثبت المنازل في المنازل

وكتبت أشق في بعض الليالي بالقسطنطينية على ساحلها ، فيزدهيني ضحك البدر في وجه النيل أمام سور هذه الجزيرة الدرر اللون . ولم أتصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة ، وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت إليه * همة بانيها ، وهو من أعظم السلاطين همة في البناء .

وأبصرت في هذه الجزيرة إيوانا لجلوسه لم تر عيني مثاله ، ولا أقدر ما أفتق عليه ، وفيه من صفائح الذهب والرخام الأبنوسي

(٥) ص ١٨٢ ج ٢ ، طبع بولاق .

والكافوري والمجزع ما يذهل الأفكار ، ويستوقف الأبصار .

ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة ، وفي بعضها حائط حطير به على أصناف الوحوش التي يتفرج عليها السلطان ، وبعدها مروج ينقطع فيها مياه النيل فينظر بها أحسن منظر .

وقد تفرجت كثيرا في طرف هذه الجزيرة ما يلي بر القاهرة ، فتقطعت فيه عشيات مذهبات لم تزل لأحزان القرية مذهبات .

وإذا زاد النيل فصل ما بينها وبين القسطنطينية بالكلية . وفي أيام احتراق النيل يتصل برها ببر القسطنطينية من جهة خليج القاهرة ، ويبقى موضع الجسر فيه مراكب .

وركبت مرة هذا النيل أيام الزيادة مع صاحب المحسن محيي الدين بن ندا وزير الجزيرة ، وصعدنا إلى جهة الصعيد ، ثم انحدروا واستقبلنا هذه الجزيرة ، وأبراجها تلالا والنيل قد انقسم عنها ، فقلت :

تأمل لحن الصالحية إذ بدت
وأبراجها مثل النجوم تلالا
وللقلعة الغراء كالبدر طالعا
تفرج صدر الماء عنه هلالا

ووافي إليها النيل من بعد غاية كما زار مشغوفه يروم وصالا

وعانتها من فرط شوق لحسنها
فقد يميننا نحوها وشالا
جري قادما بالسعد فاخطت حولها
من السعد أعلاما فزاد دلالاتها

ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت دولة بني أيوب . فلما ملك السلطان الملك المعز عز الدين أيك التركماني - أول ملوك التركمانيين - أمر بدمها ، وعمر منها مدرسة المعروفة بالمعزية في رحبة الحناء بمدينة مصر . وطبع في القلعة من له جاء ، فأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك كثيرة وغير ذلك ، وبيع من أخشابها ورخامها أشياء جليلة .

فلما صارت مملكة مصر إلى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ، اهتم بعمارة قلعة الروضة ، ورسم للأمير جمال الدين موسى بن يغمور أن يتولى أعادتها كما كانت . فأصلح بعض ما تهدم فيها ، ورتب فيها الجاندرارية ، وأعادها إلى ما كانت عليه من الحرمة .

وأمر بأبراجها ففرقت على الأمراء ، وأعطى برج الزاوية للأمير سيف الدين قلاوون الألفي والبرج الذي يليه للأمير عز الدين الحلبي ، والبرج الثالث من بروج الزاوية للأمير عز الدين أرغان ، وأعطى برج الزاوية الغربي للأمير بدر الدين الشامي ، وفرقت بقية الأبراج على سائر الأمراء ، ورسم أن تكون بيوتات جميع الأمراء واصطبلاتهم فيها ، وسلم المفاتيح لهم .

فلما تسلطن الملك المنصور قلاوون الألفي ، وشرع في بناء المارستان والقبعة والمدرسة المنصورية ، نقل من قلعة الروضة هذه ما يحتاج إليه من عمد الصوان وعمد الرخام التي كانت قبل عمارة القلعة في البرابي ، وأخذ منها رخاما كثيرا وأعتابا جليلة مما كان في

البرابي وغير ذلك . ثم أخذ منها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ما احتاج إليه من عمد الصوان في بناء الأيوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل والجامع الجديد الناصري ظاهر مدينة مصر ، وأخذ غير ذلك حتى ذهبت كآل لم تكن .

وتأخر منها عقد جليل ، تسميه العامة القوس ، كان مما يلي جانبها الغربي . أدركناه باقيا إلى نحو سنة عشرين وثمانمائة ، وبقي من أبراجها عدة قد انقلب أكثرها ، وبني الناس فوقها دورهم المطل على النيل .

قال ابن المتوج : ثم اشترى الملك المنصور تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب جزيرة مصر ، المعروفة اليوم بالروضة ، في شعبان سنة ست وستين وخمسة . وإنما سميت بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها ، وبحر النيل حائز لها ودائر عليها . وكانت حصينة وفيها من البساتين والعنابر والشار مالم يكن في غيرها .

ولما فتح عمرو بن العاص مصر تحصن الروم بها مدة . فلما طال حصارها وهرب الروم منها ، خرب عمرو بن العاص بعض أبراجها وأسوارها ، وكانت مستديرة عليها ، واستمرت إلى أن عمر حصنها أحمد بن طولون في سنة ثلاث وستين ومائتين ، ولم يزل هذا الحصن حتى خربه النيل .

ثم اشترى الملك المنصور تقي الدين عمر المذكور ، وبقيت على ملكه ... إلى أن سير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده الملك العزيز عثمان إلى مصر ومعه عنه الملك

العادل ، وكتب الى الملك المظفر بأن يسلم لهما البلاد ويقدم عليه الى الشام .

فلما ورد عليه الكتاب ، ووصل ابن عمه الملك العزيز وعنه الملك العادل ، شق عليه خروجه من الديار المصرية ، وتحقق أنه لا عود له اليها أبدا . فوقف هذه المدرسة التي تعرف اليوم في مصر بالمدرسة التقوية - التي كانت تعرف بمنزل العز - ووقف عليهما * الجزيرة بكاملها ، وصافر الى عمه فملكه حاة .

ولم يزل الحال كذلك . الى أن ولي الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فاستأجر الجزيرة من القاضي فخر الدين أبي محمد عبد العزيز ابن قاضي القضاة عماد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد العلي بن عبد القادر السكري ، مدرس المدرسة المذكورة ، لمدة ستين سنة في دفعتين ، كل دفعة قطعة : فالقطعة الأولى من جامع غين الى المناظر طولاً وعرضاً من البحر الى البحر ، واستأجر القطعة الثانية وهي باقى أرض الجزيرة بما فيها من النخل والجوز والعروس .

فانه لما عمر الملك الصالح مناظر قلعة الجزيرة ، قطعت النخل ودخلت في العمائر . وأما الجوز فانه كان بشاطئ بحر النيل صف بجيز يزيد على أربعين شجرة ، وكان أهل مصر فرجهم تحتها في زمن النيل والرياح ، قطعت جميعها في الدولة الظاهرية ، وعمر بها شوانى عوض الشوانى التي كان قد سيرها الى جزيرة قبرس .

(*) ص ١٨٤ جزء ٤ طبع بولاق

ثم سلم لمدرس التقوية القطعة المستأجرة من الجزيرة أولا في سنة ثمان وتسعين وستمائة ، وبقي بيد السلطان القطعة الثانية .

وقد خربت قلعة الروضة ، ولم يبق منها سوى أبراج قد بنى الناس عليها ، وبقي أيضا عقد باب من جهة الغرب يقال له باب الاصطبل . وعادت الروضة بعد هدم القلعة منها متزها يشتمل على دور كثيرة ، وبساتين عدة ، وجوامع تقام بها الجماعات والأعياد ومساجد . وقد خرب أكثر مساكن الروضة ، وبقي فيها الى اليوم بقايا .

وبطرف الروضة « المقياس » الذي يقاس فيه ماء النيل اليوم ، ويقال له المقياس الهاشمي ، وهو آخر مقياس بنى بديار مصر .

قال أبو عمر الكندي : وورد كتاب المتوكل على الله بإبتناء المقياس الهاشمي للنيل ، وبمزل النصارى عن قياسه . فجعل يزيد بن عبد الله بن دينار ، أمير مصر ، أبا الرداد المعلم . وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب الخراج في كل شهر سبعة دنائير ، وذلك في سنة سبع وأربعين ومائتين . وعلامة وفاء النيل ستة عشر ذراعا أن يسيل أبو الرداد ، قاضي البحر ، السر الأسود الخلفى على شباك المقياس ، فإذا شاهد الناس هذا السر قد أسبل تباشروا بالوفاء ، واجتمعوا على العادة للفرجة من كل صوب .

وما أحسن قول شهاب الدين بن العطار في تهتك الناس يوم تخليق المقياس :

تهتك الخلق بالتخليق قلت لهم
ما أحسن السر ، قالوا العفو مأمول

ستر الاله علينا لا يزال فما
أحلى تهتكنا والسر مبول

« جزيرة الصابوني » : هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار ، والرباط من جبلتها . وقها أبو الملوك نجم الدين أيوب بن شاذى وقطعة من بركة الحبش ، فجعل نصف ذلك على الشيخ الصابوني وأولاده ، والنصف الآخر على صوفية بمكان بجوار قبة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ، يعرف اليوم بالصابوني .

« جزيرة الفيل » : هذه الجزيرة هي الآن بلد كبير خارج باب البحر من القاهرة ، وتتصل بشية الشيرج من بحريها ، ويمر النيل من غربيها ، وبها جامع تقام به الجمعة وشوق كبير وعدة بساتين جليلة .

وموضعها كله مما كان غامرا بالماء في الدولة الفاطمية . فلما كان بعد ذلك انكسر مركب كبير كان يعرف بالفيل ، وترك في مكانه ، فربا عليه الرمل ، وانطرد عنه الماء . فصارت جزيرة فيما بين المنية وأرض الطبالة سماها الناس جزيرة الفيل .

وصار الماء يمر من جوانبها : فغربيها تجاه بر مصر الغربى ، وشرقيها تجاه البعل ، والماء فيما بينها وبين البعل - الذى هو الآن قبالة قناطر الأوز - فان الماء كان يمر بالمقس من تحت زريبة جامع المقس الموجود الآن على الخليج الناضرى ، ومن جامع المقس على أرض الطبالة الى غربى المصلى حتى ينتهى من تجاه التاج الى المنية .

وصارت هذه الجزيرة في وسط النيل ، وما برحت تتسع الى أن زرعت في أيام الملك

الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . فوقها على المدرسة التي أنشأها بالترافة بجوار قبر الشافعى رضى الله عنه ، وكثرت أطيانه بانحسار النيل عنها في كل سنة .

فلما كان في أيام الملك المنصور قلاوون الأتقى ، تقرب مجد الدين أبو الروح عيسى ابن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن الخشاب ، المتحدث في الأحباس ، الى الأمير علم الدين سنجر الشجاعى بأن فى أطيان هذه الجزيرة زيادة على ما وقفه السلطان صلاح الدين .

فأمر بقياس ما تجدد بها من الرمال ، وجعلها لجهة الوقف الصلاحى ، وأقطع الأطيان القديمة التي كانت فى الوقف ، وجعلها هي التي زادت .

فلما أمر الملك المنصور قلاوون بعمل المارستان المنصورى ، وقف بقية الجزيرة عليه . ففرس الناس بها القروس ، وصارت بساتين ، وسكن الناس من المزارعين هناك .

فلما كانت أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد عوده الى قلعة الجبل من الكرك ، وانحسر النيل عن جانب المقس الغربى * ، وصار ما هنالك رمالا متصلة من بحريها بجزيرة الفيل المذكورة ، ومن قبليهما بأراضى اللوق ... افتتح الناس باب العمارة بالقاهرة ومصر ، فعمروا فى تلك الرمال المواضع التي تعرف اليوم ببولات خارج المقس ، وأنشأوا بجزيرة الفيل البساتين والقصور .

واستجد ابن المغربى الطيب بستانا اشتراه منه القاضي كريم الدين ناظر الخاص ، للأمير

(*) ص ١٨٤ جزء ٤ طبع بولاق

سيف الدين فطشتر الساقى ، بنحو المائة ألف درهم فضة : عنها زهاء خمسة آلاف مثقال ذهباً .

وتتابع الناس فى إنشاء البساتين حتى لم يبق بها مكان بغير عارة . وحكم ما كان منها وقفا على المدرسة المجاورة للشافعى رضى الله عنه ، وما كان فيها من وقف المارستان ، وغرس ذلك كله بساتين ، فصارت تنيف على مائة وخمسين بستاناً الى سنة وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ونصب فيها سوق كبير يساع فيه أكثر ما يطلب من المأكول ، وإبتنى الناس بها عدة دور وجامعا ، فبقيت قرية كبيرة .

وما زالت فى زيادة ونمو . فأنشأ قاضى القضاة جلال الدين القزوينى رحمه الله ، الدار المجاورة لبستان الأمير ركن الدين بيمرس العاجب على النيل ، فجاءت فى غاية من الحسن . فلما عزل عن قضاء القضاة وسار الى دمشق ، اشتراها الأمير بشتاك بثلاثين ألف درهم ، وخرّبها وأخذ منها رخاماً وشبابيك وأبواباً ، ثم باع باقى نقضها بمائة ألف درهم . فربح الباعة فى ذلك شيئاً كثيراً .

ونودى على زريتها فحكوت ، وخرّ عليها الناس عدة أملاك ، وانصلت العمارة بالأملاك من هذه الزرية الى منية الشيرج . ثم خربت شيئاً بعد شيء ، وبقي ما على هذه الزرية من الأملاك ، وهى تعرف اليوم بدار الطنبدى التاجر .

وأما بساتين الجزيرة فلم تزل عجيباً من عجائب الدنيا ، من حسن المنظر وكثرة

المتحصل . الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة ، فتلاشت وخرّب كثير منها لغزو العلوفات من القبول والتبن ، وشدة ظلم الدولة ، وتعطل معظم سوقها . وفيها الى الآن بقية صالحة .

« جزيرة أروى » : هذه الجزيرة تعرف بالجزيرة الوسطى ، لأنها فيما بين الروضة وبولاق وفيما بين بر القاهرة وبر الجيزة ، لم ينحصر عنها الماء إلا بعد سنة سبعمائة .

وآخبرنى القاضى الرئيس تاج الدين أبو الفداء اسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب ابن الخطيب المخزومى ، عن الطيب الفاضل شمس الدين محمد بن الألفانى ، أنه كان يمر بهذه الجزيرة أول ما انكشفت ، ويقول : هذه الجزيرة تصير مدينة — أو قال تصير بلدة — على الشك منى . فاتفق ذلك ، وبنى الناس فيها الدور الجليلة والأسواق والجامع والطاحون والقرن ، وغرسوا فيها البساتين ، وحفروا الآبار ، وصارت من أحسن متزهات مصر يحف بها الماء .

ثم صار ينكشف ما بينها وبين بر القاهرة ، فإذا كانت أيام زيادة ماء النيل أحاط الماء بها ، وفى بعض السنين يركبها الماء ، فتسرى المراكب بين دورها وفى أزقتها . ثم لما كثر الرمل فيما بينها وبين البر الشرقى — حيث كان خط الزرية وقم الخور — قل الماء هناك ، وتلاشت مساكن هذه الجزيرة منذ كانت الحوادث فى سنة ست وثمانمائة ، وفيها الى اليوم بقايا حسنة .

« الجزيرة التى عرفت بحلية » : هذه الجزيرة خرجت ، فى سنة ست وأربعين وسبعمائة ، ما بين بولاق والجزيرة الوسطى . ستمها العامة بحلية ، ونصبوا فيها عدة أخصاص ، بلغ مصروف الخصى الواحد منها ثلاثة آلاف درهم نقرة فى ثمن رخام ودهان . فكان فيها من هذه الأخصاص عدة وافرة ، وزرع حول كل خص من المقائى وغيرها ما يستحسن .

وأقام أهل الخلاعة والمجون هناك ، وتهتكوا بأنواع المحرمات ، وتردد الى هذه الجزيرة أكثر الناس حتى كادت القاهرة ألا يثبت بها أحد .

وبلغ أجرة كل قصبة بالقياس فى هذه الجزيرة ، وفى الجزيرة التى عرفت بالطمية فيما بين مصر والجيزة ، مبلغ عشرين درهما نقرة ، فوقف الفدان هناك بمبلغ ثمانية آلاف درهم نقرة ، ونصبت فى هذه الأفدة الأخصاص المذكورة ، وكان الاتفاغ بها فيما ذكر نحو ستة أشهر من السنة ، فعلى ذلك يكون الفدان فيها ببلغ ستة عشر ألف درهم نقرة ، وأتلف الناس هناك من الأموال ما يجل وصفه .

فلما كثر تجاهرهم بالقيح ، قام الأمير أرغون العلانى ، مع الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون ، فى هدم هذه الأخصاص التى بهذه الجزيرة قياماً زائداً حتى أذن له فى ذلك . فأمر والى مصر والقاهرة ، فنزلا على حين غفلة ، وكيسا الناس ، وأراقا الخور ، وحرقا الأخصاص . فتلّف الناس فى

النهب والحريق وغير ذلك شئ كثير الى الغاية والنهاية .

وفى هذه الجزيرة يقول الأديب ابراهيم الممار :

جزيرة البحر جنت	بها عقول سليمة
لما حوت حسن معنى	ببساطة مستقيمة
وكم يخوضون فيها	وكم مشوا بنميمة *
ولم تزل ذا احتمال	ما تلك الا حليمة

ذكر السجون

قال ابن سيده : السجن الحبس ، والسجان صاحب السجن ، ورجل سجين سجون ... قال : وجبهه يحبه حباً فهو محبوس وحبيس ، واحتبسه وجبهه أمسكه عن وجهه .

وقال سيويه : حبسه ضبطه ، واحتبسه اتخذته حبساً ، والمحبس والمحبة والمحبس اسم الموضع .

وقال بعضهم : الحبس يكون مصدراً كالحبس ، ونظيره : الى الله مرجعكم ، أى رجوعكم . ويسألونك عن المحبض ، أى الحبض .

وروى الامام أحمد وأبو داود من حديث بهز بن حكيم ، عن أبيه عن جده رضى الله عنهم ، قال : ان النبى ، صلى الله عليه وسلم ، حبس فى تهمة .

وفي جامع الجلال عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حبس في تهمة يوما وليلة .

فالحبس الشرعي ليس هو السجن في مكان ضيق ، وانما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه . سواء كان في بيت أو مسجد ، أو كان يتولى نفس الخصم أو وكيله عليه ، وملازمته له . ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم أسيرا .

كما روى أبو داود وابن ماجه ، عن الهرماس بن حبيب عن أبيه رضي الله عنهما ، قال : آتيت النبي صلى الله عليه وسلم بغريم لي ، فقيل لي : « الزمه » . ثم قال لي : « يا أبا بني تميم ، ما تريد أن تفعل بأسيرك » ، وفي رواية ابن ماجه : ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بي آخر النهار ، فقال : « ما فعل أسيرك يا أبا بني تميم » ؟

وهذا كان هو الحبس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولم يكن له محبس معد لحبس الخصوم . ولكن لما انتشرت الرعية في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ابتاع من صفوان بن أمية رضي الله عنه دارا بمكة بأربعة آلاف درهم ، وجعلها سجنا يحبس فيها .

ولهذا تنازع العلماء : هل يتخذ الامام حبسا على قولين : فمن قال لا يتخذ حبسا ، لاحتج بأنه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لخليفته من بعده حبس ، ولكن يعوقه بمكان من الأمكنة ، أو يقيم عليه حافطا — وهو الذي يسمى الترسيم — أو يأمر

تغمسه بملازمته . ومن قال له أن يتخذ حبسا ، احتج بفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ومضت السنة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم ، أنه لا يحبس على الديون ، ولكن يتلازم الخصمان . وأول من حبس على الدين شرح القاضي .

وأما الحبس الذي هو الآن ، فإنه لا يجوز عند أحد من المسلمين . وذلك أنه يجتمع الجمع الكثير في موضع يضيق عنهم ، غير متكئين من الوضوء والصلاة ، وقد يرى بعضهم عبورة بعض ، ويؤذيهم الحر في الصيف والبرد في الشتاء ، وربما يحبس أحدهم السنة وأكثر ولا يجده له ، وإن أصل حبه على ضمان .

وأما سجون الولاية فلا يوصف ما يحصل بأهلها من البلاء ، واشتهر أمرهم أنهم يخرجون مع الأعوان في الحديد حتى يشحذوا ، وهم يصرخون في الطرقات : الجوع . فما تصدق به عليهم لا ينالهم منه الا ما يدخل بطونهم ، وجميع ما يجتمع لهم من صدقات الناس يأخذه السجان وأعوان الوالي ، ومن لم يرضهم بالغوا في عقوبته .

وهم مع ذلك يستعملون في الحفر وفي العسائر ، ونحو ذلك من الأعمال الشاقة ، والأعوان تستحثهم . فاذا انقضى عملهم ردوا الى السجن في حديدتهم من غير أن يطعموا شيئا الى غير ذلك مما لا يسع حكايته هنا . وقد قيل ان أول من وضع السجن والحرس معاوية .

وقد كان في مدينة مصر وفي القاهرة عدة سجون ، وهي : حبس المعونة بمصر ، وحبس الصيار بمصر ، وخزانة البنود بالقاهرة ، وحبس المعونة بالقاهرة ، وخزانة شائل ، وحبس الديلم ، وحبس الرجبة ، والحبس بقلعة الجبل .

« حبس المعونة بمصر » ، ويقال أيضا دار المعونة : كانت أولا تعرف بالشرطة ، وكانت قبلها جامع عمرو بن العاص . وأصله خطة قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنهم . اختطها في أول الاسلام — وقد كان موضعها فضاء — وأوصى فقال : ان كنت بيت بمصر دارا ، واستغنت فيها بمعونة المسلمين ، فهي للمسلمين ينزلها ولانهم .

وقيل بل كانت هي ودار الى جانبها لنافع ابن عبد قيس الفهري ، وأخذها منه فيس بن سعيد ، وعوضه دارا بزقاق القناديل . ثم عرفت بدار الفلفل لأن أسامة بن زيد التتوخي ، صاحب خراج مصر ، ابتاع من موسى بن وردان فلفلا بعشرين ألف دينار — كان كتب فيه الوليد بن عبد الملك لهدية الى صاحب الروم — فخرنه فيها ، فشكا ذلك إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين تولى الخلافة ، فكتب أن تدفع اليه ، ثم صارت شرطة ودار الصرف .

فلما فرغ عيسى بن يزيد الجلودى من زيادة عبد الله بن طاهر في الجامع ، بنى شرطة في سنة ثلاث عشرة ومائتين في خلافة المأمون ، ونقش في لوح كبير نصبه على باب الجامع الذي يدخل منه الى الشرطة ما نصه « بركة من الله لعبده عبد الله الامام المأمون »

أمير المؤمنين ، أمر بإقامة هذه الدار الهاشمية المباركة ، على يد عيسى بن يزيد الجلودى مولى أمير المؤمنين ، سنة ثلاث عشرة ومائتين .

ولم يزل هذا اللوح على باب الشرطة الى سفر سنة احدى ومائتين وثلاثمائة ، فقلعه يانس العزري ، وصارت حبسا يعرف بالمعونة ... الى أن ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فجعله مدرسة ، وهي التي تعرف اليوم بالشرقية .

« حبس الصيار » : هذا الحبس كان بمصر يحبس فيه الولاية بعدما عمل حبس المعونة مدرسة . وكان بأول الزقاق الذي فيه هذا الحبس حانوت يسكنه شخص يقال له منصور الطويل ، ويبيع فيه أصناف السوقة ، ويعرف هذا الرجل بالصيار من أجل أنه كانت له في هذا الزقاق قاعة يخزن فيها أنواع الصير المعروف بالملوحة ، فقل لهذا الحبس حبس الصيار .

ونشا لمنصور الصيار هذا ولد عرف بين اليهود بمصر بشرف الدين بن منصور الطويل . فلما أحدث الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي المظالم في سلطنة الملك المعز أيك التركماني ، خدم شرف الدين هذا على المظالم في جباية التسقيع والتقويم ، ثم خدم بعد ابطال ذلك في مكس القصب والرمان . فلما تولى قضاء القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز ، تأذى عنده بما باشره من هذه المظالم .

وما زال هذا الحبس موجودا الى أن
خربت مصر في الزمان الذي ذكرناه فخرّب ،
وبقي موضعه وما حوله كما كان .

« خزنة البود » : هذه الخزنة بالقاهرة
هي الآن زقاق ، يعرف بخط خزنة البود ،
على ستة من سلك من رجة باب العيد يريد
درب ملوخيا وغيره . وكانت أولا في الدولة
الفاطمية خزنة من جملة خزائن القصر يعمل
فيها السلاح ... يقال ان الخليفة الظاهر بن
الحاكم أمر بها . ثم انها احترقت في سنة
احدى وستين وأربعمائة ، فعُلت بعد حرقها
سجنا يسجن فيه الأمراء والأعيان الى أن
انقرضت الدولة ، فأقرها ملوك بني أيوب
سجنا .

ثم عُلّت منزلا للأمراء من الفرنج يسكنون
فيها بأهاليهم وأولادهم في أيام الملك الناصر
محمد بن قلاوون بعد حضوره من الكرك .
فلم يزالوا بها الى أن هدمها الأمير الحاج
آل ملك الجوكندار ، نائب السلطنة بديار
مصر ، في سنة أربع وأربعين وسبعمائة ،
فاختط الناس موضعها دورا . وقد ذكرت في
هذا الكتاب عند ذكر خزائن القصر .

« حبس المعونة من القاهرة » : هذا المكان
بالقاهرة موضعه الآن قيسارية العنبر برأس
الحررين . كان يسجن فيه أرباب الجرائم من
الراق ، وقطاع الطريق ونحوهم في الدولة
الفاطمية .

وكان سجنا حرجا ضيقا شديدا يشم من
قربه رائحة كريهة . فلما ولي الملك الناصر
محمد بن قلاوون ملكة مصر ، هدمه وبناه

قيسارية للعنبر . وقد ذكر عند ذكر الأسواق
من هذا الكتاب .

« خزنة شمائل » : هذه الخزنة كانت
بجوار باب زويلة على يسرة من دخل منه
بجوار السور . عرفت بالأمير علم الدين
شمائل والى القاهرة في أيام الملك الكامل
محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب . وكانت
من أشنع السجون وأقبحها منظرا ، يحبس
فيها من وجب عليه القتل ، أو القطع ، من
الراق وقطاع الطريق ، ومن يريد السلطان
اهلاكه من المالك وأصحاب الجرائم
العظيمة .

وكان السجنان بها يوظف عليهما والى القاهرة
شيئا يحمله من المال له في كل يوم ، وبلغ
ذلك في أيام الناصر فرج مبلغا كبيرا . وما
زالت هذه الخزنة على ذلك الى أن هدمها
الملك المؤيد شيخ المصودى ، في يوم الأحد
العاشر من شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة
وثمانمائة ، وأدخلها في جملة ما هدمه من الدور
التي عزم على عمارة أماكنها مدرسة .

وشمائل هذا هو الأمير علم الدين . قدم
الى القاهرة ، وهو من فلاحي بعض قرى
مدينة حماة ، في أيام الملك الكامل محمد بن
العادل ، فخدم جاندار في الركاب السلطاني .
الى أن نُزل الفرنج على مدينة دمياط في سنة
خمس عشرة وستائة ، وملكوا البر ،
وحصروا أهلها وحالوا بينهم وبين من يصل
اليهم . فكان شمائل هذا يخاطر بنفسه ،
ويسبح في الماء بين المراكب ، ويرد على
السلطان الخبر .

فتقدم عند السلطان ، وحظي لديه حتى
أقامه أمير جاندار ، وجعله من أكبر أمرائه ،
ونصبه سيف لقمته ، وولاه ولاية القاهرة .
فبشر ذلك الى أن مات السلطان ، وقام من
بعده ابنه الملك العادل أبو بكر . فلما خلع
بإخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، لقم
على شمائل .

« المقشرة » : هذا السجن بجوار باب
الفتوح فيما بينه وبين الجامع الحاكمي ، كان
يتشر فيه القمح . ومن جملة برج من أبراج
السور ، على ستة الخارج من باب الفتوح ،
استجد بأعلاه دور لم تزل الى أن هدمت
خزنة شمائل . فعين هذا البرج والمقشرة
لسجن أرباب الجرائم ، وهدمت الدور التي
كانت هناك في شهر ربيع الأول سنة ثمان
وعشرين وثمانمائة ، وعُسل البرج والمقشرة
سجنا ، ونقل اليه أرباب الجرائم .

وهو من أشنع السجون وأضيقها ، يقاسى
فيه المسجونون من القم والكرب ما لا
يوصف ... عافانا الله من جميع بلائه .

« الحب بقلعة الجبل » : هذا الحب كان
بقلعة الجبل يسجن فيه الأمراء . وأشدى

عمله في سنة احدى وثلاثين وستائة ،
والسلطان حينئذ الملك المنصور قلاوون . ولم
يزل الى أن هدمه الملك الناصر محمد بن
قلاوون في يوم الاثنين سابع عشر جمادى
الأولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة .

وذلك أن شاد العمارت نزل اليه ليصلح
عمارته ، فشاهد أمرا مهولا من الظلام وكثرة
الوطايط والروائح الكريهة .

واتفق مع ذلك أن الأمير بكتسر الساقى
كان عنده شخص يسخر به ويمارحه ، فبعث
به الى الحب ودلى فيه ، ثم أطلعه من بعد ما
بات به ليلة . فلما حضر الى بكتسر أخبره
بما عاينه من شناعة الحب ، وذكر ما فيه من
الروائح الموهلة . وكان شاد العمارت في المجلس
فوصف ما فيه الأمراء الذين بالحب من
الشدائد . فتحدث بكتسر مع السلطان في
ذلك ، فأمر بإخراج الأمراء منه ، وردم وعمر
فوقه أطباق المالك . وكان الذي ردم به هذا
الحب النقض الذي هدم من الايوان الكبير
المجاور للخزنة الكبرى . والله أعلم
بالصواب .

(*) من ١٨٨٤ ج ٢ ، ط ١٩٠٩ .
(١) تنبيه : لم يذكر المؤلف في الشر جميع السجون التي
ذكرها في الكتاب ، بل استقطنها اثنين وهما حبس الدبله
وحبس الرجة ، وذكر بدلهما اثنين وهما القشرة والجبل ،
فليحذر .

تم الجزء الثاني من كتاب « الخطط » للمقرئ
وأول الجزء الثالث « ذكر المواضع المعروفة بالصناعة »

فهرس الجزء الثاني
من كتاب « الخطط » للمقرئ

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
ذكر ما قيل في مدينة لسطاط مصر ...	٣	باب البرقية ...	٨٢
ذكر ما عليه مدينة مصر الآن وصفها ...	٨	ذكر قصور الخلفاء ومناظرهم ، والاملاص	
ذكر ساحل النيل بمدينة مصر ...	١٠	بطرف من مائتهم ، وما صارت	
ذكر المنشأة ...	١٢	اليه احوالها من بعدهم ...	٨٢
ذكر ابواب مدينة مصر ...	١٧	القصر الكبير ...	٨٢
ذكر القاهرة : قاهرة المزل لدين الله ...	١٨	قاعة الذهب ...	٨٥
ذكر ما قيل في نسب الخلفاء الفاطميين		كيفية سباط شهر رمضان بهذه القاعة	٨٩
بناة القاهرة ...	١٨	عمل سباط عيد الفطر بهذه القاعة ...	٧٩
ذكر الخلفاء الفاطميين ...	٢١	الايوان الكبير ...	٩١
ذكر ما كان عليه موضع القاهرة قيل		عيد القدير ...	٩١
وضعها ...	٢٩	المحول ...	٩٦
لاكن حد القاهرة ...	٤١	وصف الدعوة وتربيتها ...	٩٧
ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه في		الدعوة الاولى ...	٩٧
الدولة الفاطمية ...	٤٣	الدعوة الثانية ...	١٠٠
ذكر ما صارت اليه القاهرة بعد استيلاء		الدعوة الثالثة ...	١٠٠
الدولة الايوبية عليها ...	٤٩	الدعوة الرابعة ...	١٠١
ذكر طرف ما قيل في القاهرة		الدعوة الخامسة ...	١٠٢
ومتزهاتها ...	٥١	الدعوة السادسة ...	١٠٢
ذكر ما قيل في مدة بقاء القاهرة ووقت		الدعوة السابعة ...	١٠٣
تخريبها ...	٦٢	الدعوة الثامنة ...	١٠٣
ذكر ممالك القاهرة وشوارعها على ما		الدعوة التاسعة ...	١٠٤
هي عليه الآن ...	٦٤	ابتداء هذه الدعوة ...	١٠٥
ذكر سور القاهرة ...	٧١	الدواوين ...	١٠٧
ذكر ابواب القاهرة ...	٧٧	ديوان المجلس ...	١٠٨
باب زويلة ...	٧٧	ديوان النظر ...	١١٤
باب النصر ...	٧٩	ديوان التحقيق ...	١١٤
باب الفتوح ...	٧٩	ديوان الجيوش والرواتب ...	١١٤
باب القطرة ...	٨١	ديوان الانشاء والمكاتبات ...	١١٦
باب الشمعية ...	٨١	التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم ...	١١٧
باب سمادة ...	٨١	التوقيع بالقلم الجليل ...	١١٧
الباب المحروق ...	٨٢	مجلس النظر في المظالم ...	١١٧

الموضوع

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
باب العبد ...	١٧٦	رب الامراء ...	١١٨
باب قصر الشوك ...	١٧٦	قاضي القضاة ...	١١٨
باب الديلم ...	١٧٦	قاعة الفضة ...	١١٨
باب تربة الزعفران ...	١٧٦	قاعة السدرة ...	١١٩
باب الزهومة ...	١٧٧	قاعة الخيم ...	١١٩
ذكر المنحر ...	١٧٧	الناظر الثلاث ...	١٢٠
ذكر ما كان يعمل في عيد النحر ...	١٧٧	قصر الشوك ...	١٢٠
ذكر دار الوزارة الكبرى ...	١٨١	قصر اولاد الشيخ ...	١٢٠
ذكر ربة الوزارة وهيئة خلعهم ومقدار		قصر الزمرد ...	١٢٠
جاريهم وما يتعلق بذلك ...	١٨٨	الركن المخلوق ...	١٢٠
ذكر الحجر التي كانت يرسم الصبيان		السيفية ...	١٢١
الحجرية ...	١٩٠	دار الضرب ...	١٢١
ذكر المساح السعد ...	١٩٢	خزائن السلاح ...	١٢٣
ذكر اصطلح الطارمة ...	١٩٢	المارستان العتيق ...	١٢٤
ذكر دار الضرب وما يتعلق بها ...	١٩٤	التربة العزية ...	١٢٤
دار العلم الحديدة ...	١٩٤	القصر النافى ...	١٢٥
موسم اول العام ...	١٩٥	الخزائن التي كانت بالقصر ...	١٢٦
ذكر ما كان يضرب في خميس العديس		خزانة الكتب ...	١٢٧
من خرايب الذهب ...	٢٠٣	خزانة الكسوات ...	١٢٧
ذكر دار الوكالة الامرية ...	٢٠٤	خزائن الجوهر والطلب والطرائف	١٢٧
ذكر مصلى العيد ...	٢٠٤	خزائن الفرش والامتعة ...	١٢٧
ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها ...	٢٠٤	خزائن السلاح ...	١٢٧
ذكر القصر الصغير الغربي ...	٢١٥	خزائن السروج ...	١٢٧
المدان ...	٢١٦	خزائن الخيم ...	١٢٧
الستان الكافورى ...	٢١٦	خزانة الشراب ...	١٢٧
القاعة ...	٢١٦	خزانة التوابل ...	١٢٧
ابواب القصر الغربى ...	٢١٧	دار التعصبة ...	١٥٢
باب السباط ...	٢١٧	خزانة الادم ...	١٥٢
باب التبانين ...	٢١٨	خزائن دار افتكس ...	١٥٣
باب الزمرد ...	٢١٨	خير نزار وافتكين ...	١٥٣
ذكر دار العلم ...	٢١٨	خزانة البنود ...	١٥٥
ذكر دار الضباقة ...	٢١٨	دار الفطرة ...	١٥٨
ذكر اصطلح الحجرية ...	٢٢٤	المشهد الحسينى ...	١٦١
ذكر مطبخ القصر ...	٢٢٤	ما كان يعمل في يوم عاشوراء ...	١٦٨
درب السلسلة ...	٢٢٤	ذكر ابواب القصر الكبير الشرقى ...	١٧٠
ذكر الدار المامونية ...	٢٢٥	باب الذهب ...	١٧٠
الامون الطائحي ...	٢٢٥	جلوس الخليفة في الموائد بالمنظرة علو	
حبس المونة ...	٢٢٧	باب الذهب ...	١٧٠
ذكر دار الحبة ودار العيار ...	٢٢٧	باب البحر ...	١٧٣
اصطلح الجميزة ...	٢٢٨	باب الريح ...	١٧٤
دار الديباج ...	٢٢٨	باب الزمرد ...	١٧٦

الموضوع	صفحة
الاهراء السلطانية ...	١٢٩
ذكر المناظر التي كانت للخلفاء الفاطميين ومواقع نزهتهم وما كان لهم فيها من امور جميلة ...	١٣٠
منظرة الجامع ...	١٣٠
ذكر ليالي الوقود ...	١٣٠
منظرة اللؤلؤة ...	١٣٤
منظرة الغزالة ...	١٣٧
دار الذهب ...	١٣٨
منظرة السكر ...	١٣٩
ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليج ...	١٣٩
منظرة الدكة ...	١٥٦
منظرة المس ...	٢٥٧
منظرة البعل ...	٢٥٨
منظرة التاج ...	٢٥٩
منظرة الخمس وجوه ...	٢٥٩
منظرة باب الفتوح ...	٢٦٠
منظرة الصناعة ...	٢٦١
دار الملك ...	٢٦٣
منازل العز ...	٢٦٥
المسودج ...	٢٦٥
قصر القزالة ...	٢٦٨
المنظرة ببركة الحبش ...	٢٦٨
البساتين ...	٢٦٩
قبة الهواء ...	٢٧٠
بحر ابي المنجا ...	٢٧٠
قصر الورد بالخاقانية ...	٢٧٢
بركة الحب ...	٢٧٣
المشهي ...	٢٧٤
ذكر الأيام التي كانت للخلفاء الفاطميون يتخذونها اعيادا ومواسم تسع بها احوال الرعية وتكثر نعمهم ...	٢٧٤
موسم رأس السنة ...	٢٧٤
موسم أول العام ...	٢٧٥
يوم هاشوراء ...	٢٧٥
عيد النصر ...	٢٧٥
الواليد السنة ...	٢٧٦
ليالي الوقود الأربع ...	٢٧٦
موسم شهر رمضان ...	٢٧٦
ابطال المسكرات ...	٢٧٦
ذكر مذاهبهم في أول الشهور ...	٢٧٨

الموضوع	صفحة
قافلة الحاج ...	٢٧٨
موسم عيد الفطر ...	٢٧٩
عيد النحر ...	٢٧٩
عيد القدير ...	٢٧٩
كسوة الشتاء والصيف ...	٢٧٩
موسم فتح الخليج ...	٢٧٩
ذكر التوروز ...	٢٧٩
المسلاد ...	٢٨١
القطاس ...	٢٨١
خميس العهد ...	٢٨٢
ايام الركوبات ...	٢٨٢
مسلة الجمعة ...	٢٨٣
ذكر ما كان من أمر القصرين والمناسظر بعد زوال الدولة الفاطمية ...	٢٨٤
ذكر حارات القاهرة وظواهرها ...	٢٨٨
حارة بهاء الدين ...	٢٨٨
ذكر واقعة العيد ...	٢٨٨
حارة برجوان ...	٢٩٠
حارة زويلة ...	٢٩٢
الحارة المحمودية ...	٢٩٢
حارة الجودرية ...	٢٩٣
حارة الوزيرية ...	٢٩٣
حارة الباطلية ...	٢٩٩
حارة الروم ...	٣٠٠
حارة الديلم ...	٣٠٠
حارة الأتراك ...	٣٠٢
حارة كتامة ...	٣٠٢
ذكر ابي عبد الله الشيعي ...	٣٠٢
حارة الصالحية ...	٣٠٦
حارة البرقية ...	٣٠٧
ذكر الامراء البرقية ووزارة عرقام ...	٣٠٧
حارة العطوفية ...	٣٠٩
حارة الجوانية ...	٣٠٩
حارة البستان ...	٣١٠
حارة المرتاحية ...	٣١٠
حارة الفرحية ...	٣١٠
حارة فرج ...	٣١٠
حارة قائد القواد ...	٣١٠
حارة الامراء ...	٣١٣
حارة الطوارق ...	٣١٣
حارة الشراية ...	٣١٣

الموضوع	صفحة
حارة الدميري وحارة الشاميين ...	٣١٣
حارة المهاجرين ...	٣١٣
حارة المدوية ...	٣١٤
حارة المبدائية ...	٣١٤
حارة الحمزين ...	٣١٤
حارة بنى سوس ...	٣١٤
حارة البانسية ...	٣١٥
ذكر وزارة ابي الفتح ناصر الجيوش بانس الأرمي ...	٣١٥
ذكر الأمير حسن بن الخليفة الحافظ حارة المتجبة ...	٣١٦
الحارة المنصورية ...	٣١٧
حارة المصامدة ...	٣١٩
حارة الهلاية ...	٣٢١
حارة البيازة ...	٣٢٢
حارة الحسينية ...	٣٢٢
ذكر قدوم الأورانية ...	٣٢٢
حارة حلب ...	٣٢٥
ذكر أخطاط القاهرة وظواهرها ...	٣٢٨
خط خان الوراق ...	٣٢٨
خط باب القنطرة ...	٣٢٨
خط بين السورين ...	٣٢٩
خط الكافوري ...	٣٣٠
ذكر كافور الاخشيدى ...	٣٣٣
خط الخرشتف ...	٣٣٥
خط اصطلب القطبية ...	٣٣٥
خط باب سر المارستان ...	٣٣٥
خط بين القصرين ...	٣٣٦
خط الخشبية ...	٣٣٨
ذكر مقتل الخليفة الظافر ...	٣٣٩
خط سقيفة العداس ...	٣٤٠
خط البندقانيين ...	٣٤٢
خط دار الديباج ...	٣٤٤
خط الملحجين ...	٣٤٤
خط المسطاح ...	٣٤٥
خط قصر امير سلاح ...	٣٤٥
بكتاش الفخرى ...	٣٤٥
اولاد شيخ الشيوخ ...	٣٤٦
خط قصر يشتاك ...	٣٤٧
بشتاك ...	٣٤٨
خط باب الزهومة ...	٣٤٩
خط الزراكشة العتيق ...	٣٤٩
خط السبع خوخ العتيق ...	٣٥٠
خط اصطلب الطارمة ...	٣٥٠
خط الاكفانيين ...	٣٥٠
خط المناخ ...	٣٥٠
خط سويقة امير الجيوش ...	٣٥٠
خط دكة الحسبة ...	٣٥٠
خط القهادين ...	٣٥٠
خط خزنة البنود ...	٣٥٠
خط السقيفة ...	٣٥٠
خط خان السيل ...	٣٥٠
خط بستان ابن صبرم ...	٣٥١
خط قصر ابن عمار ...	٣٥١
ذكر الدروب والازقة ...	٣٥٢
درب الانراك ...	٣٥٢
درب الاسواني ...	٣٥٢
درب شمس الدولة ...	٣٥٢
توران شاه ...	٣٥٢
درب ملوخيا ...	٣٥٤
درب السلسلة ...	٣٥٥
درب الشمسي ...	٣٥٥
درب ابن طلائع ...	٣٥٥
الدمر امير جانداز سيف الدين ...	٣٥٥
درب قيطون ...	٣٥٧
درب السراج ...	٣٥٧
درب القاضي ...	٣٥٧
درب البيضاء ...	٣٥٧
درب المنقدي ...	٣٥٧
درب خزنة صالح ...	٣٥٨
درب الحمام ...	٣٥٨
درب المنصوري ...	٣٥٨
درب امير حسين ...	٣٥٨
درب القماحين ...	٣٥٨
درب المسل ...	٣٥٨
درب الحباسة ...	٣٥٨
درب ابن عبد الظاهر ...	٣٥٨
درب الخالان ...	٣٥٨
درب الجيوشي ...	٣٥٩
درب بقولا ...	٣٥٩

الوصف	الوصف	الوصف
رجة الدمر ٢٧٢	رجة فردية ٢٧٢	رجة الدمر ٢٧٢
رجة النصورى ٢٧٢	رجة النصورى ٢٧٢	رجة النصورى ٢٧٢
رجة الشهد ٢٧٢	رجة الشهد ٢٧٢	رجة الشهد ٢٧٢
رجة ابي البقاء ٢٧٢	رجة ابي البقاء ٢٧٢	رجة ابي البقاء ٢٧٢
رجة الحجازية ٢٧٢	رجة الحجازية ٢٧٢	رجة الحجازية ٢٧٢
رجة قصر بشناك ٢٧٢	رجة قصر بشناك ٢٧٢	رجة قصر بشناك ٢٧٢
رجة سلا ٢٧٢	رجة سلا ٢٧٢	رجة سلا ٢٧٢
رجة الفخرى ٢٧٢	رجة الفخرى ٢٧٢	رجة الفخرى ٢٧٢
رجة الاكر ٢٧٢	رجة الاكر ٢٧٢	رجة الاكر ٢٧٢
رجة جعفر ٢٧٢	رجة جعفر ٢٧٢	رجة جعفر ٢٧٢
رجة الافبال ٢٧٢	رجة الافبال ٢٧٢	رجة الافبال ٢٧٢
رجة مازن ٢٧٢	رجة مازن ٢٧٢	رجة مازن ٢٧٢
رجة افوش ٢٧٥	رجة افوش ٢٧٥	رجة افوش ٢٧٥
رجة برلى ٢٧٥	رجة برلى ٢٧٥	رجة برلى ٢٧٥
رجة لؤلؤ ٢٧٥	رجة لؤلؤ ٢٧٥	رجة لؤلؤ ٢٧٥
رجة كوكاي ٢٧٥	رجة كوكاي ٢٧٥	رجة كوكاي ٢٧٥
رجة ابن ابي زكري ٢٧٥	رجة ابن ابي زكري ٢٧٥	رجة ابن ابي زكري ٢٧٥
رجة بيرس ٢٧٥	رجة بيرس ٢٧٥	رجة بيرس ٢٧٥
رجة بيرس الحاجب ٢٧٥	رجة بيرس الحاجب ٢٧٥	رجة بيرس الحاجب ٢٧٥
رجة الموفق ٢٧٥	رجة الموفق ٢٧٥	رجة الموفق ٢٧٥
رجة ابي تراب ٢٧٦	رجة ابي تراب ٢٧٦	رجة ابي تراب ٢٧٦
رجة ارقطاي ٢٧٧	رجة ارقطاي ٢٧٧	رجة ارقطاي ٢٧٧
رجة ابن الضيف ٢٧٧	رجة ابن الضيف ٢٧٧	رجة ابن الضيف ٢٧٧
رجة وزير بغداد ٢٧٧	رجة وزير بغداد ٢٧٧	رجة وزير بغداد ٢٧٧
رجة الجامع الحاكمى ٢٧٧	رجة الجامع الحاكمى ٢٧٧	رجة الجامع الحاكمى ٢٧٧
رجة كتيفا ٢٧٨	رجة كتيفا ٢٧٨	رجة كتيفا ٢٧٨
رجة خوند ٢٧٨	رجة خوند ٢٧٨	رجة خوند ٢٧٨
رجة قراستقر ٢٧٨	رجة قراستقر ٢٧٨	رجة قراستقر ٢٧٨
رجة يفر ٢٧٨	رجة يفر ٢٧٨	رجة يفر ٢٧٨
رجة الفخرى ٢٧٨	رجة الفخرى ٢٧٨	رجة الفخرى ٢٧٨
رجة سنجر ٢٧٨	رجة سنجر ٢٧٨	رجة سنجر ٢٧٨
رجة ابن علكان ٢٧٩	رجة ابن علكان ٢٧٩	رجة ابن علكان ٢٧٩
رجة ازدمر ٢٧٩	رجة ازدمر ٢٧٩	رجة ازدمر ٢٧٩
رجة الاخشاي ٢٧٩	رجة الاخشاي ٢٧٩	رجة الاخشاي ٢٧٩
رجة باب اللوق ٢٧٩	رجة باب اللوق ٢٧٩	رجة باب اللوق ٢٧٩
رجة التبن ٢٧٩	رجة التبن ٢٧٩	رجة التبن ٢٧٩
رجة الناصرية ٢٧٩	رجة الناصرية ٢٧٩	رجة الناصرية ٢٧٩
رجة ارفون اركه ٢٧٩	رجة ارفون اركه ٢٧٩	رجة ارفون اركه ٢٧٩
ذكر الدور ٢٨٠	ذكر الدور ٢٨٠	ذكر الدور ٢٨٠
دار الاحمدى ٢٨٠	دار الاحمدى ٢٨٠	دار الاحمدى ٢٨٠

الوصف	الوصف	الوصف
درب الحالى ٢٦٦	درب الحالى ٢٦٦	درب الحالى ٢٦٦
درب الحرامى ٢٦٦	درب الحرامى ٢٦٦	درب الحرامى ٢٦٦
درب الزرافى ٢٦٦	درب الزرافى ٢٦٦	درب الزرافى ٢٦٦
زقاق طريف ٢٦٦	زقاق طريف ٢٦٦	زقاق طريف ٢٦٦
زقاق منعم ٢٦٦	زقاق منعم ٢٦٦	زقاق منعم ٢٦٦
زقاق الحمام ٢٦٦	زقاق الحمام ٢٦٦	زقاق الحمام ٢٦٦
زقاق الحرون ٢٦٦	زقاق الحرون ٢٦٦	زقاق الحرون ٢٦٦
زقاق الغراب ٢٦٧	زقاق الغراب ٢٦٧	زقاق الغراب ٢٦٧
زقاق عامر ٢٦٧	زقاق عامر ٢٦٧	زقاق عامر ٢٦٧
زقاق فرح ٢٦٧	زقاق فرح ٢٦٧	زقاق فرح ٢٦٧
زقاق حذرة الزاهدى ٢٦٧	زقاق حذرة الزاهدى ٢٦٧	زقاق حذرة الزاهدى ٢٦٧
ذكر الخوخ ٢٦٧	ذكر الخوخ ٢٦٧	ذكر الخوخ ٢٦٧
الخوخ السبع ٢٦٧	الخوخ السبع ٢٦٧	الخوخ السبع ٢٦٧
باب الخوخة ٢٦٧	باب الخوخة ٢٦٧	باب الخوخة ٢٦٧
خوخة ايدمنش ٢٦٧	خوخة ايدمنش ٢٦٧	خوخة ايدمنش ٢٦٧
ايدمنش الناصرى ٢٦٨	ايدمنش الناصرى ٢٦٨	ايدمنش الناصرى ٢٦٨
خوخة الازقى ٢٦٨	خوخة الازقى ٢٦٨	خوخة الازقى ٢٦٨
خوخة عسيلة ٢٦٨	خوخة عسيلة ٢٦٨	خوخة عسيلة ٢٦٨
خوخة الصالحة ٢٦٨	خوخة الصالحة ٢٦٨	خوخة الصالحة ٢٦٨
خوخة المطوع ٢٦٩	خوخة المطوع ٢٦٩	خوخة المطوع ٢٦٩
خوخة حسين ٢٦٩	خوخة حسين ٢٦٩	خوخة حسين ٢٦٩
خوخة حنين ٢٧٠	خوخة حنين ٢٧٠	خوخة حنين ٢٧٠
خوخة الحلبي ٢٧٠	خوخة الحلبي ٢٧٠	خوخة الحلبي ٢٧٠
سنجر الحلبي ٢٧٠	سنجر الحلبي ٢٧٠	سنجر الحلبي ٢٧٠
خوخة الجوهرة ٢٧٠	خوخة الجوهرة ٢٧٠	خوخة الجوهرة ٢٧٠
خوخة مصطفى ٢٧٠	خوخة مصطفى ٢٧٠	خوخة مصطفى ٢٧٠
خوخة ابن المامون ٢٧٠	خوخة ابن المامون ٢٧٠	خوخة ابن المامون ٢٧٠
خوخة كوتبة آق سنقر ٢٧٠	خوخة كوتبة آق سنقر ٢٧٠	خوخة كوتبة آق سنقر ٢٧٠
خوخة امير حسين ٢٧١	خوخة امير حسين ٢٧١	خوخة امير حسين ٢٧١
ذكر الرحاب ٢٧١	ذكر الرحاب ٢٧١	ذكر الرحاب ٢٧١
رجة باب العيد ٢٧١	رجة باب العيد ٢٧١	رجة باب العيد ٢٧١
رجة قصر الشوك ٢٧٢	رجة قصر الشوك ٢٧٢	رجة قصر الشوك ٢٧٢
رجة الجامع الازهر ٢٧٢	رجة الجامع الازهر ٢٧٢	رجة الجامع الازهر ٢٧٢
رجة الحلبي ٢٧٢	رجة الحلبي ٢٧٢	رجة الحلبي ٢٧٢
رجة البانياسى ٢٧٢	رجة البانياسى ٢٧٢	رجة البانياسى ٢٧٢
رجة الايدمرى ٢٧٢	رجة الايدمرى ٢٧٢	رجة الايدمرى ٢٧٢
الايديمرى ٢٧٢	الايديمرى ٢٧٢	الايديمرى ٢٧٢
رجة البدرى ٢٧٢	رجة البدرى ٢٧٢	رجة البدرى ٢٧٢
رجة ضرورت ٢٧٢	رجة ضرورت ٢٧٢	رجة ضرورت ٢٧٢
رجة آقبا ٢٧٢	رجة آقبا ٢٧٢	رجة آقبا ٢٧٢
رجة مقبل ٢٧٢	رجة مقبل ٢٧٢	رجة مقبل ٢٧٢

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
سوق الشاميين	٤٦٢	ذكر القياس	٤٤٢
سوق الدجاجين	٤٦٢	قيصرية ابن قرش	٤٤٢
سوق بين القصرين	٤٦٣	قيصرية الشرب	٤٤٤
سوق السلاح	٤٦٣	قيصرية ابن أبي اسامة	٤٤٤
سوق القفصات	٤٦٤	قيصرية منقر الاشقر	٤٤٤
سوق باب الزهومة	٤٦٤	قيصرية امير على	٤٤٤
سوق الماهرين	٤٦٤	قيصرية رسلان	٤٤٥
سوق الجمين	٤٦٥	قيصرية جهاركس	٤٤٥
سوق الخوخين	٤٦٦	جهاركس	٤٤٥
سوق الشرايين	٤٦٦	قيصرية الفاضل	٤٤٥
سوق الحوائسين	٤٦٨	قيصرية بيسر	٤٤٩
سوق الخلاوين	٤٦٨	قيصرية الطويلة	٤٤٩
سوق الشوايين	٤٦٩	قيصرية المعصر	٤٥٠
الشارع خارج باب زويلة	٤٧٠	قيصرية الغنر	٤٥٠
سوقة امير الجيوش	٤٧١	قيصرية الفانزى	٤٥٠
سوقة الجمون الصغير	٤٧١	قيصرية بكتمر	٤٥٢
سوق الحاييرين	٤٧٢	قيصرية ابن يحيى	٤٥٢
الصاغة	٤٧٢	قيصرية طاشتمر	٤٥٢
سوق الكتبيين	٤٧٣	قيصرية الفقراء	٤٥٢
سوق الصناديقين	٤٧٣	قيصرية الحنى	٤٥٢
سوق الحريرين	٤٧٣	قيصرية الجامع الطولوني	٤٥٣
سوق العبيدين	٤٧٤	قيصرية ابن ميسر الكبرى	٤٥٣
سوق الخراطين	٤٧٤	قيصرية عبد الباسط	٤٥٤
سوق الجمون الكبير	٤٧٥	ذكر الخانات والفنادق	٤٥٤
سوق الفرائين	٤٧٥	خان مسرور	٤٥٤
سوق الخاقين	٤٧٦	فندق بلال المغنى	٤٥٥
سوق الخلفين	٤٧٧	فندق الصالح	٤٥٥
سوقة الصاحب	٤٧٧	خان السيل	٤٥٦
سوق السدقيين	٤٧٧	خان منكوش	٤٥٦
سوق الأحفاسين	٤٧٨	فندق ابن قرش	٤٥٦
سوق الكتبيين	٤٧٨	وكالة قوصون	٤٥٧
سوق الأنعامين	٤٧٩	فندق دار التفاح	٤٥٧
سوق السقطين	٤٧٩	وكالة باب الجوانة	٤٥٨
سوقه المسعودى	٤٨٠	خان الخليلى	٤٥٨
سوقه طمق	٤٨٠	فندق طرنطاي	٤٥٩
سوقه الصوانى	٤٨٠	ذكر الأسواق	٤٥٩
سوقة اللشون	٤٨٠	القصة	٤٥٩
سوقة اللفت	٤٨٠	سوق باب الفتوح	٤٦٠
سوقة زاوية الخادم	٤٨١	سوق المرحلين	٤٦٠
سوقة الرملة	٤٨١	سوق خان الرواسين	٤٦١
سوقه جامع آل ملك	٤٨١	سوق حارة برجوان	٤٦١

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
حمام كرجى	٤٣٢	دار بهادر	٤٠٨
حمام كتيلة	٤٣٣	دار البقر	٤٠٩
حمام ابن ابي الدم	٤٣٣	قصر بكتمر الساقى	٤١٠
حمام الحصينة	٤٣٣	الدار البيرة	٤١١
حمام الذهب	٤٣٣	بىرى	٤١٢
حمام ابن قرقة	٤٣٣	قصر بشتاك	٤١٣
حمام السلطان	٤٣٣	قصر الجارية	٤١٥
حمام خوند	٤٣٣	قصر يلغا البجاوى	٤١٦
حمام ابن عبود	٤٣٤	اصطبل قوصون	٤١٧
حمام الصاحب	٤٣٤	دار ارفون الكاملى	٤١٩
حمام السلطان	٤٣٤	ارفون الكاملى	٤١٩
حماما طفريك	٤٣٤	دار طاز	٤٢٠
حمام السوبائى	٤٣٤	طاز	٤٢٠
حمام عجينة	٤٣٤	دار صرغتمش	٤٢٠
حمام درى	٤٣٥	دار الماس	٤٢١
حمام الرصاصى	٤٣٥	دار بهادر المقدم	٤٢١
حمام الجيوشى	٤٣٥	دار الست شقراء	٤٢١
حمام الرومى	٤٣٦	دار ابن حنان	٤٢١
سقر الرومى	٤٣٦	دار بهادر الامرى	٤٢١
حماما سويد	٤٣٧	بهادر	٤٢٢
حمام طمق	٤٣٧	دار ابن رجب	٤٢٢
حمام ابن علكان	٤٣٧	محمد بن رجب	٤٢٣
حمام الصاحب	٤٣٧	دار اقلجى	٤٢٣
حمام كتفا الاسدى	٤٣٧	دار بهادر العزى	٤٢٥
حمام النظمى خار	٤٣٧	دار طنبال	٤٢٥
حمام القاضى	٤٣٨	دار الهرماس	٤٢٥
حمام الخشبة	٤٣٨	دار اوجد الدين	٤٢٦
حمام الكوك	٤٣٩	عبد الواحد بن اسماعيل بن يس	
حمام الجوينى	٤٣٩	الحنى ، اوجد الدين	٤٢٧
حمام القفاصين	٤٣٩	ربع الزنى	٤٢٨
حمام الصفرة	٤٣٩	الناد التى فى اول البرقية من القاهرة	
حمام الاعسر	٤٣٩	التي حيطانها حجارة بيض	
سقر الاعسر	٤٣٩	منحوتة	٤٢٩
حمام الحسام	٤٤١	دار التمر	٤٢٩
حمام الصوفية	٤٤١	عمارة ام السلطان	٤٣٠
حمام بهادر	٤٤١	ذكر الحمامات	٤٣١
حمام الدود	٤٤١	حماما السيدة العمة	٤٣١
حمام ابن ابي الحوافر	٤٤١	حمام السابط	٤٣٢
حمام قتال السبع	٤٤٢	حمام لؤلؤ	٤٣٢
حمام لؤلؤ	٤٤٢	حمام المنية	٤٣٢
لؤلؤ الحاجب	٤٤٢	حمام تن	٤٣٣

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٨٢	بركة الحجاج	٥٥٤	قنطرة باب الخرق
٥٨٥	بركة قرموط	٥٥٤	قنطرة الموسكى
٥٨٥	بركة قواجا	٥٥٤	قنطرة الأمير حسين
٥٨٥	البركة الناصرية	٥٥٤	قنطرة باب القنطرة
٥٨٦	ذكر الجصور	٥٥٥	قنطرة باب الشمربة
٥٨٦	جسر الأنرم	٥٥٥	القنطرة الجديدة
٥٨٧	الجسر الأمظم	٥٥٥	قناطر الأوز
٥٨٧	الجسر بأرض الطبالة	٥٥٥	قناطر بنى وال
٥٨٧	الجسر من بولاق الى منية النجرج	٥٥٦	قنطرة الأميرة
٥٨٩	الجسر بوسط النيل	٥٥٦	قنطرة الفخر
٥٩٠	الجسر فيما بين الجيزة والروضة	٥٥٦	قنطرة قدادار
٥٩٢	جسر الخليلي	٥٥٦	قنطرة الكتبة
٥٩٤	جسر شيبين	٥٥٦	قنطرة القسي
٥٩٥	جسرا مصر والجيزة	٥٥٦	قنطرة باب البحر
٥٩٦	الجسر من قلوب الى دمياط	٥٦١	قنطرة الحاجب
٦٠٨	ذكر الجزائر	٥٦١	قنطرة الدكة
٦٠٩	ذكر الروضة	٥٦٢	قناطر بحر أبي المنجا
٦١٦	الهودج	٥٦٢	قناطر الجيزة
٦١٨	ذكر قلعة الروضة	٥٦٢	ذكر البرك
٦٢٢	القيساس	٥٦٢	بركة الحبش
٦٢٣	جزيرة الصابوني	٥٦٢	ذكر المارداني
٦٢٣	جزيرة الفيل	٥٦٨	ذكر بساين الوزير
٦٢٤	جزيرة أدوى	٥٧١	بركة الشعبية
٦٢٥	الجزيرة التي غرقت بحطمة	٥٧٤	ذكر المشوق
٦٢٥	ذكر السجون	٥٧٦	بركة شطا
٦٢٧	حبس المعونة بمصر	٥٧٨	بركة قارون
٦٢٧	حبس الصيار	٥٧٩	بركة الفيل
٦٢٨	خزانة البنود	٥٨٠	بركة الشقاف
٦٢٨	حبس المعونة من القاهرة	٥٨٠	بركة السباعين
٦٢٨	خزانة شمائل	٥٨١	بركة الرطلي
٦٢٦	القشرة	٥٨١	البركة المعرونة بطن البقرة
٦٢٩	الجب بقلعة الجبل	٥٨٢	بركة جناق



الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٠٦	حكر الحريري	٤٨١	سوقة ابن ظهير
٥٠٦	حكر المساح	٤٨١	سوقة السناطة
٥٠٦	الدكة	٤٨١	سوقة العرب
٥٠٧	ذكر القس ، وفيه الكلام على المكس ، وكيف كان أصله في أول الاسلام	٤٨١	سوقة العزى
٥١٢	ذكر ميدان القمح	٤٨١	سوقة العباطين
٥١٥	ذكر أرض الطبالة	٤٨١	سوقة العراقيين
٥١٦	ذكر حنيشة الفراء	٤٨٢	ذكر العوايد التي كانت بقصبة القاهرة
٥٢١	ذكر أرض البعل والتاج	٤٨٥	ذكر طواهر القاهرة العزى
٥٢٢	ذكر ضواحي القاهرة	٤٨٩	ذكر ميدان القبق
٥٢٣	ذكر منية الأمراء	٤٩٣	ذكر بر الخليج الغربي
٥٢٤	ذكر كوم الريش	٤٩٤	ذكر الإحكار التي في قربى الخليج
٥٢٤	ذكر بولاق	٤٩٤	حكر الزهرى
٥٢٥	ذكر ما بين بولاق ومنشأة الهراتى	٤٩٦	حكر الخليلي
٥٢٧	ذكر خروج باب زويلة	٤٩٦	حكر فومسون
٥٢٩	ذكر حوض ابن هشى	٤٩٧	حكر الحلى
٥٢٩	مناظر الكيش	٤٩٧	حكر البواشقى
٥٣١	خط درب ابن البابا	٤٩٧	حكر افنسا
٥٣٢	حكر الخازن	٤٩٨	حكر الست حلق
٥٣٢	سجى الخازن	٤٩٨	حكر الست مسكة
٥٣٢	ربع الزائدة	٤٩٩	حكر طقزدمر
٥٣٢	خط قناطر السباع	٤٩٩	الثوق
٥٣٣	بئر الوطاويط	٥٠٢	منشأة ابن ثعلب
٥٣٤	ذكر خارج باب الفتوح	٥٠٢	باب الثوق
٥٣٤	ذكر الخندق	٥٠٣	حكر قردمية
٥٣٨	صحراء الأهليلج	٥٠٣	حكر كرم الدين
٥٣٨	ذكر خارج باب النصر	٥٠٣	رحبة التين
٥٤٠	الريدياتية	٥٠٣	بستان السميدى
٥٤٠	ذكر الخلجان التي بظاهر القاهرة	٥٠٣	بركة قرموط
٥٤٠	ذكر خليج مصر	٥٠٣	الخور
٥٤٩	ذكر خليج فم الخور وخليج الذكر	٥٠٤	حكر السايط
٥٥٠	ذكر الخليج الناصرى	٥٠٤	بستان العدة
٥٥٢	ذكر خليج قنطرة الفخر	٥٠٤	حكر جوهر الثوبى
٥٥٢	ذكر القناطر	٥٠٤	حكر خزائن السلاح
٥٥٢	ذكر قناطر الخليج الكبير	٥٠٤	حكر تكان
٥٥٢	قنطرة السد	٥٠٥	حكر ابن الاسد جفريلى
٥٥٣	قناطر السباع	٥٠٥	حكر البغدادية
٥٥٤	قنطرة عمر شاه	٥٠٥	حكر خطيبا
٥٥٤	قنطرة طقزدمر	٥٠٥	حكر ابن منقلا
٥٥٤	قنطرة آقوستقر	٥٠٦	حكر فارس المسلمين بدير بن رزبك
		٥٠٦	حكر شمس الخواص مرور
		٥٠٦	حكر الطلانى

مكة
دار النشر

شركة الاعلام الشرقية

طبعة: ١٩٠٠



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
بولاق
سنة ١٢٧٠ هـ

التمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خَطُّ الْمُقْرِئِ

الحمد لله
٣٣

كتاب
التحزير



• سمات مصر هي مستطيل رأسه ، وطلع أنزالي ، ومجمع ناسه ، ومغنى عشيقه وهامته ،
وموطنه قهاصته وهامته ، وهو جوي الذي ربه مناصي في ذكره ، وعش ما ربه ، فهو
تهوي الألفس غير ذكره ، لا زالت عند شدة العالم ، وآتاني ربه الفطارة والفرم ، أغرب في
معرفة أعباءه ، وأهب الإشراف على الوعتراف من آباءه ، وأقوى سادك الكيان من كان دياره
تقى الدين أحمد بن علي المقرئ

خَطُّ الْمَقْرِيزِي

كتاب المواعظ والاعتبار
بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر
والنيل وذكر القاهرة
وما يتعلق بها وبإقليمها..
تأليف سيدنا الشيخ
الإمام علامة الأئمة
تقي الدين أحمد بن علي
ابن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي
رحمه الله ونفع بعلمه
آمين.

الجزء الثالث

عن
طبعة بولاق
سنة ١٢٧٠ هجرية

تصدره
دار التحرير للطبع والنشر

ذكر المواضع المعروفة بالصناعة

لفظ الصناعة — بكسر الصاد — مأخوذ من قولك : صنعه يصنعه صنعا ، فهو مصنوع وصنيع ، عمله . واصطنعه اتخذ . والصناعة ما يستصنع من أمر ... هذا أصل الكلمة من حيث اللغة .

وأما في العرف فالصناعة اسم لمكان قد أعد لإنشاء المراكب البحرية التي يقال لها السفن ، واحداً منها سفينة ، وهي بمصر على قسرين : نيلية ، وحرية .

فالحربية هي التي تنشأ لغزو العدو ، وتشن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة ، فتمر من ثغر الاسكندرية وثر دمياط وتيسن والفرما الى جهاد أعداء الله من الروم والفرنج . وكانت هذه المراكب الحربية يقال لها الأسطول ، ولا أحسب هذا اللفظ عربياً .

وأما المراكب النيلية فأنها تنشأ لتمر في النيل ، صاعدة الى أعلى الصعيد ، ومنحدرة الى أسفل الأرض ، لحمل الغلال وغيرها .

ولما جاء الله تعالى بالاسلام لم يكن البحر يركب للغزو في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . وأول من ركب البحر في الاسلام للغزو الغلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ، وكان على البحرين من قبل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فأحب أن يؤثر في الأعاجيم أثراً يعز الله به الاسلام على يديه .

فندب أهل البحرين الى فارس فيأدروا الى ذلك ، وفرقهم أجنادا على أحدها الجارود بن المعلني رضي الله عنه ، وعلى الثاني سوار بن همام رضي الله عنه ، وعلى الثالث خليد بن المنذر بن ساوي رضي الله عنه ، وجعل خليداً على عامة الناس . فحملهم في البحر الى فارس بغير إذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان عمر رضي الله عنه لا يأذن لأحد في ركوب البحر غازياً كراهة للتغريب بجنوده ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته أبي بكر رضي الله عنه .

فعبرت تلك الجنود من البحرين الى فارس . فخرجوا في اضطخ وبازائهم أهل فارس عليهم الهربذ ، فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم . فقام خليد في الناس فقال : أما بعد ، فإن الله تعالى اذا قضى أمراً جرت المقادير على مطيته ، وإن هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن يدعوكم الى حربهم ، وإنما جئتم لمحاربتهم ، والسفن والأرض بعد الآن لمن غلب ، فاستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة الا على الخاشعين .

فأجابوه الى القتال ، وصلوا الظهر ثم ناهزوه . فاقتتلوا قتالاً شديداً في موضع يدعى طاووس ، فقتل من أهل فارس مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلاً قبلها . وخرج المسلمون يريدون البصرة — اذ غرقت سفنهم ولم يجدوا في الرجوع الى البحر سبيلاً — فاذا بهم وقد أخذت عليهم الطرق ، فمكروا وامتنعوا .

وبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،
فاشد غضبه على العلاء رضى الله عنه ،
وكتب اليه بعزله وتوعدده ، وأمره بأثقل الأشياء
عليه وأبعض الوجوه اليه : بتأمر سعد بن
أبي وقاص عليه ، وقال : الحق بسعد بن أبي
وقاص بمن معك .

فخرج رضى الله عنه من البحرين بمن معه
فمرو سعد رضى الله عنه ، وهو يومئذ على
الكوفة ، وكان بينهما تباین وتباعد .

وكتب عمر رضى الله عنه الى عتبة بن
غزوان : « بأن العلاء بن الحضرمي حل جندا
من المسلمين في البحر فأقطعهم الى فارس
وعصاني ، وأظنه لم يرد الله عز وجل بذلك ،
فخشيت عليهم ألا ينصروا وأن يغلبوا ،
فأندب لهم الناس ، وضمت اليك من قبل أن
يجتاحوا » .

فندب عتبة رضى الله عنه الناس ، وأخبرهم
بكتاب عمر رضى الله عنه . فأتدب عاصم
ابن عمرو ، وعرفجة بن هرثة ، وحذيفة بن
محسن ، ومجاعة بن نور ، ونهار بن الحارث ،
والترجمان بن فلان ، والحصين بن أبي الخثر ،
والأحنف بن قيس ، وسعد بن أبي العرجاء ،
وعبد الرحمن بن سهل ، وصعصعة بن معاوية
رضى الله تعالى عنهم .

فساروا من البصرة في اثني عشر ألفا على
البغال يجنبون الخيل ، وعليهم أبو سبرة بن
أبي رهم رضى الله عنهم . فساحل بهم حتى
التقى أبو سبرة وخليد حيث أخذت عليهم

الطرق ، وقد استصرخ أهل اسطخر أهل
فارس كلهم ، فأتوهم من كل وجه * وكورة .
فالتقوا هم وأبو سبرة ، فاقتلوا ، ففتح الله
على المسلمين ، وقتل المشركون ، وعاد
المسلمون بالغنائم الى البصرة ، ورجع أهل
البحرين الى منازلهم .

فلما فتح الله تعالى الشام ، ألح معاوية بن
أبي سفيان — وهو يومئذ على جند دمشق
والأردن — على عمر رضى الله عنه في غزو
البحر ، وقرب الروم من حصص ، وقال : إن
قرية من قرى حصص ليسع أهلها بإح كلابهم
وصياح دجاجهم ... حتى إذا كاد ذلك يأخذ
بقلب عمر رضى الله عنه ، اتهم معاوية لأنه
المشير ، وأحب عمر رضى الله عنه أن يردعه
فكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر
« أن صف لي البحر وراكبه ، فإن نفسي
تأزغني اليه وأنا أشتي خلافا » .

فكتب اليه : « يا أمير المؤمنين اني رأيت
البحر خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ، ليس إلا
السما والماء . إن زكد حزن القلوب ، وإن
زل أزاغ العقول . يوداد فيه اليقين قلة
والشك كثرة . هم فيه كدود على عود . إن
مال غرق ، وإن نجا برك » .

فلما جاءه كتاب عمرو ، كتب رضى الله عنه
الى معاوية : « لا — والذي بعث محمدا
بالحق — لا أحمل فيه مسلما أبدا . أنا قد
سمعت أن بحر الشام يشرف على أطول شيء
في الأرض يستأذن الله تعالى في كل يوم
وليلة أن يفيض على الأرض فيغرقها . فكيف

(*) من ١٨٩ ج ٢ ، طه بولاق .

أهل الجنود في هذا البحر الكافر المستعصب ؟
وتأفه لمسلم واحد أحب الى مما حوته الروم .
فياك أن تعرض لي — وقد تقدمت اليك وقد
علمت ما لقي العلاء مني ولم أتقدم اليه —
في مثل ذلك » .

وعن عمر رضى الله عنه أنه قال : لا يسألني
الله عز وجل عن ركوب المسلمين البحر أبدا .
وروى عنه ابنه عبد الله ، رضى الله عنهما ، أنه
قال : لولا آية في كتاب الله تعالى لعلوت
راكب البحر بالدرة .

ثم لما كانت خلافة عثمان بن عفان رضى الله
عنه ، غزا المسلمون في البحر . وكان أول من
غزا فيه معاوية بن أبي سفيان ، وذلك أنه لم
يزل بعثمان رضى الله عنه حتى عزم على ذلك
فأخذه ، وقال : تتخب الناس ولا تفرع
بينهم . خيرهم فمن اختار الغزو طائفا فاحمله
وأعنه . ففعل ، واستعمل على البحر عبد الله
ابن قيس العامي خليفة بني فزارة ، فغزا
خسین غزوة من بين شاتية وصائفة في البر
والبحر ، ولم يفرق فيه أحد ولم ينكب .

وكان يدعو الله تعالى أن يرزقه العافية في
جنده ، ولا يتليه بمصاب أحد منهم ... حتى
إذا أراد الله عز وجل أن يصيبه في جنده ،
خرج في قارب طليعته ، فاتمى الى المرفأ من
أرض الروم ، فنار به الروم وهجموا عليه ،
فقاتلهم فأصيب وحده ، ثم قاتل الروم أصحابه
فأصيبوا .

وغزا عبد الله بن سعد بن أبي مرزح في
البحر لما أتاه قسطنطين بن هرقل سنة أربع
وثلاثين في ألف مركب يزيد الاسكندرية ،
فسار عبد الله في مائتي مركب أو تزيد شيئا
وحاربه . فكانت وقعة ذات الصواري التي

نصر الله تعالى فيها جنده ، وهزم قسطنطين
وقتل جنده .

وأغزى معاوية أيضا عقبة بن عامر الجهني
رضى الله عنه في البحر ، وأمره أن يتوجه الى
رودس ، فسار اليها .

ونزل الروم على البرلس في سنة ثلاث
وخسين ، في إمارة مسلمة بن خالد الأنصاري
رضى الله عنه على مصر ، فخرج اليهم المسلمون
في البر والبحر . فاستشهد وردان ، مولى
عمرو بن العاص ، في جمع كثير من المسلمين .

وبعث عبد الملك بن مروان ، لما ولي
الخلافة ، الى عامله على إفريقية حبان بن
النعمان يأمره باتخاذ صناعة يتولى لانتشاء
الآلات البحرية . ومنها كانت غزوة صقلية في
أيام زيادة الله الأول بن إبراهيم بن الأغلب
على شيخ الفتياء أسد بن الفرات .

ونزل الروم تيس في سنة إحدى ومائة ،
في إمارة بشر بن صفوان الكلبي على مصر
من قبل يزيد بن عبد الملك ، فاستشهد جماعة
من المسلمين .

وقد ذكر في أخبار الاسكندرية ودمياط
وتيس والفرما ، من هذا الكتاب ، جلة من
نزلت الروم والفرنج عليها ، وما كان في زمن
الانتشاء . فانظره تجده ان شاء الله تعالى .

وقد ذكر شيخنا العالم العلامة الأستاذ قاضي
القضاة ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن
محمد بن خلدون ، الحضرمي الاشيلي ،
تعليل امتناع المسلمين من ركوب البحر للغزو
في أول الأمر فقال :

« والسبب في ذلك أن العرب لبدائتهم لم
يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه .

والروم والفرنج لما رستم أحواله ، ومرباهم في القلب على أعواده ، مرلوا عليه وأحكموا الدرية بثقافته ...

« فلما استقر الملك للعرب ، وشيخ سلطانهم ، وصارت أمم المعجم خولا لهم ونحت أيديهم ، وتقرّب كل ذي صنعة اليهم ببلغ صناعته ، واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أما ، وتكررت ممارستهم البحر وثقافته ... استحدثوا بصرا بها . فتأقت أنفسهم الى الجهاد فيه ، وأنشأوا السفن والشواني ، وشحنوا الأساطيل بالرجال والصلاح ، وأملوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر . واختصوا بذلك من مسالكهم وتغورهم ما كان أقرب الى هذا البحر وعلى صفته ، مثل الشام وأفريقية والمغرب والأندلس . »

وأول ما أتى الأسطول بصر في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم ، عندما نزل الروم ديباط في يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين - وأمير مصر يومئذ غيبة بن أسحاق - فملكوها ، وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين ، وسبوا النساء والأطفال ، ومضوا الى تيس فأقاموا بأشتومها .

فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الأسطول ، وصار من أهم ما يعمل بمصر ، وأنشئت الشواني يرسم الأسطول ، وجعلت الأرزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر ، واتدب الأمراء له الرماة .

(١) من ١٩٠ ج ١ ط ١ بولاق

فاجتهد الناس بمصر في تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة ، واتخبط له القواد العارفون بمحاربة العدو . وكان لا ينزل في رجال الأسطول غشيم ، ولا جاهل بأمور الحرب .

هذا وللناس اذ ذاك رغبة في جهاد أعداء الله وإقامة دينه ... لا جرم أنه كان لخدم الأسطول حرمة ومكانة ، ولكل أحد من الناس رغبة في أنه يعد من جملةهم ، فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه .

وكان من غزو الأسطول بلاد العدو ما قد شحنت به كتب التواريخ . فكانت الحرب بين المسلمين والروم سجلا : ينال المسلمون من العدو وينال العدو منهم ، ويأسر بعضهم بعضا لكثرة هجوم أساطيل الاسلام بلاد العدو ، فانها كانت تسير من مصر ومن الشام ومن أفريقية . فلذلك احتاج خلفاء الاسلام الى القداء .

وكان أول قداء وقع بمال في الاسلام أيام بني العباس ، ولم يقع في أيام بني أمية قداء مشهور ، وانما كان يفادى بالنفر بعد النفر في سواحل الشام ومصر والاسكندرية وبلاد ملطية وبقية الثغور الخزرية ، الى أن كانت خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد .

« القداء الأول » : باللامش من سواحل البحر الرومي ، قريبا من طرسوس ، في سنة تسع وثمانين ومائة ، وملك الروم يومئذ تقفور بن اشبراق . وكان ذلك على يد القاسم ابن الرشيد ، وهو معسكر بروج دابق من بلاد

تشرين في أعمال حلب ، فقودى بكل أسير كان يبلاد الروم من ذكر أو أنثى .

وحضر هذا القداء من أهل الثغور وغيرهم من أهل الأمصار ، نحو من خمسمائة ألف إنسان ، بأحسن ما يكون من العدد والخيال والصلاح والقوة ، قد أخذوا السهل والجبل ، وضاق بهم الفضاء ، وحضرت مراكب الروم الحربية ، بأحسن ما يكون من الزى ، معهم أسارى المسلمين . فكان عدة من فودى به من المسلمين ، في أتى عشر يوما ، ثلاثة آلاف وبسمائة أسير . وأقام ابن الرشيد باللامش أربعين يوما قبل الأيام التي وقع فيها القداء وبعدها .

وقال مروان بن أبي حفصة في هذا القداء يخاطب الرشيد من آيات :

وفكت بك الأسرى التي شيدت بها محابس ما فيها حميم يزورها على حين أعين المسلمين فكلكها وقالوا سجون المشركين قبورها

« القداء الثاني » : كان في خلافة الرشيد أيضا باللامش في سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وملك الروم تقفور ، وكان القائم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي أمير الثغور الشامية ، وحضره الوف من الناس . وكانت عدة من فودى به من المسلمين في سبعة أيام ألفين وخمسمائة من ذكر وأنثى .

« القداء الثالث » : وقع في خلافة الواثق باللامش في المحرم سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وملك الروم ميخائيل بن نوقيل .

وكان القائم به خاقان التركي . وعدة من فودى به من المسلمين في عشرة أيام أربعة آلاف وثلاثمائة واثنا وستون من ذكر وأنثى .

وحضر مع خاقان أبو رملة ، من قبل قاضي القضاة أحمد بن أبي داود ، يتحن الأسرى وقت المفاداة ، فمن قال منهم بخلق القرآن فودى به وأحسن اليه ، ومن أبى ترك بأرض الروم . فاختار جماعة من الأسرى الرجوع الى أرض النصرانية على القول بذلك .

وخرج من الأسرى مسلم بن أبي مسلم الحرمي - وكان له محل في الثغور - وكتب مصنفه في أخبار الروم وملوكهم ويلادهم ، فأنته محن على القول بخلق القرآن ثم تخلص .

« القداء الرابع » : في خلافة المتوكل على الله باللامش أيضا في شوال سنة إحدى وأربعين ومائتين ، والملك ميخائيل ، وكان القائم به سيف خادم المتوكل ، وحضر معه جعفر بن عبد الواحد الهاشمي القاضي ، وعلى ابن يحيى الأرمني أمير الثغور الشامية . وكانت عدة من فودى به من المسلمين في سبعة أيام ألفي رجل ومائة امرأة ، وكان مع الروم من النصارى الماسورين من أرض الاسلام مائة رجل ونيق ، فعوضوا مكانهم عدة أعلاج ... اذ كان القداء لا يقع على نصراني ولا ينعقد .

« القداء الخامس » : في خلافة المتوكل وملك الروم ميخائيل أيضا ، باللامش مستهل

من سنة ست وأربعين ومائتين . وكان القائم به علي بن يحيى الأرمني أمير الثغور ، ومعه نصر بن الأزهري الشيعي - من شيعة بني العباس - المرسل الى الملك في أمر القضاء من قبل المتوكل . وكانت عدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام اثنين وثلاثمائة وسبعة وستين من ذكر وأتى .

« القضاء السادس » : كان في أيام المعتز ، والملك على الروم بيل ، على يد شفيح الخادم في سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

« القضاء السابع » : في خلافة المعتضد باللامش في شوال سنة ثلاث ومائتين . ومائتين ، وملك الروم اليون بن بيل ، وكان القائم به أحمد بن طغان ، أمير الثغور الشامية وأنطاكية من قبل الأمير أبي الجيش خمارويه ابن أحمد بن طولون .

وكانت الهدنة لهذا القضاء وقعت في سنة اثنين ومائتين ومائتين ، قتل أبو الجيش بدمشق في ذي القعدة من هذه السنة ، وتم القضاء في إمارة ولده جيش بن خمارويه . وكان عدة من فودي به من المسلمين في عشرة أيام اثنين وأربعمائة وخمسة وتسعين من ذكر وأتى ، وقيل ثلاثة آلاف .

« القضاء الثامن » : في خلافة المكتفي باللامش في ذي القعدة سنة اثنين وتسعين ومائتين ، وملك الروم اليون أيضا ، وكان القائم به رستم بن زردوي أمير الثغور الشامية . وكانت عدة من فودي به من المسلمين في أربعة أيام ألفا ومائة وخمسة

(١٩١) ص ١٩١ ج ١ ، طبع في بيروت .

وخمسين من ذكر وأتى . وعرف بقضاء القدر ، وذلك أن الروم غدروا وانصرفوا ببيعة الأسارى .

« القضاء التاسع » : في خلافة المكتفي ، وملك الروم اليون ، باللامش أيضا في شوال سنة خمس وتسعين ومائتين ، والقائم به رستم . وكانت عدة من فودي به من المسلمين اثنين وثلاثمائة واثنين وأربعين من ذكر وأتى .

« القضاء العاشر » : في خلافة المتقدر باللامش في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثمائة ، وملك الروم قسطنطين بن اليون ابن بيل ، وهو صغير في حجر أرمانوس . وكان القائم بهذا القضاء مؤنس الخادم ، وبشير الخادم الأفشينى أمير الثغور الشامية وأنطاكية ، والمتوسط له والمعاون عليه أبو عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي التميمي الأدنى من أهل أدفة ، وعدة من فودي به من المسلمين في ثمانية أيام ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستة وثلاثون من ذكر وأتى .

« القضاء الحادي عشر » : في خلافة المتقدر ، وملك أرمانوس وقسطنطين على الروم . وكان باللامش في شهر رجب سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، والقائم به مفلح الخادم الأسود المتقدي ، وبشير خليفة شبل الخادم على الثغور الشامية . وعدة من فودي به من المسلمين في تسعة عشر يوما ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثة وثلاثون من ذكر وأتى .

« القضاء الثاني عشر » : في خلافة الرازي باللامش ، في سلخ ذي القعدة وأيام من ذي الحجة سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، والملك

على الروم قسطنطين وأرمانوس . والقائم به ابن ورقاء النيباني من قبل الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، وبشير الشلي أمير الثغور الشامية .

وعدة من فودي به من المسلمين في ستة عشر يوما ستة آلاف وثلاثمائة ونيف من ذكر وأتى . وبقي في أيدي الروم من المسلمين الأسرى ثمانمائة رجل ردوا ، ففودي بهم في عدة مرارا ، وزيدوا في الهدنة بعد انقضاء القضاء مدة ستة أشهر ، لأجل من تخلف في أيدي الروم من المسلمين ، حتى جمع الأسارى منهم .

« القضاء الثالث عشر » : في خلافة المطيع باللامش في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة . والملك على الروم قسطنطين . والقائم به نصر الشلي من قبل سيف الدولة أبي الحسن على بن حمدان ، صاحب جند حمص وجند قنشرين وديار بكر وديار مصر والثغور الشامية والخزيرة .

وكانت عدة من فودي به من المسلمين اثنين وأربعمائة واثنين ومائتين من ذكر وأتى ، وفضل للروم على المسلمين قرضا مائتان وثلاثون لكثرة من كان في أيديهم . فوفاهم سيف الدولة ذلك ، وحمله اليهم .

وكان الذي شرع في هذا القضاء الأمير أبو بكر محمد بن طنج الاخشيد ، أمير مصر والشم والثغور الشامية . وكان أبو عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي الأدنى شيخ الثغور ، قدم اليه - وهو بدمشق في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة - ومعه

ورسل ملك الروم في اتمام هذا القضاء ، والاخشيد شديد الملك ، فتوفي يوم الجمعة ثمان خلون من ذي الحجة منها .

وسار أبو المسك كافور الاخشيدى بالجيش واجبا الى مصر ، وحمل معه ابا حيدر وورسل ملك الروم الى فلسطين ، فدفع اليها ثلاثين ألف دينار من مال القضاء ، فسارا الى مدينة صور ، وركبا البحر الى طرسوس . فلما وصلا كاتب نصر الشلي أمير الثغور سيف الدولة ابن حمدان ، ودعا له على منابر الثغور ، فجد في اتمام هذا القضاء ، فنسب اليه .

ووقعت أفدية أخرى ليس لها شهرة :

فمنها قضاء في خلافة المهدي محمد ، على يد النقاش الأنطاكي .

وقضاء في أيام الرشيد ، في شوال سنة احدى ومائتين ومائة ، على يد عياض بن سنان أمير الثغور الشامية .

وقضاء في أيام الأمين ، على يد ثابت بن نصر ، في ذي القعدة سنة أربع وتسعين ومائة .

وقضاء في أيام الأمين ، على يد ثابت بن نصر أيضا ، في ذي القعدة سنة احدى ومائتين .

وقضاء في أيام المتوكل سنة سبع وأربعين ومائتين ، على يد محمد بن علي .

وقضاء في أيام المعتضد على يد شفيح ، في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين .

وقدأه كان في الاسكندرية ، في شهر ربيع الأول سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة ، خرج فيه أبو بكر محمد بن علي المارداني من مصر ، ومعه الشريف أبو القاسم الرئيس والقاضي أبو حفص عمر بن الحسين العباسي وحسرة ابن محمد الكتاني ، في جمع كبير . وكانت عدة من فودى به من المسلمين ستين قسما بين ذكر وأثى .

فلما سار الروم إلى البلاد الشامية بعد سنة خمسين وثلاثمائة ، اشتد أمرهم بأخذهم البلاد .

وقوت العناية بالأسطول في مصر منذ قدم المعز لدين الله ، وأنشأ المراكب الحربية ، واقتدى به بنوه — وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد ، واعتناء بالأسطول — وواصلوا إنشاء المراكب بمدينة مصر واسكندرية ودمياط ، من الشوالى الحربية والشلنديات والمسطحات وتسيرها إلى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان .

وكانت جريدة قواد الأسطول في آخر أمرهم تزيد على خمسة آلاف مدونة ، منهم عشرة أعيان يقال لهم القواد — واحد منهم قائد — وتصل جامكية كل واحد منهم إلى عشرين ديناراً ، ثم إلى خمسة عشر ديناراً ، ثم إلى عشرة دنانير ، ثم إلى ثمانية ، ثم إلى دينارين وهي أقلها . ولهم اقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بما فيها من النظرون ، فيصل ديارهم بالمناسبة إلى نصف دينار .

(١١٢ ج ٢ ، ط. بولاق .)

وكان يمين من القواد العشرة واحد ، فيصير رئيس الأسطول ، ويكون معه المقدم والقائش . فإذا ساروا إلى الغزو كان هو الذى يقطع بهم ، وبه يقتدى الجميع ، فيرسون بارسائه ، ويقلعون بأقلاعه . ولا بد أن يقدم على الأسطول أمير كبير من أعيان أمراء الدولة وأقوامهم قسا ، ويتولى النفقة في غزاة الأسطول الخليفة بنفسه بحضور الوزير .

فإذا أراد النفقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة — وكانت في أيام المعز لدين الله تزيد على ستائة قطعة ، وآخر ما صارت إليه في آخر الدولة نحو الثمانين شونة ، وعشر مسطحات ، وعشر حمالة فما تقصر عن مائة قطعة — فيتقدم إلى النقباء بإحضار الرجال — وفيهم من كان يتمشى بمصر والقاهرة ، وفيهم من هو خارج عنهما — فيجتمعون .

وكانت لهم المشاهرة والجرايات في مدة أيام سفرهم ، وهم معروفون عند عشرين عريقاً يقال لهم النقباء — واحد منهم تقيب — ولا يكره أحد على السفر .

فإذا اجتمعوا أعلم النقباء المقدم ، فأعلم بذلك الوزير ، فطالع الوزير الخليفة بالحال ، فقرر يوماً للنفقة ، فحضر الوزير بالاستدعاء من ديوان الانشاء على العادة . فيجلس الخليفة على هيئة في مجلسه ، ويجلس الوزير في مكانه ، ويحضر صاحباً ديوان الجيش وهما المستوفى والكاتب ، والمستوفى هو أميرهما ، فيجلس من داخل عتبة المجلس ، وهذه رتبة له يتميز بها ، ويجلس بجانبه من

وراء العتبة كاتب الجيش في قاعة الدار على حصر مفروشة .

وشروط هذا المستوفى أن يكون عدلاً ومن أعيان الكتاب — ويسمى اليوم في زمنا ناظر الجيش — وأما كاتب الجيش فانه كان في غالب الأمر يهودياً . وللمجلس الذى فيه الخليفة والوزير أنطاع تصب عليها الدراهم ، ويحضر الوزانون بيت المال لذلك .

فإذا تهيأ الاتفاق أدخل الغزاة مائة مائة ، فيقفون في أخريات من هو واقف في الخدمة من جانب واحد نقابة نقابة ، وتكون أسماؤهم قد رتبت في أوراق لاستدعائهم بين يدي الخليفة . فيستدعى مستوفى الجيش من تلك الأوراق المنفق عليهم واحداً واحداً ، فإذا خرج اسمه عبر من الجانب الذى هم فيه إلى الجانب الآخر ، فإذا تكملت عشرة وزن الوزانون لهم النفقة .

وكانت مقررة لكل واحد خمسة دنانير ، صرف ستة وثلاثين درهماً ديناراً ، فيسلمها لهم التقيب ، وتكتب باسمه ويده . وتمضى النفقة هكذا إلى آخرها .

فإذا تم ذلك ركب الوزير من بين يدي الخليفة ، وانقض ذلك الجمع . فيحصل إلى الوزير من القصر مائدة يقال لها غداء الوزير ، وهي سبع مجنقات أوساط : أحداها بلحم الدجاج وفستق معمولة بصناعة محكمة ، والبقية شواء ، وهي مكمورة بالأزهار . فتكون النفقة على ذلك مدة أيام ، متوالية مرة ومترفة مرة .

فإذا تكاملت النفقة ، وتجهزت المراكب ونهيات للسفر ، ركب الخليفة والوزير إلى ساحل النيل بالمقس خارج القاهرة . وكان هناك على شاطئ النيل بالجامع منظره يجلس فيها الخليفة يرسم وداع الأسطول ولقائه إذا عاد . فإذا جلس للوداع ، جاءت القواد بالمراكب من مصر إلى هناك للحركات في البحر بين يديه وهي مزينة بأسلحتها ولبودها وما فيها من المنجنيقات ، فيرمى بها وتتحدر المراكب وتقلع ، وتعمل سائر ما تفعله عند لقاء العدو .

ثم يحضر المقدم والرئيس إلى بين يدي الخليفة فيودعهما ، ويدعو للجماعة بالنصرة والسلامة ، ويعطى للمقدم مائة دينار وللرئيس عشرين ديناراً ، وينحدر الأسطول إلى دمياط ، ومن هناك يخرج إلى بحر الملح ، فيكون له يلاذ العدو صيت عظيم ومهابة قوية .

والعادة أنه إذا غنم الأسطول ما عسى أن يغنم ، لا يتعرض السلطان منه إلى شيء ألبته ... إلا ما كان من الأسرى والسلاح فانه للسلطان ، وما عداهما من المال والثياب ونحوهما فانه لغزاة الأسطول لا يشاركهم فيه أحد . فإذا قدم الأسطول خرج الخليفة أيضاً إلى منظره المقس وجلس فيها للقاءه .

وقدم الأسطول مرة بألف وخمسمائة أسير . وكانت العادة أن الأسرى ينزل بهم في المناخ ، وتضاف الرجال إلى من فيه من الأسرى ، ويمضى بالنساء والأطفال إلى القصر بعدما

يعطى منهم الوزير ثلاثة . ويقرن ما بقي من النساء على الجهات والأقارب فيستخدمون . ويربون حتى يفتن الصنائع . ويدفع الصغار من الأسرى إلى الأساقفة فيربوهم ويتعلمون الكتابة والرمية ، ويقال لهم الترابي ، وفيهم من صار أميراً من صبيان خاص الخليفة .

ومن الأسرى من كان يتراب به فيقتل . ومن كان منهم شيخاً لا يتفهم به ضربت عنقه ، وألقى في بئر كانت في خرائب مصر تعرف ببئر النامة . ولم يعرف قط عن الدولة القاطية أنها غادت أسيراً من الفرنج بمال ولا بأسير مثله . وكان المنفق في الأسطول كل سنة خارجاً عن العدد والآلات .

ولم يزل الأسطول على ذلك إلى أن كانت وزارة شاور ، ووزل مرى ملك الفرنج على بركة الحبش ، فامر شاور بتحريق مصر وتحريق مراكب الأسطول ، فحرقتهما ونهبهما العبيد فيما نهبوا .

فلما كان زوال الدولة القاطية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، اعتنى أيضاً بأمر الأسطول ، وأفرد له ديواناً عرف بديوان الأسطول ، وعين لهذا الديوان القوم بأعمالها ، والحبس الجيوش في البرين الشرقي والغربي . وهو من البر الشرقي تهمل والأميرية والمنية ، ومن البر الغربي ناحية سط ونهيا ووسيم والبساتين خارج القاهرة .

(١٥) من ١٩٢٢ ج ٢ ، ط ١ ، ص ١٠٤ .

وعن له أيضاً الخراج ، وهو أشجار من سط لا تحصى كثرة ، في البهنائية وسط ريشين والأسمولين والأسوطية والاختية والقوصية ... لم تزل بهذه النواحي لا يقطع منها إلا ما تلمس الحاجة إليه ، وكان فيها ما يبلغ قيمة العمود الواحد منه مائة دينار . وقد ذكر خبر هذا الخراج في ذكر أقسام مال مصر من هذا الكتاب . وعين له أيضاً التطرون ، وكان قد بلغ ضامه ثمانية آلاف دينار .

ثم أفرد لديوان الأسطول ، مع ما ذكر ، الزكاة التي كانت تجبي بمصر ، وبلغت في سنة زيادة على خمسين ألف دينار ، وأفرد له المراكب الديوانية وناحية أشتاي وطنبدي . وسلم هذا الديوان لأخيه الملك المعادل ابن بكر محمد بن أيوب ، فأقام في مباشرته وعياله صفى الدين عبد الله بن علي بن شكر . وتقرر ديوان الأسطول الذي ينفق في رجاله نصف وربع دينار ، بعد ما كان نصف وثلث دينار .

فلما مات السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، استمر الحال في الأسطول قليلاً ، ثم قل الاهتمام به ، وصار لا يفكر في أمره إلا عند الحاجة إليه .

فإذا دعت الضرورة إلى تجهيزه ، طلب له الرجال ، وقبض عليهم من الطرقات ، وقيدوا في السلاسل نهارة ، وسجنوا في الليل حتى لا يهربوا ، ولا يصرف لهم إلا شيء قليل من الخبز ونحوه ، وربما أقاموا الأيام بغير شيء . كنا يفعل بالأسرى من العدو .

فصارت خدمة الأسطول عاراً يسب به الرجال ، وإذا قيل لرجل في مصر « يا أسطولي » غضب غضباً شديداً ، بعد ما كان خدام الأسطول يقال لهم « المجاهدون في سبيل الله » والغزاة في أعداء الله » ، ويشرك بدعائهم الناس .

ثم لما انقضت دولة بني أيوب ، وتملك الأتراك المماليك مصر ، أهملوا أمر الأسطول . إلى أن كانت أيام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ، فنظر في أمر الشواني الحرية ، واستدعى برجال الأسطول . وكان الأمراء قد استعملوهم في الحرايق وغيرها . ولدهم للسفر ، وأمر بمد الشواني وقطع الأخشاب لعمارتها ، وأقامتها على ما كانت عليه في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب ، واحترز على الخراج ، ومنع الناس من التصرف في أعواد العمل ، وتقدم بعمارة الشواني في ثغرى الاسكندرية ودمياط .

وصار ينزل بنفسه إلى الصناعة بمصر ، ويرتب ما يجب ترتيبه من عمل الشواني ومصالحها ، واستدعى بشواني الثغور إلى مصر ، فبلغت زيادة على أربعين قطعة ، سوى الحرايق والطرائد فإنها كانت عدة كثيرة ، وذلك في شوال سنة تسع وستين وستائة .

ثم سارت تريد قبرس ، وقد عمل ابن حصون رئيس الشواني في أعلامها الصلبان ، يريد بذلك أنها تخفى إذا عبرت البحر على الفرنج حتى تطرقهم على غفلة ، فكره الناس منه ذلك . فلما قاربت قبرس ، تقدم ابن حصون في الليل ليهاجم المينا ، فصدم الشونة

المقدمة شعباً فانكسرت ، وتبعها بقية الشواني فتكسرت الشواني كلها . وعلم بذلك متملك قبرس ، فأمر كل من فيها ، وأحاط بمسا معهم ، وكتب إلى السلطان يقرعه ويؤيخه ، وأن شوانيه قد تكسرت ، وأخذ ما فيها . وعدتها إحدى عشرة شونة . وأمر رجالها .

فحمد السلطان الله تعالى ، وقال : الحمد لله منذ ملكني الله تعالى ما خذل لي عسكر ولا ذلت لي راية ، وما زلت أخشى العين ، فالحمد لله تعالى بهذا ولا بغيره . وأمر بإنشاء عشرين شونة ، وأحضر خمس شواني كانت على مدينة قوص من صعيد مصر ، ولازم الركوب إلى صناعة العمارة بمصر كل يوم ، في مدة شهر المحرم سنة سبعين وستائة إلى أن تجوزت ، فلما كان في نصف المحرم سنة إحدى وسبعين وستائة زاد النيل حتى لعبت الشواني بين يديه ، فكان يوماً مشهوداً .

وفي سنة اثنين وتسعين وستائة ، تقدم السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن قلاوون إلى الوزير صاحب شمس الدين محمد بن السلوس ، بتجهيز أمر الشواني . فنزل إلى الصناعة ، واستدعى الرئيس ، وهياً جميع ما تحتاج إليه الشواني حتى كملت عدتها نحو ستين شونة ، وشحنها بالعدد والآلات الحرب ، ورتب بها عدة من المماليك السلطانية والبسم السلاح .

فأقبل الناس لمشاهدتهم من كل أوب قبل ركوب السلطان بثلاثة أيام ، وصنعوا لهم قصوراً من خشب وأخصاص القش على

(١٦) من ١٩٢٢ ج ٢ ، ط ١ ، ص ١٠٤ .

شاملي. النيل خارج مدينة مصر وبالروضة ،
واكثروا الساحات التي قدام الدور والزرابي
بالمائتي درهم كل زريبة فما دونها ... بحيث
لم يبق بيت بالقاهرة ومصر الا وخرج اهله او
بعضهم لرؤية ذلك ، فصار جمعا عظيما .

وركب السلطان من قلعة الجبل بكرة ،
والناس قد ملأوا ما بين المقياس الى بستان
الخشاب الى بولاق ، ووقف السلطان وقائمه
الأمير يدر وبقية الأمراء قدام دار الخاس ،
ومنع الحجاب من التعرض لطرده العامة .

فبرزت الشواني واحدة بعد واحدة ، وقد
عسل في كل شونة برج وقلعة تحاصر ،
والقتال عليها ملح ، والتفت يرمى عليها ، وعدة
من الثقاين في اعمال الحيلة في النقب ، وما
منهم الا من أظهر في شوته عملا معجبا
وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه .

وتقدم ابن موسى الراعي ، وهو في مركب
ثلية ، فقرأ قوله تعالى « بسم الله مجراها
ومرساها ان ربي لفتور رحيم » ، ثم تلاها
بقراءة قوله تعالى « قل اللهم مالك الملك
تؤتي الملك من تشاء » الى آخر الآية ... هذا
والشواني تتواصل بحاربة بعضها بعضا الى
أن أذن لصلاة الظهر ، فمضى السلطان بمسكبه
عائدا الى القلعة . فاقام الناس بتيمة يومهم
وتلك الليلة على ما هم عليه من اللهو في
اجتماعهم .

وكان شيئا يعجل وصفه ، وأتفق فيه مال لا
يعد ... بحيث بلغت أجرة المركب في هذا
اليوم ستمائة درهم فما دونها . وكان الرجل
الواحد يؤخذ منه أجرة ركوبه في المركب

خمس دراهم ، وحصل لعدة من النواية أجرة
مراكبهم عن سنة في هذا اليوم . وكان الخبز
يباع اثنا عشر رطلا بدرهم ، فلكثرة اجتماع
الناس بمصر بيع سبعة أرطال بدرهم .

فبلغ خبر الشواني الى بلاد الفرنج ،
فبعثوا رسلاهم بالهدايا يطلبون الصلح .

فلما كان المحرم سنة اثنتين وسبعمئة ، في
سلطنة الناصر محمد بن قلاوون ، جهزت
الشواني بالعدد والصلاح والتفطية والأزودة ،
وعين لها جماعة من أجناد الحلقة ، وألزم كل
أمير مائة بإرسال رجلين من عدته ، وألزم
أمراء الطلخانة والعشوات باخراج كل أمير
من عدته رجلا ، وتذب الأمير سيف الدين
كهرداش المنصوري الزراق الى السفر بهم ،
ومعه جماعة من ممالك السلطان الزرايين ،
وزينت الشواني أحسن زينة .

فخرج معظم الناس لرؤيتها ، واقاموا يومين
بباليهما على الساحل بالبرين . وكان جميعا
عظيما الى الغاية ، وبلغت أجرة المركب
الصغير مائة درهم لأجل الفرجة .

ثم ركب السلطان بكرة يوم السبت ثاني
عشر المحرم ، ومعه الأمير سلال النائب
والأمير بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء
والعسكر ، فوقفت الممالك على البر فحو
بستان الخشاب ، وعدى الأمراء في الحراريق
الى الروضة .

وخرجت الشواني واحدة بعد واحدة فلبت
منها ثلاثة ، وخرجت الرابعة وفيها الأمير

أقوش القاري ، من مينا الصناعة حتى توسط
البحر ، فلبب بها الريح الى أن مالت ، وانقلبت
فصار أعلاها أسفلها . فتداركها الناس ،
ورفعوا ما قدروا عليه من العدد والصلاح ،
وسلمت الرجال فلم يعدم منهم سوى أقوش
وحده . فتكد الناس ، وعاد الأمراء الى القلعة
بالسلطان ، وجهز شونة عوضا عن التي
غرقت .

وساروا الى ميناء طرابلس ، ثم ساروا
- ومعهم عدة من طرابلس - فأشرفوا من
الغد على جزيرة أرواد من أعسال قبرس ،
وقاتلوا أهلها وقتلوا أكثرهم ، وملكوها في
يوم الجمعة ثامن عشرى صفر ، واستولوا على
ما فيها ، وهدموا أسوارها ، وعادوا الى
طرابلس ، وأخرجوا من الغنائم الخمس
للسلطان ، واقتسموا ما بقي منها ، وكان
معهم مائتان وثمانون أسيرا . فمر السلطان
بذلك سرورا كثيرا .

« صناعة المقس » : قال ابن أبي طى في
تاريخه عند ذكر وفاة المعز لدين الله : انه أنشأ
دار الصناعة التي بالمقس ، وأنشأ بها ستمائة
مركب لم ير مثلهما في البحر على مينا .

وقال المسيحي : ان المعز بالله بن المعز هو
الذي بنى دار الصناعة التي بالمقس ، وعمل
المراكب التي لم ير مثلهما فيما تقدم كبيرا ووثاقة
وحسنا .

وقال في حوادث سنة ست وثمانين
وثلاثمائة : ووقعت نار في الأسطول وقت
صلاة الجمعة لست يقين من شهر ربيع الآخر
فأحرقت خمس عشاريات ، وأتت على جميع

ما في الأسطول من العدة والصلاح حتى لم
يبق منه غير ستة مراكب فارغة لا شيء فيها .
فعمل البحريون السلاح ، وانهسوا الروم
النصارى - وكانوا مقيمين بدار ماتك بجوار
الصناعة التي بالمقس - وحملوا على الروم
هم وجموع من العامة معهم ، فنهبوا أمتعة
الروم ، وقتلوا منهم مائة رجل وسبعة رجال ،
وطرحوا جثثهم في الطرقات ، وأخذ من بقي
فحبس بصناعة المقس .

ثم حضر عيسى بن نسطورس ، خليفة أمير
المؤمنين العزيز بالله في الأموال ووجوهها
بديار مصر والشام والحجاز ، ومعه يانس
الصقلي وهو يومئذ خليفة العزيز بالله على
القاهرة عند مسيره الى الشام ، ومنهما
معمود الصقلي مثولى الشرطة . وأحضروا
الروم من الصناعة * ، فأغترفوا بأنهم الذين
أحرقوا الأسطول .

فكتب بذلك الى العزيز بالله - وهو مبرقا
يريد السفر الى الشام - وذكر له في الكتاب
خبر من قتل من الروم وما نهب ، وأنه ذهب
في النهب ما يبلغ تسعين ألف دينار .

فطاف أصحاب الشرط في الأسواق بسجل
فيه الأمر يرد ما نهب من دار ماتك وغيرها ،
والتوعد لمن ظهر عنده منه شيء ، وحفظ أبو
الحسن يانس البلد ، وضبط الناس .

وأمر عيسى بن نسطورس أن يسد للوقت
عشرون مركبا ، وطرح الخشب ، وطلب
الصناع ، وبات في الصناعة ، وجد الصناع
في العمل . وأغلب أحداث الناس وعامتهم

(*) ص ١٩٠ ج ٢ ، طه بولاق .

يلعبون يردوس القتل ، ويجرون بأرجلهم في الأسواق والشوارع ، ثم قتلوا بعضهم إلى بعض على ساحل النيل بالمقاس ، وأحرقوا يوم السبت .

وضرب بالحرس على البلد ألا يتخلف أحد من نهب شيئا حتى يحضر ما فيه ويرده ، ومن ظلم عليه بشيء أو كتم شيئا أو جعده أو أخره ، حلت به العقوبة الشديدة . وتبع من نهب ، فقبض على عدة قتل منهم عشرون رجلا ضربت أعناقهم ، وضرب ثلاثة وعشرون رجلا بالسياط ، وطيف بهم وفي عنق كل واحد رأس رجل ممن قتل من الروم ، وحبس عدة أناس ، وأمر بضرب من ضربت أعناقهم فصلبوا عند كوم دينار ، ورد المضربون إلى المطبق .

وكان ضرب من ضرب من النهاية ، وقتل من قتل منهم بقرع كبت لهم . تناول كل واحد منهم رقعة فيها مكتوب أما يقتل أو ضرب ، فأمضى فيهم بحسب ما كان في رقاعهم من قتل أو ضرب .

واشتد الطلب على النهاية ، فكان الناس يدل بعضهم على بعض ، فإذا أخذ أحد ممن اتهم بالنهب حلف بالإيمان المغلفة أنه ما بقي عنده شيء .

وجد عيسى بن نسطورس في عمل الأسطول وطلب الخشب ، فلم يدع عند أحد خشبا علم به إلا أخذه منه ، وتزايد اخراج النهاية لما نهوه ، فكانوا يطرحونه في الأزقة

والشوارع خوفا من أن يعرفوا به ، وحبس كثير من أحضر شيئا أو عرف عليه من النهب .

فلما كان يوم الخميس ثامن جمادى الأولى ضربت أعناقهم كلهم على يد أبي أحمد جعفر ، صاحب يانس ، فانه قدم في عسكر كثير من اليانسية ، حتى ضربت أعناق الجماعة ، وأغلقت الأسواق يومئذ .

وطاف متولى الشرطة ، وبين يديه أرباب النفط بمددهم ، والنار مشتعلة ، واليانسية ركاب بالسلاح ، وقد ضرب جماعة ، وشهرهم بين يديه وهم ينادي عليهم : هذا جزاء من أثار القتل ، ونهب حريم أمير المؤمنين ، فمن نظر فليعتبر ، فما تقال لهم عشرة ، ولا ترحم لهم عبرة ... في كلام كثير من هذا الجنس . فاشتد خوف الناس ، وعظم فزعهم .

فلما كان من الغد نودي : معاشر الناس قد آمن الله من أخذ شيئا أو نهب شيئا على نفسه وماله ، فليرد من بقي عنده شيء من النهب ، وقد أجلناكم من اليوم إلى مثله .

وفي سابع جمادى الآخرة نزل ابن نسطورس إلى الصناعة ، وطرح مركبين في غاية الكبر من التي استعملها بعد حريق الأسطول . وفي غرة شعبان نزل أيضا ، وطرح بين يديه أربعة مراكب كبارا من المنشأة بعد الحريق .

واتفق موت العزيز بالله ، وهو سائر إلى الشام ، في مدينة بليس . فلما قام من بعده ابنه الحاكم بأمر الله في الخلافة ، أمر في خامس شوال بحط الذين صلبهم ابن

نسطورس ، فتسلمهم أهلهم ، وأعطى لأهل كل مصلوب عشرة دنانير برسم كتفه ودفنه .

وخلع على عيسى بن نسطورس ، وأقره في ديوان الخاص ، ثم قبض عليه في ليلة الأربعاء سابع المحرم سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، واعتقله إلى ليلة الاثنين سابع عشره . فأخرجه الأستاذ برجوان - وهو يومئذ يتولى تدبير الدولة - إلى المقس ، وضرب عنقه .

فقال وهو ماض إلى المقس : كل شيء قد كنت أحبه إلا موت العزيز بالله ، ولكن الله لا يظلم أحدا . والله إلى لأذكر وقد ألقى السهام للقوم المأخوذ في نهب دار ماتك - وفي بعضها مكتوب « يقتل » وفي أخرى « يضرب » - فأخذ شاب ممن قبض عليه رقعة منها فجاء فيها « يقتل » ، فأمرت به إلى القتل ...

فصاحت أمه ولطمت وجهها ، وحلفت أنها وهو ما كانا ليلة النهب في شيء من أعمال مصر ، والما وردا مصر بعد النهب بثلاثة أيام . وناشدتني الله تعالى أن أجعله من جملة من يضرب بالسوط ، وأن يعنى من القتل ، فلم ألتفت إليها ، وأمرت بضرب عنقه .

فقال أمه : ان كنت لأبد قاتله ، فأجعله آخر من يقتل لأنتع به ساعة .

فأمرت به فجعل أول من ضرب عنقه .

فلطخت بدمه وجهها ، وسبقتني - وهي منبوشة الشعر ذاهلة العقل - إلى القصر . فلما وافيت ، قالت لي : أقتله ! كذلك يقتلك الله .

الله . فأمرت بها ، فضربت حتى سقطت إلى الأرض . ثم كان من الأمر ما ترون معا أنا سائر إليه .

وكان خبره عبرة لمن اعتبر .

وفي نصف شعبان سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، ركب الحاكم بأمر الله إلى صناعة المقس لتطرح المراكب بين يديه .

« صناعة الجزيرة » : هذه الصناعة كانت بجزيرة مصر ، التي تعرف اليوم بالروضة ، وهي أول صناعة عملت بفسطاط مصر . بنيت في سنة أربع وخمسين من الهجرة ، وكان قبل بنائها هناك خمسمائة فاعل تكون مقيمة أبدا معدة لحرق يكون في البلاد أو هدم . ثم اعتنى الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بإنشاء المراكب الحربية في هذه الصناعة ، وأمانها بالجزيرة .

ولم تزل هذه الصناعة إلى أيام الملك الأمير أبي بكر محمد بن طنج الاخشيدي ، فأشأ صناعة بساحل قسطنطين مصر ، وجعل موضع هذه الصناعة البستان المختار ، كما قد ذكر في موضعه من هذا الكتاب .

« صناعة مصر » : هذه الصناعة كانت بساحل مصر القديم . يعرف موضعها بدار خديجة بنت الفتح بن خاقان ، امرأة الأمير أحمد بن طولون ... إلى أن قدم الأمير أبو بكر محمد بن طنج الاخشيدي أميرا على مصر من قبل الخليفة الرافض ، عوضا عن أحمد بن كيغلغ ، في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وقد كثرت القتل . فلم يدخل عيسى بن أحمد

السلي أبو مالك ، كبير المغاربة في بلاطه ، ومضى معه بحكم وعلى بن بدر ولطف التوشري وعلى المغربي الى القيسوم . فبعث اليهم الاخشيد صاعد بن الكلثم براكبه ، فقاتلوه وقتلوه واخذوا مراكبه ، وركب فيها على بن بدر وبحكم ، وقدموا مدينة مصر اول يوم من ذي القعدة ، فارتسوا بجزيرة الصناعة .

وركب الاخشيد في جيشه ، ووقف حيالهم والنيل بينهم وبينه ، فكره ذلك وقال : صناعة يحول بينها وبين صاحبها الماء ليست بشيء . فقام بحكم وعلى بن بدر الى آخر النهار ، ومضوا الى جهة الاسكندرية .

وعاد الاخشيد الى داره ، فأخذ في تحويل الصناعة من موضعها بالجزيرة الى دار خديجة بنت الفتح في شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة ، وكان اذ ذاك عندها سلم ينزل منه الى الماء . وعندما ابتدا في انشاء المراكب بها صاحبت به امرأة ، فأمر بأخذها اليه ، فقالت له ان يبعث معها من يحمل المال ، فسير معها مائة ، فأتت بهم الى دار خديجة هذه ودلتهم على موضع منها . فأخرجوا منه عينا وورقا وحليا وغيره ، وملئت المرأة فلم توجد ولا عرف لها خبر .

وكانت مراكب الأسطول مع ذلك تتشأ في الجزيرة وفي صناعتها الى أيام الخليفة الأمر بأحكام الله تعالى . فلما ولي المأمون بن البطاحي أنكر ذلك ، وأمر أن يكون انشاء الشواني والمراكب النيلية (الديوانية) بصناعة مصر هذه ، وأضاف إليها دار الزيب ، وأنشأ

بها منظره لجلوس الخليفة يوم تقديمه الأسطول ورميه ، فأمر انشاء الحريبات والشلنديات بصناعة الجزيرة . وكان لهذه الصناعة دهليز ماد بمسابط مفروشة بالحصر العبدانية بسطا وتآزيرا ، وفيها محل ديوان الجهاد .

وكان يعرف في الدولة الفاطمية الا يدخل من باب هذه الصناعة أحد راكبا الا الخليفة والوزير اذا ركبوا في يوم فتح الخليج عند وفاء النيل . فان الخليفة كان يدخل من بابها ، ويشقها راكبا والوزير معه حتى يركب النيل الى المقياس . كما قد ذكر في موضعه من هذا الكتاب . ولم تزل هذه الصناعة عامرة الى ما قبل سنة سبعمائة ، ثم صارت بستانا عرف بستان ابن كيسان ، ثم عرف في زماننا بستان الطواشي .

وكان فيما بين هذه الصناعة والروضة بحر ، ثم تربي جرف عرف موضعه بالجرف ، وأنشئ هناك بستان عرف بستان الجرف ، وصار في جملة أوقاف خاتمة المواصلات ، وقيل لهذا الجرف بين الزقاقين ، وكان فيه عدة دور وحمام وطواحين وغير ذلك . ثم خرب من بعد سنة ست وثمانمائة ، وخرب بستان الجرف أيضا .

والى اليوم بستان الطواشي فيه بقية ، وهو على يسرة من يربد مصر من طريق المراغة ، ويظايره حوض ماء ترده الدواب ، ومن وراء البستان كيمان فيها كنيسة للنصارى . قال ابن المتوج : وكان مكان بستان ابن كيسان صناعة العمارة ، وأدركت فيه بابها ،

وبستان الجرف المقابل لبستان ابن كيسان كان مكانه بحر النيل ، وان الجرف يربى فيه .

ذكر الميادين

« ميدان ابن طولون » : كان قد بناه وتأنق فيه ثاقبا زائدا ، وعمل فيه المناخ وبركة الزئبق والقبه الذهبية . وقد ذكر خبر هذا الميدان عند ذكر القطائع من هذا الكتاب .

« ميدان الاخشيد » : هذا الميدان أنشاه الأمير أبو بكر محمد بن طنج الاخشيد أمير مصر بجوار بستانه الذي يعرف اليوم في القاهرة بالكافوري ، ويشبه أن يكون موضع هذا الميدان اليوم حيث المكان المعروف بالبندقالين وحارة الوزيرية وما جاور ذلك .

وكان لهذا البستان بابان من حديد . قلعهما القائد جوهر عندما قدم القرمطى الى مصر يريد أخذها ، وجعلهما على باب الخندق الذي حفره بظاهر القاهرة قريبا من مدينة عين شمس ، وذلك في سنة ستين وثلثمائة .

وكان هذا الميدان من أعظم أماكن مصر ، وكانت فيه الخيول السلطانية في الدولة الاخشيدية .

« ميدان القصر » : هذا الميدان موضعه الآن في القاهرة يعرف بالخرنشف . عمل عند بناء القاهرة بجوار البستان الكافوري ، ولم يزل ميادنا للخلفاء الفاطميين يدخل اليه من باب التباين الذي موضعه الآن يعرف بقبو الخرشف .

فلما زالت الدولة الفاطمية تمطل ، وبقي الى أن بنى به الفراعصطلات بالخرنشف ، ثم حكر وبني فيه ، فصار من أخطاط القاهرة

« ميدان قراقوش » : هذا الميدان خارج . باب الفتوح .

« ميدان الملك العزيز » : هذا الميدان كان بجوار خليج الذكر ، وكان موضعه بستانا .

قال القاضي الفاضل في متجددات ثالث عشرى شهر رمضان سنة أربع وتسعين وخمسمائة : خرج أمر الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بقطع النحل المثمر المتغل تحت المؤلوة بالبستان المعروف بالبغدادية

وهذا البستان كان من مساتين القاهرة الموصوفة ، وكان منظره من المناظر المتحسنة وكان له مستغل ، وكان قد عنى الأولون به لجاورته المؤلوة واطلال جميع مناظرها عليه . وجعل هذا البستان ميادنا ، وحرث أرضه ، وقنع ما فيه من الأصول . ثم حكر الناس أرض هذا البستان ، وبنيوا عليها ، وهو الآن دائر فيه كيمان وأتربة . انتهى .

« الميدان الصالحى » : هذا الميدان كان بأراضي اللوق من ير الخليج الغربى ، وموضعه الآن من جامع الطياخ بباب اللوق الى قنطرة قدادار التي على الخليج الناصرى ، ومن جملة الطرق السلوكية الآن من باب اللوق الى القنطرة المذكورة .

وكان أولا بستانا يعرف ببستان الشرف بن ثعلب . فاشتراه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، بثلاثة آلاف دينار مصرية ، من الأمير حصن الدين ثعلب ابن الأمير فخر الدين اسماعيل بن ثعلب الجعفرى ، فى شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وجعله ميدانا ، وأنشأ فيه مناظر جليلة تشرف على النيل الأعظم ، وصار يركب اليه ويلعب فيه بالكرة .

وكان عمل هذا الميدان سببا لبناء القنطرة — التى يقال لها اليوم قنطرة الخرق — على الخليج الكبير لجوازها عليها ، وكان قبل بنائها موضعها موردة سقالي القاهرة . وما برح هذا الميدان تلعب فيه الملوك بالكرة من بعد الملك الصالح الى أن انحصر ماء النيل من تجاهه وبعد عنه ، فأنشأ الملك الظاهر ميدانا على النيل .

وفى سلطنة الملك العزيز الدين أيبك التركمانى الصالحى النجمى ، قال له منجه : ان امرأة تكون سببا فى قتله . فأمر أن تخرب الدور والحوائط التى من قلعة الجبل بالتبانة الى باب زويلة والى باب الخرق والى باب اللوق الى الميدان الصالحى ، وأمر ألا يترك باب مفتوح بالأماكن التى يمر عليها يوم ركوبه الى الميدان ، ولا تفتح أيضا طاقة .

وما زال باب هذا الميدان باقيا ، وعليه طوارق مدهونة ، الى ما بعد سنة أربعين وسبعمائة ، فأدخله صلاح الدين بن المغربى فى قيسارية الغزل التى أنشأها هناك . ولأجل هذا الباب قيل لذلك الخط « باب اللوق » .

ولما خرب هذا الميدان حكر ، وبنى موضعه ما هنالك من المساكن . ومن جعلته حكر مرادى ، وهو على يمنية من سلك من جامع الطباخ الى قنطرة قدادار ، وهو فى أوقاف خاتقاء قوصون وجامع قوصون بالقرافة . وهذا الحكر اليوم قد صار كيمانا بعد كثرة العمارة به .

« الميدان الظاهرى » : هذا الميدان كان بطرف أراضى اللوق يشرف على النيل الأعظم ، وموضعه الآن تجاه قنطرة قدادار من جهة باب اللوق . أنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى لما انحصر ماء النيل ، وبعد عن ميدان أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب .

وما زال يلعب فيه بالكرة هو ومن بعده من ملوك مصر ... الى أن كانت سنة أربع عشرة وسبعمائة . فنزل السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون اليه ، وخرب مناظره ، وعمله بستانا من أجل بعد البحر عنه ، وأرسل الى دمشق فحمل اليه منها سائر أصناف الشجر ، وأحضر معها خولة الشام والمطعمين ، فغرسوها فيه وطعموها .

وما زال بستانا عظيما ، ومنه تعلم الناس بصر تطعيم الأشجار فى بساتين جزيرة الفيل . وجعل السلطان فواكه هذا البستان ، مع فواكه البستان الذى أنشأه بسرياقوس ، تحمل بأسرها الى الشراب خاناه السلطانية بقلعة الجبل ، ولا يباع منها شيء أبدا ، وتصرف كلهما من الأموال الديوانية . فجادت فواكه هذين البساتين ، وكثرت حتى حاكت

بعضها فواكه الشام ، لشدة العناية والخدمة بهما .

ثم ان السلطان لما اختص بالأمير قوصون ، أنعم بهذا البستان عليه . فعمر تجاهه الزريبة — التى عرفت بزريبة قوصون — على النيل ، وبنى الناس الدور الكثيرة هناك ... سيما لما حفر الخليج الناصرى . فان العمارة عظمت فيما بين هذا البستان والبحر ، وفيما بينه وبين القاهرة ومصر .

ثم ان هذا البستان خرب لتلاشى أحواله بعد قوصون ، وحكرت أرضه ، وبنى الناس فوقها الدور التى على يسرة من صعد القنطرة من جهة باب اللوق يريد الزريبة . ثم لما خرب خط الزريبة ، خرب ماعمر بأرض هذا البستان من الدور منذ سنة ست وثمانمائة . والله تعالى أعلم .

« ميدان بركة الفيل » : هذا الميدان كان مشرقا على بركة الفيل قبالة الكباش ، وكان أولا اصطبل الجوق يرسم خيول المماليك السلطانية ... الى أن جلس الأمير زين الدين كتبغا على تخت الملك ، وتلقب بالملك العادل بعد خلعه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة .

فلما دخلت سنة خمس وتسعين ، كان الناس فى أشد ما يكون من غلاء الأسعار ، وكثرة الموتان ، والسلطان خائف على نفسه ، ومتحيز من وقوع فتنة ، وهو مع ذلك ينزل من قلعة الجبل الى الميدان الظاهرى بطرف اللوق . فحسن بخاطره أن يعمل اصطبل الجوق

(١١٨) من ١١٨٨ هـ ، ط. بولاق

المذكور ميدانا عوضا عن ميدان اللوق . وذكر ذلك للأمراء فأعجبهم ذلك ، فأمر بإخراج الخيل منه ، وشرع فى عمله ميدانا .

وبادر الناس من حينئذ الى بناء الدور بجانبه . وكان أول من أنشأ هناك الأمير علم الدين سنجر الخازن ، فى الموضع الذى عرف اليوم بحكر الخازن ، وتلاه الناس فى العمارة والأمراء . وصار السلطان ينزل الى هذا الميدان من القلعة ، فلا يجد فى طريقه أحدا من الناس سوى أصحاب الدكاكين من الباعة ، لقلّة الناس وشغلهم مما هم فيه من الغلاء والوباء .

ولقد رأى شخص من الناس ، وقد نزل الى الميدان والطرقات خالية ، فأنشد ما قيل فى الطبيب ابن زهر :

قل للغلا أنت وابن زهر

بلفتما الحد والنهاية

ترفقا بالورى قليلا

فى واحد منكما كفايه

وما برح هذا الميدان باقيا الى أن عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قصر الأمير بكتمر الساقى على بركة الفيل ، فأدخل فيه جميع أرض هذا الميدان ، وجعله اصطبل قصر الأمير بكتمر الساقى فى سنة سبع عشرة وسبعمائة . وهو باق الى وقتنا هذا .

« ميدان المهارى » : هذا الميدان بالقرب من قناطر السباع ، فى بر الخليج الغربى ، كان من جملة جنان الزهرى . أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة عشرين وسبعمائة .

ومن وراء هذا الميدان بركة ماء كان موضعها
كرم القاضي الفاضل رحمة الله عليه .

قال جامع السيرة الناصرية : وكان الملك
الناصر محمد بن قلاوون له شغف عظيم
بالخيل . فعمل ديوانا ينزل فيه كل فرس
بشأنه ، واسم صاحبه ، وتاريخ الوقت الذي
حضر فيه . فإذا حملت فرس من خيول
السلطان أعلم به ، وترقب الوقت الذي ولد
فيه .

واستكثر من الخيل حتى احتاج الى مكان
يرسم لتاجها . فركب من قلعة الجبل في سنة
عشرين وسبعمائة ، وعين موضعا يعمل مبداء
يرسم المهارى ، فوق اختباره على أرض
بالقرب من قنطر الباع . وما زال واقفا
بفرسه حتى حدد الموضع ، وشرع فى تقلب
الطين البليز اليه ، وزرعه من النخل وغيره ،
وركب على الآبار التى فيه السواقى .

فلم ينقض سوى أيام حتى ركب اليه ،
ولعب فيه بالكرة مع الخاصكية ، ورتب فيه
عدة حجور للتساج ، وأعد لها سواميا
وأمرأخورية وسائر ما يحتاج اليه . وبنى فيه
أماكن ، ولازم الدخول اليه فى ممره الى
الميدان الذى أنشأ على النيل بموردة الملح .

فلما كان بعد أيام وأشهر ، حسن فى
نفسه أن يبنى تجاه هذا الميدان - على النيل
الأعظم بجوار جامع الطيرى - زريعة ،
ويرز بالمناظر التى ينشئها فى الميدان الى قرب
البحر . فنزل بنفسه ، وتحدث فى ذلك ، فكثرت
المناسون المصروف فى عينه ، وصعبوا الأمر

من جهة قلة الطين هناك . وكان قد أدركه
السر للصعيد فترك ذلك

وما برحت الخيول فى هذا الميدان الى أن
مات الملك الظاهر برقوق فى سنة إحدى
وثمانمائة . واستمر بعده فى أيام ابنه الملك
الناصر فرج . الا أنه تلاثى أمره عما كان قبل
ذلك ، ثم انقطعت منه الخيول وصار يرلها
خاليا .

« ميدان سرياقوس » : كان هذا الميدان
شرقى ناحية سرياقوس بالقرب من الخاقان .
أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى ذى
الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، وبنى
فيه قصورا جليلة وعدة منازل للأمراء ،
وغرس فيه بستانا كبيرا نقل اليه من دمشق
سائر الأشجار التى تعمل الفواكه ، واحضر
معهما خولة بلاد الشام حتى غرسوها وطعموها
الأشجار . فأفلق فيه الكرم والسفرجل وسائر
التواكه .

فلما كمل فى سنة خمس وعشرين ، خرج
ومعه الأمراء والأعيان ، ونزل القصور التى
هناك ، ونزل الأمراء والأعيان على منازلهم
فى الأماكن التى بنيت لهم . واستمر يتوجه
اليه فى كل سنة ، ويقام به الأيام ، ويلعب
فيه بالكرة الى أن مات . فعلم ذلك أولاده
الذين ملكوا من بعده .

فكان السلطان يخرج فى كل سنة من قلعة
الجبل بعدما تنقضى أيام الركوب ، الى الميدان
الكبير الناصرى على النيل ، ومعه جميع أهل
الدولة من الأمراء والكتاب وقاضى السكر
وسائر أرباب الرتب ، ويسير الى المرحلة

بناحية سرياقوس ، وينزل بالقصور ، ويركب
الى الميدان هناك للعب بالكرة ، ويطلع على
الأمراء وسائر أهل الدولة ، ويقام فى هذه
المرحلة أياما . فيمر للناس فى إقامتهم بهذه
المرحلة أوقات لا يسكن وصف ما فيها من
المسرات ، ولا حصر ما ينفق فيها من الأكل
والهبات من الأموال .

ولم يزل هذا الرسم مستمرا الى سنة تسع
وتسعين وسبعمائة ، وهى آخر مرحلة سار
اليها السلطان بسرياقوس . ومن هذه السنة
انقطع السلطان الملك الظاهر برقوق عن الحركة
لسرياقوس ، فانه اشتغل فى سنة ثمانمائة
بتحرك المالكة عليه من وقت قيام الأمير على
بأى الى أن مات .

وقام من بعده ابنه الملك الناصر فرج . فما
صفا الوقت * فى أيامه من كثرة الثمن وتواتر
الفلوات والحن ... الى أن نسي ذلك ، وأهمل
أمر الميدان والقصور وخرب ، وفيه الى اليوم
بقية قائمة . ثم بيعت هذه القصور ، فى صفر
سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، بمائة دينار
لتنقضى خشبها وشبايكها وغيرها ، فنقضت
كلها .

وكان من عادته اذا مر فى متصيداته باقطاع
الصييد لسرياقوس أو شبرا أو البحيرة ، أنه
ينعم على أكابر أمراء الدولة قدرا ومنا :
كل واحد بألف مثقال ذهبا ، وبرذون خاص
مخرج ملجم ، وكنبوش مذهب .

وكان من عادة السلطان ، اذا خرج الى
أمير كبير ، قدم له من الغنم والأوز والدجاج

(*) من ١٩٦٠ ج ٢ ، ط ١٩٦٠

وقصب السكر والشعير ما يسو همة مثله
اليه . فيقبله السلطان منه . وينعم عليه بخلة
كاملة ، وربما أمر لبعضهم ببسج مال .

وكانت عادة الأمراء أن يركب الأمير منهم
حيث يركب فى المدينة وخلفه جنيب ، وأما
أكابرهم فيركب بجنيين ... هذا فى المدينة
والحاضرة . وهكذا يكون اذا خرج الى
سرياقوس وغيرها من نواحي الصيد ، ويكون
فى الخروج الى سرياقوس وغيرها من الأسفار
لكل أمير طلب يشتمل على أكثر ماليكه ،
وقدامهم خزانة محمولة على جمل واحد يجره
راكب آخر على جمل والمال على جملين ،
وربما زاد بعضهم على ذلك .

وأمام الخزانة عدة جنائب تجر على أيدي
ماليك ركاب خيل وهجن وركاب من العرب
على هجن ، وأمامها الهجن بأكوارها مجنوية ،
وللطبلخانات قطار واحد وهو أربعة ،
ومركوب الهجان والمال قطاران ، وربما زاد
بعضهم .

وعدد الجنائب فى كثرتها وقلتها الى رأى
الأمير وسعة نفسه . والجنائب منها ما هو
مخرج ملجم ، ومنها ما هو بمساة لا غير .
وكان يضاهى بعضهم بعضا فى الملابس الفاخرة
والسروج المحلاة والعدد المليحة .

وكان من رسوم السلطان ، فى خروجه الى
سرياقوس وغيرها من الأسفار ، ألا يتكلف
إظهار كل شعار السلطنة ، بل يكون الشعار
فى مركبه السائر فيه جمهور بماليكه مع
المقدم عليهم وأستاداره ، وأمامهم الخزانين
والجنائب والهجن . وأما هو نفسه فانه يركب

ومعه عدة كبيرة من الأمراء الكبار والصغار من الثرىاء والخواص ، وجملة من خواص ماله .

ولا يركب فى السير برقة ولا بمصائب ، بل يتبعه جناح خلقه ، ويقصد فى الغالب تأخير النزول الى الليل . فإذا جاء الليل حلت قدامه فوائس كثيرة ومشاعل ، فإذا قارب مخيمه تلقى بشموع موكبية فى شمعدانات كت ، وصاحت الجاوشية بين يديه ، وزل الناس كافة . الا حملة السلاح قاهم وراءه ، والوشاقية أيضا وراءه ، وتثنى الطيردارية حوله .

حتى اذا وصل القصور بمرافقوس أو الدهليز من المخيم ، نزل عن فرسه ودخل الى الشقة — وهى خيمة مستديرة متسة — ثم منها الى شقة مختصرة ، ثم منها الى اللاجوق . وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخل سور خركاه ، وفى صدر اللاجوق قصر صغير من خشب يرسم المبيت فيه . وينصب بازاء الشقة الحمام بقدر الرصاص والحوض ، على هيئة الحمام المبني فى المدن الا انه مختصر .

فإذا قام السلطان طافت به المالك دائرة بعد دائرة ، وطاف بالجميع الحرس ، وتدور الزفة حول الدهليز فى كل ليلة ، وتدور بمرافقوس حول القصر فى كل ليلة مرتين : الأولى منذ يأتى الى النوم ، والثانية عند قعوده من النوم .

وكل زفة يدور بها أمير جاندار — وهو من أكابر الأمراء — وحوله القوائس والمشاعل

والطبول والبيانة . وتقام على باب الدهليز النقباء وأرباب الثوب من الخدم .

ويصحب السلطان فى السر غالب ما تدعو الحاجة اليه حتى يكاد يكون معه مارستان ، لكثرة من معه من الأطباء وأرباب السكل والجراح والأشربة والعقاقير ، وما يجرى مجرى ذلك . وكل من عاده طبيب ، ووصف له ما يناسبه ، يصرف له من الشراب خافاه أو الدواء خافاه المحولين فى الصبغة . والله أعلم .

« الميدان الناصرى » : هذا الميدان من جملة أراضى بستان الخشاب فيما بين مدينة مصر والقاهرة . وكان موضعه قديما غامرا بماء النيل ، ثم عرف ببستان الخشاب .

فلما كانت سنة أربع عشرة وسبعمائة ، هدم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان الظاهرى ، وغرس فيه أشجارا كما تقدم ، وأثنى هذا الميدان من أراضى بستان الخشاب . فانه كان حينئذ مطلا على النيل .

وتجهز فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة للركوب اليه ، وفرق الخيول على جميع الأمراء ، واستجد ركوب الأوجاقية بكوافى الزركش على صفة الطاسات فوق رؤوسهم ، وسماهم الجفتاوات .

فيركب منهم اثنان بشوى حرير أطلس أصفر ، وعلى رأس كل منهما كوفية الذهب ، وتحت كل واحد فرس أبيض بحلية ذهب . ويسيران معا بين يدى السلطان فى ركوبه من قلعة الجبل الى الميدان ، وفى عودته منه الى القلعة .

وكان السلطان اذا ركب الى هذا الميدان للعب الكرة ، يفرق حوائص ذهب على الأمراء المتقدمين . وركوبه الى هذا الميدان دائما يوم السبت ، فى قوة الحر بعد وفاة النيل ، مدة شهرين من السنة . فيفرق فى كل ميدان على اثنين بالنوبة ، فمنهم من تجىء نوبته بعد ثلاث سنين أو أربع سنين .

وكان من مصطلح الملوك * أن تكون تفرقة السلطان الخيول على الأمراء فى وقتين : أحدهما عندما يخرج الى مرابط خيله فى الريح عند اكتمال ترييعها ، وفى هذا الوقت يعطى أمراء المئين الخيول مرسجة ملجسة بكنائيش مذهبة ، ويعطى أمراء الطلخانات خيلا عريا . والوقت الثانى يعطى الجميع خيولا مرسجة ملجسة بلا كنائيش بنفصة خفيفة . وليس للأمراء العشراوات حظ فى ذلك الا ما يتقدمهم به على سبيل الانعام . ولخاصية السلطان المقرين ، من أمراء المئين وأمراء الطلخانات ، زيادة كثيرة من ذلك ، بحيث يصل الى بعضهم المائة فرس فى السنة .

وكان من شعار السلطان أن يركب الى الميدان وفى عنق الفرس رقبة حرير أطلس أصفر بزركش ذهب ، فتستر من تحت أذنى الفرس الى حيث السرج . ويكون قدامه اثنان من الأوشاقية راكبين على حصانين أشهبين بربقتين نظير ما هو راكب به ، كأنهما معدان لأن يركبهما . وعلى الأوشاقين المذكورين قباءان أصفران من حرير بطراز مزركش بالذهب ، وعلى رأسهما قبعان مزركشان . وغاشية السرج محمولة أمام السلطان ، وهى

(*) من ٢٠٠٠ ٢٠٠٠ ٢٠٠٠ ٢٠٠٠ ٢٠٠٠ ٢٠٠٠ ٢٠٠٠ ٢٠٠٠ ٢٠٠٠ ٢٠٠٠

أديم مزركش مذهب يحملها بعض الركابدارية قدامه ، وهو ماشى فى وسط الموكب . ويكون قدامه فارس يشب بشباية لا يقصد بنفسها الاطراب ، بل ما يقرع بالمهابة سامعه . ومن خلف السلطان الجنائب ، وعلى رأسه المصائب السلطانية ، وهى صفر مطرزة بذهب بالتصايب واسه .

وهذا لا يختص بالركوب الى الميدان ، بل يعمل هذا الشعار أيضا اذا ركب يوم العيد ، أو دخل الى القاهرة أو الى مدينة من مدن الشام . ويزداد هذا الشعار فى يوم العيدين ودخول المدينة ، برفع المظلة على رأسه — ويقال لها الحبر — وهو أطلس أصفر مزركش من أعلاه قبة وطائر من فضة مذهبة ... يحملها يومئذ بعض أمراء المئين الأكابر وهو راكب فرسه الى جانب السلطان . ويكون أرباب الوظائف والصلاحدارية كلهم خلف السلطان ، ويكون حوله وأمامه الطيردارية — وهم طائفة من الأكراد ذوى الاقطاعات والامرة — ويكونون مشاة وبأيديهم الأظفار المشهورة .

ذكر قلعة الجبل

قال ابن سيده فى كتاب « المحكم » : القلعة — بتحريك القاف واللام والعين وفتحها — الحصن المتنع فى جبل ، وجمعها قلاع وقلاع ، وأقلعوا بهذه البلاد بنوها فجعلوها كالقلعة ، وقيل القلعة — بسكون اللام — حصن مشرف ، وجميعه قلعوع .

وهذه القلعة على قطعة من الجبل ، وهي متصل بجبل المقطم ، وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقراة . فتمير القاهرة في الجهة البحرية منها ، ومدينة مصر والقراة الكبرى وبركة الجيش في الجهة القبلية الغربية ، والنيل الأعظم في غربها ، وجبل المقطم من ورائها في الجهة الشرقية .

وكان موضعها أولا يعرف بقبة الهواء ، ثم صار من تحت ميدان أحمد بن طولون ، ثم صار موضعها مقبرة فيها عدة مساجد ... الى أن أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب - أول الملوك بديار مصر - على يد الطوائف بهاء الدين قراقوش الأسدي في سنة اثنتين وسبعين وخمسة ، وصارت من بعده دار الملك بديار مصر الى يومنا هذا .

وهي تسمى موضع صار دار الملكة بديار مصر . وذلك أن دار الملك كانت أولا قبل الطوفان مدينة أموس ، ثم صار تحت الملك بعد الطوفان بمدينة منف الى أن خربها بخت نصر . ثم لما ملك الاسكندر بن فيليش صار الى مصر ، وجد بناء الاسكندرية . فصارت دار الملكة من حينئذ ، بعد مدينة منف ، الاسكندرية الى أن جاء الله تعالى بالاسلام ، وقدم عمرو بن العاص رضي الله عنه بجيوش المسلمين الى مصر وفتح الحصن ، واختط مدينة فسطاط مصر . فصارت دار الامارة من حينئذ بالفسطاط الى أن زالت دولة بني أمية . وقدمت عساكر بني العباس الى مصر ، وبناوا في ظاهر الفسطاط العسكر . فصار الأمراء من حينئذ تارة يتزلون في العسكر ، وتارة في

الفسطاط ... الى أن بنى أحمد بن طولون القصر والميدان ، وأنشأ القلاع بجانب العسكر . فصارت القلاع منازل الطلولونية الى أن زالت دولتهم .

فسكن الأمراء بعد زوال دولة بني طولون بالعسكر الى أن قدم جوهر القائد من بلاد المغرب يماكر المزمع لدين الله ، وبني القاهرة المعزية . فصارت القاهرة من حينئذ دار الخلافة ، ومقر الامامة ، ومنزل الملك الى أن اقتضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

فلما استبد بعدهم بأمر سلطنة مصر ، بنى قلعة الجبل هذه ومات . فسكنها من بعده الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، واقتدى به من ملك مصر من بعده من أولاده الى أن انقرضوا على يد ممالئهم البحرية ، وملكوا مصر من بعدهم ، فاستقروا بقلعة الجبل الى يومنا هذا .

وسأجمع ان شاء الله تعالى من أخبار قلعة الجبل هذه ، وذكر من ملكها ما فيه كفاية ، والله أعلم .

ذكر ما كان عليه موضع قلعة الجبل قبل بنائها

اعلم أن أول ما عرف من خبر موضع قلعة الجبل أنه كان فيه قبة تعرف بقبة الهواء .

قال أبو عمرو الكندي في كتاب « أمراء مصر » : وابتنى حاتم بن هرثة القبة التي تعرف بقبة الهواء ، وهو أول من أنشأها ،

(١) من ١٠٠٠ ج ١ ، ط ١٠٠٠ بولاق

وولى مصر الى أن صرف عنها في جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة ... قال : ثم مات عيسى بن منصور ، أمير مصر ، في قبة الهواء بعد عزله لاحدى عشرة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين ومائتين .

ولما قدم أمير المؤمنين المأمون الى مصر في سنة سبع عشرة ومائتين ، جلس بقبة الهواء هذه . وكان يحضرته سعيد بن عفير ، فقال المأمون : لمن الله فرعون حيث يقول : « ليس لي ملك مصر » ؟ فلو رأى العراق وخصبها ؟ فقال سعيد بن عفير : يا أمير المؤمنين لا تقل هذا ، فإن الله عز وجل قال : « ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » فما ظنك يا أمير المؤمنين بشيء دمره الله هذا بقيته .

ثم قال سعيد : لقد بلغنا أن أرضا لم تكن أعظم من مصر ، وجميع أهل الأرض يحتاجون اليها ، وكانت الأنهار بقناطر وجسور بتقدير ، حتى أن الماء يجري تحت منازلهم وأفئنتهم يرسلونه متى شاءوا ويحبسونه متى شاءوا ، وكانت البساتين متصلة لا تنقطع . ولقد كانت الأمة تضع المكنل على رأسها فيمتلى ، مما يسقط من الشجر ، وكانت المرأة تخرج حاسرة لا تحتاج الى خمار لكثرة الشجر .

وفي قبة الهواء حبس المأمون الحارث بن مسكين .

قال الكندي في كتاب « الموالي » : قدم المأمون مصر - وكان بها وجمل يقال له الحضرمي يتظلم من ابن اسباط وابن تميم - فجلس الفضل بن مروان في المسجد الجامع ،

وحضر مجلسه يحيى بن أكرم وابن أبي داود ، وحضر اسحاق بن اسماعيل بن حماد بن زيد - وكان على مظالم مصر - وحضر جماعة من فقهاء مصر وأصحاب الحديث .

وأحضر الحارث بن مسكين ليولى قضاء مصر ، فدعاه الفضل بن مروان . فينا هو يكلمه ، اذ قال الحضرمي للفضل : سل - أصلحك الله - الحارث عن ابن اسباط وابن تميم .

قال : ليس لهذا أحضراه .

قال : أصلحك الله ، سله .

فقال الفضل للحارث : ما تقول في هذين الرجلين ؟

فقال : ظالمين غاشمين .

قال : ليس لهذا أحضراك .

فاضطرب المسجد ، وكان الناس متوافرين . فقام الفضل وصار الى المأمون بالخبر ، وقال : خفت على نفسي من ثوران الناس مع الحارث .

فأرسل المأمون الى الحارث فدعاه ، فابتدأه بالمسألة ، فقال : ما تقول في هذين الرجلين ؟

فقال : ظالمين غاشمين .

قال : هل ظلماك بشيء ؟

قال : لا .

قال : فعاملتهما ؟

قال : لا .

قال : فكيف شهدت عليهما ؟

قال : كما شهدت أنك أمير المؤمنين ولم أرك قط إلا الساعة ، وكما شهدت أنك غزوت ولم أحضر غزوك .

قال : أخرج من هذه البلاد فليست لك ببلاد ، ومع قليلك وكثيرك فانك لا تعانها أبدا . وجبته في رأس الجبل في قبة ابن هرثة .

ثم انحدر المأمون إلى البشرد وأحضره معه . فلما فتح البشرد أحضر الحارث . فلما دخل عليه سأله عن المسألة التي سأله عنها بمصر ، فرد عليه الجواب بعينه ، فقال : فأى شيء تقول في خروجنا هذا ؟

قال : أخبرني عبد الرحمن بن القاسم ، عن مالك ، أن الرشيد كتب إليه في أهل دهلك يسأله عن قتالهم ، فقال : إن كانوا خرجوا عن ظلم من السلطان فلا يحل قتالهم ، وإن كانوا إنما شقوا العصا فقتالهم حلال .

فقال المأمون : أنت تيس ، ومالك آتيس منك . أرحل عن مصر .

قال : يا أمير المؤمنين إلى الثغور ؟

قال : الحق بمدينة السلام .

فقال له أبو صالح الحراني : يا أمير المؤمنين تغفر ذلته .

قال : يا شيخ تشفعت ، فارتفع .

ولما بنى أحمد بن طولون القصر والميدان تحت قبة الهواء هذه ، كان كثيرا ما يقيم فيها ، فانها كانت تشرى على قصره . واعتشى بها الأمير أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن

طولون ، وجعل لها الستور الجليلة والفرش العظيمة ... في كل فصل ما يناسبه .

فلما زالت دولة بني طولون ، وخرب القصر والميدان ، كانت قبة الهواء منما خرب - كما تقدم ذكره - عند ذكر القطائع من هذا الكتاب - ثم عمل موضع قبة الهواء مقبرة ، وبنى فيها عدة مساجد .

قال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب « التلطف في الخطط » : والمساجد المبنية على الجبل المتصلة بالبحايم المطلة على القاهرة العزيزة ، التي فيها المسجد المعروف بسعد الدولة ، والتراب التي هناك ... تحتوي القلعة التي بناها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على الجميع ، وهي التي نعتها بالقاهرة . وبنيت هذه القلعة في مدة سيرة .

وهذه المساجد هي : مسجد سعد الدولة ، ومسجد معز الدولة وإلى مصر ، ومسجد مقدم ابن عليان من بني بويه الديلمي ، ومسجد العدة ، بناء أحد الأستاذين الكبار المستنصرية - وهو عدة الدولة - وكان بعد مسجد معز الدولة ، ومسجد عبد الجبار بن عبد الرحمن بن شبل بن علي ، رئيس الرؤساء وكافي الكفاة ، أبي يعقوب بن يوسف الوزير بهمدان ابن علي . بناء وانتقل بالآرث إلى ابن عمه القاضي الفقيه أبي الحجاج يوسف بن عبد الجبار بن شبل ، وكان من أعيان السادة . ومسجد « قسطة » ، وكان غلاما أرمنيا من

(ج) من ٢٠٢ ج ٢ ط - بولاق

عثمان المظفر بن أمير الجيوش . مات مسموما من أكلة هريسة .

وقال الحافظ أبو الطاهر السلفي : سمعت أبا منصور قسطة الأرمني وإلى الاسكندرية يقول : كان عبد الرحمن خطيب نغر عسقلان يخطب بظاهر البلد في عيد من الأعياد ، فقبل له مد قرب منا العدو . فنزل عن المنبر ، وقطع الخطبة .

فبلغه أن قوما من العسكرية غابوا عليه فعلمه . فخطب في الجمعة الأخرى ، داخل البلد في الجامع ، خطبة بليغة قال فيها : قد زعم قوم أن الخطيب فزع ، وعن المنبر فزع . وليس ذلك عارا على الخطيب ، فانما فرسه الطلسان ، وحسامه اللسان ، وفرسه خشب لا تجري مع الفرسان . وانما العار على من تقلد الحسام ، وسن السنان ، وركب الجياد الحسان ، وعند اللقاء يصيح : إلى عسقلان .

وكان قسطة هذا من غلاء الأمراء المائلين إلى العدل ، الثابرين على مطالعة الكتب ، وأكثر ميله إلى التواريخ وسير المتقدمين ، وكان مسجده بعد مسجد شقيق الملك . ومسجد الديلمي كان على قرنة الجبل المقابل للقلعة من شرقها إلى البحري ، وقبره قدام الباب . وقرية ولخشي الأمير ، والد السلطان رضوان بن ولخشي المنعوت بالأفضل ، كان من الأعيان الفضلاء الأدباء ، ضرب على طريقة ابن البواب وأبي علي بن مقلة ، وكتب عدة ختمات ، وكان كريما شجاعا يلقب فجعل الأمراء . وكانت هذه التربة آخر الصف .

ومسجد شقيق الملك الأستاذ خسروان ، صاحب بيت المال ، أضيف إلى سور القلعة البحري إلى المغرب قليلا . ومسجد أمين الملك صارم الدولة مفلح صاحب المجلس الحافظي ، كان بعد مسجد القاضي أبي الحجاج المعروف بمسجد عبد الجبار ، وهو في وسط القلعة ، وبعده تربة لاون أخى يانس . ومسجد القاضي النبيه كان لهما الدولة غنام ، ومات رسولا ببلاد الشام ، وشراء منه وأنشأه القاضي النبيه ، وقبره به ، وكان القاضي من الأعيان .

وقال ابن عبد الطاهر : أخبرني والذي قال : كنا نطلع إليها (يعني إلى المساجد التي كانت موضع قلعة الجبل) قبل أن تسكن في ليالي الجمع ، نيت متفرجين كما نيت في جواسق الجبل والقرافة .

قال مؤلفه رحمه الله : وبالقلعة الآن مسجد الرديني . وهو أبو الحسن علي بن مرزوق ابن عبد الله الرديني ، الفقيه المحدث المفسر . كان معاصرا لأبي عمرو عثمان بن مرزوق الحوفي ، وكان ينكر على أصحابه ، وكانت كلمته مقبولة عند الملوك ، وكان يأوى بمسجد سعد الدولة ، ثم تحول منه إلى مسجد عرف بالرديني ، وهو الموجود الآن بداخل قلعة الجبل ، وعليه وقف بالاسكندرية ، وفي هذا المسجد قبر يزعمون أنه قبره ، وفي كتب المزارات بالقرافة أنه توفي ، ودفن بها في سنة أربعين وخمسمائة بخط سارية شرقي تربة الكيرواني ، واشتهر قبره بإجابة الدعاء عنده .

ذكر بناء قلعة الجبل

وكان سبب بنائها أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما أزال الدولة الفاطمية من مصر ، واستبد بالأمر ، لم يتحول من دار الوزارة بالقاهرة ، ولم يزل يخاف على نفسه من شيعة الخلفاء الفاطميين بمصر ، ومن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سلطان الشام رحمة الله عليه . فامتنع أولا من نور الدين بأن سير أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب ، في سنة تسع وستين وخمسائة ، إلى بلاد اليمن لتصير له مملكة تمصه من نور الدين ، فأسولى شمس الدولة على ممالك اليمن .

وكتب الله تعالى صلاح الدين أمر نور الدين ، ومات في تلك السنة ، فخلاه الجو وأمن بجانيه . وأحب أن يجعل لنفسه معقلا بمصر ، فانه كان قد قسم القصرين بين أمرائه ، وأنزلهم فيهما . فيقال أن السبب الذي دعاه إلى اختيار مكان قلعة الجبل ، أنه علق اللحم بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة ، فملق لحم حيوان آخر في موضع القلعة فلم يتغير إلا بعد يومين وليتين ، فأمر حينئذ بإنشاء قلعة هناك وأقام على عمارتها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي . فشرع في بنائها ، وبنى سور القاهرة الذي زاده في سنة اثنين وسبعين وخمسائة ، وهدم ما هنالك من المساجد ، وأزال القبور ، وهدم الأهرام الصفار التي كانت بالجيزة تجاه مصر . وكانت كثيرة العدد — ونقل ما وجد بها من الحجارة ، وبنى به السور والقلعة وقناطر

الجيزة ، وقصد أن يجعل السور يحيط بالقاهرة والقلعة ومصر . فمات السلطان قبل أن يتم الغرض من السور والقلعة .

فاهمل العمل إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في قلعة الجبل ، واستنابته في مملكة مصر وجعله ولي عهد . فأنتم بناء القلعة ، وأنشأ بها الآدر السلطانية وذلك في سنة أربع وستائة . وما يرح يسكنها حتى مات ، فاستمرت من بعده دار مملكة مصر إلى يومنا هذا .

وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب يقيم بها أياما ، وسكنها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين في أيام أبيه مدة ، ثم انتقل منها إلى دار الوزارة .

قال ابن عبد الظاهر : وسمعت حكاية تحكى * عن صلاح الدين أنه طلعها ومعه أخوه الملك العادل ، فلما رآها التفت إلى أخيه وقال : ياسيف الدين قد بنيت هذه القلعة لأولادك .

فقال : ياخوند من الله عليك أنت وأولادك وأولاد أولادك بالدنيا .

فقال : ما فهمت ما قلت لك . أنا نجيب ما يأتي لي أولاد نجباء ، وأنت غير نجيب فأولادك يكونون نجباء . فسكت .

قال مؤلفه رحمه الله : وهذا الذي ذكره صلاح الدين يوسف ، من انتقال الملك عنه إلى أخيه وأولاد أخيه ، ليس هو خاصا بدولته ،

(*) من ٢٠٢ ج ٢ ، ط ١٠٠ بولاق .

بل اعتبر ذلك في الدول تجد الأمر ينتقل عن أولاد القائم بالدولة إلى بعض أقاربه ... هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو القائم بالملة الإسلامية . ولما توفي صلى الله عليه وسلم ، انتقل أمر القيام بالملة الإسلامية بعده إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي . فهو رضي الله عنه يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب .

ثم لما انتقل الأمر بعد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم إلى بني أمية ، كان القائم بالدولة الأموية معاوية بن أبي سفيان صخر ابن حرب بن أمية ، فلم تفلح أولاده ، وصارت الخلافة إلى مروان بن الحكم بن العاص بن أمية ، فتوارثها بنو مروان حتى انقضت دولتهم بقيام بني العباس رضي الله عنه .

فكان أول من قام من بني العباس عبد الله ابن محمد السفاح . ولما مات انتقلت الخلافة من بعده إلى أخيه أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور ، واستقرت في بنيهِ إلى أن انقرضت الدولة العباسية من بغداد .

وكذا وقع في دول العجم أيضا . فأول ملوك بني بويه عماد الدين أبو علي الحسن ابن بويه ، والقائم من بعده في السلطنة أخوه حسن بن بويه . وأول ملوك بني سلجوق طغرل ، والقائم من بعده في السلطنة ابن أخيه البارسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق .

وأول قائم بدولة بني أيوب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . ولما مات اختلف أولاده ، فانتقل ملك مصر والشام وديار بكر والحجاز واليمن إلى أخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، واستمر فيهم إلى أن انقرضت الدولة الأيوبية ، فقام بمملكة مصر الماليك الأتراك .

وأول من قام منهم بمصر الملك المعز أيك ، فلما مات لم يفلح ابنه علي ، فصارت المملكة إلى قطز .

وأول من قام بالدولة الجركسية الملك الظاهر برقوق ، وانتقلت المملكة من بعد ابنه الملك الناصر فرج إلى الملك المؤيد شيخ المحمدي الظاهري .

وقد جمعت في هذا فصلا كبيرا ، وقلما تجد الأمر بخلاف ما قلته لك . والله عاقبة الأمور .

قال ابن عبد الظاهر : والملك الكامل هو الذي اهتم بعمارتها وعمارة أبراجها ، البرج الأحمر وغيره ، فأكملت في سنة أربع وستائة ، وتحول إليها من دار الوزارة ، ونقل إليها أولاد العاضد وأقاربه وسجنهم في بيت فيها . فلم يزالوا فيه إلى أن حولوا منه في سنة إحدى وسبعين وستائة .

قال : وفي آخر سنة اثنين وثمانين وستائة ، شرع السلطان الملك المنصور قلاوون في عمارة برج عظيم على جانب باب السر الكبير ، وبنى علوه مشرفات وقاعات مرخمة لم ير مثلا ، وسكنها في صفر سنة ثلاث وثمانين وستائة . ويقال أن قراقوش

كان يستعمل في بناء القلعة والسور خمسين ألف أسير .

« البئر التي بالقلعة » : هذه البئر من العجائب . استبطها قراقوش .

قال ابن عبد الظاهر : وهذه البئر من عجائب الأبنية : تدور البئر من أعلاها فتقل الماء من نقالة في وسطها ، وتدور أبقار في وسطها تنقل الماء من أسفلها ، ولها طريق إلى الماء ينزل البئر إلى معيتها في مجاز ، وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء .

وقيل إن أرضها مسامة أرض يركة القيل ، وماؤها عذب . سمعت من يحكى من المشايخ أنها لما تفرقت بجاء ماؤها حلوا ، فأراد قراقوش أو نوابه الزيادة في مائها ، فوسع ثمر الجبل ، فخرجت منه عين مالحة غيرت حالوتها .

وذكر القاضي ناصر الدين شافع بن على في كتاب « عجائب البيان » أنه ينزل إلى هذه البئر بدرج نحو ثلثمائة درجة .

ذكر صفة القلعة

وصفة قلعة الجبل أنها بناء على نثر عال ، يدور بها سور من حجر بأبراج وبدنان حتى تنتهي إلى القصر الأبلق ، ثم من هناك تتصل بالدور السلطانية على غير أوضاع أبراج الفلال .

ويصل إلى القلعة من باين : أحدهما بابها الأعظم المواجه للقاهرة — ويقال له الباب المدرج — وبداخله يجلس وإلى القلعة ، ومن

خارجه تدق الخلية قبل المغرب . والباب الثاني باب القرافة . وبين البابين ساحة فسيحة في جانبها بيوت ، وبجانبها القبلى سوق للماكل .

ويتوصل من هذه الساحة إلى دركاه جليلة كان يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول ، وفي وسط الدركاه باب القلعة ، ويدخل منه في دهليز فسيح إلى ديار وبيوت ، وإلى الجامع الذي تقام به الجمعة . ويمشي من دهليز باب القلعة ، في مداخل أبواب ، إلى رجة فسيحة في صدرها الايوان الكبير الممد لجيوس السلطان في يوم المواكب واقامة دار * العدل ، وبجانب هذه الرجة ديار جليلة ، ويرى منها إلى باب القصر الأبلق .

وبين يدي باب القصر رجة دون الأولى يجلس بها خواص الأمراء قبل دخولهم إلى الخدمة الدائمة بالقصر . وكان بجانب هذه الرجة ، محاذيا لباب القصر ، خزانة القصر . ويدخل من باب القصر في دهليز خمسة إلى قصر عظيم ، ويتوصل منه إلى الايوان الكبير بباب خاص ، ويدخل منه أيضا إلى قصور ثلاثة ، ثم إلى دور الحرم السلطانية وإلى البستان والحمام والحوش .

وباقى القلعة فيه دور ومساكن للمالिक السلطانية ، وخواص الأمراء بنسائهم وأولادهم ومماليكهم ودواوينهم وطشخاناتهم وفرشخاناتهم وشريخاناتهم ومطابخهم وسائر وظائفهم .

(١) من ٢٠٤ ج ٢ ، ط. بولاق .

وكانت أكابر أمراء الألوف ، وأعيان أمراء الطبلخاناه والعشراوات ، تسكن بالقلعة إلى آخر أيام الناصر محمد بن قلاوون .

وكان بها أيضا طباق الماليك السلطانية ودار الوزارة — وتعرف بقاءه صاحب — وبها قاعة الانشاء وديوان الجيش وبيت المال وخزانة الخالص ، وبها الدور السلطانية من الطشخاناه والركابخاناه والحوائجخاناه والزردهخاناه .

وكان بها الجب الشيع لسجن الأمراء ، وبها دار النيابة ، وبها عدة أبراج يجلس بها الأمراء والماليك ، وبها المساجد والحوانيت والأسواق ، وبها مساكن تعرف بحرائب التبر كانت قدر حارة ... خربها الملك الأشرف برسبای في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وثمانمائة .

ومن حقوق القلعة الاصطبل السلطاني ، وكان ينزل إليه السلطان من جانب ايوان القصر . ومن حقوقها أيضا الميدان ، وهو فاصل بين الاصطبلات وسوق الخيل من غربيه ، وهو فسيح المدى ، وفيه يصلى السلطان صلاة العيدين ، وفيه يلعب بالأكرة مع خواصه ، وفيه تعمل المدات أوقات المهمات أحيانا .

ومن رأى القصور والايوان الكبير والميدان الأخضر والجامع ، يقر للملوك مصر بعلو الهمم وسعة الاتفاق والكرم .

« باب الدرفيل » : هذا الباب بجانب خندق القلعة ، ويعرف أيضا بباب المدرج ، وكان يعرف قديما بباب سارية . ويتوصل إليه من

تحت دار الضيافة ، وينتهي منه إلى القرافة ، وهو فيما بين سور القلعة والجبل .

والدرفيل هو الأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى ، المعروف بالدرفيل ، دوا دار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى . مات في سنة اثنتين وسبعين وستائة .

« دار العدل القديمة » : هذه الدار موضعها الآن تحت القلعة يعرف بالطبلخاناه . والذي بنى دار العدل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى في سنة إحدى وستين وستائة ، وصار يجلس بها لعرض العساكر في كل اثنين وخميس .

وابتدا بالحضور في أول سنة اثنتين وستين وستائة . فوقف إليه ناصر الدين محمد بن أبي نصر ، وشكا أنه أخذ له بستان في أيام المعز أيك ، وهو بأيدي المقطعين ، وأخرج كتابا مثبتا ، وأخرج من ديوان الجيش ما يشهد بأن البستان ليس من حقوق الديوان . فأمر برده عليه ، فسلمه .

وأحضرت مرافعة في ورقة مختومة . رفعها خادم أسود في مولاه القاضي شمس الدين شيخ الحنابلة ، تضمنت أنه يخض السلطان ويتمنى زوال دولته ، فانه لم يجعل للحنابلة مدرسا في المدرسة التي أنشأها بخط بين القصرين ، ولم يول قاضيا حنبليا ، وذكر عنه أمورا قاذحة . فبث السلطان الورقة إلى الشيخ ، فحضر إليه وحلف أنه ما جرى منه شيء ، وأن هذا الخادم طردته فاخلى على ما قال . فقبل السلطان عذره ، وقال : ولو

شتمتني أنت في حل . وأمر بضرب الخادم مائة عصا .

وخلت الأسعار بمصر حتى بلغ اردب القمح نحو مائة درهم وعدم الخبز . فنادى السلطان في الفقراء أن يجتمعوا تحت القلعة ، ولزل في يوم الخميس سابع ربيع الآخر منها ، وجلس بدار العدل هذه ، ونظر في أمر السمر ، وأبطل التسير ، وكتب مرسوما إلى الأمراء ببيع خمسمائة اردب ، في كل يوم ما بين مائتين إلى ما دولهما ، حتى لا يشتري الخزان شيئا ، وأن يكون البيع للضعفاء والأرامل فقط دون من غداهم .

وأمر الحجاب فزلوا تحت القلعة ، وكتبوا أسماء الفقراء الذين تجمعوا بالرخيلة ، وبث إلى كل جهة من جهات القاهرة ومصر وضواحيها حاجبا لكتابة أسماء الفقراء ، وقال : والله لو كان عندي غلة تكفي هؤلاء لفرقتها .

ولما انتهى احضار الفقراء أخذ منهم لنفسه ألفا ، وجعل باسم ابنه الملك السيد ألوفا ، وأمر ديوان الجيش فوزع باقيهم على كل أمير من الفقراء بمدة رجاله ، ثم فرق ما بقي على الأجناد ومفاردة الحلقة والمقدمين والبحرية ، وجعل طائفة التركمان ناحية ، وطائفة الأكراد ناحية ، وقرر لكل واحد من الفقراء كفايته لمدة ثلاثة أشهر .

فلما تسلم الأمراء والأجناد ما خصهم من الفقراء ، فسرقت من بقي منهم على الأكابر والتجار والشهود ، وعين لأرباب الزوايا مائة اردب قمح في كل يوم ، تخرج من الشئون

السلطانية إلى جامع أحمد بن طولون ، وتفرق على من هناك .

ثم قال : هؤلاء المساكين الذين جمعناهم اليوم ومضى النهار لا يد لهم من شيء . وأمر ففرق في كل منهم نصف درهم ليتقوت به في يومه ، ويستر له من الضد ما تقرر . فاتفق فيهم بجملة مال ، وأعطى للصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن حنا طائفة كبيرة من العميان ، وأخذ الأتابك سيف الدين أقطاي طائفة التركمان .

ولم يبق أحد من الخواص والأمراء الحواشي ولا من الحجاب والولاء وأرباب المناصب وذوى المراتب وأصحاب الأموال حتى أخذ جماعة من الفقراء على قدر حاله . وقال السلطان للأمير صارم الدين المسعودي وإلى القاهرة : خذ مائة فقير وأطعمهم لله تعالى .

فقال : نعم قد أخذتهم دائما .

فقال له السلطان : هذا شيء فعلته ابتداء من نفسك ، وهذه المائة خذها لأجلتي .

فقال للسلطان : السمع والطاعة . وأخذ مائة فقير زيادة على المائة التي عنت له .

وانقضى النهار في هذا العمل ، وشرع الناس في فتح الشئون والمخازن وتفرقة الصدقات على الفقراء . فنزل سعر القمح ، ونقص الاردب عشرين درهما ، وقل وجود الفقراء ... إلى أن جاء شهر رمضان ، وجاء الغل الجديد ، فأول يوم من بيع الجديد نقص سعر اردب القمح أربعين درهما ورقا .

(٢٠) ص ٢٠٠ ج ٢ ، ط ١٩٠٩ بولاق .

وفي اليوم الذي جلس فيه السلطان بدار العدل للنظر في أمور الأسعار ، قرئت عليه قصة ضامن دار الضرب ، وفيها أنه قد توقفت الدراهم ، وسألوا إبطال الناصرة فإن ضامنهم ببيلج مائتي ألف وخمسين ألف درهم . فوقع عليها يحط عنهم منها مبلغ خمسين ألف درهم ، وقال : لحط هذا ، ولا تؤذى الناس في أموالهم .

وفي مستهل شهر رجب منها جلس أيضا بدار العدل . فوقف له بعض الأجناد بصغير يتيم ذكر أنه وصيه ، وشكا من قضيته . فقال السلطان لقاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز : إن الأجناد إذا مات أحد منهم استولى خجداؤه على موجوده ، فيموت الوصي ويكبر اليتيم فلا يجد له مالا .

وتقدم إليه ألا يمكن وصيا من الانفراد بتركة ميت ، ولكن يكون نظر القاضي شاملا له ، وتصير أموال الأيتام مضبوطة بأمناء الحكم ، ثم أنه استدعى نقيب العساكر وأمرهم بذلك . فاستمر الحال فيه على ما ذكر .

وفي خامس عشر شعبان سنة ثلاث وستين وستمائة ، جلس بدار العدل ، واستدعى تاج الدين ابن القرطبي ، وقال له : قد أضجرتني ما تقول عندي مصالح لبيت المال ، فتحدث الآن بما عندك . فتكلم في حق قاضي القضاة تاج الدين ، وفي حق متولي جزيرة سواكن ، وفي حق الأمراء وأنهم إذا مات منهم أحد أخذ ورثته أكثر من استحقاقهم . فأنكر عليه وأمر بحجبه .

وتحدث السلطان في أمر الأجناد ، وأنه إذا مات أحدهم في موطن الجهاد لا يصل إليه شاهد حتى يشهد عليه بوصيته ، وأنه يشهد بعض أصحابه ، فإذا حضر إلى القاهرة لا تقبل شهادته - وكان الجندي في ذلك الوقت لا تقبل شهادته - فرأى السلطان أن كل أمير يعين من جماعته عدة ممن يعرف خيره ودينه ليسمع قولهم ، وألزم مقدمي الأجناد بذلك .

فشرع قاضي القضاة في اختيار رجال لحياد من الأجناد ، وعينهم لقبول شهادتهم . فقرحت العساكر بذلك .

وجلس أيضا في تاسع عشره بدار العدل . فوقف له شخص ، وشكا أن الأملاك الديوانية لا يسكن أحد من سكانها أن يتنقل منها . فأنكر السلطان ذلك ، وأمر أن من اقتضت مدة اجارته وأراد الخلو ، فلا يمنع من ذلك . وله في ذلك عدة أخبار كلها صالحة ، رحمه الله تعالى .

وما يرحت دار العدل هذه باقية إلى أن استجد السلطان الملك المنصور قلاوون الأيوان ، فهجرت دار العدل هذه ... إلى أن كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة . فهدمها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وعمل موضعها الطبلخانة ، فاستمرت طبلخاناه إلى يومنا .

الا أنه كان في أيام عمارتها لما يجلس بها دائما في أيام الجلوس نائب دار العدل ، ومعه القضاة وموقع دار العدل والأمراء ، فينظر نائب دار العدل في أمور المتظلمين ، وتقرأ عليه القصص . وكان الأمر على ذلك في أيام

الظاهر يبرهن ، وأيام ابنه الملك المعيد
بركة ، ثم أيام الملك المنصور قلاوون .

« الايوان » المعروف بدار العدل : هذا
الايوان أنشأه السلطان الملك المنصور قلاوون
الأتمى الصالحى التجيى ، ثم يحدده ابنه
السلطان الملك الأشرف خليل ، واستمر جلوس
قائب دار العدل به .

فلما عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون
الروك ، أمر بهدم هذا الايوان فهدم ، وأعاد
بناؤه على ما هو عليه الآن وزاد فيه ، وأنشأ
به قبة جليلة ، وأقام به عمدا عظيمة نقلها اليه
من بلاد الصعيد ورخه ، ونصب فى صدره
سرير الملك ، وحلته من الصاج والآيتوس ،
ورفع سلك هذا الايوان ، وعمل أمامه رحبة
فسيحة مستطيلة .

وجعل بالايوان باب سر من داخل القصر ،
وصل باب الايوان مسبوكا من حديد بصناعة
بديعة تمنع الداخل اليه ، وله منه باب يفتح ،
فاذا أراد أن يجلس فتح حتى ينظر منه ومن
تخاريم الحديد بقية العسكر الواقفين بساحة
الايوان . وقرر للجلوس فيه بنفسه يوم الاثنين
ويوم الخميس ، فاستمر الأمر على ذلك .

وكان أولا دون ما هو اليوم . فوسع فى
قبة ، وزاد فى ارتفاعه ، وجعل قدماه دركاه
كبيرة ، فجاء من أعظم المباني الملوكية .

وأول ما جلس فيه عند انتهاء عمل الروك ،
بعد ما رسم لتقيب الجيش أن يستدعى سائر
الأجناد . فلما تكامل حضورهم * جلس ،

(ج) ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ط. بركات

ذكر النظر فى المظالم

اعلم أن النظر فى المظالم عبارة عن قود
المتظالمين الى التناصف بالرهبة ، وزجر
المتنازعين عن التجاحد بالهبة .

وكان من شروط الناظر فى المظالم أن يكون
جليل القدر ، نافذ الأمر ، عظيم الهبة ، ظاهر
العفة ، قليل الطمع ، كثير الورع . لانه يحتاج
فى نظره الى سطوة الحماة وثبت القضاة ،
فيحتاج الى الجمع بين صفتى الفريقين ، وأن
يكون بجلالة القدر نافذ الأمر فى الجهتين .

وهى خطة حدثت لفساد الناس ، وهى كل
حكم يعجز عنه القاضى فنظر فيه من هو
أقوى منه يدا .

وأول من نظر فى المظالم من الخلفاء أمير
المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى
عنه . وأول من أفرد للظلمات يوما يتصفح
فيه قصص المتظالمين ، من غير مباشرة النظر ،
عبد الملك بن مروان . فكان اذا وقف منها
على مشكل ، واحتاج فيها الى حكم ، ينفذ
رده الى قاضيه ابن ادريس الأزدي فينفذ فيه
أحكامه . وكان ابن ادريس هو المباشر ، وعبد
الملك الأمر . ثم زاد الجور فكان عمر بن عبد
العزیز رحمه الله أول من ندب نفسه للنظر فى
المظالم فردها .

ثم جلس لها خلفاء بنى العباس . وأول من
جلس منهم المهدي محمد ، ثم الهادي موسى ،
ثم الرشيد هارون ، ثم المأمون عبد الله ،
وآخر من جلس منهم المهدي بالله محمد بن
الواثق .

وأول من أعلم أنه جلس بمصر من الأمراء
للنظر فى المظالم الأمير أبو العباس أحمد بن
طولون ، فكان يجلس لذلك يومين فى
الأسبوع . فلما مات ، وقام من بعده ابنه أبو
الجيش خمارويه ، جعل على المظالم بمصر
محمد بن عبيدة بن حرب فى شعبان سنة ثلاث
وسبعين ومائتين .

ثم جلس لذلك الأستاذ أبو الملك كافور
الاخيدى ، وابتدأ ذلك فى سنة أربعين
وثلاثمائة - وهو يومئذ خليفة الأمير أبى
القاسم أونوجور بن الاخيدى - فعمد مجلسا
صار يجلس فيه كل يوم سبت ، ويحضر عنده
الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن
الغرات وسائر القضاة والفقهاء والشهود
ووجوه البلد . وما يرح على ذلك مدة أيامه
بمصر الى أن مات ، فلم ينتظم أمر مصر
بعده .

الى أن قدم القائد أبو الحسين جوهري
بجيوش المعز لدين الله أبى تميم معد ، فكان
يجلس للنظر فى المظالم ، ويوقع على رقاع
المتظالمين .

فمن توقيعاته بخطه على قصة رقعت اليه :
« سوء الاجترام أوقع بكم طول الانتقام ،
وكفر الانعام أخرجكم من حفظ الذمام .
فالواجب فيكم ترك الاجتباب ، واللازم لكم
ملازمة الاجتتاب ، لأنكم بدأنتم فأسأتم ،
وعدتهم فتعديتم . فابتدأؤكم ملوم ، وعودكم
مذموم ، وليس بينهما فرجة تقتضى الا الذم
لكم ، والاعراض عنكم ، ليرى أمير المؤمنين
رأيه فيكم » .

ولما قدم العزيز لدين الله إلى مصر، وصارت دار خلافة، استقر النظر في المظالم مدة يضاف إلى قاضي القضاة، وتارة يتفرد بالنظر فيه أحد عظماء الدولة. فلما ضعف جانب المستنصر بالله ابن تميم بعد بن الظاهر، وكانت الشدة العظمى بمصر، قدم أمير الجيوش بدر الجبالي إلى القاهرة وولى الوزارة. فصار أمر الدولة كله راجعا إليه، واقتدى به من بعده من الوزراء.

وكان الرسم في ذلك أن الوزير صاحب السيف يجلس للمظالم بنفسه، ويجلس قبالة قاضي القضاة وبجانبه شاهدان معتبران، ويجلس بجانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق، ووليّه صاحب ديوان المال، ويقف بين يدي الوزير صاحب الباب واستهلال العساكر، وبين أيديهما الحجاب والنواب على طبقاتهم، ويكون هذا الجلوس يومين في الأسبوع.

وآخر من تقلد المظالم في الدولة الفاطمية، وزيرك ابن الوزير الأجل الملك * الصالح طلائع ابن وزيرك في وزارة أبيه، وكتب له سجل عن الخليفة منه: «وقد قللك أمير المؤمنين النظر في المظالم، وانصاف المظلوم من الظالم». وكانت الدولة إذا خلت من وزير صاحب سيف، جلس للنظر في المظالم صاحب الباب في باب الذهب من القصر، وبين يديه الحجاب والتقاء، وينادي مناد بحضرته: يا أرباب القلايات. فيحضرون إليه: فمن كانت ظلامته مشافة أرسلت إلى الولاة أو القضاة رسالة بكشفها. ومن تظلم من أهل النواحي التي خارج القاهرة ومصر، فانه يحضر قصة فيها

(ج) من ١٠٤٥ إلى ١٠٤٦، ط. بولاق.

شرح ظلامته، فيسألها الحاجب منه حتى تجتمع القصص، فيدفعها إلى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها. ثم تحصل بعد توقيعه عليها إلى الموقع بالقلم الجليل، فيسط ما أشار إليه الموقع بالقلم الدقيق. ثم تحصل التواقيع في خريطة إلى ما بين يدي الخليفة فيوقع عليها. ثم تخرج في خريطةها إلى الحاجب، فيقف على باب القصر، ويسلم كل توقيع إلى صاحبه.

وأول من بنى دار العدل من الملوك السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، رحمة الله تعالى عليه، بدمشق عندما بلغه تعدى ظلم نواب أسد الدين شيركوه بن شاذي إلى الرعية، وظلمهم الناس، وكثرة شكواهم إلى القاضي كمال الدين الشهرزوري وعجزه عن مقاومتهم.

فلما بنيت دار العدل أحضر شيركوه نوابه وقال: إن نور الدين ما أمر ببناء هذه الدار إلا بسببي، والله لئن أحضرت إلى دار العدل بسبب أحد منكم لأصلبته، فامضوا إلى كل من كان بينكم وبينه منازعة في ملك أو غيره فافصلوا الحال معه، وأرضوه بكل طريق أمكن ولو أتى على جميع ما بيدي.

فقالوا: إن الناس إذا علموا بذلك اشتطوا في الطلب.

فقال: لخروج أملاكى عن يدي أسهل على من أن يراني نور الدين بعين أنى ظالم، أو يساوى بيني وبين أحد من العامة في الحكومة.

فخرج أصحابه وعملوا ما أمرهم به من إرضاء أخصائهم، وأشهدوا عليهم.

فلما جلس نور الدين بدار العدل في يومين من الأسبوع، وحضر عنده القاضي والفقهاء، أقام مدة لم يحضر أحد يشكو شيكوه. فسأل عن ذلك فعرف بما جرى منه ومن نوابه فقال: الحمد لله الذي جعل أصحابنا ينصفون من أنفسهم قبل حضورهم عندنا.

وجلس أيضا السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، في يومين الاثنين والخميس، لاظهار العدل. ولما تسلطن الملك العزيز أيك التركمانى، أقام الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى في نيابة السلطنة بديار مصر فواظب الجلوس في المدارس الصالحة بين القصرين، ومعه نواب دار العدل، ليرتب الأمور، وينظر في المظالم. فسادى باراقة الخمر، وإبطال ما عليها من المقرر.

وكان قد كثر الارجاج بسير الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الشام، لأخذ مصر. فلما انهزم الملك الناصر، واستبد الملك العزيز أيك، أحدث وزيره من المكوس شيئا كثيرا.

ثم إن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى بنى دار العدل، وجلس بها للنظر في المظالم كما تقدم. فلما بنى الايوان الملك الناصر محمد بن قلاوون، واطب الجلوس يوم الاثنين والخميس فيه، وصار يفصل فيه الحكومات في الأحيان إذا أعياى من دونه فصلها.

فلما استبد الملك الظاهر برقوق بالسلطنة، عقد لنفسه مجلسا بالاصطبل السلطاني من قلعة الجبل، وجلس فيه يوم الأحد ثامن عشرى شهر رمضان سنة نسع وثمانين وسبعمائة، وواظب ذلك في يومى الأحد والأربعاء، ونظر في الجليل والحقير. ثم حول ذلك إلى يومى الثلاثاء واليسب، وأضاف اليهما يوم الجمعة بعد العصر، وما زال على ذلك حتى مات.

فلما ولى ابنه الملك الناصر فرج بعده، واستبد بأمره جلس للنظر في المظالم بالاصطبل اقتداء بأبيه، وصار كاتب السر فتح الدين فتح الله يقرأ القصص عليه، كما كان يقرأها على أبيه. فاتفع أناس، وتضرر آخرون بذلك، وكان الضرر أضعاف النفع.

ثم لما استبد الملك المؤيد شيخ بالملكة، جلس أيضا للنظر في المظالم كما جلسا. والأمر على ذلك مستمر إلى وقتنا هذا، وهو سنة تسع عشرة وثمانمائة.

وقد عرف النظر في المظالم منذ عهد الدولة التركية بديار مصر والشام بحكم السياسة، وهو يرجع إلى نائب السلطنة وحاجب الحجاب ووالى البلد ومتولى الحرب بالأعمال. وسيرد إن شاء الله تعالى الكلام في حكم السياسة عن قريب.

ذكر خدمة الايوان المعروف بدار العدل

كانت العادة أن السلطان يجلس بهذا الايوان بكرة الاثنين والخميس طول السنة،

تختلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحجاب
والنوادارية ، لاعطاء قصص الناس ، واحضار
الرسول وغيرهم من الشكلة واصحاب الحوائج
والضرورات .

فيقرأ كاتب السر وموقو الست القصص
على السلطان . فان احتاج الى مراجعة القضاة
ولجهم فيما يتعلق بالامور الشرعية والقضايا
الدنيوية . وما كان متعلقا بالمسكر : فان كانت
القصص في امراء الاقطاعات قرأها ناظر
الجيش ، فان احتاج الى مراجعة في امر
المسكر تحدث مع الحاجب وكاتب الجيش
فيه ، وما عدا ذلك يأمر به السلطان بما يراه .

وكانت العادة الناصرية ان تكون الخدمة
في هذا الايوان على ما تقدم ذكره في بكرة
يوم الاثنين . واما بكرة يوم الخميس فان
الخدمة على مثل ذلك ... الا انه لا يتصدى
السلطان فيه لسماع القصص ، ولا يحضره
أحد من القضاة ولا الموقعين ولا كاتب
الجيش ، الا ان عرضت حاجة الى طلب أحد
منهم . وهذا القعود عادته طول السنة ما عدا
رمضان .

وقد تغير بعد الأيام الناصرية هذا الترتيب ،
فصارت قضاة القضاة تجلس عن يمين السلطان
ويسرته . فيجلس الشافعي عن يمينه ، وويليه
للالكي ، وويليه قاضي المسكر ، ثم محتسب
القاهرة ، ثم مفتي دار العدل الشافعي .
ويجلس الحنفي عن يسرة السلطان ، وويليه
الحنبلي . وصارت القصص تقرأ ، والقضاة
وناظر الجيش يحضرون في يوم الخميس
أيضا .

خلا شهر رمضان فانه لا يجلس في هذا
المجلس . وجلوسه هذا انما هو للنظام ، وفيه
تكون الخدمة العامة واستحضار رسل الملوك
قالا . فاذا جلس للنظام ، كان جلوسه
على كرسي اذا قدم عليه يكاد تطحن الأرض
رجله ، وهو منصوب الى جانب المنبر الذي
هو تحت الملك وسرير السلطنة .

وكانت العادة أولا ان يجلس قضاة القضاة
من المذاهب الأربعة : عن يمينه ، واكرهم
الشافعي وهو الذي يلي السلطان ، ثم الى
جانب الشافعي الحنفي ، ثم المالكي ، ثم
الحنبلي . والى جانب الحنبلي الوكيل من بيت
للال ، ثم الناظر في الحصة بالقاهرة .

ويجلس على يسار السلطان كاتب السر ،
وقدامه ناظر الجيش ، وجماعة الموقعين
المروقين يكتب الست ، وموقو الست ...
تكملة حلقة دائرة . فان كان الوزير من أرباب
الأقلام كان بين السلطان وكاتب السر ، وان
كان الوزير من أرباب السيوف كان واقفا
على بعد مع بقية أرباب الوظائف ، وان كان
قائما بالسلطنة فانه يقف مع أرباب الوظائف .

ويقف من وراء السلطان صفان ، عن يمينه
ويساره ، من السلاحدارية والجمدارية
والخاصكية . ويجلس على بعد بقدر خمسة
عشر ذراعا ، عن يمينه ويسرته ، ذوو السن
والقدر من اكابر امراء المئين - ويقال لهم
امراء المشورة - وويليهم من أسفل منهم اكابر
الامراء وأرباب الوظائف ، وهم وقوف وبقية
الامراء وقوف من وراء امراء المشورة . ويقف

في ١٨٨٠ سنة ، طبرستان .



صدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



التمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خَطُّ الْمُقْرِئِ

٣٤

كتاب
التحرير



«مكات مصر هي مستط رأسي، ولعب أترابي، ومجمع ناسي، ومغني عشيري وحامتي،
وموطن خاصتي وعاصتي، وهجو هجوي الذي رب بنامي في وكرو، وغنى ماري، فهدو
تهوي الأنفس غير ذكره. لازلت منذ شذوت العام، وآتاني رب الفطانة والفهم، أرغب في
معرفة أخبارها، وأحب الإشراف على الاعتراف من آبارها، وأهوى مساولة الركب من سكان ديارها»
تقي الدين أحمد بن علي المقرئ

وكانت العادة أيضا اذا ولى أحد الملكة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فانه عند ولايته يحضر الأمراء الى داره بالقلعة ، وتفاض عليه الخلعة الخليفة السوداء ومن تحتها فرجية خضراء ، وعمامة سوداء مدورة ، ويقلد بالسيف العربى المذهب .

ويركب فرس النوبة ، ويسير والأمراء بين يديه ، والغاشية قدامه ، والجاوشية تصيح ، والشبابية السلطانية ينفخ بها ، والطبردارية حواله الى أن يعبر من باب النحاس الى درج هذا الايوان . فينزل عن الفرس ، ويصعد الى التخت فيجلس عليه ، ويقبل الأمراء الأرض بين يديه ، ثم يتقدمون اليه ويقبلون يده على قدر رتبهم ، ثم مقدمو الحلقة .

فاذا فرغوا حضر القضاة والخليفة ، فتفاض التشاريف على الخليفة ، ويجلس مع السلطان على التخت ، ويقلد السلطان الملكة بحضور القضاة والأمراء ، ويشهد عليه بذلك ، ثم ينصرف ومعه القضاة ، فيمد السباط للأمراء . فاذا انقضى أكلهم قام السلطان ودخل المقصورة وانصرف الأمراء .

ومما قيل فى هذا الايوان لما بناه السلطان الملك الناصر :

شرفت ايوانا جلست بصدوره

فشرحت بالاحسان منه صدورا

قد كان يستعلى الفراقد رفعة

اذ حاز منك الناصر المنصورا

ملك الزمان ومن رعية ملكه

من عدله لا يظلمون نقيرا

لا زال منصور اللواء مؤيدا
أبد الزمان وضده متهورا
وقيل أيضا :

يا ملكا أطلع من وجهه
ايوانه لما بدا بدرا
أنسيتا بالعدل كسرى ولن
نرضى لنا جبرا به كسرا

« القصر الأبلق » : هذا القصر يشرف على الاصطبل . أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى شعبان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، وانهت عمارته فى سنة أربع عشرة ، وأنشأ بجواره جنيته . ولما كمل عمل فيه سماها حضره الأمراء وأهل الدولة ، ثم أفيضت عليهم الخلع ، وحمل الى كل أمير من أمراء المثين ومقدمى الألوف ألف دينار ، ولكل من مقدمى الحلقة خمسمائة درهم ، ولكل من أمراء الطبلخاناه عشرة آلاف درهم فضة : عنها خمسمائة دينار . فبلغت * النفقة على هذا المهم خمسمائة ألف ألف درهم .

وكانت العادة أن يجلس السلطان بهذا القصر كل يوم للخدمة ، ما عدا يومى الاثنين والخميس فانه يجلس للخدمة بدار العدل ، كما تقدم ذكره . وكان يخرج الى هذا القصر من القصور الجوانية ، فيجلس تارة على تخت الملك المنسوب بصدر ايوان هذا القصر المثل على الاصطبل ، وتارة يقعد دونه على الأرض والأمراء وقوف على ما تقدم . خلا أمراء المشورة والقرباء من السلطان فانه ليس

(*) ص ٢٠٩ ج ٢ ، ط . بولاق .

لهم عادة بحضور هذا المجلس ، ولا يحضر هذا المجلس من الأمراء الكبار الا من دعت الحاجة الى حضوره .

ولا يزال السلطان جالسا الى الثالثة من النهار ، فيقوم ويدخل الى قصوره الجوانية ، ثم الى دار حريمه ونسائه . ثم يخرج في آخريات النهار الى قصوره الجوانية ، فينظر في مصالح ملكه . ويعبر اليه الى قصوره الجوانية خاصة من أرباب الوظائف في الأشغال المتعلقة به على ما تدعو الحاجة اليه ، ويقال لها خدمة القصر .

وهذا القصر تجاه بابه وجة يسلك اليها من الرحبة التي تجاه الايوان . فيجلس بالرحبة التي على باب القصر خواص الأمراء قبل دخولهم الى خدمة القصر . ويسنى من باب القصر في دهاليز مفروشة بالرخام ، قد فرش فوقه أنواع البسط ، الى قصر عظيم البناء شاهق في الهواء بأيوالين : أعظمهما الشمالى يطل منه على الاصطبلات السلطانية ، ويمتد النظر الى سوق الخيل والقاهرة وظواهرها الى نحو النيل ، وما يليه من بلاد الجيزة وقراها . وفي الايوان الثانى القبلى باب خاص لخروج السلطان وخواصه منه الى الايوان الكبير أيام الموكب .

ويدخل من هذا القصر الى ثلاثة قصور جوانية : منها واحد مسامت لأرض هذا القصر ، واثنان يصعد اليهما بدرج ، فى جميعها شبايك حديد تشرف على مثل منظره القصر الكبير .

وفى هذه القصور كلها مجارى الماء مرفوعا من النيل بدواليب تديرها الأبقار من مقره الى موضع ثم الى آخر ، حتى ينتهى الماء الى القلعة ، ويدخل الى القصور السلطانية والى دور الأمراء الخواص المجاورين للسلطان ، فيجرى الماء فى دورهم ، وتدور به حماماتهم . وهو من عجائب الأعمال لرفقته من الأرض الى السماء قريبا من خمسمائة ذراع من مكان الى مكان ، ويدخل من هذه القصور الى دور الحرم .

وهذه القصور جميعها من ظاهرها مبنية بالحجر الأسود والحجر الأصفر ، موزرة من داخلها بالرخام والقصوص المذهبة المشجرة بالصدف والمعجون وأنواع الملونات ، وسقفها كلها مذهبة قد موهت باللازورد ، والنور يخرق فى جذرائها بطاقات من الزجاج القبرسى الملون كقطع الجوهر المؤلفة فى العقود . وجميع الأراضي قد قرئت بالرخام المنقول اليها من أقطار الأرض ، مما لا يوجد مثله .

وتشرف الدور السلطانية من بعضها على بساتين وأشجار ، وساحات للحيوانات البديعة والأبقار والأغنام والطيور الدواجن . وسيأتى أن شاء الله تعالى ذكر هذه القصور والبساتين والأحواش مفصلا .

وكان بهذا القصر الأبلق رسوم وعوايد ، تغير كثير منها وبطل معظمها ، وبقيت الى الآن بقايا من شعار الملكة ، ورسوم السلطنة . وساقص من أنباء ذلك أن شاء الله تعالى ما لا تراه بغير هذا الكتاب مجسوعا ، والله يؤتى فضله من يشاء .

« الأسطة السلطانية » : وكانت العادة أن يمد بالقصر ، فى طرفى النهار من كل يوم ، أسطة جليلة لعامة الأمراء خلا البرانيين - وقليل ماهم - فبكرة يمد سباط أول لا يأكل منه السلطان ، ثم ثان بعده - يسمى الخاص - قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل ، ثم ثالث بعده - ويسمى الطارى - ومنه مأكول السلطان .

وأما فى آخر النهار فيمتد سباطان الأول والثانى المسمى بالخاص ، ثم ان استدعى بطار حضر والا فلا . ما عدا المشوى فانه ليس له عادة محفوظة النظام ، بل هو على حسب ما يرسم به .

وفى كل هذه الأسطة يؤكل ما عليها ، ويفرق فوالات ، ثم يسقى بعدها الأقسام المعسولة من السكر والأفاويه المطيبة بماء الورد المبردة .

وكانت العادة أن يبيت فى كل ليلة ، بالقرب من السلطان ، أطباق فيها أنواع من المطجنات والبوادر والقطر والقشطة والجبن المقلى والموز والسكباج ، وأطباق فيها من الأقسام والماء البارد ، يرسم أرباب النوبة فى السهر حول السلطان ، ليتشاغلوا بالمأكول والمشروب عن النوم . ويكون الليل مقسوما بينهم بساعات الرمل ، فإذا انتهت نوبة نبهت التى تليها ، ثم ذهبت هى فنامت الى الصباح ... هكذا أبدا سفرا وحضرا .

وكانت العادة أيضا أن يبيت فى المبيت السلطانى من القصر ، أو المخيم ان كان فى السرحة ، المصاحف الكريمة لقراءة من يقرأ من

أرباب النوبة ، ويبيت أيضا الشطرنج ليتشاغل به عن النوم .

ويبلغ مصروف السباط ، فى كل يوم عيد القطر من كل سنة ، خمسين ألف درهم : عنها نحو ألفين وخمسمائة دينار ... تنهبه الفلمان والعامة . وكان يعمل فى سباط الملك الظاهر برقوق فى كل يوم خمسة آلاف رطل من اللحم ، سوى الأوز والدجاج . وكان راتب المؤيد شيخ فى كل يوم لسانه وداره ثمانمائة رطل من اللحم .

فلما كان فى المحرم سنة ست وعشرين * وثمانمائة ، سأل الملك الأشرف برسبى عن مقدار ما يطبخ له فى كل يوم بكرة وعشيا ، فقيل له ستائة رطل فى الوجبتين ، فأمر أن يطبخ بين يديه لأنه بلغه أنه يؤخذ مما ذكر لشاد الشرايخانة ونحوه مائة وعشرون رطلا . فجعل راتب اللحم فى كل يوم - بزيادة أيام الخدمة وتقصان أيام عدم الخدمة - خمسمائة رطل وستة أرطال عن وجبتى الغذاء والعشاء ، ومن الدجاج ستة وعشرين طائرا ، ولعمل المامونية وطلين ونصفا من السكر ، وما يعمل برسم الجمدارية فانه يعمل النحل .

ذكر العلامة السلطانية

قد جرت العادة أن السلطان يكتب خطه على كل ما يأمر به . فأما مناشير الأمراء والجنود وكل من له إقطاع ، فانه يكتب عليه علامته ، وكتبها الملك الناصر محمد بن قلاوون « الله أملى » ، وعمل ذلك الملوك بعده الى اليوم .

(*) من ٢١٠ ، ج ٢ ، ط ٠ بولاق .

وأما تقاليد النواب ، وتواقيع أرباب المناصب من القضاة والوزراء والكتاب وبقية أرباب الوظائف ، وتواقيع أرباب الرواتب والاطلاقات ... فانه يكتب عليها اسمه واسم أبيه ان كان أبوه ملكا . فيكتب مثلا « محمد ابن قلاوون » ، أو « شعبان بن حسين » ، أو « فرج بن برقوق » . وان لم يكن أبوه ممن تطلق - كبرقوق أو شيخ - فانه يكتب اسمه فقط ، ومثاله « برقوق » أو « شيخ » .

وأما كتب البريد ، وخلص الحقوق والعلامات ، فانه يكتب أيضا عليها اسمه ، وربما كرم المكتوب اليه ، فكتب اليه « أخوه فلان » أو « والده فلان » ، و « أخوه » يكتب للاكابر من أرباب الرتب .

والذي يعلم عليه السلطان : اما اقطاع ، فالرسم فيه أن يقال « خرج الأمر الشريف » . وأما وظائف ورواتب واطلاقات ، فالرسم في ذلك أن يقال « رسم بالأمر الشريف » . وأعلى ما يعلم عليه ما افتتح بخطبة أولها « الحمد لله » ثم ما افتتح بخطبة أولها « أما بعد هذا » ، حتى يأتي على « خرج الأمر » في المناشير أو « رسم بالأمر » في التواقيع ، ثم بعد هذا أزل الرتب ، وهو أن يفتح في المناشير « خرج الأمر » وفي التواقيع « رسم بالأمر » .

وتماز المناشير المفتوح فيها بالحمد لله أول الخطبة أن تظفر بالسواد ، وتضمن اسم

السلطان والقباه . وقد بطلت الطغرا في وقتنا هذا .

وكانت العادة أن يطالع نواب المملكة السلطان بما يتجدد عندهم : تارة على أيدي البريدية ، وتارة على أجنحة الحمام . فتعود اليهم الأجوبة السلطانية وعليها العلامة .

فاذا ورد البريدى ، أحضره أمير جالدار - وهو من أمراء الألف - والدوادار وكاتب السر بين يدي السلطان . فيقبل البريدى الأرض ، ويأخذ الدوادار الكتاب فيسحبه بوجه البريدى ، ثم يناوله للسلطان فيفتح . ويجلس حينئذ كاتب السر ويقرأ على السلطان سرا ، فان كان أحد من الأمراء حاضرا تنحى حتى يفرغ من القراءة ، ويأمر السلطان فيه بأمر . وان كان الخبر على أجنحة الحمام ، فانه يكتب في ورق صغير خفيف ، ويحمل على الحمام الأزرق .

وكان لحمام الرسائل مراكز كما كان للبريد مراكز ، وكان بين كل مركزين من البريد أميال ، وفي كل مركز عدة خيول - كما يباه في ذكر الطريق فيما بين مصر والشام - وكانت مراكز الحمام كل مركز منها ثلاثة مراكز من مراكز البريد ، فلا يتعدى الحمام ذلك المركز ، وينقل عند نزوله المركز ما على جناحه الى طائر آخر ، حتى يسقط بقلعة الجبل ، فيحضره البراج ، ويقرأ كاتب السر البطاقة . وكل هذا مما يعلم عليه بالقصر .

ومما كان يحضر الى القصر بالقلعة في كل يوم ورقة الصباح ، يرفعها الى القاهرة ووالى مصر ، وتشتمل على انهاء ما تجدد في كل يوم

وليلة بحارات البلدين وأخطاطهما ، من حريق أو قتل قتيل أو سرقة سارق ونحو ذلك ، ليأمر السلطان فيه بأمره .

« الأشرفية » : هذا القصر ، المعروف بالأشرفية ، أنشأه الملك الأشرف خليل بن قلاوون في سنة اثنتين وتسعين وستمائة . ولما فرغ صنع به مهما عظيما لم يعمل مثله في الدولة التركية ، وختن أخاه الملك الناصر محمد بن قلاوون وابن أخيه الأمير موسى بن الصالح على بن قلاوون ، وجمع سائر أرباب الملاهي وجميع الأمراء ، ووقف الخازندارية باكياس الذهب .

فلما قام الأمراء من الخاصكية للرقص ، ثر الخازندارية على كل من قام للرقص حتى فرغ الختان . فأنعم على كل أمير من الأمراء بفرس كامل القماش ، وألبس خلعة عظيمة ، وأنعم على عدة منهم كل واحد بألف دينار وفرس ، وأنعم على ثلاثين من الأمراء الخاصكية لكل واحد مبلغ خمسة آلاف دينار ، وأنعم على البليل المغنى بألف دينار .

وكان الذى عمل في هذا المهم من الغنم ثلاثة آلاف رأس ، ومن البقر ستمائة رأس ، ومن الخيل خمسمائة أكديش ، ومن السكر برسم المشروب ألف قنطار وثمانمائة قنطار ، وبرسم الحلوى مائة وستون قنطارا . وبلغت النفقة على هذا المهم ، في عمل السباط والمشروب والأقية والطراز والسروج وثياب النساء ، مبلغ ثلثمائة ألف دينار عينا .

« اليسرية » : ومن جملة دور القلعة قاعة اليسرية . أنشأها السلطان الملك الناصر حسن

ابن محمد بن قلاوون ، وكان ابتداء بنائها * في أول يوم من شعبان سنة احدى وستين وسبعمئة ، ونهاية عمارتها في ثامن عشرى ذى الحجة من السنة المذكورة . فجاءت من الحسن في غاية لم ير مثلا ، وعمل لهذه القاعة من الفرس والبسط ما لا تدخل قيمته تحت حصر . فمن ذلك تسعة وأربعون ثريا برسم وقود القناديل ، جملة ما دخل فيها من الفضة البيضاء الخالصة المضروبة مائتا ألف وعشرون ألف درهم ، وكلها مطية بالذهب . وجاء ارتفاع بناء هذه القاعة طولا في السماء ثمانية وثمانين ذراعا .

وعمل السلطان بها برجا بيت فيه من العاج والأبنوس مطعم يجلس بين يديه ، واكتاف وباب يدخل منه الى أرض كذلك ، وفيه مقرنص قطعة واحدة يكاد يذهل الناظر اليه : بشبابيك ذهب خالص ، وطرافات ذهب مصوغ ، وشرافات ذهب مصوغ ، وقبة مصوغة من ذهب ... صرف فيه ثمانية وثلاثون ألف مثقال من الذهب ، وصرف في مؤنه وأجره تسعة آلاف درهم فضة : عنما خمسون ألف دينار ذهبا . ويصدر ايوان هذه القاعة شباك حديد ، يقارب باب زويلة ، يطل على جنية بديعة الشكل .

« الدهيشة » : عمرها السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون في سنة خمس وأربعين وسبعمئة . وذلك أنه بلغه عن الملك المؤيد عماد الدين ، صاحب حماة ، أنه عمر بحماة دهيشة لم يبن مثلا . فقصد مضاهاته ، وبعث الأمير أقجبا

وابيحي المهندس لكشف دميثة حياة ، وكتب
لنائب حلب ونائب دمشق يحمل التي حجر
بيض والتي حجر حمر من حلب ودمشق ،
وحشرت الجمال لحملها حتى وصلت الى قلعة
الجيل . وصرف في حولة كل حجر من حلب
اثنا عشر درهما ، ومن دمشق ثمانية دراهم .
واستدعى الرخام من سائر الأمراء وجميع
الكتاب ، ورسم بإحضار الصناع للعمل ،
ووقع الشروع فيها حتى تمت في شهر رمضان
منها . وقد بلغ مصروفها خمسمائة ألف درهم ،
سوى ما قدم من دمشق وحلب وغيرها ،
وعمل لها من الفرش والبسط والآلات ما يجبل
وصفه ، وحضر بها سائر الأغاني : وكان لها
عظيما .

« السبع قاعات » : هذه القاعات تشرف
على الميدان وباب القرافة . عمرها الملك الناصر
محمد بن قلاوون ، وأسكنها سراريه ، ومات
عن ألف ومائتي وصيفة مولدة ، سوى من
عدها من بقية الأجناس .

« الجامع بالقلعة » : هذا الجامع أنشأه
السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في
سنة ثمان عشرة وسبعمائة . وكان قبل ذلك
هناك جامع دون هذا ، هدمه السلطان ، وهدم
المطبخ والحوائجخانه والفراشخانه ، وعمله
جامعا . ثم أخربه في سنة خمس وثلاثين
وسبعمائة ، وبناء هذا البناء .

فلما تم بناؤه جلس فيه ، واستدعى جميع
مؤذني القاهرة ومصر ، وجميع القراء
والخطباء ، وعرضوا بين يديه ، وسع تآذيتهم

وخطاباتهم وقراءاتهم . فاختار منهم عشرين
مؤذنا رتبهم فيه ، وقرز فيه درس فقه وقارئا
يقرا في المصحف ، وجعل عليه أوقافا تكفيه
وتفيض .

وصار من بعده من الملوك يخرجون أيام
الجمع الى هذا الجامع ، ويحضر خاصة الأمراء
معه من القصر ، ويحيى بإقيهم من باب
الجامع . فيصلى السلطان عن يمين المحراب
في مقصورة خاصة به ، ويجلس عنده أكابر
خاصته ، ويصلى معه الأمراء خاصتهم وعامتهم
خارج المقصورة ، عن يمينها ويسرتها ، على
مراتبهم . فإذا انقضت الصلاة دخل الى
قصوره ودور حرمة ، وتفرق كل أحد الى
مكانه .

وهذا الجامع متسع الأرجاء ، مرتفع البناء ،
مفروش الأرض بالرخام ، مبطن السقوف
بالذهب . وبصدره قبة عالية يليها مقصورة ،
مستورة هي والرواقات بشبابيك الحديد
المحكمة الصنعة ، ويحف صحنه رواقات من
جهاته .

« الدار الجديدة » : هذه الدار عند باب
سر القلعة المطل على سوق الخيل . عمرها الملك
الظاهر بيبرس البندقداري في سنة أربع
وستين وستمائة ، وعمل بها في جمادى الأولى
منها دعوة للأمراء عند فراغها .

« خزانة الكتب » : وقع بها الحريق يوم
الجمعة رابع صفر سنة إحدى وتسعين
وستمائة . قتل بها من الكتب ، في الفقه
والحديث والتاريخ وعامة العلوم ، شيء كثير
جدا كان من ذخائر الملوك . فاتمها العلمان ،

وبيعت أوراقا محرقة ظفر الناس منها بنفائس
غريبة ما بين ملاحم وغيرها ، وأخذوها بأبخس
الأنمان .

« القاعة الصالحة » : عمرها الملك الصالح
نجم الدين أيوب . وكانت سكن الملوك الى
أن احترقت في سادس ذى الحجة سنة أربع
وثمانين وستمائة ، واحترق معها الخزانة
السلطانية .

« باب النحاس » : هذا الباب من داخل
الستارة ، وهو أجل أبواب الدور السلطانية .
عمره الناصر محمد بن قلاوون ، وزاد في سعة
دهليزه .

« باب القلعة » : عرف بذلك من أجل أنه
كان هناك قلعة بناها الملك الظاهر بيبرس ،
وهدمها الملك المنصور قلاوون في يوم الأحد
عاشر شهر رجب سنة خمس وثمانين
وستمائة ، وبنى مكانها قبة فرغت عمارتها في
شوال منها . ثم هدمها الملك الناصر محمد بن
قلاوون ، وجدد باب القلعة على ما هو عليه
الآن ، وعمل له بابا ثانيا .

« الرفرف » : عمره الملك الأشرف خليل بن
قلاوون . وجعله عاليًا يشرف على الجيزة
كلها ، وبيضه ، وصور فيه أمراء الدولة
وخواصها ، وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها .
وكان مجلسا يجلس فيه السلطان ، واستمر
جلوس الملوك به ، حتى هدمه الملك الناصر
محمد بن قلاوون في سنة اثنتي عشرة
وسبعمائة ، وعمل بجواره برجًا بجوار
الاصطبل نقل اليه الماليك .

(*) من ٢١٢ ج ٢ ط ٠ بولاق .

« الجب » : كان بالقلعة جب يحبس فيه
الأمراء ، وكان مهولا مظلمًا كثير الوطواط
كرهه الرائحة ، يقاسى المسجون فيه ما هو
كالموت أو أشد منه . عمره الملك المنصور
قلاوون في سنة إحدى وثمانين وستمائة . فلم
يزل الى أن قام الأمير بكتسر الساقى في أمره ،
مع الملك الناصر محمد بن قلاوون ، حتى
أخرج من كان فيه من المحاييس وتقلهم الى
الأبراج ، وردمه ، وعمر فوق الردم طباقا في
سنة تسع وعشرين وسبعمائة .

« الطبلخانه تحت القلعة » : ذكر هشام بن
الكلبي أن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ،
لما قدم الشام ، تلقاه المقلسون من أهل
الأديان بالسيوف والريحان . فكره عمر رضى
الله عنه النظر اليهم ، وقال : ردوهم .

فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه :
انها سنة الأعاجم ، فإن منعهم ظنوا أنه تنقض
لعهدهم .

فقال عمر رضى الله عنه : دعوهم .
والتقليس الضرب بالطل أو الدف .

وهذه الطبلخانه الموجودة الآن تحت القلعة
فيما بين باب السلسلة وباب المدرج ، كانت
دار العدل القديمة التي عمرها الملك الظاهر
بيبرس وتقدم خبرها .

فلما كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ،
هدمها الناصر محمد بن قلاوون ، وبناءها هذه
الطبلخانه الموجودة الآن تحت قلعة الجبل ،
فيما بين باب السلسلة وباب المدرج ، وصار
ينزل الى عمارتها كل قليل .

وتولى شد العمار بها آق منقر ، شاد العائر ، ووجد في أساسها أربعة قبور كبار المقدار ، عليها قطع رخام منقوش عليها أسماء المقبورين وتاريخ وفاتهم . فنبشوا ونقلوا قريبا من القلعة ، فكانوا خلقا كبيرا عظيما في الطول والعرض ، على بعضهم ملاءة ديبقية ملونة ساعة منها الأيدي نزقت وتطايرت هباء . وفيهم اثنان عليهما آلة الحرب وعدة الجهاد ، وبهما آثار الدماء والجراحات ، وفي وجه أحدهما ضربة سيف بين عتيه ، والجرح مسدود بقطنة . فلما أمسكت القطنة ، ورفعت عن الجرح فوق العاجب ، نبع من تحتها دم يظن أنه جرح طرى . فكان في ذلك موعظة وذكرى .

وكانت الطيلخانة ساحة غير سقف . فلما ولي الأمير سودون طاز أمير اخور ، وسكن الاصطبل السلطاني ، عمر هذه الطابق فوق الطابق . وكان الغرض من عمارتها صحيحا ، فان المدرسة الأشرفية كانت حينئذ قائمة تجاه الطيلخانة . ولما كان زمان الفتن بين أمراء الدولة ، تحصن فوقها طائفة ليرموا على الاصطبل والقلعة ، فأراد بناء هذه الطابق فوق الطابق أن يجعل بها رماة حتى لا يقدر أحد يقيم فوق المدرسة الأشرفية . وقد بطل ذلك ، فان الملك الناصر فرج بن برقوق هدم المدرسة الأشرفية ، كما ذكر في هذا الكتاب عند ذكر المدارس .

« الطابق بساحة الايوان » : عمرها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأسكنها المماليك السلطانية ، وعمر حارة تختص بهم .

وكانت الملوك تعنى بها غاية العناية . حتى ان الملك المنصور قلاوون كان يخرج في غالب أوقاته الى الرحبة عند استحقاق حضور الطعام للماليك ، وأمر بعرضه عليه ، ويتفقد لحهم ، ويختير طعامهم في جودته وردائه . فتى رأى فيه عيبا ، اشتد على المشرف والأستادار ، وضرها ، وحل بها منه أى مكروه .

وكان يقول : كل الملوك غلبوا شيئا يذكرون به ما بين مال وعقار . وأنا عمرت أسوارا ، وعملت حصونا مانعة لى ولأولادى وللنسلين وهم المماليك .

وكانت المماليك أبدا تقيم بهذه الطابق لا تبرح فيها . فلما تسلطن الملك الأشرف خليل ابن قلاوون ، سمح للمماليك أن ينزلوا من القلعة في النهار ولا يبيتوا الا بها ، فكان لا يقدر أحد منهم أن يبيت بغيرها . ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون سمح لهم بالنزول الى الحمام يوما في الأسبوع ، فكانوا ينزلون بالنسوة مع الخدام ، ثم يعودون آخر غارهم . ولم يزل هذا حالهم الى أن انقرضت أيام بنى قلاوون .

وكانت للمماليك بهذه الطابق عادات جميلة : أولها أنه اذا قدم بالملوك تاجر عرضة على السلطان ، ونزله في طبقة جنبه ، وسلمه لطواشي برسم الكتابة . فأول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج اليه من القرآن الكريم . وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر اليها كل يوم ، ويأخذ في تعليمها كتاب الله تعالى ومعرفة الخط ، والترن بأداب الشريعة ، وملازمة الصلوات والأذكار .

وكان الرسم اذ ذاك ألا تجلب التجار الا المماليك الصغار . فاذا شرب الواحد من المماليك ، علمه الفقيه شيئا من الفقه ، وأقرأه فيه مقدمة . فاذا صار الى سن البلوغ ، أخذ في تعليمه أنواع الحرب من رمى السهام ، ولعب الرمح ، ونحو ذلك . فيتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج اليه . واذا ركبوا الى لعب الرمح ، أو رمى النشاب ، لا يجبر جندي ولا أمير أن يحدثهم أو يدنو منهم .

فينقل اذن الى الخدمة ، ويتنقل في أطوارها رتبة بعد رتبة الى أن يصير من الأمراء . فلا يبلغ هذه الرتبة الا وقد تهذبت أخلاقه ، وكثرت آدابه ، وامتزج تعظيم الاسلام وأهله بقلبه ، واشتد ساعده في رماية النشاب وحسن لعبه بالرمح ، ومرن على ركوب الخيل . ومنهم من يصير في رتبة فقيه عارف ، أو أديب شاعر ، أو حاسب ماهر .

هذا ، ولهم أزمة من الخدام ، وأكابر من رؤوس النوب : يفحصون عن حال الواحد منهم الفحص الشافى ، ويؤاخذونه أشد المؤاخظة ، ويتناقشونه على حركاته وسكناته . فان عثر أحد من مؤدبيه الذي يعلمه القرآن ، أو الطواشي الذي هو مسلم اليه ، أو رأس النوبة الذي هو حاكم عليه ، على أنه اقترف ذنبا أو أخل برسم ، أو ترك أدبا من آداب الدين أو الدنيا ... قابله على ذلك بعقوبة مؤلة شديدة بقدر جرمه .

(ج) ص ٢١٢ ج ٢ ، ط ١ ، بولاق .

وبلغ من تأديبهم أن مقدم المماليك كان اذا أتاه بعض مقدمى الطباق في السحر يشاور على مملوك أنه يقتل من جنابة ، فيبحث من يكشف عن سب جنابته : ان كان من احتلام ، فينظر في سراويله هل فيه جنابة أم لا ، فان لم يجد به جنابة جاءه الموت من كل مكان .

فلذلك كانوا سادة يدبرون الممالك ، وقادة يجاهدون في سبيل الله ، وأهل سياسة يبالغون في اظهار الجميل ، ويردعون من جار أو تعدى . وكانت لهم الادارات الكثيرة من اللحوم والأطعمة والحلاوات والفواكه والكسوات الفاخرة ، والمعاليم من الذهب والفضة ... بحيث تسع أحوال غلمانهم ، ويفيض عطاؤهم على من قصدهم .

ثم لما كانت أيام الظاهر برقوق ، راعى الحال في ذلك بعض الشيء الى أن زالت دولته في سنة احدى وتسعين وسبعائة . فلما عاد الى المملكة ، رخص للمماليك في سكنى القاهرة وفي الزواج . فنزلوا من الطابق من القلعة ، ونكحوا نساء أهل المدينة ، وأخلدوا الى البطالة ، ونسوا تلك العوايد .

ثم تلاشت الأحوال في أيام الناصر فرج بن برقوق ، واقطعت الرواب من اللحوم وغيرها ، حتى عن مماليك الطباق مع قلة عددهم ، ورتب لكل واحد منهم في اليوم مبلغ عشرة دراهم من الفلوس . فصار غذاؤهم في الغالب الفول المصلوق عجزا عن شراء اللحم وغيره .

هذا ، وبقي الجلب من المماليك انما هم الرجال الذين كانوا في بلادهم ما بين ملاح

سفينة ، ووقاد في تور تجازا ، ومحول ماء في غيط أشجار ونحو ذلك . واستقر رأى الناصر على أن تسليم الممالك للفقير يتلفهم ، بل يتركون وشئهم .

فبذلك الأرض غير الأرض ، وصارت الممالك السلطانية أرذل الناس وأدناهم ، وأخسهم قدرا وأشجعهم نفسا ، وأجهلهم بأمر الدنيا وأكثرهم اعراضا عن الدين . ما فيهم إلا من هو أذن من قرد ، والنس من فأرة ، وأفسد من ذئب ... لا يجرم أن خربت أرض مصر والشام — من حيث يصب النيل الى مجرى القرات — بسوء إباله الحكام ، وشدة عبث الولاة ، وسوء تصرف أولى الأمر . حتى أنه ما من شهر إلا ويظهر من الخلل العام ما لا يتدارك فرطه .

وبلغت عدة الممالك السلطانية في أيام الملك المنصور قلاوون ستة آلاف وسبعمئة . فأراد ابنه الأشرف خليل تكميل عدتها عشرة آلاف مملوك ، وجعلهم طوائف : فأفرد طائفتي الأرمن والجركس ، وسماها البرجية لأنه أسكنها في أبراج بالقلة ، فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعمئة . وأفرد جنس الخطا والقباقي ، وأنزلهم بقاعة عرفت بالذهبية والزمرذية ، وجعل منهم جمدارية وسقاة وساهم خاصكية ، وعمل البرجية سلاحدارية وجمقدارية وجاشنكيرية وأوشاقية .

ثم شغف الملك الناصر محمد بن قلاوون بجلب المالك من بلاد أربك وبلاد توريز وبلاد الروم وبغداد ، وبعث في طلبهم ، وبذل الرغائب للتجار في حملهم اليه ، ودفع فيهم

الأموال العظيمة ، ثم أفاض على من يشتره منهم أنواع العطاء من عامة الأصناف دفعة واحدة في يوم واحد ، ولم يراع عادة أيه ومن كان قبله من الملوك في تنقل المالك في أطوار الخدم حتى يتدرب ويترن كما تقدم ، وفي تدريجه من ثلاثة دنائير في الشهر الى عشرة دنائير ، ثم نقله من الجامكية الى وظيفة من وظائف الخدمة ... بل اقتضى رأيه أن يبلأ أعينهم بالعطاء الكثير دفعة واحدة .

فأتاه من المالك شيء كثير رغبة فيما لديه ، حتى كان الأب يبيع ابنه للتاجر الذي يجلبه الى مصر . وبلغ ثمن المملوك في أيامه الى مائة ألف درهم فما دونها ، وبلغت ثقات الممالك في كل شهر الى سبعين ألف درهم ، ثم تزايدت حتى صارت في سنة ثمان وأربعين وسبعمئة مائتين وعشرين ألف درهم .

« دار النيابة » : كان بقلة الجبل دار نيابة بناها الملك المنصور قلاوون في سنة سبع وثمانين وسبعمئة ، سكنها الأمير حسام الدين طرطساي ومن بعده من نواب السلطنة . وكانت النواب تجلس بشباكها ، حتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة سبع وثمانين وسبعمئة ، وأبطل النيابة ، وأبطل الوزارة أيضا . فصار موضع دار النيابة ساحة .

فلما مات الملك الناصر ، أعاد الأمير قوصون دار النيابة عند استقراره في نيابة السلطنة ، فلم تكمل حتى قبض عليه . فولى نيابة السلطنة الأمير طشتمر حص أخضر ، وقبض عليه . فتولى بعده نيابة السلطنة الأمير شمس

الدين آق سنقر ، في أيام الملك الصالح اسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فجلس بها في يوم السبت أول صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمئة * في شبك دار النيابة . وهو أول من جلس بها من النواب بعده تجديدهما ، وتوارثها النواب بعده .

وكانت العادة أن يركب جيوش مصر يومى الاثنين والخميس في الموكب تحت القلعة ، فيسيرون هناك من رأس الصوة الى باب القرافة ، ثم تقف العسكر مع نائب السلطنة ، وينادى على الخيل بينهم ، وربما نودى على كثير من آلات الجند والخيم والجركاوات والأسلحة ، وربما نودى على كثير من العقار . ثم يطلعون الى الخدمة السلطانية بالايوان بالقلة على ما تقدم ذكره .

فاذا مثل النائب في حضرة السلطان ، وقف في ركن الايوان الى أن تنقضى الخدمة . فيخرج الى دار النيابة والأمراء معه ، ويمد السباط بين يديه كما يمد سباط السلطان ، ويجلس جلوسا عاما للناس ، وتحضره أرباب الوظائف ، وتقف قدامه الحجاب ، وتقرأ القصص ، وتقدم اليه الشكاة ، ويفصل أمورهم . فكان السلطان يكتفى بالنائب ، ولا يتصدى لقراءة القصص عليه وسماع الشكوى ، تمويللا منه على قيام النائب بهذا الأمر .

واذا قرئت القصص على النائب نظر : فإن كان مرسومه يكفى فيها أصدره عنه ، وما لا يكفى فيه الا مرسوم السلطان ، أمر بكتابه عن السلطان وأصدره ، فيكتب ذلك ، وينبه

(*) من ١١١١ ج ١ ، ط ١٠٠٠٠

فيه على أنه بإشارة النائب ، ويميز عن نواب السلطان بالمالك الشامية بأن يعبر عنه « بكافل الملكة الشريفة الاسلامية » .

وما كان من الأمور التي لا بد له من إحاطة علم السلطان بها ، فانه اما أن يعلمه بذلك منه اليه وقت الاجتماع به ، أو يرسل الى السلطان من يعلمه به ويأخذ رأيه فيه .

وكان ديوان الاقطاع — وهو الجيش — في زمان النيابة ليس لهم خدمة الا عند النائب ، ولا اجتماع الا به ، ولا يجتمع ناظر الجيش بالسلطان في أمر من الأمور .

فلما أبطل الملك الناصر محمد بن قلاوون النيابة ، صار ناظر الجيش يجتمع بالسلطان ، واستمر ذلك بعد إعادة النيابة . وكان الوزير وكاتب السر يراجعان النائب في بعض الأمور دون بعض . ثم اضمحلت نيابة السلطنة في أيام الناصر محمد بن قلاوون ، وتلاشت أوضاعها .

فلما مات أعيدت بعده ، ولم تزل الى أثناء أيام الظاهر برقوق . وآخر من وليها على أكثر قوانينها الأمير سودون الشبخي ، وبعده لم يل النيابة أحد في الأيام الظاهرية . ثم ان الناصر فرج بن برقوق أقام الأمير تراز في نيابة السلطنة ، فلم يسكن دار النيابة في القلعة ، ولا خرج عما يعرفه من حال حاجب الحجاب . ولم يل النيابة بعد تراز أحد الى يومنا هذا .

وكانت حقيقة النائب أنه السلطان الثاني ، وكانت سائر نواب الممالك الشامية وغيرها تكتابه في غالب ما تكتابه فيه السلطان ،

ويراجعونه فيه كما يراجع السلطان . وكان يستخدم الجند ، ويخرج الاقطاعات من غير مشاورة ، ويعين الامرة لكن بمشاوره السلطان .

وكان النائب هو المتصرف المطلق التصرف في كل امر : فيراجع في الجيش والمال والخبر ، وهو البريد ، وكل ذي وظيفة لا يتصرف الا بامره ، ولا يفصل امرا معضلا الا بمراجعته . وهو الذي يستخدم الجند ، ويرتب في الوظائف ، الا ما كان منها جليلا — كالوزارة ، والقضاء ، وكتابة السر ، والجيش — فانه يعرض على السلطان من يصلح . وكان قل الا يجاب في شيء يعينه .

وكان من عدا نائب السلطنة بديار مصر يليه في رتبة النيابة . وكل نواب الممالك تخاطب بملك الامراء ، الا نائب السلطنة بمصر فانه يسمى « كافل الممالك » تميزا له ، وابانة من عظيم محله . وبالحقيقة ما كان يستحق اسم نيابة السلطنة ، بعد النائب بمصر ، سوى نائب الشام بدمشق فقط . وانما كانت النيابة تطلق ايضا على اكابر نواب الشام ، وليس لاحد منهم من التصرف ما كان لنائب دمشق . الا أن نيابة السلطنة بحلب تلي رتبة نيابة السلطنة بدمشق .

وقد اختلفت الآن الرسوم ، واتضعت الرب ، وتلاشت الاحوال ، وعادت اساء لا معنى لها ، وخیالات حاصلها عدم . والله يفعل ما يشاء .

ذكر جيوش الدولة التركية وزبها وعوايدها

اعلم انه قد كان بقلعة الجبل مكان معد لديوان الجيش ، وادركت منه بقية الى اثناء دولة الظاهر برقوق . وكان ناظر الجيش وسائر كتاب الجيش لا يروحون في ايام الخدمة فهارهم مقيمين بديوان الجيش ، وكانت لهذا الديوان عوايد قد تغير اكثرها ، وليس غالب رسومه .

وكانت جيوش الدولة التركية بديار مصر على قسمين : منهم من هو بحضرة السلطان ، ومنهم من هو في اقطار المملكة وبلادها ، وسكان بادية كالعرب والتركمان . وجندها مختلط من اترك وجركس وروم واكراد وتركان ، وغالبهم من الممالك المتاعين .

وهم طبقات : اكابرهم من له امرة مائة فارس وتقدمة ألف فارس ، ومن هذا القبيل تكون اكابر التواب ، وربما زاد بعضهم بال عشرة فوارس والعشرين .

ثم امراء الطليخاناه ، ومعظمهم من تكون له امرة اربعين فارسا ، وقد يوجد فيهم من له ازيد من ذلك الى السبعين ، ولا تكون الطليخاناه لاقل من اربعين .

ثم امراء العشراوات ممن تكون له امرة عشرة ، وربما كان فيهم من له عشرون فارسا ، ولا يعدون * في امراء العشراوات .

ثم جند الحلقة ، وهؤلاء تكون مناشيرهم من السلطان ، كما أن مناشير الامراء من

(*) مره ٢١ ج ٢ ، ط. بولاق .

السلطان ، واما اجناد الامراء فنناشيرهم من امرائهم .

وكان منشور الأمير يعين فيه للأمير ثلث الاقطاع ولأجناده الثلثان ، فلا يمكن الأمير ولا مباشره أن يشاركوا احدا من الاجناد فيما يخصهم الا برضاهم .

وكان الأمير لا يخرج احدا من أجناده حتى يتبين للنائب موجب يقتضى اخراجه . فحينئذ يخرج نائب السلطان ، ويقيم عند الأمير عوضه . وكان لكل اربعين جنديا من جند الحلقة مقدم عليهم ، ليس له عليهم حكم الا اذا خرج المسكر لقتال ، فكانت مواقف الاربعين مع مقدمهم ، وترتيبهم في موقعهم اليه .

ويبلغ بمصر اقطاع بعض اكابر امراء المئين ، المقدمين من السلطان ، مائتي ألف دينار جيشية ، وربما زاد على ذلك . واما غيرهم فدون ذلك يعبر أقلها الى ثمانين ألف دينار وما حولها .

واما الطليخاناه فمن ثلاثين ألف دينار الى ثلاثة وعشرين ألف دينار .

واما العشراوات فأعلاها سبعة آلاف دينار الى ما دونها .

واما اقطاعات اجناد الحلقة فأعلاها ألف وخمسمائة دينار ، وهذا القدر وما حوله اقطاعات اعيان مقدمي الحلقة ، ثم بعد ذلك الاجناد بابات ، حتى يكون ادانهم مائتين وخمسين دينارا . وسيرد تفصيل ذلك ان شاء الله تعالى .

واما اقطاعات جند الامراء فانها على ما يراه الأمير من زيادة بينهم ونقص .

واما اقطاعات الشام فانها لا تقارب هذا ، بل تكون على الثلثين مما ذكرنا . ما خلا نائب السلطنة بدمشق ، فانه يقارب اقطاعه على اقطاعات اكابر امراء مصر المقربين . وجميع جند الامراء تعرض بديوان الجيش ، ويثبت اسم الجندي وحليته ، ولا يستبدل أميره به غيره الا بتزليل من عوض به وعرضه .

وكانت للامراء على السلطان في كل سنة ملابس ينعم بها عليهم ، ولهم في ذلك حظ وافر . وينعم على امراء المئين بخيول مسرجة ملجئة ، ومن عداهم بخيول عري ، ويميز خاصتهم على عامتهم . وكان لجميع الامراء — من المئين ، والطليخاناه ، والعشراوات — على السلطان الرواتب الجارية في كل يوم من اللحم وتوابله كلها ، والخبز ، والشعير لعليق الخيل ، والزيت . ولبعضهم الشمع والسكر والكسوة في كل سنة . وكذلك لجميع ممالك السلطان ، وذوى الوظائف من الجند .

وكانت المادة اذا نشأ لأحد الامراء ولد أطلق له دنانير ولحم وخبز وعليق حتى يتأهل للاقطاع في جملة الحلقة ، ثم منهم من ينتقل الى امرة عشرة ، أو الى امرة طليخاناه بحسب الحظ .

واتفق للأميرين طرنتاي وكتبغا أن كلا منهما زوج ولده بانية الآخر ، وعمل لذلك المهم العظيم . ثم سأل الأمير طرنتاي — وهو اذ ذاك نائب السلطان — الأمير يلبك الأيدمرى والأمير طيرس ، أن يسألا السلطان

الملك المنصور قلاوون في الانعام على ولده وولد الأمير كتبنا باقطاعين في الحلقة .

فقال لهما : والله لو رأيتكما في مصاف القتال يضريان بال سيف ، أو كانا في زحف قدامى ، أستبجح أن أعطي لهما أخبازا في الحلقة ، خشية أن يقال أعطى الصبيان الأخباز . ولم يجب سؤالهما هذا ، وهم من قد عرفت .

لكن كان الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي رحمه الله إذا مات الجندى أعطى اقطاعه لولده ، فإن كان صغيرا رتب معه من يلى أمره حتى يكبر . فكان أجناده يقولون : الاقطاعات أملاكنا ، يرثها أولادنا الولد عن الوالد ، فنحن نقاتل عليها . وبه اقتدى كثير من ملوك مصر في ذلك .

والأمراء المتقدمين حوائص ذهب في وقت الركوب الى الميدان ، ولكل أمير من الخواص على السلطان مرتب من السكر والحلوى في شهر رمضان ، ولسائرهم الأضحية في عيد الأضحي على مقادير رتبهم ، ولهم البرسيم لتربيع دوابهم ، ويكون في تلك المدة بدل العليق المرتب لهم .

وكانت الخيول السلطانية تفرق على الأمراء مرتين في كل سنة : مرة عندما يخرج السلطان الى مرابط خيوله في الربيع عند اكتمال تربيعها ، ومرة عند لعبه بالأكرة في الميدان .

ولخاصة السلطان المقرين زيادة كثيرة من ذلك ، بحيث يصل الى بعضهم في السنة مائة فرس . ويفرق السلطان أيضا الخيول

على الممالك السلطانية في أوقات آخر ، وربما يعطى بعض مقدمى الحلقة ، ومن تلق له فرس من الممالك ، يحضر من لحمه والشهادة بأنه تلق ، فيعطى بدله .

ولخاصة السلطان المقرين انعام من الانعامات ، كالعقارات ، والأبنية الضخمة التي ربما اتفق على بعضها زيادة على مائة ألف دينار . ووقع هذا في الأيام الناصرية مرارا ، كما ذكر عند ذكر الدور من هذا الكتاب .

ولهم أيضا كساوى القماش المتوع ، ولهم عند سفرهم الى الصيد وغيره العلوفا والازبال . وكانت لهم آداب لا يخلون بها : منها أنهم إذا دخلوا الى الخدمة بالايوان أو القصر وقف كل أمير في مكانه المعروف به ، ولا يجبر أحد منهم ولا من الممالك أن يحدث رفيقه في الخدمة ولا بكلمة واحدة ، ولا يلتفت الى نحوه أيضا ، ولا يجبر أحد منهم ، ولا من الممالك ، أن يجتمع بصاحبه في نزهة ولا في رمى الشاب ولا غير ذلك ، ومن بلغ السلطان عنه أنه اجتمع بآخر تفاه أو قبض عليه .

واختلف زى الأمراء والعساكر في الدولة التركية . وقد بينا ما كان عليه زهم حتى غيره الملك المنصور قلاوون ، عند ذكر سق الشرايين ، وصار زهم اذا دخلوا الى الخدمة بالأقية الترية والكلاوات فوقها ، ثم القباء الاسلامى فوقها ، وعليه تشد المنطقة والسيف .

(*) من ٢١٦ ج ١ ، ط. بولاق .

وتتميز الأمراء والمقدمون وأعيان الجند بلبس أقية قصيرة الأكمام فوق ذلك ، وتكون أكمامها أقصر من القباء التحتاني ، بلا تفاوت كبير في قصر الكم والطول ، وعلى رؤوسهم كلهم كلوات صفار غالبا من الصوف الملطى الأحمر ، وتضرب ويلف فوقها عمام صفار .

ثم زادوا في قدر الكلوات وما يلف فوقها في أيام الأمير يلغا الخاصكى ، القائم بدولة الأشرف شعبان بن حسين ، وعرفت بالكلوات الطرخانية ، وصاروا يسمون تلك الصغيرة ناصرية .

فلما كانت أيام الظاهر برقوق ، بالغوا في كبر الكلوات ، وعملوا في شدتها عوجا ، وقيل لها كلوات جركسية . وهم على ذلك الى اليوم .

ومن زهم لبس المهاز على الأخفاف ، ويعمل المنديل في الحياصة على الصولق من الجانب الأيمن ، ومعظم حوائص الممالك فضة ، وفيهم من كان يعملها من الذهب ، وربما عملت باليشم .

وكانت حوائص أمراء المشين الأكابر ، التي تخرج اليهم مع الخلع السلطانية من خزانة الخاص ، يرصع ذهبها بالجواهر .

وكان معظم العسكر يلبس الطرز ، ولا يكفت مهازه بالذهب ، ولا يلبس الطراز الا من له اقطاع في الحلقة . وأما من هو بالجامكية أو من أجناد الأمراء ، فلا يكفت مهازه بالذهب ، ولا يلبس طرازا .

وكانت العساكر من الأمراء وغيرهم تلبس النوع من الكسحا والخطاي والكبخى والمخل والاسكندرانى والشرب ، ومن النصافى والأصواف الملونة . ثم بطل لبس الحرير في أيام الظاهر برقوق ، واقتصروا الى اليوم على لبس الصوف الملون في الشتاء ، ولبس النصافى المصقول في الصيف .

وكانت العادة أن السلطان يتولى بنفسه استخدام الجند . فإذا وقف قدامه من يطلب الاقطاع المحلول ، ووقع اختياره على أحد ، أمر ناظر الجيش بالكتابة له ، فيكتب ورقة مختصرة ، تسمى « المشال » ، مضمونها حيز فلان كذا ، ثم يكتب فوقه اسم المستقر له ، وينساوها السلطان ، فيكتب عليها بخطه « يكتب » ، ويعطيها الحاجب لمن رسم له ، فيقبل الأرض . ثم يعاد المشال الى ديوان الجيش ، فيحفظ شاهدا عندهم .

ثم تكتب مربعة مكملة بخطوط جميع مباشرى ديوان الاقطاع ، وهم كتاب ديوان الجيش ، فيرسمون علاماتهم عليها ، ثم تحمل الى ديوان الانشاء والمكاتبات ، فيكتب المنشور ويعلم عليه السلطان كما تقدم ذكره . ثم يكمل المنشور بخطوط كتاب ديوان الجيش ، بعد المقابلة على حجة أصله .

واستجد السلطان الملك المنصور قلاوون طائفة سمها البحرية : وهى أن البحرية الصالحية لما تشتوا عند قتل الفارس أقطاى في أيام المز أيبك ، بقيت أولادهم بمصر في حالة رذيلة . فعندما أنضت السلطنة الى قلاوون ، جمعهم ورتب لهم الجوامك والعليق

والنعم والكسوة ، ورمع أن يكونوا جالسين
على باب القلعة وسامع البحرة ، وإلى اليوم
ماتة من الأجناد تعرف بالبحرة .

وأما البلاد الخاضعة لليس القنابل بالقلعة
ممثل في أمير أمير عوض أمير مات ، في إذا
مات أمير - سواء كان كبيرا أو صغيرا -
فولع السلطان بنيه ، فامر عوض : أما من
في حضرة ، ومفرجه إلى مكان الخلة ، أو
من هو في مكان الخلة ، أو ينقل من بلد
آخر من بلع اختياره عليه .

وأما جند القلعة فاهم إذا مات أحدهم
استلم القاب عوضه ، وكتب القاب على
نحو من ترتيب السلطان ، ثم كتب الرتبة
وجوزها مع البرد إلى حضرة السلطان ، فيقال
عليها في ديوان الاقطاع ، ثم ان أمضاها
السلطان كتب عليها ، يكتب ، ، فتكتب
الرتبة من ديوان الاقطاع ، ثم يكتب عليها
القبور كما تقدم في الجند الذين بالحضرة ،
وإن لم يرضاها السلطان أخرج الاقطاع إلى
بريد .

ومن مات من الأمراء والعبد قبل استكمال
مدة الخلة ، حوسب ورثته على حصة
الاستحقاق ، ثم لما يرتفع منهم أو يهلك لهم ،
على قدر حصول النجاة بهم .

وأما مات الأمراء والعبد من ما هو بلاد
يستقلها مقلها كيف شاء ، ومنها ما هو بلاد
على يد من يد .

ولم يزل الحال على ذلك حتى مات القات
محمد بن قلاوون البلاد ، كما تقدم

في أول هذا الكتاب ، عند الكلام على
الخراج ومنه - فأقبل جند حصار من
الكل من : وشرب الامتلاك كلها .

والذي لم يبق عليه السبل في القلعة
بغير الصرة - ما يروى في القلعة من جند
في القلاوون في أول القلاوون ، وهو جند
البحرة في القلعة في القلعة في القلعة .

وهو جند القلعة في القلعة في القلعة .
أما الإكوف ، وسالكهم ، القلعة في القلعة
وأما القلعة في القلعة ، القلعة في القلعة
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .

أما جند القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .

والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .

والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .

ومخرجة مائة وسبعون أمرا ، وسالكهم
القلعة .

وأما الأديم : سبعة وسبعون أمرا .
تصليهم : لشون الرمان واحد ، والقبور
واحدة ، والجيزة واحدة ، وتروحا واحد ،
وحجبة الاسكندرية واحد ، والقصح واحد ،
ومشروط واحد ، وصليكم سبعون قاروا .

فمنهم الخلة والاختار : أحد عشر أمرا
ومائة وستة وسبعون قاروا . تصلي ذلك :

فمنهم الخلة السطانية أربعون . تصليهم
القلعة في القلعة .

فمنهم الإكوف : أربعة وعشرون عيا .

صليهم السلطان وأحد الخلة : عشرة
آلاف وتسعة وتسعون قاروا . تصليهم
القلعة في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .

فمنهم ذلك : القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .

والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .

والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .

الارتفاع : ثمانية آلاف وخمسون ألفا ،
ما فيه من من القلعة على ما شرح فيه . من
ذلك : القلعة في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .

القلعة في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .

القلعة في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .

القلعة في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .

القلعة في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .

القلعة في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .
والقلاوون في القلعة في القلعة في القلعة .

وستون ألف درهم ، بإ فيه من ثمن الغلال على ما شرح . من ذلك : الكلف خمسة عشر ألف درهم ، والخالص مائة ألف وخمسة وأربعون ألف درهم .

الولاية الأصغر : كل منهم خمسة عشر ألف دينار ، كل دينار ثمانية دراهم . الارتفاع : مائة وعشرون ألف درهم ، بإ فيه من ثمن الغلال على ما شرح . من ذلك : الكلف عشرة آلاف درهم ، والخالص لكل منهم مائة ألف وخمسة آلاف درهم .

الولاية العشر : لكل منهم خمسة آلاف دينار ، كل دينار سبعة دراهم . الارتفاع : خمسة وثلاثون ألف درهم ، بإ فيه من ثمن الغلال على ما شرح . من ذلك : الكلف ثلاثة آلاف درهم ، والخالص لكل منهم اثنان وثلاثون ألف درهم .

مقدمو ماليك السلطان : كل منهم ألف ومائتا دينار ، كل دينار عشرة دراهم . الارتفاع : اثنا عشر ألف درهم ، بإ فيه من ثمن الغلال على ما شرح . من ذلك : الكلف ألف درهم ، والخالص لكل منهم أحد عشر ألف درهم .

مقدمو الحلقة : كل منهم ألف دينار ، كل دينار تسعة دراهم . الارتفاع : تسعة آلاف درهم ، بإ فيه من ثمن الغلال . من ذلك : الكلف تسعة آلاف درهم ، والخالص لكل منهم ثمانية آلاف درهم ومائة درهم .

قباء الألوف : لكل منهم أربع مائة دينار ، كل دينار تسعة دراهم . الارتفاع : ثلاثة آلاف وست مائة درهم ، بإ فيه من ثمن

الغلال . من ذلك : الكلف أربع مائة درهم ، والخالص لكل منهم ثلاثة آلاف ومائتا درهم . ماليك السلطان : اثنان .

بابة أربع مائة مملوك : لكل منهم ألف وخمسة دنانير ، كل دينار عشرة دراهم ، عنها خمسة عشر ألف درهم .

بابة خمسمائة مملوك : كل واحد ألف وثلاثة دنانير ، سعره عشرة دراهم ، عنها ثلاثة عشر ألف درهم .

بابة خمسمائة مملوك : لكل منهم ألف دينار ومائتا دينار ، عنها اثنا عشر ألف درهم .

بابة ست مائة مملوك : لكل واحد ألف دينار ، عنها عشرة آلاف درهم .

أجناد الحلقة : ثمانية آلاف وتسعمائة واثنان وثلاثون فارساً .

بابة ألف وخمسمائة فارس : لكل منهم تسعمائة دينار وتسعة آلاف درهم .

بابة ألف وثلاثة وخمسين جندياً : لكل منهم ثمانمائة دينار وثمانية آلاف درهم .

بابة ألف وثلثمائة وخمسين جندياً : كل منهم سبعمائة دينار : عنها سبعة آلاف درهم .

بابة ألف وثلثمائة جندي ، لكل منهم ست مائة دينار وستة آلاف درهم .

بابة ألف وثلثمائة : كل منهم بخمسمائة دينار بخمسة آلاف درهم .

بابة ألف ومائة جندي : لكل منهم أربع مائة دينار بأربعة آلاف درهم .

(ج) من ١١٨ ج ٢ ، ٢ - بولاق

بابة ألف واثنين وثلثين جندياً : لكل منهم ثلثمائة دينار ، سعر عشرة دراهم ، عنها ثلاثة آلاف درهم .

وأرباب الوظائف من الأمراء بعد النيابة والوزارة : أمير سلاح ، والدوا دار ، والحجبة وأمير جندار ، والمستادار ، والمهندار ، وتقيب الجيوش ، والولاية .

فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاوون ، حدث بين أجناد الحلقة نزول الواحد منهم عن اقطاعه لآخر ، بإ أو مقايضة الاقطاعات بغيرها ، فكثر اللخبيل في الأجناد بذلك ، واشترت السوق والأراذل الاقطاعات . حتى صار في زمنا أجناد الحلقة أكثرهم أصحاب حرف وصناعات ، وخرت منهم أراضي اقطاعاتهم .

وأول ما حدث ذلك أن السلطان الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون ، لما تسلطن في شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة ، تمكن منه الأمير شجاع الدين أغرلو شاد الدواوين ، واستجد أشياء : منها المقايضة بالاقطاعات في الحلقة ، والنزول عنها .

فكان من أراد مقايضة أحد باقطاعه حمل كل منهما مالا لبيت المال يقرر عليهما ، ومن اختار حيزاً بالحلقة يزن على قدر عبرته في المدة دقائق يحملها لبيت المال . فان كانت عبرة الحيز الذي يريده خمسمائة دينار في السنة ، حمل خمسمائة دينار .

ومن أراد النزول عن اقطاعه ، حمل مالا لبيت المال بحسب ما يقرر عليه أغرلو . وأفرد

لذلك ، ولما يؤخذ من طالبى الوظائف والولايات ديواناً ، ساء ديوان البذل . وكان يعين في المنشور الذى يخرج بالمقايضة المبلغ الذى يقوم به كل من الجنديين .

وكان ابتداء هذا في جمادى الاولى من السنة المذكورة ، فقام الأمراء في ذلك مع السلطان حتى رسم بإبطاله .

فلما ولي الأمير منجك اليوسفى الوزارة ، وسيره في المال ، فتح في سنة تسع وأربعين باب النزول والمقايضات . فكان الجندي يبيع اقطاعه لكل من بذل له فيه مالا ، فأخذ كثير من العامة والاقطاعات . فكان يذل في الاقطاع مبلغ عشرين ألف درهم ، وأقل منه على قدر متحصله ، وللوزير رسم معلوم . ثم منع من ذلك .

فلما كانت نيابة الأمير سيف الدين قلاي ، في سنة ثلاث وخمسين ، مشى أحوال الأجناد في المقايضات والنزولات . فاشتري الاقطاعات الباعة وأصحاب الصنائع ، ويبتع تقادم الحلقة وانتدب لذلك جماعة عرفت بالمهيسين ، بلغت عدتهم نحو الثلثمائة مهندس ، وصاروا يطوفون على الأجناد ، ويرغبونهم في النزول عن اقطاعهم أو المقايضة بها ، وجعلوا لهم على كل ألف درهم مائة درهم .

فلما فحش الأمر ، أبطل الأمير شيخون العمري النزولات والمقايضات ، عندما استقر رأس نوبة واستقل بتدبير أمور الدولة ، وتقدم لمباشري ديوان الجيش ألا يأخذوا رسم المنشور والمحاسبة سوى ثلاثة دراهم ، بعدما كانوا يأخذون عشرين درهماً .

ذكر الحجة

وكانت رتبة الحجة في الدولة التركية جلية ، وكانت تلي رتبة نيابة السلطنة ، ويقال لأكبر الحجة حاجب الحجاب .

وموضوع الحجة أن متوليها ينصف من الأمراء والجند : تارة بنفسه ، وتارة بمشاورة السلطان ، وتارة بمشاورة النائب . وكان إليه تقديم من يعرض ومن يرد ، وعرض الجند ، فإن لم يكن نائب السلطنة فإنه هو المشار إليه في الباب ، والقائم مقام النواب في كثير من الأمور .

وكان حكم الحاجب لا يتعدى النظر في مخصصات الأجناد ، واختلافهم في أمور الاقطاعات ، ونحو ذلك .

ولم يكن أحد من الحجاب فيما سلف يتعرض للحكم في شيء من الأمور الشرعية ، كدعوى الزوجين وأرباب الديون ، وإنما يرجع ذلك إلى قضاة الشرع .

ولقد عهدنا دائما أن الواحد من الكتاب أو الضمان ونحوهم يفر من باب الحاجب ، ويصير إلى باب أحد القضاة ويستجير بحكم الشرع ، فلا يطعم أحد بعد ذلك في أخذه من باب القاضي .

وكان فيهم من يقيم الأشهر والأعوام في ترسيم القاضي ، حياية له من أيدي الحجاب . ثم تغير ما هنالك ، وصار الحاجب اليوم أسا لعدة جماعة من الأمراء ينتصون للحكم بين الناس ، لا لغرض إلا لتضمن أبوابهم بمال مقرر في كل يوم على رأس نوبة النقباء ،

وفيهم غير واحد ليس لهم على الإمرة اقطاع ، وإنما يرتزقون من مظالم العباد .

وصار الحاجب اليوم يحكم في كل جليل وحقير من الناس ، سواء كان * الحكم شرعيا أو مياسيا يزعمهم ، وإن تعرض قاض من قضاة الشرع لأخذ غريم من باب الحاجب لم يكن من ذلك .

وتقيب الحاجب اليوم ، مع رذالة الحاجب وسفاته ، وتظاهره من المنكر بما لم يكن يعهد مثله ، يتظاهر به أطراف السوق . فإنه يأخذ الغريم من باب القاضي ، ويتحكم فيه من الضرب وأخذ المال بما يختار ، فلا ينكر ذلك أحد البتة .

وكانت أحكام الحجاب أولا يقال لها حكم السياسة ، وهي لفظة شيطانية لا يعرف أكثر أهل زماننا اليوم أصلها ، ويتساهلون في التلفظ بها ، ويقولون هذا الأمر مما لا يمتنى في الأحكام الشرعية ، وإنما هو من حكم السياسة ... وبحسبونه هنا ، وهو عند الله عظيم . وسأبين معنى ذلك ، وهو فصل عزيز .

ذكر أحكام السياسة

اعلم أن الناس في زماننا ، بل ومنذ عهد الدولة التركية بديار مصر والشام ، يرون أن الأحكام على قسمين : حكم الشرع ، وحكم السياسة .

ولهذه الجملة شرح : فالشرعة هي ما شرع الله تعالى من الدين وأمر به ، كالصلاة والصيام والحج وسائر أعمال البر .

(*) ص ٢١٩ ج ٢ ، ط ١٩٠٩

واشتق الشرع من شاطئ البحر . وذلك أن الموضع الذي على شاطئ البحر تشرع فيه الدواب ، وتسميه العرب : « الشرعة » . فيقولون للابل ، إذا وردت شرعة الماء ، وشربت : قد شرع فلان ابلة ، وشرعها - بتشديد الراء - إذا أوردتها شرعة الماء .

والشرعة ، والشرع ، والشرعة : المواضع التي ينحدر الماء فيها . ويقال شرع الدين يشرعه شرعا ، بمعنى سنه . قال الله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا » .

ويقال ماس الأمر مياسة ، بمعنى قام به ، وهو مائس ، من قوم ماسة وسوس . وسوسه القوم : جعلوه يسوسهم . والسوس : الطبع والخلق ، فيقال الفصاحة من سوسه ، والكرم من سوسه ، أي من طبعه .

فهذا أصل وضع السياسة في اللغة ، ثم رست بأنها القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح ، وانتظام الأحوال .

والسياسة نوعان : سياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر ، فهي من الأحكام الشرعية ، علمها من علمها ، وجهلها من جهلها . وقد صنف الناس في السياسة الشرعية كتباً متعددة .

والنوع الآخر : سياسة ظالمة ، فالشرعة تحرمها . وليس ما يقوله أهل زماننا في شيء من هذا ، وإنما هي كلمة مغلية أصلها « ياسة » ، فحرفها أهل مصر ، وزادوا بأولها سينا فقالوا : « سياسة » ، وأدخلوا عليها الألف واللام ،

فظن من لا علم عنده أنها كلمة عربية ، وما الأمر فيها إلا ما قلت لك .

واسمع الآن كيف نشأت هذه الكلمة ، حتى انتشرت بمصر والشام . وذلك أن جنكز خان ، القائم بدولة التتر في بلاد الشرق ، لما غلب الملك أوتك خان ، وصارت له دولة ... قرر قواعد وعقوبات أثبتها في كتاب سماه « ياسة » ، ومن الناس من يسميه « يسق » ، والأصل في اسمه ياسة .

ولما تم وضعه ، كتب ذلك نقشا في صفائح الفولاذ ، وجعله شرعة لقومه . فالتزموه بعد حتى قطع الله دابرهم .

وكان جنكز خان لا يتدين بشيء من أديان أهل الأرض - كما تعرف هذا أن كنت أشرفت على أخباره - فصار الياسة حكما بتا ، بقي في أعقابها لا يخرجون عن شيء من حكمه .

وأخبرني العبد الصالح ، الداعي إلى الله تعالى ، أبو هاشم أحمد بن البرهان رحمه الله ، أنه رأى نسخة من الياسة بخزانة المدرسة المستنصرية ببغداد .

ومن جملة ما شرعه جنكز خان في الياسة أن من زنى قتل ، ولم يفرق بين المحصن وغير المحصن ، ومن لاط قتل ، ومن تعمد الكذب أو سحر أو تجسس على أحد أو دخل بين اثنين وهما يتخاصمان وأعان أحدهما على الآخر قتل ، ومن بال في الماء أو على الرماد قتل ، ومن أعطى بضاعة فخر فيها فإنه يقتل بعد الثالثة ، ومن أظلم أسير قوم أو كساه بغير إذنهم قتل ، ومن وجد عبدا هاربا أو

أسيرا قد حرب ولم يرد على من كان في يده قتل .

وأن الحيوان تكلف قوائمه ورضق بطيه ويرس قلبه إلى أن يموت ثم يؤكل لسه ، وأن من ذبح حيوانا كذبيحة المسلمين ذبح ، ومن وقع حمله أو قومه أو شيء من متاعه ، وهو يكر أو يفر في حالة القتال ، وكان وراءه أحد ، فانه يتزل وفتاول صلحه ما سقطت منه ، فإن لم يتزل ولم يتاوله قتل .

وفرض ألا يكون على أحد من ولد على بن أبي طالب رضي الله عنه مؤنة ولا كتفة ، ولا يكون على أحد من الفقهاء ، ولا الأعيان ، ولا من عداهم من أرباب العلوم وأصحاب المصافة والزهد والمؤذين ومضلي لأموال كتفة ولا مؤنة . وفرض تطعيم جميع الملل من غير نصب لالة على أخرى ، وجعل ذلك كله قرينة إلى الله تعالى .

والزم قومه ألا يأكل أحد من يد أحد حتى يأكل المتناول منه أولا ، ولو أنه أسير ومن يتاوله أسير . والزمهم ألا يتخصص أحد بأكل شيء وقيره يراه ، بل يشركه به في أكله . والزمهم ألا يتميز أحد منهم بالشبع على أصحابه ، ولا يتخطى أحد قارا ولا مائنة ولا الطبق الذي يؤكل عليه ، وأن من مر بقوم وهم يأكلون فله أن يتزل ويأكل معهم من غير إغصم وليس لأحد منه .

والزمهم ألا يدخل أحد منهم يده في للاء ولكنه يتاوله للاء بشيء يشتره به ، ومنهم من قبل ليأبهم بل يتسولها حتى قبل ، ومنع

فان يملكه حقه ، فله حقه .

أن يقال شيء أنه ليس ، وقال جميع الأشياء ظاهرة ، ولم يفرق بين ظاهر وليس .

والزمهم ألا يتصحبوا شيء من المذاهب ، ومنهم من تطعيم الألسان ووضع الألقاب ، وأنا يخاطب السلطان ومن قومه وليس بأسه

والزم القائم بمده يرضى الساكر وأسلحتها إذا أرادوا الخروج إلى القتال ، وأنه يرضى كل ما سائر به منكره ، ويظهر حتى الأبرة والبط ، لمن وجده قد قصر في شيء مما يحتاج إليه عند مرضه إياه عاقبه ، وألزم لساء الساكر بالقيام بما على الرجال من السخر والكلك ، في مدة ليستم في القتال ، وجعل على الساكر إذا قنعت من القتال كتفة يقومون بها للسلطان ويؤدونها إليه .

والزمهم عند رأس كل سنة يرضى سائر بناتهم الأبنكار على السلطان ليختار منهن لنفسه وأولاده . ورب لساكره أمراء ، وجعلهم أمراء الوف ، وأمراء منين ، وأمراء عشراوات . وشرع أن أكبر الأمراء إذا أذنب وبث إليه الملك أخس من عده حتى يعاقبه ، فانه يلقى نفسه إلى الأرض بين يدي الرسول وهو ذليل خاضع ، حتى يمضي فيه ما أمر به الملك من العقوبة ولو كانت بذهب نفسه .

والزمهم ألا يتردد الأمراء لغير الملك ، فمن تردد منهم لغير الملك قتل ، ومن تغير عن موضعه الذي يرسم له بشير اذن قتل ، والزم السلطان بإقامة البريد حتى يعرف أخبار مملكته بسرعة .

وجعل حكم الياقة لولده جتاي بن جنكز خان . فلما مات التزم من بعده من أولاده

والياهم حكم الياقة كالتزام أول المسلمين حكم القرآن ، وجعلوا ذلك دينا لم يعرف عن أحد منهم مخالفته بوجه .

فلما كثرت وقائع التشر في بلاد المشرق والممال وبلاد القبايق ، وأسروا كثيرا منهم وباعوهم ، تنقلوا في الأقطار . واشترى الملك الصالح نجم الدين أيوب جماعة منهم بساهم البحرية ، ومنهم من ملك ديار مصر ، وأولهم المغز أيك . ثم كانت لقطر معهم الواقعة للشمورة على عين جالوت ، وهزم التار وأسر منهم خلقا كثيرا صاروا بمصر والشام .

ثم كثرت الوافدية في أيام الملك الظاهر بمرس وملأوا مصر والشام ، وخطب للملك بركة بن يوشى بن جنكز خان على منابر مصر والشام والحرمين . ففقت أرض مصر والشام بطوائف المغفل ، وانتشرت عاداتهم بها وطرائقهم . وهذا وملوك مصر وأسراؤها وعساكرها قد ملئت قلوبهم رعبا من جنكز خان وبنيه ، وامتزج بلحمهم ودمهم مهاتهم وتميلهم .

وكانوا انما ربوا بدار الاسلام ، ولقنوا القرآن ، وعرفوا أحكام الملة المحمدية فجمعوا بين الحق والباطل ، وضموا الجيد إلى الرديء ، وفوضوا لقاضي القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وناطوا به أمر الأوقاف والأيتام ، وجعلوا إليه النظر في الأقضية الشرعية ، كنداعى الزوجين وأرباب الديون ونحو ذلك .

واحتاجوا في ذات أنفسهم إلى الرجوع لعادة جنكز خان ، والاقتداء بحكم الياقة .

فلذلك نصبوا الحاجب ليقضى بينهم فيما اختلصوا فيه من عوايدهم ، والأخذ على يد قويمهم وانصاف الضعيف منه ، على مقتضى ما في الياقة . وجعلوا إليه مع ذلك النظر في قضايا الدواوين السلطانية ، عند الاختلاف في أمور الأقطاعات ، لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الديوان وقواعد الحساب ، وكان من أجل القواعد وأفضلها . حتى تحكم القبط في الأموال وخراج الأراضي ، فشرعوا في الديوان ما لم يأذن به الله تعالى ، ليصير لهم ذلك سبيلا إلى أكل مال الله تعالى بغير حقه . وكان مع ذلك يحتاج الحاجب إلى مراجعة النائب أو السلطان في معظم الأمور .

هذا وستر الحياء يومئذ مسدول ، وظل العدل صاف ، وجناب الشريعة محترم ، وناموس الحشمة مهاب . فلا يكاد أحد أن يزيع عن الحق ، ولا يخرج عن قضية الحياء ، أن لم يكن له وازع من دين ، كان له فاه من عقل . ثم تقلص ظل العدل ، وسفرت أوجه الفجور ، وكثر الجور أنياه ، وقلت المبالاة وذهب الحياء والحشمة من الناس ، حتى فعل من شاء ما شاء . وتملت منذ عهد المعن التي كانت في سنة ست وثلاثمائة الحجاب ، وهتكوا الحرمه وتحكموا بالجور تحكما خفى معه نور الهدى ، وتسلطوا على الناس مقنا من الله لأهل مصر وعقوبة لهم بما كسبت أيديهم ... ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون .

وكان أول ما حكم الحجاب ، في الدولة التركية بين الناس بمصر ، أن السلطان الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون ،

استثنى الأمير شمس الدين آق منقري الناصري نائب طرابلس ليوه نيابة السلطة بديار مصر ، عوضا عن الأمير سيف الدين ينفوا ، أميرا حليبا كبيرا يحكم بين الناس ، فقطع عليه في جنادي الأولى سنة ست وأربعين وسبعمائة . فحكم بين الناس كما كان نائب السلطة يحكم ، وجلس بين يديه موقعان من موقعي السلطان لمكتابة الولاية بالأعمال ونحوهم . فاستمر ذلك . ثم رسم في جنادي الآخرة منها أن يكون الأمير رسلان يصل حاجبا مع ينفوا يحكم بالقاهرة ، على عادة الحجاب .

فلما انقضت دولة الكامل بأخيه الملك المنصور حاجي بن محمد ، استقر الأمير سيف الدين أرقطاي نائب السلطة ، فعاد أمر الحجاب إلى العادة القديمة . إلى أن كانت ولاية الأمير سيف الدين جرجي الحجابة ، في أيام السلطان الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون ، فرسم له أن يتحدث في أرباب الديون وفصلهم من غرمائهم بأحكام السياسة . ولم تكن عادة الحجاب فيما تقدم أن يحكموا في الأمور الشرعية .

وكان سبب ذلك وقوف تجار المعجم للسلطان بدار العدل في أثناء سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وذكروا أنهم ما خرجوا من بلادهم إلا لكثرة ما ظلمهم التار وجاروا عليهم ، وأن التجار بالقاهرة اشتروا منهم عدة بضائع وأكلوا أثمانها ، ثم هم يشتون على يد القاضي الحنفي لصغارهم وهم في سجنه ، وقد أفلس بعضهم .

(٤٨) من ٢٢١ ج ٢ ، طبع في ١٩٠٤ .

فرسم الأمير جرجي بإخراج غرمائهم من السجن ، وخلاص ما في قبلمهم للتجار ، وانكر على قاضي القضاة جمال الدين عبد الله التركماني الحنفي ما عمله ، ومنع من التحدث في أمر التجار والمدينين ، فأخرج جرجي غرماء التجار من السجن ، وعاقبهم ، حتى أخذ للتجار أموالهم منهم شيئا بعد شيء . وتمكن الحجاب من حينئذ من التحكم على الناس بما شاءوا .

« أمير جانداز » : موضوع أمير جانداز المسلم لباب السلطان ، ولرؤية البردارية ، وطوائف الركابية ، والحرامية ، والجندارية . وهو الذي يقدم البريد إذا قدم مع الدوادار وكتب السر ، وإذا أراد السلطان تقرير أحد من الأمراء على شيء أو قتله بذنب كان ذلك على يد أمير جانداز . وهو أيضا المسلم للزودخانة ، وكانت أرفع الجون قدرا ومن اعتقل بها لا تطول مدته بها ، بل يقتل أو يخلى سبيله . وهو الذي يدور بالزفة حول السلطان في سفره مساء وصباحا .

« الأستاذار » : إليه أمر البيوت السلطانية كلها ، من المطابخ والشراب خانات والخاشية والعلمدان ، وهو الذي كان يمشي بطلب السلطان في الرحلات والأسفار ، وله الحكم في غلمان السلطان وباب داره ، وإليه أمور الجاشنكيرية — وإن كان كبيرهم نظيره في الأمرة من ذوي المئين — وله أيضا الحديث المطلق والتصرف التام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت من بيوت السلطان من النفقات والكساوي وما يجري مجرى ذلك .

ولم تزل رتبة الأستاذار على ذلك . حتى كانت أيام الظاهر برقوق ، فأقام الأمير جمال

الدين محمود بن علي بن أصغر عنه أستاذارا ، وناط به تدبير أموال المملكة . فتصرف في جميع ما يرجع إلى أمر الوزير وناظر الخايم ، وصاروا يترددان إلى بابه ، ومضيان الأمور برأيه .

فجئت من حينئذ رتبة الأستاذار بحيث أنه صار في معنى ما كان فيه الوزير في أيام الخلفاء ... سيما إذا اعتبرت حال الأمير جمال الدين يوسف الأستاذار في أيام الناصر فرج ابن برقوق ، كما ذكرناه عند ذكر المدارس من هذا الكتاب ، فأنك تجده إنما كان كالوزير العظيم لمعوم تصرفه ، وتقوذا أمره في سائر أحوال المملكة . واستمر ذلك لمن ولي الأستاذارية من بعده ، والأمر على هذا إلى اليوم .

« أمير سلاح » : هذا الأمير هو مقدم السلاحدارية ، والمتولى لحمل سلاح السلطان في الجامع الجامعة ، وهو المتحدث في السلاح خاناته وما يستعمل بها وما يقدم إليها ويطلق منها ، وهو أبدا من أمراء المئين .

« الدوادار » : ومن عادة الدولة أن يكون بها من أمرائها من يقال له الدوادار . وموضوعه لتبليغ الرسائل عن السلطان ، وإبلاغ عامة الأمور ، وتقديم القصص إلى السلطان ، والمشاورة على من يحضر إلى الباب وتقديم البريد هو وأمر جانداز وكتاب السر . وهو الذي يقدم إلى السلطان كل ما تؤخذ عليه العلامة السلطانية في المناشير والتواقيع والكتب ، وكان يخرج عن السلطان برسوم ما يكتب ، فيعين رسالته في المرسوم .

واختلفت آراء ملوك الترك في الدوادار : فتارة كان من أمراء العشاوات والطلخانات ، وتارة كان من أمراء الألوف .

فلما كانت أيام الأشرف شعبان بن حسين ابن محمد بن قلاوون ، ولي الأمير أقتسر الحنفي وظيفة الدوادارية — وكان عظيما في الدولة — فصار يخرج المراسيم السلطانية بغير مشاورة كما يخرج نائب السلطة ، وبين في المرسوم إذ ذاك أنه كتب برسالة . ثم نقل إلى نيابة السلطة ، وأقام الأشرف عوضه الأمير طاش تمر الدوادار ، وجعله من أكبر أمراء الألوف . فاقتردى به الملك الظاهر برقوق ، وجعل الأمير يونس الدوادار من أكبر أمراء الألوف . فعظمت منزلته ، وقويت مهابته .

ثم لما عادت الدولة الظاهرية بعد زوالها ، ولي الدوادارية الأمير بوما ، فتحكم تحكما زائدا عن المعهود في الدوادارية ، وتصرف كصرف النواب ، وولى وعزل ، وحكم في التقاضيا المعضلة . فصار ذلك من بعده عادة لمن ولي الدوادارية ... سيما لما ولي الأمير يشبك والأمير حكم الدوادارية في أيام الناصر فرج ، فأنهما تحكما في جليل أمور الدولة وحقيرها من المال والبريد والأحكام والعزل والولاية . وما برح الحال على هذا في الأيام الناصرية ، وكذلك الحال في الأيام المؤيدية بقارب ذلك .

« نقابة الجيوش » : هذه الرتبة كانت في الدولة التركية من الرتب الجليلة ، ويكون متوليها كأحد الحجاب الصغار ، وله تعلية

(٤٩) من ٢٢٢ ج ٢ ، طبع في ١٩٠٤ .

الجند في عرسهم ، ومعه يمشى النقباء . فإذا طلب السلطان أو النائب أو حاجب الحجاب أميرا أو جنديا ، كان هو المخاطب في الأرسال إليه ، وهو المألوم بإحضاره . وإذا أمر أحد منهم بالترسيم على أمير أو جندي ، كان تقيب الجيش هو الذي يرسم عليه . وكان من رسمه أنه هو الذي يمشى بالحراسة السلطانية في الموكب حالة الرحلة وفي مدة السفر .

ثم انحلت اليوم هذه الرتبة ، وصار تقيب الجيش عبارة عن كبير من النقباء المعدين لترويع خلق الله تعالى ، وأخذ أموالهم بالباطل على سبيل القهر عند طلب أحد إلى باب الحاجب . ويضيفون إلى أكلهم أموال الناس بالباطل افتراءهم على الله تعالى بالكذب ، فيقولون على المال الذي يأخذونه باطلا : هذا حق الطريق ... والويل لمن نازعهم في ذلك . وهم أحد أسباب خراب الأقليم ، كما بين في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الأسباب التي أوجبت خراب الأقليم .

« الولاية » : وهي التي يسميها السلف الشرطة ، وبعضهم يقول صاحب العسس . والعسس : الطواف بالليل لتبج أهل الرب ، يقول : عس يعس عا وعسا . وأول من عس بالليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أمره أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعس المدينة .

خرج أبو داود ، عن الأعشى ، عن زيد قال : أتى عبد الله بن مسعود فقبل له : هذا فلان تقطر لحيته خمرًا ، فقال عبد الله رضي الله عنه : أنا قد نهينا عن التجسس ، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به .

وذكر الثعلبي عن زيد بن وهب أنه قال : قيل لابن مسعود رضي الله عنه : هل لك في الوليد بن عتبة تقطر لحيته خمرًا ؟ فقال : أنا قد نهينا عن التجسس ، فإن ظهر لنا شيء نأخذ به .

وكان عمر رضي الله عنه يتولى في خلافته العسس بنفسه ، ومعه مولاة أسلم رضي الله عنه ، وكان ربما استصحب معه عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه .

« قاعة صاحب » : وكانت وظيفة الوزارة أجل رتب أرباب الأقلام ، لأن متوليها ثاني السلطان إذا أنصف وعرف حقه . إلا أن ملوك الدولة التركية قدموا رتبة النيابة على الوزارة ، فتأخرت الوزارة حتى قعد بها مكانها ، ووليها في الدولة التركية أناس من أرباب السيوف وأناس من أرباب الأقلام ، فصار الوزير إذا كان من أرباب الأقلام يطلق عليه اسم صاحب ، بخلاف ما إذا كان من أرباب السيوف فإنه لا يقال له صاحب .

وأصل هذه الكلمة في إطلاقها على الوزير أن الوزير اسماعيل بن عباد كان يصحب مؤيد الدولة أبا منصور بويه بن ركن الدولة الحسن ابن بويه الديلمي صاحب بلاد الري . وكان مؤيد الدولة شديد الميل إليه والمحبة له فسماه صاحب ، وكان الوزير حينئذ أبو الفتح علي بن العميد يعاذه لشدة تمكنه من مؤيد الدولة ، فتلقب الوزراء بعد ابن عباد بالصاحب . ولا أعلم أحدا من وزراء خلفاء بني العباس ، ولا وزراء الخلفاء الفاطميين ، قيل له صاحب .

وقد جمعت في وزراء الإسلام كتابا جليل القدر ، وأفردت وزراء مصر في تصنيف بديع . والذي أعرف أن الوزير صفى الدين عبد الله بن شكر ، وزير العادل والكامل من ملوك مصر من بني أيوب ، كان يقال له صاحب ، وكذلك من بعده من وزراء مصر إلى اليوم .

وكان وضع الوزير أنه أقيم لنفاذ كلمة السلطان وتتمام تصرفه . غير أنها انحطت عن ذلك بنبابة السلطنة ، ثم انقسم ما كان للوزير إلى ثلاثة : هم الناظر في المال ، وناظر الخاص ، وكاتب السرفانه يوقع في دار العدل ما كان يوقع فيه الوزير بمشاورة واستقلال .

ثم ثلاثت الوزارة في أيام الظاهر برقوق بها أحدثه من الديوان المفرد . وذلك أنه لما ولي السلطنة أفرد إقطاعه لما كان أميرا قبل سلطنته ، وجعل له ديوانا سماه الديوان المفرد ، وأقام فيه ناظرا وشاهدين وكتابا ، وجعل مرجع هذا الديوان إلى الأستاذار ، وصرف ما يتحصل منه في جوامك ممالك استجدها شيئا بعد شيء حتى بلغت خمسة آلاف مملوك ، وأضاف إلى هذا الديوان كثيرا من أعمال الديار المصرية .

وبذلك قوى جانب الأستاذار ، وضعفت الوزارة ، حتى صار الوزير قصارى نظره التحدث في أمر المكوس ، فيستخرجها من جهاتها ، ويصرفها في ثمن اللحم وحوائج المطبخ وغير ذلك .

ولقد كان الوزير صاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى يقول : الوزارة اليوم

عبارة عن حوايج كاش غش يشتري اللحم والعطب وحوایج الطعام ، وناظر الخاص غلام صلف يشتري الحرير والصوف والتصانيف والسنباج ، وأما ما كان للوزراء وناظر الخاص في القديم فقد بطل .

ولقد صدق فيما قال ، فإن الأمر على هذا . وما رأينا الوزارة من بعد انحطاط رتبها يرتفع قدر متوليها إلا إذا أضيفت إلى الاستدارية ، كما وقع للأمير جمال الدين يوسف الأستاذار والأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبي الفرج . وأما من ولي الوزارة بمفردها ، سيما من أرباب الأقلام ، فأنما هو كاتب كبير يتردد ليلا ونهارا إلى باب الأستاذار ، ويتصرف بأمره ونهيه .

وحقيقة الوزارة اليوم * أنها انقسمت بين أربعة ، وهم : كاتب السر ، والأستاذار ، وناظر الخاص ، والوزير .

فأخذ كاتب السر من الوزارة التوقيع على القصص بالولايات ، والعزل ونحو ذلك في دار العدل وفي داره .

وأخذ الأستاذار التصرف في نواحي أرض مصر ، والتحدث في الدواوين السلطانية ، وفي كشف الأقاليم وولاية النواحي ، وفي كثير من أمور أرباب الوظائف .

وأخذ ناظر الخاص جانبا كبيرا من الأموال الديوانية السلطانية ليصرفها في تعلقات الخزانة السلطانية .

وبقي للوزير شيء يسير جدا من النواحي ، والتحدث في المكوس وبعض الدواوين ،

(*) من ٢٢٢ ج ٢ ، ط ١ ، بولاق .

ومصارف المطبخ السلطاني والسواقي ، وأشياء أخرى . وإلى مرجع ناظر الدولة ، وشاد الدواوين ، وناظر بيت المال ، وناظر الأهراء ، ومستوفي الدولة ، وناظر الجهات . وأما ناظر البيوت وناظر الاصطبلات فإن أمرها يرجع إلى غيره . والله أعلم .

« نظر الدولة » : هذه الوظيفة يقال لتوليها ناظر النظار ، ويقال له ناظر المال ، وهو يعرف اليوم بـ ناظر الدولة ، وتلى رتبته رتبة الوزارة . فإذا غاب الوزير ، أو تعطلت الوزارة من وزير ، قام ناظر الدولة بتدبير الدولة ، وتقدم إلى شاد الدواوين بتحصيل الأموال وصرفها في النفقات والكلف .

واقصر الملك الناصر محمد بن قلاوون على ناظر الدولة مدة أعوام من غير تولية وزير ، ومضى أمور الدولة على ذلك حتى مات .

ولا بد أن يكون مع ناظر الدولة مستوفون يضبطون كليات المملكة وجزئياتها . ورأس المستوفين مستوفي الصحة ، وهو يتحدث في سائر المملكة مصرا وشاما ، ويكتب مراسيم يعلم عليها السلطان : فتكون تارة بما يعمل في البلاد ، وتارة بالاطلاقات ، وتارة باستخدام كتاب في صفار الأعمال ، ومن هذا النحو وما يجري مجراه ، وهي وظيفة جليلة تلى نظر الدولة . وبقية المستوفين كل منهم حديثة مقيد لا يتعدى حديثه قطرا من أقطار المملكة .

وهذا الديوان — أعني ديوان النظر — هو أرفع دواوين المال ، وفيه ثبت التواقيع والمراسيم السلطانية ، وكل ديوان من دواوين

المال إنما هو فرع هذا الديوان ، وإلى يرفع حابه وتناهى أسبابه ، وإلى يرجع أمر الاستيثار الذي يشتمل على أرزاق ذوى الأقاليم وغيرهم مياومة ومشاهرة ومسانة من الرواتب .

وكانت أرزاق ذوى الأقاليم مشاهرة من مبلغ عين وغلة ، وكان لأعيانهم الرواتب الجارية في اليوم من اللحم بتوايله أو غير توايله ، والخبز والعليق لدوابهم ، وكان لأكابرهم السكر والشمع والزيت والكسوة في كل سنة والأضحية ، وفي شهر رمضان السكر والحلوى .

وأكثرهم نصيبا الوزير ، وكان معلومه في الشهر مائتين وخمسين دينارا جيشية ، مع الأصناف المذكورة والغلة وتبلغ نظير المعلوم ، ثم ما دون ذلك من المعلوم لمن عدا الوزير ، وما دون دونه . وكان معلوم القضاة والعلماء أكثره خسون دينارا في كل شهر ، مضافا لما ييدهم من المدارس التي يستدرون من أوقافها .

وكان أيضا يصرف على سبيل الصدقات الجارية والرواتب الدارة على جهات ما بين مبلغ وغلة وخبز ولحم وزيت وكسوة وشعير ... هذا سوى الأرض من النواحي التي يعرف المرتب عليها بالأرزاق الأجاسية .

وكانوا يتوارثون هذه المرتبات ابنًا عن أب ، وورثها الأخ عن أخيه ، وابن العم عن ابن العم ... بحيث إن كثيرا ممن مات ، وخرج إداره من مرتبه لأجنبي ، لما جاء قريبه وقدم قصته يذكر فيها أولوته بما كان لقريبه ، أعيد إليه ذلك المرتب ممن كان خرج باسمه .

« نظر البيوت » : كان من الوظائف الجليلة ، وهي وظيفة متوليها منوط بالاستادار فكل ما يتحدث فيه أستاذار السلطان فإنه يشاركه في التحدث ، وهذا كان أيام كون الأستاذاد ونظره لا يتعدى بيوت السلطان وما تقدم ذكره . فأما منذ عظم قدر الأستاذاد وتعدت كلمته في جمهور أموال الدولة ، فإن نظر البيوت اليوم شيء لا معنى له .

« نظر بيت المال » : كان وظيفة جليلة معتبرة . وموضوع متوليها التحدث في حصول المملكة مصرا وشاما إلى بيت المال بقلعة الجبل ، وفي صرف ما ينصرف منه تارة بالوزن وتارة بالتسبيب بالأقاليم .

وكان أبدا يصعد ناظر بيت المال ، ومعه شهود بيت المال وصيرفي بيت المال وكاتب المال ، إلى قلعة الجبل . ويجلس في بيت المال فيكون له هناك أمر ونهى وحال جليلة ، لكثرة الحمول الواردة ، وخروج الأموال المصروفة في الرواتب لأهل الدولة . وكانت أمرا عظيما بحيث أنها بلغت في السنة نحو أربعمئة ألف دينار .

وكان لا يلى نظر بيت المال إلا من هو من ذوى العدالات المبرزة . ثم تلاشى المال وبيت المال ، وذهب الاسم والمسمى ، ولا يعرف اليوم بيت المال من القلعة ، ولا يدري ناظر بيت المال من هو .

« نظر الاصطبلات » : هذه الوظيفة جليلة القدر إلى اليوم . وموضوعها الحديث في أموال الاصطبلات والمناسبات وعليقها ، وأرزاق من فيها من المستخدمين ، وما بها

من الاستعمالات والاطلاق ، وكل ما يتنازع لها أو يتنازع بها . وأول من استجدها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وهو أول من زاد في رتبة أميرأخور ، واعتنى بالأوجاقية والعرب الركابة .

وكان أبوه المنصور قلاوون يرغب في خيل برقة أكثر من خيل العرب ، ولا يعرف عنه أنه اشتري فرسا بأكثر من خمسة آلاف درهم ، وكان يقول : خيل برقة نافعة ، وخيل العرب زينة ... بخلاف الناصر محمد ، فإنه شغف باستدعاء الخيول من عرب آل مهنا وآل فضل وغيرهم ، وبسببها كان يبالغ في إكرام العرب ، ويرغبهم في أمان خيولهم حتى خرج عن الحد في ذلك .

فكثرت رغبة آل مهنا وغيرهم في طلب خيول من عداهم من العربان ، وتتبعوا عناق الخيل من مظانها ، وسمحوا بدفع الأثمان الزائدة على قيمتها ، حتى أتتهم طوائف العرب بكرائم خيولهم . فتمكنت آل مهنا من السلطان ، وبلغوا في أيامه الرتب العلية . وكان لا يحب خيول برقة ، وإذا أخذ منها شيئا أعده للفرقة على الأمراء البرانيين ، ولا يسمح بخيول آل مهنا إلا لأعز الأمراء وأقرب الخاصكية منها .

وكان جيد المعرفة بالخيل شياتها وأنسابها ، لا يزال يذكر أسماء من أحضرها إليه ومبلغ ثمنها . فلما اشتهر عنه ذلك ، جلب إليه أهل البحرين والحساء والتطيف وأهل الحجاز والعراق كرائم خيولهم ، فدفع لهم في الفرس من عشرة آلاف درهم إلى عشرين إلى ثلاثين

الف درهم ٥ عنها ألف وتخمسة مائة مثقال من الذهب ... سوى ما ينجم به على مالكة من الثياب الفاخرة له ولنساءه ، ومن السكر ولحمه ، فلم يبق طائفة من العرب حتى قادت اليه عتاق خيلها .

وبلغ من رغبة السلطان فيها أنه صرف في أنسابها دفعة واحدة ، من جهة كريم الدين لأظرف الخاص ، ألف ألف درهم في يوم واحد ، وتكرر هذا منه غير مرة ، وبلغ ثمن الفرس الواحد من خيول آل مهنا الستين ألف درهم والسبعين ألف درهم ، واشترى كثيرا من الحجور بالسائين ألفا والتسعين ألفا ، واشترى بنت الكرشاء بمائة ألف درهم : عنها نخسة آلاف مثقال من الذهب ... هذا سوى الانعامات بالضياع من بلاد الشام .

وكان من عنايته بالخيول لا يزال يتفقد ما ينقصه . فإذا أصيب منها فرس أو كبر سنه ، يمت به إلى الجزار . وتنزى الفحول المعروفة عنده على الحجور بين يديه ، وكتاب الاصطبل تؤرخ تاريخ زوها ، واسم الحصان والحجرة . فتوالدت عنده خيول كثيرة اغتنى بها عن الجلب ، ومع ذلك فلم تكن عنده في منزلة ما يطلب منها . وبهذا ضحكت سعادة آل مهنا ، وكثرت أموالهم وضياعهم ، فمزج جالهم ، وكثر عددهم ، وهابهم من سواهم من العرب .

وبلغت عدة خيول الجشارات في أيامه نحو ثلاثة آلاف فرس ، وكان يعرضها في كل سنة ويدخل أولادها بين يديه ، ويصلها للعربان الركابة ، وينجم على الأمراء الخاصكية

بأكثرها ، ويحبج بها ، ويقول : هذه فلانة بنت فلان ، وهذا فلان ابن فلانة ، وعمره كذا ، وشراء أم هذا كذا وكذا .

كان لا يزال يؤكد على الأمراء في تفسير الخيول ، ويلزم كل أمير أن يضر أربعة أفراس ، ويتقدم لامير اخور أن يضر للسلطان عدة منها ، ويوصيه بكتمان خبرها ، ثم يشيع أنها لا يدغمش أمير اخور ، ويرسلها مع الخيل في حلبة السباق خشية أن يسبقها فرس أحد من الأمراء فلا يحتمل ذلك ، فانه ممن لا يطيق شيئا ينقص ملكه . وكان السباق في كل سنة بيدان القبق ينزل بنفسه ، وتلحظ الأمراء بخيولها المضرة ، فيجريها وهو على فرسه حتى تنقضي نوبها . وكانت عدتها مائة وخسين فرسا فما فوقها .

فاثق أنه كان عند الأمير قتلوبغا الفخرى حصان أدهم سبق خيل مصر كلها في ثلاث سنين متوالية أيام السباق ، وبعث إليه الأمير مهنا فرسا شهباء على أنها أن سبقت خيل مصر فهي للسلطان ، وإن سبقتها فرس ردت إليه ، ولا يركبها عند السباق إلا بدوى قادها .

فركب السلطان للسباق في أمرائه على عادته ، ووقف معه سليمان وموسى ابنا مهنا ، وأرسلت الخيول من بركة الحاج على عادتها ، وفيها فرس مهنا ، وقد ركبها البدوى عربا بغير سرج . فأقبلت سائر الخيول تتبعها حتى وصلت المدى ، وهي عري بغير سرج ، والبدوى عليها بقميص وطاقي . فلما وقفت بين يدي السلطان ، صاح البدوى : السعادة لك اليوم يا مهنا ، لا شقيت .

فشق على السلطان أن خيله سبقت ، وبطل التفسير من خيله . وصارت الأمراء تفسر على عادتها .

ومات الناصر محمد عن أربعة آلاف وثمانمائة فرس ، وترك زيادة على خمسة آلاف من الهجن الأصائل والنسوق المهرجات والقرشيات سوى أتباعها ، وبطل بمده السباق .

فلما كانت أيام الظاهر برقوق ، غنى بالخيول أيضا . ومات عن سبعة آلاف فرس ، وخمسة عشر ألف جبل .

« ديوان الانشاء » : وكان بجوار قاعة المصاحب بقلة الجبل ديوان الانشاء . يجلس فيه كاتب السر ، وعنده موقعو الدرج وموقعو الدست ، في أيام المواكب طول النهار ، ويحمل اليهم من المطبخ السلطاني المطاعم .

وكانت الكتب الواردة ، وتعلق ما يكتب من الباب السلطاني ، موضوعه بهذه القاعة . وأنا جلست بها عند القاضي بدر الدين محمد ابن فضل الله العمري ، أيام مباشرتي التوقيع السلطاني ، إلى نحو السبعين والسبعمائة .

فلما زالت دولة الظاهر برقوق ثم عادت ، اختلت أمور كثيرة ، منها أمر قاعة الانشاء بالقلمة ، وهجرت ، وأخذ ما كان فيها من الأوراق ويبيع بالقنطار ، ونسى رسمها .

وكتابة السر رتبة قديمة ، ولها أصل في السنة . فقد خرج أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، في

(*) من ٢٢٥ : ٢٢٦ ط ٢٥٠ بولاق

كتاب « المصاحف » ، من حديث الأعمش : من ثابت بن عبيد ، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما تأتيني كتب لا أحب أن يقر كل أحد ، فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرية » (أو قال السريانية) .

فقلت : نعم .

قال : فتعلمتها في سبع عشرة ليلة .

ولم يزال خلفاء الاسلام يختارون لكتابة سرهم الواحد بعد الواحد . وكان موضوع كتابة السر في الدولة التركية ، على ما استقر عليه الأمر في أيام الناصر محمد بن قلاوون ، أن لتوليها - المسمى بكتاب السر ، وبصاحب ديوان الانشاء ، ومن الناس من يقول فاعل ديوان الانشاء - قراءة الكتب الواردة على السلطان ، وكتابة أجوبتها اما بخطه ، أو بخط كاتب الدست أو كتاب الدرج ، بحسب الحال .

وله تفسير الأجوبة بعد أخذ علامة السلطان عليها ، وله تصرف المراسيم ورودا وصدورا ، وله الجلوس بين يدي السلطان بدار العدل لقراءة القصص ، والتوقيع عليها بخطه في المجلس . فصار يوقع فيما كان يوقع عليه بقلم الوزارة ، وصار إليه التحدث في مجلس السلطان عند عقد المشورة ، وعند اجتماع الحكام لفصل أمر مهم ، وله التوسط بين الأمراء والسلطان فيما ينسب إليه عند الاختلاف أو التدبير ، وإليه ترجع أمور القضاة ومشايخ العلم ونحوهم في سائر المملكة مصرا وشاما ، فينضى من أمورهم ما

أحب ، ورساور السلطان فيما لا بد من مشاورته فيه .

وكانت العادة أن يجلس تحت الوزير . فلما عظم تمكن القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السر من الدولة ، جلس فوق الوزير صاحب سعد الدين ابراهيم البشيرى . فاستمر ذلك لمن بعده .

ورتبة كاتب السر أجل الرتب ، وذلك أنها منترجة من الملك . فان الدولة العباسية صار خلفاؤها فى أول أمرهم ، منذ عهد أبى العباس السفاح الى أيام هارون الرشيد ، يتبدون بأمرهم .

فلما صارت الخلافة الى هارون ، اتقى مقاليد الأمور الى يحيى بن جعفر البرمكى . فصار يحيى يوقع على رقاع الرافعين بخطه فى الولايات ، وإزالة الظلمات ، وإطلاق الأرزاق والعطيات . فجعل لذلك رتبته ، وعظمت من الدولة مكاتته .

وكان هو أول من وقع من وزراء خلفاء بنى العباس ، وصار من بعده من الوزراء يوقعون على القصص كما كان يوقع .

وربما اتفرد رجل بديوان السر وديوان الترسل . ثم أفردت فى آخرات دولة بنى العباس ، واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزراء . وكانوا ينفذون بقاى كتاب الانشاء ، وكبيرهم يدعى رئيس ديوان الانشاء ويطلق عليه تارة صاحب ديوان الانشاء ، وتارة كاتب السر . ومرجع هذا الديوان الى الوزير وكان يقال له الديوان العزيز ، وهو الذى يخاطبه الملوك فى مكاتبات الخلفاء .

وكان فى الدولة السلجوقية يسمى ديوان الانشاء بديوان الطغرا ، واليه ينسب مؤيد الدين الطغراني . والطغرا هى طرة المكتوب ، فيكتب أعلى من البسطة بقلم غليظ القباب الملك . وكانت تقوم عندهم مقام خط السلطان بيده على المناشير والكتب ، ويستغنى بها عن علامة السلطان ، وهى لقطة غارسية .

وفى بلاد المغرب يقال لرئيس ديوان الانشاء صاحب القلم الأعلى . وأما مصر فانه كان بها فى القديم - لما كانت دار اماره - ديوان البريد . ويقال لمثوله صاحب البريد ، واليه مرجع ما يرد من دار الخلافة على أيدي أصحاب البريد من الكتب ، وهو الذى يطالع بأخبار مصر . وكان لأمراء مصر كتاب يشنون عنهم الكتب والرسائل الى الخليفة وغيره .

فلما صارت مصر دار خلافة ، كان القائد جوهر يوقع على قصص الرافعين . الى أن قدم المعز لدين الله فوقع ، وجعل أمر الأموال وما يتعلق بها الى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن ، فوليا أموال الدولة .

ثم فوض المعز بالله أمر الوزارة ليعقوب ابن كلس . فاستبد بجميع أحوال المملكة ، وجرى مجرى يحيى بن جعفر البرمكى ، وكان يوقع ، ومع ذلك ففى أمراء الدولة من يلى البريد . وجرى الأمر فيما بعد على أن الوزراء يوقعون ، وقد يوقع الخليفة بيده .

فلما كانت أيام المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر ، وصرف أبا جعفر محمد بن جعفر بن المغربى عن وزارته ، أفرد له ديوان الانشاء ، فوليه مدة طويلة ، وأدرك أيام أمير

الجوشى بدر الجمالى . وصار يلى ديوان الانشاء بعده الأكابر ، الى أن انقرضت الدولة وهو بيد القاضي الفاضل عبد الرحيم بن على البيالى . فاقترنت بهم الدولة الأيوبية ، ثم الدولة التركية فى ذلك . وصار الأمر على هذا الى اليوم .

وصار متولى رتبة كتابة السر أعظم أهل الدولة ، الا أنه فى الدولة التركية يكون معه من الأمراء واحد يقال له الدوادار ، منزله منزلة صاحب البريد فى الزمن الأول . ومنزلة كاتب السر منزلة صاحب ديوان الانشاء ، الا أنه يتميز بالتوقيع على القصص تارة بمراجعة السلطان ، وتارة بغير مراجعته . فلذلك يحتاج اليه سائر أهل الدولة من أرباب السيوف والأقلام ، ولا يستغنى عن حسن سفارته نائب الشام فمن دونه . وشه الأمر كله .

وأما فى الدولة الأيوبية ، فان كتاب الدرج كانوا فى الدولة الكاملية قليلين جدا ، وكانوا فى غاية الصيانة والنزاهة وقلة الخلطة بالناس . واتفق أن صاحب زين الدين يعقوب ابن الزبير كان من جملتهم ، فسمع الملك الصالح نجم الدين أيوب عنه أنه يحضر فى الساعات ، فصرفه من ديوان الانشاء ، وقال : هذا الديوان لا يحتل مثل هذا .

وكانت العادة الا يحضر كتاب الانشاء الديوان يوم الجمعة . فعرض للملك الصالح فى بعض أيام الجمع شغل مهم ، فطلب بعض الموقعين فلم يجد أحدا منهم ، فقبل له أنهم

(*) ص ٢٢٦ ج ٢ ، طبع بولاق .

لا يحضرون يوم الجمعة ، فقال : استخدموا فى الديوان كاتبنا نصرانيا يقعد يوم الجمعة لهم بطرا . فاستخدم الأمير بن العسال كاتب الدرج لهذا المعنى .

« نظر الجيش » : قد تقدم أنه كان يجلس بالقلعة دواوين الجيش فى أيام الموكب ، وتقدم فى ذكر الاقطاعات وذكر النيابة ما يدل على حال متولى نظر الجيش . ولابد مع ناظر الجيش أن يكون من المستوفين من يضبط كليات المملكة وجزئياتها فى الاقطاعات وغيرها .

« نظر الخاص » : هذه الوظيفة وان كان لها ذكر قديم من عهد الخلفاء الفاطميين ، فان متوليها لم يبلغ من جلالة القدر ما بلغ اليه فى الدولة التركية . وذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما أبطل الوزارة ، وأقام القاضي كريم الدين الكبير فى وظيفة نظير الخاص ، صار متحدثا فيما هو خاص بسال السلطان ... يتحدث فى مجموع الأمر الخاص بنفسه ، وفى القيام بأخذ رأيه فيه . فبقى تحدثه فيه وبسببه كأنه هو الوزير لقربه من السلطان وزيادة تصرفه .

والى ناظر الخاص التحدث فى الخزانة السلطانية ، وكانت بقلمة الجبل ، وكانت كبيرة الوضع لأنها مستودع أموال المملكة . وكان نظر الخزانة منصبا جليلا ... الى أن استحدثت وظيفة نظير الخاص . فضعف أمر نظر الخزانة وأمر الخزانة أيضا ، وصارت تسمى الخزانة الكبرى ، وهو اسم أكبر من مسماه ، ولم يبق بها الا خلع يخلع منها أو

ما يحضر إليها ويصرف أولا فأولا ، وصار نظر الخزانة مضافا الى ناظر الخاص .

وكان الرسم ألا يلى نظر الخزانة الا القضاة أو من يلحق بهم . وما برحت الخزانة بقلمة الجيل حتى عملها الأمير منطاش سجا لمالك الظاهر يرقوق فى سنة تسعين وسبعائة ، فتلاشت من حينئذ ، ونسى أمرها ، وصارت الخلع ونحوها عند ناظر الخاص فى داره .

وكانت لأهل الدولة فى الخلع عوايد ، وهم على ثلاثة أنواع : أرباب السيوف ، والأقلام ، والعلماء . فأما أرباب السيوف فكانت خلع أكابر أمراء المئين الأتلس الأحمر الرومى ، وتحت الأتلس الأصفر الرومى ، وعلى الفوقالى طرز زركش ذهب وتحت سنجاب ، وله سجن من ظاهره مع الغشاء قنيس ، وكلوة زركش بذهب وكلايب ذهب ، وشاش لانس رفيع موصول به فى طرفه حرير أبيض مرقوم بألقاب السلطان ، مع نقوش باهرة من الحرير الملون ، مع منطقة ذهب .

ثم تختلف أحوال المنطقة بحسب مقاديرهم ، فأعلاها ما عمل بين عسدها بواكر وسطى ، ومجنتان بالبلخس والزمرد واللؤلؤ ، ثم ما كان بييكارية واحدة مرصعة ، ثم ما كان بييكارية واحدة غير مرصعة . وأما من تقلد ولاية كبيرة منهم فانه يزاد مينا محلى بذهب يحضر من السلاح خاناه ، ويحليه ناظر الخاص ، ويزاد فرسا مرجا ملجبا بكنبوش ذهب ، والفرس من الاصطبل ، وقشاشه من الركاب خاناه . ومرجع الصل فى سروج الذهب والكنائش الى ناظر الخاص .

وكان رسم صاحب حصة من أعلى هذه الخلع ، ويعطى بدل الشاش اللانس شاش من صل الاسكندرية حرير شبه بالطول ، وينسج بالذهب ، ويصرف بالثر ، ويعطى فرسين أحدهما كما ذكر ، والآخر يكون عوض كنبوش زفارى أتلس أحمر .

وكانت لنائب الشام - على ما استقر فى أيام الناصر محمد بن قلاوون - مثل هذا ، وزيد لتكر تركية زركش ذهب دائرة بالقباء الفوقالى .

ودون هذه الرتبة فى الخلع نوع يسمى طرز وحش ، يعمل بدار الطراز التى كانت بالاسكندرية وبمصر وبدمشق ، وهو مجوخ جاخات كتابة بألقاب السلطان ، وجاخات طرز وحش ، وجاخات ألوان مترجة بقصب مذهب . يفصل بين هذه الجاخات نقوش ، وطراز هذا يكون من القصب ، وربما كبر بعضهم فركب عليه طرازا مزركشا بالذهب ، وعليه فرو سنجاب وقنيس كما تقدم ، وتحت القباء الطرز وحش قباء من المقترح الاسكندراني الطرح ، وكلوة زركش بسكلايب وشاش على ما تقدم ، وحياصة ذهب ، فتارة تكون بييكارية ، وتارة لا يكون بها بييكارية ، وهذه لأصاغر أمراء المئين ومن يلحق بهم .

ودون هذه الرتبة فى الخلع كمخا عليه نقش من لون آخر غير لونه ، وقد يكون من نوع لونه بتفاوت بينهما ، وتحت سنجاب يقنيس ، والبقية كما تقدم ، الا أن الحياصة والشاش لا يكونان بأطراف رقم ، بل تكون مجوخة بأخضر وأصفر مذهب ، والحياصة لا تكون بييكارية .

ودون هذه الرتبة كمخا تكون واحدة بسنجاب مقنيس ، والبقية على ما ذكر ، وتكون الكلوة خفيفة الذهب ، وجانبها يكادان يكونان خالين بالجملة ، ولا حياصة له . ودون هذه الرتبة مجوم لون واحد ، والبقية على ما ذكر ، خلا الكلوة والكلايب . ودون هذه الرتبة مجوم مقنيس ، وهو قباء ملون بجاخات من أحمر وأخضر وأزرق ، وغير ذلك من الألوان ، بسنجاب وقنيس ، وتحت قباء اما أزرق أو أخضر ، وشاش أبيض بأطراف من نسبة ما تقدم ذكره . ثم دون هذا من هذا النوع .

وأما الوزراء والكتاب فأجل ما كانت خلعهم الكمخا الأبيض المطرز برقم حرير ساذج ، وسنجاب مقنيس وتحت كمخا أخضر ، وبقيار كان من عمل دمياط مرقوم وطرحة .

ثم دون هذه الرتبة عدم السنجاب ، بل يكون القنيس بدائر الكمين وطول الفرج ، ودونها ترك الطرحة ، ودونها أن يكون التحتاني مجوما ، ودون هذا أن يكون الفوقاني من الكمخا لكنه غير أبيض ، ودونه أن يكون الفوقاني مجوما أبيض ، ودونه أن يكون تحت عنبى .

وأما القضاة والعلماء فان خلعهم من الصوف بغير طراز ، ولهم الطرحة ، وأجلهم أن يكون أبيض ، وتحت أخضر ، ثم ما دون ذلك .

وكانت العادة أن أهبة الخطباء - وهى السواد - تحمل الى الجوامع من الخزانة ،

(*) من ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٥

والصامحات ، بخير كل ما يساع من الرقيق
الماليك والجواري ، مع ما يسامحون به أيضا
من حقوق أخرى تطلق .

وكل واحد من التجار اذا باع على
السلطان ، ولو راسا واحدا من الرقيق ، فله
خلة مكملة بعجه - خارجا عن الثمن وما
ينعم به عليه أو يسفر به - من مال البيل ،
على سبيل القرض ليتاجر به .

وأما جلابة الخيل من حرب الحجاز والشم
والبحرين وبرة وبلاد المغرب ، فإن لهم الخلع
والروائب والعلوفات والأزوال ورسوم
الاقامات ، خارجا عن مسامحات تكتب لهم
بالمقدرات من تجارة يتجرون بها مما أخذوه من
أثان الخيول .

وكان يشن الفرس بأزيد من قيمته . حتى
ربما بلغ ثمنه على السلطان - الذي يأخذه
مضرة - نظير قيمته عليه عشر مرات ، غير
الخلع وسائر ما ذكر . ولم يبق اليوم سوى
ما يخلع على أرباب الدولة .

وقد استجد في الأيام القاهرة ، وكثر في
أيام الناصر فرج نوع من الخلع - يقال له
الجنة - يلبسه الوزير ونحوه من أرباب
الرب العلية ... جعلوا ذلك ترفعا عن لبس
الخلعة .

ولم تكن الملوك تلبس من الثياب الا
المتوسط ، وتجعل حوائصها بغير ذهب . فلم
تزد حيصة الناصر محمد على مائة درهم
فضة ، ولم يزد أيضا سقط سرجه على مائة
درهم فضة ، على عباءة صوف تدمر أو
شامي .

فلما كانت دولة أولاده بالقوا في الترف ،
وخالفوا فيه عوايد أسلافهم . ثم سلك الظاهر

برقوق في ملابسه بعض ما كان عليه الملوك
الأكابر لا كله ، وترك لبس الحرير .

الميدان بالقلعة : هذا الميدان من بقايا
ميدان أحمد بن طولون الذي تقدم ذكره عند
ذكر القطائع من هذا الكتاب ، ثم بناء الملك
الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب
في سنة إحدى عشرة وستمائة ، وعمر إلى
جانبه بركا ثلاثا لقيه ، وأجرى الماء إليها ،
ثم تعطل هذا الميدان مدة .

فلما قام من بعده ابنه الملك العادل أبو بكر
محمد بن الكامل محمد اهتم به . ثم اهتم به
الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل
اهتماما زائدا ، وجدد له ساقية أخرى ، وألشا
حواله الأشجار ، فجاء من أحسن شيء يكون
إلى أن مات . فتلاشى أمر الميدان بعده ،
وعدمه الملك المنز أيك سنة إحدى وخمسين
وستمائة ، وغفت آثاره .

فلما كانت سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ،
ابتدأ الملك الناصر محمد بن قلاوون صارته ،
فاقتطع من باب الاصطبل إلى قسرب باب
الترافة ، وأحضر جميع جمال الأمراء ، فنقلت
إليه الطين حتى كساه كله وزرعه ، وحفر به
الآبار . وركب عليها السواقي ، وغرس فيه
النخل الفاخر والأشجار المثمرة ، وأدار عليه
هذا السور الحجر الموجود الآن ، وبنى حوضا
للبليل من خارجه .

فلما كمل ذلك نزل إليه ولعب فيه الكرة
مع أمرائه ، وخلع عليهم ، واستمر يلعب فيه
يومى الثلاثاء واليسب ، وصار القصر الأبلق

(١٢٨) ج ٢ ، ط ١٠٠٠ بولاق

يشرف على هذا الميدان ، فجاء ميدانا فسيح
المدي يسافر النظر في أرجائه .

واذا ركب السلطان إليه نزل من درج تلى
قصره الجواني . فينزل السلطان إلى الاصطبل
الخاص ، ثم إلى هذا الميدان ، وهو راكب ،
وخواص الأمراء في خدمته . فيعرض الخيول
في أوقات الاطلاقات ، ويلعب فيه الكرة .
وكان فيه عدة من أنواع الوحوش المستحقة
المنظر ، وكانت تربط به أيضا الخيول الخاصة
للتسلح .

وفي هذا الميدان يصلى السلطان أيضا صلاة
العيد ، ويكون نزوله إليه في يوم العيد
وصعوده من باب خاص من دهليز القصر ،
غير المعتاد النزول منه . فاذا ركب من باب
قصره ، ونزل إلى منفذه من الاصطبل إلى
هذا الميدان ، ينزل في دهليز سلطاني قد ضرب
له على أكمل ما يكون من الأبهة ، فيصلى
ويسمع الخطبة . ثم يركب ويعود إلى الايوان
الكبير ، ويمد به السباط ، ويخلع على حامل
القبة والطيح ، وعلى حامل السلاح والأستادار
والجاشنكير وكثير من أرباب الوظائف .

وكانت العادة أن تعد للسلطان أيضا خلعة
العيد ، على أنه يلبسها كما كانت العادة في
أيام الخلفاء ، فينعم بها على بعض أكابر أمراء
المئين . ولم يزل الحال على هذا إلى أن كانت
سنة ثمانمائة ، فصلى الملك الظاهر برقوق
صلاة عيد النحر بجامع القلعة لتخوفه بعد
وقعة الأمير على باي ، فهجر الميدان .
واستمرت صلاة العيد بجامع القلعة من عامئذ
طول الأيام الناصرية والمؤيدية .

الحوش : ابتدئ العمل فيه ، على أيام
الملك الناصر محمد بن قلاوون ، في سنة ثمان
وثلاثين وسبعمائة . وكان قياسه أربعة
فدادين ، وكان موضعه بركة عظيمة قد قطع
ما فيها من الحجر لعمارة قاعات القلعة حتى
صارت غورا كبيرا .

ولما شرع في العمل رتب على كل أمير من
أمراء المئين مائة رجل ومائة بهيمة لنقل التراب
برسم الردم ، وعلى كل أمير من أمراء
الطبلخاناه بحبه ، وطلب الأمير أقبغا عبيد
الواحد شاد العمل . فحضر من عند كل من
الأمراء أستاذاره ومعه جنده ودوابه للعمل ،
وأحضر الأسارى ، وسخر وإلى القاهرة ووالى
مصر الناس ، وأحضرت رجال النواحي ،
وجلس أستاذار كل أمير في خيمة ، ووزع
العمل عليهم بالأقصاب .

ووقف الأمير أقبغا يستحث الناس في سرعة
العمل ، وصار الملك الناصر يحضر في كل يوم
بنفسه . فقال الناس من العمل ضرر زائد ،
وأحرق أقبغا بجماعة من أمائل الناس ، ومات
كثير من الرجال في العمل ، لشدة العنف
وقوة الحر ، وكان الوقت صيفا . فأنهى عمله
في سنة وثلاثين يوما .

وأحضر إليه من بلاد الصعيد ومن الوجه
البحري ألفى رأس غنم ، وكثيرا من الأبقار
البلق لتوقف في هذا الحوش ، فصار مراح
غنم ومربط بقر . وأجرى الماء إلى هذا الحوش
من القلعة ، وأقام الأغنام حوله .

وتبع في كل سنة المراحات ، من عذاب
وقوص إلى ما دونهما من البلاد ، حتى يؤخذ
ما بهما من الأغنام المختارة ، وجلبها من بلاد

النوبة ومن اليمن . قبلت عدتها بعد موته ثلاثين ألف رأس سوى أتباعها ، وبلغ البقل الأخضر الذي يشتري لبراخ الاو في كل يوم خمسين درهما : عنها زيادة على متقالين من الذهب .

فلما كانت أيام الظاهر برقوق ، عمل المولد النبوي بهذا الحوش في أول ليلة جمعة من شهر ربيع الأول في كل عام . فاذا كان وقت ذلك ضربت خيمة عظيمة بهذا الحوش ، وجلس السلطان وعن يمينه شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقيني ، وولييه ولد شيخ الاسلام ومن دونه ، وعن يسار السلطان الشيخ أبو عبد الله محمد بن سلامة التوزري المغربي ، وولييه قضاة القضاة الأربعة وشيوخ العلم ، ويجلس الأمراء على بعد من السلطان .

فاذا فرغ القراء من قراءة القرآن الكريم ، قام المشدون واحدا بعد واحد - وهم يزيدون على عشرين متندا - فيدفع لكل واحد منهم صرة فيها أربع مائة درهم فضة ، ومن كل أمير من أمراء الدولة شقة حرير . فاذا انقضت صلاة المغرب ، مدت أسطة الأطعمة العائقة فأكلت وحمل ما فيها ، ثم مدت أسطة الحلوى السكرية من الجوارشات والبقائد ونحوها فتوكل وتخطتها الفقهاء . ثم يكون تكميل انشاد المشدين ووعظهم الى نحو ثلث الليل . فاذا فرغ المشدون ، قام القضاة وانصرفوا ، وأقيم السماع بقية الليل . واستمر ذلك مدة أيامه ، ثم أيام ابنه الملك الناصر فرج .

ذكر المياه التي بقلعة الجبل

وجميع مياه القلعة من ماء النيل ، تنقل من موضع الى موضع حتى تمر في جميع ما يحتاج اليه بالقلعة . وقد اعتنى الملوك بعمل السواقي التي تنقل الماء من بحر النيل الى القلعة عناية عظيمة . فأنشأ الملك الناصر محمد ابن قلاوون ، في سنة اثني عشرة وسبع مائة ، أربع سواقي على بحر النيل تنقل الماء الى السور ، ثم من السور الى القلعة . وعمل نقالة من المنح الذي عمله الظاهر بيبرس ، بجوار زاوية تقي الدين وجب ، التي بالرميلة تحت القلعة ، الى بئر الاصطبل .

فلما كانت سنة ثمان وعشرين وسبع مائة ، عزم الملك الناصر على حفر خليج من ناحية حلوان الى الجبل الأحمر المطل على القاهرة ، ليسوق الماء الى الميدان الذي عمله بالقلعة ، ويكون حفر الخليج في الجبل .

فتزل لكشف ذلك ومعه المهندسون ، فجاء قياس الخليج طولاً اثنين وأربعين ألف قصبة ، فيمر الماء فيه من حلوان حتى يحاذي القلعة ، فاذا حاذها ينحني هناك خبايا تحمل الماء الى القلعة ليصير الماء بها غزيراً كثيراً ، دائماً صيفاً وشتاء لا ينقطع ولا يتكلف لحمله ونقله ، ثم يمر من مخاذاة القلعة حتى ينتهي الى الجبل الأحمر ، فيصب من أعلاه الى تلك الأرض حتى تزرع .

وعندما أراد الشروع في ذلك ، طلب الأمير سيف الدين قطلوبك بن قراستقر الجاشنكير ، أحد أمراء الطيلخانة بدمشق ، بعدما فرغ من

(١٨) من ٢٢٩ ج ٢ ط ١٠٠٠٠٠

بناء القناة ، وساق المين الى القدس . فحضر ومعه الصناع الذين عملوا قناة عين بيت المقدس ، على خيل البريد ، الى قلعة الجبل فأزلوا . ثم أقيمت لهم الجرايات والرواتب ، وتوجهوا الى حلوان ، ووزنوا مجرى الماء ، وعادوا الى السلطان ، وصوبوا رأيه فيما قصد ، والتزموا بعمله .

فقال : كم تريدون ؟

قالوا : ثمانين ألف دينار .

فقال : ليس هذا بكثير ... فقال : كم تكون مدة العمل فيه حتى يفرغ ؟

قالوا : عشر سنين . فاستكثر طول المدة .

ويقال ان الفخر ، ناظر الجيش ، هو الذي حزن لهم أن يقولوا هذه المدة ، فانه لم يكن من رأيه عمل هذا الخليج . وما زال يخيل للسلطان ، من كثرة المصروف عليه ومن خراب القرافة ، ما حمله على صرف رأيه عن العمل ، وأعاد قطلوبك والصناع الى دمشق . فصارت قطلوبك عقيب ذلك في سنة تسع وعشرين وسبع مائة في ربيع الأول .

فلما كانت سنة احدى وأربعين وسبع مائة ، اهتم الملك الناصر بسوق الماء الى القلعة وتكثيره بها ، لأجل سقى الأشجار وملء الفساقى ، ولأجل مراحات الغنم والأبقار . فطلب المهندسين والبنائين ، ونزل معهم ، وسار في طول القناطر التي تحمل الماء من النيل الى القلعة حتى انتهى الى الساحل ، فأمر بحفر بئر أخرى ليركب عليها القناطر حتى تصل بالقناطر العتيقة ، فيجتمع الماء من بئرين ،

ويصير ماء واحدا يجري الى القلعة فيسقى الميدان وغيره . فعمل ذلك .

ثم أحب الزيادة في الماء أيضاً ، فركب ومعه المهندسون الى بركة الجيش ، وأمر بحفر خليج صغير يخرج من البحر ، ويمر الى حائط الرصد ، وينقر في الحجر تحت الرصد عشر آبار يصب فيها الخليج المذكور ، ويركب على الآبار السواقي لتنقل الماء الى القناطر العتيقة التي تحمل الماء الى القلعة زيادة لماؤها .

وكان فيما بين أول هذا المكان الذي عين لحفر الخليج ، وبين آخره تحت الرصد ، أملاك كثيرة وعدة بساتين . فندب الأمير أقبغا عبد الواحد لحفر هذا الخليج ، وشراء الأملاك من أربابها . فحفر الخليج ، وأجره في وسط بستان صاحب بهاء الدين بن حنا ، وقطع أنشابه ، وهدم الدور ، وجمع عامة الحجارين لقطع الحجر وتقر الآبار .

وسار السلطان يتعاهد النزول للعمل كل قليل ، فعمل عمق الخليج من فم البحر أربع قصبات ، وعمق كل بئر في الحجر أربعين ذراعاً . فقدر الله تعالى موت الملك الناصر قبل تمام هذا العمل ، فبطل ذلك ، وانظم الخليج بعد ذلك ، وبقيت منه الى اليوم قطعة بجوار رباط الآثار .

وما زالت الحائط قائمة من الحجر في غاية الاتقان من احكام الصنعة وجودة البناء ، عند سطح الجرف الذي يعرف اليوم بالرصد ، قائماً من الأرض في طول الجرف الى أعلاه . حتى هدمه الأمير بلبغا السالمى في سنة اثني عشرة وثمانمائة ، وأخذ ما كان به من الحجر ،

فهرم به القطار التي تصل الى اليوم الماء حتى
يصل الى القطعة . وكانت تعرف بسواقى
السلطان ، فلما هلمت جهل أكثر الناس أمرها ،
ونسوا ذكرها .

« المطبخ » : كان أولا موضعه في مكان
الجامع ، فأدخله السلطان الملك الناصر محمد
ابن قلاوون فيما زاده في الجامع ، وبني هذا
للمطبخ الموجود الآن ، وعمل عقوده بالحجارة
خوفا من الحريق .

وكانت أحوال المطبخ متبعة جدا ... سيما
في سلطنة الأشرف خليل بن قلاوون ، فانه
تيسر في المآكل وغيرها . حتى لقد ذكر
جماعة من الأعيان أنهم أقاموا مدة سفرهم
منه يوسلون كل يوم عشرين درهما ، فيشتري
لهم بها مما يأخذهم الفلماني أربع خوافق
صيني ، مملوءة طعاما مفتخرا بالقلوبيات
ولحونها ، في كل خافقية ما يضيف على خمسة
عشر رطل لحم ، أو عشرة أطيار دجاج سمان .

وبلغ راتب الحوايج خافاه ، في أيام الملك
المادل كيتا ، كل يوم عشرين ألف رطل
لحم ، وراتب السيوت والجرايات غير أرباب
الرواتب في كل يوم سبعمائة اردب قسطا .

واعتبر القاضي شرف الدين عبد الوهاب
النشو ، ناظر الخاص ، أمر المطبخ السلطاني
في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة * فوجد
جدة الدجاج الذي يذبح في كل يوم للسلطان ،
وللخاص التي تخص السلطان ويبحث بها الى
الأمراء سبعمائة طائر ، وبلغ مصروف الحوايج
خافاه في كل يوم ثلاثة عشر ألف درهم .

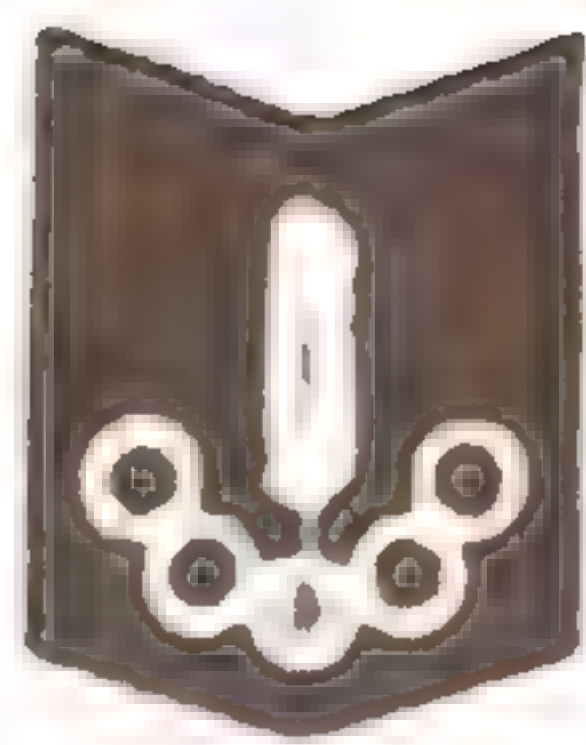
(١٥) من ١٢٠ ج ١ ط . بولاق

فاكثر أولاد الناصر من مصروفها حتى توقفت
أحوال الدولة في أيام الصالح اسماعيل .

وكتب أوراق بكلف الدولة في سنة خمس
وأربعين وسبعمائة ، فبلغت في السنة ثلاثين
ألف ألف درهم ، منها مصروف الحوايج خافاه
في كل يوم اثنان وعشرون ألف درهم . وبلغ
في أيام الناصر محمد بن قلاوون راتب
السكر ، في شهر رمضان خاصة ، ألف قنطار .
ثم تزايد حتى بلغ في شهر رمضان سنة
لخمس وأربعين وسبعمائة ثلاثة آلاف قنطار ،
عنها ستمائة ألف درهم ، عنها ثلاثون ألف
دينار مصرية .

وكان راتب الدور السلطانية ، في كل يوم
من أيام شهر رمضان ، ستين قنطارا من
الحلوى يرسم التفرقة للدور وغيرها . وكانت
الدولة قد توقفت أحوالها ، فوفر من المصروف
في كل يوم أربعة آلاف رطل لحم ، وستمائة
كساجة سيد ، وثلاثمائة اردب من الشعير ،
وبلغ القى درهم في كل شهر . وأضيف الى
ديوان الوزارة سوق الخيل والدواب
والجمال ، وكانت يد عدة أجناد عوضوا عنها
أقطاعات بالنواحي .

واعتبر في سنة ست وأربعين وسبعمائة
متحصل الحاج على الطباخ ، فوجد له على
المعاملين في كل يوم خمسمائة درهم ، ولابنه
أحمد في كل يوم ثلثمائة درهم ... سوى
الأطعمة المفتخرة وغيرها ، وسوى ما كان
يتحصل له في عمل المهمات مع كرتها . ولقد
تحصل له من ثمن الرؤوس والآكارغ وسقط
الدجاج والأوز ، في مهم عمله للأمير بكتمر
الساقى ، ثلاثة وعشرون ألف درهم ، عنها نحو



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأبنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثنى ٦ قروش ولقراء الجمهورية والساء ٣ قروش

خَطُّ الْمَقْرِزِيِّ

٢٥

كتاب
التحرير



كانت مصر هي مسقط رأسي . وطبيب أترابي . ومجمع ناصي . ومفتي عسيري وحماسي ،
وموطن خياصتي وحماسي ، وهجو جوي الذي ربى جناحي في وكري . وعش ماري ، فهو
تهوى الأنفاس غير ذكره . لازلت منذ شذوت العاصم ، وآتاني رب الفطانة والفهم ، أرفب في
معرفة أخبارها ، وأحب لإشراف على الاعتراف من آبارها . وأهوى سادلة الكيان عن مكان ديارها .
تقي الدين أحمد بن علي المقرئ

الفين ومائتي دينار . فأوقعت الحوطة عليه ،
وصودر ، فوجد له خمسة وعشرون دارا على
البحر وفي عدة أماكن .

واعتبر مصروف الحوايج خاناه ، في سنة
ثمان وأربعين وسبعمائة ، فكان في كل يوم
اثنين وعشرين ألف رطل من اللحم .

« أبراج الحمام » : كان بالقلعة أبراج يرسم
الحمام التي تحمل البطائق ، وبلغت عدتها
— على ما ذكره ابن عبد الظاهر في كتاب
تمائم الحمام — الى آخر جمادى الآخرة سنة
سبع وثمانين وستمائة ألف طائر وتسعمائة
طائر ، وكان بها عدة من المقدمين لكل مقدم
منهم جزء معلوم .

وكانت الطيور المذكورة لاتبرح في الأبراج
بالقلعة ، ما عدا طائفة منها فانها في برج
بالبرقية خارج القاهرة ، يعرف ببرج الفيوم ،
رتبه الأمير فخر الدين عثمان بن قزل ، أستاذان
الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر
ابن أيوب ، وقيل له برج الفيوم ، فان جميع
الفيوم كانت في اقطاع ابن قزل ، وكانت
البطائق ترد اليه من الفيوم ، ويبعثها من
القاهرة الى الفيوم من هذا البرج ، فاستمر
هذا البرج يعرف بذلك .

وكان بكل مركز حمام في سائر نواحي
المملكة ، مصرًا وشامًا ، ما بين أسوان الى
الفرات . فلا تحصى عدة ما كان منها في
الثغور والطرق الشامية والمصرية ، وجميعها
تدرج وتنقل من القلعة الى سائر الجهات .

وكان لها بغال الحمل من الاصطبلات
السلطانية ، وجامكيات البراجين والعلوفات
تصرف من الأهراء السلطانية ، فتبلغ النفقة

عليها من الأموال ما لا يحصى كثرة . وكانت
ضريبة العلف لكل مائة طائر ربع وبيسة فول
في كل يوم .

وكانت العادة ألا تحمل البطاقة الا في جناح
الطائر لأمور : منها حفظ البطاقة من المطر ،
وقوة الجناح . ثم انهم عملوا البطاقة في
الذئب .

وكانت العادة اذا بطق من قلعة الجبل الى
الاسكندرية فلا يسرح الطائر الا من منية عقبة
بالجيزة وهي أول المراكز ، واذا سرح الى
الشرقية لا يطلق الا من مسجد تبر خارج
القاهرة ، واذا سرح الى دمياط لا يسرح الا
من ناحية يسوس . وكان يسير مع البراجين
من يوصلهم الى هذه الأماكن من الجاندارية .

وكذلك كانت العادة في كل مملكة يتوخى
الابعاد في التسريح عن مستقر الحمام .
والقصد بذلك أنها لا ترجع الى أبراجها من
قريب . وكان يعمل في الطيور السلطانية
علائم ، وهي داغات في أرجلها أو على مناقيرها
ويسمونها أرباب الملعوب « الاصطلاح » .

وكان الحمام اذا سقط بالبطاقة لا يقطع
البطاقة من الحمام الا السلطان بيده من غير
واسطة . وكانت لهم عناية شديدة بالطائر ،
حتى ان السلطان اذا كان يأكل ، وسقط
الطائر ، لا يمهل حتى يفرغ من الأكل ، بل
يحل البطاقة ويترك الأكل ، وهكذا اذا كان
نائما لا يمهل بل ينبه .

قال ابن عبد الظاهر : وهذا الذي رأينا
عليه ملوكنا ، وكذلك في الموكب وفي لعب
الأكرة ، لأنه بلمحة نفوت ، ولا يستدرك المهم

العظيم ، اما من واصل أو هارب ، واما من
متجند في الثغور .

قال : وينبغي أن تكتب البطائق في ورق
الطير المعروف بذلك ، ورايت الأوائل لا
يكتبون في أولها بسلة ، وتورخ بالساعة
واليوم لا بالسنين ، وأنا أؤرخها بالسنة ، ولا
يكثر في نعوت المخاطب فيها ، ولا يذكر حشو
في الالتقاط ، ولا يكتب الا ب الكلام
وزيدته . ولا بد وأن يكتب « سرح الطائر
ورقيقته » حتى ان تأخر الواحد ترقب حضوره
أو تطلب .

ولا يعمل للبطائق هامش ولا تجمل ،
ويكتب آخرها حيلة ، ولا تكتب الا اذا
كانت منقولة . مثل : أن ترح الى السلطان
من مكان بعيد ، فيكتب لها عنوان لطيف حتى
لا يفتحها أحد . وكل وال تصل اليه يكتب في
ظهرها الها وصلت اليه ونقلها ، حتى تصل
مختومة .

قال : وما شاهدته وتوليت أمره أنه في
شهور سنة ثمان وثمانين وستائة ، حضر من
جهة نائب الصبية ياف وأربعون طائرا صعبة
البراجين ، ووصل كتابه أنه درجها الى مصر .
فاقامت مدة لم يكن شغل تبطن فيه ، فقال
براجوها : قد أرف الوقت عليها في القرصة .

وجرى الحديث مع الأمير ييشار نائب
السلطنة ، فتقرر كتب بطائق على عشرة منها
بوصولها لا غير ، وسرحت يوم أربعاء جميعها
فاتفق وقوع طائرين منها ، فأحضرت بطائقيهما
وحصل الاستمراء بها .

(١٥) ص ١٢١ ج ٢ ، ط . بولاق .

فلما كان بعد مدة وصل كتاب السلطان أنها
وصلت الى الصبية في ذلك اليوم بعينه ،
وبطقت بذلك في ذلك اليوم بعينه الى دمشق ،
ووصل الخبر الى دمشق في يوم واحد .
وهذا مما أفا مضربه وحاضره والمشير به .

قال مؤلفه رحمه الله : قد بطل الحمام من
سائر الملكة الا ما ينقل من قطيا الى بليس ،
ومن بليس الى قلعة الجبل ، ولا تصل بعد
ذلك عن شيء ، وكأني بهذا القدر وقد ذهب .
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ذكر ملوك مصر منذ بنيت قلعة الجبل

اعلم أن الذين ولوا أرض مصر في الملة
الاسلامية على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من ولي بفسطاط مصر منذ
فتح الله تعالى أرض مصر على أيدي العرب ،
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي
عنهم وتابعيهم ، فصارت دار اسلام ، الى أن
قدم القائد أبو الحسين جوهر من بلاد افريقية
بمسافر مولاة المعز لدين الله أبي تميم معذ ،
وبنى القاهرة . وهؤلاء يقال لهم أمراء مصر ،
ومدنتهم ثلاثمائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة
أشهر وستة عشر يوما : أولها يوم الجمعة
مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة ،
وآخرها يوم الاثنين سادس عشر شعبان سنة
ثمان وخسين وثلاثمائة . وعدة هؤلاء الأمراء
مائة واثنا عشر أميراً .

والقسم الثاني : من ولي بالقاهرة منذ بنيت
الى أن مات الامام العاضد لدين الله أبو محمد
عبد الله رحمه الله . وهؤلاء يقال لهم الخلفاء

الفاطميون . ومدنتهم بمصر مائتا سنة وثمانين
سنتين وأربعة أشهر واثمان وعشرون يوما :
أولها يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان
وخسين وثلاثمائة ، وآخرها يوم الأحد عاشر
المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة . وعدة
هؤلاء الخلفاء أحد عشر خليفة .

والقسم الثالث : من ملك مصر بعد موت
العاضد الى وقتنا هذا الذي نحن فيه . ويقال
لهم الملوك والسلاطين ، وهم ثلاثة أقسام :
القسم الأول ملوك بني أيوب ، وهم
أكراد . والقسم الثاني البحرية وأولادهم ،
وهم مناليك أترك لبني أيوب . والقسم الثالث
مناليك أولاد البحرية ، وهم جراكسة .

وقد تقدم في هذا الكتاب ذكر الأمراء
والخلفاء . وستقف ان شاء الله تعالى على
ذكر من ملك من الأكراذ والأترك والجراكسة
وتعرف أخبارهم على ما شرطنا من الاختصار .
اذ قد وضعت لبسط ذلك كتابا سميت كتاب
« السلوك لمعرفة دول الملوك » ، وجردت
تراجمهم في كتاب « التاريخ الكبير المقتضب » .
فتطلبهما تجد فيهما ما لا تحتاج بعده الى
سواهما في معانها .

ذكر من ملك مصر من الأكراذ

اعلم أن الناس قد اختلفوا في الأكراذ .
فذكر المعجم أن الأكراذ فضل طعم الملك
بيوراسف . وذلك أنه كان يأمر أن يذبح له
كل يوم انسان ، ويتخذ طعامه من لحومهما .
وكان له وزير يسمى أرمائل ، وكان يذبح
واحدا ، ويستحيى واحدا ويبيع به الى جبال
فارس . فتوالدوا في الجبال وكثروا .

ومن الناس من الحقهم باماء سليمان بن
داود عليهما السلام حين سلب ملكه ، ووقع
على نسائه المناققات الشيطان الذي يقال له
الجسد ، وعصم الله تعالى منه المؤمنات ،
فعلق منه المناققات .

فلما رد الله تعالى على سليمان عليه السلام
ملكه ، ووضع هؤلاء الاماء الحوامل من
الشيطان قال : اكردوهم الى الجبال والأودية .
فربتهم أمهاتهم ، وتناكحوا وتناسلوا . فذلك
بده لسب الأكراذ .

والأكراذ عند القرس من ولد كرد بن
اسفندام بن منوشهر . وقيل هم ينسبون الى
كرد بن مرد بن عمرو بن صعصعة بن معاوية
ابن بكر ، وقيل هم من ولد عمرو مزقيا بن
عامر بن ماء السماء ، وقيل من بني حامد بن
طارق من بقية أولاد حميد بن زهير بن الحارث
ابن أسد بن عبد العزى بن قصي . وهذه أقوال
الفقهاء لهم ممن أراد الخطوة لديهم لما صار
الملك اليهم .

وانما هم قبيل من قبائل العجم ، وهم قبائل
عديدة : كورانية بنو كوران ، وهذانية ،
وبشتوية وشاصنجانية وسرنجية وبزولية
ومهرانية وزردارية وكيكانية وچاك وكروديلية
وروادية ودسية وهكارية وحميدية وورجكية
ومرواية وجلانية وسنيكية وجونى .

وتزعم المروانية أنها من بني مروان بن
الحكم ، ويؤمن بعض الهكارية أنها من ولد
عثة بن أبي سفيان بن حرب .

(١٦) ص ١٢٢ ج ٢ ، ط . بولاق .

وأول من ملك مصر من الأكراد الأيوبيين « السلطان الملك الناصر صلاح الدين » أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أبي الشكر أيوب ابن شادي بن مروان الكردي ، من قبيل الروادية أحد بطون الهذلية .

تأبوه أيوب وعنه أحد الدين شيركوه بيلد دوين من أرض أذربيجان ، من جهة أران وبلاذ الكرج ، ودخلا بغداد ، وخدموا مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد . فبعث أيوب إلى قلعة تكرت ، وأقام بها مستحفظا لها ومعه أخوه شيركوه — وهو أصغر منه سنا — فخدم أيوب الشهيد زنكي لما انهزم ، فشكر له خدمته .

واتفق بعد ذلك أن شيركوه قتل رجلا بتكرت ، فطرد هو وأخوه أيوب من قلعتها ، ففضيا إلى زنكي بالموصل ، فأواهما وأقطعهما أقطاعا عنده ، ثم رتب أيوب بقلعة بعلبك مستحفظا ، ثم أنعم عليه بامرة .

واتصل شيركوه بنور الدين محمود بن زنكي في أيام أبيه وخدمه . فلما ملك حلب بعد أبيه ، كان لنجم الدين أيوب عمل كثير في أخذ دمشق لنور الدين . فتمسكنا في دولته حتى بعث شيركوه مع الوزير شاور بن مجير السعدي إلى مصر ، فصار صلاح الدين في خدمته من جملة أجناده .

وكان من أمر شيركوه ما كان حتى مات . فأقيم بعده ، في وزارة العاضد ، ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب في يوم الثلاثاء خامس عشر جمادى الآخرة سنة أربع وستين

وخمسائة ، ولقبه بالملك الناصر ، وأزله بدار الوزارة من القاهرة .

فاستمال قلوب الناس ، وأقبل على الجد ، وترك اللهو ، وتماضد هو والقاضي القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيهقي رحمه الله على إزالة الدولة الفاطمية ، وولى صدر الدين بن درباس قضاء القضاة ، وعزل قضاء الشيعة ، وبنى بمدينة مصر مدرسة للفقهاء المالكية ، ومدرسة للفقهاء الشافعية ، وقبض على أمراء الدولة ، وأقام أصحابه عوضهم ، وأبطل المكوس بأسرها من أرض مصر . ولم يزل يدأب في إزالة الدولة حتى تم له ذلك ، وخطب لخليفة بغداد المستنصر بأمر الله أبي محمد الحسن العباسي .

وكان العاضد مريضا ، فتوفي بعد ذلك بثلاثة أيام ، واستبد صلاح الدين بالسلطنة من أول سنة سبع وستين وخمسائة ، واستدعى أباه نجم الدين أيوب وأخوته من بلاد الشام ، فقدموا عليه بأهاليهم . وتأهب لغزو الفرنج ، وسار إلى الشوبك وهي بيد الفرنج فواقعهم ، وعاد إلى أيلة فجلب الزكوات من أهل مصر ، وفرقها على أصنافها ، ووقع إلى بيت المال سهم العاملين وسهم المؤلفة وسهم المقاتلة وسهم المكاتبين .

وأزحل الغز بالقصر الغربي ، وأحاط بأموال القصر ، وبعث بها إلى الخليفة ببغداد وإلى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بالشام ، فأنته الخلع الخليفة فلبسها ، وزتب ثوب الطلخانة في كل يوم ثلاث مرات . ثم سار إلى الاسكندرية ، وبعث ابن

أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب على عسكر إلى بركة ، وعاد إلى القاهرة .

ثم سار في سنة ثمان وخمسين إلى الكرك — وهي بيد الفرنج — فحصرها وعاد بغير طائل . فبعث أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب إلى بلاد النوبة ، فأخذ قلعة إريم ، وعاد بغنائم وسبي كثير ، ثم سار لأخذ بلاد اليمن فملك زيدا وغيرها .

فلما مات نور الدين محمود بن زنكي ، توجه السلطان صلاح الدين في أول صفر سنة سبعين إلى الشام ، وملك دمشق بغير مانع ، وأبطل ما كان يؤخذ بها من المكوس كما أبطلها من ديار مصر ، وأخذ حصن وحماة ، وحاصر حلب وبها الملك الصالح مجير الدين اسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكي ، فقاتله أهلها قتالا شديدا فرحل عنها إلى حمص ، وأخذ بعلبك بغير حصار .

ثم عاد إلى حلب ، فوقع الصلح على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام مع المعرة وكفر طاب ، ولهم ما بأيديهم . وعاد فأخذ بغزاس بعد حصار ، وأقام بدمشق ، وندب قراقوش التقوي لأخذ بلاد المغرب ، فأخذ أيجلن وعاد إلى القاهرة . وكانت بين السلطان وبين الحلبيين وقعة هزيمتهم فيها ، وحصرهم بحلب أياما ، وأخذ بزاعة ومنيع وعزاز ، ثم عاد إلى دمشق .

وقدم القاهرة في سادس عشر ربيع الأول سنة اثنين وسبعين ، بعدما كانت لمساكره حروب كثيرة مع الفرنج ، فأمر ببناء سور يحيط بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل ، وأقام على

بنائه الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي . فشرع في بناء قلعة الجبل ، وعمل السور ، وحفر الخندق حوله . وبدأ السلطان بعمل مدرسة بجوار قبر الامام الشافعي رضي الله عنه في القرافة ، وعمل مازنانيا بالقاهرة .

وتوجه إلى الاسكندرية ، فقام بها شهر رمضان ، وسمع الحديث على الحافظ أبي طاهر أحمد السلفي ، وعمر الأسطول ، وعاد إلى القاهرة ، وأخرج قراقوش التقوي إلى بلاد المغرب ، وأمر بقطع ما كان يؤخذ من الحجاج ، وعوض أمير مكة عنه في كل سنة ألفي دينار وألف أردب غلة ، سوى أقطاعه بصعيد مصر وباليمن ومبلغه ثمانية آلاف أردب .

ثم سار من القاهرة في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين إلى عسقلان — وهي بيد الفرنج — وقتل وأسر وسبي وغنم ، ومضى يريدكم بالرملة ، فقاتل البرنس أرباط متملك الكرك قتالا شديدا ، ثم عاد إلى القاهرة .

ثم سار منها في شعبان يريد الفرنج ، وقد نزلوا على حماة ، حتى قدم دمشق وقد رحلوا عنها ، فواصل الغارات على بلاد الفرنج ، وعساكره تغزو بلاد المغرب ، ثم فتح بيت الأحزان من عمل صفد ، وأخذ من الفرنج عنوة .

وسار في سنة ست وسبعين لحرب فتح الدين فليح أرسلان صاحب قوتيه من بلاد الروم وعاد ، ثم توجه إلى بلاد الأرمن ، وعاد فحرب حصن بهنا . ومضى إلى القاهرة ،

فقدما في ثالث عشر شعبان ، ثم خرج الى الاسكندرية ، وسمع بها مواعظ الامام مالك على الفقيه ابي طاهر بن عوف ، وأنشأ بها مرسطا ودارا للفقارة ومدرسة ، وجدد حفر الخليج وقتل فوهته ، ثم مضى الى دمياط ، وعاد الى القاهرة .

ثم سار في خامس المحرم سنة ثمان وسبعين على ايلة ، فأغار على بلاد الفرنج ، ومضى الى الكرك ، فعانت عساكره ببلاد طبرية وعكا ، وأخذ الشقيف من الفرنج ، ونزل السلطان بدمشق ، وركب الى طبرية فواقع الفرنج . وعاد فتوجه الى حلب ونالها ، ثم مضى الى البيرة على الفرات ، وعدى الى الرها فأخذها ، وملك حران والرقعة ونصيبين ، وحاصر الموصل فلم يزل منها غرضا ، فنال سنجار حتى أخذها .

ثم مضى على حران الى آمد فأخذها ، وسار على عين قاب الى حلب ، فملكها في ثامن عشر صفر سنة تسع وسبعين ، وعاد الى دمشق ، وعبر الأران وحرق يسان على الفرنج ، وخرّب لهم عدة حصون وعاد الى دمشق ، ثم سار الى الكرك فلم يزل منها غرضا وعاد .

ثم خرج في سنة ثمانين من دمشق فنازل الكرك ، ثم رحل عنها الى نابلس فحرقها ، وأكثر من الغارات حتى دخل دمشق ، ثم سار منها الى حاة ، ومضى حتى بلغ حران ، ونزل على الموصل وحصرها ، ثم سار عنها الى خلاط فلم يملكها ، فمضى حتى أخذ ميفارقين وعاد الى الموصل ، ثم رحل عنها وقد مرض الى حران ، فقرر الصلح مع المواصل على أن

خطبوا له بها وينديار بكر وجميع البلاد الأرمنية ، وضرب السكة فيها باسمه .

ثم سار الى دمشق ، فقدما في ثاني ربيع الأول سنة اثنين وثمانين ، وخرج منها في أول سنة ثلاث وثمانين ، ونال الكرك والشوبك وطبرية ، فنلك طبرية في ثالث عشر ربيع الآخر من الفرنج . ثم واقمهم على حطين ، وهم في خمسين ألفا ، فهزمهم بعد وقائع عديدة وأسر منهم عدة ملوك .

ونال عكا حتى تسلمها في ثاني جمادى الأولى ، وأخذ منها أربعة آلاف أسير مسلم من الأسر ، وأخذ مجدل ياقا وعدة حصون ، منها الناصرية وقيسارية وحيفا وصفورية والشقيف والنولة والطور وبسطة ونابلس وتبين وصرخد وصيدا وبيروت وجبيل ، وأخذ من هذه البلاد زيادة على عشرين ألف أسير مسلم كانوا في أسر الفرنج ، وأسر من الفرنج مائة ألف انسان ، ثم ملك منهم الرملة وبلد الخليل عليه السلام وبيت لحم من القدس ومدينة عسقلان ومدينة غزة وبيت جبريل .

ثم فتح بيت المقدس في يوم الجمعة سابع عشر رجب ، وأخرج منه ستين ألفا من الفرنج ، بعدما أسر ستة عشر ألفا ما بين ذكر وأنثى ، وقبض من مال المفسادة ثلثمائة ألف دينار مصرية ، وأقام الجمعة بالأقصى ، وبنى بالقدس مدرسة للشافعية ، وقرر على من يرد كنيسة قمامة من الفرنج قطيعة يؤديها . ثم نال عكا وصور ، ونال في سنة أربع وثمانين حصن كوكب ، ونال العساكر الى صفد والكرك والشوبك .

وعاد الى دمشق فدخلها سادس ربيع الأول وقد غاب عنها في هذه الغزوة أربعة عشر شهرا وخمسة أيام . ثم خرج منها بعد خمسة أيام ، فشن الغارات على الفرنج ، وأخذ منهم أنطرموس ، وخرّب سورها وحرقها ، وأخذ جبلة واللاذقية وصهيون والشحر وبكاس وبقراس . ثم عاد الى دمشق آخر شعبان ، بعدما دخل حلب ، فملك عساكره الكرك والشوبك والسلع في شهر رمضان .

وخرج بنفسه الى صفد ، وملكها من الفرنج في رابع عشر شوال ، وملك كوكب في نصف ذي القعدة ، وسار الى القدس ، ومضى بعد النحر الى عسقلان ونزل بمكا ، وعاد الى دمشق أول صفر سنة خمس وثمانين . ثم سار منها في ثالث ربيع الأول ، ونال شقيف أرنون ، وحارب الفرنج حروبا كثيرة ، ومضى الى عكا — وقد نزل الفرنج عليها ، وحصروا من بها من المسلمين — فنزل بمرج عكا وقاتل الفرنج من أول شعبان حتى انقضت السنة . وقد خرج الألمان من قسطنطينية في زيادة على ألف ألف يريد بلاد الاسلام ، فاشتد الأمر .

ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان بالخروبة على حصار الفرنج ، والأمداد تصل اليه ، وقدم الألمان طرسوس يريد بيت المقدس ، فخرّب السلطان سور طبرية وياقا وأرسوف وقيسارية وصيدا وجبيل . وقوى الفرنج بقدم ابن الألمان اليهم تقوية لهم ، وقد مات أبوه بطرسوس وملك بعده ، فقدر الله تعالى موته أيضا على عكا .

ودخلت سنة سبع وثمانين ، فملك الفرنج عكا في سابع عشر جمادى الآخرة ، وأسروا

من بها من المسلمين ، وحاربوا السلطان ، وقتلوا جميع من أسروه من المسلمين ، وساروا الى عسقلان . فرحل السلطان في أثرهم ، وواقمهم بأرسوف ، فانهزم من معه وهو ثابت حتى عادوا اليه ، فقاتل الفرنج ، وسبقهم الى عسقلان وخرّبها ، ثم مضى الى الرملة وخرّب حصنها وخرّب كنيسة له .

ودخل القدس فأقام بها الى عاشر رجب سنة ثمان وثمانين ، ثم سار الى ياقا فأخذها بعد حروب . وعاد الى القدس ، وعقد الهدنة بينه وبين الفرنج مدة ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، أولها حادي عشر شعبان ، على أن للفرنج من ياقا الى عكا الى صور وطرابلس وانطاكية ، ونودي بذلك فكان يوما مشهودا .

وعاد السلطان الى دمشق ، فدخلها خامس عشر شوال — وقد غاب عنها أربع سنين — فمات بها في يوم الأربعاء سابع عشر صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة عن سبع وخمسين سنة ، منها مدة ملكه بعد موت العاضد اثنتان وعشرون سنة وستة عشر يوما .

فقام من بعده بمصر ولده « السلطان الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان » ، وقد كان يومئذ ينوب عنه بمصر ، وهو مقيم بدار الوزارة من القاهرة ، وعنده جل عاكر أبيه من الأسدية والصلاحية والأكراد . فأتاه من كان عند أخيه الملك الأفضل على : الأمير فخر الدين جهاركس ، والأمير فارس الدين ميمون القصري ، والأمير شمس الدين سنقر الكبير — وهم عظماء الدولة — فأكرمهم ، وقدم عليه القاضي القاضى ، فبالغ في كرامته .

(ج) من ٢٢٤ ج ٢ ، ط ٢٠٤٠

وتنكر ما بينه وبين أخيه الأفضل ، فسار من مصر لمحاربه ، وحصره بدمشق . فدخل بينهما العادل أبو بكر ، حتى عاد العزيز الى مصر على صلح فيه دخل ، فلم يتم ذلك ، وتوحش ما بينهما ، وخرج العزيز ثانيا الى دمشق ، فدبر عليه عه العادل حتى كاد أن يزول ملكه وعاد خائفا ، فسار اليه الأفضل والعادل حتى نزلا بليس ، فجرت أمور آلت الى الصلح ، وأقام العادل مع العزيز بمصر ، وعاد الأفضل الى مملكته بدمشق .

فقام العادل بتدبير أمور الدولة ، وخرج بالعزيز لمحاربة الأفضل ، فحصره بدمشق حتى أخذها منه بعد حروب ، وبعثه الى صرخد ، وعاد العزيز الى مصر ، وأقام العادل بدمشق حتى مات العزيز في ليلة العشرين من محرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، عن سبع وعشرين سنة وأشهر ، منها مدة سلطته بعد أبيه ست سنين تنقص شهرا واحدا .

فأقيم بعده ابنه « السلطان الملك المنصور ناصر الدين محمد » ، وعمره تسع سنين وأشهر ، بعهد من أبيه . وقام بأمور الدولة بهاء الدين قراقوش الأسدي الأتابك ، فاختلف عليه أمراء الدولة ، وكاتبوا الملك الأفضل على بن صلاح الدين . فقدم من صرخد في خامس ربيع الأول ، فاستولى على الأمور ، ولم يبق للمنصور معه سوى الاسم .

ثم سار به من القاهرة في ثالث رجب يريد أخذ دمشق من عه العادل بعدما قبض على عدة من الأمراء ، وقد توجه العادل الى ماردن ، فحصر الأفضل دمشق . وقد بلغ

العادل خبره ، فعاد وسار يريد دمشق حتى دخل دمشق . فجرت حروب كثيرة آلت الى عود الأفضل الى مصر بكنية دبرها عليه العادل .

وخرج العادل في أثره ، وواقعته على بليس ، فكرهه في سادس ربيع الآخر سنة ست وتسعين ، والتجأ الى القاهرة وطلب الصلح ، فموضه العادل صرخد ، ودخل الى القاهرة في يوم السبت ثامن عشره ، وأقام بآتابكية المنصور ، ثم خلعه في يوم الجمعة حادي عشر شوال . وكانت سلطته سنة وثمانية أشهر وعشرين يوما .

واستبد بالسلطنة بعده غم أبيه « السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب » . فخطب له بديار مصر وبلاد الشام وحران والرها وميافارقين ، وأخرج المنصور واخوته من القاهرة الى الرها ، واستتاب ابنه الملك الكامل محمدا عنه ، وعهد اليه بعده بالسلطنة ، وحلف له الأمراء . فسكن قلعة الجبل ، واستمر أبوه في دار الوزارة .

وفي أيامه توقفت زيادة النيل ، ولم يبلغ سوى ثلاثة عشر ذراعا تنقص ثلاثة أصابع ، وشرقت أراضي مصر الا الأقل ، وغلت الأسعار ، وتعدر وجود الأقوات حتى أكلت الجيف وحتى أكل الناس بعضهم بعضا ، وتبع ذلك قناء كبير ، وامتد ذلك ثلاث سنين ، فبلغت عدة من كفته العادل وحده من الأموات في مدة يسيرة نحو مائتي ألف وعشرين ألف انسان . فكان بلاء شديدا .

وعقب ذلك تحرك الفرنج على بلاد المسلمين في سنة تسع وتسعين . فكانت معهم عدة

حروب على بلاد الشام آلت الى أن عقد العادل معهم الهدنة . فعاودوا الحرب في سنة ستائة ، وعزموا على أخذ القدس ، وكرر عيهم وفسادهم . وكانت لهم وللمسلمين شئون آلت الى نزولهم على مدينة دمياط في ربيع الأول سنة خمس عشرة وستائة ... والعادل يومئذ بالشام . فخرج الملك الكامل لمحاربتهم ، فمات العادل بمرج الصفر في يوم الخميس سابع جمادى الآخرة منها ، وحمل الى دمشق . فكانت مدة سلطته بديار مصر تسع عشرة سنة وشهرا واحدا وتسعة عشر يوما .

وقام من بعده ابنه « السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي محمد » بعهد أبيه . فأقام في السلطنة عشرين سنة وخمسة وأربعين يوما ، ومات بدمشق يوم الأربعاء حادي عشر رجب سنة خمس وثلاثين وستائة .

وأقيم بعده ابنه « السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر » . فاشتغل باللهو عن التدبير ، وخرجت عنه حلب ، واستوحش منه الأمراء لتقريبه الشباب . وسار أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب من بلاد الشرق الى دمشق ، وأخذها في أول جمادى الأولى سنة ست وثلاثين ، وجرت له أمور آخرها أنه سار الى مصر . فقبض الأمراء على العادل ، وخلعوه يوم الجمعة ثامن ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستائة . فكانت سلطته ستين وثلاثة أشهر وتسعة أيام .

(*) من ٢٢٥ ج ٢ ، ط ١ ، بولاق .

وقام بعده بالسلطنة أخوه « السلطان الملك الصالح نجم الدين أبو الفتح أيوب » . فاستولى على قلعة الجبل في يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة ، وجلس على سرير الملك بها . وكان قد خطب له قبل قدومه — فضبط الأمور ، وقام بأعباء المملكة أتم قيام ، وجمع الأموال التي أتلفها أخوه .

وقبض على الأمراء ، ونظر في عمارة أرض مصر ، وحارب عربان الصعيد ، وقدم مبالغه وأقامهم أمراء ، وبني قلعة الروضة ، وتحول من قلعة الجبل اليها وسكنها ، وملك مكة ، وبعث لغزو اليمن ، وعمر المدارس الصالحية بين القصرين من القاهرة ، وقرر بها دروسا أربعة للشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة .

وفي أيامه نزل الفرنج على دمياط في ثالث عشرى صفر سنة سبع وأربعين ، وعليهم الملك رواد فرنس ، وملكوها . وكان السلطان بدمشق ، فقدم عندما بلغه حركة الفرنج ، ونزل أشموم طناح وهو مريض ، فمات بتاحية المنصورة مقابل الفرنج في يوم الأحد رابع عشر شعبان منها . وكانت مدة سلطته بعد أخيه تسع سنين وثمانية أشهر وعشرين يوما .

فقامت أم ولده خليل — واسمها شجرة الدر — بالأمر ، وكنت موته ، واستدعت ابنه توران شاه من حصن كيفا ، وسلمت اليه مقاليد الأمور .

فقام من بعده ابنه « السلطان الملك المعظم غياث الدين توران شاه » . وقد سار من حصن كيفا في نصف شهر رمضان ، فمر على دمشق ، وتسلطن بقلعتها في يوم الاثنين لليلتين بقيتا

منه ، وركب الى مصر ، فنزل الصالحية طرف الرمل لأربع عشرة بقية من ذي القعدة . فأعلن حينئذ يموت الصالح ولم يكن أحد قبل ذلك يتفوه يموت السلطان ، بل كانت الأمور على حالها ، والخدمة تعمل بالدليل ، والباطل يمد ، وشجرة الدر تدبر أمور الدولة ، وتوهم الكافة أن السلطان مريض ما لأحد عليه سبل ولا وصول .

ثم سار المعظم من الصالحية الى المنصورة ، فقدمها يوم الخميس حادى عشره ، فأساء تدبير نفسه ، وتهدد البحرية حتى خافوه — وهم يومئذ بجرة العسكر — فقتلوه بعد سبعين يوما فى يوم الاثنين تاسع عشرى المحرم سنة ثمان وأربعين وستائة . وبموته انقضت دولة بنى أيوب من ديار مصر ، بعدما أقامت إحدى وثمانين سنة وسبعة عشر يوما ، وملك منهم ثمانية ملوك .

ذكر دولة المماليك البحرية

وهم الملوك الأتراك . وكان ابتداء أمر هذه الطائفة أن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، كان قد أقره أبوه السلطان الملك الكامل محمد ببلاد الشرق ، وجعل ابنه العادل أبا بكر ولى عهده فى السلطنة بمصر .

فلما مات قام من بعده العادل فى السلطنة ، وتكر ما بينه وبين ابن عمه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل أبى بكر بن أيوب ، وهو نائب دمشق ، فاستدعى الصالح نجم الدين أيوب من بلاد الشرق ، ورتب ابنه المعظم توران شاه على بلاد الشرق ، وأقره بحصن كيفا ، وقدم دمشق وملكها .

فكتبه أمراء مصر تحته على أخذها من أخيه العادل ، وخامر عليه بعضهم ، فسار من دمشق فى رمضان سنة ست وثلاثين . فانزعج العادل انزعاجا كبيرا ، وكتب الى الناصر داود صاحب الكرك ، فسار اليه ليعاونه على أخيه الصالح . فاتفق مسير الملك الصالح اسماعيل ابن العادل أبى بكر بن أيوب من حماة ، وأخذ دمشق للملك العادل أبى بكر ابن الملك الكامل محمد فى سابع عشرى صفر سنة سبع وثلاثين .

والملك الصالح نجم الدين أيوب يومئذ على نابلس . فانحل أمره ، وفارقه من معه حتى لم يبق معه الا مماليكه وهم نحو الثمانين ، وطائفة من خواصه نحو العشرين ، وأما الجميع فانهم مضوا الى دمشق . وكان الناصر داود قد فارق العادل ، وسار من القاهرة مغاضبا له الى الكرك ، ومضى الى الصالح نجم الدين أيوب ، وقبضه بنابلس فى ثانى عشر ربيع الأول منها ، وسجنه بالكرك .

فأقام ممالك الصالح بالكرك حتى خلاص من سجنه فى سابع عشرى شهر رمضان منها . فاجتمع عليه مماليكه وقد عظمت مكاتهم عنده ، وكان من أمره ما كان حتى ملك مصر ، فرعى لهم ثباتهم معه حين تفرق عنه الأكراد ، وأكثر من شرائهم ، وجعلهم أمراء دولته وخاصة وبطائته ، والمحيطين بدهليزه اذا سافر ، وأسكنهم معه فى قلعة الروضة ، وساهم البحرية . وكانوا دون الألف مملوك — قيل ثمانمائة وقيل سبعمائة وخمسون — كلهم أتراك .

فلما مات الملك الصالح بالمنصورة ، أحسن الفرنج بشيء من ذلك ، فركبوا من مدينة دمياط ، وساروا على فارسكور ، وواقموا العسكر فى يوم الثلاثاء أول شهر رمضان سنة سبع وأربعين ، ونزلوا بقرية شرمشاح ثم بالبرمون ، ونزلوا تجاه المنصورة .

فكانت الحروب بين الفريقين الى خامس ذى القعدة ، فلم يشعر المسلمون الا والفرنج معهم فى المعسكر ، فقتل الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ ، وانهزم الناس ، ووصل روا د فرنس ملك الفرنج الى باب قصر السلطان . فبرزت البحرية ، وحملوا على الفرنج حملة منكرة حتى أزاحوهم ، وولوا فأخذتهم السيوف والدبابيس ، وقتل من أعيانهم ألف وخمسمائة . فظهرت البحرية من يومئذ واشتهرت .

ثم لما قدم الملك المعظم توران شاه ، أخذ فى تهديد شجرة الدر ومطالبها بمال أبيه ، فكتابت البحرية تذكركم بما فعلته من ضبط المملكة حتى قدم المعظم ، وما هى فيه من الخوف منه ، فشق ذلك عليهم .

وكان قد وعد الفارس أقطاي المتوجه اليه من المنصورة لاستدعائه من حصن كيفا بأمره ، فلم يف له ، فتسكر له — وهو من أكابر البحرية — وأعرض مع ذلك عن البحرية ، واطرح جانب الأمراء وغيرهم حتى قتلوه .

وأجمعوا على أن يقيموا بعده فى السلطنة سرية أستاذهم « الملكة عصمة الدين أم خليل شجرة الدر الصالحية » . فأقاموها فى

(*) من ٢٢٦ هـ ، طه يولافى .

السلطنة ، وحلقوا لها فى عاشر صفر ، ورتبوا الأمير عز الدين أيك التركمانى الصالحى أحد البحرية مقدم العسكر . وسار عز الدين أيك الرومى من العسكر الى قلعة الجبل ، وأنهى ذلك الى شجرة الدر .

فقامت بتدبير الملكة ، وعلمت على التواقيع بما مثاله « والدة خليل » ، ونقش على السكة اسمها ، ومثاله « المتعصمة الصالحية ، ملكة المسلمين ، والدة المنصور خليل خليفة أمير المؤمنين » .

وكانت البحرية قد تسلمت مدينة دمياط من الملك روا د فرنس بعدما قرر على نفسه أربعمائة ألف دينار ، وعاد العسكر من المنصورة الى القاهرة فى تاسع صفر ، وحلقوا لشجرة الدر فى ثالث عشره . فخلعت عليهم ، وأتقت فيهم الأموال .

ولم يوافق أهل الشام على سلطتها ، وطلبوا الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز صاحب حلب ، فسار اليهم بدمشق ، وملكها . فانزعج العسكر بالقاهرة ، وتزوج الأمير عز الدين أيك التركمانى بالملكة شجرة الدر ، ونزلت له عن السلطنة . وكانت مدتها ثمانين يوما .

وملك بعدها « السلطان الملك المعز عز الدين أيك الجاشنكير التركمانى الصالحى » أحد المماليك الأتراك البحرية . وكان قد انتقل الى الملك الصالح من أولاد ابن التركمانى ، فعرف بالتركمانى ، ورقاه فى خدمه حتى صار من جملة الأمراء ، ورتبه جاشنكير . فلما مات الصالح ، وقدمته البحرية عليهم فى

سلطنة شجرة الدر ، كتب اليهم الخليفة المستعصم من بغداد يذمهم على اقامة امرأة ، ووافق مع ذلك اخذ الناصر لدمشق وحركهم لمحاربة .

فوقع الاتفاق على اقامة اميك في السلطنة ، فأركبوه بشعار السلطنة في يوم السبت آخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستائة ، ولقبوه بالملك المزم ، وجلس على تخت الملك بقلعة الجبل . فورد الخبر من القد بأخذ الملك المقيت عمر بن العادل الصغير الكرك والشويك ، وأخذ الملك السعيد قلعة الصبية .

فاجتمع رأى الأمراء على اقامة الأشرف مقتر الدين موسى بن الناصر - ويقال المسعود يوسف ابن الملك المسعود يوسف ، ويقال مسر ، ، ويقال أيضا أقيس ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب - شريكا للمزم في السلطنة . فقاموه معه - وعمره نحو ست سنين - في خامس جسادى الأولى ، وصارت المراسم تبرز عن الملكين . الا أن الأمر انتهى للمزم ، وليس للأشرف سوى مجرد الاسم .

وولى المزم الوزارة لشرف الدين أبي سعيد هبة الله بن صاعد القاترى - وهو أول قبلى ولى وزارة مصر - وخرج المزم بالعساكر وعريان مصر لمحاربة الناصر يوسف فى ثالث ذى القعدة ، وخيم بمنزلة الصالحية وترك الأشرف بقلعة الجبل ، واقتل مع الناصر فى عاشره . فكانت النصره له على الناصر ، وعاد فى ثانى عشره .

نزل بالناس من البحرية بلاء لا بوصف ، ما بين قتل ونهب وسبي ، بحيث لو ملك

الفرنج بلاد مصر ما زادوا فى الفساد على ما فعله البحرية . وكان كبارؤهم ثلاثة : الأمير فارس الدين أقطاي ، وركن الدين بيبرس البندقدارى ، وبلبان الرشيدى .

ثم فى محرم سنة تسع وأربعين ، خرج المزم بالأشرف والعساكر ، فنزل بالصالحية وأقام بها نحو ستين ، والرسك تردد بينه وبين الناصر ، وأحدث الوزير الأسعد هبة الله القاترى مقالما لم يعمد بمصر قبله . فورد الخبر فى سنة خمس بحركة التر على بغداد ، فقطع المزم من الخطبة اسم الأشرف ، وانفرد بالسلطنة ، وقبض على الأشرف وسجنه ، وكان الأشرف موسى آخر ملوك بنى أيوب بمصر .

ثم إن المزم جمع الأموال ، فأحدث الوزير مكوسا كثيرة ساهها الحقوق السلطانية . وعاد المزم الى قلعة الجبل فى سنة احدى وخمسين ، وأوقع بعرب الصعيد ، وقبض على الشريف حصن الدين ثعلب بن ثعلب ، وأذل سائر عرب الوجيين القبلى والبحرى ، وأفساهم قتلا وأسرا وسيا ، وزاد فى القطيعة . على من بقى منهم حتى ذلوا وقتلوا ، ثم قتل القارس أقطاي ففر منه معظم البحرية بيبرس وقلاوون فى عدد كثير منهم الى الشام وغيرها .

ولم يزل الى أن قتله شجرة الدر فى الحام ليلة الأربعاء رابع عشرى ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستائة . فكانت مدته سبع سنين تنقص ثلاثة وثلاثين يوما . وكان ظلوما غشوما ، سفاكا للدماء ، أفنى عوالم كثيرة بغير ذنب .

(١٢٧) من ١٢٧ ج ١ ، ط. بولاق .

وقام من بعده ابنه « السلطان الملك المنصور نور الدين على بن المزم أيبك » فى يوم الخميس خامس عشرى ربيع الأول ، وعمره خمس عشرة سنة . قدبر أمره نائب أبيه الأمير سيف الدين قطز ، ثم خلعه فى يوم السبت رابع عشرى ذى القعدة سنة سبع وخمسين وستائة . فكانت مدته ستين وثمانية أشهر وثلاثة أيام .

وقام من بعده « السلطان الملك المنظر سيف الدين قطز » فى يوم السبت ، وأخرج المنصور بن المزم منفا هو وأمه الى بلاد الأتكرى ، وقبض على عدة من الأمراء .

وسار فأوقع بجمع هولاء على عين جالوت ، وهزمهم فى يوم الجمعة خامس عشرى رمضان سنة ثمان وخمسين ، وقتل منهم وأسر كثيرا ... بعدما ملكوا بغداد ، وقتلوا الخليفة المستعصم بالله عبد الله ، وأزالوا دولة بنى العباس ، وخربوا بغداد وديار بكر وحلب ، ونازلوا دمشق فملكوها .

فكانت هذه الواقعة أول هزيمة عرفت للتر منذ قاموا . ودخل المنظر قطز الى دمشق ، وعاد منها يريد مصر . فقتله الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى ، قريبا من المنزلة الصالحية ، فى يوم السبت نصف ذى القعدة منها . فكانت مدته سنة تنقص ثلاثة عشر يوما .

وقام من بعده « السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقدارى الصالحى » التركى الجنس ، أحد المماليك البحرية ، وجلس على تخت السلطنة بقلعة الجبل فى سابع عشر ذى القعدة سنة ثمان

وخمسين ، فلم يزل حتى مات بدمشق فى يوم الخميس سابع عشرى المحرم سنة ست وسبعين وستائة . فكانت مدته سبع عشرة سنة وشهرين واثني عشر يوما .

وقام من بعده ابنه « السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد بركة قان » وهو يومئذ بقلعة الجبل ينوب عن أبيه ، وقد عهد اليه بالسلطنة ، وزوجه بابنة الأمير سيف الدين قلاوون الألقى . فجلس على التخت فى يوم الخميس سادس عشرى صفر سنة ست وسبعين ، الى أن خلعه الأمراء فى سابع ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين . وكانت مدته ستين وشهرين وثمانية أيام لم يحسن فيها تديبير ملكه ، وأوحش ما بينه وبين الأمراء .

فأقيم بعده أخوه « السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس » وعمره سبع سنين وأشهر ، وقام بتدييره الأمير قلاوون أتابك العساكر ، ثم خلعه بعد مائة يوم ، وبعث به الى الكرك فسجن مع أخيه بركة بها .

وقام من بعده « السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألقى العالئى الصالحى » أحد المماليك الأتراك البحرية . كان قبيحا فى الجنس من قبيلة مرج أغلى ، فجلب صغيرا ، واشتراه الأمير علاء الدين آق سنقر الساقى العادلى بألف دينار ، وصار بعد موته الى الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة سبع وأربعين وستائة ، فجعله من جملة البحرية .

فنتقلت به الأحوال حتى صار أتابك العساكر فى أيام العادل سلامش ، وذكر اسمه مع العادل

على المنابر . ثم جلس على التخت بقلعة الجبل في يوم الأحد العشرين من شهر رجب سنة ثمان وسبعين ، وتلقب بالملك المنصور ، وأبطل عدة مكوس . فثار عليه الأمير شمس الدين منقر الأشقر بدمشق ، وتسلطن وتلقب نفسه بالملك الكامل في يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة . فبعث إليه وهزمه ، واستعاد دمشق .

ثم قدمت التتار الى بلاد حلب وعاثوا بها . فتوجه اليهم السلطان بمساكره ، وأوقع بهم على حصن في يوم الخميس رابع عشر رجب سنة ثمانين وستمائة ، وهزمهم بعد مقتلة عظيمة . وعاد الى قلعة الجبل .

وتوجه في سنة أربع وثمانين حتى نازل حصن المرقب ثمانية وثلاثين يوما ، وأخذ عتوة من الفرنج ، وعاد الى القلعة . ثم بعث العسكر فغزا بلاد النوبة في سنة سبع وثمانين وعاد بغانم كثيرة .

ثم سار في سنة ثمان وثمانين لغزو الفرنج بطرابلس ، فتأزله أربعة وثلاثين يوما حتى فتحها عتوة في رابع ربيع الآخر ، وهدمها جميعها ، وأثأ قريبا منها مدينة طرابلس الموجودة الآن ، وعاد الى قلعة الجبل . وبعث لغزو النوبة ثانيا عسكرا ، فقتلوا وأسروا وعادوا .

ثم خرج لغزو الفرنج بمكا وهو مريض ، فأت خارج القاهرة ليلة السبت سادس ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة . فكانت مدته إحدى عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يوما .

وقام من بعده ابنه « السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل » في يوم الأحد سابع ذي القعدة المذكور ، وسار لفتح عكا في ثالث ربيع الأول سنة تسعين وستائة ، ونصب عليها اثنين وتسعين منجنيقا ، وقاتل من بها من الفرنج أربعة وأربعين يوما حتى فتحها عتوة في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ، وهدمها . كلها بما فيها وحرقتها ، وأخذ صور وحيفا وعسلى وأنطرسوس وصيدا وهدمها ، وأجلى الفرنج من الساحل ، فلم يبق منهم أحد ، والله الحمد ، وتوجه الى دمشق .

وعاد الى مصر ، فدخل قلعة الجبل يوم الاثنين قاسع شعبان . ثم خرج في ثامن ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وستائة ، بعدما نادى بالنفير للجهاد ، فدخل دمشق وعرض المساكر ، ومضى منها فمر على حلب ، وقاؤل قلعة الروم ، ونصب عليها عشرين منجنيقا حتى فتحها بعد ثلاثة وثلاثين يوما عتوة ، وقتل من بها من التصاري الأرمن ، وسبى نساءهم وأولادهم ، وسأها قلعة المسلمين ، فعرفت بذلك .

وعاد الى مصر فدخل قلعة الجبل في يوم الأربعاء ثاني ذي القعدة ، وسار في رابع المحرم سنة اثنين وتسعين حتى بلغ مدينة قوص من صعيد مصر ، ونادى فيها بالتجهز لغزو اليمن وعاد .

• ١٢٨٨ ج ٢ : ط . بولاق .

ثم سار مخفيا على الهجن في البرية الى الكرك ، ومضى الى دمشق ، فقدمها في تاسع جمادى الآخرة ، وقصد غزو بهنسا وأخذها من الأرمن ، فقدموا اليه وسلموها من تلقاء أنفسهم ، وسلموا أيضا مرعش وتل حديدون .

ومضى من دمشق في ثالي رجب ، وعبر من حصن الى سلية ، وهجم على الأمير مهنا بن عيسى وقبضه واخوته ، وحملهم في الحديد الى قلعة الجبل ، وعاد الى دمشق .

ثم رجع الى مصر ، فقدم قلعة الجبل في ثامن عشر رجب ، ثم توجه للصيد فبلغ الطرائد ، وانقرض في قريسير ليصطاد . فاقحم عليه الأمير يزار في عدة معه ، وقتلوه في يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستائة . فكانت مدته ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيام . ثم حبل ودفن بمدرسة الأشرفية .

وأقيم من بعده أخوه « السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون » ، وعمره سبع سنين ، وقام الأمير زين الدين كتيبا بتدبيره ، ثم خلعه بعد سنة تنقص ثلاثة أيام .

وقام من بعده « السلطان الملك العادل زين الدين كتيبا المنصوري » ، أحد مماليك الملك المنصور قلاوون ، وجلس على التخت بقلعة الجبل في يوم الأربعاء حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين ، وتلقب بالملك العادل .

فكانت أيامه شر أيام لما فيها من قصور مد النيل ، وغلاء الأسفار ، وكثرة الوباء في الناس ، وقدم الأوبئة . فقام عليه نائبه

الأمير حسام الدين لاجين ، وهو عائد من دمشق بمنزلة العرجاء ، في يوم الاثنين ثامن عشر المحرم سنة ست وتسعين ، ففر الى دمشق ، واستولى لاجين على الأمر . فكانت مدته ستين وسبعة عشر يوما . وقدم لاجين بالعسكر الى مصر .

وقام في السلطنة « السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري » ، أحد مماليك المنصور قلاوون ، وجلس على التخت بقلعة الجبل ، وتلقب بالملك المنصور في يوم الاثنين ثامن عشر المحرم المذكور ، واستأب مملوكه منكوتر . فنفرت القلوب عنه ، حتى قتل في ليلة الجمعة حادي عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة . فكانت مدته ستين وشهرين وثلاثة عشر يوما .

ودبر الأمراء بعده أمور الدولة ، حتى قدم من الكرك « السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون » ، وأعيد الى السلطنة مرة ثانية في يوم الاثنين سادس جمادى الأولى ، وقام بتدبير الأمور الأميران سلاار نائب السلطنة ، وييرس الجاشنكير أستاذار ... حتى صار كأنه يريد الحج ، فمضى الى الكرك ، وانفزع من السلطنة . فكانت مدته تسع سنين وستة أشهر وثلاثة عشر يوما .

فقام من بعده « السلطان الملك المظفر ركن الدين ييرس الجاشنكير » ، أحد مماليك المنصور قلاوون ، في يوم السبت ثالث عشر ذي الحجة سنة ثمان وسبعمائة ، حتى فر من

فقام بالأمر ابنه « السلطان الملك المنصور علاء الدين علي بن شعبان بن حسين » وعمره سبع سنين ، في يوم السبت ثالث ذي القعدة المذكور ، وأبوه حي . فلم يكن حظه من السلطة سوى الاسم ، حتى مات في يوم الأحد ثالث عشر صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة . فكانت مدته خمس سنين وثلاثة أشهر وعشرين يوما .

فقيم بعده أخوه « السلطان الملك الصالح زين الدين حاجي » في يوم الاثنين رابع عشر صفر المذكور . فقام بأمر الملك وتدير الأمور الأمير الكبير برقوق ، حتى خلفه في يوم الأربعاء تاسع شهر رمضان سنة أربع وتسعين وسبعمائة . فكانت مدته سنة وشهرين ونصف أربعين أيام .

وبه انقضت دولة المماليك البحرية الأتراك وأولادهم . ومدتهم مائة وست وثلاثون سنة وسبعة أشهر وتسعة أيام : أولها يوم الخميس عاشر صفر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وآخرها يوم الثلاثاء . ثامن عشر شهر رمضان سنة أربع وتسعين وسبعمائة . وعدتهم أربعة وعشرون ذكرا ما بين رجل وصبي ، وامرأة واحدة ، وأولهم امرأة ، وآخرهم صبي .

ولما أقيم الناصر حسن بعد أخيه المقتر حاجي ، طلب المماليك الجراكسة ، الذين قربهم المقتر ، بسفارة الأمير أغرلو ، فانه كان يشي أن كان جركسي الجنس ، وجلبهم من أماكن حتى ظهروا في الدولة ، وكبرت عائلتهم وكثرتهم ، فأخرجوا من بين أنحس خروج ، فقتلوا على البلاد الشامية . والله تعالى أعلم .

(من تاريخ الدولة المملوكية ج ١ ص ٢٤٠)

دولة المماليك الجراكسة

وهم والاض والروس أهل مدائن عامرة ، وجبال ذات أشجار ، ولهم أنعام وذروع ، وكلهم في ملكة صاحب مدينة سراي قاعدة خوارزم . وملوك هذه الطوائف لملك سراي كارعية ، فإن داروه وهادوه كف عنهم ، والا غزاهم وحصرهم ، وكف مرة قتل عساكره منهم خلائق ، وسبت نساءهم وأولادهم ، وجلبتهم رقيقا إلى الأقطار .

فأكثر المنصور قلاوون من شرائهم ، وجعلهم ومائة الأض جيمعا في أبراج القلعة ، وسأهم البرجية ، فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعمائة ، وعمل منهم أوشاقية وجندارية وجاشنكيرية وسلاحدارية .

وأولهم « السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق بن آتص » . أخذ من بلاد الجركس ، ونوع يلاذ القرم ، فجلبه خوجا فخر الدين عثمان بن مسافر إلى القاهرة ، فاشتراه منه الأمير الكبير يلغا الخاصكي وأعتقه ، وجعله من جملة مماليك الأجلاب ، فعرف برققوق العثماني .

فلما قتل يلغا أخرج الملك الأشرف الأجلاب من مصر . فسار منهم برققوق إلى الكرك ، فقام في عدة منهم مسجوناً بها عدة سنين ، ثم أفرج عنه وعن كان معه . فمضوا إلى دمشق ، وخدموا عند الأمير منجك نائب الشام . حتى طلب الأشرف اليلغاوية ، فقدم برققوق في جلبتهم ، واستقر في خدمة ولدي السلطان علي وحاجي مع من استقر من خنداشيه ، فعرفوا باليلغاوية ... إلى أن

خرج السلطان إلى الحج . فاناروا بعد سفره ، وسلطوا ابنه عليا .

وحكم في الدولة منهم الأمير قرطاي الشهابي . فثار عليه خنداشيه أيبك البدرى ، فأخرجه إلى الشام ، وقام بعده بتدبير الدولة ، وخرج إلى الشام ، فثارت عليه اليلغاوية - وفيهم برققوق ، وقد صار من جملة الأمراء - فعاد قبل وصوله بليس ، ثم قبض عليه . وقام بتدبير الدولة غير واحد في أيام يسيرة .

فركب برققوق في يوم الأحد ثالث عشر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة وقت الظهيرة ، في مائة من خنداشيته ، وهجم على باب السلطنة ، وقبض على الأمير يلغا الناصري - وهو القائم بتدبير الدولة - وملك الاصطبل ، وما زال به حتى خلع الصالح حاجي .

وتسلطن في يوم الأربعاء تاسع عشر رمضان سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، وقت الظهر ، فقهر العوايد ، وأفتى رجال الدولة ، واستكثر من جلب الجراكسة ... إلى أن ثار عليه الأمير يلغا الناصري - وهو يومئذ نائب حلب - وسار إليه ففر من قلعة الجبل في ليلة الثلاثاء خامس جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وملك الناصري القلعة ، وأعاد الصالح حاجي ولقبه بالملك المنصور ، وقبض على برققوق ، وبعثه إلى الكرك فسجنه بها .

فثار الأمير منطاش على الناصري ، وقبض عليه ، وسجنه بالاسكندرية . وخرج يريد محاربة برققوق - وقد خرج من سجن الكرك ، وسار إلى دمشق في عسكر -

فحاربه برققوق على شقيب ظاهر دمشق ، وملك ما معه من الخزائن ، وأخذ الخليفة والسلطان حاجي والقضاة وسار إلى مصر .

فقدمها في يوم الثلاثاء رابع عشر صفر سنة اثنتين وتسعين ، واستبد بالسلطنة حتى مات ليلة الجمعة للنصف من شوال سنة إحدى وثمانمائة . فكانت مدته اثنا عشر سلطانا إحدى وعشرين سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوما ، خلع فيها ثمانية أشهر وتسعة أيام .

وقام من بعده ابنه « السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج » في يوم الجمعة المذكور ، وعمره نحو العشر سنين ، فدبر أمر الدولة الأمير الكبير آيتش ، ثم ثار به الأمير يشبك وغيره ، ففر إلى الشام ، وقتل بها .

ولم تزل أيام الناصر كلها كثيرة الفتن والشور والغلاء والوباء . وطرق بلاد الشام فيها الأمير تيمورلنك ، فخر بها كلها وحرقها ، وعنها بالقتل والنهب والأمر ، حتى فقد منها جميع أنواع الحيوانات ، وتزق أهلها في جميع أقطار الأرض . ثم دهمها بعد رحيله عنها جراد لم يترك بها خضراء ، فاشتد بها الغلاء على من تراجع إليها من أهلها ، وشنع موتهم .

واستمرت بها مع ذلك الفتن ، وقصر مد النيل بمصر حتى شرفت الأراضي الأقلية ، وعظم الغلاء والنساء . فباع أهل الصعيد أولادهم من الجوع ، وصاروا أرقاء مملوكين وشمل الخراب الشيع عامة أرض مصر وبلاد الشام ، من حيث نصب النيل من الجنادل ، إلى حيث مجرى الترات .

وابتلى مع ذلك بكثرة فتن الأميرين نوروز
الحافظي وشيخ المحمودي ، وخروجهما بيلاد *
الشام عن طاعته ، فتردد لمحاربتهما مرارا حتى
هزماء ، ثم قتلاه بدمشق في ليلة السبت
سادس عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة .
فكانت مدته - منذ مات أبوه الى أن فر
في يوم الأحد خامس عشر ربيع الأول سنة
ثمان وثمانمائة واختفى ، وأقيم بعده أخوه
عبد العزيز ، ولقب الملك المنصور - ست
سنين وخمسة أشهر وأحد عشر يوما .

وأقام الناصر في الاختفاء سبعين يوما ،
ثم ظهر في يوم السبت خامس عشر جمادى
الآخرة ، واستولى على قلعة الجبل ، واستبد
بملكه . أتبع استبداد ... الى أن توجه لحرب
نوروز وشيخ ، وقتلها على اللجون في يوم
الاثنين ثالث عشر المحرم سنة خمس عشرة ،
فاهزم الى دمشق وهما في اثره - وقد صار
الخليفة المستعين بالله في قبضتهما ومعه مباشرو
الدولة - فنزل على دمشق وحصره ، ثم ألزما
الخليفة بخلع من السلطنة ، فلم يجد بدا من
ذلك ، وخلعه في يوم السبت خامس عشره ،
ونودي بذلك في الناس . فكانت مدته الثانية
ست سنين وعشرة أشهر وسواء .

وأقيم من بعده «الخليفة المستعين بالله أمير
المؤمنين أبو الفضل العباس بن محمد
العباسي» . وأصل هؤلاء الخلفاء بمصر أن
أمير المؤمنين المستعصم بالله عبد الله ، آخر
خلفاء بني العباس ، لما قتله هولاء بن تولى
ابن جنكز خان في صفر سنة ست وخمسين
وسمائه ببغداد ، وخلت الدنيا من خليفة ،

(*) ص ٢١١ ج ٢ ، ط ١٠٠٠

وصار الناس يغير امام قرشي الى سنة تسع
وخسين .

فقدم الأمير أبو القاسم أحمد ابن الخليفة
الظاهر أبي نصر محمد ابن الخليفة الناصر
العباسي من بغداد الى مصر في يوم الخميس
تاسع رجب منها . فركب السلطان الملك
الظاهر يبرس الى لقائه ، وصعد به قلعة
الجبل ، وقام بما يجب من حقه ، وبأيمه
بالخلافة وبأيمه الناس ، وتلقب بالمستصر . ثم
توجه لقتال التتر ببغداد ، فقتل في محاربتهم
لأيام خلت من المحرم سنة ستين وثمانمائة .
فكانت خلافته قريبا من سنة .

ثم قدم من بعده الأمير أبو العباس أحمد
ابن أبي علي الحسن بن أبي بكر ، من ذرية
الخليفة الراشد بالله أبي جعفر منصور بن
المرشيد ، في سابع عشر ربيع الأول .
فأزله السلطان في برج بقلعة الجبل ، وأجرى
عليه ما يحتاج اليه ، ثم بأيمه في يوم الخميس
ثامن المحرم سنة احدى وستين ، بعد ما أثبت
نبيه على قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب
ابن بنت الأغز ، ولقيه بالحاكم بأمر الله ، وبأيمه
الناس كافة .

ثم خطب من الغد ، وصلى بالناس الجمعة
في جامع القلعة ، ودعى له من يومئذ على
منابر أراضى مصر كلها قبل الدعاء للسلطان ،
ثم خطب له على منابر الشام ، واستمر الحال
على الدعاء له ولمن جاء من بعده من الخلفاء .
وما زال بالبرج الى أن منعه السلطان من
الاجتماع بالناس في المحرم سنة ثلاث
وستين ، فاحتجب وصار كالسجون زيادة على
سبع وعشرين سنة ... بقية أيام الظاهر يبرس

وأيام ولديه محمد بركة وسلامش وأيام
قلاوون .

فلما صارت السلطنة الى الأشرف خليل بن
قلاوون ، أخرجه من سجنه مكرما في يوم
الجمعة العشرين من شهر رمضان سنة تسعين
وسمائه ، وأمره . فصعد منبر الجامع
بالقلعة ، وخطب وعليه سواده ، وقد تقلد
سيفا محلى ، ثم نزل فصلى بالناس صلاة
الجمعة قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ،
وخطب أيضا خطبة ثالثة في يوم الجمعة تاسع
عشر ربيع الأول سنة احدى وتسعين ، وحج
سنة أربع وتسعين .

ثم منع من الاجتماع بالناس فامتنع . حتى
أفرج عنه المنصور لاجين ، في سنة ست
وتسعين ، وأسكنه بناظر الكيش ، وأنعم
عليه بكموة له ولعياله ، وأجرى عليه ما يقوم
به . وخطب بجامع القلعة خطبة رابعة ، وصلى
بالناس الجمعة ، ثم حج سنة سبع وتسعين ،
وتوفي ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى
سنة احدى وسبعمائة . فكانت خلافته مدة
أربعين سنة ليس له فيها أمر ولا نهى ، إنما
حقه أن يقال أمير المؤمنين .

وكان قد عهد الى ابنه الأمير أبي عبد الله
محمد المستمسك ، ثم من بعده لأخيه أبي
الربيع سليمان المستكفي . فمات المستمسك
في حياته ، واشتد جزعه عليه ، فعهد لابنه
ابراهيم بن محمد المستمسك . فلما مات
الحاكم أقيم من بعده ابنه المستكفي بالله أبو
الربيع سليمان بعده له ، فشهد وقعة شقيب
مع الملك الناصر محمد بن قلاوون وعليه

سواده ، وقد أرحى له عذبة طويلة ، وتقلد
سيفا عربيا محلى .

ثم تكرر عليه ، وسجنه في برج بالقلعة نحو
خسة أشهر ، وأفرج عنه وأزله الى داره
قريبا من المشهد النفيسى بترية شجرة الدر ،
فأقام نحو ستة أشهر ، وأخرجه الى قوص في
سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، وقطع راتبه ،
وأجرى له بقوص ما يتقوت به . فمات بها في
خامس شعبان سنة أربعين .

وعهد الى ولده ، فلم يمض الملك الناصر
محمد عهده ، وبويع ابن أخيه أبو اسحاق
ابراهيم بن محمد المستمسك بن أحمد الحاكم
بعدة خفية لم تظهر ، في يوم الاثنين خامس
عشر شعبان المذكور ، وأقام الخطباء أربعة
أشهر لا يذكرون في خطبهم الخليفة ، ثم خطب
له في يوم الجمعة سابع ذي القعدة منها ،
ولقب بالوائق بالله .

فلما مات الناصر محمد ، وأقيم بعده ابنه
المنصور أبو بكر ، استدعى أبو القاسم أحمد
ابن * أبي الربيع سليمان ، وأقيم في الخلافة ،
ولقب بالحاكم بعدما كان يلقب بالمستصر ،
وكنى بأبي العباس في يوم السبت سابع ذي
الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة .
فاستمر حتى مات في يوم الجمعة رابع شعبان
سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

فأقيم بعده أخوه المتعصم بالله أبو بكر ،
وكنيته أبو الفتح ، بن أبي الربيع سليمان في
يوم الخميس سابع عشره ، واستمر مع ذلك
في نظر مشهد البيدة نفيسة رضي الله عنها .

(*) ص ٢١٢ ج ٢ ، ط ١٠٠٠

ليستين بما يرد الى شريحها من نذر المامة على قيام أوده - فان مرتب الخلقاء كان على مكس الصاغة ، وحبه أن يقوم بما لا بد منه في قوتهم ، فكالموا أبدا في عيش غير موسع - فحسنت حال المعتقد بما يبيعه من الشمع المحمول الى المشهد النفسي ونحوه ، الى أن توفي يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين . وكان يبلغ بالكاف ، وحج مرتين : احدهما سنة أربع وخمسين ، والثانية سنة ستين .

فأقيم بعده ابنه المتوكل على الله أبو عبد الله محمد ، بعده اليه في يوم الخميس ثاني عشره ، وخلع عليه بين يدي السلطان الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي ، وفوض اليه نظر المشهد ، ونزل الى داره . فلم يزل حتى تنكر له الأمير أيبك في أول ذي القعدة سنة ثمان وسبعين ، بعد قتل الملك الأشرف شعبان بن حسين ، وأخرجه ليسيير الى قوص ، وأقام عروضة في الخلافة ابن عمه زكريا بن ابراهيم بن محمد في ثالث عشرى صفر سنة تسع وسبعين .

وكان قد أمر برد المتوكل من لقيه ، فرد الى منزله من يومه ، فأقام به حتى رضى عنه أيبك ، وأعادته في العشرين من ربيع الأول منها الى خلافة . ثم سخط عليه الظاهر برقوق ، وسجنه مقيدا في يوم الاثنين أول رجب سنة خمس وثمانين ، وقد وثى به أنه يريد الثورة وأخذ الملك .

وأقيم بعده في الخلافة الواثق بالله أبو حفص عمر بن المعتصم ابن اسحاق ابراهيم بن

محمد ابن الحاكم في يوم الاثنين المذكور . فما زال خليفة حتى مات يوم السبت تاسع شوال سنة ثمان وثمانين . فأقام الظاهر بعده في الخلافة أخاه زكريا بن ابراهيم في يوم الخميس ثامن عشره ، ولقب بالمستعصم ، وركب بالخامة وبين يده القضاة من القلعة الى منزله .

فلما أشرف الظاهر برقوق على زوال ملكه ، وقرب الأمير بلبغا الناصري نائب حلب بالعساكر ، استنسى المتوكل على الله من محبه ، وأعادته الى الخلافة ، وخلع عليه في يوم الأربعاء أول جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ، وبالح في تعظيمه ، وألعم عليه . فلم يزل على خلافة حتى توفي ليلة الثلاثاء ثامن عشرى رجب سنة ثمان وثمانمائة . وهو أول من اتسمت أحواله من الخلفاء بمصر ، وصار له اقطاعات ومال .

فأقيم في الخلافة بعده ابنه المستين بالله أبو الفضل العباس ، وخلع عليه في يوم الاثنين رابع شعبان بالقلعة بين يدي الناصر فرج بن برقوق ، ونزل الى داره ، ثم سار مع الناصر الى الشام ، وحضر معه وقعة اللجون حتى انهزم . فدعاه الأميران شيخ ونوروز ، فمضى من موقعه اليهما ومعه مباشرو الدولة ، فأنزلاه ووكلاه به ، وسارا به لحصار الناصر ، ثم ألزماه حتى خلع من السلطنة . وأقامه شيخ في السلطنة ، وبإيعه ومن معه في يوم السبت خامس عشرى المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وبعث الى نوروز وهو بشمالى دمشق حتى بايعه .

أفانلوا باقامته اغراضهم من قتل الناصر وانتظام أمرهم ، ثم سار به شيخ الى مصر ، وأقام نوروز بدمشق . فلما قدم به أسكنه القلعة ، ونزل هو بالحراقة من باب السلطنة ، وقام بجميع الأمور ، وترك الخليفة في غاية الحصر حتى استبد بالسلطنة . فكانت مدة الخليفة منذ أقاموه سلطانا سبعة أشهر وخمسة أيام . ونقل الخليفة الى بعض دور القلعة ، ووكل به من يحفظه وأهله .

وقام من بعده بالسلطنة « السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ الممودة » ، أحد ممالك الظاهر برقوق ، في يوم الاثنين أول شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة . فسجن الخليفة في برج بالقلعة ، ثم حمله الى الاسكندرية فمجنه بها . ولم يزل سلطانا حتى مات في يوم الاثنين ثامن المحرم سنة أربع وعشرين . فكانت مدته ثمان سنين وخمسة أشهر وستة أيام .

فأقيم بعده ابنه « السلطان الملك المظفر شهاب الدين أبو السعادات أحمد » وعمره سنة واحدة ونصف . فقام بأمره الأمير ططر ، وفرق ما جمعه المؤيد من الأموال ، وخرج بالمظفر يريد محاربة الأمراء بالشام ، فظفر بهم وخلع المظفر . وكانت مدته ثمانية أشهر تنقص سبعة أيام .

وقام بعده « السلطان الملك الظاهر أبو الفتح ططر » أحد ممالك الظاهر برقوق ، وجلس على تخت قلعة دمشق في يوم الجمعة تاسع عشرى شعبان سنة أربع وعشرين . وقدم الى قلعة الجبل ، وهو موعوك البدن ، في يوم الخميس رابع شوال ، فقتل في مرضه من

يوم الاثنين ثاني عشره حتى مات في يوم الأحد رابع عشرى ذي الحجة . فكانت مدته ثلاثة أشهر ويومين .

فأقيم بعده ابنه « السلطان الملك الصالح ناصر الدين محمد » وعمره نحو عشر سنين . فقام بأمره الأمير برسباى الدقماقي ، ثم خاضه بعد أربعة أشهر . وأربعة أيام .

وقام من بعده « السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباى » أحد ممالك الظاهر برقوق ، وجلس على تخت الملك في يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة .

هذا آخر الجزء الثالث من أصل مصنفه الامام المقرئ رحمه الله تعالى ورضي عنه .

(ووجد على هامش بعض النسخ ما صورته) :

وتوفي الأشرف برسباى ثالث عشر ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة . فكانت مدته ست عشرة سنة وتسعة شهور .

ثم قام من بعده ولده « الملك العزيز يوسف » وسنه نحو خمس عشرة سنة ، ثم خلع في تاسع عشر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة . فكانت مدته نحو ثلاثة أشهر .

وقام من بعده « الملك الظاهر جقمق » في تاسع عشر ربيع المذكور ، وخلع نفسه من الملك في مرض موته .

وتولى بعده بعده ولده « الملك المنصور شعبان » في حادى عشرى المحرم سنة سبع

(ج) مر ٢٢٢ ج ٢ ، ط ٢٠٧٩

وحسين وثلاثة . فكانت مدة الظاهر جنت
أربع عشرة سنة ونحو عشرة شهور . ثم خلع
ولمعه الثمور عشان في سابع ربيع الأول سنة
سبع وخسين وثلاثة ، فقام في الملك
أحدا وأربعين يوما .

وتولى عوضه « الملك الأشرف إيتل » في
ثامن ربيع الأول سنة سبع وخسين وثلاثة ،
وخلع نفسه في مرض موته في جمادى الأولى
سنة خمس وستين وثلاثة . فكانت مدته
ثمان سنين وشهرين .

وتولى بعده ولده « الملك التوت أحد » ،
ثم خلع في ثامن عشر رمضان سنة خمس
وستين وثلاثة . فكانت مدته أربعة أشهر .
وتولى « الملك الظاهر خنقدم » تسع
عشر رمضان سنة خمس وستين وثلاثة ،
ومنت عشر شهر ربيع الأول سنة اثنين
وسبعين . فكانت مدته نحو ست سنين
ونصف .

ثم تولى « الملك الظاهر بلباي » في حادى
عشر شهر المذكور ، ثم خلع في سابع جمادى
الأولى من السنة المذكورة . فكانت مدته سنة
وخسين يوما .

ثم تولى « الملك الظاهر ترمضا » في ثامن
جمادى الأولى المذكور ، ثم خلع في العشر
الأول من شهر رجب القدر سنة اثنين وسبعين
وثلاثة . وكانت مدته نحو تسعة وخسين
يوما .

وتولى « الملك الأشرف قايتباي » في ثاني
عشر رجب من السنة المذكورة ، وتوفي في
ثاني عشر ذي القعدة سنة احدى وتسعمائة .
فكانت مدته تسعا وعشرين سنة وأربعة شهور
وأياما .

وتولى بعده ولده « الملك الظاهر محمد »
في الترخ المذكور ، ثم قتل بالهجرة في آخر
يوم الأربعاء النصف من ربيع الأول سنة أربع
وتسعمائة . فكانت مدته ستين وثلاثة أشهر
وأياما .

ثم تولى حاكمه « الملك الظاهر قانصوه
الأشرفي قايتباي » في ضحوة يوم الجمعة
سابع عشر ربيع الأول المذكور ، ثم خلع في
سابع ذي الحجة سنة خمس وتسعمائة . فكانت
مدته نحو عشرين شهرا .

وتولى عوضه « الملك الأشرف جان بلاط
الأشرفي قايتباي » ، وأدنا خبره بمزلة
الجديدة في العود من المدينة الشرفية في يوم
الجمعة سانس عشر ذي الحجة سنة خمس
وتسعمائة . فكانت مدته ستة شهور وأياما ،
ثم خلع في يوم السبت ثامن عشر جمادى
الآخرة سنة ست وتسعمائة .

وتولى « الملك العادل طومان باي الأشرفي
قايتباي » ، ثم خلع سلخ رمضان من السنة
المذكورة . فكانت مدته نحو مائة يوم .

وتولى بعده « الملك الأشرف قانصوه
القورى الأشرفي قايتباي » مستهل شوال
من السنة المذكورة .

اتمى . والله تعالى أعلم بالصواب .

ذكر المساجد الجامعة

علم أن أرض مصر لما فتح في سنة عشرين
من الهجرة ، واختط الصحابة رضى الله عنهم
نسطاط مصر كما تقدم ، لم يكن بالنسطاط
غير مسجد واحد ، وهو الجامع الذي يقال

له في مدينة مصر « الجامع العتيق »
و « جامع عمرو بن العاص » .

وما يرجح الأمر على هذا إلى أن قدم عبد الله
ابن على بن عبد الله بن عباس ، رضى الله
عنهما ، من العراق في طلب مروان بن محمد
في سنة ثلاث وثلاثين ومائة . فنزل عسكره
في شمالي النسطاط ، وبنوا هناك الأبنية ،
فبنى ذلك للوضع بالعسكر ، وأقيمت هناك
الجمعة في مسجد . فصارت الجمعة تقام
بمسجد عمرو بن العاص ، وبجامع العسكر .

إلى أن بنى الأمير أحمد بن طولون جامعه
على جبل يشكر ، في سنة تسع وخسين
ومائتين حين بنى القطائع ، فقلنا من حينئذ
جامع العسكر ، وصارت الجمعة تقام بجامع
عمرو وبجامع ابن طولون ... إلى أن قدم
جوهر القائد من بلاد القيروان بالمغرب ، ومعه
عساكر مولاه المعز لدين الله أبى تميم معه ،
فبنى بالقاهرة ، وبنى الجامع الذي يصرف
بالجامع الأزهر في سنة ستين وثلاثة .
فكانت الجمعة تقام في جامع عمرو ، وجامع
ابن طولون ، والجامع الأزهر ، وجامع
القرافة الذي يعرف اليوم بجامع الأولياء .

ثم إن العزيز بالله أبا منصور نزل من المعز
لدين الله ، بنى في ظاهر القاهرة من جهة باب
الفتوح الجامع ، الذي يعرف اليوم بجامع
الحاكم ، في سنة ثمانين وثلاثة ، وأكمل ابنه
الحاكم بأمر الله أبو على منصور ، وبنى جامع
القلى وجامع رائدة . فكانت الجمعة تقام في
هذه الجوامع كلها ... إلى أن انقرضت دولة
الخلفاء المماليك في سنة سبع وستين

من ٢١١١ هـ ، ١٢٠٢ م .

وخمس . بطلت الخطبة من الجامع
الأزهر ، وانتشرت فيما عداه .

فلما كانت الدولة التركية ، حدث بالقاهرة
والقرافة ومصر وما بين ذلك عدة جوامع
أقيمت فيها الجمعة . وما يرجح الأمر بزيادة حتى
بلغ عدد المواضع التي تقام بها الجمعة ، فيما
بين مسجد تير خارج القاهرة من بحرهما إلى
دير الطين قبلى مدينة مصر ، زيادة على مائة
موضع . وسيأتى من ذكر ذلك ما فيه كفاية
إن شاء الله تعالى .

وقد بلغت عدة المساجد التي تقام بها الجمعة
مائة وثلاثين مسجدا :

منها بمدينة مصر : جامع عمرو بن العاص ،
والجامع الجديد ، والمدرسة المعزية ، وجامع
ابن اللبان ، وجامع القراء ، وجامع تنى
الشار ، وجامع رائدة ، وجامع القيلة ، وجامع
دير الطين ، وجامع بساتين الوزير .

ومنها بالقرافة : جامع الأولياء ، وجامع
الأفهم ، وخانكاه بكتر ، وجامع ابن عبد
الظاهر ، وجامع الجوانى ، وجامع الضراب ،
وجامع قوصون ، وجامع الشافعى ، وجامع
الديلمى ، وجامع محمود ، وجامع بقرب تربة
الست .

ومنها بالروضة : جامع المقياس ، وجامع
عين ، وجامع الرئيس ، وجامع الأباريقى ،
وجامع القلى .

ومنها بالحسينية خارج القاهرة : جامع أحمد
الزاهد ، وجامع آل ملك ، وجامع كراى ،
وجامع الكافورى بالقرب من السيساطية ،
وجامع الخلق ، وجامع نائب الكرك ، وجامع

سوقة الجزيرة ، وجامع قنطرة ، وجامع ابن شرف الدين ، وجامع القاهرة ، وجامع الحاج كمال التاجر ... نجد هو وجامع سوقة الجزيرة في أيام الظاهر بركات .

ومنها خارج القاهرة ما يلي النيل : جامع كوم الرش . جامع جزيرة القيل . جامع أمين الدين بن تاج الدين موسى . جامع القفر على النيل . جامع الأسبوطي . جامع الواسطي . جامع ابن بندر . جامع الخليلي . جامع ابن غازي . جامع القس . جامع ابن التركماني . جامع بنت التركماني . جامع الطواشي . جامع باب الرخاء . جامع الزاهد . جامع ميدان القح . جامع صاروجا . جامع ابن زيد . جامع بركة الرمل . جامع الكيخني .

جامع باب الشعرة . جامع ابن ميلة . جامع ابن المغربي . جامع المعصني بقنطرة الموسكي . الجامع الملقب بقنطرة الموسكي أيضا . جامع الجاكي بسوقة الريش . جامع السروجي بسوقة الرش أيضا . جامع البكري . جامع ابن حنون بالدكة . جامع ابن المغربي على الخليج . جامع الطباخ بخط اللوق .

جامع الت نصيرة بخط باب اللوق — حيث كان الكوم فحفر ، فإذا بقبر عرف بالت نصيرة ، وعمل عليه مسجد ، وأقيمت به الجمعة في أيام الظاهر بركات — جامع شاعر بجوار قنطرة قنطرة ، عمر سنة ست وعشرين وثمانمائة . جامع غيط القاصد خلف قنطرة قنطرة . جامع الجزيرة الوسطى .

جامع كرم الدين بخط الزرية . جامع ابن غلاما بخط الزرية أيضا . الجامع الأخضر .

جامع سوقة الموق . جامع سلطان شاه باب الخرق . جامع زين الدين الخشاب خارج باب اللوق ، كان زاوية للقراء ، فأقيمت به الجمعة بعد سنة ثمانمائة . جامع منكلي بسوقة القيسري .

ومنها فيما بين القاهرة ومصر : جامع بنسالك . جامع الاسماعيلي على البركة الناصرية . جامع التمسكة . جامع آق سنقر بمجرى السقاين . جامع الشيخ محمد ابن حسن الحنفي . جامع ست حلق بالمرس . جامع الطيرسي . جامع الرحمة عمارة صاحب أمين الدين عبد الله بن غنام . جامع منشأة المهراني . جامع يونس بالسبع سقايات على البركة . جامع بركة الأستاذ بحدرة ابن قسيحة . جامع ابن طولون . جامع المشهد النفيسي . جامع البقلي بالقيسيات . جامع شيخو . جامع قانباي برأس سوقة منم . جامع الماس . جامع قوصون . جامع الصالح . مدرسة الناصر حسن بسوق الخيل . جامع الجاي . جامع المارديني . جامع أصلم .

ومنها بقلعة الجبل : جامع الناصري . جامع التوبة . جامع الاصطبل . الجامع المؤيدي .

ومنها خارج القاهرة بالترب وما قرب من القلعة : قرية جوشن ، وقرية الظاهر بركات ، وقرية طشتر حمص أخضر بالصحراء ، جامع الخضري . جامع التوبة . الجامع المؤيدي .

ومنها بالقاهرة : الجامع الأزهر ، والجامع الحامكي ، والجامع الأقصر ، ومدرسة الظاهر بركات ، والمدرسة الصالحية والحجارية ، والمسجد الحسيني ، وجامع الفسكاهي ،

والزمامية ، والصاحبية ، والبوكرية ، والجامع المؤيدي ، والأشرفية ، وجامع الدواداري قربا من البرقية ، وجامع التوبة بالبرقية ، مدرسة ابن البرقي والباسطية * .

ذكر الجوامع

اعلم أنه لما اتصلت مبانى القاهرة المعزية بمبانى مدينة فسطاط مصر بحيث صارتا كأنهما مدينة واحدة ، واتخذ أهل القاهرة وأهل مصر القرافتين لدفن أمواتهم ، ذكرت ما فى هذه المواضع الأربعة من المساجد الجامعة ، وأضفت إليها ما فى جزيرة فسطاط مصر — التى يقال لها الروضة — من الجوامع أيضا ، فإنها متزهة أهل البلدين ، وجمعت الى ذلك ما فى ظواهر القاهرة ومصر من الجوامع مع التعريف بحال من أسسها . وبالله التوفيق .

الجامع العتيق

هذا الجامع بمدينة فسطاط مصر — ويقال له تاج الجوامع ، وجامع عمرو بن العاص — وهو أول مسجد أسس بديار مصر فى الملة الإسلامية بعد الفتح .

خرج الحافظ أبو القاسم بن عساكر ، من حديث معاوية بن قرة ، قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من صلى صلاة مكتوبة فى مسجد مصر من الأمصار كانت له كحجة متقبلة ، فإن صلى تطوعا كانت له كعمرة مبرورة .

وعن كعب : من صلى فى مسجد مصر من الأمصار صلاة فريضة عدلت حجة متقبلة ، ومن

(*) ص ٢٢٤ ، ج ٢ ، طبع بولاق .

صلى تطوع عدلت عمرة متقبلة . فإن أصيب فى وجهه ذلك حرم لحمه ودمه على النار أن تطعمه ، وذنبه على من قتله .

وأول مسجد بنى فى الاسلام مسجد قباء ، ثم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال هشام بن عمار : حدثنا المفيرة بن المفيرة ، حدثنا يحيى بن عطاء الخراساني عن أبيه ، قال : لما افتتح عمر البلدان كتب الى أبي موسى ، وهو على البصرة ، يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة . وكتب الى سعد بن أبي وقاص ، وهو على الكوفة ، بمثل ذلك . وكتب الى عمرو بن العاص ، وهو على مصر ، بمثل ذلك . وكتب الى أمراء أجناد الشام ألا يتبددوا الى القرى ، وأن ينزلوا المدائن ، وأن يتخذوا فى كل مدينة مسجدا واحدا ، ولا تتخذ القبائل مساجد . فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده .

وقال أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ابن حفص الكندي فى كتاب « أخبار مسجد أهل الراية الأعظم » وأول أمره وبنائه ، وزيادة الأمراء فيه وغيرهم ، ومجالس الحكام والفقهاء منه ، وغير ذلك ...

قال هيرة بن أبيض عن شيخه نجيب : أن قيسية بن كلثوم التجيبى ، أحد بنى سوم ، سار من الشام الى مصر مع عمرو بن العاص ، فدخلها فى مائة راحلة وخمسين عبدا وثلاثين فرسا .

فلما أجمع المسلمون وعمرو بن العاص على حصار الحصن ، نظر قيسية بن كلثوم قرأى

العاص ، وكان سقته مطاطا جدا ولا صحن له ، فاذا كان الصيف جلس الناس بفتائه من كل ناحية ، وبينه وبين دار عمرو سبع أذرع . قلت : وأول من جلس على منبر أو سرور ذى أعواد ربيعة بن محاسن .

وقال القضاعى فى كتاب « الخطط » : وكان عمرو بن العاص قد اتخذ منبرا . فكتب إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعزم عليه فى كسره ، ويقول : أما يحبك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عتيك . فكرهه . قال مؤلفه رحمه الله : وفى سنة احدى وستين ومائة ، أمر المهدي محمد بن أبى جعفر المنصور بتقصير المنابر ، وجعلها بقدر منبر النبى صلى الله عليه وسلم .

قال القضاعى : وأول من صلى عليه من الموتى ، داخل الجامع ، أبو الحسن سعيد بن عثمان ، صاحب الشرط ، فى النصف من صفر . وكانت وفاته فجأة ، فأخرج ضحوة يوم الأحد السادس عشر من صفر ، وصلى عليه خلف المقصورة ، وكبر عليه خيما . ولم يعلم أحد قبله صلى عليه فى الجامع .

وذكر عمر بن شبة فى « تاريخ المدينة » أن أول من عمل مقصورة بلبن عثمان بن عفان وكانت فيها كوى تنظر الناس منها الى الامام ، وأن عمر بن عبد العزيز عملها بالساج .

قال القضاعى : ولم تكن الجمعة تقام فى زمن عمرو بن العاص بشىء من أرض مصر الا فى هذا الجامع ... قال أبو سعيد عبد الرحمن ابن يونس : جاء نفر من بحاقق الى عمرو بن

العاص ، فقالوا : انا نكون فى الريف أنجتمع فى العيدين القطر والأضحي ، ويؤمننا رجل منا ؟

قال : نعم .

قالوا : فالجمعة ؟

قال : لا ، ولا يصلى الجمعة بالناس الا من أقام الحدود ، وآخذ بالذنوب ، وأعطى الحقوق .

وأول من زاد فى هذا الجامع مسلمة بن مخلد الأنصارى سنة ثلاث وخمسين ، وهو يومئذ أمير مصر من قبل معاوية .

قال الكندى فى « كتاب أخبار مسجد أهل الراية » : ولما ضاق المسجد بأهله ، شكى ذلك الى مسلمة بن مخلد . وهو الأمير يومئذ . فكتب فيه الى معاوية بن أبى سفيان ، فكتب اليه يأمره بالزيادة فيه .

فزاد فيه من شرقيه مما يلى دار عمرو بن العاص ، وزاد فيه من بحريه ، ولم يحدث فيه حدثا من القبلى ولا من الغربى * ، وذلك فى سنة ثلاث وخمسين ، وجعل له رجة فى البحرى منه كان الناس يصفون فيها ، ولأطه بالنورة ، وزخرف جدرانه وسقوفه . ولم يكن المسجد الذى لعمر بن عبد الله فيه نورة ولا زخرف . وأمر بابتناء منار المسجد الذى فى القسطنطينية ، وأمر أن يؤذنوا فى وقت واحد ، وأمر مؤذنى الجامع أن يؤذنوا للفجر اذا مضى نصف الليل ، فاذا فرغوا من آذانهم أذن كل مؤذن فى القسطنطينية فى وقت واحد ... قال ابن لهيعة : فكان لآذانهم دوى شديد .

(٣٧٧ من ٣٧٧) ، ط . بولاق .

فقال عابد بن هشام الأزدي - ثم السلامانى - لمسلمة بن مخلد :

لقد مدت لمسلمة الليالى

على رغم العداة مع الأمان وساعده الزمان بكل معد

وبلفه البعيد من الأمانى أسلم فارتقى لا زلت تعلو

على الأيام مسلم والزمان لقد أحكمت مسجدا فأضحى

كأحسن ما يكون من المباني فتاه به البلاد وساكنوها

كما تاهت بزينتها الغوانى وكم لك من مناقب صالحات

وأجدل بالصوامع للأذان كان تجاوب الأصوات فيها

اذا ما الليل ألقى بالجران كصوت الرعد خالطه دوى

وأرعب كل مختطف الجنان وقيل ان معاوية أمره ببناء الصوامع

للأذان ...

قال : وجعل مسلمة للمسجد الجامع أربع صوامع فى أركانه الأربع ، وهو أول من جعلها فيه ، ولم تكن قبل ذلك ... قال : وهو أول من جعل فيه الخضر ، وانما كان قبل ذلك مفروشا بالحصباء ، وأمر ألا يضرب بناقوس عند الأذان (يعنى الفجر) . وكان السلم الذى يصعد منه المؤذنون فى الطريق ... حتى كان خالد بن سعيد ، فحوله داخل المسجد .

قال القاضى القضاعى : ثم ان عبد العزيز بن مروان هدمه فى سنة تسع وسبعين من الهجرة - وهو يومئذ أمير مصر من قبل

أخيه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان - وزاد فيه من ناحية الغرب ، وأدخل فيه الرجة التى كانت فى بحريه ، ولم يجد فى شرقيه موضعا يوسعه به .

وذكر أبو عمر الكندى فى كتاب « الأمراء » أنه زاد فيه من جوانبه كلها .

ويقال ان عبد العزيز بن مروان لما أكمل بناء المسجد ، خرج من دار الذهب عند طلوع الفجر ، فدخل المسجد فرأى فى أهله خفة ، فأمر بأخذ الأبواب على من فيه ، ثم دعا بهم رجلا رجلا ، فيقول للرجل : ألك زوجة ؟ فيقول : لا ، فيقول : زوجوه ... ألك خادم ؟ فيقول : لا ، فيقول : اخذموه ... أحجبت ؟ فيقول : لا ، فيقول : أحجوه ... أعليك دين ؟ فيقول : نعم ، فيقول : اقضوا دينه . فأقام المسجد بعد ذلك دهرا عامرا ، ولم يزل الى اليوم .

وذكر أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان - فى ولايته على مصر من قبل أخيه الوليد - أمر برفع سقف المسجد الجامع - وكان مطاطا - وذلك فى سنة تسع وثمانين . ثم ان قررة بن شريك العيسى هدمه مستهل سنة اثنتين وتسعين بأمر الوليد بن عبد الملك - وهو يومئذ أمير مصر من قبله - وأبتدأ فى بنيانه فى شعبان من السنة المذكورة ، وجعل على بنيانه يحيى بن حنظلة مولى بنى عامر بن لؤى ، وكانوا يجمعون الجمعة فى قيسارية العسل حتى فرغ من بنيانه ، وذلك فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ، ونصب المنبر الجديد فى سنة أربع وتسعين ، ونزع المنبر الذى كان فى المسجد .

وذكر أن عمرو بن العاص كان جعله فيه ،
فلعله بعد وفاة عمرو بن الخطاب رضى الله عنه .
وقيل هو منير عبد العزيز بن مروان ، وذكر
أنه حمل إليه من بعض كنائس مصر . وقيل أن
زكريا بن يرقى ملك النوبة أهداه إلى عبد الله
ابن سعد بن أبي سرح ، وبعث معه تجاره حتى
ركبه ... واسم هذا التجار بقطر من أهل
دلدرة . ولم يزل هذا المنبر في المسجد حتى
زاد قرة بن شريك في الجامع ، فنصب منبرا
سواه على ما تقدم شرحه .

ولم يكن يخطب في القرى إلا على العصا .
إلى أن ولي عبد الملك بن موسى بن نصير
البحري مصر ، من قبل مروان بن محمد ،
فأمر باتخاذ المنابر في القرى ، وذلك في سنة
اثنين وثلاثين ومائة . وذكر أنه لا يعرف
منبرا أقدم منه (يعني من منبر قرة بن شريك)
بعد منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلم يزل كذلك إلى أن قلع وكسر في أيام
العزيز بالله ، بنظر الوزير يعقوب بن كلس ،
في يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع
الأول سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ، وجعل
مكانه منبر مذهب . ثم أخرج هذا المنبر إلى
الاسكندرية ، وجعل في جامع عمرو بها ،
وأثول إلى الجامع المنبر الكبير الذي هو به
الآن ، وذلك في أيام الحاكم بأمر الله في شهر
ربيع الأول سنة خمس وأربعمائة .

وصرف بنو عبد السميع عن الخطابة ،
وجعلت خطابة الجامع العتيق لجعفر بن
الحسن بن خداع الحنثي ، وجعل إلى أخيه
الخطابة بالجامع الأزهر . وصرف بنو عبد

السميع بن عمرو بن الحسين ، بن عبد العزيز
ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس من جميع
المنابر ، بعد أن أقاموا هم ولسانهم فيها ستين
سنة .

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة ، وجد
المنبر الجديد الذي نصب في الجامع قد لطم
بعمدة ، فوكل به من يحفظه ، وعمل له غشاء
من آدم مذهب في شعبان من هذه السنة ،
وخطب عليه ابن خداع وهو معني .

وزيادة قرة من القبلى والشرفى ، وأخذ
بعض دار عمرو وابنه عبد الله بن عمرو فأدخله
في المسجد ، وأخذ منها الطريق الذي بين
المسجد وبينهما ، وعوض ولد عمرو ما هو
في أيديهم اليوم من الرباع ، وأمر قرة بعمل
المحراب الجوف على ما تقدم شرحه . وهو
المحراب المعروف بعمرو ، لأنه في سمت
محراب المسجد القديم الذي بناه عمرو .

وكانت قبلة المسجد القديم عند العمدة
المذهبة في صف التوايت اليوم ، وهي أربعة
عشر اثنان في مقابلة اثنين ، وكان قرة أذهب
رؤوسها ، وكانت مجالس قيس ، ولم يكن
في المسجد عند مذهب غيرها ، وكانت قديما
حلقة أهل المدينة ، ثم زوق أكثر العمدة وطوق
في أيام الاخشيد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة .

ولم يكن للجامع أيام قرة بن شريك غير
هذا المحراب . فأما المحراب الأوسط الموجود
اليوم ، فعرف بمحراب عمرو بن مروان عم
الخلقاء ، وهو أخو عبد الملك وعبد العزيز ،
ولعله أحدثه في الجدار بعد قرة . وقد ذكر
قوم أن قرة عمل هذين المحرابين .

(١٨٨) ج ١ ، طه بولاق

وصار للجامع أربعة أبواب ، وهي الأبواب
الموجودة في شرقيه الآن ، آخرها باب اسرائيل
وهو باب النحاسين . وفي غربيه أربعة أبواب
شارعة في زقاق كان يعرف بزقاق البلاط ،
وفي بحريه ثلاثة أبواب .

وبيت المال الذي في علو الفوارة بالجامع
بناه أسامة بن زيد التوحى ، متولى الخراج
بمصر ، سنة سبع وتسعين في أيام سليمان بن
عبد الملك ، وأمير مصر يومئذ عبد الملك بن
رفاعة التهمى ، وكان مال المسلمين فيه .

وطرق المسجد في ليلة سنة خمس وأربعين
ومائة في ولاية يزيد بن حاتم المهلبى من قبل
المنصور ... طرقه قوم ممن كان بايع على بن
محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي
ابن أبي طالب رضى الله عنه - وكان أول
علوى قدم مصر - فنهبوا بيت المال ، ثم
تضاربوا عليه بسيوفهم ، فلم يصل إليهم منه
إلا اليسير ، فأنفذ إليهم يزيد من قتل منهم
جماعة ، وانهمزموا .

وذكر أن هذا المكان تصور عليه لص في
أمانة أحمد بن طولون ، وسرق منه بدرتى
دقائير . فظفر به أحمد بن طولون ، واصطنعه
وعفا عنه .

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ، أمر
العزيز بالله بعمل الفوارة تحت قبة بيت المال ،
فعملت وفرغ منها في شهر رجب سنة تسع
وسبعين وثلاثمائة .

ثم زاد فيه صالح بن علي بن عبد الله بن
عباس رضى الله عنهما - وهو يومئذ أمير
مصر من قبل أبي العباس السفاح - في

مؤخره أربع أساطين ، وذلك في سنة ثلاث
وثلاثين ومائة ، وهو أول من ولي مصر لبني
العباس ، فيقال أنه أدخل في الجامع دار الزبير
ابن العوام ، رضى الله عنه ، وكانت غربي دار
النحاس .

وكان الزبير تخطى عنها ، ووهبها لمواليه
لخصومة جرت بين غلمانه وغلمان عمرو بن
العاص ، واختط الزبير فيما يلي الدار المعروفة
به الآن . ثم اشترى عبد العزيز بن مروان دار
الزبير من مواليه ، فقسمها بين ابنه الأصغر
وأبى بكر .

فلما قدم صالح بن علي ، أخذها عن أم
عاصم بنت عاصم بن أبى بكر ، وعن طفل
يتيم وهو حسان بن الأصغر ، فأدخلها في
المسجد . وباب الكحل من هذه الزيادة
- وهو الباب الخامس من أبواب الجامع
الشرقية الآن - وعمر صالح بن علي أيضا
مقدم المسجد الجامع عند الباب الأول موضع
البلاطة الحمراء .

ثم زاد فيه موسى بن عيسى الهاشمى
- وهو يومئذ أمير مصر من قبل الرشيد -
في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة الرحبة
التي في مؤخره ، وهي نصف الرحبة المعروفة
بأبى أيوب . ولما ضاق الطريق بهذه الزيادة
أخذ موسى بن عيسى دار الريح بن سليمان
الزهري ، شركة بنى مسكين ، بغير عوض
للريح ، ووسع بها الطريق ، وعوض بنى
مسكين .

ووصل عبد الله بن طاهر بن الحسين بن
مصعب ، مولى خزاعة ، أميرا من قبل المأمون ،

في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة ومائتين ، ونوجه إلى الاسكندرية مستل صر سنة اثني عشرة ومائتين ، ورجع إلى القسطنطينية في جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وأمر بالزينة في المسجد الجامع ، فربط فيه منته من غريبه . وعند ابن طاهر إلى يسمي لنفسه يمين من رجب من السنة المذكورة .

وكانت زينة ابن طاهر المحراب الكبير وما في غريبه إلى حد زينة الخازن . فأدخل فيه الزقاق المعروف أولا بزقاق البلاط ، وقطعة كبيرة من دار الرمل ، ورجبة كانت بين يمين دار الرمل ، ودورا ذكرها القضاة .

وذكر بعضهم أن موضع قطاط عمرو بن العاص حيث المحراب وللنير . قل : وكان الذي سم زينة عبد الله بن طاهر ، بعد ميره إلى بغداد ، عيسى بن يزيد البلودي . وتكامل فرع الجامع ، سوى الزماتين ، مائة وتسعين ذراعا بفراغ العمل طولا ، في مائة وخمسين ذراعا عرضا . . . وقال أن فرع جامع ابن طولون مثل ذلك ، سوى الرواق المحيط بجوانبه الثلاثة .

ونصب عبد الله بن طاهر اللوح الأخضر ، فلما احترق . الجامع احترق ذلك اللوح . فجعل أحمد بن محمد العيني هذا اللوح مكان ذلك ، وهو هذا اللوح الأخضر الباقي إلى اليوم . ورجبة العارث هي الرجبة البحرية من زينة الخازن ، وكانت رجبة يجابح الناس فيها يوم الجمعة .

١٨١ من ١٨٢ ج ١ ، طبراق .

وذكر أبو بكر البغدادي في كتاب «الموالي» أن عمرو العارث بن مسكين بن محمد بن يوسف . . . مولى محمد بن رزان بن عبد العزيز بن مروان . . . وأولى القضاء من قبل التوكل على الله في سنة سبع وثلاثين ومائتين . ثم رتبته هذه الرجبة لتسع الناس بها ، وحول سلم المؤذنين إلى غربي المسجد وكان عند باب إسرائيل ، ونفذ زينة ابن طاهر ، وأصلح بستان القنفذ ، وبنى سقاية في الحدائق ، وأمر ببناء الرجبة الملاصقة لدار الضرب لتسع الناس بها .

وزينة أبي أيوب أحمد بن محمد بن شجاع ابن أخت أبي الوزير أحمد بن خالد صاحب الخراج في أيام المتصم . كان أبو أيوب هذا أحد عمال الخراج زمن أحمد بن طولون ، وزينته في بقية الرجبة المعروفة برجبة أبي أيوب ، والمحراب للشوب إلى أبي أيوب هو الغربي من هذه الزيادة عند شباك الحدائق ، وكان بناؤها في سنة ثمان وخمسين ومائتين . ويقال أن أبا أيوب مات في سجن أحمد بن طولون بعد أن نكبه وامسقى أمواله ، وذلك في سنة ست وستين ومائتين . وأدخل أبو أيوب في هذه الزيادة أماكن ذكرها .

قال : وكان قد وقع في مؤخر المسجد الجامع حريق ، فممر وزينت هذه الزيادة في أيام أحمد بن طولون . ووقع في الجامع ، في ليلة الجمعة لتسع خلون من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين ، حريق أخذ من بعد ثلاث حنايا من باب إسرائيل إلى رجبة العارث بن مسكين ، فهلك فيه أكثر زينة عبد الله بن طاهر ، والرواق الذي عليه اللوح الأخضر .

وأمر خمارويه بن أحمد بن طولون بصارته ، على يد أحمد بن محمد العيني ، فأعيد على ما كان عليه ، وأتقن فيه ستة آلاف وأربعمائة دينار ، وكتب اسم خمارويه في دائر الرواق الذي عليه اللوح الأخضر ، وهي موجودة الآن ، وكانت عمارته في السنة المذكورة .

وأمر عيسى النوشزي ، في ولايته الثانية على مصر في سنة أربع وتسعين ومائتين ، بإغلاق المسجد الجامع فيسا بين الصلوات . فكان يفتح للصلاة فقط ، وأقام على ذلك أياما ، فضج أهل المسجد ففتح لهم .

وزاد أبو حفص العباسي ، في أيام نظره في قضاء مصر خلافة لأخيه محمد ، الغرفة التي يؤذن فيها المؤذنون في السطح . وكانت ولايته في رجب من سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، وكان امام مصر والحرمين ، وإليه إقامة الحج . ولم يزل قاضيا بمصر خلافة لأخيه ، إلى أن صرف من القضاء بالخصي في ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، وتوفي في سنة اثنين وأربعين وثلثمائة بعد قدومه من الحج .

ثم زاد فيه أبو بكر محمد بن عبد الله الخازن رواقا واحدا من دار الضرب . وهو الرواق ذو المحراب والشباكين ، المتصل برجبة العارث ، ومقداره تسع أذرع . وكان ابتداء ذلك في رجب سنة سبع وخمسين وثلثمائة . ومات قبل تمام هذه الزيادة ، وتسمي ابنه علي بن محمد ، وقرغت في العشر الآخر من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة .

وزاد فيه الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس ، بأمر العزيز بالله ، القوارة

التي تحت قبة بيت المال . وهو أول من عمل فيه قوارة . وزاد فيه أيضا مساقف الخشب المحيطة بها ، على يد المعروف بالمقدس ، وذلك في سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ، ونصب فيها حجاب الرخام التي للماء .

وفي سنة سبع وثمانين وثلثمائة جدد بياض المسجد الجامع ، وقلع شيء كثير من القنصاء الذي كان في أروقته ، وبيض مواضعه ، ونقشت خمسة ألواح وذهبت ، ونصبت على أبوابه الخصة الشرقية ، وهي التي عليهما الآن . وكان ذلك على يد برجوان الخادم ، وكان اسمه ثابتا في الألواح ، فقلع بعد قتله .

وقال المسيحي في تاريخه : وفي سنة ثلاث وأربعمائة أنزل من القصر إلى الجامع العتيق بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا ما بين ختات وربعات ، فيها ما هو مكتوب كله بالذهب ، ومكن الناس من القراءة فيها . وأنزل إليه أيضا بتور من فضة ، عمله الحاكم بأمر الله يرسم الجامع ، فيه مائة ألف درهم فضة . فاجتمع الناس ، وعلق بالجامع بعد أن قلعت عتبة الباب حتى أدخل به . وكان من اجتماع الناس لذلك ما يتجاوز الوصف .

قال القضاة : وأمر الحاكم بأمر الله بعمل الرواقين اللذين في صحن المسجد الجامع ، وقلع عمد الخشب وجسر الخشب التي كانت هناك ، وذلك في شعبان سنة ست وأربعمائة .

وكانت العمدة والجسر قد نصبها أبو أيوب أحمد بن محمد بن شجاع ، في سنة سبع وخمسين ومائتين ، زمن أحمد بن طولون .

المصرية ، ونظر الأحباس في ولايته الثانية أيام الملك القاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ، كشف الجامع بنفسه ، فوجد مؤخره قد مال الى بحره ، ووجد سور البحرى قد مال ، واقلب طوله عن سنت سله ، ورأى في سطح الجامع غرقا كثيرة محدثة ، وبعضها مزخرف . فهدم الجميع ، ولم يدع بالسطح سوى غرفة المؤذنين القديمة وثلاث خزائن لرؤساء المؤذنين لا غير . وجمع أرباب الخبرة ، فاتفق الرأي على إبطال جريان الماء الى فوارة القسقية — وكان الماء يصل اليها من بحر النيل — فأمر بإبطاله لما كان فيه من الضرر على جدران الجامع ، وعمر بساتين بالزيادة البحرية تشد جدران الجامع البحرى ، وزاد في عند الزيادة ما قوى به البساتين المذكورة ، وسد شباكين كاتا في الجدران المذكور ليتقوى بذلك ، وأتفق المصروف على ذلك من مال الأحباس .

وخشى أن يتداعى الجامع كله الى السقوط ، فحدث صاحب الوزير بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا في مفاوضة السلطان في عمارة ذلك من بيت المال . فاجتسما معا بالسلطان الملك الظاهر بيبرس ، وسألاه في ذلك ، فرسم بعمارة الجامع .

فهدم الجدار البحرى من مقدم الجامع — وهو الجدار الذى فيه اللوح الأخضر — وحط اللوح ، وأزيلت العمدة والقواصر المشر ، وعمر الجدار المذكور ، وأعيدت العمدة والقواصر كما كانت ، وزيد في العمدة أربعة قرن بها أربعة مسا هو تحت اللوح الأخضر والصف الثانى منه ، وفصل اللوح الأخضر أجزاء ، ويجدد غيره وأذهب ، وكتب

على اسم السلطان الملك الظاهر ، وجلت العمدة كلها ، وبيض الجامع بأسره — وذلك في شهر رجب سنة ست وستين وستائة — وصلى فيه شهر رمضان بعد فراغه ، ولم تعمل الصلاة فيه لأجل العمارة .

ولما كان في شهر سنة سبع وثمانين وستائة ، شكى قاضى القضاة تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن بنت الأعر ، للسلطان الملك المنصور قلاوون ، سوء حال جامع عمرو بمصر ، وسوء حال الجامع الأزهر بالقاهرة ، وأن الأحباس على أسوأ الأحوال .

وأن مجد الدين بن الحباب أخرب هذه الجهة لما كان يتحدث فيها ، وتقرب بجزيرة القيل — الوقف الصلاحى على مدرسة الشافعية — الى الأمير علم الدين الشجاعى ، وذكر له بأن في أطمائها زيادة ، فقاوسوا ما تجدد بها من الرمال وجملوه للوقف ، وأقطعوا الأحيان القديمة الجارية في الوقف . وتقرب أيضا اليه بأن في الأحباس زيادة ، من جملتها بالأعمال الغربية ما يبلغه في السنة ثلاثون ألف درهم ، وأن ذلك لجهة عمارة الجامعين . وسأل السلطان في إعادة ذلك ، وإبطال ما أقطع منه .

فلم يجب الى ذلك ، وأمر الأمير حسام الدين طرناى بعمارة الجامع الأزهر ، والأمير عز الدين الأقرم بعمارة جامع عمرو . فحضر الأقرم الى الجامع بمصر ، ورسم على مباشرى الأحباس ، وكشف المساجد لغرض كان في نفسه ، وبيض الجامع ، وجرد نصف العمدة التى فيه ، فصار العمود نصفه الأسفل أبيض

وباقية بحاله ، ودهن واجهة غرفة الساعات بالسيلقون ، وأجرى الماء من البر التى بزقاق الأقال الى فسقية الجامع ، ورعى ما كان بالزيادات من الأثرية .

وبطر العوام به فيما فعله بالجامع ، فصاروا يقولون : « نقل الدبباس من البحر الى الجامع » لكونه دهن الغرفة بالسيلقون ، « وألبس العواميد الشيخ العريان » لكونه جرد نصفها التحتانى ، فصار أبيض الأسفل أسر الأعلى ، كما كان الشيخ العريان ، فإن نصفه الأسفل كان مستورا بمنزر أبيض وأعلاه عريان ، ولم يفعل بالجامع سوى ما ذكر .

ولما حدثت الزلزلة في سنة اثنتين وسبعمئة تشعث الجامع . فاتفق الأميران بيبرس الجاشنكير وهو يومئذ استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون ، والأمير سالار وهو نائب السلطنة — واليهما تدبير الدولة — على عمارة الجامعين بمصر والقاهرة . فتولى الأمير ركن الدين بيبرس عمارة الجامع الحاكى بالقاهرة ، وتولى الأمير سالار عمارة جامع عمرو بمصر .

فاعتمد سالار على كاتبه بدر الدين بن خطاب . فهدم الحد البحرى من سلم السطح الى باب الزيادة البحرية والشرقية ، وأعاده على ما كان عليه ، وعمل بابين جديدين للزيادة البحرية والغربية ، وأضاف الى كل عمود من الصف الأخير المقابل للجدار الذى هدمه عمودا آخر تقوية له ، وجرد عند الجامع كلها ، وبيض الجامع بأسره ، وزاد في سقف الزيادة الغربية رواقين ، وبلط سفلى ما أسقف منها .

وخرب بظاهر مصر وبالقرافتين عدة مساجد وأخذ عمدها ليخرج بها صحن الجامع ، وقلع من رخام الجامع الذى كان تحت الحصر كثيرا من الألواح الطوال ، وورس الجميع عند باب الجامع المعروف بباب الشرابين ، فنقل من هناك الى حيث شاء ، ولم يعمل منه فى صحن الجامع شئ ألبتة ، وكان فيما نقل من ألواح الرخام ما طوله أربعة أذرع فى عرض ذراع وسدس ... ذهب بجميع ذلك .

ولما ولى علاء الدين بن مروانة نيابة دار العدل ، قسم جامعى مصر والقاهرة ، فجعل جامع القاهرة مع نبيه الدين بن السعرتى . وجامع عمرو مع بهاء الدين بن السكرى ، فسقت الزيادة البحرية الشرقية — وكانت قد جعلت حاصلا للحصر — وجعل لها درابزين بين البابين يمنع الجانبين من المار من باب الجامع الى باب الزيادة المملوك منه الى سوق النحاسين ، وبلط أرضها ، ورقع بعض رخام صحن الجامع ، وبلط بعض المجازات ، وعمل عضائد أعتاب تحوز الصحن عن مواضع الصلاة .

ولما كان في شهر سنة ست وتسعين وستائة ، اشترى صاحب تاج الدين دارا بسوق الأكفانيين وهدمها ، وجعل مكانها سقاية كبيرة ، ورفعها الى محاذاة سطح الجامع ، وجعل لها مشى يتوصل اليها من سطح الجامع ، وعمل فى أعلاها أربعة بيوت يرتقى بهم فى الخلاه ، ومكانا يرسم أزيار الماء العذب ، وهدم سقاية الغرفة التى تحت المئذنة المعروفة بالمنظرة ، وبنها برجا كبيرا من الأرض

الى الطوت حيث كان أولا ، وبجل باعلى هذا
البرج يتا مرتعا يختص بالفرقة المذكورة كما
كان أولا ، ويتا ليا من خارج الفرقة يرتفع
به من هو خارج الفرقة من يقرب منها .

وعمر القاضي صدر الدين ابو عبد الله محمد
ابن البارلياري سقاية في ركن دار عمرو
البحري الغربي من داره المصري بعدما كانت
قد تهدمت ، فأعادها كاجسن ما كانت . ثم ان
الجامع تهدمت ومالت قواعده ، ولم يبق الا
أن يسقط . وأهل الدولة ، بعد موت الملك
الظاهر برقوق ، في شغل من اللهو عن عمل
ذلك .

فانتخب الرئيس يرهان الدين ابراهيم بن
صبر بن علي البطي ، رئيس التجار يومئذ
بديار مصر ، لعمارة الجامع بنفسه وقوه ،
وهدم صدر الجامع بأمره فيما بين المصراپ
المكسر الى الصحن طولا وعرضا ، وأزال
اللوح الأخضر ، وأعاد البناء كما كان أولا ،
وجند لوحا أخضر بدل الأول ونصبه كما كان
— وهو الموجود الآن — وجرد العمدة كلها ،
وتبع جدر الجامع فرم شعثها كله ، وأصنح
من رخام الصحن ما كان قد فسد ، ومن
الجبوف ما كان قد وهى ، وبيض الجامع
كله .

فبعد كما كان ، وعاد جديدا بعدما كاذ أن
يسقط ... لولا أقام الله عز وجل هذا الرجل
مع ما هرف من ضعة وكثرة ضته بالمال —
حتى عمده . فشكر الله سبحانه ، وبيض محياه .
وكان انتهاء هذا العمل في سنة أربع وثمانمائة

ولم يتصل منه صلاة جمعة ولا جماعة في مدة
صارته .

قال ابن المتوج : ان فرج هذا الجامع اثنان
وأربعون ألف ذراع بذراع البر المصري القديم
— وهو ذراع الحمر المستر الى الآن —
فمن ذلك مئتيه ثلاثة عشر ألف ذراع
وأربعمائة وخمسة وعشرون ذراعا ، ومؤخره
مثل ذلك ، وصفت سبعة آلاف وخمسمائة
ذراع ، وكل من جالبه الشرق والغرب ثلاثة
آلاف وثمانمائة وخمسة وعشرون ذراعا .
وذووه كله بذراع العمل ثمانية وعشرون ألف
ذراع .

وعدد أبوابه ثلاثة عشر بابا : منها في
القبلى باب الزلزلة الذى يدخل منه الخطيب
— كان به شجرة زلزلت عظيمة قطعت في
سنة ست وستين وسبعمائة — وفي البحرى
ثلاثة أبواب ، وفي الشرقى خمسة ، وفي
الغربى أربعة . وعدد عمدته ثلثمائة وثمانية
وسبعون عمودا ، فالبحرية الشرقية كانت
لجلوس قاضى القضاة بها في كل أسبوع
يومين .

وكان بهذا الجامع القصص ... قال
القضاعى : روى كافع ، عن ابن عمر رضى الله
عنهما ، قال : لم يقص في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولا أبى بكر ولا عمر
ولا عثمان رضى الله عنهم ، وإنما كان القصص
في زمن معاوية رضى الله عنه .
وذكر عمر بن شبة قال : قيل للحسن : متى
أحدث القصص ؟ قال : في خلافة عثمان بن
عفان . قيل : من أول من قص ؟



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب للواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثلث ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِزِي

المجلد
٣٦

كتاب
التحرير



« كانت مصر هي مستقر رأسي ، ومطلع أترابي ، وجميع ناسي ، ومنهني عشيرتي وهماستي .
وسوطن فهاستي وهماستي . وهبوطي الذي ربي جناحي في ذكره . وعش ما ربي ، فها
تهوي المرفس غير ذكره . لا زلت منذ شذوت العام ، وآثاني ربي الفطانة والفهم ، أغيب في
معرفة أضيالها ، وأحب الإشراف على الاعتراف من آبارها . وألغوي مساواة الركبان عن مكان ديارها .
تقي الدين أحمد بن علي المقرزي »

قال : تميم الداري .

وذكر عن ابن شهاب قال : أول من قص في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم الداري ... استأذن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه ، حتى كان آخر ولايته فأذن له أن يذكر في يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر . فاستأذن تميم عثمان بن عفان رضي الله عنه في ذلك ، فأذن له أن يذكر يومين في الجمعة . فكان تميم يفعل ذلك .

وروى ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، أن عليا رضي الله عنه قنت فدعا على قوم من أهل حربه . فبلغ ذلك معاوية ، فأمر رجلا يقص بعد الصبح ، وبعد المغرب يدعو له ولأهل الشام ... قال يزيد : وكان ذلك أول القصص .

وروى عن عبد الله بن مغفل قال : أمنا على رضي الله عنه في المغرب . فلما رفع رأسه من الركعة الثالثة ذكر معاوية أولا ، وعمر بن العاص ثانيا ، وأبا الأعور — يعني السلمي — ثالثا ، وكان أبو موسى الرابع .

وقال الليث بن سعد : هما قصصان : قصص العامة ، وقصص الخاصة . فأما قصص العامة فهو الذي يجتمع إليه نفر من الناس يعظهم ويذكروهم ، فذلك منكروه لمن فعله ولمن استمعه . وأما قصص الخاصة فهو الذي جعله معاوية ... ولي رجلا على القصص . فإذا سلم من صلاة الصبح ، جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجده ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ودعا للخليفة ولأهل ولايته

ولجشته وجنوده ، ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة .

ويقال إن أول من قص بمصر سليمان بن عتر التجيبي في سنة ثمان وثلاثين ، وجمع له القضاء إلى القصص ، ثم عزل عن القضاء وأُفرد * بالقصص . وكانت ولايته على القصص والقضاء سبعا وثلاثين سنة : منها ستان قبل القضاء . ويقال إنه كان يختم القرآن في كل ليلة ثلاث مرات ، وكان يجهز بسم الله الرحمن الرحيم ، ويسجد في المفصل ، ويسلم تسليمه واحدة ، ويقرأ في الركعة الأولى بالبقرة ، وفي الثانية بقل هو الله أحد ، ويرفع يديه في القصص إذا دعا .

وكان عبد الملك بن مروان شكا إلى العلماء ما اتشر عليه من أمور رعيته ، وتخوفه من كل وجه . فأشار عليه أبو حبيب الحمصي القاضي بأن يستنصر عليهم برفع يديه إلى الله تعالى . فكان عبد الملك يدعو ، ويرفع يديه ، وكتب بذلك إلى القصاص . فكانوا يرفعون أيديهم بالفداة والعشي .

وفي هذا الجامع مصحف أسماء ، وهو الذي تجاه المحراب الكبير . قال القضاعي : كان السبب في كتب هذا المصحف أن الحجاج بن يوسف الثقفي كتب مصاحف ، وبعث بها إلى الأمصار ، ووجه إلى مصر بمصحف منها . فغضب عبد العزيز بن مروان من ذلك — وكان الوالي يومئذ من قبل أخيه عبد الملك — وقال : يبعث إلى جند أفا فيه بمصحف . فأمر فكتب له هذا المصحف الذي في المسجد الجامع اليوم .

(*) من ٢٥٢ ج ٢ ، طه بولاق .

فلما فرغ منه قال : من وجد فيه حرفا خطأ
فنه رأس أحمر وثلاثون ديناراً . فتداوله
القرءاء ، فأتى رجل من قرءاء الكوفة ، اسمه
زوجة بن سهل التقي ، فقرأه لهجياً ، ثم جاء
الى جسد العزيز بن مروان فقال له : انى
قد وجدت فى المصحف حرفاً خطأ .

فقال : مصحفى !

قال : نعم .

فقرأ فإذا فيه « ان هذا أخى له تسع
وتسعون تسعة » ، فإذا هى مكتوبة « تسعة »
قد قلمت الجيم قبل العين . فأمر بالمصحف
فأصلح ما كان فيه ، وأبدلت الورقة ، ثم أمر
له بثلاثين ديناراً ورأس أحمر .

ولما فرغ من هذا المصحف ، كان يحمل الى
المسجد الجامع غداة كل جمعة من دار عبد
العزيز ، فيقرأ فيه ثم يقص ، ثم يرد الى
موضعه . فكان أول من قرأ فيه عبد الرحمن
ابن حنيفة الخولاني ، لأنه كان يتولى القصص
والقضاء يومئذ وذلك فى سنة ست وسبعين .
ثم تولى بعده القصص أبو الخير مرثد بن عبد
الله اليزنى ، وكان قاضياً بالاسكندرية قبل
ذلك .

ثم توفى عبد العزيز فى سنة ست وثمانين ،
فبيع هذا المصحف فى ميراثه . فاشتراه ابنه
أبو بكر بألف دينار ، ثم توفى أبو بكر .
فاشترته أساء ابنة أبى بكر بن عبد العزيز
ببمائة دينار ، فأمكنك الناس منه ، وشهرته
فنب إليها . فلما توفيت أساء ، اشتراه
أخوها الحكم بن عبد العزيز بن مروان من
ميراثها بخمسة دنانير .

فاشار عليه توبة بن نصر الحضرمى القاضى
— وهو متولى القصص يومئذ بالمسجد الجامع
بعد عقبة بن مسلم الهمداني ، واليه القضاء ،
وذلك فى سنة ثمان عشرة ومائة — فجعله فى
المسجد الجامع ، وأجرى على الذى يقرأ فيه
ثلاثة دنائير فى كل شهر من غلة الإصطبل .
فكان توبة أول من قرأ فيه بعد أن أقر فى
الجامع .

وتولى القصص بعد توبة أبو اسماعيل خير
ابن نعيم الحضرمى القاضى فى سنة عشرين
ومائة ، وجمع له القضاء والقصص . فكان يقرأ
فى المصحف قائماً ، ثم يقص وهو جالس ، فهو
أول من قرأ فى المصحف قائماً . ولم يزل
الأئمة يقرأون فى المسجد الجامع فى هذا
المصحف فى كل يوم جمعة . الى أن ولى
القصص أبو رجب الملاة بن عاصم الخولاني
فى سنة اثنتين وثمانين ومائة ، فقرأ فيه يوم
الاثنين .

وكان قد جعل المطلب الخزاعى ، أمير مصر
من قبل المأمون ، رزق أبى رجب الملاة عشرة
دنائير على القصص . وهو أول من سلم فى
الجامع تسليمين ، بكتاب ورد من المأمون
يأمر فيه بذلك . وصلى خلفه محمد بن ادريس
الشافعى حين قدم الى مصر ، فقال : هكذا
تكون الصلاة ، ما صليت خلف أحد أئم صلاة
من أبى رجب ، ولا أحسن .

ولما ولى القصص حسن بن الربيع بن
ليمان من قبل عتبة بن اسحاق — أمير
مصر من قبل المتوكل — فى سنة أربعين
ومائتين ، أمر أن تترك قراءة « بسم الله

الرحمن الرحيم » فى الصلاة فتركها الناس ،
وأمر أن تصلى التراويح خمس تراويح ،
وكانت تصلى قبل ذلك ست تراويح ، وزاد فى
قراءة المصحف يوماً . فكان يقرأ يوم الاثنين
ويوم الخميس ويوم الجمعة .

ولما ولى حمزة بن أيوب بن ابراهيم
الهاشمى القصص — بكتاب من المكتفى —
فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، صلى فى
مؤخر المسجد حين نكس ، وأمر أن يحمل
اليه المصحف ليقرأ فيه . فقيل له : انه لم
يحمل المصحف الى أحد قبلك ، فلو قمت
وقرات فيه فى مكانه ؟

فقال : لا أفعل ، ولكن اتولى به ، فان
القرآن علينا أنزل ، والينا أتى . فأتى به فقرأ
فيه فى المؤخر .

وهو أول من قرأ فى المصحف فى المؤخر ،
ولم يقرأ فى المصحف بعد ذلك فى المؤخر .
الى أن تولى أبو بكر محمد بن الحسن
السوى الصلاة والقصص فى اليوم العشرين
من شعبان سنة ثلاث وأربعمائة ، فنصب
المصحف فى مؤخر الجامع حيال الفوارة ،
وقرأ فيه أيام نكس الجامع . فاستمر الأمر على
ذلك الى الآن .

ولما تولى القصص أبو بكر محمد بن عبد
الله بن مسلم الملقب فى سنة احدى وثلاثمائة ،
عزم على القراءة فى المصحف فى كل يوم .
فتكلم على بن قديد فى ذلك ومنع منه ،
وقال : أعزم على أن يخلق المصحف ويقطعه ؟
أرى عبد العزيز بن مروان حياً فيكتب له
مثله ؟ فرجع الى القراءة ثلاثة أيام .

(*) من ٢٥٤ ، ج ٢ ، ط ٠ بولاق .

وكان قد حضر الى مصر رجل من أهل
العراق ، وأحضر مصحفاً ذكر أنه مصحف
عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وأنه الذى كان
بين يديه يوم الدار — وكان فيه أثر الدم —
وذكر أنه استخرج من خزائن المقدور . ودفع
المصحف الى عبد الله بن شعيب المعروف بابن
بنت وليد القاضى ، فأخذه أبو بكر الخازن ،
وجعله فى الجامع وشهره ، وجعل عليه خشباً
منقوشاً . وكان الامام يقرأ فيه يوماً ، وفى
مصحف أسماء يوماً . ولم يزل على ذلك الى
أن رفع هذا المصحف ، واقتصصر على القراءة
فى مصحف أسماء ، وذلك فى أيام العزيز بالله
لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وسبعين
وثلاثمائة .

وقد أنكر قوم أن يكون هذا المصحف
مصحف عثمان رضى الله عنه ، لأن نقله لم
يصح ، ولم يثبت بحكاية رجل واحد .

ورأيت أنا هذا المصحف ، وعلى ظهره ما
نخته : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد
لله رب العالمين . هذا المصحف الجامع لكتاب
الله ، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ، حملة
المبارك مسعود بن سعد الهيتى لجماعة
المسلمين القراء للقرآن التالين له ، المتقرئين
الى الله جل ذكره بقراءته والمتعلمين له ، ليكون
محفوظاً أبداً ما بقى ورقه ولم يذهب اسمه ...
ابتغاء ثواب الله عز وجل ، ورجاء غفرانه .
وجعله عدة ليوم فقره وفاقته وحاجته اليه .
أفاله الله ذلك برأفته ، وجعل ثوابه بينه وبين
جماعة من نظر فيه » .

وقد درس ما بعد هذا الكلام من ظهر
المصحف . والمدرس يشبه أن يكون :

« وتبصر في ورقه ، وقصد بإيداعه قسطنطين مصر في المسجد الجامع ، جامع المسلمين العتيق ، ليحفظ حفظ مثله مع سائر مصاحف المسلمين ، فرحم الله من حفظه ومن قرأ فيه ومن عنى به ، وكان ذلك في يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله وسلم بليسا كثيرا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

قال ابن المتوج : ودليل بطلان ما قاله هذا المترضى - ظهور التعصب على عثمان رضي الله عنه من تجيب وخلفائهم - أن الناس قد جربوا هذا المصحف ، وهو الذي على الكرسي الغربي من مصحف أساء ، أنه ما فتح قط الا وحدث حادث في الوجود لتحقيق ما حدث أولا . والله أعلم .

قال القضاى : « ذكر المواضع المعروفة بالبركة من الجامع يستحب الصلاة والدعاء عندها » : منها البلاطة التي خلف الباب الأول في مجلس ابن عبد الحكم .

ومنها باب البرادع ... روى عن رجل من صلحاء المصريين - يقال له أبو هارون الخرقى - قال : رأيت الله عز وجل في منامى ، فقلت له : يارب أنت ترانى وتسمع كلامى ؟ قال : نعم . ثم قال : أتريد أن أريك بابا من أبواب الجنة ؟ قلت : نعم يارب . فأشار الى باب أصحاب البرادع ، أو الباب الأقصى مما يلي رجة حارث . وكان أبو هارون هذا يصلى الظهر والعصر فيما بينهما .

وقال ابن المتوج : وعند المحراب الصغير ، الذى فى جدار الجامع الغربى ظاهر المقصورة فيسا بين بابى الزيادة الغربية ، الدعاء عنده مستجاب .

قال : ومن ذلك باب مقصورة عرفة ، ومنها عند خرزة البئر التى بالجامع ، ومنها قبالة اللوح الأخضر ، ومنها زاوية فاطمة . ويقال انها فاطمة ابنة عفان لما وصى والدها أن تترك لله فى الجامع ، فتركت فى هذا المكان فعرف بها .

ومنها سطح الجامع ، والطواف به سبع مرات : يبدأ بالأولى من باب الخزنة الأولى التى يستقبلها الداخل من باب السطح وهو يتلو الى أن يصل الى زاوية السطح ، التى عند المئذنة المعروفة بعرفة ، يقف عندها ثم يدعو بما أراد ، ثم يمر وهو يتلو الى أن يصل الى الركن الشرقى - عند المئذنة المشهورة بالكبيرة - ثم يدعو بما أراد . ويمر الى الركن البحرى الشرقى ، فيقف محاذيا لعرفة المؤذنين ويدعو . ثم يمر وهو يتلو الى المكان الذى ابتدأ منه ... يفعل ذلك سبع مرات فان حاجته تقضى .

قال القضاى : ولم يكن الناس يصلون بالجامع بمصر صلاة العيد . حتى كانت سنة ست - ويقال سنة ثمان - وثلاثمائة ، فصلى فيه رجل يعرف بعلى بن أحمد بن عبد الملك القهسى - يعرف بابن أبى شيخة - صلاة الفطر . ويقال انه خطب من دفتر نظرا ، وحفظ

عنه اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وأنتم « مشركون » ! فقال بعض الشعراء :

وقام فى العيد لنا خاطب
فجرى الناس على الكفر
وتوفى سنة تسع وثلاثمائة .

وبالجامع زوايا يدرس فيها الفقه : منها زاوية الامام الشافعى فعرفت به ، يقال انه درس بها الشافعى فعرفت به ، وعليها أرض بناحية سنديس ، وقفها السلطان الملك العزيز عثمان ابن السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولم يزل يتولى تدريسها أعيان الفقهاء وجلة العلماء .

ومنها الزاوية المجدية بصدر الجامع ، فيما بين المحراب الكبير ومحراب الخس ، داخل المقصورة الوسطى ، بجوار المحراب الكبير . رتبها مجد الدين أبو الأشبال الحارث بن مهذب الدين أبى المحاسن مهلب بن حسن بن بركات بن على بن * غياث المهلبى الأزدي البهنسى الشافعى ، وزير الملك الأشرف موسى ابن العادل أبى بكر بن أيوب بحران ، وقرر فى تدريسها قريه قاضى القضاة وجيه الدين عبد الوهاب البهنسى ، وعمل على هذه الزاوية عدة أوقاف بمصر والقاهرة . ويعمد تدريسها من المناصب الجليلة ، وتوفى المجد فى صفر سنة ثمان وعشرين وستمائة بدمشق عن ثلاث وستين سنة .

ومنها الزاوية الصحابية حول عرفة . رتبها صاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين محمد ابن بهاء الدين بن حنا ، وجعل لها مدرسين :

(*) من ٢٥٥ ج ٢ ، ط. بولاق .

أحدهما مالكى ، والآخر شافعى ، وجعل عليها وقفا بظاهر القاهرة بخط البرادعيين .

ومنها الزاوية الكمالية بالمقصورة المجاورة لباب الجامع الذى يدخل اليه من سوق الغزل . رتبها كمال الدين السنودى ، وعليها فندق بمصر موقوف عليها .

ومنها الزاوية التاجية أمام المحراب الخشب . رتبها تاج الدين السطحي ، وجعل عليها دورا بمصر موقوفة عليها .

ومنها الزاوية المعينة فى الجانب الشرقى من الجامع . رتبها معين الدين الدهروطى ، وعليها وقف بمصر .

ومنها الزاوية العلائية - تنب لعلاء الدين الضرير - وهى فى صحن الجامع ، وهى لقراءة ميعاد .

ومنها الزاوية الزينية . رتبها صاحب زين الدين لقراءة ميعاد أيضا . ذكر ذلك ابن المتوج .

وأخبرنى المقرئ الأديب المؤرخ الفاضل شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي رحمه الله ، قال : أخبرنى المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ، قال : أخبرنى العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر ، قبل الوباء الكائن فى سنة تسع وأربعين وسيمائة ، بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لا تكاد تبرح منه .

قال ابن المأمون : حدثنى القاضى المكين ابن حيدرة - وهو من أعيان اليهود

بمصر - أن من جملة الخدم التي كانت بيد والده مشاركة الجامع العتيق ، وأن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود عنده إلى أن يصلوا ثمانية عشر ألف فتيلة ، وأن المطلق يرسمه خاصة في كل ليلة يرسم وقوده أحد عشر قنطارا ونصف زنتا طيبا .

ذكر المحارب التي بديار مصر وسبب اختلافها وتعيين الصواب فيها وتبيين الخطأ منها

اعلم أن محارب ديار مصر التي يستقبلها المسلمون في صلواتهم أربعة محارب :

أحدها محارب الصحابة رضى الله عنهم ، الذي أسسوه في البلاد التي استوطنوها والبلاد التي كثر مرهم بها من إقليم مصر . وهو محارب المسجد الجامع بمصر - المعروف بجامع عمرو - ومحارب المسجد الجامع بالجيزة ، وبمدينة بليس ، وبالألكندرية ، وقوص ، وأسوان . وهذه المحارب المذكورة على ست واحد ، غير أن محارب ثغر أسوان أشد تشريفا من غيرها ... وذلك أن أسوان مع مكة ، شرفها الله تعالى ، في الأقليم الثاني ، وهو الحد الغربي من مكة بغير ميل إلى الشمال - ومحارب بليس مغرب قليلا .

والمحارب الثاني محارب مسجد أحمد بن طولون ، وهو منحرف عن سمت محارب الصحابة . وقد ذكر في سبب انحرافه أقوال :

منها أن أحمد بن طولون ، لما عزم على بناء هذا المسجد ، بعث إلى محارب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ سته ، فإذا

هو مائل عن خط سمت القبلة المستخرج بالصناعة نحو العشر درج إلى جهة الجنوب . فوضع حينئذ محارب مسجده هذا مائلا عن خط سمت القبلة إلى جهة الجنوب بنحو ذلك ، اقتداء منه بمحارب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقيل أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه ، وخط له المحارب . فلما أصبح وجد النمل قد أطاف بالمكان الذي خطه له رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام . وقيل غير ذلك .

وأتت أن صنعت إلى سطح جامع ابن طولون ، رأيت محرابه مائلا عن محارب جامع عمرو بن العاص إلى الجنوب ، ورأيت محارب المدارس التي حدثت إلى جانبه قد انحرقت عن محرابه إلى جهة الشرق ، وصار محارب جامع عمرو فيما بين محراب ابن طولون والمحارب الآخر .

وقد عقد مجلس بجامع ابن طولون ، في ولاية قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة ، حضره علماء الميقات - منهم الشيخ تقي الدين محمد بن محمد بن موسى الغزولي ، والشيخ أبو الطاهر محمد بن محمد - ونظروا في محرابه ، فأجمعوا على أنه منحرف عن خط سمت القبلة إلى جهة الجنوب ، مقربا بقدر أربع عشرة درجة . وكتب بذلك محضر ، وأثبت على ابن جماعة .

والمحارب الثالث محارب جامع القاهرة - المعروف بالجامع الأزهر - وما في سمت من بقية محارب القاهرة . وهي محارب يشهد

الامتحان بتقديم واضعها في معرفة استخراج القبلة ، فإنها على خط سمت القبلة من غير ميل عنه ولا انحراف البتة .

والمحارب الرابع محارب المساجد التي في قرى بلاد الساحل ، فإنها تخالف محارب الصحابة . إلا أن محارب جامع مية غمر قرب من سمت محارب الصحابة . فإن الوزير أبا عبد الله محمد بن فاتك ، المنعوت بالمأمون البطائحي - وزير الخليفة الأمر بأحكام الله أبي علي منصور بن المتعلي بالله - أنشأ بجامعا بمنية زفتا في سنة ست عشرة وخمسمائة فجعل محرابه على سمت المحارب الصحيحة .

وفي قراة مصر بجوار مسجد الفتح عدة مساجد تخالف محارب الصحابة مخالفة فاحشة . وكذلك بمدينة مصر القسطنطينية مسجد على هذا الحكم .

فأما محارب الصحابة التي بفسطاط مصر والاسكندرية فإن سمتها يقابل مشرق الشتاء - وهو مطالع برج العقرب - مع ميل قليل إلى ناحية الجنوب . ومحارب مساجد القرى ، وما حول مسجد الفتح بالقراة ، فإنها تستقبل خط نصف النهار - الذي يقال له خط الزوال - وتميل عنه إلى جهة المغرب . وهذا الاختلاف بين هذين المحاربين اختلاف فاحش يفرض إلى إبطال الصلاة .

وقد قال ابن عبد الحكم : قبلة أهل مصر أن يكون القطب الشمالي على الكتف الأيسر . وهذا سمت محارب الصحابة . قال : وإذا طلعت منازل العقرب ، وتكملت صورته ،

(*) من ٢٥٦ ج ٢ ، ط . بولاق .

فمحاذاته سمت القبلة لديار مصر وبرقة وإفريقية وما والاها .

وفي الفرقدين والقطب الشمالي كفاية للمستدلين : فإنهم إن كانوا مستقبلين في سيرهم من الجنوب جهة الشمال استقبلوا القطب والفرقدين ، وإن كانوا سائرين إلى الجنوب من الشمال استدبروها ، وإن كانوا سائرين إلى الشرق من المغرب جعلوها على الأذن اليسرى ، وإن كانوا سائرين من الشرق إلى المغرب جعلوها على الأذن اليمنى ، وإن كان سيرهم إلى النكباء التي بين الجنوب والصب جعلوها على الكتف الأيسر ، وإن كان سيرهم إلى النكباء التي بين الجنوب والدبور جعلوها على الكتف الأيمن ، وإن كان سيرهم إلى النكباء التي بين الشمال والدبور جعلوها على الكتف الأيسر ، وإن كان سيرهم إلى النكباء التي بين الشمال والصب جعلوها على الكتف الأيسر .

وإذا عرف ذلك ، فإنه يستحيل تصويب محرابين مختلفين في قطر واحد إذا زاد اختلافهما على مقدار ما يتسامح به في التيامن والتياسر . ويان ذلك أن كل قطر من أقطار الأرض ، كبلاد الشام وديار مصر ونحوها من الأقطار ، قطعة من الأرض واقعة في مقابلة جزء من الكعبة ، والكعبة تكون في جهة من جهات ذلك القطر . فإذا اختلف محرابان في قطر واحد ، فانا تيقن أن أحدهما صواب والآخر خطأ . إلا أن يكون القطر قريبا من مكة ، وخطه التي هو محدود بها متممة اتساعا كثيرا يزيد على الجزء الذي يخصه لو وزعت الكعبة أجزاء متماثلة ، فإنه حينئذ يجوز التيامن والتياسر في محاربه . وذلك مثل بلاد

البجة ، قاضا على الساحل الغربي من بحر القلزم ، ومكة واقعة في شرقيها ، ليس بينهما إلا مسافة البحر فقط وما بين جدة ومكة من البر .

وخطة بلاد البجة مع ذلك واسعة مستطيلة على الساحل : أولها عيذاب ، وهي محاذية لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتميل عنها في الجنوب ميلا قليلا ، والمدينة شامية عن مكة بنحو عشرة أيام . وآخر بلاد البجة من ناحية الجنوب سواكن ، وهي مائلة في ناحية الجنوب عن مكة ميلا كثيرا .

وهذا المقدار من طول بلاد البجة يزيد على الجزء الذي يخص هذه الخطة من الأرض ، لو وزعت الأرض أجزاء متساوية إلى الكعبة ، فيتعين — والحالة هذه — التيامن أو التياسر في طرفي هذه البلاد لطلب جهة الكعبة .

وأما إذا بعد القطر عن الكعبة بعدا كثيرا ، فإنه لا يضر اتساع خطه ، ولا يحتاج فيه إلى تيامن ولا تياسر لاتساع الجزء الذي يخصه من الأرض . فإن كل قطر منها له جزء يخصه من الكعبة ، من أجل أن الكعبة من البلاد المعصورة كالكرة من الدائرة ، فالأقطار كلها في استقبال الكعبة محيطة بها كاحاطة الدائرة بمركزها .

وكل قطر فإنه يتوجه إلى الكعبة في جزء يخصه . والأجزاء المنقسمة — إذا قدرت الأرض كالدائرة — فإنها تسع عند المحيط ، وتتضيق عند المركز . فإذا كان القطر بعيدا عن الكعبة ، فإنه يقع في متع الحد ، ولا يحتاج فيه إلى تيامن ولا تياسر ، بخلاف ما إذا قرب القطر من الكعبة فإنه يقع في متضائق

الجزء ، ويحتاج عند ذلك إلى تيامن أو تياسر .

فإن فرضنا أن الواجب إصابة عين الكعبة في استقبال الصلاة لمن بعد عن مكة — وقد علمت ما في هذه المسألة من الاختلاف بين العلماء — فإنه لا يتسامح في اختلاف المحارب بأكثر من قدر التيامن والتياسر الذي لا يخرج عن حد الجهة ، فلو زاد الاختلاف حكم ببطالان أحد المحاربين ولا بد . اللهم إلا أن يكونا في قطرين بعيدين بعضهما من بعض ، وليسا على خط واحد من مسامتة الكعبة ، وذلك كبلاد الشام وديار مصر . فإن البلاد الشامية لها جانبان ، وخطها متسعة مستطيلة في شمال مكة ، وتمتد أكثر من الجزء الخاص بها بالنسبة إلى مقدار بعدها عن الكعبة .

وفي هذين القطرين يجري ما تقدم ذكره في أرض البجة . إلا أن التيامن والتياسر ظهوره في البلاد الشامية أقل من ظهوره في أرض البجة ، من أجل بعد البلاد الشامية عن الكعبة وقرب أرض البجة * . وذلك أن البلاد الشامية وقعت في متع الجزء الخاص بها ، فلم يظهر أثر التيامن والتياسر ظهورا كثيرا كظهوره في أرض البجة ، لأن البلاد الشامية لها جانب شرقي وجانب غربي ووسط .

فجانبها الغربي هو أرض بيت المقدس وفلسطين إلى الغريش أول حد مصر ، وهذا الجانب من البلاد الشامية يقابل الكعبة على حد مهيب النكباء التي بين الجنوب والعبا .

(*) من ٢٥٧ ج ٢ ، ط ١٠٠٠٠

وأما جانب البلاد الشامية الشرقي فإنه ما كان مشرقا من مدينة دمشق إلى حلب والفرات ، وما يامت ذلك من بلاد الساحل ، وهذه الجهة تقابل الكعبة مشرقا عن أوسط مهيب الجنوب قليلا . وأما وسط بلاد الشام فإنها دمشق وما قاربها ، وتقابل الكعبة على وسط مهيب الجنوب ، وهذا هو سمت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ميل يسير عنه إلى ناحية المشرق .

وأما مصر فإنها تقابل الكعبة فيما بين العبا ومهيب النكباء التي بين الصبا والجنوب . ولذلك لما اختلف هذان القطران — أعنى مصر والشام — في محاذاة الكعبة ، اختلفت محاربيهما . وعلى ذلك وضع الصحابة رضي الله عنهم محارب الشام ومصر على اختلاف الستين . فأما مصر بعينها وضواحيها ، وما هو في حدها أو على سمتها ، أو في البلاد الشامية ، وما في حدها أو على سمتها ... فإنه لا يجوز فيها تصويب محرابين مختلفين اختلافا يينا .

فإن تباعد القطر عن القطر بمسافة قريبة أو بعيدة ، وكان القطران على سمت واحد في محاذاة الكعبة ، لم يضر حينئذ تباعدهما ، ولا تختلف محاربيهما ، بل تكون محارب كل قطر منهما على حد واحد وسمت واحد ... وذلك كمصر وبرة وأفريقية وصقلية والأندلس . فإن هذه البلاد وإن تباعد بعضها عن بعض ، فإنها كلها تقابل الكعبة على حد واحد ، وسمتها جميعها سمت مصر من غير اختلاف ألبته . وقد تبين بما تقرر حال الأقطار المختلفة من الكعبة في وقوعها منها .

وأما اختلاف محارب مصر فإن له أسبابا : أحدها حمل كثير من الناس قوله صلى الله عليه وسلم — الذي رواه الحافظ أبو عيسى الترمذی ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه — « ما بين المشرق والمغرب قبلة » على العموم . وهذا الحديث قد روى موقولا على عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومحمد ابن الحنفية رضي الله عنهم ، وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا .

قال أحمد بن حنبل : هذا في كل البلدان ... قال : هذا المشرق وهذا المغرب وما بينهما قبلة .

قيل له : فصلا من صلى بينهما جائزة ؟

قال : نعم ، وينبغي أن يتحرى الوسط .

وقال أحمد بن خالد : قول عمر « ما بين المشرق والمغرب قبلة » قاله بالمدينة . فمن كانت قبلته مثل قبلة المدينة ، فهو في سعة ما بين المشرق والمغرب . ولسائر البلدان من السعة في القبلة مثل ذلك بين الجنوب والشمال .

وقال أبو عمر بن عبد البر : لا خلاف بين أهل العلم فيه .

قال مؤلفه رحمه الله : إذا تأملت وجدت هذا الحديث يختص بأهل الشام والمدينة ، وما على سمت تلك البلاد شمالا وجنوبا فقط . والدليل على ذلك أنه يلزم من حمله على العموم إبطال التوجه إلى الكعبة في بعض الأقطار ، والله سبحانه قد افترض على الكافة أن يتوجهوا إلى الكعبة في الصلاة حيث كانوا بقوله تعالى « ومن حيث خرجت فول وجهك

شطر المسجد الحرام ، وحاشا كتم قولوا
وجوهكم شطره .

وقد عرفت - أن كنت تمهت في معرفة
البلدان وحدود الأقاليم - أن الناس في
توجههم إلى الكعبة كالدائرة حول المركز : فمن
كان في الجهة الغربية من الكعبة ، فإن جهة
قبلة صلاته إلى المشرق . ومن كان في الجهة
الشرقية من الكعبة ، فإنه يستقبل في صلاته
جهة المغرب . ومن كان في الجهة الشمالية من
الكعبة ، فإنه يتوجه في صلاته إلى جهة
الجنوب . ومن كان في الجهة الجنوبية من
الكعبة ، كانت صلاته إلى جهة الشمال .

ومن كان من الكعبة فيما بين المشرق
والجنوب ، فإن قبلته فيما بين الشمال
والمغرب . ومن كان من الكعبة فيما بين
الجنوب والمغرب ، فإن قبلته فيما بين الشمال
والمشرق . ومن كان من الكعبة فيما بين المشرق
والشمال ، قبلته فيما بين الجنوب والمغرب .
ومن كان من الكعبة فيما بين الشمال
والمغرب ، قبلته فيما بين الجنوب والمشرق .

فقد ظهر ما يلزم ، من القول بمسوم هذا
الحديث ، من خروج أهل المشرق الساكنين
به وأهل المغرب أيضا ، عن التوجه إلى الكعبة
في الصلاة عينا وجهة . لأن من كان مسكنه
من البلاد ما هو في أقصى المشرق من الكعبة ،
لو جعل المشرق عن يساره والمغرب عن يمينه ،
لكان إنما يستقبل حينئذ جنوب أرضه ، ولم
يستقبل قط عين الكعبة ولا جهتها .

فوجب ولا بد حمل الحديث على أنه خاص
بأهل المدينة والشام وما على سمت ذلك من

البلاد . بدليل أن المدينة النبوية واقعة بين
مكة وبين أوسط الشام على خط مستقيم ،
والجانب الغربي من بلاد الشام - التي هي
أرض المقدس وفلسطين - يكون عن يمين
من يستقبل بالمدينة الكعبة ، والجانب الشرقي
- الذي هو حصص وحلب وما وإلى ذلك -
واقع عن يسار من استقبل الكعبة بالمدينة .

والمدينة واقعة في أوسط جهة الشام على
جهة مستقيمة . بحيث لو خرج خط من الكعبة
ومر على استقامة إلى المدينة النبوية ، لنفذ
منها إلى أوسط جهة الشام سواء . وكذلك لو
خرج خط من مصلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وتوجه على استقامة ، لوقع فيما بين
الميزاب من الكعبة وبين الركن الشامي .

فلو فرضنا أن هذا الخط خرق الموضع الذي
وقع فيه من الكعبة ومر ، لنفذ إلى بيت المقدس
على استواء من غير ميل ولا انحراف ألبتة .
وصار موقع هذا الخط فيما بين نكباء الشمال
والدبور وبين القطب الشمالي ، وهو إلى
القطب الشمالي أقرب وأميل ، ومقابلته ما بين
أوسط الجنوب ونكباء الصبا والجنوب ، وهو
إلى الجنوب أقرب .

والمدينة النبوية مشرقة عن هذا سمت ،
ومغربية عن سمت الجانب الآخر من بلاد الشام
- وهو الجانب الغربي - تقريبا يسيرا .
فمن يستقبل مكة بالمدينة يصير المشرق عن
يساره ، والمغرب عن يمينه ، وما بينهما فهو
قبلته ، وتكون حينئذ الشام بأسرها وجهة
بلادها خلفه . فالمدينة على هذا في أوسط
جهات البلاد الشامية .

(٢٥) من ٢٥٨ ج ٢ ، طبع بولاق .

ويشهد بصدق ذلك ما روينا من طريق
مسلم رحمه الله ، عن عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما ، قال : رقيت على بيت أختي حفصة ،
فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا
لحاجته ، مستقبل الشام مستدير القبلة . وله
أيضا من حديث ابن عمر : بينا الناس في صلاة
الصبح ، إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة ، وقد
أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستدار إلى الكعبة .

فهذا - أعزك الله - أوضح دليل أن
المدينة بين مكة والشام على حد واحد ، وأنها
في أوسط جهة بلاد الشام . فمن استقبل
بالمدينة الكعبة ، فقد استدير الشام . ومن
استدير بالمدينة الكعبة ، فقد استقبل الشام .

ويكون حينئذ الجانب الغربي من بلاد
الشام ، وما على سمت من البلاد ، جهة القبلة
عندهم أن يجعل الواقف مشرق الصيف عن
يساره ، ومغرب الشتاء عن يمينه ، فيكون ما
بين ذلك قبلته .

وتكون قبلة الجانب الشرقي من بلاد الشام
وما على سمت ذلك من البلدان ، أن يجعل
المصلى مغرب الصيف عن يمينه ، ومشرق
الشتاء عن يساره ، وما بينهما قبلته .

ويكون أوسط البلاد الشامية - التي هي
حد المدينة النبوية - قبلة المصلى بها أن يجعل
مشرق الاعتدال عن يساره ، ومغرب الاعتدال
عن يمينه ، وما بينهما قبلته له .

فهذا أوضح استدلال على أن الحديث خاص
بأهل المدينة ، وما على سمتها من البلاد
الشامية ، وما وراءها من البلدان المسامطة لها .

وهكذا أهل اليمن وما على سمت اليمن من
البلاد . فإن القبلة واقعة فيما هنالك بين
المشرق والمغرب ، لكن على عكس وقوعها في
البلاد الشامية . فإنه يصير مشارق الكواكب
في البلاد الشامية ، التي على يسار المصلى ،
واقعة عن يمين المصلى في بلاد اليمن . وكذلك
كل ما كان من المغارب عن يمين المصلى
بالشام ، فإنه ينقلب عن يسار المصلى باليمن .
وكل من قام ببلاد اليمن مستقبلا الكعبة ، فإنه
يتوجه إلى بلاد الشام فيما بين المشرق
والمغرب .

وهذه الأقطار سكانها هم المخاطبون بهذا
الحديث ، وحكمه لازم لهم ، وهو خاص بهم
دون من سواهم من أهل الأقطار الأخر . ومن
أجل حمل هذا الحديث على العموم ، كان
السبب في اختلاف محارب مصر .

السبب الثاني في اختلاف محارب مصر :
أن الديار المصرية لما افتتحها المسلمون ، كانت
خاصة بالقبط والروم مشحونة بهم ، ونزل
الصحابة رضي الله عنهم من أرض مصر في
موضع القسطاط - الذي يعرف اليوم بمدينة
مصر - وبالإسكندرية ، وتركوا سائر قرى
مصر بأيدي القبط ... كما تقدم في موضعه من
هذا الكتاب .

ولم يسكن أحد من المسلمين بالقرى ،
وإنما كانت رابطة تخرج إلى الصعيد ، حتى
إذا جاء أوان الربيع انتشر الأتباع في القرى
لرعى الدواب ومعهم طوائف من السادات .
ومع ذلك فكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ينهى الجند عن الزرع ، ويمنع

في شجرة لا يجدها بطشه الرعية الضالين
والذين يمشون ، ويحلمون عن الزرع

وقال الامير تيمر القسمة عبد الرحمن بن عبد
الله بن عبد الحكم في كتاب « فتوح مصر »
من حرق في وجهه ، عن حيلة من شرح ، عن
بكر بن عمرو ، عن عبد الله بن هبيرة : قال
عن ابن الخطاب لم يخرجوا الى مصر الى شجرة
لا يجدون يتصرفون الى الرعية : ان عظمهم قائم ،
والذي يتركهم سائق ، فلا يدرعون ولا
يدعون .

قال ابن وهب : وتخرجت شجرة بن عبد
الرحمن بن ابي بكر ، قال : بل كانت شجرة بن
سلي العطار ، التي الى عمرو بن العاص ،
قال : انكم لا تعلمون ما يحببت القتل في
مصر .

قال له عمرو : ما تقصير على ذلك .

فخرج شجرة من غير ان يذبح عمرو . فلما بلغ
ذلك عمرو ، كتب الى عمرو بن الخطاب يخبره
ان شجرة بن سبي الخطاب في حوزة ابي
مصر . فكتب اليه عمرو ان لا يمت الى .

فلما انتهى كتاب عمرو الى عمرو بن شجرة
قال شجرة عمرو : فكتب الى عمرو .

قال عمرو : ما انا الذي فلتت ، ان
مصر هذا بستان .

قال له : ان كان هذا من ربيات فلتت الى
بالخروج من غير . كتاب . وثبت على عبد الله
ان يجعل يدي في يده .

وقال له بالخروج . فلما وقف على عمرو
في مصر .

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : ومن الى الامير تيمر

قال : من جنة مصر .

قال : فكتب عمرو بن سبي العطار .

قال : من ياتي بالرسول

قال : لا يظنك ككلا في حقت

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

قال : فكتب الى عمرو بن شجرة

رحلت الى وواله الى صالة الجمعة فخرجوا
- وذلك بعد حبيب التماري بايام يسيرة -
فكانوا في الكوع ، لا يقبل رجل بايديهم السباط
بوجوه الناس ، فسمعت قلت : يا ليت من
هؤلاء ؟ قال : يا بني هؤلاء الشرط .

فأقام المؤمنون الصلاة ، فقام عمرو بن
الخطاب على الشير . فرأيت رجلا رعة ، قصير
القامة ، واقرب الهامة ، أدمج أظف ، عليه ثياب
موشاة كان به العتيق ، عليه حلة وعمامة
وجبة - فحمد الله وأثنى عليه حمدا موجزا ،
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ووعظ
الناس وأمرهم وعظهم .

فسمعت يحض على الزكاة وصلة الأرحام ،
وأمر بالاعتقاد ، ونهى عن الفضول ، وكثرة
العيال ، واخاض الحال في ذلك ... قال :
« يا معشر الناس اياكم وخلا لا أربا ، فانها
تكنو الى التعيب بعد الراحة ، والى الضيق
بعد السعة ، والى الفاقة بعد العزة . اياكم
وكثرة العيال ، واخاض الحال ، وتضييع
المال ، والقتل بعد القتل في غير ذك ولا
نوال ...

ثم انه لا بد من فراغ يؤول اليه المرء في
توديع جسده ، والتخير لشأنه ، وتخليته بين
نفسه وبين شهواتها . ومن صار الى ذلك ،
فليأخذ بالتقصد والتعيب الأقل ، ولا يضيع
المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه ، فيجوز
من الخير عاملا ، وعن حلال الله وحرامه
غافلا ...

« يا معشر الناس انه قد تفتت الجوزاء ،
وذلت الثعري ، واقلعت السماء ، وارتفع

المرء ، وقل الثعري ، وقل الثعري ، ووضعت
الحوامل ، ودرجت السحابة ، وعلى الراس
بحسن ربي حسن الشكر . فليكن لكم - على
بركة الله تعالى - الى رؤسكم ، فأنوا من
خيرهم ، ولت خرافه وصيده ، ولربوا خيولهم
ولسواها وصونوها واكرموها ، فانها جنتكم
من عدوكم ، وبها مفاسدكم وانفساكم ،
ولتوسوا بين يداورثوه من القبط خيرا ...
« ويا اياكم والمواساة للمسولات ، فان
يغفلن الدين ، وقصرن انهم ... حدثني عمر
ابن الخطاب انه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « ان الله سيفتح عليكم
بغنى مصر ، فاستوصوا بقبضها خيرا ، فان لهم
فيكم ميرا ومنة » . فكتبوا ايديكم ، وعفوا
فروجكم ، وغضوا ابصاركم . ولا اظن ما
أنى رجل قد أسن جسده وأهزل فرسه ،
واظنوا أنى ممرض الغيل كاعتراض الرجال ،
فمن أهزل فرسه من غير علة ، حفظه من
فريضة قدر ذلك ...

« واطلوا أنكم في رباط الى يوم القيامة ،
نكثرة الأعداء حولكم ، وتنسوف قلوبهم
اليكم ، والى داركم معن الزرع والمال والحير
الواسع والبركة الثامية . وحدثني عمر ابن
الخطاب انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : « اذا فتح الله عليكم مصر ،
فاتخذوا فيها جندا كفيلا ، فذلك الجند خير
أجناد الأرض » . قال له ابو بكر رضي الله
عنه : ولم يارسول الله ؟ قال : « لأنهم
وأزواجهم في رباط الى يوم القيامة » ...

« فاحذروا الله معشر الناس على ما أولاكم ،
فتستروا في رؤسكم ما طالب لكم . فاذا يس

322

العود ، وسخن الماء ، وكثر الذباب ، وحضر اللبن ، وصوح البقل ، وانقطع الورد من الشجر ... فحى الى فسطاطكم على بركة الله ، ولا يقدم احد منكم ذو عيال الا ومعه تحفة لعياله ، على ما اطاق من سعة أو عسرة . أقول قولى هذا ، وأستحفظ الله عليكم .

قال : فحفظت ذلك عنه . فقال والدى ، بعد انصرافنا الى المنزل ، لما حكيت له خطبته : انه يابى يحذر الناس اذا انصرفوا اليه على الرباط كما حذرهم على الريف والدعة .

قال : وكان اذا جاء وقت الربيع كتب لكل قوم بريعمهم ولبنهم الى حيث احبوا . وكانت القرى التى يأخذ فيها معظمهم متوف وسنود وأهناش وملحا . وكان أهل الراية متفرقين : فكان آل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سعد يأخذون فى منوف ووسيم ، وكانت هذيل تأخذ فى يبا وبوصير ، وكانت عدوان تأخذ فى بوصير وقرى عك . والذى يأخذ فيه معظمهم بوصير ومنوف وسنديس وأثرب .

وكانت بلى تأخذ فى منف وطرائية ، وكانت فهم تأخذ فى أثرب وعين شمس ومنوف ، وكانت مهرة تأخذ فى مينا ونس وبسطة ووسيم ، وكانت لخم تأخذ فى الفيوم وطرائية وقريط ، وكانت جذام تأخذ فى قريط وطرائية ، وكانت حضرموت تأخذ فى يبا وعين شمس وأثرب ، وكانت مراد تأخذ فى منف والفيوم ومعهم عيس بن زوف ، وكانت حجير تأخذ فى بوصير وقرى أهناش ، وكانت خولان تأخذ فى قرى أهناش والقيس والبهنا .

(١٨٠) من ٢٦٠ ج ٢ ، ط - بولاق .

وآل وعلة يأخذون فى سقط من بوصير ، وآل أبرهة يأخذون فى منف ، وغفار وأسلم يأخذون مع وائل من جذام وسعد فى بسطة وقريط وطرائية ، وآل يسار بن ضبة فى أثرب . وكانت المعافر تأخذ فى أثرب وسخا ومنوف ، وكانت طائفة من نجيب ومراد يأخذون باليدقون .

وكان بعض هذه القبائل ربما جاور بعضا فى الربيع ، ولا يوقف فى معرفة ذلك على أحد ... الا أن معظم القبائل كانوا يأخذون حيث وصفنا . وكان يكتب لهم بالربيع فيربعون ما أقاموا وبالبلى ، وكان لغفار وليث أيضا مربع بأثرب .

قال : وأقامت مدلج بخربنا فاتخذوها منزلا وكان معهم ثمر من حجير حالقوهم فيها فهى منازلهم ، ورجعت خثين وطائفة من لخم وجذام فنزلوا أكاف صان وابليل وطرائية . ولم تكن قيس بالحوف الشرقى قديما ، وانما أنزلهم به ابن الجحباب . وذلك أنه وفد الى هشام بن عبد الملك ، فامر له بفريضة خمسة آلاف رجل ، فجعل ابن الجحباب الفريضة فى قيس ، وقدم بهم فأنزلهم الحوف الشرقى بمصر .

فانظر - أعزك الله - ما كان عليه الصحابة وتابعوهم عند فتح مصر من قلة السكنى بالريف . ومع ذلك فكانت القرى كلها فى جميع الاقليم ، أعلاه وأسفله ، مملوءة بالقبط والروم . ولم ينتشر الاسلام فى قرى مصر الا بعد المائة من تاريخ الهجرة ، عندما أنزل عبيد الله بن الجحباب - مولى سلول - قيسا بالحوف الشرقى . فلما كان فى المائة الثانية من

سنى الهجرة ، كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها . وما برحت القبط تنقض وتحارب المسلمين الى ما بعد المائتين من سنى الهجرة .

قال أبو عمرو محمد بن يوسف الكندى فى كتاب « أمراء مصر » : وفى امرة الحر بن يوسف أمير مصر ، كتب عبيد الله بن الجحباب - صاحب خراج مصر - الى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتل الزيادة . فزاد على كل دينار قيراطا ، فنقضت كورة تنو ونفى وقريط وطرائية وعامة الحوف الشرقى . فبعث اليهم الحر بأهل الديوان فحاربوهم ، فقتل منهم خلق كثير . وذلك أول نقض القبط بمصر ، وكان نقضهم فى سنة تسع ومائة ، ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة أشهر .

ثم نقض أهل الصعيد ، وحارب القبط عيالهم فى سنة احدى وعشرين ومائة . فبعث اليهم حنظلة بن صفوان أمير مصر ، أهل الديوان ، فقتلوا من القبط ناسا كثيرا فظفر بهم . وخرج بنحس - وهو رجل من القبط - من سنود ، فبعث اليه عبد الملك ابن مروان موسى بن نصير أمير مصر ، فقتل بنحس فى كثير من أصحابه ، وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وخالفت القبط أيضا برشيد ، فبعث اليهم مروان بن محمد الحمار - لما دخل مصر فارا من بنى العباس - عثمان ابن أبى سبعة فهزمهم .

وخرج القبط على يزيد بن خاتم بن قبيصة ابن المهلب بن أبى صفرة أمير مصر بناحية سخا ، ونايذوا العمال ، وأخرجوهم فى سنة خمسين ومائة ، وصاروا الى شبرا سنباط ، وانضم اليهم أهل البشرد والأوسية

والتخوم . فأتى الخبر يزيد بن خاتم ، فعقد لنصر بن حبيب المهلبى على أهل الديوان ووجوه أهل مصر ، فخرجوا اليهم ، ولقبهم القبط وقتلوا من المسلمين ، فألقى المسلمون النار فى عسكر القبط ، وانصرف العسكر الى مصر منهزما .

وفى ولاية موسى بن على بن رباح على مصر ، خرج القبط يلبت فى سنة ست وخمسين ومائة ، فخرج اليهم عسكر فهزمهم . ثم نقضت القبط فى جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين ، مع من نقض من أهل أسفل الأرض من العرب ، وأخرجوا العمال ، وخلصوا الطاعة لسوء سيرة العمال فيهم .

فكانت بينهم وبين الجيوش حروب امتدت الى أن قدم الخليفة عبد الله أمير المؤمنين المأمون الى مصر ، لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين ، فعقد على جيش بعث به الى الصعيد ، وارتحل هو الى سخا .

وأوقع الأفشين بالقبط فى ناحية البشرد حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين ، فحكم بقتل الرجال وبيع النساء والأطفال ، فبيعوا وسبى أكثرهم .

وتبع كل من يومأ اليه بخلاف ، فقتل ناسا كثيرا ، ورجع الى القسطنطينية فى صفر ، ومضى الى حلوان ، وعاد لثمان عشرة خلت من صفر . فكان مقامه بالقسطنطينية وسخا وحلوان تسعة وأربعين يوما .

فانظر - أعزك الله - كيف كانت اقامة الصحابة انما هى بالقسطنطينية والاسكندرية ، وأنه لم يكن لهم كثير اقامة بالقرى ، وأن النصارى كانوا متكنين من القرى والمسلمون

بما قليل ، وأنهم لم ينتشروا بالتواحي إلا بعد عصر الصحابة والتابعين ... يتبين لك أنهم لم يؤسسوا في القرى والتواحي مساجد .

وتنظن لشيء آخر . وهو أن القبط ما يرحوا ، كما تقدم ، يشتون لمحاربة المسلمين دالة منهم بما هم عليه من القوة والكثرة . فلما أوقع بهم الأمان الواقعة التي قلنا ، غلب المسلمون على أماكهم من القرى لما قتلوا منهم وسبوا ، وجعلوا عدة من كنائس النصراني مساجد .

وكنائس النصراني مؤسسة على استقبال المشرق واستدبار المغرب ، زعمنا منهم أنهم أمروا باستقبال مشرق الاعتدال ، وأنه الجنة لطلوع الشمس منه . فجعل المسلمون أبواب الكنائس محارب عندما غلبوا عليها وصيروها مساجد ، فجاءت موازية لخط نصف النهار ، وصارت منحرفة عن محارب الصحابة انحرافا كبيرا يحكم بخطتها وبمدها عن الصواب كما تقدم .

السبب الثالث : تاهل كثير من الناس في معرفة أدلة القبلة . حتى أنك لتجد كثيرا من الفقهاء لا يعرفون منازل القمر صورة وحسابا ، وقد علم من له ماسة بالرياضيات أن منازل القمر يعرف وقت الحر وانتقال القمر في المنازل ، وناهيك بما يترتب على معرفة ذلك من أحكام الصلاة والصيام . وهذه المنازل التي للقمر من بعض ما يستدل به على القبلة والطرق ، وهي من مبادئ العلم وقد جهلوه ، فمن أعوزه الأدنى فحربه أن يجعل ما هو أعلى منه وأدق .

(١٨) من ٢٦١ جزء ١ ، ط. بولاق .

السبب الرابع : الاعتذار بتجم سهيل . فإن كثيرا ما يقع الاعتذار عن مخالفة محارب المتأخرين بأنها بنيت على مقابلة سهيل ، ومن هنا يقع الخطأ . فإن هذا أمر يحتاج فيه إلى تحرير ، وهو أن دائرة سهيل مطلعها جنوب مشرق الشتاء قليلا ، وتوسطها في أوسط الجنوب ، وغروبها يسيل عن أوسط الجنوب قليلا .

فلعل من تقدم من السلف أمر ببناء المساجد في القرى على مقابلة مطالع سهيل — ومطلعه في سمت قبلة مصر تقريبا — فجهل من قام بأمر البناء فرق ما بين مطالع سهيل وتوسطه وغروبه ، وتساهل فوضع المحارب على مقابلة توسط سهيل — وهو أوسط الجنوب — فجاء المحارب حينئذ منحرفا عن سمت الصحيح انحرافا لا يسوغ التوجه إليه البتة .

السبب الخامس : أن المحارب الفاسدة بديار مصر أكثرها في البلاد الشمالية التي تعرف بالوجه البحري . والذي يظهر أن الغلط دخل على من وضعها من جهة ظنه أن هذه البلاد لها حكم بلاد الشام . وذلك أن بلاد مصر التي في الساحل كثيرة الشبه ببلاد الشام في كثرة أمطارها وشدة بردها وحسن فواكهها ، فاستطرد الشبه حتى في المحارب ووضعها على سمت المحارب الشامية ، فجاء شيئا خطأ .

وبيان ذلك أن هذه البلاد ليست بشامية عن الشام ، حتى يكون حكمها في استقبال الكعبة كالحكم في البلاد الشامية ، بل هي مغربة عن الجانب الغربي من الشام بعدة أيام ،

وستأهيا مختلفان في استقبال الكعبة لاختلاف القطرين . فإن الجانب الغربي من الشام كما تقدم مقابل ميزاب الكعبة على خط مستقيم ، وهو حيث مهب النكباء التي بين الشمال والدبور ، ووسط الشام كدمشق وما والاها شمال مكة من غير ميل ، وهم يستقبلون أوسط الجنوب في صلاتهم بحيث يكون القطب الشمالي المسمى بالجدي وراء ظهورهم .

والمدينة النبوية بين هذا الحد من الشام وبين مكة مشرقة عن هذا الحد قليلا . فإذا كانت مصر مغربة عن الجانب الغربي من الشام بأيام عديدة ، تعين ووجب أن تكون محاربها ولا بد مائلة إلى جهة المشرق بقدر بعد مصر وتغريبها عن أوسط الشام ... وهذا أمر يدركه الحس ، ويشهد لصحته العيان . وعلى ذلك أسس الصحابة ، رضى الله عنهم ، المحارب بدمشق وبيت المقدس مستقبلة ناحية الجنوب وأسوا المحارب بمصر مستقبلة المشرق مع ميل يسير عنه إلى ناحية الجنوب .

فرض — رحمك الله — تفك في التميز ، وعود نظرك التأمل ، وأربأ بنفسك أن تقاد ، كما تقاد البهيمة ، بتقليدك من لا يؤمن عليه الخطأ . فقد نهجت لك السبيل في هذه المسألة وأنت لك من القول ، وقربت لك حتى كأنك تعانين الأقطار وكيف موقعها من مكة .

ولى هنا مزيد بيان فيه الفرق بين إصابة العين وإصابة الجهة . وهو أن المكلف لو وقف ، وفرضنا أنه خرج خط مستقيم من بين عينيه ، ومر حتى اتصل بجدار الكعبة من غير ميل عنها إلى جهة من الجهات ... فإنه لا بد

أن يكشف بصره مدى عن يمينه وشماله لا ينتهي بصره إلى غيره إن كان لا ينحرف عن مقابلته .

فلو فرضنا امتداد خطين من كلا عيني الوقف — بحيث يلتقيان في باطن الرأس على زاوية مثثة — ويتصلان بما انتهى إليه البصر من كلا الجانبين — لكان ذلك شكلا مثلا ، بقسمة الخط الخارج من بين العينين إلى الكعبة بنصفين ، حتى يصير ذلك الشكل بين مثلثين متساويين .

فالخط الخارج من بين عيني مستقبل الكعبة ، الذي فرق بين الزاويتين ، هو مقابلة العين التي اشترط الشافعي رحمه الله وجوب استقباله من الكعبة عند الصلاة . ومنتهى ما يكشف بصر المستقبل من الجانبين ، هو حد مقابلة الجهة التي قال جماعة من علماء الشريعة بصحة استقباله في الصلاة .

والخطان الخارجان من العينين إلى طرفيه هما آخر الجهة من اليمين والشمال . فهما وقعت صلاة المستقبل على الخط الفاصل بين الزاويتين كان قد استقبل عين الكعبة ، ومهما وقعت صلاته منحرفة عن يمين الخط أو يساره — بحيث لا يخرج — استقباله عن منتهى حد الزاويتين المحدودتين بما يكشف بصره من الجانبين — فإنه مستقبل جهة الكعبة . وإن خرج استقباله عن حد الزاويتين من أحد الجانبين ، فإنه يخرج في استقباله عن حد جهة الكعبة .

وهذا الحد في الجهة يتسع ببعد المدى ويضيق بقربه ، فأقصى ما ينتهي إليه اتساعه

(١٩) من ٢٦٢ جزء ٢ ، ط. بولاق .

ربع دائرة الأفق ... وذلك أن الجهات المتبرجة في الاستقبال أربع : المشرق ، والمغرب ، والجنوب ، والشمال . فمن استقبل جهة من هذه الجهات ، كان أقصى ما ينتهي إليه سعة تلك الجهة ربع دائرة الأفق . وإن الكشف ليعبره أكثر من ذلك ، فلا عبرة به من أجل ضرورة تساوي الجهات . فإنا لو فرضنا أناسا وقف في مركز دائرة ، واستقبل جزءا من محيط الدائرة ، لكانت كل جهة من جهاته الأربع — التي هي وراه وأمامه ويساره وشماله — تقابل ربعا من أرباع الدائرة .

فتبين بما قلنا أن أقصى ما ينتهي إليه الساع الجهة قدر ربع دائرة الأفق . فأي جزء من أجزاء دائرة الأفق قصدته الواقف بالاستقبال في بلد من البلدان ، كانت جهة ذلك الجزء المستقبل ربع دائرة الأفق ، وكان الخط الخارج من بين عيني الواقف إلى وسط تلك الجهة هو مقابلة العين ، ومنتهى الربع من جانيه سنة ويسرة هو منتهى الجهة التي قد استقبلها .

فما خرج من محارب بلد من البلدان عن حد جهة الكعبة ، لا تصح الصلاة لذلك المحارب بوجه من الوجوه . وما وقع في جهة الكعبة ، صحت الصلاة إليه عند من يرى أن القرض في استقبال الكعبة أصابة جهتها . وما وقع في مقابلة عين الكعبة ، فهو الأسد الأفضل الأولي عند الجمهور .

وإن أنصفت علت أنه مهما وقع الاستقبال في مقابلة جهة الكعبة ، فإنه يكون سديدا . وأقرب منه إلى الصواب ما وقع قريبا من مقابلة العين سنة أو يسرة ، بخلاف ما وقع

بعيدا عن مقابلة العين فإنه بعيد من الصواب ، ولعله هو الذي يجري فيه الخلاف بين علماء الشريعة . والله أعلم .

وحيث تقرر الحكم الشرعي بالأدلة السمعية والبراهين العقلية في هذه المسألة . فاعلم أن المحارب المخالفة لمحارب الصحابة ، التي بترافق مصر وبالأوجه البحري من ديار مصر ، واقعة في آخر جهة الكعبة من مصر ، وخارجة عن حد الجهة . وهي مع ذلك في مقابلة ما بين البجة والنوبة ، لا في مقابلة الكعبة ، فإنها منصوبة على موازاة خط نصف النهار .

ومحارب الصحابة على موازاة مشرق الشتاء تجاه مطالع المغرب ، مع ميل يسير عنها إلى ناحية الجنوب . فإذا جعلنا مشرق الشتاء المذكور مقابلة عين الكعبة لأهل مصر ، وفرضنا جهة ذلك الجزء ربع دائرة الأفق ، صار سمت المحارب التي هي موازية لخط نصف النهار خارجا عن جهة الكعبة ، والذي يستقبلها في الصلاة يصل إلى غير شطر المسجد الحرام . وهو خطر عظيم ، فاحذروه .

واعلم أن صعيد مصر واقع في جنوب مدينة مصر ، وقوس واقعة في شرقي الصعيد وفيما بين مهب ربح الجنوب والصباب من ديار مصر . فالتوجه من مدينة قوس إلى عيذاب يستقبل مشرق الشتاء سواء إلى أن يصل إلى عيذاب ، ولا يزال كذلك إذا صار من عيذاب حتى ينتهي في البحر إلى جدة ، فإذا صار من جدة في البر استقبل المشرق كذلك حتى يحل بسكة ، فإذا عاد من مكة استقبل المغرب .

فأعرف من هذا أن مكة واقعة في النصف الشرقي من الربع الجنوبي بالنسبة إلى أرض

مصر . وهذا هو سمت محارب الصحابة التي بديار مصر والاسكندرية ، وهو الذي يجب أن يكون سمت جميع محارب إقليم مصر .

برهان آخر : وهو أن من سار من مكة يريد مصر على الجادة ، فإنه يستقبل ما بين القطب الشمالي — الذي هو الجدي — وبين مغرب الصيف مدة يومين وبعض اليوم الثالث ، وفي هذه المدة يكون مهب النكباء التي بين الشمال والمغرب تلقاء وجهه . ثم يستقبل بعد ذلك في مدة ثلاثة أيام أوسط الشمال ، بحيث يبقى الجدي تلقاء وجهه ، إلى أن يصل إلى بدر .

فإذا سار من بدر إلى المدينة النبوية ، صار مشرق الصيف تلقاء وجهه تارة ، ومشرق الاعتدال تارة إلى أن ينتهي إلى المدينة .

فإذا رجع من المدينة إلى الصفراء ، استقبل مغرب الشتاء إلى أن يعدل إلى ينبع ، فيصير تارة يسير شمالا وتارة يسير مغربا ، ويكون ينبع من مكة على حد النكباء التي بين الشمال ومغرب الصيف .

فإذا سار من ينبع استقبل ما بين الجدي ومغرب الثريا — وهو مغرب الصيف — وهبت النكباء تلقاء وجهه إلى أن يصل إلى مدين . فإذا سار من مدين ، استقبل تارة الشمال وأخرى مغرب الصيف حتى يدخل أيلة . ومن أيلة لا يزال يستقبل مغرب الاعتدال تارة ، ويميل عنه إلى جهة الجنوب مع استقبال مغرب الشتاء أخرى ، إلى أن يصل إلى القاهرة ومصر .

قلو فرضنا خطأ خرج من محارب مصر الصحيحة التي وضعها الصحابة ، ومر على

استقامه من غير ميل ولا انحراف ، لا تصل بالكعبة ولحق بها .

واعلم أن أهل مصر والاسكندرية وبلاد الصعيد وأسفل الأرض وبرقة وإفريقية وطرابلس المغرب وصقلية والأندلس وسواحل المغرب إلى السوس الأقصى والبحر المحيط ، وما على سمت هذه البلاد ، يستقبلون في صلاتهم من الكعبة ما بين الركن الغربي إلى الميزاب .

فمن أراد أن يستقبل الكعبة في شيء من هذه البلاد ، فليجعل بنات نعش إذا غربت خلف كفه الأيسر ، وإذا طلعت على صدره الأيسر ، ويكون الجدي على أذنه اليسرى ، ومشرق الشمس تلقاء وجهه ، أو ربح الشمال خلف أذنه اليسرى ، أو ربح الدبور خلف كفه الأيمن ، أو ربح الجنوب التي تهب من ناحية الصعيد على عينه اليمنى ... فإنه حينئذ يستقبل من الكعبة سمت محارب الصحابة الذين أمر الله باتباع سيدهم ، ولهمنا عن مخالفتهم بقوله عز وجل : ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى ، ونصله جهنم وسامت مصيرا . اللهمنا الله بمنه اتباع طريقهم ، وصيرنا بكرمه من حزبهم وفريقهم . إنه على كل شيء قدير .

جامع المسكر

هذا الجامع بظاهر مصر ، وهو حيث القضاء الذي هو اليوم فيما بين جامع أحمد بن

(٥) من ٢٦٢ هـ ، طبع في ١٢٦٩ هـ .

طولون وكوم الجارج بظاهر مدينة مصر ، وكان الى جانب الشرطة والدار التي يسكنها أمراء مصر ، ومن هذه الدار الى الجامع باب ، وكان يجتمع فيه الجمعة ، وفيه منبر ومقصورة .

وهذا الجامع بناه الفضل بن صالح بن علي ابن عبد الله بن عباس ، في ولايته اماره مصر ، ملاصقا لشرطة العسكر — التي كان يقال لها الشرطة العليا — في سنة تسع وستين ومائة فكانوا يجتمعون فيه .

وكانت ولاية الفضل اماره مصر ، من قبل المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور ، على الصلاة والخراج . فدخلها سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة في عسكر من الجند عظيم أتى بهم من الشام ، ومصر تضطرم لما كان في الحوف ، ولخروج دحية بن مصعب بن الأصبح ابن عبد العزيز بن مروان . فقام في ذلك ، وجهز الجنود حتى أسر دحية ، وضرب عنقه في جمادى الآخرة من السنة المذكورة . وكان يقول : أنا أولى الناس بولاية مصر لقيامى في أمر دحية ، وقد عجز عنه غيرى حتى كفيت أهل مصر أمره . فعزله موسى الهادي لما استخلف بعد موت أبيه المهدي بعد ما أقره . فندم الفضل على قتل دحية ، وأظهر توبة ، وسار الى بغداد . فمات عن خمسين سنة في سنة اثنتين وسبعين ومائة .

ولم يزل الجامع بالعسكر الى أن ولي عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب مولى خزاعة ، على صلاة مصر وخراجها ، من قبل عبد الله أمير المؤمنين المأمون ، في ربيع الأول

سنة احدى عشرة ومائتين ، فزاد في عبارته ، وكان الناس يصلون فيه الجمعة قبل بناء جامع أحمد بن طولون . ولم يزل هذا الجامع الى ما بعد الخمائة من نسى الهجرة .

قال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمائة : وكان يطلق في الأربع ليالى الوقود — وهي مثل رجب ، ونصفه ، ومثل شعبان ، ونصفه — يرسم الجوامع الستة : الأزهر ، والأنور ، والأقمر بالقاهرة ، والطولونى ، والعتيق ببصرى ، وجامع القرافة ، والمشاهد التي تتضمن الأعضاء الشريفة ، وبعض المساجد التي يكون لأربابها وجاهة ... جملة كثيرة من الزيت الطيب ، ويختص بجامع رائدة وجامع ساحل الغلة ببصرى والجامع بالمقس يسير .

ويعنى بجامع ساحل الغلة جامع العسكر ، فان العسكر حينئذ كان قد خرب وحملت أنقاضه ، وصار الجامع بساحل مصر ، وهو الساحل القديم المذكور في موضعه من هذا الكتاب .

ذكر العسكر

كان مكان العسكر في صدر الاسلام يعرف بعد الفتح بالحراء القصوى . وهي كما تقدم خطة بنى الأزرق ، وخطة بنى رويل ، وخطة بنى يشكر بن جزيلة من لخم . ثم دثرت هذه الحراء وصارت صحراء .

فلما زالت دولة بنى أمية ، ودخلت المسودة الى مصر في طلب مروان بن محمد الجعدي في سنة ثلاث وثلاثين ومائة — وهي خراب

فضاء يعرف بعضه بجبل يشكر — نزل صالح ابن علي بن عبد الله بن عباس ، وأبو عون عبد الملك بن يزيد ، بعسكرهما في هذا القضاء ، وأمر عبد الملك أبو عون أصحابه بالبناء فيه فبنوا ، وسمى من يومئذ بالعسكر .

وصار أمراء مصر اذا قدموا ينزلون فيه من بعد أبي عون ، وقال الناس من عهده : كنا بالعسكر ، وخرجنا الى العسكر ، وكنت في العسكر . فصارت مدينة القسطنطين والعسكر ، ونزل الأمراء من عهد أبي عون بالعسكر .

فلما ولي يزيد بن حاتم اماره مصر ، وقام على بن محمد بن عبد الله بن حسن وطرق المنجد ، كتب أبو جعفر المنصور الى يزيد بن حاتم يأمره أن يتحول من العسكر الى القسطنطين ، وأن يجعل الديوان في كنائس القصر وذلك في سنة ست وأربعين ومائة .

الى أن قدم الأمير أبو العباس أحمد بن طولون من العراق ، أميراً على مصر ، فنزل بالعسكر بدار الامارة التي بناها صالح بن علي بعد هزيمة مروان وقتله ، وكان لها باب الى الجامع الذى بالعسكر .

وكان الأمراء ينزلون بهذه الدار الى أن نزلها أحمد بن طولون ، ثم تحول منها الى القطن . وجعلها أبو الجيش خمارويه بن أحمد ابن طولون ، عند امارته على مصر ، ديواناً للخراج . ثم فرقت حجرا حجرا بعد دخول محمد بن سليمان الكاتب الى مصر وزوال دولة بنى طولون . وسكن محمد بن سليمان أيضا بدار في العسكر عند المصلى القديم ، ونزلها

(*) من ٢٦٦ ج ٢ ، ط . بولاق .

الأمراء من بعده ... الى أن ولي الاخشيدي محمد بن طنج ، فنزل بالعسكر أيضا .

ولما بنى أحمد بن طولون القطن اتصلت مبانيها بالعسكر ، وبنى الجامع على جبل يشكر ، فمر ما هنالك عبارة عظيمة ... بحيث كانت هناك دار على بركة قارون اتفق عليها كافور الاخشيدي مائة ألف دينار وسكنها ، وكان هناك مارستان أحمد بن طولون اتفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار .

وقدمت عساكر المزمز لدين الله مع كاتبه وغلامه جوهر القائد ، في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، والعسكر عامر . غير أنه منذ بنى أحمد بن طولون القطن هجر اسم العسكر ، وصار يقال مدينة القسطنطين والقطن . فلما خرب محمد بن سليمان الكاتب قصر ابن طولون وميدانه — كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب — صارت القطن فيها المساكن الجليلة حيث كان العسكر .

وأزل المزمز لدين الله عنه أبا علي في دار الامارة ، فلم يزل أهله بها الى أن خربت القطن في الغلاء السكائن ببصرى في خلافة المستنصر أعوام بضع وخمسين وأربعمائة . فيقال انه كان هنالك ما ينيف على مائة ألف دار .

ولا ينكر ذلك . فانظر ما بين سفح الجبل — حيث القلعة الآن — وبين ساحل مصر القديم الذى يعرف اليوم بالكبارة ، وما بين كوم الجارج من مصر وقناطر السباع ... فهناك كانت القطن والعسكر . ويخص العسكر من ذلك ما بين قناطر السباع

وحفرة ابن قبيصة الى كوم الجارح ، حيث القضا الذي يتوسط فيما بين قنطرة السد وباب المخدم من جهة القرافة ... هناك كان السكر .

ولما استولى الخراب في المحنة زمن المستر ، أمر الوزير الناصر للدين عبد الرحمن البازوري ببناء حائط يستر الخراب اذا توجه الخليفة الى مصر فيما بين السكر والقطائع وبين الطريق ، وأمر فبنى حائط آخر عند جامع ابن طولون .

فلما كان في خلافة الأمر بتحكام الله أبي على منصور بن المستطلى بالله ، أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن قاتك - المنصوت بالأمون البطاحي - فتودى مدة ثلاثة أيام في القاهرة ومصر : بأن من كان له دار في الخراب أو مكان يسره ، ومن عجز عن عمارته يبعه أو يؤجره من غير ثقل شيء من أوقافه ، ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه . وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق .

فعمر الناس ما كان منه مما يلي القاهرة ، من حيث مشهد السيدة تقيّة الى ظاهر باب زويلة ، وقلت أوقاف السكر ، فصار القضاء الذي يوصل اليه من مشهد السيدة تقيّة ومن الجامع الطولوني ومن قنطرة السد ، ورسلك فيه الى حيث كوم الجارح . والعامر لأن من السكر بجبل ينكر الذي فيه جامع ابن طولون ، وما جوله الى قناطر السباع ، كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى .

جامع ابن طولون

هذا الجامع موضعه يعرف بجبل ينكر .. قال ابن عبد الظاهر : وهو مكان مشهور بإجاء الدعاء ، وقيل أن موسى عليه السلام فاجى ربه عليه بكلمات .

وابتدا في بناء هذا الجامع الأمير أبو العباس أحمد بن طولون ، بعد بناء القطائع ، في سنة ثلاث وستين ومائتين .

قال جامع السيرة الطولية : كان أحمد بن طولون يصلي الجمعة في المسجد القديم الملاصق للشرية ، فلما ضاق عليه بني الجامع الجديد ما أقام الله عليه من المال الذي وجده فوق الجبل ، في الموضع المعروف بتسور فرعون ، ومنه بني المين . فلما أراد بناء الجامع قدر له ثلثمائة عود ، فقيل له ما تجدها ، أو تنفذ الى الكنائس في الأرواف والضياع الخراب فتحمل ذلك . فأنكر ذلك ولم يختره ، وتعذب قلبه بالتفكير في أمره .

وبلغ النصراني الذي تولى له بناء المين - وكان قد غضب عليه وضربه ، ورماه في المطبق - الخير . فكتب اليه يقول : أنا أبنيه لك كما تحب وتختار بلا عيب الا عمودي القبلة .

فأحضره ، وقد طال شعره حتى نزل على وجهه ، فقال له : ويحك ، ما تقول في بناء الجامع !

فقال : أنا أصوره للأمير حتى يراه عياناً بلا عيب الا عمودي القبلة .

فأمير بأن تحضر له الجلود ، فأحضرت ، وصوره له ، فأعجبه واستحبه ، وصنقه وخلع عليه ، وأمنق له النفقة عليه مائة ألف دينار ، فقال له : أنت وما احتجت اليه بعد ذلك أفلتتاه لك .

فوضع النصراني يده في البية في الموضع الذي هو فيه ، وهو جبل ينكر . فكان ينشر منه ويمسل الجير . وبقي الى أن فرغ من جميعه . وبنيته وخلقه . وعنى فيه بتدليل بالسليل الحسن طول : وفرش فيه الحصر ، وحمل اليه صناديق المصاحف ، ونقل اليه القراء والفقهاء ، وصلى فيه بعد ابن قبيصة القاضي ، وعمل الزرع بن سليمان باباً . . . فيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من بنى لله مسجداً ، ولو كنفحص قطعة ، بنى الله له بيتاً في الجنة » .

فلما كان في أول جمعة صلاها به أحمد ابن طولون ، وفرغت الصلاة ، جلس محمد ابن الربيع خارج المقصورة ، وقام المستطلى وفتح باب المقصورة ، وجلس أحمد بن طولون ولم ينصرف ، والفلان قيام وسائر الحجاب ، حتى فرغ المجلس .

فلما فرغ المجلس ، خرج اليه غلام بكيس فيه ألف دينار ، وقال : يقول لك الأمير تفعلك الله بما علمك ، وهذه لأبي ماهر (يعني ابنه) . وتصدق أحمد بن طولون بصدقات عظيمة فيه ، وعمل طعاماً عظيماً للفقراء والمساكين . وكان يوماً عظيماً حسناً .

وراح أحمد بن طولون ، ونزل في الدار التي عملها فيه للإمارة - وقد فرشت وعظمت ،

(مره ٢٦٠٠٠٠) ط. طولون

وحملت اليها الآلات والأواني وصناديق لأشربة وما شاكلها - فنزل بها أحمد ، وجد طهره ، وغير ثيابه ، وخرج من بابها الى المقصورة ، فركع وسجد شكراً لله تعالى على ما أعانه عليه من ذلك ويسره له .

فلما أراد الانصراف ، خرج من المقصورة حتى أشرف على القنطرة ، وخرج الى باب الربيع . فصعد النصراني الذي بني الجامع ، ووقف الى جانب المركب النحاس وصاح : يا أحمد بن طولون يا أمير الأمان ، عبدك يريد الجائزة ، ويسأل الأمان ألا يجزى عليه مثل ما جرى في المرة الأولى .

فقال له أحمد بن طولون : انزل فقد أمرك الله ، ولك الجائزة .

فنزل وخلع عليه ، وأمر له بعشرة آلاف دينار ، وأجرى عليه الرزق الواسع الى أن مات .

وراح أحمد بن طولون في يوم الجمعة الى الجامع . فلما رقى الخطيب المنبر ، وخطب - وهو أبو يعقوب البلخي - دنا للمعتمد ولولده ، وصى أن يدعو لأحمد بن طولون ، ونزل عن المنبر . فثار أحمد الى نسيم الخادم أن اضربه خمسمائة سوط .

فذكر الخطيب سهوه ، وهو على مراقبي المنبر ، فعاد وقال : الحمد لله صلى الله على محمد . ولقد عهدنا الى آدم من قبل فني ولم نجد له عزماً ، اللهم وأصلح الأمير أبا العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين . وزاد في الشكر والدعاء له بقدر الخطبة ، ثم نزل . فنظر أحمد الى نسيم أن

اجعلها دنانير . ووقف الخُطيب على ما كان منه ، فحمد الله تعالى على سلامته ، وهناه الناس بالسلامة .

ورأى أحمد بن طولون الصانع ينسج في الجامع عند العشاء — وكان في شهر رمضان — فقال : متى يشتري هؤلاء الضعفاء افطارا لعيالهم وأولادهم ؟ امرفوهم العصر . فصارت سنة الى اليوم بمصر .

فلما فرغ شهر رمضان قيل له : قد انقضى شهر رمضان ، فيمودون الى رسمهم . فقال : قد بلغت دعائهم وقد تبركت به ، وليس هذا مما يوفر العمل علينا .

وفرغ منه في شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين ، وتقرب الناس الى ابن طولون بالصلاة فيه ، وألزم أولادهم كلهم صلاة الجمعة في فواراة الجامع ، ثم يخرجون بعد الصلاة الى مجلس الريح بن سليمان ليكتبوا العلم مع كل واحد منهم وراق وعدة غلطان . وبلغت النفقة على هذا الجامع في بنيه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار .

ويقال ان أحمد بن طولون رأى في منامه : كأن الله تعالى قد تجلى ووقع نوره على المدينة التي حول الجامع ، الا الجامع فانه لم يقع عليه من النور شيء . فتألم وقال : والله ما بنيت الا لله خالصا ومن المال الحلال الذي لا شبهة فيه .

فقال له معبر حاذق : هذا الجامع يبقى ويخرب كل ما حوله ، لان الله تعالى قال : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا » ، فكل شيء يقع عليه جلال الله عز وجل لا يثبت .

وقد صح تعبير هذه الرؤيا . فان جسم ما حول الجامع خرب دحرا طويلا — كسا تقدم في موضعه من هذا الكتاب — وبقي الجامع عامرا ، ثم عادت العمارة لما حوله كما هي الآن .

قال القاضي رحمه الله : وذكر أن السبب في بنيه ان أهل مصر شكوا اليه ضيق الجامع يوم الجمعة من جنده وسودانه ، فأمر بإنشاء المسجد الجامع بجبل يشكر بن جديلة من لخم . فأبتدا بنيه في سنة ثلاث وستين ومائتين ، وفرغ منه سنة خمس وستين ومائتين .

وقيل ان أحمد بن طولون قال : أريد أن أبني بناء ان احترقت مصر بتي ، وان غرقت بتي . فقيل له : يبنى بالجير والرماد ، والآجر الأحمر القوي النار الى السقف ، ولا يجعل فيه اساطين رخام ، فانه لا صبر لها على النار .

فبناه هذا البناء ، وعمل في مؤخره مiazza ، وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والأدوية ، وعليها خدم ، وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة . وبناه على بناء جامع سامرا ، وكذلك المنارة ، وعلق فيه سلاسل النحاس المفرغة والقناديل المحكمة ، وفرشه بالحصر العبدانية والسامانية .

« حديث الكثر » : قال جامع السيرة : لما ورد على أحمد بن طولون كتاب المعتد بما استدعاه من رد الخراج بمصر اليه ، وزاده المعتد مع ما طلب الثغور الشامية ، رغب بنفسه عن المعادن ومراققتها ، فأمر بتركها ، وكتب باستقامتها في سائر الأعمال ، ومنع

المتقبلين من التسخ على المزارعين ، وخطر الارتفاق على العمال .

وكان قبل اسقاط المرافق بمصر قد شاور عبد الله بن دسومة في ذلك — وهو يومئذ أمين على أبي أيوب متولى الخراج — فقال : ان أمنى الأمير تكلمت بما عندى .

فقال له : قد أمنك الله عز وجل .

فقال : أيها الأمير ان الدنيا والآخرة ضربان ، والحازم من لم يخلط احدهما مع الأخرى ، والمفرط من خلط بينهما فيتلف أعماله ويضل سعيه . وأنفعال الأمير — أيده الله — الخير ، وتوكله توكل الزهاد ، وليس مثله * من ركب خطة لم يحكمها . ولو كنا تثق بالنصر دائما طول العمر ، لما كان شيء عندنا آثر من التضييق على أنفسنا في العاجل بعسارة الآجل ، ولكن الانسان قصير العمر ، كثير المصائب ، مدفوع الى الآفات . وترك الانسان ما قد أمكنه وصار في يده تضييع ، ولعل الذي حماه نفسه يكون سعادة لمن يأتي من بعده ، فيعود ذلك توسعة لغيره بما حرمة هو ...

ويجتمع للأمير — أيده الله — بما قد عزم على اسقاطه من المرافق في السنة بمصر دون غيرها مائة ألف دينار . وان فسح ضياع الأمراء والمتقبلين في هذه السنة ، لأنها سنة ظمأ توجب الفسخ ، زاد مال البلد ، وتوفر توفرا عظيما ينضاف الى مال المرافق ، فيضبط به الأمير — أيده الله — أمر دنياه . وهذه طريقة أمور الدنيا ، وأحكام أمور الرئاسة (٥) ص ٢٦٦ ، ج ٢ ، ط . بولاق .

والسياسة ، وكل ما عدل الأمير — أيده الله — اليه من أمر غير هذا فهو مفسد لدنياه . وهذا رأي ، والأمير — أيده الله — على ما عساه يراه .

فقال له : تنظر في هذا ان شاء الله .

وشغل قلبه كلامه ، فبات تلك الليلة بعد أن مضى أكثر الليل يفكر في كلام ابن دسومة ، فرأى في منامه رجلا من اخوان الزهاد بطرسوس وهو يقول له : ليس ما أثار به عليك من استشرته في أمر الارتفاق والفسخ برأى محمد عاقبته فلا تقبله ، ومن ترك شيئا لله عز وجل عوضه الله عنه ، فأمنض ما كنت عزمت عليه .

فلما أصبح أتته الكتب الى سائر الأعمال بذلك ، وتقدم به في سائر الدواوين بامضائه ، ودعى بابن دسومة فعرفه بذلك . فقال له : قد أثار عليك رجلا ، الواحد في اليقظة والآخر ميت في النوم ، وأنت الى الحي أقرب وبضمانه أوثق .

فقال : دعنا من هذا ، فلت أقبل منك .

وركب في غد ذلك اليوم الى نحو الصعيد . فلما أمن في الصحراء ساخت في الأرض يد فرس بعض غلمانه — وهو رمل — فسقط الغلام في الرمل ، فاذا يفتق ففتح ، فأصيب فيه من المال ما كان مقداره ألف ألف دينار .

وهو الكثر الذي شاع خبره .

وكتب به الى العراق أحمد بن طولون يخبر المعتد به ، ويستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البر وغيرها ، فبنى منه المارستان . ثم أصاب

بعده في الجبل مالا عظيما ، قبنى منه الجامع ،
ورقف بجميع ما بقى من المال في الصدقات .
وكانت صدقاته ومعروفه لا تحصى كثرة .

ولما انصرف من الصحراء ، وحمل المال ،
احضر ابن دسومة واراها المال ، وقال له :
بئس صاحب والمشتار أنت . هذا أول بركة
مشورة الميت في النوم ، ولولا أتى أمتك
لضربت عنقك .

وتغير عليه وسقط محله عنده . ورفع اليه
بعد ذلك أنه قد أجحف بالناس ، والزهم
أشياء ضجوا منها . فقبض عليه وأخذ ماله
وجسه ، فمات في جبه .

وكان ابن دسومة واسع الحيلة ، بخيل
الكف ، زاهدا في شكر التاكدين ، لا يمش
الى شيء من أعمال البر . وكان أحمد بن
طولون من أهل القرآن ، اذا جرت منه اساءة
استغفر وتضرع .

وقال ابن عبد الظاهر : سمعت غير واحد
يقول : انه لما قرغ أحمد بن طولون من بناء
هذا الجامع ، أسر للناس بسمع ما يقوله
الناس فيه من الميوب . فقال رجل : محرابه
صغير ، وقال آخر : ما فيه عسود ، وقال
آخر : ليست له ميضاة .

فجمع الناس وقال : أما المحراب فاني رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطه لي ،
فأصبحت فرأيت النمل قد أضافت بالمكان
الذي خطه لي . وأما العمد فاني بنيت هذا
الجامع من مال حلال وهو الكنز ، وما كنت
لأشويه بغيره ، وهذه العمد اما أن تكون من
مسجد أو كنيسة فنزته عنها . وأما الميضاة
فاني نظرت ، فوجدت ما يكون بها من

النجاسات فطهرته منها ، وهأنا أبشها خلفه .
ثم أمر ببنائها .

وقيل انه لما فرغ من بنائه رأى في منامه :
كان نارا نزلت من السماء فأخذت الجامع
دون ما حوله . فلما أصبح قص رؤياه فقبل
له : أبشر يقول الجامع ، لأن النار كانت في
الزمان الماضي اذا قبل الله قربانا نزلت نار من
السماء أخذته ، ودليله قصة قايل وهابيل .

قال : ورأيت من يقول انه عمل به منطقة
دائرة بجميعه من غير . ولم أر مصفا ذكره ،
الا انه متفاض من الأقواء والنقلة .

وسمعت من يقول : انه عمر ما حوله حتى
كان خلفه مصطبة ذراع في ذراع : أجرتها في
كل يوم اثنا عشر درهما في بكرة النهار
لشخص يبيع الفزل ويشرته ، والظهر لخباز ،
والعصر لشيخ يبيع الحمص والفول .

وقيل عن أحمد بن طولون : انه كان لا
يعبت بشيء قط . فاتفق أنه أخذ درجا أبيض
بيده وأخرجه ومده ، واستيقظ لنفسه وعلم أنه
قد فطن به ، وأخذ عليه لكونه لم تكن تلك
عادته . فطلب المعمار على الجامع ، وقال :
تبنى المنارة التي للتأذين هكذا . فبنيت على
تلك الصورة .

والعامة يقولون : ان العشاري الذي على
المنارة المذكورة يدور مع الشمس . وليس
صحيحا ، وانما يدور مع دوران الرياح . وكان
الملك الكامل قد اعتنى بوقودها ليلة النصف
من شعبان ثم أبطلها .

وقال المسيحي : ان الحاكم أنزل الى جامع
ابن طولون ثمانمائة مصحف وأربعة عشر
مصحفا .

وفي سنة ست وسبعين وثلثمائة ، في ليلة
الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى ،
احترقت الفوارة التي كانت بجامع ابن طولون
فلم يبق منها شيء . وكانت في وسط صحنه
قبة مشبكة من جميع جوانبها وهي مذهبة ،
على عشر عمد رخام * ، وستة عشر عمود
رخام في جوانبها ، مفروشة كلها بالرخام .
وتحت القبة قصعة رخام فسحتها أربعة أذرع ،
في وسطها فوارة تنفوز بالماء ، وفي وسطها
قبة مزوقة يؤذن فيها وفي أخرى على سلمها ،
وفي السطح علامات الزوال ، والسطح
بدرابزين ساج ... فاحترق جميع هذا في ساعة
واحدة .

وفي المحرم سنة خمس وثمانين وثلثمائة ،
أمر العزيز بالله بن المزمع ببناء فوارة عوضا عن
التي احترقت . فعمل ذلك على يد راشد
الحنفى ، وتولى عمارتها ابن الرومية وابن
البناء . وماتت أم العزيز في سلخ ذى القعدة
من السنة . والله أعلم .

« تجديد الجامع » : وكان من خبر جامع
ابن طولون أنه لما كان غلاء مصر في زمان
المستنصر ، وخربت القطائع والمسكر ، عدم
الساكن هناك ، وصار ما حول الجامع خرابا .
وتوالت الأيام على ذلك ، وتشتت الجامع ،
وخرب أكثره ، وصار أخيرا ينزل فيه المغاربة
بأباعرها ومتاعها عندما تمر بمصر أيام الحج .

فهيأ الله جل جلاله لعمارة هذا الجامع أن
كان بين الملك الأشرف خليل بن قلاوون وبين
الأمير بيدر أمور موحشة تزايدت وتأكدت .
الى أن جمع بيدر من يثق به ، وقتل الأشرف

(*) من ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٥٩ ، ١٤

ست وتسعين وستمائة . فأقام قراستقر في نيابة السلطة بديار مصر ، وأخرج الناصر محمد بن قلاوون من قلعة الجبل الى كرك الشوبك فجعله في قلعتها . وأعان أهل الشام على كتبها حتى قبض عليه ، وجعله نائب حماة ، فأقام بها مدة سنين بعد سلطنة مصر والشام .

وخلع على الأمير علم الدين سنجر الدولاداري ، وأقامه في نيابة دار العدل ، وجعل اليه شراء الأوقاف على الجامع الطولولي ، وصرف اليه كل ما يحتاج اليه في العمارة ، وأكد عليه في ألا يسخر فيه فاعلا ولا صاعا ، وألا يقيم مستحشا للصناع ، ولا يشتري لمعارته شيئا مما يحتاج اليه من سائر الأصناف الا بالقيمة التامة ، وأن يكون ما ينفق على ذلك من ماله . وأشهد عليه بوكاته .

فابتاع منية أندونة من أراضي الجيزة - وعرفت هذه القرية بالأندونة ... كاتب بمصر كان نصرانيا في زمن أحمد بن طولون ، ومن فكبه وأخذ منه خمسين ألف دينار - واشترى أيضا ساحة بجوار جامع أحمد بن طولون - مما كان في القديم عامرا ثم تخرب - وحكروها .

وعمر الجامع ، وأزال كل ما كان فيه من تخريب ، وبلغه ، وبيعه ، ورتب فيه دروسا لالتقاء الفقه على المذاهب الأربعة التي عمل أهل مصر عليها الآن ، ودرسا يلقي فيه تفسير القرآن الكريم ، ودرسا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ودرسا للطب . وقرر للخطيب معلوما ، ويجعل له اماما راتيا ومؤذنين

وقرائين وقومة ، وعمل بجواره مكتبا لاقراء أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل ، وغير ذلك من أنواع القربات ووجوه البير . فبلغت النفقة على عمارة الجامع وثن مستغلته عشرين ألف دينار .

فلما شاء الله سبحانه أن يهلك لاجين ، زين له سوء عمله عزل الأمير قراستقر من نيابة السلطنة ، فمزله ، وولى ملوكه منكوتمر - وكان عسوقا عجولا حادا ، ولاجين مع ذلك يركن اليه ، ويسول في جميع أموره عليه ، ولا يخالف قوله ولا ينقض فعله - فشرع منكوتمر في تأخير أمراء الدولة من الصالحة والمنصورية ، وأعجل في اظهار التهم لهم ، والاعلان بما يريد من القبض عليهم واقامة أمراء غيرهم .

فتوحشت القلوب منه ، وتمايلات على بغضه ، ومشي القوم بمضهم الى بعض ، وكتبوا اخوانهم من أهل البلاد الشامية حتى تم لهم ما يريدون . فواعد جماعة منهم اخوانهم على قتل السلطان لاجين ونائبه منكوتمر ... فما هو الا أن صلى السلطان المشاء الآخرة من ليلة الجمعة العاشر من شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة ، واذا بالأمير كرجي - وكان ممن هو قائم * بين يده - تقدم ليصلح الشمعة ، فضربه بسيف قد أخفاه معه أطار به زنده ، وانقض عليه البقية ممن واعدوهم بالنيوف والخناجر ، فقطعوه قطعا وهو يقول : الله الله .

وخرجوا من فورهم الى باب القلة من قلعة الجبل ، فاذا بالأمير طنج قد جلس في

انتظارهم ومعه عدة من الأمراء - وكانوا اذ ذاك يبيتون بالقلعة دائما - فأمروا باحضار منكوتمر من دار النيابة بالقلعة ، وقلوه بعد مضي نصف ساعة من قتل استاذهم الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري ... رحمه الله ، فلقد كان منكوتمر السيرة .

وفي سنة سبع وستمائة . جدد الأمير يلغا العمري الخاصكي درسا بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية ، وقرر لكل فقيه من الطلبة في الشهر أربعين درهما وارذب قش . فانتقل جماعة من الشافعية الى مذهب الحنفية .

وأول من ولى نظره بعد تجديده الأمير علم الدين سنجر الجاولي ، وهو اذ ذاك دوادار السلطان الملك المنصور لاجين . ثم ولى نظره قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، ثم من بعده الأمير مكين في أيام الناصر محمد ابن قلاوون ، فجدد في أوقافه طاحونا وفرا وحوانيت ، فلما مات ولى قاضي القضاة عز الدين بن جماعة ، ثم ولاه الناصر للماضى كريم الدين فكبير ، فجدد فيه مئذنتين .

فلما لكبه السلطان عاد نظره الى قاضي القضاة الشافعي . وما برح الى أيام الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، فولاه للأمير صرغتمش ، وتوفر في مدة نظره من مال الوقف مائة ألف درهم فضة ، وقبض عليه وهي حاصلة . فباشره قاضي القضاة الى أيام الأشرف شعبان بن حسين ، فقوض نظره الى الأمير الجاي اليوسفي الى أن غرق .

فتحدث فيه قاضي القضاة الشافعي . الى أن فوض الملك الظاهر بركات نظره الى الأمير

قفلونيغا الصفوي في العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنين وتسعين وسبعمائة . وكان الأمير منطاش مدة تحكمه في الدولة فوضه الى المذكور في أواخر شوال سنة احدى وتسعين وسبعمائة . ثم عاد نظره الى القضاة بعد الصفوي ، وهو بأيديهم الى اليوم .

وفي سنة اثنين وتسعين وسبعمائة ، جدد الرواق البحري الملاصق للمئذلة الحاج عبيد ابن محمد بن عبد الهادي الهويدي البازدار مقدم الدولة ، وجدد مضاة بجانب الميضاة القديمة . وكان عبيد هذا بازدارا ، ثم ترقى حتى صار مقدم الدولة في شهر ربيع الأول سنة اثنين وتسعين وسبعمائة ، ثم ترك زى المقدمين وتزيا بزى الأمراء ، وحال لعمدة جليلة وسعادة فائلة ، حتى مات يوم السبت رابع عشر صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

ذكر دار الامارة

وكان بجوار الجامع الطولوني دار أنشأها الأمير أحمد بن طولون عندما بنى الجامع ، وجعلها في الجهة القبليّة ، ولها باب من جدران الجامع يخرج منه الى المفصورة بجوار المحراب والمنبر ، وجعل في هذه الدار جميع ما يحتاج اليه من الفرش والستور والآلات . فكان ينزل بها اذا راح الى صلاة الجمعة ، فانها كانت تجاه القصر والميدان ، فيجلس فيها ويجدد وضوءه ويغير ثيابه ، وكان يقال لها دار الامارة . وموضعها الآن سوق الجامع ، حيث البازارين وغيرهم ، ولم تزل هذه الدار باقية الى أن قدم الامام المعز الدين ابي تميم معد

من بلاد المغرب ، فكان يستخرج فيها أموال الخراج .

قال الفقيه الحسن بن ابراهيم بن زولاق في كتاب « سيرة المزم » : ولست عشرة بقيت من المحرم (يعني من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة) قلد المزم لدين الله الخراج وجميع وجوه الأعمال والحسبة والسواحل والأعشار والجوالي والأجاس والموارث والشرطين ، وجميع ما ينضاف الى ذلك وما يطرا في مصر وسائر الأعمال ، أبا الترج يعقوب بن يوسف ابن كلس ووصلوج بن الحسن ، وكتب لهما سجلا بذلك قرى . يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون ، وجلسا غد هذا اليوم في دار الامارة في جامع أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الأعمال .

ثم خربت هذه الدار فيما خرب من القطائع والعسكر ، وصار موضعها ساحة ... الى أن حكرها اللويدارى عند تجديد عمارة الجامع كما تقدم . وقد ذكر بناء القيسارية في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الأسواق .

ذكر الأذان بمصر وما كان فيه من الاختلاف

اعلم أن أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن رباح ، مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، بالمدينة الشريفة وفي الأسفار . وكان ابن أم مكتوم — واسمه عمرو ابن قيس بن شرح من بنى عامر بن لؤى ، وقيل اسمه عبد الله وأمه أم مكتوم ، واسمها عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة من بنى مخزوم — ربما أذن بالمدينة .

وأذن أبو محذورة ، واسمه أوس — وقيل سرة — ابن معير بن لؤذان بن ربيعة بن معير ابن عريج بن سعد بن جمح . وكان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يؤذن مع بلال ، فأذن له ، وكان يؤذن في المسجد الحرام ، وأقام بمكة ومات بها ، ولم يأت المدينة .

قال * ابن الكلبي : كان أبو محذورة لا يؤذن للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة الا في الفجر ، ولم يهاجر وأقام بمكة .

وقال ابن جريج : علم النبي صلى الله عليه وسلم أبا محذورة الأذان بالجعرانة حين قسم غنائم حنين ، ثم جعله مؤذنا في المسجد الحرام .

وقال الشعبي : أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلال وأبو محذورة وابن أم مكتوم . وقد جاء أن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يؤذن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المنبر .

وقال محمد بن سعد عن الشعبي : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة مؤذنين : بلال ، وأبو محذورة ، وعمرو بن أم مكتوم . فإذا غاب بلال أذن أبو محذورة ، وإذا غاب أبو محذورة أذن ابن أم مكتوم ... قلت : لعل هذا كان بمكة .

وذكر ابن سعد أن بلالا أذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر رضى الله عنه ، وأن عمر رضى الله عنه أراد أن يؤذن له فأبى عليه ، فقال له : الى من ترى أن أجعل النداء ؟

(*) من ٢٦٩ ، ج ٢ ، ط ٠ بولاق *

فقال : الى سعد القرظ ، فانه قد أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدعاه عمر رضى الله عنه ، فجعل النداء اليه والى عقبه من بعده .

وقد ذكر أن سعد القرظ كان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقاء .

وذكر أبو داود في مراسيله ، والدارقطني في سنة ، قال بكير بن عبد الله الأشج : كانت مساجد المدينة تسعة ، سوى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلهم يصلون بأذان بلال رضى الله عنه .

وقد كان عند فتح مصر الأذان انما هو بالمسجد الجامع ، المعروف بجامع عمرو ، وبه صلاة الناس بأسرهم . وكان من هدى الصحابة والتابعين ، رضى الله عنهم ، المحافظة على الجماعة ، وتشديد التكير على من تخلف عن صلاة الجماعة .

قال أبو عمرو السكندی في ذكر من عرف على المؤذنين بجامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر : وكان أول من عرف على المؤذنين أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد المرادى — وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أذن لعمر بن الخطاب — سار الى مصر مع عمرو بن العاص يؤذن له حتى افتتحت مصر ، فأقام على الأذان ، وضم اليه عمرو بن العاص تسعة رجال يؤذنون هو عاشرهم . وكان الأذان في ولده حتى انقرضوا .

قال أبو الخير : حدثني أبو مسلم — وكان مؤذنا لعمر بن العاص — أن الأذان كان أولا لا اله الا الله وآخره لا اله الا الله ، وكان

أبو مسلم بوصى بذلك حتى مات ، ويقول : هكذا كان الأذان .

ثم عرف عليهم أخوه شرحبيل بن عامر — وكانت له صحبة — وفي عرافته زاد مسلمة ابن مخلد في المسجد الجامع ، وجعل له المنار ولم يكن قبل ذلك . وكان شرحبيل أول من رقى منارة مصر للأذان .

وان مسلمة بن مخلد اعتكف في منارة الجامع ، فسمع أصوات النواقيس عالية بالفسطاط ، فدعا شرحبيل بن عامر فأخبره بما ساءه من ذلك .

فقال شرحبيل : فاني أمدد بالأذان من نصف الليل الى قرب الفجر ، فانهم أبها الأمير أن ينقسوا اذا أذنت .

فنهام مسلمة عن ضرب النواقيس وقت الأذان . ومدد شرحبيل ومطط أكثر الليل ، الى أن مات شرحبيل سنة خمس وستين .

وذكر عن عثمان رضى الله عنه أنه أول من رزق المؤذنين . فلما كثرت مساجد الخطية ، أمر مسلمة بن مخلد الأنصارى ، في امارته على مصر ، ببناء المنار في جميع المساجد ... خلا مساجد تجيب وخولان . فكانوا يؤذنون في الجامع أولا ، فإذا فرغوا أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد ، فكان لأذانهم دوى شديد .

وكان الأذان أولا بصير كاذان أهل المدينة ، وهو : الله أكبر ، الله أكبر ... وباقيه كما هو اليوم . فلم يزل الأمر بصير على ذلك في جامع عمرو بالفسطاط ، وفي جامع العسكر ، وفي جامع أحمد بن طولون وبقية المساجد ...

الى أن قدم القائد جوهر بجيوش المزمع لدين
الله ، وبني القاهرة .

فلما كان في يوم الجمعة الثامن من جمادى
الأولى سنة تسع وخسين وثلاثمائة ، صلى
القائد جوهر الجمعة في جامع أحمد بن
طولون ، وخطب به عبد السميع بن عمر
العباسي بقلنوسة وبني وطلسان دبي ،
وأذن المؤذنون : **حي على خير العمل** . وهو
أول ما أذن به بمصر .

وصلى به عبد السميع الجمعة ، فقرأ سورة
الجمعة و **« إذا جاءك المنافقون »** ، وقت في
الركعة الثانية ، وانحط الى السجود ونسى
الركوع . فصاح به علي بن الوليد قاضي
عسكر جوهر : **بطلت الصلاة أعد ظهرا أربع
ركعات** .

ثم أذن يحيى على خير العمل في سائر
مساجد المسكر ، الى حدود مجد عبد الله .

وانكر جوهر على عبد السميع أنه لم يقرأ
« بسم الله الرحمن الرحيم » في كل سورة ،
ولا قرأها في الخطبة . فأنكره جوهر ، ومنعه
من ذلك .

ولأربع بقين من جمادى الأولى المذكور ،
أذن في الجامع العتيق يحيى على خير العمل ،
وجهروا في الجامع بالبسملة في الصلاة . فلم
يزل الأمر على ذلك طول مدة الخلفاء
الفاطميين .

الا أن الحاكم بأمر الله في سنة أربعمائة ،
أمر بجمع مؤذني القصر وسائر الجوامع ،
وحضر قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي ،
وقرأ أبو علي العباسي سجلا فيه الأمر بترك

« حي على خير العمل » في الأذان ، وأن يقال
في صلاة الصبح **« الصلاة خير من النوم »** ،
وأن يكون ذلك من **« مؤذني القصر عند
قولهم « السلام على أمير المؤمنين ورحمة
الله »** . فامتثل ذلك .

ثم عاد المؤذنون الى قول **« حي على خير
العمل »** في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعمائة .
ومنع في سنة خمس وأربعمائة مؤذني جامع
القاهرة ومؤذني القصر من قولهم بعد الأذان
« السلام على أمير المؤمنين » ، وأمرهم أن
يقولوا بعد الأذان : **« الصلاة رحمك
الله »** .

ولهذا الفعل أصل ... قال الواقدي : كان
بلال رضي الله عنه يقف على باب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فيقول : **« السلام
عليك يا رسول الله »** ، وربما قال : **« السلام
عليك يا بني أنت وأمي يا رسول الله »** ، حي على
الصلاة ، حي على الصلاة ، **السلام عليك
يا رسول الله** .

قال البلاذري ، وقال غيره : كان يقول :
**« السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله
وبركاته »** ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ،
الصلاة يا رسول الله .

فلما ولي أبو بكر رضي عنه الخلافة ، كان
سعد القرظ يقف على بابه فيقول : **« السلام
عليك يا خليفة رسول الله ورحمة الله وبركاته »** ،
حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، الصلاة
يا خليفة رسول الله .

فلما استخلف عمر رضي الله عنه ، كان سعد
يقف على بابه فيقول : **« السلام عليك يا خليفة**

(*) ص ٢٧٠ ج ٢ ، ط بولاق .

خليفة رسول الله ورحمة الله ، حي على الصلاة
حي على الفلاح ، الصلاة يا خليفة خليفة رسول
الله .

فلما قال عمر رضي الله عنه للناس : أتم
المؤمنون وأنا أميركم . فدعى أمير المؤمنين ...
استطالة لقول القائل يا خليفة خليفة رسول
الله ، ولمن بعده خليفة خليفة خليفة رسول الله ،
كان المؤذن يقول : **السلام عليك ، أمير
المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته ، حي على
الصلاة ، حي على الفلاح ، الصلاة يا أمير
المؤمنين** . ثم إن عمر رضي الله عنه أمر
المؤذن فزاد فيها **« رحمك الله »** . ويقال إن
عثمان رضي الله عنه زادها .

وما زال المؤذنون إذا أذنوا سلموا على
الخلفاء وأمراء الأعمال ، ثم يقيمون الصلاة
بعد السلام . فيخرج الخليفة أو الأمير فيصل
بالناس ... هكذا كان العمل مدة أيام بني
أمية ، ثم مدة خلافة بني العباس ، أيام كانت
الخلفاء وأمراء الأعمال تصلي بالناس .

فلما استولى العجم ، وترك خلفاء بني
العباس الصلاة بالناس ، ترك ذلك كما ترك
غيره من سنن الاسلام . ولم يكن أحد من
الخلفاء الفاطميين يصلي بالناس الصلوات
الخمس في كل يوم ، فلم المؤذنون في أيامهم
على الخليفة بعد الأذان للفجر فوق المنارات .

فلما انقضت أيامهم ، وغير السلطان صلاح
الدين رسومهم ، لم يتجاسر المؤذنون على
السلام عليه ، احتراما للخليفة العباسي ببغداد .
فجعلوا عوض السلام على الخليفة السلام
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستمر
ذلك قبل الأذان للفجر في كل ليلة بمصر

والشام والحجاز ، وزيد فيه بأمر المحتسب
صلاح الدين عبد الله البرلسي **« الصلاة
والسلام عليك يا رسول الله »** . وكان ذلك بعد
سنة ستين وسبعائة ، فاستمر ذلك .

ولما تغلب أبو علي بن كتيبات بن الأفضل
شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي ،
على رتبة الوزارة في أيام الحافظ لدين الله
أبي الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم
محمد بن المتنصر بالله ، في سادس عشر ذي
القعدة سنة أربع وعشرين وخمسائة ، وسجن
الحافظ وقيد ، واستولى على سائر ما في
القصر من الأموال والنخائر وحملها الى دار
الوزارة — وكان اماميا متشددا في ذلك —
خالف ما عليه الدولة من مذهب الاسماعيلية ،
وأظهر الدناء للإمام المنتظر ، وأزال من الأذان
« حي على خير العمل » ، وقولهم **« محمد
وعلى خير البشر »** ، وأسقط ذكر اسماعيل
ابن جعفر الذي تنسب اليه الاسماعيلية .

فلما قتل في سادس عشر المحرم سنة ست
وعشرين وخمسائة ، عاد الأمر الى الخليفة
الحافظ ، وأعيد الى الأذان ما كان أسقط
منه .

وأول من قال في الأذان بالليل **« محمد
وعلى خير البشر »** الحسين المعروف بأمر
كابن شكنه — ويقال اشكنه ، وهو اسم
أعجمي معناه الكرشي — وهو علي بن محمد
ابن علي بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن
الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان أول
تأذنيه بذلك في أيام سيف الدولة بن حمدان
بحلب في سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ... قاله
الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة .

ولم يزل الأذان يحلب يراد فيه « حى على خير العمل ، ومحمد وعلى خير البشر » الى أيام نور الدين محمود . فلما فتح المدرسة الكبيرة ، المصروفة بالعلاوية ، استدعى أبا الحسن على بن الحسن بن محمد البلخي الحنفي اليها ، فجاء معه جماعة من الفقهاء ، وألقى بها الدروس . فلما سمع الأذان أمر الفقهاء فصدوا المنارة وقت الأذان ، وقال لهم : مروهم يؤذنون الأذان المشرع ، ومن امتنع كبوه على رأسه . فصدوا وفعلوا ما أمرهم به . واستمر الأمر على ذلك .

وأما مصر فلم يزل الأذان بها على مذهب القوم . الى أن استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بسلطنة ديار مصر ، وأزال الدولة الفاطمية في سنة سبع وستين وخمسمائة — وكان يتحل مذهب الامام الشافعي رضى الله عنه ، وعقيدة الشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله — فأبطل من الأذان قول « حى على خير العمل » ، وصار يؤذن في سائر اقليم مصر والشام بأذان أهل مكة ، وفيه تريخ التكبير وترجيح الشهادتين .

فاستمر الأمر على ذلك الى أن بنت الأتراك المدارس بديار مصر ، واتشر مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه في مصر ، فصار يؤذن في بعض المدارس التي للحنفية بأذان أهل الكوفة ، وتقام الصلاة أيضا على رأيهم ، وما عدا ذلك فعمل ما قلنا . الا أنه في ليلة الجمعة اذا فرغ المؤذنون من التاذين ، سلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو شيء أحدثه

(هـ) ص ٢٧١ جزء ١ طه بولاق

محتسب القاهرة صلاح الدين عبد الله بن عبد الله البرلى بعد سنة ستين وسبعمائة .

فاستمر الى أن كان في شعبان سنة احدى وتسعين وسبعمائة — ومتولى الأمر بديار مصر الأمير منطاش القائم بدولة الملك الصالح المنصور أمير حاج ، المعروف بحاجي بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون — فسبح بعض الفقهاء الخلاطين سلام المؤذنين على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة جمعة ، وقد استحس ذلك طائفة من اخوانه ، فقال لهم : أتحبون أن يكون هذا السلام في كل أذان ؟ قالوا : نعم . فبات تلك الليلة ، وأصبح متواجدا يزعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه ، وأنه أمره أن يذهب الى المحتسب ، ويبلغه عنه أن يأمر المؤذنين بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أذان .

فمضى الى محتسب القاهرة ، وهو يومئذ نجم الدين محمد الطنبدي — وكان شيخا جهولا ، وبلهانا مهولا ، سىء السيرة في الحبة والقضاء ، متهافنا على الدرهم ولو قاده الى البلاء ، لا يحتشم من أخذ البرطيل والرشوة ، ولا يراعى في مؤمن إلا ولا ذمة ، وقد صرى على الآثام ، وتجسد من أكل الحرام ... يرى أن العلم ارخاء العذبة وليس الجبة ، ويحسب أن رضا الله سبحانه في ضرب العباد بالدرة وولاية الحسبة . لم تحمد الناس قط أياديه ، ولا شكرت أبدا مساعيه ، بل جهالاته شائعة ، وقبائح أفعاله ذائعة . أشخص غير مرة الى مجلس المظالم ، وأوقف مع من أوقف للمحاكمة بين يدي السلطان من أجل

عيوب فواحح ، حقق فيما شككته عليه القوادح . وما زال في السيرة مذموما ، ومن العامة والخاصة ملوما — وقال له : رسول الله يأمرك أن تتقدم لسائر المؤذنين بأن يرددوا في كل أذان قولهم « الصلاة والسلام عليك يا رسول الله » ، كما يفعل في ليالى الجمع .

فأعجب الجاهل هذا القول ، وجعل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر بعد وفاته الا بما يوافق ما شرعه الله على لسانه في حياته . وقد نهى الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن الزيادة فيما شرعه حيث يقول : « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اياكم ومحدثات الأمور » ... فأمر بذلك في شعبان من السنة المذكورة .

وتست هذه البدعة ، واستمرت الى يومنا هذا في جميع ديار مصر وبلاد الشام ، وصارت العامة وأهل الجهالة ترى أن ذلك من جملة الأذان الذي لا يحل تركه ، وأدى ذلك الى أن زاد بعض أهل الالحاد في الأذان ببعض القرى السلام بعد الأذان على شخص من المعتقدين الذين ماتوا . فلا حول ولا قوة الا بالله ، وانا لله وانا اليه راجعون .

وأما التسييح في الليل على المآذن ، فإنه لم يكن من فعل سلف الأمة . وأول ما عرف من ذلك أن موسى بن عمران صلوات الله عليه ، لما كان بيني اسرائيل في التيه بعد غرق فرعون وقومه ، اتخذ بوقين من فضة مع رجلين من بني اسرائيل ... يتفخآن فيهما وقت الرحيل ، ووقت النزول ، وفي أيام الأعياد ، وعندئذ تلك الليل الأخير من كل ليلة . فتقوم عند ذلك

طائفة من بني لاوى — ضبط موسى عليه السلام — ويقولون نشيدا منزلا بالوحى ، فيه تخويف وتحذير وتعظيم لله تعالى وتزبه له تعالى ، الى وقت طلوع الفجر .

واستمر الحال على هذا كل ليلة مدة حياة موسى عليه السلام ، وبعده أيام يوشع بن نون ومن قام في بني اسرائيل من القضاة . الى أن قام بأمرهم داود عليه السلام ، وشرع في عمارة بيت المقدس ، فرتب في كل ليلة عدة من بني لاوى يقومون عند ثلث الليل الآخر : فمنهم من يضرب بالآلات ، كالعود والسنطير والبربط والدف والمزمار ، ونحو ذلك . ومنهم من يرفع عقيرته بالنشائد المنزلة بالوحى على نبي الله موسى عليه السلام ، والنشائد المنزلة بالوحى على داود عليه السلام .

ويقال ان عدد بني لاوى هذا كان ثمانية وثلاثين ألف رجل ... قد ذكر تفصيلهم في كتاب الزبور . فاذا قام هؤلاء بيت المقدس ، قام في كل محلة من محال بيت المقدس رجال يرفعون أصواتهم بذكر الله سبحانه من غير آلات — فان الآلات كانت مما يختص بيت المقدس فقط ، وقد نهوا عن ضربها في غير البيت — فيتسامع من قرية بيت المقدس ، فيقوم في كل قرية رجال يرفعون أصواتهم بذكر الله تعالى حتى يعم الصوت بالذكر جميع قرى بني اسرائيل ومدنهم .

وما زال الأمر على ذلك في كل ليلة الى أن خرب بخت نصر بيت المقدس ، وجلا بني اسرائيل الى بابل ، فبطل هذا العمل وغيره من بلاد بني اسرائيل مدة جلائهم في بابل سبعين سنة . فلما عاد بنو اسرائيل من بابل ، وعمر

البيت العمارة الثانية ، أقاموا شرائعهم ، وعاد قيام بنى لاوى بالبيت فى الليل ، وقيام أهل محال القدس وأهل القرى والمدن على ما كان العمل . عليه أيام عمارة البيت الأولى .

واستر ذلك الى أن غرب القدس بعد قتل نبي الله يحيى بن زكريا ، وقيام اليهود على روح الله ورسوله عيسى بن مريم صلوات الله عليهم على يد طيطس ، فبطلت شرائع بنى إسرائيل من حينئذ ، وبطل هذا القيام فيما بطل من بلاد بنى إسرائيل .

وأما فى اللغة الاسلامية ، فكان ابتداء هذا العمل بمصر وسببه أن مسلمة بن مخلد أمير مصر بنى متارا لجامع عمرو بن العاص واعتكف فيه ، فسمع أصوات التواقيس عالية ، فشكا ذلك الى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين . فقال : انى أمدد الأذان من نصف الليل الى قرب الفجر ، فأنهم أجاها الأمير أن ينقصوا اذا أذنت . فنهاهم مسلمة عن ضرب التواقيس وقت الأذان ، وهدد شرحبيل ومطط أكثر الليل .

ثم ان الأمير أبا العباس أحمد بن طولون كان قد جعل ، فى حجرة تقرب منه ، رجالا تعرف بالمكبرين عدتهم اثنا عشر رجلا ... يست فى هذه الحجرة كل ليلة أربعة يجعلون الليل بينهم عتيا . فكانوا يكبرون ويسبحون ويحمدون الله سبحانه فى كل وقت ، ويقرأون القرآن بالأحان ، ويتوسلون ويقولون قصائد زهدية ، ويؤذنون فى أوقات الأذان . وجعل لهم أرزاقا واسعة تجرى عليهم .

(١٥) من ٢٧٢ ج ١ ، ط. بولاق .

فلما مات أحمد بن طولون ، وقام من بعده ابنه أبو الجيش خسارويه ، أقرهم بحالهم ، وأجرهم على رسمهم مع أبيه . ومن حينئذ اتخذ الناس قيام المؤذنين فى الليل على المآذن ، وصار يعرف ذلك بالسيح .

فلما ولي السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سلطة مصر ، وولى القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس الهدباني الماراني الشافعي . كان من رأيه ورأى السلطان اعتقاد مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعري فى الأصول . فعمل الناس الى اليوم على اعتقاده حتى يكفر من خالفه ، وتقدم الأمر الى المؤذنين أن يعلنوا . فى وقت السحى على المآذن بالليل . بذكر العقيدة التى تعرف بالمرشدة . فواظب المؤذنون على ذكرها فى كل ليلة يسائر جوامع مصر والقاهرة الى وقتنا هذا .

وسا أحدث أيضا : التذكير فى يوم الجمعة من أثناء النهار بأنواع من الذكر على المآذن ، ليتها الناس لصلاة الجمعة . وكان ذلك بعد الجماعة من سنى الهجرة ... قال ابن كثير رحمه الله : فى يوم الجمعة سادس ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وسبعمئة ، رسم بأن يذكر بالصلاة يوم الجمعة فى سائر مآذن دمشق ، كما يذكر فى مآذن الجامع الأموى ، ففعل ذلك .

الجامع الأزهر

هذا الجامع أول مسجد أسس بالقاهرة . والذي أنشاه القائد جوهر الكاتب الصقلى ، مولى الامام أبى تميم محمد الخليفة أمير المؤمنين المعز لدين الله ، لما لخط القاهرة .

وشرع فى بناء هذا الجامع فى يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخسين وثلاثمئة ، وكمل بناؤه تسع خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلاثمئة ، وجمع فيه .

وكتب بدائر القبة التى فى الرواق الأول . وهى على هيئة المحراب والمنبر . مانصه بعد البسلة :

« ما أمر بينائه عبد الله ووليه أبو تميم محمد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين ، على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى ، وذلك فى سنة ستين وثلاثمئة . وأول جمعة جمعت فيه فى شهر رمضان لسبع خلون منه سنة احدى وستين وثلاثمئة .

ثم ان العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله جدد فيه أشياء . وفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة ، سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس ، الخليفة العزيز بالله ، فى صلة رزق جماعة من الفقهاء . فأطلق لهم ما يكفى كل واحد منهم من الرزق الناض ، وأمر لهم بشراء دار وبناؤها ، فبنت بجانب الجامع الأزهر . فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع ، وتحلقوا فيه بعد الصلاة الى أن تصلى العصر . وكان لهم أيضا من مال الوزير صلة فى كل سنة ، وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلا . وخلع عليهم العزيز يوم عيد الفطر ، وحملهم على بغلات .

ويقال ان بهذا الجامع طلسم . فلا يسكنه عصفور ولا يفرخ به ، وكذا سائر الطيور من الحمام واليام وغيره . وهو صورة ثلاثة

طيور ، منقوشة كل صورة على رأس عمود ، فسما صورتان فى مقدم الجامع بالرواق الخامس : منها صورة فى الجهة الغربية فى العمود ، وصورة فى أحد العمودين اللذين على يسار من استقبل سدة المؤذنين . والصورة الأخرى فى الصحن فى الأعمدة القبيلة ما يلى الشرقية .

ثم ان الحاكم بأمر الله جده ، ووقف على الجامع الأزهر وجامع المقس والجامع الحاكمى ودار العلم بالقاهرة رباعا بمصر ، وضمن ذلك كتابا نسخته :

« هذا كتاب أشهد قاضى القضاة مالك بن سعيد بن مالك الفارقى ، على جميع ما نسب اليه مما ذكر ووصف فيه ، من حضر من الشهود فى مجلس حكمه وقضائه بفسطاط مصر فى شهر رمضان سنة أربعمئة ...

« أشهدهم . وهو يومئذ قاضى عبد الله ووليه المنصور أبى على الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن الامام المعز بالله ، صلوات الله عليهما ، على القاهرة المعزية ومصر والاسكندرية والحرين حرهما الله ، وأجناد الشام والرقه والرحبة ونولحي المغرب وسائر أعاليهن ، وما فتحه الله ويفتحه لأمير المؤمنين من بلاد الشرق والغرب . — بحضر رجل متكلم ...

« أنه صحت عنده معرفة المواضع الكاملة والحصص الشائعة ، التى يذكر جميع ذلك ويحدد فى هذا الكتاب ، وأنها كانت من أملاك الحاكم الى أن حبسها على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة ، والجامع براشدة والجامع

(١٦) من ٢٧٢ ج ١ ، ط. بولاق .

بالمقسط الذين أمر بإنشائها وتأسيس بنائها ، وعلى دار الحكمة بالقاهرة المحروسة التي وقفها والكتب التي فيها قبل تاريخ هذا الكتاب ...

« منها ما يخص الجامع الأزهر والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة ، مشاعا جميع ذلك غير مقسوم . ومنها ما يخص الجامع بالمقسط على شرائط يجرى ذكرها ... »
« فن ذلك ما تصدق به على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة ، والجامع براشدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة : جميع الدار المعروفة بدار الضرب ، وجميع القيسارية المعروفة بقيسارية الصوف ، وجميع الدار المعروفة بدار الخرق الجديدة ، الذي كله بنسطة مصر ...

« ومن ذلك ما تصدق به على جامع المقس : جميع أربعة الحوائت المتلاصقة التي بنسطة مصر بالراية أيضا ، بالموضع المعروف بحمام القار ، وتعرف هذه الحوائت بحصص القيسى ... بحدود ذلك كله وأرضه وبنائه وسفله وعلوه وغرفه ومرتفقاته وحوائته وساحاته وطرقه وممراته ومجارى مياهه ، وكل حق هو له داخل فيه وخارج عنه ... »
« وجعل ذلك كله صدقة موقوفة محرمة محبة بته بته ، لا يجوز بيعها ولا هبتها

ولا تملكها ، باقية على شروطها جارية على سبلها المعروفة في هذا الكتاب . لا يوهنها تقادم السنين ، ولا تغير بحدوث حدث ، ولا يستثنى فيها ولا يتأول ، ولا يستثنى بتجدد تحييدها مدى الأوقات ، وتستر شروطها على اختلاف الحالات حتى يرث الله الأرض والسماوات ...

« على أن يؤجر ذلك في كل عصر من ينتهي إليه ولايتها ، ويرجع إليه أمرها - بعد مراقبة الله واجتلاب ما يوفر منفعتها من اشهارها - عند ذوي الرغبة في اجارة أمثالها . فيبدأ من ذلك بعمارة ذلك ، على حسب المصلحة وبقاء العين ومرمته ، من غير اجفاف بما حبس ذلك عليه . وما فصل كان مقسوما على ستين سهما ...

« فن ذلك للجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة ، المذكور في هذا الاشهاد ، الخمس والثلث ونصف السدس ونصف التسع ... يصرف ذلك قيا فيه عمارة له ومصلحة . وهو من العين المعزى الوزن ألف دينار واحدة وسبعة وستون دينارا ونصف دينار وثلث دينار ...

« من ذلك للخطيب بهذا الجامع أربعة وثمانون دينارا . ومن ذلك لثمن ألف ذراع حصر عبدانية تكون عدة له بحيث لا ينقطع من حصره عند الحاجة الى ذلك ، ومن ذلك لثمن ثلاثة عشر ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة هذا الجامع في كل سنة عند الحاجة اليها ، مائة دينار واحدة وثمانية دنانير . ومن ذلك لثمن ثلاثة قناطير زجاج وفراخها اثنا عشر دينارا ونصف وربع دينار . ومن ذلك

لثمن حود هندي للبخور في شهر رمضان وأيام الجمع ، مع ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع ، خمسة عشر دينارا . ومن ذلك لنصف قنطار شمع بالفلنلى سبعة دنانير ...

« ومن ذلك لكس هذا الجامع وتقل التراب ، وخياطة العصر وثن الخيط وأجرة الخياطة ، خمسة دنانير . ومن ذلك لثمن مشاق لمرج القناديل ، عن خمسة وعشرين رطلا بالطل القنلى ، دينار واحد . ومن ذلك لثمن فحم للبخور ، عن قنطار واحد بالفلنلى ، نصف دينار . ومن ذلك لثمن اردبين ملح للقناديل ربع دينار . ومن ذلك ما قدر لمؤنة النحاس والسلاسل والتناير والقباب التي فوق سطح الجامع أربعة وعشرون دينارا .

« ومن ذلك لثمن سلب ليف وأربعة أجبل وست دلاء آدم نصف دينار . ومن ذلك لثمن قنطارين حرقا لمسح القناديل نصف دينار . ومن ذلك لثمن عشر قفاف للخدمة وعشرة أرطال قنبل لتعليق القناديل ، وثلث مائتي مكنسة لكس هذا الجامع ، دينار واحد وربع دينار . ومن ذلك لثمن أزيار فخار تنصب على المصنع ويصب فيها الماء ، مع أجرة حملها ، ثلاثة دنانير . ومن ذلك لثمن زيت وقود هذا الجامع ، راتب السنة ألف رطل ومائتا رطل مع أجرة الحمل ، سبعة وثلاثون دينارا ونصف ...

« ومن ذلك لأرزاق المصلين (يعنى الأئمة) وهم ثلاثة ، وأربعة قومة وخمسة عشر مؤذنا ، خمسمائة دينار وستة وخمسون دينارا ونصف : منها للمصلين لكل رجل منهم ديناران وثلثا دينار وثلث دينار في كل شهر من شهور

السنة ، والمؤذنون والقومة لكل رجل منهم ديناران في كل شهر . ومن ذلك للشرف على هذا الجامع في كل سنة أربعة وعشرون دينارا . ومن ذلك لكس المصنع بهذا الجامع ، ونقل ما يخرج منه من الطين والوسخ دينار واحد . ومن ذلك لمرة ما يحتاج اليه في هذا الجامع في سطحه وأترابه وحياطته وغير ذلك مما قدر لكل سنة ستون دينارا ...

« ومن ذلك لثمن مائة وثمانين حمل تين ونصف حمل جارية ، لعلف رأسى بقر للمصنع الذى لهذا الجامع ، ثمانية دنانير ونصف وثلث دينار . ومن ذلك للثمن لمخزن يوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير ...

« ومن ذلك لثمن فدانين قرط ، لترييح رأسى البقر المذكورين في السنة ، سبعة دنانير . ومن ذلك لأجرة متولى العلف ، وأجرة السقاء والجبال والقواديس وما يجرى مجرى ذلك ، خمسة عشر دينارا ونصف . ومن ذلك لأجرة قيم الميضة ان عملت بهذا الجامع اثنا عشر دينارا .

والى هنا انقضى حديث الجامع الأزهر ، وأخذ في ذكر جامع راشدة ودار العلم وجامع المقس . ثم ذكر أن تناير الفضة ثلاثة تناير وتسعة وثلاثون قنديلا فضة : فللجامع الأزهر تنوران وسبعة وعشرون قنديلا ، ومنها لجامع راشدة تنور واثنا عشر قنديلا . وشرط أن تعلق في شهر رمضان ، وتعاد الى مكان جرت عاداتها أن تحفظ به .

وشرط شروطا كثيرة في الأوقاف : منها أنه اذا فضل شيء واجتمع يشترى به ملك ،

(الجمعة) ٢٧٤ ج ٢ ، ط ١٠٧٧

كان عازيا واستهدم ولم يبق الرخ بشارته
يع وعمر به ، وأثياء كثيرة . وجس فيه
أيضا حلة آذر وقياسر لا فائدة في ذكرها ،
قائما منا حريت بمصر .

قال ابن عبد الظاهر عن هذا الكتاب :
ورأيت منه نسخة ، وانتقلت الى قاضي القضاة
تقي الدين بن رزين . وكان يصدر هذا
الجامع في محرابه منطقة فضة ، كما كان في
محراب جامع عمرو بن العاص بمصر ... قلع
ذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب في حادي
عشر ربيع الأول سنة تسع وستين وخمسمائة ،
لأنه كان فيها انتهاء خلفاء الطاطيين ، فجاء
وزنها خمسة آلاف درهم فقرة ، وقلع أيضا
المناطق من بقية الجوامع .

ثم إن المستمر جدد هذا الجامع أيضا .
وجدده الحافظ لدين الله ، وأثأ فيه مقصورة
لطيفة تجاور الباب الغربي الذي في مقدم
الجامع بداخل الرواقات - عرفت بمقصورة
فاطمة من أجل أن فاطمة الزهراء رضي الله
تعالى عنها رويت بها في المنام - ثم أنه جدد
في أيام الملك الظاهر يبرس البندقداري .

قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في
كتاب « سيرة الملك الظاهر » : لما كان يوم
الجمعة الثامن عشر من ربيع الأول سنة خمس
وستين ومستمائة ، أقيمت الجمعة بالجامع
الأزهر بالقاهرة . وسبب ذلك أن الأمير عز
الدين أيلمر الحلبي كان جار هذا الجامع من
مدة سنين ، فرعى - وفقه الله - حرمة
الجار ، ورأى أن يكون كما هو جاره في
دار الدنيا أنه غدا يكون ثوابه جاره في تلك
الدار ، ورسم بالنظر في أمره ، واتزع له

أشياء منصوبة كان شيء منها في أيدي جماعة
وحاطت أموره حتى جمع له شيئا صالحا .

وجرى الحديث في ذلك . فتبرع الأمير
عز الدين له بجيلة مستكثرة من المال الجزيل ،
وأطلق له من السلطان جيلة من المال ، وشرع
في عمارته . فمر الواسي من أركانه وجدرانها
وبيضه وأصلح سقفه ، وبسطه وفرشه وكساه
حتى عاد حرميا في وسط المدينة ، واستجد به
مقصورة حسنة ، وأثر فيه آثارا سالحة يشبه
الله عليها .

وعمل الأمير بيلبك الخازندار فيه مقصورة
كبيرة ، رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه
على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله ، ورتب
في هذه المقصورة محذبا يسمع الحديث
النبوي والرقائق ، ووقف على ذلك الأوقاف
الدارة ، ورتب به سبعة لقراءة القرآن ، ورتب
به مدرسا . أثابه الله على ذلك .

ولما تكمل تجديد هذه تحدث في إقامة جمعة
فيه . فتودى في المدينة بذلك ، واستخدم له
الشيخ زين الدين خطيبا ، وأقيمت الجمعة فيه
في اليوم المذكور . وحضر الأتابك فارس
الدين ، والصاحب بهاء الدين علي بن حنا ،
وولده الصاحب فخر الدين محمد ، وجماعة
من الأمراء والكبراء وأصناف العالم على
اختلافهم ، وكان يوم جمعة مشهودا .

ولما فرغ من الجمعة ، جلس الأمير عز الدين
الحلي والأتابك والصاحب ، وقرئ القرآن ،
ودعى للسلطان . وقام الأمير عز الدين ودخل
الى داره ، ودخل معه الأمراء ، فقدم لهم كل
ما تشتهى الأتقى وتلذ الأعين ، وانفصلوا .



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثلث ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطَاةُ الْمُقْرِئِ

٣٧

كتاب
التحرير



• كانت مصر هي مسقط رأسي . وطبع أترابي . وجمع ناسي . وفتحني عشيرتي وهاجتي .
وسرطن خماستي وهاجتي . وجوهجوي الذي ربى جناحي في داره . وعشر حاربي ، فله
تهوى الأنفوس غير ذكره . لازلت منذ شذوت النعام . وآتاني رب الفطاة والفهم ، أرفع في
معرفته أخبارها ، وأحب لإشراف على الاعتراف من آبارها . وأمرى مساكن الركبان عن مكان وبارها .
تقى الدين أحمد بن علي المقرئ

وكان قد جرى الحدث في أمر جوار
الجمعة في الجامع ، وما ورد فيه من أقاويل
العلماء ، وكتب فيها فسا أخذ فيها خطوط
العلماء بجوار الجمعة في هذا الجامع
واقامتها ، فكتب جماعة خطوطهم فيها . وأقامت
صلاة الجمعة به واستمرت ، وجد الناس به
رفقا وراحة لقربه من الحارات البعيدة من
الجامع الحاكمي .

قال : وكان سقف هذا الجامع قد بنى
قصيرا ، فزيد فيه بعد ذلك وعلى ذراعا .
واستمر الخطبة فيه حتى بنى الجامع
الحاكمي فانتقلت الخطبة اليه . فان الخليفة
كان يخطب فيه خطبة ، في الجامع الأزهر
خطبة ، وفي جامع ابن طولون خطبة ، وفي
جامع مصر خطبة .

وانقطعت الخطبة من الجامع الأزهر لما
استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب
بالسلطة . فانه قلد وظيفة القضاء لقاضي
القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس ،
فعمل بمقتضى مذهبه — وهو امتناع اقامة
الخطبتين للجمعة في بلد واحد ، كما هو
مذهب الامام الشافعي — فأبطل الخطبة من
الجامع الأزهر ، وأقر الخطبة * بالجامع
الحاكمي من أجل أنه أوسع .

فلم يزل الجامع الأزهر معطلا من اقامة
الجمعة فيه مائة عام ، من حين استولى
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، الى
أن أعيدت الخطبة في أيام الملك الظاهر بيبرس
كما تقدم ذكره .

(*) من ١٢٧٥ هـ ، ج ٢ ، ط . بولاق .

ثم لما كانت الزلزلة بذيان مصر ، في ذي
الحجة سنة اثنتين وسبعمائة ، سقط الجامع
الأزهر والجامع الحاكمي وجامع مصر وغيره ،
فتقاسم أمراء الدولة عمارة الجوامع ، فتولى
الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة
الجامع الحاكمي ، وتولى الأمير سلاار عمارة
الجامع الأزهر ، وتولى الأمير سيف الدين
بكتمر الجوكندار عمارة جامع الصالح .
فحددوا مبالغها ، وأعادوا ما تهدم منها .

ثم جددت عمارة الجامع الأزهر على يد
القاضي نجم الدين محمد بن حسين بن علي
الأسعدي ، محتسب القاهرة ، في سنة خمس
وعشرين وسبعمائة ..

ثم جددت عمارته في سنة احدى وستين
وسبعمائة عندما سكن الأمير الطواشي سعد
الدين بشير الجامدار الناصري في دار الأمير
فخر الدين أبان الزاهدي الصالحى النجمي ،
بخط الأبارين بجوار الجامع الأزهر ، بعدما
هدمها وعمرها داره التي تعرف هناك الى اليوم
بدار بشير الجامدار .

فأحب لقربه من الجامع أن يؤثر فيه أثرا
صالحا ، فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن
ابن محمد بن قلاوون في عمارة الجامع
— وكان أثرا عنده خصيصا به — فأذن له في
ذلك .

وكان قد استجد بالجامع عدة مقاصير ،
ووضعت فيه صناديق وخزائن حتى ضيقته .
فأخرج الخزائن والصناديق ، ونزع تلك
المقاصير ، وتبع جدرانها وسقوفه بالاصلاح
حتى عادت كأنها جديدة ، وبيض الجامع كله

ونظرة . ومع الناس من المرور فيه ، مرتب فيه مصحفا ، وحمل له قارلا .

ولمّا على باب الجامع القبلي حيوا . لتسبيل الله أحب في كل يوم ، وعمل فوقه مكتب سيل لأقراء أئمة المسلمين كتب الله العزيز .

وربب لتقراء الجور من مقامها يفتح كل يوم ، وأول إليه قدورا من محاسن جعله فيه . وربب فيه درسا لتقراء من الحنفية ، يجلس مدرّسهم لأئمة السنة في الحراب الكبير ، ووقف على ذلك أوفد جيلة بديعة إلى يومنا هذا . ومؤذون الجمع يستوفون في كل جمعة ، وبعد كل صلاة . لتلذذ حسن إلى هذا الوقت الذي نحن فيه .

وفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، ولي الأمير الغواشي بدر ، التقدم على المنيك السلطانية ، فقرر الجامع الأزهر . فتجز مرسوم السلطان الملك الظاهر بقوق : فإن من مات من محوري الجامع الأزهر عن غير وارث شرعي وترك موحودا ، فله يأخذ المحاورون بالجمع . وتشي دمت على حجر عند الباب الكبر الحري .

وفي سنة ثمان مائة هدم مدرسة الجامع ، وكانت قصيرة . وغرت أنول منها ، فبلغت الفقة عليهم من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم تقريبا . وكل في ربيع الآخر من السنة المذكورة . فعملت المداخل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر . وتوفدت حتى اشتمل من أنزلها إلى شملها . واجتمع اقراء وعلوا خسة شريفة . ودعوا

فلم يزل هذه المذمة إلى شوال سنة سبع مائة وثمانمائة . فهدمت ليل مهر فيها ، وعمل بدلها مدرسة من حجر على باب جامع البحري بعدما هدم الباب والمذبة في حجر ، وركب مدرسة فوق عقده . وأخذ الحجر لها من مدرسه الملك الأشرف خليل التي كانت تجاه قلعة الحل .

وهدم الملك الناصر فرج بن بقوق ، يوم معارة دمت الأمير تاج الدين ساح شوبكي ، ولي الدهرة ومحتسبها ، إلى أن نت في جندى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة . فلم تقم غير قليل ، وماتت حتى كادت تسقط ، فهدمت في صفر سنة سبع وثمانين وأربع مائة .

وفي شوال منها ابتدئ بعمل الصمريج الذي بوسط الجامع . فوجد هناك آثار فسقية ماء ، ووجد أيضا رمم أموات . وتم بنؤه في ربيع الأول ، وعمل بأعلاه مكان مرتفع له قبة يسبل فيه الماء ، وغرس بصلح الجمع أربع شجرات ، فلم تنجح ومات .

ولم يكن لهذا الجمع ميسرة عند بني ، ثم عمل ميسرته حيث المدرسة الأقباقوية . إلى أن بنى الأمير أقباقا عبد الواحد مدرسته المعروفة بالمدرسة الأقباقوية هناك . وما هذه الميسرة التي بالجامع الآن ، فإن الأمر بدر الدين جنكل بن البابا بناها ، ثم زيد فيها بعد سنة عشر وثمان مائة ميسرة المدرسة الأقباقوية .

وفي سنة ثمان عشرة وثمانمائة . ولي نظر هذا الجامع الأمير سودوب القاضي حاجي الحجاب . فجرت في أيام نظره حوادث لم يسن مثله . وذلك أنه لم يزل في هذا الجمع مند بسى عدة من اقراء يلزمون الأقامة فيه ،

وبلفت عدتهم في هذه الأيام سبعمائة وخمسين رجلا ، ما بين عجم وزبالغة ومن أهل ريف مصر ومضاربة ، ولكل طائفة رواق يعرف بهم .

فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن ودراسة وتلقيه ، والاشتغال بأنواع العلوم الفقه والحديث والتفسير والنحو ، ومجالس الوعظ وحلق الذكر . فيجد الإنسان إذا دخل هذا الجامع من الناس باه ، والارتياح وترويح النفس ، ما لا يجده في غيره ، وصار أرباب الأموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البسر من الذهب والفضة والفلوس اعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى ، وكل قليل تحلل اليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلاوات لا سيما في المواسم .

فأمر في جمادى الأولى من هذه السنة بإخراج المجاورين من الجامع ، ومنعهم من الإقامة فيه ، وإخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسي المصاحف . . . زعما منه أن هذا العمل مما يثاب عليه ، وما كان إلا من أعظم الذنوب وأكثرها ضررا . فانه حل بالفقراء بلاء كبير من تشتت شملهم وتعذر الأماكن عليهم ، فصاروا في القرى ، وتبدلوا بعد الصيانة ، وفقد من الجامع أكثر ما كان فيه من تلاوة القرآن ودراسة العلم وذكر الله .

ثم لم يرضه ذلك حتى زاد في التعدي ، وأشاع أن أئمة بيتون بالجامع ويفعلون فيه منكرات . وكانت المادة قد جرت بمسيت كثير من الناس في الجامع ما بين تاجر وفقير

وجندى وغيرهم ، منهم من يقصد بيته البركة ، ومنهم من لا يجد مكانا يأويه ، ومنهم من يتروح بيته هناك . . . خصوصا في ليالي الصيف وليالي شهر رمضان ، فانه يستلصصه واكثر رواقاته .

فلما كانت ليلة الأحد الحادي عشر من جمادى الآخرة ، طرق الأمير سودوب الجامع بعد العشاء الآخرة والوقت صيف ، وقبض على جماعة وضربهم في الجامع ، وكان قد جاء معه من الأعوان والفلان وغوغاه العامة ومن يريد النهب جماعة ، فحل بين كان في الجامع أنواع البلاء ، ووقع فيهم النهب ، فأخذت فرشهم وعائسهم ، وقششت أوساطهم ، وسبلوا ما كان مربوطا عليها من ذهب وفضة .

وعمل ثوبا أسود للنبير وعلمين مزوقين ، بلغت النفقة على ذلك خسة عشر ألف درهم على ما بلغني . فعاجل الله الأمير سودوب ، وقبض عليه السلطان في شهر رمضان ، وسجنه بدمشق .

جامع الحاكم

هذا الجامع بنى خارج باب الفتوح ، أحد أبواب القاهرة ، وأول من أسسه أمير المؤمنين العزيز بالله زار بن المعز لدين الله معد ، وخطب فيه وصلى بالناس الجمعة ، ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله . فلما وسع أمير الجيوش بدر الجمالي القاهرة ، وجعل أبوابها حيث هي اليوم ، صار جامع الحاكم داخل القاهرة ، وكان يعرف أولا بجامع الخطبة ، ويعرف اليوم بجامع الحاكم ، ويقال له الجامع الأنور .

ودرسا لاقرأه الحديث النبوي ، وجعل لكل درس مدرسا وعدة كثيرة من الطلبة .

فرتب في تدريس الشافعية قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي ، وفي تدريس الحنفية قاضي القضاة شمس الدين أحمد السروجي الحنفي ، وفي تدريس المالكية قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي ، وفي تدريس الحنابلة قاضي القضاة شرف الدين الجواني ، وفي درس الحديث الشيخ سعد الدين مسعودا الحارثي ، وفي درس النحو الشيخ أمير الدين أبي حيان ، وفي درس القراءات السبع الشيخ نور الدين الشطنوفى ، وفي التصدير لإفادة العلوم علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي ، وفي مئخة الميعاد المجد عيسى بن الخشاب .

وعمل فيه خزانة كتب جليلة ، وجعل فيه عدة متصدرين لتلقين القرآن الكريم ، وعدة قراء يتأوبون قراءة القرآن ، ومعلما يقرىء آيات المسلمين كتاب الله عز وجل . وحفر فيه صهريجاً بصحن الجامع ليلاً في كل سنة من ماء النيل ، ويسبل منه الماء في كل يوم ، ويستقي منه الناس يوم الجمعة ، وأجرى على جميع من قرره فيه معالم داره . وهذه الأوقاف باقية إلى اليوم ، إلا أن أحوالها اختلفت كما اختلف غيرها . فكان ما أُنق على زيادة على أربعين ألف دينار .

وجرى في بنائه لهذا الجامع أمر يتعجب منه . وهو ما حدثني به شيخنا الشيخ المعروف المسند المعمر ، أبو عبد الله محمد بن ضرغام ابن شكر المقرئ بمكة في سنة سبع وثمانين وسبعمائة ... قال : أخبرني من حضر عمارة

الأمير يبرس للجامع الحاكمي عند سقوطه في سنة الزلزلة أنه لما شرع البناء في ترميم ما وهى من المئذنة التي هي من جهة باب القسح ، ظهر لهم صندوق في تضاعيف البنيان . فأخرجوه الموكل بالعمارة وفتحوه ، فإذا فيه قطن ملفوف على كف إنسان يزنده ، وعليه أسطر مكتوبة لم يدر ما هي ، والكف طرية كأنها قرية عهد بالقطع ثم رأيت هذه الحكاية بخط مؤلف السيرة الناصرية موسى ابن محمد بن يحيى أحد مقدمي الحلقة .

ثم جدد هذا الجامع ، وبسط جميعه في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في ولايته الثانية ، على يد الشيخ قطب الدين محمد الهرماس في سنة ستين وسبعمائة . ووقف قطعة أرض على الهرماس وأولاده ، وعلى زيادة في معلوم الامام بالجامع ، وعلى ما يحتاج إليه في زيت الوقود ومزومة في سقفه وجدرانها .

وجرى في عمارة الجامع على يد الهرماس ما حدثني به الشيخ المعمر شمس الدين محمد ابن علي ، امام الجامع الطيرسي بشاطيء النيل قال : أخبرني محمد بن عمر البوصيري ، قال : حدثنا قطب الدين محمد الهرماس أنه رأى بالجامع الحاكمي حجراً ظهر من مكان قد سقط ، منقوشة عليه هذه الآيات الخمسة :

ان الذي أسرت مكنون اسمه
وكنيته كيا أفوز بوصله
مال له جذر تساوى في الهجا
طرفاه يضرب بعضه في مثله

(٥) من ٢٧٨ ج ٢ ، ط ١٠٧٩

فيصير ذاك المال إلا أنه
في النصف منه تصاب أحرف كله
واذا نطقت بربعه متكلم
من بعد أوله نطقت بكلمه
لا تقط فيه اذا تكامل عده
فيصير منقوفاً بجملة شكله
قال : وهذه الآيات لغز في الحجر المكرم .

وقال العلامة شمس الدين محمد بن النقاش في كتاب « العبر في أخبار من مضى وغبر » : وفي هذه السنة (يعني سنة إحدى وستين وسبعمائة) صودر الهرماس ، وهدمت داره التي بناها امام الجامع الحاكمي ، وضرب وتقى هو وولده . فلما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرون من ذي القعدة ، استفتى السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في وقف حصة طندنا .

وهي الأرض التي كان قد سأل الهرماس أن يوقفها على مصالح الجامع الحاكمي . فعين له خمسمائة وستين فدانا من طم طندنا ، وطلب الموقعين وأمرهم أن يكتبوا صورة وقفها ، ويحضره ليشهدوا عليه به . وكان قد تقرر من شروطه في أوقافه ما قيل أنه رواية عن أبي حنيفة ، رحمة الله تعالى عليه ، من أن للواقف أن يشترط في وقفه التغيير والزيادة . القص وغير ذلك . فأحضر الكركي الموقع إليه الكتاب مطوياً ، فقرأ منه طرته وخطبته وأوله ، ثم طواه وأعاده إليه مطوياً ، وقال : اشهدوا بما فيه . دون قراءة وتأمل . فشهدوا هم بالتفصيل الذي كتبوه وقرروه مع الهرماس .

ولما اطلع السلطان على ذلك بعد تقي الهرماس ، طلب الكركي وسأله عن هذه الواقعة . فأجاب بما قد ذكرنا ، والله أعلم بصحة ذلك ، غير أن المعلوم المقرر أن السلطان ما قصد إلا مصالح الجامع ... نعم سألته أزدمر الخازندار : هل وقت حصة لطيفة على أولاد الهرماس ، فانه قد ذكر ذلك ؟

فقال : نعم أنا وقت عليهم جزءاً يسيراً لم أعلم مقداره . وأما التفصيل المذكور في كتاب الوقف فلم أتحققه ولم أطلع عليه .

فاستفتى المفتين في هذه الواقعة . فأما المفتون — كابن عقيل ، وابن السبكي ، والبلقيني والبساطي ، والهندي ، وابن شيخ الجيل ، والبغدادي ونحوهم — فأجابوا بطلان الحكم المترتب على هذه الشهادة الباطلة وبطلان التنفيذ . . . وكان الحنفي حكم والبقية تقضوا . وأما الحنفي فقال : ان الوقف اذا صدر صحيحاً على الأوصاف الشرعية . فانه لا يسطل بما قاله الشاهد ، وهو جواب عن نفس الواقعة . وأما الشافعي فكتب ما مضمونه . ان الحنفي ان اقتضى مذهبه بطلان ما صححه أولاً ، فقد بطلانه . وحاصل ذلك أن القضاة أجابوا بالصحة ، والنفس أجابوا بالبطلان .

فطلب السلطان المفتين والقضاة . فلم يحضر من الحكام غير نائب الشافعي ، وهو تاج الدين محمد بن اسحاق بن المناوي ، والقضاة الثلاثة الشافعي والحنفي والحنبلي وجدوا مرضى لم يمكنهم الحضور إلى سراقوس — فان السلطان كان قد سرح اليها على العادة في كل سنة — فجهم السلطان في

بليائهم ، والوالى مار وعائد بينهم ، وقد
نذب من يحفظ الناس ومتاعهم .

فيركب يوم الجمعة المذكور شاقا * لذلك
كله على الشارع الأعظم ، الى مسجد عبد الله
الغراب اليوم ، الى دار الأنباط ، الى الجامع
بمصر . فيدخل اليه من المونة - ومنها باب
متصل بقاعة الخطيب - بالزى الذى تقدم
ذكره فى خطبة الجامعين بالقاهرة وعلى
ترتيبهما . فإذا قضى الصلاة عاد الى القاهرة من
طريقه بعينها ، شاقا بالزينة الى أن يصل الى
القصر ، ويعطى أرباب المساجد التى يمر عليها
كل واحد ديناراً .

وقال ابن المأمون : ووصل من الطراز
الكسوة المختصة بفترة شهر رمضان وجميعه :
يرسم الخليفة للفرقة بدلة كبيرة موكية مكحلة
مذهبة ، ويرسم الجامع الأزهر للجمعة الأولى
من الشهر بدلة موكية حرر مكحلة منديلها
وطيلانها بياض ، ويرسم الجامع الأنور
للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلانها شمرى ،
وما هو يرسم أخى الخليفة للفرقة خاصة بدلة
مذهبة ، ويرسم أربع جهات للخليفة أربع حلل
مذهبات ، ويرسم الوزير للفرقة خلعة مذهبة
مكحلة موكية ، ويرسم الجمعيتين بدلتان
حريرتان . ولم يكن لغير الخليفة وأخيه الوزير
فى ذلك شيء فنذكره .

جامع راشدة

هذا الجامع عرف بجامع راشدة لأنه فى
خطة راشدة . قال القضاى : خطة راشدة بن
أدوب بن جديلة من لحم ، هى متاخة للخطة

(*) من ٢٨١ ج ٢ ، ط ١٩٧٢

التي قبلها الى الدير المعروف كان بأبى تكموس
ثم هدم ، وهو الجامع الكبير الذى براشدة .
وقد دثرت هذه الخطة ، ومنها المقبرة المعروفة
بمقبرة راشدة ، والجنان التى كانت تعرف
بكهمس بن معر ، ثم عرفت بالماردالى ، وهى
اليوم تعرف بالأمير تميم .

وقال المسيحى فى حوادث سنة ثلاث
وتسعين وثلاثمائة : وابتدىء بناء جامع راشدة
فى سابع عشر ربيع الآخر ، وكان مكانه كنيسة
حولها مقابر لليهود والنصارى ، فبنى
بالطوب ، ثم هدم وزيد فيه وبنى بالحجر ،
وأقيمت به الجمعة .

وقال فى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة :
وفيه (يعنى شهر رمضان) قرش جامع
راشدة ، وتكامل قرشه وتعلق قناديله وما
يحتاج اليه . وركب الحاكم بأمر الله عشية
يوم الجمعة الخامس عشر منه ، وأشرف عليه .

وقال فى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة : وفيه
(يعنى شهر رمضان) صلى الحاكم بجامعه
الذى أنشأ براشدة صلاة الجمعة بخطب .
وفى شهر رمضان سنة أربعمائة ، أزل بقناديل
وتنور من فضة زتها ألوف كثيرة ، فعلق
بجامع راشدة . وفى سنة احدى وأربعمائة
هدم ، وابتدىء فى عمارته من صفر .

وفى شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة :
صلى الحاكم فى جامع راشدة صلاة الجمعة ،
وعليه عمامة بغير جوهر وسيف محلى بفضة
بيضاء دقيقة ، والناس يمشون بركابه من غير
أن يمنع أحد منه . وكان يأخذ قصصهم ،
ويقف وقوفا طويلا لكل منهم .

واتفق يوم الجمعة حادى عشر جمادى
الآخرة سنة أربع عشرة وأربعمائة أن خطب فيه
خطبتان معا على المنبر . وذلك أن أبا طالب
على بن عبد السميع العباسى استقر فى خطبته
بأذن قاضى القضاة أبى العباس أحمد بن
محمد بن العوام ، بعد سفر العفيف البخارى
الى الشام . فتوصل ابن عصفورة الى أن خرج
له أمر أمير المؤمنين الظاهر لأعزاز دين الله ،
أبى الحسن على بن الحاكم بأمر الله ، أن
يخطب . فصعدا جميعا المنبر ، ووقف أحدهما
دون الآخر وخطبا معا . ثم بعد ذلك استقر
أبو طالب خطيبا ، وأن يكون ابن عصفورة
يخلفه .

وقال ابن المتوج : هذا الجامع فيما بين دير
الطين والفسطاط . وهو مشهور الآن بجامع
راشدة ، وليس بصحيح ، وإنما جامع راشدة
كان جامعا قديما البناء بجوار هذا الجامع عمر
فى زمن الفتح ... عمرته راشدة . وهى قبيلة
من القبائل ، كقبيلة تجيب ومهرة ، نزلت فى
هذا المكان ، وعمرها فيه جامعا كبيرا أدركت
أبا بعضه ومحرانه . وكان فيه نخل كثير من
نخل المقل ، ومن جملة ما رأيت فيه نخلة من
المقل عدت لها سبعة رؤوس مفرعة منها ...
فذاك الجامع هو المعروف بجامع راشدة .

وأما هذا الموجود الآن فمن عماره الحاكم ،
ولم يكن فى بناء الجوامع أحسن من بنائه .
وقيل عمرته حظية الحليفة وكان اسمها راشدة ،
وليس بصحيح ، والأول هو الصحيح . وفيه
الآن نخل وسدر وبئر وساقية رجل ، وهو
مكان خلوة وانقطاع ، ومحل عبادة وفراغ
من تعلقات الدنيا .

قال مؤلفه : هذا وهم من ابن المتوج فى
موضعين :

« أولهما » : أن راشدة عمرت هذا الجامع
فى زمن فتح مصر ، وهذا قول لم يقله أحد
من مؤرخى مصر . فهذا الكندى ثم القضاى
- وعليهما يعول فى معرفة خطط مصر -
ومن قبلهما ابن عبد الحكم ... لم يقل أحد
منهم أن راشدة عمرت زمن الفتح مجدا ،
ولا يعرف من هذا السلف رحيم الله ، فى
جند من أجناد الأمصار التى فتحتها الصحابة
رضى الله عنهم ، أنهم أقاموا خطبتين فى مسجد
واحد .

وقد حكينا ما تقدم عن المسيحى - وهو
مشاهد - ما نقله من بناء الجامع المذكور فى
موضع الكنيسة بأمر الحاكم بأمر الله ، وتغييره
لبنائه غير مرة ، وتبعه القضاى على ذلك .
وقد وعد القضاى والكندى فى كتابيهما * ،
المذكور فيهما خطط مصر ، ما كان بمصر من
مساجد الخطبة القديمة والحديثة ، وذكر
مساجد راشدة ، ولم يذكر فيها جامعا اختطه
راشدة ، وذكر هذا الدير ، وعين القضاى
اسمه ، هدم وبنى فى مكانه جامع راشدة .
وناهيك بهما معرفة لآثار مصر وخططها .

و « الوهم الثانى » : الاستدلال على الوهم
الأول بمشاهدة بقايا مسجد قديم . ولا أدري
كيف يستدل بذلك ؟ فمن أنكر أن يكون قد
كان هناك مسجد ؟ بل المدعى أنه كان لراشدة
مساجد ، لكن كونها اختطت جامعا هذا غير
صحيح .

(*) من ٢٨٢ ج ٢ ، ط ١٩٧٢

وقال ابن أبي شيبة في أخبار سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة في كتابه « تاريخ حلب » : كانت النصارى اليمينية قد شرعوا في إنشاء كنيسة كانت قد اندست لهم بظاهر مصر ، في الموضع المعروف برائشة ، فصار قوم من اللسنيين ، وهلموا ما بنى النصارى . وأضى إلى الحاكم ذلك ، وقيل له : إن النصارى ابتلوا بنامها ، وقال النصارى : إنها كانت قبل الإسلام .

فامر الحاكم حسين بن جوهري بالنظر في حال الترفيقين ، فقال في الحكم مع النصارى ، وبين للحاكم ذلك ، فامر أن يبنى تلك الكنيسة مسجدا جامعاً ، فبنى في أسرع وقت ، وهو جامع رائشة ، ورأشدة اسم للكنيسة ، وكان بجواره كيسان : لعمادها لليمنية ، والأخرى للسنورية ، فهدمتا أيضا ، وبنيتا مسجدين .

وكان في حارة الروم بالقاهرة آدر للروم وكيسان لهم ، فهدمتا وجعلتا مسجدين أيضا ، وحول الروم إلى الموضع المعروف بالعمراء ، وأسس الروم ثلاث كنائس عوضا عما هدم لهم . وهذا أيضا مصرح بأن جامع رائشة اسم الحاكم ، وفيه وهم لكونه جعل رائشة اسما للكنيسة ، وأما رائشة اسم لقيلة من العرب تولوا عند الفتح هناك ، فعرفت تلك البقاع بخطة رائشة .

وقد جدد جامع رائشة مرارا ، وأدركه عامرا تقام فيه الجمعة ، وصلى الناس لكثرة من حوله من السكان ، وأما تعطل من إقامة الجمعة بعد حوادث سنة ست وثمانمائة .

وقال الشريف محسن بن أسعد الجوالي السبابة : رائشة بطن من لنخم ، وهم ولد رائشة بن العارث بن أد بن جديلة ، من لنخم ابن عدي بن العارث بن مرة بن أد - وقيل رائشة بن أدوب - ويقال لرأشدة خاتمة ، ولهم خطة بمصر بالجبل المعروف بالرصد للطل على بركة الجيش ، وقد دثرت الخطة ، ولم يبق في موضعها إلا الجامع الحاكم المعروف بجامع رائشة .

جامع المقس

هذا الجامع أنشأه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس في لأن المقس كان خطة كبيرة . وهي بلد قديم من قبل الفتح كما تقدم ذكر ذلك في هذا الكتاب .

وقال في الكتاب الذي تضمن وقت الحاكم بأمر الله الأماكن بمصر على الجوامع - كما ذكر في خبر الجامع الأزهر - ما نصه : « ويكون جميع ما بقي ، ما تعلق به على هذه المواضع ، يصرف في جميع ما يحتاج إليه في جامع المقس المذكور من عمارته ، ومن ضمن الحصر الميدانية والمقصورة ، ومن المود للبخور وغيره ، على ما شرح من الوظائف في الذي تقدم » .

وكان لهذا الجامع نخل كثير في الدولة القاطية ، وركب الخليفة إلى منظره كانت بجانبه عند عرض الأسطول ، فيجلس بها لمشاهدة ذلك ، كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر المناظر .

وفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة انشئت زروية من هذا الجامع في شهر رمضان لكثرة زيادة ماء النيل ، وخيف على الجامع السقوط فأمر بمسارعتها .

ولما بنى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب هذا السور الذي على القاهرة ، وأراد أن يوصله بسور مصر من خارج باب البحر إلى الكوم الأحمر - حيث منشأة المهرالي اليوم - وكان التولي لمسارعة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي ، أنشأ بجوار جامع المقس برجاً كبيراً عرف بقلعة المقس في مكان المنطرة التي كانت للخلفاء .

فلما كان في سنة سبعين وسبعمائة ، جدد بناء هذا الجامع الوزير صاحب شمس الدين عبد الله المقس ، وهدم القلعة وجعل مكانها جنيحة ، وأتممها الناس بأنه وجد هناك مالا كثيراً ، وأنه عمر منه الجامع المذكور ، فصار العامة اليوم يقولون : جامع المقس . ويظن من لا علم عنده أن هذا الجامع من أنشائه ، وليس كذلك بل إنما جددته وبيضه .

وقد انصر ماء النيل عن تجاه هذا الجامع كما ذكر في خبر بولاق والمقس ، وصار هذا الجامع اليوم على حافة الخليج الناصري . وأدركنا ما حوله في غاية العسارة ، وقد تلاشت المساكن التي هناك ، وبها إلى اليوم بقية بسيرة .

ونظر هذا الجامع اليوم بيد أولاد الوزير المقس . فانه جددته ، وجعل عليه أوقافاً لمدرس وخطيب وقومة ومؤذنين وغير ذلك .

وقال جامع السيرة الصلاحية : وهذا المقس على شاطئ النيل يزار ، وهناك مسجد يتبرك به الأبرار ، وهو المكان الذي قست فيه القبية عند استيلاء الصحابة رضي الله عنهم على مصر . فلما أمر السلطان صلاح الدين بإدارة السور ، على مصر والقاهرة ، تولى ذلك بهاء الدين قراقوش ، وجعل نهايته التي تلي القاهرة عند المقس ، وبنى فيه برجاً يشرفه على النيل ، وبنى مسجده جامعاً ، واتصلت العسارة منه إلى البلد ، وصار تقام فيه الجمع والجماعات .

« العزيز بالله » : أبو النصر زيار بن المعز لدين الله أبي تميم معد . ولد بالمهدية من بلاد أفريقية في يوم الخميس الرابع عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ، وقدم مع أبيه إلى القاهرة وولى العهد . فلما مات المعز لدين الله أقيم من بعده في الخلافة يوم الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة ، فأذن له سائر عساكر أبيه ، واجتمعوا عليه ، وسير يذهب إلى بلاد المغرب فرق في الناس ، وأقر يوسف بن ملكين على ولاية أفريقية ، وخطب له بسكة .

ووافي الشام عسكر القرامطة ، فصاروا مع أفتكين التركي وقوى بهم ، وساروا إلى الرملة وقاتلوا عساكر العزيز بيانا . فبعث العزيز جوهراً القائد بعساكر كثيرة ، وملك الرملة ، وحاصر دمشق مدة ، ثم رحل عنها بغير طائل . فأدركه القرامطة ، وقاتلوه بالرملة وعسقلان نحو سبعة عشر شهراً . ثم خلع من تحت سيف أفتكين وسار إلى العزيز ، فوفاه وقد

برز من القاهرة قمار معه . ودخل العزيز الى
الزينة ، وأمر أن يبنى في الحرم سنة ثمان
وستين وثلاثة ، فأنشئ إليه وأمره أن يبنى
والثاني .

كتب إليه الشريف أبو اسحاق إبراهيم
الرئيس يقول : يا مولانا لقد استحق هذا
الشكر كل عذاب ، والمحب من الأحسان
إليه . قلنا ليه قل : يا إبراهيم قرأت كتابك
في أمر أمك ، وأما لشرك . اعلم أنا قد
وعده الأحسان والولاية ، قلنا قبل وجاء
إينا نصب قزاقه وخيله حفاة ، وأردنا منه
الانصراف ، فخرج وقابل . قلنا ولي منهزما ،
وسرت الى قزاقه ودخضا ، سجننت له
شكرا ، وسلكه أن يفتح لي بالفتح به ، فبقي
به بعد ساعة ليبرا ، أرى يلقى في غير
الوقت .

ولما وصل العزيز الى القاهرة ، اصطحب
أمك ، وواصله بالمطايا والظلم . حتى
قل : لقد احتست من ركوبى مع الخليفة
مولانا العزيز بالله ونظري إليه بما غرنى من
فضله ولحماته .

قلنا بلغ العزيز ذلك قل له حيدرة : يا
شعب أن أرى النعم عند الناس طهرة ، وأرى
عليهم النعم والفضة والجواهر ، ولهم الخيل
والفيل والسياح والمقار ، وأن يكون ذلك
كله من غنى .

ومات بمدينة بليس من مرض طوي
بالموت والحمة ، في اليوم الثامن والعشرين
من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثة ،

فحصل الى القاهرة ، ودخل بقرية القصر مع
آبائه . وكانت مدة خلافته بعد أبيه الميز لحق
وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفا ، ومات
وعمره اثنتان وأربعون سنة ولما أتت أمه
وأربعة عشر يوما ، وكان نقش خاتمه « بنصر
العزيز الجبار ، ينصر الإمام زار » .

ولما مات وحضر الناس الى القصر للتعزية ،
انصهوا عن أن يوردوا في ذلك المقام شيئا ،
وسكنوا مطرقين لا يتسبون . فقام صبي من
أولاد الأمراء الكنائين ، وفتح باب التعزية
وأشد :

أمر الى العلياء كيف تضام
وماكم الأصحاب كيف تقام
خبرتى ركب الركاب ولم يدع
للسفر وجه ترحل فقاموا
فاستحسن الناس إبلاده ، وكانه طرق لهم
كيف يوردون المراتى . فنهض الشراء
والخطباء حينئذ وعزوا ، وأشد كل واحد ما
عمل في التعزية .

وخلف من الأولاد ابنه المنصور ، وولى
الخلافة من بعده ، وابنة تدعى « سيدة الملك » .
وكان أسر مولانا ، أصعب الشعر ، أمين
أشمل ، عرض المنكبين ، شجاعا كريما ،
حسن العفو والتدرة ، لا يعرف سفك الدماء
الجنة ، مع حسن الخلق والتقرب من الناس ،
والعرفه بالخير وجوارح الخير . وكان مجبا
للصيد مغرى به ، حرصا على صيد السباع .

ووزر له يفتوب بن كلس اثنتي عشرة سنة
وشهرين وتسعة عشر يوما ، ثم من بعده على
ابن عمر المدائس سنة واحدة ، ثم أبو الفضل

بجمل بن التمرات سنة ، ثم أبو عبد الله الحسين
ابن الحسن الباربار سنة وثلاثة أشهر ، ثم أبو
محمد بن عمار شعير ، ثم الفضل بن صالح
الوليدى إماما ، ثم عيسى بن سطوس سنة
وعشرة أشهر . وكانت قضاته أبو طاهر محمد
ابن أحمد ، ثم أبو الحسن على بن النعمان ،
ثم أبو عبد الله محمد بن النعمان .

وخرج الى السر أولا في صفر سنة سبع
وستين وعاد من العباسية ، وخرج ثانيا وغفر
بأمك ، وخرج ثالثا في صفر سنة اثنتين
وسبعين ورجع بعد شهر الى قصره بالقاهرة ،
وخرج رابعا في ربيع الأول سنة أربع وستين
فنزل منية الأصبح وعاد بعد ثمانية أشهر واتى
عشر يوما ، وخرج خامسا في عاشر ربيع الآخر
سنة خمس وثمانين فقام مبرزا أربعة عشر
شهرًا وعشرين يوما ، ومات في هذه الخرجة
ببليس .

وهو أول من اتخذ من أهل بيته وزرا أثبت
اسمه على الطرز ، وقرن اسمه باسمه ، وأول
من ليس منهم الخفين والمنطقة ، وأول من
اتخذ منهم الأتراك . واصطنعهم وجعل منهم
القواد ، وأول من رمى منهم بالنشاب ، وأول
من ركب منهم بالذوابة الطويلة والحنك ،
وغيره بالمصالجة ولعب بالرمح ، وأول من
عمل مائدة في الشرطة السفلى في شهر
رمضان يفطر عليها أهل الجامع العتيق ، وأقام
طعاما في جامع القاهرة لمن يحضر في رجب
وشعبان ورمضان ، واتخذ الحير لركوبه
إياها .

(١٥٨) من تاريخ ١٢٨٤ هـ ، طبع بولاق

وكانت أمه أم ولد اسمها « دروارة » .
وكان يضرب باباه المثل في الحسن ، فانها
كانت كلها أعبادا وأمراسا لكثرة كرمه ومحبته
للنحو واستماله لذلك . ولا أعلم له بصير من
الأثار غير تأسيس الجامع الحاكمي ، وما عدا
ذلك فذهب اسمه ومحي رسمه .

« الحاكم بأمر الله » : أبو على منصور بن
العزيز بالله زوار بن الميز لدين الله أبي تميم محمد
ولد بالقصر من القاهرة المغزية ليلة الخميس
الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة
خمس وسبعين وثلاثة ، في الساعة التاسعة ،
والطالع من برج السرطان سبع وعشرين درجة ،
وسلم عليه بالخلافة في مدينة بليس بعد الظفر
من يوم الثلاثاء عشرين شهر رمضان سنة ست
وثمانين وثلاثة .

وسار الى القاهرة في يوم الأربعاء سائر
أهل الدولة ، والعزيز في قبة على ناقة بين
يديه ، وعلى الحاكم دراعة مصمت وعمامة
فيها الجواهر ، ويده رمح وقد تقلد السيف ،
ولم يفقد من جميع ما كان مع الصاكر شيء .
ودخل القصر قبل صلاة المغرب ، وأخذ في
جهاز أبيه العزيز بالله ودفعه .

ثم بكر سائر أهل الدولة الى القصر يوم
الخميس ، وقد نصب للحاكم سرير من ذهب
عليه مربية مذهبة في الابوان الكبير . وخرج
من قصره راكبًا وعليه ممسة الجواهر ،
والناس وقوف في صحن الابوان ، فقبلوا له
الأرض ، ومشوا بين يديه حتى جلس على
السرير . فوقف من رسمه الوقوف ، وجلس
من له عادة أن يجلس ، وسلم الجميع عليه

بالامانة والقلب الذي اختير له وهو الحاكم
بأمر الله . . . وكان من يومئذ إحدى عشرة
سنة وخمسة أشهر وستة أيام .

فجعل أبا محمد الحسن بن عمار السكندى
ولسعة ولقب بأمين الدولة ، وأستطع مكوسا
كانت بالساحل ، ورد إلى الحسين بن جوهر
القائد البريد والانساء فكان يخلفه ابن
سورين ، وأقر عيسى بن لسطورس على ديوان
الخاص ، وقلد سليمان بن جعفر بن فلاح
الشام . فخرج بنجوتكين من دمشق ، وسار
منها لمداينة سليمان بن جعفر بن فلاح . فبلغ
الرملة ، واضم إليه ابن الجراح الغاني في
كثير من العرب ، وواقع ابن فلاح ، فانهزم
وفرا ، ثم أسر فحمل إلى القاهرة وأكرم .

واختلف أهل الدولة على ابن عمار ، ووقعت
حروب آلت إلى صرفه عن الوساطة وله في
النظر أحد عشر شهرا غير خمسة أيام ، فلزم
داره وأطلقت له رسوم وجرايات .

وأقيم الطوائى يرجوان الصقلي مكانه في
الوساطة ثلاث بقتن من رمضان سنة سبع
وثمانين وثلاثمائة ، فجعل كاتبه فهد بن
إبراهيم يوقع عنه ولقبه بالرئيس ، وصرف
سليمان بن فلاح عن الشام بعيش بن
الصمصامة .

وقلد فحل بن اساعيل الكتامي مدينة
صور ، وقلد يانس الخادم برقة ، وميسورا
الخادم طرابلس ، وبينما الخادم غزة وعقلان .
فواقع جيش الروم على فاهية ، وقتل منهم
خسة آلاف رجل ، وغزا إلى أن دخل
مرعش . وقلد وظيفة قضاء القضاة أبا عبد

الله الحسين بن علي بن النعمان في صفر سنة
سبع وثمانين وثلاثمائة بعد موت قاضي القضاة
محمد بن النعمان .

وقتل الأستاذ يوجوان لأربع بقتن من ربيع
الآخر سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، وله في
النظر ستان وثمانية أشهر غير يوم واحد ،
ورد النظر في أمور الناس وتدير المملكة
والتوقيعات إلى الحسين بن جوهر ، ولقب
بقائد القولا ، فخلقه الرئيس بن فهد ، واتخذ
الحاكم مجلسا في الليل يحضر فيه عدة من
أعيان الدولة ثم أبطله .

ومات جيش بن الصمصامة في ربيع الآخر
سنة تسعين وثلاثمائة . فوصل ابنه بتركة إلى
القاهرة ، ومعه درج بخط أبيه فيه وصية وثبت
بما خلعه منفصلا ، وأن ذلك جميعه لأمر
المؤمنين الحاكم بأمر الله ، لا يستحق أحد من
أولاده منه درهما . وكان مبلغ ذلك نحو المائتي
ألف دينار ما بين عين ومتاع ودواب . . . قد
أوقف جميع ذلك تحت القصر .

فأخذ الحاكم الدرج ونظره ، ثم أعاده إلى
أولاد جيش ، وخلع عليهم ، وقال لهم بحضرة
وجوه الدولة : قد وقتت على وصية أبيكم
رحمه الله ، وما وصى به من عين ومتاع ،
فخذوه هنيئا مباركا لكم فيه . فانصرفوا
بجميع التركة .

وولى دمشق فحل بن تميم ومات بعد
شهور ، فولى على بن فلاح ، ورد النظر في
المقالم لعبد العزيز بن محمد بن النعمان ،
ومنع الناس كافة من مخاطبة أحد أو مكاتبته

بسيدها ومولانا إلا أمير المؤمنين وحده ،
وأصبح دم من خاتمه ذلك ، وفي شوال قتل
ابن عمار .

وفي سنة إحدى وتسعين واصل الحاكم
الركوب في الليل ، كل ليلة ، فكان يشق
الشوارع والأزقة . وبلغ الناس في الوقود
والزينة ، وأقتنوا الأموال الكثيرة في المأكول
والشارب والعناء واللهو ، وكثر تفرجهم على
بنت حتى خرجوا فيه عن الحد فنع النساء
من الخروج في الليل ، ثم منع الرجال من
جنوس في الحوايت .

وفي رمضان سنة . . . تسعين . . . قد
توصلت بن بكار دمشق عوضا عن ابن فلاح ،
وابتدا في عبارة جامع راشدة في سنة ثلاث
وتسعين ، وقتل فهد بن إبراهيم وله منذ نظر
في الرامة خمس سنين ونسعة أشهر واثنا
عشر يوما ، في ثمان حمدي الآخرة منها ،
وأنهم في مكانه على بن عمر العداس ، وسار
الأمير ماروح لامارة طرية . ووقع شرع في
اتمام الجامع خارج باب الفوح ، وقطع الحاكم
الركوب في الليل ، ومات تسووصل فولى
دمشق بعده مفلح اللحياني الخادم .

وقتل على بن عمر العداس والأسد ريدن
الصقلي وعدة كبيرة من الناس . وقلد امارة
برقة صندل الأسود في المحرم سنة أربع
وتسعين . وصرف الحسين بن النعمان عن
القضاء في رمضان منها ، وكانت مدة نظره في
القضاء خمس سنين وستة أشهر وثلاثة
وعشرين يوما ، وأنه كانت الدعوة نصبا ،
فيقال له قاضي القضاة وداني المنة . وقد

(٢٨٥) ج ٢ ، ط ١٠١٠

عبد العزيز بن محمد بن النعمان وظيفة القضاء
والدعوة ، مع ما يده من الشر في المقام .

وفي سنة خمس وتسعين ، أمر القصارى
والمهود بشد الزنار ربس العيار ، ومنع الناس
من أكل الخوخية والجرجير والتوكلية
والدليس ، وذبح الأبقار السلية من العامة
إلا في أيام الأضحية ، ومنع من بيع التفاع
وعله البتة ، وألا يدخل أحد الحمام إلا
بشور ، وألا تكتف امرأة وجهها في طريق
ولا خلف جنازة ولا تبرج ، ولا يباع شيء من
السك بغير قشر ، ولا يصطاد أحد من
الصيداء . . . تمنع الناس في ذلك كله ، وتشد
فيه ، وضرب جنازة بسب مخالفتهم ما أمروا
به ونهوا عنه ما ذكر .

وحرمت التماكر لقنالك في قرة أهل
البحيرة . وكتب على أبواب المساجد وعلى
الجوامع مصر ، وعلى أبواب الحوايت
والحجر والمقابر ، ب السلف ولعنهم ، وأكره
الناس على قنن ذلك . كاتبت بالأصباغ في
سائر المواضع . وأقبل الناس من سائر
النواحي فدخلوا في الدعوة ، وحصل لهم
يومان في الأسسوح ، وكثر الازدحام ومات
فيه جماعة ، ومنع الناس من الخروج بعد
المغرب في الفرقات ، وألا يظهر أحد بها ليح
ولا شراء . فحلت الطرق من المارة ، وكثرت
أوالي الخمر ، وأرقت من سائر الأماكن ،
واشتد خوف الناس بأسرهم ، وقويت
الشناعات وراد الاضطراب .

فاجتمع كثير من السكاتب وغيرهم تحت
القصر ، وضجوا يسألون العفو . فكتب عدة
أمانات لجميع الطوائف من أهل الدولة

وغيرهم من الباعة والريسة ، وأمر بقتل
الكلاب فقتل منها ما لا يحصر حتى قتل
وتحت دار الحكمة بالقاهرة وحل اليها
الكتب ، ودخل اليها الناس . فاشتد الطلب
على الركابة المستخدمين في الركاب ، وقتل
منهم كثير ، ثم عفى عنهم وكتب لهم أمان .
ومنع الناس كافة من الدخول من باب القاهرة ،
ومنع الناس من المشي ملاصق القصر ، وقتل
قاضي القضاة حين بن النعمان وأحرق
بالار ، وقتل عددا كثيرا من الناس ضرت
أعتاقهم .

وفي سنة ست وتسعين خرج أبو ركة
يلتو الى قبه ، ولدعى أنه من بني أمية .
فقام بأمره بنو قرة لكثرة ما أوقع بهم الحاكم
وبإيعونه ، واستجاب له لوائه ومزاة وزادة ،
وأخذ يرقه ، وهزم جيوش الحاكم غير مرة
وغنم ما معهم ، فخرج لقتاله القائد فضل بن
صالح في ربيع الأول وواقعه ، فانهزم منه
فضل ، واشتد الاضطراب بمصر ، وتزايدت
الأسعار .

واشتد الاستعداد لمحاربة أبي ركة ،
وئزلت العساكر بالجيزة ، وسار أبو ركة ،
فواقعه القائد فضل ، وقتل عدة من معه .
فعمم الأمر ، واشتد الخوف ، وخرج الناس
فباتوا بالشوارع خوفا من هجوم عساكر أبي
ركة . واستمرت الحروب ، فانهزم أبو ركة
في ثالث ذي الحجة الى القيوم ، وتبعه القائد
فضل — بعد أن بعث الى القاهرة بستة آلاف
رأس ومائة أسير — الى أن قبض عليه ببلاد
النوبة ، وأحضر الى القاهرة فقتل بها ، وخلع

على القائد فضل ، وسيرت البشارة بقتله في
الأعمال .

وفي سنة سبع وتسعين أمر بسحب
السلف ، فحس سائر ما كتب من ذلك ، وغلت
الأسعار لتقص ماء النيل ، فانه بلغ ستة عشر
أصبعا من سبعة عشر ذراعا ثم نقص ، ومات
ينجونكين في ذي الحجة ، واشتد الغلاء في
سنة ثمان وتسعين ، وولى على بن فلاح
دمشق ، وقبض جميع ما هو محبس على
الكتائب وجعل في الديوان ، وأحرق عدة
صليان على باب الجامع بمصر ، وكتب الى
سائر الأعمال بذلك .

وفي سادس عشر رجب قرر مالك بن سعيد
القارقي في وظيفة قضاء القضاة ، وتسلم كتب
المنع التي تقرأ بالقصر على الأولياء ، وصرف
عبد العزيز بن النعمان عن ذلك ، وصرف قائد
اتقوا الحسين بن جوهر عما كان يليه من
النظر في سابع شعبان ، وقرر مكانه صالح بن
على الروذبادي ، وقرر في ديوان الشام مكانه
أبو عبد الله الموصلي الكاتب ، وأمر حسين بن
جوهر وعبد العزيز بلروم دورهما ، ومنعا من
الركوب وسائر أولادهما ، ثم عفا عنهما بعد
أيام وأمر بالركوب .

وتوقفت زيادة النيل ، فاستقى الناس
مرتين ، وأمر بإبطال عدة مكوس ، وتمذر
وجود الخبز لغلائه وقلته ، وفتح الخليج في
رابع توت والماء على خمسة عشر ذراعا ،
فاشتد الغلاء .

وفي تاسع المحرم — وهو نصف توت —
تقص ماء النيل ولم يوف ستة عشر ذراعا ،

(١٨) ص ٢٨٦ جزء ١ ، طبع بولاق .

منع الناس من التظاهر بالغناء ، ومن ركوب
البحر للتفرج ، ومنع من سح المسكرات ،
ومنع الناس كافة من الخروج قبل الفجر وبعد
العشاء الى الطرقات . واشتد الأمر على الكافة
لشدة ما داخلهم من الحوف ، مع شدة الغلاء ،
وتزايد الأمراض في الناس والموت

فلما كان في رجب اعلنت الأسعار ، رقرى
سجل فيه — يصوم انصائمون على حسابهم
ويفطرون ، ولا يعارض أهل الرؤية فيهم
عليه صائمون ومفطرون . صلاة الحسين
الذي جاءهم فيها يصلون ، وصلاة الضحى
وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ، ولا هم
عنها يدفعون . يحس في الكبير على اجنات
المخسوس ، ولا سمح . اسريع عليا
المريمون يؤذن يحيى على خير العمل المؤذنون
ولا يؤذى من بها لا يؤذنون . لا يب أحد
من السلف ، ولا يحتسب على الراصف فيهم
بما وصف والحالف منهم بما حلف لكل
مسلم مجتهد في دينه اجتهاده

ولقب صالح بن على الروذبادي بثقة ثقات
السيف والقلم ، وأعيد القاضي عبد العزيز بن
النعمان الى النظر في المقام . وتزايدت
الأمراض ، وكثر الموت ، وغزب الأدوية ،
وأعيدت المكوس التي رفعت ، وهلمت كنائس
كانت بطريق المقس ، وهدمت كنيسة كانت
بغارة الروم من القاهرة وذهب ما فيها . وقتل
كثير من الخدام ومن الكتاب ومن الصقالبة ،
بمدا قطعت أيدي بعضهم من الكتاب
بالشطور على الخشبة من وسط الذراع ،
وقتل القائد فضل بن صالح في ذي القعدة .

وفي حادى عشر صفر صرف صالح بن على
الروذبادي ، وقرر مكانه ابن عبدون النصراني
الكاتب ، فوقع عن الحاكم ونظر ، وكتب بدم
كنيسة قمامة ، وجند ديوان — يقال له
الدوان المفرد — يرسم من يقبض ماله من
المقتولين وغيرهم ، وكثرت الأمراض ، وغزت
الأدوية ، وشهر يجساعة وجد عندهم فقاع
وملوخية ودليس رزبوا ، وهدم دائر
القصر

واشتد الأمر على النصراني واليهود في
الزامهم لس الغيار ، وكتب بإبطال أخذ الخس
والنجاري والقطرة ، وفر الحسين بن جوهر
بأولاده وعبد العزيز بن النعمان ، وفر أبو
القاسم الحسين بن المغربي ، وكتب عدة
أمانات لعدة طوائف من شدة خوفهم ، وقطعت
قراعه محال الحكمة بالقصر ، ووقع الشديد
في المع من المسكرات ، وقتل كثير من الكتاب
الخدام والقراشيين ، وقتل صالح بن على
الروذبادي في شوال

وفي رابع المحرم سنة احدى وأربعمئة ،
سرف الكافي بن عبدون عن النظر والتوقيع ،
وقرر بدله أحمد بن محمد القشوري الكاتب
في الوساطة والسفارة ، وحضر الحسين بن
جوهر وعبد العزيز بن النعمان الى القاهرة
فاكرما ، ثم صرف ابن القشوري بعد عشرة
أيام من استقراره وضربت عنقه ، وقرر بدله
زرعة بن عيسى بن نسطورس الكاتب
النصراني ، ولقب بالشافى .

ومنع الناس من الركوب في المراكب في
الخليج ، وسدت أبواب الدور التي على

الخليج والفتن المظنة عليه ، وأضيف إلى
قاضي القضاة مالك بن سعيد النظر في المظالم ،
وأقيمت مجالس الحكمة وأخذ مال التجوى ،
وقتل ابن عبدون وأخذ ماله ، وضرب جماعة
وشهروا من أجل يمينهم الملوحة والسك
التي لا قشر له وسبب بيع النيذ .

وقتل الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن
العثمان في ثاني عشر جمادى الآخرة سنة
أحدى وأربعمئة راحط بأموالهما ، وأبطلت
عدة مكوس ، ومنع الناس من الفشاء واللهو
ومن بيع المغيات ومن الاجتماع بالصحراء .

وفي هذه السنة خلق حسان بن مفرح بن
دغفل بن الجراح طاعة الحاكم ، أقام
أبا القحوح حسين بن جعفر الحسى أمير مكة
خليفة ، وبأمره ودعا الناس إلى طاعته
ومبايعته ، وقاتل عساكر الحاكم .

وفي سنة اثنين وأربعمئة ، منع من بيع
الزبيب وكروث بالتح من حمله ، وألغى في
بحر النيل من شئ كثير وأحرق شئ كثير .
ومنع النساء من زيارة القبور ، فلم ير في
الأعياد بالمقابر امرأة واحدة ، ومنع من
الاجتماع على شاطئ النيل للفرج ، ومنع
من بيع الحب إلا أربعة أرمال فما دونها ،
ومنع من عصره ، وطرح كثير من ودس في
الطرق ، وغرق كثير من في النيل ، ومنع
من حمله ، وقطعت كروم الحيزة كلها ، وسير
إلى الجهات بذلك .

وفي سنة ثلاث وأربعمئة تزع السعر ،
وأنجم الناس على الخبز . وفي ثاني ربيع
الأول منها هلك عيسى بن نسطورس ، فأمر

النصارى بلبس السواد وتعليق صلبان الخشب
في أعناقهم ، وأن يكون الصليب ذراعاً في
مثله ، ورتبه خمسة أرمال ، وأن يكون
مكتشوفاً بحيث يراه الناس ، ومنعوا من
ركوب الخيل ، وأن يكون كروهم البغال
والحمير بسروج الحب والسيور السود بغير
حلية ، وأن يشدوا الزناير ، ولا يستخدموا
مسلباً ولا يشترى عبداً ولا أمة ، وتسمت
آثارهم في ذلك فأسلم منهم عدة

وقدر حسين بن طاهر الوزان في الوساطة
والتوقيع عن الحاكم في تاسع عشر ربيع
الأول منها ، ولقب أمين الأمان . ونقش
الحاكم على خاتمه « ينصر الله العظيم الولي »
ينصر الامام أبو علي ، وضرب حصة
بسبب اللب بالشرنج . وهدم الكنائس ،
وأخذ جميع ما فيها وما لها من الرباع ، وكتب
بذلك إلى الأعمال فهدمت بها

وفيهما لحق أبو الفتح سكة ، ودعا للحاكم
وضرب السكة باسمه . وأمر الحاكم ألا يقبل
أحد له الأرض ، ولا يقبل ركابه ولا يده عند
السلام عليه في المواكب ، فإن الانحاء إلى
الأرض لمخلوق من صنع الروم ، والا نؤاد
على قولهم السلام على أمير المؤمنين ورحمة
الله وبركاته . ولا يصلي أحد عليه في مكتبة
ولا مخاضة ، ويتنصر في مكاتبته على سلام
الله وتحياته ونوامي بركاته على أمير المؤمنين ،
ويُدعى له بما يتفق من الدعاء لا غير . فلم يقل
الخطاء يوم الجمعة سوى : اللهم صل على
محمد المصطفى ، وسلم على أمير المؤمنين على
المرتضى ، اللهم وسلم على أمراء المؤمنين آباء

(١٠) من ٢٨٧ ج ٢ ط ١ بولاق .

أمير المؤمنين ، اللهم اجعل أفضل سلامك على
عبدك وخليفتك .

ومنع من ضرب الطبول والأبواق حول
القصر ، فصاروا يطوفون بغير طبل ولا بوق .
وكررت انعامات الحاكم ، فتوقف أمين الأمان
حسين بن طاهر الوزان في امضائها . فكتب
إليه الحاكم بخطه بعد البسلة : « الحمد لله
كما هو أهله :

أصبحت لا أرجو ولا أتي

إلا الهى وله الفضل

جدى نبى وامامى أبى

ودينى الاخلاص والعدل

المال مال الله عز وجل ، والخلق عباد الله ،
ونحن أمانؤه فى الأرض . أطلق أرزاق الناس
ولا تقطعها والسلام .

وركب الحاكم يوم عيد الفطر إلى المصلى
بغير زينة ولا جنائب ولا أبهة ، سوى عشرة
أفراس تقاد بسروج ولجم محلاة بفضة بيضاء
خفيفة ، وبثود ساذجة ، ومظلة بيضاء بغير
ذهب ، عليه بياض بغير طرز ولا ذهب ولا
جوهر فى عمامته ، ولم يفرش المنبر ، ومنع
الناس من سب السلف ، وضرب فى ذلك
وشهر ، وصلى صلاة عيد النحر كما صلى
صلاة عيد الفطر من غير أبهة ، ونحر عنه عبد
الرحيم بن الياس بن أحمد بن المهدي ، وأكثر
الحاكم من الركوب إلى الصحراء بهذاه فى
رجله وقومة على رأسه .

وفي سنة أربع وأربعمئة ألزم اليهود أن
يكون فى أعناقهم جرس إذا دخلوا الحمام ،

وأن يكون فى أعناق النصارى صلبان ، ومنع
الناس من الكلام فى النجوم ، وأقيم المنجمون
من الطرقات ، وطلبوا فتغيوا وتقاوا . وكررت
هبات الحاكم وصدقائه وعقته ، وأمر اليهود
والنصارى بالخروج من مصر إلى بلاد الروم
وغيرها .

وأقيم عبد الرحيم بن الياس ولى العهد ،
وأمر أن يقال فى السلام عليه « السلام على
ابن عم أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين » ،
وصار يجلس بمكان فى القصر ، وصار
الحاكم يركب بدراسة صوف بيضاء ، ويتعمم
بنقطة وفى رجله حذاء عربى بقبالين ، وعبد
الرحيم يتولى النظر فى أمور الدولة كلها .
وأفرط الحاكم فى العطاء ، ورد ما كان أخذ
من الضياع والأملاك إلى أربابها .

وفى ربيع الآخر أمر بقطع يدى أبى القاسم
الجرجاني ، وكان يكتب للقائد غين ، ثم قطع
يد غين فصار مقطوع اليدين ، وبعث إليه
الحاكم بعد قطع يديه بألف من الذهب والياب
ثم بعد ذلك أمر بقطع لسانه فقطع ، وأبطل
عدة مكوس ، وقتل الكلاب كلها ، وأكثر من
الركوب فى الليل .

ومنع النساء من المشى فى الطرقات ، فلم
تر امرأة فى طريق ألبته ، وأغلقت حماماتهن ،
ومنع الأساكفة من عمل خفافهن ، وتمعلت
حوائثهم . واشتدت الاشاعة بوقوع السيف
فى الناس فتهاربوا ، وغلقت الأسواق فلم يبع
شئ . ودعى لعبد الرحيم بن الياس على
المنابر ، وضربت السكة باسمه بولاية العهد .

وفي سنة خمس وأربعين مائة من الهجرة النبوية
سنة الفيل في ربيع الأول . وكانت مدة
غزاه في هذه السنة ستين ومائة
سنة ومائة يوم ، وفتح القلاع في السنة
عشرة عشر ألف بيت . وروى وكوب الحاكم
حتى كان يركب في كل يوم عشرة مراكب ،
وكانت القصور قد كساها بالذهب والفضة .

وفي سنة خمس وأربعين مائة من الهجرة النبوية
سنة الفيل في ربيع الأول . وكانت مدة غزاه في السنة
ستين ومائة يوم ، وفتح القلاع في السنة
عشرة عشر ألف بيت . وروى وكوب الحاكم
حتى كان يركب في كل يوم عشرة مراكب ،
وكانت القصور قد كساها بالذهب والفضة .

وخرج الحاكم عن العهد في السنة حتى
تفتح توتية الرابك والشاطبية وبنى قرة ،
فما فتح الاسكندرية والبحيرة ونوليها .
وقال ليلى في السنة ، فكانت مدة غزاه
ستين ومائة يوم . وقد الواسطة فتح في
يختر في القوات ، ثم فتح في اليوم الخامس
من ولاية . وطلب بنو قرة على الاسكندرية
والبحيرة .

واكثر الحاكم من الركوب ، فركب في يوم
ست مراكب : مرة على فرس ، ومرة على حمار ،
ومرة في سعة تحمل على الاخطى ، ومرة في
تشاري في السيل بين حمة . واكثر من قطع
البحر والصيد الاطراف ، وفتح دار الفرس
تحت القبة ليا الحسن على بن جعفر بن قلاح
في الوسطة والبقرة .

وفي سنة خمس وأربعين مائة من الهجرة النبوية
سنة الفيل في ربيع الأول . وكانت مدة
غزاه في هذه السنة ستين ومائة
سنة ومائة يوم ، وفتح القلاع في السنة
عشرة عشر ألف بيت . وروى وكوب الحاكم
حتى كان يركب في كل يوم عشرة مراكب ،
وكانت القصور قد كساها بالذهب والفضة .

وقد كان لليلى بنتا من شوال سنة عشر
وأربعين مائة ، فقد الحاكم . وقيل ان لفته
فتة ، وليس بصحيح . وكان عمره سنة
وثلثين سنة وسبعة اشهر ، وكانت مدة خلافته
خمس وعشرين سنة وشهرا ، وكان جوادا ،
سديا للعداء ، قتل عتقا لا يحصى ، وكانت
سيرة من تعجب القبر ، وخطب له على منابر
مصر والشام وقرية والمجوس .

وكان يستل بطون الاوثى ، ومتر في
البحر ، وعلى رصدا ، واتخذ بيتا في سقيم
يقطع فيه عن الناس فتنة . وقال انه كان
يمر به جمل في حذاه ، ففلكه كركه .
وما لمع ما قل فيه بعضهم : كانت افعاله
لا تلي ، والاعلام وسابحه لا تزل .

وقال للسيبي : وفي معجم سنة خمس
سنة وأربعين مائة ، قبض على رجل من بني
حسين قري بالصيد الاطلى ، فاقرب به كسلا
الحاكم يقر الله في جلة لوزة القس تفرقوا
في البلاد ، وانظر قطعة من جلة راس
الحاكم ، وقطعة من التوبة التي كانت عليه .
قال له : لم فتة ؟

قال : غيرة لله والاسلام .

قال : كيف فتة ؟

قال : سنة خمس ، غيرة لله .

فخرج مسكينا خربا بما عاينه فقتل
الله ، وقال : عكفا فتة . ففتح رأسه ،
واخذ به الى الحضرة مع ما وجد فيه .

وهذا هو الصحيح في خبر قتل الحاكم ،
ولا ما حكته للشارقة في كتبهم من ان لفته
فتة .

جامع حمة

هذا الجامع بسفح الجرف المنح على بركة
الحبشي - المعروف الآن بالرصدة - بناء
الامير شاهر شاه بن امير البيهقي بدير
البحالي في شعبان سنة ثمان وسبعين
وأربعين مائة ، وضعت الكلفة على يده سنة اثنى
عشر .

وانما قيل له جامع ائمة لان في قبته تسع
قباب في مغارة ذات قنطرة ، اذا رآها الانسان
من بعيد شبهها بغيرتين على قبة ، كالتي
كانت تعمل في الواكب أيام الزيادة ، وعليها
السرور وفوقها الممرعون ، أيام الختاء .

ولا كمن اقام في حمة - الشريف الزكي
أمين الدولة - جعفر محمد بن محمد بن حمة
الله بن علي الحسيني الرضوي السامي الكوفي
الشاعر المرموق حمة صرته من قضاء
الفرية .

فلما رقى الشير اول خطبة اقيمت في هذا
الجامع ، قال : يا الله الحمد لله ، وارتج
عليه فلم يدر ما يقول . وكان هناك الشيخ
أبو القاسم علي بن منجب بن الصيرفي الكاتب
وولده مختص الدولة أبو المجد ، وأبو عبد الله
ابن يركات التحوي ووجوه الدولة . فلما

انصرف من حضر ، ولان عن الشير وقد حسم ،
مقدم قيم الجامع وصلى ، ومضى الشريف الى
داره فاعقل ومات .

وكان قد ولي قضاء صلاين وغيرها ، ثم
قدم الى مصر لولي الحكم بالحلقة ، وولى
ديوان الاحباس . وكان له عند الامبان الاولياء
العارفين بالنسب ، ومن اشهر المجيدين
والحمة المغموسين . ولد بطرابلس الشام في
سنة اثنين وستين وأربعين مائة ، وقدم الى
القاهرة في سنة احدى وخمسة مائة ومدح
والفضل ، ومات في سنة سبع عشرة أو ثمان
سنة وخمسة .

وقد ترشح للقبالة بمصر ولم يلقها مع نظمه
اليها ، وذل كتاب أبي القاسم الزمدي
النسابة . ومن شعره بديها ، وقد قام مع
جارتها على سطوح ، فطلع القمر عليهما
فردا من كنف الجيران عليهما :

ولما تلاقينا وغاب رقينا

ورمت الشكي في خلو وفي سر
بدا ضوء بذر فافترقا لضوء

فيامن رأى بدرا ينم على بذر
واهل المقالب يذكرون ان الافضل وجد
بوضع الصريح مقلبا ، ففتح عليه اشعرا
الى ان نقله ، وعنه صهريجنا وبني عليه هذا
المسجد .

وهذا الشريف الذي عليه جامع القيلة منظره
في غاية الحسن لان في قلبه بركة الحبش ،
ويستأن الوزير المغربي ، والمملوكة ودير

السلجورية ، وبئر أبي سلامة وهي بئر مدورة برسم النعم ، وبئر النعم كان يستقي منها أصحاب الزوايا ، وهي بجوار حفصة الصغرى ، وهي بئر أبي موسى بن أبي خلد . وسيت بئر النعم لأنها على هيئة النعم ، وماؤها يضم الطعام وهو أصبح الأمواه .

وشرقي هذا الجبل جبل المقطم ، والجبانة والمقابر والقراة ، وآخر الأكحول ، وريحان ورعين والكلاخ والأكسوع .

وغربي هذا الجبل المشقوق والنيل ، وستان اليهودى الى القبلة ، وطويه والأهرام ورائدة .

وبحرى هذا الجبل بستان الأمير تميم ، وقطرة خليج بنى وائل ، ودير المعدلين ، وعقبة يحصب ، ومحرس قسطنطين ، والشرف وغير ذلك .

وهذا الجامع لا تقام فيه اليوم جمعة ولا جماعة ، لخراب ما حوله من القراة ورائدة ، ويترى فيه أحياء مائة من العرب يأبلمهم يقال لهم السلية . وعما قليل يدثر كما دثر غيره .

جامع القياس

هذا الجامع بجوار مقياس النيل من جزيرة القطار أثناء

جامع الأقمر

قال ابن عبد الظاهر : كان مكانه علافون والحوض مكان النظرة ، فتحدثت الخليفة

(ها) ص ٢٨٦ ج ٢ ، ط ١٩٧٠

الأمير مع الوزير المأمون بن البطايعي في إنشاء الجامع . فلم يترك قدام القصر دكاكنا ، وبني تحت الجامع المذكور في أيامه دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح لا من صوب القصر . وكل الجامع المذكور في أيامه ، وذلك في سنة تسع عشرة وخمسة ، وذكر أن اسم الأمر والمأمون عليه .

وقال غيره : واشترى له حمام شمول ودار النحاس بمصر ، وجبها على سدته ووقود مصايحه ومن يتولى أمره ويؤذن فيه . وما زال اسم المأمون والأمر على لوح فوق المحراب ، وفيه تجديد الملك الظاهر يبرس للجامع المذكور . ولم تكن فيه خطبة ، لكنه يعرف بالجامع الأقمر .

فلما كان في شهر رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، جددده الأمير الوزير المشير الاستادار بليغا بن عبد الله السالمى ، أحد المماليك الظاهرية ، وأنشأ بظاهر بابه البحرى حوائت يعلوها طبايق ، وجدد فى صحن الجامع بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية ، وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء الى من يتوضأ من يرايز نحاس ، ونصب فيه منبرا .

فكانت أول جمعة جمعت فيه رابع شهر رمضان من السنة المذكورة . وخطب فيه شهاب الدين أحمد بن موسى الحلبي - أحد نواب القضاة الحنفية - وارنج عليه ، واستمر الى أن مات فى سابع عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانمائة . وبني على هيئة المحراب البحرى مثذنة ، ويض الجامع كله ، ودهن صدره بلازورد وذهب .

فقلت له : قد أعجبنى ما صنعت بهذا الجامع ، ما خلا تجديد الخطبة فيه وعمل بركة الماء . فان الخطبة غير محتاج إليها ها هنا لقرب الخطب من هذا الجامع ، وبركة الماء تضيق الصحن ، وقد أنشأت مiazza بجوار بابه الذى من جهة الركن المخلق .

فاحتج لعل المنبر بأن ابن الطوير قال فى كتاب « نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين » عند ذكر جلوس الحليفة فى المواليد الستة : ويقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك ، ثم يحضر خطيب الجامع الأقمر ويخطب كذلك .

قال : فهذا أمر قد كان فى الدولة الفاطمية ، وما أنا بالذى أحدثه ، وأما البركة ففيها عون على الصلاة لقربها من المصلين . وجعل فوق المحراب لوحا مكتوبا فيه ما كان فيه أولا ، وذكر فيه تجديده لهذا الجامع ، ورسم فيه نموته وألقابه ، وجدد أيضا حوض هذا الجامع الذى تشرب منه الدواب ، وهو فى ظهر الجامع تجاه الركن المخلق .

وبئر هذا الجامع قديمة قبل الملة الاسلامية ، كانت فى دير من ديارات النصارى بهذا الموضع . فلما قدم القائد جوهر بجيوش المزم لدين الله ، فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، أدخل هذا الدير فى القصر - وهو موضع الركن المخلق تجاه الحوض المذكور - وجعل هذه البئر مما ينتفع به فى القصر .

وهى تعرف ببئر العظام ، وذلك أن جوهرًا نقل من الدير المذكور عظاما كانت فيه من رمم قوم يقال انهم من الحوارين ، فسميت ببئر

العظام ، والعامية تقول الى اليوم ببئر المظنة ، وهى بئر كبيرة فى غاية السعة . وأول ما اعرى من اضافتها الى الجامع الأقمر أن العماد الدمياطى ركب على فوهتها هذه المحال التى بها الآن ، وهى من جيد المحال ، وكان تركيبها بعد السبعماية فى أيام قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة الشافعى .

وبهذا الجامع درس من قديم الزمان . ولم تزل مثذنته التى جدها السالمى والبركة الى سنة خمس عشرة وثمانمائة . فولى نظر الجامع بعض الفقهاء ، فرأى هدم المثذنة من أجل ميل حدث بها فهدمها ، وأبطل الماء من البركة لافساد الماء بمروره جدار الجامع القبلى . والخطبة قائمة به الى الآن .

« الأمر بأحكام الله » : أبو على المنصور ابن المستعلى بالله أبى القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر لا عزاز الدين الله أبى الحسن على بن الحاكم بأمر الله أبى على منصور . ولد يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربعمائة ، وبويع له بالخلافة يوم مات أبوه ، وهو طفل له من العمر خمس سنين وأشهر وأيام ، فى يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة خمس وتسعين . أحضره الأفضل بن أمير الجيوش ، وباع له ونصبه مكان أبيه ، ونعتة بالأمر بأحكام الله .

وركب الأفضل فرسا ، وجعل فى السرج شيئا وأركبه عليه لينمو شخص الأمر ، وصار ظهره فى حجر الأفضل ، فلم يزل تحت حجره حتى قتل الأفضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسة . فاستوزر بعده القائد أبا

عبد الله محمد * بن فائق البطايعي ، ولقبه بالأمون . فقام بأمر دولته الى أن قبض عليه في ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة .

فتفرغ الأمر لنفسه ، ولم يبق له ضد ولا مزاحم ، وبقي بغير وزير ، وأقام صاحب ديوان : أحدهما جعفر بن عبد المنعم ، والآخر سامري يقال له أبو يعقوب ابراهيم ، ومعهما مستوف يعرف بابن أبي نجاح كان راهبا .

ثم تحكم هذا الراهب في الناس ، وتسكن من الدواوين ، فابتدأ في مطالبة النصارى ، وحقق في جهاتهم الأموال ، وحملها أولا فأولا . ثم أخذ في مصادرة بقية المباشرين والمعاملين والضمان والعمال ، وزاد الى أن عم ضرره جميع الرؤساء والقضاة والكتاب والسوقة ، بحيث لم يخل أحد من ضرره . فلما تفاقم أمره قبض عليه الأمر ، وضرب بالنعال حتى مات بالشرطة ، فجر الى كرسى الجسر ، وسمر على لوح وطرح في النيل ، وحذف حتى خرج الى البحر المالح .

فلما كان يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، وثب جماعة على الأمر وقتلوه كما ذكر عند خبر الهودج . وكان كريما سمحا الى الغاية ، كثير الزهة ، محبا للمال والزينة ، وكانت أيامه كلها لهوا وعيشة راضية ، لكثرة عطائه وعطاء حواشيه ، بحيث لم يوجد بمصر والقاهرة اذ ذاك من يشكو زمانه البتة ... الى أن نكد بالراهب على الناس ، فبجحت سيرته ، وكثر ظلمه واغتصابه للأموال .

(*) من ١١٠ ج ٢ ، ط. بولاق .

وفي أيامه ملك الفرنج كثيرا من المعقل والحصون بسواحل الشام . فملك عكا في شعبان سنة سبع وتسعين ، وغزة في رجب سنة اثنتين وخمسمائة ، وطرابلس في ذي الحجة منها ، وبانياس وجبيل وقلعة تبين فيها أيضا ، وملكوا صور في سنة ثمان عشرة وخمسمائة .

وكررت المرافعات في أيامه ، وأحدثت رسوم لم تكن ، وعمر الهودج بالروضة ودكة ببركة الحبش ، وعمر تيس ودمياط ، وجدد قصر القرافة . وكانت نفسه تحدثه بالسفر والغارة الى بغداد ، ومن شعره في ذلك :

دع اللوم عني لست منى بسوثي
فلا بد لي من صدمة التحقن
وأستى جيادى من فرات ودجلة
وأجمع شمل الدين بعد التفرق
وقال :

أما والذي حجت الى ركن يتيه
جرائيم ركان مقلدة شها
لأقتحن الحرب حتى يقال لي
ملكتم زمام الحرب فاعتزل الحريا
وينزل روح الله عيسى بن مريم
فيرضى بنا صحبا ونرضى به صحبا
وكان أسر شديد السمرة ، يحفظ القرآن ويكتب خطا ضعيفا . وهو الذي جدد رسوم الدولة ، وأعاد اليها بهجتها بعدما كان الأفضل أبطل ذلك ، ونقل الدواوين والأسمطة من القصر بالقاهرة الى دار الملك بمصر كما ذكر هناك .

وقضاته ابن ذكا النابلسي ، ثم نعمة الله بن بشر ، ثم الرشيد محمد بن قاسم الصقلي ، ثم الجليس بن نعمة الله بن بشير النابلسي ، ثم صرفة ثانيا بسلم بن الرسفي ، وعزله بأبي الحجاج يوسف بن أيوب المغربي ، ثم مات ، فولى محمد بن هبة الله بن مير . وكتاب انشاء سنا الملك أبو محمد الزبيدي الحسني ، والشيخ أبو الحسن بن أبي أسامة ، وتاج الرئاسة أبو القاسم بن الصيرفي ، وابن أبي الدم اليهودي . وكان نقش خاتمه « الامام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين » ، ووقع في آخر أيامه غلاء قلق الناس منه .

وكان جريئا على سفك الدماء ، وارتكاب المحظورات واستحسان القبائح . وقتل وعمره أربع وثلاثون سنة وتسعة أشهر وعشرون يوما : منها مدة خلافته تسع وعشرون سنة وثمانية أشهر ونصف ، وما زال محجورا عليه حتى قتل الأفضل . وكان يركب للزهة دائما عندما استبد في يومى السبت والثلاثاء ، ويتحول في أيام النيل بحرمة الى اللؤلؤة على الخليج ، واختص بغلاميه برغش وهزار الملوك .

« يليغا السالمى » أبو المعالى عبد الله الأمير سيف الدين الحنفى الصوفى الظاهري . كان اسمه فى بلاده يوسف ، وهو حر الأصل ، وآبأؤه مسلمون . فلما جلب من بلاد المشرق سمي يليغا ، وقيل له السالمى نسبة الى سالم تاجر الذى جلبه . فترقى فى خدم السلطان الملك الظاهر بركات ، الى أن ولاء نظر خاتناه الصلاح سعيد السعداء ، فى ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، فأخرج

كتاب الوقف ، وقصد أن يعمل بشرط الواقف وأخرج منها جماعة من يياض الناس . فجرت أمور ذكرت فى خبر الخاتناه .

وفى سابع عشرى صفر سنة ثمانمائة ، أعم عليه الملك الظاهر بامرة عشرة عوضا عن الأمير بهادر فطيس ، ثم نقله الى امرة طبلخانة ، ثم جعله قانرا على الخاتناه الشيخونية بالصليبة فى تاسع شعبان سنة احدى وثمانمائة . فعصف بباشريها ، وأراد حملهم على مر الحق فنشرت منه القلوب * .

ولما مرض الظاهر جعله أحد الأوصياء على تركته . فقام بتحليف الممالك السلطانية للسلطان الناصر فرج بن بركات ، والاتفاق عليهم بحضرة الناصر ، فأنفق عليهم كل دينار من حساب أربعة وعشرين درهما . ولما انقضت النفقة نودى فى البلد أن صرف كل دينار ثلاثون درهما ، ومن امتنع نهب ماله وعوقب ، فحصل للناس من ذلك شدة .

وكان قد كثر القبض على الأمراء بعد موت الظاهر . فتحدث مع الأمير الكبير أيتمش ، القائم بتدبير دولة الناصر فرج بعد موت أبيه ، فى أن يكون على كل أمير من الملقمين خمسون ألف درهم ، وعلى كل أمير الطبلخانة عشرون ألف درهم ، وعلى كل أمير عشرة خمسة آلاف درهم ، وعلى كل أمير خمسة ألفا درهم وخمسمائة درهم . فرسم بذلك ، وعمل به مدة أيام الناصر ، وحصل به رفق للأمراء ومباشرهم .

ثم خلع عليه واستقر أمستاد السلطان ، عوضا عن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق

(*) من ٢٩١ ج ٢ ، ط. بولاق .

ابن أبي الفرج الملكي في يوم الاثنين ثالث عشر ذي القعدة من السنة المذكورة . فأبطل تعريف مئة بنى خصيب ، وضمان المرسعة وأخصاص الكيالين ، وكتب بذلك مرسوماً سلطانياً ، وبعث به إلى وإلى الأشمولين ، وأبطل وقر الشون السلطانية ، وما كان مقرراً على البرد دار وهو في الشهر مئة آلاف درهم ، وما كان مقرراً على مقدم المستخرج وهو في الشهر ثلاثة آلاف درهم .

وكانت سماسة الفلال تأخذ من يشتري شيئاً من الفلة ، على كل أردب درهين سيرة وكيالة ولواحة وأمانة ، فالزمهم ألا يأخذوا عن كل أردب سوى نصف درهم ، وهدد على ذلك بالغرامة والعقوبة . مركب في سفر مئة ثلاث وثمانمائة إلى ناحية المية وشبرا الخيمة من الضواحي بالقاهرة . وكسر منها ما ينيف على أربعين ألف جرة خمر ، وخرب بها كنيصة كانت للنصارى ، وحمل عدة جرار فكسرها تحت قلعة الجبل رعلى باب زويلة ، وشد على النصارى ، فلم يمكنه أمراء الدولة من حملهم على الصغار والمذلة في ملبهم .

وأمر ف ضرب الذهب كل دينار زته مثقال واحد ، وأراد بذلك إبطال ما حدث من المعاملة بالذهب الأفرنجي ، ف ضرب ذلك ، وتعامل الناس به مدة ، وصار يقال دينار سالى إلى أن ضرب الناصر فرج دنانير وسماها الناصرية ، وصار يحكم في الأحكام الشرعية . فقلق منه أمراء الدولة وقاموا في ذلك ، فنتع من الحكم إلا فيما يتعلق بالديوان المفرد وغيره مما هو من لوازم الاستادار .

وأخذ في مخاشنة الأمراء عندما عاد الناصر فرج وقد انهزم من تيمورلنك ، وشرع في إقامة شعار الملكة والنفقة على العساكر التي رجعت منهزمة . فأخذ من بلاد الأمراء وبلاد السلطان عن كل ألف دينار قرصاً أو خمسمائة درهم ثمنها ، وجبى من أملاك القاهرة ومصر وظواهرها أجرة شهر ، وأخذ من الرزق عن كل فدان عشرة دراهم ، وعن القندان من القصب المزروع والقلقاس والنيلة نحو مائة درهم ، وجبى من السائين عن كل فدان مائة درهم .

وقام بنفسه وكبس الحواصل ليلاً ونهاراً ومعه جماعة من الفقهاء وغيرهم ، وأخذ مما فيها من الذهب والفضة والفوس نصف ما يجد - سواء كان صاحب المال غائباً أو حاضراً - فعم ذلك أموال التجار والأيتام وغيرهم من سائر من وجد له مال ، وأخذ ما كان في الحوامع والمدارس وغيرها من الحواصل . فشم الناس من ذلك ضرر عظيم ، وصار يؤخذ من كل مائة درهم ثلاثة دراهم عن أجرة صرف ، وستة دراهم عن أجرة الرسول ، وعشرة دراهم عن أجرة نقيب . فنفرت منه القلوب ، وانطلقت الألسن بذهمه والدعاء عليه .

وعرض مع ذلك الجند ، وألزم من له قدرة على السفر بالتجهز للسفر إلى الشام لقتال تيمورلنك ، ومن وجده عاجزاً عن السفر ألزمه بحمل نصف متحصل اقطاعه . فقبض عليه في يوم الاثنين رابع عشر رجب سنة ثلاث وثمانمائة ، وسلم للقاضي سعد الدين إبراهيم ابن غراب ، وقرر مكانه في الاستادارية . فلم

يزل إلى يوم عيد الفطر من السنة المذكورة ، فأمر بإطلاقه بعد أن حصر وأهين أهانة كبيرة ، ثم قبض عليه وضرب ضرباً مبرحاً حتى أشفى على الموت .

وأطلق في نصف ذي القعدة وهو مريض ، فأخرج إلى دمياط وأقام بها مدة ، ثم أحضر إلى القاهرة ، وقلد وظيفة الوزارة في سنة خمس وثمانمائة وجعل مشيراً . فأبطل مكوس البحيرة - وهو ما يؤخذ على ما يذبح من البقر والغنم - واستعمل في أموره العسف ، وترك مداواة الأمراء واستعجل . فقبض عليه وعوقب ، وسجن إلى أن أخرج في رمضان سنة سبع وثمانمائة ، وقلد وظيفة الإشارة - وكانت للأمير جمال الدين يوسف الأستاذار - فلم يترك عاداته في الإعجاب برأيه ، والاستبداد بالأمور ، واستعجال الأشياء قبل أوانها .

فقبض عليه في ذي الحجة منها ، وسلم للأمير جمال الدين يوسف ، فعاقبه وبعث به إلى الاسكندرية ، فسجن بها إلى أن سمى جمال الدين في قتله ، بمال بذله للناصر فيه حتى أذن له في ذلك ، فقتل خنقاً عصر يوم الجمعة وهو صائم السابع عشر من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثمانمائة * ، رحمه الله .

وكان كثير النسك من الصلاة والصوم والصدقة . لا يخل بشيء من نوافل العبادات ، ولا يترك قيام الليل سفرًا ولا حضراً ، ولا يصلى قط إلا بوضوء جديد ، وكلما أحدث

توضاً ، وإذا توضأ صلى ركعتين . وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ويخرج في كشرة الصدقات عن الحد ، ويقرا في كل ثلاثة أيام ختمة ، ولا يترك أوراده في حال من الأحوال مع المروءة والهمة .

وسمع كثيراً من الحديث ، وقرأ بنفسه على المشايخ ، وكتب الحط المليح ، وقرأ القراءات السبع ، وعرف التصوف والفقه والحساب والنجوم ... إلا أنه كان متهوراً في أخذ الأموال ، عوفاً لجوجاً مصمماً ، لا يقاد إلى أحد ، ويستبد برأيه فيفعل غلطاً لا تحتمل ، ويستخف بغيره ، ويعجب بنفسه ، ويريد أن يجعل غاية الأمور بدايتها . فلذلك لم يتم له أمر .

جامع الظاهر

هذا الجامع بالقاهرة في وسط السوق الذي كان يعرف قديماً بسوق السراجين ، ويعرف اليوم بسوق الشواوين . كان يقال له الجامع الأفخر ، ويقال له اليوم جامع الفاكهين ، وهو من المساجد الفاطمية . عمره الخليفة الظاهر بنصر الله أبو المنصور اسماعيل ابن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد ابن الأمر بأحكام الله منصور ، ووقف حوائته على سدته ومن يقرأ فيه .

قال ابن عبد الظاهر : بناء الظاهر ، وكان قبل ذلك زربية تعرف بدار الكباش ، وبناءه في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . وسبب بنائه أن خادماً رأى من مشرف عال ذباحاً وقد أخذ رأسين من الغنم ، فذبح أحدهما ورمى

سكته ، ومضى ليقضى حاجته ، فمضى رأس
الغنم الآخر وأخذ السكين بنفسه ورمها في
البالوعة ، فجاء الجزار يطوف على السكين
فلم يجدها ، وأما الخادم فإنه استصرخ
وخلصه منه . وطولع بهذه القضية أهل
القصر ، فأمروا بسله جامعا ، ومضى الجامع
لأفخر ، وبه حلقة تدرس وفقهاء ومتصليون
للقرآن . وأول ما أقيمت به الجمعة في
... .. ١

جامع الصالح

هذا الجامع من المواضع التي عمرت في
زمن الخلفاء العباسيين ، وهو خارج باب
زوية .

قال ابن عبد الطاهر : كان الصالح طلائع
ابن رزك - لما خيف على مشهد الإمام
الحسين رضي الله عنه إذ كان بمسقلان من
هجرة الفرنج ، وعزم على نقله - قد بنى هذا
الجامع ليدفنه به . فلما فرغ منه لم يسكنه
الخليفة من ذلك ، وقال : لا يكون إلا داخل
القصور الزاهرة . وبني المشهد الموجود الآن
ودفن به .

وتم الجامع المذكور ، واستمر جلوس زين
الدين الواظظ به وحضور الصالح إليه .
فيقال إن الصالح لما حضرته الوفاة جمع أهله
وأولاده ، وقال لهم في جلة وصيته : ما ندمت
قط في شيء عملته إلا في ثلاثة : الأول بنائي
هذا الجامع على باب القاهرة فإنه صار عونا
لها ، والثاني توليت لشاور الصيد الأعلى ،
والثالث خروجي إلى بليس بالساكر واتفقي

(*) هكذا يقرأ في الأصل .

لأموال البصة ، ولم أتم بهم إلى الشام وأفتح
بيت المقدس ، واستأصل ساقاة الفرنج . وكان
قد أتم في الساكر في تلك الدفعة مائة ألف
دينار .

وبنى في الجامع المذكور صريحا عظيما ،
وجعل ساقية على الخليج قرب باب الحرق
تلا الصريح المذكور أيام النيل ، وجعل
المجارى إليه . وأقيمت الجمعة فيه في الأيام
المعزية ، في سنة بضع وخمسين (ثمانية) ،
بحضور رسول بغداد الشيخ نجم الدين عبد
الله البادراني ، وخطب به أسيل الدين أبو بكر
الأسمردي وهي إلى الآن . ولما حدثت الزلزلة
سنة اثنين وسبعمئة تهدم ، فعمر على يد
الأمير سيف الدين بكتر الجوكندار .

« طلائع بن رزك » : أبو الفارات الملك
الصالح ، فارس المسلمين ، نصير الدين . قدم
في أول أمره إلى زيارة مشهد الإمام على بن
أبي طالب رضي الله عنه ، بأرض التجف من
العراق ، في جماعة من الفقهاء ، وكان من
الشيعة الامامية ، وإمام مشهد على رضي الله
عنه يومئذ السيد ابن معصوم . فزار طلائع
وأصحابه ، وباتوا هنالك .

فراى ابن معصوم في منامه على بن أبي
طالب رضي الله عنه ، وهو يقول له : قد ورد
عليك الليلة أربعون فقيرا من جملتهم رجل
يقال له طلائع بن رزك من أكبر محبينا ،
قل له اذهب فقد وليناك مصر .

فلما أصبح أمر أن ينأى : من فيكم طلائع
ابن رزك فليقم إلى السيد ابن معصوم .
فجاء طلائع وسلم عليه ، فقص عليه ما رأى .

فسار حينئذ إلى مصر ، وترقى في الخدم
حتى ولى منية بنى خصيب . فلما قتل نصر بن
عباس الخليفة الطاهر ، بعث نساء القصر إلى
طلائع يستغثن به في الأخذ بشار الطاهر ،
وجعلن في طي الكتب شعور النساء .

فجمع طلائع عندما وردت عليه الكتب
الناس ، وسار يريد القاهرة لمحاربة الوزير
عباس . فعندما قرب من البلد فر عباس ، ودخل
طلائع إلى القاهرة ، فخلع عليه خلع الوزارة ،
ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصير
الدين . فبأشر البلاد أحسن مباشرة ، واستبد
بالأمر لصغر سن الخليفة الفائز بنصر الله إلى
أن مات .

فأقام من بعده عبد الله بن محمد ، ولقبه
بالعاضد لدين الله ، وبايع له ، وكان صغيرا لم
يبلغ الحلم ، فقويت حرمة طلائع ، وازداد
تمكنه من الدولة . فثقل على أهل القصر لكثرة
تضييقه عليهم ، واستبداده بالأمر دونهم ،
فوقف له رجال بدهاليز القصر ، وضربوه حتى
سقط على الأرض على وجهه ، وحمل جريحا
لا يفي إلى داره ، فمات يوم الاثنين تاسع
عشر شهر رمضان سنة ست وخمسين
 وخمسمئة .

وكان شجاعا كريما ، جوادا فاضلا ، محبا
لأهل الأدب جيد الشعر ، رجل وقته فضلا
وعقلا وسياسة وتديرا . وكان مهابا في شكله
عظيما في سطوته ، وجمع أموالا عظيمة ،
وكان محافظا على الصلوات فرائضها ونوافلها
شديد المبالاة في التشيع .

(*) من ٢١٢ ، ج ٢ ط ١ - بولاق .

صنف كتابا سماه « الاعتقاد في الرد على
أهل العناد » جمع له الفقهاء وناظرهم عليه ،
وهو تضمن إمامة على بن أبي طالب رضي الله
عنه ، والكلام على الأحاديث الواردة في
ذلك . وله شعر كثير يشتمل على مجلدين في
كل فن ، فمنه في اعتقاده :

بإمامة سلكت ضلالا بينا
حتى استوى أقرارها وجودها
ملتزم إلى أن المعاصي لم يكن
الا بتقدير الإله وجودها
لو صح ذا كان الإله يزعمكم
منع الشرعة أن تقام حدودها
حاشا وكلا أن يكون هنا
ينهى عن الفحشاء ثم يريد

وله قصيدة سماها « الجوهريّة في الرد على
القدرة » . وجدد الجامع الذي بالقرافة
الكبرى ، ووقف ناحية بلبس : على أن يكون
ثلثاها على الأشراف من بنى حسن وبنى حسين
ابن على بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وسبع
قرايط منها على أشراف المدينة النبوية ،
وجعل فيها قيراطا على بنى معصوم إمام مشهد
على رضي الله عنه .

ولما ولى الوزارة مال على المستخدمين
بالدولة وعلى الأمراء ، وأظهر مذهب الامامية
وهو مخالف لمذهب القوم ، وباع ولايات
الأعمال للأمراء بأسعار مقررة ، وجعل مدة كل
متول سنة أشهر . فتضرر الناس من كثرة تردد
الولاة على البلاد ، وتعبوا من ذلك . وكان له
مجلس في الليل يحضره أهل العلم ويدونون
شعره ، ولم يترك مدة أيامه غزو الفرنج

ومسير الجيوش لقتالهم في البر والبحر ، وكان يخرج البعوث في كل سنة مرارا .

وكان يحمل في كل عام الى اهل الحرمين مكة والمدينة من الاشراف سائرا ما يحتاجون اليه من الكسوة وغيرها . حتى يحصل اليهم الواح الصيان التي يكتب فيها ، والأقلام والمداد وآلات النسا ، ويحمل كل سنة الى العلويين الذين بالمشاهد جملا كبيرة . وكان اهل العلم يقدمون اليه من سائر البلاد ، فلا يخبى أمل قاصد منهم .

ولما كان في الليلة التي قتل صبيحتها قال : في هذه الليلة ضرب في مثلها أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه . وأمر بقربة ممتلئة ، فاغتسل وصلى على رأى الامامية مائة وعشرين ركعة احيا بها ليله ، وخرج ليركب ، فعثر وسقطت عصاه عن راسه وتشوش .

فقمعد في دهليز دار الوزارة ، وأمر باحضار ابن الضيف — وكان يتعمم للخلفاء والوزراء وله على ذلك الجارى الثقيل — فلما أخذ في اصلاح العمامة ، قال رجل للصالح : نفيذ بالله مولانا ، ويكفيه هذا الذى جرى أمرا يتطير منه ، فان رأى مولانا أن يؤخر الركوب فعل .

فقال : الطيرة من الشيطان ، ليس الى تأخير الركوب سبيل .

وركب فكان من ضربه ما كان ، وعاد محمولا ، فمات منها كما تقدم .

ذكر الأحباس وما كان يعمل فيها

اعلم أن الأحباس في القديم لم تكن تعرف الا في الرباع وما يجرى مجراها من الجبالى ،

وكلها كانت على جهات بر . فلما المسجد الجامع العتيق بمصر ، فكان يلى امامته فى الصلوات الخمس ، والخطابة فيه يوم الجمعة والصلوة بالناس صلاة الجمعة ، أمير البلد : فتارة يجمع للامير بين الصلاة والخراج ، وتارة يفرد الخراج عن الامير ، فيكون الامير اليه أمر الصلاة بالناس والحرب ، وآخر أمر الخراج وهو دون مرتبة أمير الصلاة والحرب . وكان الامير يستخلف عنه فى الصلاة صاحب الشرطة اذا شغله أمر .

ولم يزل الأمر على ذلك الى أن ولى مصر عتبة بن اسحاق بن شمر ، من قبل المستنصر ابن المتوكل ، على الصلاة والخراج . فقدمها لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وأقام الى مستهل رجب سنة اثنتين وأربعين ومائتين وصرف . فكان آخر من ولى مصر من العرب ، وآخر أمير صلى بالناس فى المسجد الجامع ، وصار يصلى بالناس رجل يرزق من بيت المال ، وكذلك المؤذنون ونحوهم .

وأما الأراضى فلم يكن سلف الأمة من الصحابة والتابعين يتعرضون لها ، وانما حدث ذلك بعد عصرهم . حتى ان أحمد بن طولون لما بنى الجامع والمارستان والسقاية ، وجس على ذلك الأحباس الكثيرة ، لم يكن فيها سوى الرباع ونحوها بمصر ، ولم يتعرض الى شئ من أراضى مصر البتة . وجس أبو بكر محمد بن على الماردانى بركة الحبش وسيوط وغيرها على الحرمين وعلى جهات بر ، وجس غيره أيضا .

(٥) من ٢٩٤ ، ج ٢ ، ط ٠ بولاق .

فلما قدمت الدولة الفاطمية من القرب الى مصر ، بطل تعيين البلاد ، وصار قاضى القضاة يتولى أمر الأحباس من الرباع ، واليه أمر الجوامع والمشاهد ، وصار للأحباس ديوان مفرد . وأول ما قدم المعز أمر فى ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة بحمل مال الأحباس من المودع الى بيت المال الذى لوجوه البر ، وطولب أصحاب الأحباس بالشرائط ليحملوا عليها وما يجب لهم فيها . وللنصف من شعبان ضمن الأحباس محمد بن القاضى أبى الطاهر محمد بن أحمد ، بألف ألف وخمسمائة ألف درهم فى كل سنة ، يدفع الى المستحقين حقوقهم ، ويحمل ما بقى الى بيت المال .

وقال ابن الطوير « الخدمة فى ديوان الأحباس » : وهو أوفر الدواوين مباشرة ، ولا يخدم فيه الا أعيان كتاب المسلمين من الشهود المعدلين بحكم أنها معاملة دينية ، وفيها عدة مديرين يوبون عن أرباب هذه الخدم فى ايجاب أرزاقهم من ديوان الرواتب ، وينجزون لهم الخروج باطلاق أرزاقهم .

ولا يوجب لأحد من هؤلاء خرج الا بعد حضور ورقة التعريف من جهة مشارف الجوامع والمساجد باستمرار خدمته ذلك الشهر جميعه ، ومن تأخر تعريفه تأخر الايجاب له ، وان تمادى ذلك استبدل به أو توفر ما باسمه لمصلحة أخرى . خلا جوارى المشاهد فانها لا توفر ، لكنها تنقل من مقصر الى ملازم .

وكان يطلق لكل مشهد خمسون درهما فى الشهر يرسم الماء لزوارها ، ويجرى من معاملة سواقى السبيل بالقرافة والنفقة عليها من ارتفاعه ، فلا تحلو المصانع ولا الأحواض من

الماء أبدا ، ولا يعترض أحد من الانتفاع به . وكان فيه كاتبان ومعيان .

وقال المسيحى فى حوادث سنة ثلاث وأربعمائة : وأمر الحاكم بأمر الله بأبواب المساجد التى لا غلة لها ولا أحد يقوم بها ، وما له منها غلة لا تقوم بما يحتاج اليه ... فأثبت فى عمل ورفع الى الحاكم بأمر الله . فكانت عدة المساجد على الشرح المذكور ثمانمائة وثلاثين مسجدا ، ومبلغ ما تحتاج اليه من النفقة فى كل شهر تسعة آلاف ومائتان وعشرون درهما ، على أن لكل مسجد فى كل شهر اثني عشر درهما .

وقال فى حوادث سنة خمس وأربعمائة : وقرئ يوم الجمعة ثامن عشرى صفر سجل بتجسس عدة ضياع — وهى أطيح وصول وطوخ ، وست ضياع آخر ، وعدة قياسر وغيرها — على القراء والفقهاء والمؤذنين بالجوامع ، وعلى المصانع والقوام بها ، وثقة المارستانات وأرزاق المستخدمين فيها ، وثن الأكفان .

وقال الشريف بن أسعد الجوانى : كان القضاة بمصر اذا بقى لشهر رمضان ثلاثة أيام ، طافوا يوما على المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة : يبدؤون بجامع المقس ، ثم القاهرة ، ثم المشاهد ، ثم القرافة ، ثم جامع مصر ، ثم مشهد الرأس ... لنظر حصر ذلك وقناده وعمارته وما تشعث منه ، وما زال الأمر على ذلك الى أن زالت الدولة الفاطمية .

فلما استقرت دولة بنى أيوب ، أضيفت الأحباس أيضا الى القاضى . ثم تفرقت جهات

الأحباس في الدولة التركية ، وصارت الى يومنا هذا ثلاث جهات :

الأولى تعرف بالأحباس : ويلى هذه الجهة دوايدار السلطان وهو أحد الأمراء ، ومعه فاخر الأحباس ولا يكون الا من أعيان الرؤساء وبهذه الجهة ديوان فيه عدة كتاب ومدير . وأكثر ما في ديوان الأحباس الرزق الأحبسية — وهى أراض من أعمال مصر — على المساجد والزوايا للقيام بمصالحها ، وعلى غير ذلك من جهات البر .

وبلغت الرزق الأحبسية في سنة أربعين وسبعمائة ، عندما حررها النشو فاخر الخاص في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، مائة ألف وثلاثين ألف فدان . عمل النشو بها أوراكا ، وحدث السلطان في اخراجها عن هى باسمه ، وقال : جميع هذه الرزق أخرجها الدواوين بالبراطيل ، والتقرب الى الأمراء والحكام ، وأكثرها بأيدى أناس من فقهاء الأرياف لا يدرون الفقه ، يسمون أنفسهم الخطباء ولا يعرفون كيف يخطبون ، ولا يقرأون القرآن ، وكثير منها بأسماء مساجد وزوايا معطلة وخراب . وحسن له أن يقيم شادا وديوانا يسير في التواحي ، وينظر في المساجد التى هى عامرة ، يصرف لها من رزقها النصف ، وما عدا ذلك يجرى في ديوان السلطان . فعاجله الله ، وقبض عليه قبل عمل شيء من ذلك .

الجهة الثانية تعرف بالأوقاف الحكمة بصير والقاهرة : ويلى هذه الجهة قاضى القضاة الشافعى ، وفيها ما حبس من الرباع على الحرمين وعلى الصدقات والأسرى

وانواع القرب . ويقال لمن يتولى هذه الجهة ناظر الأوقاف : فتارة ينظر أوقاف مصر والقاهرة رجل واحد من أعيان نواب القاضى ، وتارة ينظر بأوقاف القاهرة ناظر من الأعيان ويلى نظر أوقاف مصر * آخر ، ولكل من أوقاف البلدين ديوان فيه كتاب وجباة .

وكالت جهة عامرة يتحصل منها أموال جبة ، فيصرف منها لأهل الحرمين أموال عظيمة في كل سنة ، تحل من مصر اليهم مع من يثق به قاضى القضاة ، وتفرق هناك صررا ، ويصرف منها أيضا بمصر والقاهرة لطلبة العلم ولأهل السر وللفقراء شيء كثير . الا أنها اختلت وتلاشت في زمنا هذا ، وعما قليل ان دام ما نحن فيه لم يبق لها أثر البتة

وسبب ذلك أنه ولى قضاء الحنفية كمال الدين عمر بن العديم في أيام الملك الناصر فرج ، وولاية الأمير جمال الدين يوسف تدير الأمور والمملكة ، فتظاهرا معا على اتلاف الأوقاف فكان جمال الدين اذا أراد أخذ وقف من الأوقاف ، أقام شاهدين يشهدان بأن هذا المكان يضر بالجار والمار ، وأن الحظ فيه أن يستبدل به غيره فيحكم له قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم باستبدال ذلك .

وشره جمال الدين في هذا الفعل كما شره في غيره ، فحكم له المذكور باستبدال القصور العامرة والدور الجليلة بهذه الطريقة .

(*) من ٢٩٥ ج ٢ ، ط ١٠٠٠ بولاق

والناس على دين ملكهم . فصار كل من يريد بيع وقف أو شراء وقف ، سعى عند القاضى المذكور بجاء أو مال ، فيحكم له بما يريد من ذلك . واستدرج غيره من القضاة الى نوع آخر ، وهو أن تقام شهود القيمة فيشهدون بأن هذا الوقف ضار بالجار والمار ، وأن الحظ والمصلحة في بيعه أقتاضا . فيحكم قاضى شافعى المذهب ببيع تلك الأتقاضى .

واستر الأمر على هذا الى وقتنا هذا الذى نحن فيه ، ثم زاد بعض سفهاء قضاة زمنا فى المعنى ، وحكم ببيع المساجد الجامعة اذا خرب ما حولها ، وأخذ ذرية واقفها ثمن أقتاضها ، وحكم آخر منهم ببيع الوقف ودفع الثمن لمستحقه من غير شراء بدل .

فامتدت الأيدى لبيع الأوقاف حتى تلف بذلك سائر ما كان فى قرافتى مصر من التربة ، وجميع ما كان من الدور الجليلة والمساكن الأنيقة بمصر القسطة ، ومنشأة المهراتى ومنشأة الكتاب ، وزربية قوصون ، وحكر ابن الأثير ، وسويقة الموفق ، وما كان فى الحكورة من ذلك ، وما كان بالجوانية والعطوفية وغيرها من حارات القاهرة وغيرها . فكان ما ذكر أحد أسباب الخراب كما هو مذكور فى موضعه من هذا الكتاب .

الجهة الثالثة الأوقاف الأهلية : وهى التى لها ناظر خاص اما من أولاد الواقف أو من ولاية السلطان أو القاضى . وفى هذه الجهة الخوانك والمدارس والجوامع والترب ، وكان متحصلا قد خرج عن الحد فى الكثرة لما حدث فى الدولة التركية من بناء المدارس والجوامع والترب وغيرها ، وصاروا ينفردون

أراضى من أعمال مصر والشامات وفيها بلاد مكررة ، ويقيمون صورة يملكونها بها ، ويجعلونها وقفا على مصارف كما يريدون .

فلما استبد الأمير برفوق بأمر بلاد مصر ، قبل أن يتلقب باسم السلطنة ، هم بارتجاع هذه البلاد ، وعقد مجلسا فيه شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى ، وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء وغيره ، فلم يتبها له ذلك . فلما جلس على تخت الملك صار أمراؤه يستأجرون هذه التواحي من جهات الأوقاف ، ويؤجرونها للفلاحين بأزيد مما استأجروا .

فلما مات الظاهر فحش الأمر فى ذلك ، واستولى أهل الدولة على جميع الأراضى الموقوفة بمصر والشامات ، وصار أجودهم من يدفع فيها لمن يستحق ربعها عشر ما يحصل له ، والا فكثير منهم لا يدفع شيئا البتة ... لا سيما ما كان من ذلك فى بلاد الشام ، فانه استهلك وأخذ . ولذلك كان أسوأ الناس حالا فى هذه المحن التى حدثت منذ سنة ست وثمانمائة الفقهاء ، لخرب الموقوف عليهم وبيعهم ، واستيلاء أهل الدولة على الأراضى .

الجامع بجوار تربة الشافعى بالقراة

هذا الجامع كان مسجدا صغيرا . فلما كثرت الناس بالقراة الصغرى ، عندما عمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب المدرسة بجوار قبر الامام الشافعى رضى الله عنه ، وجعل لها مدرسا وطلبة ... زاد الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فى المسجد المذكور ،

ونصب به مشرا ، وخطب فيه ، وصليت الجمعة به في سنة سبع وستائة

جامع محمود بالرافدة

هذا المسجد قديم ، والخطبة فيه متجددة ، ونسب لمحمود بن سالم بن مالك الطويل ، من أجناد السرى بن الحكم أمير مصر بعد سنة مائتين من الهجرة .

قال القضاى : المسجد المعروف بمحمود ، يقال ان محمدا هذا كان رجلا جنديا من جند السرى بن الحكم أمير مصر ، وانه هو الذى بنى هذا المسجد . وذلك ان السرى بن الحكم ركب يوما ، فعارضه رجل في طريقه فكلله ووعظه بما غاظه ، فالتفت عن يمينه فرأى محمدا ، فأمره بضرب عنقه ، الرجل ، ففعل . فلما رجع محمود الى منزله تفكر وندم ، وقال : رجل يتكلم بموعظة بحق ، فيقتل يدي وأنا طائع غير مكره على ذلك ! فهلا امتعت . وكثر أسفه وبكاؤه ، وآلى على نفسه أن يخرج من الجندية ولا يعود فيها ، ولم ينم ليته من النعم والندم .

فلما أصبح غدا الى السرى فقال له : انى لم أنم في هذه الليلة على قتل الرجل ، وأنا أشهد الله عز وجل وأشهدك أنى لا أعود في الجندية ، فأسقط اسمى منهم ، وان أردت نصتى فمى بين يديك . وخرج من بين يديه ، وحنت توبته ، وأقبل على العبادة ، واتخذ المسجد المعروف بمسجد محمود وأقام فيه .

وقال ابن المتوج : المسجد الجامع المشهور بسفح المقطم : هذا الجامع من مساجد

(١) من ١١٦٦ ج ٢ ، ط ١٩٧٠

الخطبة ، وهو بسفح الجبل المقطم بالرافدة الصفرى . وأول من خطب فيه السيد الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد قاضى العسكر والمدرس بالمدرسة الناصرية الصلاحية بجوار جامع عمرو - وبه عرفت بالشرقية - وسفير الخلافة المظلمة ، وتوفى في شوال سنة خمس وخمسين وستائة ، وكان أيضا نقيب الأشراف .

جامع الروضة بقلعة جزيرة القسطنطين

قال ابن المتوج : هذا الجامع عمره السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب . وكان أمام بابه كنيسة تعرف بابن لقلق بترك اليعاقبة ، وكان بها بئر مالحه ، وذلك مما عد من عجائب مصر أن في وسط النيل جزيرة بوسطها بئر مالحه . وهذه البئر التى رأيتها كانت قبالة باب المسجد الجامع ، وانما ردمت بعد ذلك .

وهذا الجامع لم يزل بيد بنى الرداد ، ولهم نواب عنهم فيه . ثم لما كانت أيام السلطان الملك المؤيد شيخ المماليك ، هدم هذا الجامع في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، ووسعه بدور كانت الى جانبه ، وشرع في عمارته فمات قبل الفراغ منه .

جامع غين بالروضة

قال ابن المتوج : المسجد الجامع بروضة مصر يعرف بجامع غين ، وهو القديم ، ولم تزل الخطبة قائمة فيه الى أن عمر جامع المقياس ، فبطلت الخطبة منه ، ولم تزل الخطبة بطالة منه الى الدولة القاهرية . فكثرت عمار

الناس حوله في الروضة ، وقل الناس في القلعة ، وصاروا يجدون مشقة في مشيهم من أوائل الروضة .

وعمر صاحب محبى الدين أحمد ، ولد صاحب بهاء الدين على بن حنا ، داره على خوذة الفقيه نصر قبالة هذا الجامع فحسن له إقامة الجمعة في هذا الجامع لقربه منه ومن الناس ، فتحدث مع والده ، فشاور السلطان الملك الظاهر بيبرس ، فوقع منه بموقع - لكثرة ركوبه بحر النيل ، واعتناؤه بعمارة الشوالى ولعبها فى البحر ، ونظره الى كثرة الخلائق بالروضة - ورسم بإقامة الخطبة فيه مع بقاء الخطبة بجامع القلعة لقوة يتيه في عمارتها على ما كانت عليه .

فأقيمت الخطبة به في سنة ستين وستائة . وولى خطابته أقضى القضاة جمال الدين بن الفغاري ، وكان ينوب بالحيزة فى الحكم ، ثم ناب فى الحكم بمصر عن قاضى القضاة وجيه الدين البهنسى ، وكان امامه فى حال عطلته من الخطبة ، فلما أقيمت فيه الخطبة ، أضيفت اليه الخطابة فيه مع الامامة .

« غين » : أحد خدام الخليفة الحاكم بأمر الله . خلع عليه فى تاسع ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة ، وقلده سيفاً ، وأعطاه مجلا قرى ، فاذا فيه أنه لقب بقائد القواد ، وأمر أن يكتب بذلك ويسكتب به ، وركب وبين يديه عشرة أفراس بسروجها ولجمها .

وفى ذى القعدة من السنة المذكورة ، أنفذ إليه الحاكم خمسة آلاف دينار وخمسة وعشرين فرسا بسروجها ولجمها ، وقلده

الشرطتين والحصة بالقاهرة ومصر والحيزة ، والنظر فى أمور الجميع وأموالهم وأحوالهم كلها ، وكتب له سجلا بذلك فرىء بالجامع العتيق . فنزل الى الجامع بمعه سائر العسكر والخلع عليه ، وحمل على فرسين .

وكان فى سجله مراعاة أمر النيذ وغيره من المسكرات ، وتنع ذلك والتشديد فيه ، وفى المنع من عمل الفقاع وبيعه ، ومن أكل الملوخيا والسك الذى لا قشر له ، والمنع من الملاحى كلها ، والتقدم بسم النساء من حضور الجنائز والمنع من بيع المل ، وألا يتجاوز فى بيعه أكثر من ثلاثة أرمال لمن لا سبق اليه فله أن يتخذ منه مكررا فاسر ذلك الى غرة صفر سنة أربع وأربعمائة ، فصرف عن الشرطتين والحصة بمقتضى الصلوى .

فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الآخر منها ، أمر بقطع يدي كاتبه أبى القاسم على ابن أحمد الجرجاني فقطعتا جميعا . وذلك أنه كان يكتب عند السيدة الشرفة أخت الحاكم ، فانتقل من خدمتها الى خدمة غين خوفا على نفسه من خدمتها ، فخطت لذلك ، فبعث اليها يستعطفها ، ويذكر فى رقعته شيئا وقت عليه ، فارتابت منه ، فظنت أن ذلك حيلة عليها ، وأنفذت الرقعة فى طي رقعته الى الحاكم . فلما وقف عليها اشتد غضبه ، وأمر بقطع يديه جميعا فقطعتا .

وقيل بل كان غين هو الذى يوصل رقاع عقيل ، صاحب الخبر ، الى الحاكم فى كل يوم * . فيأخذها من عقيل وهى مختومة

(١) من ١١٧٠ ج ٢ ، ط ١٩٧٠

بغائه ، وبلغها لكاتبه أي القاسم الجرجاني حتى ينظر له وجه الحاكم ، فيأخذها حينئذ من كاتبه ويوقع عليها .

وكان الجرجاني يثك الختم ويقرأ الرقاع ، فلما كان في يوم من الأيام فك رقعة ، فوجد فيها طعنا على غين استلذه وقد ذكر فيها بسوء ، فقطع ذلك الموضع وأصلحه وأعاد ختم الرقعة .

فبلغ ذلك حقيلا صاحب الخبر ، فبحث إلى الحاكم يستأذنه في الاجتماع به خلوة في أمر مهم ، فآذن له ، وحدثه بالخبر ، فأمر حينئذ بقطع يدي الجرجاني فقطعتا ثم بعد قطع يديه بخمسة عشر يوما ، في ثالث جمادى الأولى ، قطعت يده في الأخرى . كان قد أمر بقطع يده قبل ذلك بثلاث سنين وشهر ، فصار مقطوع اليد .

ولما قطعت يده حلت في طوق الحاكم . فبث إليه بالأطباء ، ووصله ألف درهم وعلقة من أسفاط ثياب ، وعاده جميع أهل الدولة . فلما كان ثالث عشره أمر بقطع لسانه ، فقطع وحمل إلى الحاكم ، فسير إليه الأطباء ، ومات بعد ذلك .

جامع الأفرم

قال ابن المتوج : هذا الجامع بسفح الرصد . عمره الأمير عز الدين أيك بن عبد الله - المعروف بالأفرم - أمير جاندار الملكى الصالحى النجوى ، في شهر سنة ثلاث وستين وستائة ، لما عمر المنطرة هناك ، وعمر بجوارها زبائلا للفقراء ، وقردهم عدة تنعقد بهم

الجمعة ، وقرر اقامتهم فيه ليلا ونهارا ، وقرر كتابتهم واعادتهم على الإقامة ، وعمر لهم هذا الجامع يستخون به من السعى إلى غير . وذكر أن الأفرم أيضا عمر مسجدا ببحر الشمية ، في ثمان سنة ثلاث وتسعين وستائة ، جامعاً لهم فيه عدة مساجد

الجامع بمنشأة المهراني

قال ابن المتوج : والسبب في عمارة هذا الجامع أن القاضى الفاضل كان لهستان عظيم فيها بين ميدان اللوق رستان الخشاب الذى أكله البحر ، وكان يسير مصر والقاهرة من ثماره وأغنامه ، ولم تزل الساعة ينادون على السب « رحم الله الفاضل ياغب » إلى مدة سنين عديدة بعد أن أكله البحر

وكان قد عمر إلى جالبه جامعاً وبني حوله ، فسميت بمنشأة الفاضل ، كان خطيبه أخا الفقيه موفق الدين بن المهدي الديباجي العشالي ، وكان قد عمر بحواره داراً رستاناً وغرس فيه أشجاراً حسنة ودفع إليه فيه ألف دينار مصرية في أول الدولة الظاهرية ، وكان الصرف قد بلغ في ذلك الوقت كل دينار ثمانية وعشرين درهما ونصف درهم نقرة . فاستولى البحر على الجامع والدار والمنشأة ، وقطع جميع ذلك حتى لم يبق له أثر

وكان خطيبه موفق الدين يكنى بجوار الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن حنا ، ويردد إليه وإلى والده محيى الدين ، فوقف وضرع إليهما وقال : أكون غلام هذا الباب ويخرب جامعى . فرحمهما الصاحب وقال :



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
بولاو
سنة ١٢٧٠ هجرية

الثن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِئِي

٣٨



كتاب
التحرير

«كانت مصر هي مسقط رأسي، وطلعت أترابي، وجمع ناسي، وصفني عشيري وحماسي،
وموطن فحاصتي وحماسي، وهوى هوى الذي ربي جناسي في ذكره، وعشق ماري، فهد
تهوى الأنفس غير ذكره، لازلت منذ شذوت العالم، وآتاني ربي الفطانة والفهم، أرغب في
عرفته أخبارها، وأحب لإشراف على الاعتراف من آبارها، وأهوى مسالة الركبان عن مكان وإيرها»
نقي الدين أحمد بن علي المقرئ

جامع دير الطين

قال ابن المتوج * هذا الجامع بدير الطين في الجانب الشرقي * عمره المصاحب تاج الدين ابن المصاحب فخر الدين * ، ولد المصاحب بهاء الدين المشهور بابن حنا ، في المحرم سنة اثنتين وسبعين وستمائة * وذلك أنه لما عمر بستان المشوق ومناظره ، وكثرت اقامته بها ، وبعد عليه الجامع — وكان بجامع دير الطين ضيقا لا يسع الثامن — فعمر هذا الجامع ، وعمر فوقه طبقة يصلى فيها ، ويعتكف اذا شاء ويخلو بنفسه فيها . وكان ماء النيل في زمنه يصل الى جدار هذا الجامع .

وولى خطابته للفقير جمال الدين محمد ابن الماشطة ، ومنعه من لبس السواد لأداء الخطبة فاستمر الى حين وفاته في عاشر رجب سنة تسع وسبعمائة . وأول خطة أقيمت فيه يوم الجمعة سابع صفر سنة اثنتين وسبعين وستمائة . وقد ذكر ترجمة المصاحب تاج الدين عند ذكر رباط الآثار من هذا الكتاب .

« محمد بن علي بن محمد بن سليم بن حنا » . أبو عبد الله الوزير المصاحب فخر الدين ابن الوزير المصاحب بهاء الدين . ولد في سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وتزوج بابنة الوزير المصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى ، وناب عن والده في الوزارة ، وولى ديوان الأعباس ووزارة الصلابة في أيام الظاهر بيبرس .

(*) مر ٢٨٨ ج ٢ ، ط ٥ بولاق .

السمع والطاعة ، يدبر الله . ثم فكر في هذه البقعة التي فيها هذا الجامع الآن ، وكانت تعرف بالكوم الأحمر ، مرصدة لعمل أقمنة الطوب الآجرية ، سميت بالكوم الأحمر .

وكان المصاحب فخر الدين محمد بن المصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن حنا قد عمر منظره قبالة هذا الكوم — وهي التي صارت دار ابن صاحب الموصل — وكان فخر الدين كثير الإقامة فيها مدة الأيام المغرة ، فقلق من دخان الأقمنة التي على الكوم الأحمر ، وشكا ذلك لوالده ولصهره الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى . فأمره بتقويمه ، فقوم ما بين بستان الحلوى وبحر النيل ، وابتاعه المصاحب بهاء الدين .

فلما مات ولده فخر الدين ، وتحديث مع الملك الظاهر بيبرس في عمارة جامع هناك ، ملكه هذه القطعة من الأرض ، فعمر السلطان بها هذا الجامع ، ووقف عليه بقية هذه الأرض المذكورة في شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وجعل النظر فيه لأولاده وذريته ، ثم من بعدهم لقاضي القضاة الحنفى .

وأول من خطب فيه الفقيه موفق الدين محمد بن أبى بكر المهدوى العثماني الديباجى الى أن توفى يوم الأربعاء ثالث عشر شوال سنة خمس وثمانين وستمائة . وقد تعطلت إقامة الجمعة من هذا الجامع لخراب ما حوله وقلة الساكنين هناك ، بعد أن كانت تلك الخطة في غاية العمارة . وكان صاحبنا شمس الدين محمد بن المصاحب قد عزم على نقل هذا الجامع من مكانه ، فاخرمته المنية قبل ذلك .

سمع الحديث بالهجرة ودمشق وحدث ،
 وله شعر جيد ، ودرس بدمشق بيه صاحب
 بهاء الدين الذي كانت في زعم الساديين
 بمصر . وكان محبا لأهل البحر وصلاح .
 مؤثرا لهم . متفلسا لأحوالهم . وعمر دينا
 حيا بالقرامة الكبرى ، رتب فيه حاشية من
 الفقهاء .

ومن غريب ما يتعمد به الأرب أن الوزير
 العاصم زين الدين يعقوب بن عبد ارفع بن
 الزبير ، الذي كان بنو حنا يمدونه وغشه
 أخذوا الوزارة ، مات في ثلاث عشر ربيع
 الآخر سنة ثمان وستين وستائه بالسجن .
 فأخرج كما تخرج الأموات الطرحاء على
 الطرقات من الغرباء ، ولم يشيع جنازته أحد
 من الناس مراعاة للصاحب بن حنا .

وكان فخر الدين هذا يتزه في أيام الربيع
 بنية الدائم - وقد نصب له الخيام ، وأقيم
 المشايخ ، وبين يديه المطربون - فدخل عليه
 الشر بموت الوزير يعقوب بن الزبير ، وأنه
 أخرج إلى المقابر من غير أن يشيع جنازته أحد
 من الناس . فسر بذلك ولم يسالك نفسه ،
 وأمر المطربين فقصوه ، ثم قام على رجليه
 ورفض هو وسائر من حضره ، وأظهر من
 الفرح والخلاعة ما خرج به عن الحد ، وخلق
 على البشير بموت المذكور خلعا منية .

فلم يرض على ذلك سوى قل من أربعة
 أشهر . ومات في حادي عشر شعبان من
 السنة المذكورة ، فنجع به أبوه ، وكانت له
 جنازة عظيمة . ولما دلى في لحده ، قام شرف
 الدين محمد بن سعيد البوميرى - صاحب

البردة - في ذلك الجمع الموقور بترية ابن
 حنا من الخرفة . وأند :

به هنيئا محمد بن علي
 بجييل قدمت بين يديكما
 لم رول غونا على الدهر حتى
 علينا يد المسون عليكما
 أنت أحسن في الحياه اليا
 أحسن الله في المات اليكما

ساكني الناس ، وكان لها محل كبير من
 حضر . رحمة الله عليهم أجمعين .

وفي هذا الجامع يقول السراج الوراق :
 بنيتهم على تقوى من الله مسجدا
 وخر مباني المابدين المساجد
 قبل في طراز معلم فوق بركة
 على حننا الزاهي لها البحر حاسد

لها حلل حنى ولكن طرازها
 من الجامع المصور بالله واحد
 هو الجامع الاحسان والحسن الذي
 أقر له زيد وعمرو وخالد
 وقد صافحت شهب الدجى شرفاته
 فما هي بين الشهب الافراقد
 وقد أرشد الضلال على مناره
 فلا حائر عنه ولا عنه حائد

ونالت نواقيس الديارات وجمة
 وخوف فلم يمدد اليهن مساعد
 فبكى عليهن البطاريق في الدجى
 وهن لديهم ملقيات كواسد
 بدا قشت الأيام ما بين أهلها
 مصائب قوم عند قوم فوائد

جامع الظاهر

هذا الجامع خارج القاهرة . وكان موضعه
 ميدانا ، فأنشأه الملك الظاهر ركن الدين
 بيبرس البندقدارى بجاما

قال بجامع السيرة الظاهرية : وفي ربيع
 الآخر (يعنى سنة خمس وستين وستائة)
 اهتم السلطان بعمارة جامع بالحينية ، وسير
 الأتابك فارس الدين أقطاي المستنير
 والصاحب فخر الدين محمد بن صاحب بهاء
 الدين على بن حنا وجماعة من المهندسين ،
 لكشف مكان يليق أن يعمل جامعا ، فتوجهوا
 لذلك ، وانتفقوا على مناخ الحمال السلطنة .
 فقال السلطان : لا والله لا جعلت الجامع
 مكان الحمال ، وأولى جعلته ميدانى الذى
 ألعب فيه بالكرة وهو زهنى

فلما كان يوم الخميس ثامن شهر ربيع الآخر
 وكب السلطان ، وصحبته خواصه والوزير
 العاصم بهاء الدين على بن حنا القضاة ،
 ونزل إلى ميدان قراقوش ، وتحدث في أمره ،
 وقامه ورتب أموره ، أمور بنائه ، ورسم بأن
 يكون بقية الميدان وقفا على الجامع محكرا ،
 ورسم بين يديه هيئة الجامع ، أشار أن
 يكون بابا مثل باب المدرسة الظاهرية ، وأن
 يكون على محرابه قبة على قدر قبة الشافعى
 رحمة الله عليه

وكتب في وقته الكتب إلى البلاد باحضار
 عند رخام من سائر البلاد ، وكتب باحضار
 الجمال والحوامين والأبقار والدواب من

(*) من ٢٩٦ ج ٢ ، ط ١ - بولاق

سائر الولايات ، وكتب باحضار الآلات من
 الحديد والأخشاب النقية يرسم الأبواب
 والسقوف وغيرها

ثم توجه لزيارة الشيخ العاصم خضر
 بالمكان الذى أنشأه له ، وصلى الظهر هناك ،
 ثم توجه إلى المدرسة بالقاهرة فنظها ،
 والتمها والقراء على حالهم وجلس بينهم .
 ثم تحدث وقال : هذا مكان قد جعلته لله عز
 وجل ، وخرجت عنه وقفا لله . فامت لا
 تدفنولى هنا ، ولا تفيروا معالم هذا المكان ،
 فقد خرجت عنه لله تعالى . ثم قام من ايوان
 الحنية ، وجلس بالمحراب فى اران الشافعية
 وتحدث رسمع القرآن والدعاء ورأى جميع
 الأماكن ، ودخا إلى قاعة والده الملك السعيد
 المنية قريبا منها ثم ركب إلى قلعة الجبل ،
 وولى عدة مشدين على عمارة الجامع

وكان إلى جاب الميدان قاعة ، مظرة عظيمة
 بناها السلطان الملك الظاهر . فلما رسم بناء
 الجامع ، طلبها الأمير سيف الدين قنطرة
 المحمى من السلطان فقال الأرض قد
 خرجت عما لهذا الجامع فأسأرها من ديوانه
 والبناء والأصناف وهبتك اناها . شرع فى
 العمارة فى منتصف جمادى الآخرة منها .

وفى أول جمادى الآخرة سنة ست وستين
 وستائة ، سار السلطان - ديار مصر يريد
 بلاد الشام ، فنزل على مدينة اقا ، وتسلمها
 من الفرنج بأمان ، فى يوم الأربعاء العشرين
 من جمادى الآخرة المذكور ، وسير أهلها
 فترقوا فى البلاد ، وشرع فى هدمها ، وقسم
 أبراجها على الأمراء ، فابتدا فى ذلك من ثانى
 عشره ، وقاسوا شدة فى هدمها لحصاتها

وقوة بنائها ، لاسيما القلعة فانها كانت حصنة عليه الارترفع ، ولها اساسات الى الارض الحثيثة .

وبشر السلطان اهدم بنفسه وبحواصيه وماليكه ، حتى ظنان ليوب اسى به . وكان ابتداء هدم القلعة فى سبع عشرة ، ونقضت من اعلاها نقت زلاهما واستمر الاجاد فى ذلك ليلا ونهارا ، اخذ من اخشابها جملة ومن انواع الرخام التى وجلت فيها ، ووسق منها مركبا من المراكب التى وجلت فى باو . سيرها الى القاهرة ، ورسم بان يعمل من ذلك الحشب متصورة فى الجامع الغفرى بالميدان من الحسينية ، والرخام يعمل بالحرايب ، فاستعمل كذلك .

ولما عاد السلطان الى مصر فى حادى شربى ذى الحجة منها - وقد فتح فى هذه السفرة يافا وطرابلس وانطاكية وغيرها - اودم الى ان اهلته سنة سبع وستين - متانة فلما كملت عمارة الجامع فى شوال منها ركب السلطان ، ونزل الى الجامع ومشاهده ، وراه فى غاية ما يكون من الحسن ، اعجبه نجده فى اقرب وقت ومدة مع طول المهمة فحل على مباشره - وكان الذى تولى بانه صاحب جهه الدين بن حنا ، والامير علم الدين سحر السرودى متولى القاهرة - وزار الشيخ خضرا ، وعد الى قلعة

وفى شوال منها تم عمارة الجامع القاهرى ، ورتب به خطيبا حنفى المذهب ، ووقف عليه حكر ما بقى من ارض الميدان ، ونزل السلطان اليه ، ورتب وقفه . ونظر فى اموره .

« بيرس » الملك القاهر ركن الدين البندقارى : أحد المالكين الحرية الذين احتس بهم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، وسكنهم قلعة الروضة .

كان أولا من ماليك الأمير علاه الدين أيديكن البندقارى فلما سخط عليه الملك الصالح أخذ ماليكه - ومهم الأمير بيرس هذا - وذلك فى سنة أربع وأربعين وستائة وقسمه على طائفة من الجندارية

وما زال يترقى فى الخدم الى أن قتل المزيك التركماني ، الفارس قضاى الجندار ، فى شعبان سنة اثنين وخمسين وستائة وكانت الحرية قد نعت اليه ، فركبوا فى نحو انعمائة ، فلما نعت اليهم رأس أقطاي « فوا » انتقوا على الحروح الى الشام - كانت اعيانهم يومئذ بيرس البندقارى ، وقلادون الأتقى ، وسفر الأشقر ، ويسرى ، ورامق ، وتكنز - فصاروا الى الملك الناصر صاحب الشام .

ولم يزل بيرس بلاد الشام الى أن قتل المعز أيك ، وقام من بعده ابنه المنصور على ، وقبض عليه ذله الأمير سيف الدين قنقز ، وجلس على تحت الملكة ، وتلقب بالملك المنظر ، فقدم عليه بيرس ، فأمره المنظر قنقز . ولما خرج قنقز الى ملاقة النصار ، وكان من نصرته عليهم ما كان ، رحل الى دمشق . فوشى اليه بان الأمير بيرس قد تنكر له وتغير عليه ، وأنه عزم على القيام بالحرب .

ياخوتد لا يتم لك أمر الا بعد دخولك الى القاهرة وطلوعك الى القلعة .

فركب من وقته ومعه الأمير قلاوون ، والأمير بلسان الرشيدى ، والأمير يلبك الخازندار وجماعة . يريدون قلعة الجبل . فلقبهم فى طريقهم الأمير عز الدين أيمن الحلبي ، نائب العية عن المنظر قنقز ، وقد خرج لتلقيه . فأخبروه بما جرى وحلفوه ، فتقدمهم الى القلعة ، ووقف على بابها حتى وصلوا فى الليل ، فدخلوا اليها .

ركانت القاهرة قد زنت لتقدم السلطان الملك المنظر قنقز ، وفرح الناس بكسر التار عود السلطان . فما راعهم ، وقد طلع النهار ، الا والمشاعلى يتأذى : معاشر الناس ترحبوا على الملك المنظر ، وادعوا لسلطانكم الملك القاهر بيرس . فدخل على الناس من ذلك غم شديد ورجل عظيم ، خوفا من عود البحرية الى ما كانوا عليه من الجور والفساد وظلم الناس .

فأول ما بدأ به الظاهر أنه أبطل ما كان قطر أحدثه من المظالم عند سفره - وهو تصقيع الأملاك وتقريبها ، وأخذ زكاة ثنها فى كل سنة ، وجباية دسار من كل انسان ، وأخذ ثلث الترك الأهلية - فبلغ ذلك فى السنة ستمائة ألف دينار . وكتب بذلك مسوحا قرىه على المنابر فى صيحة دخوله الى القلعة ، وهو يوم الأحد سادس عشر ذى القعدة المذكور .

وجلس بالابواب وحلف المساكر ، واستأب الأمير بدر الدين يلبك الخازندار بالديار

فأسرع قنقز بالخروج من دمشق الى جهة مصر وهو مفسر ليرس السوء ، وعلم بذلك خواصه . فبلغ ذلك بيرس ، فاستوحش من قنقز ، وأخذ كل من يحترس من لآخر على نفسه ، ويتنظر الفرصة فيأدر بيرس وواعد الأمير سيف الدين بلان الرشيدى ، والأمير سيف الدين بيلقان الرشيدى - المعروف باسم الموب - الأمير سيف الدين بيلقان الهارونى والأمير بدر الدين أنص الأصبهالى .

فلما قربوا فى مسرهم . انصرف بين الصالحة والسعدية عند الفرس ، احرف قطر عن الدرب للصد فلما فسى منه ونزه وعاد - الأمر بيرس يسار . هو أصحابه - طلب بيرس منه امره من مسى السار ، فأنعم عليه بها . فتقدم لفضل يده - كانت اشارة يبه ريس أصحابه - فعمدا رجا بيرس قد قضى على يد السلطان المنظر قنقز ، يادر الأمير بكتوب الحوكندار بضربه سيف على عاتقه أبانه ، راخطفه الأمير أنص والقاء عن فرسه الى الأرض . ورماء بهادر المعربى بهم فقتله . وذلك يوم السبت خامس عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستائة .

ومصوا الى الدهلر المتصورة . فوقع الاتفاق على الأمير بيرس ، فتقدم اليه أقطاي المستعرب الحيدار - المعروف بالأتابك - وبايعه وحلف له . ثم بقيت الأمراء ، وتلقب بالملك الظاهر وذلك بمنزلة القصير . فلما تمت البيعة ، وحلف الأمراء كلهم ، قال له الأمير أقطاي المستعرب :

(ج) من ٢٠٠ ج ٢ ، ط ٢٠٠٩

وكانت له حروب مع كثير من ملوك مصر
سنة ست وستة ، قتل فيها أكثر أصحابه ،
وفر الحكام وجناته من الأجناد ، وقد
استمر قلم يوقف له على غير . فحضر
الحاكم الى قلعة الجبل ، وياض السلطان
والنيل ، واستمر بديار مصر في سائر الكتب
وهو جند الحقاء الموجودين اليوم .

وفي سنة ست وستين قرر الظاهر بديار
مصر أربعة قلعة ، وهم شامى ومالكى
وحلى وحلبى ، فاستمر الأمر على ذلك الى
اليوم . وحدث غلاء شديد بمصر ، وحدث
آفة . فجمع السلطان القلعة وحشم ، واخذ
لحمه خبثا قتل به يومهم ، ولبس
السيد بركة خلق خبثا قتل به ، ولبس
بذلك القتل قتل قتل ، وقرق البقي
على سائر الأمراء ، ورسم لكل اسلح في
اليوم في قتل خنزير . قلم به بعد ذلك في البلد
أخذ من القتل بقال .

وفي تلك شوال سنة اثنين وستين ،
أركب السلطان ابنه السيد بركة سوار
السلطة وبنى قلعه ، وبنى القاهرة والكل
مئة بين بنية من باب النصر الى قلعة الجبل ،
وزنت البلد .

وفيه رتب السلطان لعب القبط بسيدان
العبد خارج باب النصر ، وخن الملك السيد
ومعه ألف وستة وخسة ولربيعون ميا من
أولاد القبط سوى أولاد الأمراء والأجناد ،
وأمر لكل صنف منهم بكسوة على قدره ومائة
درهم ورواق من القطن ، فكان منها عظيم ،
وأبلى فساد الثوب وجناته ، وأمر بحرق

النصارى في سنة ثلاث وستين ، فقتلهم
على أن يحلوا خسين ألف دينار ، فتركوا .
وفي سنة أربع وستين فتح قلعة صند ،
وجوز العساكر الى ميس ومقتنهم الأمير
قلاوون الأتقى ، فحضر مدينة أنطاكيا وسنة
قلاع .

وفي سنة خمس وستين ، أبطل ضمان
الحلبين من ديار مصر ، وفتح بلاد والسيف
والطاقة .

وفي سنة سبع وستين حج ، فصار على غزة
الى الكرك ومها الى المدينة النبوية ، وغسل
الكعبة بقاء الورد بينه ، ورجع الى دمشق ،
فأراق جميع الحوز ، وقدم الى مصر في سنة
ثمان وستين .

وفي سنة سبعين خرج الى دمشق .

وفي سنة إحدى وسبعين خرج من دمشق
سائقا الى مصر - ومعه يسرى ، وأقوش
الرومى ، وجوسك الخازندار ، وسنقر
الأتقى - فوصل الى قلعة الجبل ، وعاد الى
دمشق . فكان مدة غيبته أحد عشر يوما ،
ولم يعلم بغيته من في دمشق حتى حضر .

ثم خرج سائقا من دمشق يريد كس التار ،
فخاص القسرات وقدمه قلاوون ويسرى ،
وأوقع بالتار على حين غفلة ، وقتل منهم شيئا
كثيرا ، وساق حلتهم يسرى الى مروج ،
وتسلم السلطان البيرة .

ووقع بمصر في سنة اثنين وسبعين وباء
ملك به خلق كثير .

(الجمعة ٢٠ من جمادى الأولى ٨٠٥ هـ)

وفي سنة ثلاث وسبعين ، غزا السلطان
ميس ، وافتتح قلاعا عديدة .

وفي سنة أربع وسبعين ، تزوج السيد بن
السلطان بانية الأمير قلاوون ، وخرج الصكر
الى بلاد التوبة فواقع ملكهم ، وقتل منهم
كثيرا وفر بآبهم .

وفي سنة خمس وسبعين ، سار السلطان
لحرب التار . فواقعهم على الأبلستين وقد
انضم اليهم الروم ، فاهرموا وقتل منهم كثير ،
وتسلم السلطان قيسارية وزل فيها بدار
السلطان .

ثم خرج الى دمشق ، فوقع بها من اسهل
وحس مات منها يوم الخميس تاسع عشر
محرم سنة ست وسبعين وسنة ، وعمره
تحو من سبع وخسين سنة ، ومدة ملكه
سبع عشرة سنة وشهران .

وكان ملكا جلالا ، عسوقا عجولا ، كثير
الصادقات لرعيته ودواوينه ، سريع الحركة ،
قارضا مقداما . وورث من الذكور ثلاثة :
السيد محمد بركة خان وملك بعده ،
وسلامش وملك أيضا ، والمعمود خضر ، ومن
البات سبع بنات . وكان طويلا مليح
الشكل .

وفتح الله على يديه ما كان مع الفرنج :
قيسارية وأرسوف وصند وطبرية واما
والشيف وأنطاكية وبقراس والتصير وحصن
الأكراد والقرين وحصن عكا وصافيتا ومرقية
وحلبا ، وأصف الفرنج على المرقب وبانياس
وانطرموس ، وأخذ من صاحب ميس درساك

ودركوس وتلبيش وكرددين وربعان ومرزبان
وكنوك وأدنة والمصيصة .

وصار اليه من البلاد التي كانت مع المسلمين
دمشق وبعلبك وعجلون وبصرى وصرخند
والصلت وحمص وتدمر والرحبة وقل قاتر
وصهبون وبلاطيس وقلعة الكهف والقلموس
والعبيدة والحواشي والرصانة ومصيف والقلعة
والكرك والشولك ، وفتح بلاد التوبة وورقه .

وعمر الحرم النبوي وقبة الصخرة بيت
القدس ، وزاد في أوقاف الخليل عليه
السلام ، وعمر قنطرة شرامنت بالجزيرة وسور
الاسكندرية ومنار رشيد ، وروم ثم بحمر
دماط ، ووعر طريقه ، وعمر الشوانى ، وعمر
قلعة دمشق وقلعة المصيبة وقلعه بعلبك وقلعة
الصلت وقلعة صرخند وقلعة عجلون وقلعة
حصري وقلعة شيزر وقلعة حصن .

وعمر المدرسة بين القصرين بالقاهرة ،
والجامع الكبير بالحسبة خارج القاهرة ،
وحضر خليج الاسكندرية القديم وبنوه
بنفه ، وعمر هناك قرية سماها القاهرة ،
وحد بحر أشموم طناح على يد الأمير بلان
الرشيدي ، وجدد الجامع الأزهر بالقاهرة ،
وأعاد اليه الخطبة ، وعمر بلد السعيدية من
الشرقية بديار مصر ، وعمر القصر الأبيض
بدمشق وغير ذلك .

ولما مات كتم موته الأمير بدر الدين بيلك
الخازندار عن الصكر ، وجعله في تابوت
وعلقه بيت من قلعة دمشق ، وأظهر أنه
مرض ، ورتب الأطباء يحضرون على العادة ،
وأخذ العساكر والخزائن ومعه مخفة محمولة

في المركب محترمة ، وأوهم الناس أن السلطان فيها وهو مريض ، قلم يجسر أحد أن يتفوه بسوت السلطان ، وصار إلى أن وصل إلى قلعة الجبل بمصر وأصبح موته . رحمه الله تعالى .

جامع ابن اللبان

هذا الجامع بجسر النسيبية - المعروف بجسر الأفرم - عمره الأمير عز الدين أيك الأفرم ، في سنة ثلاث وتسعين وستمائة .

قال ابن المتوج : وكان سبب عمارته أنه لما كثرت الخلائق في خطة هذا الجامع ، قصد الأفرم أن يجعل خطبة في المسجد ، المعروف بسجد الجلالة ، الذي يبركة الشفاف ظاهر سور القساطل المستجد ، وأن يريد فيه ويعمره كما يختار . فسنمه الفقيه مؤتمن الدين الحارث ابن مسكين ، وردده عن غرضه .

فحسن له صاحب تاج الدين محمد بن صاحب فخر الدين محمد بن صاحب بهاء الدين على بن حنا عماره هذا الجامع في هذه البقعة لقربه منه . فعمره في شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، لكنه هدم بسببه عدة مساجد .

وعرف هذا الجامع في زماننا هذا بالشيخ محمد بن اللبان الشافعي لأقامته فيه . وأدركناه عامرا ، وقد انقطعت منه في هذه المحن إقامة الجمعة والجماعة ، لخراب ما حوله وبعد البحر عنه .

الجامع الطيرسي

هذا الجامع عمره الأمير علاء الدين طيرس الخازندار ، قيب الجيوش ، بشاطئ النيل في أرض بستان الخشاب ، وعمر بجواره خاتناه في جمادى الأولى سنة سبع وسبعمائة . وكان من أحسن متزهات مصر وأعمرها .

وقد خرب ما حوله من الحوادث والمحن التي بعد سنة ست وثمانمائة ، بعد ما كانت العساة منه متصلة إلى الجامع الجديد بمصر ، ومنه إلى الجامع الخطيري ببولاق ، ويركب الناس المراكب للفرجة من هذا الجامع إلى الجامعين المذكورين مصعدين ومنحدرين في النيل ، ويجتمع بهذا الجامع الناس للنزهة ، فتقر به أوقات ومسررات لا يسكن وصفها . وقد خرب هذا الجامع وأقفر من المساكن ، وصار مخوفا بعدما كان ملهى وملعبا ... سنة الله في الذين خلوا من قبل .

ولطيرس هذا المدرسة الطيرسية بجوار الجامع الأزهر من القاهرة .

الجامع الجديد الناصري

هذا الجامع بشاطئ النيل من ساحل مصر الجديد . عمره القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله ، ناظر الجيش ، باسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون . وكان الشروع فيه يوم التاسع من المحرم سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وانتهت عمارته في ثامن صفر سنة اثني عشرة وسبعمائة .

(٥) من ٢٠٢ ج ٤ ط. بولاق .

- كان يلقب بحرفوش ، وأمه أشلون ابنة شكاى - ولد يوم السبت النصف من المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة ، بقلعة الجبل من ديار مصر ، وولى الملك ثلاث مرات :

الأولى بعد مقتل أخيه الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، في رابع عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وعمره تسع سنين تنقص يوما واحدا . فأقام في الملك سنة إلا ثلاثة أيام ، وخلع بملوك أبيه كبغا المنصوري يوم الأربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة .

وأعيد إلى المملكة ثانيا بعد قتل الملك المنصور لاجين يوم الاثنين سادس جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وستمائة . فأقام عشر سنين وخمسة أشهر وستة عشر يوما ، وعزل نفسه وصار إلى الكرك . فولى الملك من بعده الأمير ركن الدين ييرس الجاشنكير ، وتلقب بالملك المظفر ، في يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وسبعمائة .

ثم حضر من الكرك إلى الشام وجمع الماكر . فخامر على ييرس معظم جيش مصر وانحل أمره ، فترك الملك في يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة . وطلع الملك الناصر إلى قلعة الجبل يوم عيد القنطرة من السنة المذكورة ، واستولى على ممالك مصر والشام والحجاز .

فأقام في الملك من غير منازع له فيه إلى أن مات بقلعة الجبل في ليلة الخميس الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، وعمره سبع وخمسون سنة واحد

وأقيم في خطبته قاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الشافعي ، ورتب في إمامته الفقيه تاج الدين بن مرهف . فأول ما صلى فيه صلاة الظهر من يوم الخميس ثامن صفر المذكور ، وأقيمت فيه الجمعة يوم الجمعة تاسع صفر ، وخطب عن قاضى القضاة بدر الدين ابنه جمال الدين .

ولهذا الجامع أربعة أبواب ، وفيه مائة وسبعة وثلاثون عمودا ، منها عشرة من صوان في غاية السمك والطول ، وجملة ذرعه أحد عشر ألف ذراع وخمس مائة ذراع بذراع العمل : من ذلك طوله من قبله إلى بحريه مائة وعشرون ذراعا ، وعرضه من شرقيه إلى غريه مائة ذراع ، وفيه ستة عشر شباكاً من حديد ، وهو يشرف من قبله على بستان العالمة ، وينظر من بحريه بحر النيل .

وكان موضع هذا الجامع في القديم غامرا بماء النيل ، ثم انحصر عنه النيل وصار رملة ، في زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، يمرغ الناس فيها دوابهم أيام احتراق النيل . فلما عمر الملك الصالح قلعة الروضة وحفر البحر ، طرح الرمل في هذا الموضع ، فشرع الناس في العمارة على الساحل .

وكان موضع هذا الجامع شونة . وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر الساحل الجديد بمصر ، فانظره . وما يرح هذا الجامع من أحسن متزهات مصر إلى أن خرب ما حوله . وفيه إلى الآن بقية ، وهو عامر .

«محمد بن قلاوون» السلطان الملك الناصر أبو الفتح ناصر الدين ابن الملك المنصور

عشر شهرا وخمسة أيام . وله في ولايته
الثلاثة مئة اثنين وثلاثين سنة وشهرين
وعشرين يوما . وجلة اقامته في الملك عن
المدة الثلاث ثلاث وأربعون سنة وثمانية أشهر
وسبعة أيام .

ولما مات ترك ليه ومن اتفد حتى تم الأمر
لابنه أبي بكر المنصور في يوم العيس
المذكور . ثم أخذ في جهازه ، فوضع في محفة
بعد العشاء الآخرة بساعة ، وحمل على بطن ،
وأُزيل من القلعة إلى الاصطبل السلطاني .

وسار به الأمير ركن الدين يبرس الأحمدى
أمير جاندار ، والأمير نجم الدين أيوب وإلى
القاهرة ، والأمير قطلوجا الذهبي ، وعلم دار
خوفا جار النوادر . وغبروا به إلى القاهرة
من باب النصر ، وقد غلفت الحوائط كلها ،
وضم الناس من الوقوف للنظر إليه ، وقدم
للحفة شجرة واحدة في يد علمدار فلما دخلوا
به من باب النصر ، كان قدماه مرسجة في يد
شاب وشجرة واحدة ، وغبروا به للمدرسة
المنصورة بين القصرين ليدفن عند أبيه الملك
المنصور قلاوون .

وكان الأمير علم الدين سنجر الجاولي ،
فاخر المارستان ، قد جلس ومعه القضاة الأربعة
وشيخ الشيوخ ركن الدين شيخ خاتقاه
سرداقوس ، والشيخ ركن الدين عمر ابن
الشيخ ابراهيم الجعبرى . فحطت المحفة
وأخرج منها ، فوضع بجانب القسفة التي
بالتبة ، وأمر ابن أبي الطاهر منسل الآتوات
بتفيله ، فقال : هذا ملك ، ولا تفرد بتفيله
إلا أن يقوم أحد منكم ويجرده على الدكة ،

١٥١ من ٢٠٤ ج ١ ، ص ١٧٧ .

فأنى أخشى أن يقال كان معه فص أو خاتم أو
في عنقه خرزة

فقام قطلوجا الذهبي وعلمدار ، وجرداه مع
القاسل من ثيابه . فكان على رأسه قبع أبيض
من قطن ثيابه ، وعلى يده بظفاق صدر أبيض
وسراويل قزعا ، وترك القميص عليه وغسل
به ، ووجد في رجله الموجوعة بحشان
مفتوحان . ففصل من فوق القميص ، وكفن في
نصفية ، وعلت له أخرى طراحة ومحددة ،
ووضع في تابوت من خشب ، وصلى عليه
قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد
ابن جماعة الشافعى بن حضر .

وأُزيل إلى قبر أبيه في سحلية من خشب قد
ربطت بحبل ، وأُزيل معه إلى القبر القاسل
والأمير سنجر الجاولي ، ودفع إلى القاسل
ثلاثمائة درهم ، فباع ما ثابه من الثياب بثلاثة
عشر درهما سوى القبع فانه فقده ، وذكر
القاسل انه كان محنكا بخزقة معقدة بثلاث
عقد .

فبحان من لا يحول ولا يزول ... هذا
ملك أعظم المنصور من الأرض مات غريبا ،
وغسل طريحا ، ودفن وحيدا . ان في ذلك
لعبرة لأولى الألباب .

وفى ليلة السبت قرأ القراء عند القبر بالتبة
القرآن ، وحضر بعض الأمراء .

وترك من الأولاد اثني عشر ولدا ذكرا ،
وهم : أحمد وهو أسنهم ، وكان بالكرك ،
وأبو بكر وتسلطن من بعده ، وشقيقه
رمضان ، ويوسف واسماعيل وتسلطن أيضا ،
وشعبان وتسلطن ، وحسين ، وكجك

وتسلطن ، وأمير حاج ، وحسن - ويمنى
قمارى - وتسلطن ، وصالح وتسلطن ،
ومحمد . وترك من النيات ثمانية متزوجات ،
سوى من خلف من الصفار . وخلف من
الزوجات جاريته طقاي ، وابنة الأمير تسكر
قائب الشام .

ومات وليس له نائب بديار مصر ، ولا
وزير ، ولا حاجب متصرف . سوى أن
برسغا الحاجب تحكم في متعلقات أمور
الاقطاعات وليس معه عصا الحجوية ، ويدير
الدين بكباشي لقب الجيوش ، وأقفا عند
الواحد أستاذار السلطان مقدم المماليك ،
ويبرس الأحمدى أمير حاندار ، ونجم الدين
أيوب وإلى القاهرة ، وحمال الدين حمال
الكفاه فاخر الجيوش ، والموفق فاخر الدولة ،
وصارم الدين أربك شاد الدواوير ، وعز
الدين عبد العزيز بن جماعة قاضى القضاة بديار
مصر .

وقائب دمشق الأمير الطنبغا ، قائب
الأمير طشتر حمص أخضر وقائب طرابلس
الحاج أرقطاي ، وقائب صفد الأمير أصلم ،
وقائب غزة الأمير آق سنقر السلاوى ،
وصاحب حمص الملك الأفضل ناصر الدين
محمد بن المؤيد اسماعيل .

والأمراء مقدمو الألف بديار مصر يوم
وفاته خمسة وعشرون أميرا وهم . بدر الدين
جنكلى ابن البابا ، والحاج آل ملك ، ويبرس
الأحمدى ، وعلم الدين سنجر الجاولي ،
وسيف الدين كوكاي ، ونجم الدين محمود
وزير بغداد ... هؤلاء برانية كبار .

والساقى مماليكه وخواصه ، وهم : ولده
الأمير أبو بكر ، والأمير قوصون ، والأمير
بشاك ، وطقزدمر ، وأقيفا عبد الواحد
الأستاذار ، وأندغشى أميراخور ، وقطلوجا
الفخرى ، ويلغا اليحياوى ، وملسكر
الحجازى ، والطنبغا الماردانى ، وبصار
الناصرى ، وآق سنقر الناصرى ، وقمارى
الكبير ، وقمارى أمير شكار ، وطرغاي ،
وأرتبغا أمير جاندار ، وبرسغا الحاجب ،
وبلدغى ابن العجوز أمير سلاح ، ويغرا .

وكان السلطان أبيض اللون ، قد وخطه
السيب ، وفى عينيه حول ، رحله اليمنى
ريح شوكة تنفص عليه أحيانا وتثوله ، وكان
لا يكاد يمس بها الأرض ، ولا يمشى الا متكئا
على أحد أو متوكئا على شيء ، ولا يصل إلى
الأرض الا أطراف أصابعه . وكان شديد
البأس ، جيد رأى ، يتولى الأمور بنفسه ،
ويجود لخواصه .

وكان مهابا عند أهل مملكته ، بحيث أن
الأمراء اذا كانوا عنده بالخدمه لا يجسر أحد
أن يكلم آخر كلمة واحدة ، ولا يلتفت بعضهم
إلى بعض خوفا منه . ولا يمكن واحدا منهم
أن يذهب إلى بيت أحد البتة ، لا فى وليمة
ولا غيرها ، فان فعل أحد منهم شيئا من ذلك
قبض عليه ، وأخرجه من يومه منيا .

وكان مسددا عارفا بأمور رعيته وأحوال
مملكته ، وأبطل فاية السلطة من ديار مصر
من سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، وأبطل
الوزارة ، وصار يتحدث بنفسه فى الجليل
من الأمور والحقير ، ويسنجلب خاطر كل

أحد من صغير وكبير ... لا سيما حوائيه .
فذلك عظم حاشية الملكة وأتباع السلطة ،
وتفولوا في السم الجريئة ، حتى الحولة
والكلابزية والأسرى من الأرمن والفرنج ،
وأعلى البازدارية الأخاز في الحلقة : فمنهم
من كان أقطاعه آلاف ديار في السنة ، وزوج
عدة منهم بجزائره ، وأقنى خلقا كثيرا من
الأمراء بلغ عددهم نحو المائتي أمير

وكان إذا كبر أحد من أمرائه ، قبض عليه
وسلب نفسه ، وأقام بدله صغيرا من ساليكه
إلى أن يكبر ، فيسكه وقيم غيره ... ليأمن
بذلك ثمرهم . وكان كثير التخليل حارما ، حتى
أنه إذا تخليل من إبه قتله .

وفي آخر أيامه شره في جمع المال ، فصادر
كثيرا من الدواوين والولاية وغيرهم ، ورمى
البضائع على التجار حتى خاف كل من له مال .
وكان مخادعا كثير الحيل ، لا يقف عد قول ،
ولا يوف بعهده ، ولا ير في عين .

وكان محبا للمصاراة . عبر عدة أماكن ، منها
جامع قلعة الجبل وهدمه مرتين ، وعمر القصر
الأبلى بالقلعة ومعظم الأماكن التي بالقلعة ،
وعمر المجرى الذي ينقل الماء عليه من بحر
النيل إلى القلعة على السور ، وعمر الميدان
تحت القلعة ، ومتنظر الميدان على النيل .

وعمر قاطر السباع على الخليج ، ومنتظر
مرقاوس والخانقاه بسراقوس ، وحفر
الخليج الناصري بظاهر القاهرة ، وعمر الجامع
الجديد على شاطئ النيل بظاهر مصر ، وجدد
جامع القبة الذي بالرصد ، والمدسة الناصرية

(١٤) مرة ٢٠ ج ١ ، طه بولاق .

من القصرين من القاهرة ، وغير ذلك مما يرد
في موضعه من هذا الكتاب .

وما زال يصير منذ عاد إلى ولاية الملك في
المرة الثالثة إلى أن مات . وبلغ مصروف
المصاراة في كل يوم من أيامه سبعة آلاف درهم
قصة : عنها ثلثمائة وخمسون ديارا ... سوى
من يسخره من المقيدين وغيرهم في عمل
ما يصيره .

وحفر عدة من الخجالات والترع ، وأقام
الجور بالبلاد ... حتى أنه كان ينصرف من
الأخاز على ذلك ربع متحصل الاقطاعات .
وحفر خليج الاسكندرية ، وبهر المخلة مرتين ،
وبهر اللينى بالجيزة ، وعمل جسر شيبين ،
وعمل جسر أحباس بالشرقية والقليوبية مدة
ثلاث سنين متوالية فلم ينجع ، فأنشأ بنيانا
بالطوب والجير ، وأنفق فيه أموالا عظيمة .

وراك ديار مصر وبلاد الشام .

وعرض الجيش بعد حضوره في سنة اثنتي
عشرة وسبعمائة ، وقطع ثمانمائة من الجند ،
ثم قطع في مرة أخرى ثلاثة وأربعين جنديا في
سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ثم قطع خمسة
وستين أيضا في رمضان سنة إحدى وأربعين
وسبعمائة قبل وفاته بشهرين .

وفتح من البلاد جزيرة أرواد في سنة اثنتين
وسبعمائة ، وفتح ملطية في سنة خمس عشرة
وسبعمائة ، وفتح أناس في ربيع الأول سنة
ثلاث وعشرين وسبعمائة وخربها ، ثم عمرها
الأرمن . فأرسل إليها جيشا فأخذها ، ومنها
عدة بلاد من بلاد الأرمن ، في سنة سبع

وثلاثين وسبعمائة ، وأقام بها نائبا من أمراء
حلب .

وعمر قلعة جبر بعد أن دثرت ، وضربت
السكة باسمه في شوال سنة إحدى وأربعين
وسبعمائة قبل موته ... تولى ذلك الشيخ
حسن بن حسين ، بحضور الأمير شهاب الدين
أحمد قرب السلطان ، وقد توجه من مصر
بهذا السبب . وخطب له أيضا في أرتنا ببلاد
الروم ، وضربت السكة باسمه ، وكذلك بلاد
ابن قرمان وجبال الأكراد وكثير من بلاد
الشرق .

وكان من الذكاء المفرط على جانب عظيم .
يعرف مناليك أيه وماليك الأمراء بأسمائهم
ووقائعهم ، وله معرفة تامة بالخيال وقيمه ،
مع الحشمة والسيادة ... لم يعرف عنه قط أنه
شتم أحدا من خلق الله ، ولا سفه عليه ، ولا
كله بكلمة سيئة ، وكان يدعو الأمراء أرباب
الأشغال بالقابهم .

وكانت همته عالية ، وسياسته جيدة ،
وحرمة عظيمة إلى الغاية ، ومعرفة بهيادنة
الملوك لا مرمى وراءها ... يبذل في ذلك من
الأموال ما لا يوصف كثرة ، فكان كتابه ينفذ
أمره في سائر أقطار الأرض كلها . وهو مع
ما ذكرنا مؤيد في كل أموره ، مظفر في جميع
أحواله ، مسعود في سائر حركاته ، ما عانده
أحد أو أضمر له سوءا إلا وتدم على ذلك أو
هلك .

واشتهر في حياته بديار مصر أنه إن وقعت
قطرة من دمه على الأرض لا يطلع نيل مصر
مدة سبع سنين . فتمتع الله من الدنيا بالسعادة

العظيمة في المدة الطويلة ، مع كثرة الطمأنينة
والأمن ، وسعة الأموال . واقتنى كل حسن
ومتحسن من الخيل والغلان والجواري ،
وساعده الوقت في كل ما يحب ويختار إلى أن
أتاه الموت .

الجامع بالشهد النفيسى

قال ابن المتوج : هذا الجامع أمر بإنشائه
الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فعمر في
شهور سنة أربع عشرة وسبعمائة ، وولى
خطابته علاء الدين محمد بن نصر الله بن
الجوهري شاهد الخزانة السلطانية ، وأول
خطبته فيه يوم الجمعة ثامن صفر من السنة
المذكورة ، وحضر أمير المؤمنين المستكفى
بالله أبو الربيع سليمان وولده وابن عمه ،
والأمير كهرداس متولى شد العائز السلطانية
وعسارة هذا الجامع ورواقاته والفسقية
المستجدة .

وقيل إن جميع المصروف على هذا الجامع
من حاصل المشهد النفيسى ، وما يدخل إليه
من النذور ومن الفتوح .

جامع الأمير حسين *

هذا الجامع كان موضعه بستانا بجوار غيط
العدة . أنشأه الأمير حسين بن أبى بكر بن
اسماعيل بن حيدر بك مشرف الرومى . قدم
مع أبيه من بلاد الروم إلى ديار مصر في سنة
خمس وسبعين وستائة ، وتخصص بالأمير
حسام الدين لاجين النصارى قبل سلطنته ،

(١٥) مرة ٢٠ ج ١ ، طه بولاق .

فكانت له منه مكانة مكننة ، وصار أمير شكار ، وكان فيه بر ، وله صدقة ، وعنده تفقد لأصحابه .

وأنا أيضا القطرة المعروفة بقطرة الأمير حين على خليج القاهرة ، ونج خوخة في سور القاهرة بجوار الوزارة ، وبنى عليه من أجل فتحها ما قد ذكر عند ذكرها في الخوخ من هذا الكتاب ، ووفقى في سابع المحرم سنة تسع وعشرين وسبعمائه ، ودفن بهذا الجامع .

جامع الماس

هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة بناء الأمير سيف الدين الماس الحاجب ، وكمل في سنة ثلاثين وسبعمائه .

وكان الماس هذا أحد مسالك الناصر محمد ابن قلاوون ، فرماه الى أن صار من أكبر الأمراء ، ولما أخرج الأمير أغون الى نيابة حلب ، وبقي منصب النيابة شاغرا ، عظمت منزلة الماس ، وصار في منزلة النيابة الا انه لم يسم بالنائب ، ويركب الأمراء الأكابر الأصاغر في خدمته ، ويجلس في باب القلة من قلعة الجبل في منزلة النائب ، والحجاب وقوف بين يديه .

وما برح على ذلك حتى توجه السلطان الى الحجاز في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائه . فتركه في القلعة هو والأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك ، والأمير أقبا عبد الواحد ، والأمير طشتر حص أخضر ... هؤلاء الأربعة لا غير ، وبقية الأمراء اما معه في الحجاز واما

في اقطاعهم ، وأمرهم ألا يدخلوا القاهرة حتى يحضر من الحجاز

فلما قدم من الحجاز تقم عليه ، وأمسكه في صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائه . وكان لغضب السلطان عليه أسباب : منها أنه لما أقام في غية السلطان بالقلعة كان يرسل الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك وبواده ، ويدب منه في مدة الغيبة أمور فاحشة من معايرة النياب ومن كلام في حق السلطان ، فوشى به أقبا .

وكان مع ذلك قد كثر ماله وزادت سعادته ، فهوى شابا من أبناء الحلبية يعرف بعمير ، وكان يزل اليه ربيع الأورانية ، ويحضر الشباب ويشرب ... فحرك ذلك عليه ما كان ساكنا . ويقال ان السلطان لما مات الأمير بكتر الساقى ، وجد في تركه جزدان فيه جواب الماس الى بكتر الساقى « اتى حافظ القلعة الى أن يرد على منك ما أعتمده » .

فلما وقف السلطان على ذلك أمر النشوبين هلال الدولة ، وشاهد الخزانة ، بايقاع الحوطة على موجوده فوجد له مسمائة ألف درهم فضة ، ومائة ألف درهم فلويا ، وأربعة آلاف دينار ذهبيا ، وثلاثين حياصة ذهبيا كاملة بكنياتها وخلعها وجواهر وتخفا .

وأقام الماس عند أقبا عبد الواحد ثلاثة أيام ، وقتل خنقا بمجسه في الثاني عشر من صفر سنة أربع وثلاثين وسبعمائه ، وحمل من القلعة الى جامعة فدفن به ، وأخذ جميع ما كان في داره من الرخام فقلع منها ، وكان رخاما فاخرا الى الغاية . وكان أسير طوالا ،

غريبا لا يفهم شيئا بالعربى ، سادحا يحلس في بيته فوق لباد على ما اعتاده

وبهذا الجامع رخام كثير نقله من جزائر البحر وبلاد الشام والروم .

جامع قوصون

هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة . ابتدأ عمارته الأمير قوصون في سنة ثلاثين وسبعمائه . وكان موضعه دارا بحوار حارة المصامدة من جانبها الغربى تعرف بدار أقوش نيلة ، ثم عرفت بدار الأمير جمال الدين قتال السبع الموصلى ، فأخذها من ولده وهدمها .

وتولى بناءه شاد العماثر ، واستعمل فيه الأسرى . وكان قد حضر من بلاد توريز بثناء ، فبنى مئذنتى هذا الجامع على مثال المئذنة التى عملها خواجا على شاد وزير السلطان أبى سعيد ، فى جامع بمدينة توريز .

وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ثلاثين وسبعمائه ، وخطب يومئذ قاضى القضاة جلال الدين القزوينى بحضور السلطان . ولما انقضت صلاة الجمعة أركبه الملك الناصر بغلة بخلعة سية ، ثم معه السلطان الملك الناصر أن يستقر فى خطاته ، فولى فخر الدين شكر

« قوصون » الأمير الكبير سيف الدين . حضر من بلاد بركة الى مصر صحة خوند انة أزبك ، امرأة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فى ثالث عشر ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائه ، ومعه قليل عصى وطسما ونحو ذلك مما قيمته خمسمائة درهم ، ليتجر فيه .

نطاف بذلك فى أسواق القاهرة وتحت القلعة ، وفى داخل قلعة الجبل

فاتفق فى بعض الأيام أنه دخل الى الاصبل السلطانى ليبيع ما معه فاجبه بعض الأوشاقية - وكان صيا جميلا طويلا ، له من العمر ما يقارب - الثمانى عشرة سنة - فصار يردد الى الأوشاقى الى أن رآه السلطان فوق منه بسوق ، فسأل عنه ، فعرف بأنه يحضر لبيع ما معه ، وأن بعض الأوشاقية تولع به فأمر بأحضاره اليه ، وابتاع منه نفسه بصير من جملة الممالك السلطانية ، فنزله من جملة السقاة ، وشغف به وأجبه حبا كثيرا

فأسلمه للأمير بكتر الساقى ، وجعله أمير عشرة ، ثم أعطاه امرأة طبلخانا ، ثم جعله أمير مائة مقدم ألف ، ورقاه حتى بلغه أعلى المراتب . فأرسل الى البلاد ، وأحضر اخوته سوسون وغيره من أقاربه ، وأمر الجميع واختص به السلطان بحيث لم يزل أحد عنده ما قاله ، وزوجه بابنته ، وتزوج السلطان اخته فلما احتضر السلطان جعله وصيا على أولاده ، وعهد لابنه أبى بكر ، فأقيم فى الملك من بعده

وأخذ قوصون فى اسباب السلطنة ، وخلق أبا بكر المنصور بعد شهرين ، وأخرجه الى مدينة قوص بلاد الصعيد ثم قتله ، وأقام كجك ابن السلطان وله من العمر خمس سنين ، ولقبه بالملك الأشرف ، وتقلد نسبة السلطنة بديار مصر ، فأمر من حاشيته وأقاربه سنين أميرا ، وأكثر من العطاء وبذل الأموال والأنعام ، فصار أمر الدولة كله بيده .

(*) من ٢٠٧ ج ٢ ، ط ١ ، بولاق .

هذا ونحمد ابن السلطان الملك الناصر
مقيم مدينة الكرك . فحلقه قوصون ، أخذ
في التمسير عليه ، فلم يتم له ما أراد من ذلك ،
وحرك على نفسه ما كان ساكنا . فطلب أحد
الملك لنفسه ، وكاتب الأمراء . ألجأ بالملكة
الشمسية والمصرية ، فادعوا له .

وكان يصبر من الأمراء الأسرى ،
والأمير آل ملك ، قسري ، والمارداني
وغيرهم . فتحيل قوصون منهم ، أخذ في
أسباب القبض عليهم . فملوا بذلك رخاوا
العتق ، فركبوا الحره . وصرود . بقلعة الجبل
حتى قبضوا عليه في ليلة الأربعاء . آخر شهر
رجب سنة اثنين وأربعين . وسبعا ، رغب
داره وسائر دور حوائيه وأسيابه . رحل إلى
الاسكندرية صحة الأمير قلاي قتل بها .

وكان كريما : فغرق في كل سنة للاضحية
ألف رأس غنما . ثلثة بقرة ، هرق ثلاثين
حياسة ذعبا ، وغرق كل سنة عنه أملاك فيها
ما يبلغ ثمة ثلاثين ألف درهم . وله من الآثار
بنيو مصر - سوى هذا الجامع - الخاقاه
باب القراقه ، والجامع بجاهها ، وداره التي
بالرمية تحت القلعة تجا . ب السلة ،
وحكر قوصون

جامع المارداني

هذا الجامع بجوار خط النيابة خارج باب
زورقة ، كان مكانه . لا مقابر أهل القاهرة ،
ثم صر لما كان قلا كان في سنة ثمان وثلاثين
وسبعمائة ، أخذت الأماكن من أربابها ، وتولى
شراها التتو فلم يصف في أبنائها وهدمت ،
وبنى مكانها هذا الجامع .

فبلغ مصروفه زائدة على ثلثة آلاف درهم
عنها نحو خمسة عشر ألف دينار . سوى ما
حل إليه من الأحساب والرخام وغيره من جهة
السلطة ، وأخذ ما كان في جامع راشدة من
العمد فعملت فيه ، وجاء من أحسن الجوامع .

وأول خطبة أقيمت فيه ررم الجمعة رابع
عشر رمضان سنة أربعين . سبعا ، وخطب
فيه الشيخ ركن الدين سر بن إبراهيم
الجمري ولم يتأثر معلوما .

« ألقبا للمارداني السابق » . أمر الملك
الناصر محمد بن قلاوون ، وقدمه وزوجه
إليه . فلما مات السلطان ، تولى بعده ابنه
الملك المنصور أبو بكر ، ذكر أنه وشى بأمره
إلى الأمير قوصون وقال : قد عزم على
إسلاكك . فتحيل قوصون وخلق أبا بكر وقتله
بقوص ... هذا مع أن القضا كان قد عظم عند
للمصور أكثر مما كان عند أبيه .

فلما أقيم الأشرف كجك ، رماح الناس ،
وحضر الأمير قطلوفا من الشام ، وشعب
الأمراء على قوصون . كان القضا أصل
ذلك كله . ثم نزل إلى الأمير أسدغش
أمير اخور ، واتفق معه على أن يقبض على
قوصون ، وطلع إلى قوصون وشاغله . وخذله
عن الحركة طول الليل . الأمراء الكبار المشايخ
عنده ، وما زال يساهر . حتى دام . وكان من
قيام الأمراء . وركبهم عليه ما كان إلى أن
أسك ، وأخرج إلى الاسكندرية .

ولما قدم الطيغا نائب الشام وأقام ، تقدم
المارداني وقبض على سيفه ، ولم يجسر غيره
على ذلك ، فتوت هذه الحركات نفسه ،

وصار يقفه فوق أشر تاشي وهو أعنه .
فشق ذلك عليه ، وكنم في نفسه إلى أن ملك
الصالح اسماعيل ، فتمكن حينئذ أشر تاشي ،
وصار الأمر له ، وعسل على المارداني ، فلم
يشعر بنفسه إلا وقد أخرج على خسر أروؤس
من خيل البريد إلى نيابة حماة في شهر ربيع
الأول سنة ثلاث وأربعين .

فسار إليها وبقى فيها نحو شهرين إلى أن
مات أسدغش نائب الشام ، ونقل متقدما
من نيابة حلب إلى نيابة دمشق . فقتل المارداني
من نيابة حماة إلى نيابة حلب ، وصار إليها في
أول رجب من السنة المذكورة ، وجاء الأمير
يلغا اليحياوي إلى نيابة حماة . فأقام المارداني
يسيرا في حلب ومرض ، ومات مستهل صفر
سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

وكان شابا ضويلا رفيقا . نحو الصورة
لطيفا . معشق الخضره كريما ، نائب القدس
عقلا . *

جامع أصلم

هذا الجامع داخل الباب المحروق . أنشأه
الأمير بهاء الدين أصلم السلاحدار في سنة
ست وأربعين وسبعمائة .

« أصلم » : أحد ممالك الملك المنصور
قلاوون الأتقي . فلما فرقت الممالك السلطانية
في نيابة كسبا ، بعد قتل الملك الأشرف خليل
ابن قلاوون وسلطنة الناصر محمد بن قلاوون ،
كان أصلم من نصيب الأمير سيف الدين
أقوش المنصوري ، ثم انتقل إلى الأمير سلاو .

(١٤٨) ٢٠٨ ج ١ ، طبع بولاق .

فلما حضر الملك الناصر محمد من الكرك ،
بعد سلطنة بيرس الجاشنكير ، خرج إليه
أصلم بنسجا الملك ، وبشره بهروب بيرس .
فأنعم عليه بأمره عشرة ، ثم تنقل إلى أن صار
أمير مائة مقدم آف ، وخرج في التجريدة إلى
اليمن ، فلما عاد اغتله السلطان خسر سنين
لكلام قل عنه ، ثم أخرجه وأعادته إلى منزله ،
ثم جهزه لنيابة صفد .

ومات الناصر وأصلم بصدد . فخرج الأمير
قوصون مع الطيغا نائب الشام إلى حلب
لإسلاك طشتر ، فسار إلى قاري ، ثم رجع
واقضم إلى القري ، وأقام عنده على خان
لاجين ، وتوجه معه صحبة عساكر الشام إلى
مصر ، فرسم له الملك الناصر أحمد بن محمد
ابن قلاوون بأمره مائة في مصر على عادته .

وكان أحد المشايخ ، ويجلس رأس الحلقة ،
ويجيد رمي الشباب ، مع سلامة صدر وخير ،
إلى أن مات في يوم السبت عاشر شعبان سنة
سبع وأربعين وسبعمائة .

وأنشأ بجوار هذا الجامع داره سنية
وحوض ماء لليل . وبهذا الجامع درس ،
وله أوقاف ، وهو من أحسن الجوامع .

جامع بشتاك

هذا الجامع خارج القاهرة بخط قبو
الكرمانى على بركة النيل . عمره الأمير بشتاك
فكسل في شعبان سنة ست وثلاثين وسبعمائة ،
وخطب فيه تاج الدين عبد الرحيم ابن قاضي
القضاة جلال الدين القزويني في يوم الجمعة
سابع عشره . وعمر تجاهه خاقاه على الخليج

الكبير ، ونصب بينهما ساباطا يتوصل به من أحدهما الى الآخر .

وكان هذا الخط يسكنه بجماعة من الفريج والأقباط ، ويرتكبون من المباح ما يلبس بهم . فلما عمر هذا الجامع ، وأعلن منه بالأذان وإقامة الصلوات ، انصارت قلوبهم لذلك ، وتحولوا من هذا الخط وهو من أبهج الجوامع ، أحسها رخاها وأنزهها ، وأدركناه إذا قوت زيادة ماء حول فاضت بركة الفل وغرقته ، فيصير لجة ما ، لكن منذ انصر ماء النيل عن البلد الى جهة الغرب بطل ذلك .

وله من الآثار سوى ذلك قصر بشتاك بن القصرين . وقد تقدم ذكره .

جامع آق سنقر

هذا الجامع بسوق الباعين على البركة الناصرية . عمره الأمير آق سنقر شاد العماثر السلطانية ، وإليه تسبب قطرة آق سنقر الى على الخليج الكبير بخط قبو الكرمانى قبالة الحباية ، وأنشأ أيضا دارا جليلة وحمامين بخط البركة الناصرية

وكان من جملة الأوشاقية فى أول أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم علمه أمير اخور ، وقتله منها فجعله شاد العماثر السلطانية . وأقام فيها مدة فأنرى ثراه كبيرا ، وعمر ما ذكر ، وجعل على الجامع عدة أوقاف . فعزل وصودر وأخرج من مصر الى حلب ، ثم نقل منها الى دمشق ، فمات بها فى سنة أربعين وسبعماية .

جامع آق سنقر

هذا الجامع قريب من قلعة الجبل ، فيما بين باب الوزير والتبانة ، كان موضعه فى القديم متجاور أهل القاهرة . وأنشأه الأمير آق سنقر الناصرى ، وبناه بالحجر ، وجعل صفوفه عقودا من حجارة برخمه ، واهتم فى بنائه اهتماما رائدا حتى كان يقعد على عماته بنفسه ، ويشيل التراب مع القلعة بيده ، ويتأخر عن غذائه اشتغالا بذلك . وأنشأ بجانبه مكتبا لاقراء أيتام المسلمين القرآن ، حانوتا لى الناس الماء العذب

ووجد عند حفر أساس هذا الجامع كثيرا من الأموات ، وجعل عليه ضيعة من قرى حلب تغل فى السنة مائة وخمسين ألف درهم فضة : عنها نحو سعة آلاف دينار ، وفرر فيه درسا فيه عدة من الفقهاء ، وولى الشيخ شمس الدين محمد ابن اللبان الشافعى خطبته ، وأقام له مائر ما يحتاج اليه من أرباب الوظائف ، وبنى بجواره مكانا ليدفن فيه ، وقتل اليه ابيه فدفنه هناك .

وهذا الجامع من أجل جوامع مصر . الا أنه لما حدثت الفتن ببلاد الشام ، وخرجت النواب عن طاعة سلطان مصر منذ مات الملك الظاهر برفوق ، امتنع حضور مغل وقف هذا الجامع لكونه فى بلاد حلب ، فتعطل الجامع من أرباب وظائفه الا الأذان والصلاة وإقامة الخطبة فى الجمع والأعياد .

ولما كانت سنة خمس عشرة وثمانمئة ، أنشأ * فى وسطه الأمير طوغان الدوادار بركة

(*) من ٢٠٩ ج ٢ ، ط ١ بولاق .

ماء وسقها ، ونصب عليها عمدا من رخام لحمل السقف أخذها من جامع الحدق ، فهدم الجامع بالخذق من أجل ذلك ، وصار الماء ينقل الى هذه البركة من ساقية الجامع التى كانت للميضاة

فلما قبض الملك المؤيد شيخ الظاهرى على طوغان ، فى يوم الخميس تاسع عشر جمادى الأولى سنة ست عشرة وثمانمئة ، وأخرجه الى الاسكندرية واعتقله بها ، أخذ شخص التور الذى كان يدير الساقية — فان طوغان كان أخذه منه بغير ثمن ، كما هى عادة أمرائنا — فبطل الماء من البركة .

* آق سنقر ، السلاوى الأمير شمس الدين : أحد مماليك السلطان الملك المنصور قلاوون . ولما فرقت الممالك فى نيابة كتبغا على الأمراء ، صار الأمير آق سنقر الى الأمير سلاى ، فقبل له السلاوى لذلك . ولما عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك ، اختص به ، ورقاه فى الخدم حتى صار أحد الأمراء المقدمين ، وزوجه بابنته ، وأخرجه لنيابة صفد ، فباشرها بعفة الى الغاية ، ثم نقله من نيابة صفد الى نيابة غزة :

فلما مات الناصر ، وأقيم من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر ، وخلع بالأشرف كجك ، وجاء الفخرى لحصار الكرك . قام آق سنقر بنصرة أحمد ابن السلطان فى الباطن . وتوجه الفخرى الى دمشق لما توجه الطنبغا الى حلب ليترد ملشتر نائب حلب ، فاجتمع به وقوى عزمه ، وقال له : توجه أنت الى دمشق واملكها ، وأنا أحفظ لك غزة .

وقام فى هذه الواقعة قياما عظيما ، وأمسك الدروب . فلم يحضر أحد من الشام أو مصر ، من البريد وغيره ، الا وقبض عليه وحمل الى الكرك ، وحلف الناس للناصر أحمد ، وقام بأمره ظاهرا وباطنا . ثم جاء الى التخرى وهو على خان لاجين ، وقوى عزمه وعضده ، وما زال عنده يدمشق الى أن جاء الطنبغا من حلب والتقوا ، وهرب الطنبغا ، فاتبه آق سنقر الى غزة وأقام بها ، ووصلت المساكن الشامية الى مصر

فلما أمسك الناصر أحمد ملشتر النائب ، وتوجه به الى الكرك ، أعطى نيابة ديار مصر لآق سنقر ، فباشر النيابة وأحمد فى الكرك . الى أن ملك الملك الصالح اسماعيل بن محمد ، فأقره على النيابة ، وسار فيها سيرة مشكورة . فكان لا يمنع أحدا شيئا طلبه كائنا من كان ، ولا يرد سائلا يسأل ولو كان ذلك غير ممكن . فارتزق الناس فى أيامه ، واتسعت أحوالهم ، وتقدم من كان متأخرا حتى كان الناس يطلبون ما لا حاجة لهم به .

ثم ان الصالح أمسكه هو ويغرا أميرجانداد وأولاجا الحاجب وقراجا الحاجب ، من أجل أنهم نسبوا الى المالاة والمداجاة مع الناصر أحمد ، وذلك يوم الخميس رابع المحرم سنة أربع وأربعين وسبعماية ، وكان ذلك آخر العهد به ، واستقر بعده فى النيابة الحاج آل ملك . ثم أفرج عن يغرا وأولاجا وقراجا فى شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعماية .

هذا الجامع في الحبيبة خارج باب النصر ، أنشأه الأمير سيف الدين الحجاج آل ملك ، وكل ، وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة تاسع جادى الأولى سنة اثنين وثلاثين وبسببها ، وهو من الجوامع المليحة ، وكانت خطته حارة بالمساكن وقد خربت .

« آل ملك » الأمير سيف الدين : أصله ما أخذ في أيام الملك الظاهر من كعب الأبلتين ، لما دخل إلى بلاد الروم في سنة ست وسبعين وستائة ، وصار إلى الأمير سيف الدين قلاوون وهو أمير قبل سلطته ، فأعطاه لابنه الأمير على . وما زال يترقى في الخدم إلى أن صار من كبار الأمراء المشايخ رؤوس المشورة في أيام الملك الناصر محمد ابن قلاوون .

وكان لما خلع الناصر وتسلطن بيبرس يتردد بينهما من مصر إلى الكرك ، فتعجب الناصر عقله وقائه ، وسير من الكرك يقول للسكر : لا يعود يجيء إلى رسولا غير هذا . فلما قدم الناصر إلى مصر عظه ، ولم يزل كبيرا موقرا مبيلا .

فلما ولي الناصر أحمد السلطنة أخرجه إلى نيابة حماة ، فأقام بها إلى أن تولى الصالح إسماعيل فأقدمه إلى مصر ، وأقام بها على حاله إلى أن أمك الأمير آق سنقر السلاوى نائب السلطنة بديار مصر ، فولاه النيابة مكانه فشد في الضر إلى الغاية وحد شاربها ، وهدم خزانة البنود وأراق خسورها ، وبني بها

مسجدا وحكروها للناس ، فسكت إلى اليوم كما تقدم ذكره ، وأمسك الزمام زمانا .

وكان يجلس للحكم في الشباك بدار النيابة من قلعة الجبل طول نهاره ، لا يمل ذلك ولا ينام ، وتروح أبواب الوظائف ولا يبقى عنده إلا التقياء البطالة ، وكان له في قلوب الناس مهابة وحرمة . إلى أن تولى الكامل شعبان ، فأخرجه أول سلطته إلى دمشق نائبيا بها عوضا عن الأمير طرندمر .

فلما كان في أول الطريق حضر إليه من أخذه ، وتوجه به إلى صند نائبيا بها ، فدخلها آخر ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وبسببها . ثم سأل الحضور إلى مصر ، فرسم له بذلك ، فلما توجه ووصل إلى غزة أمسكه نائبيا ، ووجهه إلى الاسكندرية في سنة سبع وأربعين فخطق بها .

وكان خيرا فيه دين وعبادة ، يميل إلى أهل الخير والصلاح وتعتقد بركه ، وخبرج له أحمد بن أيك الديماطى منيخة ، وحدث بها ، وقرئت عليه مرات وهو جالس في شباك النيابة بقلعة الجبل . وعمر هذا الجامع ودارا مليحة عند المشهد الحسينى من القاهرة ، ومدرسته بالقرب منها .

وكان بركة من أحسن ما يكون ، وخيله مشهورة موصوفة ، وكان يقول : كل أمير لا يقوم رمحه ، ويسكب الذهب إلى أن يساوى السنان ، ما هو أمير ... رحمة الله عليه .

في ثلاثة مواضع : في بولاق خارج القاهرة وفي الروضة تجاه مدنة مصر ، في حرمة النيل على النيل ما بين بولاق ومية السيرة .

أما جامع الفخر بأرضه بولاق فاه موجود تقام فيه الجمعة إلى اليوم . كان أولا عند ابتداء بناءه يعرف موضعه بحط خص الكيالة ، وهو مكان كان يؤخذ من مكس الغلال المتاعه وقد ذكر ذلك عند ذكر اقسام مال مصر من هذا الكتاب

وجامع الروضة باق تقام به الجمعة

أما الجامع بحرية ليل فانه كان اقصى إلى نحو سنة تسعين وسبعائة . وصلت فيه الجمعة غير مرة ثم خرب وموضع ما يعرف بجوار دار تشرف على النيل ، تعرف دار الأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطية قريبا من الدار الحجازية

و « الفخر » هذا هو محمد بن فضل الله القاضى فخر الدين ، اظر الحش للمصرف بالفخر كان في بصرايته متألها ثم أكر على الاسلام ، فامتنع وهم بقتل نفسه وتعيب أياما ثم أسلم حسن اسلامه ، وأبعد الصاى ولم يقرب أحدا منهم ، وحج غير مرة ، تصدق في آخر عمره مدنة في كل شهر ثلاثا آلاف درهم نفقة

وبنى عدة مساجد بديار مصر ، وأنشأ عدة أحواض ماء للسيل في الطرقات وسى مارستانا بمدنة الرملة مارستانا بمدنة بليس ، وفعل أنواعا من الخير ، وكان حصى

المذهب ، وزار القدس عدة مرار ، وأحرم مرة من القدس بالحج ، وسار إلى مكة محرما ، وكان إذا حمله أحد مره . احدة صار صاحبه طول عمر

وكان كثير الاحسان ، لا يزال في قضاءه حوائج الناس ، مع عصبية شديدة لأصحابه وانتفع به خلق كثير لوجهته عند السلطان واقدامه عليه . بحيث لم يكن لأحد من أمراء الدولة عند الملك الناصر محمد بن قلاوون ما له من الاقدام . ولقد قال السلطان مرة اجندى طلب منى اقطاعا لا تطول ، والله لو أنك ابن قلاوون ما أعطاك القاصى فخر الدين حبرا يعل أكثر . ثلاثة آلاف درهم .

وقال له السلطان في يوم من الأيام وهو بدار العدل فافخر الدين تلك القضية طلعت فاشوش فقال له ما قلت لك انها عجوز نحس . يريد بذلك بسب كوكاى امرأة السلطان عندما ادعت انها حلى

وله من الأخيار كثير وكان أولا كاتب الممالك السلطانية ، ثم صار من كتابة الممالك إلى وظيفة نظر الجيش ، وبال من الوجاهة ما لم يله غيره في زمانه

وكان الأمير أرغون ، نائب السلطنة بديار مصر ، نكرهه ، وإذا جلس للحكم يعرض عنه ويدير كتفه إلى وجهه الفخر . فعمل عليه الفخر حتى سار للحج ، فقال للسلطان ياخوند ، ما يقتل الملوك الا التواب . يبدوا قتل أخاك الملك الأشرف ، ولاجين قتل بسب نائبه منكوتر . وخيل للسلطان إلى أن أمر سير الأمير أرغون من طريق الحجاز إلى نيابة حلب .

وحسن للسلطان ألا يستوزر أحدا بعده
الأمير بدر الجبال فلم يول أحدا بعده
الوراثة ، وصارت المملكة كلها - من أحوال
الجيش ، وأموال الأمراء - عبرها - معطاة
بالفخر إلى أن غضب عليه السلطان ونكبه ،
وصادفه على أربعمئة ألف درهم نقرة ، وولى
وظيفة نثر الجيش الشيخ قطب الدين موسى
ابن شيخ السلامة

ثم رضى عن الفخر ، وأمر بإعادة ما أخذ
منه من المال إليه - وهو أربعمئة ألف درهم
نقرة - قامت وقال : أنا خرجت عما للسلطان
فليس مما جامعاً . وسى بها الحاج تانصرى
- المعروف الآن بالجامع الجديد - خارج
مدينة مصر بموردة الخلفاء

وزار مرة القدس وعبر كنيسة سامية ،
فسمع وهو يقول عندما أى الصوء ما :
وبنا لا تزغ قلوبنا بعداء هدتنا . وهاجر آخر
صره بغير معلوم ، وكان لا يأخذ من ييران
السلطان معلوما سوى كساجة ويقول أنبرك
بها .

ولما مات فى رابع عشر رجب سنة اثنتين
وثلاثين وسبعمائة ، رله من العمر ما ينف على
سبعين سنة ، ورك موجدوا عظيما إلى
الغاية . قال السلطان لعنه الله ، خمس
عشرة سنة ما يدعى أعل ما أريد . وأوصى
للسلطان ببلغ أربعمئة ألف درهم نقرة ،
فأخذ من تركته أكثر من ألف ألف درهم
نقرة .

ومن حين مات الفخر كثر تسلط السلطان
الملك التانصر وأخذ أموال الناس . وإلى
الفخر تسب قطرة الفخر التى على قم الخليج
التانصرى المجاور لميدان السلطان بموردة
الجس ، وقطرة الفخر التى على الخليج
المجاور للخليج التانصرى . وأدركت ولده فقيرا
يتكفف الناس بعد مال لا يجد كثرة *

جامع نائب الكرك

هذا الجامع بظاهر الحسبية ، مما يلي
الخليج ، كان عامرا ، وعمر ما حوله عمارة
كبيرة ، ثم خرب بخراب ما حوله من عهد
الحوادث فى سنة ست وثلاثمئة . عمره الأمير
جمال الدين أقوش ، المعروف بنائب الكرك ،
وقد قدم ذكره عند ذكر الدور من هذا
الكتاب .

جامع الخطيرى ببولاق

هذا الجامع موضعه الآن باحيرة بولاق
خارج القاهرة . كان موضعه قديما مغمورا
بماء النيل إلى نحو سنة سبعمائة . فلما انحسر
ماء النيل عن ساحل المقس ، صار ما قدام
المقس زمالا لا يعلوها ماء النيل إلا أيام الزيادة
ثم صارت بحيث لا يعلوها الماء البتة . فزرع
موضع هذا الجامع بعد سنة سبعمائة ، وصار
متزها يجتمع عنده الناس .

ثم بنى هناك شرف الدين بن زنبور ساقية ،
وعمر بجوارها رجل يعرف بالحاج محمد
ابن عز الفرائش دارا تشرف على النيل ، وتردد

(هـ) من ٢١١ - ٢١٢ ، ط. بولاق

إليها ، فلما مات أخذها شخص يقال له تاج
الدين بن الأزرق ناظر الجهات ، وسكها ،
فمرت بدار الفاسقين لكثرة ما يجرى بها من
أنواع المحرمات

فاتفق أن النشو ناظر الخاص قبض على ابن
الأزرق وصادره ، فباع هذه الدار فى جملة
ما باعه من موقوفه . فاشتراها منه الأمير عز
الدين أيدمر الخطيرى وهدمها ، رضى مكانها
هذا الجامع ، رصاه جامع التوبة . وبالح فى
عمارتها ، وبالح فى رخامه ، فجاء من أهل
جوامع مصر وأحسا

وعمل له مبرا من رخام فى عانة الحسن ،
وركب فيه عدة شبايك من حديد تشرف على
النيل الأعظم ، وجعل فيه خزانه كتب جليلة
قيمة ، ورتب فيه درسا للفقهاء الشافعية ،
ووقف عليه عدة أوقاف منها داره العظيمة التى
هى فى الدرب الأصغر تجاه خانقاه بيبرس

وكان جملة ما أنفق فى هذا الجامع أربعمئة
ألف درهم نقرة ، وكسب عمارته فى سنة سبع
وثلاثين وسبعمائة ، وأقيمت به الجمعة فى يوم
الجمعة عشرى جمادى الآخرة . فلما خلاص ابن
الأزرق من المصادرة حضر إلى الأمير الخطيرى
وادعى أنه باع داره وهو مكروه ، فدفع إليه
ثمنها مرة ثانية .

ثم أن البحر قوى على هذا الجامع وهدمه ،
فأعاد بناءه بجملة كثيرة من المال ، ورمى قدام
زريته ألف مركب مملوءة بالحجارة . ثم انهدم
بعد موته ، وأعيدت زريته .

« أيدمر الخطيرى » الأمير عز الدين مملوك
شرف الدين أوحد بن الخطيرى الأمير مسعود

ابن خطير . انتقل إلى الملك التانصر محمد بن
فلاوون ، فرقاه حتى صار أحد أمراء الألف ،
بعدما حسبه بعد مجيئه من الكرك إلى مصر
مدة ثم أطلقه ، أعظم مقداره إلى أن تقى
يحلى رأس الميرة ومعه امرأة مائة وعشرين
فارسا .

كان لا يسكنه السلطان من البيت فى داره
بالقاهرة ، فيرل إليها بكرة ويطلع إلى القلعة
بعد العصر . كذا أبدا ، فكانوا يرون ذلك
تعظيما له . كان منور الشبه كرما ، سب
التزوج الكثر والتفخر ، بحيث أنه لا زوج
السلطان ابته بالأمر قوصون ، ضرب ديار من
وزنها أربعمئة متقال ذها ، وعشرة آلاف
درهم فضة ، برسم تقوط امرأته فى العرس
إذا طلعت إلى زفاف ابنة السلطان على
قوصون .

وقيل له مرة : هذا السكر الذى يعمل فى
الطعام ما يضر أن يعمل غير مكور ، فقال :
لا يعمل الا مكورا ، فانه يبقى فى نفس أنه
غير مكور .

وكان لا يلبس قباء مطرزا ولا مصتولا ،
ولا يدع أحدا عنده يلبس ذلك ، وكان يخرج
الزكاة ، وأنشأ بجانب هذا الجامع ربعا كبيرا
تنافس الناس فى سكناه . ولم يزل على حاله
حتى مات يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب سنة
سبع وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بترته خارج
باب النصر .

ولم يزل هذا الجامع مجمعا يقصده مسائر
الناس للتنزه فيه على النيل ، ويرغب كل أحد
فى السكنى بجواره ، وبلغت الأماكن التى

بجواره من الأسواق والدور الغاية في العمارة حتى صار ذلك الخط أعصر أخطاط مصر وأحسنها .

فلما كانت سنة ست وثمانمائة ، انصرم ماء النيل عما تجاه جامع الخطيرى ، وصار زملة لا يملؤها الماء الا في أيام الزيادة ، وتكاثر الرمل تحت شبايك الجامع ، وقربت من الأرض بعدما كان الماء تحته لا يكاد يدرك قراره . وهو الآن عامر ، الا أن الاجتماعات التي كانت فيه قبل انصرام النيل عما قبلك قلت ، واتضح حال ما يجاوره من السوق والدور . وفيه عاقبة الأمور .

جامع قيدان

هذا الجامع خارج القاهرة ، على جانب الخليج الشرقى ، ظاهر باب الفتوح مما يلي قناطر الاوز تجاه أرض البعل . كان مسجدا قديما البناء ، فجدده الطوائى جاء الدين قراقوش الأسدى في محرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وجدد حوض السيل الذي فيه ، ثم ان الأمير مظفر الدين قيدان الرومى عمل به منبرا لاقامة الخطبة يوم الجمعة ، وكان عامرا بعمارة ما حوله .

فلما حدث الغلاء في سنة ست وسبعين وسبعمائة ، أيام الملك الأشرف شعبان بن حين ، خرب كثير من تلك التواحي ويعت اقتاضها ، وكانت الفرقة أيضا ، فصار ما بين القنطرة الجديدة المجاورة لسوق جامع الظاهر ،

(٥) منبر ٢١٤ هـ ، ط ١٠٠٠

وبين قناطر الاوز المقابلة لأرض البعل ، يابا لا عامر له ولا ساكن فيه .

وخرب أيضا ما وراء ذلك من شرقيته الى جامع نائب الكرك ، وتعطل هذا الجامع ، ولم يبق منه غير جدر آيلة الى العلم ثم جدده مقدم بعض الماليك السلطانية في حدود الثلاثين وثمانمائة ، ثم ومع فيه الشيخ أحمد ابن محمد الأنصارى العقاد - التميمي بالأزرقى - ومات في ثمانى عشر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة .

جامع الست حلق

هذا الجامع بخط المرس ، في جانب الخليج الكبير مما يلي الغرب ، بالقرب من قنطرة السد التي خارج مدينة مصر . أنشأه الست حلق ، دادة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة لعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة . وإلى حلق هذه ينسب حكر الست حلق الذي ذكر عند ذكر الأحكار من هذا الكتاب .

جامع ابن غازى

هذا الجامع خارج باب البحر من القاهرة بطريق بولاق . أنشأه نجم الدين بن غازى دلال الماليك ، وأقيمت فيه الخطبة في يوم الجمعة ثمانى عشر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، وإلى اليوم تقام فيه الجمعة ، وبقيت الأيام لا يزال مغلق الأبواب لقلة السكان حوله .

جامع التركمانى

هذا الجامع فى المقس ، وهو من الجوامع المنيحة اليه . أنشأه الأمير بدر الدين محمد التركمانى ، وكان ما حوله عامرا بعمارة زائدة ، ثم ثلاثى من الوقت الذى كان فيه الغلاء زمن الملك الأشرف شعبان بن حين ، وما برح حاله يحتل الى أن كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة ، فخرب معظم ما هناك ، وفيه الى اليوم بقايا عمارة لا سيما بجوار هذا الجامع .

« التركمانى » محمد ، وبنعت بالأمير بدر الدين محمد ابن الأمير فخر الدين عيسى التركمانى : كان أولا شادا ، ثم ترقى فى الخدم حتى ولى الجيزة ، وتقدم فى الدولة الناصرية . فولاه السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون شاد الدواوين ، والدولة حينئذ ليس فيها وزير ، فاستقل بتدبير الدولة مدة أعوام . وكان يلى نظر الدولة تلك الأيام كريم الدين الصغير ، ففص به ، وما زال يدبر عليه حتى أخرجه السلطان من ديار مصر ، وعمله شاد الدواوين بطرابلس .

فأقام هناك مدة سنتين ، ثم عاد الى القاهرة بشفاعة الأمير تنكز نائب الشام ، وولى كشف الوجه البحرى مدة ، ثم أعطى امرة طبلخاناه ، وأعطى أخوه على امرة عشرة ، وولده ابراهيم أيضا امرة عشرة .

وكان مهابا صاحب حرمة باسطة وكلمة نافذة . ومات عن مسعدة طائلة بالمقس ، فى

ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وهو أمير .

جامع شيخو

هذا الجامع بسوقة منعم ، فيما بين الصليبة والرميلة ، تحت قلعة الجبل . أنشأه الأمير الكبير سيف الدين شيخو الناصرى ، رأس ثوبة الأمراء ، فى سنة ست وخمسين وسبعمائة ، ورفق بالناس فى العمل فيه وأعطاهم أجورهم ، وجعل فيه خطبة وعشرين صوفيا ، وأقام الشيخ أكل الدين محمد بن محمود الرومى الحنفى شيخهم . ثم لما عمر الخاقان تجاه الجامع ، تقل حضور الأكل والصوفية إليها ، وزاد عدتهم . وهذا الجامع من أجل جوامع ديار مصر .

« شيخو » الأمير الكبير سيف الدين : أحد ماليك الناصر محمد بن قلاوون . حظى عند الملك المظفر حاجى بن محمد بن قلاوون ، وزادت وجاهته حتى شفع فى الأمراء ، وأخرجهم من سجن الاسكندرية . ثم انه استقر فى أول دولة الملك الناصر حسن أحد أمراء المشورة .

وفى آخر الأمر كانت القصص تقرأ عليه بحضرة السلطان فى أيام الخدمة ، وصار زمام الدولة بيده ، فاسأها أحسن مياسة يسكون وعدم شر ، وكان يمنع كل حزب من الوثوب على الآخر ، فعظم شأنه الى أن رسم السلطان بامساك الأمير يلغا روس نائب السلطنة بديار مصر وهو مسافر بالحجاز ، وكان شيخو قد خرج متصيذا الى ناحية طمان بالغربية .

فلما كان يوم السبت رابع عشر شوال سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، أمسك السلطان الأمير منجك الوزير ، وحلف الأمراء لنفسه ، وكتب تقليد شيخو بناية طرابلس ، وجيزه اليه مع الأمير سيف الدين طيغال الجاشكير ، فسار اليه سفره من را فوصل الى دمشق ليلة الثلاثاء ابع ذى القعدة ، فظهر مرسوم السلطان باقامة شيخو في دمشق على اقطاع الأمير يملك السالى ، وتجهيز يملك الى القاهرة فخرج يملك من دمشق ، وأقام شيخو على اقطاعه بها

فما وصل يملك الى لقاهرة الا وقد وصل الى دمشق مرسوم بامساك شيخو ، تجهره الى السلطان ، وتقييد مماليكه . اعتقالهم بقلعة دمشق ، فأمسك وجهر مقيدا ، فلما صل الى قطيا توجهوا به الى الاسكندرية . فلم يزل معتقلا بها الى أن خلع السلطان الملك الناصر حسن ، وتولى أخوه الملك الصالح صالح ، فأخرج عن شيخو منجك الوزير عنه من الأمراء ، فوصلوا الى القاهرة في رابع شهر رجب سنة اثنين وخمسين وسبعمائة ، وأول في الأشرفية بقلعة الجبل واستمر على عادته .

وخرج مع الملك الصالح الى الشام في واقعة يلغا روس ، وتوجه الى حلب هو والأمير طاز وأرغون الكاملى خلف يلغا روس ، وعاد مع السلطان الى القاهرة ، وصمم حتى أمسك يلغا روس ومن معه من الأمراء بعدما وصلوا الى بلاد الررم ، وحزت رؤوسهم . وأمسك أيضا ابن دلقار ، وأحضر الى القاهرة ، ووسط وعلق على باب زويلة .

(١٠) من ٢١٢ ج ٤ ط ١ بولاق

ثم خرج بنفسه في طلب الأحسب الذي خرج بالصعيد ، وتجاوز في سفره قوص ، وأمسك عدة كثيرة ووسطهم حتى سكنت القن بأرض مصر ، وذلك في آخر سنة أربع وخمسين وأول سنة خمس وخمسين . ثم خلع الملك الصالح ، وأقام بدله الملك الناصر حسنا في ثاني شوال ، وأخرج الأمير طاز من مصر الى حلب قائبا بها رمعه أخوه وصارت الأمور كلها راجعة اليه . وزادت عظمته ، وكثرت أمواله وأملاكه ومستأجراته حتى كاد يكائر أمواج البحر بما ملك ، وقيل له قارون مصره وعزير مصره .

وانشا خلقا كثيرا ، فقوى بذلك حزبه ، وجعل في كل مملكة من جهته عدة أمراء ، وصارت نوابه بالشام وفي كل مدسة أمراء كبار ، وخدموه حتى قيل كان يدخل كل يوم ديوانه - من اقطاعه أملاكه ومستأجراته بالشام وديار مصر - مبلغ مائتي ألف درهم نقرة وأكثر ، وهذا شيء لم يسمع مثله في الدولة التركية . وذلك سوى الانعامات السلطانية ، والتقدم التي ترد اليه من الشام ومصر ، وما كان يأخذ من ابراطيل على ولاية الأعمال .

وجامعه هذا وخاتقاه التي بخط الصليبية لم يعمر مثلها قبلها ، ولا عمل في الدولة التركية مثل أوقافهما ، وحسن ترتيب المعاليم بهما .

ولم يزل على حاله الى أن كان يوم الخميس ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، فخرج عليه شخص من المماليك السلطانية

برحمة عن الأمير منجك الوزير فقال له باي ، وهو جالس بدار العدل ، ومعه نصف من وجهه وفي يده . دارجست المظلمة كلها . وكثر مرج الناس حتى مات من الناس جماعة من رحمة ، وركب من الأمراء الكبار عشرة وهم بالسلاح عليهم الى قبة النصر خارج القاهرة .

ثم أمسك باي ، فجاء وقرر ، فلم يعترف بشيء على أحد ، وقال : أنا قدمت اليه قصة لتفلى من الجامكية الى الاقطاع ، فما نفى شعبي . فأخفت في نفسي من ذلك فسجن مدة . ثم سخر وطيف به الشوارع . وبقي شيخو غليلا من تلك الجراحة لم يركب ، الى أن مات ليلة الجمعة سادس عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، ودفن بالخاتقاه النحولية ، وقبره بها يقرأ عنده القرآن دائما

جامع الجاكي

هذا الجامع كان يدرب الجاكي ، عند سوقية الریش من الحكر ، في ير الخليج القريب . أصله مسجد من مساجد الحكر ، ثم زاد فيه الأمير بدر الدين محمد بن ابراهيم المهندس ، وجعله جامع ، وأقام فيه منبرا في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة . فصار أهل الحكر يصلون فيه الجمعة الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة ، فخرب الحكر ، وبيعت أنقاض معظم الدور التي هناك .

وتعطل هذا الجامع من ذكر الله واقامة الصلاة لخراب ما حوله ، فحكم بعض قضاة

الحنفية ببيع هذا الجامع . فاشتراه شخص من الوعاظ بعرف بالشيخ أحمد أو اعطى الراشد - صاحب جامع الراشد بخط النفس - . وهدمه . وأحد أحصه بمعاها في جامعته الذي بالنفس في أول سنة سبع عشرة وثمانمائة .

جامع التوبة

هذا الجامع بجوار باب البرقية في خط بين السوريين . كان موضعه مساكن أهل الفساد وأصحاب الراي . فلما أنشأ الأمير الوزير علاء الدين مغلطاي الجمالى خاتقاه ، المعروفة بالجمالية ، قريبا من خزانة البنود بالقاهرة ، كره مجاورة هذه الأماكن لداره وخاتقاه ، فأخذها وهدمها ، وبني هذا الجامع في مكانها ، وسماه جامع التوبة ، فعرف بذلك الى اليوم . وهو الآن تقام فيه الجمعة ، غير أنه لا يزال طول الأيام مفلق الأبواب لخلوه من ساكن ، وقد خرب كثير مما يجاوره ، وهناك بقايا من أماكن .

جامع صاروجا

هذا الجامع مطل على الخليج الناصري بالقرب من بركة الحاجب ، التي تعرف ببركة الرطلى ، كان خطة تعرف بجامع العرب . فأنشأ بها هذا الجامع ناصر الدين محمد ، أخو الأمير صاروجا نقيب الجيش ، بعد سنة ثلاثين وسبعمائة . وكانت تلك الخطة قد عمرت عمارة زائدة ، وأدركت منها بقية جيدة

(١١) من ٢١١ ج ٤ ط ١ بولاق

الى ان دثرت فصار كيماء . وتقام الجمعة
الى اليوم في هذا الجامع أيام النيل .

جامع الطباخ

هذا الجامع خارج القاهرة ، بخط باب
اللقوق بجوار بركة الشقاف ، كان موضعه
وموضع بركة الشقاف من جملة الزهري .
أنشأه الأمير جمال الدين أقوش ، وجنده
الحاج على الطباخ في المطبخ السلطاني أيام
الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولم يكن له
وقف ، فقام بمصالحه من ماله مدة . ثم انه
مؤدر في سنة ست وأربعين وسبعمائة ،
فتمثل مدة زول السنة بالطباخ ، ولم تتم
فيه تلك المدة الصلاة .

« على بن الطباخ » : أنشأ بمصر ، وخدم
الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو بمدينة
الكرك . فلما قدم الى مصر جعله خزان
سلار ، و سلمه المطبخ السلطاني ، فكثر ماله
لطول مدته وكثرة تمكنه ، ولم يتفق لأحد من
نظرائه ما اتفق له من السعادة الطائلة . وذلك
أن الأنسراح وما كان يصنع من المهمات
والأعراس ونحوها ، ما كان يعمل في الدور
السلطانية وعند الأمراء والماليك والحواشي ،
مع كثرة ذلك في طول تلك الأعوام ... كانت
كلها انما يتولى أمرها هو بفرد .

فما اتفق له في عمل مهم ابن بكتر
الساقى ، على ابنة الأمير تكز نائب الشام ،
أن السلطان الملك الناصر استدعاه آخر النهار
الذي عمل فيه المهم المذكور ، وقال له : يا حاج
على عمل لي الساعة لونا من طعام الفلاحين ،
وهو خروف وميس يكون ملهوج .

فولى ووجهه مبيض ، فصاح به السلطان :
وربك مالك مبيض الوجه !!

فقال : كيف ما أعبس وقد حرمتي الساعة
عشرين ألف درهم تقرة !

فقال : كيف حرمتك !

قال : قد تجع عندى رؤوس غنم وبقر
وأكارع وكروش وأعضاء وستقط دجاج واوز
وغير ذلك مما سرقته من المهم ، وأريد أقعد
وأبيع ، وقد قلت لي الطبخ ، وبيننا أفرغ من
الطبخ تلف الجميع .

فتبسم السلطان وقال له : رح الطبخ وضمان
الذي ذكرت على .

وأمر بإحضار والى القاهرة ومصر ، فلما
حضر الزمهما بطلب أرباب الزفر الى القلعة ،
وتفرقة ما ناب الطباخ من المهم عليهم
واستخراج ثمنه . فللحال حضر المذكورون ،
وبيع عليهم ذلك ، فبلغ ثمنه ثلاثة وعشرين ألف
درهم تقرة . وهذا مهم واحد من ألوف ، مع
الذي كان له من المعاليم والجرايات ومنافع
المطبخ .

ويقال انه كان يحصل له من المطبخ
السلطاني في كل يوم - على الدوام
والاستمرار - مبلغ خمسمائة درهم تقرة ،
ولولده أحمد مبلغ ثلثمائة درهم تقرة . فلما
تحدث النشو في الدولة خرج عليه تخارج ،
وأغرى به السلطان ، فلم يسمع فيه كلاما .

وما زال على حاله الى أن مات الملك الناصر
وقام من بعده أولاده الملك المنصور أبو بكر ،
والملك الأشرف كجك ، والملك الناصر أحمد ،

والملك الصالح اسماعيل ، والملك الكامل
نعمان ... فصادره في سنة ست وأربعين
وسبعمائة ، وأخذ منه مالا كثيرا .

ومما وجد له خمس وعشرون دارا مشرفة
على النيل وغيره . ففترقت حواشي الملك
الكامل أملاكه ، فأخذت أم السلطان ملكه
الذي كان على البحر - وكانت دارا عظيمة
جدا - وأخذت أقاض داره التي بالمحمودية
من القاهرة ، وأقيم عوضه بالمطبخ السلطاني ،
وضرب ابنه أحمد .

جامع السيوطي

هذا الجامع بطرف جزيرة النيل ، مما يلي
قاحية بولاق ، كان موضعه في القديم غامرا
بماء النيل . فلما الحر عن جزيرة النيل ،
وعبرت قاحية بولاق ، أنشأ هذا الجامع
القاضي شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عمر
السيوطي ناظر بيت المال ، ومات في سنة تسع
وأربعين وسبعمائة .

ثم جدد عمارته بعدما تهدم وزاد فيه ناصر
الدين محمد بن محمد بن عثمان بن محمد
- المعروف بابن البارزى - الحموى كاتب
السر ، وأجرى فيه الماء ، وأقام فيه الخطبة
يوم الجمعة سادس عشرى * جمادى الأولى
سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة . فجاء في
أحسن هندام وأبدع زى ، وصلى فيه السلطان
الملك المؤيد شيخ الجمعة في أول جمادى
الآخرة سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة .

(*) ٢١٠ هـ - ٢٢٠ هـ - بولاق .

جامع الملك الناصر حسن

هذا الجامع يعرف بمدرسة السلطان حسن .
وهو تجاه قلعة الجبل فيما بين القلعة وبركة
القيس ، وكان موضعه بيت الأمير يلغيا
الحيواوى الذى تقدم ذكره عند ذكر الدور .

وابتدا السلطان عمارته في سنة سبع
وخمسين وسبعمائة ، وأوسع دوره ، وعمله في
أكبر قالب وأحسن هندام وأضخم شكل . فلا
يعرف في بلاد الاسلام معبد من معابد المسلمين
يحكى هذا الجامع ... أقامت العمارة فيه مدة
ثلاث سنين لا تبطل يوما واحدا ، وأرصد
لمصروفها في كل يوم عشرون ألف درهم : عنها
نحو ألف مثقال ذهبا .

ولقد أخبرني الطواشى مقبل الشامى أنه
سمع السلطان حسنا يقول : انصرف على
القالب الذى بنى عليه عقد الايوان الكبير
مائة ألف درهم تقرة . وهذا القالب مما رمى
على الكيمان بعد فراغ العقد المذكور .

قال : وسمعت السلطان يقول : لولا أن يقال
ملك مصر عجز عن اتمام بناء بناه لتركت بناء
هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه .

وفى هذا الجامع عجائب من البنيان : منها
أن ذراع ايوانه الكبير خمسة وستون ذراعا في
مثلها - ويقال انه أكبر من ايوان كبرى
الذى بالمدائن من العراق بخمسة أذرع -
ومنها القبة العظيمة التى لم يبن بديار مصر
والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها ، ومنها
النبر الرخام الذى لا نظير له ، ومنها البوابة

العظيمة ، ومنها المدارس الأربع التي بدور
قاعة الجامع ... الى غير ذلك .

وكان السلطان قد عزم على أن يبني أربع
منائر يؤذن عليها ، فقت ثلاث منائر . الى أن
كان يوم السبت سادس شهر ربيع الآخر سنة
اثنين وستين وسبعماية ، فسقطت المنارة
التي على الباب ، فهلك تحتها نحو ثلثائة نفس
من الأيتام الذين كانوا قد رتبوا بمكتب
البيت الذي هناك ومن غير الأيتام ، وسلم من
الأيتام ستة أطفال فابطل السلطان بناء هذه
المنارة وبناء نظيرتها ، وتأخر هناك منارتان هنا
قائمتان الى اليوم .

ولما سقطت المنارة المذكورة ، لهجت عامة
مصر والقاهرة بأن ذلك منذر بزوال الدولة ،
فقال الشيخ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن
علي بن محمد البكي في سقوطها :

أبشر فمعدك ياسلطان مصر أني
بشيره . يقال سار كالمثل

ان المنارة لم تسقط لمنفعة
لكن لمر خفي قد تبين لي

من تحتها قرىء القرآن فاستمت
فالوجد في الحبال أداها الى الميل

لو أنزل الله قرآنا على جبل
تصدت رأسه من شدة الوجع

تلك الحجارة لم تنقض بل هبطت
من خشية الله لا للضعف والخلل

وغاب سلطانها فاستوحشت ورمت
بنفسها لجوى في القلب مشعل

فالحمد لله حفظ العين زال ما
مد كان قدره الرحمن في الأزل

لا يمرى البؤس بعد اليوم مدرسه
ثبتت بنياتها بالعلم والعمل

ودمت حتى نرى الدنيا بها امتلات
سما قللس مصر عر مشعل

فاتفق قتل السلطان بعد سقوط المنارة
بثلاثة وثلاثين يوما . ومات السلطان قبل أن
يتم رخام هذا الجامع ، فأتمه من بعده الطواشي
بشير الجمدار . وكان قد جعل السلطان على
هذا الجامع أوقافا عظيمة جدا ، فلم يترك منها
الاشيء يسير ، وأقطع أكثر البلاد التي وقفت
عليه بديار مصر والشام لجباة من الأمراء
وغيرهم

وصار هذا الجامع ضدا لظلمة الجبل ...
قلما تكون فتنة بين أهل الدولة لا وصعد
عدة من الأمراء وغيرهم الى أعلاه . وبصير
الرمي منه على القلعة . فلم يحتمل ذلك الملك
الظاهر برفوق ، وأمر فهدمت المدرج التي كان
يصعد منها الى المنارتين وأصبحت الى كان
يسكنها الفقهاء ، ويتوصل من هذه المدرج
الى السطح الذي كان يرمى منه على القلعة ،
وهدمت البسطة العظيمة والمدرج التي كانت
بجانبى هذه البسطة التي كانت فدام باب
الجامع حتى لا يمكن الصعود الى الجامع .

وسد من وراء الباب النحاس الذي لم
يعمل فيما عهد باب مثله ، وفتح شباك من
شبابيك أحد مدارس هذا الجامع ، ليتوصل
منه الى داخل الجامع عوضا عن ابواب

السدود . فصار هذا الجامع تجاه باب القلعة
المعروف بباب السلطة ، وأمسح صعود
المؤذنين الى المنارتين ، وبقي الأذان على
درج هذا الباب . وكان ابتداء هدم ما ذكر في
يوم الأحد ثامن صفر سنة ثلاث وتسعين
وسبعماية .

ثم لما شرع السلطان الملك المؤيد شيخ في
عمارة الجامع بجوار باب زويلة ، اشترى
هذا الباب النحاس والتور النحاس الذي كان
معلقا هناك بخسمائة دينار ، ونقل في يوم
الخميس سابع عشر شوال سنة تسع عشرة
وثمانمائة ، فركب الباب على البوابة ، وعلق
التور تجاه المحراب . فلما كان في يوم
الخميس تاسع شهر رمضان سنة خمس
وعشرين وثمانمائة ، أعيد الأذان في المنارتين
كما كان ، وأعيد بناء المدرج والبسطة ، وركب
باب بدل الباب الذي أخذه المؤيد ، واستمر
الأمر على ذلك .

« الملك الناصر أبو المعالي الحسن بن محمد
ابن قلاوون » : جلس على تخت الملك وعمره
ثلاث عشرة سنة ، في يوم الثلاثاء رابع عشر
شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعماية ،
بعد أخيه الملك المظفر حاجي وأركب من باب
الستارة بقلعة الجبل ، وعليه شعار السلطنة ،
وفي ركابه الأمراء ، الى أن نزل بالايوان
السلطاني . ومديرو الدولة يومئذ : الأمير
يلبغا روس ، والأمير الجيغما المظفرى ،
والأمير شيخو ، والأمير طاز ، وأحمد شاد
الشرابخانة ، وأرغون الاسماعيلى .

(*) من ٢١٦ ج ٢ ، طه بلاق .

فخلع على يلبغا روس ، واستقر في نيابة
السلطنة بديار مصر عوضا عن الحاج أرقطاي ،
وقرر أرقطاي في نيابة السلطنة بحلب ، وخلع
على الأمير سيف الدين محبك اليوسفى
واستقر في الوزارة والأستادارية ، وقرر الأمير
أرغون شاه في نيابة السلطنة بدمشق

فلما دخلت سنة تسع وأربعين كثر انكشاف
الأراضى من ماء النيل بالبر الشرقى ، فيما يلي
بولاك الى مصر ، فاهتم الأمراء بسد البحر
سما يلي الجيزة ، وفوض ذلك للأمير منجك ،
فجمع مالا كثيرا وأتقته على ذلك فلم يقد ،
فقبض على منجك في ربيع الأول .

وحدث الوباء العظيم في هذه السنة ،
وأخرج أحمد شاد الشرايخانة لنيابة صفد ،
والجيغما لنيابة طرابلس . فاستمر الجيغما بها
الى شهر ربيع الأول سنة خمسين ، فركب الى
دمشق ، وقتل أرغون شاه بغير مرسوم .
فأنكر عليه وأمسك ، وقتل بدمشق .

وفي سنة احدى وخمسين سار من دمشق
عسكر عدته أربعة آلاف فارس ، ومن حلب
ألفا فارس الى مدينة سنجار ، ومعهم عدة
كثيرة من التركمان ، فحاصروها مدة حتى طلب
أهلها الأمان ثم عادوا . وترشد السلطان ،
واستبد بأمره ، وقبض على منجك ويلبغا
روس ، وقبض بككة على الملك المجاهد صاحب
الين وقيد ، وحمل الى القاهرة فأطلق ، ثم
سجن بقلعة الكرك .

فلما كان يوم الأحد سابع عشر جمادى
الآخرة ، ركب الأمراء على السلطان — وهم
لار واخوته ، ويلبغا الشمسى ، ويغفرا —

ووقفوا تحت القلعة ، وصعد الأمير طاز وهو
لابس الى القلعة في عدة وافرة ، وقبض على
السلطان وسجنه بالدور ، فكانت سنة . لايت
ثلاث سنين وسنة أشهر . وأقيم ببلده أخوه
الملك الصالح صالح .

فأقام السلطان حسن محمداً على الاستغال
بالمعلم : وكتب بخطه نسخة من كتاب « دلائل
النسب » لليمنى ، الى يوم الاثنين ثاني شوال
سنة خمس وخمسين وستمائة ، فأقامه الأمير
شبحو نصرى فى السلطنة . وقصص على
الصالح - وكانت مدة سجنه ثلاث سنين
وثلاثة أشهر . أربعة عشر يوما - فرسم
بأساك الأمير طاز وأحراجه لياية حلب .

وفي ربيع الأول سنة تسع وخمسين ،
هبّت ريح عاصفة من ناحية الغرب - من
أول انتهار الى آخر الليل - أصفر بها البحر
ثم احمر ثم اسود ، فقتل منها شيء كثير .

وفي شعبان سنة تسع وخمسين ضرب
الأمير شبحو بعض الممالك بسيف ، فلم يزل
عليلا حتى مات .

وفي سنة تسع وخمسين ، كان ضرب
الفلوس الجدد ، فسل كل فلس ذقة متقال .
وقبض على الأمير طاز نائب حلب ، وسجن
بالاسكندرية ، وقرر مكانه فى نياية حلب
الأمير منجك الوصفى ، وأمسك الأمير
صرغتمش فى شهر رمضان منها . وكان حرب
بين ممالك وممالك السلطان انضر بينها
الممالك السلطانية ، وقبض على عدة أمراء ،
فأنهم السلطان على مملوكه بليغا نصرى
الخاصكى بتقدمة ألف ، عوضا عن تنكر بقا
الماردانى أمير مجلس بحكم وفاته .

وفي سنة ستين فر منجك من حلب فلم
يوقف به على حرة . فأقر على نياية حلب الأمير
ييدر الخوارزمى ، وسار لغزو سيس ، فأخذ
أداة بامان ، وأخذ طرموس والمصيصة وعدة
بلاد ، وأقام بها نوابا وعاد فلما كانت سنة
اثنين وستين عدى السلطان الى بر الجزيرة ،
وأقام بناحية كرم برا مدة طويلة لولاء كان
بالقاهرة . فتكر الحال بينه وبين الأمير بليغا
الى ليلة الأربعاء فاسع جادى الأولى ، فركب
السلطان فى جماعة ليكبس على الأمير بليغا
- وكان قد أحس بذلك وخرج عن الحيام ،
وكن بمكان وهو لابس فى جاعته - فلم
يعثر السلطان به ورجع .

فثار به بليغا فتكرس بن معه ، وفر يريد
قعة الجبل ، فبعه بليغا ، وقد انضم اليه
جمع كثير . ودخل السلطان الى القلعة فلم
يثبت . وركب معه أمير الدودار يسوحه الى
بلاد الشام ، ووزل الى بيت الأمير شرف الدين
موسى بن الأركشى أمير حجب ، فبعث فى
الحال الى الأمير بليغا يعلمه بحجاء السلطان
اليه ، فبعث من قبضه هو والأمير البدر .
ومن حينئذ لم يوقف له على حرة سنة ، مع
كثرة محض أتباعه . وحواليه عن قومه وما
آل اليه أمره . فكانت مدة ولايته هذه اثنا
ست سنين وسبعة أشهر وأياما .

وكان ملك حازما مهابا شجاعا ، صاحب
حرمة وافرة وكلمة نافذة ودين متين ، حلف
غير مرة أنه ما لاط ولا شرب خمرا ولا زنى .
الا أنه كان يخل ، ويعجب بالنساء ولا يكدر
يصير عنهن ، ريبانغ فى اعطائهن المال .

(٢١) من ٢١٧ ج ٤ ، ط ٢٠٠٠ بولاق .

وخاضى فى دوله أقباط مصر ، وقصد
اجتث أصلهم ، وكره الممالك ، وشرع فى
أقامة أولاد الناس أمراء ، وترك عشرة بنين
وست بنات . وكان أشقر المش ، وقتل وله
من العمر بضع وعشرون سنة ، ولم يكن قبله
ولا بعده فى الدولة التركية مثله .

جامع القرافة

هذا الجامع يعرف الآن بجامع الأولياء ،
وهو بالقرافة الكبرى ، وكان موضعه يعرف
فى القديم عند فتح مصر بخطة المغافر ، وهو
مسجد بنى عبد الله بن مانع بن مورع ، يعرف
بمسجد القبة .

قال القضاعى : كان القراء يحضرون فيه ،
ثم بنى عليه المسجد الجامع الجديد ... بته
السيدة المغزية فى سنة ست وستين وثلثائة
- وهى أم العزيز بالله زار ولد المعز لدين
الله : أم ولد من العرب يقال لها تغريد ،
وتدعى درزان - وبته على يد الحسن بن
عبد العزيز القارسى المحتسب فى شهر رمضان
من السنة المذكورة . وهو على نحو بناء الجامع
الأزهر بالقاهرة .

وكان بهذا الجامع بستان لطيف فى غريه
وصهيرج . وبابه الذى يدخل منه ذو المصاطب
الكبير الأوسط ، تحت المنار العالى الذى
عليه ، مصفح بالحديد الى حضرة المحراب .
والمقصورة من عدة أبواب ، وعدتها أربعة
عشر بابا مربعة مطوية الأبواب ، قدام كل باب
قنطرة قوس على عسودى رخام ثلاثة صفوف .
وهو مكتدج مزوق باللازورد والزنجفر

والزنجار وأنواع الأصباغ ، وفيه مواضع
مدهونة ، والسقوف مزوقة ملونة كلها ،
والحنايا والعقود التى على عمد مزوقة بأنواع
الأصباغ ... من صنعة البصريين ، وبنى المعلم
المزوقين شيوخ الكتامى والنازوك .

وكان قبالة الباب السابع من هذه الأبواب
قنطرة قوس مزوقة ، فى منحى حافتيها
شاذروان مدرج بدرج ، وآلات سود ويض
وحمر وخضر وزرق وصفر . اذا تطلع اليها من
وقف فى سهم قوسها ، شائلا رأسه اليها ،
ظن أن المدرج المزوق كأنه خشب كالمقرص .
واذا أتى الى أحد قطرى القوس نصف
الدائرة ، ووقف عند أول القوس منها ورفع
رأسه ، رأى ذلك الذى توهه مسطحا لا
توفيه ... وهذه من أفخر الصنائع عند
المزوقين . وكانت هذه القنطرة من صنعة
بنى المعلم ، وكان الصناع يأتون اليها ليعملوا
مثلا فما يقدررون .

وقد جرى مثل ذلك للقصر وابن عزيز فى
أيام البازورى ، سيد الوزراء ، الحسن بن
على بن عبد الرحمن ، وكان كثيرا ما يعرض
بينهما ، ويغرى بعضهما على بعض ، لأنه كان
أحب ما اليه كتاب مصور أو النظر الى صورة
أو تزويق . ولما استدعى ابن عزيز من العراق
فأفده ، وكان قد أتى به فى محاربة القصر ،
لأن القصر كان يشتط فى أجرته ويلحقه
عجب فى صنعة ، وهو حقيق بذلك لأنه فى
عمل الصورة كابين مقلدة فى الخط ، وابن عزيز
كابين البواب .

وقد أمن شرح ذلك في الكتاب المؤلف فيه ، وهو طبقات المصورين المسموت بصوه البراس وأنس الجلاس في أخبار المزوقين من الناس .

وكان البارودي قد أحضر بمجلسه القصير وابن عزيز ، فقال ابن عزيز : أنا أصور صورة إذا رآها الناظر ظن أنها خارحة من الحائط . فقال القصير : لكن أنا أصورها فإذا نظرها الناظر ظن أنها داخلية في الحائط .

فقالوا : هذا أعجب .

فأمرها أن يصنعا ما رعدا به

فصورا صورة راقصتين في صورة حيتين مدهوتين متقابلتين هذه ترى كأنها داخلية في الحائط ، وتلك ترى كأنها خارحة من الحائط . فصور القصير راقصة بثياب بيض في صورة حية دهنها أسود كأنها داخلية في صورة الحية ، صور ابن عزيز اقصة ثياب حر في صورة حية صفراء كأنها باردة من الحية . فاستحسن البارودي ذلك ، وخلع عليهما ، وهما كثيرا من الذهب

وكان يدار العمان بالترافة ، من عمل الكتامي ، صورة يوسف عليه السلام في الجب وهو عريان والجب كله أسود ، إذا نظره الانسان ظن أن جسمه ناب من دهن لون الجب .

وكان هذا الجامع من محاسن الساء ، كان بنو الجوهري يعطون بهذا الجامع على كرمي في الثلاثة أشهر ، فتر لهم مجالس مجله تروق وتشوق ، ويقوم خادمهم زهر البان

— وهو شيخ كبير — ومعه زنجلة ، إذا توسط أحدهم في الوعظ ، ويصول وتصدق لا تأمنى أن تسألي فإذا سألت عرفت ذل السائل

ويدور على الرجال والنساء ، فلقى له في الزنجلة ما يره الله تعالى ، فإذا فرغ من التطواف ، وضع الزنجلة أمام الشيخ ، فإذا فرغ من وعظه فرق على الفقراء ما قسم لهم ، وأخذ الشيخ ما قسم له وهو الباقي ، ونزل عن الكرسي .

وكان جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ، ويجلسون في ليالي الصيف للحديث في القصر في صحه ، وفي الشتاء ينامون عند المنبر ، كان يحصل لقيمته القاضي أبي حفص الأشربة الحلوى وغير ذلك

قال الشريف محمد بن أحمد الجواني النسابة حدثني الأمير أبو علي تاج الملك جوهر — المعروف بالنسب — الجيوشي ، قال : احتسنا ليلة جمعة جماعة من الأمراء بسو معز الدولة رصالح وحاتم وراجح وأولادهم غلمانهم ، وجماعة ممن يلوؤ بسا كاس الموفق القاضي بن داود أبي المجد بن الصيرفي أبي الفضل روضة رآبي الحسن الرضيع . فعملنا سباطا وجلسنا ، واستدعينا بس في الجامع وأبي حفص فاكلنا ، ورفقنا الباقي إلى بيت الشيخ أبي حفص قيس الجامع ، ثم تحدثنا وننا .

وكان ليلة باردة ، فمنا عند المنبر . وإذا انسان نصف الليل ، ممن نام في هذا الجامع

(ج) ٢١٨ ج ٢ ، ط. بولاق .

من عابري السيل ، قد قام قائما وهو يلطم على رأسه ، ويصيح : واملأه ، واملأه ! فقلنا له : رالك ! ما شأنك ، وما الذي دهاك ، ومن سرقك ، وما سرق لك ؟

فقال : ياسيدي أنا رجل من أهل طرا ، يقال لي أبو كريت الحاروي ، أمسى على اللسل ونمت عندكم ، واكلت من خيركم — رسع الله عليكم — ولي جمعة أجمع بي سلى من نواحي طرا ، والحي الكبير والجبل ، كل غريبة من الحيات والأفاعي ، لم يقدر عليه قط حاو غيري ، وقد انتحت الساعة السلة ، وخرجت الأفاعي وأنا نائم لم أشعر

فقلت له : ايش تقول ؟

فقال : اي والله ، يالللنجدات !

فقلنا : ياعدو الله أهلكنا ومعنا صبيان وأطفال .

ثم انا نبهنا الناس ، وهربنا إلى المنبر وطلعنا وأزدحمتا فيه ، ومنا من طلع على قواعد العمدة فتسلق وبقى واقفا

وأخذ ذلك الحاروي بحسن ، وفي يده كنفه الحيات ، ويقول قبضت الرقطاء ثم يفتح السلة ويضع فيها ، ثم يقول قبضت أم قرنين ويفتح ويضع فيها ، ويقول قبضت الفلاني والفلانية من الثمانيين والحيات — وهي معه بأسماء — ويقول : أبو تليس وأبو زعير ، ونحن نقول . اه ... إلى أن قال : بس ازلوا ما بقي على هم ، ما بقي يهكم كبير شيء .

قلنا : كيف ؟

قال : ما بقي الا البتراء وأم رأسين ، ازلوا فما عليكم منهما .

قلنا : كذا ، عليك لعة الله ياعدو الله ، لا نزلنا للصبح ، فالمعزور من نفر

رصدنا بالقاضي أبي حفص القيم ، فأرقد الشمعة ، رلبس صاغات الخطب خوا على رجله وحاء فنزلنا في الضوء ، وطلعنا المذنة فمنا إلى بكرة ، تفرق شمسنا بعد تلك الليلة .

وجمع القاضي القيم عياله ثاني يوم ، وأدخلوا عصيا تحت المنبر وسعفا ، وشالوا الحصر ، فلم يظهر لهم شيء . ربلغ الحديث وإلى الترافة ابن شملة الكتامي ، فأخذ الحاروي ، فلم يزل به حتى جمع ما قدر عليه ، وقال : ما أخليه الا إلى السلطان . وكان الوزير إذ ذاك يأنس الأرمني .

وهذه القضية تشبه قضية جرت لجعفر بن الفضل بن الفرات وزير مصر — المعروف بابن حراية — وذلك أنه كان يهوى النظر إلى الحيات والأفاعي والعقارب وأم أربعة وأربعين وما يجري هذا المجرى من الحشرات . وكان في داره قاعة لطيفة مرخمة فيها سلال الحيات ولها قيم فراش حاو من الحواة ، ومعه مستخدمون يرسم الخدمة وتقل السلال وحطها

وكان كل حاو في مصر وأعمالها يصيد ما يقدر عليه من الحيات ، ويتباهون في ذوات المعجب من أجناسها وفي الكبار وفي الغريبة المنظر . وكان الوزير يشيهم على ذلك أوفى

ثواب ، ويذل لهم الجبل حتى يجتمعوا في
تجصيلها . وكان له وقت يجلس فيه على
مرتفعة ، ويدخل المستخدمون المرأة ،
فيخرجون ما في السلال يطرحونه على ذلك
الرخام ويحشون بين الهواء ، هر شعيب
من ذلك ويستحبه .

فلما كان ذاب يوم أخذ رقعة الى الشيخ
الجليل ابن المدر الكاتب - وكان - أعيان
كتاب أيامه وديوانه ، كان عرا عنده .
وكان يسكن الى جوار دار ابن القرات -
يقول له فيها : « تسهر الشيخ الحليل - آدم
الله سلامته - أنه لما كان البارحة عرس عليا
الحواة الحشرات الجارى بها العادات : انساب
الى داره منها الحبة البراء وذات الفين
والعقريان الكبير وأبو صوفة ، وما حصلوا
لنا الا بعد عشاء مشقة ، وبحلة بذلهاها
للحواة ، ونحن تأمر الشيخ - فقه الله -
بالتقدم الى حاشيته ، صيته بصوت ما وجد
منها ، الى أن تنفذ الحواة لأخذها وردها الى
سلها .

فلما وقف ابن المدر على الرقعة قلبها ،
وكتب في ذيلها : « أنا في أمر سيدنا الوزير
- خلد الله نعمته - بحرس مدته - بما أمار
اليه في أمر الحشرات - الذي يعتمد عليه
في ذلك ، أن الطلاق يلزمه ثلاثا ان بات هو
واحد من أهله في الدار ، والسلام .

وفي سنة ست عشرة خمسمائة أمر الوزير
أبو عبد الله محمد بن فامك - المنعوي - بالأجل
الأمون الطائحي - وكله أبا الركات محمد
ابن عثمان برم شعث هذا الجامع ، وأن يعمر
بجانبه طاحونا للسيل ، ويتاع لها الدواب ،

ويتخير من الصالحين الساكنين بالقرافة من
يجعله أميا عليها ، ويطلق له ما يكفيه مع علف
الدواب وجبج المؤن ، ويشترط عليه أن
يواصي بين الضعفاء ، يعمل عنهم كلفة طحن
أقواتهم ، ويؤدى الأمان بها .

ولم يزل هذا الجامع على عمارته الى أن
احترق في السنة التي احرق فيها جامع عمرو
ابن العاص سنة أربع وستين وخمسمائة ،
نزول مري ملك الفرنج على القاهرة
وحصارها ، كما تقدم ذكره عند ذكر خراب
القساط من هذا الكتاب . وكان الذي تولى
احراق هذا الجامع ابر مناعة باشارة الأستاذ
مؤمن الخلافة جوهر ، وهو الذي أمر المذكور
بحرق جامع عمرو بمصر . وسئل عن ذلك
فقال : لئلا يخطب فيه لبي العاص .

ولم يبق من هذا الجامع بعد حرقه سوى
المحراب الأخضر . وكان مؤذن هذا الجامع في
أيام المستنصر - بقاء المحدث ابر بن عبد
الغنى بن سعيد الحافظ - ثم جددت عمار هذا
الجامع في أيام المسمر بعد حرقه . وأدركته
لما كانت القرافة الكرى عامرة سكنى
السودان التكاورة ، وهو مقصود للبركة .
فلما كانت الحوادث والمح في سنة ست
وثمانمائة قل الساكن بالقرافة ، وصار هذا
الجامع طول الأيام معلوقا ، وربما أقيمت فيه
الجمعة .

جامع الجيزة

بناه محمد بن عبد الله الخازن ، في الحرم
سنة خمسين وثلثمائة ، بأمر الأمير على بن عبد

(٢٨) سنة ٢١٩ هـ ، ط . بولاق .

الله بن الأخشيد . فتقدم كافور الى الخازن
بأنه ، فإنه كان قد هدمه النيل ، وسقط في
سنة أربعين وثلثمائة ، وعمل له مستغلا . وكان
الملك قبل ذلك بالجيزة يصاؤون الجمعة في
مسجد جامع همدان ، وهو مسجد مزاحف
بن عامر بن بكتل ، وقيل ان عقبة بن عامر
بن امرته على مصر أمرهم أن يجتمعوا فيه .

قال التميمي : وشارف بناء جامع الجيزة
مع أبي بكر الخازن أبو الحسن بن جعفر
الطحاوي ، واحتاجوا الى عبد للجامع ، فمضى
الخازن في الليل الى كنيسة بأعمال الجيزة ،
فطلع عندها ونصب بدلها أركانا ، وحمل
المسد الى الجامع . فترك أبو الحسن بن
الطحاوي الصلاة فيه مذ ذاك تورعا .

قال التميمي : وقد كان (يعني ابن
الطحاوي) يصلي في جامع القسقاط القديم ،
وبعض عبده أو أكثرها ورخامه من كنائس
الاسكندرية وأرياف مصر ، وبعضه بناء قرة بن
شريك عامل الوليد بن عبد الملك .

جامع منجك

هذا الجامع يعرف موضعه بالثغرة تحت
قلعة الجبل خارج باب الوزير . أنشأه الأمير
سيف الدين منجك اليوسفي ، في مدة وزارته
بديار مصر ، في سنة احدى وخمسين
وسبعمائة ، وصنع فيه صهريجاً فصار يعرف
الى اليوم بصهريج منجك ، ورتب فيه صوفية ،
وقرر لهم في كل يوم طعاما ولحما وخبزا ، وفي
كل شهر معلوما ، وجعل فيه منبرا ، ورتب فيه
خطيبا يصلي بالناس فيه صلاة الجمعة .

وجعل على هذا الموضع عدة أوقاف . منها
ناحية بليقنة بالغربية ، وكانت مرصدة برسم
الحاشية ، فقوت بخمسة وعشرين ألف دينار ،
فاستراها من بيت المال ، وجعلها واقفا على
هذا المكان .

« منجك » الأمير سيف الدين اليوسفي :
لما امتنع أحمد ابن الملك الناصر محمد بن
قلاوون بالكرك ، وقام في مملكة مصر بعده
أخوه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل ،
وكان من محاصرته بالكرك ما كان الى أن
أخذ ... فتوجه اليه وقطع رأسه ، وأحضرها
الى مصر - وكان حينئذ أحد السلاحدارية -
فأعطى امرة بديار مصر ، وتقل في الدول .

الى أن كانت سلطنة الملك المظفر حاجي ابن
الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فأخرجه من
مصر الى دمشق ، وجعله حاجيا بها موضع ابن
طغرل . فلما قتل الملك المظفر ، وأقيم بعده
أخوه الملك الناصر حسن ، أقيم الأمير سيف
الدين يلبغا روس في نيابة السلطنة بديار مصر
- وكان أخا منجك - فاستدعاه من دمشق ،
وحضر الى القاهرة في ثامن شوال سنة ثمان
وأربعين وسبعمائة ، فرسم له بامرة تقديما
ألف ، وخلع عليه خلع الوزارة .

فاستقر وزيرا وأستادارا ، وخرج في دست
الوزارة والأمراء في خدمته من القصر الى
قاعة صاحب القلعة ، فجلس بالشباك ، وتقد
أمور الدولة . ثم اجتمع الأمراء ، وقرأ عليهم
أورقا تتضمن ما على الدولة من المصروف ،
ووفر من جامكية المالك مبلغ مئتين ألف
درهم في الشهر ، وقطع كثيرا من جوامك

الخدم والجوارى واليوليات السلطانية ،
وتقص رواتب الدور من زوجات السلطان
وجواره ، وقطع رواتب الأغاني .

وعرض الاسطول السلطاني ، وقطع منه عدة
أمير اخورية وسراخورية وسواس وغلمان ،
ووفر من راتب الشير نحو الحسين اردبا
فى كل يوم ، وقطع جميع الكلابزية وكالوا
حسين بجوقة ، وأبقى منهم بجوقتين ، ووفر
جباة من الأسرى والمتالين والمستخدمين
فى العنائر ، وأبطل العنارة من بيت السلطان .
وكانت الحوائج غناها تحتاج فى كل يوم الى
أحد وعشرين ألف درهم تقرة ، فاقطع منها
مبلغ ثلاثة آلاف درهم ، وبقي مصروفها فى
اليوم ثمانية عشر ألف درهم تقرة .

وشرع ينكت على الدواوين ، ويحيط على
القاضى موفق الدين ناظر الدولة ، وعلى
القاضى علم الدين بن زنبور ناظر الحواص ،
ورسم ألا يستقر فى المعاملات سوى شاهد
ولحد وعامل وشاهد بغير معلوم ، وأغلظ على
الكتاب والدواوين وهددهم وتوعدهم .
فخافوه واجتمع بعضهم ببعض ، واشتوروا
فى أمرهم ، واتفقوا على مال يتوزعونه بينهم
على قدر حال كل منهم ، وحملوه الى منجك
سرا . فلم يبق من استقراره فى الوزارة شهر
حتى صار الكتاب وأرباب الدواوين أحياء
وأخلاء ، وتمكنوا منه أعظم ما كانوا قبل
وزاره ، وحسنوا له أخذ الأموال .

فطلب ولاية الأقاليم ، وقبض على أقبغا والى
العرية ، ولزمه بحمل خمسمائة ألف درهم

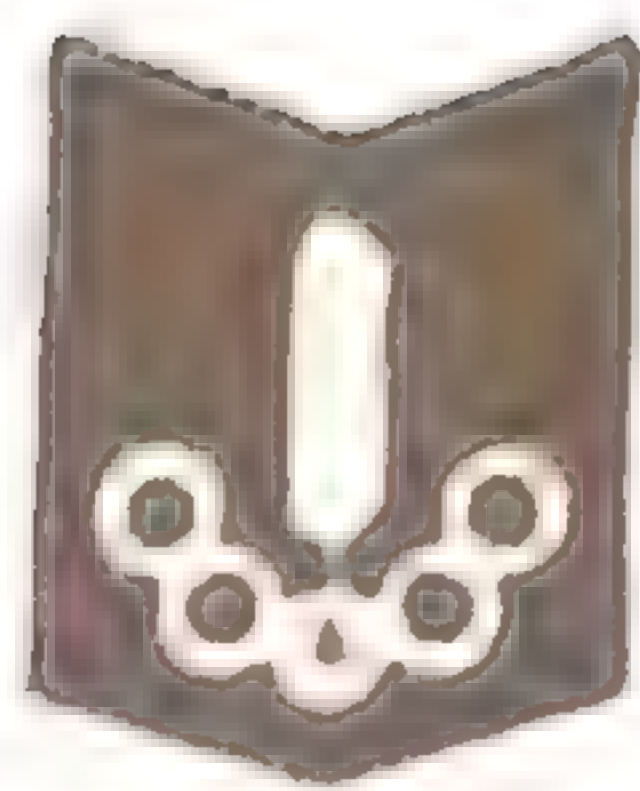
(٥٤) من ٢٢٠ ج ٢ ، ط ١٠٠٠٠

تقرة ، وولى عوضه الأمير أشدر القلجى ،
ثم صرفه وولى بدله قطينجا مملوك بكتمر ،
واستقر بأشدر القلجى فى ولاية القاهرة ،
وأضاف له التحلث فى الجهات ، وولى
البحرية لرجل من جهته ، وولى قوص لآخر ،
وأوقع الحوطة على موجود اسماعيل الواقدى
متولى قوص ، وأخذ جميع خواصه ، وولى
طماى كشف الوجه القبلى عوضا عن علاء
الدين على بن الكوراني ، وولى ابن المزوق
قوص وأعمالها ، وولى مجد الدين موسى
الهدبالي الأشمولين عوضا عن ابن الأزكى .

وتسامعت الولاة وأرباب الأعمال بأن
الوزير فتح باب الأخذ على الولايات ، فهرع
الناس اليه من جهات مصر والشام وحلب
وقصدوا بابه . ورتب عنده جباة يرسم قضاء
الأشغال ، فأتاهم أصحاب الأشغال والحوائج .

وكان السلطان صغيرا حظه من السلطنة
أن يجلس بالايوان يومين فى الأسبوع ،
ويجتمع أهل الحل والعقد مع سائر الأمراء
فيه . فادا انقضت خدمة الايوان خرج الأمير
منكليبا الفخرى الأمير يبرا والأمير يلعا
تر والمجدى وأرلان وغيرهم من الأمراء ،
ويدخل الى القصر الأمير يلعا رومن نائب
السلطنة والأمير سيف الدين منجك الوزير
والأمير سيف الدين شيخو الممرى ، والأمير
ألبينغا المظفرى والأمير طيرق ، ويتفق الحال
بينهم على ما يرويه

هذا والوزير آخر النائب متمكن تمكنا
زائدا . وقدم من دمشق جماعة للسعى عند
الوزير فى وظائف - منهم ابن السلموس ،



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأبنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
بولاق
سنة ١٢٧٠ هجرية

الثمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والساء ٣ قروش

خَطُّ الْمُقْرِئِ

٣٩

كتاب
التعريف



ومات مصر هي مستط رأسي ، وملعب أترابي ، ومجمع ناسي ، ومغنى عنيفي وهامتي .
وموطن فنامتي وهامتي ، وهجو جوي الذي رب جناحي في ذكره ، وعش ماري ، فلو
تهوى الأنفس غير ذكره ، لازلت منذ ذوت العام ، وآتاني رب الفطانة والفهم ، أرقب في
معرفة أفيارها ، وأحب لإشراف على الاعتراف من آبارها ، وأعوى مسادة الركبان عن سكان ديارها .
تقى الدين أحمد بن علي المقرئ

وصلاح الذين ين المؤبد ، وابن الأجل ، وابن
عبد الحق — وتحدثوا مع ابن الأطروش
محتسب القاهرة في أغراضهم ، فسمى لهم حتى
تقرروا فيما عينوا .

ولما دخلت سنة تسع وأربعين ، عرف الوزير
السلطان والأمراء أنه لما ولي الوزارة لم يجد
في الأمراء ولا في بيت المال شيئا ، وسأل أن
يكون هذا بمحضر من الحكام . فرسم للقضاة
يكشف ذلك ، فركبوا إلى الأمراء بمصر وإلى
بيت المال بقلعة الجبل ، وقد حضر الدواوين
وسائر المباشرين ، وأشهدوا عليهم أن الأمير
منجك لما يشر الوزارة لم يكن بالأمراء ولا
بيت المال قدخ غلة ولا دينار ولا درهم ،
وقرئت المحاضر على السلطان والأمراء .

فلما كان بعد ذلك توقف أمر الدولة على
الوزير ، فشكا إلى الأمراء من كثرة الرواتب .
فاتفق الرأي على قطع نحو مئتين سواقا ،
فقطعهم ، ووفر لحومهم وعلقتهم وسائر ما
باسمهم من الكساوى وغيرها . وقطع من
العرب الركابة والنجابة ، ومن أرباب الوظائف
في بيت السلطان ومن الكتاب والمباشرين ،
ما جملته في اليوم أحد عشر ألف درهم .

وفتح باب المقايضات باقطاعات الأجناد ،
وباب النزول عن الاقطاعات بالمال ، فحصل
من ذلك مالا كثيرا ، وحكم على أخيه نائب
السلطنة بسبب ذلك ، وصار الجندي يبيع
اقطاعه لكل من أراد سواء كان المنزل له
جنديا أو غاميا ، وبلغ ثمن الاقطاع من عشرين
ألف درهم إلى ما دونها .

وأخذ يسمى أن تضاف وظيفة نظر الخاص
إلى الوزارة ، وأكثر من الحط على ناظر
الخاص ، فلحترس ابن زبور منه ، وشرع في
إبعاده مرة بعد مرة مع الأمير شيخو . فمنع
شيخو منجك من التحدث في الخاص وخرج
عليه ، فشق ذلك على منجك ، واقتربا عن غير
رضا .

فتغير يلغا روس النائب على شيخو رعاية
لأخيه ، وسأل أن يعفى من النيابة ، ويعفى
منجك من الوزارة ، واستقراره في الاستادارية
والتحدث في عمل حفر البحر ، وأن يستقر
أستدر العمرى — المعروف برسلان بصل —
في الوزارة . فطلب ، وكان قد حضر من
الكشف ، وألبس خلع الوزارة في يوم الاثنين
الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول .

وكان منجك قد عزل من الوزارة في ثالث
ربيع الأول المذكور ، وتولى أمر شد البحر .
فجى من الأجناد من كل مائة دينار درهما ،
ومن التجار والمتعشين في مصر والقاهرة من
كل واحد عشرة دراهم إلى خمسة دراهم إلى
درهم ، ومن أصحاب الأملاك والدور في
مصر والقاهرة : على كل قاعة ثلاثة دراهم ،
وعلى كل طبقة درهمن ، وعلى كل مخزن
أو اصطبل درهما . وجعل المستخرج في خان
مسرور بالقاهرة ، والمشد على المستخرج الأمير
يلك ، فجى مال كبير .

وأما أستدر فإن أحوال الدولة توقفت في
أيامه ، فسأل في الاعفاء فأعفى ، وأعيد منجك
إلى الوزارة بعد أربعين يوما وقد تمنع تمنعا
كبيرا . ولما عاد إلى الوزارة فتح باب الولايات
بالمال ، فقصده الناس وسعوا عنده ، فولى

وعزل ، وأخذ في ذلك مالا كثيرا . فيقال انه أخذ من الأمير مازان لما نقله من الموفية الى افرسية ، ومن ابن الفسائي لما نقله من الانسومين الى البهاوية ، ومن ابن سلمان لما ولاه منوف : ستة آلاف دينار . ووفر اقطاع شاد الدواوين ، وجعله باسم المانيك السلطانية ووفر : جوامكهم وروابهم .

وشرع أوباش الناس في اسمى عنده في الوظائف والمباشرات بصل ، ووثقوه من البلاد ، فمضى انغالهم ، ولم يرد احدا طلب شي . وومع في أيامه الماء العظيم ، فنهكت اضعاف كثيرة ، فمضى رأى الوزير أن يوفر الجوامك والرواب التي للحاشية ، وكتب لسائر أرباب الوظائف وصحاب الأشغال والماليك السلطانية مشلات بقدر جوامك كل منهم ، وكذلك لأرباب الصدقات . فأخذ جماعة من الأقباط ومن الكتاب ومن الموقعين اقطاعات في نظير جوامكهم ، وتوفر في الدولة من كبير عن الجوامك والرواب .

ولما دخلت سنة خمسين رسم الأمير مجك الوزير لمولى القاهرة بضم أصحاب الأرباع ، وكاتبه جميع أملاك الحارات والأزقة وسائر أخطاط مصر والقاهرة ، ومعرفة أسماء سكانها ، والمحصى عن أربابها ... ليصرف من توفر عنه ملك بسوته في الفاء . فطلبوا الجميع وأمعنوا في النظر . فكان يوجد في الحارة الواحدة والزقاق الواحد ما يزيد على عشرين دارا خالية لا يعرف أربابها ، فختسوا على ما وجدوه من ذلك ، ومن الفساق والخانات والمخازن حتى يحضر أربابها .

٢٤٢

وفي شعبان عزل ولاد الأعمال ، وأحضرهم الى الدهرة وولى غيرهم ، وأصاب الى كل وال كشف الجور التي في عمله ، ووصى الناس سائر جهات الدهرة ومصر بحيث انه لا يتحدث أحد معه من المقدمين والدواوين والشادين ، وزاد في المعاملات ثلثمائة ألف درهم ، وخلق عليه ونودي له بنصر والقاهرة ، فاستد ظلمه وعسفه ، وكثرت حوادثه .

فلما كنت ليالى عيد المطر ، عرف الوزير الأمراء أن ساط العيد يصرف عليه جملة ولا ينفع به أحد ، ونظفه ولم يعمل تلك السنة .

وفي دى امعدة توقف حال الدولة ، ووقف ماليك السلطان وسائر المعاملين والحوائجكاشيه ، وازعج السلطان والأمراء بسبب ذلك على الوزير . فاحتج بكثرة الكلف وطلب الموفق بطل الدولة فقال ان الانعامات قد كثرت ، والكلف زائدت ، وقد كانت الحوائجكاشيه في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون في اليوم ينصرف فيها مبلغ ثلاثة عشر ألف درهم ، واليوم ينصرف فيها اثنان وعشرون ألف درهم .

فكتبت أوراق بنحصل الدولة ومصرفها وبتحصل الخاص ومصرفه . فجاءت أوراق الدولة ومتحصلها عشرة آلاف ألف درهم ، وكلفها أربعة عشر ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم . ووجد الانعام من الخاص والجيش ، بما خرج من البلاد زيادة على اقطاعات الأمراء ، فكان زيادة على عشرين ألف دينار ، سوى جملة من الغلال ، وأن الذي استجد على الدولة من حين وفاة الملك الناصر

في ذى الحجة سنة احدى وأربعين الى مستهل المحرم سنة خمسين وسبعمائة .

وكانت جملة الانعامات بناوحي الصعيد والقيوم وبلاد الملك والوجه البحري وما أعطى من الرزق للخدام والجواري ، سبعمائة ألف ألف ألف وستمائة ألف ... معينة بأسماء أربابها من أمير وخدام وجارية .

وكانت النساء قد أسرفن في عمل القمصان والبغالطيق ، حتى كان يفضل من القميص كثير على الأرض ، وسعة الكم ثلاثة أذرع - ويسمينه البهظة - وكان يفرم على القميص ألف درهم وأكثر ، وبلغ ازار المرأة الى ألف درهم ، وبلغ الخف والسرmozة الى خمسمائة درهم وما دونها الى مائة درهم ... فأمر الوزير منجك بقطع أكمام النساء ، وأخرق بهن ، وأمر الوالى بتبع ذلك ، ونودي بمنع النساء من عمل ذلك ، وقبض على جماعة منهن ، وركب على سور القاهرة صور نساء عليهن تلك القمصان بهيئة نساء قد قتلن عقوبة على ذلك . فانكفن عن لبسها .

ومنع الأساكفة من عمل الأخفاف المشنة ، ونودي في القياصر من باع ازار حرير ماله للسلطان ، فنودي على ازار ثمنه سبعمائة وعشرون درهما فبلغ ثمانين درهما ، ولم يجسر أحد أن يشتريه . وبالحق الوزير في الفحص عن ذلك حتى كشف دكاكين غسالى الثياب ، وقطع ما وجد من ذلك . فامتنع النساء من لبس ما أحدثته من تلك المنكرات .

ولما عظم ضرر الفار أيضا من كثرة شكاية الناس فيه ، فلم يسمع فيه الوزير قولاً ، وقام

في أمره الأمير مفلطاي أمير اخور ، فاستوحش منه الوزير .

واتفق أنه كان قد حج محمد بن يوسف مقدم الدولة في محبل كبير بلغ عليق جباله في اليوم مائتي عليقة . ولما قدم في المحرم مع الحاج ، أهدى للنائب وللوزير وللأمير طاز وللأمير صرغتمش هدايا جلييلة ، ولم يهد للأمير شيخو ولا للأمير مفلطاي شيئا . ثم لما عاب عليه الناس ذلك أهدى بمعد عدة أيام للأمير شيخو هدية ، فردها عليه .

ثم انه أنكر على الوزير في مجلس السلطان ما يفعله ولاية البر ، وما عليه مقدم الدولة من كثرة المال ، وأغلظ في القول . فرسم بعزل الولاية ، والقبض على المقدم محمد بن يوسف وابن عمه المقدم أحمد بن زيد . فلم يسمع الوزير غير السكوت .

فلما كان في رابع عشر شوال سنة احدى وخمسين ، قبض على الوزير منجك وقيد ، ووقعت الحوطة على سائر حواصله ، فوجدت له زردخاناه حمل خمسين جملا ، ولم يظهر من النقد * كثير مال فأمر بمقبوته . فلما خوف أقر بصندوق فيه جوهر ، وقال : سائر ما كان يتحصل لي من النقد كنت أشتري به أملاكا وضياعا وأصناف المتاجر . فأحيط بسائر أمواله وحمل الى الاسكندرية مقيدا ، واستقر الأمير بلبان الساني نائب اليرة أستاذارا عوض منجك بعد حضوره منها ، وأضيفت الوزارة الى القاضي علم الدين بن زنبور ناظر الخاص .

(*) من ٢٢٢ ج ٢ ، ط ٥ بولاق

فلم يزل منجك مسجوة بالاسكندرية الى ان خلع الملك الناصر حسن . واقام بدله في المملكة اخوه الملك الصالح صالح ، فأمر بالافراج عن الأمير شيخو والأمير منجك ، فحضرا الى القاهرة في رجب سنة اثنين وخمسين . ولما استقر الأمير منجك بالقاهرة ، بعث اليه الأمير شيخو خمس رؤوس خيل وأتى دينار ، وبعث اليه جميع الأمراء بالتقدم .

وقام بقتال بعض على حصير فوقه ثوب صرغ عتيق ، وكلما أتاه أحد من الأمراء يركي ويتوجع ويقول : أخذ جميع مالي حتى صرت على الحصير . ثم كتب فتوى تضمن أن رجلا مسجودا في قيد ، هدد بالقتل ان لم يسع أملاكه ، وأنه خشي على نفسه القتل فوكل في يدها . فكتب له القتله لا يصح يسع لمكره . ودار على الأمراء ، وما زال بهم حتى تحسثوا له مع السلطان في رد أملاكه عليه .

فعارضهم الأمير صرغتمش ، ثم رضى أن يرد عليه من أملاكه ما أنعم به السلطان على ماليكه . فاسترد عدة أملاكه ، وقام الى أن قام يلغا روس بطلب ، فاختفى منجك وطلب فلم يوجد ، وأطلق النداء عليه بالقاهرة ومصر ، وهدد من أخفاه ، وألزم عريان المائد بإقتفاء أثره ، فلم يوقف له على خير ، وكبس عليه عدة أماكن بالقاهرة ومصر ، وقتل عليه حتى في داخل الصرح الذي بجامعه فغنى أمره .

وتدرك السلطان السفر لحرب يلغا روس ، فشرع في ذلك الى يوم الخميس رابع شعبان ، فخرج الأمير طار بين معه .

وفي يوم الاثنين سابعه عرض الأمير شيخو والأمير صرغتمش أملاكهما ، وقد وصل الأمير طار الى بليس ، فحضر اليه من أخبره أنه رأى بعض أصحاب منجك ، فسير اليه وأحضره وقتله ، فوجد معه كتاب منجك الى أخيه يلغا روس ، وفيه أنه مخفى عند الحمام العفدي استداره . فبعث الكتاب الى الأمير شيخو ، فوافقه والإطلاب خارجة ، فاستدعى بالحمام وسأله فأنكره ، فعاقبه الأمير صرغتمش فلم يعترف .

فركب الى بيت الحمام بجوار الجامع الأزهر وهجمه ، فإذا بمنجك ومعه مملوك ، فكفنه ودار به مشهورا بين الناس — وقد هرعوا من كل مكان — الى القلعة ، فسجن بالاسكندرية الى أن شفع فيه الأمير شيخو ، ففرج عنه في ربيع الأول سنة خمس وخمسين ورسم أن يتوجه الى صند بقتلا . فسار اليها من غير أن يعبر الى القاهرة .

فلما خلع الملك الصالح صالح ، وأعيد السلطان حسن في شوال منها ، قتل منجك من صند ، وأنعم عليه بنيابة طرابلس عوضا عن أيتش الناصري ، فسار اليها ، وأقام بها الى أن قبض على الأمير طار نائب حلب في سنة تسع وخمسين ، فولى منجك عوضا عنه .

ولم يزل يحلب الى أن فر منها في سنة ستين فلم يعرف له خبر ، وعوقب بسببه خلق كثير . ثم قبض عليه بدمشق في سنة إحدى وستين ، فحمل الى مصر ، وعليه بشت صوف على وعلى رأسه مئزر صوف ، فلم يؤاخذ به السلطان ، وأعطاه امرأة بلبغاهاه ببلاد الشام ،

وجعلته طرخاناه يقيم حيث شاء من البلاد الإسلامية ، وكتب له بذلك .

فلما قتل السلطان حسن ، واقام من بدله في المملكة الملك المنصور محمد بن المقتر حاجي في جمادى الأولى سنة اثنين وستين ، خامر الأمير يدمر نائب الشام على الأمير يلغا المصري القائم بتدبير دولة الملك المنصور ، ووافقه جماعة من الأمراء منهم الأمير منجك ، فخرج الأمير يلغا بالمنصور والمساكر من قلعة الجبل الى البلاد الشامية ، فوافى دمشق .

ومضى الناس بينه وبين الأمير يدمر حتى حتى تم الصلح ، وحلف الأمير يلغا أنه لا يؤذى يدمر ولا منجك ، فنزلا من قلعة دمشق ، وقيدهما وبعث بهما الى الاسكندرية فسجن بها . الى أن خلع الأمير يلغا المنصور ، وأقام بذلك الملك الأشرف شعبان بن حسن ، وقتل الأمير يلغا ، فأفرج الملك الأشرف عن منجك ، وولاه نيابة السلطنة بدمشق عوضا عن الأمير على المارداني في جمادى الأولى سنة تسع وستين .

فلم يزل في نيابة دمشق الى أن حضر الى السلطان زائرا في سنة سبعين بتقدم كثيرة بجليلة ، وعاد الى دمشق ، وأقام بها الى أن استدعاه السلطان في سنة خمس وسبعين الى مصر ، وفوض اليه نيابة السلطنة بديار مصر ، وعمله أتابك المساكر ، وجعل بتدبير المملكة اليه ، وأن يخرج الأمهات للبلاد الشامية ، وأن يولى ولاية أقاليم مصر والكشاف ، ويخرج الاقطاعات بمصر من عبرة مائة دينار الى ما دونها .

وكانت عادة التواب قبله الا يخرج من الاقطاعات الا ما عبرته أربعمائة دينار فمسا دونها . فعمل النيابة على قالب جائز وحرمة وائرة الى أن مات خف الله في يوم الخميس التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ست وسبعين وسبعمائة ، وله من العمر ليف وستون سنة ، وشهد جنازته سائر الأعيان ، ودفن بترتته المجاورة لجامعه هذا .

وله سوى الجامع المذكور من الآثار بديار مصر خان منجك في القاهرة ، ودار منجك برأس سوق العزى بالقرب من مدرسة السلطان حسن ، وله بالبلاد الشامية عدة آثار من خانات وغيرها . رحمه الله .

الجامع الأخضر

هذا الجامع خارج القاهرة بخط فم الخور . عرف بذلك لأن بابيه وقبته فيهما نقوش وكتابات خضر . والذي أنشأه خازندار الأمير شيخو واسمه

جامع البكري

هذا الجامع بحكر البكري قريبا من الدكة تعطلت الصلاة فيه منذ خربت تلك الجهات .

جامع السروجي

هذا الجامع بحكر

جامع كرجي

هذا الجامع بحكر أقوش .

(٩) ص ٢٢٢ ج ٢ ، ط. بولاق .

جامع الفاضل

هذا الجامع بسوق الخدم الطوائى شهاب الدين فاضل المنصورى ، مقدم المديك الملقب به ، ومات فى سبع ذى الحجة سنة سبع وثمانمائة . وكان ذا مهابة وأخلاق حسنة ، مع سطوة شديدة .

« ولهم ببلد الفخرى » : الأمير سيف الدين ، تقي الجيوش ، مات فى سنة سبع وتسعين ومائة ، وولى نقابة الجيش بمصر طيرس الوزيرى ، وكان جوادا عارفا بأمر الأجناد ، خيرا كثير الترف .

جامع ابن عبد الظاهر

هذا الجامع بالقرافة المصرى ، قبلى قبر النبي بن سعد ، كان موضعه يعرف بالحنق . أنشأه القاضي فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن شوان بن عبد الظاهر الجذامى السعدى الروحى ، من ولد روح بن زنباع الجذامى ، بجوار قبر أبيه . وأول ما أقيمت به الخطبة فى يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وكان يوما مشهودا لكثرة من حضر من الأعيان . ولد بالقاهرة فى ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين ومائة ، وسمع من ابن الجيزى وغيره ، وحدث وكتب فى الانشاء ، وساد فى دولة المنصور قلاوون بمقتضى ورثته وهمة ، وتقدم على والده القاضي محبى الدين — وهو ماهر فى الانشاء والكتابة — بحيث كان من جملة من يصرفهم بأمرة ونهيه ، وكان الملك المنصور يستدعيه ويثق به .

ولما ولى القاضي فخر الدين بن لقمان الوزارة ، قال له الملك المنصور : من يلى عوضك كعبة السر ؟

قال : القاضي فتح الدين ابن عبد الظاهر . فولاه كعبة السر عوضا عن ابن لقمان ، وتمكن من السلطان وحظى عنده ... حتى ان الوزير فخر الدين بن لقمان ناول السلطان كتابا ، فحضر ابن عبد الظاهر لقراءته على عادته ، فلما أخذ الكتاب من السلطان ، أمر الوزير أن يتأخر حتى يقرأه ، فتأخر الوزير . ثم ان ابن لقمان صرف عن الوراثة ، وأعيد الى ديوان الانشاء ، فأدب معه

فلما ولى وزارة الملك الأشرف خليل بن قلاوون شمس الدين بن السلجوس ، قال لفتح الدين : اعرض على كل يوم ما تكتبه .

فقال : لا سبيل لك الى ذلك ، ولا يطلع على سرار السلطان الا هو ، فان اخترتم والا عينوا عوضى

فلما بلغ السلطان ذلك قال . صدق .

ولم يزل على حاله الى أن مات — وأبوه حتى — بدمشق فى النصف من شهر رمضان سنة احدى وتسعين وسبعائة . فوجد فى تركته قصيدة مرثية قد عملها فى رفيقه تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير ، لما مرض ومات مرضه ، فانفق أن عوفى ابن الأثير ، ولم يتأخر ابن عبد الظاهر بعد غايته سوى ليل يسيرة ومرض ومات . فترثه ابن الأثير بعد موته ، وولى وظيفة كتابة السر عوضا عنه .

ولم يكن ابن عبد الظاهر مجيدا فى صناعة الانشاء ، الا أنه دير الديوان وباشره أحسن مباشرة . ومن شعره :

ان شئت تنظرلى وتنظر حالى
فانظر اذا هب النسيم قبولا
فترام مشلى رقة ولطافة
ولاجل قلبك لا أقول عيلا
فهو الرسول اليك منى ليتى
كنت اتخذت مع الرسول ميلا *

ولم يزل هذا الجامع عامرا الى أن حدثت المعن فى سنة ست وثمانمائة ، واختلت القرافة لخراب ما حوله ، وهو اليوم قائم على أصوله.

جامع بساتين الوزير التى
على بركة الجيش

... ..

جامع الخندق

هذا الجامع بناحية الخندق خارج القاهرة ، ولم يزل عامرا بمسيرة الخندق . فلما خربت مساكن الخندق تلاشى أمره ، وتقلت معه الجمعة ، وبقي معظلا الى شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة . فأخذ الأمير طوغان الحسى الدوادار عمده الرخام وسقوفه ، وترك جدرانته ومنازله وهى باقية ، وعما قليل تدثر كما دثر غيرها مما حولها .

جامع جزيرة الفيل

... ..

(٥) من ٢٢٤ ج ٢ ، ط ٢٠٠٠ بلاق

جامع الطوائى

هذا الجامع خارج القاهرة فيما بين باب الشعبة وباب البحر . أنشأه الطوائى جوهى السحرى اللالا ، وهو من خدام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم انه تأمر فى تاسع عشر شهر رجب سنة خمس وأربعين ومبعمائة .

جامع كراى

هذا الجامع بالرنداية خارج القاهرة . عمره الأمير سيف الدين كراى المنصورى ، فى سنة احدى ومبعمائة ، لكثرة ما كان هناك من السكان . فلما خربت تلك الأماكن تمطل هذا الجامع ، وهو الآن قائم ، وجميع ما حوله دائر وعما قليل يدثر .

جامع القلعة

هذا الجامع بقلعة الجبل . أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ثمان عشرة ومبعمائة . وكان أولا مكانه جامع قديم ، ويجواره المطبخ السلطاني والحوائجخانه والطشتخانه والقراشخانه ، فهدم الجميع وأدخلها فى هذا الجامع ، وعمره أحسن عمارة ، وعمل فيه من الرخام الفاخر الملون شيئا كثيرا ، وعمر فيه قبة جليلة ، وجعل عليه مقصورة من حديد بديعة الصنعة ، وفى صدر الجامع مقصورة من حديد أيضا يرسم صلاة السلطان .

فلما تم بناؤه جلس فيه السلطان بنفسه ، واستدعى جميع المؤذنين بالقاهرة ومصر ، وسائر الخطباء والقراء ، وأمر الخطباء فخطب كل منهم بين يديه ، وقام المؤذنون وأدبوا وقرأ القراء فاختار الخطيب جمال الدين محمد بن محمد بن الحسن القسطلاني ، خطب جامع عمرو ، وجعله خطيباً بهذا الجامع ، واختار عشرين مؤدباً رتبهم فيه ، وجعل به قراء ودرسا وقارئ مصحف ، وجعل له من الأوقاف ما يفضل عن مصارفه .

فجاء من أجل جوامع مصر وأعضائها ، وبه إلى اليوم يصلي سلطان مصر صلاة الجمعة ، والذي يخطب فيه ويصلي بالناس الجمعة قاضي القضاة الشافعي

جامع قوصون

هذا الجامع داخل باب القرافة تجاه خانقاه قوصون . أنشأه الأمير سيف الدين قوصون ، وعمر بجانبه حماماً ، فسميت تلك الجهة من القرافة بجماعة الخنقاه والجامع ، وهو باق إلى يومنا .

جامع كوم الزيش

هذا الجامع عبارة دولات شاه .

جامع الجزيرة الوسطى

أنشأه النواشي مثل ، خادم تذكروا ابنة الملك الظاهر بيبرس ، وهو عامر إلى يومنا هذا .

جامع ابن صارم

هذا الجامع بخط برلاق خارج القاهرة . أنشأه محمد بن صارم شيخ بولاق فيما بين بولاق وباب البحر

جامع الكيمختى

هذا الجامع يعرف اليوم بجامع الجينية ، وهو بجانب موضع الكيمخت على شاطئ الخليج من جملة أرض الطبالة . كان موضعه داراً اشتراها معلم الكيمخت ، وكان يعرف بالحسوى ، وعملها جامعاً .

فضمن المعلم بعده رجل يعرف بالرومي ، فوقف عليه مواضع ، وجدد له مشذنة في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانمائة ، ووسع في الجامع قطعة كانت مشراً . وكان قبل ذلك قد جدد عمارته شخص يعرف بالفقيه زين الدين ربحان بعد سنة تسعين وسبعمائة ، وعمر بجانبه مساكن ، وهو الآن عامر بعمارة ما حوله

جامع الست مسكة

هذا الجامع بالقرب من قنطرة آق سنقر التي على الخليج الكبير خارج القاهرة . أنشأه الست مسكة ، جارية الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأقيمت فيه الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وقد ذكرت مسكة هذه عند ذكر الأحكار .

٢٢٨ مره ٢٢ ج ٢ ط بولاق

جامع ابن الفلك

هذا الجامع بسويته الجزيرة من الحسنية خارج القاهرة . أنشأه مظفر الدين بن الفلك .

جامع التكرورى

هذا الجامع في ناحية بولاق التكرورى . وهذه الناحية من جملة قرى الجزيرة ، كانت تعرف ببنية بولاق ، ثم عرفت ببولاق التكرورى . فانه كان نزل بها الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى ، وكان يمتد فيه الخير ، وجرت بركة دعائه ، وحكيت عنه كرامات كثيرة .

منها أن امرأة خرجت من مدينة مصر تريد البحر ، فأخذ السودان ابنها ، وساروا به في مركب ، وفتحوا القلع ، فجرت السفينة . وتعلقت المرأة بالشيخ تستغيث به ، فخرج من مكانه حتى وقف على شاطئ النيل ، ودعا الله سبحانه وتعالى ، فسكن الريح ووقفت السفينة عن السير ، فنادى من في المركب يطلب منهم الصبي ، فدفعوه إليه وناولوه لأمه .

وكان بمصر رجل دباغ أتاه غفص ، فأخذه منه أصحاب السلطان ، فأتى إلى الشيخ وشكا إليه ضرورته ، فدعا ربه ، فرد الله عليه غفصه بسؤال أصحاب السلطان له في ذلك .

وكان يقال له : لم لا تسكن المدينة ؟ فيقول : انى أشم رائحة كريهة اذا دخلتها . ويقال انه كان في خلافة العزيز بن المعز ، وان الشريف محمد بن أسعد الجوانى جمع له جزءاً في مناقبه . ولما مات بنى عليه قبة ،

وعمل بجانبه جامع جده ووسعه الأمير محسن الشهابى مقدم الماليك ، وولى تقدمه الماليك عوضاً عن الطواشى غير السحرتى أول صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، ومات في ...

ثم ان النيل مال على ناحية بولاق هذه فيما بعد سنة تسعين وسبعمائة ، وأخذ منها قطعة عظيمة كانت كلها مساكن . فخاف أهل البلد أن يأخذ ضريح الشيخ والجامع لقربهما منه ، فنقلوا الضريح والجامع إلى داخل البلد ، وهو باق إلى يومنا هذا .

جامع البرقية

هذا الجامع بالقرب من باب البرقية بالقاهرة عمره الأمير مغلطاي الفخرى أخو الأمير الماس الحاجب ، وكمل في المحرم سنة ثلاثين وسبعمائة . وكان ظالماً عسوفاً متكبراً جباراً ، قبض عليه مع أخيه الماس في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، وقتل معه .

جامع الحرانى

هذا الجامع بالقرافة الصخرى في بحرى الشافعى . عمره ناصر الدين بن الحرانى الشرايشى في سنة تسع وعشرين وسبعمائة .

جامع بركة

هذا الجامع بالقرب من جامع ابن طولون ، يعرف خطه بحذرة ابن قميحة . عمره شخص من المجند يعرف ببركة ، كان يباشر أستاذية الأمراء ، ومات بعد سنة إحدى وثمانمائة .

جامع بركة الرمل

هذا الجامع كان يعرف موضع بركة الرمل من جهة أرض القباية . قضا عرت بركة الرمل ، كما تقدم ذكره ، انتهى هذا الجامع . وكان غيبة قصر السقف ، وفيه قبة تحتها قبر زور ، وهو قبر الشيخ خليل بن عبد ربه ، خدم الشيخ عبد الله ، وتوفي في الحرم سنة اثنين وأربعين وسبعمائة . فلما سكن الوزير الصليب سعد الدين إبراهيم بن بركة البشري بجوار هذا الجامع ، علمه ووسع فيه ، وبناه هذا البناء في سنة أربع عشرة وثمانمائة .

وولد البشري في سابع ذي القعدة سنة ست وستين وسبعمائة ، وتقل في الخدم القيصرية حتى ولي أمر الدولة إلى أن قتل الأمير جمال الدين يوسف الأستاد ، فاستقر بعده في الوزارة ، ببغداد فتح الدين فتح الله ابن كتب السر ، في يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى سنة اثنى عشرة وثمانمائة .

فأمر الوزارة بضم جدار لمرفق الحلب والكتابة . إلا أنها كانت أيام من احتاج فيها إلى وضع يده ، وأخذ الأموال بأنواع الظلم . فلما قتل الملك الناصر فرج ، واستبد الملك العزيز شيخ ، صرفه عن الوزارة في يوم الخميس خلص جمادى الأولى سنة ست عشرة وثمانمائة ، ودفن بالقراية .

وهذا الجامع غامر بمسيرة ما حوله .

• • • • •

جامع القصة

هذا الجامع قبا بين القباية السلطانية وحب القصة ، المعروف بساب النرج ، على رأس القصة . أنشأه الأمير الكبير شيخ الحواري ، لما قدم من دمشق بعد قتل الملك الناصر فرج ، ولقمة الخليفة أمير المؤمنين المستن بالله العباسي ابن محمد في سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وسكن بالاصطبل السلطاني ، فترع في بناء دار يسكنها . فلما استبد بسلطة مصر ، وتجب بالملك العزيز ، استغنى عن هذه الدار وكانت لم تكمل ، فصلها جامعا وخانقا ، وصارت الجمعة تقام به .

جامع الحوش

هذا الجامع في دخل قلعة الجبل بالحوش السلطاني . أنشأه السلطان الملك الناصر فرج بن يرقوق في سنة اثنى عشرة وثمانمائة ، فصار يحل في الخدام وأولاد الملوك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن قتل الناصر فرج .

جامع الاصطبل

هذا الجامع في الاصطبل السلطاني من قلعة الجبل . عمره • • • • •

جامع ابن التركمان

هذا الجامع بالمقس خارج القاهرة .

جامع • • •

هذا الجامع بخط السبع ستايلت ، فيما بين القاهرة ومصر ، يسكن على بركة قارون . أنشأه • • • • •

جامع الباسط

هذا الجامع في بولاق خارج القاهرة . أدركت موضعه ، وهو مثل على النيل طول السنة . أنشأه شخص من عرض المقام يعرف • • • • • في سنة سبع عشرة وثمانمائة .

جامع الحنفي

هذا الجامع خارج القاهرة . أنشأه الشيخ شمس الدين محمد بن حسن بن علي الحنفي في سنة سبع عشرة وثمانمائة .

جامع ابن الرفعة

هذا الجامع خارج القاهرة بحكر الزهري . أنشأه الشيخ فخر الدين عبد المحسن بن الرفعة ابن أبي المجد العدي .

جامع الاسماعيل

أنشأه الأمير أرغون الاسماعيلي ، على البركة الناصرة ، في شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

جامع الزاهد

هذا الجامع بخط المقس خارج القاهرة ، كان موضعه كوم تراب ، فنقله الشيخ المعتد

لصعد ابن • • • • • المعروف بالزاهد ، وأنشأ موضعه هذا الجامع ، فكل في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وثمانمائة ، ومدم بسية علة . مساجد قد خرب ما حولها ، وبنى بأقاصها هذا الجامع .

وكان ساكنا مشهورا بالخير ، يعظ الناس بالجامع الأزهر وغيره ، ولطافة من الناس فيه عقيدة حسنة ، ولم يسمع عنه إلا خير . مات يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة وثمانمائة أيام الطعون ، ودفن بجامعه .

جامع ابن المغربي

هذا الجامع بالقرب من بركة قرموط ، مقل على الخليج الناصري . أنشأه صلاح الدين يوسف بن المغربي رئيس الأطباء بديار مصر ، وبنى بجانبه قبة دفن فيها ، وعمل به درسا وقرأ وتبرا يخطب عليه في يوم الجمعة . وكان غامرا بمسيرة ما حوله ، فلما خرب خط بركة قرموط تعطل ، وهو آيل إلى أن ينتقض وياع كما يمت أقاض غيره .

جامع المغري

هذا الجامع بجوار دار الذهب - انتهى عرفت بدار بصادر الأسر - المجاورة لقبو الذهب من خط بين السورين فيما بين الخوخة وباب سعادة ، ويتوصل إليه أيضا من درب العداس المجاور لحارة الوزيرية .

أنشأه الأمير فخر الدين عبد الغني ، ابن الأمير تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج

(•) من ٢٢٧ هـ ، ط ١٠٠

الاستاذ ، في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة
وخطب فيه يوم الجمعة ثمان عشر شعبان من
السنة المذكورة ، وعمل فيه عدة دروس .
وتول من خطب فيه الشيخ ناصر الدين
محمد بن عبد الوهاب بن محمد البارزى
الشافعى ، ثم تركه تزما عنه .

وفى يوم الأحد ثامن شهر رمضان ، جلس
فيه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الغنى
البرملوى الشافعى لتتريس ، وأضيف إليه
منيفة التصوف ، وقرر قاضى القضاة شمس
الدين محمد الديوى ، القاضى الحنفى ، فى
تتريس الحنفية ، وفى تتريس المالكية قاضى
القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد المالكى ،
وحضر البرملوى وخطبة التصوف بعد عصر
يومه . فالت الأمير فخر الدين فى نصف
شوال منها ولم يكمل ، فدفن هناك .

الجامع القومى

هذا الجامع بجوار باب زويلة من داخله .
كان موضعه خزانة شاكى حيث يسجن أرباب
الجرائم ، وقيصرية ستر الأشرار ، ودرب
الصغيرة ، وقيصرية جهاد الدين أرسلان .
أثناء السلطان الملك الناصر أبو النصر شيخ
الحمدى القاهرى .

فهو الجامع الجامع لمحسن البينان ،
الشاهد - بخلعة أركاء وضخامة بناية -
أن منتهى سيد ملوك الزمان . يحترق الناطق
له عند مشاهدته عرش بقيقس واخوان كبرى
أو شروان ، ويستمر من دمل بدع أسطوانه
الخودق وقصر غندان ، ويسجب من عرف
أوليه من تبديل الأبنال ، وتقل الأمور من

حال الى حال ... بينا هو سجن ترهق فيه
التفوس وضام المجهود ، إذ صار مدارس
آلات ، وموضع عبادات ، ومحل سجود ،
قله يصره يقاه منتهى ، ويملى كلمة الإيمان
بدوام حلك بآيه .

عسم الملوك لنا أرادوا ذكرها
من يمدحهم فيحسن البيان
أوما ترى الهرمين قد بقيت وكم
ملك محماه حواشى الزمان
ن الباء اذا تمادى قسره

أضحى يمل على عظيم الشأن
وأول ما ابتدء به فى أمر هذا الجامع :
أن رسم ، فى رابع شهر ربيع الأول سنة ثمان
عشرة وثمانمائة ، بالثقل مكان قيسارية ستر
الأشرار التى كانت تجاه قيسارية الفضل . ثم
رول جبانة من أرباب الدولة فى خامسة من
قلعة الجبل ، وابتدىء فى أهمهم فى القيسارية
المذكورة وما يجاورها ، فهدمت المور التى
كانت هناك فى درب الصغيرة ، وهدمت خزانة
شاكى فوجد بها من رمم القلى ورؤوسهم
شبه كبير ، وأقود لنقل ما خرج من التراب
عدة من الجبال والحير بلغت ثلاثتهم فى كل
يوم خمسة عتقة .

وكان السبب فى اختيار هذا المكان دون
غيره ، أن السلطان حسن فى خزانة شاكى
هذه ، أيام تغلب الأمير منطاش وقبضه على
الماليك القاهرة ، فقام فى ليلة من الليالى
والبرانيات شاداء ، فنظر له تعالى أن تيسر له
ملك مصر أن يجعل هذه البقعة مسجدا له
تر وجلى ، ومنزلة لأهل العلم ، فاختار لذلك
هذه البقعة وقاه لنفوه .

وفى رابع جيلادى الآخرة كان ابتداء حفر
الأساس ، وفى خامس صفر سنة تسع عشرة
وثمانمائة وقع الشروع فى البناء . واستقر
فيه بضع وثلاثون بيتا ، ومائة فاعل ، ووفيت
لهم وللمباشرهم أجورهم من غير أن يكلف أحد
فى العمل فوق طاقته ، ولا سخر فيه أحد
بالقهر . فاستمر العمل الى يوم الخميس .
سابع عشر ربيع الأول . فشهد عليه السلطان
أنه وقف هذا مسجدا لله تعالى ، ووقف عليه
عدة مواضع بديار مصر بلاد الشام . وتزد
ركوب السلطان الى هذه المسارة عدة مرار

وفى شعبان طلت عند الرخام والواح
الرخام لهذا الجامع ، فأخذت من الدور
والمساجد وغيرها . وفى يوم الخميس سابع
عشر شوال ، نقل باب مدرسة السلطان
حسن بن محمد بن قلاوون ، والتور الخامس
للكتف ، الى هذه المسارة ، وقد اشتراها
السلطان بخمسة ديار . وهذا الباب هو
الذى عمل لهذا الجامع ، وهذا التور هو
التور المعلق تجاه المحراب .

وكان الملك الظاهر برقوق قد سد باب
مدرسة السلطان حسن ، وقطع البطة التى
كانت قدماه كما تقدم ، فبقى مصراعا الباب
والسد من ورائها حتى قلا مع التور الذى
كان معلقا هناك .

وفى ثامن عشره دفنت ابنة صغيرة للسلطان
فى موضع القبة الغربية من هذا الجامع ، وهى
ثانى ميت دفن بها .

(هـ) ٢٢٨ هـ ، ١٢٤٨ م ، ١٢٤٨ م

واضقت جيلة ما صرف فى هذه المسارة ،
الى سلخ ذى الحجة سنة تسع عشرة ، على
أربعين ألف دينار .

ثم رول السلطان فى عشرى المحرم الى هذه
المسارة ، ودخل خزانة الكتب التى عملت
هناك ، وقد حمل اليها كتب كثيرة فى أنواع
العلوم كانت بقلعة الجبل . وقدم له ناصر
الدين محمد البارزى ، كاتب السر ، خمسمائة
مجلد قيمتها ألف دينار ، فأقر ذلك بالخزانة ،
وأفهم على ابن البارزى بأن يكون خطيبا
وخازن الكتب هو ومن بعده من ذريته .

وفى سابع عشر شهر ربيع الآخر منها سقط
عشرة من القلعة : مات منهم أربعة ، وحصل
سنة بأسوأ حال . وفى يوم الجمعة ثانى
جىلادى الأولى أقيمت الجمعة به ولم يكمل منه
سوى الايوان القبلى ، وخطب وصلى بالناس
عز الدين عبد السلام المقدسى - أحد نواب
القضاة الشافعية - نيابة عن ابن البارزى
كاتب السر .

وفى يوم السبت خامس شهر رمضان منها
ابتدىء بدم ملك بجوار ربح الملك الظاهر
بيرس ، مما اشتراه الأمير فخر الدين عبد
الغنى بن أبى الفرج الأستادار ، ليعمل ميثاء
واستر العمل هناك .

ولازم الأمير فخر الدين الإقامة بنفسه ،
واستعمل مماليكه وألزامه فيه ، وجد فى
العمل كل يوم ، فكملت فى سلخه بعد خمسة
وعشرين يوما . ووقع الشروع فى بناء
حوائت على بابها من جهة تحت الريح ،
ويملوها طباق .

وولدت الشفة على الجميع الى الخرافات شعر
ومضت هذا ، سوى عارة الأمير فخر الدين
المذكور ، زودة على ميسير ألف دينار .
وزدد السلطان الى الشرف في هذا الجامع غير
مرة .

فلما كان في أثناء شهر ربيع الآخر سنة
لعمري وعشرين ، ظهر بالشفة التي ائتت
على بدة باب زودة التي تلي الجامع انوجاج
الى جهة دلو الناح ، فكسب محضر بجساعة
للشمس انها مستحقة الهدم ، وعرض على
السلطان ، فرسم بدمها .

فوقع للشروع في الهدم يوم الثلاثاء رابع
عشره ، واستمر في كل يوم ، فسقط يوم
الخميس سادس عشره منها حجر هدم ملكا
تجاه باب زودة هلك تحت رجل ، ففلق باب
زودة خوفا على اللارة من يوم السبت الى
آخر يوم الجمعة سادس عشرى جمادى الأولى
مدة ثلاثين يوما ، ولم يهدم وقوع مثل هذا
قط منذ بنيت القاهرة .

وقال ادباء العصر في سقوط المنارة
المذكورة شعرا كثيرا . من ما قاله حافظ الوقت
شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر الشافعي
رحمته الله :

لجامع مولانا التوحد روتق
مناره زهر من الحسن والزين
تقول وقد مات عليهم تسهلوا

فليس على جسي أضر من العن
فتحت الناس له في قوله بالعين قصد
التورية لتخدم في العن التي تصيب الأشياء
فتسها ، وفي الشيخ بدر الدين محمود
الميتاني ، قال له العيني أيضا .

تقال المذكور يمارسه :

منارة كمروس الحسن اذ جلست
وملها بقضاء الله واتصفت
قالوا أصيت بين ، قلت ذا غلط
ما أوجب الهدم الا خسة العبر

بمرض بالشهاب ابن حجر . وكل منهما لم
يصب الغرض ، فان العيني بدر الدين محمود
ناظر الأحباس ، والشيخ شهاب الدين أحمد
ابن حجر ، كل منهما ليس له في المنفعة تعلق
حتى تخدم التورية ، وأقعد منها بالتورية من
قال :

على البرج من باب زودة أمت
منارة بيت الله والمعبد المنجي
فأخلى بها البرج اللين أمالها
ألا فاصرخوا بأقوم بالعين للبرج
وذلك أن الذي ولي تنيير أمر الجامع
للكردي هذا ، وولي نظر عمارته ، بهاء الدين
محمّد بن البرجي ، فهدمت التورية في
البرجي كما ترى .

وتداول هذا الناس ، تقال آخر :

عينا على ميل النار زودة
وقتا تركت الناس باليل في هرج

تقال قرني يوج نحن أمالتي
فلا يارك الرحمن في ذلك البرج

وقال الأديب شمس الدين محمد بن أحمد
ابن كمال الجوزي أحد الشهود :

منارة لشواب الله قد بيت
فكيف هدمت فقلوا فوضع الخبرا

من ٢٢٩ ج ١ : من ٢٢٩ ج ١

أصابت العين أحبارا بها اظلمت
ونظرة العين قالوا تفلح الحجير
وقال آخر :

منارة قد هدمت باتقضا
والناس في هرج وفي رنج
أمالها البرج فسالت به
فلمنة الله على الرج

وفي ثالث جمادى الأولى سنة اثنين
وعشرين ، استقر الشيخ شهاب الدين أبو
الفصل أحمد بن علي بن حجر في تدرس
الشافعية ، والشيخ يحيى بن محمد بن أحمد
المعيسى اسكني الرحى في تدرس المالكية ،
وعز الدين عبد العزيز بن علي بن الفخر
البغدادي في تدرس الحاملة ، وخلق عليهم
بحضرة السلطان . تدرس ابن حجر بالحرب
في يوم الخميس ثالث عشر ، وؤل لسلطان
وأقبل ليحضر عنده رهو في القاء الدرس ،
ومنه من القيام له فلم يتم واستقر فيما
هو بصنده ، وجلس السلطان عنده مليا .
ثم درس يحيى للمصري في يوم الخميس
خامس عشره ، ودرس فيه أيضا الفخر
البغدادي ، وحضر معهما قضاة القضاة
والشايخ .

وفي سابع عشره استقر بدر الدين محمود
ابن أحمد بن موسى بن أحمد الميتاني ناظر
الأحباس في تدرس الحديث النوى ، واستقر
شمس الدين محمد بن يحيى في تدرس
القراءات السبع .

وفي يوم الجمعة حادي عشرى شوال مها ،
ؤل السلطان الى هذا الجامع ، وقد تقدم الى

الباشرين من أمه تهبشة السباط العظيم
للسنة فيه ، والسكر الكثير لتلا البركة التي
بالصحن من السكر للذاب ، والعلوى
الكثيرة . فمضى ذلك كله . وجلس السلطان
بكرة النهار بالقرب من البركة في الصحن على
تخت ، واستعرض القمصاء ، فقرر من وقع
اختياره عليه في الدروس . ومد السباط
العظيم بأنواع الطعام ، وملئت البركة بالسكر
المذاب ، فاكل الناس ونهبوا ، وارتنوا من
السكر المذاب ، وحملوا منه ومن العلوى ما
قدروا عليه .

ثم طلب قاضي القضاة شمس الدين محمد
ابن سعد الديري الحنفي ، وخلق عليه كالمية
صوف بفرو سور ، واستقر في مشيخة
التصوف وتدرس الحنفية ، وجلس بالحرب
والسلطان عن يمينه ، وولي ابنه المقام الصارمي
ابراهيم ، وعن يساره قضاة القضاة ومشايخ
العلم ، وحضر أمراء الدولة ومناشروها . فألقى
درسا مفيدا الى أن قرب وقت الصلاة ، فدعا
بفض المجلس . ثم حضر الصلاة ، فصعد
ناصر الدين محمد بن البارزي كاتب السر
للمنبر ، فخطب وصلى ، ثم خلق عليه واستقر
خطيا وخازن الكتب ، وخلق على شهاب الدين
أحمد الأذري الامام ، واستقر في امانة
الخمس . وركب السلطان ، وكان يسوما
مشهودا .

ولما مات المقام الصارمي ابراهيم ابن
السلطان دفن بالقبة الشرقية ، وؤل السلطان
حتى شهد دفنه في يوم الجمعة ثاني عشرى
جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين ، وأقام
حتى صلى به الخطيب محمد البارزي كاتب

السر صلاة الجمعة ، بعدما خطب خطبة بليغة ، ثم عاد الى القلعة . وأقام القراء على قبره يقرأون القرآن أسبوعا ، والأمراء وسائر أهل الدولة يترددون اليه ، وكانت ليالى مشهودة .

وفى يوم السبت آخره ، استقر فى نظر الجامع المذكور : الأمير مقبل الدوادار ، وكاتب السر ابن البارزى . فنزلا اليه جميعا ، وتفننا أحواله ، ونظرا فى أموره . فلما مات ابن البارزى فى ثامن شوال منها ، اتفرد الأمير مقبل بالتحدث .

الى أن مات السلطان فى يوم الاثنين ثامن المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، فدفن بالقبة الشرقية ، ولم تكن عمرت ، فشرع فى عمارتها حتى كملت فى شهر ذى القعدة منها . وكذلك الدرج التى يصعد منها الى باب هذا الجامع من داخل باب زويلة لم تعمل الا فى شهر رمضان منها ، وبقيت بقايا كثيرة من حقوق هذا الجامع لم تعمل : منها القبة التى تقابل القبة المدفون تحتها السلطان ، والبيوت المعدة لسكن الصوفية وغير ذلك ، فأفرد لعمارتهما نحو من عشرين ألف دينار . واستقر نظر هذا الجامع بعد موت السلطان بيد كاتب السر .

الجامع الاشرفى

هذا الجامع فيما بين المدرسة السيوفية وقيسارية الغبر ... كان موضعه حوائت تعلوها رباع ، ومن ورائها ساحات كانت قياسر بعضها وقت على المدرسة القطيعة . فابتدأ الهدم فيها ، بعدما استبدلت بغيرها ، أول

شهر رجب سنة ١٠٠٠ ست وعشرين وثمانمائة ، وبنى مكانها . فلما عبر الايوان القبلى ، أقيمت به الجمعة فى سابع جمادى الاولى سنة سبع وعشرين ، وخطب به الحموى الواعظ وقد ولى الخطابة المذكورة .

الجامع الباسطى

هذا الجامع بخط الكافورى من القاهرة . كان موضعه من جملة أراضي البستان ، ثم صار مما اختط كما تقدم ذكره . فأنشأه القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل بن ابراهيم الدمشقى ، ناظر الجيوش ، فى سنة اثنين وعشرين وثمانمائة ، ولم يسر أحدا فى عمله ، بل وفى لهم أجورهم . حتى كمل فى أحسن هندام ، وأكيس قالب ، وأبدع زى ، تراح النفوس لرؤيته ، وتتهج عند مشاهدته ، فهو الجامع الزاهر ، والمعبود الباهى الباهر .

ابتدىء فيه باقامة الجمعة فى يوم الجمعة الثانى من صفر سنة ثلاث وعشرين ، ورتب فى خطبته فتح الدين أحمد بن محمد بن النقاش ، أحد شهود الحوائت وموقمى القضاة ، ثم رتب به صوفية ، وولى مشيخة التصوف عز الدين عبد السلام بن داود ابن عثمان المقدسى الشافعى أحد نواب الحكم ... فكان ابتداء حضورهم بعد عصر يوم السبت أول شهر رجب منها . وأجرى للفقراء الصوفية الخبز فى كل يوم ، والمعلوم فى كل شهر ، وبنى لهم مساكن ، وحفر صريحا يملأ من ماء النيل ، ويسبل فى كل يوم . فعم نفعه ، وكثر خيره .

(٥) من ٢٢٠ ج ٢ ، ط - بولاق =

ثم تجدد فى بولاق جامع ابن الجابى وجامع ابن السبتي ، وتجدد فى مصر جامع الحنات بخط دار النحاس ، وفى حكر الصبان الجامع المعروف بالمستجد ، وجامع القتح ، وفى حارة الفقراء جامع عبد اللطيف الطواشى الساقى .

وتجدد فى خارج القاهرة بسوق صنية جامع ابن درهم ونصف ، وفى خط معدية فريج جامع كزل بنا ، وفى رأس درب النيدى جامع حارس الطير . وفى سوق عصفور جامع القاضى أمين الدين ، بجانب زاوية الفقيه المعتقد أبى عبد الله محمد الفارقانى ، بنى فى سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة . وبخط البراذعين ورأس حارة الحرمين جامع الحاج محمد - المعروف بالمسكين مهتار - ناظر الخاص .

وتجدد فى المراغة جامع الشيخ أبى بكر المعروف ، بناه الحاج أحمد القماح . وأقيمت خطبة بخالكاه الأمير جالى بك الاشرفى خارج باب زويلة ، وتوفى يوم الخميس سابع عشر ربيع الأول سنة احدى وثلاثين وثمانمائة . وبخط باب اللوق جامع مقدم السقائين قريبا من جامع الست نصرة ، وبخط تحت الربع خارج باب زويلة جامع . وتجدد بالصحراء ، قريبا من تربة الظاهر برقوق ، خطبة فى تربة السلطان الملك الاشرف رساى الدقماقى .

وتجدد فى آخر سوق أمير الجيوش بالقاهرة جامع أنشأه الفقير المعتقد محمد النمرى ، وأقيمت به الجمعة فى يوم الجمعة وابع ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة قبل أن يكمل . وتجدد فى زاوية الشيخ أبى العباس البصير ، التى عند قنطرة الخرق ،

خطبة . وتجدد فى حدود الكماجين ، من أراضي اللوق ، خطبة بزاوية مطلة على غيط العدة .

وتجدد بالصحراء خطبة فى تربة الأمير مشير الدولة كافور الزمام ، وتوفى فى خامس عشر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثمانمائة . وتجدد بخط الكافورى خطبة ... أحدثها بنو وفاه فى جامع لطيف جدا . وتجدد بمدرسة ابن البقرى ، من القاهرة أيضا ، خطبة فى أيام المؤيد شيخ .

وتجدد بحارة الديلم خطبة فى مدرسة أنشأها الطواشى مشير الدولة المذكور . وتجدد عند قنطرة قدادار خطبة أنشأها شاكر البناء . وخطبة بالقرب منها فى جامع أنشأه الحاج ابراهيم البرددار الشهير بالحصانى ، أحد الفقراء الأحمدية السطوحية ، فى حدود الثلاثين وثمانمائة .

ذكر مذاهب أهل مصر ونحلهم منذ فتح عمرو ابن العاص رضى الله عنه أرض مصر الى أن صاروا الى اعتقاد مذاهب الأئمة رحمهم الله تعالى وما كان من الأحداث فى ذلك

اعلم أن الله عز وجل لما بعث نبينا محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، رسولا الى كافة الناس جميعا - عربهم وعجمهم - وهم كلهم أهل شرك وعبادة لغير الله تعالى الا بقايا من أهل الكتاب . . . كان من أمره ، صلى الله عليه وسلم ، مع قريش ما كان حتى هاجر من مكة الى المدينة . فكانت الصحابة رضوان الله عليهم حوله ، صلى الله عليه وسلم ، يجتمعون اليه فى كل وقت مع ما كانوا فيه من ضنك المعيشة وقلة القوت .

فمنهم من كان يحترف في الأسواق ، ومنهم من كان يقوم على نخله ، ويحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل وقت ، ومنهم طائفة عندما تجد أدنى فراغ مما هم بسبيله من طلب القوت .

فإذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسألة ، أو حكم بحكم ، أو أمر بشيء ، أو فعل شيئا ... وعاه من حضر عنده من الصحابة ، وفات من غاب عنه علم ذلك . ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد خفي عليه ما عمله حبل بن مالك بن النابغة - رجل من الأعراب من هذيل - في دية الجنين ، وخفي عليه ؟

وكان يفتي في زمن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من الصحابة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعمار ابن ياسر وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري وسلمان الفارسي ، رضي الله عنهم .

فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، تفرقت الصحابة رضي الله عنهم : فمنهم من خرج لقتال مسيلة وأهل الردة ، ومنهم من خرج لقتال أهل الشام ، ومنهم من خرج لقتال أهل العراق ... وبقي من الصحابة بالمدينة مع أبي بكر رضي الله عنه عدة .

فكانت القضية إذا نزلت بأبي بكر رضي الله عنه ، قضى فيها بما عنده من العلم بكتاب الله

(*) ص ٢٢١ ج ٢ ، ط. بولاق .

أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن لم يكن عنده فيها علم من كتاب الله ، ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سأل من يحضرته من الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك ، فإن وجد عندهم علما من ذلك رجع إليه والا اجتهد في الحكم .

ولما مات أبو بكر ، وولى أمر الأمة من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فتحت الأمصار وزاد تفرق الصحابة ، رضي الله عنهم ، فيما افتتحوه من الأقطار . فكانت الحكومة تنزل بالمدينة أو غيرها من البلاد ، فإن كان عند الصحابة الحاضرين لها في ذلك أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم به ، والا اجتهد أمير تلك البلدة في ذلك . وقد يكون في تلك القضية حكم عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، موجود عند صاحب آخر .

وقد حضر المدني ما لم يحضر المصري ، وحضر المصري ما لم يحضر الشامي ، وحضر الشامي ما لم يحضر البصري ، وحضر البصري ما لم يحضر الكوفي ، وحضر الكوفي ما لم يحضر المدني ... كل هذا موجود في الآثار ، وفيما علم من مغيب بعض الصحابة عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات وحضور غيره ، ثم مغيب الذي حضر أمس وحضور الذي غاب ، فيدري كل واحد منهم ما حضر ، ونفوته ما غاب عنه . فمضى الصحابة رضي الله عنهم على ما ذكرنا ، ثم خلف بعدهم التابعون الآخذون عنهم .

وكل طبقة من التابعين في البلاد التي تقدم ذكرها ، فإنما تفقهوا مع من كان عندهم من

الصحابة ، فكانوا لا يتعدون فتاوبهم الا ليبر مما بلغهم عن غير من كان في بلادهم من الصحابة رضي الله عنهم : كاتساع أهل المدينة في الأكثر فتاوى عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ، واتساع أهل الكوفة في الأكثر فتاوى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، واتساع أهل مكة في الأكثر فتاوى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، واتباع أهل مصر في الأكثر فتاوى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

ثم أتى من بعد التابعين رضي الله عنهم فقهاء الأمصار - كآبي حيفة ، وسفيان ، وابن أبي ليلى بالكوفة ، وابن جريج بسكة رمالك وابن الماجشون بالمدينة ، عثمان السبيعي وبصرى - فخرجوا على تلك الطرق من أخذ كل واحد منهم عن التابعين من أهل بلد فيما كان عندهم ، واجتهادهم فيما لم يجدوا عندهم وهو موجود عند غيرهم .

وأما مذاهب أهل مصر ، فقال أبو سعيد بن يونس : أن عبيد بن مخرم المفاقرى - يكنى أبا أمية : رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، شهد فتح مصر ، روى عنه أبو قبيل - يقال انه كان أول من أقرأ القرآن بمصر .

وذكر أبو عمرو الكندي ، أن أبا ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة ، مولى الملائم الحضرمي ، كان فقيها عفيفا شريفا ، ولد سنة ثمان ومائة ، وكان أول الناس اقرا بمصر بحرف الف قبل الخمين ومائة ، وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائة .

وذكر عن أبي قبيل وغيره أن يزيد بن أبي حبيب أول من نشر العلم بمصر في الحلال والحرام - وفي رواية ابن يونس : ومسائل الفقه - وكانوا قبل ذلك انما يتحدثون في الفتن والترغيب

وعن عون بن سليمان الحضرمي ، قال : كان عمر بن عبد العزيز قد جعل القضا بمصر الى ثلاثة رجال : رجلا من الموالي ، ورجل من العرب ، فأما العربي فجعفر بن ربيعة ، وأما الموليان فزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن أبي جعفر فكان العرب أنكروا ذلك ، فقال عمر بن عبد العزيز : ما ذنبى ان كانت الموالي تسو بأنفسها صعدا وأتم لا تسمن .

وعن ابن أبي قديد : كانت البيعة اذا جاءت للخليفة ، أول من سابع عبد الله بن أبي جعفر ، ويزيد بن أبي حبيب ، ثم الناس بعد .

وقال أبو سعيد بن يونس في « تاريخ مصر » عن حيوة بن شريح ، قال : دخلت على حسين بن شفي بن مانع الأصبحي وهو يقول : فعل الله بفلان ، فقلت : ماله ؟ فقال : عند الى كباين كان شفي سمعها من عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أحدهما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كذا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ، والآخر ما يكون من الأحداث الى يوم القيامة ، فأخذها فرمى بهما بين الخولة والرياب . قال أبو سعيد بن يونس : يعنى بقوله « الخولة والرياب » * مركبين كبيرين من سفن البحر ، كانا يكونان عند رأس البحر ، مما يلي

(*) ص ٢٢١ ج ٢ ، ط. بولاق .

القساط ، يجوز من تحتها - لكبرها -
المراكب .

وذكر أبو عمرو الكندي أن أبا سعيد
عثمان بن عتيق ، مولى غافق ، أول من رحل
من أهل مصر إلى العراق في طلب الحديث ،
توفي سنة أربع وثمانين ومائة . انتهى .

وكان حال أهل الإسلام من أهل مصر
وغيرها من الأمصار ، في أحكام الشرعة ،
على ما تقدم ذكره . ثم كثر الترحل إلى الآفاق
وتلاخل الناس والتقوا ، وانتدب أقوام لجمع
الحديث النبوي وتقليده .

فكان أول من دون العلم محمد ابن شهاب
الزهري ، وكان أول من صنف وبوب سعيد
ابن عروة والريث بن صبيح بالبصرة ، ومصر
ابن راشد باليمن ، وابن جريج بسكة ، ثم
سفيان الثوري بالكوفة ، وحصاد بن سلمة
بالبصرة ، والوليد بن مسلم بالشام ، وجبر
ابن عبد الحميد بالري ، وعبد الله بن المبارك
بمرو وخراسان ، وهشيم بن بشير بواسط .
وتفرد بالكوفة أبو بكر بن أبي شيبة بتكثير
الأبواب ، وجودة التصنيف ، وحسن التأليف .

فوصلت أحاديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم من البلاد البعيدة إلى من لم تكن عنده ،
وقامت الحجة على من بلغه شيء منها ، وجمعت
الأحاديث المبينة لصحة أحد التأويلات المتأولة
من الأحاديث ، وعرف الصحيح من السقيم ،
وزيف الاجتهاد المؤدى إلى خلاف كلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم وإلى ترك عمله ،
وسقط العذر عن خالف ما بلغه من السنن
يلوغيه إليه وقيام الحجة عليه .

وعلى هذا الطريق كان الصحابة رضي الله
عنهم ، وكثير من التابعين ، يرحلون في طلب
الحديث الواحد الأيام الكثيرة ... يعرف ذلك
من نظر في كتب الحديث ، وعرف سير
الصحابة والتابعين .

فلما قام هارون الرشيد في الخلافة ، وولى
القضاء أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم - أحد
أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى - بعد
سنة سبعين ومائة . قلم يقلد ببلاد العراق
وخراسان والشام ومصر إلا من أشار به
القاضي أبو يوسف ، رحمه الله ، واعتنى به .

وكذلك لما قام بالأندلس الحكم المرتضى بن
هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن
عبد الملك بن مروان بن الحكم ، بعد أبيه ،
وتلقب بالمنتصر في سنة ثمانين ومائة ، اختص
يحيى بن يحيى بن كثير الأندلسي - وكان
حج وسمع الموطأ من مالك إلا أبوابا ،
وحمل عن ابن وهب وعن ابن القاسم وغيره
علما كثيرا ، وعاد إلى الأندلس ، فنال من
الرياسة والحرمة ما لم يثله غيره ، وعادت
الفتيا إليه ، وانتهى السلطان العامة إلى
بابه - قلم يقلد ، في سائر أعمال الأندلس ،
قاضي إلا بإشارته واعتائه . فصاروا على رأي
مالك ، بعدما كانوا على رأي الأوزاعي .

وقد كان مذهب الامام مالك أدخله إلى
الأندلس زياد بن عبد الرحمن - الذي يقال
له بسطور - قبل يحيى بن يحيى ، وهو أول
من أدخل مذهب مالك الأندلس . وكانت
أفريقية الغالب عليها السنن والآثار ... إلى أن
قدم عبد الله بن فروج ، أبو محمد الفارسي ،

بمذهب أبي حنيفة ، ثم غلب أسد بن الفرات
ابن سنان ، قاضي أفريقية ، بمذهب أبي
حنيفة .

ثم لما ولى سحنون بن سعيد التوحى قضاء
أفريقية بعد ذلك ، نشر فيهم مذهب مالك ،
وصار القضاء في أصحاب سحنون دولا
يتصاولون على الدنيا تصاول الفحول على
الشول . إلى أن تولى القضاء بها بنو هاشم
- وكانوا مالكية - فتوارثوا القضاء كما
توارث الصيغ . ثم ان هاشم بن باديس حمل
جميع أهل أفريقية على التسك بمذهب مالك
وترك ما عداه من المذاهب ، فرجع أهل أفريقية
وأهل الأندلس كلهم إلى مذهب مالك إلى
اليوم ، رغبة فيما عند السلطان وحرصا على
طلب الدنيا ، إذ كان القضاء والافتاء في جميع
تلك المدن وسائر القرى ، لا يكون إلا لمن
تسمى بالفتى على مذهب مالك ، فاضطرت
العامة إلى أحكامهم وفتاواهم ، ففشا هذا
هناك فشوا طبق تلك الأقطار .

كما فشا مذهب أبي حنيفة ببلاد المشرق .
حيث أن أبا حامد الأسفرايني ، لما تمكن من
الدولة في أيام الخليفة القادر بالله أبي العباس
أحمد ، قرر معه استخلاف أبي العباس أحمد
ابن محمد البارزي الشافعي ، عن أبي محمد
ابن الأكماني الحنفي قاضي بغداد ، فأجيب
إليه بغير رضا الأكماني .

وكتب أبو حامد إلى السلطان محمود بن
سبكتكين وأهل خراسان أن الخليفة نقل
القضاء عن الحنفة إلى الشافعية . فاشتهر ذلك
بخراسان ، وصار أهل بغداد حزينين .

وقدم بعد ذلك أبو العلاء صاعقة بن محمد ،
قاضي نيسابور ورئيس الحنفة بخراسان ،
فأناه الحنفة ، فثارت بينهم وبين أصحاب
أبي حامد فتنة ارتفع أمرها إلى السلطان .

فجمع الخليفة الفائز الأشراف والقضاة ،
وأخرج إليهم رسالة تتضمن : أن الأسفرايني
أدخل على أمير المؤمنين مداخل أوهمه فيها
النصح والشفقة والأمانة ، وكانت على أصول
الدخل والخيانة . فلما تبين له أمره ، ووضح
عنده خبث اعتقاده ، فيما سأل فيه من تقليد
البارزي الحكم بالحضرة ، من الفساد والفتنة
والمدول بأمير المؤمنين عما كان عليه أسلافه
من إثارة الحنفة وتقليدهم واستمالهم ...
صرف البارزي ، وأعاد الأمر إلى حقه ، وأجراه
على قديم . رسمه ، وحمل الحنفين على ما
كانوا عليه من العناية والكرامة والحرمة
والاعزاز ، وتقدم إليهم بالألقاب أبا حامد ،
ولا يقضوا له حقا ، ولا يردوا عليه سلاما .

وخلع على أبي محمد الأكماني ، وانتظم أبو
حامد عن دار الخلافة ، وظهر التخط عليه
والانحراف عنه ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين
وثلاثمائة ، واتصل ببلاد الشام ومصر .

أول من قدم يعلم مالك إلى مصر عبد الرحيم
ابن خالد بن يزيد بن يحيى ، مولى جمح ،
وكان فقيها ... روى عنه الليث وابن وهب
ورشيد بن سعد ، وتوفي بالإسكندرية سنة
ثلاث وستين ومائة . ثم نشره بمصر عبد
الرحمن بن القاسم ، فاشتهر مذهب مالك
بمصر ، أكثر من مذهب أبي حنيفة ، لتوفر

أصحاب مالك بمصر . ولم يكن مذهب أبي حنيفة ، رحمه الله ، يعرف بمصر .

قال ابن يونس . وقدم اساميل بن اليسع الكوفي قاضيا بعد ابن لهيعة ، وكان من خير قضائها ، غير انه كان يذهب الى قول أبي حنيفة ، ولم يكن أهل مصر يعرفون مذهب أبي حنيفة ، وكان مذهبه ابطال الأجساد ، فقتل أمره على أهل مصر ، وشوه .

ولم يزل مذهب مالك مشتهرا بمصر حتى قدم الشافعي محمد بن ادرس الى مصر ، مع عبد الله بن العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، في سنة ثمان وتسعين ومائة . فصحبه من أهل مصر جماعة من أعيانها - كبنى عبد الحكم ، والريبع بن سليمان ، وأبي ابراهيم اساميل بن يحيى الرضى ، وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البوسنى - وكتبوا عن الشافعي ما آتاه ، وعملوا بما ذهب اليه . ولم يزل أمر مذهبه يتولى بمصر ، وذكره يشر .

قال أبو عمرو الكندي في كتاب « أمراء مصر » : ولم يزل أهل مصر على الجهر بالبسطة في الجامع العتيق الى سنة ثلاث وخسين ومائتين . قال : ومنع أرجون ، صاحب شرطة مزاحم ابن خاقان أمير مصر ، من الجهر بالبسطة في الصلوات بالمسجد الجامع ، وأمر الحسين بن الريع امام المسجد الجامع بتركها ، وذلك في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين . ولم يزل أهل مصر على الجهر بما في المسجد الجامع منذ الاسلام الى أن منع منها أرجون .

قال : وأمر أن تصلى التراويح في شهر رمضان خمس تراويح ، ولم يزل أهل مصر يصلون ست تراويح ، حتى جعلها أرجون خسا في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، ومنع من التوب ، وأمر بالأذان يوم الجمعة في مؤخر المسجدين ، أمر بالتغليس بصلاة الصبح ، وذلك أنهم أسفروا بها .

وما زال مذهب مالك ومذهب الشافعي ، رحمهما الله تعالى ، سعل بهما أهل مصر ، ويولى القضاء من كان يذهب إليهما أو الى مذهب أبي حنيفة رحمه الله . الى أن قدم القائد جوهر من بلاد آفريقية ، في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، بجيوش مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد ، ومضى مدينة القاهرة . فمن حينئذ فشا بديار مصر مذهب الشيعة ، عمل به في القضاء والفتيا ، وأنكر ما خالفه ، ولم يبق مذهب سواه .

وقد كان التشيع بأرض مصر معروفا قبل ذلك . قال أبو عمرو الكندي في « كتاب اللوالى » : عن عبد الله بن لهيعة أنه قال : قال يزيد بن أبي حبيب . نشأت بمصر وهي علوية ، فقلبتا عثانية .

وكان ابتداء التشيع في الاسلام أن رجلا من اليهود ، في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، أسلم . فقبل له عبد الله ابن ساء ، وعرف بابن السوداء ، وصار يتقل من الحجاز الى أمصار المسلمين يريد اضلالهم فلم يلق ذلك .

فرجع الى كيد الاسلام وأهله ، وقول البصرة في سنة ثلاث وثلثين ، فجعل يطرح على أهلها مسائل ولا يصرح . فأقبل عليه

جماعة ، ومالوا اليه ، وأعجبوا بقوله . فبلغ ذلك عبد الله بن عامر - وهو يومئذ على البصرة - فأرسل اليه ، فلما حضر عنده سأله : ما أنت ؟

فقال : رجل من أهل الكتاب ، رغبت في الاسلام وفي جوارك .

فقال : ما شيء بلغنى عنك ؟ أخرج عنى .

فخرج حتى لزل الكوفة ، فأخرج منها ، فسار الى مصر واستقر بها ، وقال : فى الناس العجب من أصدق أن عيسى يرجع ، ويكذب أن محمدا يرجع .

.. وتحدث فى الرجعة حتى قبلت منه . فقال بعد ذلك : انه كان لكل نبي وصى ، وعلى بن أبى طالب وصى محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن أنظم من لم يجر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن على بن أبى طالب وصيه فى الخلافة على أمته . وأعلموا أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق ، فانفضوا فى هذا الأمر ، وأبدأوا بالظن على أمرائكم ، فأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا به الناس .

وبث دعائه ، وكاتب من مال اليه من أهل الأمصار وكاتبوه ، ودعوا فى السر الى ما عليه رأيهم ، وصاروا يكتبون الى الأمصار كتباً يضعونها فى عيب ولائهم ، فيكتب أهل كل مصر منهم الى أهل المصر الآخر بما يضمنون حتى ملأوا بذلك الأرض اذاعة .

وجاء الى أهل المدينة من جميع الأمصار . فأثروا عثمان رضى الله عنه فى سنة خمس وثلثين ، وأعلموه ما أرسل به أهل الأمصار

من شكوى عمالهم . فبعث محمد بن مسلمة الى الكوفة ، وأسامة بن زيد الى البصرة ، وعمار بن ياسر الى مصر ، وعبد الله بن عمرو الى الشام ... لكشف سير العمال . فرجعوا الى عثمان ، إلا عمارا ، وقالوا : ما أنكرنا شيئا .

وتأخر عمار ، فورد الخبر الى المدينة بأنه قد استماله عبد الله ابن السوداء فى جماعة . فأمر عثمان عماله أن يوافوه بالمواسم ، فقدموا عليه واستشاروه ، فكل أشار برأى . ثم قدم المدينة بعد الموسم ، فكان بينه وبين على بن أبى طالب كلام فيه بعض الجفاء بسبب إعطائه أقاربه ، ورفع له على من سواهم .

وكان المنحرفون عن عثمان قد تواعدوا يوما يخرجون فيه بأمصارعهم اذا سار عنها الأمراء ، فلم يتهاى لهم الوثوب . وعندما رجع الأمراء من الموسم ، تكاثب المخالفون فى القدوم الى المدينة لينظروا فيما يريدون .

وكان أمير مصر من قبل عثمان رضى الله عنه عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى . فلما خرج فى شهر رجب من مصر فى سنة خمس وثلثين ، استخلف بعده عقبة بن عامر الجهنى ... فى قول الليث بن سعد . وقال يزيد بن أبى حبيب : بل استخلف على مصر السائب بن هشام العامرى ، وجعل على الخراج سليم بن عثر التجيسى .

فاترى محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، فى شوال من السنة المذكورة ، وأخرج عقبة بن عامر من

الصلوات ، ووجهه الى خلقه فقال رضي الله عنه ،
يا رسول الله ، يوحى عليّ عشاء بكل شيء
يقتر عليه .

فقال يكتب الكتاب على نبيك الزمان
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وكتب
الزمان فيصير ، ويجعل رجلا على ظهور
النسوة فيصيرهم الى وجه الشمس فيخرج
ويخرجهم فخرجوا فيخرجهم ، ثم يخرجهم فخرجوا
الى طريق كلبية بصر ، ثم يرسولون رسلا
يخبرونهم انهم يلقونهم . وقد اخرجهم الله
قيم القليل ان يقولوا : ليس عشاء خير ،
الخير في الكتاب .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قريش
مكتوم ، فبعثهم الى نبي حنيفة . قالوا
يقولون اننا نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رؤياهم . فقال لهم قائلهم : ما
الذي اقولوا لا خير عندنا ، عليكم بالسجدة
ليرا عليكم كتاب الزمان الذي صلى الله عليه
وسلم .

فبعث النبي في السجدة اجتهاد ليس به
تصير ، ثم يقوم القريش بالكتاب فيقولوا :
لا تشكروا الله ولا تذكروا ما فعل في الاسلام
وما صنع في الاسلام . ففتح الله فيهم
من قولي السجدة بالكتاب فيكون ، ثم يري
من الشر ، وفتح النبي ما قريش عليهم .

فقال رأت تلك شبة عشاء رضي الله عنه ،
فصروا محلة من نبي حنيفة ، وفتحوه
- وهم - محلة من خبيث ، راحة من
حكمة ، ورسول في البركة ، راحة من محلة ،
وسيد من قريش الغزالي ، وفتح من بركة ،

ومحلة من سراج في كفة ، وفتح المحلة محلة
الى ملك الارض ، وفتح من كفة المحلة -
في جمع كثير ، وفتحوا محلة في محلة
النبي في محلة ليخبرهم بقرع ، وفتح
في نبي حنيفة .

فبعث عشاء ، رضي الله عنه ، سعد بن نبي
والمسحاح اخرجهم . ففتح ذلك في نبي
حنيفة ، ففتح النبي وقال : لا ان السجدة
والكفة قد بعث اليكم سعد بن ملكة ليفعل
بما تشاء ، وفتح كفتكم ، وفتح السجدة
بكم . ففتحوا اليه .

فخرج سعد بن ملكة في محلة ، وقد ضرب
فصله وهو قاتل ، ففتحوا عليه ففتحوا ،
وشجوه يسيرة . فركب راحته ، وفتح راحته
من حيث جاء ، ففتح : ففتحكم الله بالملك
والفرقة ، وفتح لكم ، وفتح بالملك
بكم ، ولا ارضاكم بالفرقة ، ولا ارضاكم
بكم .

واخرج سعد بن ملكة حتى بلغ جسر
الفرج . ففتحوا لاني نبي حنيفة ، ففتحوه
ان يفتحوا : ففتحوا . ففتحوا ففتحوا على
جنتهم ففتحوا بما جنت به ، ففتحوا ففتحوا
بكم . ففتحوا ففتحوا : ففتحوا ففتحوا
في تحت عليم ، وفتحوا بما جنت به ، ثم
فتحوا الى عشاء .

واجمع سعد بن نبي حنيفة على بيت جيش
في نبي حنيفة عشاء في عشاء ، رضي الله
عنه ، ففتح من يفتح في هذا البيت . ففتح
عليه من يفتح ، ففتح : ففتح بكم
محلة رجل .

ففتح من نبي حنيفة عشاء رجل على كفة
محلة بكم رئيس ، وعلى جنتهم جنت الرحمن
ابن عيسى البليوي ، وهم : كفة بن بشر بن
سليم الكندي ، وفتحوا بن سليم الكندي ،
واخرجوا عشاء بن بنين بن ودة الغزالي ،
وسودان بن ودة الغزالي ، وفتح بن بشر
الغزالي .

وسجد رجل من نبي حنيفة في عشاء ،
بكم بصر بن كرامة ومعاوية بن خنجر . ففتح
في نبي حنيفة في معاوية بن خنجر - وهو
قرد - يكرهه على النية . ففتح ذلك
كفة بن بشر - وكان نبي السجدة الاولى -
فتح عن معاوية ما كره .

ثم فتح عشاء رضي الله عنه في نبي حنيفة
محلة خنجر ، ففتح الركب الى مصر
وهم يفتحون .

ففتحوا اليك وفتحوا ابا الحسن
قالا نبي العرب نمرود الواسع

باليف كي تفتح نيران القن
فقالا دخلوا السجدة ساحوا : الا لسا
كفة عشاء ، ولكن الله قلة .

فقالوا في ذلك شبة عشاء ، ففتحوا وفتحوا
لحوية بن خنجر عليم ، وفتحوا على العليم ،
بكم عشاء . ففتحهم معاوية الى الصعيد ،
ففتح اليهم ابن نبي حنيفة ، ففتحوا بنقاس
من كورة البينا ، ففتحهم اسحاب ابن نبي
حنيفة ، وفتح معاوية حتى بلغ بركة ، ثم رجع
الى الاسكندرية . ففتح ابن نبي حنيفة

(١٠٠) من ١٠٠ - ١٠٠ - ١٠٠

جيش اكرم عليم قيس بن حرملة ، ففتحوا
محلة نون شر رمضان سنة ست وثلاثين ،
ففتح قيس .

وسار معاوية بن ابي سفيان الى مصر ،
ففتح محلة من كورة عين شمس في شوال .
ففتح اليه ابن نبي حنيفة في نبي حنيفة ،
ففتحوا في يفتحها . ففتح اليه معاوية : الا
لا زيد قال سعد ، اما جنتا لسا القود
ففتحوا ، ففتحوا اليها ففتحها عبد الرحمن بن
عيسى وكفة بن بشر ، وفتحوا رأس القوم .

ففتح ابن نبي حنيفة وقال : لو طبت منا
جنتا ارض السرة بستان ما ففتحها اليك ا

ففتح معاوية بن ابي سفيان لابن نبي حنيفة :
اجعل بيننا وبينكم رعا ، فلا يكون بيننا
وبينكم حرب .

فقال ابن نبي حنيفة : فاني ارضى بذلك .

ففتح ابن نبي حنيفة على مصر الحكم
ابن الصلت بن مخزوم ، وفتح في الزمان هو
وابن عيسى وكفة بن بشر وابو شر بن ايوحة
وغيرهم من كفة عشاء . ففتحوا له سجنهم
بما معاوية ، وسار الى دمشق . ففتحوا من
السجن ، غير ابن شر بن ايوحة ففتح قال :
لا اؤخذ اسيرا واخرج منه ابنا ، وفتحهم
صاحب فلسطين ففتحهم .

واجمع عبد الرحمن بن عيسى رجل من
الفرس ، ففتح له عبد الرحمن بن عيسى : اتق
الله في دمي ، فاني بايعت النبي صلى الله عليه
وسلم تحت الشجرة .

فقال له : الشجر في الصحراء كبير . ففتح .

وقال محمد بن أبي حذيفة في الليلة التي قتل في صباحها عثمان فان يكن القصاص لثمان فستقتل من الغد . فقتل من الغد

وكان قتل ابن أبي حذيفة ، بعد الرحمن بن عديس ، وكنانة بن بشر ، ومن كان معهم من الرمن ، في ذي الحجة سنة ست وثلاثين .

فلما بلغ على بن أبي طالب رضي الله عنه مصاب ابن أبي حذيفة ، بعث قيس بن سعد ابن عادة الأنصاري على مصر ، وجمع له الخراج والصلاة فدخلها مستهل شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين ، واسمال الخارجية بخربتا ، دفع اليهم أعطياتهم ، ورد عليه وفدهم فآكرمهم وأحسن اليهم . ومصر يومئذ من جيش على رضي الله عنه الا أهل خربتا الخارجين بها .

فلما إلى على رضي الله عنه قيس بن سعد — وكان من ذري الرأي — عهد معاوية ابن أبي سفيان وعمرو بن العاص ، على أن يخرجاه من مصر لعلنا على أرواحها ، فامنع عليهما بالدهاء والمكايدة ، فلم يقدوا على أن يلجا مصر حتى كاد معاوية قيسا من قبل على رضي الله عنه .

فكان معاوية يحدث رجلا من ذوى رأى قرش فيقول . ما ابتدعت من مكايدة قط أعجب الي من مكايدة كنت بها قيس بن سعد حين امتع منى . قلت لأهل الشام لا تسبوا قيسا ولا تلحقوا الى غزوه ، فان قيسا لنا شيعة تأتيا كبه ونصيحه سرا الا ترون ماذا يفعل باخوانكم النازلين عنده بخربتا ؟ يجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ،

وؤمن سرهم ، ويحسن الى كل واكب يأتيه منهم .

قال معاوية . وطقت اكتب بذلك الى شيعتي من أهل العراق فسمع بذلك جواسيس على بالعراق ، فأناه الي محمد بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر فأتهم قيسا ، فكتب اليه يأمره بقتال أهل خربتا ، وبخربتا يومئذ عشرة آلاف

فأبى قيس أن يقاتلهم ، وكتب الى على رضي الله عنه : « انهم وجوه أهل مصر وأشرفهم ، وأهل الحفاظ منهم ، وقد رضوا منى أن يؤمن سرهم ، وأجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم . وقد علمت أن هواهم مع معاوية ، فليست بكائدهم بأمر أهوز على وعليك من الذي أفعل بهم وهم أسود العرب منهم : يسر بن أرطاة ، وسلمة بن مخلد ، ومعاوية ابن خديج »

فأبى عليه الا قتالهم . فأبى قيس أن يقاتلهم ، وكتب الى على رضي الله عنه : « ان كنت تهمنى فاعزلى وابعث غيرى »

وكتب معاوية رضي الله عنه الى بعض بى أمية بالمدينة : « أن جزى الله قيس بن سعد خيرا ، فانه قد كف عن اخواننا من أهل مصر الذين قاتلوا في دم عثمان ، واكتسوا ذلك فاني أخاف أن يعزله على ان بلغه ما بينه وبين شيعتنا » .

حتى بلغ عليا رضي الله عنه ذلك ، فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة : بسدل قيس وتحول .

فقال على : ويحكم انه لم يفعل فدعولى . قالوا : لتعزله فانه قد بدل .

فلم يزالوا به حتى كتب اليه : « انى قد لحتجت الى قريبك ، فاستخلف على عمك وأقدم » .

فلما قرأ الكتاب قال : هذا من مكر معاوية ولولا الكذب لمكرت به مكرا يدخل عليه بيته .

فوليها قيس بن سعد الى أن عزل عنها أربعة أشهر وخمسة أيام ، وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين . ثم وليها الأشر مالك بن الحارث بن عبد ينفوت النخعي من قبل أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه . وذلك أن عبد الله بن جعفر كان اذا أراد ألا يستعنه على شيئا قال له بحق جعفر ، فقال له : أسألك بحق جعفر الا بعث الأشر الى مصر ، فان ظهرت فهو الذى تحب ، والا استرحمت منه .

ويقال كان الأشر قد ثقل على على رضي الله عنه وأبغضه وقلاه ، فولاه وبعثه . فلما قدم قلزم مصر ، لقي بسا يلقي العمال به هناك ، فشرب شربة عسل فمات . فلما أخبر على بذلك قال : لليدين وللهم . وسمع عمرو ابن العاص بموت الأشر فقال : ان لله جنودا من العسل . أو قال : ان لله جنودا من العسل .

ثم وليها محمد بن أبي بكر الصديق من قبل على رضي الله عنهم ، وجمع له صلاتها وخراجها . فدخلها للنصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين ، فلقية قيس بن سعد فقال

(*) سنة ٢٣ ج ٢ ، ط ١٠٠٠ بولاق

ه : « انه لا يستعنى نصحي لك عزله اياى ، ولقد عزلتى عن غير وهن ولا عجز ، فاحفظ ما أوصيك به يدم صلاح حالك : دع معاوية ابن خديج ومسلمة بن مخلد ويسر بن أرطاة ومن سوى اليهم على ما هم عليه ، لا تكفهم عن رأيهم ، فان أتوك ولم يفعلوا فاقبلهم ، وان تخلفوا عنك فلا تطلبهم ...

« وانظر هذا الحى من مضر فانت أولى بهم منى : فالن لهم جناحك ، وقرب عليهم مكانك ، وارفع عنهم حجابك . وانظر هذا الحى من مدلج ، فدعهم وما غلبوا عليه يكفوا عنك شأنهم ، وأزول الناس من بعد على قدر منازلهم ، فان استطعت أن تعود المرضى ، وتشهد الجنائز ، فافعل فان هذا لا ينقصك ، ولن تفعل ، انك والله ما علمت لتظهر الخلاء وتحب الرياسة ، وتسارع الى ما هو ساقط عنك . والله موفقك » .

فعمل محمد بخلاف ما أوصاه به قيس ، فبعث الى ابن خديج والخارجة معه يدعوهم الى بيعته فلم يجيئوه ، فبعث الى دور الخارجة فهدمها ، ونهب أموالهم ، وسجن ذواربهم ، فنصبوا له الحرب ، وهموا بالنهوض اليه . فلما علم أنه لا قوة له بهم أمسك عنهم ، ثم صالحهم على أن يسيرهم الى معاوية ، وأن ينصب لهم جسر أتيقوس يجوزون عليه ، ولا يدخلون القسطنطينية . ففعلوا ولحقوا بمعاوية .

فلما أجمع على رضي الله عنه ومعاوية على الحكمين ، أغفل على أن يشترط على معاوية الا يقاتل أهل مصر . فلما انصرف على الى العراق ، بعث معاوية رضي الله عنه عمرو بن العاص رضي الله عنه فى جيوش أهل الشام

الى مصر . فقاتلوا قتالا شديدا انهزم فيه
أهل مصر ، ودخل عمر بأهل الشام
الفسطاط .

وتغيب محمد بن أبي بكر ، فأقبل معاوية
ابن خديج في رهط من يمينه على من كان
يشئ في قتل عثمان ، وطلب ابن أبي بكر ،
فدلتهم عليه امرأة ، فقال : احفظوني في أبي
بكر

فقال معاوية بن خديج : قتل ثمانين رجلا
من قومي في عثمان ، وأتركك وأنت صاحبه .
فقتله ثم جعله في جيفة حمار ميت فأحرقه
بالتار .

فكانت ولاية محمد بن أبي بكر خمسة
أشهر ، ومقتله لأربع عشرة خلت من صلح
سنة ثمان وثلاثين .

ثم ولي عمرو بن العاص مصر من بعده ،
فاستقبل بولايته هذه الثانية شهر ربيع الأول ،
وجعل إليه الصلاة والخراج — كانت مصر
قد جعلها معاوية له طعمة مد عطاء جندها
والنفقة على مصلحتها — ثم خرج إلى
الحكومة ، واستخلف على مصر ابنه عبد الله
ابن عمرو ، وقتل خارجة بن حذافة ، ورجع
عمرو إلى مصر فقام بها

وتعاقد بنو ملجم — عبد الرحمن وقيس
وزيد — على قتل على رضي الله عنه وعمرو
ومعاوية رضي الله عنهما ، وتواعدوا على ليلة
من رمضان سنة أربعين ، فمضى كل منهم إلى
صاحبه .

فلما قتل على بن أبي طالب رضي الله عنه ،
واستقر الأمر لمعاوية ، كانت مصر — يحندها

وأهل شوكتها — عشاية ، وكثير من أهلها
علوية .

فلما مات معاوية ومات ابنه يزيد بن
معاوية ، كان على مصر سعيد بن يزيد الأزدي
على صلاتها فلم يزل أهل مصر على الشك
له ، والأعراض عنه التكبر عليه ، منذ ولاء
يزيد بن معاوية ، حتى مات يزيد في سنة أربع
وستين .

ودعا عبد الله بن الزبير إلى نفسه . فقامت
الخوارج بمصر في أمره ، وأظهروا دعوته
— وكانوا يحسمونه على مذهبهم — وأوفدوا
منهم وفدا إليه ، فسار بهم نحو الأتقين من
مصر ، وسألو أن يبعث إليهم بأمير يقومون
معه ويواظرونه . فكان كريب بن أبرهة
الصباح ، وغيره من أشراف مصر يقولون :
ماذا نرى من العجب أن هذه الطائفة المكتسبة
تأمر فينا وتنهى ، ونحن لا نستطيع أن نرد
أمرهم . ولحق بابن الزبير قاس كثير من أهل
مصر .

وكان أول من قدم مصر برأى الخوارج
حجر بن الحارث بن قيس المخزومي — وقيل
حجر بن عمرو — وبكى بأبي الورد ، وشهد
مع على صفين ، ثم صار من الخوارج ، وحضر
مع الحرورية النهروان . فخرج وصار إلى مصر
برأى الخوارج ، أقام بها حتى خرج منها إلى
ابن الزبير في إمارة مسلمة بن مخلد الأنصاري
على مصر .

فلما مات يزيد بن معاوية ، وبويع ابن
الزبير بعده بالخلافة ، بعث إلى مصر يعبد
الرحمن بن جحدم النهري . فقدمها في طائفة
من الخوارج ، فوثبوا على سعيد بن يزيد ،

فغزاهم . واستمر ابن جحدم ، وكثرت
الخوارج بمصر منها ومن قدم من مكة ،
وأظهروا في مصر التحكيم ، ودعوا إليه ،
فاستمطم الجند ذلك . وداعه الناس على غل
في قلوب قاس من شيعته نسيمة : منهم
كريب بن أبرهة ، ومقسم بن بجرة ، ورباد بن
حامة التجيبي ، وعابس بن سعيد وغيرهم .
فصار أهل مصر حينئذ ثلاث طوائف : علوية ،
وعشائية ، وخوارج .

فلما بويع مروان بن الحكم بالشام في ذي
القعدة سنة أربع وستين ، كانت شيعته من
أهل مصر مع ابن جحدم ، فكاتبوه سرا حتى
أتى مصر في أشراف كثيرة ، وبعث ابنه عبد
العزى بن مروان في جيش إلى أيلة ليدخل من
هناك مصر .

وأجمع ابن جحدم على حربه ومعه ، فحفر
الخنديق في شهر — وهو الخندق الذي
بالقرافة — وبعث بمراكب في البحر ليخالف
إلى عيالات أهل الشام ، وقطع بها في البر ،
وجهم جيشا آخر إلى أيلة . لمنع عبد العزيز
من السير منها . فعرفت المراكب ، ونجا
بعضها ، وانهزمت الجيوش . ونزل مروان عين
شس ، فخرج إليه ابن جحدم في أهل مصر ،
فتحاربوا واستجر القتل ، فقتل من الفريقين
خلق كثير .

ثم إن كريب بن أبرهة وعابس بن سعيد
وزياد بن حنظلة وعبد الرحمن بن موهب
المغافري ، دخلوا في الصلح بين أهل مصر
وبين مروان فتم ، ودخل مروان إلى الفسطاط

(ج) ص ٢٢٧ ج ٢ ط بولاق .

لقرة جمادى الأولى سنة خمس وستين .
فكانت ولاية ابن جحدم تسعة أشهر .

ووضع العطاء فباعه الناس ، إلا ثمرا من
المغافر قالوا : لا نخلع بيعة ابن الزبير . فقتل
منهم ثمانين رجلا . . . قدمهم رجلا رجلا
فضرب أعناقهم وهم يقولون : أنا قد بايعنا ابن
الزبير طائعين ، فلم تكن لشكك بيعته . وضرب
عق الأكرار بن حسان بن عامر ، سيد لهم
وشيوخها ، وحضر هو وأبوه فتح مصر ، وكانا
من ثار إلى عثمان رضي الله عنه ، فتصادى
الجند : قتل الأكرار . فلم يبق أحد حتى ليس
سلاحه ، فحضر باب مروان منهم زيادة على
ثلاثين ألفا .

وخشى مروان ، وأغلق بابيه حتى أتاه كريب
ابن أبرهة ، وألقى عليه رداؤه ، وقال للجند :
انصرفوا ، أنا له جار . فما عطف أحد منهم ،
وانصرفوا إلى منازلهم ، وكان للنصف من
جمادى الآخرة . ويومئذ مات عبد الله بن عمرو
ابن العاص ، فلم يستطع أحد أن يخرج
بجنازته إلى المقبرة لشغب الجند على مروان .
ومن حينئذ غلبت العشائية على مصر ،
فتظاهروا فيها بسب على رضي الله عنه ،
وانكفت السنة العلوية والخوارج .

فلما كانت ولاية قرة بن شريك العبسي على
مصر ، من قبل الوليد بن عبد الملك في سنة
تسعين ، خرج إلى الاسكندرية في سنة إحدى
وتسعين . فتماقت السراة من الخوارج
بالاسكندرية على القتك به — وكانت عدتهم
نحو من مائة — فعقدوا لرئيسهم المهاجر بن
أبي الكشي التجيبي ، أحد بني فهم ، عليهم عند
منارة الاسكندرية .

عظيم ، فأخرج العمال ، وجبى الخراج . ولحق به عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب — الذي يقال له ابن الأرقط — فقوده أبو حرمة ، وضم إليه الأعراب ، وولاه بنا وبوصير وسنود .

فبعث يزيد أمير مصر بجيش من الأتراك في جمادى الآخرة ، فقاتلهم ابن الأرقط ، وقتل منهم . ثم ثبتوا له ، فانهزم وقتل من أصحابه كثير ، وأسر منهم كثير . ولحق ابن الأرقط بأبي حرمة في شريقون ، فصار إلى عسكر يزيد ، فانهزم أبو حرمة ، وقدم مزاحم بن خاقان من العراق في جيش ، فحارب أبا حرمة حتى أسر في رمضان .

واستأن ابن الأرقط ، فأخذ وأخرج إلى العراق في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، ففر منهم ، ثم غفر به وجبى ، ثم حمل إلى العراق في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين بكتاب ورد على أحمد بن طولون . ومات أبو حرمة في السجن لأربع بقين من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين ، وأخذ جابر بعد حروب ، وحمل إلى العراق في رجب سنة أربع وخمسين .

وخرج في لمة أرجون التركي رجل من العلويين يقال له بنا الأكبر — وهو أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسين بن علي — بالصعيد ، فحاربه أصحاب أرجون ، وفر منهم فمات . ثم خرج بنا الأصغر — وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا — فيما بين الاسكندرية وبرة في جمادى الأولى سنة

خمس وخمسين ومائتين — والأمير يومئذ أحمد بن طولون — وسار في جمح إلى الصعيد . فقتل في الحرب ، وأنى برأيه إلى القساط في شعبان .

وخرج ابن الصوفي العلوي بالصعيد — وهو إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله ابن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب — ودخل أسا في ذي القعدة سنة خمس وخمسين ، ونهبها وقتل أهلها ، فبعث إليه ابن طولون بجيش فحاربوه ، فهزمهم في ربيع الأول سنة ست وخمسين بهو ، فبعث ابن طولون إليه بجيش آخر ، فالتقيا بأخيم في ذبيح الآخر ، فانهزم ابن الصوفي ، وترك جميع ماله ، وقتل رجاله .

فقام ابن الصوفي بالواح متين ، ثم خرج إلى الأشتونين في الحرم سنة تسع وخمسين ، وسار إلى أسوان لمحاربة أبي عبد الرحمن المصري ، فظفر به المصري وبجميع جيشه ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ولحق ابن الصوفي بأسوان فقطع لأهلها ثلثمائة ألف نخلة . فبعث إليه ابن طولون بشا ، فاضطرب أمره مع أصحابه فتركهم ، ومضى إلى عذاب فركب البحر إلى مكة ، فقبض عليه بها ، وحمل إلى ابن طولون فسجنه ثم أطلقه ، فصار إلى المدينة ومات بها .

وفي إمارة هارون بن خسارويه بن أحمد بن طولون ، أنكر رجل من أهل مصر أن يكون أحد خيرا من أهل البيت ، فوثبت إليه العامة ، فضرب بالسياط يوم الجمعة في جمادى الأولى سنة خمس ومائتين ومائتين .

وفي إمارة ذكا الأعور على مصر ، كتب على أبواب الجامع العتيق ذكر الصحابة والقرآن ، فرضيه جمع من الناس ، وكرهه آخرون . فاجتمع الناس في رمضان سنة خمس وثلثمائة إلى دار ذكا يتسكرون على ما أذن لهم فيه ، فوثب الحند بالناس ، فنهب قوم ، وجرح آخرون ، محي — كتب على أبواب الجامع ، نهب الناس في المسجد والأسواق ، وأفطر الجند يومئذ .

وما زال أمر الشيعة يتقوى بمصر . إلى أن دخلت سنة خمس وثلثمائة ، ففي يوم عاشوراء كانت منازعة بين الحند وبين جماعة من الرعية ، عند قبر كلثوم العلوية ، بسبب ذكر السلف والنوح ، قتل فيها جماعة من الفريقين . وتمصب السودان على الرعية ، فكانوا إذا لقوا أحدا قالوا له : من خالك ؟ فإن لم يقل معاوية والا بطشوا به وشلحوه . ثم كثر القول : معاوية خال علي .

وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة يتأديان في كل يوم جمعة في رجوه الناس من الخاص والعامة معاوية خالي وخال المؤمنين ، وكاتب الوحي ، ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان هذا أحسن ما يقولونه ... والا فقد كانوا يقولون : معاوية خال علي من هاهنا — ويشيرون إلى أصل الأذن — ويلقون أبا جعفر مسلما الحسيني ، فيقولون له ذلك في وجهه . وكان بمصر أسود يصيح دائما : معاوية خال علي ، فقتل بتيس أيام القائد جوهر .

ولما ورد الخبر بقيام بني حسن بمكة ، ومحاربتهم الحاج ونهبهم ، خرج خلق من

المصريين في شوال ، فلقوا كافور الاخشيدى بالميدان ظاهر مدينة مصر ، وضجوا وصاحوا : معاوية خال علي ، وسألوه أن يبعث لصرة الحاج على الطابيين .

وفي شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ، أخذ رجل — يعرف بابن أبي الليث الملقب — ينسب إلى الشيعة ، فصرب مائتي سوط ودره ، ثم ضرب في شوال خمسمائة سوط ودره ، وجعل في عنقه غل وجبس ، وكان يتفقد في كل يوم لثلا يخفف عنه ، ويصق في وجهه ، فمات في محبه فحمل ليلا ودفن . فمضت جماعة إلى قبره ليشوه ، وبلغوا إلى القبر ، فسمهم جماعة من الاخشيدية والكافورية ، فأبوا وقالوا : هذا قبر رافضي . فثارت فتنة ، وضرب جماعة ، ونهبوا كثيرا حتى تفرق الناس .

وفي سنة ست وخمسين ، كتب في صفر على المساجد ذكر الصحابة والتفضيل . فأمر الأستاذ كافور الاخشيدى بإزالته ، فحدثه جماعة في إعادة ذكر الصحابة على المساجد ، فقال : ما أحدث في أيامي ما لم يكن ، وما كان في أيام غيري فلا أزيله ، وما كتب في أيامي أزيله . ثم أمر من طاف وأزاله من المساجد كلها .

ولما دخل جوهر القائد بساكر المعز لدين الله إلى مصر ، وبني القاهرة ، أظهر مذهب الشيعة ، وأذن في جميع المساجد الجامعة وغيرها : « حي على خير العمل » ، وأعلن بتفضيل علي بن أبي طالب على غيره ، وجهر بالصلاة عليه وعلى الحسن والحسين وقاطمة الزهراء رضوان الله عليهم .

فشكا اليه جماعة من أهل المسجد الجامع أمر عجوز عياء تشد في الطريق ، فأمر بها فحبست . فسر الرمية بذلك ، ونادوا بذلك الصحابة ، ونادوا : معاوية خال على وخال المؤمنين . فأرسل جوهر حين بلغه ذلك رجلا الى الجامع ، فنادى : أيها الناس اقلوا القول ودعوا الفضول ، فانما حبنا العجوز صيانة لها ، فلا يظن أحد الا حلت به العقوبة الموجبة . ثم أطلق العجوز .

وفي ربيع الأول سنة اثنين وستين ، عزز سليمان بن عروة المحتسب جماعة من الصيارفة فشغبوا وصاحوا : معاوية خال على بن أبي طالب . فهم جوهر أن يحرق رجة الصيارفة ، لكن خشي على الجامع .

وأمر الامام بجامع مصر أن يجهر بالبسلة في الصلاة — وكانوا لا يفعلون ذلك — وزيد في صلاة الجمعة القنوت في الركعة الثانية ، وأمر في الموارث بالرد على ذوى الأرحام ، وألا يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جده ولا ابن أخ ولا ابن عم ، ولا يرث مع الولد الذكر أو الأنثى الا الزوج أو الزوجة والأبوان والجدة ، ولا يرث مع الأم الا من يرث مع الولد .

وخاطب أبو الطاهر محمد بن أحمد قاضي مصر القائد جوهر في بنت وأخ ، وأنه كان حكم قديما للبنت بالنصف ، وللأخ بالباقي . فقال : لا أفعل ! فلما ألح عليه ، قال : يا قاضي هذا عداوة لتأطية عليها السلام فأمسك أبو الطاهر ، ولم يراجعه بعد في ذلك .

وصار صوم شهر رمضان والفطر على حساب لهم . فأشار الشهود على القاضي أبي الطاهر ألا يطلب الهلال ، لأن الصوم والفطر على الرؤية قد زال . فاتقطع طلب الهلال من مصر ، وصام القاضي وغيره مع القائد جوهر كما يصوم ، وأفطروا كما يفطر .

ولما دخل المز لدين الله الى مصر ، وول بقصره من القاهرة المعزية ، أمر في رمضان سنة اثنين وستين وثلاثمائة ، فكتب على سائر الأماكن بمدينة مصر « خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم » أمير المؤمنين على ابن أبي طالب عليه السلام .

وفي صفر سنة خمس وستين وثلاثمائة ، جلس على بن النعمان القاضي بجامع القاهرة — المعروف بالجامع الأزهر — وأملى مختصر آية في الفقه عن أهل البيت ، ويعرف هذا المختصر بالاختصار ، وكان جديدا عظيما ، وأثبت أسماء الحاضرون .

ولما تولى يعقوب بن كلس الوزارة للعزير بالله تزار بن المز ، رتب في داره العلماء من الأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين ، وأجرى لجميعهم الأرزاق ، وألف كتابا في الفقه ، ونصب له مجلسا — وهو يوم الثلاثاء — يجتمع فيه الفقهاء وجماعة من المتكلمين وأهل الجدل ، وتجري بينهم المناظرات .

وكان يجلس أيضا في يوم الجمعة ، فيقرأ مصنفاته على الناس بنفسه ، ويحضر عنده القضاة والفقهاء والقراء والحاة وأصحاب

(٥) من ٢٤٠ ج ٢ ط ١ بولاق

الحديث ، ووجوه أهل العلم والشهود فإذا انقضى المجلس من العشاء ، قام الشعراء لانشاد مدائحهم فيه ، وجعل للفقهاء في شهر رمضان الأطلعة .

وألف كتابا في الفقه يتضمن ما سمعه من المعز لدين الله ومن أبه العزيز بالله ، وهو محبوب على أبواب الفقه ، يكون قدره مثل نصف صحيح البخاري ... ملكته ووقف عليه وهو يشتغل على فقه الطائفة الاسماعيلية . وكان يجلس لقراءة هذا الكتاب على الناس بنفسه ، وبين يديه حواص الناس وعوامهم ، وسائر الفقهاء والقضاة والأدباء وأقرب الناس به ، ودرسوا فيه بالجامع العتيق

وأجرى العزيز بالله لجماعة من الفقهاء ، يحضرون مجلس الورير ويلازمونه ، أرزاقا تكفيهم في كل شهر ، وأمر لهم ببناء دار الى جانب الجامع الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة تحلقوا فيه بعد الصلاة الى أن تصلى صلاة العصر . وكان لهم من مال الوزير أيضا صلة في كل سنة ، وعدتهم خمسة وثلاثون رجلا ، وخلع عليهم العزيز بالله في يوم عيد الفطر ، وحملهم على بغال .

وفي سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة ، أمر العزيز بن المعز بقطع صلاة التراويح من جميع البلاد المصرية . وفي سنة احدى وثمانين وثلاثمائة صرب رجل بمصر ، وطيف به المدينة ، من أجل أنه وجد عنده كتاب الموطأ لمالك بن أنس رحمه الله .

وفي شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، جلس القاضي محمد بن النعمان

على كرسي بالقصر في القاهرة لقراءة علوم أهل البيت ، على الرسم المتقدم له ولأخيه بمصر ولأبيه بالمغرب ، فمات في الرحلة أحد عشر رجلا .

وفي جمادى الأولى سنة احدى وتسعين وثلاثمائة ، قبض على رجل من أهل الشام سئل عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، فقال : لا أعرفه . فاعتقله قاضي القضاة الحسن بن النعمان ، قاضي أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله على القاهرة المعزية ومصر والشامات والحرمين والمغرب ، وبعث اليه وهو في السجن أربعة من الشهود وسألوه ، فأقر بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي مرسل ، وسئل عن على بن أبي طالب فقال : لا أعرفه .

فأمر قائد القواد الحسين بن جوهر بإحضاره فخلا به ورفق في القول له ، فلم يرجع عن انكاره معرفة على بن أبي طالب . فطولع الحاكم بأمره ، فأمر بضرب عنقه ، فضرب عنقه وصلب .

وفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، قبض على ثلاثة عشر رجلا ، وضربوا وشهروا على الجبال ، وجبوا ثلاثة أيام من أجل أنهم صلوا صلاة الضحى .

وفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، قرى سجل في الجوامع بمصر والقاهرة والجزيرة : بأن تلبس النصارى واليهود الفيار والزنار ، وغيارهم السواد غيار العاصين العباسيين ، وأن يشدوا الزنار . وفيه وقوع وفحش في حق أبي بكر وعمر رضى الله عنهما .

وقرى سجل آخر فيه منع الناس من أكل
الملوخيا المحية كانت لمعاوية بن أبي سفيان ،
ومنهم من أكل البقلة المسماة بالبرجبر
النسوة لعائشة رضى الله عنها ، ومن للتوكلية
النسوة الى المتوكل ، والمنع من عجين الخبز
بالرجل ، والمنع من أكل الدليس ، ومن ذبح
البقر الا ذابحة - ما عدا أيام النحر فانه
يذبح فيها البقر فقط - والوعيد للخالسين
متى باعوا عبدا او أمة للنس .

وقرى سجل آخر بأن يؤذن لصلاة الظهر
فى أول الساعة السابعة ، ويؤذن لصلاة العصر
فى أول الساعة التاسعة .

وقرى أيضا سجل بالمنع من صل الققاع
ويمنع فى الأسواق ، لما يؤثر من على بن أبى
طالب رضى الله عنه من كراهية شرب الققاع ،
وضرب فى الطرقات والأسواق بالحرس ،
وتودى ألا يدخل أحد الحمام الا بسُرر ، ولا
تكتشف امرأة وجهها فى طريق ولا خلف جنازة
ولا تبرج ، ولا يباع شيء من السبك بغير
قشر ، ولا يصطده أحد من الصيادين . وقبض
على جماعة وجدوا فى الحمام بغير سُرر ،
فصربوا وشهروا .

وكتب فى صفر من هذه السنة على سائر
المساجد ، وعلى الجامع العتيق بمصر من
ظاهره وباطنه من جميع جوانبه ، وعلى أبواب
الحوائت والحجر ، وعلى المقابر والصحراء ...
سب السلف ولعنهم ، وتقتل ذلك ولون
بالأصباغ والذهب ، وعسل ذلك على أبواب
الدور والقياس ، وأكره الناس على ذلك .

وتسارع الناس الى الدخول فى الدعوة .
فجلس لهم قاضى القضاة عبد العزيز بن
محمد بن النعمان ، فقدموا من سائر التولعى
والضياع . فكان للرجال يوم الأحد ، وللنساء
يوم الأربعاء ، وللأشراف وذوى الأقدار يوم
الثلاثاء . وازدحم الناس على الدخول فى
الدعوة ، فمات عدة من الرجال والنساء .

ولما وصلت قافلة الحاج ، مر بهم من سب
العامة وبطنهم ما لا يوصف . فانهم أرادوا
حل الحاج على سب السلف فأبوا ، فحل
بهم مكروه شديد .

وفى جمادى الآخرة من هذه السنة ، فتحت
دار الحكمة بالقاهرة ، وجلس فيها القراء ،
وحلت الكتب اليها من خزائن القصور ،
ودخل الناس اليها ، وجلس فيها القراء والفقهاء
وللنجوم والنحاة وأصحاب اللغة والأطباء ،
وحصل فيها من الكتب فى سائر العلوم ما لم
ير مثله مجتمعا ، وأجرى على من فيها من
الخدام والتقهاء الأرزاق السنية ، وجعل فيها
ما يحتاج اليه من الحبر والأقلام والمحابر
والورق .

وفى يوم عاشوراء من سنة ست وتسعين
وثلاثمائة ، كان من اجتماع الناس ما جرت به
العادة ، وأعلن بسب السلف فيه . فقبض على
رجل تودى عليه : هذا جزء من سب عائشة
وزوجها صلى الله عليه وسلم ، ومعه من الرعاع
ما لا يقع عليه حصر ، وهم يسبون السلف ،
فلما تم النداء عليه ضرب عنقه . واستهل شهر
رجب من هذه السنة يوم الأربعاء ، فخرج
أمر الحاكم بأمر الله أن يؤرخ يوم الثلاثاء .

(١٠) من ٢١١ - ٢١٢ ط. بولاق .

وفى سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، قبض
على جماعة ممن يعمل الققاع ، ومن الساكنين
ومن الطباخين . وكبست الحمامات فأخذ عدة
ممن وجد بغير سُرر ، فضرب الجميع لمخالفتهم
الأمر ، وشهروا .

وفى تاسع ربيع الآخر ، أمر الحاكم بأمر
الله بحسو ما كتب على المساجد وغيرها من
سب السلف ، وطاف متولى الشرطة ، وألزم
كل أحد بحسو ما كتب على المساجد من ذلك .

ثم قرى سجل فى ربيع الآخر سنة تسع
وتسعين وثلاثمائة : ألا يحمل شيء من النيذ
والمزود ، ولا يتظاهر به ، ولا بشيء من الققاع
والدليس والسك الذى لا قشر له والترمس
العفن .

وقرى سجل فى رمضان على سائر المنابر :
بأنه يصوم الصائون على حسابهم ويفطرون ،
ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائون
ومفطرون . صلاة الخمس الدين فيما جاءهم
فيها يصلون ، وصلاة الضحى وصلاة التراويح
لا مانع لهم منها ، ولا هم عنها يدفعون .
يخمس فى التكبير على الجنازات المخسونة ،
ولا يمنع من الترييع عليها المريمون . يؤذن
بى على خير العمل المؤذنون ، ولا يؤذى من
بها لا يؤذنون . ولا يسب أحد من السلف ،
ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف ،
والحالف منهم بما حلف . لكل مسلم مجتهد
فى دينه واجتهاده ، والى الله ربه معاده ، عنده
كتابه وعليه حسابه .

وفى صفر سنة أربعمائة ، شهر جماعة بعدما
ضربوا بسبب بيع الققاع والملوخيا والدليس
الترمس .

وفى تاسع عشر شهر شوال ، أمر الحاكم
بأمر الله برفع ما كان يؤخذ من الخس والزكاة
والقطرة والنجوى ، وأبطل قراءة مجالس
الحكمة فى القصر ، وأمر برد التشريب فى
الأذان ، وأذن للناس فى صلاة الضحى وصلاة
التراويح ، وأمر المؤذنين بأسرهم فى الأذان
بألا يقولوا « حى على خير العمل » وأن
يقولوا فى الأذان للفجر « الصلاة خير من
النوم » .

ثم أمر فى ثانى عشرى ربيع الآخر سنة
ثلاث وأربعمائة بإعادة قول « حى على خير
العمل » فى الأذان ، وقطع التشريب ، وترك
قولهم « الصلاة خير من النوم » ، ومنع من
صلاة الضحى وصلاة التراويح ، وفتح باب
الدعوة ، وأعيدت قراءة المجالس بالقصر على
ما كانت . وكان بين المنع من ذلك والأذن فيه
خسة أشهر .

وضرب فى جمادى من هذه السنة جماعة ،
وشهروا بسبب بيع الملوخيا والسك الذى
لا قشر له وشرب المسكرات ، وتبيع
السكرارى فضيق عليهم .

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرى شعبان سنة
أحدى وأربعمائة ، وقع قاضى القضاة مالك بن
سعيد الفارقى الى سائر الشهود والأمناء ،
بخروج الأمر المعظم بأن يكون الصوم يوم
الجمعة ، والعيد يوم الأحد .

وفى شعبان سنة اثنتين وأربعمائة ، قرى
سجل يشدد فيه التكبير على بيع الملوخيا
والققاع والسك الذى لا قشر له ، ومنع
النساء من الاجتماع فى المآتم ومن اتباع
الجناز ، وأحرق الحاكم بأمر الله فى هذا

الشهر الزيب الذي في مخازن التجار ، وأحرق ما وجد من الطرّج ، وجمع صيادي السمك وحلقهم بالإيمان المؤكدة ألا يصطدوا سمكا بغير قتر ، ومن فعل ذلك ضربت عنقه .

وأحرق في خمسة عشر يوما اثنين وثمانمائة وأربعين قطعة زيب : بلغ ثمن النفقة عليها خمسمائة دينار ، ومنع من بيع العنب إلا أربعة أرباع فما دونها ، ومنع من اعتصاره ، وطرح عبا كثيرا في الطرقات وأمر بدوسه . قامت في الناس من الظاهر بشيء من العنب في الأسواق ، واشتد الأمر فيه ، وغرق منه ما حل في النيل .

وأحصى ما بالجيزة من الكروم ، فقطف ما عليها من العنب ، وطرح ما جمعه من ذلك تحت أرجل البقر لدوسه ، وفعل مثل ذلك في جهات كثيرة . وختم على مخازن العسل ، وغرق منه في أربعة أيام * خمسة آلاف جرة واحدى وخمسة جرة فيها العسل ، وغرق من عسل النحل قدر إحدى وخمسين زوا .

وفي جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة ، اشتد الإنكار على الناس بسبب بيع اقتناع والزيب والسمك الذي لا قتر له ، وقبض على جماعة وجد عندهم زيب فضربت أعناقهم وسجنت عدة منهم وأهلقوا .

وفي شوال اعتقل رجل ، ثم شمر ونودي عليه : هذا جزاء من سب أبا بكر وعمر ، وشير اثنين . فاجتمع خلق كثير يباب القصر ، فلستأثروا لا طاقة لنا بمخالفة المصريين ، ولا

(هـ) من ٢١١ يـ ١ ، حـ ديوان .

بمخالفة الحشوة من العوام ، ولا صبر لنا على ما جرى ، وكتبوا قصصا . فصرفوا ، ووعدوا بالرجوع في غد . فبات كثير منهم يباب القصر ، واجتسوا من القند فصاحوا وضجوا .

فخرج اليهم قائد القواد غين فنهاهم ، وأمرهم عن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أن ينفوا إلى معايشهم . فانصرفوا إلى قاضي القضاة مالك بن سعيد القارقي وشكوا إليه ، فبصر من ذلك ، فبصروا وفيهم من سب السلف ، وبمعرض بالناس . فقرأه سجل في القصر بالترحم على السلف من الصحابة ، وأنهى عن الخوض في ذلك .

وركب مرة فرأى لوحا على قيسارية فيه سب السلف ، فأنكره ، وما زال واقفا حتى قطع . وضرب بالحرس في سائر طرقات مصر والقاهرة ، وقرأه سجل بتبع الألواح النصوية على سائر أبواب القياسر والحوانيث والدور والخانات والأرباع ، المشتلة على ذكر الصحابة والسلف الصالح رحمهم الله بالسب واللعن ، وقطع ذلك وكسره وتصفية أنسره ، ومحو ما على الحيطان من هذه الكتابة ، وإزالة جميعها من سائر الجهات حتى لا يرى لها أثر في جدار ولا نقش في لوح ، وحذر فيه من المخالفة ، وهدد بالمقوبة . ثم انتفض ذلك كله ، وعاد الأمر إلى ما كان عليه .

إلى أن قتل الخليفة الأمر بأحكام الله أبو علي منصور بن المستعلى بالله أبي القاسم أحمد بن المستر بالله أبي تميم معد ، وقار أبو علي أحمد - الملقب كنيفات - بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الحيوش ، واستولى

على الوزارة في سنة أربع وعشرين وخمسة وسبعين لحفظ بينه وبين أبي المنصور عبد محمد بن الأمير أبي الحسن محمد بن أحمد المستر بالله ، وأعلن بذهب الامامية ، والدعوة للامام المستر ، وضرب دراهم نقشها « الله الصمد ، الامام محمد » .

ورتب في سنة خمس وعشرين أربعة قضاة : اثنان أحدهما امامي والآخر اسماعيلي ، واثنان أحدهما مالكي والآخر شافعي . فحكم كل منهما بذهبه . وورث على مقتضاه ، وأسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الصادق ، وأبطل من الأذان « حي على خير العمل » وقولهم « محمد وعلى خير البشر » .

فلما قتل في المحرم سنة ست وعشرين ، عاد الأمر إلى ما كان عليه من مذهب الاسماعيلية . وما يروح حتى قدمت عساكر الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي من دمشق عليها أسد الدين شيركوه ، وولي وزارة مصر للخليفة العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله ابن الأمير يوسف بن الحافظ لدين الله ، ومات .

فقام في الوزارة بعده ابن أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة ، وشرع في تغيير الدولة وإزالتها ، وحجر على العاضد ، وأوقع بأمرائه الدولة وعساكرها ، وأثأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية ومدرسة للفقهاء المالكية ، وصرف قضاة مصر الشيعة كلهم ، وفوض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس

الخاراني الشافعي ، فلم يستب عنه في إقليم مصر إلا من كان شافعي المذهب . فتظاهر الناس من حينئذ بذهب مالك والشافعي ، واحتفى مذهب الشيعة والاسماعيلية والامامية حتى فقد من أرض مصر كلها .

وكذلك كان السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن عباد الدين زنكي بن آق سقر حنظلي ، فيه تمصب . فشر مذهب أبي حنيفة رحمه الله ببلاد الشام ، ومه كبرت حقيقه بمصر ، وقدم إليها أيضا عدة من بلاد شرق ، وبنى لهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب المدرسة البيهوية بالقاهرة ، وما زال مذهبهم ينتشر ويغوى ، وفقهائهم تكثروا بمصر والشام من حينئذ .

وأما العقائد فإن السلطان صلاح الدين حل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ، تلميذ أبي علي الجبائي ، وشرط ذلك في توقفه التي بديار مصر : كالمدرسة الناصرية بجوار قبر الامام الشافعي من القرافة ، والمدرسة الناصرية التي عرفت بالشرفية بجوار جامع عمرو بن العاص بمصر ، والمدرسة المعروفة بالقمحية بمصر ، وخانكاه سعيد السعداء بالقاهرة .

فاستر الحال على عقيدة الأشعري بديار مصر وبلاد الشام وأرض الحجاز واليمن ، وبلاد المغرب أيضا لادخال محمد بن تومرت رأى الأشعري إليها . حتى أنه صار هذا الاعتقاد يسائر هذه البلاد ، بحيث إن من خالفه

ذكر فرق الخليفة واختلاف عقائدها وتباينها

اعلم أن الذين تكلموا في أصول الديانات
قسمان ، هما : من خالف ملة الاسلام ، ومن
أقر بها . فأما المخالفون لملة الاسلام ، فهم
عشر طوائف :

الأولى : الدهرية .

والثانية : أصحاب العناصر .

والثالثة : الثنوية وهم المجوس ، ويقولون
بأصلين هما النور والظلمة ، ويزعمون أن
النور هو يزدان والظلمة هو أهرمن ، ويقرون
بنبوة ابراهيم عليه السلام .

وهم ثمان فرق : الكيومرنية أصحاب
كيومرت الذي يقال إنه آدم . والزروانية
أصحاب زوران الكبير . والزرادشتية أصحاب
زرادشت بن يورشت الحكيم . والثنوية
أصحاب الاثنين الأزليين . والمانوية أصحاب
مانى الحكيم . والمزركية أصحاب مزرك
الخارجي . والبصانية أصحاب بيسان القائل
بالأصلين القديسين . والفرقونية القائلون
بالأصلين ، وأن الشر خرج على أيه ، وأنه
تولد من فكرة فكرها في نفسه ، فلما خرج
على أيه — الذي هو الاله يزعمهم — عجز
عنه ، ثم وقع الصلح بينهما على يد الندمات
وهم الملائكة — ومنهم من يقول بالتناسخ ،
ومنهم من ينكر الشرائع والأنبياء ، ويحكمون
العقول ، ويزعمون أن النفوس العلوية تفيض
عليهم الفضائل .

فترب عنه ، والأمر على ذلك الى اليوم . ولم
يكن في الدولة الأيوبية بمصر كثير ذكر لمذهب
أبي حنيفة وأحمد بن حنبل ، ثم اشتهر مذهب
أبي حنيفة وأحمد بن حنبل في آخرها .

فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس
البنقداري ، ولى بمصر والقاهرة أربعة
قضاة وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي .
فاستمر ذلك من سنة خمس وستين وستمائة ،
حتى لم يبق في مجموع أمصار الاسلام
مذهب يعرف من مذاهب أهل الاسلام سوى
هذه المذاهب الأربعة وعقيدة الأشعرى .

وعملت لأهلها المدارس والخوانك والزوايا
والربط في سائر ممالك الاسلام ، وعودى
من تمذهب بغيرها وأنكر عليه . ولم يول
قاض ، ولا قبلت شهادة أحد ، ولا قدم
للخطابة والامامة والتدريس أحد ... ما لم
يكن مقلدا لأحد هذه المذاهب . وأفتى فقهاء
هذه الأمصار في طول هذه المدة بوجوب اتباع
هذه المذاهب ، وتحريم ما عداها . والعمل
على هذا الى اليوم .

واذ قد بينا الحال في سبب اختلاف الأمة
منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
الى أن استقر العمل على مذهب مالك ،
والشافعي ، وأبي حنيفة ، وأحمد بن حنبل ،
رحمة الله عليهم ... فلنذكر اختلاف عقائد أهل
الاسلام منذ كان ، الى أن التزم الناس عقيدة
الشيخ أبي الحسن الأشعرى ، رحمه الله
ورضى عنه .



نصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأئمة
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



التمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والنساء ٣ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِئِ

٤٠

كتاب
التحرير

«سمات مصر لى مستط رأسى ، وطلع أترابى ، وجمع ناسى ، وفتح عشرين وهاستى ،
وموطن فهاستى وهاستى ، وهوى هوى الذى رب جناحى فى ذكرى ، وفتح ماربى ، فها
تهوى الأفسس غير ذكرى . لا زلت منذ شذوت العالم ، وآتاني رب الظلمات والغوم ، أرحب فى
معرفة أخبارها ، وأحب الإشراف على الإغتراف من آبارها ، وأهوى سائر الكيان عن مكان ديارها»
نقى الدين أحمد بن على المقرئ

والطائفة الرابعة : الطبائعيون .

والطائفة الخامسة : الصابئة القائلون بالهياكل والأرباب السماوية والأصنام الأرضية وانكار النبوات ، وهم أصناف ، وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة ، وتولدت من مذاهبهم الحكمة الملتطية ، ومنهم أصحاب الروحانيات ، وهم عباد الكواكب وأصنامها التي عملت على تمثالها .

والحنفاء هم القائلون بأن الروحانيات منها ما وجودها بالقوة ، ومنها ما وجودها بالفعل ، فما هو بالقوة يحتاج الى من يوجد به بالفعل ، ويقولون بنسبة ابراهيم وأنه منهم . وهم طوائف : الكاظمة أصحاب كاظم بن تارح ، ومن قوله أن الحق في الجمع بين شريعة ادريس وشريعة نوح وشريعة ابراهيم عليهم السلام . ومنهم البيدانية أصحاب بيدان الأصغر ، ومن قوله اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح ، وأن النبوة من أسرار الالهية . ومنهم القنطارية أصحاب قنطار بن أرفخشذ ، ويقر بنسبة نوح .

ومن فرق الصابئة أصحاب الهياكل ، ويرون أن الشمس اله كل اله . والحرائية ومن قولهم المعبود واحد بالذات ، وكثير بالأشخاص في رأى العيين ، وهى : المدبرات السبع من الكواكب ، والأرضية الجزئية ، والعالمة الفاضلة .

والطائفة السادسة : اليهود .

والسابعة : النصارى .

والثامنة : أهل الهند القائلون بعبادة الأصنام ، ويزعمون أنها موضوعة قبل آدم .

ولهم حكم عقلية وأحكام وضعها الشلم أعظم حكمهم ، والمهند قبله ، والبراهمة قبل ذلك ... فالبراهمة أصحاب برهام أول من أنكر نبوة البشر .

ومنهم البردة : زهاد عباد رجال الرماد الذين يهجرون اللذات الطبيعية ، وأصحاب الرياضة التامة ، وأصحاب التناسخ . وهم أقسام : أصحاب الروحانية ، والبهادرية ، والناسوتية ، والباهرية ، والكابلية أهل الجبل ، ومنهم الطبييون ، أصحاب الرياضة الفاعلة ، حتى أن منهم من يجاهد نفسه حتى يسلطها على جسده ، فيصعد في الهواء على قدر قوته .

وفى اليهود : عباد النار ، وعباد الشمس والقمر والنجوم ، وعباد الأوثان .

والطائفة التاسعة : الزنادقة ، وهم طوائف منهم القرامطة .

والعاشرة : الفلاسفة أصحاب الفلسفة . وكلمة فيلسوف معناها محب الحكمة ، فإن فيلو محب ، وسوف حكمة ، والحكمة قولية وفعلية ، وعلم الحكماء انحصر فى أربعة أنواع : الطبيعى ، والمدنى ، والرياضى ، والالهى . والمجموع ينصرف الى : علم ما ، وعلم كيف ، وعلم كم . فالعلم الذى يطلب فيه ماهيات الأشياء هو الالهى ، والذى يطلب فيه كفيات الأشياء هو الطبيعى ، والذى يطلب فيه كميات الأشياء هو الرياضى .

ووضع بعد ذلك أرسطو صنعة المنطق ، وكانت بالقوة فى كلام القدماء ، فأظهرها ورتبها .

عنه من خلق القول ، عن أصل من غناه ،
 وحر في المسئلة ، وروى في كثير ، وقال :
 جميع الحاصلات من التبر لم يزل يملك .
 والرد بشر مسائل وهي : أن علم الله
 وفكره وحجته هي ذاته ، وأثبت لادوات لا
 محل له يكون الباري مرده لها . وقال :
 يعني كلام الله لا في محل وهو قوله كن ،
 وحضه في محل ككلامه وليس . وقال في
 أمور الآخرة ككتب الجيرة . وقال : تنهى
 متصورات الله حتى لا يتصور على أحداث تروى ،
 ولا على هذه شيء ، ولا شيء شيء ، ولا لامة
 شيء ، وتستفح حركات أهل الجنة والنار ،
 وحسرونا إلى سكون دلم .
 وقال : الاستطاعة عرض من الأغراض نحو
 السلامة والصحة ، وقرين من أصل التوب
 وغسل الجوارح . وقال : يجب معرفة الله
 قبل ورود السمع ، وإن لم يتصور أن له
 يقبل مات في ذلك الوقت ، ولا يترك العلم
 ولا ينسى بخلاف الرزق . وقال : إرادة الله
 عين الإرادة ، والحجة لا تنزه فيما غاب لا
 بحيز عشرين .
 والرجعة الطمية : أتباع إبراهيم بن ميار
 الطام - بتسميتهم هذه الحجة - زعيم
 الميعة ، وأحد السبعة . القرد بصفة مسائل .
 وهي قوله : أن الله تعالى لا يوصف بصفة
 على الشهود والحاس . وما غير متصورة له .
 وقال : ليس له إرادة ، وأعمال العبد كلها
 حركات ، وليس الروح هو الإنسان .
 وبين الله هو كنهه فقط ، وإن كل ما جاوز
 القدرة من العلم فهو من الله وهو نفسه .

وتكرر الجواهر القرد ، وأصل القول
 بالخطوة ، وقال : الجوهر مؤلف من أعراض
 اجتمعت ، وزعم أن الله خلق الموجودات دفعة
 على ما هي عليه ، وإن الإعجاز في القرآن
 من حيث الأخبار عن الغيب فقط ، وأنكر أن
 يكون الإجماع حجة ، وضمن في الصحابة
 رضي الله تعالى عنهم ، وقال قبحه الله : أبو
 هريرة الكتب الناس ، وزعم أنه ضرب قاطعة
 بية رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 ومنع ميراث المرأة ، وأوجب معرفة الله
 بمكر قبل ورود الشرع ، وحرم تكاح الموالى
 العربيات ، وقال : لا تجوز صلاة التراخي ،
 وهي عن ميقات الحج ، وكتب بالنسبة
 بشر ، وأحل رؤية الجن ، وزعم أن من سرق
 مائتي دينار فما دونه لم ينسق ، وإن الطلاق
 بالكسبة لا يقع وإن كان بنية ، وإن من قام
 مضطجعا لا يستنظي وضوءه ما لم يخرج منه
 بحدس ، وقال : لا يزوم قضاء الصلوات إذا
 فلت .
 وخدمة الأسورية : أتباع أبي علي عمرو
 بن قاتل الأسوري ، القائل أن الله تعالى لا
 ينظر أن يفعل ما علم أنه لا يفعله .
 والسبعة الاسكافية : أتباع أبي جعفر
 محمد بن عبد الله الاسكافي . ومن قوله : أن
 الله تعالى لا ينظر على ظم العقلاء ، وينظر
 على ظم الأفئد والنجين ، وأنه لا يقل أن
 له خلق أعزاف والظهير ، وإن كان هو
 الذي خلق أجسادهم .
 والسبعة الجعفرية : أتباع جعفر بن حرب
 بن ميرة . ومن قوله : أن في فساق هذه
 الأمة من هو شر من اليهود والنصارى

والجوس ، وأسقط الحد عن شارب الخمر ،
 وزعم أن الصغار من الذنوب توجب تغليب
 قطعها في النار ، وأن رجلا لو بعث رسولا إلى
 امرأة ليخطبها ، فجاءته فومتها من غير عقد لم
 يكن عليه حد ، ويكون وموه إياها طلاقا لها .
 والسبعة البشرية : أتباع بشر بن المعتز .
 ومن قوله الظم والثون والرائحة والادراكات
 كله من السمع يجوز أن تحصل متولدة ،
 وصرف الاستطاعة إلى سلامة البنية والجوارح
 وقال : لو غلب الله الظل الصغير لكان ظنا
 وهو يقدر على ذلك ، وقال : إرادة الله من
 جنة أفعاله ، ثم هي تقسم إلى صفة فعل
 وصفة ذات ، وقال باللفظ المخزون ، وأن
 الله لم يخفه لأن ذلك يوجب عليه التوب ،
 وإن التوبة الأولى متوقفة على الثانية ، وأنها
 لا تنفع إلا بعد الوقوع في الذي وقع فيه ،
 فإن وقع لم تنفع التوبة الأولى .
 والسبعة المزدارية : أتباع أبي موسى عيسى
 ابن صبيح - المعروف بالمزدار - تلميذ
 بشر بن المعتز . وكان زاهدا ، وقيل له راهب
 المعتزلة ، وانفرد بمسائل : منها قوله أن الله
 قادر على أن يظلم ويكذب ولا يظن ذلك في
 الريوية ، وجوز وقوع الفعل الواحد من
 قائلين على سبيل التولد ، وزعم أن القرآن
 ما يقدر عليه ، وأن بلاغته وقصاحته لا تعجز
 الناس ، بل يتفكرون على الآيات بمثلها وأحسن
 منها . وهو أصل المعتزلة في القول بخلق
 القرآن ، وقار : من أجاز رؤية الله بالأبصار
 بلا كيف فهو كافر ، والشاك في كفره كافر
 أيضا .

والعاشرة المشامية : أتباع هشام بن عمرو
 القسري الذي يبالغ في القدر ، ولا ينسب إلى
 الله فعلا من الأعمال . حتى أنه أنكر أن يكون
 الله هو الذي أتت بين قلوب المؤمنين ، وأنه
 يحب الإنسان للمؤمنين ، وأنه أصل
 الكافرين . وعاند ما في القرآن من ذلك ،
 وقال : لا تتعقد الإمامة في زمن الفتنة
 واختلاف الناس ، وإن الجنة والنار غير
 مخلوقتين ، ومنع أن يقال حسبا لله ونعم
 الوكيل ، وقال : لأن الوكيل دون الموكل .
 وقال : لو أصبح أحد الوضوء ، ودخل في
 الصلاة بنية القرية لله تعالى والعزم على
 اتسامها ، وركع وسجد مخلصا في ذلك كله ،
 إلا أن الله علم أنه يقطعها في آخرها ، فإن أول
 صلاته معصية . ومنع أن يكون البحر انطلق
 لموسى ، وأن عصاه انقلبت حية ، وأن عيسى
 أحيا الموتى بإذن الله ، وأن القمر انشق للنبى
 صلى الله عليه وسلم . وأنكر كثيرا من الأمور
 التي تواترت ، كحصر عثمان بن عفان رضي الله
 عنه وقتله بالقليعة ، وقال إنما جاءته شرفة
 قليلة تشكو عاهه ، ودخلوا عليه وقتلوه فلا
 يدري قاتله .
 وقال : أن طلحة والزبير وعلي بن أبي طالب
 رضي الله عنهم ما جاءوا للقتال في حرب
 الجبل ، وإنما يروا للشاورة ، وتقاتل أتباع
 الفريقين في ناحية أخرى . وإن الأمة إذا
 اجتمعت كلها ، وتركتم الظلم والفساد ،
 احتاجت إلى إمام يسوسها ، فما إذا عصت
 وفجرت وقتلت وأنها فلا تتعقد الإمامة لأحد .
 وبني على ذلك أن إمامة علي رضي الله عنه

على علي ، ومع ذلك يقول : ان ابا بكر خير من عمر وعثمان ، ولا يقول ان عليا خير من عمر وعثمان .

والسبعة عشرة البهشية : اتباع ابي هاشم عبد السلام بن ابي علي الجبائي . انفرد بيدع في مقالاته : منها القول باستحقاق الذم من غير ذنب . وزعم ان القادر منا يجوز ان يخلو عن الفعل والترك ، وان القادر المأمور انتهى اذا لم يفعل فعلا ولا ترك ، يكون عاصيا متحق العقاب والذم لا على الفعل لانه لم يفعل ما امر به ، وان الله يعذب الكافرين والمعصاة لا على فعل مكتسب ولا على محدث منه .

وقال : التوبة لا تصح من قبيح ، مع الاصرار على قبيح آخر يعله او يعتقده قبيحا وان كان حنا ، وان التوبة لا تصح مع الاصرار على منع حسنة واجبة عليه ، وان توبة الزاني بعد ضعفه عن الجماع لا تصح . وزعم ان الطهارة غير واجبة ، وانما امر العبد بانصلا في حال كونه متظفرا ، وان الطهارة تجزىء بالماء المغصوب ، ولا تجزىء الصلاة في الارض المفضية . وزعم ان الزنج والترك والهنود قدرون على ان يأتوا بشل هذا القرآن . وقال ابو علي وابنه ابو هاشم : الايمان هو الضاعات المفروضة .

والفرقة العشرون من المعتزلة الشيطانية : اتباع محمد بن نعمان - المعروف بشيطان الضاق - وهو من الروافض . شارك كلا من المعتزلة والروافض في بدعهم ، وقلما يوجد معتزلي الا وهو رافضي الا قليلا منهم . انفرد بظامة وهي ان الله لا يعلم الشيء الا ما قدره

واراده ، ولما قبل تقديره فيتحيل ان يعلمه ، ولو كان عاك بافعال عباده لاستحال ان يستحسنهم ويختبرهم .

وللمعتزلة اسام : منها التوبة ... سموا بذلك لقولهم : الخير من الله ، والشر من العبد . ومنهم الكيسانية ، والناكية ، والاحمدية ، والوهية ، والبترية ، والواسطية ، والواردية ... سموا بذلك لقولهم : لا يدخل المؤمنون النار وانما يردون عليها ، ومن ادخل النار لا يخرج منها قط . ومنهم الحرقية لقولهم : الكفار لا تحرق الا مرة ، والمفنية القائلون بفناء الجنة والنار ، والواقمية القائلون بالوقف في خلق القرآن . ومنهم اللفظية القائلون الفاظ القرآن غير مخلوقة ، والمتزقة القائلون الله بكل مكان ، والقبرية القائلون بانكار عذاب القبر .

« الفرقة الثانية المشبهة » : وهم يفلون في اثبات صفات الله تعالى ضد المعتزلة ، وهم سبع فرق :

الهشامية : اتباع هشام بن الحكم ، ويقال لهم ايضا الحكمية ، ومن قولهم : الاله تعالى كور السيكة الصافية يتلألا من جوانبه . ويرمون مقاتل بن سليمان بأنه قال : هو لحم ودم على صورة الانسان ، وهو طويل عرض عسيق ، وان طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه ، وهو ذو لون وطعم ورائحة ، وهو سبعة اشبار بشير نفسه . ولم يصح هذا القول عن مقاتل .

والجولقية : اتباع هشام بن سالم الجولقي ، وهو من الرافضة ايضا . ومن شيع

قوله ان الله تعالى على صورة الانسان ، نصفه الاعلى مجوف ، ونصفه الاسفل مصمت ، وله شعر اسود ، وليس بلحم ودم ، بل هو نور ساطع ، وله خمس حواس كحواس الانسان ، ويد ورجل وقم وعين وأذن وشعر اسود ، لا التمرج واللحية .

والبيانية : اتباع بيان بن سحان ، القائل : هو على صورة الانسان ، ويهلك كله الا وجهه لظاهر الآية « كل شيء هالك الا وجهه » .

والمغيرة : اتباع مغيرة بن سعيد العجلي ، وهو ايضا من الروافض . ومن شائعه قوله ان أعضاء معبودهم على صورة حروف الهجاء ، فالألف على صورة قدسيه . وزعم انه رجل من نور على رأسه تاج من نور ، وزعم ان الله كتب بأصبعه أعمال العباد من طاعة ومعصية ، ونظر فيهما وغضب من معاصيهم فغرق ، فاجتمع من عرقه بحران عذب ومالح ، وزعم انه بكل مكان لا يخلو عنه مكان .

والمنهالية : أصحاب منهال بن ميمون .

والزردارية : اتباع زرارة بن أعين .

واليونسية : اتباع يونس بن عبد الرحمن القمي ، وكلهم من الروافض . وسيأتي ذكرهم ان شاء الله تعالى .

ومنهم ايضا : النائية ، والناكية ، والعملية ، والمستنية ، والبدعية ، والعشرية ، والآثرية .

ومنهم الكرامية : اتباع محمد بن كرام السجستاني ، وهم طوائف : الهبضية ، والاسحاقية ، والجندية وغير ذلك . الا أنهم

يعدون فرقة واحدة لأن بعضهم لا يكثر بسفا وكلهم مجسة ... الا ان فيهم من قال : هو قائم بنفسه ، ومنهم من قال : هو اجزاء مؤتلفة ، وله جهات ونهايات .

ومن قول الكرامية ان الايمان هو قول مفرد ، وهو قول « لا اله الا الله » ، وسواء اعتقد او لا . وزعموا ان الله جسم ، وله حد ونهاية من جهة السفلى ، وتجاوز عليه ملاقة الأجسام التي تحته ، وأنه على العرش والعرش ماس له ، وأنه محل الحوادث من القول والارادة والادراكات والمرييات والمسوعات ، وان الله لو علم احدا من عباده لا يؤمن به لكان خلقه اياهم عبدا ، وأنه يجوز ان يعزل نيا من الانبياء والرسل ، ويجوز عندهم على الانبياء كل ذنب لا يوجب حدا ولا يسقط عدالة ، وأنه يجب على الله تعالى تواتر الرسل ، وأنه يجوز ان يكون امامان في وقت واحد ، وان عليا ومعاوية كانا امامين في وقت واحد ، الا ان عليا كان على السنة ومعاوية على خلافا .

وانفرد ابن كرام في افقه بأشياء : منها ان المسافر يكفيه من صلاة الخوف تكبيرتان ، وأجاز الصلاة في ثوب مستغرق في النجاسة . وزعم ان الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر العبادات تصح بغير نية ، وتكتفى نية الاسلام ، وان النية تجب في النوافل ، وأنه يجوز الخروج من الصلاة بالاكل والشرب والجماع عندما تم البناء عليها . وزعم بعض الكرامية ان الله علمين : احدهما يعلم به جميع المعلومات ، والآخر يعلم به العلم الاول .

« الفرقة الثالثة النورية » : الحرة في ذات
الحرية لمجد في بيت الحق والعدل ، وله
لا يعتد في ذلك أي معونة من جهة الله
تعالى .

« الفرقة الرابعة الجيرة » : الحرة في ذات
استطاعة العبد في الحق ووجه وجهه ، وعلى
الاعتبار . . . هي الكس .

وهذه الفرقان متفصلة . . . في الفرق
الحرة في ذات فرق .

« الحرة » : أتباع جهم بن صبور التميمي .
مولى زبيب . وفي آخر دولة بني أبيه .
أبوهم يسمي أصحاب الجيرة كلها . ويتولى
لا يجوز أن يوصف الجيرة بمعنى جسد
يوصف بجاهته . . . لا يسمي الجيرة
شيء ، ولا يوصف بالحرية ولا الاستقامة .
والحرية والعدل يسميان وتسمى حركة
أهل . . . من فرق الله ولا يسمي بالدين
لا يكره أن يوصف بالدين . وهو
يؤمن مع ذلك .

وقد كره الجيرة في بني النعمان .
وكره أهل السنة يسمي أصحاب الجيرة
وهي ترويه . . . جرد يعجز الخروج على
السلطان الحاكم . . . والله لا يدين
لا جهة يوصف به غيره .

« النورية » : أتباع بكر بن أخت عبد
المطلب . . . هو يوافق الظاهر في أن لا يسمي
هو الروح . . . يسمي أن الذي يرى في
الجنة في صورة جسم . . . يسمي الله .
أن صاحب الحرية مدين في حركته لا يسمي
من . . . هو . . . هو . . . هو . . .

في الشوق والتمنى ، وأوجب لوضوحه من
فرقة الظن .

« الحرورية » : أتباع صرار بن عمرو . وغرد
بأنه : . . . الله تعالى يرى في القيامة
بدنه زلزاله . . . وأكره قومة أبي
محمود . وثبت في دين ذاته المسلمين وقال
جهم كره . . . وزعم أن الجسم الخواص مجتمعه
كما قالت الحرورية .

ومن جهة الحرورية البضحية أتباع السدس
البيحي ، وأصحابه أتباع أبي صباح بن
مصر . . . ومكره . . . وخوف .

« الفرقة الخامسة المرجئة » : الأرجاء ما
منسوب من أوجه . . . والفرجة يرجعون
لأصحاب القاصي الشوب من الله تعالى ،
يسبون لا يضر مع الأيمان مقصده . كأنه
لا يبيع مع الكفر صفة . . . أو يكون منتد من
الأرجاء . . . وهو الأخير . لأنه أخرو حكم
أصحاب الكفر في الآخرة .

« حينة المرجئة » : لهم حاد في ثبات
« حينة » : أوجه . . . وهي التوبة وخوف عن
المؤمن . . . وهم ثلاثة أقسام : صف جموا
من أوجه . . . وهم عدل وأبو شر من
في حينة . . . وصف جموا من الأرجاء
وأجرو . . . من جهم بن صبور . وصف قل
الأرجاء الخفية .

« مرجئة » : أتباع جهم بن عمرو ، وهو
أبو جهم بن عبد الرحمن بن رضى .
« مرجئة » : . . . مرجئة . . . مرجئة . . .

زعم أن الأيمان معرفة الله والخضوع له ،
والعبادة ، والاقرار بأنه ولصده ليس كمثل
شيء .

« النسانية » : أتباع غسان بن أبان الكوفي ،
أنكر نبوة عيسى عليه السلام ، وتلمذ لمحمد
ابن الحسن الثياني ، ومنعجه في الأيمان
كذهب يونس . إلا أنه يقول : كل خلة من
خصال الأيمان تسمى بعض الأيمان ، ويونس
يقول : كل خلة ليست بإيمان ولا بعض
إيمان .

وزعم غسان أن الأيمان لا يزيد ولا ينقص .
وعند أبي حنيفة ، رحمه الله ، الأيمان معرفة
بالقلب وقرار باللسان ، فلا يزيد ولا ينقص
كفر من الشئ .

« الثوبانية » : أتباع ثوبان المرجي ، ثم
الخارجي المعتزلي ، وكان يقال له جامع
التقاضي ، هاجر الخصائص . ومن قوله :
الأيمان هو المعرفة والاقرار ، والأيمان فعل
ما يجب في العقل فله . فأوجب الأيمان بالعقل
قبل ورود الشرع ، وفارق النسانية واليونسية
في ذلك .

« الثومنية » : أتباع أبي معاذ الثومني
القبيلوف . زعم أن من ترك فريضة لا يقال
له فاسق على الإطلاق ، ولكن ترك الفريضة
فسق . وزعم أن هذه الخصال التي تكون
يجملتها أيماناً ، فولحدة ليست بإيمان ولا بعض
إيمان ، وأن من قتل نيا كمر لا لأجل القتل ،
بل لاستغفانه به وبفضه له .

ومن فرق المرجئة : المربية أتباع بشر بن
غياث المريسي . كان يراقى المذهب في الثقة ،

تلميذاً للقاضي أبي يوسف يعقوب الحضرمي ،
وقال بنى الصفات وخلق القرآن ، فأكرهه
النسانية بذلك . وزعم أن أعمال العباد مخلوقة
له تعالى ، ولا استقللة مع العمل ، فأكرهه
المعتزلة بذلك . وزعم أن الأيمان هو التصديق
بالقلب ، وهو مذهب ابن الربيعي .

ولما تأخره القاضي في مسألة خلق القرآن
وتفى الصفات ، قال له : صفك كافر لقولك
بخلق القرآن وتفى الصفات ، ووصفك مؤمن
لقولك بالقضاء والقدر وخلق أكساب العباد .
وبشر محدود من المعتزلة لتفيه الصفات ،
وقوله بخلق القرآن .

ومن فرق المرجئة : الصالحية أتباع صالح
ابن عمرو بن صالح ، والجحدرية أتباع
جحد بن محمد التيمي ، والزيادة أتباع
محمد بن زياد الكوفي ، والثنية أتباع
محمد بن نبيب ، والناقضية ، والبهنسية .

ومن المرجئة جماعة من الأئمة : كعبد بن
جبر ، وعلق بن حبيب ، وعسرو بن مرة ،
ومحارب بن دثار ، وعسرو بن ذر ، وحصاد
ابن سليمان ، وأبي مقاتل . وخالفوا القدرة
والخوارج والمرجئة في أنهم لم يكفروا بالكبائر
ولا حكموا بتخليد مرتكبها في النار ، ولا
سبوا أحداً من الصحابة ، ولا وقعوا فيهم .

وأول من وضع الأرجاء أبو محمد الحسن
بن محمد - المعروف بابن الحنفية - بن
علي بن أبي طالب ، وتكلم فيه . وصارت
المرجئة بعده أربعة أنواع : الأول مرجئة
الخوارج ، الثاني مرجئة القدرة ، الثالث
مرجئة الجيرة ، الرابع مرجئة الصالحية .

١ وكان الحسن بن محمد ابن الحنفية يكتب كتيبه الى الامصار يدعو الى الارجاه . الا انه لم يؤخر العمل عن الايمان كما قال بعضهم ، بل قال : أداء الطاعات وترك المعاصي ليس من الايمان ، لا يزول بزوالها .

وقال ابن قتيبة : اول من وضع الارجاه بالبصرة حسان بن بلال بن الحارث المزني . وذكر بعضهم أن اول من وضع الارجاه ابا سلت السمان ، ومات سنة اثنين وخمسين ومائة .

« الفرقة السادسة الحرورية » : الغلاة في اثبات الوعيد والخوف على المؤمنين ، والتخليد في النار مع وجود الايمان . وهم قوم من النواصب الخوارج ، وهم مضادون المرجئة في النفي والاثبات والوعيد والوعيد .

ومن مفرداتهم أن من ارتكب كبيرة فهو مشرك ... ومنهم عامة الخوارج أنه كافر وليس بمشرك ، وقال بعضهم هو منافق في الدرك الأسفل من النار . فعند الحرورية أن الاسم يتغير بارتكاب الكبيرة الواحدة ، فلا يسمى مؤمنا بل كافرا مشركا ، والحكم فيه أنه يظن في النار ، واتفقوا على أن الايمان هو اجتناب كل معصية .

وقيل لهم الحرورية ، لأنهم خرجوا الى حروراه لقتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وعدتهم اثنا عشر ألفا ، ثم سار على رضي الله عنه اليهم وقاتلهم ، ثم قاتلهم وهم أربعة آلاف ، فانضم اليهم جماعة حتى بلغوا اثني عشر ألفا .

« الفرقة السابعة التجارية » : أتباع الحسن ابن محمد بن عبد الله التجار أبي عبد الله . كان حائكا ، وقيل أنه كان يعمل الموازين ، وأنه كان من أهل قم ... كان من جملة المجبرة ومتكلميهم ، وله مع النظم عدة مناظرات : منها أنه فطره مرة ، فلما لم يلحن بحجته رفعه النظم ، وقال له : قم أخزي الله من ينسبك الى شيء من العلم والقلم . فأنصرف محبوما ، واعتل حتى مات .

وهم أكثر معتزلة الري وجهاتها . وهم يوافقون أهل السنة في مسألة القضاء والقدر ، واكتساب العباد ، وفي الوعد والوعيد ، وامامة أبي بكر رضي الله عنه . ويوافقون المعتزلة في نفي الصفات ، وخلق القرآن ، وفي الرؤية . وهم ثلاث فرق : البرغوثية ، والزعفرانية ، والمندركة .

« الفرقة الثامنة الجهمية » : أتباع جهم بن صفوان . وهم يوافقون أهل السنة في مسألة القضاء والقدر مع ميل الى الجبر ، وينفون الصفات والرؤية ، ويقولون بخلق القرآن . وهم فرقة عظيمة وعددهم في المعتزلة المجبرة .

« الفرقة التاسعة الروافض » : الغلاة في حب علي بن أبي طالب ، وبغض أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية في آخرين من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، وسماوا رافضة لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، امتنع من لعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وقال : هما وزيرا جدى محمد ، صلى الله عليه وسلم ،

(٥) ص ٢٥٠ ج ٢ ، طه بولاق .

فرفضوا رأيهم . ومنهم من قال : لأنهم رفضوا رأي الصحابة رضي الله عنهم ، حيث بايعوا ابا بكر وعمر رضي الله عنهما .

وقد اختلف الناس في الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذهب الجمهور الى أنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه . وقال العباسية والريوبدية أتباع أبي هريرة الربويدي — وقيل أتباع أبي العباس الربويدي — هو العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، لأنه العم والوارث ، فهو أحق من ابن العم . وقال العشائية وبنو أمية : هو عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه . وذهب آخرون الى غير ذلك . وقال الرافضة : هو علي بن أبي طالب .

ثم اختلفوا في الامامة اختلافا كثيرا حتى بلغت فرقهم ثلثمائة فرقة ، والمشهور منها عشرون فرقة :

الزيدية والصابحية : أقروا امامة أبي بكر رضي الله عنه ، وراوا أنه لا نص في امامة علي رضي الله عنه ، واختلفوا في امامة عثمان رضي الله عنه : فافكرها بعضهم ، وأقر بعضهم أنه الامام بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لكن قالوا على أفضل من أبي بكر ، وامامة المفضل بجائزة .

وقال الغلاة : هو علي بالنص ، ثم الحسن وبعده الحسين ، وصار بعد الحسين الأمر شورى . وقال بعضهم : لم يرد النص الا بامامة علي فقط ، وقال آخرون : نص علي علي بالوصف لا بالعين والاسم ، وقال بعضهم : قد جاء النص على امامة اثني عشر آخرهم المهدي المنتظر .

وفرقهم العشرون هي :

الامامية : وهم مختلفون في الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فزعم أكثرهم أن الامامة في علي بن أبي طالب وأولاده بنص النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن الصحابة كلهم قد ارتدوا الا عليا وابنيه الحسن والحسين وأبا ذر الغفاري ولسان القارسي وطائفة يسيرة . وأول من تكلم في مذهب الامامية علي بن اسماعيل بن هيثم التمار ، وكان من أصحاب علي بن أبي طالب .

وذهبت القطعية منهم الى أن الامامة في علي ، ثم في الحسن ، ثم في الحسين ، ثم في علي بن الحسين ، ثم في محمد بن علي ، ثم في جعفر بن محمد ، ثم في موسى بن جعفر ، ثم في علي بن موسى . وقطعوا الامامة عليه ، فسموا القطعية لذلك ، ولم يكتبوا امامة محمد بن موسى ولا امامة الحسين بن محمد ابن علي بن موسى .

وقالت النابوية : جعفر بن محمد لم يست ، وهو حي ينتظر .

وقالت المباركية أتباع مبارك : الامام بعد جعفر بن محمد ابنه اسماعيل بن جعفر ، ثم محمد بن اسماعيل .

وقالت الشيطانية أتباع يحيى بن شبيب الأحسى — كان مع المختار قائدا من قواده ، فأنشده أميرا على جيش البصرة يقاتل مصعب ابن الزبير فقتل بالمدار — الامامة بعد جعفر في ابنه محمد وأولاده .

وقالت المعرية أتباع معمر : الامامة بعد جعفر في ابنه عبد الله بن جعفر وأولاده . ويقال لهم القطعية لأن عبد الله بن جعفر كان أقطع الرجلين .

وقالت الواقية : الامام بعد جعفر ابنه موسى بن جعفر ، وهو سمي لم يست ، وهو الامام المنتظر . وسوا الواقية لوقوفهم على امامة موسى .

وقالت الزرارة أتباع زرارة بن أعين : الامام بعد جعفر ابنه عبد الله ، الا أنه سأله عن مسائل فلم يمكنه الجواب عنها ، فدعى امامة موسى بن جعفر من بعد أبيه .

وقالت المثلية أتباع الفضل بن عمرو : الامام بعد جعفر ابنه موسى ، وأنه مات فانتقلت الامامة الى ابنه محمد بن موسى .

وقالت المنوثة من الامامية : ان الله تعالى خلق محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، وفوض اليه خلق العالم وتديره . وقال بعضهم : بل فوض ذلك الى علي بن أبي طالب .

والفرقة الثانية من فرق الروافض : الكيسانية أتباع كيسان مولى علي بن أبي طالب ، وأخذ عن محمد ابن الحنفية - وقيل بل كيسان اسم المختار بن عبيد الثقفي الذي قام لأخذ دار الحسين رضي الله عنه - زعموا أن الامام بعد علي ابنه محمد ابن الحنفية ، لأنه أعطاه الراية يوم الجمل ، ولأن الحسين أوصى اليه عند خروجه الى الكوفة .

ثم اختلفوا في الامام بعد ابن الحنفية . فقال بعضهم : رجع الأمر بعده الى أولاد

الحسن والحسين ، وقيل بل انتقل الى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية . وقالت الكرية أتباع أبي كرب بأن ابن الحنفية سمي لم يست ، وهو الامام المنتظر . ومن قول الكيسانية أن البدا جائز على الله ... وهو كمر صريح .

والفرقة الثالثة : الخطائية أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي نور - وقيل محمد بن أبي يزيد - الأجدع . ومذهبه القول في جعفر بن محمد الصادق ، وهو أيضا من المشبهة ، وأتباعه خمسون فرقة ، وكلهم متفقون على أن الأئمة - مثل علي وأولاده - كلهم أنبياء ، وأنه لا بد من رسولين لكل أمة : أحدهما فاطم ، والآخر صامت ، فكان محمد فاطمًا ، وعلي صامتا ، وأن جعفر بن محمد الصادق كان نبيا ، ثم انتقلت النبوة الى أبي الخطاب الأجدع ، وجوزوا كلهم شهادة الزور لموافقيهم ، وزعموا أنهم عالمون بما هو كائن الى يوم القيامة .

وقالت المعرية منهم : الامام بعد أبي الخطاب رجل اسمه مصر ، وزعموا أن الدنيا لا تنقضي ، وأن الجنة هي ما يصيب الانسان من الخير في الدنيا ، والنار ضد ذلك . وأباحوا شرب الخمر والزنى وسائر المحرمات ، ودانوا بترك الصلاة ، وقالوا بالتاسخ ، وأن الناس لا يموتون وانما ترفع أرواحهم الى غيرهم .

وقالت البزيفية منهم : ان جعفر بن محمد الله ، وليس هو الذي يراه الناس وانما تشبه على الناس ، وزعموا أن كل مؤمن يوحى

(٥) ص ٢٥٦ ج ٢ ، طبع بولاق .

اليه ، وأن منهم من هو خير من جبريل وميكائيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وزعموا أنهم يرون أمواتهم بكرة وعشيا .

وقالت المعرية منهم ، أتباع عمير بن بيان المجلي ، مثل ذلك كله ، وخالفوهم في أن الناس لا يموتون .

وافترقت الخطائية بعد قتل أبي الخطاب فرقا : منها فرقة زعمت أن الامام بعد أبي الخطاب عمير بن بيان المجلي ، ومقاتلهم كمتالة البزيفية ، الا أن هؤلاء اعترفوا بيوثهم ، ونصبوا خيمة على كناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة جعفر الصادق . فبلغ ذلك يزيد بن عمير ، فصلب عمير بن بيان في كناسة الكوفة .

ومن فرقهم المثلية أتباع مفضل الصيرفي . زعم أن جعفر بن محمد اله ، فطرده ولعنه .

وزعمت الخطائية بأجمعها أن جعفر بن محمد الصادق أودعهم جلدا يقال له « جفر » فيه كل ما يحتاجون اليه من علم الغيب وتفسير القرآن . وزعموا - لعنهم الله - أن قوله تعالى « ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » معناه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وأن الخمر والميسر أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأن الجبت والطاغوت معاوية بن أبي سفيان وعمرو ابن العاص رضي الله عنهما .

والفرقة الرابعة : الزيدية أتباع زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، القائلون بامامة وامامة من اجتمع فيه ست خصال : العلم ، والزهد ، والشجاعة ، وأن يكون من أولاد فاطمة الزهراء رضي الله

عنها حسنيا أو حسينا ، ومنهم من زاد صباحة الوجه ، والا يكون فيه آفة . وهم يوافقون المعتزلة في أصولهم كلها الا في مسألة الامامة .

وأخذ مذهب زيد بن علي عن واصل بن عطاء ، وكان يفضل عليا على أبي بكر وعمر مع القول بامامتهما .

وهم أربع فرق : الجارودية أتباع أبي الجارود ، ويكنى أبا النجم ، زياد بن المنذر العبدى . زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على امامة علي بالوصف لا بالتسمية ، وأن الناس كفروا بتركهم مبايعة علي رضي الله عنه والحسن والحسين وأولادهما .

والجريرية أتباع سليم بن جرير . ومن قوله لم يكفر الناس بتركهم مبايعة علي ، بل أخطأوا بترك الأفضل وهو علي ، وكفروا الجارودية بتكفيرهم الصحابة ، الا أنهم كفروا عثمان بن عفان بالأحداث التي أحدثها ، وقالوا لم ينص علي على امامة أحد ، وصار الأمر من بعده شورى .

ومنهم البترية أتباع الحسن بن صالح بن كثير الأبر . وقولهم أن عليا أفضل وأولى بالامامة ، غير أن أبا بكر كان اماما ، ولم تكن امامته خطأ ولا كفرا ، بل ترك علي الامامة له ، وأما عثمان فيتوقف فيه .

ومنهم اليمتوية أتباع يمتوب . وهم يقولون بامامة أبي بكر وعمر ، ويتبرأون ممن تبرأ منهما ، وينكرون رجعة الأموات الى الدنيا قبل يوم القيامة ، ويتبرأون ممن دان بها ... الا أنهم متفقون على تفضيل علي على

أبي بكر وعمر ، من غير تسميتهما ولا تكفيرهما
ولا لعنهما ، ولا الظن على أحد من الصحابة
رضوان الله عليهم أجمعين .

والفرقة الخامسة : البائية أتباع عبد الله
ابن سبأ الذي قال شفاها لعلي بن أبي طالب :
أنت الإله . وكان من اليهود ، ويقول في
يوشع بن نون مثل قوله ذلك في علي ، وزعم
أن عليا لم يقتل ، وأنه حي لم يمت ، وأنه في
السحاب ، وأن الرعد صوته والبرق سوطه ،
وأنه ينزل إلى الأرض بعد حين ... قبحه الله .

والفرقة السادسة : الكاملية أتباع أبي
كامل . أكثر جميع الصحابة بتركهم بيعة علي ،
وكرر عليا بتركه قتالهم ، وقال بتاسخ الأنوار
الالهية في الآلة .

والفرقة السابعة : اليبانية أتباع يان بن
سمعان . زعم أن روح الإله حل في الأنبياء ،
ثم في علي ، وبعده في محمد ابن الحنفية ، ثم
في ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد ، ثم حل
بعد أبي هاشم في يان بن سميان ... يعني
نفسه ، لعنه الله .

والفرقة الثامنة : المغيرة أتباع مغيرة بن
سعيد العجلي ، مولى خالد بن عبد الله ، طلب
الامامة لنفسه بعد محمد بن عبد الله بن
الحسن ، فخرج علي خالد بن عبد الله القسري
بالكوفة في عشرين رجلا فمطعوا به ، فقال
خالد : أطعموني ماء ، وهو على المنبر ، فغير
بذلك .

والمغيرة هذا قال بالتشبيه الفاحش ، وادعى
النبوّة ، وزعم أن معجزته عليه بالاسم الأعظم ،

(١٥) ص ٢٤٦ ج ٢ ، مطبوع .

وأنه يحيى الموتى ، وزعم أن الله لما أراد أن
يخلق العالم كتب بأسمعه أصنام عباده ، ففضب
من معاصيهم فمرو ، فاجتمع من عرقه بحران :
أحدهما مالح والآخر عذب ، فخلق من البحر
العذب النسيمة ، وخلق الكفرة من البحر المالح .
وزعم أن المهدي يخرج وهو محمد بن عبد الله
ابن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

والفرقة التاسعة : الهشامية ، وهم صنفان :
أحدهما أتباع هشام بن الحكم ، والثاني أتباع
هشام الجولقي . وهما يقولان لا تجوز المعصية
على الإمام ، وتجاوز على الأنبياء ، وأن محمدا
عصى ربه في أخذ الفداء من أسرى بدر ...
كذبا لعنهما الله . وهما أيضا مع ذلك من
المشبهة .

والفرقة العاشرة : الزرارية أتباع زرارة
بن أعين ، أحد الغلاة في الرفض ، ويرغم مع
ذلك أن الله تعالى لم يكن في الأزل عالما ولا
قادرا حتى اكتسب لنفسه جميع ذلك ... قبحه
الله .

والفرقة الحادية عشرة : الجناحية أتباع عبد
الله بن معاوية ذي الجناحين ابن أبي طالب .
وزعم أنه اله ، وأن العلم ينبت في قلبه كما
تنبت الكفاة ، وأن روح الإله دارت في الأنبياء
كما كانت في علي وأولاده ، ثم صارت فيه .

ومذهبهم استحلال الخمر والميتة ونكاح
المحارم ، وأنكروا القيامة ، وتأولوا قوله
تعالى « ليس على الذين آمنوا وعلماوا
الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا
وآمنوا وعلماوا الصالحات » ، وزعموا أن كل
ما في القرآن من تحريم الميتة والدم ولحم

الخنزير ، كناية عن قوم يلزم بعضهم ، مثل
أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، وكل ما في
القرآن من الفرائض التي أمر الله بها كناية
عن يلزم موالاتهم ، مثل علي والحسن
والحسين وأولادهم .

والثانية عشرة : المنصورية أتباع أبي منصور
المعجلي ، أحد الغلاة المشبهة ، زعم أن الامامة
انتقلت إليه بعد محمد الباقر بن علي زين
العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ،
وأنه عرج به إلى السماء بعد انتقال الامامة
إليه ، وأن معبوده مسح يده على رأسه ،
وقال له : يا بني بلغ عني آية الكسف الساقط
من السماء في قوله تعالى « وإن يروا كسفا
من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم ... »
الآية . وزعم أن أهل الجنة قوم تجب موالاتهم
مثل علي بن أبي طالب وأولاده ، وأن أهل
النار قوم تجب معاداتهم مثل أبي بكر وعمر
وعثمان ومعاوية ، رضي الله عنهم .

والثالثة عشرة : الغراية . زعموا - لعنهم
الله - أن جبريل أخطأ ، فأنه أرسل إلى علي
ابن أبي طالب فجاء إلى محمد صلى الله عليه
وسلم ، وجعلوا شعارهم إذا اجتمعوا أن
يقولوا : « العنوا صاحب الریش » ، يعنون
جبريل عليه السلام ، وعليهم اللعنة .

والرابعة عشرة : الذمية (بفتح الذال
المعجمة) زعموا - أخزاهم الله - أن علي
ابن أبي طالب بعثه الله نبيا ، وأنه بعث محمدا
صلى الله عليه وسلم ليظهر أمره ، فادعى النبوة
لنفسه ، وأرضى عليا بأن زوجه ابنته وموله .
ومنهم العليانية أتباع عليان بن ذراع

السلمسي - وقيل الأسدي - كان يفضل
عليا على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويرغم
أن عليا بعث محمدا . وكان - لعنه الله -
يذم النبي صلى الله عليه وسلم ، لزعمه أن
محمدا بعث ليدعو إلى علي ، فدعا إلى نفسه .

ومن العليانية من يقول بالهية محمد وعلي
جميعا ، ويقدمون محمدا في الالهية ، ويقال
لهم الميية . ومنهم من قال بالهية خمسة
- وهم أصحاب الكساء : محمد ، وعلي ،
 وفاطمة ، والحسن ، والحسين - وقالوا :
خسبتهم شيء واحد ، والروح حالة فيهم
بالسوية لا فضل لواحد منهم على الآخر ،
وكرهوا أن يقولوا « فاطمة » بالهاء ، فقالوا
« فاطم » . قال بعضهم :

توليت بعد الله في الدين خمسة
نبيا ، وسبطيه ، وشيخا ، وفاطما
والخامسة عشرة : اليونسية أتباع يونس بن
عبد الله القمي ، أحد الغلاة المشبهة .

والسادسة عشرة : الرزامية أتباع رزام بن
سابق . زعم أن الامامة انتقلت بعد علي بن أبي
طالب إلى ابنه محمد بن الحنفية ، ثم إلى ابنه
أبي هاشم ، ثم إلى علي بن عبد الله بن عباس
بالوصية ، ثم إلى ابنه محمد بن علي ، فأوصى
بها محمد إلى أبي العباس عبد الله بن محمد
السفاح ، الظالم المتردد في المذاهب ، الجاهل
بحقوق أهل البيت .

والسابعة عشرة : الشيطانية أتباع محمد بن
النعمان شيطان الطاق . وقد شارك المعتزلة
والرافضة في جميع مذهبهم ، وانفرد بأعظم
الكفر - قاتله الله - وهو أنه زعم أن الله

لا يعلم الله حتى يقره ، وقيل ذلك يستعمل

والثمة عشرة : البنية وهم من الرومية
وعوا لن الامنة ، يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ملوت في على ولولاه الحسن
والحسن ، وسعد بن العتية ، ثم في في
هاتم عبد الله بن سعد بن العتية ، والثلث
من الى على بن عبد الله بن عيسى يوسف
فيه ، ثم الى الى العباس الكفاح ، ثم الى الى
سنة صاحب دولة بني العباس .

وقم بنية كني ، فيا دولة شهر ، رجل
من أهل مو العير - يقال له هاتم - انتهى
ان لا سلة كان لها استل الى روح الله ، ثم
استل الى بعده . فاستمرت دولته هناك ،
والحجب عن أصحابه ، واتخذ له وجها من
ذهب ، فرفق بالخير .

ثم ان أصحابه طخوا رؤيته . فوعدتهم ان
يجمع قس ان لم يحرقوا ، وعلى تجاه مرآة
مرآة معرفة تمكس شعاع الشمس . فلما
دخلوا عليه لعرق بعضهم ، ورجع الباقون
وقد قسوا ، وانضوا له ان لا تركه
الأخبار ، وقتوا في حروبهم باليه .

والثمة عشرة : الجفيرة .

والعشرون : الصليحة ، وهم والرومية
التيه ، قائم يقولون بملحة أبي بكر ، وانه
لا تن في ملحة على ، مع انه تعلم أفضل
وأبو بكر مضول .

ومن فرق الرواض : الطوة ، والناحية ،
والشركة دعوى ان طيا ترك محمد صلى

الله عليه وسلم ، ورواه في حروبهم باليه .

الله عليه وسلم ، والناحية القاتلون ان
الأرواح تسليخ ، والامنة ، والناحية الذين
دعوى ان جيل ناض ، والناحية ،
والناحية الذين يقولون لا يجوز الصلاة خلف
غير الامام ، والرومية القاتلون سرج على
لين في طلب وتستم من اعدائهم ، والرومية
الذين يترصون خروج المسلمين ، والامرية ،
وتحية ، والجلالية ، والكرسية اتباع أبي
كرب القزوين ، والحرية اتباع عبد الله بن
عمر الحزني .

والثمة عشرة الخوارج : وقال لهم
الولاب والحرورية - نسبة الى حرورية :
موضع خرج فيه أولم على على رضى الله
عنه - وهم اعداء في حب أبي بكر وعمر
ورضى على بن أبي طالب ، رضوان الله عليهم
أجمعين ، ولا أجل منهم ، قائم القسطنطين
للقرون . خرجوا على على رضى الله عنه ،
واتصلوا به بالجنة وتبرأوا منه ، ومنهم من
صحب ، ومنهم من كان في زمة . وهم جماعة
قد دون الناس أخبارهم ، وهم عشرون
فرقة .

الأولى : يقال لهم الحكبة ، لأنهم خرجوا
على على رضى الله عنه في صيف ، وقالوا :
لا حكم الا لله ولا حكم للرجال ، وانحدروا
الى حرورية ، ثم الى التهرولان . وسب ذلك
أنهم حلوه على التحاكم الى من حكم بكتاب
الله ، فلما رضى بذلك - وكانت قضية
الحكيم : أبي موسى الأشعري وهو عبد الله
ابن قيس ، وعمر بن العاص - غضبوا من
ذلك ، وابتدوا خطا ، وقالوا في شعارهم : لا

حكم الا لله ولرسوله . وكان لهم في
الحكيم عبد الله بن الكولة .

والثانية : الأزارقة اتباع أبي راشد فاهم
ابن الأزارق بن قيس بن عمار بن الساق بن
أند بن صبرة بن ذهل بن النول بن حنيفة ،
الخارج بالبصرة في أيام عبد الله بن الزبير .
وهم على التبري من عثمان وعلى والضم
عليهما ، وأن دار مخالفتهم دار كفر ، وأن من
أقام بدار الكفر فهو كافر ، وأن أمثال
مخالفهم في النار رجل قتلهم . وأنكروا
رجم الزاني ، وقالوا من قذف محصنة حد ،
ومن قذف محصنا لا يحد ، ويقطع السارق في
الليل والكثير .

والثالثة : التجندات - ولم يقل فيهم
التجندة ليقرب بينهم وبين من اتسب الى بلاد
تجد - قائم اتباع تجد بن عوسر . وهو
عابر الحنن الخارج باليلة ، وكان رأسا
دائمة مفردة ، وتسمى بأمر المؤمنين ، ويعد
عطية بن الأسود الى سجنان ، فظهر منه
يسر ، فعرفت أتبانه بالمطوية .

ومذهبهم ان الدين أمران : أحدهما معرفة
الله تعالى ومعرفة رسوله ، وتحريم دماء
المسلمين وأموالهم . والثاني الاقرار بما جاء من
خند الله تعالى جلة ، وما سوى ذلك من
التحريم والتحليل وسائر الشرائع فإن الناس
يعتدون بجهلها ، وانه لا يأثم المجتهد اذا
أخطأ ، وأن من خالف أن يعذب المجتهد فقد
كفر . واستعملوا دماء أهل الذمة في دار
التيه ، وقالوا من نظر نظرة محرمة ، أو كذب
كذبة ، أو أصر على صغيرة ولم يتب منها ، فهو

كافر . ومن زنى أو سرق أو شرب خمر من غير
أن يصر على ذلك ، فهو مؤمن غير كافر .

والرابعة : الصفرية اتباع زهد بن الأسفر ،
ويقال تباع الصفر بن صفر ، وقيل بل
نسبوا الى عبد الله بن صفر ، وهو أحد بني
مقاس ، وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن
سعد بن زهد مائة بن تميم بن أد بن طابخة بن
الاس بن مضر بن كنان ، وقيل عبد الله الصفر
من بني صوير بن مقاس ، وقيل سموا
بذلك لصفرة عثم ، وزعم بعضهم أن
الصفرية بكر الصاد .

وقد وافق الصفرية الأزارقة في جميع
بعضهم ، الا في قتل الأمتان . ويقال للصفرية
أخبار الزنادية ، ويقال لهم أيضا التكار من
أجل أنهم ينقصون نصف على وثقت عثمان
وسلس عائشة ، رضى الله عنهم .

والخامسة : المجردة اتباع عبد الكريم بن
عجر .

والسادسة : الميوية اتباع ميسون بن
عمران . وهم طائفة من المجردة وافقوا
الأزارقة الا في شيئين : أحدهما قولهم يجب
البرامة من الأمتان حتى يلفوا ويصفوا
الاسلام ، والثاني استحلال أموال المخالفين
لهم . فلم تستحل الميوية مال أحد خالفهم ما
لم يقتل المالك ، فاذا قتل صار ماله فينا ... الا
أنهم - ازدادوا كرا على كفرهم ، وأجازوا
نكاح بنات البنات وبنات البنين ، وبنات أولاد
الاخوة وبنات أولاد الأخوات فقط .

(١٩١ من ٢٥٤ ج ١ ، ص ٢٥٤)

والسابعة : الشعبية وهم طائفة من العجاردة وافقوا الميسورية في جميع بدعهم ، الا في الاستطاعة والمشيئة ، فان الميسورية مالت الى القدرة .

والثامنة : الحمزية اتباع حمزة بن ادرك الشامى ، الخارج بخراسان في خلافة هارون ابن محمد الرشيد ، وكثر عيشه وفساده ، ثم فض جصوع عيسى بن على عامل خراسان ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، فانهزم منه عيسى الى كابل ، وآل أمر حمزة الى أن غرق في كرمان بواد هناك ، فعرفت أصحابه بالحمزية .

وكان يقول بالقدر ، فكفرته الأزارقة بذلك . وقال أطفال المشركين في النار ، فكفرته القدورية بذلك . وكان لا يستحل غنائم أعدائه ، بل يأمر بإحراق جميع ما يقبضه منهم .

والثامنة : الحازمية ، وهم فرقة من العجاردة قالوا في القدر والمشيئة كقول أهل السنة ، وخالفوا الخوارج في الولاية والعداوة فقالوا : لم يزل الله تعالى محبا لأوليائه ومبغضا لأعدائه .

والعاشرة : المعلومية ، مع المجهولية تباينا في مسألتين : أحدهما قالت المعلومية : من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه فهو كافر ، وقالت المجهولية : لا يكون كافرا . والثانية وافقت المعلومية أهل السنة في مسألة القدر والمشيئة ، والمجهولية وافقت القدورية في ذلك .

والحادية عشرة : الصلتية اتباع عثمان بن أبي الصلت ، وهم طائفة من العجاردة اتفردوا

بقولهم : من أسلم توليناه لكن تبرأ من أطقاله ، لأنه ليس للأطفال اسلام حتى يبلغوا .

والثانية عشرة والثالثة عشرة : الأحسنية والمعبدية ، وهما فرقتان من الثعالبة اتباع ثعلبة بن عامر . وكان ثعلبة هذا مع عبد الكريم ابن عجرد ، ثم اختلفا في الأطقال : فقال عبد الكريم : تبرأ منهم قبل البلوغ ، وقال ثعلبة : لا تبرأ منهم بل تقول تتولى الصغار .

فلم تزل الثعالبة على هذا الى أن خرج رجل ، عرف بالأخنس ، فقال : تتوقف عن جميع من في دار التقية ، الا من عرفنا منه ايمانا فانا تتولاه ، ومن عرفنا منه كفرا تبرأنا منه ، ولا يجوز أن تبدأ أحدا بقتال . فتبرأت منه الثعالبة ، وسموه بالأخنس ، لأنه خنس منهم ، أى رجع عنهم .

ثم خرجت فرقة من الثعالبة ، قيل لها المعبدية اتباع معبد ، فخالفت الثعالبة في أخذ الزكاة من العبيد والبهائم ، وكفرت كل فرقة منهما الأخرى .

والرابعة عشرة : الشيبانية اتباع شيبان بن سلمة ، الخارج في أيام أبي مسلم الخراساني القائم بدعوة الخلفاء العباسيين ، وكان معه ، فتبرأت منه الثعالبة لمعاوته لأبي مسلم . وهو أول من أظهر القول بالتشبيه ... تعالى الله عن ذلك .

والخامسة عشرة : الشيبية اتباع شيبان بن يزيد بن أبي نعيم ، الخارج في خلافة عبد الملك بن مروان ، وصاحب الحروب العظيمة مع الحجاج بن يوسف الثقفي . وهم على ما كانت عليه الحكيمة الأولى ، الا أنهم اتفردوا

من الخوارج بجواز اقامة المرأة وخلافتها . واستخلف شيبان هذا أمه غزالة ، فدخلت الكوفة ، وقامت خطيبة ، وصلت الصبح بالمسجد الجامع ، فقرأت في الركعة الأولى بالبقرة ، وفي الثانية بآل عمران ... وأخبار شيبان طويلة .

والسادسة عشرة : الرشيدية اتباع رشيد ، ويقال لهم أيضا العشرية من أجل أنهم كانوا يأخذون نصف العشر مما سقت الأنهار . فقال لهم زياد بن عبد الرحمن : يجب فيه العشر ، فتبرأت كل فرقة من الأخرى وكفرتها بذلك .

والسابعة عشرة : المكرمية اتباع أبي المكرم ، ومن قوله : تارك الصلاة كافر ، وليس كفره ترك الصلاة لكن لجهله بالله . وكذا قوله في سائر الكبائر .

والثامنة عشرة : الحفصية اتباع حفص بن المقدم ، أحد أصحاب عبد الله بن أباض . تنفرد بقوله : من عرف الله تعالى ، وكفر بما سواه من رسول وغيره ، فهو كافر وليس بمشرك . فأنكر ذلك الإباضية وقالوا : بل هل مشرك .

والثامنة عشرة : الإباضية اتباع عبد الله بن أباض من بني مقاعس ، واسمه الحارث بن عمرو - ويقال بل ينسبون الى « أباض » (بضم الهمزة) وهي قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجد بن عامر - وخرج عبد الله بن أباض في أيام مروان وكان من غلاة الحكمة .

والفرقة العشرون : اليزيدية اتباع يزيد بن أبي أنيسة ، وكان أباضيا ، فانفرد ببسطة قبيحة . وهي أن الله تعالى سيبعث رسولا من

العجم ، وينزل عليه كتابا جملة واحدة ينسخ به شريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن فرق الخوارج أيضا : الحارثية ، والأصومية اتباع يحيى بن أصوم ، واليهية اتباع أبي اليهس الهيصم بن خالد من بني سعيد بن ضبعة : كان في زمن الحجاج ، وقتل بالمدينة وصلب ، واليعقوبية اتباع يعقوب بن على الكوفي .

ومن فرقهم : التفضلية اتباع فضل بن عبد الله ، والشمراخية اتباع عبد الله بن شمراخ ، والفحاكية اتباع الضحاك .

والخوارج يقال لهم الشراة : واحد منهم شاري ، مشتق من شرى الرجل اذا ألح ، أو معناه يشتري * بالشر ، أو من قول الخوارج : شربنا أنفسنا لدين الله ، فنحن لذلك شراة . وقيل انه من قولهم : شاربته أى لاحته وماريته ، وقيل شرى الرجل غضبا اذا استطار غضبا ، وقيل لهم هذا لشدة غضبهم على المسلمين .

ذكر الحال في عقائد أهل الاسلام منذ ابتداء الملة الإسلامية الى أن انتشر مذهب الأشعرية

اعلم أن الله تعالى لما بعث من العرب نبيه محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، رسولا الى الناس جميعا ، وصف لهم دينهم سبحانه وتعالى ، بما وصف به نفسه الكريمة في كتابه العزيز الذي نزل به على قلبه صلى الله عليه

وسلم الروح الأمين ، وما أوحى إليه ربه تعالى .

فلم يسأله صلى الله عليه وسلم أحد من العرب بأمرهم - قروهم ومدوهم - عن معنى شيء من ذلك ، كما كانوا يسألوه صلى الله عليه وسلم عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وغير ذلك مما له فيه سبحانه أمر ونهي ، وكما سأله صلى الله عليه وسلم عن أحوال القيامة والجنة والنار . إذ لو سأله إنسان منهم عن شيء من الصفات الإلهية ، لنقل كما نقلت الأحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في أحكام الحلال والحرام ، وفي الترغيب والترهيب وأحوال القيامة والملاحم والقتل ، ونحو ذلك مما تضمنت كتب الحديث معاجمها ومسانيدها وجوامعها .

ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ، ووقف على الآثار السلفية ، علم أنه لم يرد قط ، من طريق صحيح ولا سقيم ، عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم - على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم - أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شيء مما وصفه الرب سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم ، وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، بل كلهم فهموا معنى ذلك ، وسكتوا عن الكلام في الصفات ... نعم ، ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل .

وانما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعز والعظمة ، وساقوا الكلام سقوا واحدا .

وهكذا أثبتوا ، رضي الله عنهم ، ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك ، مع تقي ماثلة للخلوقين . فاثبتوا رضي الله عنهم بلا تشبيه ، وزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم الى تأويل شيء من هذا ، وراوا بأجمعهم لبراء الصفات كما وردت .

ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى ، وعلى آيات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، سوى كتاب الله ، ولا عرف أحد منهم شيئا من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة . فنفي عصر الصحابة رضي الله عنهم على هذا ... الى أن حدث في زمنهم القول بالقدر ، وأن الأمر أفعى : أي أن الله تعالى لم يقدر على خلقه شيئا مما هم عليه .

وكان أول من قال بالقدر في الاسلام معبد ابن خالد الجهني ، وكان يجالس الحسن بن الحسين البصري ، فتكلم في القدر بالبصرة ، وسلك أهل البصرة مسلكه لما راوا عمرو بن عبيد يتخله . وأخذ معبد هذا الرأي عن رجل من الأساورة يقال له أبو يونس منسوبة ، ويعرف بالأسواري . فلما عظمت الفتنة به ، عذبه الحجاج وصلبه بأمر عبد الملك بن مروان سنة ثمانين . ولما بلغ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما مقالة معبد في القدر تبرأ من القدرية .

واقتدى بمعبد في بدعته هذه جماعة . وأخذ السلف رحمهم الله في ذم القدرية ، وحذروا منهم كما هو معروف في كتب الحديث . وكان عطاء بن يسار قاضيا يرى القدر ، وكان يأتي هو ومعبد الجهني الى

الحسن البصري ، فيقولان له : ان هؤلاء ينفكون الدعاء ، ويقولون : انما تجرى أعمالنا على قدر الله . فقال : كذب أعداء الله فطمعن عليه بهذا ومثله .

وحدث أيضا في زمن الصحابة رضي الله عنهم مذهب الخوارج ، وصرحوا بالكفر بالذنب ، والخروج على الامام وقتاله . فنظرهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فلم يرجعوا الى الحق ، وقتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقتل منهم جماعة كما هو معروف في كتب الأخبار .

ودخل في دعوة الخوارج خلق كثير ، ورمى جماعة من أئمة الاسلام بأنهم يذهبون الى مذهبهم ، وعد منهم غير واحد من رواة الحديث كما هو معروف عند أهله .

وحدث أيضا في زمن الصحابة رضي الله عنهم مذهب التشيع لملي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والقلو فيه . فلما بلغه ذلك أنكره ، وحرق بالنار جماعة ممن غلا فيه ، وأشد :

لما رأيت الأمر أمرا منكرا

أجبت فاري ودعوت قنبرا

وقام في زمنه رضي الله عنه عبد الله بن وهب ابن سبأ - المعروف بابن السوداء السبائي - وأحدث القول بومية رسول الله صلى الله عليه وسلم لملي بالامامة من بعده ، فهو وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخليفته على أمته من بعده بالنص . وأحدث القول برجعة علي بن عبد الله عليه وسلم ، ورجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا .

(هـ) من ٢٥٦ - ط يراق =

وزعم أن عليا لم يقتل ، وأنه حي ، وأن فيه الجزء الالهي ، وأنه هو الذي يحيى في السحاب ، وأن الرعد صوته والبرق سوطه ، وأنه لا يد أن ينزل الى الأرض فيبلاها عدلا كما ملئت جورا .

ومن اين سبأ هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة ، وصاروا يقولون بالوقف - يعنيون أن الامامة موقوفة على الناس معينين - كقول الامامية بأنها في الأئمة الاثني عشر ، وقول الاسماعيلية بأنها في ولد اسماعيل بن جعفر الصادق . وعنه أيضا أخذوا القول بنية الامام ، والقول برجعته بعد الموت الى الدنيا ، كما تعتقده الامامية الى اليوم في صاحب الرداب ، وهو القول بتناسخ الأرواح . وعنه أخذوا أيضا القول بأن الجزء الالهي يحل في الأئمة بعد علي بن أبي طالب ، وأهم بذلك استحقوا الامامة بطريق الوجوب ، كما استحق آدم عليه السلام سجود الملائكة ، وعلى هذا الرأي كان اعتقاد دعاة الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر .

وابن سبأ هذا هو الذي أثار فتنة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى قتل - كما ذكر في ترجمة ابن سبأ من كتاب « التاريخ الكبير المقتنى » - وكان له عدة أتباع في عامة الأمصار ، وأصحاب كثيرين في معظم الأقطار . فكثرت لذلك الشيعة ، وصاروا ضدا للخوارج ، وما زال أمرهم يقوى وعددهم يكثر .

ثم حدث بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم مذهب جهنم بن صفوان ببلاد المشرق ، فعممت الفتنة به . فانه نفي أن يكون لله تعالى صفة ،

وأورد على أهل الاسلام شكوكا أثرت في الملة الاسلامية آثارا قيحة تولد عنها بلاء كبير . وكان قبيل المائة من سني الهجرة ، فكر أتباعه على أقواله التي تؤول الى التعطيل .

فاكبر أهل الاسلام بدعته ، وتماثلوا على انكارها وتضليل أهلها ، وحذروا من الجهمية وعادوهم في الله ، وذموا من جلس اليهم ، وكتبوا في الرد عليهم ما هو معروف عند أهله .

وفي أثناء ذلك حدث مذهب الاعتزال ، منذ زمن الحسن بن الحسين البصري رحمه الله بعد المائتين من سني الهجرة ، وصنفوا فيه مسائل في العدل والتوحيد ، وإثبات أفعال العباد ، وأن الله تعالى لا يخلق الشر ، وجهروا بأن الله لا يرى في الآخرة ، وأنكروا عذاب القبر على البدن ، وأعلنوا بأن القرآن مخلوق محدث ... الى غير ذلك من مسائلهم .

فتبعهم خلائق في بدعهم ، وأكثروا من التصنيف في نصرة مذهبهم بالطرق الجدلية . فنهى أئمة الاسلام عن مذهبهم ، وذموا علم الكلام ، وهجروا من يتحلله . ولم يزل أمر المعتزلة يقوى ، وأنباعهم تكثر ، ومذهبهم ينتشر في الأرض .

ثم حدث مذهب التجسيم المضاد لمذهب الاعتزال . فقهر محمد بن كرام بن عراق بن حرازة أبو عبد الله السجستاني ، زعيم الطائفة الكرامية ، بعد المائتين من سني الهجرة ، وأثبت الصفات حتى انتهى فيها الى التجسيم والتشبيه ، وحج وقدم الشام ، ومات بزغرة

في صفر سنة ست وخمسين ومائتين ، فدفن بالمتن .

وكان هناك من أصحابه زيادة على عشرين ألفا على التبع والتشف ، سوى من كان منهم ببلاد المشرق وهم لا يحصون لكثرتهم ، وكان أاما لطائفتي الشافعية والحنفية . وكانت بين الكرامية بالمشرق وبين المعتزلة مناظرات ، ومناكرات ، وفتن كثيرة متعددة أزمتها .

هذا وأمر الشيعة ينفش في الناس . حتى حدث مذهب القرامطة المنسوبين الى حمدان الأشعث ، المعروف بقرمط من أجل قصر قامته وقصر رجليه وتقارب خطوه . وكان ابتداء أمر قرمط هذا في سنة أربع وستين ومائتين ، وكان ظهوره بسواد الكوفة ، فاشتهر مذهبه بالعراق .

وقام من القرامطة ببلاد الشام صاحب الحال والمدير والطوق . وقام بالبحرين منهم أبو سعيد الجنابي من أهل جنابة ، وعظمت دولته ودولة بني من بعده ، حتى أوقعوا بمساكر بغداد ، وأخافوا خلفاء بني العباس ، وفرضوا الأموال التي تحمل اليهم في كل سنة على أهل بغداد وخراسان والشام ومصر واليمن ، وغزوا بغداد والشام ومصر والحجاز ، وانتشرت دعائهم بأقطار الأرض .

فدخل جماعات من الناس في دعوتهم ، ومالوا الى قولهم الذي سموه علم الباطن . وهو تأويل شرائع الاسلام ، وصرفها عن ظواهرها الى أمور زعموها من عند أنفسهم ، وتأويل آيات القرآن ودعواهم فيها تأويلا بعيدا ، اتحلوا القول به يدعوا ابتدعوها بأهوائهم ، فضلوا وأضلوا عالما كثيرا .

هذا وقد كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد ، سابع خلفاء بني العباس ببغداد ، لما شغف بالعلوم القديمة ، بعث الى بلاد الروم من عثرب له كتب الفلاسفة ، وأتاه بها في أعوام بضع عشرة سنة ومائتين من سني الهجرة ، فانتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس ، واشتهرت كتبهم بعامة الأمصار ، وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها ، وأكثروا من النظر فيها والتصفح لها . فأنجز على الاسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنة في الدين ، وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع ، وزادتهم كفرا الى كفرهم .

فلما قامت دولة بني بويه ببغداد في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، واستمروا الى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، وأظهروا مذهب التشيع ... قويت بهم الشيعة ، وكتبوا على أبواب المساجد في سنة احدى وخمسين وثلاثمائة « لعن الله معاوية بن أبي سفيان ، ولعن من أغضب فاطمة ، ومن منع الحسن أن يدفن عند جده ، ومن تنى أبا ذر الغفاري ، ومن أخرج العباس من الشورى » . فلما كان الليل حكه بعض الناس ، فأشار الوزير المهلبى أن يكتب بأذن معز الدولة « لعن الله الظالمين لأهل البيت » ولا يذكر أحد في اللعن غير معاوية ، ففعل ذلك .

وكثرت ببغداد الفتن بين الشيعة والسنية ، وجهز الشيعة في الأذان يحيى على خير العمل في الكرخ . وفشا مذهب الاعتزال بالعراق

وخراسان وما وراء النهر ، وذهب اليه جماعة من مشاهير الفقهاء .

وقوى مع ذلك أمر الخلفاء الفاطميين بأفريقية وبلاد المغرب ، وجهروا بمذهب الاسماعيلية ، وبشوا دعائهم بأرض مصر ، فاستجاب لهم خلق كثير من أهلها ، ثم ملكوها سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وبشوا بساكرهم الى الشام .

فانتشرت مذاهب الرافضة في عامة بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والكوفة والبصرة وبغداد وجميع العراق وبلاد خراسان وما وراء النهر ، مع بلاد الحجاز واليمن والبحرين ، وكانت بينهم وبين أهل السنة من الفتن والحروب والمقاتل ما لا يمكن حصره لكثرتهم .

واشتهرت مذاهب الفرق من القدرة والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية حتى ملأت الأرض . وما منهم الا من نظر في الفلسفة ، وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره ، فلم تبق مصر من الأمصار ، ولا قطر من الأقطار ، الا وفيه طوائف كثيرة ممن ذكرنا .

وكان أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري قد أخذ عن أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي ، ولازمه عدة أعوام . ثم بدا له فترك مذهب الاعتزال ، وسلك طريق أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب ، ولسج على قوانينه في الصفات والقدرة ، وقال بالتفاعل المختار ، وترك القول بالتحسين والتقيح العقلين ، وما قيل في مسائل الصلاح

والأصلح ، وأثبت أن العقل لا يوجب المعارف قبل الشرع ، وأن العلوم وإن حصلت بالعقل فلا تجب به ولا يجب البحث عنها إلا بالسمع ، وأن الله تعالى لا يجب عليه شيء ، وأن النبوات من الجائزات العقلية والواجبات السعية ... إلى غير ذلك من مسائله التي هي موضوع أصول الدين .

وحقيقة مذهب الأشعري ، رحمه الله ، أنه ملك طريقاً بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال ، وبين الإثبات الذي هو مذهب أهل التجسيم ، وناظر على قوله هذا ، واحتج لمذهبه .

فقال إليه جماعة ، وعولوا على رأيه : منهم القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المالكي ، وأبو بكر محمد بن الحسن بن فورك ، والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ابن مهران الأسفرائيني ، والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، والشيخ أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ، وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم ابن أحمد الشهرستاني ، والامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، وغيرهم ممن يطول ذكره . ونصروا مذهبه ، وناظروا عليه ، وجادلوا فيه ، واستدلوا له في مصنفات لا تكاد تحصر . فانتشر مذهب أبي الحسن الأشعري في العراق من نحو سنة ثمانين وثلاثمائة ، وانتقل منه إلى الشام .

فما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر ، كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني على هذا المذهب ، قد نشأ

عليه منذ كانا في خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق ، وحفظ صلاح الدين في صباه عقيدة ألقها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري ، وصار يحفظها صغار أولاده ، فلذلك عقدوا الخناصر ، وشددوا البناء على مذهب الأشعري ، وحملوا في أيام دولتهم كافة الناس على التزامه .

فتنادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب ، ثم في أيام مواليم الملوك من الأتراك . واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت ، أحد رحالات المغرب ، إلى العراق ، وأخذ عن أبي حامد الغزالي مذهب الأشعري . فلما عاد إلى بلاد المغرب ، وقام في المصامدة يفتقهم ويعلمهم ، وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامتهم ، ثم مات .

فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن علي القيبي ، وتلقب بأمير المؤمنين ، وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعده مدة سنين ، وتسموا بالموحدين ... فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت ، إذ هو عندهم الامام المعلوم المهدي المعصوم ، فكلم أراقتوا بسبب ذلك من دماء خلائق لا يحصيها إلا الله خالقها سبحانه وتعالى ، كما هو معروف في كتب التاريخ .

فكان هذا هو السبب في اشتها مذهب الأشعري ، وانتشاره في أمصار الاسلام بحيث نسي غيره من المذاهب وجهل . حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه ، إلا أن يكون مذهب

(ال) ٢٥٨ ج ٢ ، ط ١٠٠٠ بلاق

الحنابلة ، أتباع الامام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه ، فانهم كانوا على ما كان عليه السلف لا يرون تأويل ما ورد من الصفات . إلى أن كان بعد السبعائة من سني الهجرة ، اشتهر بدمشق وأعمالها تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحكم بن عبد السلام بن تيمية الحرالي ، فتصدى للاتصار لمذهب السلف ، وبالنح في الرد على مذهب الأشاعرة ، وصدد بالسكر عليهم وعلى الرافضة وعلى الصوفية .

فافترق الناس فيه فريقان : فريق يقتدى به ، ويعول على أقواله ، ويعمل برأيه ، ويرى أنه شيخ الاسلام وأجل حفاظ أهل الملة الاسلامية . وفريق يبدعه ويضله ، ويؤري عليه بأبائاته الصفات ، وينتقد عليه مسائل : منها ما له فيه سلف ، ومنها ما زعموا أنه خرق فيه الاجماع ولم يكن له فيه سلف . وكانت له ولهم خطوب كثيرة ، وحسابه وحسابهم على الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وله إلى وقتنا هذا عدة أتباع بالشام وقليل ببصر .

هذا وبين الأشاعرة والماتريدية أتباع أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي ، وهم طائفة الفقهاء الحنفية مقلدو الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت وصاحبه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحضرمي ومحمد بن الحسن الشيباني رضي الله عنهم ، من الخلاف في العقائد ما هو مشهور في موضعه . وهو إذا تتبع يبلغ بضع عشرة مسألة ، كان بسببها في أول الأمر تباين وتنافر ، وقدح كل منهم

في عقيدة الآخر ... إلا أن الأمر آل آخر إلى الاغضاء ، والله الحمد .

فهذا - أعزك الله - بيان ما كانت عليه عقائد الأمة - من ابتداء الأمر إلى وقتنا هذا - قد فصلت فيه ما أجمله أهل الأخبار ، وأجملت ما فصلوا . فدونك ، طالب العلم ، تناول ما قد بذلت فيه جهدي ، وأطلت بسببه سهري وكدي في تصفح دواوين الاسلام وكتب الأخبار . فقد وصل إليك صفوا ، ونلت عفو بلا تكلف مشقة ولا بذل مجهود ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده .

« أبو الحسن » على بن اسماعيل بن أبي بشر اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله ابن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى - واسمه عبد الله بن قيس - الأشعري البصري : ولد سنة ست وستين ومائتين ، وقيل سنة سبعين ، وتوفي ببغداد سنة بضع وثلاثين وثلاثمائة ، وقيل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة .

سمع زكريا الساجي ، وأبا خليفة الجمحي ، وسهل بن نوح ، ومحمد بن يعقوب المقرئ ، وعبد الرحمن بن خلف الضبي المصري . وروى عنهم في تفسيره كثيرا ، وتلمذ لزوج أمه أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي ، واقتدى برأيه في الاعتزال عدة سنين حتى صار من أئمة المعتزلة ، ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة .

وصعد يوم الجمعة يجامع البصرة كرميا ، ونادى بأعلى صوته : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي . أنا فلان

ابن فلان ، كنت أقول بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى بالأبصار ، وأن أفعال الشر أنا أفعالها . وأنا قاتب مقلع ، معتقد الرد على المعتزلة ، ممين لفنائهم ومعايهم .

وأخذ من حيث في الرد عليهم ، وسلك بعض طريق أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب القطان ، وبنى على قواعده ، وصنف خمسة وخسين تصنيفا : منها كتاب « السم » ، وكتاب « الموجز » ، وكتاب « إضاح البرهان » ، وكتاب « التبيين على أصول الدين » ، وكتاب « الشرح والتفصيل في الرد على أهل الافك والتضليل » ، وكتاب « الإبانة » ، وكتاب « تفسير القرآن » يقال انه في سبعين مجلدا . وكانت غلته من ضيعة وقتها بلال بن أبي بردة على عقبه ، وكانت تقته في السنة سبعة عشر درهما ، وكانت فيه دعاية ومزح كثير .

وقال مسعود بن شيبة في كتاب التعليم : كان حنفي المذهب ، معتزلي الكلام ، لأنه كان ريب أبي على الجبائي ، وهو الذي رياه وعلمه الكلام . وذكر الخطيب أنه كان يجلس أيام الجعات في حلقة أبي اسحاق المروزي الفقيه في جامع المنصور .

وعن أبي بكر بن الصيرفي : كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري ، فحجزهم في أقماع الساسم .

وجملة عقيدته : أن الله تعالى عالم بعلم ، قادر بقدرة ، حي بحياة ، مريد بإرادة ، متكلم بكلام ، سميع بسمع ، بصير بصير ،

وأن صفاته أزلية قائمة بذاته تعالى ، لا يقال هي هو ولا هي غيره ، ولا لا هي هو ولا غيره ، وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات ، وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده ، وإرادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص ، وكلامه واحد : هو أمر ونهى ، وخبر واستخبار ، ووعد ووعيد .

وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات في كلامه لا الى نفس الكلام ، والألفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الأنبياء دلالات على الكلام الأزلي . فالمدلول — وهو القرآن المقروء — قديم أزلي ، والدلالة — وهي العبارات ، وهي القراءة — مخلوقة محدثة .

قال : وفرق بين القراءة والمقروء ، والتلاوة والمتلو . كما فرق بين الذكر والمذكور ... قال : والكلام معنى قائم بالنفس ، والعبارة دالة على ما في النفس ، وإنما تسمى العبارة كلاما مجازا .

قال : وأراد الله تعالى جميع الكائنات : خيرا وشرا ونفعها وضرها . ومال * في كلامه الى جواز تكليف ما لا يطاق ، لقوله : ان الاستطاعة مع الفعل ، وهو مكلف بالفعل قبله ، وهو غير مستطيع قبله ، على مذهبه ... قال : وجميع أفعال المباد مخلوقة مبدعة من الله تعالى ، مكتسبة للعبد ، والكسب عبارة عن الفعل القائم بحمل قدرة العبد .

قال : والخالق هو الله تعالى حقيقة ، لا يشاركه في الخلق غيره ، فأخص وصفه هو

(٥) ص ٢٥٦ ج ٢ ، ط بولاق

القدرة والاختراع ، وهذا تفسير اسمه الباري ...

قال : وكل موجود يصح أن يرى ، والله تعالى موجود ، فيصح أن يرى ، وقد صح السمع بأن المؤمنين يرونه في الدار الآخرة في الكتاب والسنة ، ولا يجوز أن يرى في مكان ولا صورة مقابلة واتصال شعاع ، فإن ذلك كله محال . وماهية الرؤية له فيها رأيان : أحدهما أنه علم مخصوص يتعلق بالوجود دون العدم ، والثاني أنه ادراك وراء العلم . وأثبت السمع والبصر صفتين أزليتين ، هما ادراكا وراء العلم . وأثبت اليتين والوجه صفات خبرية ، ورد السمع بها فيجب الاعتراف به .

وخالف المعتزلة في الوعد والوعيد ، والسمع والعقل من كل وجه . وقال : الايمان هو التصديق بالقلب ، والقول باللسان . والعمل بالأركان فروع الايمان : فمن صدق بالقلب ، أى أقر بوحدانية الله تعالى ، واعترف بالرسول تصديقا لهم فيما جاءوا به ، فهو مؤمن . وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا من غير توبة ، حكمه الى الله : اما أن يغفر له برحمته أو يشفع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واما أن يعذبه بعدله ، ثم يدخله الجنة برحمته ، ولا يدخله في النار مؤمن .

قال : ولا أقول انه يجب على الله سبحانه قبول توبته بحكم العقل ، لأنه هو الموجب لا يجب عليه شيء أصلا ، بل قد ورد السمع بقبول توبة التائبين ، واجابة دعوة المضطرين . وهو المالك لخلقه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، فلو أدخل الخلائق بإجماعهم

النار لم يكن جورا ، ولو أدخلهم الجنة لم يكن حيفا ، ولا يتصور منه ظلم ، ولا ينسب اليه جور ، لأنه الملك المطلق .

والواجبات كلها سمعية ، فلا يوجب العقل شيئا ألبتة ، ولا يقتضى تحسينا ولا تقييما . فمعرفة الله تعالى ، وشكر النعم ، وإثابة الطائع ، وعقاب العاصي ... كل ذلك بحسب السمع دون العقل . ولا يجب على الله شيء : لا صلاح ولا أصلح ولا لطف ، بل الثواب والصلاح واللطف والنعم ، كلها تفضل من الله تعالى . ولا يرجع اليه تعالى نفع ولا ضرر ، فلا يتنعم بشكر شاكر ، ولا يتضرر بكفر كافر ، بل يتعالى ويتقدس عن ذلك .

وبعث الرسل جائز لا واجب ولا مستحيل . فاذا بعث الله تعالى الرسول ، وأيده بالمعجزة الخارقة للعادة ، وتحدى ودعا الناس ، وجب الاصغاء اليه ، والاستماع منه ، والامثال لأوامره ، والالتناء عن نواهيه . وكرامات الأولياء حق ، والايمان بما جاء في القرآن والسنة من الاخبار عن الأمور الغائبة عنا — مثل اللوح والقلم ، والعرش والكرسى ، والجنة والنار — حق وصدق .

وكذلك الاخبار عن الأمور التي مستع في الآخرة : مثل سؤال القبر ، والثواب والعقاب فيه ، والحشر والمعاد ، والميزان والصراف ، وانقسام فريق في الجنة وفريق في السعير ... كل ذلك حق وصدق يجب الايمان والاعتراف به . والامامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين على واحد معين ، والأئمة مترتبون في التفضل ترتيبهم في الامامة .

قال : ولا أقول في عائشة وطلحة والزبير ،
رضي الله عنهم ، إلا أنهم رجسوا عن الخطأ .
وأقول : إن طلحة والزبير من العشرة المبشرين
بالجنة ، وأقول في معاوية وعمر بن العاص :
إنهما يتيا على الإمام الحق على من أبي طالب
رضي الله عنهم ، فقاتلهم مقاتلة أهل البني .
وأقول : إن أهل الثعروان الشراة هم المارقون
عن الدين ، وإن عليا رضي الله عنه كان على
الحق في جميع أحواله ، والحق معه حيث
دار .

فهذه رجلة من أصول عقيدته التي عليها
الآن يجاهر أهل الأمصار الإسلامية ، والتي
من يجر يخلاتها أريق دم .

! والأشاعة يسون « الصفاتية » لاثباتهم
صفات الله تعالى القديمة . ثم افترقوا في
الالتقاط الواردة في الكتاب والسنة
كالاستواء ، والتزول ، والاصبع واليد ،
والقدم ، والصورة ، والجنب ، والمجىء -
على فرقتين : فرقة تؤول بجميع ذلك على
وجوه محتملة اللقط . وفرقة لم يتعرضوا
للتأويل ، ولا صاروا إلى التثنية ، ويقال
لهؤلاء الأشعرية الأسرية .

فصار للمسلمين في ذلك خمسة أقوال :
أحدها اعتقاد ما يفهم مثله من اللغة ، وثانيهما
السكوت عنها مطلقا ، وثالثها السكوت عنها
بعد تقي إرادة القاهر ، ورابعها حملها على
المجاز ، وخامسها حملها على الاشتراك . ولكل
فرقة أدلة وحجاج تضمنتها كتب أصول الدين
« ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك
ولذلك خلقهم » ، « والله يحكم بينهم يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » .

« فصل » : اعلم أن الله سبحانه طلب من
الخلق معرفته بقوله تعالى « وما خلقت الجن
والانس إلا ليعبدون » ... قال ابن عباس
وغیره : يعترفون . فخلق تعالى الخلق ،
وتعرف اليهم بالسنة الشرائع المنزلة ، فعرفه
من عرفه سبحانه منهم على ما عترفهم فيما
تعترف به اليهم .

وقد كان الناس ، قبل ائزال الشرائع بيعة
الرسول عليهم السلام ، علمهم بالله تعالى إنما
هو بطريق التزبه له عن سمات العذوث ، وعن
التركيب ، وعن الافتقار ، ووصفونه سبحانه
بالاعتقاد المطلق : وهذا التزبه هو المشهور
عقلا ، ولا يتعداه عقل أصلا .

فلما أزل الله شريعته على رسوله محمد
صلى الله عليه وسلم ، وأكمل دينه ، كان سيل
العارف بالله أن يجمع في معرفته بالله بين
معرفتين : أحدهما المعرفة التي تقتضيها الأدلة
العقلية ، والأخرى المعرفة التي جاءت بها
الآخبارات الإلهية ، وأن يرد علم ذلك إلى الله
تعالى ، ويؤمن به وبكل ما جاءت به الشريعة
على الوجه الذي أراده الله تعالى ، من غير
تأويل بفكره ، ولا تحكم فيه برأيه .

وذلك أن الشرائع إنما أزلها الله تعالى لعدم
استقلال العقول البشرية بإدراك حقائق
الأنبياء على ما هي عليه في علم الله . وأنى لها
ذلك وقد تقيدت بما عندها من إطلاق ما
هنالك ؟ فإن وهبها علما بمراده من الأوضاع
الشرعية ، ومنحها الاطلاع على حكمه في
ذلك ... كان من فضله تعالى .

ولا يضيف العارف هذه المنة إلى فكره ،
من تزبه لربه تعالى بفكره يجب أن يكون
مطابقا لما أزله سبحانه على لسان رسوله ،
صلى الله عليه وسلم ، من الكتاب والسنة .
والا فهو تعالى منزّه عن تزبه عقول البشر
بفكارها ، فانها مقيدة بأوطارها ، فتزبهما
كذلك مقيد بحسبها وبسوجب أحكامها
وآثارها ... الا اذا خلت عن الهوى ، فانها
حينئذ يكشف الله لها الغطاء عن بصائرهما ،
ويهديها إلى الحق . فتزبه الله تعالى عن
التزبهات العرفية بالأفكار العادية .

وقد أجمع المسلمون قاطبة على جواز رواية
الأحاديث الواردة في الصفات ونقلها وتبليغها ،
من غير خلاف بينهم في ذلك . ثم أجمع أهل
الحق منهم على أن هذه الأحاديث مصروفة عن
احتمال مشابهة الخلق ، لقول الله تعالى :
« ليس كمثله شيء » ، وهو السميع البصير ،
ولقول الله تعالى : « قل هو الله أحد . الله
الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا
أحد » .

وهذه السورة يقال لها سورة الاخلاص .
وقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 شأنها ، ورغب أمته في تلاوتها ... حتى جعلها
تعديل تلك القرآن من أجل أنها شاهدة بتزبه
الله تعالى ، وعدم الشبه والمثل له سبحانه .
وسميت سورة الاخلاص ، لاشتغالها على
اخلاص التوحيد لله عن أن يشوبه ميل إلى
تشبيهه بالخلق . وأما الكاف التي في قوله
تعالى « ليس كمثله شيء » فانها زائدة .
وقد تقرر أن الكاف والمثل في كلام العرب

أثباتا للتثنية ، فجمعهما الله تعالى ، ثم تقي
بهما عنه ذلك .

فاذا ثبت إجماع المسلمين على جواز رواية
هذه الأحاديث ونقلها ، مع إجماعهم على أنها
مصروفة عن التشبيه ، لم يبق في تعظيم الله
تعالى بذكرها الا تقي التعميل ... لكون أعداء
المسلمين سموا ربهم سبحانه أسماء تعوا فيها
صفاته العلا . فقال قوم من الكفار : هو
طبيعة ، وقال آخرون منهم : هو علة ، إلى غير
ذلك من الحادهم في أسمائه سبحانه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الأحاديث المشتبهة على ذكر صفات الله العلا ،
ونقلها عنه أصحابه البررة ، ثم نقلها عنهم أئمة
المسلمين . حتى انتهت إلينا ، وكل منهم يرويها
بصفتها من غير تأويل لشيء منها ، مع علمنا
أنهم كانوا يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى
« ليس كمثله شيء » وهو السميع البصير ...
ففهمنا من ذلك أن الله تعالى أراد - بما
نطق به رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، من
هذه الأحاديث ، وتناولها عنه الصحابة رضي
الله عنهم وبلغوها لأمتهم - أن يفصح بها في
حقوق الكافرين ، وأن يكون ذكرها نكتا في
قلوب كل ضال معطل مبتدع يقفو أثر المبتدعة
من أهل الطبائع وعباد العلل . فلذلك وصف
الله تعالى نفسه الكريمة بها في كتابه ، ووصفه
رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بما
صح عنه وثبت .

فدل على أن المؤمن اذا اعتقد أن الله « ليس
كمثله شيء » ، وهو السميع البصير ، وأنه
أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له

كفوا أحد ... كان ذكره لهذه الأحاديث تمكين
الاثبات ، وشجا في حلق المعطلة . وقد قال
الشافعي رحمه الله : الاثبات أمكن ... نقله
الخطابي . ولم يلغنا عن أحد من الصحابة
والتابعين وتابعيهم أنهم أولوا هذه الأحاديث .

والذي يمنع من تأويلها اجلال الله تعالى عن
أن تضرب له الأمثال ، وأنه اذا نزل القرآن
بصفة من صفات الله تعالى ، كقوله سبحانه
« يد الله فوق أيديهم » ، فان نفس تلاوة هذا
يفهم منها السامع المعنى المراد به ، وكذا قوله
تعالى « بل يده مبسوطتان » عند حكاية
تعالى عن اليهود نسبتهم إياه الى البخل ،
فقال تعالى : « بل يده مبسوطتان ينفق كيف
يشاء » ، فان نفس تلاوة هذا مينة للمعنى
المقصود .

وايضا فان تأويل هذه الأحاديث يحتاج أن
يضرب الله تعالى فيها المثل ، نحو قولهم في
قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » :
الاستواء الاستيلاء ، كقولك « استوى الأمير
على البلد » . وأنشدوا : « قد استوى بشر
على العراق » ، فلزمهم تشبيه الباري تعالى
ببشر .

وأهل الاثبات تزهوا بجلال الله عن أن
يشبهوه بالأجسام حقيقة ولا مجازا ، وعلموا
— مع ذلك — أن هذا التلقن يشتمل على
كلمات متداولة بين الخالق وخلق ، وتخرجوا
أن يقولوا مشتركة ، لأن الله تعالى لا شريك
له . ولذلك لم يتأول السلف شيئا من أحاديث
الصفات ، مع علمنا قطعا أنها عندهم مصروفة

(هـ) ص ١١٢ ، ط ١٠٠٠

عما سبق اليه فنون الجمال من مشابعتها
لصفات المخلوقين .

وتأمل تجد الله تعالى لما ذكر المخلوقات
المتولدة من الذكر والأنثى في قوله سبحانه
« خلق لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام
أزواجا يذروكم فيه » ، علم سبحانه ما يخطر
بقلوب الخلق فقال عز من قائل : « ليس
كذلك شيء » ، وهو السبح البصير .

واعلم أن السبب في خروج أكثر الطوائف
عن ديانة الاسلام : أن القرس كانت من سعة
الملك ، وعلو اليد على جميع الأمم ، وجلالة
الخطر في أنفسها ... بحيث أنهم كانوا يسمون
أنفسهم الأحرار والأسايد ، وكانوا يعدون
سائر الناس عبدا لهم . فلما امتحنوا بزوال
الدولة عنهم على أيدي العرب — وكانت
العرب عند القرس أقل الأمم خطرا — تعاطفهم
الأمم ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد
الاسلام بالمحاربة في أوقات شتى ، وفي كل
ذلك يظهر الله تعالى الحق .

وكان من قائمهم شنفاد وأنيس والمقعق
وبابك وغيرهم ، وقبل هؤلاء رام ذلك عمار
— الملقب خدasha — وأبو مسلم السروح ،
فراوا أن كيده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم
منهم الاسلام ، واستمالوا أهل التشيع باظهار
محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستبشاع ظلم على بن أبي طالب رضي الله
عنه ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى
أخرجوهم عن طريق الهدى .

فقوم أدخلوهم الى القول بأن رجلا ينتظر ،
يدعى المهدي ، عنده حقيقة الدين ، اذ لا يجوز
أن يؤخذ الدين عن كبار ، اذ نسبوا أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكفر .
وقوم خرجوا الى القول بادعاء النبوة لقوم
سوءهم به . وقوم سلكوا بهم الى القول
بالحلول ، وسقوط الشرائع . وآخرون تلاعبوا
بهم ، فأوجبوا عليهم خمسين صلاة في كل
يوم وليلة . وآخرون قالوا : بل هي سبع
عشرة صلاة ، في كل صلاة خمس عشرة
ركعة . وهو قول عبد الله بن عمرو بن الحارث
الكندي قبل أن يصير خارجيا صفريا .

وقد أظهر عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي
الاسلام ليكيد أهله ، فكان هو أصل اثاره
الناس على عثمان بن عفان رضي الله عنه .
وأحرق على رضي الله عنه منهم طوائف أعلنوا
باليته . ومن هذه الأصول حدثت الاسماعيلية
والقرامطة .

والحق الذي لا ريب فيه أن دين الله تعالى
ظاهر لا باطن فيه ، وجوهر لا سر تحته ،
وهو كله لازم كل أحد لا مسامحة فيه . ولم
يكتف رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الشرعة ولا كلمة ، ولا أطلع أخص الناس به ،
من زوجة أو ولد عم ، على شيء من الشرعة
كنه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم . ولا
كان عنده صلى الله عليه وسلم سر ، ولا رمز ،
ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم اليه . ولو
كنتم شيئا لما بلغ كما أمر ، ومن قال هذا فهو
كافر باجماع الأمة .

وأصل كل بدعة في الدين البعد عن كلام
السلف ، والانحراف عن اعتقاد الصدر الأول .
حتى بالغ القسدي في القدر فجعل العبد
خالقا لأفعاله ، وبالغ الجبري في مقابلته فسلب
عنه الفعل والاختيار ، وبالغ المعطل في التنزيه

فسلب عن الله تعالى صفات الجلال ونفوت
الكمال ، وبالغ المشبه في مقابلته فجعله
كواحد من البشر ، وبالغ المرجئ في سلب
العقاب ، وبالغ المعتزلي في التخليد في
العذاب ، وبالغ الناصبي في دفع على رضي
الله عنه عن الامامة ، وبالف الغلاة حتى
جعلوه الها ، وبالغ السني في تقديم أبي بكر
رضي الله عنه ، وبالغ الرافضي في تأخيرته
حتى كفره .

وميدان الظن واسع ، وحكم الوهم
غالب . فتعارضت الفنون ، وكثرت الأهوام ،
وبلغ كل فريق في الشر والعناد والبغى
والفساد الى أقصى غاية وأبعد نهاية ،
وتباغضوا وتلاعنوا ، واستحلوا الأموال ،
واستباحوا الدماء ، واتصروا بالدول ،
واستعانوا بالملوك . فلو كان أحدهم اذا بالغ
في أمر ، نازع الآخر في القرب منه — فان
الظن لا يبعد عن الظن كثيرا ، ولا ينتهي في
المنازعة الى الطرف الآخر من طرفي التقابل —
لكنهم أبوا الا ما قدمنا ذكره من التباين
والتقاطع . « ولا يزالون مختلفين الا من
رحم ربك » .

ذكر المدارس

قال ابن سيده : درس الكتاب بدروسه
درسا ودراسة ، ودارسه من ذلك كأنه عاوده
حتى اتقاه لحفظه ، وقد قرئ بهما « وليقولوا
درست » ودارست ، ذاكرتهم ، وحكى درست
أي قرئت ، وقرئ درست ودرست ، أي هذه
أخبار قد عفت وانحت ، ودرست أشد
مبالغة ، والدراس المدارس .

وقال ابن جنى : ودرسته اياه وأدرسته .
ومن الشاذ قراءة ابن حيوة « وبما كنتم
تدرسونه » . والمدرس : الموضع الذى يدرس
فيه .

وقد ذكر الواقدي أن عبد الله ابن أم مكتوم
قدم مهاجرا الى المدينة مع مصعب بن عمير
رضي الله عنهما - وقيل قدم بعد بدر
يسير - فنزل دار القراءة .

ولما أراد الخليفة المعتض بالله أبو العباس
أحمد بن الموفق بالله أبي أحمد طلحة بن
المتوكل على الله جعفر ، بناء قصره * فى
الشمالية ببغداد ، استأجر فى الذرع بعد أن
فرغ من تقدير ما أراد . فبطل عن ذلك ،
فذكر أنه يريد أن يبنى فيه دورا ومساكن
ومقاصير ، يرب فى كل موضع رؤساء كل
صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية
والعملية ، ويجرى عليهم الأرزاق السنوية ،
ليقتصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما
يختاره فيأخذ عنه .

والمدارس ما حدث فى الاسلام ، ولم تكن
تعرف فى زمن الصحابة ولا التابعين ، وإنما
حدث عملها بعد الأربعمائة من سنة الهجرة .
وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة فى الاسلام
أهل نيسابور ، فبنيت بها المدرسة البيهقية ،
وبنى بها أيضا الأمير نصر بن سبكتكين
مدرسة ، وبنى بها أخو السلطان محمود بن
سبكتكين مدرسة ، وبنى بها أيضا المدرسة
السعيدية ، وبنى بها أيضا مدرسة رابعة .

وأشهر ما بنى فى القديم المدرسة النظامية
ببغداد ، لأنها أول مدرسة قرر بها للفقهاء

(*) ص ٢٦٢ جزء ٤ ط ١ بولاق .

معالم ، وهى منسوبة الى الوزير نظام الملك
أبى على الحسن بن على بن اسحاق بن العباس
الطوسي ، وزير ملك شاه بن ألب أرسلان
ابن داود بن ميكال بن سلجوق فى مدينة
بغداد .

وشرع فى بنائها فى سنة سبع وخمسين
وأربعمائة ، وفرغت فى ذى القعدة سنة تسع
 وخمسين وأربعمائة ، ودرس فيها الشيخ أبو
اسحاق الشيرازى الفيروزباده ، صاحب كتاب
« التبيين فى الفقه » على مذهب الإمام الشافعى
رضى الله عنه ورحمه . فاقتدى الناس به من
حينئذ فى بلاد العراق وخراسان وما وراء
النهر ، وفى بلاد الجزيرة وديار بكر .

وأما مصر فانها كانت حينئذ بيد الخلفاء
الفاطميين ، ومذهبهم مخالف لهذه الطريقة ،
وانما هم شيعة اسماعيلية كما تقدم .

وأول ما عرف اقامة درس من قبل
السلطان ، بعلوم جار لطائفة من الناس بديار
مصر ، فى خلافة العزيز بالله قزار بن المعز
ووزارة يعقوب بن كلس . فعمل ذلك بالجامع
الأزهر ، كما تقدم ذكره ، ثم عمل فى دار
الوزير يعقوب بن كلس مجلس يحضره الفقهاء
فكان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهبهم ، وعمل
أيضا مجلس بجامع عمرو بن العاص من مدينة
فسطاط مصر لقراءة كتاب الوزير . ثم بنى
الحاكم بأمر الله أبو على منصور بن العزيز دار
العلم بالقاهرة ، كما ذكر فى موضعه من هذا
الكتاب .

فلما انقضت الدولة الفاطمية ، على يد
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، أبطل
مذاهب الشيعة من ديار مصر ، وأقام بها مذهب

الإمام الشافعى ومذهب الإمام مالك ، واقتدى
بالمالك العادل نور الدين محمود بن زنكى .
فانه بنى بدمشق وحلب وأعمالها عدة مدارس
للشافعية والحنفية ، وبني لكل من الطائفتين
مدرسة بمدينة مصر .

وأول مدرسة أحدثت بديار مصر المدرسة
الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر ، ثم
المدرسة القمحية المجاورة للجامع أيضا ، ثم
المدرسة السيوفية التى بالقاهرة . ثم اقتدى
بالسلطان صلاح الدين ، فى بناء المدارس
بالقاهرة ومصر وغيرها من أعمال مصر
وبالبلاد الشامية والجزيرة ، أولاده وأماؤه .
ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من
ملوك الترك وأمرائهم وأتباعهم الى يومنا
هذا .

وسأذكر ما بديار مصر من المدارس ،
وأعرف بحال من بناها ، على ما اعتدته فى
هذا الكتاب من التوسط دون الاسهاب ،
وبالله أستعين .

المدرسة الناصرية

بجوار الجامع العتيق من مدينة مصر من
قبله .

هذه المدرسة عرفت أولا بالمدرسة
الناصرية ، ثم عرفت بأبن زين التجار - وهو
أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين
الدمشقى ، المعروف بأبن زين التجار ، أحد
أعيان الشافعية ... درس بهذه المدرسة مدة
طويلة . ومات فى ذى القعدة سنة احدى
وتسعين وخمسمائة - ثم عرفت بالمدرسة

الشرقية ، وهى الى الآن تعرف بذلك ، وكان
موضعها يقال له الشرطة .

وذكر الكندى أنها خطة قيس بن سعد بن
عبادة الأنصارى ، وعرفت بدار الفلفل . وقال
ابن عبد الحكم : كانت فضاء قبل ذلك .

وقيل كانت هى والدار التى الى جانبها
لنافع بن عبد الله بن قيس الفهرى ، فأخذها منه
قيس بن سعد . وسيت دار الفلفل لأن أسامة
ابن زيد التوخي ، صاحب الخراج بمصر ،
ابتاع من موسى بن وردان فلفلا بعشرين ألف
دينار ليهديه الى صاحب الروم ، فخرنه فيها .
ولما فرغ عيسى بن يزيد الجلودى من بناء
زيادة الجامع ، بنى هذه الدار شرطة فى سنة
ثلاث عشرة ومائتين ، ثم صارت سجنا تعرف
بالمعونة .

فهدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن
أيوب ، فى أول المحرم سنة ست وستين
 وخمسمائة ، وأنشأها مدرسة يرسم الفقهاء
الشافعية - وكان حينئذ يتولى وزارة مصر
للخليفة العاضد ، وكان هذا من أعظم ما نزل
بالدولة - وهى أول مدرسة علت بديار
مصر . ولما كملت وقف عليها الصاغة - وكانت
بجوارها - وقد خربت ، وبقي منها شيء .
يسير قرأت عليها اسم * الخليفة العزيز
بالله ، ووقف عليها أيضا قرية تعرف

وأول من ولى التدريس بها لبن زين الجار
فعرفت به ، ثم درس بها بعده ابن قطيعة بن
الوزان ، ثم من بعده كمال الدين أحمد بن

(*) ص ٢٦٢ جزء ٤ ط ١ بولاق .

شيخ الشيوخ ، وبعده الشريف القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد الحنفى - قاضى العسكر الأرموى - فمرفت به ، وقيل لها المدرسة الشريفة من صده الى اليوم . ولولا ما يتناوله الفقهاء من العلوم بها لغرت ، فان الكيمان ملاصقة لها بعدما كان حولها أعمر موضع فى الدنيا .

وقد ذكر جبر المونة عند ذكر السجون من هذا الكتاب .

المدرسة القمحية

هذه المدرسة بجوار الجامع العتيق بمصر . كان موضعها يعرف بدار الغزل - وهو قيسارية يباع فيها الغزل - فهدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وأنشأ موضعها مدرسة للفتهاء المالكية ، وكان الشروع فيها للنصف من المحرم سنة ست وستين وخمسمائة ، ووقف عليها قيسارية الوراقين وعلوها بمصر ، وضبعة بالقيوم تعرف بالحبوشية ، ورتب فيها أربعة من المدرسين عند كل مدرس عدة من الطلبة .

وهذه المدرسة أجل مدرسة للفتهاء المالكية ، ويتحصل لهم من ضيعتهم التى بالقيوم قمح يفسق فيهم ، فلذلك صارت لا تعرف إلا بالمدرسة القمحية الى اليوم . وقد أحاط بها الخراب ، ولولا ما يتحصل منها للفتهاء لدثرت .

وفى شعبان سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، أخرج السلطان الملك الأشرف برسبای الدماق تاحيتى الأعلام والحبوشية - وكانت

من وقف السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على هذه المدرسة - وأنعم بهما على ملوكين من ممالكه ليكونا إقطاعا لهما .

مدرسة يازكوج

هذه المدرسة بسوق الغزل فى مدينة مصر . وهى مدرسة معلقة بناها ...

مدرسة ابن الأرسوفى

هذه المدرسة كانت بالبزازين التى تجاور خط النخالين بمصر . عرفت بابن الأرسوفى التاجر العقلاى ، وكان بناؤها فى سنة سبعين وخمسمائة ، وهو غيف الدين عبد الله ابن محمد الأرسوفى ، مات بمصر فى يوم الاثنين حادى عشرى ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

مدرسة منازل العز

هذه المدرسة كانت من دور الخلفاء الفاطميين . بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز ، وعرفت بمنازل العز ، وكانت تشرق على النيل ، وصارت معدة لنزهة الخلفاء ، ومن سكنها ناصر الدولة حسين بن حمدان الى أن قتل ، وكان بجانبها حمام يعرف بحمام الذهب من جملة حقوقها ، وهى باقية .

فلما زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف ، أنزل فى منازل العز الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب . فسكنها مدة ، ثم انه اشتراها والحمام

والاصطبل المجاور لها من بيت المال فى شهر شعبان سنة ست وستين وخمسمائة ، وأنشأ فندقين بمصر بخط الملاحين ، وأنشأ ربعا بجوار أحد الفندقين ، واشترى جزيرة مصر التى تعرف اليوم بالروضة .

فلما أراد أن يخرج من مصر الى الشام ، وقف منازل العز على فتفاء الشافعية ، ووقف عليها الحمام وما حولها ، وعمر الاصطبل فندقا ، عرف بفندق النخلة ، ووقفه عليها ، ووقف عليها الروضة .

ودرس بها شهاب الدين الطوسى ، وقاضى القضاة عماد الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العلى السكرى ، وعدة من الأعيان . وهى الآن عامرة بمسارة ما حولها .

الملك المظفر تقي الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان : هو ابن أخى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . قدم الى القاهرة فى ... واستأجره السلطان على دمشق فى المحرم سنة احدى وسبعين . ثم نقله الى ليابة حماة ، وسلم اليه سنجار لما أخذها فى ثانى رمضان سنة ثمان وسبعين . فأقام بها .

ولحق السلطان على حلب ، فقدم عليه فى سابع صفر سنة تسع وسبعين ، فأقام الى أن بعثه الى القاهرة نائبا عنه بديار مصر - عوضا عن الملك العادل أبى بكر بن أيوب - فقدمها فى شهر رمضان سنة تسع وسبعين ، وأنعم عليه بالقيوم وأعمالها مع القبايات وبوش ، وأبقى عليه مدينة حماة .

ثم خرج بمساكر مصر الى السلطان ، وهو بدمشق ، فى سنة ثمانين لأجل أخذ الكرك من الفرنج . فسار اليها وحصرها مدة ، ثم رجع مع السلطان الى دمشق ، وعاد الى القاهرة فى شعبان ، وقد أقام السلطان على مملكة مصر . ابنه الملك العزيز عثمان ، وجعل الملك المظفر كافلا له وقائما بتدبير دولته . فلم يزل على ذلك الى جادى الأولى سنة اثنين وثمانين ، فصرف السلطان أخاه الملك العادل عن حلب وأعطاه نيابة مصر .

فغضب الملك المظفر ، وعبر بأصحابه الى الجيزة يريد المسير الى بلاد المغرب واللاحاق بغلامه بهاء الدين قراقوش التقوى . فبلغ السلطان ذلك ، فكتب اليه ، ولم يزل به حتى زال ما به . وسار الى السلطان ، فقدم عليه دمشق فى ثالث عشرى شعبان ، فأقره على حماة والمرة ومنبج وأضاف اليه مياقارقين ، فلحق به أصحابه ما خلا مملوكه زين الدين بوزيا ، فانه سار الى بلاد المغرب .

وكانت له فى أرض مصر وبلاد الشام أخبار وقصص ، وعرفت له موافق عديدة فى الحرب مع الفرنج ، وآثار فى المصافات . وله فى أبواب البر أفعال حسنة ، وله بمدينة القيوم مدرستان : احدهما للشافعية ، والاخرى للمالكية . وبنى مدرسة بمدينة الرها ، وسمع الحديث من السلفى وابن عوف .

وكان عنده فضل وأدب ، وله شعر حسن ، وكان جوادا شجاعا مقداما ، شديد البأس ، عظيم الهمة ، كثير الاحسان . ومات فى نولحى خلاط ليلة الجمعة تاسع شهر رمضان سنة

سبح وثمانين وخمسمائة ، ونقل إلى حاة ،
فدفن بها في تربة بناها على قبره ابنه الملك
المنصور محمد .

مدرسة العادل

هذه المدرسة بخط الساحل ، بجوار الرمح
العادل من مدينة مصر الذي وقف على
الشافعي . عمرها الملك العادل أبو بكر بن
أيوب ، أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن
أيوب ، فدرس بها قاضي القضاة تقي الدين أبو
علي الحنين بن شرف الدين أبي الفضل عبد
الرحيم ابن الفقيه جلال الدين أبي محمد عبد
الله بن نجم بن شاس بن زرار بن عثمان بن عبد
الله بن محمد بن شاس ، فعرفت به ، وقيل لها
مدرسة ابن شاس إلى اليوم . وهي عامرة ،
وعرف خطها بالقشاشين ، وهي للمالكية .

مدرسة ابن رشيقي

هذه المدرسة للمالكية ، وهي بخط حمام
الريش من مدينة مصر . كان الكاتم من طوائف
التكرور ، لما وصلوا إلى مصر في سنة بضع
وأربعين وستمئة قاصدين الحج ، دفعوا
للقاضي علم الدين بن رشيقي مالا بناها به ،
ودرس بها فعرفت به ، وصار لها في بلاد
التكرور سمعة عظيمة ، وكانوا يعمنون إليها
في غالب السنين المال .

المدرسة الفاترية

هذه المدرسة في مصر بخط ...
أنشأها صاحب شرف الدين هبة الله بن جاعد

ابن وهيب الفاتري ، قبل وزارته ، في سنة
ست وثلاثين وستمئة . ودرس بها القاضي
محيي الدين عبد الله ابن قاضي القضاة شرف
الدين محمد بن عين الدولة ، ثم قاضي القضاة
صدر الدين موهوب الجزري ، وهي
للشافعية .

المدرسة القطبية

هذه المدرسة بالقاهرة ، في خط سوق
الصاحب بداخل درب الحريري ، كانت هي
والمدرسة السيوفية من حقوق دار الدياج التي
تقدم ذكرها . وأنشأ هذه المدرسة الأمير
قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع
الهدبالي ، في سنة سبعين وخمسمئة ، وجعلها
وقفا على الفقهاء الشافعية . وهو أحد أمراء
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

المدرسة السيوفية

هذه المدرسة بالقاهرة ، وهي من جملة دار
الوزير المأمون البطاحي . وقفها السلطان
السيد الأجل الملك الناصر صلاح الدين أبو
المظفر يوسف بن أيوب على الحنفية ، وقرر في
تدريسها الشيخ مجد الدين محمد بن محمد
الجيتي ، ورتب له في كل شهر أحد عشر
دينارا ، وباقى ربع الوقف يصرفه على ما يراه
طلبة الحنفية المقررين عنده على قدر طبقاتهم ،
وجعل النظر للجيتي ، ومن بعده إلى من له
النظر في أمور المسلمين .

وعرفت بالمدرسة السيوفية من أجل أن
سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها ، وهي

الآن تجاه سوق الصناديق . وقد وهم
القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر ،
فانه قال في كتاب « الروضة الزاهرة في خطط
المعزية القاهرة » : مدرسة السيوفية ، وهي
للحنفية ، وقفها عز الدين فرحشاه قرب
صلاح الدين .

وما أدري كيف وقع له هذا الوهم ؟ فان
كتاب وقفها موجود قد وقف عليه ، ولخصت
منه ما ذكرته ، وفيه أن واقفها السلطان صلاح
الدين * ، وخطه على كتاب الوقف ، ونصه
« الحمد لله وبه توفيتي » . وتاريخ هذا
الكتاب تاسع عشر شعبان سنة اثنتين
وسبعين وخمسمئة .

ووقف على مستحقها اثنين وثلاثين
حائوتا ، بخط سوق أمير الجيوش وباب
الفتوح وحارة برجوان ، وذكر في آخر كتاب
وقفها : أن الواقف أذن لمن حضر مجلسه من
العدول في الشهادة والقضاء على لفظه بما
تضمنه المرسوم ، فشهدوا بذلك ، وأثبتوا
شهادتهم آخره ، وحكم حاكم المسلمين على
صحة هذا الوقف بعدما خاصم رجل من أهل
هذا الوقف في ذلك ، وأمضاه .

لكنه لم يذكر في الكتاب اسجال القاضي
بشوته ، بل ذكر رسم شهادة الشهود على
الواقف ، وهم : علي بن ابراهيم بن نجاة بن
غنائم الأنصاري الدمشقي ، والقاسم بن يحيى
ابن عبد الله بن قاسم الشهرزوري ، وعبد الله
ابن عمر بن عبد الله الشافعي ، وعبد الرحمن
ابن علي بن عبد العزيز بن قریش الخزومي ،

(*) ص ٣١٥ ، ط ١ ، ط ٢ ، ط ٣ ، ط ٤ ، ط ٥ ، ط ٦ ، ط ٧ ، ط ٨ ، ط ٩ ، ط ١٠ ، ط ١١ ، ط ١٢ ، ط ١٣ ، ط ١٤ ، ط ١٥ ، ط ١٦ ، ط ١٧ ، ط ١٨ ، ط ١٩ ، ط ٢٠ ، ط ٢١ ، ط ٢٢ ، ط ٢٣ ، ط ٢٤ ، ط ٢٥ ، ط ٢٦ ، ط ٢٧ ، ط ٢٨ ، ط ٢٩ ، ط ٣٠ ، ط ٣١ ، ط ٣٢ ، ط ٣٣ ، ط ٣٤ ، ط ٣٥ ، ط ٣٦ ، ط ٣٧ ، ط ٣٨ ، ط ٣٩ ، ط ٤٠ ، ط ٤١ ، ط ٤٢ ، ط ٤٣ ، ط ٤٤ ، ط ٤٥ ، ط ٤٦ ، ط ٤٧ ، ط ٤٨ ، ط ٤٩ ، ط ٥٠ ، ط ٥١ ، ط ٥٢ ، ط ٥٣ ، ط ٥٤ ، ط ٥٥ ، ط ٥٦ ، ط ٥٧ ، ط ٥٨ ، ط ٥٩ ، ط ٦٠ ، ط ٦١ ، ط ٦٢ ، ط ٦٣ ، ط ٦٤ ، ط ٦٥ ، ط ٦٦ ، ط ٦٧ ، ط ٦٨ ، ط ٦٩ ، ط ٧٠ ، ط ٧١ ، ط ٧٢ ، ط ٧٣ ، ط ٧٤ ، ط ٧٥ ، ط ٧٦ ، ط ٧٧ ، ط ٧٨ ، ط ٧٩ ، ط ٨٠ ، ط ٨١ ، ط ٨٢ ، ط ٨٣ ، ط ٨٤ ، ط ٨٥ ، ط ٨٦ ، ط ٨٧ ، ط ٨٨ ، ط ٨٩ ، ط ٩٠ ، ط ٩١ ، ط ٩٢ ، ط ٩٣ ، ط ٩٤ ، ط ٩٥ ، ط ٩٦ ، ط ٩٧ ، ط ٩٨ ، ط ٩٩ ، ط ١٠٠ ، ط ١٠١ ، ط ١٠٢ ، ط ١٠٣ ، ط ١٠٤ ، ط ١٠٥ ، ط ١٠٦ ، ط ١٠٧ ، ط ١٠٨ ، ط ١٠٩ ، ط ١١٠ ، ط ١١١ ، ط ١١٢ ، ط ١١٣ ، ط ١١٤ ، ط ١١٥ ، ط ١١٦ ، ط ١١٧ ، ط ١١٨ ، ط ١١٩ ، ط ١٢٠ ، ط ١٢١ ، ط ١٢٢ ، ط ١٢٣ ، ط ١٢٤ ، ط ١٢٥ ، ط ١٢٦ ، ط ١٢٧ ، ط ١٢٨ ، ط ١٢٩ ، ط ١٣٠ ، ط ١٣١ ، ط ١٣٢ ، ط ١٣٣ ، ط ١٣٤ ، ط ١٣٥ ، ط ١٣٦ ، ط ١٣٧ ، ط ١٣٨ ، ط ١٣٩ ، ط ١٤٠ ، ط ١٤١ ، ط ١٤٢ ، ط ١٤٣ ، ط ١٤٤ ، ط ١٤٥ ، ط ١٤٦ ، ط ١٤٧ ، ط ١٤٨ ، ط ١٤٩ ، ط ١٥٠ ، ط ١٥١ ، ط ١٥٢ ، ط ١٥٣ ، ط ١٥٤ ، ط ١٥٥ ، ط ١٥٦ ، ط ١٥٧ ، ط ١٥٨ ، ط ١٥٩ ، ط ١٦٠ ، ط ١٦١ ، ط ١٦٢ ، ط ١٦٣ ، ط ١٦٤ ، ط ١٦٥ ، ط ١٦٦ ، ط ١٦٧ ، ط ١٦٨ ، ط ١٦٩ ، ط ١٧٠ ، ط ١٧١ ، ط ١٧٢ ، ط ١٧٣ ، ط ١٧٤ ، ط ١٧٥ ، ط ١٧٦ ، ط ١٧٧ ، ط ١٧٨ ، ط ١٧٩ ، ط ١٨٠ ، ط ١٨١ ، ط ١٨٢ ، ط ١٨٣ ، ط ١٨٤ ، ط ١٨٥ ، ط ١٨٦ ، ط ١٨٧ ، ط ١٨٨ ، ط ١٨٩ ، ط ١٩٠ ، ط ١٩١ ، ط ١٩٢ ، ط ١٩٣ ، ط ١٩٤ ، ط ١٩٥ ، ط ١٩٦ ، ط ١٩٧ ، ط ١٩٨ ، ط ١٩٩ ، ط ٢٠٠ ، ط ٢٠١ ، ط ٢٠٢ ، ط ٢٠٣ ، ط ٢٠٤ ، ط ٢٠٥ ، ط ٢٠٦ ، ط ٢٠٧ ، ط ٢٠٨ ، ط ٢٠٩ ، ط ٢١٠ ، ط ٢١١ ، ط ٢١٢ ، ط ٢١٣ ، ط ٢١٤ ، ط ٢١٥ ، ط ٢١٦ ، ط ٢١٧ ، ط ٢١٨ ، ط ٢١٩ ، ط ٢٢٠ ، ط ٢٢١ ، ط ٢٢٢ ، ط ٢٢٣ ، ط ٢٢٤ ، ط ٢٢٥ ، ط ٢٢٦ ، ط ٢٢٧ ، ط ٢٢٨ ، ط ٢٢٩ ، ط ٢٣٠ ، ط ٢٣١ ، ط ٢٣٢ ، ط ٢٣٣ ، ط ٢٣٤ ، ط ٢٣٥ ، ط ٢٣٦ ، ط ٢٣٧ ، ط ٢٣٨ ، ط ٢٣٩ ، ط ٢٤٠ ، ط ٢٤١ ، ط ٢٤٢ ، ط ٢٤٣ ، ط ٢٤٤ ، ط ٢٤٥ ، ط ٢٤٦ ، ط ٢٤٧ ، ط ٢٤٨ ، ط ٢٤٩ ، ط ٢٥٠ ، ط ٢٥١ ، ط ٢٥٢ ، ط ٢٥٣ ، ط ٢٥٤ ، ط ٢٥٥ ، ط ٢٥٦ ، ط ٢٥٧ ، ط ٢٥٨ ، ط ٢٥٩ ، ط ٢٦٠ ، ط ٢٦١ ، ط ٢٦٢ ، ط ٢٦٣ ، ط ٢٦٤ ، ط ٢٦٥ ، ط ٢٦٦ ، ط ٢٦٧ ، ط ٢٦٨ ، ط ٢٦٩ ، ط ٢٧٠ ، ط ٢٧١ ، ط ٢٧٢ ، ط ٢٧٣ ، ط ٢٧٤ ، ط ٢٧٥ ، ط ٢٧٦ ، ط ٢٧٧ ، ط ٢٧٨ ، ط ٢٧٩ ، ط ٢٨٠ ، ط ٢٨١ ، ط ٢٨٢ ، ط ٢٨٣ ، ط ٢٨٤ ، ط ٢٨٥ ، ط ٢٨٦ ، ط ٢٨٧ ، ط ٢٨٨ ، ط ٢٨٩ ، ط ٢٩٠ ، ط ٢٩١ ، ط ٢٩٢ ، ط ٢٩٣ ، ط ٢٩٤ ، ط ٢٩٥ ، ط ٢٩٦ ، ط ٢٩٧ ، ط ٢٩٨ ، ط ٢٩٩ ، ط ٣٠٠ ، ط ٣٠١ ، ط ٣٠٢ ، ط ٣٠٣ ، ط ٣٠٤ ، ط ٣٠٥ ، ط ٣٠٦ ، ط ٣٠٧ ، ط ٣٠٨ ، ط ٣٠٩ ، ط ٣١٠ ، ط ٣١١ ، ط ٣١٢ ، ط ٣١٣ ، ط ٣١٤ ، ط ٣١٥ ، ط ٣١٦ ، ط ٣١٧ ، ط ٣١٨ ، ط ٣١٩ ، ط ٣٢٠ ، ط ٣٢١ ، ط ٣٢٢ ، ط ٣٢٣ ، ط ٣٢٤ ، ط ٣٢٥ ، ط ٣٢٦ ، ط ٣٢٧ ، ط ٣٢٨ ، ط ٣٢٩ ، ط ٣٣٠ ، ط ٣٣١ ، ط ٣٣٢ ، ط ٣٣٣ ، ط ٣٣٤ ، ط ٣٣٥ ، ط ٣٣٦ ، ط ٣٣٧ ، ط ٣٣٨ ، ط ٣٣٩ ، ط ٣٤٠ ، ط ٣٤١ ، ط ٣٤٢ ، ط ٣٤٣ ، ط ٣٤٤ ، ط ٣٤٥ ، ط ٣٤٦ ، ط ٣٤٧ ، ط ٣٤٨ ، ط ٣٤٩ ، ط ٣٥٠ ، ط ٣٥١ ، ط ٣٥٢ ، ط ٣٥٣ ، ط ٣٥٤ ، ط ٣٥٥ ، ط ٣٥٦ ، ط ٣٥٧ ، ط ٣٥٨ ، ط ٣٥٩ ، ط ٣٦٠ ، ط ٣٦١ ، ط ٣٦٢ ، ط ٣٦٣ ، ط ٣٦٤ ، ط ٣٦٥ ، ط ٣٦٦ ، ط ٣٦٧ ، ط ٣٦٨ ، ط ٣٦٩ ، ط ٣٧٠ ، ط ٣٧١ ، ط ٣٧٢ ، ط ٣٧٣ ، ط ٣٧٤ ، ط ٣٧٥ ، ط ٣٧٦ ، ط ٣٧٧ ، ط ٣٧٨ ، ط ٣٧٩ ، ط ٣٨٠ ، ط ٣٨١ ، ط ٣٨٢ ، ط ٣٨٣ ، ط ٣٨٤ ، ط ٣٨٥ ، ط ٣٨٦ ، ط ٣٨٧ ، ط ٣٨٨ ، ط ٣٨٩ ، ط ٣٩٠ ، ط ٣٩١ ، ط ٣٩٢ ، ط ٣٩٣ ، ط ٣٩٤ ، ط ٣٩٥ ، ط ٣٩٦ ، ط ٣٩٧ ، ط ٣٩٨ ، ط ٣٩٩ ، ط ٤٠٠ ، ط ٤٠١ ، ط ٤٠٢ ، ط ٤٠٣ ، ط ٤٠٤ ، ط ٤٠٥ ، ط ٤٠٦ ، ط ٤٠٧ ، ط ٤٠٨ ، ط ٤٠٩ ، ط ٤١٠ ، ط ٤١١ ، ط ٤١٢ ، ط ٤١٣ ، ط ٤١٤ ، ط ٤١٥ ، ط ٤١٦ ، ط ٤١٧ ، ط ٤١٨ ، ط ٤١٩ ، ط ٤٢٠ ، ط ٤٢١ ، ط ٤٢٢ ، ط ٤٢٣ ، ط ٤٢٤ ، ط ٤٢٥ ، ط ٤٢٦ ، ط ٤٢٧ ، ط ٤٢٨ ، ط ٤٢٩ ، ط ٤٣٠ ، ط ٤٣١ ، ط ٤٣٢ ، ط ٤٣٣ ، ط ٤٣٤ ، ط ٤٣٥ ، ط ٤٣٦ ، ط ٤٣٧ ، ط ٤٣٨ ، ط ٤٣٩ ، ط ٤٤٠ ، ط ٤٤١ ، ط ٤٤٢ ، ط ٤٤٣ ، ط ٤٤٤ ، ط ٤٤٥ ، ط ٤٤٦ ، ط ٤٤٧ ، ط ٤٤٨ ، ط ٤٤٩ ، ط ٤٥٠ ، ط ٤٥١ ، ط ٤٥٢ ، ط ٤٥٣ ، ط ٤٥٤ ، ط ٤٥٥ ، ط ٤٥٦ ، ط ٤٥٧ ، ط ٤٥٨ ، ط ٤٥٩ ، ط ٤٦٠ ، ط ٤٦١ ، ط ٤٦٢ ، ط ٤٦٣ ، ط ٤٦٤ ، ط ٤٦٥ ، ط ٤٦٦ ، ط ٤٦٧ ، ط ٤٦٨ ، ط ٤٦٩ ، ط ٤٧٠ ، ط ٤٧١ ، ط ٤٧٢ ، ط ٤٧٣ ، ط ٤٧٤ ، ط ٤٧٥ ، ط ٤٧٦ ، ط ٤٧٧ ، ط ٤٧٨ ، ط ٤٧٩ ، ط ٤٨٠ ، ط ٤٨١ ، ط ٤٨٢ ، ط ٤٨٣ ، ط ٤٨٤ ، ط ٤٨٥ ، ط ٤٨٦ ، ط ٤٨٧ ، ط ٤٨٨ ، ط ٤٨٩ ، ط ٤٩٠ ، ط ٤٩١ ، ط ٤٩٢ ، ط ٤٩٣ ، ط ٤٩٤ ، ط ٤٩٥ ، ط ٤٩٦ ، ط ٤٩٧ ، ط ٤٩٨ ، ط ٤٩٩ ، ط ٥٠٠ ، ط ٥٠١ ، ط ٥٠٢ ، ط ٥٠٣ ، ط ٥٠٤ ، ط ٥٠٥ ، ط ٥٠٦ ، ط ٥٠٧ ، ط ٥٠٨ ، ط ٥٠٩ ، ط ٥١٠ ، ط ٥١١ ، ط ٥١٢ ، ط ٥١٣ ، ط ٥١٤ ، ط ٥١٥ ، ط ٥١٦ ، ط ٥١٧ ، ط ٥١٨ ، ط ٥١٩ ، ط ٥٢٠ ، ط ٥٢١ ، ط ٥٢٢ ، ط ٥٢٣ ، ط ٥٢٤ ، ط ٥٢٥ ، ط ٥٢٦ ، ط ٥٢٧ ، ط ٥٢٨ ، ط ٥٢٩ ، ط ٥٣٠ ، ط ٥٣١ ، ط ٥٣٢ ، ط ٥٣٣ ، ط ٥٣٤ ، ط ٥٣٥ ، ط ٥٣٦ ، ط ٥٣٧ ، ط ٥٣٨ ، ط ٥٣٩ ، ط ٥٤٠ ، ط ٥٤١ ، ط ٥٤٢ ، ط ٥٤٣ ، ط ٥٤٤ ، ط ٥٤٥ ، ط ٥٤٦ ، ط ٥٤٧ ، ط ٥٤٨ ، ط ٥٤٩ ، ط ٥٥٠ ، ط ٥٥١ ، ط ٥٥٢ ، ط ٥٥٣ ، ط ٥٥٤ ، ط ٥٥٥ ، ط ٥٥٦ ، ط ٥٥٧ ، ط ٥٥٨ ، ط ٥٥٩ ، ط ٥٦٠ ، ط ٥٦١ ، ط ٥٦٢ ، ط ٥٦٣ ، ط ٥٦٤ ، ط ٥٦٥ ، ط ٥٦٦ ، ط ٥٦٧ ، ط ٥٦٨ ، ط ٥٦٩ ، ط ٥٧٠ ، ط ٥٧١ ، ط ٥٧٢ ، ط ٥٧٣ ، ط ٥٧٤ ، ط ٥٧٥ ، ط ٥٧٦ ، ط ٥٧٧ ، ط ٥٧٨ ، ط ٥٧٩ ، ط ٥٨٠ ، ط ٥٨١ ، ط ٥٨٢ ، ط ٥٨٣ ، ط ٥٨٤ ، ط ٥٨٥ ، ط ٥٨٦ ، ط ٥٨٧ ، ط ٥٨٨ ، ط ٥٨٩ ، ط ٥٩٠ ، ط ٥٩١ ، ط ٥٩٢ ، ط ٥٩٣ ، ط ٥٩٤ ، ط ٥٩٥ ، ط ٥٩٦ ، ط ٥٩٧ ، ط ٥٩٨ ، ط ٥٩٩ ، ط ٦٠٠ ، ط ٦٠١ ، ط ٦٠٢ ، ط ٦٠٣ ، ط ٦٠٤ ، ط ٦٠٥ ، ط ٦٠٦ ، ط ٦٠٧ ، ط ٦٠٨ ، ط ٦٠٩ ، ط ٦١٠ ، ط ٦١١ ، ط ٦١٢ ، ط ٦١٣ ، ط ٦١٤ ، ط ٦١٥ ، ط ٦١٦ ، ط ٦١٧ ، ط ٦١٨ ، ط ٦١٩ ، ط ٦٢٠ ، ط ٦٢١ ، ط ٦٢٢ ، ط ٦٢٣ ، ط ٦٢٤ ، ط ٦٢٥ ، ط ٦٢٦ ، ط ٦٢٧ ، ط ٦٢٨ ، ط ٦٢٩ ، ط ٦٣٠ ، ط ٦٣١ ، ط ٦٣٢ ، ط ٦٣٣ ، ط ٦٣٤ ، ط ٦٣٥ ، ط ٦٣٦ ، ط ٦٣٧ ، ط ٦٣٨ ، ط ٦٣٩ ، ط ٦٤٠ ، ط ٦٤١ ، ط ٦٤٢ ، ط ٦٤٣ ، ط ٦٤٤ ، ط ٦٤٥ ، ط ٦٤٦ ، ط ٦٤٧ ، ط ٦٤٨ ، ط ٦٤٩ ، ط ٦٥٠ ، ط ٦٥١ ، ط ٦٥٢ ، ط ٦٥٣ ، ط ٦٥٤ ، ط ٦٥٥ ، ط ٦٥٦ ، ط ٦٥٧ ، ط ٦٥٨ ، ط ٦٥٩ ، ط ٦٦٠ ، ط ٦٦١ ، ط ٦٦٢ ، ط ٦٦٣ ، ط ٦٦٤ ، ط ٦٦٥ ، ط ٦٦٦ ، ط ٦٦٧ ، ط ٦٦٨ ، ط ٦٦٩ ، ط ٦٧٠ ، ط ٦٧١ ، ط ٦٧٢ ، ط ٦٧٣ ، ط ٦٧٤ ، ط ٦٧٥ ، ط ٦٧٦ ، ط ٦٧٧ ، ط ٦٧٨ ، ط ٦٧٩ ، ط ٦٨٠ ، ط ٦٨١ ، ط ٦٨٢ ، ط ٦٨٣ ، ط ٦٨٤ ، ط ٦٨٥ ، ط ٦٨٦ ، ط ٦٨٧ ، ط ٦٨٨ ، ط ٦٨٩ ، ط ٦٩٠ ، ط ٦٩١ ، ط ٦٩٢ ، ط ٦٩٣ ، ط ٦٩٤ ، ط ٦٩٥ ، ط ٦٩٦ ، ط ٦٩٧ ، ط ٦٩٨ ، ط ٦٩٩ ، ط ٧٠٠ ، ط ٧٠١ ، ط ٧٠٢ ، ط ٧٠٣ ، ط ٧٠٤ ، ط ٧٠٥ ، ط ٧٠٦ ، ط ٧٠٧ ، ط ٧٠٨ ، ط ٧٠٩ ، ط ٧١٠ ، ط ٧١١ ، ط ٧١٢ ، ط ٧١٣ ، ط ٧١٤ ، ط ٧١٥ ، ط ٧١٦ ، ط ٧١٧ ، ط ٧١٨ ، ط ٧١٩ ، ط ٧٢٠ ، ط ٧٢١ ، ط ٧٢٢ ، ط ٧٢٣ ، ط ٧٢٤ ، ط ٧٢٥ ، ط ٧٢٦ ، ط ٧٢٧ ، ط ٧٢٨ ، ط ٧٢٩ ، ط ٧٣٠ ، ط ٧٣١ ، ط ٧٣٢ ، ط ٧٣٣ ، ط ٧٣٤ ، ط ٧٣٥ ، ط ٧٣٦ ، ط ٧٣٧ ، ط ٧٣٨ ، ط ٧٣٩ ، ط ٧٤٠ ، ط ٧٤١ ، ط ٧٤٢ ، ط ٧٤٣ ، ط ٧٤٤ ، ط ٧٤٥ ، ط ٧٤٦ ، ط ٧٤٧ ، ط ٧٤٨ ، ط ٧٤٩ ، ط ٧٥٠ ، ط ٧٥١ ، ط ٧٥٢ ، ط ٧٥٣ ، ط ٧٥٤ ، ط ٧٥٥ ، ط ٧٥٦ ، ط ٧٥٧ ، ط ٧٥٨ ، ط ٧٥٩ ، ط ٧٦٠ ، ط ٧٦١ ، ط ٧٦٢ ، ط ٧٦٣ ، ط ٧٦٤ ، ط ٧٦٥ ، ط ٧٦٦ ، ط ٧٦٧ ، ط ٧٦٨ ، ط ٧٦٩ ، ط ٧٧٠ ، ط ٧٧١ ، ط ٧٧٢ ، ط ٧٧٣ ، ط ٧٧٤ ، ط ٧٧٥ ، ط ٧٧٦ ، ط ٧٧٧ ، ط ٧٧٨ ، ط ٧٧٩ ، ط ٧٨٠ ، ط ٧٨١ ، ط ٧٨٢ ، ط ٧٨٣ ، ط ٧٨٤ ، ط ٧٨٥ ، ط ٧٨٦ ، ط ٧٨٧ ، ط ٧٨٨ ، ط ٧٨٩ ، ط ٧٩٠ ، ط ٧٩١ ، ط ٧٩٢ ، ط ٧٩٣ ، ط ٧٩٤ ، ط ٧٩٥ ، ط ٧٩٦ ، ط ٧٩٧ ، ط ٧٩٨ ، ط ٧٩٩ ، ط ٨٠٠ ، ط ٨٠١ ، ط ٨٠٢ ، ط ٨٠٣ ، ط ٨٠٤ ، ط ٨٠٥ ، ط ٨٠٦ ، ط ٨٠٧ ، ط ٨٠٨ ، ط ٨٠٩ ، ط ٨١٠ ، ط ٨١١ ، ط ٨١٢ ، ط ٨١٣ ، ط ٨١٤ ، ط ٨١٥ ، ط ٨١٦ ، ط ٨١٧ ، ط ٨١٨ ، ط ٨١٩ ، ط ٨٢٠ ، ط ٨٢١ ، ط ٨٢٢ ، ط ٨٢٣ ، ط ٨٢٤ ، ط ٨٢٥ ، ط ٨٢٦ ، ط ٨٢٧ ، ط ٨٢٨ ، ط ٨٢٩ ، ط ٨٣٠ ، ط ٨٣١ ، ط ٨٣٢ ، ط ٨٣٣ ، ط ٨٣٤ ، ط ٨٣٥ ، ط ٨٣٦ ، ط ٨٣٧ ، ط ٨٣٨ ، ط ٨٣٩ ، ط ٨٤٠ ، ط ٨٤١ ، ط ٨٤٢ ، ط ٨٤٣ ، ط ٨٤٤ ، ط ٨٤٥ ، ط ٨٤٦ ، ط ٨٤٧ ، ط ٨٤٨ ، ط ٨٤٩ ، ط ٨٥٠ ، ط ٨٥١ ، ط ٨٥٢ ، ط ٨٥٣ ، ط ٨٥٤ ، ط ٨٥٥ ، ط ٨٥٦ ، ط ٨٥٧ ، ط ٨٥٨ ، ط ٨٥٩ ، ط ٨٦٠ ، ط ٨٦١ ، ط ٨٦٢ ، ط ٨٦٣ ، ط ٨٦٤ ، ط ٨٦٥ ، ط ٨٦٦ ، ط ٨٦٧ ، ط ٨٦٨ ، ط ٨٦٩ ، ط ٨٧٠ ، ط ٨٧١ ، ط ٨٧٢ ، ط ٨٧٣ ، ط ٨٧٤ ، ط ٨٧٥ ، ط ٨٧٦ ، ط ٨٧٧ ، ط ٨٧٨ ، ط ٨٧٩ ، ط ٨٨٠ ، ط ٨٨١ ، ط ٨٨٢ ، ط ٨٨٣ ، ط ٨٨٤ ، ط ٨٨٥ ، ط ٨٨٦ ، ط ٨٨٧ ، ط ٨٨٨ ، ط ٨٨٩ ، ط ٨٩٠ ، ط ٨٩١ ، ط ٨٩٢ ، ط ٨٩٣ ، ط ٨٩٤ ، ط ٨٩٥ ، ط ٨٩٦ ، ط ٨٩٧ ، ط ٨٩٨ ، ط ٨٩٩ ، ط ٩٠٠ ، ط ٩٠١ ، ط ٩٠٢ ، ط ٩٠٣ ، ط ٩٠٤ ، ط ٩٠٥ ، ط ٩٠٦ ، ط ٩٠٧ ، ط ٩٠٨ ، ط ٩٠٩ ، ط ٩١٠ ، ط ٩١١ ، ط ٩١٢ ، ط ٩١٣ ، ط ٩١٤ ، ط ٩١٥ ، ط ٩١٦ ، ط ٩١٧ ، ط ٩١٨ ، ط ٩١٩ ، ط ٩٢٠ ، ط ٩٢١ ، ط ٩٢٢ ، ط ٩٢٣ ، ط ٩٢٤ ، ط ٩٢٥ ، ط ٩٢٦ ، ط ٩٢٧ ، ط ٩٢٨ ، ط ٩٢٩ ، ط ٩٣٠ ، ط ٩٣١ ، ط ٩٣٢ ، ط ٩٣٣ ، ط ٩٣٤ ، ط ٩٣٥ ، ط ٩٣٦ ، ط ٩٣٧ ، ط ٩٣٨ ، ط ٩٣٩ ، ط ٩٤٠ ، ط ٩٤١ ، ط ٩٤٢ ، ط ٩٤٣ ، ط ٩٤٤ ، ط ٩٤٥ ، ط ٩٤٦ ، ط ٩٤٧ ، ط ٩٤٨ ، ط ٩٤٩ ، ط ٩٥٠ ، ط ٩٥١ ، ط ٩٥٢ ، ط ٩٥٣ ، ط ٩٥٤ ، ط ٩٥٥ ، ط ٩٥٦ ، ط ٩٥٧ ، ط ٩٥٨ ، ط ٩٥٩ ، ط ٩٦٠ ، ط ٩٦١ ، ط ٩٦٢ ، ط ٩٦٣ ، ط ٩٦٤ ، ط ٩٦٥ ، ط ٩٦٦ ، ط ٩٦٧ ، ط ٩٦٨ ، ط ٩٦٩ ، ط ٩٧٠ ، ط ٩٧١ ، ط ٩٧٢ ، ط ٩٧٣ ، ط ٩٧٤ ، ط ٩٧٥ ، ط ٩٧٦ ، ط ٩٧٧ ، ط ٩٧٨ ، ط ٩٧٩ ، ط ٩٨٠ ، ط ٩٨١ ، ط ٩٨٢ ، ط ٩٨٣ ، ط ٩٨٤ ، ط ٩٨٥ ، ط ٩٨٦ ، ط ٩٨٧ ، ط ٩٨٨ ، ط ٩٨٩ ، ط ٩٩٠ ، ط ٩٩١ ، ط ٩٩٢ ، ط ٩٩٣ ، ط ٩٩٤ ، ط ٩٩٥ ، ط ٩٩٦ ، ط ٩٩٧ ، ط ٩٩٨ ، ط ٩٩٩ ، ط ١٠٠٠ ، ط ١٠٠١ ، ط ١٠٠٢ ، ط ١٠٠٣ ، ط ١٠٠٤ ، ط ١٠٠٥ ، ط ١٠٠٦ ، ط ١٠٠٧ ، ط ١٠٠٨ ، ط ١٠٠٩ ، ط ١٠١٠ ، ط ١٠١١ ، ط ١٠١٢ ، ط ١٠١٣ ، ط ١٠١٤ ، ط ١٠١٥ ، ط ١٠١٦ ، ط ١٠١٧ ، ط ١٠١٨ ، ط ١٠١٩ ، ط ١٠٢٠ ، ط ١٠٢١ ، ط ١٠٢٢ ، ط ١٠٢٣ ، ط ١٠٢٤ ، ط ١٠٢٥ ، ط ١٠٢٦ ، ط ١٠٢٧ ، ط ١٠٢٨ ، ط ١٠٢٩ ، ط ١٠٣٠ ، ط ١٠٣١ ، ط ١٠٣٢ ، ط ١٠٣٣ ، ط ١٠٣٤ ، ط ١٠٣٥ ، ط ١٠٣٦ ، ط ١٠٣٧ ، ط ١٠٣٨ ، ط ١٠٣٩ ، ط ١٠٤٠ ، ط ١٠٤١ ، ط ١٠٤٢ ، ط ١٠٤٣ ، ط ١٠٤٤ ، ط ١٠٤٥ ، ط ١٠٤٦ ، ط ١٠٤٧ ، ط ١٠٤٨ ، ط ١٠٤٩ ، ط ١٠٥٠ ، ط ١٠٥١ ، ط ١٠٥٢ ، ط ١٠٥٣ ، ط ١٠٥٤ ، ط ١٠٥٥ ، ط ١٠٥٦ ، ط ١٠٥٧ ، ط ١٠٥٨ ، ط ١٠٥٩ ، ط ١٠٦٠ ، ط ١٠٦١ ، ط ١٠٦٢ ، ط ١٠٦٣ ، ط ١٠٦٤ ، ط ١٠٦٥ ، ط ١٠٦٦ ، ط ١٠٦٧ ، ط ١٠٦٨ ، ط ١٠٦٩ ، ط ١٠٧٠ ، ط ١٠٧١ ، ط ١٠٧٢ ، ط ١٠٧٣ ، ط ١٠٧٤ ، ط ١٠٧٥ ، ط ١٠٧٦ ، ط ١٠٧٧ ، ط ١٠٧٨ ، ط ١٠٧٩ ، ط ١٠٨٠ ، ط ١٠٨١ ، ط ١٠٨٢ ، ط ١٠٨٣ ، ط ١٠٨٤ ، ط ١٠٨٥ ، ط ١٠٨٦ ، ط ١٠٨٧ ، ط ١٠٨٨ ، ط ١٠٨٩ ، ط ١٠٩٠ ، ط ١٠٩١ ، ط ١٠٩٢ ، ط ١٠٩٣ ، ط ١٠٩٤ ، ط ١٠٩٥ ، ط ١٠٩٦ ، ط ١٠٩٧ ، ط ١٠٩٨ ، ط ١٠٩٩ ، ط ١١٠٠ ، ط ١١٠١ ، ط ١١٠٢ ، ط ١١٠٣ ، ط ١١٠٤ ، ط ١١٠٥ ، ط ١١٠٦ ، ط ١١٠٧ ، ط ١١٠٨ ، ط ١١٠٩ ، ط ١١١٠ ، ط ١١١١ ، ط ١١١٢ ، ط ١١١٣ ، ط ١١١٤ ، ط ١١١٥ ، ط ١١١٦ ، ط ١١١٧ ، ط ١١١٨ ، ط ١١١٩ ، ط ١١٢٠ ، ط ١١٢١ ، ط ١١٢٢ ، ط ١١٢٣ ، ط ١١٢٤ ، ط ١١٢٥ ، ط ١١٢٦ ، ط ١١٢٧ ، ط ١١٢٨ ، ط ١١٢٩ ، ط ١١٣٠ ، ط ١١٣١ ، ط ١١٣٢ ، ط ١١٣٣ ، ط ١١٣٤ ، ط ١١٣٥ ، ط ١١٣٦ ، ط ١١٣٧ ، ط ١١٣٨ ، ط ١١٣٩ ، ط ١١٤٠ ، ط ١١٤١ ، ط ١١٤٢ ، ط ١١٤٣ ، ط ١١٤٤ ، ط ١١٤٥ ، ط ١١٤٦ ، ط ١١٤٧ ، ط ١١٤٨ ، ط ١١٤٩ ، ط ١١٥٠ ، ط ١١٥١ ، ط ١١٥٢ ، ط ١١٥٣ ، ط ١١٥٤ ، ط ١١٥٥ ، ط ١١٥٦ ، ط ١١٥٧ ، ط ١١٥٨ ، ط ١١٥٩ ، ط ١١٦٠ ، ط ١١٦١ ، ط ١١٦٢ ، ط ١١٦٣ ، ط ١١٦

بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصنف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه - وهو في خزائن ملوكة له بجانب الخراب من غريبه وعليه نهاية وجلالة .

والى جانب المدرسة كتاب يرسم الأيتام .
وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة
وأجلها ، وقد تلامت لخراب ما حولها .

« عبد الرحيم » بن علي بن الحسن بن
أحمد بن التمرج بن أحمد : القاضي الفاضل
محيي الدين أبو علي ، ابن القاضي الأشرف
اللغوي المقلاني اليمني المصري الشافعي ،
كان أبوه يتقلد قضاء مدينة بيسان ، فلهذا
نصبوا إليها .

وكانت ولادته بمدينة عسقلان في خامس
عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين
وخمسمائة . ثم قدم القاهرة ، وخدم الموفق
يوسف بن محمد بن الجلال ، صاحب ديوان
الانشاء في أيام الحافظ لدين الله ، وعنه أخذ
صناعة الانشاء ، ثم خدم بالاسكندرية مدة .

فلما قام بوزارة مصر العادل وزيك بن
الصالح طلائع بن زيك ، خرج أمره الى والى
الاسكندرية بتسيره الى الباب ، فلما حضر
استقبله بحضرة ويين يديه فى ديوان
الجيش . فلما مات الموفق بن الجلال فى سنة
ست وستين وخمسمائة - وكان القاضى
الفاضل ينوب عنه فى ديوان الانشاء - عيـ
ن الكامل بن شاور ، وسمى له عند آيه الوزير
شاور بن مجير ، فأقره عوضا عن ابن الجلال
فى ديوان الانشاء .

فلما ملك أسد الدين شيركوه احتاج الى
كاتب ، فاحضره واعطيه ائقانه وسمته ونصحه

فاستكتبه . الى أن ملك صلاح الدين يوسف
ابن أيوب ، فاستخلصه وحسن اعتقاده فيه ،
فاستعان به على ما أراد من ازالة الدولة
الفاطمية حتى تم مراده ، فجعله وزيره
ومشير بحيث كان لا يصدر أمرا الا عن
مشورته ، ولا ينفذ شيئا الا عن رأيه ، ولا
يحكم في قضية الا بتديره . فلما مات صلاح
الدين استمر على ما كان عليه ، عند ولده
الملك العزيز عثمان ، في المكانة والرفعة وتقليد
الامر .

فلما مات العزيز ، وقام من بعده ابنه الملك المنصور بالملك ، ودبر أمره عنه الأفضل ...
كان معهما على حاله . الى أن وصل الملك الغافل أبو بكر بن أيوب من الشام لأخذ ديار مصر ، وخرج الأفضل لقتاله ، فمات منكوبا أحوج ما كان الى الموت ، عند تولى الاقبال واقبال الادبار ، فى سحر يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بترته من القرافة الصغرى .

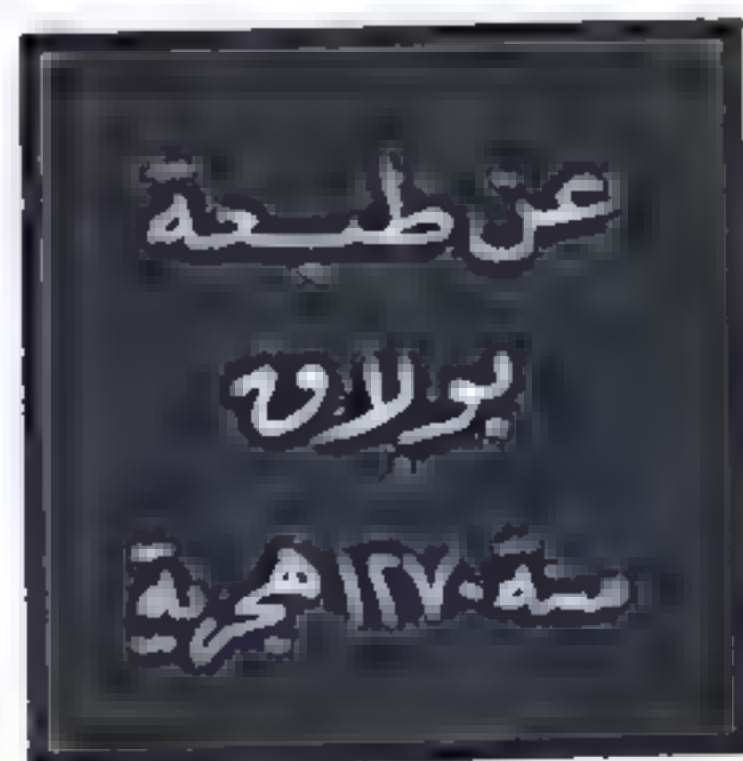
قال ابن خلكان : وزير للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتمكن منه غاية التمكن ، وبرز في صناعة الانشاء ، وفاق المتقدمين * ، وله فيه الغرائب مع الاكثار ... أخبرني أحد الفضلاء الثقات ، المطلقين على حقيقة أمره ، أن مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الأوراق اذا جمعت ما تقتصر عن مائة ، وهو مجيد في أكثرها .

وقال عبد اللطيف البغدادي : دخلنا عليه
فرايت شيئا غيلا كله رأس وقلب ، وهو



صدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



التمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

يكتب ويملأ على اثنين ، ووجهه وشفتاه تلعب
ألوان الحركات ، لقوة حرصه في اخراج
الكلام ، وكأنه يكتب بحيلة أعضائه .

وكان له غرام في الكتابة ، وتحصيل الكتب ،
وكان له الدين والعفاف والتقى ، والمواظبة
على أوراد الليل ، والصيام وقراءة القرآن .
وكان قليل اللذات ، كثير الحسنات ، دائم
التهجد ، وشغول بعلوم الادب وتفسير
القرآن . غير أنه كان خفيف البضاعة من
النحو ، ولكن قوة الدراية توجب له قلة
اللعن . وكان لا يكاد يضع من زمان شيئا إلا
في طاعة ، وكتب في الانشاء ما لم يكتبه
غيره .

وحكى لى ابن القطان أحد كتابه قال : لما
خطب صلاح الدين بمصر للامام المستضيء بأمر
الله ، تقدم الى القاضي الفاضل بأن يكتب
الديوان العزيز وملوك الشرق . ولم يكن
يعرف خطابهم واصطلاحهم ، فأوغر الى العماد
الكتاب أن يكتب فكتب واحتفل ، وجاء بها
مفضوضة ليقراها الفاضل متجحا بها ، فقال :
لا احتاج أن أقف عليها . وأمر بختها وتسليمها
الى النجاشي ، والعماد يبصر .

قال : ثم أمرني أن ألحق النجاشي ببليس ،
وأن أفض الكتب ، وأكتب صدورها ونهايتها ،
فعلت ورجعت بها اليه . فكتب على حذوها
وعرضها على السلطان ، فارتضاها ، وأمر
بارسالها الى أربابها مع النجاشي .

وكان متقللا في مطعمه ومنكحه وملبسه ،
ولباسه البياض لا يبلغ جميع ما عليه ديارين ،
ويركب معه غلام وركابي ، ولا يمكن أحدا أن

يصحبه ، ويكثر زيارة القبور وتشييع الجنائز
وعيادة المرضى ، وله معروف في السر
والعلانية ، وأكثر أوقاته يفطر بعدما يتهور
الليل .

وكان ضعيف البنية ، وقيق الصورة ، له
حبة يعطيها الطيلسان . وكان فيه سوء خلق
يكسبه في نفسه ، ولا يضرب أحدا به .
ولأصحاب الأدب عنده تقاق ، يحسن اليهم
ولا يمن عليهم ، ويؤثر أرباب البيوت
والغرياء ، ولم يكن له انتقام من أعدائه إلا
بالاحسان اليهم أو بالاعراض عنهم . وكان
دخله في كل سنة ، من اقطاع ورباع وضياع
خمسین ألف دينار ، سوى متاجره للهند
والمغرب وغيرهما .

وكان يقتنى الكتب من كل فن ، ويجتلبها
من كل جهة ، وله نسخ لا يفرون ومجلدون
لا ييطلون . قال لى بعض من يخدمه في
الكتب : ان عددها قد بلغ مائة ألف وأربعمائة
وعشرين ألفا . وهذا قبل موته بعشرين سنة .

وحكى لى ابن صورة الكتبي أن ابنه
القاضي الأشرف التمن منى أن أطلب له نسخة
الحماسة ليقراها ، فأعلت القاضي الفاضل .
فاستحضر من الخادم الحماسات ، فأحضر له
خمسا وثلاثين نسخة ، وصار ينفض نسخة
نسخة ويقول : هذه بخط فلان ، وهذه عليها
خط فلان . حتى أتى على الجميع وقال :
ليس فيها ما يصلح للصبيان . وأمرني أن
أشتري له نسخة بدينار .

هذه المدرسة بمصر على رأس السوق التي كان يعرف بالحروميين ، ويعرف اليوم بسوق أمير الجيوش . بناها الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدي - مملوك أحد أئمة شركو ، وأحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب - وجعلها مقراً على الفقهاء من الحنفية فقط في سنة ثمان وتسعين وخمسة .

وكان أيازكوج رأس الأمراء الأسديين بدار مصر في أيام السلطان صلاح الدين وأيام ابن الملك العزيز عثمان ، وكان الأمير فخر الدين جهر كس رأس الصلاحية . وله من علي ديت أي أن مات في يوم الجمعة ثمان عشر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسة ، ودفن بسفح المقطم . تعرف من ربه الأمير فخر الدين بن عز .

المدرسة القفوية

هذه مدرسة بمصر . قد بين سوقية صاحب ودرج القدس . عمرها الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البرومي ، أئمة دار الملك الكامل محمد بن العادل ، وكان الفراغ منها في سنة اثنين وعشرين وستة ، وكان موضعها خيراً يعرف بدار الأمير حسان الدين ساروح بن أرتق شاه الدواوين .

ومولد الأمير فخر الدين في سنة إحدى وخمسين وخمسة بحلب ، وتنقل في الخدم حتى صار أحد الأمراء بدير مصر ، وتقدم في

أم الملك الكامل ، وصار أئمة داره ، وأئمة أمر الملكة ونسبها إلى أن صار السلطان من تاهرة يريد بلاد الشرق . فمات حران بعد مرض طويل في ثمان عشر ذي الحجة سنة تسع وعشرين وستة .

وكان خيراً كثير صدقة ، يفتقد أرباب السواب . وله من الآثار ، سوى هذه المدرسة ، المجلد الذي بناها ، وله أيضاً ربه بمصر ، وإلى جانبه كتاب سبيل ، وبني بمكة رباطاً .

المدرسة السيفية

هذه المدرسة بمصر ، فمات بس خط ابدويين وحظ المحييين . وموضعها من جملة دار الديباج . قال ابن عبد الحار كان داراً وهي من المدرسة القطبية ، فبناها شيخ شيوخ (يحيى صدر الدين محمد بن حويه) ، وسب في وزارة صفى الدين عبد الله بن علي بن شكران سيف الاسلام ، ووقفها وولي فيها عباد الدين ولد القاضي صدر الدين (يحيى ابن دريس) وسيف الاسلام هذا اسمه طفتكين بن أيوب .

« طفتكين » : ظهر الدين سيف الاسلام الملك المعز بن نجم الدين أيوب بن شادي ابن مروان الأيوبي . سيره أخوه صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى بلاد اليمن في سنة سبع وسبعين وخمسة ، فملكها واستولى على كثير من بلادها . وكان شجاعاً كريماً ، مشكور السيرة ، حسن السياسة .

(٣٦٧ هـ - ٢٠٠٧ م - ٢٠٠٧ م)

المدرسة القطبية

هذه المدرسة في أول حارة زويلة بركة كوكاي . عرفت بالسبب الجيلة الكبرى عصبة الدين مؤنة خاتون - المعروفة بدار اقبال العلاني - ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وشقيقة الملك الأفضل قطب الدين أحمد وإلى نسب . وكانت ولادتها في سنة ثلاث وستة ، ووفاتها ليلة الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وستة .

وكانت قد سمعت الحديث ، وخرج لها الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد الظاهري أحاديث ثمانية حدثت بها . وكانت عاقلة دينة فصيحة ، لها أدب وصدقات كثيرة ، وتركت مالا جزيلاً ، وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها فقهاء وقراء ، ويشتري لها وقف يمل . فبنت هذه المدرسة ، وجعل فيها درس للشافعية ودرس للحنفية ، وقراء . وهي إلى اليوم عامرة .

المدرسة الخروبية

هذه المدرسة على شاطئ النيل من مدينة مصر . أنشأها تاج الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن علي الخروبي ، لما أنشأ بيتاً كبيراً مقابل بيت أخيه عز الدين قبله على شاطئ النيل ، وجعل فيه هذه المدرسة . وهي ألطف من مدرسة أخيه ، ويجنبها مكتب سبيل ، ووقف عليها أوقافاً ، وجعل بها مدرس حديث فقط ، ومات بمكة في آخر المحرم سنة خمس وثمانين وسبعمائة .

قصده الناس من البلاد الشامية يستطرون احسانه وبره . وصار إليه شرف الدين بن هنين ، وملكه بعدة قصائد بديعة ، فأجزل صلاته ، وأكثر من الاحسان إليه ، واكتسب من جهته مالا وافراً ، وخرج من اليمن . فلما قدم إلى مصر - والسلطان اذ ذاك الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين - ألزمه أرباب ديوان الزكاة بدفع زكاة ما معه من المتجر ، ففعل :

ما كل من يتسمى بالعزير لها أهل ، ولا كل برق سحبه غدقه

بين العزيزين فرق في فعالهما :
هذاك يعطى ، وهذا يأخذ الصدقة

وتوفي سيف الاسلام في شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسة بالنصورة ، وهي مدينة باليمن اختطها رحمه الله تعالى .

المدرسة العاشورية

هذه المدرسة بحارة زويلة من القاهرة ، بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة ورجبة كوكاي ... قال ابن عبد الظاهر : كانت دار اليهودي ابن جميع الطيب ، وكان يكتب لتراقوش ، فاشترتها منه الست عاشوراء بت ساروح الأسدي - زوجة الأمير أيازكوج الأسدي - ووقفها على الحنفية ، وكانت من الدور الحسنة .

وقد ثلاثت هذه المدرسة ، وصارت طول الأيام مغلقة لا تفتح الا قليلاً ، فانها في زقاق لا يسكنه الا اليهود ومن يقرب منهم في النسب .

مدرسة للحل

هذه المدرسة على شاطئ النيل ، داخل صناعة التمر ، ظهر مدينة مصر . أنشأها رئيس التجار برهان الدين ابراهيم بن عمر بن علي المحلى ابن بنت العلامة شمس الدين محمد ابن اللبان ، وينسب في نسب إلى طلحة بن عبيد الله ، أحد العشرة رضى الله عنهم ، وجعل هذه المدرسة بجوار داره التي عمرها في مدة سبع سنين ، وأتفق في بنائها زيادة على ٥ خمسين ألف دينار ، وجعل بجوارها مكتب سيل ، لكن لم يجعل بها مدرسا ولا طلبة .

وتوفي ثاني عشرين ربيع الأول سنة ست وثمانمائة عن مال عظيم ، أخذ منه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق مائة ألف دينار ، وكان مولده سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، ولم يكن منكور السيرة في الديانة ، وله من الآثار تجديد جامع عمرو بن العاص ، فإنه كان قد تداعى إلى السقوط ، فقام بممارته حتى عاد قريبا مما كان عليه .. شكر الله له ذلك .

المدرسة الفاروقية

هذه المدرسة بابها شارع في سوق حارة الوزيرية من القاهرة . فتحت في يوم الاثنين رابع جمادى الأولى سنة ست وسبعين وستائة . وبها درس للطائفة الشافعية ، ودرس للطائفة الحنفية .

أنشأها الأمير شمس الدين آق منقر الفارقاني السلاحدار . كان ملوكا للأمير

(٢) سنة ٢٦٨ هـ ، ط - بولاق .

نجم الدين أمير حاجب ، ثم انتقل إلى الملك الظاهر بيبرس ، فترقى عنده في الخدم حتى صار أحد الأمراء الأكابر ، وولاه الاستدارة ، ولاب عنه بديار مصر مدة غيته ، وقتله على المعسكر غير مرة ، وفتح له بلاد النوبة وكان وسيما جسيما ، شجاعا مقداما حازما ، صاحب دراية بأمور وخبرة بالأحوال والتصرفات ، مديرا للدولة ، كثير البر والصدقة

ولما مات الملك الظاهر ، وقام من بعده في ملك مصر ابنه الملك السعيد يركه قان ، ولما نيابة السلطنة بديار مصر بعد موت الأمير بدر الدين يلبك الخازندار ، فظهر الحزم ، وضم إليه طائفة : منهم شمس الدين أقوش ، وقطيعا الرومي ، وسيف الدين قليج البغدادي ، وسيف الدين ييجو البغدادي ، وسيف الدين شعبان أمير شكار ، وبكتر السلاحدار .

وكانت الخاصكية تكرمه ، فاتفقوا مع ممالك يلبك الخازندار على القبض عليه ، وتحذروا مع الملك السعيد في ذلك ، ومازالوا به حتى قبضوا عليه بمساعدة الأمير سيف الدين كوتلك الساقى لهم ، وكان قد ربي مع السعيد في المكتب ، فلم يشعر وهو قاعد بباب القلعة من القلعة ، الا وقد سحب وضرب وتفت لحيته وجر - وقد ارتكب في اهاتيه أمر شنيع - إلى البرج فجئن به ليالى قليلة ، ثم أخرج منه ميتا في أثناء سنة ست وسبعين وستائة ، وجعل قبره .

المدرسة المهدية

هذه المدرسة خارج باب زويلة ، من خط حارة حلب ، بجوار حمام قناري . بنهاها الحكيم مهذب الدين أبو سعيد محمد بن علم الدين بن أبي الوحش من أبي الخير بن أبي سليمان بن أبي حلقة ، رئيس الأطباء

كان جده الرشيد أبو الوحش نصرانيا متقدما في صناعة الطب ، فأسلم أنه علم الدين في حياته ، وكان لا يولد له ولد فيميت ، فمات أمه ، وهي حامل به ، قائلا يقول : هوأ له حلقة فضة قدر تصدق بوزنها ، وساعة يوضع من بطن أمه تنقب أذنه وتوضع فيها الحلقة ، ففعلت ذلك فعاش ، فعاينت أمه أباه الا نقلها من أذنه ، ففكر وجاءه أولاد وكلهم موت ، فولد له أمه مهذب الدين أبو سعيد ، ففعل له حلقة فعاش .

وكان سبب اشتهاره بأبي حلقة : أن الملك الكامل محمد بن العادل أمر بعض خدامه أن يستدعى بالرشيد الطبيب من الباب - وكان جماعة من الأطباء مالباب - فقال العادل : من هو منهم ؟

فقال السلطان : أبو حلقة .

فخرج فاستدعاه بذلك ، فاستمر بهذا الاسم . ومات الرشيد في سنة ست وسبعين وستائة .

المدرسة الخروية

هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر ، تجاه المقياس بخط كرمي الجسر . أنشأها كير

الخروية بدر الدين محمد بن محمد بن علي الخروبي - بفتح الخاء المعجمة ، وتشديد الراء المهملة وضما ، ثم واو ساكنة بعدها ياء موحدة ، ثم ياء آخر الحروف - التاجر في مطابخ السكر وفي غيرها بعد سنة خمسين وسبعمائة

وجعل مدرس الفقه بها الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل ، والمعيد الشيخ سراج الدين عمر البلقيني . ومات سنة اثنين وستين وسبعمائة .

وأنشأ أيضا رسين بخط دار التحاسن من مصر على شاطئ النيل ، ورسمين مقابل المقياس بالقرب من مدرسته .

ولبدر الدين هذا أخ من أبيه أسن منه ، يقال له صلاح الدين أحمد بن محمد بن علي الخروبي ، عاش بعد أخيه ، وأنجب في أولاده وأدركت لهم أولادا نجباء . وكان أولا قليل المال ، ثم تحول إلى تربة كبيرة بالقرافة ، فيها بين تربة الامام الشافعي وتربة الليث بن سعد ، مقابل السرويين وجندوها حفيده نور الدين علي بن عز الدين محمد بن صلاح الدين وأضاف إليها مطهرة حسنة ، ومات سنة سبع وسبعين وسبعمائة

وشرط بدر الدين في مدرسته ألا يلقى بها أحد من العجم وظيفة . من الوظائف ، فقال في كل وظيفة منها : ويكون من العرب دون العجم . وكانت له مكارم ، جهز مرة ابن عقيل إلى الحج بنحو خمسمائة دينار .

(١) سنة ٢٦٨ هـ ، ط - بولاق .

المدرسة الخروبية

هذه المدرسة بحط الشون ، فبلى دار
الحسن من صهر مدينة مصر . أنشأها عز
الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد
ابن علي خروبي ، وهي أكبر من مدرسة عمه
بمصر . إلا أنه مات سنة ١١٠٠ وسبعين
وسبعمائة ، قبل استيفاء ما أراد أن يجعل
فيها ، فليس لها مدرس ولا طلبة ، ومولده
سنة ١٠٠٠ عشرة وسبعمائة ، ونشأ في دنيا
غريضة . رحمه الله تعالى .

المدرسة الصاحبية البهائية

هذه المدرسة كانت بزقاق القناديل من مدينة
مصر ، قرب الجامع العتيق . أنشأها الوزير
النصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم
ابن حنا في سنة أربع وخمسين وستمائة .
وكان في ذلك زقاق القناديل أعمر أخطأ
مصر ، وإنما قيل له زقاق القناديل من أجل أنه
كان سكن الأشراف ، وكانت أبواب الدور
يغلق على كل باب منها قنديل ... قل
التضاعى : ويقال أنه كان به مائة قنديل توقد
كل ليلة على أبواب الأكراب .

وابن حنا هذا هو علي بن محمد بن سليم
— بفتح السين المهملة وكسر اللام ، ثم ياء
آخر الحروف بعدها ميم — ابن حنا — بهاء
مهملة مكسورة ، ثم نون مشددة مفتوحة
بعدها ألف — الوزير النصاحب بهاء الدين
ولد بمصر في سنة ثلاث وستمائة ، وتقلت
به الأحوال في كتابة الدواوين إلى أن ولي

لنصاحب الجليلة ، واشتهرت كتابته ، وعرفت
في الدولة نهضة ودرايته

فاستورده السلطان الملك الظاهر ركن الدين
ببرس البندقداري ، في ثامن شهر ربيع الأول
سنة ثمان وخمسين وستمائة ، بعد القبض على
النصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير ،
وفوض إليه تدبير المملكة وأمور الدولة كلها
فزل من قلعة الجبل بحط الوزارة — ومعه
الأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار ،
وجميع الأعيان والأكابر — إلى داره .

واستبد بجميع التصرفات ، وأظهر عن حزم
وعزم وجودة رأى . وقام بأعباء الدولة ، من
ولابات العمال وعزلهم ، من غير مشاورة
السلطان ، ولا اعتراض أحد عليه . فصار مرجع
جميع الأمور ، ومصدرها عنه ، ومشأ ولايات
الخطط والأعمال من قلعه ، وزوالها عن أربابها
لا يصدر إلا من قبله . وما زال على ذلك طول
الأيام الظاهرة

فلما قام الملك السعيد بركة خان بأمر المملكة
بعد موت أبيه الملك الظاهر ، أقره على ما كان
عليه في حياة والده ، فدبر الأمور ، وساس
الأحوال . وما تعرض له أحد بمداوة ولا
سوء ، مع كثرة من كان يساويه من الأمراء
وغيرهم ، إلا وصده الله عنه ، ولم يجد ما
يتعلق به عليه ، ولا ما يبلغ به مقصوده منه .

وكان عظمه واسعا ، وصلاته وكلفه للأمراء
والأعيان ، ومن يلوذ به ويتعلق بخدمته ، تخرج
عن الحد في الكثرة ، وتتجاوز القدر في
السعة ... مع حسن ظن بالنقراء ، وصدق
العتيدة في أهل الخير والصلاح ، والقيام

بعمولتهم ، وتفقد أحوالهم ، وقضاء أشغالهم ،
والمبادرة إلى امتثال أوامرهم ، والنفقة عن
الأموال — حتى أنه لم يقبل من أحد في
وزارته هدية ، إلا أن تكون هدية فقير أو
شيخ معتقد يتبرك بما يصل من أثره — وكثرة
الصدقات في السر والعلانية .

وكان يستعين على ما التزمه من المبرات
ولزمه من الكلف بالتاجر ، وقد ملحه عدة
من الناس ، فقبل مديحتهم وأجزل جوائزهم .
وما أحسن قول الرشيد الفارقي فيه :

وقائل قال لي به لنا عمرا
فقلت ان عليا قد تنبه لي
مالي اذا كنت محتاجا الى عمر

من حاجة فليم حسي ابتاه على
وقول سعد الدين بن مروان الفارقي في
كتاب « الدرج » المختص به أيضا :

يم عليا فهو بحر الندى
وتأده في المفلح المضل
فرفده بحر على مجذب
ووفده مفض الى مفصل

يسرع ان سيل نداه وهل
أسرع من سيل أتى من علي
إلا أنه أحدث في وزارته حوادث عظيمة ،
وقاس أراضي الأملاك بمصر والقاهرة ، وأخذ
عليها مالا ، وصادر أرباب الأموال وعاقبهم
حتى مات كثير منهم تحت العقوبة ، واستخرج
بجوالى الذمة مضاعفة .

ورزىء بنفقد ولديه : النصاحب فخر الدين
محمد ، والنصاحب زين الدين . فموضه الله

عنهما بأولادهما ، فما منهم إلا لبيب صدر ،
رئيس فاضل مذكور . وما مات حتى صار
جد جد ، وهو على المكانة وأمر الحرمة ، في
ليلة الجمعة مستهل ذي الحجة سنة سبع
وسبعين وستمائة ، ودفن بترته من قرافة
مصر .

ووزير من بعده النصاحب برهان الدين
الخضر بن حسن بن علي السنجاري ، وكان
بينه وبين ابن حنا عداوة ظاهرة وباطنة ،
وحقود بارزة وكامنة . فوقع الحوطة على
النصاحب تاج الدين محمد بن حنا بدمشق ،
وكان مع الملك العبد بها ، وأخذ خطه سائة
ألف دينار ، وجهزه على البريد إلى مصر
ليستخرج منه ومن أخيه زين الدين أحمد . ابن
عمه عز الدين تكملة ثلثمائة ألف دينار ،
وأحيط بأسبابه ومن يلوذ به من أصحابه
ومعارفه وغلنامه ، وطوبوا بالمال .

وأول من درس بهذه المدرسة النصاحب فخر
الدين محمد ، ابن بانيها الوزير النصاحب بهاء
الدين ، إلى أن مات يوم الاثنين حادي عشر
شعبان سنة ثمان وستين وستمائة .

فوليها من بعده ابنه محيي الدين أحمد بن
محمد إلى أن توفي يوم الأحد ثامن شعبان
سنة اثنتين وسبعين وستمائة . فدرس فيها
بعده النصاحب زين الدين أحمد بن النصاحب
فخر الدين محمد بن النصاحب بهاء الدين إلى
أن مات في يوم الأربعاء سابع صفر سنة أربع
وسبعمائة . فدرس بها ولده النصاحب شرف
الدين .

وتوارثها أبناءه صاحب ، يلون نظرها
ومدرستها ، صاحب بهاء الدين .
الى أن كان آخرهم صاحباً الرئيس شمس
الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن
محمد بن أحمد بن صاحب بهاء الدين ...
وليها بعد أبيه عز الدين ، ووليها عز الدين بعد
يدر الدين أحمد بن محمد بن محمد بن
الصاحب بهاء الدين .

فلما مات صاحبنا شمس الدين محمد بن
الصاحب ، ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة
ثلاث عشرة وثمانمائة ، وضع بعض نواب
القصة يده على ما بقي لها من وقف .
وأفتمت هذه المدرسة مدة أعوام معطلة من
ذكر الله وأقام الصلاة ، لا يذهب أحد لخراب
ما حولها ، وبها شخص بيت بها كى لا يسرق
ما بها من أبواب ورخام .

وكن لها خزانة كتب جليلة ، فنقلها شمس
الدين محمد بن صاحب ، وصارت تحت يده
الى أن مات ، ففرقت في أيدي الناس ، وكان
قد عزم على نقلها الى شاطئ النيل بمصر ،
فمات قبل ذلك .

ولما كان في سنة اثنتى عشرة وثمانمائة ،
أخذ الملك الناصر فرح بن برقوق عند الرخام
التي كانت بهذه المدرسة — وكانت كثيرة
العدد ، جليلة القدر — وعمل بدلها دعائم
تحل السقوف . الى أن كانت أيام الملك
المؤيد شيخ ، وولى الأمير تاج الدين الشوبكى
المشتى ولاية القاهرة ومصر وحسبة البلدين
وشد العذر السلطنة ، فهدم هذه المدرسة
في أواخر سنة سبع عشرة وأوائل سنة
ثماني عشرة وثمانمائة .

وكانت من أجل مدارس الدنيا ، وأعظم
مدرسة بمصر يتنافس الناس من طلبة العلم في
الزول بها ، ويتشاحون في سكنى بيوتها ،
حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن
فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة ، ثم تلاثى
أمرها حتى هدمت ، وسيجبل عن قريب
موضعها . والله عاقبة الأمور .

المدرسة الصاحبية

هذه المدرسة بالقاهرة في سوقة صاحب .
كان موضعها من جملة دار الوزير يعقوب بن
كلى ، ومن جملة دار الديباج أنشأها
الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن
شكر ، وجعلها وفقاً على المالكية ، وبها درس
نحو وخزانة كتب ، وما زالت بيد أولاده .

فلما كان في شعبان سنة ثمان وخمسين
وسبعمائة ، جدد عمارتها القاضي علم الدين
ابراهيم بن عبد اللطيف بن ابراهيم
— المعروف بابن الزبير — ناظر الدولة في
أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ،
واستحدث فيها مبوراً ، فصار يصلى بها الجمعة
الى يومنا هذا ، ولم يكن قبل ذلك بها منبر ،
ولا تصلى فيها الجمعة .

« عبد الله بن على بن الحسين » بن عبد
الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور بن
ابراهيم بن عمار بن منصور بن على ، صفى
الدين أبو محمد الشيبى ، الدميرى المالكى
— المعروف بابن شكر — ولد بناحية دميرة ،
أحدى قرى مصر البحرية ، في تاسع صفة سنة
ثمان وأربعين وخمسمائة ، ومات أبوه ،

فتزوجت أمه بالقاضى الوزير الأعز فخر الدين
مقدام ، ابن القاضى الأجل أبى العباس أحمد
ابن شكر المالكى ، فرباه ، ونوه باسمه لأنه
كان ابن عمه ، فعرف به وقيل له ابن شكر .

وسمى صفى الدين من الفقيه أبى الظاهر
اسماعيل بن مكى بن عوف ، وأبى الطيب عبد
النعم بن يعقوب وغيره ، وجندت بالقاهرة
ودمشق ، وتفقه على مذهب مالك ، وبرع
فيه ، وصنف كتاباً في الفقه كان كل من حفظه
قال منه حظاً وافراً ، وقصد بذلك أن يشبه
بالوزير عون الدين بن هبيرة .

كانت بداية أمره أنه لما سلم السلطان صلاح
الدين يوسف بن أيوب أمر الأسطول لأخيه
الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، وأفرد له من
الأبواب الدوائية الزكاة بمصر ، والحبس
الجيوشى بالبرين ، والنظرون ، والخراج وما
معه من ثمن القرط ، وساحل السنط ، والمراكب
الدوائية ، وأسا وطبدي استخدم العادل
في مباشرة ديوان هذه المعاملة الصغرى بن شكر
هذا ، وكان ذلك في سنة سبع وثمانين
وخمسمائة .

ومن حينئذ اشتهر ذكره ، وتخصص بالملك
العادل . فلما استقل بملكة مصر ، في سنة
ست وتسعين وخمسمائة ، عظم قدره ، ثم
استوزره بعد الصيغة بن السجار ، فحل عنده
محل الوزراء الكبار والعلماء المشاورين ،
وباشر الوزارة بسنطوة وجبروت وتمناظم ،
وصادر كتاب الدولة ، واستصنى أموالهم .
فقر منه القاضى الأشرف ابن القاضى العاضل

(*) من ٢٧١ ج ٢ ، ط. بولاق .

الى بغداد ، واستشفع بالخليفة الناصر ،
وأخضر كتابه الى الملك العادل بشفع فيه .
وهرب منه القاضى علم الدين اسماعيل بن أبى
العجاج صاحب ديوان الجيش ، والقاضى
الأسعد أسعد بن ممانى صاحب ديوان المال ،
والتجأ الى الملك الظاهر بحلب ، فأقاما عنده
حتى ماتا .

وصادر بنى حدان ، وبنى الحباب ، وبنى
الجليس ، وأكابر الكتاب ... والسلطان لا
يعارضه فى شيء . ومع ذلك فكان يكثّر
التخف على السلطان ، ويتجنى عليه وهو
يحتله ، الى أن غضب فى سنة سبع وثمانمائة ،
وحلف أنه ما بقى يخدم . فلم يحتله ، وولى
الوزارة عوضاً عنه القاضى الأعز فخر الدين
مقدام بن شكر ، وأخرجه من مصر بجميع
أمواله ، وحرره وغلسانه ، وكان نقله على
ثلاثين جملاً ، وأخذ أعداؤه فى إغراء السلطان
به ، وحنوا له أن يأخذ ماله ، فأبى عليهم ،
ولم يأخذ منه شيئاً .

وصار الى آمد ، فأقام بها عند ابن أرتق
الى أن مات الملك العادل فى سنة خمسين
وسمائة فطلبه الملك الكامل محمد ابن الملك
العادل لما استبد بسلطة ديار مصر بعد أبيه ،
وهو فى نوبة قتال الفرنج على دمياط ، حين
رأى أن الضرورة داعية لحضوره بعدما كان
يعاذيه . فقدم عليه فى ذى القعدة منها ، وهو
بالمزلة العادلية قريباً من دمياط .

فتلقاه وأكرمه ، وحادثه فيما نزل به من
موت أبيه ، ومحاربة الفرنج ، ومخالقة الأمير
عماد الدين أحمد بن المشطوب ، واضطراب
أرض مصر بشورة العربان وكثرة خلافهم .

فتجبه ، وتكن له بتحصيل الدنيا وتيسر
الأمور ، وسار إلى الدهرة ، فوضع يده في
مصابير الرب الأموال بصر والدهرة من
الكتاب والنجار ، وقرر على الأمانات مالا ،
وأخذ حراثة كبيرة ، وجمع مالا عظيما
لقد به السلطان .

فكثر ثمنه ، وفوت يده ، وغفرت
معه ... بحيث أنه لا تسب ثورة قديما ،
وعند ذلك دخل إلى قلعة الجبل ، كان
يريد إليه ، وحسن عمله بغيره إلى كمال
على العيش ، رتحت معه في معاد الحياة
ولم يزل على ذلك إلى أن مات والدهرة ، وهو
ورث في يوم الجمعة من ثمن ثمان مائة اثنين
وعشرين وسدس .

وكان فيه العور ، حصة ليل صابط له
من الأشرف في غير واحد ، قد ملأه حيله
الغشور ، وفتنه له في الرغمة والرضف
الجمهور . وأخذ حراثة الرجال ونصره
ومد له يحضر بقده على الـ ، وبلغ عند ذلك
الكل بحيث أنه لم يبق له شيء من ذلك الصالح
جم من أيون ، ذلك المثل إلى بكر ،
تدريته في يوم عيد ، قدم على رأسه
قيما ، ونسبه زكي الدين أبو الحسن عند
الرحمن بن وهيب النوصي قسيمة ، زاد فيها
حين رأى السكين قياما على رأسه .

وكان له حق قيامة
ما كنت تعلم والشوك قيامة
وقطع في ورثته لأرزاق ، وكانت جنتها
أربعة آلاف دينار في السنة . وتنازع الرب
الحواشي والأشرف ومن كان يخدمه إلى يده ،
وملا برفقه ... وهو عيهم . ولا يحمل

بشيخ منهم وهو علم ، وأوقع برؤساء
وأرباب البيوت ، حتى اتصلت شفتهم عن
آخرهم ، وقدم الأمان في مناصبهم .

وكان يجمع قوتا حتى به مرة دوسطاريا
قوية وأرضا ، فبش من الأبناء ، وعندما
استد به الوجه ، وشرف على الملاك ،
استنى بحرة من وحده الكتاب كانوا في
حيته ، وفرا ، ثم في راحة ولما في لآلهم ...
كلا والله ! واستحضر الطاهر وآلات المذاب
وعندهم ، فصاروا بصرخون من المذاب ، وهو
يصرخ من لآلهم طول الليل إلى الصبح ، وبعد
ثلاثة أيام ركب .

وكان يقول كثيرا : لم يبق في قلبي حيرة
لا كون الياسي لم تفرغ شيتة على عباتي
— يسي المصلي المصل عند الرجيم الياسي
فنه مات قبل وراثته — وكان يرى اللون
تعود حيرة ، ومع ذلك فكان خلق الحيا ،
حو السان ، حسن الهمة . صاحب دهاء ،
مع هوج وبحث ، في شرف ورغوة معونة ،
وحتى لا تخو لره ، يشتم وبقن أنه لم يتم
فيعود .

وكان لا ينام عن عدوه ، ولا يقبل معذرة
أحد ، ويتخذ رؤساء كلهم عداءه ، ولا يرضى
لعدوه بدون الهلاك والاستئصال ، ولا يرجو
أحدا إذا اتهم منه ، ولا يبالى بعاقبه ، وكان
له وراثة كثة يرونها ، ويعملون بها كما يعمل
بأقوال الآية ، وهي : إذا كنت دقات فلا
تكن وتند ، وكان الواحد منهم يعيدها في
أيوم مرات ، ويجعلها حجة عند الله
وكان قد استولى على اثنتي عشرة مدينا ظاهرا
وباطنا ، ولا يمكن أحدا من الوصول إليه ...

حتى الطيب والعلج واتراض عليهم عيون
له ، لا يتكلم أحد منهم بغيره خوفا منه
وكان أكبر أغراضه اعدة ابن السوب ،
ومحو آثارهم ، وهدم ديارهم . تقرب
الأسقاط وشراء التقهاء . كان لا يأخذ من
مال السلطان فلما لا ألف دينار ، ويظهر
أمانة مفرمة ، فإذا لاح له مال عظم لحنجه
ويبلغ أقاله في السنة مائة ألف دينار وعشرين
ألف دينار .

وكان قد عسى ، فأخذ بشهر جلدا عظيما
وعلم استكانة ، إذا حضر إليه الأمراء
والأكابر ، وجلسوا على خوانه ، يقول قدموا
المون القلاني للأمير فلان . والصدر فلان ،
والقاضي فلان ، وهو يسي أمور . في مرة
مكان المشار إليه رموز ومعلمات يكثر فيها
دوائر الزمان .

وكان يشبه في ترسله بالقاضي العاضل ،
وفي محاضراته بالوزير عون الدين بن هبة
حتى أشهر عنه ذلك . ولم يكن فيه أهنة
هذا ، ولكنه كان من دهاة الرجال . وكان لما
لحق شخصا لا يقع له إلا بكثرة الغنى ونهاية
الرفعة ، وإذا غضب على أحد لا يقع في شأنه
إلا بسحو أثره من الوجود ، وكان كثيرا ما
يشد :

إذا حقرت امرأ فاحذر عداوته
من يزرع الشوك لم يحصد به عبا
ويشد كثيرا :

تود عدوى ثم تزعم أتى
صديقك أن الرأي عنك لمأزب

(٥) من ٢٧٢ ج ٤ ، طه بولاق -

وأخذ مرة مرض من حصى قوية ، وحدث
به النافض هو في مجلس السلطان بنفسه
الاشغال ، ما تأثر ، ولا أتى جنبه إلى الأرض
حتى ذهب هو كذلك .

كان شمر على الملوك الجبابة ، وتقف
الرؤساء على إبه من نصف الليل ومعهم
المشاعل والشمع . وعند الصباح يركب فلا
يراهم لا يرونه ، لأنه إذا أتى فمع رأسه إلى
الساه تما . وأما أن يروح إلى طريق غير التي
هم ما ، أما أن يأمر العاددة التي في كايه
بضرب الناس وطردهم من طرفه ، ويكون
الرحا قد وقف على إبه طول الليل ، أما من
أوله ، أو من نصفه ، بظلمته ودوابه ، فيطرد
عه ولا مرا .

وكان له يواب يأخذ من الناس مالا كثيرا ،
ومع ذلك يهينهم أهانة مفرمة ، وعليه للصاحب
في كل يوم حصة دنانير . وما دياران يرسم
اتقاء ، ثلاثة دنانير يرسم الحلوى وكسوة
غلبانه ، وثقافته عليه أيضا ، ومع ذلك اقتنى
عقارا وقرى

ولما كان بعد موت صاحب ، قدم من بغداد
رسول الخليفة الطاهر — وهو محيي الدين
أبو المطهر بن الحوزي — ومعه خلمة الخليفة
للملك الكامل ، وخلع لأولاده ، وخلعة
للمصاحب صفى الدين ، فلبسها فخر الدين
سليمان كاتب الأناش

وقبض الملك الكامل على أولاده تاج الدين
يوسف ، وعز الدين محمد ، وجيهما ، وأوقع
الحومة على سائر موجوده . رحمه الله وغفا
عنه .

المدرسة الشريفة

هذه المدرسة بدرب كركامة ، على رأس حارة الجودرية ، من القاهرة . وقفها الأمير الكبير الشريف فخر الدين أبو نصر اسماعيل ابن حصن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب ابن مسلم بن أبي جميل نحية بن جعفر بن موسى بن ابراهيم بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، الجعفرى الزينى ، أمير الحاج والزائر ، وأحد أمراء مصر فى الدولة الأيوبية ، وتمت فى سنة اثنتى عشرة وستائة ، وهى من مدارس الفقهاء الشافعية .

قال ابن عبد الظاهر : وجرى له فى وقفها حكاية مع الفقيه ضياء الدين بن الوراق . وذلك أن الملك العادل سيف الدين أبا بكر (يعنى ابن أيوب) لما ملك مصر — وكان قد دخلها على أنه نائب للملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف ، فقوى عليه ، وقصد الاستبداد بالملك — فأحضر الناس للحلف ، وكان من جملتهم الفقيه ضياء الدين بن الوراق ، فلما شرع الناس فى الحلف ، قال الفقيه ضياء الدين : ما هذا الحلف ؟ بالأمس حلفتكم للمنصور ، فإن كانت تلك الأيمان باطلة فهذه باطلة ، وإن كانت تلك صحيحة فهذه باطلة .

فقال صاحب صنم الدين بن شكر للعادل : أفسد عليك الأمور هذا الفقيه — وكان الفقيه لم يحضر الى ابن شكر ولا سلم عليه — فأمر العادل بالحوطة على جميع موجود الفقيه وماله وأملاكه ، واعتقاله

بالرصد مرصعا عليه فيه ، لأنه كان مسجده ، وقام مدة سنين على هذه الصورة .

فلما كان فى بعض الأيام وجد غرة من المرسين ، فحضر الى دار الوراة بالقاهرة . فبلغ العادل حضوره فخرج اليه ، فقال له الفقيه : اعلم والله أنى لا حاللتك ولا أبرأتك ، أنت تتقدمنى الى الله فى هذه المدة ، وأنا بعدك أطالبك بين يدي الله تعالى . وتركه وعاد الى مكانه .

فحضر الشريف فخر الدين بن ثعلب الى الملك العادل ، فوجده متألما حزينا ، فسأله ، فعرفه ، فقال : يامولانا ، ولم تجرد السم فى نفسك ؟

فقال : خذ كل ما وقعت الحوطة عليه ، وكل ما استخرج من أجرة أملاكه ، وطيب خاطره . وأما الفقيه ضياء الدين ، فانه أصبح ، وحضرت اليه جماعة من الطلبة * للقراءة عليه ، فقال لهم : رأيت البارحة النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول : يكون فرجك على يد رجل من أهل بيتى صحيح النسب .

فبينما هم فى الحديث ، وإذا بغبرة ثارت من جهة القرافة ، فأنكشفت عن الشريف بن ثعلب ، ومعه الموجود كله . فلما حضر عرفه الجماعة المنام ، فقال : ياسيدى اشهد على أن جميع ما أملكه وقف وصدقة ، شكرا لهذه الرؤيا .

وخرج عن كل ما يملكه ، وكان من جملة ذلك المدرسة الشريفة لأنها كانت مسكنه ، ووقف عليها أملاكه ، وكذلك فعل فى غيرها .

(*) من ٢٧٢ ج ٢ ، ط. بولاق .

ولم يحال الفقيه الملك العادل ، ومات الملك العادل بعد ذلك ، ومات الفقيه بعده بمدة ، ومات الشريف اسماعيل بن ثعلب بالقاهرة فى سابع عشر رجب سنة ثلاث عشرة وستائة .

المدرسة الصالحية

هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة . كان موضعها من جملة القصر الكبير الشرقى ، فبنى فيه الملك الصالح نجم الدين أيوب هاتين المدرستين ، فابتدأ بهدم موضع أيوب هاتين المدرستين ، فابتدأ بهدم موضع هذه المدارس فى قطعة من القصر ، فى ثالث عشر ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وستائة ، وذلك أساس المدارس فى رابع عشر ربيع الآخر سنة أربعين ، ورتب فيها دروسا أربعة للفقهاء المنتسبين الى المذاهب الأربعة فى سنة إحدى وأربعين وستائة . وهو أول من عمل بديار مصر دروسا أربعة فى مكان .

ودخل فى هذه المدارس باب القصر المعروف بباب الزهومة ، وموضع قاعة شيخ الحنابلة الآن ، ثم اختط ما وراء هذه المدارس فى سنة بضع وخمسين وستائة ، وجعل حكر ذلك للمدرسة الصالحية .

وأول من درس بها من الحنابلة قاضى القضاة شمس الدين أبو بكر محمد بن العماد ابراهيم ابن عبد الواحد بن علي بن سرور ، المقدسى الحنبلى الصالحى .

وفى يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وأربعين وستائة ، أقام الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى ، الأمير علاء الدين

أيديكن البندقدارى الصالحى فى ثيابة السلطنة بديار مصر فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية هذه مع نواب دار العدل ، واتصّب لكشف المظالم ، واستمر جلوسه بها مدة .

ثم إن الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس ، وقف الصاغة التى تجاهها ، وأماكن بالقاهرة وبمدينة المحلة الغربية ، وقطع أراضى جزائر بالأعمال الجيزية والأطفيحية ، على مدرسين أربعة ، عند كل مدرس معيدان وعدة طلبة ، وما يحتاج اليه من أئمة ومؤذنين وقومة وغير ذلك . وثبت وقف ذلك على يد قاضى القضاة تقي الدين محمد ابن الحسين بن رزين الشافعى ، وتقدّم قاضى القضاة شمس الدين أبو البركات محمد بن هبة الله بن شكر المالكي ، وذلك فى سنة سبع وسبعين وستائة ، وهى جارية فى وقفها الى اليوم .

فلما كان فى يوم الجمعة حادى عشرى ربيع الأول سنة ثلاثين وسبعمائة ، رتب الأمير جمال الدين أقوش — المعروف بنائب الكرك — جمال الدين الغزائى خطيبا بابوان الشافعية من هذه المدرسة ، وجعل له فى كل شهر خمسين درهما ، ووقف عليه وعلى مؤذنين وقفا جاريا ، فاستمرت الخطبة هناك الى يومنا هذا .

« قبة الصالح » : هذه القبة بجوار المدرسة الصالحية ، كان موضعها قاعة شيخ المالكية . ينتها عصمة الدين ، والددة خليل ، شجرة الدر لأجل مولاهما الملك الصالح نجم الدين أيوب عندما مات — وهو على مقابلة الفرنج بناحية المنصورة — فى ليلة النصف من شعبان سنة

سبح وأرسلين وسنائة . فكتبت ووجت
شجرة الدر موه خرقا من الفرنج ، ولم تعلم
بذلك أحدا سوى الأمير فخر الدين بن يوسف
ابن شيخ النيوخ ، والخوانسار جمال الدين
حسن قط ، فكتبا موه عن كل أحد .

وقيت أمور الدولة على حالها ، وشجرة
الدر تخرج الخبير والتواقيع والكتب ، وعليها
علامة يخط خدام يقال له سهيل ، فلا يشك
أحد في أنه خط السلطان . وأنشأت أن
السلطان مستر المرض ، ولا يمكن الوصول
إليه ، فلم يجبر أحد أن يتفوه بموت
السلطان ... إلى أن أهدت إلى حسن كينا ،
وأحضرت لملك المم توران شاه بن الصالح .

وأما الملك الصالح فإن شجرة الدر أحضرته
في حراقة من التصورة إلى قلعة الروضة ،
تجاه مدينة مصر ، من غير أن يشعر به أحد
إلا من أئسته على ذلك . فوضع في قاعة من
قاعات قلعة الروضة إلى يوم الجمعة السابع
والعشرين من شهر رجب سنة ثمان وأربعين
وسمائة ، فقتل إلى هذه القبة بعد ما كانت
شجرة الدر قد عثرتها على ما هي عليه .

وخلفت قسما من سلطنة مصر ، ونزلت
عنها لزوجها عز الدين أيك قبل قتلها ، فنقله
المعز أيك ، ونزل ومعه الملك الأشرف موسى
ابن الملك المسعود ، وسائر المماليك البحرية
والجندارية والأمراء ، من قلعة الجبل إلى قلعة
الروضة . وأخرج الملك الصالح في تابوت ،
وصلى عليه بعد صلاة الجمعة ، وسائر الأمراء
وأهل الدولة قد لبسوا البياض حزنا عليه ،

وقطع المماليك شعور رؤوسهم ، وساروا به
إلى هذه القبة ، فدفن ليلة السبت .

فأصبح السلطان ، ونزلا إلى القبة ، وحضر
الخدمة وسائر المماليك ، وأهل الدولة وكافة
الناس ، وغلفت الأسواق بالقاهرة ومصر ،
وعزل عزاء لملك الصالح بين القصرين
بالدفوف مدة ثلاثة أيام ، آخرها يوم الاثنين ،
ووضع عند القبر ساجق السلطان وبقيته
وتركانه وقومه ، ورتب عنده القراء على ما
شرعت شجرة الدر في كتاب وقتها ، وجعلت
النظر فيها للصاحب بهاء الدين علي بن خنسا
وذريته ، وهي يقدم إلى اليوم .

وما أحسن قول الأديب جمال الدين أبي
المعتر عبد الرحمن بن أبي سعيد محمد بن
محمد بن عمر بن أبي القاسم بن تخش
الواسطي - المعروف بابن الشيرة الشاعر -
لما مر هو والأمير نور الدين تكرت بالقاهرة
بين القصرين ، ونظر إلى تربة الملك الصالح
هذه وقد دفن بقاعة شيخ المالكية ، فأنشد :

بيت لأرباب العلوم مدارس
لتجو بها من هول يوم الممالك

وغاشت عليك الأرض لم تلق منزلا
تحل به إلا إلى جنب مالك

وذلك أن هذه القبة التي فيها قبر الملك
الصالح ، مجاورة لايوان الفقهاء المالكية
المتين إلى الإمام مالك بن أنس رضي الله
عنه ، بقصد التورية بمالك الإمام المشهور ،
ومالك خازن النار . أعاذنا الله منها .

(١٥) من ٢٧٤ ج ١ ، ط. بيروت .

المدرسة الكاملية

هذه المدرسة بخطط بين القصرين من
القاهرة ، وتعرف بدار الحديث الكاملية ،
أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين
محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن
شادي بن مروان ، في سنة اثنين وعشرين
وسمائة ، وهي ثاني دار علم للحديث .

فإن أول من بنى دارا على وجه الأرض الملك
العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق .
ثم بنى الكامل هذه الدار ، ووقفها على
المشتغلين بالحديث النبوي ، ثم من بعدهم
على الفقهاء الشافعية ، ووقف عليها الربيع الذي
يجوارها على باب الحرنشيف ، ويمتد إلى
الدرب المقابل للجامع الأقمر

وهذا الربيع من انشاء الملك الكامل ، وكان
موضعه من جملة القصر الغربي ، ثم صار
موضعا يسكنه القضاة . وكان موضع
المدرسة سوقا للرقيق ، ودارا تعرف بابن
كستول

وأول من ولى تدرس الكاملية : الحافظ
أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن حية ،
ثم أخوه أبو عمر عثمان بن الحسن بن علي
ابن حية ، ثم الحافظ عبد العظيم المنذرى ،
ثم الرشيد العطار

وما برحت يد أعيان الفقهاء . إلى أن
كانت الحوادث والمحن مدة ست وثمانمائة
قتلاشت كما ثلاثي غيرها ، وولى تدرسها
صبي لا يشارك الأناسي إلا بالصورة ، ولا
يمتاز عن البهيمة إلا بالنطق ، واستمر فيها

دهرا لا يدرس بها ، حتى نسيت أو كادت
تسى دروسها . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

« الملك الكامل » ناصر الدين أبو المعالي
محمد ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر
محمد بن نجم الدين أيوب بن شادي بن
مروان الكردي الأيوبي ، خامس ملوك بني
أيوب الأكراد بديار مصر ، ولد في خامس
عشر ربيع الأول سنة ست وسبعين
وخمسمائة ، وخلف أباه الملك العادل على بلاد
الشرق .

فلما استولى على مملكة مصر ، قدم الملك
الكامل إلى القاهرة في سنة ست وتسعين
وخمسمائة ، ونصبه أبوه نائباً عنه بديار
مصر ، وأقطعته الشرقية ، وجعله ولي عهد ،
وحلف له الأمراء ، وأسكنه قلعة الجبل ،
وسكن العادل في دار الوزارة بالقاهرة ،
وصار يحكم بديار مصر مدة غيبة الملك العادل
ببلاد الشام وغيرها بمفرده .

فلما مات الملك العادل ببلاد الشام ، استقل
الملك الكامل بمملكة مصر في جمادى الآخرة
سنة خمس عشرة وسمائة ، وهو على محاربة
الفرنج بالمنزلة العادلة قريبا من دمياط ، وقد
ملكوا البر الغربي ، فثبت لقتالهم مع ما حدث
من الوهن بموت السلطان .

وثارت العربان بنواحي أرض مصر ، وكثر
خلافهم ، واشتد ضررهم . وقام الأمير عماد
الدين أحمد ابن الأمير سيف الدين أبي
الحسين علي بن أحمد الهكاري ، المعروف
بابن المشطوب - وكان أجل الأمراء الأكابر ،
وله لقيف من الأكراد الهكارية - يريد خلق

الملك الكامل ، وتليك أخيه الملك الفائز
إبراهيم بن العادل ، ووافقه على ذلك كثير من
الأمراء .

فلم يجد الكامل بدا من الرحيل في الليل
بجريدة ، وسار من العادلية الى أشموم طاح
وؤل بها ، وأصبح العسكر بغير سلطان .
فركب كل واحد هواه ، ولم يرج واحد منهم
على آخر ، وتركوا ألقاهم وسائر ما معهم .
فاغتم الفرنج القرصة ، وعبروا الى بر دمياط ،
واستولوا على جميع ما تركه المسلمون ، وكان
شيئا عظيما .

وهم الملك الكامل بفارقة أرض مصر ، ثم
إن الله تعالى ثبته ، وتلاحقت به العساكر ، وبعد
يومين قدم عليه أخوه الملك المعظم عيسى
صاحب دمشق بأشموم فاشتد عضده بأخيه ،
وأخرج ابن المشطوب من العسكر الى الشام ،
ثم أخرج الفائز إبراهيم الى الملوك الأيوبيين
بالشام والشرق يستغفرهم . لجهاد الفرنج .

وكتب الملك الكامل الى أخيه الملك الأشرف
موسى شاه يستحثه على الحضور ، وصدر
المكاتبة بهذه الآيات :

يا معدي ان كنت حقا مسعيا
فانهض بغير تلبث وتوقف
ولحث قلوبك مرقلا أو موجفا
بتجشم في سيرها وتعصف
واطو المنازل ما استطعت ولا تنخ
الا على باب الملك الأشرف
واقر السلام عليه من عبد له
متوقع لقدمه متصرف

(*) مره ٢٧ ج ٢ ، ط. بولاق .

واذا وصلت الى حصاه فقل له
عنى بحسن توصل وتلطف
ان فات عبدك عن قليل تلقه
ما بين كل مهتد ومثقف
أو تبط عن نجاده فلقاؤه
بك في القيامة في حراص الموقف

وجدت الكامل في قتال الفرنج ، وأمر بالنفير
في ديار مصر ، وأتته الملوك من الأطراف .
فقدر الله أخذ الفرنج لدمياط ، بعدما حاصروها
سنة عشر شهرا وأثنين وعشرين يوما ،
ووضعوا السيف في أهلها . فرحل الكامل من
أشموم ، وؤل بالمنصورة ، وبعث يستغفر
الناس ، وقوى الفرنج حتى بلغت عدتهم نحو
المائتي ألف راجل وعشرة آلاف فارس .

وقدم عامة أهل أرض مصر ، وأتت التجديدات
من البلاد النامية وغيرها فصار المسلمون
في جمع عظيم الى العاية ، بلغت عدة فرسانهم
خاصة نحو الأربعين ألفا . وكانت بين
الفرقتين خطوب آلت الى وقسوع الصلح ،
وتسلم المسلمون مدينة دمياط في تاسع عشر
رجب سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، بعدما أقامت
يد الفرنج سنة وأحد عشر شهرا تنقص ستة
أيام ، وسار الفرنج الى بلادهم .

وعاد السلطان الى قلعة الجبل ، وأخرج كثيرا
من الأمراء الذين وافقوا ابن المشطوب من
القاهرة الى الشام ، وفرق أخبازهم على
مسايلكه . ثم تخوف من أمرائه في سنة إحدى
وعشرين بسيلهم الى أخيه الملك المعظم ، فقبض
على جماعة منهم ، وكتب أخاه الملك الأشرف
في موافقته على المعظم . فقويت الوحشة بين

الكامل والمعظم ، واشتد خوف الكامل من
عسكره ، وهم أن يخرج من القاهرة لقتال
المعظم ، فلم يحصر على ذلك .

وقدم الأشرف الى القاهرة ، فسر بذلك
سرورا كثيرا ، وتحالفا على المعاودة ،
وسافر من القاهرة فسال مع المعظم فتحير
الكامل في أمره ، وبعث الى ملك الفرنج
يستدعيه الى عكا ، ووعدته بأن يمكنه من بلاد
الساحل ، وقصد بذلك أن يشغل سر أخيه
المعظم فلما بلغ ذلك المعظم خطب للسلطان
جلال الدين الخوارزمي ، وبعث يستنجد به
على الكامل ، وأبطل الحطة للكامل .

فخرج الكامل من القاهرة يريد محاربته في
رمضان سنة أربع وعشرين ، وسار الى
العباسة ، ثم عاد الى قلعة الجبل ، وقضى
على عدة من الأمراء ومسايلكه أيه لمكانتهم
المعظم ، وأتفق في العسكر . فاتفق موت الملك
المعظم في سلخ ذي القعدة ، وقيام ابنه الملك
الناصر داود بسلطنة دمشق ، وطله من الكامل
الموادعة ، فبعث اليه خلفة سنة وسبعمائة
سلطانيا ، وطلب منه أن ينزل له عن قلعة
الشوبك ، فامتنع الناصر من ذلك ، فوقعت
المنافرة بينهما

وعهد الملك الكامل الى ابنه الملك الصالح
نجم الدين أيوب ، وأركبه بشعار السلطنة ،
وأزله بدار الوزارة ، وخرج من القاهرة في
العساكر يريد دمشق ، فأخذ نابلس والقدس .
فخرج الناصر داود من دمشق ومعه عيه
الأشرف ، وسارا الى الكامل يطلبان منه
الصلح .

فلما بلغ ذلك الكامل رحل من نابلس يريد
القاهرة ، فقدمها الناصر والأشرف ، وأقام بها
الناصر ، وسار الأشرف والمجاهد الى الكامل ،
فأدركاه بشل المعجوز ، فأكرمهما وقرر مع
الأشرف اتزاع دمشق من الناصر واعطاءها
للأشرف ، على أن يكون للكامل ما بين عقبة
أفيق الى القاهرة ، وللأشرف من دمشق الى
عقبة أفيق ، وأن يعين بجماعة من ملوك بني
أيوب .

فاتفق قدوم الملك الانبرطور الى عكا
باستدعاء الملك الكامل له ، فتحير الكامل في
أمره لعجزه عن محاربته ، أخذ يلاطفه .
وشرع الفرنج في عبارة صيدا - وكانت
مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها
خراب - فلما بلغ الناصر موافقة الأشرف
للكامل ، عاد من نابلس الى دمشق ، واستعد
للحرب . فسار اليه الأشرف من تل المعجوز ،
وحاصره بدمشق .

وأقام الكامل تل المعجوز ، وقد تورط مع
الفرنج ، فلم يجد بدا من اعطائهم القدس ،
على ألا يجدد سوره ، وأن تبقى الصخرة
والأقصى مع المسلمين ، ويكون حكم قرى
القدس الى المسلمين ، وأن القرى التي فيما
بين عكا وبافا وبين لد والقدس للفرنج .
وانعقدت الهدنة على ذلك لمدة عشر سنين
 وخمسة أشهر وأربعين يوما ، أولها ثامن ربيع
الأول سنة ست وعشرين .

ونودي . في القدس بخروج المسلمين
منه ، وتسليمه الى الفرنج . فكان أمرا مهولا
من شدة البكاء والصراخ ، وخرجوا بأجمعهم

(*) مره ٢٧ ج ٢ ، ط. بولاق .

فصاروا الى مخيم الكامل ، واذنوا على بابه في غير وقت الأذان . فشق عليه ذلك ، وأخذ منهم المستور وقناديل الفضة والآلات وزجرهم ، وقيل لهم امضوا حيث شئتم . فعظم على المسلمين هذا ، وكثر الانكار على الملك الكامل ، وشنت المقالة فيه .

وعاد الانبرطور الى بلاده بعدما دخل القدس ، وكان مسيره في آخر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين . وسير الكامل الى الآفاق بتسكين قلوب المسلمين وانزعاجهم لأخذ القلج القدس ، ورحل من تل المعجوز يريد دمشق ، والأشرف على محاصرتها ، فجد في القتال .

واشتد الأمر على الناصر الى أن ترامى في الليل على الملك الكامل ، فأكرمه وأعاده الى قلعة دمشق ، وبعث من تسلمها منه ، وعوضه عن دمشق الكرك والشوبك والصلت والبلقاء والأغوار ونابلس وأعمال القدس ، ثم ترك الشوبك للكامل مع عدة مما ذكر .

وتسلم الكامل دمشق في أول شعبان ، وأعطاهم للأشرف ، وأخذ منه ما معه من بلاد الشرق ، وهى حران والرها وسروج وغير ذلك . ثم سار الكامل ، فأخذ حصاه ، وتوجه منها فقطع القرات ، ثم سار الى جعبر والركة ، ودخل حران والرها ، ورتب أمورها ، وأتته الرسل من ماردین وآمد والموصل وأربل وغير ذلك ، وأقيمت له الخطبة بساردين ، وبعث يستدعى عساكر الشام لقتال الخوارزمي وهو بخلاط .

ثم رحل الكامل من حران لأمور حدثت ، وسار الى مصر . فدخلها في شهر رجب سنة

سبع وعشرين ، وقد تغير على ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وخلعه من ولاية العهد ، وعهد الى ابنه الملك العادل أبي بكر ، ثم سار الى الاسكندرية في سنة ثمان وعشرين ، ثم عاد الى مصر ، وحفر بحر النيل فيما بين المقياس وبر مصر ، وعمل فيه بنفسه ، واستعمل فيه الملوك من أهله والأمراء والجند . فصار الماء دائما فيما بين مصر والمقياس ، وانكشف البر فيما بين المقياس والجيزة في أيام احتراق النيل .

• وخرج من القاهرة الى بلاد الشام ، في آخر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ، واستخلف على ديار مصر ابنه العادل ، وأسكنه قلعة الجبل ، وأخذ الصالح معه . فدخل دمشق من طريق الكرك ، وخرج منها لقتال التتر ، وجعل ابنه الصالح على مقدمته ، فسار الى حران ، فرحل التتر عن خلط ، ثم رحل الى الرها ، وسار الى آمد ونازلها حتى أخذها ، وأنعم على ابنه الصالح بحصن كينا وبمشيه اليه ، وعاد الى مصر في سنة ثلاثين ، فقبض على عدة من الأمراء .

ثم خرج في سنة احدى وثلاثين الى دمشق ، وسار منها ودخل الدربند ، وقد أعجبه كثرة عساكره ، فانه اجتمع معه ثمانية عشر ملبا لثمانية عشر ملكا ، وقال : هذه العساكر لم تجتمع لأحد من ملوك الاسلام ، ونزل على النهر الأزرق بأول بلد الروم ، وقد نزلت عساكر الروم ، وأخذت عليه رأس الدربند ومنعوه ، فتحير لقلعة الأقوات عنده ، ولاختلاف ملوك بني أيوب عليه ، ورحل الى مصر وقد فسد ما بينه وبين الأشرف وغيره .

وأخذ ملك الروم الرها وحران بالسيف . فتجهز الكامل وخرج بمساكره من القاهرة في سنة ثلاث وثلاثين ، وسار الى الرها ، ودار لها حتى أخذها وهدم قلعتها ، وأخذ حران بعد قتال شديد ، وبعث سن كان فيها من الروم الى القاهرة في القيود — وكانوا زيادة على ثلاثة آلاف نفس — ثم خرج الى سر ، وعاد الى دمشق ، وسار منها الى القاهرة ، فدخلها في سنة أربع وثلاثين .

ثم خرج في سنة خمس وثلاثين ، ونزل على دمشق وقد امتنعت عليه ، فصايقها حتى أخذها من أخيه الملك الصالح اسماعيل ، وعوضه عنها بعلبك وبصرى وغيرها في تاسع عشر جمادى الأولى ، ونزل بالقلعة ، وأخذ يتجهز لأخذ حلب .

وقد نزل به زكام ، فدخل في ابتداء الحمام ، فاندفعت المواد الى معدته فتورم ، وثلوت فيه حصى ، فنهأ الأطباء عن القى ، وحذروه منه ، فلم يصبر وتقبأ ، فمات لوقته في آخر نهار الأربعاء حادى عشرى رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة عن ستين سنة . منها ملكه أرض مصر نحو أربعين سنة ، استبد فيها بعد موت أبيه مدة عشرين سنة وخمسة وأربعين يوما .

وكان يحب العلم أهله ، ويؤثر مجالستهم ، وشغف بسماع الحدب النوى وحدث ، وبني دار الحديث الكاملة بالقاهرة . وكان شاطر العلماء ، ويسألهم بمسائل غريبة من فقه ونحو ، فمن أجاب عنها حظى عنده . وكان يبيت عنده بقلعة الجبل عدة من أهل العلم ، على أسرة بجانب سريره ، ليسامروه . وكان

للعلم والأدب عنده نفاق ، فقصدته الناس لذلك ، وصار يطلق الأرزاق الدارة لمن يقصده لهذا .

وكان مهيا حازما ، شديد الرأي ، حسن التدبير ، غفيا عن الدماء . وكان يباشر أمور مملكته بنفسه ، من غير اعتماد على وزير ولا غيره ، ولم يستوزر بعد صاحب صنى الدين عبد الله بن على بن شكر أحدا ، وانما كان ينتدب من يختاره لتدبير الأشغال ، ويحضر عنده الدواوين ، ويحاسبهم بنفسه .

واذا ابتدأت زيادة النيل خرج ، وكشف الجور ، ورتب الأمراء لعملها . فاذا انتهى عمل الجور خرج ثانيا ، وتفقدتها بنفسه ، فان وقف فيها على خلل عاقب متوليها أسد العقوبة . فعمرت أرض مصر في أيامه عمارة جيدة

وكان يخرج من زكوات الأموات التى تجبى من الناس سهمى الفقراء والمساكين ، ويعين مصرف ذلك لمستحققيه شرعا ، ويفرز منه معاليم الفقهاء والصلحاء . وكان يجلس كل ليلة جمعة مجلسا لأهل العلم ، فيجتمعون عنده للمناظرة . وكان كثير السياسة ، حسن المداراة ، وأقام على كل طريق خفراء لحفظ المسافرين . الا أنه كان مغرما بجمع المال ، مجتهدا في تحصيله ، وأحدث في البلاد حوادث سماها « الحقوق » لم تعرف قبله .

ومن شعره قوله ، رحمه الله تعالى :

إذا تحققت ما عند صاحبكم
من الغرام فذاك القدر يكفيه

أتم سكتكم قوادى وهو منزلكم
وصاحب البيت أدري بالذى فيه

وقال له الطبيب علم الدين أبو النصر
يرجس بن أبي حليقة ، فى اليوم الذى مات
فيه ، كيف نوم السلطان فى ليلته ؟ فأشده

ياخلى خبرانى بصدق
كيف طعم الكرى فالى نيت

ودفن أولا بقلعة دمشق ، ثم نقل الى بجوار
جامع بنى أمية ، وقبره هناك . رحمه الله
تعالى .

المدرسة الصيرمية

هذه المدرسة من داخل باب الجملون
الصغير ، بالقرب من رأس سوقة أمير
الجوش ، فيما بينها وبين الجامع الحاكمى
بجوار الزيادة . بناها الأمير جمال الدين شويخ
ابن صيرم ، أحد أمراء الملك الكامل محمد
ابن أبى بكر بن أيوب ، وتوفى فى تاسع عشر
صفر سنة ست وثلاثين وستائة .

المدرسة السرورية

هذه المدرسة بالقاهرة داخل درب شمس
الدولة . كانت دار شمس الخواص مرور ،
أحد خدام القصر ، فجعلت مدرسة بعد وفاته
بوصيته ، وأن يوقف الفندق الصغير عليها .
وكان بناؤها من ثمن ضيعة بالشام كان بيده
بيعت بعد موته ، وتولى ذلك القاضى كمال
الدين خضر ، ودرس فيها .

وكان مرور من اختص بالسلطان صلاح
الدين يوسف بن أيوب ، فقدمه على حلقته ،
ولم يزل مقبلا الى الأيام الكاملية ، فانقطع
الى الله تعالى ، ولزم داره الى أن مات ، ودفن
بالقرافة الى بجانب مسجده . وكان له بر
واحسان ومعروف ، ومن آثاره بالقاهرة فندق
يعرف اليوم بخان مرور الصفدى ، وله ربيع
بالشارع .

المدرسة القوصية

هذه المدرسة بالقاهرة ، فى درب سيف
الدولة ، بالقرب من درب ملوخيا . أنشأها
الأمير الكردي والى قوص .

مدرسة بخارة الديلم

... ..

المدرسة الظاهرية

هذه المدرسة بالقاهرة من جملة خط بين
القصرين . كان موضعها من القصر الكبير
يعرف بقاعة الخيم ، وقد تقدم ذكرها فى
أخبار القصر . ومما دخل فى هذه المدرسة
باب الذهب المذكور فى أبواب القصر .

فلما أوقع الملك الظاهر بيبرس البندقدارى
الحومة على القصور والمناظر - كما تقدم
ذكره - نزل القاضى كمال الدين طاهر ابن
الفتية نصر وكيل بيت المال ، وقوم قاعة الخيم
هذه ، وابتاعها الشيخ شمس الدين محمد بن
العماد ابراهيم المقدسى ، شيخ الحنابلة ومدرس

المدرسة الصالحة النحمة ، ثم باعها المذكور
للسلطان ، فأمر بهدمها وبناء موضعها مدرسة .

فابتدىء بمسارها ، نالى ربيع الآخر سنة
ستين وستائة ، وفرغ منها فى سنة اثنتين
وستين وستائة . ولم يبق الشرع فى سائها
حتى رتب السلطان وقفها - وكان بالشام -
فكتب بها ربه الى الأمير جمال الدين بن
يعفور ، ألا يعمل فيها أحدا غير
أجرة ، ولا ينقص من أجرته شيئا .

فلما كان ربيع الأول سنة ثمان
وستين وستائة ، اجتمع أهل العلم بها
- وقد فرغ منها - وحضر القراء ، وجلس
أهل الدروس كلمة طائفة فى إيران ، منها
الشافعية بالايوان القبلية ، ومدرسهم الشيخ
تقى الدين محمد بن الحسن بن رزين
الحموى . والحنفية بالايوان البحرى ،
ومدرسهم الصدر مجد الدين عبد الرحمن بن
الصاحب كمال الدين عمر بن العدم الحلبي
وأهل الحديث بالايوان الشرقى ، ومدرسهم
الشيخ شرف الدين عبيد المؤمن بن خلف
الدمياطى . والقراء بالقراءات السبع بالايوان
العربى ، وشيخهم الفقيه كمال الدين المحلى
وقرروا كلهم الدروس ، وتناظروا فى علومهم ،
ثم مدت الأسطة لهم فاكلوا ، وقام الأديب
أبو الحسين الجزار فأشده

ألا هكذا يبنى المدارس من بنى

ومن يتعالى فى الثواب وفى الشا

لقد ظهرت للظاهر الملك همة

بها اليوم فى الدارين قد بلغ المنا

(*) مر ٢٧٨ ج ٢ ، ط ١ بولاق .

تجمع فيها كل حسن مفروق
فراقت قلوبا للأنام أعينا

ومذ جاورت قبر الشهيد فتصه الـ
فيسة منها فى سرور وفى هنا

وما هى الا لجنة الخلد أزلت
له فى غدا فاختار تعجيلها هنا

وقال السراج الوراق أيضا قصيدة منها :

ملك له فى العلم حب وأهله
فله حب لى فيه ملام

فشيدها للعلم مدرسة غدا
عراق إليها شين وشام

ولا تذكرن يوما نظامية لها
فلس تضاهى ذا النظام نظام

ولا تذكرن ملكا فيبرس مالك
وكل ملك فى يديه غلام

ولما بناها زعزت كل بعة
متى لاح صبح فاستقر غلام

وقد برزت كالروض فى الحن أبلات
بأن يديه فى النوال غمام

ألم تر محرابا كان أزاهرا
تفتح عنهن الغداة كمام

وقال الشيخ جمال الدين يوسف بن
الخشاب .

قصد الملوك حماك والخلفاء

فأفخر فان محلك الجبوزاء

أنت الذى أمراؤه بين الورى

مثل الملوك وجنده أمراء

ملك كبرت المالك باسمه
ونحلت بدعته القضاء

وترفت لعله خير مدارس
حلت ما حله القضاء

ينقى كما ينقى الزمان وملكه
باق له ولعاصده فاه

كم للفرج والتسار يساه
رسل ماها القفر والاعفاء

وطريقه لبلادهم موطوءة
وطريقهم لبلاد عفره

نامت له الدنيا ودام مخلدا
ما قبل الاصباح والامساء

فلما فرغ هؤلاء الثلاثة من انشادهم ،
أقيمت عليهم الطع . وكان يوما مشهورا .

وجعل بها خزانة كتب تشل على امهات
الكتب فى سائر العلوم ، وبسبب بجانها مكبا
لتعليم ايتام المسلمين كتاب الله تعالى . واجرى
لهم الجرايات والكسوة ، وأوقف عليها ربح
السلطان خارج باب زويلة ، فيما بين باب
زويلة وباب القرج ، ويعرف ذلك الخط اليوم
به ، فيقال خط تحت الرجب

وكان ريعا كبيرا لكنه خرب منه عدة دور
فلم تضر . وتحت هذا الرجب عدة حوانيت هي
الآن من أجل الأسواق ، والماس فى سكناها
رغبة عظيمة ، ويتافسون فيها تافسا يرتفعون
فيه الى الحكام .

وهذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة ،
الا أنها قد تقدم عهدا فرئت ، وبها الى الآن

بقية مائة ، ونظرها تارة يكون يد العنفة ،
راجيا يد الشالمة ، راسخ فى نظرها أولاد
القاهر فيلقون به . فحاشا للأمور

المدرسة للنسورية

هذه المدرسة من داخل باب المارستان
الكبير المنصوري بخط يسر القصرين
بالقاهرة . أنشأها هي والقبه . التى تجاهها
والمارستان للملك المنصور قلاوون التى
الصالحى ، على يد الأمر علم الدين سنجر
الشجاعى ، ورتب بها دروسا أربعة لطوائف
العلماء الأربعة ، ودرا للطب ، ورتب بالقبة
درا للحديث النبوى ، ودرا لتفسير القرآن
الكریم ومبادئ . وكانت هذه المدارس لا
يلها الا أجل العلماء المعتبرين ، ثم هي اليوم
كما قبل .

تصدر للتدريس كل مهوس
يد يسر بالقبة المدرس

فحق لأهل العلم أن يتصلوا
بيت قدم شاع فى كل مجلس

لقد هزلت حتى بدا . هزالها
كلها وحى سامها كل مفلس

« القبة المنصورية » هذه القبة تجاء
المدرسة المنصورية ، وهما جسعا من داخل باب
المارستان المنصوري ، وهى من أعظم المباني
الملوكية وأجلها قدرا . وبها قر تفسر الملك
المنصور سيف الدر قلاوون ، رائه الملك
الناصر محمد بن قلاوون ، الملك الصالح عباد
الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون .

وبها قاعة جليلة فى وسطها فسحة يصل اليها
الماء من فوارة بديمة الزى ، وسائر هذه القاعة
مفروشة بالرخام الملون . وهذه القاعة معدة
لاقامة الخدام الملوكية ، الذين يعرفون اليوم
فى الدولة التركية بالطوائف : واحدهم
« طوائى » ، وهذه لفظة تركية اصلها بلغتهم
« طابوشى » ، فتلاعت بها العامة وقالت :
طوائى ، وهو الخصى .

ولهؤلاء الخدام فى كل يوم ما يكفيهم
من الخبز النقى واللحم المطبوخ ، وفى كل
شهر من المعاليم الواقعة ما فيه غنية لهم .
وأدركتهم ولهم حرمة وافرة ، وكلية نافذة ،
وجانب مرعى ، وبعد شيخهم من أعيان الناس
يجلس على مرتبة ، وبقيّة الخدام فى مجالسهم
لا يزرعون فى عبادة .

وكان يستقر فى وظائف هذه الخدمة اكابر
خدام السلطان ، ويقسمون عنهم نوابا يواظبون
الاقامة بالقبة ، ويرون - مع سعة أحوالهم ،
وكثرة أموالهم - من تمام فخرهم وكمال
سيادتهم ، اتساعهم الى خدمة القبة المنصورية ،
ثم تلاشى الحال بالنسبة الى ما كان ، والخدام
بهذه القاعة الى اليوم .

وقصد الملوك باقامة الخدام فى هذه القاعة ،
التى يتوصل الى القبة منها ، اقامة قاموس
الملك بعد الموت كما كان فى مدة الحياة ،
وهم الى اليوم لا يسكنون أحدا من الدخول
الى القبة الا من كان من أهلها .

وفى در يحيى بن حكم البكرى الجياني
المغربى - الملقب بالفزال لجماله - حيث
يقول :

أرى أهل الثراء اذا توفوا
بنوا تلك المقابر بالصخور

أبوا الا مياها وتيسها
على الفقراء حتى فى القبور

وفى هذه القبة دروس للفقهاء على المذاهب
الأربعة ، وتعرف بدروس وقف الصالح .
وذلك أن الملك الصالح عباد الدين اسماعيل
ابن محمد بن قلاوون ، قصد عبارة مدرسة ،
فاخترته النية دون بلوغ غرضه . فقام
الأمير أرغون العلاني ، زوج أمه ، فى وقف
قربة ، تعرف بدمشقا الحسام من الأعمال
الشرقية ، عن أم الملك الصالح . فأثبت بطريق
الوكالة عنها ، ورتب ما كان الملك الصالح
اسماعيل قرره فى حياته لو أنشأ مدرسة ،
وجعل ذلك الأمير أرغون مرتبا لمن يقوم به
فى القبة المنصورية . وهو وقف جليل يتحصل
منه فى كل سنة نحو الأربعة آلاف دينار
ذهبا .

ثم لما كانت الحوادث ، وخربت الناحية
المذكورة ، تلاشى أمر وقف الصالح ، وفيه
الى اليوم بقية . وكان لا يلى تدريس دروسه
الا قضاة القضاة ، فولى الآن الصيان ، ومن
لا يؤهل - لو كان الانصاف - له .

وفى هذه القبة أيضا قراء يتأوبون القراءة
بالشبايك المطلة على الشارع طول الليل
والنهار ، وهم من جهة ثلاثة أوقاف : فطائفة
من جهة وقف الملك الصالح اسماعيل ، وطائفة
من جهة الوقف السيفى ، وهو منسوب الى
الملك المنصور سيف الدين أبى بكر ابن الملك
الناصر محمد بن قلاوون .

وهذه القبة امام راتب يصلى بالخدام
والقراء وغيرهم الصلوات الخمس ، وفتح له
باب فيما بين القبة والحرب يدخل منه من
يصلى من الناس ، ثم يلقى بعد انقضاء
الصلاة .

وهذه القبة خزائن جليلة . كان فيها عدة
احمال من الكتب فى انواع العلوم ، وما وقته
الملك المنصور وغيره ، وقد ذهب معظم هذه
الكتب ، وتفرق فى ايدي الناس .

وفى هذه القبة خزائن بها ثياب المنصورين
بها ، ولهم فرائش معلوم بمعلوم كتمسكهم ،
يروض ما يتحصل من مال اوقاف المارستان
بهذه القبة تحت ايدي الخدام

وكانت العادة انه اذا امر السلطان احدا
من امرائه مصر والشام ، فانه ينزل من قلعة
الجبل وعليه الشرف والشرى ، وتوقد له
القاهرة ، فيمر الى المدرسة الصالحية بين
القصيرين ، وعمل ذلك من عهد سلطنة المعز
ايك ومن بعده . فنقل ذلك الى القبة
للمنصورة ، وصار الأمير يحلف عند التبر
للمذكور . وحضر تحليفه صاحب الحجاب ،
وتد أسطة جليلة بهذه القبة ، ثم يتصرف
الأمير ، ويجلس له فى طول شارع القاهرة
الى القلعة أهل الأغاني لتزفه فى زووله
وصنوده . وكان هذا من جملة منزهات
القاهرة ، وقد بطل ذلك منذ اقضت دولة
بنى قلاوون .

ومن جملة اخبار هذه القبة انه لما كان فى
يوم الخميس مستهل المحرم سنة تسعين

(٢٤) من ٢٨٥٠ ج ٢ طه بولاق .

وستأله ، بعث الملك الأشرف صلاح الدين
خليل بن قلاوون بجملة مال تعلق به فى
هذه القبة ، ثم أمر بنقل آية من القلعة

فخرج سائر الأمراء ، وذهب السلطة الأمير
بيدرا بدر الدين ، والوزير صاحب شمس
الدين محمد بن السلموس التوخى وحضروا
بعد صلاة العشاء الأخيرة ، ومشوا فاجتمعهم
قدام تابوت الملك المنصور الى الجامع
الأزهر ، وحضر فيه القضاة ومشايخ الصوفية .
فتقدم قاضى القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ،
وصلى على الحازة ، وخرج الجميع امامها
الى إمامة المنصورة حتى دفن فيها ، وذلك فى
ليلة الجمعة ثنى المحرم ، وقبل عاشره

ثم عاد الوزير والنائب من الدهليز خارج
القاهرة الى القبة المنصورة ، لعمل مجتمع
بسبب قراءة ختم كريمة ، فى ليلة الجمعة
ثامن عشرى صفر منها ، وحضر المشايخ
والقراء والقضاة فى جمع موفور ، وفرق فى
القرءاء صدقات جزيلة ، وملئت أسطة كثيرة ،
وتفرقت الناس أطعمتها حتى امتلأت الأبدى
بها ، وكانت إحدى الليالى الغرى ، كثر الدعاء
فيها للسلطان وعساكر الاسلام بالصبر على
أعداء الله ، وحضر الملك الأشرف بكرة يوم
الجمعة الى القبة المنصورة ، وفرق مالا كثيرا .

وكان الملك الأشرف قد يرز يريد المسير
لجهاد الفرنج ، وأخذ مدينة عكا ، فسار
لذلك ، وعاد فى العشرين من شعبان - وقد
فتح الله له مدينة عكا عنوة بالسيف ، وخرب
أسوارها - وكان عبوره الى القاهرة من باب
النصر ، وقد زينت القاهرة زينة عظيمة .

فعندما حاذى باب المارستان ، نزل الى القبة
المنصورة ، وقد غصت بالقضاة والأعيان
والقراء والمشايع والفقهاء ، فتلقوه كلهم
بالدعاء حتى جلس . فأخذ اقراء فى القراءة ،
وقام نجم الدين محمد بن فتح الدين محمد بن
عبد الله بن مهمل بن غياث بن صر - المعروف
بابن العبرى الواعظ - وصعد منبرا نصب
له ، فجلس عليه ، وافتح يشد قصيدة تشمل
على ذكر الجهاد وما فيه من الأجر ، فلم سعد
فيها بحظ ، وذلك انه افتتحها بقوله .

زور والديك وقف على قبرهما

فكأننى لك قد قلب اليهما
فعندما سمع الأشرف هذا لبيب تطير منه ،
ونفض قائما وهو سب الأمير بيدرا نائب
السلطنة لشدة حنقه ، وقال . ما وجد هذا
شيئا يقوله سوى هذا البيت ا

فأخذ بيدرا فى تسكين حنقه ، والاعتذار
له عن ابن العبرى بأنه قد افرد فى هذا
الوقت بحسن الوعظ ، ولا نظير له فيه ، الا
انه لم يرزق سعادة فى هذا الوق . فلم يصنع
السلطان الى قوله وسار ، فاقض المجلس على
غير شيء ، وصعد السلطان الى قلعة الجبل .

ثم بعد أيام سأل السلطان عن وقف
المارستان ، وأجب أن يجدد له وقفا من ملاد
عكا التى افتتحها بسيفه ، فاستدعى القضاة ،
وشاورهم فيما هم به من ذلك . فرغبوه فيه ،
وحثوه على المبادرة اليه .

فعين أربع ضياع من ضياع عكا وصور
ليققها على مصالح المدرسة والقبة المنصورة ،
ما تحتاج اليه من ثمن زيت وشمع ومصاييح

وبسط ولفة الساقية ، وعلى خمسين مغرنا
يرتبون لقراءه القرآن الكريم بالقبة ، وامام
راتب يصلى بالناس الصلوات الخمس فى
محراب القبة ، وستة خدام يقومون بالقبة
- وهى الكابرة ، وقل الشيوخ ، وكردالة
وضواحيها من عكا ، ومن ساحل صور معركة
وصدقين - وكب بذلك كتاب وقف ، وجعل
النظر فى ذلك لوزيره صاحب شمس الدين
محمد بن السلموس .

فلما تم ذلك ، تقدم بعمل مجتمع بالقصة
لقراءة ختم كريمة ، وذلك ليلة الاثنين رابع
ذى القعدة سنة تسعين مسائة فاجتمع
القراء والوعاظ والمشايع والفقهاء والقضاة
لذلك ، وخلع على عامة أرباب اوطائف
والوعاظ ، وفرقت فى الناس صدقات جمة .

وعمل مهم عظيم لاحتل فيه الوزير احتلالا
زائدا ، وبات الأمير بدر الدين بيدرا نائب
السلطنة والأمير الوزير شمس الدين محمد
بن السلموس بالقبة . وحضر السلطان ، ومعه
الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد ، وعليه سواده ،
فخطب الخليفة خطبة بليغة حرض فيها على
أخذ العراق من التار . فلما فرغ من المهم ،
أفاض السلطان على الوزير تشريفا منيا .

وفى يوم الخميس حادى عشر ربيع الأول
سنة احدى وتسعين وستائة ، اجتمع القراء
والوعاظ والفقهاء والأعيان بالقبة المنصورة
لقراءة ختم شريفة ، ونزل السلطان الملك
الأشرف ، وتصدق بمال كثير .

وآخر من نزل الى القبة المنصورة من ملوك
بنى قلاوون ، السلطان الملك الناصر حسن بن

محمد بن قلاوون في سنة إحدى وستين وسبعمائة ، وحضر عنده بالقبة مشايخ العلم ، وبعثوا في العلم ، وزار قبر أبيه وجده ، ثم خرج فنظر في أمر المرضى بالمارستان ، وتوجه إلى قلعة الجبل * .

المدرسة الناصرية

هذه المدرسة بجوار القبة المنصورية من شرقها . كان موضعها حماما ، فأمر السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري بانشاء مدرسة موضعها . فابتدى في عملها ، ووضع أساسها ، وارتفع بناؤها عن الأرض إلى نحو الطراز المذهب الذي بظاهرها . فكان من خلقه ما كان .

فلما عاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى مملكة مصر في سنة ثمان وتسعين وستائة ، أمر بتمامها ، فأكملت في سنة ثلاث وسبعمائة . وهي من أجل ماني القاهرة ، وبابها من أعجب ما عملت أبدى بنى آدم فاته من الرخام الأبيض البديع الرى الفائق الصناعة ، وقتل إلى القاهرة من مدينة عكا

وذلك أن الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، لما فتح عكا عنوة في سبع عشر جمادى الأولى سنة تسعين وستائة ، أقام الأمير علم الدين سنجر الشجاع لهدم أسوارها وتخريب كنائسها . فوجد هذه البوابة على باب كنيسة من كنائس عكا ، وهي من رخام ، قواعدها وأعضادها وعندها كل ذلك متصل ببعضه ببعض ، فحمل الجميع إلى القاهرة ، وأقام عنده إلى أن قتل الملك الأشرف .

(*) من ٢٨١ هـ إلى ٢٨٢ هـ . يولان *

وتماذى الحال على هذا أيام سلطنة الملك الناصر محمد الأولى فلما خلع ، وتملك كتبغا ، أخذ دار الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى ليعملها مدرسة ، فدل على هذه البوابة ، فأخذها من ورثة الأمير يدرا - فانها كانت قد انتقلت إليه - وعملها كتبغا على باب هذه المدرسة .

فلما خلع من الملك ، وأقيم الناصر محمد ، اشترى هذه المدرسة قبل اتمامها والاشهاد بوقتها ، وولى شراءها وصيه قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكي ، وأنشأ بجوار هذه المدرسة من داخل بابها قبة جليلة ، لكنها دون قبة أبيه ، ولما كملت نقل إليها أمه بنت سكياء بن قراجين .

ووقف على هذه المدرسة قيسارية أمير على يخط الترابشين من القاهرة ، والربع الذى يعلوها - وكان يعرف بالدهيشة - ووقف عليها أيضا حوائت يخط باب الزهومة من القاهرة ، ودار الطعم خارج مدينة دمشق

فلما مات ابنه أنوك من الخاتون طغاي ، في يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول سنة لحدى وأربعين وسبعمائة ، وعمره ثمانى عشرة سنة ، دفنه بهذه القبة ، وعمل عليها وقفا يختص بها . وهو باق إلى اليوم بصرف لقراء وغير ذلك .

وأول من رقب في تدرس المدرسة الناصرية من المدرسين . قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكي ليدرس فقه المالكية بالايوان الكبير القبلى ، وقاضى القضاة شرف الدين عبد الغنى الحزانى ليدرس فقه الحنابلة بالايوان الغربى ، وقاضى القضاة أحمد بن

المروجى الحنفى ليدرس فقه الحنفية بالايوان الشرقى ، والشيخ صدر الدين محمد بن المرحل - المعروف بابن الوكيل - الشافعى ليدرس فقه الشافعية بالايوان البحرى . وقرر عند كل مدرس منهم عدة من الطلبة . راحى عليهم المعاليم ، ورتب بها اماما يؤم بالناس فى الصلوات الخمس ، وجعل بها خزانة كتب جليلة .

وأدركت هذه المدرسة وهي محترمة إلى الغاية . يجلس بدليلها عدة من الطوائف ، ولا يمكن غرب أن يصعد إليها . وكان يفرق بها على الطلبة والقراء وسائر أرباب الوظائف بها السكر فى كل شهر ، لكل أحد منهم نصيب ، ويفرق عليهم لحوم الأضاحى فى كل سنة . وقد بطل ذلك ، وذهب ما كان لها من الساموس . وهي اليوم عامرة من أجل المدارس .

المدرسة الحجازية

هذه المدرسة بوجبة باب الميد من القاهرة ، بجوار قصر الحجازية ، كان موضعها بابا من أبواب القصر يعرف بباب الزمرذ . أنشأتها الست الجليلة الكبرى خوند تتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، زوجة الأمير بكتر الحجازى ، وبه عرفت .

وجعلت بهذه المدرسة درسا للفقهاء الشافعية قررت فيه شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى ، ودرسا للفقهاء المالكية ، وجعلت بها منبرا يخطب عليه يوم الجمعة ، ورتبت لها اماما راتبا يقيم بالناس الصلوات الخمس ، وجعلت بها خزانة كتب .

وأنشأت بجوارها قبة من داخلها لتدفن نعتها ، ورتبت بشباك هذه القبة عدة قراء يتأوبون قراءة القرآن الكريم ليلا ونهارا ، وأنشأت بها منارا عاليا من حجارة ليؤذن عليه . وجعلت بجوار المدرسة مكتبا للليل ، فيه عدة من أيتام المسلمين ، ولهم مؤدب يعلمهم القرآن الكريم ، ويجرى عليهم فى كل يوم لكل منهم من الخبز النقى خمسة أرغفة ومبلغ من الفلوس ، ويقام لكل منهم بكسوئى الشتاء والصيف .

وجعلت على هذه الجهات عدة أوقاف جليلة يصرف منها لأرباب الوظائف المعاليم السنية . وكان يفرق فيهم كل سنة ، أيام عيد القطر ، الكعك والخشكناك ، وفى عيد الأضحى اللحم ، وفى شهر رمضان يطبخ لهم الطعام . وقد بطل ذلك ، ولم يبق غير المعلوم فى كل شهر .

وهي من المدارس الكبة ، وعهدى بها محترمة إلى الغاية * ، يجلس بها عدة من الطوائف ، ولا يسكنون أحدا من صبور القبة التى فيها قبر خوند الحجازية الا القراء فقط وقت قراءتهم خاصة .

واتفق مرة أن شخصا من القراء كان فى نفسه شيء من أحد رفقائه ، فأتى إلى كبير الطوائف بهذه القبة ، وقال له : إن فلانا دخل اليوم إلى القبة وهو بغير سراويل . فغضب الطوائف من هذا القول ، وعد ذلك ذنبا عظيما وفعلوا محذورا ، وطلب ذلك المقرئ ، وأمر به فضرب بين يديه ، وصار يقول له : تدخل على خوند بغير سراويل ! وهم باخراجه من

(*) من ٢٨٢ هـ إلى ٢٨٣ هـ . يولان *

وظيفة القراءة لولا ما حصل من شفاعة الناس فيه .

وكان لا يلى نظر هذه المدرسة الا الامراء الاكابر ، ثم صار يليها الخدام وغيرهم وكان انشاؤها فى سنة احدى وستين وسبعائة .

ولما ولى الأمير جمال الدين يوسف الجاسى وظيفة استدارية السلطان الملك الناصر فرج ابن برقوق ، وعمر بجانب هذه المدرسة داره ثم مدرسته ، صار يحبس فى المدرسة الحجازية من يصادره أو يعاقبه ، حتى امتلات بالمسجونين والأعوان المرسمين عليهم ، فزال تلك الأبهة وذهب ذلك الناموس . واقتدى بجمال الدين من سكن بعده من الاستدارية فى داره ، وجعلوا هذه المدرسة سجنا ، ومع ذلك فهم من أجمع مدارس القاهرة الى الآن .

المدرسة الطيرسية

هذه المدرسة بجوار الجامع الأزهر من القاهرة ، وهى غربية مما يلى الجهة البحرية . أنشأها الأمير علاء الدين طيرس الخازندارى تقيب الجيوش ، وجعلها مسجدا لله تعالى زيادة فى الجامع الأزهر ، وقرر بها درسا للفقهاء الشافعية ، وأنشأ بجوارها ميثاء وحوض ماء سبل ترده الدواب .

وأتق فى رخامها وتذهيب مقوفها ، حتى جاءت فى أبداع زى ، وأحسن قالب ، وأبهج ترتيب ، لما فيها من اتقان العمل وجودة الصناعة ، بحيث انه لم يقدر أحد على محاكاة ما فيها من صناعة الرخام ، فإن جميعه أشكال المحارب ، وبلغت النفقة عليها جملة كثيرة ، واتمت عمارتها فى سنة تسع وسبعائة . ولها

بسط تفرش فى يوم الجمعة كلها منقوشة بأشكال المحارب أيضا ، وفيها خزانة كتب ، ولها امام راتب

« طيرس » بن عبد الله الوزير كان فى ملك الأمير بدر الدين يلبك مملوك الخازندار القاهري نائب السلطة ، ثم انتقل الى الأمير بدر الدين بيدرا ، وتنقل فى خدمته حتى صار نائب الصببية ، ورأى ماما للمنصور لاجين يدل على أنه يصير سلطان مصر ، وذلك قبل أن يتقلد السلطة وهو نائب الشام ، فوعده ان صارت اليه السلطة أن يقدمه ويثوبه به

فلما تملك لاجين استدعاء ، وولاه تقاية الجيش بديار مصر - عوضا عن بليان القاخري - فى سنة سبع وتسعين وستائة . فباشر التقاية مباشرة مشكورة الى الغاية ، من اقامة الحرية ، وإداه الأمانة ، والعفة المفرطة ، بحيث انه ما عرف عنه أنه قبل من أحد هدية ألبته ، مع التزام الديانة والمواظبة على فعل الخير والغنى الواسع

وله من الآثار الجميلة الجامع والخانات بأراضى بستان الخشاب ، المطلة على النيل خارج القاهرة ، فيما بينها وبين مصر بجوار المنشأة . وهو أول من عمر فى أراضى بستان الخشاب ، وقد تقدم ذكر ذلك ، ومن آثاره أيضا هذه المدرسة البديعة الزى ، وله على كل من هذه الأماكن أوقاف جليلة .

ولم يزل فى تقاية الجيش الى أن مات فى العشرين من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وسبعائة ، ودفن فى مكان بمدرسته هذه ، وقبره بها الى وقتنا هذا . ووجد له من بعده مال كثير جدا ، وأوصى الى الأمير علاء الدين

على الكوراني ، وجعل الناظر على وصية الأمير أرغون نائب نائب السلطة

واتفق أنه لما فرغ من بناء هذه المدرسة ، أحضر اليه مباشره حساب مصروفها فلما قدم اليه استدعى بضمت فيه ماء ، وغسل أوراق الحساب بأسرها من غير أن يبق على شيء منها ، وقال : شيء خرجا عنه لله تعالى لا نحاسب عليه .

ولهذه المدرسة سبابيك فى جدار الجامع تشرف عليه ، ويتوصل من بعضها انه ، وما عمل ذلك حتى استفى الفقهاء به ، فأقروه بجواز فعله . وقد تداول أبدى نظار السوء على أوقاف طيرس هذا ، فحرب أكثرها ، وخرب الجامع والحائقاء ، وبقيت هذه المدرسة ... عمرها لله بذكره .

المدرسة الاقباقية

هذه المدرسة بجوار الجامع الأزهر ، على يسرة من يخلل اليه من باب الكبير البحرى ، وهى تشرف بشبابيك على الجامع مركبة فى جداره ، فصارت تجاه المدرسة الطيرسية . كان موضعها دار الأمير الكبير عز الدين أيمن الحللى ، نائب السلطة فى أيام الملك القاهر بيبرس ، وميثاء للجامع ، فأنشأها الأمير علاء الدين أقباقا عبد الواحد ، استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وجعل بجوارها قبة ومنارة من حجارة منحوتة .

وهى أول مثذنة علت بديار مصر من الحجر بعد المنصورية ، وانما كانت قبل ذلك تبنى بالآجر ... بناها هى والمدرسة المعلم ابن

(ع) ح ٢٨٢ ، ج ٢ ، ط بولاق .

السيوفى ، رئيس الهندسين فى الأقسام الناصرية ، وهو الذى تولى بناء جامع الماردنى خارج باب زويلة ، وبنى مثذته أيضا .

وهى مدرسة مظلمة ، ليس عليها من بهجة المساجد ، ولا انس يسوت العبادات ، شيء ألبته . وذلك أن أقباقا عبد الواحد اغتصب أرض هذه المدرسة ، بأن أقرض ورثة أيمن الحللى مالا ، وأمل حتى تصرفوا فيه ، ثم أعصفهم فى الطلب ، والجامع الى أن أعطوه دراهم ، فهدمها وبنى موضعها هذه المدرسة .

وأضاف الى اغتصاب البقعة أمثال ذلك من القلم ، فبناها بأنواع من القصب والصف ، وأخذ قطعة من سور الجامع حتى ساوى بها المدرسة الطيرسية ، وحشر لعملها الصناعات من البنائين والنجارين والحجارين والمرحمين والقلة ، وقرر مع الجميع أن يعمل كل منهم فيها يوما فى كل أسبوع بغير أجره .

فكان يجتمع فيها فى كل أسبوع سائر الصنائع الموجودين بالقاهرة ومصر ، فيجدون فى العمل غارهم كله بغير أجره ، وعليهم مملوك من مماليكه ، ولاه شد العسارة ، لم ير الناس أظلم منه ، ولا أغنى ولا أشد بأسا ، ولا أقسى قلبا ولا أكثر عتا . فلقى العمال منه مشقات لا توصف ، وجاء مناسبا لمولاه .

وحمل مع هذا الى هذه العسارة سائر ما يحتاج اليه ، من الأمتعة وأصناف الآلات ، وأنواع الاحتياجات من الحجر والخشب والرخام والدهان وغيره ، من غير أن يدفع فى شيء منه ثمن ألبته ، وانما كان يأخذ ذلك اما بطريق القصب من الناس ، أو على سبيل

الخيانة من عمائر السلطان ، فانه كان من جملة ما يده شد العمار السلطانية .

وقاب هذه الأفعال أنه ما عرف عنه قط أنه نزل إلى هذه العمارة الا وترب فيها من الصانع عدة ضربا مؤلما ، فيصير ذلك الضرب زيادة على عمله بغير أجرة ، فيقال فيه كملت نخصالك هذه بمبارى - فلما فرغ من بنائها ، جمع فيها سائر الفقهاء وجميع القضاة .

وكان الشرف شرق الدين على بن شهاب الدين الحسين بن محمد بن الحسين - تقيب الأشراف برحمتهم القاهرة حيث - يؤمل أن يكون مدرسا ، ربيعى عنه فى ذلك ، فعلم بسطا على قياسها بلغ ثمنها ستة آلاف درهم فضة ، ورشاه بها ، ففرشت هناك .

ولما تكامل حضور الناس بالمدرسة - وفى الذهن أن الشرف يلى التدريس ، وعرف أنه هو الذى أحضر البسط التى قد فرشت - قال الأمير أقبغا لمن حضر لا أولى فى هذه الأيام أحدا . وقام .. ففرق الناس .

وقرر فيها درسا للشافعية ولى تدريسه ... ودرسا للحنفية ولى تدريسه ١٠٠٠٠ وجعل فيها عدة من الصوفية ولهم شيخ ، وقرر بها طائفة من القراء يقرأون القرآن بشباكها ، وجعل لها اماما راتبا ومؤذنا وفراشين وقومة ومباشرين ، وجعل النظر للقاضى الشافعى بديار مصر ، وشرط فى كتاب وقته ألا يلى النظر أحد من ذريته ، ووقف على هذه الجهات حوائت خارج باب زويلة بخط تحت الربع ، وقرية بالوجه القبلى .

١٠١٠ مكلنا بياض فى الامن

وهذه المدرسة عامرة الى يومنا هذا . الا أنه تعطل بها الميصة ، واصيبت الى ميصة الجامع لتغلب بعض الأمراء - بمواطاة بعض النظار - على بنو الساقية التى كانت برسمها .

« أقبغا عبد الواحد » الأمير علاء الدين : أحضر الى القاهرة التاجر عبد الواحد بن بدال ، فاشتراه منه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولقبه باسم تاجره الذى أحضره ، فحظى عنده ، وعمله شاد العمار ، فنهض فيها نهضة أعجب منه السلطان وعظمه حتى عمله استادار السلطان بعد الأمير مغطاي الجمالى ، فى الحرم سنة اثنين ثلاثين وسبعمائة ، وولاه مقدم الممالك فقوت حرمة ، وعظمت مهابته ، حتى صار سائر من فى ييب السلطان يخافه ويخشاه .

ومابرح على ذلك الى أن مات الملك الناصر ، وقام من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر ، فقبض عليه فى يوم الاثنين سلخ الحرم سنة اثنين وأربعين وسبعمائة ، وأمسك أيضا ولديه ، وأحيط بماله وسائر أملاكه ، ورسم عليه الأمير طيغا المجدى ، ويبيع موجوده من الخيل والجمال والجوارى والفماش والأسلحة والأواني ... فظهر له شيء عظيم الى العاية : من ذلك أنه يسع بقلعه الجبل - وبها كانت تعمل حلقات مبيعة - سراويل امراته بمبلغ مائتى ألف درهم فضة : عنها نحو عشرة آلاف دينار ذهب ، ويبيع له أيضا قبقاب وشموزة وخف نسائى بمبلغ خمسة وسبعين ألف درهم

فضة : عنها زيادة على ثلاثة آلاف دينار ، ويبيع بدلة مقانع بمائة ألف درهم .

وكرت المرافعات عليه من التجار وغيرهم . فبعث السلطان اليه شاد الدواوين يعرفه أنه أقسم بترية الشهيد (يعنى أباه) أنه متى لم يعط هؤلاء حقهم ، والا سمرت على جبل ، وطلعت بك المدينة فشرع أقبغا فى استرضائهم وأعطاهم نحو المائتى ألف درهم فضة . ثم نزل اليه الوزير نجم الدين محمود بن سرور - المعروف بـ بمداد - بأمعة الحاج ابراهيم بن صابر مقدم الدولة ، لمطالبة المال ، فأخذ منه لؤلؤا وبراهير . نفيس ، وصعدا بها الى السلطان

وكان سبب هذه النكبة أنه كان قد تحكم فى أمور الدولة السلطانية والأرباب الأشغال ، أعلامهم وأدانهم ، بخطهم لدى من الرطائف ، وكان عنده فراش غضب عليه والوجعة ضربا ، فانصرف من عنده ، وخدم فى دار الأمير أبى بكر ولد السلطان ، فبعث أقبغا يستلعي بالفراش اليه فسمه أبو بكر . وأرسل اليه مع أحد ممالিকে يحمل له لا تلى أركه أن تمنى هذا الغلام ، ولا تشوش عليه - فلما بلغه المملوك الرسالة ، اشتد حقه وسبه بما فاحشا ، وقال له : قل لأستاذك يسير الفراش وهو جيد له .

وكان قبل ذلك اتفق أن الأمير أبى بكر خرج من خدمة السلطان الى بيته ، فادا الأمير أقبغا قد بطح مملوكا وضربه ، فوقف أبو بكر بنفسه ، وسأل أقبغا فى العفو عن المملوك ، وشفع فيه ، فلم يلتفت أقبغا اليه ، ولا نظر

(*) من ٢٨٤ ، ٢ ، ط ١٠ بولاق

الى وجهه ، فحجبل أبو بكر من الناس - لكونه وقف قائما بين يدي أقبغا وشفع عنده ، فلم يقم من مجلسه لوقوفه ، بل استمر قاعدا وأبو بكر واقف على رجليه ، ولا قبل مع ذلك شفاعته - ومضى وفى نفسه منه حق كبير .

فلما عاد اليه مملوكه ، وبلغه كلام أقبغا بسبب هذا الفراش ، أكد ذلك عنده ما كان من الاحنة ، وأخذ فى نفسه الى أن مات أبوه الملك الناصر ، وعهد اليه من بعده . وكان قد التزم أنه ان ملكه الله ليصادق أقبغا ، وليصربه بالمقارع بب وقال للفراش بب اقمند فى بيتي ، واذا حضر أحد لأخذك عرفت ما أعمل معه . وأخذ أقبغا يترقب الفراش ، وأقام أناسا للقبض عليه ، فلم يتهيا له مبهكة .

فلما أفضى الأمر الى أبى بكر ، استدعى الأمير قوصون - وكان هو القائم حينئذ بتدبير أمور الدولة - وعرفه ما التزمه من القبض على أقبغا ، وأخذ ماله وضربه بالمقارع ، وذكر له ولعدة من الأمراء ما جرى له منه . وكان لقوصون بأقبغا عناية ، فقال للسلطان : السبع والطاعة ، يرسم السلطان بالقبض عليه ومطالبته بالمال ، فاذا فرغ ماله يفعل السلطان ما يختاره .

وأراد بذلك تطاول المدة فى أمر أقبغا . فقبض عليه ، ووكل به رسل ابن صابر ، حتى أنه باب ليلة قبض عليه من غير أن يأكل شيئا . وفى صبيحة تلك الليلة تحدث الأمراء مع السلطان فى نزوله الى داره محتفظا به ، حتى يتصرف فى ماله ، ويحمله شيئا بعد شيء .

فتزل مع المجدي ، وباع ما يملكه ، وأورد المال .

فلما قبض على الحاج إبراهيم بن صابر ، وأقيم ابن خمس موضعه ، أرسله السلطان إلى بيت أقبيا لعصره وبضريه بالمقارع ومذبه . فبلغ ذلك الأمير قوصون ، فمنع منه ، وشنع على السلطان كونه أمر بضريه بالمقارع ، وأمر بمراجعته . فحقق من ذلك ، وأطلق لسانه على الأمير قوصون ، فلم يزل به من حضره من الأمراء حتى سكت على مضض .

وكان قوصون يدبر في انتقاض دولة أبي بكر إلى أن خلعه ، وأقام بعده أخاه الملك الأشرف كجك بن محمد بن قلاوون ، وعمره نحو السبع سنين ، وتحكم في الدولة . فأخرج أقبيا هو وولده من القاهرة ، وجعله من جملة أمراء الدولة بالشام . فسار من القاهرة في قاسم ربيع الأول سنة اثنين وأربعين وسبعمائة ، على حيز الأمير مسعود بن خطير بدمشق ، ومعه عياله فأقام بها .

إلى أن كانت فتنة الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون ، وعصيانه بالكرك على أخيه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون ، فاتهم أقبيا بأنه بعث مملوكا من ممالكه إلى الكرك ، وأن الناصر أحمد خلع عليه ، وضربت البشائر بقلعة الكرك ، وأنشاع أن أمراء الشام قد دخلوا في طاعته وحلفوا له ، وأن أقبيا قد بعث إليه مع مملوكه يشره بذلك .

فلما وصل إلى الملك الصالح كتاب عاف أخى شطى بذلك ، وصل في وقت وروده

كتاب نائب الشام الأمير طغزدمر ، يخبر فيه بأن جماعة من أمراء الشام قد كانوا أحسد بالكرك وكاتبهم ، وقد قبض عليهم ، ومن حملهم أقبيا عبد الواحد . فرسم بعمله مقبدا ، فحمل من دمشق إلى الاسكندرية ، وقتل بها في آخر سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

وكان من الظلم والطغ ، التعاطم على جانب كبير ، وجمع من الأموال ثكثيرا . وأقام جماعة من أهل النثر لتسج له لاد الأمراء ، وتعرف أحوال من افقر منهم . واحتاج إلى شيء ، فلا يزالون به حتى يعطوه مالا على سبيل القرض بفائدة جزيلة إلى أهل ، فإذا استحق المال أعصفه في الطلب ، وألحاه إلى بيع ماله من الأملاك ، وحلها أن كانت وقفا بعبائته به ، وعين لعمل هذه الحيل شخصا يعرف بابن القاهري . وكان إذا دخل لأحد من القضاة في شراء ملك أو حل وقف ، لا يقدر على مخالفته ، لا يجد بدا من موافقته .

ومن غريب ما حكى عن طمع أقبيا أن مشد العاشية دخل عليه ، وفي أصمعه خاتم بخص أحمر من زجاج له يريق ، فقال له أقبيا . أيش هو هذا الحاتم ؟

فأخذ يعظمه ، وذكر أنه من تركة أبيه .

فقال . بكم حسبه عليك ؟

فقال . بأربعمائة درهم .

فقال : أربيه .

فناوله إياه ، فأخذه وتشاغل عنه ساعة ، ثم قال له : والله فضيحة أن فأخذ خاتمك ، ولكن خذه أنت وهات ثمنه !

ودفعه إليه ، وألزمه بإحضار الأربعمائة درهم . فما وسعه إلا أن . أحضرها إليه . فمأقبه الله بذهاب ماله وغيره ، وموته غريبا .

المدرسة الحسامية

هذه المدرسة بخط المسطاح من القاهرة ، قريبا من حارة الوزيرية . بناها الأمير حسام الدين طرنتاي المصوري ، نائب السلطنة بديار مصر ، إلى جانب دار ، وجعلها يرسم الفقهاء الشافعية . وهي في قتا هذا تجاه سوق الرقيق ، ويسلك منها إلى رب العداش وإلى حارة الوزيرية وإلى سوقة الصاحب وباب الخوخة وغير ذلك .

وكان بجانبها طبقة لحياط ، فطلبت منه بثلاثة أمثال ثمنها فلم يبعها ، وقيل لطرنتاي : لو طلبته لاستحيى منك . فلم يطلبه ، وتركه وطبقته ، وقال : لا أشوش عليه .

« طرنتاي » بن عبد الله : الأمير حسام الدين المنصوري . رباه الملك المنصور قلاوون صغيرا ، ورقاه في خدمه . إلى أن تقلد سلطنة مصر ، فجعله نائب السلطنة بديار مصر ، عوضا عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى ، وخلع عليه في يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثمان وسبعين وستمائة . فباشر ذلك مباشرة حسنة .

إلى أن كانت سنة خمس وثمانين ، فخرج من القاهرة بالعاكر إلى الكرك - وفيها الملك المسعود نجم الدين خضر ، وأخوه بدر الدين

(*) من ٢٨٥ - ج ٢ - ط ٥ - بولاق

سلامش ، ابن الملك الظاهر بيبرس - في رابع المحرم ، وسار إليها . فواقاه الأمير بدر الدين الصوانى بعاكر دمشق في الثنى فارس ، ونازلا الكرك ، وقطعا الميرة عنها ، واستفدا رجال الكرك حتى أخذوا خضرا وسلامش بالأمان في خامس صفر ، وتسلم الأمير عز الدين أيبك الموصلى ، نائب الشوبك مدينة الكرك ، واستقر في نيابة السلطنة بها ، وبعث الأمير طرنتاي بالبشارة إلى قلعة الجبل فوصل البريد بذلك في ثامن صفر .

ثم قدم بابنى الظاهر ، فخرج السلطان إلى لقائه في ثانى عشر ربيع الأول ، وأكرم الأمير طرنتاي ، ورفع قدره ، ثم بعثه إلى أخذ صهيون - وبها سقر الأشقر - فسار بالعاكر من القاهرة في سنة ست وثمانين ، ونازلها وحصرها حتى نزل إليه سقر بالأمان ، وسلم إليه قلعة صهيون ، وسار به إلى القاهرة . فخرج السلطان إلى لقائه وأكرمه .

ولم يزل على مكاتبه إلى أن مات الملك المنصور ، وقام في السلطنة بعده ابنه الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون ، فقبض عليه في يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة سنة تسع وثمانين ، وعوقب حتى مات يوم الاثنين خامس عشره بقلعة الجبل ، وبقي ثمانية أيام بعد قتله مطروحا بحبس القلعة .

ثم أخرج في ليلة الجمعة سادس غشري ذى القعدة ، وقد لف في حصير ، وحمل على جنوية إلى زاوية الشيخ أبى السعود بالقراقة . ففسله الشيخ عمر السعدوى شيخ الزاوية ، وكفنه من ماله ، ودفنه خارج الزاوية ليلا ، وبقي هناك إلى سلطنة المعادل كتيبا ، فأمر

بنقل جثته الى تربته التي انشأها بدرسته هذه .

وكان سبب القبض عليه وقتله أن الملك الأشرف كان يكرهه كراهة شديدة فإنه كان يطرح جانيه في أيام آية ، ويغض منه ويهين نوابه ، ويؤذى من بخدمه ، لأنه كان يبيل الى أخيه الملك الصالح علاء الدين على بن قلاوون . فلما مات الملك الصالح على ، وانتقلت ولاية العهد الى الأشرف خلل بن قلاوون ، مال اليه من كان منحرف عنه في حياة أخيه ... الا طرطاي ، فإنه ازداد تماديا في الاعراض عنه ، وجرى على عادته في أذى من ينسب اليه ، وأغرى الملك المنصور بشمس الدين محمد بن السلجوس - فاطر ديوان الأشرف - حتى ضربه ، وصرفه عن مباشرة ديوانه .

والأشرف مع ذلك يتأكد حنقه عليه ، ولا يجد بدا من الصبر الى أن صار له الأمر بعد آية ، ووقف الأمير طرطاي بين يديه في نيابة السلطنة على عادته ، وهو منحرف عنه لما أسلفه من الاساءة عليه . وأخذ الأشرف في التدبير عليه .. الى أن قتل له عنه أنه يتحدث سرا في افساد نظام المملكة ، واخراج الملك عنه ، وأنه قصد أن يقتل السلطان وهو راكب في الميدان الأسود الذي تحت قلعة الجبل عند ما يقرب من باب الاصطبل ، فلم يحتل ذلك .

وعندها سبر أربعة ميادين - والأمير طرطاي ومن وافقه عند باب مبارية - حتى انتهى الى رأس الميدان ، وقرب من باب الاصطبل ، وفي الظن أنه يعطف الى باب مبارية ليكمل التيسير على العادة ، فعطف الى

جوة القلعة ، وأسرع ودخل من باب الاصطبل . فبادر الأمير طرطاي عندما عطف السلطان ، وساق فيمن معه ليدركوه ، ففانهم وصار بالاصطبل فيمن خلف معه من خواصه .

وما هو الا أن نزل الأشرف من الركوب ، فاستدعى بالأمير طرطاي ، فتمه الأمير زين الدين كتبغا المنصوري من الدخول اليه ، وحذره منه وقال له . والله الى أخاف عليك منه ، فلا تدخل عليه الا في عصة تعلم أنهم يستعملونك منه ان وقع أمر تكرهه

فلم يرجع اليه ، وغره أن أحدا لا يجسر عليه لمهابة في القلوب ومكاته من الدولة ، وأن الأشرف لا يبادره بالقبض عليه ، وقال لكتبغا : والله لو كنت قائما ما يجسر خليلي يبهني .

وقام ومضى الى السلطان ، ودخل ومعه كتبغا . فلما وقف على عادته ، بادر اليه جماعة قد أعدهم السلطان * وقبضوا عليه ، فأخذوه للكم من كل جانب ... والسلطان يعدد ذنوبه ، ويذكر له اساءته وسبه . فقال له : ياخوند ، هذا جميعه قد عملته معك ، وقدمت الموت بين يدي ، ولكن والله لتسدمن من بعدى .

هذا والأيدى تتناوب عليه ، حتى ان بعض الخاصكية قلع عيه ، وسحب الى السجن . فخرج كتبغا وهو يقول . ايش أعسل ؟ ويكررها . فأدركه الطلب ، وقبض عليه أيضا ، ثم آل أمر كتبغا بعد ذلك الى أن ولي سلطنة مصر .

(٨) من ٢٨٦ ، ج ٢ ، ط ١ ، برلان *

وأوقع الأشرف الخوطة على أموال طرطاي ، وبعث الى داره الأمير علم الدين سنجر الشجاعى . فوجد له من العين ستمائة ألف دينار ، ومن الفضة سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل مصرى . عها زيادة على مائة وسبعين قطارا فضة سوى الأولي ، ومن العدد والأسلحة والأقمشة والآلات والخيول والماليك ما يتعذر احصاء قيمته ، ومن الغلات والأملاك شيء كثير جدا . ووجد له من البضائع والأموال المسفرة على اسمه ، والودائع والمقارضات ، والقود والأعمال ، والأبقار والأغنام ، والرقائق وغير ذلك . شيء يجل وصفه هذا سوى ما أحصاه مباشرة بمصر والشام .

فلما حملت أمواله الى الأشرف ، جعل يقلبها ويقول :

من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنى
واتفق بعد موت طرطاي أن ابنه سأل الدخول على السلطان الأشرف ، فأذن له فلما وقف بين يديه ، جعل المديل على وجهه - وكان أعشى - ثم مد يده وبكى ، وقال : شيء الله ! وذكر أن لأهله أياما ما عندهم ما يأكلونه . فرق له وأفرج عن أملاك طرطاي ، وقال : تبلغوا برعها ... فبجان من ييده القبض والبسط .

المدرسة المنكونيمرية

هذه المدرسة بحارة بهاء الدين من القاهرة . بناها بجوار داره الأمير سيف الدين منكوتر الحسامي ، نائب السلطنة بديار

مصر ، فكملت في صفر سنة ثمان وتسعين وستائة . وعمل بها درسا للمالكية قرر فيه الشيخ شمس الدين محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام بن جميل التونسي المالكي ، ودرسا للحنفية دروس فيه ١٠٠٠٠٠٠ ، وجعل فيها خزانة كتب ، وجعل عليها وقفا ببلاد الشام . وهي اليوم بيد قضاة الحنفية يتولون نظرها ، وأمرها متلاش ، وهي من المدارس الحنة .

« منكوتر » : هو أحد مماليك الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري ترقى في خدمته ، واختص به اختصاصا زائدا الى أن ولي ملكة مصر بعد كتبغا في سنة ست وتسعين وستائة ، فجعله أحد الأمراء بديار مصر ، ثم خلع عليه خلع نيابة السلطنة - عوضا عن الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري - يوم الأربعاء النصف من ذي القعدة .

فخرج سائر الأمراء في خدمته الى دار النيابة ، وباشر النيابة بتعظيم كثير ، وأعطى المنصب حقه من الحرمة الوافرة والمهابة التي تخرج عن الحد ، وتصرف في سائر أمور الدولة من غير أن يعارضه السلطان في شيء ألبتة ، وبلغت عبرة اقطاعه في السنة زيادة على مائة ألف دينار .

ولما عمل الملك المنصور الزوك ، المعروف بالزوك الحسامي ، فوض تفرقة مناللات اقطاعات الأجناس له ، فجلس في ثبائك دار النيابة بقلعة الجبل ، ووقف الحجاب بين يديه ، وأعطى لكل مقدمة مناللات ، فلم يجسر

(١) هكذا بياض في الأصل

أحد أن تتحدث في زيادة ولا نقصان ، خوفاً من سوء خلفه وثقله حنقه .

وبقي أباها في تفرقة المالات ، والناس على خوف شديد . فإن أقل الاقطاعات كان في أيام الملك المنصور قلاوون عشرة آلاف درهم في السنة ، وأكثره ثلاثين ألف درهم ، فرجع في الروك الحسامي أكثر اقطاعات الحلقة إلى مبلغ عشرين ألف درهم وما درها .

فثنى ذلك على الأجاء . رتقدم طائفة منهم ورموا منالاتهم التي فرقت عليهم ، لأن الواحد منهم وجد مثاله حق الصف مما كان له قبل الروك ، وقالوا لمكوتير : أما أن تعطونا ما يقوم بكلفنا ، والا فحدوا أخباركم ونحن نخدم الأمراء أو نصير بطالين .

فغضب مكوتير ، وأخرق بهم ، وتقدم إلى الحجاب فضربوهم ، وأخذوا سيوفهم ، وأودعهم السجون . أخذ يحاطب الأمراء فيحش ، ويقول : أما قوا شكاً من خبز ، ويقول تقول للسلطان ، فعلت به فعلت ، اسن يقول للسلطان ؟ ان رضى يخدم إلا إلى لمة الله . فثنى ذلك على الأمراء ، أسروا له الشر .

ثم انه لم يزل بالسلطان حتى فصر على الأمير بدر الدين يسرى ، حسن ، أخراج أكابر الأمراء من مصر ، فحردهم إلى سبيل ، وأصبح وقد خلا له الجو . فلم يرض بذلك حتى تحلب مع خوشدايشه أنه لا بد أن ينشئ له دولة جديدة ، ويخرج طنجي وكرجي من مصر .

ثم انه جهز حمدان بن سلمان إلى حلب في صورة أنه يستعجل المسافر من سبيل . قرر معه القبض على عدة من الأجاء ، وأمر عدة من أمراء جندهم له عدة ودحرا . تقدم إلى صاحب قهر الدين الحلبي بأن يعمل أوراقاً تتضمن أسماء أرباب الزوايا ليقطع أكرها .

فلم تدخل سنة ثمان وتسعين ، حتى استوحشت خواطر الناس بمصر والشام من منكوتير ، وزاد حتى أراد السلطان أن يبعث بالأمير طما إلى فامة طرابلس ، فتصل طفا من ذلك . فلم يعه السلطان منه ، وألح منكوتير في إخراجه ، وأغلظ للأمير كرجي في القول . وحط على سلالر ويسرس الجاشنكير أنظارهم . رخص منهم ركان كرجي شرس الأخلاق ، ضيق العطن ، سريع الغضب ، فهم غير مرة بالمسك بمكوتير ، وطنجي بسكن غصه .

فلما بلغ السلطان فساد قلوب الأمراء والعسكر فبعث قاضي القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن الرومي . انتهى إلى مكوتير يحدثه في ذلك ويرجعه عما هو فيه . فلم يلبث إلى قوله وقال . أنا ما لي حاجة بالنيابة ، أريد أخرج مع العقراء .

فلما بلغ السلطان عنه ذلك استدعاه ، وطيب خاطره ، رعدته بسفر طنجي بعد أيام ، ثم المضى على كرجي معه . فنقل هذا للأمراء ، فتحالفوا وقتلوا السلطان ، كما قد ذكر في خبره . وأول من بلفه حر مفضل السلطان الأمير مكوتير ، فقام إلى شباك النيابة بالقلعة ، فرأى باب القلة وقد افتتح ،

(2) ٢٨٧ - ١٢ - ١٢٠٧

وأخرج الأمراء ، والشموع تقد ، والضجة قد ارتفعت ، فقال . والله قد فعلوها . وأمر ففعلت أبواب دار النيابة ، وألبس مماليكه آلة الحرب .

فبعث الأمراء إليه بالأمير الحسام أستاذار ، فعرفه بمقتل السلطان ، وتلف به حتى نزل وهو مشدود الوسط بمنديل ، وسار به إلى باب القلة ... والأمير طنجي قد جلس في مرتبة النيابة . فتقدم إلى طنجي ، وقبل يده ، فقام إليه ، وأجلسه بجانبه . وقام الأمراء في أمر منكوتير يشفعون فيه ، فأمر به إلى الجب وأزلوه فيه .

وعندما استقر به أدليت له القفة التي نزل فيها ، وتصايحوا عليه بالصمود ، فطلع عليهم . وإذا كرجي قد وقف على رأس الجب في عدة من المماليك السلطانية ، فأخذ يسب منكوتير ويهيه ، وضربه بكت القاه ، ودبجه بيده على الجب ، وتركه وانصرف . فكان بين قتل أستاذه وقتله ساعة من الليل ، ردلك في ليلة الجمعة عاشر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين .

المدرسة القراستقرية

هذه المدرسة تجاه خانقاه صلاح سعيد السعداء ، فيما بين رحبة باب العيد وباب النصر ، كان موضعها ، وموضع الربيع الذي بجانبها الغربي ، مع خانقاه يسرس وما في صفها ، إلى حمام الأعسر وباب الجوانية ... كل ذلك من دار الوزارة الكبرى التي تقدم ذكرها . أنشأها الأمير شمس الدين قراستقر المنصوري ، نائب السلطنة ، سنة سبعمائة . وبنى بجوار بابها سجداً معلقاً ، ومكتباً

لاقرأه أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ، وجعل بهذه المدرسة درساً للفقهاء ، ووقف على ذلك داره التي بحارة بهاء الدين وغيرها . ولم يزل نظر هذه المدرسة بيد ذرية الواقف إلى سنة خمس عشرة وثمانمائة ، ثم انقضوا .

وهي من المدارس المليحة . وكنا نعهد البريدية إذا قدموا من الشام وغيرها لا يتزلون إلا في هذه المدرسة حتى يتهاى سفرهم ، وقد بطل ذلك من سنة تسعين وسبعمائة .

« قراستقر بن عبد الله » . الأمير شمس الدين الجوكندار المنصوري . صار إلى الملك المنصور قلاوون ، وترقى في خدمته إلى أن ولاء نيابة السلطنة بحلب ، في شعبان سنة اثنين وثمانين وستمائة ، عوضاً عن الأمير علم الدين منجر الشاقردي ، فلم يزل فيها إلى أن مات الملك المنصور ، وقام من بعده ابنه الملك الأشرف خليل بن قلاوون .

فلما توجه الأشرف إلى فتح قلعة الروم ، عاد بعد فتحها إلى حلب ، وعزل قراستقر عن نيابتها ، وولى عوضه الأمير سيف الدين بليان الطنحاني ، وذلك في أوائل شعبان سنة إحدى وتسعين . وكانت ولايته على حلب تسع سنين .

فلما خرج السلطان من مدينة حلب ، خرج في خدمته ، وتوجه مع الأمير بدر الدين يلدرا - نائب السلطنة بديار مصر - في عدة من الأمراء لقتال أهل جبال كروان . فلما عاد سار مع السلطان من دمشق إلى القاهرة ، ولم يزل بها إلى أن ثار الأمير يسدرا على الأشرف ، فتوجه معه وأعان على قتله . فلما

قتل يدرا فر قراستقر ولاجين في نصف المحرم سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، واختبأ بالقاهرة .

الى أن استقر الأمر للملك الناصر محمد ابن قلاوون ، وقام في نيابة السلطة وتدير الدولة الأمير زين الدين كبغا ، فظهر في يوم عيد الفطر . وكانا عند فرارهما ، يوم قتل يدرا ، أظعا الأمير يحاص الزنى - ملوك الأمير كبغا نائب السلطة - على حالهما ، فأعلم أستاذه بأمرهما ، وتلفت به حتى تحدث في شأنهما مع السلطان ، فعفا عنهما .

ثم تحدث مع الأمير بكتاش القزويني الى أن ضمن له التحدث مع الأمراء ، وسمى في الصلح بينهما . وبين الأمراء والماليك حتى زالت الوحشة ، وظهر من بيت الأمير كبغا . فأحضرهما بين يدي السلطان ، وقبلا الأرض ، وأقيمت عليهما التشارف ، وجعلهما أمراء على عادتتهما ، وزلا الى دورهما ، فحصل اليهما الأمراء ما جرت العادة به من التقادم .

فلم يزل قراستقر على امرته الى أن خلع الملك الناصر محمد بن قلاوون من السلطة ، وقام من بعده الملك العادل زين الدين كبغا ، فاستمر على حاله ... الى أن ثار الأمير حسام الدين لاجين ، نائب السلطة بديار مصر ، على الملك العادل كبغا بمنزلة العوجاء من طريق دمشق . فركب معه قراستقر وغيره من الأمراء الى أن فر كبغا ، واستمر الأمر لحسام الدين لاجين ، وتلقب بالملك المنصور .

(١) ص ٢٨٨ ، ج ٢ ، ط ١ - بولاق

فلما استقر بقلعة الجبل ، خلع على الأمير قراستقر ، وجعله نائب السلطة بديار مصر في صفر سنة ست وتسعين وسبعمائة . فبأشر النيابة الى يوم الثلاثاء للتصاف من ذي القعدة فقبض عليه ، وأحيط بموجوده وحواصله ونوابه ودواوينه بديار مصر والشام ، وضيّق عليه ، واستقر في نيابة السلطة بعده الأمير منكوش .

وعد السلطان من أسباب القبض عليه اسرافه في الطمع ، وكثرة الحسايات ، وتحصيل الأموال على سائر الوجوه ، مع كثرة ما وقع من شكايه الناس من ماليكه ، ومن كاتبه شرف الدين يعقوب . فانه كان قد تحكم في يته تحكمًا زائدا ، وعظمت نعمته ، وكثرت سعادته ، وأسرف في اتخاذ الممالك والخدم ، واهلك في اللعب الكثير ، وتعدى طوره ... وقراستقر لا يسمع فيه كلاما . وحده السلطان بسبه ، وأغلظ في القول ، وألزمه بضربه وتأديبه أو اخراجه من عنده ، فلم يعبأ بذلك .

وما زال قراستقر في الاعتقال الى أن قتل الملك المنصور لاجين ، وأعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون الى السلطة ، فأفرج عنه وعن غيره من الأمراء ، ورسم له نيابة الصبية . فخرج اليها ، ثم نقل منها الى نيابة حماه بعد موت صاحبها الملك المنصور تقي الدين محمود ، بسفارة الأمير بيبرس الجاشنكير والأمير سلاو .

ثم نقل من نيابة حماه بعد ملاقاته التتار الى نيابة حلب . واستقر عوضه في نيابة حماه الأمير زين الدين كبغا ، الذي تولى سلطنة

مصر والشام ، وذلك في سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، وشهد وقعه شمع مع الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ولم يزل على نيابة حلب الى أن خلع الملك الناصر ، ونسطن الملك المنصور بيبرس الجاشنكير ، وصاحب الناصر في الكرك . فلما تحرك لطلب الملك ، واستدعى نواب المالك ، أجابه قراستقر ، وأعابه برأيه وتديبه ، ثم حضر اليه وهو بدمشق ، وقدم له شيئا كثيرا ، وسار معه الى مصر حتى جلس على تخت ملكه بقلعة الجبل ، فولاه نيابة دمشق ، عوضا عن الأمير عز الدين الأرم ، في شوال سنة تسع وسبعمائة .

وخرج اليها ، فسار الى غزة في عدة من النواب ، فقبضوا على المنصور بيبرس الجاشنكير ، وسار به هو والأمير سيف الدين الحاج بهادر الى الخطارة ، فتلقاهم الأمير أسد مر كرجي ، فنسلم مهم بيبرس ، قيده وأركه بعلا ، وأمر قراستقر والحاج بهادر بالسير الى مصر . فشق على قراستقر قييد بيبرس ، وبوهم السر من الناصر ، وانزعج لذلك ازعاجا كثيرا ، ألقى كلوته عن رأسه الى الأرض ، وقال لفراشه الدنيا فانية ، ياليتنا متنا ولا أنا هذا اليوم فترجل من حضر من الأمراء ، ورفعوا كلوته ووضعوها على رأسه .

ورجع من فوره ، ومعه الحاج بهادر ، الى ناحية الشام ، وقد ندم على شيع المنصور بيبرس ، فجد في سيره الى أن به دمشق . وفي نفس السلطان منه كونه لم يحضر مع بيبرس ، وكان قد أراد القبض عليه ، فيمت

الأمير نوغاي القبحاق أميرا بالشام ليكون له عينا على الأمير قراستقر ، ففطن قراستقر لذلك . وشرع نوغاي يتحدث في حق قراستقر بما لا يليق ، حتى نقل عليه مقامه ، فقبض عليه بأمر السلطة ، وسجن بقلعة دمشق .

ثم ان السلطان صرفه عن نيابة دمشق ، وولاه نيابة حلب سؤاله ، وذلك في المحرم سنة إحدى عشرة وسبعمائة . وكب السلطان الى عدة من الأمراء بالقبض عليه مع الأمير أرغون الدوادار ، فلم يتمكن من التحدث في ذلك لكثرة ما ضبط قراستقر أموره ، ولازمه عند قدومه عليه بتقليد نيابة حلب ، بحيث لم يتمكن أرغون من الحركة الى مكان الا وقراستقر معه .

فكثرت الحديث بدمشق أن أرغون الناصر حضر لمسك قراستقر ، حتى بلغ ذلك الأمراء ، وسمعه قراستقر فاستدعى بالأمراء ، وحضر الأمير أرغون ، فقال قراستقر بلمسى كذا ، وهأنا أقول ان كان حضر معك مرسوم بالقبض على فلا حاجة الى قفة ، أنا طائع السلطان ، وهذا سيني خذه ، ومد يده وحل سيفه من وسطه .

فقال أرغون ، وقد علم أن هذا الكلام مكيدة ، وأن قراستقر لا يمكن من نفسه : اني لم أحضر الا لتقليد الأمير نيابة حلب بمرسوم السلطان وسؤال الأمير ، وحاشا لله أن السلطان يذكر في حق الأمير شيئا من هذا .

فقال قراستقر : غدا نركب ونسافر .

وانفق المجلس ، فبعث الى الامراء ، الا
يركب أحد منهم لوداعه ، ولا يخرج معه
و فرق ما عنده من الحوائض ومن الدراهم على
مسايلكه ليحملوا به على * أوساطهم ، وأمرهم
بالاحتراس ، وقدم غلماناه وحواشييه في الليل
وركب وقت الصباح في طلب عظيم — وكانت
عدة مسايلكه مائة مملوك فدل جعلهم حوله
ثلاث حلقات — وأركب أرغون الى بلبه .

وسار على غير العادة حتى قارب حلب ،
ثم عبرها في العشرين من المحرم ، بأعداد
أرغون بعدما أنعم عليه بألف دينار وخطمة
وخيل وتحف ، وأقام بمدينة حلب خائفا
يترب ، وشرع يعمل الحيلة في الخلاص ،
وصادق العريان ، واختص بالأمير حسام الدين
منا أمير العرب وبابنه موسى — وأقلعه الى
حلب ، وأوقفه على كتب السلطان اليه ، القبط
عليه ، وأنه لم يفعل ذلك ، ولم يزل به حتى
أفسد ما بينه وبين السلطان .

ثم انه بعث يستأذن السلطان في الحج .
فأعجب السلطان ذلك ، وقرر أنه يسفر . يتم
له التدبير عليه لما كان فيه من الاحتراز
الكبير ، وأذن له في السفر ، وبعث اليه بألفي
دينار مصرية — فخرج من حلب ومعه أربع مائة
مملوك معدة بالفرس والجنيب والهجن ، وسار
حتى قارب الكرك ، فبلغه أن السلطان كتب
الى النواب ، وأخرج عسكرا من مصر اليه .

فرجع من طريق السماوة الى حلب ، وبها
الأمير سيف الدين قرطاي نائب القبة ، فنتعه
من العبور الى المدينة ، ولم يكن أحدا من
مسايلك قراستقر أن يخرج اليه — وكانت

(هـ) من ٢٨٩ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٧٥

مكاتبة السلطان قد قدمت عليه بذلك —
فرحل حينئذ الى مها أسر العرب واستجار
به ، فأكرمه رعت الى السلطان بسنم —
فلم يجد السلطان بدا من قول شفاعة مهنا ،
وخبر قراستقر فيما يريد ، ثم أخرج عسكرا من
مصر والشام لقتال مهنا وأخته قراستقر .

فبلغه ذلك فاحترس على نفسه وكتب
الى السلطان يسأله في صرخه ، وقصد بذلك
المطاول — فأجابته الى ذلك ، ومكنه من أخذ
حواصله التي يطلب ، وأعطوه مملوكه ألف
دينار — فلما قدم عليه لم يطمئن رعر الى
بلاد الشرق في سنة ثنتي عشرة وسبع مائة في
عدة من الأمراء يريد خربندا فلما وصل الى
الرحبة ، بعث بابنه فرج — ومعه شيء من
أثقاله وخيوله وأمواله — الى السلطان بحضر
ليعذر من قصده خربندا ، ورحل بمن معه
الى ماردين .

فتلقاه المغل ، وقام له نواب خربندا
بالاقامات الى أن قرب الأردن ، فركب خربندا
اليه ، وتلقاه وأكرمه ومن معه — وأنزلهم منزلا
يليق بهم ، وأعطى قراستقر المراغة من عمل
أدرميجان ، وأعطى الأمير جمال الدين أقوش
الأفرم همدان ... وذلك في أوائل سنة ثنتي
عشرة وسبع مائة — فلم يزل هناك الى أن مات
خربندا ، وقام من بعده أبو سعيد بركة بن
خربندا .

فشق ذلك على السلطان ، وأعمل الحيلة في
قتل قراستقر والأفرم ، وصير اليهما الفداوية .
فجرت بينهم خطوب كثيرة ، ومات قراستقر
بالاسهال ببلد المراغة في سنة ثمان وعشرين



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر المتاهة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام عاصمة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقرئ رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



التمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والنساء ٣ قروش

خُطَطُ الْمُقْرِئِي

٤٢



كتاب
التحرير

هذه كتابات مصر هي مستطع رأسي . ومطعب أترابي . ومجمع ناسي . ومغني عنصري . وهامتي .
وسوطن طامسي وهامتي . وهبوطي الذي رب جناحي في وكرو . وعش ماري . فهد
تهوي الألفس غير ذكره . لا زلت منذ شذوت العام . وآتاني رب الفطانة والفهم . أرفب في
سوزة أهبارها . وأهب الإشراف على الوغراف من آبارها . وألغوي مساواة الركبان من مكان ديارها .
تقني العدين أحمد بن علي المقرئ

وسبعمائة ، يوم السبت سابع عشرى شوال ،
قبل موت السلطان يسير .

قلما بلغ السلطان موته فى حادى عشر ذى
القعدة عند ورود الخبر اليه ، قال : ما كنت
أنتهى يموت الا من تحت سيفى ، وأكون قد
قدرت عليه ، وبلغت مقصودى منه . وذلك أنه
كان قد جهز اليه عددا كثيرا من الفداوية ، قتل
منهم بسيفه مائة وعشرون فداويا بالسيف
سوى من فقد ، ولم يوقف له على خبر .

وكان قراستقر جسيما جليلا ، صاحب رأى
وتدبير ومعرفة ، وبشاشة وجه ، وسماحة
نفس ، وكرم زائد ، بحيث لا يستكثر على
أحد شيئا ، مع حسن الشاكلة ، وعظم المهابة ،
والسعادة الطائلة ، وبلغت عدة مماليكه
ستمائة مملوك ، ما منهم الا من له نعمة ظاهرة
وسعادة وافرة . وله من الآثار بالقاهرة هذه
المدرسة ، ودار جليلة بحارة بهاء الدين فيها
كان سكنه .

المدرسة الفزنوية

هذه المدرسة برأس الموضع المعروف
بسوق أمير الجيوش ، تجاه المدرسة
اليازكوجية . بناها الأمير حسام الدين قايماز
النجمى ، مملوك نجم الدين أيوب والد
الملوك ، وأقام بها الشيخ شهاب الدين أبو
الفضل أحمد بن يوسف بن على بن محمد
الفزنوى البغدادى المقرئ الفقيه الحنفى ،
ودرس بها ، فعرفت به .

وكان اماما فى الفقه ، وسمع على الحافظ
البلخى وغيره ، وقرأ بنفسه ، وسكن مصر
آخر عمره . وكان فاضلا ، حسن الطريقة ،

متدينا ، وحدث بالقاهرة بكتاب الجامع لعبد
الرزاق بن همام ، فرواه عنه جماعة ، وجمع
كتابا فى الشيب والعمر . وقرأ عليه أبو الحسن
السخاوى ، وأبو عمرو بن الحاجب .

ومولده ببغداد فى ربيع الأول سنة اثنين
وعشرين وخمسائة ، وتوفى بالقاهرة يوم
الاثنين النصف من ربيع الأول سنة تسع
وتسعين وخمسائة .

وهى من مدارس الحنفية .

المدرسة البوبكرية

هذه المدرسة بجوار درب العباسى ، قريبا
من حارة الوزيرية ، بالقاهرة . بناها الأمير
سيف الدين أسنغا بن الأمير * سيف الدين
بكتمر البوبكرى الناصرى ، ووقفها على
الفقهاء الحنفية ، وبنى بجانبها حوض ماء
للسيل وسقاية ومكتبا للأيتام ، وذلك فى
سنة اثنين وسبعين وسبعمائة ، وبنى قبالتها
جامعا فمات قبل اتمامه .

وكان يسكن دار بدر الدين الأمير طرنتاى
المجاورة للمدرسة الحسامية ، تجاه سوق
الجوارى ، فلذلك أنشأ هذه المدرسة بهذا
المكان لقربه منه . ثم لما كانت سنة خمس عشرة
وثمانمائة جدد بهذه المدرسة منبرا ، وصار
يقام بها الجمعة .

« أسنغا » بن بكتمر الأمير ...

المدرسة البقرية

هذه المدرسة فى الزقاق الذى تجاه باب
الجامع الحاكمى المجاور للمنبر ، ويتوصل من

(*) من ٢٩٠ ، ربيع ٢ ، ط ٠ بولاق

هذه المدرسة في شعبة المصطفى . من الركن
شس المسمى شمس بن عيسى (تسمى عيسى)
— معروف بن عيسى — أحد مشايخ
المصطفى . وهو من مشايخ يوم الملك الناصر
الحسن بن محمد بن قلاوون . وهو من
أولاد صاحب مسجد الحسين بن
البقرى .

وأما من قرية تعرف بشار البقر ، إحدى
قرى حمية ، تسمى على دين النصارى ، وعرف
أصحابها ، وبشار الخراج ... إلى أن أقامه
الأمير شرف الدين بن الأركشي — استدار
السلطان ، ومنير الدولة في يوم الناصر
حسن — فسلم على يديه ، وأقامه بدمشق
شس الدين ، وختم عليه ، واستقر به في
نظر الخيرة القطبية — وكان يقرأ عند
من الركن الجبلية — وأما في نظر الإخوة
والأولاد القطبية ، ورثه مستوفيا بمدرسة
الناصر حسن .

فشكلت طريقته : وحملت سيرته ، وأما
مبذبه وحسنه : وقرب من العلم من الفقه ،
وتفصيل أنواع من السر . وأما هذه المدرسة
في شمس قات وأما تريب ، وحمل به درس
الفقه الشافعية ، وقرر في تدرسيها شيخنا
سراج الدين عمر بن علي التماري
— المعروف بن الشقن — الشافعي ، ورث
فيها ميعدا وجعل شيخه صاحبنا الشيخ كمال
الحسين بن موسى النعمري الشافعي ، وجعل
أما العلوات بها القرى تتفاضل زين الدين
أبا بكر بن الشهاب أحمد النحوي . وكان
الناس يرحلون إليه في شهر رمضان لسماع
قراءته في صلاة التراويح ، أشج صوته ،

ونبت بفضله ، وحسن أدبه ، ومعرفة
بالحرف السبع والعشر والشواظ .

ولم يزل ابن البقرى على حال السيادة
والكرامة إلى أن مرض مرض موته ، فبعد
عه من يولده من النصارى ، وأحضر كمال
النعمري وغيره من أهل الخير . فما زالوا
عنده حتى مات — وهو يشهد شهادة
الإسلام — في سنة ست وثمانين وسبعمائة ،
ودفن بمدرسته هذه ، وفيه بها تحت قبة في
غاية الحسن ، وولي نظر الخيرة بمدرسة أبو
غالب .

ثم استجد في هذه المدرسة منير ، وقيمت
بها الجمعة في شمس جندى الأولى منه أربع
وعشرين وثلاثمائة ، بإشارة علم الدين داود
الكبير كاتب السر .

المدرسة القطبية

هذه المدرسة بأول حارة زويلة ، مما يلي
الخرف ، في رجة كوكبي . عرفت بالست
الجميلة عصمة الدين حنون مؤنة القطبية
— المعروف بدار أقبال العلالي — ابنة
السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن
أيوب بن شاذي . وكان وقعها في سنة خمس
وستمائة ، وجا درس للفقهاء الشافعية ،
وتصدير قراءات وفتها يقرأون .

مدرسة ابن المغربي

هذه المدرسة آخر درب الصلبة ، فيما بين
سوق السمودي وحارة زويلة . بناها صلاح
الدين يوسف بن ٥٥٥ و ٥٥٠ ابن المغربي رئيس

المدرسة الملكية

هذه المدرسة بوسط المشهد الحسيني من
القاهرة . بناها الأمير الحاج سيف الدين آل
ملك الجوكندار تجاه داره ، وعمل فيها درسا
للفقهاء الشافعية وخزانة كتب معتبرة ، وجعل
لها عدة أوقاف . وهي إلى الآن من المدارس
المشهوره ، وموضعها من جملة رجة قصر
الشوك ، وقد تقدم ذكرها عند ذكر الرحاب
من هذا الكتاب . ثم صار موضع هذه المدرسة
دارا تعرف بدار ابن كرمون ، صهر الملك
الصالح .

المدرسة الجمالية

هذه المدرسة بجوار درب راشد من
القاهرة ، على باب الزقاق المعروف قديما بدرب
سيف الدولة نادر . بناها الأمير الوزير علاه
الدين مغلطاي الجمالي ، وجعلها مدرسة
للحنفية وخاتمة للصوفية .

وولي تدرسيها ومشيخة التصوف بها :
الشيخ علاه الدين علي بن عثمان التركماني
الحنفي ، وتداولها ابنه قاضي القضاة جمال
الدين عبد الله التركماني الحنفي ، وابنه قاضي
القضاة صدر الدين محمد بن عبد الله بن علي
التركمان الحنفي ، ثم قريهم حميد الدين
حماد ، وهي الآن بيد ابن حميد الدين
المذكور .

وكان شأن هذه المدرسة كبيرا . يسكنها
أكابر فقهاء الحنفية ، وتعد من أجل مدارس
القاهرة ، ولها عدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها

الأطباء تجاه داره ، ومات قبل اكتمالها ، فدفن
بعد موته في قبة تجاه جامع المظل على الخليج
الناصري بقرب بركة قرموط ، وصارت هذه
المدرسة قائمة بغير اكمال . إلى أن هدمها
بعض فريته في سنة أربع عشرة وثمانمائة ،
وباع أقالها ، فصار موضعها طاحونة .

المدرسة البيدرية

هذه المدرسة بركة الأيدمرى ، بالقرب من
باب قصر الشوك ، فيما بينه وبين المشهد
الحسيني . بناها الأمير بدر الأيدمرى .

المدرسة البديرية

هذه المدرسة بجوار باب سر المدرسة
الصالحية النجبية . كان موضعها من جملة
قرية القصر التي تقدم ذكرها ، فنبش شخص
من الناس — يعرف بناصر الدين محمد بن
محمد بن بدير العباسي — ما هنالك من قبور
الخطاء ، وأما هذه المدرسة في سنة ثمان
وخمسين وسبعمائة ، وعمل فيها درس فقه
للفقهاء الشافعية ، درس فيه شيخنا شيخ
الاسلام سراج الدين عمر بن نصير بن رسلان
البليثي ، وهي مدرسة صغيرة لا يكاد يصعد
إليها أحد .

والعباسي هذا من قرية بطرف الرمل يقال
لها العباسية . وله في مدينة بليس مدرسة ،
وقد ثلاثت بعدما كانت عامرة مليحة .

وفي البلاد النامية . وقد تلاثى أمر هذه المدرسة لسوء ولاه أمرها وتحريرهم أودعها ، وتمثل منها حضور الدرس والصوف ، وصارت منزلا يسكنه أخلاط ممن ينسب إلى اسم الفقه ، وقرب الحراب منها ، وكان بدؤها في سنة ثلاثين وسبعمائة .

« مغلطاي » بن عبد الله الجمالي : الأمير علاء الدين - عرف بخز ، وهى بالتركية عبارة عن الدين بالعربية - اشتراه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ونقله وهو شاب من الجامعة إلى الإمرة ، على اقتناع الأمير صارم الدين إبراهيم الإبراهيمي ، نقيب الماليك السلطانية - المعروف بزر الإمرة - في صفر سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وصار السلطان يتدبه في التوجه إلى المهمات الخاصة به ، ويظلمه على سره .

ثم بعثه أمير الركب إلى الحجاز في هذه السنة . فقبض على الشريف أسد الدين رمية ابن أبي نسي صاحب مكة ، وأحضره إلى قلعة الجبل في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وسبعمائة مع الركب . فأفكر عليه السلطان سرعة دخوله ، لما أصاب الحاج من المشقة في الأسراع بهم .

ثم انه جعل أستاذار السلطان ، لما قبض على القاضي كريم الدين عبد الكريم ابن المعلم هبة الله ناظر الخواص ، عند وصوله من دمشق بعد سفره إليها لاحتضار شمس الدين غبريال . فيوم حضر خلع عليه ، وجعل أستاذارا عوضا عن الأمير سيف الدين بكتسر العلاني ، وذلك في جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة .

ثم أضاف إليه الوزارة ، وخلع عليه في يوم الخميس ثامن رمضان سنة أربع وعشرين ، عوضا عن صاحب أمين الملك عبد الله بن العم ، بعدما اسعى من الوزارة واعتذر بأنه رجل غسى ، فلم يعمه السلطان ، وقال : أنا أخلى من يباشر معك ، ويعرفك ما تعمل . وطلب شمس الدين غبريال « طر دمشق منها ، وجعله « طر الدولة رفيقا للوزير الجمالي .

فرفعت قصة إلى السلطان ، وهو في القصر من القلعة ، فيها الخط على السلطان بسبب تولية الجمالي الوزارة والماس حاجبا ، وأنه بسبب ذلك أضاع أوضاع الملكة وأهائها ، وفرد في أموال المسلمين والجيش ، وأن هذا لم يفعله أحد من الملوك ... فقد وليت الحجابة لمن لا يعرف يحكم ، ولا يتكلم بالعربي ، ولا يعرف الأحكام الشرعية . ووليت الوزارة والأستادارية لشاب لا يعرف يكتب اسمه ، ولا يعرف ما يقال له ، ولا يتصرف في أمور الملكة ، ولا في الأموال الديوانية ، إلا أرباب الرافلام ، فأنهم يأكلون المال ويحيلون على الوزير .

فلما وقف السلطان عليهما ، أوقف عليهما القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله - المعروف بالفخر ناظر الجيش - فقال : هذه ورقة الكتاب البطلين ممن انقطع * رزقه وكثر حده . وقرر مع السلطان أن يلزم الوزير ناظر الدولة وناظر الخواص باحضار أوراق في كل يوم تشمل على أصل الحاصل ، وما حصل في ذلك اليوم من البلاد الجهات وما

(١٥) من ٢٩٢ ج ٢ ، ط . بولاق .

صرف ، وأنه لا يصرف لأحد شيء البتة إلا بأمر السلطان وعلمه .

فلما حضر الوزير الجمالي ، أكر عليه السلطان ، وقال له : ان الدواوين تلعب بك . وأمر لأحضر التاج اسحاق وغبريال ومجد الدين بن لمية ، وقرر معهم أن يحضروا آخر كل يوم أوراقا بالحاصل والمصرف ، وقد فصلت بأسماء ما يحتاج إلى صرفه وإلى شرائه ويومه . فصاروا يحضرون كل يوم الأوراق إلى السلطان ، وتقرأ عليه ، فيصرف ما يختار ، ويوقف ما يريد . ورسم أيضا أن مال الجيزة كله يحمل إلى السلطان ، ولا يصرف منه شيء .

ثم لما كانت الفتنة بشرف الاسكندرية بين أهلها وبين الفرنج ، وغضب السلطان على أهل الاسكندرية ، بعث بالجمالي إليها . فسار من القاهرة في أثناء رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، ودخل إليها ، فجلس بالخمس ، واستدعى بوجوه أهل البلد ، وقبض على كثير من العامة ، ووسط بعضهم ، وقطع أيدي جماعة وأرجلهم ، وصادر أرباب الأموال حتى لم يدع أحدا له ثروة حتى ألزمه بمال كثير . فباع الناس حتى ثياب نسائهم في هذه المصادرة . وأخذ من التجار شيئا كثيرا ، مع ترفقه بالناس فيما يرد عليه من الكتب بسفك الدماء ، وأخذ الأموال .

ثم أحضر العدد التي كانت بالثغر مرصدة برسم الجهاد ، فبلغت ستة آلاف عدة ، وأوضعها في حاصل ، وختم عليه . وخرج من الاسكندرية بعد عشرين يوما ، وقد سفك

دماء كثيرة ، وأخذ منها مائتي ألف دينار للسلطان ، وعاد إلى القاهرة ، فلم يزل على حاله إلى أن صرف عن الوزارة في يوم الأحد ثاني شوال سنة ثمان وعشرين . ورسم أن توفر وظيفة الوزارة من ولاية وزير ، فلم يستقر أحد في الوزارة ، وبقي الجمالي على وظيفة الأستادارية .

وكان سبب عزله عن الوزارة توقف حال الدولة ، وقلة الواصل إليها . فعمل عليه الفخر ناظر الجيش والتاج اسحاق ، بسبب تقديمه لمحمد بن لمية ، فإنه كان قد استقر في نظر الدولة والصحة والبيوت ، وتحكم في الوزير وتسلم قياده . فكتبت مرافعات في الوزير ، وأنه أخذ مالا كثيرا من مال الجيزة ، فخرج الأمير أيتمش المجدي بالكشف عليه ، وهم السلطان بإيقاع الحوطة به . فقام في حقه الأمير بكتسر الساقى حتى غنى عنه ، وقبض على كثير من الدواوين .

ثم انه سافر إلى الحجاز ، فلما عاد توفي بسطح عقبة أيلة ، في يوم الأحد سابع عشر المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، فصر وحمل إلى القاهرة ، ودفن بهذه الخائفة في يوم الخميس حادى عشرى المحرم المذكور ، بعدما صلى عليه بالجامع الحاكمي . وولى السلطان بعده الأستادارية الأمير أقبغا عبد الواحد . وكان ينسب عن الجمالي في الأستادارية الطنقش ملوك الأفرم ... نقله إليها من ولاية الشرقية .

وكان الجمالي حسن الطباع ، يميل إلى الخير مع كثرة الحشة ، ومما شكر عليه في وزارته أنه لم يخل على أحد بولاية مباشرة ،

وَنُشَأَ فُلُكًا كَثِيرًا ، وَقَصَدَ مِنْ مَائِرِ الْأَعْلَاءِ .
وَكَانَ يَقْبَلُ الْمَهْدَايَا وَيُحِبُّ التَّدَامَ ، فَحَلَّتْ لَهُ
الدُّنْيَا ، وَجَمَعَ مِنْهَا شَيْئًا كَثِيرًا . وَكَانَ إِذَا أَخَذَ
مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا عَلَى وَلَايَةٍ ، لَا يَعْزِلُهُ حَتَّى يَعْرِفَ
أَنَّهُ قَدْ أَكْسَبَ قَدْرَ مَا وَزَنَهُ لَهُ وَلَوْ أَكْثَرَ عَلَيْهِ
فِي السَّمِيِّ ، فَلَا يَعْرِفُ أَنَّهُ أَخَذَ مَا غَرَمَهُ ،
عَزَلَهُ وَوَلَّى غَيْرَهُ ، وَلَمْ يَعْرِفْ عَنْهُ أَنَّهُ صَادِرٌ
أَحَدًا ، وَلَا اخْتَلَسَ مَالًا . وَكَانَتْ أَبَايَاهُ قَلِيلَةً
النَّاسُ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَعْزِلُ وَيُؤَلِّقُ بِالْمَلِكِ ، فَتَزَايَدَ
النَّاسُ فِي الْمُنَاصَبِ ، وَكَانَ لَهُ عَقَبٌ بِالْقَاهِرَةِ
غَيْرُ صَالِحِينَ وَلَا مُصْلِحِينَ .

المدرسة الفارسية

هذه المدرسة بخط النعمادين ، من أول
العطوفية بالقاهرة ، كان موضعها كنيصة تعرف
بكنيسة النعمادين . فلما كانت واقعة التصاري
في سنة ست وخمسين وسبعمائة ، هدمها
الأمير فارس الدين البكي - قريب الأمير
سيف الدين آل ملك الجوكندار - وبني
هذه المدرسة ، ووقف عليها وقفًا يقوم بما
تحتاج إليه .

المدرسة السابقة

هذه المدرسة داخل قصر الخلفاء
الفاطميين ، من جملة القصر الكبير الشرقي
الذي كان داخل دار الخلافة ، ويتوصل إلى
هذه المدرسة الآن من تجاه حمام اليسرى
بخط بين القصرين ، وكان يتوصل إليها أيضا
من باب القصر - المعروف بباب الريح -
من خط الركن المخلوق ، وموضع الآن
قيصرية الأمير جمال الدين يوسف الأستادار .

بني هذه المدرسة الطواشي الأمير سابق
الدين منقال الأنوكي ، مقدم الماليك
السلطانية الأشرفية ، وجعل بها درسا للفناء
الشافعية ... قرر في تدرسه شيخنا شيخ
ابوخ سراج الدين عمر بن علي الأنصاري ،
المعروف بابن الملتن الشافعي ، وجعل فيها
تصدير قراءات وخزانة كتب وكتابا يقرأ فيه
آيتام المسلمين ، وبني بينها وبين داره
- التي تعرف بقصر سابق الدين - حوض
ماء للسبيل . هدمه الأمير جمال الدين يوسف
الأستادار لما بني داره المجاورة لهذه المدرسة .
وولي سابق الدين تقدمه الماليك ، بعد
الطواشي شرف الدين مختص الطفتري ، في
صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة . ثم تنكر
عليه الأمير يلبغا الخاصكي ، القائم بدولة
الملك الأشرف شعبان بن حسين ، وضربه
مئة عصا وسجنه ، وبقاه إلى أسوان في
آخر شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين . فلم
يكن غير قليل حتى قتل الأمير يلبغا ،
فاستدعى الأشرف سابق الدين بن قومن ،
وصرف ظهير الدين مختارا - المعروف
بشاذروان - عن التقدم ، وأعادها إليها .
فاستمر إلى أن مات سنة ست وسبعين
وسبعمائة .

المدرسة القيسرانية

هذه المدرسة بجوار المدرسة صاحبية ،
بسوق الصاحب ، فيما بينها وبين باب
الخوخة . كانت دارا يسكنها القاضي الرئيس
شمس الدين محمد بن إبراهيم القيسراني ،
أحد موقعي الدست بالقاهرة ، فوقها قبل

(٣٦) من ٢٩٢ ج ٢ ، ط ١٩٧٠

موته مدرسة ، وذلك في ربيع الأول سنة
أحدى وخمسين وسبعمائة ، وتوفي سنة
اثنين وخمسين وسبعمائة .

وكان حننا كبير الهمة . سمي بالأمير
سيف الدين بهادر الدمرداشي في كتابة السر
السر بالقاهرة ، مكان علاء الدين علي بن
فضل الله العمري ، فلم يتم ذلك ، ومات
الأمير بهادر ، فانحط جانب . وكانت دنياء
واسعة جدا ، وله عدة ممالك يتوصل بهم
إلى السمي في أغراضه عند أمراء الدولة ،
وكان ينسب إلى شح كبير .

المدرسة الزمامية

هذه المدرسة بخط رأس البندقانيين من
القاهرة ، فيما بين البندقالين وسوق
الصاحب . بناها الأمير الطواشي زين الدين
مقبل الرومي ، زمام الأدر الشرف للسلطان
الظاهر برقوق ، في سنة سبع وتسعين
وسبعمائة ، وجعل بها درسا وصوفية ونبرا
يخطب عليه في كل جمعة .

وبينها وبين المدرسة صاحبية دون مدى
الصوت ، فيسمع كل من صلى بالموضعين
تكبير الآخر . وهذا وأنتظاره بالقاهرة من
شنيع ما حدث في غير موضع ، ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم على إزالة هذه
الابتدعات .

المدرسة الصغيرة

هذه المدرسة فيما بين البندقانيين وطواحين
الملحين ، وبصرف خطها بيت محب الدين

ناظر الجيوش ، وبصرف أيضا بخط بين
العواميد . بنتها الست أيدكين ، زوجة الأمير
سيف الدين بكجا الناصري ، في سنة إحدى
وخمسين وسبعمائة .

مدرسة نربة أم الصالح

هذه المدرسة بجوار المدرسة الأشرفية ،
بالقرب من المشهد النقي فيا بين القاهرة
ومصر ، موضعها من جملة ما كان بستانا .
أنشأها الملك المنصور قلاوون على يد الأمير
علم الدين سنجر الشجاعي ، في سنة اثنين
وثمانين وستمائة ، برسم أم الملك الصالح
علاء الدين علي بن الملك المنصور قلاوون .

فلما كمل بناؤها ، نزل إليها الملك المنصور
ومعه ابنه الصالح علي ، وتصدق عند قبرها
بمال جزيل ، ورتب لها وقفا حسنا على قراء
وفقهاء وغير ذلك . وكانت وفاتها في سادس
عشر شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

مدرسة ابن عرام

هذه المدرسة بجوار جامع الأمير حسين ،
بحكر جوهر النسوبي من بر الخليج الغربي ،
خارج القاهرة . أنشأها الأمير صلاح الدين
خليل بن غرام ، وكان من فضلاء الناس ، تولى
نيابة الاسكندرية ، وكتب تاريخا ، وشارك في
علوم .

فلما قتل الأمير بركة بسجن الاسكندرية ،
ثارت ممالك على الأمير الكبير برقوق حنقا
لقتله . فأنكر الأمير برقوق قتله ، وبعث الأمير
يونس النوروزي دواوده لكشف ذلك ،

فنبش عنه قبره ، فإذا فيه ضربات عدة لحداهن
فى رأسه ، فأنتم ابن عرام بقله من غير أن
له فى ذلك . فأنخرج بركة من قبره — وكان
يشابه من غير غسل ولا كفن — وغسله
وكفنه .

وأحضر ابن عرام معه ، فسجن بخزانة
شمال داخل باب زويلة من القاهرة ، ثم عصر ،
وأخرج يوم الخميس خامس عشر رجب سنة
اثنين وثمانين وسبعمائة من خزانة شمال ،
وأمر به لمر عرمان بعد ما ضرب عند باب
القلعة . بالمقارع ستة وثمانين بحضرة الأمير
قطلودمر الخازندار والأمير مامور حاجب
الحجاب .

فلما أزل من القلعة ، وهو مسر على
الجمال ، أتته :

لك قلبى تحله فدمى لم تحله
لك من قلبى المسكان فلم لا تحله
قل ان كنت مالكا فلى الأمر كله

وما هو الا أن وقف بسوق الخيل تحت
القلعة . وإذا بمالك بركة قد آكبت عليه
تضربه بيونها حتى تنقطع قطعا ، وحز رأسه
وعلق على باب زويلة ، وتلاعبت أيديهم :
فأخذ واحد أذنه ، وأخذ واحد رجله ،
واشترى آخر قطعة من لحمه ولاكها . ثم جمع
ما وجد منه ، ودفن بدمسته هذه .

فقال فى ذلك صاحبنا الأديب شهاب الدين
أحمد بن المطار :

يلت أجزاء عرام خليل
منقطة من الضرب الثقيل

(٥) من ٢٩١ ج ١ ، ط. بولاق .

وأبدت أمير الشعر الرائي
محررة بنقطع الخليل

المدرسة المحمودية

هذه المدرسة بحط الموازين ، خارج باب
زويلة نجاه دار الفردية ، يشبه أن موضعها
كان فى القديم من جملة الحارة التى كانت
تعرف بالمصرية . أنشأها الأمير جمال الدين
محمود بن على الأستاذ فى سنة سبع
وتسعين وسبعمائة ، ورتب بها درسا ، وعمل
فيها خزانة كتب لا يعرف اليوم بديار مصر
ولا الشام مثلها ، وهى باقية الى اليوم ، لا
يخرج لأحد منها كتاب الا أن يكون فى
المدرسة ، وبهذه الخزانة كتب الاسلام من كل
فن . وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر .

« محمود » بن على بن أصغر عنه : الأمير
جمال الدين الأستاذ . ولى شد باب رشيد
بلاسكندرية مدة ، وكانت واقعة الفرنج بها
فى سنة سبع وستين وسبعمائة وهو مشد ،
فيقل أن ماله الذى وجد له حصله يومئذ ، ثم
أنه سار الى القاهرة .

فلما كانت أيام الظاهر برقوق ، خدم
أستادارا عند الأمير سودون باق ، ثم استقر
شاد الدواوين الى أن مات الأمير بهادر
المنجكى أستاذ السلطان ، فاستقر عوضا
عنه فى وظيفة الأستاذية يوم الثلاثاء ثالث
جمادى الآخرة سنة تسعين وسبعمائة ، ثم
خلع عليه فى يوم الخميس خامس ، واستقر
مشير الدولة . فصار يتحدث فى دواوين
السلطنة الثلاثة ، وهى : الديوان المفرد الذى

يتحدث فيه الأسادار ، وديوان الوزارة
ويعرف بالدولة ، وديوان الحاصل المعلن
بنظر الخواص . وعظم أمره ، وتعدت كلفه
لتصرفه فى سائر أمور المملكة .

فلما زالت دولة الملك الظاهر برقوق بحضور
الأمير يلغا الناصرى نائب حلب ، فى يوم
الاثنين خامس جمادى الآخرة سنة إحدى
وتسعين وسبعمائة ، بعاكر الشام الى القاهرة
واختفى الظاهر ، ثم أمسكه ... هرب هو
وولده ، فنهبت دوره .

ثم انه ظهر من الاستار فى يوم الخميس
ثامن جمادى الآخرة ، وقدم للأمير يلغا
الناصرى مالا كثيرا ، فقبض عليه ، وقيدته ،
وسجنه بقلعة الجبل . وأقيم بدله فى
الأستادارية الأمير علاء الدين أبقيا
الجوهري .

فلما زالت دولة يلغا الناصرى بقيام الأمير
منطاش عليه ، قبض على أبقيا الجوهري فمين
قبض عليه من الأمراء ، وأفرج عن الأمير
محمود فى يوم الاثنين ثامن شهر رمضان ،
وألبه قباء مطرزا بذهب ، وأزله الى داره .
ثم قبض عليه ، وسجن بخزانة الخاص فى يوم
الأحد سادس عشر ذى الحجة ، فى عدة من
الأمراء والماليك ، عند عزم منطاش على
السفر لحرب برقوق عند خروجه من الكرك ،
ومسيره الى دمشق . فكانت جملة ما حصله
الأمير محمود من الذهب العيين ، للأمير يلغا
الناصرى وللأمير منطاش ، ثمانية وخمسين
قنطارا من الذهب المصرى ، منها ثمانية عشر
قنطارا فى ليلة واحدة .

فلم يزل فى الاعتقال الى أن خرج المالك
مع الأمير بوطا ، فى ليلة الخميس ثالى صفر
سنة اثنين وتسعين وسبعمائة ، فخرج معهم ،
وأقام بمنزله ... الى أن عاد الملك الظاهر
برقوق الى المملكة فى رابع عشر صفر ، فخلع
عليه ، واستقر أستاذ السلطان على عادته ،
فى يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى
من السنة المذكورة ، عوضا عن الأمير
قرقماش الطشترى بعد وفاته . ثم خلع على
ولده الأمير لاسر الديج محمد بن محمود فى
يوم الخميس ثالى عشر صفر سنة أربع
وتسعين وسبعمائة ، واستقر نائب السلطنة
بشرف الاسكندرية عوضا عن الأمير الطنغا
المعلم .

فكوت حرمة الأمير محمود ، وتعدت
كلفته ... الى يوم الاثنين حادى عشر رجب
من السنة المذكورة . فثار عليه المالك
السلطانية بسبب تأخر كسوتهم ، ورموه من
أعلى القلعة بالحجارة ، وأحاطوا به وضربوه
يريدون قتله . لولا أن الله أغاثه بوصول
الخبر الى الأمير الكبير أيتش — وكان
يسكن قريبا من القلعة — فركب بنفسه ،
وساق حتى أدركه ، وفرق عنه المالك ،
وسار به الى منزله حتى سكنت الفتة ، ثم
شيعه الى داره .

فكانت هذه الواقعة مبدأ الحلال أمره .
فان السلطان صرفه عن الأستاذية ، وولى
الأمير الوزير ركن الدين عمر بن قايماز فى
يوم الخميس رابع عشرة ، وخلع على الأمير
محمود قباء بطرز ذهب ، واستقر على أمره .

(٥) من ٢٩١ ج ١ ، ط. بولاق .

ثم صرف ابن قايمار عن الاستدارة ، وأعيد محمود في يوم الاثنين خامس عشر رمضان ، وأنعم على ابن قايمار بأمره طيلخانة ، فجند بشر الاسكندرية دار ضرب عمل فيها فلوس ناقصة الوزن ، ومن حينئذ اختل حال الفلوس بديار مصر .

ثم لما خرج الملك الظاهر الى البلاد الشامية في سنة ست وتسعين ، سار في ركابه ، ثم حضر الى القاهرة في يوم الأربعاء سابع صفر سنة سبع وتسعين وبسمائة ، قبل حضور السلطان ، وكان دخوله يوما مشهودا . فلما عاد السلطان الى قلعة الجبل ، حدث منه تغير على الأمير محمود في يوم السبت ثالث عشر ربيع الأول ، وهم بالايقاع به .

فلما صار الى داره ، بعث اليه الأمير علاء الدين على ابن الطبلاوى يطلب منه خمسمائة ألف دينار ، وان توقف يحيط به ويضربه بالمقارع ، فنزل اليه ، وقرر الحال على مائة وخمسين ألف دينار . فطلع على العادة الى القلعة في يوم الاثنين خامس عشره ، فبه الممالك السلطانية ورجموه ، ثم ان السلطان غضب عليه ، وضربه في يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر بسبب تأخر النفقة ، وأخذ أمره ينحل .

فولى السلطان الأمير صلاح الدين محمد ابن الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير تنكز استدارية الأملاك السلطانية في يوم الاثنين خامس رجب ، وولى علاء الدين على ابن الطبلاوى في رمضان التحدث في دار الضرب بالقاهرة والاسكندرية ، والتحدث في متجر السلطان . فوقع بينه وبين الأمير محمود كلام

كثير ، ورافقه ابن الطبلاوى بحضرة السلطان ، وخرج عليه من دار الضرب ستة آلاف درهم فضة .

فألزم السلطان محمودا بحمل مائة وخمسين ألف دينار فحملها ، وخلع عليه عند تكميله حملها في يوم الأحد تاسع عشر رمضان ، وخلع أيضا على ولده الأمير ناصر الدين ، وعلى كاتبه سعد الدين ابراهيم بن غراب الاسكندراني ، وعلى الأمير علاء الدين على ابن الطبلاوى . ثم ان محمودا وعك بدنه ، فنزل اليه السلطان في يوم الاثنين ثالث عشر ذي القعدة يعوده ، فقدم له عدة تقادم ، قبل بعضها ورد بعضها ، وتحدث الناس أنه استقلها .

فلما كان يوم السبت سادس صفر سنة ثمان وتسعين ، بعث السلطان الى الأمير محمود الطوائى شاهين الحسنى ، فأخذ زوجته وكاتبه سعد الدين ابراهيم بن غراب ، وأخذ مالا وقماشاً على حمالين وصار بهما الى القلعة ... هذا ومحمود مريض لازم الفراش . ثم عاد من يومه وأخذ الأمير ناصر الدين محمد بن محمود ، وحمله الى القلعة .

ثم نزل ابن غراب ومعه الأمير الى باى الخازندار في يوم الأحد سابعه ، وأخذ من ذخيرة بدار محمود خمسين ألف دينار . وفي يوم الخميس حادى عشره ، صرف محمود عن الاستدارية ، واستقر عوضه الأمير سيف الدين قطلوبك العلانى استادار الأمير الكبير أيتش ، وقرر سعد الدين بن غراب ناظر الديوان المفرد ، فاجتمع مع ابن الطبلاوى على عداوة محمود والسعى في اهلاكه ، وسلم ابن

محمود الى ابن الطبلاوى في تاسع عشر ربيع الأول ليستخلص منه مائة ألف دينار .

ونزل الطوائى صندل المنجى والطوائى شاهين الحسنى في ثالث عشره ومعهما ابن الطبلاوى ، فأخذوا من خربة خلف مدرسة محمود زيرين كبيرين وخمسة أزيار صغاراً وجد فيها ألف ألف درهم فضة ، فحملت الى القلعة ، ووجد أيضاً بهذه الخربة جرتان : فى لحداهما ستة آلاف دينار ، وفى الأخرى أربعة آلاف درهم فضة وخمسمائة درهم . وقبض على مباشرى محمود ومباشرى ولده ، وعوقب محمود .

ثم أوقعت الحوطة على موجود محمود في يوم الخميس سابع جمادى الأولى ، ورسم عليه ابن الطبلاوى فى داره ، وأخذ ماله كـه وأتباعه ، ولم يدع عنده غير ثلاثة ممالك صغار ، وظهرت أموال محمود شيئاً بعد شيء . ثم سلم الى الأمير فرج شاد الدواوين فى خامس جمادى الآخرة ، فنقله الى داره وعاقبه وعصره فى ليلته . ثم قل فى شعبان الى دار ابن الطبلاوى ، فضربه وسعطه وعصره ، فلم يعترف بشيء .

وحكى عنه أنه قال : لو عرفت أنى أعاقب ما اعترفت بشيء من المال . وظهر منه فى هذه المحنة ثبات وجلد وصبر ، مع قوة نفس وعدم خضوع ، حتى انه كان يسب ابن الطبلاوى اذا دخل اليه ، ولا يرفع له قدرا . ثم ان السلطان استدعاه الى ما بين يديه يوم السبت أول صفر سنة تسع وتسعين ، وحضر سعد الدين بن غراب ، فشافه بكل سوء ، ورافقه فى

وجهه حتى استغضب السلطان على محمود ، وأمر بمحاقبته حتى يموت .

فأول الى بيت الأمين حمام الدين حسين ، ابن أخت أقرع شاد الدواوين - وكان استادار محمود - فلم يزل عنده فى العقوبة . الى أن قل من داره الى خزانه ، ثمائل فى ليلة الجمعة ثالث جمادى الأولى ، وهو مريض ، فمات بها فى ليلة الأحد تاسع رجب سنة تسع وتسعين وبسمائة ، ودفن من الغد بمدرسته ، وقد أضاف على الستين سنة .

وكان كثير الصلاة والعبادة ، مواظباً على قيام الليل . الا أنه كان شحيحاً سيكاً ، شرها فى الأموال ، رمى الناس منه فى رماية البضائع بدواه ، اذا نسبت الى ما حدث من بعده كانت عاقبة ونعمة ، وأكثر من ضرب الفلوس بديار مصر حتى فسدت بكثرتها حال اقليم مصر .

وكان جملة ما حمل من ماله ، بعد نكبته هذه ، مائة قنطار ذهباً وأربعين قنطاراً : عنها ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار عينا ، وألف ألف درهم فضة . وأخذ له من البضائع واللال والتعود والأعسال ما قيمته ألف ألف درهم وأكثر .

المدرسة الملهدية

هذه المدرسة بعمارة حلب ، خارج القاهرة ، عند حمام قمارى . بناها الحكيم مهذب الدين محمد بن أبى الوحش - المعروف بابن أبى حليقة (تصغير حلقة) - رئيس الأطباء بديار

(٢٦٦) ج ٢ ، ط ١٠٠٠ بولاق

مصر . ولما راية لأطباء في حادى عشر
رمضان سنة أربع وثمانين وستائة ، واستقر
مدرس الطب بمدرستان المصورى .

المدرسة السطحية

هذه المدرسة خرج الدهرة بقرب حدرة
البترا ، على الشارع السلوك فيه من حوض
ابن هنس الى الصليبة ، وهى فيما بين قلعة
الجيل وبركة النيل . كان موضعها يعرف بخط
بتان سيف الاسلام ، وهى الآن فى ظهر بيت
قوصون المقابل لباب السلطة من قلعة
الجيل . بناها الأمير شمس الدين بن
العمدى ، نقيب الممالك السلطانية ، فى سنة
خمس عشرة وسبعمائة ، وبنى بها أيضا رباطا
للنساء .

وكان شديد الرغبة فى المعاشرة ، محبا
للزراعة ، كثير المال ، ظاهر الغنى . وهو الذى
عمر القرية التى تعرف اليوم بالحريرية ، من
أعمال القرية . وكانت اقتضاه - ثم انه
أخرج من مصر بسبب نزاع وقع بينه وبين
الأمير قوصون فى أرض أخذها منه ، فصار
الى طرابلس ، وبها مات فى سنة ثمان وعشرين
وسبعمائة .

المدرسة الصلجية

هذه المدرسة بخط حدرة البترا أيضا .
أنشأها الأمير سيف الدين طنجى الأشرفى ،
ولها وقف جيد .

« طنجى » الأمير سيف الدين : كان من
جنة مانيك الملك الأشرف خليل بن قلاوون ،

ترقى فى خدمته حتى صار من جملة أمراء ديار
مصر . فلما قتل الملك الأشرف ، قام طنجى فى
الممالك الأشرفية ، وحارب الأمير بيدرا ،
المولى لقتل الأشرف ، حتى أخذه وقتله .

فلما أقيم الملك الناصر محمد بن قلاوون فى
المملكة ، بعد قتل بيدرا ، صار طنجى من أكابر
الأمراء ، واستمر على ذلك بعد خلع الملك
الناصر بكتبا مدة أيامه . الى أن خلع الملك
العادل كتبا ، وقام فى سلطنة مصر الملك
المنصور لاجين ، وولى مملوكه الأمير سيف
الدين منكوتر نيابة السلطنة بديار مصر ،
فأخذ يواحد أمراء الدولة بسوء تصرفه .

وانفق أن طنجى حج فى سنة سبع وتسعين
وسمائة ، فقرر منكوتر مع المنصور أنه اذا
قدم من الحج يخرج به الى طرابلس ، ويتقبض
على أخيه الأمير سيف الدين كرجى . فعندما
قدم طنجى من الحج ، فى صفر سنة ثمان
وتسعين وسمائة ، رسم له بناية طرابلس ،
ونقل عليه ذلك ، وسمى باخوته الأشرفية حتى
أعفاه السلطان من السفر .

فسخط منكوتر ، وأبى الا سفر طنجى ،
وبعث اليه يلزمه بالسفر . وكان لاجين منقادا
لمنكوتر لا يخالفه فى شيء - فتواعد طنجى
وكرجى مع جماعة من المماليك ، وقتلوا
لاجين . وتولى قتله كرجى وخرج ، فاذا
طنجى فى انتظاره على باب القلعة من قلعة
الجيل ، فسر بذلك ، وأمر باحضار من بالقلعة
من الأمراء - وكانوا حينئذ يبيتون بالقلعة
دائما - وقتل منكوتر فى تلك الليلة ،
وعزم على أنه يتسلطن ، ويقيم كرجى فى
نيابة السلطنة ، فخذله الأمراء .

وكان الأمير بلو الدين بكتاش الصغير
مير سلاح قد خرج فى غزاة وقرب حضوره ،
فاستعملوه بما يريد الى أن يحضر ، فأخر
سلطته ، وبقي الأمراء فى كل يوم يحضرون
معه فى باب القلعة ، ويجلس فى مجلس النيابة
والأمراء عن بيته وشماله ، ويصد سائر
السلطان بين يديه . فلما حضر أمير سلاح
بين معه من الأمراء ، قول طنجى والأمراء الى
لقاتهم بعدما امتنع امتاعا كثيرا ، وترك كرجى
يحفظ القلعة بين معه من المماليك الأشرفية ،
وقد نوى طنجى الشر للأمراء الذين قد خرج
الى لقائهم ، وعرف ذلك الأمراء المقيمون عنده
فى القلعة ، فاستمدوا له ، وصار هو والأمراء
الى أن لقوا الأمير بكتاش ، ومعه من
الأشرفية أربعمائة فارس تحفظه حتى يعود من
اللقاء الى القلعة .

فعندما وافاه بقية النصر وتماثقا ، أعلمه بقتل
السلطان ، فشق عليه . وللوقت جرد الأمراء
سيوفهم ، وارتفعت الضجة ، فساق طنجى من
الخلقة والأمراء رواقا الى أن أدركه قراقوش
الظاهرى ، وضربه بسيف القاه عن فرسه الى
الأرض ميتا ، ففر كرجى ، ثم أخذ وقتل ،
وحمل طنجى فى مزبلة من مزابل الحمامات
على حمار الى مدرسته هذه ، فدفن بها ،
وقبره هناك الى اليوم .

وكان قتله فى يوم الخميس سادس عشر
ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وسمائة ، بعد
خمسة أيام من قتل لاجين ومنكوتر .

(*) من ٢١٧ هـ ، ط ١٠٠٠

المدرسة الجاولية

هذه المدرسة بجوار الكيش ، فيما بين
القاهرة ومصر . أنشأها الأمير علم الدين سنجر
الجاولى ، فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ،
وعمل بها درسا وصوفية ، ولها الى هذه
الأيام عدة أوقاف .

« سنجر » بن عبد الله : الأمير علم الدين
الجاولى . كان مملوك جاولى ، أحد أمراء
الملك الظاهر بيبرس ، وانتقل بعد موت الأمير
جاولى الى بيت قلاوون ، وخرج فى أيام
الأشرف خليل بن قلاوون الى الكرك ، واستقر
فى جملة البحرية بها الى أيام العادل كتبا ،
فحضر من عند نائب الكرك ومعه حواشيخاته
فرغمه كتبا ، وأقامه على الخواصاته
السلطانية . وصحب الأمير سلاور وولاه ،
فتقدم فى الخدمة ، وبقي أستاذار صغيرا
فى أيام بيبرس وسلاور ، فصار يدخل على
السلطان الملك الناصر ويخرج ، ويراعى
مصلحته فى أمر الطعام ، ويتقرب اليه .

فلما حضر من الكرك ، جهزه الى غزاة نائباً
فى جمادى الأولى سنة إحدى إحدى عشرة
وسبعمائة ، عوضا عن الأمير سيف الدين قتلوه
أقترع عبد الخالق بعد امساكه ، وأضاف اليه
مع غزاة الساحل والقدس وبلد الخليل وجبن
نابلس ، وأعطاه اقطاعا كبيرا ، بحيث كان
للوامد من مماليكه اقطاع يعمل عشرين ألفا
 وخمسة وعشرين ألفا .

وعمل نيابة غزاة على القالب الجائر ... الى
أن وقعت بينه وبين الأمير تسكر ، نائب

الشمس ، بسبب دار كسب له تحفه جامع تسمى
خارج دمشق من شملته : أراد تسمى
يسمى به ، فبنى عليه . فكتب فيه إلى
الناصر محمد بن قلاوون ، فأمسكه في قصر
عمرى شعبان سنة عشرين وسبعمائة ،
واسمه نحو من ثمان مائة ، ثم أفرج عنه
في سنة تسع وعشرين ، وأعطاه امرأة أربعين .
ثم بعد سنة أعطاه امرأة مائة ، وقدمه على
أبيه ، وجعله من أمراء لشورة .

فلم يزل على هذا إلى أن مات الملك
الناصر ، فتولى غلبه ودفنه . فلما ولي الملك
الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون سقطت
مصر ، أخرجته إلى نيابة حماة ، فأقام بها مدة
ثلاثة أشهر . ثم نقله إلى نيابة غزة ، فحضر
انها ، وأقام بها نحو ثلاثة أشهر أيضا . ثم
أحضره إلى القاهرة ، وقرره على ما كان عليه ،
وولى نظر المارستان بعد نائب الكرك عندما
أخرج إلى نيابة طرابلس . ثم توجه لحصار
الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون ، وهو
متنع في الكرك ، فأنشرف عليه في بعض
الأيام انصر أحمد من قلعة الكرك ، وسبه
وشيخه .

فقل له الجاولي : نعم أنا شيخ نحس ،
ولكن الساعة ترى حالك مع الشيخ النحس .
وقتل الشيخين إلى مكان يعرفه ، ورمى به ،
فلم يخط القنعة ، وهدم منها جانبا ، وطعن
بالعكر وأمسك أحمد ، وذبحه صبرا ، وبمات
يرأه إلى الصالح اسماعيل ، وعاد إلى مصر .
فلم يزل على حاله إلى أن مات في منزله
بالكيش ، يوم الخميس تاسع رمضان سنة

خمس وأربعين وسبعمائة ، ودفن بمدرسته .
وكانت جنازته حافلة إلى الغاية .

قد سمع الحديث وروى ، وصنف شرحا
كسرا على مسند الشافعى رحمه الله ، وأفتى
في آخر عمره على مذهب الشافعى ، وكتب
خطه على فتاوى عديدة .

وكان خيرا بالأمور ، غارفا بسياسة الملك ،
كفوا لما وليه من الثيابات وغيرها ... لا يزال
يذكر أصحابه في غيتهم عنه ، ومكرمهم إذا
حضروا عنده ، وانتفع به جماعة من الكتاب
والعلماء والأكابر . وله من الآثار الجيلة
الفاضلة جامع بسيدية غزة في غاية الحسن ،
وله بها أيضا حمام مليح ، ومدرسة للفقهاء
الشافعية ، وخان للسبل .

وهو الذى مدن غزة ، وبنى بها أيضا
مارستانا ، ووقف عليه عن الملك الناصر أوقافا
جيلة ، وجعل نظره لنواب غزة ، وعمر بها
أيضا الميدان وانقصر ، وبنى بيلد الخليل عليه
السلام جامعا سقته منه حجر نقر ، وعسل
الخان العظيم بقاقون ، والخان بقرية الكتيب ،
والقناطر بغاية أرسوف ، وخان رسلان في
حمراء يسان ، ودارا بالقرب من باب النصر
داخل القاهرة ، ودارا بجوار مدرسته على
الكيش . وسائر عمارته ظريفة أنيقة ، محكمة
متينة مليحة . وكان يتسنى إلى الأمير مسلا
ويجل ذكره .

المدرسة القارقانية

هذه المدرسة خارج باب زويلة من القاهرة ،
فيما بين حدرة البقر وصليبة جامع ابن

(هـ) ٢٨٨ هـ ، ١٢٠٤ م .

تلؤلؤ ، وهى الآن بجوار حمام القارقالى
تجاه البندقارية . بناها والحمم المجاور لها
الأمير ركن الدين ميرس القارقالى . وهو
غير القارقالى المنسوب إليه المدرسة القارقانية
بحارة الزورية من القاهرة .

المدرسة البشيرية

هذه المدرسة خارج القاهرة ، بحكر الخازن
المطل على بركة القيل ، كان موضعها مجلدا
يعرف بسجد سنقر السمدى الذى بنى
المدرسة السمدية . فسلمه الأمير الطواشى
سعد الدين بشير الجندار الناصرى ، وبنى
موضع هذه المدرسة في سنة إحدى وستين
وسبعمائة ، وجعل بها خزانة كتب ، وهى من
المدارس اللطيفة .

المدرسة المهنديارية

هذه المدرسة خارج باب زويلة ، فيما بين
جامع الصالح وقلعة الجبل ، يعرف خطها اليوم
بخط جامع الماردانى خارج الدرب الأحمر .
وهى تجاه مصلى الأموات ، على يمنة من
مسلك من الدرب الأحمر طالبا جامع الماردانى ،
ولها باب آخر فى حارة اليانسية .

بناها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش
الغزوى ، المهندس وقتيب الجيوشى ، فى
سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، وجعلها مدرسة
وخاتمة ، وجعل طلبه درسها من الفقهاء
الحنفية ، وبنى إلى جانبها القيسارية والربع
الموجودين الآن .

مدرسة الجاى

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من
قلعة الجبل . كان موضعها وما حولها مقبرة ،
ويسرى الآن خطها بخط سريقة العزى .
أنشأها الأمير الكبير سيف الدين الجاى فى
سنة ثمان وستين وسبعمائة ، وجعل بها درسا
للفقهاء الشافعية ودرسا للفقهاء الحنفية وخزانة
كتب ، وأقام بها منبرا يخط عليه يوم
الجمعة . وهى من المدارس المتبرة الجيلة ،
ودرس بها شيخنا جلال الدين البناى
الحنفى ، وكانت سكنه .

« الجاى » بن عبد الله اليوسفى : الأمير
سيف الدين . قتل فى الخدم حتى صار من
جيلة الأمراء بديار مصر . فلما أقام الأمير
الاستلتمر الناصرى بأمر الدولة ، بعد قتل
الأمير يلغا الخاصكى المرى ، فى شوال
سنة ثمان وستين وسبعمائة ، قبض على الجاى
فى علة من الأمراء ، وقيدهم وبمات بهم إلى
الاسكندرية ، فسجنوا إلى عاشر صفر سنة
تسع وستين .

فأفرج الملك الأشرف شعبان بن حسين
عنه ، وأعطاه امرأة مائة وتقدمة ألف ، وجعله
أمير سلاح برانى . ثم جعله أمير سلاح أنابك
الساكر ونظر المارستان المنصورى ، عوضا
عن الأمير متكلى بقا الشمسى ، فى سنة أربع
وسبعين وسبعمائة . وتزوج بخوند بركة أم
السلطان الملك الأشرف ، فمطم قدره ، واشتهر
ذكره ، وتحكم فى الدولة تحكما زائدا إلى
يوم الثلاثاء سادس المحرم سنة خمس وسبعين
وسبعمائة . فركب يريد محاربة السلطان

بسبب طلبه ميراث أم السلطان بعد موتها ،
فركب السلطان وأمرأه .

وبات الفريقان ليلة الأربعاء على الاستعداد
للقاتال إلى بكرة نهار الأربعاء ، فواقع الجاي
مع أمراء السلطان إحدى عشرة وقعة ، انكسر
في آخرها الجاي ، وفر إلى جهة بركة
الحبس ، وصعد من الجبل من عند الجبل
الأحمر إلى قبة النصر ، ووقف هناك . فاشتد
على السلطان ، فبعث إليه خلعة بياضة حماء ،
فقال : لا أتوجه إلا ومعى مماليكى كلهم ،
وجميع أموالى ، فلم يوافقوه السلطان على
ذلك ، وبات الفريقان على الحرب ، فانسحل
أكثر ممالك الجاي في الليل إلى السلطان .

وعندما طلع النهار يوم الخميس ، بعث
السلطان عساكره لمحاربة الجاي بقية النصر ،
فلم يقاوتهم ، وولى منهزماً - والطلب
وراءه - إلى ناحية الخرقانية بشاطئ النيل
قريباً من قليوب . فتحير وقد أدركه العسكر ،
فالتقى نفسه بفرسه في البحر يريد النجاة إلى
البر الغربي ، فغرق بفرسه ، ثم خلس القرس
وهلك الجاي ، فوقع النداء بالقاهرة وظواهرها
على احضار ممالكه ، فأمكن منهم جماعة .

وبعث السلطان الفطاسين إلى البحر تطلبه ،
فتبعوه حتى أخرجوه إلى البر في يوم الجمعة
تاسع المحرم سنة خمس وسبعين وسبعمئة .
فحل في تابوت على لباد أحمر إلى مدرسته
هذه ، وغسل وكنن ودفن بها . وكان مهابة
جباراً عسوقاً عتياً ، تحدث في الأوقاف ،
فتشد على الفقهاء ، وأهان جماعة منهم . وكان
معروفاً بالاقدام والشجاعة .

مدرسة أم السلطان

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من
قلعة الجبل ، يعرف لفظها الآن بالتبانة ،
وموضعها كان قديماً مقبرة لأهل القاهرة .
أنشأها الست الجليلة الكبرى بركة ، أم
السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين ، في
سنة إحدى وسبعين وسبعمئة ، وعملت بها
درسا للشافعية ودرسا للحنفية ، وعلى بابها
حوض ماء للسيل . وهى من المدارس
الجليلة ، وفيها دفن ابنها الملك الأشرف بعد
قتله .

« بركة » : الست الجليلة خوند ، أم الملك
الأشرف شعبان بن حسين ، كانت أمة مولدة .
فلما أقيم ابنها في ملكة مصر ، عظم شأنها ،
وحجت في سنة سبعين وسبعمئة بتجمل كثير
وبرج زائد ، وعلى محفاتها المصائب السلطانية
والكنوسات تدق معها . وسار في خدمتها
من الأمراء المقدمين : بشتاك العمري رأس
نوبة ، وبهادر الجمالى ، ومائة مملوك من
الممالك السلطانية أرباب الوظائف . ومن
جملة ما كان معها قطار جمال محملة محائر ،
قد زرع فيها البقل والخضراوات إلى غير
ذلك مما يجلب وصفه .

فلما عادت في سنة إحدى وسبعين
وسبعمئة ، خرج السلطان بمساكره إلى
لقائها ، وسار إلى البوب في سادس عشر
المحرم ، وتزوجت بالأمير الكبير الجاي
اليوسفى ، وبها طال واستطال . ماتت في ثامن
عشر ذى القعدة سنة أربع وسبعين وسبعمئة .

(٣) من ٢٩٦٠ ج ١ ، ط ١٠٠٠٠

المدرسة الجديدة الخيلية

هذه المدرسة بمصر يعرف موضعها بدير
البلاد . عمرها الشيخ الامام مجد الدين أبو
محمد عبد العزيز ابن الشيخ الامام أمين الدين
أبى على الحسين بن الحسن بن ابراهيم الخيلى
الدارى ، فتت في شهر ذى الحجة سنة
ثلاث وستين وستمئة ، وقرر فيها مدرسا
شافعيًا ومعيدين وعشرين تقرأ طلبة ، واماما
رايا ومؤدنا ، وقياا لكنسها وفرشها ووقود
مصاييحها وإدارة ساقيتها ، وأجرى الماء إلى
فسقيتها

ووقف عليها غيظا بناحية باربار من أعمال
المزاحيتين ، وبستانا بمحلة الأمير من
المزاحيتين بالغرية ، وغيظا بناحية نطوبس ،
وربع غيظ بظاهر نجر رشيد ، وبستانا ونصف
بستان بناحية بلقش ، ورباعا بمدينة مصر .

ومجد الدين هذا هو والد صاحب الوزير
فخر الدين عمر بن الخيلى . ودرس بهذه
المدرسة صاحب فخر الدين إلى حين وفاته .
وتوفى مجد الدين بدمشق في ثالث عشر ربيع
الآخر سنة ثمانين وستمئة ، وكان مشهورا
بالصلاح .

المدرسة الناصرية بالقراة

هذه المدرسة بجوار قبة الامام محمد بن
ادريس الشافعى ، رضى الله عنه ، من قراة
مصر . أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح
الدين يوسف بن أيوب ، ورتب بها مدرسا
يدرس الفقه على مذهب الشافعى ، وجعل له

وكات خليفة عفيفة ، لها ر كثير ومعروف
معروف ، تحدث الناس بحجتها عدة سنين لما
كان لها من الأفعال الجميلة في تلك المشاهد
الكرية ، وكان لها اعتقاد في أهل الخير ،
ومحبة في الصالحين ، وقبرها موجود بقبة
هذه المدرسة . وأسف السلطان على فقدها ،
ووحد وجدا كبيرا لكثرة حبه لها .

واتفق أنها لما ماتت أنشد الأديب شهاب
الدين أحمد بن يحيى الأعرج السعدى :

في ثامن العشرين من ذى قعدة
كانت صبيحة موت أم الأشرف

فأله يرحمها ويعظم أجره
ويكون في عاشور موت اليوسفى

فكان كما قال . وغرق الجاي اليوسفى ،
كما تقدم ذكره ، في يوم عاشوراء

المدرسة الأيتشية

هذه المدرسة خارج القاهرة ، داخل باب
الوزير ، تحت قلعة الجبل برأس التبانة .
أنشأها الأمير الكبير سيف الدين أيتمش
البجاسى ، ثم الظاهرى ، في سنة خمس
وثمانين وسبعمئة ، وجعل بها درس فقه
للحنفية ، وبنى بجانبها فندقا كبيرا يعلوه
ربع ، ومن ورائها خارج باب الوزير حوض
ماء للسيل وربما ، وهى مدرسة ظريفة .

« أيتمش » بن عبد الله : الأمير الكبير
سيف الدين البجاسى ، ثم الظاهرى ، كان أحد
الماليك اليلباوية .

في كل شهر من المعلوم عن التدريس أربعين ديناراً. معاملة صرف : كل دينار ثلاثة عشر درهماً وثلاث درهماً ، وعن معلوم النظر في أوقاف المدرسة عشرة دنائير ، ورب له من الخبز في كل يوم ستين رطلاً بالمصري وراوتين من ماء النيل ، وجعل فيها معيدين وعدة من الطلبة .

ووقف عليها حماماً بجوارها ، وقرناً تجاهها ، وحوائط بظاهرها ، والجزيرة التي يقال لها جزيرة القيل يحرق النيل خارج القاهرة .

وولى تدريسها جماعة من الأكابر والأعيان ثم خلت من مدرس ثلاثين سنة ، واكتفى فيها بالمعدين وهم عشرة أنفس . فلما كانت سنة ثمان وسبعين وستائة * ، ولى تدريسها قاضى القضاة تقي الدين محمد بن رزين الحموى بعد عزله من وظيفة القضاء ، وقرر له نصف المعلوم . فلما مات وليها الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ببيع المعلوم . فلما ولى صاحب برهان الدين الخضر السنجاري التدريس ، قرر له المعلوم الشاهد به كتاب الوقف .

المدرسة السلمية

هذه المدرسة بمدينة مصر في خط السيورين . أنشأها كبير التجار ناصر الدين محمد بن مسلم - بضم الميم وفتح السين المهلة وتشديد اللام - البالى الأصل ، ابن بنت كبير التجار شمس الدين محمد بن يسير - بفتح الباء أول الحروف وكسر السين

(*) من ١٠٠٠ ج ١ ، ط ١ ، بولاق .

المهلة ، ثم ياء آخر الحروف بعدها راء - ومات في سنة ست وسبعين وسبعمائة قبل أن تم .

فوصى بتكليفها ، وأفرد لها مالا ، ووقف عليها دوراً وأرضاً بناحية قليوب ، وشرط أن يكون فيها مدرس مالكي ومدرس شافعي ومؤدب أطفال وغير ذلك . فأكملها مولاه روصيه الكبير كافور الخصى الرومى بعد وفاة أستاذه . وهى الآن عامرة .

وبلغ ابن مسلم هذا من وفور المال وعظم السعادة ، ما لم يلفه أحد من أذركتاه ، بحيث أنه جاء نصيب أحد أولاده نحو مائتى ألف دينار مصرية ، وكان كثير الصدقات على الفقراء ، مقترناً على نفسه إلى الغاية ، وله أيضاً مطهرة عظيمة بالقرب من جامع عمرو بن العاص وتقعها كبير ، وله أيضاً دار جليلة على ساحل النيل بمصر . وكان أبوه تاجراً سفاراً بعدما كان حمالاً ، فصاهر ابن يسير ، ورزق محمداً هذا من ابنته .

فنشأ على صيانة ، ورزق الحظ الوافر في التجارة وفي العييد . فكان يبعث أحدهم ببال عظيم إلى الهند ، ويبعث آخر بمثل ذلك إلى بلاد السكرور ، ويبعث آخر إلى بلاد الحبشة ، ويبعث عدة آخرين إلى عدة جهات من الأرض ، فما منهم من يعود إلا وقد تضاعفت قوائده ماله أضعافاً مضاعفة .

مدرسة ابنال

هذه المدرسة خارج باب زويلة ، بالقرب من باب حارة الهلالية ، يخط القساحين . كان

موضعها في القديم من حقوق حارة المنصورة ، أوصى بعمارها الأمير الكبير سيف الدين ابنال اليوسفى ، أحد الماليك اليلغاوية ، فابتدأ بصلها في سنة أربع وتسعين ، وقرعت في سنة خمس وتسعين وسبعمائة .

ولم يعمل فيها سوى قراء يتأوبون قراءة القرآن على قبره . فانه لما مات في يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، دفن خارج باب النصر حتى انتهت عمارة هذه المدرسة ، فقل إليها ودفن فيها .

و « ابنال » هذا ولى نيابة حلب ، وصار في آخر عمره أتابك العساكر بديار مصر حتى مات . وكانت جنازته كثيرة الجمع مشى فيها السلطان الملك الظاهر برفوق والعساكر .

مدرسة الأمير جمال الدين الاسفندار

هذه المدرسة برحبة باب العيد من القاهرة . كان موضعها قيسارية يملوها طاق كلها وقف فأخذها وهدمها ، وابتدأ بشق الأساس في يوم السبت خامس جمادى الأولى سنة عشر وثمانمائة ، وجمع لها الآلات من الأحجار والأخشاب والرخام وغير ذلك .

وكان بمدرسة الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، التي كانت بالصورة تجا الطلحات من قلعة الجبل ، بنية من داخلها فيها شبابيك من نحاس مكفت بالذهب والفضة ، وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكفت ، ومن المصاحف والكتب في الحديث والفقه وغيره من أنواع العلوم جميلة .

فاشترى ذلك من الملك الصالح المنصور حاجى بن الأشرف ببلغ ستائة دينار - وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك - ونقلها إلى دار . وكان ما فيها عشرة مصاحف ، طول كل مصحف منها أربعة أشبار إلى خمسة ، في هرمن يقرب من ذلك ، أحدها يخط ياقوت ، وآخر يخط ابن السواب ، وباقيها بخطوط منسوبة ، ولها جلود في غاية الحسن ، معمولة في أكياس الحرير الأطلس . ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال ، جميعها مكتوب في أوله الإشهاد على الملك الأشرف بوقف ذلك ، ومقره في مدرسته .

فلما كان يوم الخميس ثالث شهر رجب سنة إحدى عشرة وثمانمائة ، زقد انتهت عمارتها ، جمع بها الأمير جمال الدين ، القضاة والأعيان ، وأجلس الشيخ همام الدين محمد بن أحمد الخوارزمى الشافعى على مناداة المشيخة ، وعمله شيخ النصارى مدرس الشافعية ، ومذا ساطاً جليلاً أكل عليه كل من حضر ، وملا البركة التي بوسط المدرسة ماء قد أذب فيه سكر مزج بماء الليمون ، وكان يوماً مشهوداً .

وقرر في تدريس الحنفية بدر الدين محمود بن محمد المعروف بالشيخ زاده الخريزاني ، وفي تدريس المالكية شمس الدين محمد بن البساطى ، وفي تدريس الحنابلة فتح الدين أبا الفتح محمد بن نجم الدين محمد بن الباهلى ، وفي تدريس الحديث النبوى شهاب الدين أحمد بن على بن حجر ، وفي تدريس التفسير شيخ الاسلام قاضى القضاة جلال

(*) من ١٠٠٠ ج ١ ، ط ١ ، بولاق .

الدين عبد الرحمن بن البلقى . فكان يجلس من ذكرنا ولحدا بعد واحد فى كل يوم ... الى أن كان آخرهم شيخ التفسير ، وكان ملك الختام ، وما منهم الا من يحضر معه ، ويليه ما يليق به من الملابس الفاخرة .

وقرر عند كل من المدرسين الستة طائفة من الطلبة ، وأجرى لكل واحد ثلاثة أربال من الخبز فى كل يوم ، وثلاثين درهما فلوسا فى كل شهر ، وجعل لكل مدرس ثلثائة درهم فى كل شهر ، ورتب بها اماما وقومة ومؤذنين وقرائين ومباشرين ، وأكثر من وقف الدور عليها ، وجعل فائض وقفها مصروفا لذريته . فجاءت فى أحسن هندام ، وأتم قالب ، وأقفر زى ، وأبدع نظام . الا أنها وما فيها من الآلات ، وما وقف عليها ، أخذ من الناس غصبا ، وعمل فيها الصانع بأبخص أجرة مع العسف الشديد .

فلما قبض عليه السلطان ، وقتله فى جمادى الأولى سنة اثنتى عشرة وثمانائة ، واستولى على أمواله ... حسن جماعة للسلطان أن يهدم هذه المدرسة ، ورغبوه فى رخامها فانه غاية فى الحسن ، وأن يسترجع أوقافها فان متحصلها كثير ، فقال الى ذلك ، وعزم عليه .

فكره ذلك للسلطان الرئيس فتح الدين فتح الله كاتب السر ، واستشنع أن يهدم بيت بنى على اسم الله يملن فيه بالأذان خمس مرات فى اليوم والليلة ، وتقام به الصلوات الخمس فى جماعة عديدة ، ويحضره فى عصر كل يوم مائة وبضعة عشر رجلا يقرأون القرآن فى وقت التصوف ، ويذكرون الله ويدعونه ، وتحلق به الفقهاء لدرس تفسير القرآن

الكريم وتفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقه الأئمة الأربعة ، وعلمهم فيه أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل ، ويجرى على هؤلاء المذكورين الأرزاق فى كل يوم ومن المال فى كل شهر .

ورأى أن إزالة مثل هذا وصية فى الدين ، فتجرد له ، وما زال بالسلطان يرغبه فى إبقائها — على أن يزال منها اسم جمال الدين وتسب إليه ، فانه من القتن هدم مثلها ونحو ذلك — حتى رجع الى قوله ، وفوض أمرها إليه . فدير ذلك أحسن تدبير .

وهو أن موضع هذه المدرسة كان وقفا على بعض الترب ، فاستبدل به جمال الدين أرضا من جملة أراضي الخراج بالجيزة ، وحكم له قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم بصحة الاستبدال ، وهدم البناء ، وبنى موضعه هذه المدرسة ، وتسلم متولى موضعها الأرض المستبدل بها . الى أن قتل جمال الدين ، وأحيط بأمواله ، فدخل فيما أحيط به هذه الأرض المستبدل بها .

وادعى السلطان أن جمال الدين افتات عليه فى أخذ هذه الأرض ، وأنه لم يأذن فى بيعها من بيت المال . فأقضى حينئذ محمد شمس الدين المدنى المالكى بأن بناء هذه المدرسة — الذى وقفه جمال الدين على الأرض التى لم يملكها بوجه صحيح — لا يصح ، وأنه باق على ملكه الى حين موته .

فندب عند ذلك شهود القيمة الى تقويم بناء المدرسة ، فقوموها باثنى عشر ألف دينار ذهبيا ، وأثبتوا محضر القيمة على بعض القضاة . فدخل المبلغ الى أولاده جمال الدين

حتى تلموه ، وباعوا بناء المدرسة للسلطان ، ثم استرد السلطان منهم المبلغ المذكور ، وأشهد عليه أنه وقف أرض هذه المدرسة بعدما استبدل بها ، وحكم حاكم حنفى بصحة الاستبدال .

ثم وقف البناء الذى اشتراه ، وحكم بصحته أيضا ، ثم استدعى بكتاب وقف جمال الدين ولخصه ثم مزقه ، وجند كتاب وقف يتضمن جميع ما قرره جمال الدين فى كتاب وقفه من أرباب الوظائف ، وماله من الخبز فى كل يوم ، ومن المعلوم فى كل شهر ، وأبطل ما كان لأولاد جمال الدين من فائض الوقف .

وأفرد لهذه المدرسة ما كان جمال الدين جملة وقفها عليها عدة مواضع تقوم بكفاية مصروفها ، وزاد فى أوقافها أرضا بالجيزة ، وجعل ما بقى من أوقاف جمال الدين على هذه المدرسة : بعضه وقفا على أولاده ، وبعضه وقفا على التربة التى أنشأها فى قبة أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر . وحكم القضاة الأربعة بصحة هذا الكتاب ، بعدما حكموا بصحة كتاب وقف جمال الدين ، ثم حكموا بطلانه .

ثم لما تم ذلك محى من هذه المدرسة اسم جمال الدين ورتبه ، وكتب اسم السلطان الملك الناصر فرج بدائر صحنها من أعلاه ، وعلى قناديلها وبسطها وسقوفها . ثم نظر السلطان فى كتبها العلمية الموقوفة بها ، فأقر منها جملة كتب بظاهر كل سفر منها فصل يتضمن وقف السلطان له ، وحمل كثير من

كتبها الى قلعة الجبل ، وصارت هذه المدرسة تعرف بالناصرية بعدما كان يقال لها الجمالية .

ولم تزل على ذلك حتى قتل الناصر ، وقدم الأمير شيخ الى القاهرة ، واستولى على أمور الدولة . فتوصل شمس الدين محمد ، أخو جمال الدين ، وزوج ابنته لشرف الدين أبى بكر بن العجمى ، موقع الأستاذار الأمير شيخ ، حتى أحضر قضاة القضاة ، وحكم الصدر على ابن آدمى قاضى القضاة الحنفى برد . أوقاف جمال الدين الى ورثته ، من غير استيفاء الشروط فى الحكم ، بل تعور فيه وجازف .

ولذلك أسباب : منها عناية الأمير شيخ بجمال الدين الأستاذار . فانه لما انتقل اليه اقطاع الأمير بحاس بعد موت الملك الظاهر برقوق ، استقر جمال الدين أستاذاره كما كان أستاذار بحاس ، فخدمه خدمة بالغة ، وخرج الأمير شيخ الى بلاد الشام ، واستقر فى نيابة طرابلس ، ثم فى نيابة الشام ، وخدمة جمال الدين له ولحاشيته ومن يلوذ به مستمرة .

وأرسل مرة الأمير شيخ من دمشق بصدور الدين بن آدمى المذكور فى الرسالة الى الملك الناصر ، وجمال الدين حينئذ عزيز مصر ، فأقرله وأكرمه وأنعم عليه ، وولاه قضاء الحنفية وكتابة السر بدمشق ، وأعادته اليه . وما زال محتيا بأمر الأمير شيخ ، حتى انه اتهم بأنه قد مالا على السلطان ، فقبض عليه السلطان الملك الناصر بسبب ذلك ونكبه .

فلما قتل الناصر ، واستولى الأمير شيخ على الأمور بديار مصر ، ولى قضاء الحنفية

(٢٨٠) من ٢٠٢٢ ، ط١ ، ط٢ ، ط٣

بديار مصر صدر الدين علي بن آدمي المذكور ، وولي استاداره بدر الدين حسن بن محب الدين الطرابلسي استادار السلطان . فخدم شرف الدين أبو بكر بن العجمي - زوج ابنة أخيه جمال الدين - عنده موقعا وتمكن منه ، فأغراه بفتح الدين فتح الله كاتب السر ، حتى أنخن بجراحة عند الملك المؤيد شيخ ، ونكبه بعدما تسلطن . استعاد أيضا بقاضي القضاة صدر الدين بن الأدمي ، فانه كان عشيره وصديقه من أمام جمال الدين ، ثم استمال ناصر الدين محمد بن البارزي ، موقع الأمير الكبير شيخ .

فقام الثلاثة مع شمس الدين ، أخيه جمال الدين ، حتى أعيد إلى مشيخة خانكاه يبرسن وغيرها من الوظائف التي أخذت منه عندما قبض عليه الملك الناصر وعاقبه . وتحدثوا مع الأمير الكبير في رد أوقاف جمال الدين إلى أخيه وأولاده ، فان الناصر غصبا منهم ، وأخذ أموالهم . ديارهم بظلمه إلى أن فقدوا القوت ، ونحو هذا من القول - حتى حركوا منه حقدًا كامنا على الناصر ، وعلموا منه عصيته لجمال الدين . هذا وغرض القوم في الباطن تأخير فتح الدين والايقاع به ، فانه قتل عليهم وجوده معهم .

فامر عند ذلك الأمير الكبير بمقعد مجلس حضره قضاة القضاة والأمراء وأهل الدوا ، عنده بالعراق من باب السلسلة ، في يوم السبت تاسع عشر شهر رجب سنة خمس عشرة . وتقدم أخوه جمال الدين ليدعى على فتح الدين فتح الله كاتب السر . كان قد علم بذلك ، ووكل بدر الدين حسا اليسرديني

- أحد نواب الشافعية - في سماع الدعوى ورد الأجوبة .

فعندما جلس اليردي للتحاكم مع أخيه جمال الدين ، نهره الأمير الكبير بأقامه ، وأمر بأن يكون فتح الله هو الذي يدعى عليه ، فلم يجد بدا من جلوسه . فما هو الا أن ادعى عليه أخوه جمال الدين بأنه وضع يده على مدرسة أخيه جمال الدين وأوقافه بغير طريق . فبادر قاضي القضاة صدر الدين علي بن الأدمي الحنفي ، وحكم برفع يده وعود أوقافه لجمال الدين ومدرسته إلى ما نص عليه جمال الدين ، وبعد بقية القضاة حكمه ، وانقضوا على ذلك .

فاستولى أخوه جمال الدين وصهره شرف الدين علي حاصل كبير ، كان قد اجتمع بالمدرسة من فاضل ريعها من مال بعثه الملك الناصر إليها ، فرقوه . حتى كسوا كتابا اخترعوه من عند أنفسهم ، جعلوه كتاب وقف المدرسة ، زادوا به أن جمال الدين اشترط النظر على المدرسة لأخيه شمس الدين المذكور وفترته إلى غير ذلك مما لقفوه . بشهادة قوم استمالوهم فقالوا . ثم أتت هذا الكتاب على قاضي القضاة صدر الدين بن الأدمي ، وثقده بقية القضاة .

فاستمر الأمر على هذا البهتان . فخلق والافك المفترى مدة ، ثم ثار بعض صوفية هذه المدرسة ، أنت محضرا ، أن ينظر لكتاب السر فلما ثبت ذلك ، فرغت يد أخيه جمال الدين عن التصرف في المدرسة ، ونزلي نظرها ناصر الدين محمد بن البارزي كاتب السر ، واستمر الأمر على هذا .

فكانت قصة هذه المدرسة من أعجب ما سمع به في تناقض القضاة ، وحكمهم بإبطال ما صححوه ، ثم حكمهم بتصحيح ما أبطلوه ... كل ذلك ميلا مع الجاه ، وحرصا على بقاء رياستهم . مستكتب شهادتهم ويسألون .

المدرسة الصرغتمشية

هذه المدرسة خارج القاهرة ، بجوار جامع الأمير أبي العباس أحمد بن طولون ، فيا بينه وبين قلعة الجبل . كان موضعها قديما من جيلة قطائع ابن طولون ، ثم صار عدة مساكن فأخذها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري رأس نوبة النوب وهدمها ، وأبتدأ في بناء المدرسة يوم الخميس من شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مائة ، وانهت في جمادى الأولى سنة سبع وخمسين .

وقد جاءت من أبدع المباني وأجلها ، وأحسنها قالبا ، وأبهجها منظرا . فركب الأمير صرغتمش في يوم الثلاثاء تاسعه ، وحضر إليه الأمير سيف الدين شيخو العمري مدير الدولة ، والأمير طاشتر القاسمي حاجب الحجاب ، والأمير توقيتاي الدوادار ، وعامة أمراء الدولة ، وقضاة القضاة الأربعة ، ومشايخ العلم .

ورتب مدرس الفقه بها قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر العميد بن العميد أمير غازي الأتقاني ، فألقى القوام الدرس ، ثم مد سباط جليل بالهمة الملوكية ، وملئت البركة التي بها سكرا قد أذيب بالماء ، فأكل الناس وشربوا ، وأبيح ما بقي من ذلك للعامة فاتهبوه . وجعل

(*) من ٢٠٢٢ ، ٢٠٢٣ ، ط١ - بولاق .

الأمير صرغتمش هذه المدرسة وقفا على الفقهاء الحنفية الآفاقية ، ورتب بها درسا للحديث النبوي ، وأجرى لهم جميعا المعاليم من وقف رتبة لهم . وقال أدباء العصر فيها شعرا كثيرا ، فقال العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي :

ليهنك يا صرغتمش ما بينته
لأخراك في دنياك من حسن بنيان
به يزدهى الترخيم كالزهر بهجة
قلله من زهر والله من ياني
وخلع في هذا اليوم على القوام خلعة
سنية ، وأركبه بغلة رائعة ، وأجازته بعشرة
آلاف درهم على أبيات مدحه بها في غاية
الساجة وهي :

أرايتهم من حاز الرتبة
وأنى قريبا وثقى ربا
فبدا علما وسما كرما
ولما قدما ولقد غلبا
ببقى وهدى وندى وجدى
فعدا وسدى وجبى وجبا
أبدى سنا أحيا سنا
حلى زما عند الأدبا
هذا صرغتمش قد سكت

أيام امارته الحبا
وأزال الجذب إلى خصب
والضنك إلى رغد قلبا
باعانة جبار ربي
ذي العرش وقد بذل النشا
ملك فطن ركن لسن
حسن بن ربي الأدبا

ملك الكبرا ملك الأمرا
ملك العلماء ملك الأدبا
بسر طم غث هام
قنر سام حامى الغرا
بنات وسلته
رحات جلى الكرا
وديات وصياته
وامات حاز اربا
أبى أصلا أنى فلا
أعطى فضلا ماوى العرا
نعم الماوى مصر لا
نلت قوما بلا نجيا
فنت غورا ومنت نورا
وعل دورا وار عرا
كنت دورا ومنت دورا
ردعا غورا وحب ادبا
وخطابه انحرب وعلت
وسما زور وحب ادبا
يجند درسا ثم ابن جنى
مها ومى من طلبا
من قزنى لى طلا
قاراب لك نعت سا
كون ابا لعينة و
م قوام الدين بدا لقا
عش فى رجب لرى عجا
من متجب عجب عجا
« صرغتمش » الناصرى : الأمير سيف
الدين رأس نوبة . جلّه الخواجا الصواف فى
سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، فاشتره السلطان

الملك الناصر محمد بن قلاوون بمائتى ألف
درهم فضة عما يومئذ نحو أربعة آلاف
منقل دها ، خلق علو خواجا تشريفا كاملا
بحياصة ذهب ، كتب له توبعا بسمامة
مائة ألف درهم من متحصره ، فلم يعبأ به
السلطان وصار فى أيامه من جملة الجمدارية .

وحكى عن القاضى شرف الدين عبد الوهاب
ظاهر الخاصر ، أن السلطان أعم على صرغتمش
هذا بعشر طاقات آدم طائفى ، فلما جاء الى
اشو ، تردد اليه مرا احى دهمها اليه ولم
يزل خامل الذكر ، الى أن كالت أيام المظفر
حاجى بن محمد بن قلاوون ، فبعته مسفرا مع
الأمير فخر الدين إياز السلاج دار ، لا استقر
فى ليابة حلب ، فلما عاد من حلب ترقى فى
الخدمة ، وتمكن عند المظفر ، وتوجه فى
خدمة الصالح بن محمد بن قلاوون الى دمشق
فى نوبة بلغا روم ، وصار السلطان يرجع
الى رآه .

فلما عاد من دمشق ، أمسك * الوزير علم
الدين عبد الله . زنبور بغير أمر السلطان
وأخذ أمواله ، وعارض فى أمره الأمير شيخو
والأمير طاز . من حينئذ عظم ، ولم يزل حتى
خلق السلطان الملك الصالح ، وأعيد الناصر
حسن بن محمد بن قلاوون . فلما أخرج
الأمير شيخو ، انفرد صرغتمش بتدبير أمور
المملكة ، وقغم قدره ، وثقت كلشه ،
فغزل قضاة مصر والشام ، وغير النواب
بالماليك .

والسلطان يحقد عليه ، الى أن أمسكه فى
العشرين من شهر رمضان سنة تسع وخمسين ،

(٢٠) من ٤٠٤ هـ ، ٢٠٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٤

وقبض معه على الأمير طشتر القاسى حاجب
الحجاب ، والأمير ملكشتر المحدثى وجباعة ،
وحملهم الى الاسكندرية ، فسجنوا بها ،
وبها مات صرغتمش بعد شهرين واثنى عشر
يوما من سجنه فى ذى الحجة سنة تسع
وخمسين وسبعمائة .

وكان مليح الصورة ، جميل الهيئة . يقرأ
القرآن الكريم ، ويشارك فى الفقه على مذهب
الحنفية ، ويبالغ فى التعصب لمذهبه ، ويترقب
المعجم ويكرمهم ، ويجلهم اجلالا زائدا ،
ويشددو طرفا من النحو . وكانت أخلاقه
شرسة ، وقصه قوية ، فاذا بحث فى الفقه أو
اللغة اشتط .

ولما تحدث فى الأوقاف وفى البريد ، خاف
الناس منه ، فلم يكن أحد يركب خيل البريد
الا بمرسومه . ومنع كل من يركب البريد أن
يحمل معه قماشا ودراهم على خيل البريد ،
واشتد فى أمر الأوقاف ، فعمرت فى مباشرته .
ولما قبض عليه أخذ السلطان أمواله ، وكانت
شيئا كثيرا يكل عنه الوصف .

ذكر المارستانات

قال الجوهري فى الصحاح : والمارستان
بيت المرضى ، معرب عن ابن السكيت .

وذكر الأستاذ ابراهيم بن وصيف شاه فى
كتاب « أخبار مصر » : أن الملك مناقبوش
ابن أشمون ، أحد ملوك القبط الأول بأرض
مصر ، أول من عمل البيمارستانات لعلاج
المرضى ، وأودعها العقاقير ، ورتب فيها
الأطباء ، وأجرى عليهم ما يسعهم . ومناقبوش

هذا هو الذى بنى مدينة أخميم ، وبنى مدينة
شتره .

وقال زاهد العلماء أبو سعيد منصور بن
عيسى : أول من اخترع المارستان وأوجده
بقراط بن أبوقليس ، وذلك أنه عمل بالقرب
من داره - فى موضع من بستان كان له -
موضعا منفردا للمرضى ، وجعل فيه خلعا
يقومون بمداواتهم ، وسماه « أسدولين »
أى مجمع المرضى .

وأول من بنى المارستان فى الاسلام ودار
المرضى الوليد بن عبد الملك ، وهو أيضا أول
من عمل دار الضيافة ، وذلك فى سنة ثمان
وثمانين . وجعل فى المارستان الأطباء ، وأجرى
لهم الأرزاق ، وأمر بحبس المجذمين لئلا
يخرجوا ، وأجرى عليهم وعلى العميان
الأرزاق .

وقال جامع السيرة الطولوية - وقد ذكر
بناء جامع ابن طولون - وعمل فى مؤخره
مبضاة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات
والأدوية ، وعليها خدم ، وفيها طيب جالس
يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة .

مارستان ابن طولون

هذا المارستان موضعه الآن فى أرض
المسكر - وهى الكيمان والصحراء التى فيما
بين جامع ابن طولون وكوم الجارج ، وفيما
بين قنطرة السد التى على الخليج ظاهر مدينة
مصر ، وبين السور الذى يفصل بين القرافة
وبين مصر - وقد دثر هذا المارستان فى
جملة ما دثر ، ولم يبق له أثر .

وقال أبو عمر الكندي في « كتاب
الأمراء » : وأمر أحمد بن طولون أيضا ببناء
المارستان للمرضى ، فبنى لهم في سنة تسع
وخمسين ومائتين .

وقال جامع السيرة الطولونية : وفي سنة
لحدى وستين ومائتين ، بنى أحمد بن طولون
المارستان ، ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان .
ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان ، ودوره
في الأساكنة ، والقيصرية ، وسوق الرقيق .
وشرط في المارستان ألا يعالج فيه جندى
ولا مملوك ، وعمل حمامين للمارستان :
لحداهما للرجال ، والأخرى للنساء ، حبسهما
على المارستان وغيره .

وشرط أنه إذا جاء بالعليل تنزع ثيابه
وتفقه ، وتحفظ عند أمين المارستان ، ثم
يلبس ثيابا ويغرض له ، ويضدى عليه ويراح
بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ ، فإذا
أكل فروجا ورغيفا ، أمر بالانصراف ، وأعطى
ماله وثيابه .

وفي سنة اثنتين وستين ومائتين ، كان ما
حبسه على المارستان والعين والمسجد في
الجيل — الذي يسمى بتور فرعون — وكان
الذى أتفق على المارستان ومستقله : ستين
ألف دينار . وكان يركب بنفسه في كل يوم
يجمعة ، ويتفقد خزائن المارستان وما فيها
والأطباء ، وينظر إلى المرضى وسائر الأعداء
والمحبوسين من المجانين .

فلعل مرة حتى وقف بالمجانين . فناداه
واحد منهم مغلول : أيها الأمير ، اسمع
كلامي ، ما أنا بمجنون ، وإنما عملت على

حيلة ، وفي نفسي شهوة ومادة عريضة أكبر
ما يكون ، فأمر له بها من ساعته ، ففرح بها
ومزها في يده ورازاها ، ثم غافل * أحمد بن
طولون ، ورمى بها في صدره ، فضضحت على
ثيابه ، ولو تمكنت منه لانت على صدره .
فأمرهم أن يحتفظوا به ، ثم لم يعاود بعد ذلك
النظر في المارستان .

مارستان كافور

هذا المارستان بناه كافور الاخشيدى ، وهو
قائم بتدبير دولة الأمير أبى القاسم أنوجور
ابن محمد الاخشيدى ، بمدينة مصر في سنة
ست وأربعين وثلاثمائة .

مارستان المغافر

هذا المارستان كان في خطة المسافرين التي
موضعها ما بين العامر من مدينة مصر وبين
مصلى خولان التي بالقرافة . بناء الفتح بن
خاقان في أيام أمير المؤمنين المتوكل على
الله ، وقد ياد أثره .

المارستان الكبير المنصوري

هذا المارستان بخط بين القصرين من
القاهرة . كان قاعة ست الملك ابنة العزيز بالله
نزار بن المعز لدين الله أبى تميم معد ، ثم
عرف بدار الأمير فخر الدين جهاركس ، بعد
زوال الدولة الفاطمية ، وبنار موسك ، ثم
عرف بالملك المفضل قطب الدين أحمد ابن الملك

(ج) م ٤٠٥ ، ج ٢ ، ط ٢ . بولاق .

العاذل أبى بكر بن أيوب ، وصار يقال لها
الدار القطبية .

ولم تزل بيد ذريته إلى أن أخذها الملك
المنصور قلاوون الأتقى الصالحى ، من مؤلفة
خاتون ، ابنة الملك العادل — المعروفة
بالقطبية — وعوضت عن ذلك قصر الزمرذ
برحبة باب العيد ، في ثامن عشر ربيع الأول
سنة اثنتين ومائتين وستمائة ، بشفارة الأمير
علم الدين سنجر الشجاعى مدير الممالك ،
ورسم بعمارته مارستانا وقبة ومدرسة .

فتولى الشجاعى أمر العمارة ، وأظهر من
الاهتمام والاحتفال ما لم يسمح بمثله ، حتى
تم الغرض في أسرع مدة وهي أحد عشر
شهرا وأيام . وكان ذرع هذه الدار عشرة
آلاف وستمائة ذراع ، وخلفت ست الملك بها
ثمانية آلاف جارية ، وفخائر جليلة منها قطعة
ياقوت أحمر زنتها عشرة مثاقيل ، وكان
الشرع في بنائها مارستانا أول ربيع الآخر
سنة ثلاث ومائتين وستمائة .

وكان سبب بنائه أن الملك المنصور لما توجه
وهو أمير إلى غزاة الروم ، في أيام الظاهر
بيبرس سنة خمس وسبعين وستمائة ، أصابه
بدمشق قولنج عظيم ، فعالجه الأطباء بأدوية
أخذت له من مارستان نور الدين الشهيد
فبرأ ، وركب حتى شاهد المارستان فأعجب
به ، ونذر أن آتاه الله الملك أن يبنى مارستانا .

فلما تسلمن ، أخذ في عمل ذلك ، فوقع
الاختيار على الدار القطبية ، وعوض أهلها
عنهما قصر الزمرذ . وولى الأمير علم الدين
سنجر الشجاعى أمر عمارته ، فأبقى القاعة على

حالتها ، وعملها مارستانا ، وهي ذات إيوانات
أربعة ، بكل إيوان شاذروان ، وبدور قاعتها
فسقية يصير إليها من الشاذروانات الماء .

واتفق أن بعض القعلة كان يخفر في أساس
المدرسة المنصورية ، فوجد حق أشنان من
لحاص ، ووجد رقيقه قمقمًا لحاصًا مختوما
برصاص ، فأحضرا ذلك إلى الشجاعى ، فإذا
في الحق فصوص ماس وياقوت وبلخش
ولؤلؤ ناصع يدهش الأبصار ، ووجد في
القمقم ذهابا — كان جلة ذلك نظير ما غرم
على العمارة — فحمله إلى أسعد الدين
كوهيا الناصرى المدلل ، فرفعه إلى السلطان .

ولما تجزت العمارة ، وقف عليها الملك
المنصور من الأملاك — بديار مصر وغيرها —
ما يقارب ألف ألف درهم في كل سنة . ورب
مصارف المارستان ، والقبة ، والمدرسة ،
ومكتب الأيتام . ثم استدعى قلحا من شراب
المارستان ، وشربه وقال : قد وقت هذا على
مثلى فمن دولى ، وجعلته وقفا على الملك
والمملوك والجندى والأمير والكبير والصغير
والحر والعبد الذكور والإناث ، ورب فيه
العقاقير والأطباء وسائر ما يحتاج إليه من به
مرض من الأمراض .

وجعل السلطان فيه فراشين من الرجال
والنساء لخدمة المرضى ، وقرر لهم المعاليم ،
ونصب الأسرة للمرضى ، وفرشها بجييح
الفرش المحتاج إليها في المرض ، وأقرد لكل
طائفة من المرضى موضعا : فجعل أوارين
المارستان الأربعة للمرضى بالحيات ونحوها ،

وأفرد قاعة للرمدى ، وقاعة للجرحى ، وقاعة
لن به اسبال ، وقاعة للنساء ، ومكانا
للبرودين ينقسم يقسمين : قسم للرجال ،
وقسم للنساء .

وجعل الماء يجرى فى جميع هذه الأماكن ،
وأفرد مكانا لطبخ الطعام والأدوية والأشربة
ومكانا لتركيب المعاجين والأكحال والشيافات
ونحوها ، ومواضع يخزن فيها الحواصل ،
وجعل مكانا يفرق فيه الأشربة والأدوية ،
ومكانا يجلس فيه رئيس الأطباء لالقاء درس
طب ، ولم يحص . عدة المرضى ، بل جعله
سيلا لكل من يرد عليه من غنى وفقير ، ولا
حدد مدة لاقامة المريض به ، بل يرتب منه
لن هو مريض بداره سائر ما يحتاج اليه .

ووكل الأمير عز الدين أيبك الأفرم
الصالحى ، أمير جندار ، فى وقف ما عينه من
المواضع وترتيب أرباب الوظائف وغيرهم .
وجعل النظر لنفسه أيام حياته ، ثم من بعده
لأولاده ، ثم من بعدهم لحاكم المسلمين
الشافعى . فضمن وقفه كتابا تاريخه يوم
الثلاثاء ثالث عشرى صفر سنة ثمانين
وسمائة .

ولما قرئ عليه كتاب الوقف ، قال
للشجاعى : ما رأيت خط الأسعد كاتبى مع
خطوط القضاة ، أبصر ايش فيه زغل حتى
ما كتب عليه . فما زال يقرب لذهنه أن هذا
مما لا يكتب عليه الا قضاة الاسلام حتى فهم
ذلك .

(١٠٠٠) ١٠٠٠ ج ١ ، ط ١٠٠٠

فبلغ مصروف الشراب منه فى كل يوم
خمسائة رطل سوى السكر . ورتب فيه عدة
ما بين أمين ومباشر ، وجعل مباشرين للإدارة
— وهم الذين يضبطون ما يشتري من
الاصناف ، وما يحضر منها الى المارستان —
ومباشرين لاستخراج مال الوقف ، ومباشرين
فى المطبخ ، ومباشرين فى عمارة الأوقاف التى
تعلق به .

وقرر فى القبة خمسين مقرا يتساوبون
قراءة القرآن ليلا ونهارا ، ورتب بها اماما
راتبا ، وجعل بها رئيسا للمؤذنين عندما
يؤذنون فوق منارة ليس فى اقليم مصر أجل
متها ، ورتب بهذه القبة درسا لتفسير القرآن
فيه مدرس ومعيدان وثلاثون طالبا ، ودرس
حديث لبوى ، وجعل بها خزانة كتب وستة
خدام طواشيه لا يزالون بها . ورتب بالمدرسة
اماما راتبا ، ومتصدرا لاقراء القرآن ،
ودروسا أربعة للفقهاء على المذاهب الأربعة .
ورتب بكتب السبل معلمين يقرئان الأيتام ،
ورتب للأيتام رطلين من الخبز فى كل يوم لكل
يتيم مع كسوة الشتاء والصيف .

فلما ولي الأمير جمال الدين أقوش نائب
الكرك نظر المارستان ، أنشأ به قاعة للمرضى ،
ونحت الحجارة المني بها الجدر كلها حتى
صارت كأنها جديدة ، وجدد تذهيب الطراز
بظاهر المدرسة القبة ، وعمل خيمة تظل
الأقاص طولها مائة ذراع . قام بذلك من
ماله دون مال الوقف . ونقل أيضا جوض
ماء كان يرسم شرب البهائم من جانب باب
المارستان ، وأبطله لتأذى الناس ببتن رائحة

ما يجتمع قدامه من الأوساخ ، وأنشأ سيلا
ماء يشرب منه الناس عوض الحوض المذكور .
وقد تورع طائفة من أهل الديانة عن الصلاة
فى المدرسة المنصورية والقبة ، وعابوا
المارستان لكثرة صف الناس فى عمله .
وذلك أنه لما وقع اختيار السلطان على عمل
الدار القطبية مارستانا ، لدب الطوائى حسام
الدين بلالا المغشى للكلام فى شرائها . فماس
الأمر فى ذلك حتى أنعمت مؤسسه خاتون
بيمها ، على أن تعوض عنها بدار تلمها
وعيالها ، فعوضت قصر الزمرذ برحبة باب
العبد مع مبلغ مال حمل إليها ، ووقع البيع
على هذا .

فندب السلطان الأمير سنجر الشجاعى
للمعمارة . فأخرج النساء من القطبية من غير
مهلة ، وأخذ ثلثمائة أسير ، وجمع صناع
القاهرة ومصر ، وتقدم اليهم بأن يعملوا
بأجمعهم فى الدار القطبية ، ومنعهم أن يعملوا
لأحد فى المدينتين شغلا ، وشدد عليهم فى
ذلك — وكان مهابا — فلازموا العمل عنده ،
ونقل من قلعة الروضة ما احتاج اليه من العمد
الصوان والعمد الرخام والقواعد والأعتاب
والرخام البديع وغير ذلك .

وصار يركب إليها كل يوم ، وينقل الانتقاض
المذكورة على العجل الى المارستان ، ويعود
الى المارستان ، فيقف مع الصناع على
الأساقيل حتى لا يتوانوا فى عملهم . وأوقف
مماليكه بين القصرين ، فكان إذا مر أحد
— ولو جل — الزمواه أن يرفع حجرا ويلقيه
فى موضع المعمارة ، فينزل الجندى والرئيس
عن فرسه حتى يفعل ذلك .

فترك أكثر الناس المرور من هناك ، وربوا
— بعد الفراغ من العمارة وترتيب الوقف —
فتيا صورتها « ما يقول أئمة الدين فى موضع
أخرج أهله منه كرها ، وعبر يستحئين
يعسفون الصناع ، وأخرب ما عمره الغير ،
وقتل اليه ما كان فيه فعمر به ... هل تجوز
الصلاة فيه أم لا ؟ » . فكتب جماعة من الفقهاء
« لا تجوز فيه الصلاة » .

فما زال المجد عيسى بن الخشاب حتى أوقف
الشجاعى على ذلك . فشق عليه ، وجسج
القضاة ومشايخ العلم بالمدرسة المنصورية ،
وأعلمهم بالفتيا . فلم يجبه أحد منهم بشئ ...
سوى الشيخ محمد المرجانى ، فانه قال : أنا
أفتيت بمنع الصلاة فيها ، وأقول الآن انه يكره
الدخول من بابها . ولهض قائما ، فانقض
الناس .

واتفق أيضا أن الشجاعى ما زال بالشيخ
محمد المرجانى يلح فى سؤاله أن يعمل ميعاد
وعظ بالمدرسة المنصورية ، حتى أجاب بعد
تمنع شديد . فحضر الشجاعى والقضاة ،
وأخذ المرجانى فى ذكر ولاية الأمور من الملوك
والأمراء والقضاة ، وذم من يأخذ الأراضى
غصبا ويستحث العمال فى عمارته ، وينقص
من أجورهم ، وختم بقوله تعالى : « ويوم
يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت
مع الرسول سيلا . ياويلتى ليتنى لم اتخذ
فلانا خليلا » . وقام .

فسأله الشجاعى الدعاء له ، فقال : يا علم
الدين . قد دعا لك ودعا عليك من هو خير
منى ، وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم

(١٠٠٠) ١٠٠٠ ج ١ ، ط ١٠٠٠

« اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به ، ومن شق عليهم فاشقق عليه » . وانصرف .

فصار الشجاعى من ذلك فى قلق ، وطلب الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد — وكان له فيه اعتقاد حسن — وفاوضه فى حديث الناس فى منع الصلاة فى المدرسة ، وذكر له أن السلطان إنما أراد محاكاة نور الدين الشهيد والاعتناء به ، لرغبته فى عمل الخير ، فوقع الناس فى القدح فيه ، ولم يتدسوا فى نور الدين .

فقال له : إن نور الدين أسر بعض ملوك الفرنج وقصد قتله ، فقضى نفسه بتسليم خمسة قلاع ، وخمسمائة ألف دينار حتى أطلقه ، فمات فى طريقه قبل وصوله ملكته ، وعمر نور الدين بذلك المال ماريستانه بدمشق من غير مستح . فمن أين يعلم الدين تجد مالا مثل هذا المال ، وسلطانا مثل نور الدين ؟ غير أن السلطان له نيته ، وأرجو له الخير بمسألة هذا الموضع . وأنت إن كان وقوفك فى عمله بنية تقع الناس فلك الأجر ، وإن كان لأجل أن يعلم أستاذك علو همتك فما حصلت على شيء .

فقال الشجاعى : الله المطلع على النيات .

وقرر ابن دقيق العيد فى تدريس القبة .

قال مؤلفه : إن كان التخرج من الصلاة لأجل أخذ الدار القطبية من أهلها بغير رضاهم ، وإخراجهم منها بعسف ، واستعمال أنقاض القلعة بالروضة . فلعمري ما تملك بنى أيوب الدار القطبية ، وبنائهم قلعة الروضة ،

وإخراجهم أهل القصور من قصورهم التى كانت بالقاهرة ، وإخراج سكان الروضة من مساكنهم ... إلا كأخذ قلاوون الدار المذكورة وبنائها بما هدمه من القلعة المذكورة ، وإخراج مؤنة وعيالها من الدار القطبية . وأنت إن أمنت النظر ، وعرفت ما يجرى ، تبين لك أن ما تقوم إلا سارق من سارق ، وغاصب من غاصب .

وإن كان التخرج من الصلاة لأجل عسف العمال ، وتسخير الرجال ... فتشأ آخر . بالله عرفنى — فإني غير عارف — من منهم لم يسلك فى أعماله هذا البيل ؟ غير أن بعضهم أظلم من بعض .

وقد مدح غير واحد من الشعراء هذه العمارة ، منهم شرف الدين البوصيرى فقال : ومدرسة ود الخورنق أنه لديها حظير والسدير غدير .

مدينة علم والمدارس حولها قرى أو نجوم بدرهن منير تبنت فأخفى الظاهرية نورها وليس يظهر للنجوم ظهور

بناء كأن النحل هندس شكله

ولانت له كالشمع فيه صخور

بناها سعيد فى بقاع سعيدة

بها سعدت قبل المدارس نور

ومن حيثما وجهت وجهك نحوها

تلقتك منها نضرة وسرور

إذا قام يدعو الله فيها مؤذن

فما هو إلا للنجوم سمر

المارستان المؤيدى

هذا المارستان فوق الصوة ، تجاه طيلخانا قلة الجبل — حيث كانت مدرسة الأشرف شعبان بن حسين التى هدمها الناصر فرج بن برقوق — وبابه هو حيث كان باب المدرسة ، إلا أنه ضيق عما كان . أنشأ المؤيد شيخ فى مدة أولها جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين وثمانمائة ، وآخرها رجب سنة ثلاث وعشرين ، ونزل فيه المرضى فى نصف شعبان ، وعملت مصارفه من جملة أوقاف الجامع المؤيدى المجاور لباب زويلة .

فلما مات الملك المؤيد ، فى ثامن المحرم سنة أربع وعشرين ، تعطل قليلا . ثم سكنه طائفة من العجم المستجدين فى ربيع الأول منها ، وصار منزلا للرسل الواردين من البلاد إلى السلطان . ثم عمل فيه منبر ، ورتب له خطيب وامام ومؤذنون وبواب وقومة ، وأقيمت به الجمعة فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة . فاستمر جامعاً تصرف معالم أرباب وظائفه المذكورين من وقف الجامع المؤيدى .

ذكر المساجد

قال ابن سيده : المسجد الموضع الذى يسجد فيه . وقال الزجاج : كل موضع يتعبد به فهو مسجد ، ألا ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « جعلت لى الأرض مسجدا وظهرها » ، وقوله عز وجل : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه » .

المعنى على هذا المذهب أنه من أظلم ممن خالف قبله الإسلام .

وقد كان حكمه ألا يجيء على منفعل ، لأن حق اسم المكان والمصدر من فعل يفعل أن يجيء على منفعل ، ولكنه أحد الحروف التى شذت فجاءت على منفعل .

قال سيويه : وأما المسجد فانهم يجعلوه اسما للبيت ، ولم يأت على فعل يفعل . كما قال فى المدق : أنه اسم للجلود ... يعنى أنه ليس على الفعل ، ولو كان على الفعل لقل مدق لأنه آلة ، والآلات تجيء على منفعل كمخزن ومكنس ومكسح .

والمسجدة الجبرة المسجود عليها ، وقوله تعالى « وأن المساجد لله » قيل هى مواضع السجود من الانسان : الجبهة ، والبدان ، والركبتان ، والرجلان .

وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى فى كتاب « النقط على الخطط » عن القاضي أبى عبد الله القضاعى : أنه كان فى مصر القسطنطين من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد .

وقال المسيحى فى حوادث سنة ثلاث وأربعمائة : وأحصى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله المساجد التى لا غلة لها ، فكانت ثمانمائة مسجد . فأطلق لها فى كل شهر من بيت المال تسعة آلاف ومائتين عشرين درهما . وفى سنة خمس وأربعمائة حبس الحاكم بأمر الله سبع ضياع ، منها أطفح وطوخ ، على القراء

والمؤذين بالجوامع ، وعلى ملء الصانع
والمارستان ، وفي من الأكفان .

وذكر ابن المتوج أن عدة المساجد بمصر في
زمنه أربعمائة وثمانون مسجدا ... ذكرها .

المسجد بجوار دير البعل

قد تقدم في أخبار الكنائس والديارات
من هذا الكتاب خبر دير البعل ، وأنه يعرف
بدير الفطير .

ولما كان في سنة خمس وسبعين وستمائة ،
خرج جماعة من المسلمين الى دير البعل ،
فراوا آثار محاريب بجوار الدير ، فعرفوا
الساحب بهاء الدين بن حنا ذلك ، فسير
المهندسين لكشف ما ذكر ، فعادوا اليه
وأخبروه أنه آثار مسجد . فتاور الملك الظاهر
يبرس ، وعمره مسجدا بجانب الدير . وهو
عاصر الى الآن وبث به ، وهو من أحسن
مشرقات مصر ، وله وقف جيد ومرتب يقوم
به نصارى الدير .

مسجد ابن الجباس

هذا المسجد خارج باب زويلة ، بالقرب من
مصلى الأموات ، دون باب اليانسية . عرف
بالشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد
ابن محمد بن جوشن ، المعروف بابن الجباس
— بجيم وباء موحدة بعدها ألف وسين
مهلة — القرشي العقيلي ، الفقيه الشافعي

(١) قوله « قد قدم ... الخ » فيه أنه لم يتقدم
ذلك ، وإنما أخبار الكنائس والديارات سباني ذكرها في آخر
الكتاب . اهـ .

المقرى . كان فاضلا صالحا ، زاهدا عابدا
مقرنا . كتب بخطه كثيرا ، وسبح الحديث
النبي . ومولده يوم السبت سابع عشر ذي
القعدة سنة اثنين وثلاثين وستمائة بالقاهرة ،
ووفاته

مسجد ابن البناء

هذا المسجد داخل باب زويلة ، وتسميه
العوام سام بن نوح النبي عليه السلام ، وهو
من مختلفاتهم التي لا أصل لها ، وإنما يعرف
بمسجد ابن البناء .

وسام بن نوح لعله لم يدخل أرض مصر
البتة . فإن الله سبحانه وتعالى لما لجى إليه
نوحا من الطوفان ، خرج معه من السفينة
أولاده الثلاثة ، وهم : سام ، وحام ، ويافث .
ومن هذه الثلاثة ذرا الله سائر بني آدم ، كما
قال تعالى : « وجعلنا ذرية هم الباقين » .

فقسم نوح الأرض بين أولاده الثلاثة :

فصار لسام بن نوح العراق وفارس الى
الهند ، ثم الى حضرموت وعمان والبحرين
وعالج ويريين والدو ووبار والدهنا ، وسائر
أرض اليمن والحجاز . ومن نسله الفرس
والبرانيون والعبرانيون والعرب والبط
والعاليق .

وصار لحام بن نوح الجنوب ما يلي أرض
مصر مغربا الى المغرب الأقصى . ومن نسله
الحبشة والزوج ، والقبط سكان مصر وأهل
النوبة ، والأفارقة وأهل أفريقية ، وأجناس
البربر .

وصار ليافث بن نوح بحر الخزر مشرقا الى
الصين . ومن نسله الصقالبة والفرنج والروم
والقوط وأهل الصين واليونانيون والترك .

وقد بلغنى أن هذا المسجد كان كنيسة
للإهود القرايين ، تعرف بسام بن نوح ، وأن
الحاكم بأمر الله أخذ هذه الكنيسة لما هدم
الكنائس ، وجعلها مسجدا . وتزعم اليهود
القرايون الآن بمصر أن سام بن نوح مدفون
هنا ، وهم الى الآن يحلفون من أسلم منهم
بهذا المسجد ... أخبرني به قاضي اليهود
إبراهيم بن فرج الله بن عبد الكافي الداودي
العائلي . وليس هذا بأول شيء اختلقته
العامية .

و « ابن البناء » هذا : هو محمد بن عمر بن
أحمد بن جامع بن البناء أبو عبد الله الشافعي
المقرى . سمع من القاضي مجلى وأبي عبد
الله الكيزاني وغيره ، وحدث وأقرأ القرآن ،
واتفح به جماعة وهو منقطع بهذا المسجد .

وكان يعرف خطه بخط بين البيايين ، ثم
عرف بخط الأقباليين ، ثم هو الآن يعرف
 بخط الفبيين وباب * القوس .

ومات ابن البناء هذا في العشر الأوسط من
شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين
 وخمسمائة .

واتفق لي عند هذا المسجد أمر عجيب . وهو
أنى مرت من هناك يوما أعوام بضع وثمانين
وسبعمائة — والقاهرة يومئذ لا يمر الإنسان
بشارعها حتى يلتقى عشاء من شدة ازدحام
الناس ، لكثرة مرورهم ركباناً ومشاة —

(*) ص ٢٩٦ ج ٢ ، ط ٢٩٦

فمنذما حاذيت أول هذا المسجد اذا برجل
يشي أمامي ، وهو يقول لرفيقه : والله يا أخي
ما مررت بهذا المكان قط الا واقطع لعل .
فوالله ما فرغ من كلامه حتى وطئ شخص ،
من كثرة الزحام ، على مؤخر لعله — وقد
مد رجله ليخطو — فاقطع تجاه باب
المسجد . فكان هذا من عجائب الأمور
وغرائب الاتفاق .

مسجد الحلبيين

هذا المسجد فيما بين باب الزهومة ودرج
شمس الدولة ، على يسرة من سلك من حمام
خشية طالبا البندقانيين . بنى على المكان
الذى قتل فيه الخليفة الظاهر نصر بن عباس
الوزير ، ودفنه تحت الأرض .

فلما قدم طلائع بن رزك من الأشموين
الى القاهرة ، باستدعاء أهل القصر له ليأخذ
بثأر الخليفة ، وغلب على الوزارة ... استخرج
الظاهر من هذا الموضع ، ونقله الى تربة
القصر ، وبنى موضعه هذا المسجد ، وسماه
المشهد ، وعمل له بابين : أحدهما هذا الباب
الموجود ، والباب الثاني كان يتوصل منه
الى دار المأمون البطائحي — التي هي اليوم
مدرسة تعرف بالسيوفية — وقد سد هذا
الباب .

وما يرح هذا المسجد يعرف بالمشهد . الى
أن انقطع فيه محمد ابن أبي الفضل بن سلطان
ابن عمار بن تمام ، أبو عبد الله الحلبي
الجعبري ، المعروف بالخطيب . وكان صالحا
كثير العبادة ، زاهدا منقطعا عن الناس ورعا ،

وسمع الحديث وحدث . وكان مولده في شهر رجب سنة أربع وعشرين وستمائة بقلعة بصرى ، ووفاته بهذا المسجد - وقد طالت اقامته فيه - يوم الاثنين سادس عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، ودفن بقابر باب النصر رحمه الله .

وهذا المسجد من أحسن مساجد القاهرة وأجملها .

مسجد الكافورى

هذا المسجد كان في البستان الكافورى من القاهرة . بناه الوزير المأمون أبو عبد الله محمد قاتك البطاشى في سنة ست عشرة وخمسمائة وتولى عمارته وكيله أبو البركات محمد بن عثمان ، وكتب اسمه عليه . وهو باق الى اليوم بخط الكافورى ، ويعرف هناك بمسجد الخفاء ، وفيه نخل وشجر ، وهو مرخم برخام حسن .

مسجد رشيد

هذا المسجد خارج باب زويلة ، بخط تحت الريح ، على يسرة من سلك من دار التفاح يريد قططرة الخرق . بناه رشيد الدين البهائى .

المسجد المعروف بزورع النوى

هذا المسجد خارج باب زويلة ، بخط سوق الطيور ، على يسرة من سلك من رأس المنجية طالبا جامع قوصون والصليية . وتزعم العامة أنه بنى على قبر رجل يصرف بزورع

النوى ، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا أيضا من اقتراه العامة الكلب . فان الذين ألفوا أسماء الصحابة رضى الله عنهم - كالامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى في تاريخه الكبير ، وأبى حنيفة ، والحافظ أبى عبد الله بن منفر ، والحافظ أبى نعيم الأصبهاني ، والحافظ أبى عمر بن عبد البر ، والفتية الحافظ أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم - لم يذكر أحد منهم صحابيا يعرف بزورع النوى .

وقد ذكر في أخبار القرافة من هذا الكتاب من قدير بصرى من الصحابة ، وذكر في أخبار مدينة فسطاط مصر أيضا من دخل مصر من الصحابة ، وليس هذا منهم . وهذا ان كان هناك قبر ، فهو لأمين الأمان أبى عبد الله الحسين بن طاهر الوزان .

وكان من أمره أن الخليفة الحاكم بأمر الله أبا على منصور بن العزيز بالله ، خلع عليه للوساطة بينه وبين الناس ، والتوقيع عن الحضرة ، في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعمائة . وكان قبل ذلك يتولى بيت المال ، فاستخدم فيه أخاه أبا الفتح مسعودا . وكان قد غفر بمال يكون عشرات ١٠٠٠٠٠ وصياغات وأمتعة وطرائف وفرش وغير ذلك ، في عدة آدر بصرى ، وجميعه مما خلقه قائد القواد الحسين بن جوهر القائد * . فباع المتاع ، وأضاف ثمنه الى المين ، فحصل منه

(١) قوله « يكون عشرات .. » هكذا في النسخ . وانظر ما صنفه ، ولعل المراد ما بين قنود وصياغات .. الخ ، كما يؤخذ مما بعد . وليحذر . اهـ . مصححه .

مال كثير ، وظالم الحاكم بأمر الله به أجسج لورثة . قائد القواد ، ولم يتعرض منه لشيء .

وكررت صلات الحاكم وعطاؤه وتوقيعاته ، بالطلق في ذلك . فأنصل به عن أمين الأمان بعض التوقيع ، فخرجت اليه رقعة بخطه في الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وأربعمائة نسختها : « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله كما هو أهله :

أصبحت لا أرجو ولا اتقى
الا الهى وله الفضل
جدى نبى وامامى أبى

ودينى الاخلاص والعدل
ما عندكم ينفذ ، وما عند الله باق ، المال مال الله عز وجل ، والخلق عيال الله ، ونحن أمناؤه فى الأرض ، أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها ، والسلام .

ولم يزل على ذلك الى أن بطل أمره فى جمادى الآخرة من سنة خمس وأربعمائة ... وذلك أنه ركب مع الحاكم على عادته . فلما حصل بعاره كناسة خارج القاهرة ، ضرب رقبته هناك ، ودفن فى هذا الموضع تخيضا . واستحضر الحاكم جماعة الكتاب بعد قتله ، وسأل رؤساء الدواوين عما يتولاه كل واحد منهم ، وأمرهم بلزوم دواوينهم وتوفيرهم على الخدمة .

وكانت مدة نظر ابن الوزان فى الوساطة والتوقيع عن الحضرة - وهى رتبة الوزارة - متين وشهرين وعشرين يوما . وكان توقيعه عن الحضرة الامامية « الحمد لله وعليه توكل » .

مسجد الذخيرة

هذا المسجد تحت قلعة الجبل ، بأول الرملة ، تجاه شبايك مدرسة السلطان حسن ابن محمد بن قلاوون التى تلى بابها الكبير الذى سده الملك الظاهر برفوق . أنشاه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة .

قال ابن المأمون فى تاريخه : وفى هذه السنة (يعنى سنة ست عشرة وخمسمائة) استخدم ذخيرة الملك جعفر فى ولاية القاهرة والحبسة بسجل أنشاه ابن الصيرفى ، وجرى من عنفه وظلمه ما هو مشهور ، وبنى المسجد الذى ما بين الباب الجديد الى الجبل الذى هو به معروف .

وسمى « مسجد لا بالله » بحكم أنه كان يقبض الناس من الطرق ويسلمهم ، فيحلفونه ويقولون له : « لا بالله » ، فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجره ، ولم يصل فيه منذ أنشاه الا صانع مكره أو فاعل مقيد . وكتبت عليه هذه الأيات المشهورة :

بنى مسجدا لله من غير حله
وكان بحمد الله غير موفق

كطعمة الأيتام من كد فرجها
لك الوليل لا تزلى ولا تصدقنى

وكان قد أبدع فى عذاب الجناة وأهل القصاد ، وخرج عن حكم الكتاب . فابتلى بالأمراض الخارجة عن المتاد ، ومات بعدما عجل الله له ما قدمه ، وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه ، وذكر عنه فى حالتى غلته وحلوله يقبره ما يعيد الله كل مسلم من مثله .

وقال ابن عبد الظاهر : مسجد النخيرة تحت قلعة الجبل . وذكر ما تقدم من ابن المأمون .

مسجد رسلان

هذا المسجد بعمارة الياسية . عرف بالشيخ الصالح رسلان لاقامته به ، وقد حكيت عنه كرامات ، ومات به في سنة احدى وتسعين وخمسمائة ، وكان يتقوت من أجره خياطته للثياب . وابنه عبد الرحمن بن محمد بن رسلان أبو القاسم كان فقيها محدثا مقربا . مات في سنة سبع وعشرين وستمائة .

مسجد ابن الشيخ

هذا المسجد بخط الكافوري ، مما يلي باب القطر ووجه الخليج ، مجاور لدار ابن الشيخ . أنشأه المهتر قاصر الدين محمد بن علاء الدين علي الشيخ ، مهتر السلطان بالاصطبلات السلطانية ، وقرر فيه شيخنا تقي الدين محمد بن حاتم . فكان يعمل فيه ميعادا يجتمع الناس فيه لسماع وعظه .

وكان ابن الشيخ هذا حنفا فخورا خيرا ، يحب أهل العلم والصالح ويكرمهم ، ولم تر بعده في رقبته مثله ، ومات ليلة الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

مسجد يانس

هذا المسجد كان تجاه باب سماعة خارج القاهرة .

قال ابن المأمون في تاريخه : وكان الأجل المأمون (يعني الوزير . محمد بن فائق البطائحي) قد ضم اليه عدة من مبالغ الأفضل بن أمير الجيوش من جملتهم يانس ، وجعله مقدما على صبيان مجلسه ، وسلم اليه بيت ماله ، وميزه في رسومه .

فلما رأى المذكور في ليلة النصف من شهر رجب (يعني سنة ست عشرة وخمسمائة) ما عمل في المسجد المستجد قبالة باب الخوخة من الهمة ووفور الصدقات وملازمة الصلوات وما حصل فيه من المثوبات ، كتب رقعة يسأل فيها أن يفسح له في بناء مسجد بظاهر باب سماعة .

فلم يجبه المأمون الى ذلك ، وقال له : ما ثم مانع من عمارة المساجد ، وأرض الله واسعة . وإنما هذا الساحل فيه معمولة للمسلمين وموردة للسقائين ، وهو مرسى مراكب الغلة ، والمضرة في مضايقة المسلمين فيه منه ، ولو لم يكن المسجد المستجد قبالة باب الخوخة محرسا لما استجد ، حتى اننا لم نخرج بساحته الأولى ، فان أردت أن تبني قبلي مسجد الرضى ، أو على شاطئ الخليج ، فالطريق ثم سهلة . فقبل الأرض وامثل الأمر .

فلما قبض على المأمون ، وأمر الخليفة يانس المذكور ، ولم يزل ينقله الى أن استخدمه في حجة باب ... سأله في مثل ذلك ، فلم يجبه . الى أن أخذ الوزارة ، فبناه في المكان المذكور ، وكانت مدته يسيرة ، فتوفي

(*) من (١١) جزء ٢ ط. بولاق .

قبل اتمامه واكماله ، فكله أولاده بعد وفاته . انتهى .

وقد تقدم خبر وزارة أبي الفتح فاطم الجيوش يانس الأرمني هذا عند ذكر العمارة الياسية من هذا الكتاب .

مسجد باب الخوخة

هذا المسجد تجاه باب الخوخة بجوار مدرسة أبي غالب .

قال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة : ولما سكن المأمون الأجل دار الذهب وما معها (يعني في أيام النيل للزهة عند سكن الخليفة الأمر بأحكام الله بقصر اللؤلؤة المطل على الخليج) رأى قبالة باب الخوخة محرسا . فاستدعى وكيله ، وأمره بأن يزيل المحرس المذكور ، ويبني موضعه مسجدا . وكان الصانع يعملون فيه ليلا ونهارا ، حتى أنه تقطر بعد ذلك واحتيج الى تجديده .

المسجد المعروف بمسجد موسى

هذا المسجد بخط الركن المخلوق من القاهرة ، تجاه باب الجامع الأقمر المجاور لحوض السبيل ، وعلى يمينه من سلك من بين القصرين طالبا رحبة باب العيد . أول من اختطه القائد جوهر عندما وضع القاهرة .

قال ابن عبد الظاهر : ولما بنى القائد جوهر القصر ، دخل فيه دير العظام — وهو المكان المعروف الآن بالركن المخلوق ، قبالة حوض الجامع الأقمر وقرب دير العظام ، والمصريون

يقولون بئر العظمة — فكه أن يكون في القصر دير . فقل العظام التي كانت به وأرسم الى دير بناء في الخندق ، لأنه كان يقال انها كانت عظام جساعة من الحواريين ، وبني مكانها مسجدا من داخل السور (يعني سور القصر) .

وقال جامع سيرة الظاهر بيبرس : وفي ذي الحجة سنة ستين وستمائة ، ظهر بالمسجد الذي بالركن المخلوق من القاهرة حجر مكتوب عليه « هذا معبد موسى بن عمران عليه السلام » . فجددت عبارته ، وصار يعرف بمعبد موسى من حينئذ ، ووقف عليه ربيع بجانبه ، وهو باق الى وقتنا هذا .

مسجد نجم الدين

هذا المسجد ظاهر باب النصر . أنشأه الملك الأفضل نجم الدين أبو سعيد أيوب بن شاذي يعقوب بن مروان الكردي ، والد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وجعل الى جانبه حوض ماء للسبيل ترده الدواب في سنة ست وستين وخمسمائة .

ونجم الدين هذا قدم هو وأخوه أسد الدين شيركوه من بلاد الأكراد الى بغداد ، وخدم بها ، وترقى في الخدم حتى صار دزدارا بقلعة تكرت ومعه أخوه . ثم أنه اقتل عنها الى خدمة الملك المنصور عماد الدين أتابك زنكي بالموصل ، فخدمه حتى مات ، فتعلق بخدمة ابنه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، فرقاه وأعطاه بعليك ، وحج من دمشق سنة خمس وخمسمائة .

فلما قدم ابنه صلاح الدين يوسف بن أيوب مع عمه أسد الدين شيركوه ، من عند نور الدين محمود إلى القاهرة ، وصار إلى وزارة العاضد بعد موت شيركوه ، قدم عليه أبوه نجم الدين في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وخمسائة ، وخرج العاضد إلى لقائه ، وأوله بتناظر اللؤلؤة .

فلما استبد صلاح الدين بسلطنة مصر بعد موت الخليفة العاضد ، أقطع أبيه نجم الدين الاسكندرية والبحيرة ، إلى أن مات بالقاهرة في يوم الثلاثاء ثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثمان وستين وخمسائة - وقيل في ثامن عشره - من سقطة عن ظهر فرسه خارج باب النصر ، فحمل إلى داره ، فمات بعد أيام .

وكان خيرا جوادا ، متدينا ، محبا لأهل العلم والخير ، وما مات حتى رأى من أولاده عدة ملوك ، وصار يقال له أبو الملوك . ومنه العاد الأسباني عدة قصائد ، ورواه القفيه عبارة بقصيدته التي أولها :

هي الصدمة الأولى فمن بأن صبره
على هول ملقاه تماظم أمره

مسجد صواب

هذا المسجد خارج القاهرة بخط الصلية . عرف بالطواشي شمس الدين صواب ، مقدم المالك السلطانية ، ومات في ثامن رجب سنة اثنين وأربعين وستائة ، ودفن به . وكان خيرا ، دينا ، فيه صلاح .

(١٥) من ١١٣٥ هـ ، طبع بولاق .

المسجد بجوار المشهد الحسيني

هذا المسجد ... أقيم في مستهل شهر رجب سنة اثنين وستين وستائة للملك الظاهر ركن الدين بيبرس - وهو بدار العدل - أن مسجدا على باب مشهد السيد الحسين عليه السلام ، وإلى جانبه مكان من حقوق القصر ، بيع وحمل ثمنه للديوان ، وهو ستة آلاف درهم .

فسأل السلطان عن صورة المسجد وهذا الموضع ، وهل كل منهما منفرد أو عليهما حائط دائر ؟ فقيل له أن بينهما زرب قصب ، فأمر برد المبلغ ، وأبقى الجميع مسجدا ، وأمر بعمارة ذلك مسجدا لله تعالى .

مسجد الفجل

هذا المسجد بخط بين القصرين ، تجاه بيت اليسرى ، أصله من مساجد الخلفاء الفاطميين . أنشأه على ما هو عليه الآن الأمير يشاك لما أخذ قصر أمير سلاح ودار أقطوان الساقى وأحد عشر مسجدا وأربعة معابد كانت من عمارة الخلفاء ، وأدخلها في عمارته التي تعرف اليوم بقصر يشاك ، ولم يترك من المساجد والمعابد سوى هذا المسجد فقط ، ويجلس فيه بعض نواب القضاة المالكية للحكم بين الناس .

وتسميه العامة مسجد الفجل ، وتزعم أن النيل الأعظم كان يمر بهذا المكان ، وأن الفجل كان يفصل موضع هذا المسجد فعرف بذلك . وهذا القول كذب لا أصل له . وقد تقدم في

هذا الكتاب ما كان عليه موضع القاهرة قبل بنائها ، وما علمت أن النيل كان يمر هناك أبدا ، وبلغنى أنه عرف بسجد الفجل من أجل أن الذي كان يقسم به كان يعرف بالفجل ، والله أعلم .

مسجد تبر

هذا المسجد خارج القاهرة ما إلى الخندق . عرف قديما بالنير والجيزة ، وعرف بسجد تبر ، وتسميه العامة مسجد النير وهو خطأ . وموضعه خارج القاهرة قريبا من المطرية .

قال القاضي : مسجد تبر بنى على رأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه . أنقذه المنصور ففرقه أهل مصر ، ودفنوه هناك وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة ، ويعرف بسجد النير والجيزة .

وقال الكندي في كتاب « الأمراء » : ثم قدمت الخطباء إلى مصر برأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة ، لينصبوه في المسجد الجامع ، وقامت الخطباء فذكروا أمره .

وتبر هذا أحد الأمراء الأكابر في أيام الأستاذ كافور الاخشيدى . فلما قدم جوهر القائد من المغرب بالعاكر ، ثار تبر الاخشيدى هذا في جماعة من الكافورية والاشيدية وحاربه ، فانهزم بمن معه إلى أسفل الأرض . فبث جوهر يستعطفه ، فلم

يجب ، وأقام على الخلاف ، فسير إليه عسكريا حاربه بناحية صهرجت فانكسر ، وصار إلى مدينة صور التي كانت على الساحل في البحر .

فقبض عليه بها ، وأدخل إلى القاهرة على فيل ، فسن إلى صفر سنة ستين وثلاثمائة . فاشتدت المطالبة عليه ، وضرب بالسياط ، وقبضت أمواله ، وحبس عدة من أصحابه بالمطبق في القيود إلى ربيع الآخر منها . فخرج نفسه ، وأقام أياما مريضا ومات ، فسلخ بعد موته ، وصلب عند كرسى الجبل .

وقال ابن عبد الظاهر : أنه حتى جلده تبنا وصلب ، فربما ست العامة مسجده بذلك لما ذكرناه . وقيل أن تبر هذا خادم الدولة المصرية ، وقبره بالمسجد المذكور ... قال مؤلفه : هذا وهم ، وإنما هو تبر الاخشيدى .

مسجد القطبية

هذا المسجد كان حيث المدرسة المنصورية بين القصرين ، والله أعلم .

ذكر الخوانك

الخوانك جمع خانكاه ، وهي كلمة فارسية معناها بيت . وقيل أصلها خوتقاه ، أى الموضع الذى يأكل فيه الملك . والخوانك حدثت في الاسلام في حدود الأربعمائة من سنى الهجرة ، وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى .

(١٦) من ١١٣٥ هـ ، طبع بولاق .

قال لا يستحق أبو القاسم هذه الكرم من
هواري القنيري رحمه الله : اعلموا أن
للمسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يحسم كمالهم في طهرهم بتسمية علم
سوى « صفة رسول الله » صلى الله عليه
وسلم ، إذ لا نفسية فوقها ، فليل لهم
« الصفاة » . ولما أدرك أهل العصر التالي ،
سعى من صعب الصفاة « التابيين » ، وداؤوا
ذلك أثر في سنة ، ثم قيل لمن بينهم « أبايع
التابعين » .

ثم اختلف الناس ، وتباينت المراتب ، فليل
لخواص خواص الناس من لهم حكمة حانية
بأمر الدين « الزهاد » و « الصياد » . ثم
ظهرت البدع ، وحصل التلصص بين الفرق ،
فكل فريق ادعوا أن ليسهم زهادا . فاعترد
خواص أهل السنة — المراجعون أنفسهم مع
الله ، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة —
باسم « التصوف » ، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء
الأكابر قبل المائة من الهجرة .

قال : وهذه التسمية غلبت على هذه
الطائفة . فيقال : رجل صوفي ، وللجماعة :
الصوفية ، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له :
متصوف ، وللجماعة : المتصوفة . وليس يشهد
لهذا الاسم من حيث العريضة قياس ولا
اشتقاق ، والأظهر فيه أنه كاللقب . فأما قول
من قال أنه من الصوف ، وتصوف إذا لبس
الصوف — كما يقال تصمس إذا لبس
التميم — فذلك وجه ، ولكن القوم لم
يكتسبوا بلبن الصوف .

ومن قال أنهم يحسبون إلى حشنة مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتسمية إلى

الصفة لا تبعي على نحو الصوفي . ومن قال
أنه من الصفاء ، فاشتقاق الصوفي من الصفاء
بيد في مقتضى اللغة . وقوله من قال أنه
مشتق من الصف ، فكأنهم في الصف الأول
بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله تعالى ،
فالمعنى صحيح لكن اللغة لا تقتضي هذه التسمية
من الصف . ثم إن هذه الطائفة أصر من أن
يحتاج في تسميتهم إلى قياس لغة واشتقاق
اشتقاق ، والله أعلم .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر
ابن محمد السهروردي رحمه الله : والصوفي
يضع الأنبياء في مواضعها ، ويدير الأوقات
والأحوال كلها . بالعلم يقيم الخلق مقامهم ،
ويقيم أمر الحق مقامه ، ويستر ما ينبغي أن
يستر ، ويظهر ما ينبغي أن يظهر ، ويأني
بالأمور من مواضعها ... بحضور عقل ،
وصحة توحيد ، وكمال معرفة ، ورعاية صدق
وإخلاص .

فقوم من المفتولين لبوا إلى الصوفية
ليسبوا اليهم ، وما هم منهم بشيء ، بل هم
في غرور وغلط يتسترون بلبسة الصوفية
توقيا تارة ودعوة أخرى ، ويستهجون مناهج
أهل الإباحة ، ويوعصون أن ضمايرهم خلعت
إلى الله تعالى ، وأن هذا هو القدر بالمراد ،
والارتسام براسم الشريعة ... رتبة العوام
والقاصرين الأفهام ، وهذا هو عين الالتحاد
والزبدقة والإيماد . والله در القائل :

تأزح الناس في الصوفي ولختلوا
فيه ، وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أعمل هذا الاسم غير في
صافي وصوفي حتى سمي الصوفي



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأئمة
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطَاةُ الْمُقْرِئِي

٤٣



كتاب
التحرير

• كانت مصر هي مستقر رأسي ، ومطعم أترابي ، وجميع ناسي ، وعضي عشيري ، وعماستي ،
وسوطني خماستي وعماستي ، وهوي جهوي الذي ربي جناسي في وكرو ، وعضي ماري ، فهد
تهوي الأنفسي غير ذكره . لازلت منذ شذوت العالم ، وآتاني ربي الفطانة والفهم ، أعجب في
معرفة أفيارها ، وأحب لإشراف علي الإشراف من آبارها ، وألوي مسادة الركبان من مكان وبارها .
نقي الدين أحمد بن علي المقرئ

قال مؤلفه : ذهب والله ما هنالك ، وصارت
الصوفية كما قال الشيخ فتح الدين محمد بن
محمد بن سيد الناس اليعمرى :

ماشروط الصوفى فى عصرنا اليو
م سوى ستة بغير زياده

وهى (١) العلوq والكر والسط
لة والرقص والغنا والقياده

واذا ما هذى وأيدى اتحداد
وحلولا من جهله أو اعاده

وأتى المنكرات عقلا وشرعا
فهو شيخ الشيوخ ذو السجاده

ثم تلاشى الآن حال الصوفية ومشايخها
حتى صاروا من سقط المتاع ، لا ينسبون الى
علم ولا ديانة ، والى الله المشتكى .

وأول من اتخذ بيتا للعبادة زيد بن صوحان
ابن صبرة . وذلك أنه عمد الى رجال من أهل
البصرة قد تفرغوا للعبادة — وليس لهم
تجارات ولا غلات — فبنى لهم دورا ،
وأسكنهم فيها ، وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم
من مطعم ومشرب وملبس وغيره .

فجاء يوما ليزورهم ، فسأل عنهم . فاذا عبد
الله بن عامر ، عامل البصرة لأمير المؤمنين
عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قد دعاهم ،
فأتاه ، فقال له : يا ابن عامر ، ما تريد من
هؤلاء القوم ؟

قال : أريد أن أقربهم فيشفعوا فأشفعهم ،
ويسألوا فأعطيتهم ، ويشيروا على فأقبل منهم .

فقال : لا ، ولا كرامة ! فتأتى الى قوم
قد انقطعوا الى الله تعالى ، فتدسهم بدنياك ،

وتشركهم فى أمرك ، حتى اذا ذهبت أديانهم ،
أعرضت عنهم ، فطاحوا لا الى الدنيا ولا الى
الآخرة ... قوموا فارجموا الى مواضعكم .
فقاموا . فأمسك ابن عامر ، فما نطق بلفظة ...
ذكره أبو نعيم * .

الخانكاه الصلاحية دار سعيد السعداء ديرة الصوفية

هذه الخانكاه بخط رجة باب العيد من
القاهرة . كانت أولا دارا تعرف فى الدولة
الفاطمية بدار سعيد السعداء — وهو
الأستاذ قنبر ، ويقال عنبر ، وذكر ابن ميسر
أن اسمه بيان ، ولقبه سعيد السعداء — أحد
الأستاذين المحنكين خدام القصر ، عتيق
ال خليفة المتصر . قتل فى سابع شعبان سنة
أربع وأربعين وخمسمائة ، ورمى برأسه من
القصر ، ثم صلبت جثته بباب زويلة من ناحية
الخرق .

وكانت هذه الدار مقابل دار الوزارة . فلما
كانت وزارة العادل رزيك بن الصالح طلائع
ابن رزيك سكنها ، وفتح من دار الوزارة اليها
سردابا تحت الأرض ليمر فيه . ثم سكنها
الوزير شاور بن مجير فى أيام وزارته ، ثم
ابنه الكامل .

فلما استبد الناصر صلاح الدين يوسف بن
أيوب بن شاذى بملك مصر بعد موت الخليفة
العاقد ، وغير رسوم الدولة الفاطمية ،
ووضع من قصر الخلافة ، وأسكن فيه أمراء
دولته الأكراد ... عمل هذه الدار برسم
الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشائعة ،

ووقف عليها عليهم في سنة تسع وستين وخمسة : وولى عليهم شيخا ، ووقف عليهم بيتان الجانبية بجوار بركة القمل خارج القاهرة ، وقبارة الشراب بالقاهرة ، وناحية دهمرو من المنياوية .

وشرط أن من مات من الصوفية ، وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء ، ولا يتعرض لها الديوان السلطاني ، ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيره . ورب للصوفية في كل يوم طعاما ولحما وخبزا ، وبسبب لهم حماما بجوارهم .

فكانت أول خانكاه عملت بديار مصر ، وعرفت بدويرة الصوفية ، ونعت شيخها بشيخ الشيوخ . واستمر ذلك بعده إلى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة ، وانضمت الأحوال ، وتلاشت الرتب ، فلقب كل شيخ خانكاه بشيخ الشيوخ .

وكان مكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والعلاج ، وترجى بركهم . وولى مشيختها الأكابر والأعيان - كأولاد شيخ الشيوخ بن حصونه - مع ما كان لهم من الوزارة ولامارة ، ونديير الدولة ، وقيادة الجيوش ، وتقدمة العساكر . ووليها ذو الرياستين ، الوزير صاحب ، قاضى القضاة تقي الدين عبد الرحمن ، ابن ذى الرياستين الوزير العاصم قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز ، وجباة من الأعيان . ونزل بها الأكابر من الصوفية .

وأخبرنى الشيخ أحمد بن على القصار ، رحمه الله ، أنه أدرك الناس في يوم الجمعة

يقون من مصر إلى القاهرة ، ليشاهدوا صوفيه خالده سعيد السعداء ، عدما يوجهون منها إلى صلاة الجمعة بالجامع الحاكسى ، كى تحصل لهم البركة والخير بشاهدتهم .

وكن لهم في يوم الجمعة هيئة فاضلة . وحدث أنه يخرج شيخ الخائقاء منها ، وبين يديه خدام الرتبة الشرفية - قد حملت على رأس كبرهم - والصوفية مشاة بسكون وخفر إلى باب الجامع الحاكسى الذى يلي النبر ، ويدخلون إلى مقصورة كانت هناك على يسرة الداخل من الباب المذكور - تعرف بمقصورة البسلة ، فانه بها إلى اليوم بسلة قد كتبت بحروف كبار - فيصلى الشيخ تحية المجد تحت سحابة منصوبة له دائما ، وتصلى الجماعة . ثم يجلسون ، وتفرق عليهم أجزاء الرتبة ، فيقرأون القرآن حتى يؤذن المؤذنون ، فتؤخذ الأجزاء منهم ، ويشغلون بالتركم واستماع الخطبة وهم منصتون خاشعون .

فإذا قضيت الصلاة والدعاء بعدها ، قام قارئ من قراء الخائقاء ، ورفع صوته بقراءة ما تيسر من القرآن ، ودعا للسلطان صلاح الدين ولواقف الجامع ولسائر المسلمين . فإذا فرغ قام الشيخ من مصلاه ، وسار من الجامع إلى الخائقاء والصوفية معه كما كان توجههم إلى الجامع . فيكون هذا من أجمل عوايد القاهرة .

وما برح الأمر على ذلك . إلى أن ولى الأمير يلبغا السالى نظر الخائقاء المذكورة ، في يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة سنة

سبع وتسعين وسبعمائة ، فنزل إليها وأخرج كتاب الوقف ، وأراد العمل بما فيه من شرط الواقف . فقطع من الصوفية المنزلين بها عشرات ممن له منصب ومن هو مشهور بالمال ، وزاد الفقراء المجردين - وهم المقيمون بها - في كل يوم رغيفا من الخبز ، فصار لكل مجرد أربعة أرغفة بعدما كانت ثلاثة ، ورتب بالخائقاء وظيفتى ذكر بعد صلاة العشاء الآخرة ، وبعد صلاة الصبح .

فكثر التكثير على السالى ممن أخرجهم ، وزاد الأشلاء ، فقال بعض أدباء العصر فى ذلك :

يا أهل خائقة الصلاح أراكم

ما بين شاك للزمان وشاتم

يكفيكم ما قد أكلتم باطلا

من وقفها وخرجتم بالسالم

وكان سبب ولاية السالى نظر الخائقاء المذكورة ، أن العادة كانت قديما أن الشيخ هو الذى يتحدث فى نظرها . فلما كانت أيام الظاهر بريقوق ولى مشيختها شخص ، يعرف بالشيخ محمد البلالى ، قدم من البلاد الشامية ، وصار للأمير سودون الشيوخونى - نائب السلطنة بديار مصر - فيه اعتقاد . فلما سعى له فى المشيخة ، واستقر فيها بتعيينه ، سأل أن يتحدث فى النظر اعانة له ، فتحدث .

وكانت عدة الصوفية بها نحو الثلاثمائة رجل : لكل منهم فى اليوم ثلاثة أرغفة زيتها ثلاثة أرطال خبز ، وقطعة لحم زيتها ثلث

(*) مره ٤١ ج٢ ، ط - بولاق .

رطل فى مرق ، ويعمل لهم الحلوى فى كل شهر ، ويفرق فيهم الصابون ، ويعطى كل منهم فى السنة عن ثمن كسوة قدر أربعين درهما . فنزل الأمير سودون عندهم جماعة كثيرة عجز رجح الوقف عن القيام لهم بجميع ما ذكر ، فقطعت الحلوى والصابون والكسوة .

ثم ان ناحية دهمرو شرقت فى سنة تسع وتسعين لقصور ماء النيل ، فوقع العزم على غلق مطبخ الخائقاء وإبطال الطعام ، فلم تحتمل الصوفية ذلك ، وتكررت شكواهم للملك الظاهر بريقوق . فولى الأمير يلبغا السالى النظر ، وأمره أن يعمل بشرط الواقف .

فلما نزل إلى الخائقاء وتحدث فيها ، اجتمع بشيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى ، وأوقفه على كتاب الوقف . فأفتاه بالعمل بشرط الواقف ، وهو أن الخائقاء تكون وقفا على الطائفة الصوفية الواردين من البلاد الشامية والقاطنين بالقاهرة ومصر ، فان لم يوجدوا كانت على الفقراء من الفقهاء الشافعية والمالكية الأشعرية الاعتقاد .

ثم انه جمع القضاة وشيخ الاسلام وسائر صوفية الخائقاء بها ، وقرأ عليهم كتاب الوقف وسأل القضاة عن حكم الله فيه . فاستدب للكلام رجلا من الصوفية هما زين الدين أبو بكر القمنى وشهاب الدين أحمد العبادى الحنفى ، وارتفعت الأصوات ، وكثر اللفظ . فأشار القضاة على السالى أن يعمل بشرط الواقف ، وانصرفوا . فقطع منهم نحو الستين رجلا منهم المذكوران .

فمعض الجدي ، ونحسب من ذلك ،
وتنحى إلى السلي وقد كثر ، وسعدت
بموت فيه ، وبنت له ساجدة ، فمضى
عليه السلي وهو مشر ومهجرة . وحسب
عده من راجع ومرفق بها . فمضى ذلك
السلطان ، وأحضر القصة والقبعة . ومضى
المبادئ في يوم الخميس من شهر رجب .
وأدى عليه السلي . فمضى الحال تعزيره ،
فمزر وكشف رأسه ، وأخرج من القصة ما شيا
بين يدي القصة ووالى القاهرة إلى باب
رويلة ، فحس بحس القصة ، ثم نزل منه
إلى حس الرحبة .

فلما كان يوم السبت حادى عشره ،
استمى إلى دار فضى القصة جمال الدين
محسود القيصري لحنفى ، وضرب بحضرة
الأمير علاء الدين على بن الطلاوى ، وإلى
الذهرة ، نحو الأربعين ضربة بالمصا تح
رجليه . ثم أعيد إلى الحبس ، وفرج عنه فى
ثمان عشره بشاعة شيخ الاسلام فيه .

ولما جدد الأمير يلغا السالى الجامع
لأقصر ، وعمل له منبرا ، وقامت به الجمعة
فى شهر ربيع الأول سنة احدى وثماننة ...
أزمه الشيخ بالخانقاه والصوفية أن يصلوا
الجمعة به . فصاروا يصلون الجمعة فيه إلى
أن زالت أيام السالى ، فتركوا الاجتماع
بالجامع لأقصر ، ولم يعودوا إلى ما كانوا عليه
من الاجتماع بالجامع الحاكى ، ونسب
ذلك .

ولم يكن بهذه الخانقاه مئذنة ، والذي بنى
هذه المئذنة شيخ ولى مشيختها . فى سنة

بضع وثمانى وسبعمائة ، يعرف بشهاب الدين
أحمد راضى . وكان الناس يسمون فى
سبعين الحنفية بطالهم ، فجدد شخص من
الصوفية بها . يعرف بشهاب الدين أحمد
الحنفى . هذا الدراوىز . وغرس فيه هذه
الشجار ، وحمل عليها وفما لن يتعاهدها
بالخدمة .

خانقاه ركن الدين ببيرس

هذه الخانقاه من جملة دار الوزارة
الكبرى . التى تقدم ذكرها عند ذكر القصر
من هذا الكتاب ، وهى أجل خانقاه بالقاهرة
ببنا وأوسعها مقمارا وأتقنها صنعة . بناها
الملك المنصور ركن الدين ببيرس الجاشنكير
المصورى ، قبل أن يلى السلطة وهو أمير ،
فبدأ فى بنائها فى سنة ست وسبعمائة ، وبنى
بجانبها رباطا كبيرا يتوصل إليه من داخلها ،
وجعل بجانب الخانقاه قبة بها قبره .

ولهذه القبة شبايك تشرف على الشارع
السلوك فيه من رحبة باب العيد إلى باب
النصر . من جملتها الشباك الكبير الذى حمله
الأمير أبو الحارث الباسيرى من بغداد لما
غلب الخليفة القائم العباسى ، وأرسل بعلمته
وشباكه الذى كان بدار الخلافة فى بغداد
وتجلس الخلفاء فيه ، وهو هذا الشباك كما
ذكر فى أخبار دار الوزارة من هذا الكتاب .

فلما ورد هذا الشباك من بغداد ، عمل
بدار الوزارة ، واستمر فيها . إلى أن عمر
الأمير ببيرس الخانقاه المذكورة ، فجعل هذا
الشباك بقبة الخانقاه ، وهو بها إلى يومنا

هذا . واه لشباك جليل القدر حشم ، يكاد
يتبين عليه أبهة الخلافة .

ولما شرع فى بنائها وفق بالناس ولاطمهم ،
ولم يصف فيها أحدا فى بنائها ، ولا أكره
صانعا ، ولا نصب من آلاتها شيئا ، وإنما
اشتري دار الأمير عز الدين الأفرم التى كانت
بمدينة مصر ، واشتري دار الوزير هبة الله بن
مسعود الفاضلى ، وأخذ ما كان فيهما من
الأنقاض ، واشتري أيضا دار الأنساط التى
كانت برأس حارة الجودرية من القاهرة
وتفصها وما حولها ، واشتري أملاكا كانت
قد بنيت فى أرض دار الوزارة من ملاكها
بغير إكراه وهدمها . فكان قياس أرض
الخانقاه والرباط والقبة نحو فدان وثلاث .

وعندما شرع فى بنائها حضر إليه الأمير
ناصر الدين محمد ، ابن الأمير بكتاش
الفخرى أمير سلاح ، وأراد التقرب لخطره ،
وعرفه أن بالقصر الذى فيه سكن أبيه مغارة
تحت الأرض كبيرة ، يذكر أن فيها ذخيرة من
ذخائر الخلفاء الفاطميين ، وأنهم لما فتحوها
لم يجدوا بها سوى رخام كثير ، فسدوها
ولم يتعرضوا لشيء مما فيها . فسر بذلك ،
وبعث عدة من الأمراء فتحوا المكان ، فإذا
فيه رخام جليل القدر عظيم الهيئة ، فيه ما
لا يوجد مثله لمظنه ، فنقله من المغارة ، ورخم
منه الخانقاه والقبة وداره التى بالقرب من
البندقانيين وحارة زويلة ، وفضل منه شيء
كثير عهدى أنه مختزن بالخانقاه ، وأظنه أنه
باق هناك .

(*) من ٤١٦ ج ٢ ط ١ - بولاق

ولما كملت فى سنة تسع وسبعمائة ، قرر
بالخانقاه أربعمائة صوفى ، وبالرباط مائة من
الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت ،
وجعل بها مطبخا يفرق على كل منهم فى كل
يوم اللحم والطعام وثلاثة أرغفة من خبز البر ،
وجعل لهم الحلوى ، ورتب بالقبة درسا
للحديث النبوى له مدرس وعنده عدة من
المحدثين ، ورتب القراءة بالشباك الكبير
يتأوبون القراءة فيه ليلا ونهارا ، ووقف عليها
عدة ضياع بدمشق وحماة ، ومنية المخلص
بالجزيرة من أرض مصر ، وبالصيد والوجه
البحرى ، والربيع والقيصرية بالقاهرة .

فلما خلع من السلطة ، وقبض عليه الملك
الناصر محمد بن قلاوون وقتله ، أمر بخلتها
فطلقت ، وأخذ سائر ما كان موقوفًا عليها ،
ومحا اسمه من الطراز الذى بظاهرها فوق
الشبايك ، وأقامت نحو عشرين سنة معطلة .
ثم أنه أمر بفتحها فى أول سنة ست وعشرين
وسبعمائة ففتحت ، وأعاد إليها ما كان موقوفًا
عليها .

واستمرت إلى أن شرقت أراضى مصر
لقصور مد النيل ، أيام الملك الأشرف شعبان
ابن حسين فى سنة ست وتسعين وسبعمائة ،
فبطل طعامها ، وتعطل مطبخها ، واستمر الخبز
ومبلغ سبعة دراهم لكل واحد فى الشهر بدل
الطعام ، ثم صار لكل واحد منهم فى الشهر
عشرة دراهم . فلما قصر مد النيل فى سنة
ست وتسعين وسبعمائة بطل الخبز أيضا ،
وغلق المخبز من الخانقاه ، وصار الصوفية
يأخذون فى كل شهر مبلغا من الفلوس معاملة
القاهرة ، وهم على ذلك إلى اليوم .

وقد تركها ولا يمكن يولها غير أهلها
من الجبور بها والصلوة فيها في
النفس من الهبة ، وبسبب الناس من دخولها
حتى انتهاء الأجل . وكان لا يزال لها مرد
وفيه حصة من أهل العلم والحير . وقد ذهب
ما هناك . فزل بها اليوم عنة من الضار
ومن الإساءة وغيرهم من العامة . لا أن
أوقتها عمرة ، ورزاقها دارة بحسب تقود
مصر .

ومن حسن بده هذه الخطة أنه لم يحتج
فيها إلى مرملة منذ بنيت إلى وقتها هذا .
وهي مبنية بالحجر ، ولكنها تقود محكمة بدل
التقوف الخشب ، وقد سمعت غير واحد
يقول : أنه لم تب خاتمة أحسن من بنائها .

« ملك المنقر ركن الدين بيرس الجاشنكير
النصوري » : اشتراه الملك المنصور قلاوون
صغيرا ، وورقه في الخدم السلطانية إلى أن
جعله أحد الأمراء ، وواقاه جاشنكير ، وعرف
بالشجاعة .

فلما مات الملك المنصور ، خدم ابنه الملك
الأشرف خديلا ... إلى أن قتله الأمير يسدرا
بناحية تروجة . فكان أول من ركب على يسدرا
في طب ثور الملك الأشرف ، وكان مهابا بين
خشمائيه ، فركبوا معه ، وكان من نصرتهم
على يسدرا وقتله ما قد ذكر في موضعه .

فقتل ذكره ، وصار أستاذ السلطان في
أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون في
سلطته الثانية ، رفيقا للأمير سلا رقيب
السلطة . وبه قويت العائنة البرجية من
المالكة ، واشتد بأسهم ، وصار الملك الناصر

تحت حجر بيرس وسلاز إلى أن أتت من
دعك ، وصار إلى الكرك .

« قيم بيرس في السلطنة يوم السبت
ثلاث غنرى شوال سنة ثمان وبسمائة .
فستضعف جانبه ، وانحط قدره ، ونقصت
مهات ، ونظب عليه الأمراء والمالكة ،
واضطربت أمور المملكة لمكان الأمير سلاز ،
وكررة حاشته ، وميل القلوب إلى الملك
الناصر .

وفي أيامه عمل الجبر من قلوب إلى مدينة
ديماز ، وهو مسيرة يومين طولا في عرض
أربع قصبات من أعلاه وست قصبات من
أسفله ، حتى أنه كان يسير عليه ستة من
الترسان معا بحذاء بعضهم . وأبطل سائر
الخسارات من السواحل وغيرها من بلاد
الشام ، وسامح بما كان من المقرر عليهما
لللفظ ، وغرض الأجناد بدله ، وكبست
أماكن الرب والفواحي بالقاهرة ومصر ،
وأريق الخسور ، وضرب أناس كثير في
ذلك بالمقارع ، وتبع أماكن الفساد ، وبأنغ
في إزالته ، ولم يراع في ذلك أحدا من
الكتاب ولا من الأمراء . فخف المنكر ، وخفي
الفساد .

« إلا أن الله أراد زوال دولته ، فسولت له
نفسه أن يبعث إلى الملك الناصر بالكرك يطلب
منه ما خرج به معه من الخيل والمالكة ،
وحمل الرسول إليه بذلك مشافهة أغلظ عليه
فيها . فحقن من ذلك ، وكتب نواب الشام
وأمرأ مصر في الرشكو ما حل به ، وترفق
بهم وتلف بهم » فرقوا له ، وامتعضوا لما به .

* من ٤١٧ هـ ، طبع في ١٢٠٧ هـ

« وزل الناصر من الكرك ، وبرز عنها .
فاضطرب الأمر بمصر ، واختل الحال من
بيرس ، وأخذ المنكر يسير من مصر إلى
الناصر شيئا بعد شيء ... وصار الناصر من
ظاهر الكرك يريد دمشق في غرة شعبان سنة
تسع وبسمائة . فعندما زل الكسوة ،
خرج الأمراء وعامة أهل دمشق إلى لقائه
ومعهم شعار السلطنة ، ودخلوا به إلى المدينة
— وقد فرحوا به فرحا كثيرا — في ثاني
عشر شعبان ، وزل بالقلمة ، وكتب النواب .
فقدموا عليه ، وصارت مسالك الشام كلها تحت
طاعته ، يغلب له بها ، ويجبى إليه مالها .

ثم خرج من دمشق بالماكر يريد مصر ،
وأمر بيرس كل يوم في نقص ... إلى أن كان
يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان . فترك
بيرس للملكة ، وزل من قلعة الجبل ومعه
خواصه إلى جهة باب القرافة ، والعامة تضيح
عليه وتبه ، وترجمه بالحجارة — عصبية
للملك الناصر ، وجباله — حتى صار عن
القرافة . ودعا الحرس بالقلمة ، في يوم
الأربعاء للملك الناصر ، فكانت مدة سلطنة
بيرس عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما .

وقدم الملك الناصر إلى قلعة الجبل أول يوم
من شوال ، وجلس على تخت المملكة ،
واستولى على السلطنة مرة ثالثة . وزل
بيرس بأطفيح ، ثم صار منها إلى أخميم ،
فلما صار بها تفرق عنه من كان معه من الأمراء
والمالكة ، فصاروا إلى الملك الناصر ، فتوجه
في القر يسير على طريق السويس يريد بلاد
الشام ، فقبض عليه شرقي غزة ، وحمل مقيدا
إلى الملك الناصر .

فوصل قلعة الجبل يوم الأربعاء ثالث عشر
ذي القعدة ، وأوقف بين يدي السلطان ،
وقبل الأرض ، فعنفه ، وعدد عليه ذنوبا ،
ووبخه ، ثم أمر به فجن في موضع إلى ليلة
الجمعة خامس عشره ، وفيها لعق بربه تعالى .
فحمل إلى القرافة ، ودفن في تربة الصاومن
أفطى ، ثم قتل منها بعد مدة إلى تربته بسفح
المقطم فقبر بها زمنا طويلا ، ثم قتل منها ثالث
مرة إلى خاتقاه ، ودفن بقبها ، وقبره هناك
إلى يومنا هذا . وأدركت بالخاتقاه المذكورة
شيخا من صوفيتها أخبرني أنه حضر قتله من
تربته بالقرافة إلى قبة الخاتقاه ، وأنه تولى
وضعه في مدفنه بنفسه .

وكان رحمه الله خيرا غيفا ، كثير الحياء ،
وافر الحرمة ، جليل القدر ، عظيما في
النفس ، مهاب السلطنة في أيام امرته . فلما
تلقب بالسلطنة ، ووسم باسم الملك ، اتضع
قدره ، واستضعف جانبه ، وطمع فيه ، وتغلب
عليه الأمراء والمالكة ، ولم تتجح مقاصده ،
ولا سعد في شيء من تدبيره إلى أن انقضت
أيامه ، وأناخ به حمامه ، رحمه الله .

الخاتقاه الجمالية

هذه الخاتقاه بالقرب من درب راشد ،
يسلك إليها من رحبة باب العيد . بناها الأمير
الوزير مغلطاي الجمالي في سنة ثمانين
وبسمائة . وقد تقدم ذكرها عند ذكر
المدارس من هذا الكتاب .

الخاتمة القاهرية

هذه الخاتمة بخط بين القصرين ، فيما بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكملية . أنشأها الملك الظاهر بركات في سنة ٦٨٥ وثمانين وبسمائة . وقد ذكرت عند ذكر الجوامع من هذا الكتب .

الخاتمة الترابية

هذه الخاتمة فيما بين الجامع الأقصر وحارة برجوان ، في آخر البحر الذي كان للخاتمة ، وهو يعرف اليوم بالتراب الأصفر ، ويتوصل منها إلى التراب الأصفر تجاه خاتمة يرس ، وإليها الأصلي من زقاق ضيق بوسط سوق حارة برجوان . أنشأها الصدر الأجل نور الدين علي بن محمد بن محاسن الشرايشي ، وكان من ذوي الفنى واليسار ، صاحب ثراء متسع ، وله عدة ثواقف على جهات البر والقريات ، ومات في ١٠٠٠ .

الخاتمة المهندرية

هذه الخاتمة خارج باب زويلة ، فيما بين رأس حارة اليانبة وجامع المرديني . بناها الأمير شهاب الدين أحمد بن قوش العززي ، المهندس وتيب الجيوش ، في سنة خمس وعشرين وبسمائة . وقد ذكرت في المدارس من هذا الكتب .

(١) من كتب في أصول .

خاتمة بشتاك

هذه الخاتمة خارج القاهرة ، على جانب الخليج من البر الشرقى ، تجاه جامع بشتاك . أنشأها الأمير سيف الدين بشتاك الناصرى ، وكان فتحها أول يوم من ذى الحجة سنة ست وثلاثين وبسمائة ، واستقر في مشيختها شهاب الدين القلمسى ، وتقرر عنده عدة من الصوفية ، وأجرى لهم الخبز والطعام في كل يوم .

فمستمر ذلك مدة ، ثم بطل ، وصار يصرف لأربابها عوضا عن ذلك في كل شهر مبلغ ، وهي عامرة إلى وقتنا هذا . وقد نسب إليها جماعة ، منهم الشيخ الأديب البارح بدر الدين محمد بن إبراهيم ، المعروف بالبدر البشتكى .

خاتمة ابن غراب

هذه الخاتمة خارج القاهرة ، على الخليج الكبير من بره الشرقى ، بجوار جامع بشتاك من غريه . أنشأها القاضي الأمير سعد الدين إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب الاسكندراني فاضل الخاص ، وناصر الجيوش ، وأستاد السلطان ، وكتب السر ، وأحد أمراء الألف الأكابر . أسلم جده غراب ، وباشر بالاسكندرية حتى ولى نظر الثغر ، ونشأ ابنه عبد الرزاق هناك ، فولى أيضا نظر الاسكندرية ، وولد له ماجد وإبراهيم .

فلما تحكّم الأمير جمال الدين محمود بن على في الأموال أيام الملك الظاهر بركات ، اختص بإبراهيم ، وحمله إلى القاهرة وهو

١١٨٥ ج ٢ ، ط. بولاق .

صبي ، واعتنى به ، واستكتبه في خاص أمواله حتى عرفها .

فسكر محمود عليه لأمر بدا منه في ماله ، وهم به ، فبادر إلى الأمير علاء الدين على بن الطبلوى ، وتراعى عليه — وهو يومئذ قد تافس محمودا — فأوصله بالسلطان ، وأمكنه من سماع كلامه ، فلما أذنه بذكر أموال محمود ، ووجع صدره عليه حتى نكبه ، واستصنى أمواله كما ذكر في خبره عند ذكر مدرسة محمود من هذا الكتاب .

وولى ابن غراب نظر الديوان المنفرد في حادى عشر صفر سنة ثمان وتسعين وبسمائة وعمره عشرون سنة أو نحوها — وهى أول وظيفه وليها — فاخص بالبن الطبلوى ولازمه وملا عينه بكثرة المال . فتحدث له في وظيفة نظر الخاص ، عوضا عن سعد الدين ابن الفرج ابن تاج الدين موسى ، فوليها في تاسع عشر ذى القعدة ، وغص بمكان ابن الطبلوى ، فعمل عليه عند السلطان حتى غيروه عليه ، وولاه أمره ، فقبض عليه في داره وعلى سائر أسبابه في شعبان في سنة ثمانمائة .

ثم أضيف إليه نظر الجيوش ، عوضا عن شرف الدين محمد الدمامنى ، في تاسع ذى القعدة سنة ثمانمائة ، فغف عن تناول الرسوم وأظهر من الفخر والحشمة والمكارم أمرا كبيرا . وقدر الله موت السلطان في شوال سنة إحدى وثمانمائة ، بعدما جعله من جملة أوصيائه ، فباطن الأمير يشبك الخازندار على إزالة الأمير الكبير أيتش القائم بدولة الناصر فرج بن بركات ، وعمل لذلك أعمالا ، حتى كانت الحرب — بعد موت السلطان الملك

الظاهر — بين الأمير أيتش وبين الأمير يشبك ، في ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة ، التى انهزم فيها أيتش وعدة من الأمراء إلى الشام .

وتحكّم الأمير يشبك . فاستصنى عند ذلك ابن غراب أخاه فخر الدين ماجدا من الاسكندرية ، وهو يلى نظرها ، إلى قلعة الجبل ، وفوضت إليه وزارة الملك الناصر فرج ابن بركات ، فقاما بسائر أمور الدولة ... إلى أن ولى الأمير يلغا السالى الاستدارية .

فملك معه عادت من المناقصة ، وسعى به عند الأمير يشبك حتى قبض عليه ، وتقلد وظيفة الاستدارية عوضا عن السالى ، في رابع عشر رجب سنة ثلاث وثمانمائة ، مضافا إلى نظر الخاص ونظر الجيوش . فلم يغير زى الكتب ، وصار له ديوان كندوانين الأمراء ، ودقت الطبول على بابيه ، وخطبته الناس وكاتبوه بالأمير ، وصار في ذلك سيرة ملوكية من كثرة العطاء ، وزيادة الأسطة ، والانتفاع فى الأمور ، والازدياد من المالك والخيول ، والاستكثار من الخول والحواشى ... حتى لم يكن أحد يضاهيه فى شيء من أحواله . إلى أن تنازع الأميران حكم وسودون طاز مع الأمير يشبك ، فكان هو المتولى كبر تلك الحروب .

ثم انه خرج من القاهرة مغاضبا للأمراء الدولة ، وصار إلى ناحية تروجة يريد جمع العربان ومحاربة الدولة ، فلم يتم له ذلك وعاد ، فدخل القاهرة على حين غفلة ، فنزل عند جمال الدين يوسف الأستاذار ، فقام

باصلاح أمره مع الأمراء حتى حصل له
الغرض ، ففهم واستولى على ما كان عليه .

الى أن تكبرت رجال الدولة على الملك
الناصر ، فقام مع الأمير يشك بجرب
السلطان الى أن انهزم للأمير يشك بتصاحبه
الى الشام ، فخرج معه في سنة سبع
وثمانمائة ، وتمدده ومن معه بالأموال العظيمة
حتى صاروا عند الأمير شيخ قائب الشام ،
واستفز المراكب لقتال الملك الناصر ،
وحرصهم على السير الى حربه ، وخرج من
دمشق مع المراكب يريد القاهرة .

وكان من وقعة السعيدية ما كان ، على ما
هو مذكور في خبر الملك الناصر ، عند ذكر
الخاتقاء الناصرية من هذا الكتاب . فاختفى
لأمير يشك وطائفة من الأمراء بالقاهرة ،
ولحق ابن غراب بالأمير ابنل باي ابن قجاس
— وهو يومئذ كبير الأمراء بالناصرية —
وملا عينه بخل . فتوسط له مع الملك الناصر
حتى آمنه ، وتصبح في داره وجميع الناس
على يابه .

ثم تقلد وظيفة نحر الجيوش ، واختص
بالسلطان ، وما زال به حتى استرضاه على
الأمير يشك ومن معه من الأمراء ، وظهروا
من الاستار ، وصاروا بقلعة الجبل ، فخلع
عليهم السلطان وثمرهم . وصاروا الى
دورهم . فقتل على ابن غراب مكان فتح الدين
فتح الله كتب السر ، فسعى به حتى قبض
عليه ، وولى مكانه كتابة السر ليتمكن من
أغراضه .

• ص ١١٩ ، ط ١٩٧٠ •

فلما استقر في كتابة السر ، أخذ في تقض
دولة الناصر ، الى أن تم له مراده ، فصارت
الدولة كلها على الناصر ، فخلا به ، وخيل
له ، وحسن به الفرار ، فنفذ له ، وترامى
عليه ، فأتعد له رجلين أحدهما من مماليكه ،
ومعهما فرسان ، ووقفا بهما وراء القلعة .
وخرج الناصر وقت القائلة ، ومعه مملوك من
مماليكه يقل له ينفوت ، وركبا الفرسين ،
وسارا الى ناحية طرا ، ثم عدا مع قاصدي
ابن غراب في مركب من المراكب النيلية ليلا
الى دار ابن غراب ، ونزلا عنده ، وقد خفي
ذلك على جميع أهل الدولة .

وقام ابن غراب بتولية عبد العزيز بن
برقوق ، وأجلسه على تخت الملك عشاء ،
ولقبه بالملك المنصور ، ودير الدولة كما أحب
مدة سبعين يوما . الى أن أحس من الأمراء
بتغير ، فأخرج الناصر ليلا ، وجمع عليه عدة
من الأمراء والمماليك ، وركب معه بلامه
الحرب الى القلعة . فلم يلبث أصحاب المنصور
وانهزموا ، ودخل الناصر الى القلعة ، واستولى
على المملكة ثانيا ، فالتقى مقاليد الدولة الى
ابن غراب ، وفوض اليه ما وراء سريره ،
ونظمه في خاصته ، وجعله من أكابر الأمراء ،
وناط به جميع الأمور .

فأصبح مولى نعمة كل من السلطان
والأمراء : يمن عليهم بأنه أبقى لهم مهجهم ،
وأعاد اليهم مائر ما كانوا قد سلبوه من
ملكهم ، وأمدهم بماله وقت حاجتهم وفاقتهم
اليه ، ويفخر ويتكبر بأنه أقام دولة وأزال
دولة ، ثم أزال ما أقام وأقام ما أزال ، من

غير حاجة ولا ضرورة الجاته الى شيء من
ذلك ، وأنه لو شاء أخذ الملك لنفسه .

وترك كتابة السر لعلامه وأحد كتابه فخر
الدين بن المزوق ، ترفعا عنها واحتقارا بها ،
ولبس هيئة الأمراء — وهي السكلوثة
والقباء — وشد السيف في وسطه ، وتحول
من داره التي على بركة القيل الى دار بعض
الأمراء بحدرة البقر . فغاضبه القضاة ، وكان
عند الانتهاء الانحطاط .

ونزل به مرض الموت ، فمال في مرضه من
السعادة ما لم يسمع بمثله لأحد من أبناء
جنسه ، وصار الأمير يشك ومن دونه من
الأمراء يترددون اليه ، وأكثرهم اذا دخل عليه
وقف قائما على قدميه حتى يتصرف ، الى أن
مات يوم الخميس تاسع عشر شهر رمضان
سنة ثمان وثمانمائة ، ولم يبلغ ثلاثين سنة .

وكانت جنازته أحد الأمور العجيبة بمصر ،
لكثرة من شهدوها من الأمراء والأعيان وسائر
أرباب الوظائف ، بحيث استأجر الناس
السقائف والحوانيت لمشاهدتها ، ونزل
السلطان للصلاة عليه وصعد الى القلعة ،
فدفن خارج باب المحروق .

وكان من أحسن الناس شكلا ، وأحلامهم
منظرا ، وأكرمهم يدا ، مع تدين وتمفف عن
الفاذورات ، وبسط يده بالصدقات . الا أنه
كان غدارا ، لا يتوانى عن طلب عدوه ، ولا
يرضى من نكبته بدون اتلاف النفس . فكم
نأطح كيشا ، وثل عرشا ، وعالج جبالا
شامخة ، واقتلع دولا من أصولها الراسخة .

وهو أحد من قام بتخريب اقليم مصر .
فانه ما زال يرفع سعر الذهب حتى بلغ كل
دينار الى مائتي درهم وخمسين درهما من
الفلوس ، بعدما كان ينحو خمسة وعشرين
درهما ، ففسدت بذلك معاملة الاقليم ، وقلت
أمواله ، وغلت أسعار المبيعات ، وسامت
أحوال الناس . الى أن زالت البهجة ،
وانطوى بساط الرقة ، وكاد الاقليم يدمر .
— كما ذكر ذلك عند ذكر الأسباب التي نشأ
عنها خراب مصر من هذا الكتاب — عفا الله
عنه وسامحه . فلقد قام بمسواراة آلاف من
الناس الذين هلكوا في زمان المحنة سنة ست
وسنة سبع وثمانمائة وتكفينهم ، فلم ينس الله
ذلك ، وستره كما ستر المسلمين « وما كان
ربك نسيا » .

الخاتقاء البندقارية

هذه الخاتقاء بالقرب من الصليبية . كان
موضعها يعرف قديما بدورية مسعود ،
وهي الآن تجاه المدرسة الفارقانية وحمام
الفارقاني . أنشأها الأمير علاء الدين أيديكين
البندقداري الصالحى النجمي ، وجعلها
مسجدا لله تعالى وخاتقاء ، ورتب فيها صوفية
وقراء في سنة ثلاث وثمانين وستمائة . وفي
سنة ثمان وأربعين وستمائة ، استتابه الملك
المعز أيبك ، فواطب الجلوس بالمدارس
الصالحية مع نواب دار العدل .

والى أيديكين هذا ينسب الملك الظاهر
بيبرس البندقداري ، لأنه كان أولا مملوكه ،
ثم انتقل منه الى الملك الصالح نجم الدين

أيوب ، فمرف بين المديك البحرية ببيرس
البنقداري .

وعن أيدكي إلى أن صار ببيرس سلطان
مصر ، وولاه نيابة السلطنة بحلب في سنة
تسع وخمسين وسائة - وكان أعلاه بها
شعبدا - فلم تطل أيامه ، وفارقها بدمشق ،
بعد محاربة سقر لأشقر ، وانقبض عليه ، في
حدى عشر صفر سنة تسع وخمسين وسائة
وأقام في النيابة نحو شهر ، وصرفه الأمير علاه
أدين طيرس الوزيري .

فلما خرج السلطان إلى الشام في سنة
أحدى وستين وسائة ، وأقام بالطور ، أمضا
أمره بمصر وطلحاته في ربيع الآخر منها .
ومت في ربيع الآخر سنة أربع وثمانين
وسمائة ، ودفن بقبة هذه الحادثة .

خانقاه شيخو

هذه الخانقاه في خط الصليبة ، خرج
الدهرة ، تجاه جامع شيخو . أنشأها الأمير
الكبير سيف الدين شيخو العمري في سنة
من وخمسين وسبعائة . كان موضعها من
جملة قطائع أحمد بن طولون ، وآخر ما عرف
من خبره أنه كان مساكن للناس ، فاشتراها
الأمير شيخو من أربابها ، وهدمها في المحرم
من هذه السنة .

فكانت مساحة أرضها زيادة على فدان .
فاختف فيها الخانقاه وحمامين وعدة حوانيت
يطلونها بيوت لمكنى العامة ، ورتب بها
دروسا عدة : منها أربعة دروس لطوائف
الفقهاء الأربعة - وهم الشافعية والحنفية

• من ١٢ ج ٢ ، ط. بلاق .

والمالكية والحنابلة - ودروسا للحديث
النبوي ، ودروسا لإقراء القرآن بالروايات
السبع ، وجعل لكل درس مدرسا وعنده جماعة
من الطلبة ، وشرط عليهم حضور الدرس
وحضور وظيفة التصوف .

وأقام شيخا أكمل الدين محمد بن محمود
في منبجة الخانقاه ومدرس الحنفية ، وجعل
إليه النظر في أولف الخانقاه ، وورر في
تدريس الشافعية الشيخ بهاء الدين أحمد بن
على السبكي ، وفي تدريس المالكية الشيخ
خليل - وهو مجند الشكل وله إقطاع في
الخلقة - وفي تدريس الحنابلة قاضي القضاة
موفق الدين الحنبلي ، ورتب لكل من الطلبة
في اليوم الطعام والملح والخبز ، وفي الشهر
الحلوى والزيت والصابون ، ووقف عليها
الأوقاف الجبلية .

فعظم قدرها ، واشتهر في الأقطار ذكرها ،
وتخرج بها كثير من أهل العلم ، وأربت في
العمارة على كل وقف بديار مصر . إلى أن
مات الشيخ أكمل الدين في شهر رمضان سنة
ست وثمانين وسبعائة ، فوليا من بعده
جماعة .

ولما حدث المحن كان بها مبلغ كبير من المال
الذي فاض عن مصروفها ، فآخذها الملك الناصر
فرج ، وأخذت أحوالها تتناقص حتى صار
المعلوم ينخر صرفه لأرباب الوظائف بها عدة
أشهر ، وهي إلى اليوم على ذلك .

الخانقاه الجاولية

هذه الخانقاه على جبل يشكر ، بجوار
ماظر الكبش ، فيما بين القاهرة ومصر .

أنشأها الأمير علم الدين منجر الجاولي في
سنة ثلاث وعشرين وسبعائة ، وقد تقدم
ذكرها في المدارس .

خانقاه الجييفا المظفرى

هذه الخانقاه خارج باب النصر ، فيما بين
قبة النصر وتربة عثمان بن جوشن السعوى .
أنشأها الأمير سيف الدين الجييفا المظفرى ،
وكان بها عدة من الفقهاء يقيمون بها ، ولهم
فيها شيخ ، ويحضر في كل يوم وظيفة
التصوف ، ولهم الطعام والخبز .

وكان بجانبها حوض ماء لشرب الدواب ،
وسقاية بها الماء المذهب لشرب الناس ، وكتاب
يقرأ فيه أطفال المسلمين الأيتام كتاب الله
تعالى ويتعلمون الخط ، ولهم في كل يوم
الخبز وغيره . وما برحت على ذلك إلى أن
أخرج الأمير برقوق أوقافها فتعطلت ، وأقام
بها جماعة من الناس مدة ، ثم تلاشى أمرها .
وهي الآن باقية من غير أن يكون فيها سكان ،
وقد تعطل حوضها ، وبطل مكتب السبيل .

« الجييفا المظفرى » الخاصكى : تقدم في
أيام الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد
ابن قلاوون تقدما كثيرا ، بحيث لم يشاركه
أحد في رتبته . فلما قام الملك الناصر حسن
ابن محمد بن قلاوون في السلطنة ، أقره على
رتبته ، وصار أحد أمراء المشورة الذين يصدر
عنهم الأمر والنهي .

فلما اختلف أمراء الدولة ، أخرج إلى
دمشق في ربيع الأول سنة تسع وأربعين
وسبعائة ، وأقام بدمشق إلى شعبان ، وسار

١

إلى ليابة طرابلس - عوضا عن الأمير بدر
الدين محمود بن الخطيرى - فلم يزل على
نيابتها إلى شهر ربيع الأول سنة خمسين
وسبعائة . فكتب إلى الأمير أرغون شاه
نائب دمشق يستأذنه في التصيد إلى الناعم ،
فأذن له ، وسار من طرابلس ، وأقام على
بحيرة حمص أياما يتصيد .

ثم ركب ليلا بمن معه ، وساق إلى خان
لاجين ظاهر دمشق ، فوصله أول النهار ،
وأقام به يومه . ثم ركب منه بمن معه ليلا ،
وطرق أرغون شاه وهو بالقصر الأبلق ،
وقبض عليه وقيده في ليلة الخميس ثالث
عشر شهر ربيع الأول ، وأصبح وهو *
بسوق الخيل ، فاستدعى الأمراء ، وأخرج
لهم كتاب السلطان بأمره بدمشق ، فأذعنوا له ، واستولى على أموال أرغون
شاه .

فلما كان يوم الجمعة رابع عشره ، أصبح
أرغون شاه مذبوحا ، فأشاع الجييفا أن
أرغون شاه ذبح نفسه . وفي يوم الثلاثاء
أنكر الأمراء أمره ، وثاروا لحربه ، فركب
وقاتلهم ، واتصر عليهم ، وقتل جماعة منهم ،
وأخذ الأموال ، وخرج من دمشق ، وسار
إلى طرابلس فأقام بها .

وورد الخبر من مصر إلى دمشق بانكار كل
ماوقع ، والاجتهاد في مسك الجييفا . فخرجت
عساكر الشام إليه ، ففر من طرابلس ، فأدركه
عسكر طرابلس عند بيروت ، وحاربوه حتى
قبضوا عليه ، وحمل إلى عسكر دمشق ، ف قيد

(*) من ١٢ ج ٢ ، ط. بلاق .

وسجن بقلعة دمشق في ليلة السبت سادس عشر ربيع الآخر ، هو وفجر الدين اياس ، ثم وسط برسوم السلطان تحت قبة دمشق بحضور عساكر دمشق ، ووسط معه الأمير فجر الدين اياس ، وعنا على الحطب في ثمن عشر ربيع الآخر سنة خمسين وسبعماية ، وعمره دون العشرين سنة ، فما مر شاربته وكأته البدر حسنا والغصن اعتدالا .

خانقاه سرياقوس

هذه الخانقاه خارج القهرة من شمالها ، على نحو بريد منها ، بأول تيه بني اسرائيل بسامس سرياقوس . أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وذلك أنه لما بنى الميدان والأحواش في بركة الجب - كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر بركة الجب - اتفق أنه ركب على عادته للصيد هناك ، فأخذ ألم عظيم في جوفه كاد يذني عليه ، وهو يتجلد ويكتم ما به حتى عجز .

فزل عن الفرس والألم يتزايد به ، فذرت له ان عناه الله لينين في هذا الموضع موضعاً يعبد الله تعالى فيه ، فحف عنه ما يجده ، وركب فتضى نهته من الصيد ، وعاد الى قلعة الجبل ، فلزم الفراش مدة أيام ، ثم عوفى .

فركب بنفسه ، ومعه عدة من المهندسين ، ولخط على قدر ميل من ناحية سرياقوس هذه الخانقاه ، وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفى ، وبنى بجانبها مجداً تقام به الجمعة ، وبنى بها حماماً ومطبخاً . وكان ذلك في ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعماية .

فلما كانت سنة خمس وعشرين وسبعماية ، كمل ما أراد من بنائها ، وخرج اليها بنفسه ومعه الأمراء والقضاة ومشايخ الخوانك ، ومدت هناك أسعطة عظيمة بداخل الخانقاه في يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة . وتصدر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى لاسماع الحديث النبوى ، وقرأ عليه ابنه عز الدين عبد العزيز عشرين حديثاً تساعياً ، وسمع السلطان ذلك ، وكان جميعاً موفوراً ، وأجاز قاضى القضاة الملك الناصر ومن حضر برواية ذلك ، وجميع ما يجوز له روايته .

وعندما انقضى مجلس السماع ، قرر السلطان في مشيخة هذه الخانكاه الشيخ مجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الأقصرى ، ولقبه بشيخ الشيوخ . فصار يقال له ذلك ولكل من ولى بعده ، وكان قبل ذلك لا يلقب بشيخ الشيوخ الا شيخ خانقاه سعيد السعداء .

وأحضرت التشاريف السلطانية ، فخلع على قاضى القضاة بدر الدين ، وعلى ولده عز الدين وعلى قاضى القضاة المالكية ، وعلى الشيخ مجد الدين أبى حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرى شيخ الشيوخ ، وعلى الشيخ علاء الدين اتقونوى شيخ خانقاه سعيد السعداء ، وعلى الشيخ قوام الدين أبى محمد عبد المجيد بن أسعد بن محمد الشيرازى شيخ الصوفية بالجامع الجديد الناصرى خارج مدينة مصر ، وعلى جماعة كثيرة ، وخلع على سائر الأمراء وأرباب الوظائف ، وفرق بها ستين ألف درهم فضة ، وعاد الى قلعة الجبل .

فرغب الناس فى السكنى حول هذه الخانقاه وبنوا الدور والحواسيت والخلات ، حتى صارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاه سرياقوس ، ويزيد الناس بها حتى أنشئ فيها سوى حمام الخانقاه عدة حمامات . وهى الى اليوم بلدة عامرة ، ولا يؤخذ بها مكس البتة مما يباع من سائر الأصناف احتراماً لمكان الخانقاه ، ويعمل هناك فى يوم الجمعة سوق عظيم ، ترد الناس اليه من الأماكن البعيدة ، يباع فيه الخيل والجمال والحمير والبقر والغنم والدجاج والاوز وأصناف الفلات وأنواع الثياب وغير ذلك .

وكانت معالم هذه الخانكاه من أسنى معلوم بديار مصر : يصرف لكل صوفى فى اليوم من لحم الضأن السليج رطل قد طبخ فى طعم شهى ، ومن الخبز النقى أربعة أرطال . ويصرف له فى كل شهر مبلغ أربعين درهما فضة : عنها ديناران ، ورطل حلوى ، ورطلان زيتاً من زيت الزيتون ، ومثل ذلك من الصابون . ويصرف له ثمن كسوة فى كل سنة ، وتوسعة فى كل شهر رمضان وفى العيدين وفى مواسم وجب وشعبان وعاشوراء وكلما قدمت فاكهة يصرف له مبلغ لشرائها .

وبالخانقاه خزانة بها السكر والأشربة والأدوية ، وبها الطبائى والجرائحى والكحل ومصلح الشعر . وفى كل رمضان يفرق على الصوفية كيزان لشرب الماء ، وتفيض لهم قدورهم النحاس ، ويمطون حتى الأشنان لنسل الأيدي من وضر اللحم ... يصرف ذلك من الوقف لكل منهم . وبالحمام الحلاق

(٥٠) من ٤٢٢ ج ٢ ، طبع بولاق .

لتدليك أبدانهم وحلق رؤوسهم . فكان المنقطع بها لا يحتاج الى شئ غيرها ، ويترغ للمبادة ، ثم استجد بعد سنة تسعين وسبعماية بها حمام أخرى يرسم النساء .

وما برحت على ما ذكرنا . الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانماية ، فبطل الطعام ، وصار يصرف لهم فى ثمنه مبلغ من نقد مصر ، وهى الآن على ذلك . وأدركت من صوفيتها شخصاً شيخاً ، يعرف بأبى ظاهر ، ينام أربعين يوماً بلباليها لا يستيقظ فيها البتة ، ثم يستيقظ أربعين يوماً لا ينام فى ليلاها ولا نهارها ... أقام على ذلك عدة أعوام ، وخبره مشهور عند أهل الخانقاه ، وأخبرنى أنه لم يكن فى النوم الا كغيره من الناس ، ثم كثر نومه حتى بلغ ما تقدم ذكره ، ومات بهذه الخانقاه فى نحو سنة ثمانماية .

ومما قيل فى الخانقاه وما أنشأه السلطان بها :

سر نحو سرياقوس وانزل بقنا
أرجائها ياذا النهى والرشد
تلق محلاً للسرور والهنا
فيه مقام لللقى والزهد
نسيمه يقول فى مسيره
تبهى يا عذبات الرشد
وروضه الريان من خليجه
يقول دع ذكر أراضى نجد

خانقاه ارسلان

هذه الخانقاه فيما بين القاهرة ومصر ، من جملة أراضى منشأة المهرانى . أنشأها الأمير بهاء الدين ارسلان الدوادار .

« أرسلان » : الأمير بهاء الدين الدوادار الحاصري . كان أولا عند الأمير سلاور ، أيام نيابته مصر ، خصيما به حقا عنده . فلما قدم الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك بمساكر الشام ، ونزل بالريدانية ظهر القاهرة في شهر رمضان سنة تسع وسبعمئة ، اطلع أرسلان على أن جماعة قد اتفقوا على أن يهجموا على السلطان ، ويفتكوا به يوم العيد أول شوال ، فجاء اليه وعرقه الحال ، وقال له : اخرج الساعة ، واطلع القلعة واملكها .

قدم السلطان ، وفتح باب سر الدهليز ، وخرج من غير الباب ، وصعد قلعة الجبل ، وجلس على سرير الملك ... فرعى السلطان له هذه المصحة . ولما أخرج الأمير عز الدين أمير الدوادار من وظيفته ، رتب أرسلان في الدوادرية .

وكان يكس خفا مليحا ، ودربه القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر وخرجه وهذبه . فصار يكتب بحظه الى كتاب السر عن السلطان في المهمات بعبارة مسددة وفيه بالتصود ، واستولى على السلطان بحيث لم يكن لغيره في أيامه ذكر ، ولم يشتهر فخر الدين وكرهم الدين بعبقة الا بعده ، واجتهدا في إبعده فما قدرا على ذلك .

وفي أيام توليته الدوادرية السلطانية ، أنشأ هذه الخنكاه على شاطئ النيل . وكان يرسل في كل ليلة ثلاثاء اليها من القلعة وبيت بها ، ويحفل الناس لحضور اليها . ويرسل عن السلطان الى مها أمير العرب : ونفع الناس نفعا كبيرا ، وفلدهم منا جسيمة ، ومات في

ثلاث عشر شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبعمئة ، فوجد في تركته ألف ثوب أطلس ، وثقائب كثيرة ، وعدة نواقيع ومناشير معلمة . فذكر السلطان معرفتها ، ونسب اليه اخلاصها .

وأول من ولى مشيختها تقي الدين أبوالبقاء محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الرحيم الشريف الحسيني القنائي الشافعي ، جد الشيخ عبد الرحيم القنائي الصالح المشهور ، وأبوه ضياء الدين جعفر كان فقيها شافعي . وكان أبو البقاء هذا عالما عارفا زاهدا ، قليل التكلف ، متظلا من الدنيا ، سمع الحديث وأسمعه . وولد في سنة خمس وأربعين وستمئة ، ومات ليلة الاثنين ربيع عشر جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وسبعمئة ، ودفن بالقرافة .

فتداول مشيختها النضاة الاخائية ... الى أن كانت آخرها بيد شيخنا قاضي القضاة صدر الدين عبد الوهاب بن أحمد الاخائي . فلما مات في سنة تسع وثمانين وسبعمئة ، تلقاها عنه عز الدين بن صاحب ، ثم وليها من بعده ابنه شمس الدين محمد بن صاحب ، رحمه الله .

خانقاه بكتمر

هذه الخانقاه بطرف القرافة في سفح الجبل ما يلي بركة الحبش . أنشأها الأمير بكتمر الساقى ، وأبدأ الحضور بها في يوم الثلاثاء ثامن شهر رجب سنة ست وعشرين وسبعمئة . وأول من استقر في مشيختها الشمسى شمس الدين الرومى ، ورتب له عن معلوم المشيخة

في كل شهر مائة درهم ، وعن معلوم الامامة مبلغ خمسين درهما ، ورتب معه عشرين صوفيا : لكل منهم في الشهر مبلغ ثلاثين درهما ... فجاءت من أجل ما بنى بصر . ورتب بها صوفية وقراء ، وقرر لهم الطعام والخبز في كل يوم ، والدرهم والحلوى والزيت والصابون في كل شهر ، وبنى بجانبها حماما ، وأنشأ هناك بستانا .

فعمرت تلك الخطة ، وصار بها سوق كبير وعدة سكان ، وتنافس الناس في مشيختها . الى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمئة ، فبطل الطعام والخبز بها ، وانتقل السكان منها الى القاهرة وغيرها ، وخربت الحمام والبستان ، وصار يصرف لأرباب وظائفها مبلغ من نقد مصر ، وأقام فيها رجل يحرسها ، وتمزق ما كان فيها من الفرش والآلات النحاس والكتب والربعات والقناديل النحاس المكفت والقناديل الزجاج المذهب ، وغير ذلك من الأمتعة والثقائب الملوكية ، وخرّب ما حولها لخلوه من السكان .

« بكتمر الساقى » : الأمير سيف الدين ، كان أحمد ممالك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير . فلما استقر الملك الناصر محمد ابن قلاوون في المملكة بعد بيبرس ، أخذه في جملة من أخذ من ممالك بيبرس ، ورقاه حتى صار أحد الأمراء الأكابر ، وكسب الى الأمير تنكز ، نائب السلطنة بدمشق ، بعد أن قبض على الأمير سيف الدين طغاي الكبير يقبول له : هذا بكتمر الساقى يكون لك بدلا من من طغاي ، اكتب اليه بما تريد من حوائجك .

(*) من ١٢٢٢ ج ٢ - ط ١٠ يولاق .

فعمم بكتمر ، وعلا محله ، وطار ذكره . وكان السلطان لا يفارقه ليلا ولا نهارا الا اذا كان في الدور السلطانية ، ثم زوجه بجارته وحظيته ، فولدت لبكتمر ابنه أحمد ، وصار السلطان لا يأكل الا في بيت بكتمر ما تطبخه له أم أحمد في قدر من فضة ، ويتام عندهم ، ويقوم ، واعتقد الناس أن أحمد ولد السلطان لكثرة ما يطيل حمله وتقبله .

ولما شاع ذكر بكتمر ، وتسامع الناس به ، قدموا اليه غرائب كل شيء ، وأهدوا اليه كل نفيس ، وكان السلطان اذا حصل اليه أحد من النواب مقدمة لابد أن يقدم لبكتمر مثلها أو قريبا منها ، والذي يصل الى السلطان يجب له غلبه . فكثرت أمواله ، وصارت اشارته لا ترد ، وهو عبارة عن الدولة ، واذا ركب كان بين يديه مائتا عصا تقيب ، وعمر له السلطان القصر على بركة الفيل .

ولما مات بطريق الحجاز في سنة ثلاث وثمانين وسبعمئة ، خلف من الأموال والقباش والأمتعة والأصناف والزخاياه ما يزيد على العادة والحد ، ويستحي العاقل من ذكره . فأخذ السلطان من خيله أربعين فرسا ، وقال : هذه لى ما وهبت اياها . وبيع الباقي من الخيل على ما أخذه الخاصكية بشن بخس بمبلغ ألف ألف درهم ففة ومائتى ألف درهم وثمانين ألف درهم ففة ، خارجا عما في الجشارات .

وأكرم السلطان بالزخاياه والاسلحاناه التي له على الأمير قوصون بعدما أخذ منها سرجا واحدا وسيفا : القيمة عن ذلك ستائة

ألف دينار . وأخذ له السلطان ثلاثة مناديق جوهرًا مشيًا لا تعلم قيمة ذلك .

وبيع له من الصين ، والكتب والختم والرياحات ونسخ البخاري ، والدوايات القولاذ والمطعمة ، والبصم بسقط الذهب وغير ذلك ، ومن الوبر والأطلس ، وأنواع القماش السكندري والبغدادي وغير ذلك ... شيء كثير إلى الغاية المفرطة . ودام البيع لذلك مدة شهر .

وامتنع القاضي شرق الدين النور ، فاطر الخاص ، من حضور البيع ، واستغنى من ذلك ، فقبل له : لا شيء فعلت ذلك ؟ قال : ما أقدر أصبر على غبن ذلك ، لأن المائة درهم تباع بدرهم .

ولما خرج مع السلطان إلى الحجاز ، خرج بتجمل زائد وحشة عظيمة ، وهو مائة الناس كلهم ، وكان ثقله وجماله نظير ما للسلطان ، ولكن يزيد عليه بالزركش وآلات الذهب . ووجد في خزائنه بطريق الحجاز بمقد مائة خمسة عشر ألف : منها ما هو أطلس بطرز زركش ، وما دون ذلك من خلع أرباب السيوف وأرباب الأقلام ، ووجد معه قيود وجنازير .

وتسكر السلطان له في طريق الحجاز ، واستوحش كل منهما من صاحبه . فاتفق أنهما في العود مرض ولده أحمد ، ومرض من بعده ، فمات ابنه قبله بثلاثة أيام ، فحمل في تابوت مغشى بجلد جمل ، ولما مات بكتر دفن مع ولده بنخل ، وحث السلطان في المير . وكان لا ينأى في تلك السفرة إلا في

برج خضب ، وبكتر عنده وقوصون على الباب ، والأمراء المشايخ كلهم حول البرج يسوقونهم ، فلما مات بكتر ، ترك السلطان ذلك ، فعلم الناس أن احترازه كان خوفا من بكتر .

وبدل أن السلطان دخل عليه ، وهو مريض في درب الحجاز ، فقال له : بني وبينك الله . فقال له : كل من فعل شيئا يلتقي .

ولما مات صرخت زوجته أم ابنه أحمد ، وبكت وأبوت ... إلى أن سمعها الناس تتكلم بالبيع في حق السلطان ، من جبلته : أنت تنسل ملوكك ، أنا ابنى إيش كان ؟ فقال لها : بس ، تفسرين ، هاني مفاتيح صناديقه ، فأنا أعرف كل شيء أعطيته من الجواهر ، فرمت بالمفاتيح إليه ، فأخذها .

ولما وصل السلطان إلى قلعة الجبل أظهر الحزن والندامة عليه ، وأعطى أخاه قمارى امرأة مائة وتقدمة ألف ، وكان يقول : ما بقى يجينا مثل بكتر . وأمر فحملت جثته وجثة ابنه إلى خانقاه هذه ، ودفنتا بقبته .

وبدت من السلطان أمور منكرة بعد موت بكتر . فانه كان يحجر على السلطان ، ويمنع من مظالم كثيرة ، وكان يتلطف بالناس ، ويقضى حوائجهم ، ويسوسهم أحسن سياسة ، ولا يخالفه السلطان في شيء ، ومع ذلك فلم يكن له حباية ولا رعاية ، ولا لعلمانه ذكر ، ومن المغرب يفلن * باب اصطبله .

وكان مما له على السلطان من المرتب في كل يوم مخفيتان ، يأخذ عنهما من بيت المال

(٨٠) من (١٢) ج ٢ ، ط ١ ، بولاق .

كل يوم سبعائة درهم : عن كل مخفية ثلثائة وخمسين ذرها . وكان السلطان إذا أتم على أحد بشيء أو ولاء وظيفة ، قال له : روح إلى الأمير بكتر ، وبوس يده . وكان جسد الطباع ، حسن الأخلاق ، لين الجواب ، سؤل الانقياد . رحمه الله .

خانقاه قوصون

هذه الخانقاه في شمالي القرافة ، ما يلي قلعة الجبل ، تجاه جامع قوصون . أنشأها الأمير سيف الدين قوصون ، وكملت عمارتها في سنة ست وثلاثين وسبعائة ، وقرر في مشيختها الشيخ شمس الدين أبا التاء محمود ابن أبي القاسم أحمد الأصفهاني ، ورتب له معلوما سنيا من الدراهم والخبز واللحم والصابون والزيت ، وسائر ما يحتاج إليه حتى جامكية غلام يملته ، واستقر ذلك في الوقف من بعده لكل من ولى المشيخة بها .

وقرر بها جماعة كثيرة من الصوفية ، ورتب لهم الطعام واللحم والخبز في كل يوم ، وفي الشهر المعلوم من الدراهم ومن الحلوى والزيت والصابون . وما زالت على ذلك إلى أن كانت الحن من سنة ست وثمانمائة ، فبطل الطعام والخبز منها ، وصار يصرف لمستحقها مال من نقد مصر ، وتلاشى أمرها من بعد ما كانت من أعظم جهات البر ، وأكثرها نفعا وخيرا . وقد تقدم ذكر قوصون عند ذكر جامع من هذا الكتاب .

خانقاه طغاي النجى

هذه الخانقاه بالصحراء خارج باب البرقية ، فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر . أنشأها الأمير طغاي تمر النجى ، فباعت من المباني الجليلة ، ورتب بها عدة من الصوفية ، وجعل شيخهم الشيخ برهان الدين الرشيدى ، وبني بجانبها حماما ، وغرس في قلبها بستانا ، وعمل بجانب الحمام حوض ماء للسيل ترده الدواب ، ووقف على ذلك عدة أوقاف .

ثم إن الحمام والحوض تعطلا مدة . فلما ماتت أرزبای ، زوجة القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السر ، في سنة ثمان وثمانائة ، دفنها خارج باب النصر ، وأحب أن يبنى على قبرها ويوقف عليها أوقافا . ثم بدا له ففعلها إلى هذه الخانقاه ، ودفنها بالقبة التي فيها ، وأدار الساقية ، وملا الحوض ، ورتب لقراء هذه الخانقاه معلوما ، وعزم على تجديد ما تشعث من بنائها وإدارة حمامها . ثم بدا له فأنشأ بجانب هذه الخانقاه تربة ، ونقل زوجته مرة ثالثة إليها ، وجعل أملاكه وقفًا على تربته .

« طغاي تمر النجى » : كان دوا دار الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون . فلما مات الصالح ، استقر على حاله في أيام أخويه الملك الكامل شعبان والملك المنصور حاجى . وكان من أحسن الأشكال ، وأبدع الوجوه . تقدم في الدول ، وصارت له وجاعة عظيمة ، وخدمه الناس .

ولم يزل على حاله إلى أن لعب به أغرلو فيمن لعب ، وأخرجه إلى الشام ، والحقه بمن

أخذ من غرة ، وذلك في أوائل جمادى
الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

وظفأ هذا أول دوا دار أخذ امرأة مائة
وتقدمة ألف ، وذلك في أول دولة المظفر
حاجي . ولما كانت واقعة الأمير ملكش
العجazy والأمير آق سلقر وعدة من
الأمراء ، في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمان
وأربعين وسبعمائة ، رمى مظفأ نمر سيفه ،
وبقى بغير سيفه بعض يوم ، ثم إن المظفر
أعطاه سيفه . واستقر في الدوا دارية نحو
شهر ، وأخرج هو والأمير نجم الدين محمود
الوزير ، والأمير سيف الدين بيدر البدرى
على الهجن إلى الشام ، فأدركهم الأمير سيف
الدين منجك ، وقتلهم في الطريق .

خانقاه أم النول

هذه الخانقاه خارج باب البرقية بالصحراء .
التي أنشأها الخاتون مظفأ ، تجاه تربة الأمير
جاشنر الساقى ، فجاءت من أجل المباني ،
وجعلت بها صوفية وقراء ، ووقفت عليها
الأوقاف الكثيرة ، وقررت لكل جارية من
جواربها مرتباً يقوم بها .

« مظفأ الخولدة الكبرى » : زوجة
السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأم
ابنة الأمير أنوك ، كانت من جملة إمامه ،
فأنعمها وتزوجها ، ويقال أنها أخت الأمير أقبغا
عبد الواحد ، وكانت بديعة الحسن ، باهرة
الجمال ، رأت من السعادة ما لم يره غيرها من
نساء الملوك الترك بمصر ، وتتمعت في ملاذ
ما وصل سواها مثلها ، ولم يدم السلطان على

محبة امرأة سواها ، وصارت خولدة بعد
ابنة توكانى ، وأكبر نسائه حتى من ابنة
الأمير تنكز .

وحج بها القاضي كريم الدين الكبير ،
واحتفل بأمرها ، وحبل لها البقول في محابر
طين على ظهور الجمال ، وأخذ لها الإبقار
الحلابة ، فسارت معها طول الطريق لأجل
اللبن الطرى وصل الجبن ، وكان يلقى لها
الجبن في الغداء والعشاء . وناهيك بمن
وصل إلى مداومة البقل والجبن في كل يوم
— وهما أحسن ما يؤكل — فما عساه يكون
بعد ذلك ! وكان القاضي كريم الدين ، والأمير
مجلس وعدة من الأمراء ، يترجلون عند
النزول ، ويمشون بين يدي محفاتها ، ويقبلون
الأرض لها كما يفعلون بالسلطان .

ثم حج بها الأمير بشتاك في سنة تسع
وثلاثين وسبعمائة ، وكان الأمير تنكز إذا جهز
من دمشق مقدمة إلى السلطان ، لا بد أن يكون
لخولدة مظفأ منها جزء وافر . فلما مات
السلطان الملك الناصر ، استمرت عظمتها من
بعده إلى أن ماتت ، في شهر شوال سنة تسع
وأربعين وسبعمائة أيام الوباء ، عن ألف جارية
وثمانين خادماً خصياً وأموال كثيرة جداً .

وكانت غيفة طاهرة ، كثيرة الخير
والصدقات والمعروف . جهزت سائر جواربها ،
وجعلت على قبر ابنها — بقبة المدرسة
الناصرية بين القصرين — قراء ، ووقفت على
ذلك وقفاً ، وجعلت من جملة خبزها يفرق على
الفقراء ، ودفنت بهذه الخانقاه ، وهى من
أعز الأماكن إلى يومنا هذا .

(مر ١٢٠ ج ٢ ، ط ١٠٠٠)

خانقاه يونس

هذه الخانقاه من جملة ميدان القبس ،
بالقرب من قبة النصر ، خارج باب النصر .
أدركت موضعها وبه عواميد تعرف بعواميد
السباق ، وهى أول مكان بنى هناك .

أنشأها الأمير يونس النوروزى الدوا دار .
كان من مماليك الأمير سيف الدين جرجى
الأدرسى ، أحد الأمراء الناصرية ، وأحد
عتقائه ، فترقى في الخدم من آخر أيام الملك
الناصر محمد بن قلاوون إلى أن صار من جملة
الطائفة اليلغاوية . فلما قتل الأمير يلغا
الخاصكى ، خدم بعده الأمير أستدر
الناصرى الأتابك ، وصار من جملة دوا دارته .

وما زال يتنقل في الخدم إلى أن قام الأمير
برقوق — بعد قتل الملك الأشرف شعبان —
فكان ممن أعانه ، وقاتل معه ، فرعى له ذلك ،
ورقاه إلى أن جعله أمير مائة مقدم ألف ،
وجعله دوا داره لما تسلطن . فسلك في رياسته
طريقة جليظة ، ولزم حالة جميلة : من كثرة
الصيام والصلاة ، وإقامة الناموس الملوكى ،
وشدة المهابة ، والأعراض عن اللعب ، ومداومة
العبوس ، وطول الجلوس ، وقوة البطش
لسرعة غضبه ، ومحبة الفقراء ، وحضور
الساع والشغف به ، وإكرام الفقهاء وأهل
العلم .

وأنشأ بالقاهرة ربعا وقيسارية بخط
البندقائين ، وتربة خارج باب الوزير تحت
القلعة ، وأنشأ بظاهر دمشق مدرسة بالشرف
الأعلى ، وأنشأ خانا عقلياً خارج مدينة غزة ،
وجعل بجانب هذه الخانقاه مكتباً يقرأ فيه

آيات المسلمين كتاب الله تعالى ، وبنى بها
صهريجاً ينقل إليه ماء النيل .

وما زال على وفور حرمة وتقوى كلته .
إلى أن خرج الأمير يلغا الناصرى ، نائب
حلب ، على الملك الظاهر برقوق في سنة
أحدى وتسعين وسبعمائة . وجهز السلطان
الأمير أيتش ، والأمير يونس هذا ، والأمير
جهاركن الخيلى ، وعدة من الأمراء
والمماليك ... لقتاله . فلقوه بدمشق وقتلوه
فهزمهم ، وقتل الخيلى ، وقر أيتش إلى
دمشق .

ولجا يونس بنفسه يريد مصر . فأخذه
الأمير عيفا بن شطى ، أمير الأمراء ، وقتله
يوم الثلاثاء ثمانى عشر شهر ربيع الآخر سنة
أحدى وتسعين وسبعمائة ، ولم يعرف له قبر
بعدما أعد لنفسه عدة مدافن في غير ما مدينة
من مصر والشام .

خانقاه طبرس

هذه الخانقاه من جملة أراضي بستان
الخشاب ، فيما بين القاهرة ومصر ، على
شاطئ النيل . أنشأها الأمير علاء الدين
طبرس الخازندار ، نقيب الجيوش ، في سنة
سبع وسبعمائة ، بجوار جامع ، المقدم ذكره
عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب ، وقرر بها
عدة من الصوفية ، وجعل لهم شيخاً ، وأجرى
لهم المعاليم .

ولم تزل عامرة إلى أن حدثت المحن من سنة
ست وثمانمائة . فابتاع شخص الوكالة
والربيعين — المعروفين بربيع بكتمر —

والصالحين ، وتضمن ذلك ... فخر الخط ، وصار مخوفا . فلما كان في سنة أربع عشرة وثمانمائة ، نقل الحضور من هذه الخانقاه الى المدرسة الطيرية بجوار الجامع الأزهر ، وهي الآن بصد أن تدثر ، ونسحق آثارها .

خانقاه القبا

هذه الخانقاه هي موضع من المدرسة الأتباعية ، بجوار الجامع الأزهر ، أفرده الأمير أتبغا عبد الواحد ، وجعل فيه طائفة يحضرون وظيفة التصوف ، وأقام لهم شيخا ، وأفرد لهم وقتا يختص بهم ، وهي باقية الى يومنا هذا . وله أيضا خانقاه بالقرافة .

الخانقاه الخروية

هذه الخانقاه بساحل الجيزة ، تجاه المقياس ، كانت منظرة من أعظم الدور وأحسنها . أنشأها زكي الدين أبو بكر بن علي الخروبي كبير التجار ، ثم توارثها من بعده أولاد الخروبي التجار بصر ، فلم تزل بأيديهم الى أن ثلها السلطان المؤيد شيخ ، في يوم الاثنين ثاني عشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ، وأقام بها . فاقضى رايه أن يجعلها خانقاه ، فاستدعى بابن الخروبي ليشتريها منه ، فشرع بنا بخصه منها ، وصار اليه باقيةا .

فتقدم الى الأمير سيف الدين أبي بكر بن المروق الأستاذار بملها خانقاه ، وصار منها في يوم الأربعاء سادس عشره ، فأخذ الأمير

(١٥) من ١٢٦٧ ج ١ ، ط ١٠٠٠٠٠

أبو بكر في عملها حتى كملت في آخر السنة . واستقر في شيختها شمس الدين محمد بن الحنفي الدمشقي الحنبلي ، وخلق عليه يوم السبت سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، ورتب له في كل يوم عشرة مؤيدية : عنها مبلغ سبعين درهما فلوسا ، سوى الخبز والسكن ، وقرر عنده عشرة من الفقراء ، لكل منهم مع الخبز مؤيدى في كل يوم . فجاءت من أحسن شيء .

ذكر الربط

الربط : جمع رباط ، وهو دار يسكنها أهل طريق الله ... قال ابن سيده : الرباط من الخيل الخمس فما فوقها ، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو ، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ، ثم صار لزوم الثغر رباطا ، وربما سميت الخيل نفسها رباطا ، والرباط المواظبة على الأمر .

قال الفارسي : هو ثان من لزوم الثغر ، ولزوم الثغر ثان من رباط الخيل . وقوله تعالى « وصابروا وربطوا » ، قيل معناه جاهدوا ، وقيل وانكبوا على مواظبة الصلاة .

وقال أبو حفص السهروردي في كتاب « عوارف المعارف » : وأصل الرباط ما تربط فيه الخيول ، ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عن وراءهم رباط ، فالجهاد المرباط يدفع عن وراءه ، والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد .

وروى داود بن صالح قال : قال لى أبو سلمة بن عبد الرحمن : يا ابن أخي ، هل تدري

في أى شيء نزلت هذه الآية « اصبروا وصابروا وربطوا » ؟

قلت : لا .

قال : يا ابن أخي ، لم يكن في زمن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، غزو تربط فيه الخيل ، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة .

فالرباط جهاد النفس ، والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه . واجتماع أهل الربط اذا صح على الوجه الموضوع له الربط ، وتحقق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الأوقات وتوقى ما يفسد الأعمال ويصح الأحوال ، عادت البركة على البلاد والعتاد .

وشرائط سكان الرباط قطع المعاملة مع الخلق ، وفتح المعاملة مع الحق ، وترك الاكساب اكتفاء بكفالة مسبب الأسباب ، وحبس النفس عن المخالطات ، واجتناب التبعات ، ومواصلة الليل والنهار بالعبادة متعوضا بها عن كل عادة ، والاشتغال بحفظ الأوقات ، وملازمة الأوراد ، وانتظار الصلوات ، واجتناب الغفلات ... ليكون بذلك مرابطا مجاهدا .

والرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم ، ولكل قوم دار ، والرباط دارهم ، وقد شابهوا أهل الصفة في ذلك ، فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ، ووضع الرباط لهذا المعنى .

قال مؤلفه رحمه الله : ولاتخاذ الربط والزوايا أصل من السنة . وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ لفقراء الصحابة ،

الذين لا يآوون الى أهل ولا مال ، مكانا من مسجده كانوا يقيمون فيه ، عرفوا بأهل الصفة .

رباط الصاحب

هذا الرباط مطلق على بركة الحبش . أنشأه الصاحب فخر الدين أبو عبد الله محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين أبي الحسن علي ابن محمد بن سليم بن حنا ، ووقف عليه أبوه الصاحب بهاء الدين بعد موته عقارا بمدينة مصر ، وشرط أن يسكنه عشرة من الفقراء المجريين غير المتأهلين ، وذلك في ذى الحجة سنة ثمان وستين وثمانمائة . وهو باق الى يومنا هذا ، وليس فيه أحد ، ويستأدى ريع وقته من لا يقوم بمصالحه .

رباط الفخرى

هذا الرباط خارج باب الفتوح ، فيما بين وبين باب النصر . بناه الأمير عز الدين أيك الفخرى ، أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس .

رباط البغدادية

هذا الرباط بداخل الدرب الأصفر ، تجاه خانقاه بيبرس ، حيث كان المنحر الذي ذكر عند ذكر القصر من هذا * الكتاب ، ومن الناس من يقول رواق البغدادية . وهذا الرباط بنته الست الجليلة تذكاري بآي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس ، في سنة أربع وثمانين وثمانمائة ، للشيخة الصالحة زينب

(١٦) من ١٢٧٧ ج ٢ ، ط ١٠٠٠٠٠

بنة أبي التركك ، المروقة بين البغدكية ،
وكركا به وسما القاء الغير . وما يرج
الى وقتا هذا يعرف سكة من القاء
بالخير ، وله دائما شعبة تحت القاء وتذكر من
وتسكن .

وأخر من كركا فيه الشبيبة الصالحة ،
سبعة شاء زمانها ، ثم رتب قاعة بنت جاني
البغدكية ، توفيت في ذي الحجة سنة أربع
عشرة وبسطة ، وقد كانت على السنين .
وكانت قيمة ورقة الشعر ، زاهدة قاعة
بشير ، عابدة وصالحة ، حريصة على الفهم
والهذبة ، كانت لظلام وخشية ونمر
بشروقه ، تنفع بها كثير من شاء فمشت
ومصر ، وكان لها قبول والله ، ووقع في
الغيب .

ومار يستلها كل من قام بشيخة هذا
الرباط من القاء يقبل لها البغدكية . وتكركا
الشبيبة الصالحة البغدكية آتت به عدة سنين
على أمير طرقة ، الى أن مات يوم السبت
ثلاث بقين من جاني لآخر سنة ست
وتسعين وبسطة .

وتكركا هذا الرباط ، وتودع فيه القاء
الكلبي طين أو حبر ، حتى يتزوج أو
يرجع الى الزوجين ، صيانة لهم . لما كان
فيه من شدة القسطنطين ، وغاية الاحتراف ،
والطريقة على وظائف الصلوات . حتى ان
حكمة القديس به كانت لا تمكن أحدا من
التمسك الطريق بزيوت ، وقاد من خرج عن
الطريق بما تراه .

ثم لما فسدت الأحوال من عهد حنون الحن
بعد سنة ست وثمانمائة ، ثلاث أمور هذا

الرباط ، ومنع مجاوروه من سجن القاء
تحدثت به ، وفيه الى الآن بقايا من خير ،
وعلى النظر عليه فاني القصة الحنلى .

رباط القاء كلبية

هذا الرباط خارج قوب بطوك ، من جلة
حكر سحر القين ، ملاصق للصور العجر
بخط سوق القم وجامع أصلهم . وقته الأمير
علاء الدين الأرباب على الت كلبية ، للمعوية
نولاي ، ابنة عبد الله الشيرة ، زوج الأمير
سيف الدين البرلي السلاحدار الشاهري ،
وجله سجدا ورباط ، ورتب فيه اماما
ومولدا ، وكانت في ثلاث عشر شوال سنة
أربع وتسعين وستائة .

رباط الخازن

هذا الرباط بقرب قبة الامام الشافعي رحمة
الله عليه من قراة مصر . بناء الأمير علم الدين
سبحر بن عبد الله الخازن ، والى القاهرة ،
وفيه دقن . وهذا الخازن هو الذي ينسب
اليه حكر الخازن خارج القاهرة .

الرباط المعروف برواق ابن سليمان

هذا الرواق بحارة الهالية ، خارج باب
زويلة ، عرف بأحد بن سليمان بن أحمد بن
سليمان بن إبراهيم بن أبي المظلي بن العباس ،
الرحي البشاشي الرقاني ، شيخ الفقهاء
لأحمدية الرافعية بديار مصر .

كان عبدا صالحا ، له قبول عظيم من أمراء
المولة وغيرهم ، ورعى اليه كثير من الفقهاء

لأحمدية ، وروى الحديث عن سبط الصلبي
وحدث ، وكانت وفاته ليلة الاثنين سادس ذي
الحجة سنة إحدى وتسعين وستائة بهذا
الرواق .

رباط داود بن ابراهيم

هذا الرباط بخط بركة العيل . بنى في سنة
ثلاث وستين وستائة .

رباط ابن أبي المنصور

هذا الرباط بقراة مصر . عرف بالشيخ
صلى الدين الحسين بن علي بن أبي المنصور
الصوفي المالكي ... كان من بيت وزارة ،
تجرد وسلك طريق أهل الله ، على يد الشيخ
أبي العباس أحمد بن أبي بكر الجزار التجيبي
المعري ، وتزوج ابنته ، وعرف بالبركة ،
وحكيت عنه كرامات ، وصنف كتاب
« الرسالة » ذكر فيها عدة من المشايخ ، وروى
الحديث وحدث ، وشارك في الفقه وغيره .

وكانت ولادته في ذي القعدة سنة خمس
وتسعين وخمسائة ، ووفته برباطه هذا يوم
الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنين
وثمانين وستائة .

رباط المنتهى

هذا الرباط بروضة مصر بطل على النيل .
وكان به الشيخ الملك ... ١

(١) ص ١٢٨ ج ٢ - ذوق -
(٢) مكا بيان في الأصل .

وله في شيخنا العارف الأديب شهاب الدين
أحمد بن أبي العباس الشاطر المنهوي
حيث يقول :

بروضة المياس صوفية
هم مية خاطر والشتى

لهم على البحر اباد عت
وشيخهم ذاك له انتهى

وقال الامام العلامة شمس الدين محمد بن
عبد الرحمن بن الصائغ الحنلى :

باليلة مرت بنا حلوة
ان رمت تشبها لها عبتها

لا يبلغ الواصف في وصفها
حدا ولا يلقى له متهى

بت مع المشوق في روضة
ونلت من خرطومه المشتى

رباط الآثار

هذا الرباط خارج مصر ، بالقرب من بركة
الحبش ، مطل على النيل ، ومجاور للبتان
المعروف بالمشوق .

قال ابن المتوج : هذا الرباط عمره صاحب
تاج الدين محمد بن صاحب فخر الدين
محمد ، ولد صاحب جاء الدين على بن حنا ،
بجوار بستان المشوق ، ومات رحمه الله قبل
تكملة ، ووصى أن يكمل من ريع بستان
المشوق ، فاذا كملت عمارته يوقف عليه ،
ووصى الفقيه عز الدين بن مسكين ، فعمر
فيه شيئا يسيرا وأدركه الموت الى رحمة الله
تعالى ، وشرع صاحب ناصر الدين محمد ،

وله الصاحب تاج الدين ، في تكملة ، مصر
فيه شيئا جيدا . انتهى .

وانما قيل له رباط لاقر ، لأن فيه قطعة
خشب وحديد - بفعل ان ذلك من آثار
رسول الله صلى الله عليه وسلم - اشتراها
الصاحب تاج الدين المذكور ، ببلغ ستين
ألف درهم قصة ، من بني ابراهيم أهل يثرب ،
وذكروا أنها لم تزل عندهم موروثه من واحد
إلى آخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وحملها إلى هذا الرباط ، وهي به إلى اليوم
يتبرك الناس بها ، ويستقلون اثنتي عشرة بها .

وأحرنا لهذا الرباط بهجة ، ولناس فيه
ليستات ، ولسكان عدة منافع من يتردد
إليه أيام كان ماء النيل تحت دائما . فلما انصر
لله من تبعه ، وحدثت الحرب من سنة ست
وشاة ، قل تردد الناس إليه ، وفيه إلى
اليوم بقية .

ولما كانت أيام الملك الأشرف شعبان بن
حسن بن محمد بن قلاوون ، قرر فيه درسا
للقهاء الشافعية ، وجعل له مدرسا وعنده عدة
من القبة ، ولهم جدار في كل شهر من وقف
وقته عليهم ، وهو باق أيضا . وفي أيام الملك
القاهر يرقوق ، وقف قطعة أرض لعمل الجسر
للمصل بالرباط ، وهذا الرباط خزائن كب ،
وهو غير بانه .

« الوزير الصاحب » : تاج الدين محمد
ابن الصاحب فخر الدين محمد ابن الوزير
الصاحب بهاء الدين علي بن سليم بن حنا .
وله في صاحب شيبان سنة أربعين وستائة ،
وسم من سبط السلي وحدث ، وانتهت

إليه رئاسة مصر . وكان صاحب صيانة
وسود ومكارم ، وشاة حنة وبرة فاخرة
إلى الغاية .

وكان يتأخر في الطعام والملابس والشاكر
والساكن ، وجود بالصدقات الكثيرة ، مع
التواضع ومجبة القراء وأهل الصلاح ،
والبلانة في اعتقادهم . وقال في الدنيا من
الز والجاه ما لم يره جده الصاحب الكبير
بهاء الدين ، بحيث أنه لما تقلد الوزير الصاحب
فخر الدين بن الخليلي الوزارة ، سار من قلعة
الجبل - وعليه تشريف الوزارة - إلى بيت
الصاحب تاج الدين ، وقبل يده وجلس بين
يديه ، ثم انصرف إلى داره .

وما زالت على هذا القدر من وفور العز .
إلى أن تقلد الوزارة في يوم الخميس رابع
عشر صفر سنة ثلاث وتسعين وستائة ،
بعد قتل الوزير الأمير سنجر الشجاعى ، فلم
ينجب ، وتوقفت الأحوال في أيامه ، حتى
احتاج إلى إحصاء نقاي اتولى المرصدة
بها للتخضير واستملكتها . ثم صرف في يوم
الثلاثاء خامس عشر جمادى الأولى ، سنة
أربع وتسعين وستائة ، بفخر الدين عثمان
ابن الخليلي .

وأعيد إلى الوزارة مرة ثانية فلم ينجح ،
وعزل وسلم مرة للشجاعى ، فجرده من ثيابه ،
وضربه شيا واحدا بالشارع فوق قيصه ،
ثم أخرج عنه على مال ، ومات في رابع جمادى
الآخرة سنة سبع وسبعائة ، ودفن في تربتهم
بقرافة ، وكان له شعر جيد .

وله در شيطا لأديب جلال الدين محمد
ابن ططيب داريا ، الدمشقى السالى ، حيث
يقول في الآثار :

يا عين أن بعد الحبيب وداره

وأن مراحمه وشط مزاره
فقد ظفرت من الزمان بظلال

إن لم تربه فمذه آثاره
وقد سبقه لذلك الصلاح خليل بن أيبك
المصطفى فقال :

أكرم بأثر البى محمد

من زاره استوفى السرور مزاره
يا عين دهك فطرى وسمى

إن لم تربه فمذه آثاره
واقضى بهما في ذلك أبو العزم المدنى
فقال :

يا عين كم ذا تسفحين مداما

شوقا لقرب المصطفى ودباره
إن كان صرف الدهر عاتك عنهما

فتسمى يا عين في آثاره

رباط الأفرم

هذا الرباط بسفح الجرف الذى عليه
الرصد ، وهو يشرف على بركة الجيش ،
وكان من أحسن متزهات أهل مصر . أنشأه
الأمير عز الدين أيبك الأفرم ، أمير خازندار ،
الصالحى النجى ، ورب فيه صوفية وشيخا
واماما ، وجعل فيه منبرا يخطب عليه للجمعة
والعیدين ، وقرر لهم معاليهم من أوقاف
أرسلها لهم ، وذلك في سنة ثلاث وستين

(١٤٢٦) من ٤٢٦ هـ ، ط . بولاق .

وستائة . وهو باق ، إلا أنه لم يبق به ساكن
لخراب ما حوله ، وله إلى اليوم متحصل من
وقته .

والأفرم هذا هو الذى ينسب إليه جسر
الأفرم خارج مصر ، وقد ذكر عند ذكر
الجسر من هذا الكتاب .

الرباط العلانى

هذا الرباط خارج مصر ، بخط بين الزقائن
شرقى الخليج الكبير - يعرف اليوم بخانقاه
المواصلة - وهو آيل إلى الدور لخراب ما
حوله . أنشأه الملك علاء الدين أبو الحسن
على ، ابن الملك المجاهد سيف الدين اسحاق
صاحب الجزوة ، ابن الملك الرحيم بدر الدين
أولو صاحب الموصل ، بجوار داره وحمامه
وماحونه ، وجعل له فيه مدفنا ، ووقف عليه
بتان الجرف ، وبستانا بناحية شبرا ، وعدة
حصص من قرى فلسطين والساحل ، وأحكارا
ودورا بجانب الرباط .

ومات يوم الجمعة ثامن ربيع الآخر سنة
أحدى وثلاثين وسبعائة ، ومولده يوم
الجمعة ثامن عشر المحرم سنة سبع وخسين
وستائة بجزيرة ابن عمر ، وكان من الحلقة ،
وسمع الحديث من النجيب الحرالى وابن
عز الدين وابن علاف ، ودفن فيه .

وبه إلى الآن بقية ، ويحضره الفقهاء يوما
فى الأسبوع ، وهم عشرة شيخهم منهم ،
ومنهم قارئ ميعاد وقراء . وكان أولا مسورا
بسكنى أهله دائما فيه ، وفى هذا الوقت لا
يمكن سكناه لكثرة الخوف من السراق .

ذكر التروايا زاوية الصفياني

هذه الزاوية فيما بين خط البحر سقايات وقطرة الد ، خارج مصر ، الى جانب حوض النيل للمد لشرب الدواب . أنشأها الأمير عز الدين أيك الدمياني الصالح النجسي ، أحد الأمراء القدامى الأكابر في أيام الملك الظاهر بيبرس ، وجاء دفن لما مات بالقاهرة ليلة الأربعاء طلع شعبان سنة ست وتسعين وستائة . وإلى الآن يعرف الحوض الجاور لها بحوض الدمياني .

زاوية الشيخ خضر

هذه الزاوية خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زقاق الكحل ، تعرف على الخليج الكبير ، عرفت بالشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى الهرازي العدوي ، شيخ السلطان الملك الظاهر بيبرس .

كان أولا قد اقتطع بجبل المرة خارج دمشق ، فعرفه الأمير سيف الدين قنشر العجسي ، وتردد اليه ، فقال له : لا بد أن يتسلطن الأمير بيبرس البندقداري . فآخبر بيبرس بذلك .

فلما صارت الملكة اليه بعد قتل الملك المنصور قطز ، اشتغل على انتقاده ، وقربه ، وبني له زاوية بجبل المرة ، وزاوية بظاهر بعلبك ، وزاوية بحماه ، وزاوية بحمص ، وهذه الزاوية خارج القاهرة ، ووقف عليها أحكارا تغل في السنة نحو الثلاثين ألف درهم ، وأزله بها .

(١٤١ من ١٢٠٠) ، ط. بولاق .

وصار يترن اليه في الأسبوع مرة أو مرتين ، وطلعه على غوامض أسراره ، واستيره في أموره ، ولا يخرج عما يشير به ، وأخذ معه في أسفاره ، وأطلق يده ، وصرفه في ملكه .

فهدم كيسة اليهود بدمشق ، وهدم كيسة للتصاري بالقدس ، كانت تعرف بالمصلبة ، وعلمها زاوية ، وقتل قسيسا يده ، وهدم كيسة للروم بالاسكندرية - كانت من كراسي التصاري ، ويزعمون أن بها رأس يحيى بن زكريا - وعلمها مسجدا سماه الخضر . فأتى جانبه الخاص والعام حتى الأمير بدر الدين يلبك الخازندار نائب السلطة ، والصاحب بهاء الدين على بن حنا ، وملوك الأطراف .

وكان يكتب الى صاحب حماه ، وجميع الأمراء اذا طلب حاجة ، ما مثاله : « الشيخ خضر الحماة » . وكان ربح القامة كث اللحية ، يتعم غراوى ، وفي لسانه عجة ، مع سعة صدر ، وكرم شمائل ، وكثرة عطاء من تفرقة الذهب والقضة ، وعمل الأسطة الفاخرة . وكانت أحواله عجبية لا تتكيف ، وأقوال الناس فيه مختلفة : منهم من يثبت صلاحه ومعتقد ، ومنهم من يرميه بالمعاطم .

وكان يخبر السلطان بأمر تقع ، منها أنه لما حاصر أرسوف - وهي أول فتوحاته - قال له : متى تأخذ هذه المدينة ؟ فبين له يوما يأخذها فيه ، فأخذها في ذلك اليوم بعينه ، واتفق له مثل ذلك في فتح قيسارية ، فلذلك كثر اعتقاده فيه .

وما أحسن قول الشريف محمد بن رضوان الشيخ في ملازمة السلطان له في أسفاره :

يا ظاهر السلطان الا مالك !!

لدينا بذلك لنا الملاحم تغبر
وما دليل واضح كالنفس في
وسط السماء لكل عين تنظر
لما رأينا الخضر يقدم جينه
أبدا علما أنه الاسكندر

وما يرح على رقبته الى ثامن عشر شوال سنة احدى وسبعين وستائة ، فقبض عليه ، وانتقل بقلعة الجبل ، ومنع الناس من الاجتماع به . ويقال ان ذلك بسبب ان السلطان كان أعطاه تحفا قدمت من اليمن ، منها كرة يثنى مليح الى الغاية ، فأعطاه خضر لبعض المردان .

فبلغ ذلك الأمير بدر الدين الخازندار الناب - وكان قد تمل عليه بكثرة تسلطه ، حتى لقد قال له مرة بحضرة السلطان : كأنك تشفق على السلطان وعلى أولاده مثل ما فعل قطز بأولاد المزم - فأسرهما في نفسه ، وبلغ خبر الكر اليه الى السلطان . فاستدعاء ، وحضر جماعة حاققوه على أمور كثيرة منكرة - كاللواط والزنا ونحوه - فاعتقله ، ورتب له ما يكفيه من مأكول وفاكهة وحلوى .

ولما سافر السلطان الى بلاد الروم ، قال خضر لبعض أصحابه : ان السلطان يظهر على الروم ، ويرجع الى دمشق فيموت بها بعد أن أموت أنا بعشرين يوما .

فكان كذلك ، ومات خضر في محبته بقلعة انجيل في سادس المحرم ، أو سابعه ، من سنة

ست وسبعين وستائة ، وقد أضاف على الحسين ، فلم الى أهله ، وحلوه الى زاوية هذه ، ودفنوه فيها .

وكان السلطان قد كتب بالافراج عنه ، لتقديم البريد بعد موته ، ومات السلطان بدمشق ، في صباح عشرين المحرم المذكور ، بعد خضر بعشرين يوما . وهذه الزاوية باقية الى اليوم .

زاوية ابن منظور

هذه الزاوية خارج القاهرة ، بخط الدكة بجوار المقس ، عرفت بالشيخ جمال الدين محمد بن أحمد بن منظور بن يس بن خليفة ابن عبد الرحمن ، أبو عبد الله ، الكتاني المستقالي الشافعي الصوفي ، الامام الزهد .

كانت له معارف وأتباع ومريدون ومعرفة بالحديث . حدث عن أبي الفتوح الجلالى ، وروى عنه الدمياني والدواداري وعدة من الناس ، ونظر في الققه ، واشتهر بالتفضيلة ، وكانت له ثروة وصدقات . ومولده في ذى القعدة سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، ووفاته بزاوية في ليلة الثاني والعشرين من شهر رجب الفرد سنة ست وتسعين وستائة .

وكانت هذه الزاوية أولا تعرف بزاوية شمس الدين بن كرا البغدادي .

زاوية الظاهري

هذه الزاوية خارج باب البحر ، ظاهر القاهرة عند حمام طرغاي ، على الخليج الناصري . كانت أولا تشرف طاقاتها على بحر

النيل الأعظم ، فلما انصرف الماء عن ساحل
المنس ، وحفر الملك الناصر محمد بن قلاوون
الخليج الناصري ، صارت تشرف على الخليج
المذكور من بره الشرقي ، واتصلت المناظر
هناك ... الى أن كانت الحوادث من سنة ست
وثمانمائة . فخرت حمام طرغاي ، وبيعت
انقاضها واقاض كثير مما كان هناك من
المناظر ، وأنتى هناك بيتان عرفا أولا بعيد
الرحمن ، صيرفي الأمير جمال الدين
الأستاد ، لأنه أولا أنشأه ، ثم انتقل عنه .

و « الظاهري » هذا : هو أحمد بن محمد
ابن عبد الله أبو العباس جمال الدين الظاهري .
كان أبوه محمد بن عبد الله عتيق الملك الظاهر
شهاب الدين غازي ، وبرز حتى صار اماما
حافظا ، وتوفي ليلة الثلاثاء لأربع يقين من
ربيع الأول سنة ست وتسعين وثمانمائة
بالقاهرة ، ودفن بترته خارج باب النصر .

وابنه عثمان بن أحمد بن محمد بن عبد الله
فخر الدين بن جمال الدين الظاهري الحلبي ،
الامام العلامة المحدث الصالح ، ولد في سنة
سبعين وثمانمائة ، وأسمعه أبوه بديار مصر
والشام ، وكان مكثرا ، ومات بزاوته هذه
في سنة ثلاثين وسبعمائة .

زاوية الجيزة

هذه الزاوية موضعها من جملة أراضي
الزهرى ، وهي الآن خارج باب زويلة بالقرب
من معدية فريج . أنشأها الأمير سيف الدين
جيزك السلاحدار المنصوري ، أحد أمراء الملك
المنصور قلاوون ، في سنة اثنين وثمانين

(*) من ١٢٢٠ هـ ، ط. بولاق .

وثمانمائة ، وجعل فيها عدة من الفقراء
الصوفية .

زاوية الحلاوي

هذه الزاوية بخط الأبارين من القاهرة ،
بالقرب من الجامع الأزهر . أنشأها الشيخ
مبارك الهندى السعدى الحلاوي ، أحد
الفقراء من أصحاب الشيخ أبى السعد بن
أبى العثائر البارنى الواسطى ، في سنة
ثمان وثمانين وثمانمائة ، وأقام بها الى أن
مات ، ودفن فيها .

فقام من بعده ابنه الشيخ عمر بن على بن
مبارك ، وكانت له سماعات ومرويات ، ثم قام
من بعده ابنه شيخنا جمال الدين عبد الله ابن
الشيخ عمر بن على ابن الشيخ مبارك الهندى ،
وحدث ، فسمعنا عليه بها الى أن مات في
صفر سنة ثمان وثمانمائة ، وبها الآن ولده ،
وهي من الزوايا المشهورة بالقاهرة .

زاوية نصر

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة .
أنشأها الشيخ نصر بن سليمان أبو الفتح
المنجى ، الناسك القدوة ، وحدث بها عن
ابراهيم بن خليل وغيره . وكان فقيها معتزلا
عن الناس ، متخليا للعبادة ، يتردد اليه أكابر
الناس وأعيان الدولة .

وكان للأمير ركن الدين يبرس الجاشنكير
فيه اعتقاد كبير . فلما ولى سلطنة مصر ، أجل
قدره وأكرم محله ، ففرع الناس اليه ،
وتوسلوا به في حوائجهم .

... ..

وكان يتغالى في محبة العارف محبى الدين
محمد بن عربى الصوفى ، ولذلك كانت بينه
وبين شيخ الاسلام أحمد بن تيمية مناكرة
كبيرة ، ومات رحمه الله عن بضع وثمانين سنة
في ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة
سنة تسع عشرة وسبعمائة ، ودفن بها .

زاوية الخدام

هذه الزاوية خارج باب النصر ، فيما بين
شقة باب الفتوح من الحسينية وبين شقة
الحسينية خارج باب النصر ، أنشأها الطوائى
بلال الفراجى ، وجعلها وقفاً على الخدام
الحش الأجناد في سنة سبع وأربعين
وثمانمائة .

زاوية تقى الدين

هذه الزاوية تحت قلعة الجبل . أنشأها
الملك الناصر محمد بن قلاوون ، بعد سنة
عشرين وسبعمائة ، لسكنى الشيخ تقى الدين
رجب بن أشيرك العجسى . وكان وجيها محترما
عند أمراء الدولة ، ولم يزل بها الى أن مات
يوم السبت ثامن شهر رجب سنة أربع عشرة
وسبعمائة . وما زالت منزلا لفقراء العجم الى
وقتنا هذا .

زاوية الشريف مهدى

هذه الزاوية بجوار زاوية الشيخ تقى الدين
المذكور . بنسأها الأمير صرغتمش في سنة
ثلاث وخمسين وسبعمائة .

زاوية الطراطرية

هذه الزاوية بالقرب من موردة البلاط .
بناها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، بواسطة
القاضى شرف الدين النشو فاطر الخاص ،
برسم الشيخين الأخوين محمد وأحمد
— المعروفين بالطراطرية — في سنة أربعين
وسبعمائة .

وكانا من أهل الخير والصلاح ، ونزلا أولا
في مقصورة بالجامع الأزهر ، فمرفت بها .
ثم عرفت بعدها بمقصورة الحسام الصفى ،
والد الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن
الحسام ، وهذه المقصورة بأخر الرواق الأول
ما يلى الركن الغربى .

ولم تزل هذه الزاوية عامرة ... الى أن
كانت المحن من سنة ست وثمانمائة ، وخرب
خط ذرية قوصون وما فى قبليه الى منشاء
المهرانى ، وما فى بحريه الى قرب بولاق .

زاوية القلندرية

القلندرية طائفة تنسب الى الصوفية ، وتارة
تسمى أنفسها ملامية . وحقيقة القلندرية أنهم
قوم طرحوا التقيد بأداب المجالس
والمخاطبات ، وقلت أعمالهم من الصوم والصلاة
الا الفرائض ، ولم يبالوا بتناول شئ من
اللذات * الباحة ، واقتصروا على رعاية
الرخصة ، ولم يطلبوا حقائق العزيسة ،
والتزموا ألا يدخروا شئاً ، وتركوا الجمع
والاستكثار من الدنيا ، ولم يتشققوا ، ولا

(*) من ١٢٢٠ هـ ، ط. بولاق .

زهذوا ولا تمبدوا ، وزعنوا أنهم قد قنعوا
بطيب قلوبهم مع الله تعالى ، واقتصروا على
ذلك ، وليس عندهم تطلع الى طلب مزيد
سوى ما هم عليه من طيب القلوب .

والفرق بين الملامى والقنندرى : أن
اللامى يعمل فى كتم العبادات ، والقنندرى
يعمل فى تخريب العبادات . واللامى يتسكك
بأبواب البر والخير ، ويرى الفضل فيه ،
أنه يخفى أحواله وأعماله ، ويوقف نفسه
على العوام فى هيته وملبوسه ، تسترا
الحد حتى لا يفتن له ، وهو مع ذلك متطلع
المزيد من العبادات . والقنندى لا يتقيد
بشئ ، ولا يبالي بما يعرف من حاله وما لا
يعرف ، ولا ينعطف الا على طيب القلوب وهو
ماله

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة ،
جهة التي فيها التراب والمقابر التي تلى
المنشأها الشيخ حسن الجوالقي
على ، أحد فقراء العجم القنندرية على
جوالقة . ولما قدم الى ديار مصر ، تقدم
إليه الدولة التركية ، وأقبلوا عليه
به ، فأثرى ثراه زائدا فى سلطنة الملك
كثيفا ، وسافر معه من مصر الى

أن السلطان اصطاد غزالا ، ودفعه
إليه الى صاحب حمامه . فلما أحضره
إليه تشريفا من حرير طرز وخش
وكش ، فقدم بذلك على السلطان ،
وراه فى مداعبته ، وقالوا له على
نكار : كيف تلبس الحرير والذهب

وهما حرام على الرجال ؟ فأين الترهذ وسلوك
طريق الفقراء ؟ ونحو ذلك .

فمنذما حضر صاحب حمامه الى مجلس
السلطان على العادة ، قال له : ياخولد ، أيش
عملت معى ؟ الأمراء أنكروا على ، والفقراء
تطالبنى . فأنعم عليه بألف دينار . فجمع
الفقراء والناس ، وعمل وقتا عظيما بزاوية
الشيخ على الحريرى خارج دمشق .

وكان مسح النفس ، جميل العشرة ، لطيف
الروح ، يحلق لحيته ولا يعتم ، ثم الله ترك
الحلق ، وصارت له لحية ، وتعمم عمامة
صوفية ، وكانت له عصابة ، وفيه مروءة
وعصبية ، ومات بدمشق فى سنة اثنتين
وعشرين وسبعمائة . ولما زالت هذه الزاوية
منزلا لطائفة القنندرية ، ولهم بها شيخ ،
وفيها منهم عدد موفور .

وفى شهر ذى القعدة سنة احدى وستين
وسبعمائة ، حضر السلطان الملك الناصر حسن
ابن محمد بن قلاوون يخانقاه أبيه الملك
الناصر ، فى ناحية سراوقس خارج القاهرة ،
ومد له شيخ الشيوخ سباطا ... كان من جملة
من وقف عليه بين يدى السلطان الشريف
على ، شيخ زاوية القنندرية هذه ، فاستدعاه
السلطان ، وأكر عليه حلق لحيته واستنابه ،
وكتب له توقيعا سلطانيا ، منع فيه هذه
الطائفة من تحليق لحاهم ، وأن من تظاهر
بهذه البدعة قوبل على فعله المحرم ، وأن
يكون شيخا على طائفته كما كان ما دام
وداموا متمسكين بالسنة النبوية .

وهذه البدعة لها منذ ظهرت ما يزيد على
أربعمائة سنة ، وأول ما ظهرت بدمشق فى

سنة بضع عشرة وستمائة ، وكتب الى بلاد
الشام بالزام القنندرية بترك زى الأعاجم
والمجوس ، ولا يمكن أحد من الدخول الى
بلاد الشام حتى يترك هذا الزى المتبدع
واللباس المستبشع ، ومن لا يلتزم بذلك يعزر
شرعا ، ويقطع من قراره قلعا . فنودى بذلك
فى دمشق وأرجائها يوم الأربعاء سادس عشر
ذى الحجة .

قبة النصر

هذه القبة زاوية يسكنها فقراء العجم ،
وهى خارج القاهرة بالصحراء ، تحت الجبل
الأحمر ، بآخر ميدان القبق من بحريه . جدها
الملك الناصر محمد بن قلاوون ، على يد الأمير
جمال الدين أقوش نائب الكرك .

زاوية الركراكى

هذه الزاوية خارج القاهرة فى أرض
المقس . عرفت بالشيخ المعتقد أبى عبد الله
محمد الركراكى ، المغربى المالكى ، لاقامته
بها . وكان فقيها مالكيا ، متصديا لاشغال
المغاربة ، يتبرك الناس به ، الى أن مات بها
يوم الجمعة ثانى عشر جمادى الأولى سنة
أربع وتسعين وسبعمائة ، ودفن بها .

و « الركراكى » نسبة الى ركراكة ، بلدة
بالمغرب ، هى أحد مراسى سواحل المغرب
بقرب البحر المحيط ، تنزل فيه السفن ، فلا
تخرج الا بالرياح العاصفة فى زمن الشتاء
عند تكدر الهواء .

زاوية ابراهيم الصائغ

هذه الزاوية بوسط الجسر الأعظم ، تطل
على بركة الفيل ، عررها الأمير سيف الدين
مطغاي بعد سنة عشرين * وسبعمائة ، وأنزل
فيها فقيرا عجيا من فقراء الشيخ تقي الدين
رجب ، يعرف بالشيخ عز الدين العجمى ،
وكان يعرف صناعة الموسيقى ، وله نعمة لذيدة
وصوت مطرب وغناء جيد ، فأقام بها الى أن
مات فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة . فغلب
عليها الشيخ ابراهيم الصائغ الى أن مات يوم
الاثنين رابع عشر شهر رجب سنة أربع
وخسين وسبعمائة ، فعرفت به .

زاوية الجعبرى

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة .
تنسب الى الشيخ برهان الدين ابراهيم بن
معزاد بن شداد بن ماجد الجعبرى ، المتقد
الواعظ ، كان يجلس للوعظ ، فتجتمع اليه
الناس ، ويذكرهم ويروى الحديث ، ويشارك
فى علم الطب وغيره من العلوم ، وله شعر
حسن ، وروى عن السخاوى ، وحدث عن
البزراكى .

وكان له أصحاب يبالغون فى اعتقاده ،
ويغلون فى أمره ، وكان لا يراه أحد الا أعظم
قدره وأجله وأثنى عليه ، وحفظت عنه كلمات
طعن عليه بسببها ، وعمر حتى جاوز الثمانين
سنة .

فلما مرض أمر أن يخرج به الى مكان
قبره ، فلما وقف عليه قال : قبر وحال دبير .

ومات بعد ذلك يوم في يوم السبت رابع
عشر المحرم سنة سبع وثمانين وستمائة .
والجبايرة عدة ، منهم

زاوية ابي السمود

هذه الزاوية خارج باب القنطرة من
القاهرة ، على حافة الخليج ، عرفت بالشيخ
المبارك ايوب السمودي . كان يذكر انه رأى
الشيخ ابا السمود بن ابي العسائر ، وسلك
على يديه ، وانقطع بهذه الزاوية ، وتبرك
الناس به ، واعتقلوا اجابة دعائه ، وعمر
وصار يحمل لعجزه عن الحركة . حتى مات ،
عن مائة سنة ، أول صفر سنة أربع وعشرين
وسبعمائة .

زاوية الحمصى

هذه الزاوية خارج القاهرة ، بخط حسكر
خزائن السلاح والأوسية ، على شاطئ خليج
الذكر من أرض المقس بجوار الدكة . أنشأها
الأمير ناصر الدين محمد — ويدعى
طيقوش — ابن الأمير فخر الدين الطنبغا
الحمصى ، أحد الأمراء في الأيام الناصرية .
كان أبوه من أمراء الظاهر بيبرس .

ورتب بهذه الزاوية عشرة من الفقراء شيخهم
منهم ، ووقف عليها عدة أماكن في جوارها
وحدة من قرية بورين من قرى ساحل الشام ،
وغير ذلك في سنة تسع وسبعمائة . فلما خرب
ما حولها ، وارتدم خليج الذكر ، تعطلت .
وهي الآن قد عزم مستحقو ريمها على
هدمها ، لكثرة ما أحاط بها من الخراب من

سائر جهاتها ، وصار السلوك اليها مخوفا بعد
ما كانت تلك الخطة في غاية العماره ، وفي
جمادى سنة عشرين وسبعمائة هدمت .

زاوية الغرير

هذه الزاوية خارج القاهرة ، يدرب الزقاق
من الحكر ، عرفت بالشيخ المعتقد على الغرير
ومات في يوم الجمعة خامس جمادى الأولى
سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة . ولما كانت
الحوادث من سنة ست وثمانمائة ، خربت
الحكورة ، وهدم درب الزقاق وغيره .

زاوية القصرى

هذه الزاوية بخط المقس خارج القاهرة .
عرفت بالشيخ ابي عبد الله محمد بن موسى
عبد الله بن حسن القصرى ، الرجل الصالح
الفقيه المالكي المغربي ، قدم من قصر كتامة
بالمغرب الى القاهرة ، وانقطع بهذه الزاوية ،
على طريقة جميلة من العبادة وطلب العلم ،
الى أن مات بها في التاسع من شهر رجب سنة
ثلاث وثلاثين وستمائة .

زاوية الجاكى

هذه الزاوية في سوقية الریش ، من
الحكورة خارج القاهرة ، بجانب الخليج
الغربى . عرفت بالشيخ المعتقد حسين بن
ابراهيم بن على الجاكى ، ومات بها في يوم
الخميس العشرين من شوال سنة سبع وثلاثين
وسبعمائة ، ودفن خارج باب النصر ، وكانت
جنازته عظيمة جدا .

وأقام الناس تبركاً بزيارة قبره . الى أن
كانت سنة سبع عشرة وثمانمائة ، فأقبل
الناس الى زيارة قبره ، وكان لهم هناك مجتمع
عظيم في كل يوم ، ويحملون النذور الى
قبره ، ويؤمنون أن الدعاء عنده لا يرد ...
فتنة أضل الشيطان بها كثير من الناس ، وهم
على ذلك الى يومنا هذا .

زاوية الأبناسى

هذه الزاوية بخط المقس . عرفت بالشيخ
الفقيه برهان الدين ابراهيم بن حسين بن
موسى بن ايوب الأبناسى الشافعى . قدم من
الريف ، وبرع في الفقه ، واشتهر بسلامة
الباطن ، وعرف بالخير والصلاح ، وكتب على
الفتوى ، ودرس بالجامع الأزهر وغيره ،
وتصدى لأشغال الطلبة عدة سنين ، وولى
مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء .

وطلبه الأمير سيف الدين برقوق — وهو
يومئذ أتابك العساكر — حتى يقلده قضاء
القضاة بديار مصر . فغيب فرارا من ذلك ،
وتنزه عنها ، الى أن ولى غيره . وكانت ولادته
قبيل سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، ووفاته
بسنزلة المويلح من طريق الحجاز — بعد عوده
من الحج — في ثامن المحرم سنة اثنتين
وثمانمائة ، ودفن بعيون القصب .

زاوية اليونسية

هذه الزاوية خارج القاهرة ، بالقرب من
باب اللوق ، تنزلها الطائفة اليونسية : واحد

(*) من (٢٢) ج ٢ ، ط. بولاق .

يونسى — بضم الياء المعجمة باثنتين من
تحتها ، وبعد الياء واو ، ثم نون بعدها سين
مهملة ، في آخرها ياء آخر الحروف — نسبة
الى يونس .

و «يونس» المنسوب اليه الطائفة اليونسية
غير واحد : فمنهم يونس بن عبد الرحمن
القسى ، مولى آل يقطين ، وهو الذى يزعم
أن معبوده على عرشه ، تحمله ملائكته وأن
كان هو أقوى منها ، كالكركى تحمله رجلاه
وهو أقوى منها ... وقد كفر من زعم ذلك ،
فأن الله تعالى هو الذى يحمل العرش وحملته .
وهذه الطائفة اليونسية من غلاة الشيعة .

واليونسية أيضا فرقة من المرجئة ينتمون
الى يونس السموى . وكان يزعم أن الإيمان
هو المعرفة بالله والخضوع له ، وهو ترك
الاستكبار عليه والمحبة له ، فمن اجتمعت فيه
هذه الخلال فهو مؤمن . وزعم أن ابليس كان
عارفا بالله ، غير أنه كفر باستكباره عليه .

ولهم يونس بن يونس بن مساعد الشيبانى
ثم المخارقى ، شيخ الفقهاء اليونسية ، شيخ
صالح له كرامات مشهورة ، ولم يكن له
شيخ ، بل كان مجذوبا ، جذب الى طريق
الخير . توفى بأعمال دارا ، في سنة تسع
عشرة وسبعمائة ، وقد فاهز تسعين سنة ،
وقبره مشهور يزار ويتبرك به ، واليه تسب
هذه الطائفة اليونسية .

زاوية الغلاطى

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة ،
بالقرب من زاوية الشيخ نصر المنجى .

عزقت ... وكانت لهم وجاعة : منهم
ناصر الدين محمد بن علاء الدين علي بن
محمد بن حسن الخلاطي ، مات في لصف
بجنادي الأولى سنة سبع وثلاثين وسبعمئة ،
ودفن بها .

الزاوية العدوية

هذه الزاوية بالترافة . تنسب إلى الشيخ
عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن
مروان بن الحسن بن مروان ، الهكاري
القرشي الأموي ، وكان قد سحب عدة من
الشايع — كمقيل المنجي ، وحصاد الدباس ،
وعبد القادر الهروردي ، وعبد القادر
الجيلي — ثم انقطع في جبل الهكارية من
أعمال الموصل ، وبني له زاوية ، فقال إليه
أهل تلك النواحي كلها ميلا لم يسمع لأرباب
الزوايا مثله ، حتى مات سنة سبع — وقيل
سنة خمس — وخسين وخمسة ، ودفن في
زاويته .

وقدم ابن أخيه إلى هذه البلاد — وهو
زين الدين — فأكرم وأنعم عليه بامرة ، ثم
تركها وانقطع في قرية بالشام — تعرف بيت
فار — على هيئة الملوك : من اقتناء الخيول
المسومة والماليك والجواري والملابس ، وعمل
الأسطة الملوكية .

فاقتت به بعض نساء الطائفة القيمرية ،
وبالفت في تعظيمه ، وبذلت له أموالا عظيمة ،
وحاشيتها تلومها فيه ، فلا تصفى إلى قولهم .
فاحتالوا حتى أوقطوها عليه ، وهو عاكف على
المنكرات ، فما زادها ذلك الا ضلالا ،

وقالت : أتم تنكروا هذا عليه ، أنا الشيخ
يتدل على ربه .

وأناء الأمير الكبير علم الدين سنجر
الدوادار ومعه الشهاب محمود لتحليفه ، في
أول دولة الأشرف خليل بن قلاوون ، إلى
قرته . فإذا هو كالملك في قلعة : للتجمل
الظاهر والحشمة الزائدة ، والفرش الأطلس ،
وآنية الذهب والفضة ، والنضار الصيني
وأشياء تفوت العد ... إلى غير ذلك من
الأشربة المختلفة الألوان ، والأطعمة المتنوعة .

فلما دخلا عليه لم يحتفل بهما ، وقبل الأمير
شجر يده وهو جالس لم يقم ، وبقي قائما
قدماه يحدثه ، وزين الدين يسأله ساعة ، ثم
أمره أن يجلس ، فجلس على ركبته متأدبا بين
يديه ، فلما حلفاه * ، أنعم عليهما بما يقارب
خمس عشرة ألف درهم .

وتخلف من طائفته الشيخ عز الدين
أميران ، وأنعم عليه بامرة دمشق ، ثم نقل
إلى أمرة بصغد ، ثم أعيد إلى دمشق ، وترك
الأمرة وانقطع بالمرة ، وتردد إليه الأكراد من
كل قطر ، وحلوا إليه الأموال . ثم أنه أراد
أن يخرج على السلطان بمن معه من الأكراد
في كل بلد ، فباعوا أموالهم ، واشتروا الخيل
والسلاح ، ووجد رجاله بنيابات البلاد ، ونزل
بأرض اللجون .

فبلغ ذلك السلطان الملك الناصر محمد بن
قلاوون ، فكتب إلى الأمير تنكز نائب الشام
بكشف أخبارهم ، وأمسك السلطان من كان
بهذه الزاوية العدوية ، ودرك على أمير طبر ،

(*) ص ٢٢ ج ٢ ، ط بولاق .

واختلفت الأخبار : فقيل أنهم يريدون سلطنة
مصر ، وقيل يريدون ملك اليمن . فقتل
السلطان لأمرهم ، وأمه ... إلى أن أمسك
الأمير تنكز عز الدين المذكور ، وسجنه في
سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة حتى مات ، وفرق
الأكراد ، ولو لم يتدارك لأوشك أن يكون
لهم نوبة .

زاوية السدار

هذه الزاوية برأس حاة الديلم . بناها
الفقيه المعتد علي بن السدار في سنة
سبعين وسبعمئة ، وتوفي سنة ثلاث وسبعين
وسبعمئة .

ذكر المشاهد التي يتبرك الناس بزيارتها مشهد زين العابدين

هذا المشهد فيما بين الجامع الطولوني
ومدينة مصر ... تسميه العامة مشهد زين
العابدين ، وهو خطأ . وإنما هو مشهد رأس
زيد بن علي — المعروف بزين العابدين —
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه
السلام ، ويعرف في القديم بمسجد محرس
الخصي .

قال القضاة : مسجد محرس الخصي بني
على رأس زيد بن علي بن الحسين بن علي بن
أبي طالب ، حين أنقذه هشام بن عبد الملك
إلى مصر ، ونصب على المنبر بالجامع ، ففرقه
أهل مصر ، ودفنوه في هذا الموضع .

وقال الكندي في كتاب « الأمراء » :
وقدم إلى مصر ، في سنة اثنتين وعشرين

ومائة ، أبو الحكم بن أبي الأبيض القيسي
خطيبا برأس زيد بن علي ، رضوان الله عليه ،
يوم الأحد لمشر خلون من جنادي الآخرة ،
واجتمع الناس إليه في المسجد .

وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني في
كتاب « الجواهر المكنون في ذكر القبائل
والبطون » : وبنو زيد بن علي زين العابدين
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم
السلام ، الشهيد بالكوفة ، ولم يبق له عليه
السلام غير رأسه التي بالشهد ، الذي بين
الكومين بمصر ، بطريق جامع ابن طولون
وبركة الفيل ، وهو من الخطط يعرف بمسجد
محرس الخصي .

ولما صلب ، كشفوا عورته ، ففسج
العنكبوت فترها ، ثم أنه بعد ذلك أحرق ،
وذرى في الريح ، ولم يبق منه الا رأسه التي
بمصر . وهو مشهد صحيح لأنه طيف بهما
بمصر ، ثم نصبت على المنبر بالجامع بمصر في
سنة اثنتين وعشرين ومائة ، فرقت ودفنت
في هذا الموضع إلى أن ظهرت ، وبني عليها
مشهد .

وذكر ابن عبد الظاهر أن الأفضل بن أمير
الجوش ، لما بلفته حكاية رأس زيد ، أمر
بكشف المسجد — وكان وسط الأكوام ،
ولم يبق من معالمة الا محراب — فوجد هذا
العضو الشريف .

قال محمد بن منجب بن الصيرفي : حدثني
الشريف فخر الدين أبو الفتوح ناصر الزيدي
خطيب مصر — وكان من جملة من حضر
الكشف — قال : لما خرج هذا العضو رأته ،

وهو هامة وافرة ، وفي الجبة أثر في سعة الدرهم ، فضخ وعطر ، وحمل الى دار حتى عر هذا المشهد .

وكان وجدانه يوم الأحد تاسع عشر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وخمسمائة . وكان الوصول به في يوم الأحد ، ووجدانه في يوم الأحد .

« زيد بن علي » بن الحسين بن علي بن أبي طالب - كنيته أبو الحسن - الإمام الذي نسب اليه الزيدية ، احدى طوائف الشيعة ، سكن المدينة ، وروى عن أبيه علي ابن الحسين - الملقب زين العابدين - وعن أبان بن عثمان ، وعبيد الله بن أبي رافع ، وعروة بن الزبير . وروى عنه محمد بن شعيب الزهري ، وزكريا بن أبي زائدة ، وخلق ... ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : رأى جماعة من الصحابة .

وقيل لجعفر بن محمد الصادق عن الرافضة : انهم يتبرأون من عمك زيد .

فقال : يرى الله ممن تبرأ من عسى . كان والله أقرأنا لكتاب الله ، وأفقهنا في دين الله ، وأوصلنا للرحم ، والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله .

وقال أبو اسحاق السبيعي : رأيت زيد بن علي ، فلم أر في أهله مثله ، ولا أعلم منه ولا أفضل ، وكان أفصحهم لساناً ، وأكثرهم زهداً وبياناً .

وقال الشعبي : والله ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي ، ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد .

وقال أبو حنيفة : شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهله ، فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أعلم ، ولا أسرع جواباً ولا أئين قولاً ، لقد كان منقطع القرن .

وقال الأعشى : ما كان في أهل زيد بن علي مثل زيد ، ولا رأيت فيهم أفضل منه ، ولا أفصح ولا أعلم ولا أشجع ، ولقد وفي له من تابعه لاقامتهم على المنهج الواضح .

وسئل جعفر بن محمد الصادق عن خروجه ، فقال : خرج علي ما خرج عليه آبؤه .

وكان يقال لزيد حليف القرآن ، وقال : خطوت بالقرآن ثلاث عشرة سنة أقرأه وأتدبره ، فما وجدت في طلب الرزق رخصة ، وما وجدت « ابتغوا من فضل الله » إلا العبادة والفقه .

وقال عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : لقد أصيب عندكم رجل ما كان في زمانكم مثله ، ولا أراه يكون بعده مثله ... زيد بن علي . لقد رأيته وهو غلام حدث ، وأنه ليسمع الشيء من ذكر الله فيغشى عليه ، حتى يقول القائل : ما هو بعائد الى الدنيا !

وكان نقش خاتم زيد « اصبر تؤجر ، اصدق تنج » . وقرأ مرة قوله تعالى « وان تولوا يستبدل قوماً غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم » . فقال : ان هذا لوعيد وتهديد من الله . ثم قال : اللهم لا تجعلنا ممن تولي عنك فاستبدلت به بدلاً .

(*) من ٤٣٦ ج ١ ، ط : بولاق

وكان اذا كلمه انسان ، وخاف أن يعجم على أمر يخاف منه مأثماً ، قال له : يا عبد الله ، أمسك أمسك ، كف كف ، اليك اليك ، عليك بالنظر لنفسك . ثم يكف عنه ولا يكلمه .

وقد اختلف في سبب قيام زيد ، وطلبه الأمر لنفسه . فقيل ان زيد بن علي ، وداود ابن علي بن عبد الله بن عباس ، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، قدموا على خالد ابن عبد الله القسري بالعراق ، فأجازهم ورجعوا الى المدينة . فلما ولي يوسف بن عمر العراق ، بعد عزل خالد ، كتب الى هشام ابن عبد الملك ، وذكر له أن خالدًا ابتاع أرضاً بالمدينة من زيد بعشرة آلاف دينار ، ثم رد الأرض عليه .

فكتب هشام الى عامل المدينة أن يسيرهم اليه ، ففعل ، فألهم هشام عن ذلك ، فأقروا بالجائزة ، وأنكروا ما سوى ذلك ، وحلفوا . فصدقهم وأمرهم بالمسير الى العراق ليقابلوا خالدًا ، فساروا على كره ، وقابلوا خالدًا ، فصدقهم ، وغادوا نحو المدينة . فلما لزلوا القادسية ، راسل أهل الكوفة زيداً ، فعاد اليهم .

وقيل بل ادعى خالد القسري أنه أودع زيداً وداود بن علي وثقفاً من قرشي مالا ، فكتب يوسف بن عمر بذلك الى الخليفة هشام بن عبد الملك ، فأحضرهم هشام من المدينة ، وسيرهم الى يوسف ليجمعهم وخالدًا ، فقدموا عليه ، فقال يوسف لزيد : ان خالدًا زعم أنه أودع عندك مالا .

فقال زيد : كيف يودعني وهو يشتم آبائي على منبره ؟

فأرسل الى خالد ، فأحضره في عباءة ، وقال له : هذا زيد قد أنكر أنك أودعته شيئاً .

فنظر خالد اليه والى داود ، وقال ليوسف : أتريد أن تجمع أمسك مع أمسك في هذا ؟ كيف أودعه وأنا أشتم آبائه وأشتته على المنبر ؟

فقال زيد لخالد : ما دعاك الى ما صنعت ؟ فقال : شتد على العذاب ، فادعيت ذلك ، وأملت أن يأتي الله بفرج قبل قدومك . فرجعوا ، وأقام زيد وداود بالكوفة .

وقيل ان يزيد بن خالد القسري هو الذي ادعى أن المال وديعة عند زيد . فلما أمرهم هشام بالمسير الى العراق الى يوسف ، استقالوه خوفاً من شر يوسف وظلمه ، فقال : أنا أكتب اليه بالكف عنكم . والزمهم بذلك .

فساروا على كره ، فجمع يوسف بينهم وبين يزيد ، فقال يزيد : ليس لي عندهم قليل ولا كثير .

فقال له يوسف : أتها بأمر المؤمنين ؟ فعذبهم يومئذ عذاباً كاد يهلكه ، ثم أمر بالقرشين فضربوا ، وترك زيداً ، ثم استطلقهم وأطلقهم ، فلحقوا بالمدينة ، وأقام زيد بالكوفة .

وكان زيد قال لهشام لما أمره بالمسير الى يوسف : والله ما آمن ان يمسي اليه ألا لجمع أنا وأنت حبيبين أبداً .

قال : لا بد من المسير اليه ... فسار اليه . وقيل كان السبب في ذلك أن زيداً كان يخاصم ابن عمه جعفر بن الحسن بن الحسين

بن علي في وقوف علي^(١) رضي الله عنه : فزيد
يخاصم عن بني حسين ، وجعفر يخاصم عن
بني حسن ، فكانا يبلغان كل غاية ، ويقومان
فلا يعيدان مما كان بينهما حرفا .

فلما مات جعفر ، نازعه عبد الله بن الحسن
ابن الحسن . فتازعا يوما بين يدي خالد بن
عبد الملك بن الحارث بالمدينة ، فأغلظ عبد
الله لزيد ، وقال : يا ابن السندية . فضحك
زيد ، وقال : قد كان اسماعيل عليه السلام
ابن أمة ، ومع ذلك فقد صبرت أمي بعد وفاة
سيدها ، ولم يصبر غيرها ... يعني فاطمة
بنت الحسين أم عبد الله ، فانها تزوجت بعد
أيه الحسن بن الحسن .

ثم إن زيدا ندم ، واستحى من فاطمة فانها
عته ، ولم يدخل اليها زمانا . فأرسلت اليه :
يا ابن أخي ، اني لأعلم أن أمك عندك ، كأم
عبد الله عنده . وقالت لعبد الله : بشما قلت
لأم زيد ، أما والله لنعم دخيلة القوم كانت .
وذكر أن خالدا قال لهما : اغدوا علينا غدا
فلسنا ابن عبد الملك ان لم أفصل بينكما .

فباتت المدينة تغلي كالمرجل : يقول قائل
قال زيد كذا ، ويقول قائل قال عبد الله كذا .
فلما كان من الغد ، جلس خالد في المسجد ،
واجتمع الناس ، فمن بين شامت ومهموم .

فدعا بهما خالد وهو يحب أن يتشامتا .
فذهب عبد الله يتكلم ، فقال زيد : لاتعجل
يا أبا محمد ، أعشق زيد كل ما يملك ان

(١) قوله « في وقوف علي » الخ ، هكذا في
النسخ ، ولعله محرف من « فوق » (جمع رق) بمعنى
الصحيفة ، لاستعمالها على حكم وتصانيف مثلا ، وليحذف
أو ... مضمحه .

تخاصمك الى خالد أبدا . ثم أقبل الى خالد ،
فقال له : لقد جمعت ذرية رسول الله ، صلى
الله عليه وسلم ، لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو
بكر ولا عمر .

فقال خالد : أما لهذا السفيه أحد ؟

فتكلم رجل من الأنصار من آل عمرو بن
حزم ، فقال : يا ابن أبي تراب وابن حسين
السفيه ، أما ترى لوال عليك حقا ولا طاعة ؟
فقال زيد : اسكت أيها القحطاني ، فانا لا
نجيب مثلك .

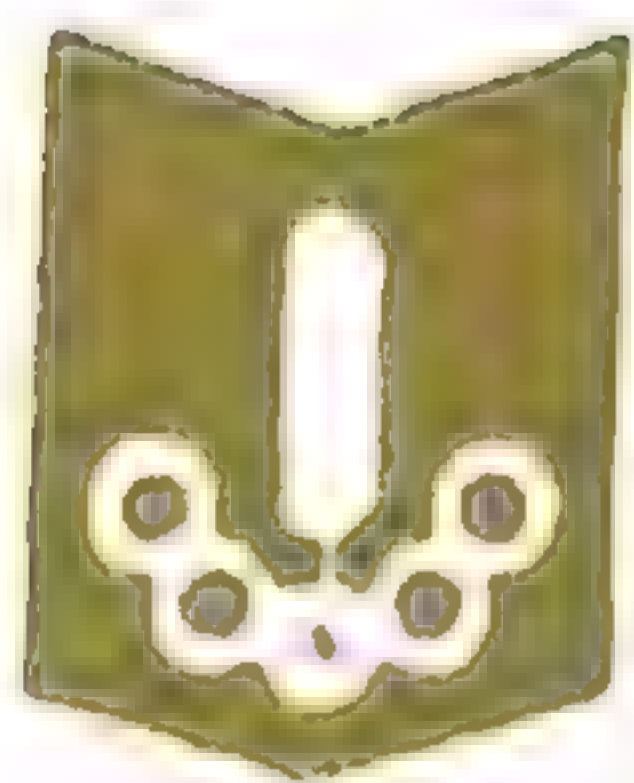
قال : ولم ترغب عني ؟ فوالله اني لخير منك
وخير من أيك ، وأمي خير من أمك .

فتضاحك زيد ، وقال : يامعشر قرش ،
هذا الدين قد ذهب ، أفذهب الأخساب ؟
فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم .

فقام عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر
ابن الخطاب ، فقال : كذبت والله أيها
القحطاني ، فوالله لهو خير منك تقسا وأبا
وأما ومحتدا . وتناوله بكلام كثير ، وأخذ
كفا من حصياء وضرب بها الأرض ، وقال :
والله انه ما لنا على هذا من صبر ، وقام .

ثم شخص زيد الى هشام بن عبد الملك ،
فجعل هشام لا يأذن له ، وهو يرفع اليه
القصص . فكلما يرفع قصة ، يكتب هشام
في أسفلها « ارجع الى منزلك » ، فيقول
زيد : والله لا أرجع الى خالد أبدا .

ثم انه أذن له يوما بعد طول حبس ، فضعف
زيد — وكان يادنا — فوقف في بعض الدرج



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأبنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثنى ٦ قروش ولقراء الجمهورية والساء ٣ قروش

خَطُّ الْمُقْرِئِ

٤٤

كتاب
التعريف



هات من مصر هي مستطه رأسي . وطلع أنزالي . وجميع ناسي . وفتي عشيرتي وهاستي .
وموطن فهاستي وهاستي . وجبوزي الذي رب جناحي في ذكره . وعش حاري ، فهو
تروي الأنفس غير ذكره . لازلت منذ شذوت العالم ، وآتاني رب الفطامة والفهم ، أغيب في
سريته أخيارها ، وأهب الإشراف على الاعتراف من آباءنا . وألغوي بساكنة الركب من مكان وإيرها .
نقي الدين أحمد بن علي المقرئ

وهو يقول : والله لا يحب الدنيا أحد الا
ذل . ثم سعد - وقد جمع له هشام أهل
الشام - فسلم ، ثم جلس . فرمى عليه هشام
طويلة ، فحلف لهشام على شيء ، فقال هشام :
لا أصدقك .

نقال : يا أمير المؤمنين ، ان الله لم يرفع
أحدا عن أن يرضى بالله ، ولم يضع أحدا عن
أن يرضى بذلك منه .

نقال هشام : أنت زيد المؤمل للخلافة
وما أنت والخلافة - لا أم لك - وأنت ابن
أمة ؟

نقال زيد : لا أعلم أحدا عند الله أفضل
من نبي بعثه ، ولقد بعث الله نيا وهو ابن
أمة ، ولو كان به تقصير عن منتهى غاية لم
يبعث ، وهو اسماعيل بن ابراهيم ، والنبوة
أعظم منزلة من الخلافة عند الله ، ثم لم يمنعه
الله من أن جعله أبا للعرب ، وأبا لخير البشر
محمد صلى الله عليه وسلم ، وما يقصر برجل
أبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد
أمي فاطمة لا أفخر بأم .

فوثب هشام من مجلسه ، وتفرق الشاميون
عنه ، وقال لحاجبه : لا يبيت هذا في عسكري
أبدا .

فخرج زيد وهو يقول : ما كره قوم قط
جر السيوف الا ذلوا . وسار الى الكوفة ،
فقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب :
أذكرك الله يا زيد لما لحقت بأهلك ، ولا تأت
أهل الكوفة ، فانهم لا يفون لك .

فلم يقبل ، وقال : خرج بنا هشام أسراء
على غير ذنب من الحجاز الى الشام ، ثم

الى الجزيرة ، ثم الى العراق ، ثم الى تيس
ثقيف يلعب بنا . وأنشد :

بكرت تحوطني الحتوف كأنني
أصبحت عن عرض الحياة بمنزل
فأجبتها ان النية منزل

لا بد ان أسقى بكاس المنهل
ان النية لو تشل مثلت
مثلني اذا نزلوا بضيق المنزل
فأنتي حبالك لا أبا لك واعلمني

اني امرؤ ساموت ان لم أقتل
استودعك الله ، واني أعطى الله عهدا ان
دخلت يدي في طاعة هؤلاء ما عشت .

وفارقه ، وأقبل الى الكوفة ، فأقام بها
مستخفيا تنقل في المنازل . فأقبلت الشيعة
تختلف اليه تبايعه ، فبايعه جماعة من وجوه
أهل الكوفة .

وكانت بيعته : انا ندعوكم الى كتاب الله
وسنة نبيه ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن
المستضعفين ، واعطاء المحرومين ، وقسم هذا
النفس بين أهله بالسواء ، ورد المظالم ،
وافعال الخير ، ونصرة أهل البيت ... أتبايعون
على ذلك ؟

فاذا قالوا : نعم ، وضع يده على أيديهم
ويقول : عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم : لتؤمنن
ببعثي ، ولتقاتلن عدوي ، ولتنصحن لي في
السر والعلانية . فاذا قال : نعم ، مسح يده
على يده ، ثم قال : اللهم فاشهد .

فبأيه خمسة عشر ألفا - وقيل أربعون
ألفا - وأمر أصحابه بالاستعداد . فأقبل من

فقال : يا مومنه اهدوا الله افضلنا وسيدا .
فهدوا وكفوا ديت .

وكان زيد قد واعد اصحابه اول ليلة من صفر . فبلغ ذلك يوسف بن عمر ، فبعث الى الحكم عامله على الكوفة فامر به ان يجمع الناس بالمسجد الاعظم يحصرهم فيه . فجمعهم وطلبوا زيدا . فخرج ليلا من دار معاوية بن اسحق بن زيد بن حارثة الانصاري ، وكان بها ، ورفقوا بالران ، وقادوا : يا منصور ، حتى طلع الفجر .

فلما أصبحوا نددى اصحاب زيد بشعارهم وثاروا ، فدخل الحكم دروب السوق وابواب المسجد على الناس ، وبعث الى يوسف بن عمر وهو بالحيرة ، فخبيره الخبر ، فامرسل اليه حسين فارسا ليعرفوا الخبر ، فاروا حتى عرفوا الخبر ، وعادوا اليه .

فسارت الحيرة بأشراف الناس ، وبعث اثنين من الفرسان وثلاثمائة رجالة معهم الشاب . وفتح زيد ، فكان جميع من واقه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلا ، فقال : سبحان الله ! أين الناس ؟ فقليل : انهم في المسجد الاعظم محصورون ، فقال : والله ما هذا بعذر لمن بيعنا .

واقبل فلقه على جبانة الصائدين خسنة من اهل الشام . فحمل عليهم فيمن معه حتى هزمهم ، وانهى الى دار انس بن عمر الأزدي . وكان فيمن بآيمه وهو في الدار - فنودي فلم يجب ، فناداه زيد فلم يخرج اليه ، فقال زيد : ما خفيكم ؟ قد فعلتموها ، الله حييكم .

ثم سار ويوسف بن عمر ينظر اليه ، وهو في مائتي رجل ، فلو قصده زيد لقتله واريان تبس آثار زيد بالكوفة في اهل الشام ، فأخذ زيد في المسير ، حتى دخل الكوفة ، فسار بعض اصحابه الى الجبانة ، ووافعوا اهل الشام ، فامر اهل الشام منهم رجلا ، ومضوا به الى يوسف بن عمر فقتله . فلما رأى زيد خذلان الناس اياه ، قال : قد فعلوها حبس الله ، وسار ، وهو يهزم من لفيه ، حتى انتهى الى باب المسجد ، فجعل اصحابه يدخلون راياتهم من فوق الباب ، ويقولون : يا اهل المسجد اخرجوا من الدل الى العز ، اخرجوا الى الدين والدنيا ، فانكم لنتم في دين ولا دنيا .

وزيد يقول : والله ما خرجت ، ولا قمت مقامى هذا ، حتى قرأت القرآن ، وأنقذت الترائض ، وأحكمت السن والآداب ، وعرفت التويل كما عرفت التنزيل ، وفهمت الناسخ والنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، والخاص والعام ، وما تحتاج اليه الأمة في دينها مما لا بد لها منه ولا غنى لها عنه ، واني لعلى بينة من ربي .

فرماهم اهل المسجد بالحجارة من فوق المسجد ، فانصرف زيد فيمن معه ، وخرج اليه ناس من اهل الكوفة ، فنزل دار الرزق ، فثام الريان وقتله ، وخرج اهل الشام مساء يوم الأربعاء أسوأ شيء فطنا .

فلما كان من الغد ، أرسل يوسف بن عمر عدة عليهم العباس بن سعد المزني ، فلقبهم

زيد ، فانتابوا قتالا شديدا ، فانهم أصحاب العباس ، وقتل منهم نحو من سبعين . فلما كان العشي ، عى يوسف بن عمر الحوش وصرحهم ، فالتهم زيد بس معه ، وحصل عليهم حتى هزمهم وهو بينهم .

فبعث يوسف طائفة من المشاة ، فرموا اصحاب زيد ، وهو يقاتل حتى دخل الليل ، فرمى بسهم في جبهته اليسرى ثبت في دماغه . فرجع اصحابه ، ولا يظن اهل الشام انهم رجعوا للمساء والليل ، فانزلوا زيدا في دار ، وآتوه بطيب فالتزع الخيل . فشح زيد ومات رحمه الله : فمات خلتا من سفر سنة اثنين وعشرين ومائة . وعمره اثنان وأربعون سنة .

ولما مات اخلف اصحابه في أمره ، فقال بعضهم : نطرحه في الماء ، وقال بعضهم : بل نحر رأسه ونلقه في القتلى ، فقال ابنه يحيى ابن زيد : والله لا يأكل لحم أبى الكلاب ، وقال بعضهم : ندفنه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين ، ونجعل عليه الماء ، ففعلوا ذلك ، وأجروا عليه الماء . وكان معه مولى سندی فدل عليه ، وقتل رآهم فصار فدل عليه .

وتفرق الناس من اصحاب زيد ، وسار ابنه يحيى نحو كربلاء . وتنع يوسف بن عمر الحرجي في الدور حتى دل على زيد في يوم الجمعة ، فأخرجه ، وقطع رأسه وبعث به الى هشام بن عبد الملك ، فدفع لمن وصل به عشرة آلاف درهم ، ونصبه على باب دمشق ، ثم أرسله الى المدينة ، وسار منها الى مصر .

وأما جده فان يوسف بن عمر صلبه بالكناسة ، ومعه ثلاثة ممن كانوا معه ، وأقام الحرم عليه . فمكث زيد مصلوبا أكثر من سنتين حتى مات هشام ، وولى الوليد من بعده ، وبعث الى يوسف بن عمر أن أزل زيدا وأحرقه بالنار ، فأزله وأحرقه ، وذرى رماده في الريح .

وكان زيد لما صلب وهو عريان ، استرخى بطنه على عورته حتى ما يرى من سوءه شيء . ومر زيد مرة بمحمد بن الحنفية ، فنظر اليه وقال : أعينك بالله أن تكون زيد بن علي المصلوب بالعراق .

وقال عبد الله بن حسين بن علي بن الحسين ابن علي : سمعت أبي يقول اللهم ان هشاما رضى بصلب زيد فاسله ملكه ، وان يوسف ابن عمر أحرق زيدا اللهم فسلط عليه من لا يرحمه ، اللهم وأحرق هشاما في حياته ان شئت ، والا فأحرقه بعد موته .

قال : فرأيت والله هشاما محرقا لما أخذ بنو العباس دمشق ، ورأيت يوسف بن عمر بدمشق مقطعا على كل باب من أبواب دمشق منه عضو ، فقلت : يا ابتاه وافقت دعوتك ليلة القدر .

فقال : لا يابنى ، بل صت ثلاثة أيام من شهر رجب ، وثلاثة أيام من شعبان ، وثلاثة أيام من شهر رمضان ... كنت أصوم الأربعاء والخميس والجمعة ، ثم أدعو الله عليهما من صلاة العصر يوم الجمعة حتى صلى المغرب . وبعد قتل زيد ، انتقض ملك بني أمية وتلاشي ، الى أن أزالهم الله تعالى يني العباس .

كان منها في شرق مصر بجوار المساكن يقال
له القراوة الكبرى . وفي القراوة الكبرى
كثرت مدافن أموات المسلمين منذ افتتحت
أرض مصر ، واختلط العرب مدينة القسطنطين ،
ولم يكن لهم مقبرة سواها .

فلما قدم القائد جوهر ، من قبل المعز لدين
الله ، وبني القاهرة ، وسكنها الخلفاء ، اتخذوا
بها مقبرة . عرفت بمقبرة الرعفران ، قبروا
فيها أمواتهم ، ودفن رعيته من مات منهم في
القراوة . إلى أن اختلطت الحارات خارج باب
زويلة ، فحفر مكانها موتهم خارج باب زويلة
مما بين الجامع ، فيما بين جامع الصالح وقلعة
الجليل ، وكثرت المدبر بها عند حدوث الشدة
المملوك أيام الخليفة المستنصر .

ثم لما مات أمير الجيوش بدر الجمالي ، دفن
خارج باب النصر ، فتخذ أساس هناك مقبر
موتهم ، وكثرت مقابر أهل الحسينية في
هذه الجهة . ثم دفن الناس الأموات خارج
القاهرة ، في الموضع الذي عرف بسيدان
القب ، فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر ،
وبواحد من طرف الجبل ، ودفن الناس أيضا
خارج القاهرة فيما بين باب الفتوح
والخدي .

ولكل مقبرة من هذه المقابر أخبار ، سوف
نقص عليك من أخبارها ما انتهت إلى معرفته
قد روي أن شاء الله تعالى .

ويذكر أهل العناية بالأمور المتداخلة أن
الناس في الدهر الأول لم يكونوا يدسون
موتهم . إلى أن كان زمن دوس - الذي

من ١١٠٠ - ١٢٠٠ هـ .

يدعى سد البشر ، لكثرة ما علم الناس من
المنافع - فشكا إليه أهل زمانه ما يتأذون به
من خبث موتاهم ، فأمرهم أن يدفنهم في
خوابي ، وسدوا رؤوسها ، ففعلوا ذلك .
فكان دونائ أول من دفن الموتى .

ودكر أن دونائ هذا كان قبل آدم بدهر
طويل ، مائة عشرون ألف سنة ، وهي دعوى
لا تصح . وفي القرآن الكريم ما يقتضي أن
قائيل بن آدم أول من دفن الموتى ، الله
أسدق القائلين . وقد قال الشاعر رحمه
الله : وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره
مسجدا ، مخافة الفسقة عليه وعلى من بعده .

ذكر القراوة

روى الترمذي من حديث أبي طيبة عبد
الله بن مسلم ، عن عبد الله بن بريدة ، عن
أبيه رفعه : « من مات من أصحابي بأرض ،
بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة » . قال :
وهذا حديث غريب ، وقد روي عن أبي طيبة
عن ابن بريدة مرسل ، وهذا أصح .

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
ابن عبد الحكم في كتاب « فتوح مصر » :
حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن
سعد ، قال : سأل المقوقس عمرو بن العاص
أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار .
فمجب عمرو من ذلك ، وقال : أكتب في ذلك
إلى أمير المؤمنين . فكتب بذلك إلى عمر
رضي الله عنه . فكتب إليه عمر : « سله لم
أعطاك به ما أعطاك ، وهي لا تزدرك ، ولا
يستبط بها ماء ، ولا ينتفع بها ؟ » .

لسأله فقال : أنا لنجد صفتها في الكتب
أن فيها غراس الجنة . فكتب بذلك إلى عمر
رضي الله عنه . فكتب إليه عمر : « أنا لا أعلم
غراس الجنة إلا المؤمنين ، فأقبر فيها من مات
قبلك من المسلمين ، ولا تبعه بشيء » .

فكان أول من دفن فيها رجل من المغافر ،
يقال له عامر ، فقيل عمرت .

فقال المقوقس لعمرو : ما ذلك ، ولا على
هذا عاهدتنا . فقطع لهم الحد الذي بين
المقبرة ويسهم .

وعن ابن لهيعة : أن المقوقس قال لعمرو :
أنا لنجد في كتابنا أن ما بين هذا الجبل
وحيث نزلتم ، ست فيه شجر الجنة . فكتب
بقوله إلى عمر : الخطاب رضي الله عنه .
فقال : صدق ، فأجعلها مقبرة للمسلمين .

فقبر فيها ممن عرف من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر . عمر بن
العاص السهمي ، وعبد الله بن حذافة
السهمي ، وعبد الله بن جزة الزيدى ، وأبو
بصيرة الغفاري ، وعقبة بن عامر الجهني ،
ويقال ومسلمة بن مخلد الأنصاري انتهى .

ويقال أن عامرا هو الذي كان أول من دفن
بالقراوة ، قبره الآن تحت حائط مسجد الفتح
الشرقي ، وقالت فيه امرأة من العرب :

قامت بواكيه على قبره

من لي من بعدك يا عامر

تركنتي في الدار ذا غربة

قد ذل من ليس له ناصر

وروى أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن
يونس في « تاريخ مصر » ، من حديث حرملة
ابن عمران ، قال : حدثني عمير بن أبي مدرك
الخلواني ، عن سفيان بن وهب الخلواني ،
قال : بينا نحن نسير مع عمرو بن العاص في
سفح هذا الجبل ، ومعنا المقوقس ، فقال له
عمرو : يا مقوقس ، ما بال جعلكم هذا أفرع ،
ليس عليه نبات ولا شجر على نحو بلاد
الشام ؟

فقال : لا أدري ، ولكن الله أغنى أهله بهذا
النيل عن ذلك ، ولكنه نجد تحت ما هو خير
من ذلك .

قال : وما هو ؟

قال : ليدفن تحت (أو ليقرن تحت) قوم
يعظمهم الله يوم القيامة لا حساب عليهم .

قال عمرو : اللهم اجعلني منهم .

قال حرملة بن عمران : فرأيت قبر عمرو بن
العاص ، وقبر أبي بصيرة ، وقبر عقبة بن
عامر فيه .

وخرج أبو عيسى الترمذي ، من حديث أبي
طيبة عبد الله بن مسلم ، عن عبد الله بن بريدة ،
عن أبيه رفعه : « من مات من أصحابي بأرض
بعث قائدا لهم ونورا يوم القيامة » .

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة
القضاي : القراوة هم بنو غصن بن سيف بن
وائل بن المغافر ، وفي نسخة بنو غصن .

وقال أبو عمرو الكندي : بنو جحش بن
سيف بن وائل بن الجيزي بن شراحيل * بن

(*) من ١٢٠٠ هـ .

معدن من بصرى ، وولد له ولادته أمه تزار
وحسن التي من ولد من الحارثي .
وهو صاحب القلعة في بصرى ، وهو من
الجمعة ، وولد له ولد له الكندي ، وله
قعدة بنت .

ولد له ولد : والفرقة - شيخ القلعة
محنة ولد له حصة ولد - ولد له ولد
مصر مشيرة ، ممددة ولد من ممددة
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
والسكنية - ممددة إلى القلعة .

ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد

ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد

ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد

الملك الكبري - ولد له ولد - ولد له ولد
الملك الكبري - ولد له ولد - ولد له ولد
الملك الكبري - ولد له ولد - ولد له ولد
الملك الكبري - ولد له ولد - ولد له ولد
الملك الكبري - ولد له ولد - ولد له ولد
الملك الكبري - ولد له ولد - ولد له ولد
الملك الكبري - ولد له ولد - ولد له ولد
الملك الكبري - ولد له ولد - ولد له ولد

ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد

ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد

ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد

ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد

ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد

ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد
ولد له ولد - ولد له ولد - ولد له ولد

وقال شافع بن علي :

تمجبت من أمر القسرافة اذ غدت
على وحشة الموتى لها قلبنا يحبو
فانقيتها ماوى الأجنة كلهم
ومستوطن الأحباب يصبو له القلب

وقال الأديب أبو سعيد محمد بن أحمد
المعدي :

إذا ما ضاق صدرى لم أجد لي
مقر عبادة إلا القسرافة
لئن لم يرحم المولى اجتهادي
وقلة فاصري لم ألق رافه

واعلم أن الناس في القديم انما كانوا
يقرون موتاهم فيما بين مسجد القتح وسفح
المقطم ، واتخذوا التربة الجيلة أيضا فيما
بين مصلى خولان وخط الصافر - التي
موضعها الآن كيمان تراب - وتعرف الآن
بالقسرافة الكبرى .

فلما دفن الملك الكامل محمد بن العادل أبي
بكر بن أيوب ابنه ، في سنة ثمان وستائة ،
بجوار قبر الامام محمد بن ادريس الشافعي ،
وبنى القبة العظيمة على قبر الشافعي ، وأجرى
لها الماء من بركة الحبش بقناطر متصلة منها ...
نقل الناس الأبنية من القسرافة الكبرى إلى ما
حول الشافعي ، وأنشأوا هناك التربة . فمرفت
بالقسرافة الصغرى ، وأخذت عمائرهما في
الزيادة ، وتلاشى أمر تلك . وأما القطعة التي
تلى قلعة الجبل فتجددت بعد البعمائة من
سنى الهجرة .

وكان ما بين قبة الامام الشافعي ، رحمة
الله عليه ، وباب القسرافة ميدانا واحدا تسابق

فيه الأمراء والأجناد ، ويجتمع الناس هناك
للتفرج على السباق ، فتصير الأمراء تسابق
على حدة ، والأجناد تسابق في جهة وهم
منفردون عن الأمراء ، والشرط في السباق
من تربة الأمير يدوا إلى باب القرافة .

ثم استجد أمراء دولة الناصر محمد بن
قلاوون في هذه الجهة التربة . فبنى الأمير
يلغا التركماني ، والأمير مقتر الدمشقي ،
والأمير قوصون وغيرهم من الأمراء . وتبعهم
الجند وسائر الناس ، فبنوا التربة والخوانك
والأسواق والطواحين والحمامات ، حتى
صارت العساة من بركة الحبش إلى باب
القسرافة ، ومن حد ساكن مصر إلى الجبل .

واقسمت الطرق في القسرافة ، وتمددت
بها . الشوارع ، ورغب كثير من الناس في
سكنائها ، معظم القصور التي أنشئت بها ،
وسيت بالتربة ، ولكثرة تعاقد أصحاب
التربة لها ، وتواتر صدقاتهم ومبراتهم لأهل
القسرافة .

وقد صنف الناس فيمن قبر بالقسرافة ،
وأكثرها من التأليف في ذلك ، ولست بصدد
شيء مما صنفوا في ذلك ، وأنا غرضي أن
أذكر ما تشتمل عليه القسرافة .

وفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ظهر
بالقسرافة شيء ، يقال له القطرية ، تنزل من
جبل المقطم ، فاخطقت جماعة من أولاد
سكانها ، حتى رحل أكثرهم خوفا منها .

وكان شخص من أهل كبادرة مصر - يعرف
بحميد القوال - خرج من اطيح على حماره ،
(1) مر 111 ج 1 ، ط 1909 .

جهة مكنون - واسمها ظم لأميرة - أم
أبة لأمير ، التي يقال بها صور ، في
سنة ست وعشرين وخمسة ، على يد
المعروف بابن شيخ أبي تراب .

و « جهة مكنون » هذه كان تحفة لأمير
بأحكام الله كتب صدقه ، وجعل مده منه
أربعة عشر ألف دينار ، وكان بها صندوق
وبر وخير وفضل ، وعندها خوف من الله ،
وكانت تبعث إلى الأشراف بصلوات جريته ،
وترسل إلى أرباب البيوت والصور أموالا
كثيرة .

وذا وهب لأمير لجزائر الشوك والبرش ، في
كل يوم ، مائتي ألف دينار عينا . تكن منها
مائة ألف دينار ... حضر إليها شهاب على
عدته ، فغلقت باب منصوبتها قبل دخوله ،
وقالت له : والله ما تدخل إلى ، أو تهب إلى
مثل ما وهبت لواحد من غلاميك .

فقال : السعة .

ثم استلقى بالفراسين فحضرها ، فقال :
هاتوا مائة ألف دينار السنة .

ولم يزل واقفا إلى أن حضرت عشرة
كبة ، في كل كبة عشرة آلاف دينار ،
ويحمله عشرة من الفراسين . ففتحت له
الباب ، ودخل إليها .

ومكنون هذا هو لأستاذ الذي كان يرسم
خمسها - ويقال له مكنون - على الكوة
وهلوه - وكان فيه خير وبر كبير .

وبجانب مسجد الأندلس هذا رباط من
غريه . بنه جهة مكنون هذه ، في سنة ست
وعشرين وخمسة . يرسم معجزة لأرميل .

فقد كان في سنة أربع وسبع وخمسة ،
في الحجب لقرى المدلى ، برجة الأندلس
وأربابها . بنوا واحدا مضافا ، وجمع
من مسمى الأندلس ركن الرباط بحائط
بينهما ، وعمل ذلك ليعمل العلف حاتم بن
مسلم المسمى بـ « ... » .

ولما مات السلطان غلب الظاهر ركن الدين
ببصرى البندار في دمشق ، في المحرم سنة
ست وسبع وخمسة ، وقام من بعده في
السنة ابنه مات سعيد محمد بركة خان ،
على رأيه نراه بالأندلس هذا . فاجتمع هناك
أقراء وأسماء . وأقيمت لطايف ، وهيئت
الطعام كثيرة ، ووفيت على الروايا ، ومدت
أسننة عظيمة بالحمام التي ضربت حصول
الأندلس . وكان الأس على اختلاف طبقاتهم
وفراغهم خسه شرعة ، وبعد هذا الوقت من
مهاجرت العظيمة الشهيرة بدينار مصر .

وكان ذلك في المحرم سنة سبع وسبعين
وسمائه ، على رأس سنة من موت الملك
الظاهر ، فقل في ذلك الماضي محيي الدين
عبد الله بن عبد الظاهر :

يا أيها الناس اسمعوا
قولا بصدق قد كسى
أن عزرا سلطان في
غرب وشرق ما نسى
أيس ذا مائه
يعمل في الأندلس *

ثم عمل بعد ذلك مجتمع في المدرسة
بمدينة بجوار قبلة الشافعي من القرافة ،
في سنة ١١٦٦ هـ .

ومجتمع بجامع ابن طولون ، ومجتمع بجامع
الظاهر من الحبيبة خارج القاهرة ، ومجتمع
بالمدرسة الظاهرية بين التصرين ، ومجتمع
بالمدرسة الصالحية ، ومجتمع بدار الحديث
الكاملية ، ومجتمع بالخانقاه الصلاحية لسعيد
السعداء ، ومجتمع بالجامع الحاكمي .

وأقيم في كل واحد من هذه المجتمعات
الأطعمة الكثيرة ، وعمل للسكرارة خوان ،
وللفقراء خوان حضره كثير من أهل الخير
والصلاح ، فقبل في ذلك :

فسكرنا لها أوقات بر تقبلت
لقد كان فيها الخير والبر أجمعا
لقد همت النعمى بها كل موطن
سقتها الموادي مربعا ثم مربعا
ولما مضى السلطان لم يفض جوده
وخلف فينا بره متوعا
فتى عيش في معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتما
فدام له منا الدعاء مكررا
مدى دهرنا والله يسمع من دعا

مسجد البقعة

هذا المسجد مجاور لمسجد الفتح من غريه .
بناه الأمير أبو منصور صافى الأفضلى .

مسجد الفتح

هذا المسجد مشهور بجوار قبر الناطق .
بناه شرف الاسلام سيف الامام يانس الرومى
وزير مصر . وسمى بالفتح لأن كان انهما

الروم إلى قصر الشمع ، حين قدم الزير بن
العوام والمقداد بن الأسود فيمن سواها ،
مددا لعمرو بن العاص ، وكان الفتح .

ويقال ان محرابه اللطيف الذي بجانبه
الشرقى قديم ، وان تحت حائطه الشرقى قبر
عامر الذي كان أول من دفن بالقرافة .
ومحراب مسجد الفتح منحرف عن خط سمت
القبلة إلى جهة الجنوب انحرافا كثيرا كما ذكر
عند ذكر محارب مصر من هذا الكتاب ،
واستشهد يومئذ جماعة دفنوا في مجرى
العصا ، فكان يرى على قبورهم في الليل
نور .

مسجد ام عباس جهة العادل بن سلار

هذا المسجد كان بجوار مصلى خولان
بالمقابر غربى المقابر . بنه بلاوة زوج العادل
ابن السلار ، سلطان مصر في خلافة الظاهر ،
سنة سبع وأربعين وخمسة ، على يد
المعروف بالشرف عز الدولة الرضوى بن
القصاص ، وكانت بلاوة مغربية ، وهى أم
الوزير عباس الصنهاجى الباديسى . وقد دثر
هذا المسجد .

مسجد الصالح

هذا المسجد كان بخط جامع القرافة ،
المعروف بجامع الأولياء ، عرف بمسجد بنى
عبيد الله ، وبمسجد القبة ، وبمسجد الغزاه .
والذى بناه الصالح طلائع بن رزيك وزير
مصر ، وكان في أعلاه منظر ، وعمارته متقنة
الزى ، وأدركه عامرا إلى ما بعد سنة
ثمانائة .

مسجد ولي عهد أمير المؤمنين

هو الأمير أبو هاشم العباس بن شبيب بن دود الهدي . أحد الأورب في الأيام الحاكبة كان إلى جانب مسجد الصالح ، وبجانبه تربة . وكان المسجد من حجر ، وبابه محمول على أربع حنايا ، وتحت الحنايا باب المسجد ، وفي شرقه أيضا أربع حنايا .

وكان دار أبي هاشم هذا بمصر دار الأفراح . ومن ولده الشريف الأمير الكبير أبو الحسن علي ابن الأمير عباس بن شبيب بن أبي هاشم المذكور ، ويعرف بالشريف الطويل وبنياش .

مسجد الرحمة

هذا المسجد كان في صدر القرافة الكبرى ، بالقرب من تربة ركن الإسلام محمود ابن أخت الملك الصالح طلائع بن رزيك .

قال الكندي : ومها مسجد القرافة ، وهم بنو محص بن سيف بن وائل بن الجيزي ، قبل القرافة على يمينك إذا أمتت مسجد الأقدام ، مقابله بقية صغيرة ، وله منارة ، يعرف بمسجد الرحمة . وعرف هذا المسجد بأبي تراب . الصواف ، وكيل الجهة التي بنت مسجد الأندلس ورباعه ومسجد رقية ، وأبو تراب هذا تولى بنده ، وكان يقوم بخدمه الشيخ سيم .

وأبو تراب هو الذي أخرج إليه ولد الأمر في فئة من خوص فيها حوائج طيخ من كرات

وبصل وجزر ، وهو مثل في القمط ، في أسفل الفئة والحوائج فوقه ، ووصل به إلى القرافة ، وأرضعته المرضعة بهذا المسجد ، وخفى أمره عن الحافظ حتى كبر وصار يسمى قميفة . فلما حان نفعه ، ثم عليه أبو عبد الله الحسين بن أبي الفضل عبد الله بن الحسين الجوهري الواعظ ، بعدما مات الشيخ أبو تراب ، عند الحافظ . فأخذ الصبي وفعمده فمات ، وخلع على ابن الجوهري ، ثم نفى إلى ديبط ، فمات بها في جمادى سنة ثمان وخشرين وخمسائة .

مسجد مكنون

هو بجانب مسجد الرحمة . بنه الأستاذ مكنون الثاني ، الذي تقدم ذكره في مسجد الأندلس .

مسجد جهة ريحان

هذا المسجد كان في وجه مسجد أبي تراب ، قبالة دار البقر ، من القرافة الكبرى . وجدده أستاذ الجهة الحافظية ، واسمه ريحان في سنة اثنتين وأربعين وخمسائة .

مسجد جهة بيان

هذا المسجد كان في بطحاء مسجد الأقدام بجوار ترب المادرائين . بنته الجهة الحافظية ، المعروفة بجهة بيان الحسامي ، على يد أبي الفضل الصميدى المعروف بابن الموفق .

وحكى الخليفة عن هذه الجهة خبرا عجيبا ... قال القاضي المكين أبو الطاهر

إسماعيل بن سلامة : قال لي أمير المؤمنين الحافظ يوما : يا قاضي أبا الطاهر . قلت : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : أحدثك بحديث عجيب . قلت : نعم .

قال : لما جرى من أبي علي بن الأضل ما جرى ، بينا أنا في الموضع الذي كنت معتلا فيه ، رأيت كأنني قد جلست في مجلس من مجالس القصر أعرفه ، وكان الخلافة قد أعيدت إلى ، وكان المنيات قد دخلن يميني ويفين بين يدي ، وفي جملتهن جارية معها غود (يعني هذه الجارية المذكورة) فأنشأت تنفي قول أبي الغتاهية :

أنت الخلافة متقادة

إليه تجر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له

ولم يك يصلح إلا لها

ولو قالها أحد غيره

لزلت الأرض وزلاها

وكانني قمت إلى خزانة بالمجلس أخذت منها حقنة فيها جوهر فمالت منها منه . ثم استيقظت . فوالله يا قاضي ما كان إلا يومان حتى كسر على الحبس ، لما قتل أبو علي بن الأفضل ، وقيل لي : السلام على أمير المؤمنين .

فلما خرجت ، وأقمت أياما ، جلست في ذلك المجلس الذي رأيته في النوم ، ودخل الجوارى يميني ، ففنت أحدا من - وهي ذات غود - ذلك الصوت بعينه ، ففنت لها : على رسلك حتى نقضى نحن أيضا من حقك ما يجب علينا ، وقمت إلى الخزانة ،

وأخذت الحق الذي فيه الجوهر ، ثم جئت إليها وألبستها : اتقى ذلك ، ففتحه وحشوته جوهرًا ، وقلت لها : إن لك علينا في كل سنة في مثل هذا اليوم مثل ذلك .

مسجد نوبة

هو ابن ميرة الكاشي مفي المستمر . كان في شرقي الأقهوب ، وقبالة تربة تسب إلى الطالة صاحبة أرض الطبالة ، وكلاهما في القرافة الكبرى

مسجد دري

هذا المسجد كان في القرافة الكبرى في رجة الأقهوب . بناء شهاب الدولة دري ، غلام المظفر أخى الأفضل بن أمير الجيوش ، في سنة ثلاث وثلاثين وخمسائة ، وكان أرميا فاسلم ، وصار من المتشددين في مذهب الامامية ، وقرأ الجمل للزجاجي في النحو ، اللع لابن جني .

وكانت له خرائط من القطن الأبيض يلبيها في يديه ورجليه ، وكان يتولى خزائن الكسوات ، ولا يدخل على بسط السلاطين ، ولا على بسط الخليفة الحافظ لدين الله ، ولا يدخل . مجلسه إلا بالخرائط في رجليه ، ولا يأخذ من أحد رقعة إلا في يده خريطة ، يقن أن من لمسه نجسه ، وسوية منه .

فإن اتفق أنه صافح أحدا ، أو أمسك رقعة بيده من غير خريطة ، لا يمس ثوبه ولا يده حتى يغسلها ، فإن لمس ثوبه غسل

الكوب . وكان الأستاذون يثبتون به ، ويرمون في سائر الخليفة الحافظ الحب ، فإذا متى عليه والتجبر ، ووصل مأواه إلى رجليه ، سبهم وحرد ، فيضطك الخليفة ، ولا يؤاخذ .

وصل مرة الوزير رضوان بن ولغش دولة حليتها لك دينار موصمة ، فنخل عليه شهاب الدولة عري الصغير هذا ، وقد أحضرت الدولة المذكورة ، نقل له : يعولاه أحسن من ذلك هذه الدولة ، ووقع على هذه ، فيكون ذلك زكاتها ، لأنه فيه رضا وليه .

وقوله رقة الشرف القاضي ، سنا الملك أحمد الجواني النحوي ، يطلب فيها راتبا لابنه الشرف أبي عبد الله محمد في الشهر ثلاثة دنانير ، فوقع عليها . فلما كان في الليل رأى في نومه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رمى الله عنه ، وهو يقول : جزاك الله خيرا على فعلك اليوم .

مسجد ست غزال

هذا المسجد كان في البرية الكبرى بجوار قرية العسل . به ست غزال في سنة ست وثلاثين وخمسة . وكانت غزال هذه صاحبه دولة الخليفة ، لا تعرف شيئا إلا أحكام الدوى . سبق وسمح الأقدام والدواة ، وكان يرسم ختمها الأستاذ مأمون للدولة الطويل .

مسجد ريس

هو لودية الحيط بيني . كانت تنف يسر بيرة النصر . وكان بجوار صنعة اشعري الطولونة التي يحيى الله بها من

مسجد الكرى ، وكان فيه حوش به عدة بيوت كسائر المساجد .

مسجد عظيم الدولة

هذا المسجد كان معظما بطح سوق القرافة الكبرى . وكان عظيم الدولة هذا صقليا ، صاحب السر وحامل الصفة . وكان بجوار هذا المسجد مسجد المساح ، ومسجد الدولة : ومسجد جهة مراد .

وكان رضي أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج به ، أنه بن اليسر لما نزل فداه منارة الساس الرومية ذات السواحد ، واجتاز بها من تحت سدة المسجد في ليلة الوقود ، تحت شجر رجب سنة ثلاثين وخمسة ، رتبها الدولة ، فامر بتقطع بعضها ، فقبل به . لا تعمل لأن قطع السور محذور ، وقد روى أبو دود في كتب « السنن » له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قطع سدة صوب الله رأسه في النار » ، فسعى في ركوب نصف شعبان ، فلما أسنى ، وصرف في محرم ، وتقى إلى تيس وقتل .

مسجد أبي صادق

هذا المسجد كان غربي مسجد الأقدام . بناه بن سعدون . أبو حسن غني بن محمد البغدادي . بعد سنة عشرين وأربعمائة ، وجمعه أخوه أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن بن سعدون البغدادي سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة .

وهو مسجد أبي صادق مرشد المديني الماسكي محدث . وكان قارئ المصحف

الجامع ومصليا به ، ومصدرا فيه لاقراء . وكان فيه حنة على الحيوانات ، لا سيما على القطط والكلاب ، وكان مشارف الجامع ، وجعل عليه جاريا من الغدد كل يوم لأجل القطط . وكان عند داره ، بزقاق لأفئد من مصر ، كلاب يطعمها ويستقيها ، وربما تبع دابته منها شيء معه في الأسواق .

قال الشريف محمد بن أحمد الجوالي نسبة في كتاب « الخطط على الخطط » : حدثني الشيخ منجب ، غلام أبي صادق ، قال : كان لمولاي الشيخ أبي صادق كلب لا يفارقه أبدا : إذا كان راكبا يمشي خلفه ، فإذا وقفت بعنقه قام تحت يديها ، فإذا رآه الناس قالوا : هذا أبو صادق وكلبه .

وحدثني قال : ولدت كبة في مستوفد حمام ، وكان المؤذن يثني خيف مولاي محرا كل يوم لقراءة المصحف ، وكان مولاي يأخذ في كفه كل يوم رغيفا . فلما حدى موضع الكلية ، قلع طيلسانه . وفتح حيز مكلبه : ويرمى لها بنفسه إلى أن تأكل . ثم يستدعي الوقد ويمطيه قيران . ويقول له : اغسل قنحها وأملأه ماء حلوا ، ويستحلفه على ذلك . فلما كبر أولادها ، صار يأخذ بعد رغيفين إلى أن كبروا وتفرقوا .

وحدثني قال : كان قد جعل كراء حانوت ، يرسم القطاط بالجامع الغنيق ، من الأحباس . وكان يؤتى بالغدد مقطعة ، فيجلس ويقسم عليها ، وإن قطعة كانت تحمل شيئا من ذلك وتنضى به ، وفعلت ذلك مرارا . فقال مولاي

(من ٤٤٦ ج ٢ ، ص ٢٥٠)

للشيخ أبي الحسن بن فرج : انشأ خلف هذه القطعة ، وانظر إلى أين تؤدي ذلك . فنفى ابن فرج فإذا بها تؤديه إلى أولادها ، فعاد إليه وأخبره . فكان بعد ذلك يقطع غلدا صفارا على قدر مبالغ القطط الصفار ، وغلدا كبيرا للكبار ، ويرسل بجزء الصفار اليهم إلى أن كبروا .

مسجد الفراش

هذا المسجد كان بالقرافة الكبرى . بناه أحمد فراش الأفضل بن أمير الجيوش . وبجواره مسجد بناء زيد بن حمام ، ومسجد الاجابة القديم ، وتربة العطار ، ودار البقر ، وقبر لاشيحي ... كل ذلك بالقرب من جامع القرافة .

مسجد تاج الملوك

هذا المسجد قدام دار النعمان وتربته من القرافة الكبرى . بناه تاج الملوك بدران بن أبي الهيجاء الكردي المارداني ، وهو أخو سيف الدين حسين بن أبي الهيجاء ، صهر بني رزيك ، وكان مجتمع أهل مصر عنده في الأعياد والمواسم وليالي الوقود .

مسجد الثمار

هذا المسجد كان ملاصقا للزيادة التي في بحري مسجد الأقدام . وفيه قبور بني الثمار .

مسجد الحجر

هذا المسجد كان بحري مسجد عمار بن يونس مولى المغافر ، وشرقي قصر الزواج من

القرافة الكبرى . بنته مولاة على بن يحيى بن طاهر - المصروف بابن أبي الخارجى الموصلى - فى ربيع الأول سنة ثلاثين وأربعمائة .

مسجد القاضى يونس

هذا المسجد كان غربى مسجد الحجر المذكور . بناه الشيخ عدى الملك بن عثمان ، صاحب دار الضيافة ، ثم صار بيد قاضى القضاة بمصر : الموفق كمال الدين أبى الفضائل يونس بن محمد بن الحسن المعروف بجوامرد - خطيب القدس القرشى . وكان من الأعيان ، ولم يشرب قط من ماء النيل بل من ماء الآبار ، لم يأكل قط للسلطان خبزا ، وكان يروى الحديث عن جده .

مسجد الوزيرية

هذا المسجد كان بالقرافة الكبرى وله منارة بجوار باب رباط الحجازية وكانت الحجازية اعطة زمانا ، وكانت بن الخيرات لها القبول التام ، وتسمى أم الخير ، وكان لها من الصيت كما كان لابن الجوهري ، وكانت على غاية من الكرم وحسن الأخلاق والشيم .

ومن مكارم أخلاقها ، وحسن طباعها وكماسة انطباعها ، ما حكاه الجوائى النسابة فى كتاب « التقط على الخطط » ، قال : حدثنى الشيخ أبو الحسن بن السراج ، المؤذن بالجامع بمصر ، قال : كان قدام الباب الأول من

أبواب جامع مصر يباع رطب يقعد على الأرض وبين يديه أقباس رطب من أحسن الأرباط .

فينا الحجازية الواقعة هذه ذات يوم قد قاربت الخروج من باب الجامع ، وهى فى حفتها وجوارها ، وإذا ذلك الرطب ينادى على قفص رطب قدامه ، معاشر الناس ، اشترؤا الطيبة الحجازية على أربعة ، على أربعة . يريد على أربعة أرباط رطب بدرهم .

فلما سمعته الحجازية ، قفت قبل أن تخرج من باب الجامع ، وانفثت إليه بعض الجوارى فصاحت به : فلما أنها قالت له : يا أخى ، قولك « الحجازية على أربعة » مشكل ، لا ترجع تنادى كذا ، وهذا رباعى هدية منى لك ربيع هذا القفص ، ولا تناد كذا . فأخذه وقبل يدها ، وقال : السمع والطاعة .

مسجد ابن العكر

هذا المسجد غربى مسجد أبى صادق ، بحضرة مسجد الأقدام قبالة قصر الكتفى ، ويحذاء مسجد الرانج . بناه القاضى العادل ابن العكر .

مسجد ابن كباس

هذا المسجد كان مجاورا للقنطرة الألفيجية ، على يسار من أم طريق الجامع . بناه القاضى ابن كباس .

(١٥٠ ص) ، ج ٢ ، ط ١ ، بولاق

مسجد الشهية

هذا المسجد كان شرقى مسجد الأقدام ، وغربى قناطر ابن طولون ، مجاورا لتربة القاضى بن قابوس . كان يعرف بمسجد الفقاعة من الكلاع ، ويعرف أيضا بمسجد شادن الفضلى ، غلام الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات .

مسجد زنكادة

هذا المسجد كان غربى مسجد عمار بن يونس . بناه زنكادة المخنث ، بعدما ناب ، فى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة .

جامع القرافة

هذا الجامع يعرف اليوم بجامع الأولياء وهو مسجد بنى عبد الله بن مانع بن مزروع ، ويعرف بمسجد القبة ، وقد ذكر عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب .

مسجد الألفيجى

هذا المسجد كان فى البطحاء ، بحرئى مجرى جامع القيلة الى الشرق ، مخالطا لخطط الكلاع ورعين والأكنوع والأكحول . ويقال له مسجد رحاطة بن سعد الألفيجى ، من أهل أطفح ، شيخ له سمت ، كتب الحديث فى سنة ثمان وخمسين أربعمائة . قبلها ، وسمع من الجباك ، وهو فى طبقته ، وهو رفيق الفراء ، وابن مشرف ، وابن الحظية ، وأبى صادق ، وسلك طريق أهل القضاة والزهد والعزلة كأبى العباس ابن الحظية .

وكان الأفضل الكبير شاهنشاه ، صاحب مصر ، قد لزمه ، واتخذ السعى إليه مفترضا ، والحديث معه شهوة وغرضا لا ينقطع عنه . وكان فكه الحديث ، قد وقف من أخبار الناس والدول على القديم والحديث ، وقصده الناس لأجل حلول السلطان عنده لقضاء حوائجهم ، فقضاها صار مسجده مؤثلا للحاضر والبادى ، رصدي لاجابة صوت النادى .

وشكا الشيخ الى الأفضل تعذر الماء ووصوله إليه ، فأمر ببناء القناطر ، التى كانت فى عرض القرافة ، من المجرى الكبيرة الطولونية . فبنت الى المسجد الذى به الألفيجى ، ومضى عليها من النفقة خمسة آلاف دينار ، وعمل الألفيجى صهرج ماء شرقى المسجد عظيما محكم الصنعة ، وحاميا وبساتنا كان به نخلة سقطت بعد سنة خمسين وخمسمائة .

وعمل الأفضل له مقعدا يحذاء المسجد الى الشرق ، علو زيادة فى المسجد شرقيه ، وقاعة صغيرة مرخمة . اذا جاء عنده جلس فيها ، وخلا بنفسه ، واجتمع معه وحادثه . وكان هذا المقعد على هيئة المنطرة بغير ستائر ، كل من قصد الألفيجى من الكتفى يراه .

وكان الأفضل لا يأخذه عنه القرار . يخرج فى أكثر الأوقات من دار الملك - باكرا أو ظهرا أو عصرا - بغتة ، فيترجل ، ويدق الباب وقارا للشيخ - كما كان الصحابة رضى الله عنهم يقرعون أبواب النبى صلى الله عليه وسلم - بظفر الإبهام والمسبحة ، كما يحصب بهما الحاصب .

فان كان الشيخ يصلى ، لا زال اقفا حتى يخرج من الصلاة ويقول من ؟ فيقول : ولدك شاهنشاه ، فيقول نعم ثم يفتح فيصافحه الأفضل ، ويمس يده التي لمس بها يد الشيخ على وجهه ، ويدخل . فيقول الشيخ : نصر لك الله ، أبداك الله ، سددك الله ، هذه الدعوات الثلاث لا غير أبدا . فيقول الأفضل . آمين .

وبنى له الأفضل المصلى ذات المحارب الثلاثة ، شرقي المسجد الى القبلى قليلا ، ويعرف بمصلى الاطفيحي كان يصلى فيه على جناز مولى القرافة

وكان سبب اختصاص الأفضل بهذا الشيخ انه لما كان محاصرا لزار بن المستمر بالاسكندرية ، ناصر الدولة أفتكين الأرمنى ، أحد مماليك أمير الجيوش بدر ، وكانت أم الأفضل اذ ذاك - وهي حوز لها سميت ووقار - تطوف كل يوم وفي الجمعة الجوامع ، المساجد ، الرباطات ، الأسواق ، وتستنص الأخبار ، وتعلم غيب . لدها الأفضل من مبعظه .

وكان الاطفيحي قد سمع بخبرها فجاءت يوم * الجمعة الى مسجده ، وقالت له : يا سيدي ولدي في المسكر مع الأفضل ، الله يأخذ لي الحق منه ، فاني خائفة على ولدي ، فادع الله لي أن يسلمه .

فقال لها الشيخ : يا أمه الله ، أما تتحين تلمين على سلطان الله في أرضه ، المحاهد عن دينه ؟ الله تعالى ينصره ويثقله ويسلمه ويسلم

(١٨) ص ١٠١ ج ١ ط ١ برلان .

ولذلك ، ما هو ان شاء الله الا منصور مؤيد مظفر كائنك به وقد فتح الاسكندرية ، وأسر أعداءه ، وأتى على أحسن قضية وأجمل طوية ، فلا تشغل لك سرا ، فما يكون الا خيرا ان شاء الله تعالى .

ثم انها اجتازت بعد ذلك بالقار الصيرفى بالقاهرة بالسراجين ، وهو والد الأمير عبد الكريم الأمرى صاحب السيف ، وكان عبد الكريم قد ولي مصر بعد ذلك في الأيام الحافضة ، وكان عبد الكريم هذا له في أيام الأمر رجاعة عظيمة رصولة ثم افتقر .

فوقعت أم الأفضل على الصيرفى تصرف ديارا ، وتسمع ما يقول لانه كان اسماعيليا متغاليا ، فقالت له : ولدي مع الأفضل ، وما أدري ما خبره ؟

فقال لها القار المذكور : لعن الله المذكور الأرمنى الكلب ، العبد السوء ابن العبد السوء ، مضى بقاتل مولا ، ومولى الحلق . كائنك والله ياعجوز برأسه جائزا من هاهنا على رمح ، قدام مولا زار ومولاي ناصر الدولة ، ان شاء الله تعالى ، والله يطفى بولدك ، من قال لك تخليه مضى مع هذا الكلب المافق ؟ وهو لا يعرف مرهى .

ثم وقعت على ابن بامان الحلبي - وكان يزوا يسوق القاهرة - فقالت له مثل ما قالت للقار الصيرفى وقال لها مثل ما قال لها .

فلما أخذ الأفضل لزارا وناصر الدولة ، وفتح الاسكندرية حدثته والدته الحديث ، وقالت : ان كان لك أب بعد أمير الجيوش ، فهذا الشيخ الاطفيحي . فلما خلع عليه

المستعلى بالقصر ، وعاد الى دار الملك بمصر ، اجتاز بالبازين يوسا ، فلما نظر الى ابن بامان الحلبي ، قال : انزلوا بهذا فزلوا به ، فقال : رأسه ، فضربت عنقه تحت دكانه . ثم قال لعبد على أحد مقدمى ركابه : قف ههنا لا يضح له شيء الى أن يأتى أهله ، فيسلموا فمات .

ثم وصل الى دكان القار الصيرفى ، فقال : انزلوا بهذا ، فزلوا به ، فقال : رأسه ، فضربت عنقه تحت دكانه . وقال لمرسف الأصغر ، أحد مقدمى الركاب . احلن على حانوته الى أن يأتى أهله ويسلموا موجوده ، وإياك رماله وصدوقه ، وان صاع منه درهم ضربت عنقك مكانه ، كان لنا خصم أخذناه ، وقد فعلنا به ما يردع غيره عن فعله ، وما لنا ماله ولا فقر أهله

ثم أتى الأفضل الى الشيخ أبى طاهر الاطفيحي ، وقربه وخصمه ، الى أن كان من أمره ما شرعناه

مسجد الزيات

هذا المسجد مجاور بيت الحواص غريه ، ومسجد ابن أبى الرداد يصرف بمسجد الأنطاكي ، ومسجد الفاخورى يعرف بمسجد البطحاء ، ومسجد ابن أبى الصغير ، قبلى مسجد بنى مانع ، وهو جامع القرافة . ومسجد الشريفة بنى فى سنة احدى وخمسةائة ، ومسجد ابن أبى كامل الطرابلسى كان بحارة القرن ، بناء الأعز بن أبى كامل . والمبند الذى كان على رأس العقبة التى

يتوصل منها الى الرصد ، بناه أبو محمد عبد الله الطماخ ، ويقال انه كان بالقرافة الكبرى اثنا عشر ألف مسجد .

« القصر المعروف بباب ليون بالشرف » : هذا القصر كان على طرف الجبل ، بالشرف الذى يعرف اليوم ١٠٠٠٠٠ وجاء القتح وهو مبنى بالحجارة ، ثم صار فى موضعه مسجد عرف بمسجد المقس .

والمقس ضيعة كانت تعرف بأم دين ، سميت المقس لأن العاشر كان يقعد بها وصاحب المكس ، فقلب فقيل « المقس » ، وليون اسم بلد بمصر ، بلعة السودان والروم . وقد ذكر المقس عند ذكر ظواهر القاهرة من هذا الكتاب ، والله تعالى أعلم

ذكر الجواسق التى بالقرافة

قال ابن سيده : الجوسق الحصن ، وقيل : هو شبيه بالحصن ... معرب .

وقال الشريف محمد بن أسعد الجوالى النسابة فى « كتاب النقط على الخطط » : الجواسق بالقرافة والجبانة كانت تسمى القصور ، وكان بالقرافة قصر الكتفى ، وقصر بنى كعب ، وقصر بنى عقبة ، وقصر أبى قبيل ، وقصر العزيز ، وقصر البغدادى ، وقصر يشب ، وقصر ابن كرامة .

« جوسق بنى عبد الحكم » : كان جوسقا كبيرا له حوش ، وكان فى وسط القرافة ، بحضرة مسجد بنى سريع ، الذى يقال له

(١١) هذا بياس بالاصل .

الجامع المتيق ، وهو أحد الجواسق الثلاثة ، وهو جوسق عبد الله بن عبد الحكم الفقيه الإمام ، ويولد هذا الجوسق ابن اللهب المغربي .

« جوسق بنى غالب ، ويعرف ببنى بإشاد » : كان بالمغافر ، بنى فى سنة ثلاث وخسين وأربعمائة ، وإلى جانبه قبر الشيخ أبى الحسن طاهر بن بإشاد .

« جوسق ابن مير » : كان بجوار جوسق بنى غالب . بناء أبو عبد الله محمد ابن القاضى أبى الفرج هبة الله .

وكان أبو الفرج هو الخطيب بجامع مصر ويوم القدير ، وهو شافعى المذهب ، وهو هبة الله بن هبة الله بن المير ، وذلك فى جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وخمسمائة .

« وأبو عبد الله هذا هو الذى كان بعد ذلك قاضى القضاة بمصر ، وهو الذى حبس القياس التى كانت فى القشاشين بمصر ، وكان يحمل قدامه المنارة الرومية النحاس ذات السواعد التى عليها الشمع لىالى الوقودات .

وكان فيه كرم . سمع بأن المادرائى عمل فى أيامه الكمك الصغير ، المحشو بالسكر — المسمى « افطن له » — فأمر هو بعمل لب القسق الملبس بالسكر الأبيض الفانيذ المطيب بالمسك ، وعمل منه فى أول الحال شيئاً عوض له لب ذهب فى صحن واحد ، قضى فيه جملة ، وخطف قدامه ، تخاطفه الحاضرون ، ولم يمد لعله بل القسق الملبس ، وهو أول من أخرجه بمصر .

(٥١٠) مصر ١٥١٠ ج ١ ، ط ١٥١٠

وكان قد سمع فى سيرة أبى بكر المادرائى أنه عمل هذا الافطن له ، وجعل فى كل واحد خمسة دنائير ، ووقف أستاذ على السباط ، فقال لأحد الجلساء : « افطن له » ، وكان على السباط عدة صحون من ذلك الخس ، لكن ما فيها ما فيه دنائير الا صحن واحد . فلما رمز الأستاذ لأحد الجلساء على سباط المادرائى بقوله « افطن له » — وأشار إلى الصحن — تناول الرجل منه ، فأصاب ذلك فاعتمد له ، فحصل له جملة . ورواه الناس وهو اذا اكل يخرج شيئاً من فمه ويجمع بيده ، ويحط فى حجره ، فتنهوا وتزاحوا عليه ، فقليل لذلك الممول من ذلك الوقت : « افطن له » .

وقتل هذا القاضى فى تيس ، فى أيام بهرام الوزير النصرانى الأرمنى ، سنة ست وعشرين وخمسمائة .

« جوسق ابن مقشر » : كان جوسقا طويلا ذا تربة الى جانبه .

« جوسق الشيخ أبى محمد » عامل ديوان الأشراف الطالبين . وجوسق ابن عبد المحسن بخط الأكلحول . وجوسق البعدادى الجرجائى — كان قبره الى جانبه — خرب فى سنة عشرين وخمسمائة . وجوسق الشريف أبى اسماعيل ابراهيم بن نسيب الدولة الكلتمى الموسوى تقي مصر .

« جوسق المادرائى » : هذا الجوسق لم يبق من جواسق القرافة غيره . وهو جوسق كبير جدا على هيئة الكعبة ، بالقرب من مصلى خولاق فى بحريه ، على جانبيه الممر من مقطع الحجارة . بناء أبو بكر محمد بن على المادرائى فى وسط قبورهم من الجيابة .

وكان الناس يجتمعون عند هذا الجوسق فى الأعياد ، ويوقد جميعه فى ليلة السبت من شعبان كل سنة رفودا عطيا ، يرتحل القراء حوله لقراءة القرآن ، فيمر للناس هالك أوقات ، فى تلك الليلة وفى الأعياد ، بديعة حسنة .

« جوسق حب الورقة » : كان هذا الجوسق بحضرة تربة ابن طباطبا . أدركه عامرا ، وقد خرب فيما خربه السفهاء من تربة القرافة وجواسقها ، رعا منهم أن فيها خبا .

وكان أكابر أمراء المغافر ، من بعدهم رمن يجرى محرامهم ، لكل منهم جوسق بالقرافة يتنزه فيه ، ويعبد الله تعالى هناك . وكان من هذه الجواسق ما تحسه حوض ماء لشرب الدواب وفسقية ربستان .

وكان بالقرافة عدة قصور رهي التى تسمى بالجواسق ، لها مناظر وبساتين ، الا أن الجواسق أكثرها بغير بساتين ولا بئر ، بل مناظر مرتفعة ، ويقال لها كلها قصور .

« قصر القرافة » : بنته السيدة تفرید ، أم العزيز بالله ، فى سنة ست وستين وثلاثمائة ، على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسى المحتسب ، هو الحمام الذى كان فى غريه ، وبنت البئر والبستان المعروف بالتراح ، المعروف بحصن أبى المعلوم ، وشت جامع القرافة .

ثم جدده الأمر بأحكام الله ، وبيضه فى سنة عشرين وخمسمائة ، وعمل شرقى بابيه مصطبة للصوفية ، وكان مقدمهم الشيخ أبو اسحاق ابراهيم ، المعروف بالمادح ، وكان

الآمر يجلس فى الطاق بالنظر الذى بناء بأعلى القصر ، يرقص أهل الطرقة قدامه .

وقد ذكر هذا القصر عند ذكر مناظر الخلفاء من هذا الكتاب . ولم يزل هذا القصر الى ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة .

ذكر الرباطات التى كانت بالقرافة *

كان بالقرافة الكبيرة عدة دور ، يقال للدار منها رباط ، على هيئة ما كانت عليه بيوت أزواج النى صلى الله عليه وسلم ، يكون فيها المعجزة والأرامل العابدات ، وكانت لها الجرايات والفتوحات ، وكان لها المقامات المشهورة من مجالس الوعظ .

« رباط بنت الخواص » : كان تجاه مسجد بيد الفقيه مجلى بن جسيق بن نجا الشافعى ، مؤلف كتاب « الذخائر » ، قاضى القضاة بمصر .

« رباط الأشراف » : كان برجبة جامع القرافة ... يعرف بالقراء ، وبينى عبد الله ، وبمسجد القبة ، وهو شرقى بستان ابن نصر . بناء أبو بكر محمد بن على المادرائى ، ووقته على نساء الأشراف .

« رباط الأندلس » : بنته الجهة المعروفة بجهة مكنون الأمرية كما تقدم .

« رباط ابن العسكارى » : كان بحضرة مسجد بنى سريع ، المعروف بالجامع المتيق .

« رباط الحجازية » : بنته ، وجبته على الحجازية ، فوز جارية على بن أحمد الجرجائى الوزير ، هو والمسجد الذى تقدم ذكره .

(٥١٠) مصر ١٥١٠ ج ١ ، ط ١٥١٠

« رباط رماض » : كان بجوار مسجد
الحاجة رماض .

ذكر المصليات والحارب التي بالقرافة

وكان في القرافة عدة مصليات وعدة
محارب ، منها :

« مصلى الشرفة » : كان بدرب القرافة
بحدرة الجباين وخطة الصدف . بنى أبو
محمد عبد الله بن الأرسوفى الثامى التاجر
منه سبع وسبعين وخمسمائة .

« مصلى المغافر » : وهو الأندلس . جده
ابن يرك الاخشيدى ، ثم بنى جهة مكون
الأميرة في سنة ست وعشرين وخمسمائة .

« مصلى عقبة القرافة » يعرف بمصلى
الأندلسى : كان ذا مصطبة مربعة على بركة
الطالع الى القرافة . بنى يوسف بن أحمد
الأندلسى الأنصارى في شهر رمضان سنة
خمس عشرة وخمسمائة .

« مصلى القرافة » : جده الفقيه ابن
الصباغ المالكي في سنة عشرين وخمسمائة ،
وكان بحضرة مسجد أبي تراب تجاه دار
التبر .

« مصلى القتح » : كان ملاصقا لمسجد
الفتح . بنى أبو محمد القلى المغربى المنجم
الحافلى .

« مصلى جهة العادل » : أبى الحسن بن
السلار وزير مصر .

« مصلى الاطيقى » : بجوار مسجد
الاطيقى الذى تقدم ذكره .

« مصلى الجرجاني » : بنى الوزير على بن
أحمد الجرجاني وكانت بالقرافة الكبرى
والجباية عدة محارب خربت كلها .

« مصلى خولان » : هذه المصلى عرفت
بطائفة من العرب الذين شهدوا فتح مصر ،
يقال لهم خولان ، وهم من قبائل اليمن ،
واسمه نكل بن عمرو بن مالك بن زيد بن
عرب . وفي هذه المصلى مشهد الأعياد ،
ويؤم الناس ويخطب لهم بها في يوم العيد ،
خطيب جامع عمرو بن العاص . وليست هذه
المصلى هي التي أنشأها المسلمون عند فتح
أرض مصر ، وإنما كانت مصلى العيد في أول
الاسلام غير هذه .

قال القضاى : مصلى العيد كان مصلى
عمرو بن العاص مقابل الحمام ، وهو الجبل
المطل على القاهرة ، فلما ولى عبد الله بن
سعد بن أبى سرح مصر ، أمر بتحويله ،
فحول الى موضعه ، المعروف اليوم بالمصلى
القديم ، عند درب السباع ، ثم زاد فيه عبد
الله بن طاهر سنة عشر ومائتين ، ثم بنى أحمد
ابن طولون في سنة ست وخمسين ومائتين ،
واسمه باق عليه الى اليوم .

قال الكندى : ولما قدم شفى الأصبحى الى
مصر ، وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بحداء
ساقية أبى عون عند العسكر ، قال : ما لهم
وضعوا مصلاهم في الجبل الملعون ، وتركوا
الجبل المقدس (يعنى المقطم) ؟

قال : فقدموا مصلاهم الى * موضعه الذى
هو به اليوم (يعنى المصلى القديم المذكور) .

(*) مره ١٠٠٠ ، ط ١٠٠٠٠

وقال الكندى : ثم شاق المصلى بالناس في
أهرة غنبة بن اسحاق الفسى على مصر ، في
أيام التوكل على الله ، فأمر غنبة بابتناء
المصلى الجديد . فابتدى ببنائه في العشر
الآخر من شهر رمضان سنة أربعين ومائتين ،
وصلى فيه يوم النحر من هذه السنة .

وغنبة هو آخر عربى ولى مصر ، وآخر
أمير صلى بالناس في المسجد ، وهو لمصلى
الذى بالصحراء عند الجارودى . ثم جده
الحاكم ، وزاد فيه ، فجعل له قبة وذلك في
سنة ثلاث وأربعمائة .

وكان أمراء مصر اذا خرجوا الى صلاة
العيد بالمصلى ، أوقفوا جيشا في سفح الجبل
— مما يلي بركة الحبش — ليراعى الناس
حتى ينصرفوا من الصلاة ، خوفا من البجة .
فأنهم قدموا غير مرة ، ركبا على النجب ،
حتى كبسوا الناس في مصلاهم ، وقتلوا
ونهبوا ، ثم رجعوا من حيث أتوا .

فخرج عبد الحميد بن عبد الله بن عبد
العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، غضبا
لله وللمسلمين مما أصابهم من البجة ، فكمن
لهم بالصعيد في طريقهم ، حتى أقبلوا ،
كمادتهم في أخذ الناس في مصلى العيد ،
فكبسهم ، وقتل الأعور رئيسهم . بعدما
أقبلوا الى المصلى في العيد في سنة ست
وخمسين ومائتين — وأمير مصر أحمد بن
طولون — على النجب ، وكبسوا الناس في
مصلاهم ، وقتلوا ونهبوا منهم ، وعادوا
سالمين .

ثم دخل العمري الى بلاد البجة غازيا ، فقتل
منهم مقتلة عظيمة ، وضايقتهم في بلادهم الى
أن أعطوه الجزية — ولم يكونوا أعطوا أحدا
قبله الجزية — وسار في المسلمين وأهل الذمة
ميرة حنة ، وسالم النوبة . . الى أن بدأ
النوبة بالقدر في الموضع المعروف بالمريس .
فقال عليهم وحاربهم ، وخرب ديارهم ، وسبى
منهم عالما كبيرا ، حتى كان الرجل من أصحابه
يتساع الحاجة من الزيات والبقال بنوى أو
نوية لكثرتهم معهم .

فجاءوا الى أحمد بن طولون ، وشكوا له
من العمري . فبعث اليه جيشا ليحاربه ، فوقع
بالجيش وهزمهم ، وكانت لهم أنباء وقصص .
الى أن قتله غلامان من أصحابه ، وأحضرا
رأسه الى أحمد بن طولون ، فأنكر فعلهما ،
وضرب أعناقهما ، وغسل الرأس ودفنه .

ذكر المساجد والمعابد التي بالجبل والصحراء

وكان بجبل المقطم وبالصحراء — التي
تعرف اليوم بالقرافة الصغرى — عدة مساجد
وعدة مغابر ينقطع العباد بها ، منها ما قد
دثر ، ومنه شئ قد بقى أثره .

« مسجد التنور » : هذا المسجد في أعلى
جبل المقطم من وراء قلعة الجبل في شرقها ،
أدركه عامرا ، وفيه من يقيم به .

قال القضاى : المسجد المعروف بالتنور
بالجبل ، هو موضع تنور فرعون . كان يوقد
له عليه ، فاذا رأوا النار علموا بركوبه ،
فاتخذوا له ما يريد ، وكذلك اذا ركب منصرفا
من عين شمس ، ثم بنى أحمد بن طولون

مسجداً في صفر سنة تسع وخمسين ومائتين .
ووجدت في كتاب قديم أن يهودا بن يثوب ،
أخا يوسف عليه السلام ، لما دخل مع أخوته
على يوسف ، وجرى من أمر اصصواع ما
جرى ، تأخر عن أخوته ، وأقام في فروة
الجبل المقطم في هذا المكان ، وكان مقابلاً
لتور فرعون الذي كان يوقد له فيه النار .

ثم خلا ذلك الموضع إلى زمن أحمد بن
طولون ، فأخبر بفضل الموضع ، وبمقام هو .
فيه . فابتنى فيه هذا المسجد المنارة التي
فيه ، وجعل فيه صهريجاً فيه الماء ، وجعل
الاتفاق عليه ما وقته على اليمامستان بمصر
والعين التي بالمعاقرة رضى ذلك .

ويقال أن تسور فرعون لم يزل في هذا
الموضع بحاله . إلى أن خرج إليه قائد من
قواد أحمد بن طولون ، يقال له وصف
قاسم ، فهدمه وحفر تحته ، وأخذ أن تحته
مالاً ، فلم يجد فيه شيئاً ، وزال رسم التسور
وذهب .

وأنتد أبو عمرو السكندى في كتاب
« أمراء مصر » من آيات سعيد القاص :

وتور فرعون الذي فوق قلة
على جبل عال على شاطئ بحر .
بنى مسجداً فيه رواق مثناه
ريهدى به في الليل أن ضل . يبرى
خال سنا قنبله وضام
سهيلاً إذا ما لاج في الماء لتفر

« القرقوبى » : قال القضاعى : المسجد
المعروف بالقرقوبى هو على قرنة الجبل المطل
على كهف السودان . بناء أبو الحسن القرقوبى

الشاهد ، وكيل التجار بمصر ، في سنة خمس
عشرة وأربعمائة . وكان في موضعه محراب
حجارة يعرف بمحراب ابن القضاى ، الرجل
الصالح ، وهو على بناء المحراب .

« مسجد أمير الأمراء » : وفق المستنصرى :
على قرنة الجبل البحرية ، المطلة على وادى
مسجد موسى عليه السلام .

« كهف السودان » : مقام في الجبل لا
يعلم من أحده ، ويقال أن قوماً من السودان
تقروا قنبل اليهم ، كان صغيراً مظلماً ،
فبناء الأحلب الأندلسى القساز ، وزاد في
منه مواضع تقرأ ، رضى علوه ، ويقال أنه
أثقف فيه أكثر من ألف دينار ، ووسع المجاز
الذى يملك منه إليه ، وعمل الدرج النقر
التي يصعد عليها إليه ، وبدأ في بنيانه مستهل
سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ، وفرغ منه
في شعبان من هذه السنة .

« العارض » : هذا المكان مغارة في الجبل
عرفت بابن بكر محمد جد مسلم القارى لأنه
تقرأ ، ثم عسرت بأمر الحاكم بأمر الله ،
وأثبت فيها مارة هي باقية إلى اليوم .
وتحت العارض قبر الشيخ العارف عمر بن
العارض رحمه الله ، وقته در القائل :

جز بالقرافة تحت ذيل العارض
وقل السلام عليك يا ابن الفارض

وقد ذكر القضاعى أربع عشرة مغارة في
الجبل ، منها ما هو باق ، وليس في ذكرها
وإحدى .

« اللؤلؤة » : هذا المكان مسجد في سفح
الجبل باق إلى يومنا هذا . كان مسجداً

(٣٥٥) سنة ١٠٥٥ هـ ، طبعه بولاق .

خراباً ، فبناء الحاكم بأمر الله ، وسماه
اللؤلؤة . قيل كان ساوياً في سنة ست
وأربعمائة ، وهو بناء حسن .

« مسجد الهرقاء » : فسما بين اللؤلؤة
ومسجد محمود ، وهو مسجد قدم بترك
بالصلاة فيه ، وقد ذكر مسجد محمد عبد
ذكر الجوامع من هذا الكتاب لأنه تقام فيه
لجنة .

« دكة القضاة » : قل القضاى : هي دكة
مرتفعة عن المساجد في الجبل . كان القضاة
بمصر يخرجون إليها لظن الأهل كل سنة ، ثم
بنى عليها مسجد .

« مسجد فائق » : مولى خمارويه بن أحمد
ابن طولون : كان في سفح الجبل ما يلي
طريق مسجد موسى عليه السلام .

« مسجد موسى » : بناء الوزير أبو الفضل
جعفر بن الفضل بن القرات .

« مسجد زهرون بالصحراء » : هو مسجد
أبى محمد الحسن بن عمر الخولاني ، ثم عرف
بابن المبيض . وكان زهرون قومه ، فنسب
إليه .

« مسجد الفقاعى » : هو أبو الحسن على
ابن الحسن بن عبد الله ، كان أبوه فقاعياً
بمصر ، وهو مسجد كبير ، بناء كافور
الآخشيدي ، ثم جدد وزاد فيه مسعود بن
محمد صاحب الوزير أبى القاسم على بن
أحمد الجرجراى .

وكان في وسط هذا المسجد محراب مبنى
بطوب . يقال أنه من بناء حاطب بن أبى بلتعة

رسولاً رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
المقوقس ، ويقال أنه أول محراب اختط في
مصر ، وكان أبو الحسن التميمى قد زاد فيه
بناء قبل ذلك .

« مسجد الكنز » : هذا المسجد كان شرقي
الخنديق ، وبحرى قبر ذى النون المصرى .
وكان مسجداً صغيراً يعرف بالزمام ، ومات
قبل تمامه ، فهدمه أبو طاهر محمد بن عمرو
القرشى القرقوبى ، ووسعه وبناء .

وحكى أنه لما هدمه رأى قائلاً يقول في
الناسم : على أذرع من هذا المسجد كنز .
فاستيقظ وقال : هذا من الشيطان ، فرأى
هذا القائل ثلاث مرات . فلما أصبح أمر بحفر
الموضع فإذا فيه قبر ، وظهر له لوح كبير تحته
ميت في لحد ، كأعظم ما يكون من الناس
جثة ورأساً ، وأكفاته طرية ثم ييل منها إلا ما
يلى جمجمة الرأس ، فانه رأى شعر رأسه
قد خرج من الكفن ، وإذا له جمة . فراحه ما
رأى ، وقال : هذا هو الكنز بلا شك ، وأمر
بإعادة اللوح والتراب كما كان ، وأخرج القبر
عن سائر الحيطان ، وأبرزه للناس ، فصار
يزار ويترك به .

« مسجد في غربى الخندق » : أنشأه أبو
الحسن بن التجار الزيات في سنة إحدى
وأربعين وأربعمائة .

« مسجد لؤلؤ الحاجب » : بالقرافة
الصفرى : بنى بجانبه مقبرة ، وحفر عندها
بئراً حتى انتهى الحفار إلى قرب الماء ، فقال
الحفار : انى أجد في البئر شيئاً كأنه حجر .

فقال له لؤلؤ : ثيب في قلعه . فلما قلعه
فار الماء وأخرجته ، وإذا هو . اسطام مركب ،
وهو الخشبة التي بنى عليها السينة .

وهذا يصدق ما قاله أرسطاطاليس في
كتاب « الآثار الملوية » قال . أن أهل مصر
يسكنون قيسا انصرعه البحر الأحمر
(يعني بحر الشام) .

وقد ذكر خبر لؤلؤ هذا عند ذكر حمام
لؤلؤ . .

« مقام المؤمن » : قيل انه مؤمن آل فرعون
لأنه أقام فيه . وهذا بعيد من الصحة .

« قناطر ابن طولون وبئر » : هذه القناطر
قائمة الى اليوم من بئر أحمد بن طولون
التي عند بركة الجيش ، وتعرف هذه البئر
عندنا بئر عصفه ، ولا تزال هذه القناطر الى
اتناء القرافة الكبرى ، ومن هناك خفيت
لتملها ، وهي من أعظم المباني .

قال القاضي « قناطر أحمد بن طولون
وبئر بظاهر المغافر » : كان السبب في بناء
هذه القناطر أن أحمد بن طولون ركب فمر
بمسجد الأقدام وحده ، وتقدم عسكره وقد
كده العطش ، وكان في المسجد خياط ،
فقال : يا خياط ، أعندك ماء ؟

قال : نعم . فأخرج له كوزا فيه ماء وقال :
اشرب ولا تمد (يعني لا تشرب كثيرا) .

فتبسم أحمد بن طولون ، وشرب فمد فيه
حتى شرب أكثره ، ثم ناوله إياه ، وقال :
يا فتى سقيتنا وقلت لا تمد !

(٥٦٠) ج ١ ط - بولاق .

فقال : نعم ، أعزك الله ، موضعنا ههنا
منقطع ، وأما أخيط جعتي حتى أجمع ثمن
راوية .

فقال له : والماء عندكم هاهنا معوز ؟

فقال : نعم .

فبقي أحمد بن طولون . فلما حصل في
داره قال : جيئولي بخياط في مسجد الأقدام ،
فما كان بأسرع من أن جاءوا به . فلما رآه
قال : سر مع المهندسين حتى يخطوا عندك
موضع سقاية ويجروا الماء ، وهذه ألف دينار
حنما .

وابتدأ في الاتفاق ، وأجرى على الخياط
في كل شهر عشرة دنانير ، وقال له : بشرلي
ساعة يجري الماء فيها . فجدوا في العمل ،
فلما جرى الماء أتاه مبشرا ، فخلع عليه وحمله ،
واشترى له دارا يسكنها ، وأجرى عليه الرزق
السنى الدار .

وكان قد أشير عليه بأن يجري الماء من عين
أبي خليل المعروفة بالتمش . فقال : هذه العين
لا تعرف أبدا إلا بأبي خليل ، وإنني أريد أن
أستببط بئرا . فعدل عن العين الى الشرق ،
فأستببط بئر هذه ، وبني عليها القناطر ،
وأجرى الماء الى القسيعة التي بقرب درب
سالم .

وقال جامع السيرة الطولونية : وأما رغبته
في أبواب الخير فكانت ظاهرة بينة واضحة .
فمن ذلك بناء الجامع والبيمارستان ، ثم العين
التي بناها بالمغافر ، وبناها بنية صحيحة ورغبة
قوية ، حتى انها ليس لها نظير ، ولهذا اجتهد

المأدرايسون ، وأثقفوا الأموال المخطرة
ليحكموها ، فأعجزهم ذلك ، لأنها وقعت في
موضع جيرانه كلهم محتاجون اليها .

وهي مفتوحة طول النهار لمن كشف وجهه
للاخذ منها ، ولمن كان له غلام أو جارية ،
والليل للفقراء والمساكين ... فهي حاة
ومعونة . واتخذ لها مسغلا فيه فضل وكفاية
لمصالحها .

والذي تولى لأحمد بن طولون بناء هذه
العين رجل نصراني ، حسن الهندسة حاذق
بها ، وأنه دخل الى أحمد بن طولون في عشية
من العشايا ، فقال له : إذا فرغت مما تحتاج
اليه ، فأعلمني لتركب اليها لراها .

فقال : يركب الأمير اليها في غد فقد
فرغت .

وتقدم النصراني فرأى موصعا بها يحتاج
الى قصرية جبر وأربع طويات ، فبادر الى
عمل ذلك . وأقبل أحمد بن طولون يتأمل
العين ، فاستحسن جميع ما شاهده فيها ، ثم
أقبل الى الموضع الذي فيه قصرية الجبر ،
فوقف بالاتفاق عليها ، فلرطوبة الجبر غاصت
يد القرس فيه فكبا بأحمد ، ولسوء ظنه قدر
أن ذلك لمكروه أراد به النصراني ، فأمر به
فشق عنه ما عليه من الثياب ، وضربه خمسمائة
سوطا ، وأمر به الى المطبخ ، وكان المسكين
يتوقع من الجائزة مثل ذلك دنانير ، فاتفق له
اتفاق سوء .

وانصرف أحمد بن طولون وأقام النصراني .
الى أن أراد أحمد بن طولون بناء الجامع ،
فقدر له ثلثمائة عمود ، فقبل له ما تجدها ،

أو تنفذ الى الكنائس في الأرباب والضياع
الغراب فتحمل ذلك ، فأنكره ولم يختره ،
وتعذب قلبه بالفكر في أمره .

وبلغ نصراني وهو في المطبخ الخبير ،
فكتب اليه : أنا ابنك لك كما تحب وتختار
بلا عمد الا عمودي القبلة ، فأحضره - وقد
طال شعره حتى تدلى على وجهه - فبناه .

قال : ولما بنى أحمد بن طولون هذه
السقاية ، بلغه أن قوما لا يستحلون شرب
مائها .

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم
الفقيه : كنت ليلة في داري ، اذ طرقت بخادم
من خدام أحمد بن طولون ، فقال لي : الأمير
يدعوك . فركبت مذعورا مرعوبا ، فعدلت بي
عن الطريق ، فقلت : أين تذهب بي ؟

فقال : الى الصحراء والأمير فيها .

فأيقنت بالهلاك ، وقلت للخادم : الله الله
في ، فاني شيخ كبير ضعيف مسن ، فتدري
ما يراد مني فأرحمني .

فقال لي : احذر أن يكون لك في السقاية
قول .

وسرت معه وإذا بالمشاغل في الصحراء ،
وأحمد بن طولون راكب على باب السقاية
وبين يديه الشمع ، فتزلت وسلمت عليه ، فلم
يرد علي ، فقلت : أيها الأمير ان الرسول
أعتنى وكدني وقد عطشت ، فيأذن لي الأمير
في الشرب ، فأراد الفلسان أن يسقوني ،
فقلت : أنا آخذ لنفسي .

فاستيت وهو يراني ، وشربت وازددت في
الشرب حتى كلف أنشق ، ثم قلب . أيضا
الأمير ، سأك الله من أله . العنة فلقد
أروت . أغيت ، لا أدري ما أصف :
أطيب الماء في حالوته وبرده ، أم صفائه ، أم
طيب ريح السقاية ؟

قال : فنظر الى وقال : أريدك لأمر وليس
هذا وقته ، فاصرفوه . فصرفت .

فقال لى الخادم : أمست .

فقلت : أحسن الله جزاءك ، فلولاك
لملكت .

وكان مبلغ النفقة على هذه العين في بنائها
ومستغلا أربعين ألف دينار

وأشد أبو عمرو الكندي في كتاب
« الأمراء » لسعيد القاص أياتا في رثاء دولة
بنى ضولون ، منها في العين والسقاية :

وعين معين الشرب عين زكية
وعين أجاج للرواة وللطهر
كان وفود النيل في جنباتها
تروح وتخدو بين مد الى جزر
فأرك بها مستتبعا لمعينها
من الأرض من بطن عين الى ظهر

بناء لو ان الجن جاءت بمنله
لقليل لقد جاءت بمستفطع نكر
يمر على أرض المغافر كلها
وشعبان والأحمور والحي من بشر
قبائل لا نوه السحاب سدها
ولا النيل يروها ولا جدول يجري

(١٥٧) مصر ١٥٧٢ ج ٢ ، ط ١٥٧٢

وقال الشريف محمد بن اسعد الجوالي
النسابة في كتاب « الجوهر المكنون في ذكر
القبائل والبطون » : سرج فخذ من الأشعرين
وهم ولد سرج بن ماتع ، من غنى الأشعر بن
أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن
كهلان بن ساء بن يشجب بن يعرب بن قحطان ،
وهم رهط أبي قيل التامى الذى خطه اليوم
الكوم ، شرقى قناطر سقاية أحمد بن طولون
— المروقة بنصف الكرة — بالقرافة

« الخندق » . هذا الخندق كان بقرافة
مصر قد دثر ، وعلى شفيره الغربى قبر الامام
الشافعى رضى الله عنه ، وكان من النيل الى
الجبيل . حفر مرتين . مرة في زمن مروان بن
الحكم ، ومرة في خلافة الأمين محمد بن
هارون الرشيد ، ثم حفره أيضا القائد
جوهر .

قال القضاى : الخندق هو الخندق الذى
في شرقى القسطنطينية في المقابر . كان الذى أثار
حفره مسير مروان بن الحكم الى مصر ،
وذلك في سنة خمس وستين ، وعلى مصر
يومئذ عبد الرحمن بن عقبة بن جحدم
القهرى ، من قبل عبد الله بن الزبير رضى الله
عنه .

فلما بلغه مسير مروان الى مصر ، أعد
واستعد وشاور الجند في أمره . فأشاروا
عليه بحفر الخندق ، والذى أشار به عليه
ربيع بن حيش الصدفى . فأمر ابن جحدم
بأحضار المحارث من الكور لحفر الخندق
على القسطنطينية ، فلم تبق قرية من قرى مصر
الا حضر من أهلها النفر .

وكان ابتداء حفره غرة المحرم سنة خمس
وستين ، فما كان شئ أسرع من فراعهم
منه ... حفره في شهر واحد . وكانت الحرب
من ورائه يقدون اليها ذيروحون ، فست
تلك الأيام أيام الخندق والبرابيح لرواحهم
الى القتال . وكانت المهاجر اكثر قبائل أهل
مصر عددا ... كانوا عشرين ألفا .

ونزل مروان عين شمس ، لعشر حلون من
شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين ، في اثني
عشر ألفا ، وقيل عشرين ألفا ، فخرج أهل
مصر الى مروان ، فحاربوه يوما واحدا بعين
شمس ، ثم تجاوزوا ، ورجع أهل مصر الى
خندقهم فتحصنوا به ، وصحبهم جيوش
مروان على باب الخندق .

فاصطف أهل مصر على الخندق ، فكانوا
يخرجون الى أصحاب مروان فيقاتلونهم نوبا
ثوبا ، وأقاموا على ذلك عشرة أيام ، ومروان
مقيم بعين شمس .

وكتب مروان الى شيعته من أهل مصر
— كريب بن أبرهة بن الصباح الحميرى ،
وزياد بن حنيفة التيجيى ، وعباس بن
سعيد المرادى — يقول : انكم ضمت
لى ضمانا لم تقوموا به ، وقد طالت الأيام
والمانعة .

فقام كريب وزياد وعباس الى ابن جحدم ،
فقالوا له : أيها الأمير ، انه لا قوام لنا بما
ترى ، وقد رأينا أن نسعى فى الصلح بينك
وبين مروان ، وقد مل الناس الحرب وكرهوها
وقد خفنا أن يسلمك الناس الى مروان فيكون
محكما فيك .

فقال : ومن لى بذلك ؟

فقال كريب : أنا لك به .

فسمى كريب وصاحبه فى الصلح على أماني
كتبه مروان لأهل مصر وغيرهم ممن شرب
ماء النيل ، وعلى أن يسلم لابن جحدم من
بيت المال عشرة آلاف دينار ، وثلاثمائة ثوب
بقطرية ، ومائة ربطة ، وعشرة أفراس ،
وعشرين بغلا ، وخمسين بعيرا . فتم الصلح
على ذلك .

ودخل مروان القسطنطينية مستهل جمادى
الأولى سنة خمس وستين ، فنزل دار القفل ،
ودفع الى ابن جحدم جميع ما صالحه عليه ،
وسار ابن جحدم الى الحجاز ، ولم يلق كل
واحد منهما الآخر .

وتفرق المصريون ، وأخذوا فى دفن قتلاهم
والبكاء عليهم ، فسمع مروان البكاء ، فقال :
ما هذه النوادب ؟ ف قيل على القتلى ، قال :
لا أسمع نائحة تنوح الا أحلت بمن هى فى
داره العقوبة . فسكن عند ذلك .

ودفن أهل مصر قتلاهم فيما بين الخندق
والمقطم ، وهى المقابر التى يسميها المصريون
مقابر الشهداء ، ودفن أهل الشام قتلاهم فيما
بين الخندق ومية الأصبح . وكان قتلى أهل
مصر ما بين الستائة الى السبعائة ، وكتلى
أهل الشام نحو الثلاثائة .

ولم يرز مروان من القسطنطينية سائرا الى
الشام ، سمع وجبة النساء يندبن قتلاهن ،
قال : ويحهن ، ما هذا ؟ قالوا : النساء على
مقابرهن يندبن قتلاهن ، فخرج عليهن ، فأمر
بالانصراف . قالوا : كذا هن كل يوم .

(١٥٨) مصر ١٥٨٢ ج ٢ ، ط ١٥٨٢

قال : فامنعوهن الا من سب .

وخرج مروان من مصر الى الشام لهلال
رجب سنة خمس وستين ، وكان مقامه
بالقسطاط شهرين ، ولست خلف ابنه عبد العزيز
على مصر ، وضم اليه بشر بن مران - كان
حدثا - ثم ولي عبد الملك شرا بعد ذلك
البصرة .

قال : ثم دثر هذا الخندق ... الى ايام خلق
الأمين بمصر ، وبيعة المأمون ، ولى البلد
عباد بن محمد بن حبان - مولى كدة -
من قبل المأمون . فكتب الأمين بنصر الى اهل
الحوفين في القيام ببيعتهم ، وقتال عباد واهل
مصر ، فتجمع اهل الحوف لذلك واستمدوا .

وبلغ اهل مصر ، فأشاروا على عباد بحفر
الخندق ، فحفروا خندقا من الليل الى الجبل ،
واحتفروا هذا الخندق العتيق . فكان القتال
عليه اياما متفرقة الى أن قتل الأمين ، ونسب
بيعة المأمون . ثم لم يحفر بعد ذلك الى يومنا
هذا .

وذكر ابن زولاق أن القائد جوهر لما
اخط القاهرة ، وكثر الارجاف بسير القرامطة
الى مصر ، حفر خندق الري بن الحكم بباب
مدينة مصر ، وعمل عليه بابا في ذى القعدة
سنة ستين وثلاثمائة ، وحفر خندقا في وسط
مقبرة مصر ، وهو الخندق الذي حفره ابن
جندم .

ابتدا حفره من بركة الجيش حتى وصله
بخندق عبد الرحمن بن جندم ، حتى بلغ به
قبر محمد بن ادريس الشافعي ، ثم حفر من
الجبل الى أن وصل لخندق ابن جندم وسط

المقابر ، وبدأ به يوم السبت التاسع من شوال
سنة احدى وستين وثلاثمائة ، وفرغ منه في
مدة يسيرة .

« القباب السبع » : هذه القباب بآخر
القرافة الكبرى ما يلي مدينة مصر . قال ابن
سعيد في كتاب « المغرب » والقباب السبع ،
المشورة بظاهر القسطاط ، هي مشاهد على
سبعة من بني المغربي ، قتلهم الخليفة الحاكم
بعد فرار الوزير أبي القاسم الحسين بن علي
ابن المغربي الى أبي القتوح حسن بن جعفر
بكرة .

وفي ذلك بقول أبو القاسم بن المغربي :

إذا شئت أن ترنو الى الطف باكيا
فدونك فانظر نحو أرض المقطم
تجد من رجال المغربي عصاية
مضخة الأجسام من حبل الدم
فكم تركوا محراب آي معطل
وكم تركوا من سورة لم تختم

وقد ذكرت أخبار بني المغربي عند ذكر
بساتين الوزير من بركة الجيش . ويتعلق بهذا
الموضع من خبرهم أن أبا الحسن ، علي بن
الحسين بن علي بن محمد بن المغربي ، لما
خرج من بغداد ، وصار الى مصر ، في أيام
العزيز بالله بن المعز لدين الله ، في سنة احدى
وثمانين وثلاثمائة ، رتب له في كل سنة ستة
آلاف دينار ، وصار من شيوخ الدولة .

فقال يوما لمؤدب ولده أبي القاسم حسين
- وهو علي بن منصود بن طالب ، المعروف
بأبي الحسن دوخلة بن القادح - سرا : أنا
أخاف همة ابني أبي القاسم أن تنزوي به الى أن

يوردنا موردا لا صدر عنه ، فإن كانت
الأنفاس ما تحفظ وتكتب ، فاكبتها واحفظها
وطالعتي بها .

فقال أبو القاسم في بعض الأيام لمؤدبه
هذا : الى متى نرضى بالحصول الذي نحن
فيه ؟

فقال له : وأى حصول هذا ؟ تأخذون من
مولانا في كل سنة ستة آلاف دينار ، وأبوكم
من شيوخ الدولة .

فقال : أريد أن نصار الى أبوابنا الكتاب
والمواكب والمقارب ، ولا أرضى بأن يجري
علينا كالولدان والنسوان .

فأعاد ذلك على أبيه ، فقال : ما أخوفني أن
يخضب أبو القاسم هذه من هذه . وقبض
على لحيته وهامته . وعلم ذلك أبو القاسم ،
فصارت بينه وبين مؤدبه وحشة .

وكان ذلك في خلافة الحاكم بأمر الله
منصور بن العزيز ، وتحدث القائد أبي عبد الله
الحسين بن جوهر ، وكان الحاكم قد أكثر من
قتل رؤساء دولته ، وصار يبعث الى القائد
كلما قتل رئيسا برأيه ، ويقول : هذا عدوي
وعدوك .

فقبض على أبي الحسن علي بن الحسين
المغربي ، والد الوزير أبي القاسم الحسين ،
وعلى أخيه أبي عبد الله محمد بن الحسين ،
وعلى محسن ومحمد أحوى الوزير المذكور
لثلاث خالون من ذى القعدة سنة أربعمائة ،
وفر الوزير أبو القاسم الحسين بن المغربي
من مصر ، في زى حمال ، ليلال من ذى

القعدة ، ولحق بحسان بن الجراح ، وكان من
أمره ما كان .

ذكر الأحواض والآبار التي بالقرافة

« حوض القرافة » : أمر بيانه السدة
ست الملك ، عمة الحاكم بأمر الله ابنه المعز
لدين الله ، في شعبان سنة ست . وستين
وثلاثمائة ، واختل في أيام العادل أبي الحسن
ابن السلا ، ووبر مصر في سنة ست وأربعين
وخمسمائة ، فأمر بعمارتها .

ثم انشق في سنة ثمانين وخمسمائة .
فجده القاضى السيد ، ثقة الثقات ذو
الرياستين : أبو الحسن علي بن عثمان بن
يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن أحمد بن
يعقوب بن مسلم بن منبه ، أحد بني عبد الله
ابن عبد الرحمن بن أبي ربيعة بن المغيرة بن
عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي ، صاحب
النظر في ديوان مصر ، ومصنف كتاب
« المنهاج في أحكام الخراج » ، وهو كتاب
جليل الفائدة .

ولم تزل آثار هذا القاضى حميدة ،
ومقاصده سديدة ، وعنده نخوة قرشية
ومروءة وعصبية . وهو وإن طاب أصولا فقد
زكا فروعا ، وإن تفرقت في سواه فضائل فقد
جمعها الله جميعا ، ولم يزل مذ كان يسمى
في الأمانة على صراط مستقيم ، أخذوا بقوله
تعالى اخبارا عن الكريم ابن الكريم « اجعلني
على خزائن الأرض اني حفيظ عليم » .

(ج) من ١٥٩ ج ١ ، ط - بولاق .

« الحوض حواري قصر القرافة » : في ظهر الحمام العززي ، بحضرة قرن القرافة ، أمرت ببنائه أم العليفة الطاهر لعزيز دين الله - واسمها السيدة رصد - على يد وكيلها الشريف المحدث أبي إبراهيم أحمد بن القاسم ابن الميمون بن حمزة الحسيني البغدلي ، شيخ القراء وابن الخطاب والفلكي .

« حوض بحضرة الأشعوب » : وهو قصر بني عيب .

« حوض في داخل قصر أبي المعلوم » : مجاور للبئر الكبيرة ذات الدواليب . بناء المحتسب القارسي ، مع عبارة البئر والميضأة ، في أيام السيدة أم العزيز . ويقال ان الحوض والبئر من بناء الماداني ، وانما جددته عمدة الحاكم .

« حوض » بقصر بني كعب وبجانبه بئر . انشاء الحاجب لؤلؤ ، وهو من حقوق قصر بني كعب . وقد خربت هذه الأحواض ودرت .

ذكر الآبار التي ببركة الحبش والقرافة

« بئر أبي سلامة » : وتعرف بئر الغنم ، وهي قبلى النوية ، وموضعها أحسن موضع في البركة ، وهي التي عنى أبو الصلت أمة ابن عبد العزيز بقوله :

له يومى ببركة الحبش

والأفق بين الضياء والغبش

والنيل تحت الرياح مضطرب

كصارم في يمين مرتعش

ونحن في روضة مفوفة
دبح بالنور عطفا ووشى

قد نسجتا يد الغمام لنا
فمن من نسجها على فرش
وأثقل الناس كلهم رجل
دعاء داعى الهوى فلم يطش

فعاطى الراح ان تاركها
من سورة الهم غير متعش

واسقنى بالكبار مترعة
فمن أنسنى لشدة العطش

« بئر غربى دير مرجنا وبستان العبدى » : ودير مرجنا يعرف اليوم في زماننا بدير الطين ، وهو عامر بالنصارى .

« بئر الدرج » : شرقى بساتين الوزير ، لها درج يتزل به إليها ، عليها الحاكم بأمر الله ، وشرقيها قبور النصارى ، وبعدهم الى جهة الجبل قبور اليهود ، البستان المجاور لعفصة الصفري - أول بركة الحبش - على لسان الجبل الخارج الى البركة ، مجاورة لبئر النعش وبئر السقاين ، وهي المصروفة بئر أبي موسى خلد ، وقد صار هذا البستان الى المذهب بن الوزير .

« بئر الزقاق » : شرقى بئر عفصة الصفري ، والزقاق معروف اذ ذاك في الجبل ، وفي أوله بئر مربعة كان يسقى منها البقر والغنم .

ذكر السبعة التي تزداد بالقرافة

اعلم ان زيارة القرافة كانت أولا يوم الأربعاء ، ثم صارت ليلة الجمعة ، وأما زيارة

يوم السبت فقبل انها قديمة ، وقيل . متأخرة .

وأول من زار يوم الأربعاء ، رابداً بالزيارة من مشهد السيدة نفيسة ، الشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن رافع بن يرحم بن رافع ، السارعى الشافعى المفاخرى ، الزرار المعروف بمسجد . ومولده سنة احدى وستين وخمسمائة ، ووفاته بالهلالية خارج باب زويلة في ليلة الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان ثلاثين ومستمائة ، ودفن بسمك المقطم على تربة بنى نهار بمرى تربة الرومى .

وأول من زار ليلة الجمعة الشيخ الصالح المقرئ أبو الحسن على بن أحمد بن جوشن - المعروف بابن الجباس - انه شرف الدين محمد بن على بن أحمد بن الحسن ، فجمع الناس وزارهم في ليلة الجمعة في كل أسبوع ، وزار معه في بعض الدالى السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالى محمد ابن العادل أبى بكر بن أيوب ، ومشى معه أكابر العلماء .

وكان سبب تجرد أبى الحسن بن الجباس وانقطاعه الى الله تعالى ، أنه دولب مطبخ سكر شركة رجل ، فوقف عليهما مال للديوان فسجن بالقصر ، فقرأ ابن الجباس في بعض الليالى سورة الرعد ، فسمعه السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، فقام حتى وقف عليه وسأله عن خبره ، فأعلمه بأنه سجن على مبلغ كذا ، فأمر بالافراج عنه ، فأبى الا أن يفرج عن رفيقه أيضاً ، فأفرج عنهما جميعاً .

(١٦) من ١٦٠ ج ٢ ، ط بولاق .

واتفق أنه مر في بعض ليالى الزيارة بزاوية الفخر القارسي ، فخرج قبل ما هذه البدعة في غد أبطلها ثم دخل الزاوية وخرج بعد ساعة ، وأمر برد ابن الجباس ، فلما جاءه قال ، دم على ما أنت عليه ، فابى أيت الساعة فوما ، فقاوا هل تعطيانا ما يطيننا ابن الجباس في بيلى الجمع ؟ فعلمت أن ذلك هو الدعاء القراء .

وأما زيارة يوم السبت ، فقد تقدم أنه اختلف فيها رحكى لموفى بن عثمان ، عن القضاء ، أنه كان بحث على زيارة سبعة قنور ، وأن رجلاً شككاه ضيق حاله والدين ، فقال له : عليك بزيارة سبعة قبور .

« أولهم » الشيخ أبو الحسن على بن محمد بن سهل بن الصائغ الدنورى ، وتوفى ليلة الثلاثاء ثلاث عشرة بقية من شهر رجب سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة .

« والثانى » : عبد الصمد بن محمد بن أحمد بن اسحاق بن ابراهيم البغدادي ، صاحب الخلفاء ، وتوفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة .

« والثالث » : أبو ابراهيم اسماعيل ابن ٠٠٠ ٠٠٠ المزنى . وتوفى سنة أربع وستين ومائتين .

« والرابع » : القاضي بكار بن قتيبة . وتوفى سنة سبعين ومائتين .

(١٦) هكذا من فى الأصل . ورايت فى بعض الكتب ، المصحة لاسماء الرواة والمصنف ، فمصحح : (مزنى) - أكثر اصحابنا علماء ، وأعلم علماء الشافعى ، الذى سجد المذهب ، ولين كلام الشافعى - اسمه : اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن عمر بن اسحاق بن مسلم بن بهدلة بن عبد الله المزنى ، من قبيلة مربية ، بكى ابا ابراهيم ، مات بعمر سنة أربع وستين . ط بولاق .

«الكاسي» : القاضي الفضل بن فضالة .
وتوفي سنة اثنين وخمسين ومائتين .

«والسادس» : القاضي أبو بكر عبد الملك
ابن الحسن القنزي . وتوفي في ذي الحجة
سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة .

«والسابع» : أبو القيس ذو النون توبان
ابن ابراهيم المصري . وتوفي سنة خمس
وأربعين ومائتين .

وكانوا أولا يزورون بعد صلاة الصبح ،
وهم مشاة على أقدامهم . الى أن كانت أيام
شيخ الزولر محمد السجسي السمودي ، فزار
راكبا في يوم السبت بعد طلوع الشمس ،
لأن رجليه كانتا معوجتين لا يستطيع المشي
عليهما ، وذلك في أواخر سنة ثمانمائة . وتوفي
في عاشر شهر رمضان سنة تسع وثمانمائة .

فبعث بعده الزائر شمس الدين محمد بن
عيسى المرجوشي السمودي ، ومحمي الدين عبد
القادر بن علاء الدين محمد بن علم الدين بن
عبد الرحمن - الشهير بابن عثمان - فعلا
ذلك ، ومات ابن عثمان في سابع شهر ربيع
الآخر سنة خمس عشرة وثمانمائة . فاستمرت
الزيارة على ذلك .

وقد حكى صاحب كتاب «محاسن الأبرار
ومجالس الأخيار» مبعثة غير من ذكرنا ،
وسماهم المحققين ، وهم : صلة بن مؤمل ،
وأبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن علي بن
جعفر الخوارزمي ، وسالم البغيفي ، وأبو
الفضل بن الزهرى ، وأبو عبد الله محمد
ابن عبد الله بن الحسين - عرف باليزار -

وأبو الحسن علي - عرف بطير الوحش -
وأبو الحسن علي بن صالح الأندلسي الكمال .

وذكر أيضا مبعثة آخر ، وهم : عقبة بن
عامر الجهني ، والامام أبو عبد الله محمد بن
ادريس الشافعي ، وأبو بكر الدقاق ، وأبو
ابراهيم اسماعيل المزني ، وأبو العباس أحمد
الجزار ، والقيه ابن حجة ، والقيه ابن
فارس اللخمي .

ويزارتهم يوم الجمعة بعد صلاة الصبح ،
والعمل عليها في الزيارة الآن . الا أنهم
يجتمعون طوائف ، لكل طائفة شيخ ، وقيمون
مشاور كبارا وصغارا ، ويخرجون في ليالي
الجمع ، وفي كل سبت بكرة النهار ، وفي
كل يوم أربعاء بعد الظهر ، وهم يذكرون الله ،
فيزورون ، ويجتمع معهم من الرجال والنساء
خلائق لا تحصى ، ومنهم من يعمل ميعاد
وعظ ، ويقال لشيخ كل طائفة الشيخ الزائر .
فتمر لهم في الزيارة أمور منها ما يستحسن ،
ومنها ما يشكر ، ولكل عبد ما نوى .

فمن أشهر مزارات القرافة «قبر الامام أبي
عبد الله محمد بن ادريس الشافعي» رحمة
الله ورضوانه عليه . وتوفي يوم الجمعة
آخر يوم من شهر رجب سنة أربع ومائتين
بنفساط مصر ، وحمل على الأعناق حتى دفن
في مقبرة بني زهرة ، أولاد عبد الله بن عبد
الرحمن بن عوف الزهرى رضى الله عنه ،
وعرفت أيضا بثرية أولاد ابن عبد الحكم .



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأبنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.



الثنى ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خُطُوطُ الْمُقْرِئِ

٤٥

كتاب
التعريف



هـ كانت مصر هي مستقر رأسي ، ولعلب أنزالي ، ومجمع ناسي ، ومقنن عسيري وجامعي ،
وموطن غياصتي وعماستي . وجهو جهوى الذي رب جناحي في ذكره ، وعش ما ربي . فهد
تهوى الأنفس غير ذكره . لا زلت منذ شذوت العام ، وآتاني رب الفطانة والفهم ، أغرب في
سفرة أخبارها ، وأحب لإشراف على الإشراف من آبارها ، وألصق مساواة الركبان من سكان ديارها .
تقى الدين أحمد بن علي المقرئ

قال القاضي : وقد جرب الناس خير هذه
التربة المباركة والقبر المبارك . وينقل عن
المزني أنه قال فيه :

سقى الله هذا القبر من وبل مزه
من العفو ما يغني عن ملل المزن

لقد كان كفوا للعداة ومعقلا
وركنا لهذا الدين بل أيما ركن
هكذا وقتت عليه ، ثم رأيت بعد ذلك أن
المزني رحمه الله لما دفن ، مر رجل على قبره ،
وإذا بهاتف يقول ... فذكر البيتين .

وقال آخر :

له درء الثرى كم ضم من كرم
بالشافعي حليف العلم والأثر

يا جوهر الجوهر المكنون من مضر
ومن قرش ومن ساداتها الآخر
لما توليت ولي العلم مكتيبا
وضر موتك أهل البدو والحضر
ولآخر :

أكرم به رجلا ما مثله رجل
مشارك لرسول الله في نسيبه

أضحى بمصر دفينا في مقطمها
نعم المقطم والمدفون في تربه
ومناقب الشافعي رحمه الله كثيرة ، قد
صنف الأئمة فيها عدة مصنفات ، وله في
تاريخه الكبير المقتفى ترجمة كبيرة . ومن أبدع
ما حكى من مناقبه : أن الوزير نظام الملك ،
أبا علي الحسن بن علي بن إسحاق ، لما بنى
المدرسة النظامية ببغداد ، في سنة أربع

وسبعين وأربعمائة ، أحب أن ينقل الامام
الشافعي من مقبرته بمصر إلى مدرسته ،
وكتب إلى أمير الجيوش بدر الجمالي - وزير
الامام المستنصر بالله معد - يأله في ذلك ،
وجهاز له هدية جليلة .

فركب أمير الجيوش في موكبه ، ومعه
أعيان الدولة ووجوه المصريين من العلماء
وغيرهم ، وقد اجتمع الناس لرؤيته . فلما
نشق القبر ، شق ذلك على الناس وماجوا ،
وكثر اللفظ ، وارتفعت الأصوات ، وهموا
برجم أمير الجيوش والثورة به ، فسكتهم ،
وبعث يعلم الخليفة أمير المؤمنين المستنصر
بصورة الحال .

فأعاد جوابه بامضاء ما أراد نظام الملك ،
فقرئ كتابه بذلك على الناس عند القبر ،
وطردت العامة والغوغاء من حوله ، ووقع
الحفر حتى انتهوا إلى اللحد . فعندما أرادوا
قلع ما عليه من اللبن ، خرج من اللحد رائحة
عطرة أسكرت من حضر فوق القبر حتى
وقعوا صرعى ، فما أفاقوا إلا بعد ساعة ،
فاستغفروا مما كان منهم ، وأعادوا ردم القبر
كما كان ، وانصرفوا .

وكان يوما من الأيام المذكورة ، وتزاحم
الناس على قبر الشافعي يزورونه مدة أربعين
يوما بلياليها ، حتى كان من شدة الازدحام لا
يتوصل إليه إلا بعناء ومشقة زائدة . وكتب
أمير الجيوش محضرا بما وقع ، وبعث به
وبهدية عظيمة مع كتابه إلى نظام الملك ،
فقرئ هذا المحضر والكتاب بالنظامية ببغداد
وقد اجتمع العالم على اختلاف طبقاتهم لسماع
ذلك ، فكان يوما مشهودا ببغداد .

وكتب نظام الملك الى عامة بلدان المشرق
— من حدود القزوين الى ما وراء النهر —
بذلك ، وبميت مع كنيته بالحنظلي وكتاب أمير
الجيوش ، فقرئت في تلك الممالك بأسرها ،
فزاد قدر الامام الشافعي عند كافة أهل
الأقطار وعامة جميع أهل الأقطار بذلك .

وقد أوردت في كتاب « امتاع الأسماع بما
للرسول من الأنبياء والأحوال والحفدة والمتاع
صلى الله عليه وسلم » نظير هذه الواقعة ،
وقد لخصه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يزل قبر الشافعي يزور ، ويترك به .
الى أن كان يوم الأحد ، لسبع خلت من
جمادى الأولى سنة ثمان وستمائة ، فاتمى
بناء هذه القبة التي على ضريحه ، وقد أنشأها
الملك الكامل المظفر المنصور أبو المعالي ناصر
الدين محمد ، ظهير أمير المؤمنين ، ابن
السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن
أيوب ، وبلغت النفقة عليها خمسين ألف دينار
مصرية ، وأخرج في وقت بنائها بمقام كثيرة
من مقابر كانت هناك ، ودفنت في موضع
من القرافة .

وبهذه القبة أيضا قبر السلطان الملك العزيز
عشان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن
أيوب ، وقبر أمه شمس . وقيل فيها عدة
أشعار ، منها قول الأديب الكاتب ضياء الدين
أبي الفتح موسى بن ملهم :

مرت على قبة الشافعي

فما بين طرفي عليها العشاري

فقلت لصحبي لا تعجبوا

فإن المراكب فوق البحار

وقال علاء الدين أبو علي عثمان بن إبراهيم
النايلسي :

لقد أصبح الشافعي الاما

م فينا له مذهب مذهب

ولو لم يكن بحر علم

غدا وعلى قبره مركب

وقال آخر :

أتيت لقبر الشافعي أزوره

نعرضا فلك وما عنده بحر

فقلت تعالى الله تلك إشارة

تشير بأن البحر قد ضمه القبر

وقال شرف الدين أبو عبد الله محمد بن
سعيد بن حماد البوصيري صاحب البردة :

بقبة قبر الشافعي سفينة
رست في بناء محكم فوق جلود

ومذ غاض طوفان العلوم بقبره اسـ
توى القللك من ذاك الضريح على الجودي

ومنها « قبر الامام الليث بن سعد » رحمه
الله . قد اشتهر قبره عند المتأخرين .

وأول ما عرفت من خبر هذا القبر : أنه
وجدت مصطبة في آخر قباب الصدف
— وكانت قباب الصدف أربع مائة قبة فيما
يقال — عليها مكتوب « الامام الفقيه الزاهد
العالم الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو
الحارث المصري ، مفتي أهل مصر » .

(١٠٠) (١٦٢) ج ٢ ، ص ١٠٠

كما ذكر في كتاب « هادي الراغبين في
زيارة قبور الصالحين » لأبي محمد عبد
الكريم بن عبد الله بن عبد الكريم بن علي بن
محمد بن علي بن طلحة ، وفي كتاب « مرشد
الزوار » للموفق ابن عثمان ، وذكر الشيخ
محمد الأزهرى في كتابه « في الزمارة » : أن
أول من بنى عليه وحيز كبير التجار أبو زيد
المصري ، بعد سنة أربعين وستمائة

ولم يزل البناء يتزايد الى أن جدد الحاج
سيف الدين المقدم عليه قبته ، في أيام الأشرف
شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، قيل
سنة ثمانين وستمائة . ثم جددت في أيام
الناصر فرج بن الظاهر برقوق ، على يد
الشيخ أبي الخير محمد ابن الشيخ سليمان
الملاح ، في محرم سنة إحدى عشرة
وثمانمائة .

ثم جددت في سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة
على يد امرأة قدمت من دمشق ، في أيام
المؤيد شيخ ، عرفت بمرحبا بنت ابراهيم بن
عبد الرحمن أخت عبد الباسط ، وكان لها
معروف وبر ، توفيت في تاسع عشر ذي
القعدة سنة أربعين وثمانمائة .

ويجتمع بهذه القبة ، في ليلة كل سبت ،
جماعة من القراء ، فيتلون القرآن الكريم تلاوة
حسنة حتى يختموا ختمة كاملة عند السحر ،
ويقصد المبيت عندهم ، للتبرك بقراءة القرآن ،
عدة من الناس . ثم تفاحش الجمع ، وأقبل
النساء والأحداث والقوغاء ، فصار أمرا
منكرا ، لا ينصتون لقراءة ، ولا يتعظون
بمواعظ ، بل يحدث منهم على القبور ما لا

يجوز . ثم زادوا في التعدي حتى حفروا ما
هناك خارج القبة من القبور ، وبناوا مباني
اتخذوها مراحيض وسقايات ماء .

وزعم من لا علم عنده أن هذه القراءة ، في
كل ليلة سبت عند قبر الليث برعهم ، قديمة
من عهد الامام الشافعي . وليس ذلك
بصحيح ، وإنما حدثت بعد السبع مائة من سن
الهجرة بنام ذكر بمضمهم أنه رآه ، وكانوا
اذ ذاك يجتمعون للقراءة عند قبر أبي بكر
الأدنوي .

ذكر للمقابر خروج باب النصر

اعلم أن المقابر ، التي هي الآن خارج باب
النصر ، إنما حدثت بعد سنة ثمانين
وأربع مائة . وأول تربة بنيت هناك تربة أمير
الجيوش بدر الجمالي لما مات ودفن فيها ،
وكان خطها يعرف برأس الطاية .

قال الشريف أمين الدولة ، أبو جعفر محمد
ابن هبة الله العلوي الأقطبي ، وقد مر بترية
الأفضل :

أجرى دما أجفانيه جدت برأس الطايه

صدع الزمان صفاته ١٠٠٠ ٠٠٠

بال وما بليت أيا ديه على الباقيه

وبخارج باب النصر ، في أوائل المقابر ، قبر
زينب بنت أحمد بن محمد بن عبد الله بن
جعفر بن الحنفية يزور ، وتسميه العامة مشهد
الست زينب .

(١١) مكنيا بياض في الامل

ثم تبيع دوى الناس مواعدهم فى الحياة ، التى
هى اليوم من بحرى مصرى لأموال فى نحو
البرية ، وكان ما فى شرقى هذه البرية فى
الجل الجبل والحد - يعرف ببيت الله ،
وميدان العيد . - ليدل الأسود - وهو ما
يس قلمة الجبل الى قبة النصر تحت الجبل
الأحمر .

فما كان بعد سنة شرب . وسبعين ،
ترك الملك الأمير محمد بن قاتون الزول
الى هذا الجبل وهجره . فذل من إيدافيه
بأحدرة الأمير شمس الدين والستر . وحظ
قرته التى تحوز اليوم تربة صوفية . وبى
حوض ماء السيل . وجعل فوقه مسجدا .
وهذا الحوض جوار باب تربة الصوفية ،
أشركه عمرا هو وما فوقه ، وقد نهم وبقيت
منه بقية .

ثم عبر بعمه نظام الدين آدم ، أخو الأمير
سيف الدين سائر . تجاه تربة قراستر مدف
وحوض ماء السيل ومسجدا ممتد ، وتابع
الأمراء والأجداد وسكن الحنية فى عماره
التراب هناك ، حتى استدت طريق الميدان ،
ونشروا الجوانية أيضا . وأخذ صوفية الحاشه
الصالحية لعيد السماء قطعة قدر فدين
وأداروا عليها سورا من حجر ، وجعلوها مقبرة
لن يموت منهم ، وهى بقية الى يومنا هذا ،
وقد وسعوا فيها بعد سنة تسعين وسبعين
بشعة من تربة قراستر .

وما يرح الناس بقصدون تربة الصوفية هذه
لزيادة من فيها من الأموات ، ويرغبون فى

١٩٤

الحق بها . الى ان غلبت مشيخة الخاقا
الشيخ شمس الدين محمد الباقى . فسمح
كل أحد ان يغير ماله الى ما يشاء
منه . فغير به كثير من ثلوث القلعة ومن لم
تشكر ماله ، فبات مجمع لول ومجس
لعب .

وعبر أيضا جوار تربة الصوفية الأمير
مسعود بن خير تربة ، وعمل لها منارة من
حجارة لا خير بها فى هيتها . وهى بقية .
وعبر أيضا محمد الدين السامى تربة ، وعبر
الأمير سيف الدين كوكلى تربة ، وعبر الأمير
ماجدى السور . على رأس البقي مقبل قبة
النصر . تربة . وعبر الأمير سيف الدين شستر
الى على خرق تربة . وبني الأمراء الى
جانبه عدة ترب ، وبني الطواشى محسن البهاء
تربة عظيمة . وبني خوند طغى تربة تجاه
تربة شستر الساقى . وجعلت لها وقفا . وبني
الأمير صفى تربة الجبى الدوادار تربة ،
وجعل حاشته . وأشأ بجوارها حماما
وحوانيت ، وسكنها الصوفية والقراء . وبني
الأمير منكى بى الخخري تربة ، والأمير
شستر صبية تربة . والأمير أرقان تربة . وبني
كثير من الأمراء وغيرهم الترب ، حتى اتصلت
أحدرة من ميدان البقي الى تربة الروضة
خارج باب البرقية .

وما مات شمس الناصر حتى بفل من الميدان
السباق بالخيال . ومنعت طريقته من كثرة
العمائر . وأدركت بعد سنة ثمانين وسبعين
عدة عواميد من رخام منصوبة - يقال لها
عواميد السباق - فيما بين قبة النصر وقرب
من القلعة .

ذكر كنائس اليهود

قال الله عز وجل : « ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات
ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » ، قال
المفسرون : الصوامع للصابئين ، والبيع
لنصارى ، والصلوات كنائس اليهود ،
والمساجد للمسلمين ؛ قاله ابن قتيبة .
والكنيس كلمة عبرانية معناها بالعربية الموضع
الذى يجتمع فيه للصلاة .

ولهم بديار مصر عدة كنائس : منها كنيسة
دموه بالبجيزة ، وكنيسة جوجر من القرى
القرنية ، وبمصر القسطنط كنيصة بخط
المصاصة فى درب الكرمه ، وكنيستان بخط
قصر الشمع ، وبالقاهرة كنيصة بالجودرية ،
وفى خارة زويلة خمس كنائس .

« كنيسة دموه » : هذه الكنيسة أعظم
معبد لليهود بأرض مصر . فانهم لا يختلفون
فى أنها الموضع الذى كان يأوى اليه موسى
ابن عمران ، صلوات الله عليه ، حين كان يلج
ومسالات الله عز وجل الى فرعون ، مدة
مقامه بمصر ، منذ قدم من مدين الى أن خرج
ببنى اسرائيل من مصر . ويؤمن يهود أنها
بنييت هذا البناء الموجود ، بعد خراب بيت
المقدس الخراب الثانى على يد طيطس بفسح
وأربعين سنة ، وذلك قبل ظهور الملة الاسلامية
بما ينيف على خمسمائة سنة .

وهذه الكنيسة شجرة زولخت فى غاية
الكبر ، لا يشكون فى أنها من زمن موسى

(١٩٤) ص ١٩٤ ، ج ١ ، ط ١٩٤٠

وأول من عمر فى البراح الذى كان فيه
عواميد السباق الأمير يونس الدوادار ، فى
أيام الملك الظاهر ، تربته الموجودة هناك . ثم
عمر الأمير قبحاس ، ابن عم الملك الظاهر
برقوق ، تربة بجانب تربة يونس . وأحيط
على قطعة كبيرة حائط ، وقبر فيها من مات
من ممالك السلطان ، وقبر فيها الشيخ علاه
الدين اليرامى شيخ الخاقا القاهرية ،
والشيخ المتقدم طلحة ، والشيخ المتقدم أبو
بكر البجائى .

فلما مرض الملك الظاهر برقوق ، أوصى
أن يدفن تحت أرجل هؤلاء الفقراء ، وأن يبنى
على قبره تربة ، فدفن حيث أوصى ، وأخذت
قطعة مساحتها عشرة آلاف ذراع ، وجعلت
خاقاه ، وجعل فيها قبة على قبر السلطان
وقبور الفقراء المذكورين ، وتجدد من حيثها
هناك عدة ترب جليلة ، حتى صار الميدان
شوارع وأزقة .

وقتل الملك الناصر فرج بن برقوق سوق
الجبل وسوق الحير من تحت القلعة الى
تجاه التربة التى عمرها على قبر أبيه ، فاستمر
ذلك أياما فى سنة أربع عشرة وثمانمائة ، ثم
أعيدت الأسواق الى مكانها . وكان قصده أن
يبنى هناك خانا كبيرا ينزل فيه المسافرين ،
ويجعل بجانبه سوقا ، وبني طاحونا وحماما
وفرنا لتمر تلك الجهة بالناس ، فمات قبل
بناء الخان ، وخلت الحمام والطاحون والفرن
بعد قتله .

عليه السلام ، ويقولون : ان موسى عليه السلام غرس عصاه في موضعها ، هابت الله هذه الشجرة ، وأنها لم تزل ذات أغصان نظرة ، وساق صاعد في السماء ، مع حسن استواء ونح في استقامة .

الى ان أنشأ الملك الأشرف شعبان بن حسين مدرسته تحت القلعة ، فذكر له حسن هذه الشجرة ، فتقدم بقضها ليتنعم بها في العمارة ، فمضوا الى ما أمروا به من ذلك ، فاصبحت وقد تكورت وتمقت ، وصارت شنيعة المنظر ، فتركوها ، واستمرت كذلك مدة . فاتفق أن زنى يهودى يهودية تحتها ، فتهدلت أغصانها ، وتحات ورقها ، وجفت حتى لم يبق بها ورقة خضراء ، وهي باقية كذلك الى يومنا هذا .

ولهذه الكنيسة عيد يرحل اليهود بهاليهم اليها في عيد الخطاب ، وهو في شهر سيوان ، ويجعلون ذلك بدل حجهم الى القدس .

وقد كان لموسى عليه السلام أنباء قد قصها الله تعالى في القرآن الكريم وفي التوراة ، وروى أهل الكتاب وعلماء الأخبار من المسلمين كثيرا منها . وساقص عليك في هذا الموضع منها ما فيه كفاية ، اذ كان ذلك من شرط هذا الكتاب .

موسى بن عمران

وفي التوراة : عزام بن قهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن ، صلوات الله وسلامه عليهم ، ثم يوحناذ بنت لاوى ، فهي عسة عمران والد موسى . ولد

بمصر في اليوم السابع من شهر اذار سنة ثلاثين ومائة . دخول يعقوب على يوسف عليهما السلام بمصر .

وكان بنو اسرائيل - منذ مات لاوى بن يعقوب في سنة أربع وتسعين لدخول يعقوب مصر - في البلاد مع القبط . وذلك ان يوسف عليه السلام لما مات في سنة ثمانين من قدوم يعقوب بمصر ، كان الملك اذ ذلك بمصر دارم بن الريان - وهو القرعون الرابع عندهم ، وتسميه القبط دريسوس - فاستوزر بعده رجلا من الكهنة يقال له بلاطس ، فحمله على لدى الناس ، وخاف ما كان عليه يوسف .

وسامت سيرة الملك حتى اغتصب كل امرأة جميلة بمدينة منف وغيرها من الواحي فشق ذلك من فعله على الناس ، وهموا بخلعه من الملك . فقام الوزير بلاطس في الوساطة بينه وبين الناس ، وأسقط عنهم الخراج لثلاث سنين ، وفرق فيهم مالا حتى سكنوا .

واتفق أن رجلا من الاسرائيليين ضرب بعض مدنة الهيكل فادماه ، وعاب دين الكهنة ، فغضب القبط ، وسألوا الوزير أن يخرج بنى اسرائيل من مصر ، فبى .

وكان دارم الملك قد خرج الى الصيد ، فبعث اليه يخبره بامر الاسرائيلى ، وما كان من القبط في طلبهم اخراج بنى اسرائيل من مصر . فأرسل اليه ألا يحدث في القوم حدثا دون موافقه .

فشغب القبط ، وجمعوا على خلع الملك واقامة غيره . فسار اليهم الملك ، وكانت بينه

وبينهم حروب قتل فيها خلق كثير ، ظهر فيها الملك ، وصلب من خائفه بجاني النيل طوائف لا تحصى ، وعاد الى اكثر مما كان عليه من ابتزاز النساء ، وأخذ الأموال ، واستخدام الأشراف والوحوه من القبط ومن بنى اسرائيل فأجمع الكل على ذمه .

واتفق أنه ركب في النيل ، فهاجت به الريح ، وأغرقه الله ومن معه ، ولم توجد جثته الا عند شطونف . فأقام الوزير من بعده في الملك ابنه معاديوش ، وكان صيا - وسميه بعضهم معدان - فاستقام الأمر له ، ورد النساء اللاتي اغتصبهن أبوه ، وهو خامس القراعة . فكثرت بنو اسرائيل في زمنه ، ولهجوا بثلث الأصنام وذهبا .

وهلك بلاطس الوزير ، قام من بعده في الوزارة كاهن قال له املاده ، فأمر بافراد بنى اسرائيل ناحية في البلد ، بحيث لا يختلط بهم غيرهم ، فأقلموا موضعا في قلى مدينة منف صاروا اليه ، وبنوا فيه معدا كانوا يتلون به صحف ابراهيم عليه السلام .

فحطب رجل من القبط بعض نساءهم ، فأبوا أن يشكوه - وقد كان هتربها - فأكبر القبط فعلهم ، وصاروا الى الوزير ، وشكوا من بنى اسرائيل ، وقالوا : هؤلاء قوم يسيبوتا ، ويرغبون عن مأكلتنا ، ولا يحب أن يجاوروا ما لم يدينوا بدينا .

فقال لهم الوزير : قد علمتم اكرام طوطيس الملك لجدهم ، وهراوش من بعده ، وقد علمتم بركة يوسف ، حتى جعلتم قبره وسط النيل ، فأخصب جانبا مصر بمكانه . وأمرهم بالكف عن بنى اسرائيل ، فأمسكوا .

الى أن احتجب معدان وقام من بعده في الملك ابنه اكاسم - الذى يسميه بعضهم كاسم - بن معدان بن الريان بن الوليد بن دومع الصليقى ، وهو السادس من قراعة مصر ، وكان أولهم يقال له فرعان ، فسار ذلك اسما لكل من تجبر وعلا أمره .

وطالت أيام كاسم ، ومات وزير أبيه ، فأقام من بعده رجلا من بيت الملكة . يقال له ظلمسا بن قومس . وكان شجاعا ساعرا ، كاهنا كاتبيا حكيما ، دها متصرفا في كل فن ، وكانت نفسه تازعه الملك - ويقال انه من ولد أشمون الملك ، وقل من ولد صا - فأجبه الناس ، وعمر الخراب ، وبنى مدنا من الجانيين ، ورأى في نجومه أنه سيكون حدث وشدة .

وشكا القبط اليه من الاسرائيليين ، فقال : هم عبيدكم . فكان القبطى اذا أراد حاجة ، سخر الاسرائيلى وخربه ، فلا يغير عليه أحد ولا يتكر عليه ذلك ، فان ضرب الاسرائيلى أحدا من القبط قتل البتة ، وكذلك كانت تفعل نساء القبط بالنساء الاسرائيليات . فكانت أول شدة وذل أصاب بنى اسرائيل ، وكثر ظلمهم وأذاهم من القبط .

واستبد الوزير ظلما بأمر البلد ، كما كان العزى مع هراوش ، وتوفى اكاسم الملك ، فاتهم ظلما بأنه سبه ، فركب في سلاحه ، وأقام لاطس الملك مكان أبيه . وكان ابنه جريثا معجبا ، فسرف ظلمسا بن قومس عما كان عليه من خلافة ، واستخلف رجلا يقال

له « لاهوق » من ولد صا ، وأنفذ ظلما عاملا على الصعيد ، ومير معه جماعة من الاسرائيليين ، وزاد نجبره وعشوه ، وأمر الناس جميعا أن يقوموا على أرجلهم فى مجلسه ، ومد يده الى الأموال ، ومنع الناس من فضول ما بأيديهم ، وفصرهم على القوت ، وابتز كثيرا من النساء ، وفعل أكثر مما فعله ملك تقدمه ، واستعبد بنى اسرائيل ، قابضه الخاص والعام .

وكان ظلما لما صرف عن الوزارة ، وخرج الى الصعيد ، أراد ازالة الملك ، والخروج عن طاعته . فجبى المال ، وامتنع من حمله ، وأخذ المادون لنفسه ، وهم أن يقيم ملكا من ولد قبطين ويدعو الناس الى طاعته ، ثم انصرف عن ذلك ، ودعا لنفسه ، وكتب الوجوه والأعيان ، فافترق الناس ، وتناول كل واحد من أبناء الملوك الى الملك ، وضع فيه . ويقال أن روحانيا ظهر لظلمه ، وقل له : ان أعطيتى قللتك مصر زمانا طويلا ، فأجابه وقرب اليه أنشياء ، منها غلام من بنى اسرائيل ، فصار عوناً له .

وبلغ الملك خبر خروج ظلما عن طاعته ، فوجه اليه قائدا قلده مكانه ، وأمره أن يقبض على ظلما ، ويبعث به اليه موثقا ، فصار اليه ، وخرج ظلما للقائه ، وحاربه فقتله به ، واستولى على ما معه ، فجهز اليه الملك قائدا آخر فهزمه ، وسار فى أثره — وقد كف جمعه — فبرز اليه الملك ، واحتربا ، فكانت لظلمة على الملك فقتله ، واستولى على مدينة منف ، ونزل قصر الملكة .

وهذا هو فرعون موسى عليه السلام ، وبعضهم يسميه الوليد بن مصعب ، وقيل هو من المالقة ، وهو سابع الفراغة . ويقال انه كان قصيرا ، طويل اللحية ، أشهل العينين ، صغير العين اليسرى ، فى جبينه شامة ، وكان أعرج . وقيل انه كان يكنى بأبى مرة ، وأن اسمه الوليد بن مصعب ، وأنه أول من خضب بالسواد لما شاب ، داه عليه ابليس .

وقيل انه كان من القبط ، وقيل انه دخل منف على أتان يحمل التطرون لييمه ، وكان الناس قد اضطربوا فى تولية الملك ، فحكموه ورضوا بتولية من يوليه عليهم . وذلك أنهم خرجوا الى ظاهر مدينة منف يتطرون أول من يظهر عليهم ليحكموه ، فكان هو أول من أقبل بحماره ، فلما حكموه ورضوا بحكمه ، أقم نفسه ملكا عليهم . وأنكر قوم هذا ، وقالوا : كن القوم أدهى من أن يقلدوا ملكهم من هذه سبيله .

فلما جلس فى الملك اختلف الناس عليه ، فبذل لهم الأموال ، وقتل من خالفه بمن أطاعه حتى اعتدل أمره ، ورتب المراتب ، وشيد الأعمال ، وبنى المدن ، وخندق الخنادق ، وبنى بناحية العريش حصنا ، وكذلك على جميع حدود مصر ، واستخلف هامان — وكان يقرب منه فى نسبه — وأثار الكنوز ، وصرفها فى بناء المدائن والممارات ، وحفر خليج سردوس وغيره ، وبلغ الخراج بمصر فى زمنه سبعة وتسعين ألف ألف دينار ، بالدينار المرعونى ، وهو ثلاثة مثاقيل .

وفرعون هو أول من عرف العرفاء على الناس . وكان ممن صحبه من بنى اسرائيل

رجل يقال له امرى — وهو الذى يقال له بالمبرانية عيرام وبالعربية عمران — بن قاهت ابن لاوى ، وكان قدام مصر مع يعقوب عليه السلام ، فجعله حرسا لقصره يتولى حفظه وعنده مفاتيحه وأغلاقه بالليل .

وكان فرعون قد رأى فى كهاته ونجومه أنه يجبرى هلاكه على يد مولود من الاسرائيليين ، فمنهم من المناكحة ثلاث سنين التى رأى أن ذلك المولود يولد فيها . فأتت امرأة امرى اليه فى بعض الليالى بشىء قد أصلحته له ، فواقعها ، فاشتعلت منه على هارون ، وولدت له ثلاث وسبعين من عمره ، فى سنة سبع وعشرين ومائة لتقدم يعقوب الى مصر ، ثم أتته مرة أخرى ، فعملت بموسى لثمانين سنة من عمره .

ورأى فرعون فى نجومه أنه قد حمل بذلك المولود ، فأمر بذبح الذكران من بنى اسرائيل ، وتقدم الى القوابل بذلك فولد موسى عليه السلام فى سنة ثلاثين ومائة لتقدم يعقوب الى مصر ، وفى سنة أربع وعشرين وأربعمائة لولادة ابراهيم الخليل عليه السلام ، ولمضى ألف وخمسمائة وست سنين من الطوفان .

وكان من أمر ما قصه الله سبحانه من قذف أمه له فى التابوت ، فالتقا النيل الى تحت قصر الملك ، وقد أرسدت أمه أخته على بعد لتنظر من يلتقطه فجاءت ابنة فرعون الى البحر مع جوارها ، فرأته واستخرجته من التابوت ، فرحت وقالت : هذا من المبرانيين من لنا بطئر ترضعه ؟

(١٤) من (١٦) ج ١ ط ١٠٠٠

فقات لها أخته : أنا أتيك بها .

وجاءت بأمه ، فاسترضعتها له ابنة فرعون الى أن فصل ، فأتت به الى ابنة فرعون ، وستة موسى ، وتبته وكنا عندها .

وقيل بل أخذته امرأة فرعون ، واسترضعت أمه ، ومنعت فرعون من قتله . الى أن كبر وعظم شأنه ، فرد اليه فرعون كثيرا من أمره ، وجعله من قواده — وكانت له سطوة — ثم وجهه لغزو اليونانيين ، وقد عاثوا فى أطراف مصر ، فخرج فى جيش كثيف وأوقع بهم ، فأظفروه الله ، وقتل منهم كثيرا وأسر كثيرا ، وعاد غالبا ، فسر ذلك فرعون ، وأعجب به هو وامراته . واستولى موسى ، وهو غلام ، على كثير من أمر فرعون ، فأراد فرعون أن يستخلفه ، حتى قتل رجلا من أشرف القبط له قرابة من فرعون ، فطلبه .

وذلك أنه خرج يوما يشى فى الناس — وله صولة بما كان له فى بيت فرعون من المربى والرضاع — فرأى عبرانيا ضرب ، فقتل المصرى الذى ضربه ودفعه ، وخرج يوما آخر فاذا برجلين من بنى اسرائيل ، وقد سطا أحدهما على الآخر ، فزجره ، فقال له : ومن جعل لك هذا ؟ أتريد أن تقتلنى كما قتلت المصرى بالأمس ؟

ولما أخبر الى فرعون فطلبه ، وألقى الله فى نفسه الخوف لما يريد من كرامته ، فخرج من منف ، ولحق بمدين عند عقبة أيلة — وبنى مدين أمة عظيمة ، من بنى ابراهيم عليه السلام ، كانوا ساكنين هناك — وكان قراره وله من العمر أربعون سنة ، فنزل عند

يرون ، وهو شبيب عليه السلام ، من ولد
مدين بن ابراهيم ، وكان من تزويجه ابنته ،
ورعايته غنه ، ما كان ، فقام هنالك تسعا
وثلاثين سنة ، نكح فيها صفورا ابنة شبيب .
وبنو اسرائيل مع فرعون وأهل مصر — كما
قال الله تعالى — يسومونهم سوء العذاب
ويستبدونهم .

فلما مضى من سنة الثمانين لموسى شهر
واُسبوع ، كلمه الله جل اسمه — وكان ذلك
فى اليوم الخامس عشر من شهر نيسان —
وأمره أن يذهب الى فرعون ، وشد عضده
بأخيه هارون ، وأيده بآيات : منها قلب العصا
حية ، وبياض يده من غير سوء ، وغير
ذلك من الآيات العشر التى أحلها الله بفرعون
وقومه ، وكان مجيء الوحي من الله تعالى
اليه وهو ابن ثمانين سنة .

ثم قدم مصر فى شهر أدير ، ولقى أخاه
هارون . فسر به ، وأطمعه جلالا فيه ثريد ،
وتبأ هارون وهو ابن ثلاث وثمانين سنة ،
وغشا به الى فرعون ، وقد وحي اليهما أن
يثبنا الى فرعون ليحث معهما بنى اسرائيل ،
فيستقذناهم من هلكة القبط وجور القراغة ،
ويخرجون الى الأرض المقدسة التى وعدهم
الله بملكها على لسان ابراهيم واسحاق
ويعقوب . فقبلوا ذلك بنى اسرائيل عن الله ،
فآمنوا بسوسى واتبعوه .

ثم حضرا الى فرعون ، فاقاما بيابه أياما
— وعلى كل منها جية صوف . ومع موسى
عصاه — وه لا يصلان الى فرعون لشدة
حده . حتى دخل عليه مضحك كان يلهو
به . فعرفه أن بابا رجلين يظلمان الاذن

عليك ، يزعمان أن الهما قد أرسلهما اليك ،
فأمر بإدخالهما . فلما دخلا عليه خاطبه موسى
بما قصه الله فى كتابه ، وأراه آية العصا وآيته
فى يياض اليد .

فعاظ فرعون ما قاله موسى ، وهم بقتله ،
فمنعه الله سبحانه بأن رأى صورة قد أقبلت ،
ومحت على أعينهم فعموا . ثم انه لما فتح
عن عينيه ، أمر قوما آخرين بقتل موسى ،
فأنتهم نار أحرفهم ، فارداد غيظه ، وقال
لموسى : من أين لك هذه النواميس العظام ؟
أسحرة بلدى علموك هذا ، أم تعلمته بعد
خروجك من عندنا ؟

فقل : هذا ناموس السماء ، وليس من
نواميس الأرض .

قال فرعون : ومن صاحبه ؟

قل : صاحب البنية العليا .

قل : بل تعلمتها من بلدى .

وأمر بجمع السحرة والكهنة وأصحاب
النواميس ، وقال : اعرضوا على أرفع
أعمالكم ، فأنى أرى نواميس هذا الساحر
رفيعة جدا . فعرضوا عليه أعمالهم ، فسر
ذلك ، وأحضر موسى ، وقال له : لقد وقفت
على سحرك . وعندى من يفوق عليك .

فواعدهم يوم الزينة . وكان جماعة من
البلد قد اتبعوا موسى فقتلهم فرعون .

ثم انه جمع بين موسى وبين سحرته ،
وكنوا مائتى ألف وأربعين ألفا ، يعملون من
الأعمال ما يحير العقول ، ويأخذ القلوب : من
دخ ملونات ترى الوجوه مقلوبة مشوهة :

منها الطويل والعريض ، والمقلوب جهته الى
أسفل ولحيته الى فوق ، ومنها ما له قرون ،
ومنها ما له خرطوم وأنياب ظاهرة كأنساب
الذئبة ، ومنها ما هو عظيم فى قدر الترس
الكبير ، ومنها ما له آذان عظام ، وشبه
وجوه القروء ، بأجساد عظيمة تبلغ السحاب ،
وأجنحة مركبة على حيات عظيمة تطير فى
الهواء ، ويرجع بعضها على بعض فيبتلمه ،
وحيات يخرج من أفواهها نار تتشر فى
الناس ، وحيات تطير وترجع فى الهواء ،
وتتحدث على كل من حضر لتبتلمه ، فيتأرب
الناس منها ، وعصى تحلق فى الهواء ، فتصير
حيات برؤوس وشعور وأذنان تهم بالناس أن
تنهشهم ، ومنها ما له قوائم ، ومنها تماثيل
مهولة .

وعملوا له دخنا تغشى أبصار الناس عن
النظر فلا يرى بعضهم بعضا ، ودخنا تظهر
صورا كهينة الثيران فى الجو على دواب
يصدم بعضها بعضا ، ويسمع لها ضجيج ،
وصورا خضرا على دواب خضر ، وصورا
سودا على دواب سود هائلة .

فلما رأى فرعون ذلك ، سره ما رأى هو
ومن حضره ، واغتم موسى ومن آمن به ،
حتى أوحى الله اليه « لا تخف انك أنت
الأعلى . وألق ما فى يمينك تلقف ما
صنعوا » .

وكان للسحرة ثلاثة رؤساء — ويقال بل
كانوا سبعين رئيسا — فأمر اليهم موسى :
قد رأيت ما صنعتكم ، فإن قهرتكم أتؤمنون
بالله ؟ قالوا : نعم . فعاظ فرعون مسارة

(١٠) من ٤٦٧ ج ٢ ، ط ١٩٠٠

موسى لرؤساء السحرة ، هذا والناس
يسخرون من موسى وأخيه ، ويهزأون بصا
وعليهما دراعتان من صوف ، وقد احترما
بليف .

فلوح موسى بعصاه حتى غابت عن الأعين ،
وأقبلت فى هيئة تين عظيم له عيان
يتوقدان ، والنار تخرج من فيه ومنخره ،
فلا يقع على أحد الا برص ، ووقع من ذلك
على ابنة فرعون فبرست . وصار التين فاعرا
فاه ، فالتقط جميع ما علك السحرة ، ومائتى
مركب كانت مملوءة حبلا وعصيا وسائر من
فيها من الملاحين — وكانت فى النهر الذى
يتصل بداز فرعون — وابتلع عمدا كثيرة
وحجارة قد كانت حملت الى هناك ليني بها .

ومر التين الى قصر فرعون ليتلمه
— وكان فرعون جالسا فى قبة على جانب
القصر ليشرف على عمل السحرة — فوضع
نابه تحت القصر ، ورفع نابه الآخر الى أعلاه ،
ولهب النار يخرج من فيه حتى أحرق مواضع
من القصر ، فصاح فرعون مستغيثا بسوسى
عليه السلام ، فزجر موسى التين ، فانمطت
ليتلع الناس ، ففروا كلهم من بين يديه ،
وانساب يريدنهم ، فأمسكه موسى ، وعاد فى
يده عصا كما كان .

ولم ير الناس من تلك المراكب ، وما كان
فيها من الحبال والعصى والناس ، ولا من
العمد والحجارة ، وما شربه من ماء النهر
حتى بات أرضه أثرا . فعند ذلك قالت
السحرة : ما هذا من عمل الآدميين ، وإنما
هو من فعل جبار قدير على الأشياء ! فقال

لهم موسى : أوفوا بعهديكم ، وألا سلطته عليكم يتلهمكم كما ابتلع غيركم .

فآمنوا بموسى ، وجأهروا فرعون ، وقالوا : هذا من فعل اله الساء ، وليس هذا من فعل أهل الأرض . فقال : قد عرفت ألكم قد وآمنوه على وعلى ملكى هذا منكم لى . وأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وصلبوا ، وجأهروا امرأته ، والمؤمن الذى كان يكتهم إيمانه .

وانصرف موسى ، فأقام بمصر يدعو فرعون أحد عشر شهرا ، من شهر إيار الى شهر نيسان المستقبل ، وفرعون لا يجيبه ، بل اشتد جوره على بنى اسرائيل واستبادهم ، واتخاذهم سخرى فى مهنة الأعمال . فأصاب فرعون وقومه الجوائح العشر ، واحدة بعد أخرى ، وهو يثبت لهم عند وقوعها ، وينزع الى موسى فى الدعاء بانجلائها ، ثم يلج عند انكشافها ، فأنها كانت عذابا من الله عز وجل عذب الله بها فرعون وقومه .

فإنها أن ماء مصر صار دما حتى هلك أكثر أهل مصر عطشا ، وكثرت عليهم الضفادع حتى وسخت جميع مواضعهم ، وقذرت عليهم عيشهم وجميع ماكلهم ، وكثر البعوض حتى حبس الهواء ومنع النسيم ، وكثر عليهم ذباب الكلاب حتى جرح أبدانهم ونفص عليهم حياتهم ، وماتت دوابهم وأغنامهم فجأة ، وعم الناس الجرب والجدرى حتى زاد منظرهم قبحا على مناظر الجذمى .

ونزل من السماء برد مخلوط بصواعق أهلك كل ما أدركه من الناس والحيوانات ،

وذهب بجميع الثمار ، وكثر الجراد والحنادب التى أكلت الأشجار ، واستقمت أصول النبات ، وأظلمت الدنيا ظلمة سوداء غليظة حتى كالت من غلظتها تحس بالأجسام . وبعد ذلك كله نزل الموت فجأة على بكور أولادهم ، بحيث لم يبق لأحد منهم ولد بكر الا فجع به فى تلك الليلة ، ليكون لهم فى ذلك شغل عن بنى اسرائيل .

وكانت الليلة الخامسة عشرة ، من شهر يسان سنة احدى وثمانين لموسى ، فعند ذلك سارع فرعون الى ترك بنى اسرائيل ، فخرج موسى عليه السلام من ليلته هذه ، ومعه بنو اسرائيل ، من عين شمس .

وفى التوراة أنهم أمروا عند خروجهم أن يذبح أهل كل بيت حملا من الغنم ان كان كفايتهم ، أو يشتركوا مع جيرانهم ان كان أكثر ، وأن ينضحوا من دمه على أبوابهم ليكون علامة ، وأن يأكلوا شواه رأسه وأطرافه ومماه ، ولا يكسروا منه عظما ، ولا يدعوا منه شيئا خارج البيوت ، وليكن خبزهم فطيرا ، وذلك فى اليوم الرابع عشر من فصل الربيع ، وليأكلوا بسرعة ، وأوساطهم مشدودة وخفافهم فى أرجلهم وعصيمهم فى أيديهم ، ويخرجوا ليلا ، وما فضل من عشائهم ذلك أحرقوه بالنار . وشرع هذا عيدا لهم ولأعقابهم ، ويسمى هذا عيد الفصح .

وفى أنها أمروا أن يستعمروا منهم حليا كثيرا يخرجون به ، فاستعاروه وخرجوا فى تلك الليلة بما معهم من الدواب والأنعام ، وأخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام ، استخرجه موسى من المدفن الذى كان فيه

بالهام من الله تعالى . وكانت عدتهم مائة ألف رجل محارب ، سوى النساء والصبيان والغرباء ، وشغل القبط عنهم بالماثم التى كانوا فيها على موتاهم ، فساروا ثلاث مراحل ليلا ونهارا ، حتى وافوا الى فوهة الجيروت — وتسمى نار موسى — وهو ساحل البحر بجانب الطور .

فاتهم خسرهم الى فرعون فى يومين ليلة ، فندم بعد خروجهم ، وجمع قومه ، وخرج فى كثرة ، كفاك * عن مقدارها قول الله عز وجل ، أخارا عن فرعون ، أنه قال عن بنى اسرائيل — وعدتهم ما قد ذكر ، على ما جاء فى التوراة — « ان هؤلاء لشردمة قليلون . وانهم لنا لفائظون » . ولحق بهم فى اليوم الحادى والعشرين من يسان ، فأقام المسكران ليلة الواحد والعشرين على شاطئ البحر .

وفى صيحة ذلك اليوم ، أمر موسى أن يضرب البحر بمصاه ويقتمحه ، ففلق الله لبنى اسرائيل البحر اثنى عشر طريقا ، عبر كل سبط من طريق ، وصارت المياه قائمة عن جانبهم كامتال الجبال ، وصير قاع البحر طريقا منلوكا لموسى ومن معه ، وتبعهم فرعون وجنوده فلما خاض بنو اسرائيل الى عدوة الطور ، انطلق البحر على فرعون وقومه ، فأغرقهم الله جميعا ، ونجا موسى وقومه

ونزل بنو اسرائيل جميعا فى الطور ، وسبحوا مع موسى سبيح طويل قد ذكر فى التوراة . وكانت مريم ، أخت موسى وهارون ،

(*) مريم ١٦٤ ، ج ١ ، ط ١ ، بولاق .

تأخذ الدف بيديها ، ونساء بنى اسرائيل فى أثرها بالدفوف والطبول ، وهى ترتل التسيح لهم ، ثم ساروا فى الر ثلاثة أيام ، وأقترت مصر من أهلها — وموسى بقومه ، ففنى زادهم فى اليوم الخامس من إيار ، فضجوا الى موسى ، فدعا ربه ، فنزل لهم المن من السماء ، فلما كان اليوم الثالث والعشرون من إيار عطشوا وضجوا الى موسى ، فدعا ربه ، ففجر له عينا من الصخرة .

ولم يزل يسير بهم حتى وافوا طور سينين غرة الشهر الثالث لخروجهم من مصر ، فأمر الله موسى بتطهير قومه ، واستعدادهم لساع كلام الله سبحانه ، فطهرهم ثلاثة أيام . فلما كان فى اليوم الثالث — وهو السادس من الشهر — رفع الله الطور ، وأسكنه نوره ، وظلل حوالبه بالغيام ، وأظهر فى الآفاق الرعود والبرق والصواعق ، وأسمع القوم من كلامه عشر كلمات ، وهى : « أنا الله ربكم واحد ، لا يكن لكم معبود من دونى ، لا تحلف باسم ربك كاذبا ، اذكر يوم السبت واحفظه ، بر والدك وأكرمهما ، لا تقتل النفس ، لا تزنى ، لا تسرق ، لا تشهد بشهادة زور ، لا تحسد أخاك فيما رزقه »

فصاح القوم وارتعدوا ، وقالوا لموسى : لا طاقة لنا باستماع هذا الصوت العظيم ، كن السفير بيننا وبين ربنا ، وجميع ما بأمرنا به سمعنا وأطعنا .

فأمرهم بالانصراف ، وصعد موسى الى الجبل فى اليوم الثانى عشر ، فأقام فيه أربعين يوما ، ودفع الله اليه اللوحين الجوهري المكتوب عليهما العشر كلمات ، ونزل فى اليوم الثانى

والعشرين من شهر تموز ، فرأى المعجل ،
فارتفع الكتاب ونفلا على يديه ، فالتقاهما
وكسرها ، ثم برد المعجل وذراه على الماء ،
وقتل من القوم من اسحق القل

وصعد الى الجبل في اليوم الثالث
والعشرين من تموز ، ليشفع في الباقيين من
القوم ، ونزل في اليوم الثاني من أيلول بعد
الوعد من الله له بتوبيخه لوحين آخرين
مكتوبا عليهما ما كان في اللوحين الأولين .
فصعد الى الجبل ، وأقام أربعين ليلة أخرى ،
وذلك من ذلك أيلول الى اليوم الثاني عشر
من تشرين .

ثم أمره الله بإصلاح القبة ، وكان طولها
ثلاثين ذراعا في عرض عشرة أذرع ، وارتفاع
عشرة أذرع ، ولها سرادق مضروب حواليتها
مائة ذراع في خمسين ذراعا ، وارتفاع خمسة
أذرع . فأخذ القوم في اصلاحها ، وما ترين
به من السور من الذهب والفضة والجواهر ،
سنة أشهر الشتاء كله . ولما فرغ منها نصبت
في اليوم الأول من نيسان في أول السنة
الثانية .

ويقال ان موسى عليه السلام حارب هنالك
العرب ، مثل طسم وجديس والعماليق
وجرهم وأهل مدين ، حتى أفناهم جميعا ،
وأنه وصل الى جبل فاران ، وهو مكة ، فلم
ينج منهم الا من اعتصم بملك اليمس ، أو
اتسى الى بنى اسماعيل عليه السلام .

وفي ثلثي الشهر الباقي من هذه السنة ،
ظعن القوم في بركة الطور بعد أن نزلت عليهم
التوراة ، وجملة شرائعها ستائة وثلاث عشرة
شرعة .

وفي آخر الشهر الثالث حرمت عليهم أرض
الشام أن يدخلوها ، وحكم الله تعالى عليهم
أن يتيموا في البرية أربعين سنة لقلوبهم بحاف
أهلها لأنهم جبارون . فأقاموا تسع عشرة سنة
في رقيم ، وتسع عشرة سنة في أحد وأربعين
موضعا مشروحة في التوراة .

وفي اليوم السابع من شهر أيلول من السنة
الثانية ، خسف الله بقارون وبأولياؤه -
بدعاء موسى عليه السلام عليهم - لما كذبوا .
وفي شهر نيسان من السنة الأربعين ،
توفيت مريم ابنة عمران ، أخت موسى عليه
السلام ، ولها مائة وست وعشرون سنة . وفي
شهر آب منها ، مات هارون عليه السلام ، وله
مائة وثلاث وعشرون سنة .

ثم كان حرب الكنعانيين وسيحون ،
والموج صاحب البنية من أرض حوران ، في
الشهور التي بعد ذلك الى شهر شباط . فلما
أهل شباط أخذ موسى في إعادة التوراة على
القوم ، وأمر بكتب نسختها وقراءتها ، وحفظ
ما شاهده من آثاره ، وما أخذوه عنه من
الفقه ، وكان نهاية ذلك في اليوم السادس من
آذار .

وقال لهم في اليوم السابع منه : اني في
يومي هذا استوفيت عشرين ومائة سنة ، وان
الله قد عرفني أنه يقبضني فيه ، وقد أمرني
أن أستخلف عليكم يوشع بن نون ، ومعه
السبعون رجلا الذين اخترتهم قبل هذا
الوقت ، ومعهم العازر بن هارون * أخى ،
فاسمعوا له وأطيعوا ، وأنا أشهد عليكم الله

(*) ص ٦٩ ، ج ٢ ، ط. بولاق .

الذي لا اله الا هو والأرض والسموات أن
تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، ولا تبدلوا
شرائع التوراة بغيرها .

ثم فارقتهم ، وصعد الجبل ، فقبضه الله تعالى .
هناك ، وأخفاه ، ولم يعلم أحد منهم قبره ،
ولا شاهده . وكان بين وفاة موسى وبين
الطوفان ألف وستائة وست وعشرون سنة ،
وذلك في أيام متوجهر ملك الفرس .

وزعم قوم أن موسى كان النخ . فمنهم من
جعل ذلك خلقه ، ومنهم من زعم أنه انما
اغتراه حين قالت امرأة فرعون لفرعون : لا
تقتل طفلا . لا يعرف الجمر من التمر . فلما
دعا له فرعون بهما جميعا ، تناول جمره
فأهوى بها الى فيه ، فاعتراه من ذلك ما
اعتراه . وذكر محمد بن عمر الواقدي أن
لسان موسى كانت عليه شامة فيها شعرات ،
ولا يدل القرآن على شيء من ذلك ، فليس
في قوله تعالى « واحلل عقدة من لساني »
دليل على شيء من ذلك دون شيء .

فأقاموا بعده ثلاثين يوما ليكون عليه .
الى أن أوحى الله تعالى الى يوشع بن نون
بترحيلهم ، فقادهم وعبر بهم الأردن في اليوم
العاشر من نيسان ، فوافوا أريحا ، فكان منهم
ما هو مذكور في مواضعه . فهذه جملة خبر
موسى عليه السلام .

«كنيسة جوجر» : هذه الكنيسة من أجل
كنائس اليهود . ويؤمنون أنها تنسب لنبى
الله الياس عليه السلام ، وأنه ولد بها ، وكان
يتعاهدها في طول إقامته بالأرض الى أن رفعه
الله اليه .

« الياس » : هو فينحاس بن العازر بن
هارون عليه السلام ، ويقال الياسين بن ياسين
عيزار بن هارون ، ويقال هو الياهو - وهى
عبرانية معناها قادر أزلى - وعرب فقييل
الياس .

ويذكر أهل العلم من بنى اسرائيل أنه ولد
ببصر ، وخرج به أبوه العازر من مصر مع
موسى عليه السلام وعمره نحو الثلاث
سنين ، وأنه هو الخضر الذى وعده الله
بالحياة ، وأنه لما خرج بلعام بن باعورا ليدعو
على موسى صرف الله لسانه حتى يدعو على
نفسه وقومه .

وكان من زنى بنى اسرائيل بنساء
الأمورانيين وأهل مواب ما كان ، فغضب الله
تعالى عليهم ، وأوقع فيهم الويلاء ، فمات
منهم أربعة وعشرون ألفا ... الى أن هجم
فينحاس هذا على حباء فيه رجل على امرأة
يزنى بها ، فنظهما جميعا برمحه ، وخرج وهو
رافعهما ، وشهرهما غضبا لله ، فرحمهم الله
سبحانه ، ورفع عنهم الويلاء . وكانت له أيضا
آثار مع نبى الله يوشع بن نون ، ولما مات
يوشع قام من بعده فينحاس هذا هو وكالاب
ابن يوفنا ، فصار فينحاس اماما ، وكالاب
يحكم بينهم .

وكانت الأحداث في بنى اسرائيل ، فساح
الياس ، ولبس السوح ، ولزم القفار ، وقد
وعده الله عز وجل في التوراة بدوام السلامة
فأول ذلك بعضهم بأنه لا يموت . فامتد عمره
الى أن ملك يهوذا فاط بن أسا بن أفياس بن
رحبعم بن سليمان بن داود ، عليهما السلام ،

على سبط يهوذا في بيت المقدس ، وملك
أحزب بن عسرى على الأسباط من بني
اسرائيل بمدينة شمرون المعروفة اليوم
بنابلس .

وسامت مسيرة أحزب حتى زادت في القبح
على جميع من مضى قبله من ملوك بني
اسرائيل ، وكان أشدهم كفرا ، وأكثرهم
وكونا للسكر ، بحيث أرى في الشر على أبيه
وعلى سائر من تقدمه ، وكانت له امرأة يقال
لها ميسيل ابنة أشاعل ملك صيدا ، أكثر
منه باهة وأشدهم غشوا واستكبارا ، فبعدا وثن
بعل الذي قل له فيه جل ذكره : « أتدعون
بعلا وتذرون أحسن الخالقين . الله ربكم
ورب آبائكم الأولين » ، وأقاما له مذبحا
بمدينة شمرون .

فأرسل الله عز وجل إلى أحزب عبده الياس
رسولا لينهاه عن عبادة وثن بعل ، ويأمره
بعبادة الله تعالى وحده ، وذلك قول الله عز
وجل من قائل : « وإن الياس لم ير المرسلين .
اذ قل لقومه ألا تتقون . أتدعون بعلا
وتذرون أحسن الخالقين . الله ربكم ورب
آبائكم الأولين . فكذبوه ... » ، ولما أيس
من إيمانهم بالله وتركهم عبادة الوثن ، أقسم
في مخاطبته أحزب ألا يكون مضر ولا ندى ،
ثم تركه .

فأمره الله سبحانه أن يذهب ناحية الأردن .
فكث هناك مختفيا — وقد منع الله قطر
السما حتى هلكت البهائم وغيرها — فلم
يول الياس مقيما في استاره إلى أن جف ما
كان عنده من الماء . وفي طول اذنته كان الله
جل جلاله يبعث إليه بغربان تحمل له الخبز

واللحم ، فلما جف ماؤه الذي كان يشرب منه
لاستماع المطر ، أمره الله أن يسير إلى بعض
مدائن صيدا .

فخرج حتى وافى باب المدينة ، فإذا امرأة
تحتطب ، فسألها ماء يشربه وخبزا يأكله ،
فأقسمت له أن ما عندها الا مثل غرفة دقيق
في إهاء وشيء من زيت في جرة ، وأنها تجمع
الحطب لتقت منه هي وابنها . فبشرها الياس
عليه السلام ، وقال لها : لا تجزعي وافعلي
ما قلت لك ، واعلمي لي خبزا قليلا قبل أن
تعملي لنفسك ولولدك ، فإن الدقيق لا يعجز
من الإهاء ولا الزيت من الجرة حتى ينزل
المطر ، ففعلت ما أمرها به ، وأقام عندها ، فلم
ينقص الدقيق ولا الزيت بعد ذلك . إلى أن
مات ولدها ، وجزعت عليه ، فسأل الياس
ربه تعالى فحيا الولد .

وأمره الله أن يسير إلى أحزب ملك بني
اسرائيل لينزل المطر عند أخباره له بذلك ،
فسار إليه ، وقال له : اجمع بني اسرائيل
وابناء بعل . فلما اجتمعوا قل لهم الياس :
إلى متى هذا الضلال ؟ إن كان الرب الله
فأعبدوه ، وإن كان بعل هو الله ، فأرجعوا بنا
إليه . وقال : ليقرب كل منا قربانا ، فأقرب
أنا الله ، وقربوا أنتم لبعل ، فمن تقبل منه
قربانه ، ونزلت نار من السماء فكلته ، فالله
الذي يعبد .

فلما رضوا بذلك ، أحضروا ثورين ،
واختاروا أحدهما وذبحوه ، وصاروا ينادون
عليه : يا بعل ، يا بعل ، والياس يسخر
بهم ويقول : لو رفعت أصواتكم قليلا فلعل

(١٧٠ من ج ٢ ، ط - بولاق ٥)

المكتم قائم أو مشغول . وهم يصرخون
ويجرحون أيديهم بالسكاكين ودماؤهم تسيل ،
فلما أيسوا من أن تنزل النار وتاكل قربانهم ،
دعا الياس القوم إلى نفسه ، وأقام مذبحا ،
وذبح ثوره وجعله على المذبح ، وصب الماء
فوقه ثلاث مرات ، وجعل حول المذبح خندقا
محفورا . فلم يزل يصب الماء فوق اللحم حتى
امتلا الخندق من الماء ، وقام يدعو الله عز
اسمه ، وقال في دعائه : اللهم اظهر لهذه
الجماعة أنك الرب ، وأنى عبدك عامل بأمرك .
فأنزل الله سبحانه نارا من السماء أكلت
القربان ، وحجارة المذبح التي كان فوقها
اللحم ، وجميع الماء الذي صب حوله .

فسجد القوم أجمعون ، وقالوا : نشهد
أن الرب الله ، فقال الياس : خذوا أبناء
بعل ، فأخذوا وجرى بهم ، فذبحهم كلهم
ذبحا ، وقال لأحزب : أول وكل واشرب ،
فان المطر نازل ، فنزل المطر على ما قال .

وكان الجهد قد اشتد ، لانقطاع المطر
مدة ثلاث سنين وأشهر ، وغزر المطر حتى لم
يستطع أحزب أن يتصرف لكثرة ، ففقت
ميسيل ، امرأة أحزب ، لقتل أبناء بعل ،
وحلفت بآلهتها لتجعلن روح الياس عوضهم .
ففزع الياس ، وخرج إلى المفاوز وقد اغتم
غما شديدا ، فأرسل الله إليه ملكا معه خبز
ولحم وماء ، فأكل وشرب ، وقواه الله حتى
مكث بعد هذه الأكلة أربعين يوما لا يأكل
ولا يشرب . ثم جاءه الوحي بأن يمضي إلى
دمشق ، فسار إليها ، وصحب اليسع بن
شابات — ويقال بن حظور — فصار تلميذه .
فخرج من أريحا ومعه اليسع حتى وقف على

الأردن ، فنزع رداءه وثقه ، وضرب به ماء
الأردن ، فافترق الماء عن جانبيه وصار طريقا .

فقال الياس حينئذ لليسع : اسأل ما شئت
قبل أن يحال بيني وبينك ، فقال اليسع :
اسأل أن يكون روحك في مضاعفا ، فقال :
لقد سألت جيسا ، ولكن ان أبصرتني اذا
رفعت عنك يكون ما سألت ، وإن لم تبصرني
لم يكن . وبينما هما يتحدثان اذ ظهر لهما
كالنار فرق بينهما ، ورفع الياس إلى السماء
واليسع ينظره ، فانصرف وقام في النبوة مقام
الياس .

وكان رفع الياس في زمن يهورام بن
يهوشافاط ، وبين وفاة موسى عليه السلام
وبين آخر أيام يهورام خمسمائة وسبعون
سنة ، ومدة نبوة موسى عليه السلام أربعون
سنة . فعلى هذا يكون مدة عمر الياس ، من
حين ولد بمصر إلى أن رفع بالأردن إلى
السما ، ستائة سنة وبضع سنين .

والذي عليه علماء أهل الكتاب ، وجماعة
من علماء المسلمين ، أن الياس حي لم يموت .
الا أنهم اختلفوا فيه ، فقال : بعضهم انه هو
فينحاس كما تقدم ذكره ، ومنع هذا جماعة
وقالوا : هما اثنان ، والله أعلم .

« كنية المصاصة » : هذه الكنية يجعلها
اليهود ، وهي بخط المصاصة من مدينة
مصر ، ويؤمنون أنها رمت في خلافة أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
وموضعها يعرف بدرب الكرمة ، وبنت في
سنة خمس عشرة وثلاثمائة للاسكندر ، وذلك
قبل الملة الاسلامية بنحو ستمائة واحد

وعشرين سنة ، وزعم اليهود أن هذه الكنيسة كانت مجلسا لبي الله الياس .

« كنيسة الثامين » : هذه الكنيسة بخط قصر النسخ من مدينة مصر . وهي قديمة مكتوب على بابها بالخط العبراني - حفرها في الخشب - أنها بنيت في سنة ست وثلاثين وثلثائة للاسكندر ، وذلك قبل خراب بيت المقدس الخراب الثاني - الذي خربه طيطس - بنحو خمس وأربعين سنة ، وقبل الهجرة بنحو ستائة سنة وبهذه الكنيسة نسخة من التوراة لا يختلفون في أنها كلها بخط عزرا النبي ، الذي يقال له بالعربية العزيز .

« كنيسة العراقيين » : هذه الكنيسة أيضا بخط قصر الشمع .

« كنيسة بالجودرية » : هذه الكنيسة بحارة الجودرية من القاهرة . وهي خراب منذ أحرق الخليفة الحاكم بأمر الله حارة الجودرية على اليهود ، كما تقدم ذكر ذلك في الحارات ، فانظره .

« كنيسة القرائين » : هذه الكنيسة كان يسلك إليها من تجاه باب سر المارستان المنصوري في حدة ينتهي إليها بحارة زويلة ، وقد سدت الخوخة التي كانت هناك ، فصار لا يتوصل إليها الا من حارة زويلة . وهي كنيسة تختص بطائفة اليهود القرائين .

« كنيسة دار الحدة » : هذه الكنيسة بحارة زويلة ، في درب يعرف الآن بدرب الرايض ، وهي من كنائس *
(*) مر ٢٧١ ج ٢ ، ط . بلاق .
(١) مكدنا بياس في الاصل .

« كنيسة الربانيين » : هذه الكنيسة بحارة زويلة ، يدرب يعرف الآن بدرب البادين ، يسلك منه الى تجاه السبع قاعات والى مويقة المسمودي وغيرها . وهي كنيسة تختص بالربانيين من اليهود .

« كنيسة ابن شيخ » : هذه الكنيسة بجوار المدرسة العاشورية من حارة زويلة . وهي مما يختص به طائفة القرائين .

« كنيسة السمرة » : هذه الكنيسة بحارة زويلة ، في خط درب ابن الكوراني ، تختص بالسمرة .

وجميع كنائس القاهرة المذكورة محدثة في الاسلام بلا خلاف .

ذكر تاريخ اليهود واعيادهم

قد كانت اليهود أولا تؤرخ بوفاة موسى عليه السلام ، ثم صارت تؤرخ بتاريخ الاسكندر بن فيلش . وشهور سنتهم اثنا عشر شهرا ، وأيام السنة ثلثائة وأربعة وخمسون يوما . فأما الشهور فأنها : تشرى ، مرحشوان ، كسلو ، طييث ، شفت ، آذر ، نيسن ، أيار ، سيوان ، تموز ، آب ، أيلول . وأيام سنتهم أيام سنة القمر ، ولو كانوا يستعملونها على حالها لكانت أيام سنتهم وعدد شهورهم شيئا واحدا ، ولكنه لما خرج بنو اسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام الى التيه ، وتخلصوا من عذاب فرعون وما كانوا فيه من العبودية ، واثتمروا بما أمروا به - كما وصف في السفر الثاني من التوراة - اتفق ذلك ليلة اليوم الخامس

عشر من نيسن ، والقمر تام الضوء ، والزمان ربيع .

فأمروا بحفظ هذا اليوم ، كما قال في السفر الثاني من التوراة : احفظوا هذا اليوم سنة ، لخلوفكم الى الدهر في أربعة عشر من الشهر الأول . وليس معنى الشهر الأول هذا شهر تشرى ، ولكنه عنى به شهر نيسن ، من أجل أنهم أمروا أن يكون شهر النسخ رأس شهورهم ، ويكون أول السنة .

فقال موسى عليه السلام للشعب اذكروا اليوم الذي خرجتم فيه من التبيد ، فلا تاكلوا خيرا في هذا اليوم ، في الشهر الذي ينضر فيه الشجر . فلذلك اضطروا الى استعمال سنة الشمس ، ليقع اليوم الرابع عشر من شهر نيسن في أوان الربيع حين تورق الأشجار وتزهو الثمار ، والى استعمال سنة القمر ليكون جرمه فيه بدرا تام الضوء في برج الميزان .

وأخرجهم ذلك الى الحاق الأيام التي يتقدم بها عن الوقت المطلوب بالشهور اذا اسوفيت أيام شهر واحد ، فالحقوها بها شهرا تاما سواه آذار الأول . سمو آذار الأصل آذار الثاني لأنه ردف سبيا له وتلاه ، وسنوا السنة الكبيسة « عبورا » اشتقاقا من معبارا ، وهي المرأة الحبلى بالعبرانية ، لأنهم شبهوا دخول الشهر الزائد في السنة بحمل المرأة ما ليس من جملتها ، ولهم في استخراج ذلك حسابات كثيرة مذكورة في الأزياج .

وهم في عمل الأشهر مفرقون فرقتين :

أحدهما الربانية : واستمالهم أياها على وجه الحساب بحسب السير الشمس والقمر الوسط ، سواء رؤى الهلال أو لم ير ، فإن الشهر عندهم هو مدة مفروضة تنضي من لدن الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر في كل شهر . وذلك أنهم كانوا - وقت عودهم من الجالية يبابل الى بيت المقدس - ينصبون على رؤوس الجبال دبابد ، ويقيمون رقباه للفحص عن الهلال ، وألزمهم بايقاد النار ، وتدخين دخان يكون علامة لحصول الرؤية .

وكانت بينهم وبين السامرة العداوة المعروفة فذهبت السامرة ، ورقعوا الدخان فوق الجبل قبل الرؤية يوم ، ووالوا بين ذلك شعورا اتفق في أوائلها أن الساء كانت متغيبة ... حتى فطن لذلك من في بيت المقدس ، ورأوا الهلال غداة اليوم الرابع أو الثالث من الشهر مرتفعا عن الأفق من جهة المشرق ، فمرفوا أن السامرة متتهم ، فالتجأوا الى أصحاب التعاليم في ذلك الزمان ليأمنوا بما يتلقونه من حسابهم مكابد الأعداء ، واعتلوا لجواز العمل بالحساب ، ونيابته عن العمل بالرؤية ، بملل ذكروها . فعمل أصحاب الحساب لهم الأدوار ، وعلموهم استخراج الاجتماعات ورؤية الهلال .

وأفكر بعض الربابة حديث الرقباء ورفعهم الدخان ، وزعموا أن سبب استخراج هذا الحساب هو أن علماءهم علموا أن آخر أمرهم الى الشتات ، فخافوا اذا تفرقوا في الأقطار ، وعولوا على الرؤية ، أن تختلف عليهم في البلدان المختلفة ، فيتساجروا ، فلذلك

استخرجوا هذه الحبوب ، واستى ط
يعملون في فروج ، ونموهم يراهم
ورجوع اليه حيث كانوا .

وعرفه المدينة هم المدينة التي يصوم
مباني السور من الاجماع ، ويسون
الغراء والاسمية : لانهم يراعون العمل
بالخصوص دون الاكل في الشطر والقيس .
وم يراوا على ذلك في ان قدمه على رأس
البحر من بلاد الشرق ، في نحو الاربعين
ومائة من الهجرة ، الى دار السلام بالعراق ،
ومستعمل شهر بريرة واحدة ، على مثل ما
شرع في الامام ، وم يراوا في يوم وقع
من الاسبوع . وترك حساب الريانين ،
وكس السور بان نقر كل سنة الى ذرع
البحر بنوحى العراق واسم . فداين اول
شهر بين الى ان يضى منه اربعة عشر يوما ،
فما وجد بكرة تصح الحديث والحضد ترك
السة بيعة ، وان وجعها لم تصح لذلك
كبه حيث .

ونظمت معرفة هذه العدة ان من أخذ
بريه يخرج سبعة تبقى من شظف . فينظر
بندم والذبح الشافية له في مزاج الى زرع
البحر . فان وجد الشظف - وهو شوك
السنبل - قد وقع عنه منه الى السج
خمس يوما . وان لم يره فاعلم كسها
بشهر : فبعضهم يردف الكس بشظف ،
فيكون في السنة شظف وشظف مرتين ،
وبعضهم يردفه بأذر ، فيكون أذر وأذر في

المراتب : حدة ، حدة ، حدة ، حدة .

هذا هو الحساب الصحيح .

السة مرتين . وكسر استعمال المدينة شظف
ذو كسر ، كذا في الريانية تستعمل كسر دون
غيره ، من بعض من الريانية على السور
بالحساب : يقول ان شهر تشرى لا يكون اونه
يوم واحد ولا اربعة ، وعدته عندهم ثلاثون
يوما أبدا ، وفيه عيد رأس السنة ، وهو عيد
الندرة بين الأرزاء ، وهذا العيد في أول
يوم منه .

وهم يفت في اليوم الحاشر منه صوم
السنور . وهذه الامتياز . وعند الريانين
ان هذا الصوم لا يكون أبدا يوم واحد ولا
ثلاثة ولا خمسة ، وعد من يعتمد في
الشهر الرؤية ان يتعد هذا الصوم من
حروب الشمس في ليلة العشر الى غروها من
ليلة الحادى عشر ، وذلك أربع وعشرون
سنة . والريانيون يجعلون مدة الصوم خسا
وعشرين ساعة الى ان تشتبك النجوم ، ومن
لم يصم منهم هذا الصوم قتل شرعا ، وهم
يعتقدون ان الله يغفر لهم فيه جميع الذنوب ،
ما خلا الزنا بالحصنات ، وضم الرجل أخاه ،
وجحد الربوية .

وفيه أيضا عيد نظفة ، وهو سبعة أيام ،
يعيدون في اونها ، ولا يخرجون من بيوتهم
كما هو فعل يوم السبت . وعدة أيام النظفة
الى آخر اليوم ثلثي والعشرين تمام سبعة
أيام . واليوم الثامن يقال له عيد الاعتكاف ،
وهم يجلسون في هذه الأيام السبعة - التي
أولها خامس عشر تشرى - تحت ظلال
سعف النخل الأخضر والغصان الزيتون ،
ونحوها من الأشجار التي لا يتأثر ورقها على
الأرض ، ويرون ان ذلك تذكروا منهم لأفلاك

ان آياتهم في آتية الطعام . وفيه أيضا ، عند
الفرانين خاصة ، صوم في اليوم الرابع
والعشرين منه ، يعرف بصوم كديا ، وعند
الريانيين يكون هذا الصوم في ثالث .

وشهر مرحشوان ربما كان ثلاثين يوما ،
وربما كان تسعة وعشرين يوما ، وليس فيه
عيد .

وكليو ربما كان ثلاثين يوما ، وربما كان
تسعة وعشرين يوما ، وليس فيه عيد ، الا ان
الريانيين يرجون على أبوابهم ليلة الخامس
والعشرين منه ، وهو مدة أيام يسونها
الحكمة ، وهو أمر محلت عندهم .

وذلك ان بعض الجبابرة قلب على بيت
المقدس ، وقتل من كان فيه من بني اسرائيل ،
واقضى أبقارهم . فوثب عليه أولاد كاهنهم
- وكانوا ثمانية - فقتله أصفهم ، وطلب
اليهود زنا لوقود الهيكل ، فلم يجدوا الا
يسرا وزعوه على عدد ما بوقدونه من السرج
في كل ليلة الى ثمان ليال ، فاتخذوا هذه
الأيام عيدا ، وسموها أيام الحكمة ، وهي
كلية مأخوذة من التطيف ، لأنهم نظفوا فيها
الهيكل من أقدار أشياع ذلك الجبار . والقراء
لا يعملون ذلك ، لأنهم لا يعملون على شيء
من أمر البيت الثاني .

وشهر طيث عند أيامه تسعة وعشرون
يوما . وفي عاشره صوم ، سببه أنه في ذلك
اليوم كان ابتداء محاصرة بخت نصر لمدينة
بيت المقدس ، ومحاصرة طيطش لها أيضا في
الخراب الثاني .

وشظف أيامه أبدا ثلاثون يوما ، وليس
فيه عيد .

وشهر آذر عند الريانيين - كما تقدم -
يكون مرتين في كل سنة : فأذر الأول عند
أيامه ثلاثون يوما ان كانت السنة كيية ،
وان كانت بسيطة فأيامه تسعة وعشرون
يوما ، وليس فيه عيد عندهم . وأذر الثاني
أيامه تسعة وعشرون يوما أبدا ، وفيه عند
الريانيين صوم القوز في اليوم الثالث عشر
منه ، والقوز في اليوم الرابع عشر واليوم
الخامس عشر .

وأما القرامون فليس عندهم في السنة شهر
آذر سوى مرة واحدة ، ويجعلون صوم
القوز في ثالث عشره ، وبعده الى الخامس
عشره .

وهذا أيضا محلت . وذلك ان بخت نصر
لما أجلى بني اسرائيل من بيت المقدس وخربه ،
ساقهم جلاية الى بلاد العراق ، وأسكنهم في
مدينة خي التي يقال لها أصهان . فلما ملك
أزدشير بن بابك ملك القرس - وتسميه
اليهود أشوارش - كان له وزير يسمى
هيمون ، وكان لليهود حينئذ حبر يقال له
مردوخاي ، فبلغ أزدشير أن له ابنة عم جيلة
الصورة ، فتزوجها وحطت عنده ، واستدلى
مردوخاي ابن عمها وقره .

فحسده الوزير هيمون ، وعمل على هلاكه
وهلاك اليهود الذين في ملكة أزدشير ،
ورب مع نواب أزدشير في سائر أعماله أن
يقتلوا كل يهودي عندهم في يوم عينة لهم ،
وهو الثالث عشر من آذر ، فبلغ ذلك

مردوخاي ، فأعلم ابنة عنه بما دبره الوزير ، وحثها على افعال الحيلة في تخلص قومها من من الملكة . فأعلنت أزدشير بحسد الوزير لمردوخاي على قربه من الملك واکرامه ، وما كتب به الى العمال من قتل اليهود ، وما زالت به تغريه على الوزير الى أن أمر بقتله وقتل أهله ، وكتب لليهود أمانا .

فاتخذ اليهود هذا اليوم من كل سنة عيدا ، وصاموه شكرا لله تعالى ، وجعلوا من بعده يومين اتخذوهما أيام فرح وسرور ولهو ومهاداة من بعضهم لبعض ، وهم على ذلك الى اليوم . وربما صور بعضهم في هذا اليوم صورة هيون الوزير ، وهم يسونه هامان ، فاذا صوروه ألقوه بعد الميث به في النار حتى يحترق .

وشهر نيسن عند أيامه ثلاثون يوما أبدا . وفيه عيد الفصح ، الذي يعرف اليوم عند النصارى بالفصح ، ويكون في الخامس عشر منه ، وهو سبعة أيام يأكلون فيها القبطير ، وينشقون يوتهم ، من أجل أن الله سبحانه خلص بني اسرائيل من أسر فرعون في هذه الأيام ، حتى خرجوا من مصر مع نبي الله موسى بن عمران عليه السلام ، وتبعهم فرعون فأغرقه الله ومن معه ، وسار موسى ببني اسرائيل الى التيه

ولما خرجوا من مصر مع موسى ، كانوا يأكلون اللحم والخبز والبطير ، وهم فرحون بخلاسهم من يد فرعون ، فأمرؤا باتخاذ القبطير وأكله في هذه الأيام ، ليدذكروا ما من

(١٠) من ١٧٢٢ جزء ، طبع بولاق

الله عليهم به من انقاذهم من العبودية ، وفي آخر هذه الأيام السبعة كان غرق فرعون ، وهو عندهم يوم كبير . ولا يكون أول هذا الشهر عند الربانيين أبدا يوم الاثنين ، ولا يوم الأربعاء ، ولا يوم الجمعة ، ويكون أول الخسنيات من نصفه

وشهر امار عدد أيامه تسعة وعشرون يوما . وفيه عيد الموقف ، وهو حج الأسايح ، وهي الأسايح التي فرضت على بني اسرائيل فيها الفرائض . ويقال لهذا العيد في زمار عيد المنصرة ، وعيد الخطاب ، ويكون بعد عيد القبطير ، وفيه خوطب بنو اسرائيل في طور سيناء ، ويكون هذا العيد في السادس منه ، وفيه أيضا يوم الحيس ، وهو آخر الخسنيات . ولا يكون عيد المنصرة عند الربانيين أبدا يوم الثلاثاء ، ولا يوم الحيس ولا يوم السبت .

وشهر تموز أيامه تسعة وعشرون يوما . وليس فيه عيد ، لكنهم يصومون في تاسعهم لأن فيه هدم سور بيت المقدس عند محاصرة بخت نصر له . والربانيون خاصة يصومون يوم السابع عشر منه ، لأن فيه هدم طيطش سور بيت المقدس ، وخرب البيت الخراب الثاني .

وشهر آب ثلاثون يوما . وفيه عيد المرائين صوم في اليوم السابع واليوم العاشر ، لأن بيت المقدس خرب فيهما على يد بخت نصر . وفيه أيضا كان اطلاق بخت نصر السار في مدينة القدس وفي الهيكل يصوم الربانيون اليوم التاسع منه ، لأن فيه حرب البيت على يد طيطش الخراب الثاني

وشهر أبلول تسعة وعشرون يوما أبدا ، وليس فيه عيد . والله تعالى اعلم

ذكر معنى قولهم يهودى

اعلم أن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، صلوات الله عليهم أجمعين ، سماه الله اسرائيل ، ومعنى ذلك الذي رأسه القادر ، وكان له من الولد اثنا عشر ذكرا ، يقال لكل واحد منهم سبط ويقال لمجموعهم الأسباط ، وهذه أسماؤهم . روبيل ، وشمعون ، ولاوى ، ويهوذا ، ويساخر ، وزبولون ، والستة أشقاء : أمهم ليا بنت لابان بن بتوئل ابن ناحور ، أخى ابراهيم الخليل - وكان ، وأشار ، ودان ، وتقتالي ، ويوسف ، وبنيامين

فلما كبر هؤلاء الأسباط الاثنا عشر ، قدم عليهم أبوهم يعقوب - وهو اسرائيل - ابنه يهوذا ، وجعله حاكما على اخوته الاثنا عشر سبطا ، فاستمر رئيسا وحاكما على اخوته الى أن مات ، فورثت أولاد يهوذا رئاسة الأسباط من بعده . الى أن أرسل الله تعالى موسى بن عمران بن قاهات بن لاوى بن يعقوب الى فرعون ، بعد وفاة يوسف بن يعقوب عليهما السلام بمائة وأربع وأربعين سنة ، وهم رؤساء الأسباط .

فلما نجى الله موسى وقومه بعد غرق فرعون ومن معه ، رتب عليه السلام بني اسرائيل الاثني عشر سبطا أربع فرق ، وقدم على جميعهم سبط يهوذا . فلم يزل سبط يهوذا مقدما على سائر الأسباط أيام حياة موسى عليه السلام وأيام حياة يوشع بن نون

فلما مات يوشع سأل بنو اسرائيل الله تعالى ، وابتهلوا اليه في قبة الششبار أن يقدم عليهم واحدا منهم ، فجاء الوحي من الله بتقديم غشبال بن قناز من سبط يهوذا ، فتقدم على سائر الأسباط ، وصار بنو يهوذا مقدمين على سائر الأسباط من حينئذ .

الى أن ملك الله على بني اسرائيل نبيه داود - وهو من سبط يهوذا - فورث ملك بني اسرائيل من بعده ابنه سليمان بن داود عليهما السلام . فلما مات سليمان افرق ملك بني اسرائيل من بعده ، وصار لمدينة شمرون - التي يقال لها اليوم نابلس - عشرة أسباط ، وبقي بمدينة القدس سبطان : هما سبط يهوذا ، وسبط بنيامين .

وكان يقال لسكان شمرون بنو اسرائيل ، ويقال لسكان القدس بنو يهوذا . الى أن انقرضت دولة بني اسرائيل من مدينة شمرون بعد مائتين واحد وخمسين سنة ، فصاروا كلهم بالقدس تحت طاعة الملوك من بني يهوذا الى أن قدم بخت نصر وخرب القدس ، وجلا جميع بني اسرائيل الى بابل ، فعرفوا هناك بين الأمم ببني يهوذا .

واستمر هذا سمة لهم بين الأمم بعد ذلك . الى أن جاء الله بالاسلام ، فكان يقال للواحد منهم « يهودى » بذال معجمة نسبة الى سبط يهوذا ، وتلاعب العرب بذلك على عادتهم في التلاعب بالأسماء المعجمة ، وقالوها بدال مهمل ، وسموا طائفة بني اسرائيل اليهود ، وهذه اللفظة نزل القرآن . ويقال ان

(١١) من ١٧٤ جزء ، طبع بولاق

اول من سمي بنى اسرائيل اليهود بخت نصر ،
واش يعلم واتم لا تعلمون .

ذكر معتقد اليهود وكيف وقع عندهم التبديل

اعلم ان الله سبحانه لما انزل التوراة على
بيه موسى عليه السلام ، ضمنها شرائع الملة
الموسوية ، وأمر فيها أن يكتب لكل من يلي
أمر بنى اسرائيل كتاب يتضمن أحكام الشرعة
ليظهر فيه ، ويعمل به ، وسمى هذا الكتاب
بالعبرانية « مشنا » ، ومعناه استخراج
الأحكام من النص الالهي ، وكتب موسى عليه
السلام بخط يده « مشنا » كأنه تفسير لما في
التوراة من الكلام الالهي .

فلما مات موسى عليه السلام ، وقام من
بعده بأمر بنى اسرائيل يوشع بن نون ومن
بعده . الى أن كانت أيام يهوياقيم ملك
القدس ، غزاهم بخت نصر الفرسوة الاولى
وهم يكتبون لكل من ملكهم « مشنا » ،
ينقلونها من المشنا التي بخط موسى ،
ويجعلونها باسمه . فلما جلا بخت نصر
يهوياقيم الملك ، ومعه أعيان بنى اسرائيل
وكبراء بيت المقدس - وهم في زيادة على
عشرة آلاف نس - ساروا ، ومعهم نسخ
المشنا التي كتبت لسائر ملوك بنى اسرائيل
بأجمعها ، الى بلاد المشرق .

فلما سار بخت نصر من بابل الكرة الثانية
لفزو القدس ، وخربه ، وجلا جميع من فيه
وفي بلاد بنى اسرائيل من الأسباط الاثني
عشر ، الى بابل ، أقاموا بها ، وبقي القدس
خرابا لا ساكن فيه مدة سبعين سنة ، ثم عادوا

من بابل بعد سبعين سنة ، وعبروا القدس ،
وجددوا بناء البيت ثانيا ، ومعهم جميع
نسخ المشنا التي خرجوا بها أولا .

فلما مضت من حجارة البيت الثاني بعد
الجلابة ثلاثمائة وليف من السنين ، اختلف
بنو اسرائيل في دينهم اختلافا كثيرا ، فخرج
طائفة من آل داود عليه السلام من بيت
المقدس ، وساروا الى الشرق كما فعل آبائهم
أولا ، واخذوا معهم نسخا من المشنا التي
كتبت للملوك من مشنا موسى التي بخطه ،
وعملوا بها فيها ببلاد الشرق من حين خرجوا
من القدس الى أن جاء الله بدين الاسلام ،
وقدم عازان رأس الجبالوت من المشرق الى
العراق ، في خلافة أمير المؤمنين أبي جعفر
المصور ، سنة ست وثلاثين ومائة من سني
الهجرة المحمدية

وأما الذين أقاموا بالقدس من بنى اسرائيل
بعد خروج من ذكرنا الى الشرق من آل داود
فانهم لم يزالوا في افتراق واختلاف في دينهم
الى أن غزاهم طيطش ، وخرّب القدس الخراب
الثاني - بعد قتل يحيى بن زكريا ، ورفع
المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام -
وسمى جميع من فيه وفي بلاد بنى اسرائيل
بأسرهم ، وغيب نسخ المشنا التي كانت
عندهم ، بحيث لم يبق معهم من كتب الشرعة
سوى التوراة وكتب الانبياء .

وتفرق بنو اسرائيل من وقت تخریب
طيطش بيت المقدس في أقطار الأرض ،
وصاروا ذمة الى يومنا هذا . ثم ان رجلين
من تأخر الى قبيل تخریب القدس - يقال
لهما شمائي وهلال - نزلا مدينة طبرية ،

وكتبوا كتابا سمياه مشنا باسم مشنا موسى عليه
السلام ، وضمنوا هذا المشنا الذي وضعوا
أحكام الشرعة ، ووافقهما على وضع ذلك
عدة من اليهود .

وكان شمائي وهلال في زمن واحد ، وكانا
في أواخر مدة تخریب البيت الثاني ، وكان
لهلال ثمانون تلميذا أصغرهم يوحنا بن
زكاي ، وأدرك يوحنا بن زكاي خراب البيت
الثاني على يد طيطش . وهلال وشمائي
أقوالهما مذكورة في المشنا ، وهي في ستة
أسفار تشمل على فقه التوراة ، واسما ربها
النومى ، من ولد داود النبي ، بعد تخریب
طيطش للقدس بمائة وخسين سنة .

ومات شمائي وهلال ولم يكمل المشنا ،
فاكمله رجل منهم يعرف يهودا من درية
هلال ، وحمل اليهود على العمل بما في هذا
المشنا ، وحقيقته أنه يتضمن كثيرا مما كان
في مشنا النبي موسى عليه السلام ، وكثيرا
من آراء أكابرهم . فلما كان بعد وضع هذا
المشنا بنحو خمسين سنة ، قام طائفة من
اليهود يقال لهم السهندوين - ومعنى ذلك
الأكابر - وتصرفوا في تفسير هذا المشنا
برأيهم ، وعملوا عليه كتابا اسمه « التلمود »
أخفوا فيه كثيرا مما كان في ذلك المشنا ،
وزادوا فيه أحكاما من رأيهم .

وصاروا منذ وضع هذا التلمود الذي
كتبوه بأيديهم ، وضمنوه ما هو من رأيهم ،
ينسبون ما فيه الى الله تعالى ، ولذلك ذمهم
الله في القرآن الكريم بقوله تعالى : « فويل
للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل

لهم مما كتب أيديهم ، وويل لهم مما
يكسبون . »

وهذا التلمود لختان مختلفتان في
الأحكام . والعمل الى اليوم على هذا التلمود
عند فرقة الربانيين ، بخلاف القرائين فانهم لا
يعتقدون العمل بما في هذا التلمود .

فلما قدم عازان رأس الجبالوت الى
العراق ، أنكر على اليهود عملهم بهذا
التلمود ، وزعم أن الذي يبدع هو الحق لأنه
كتب من النسخ التي كتبت من مشنا موسى
عليه السلام الذي بخطه . والطائفة الربانيون
ومن وافقهم لا يعملون من التوراة التي
بأيديهم الا على ما في هذا التلمود ، وماخالف
ما في التلمود لا يعملون به ولا يعملون عليه ،
كما أخبر تعالى اذ يقول حكاية عنهم : « انا
وجدنا آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم
مقتدون . »

ومن اطلع على ما بأيديهم وما عندهم من
التوراة ، تبين له أنهم ليسوا على شيء ، وأنهم
ان يتبعون الا الظن وما تصوى الأنفس .
ولذلك لما بُغ فيهم موسى بن ميمون القرطبي
عولوا على رأيه ، وعملوا بما في كتاب الدلالة
وغيره من كتبه ، وهم على رأيه الى زماننا .

ذكر فرق اليهود الآن

اعلم أن اليهود الذين قطعهم الله في الأرض
أما أربع فرق ، كل فرقة تخطئ الطوائف
الأخرى ، وهي : طائفة الربانيين ، وطائفة
القرائين ، وطائفة العازانية ، وطائفة السرة .

وهذا الاختلاف حدث لهم بعد تخريب بخت نصر بيت المقدس ، وعودهم من أرض بابل بعد الجلاية الى القدس ، وعسارة البيت ثانيا . وذلك أنهم في اقامتهم بالقدس أيام العسارة الثانية ، افرقوا في دينهم ، وساروا شيئا .

فلما ملكهم اليونان بعد الاسكندر بن فيليبس ، وقام بأمرهم في القدس هورقانوس ابن شمعون بن ميثا ، واستقام أمره فسي ملكا - وكان قبل ذلك هو جميع من تقدمه ، ممن ولى أمر اليهود في القدس بعد صودهم من الجلاية ، انما يقال له الكوهن الأكبر - فاجتمع لهورقانوس منزلة الملك ومنزلة الكهنية ، واطمان اليهود في أيامه ، وأمنوا سائر أعدائهم من الأمم ، فبطروا معيشتهم ، واختلجوا في دينهم ، وتصادوا بسبب الاختلاف .

وكان من جملة فرقهم اذ ذاك طائفة يقال لها الفروثيم - ومعناه المعتزلة - ومن مذهبهم القول بما في التوراة على معنى ما فسره الحكماء من أسلافهم وطائفة يقال لهم الصدوفية - بقاء - نسبوا الى كير لهم يقال له صدوف ، ومذهبهم القول بنص التوراة ، وما دل عليه القول الالهى فيها دون ما عداه من الأقوال . وطائفة يقال لهم الجديم - ومعناه الصلحاء - ومذهبهم الاشتغال بالنسك وعبادة الله سبحانه ، والأخذ بالأفضل والأسلم في الدين .

وكانت الصدوفية تمادى المعتزلة عداوة صديده ، وكان الملك هورقانوس أولا على رأى المعتزلة - وهو مذهب آبائه - ثم انه

رجع الى مذهب الصدوفية ، وباين المعتزلة وعاداهم ، وفادى في سائر مملكته بنسج الناس جملة من تعلم رأى المعتزلة والأخذ عن أحد منهم ، وتبعهم وقتل منهم كثيرا .

وكانت العامة بأسرها مع المعتزلة ، فثارت الشرور بين اليهود ، واتصلت الحروب بينهم ، وقتل بعضهم بعضا ... الى أن خرب البيت على يد طيطش الخراب الثانى ، بعد رفع عيسى صلوات الله عليه ، وتفرق اليهود من حيثئذ في أقطار الدنيا ، وصاروا ذمة ، والنصارى تقتلهم حيثما ظفرت بهم . الى أن جاء الله بالملة الاسلامية ، وهم في تفرقهم ثلاث فرق : الربانيون ، والقراء ، والسرة .

فأما « الربانية » فيقال لهم بنو مشنو - ومعنى مشنو الثانى - وقيل لهم ذلك لأنهم يعتبرون أمر البيت الذى بنى ثانيا ، بعد عودهم من الجلاية وخربه طيطش ، وينزلونه في الاحترام والاكرام والتعظيم منزلة البيت الأول الذى ابتداء عمارته داود ، وأتمه ابنه سليمان عليهما السلام ، وخربه بخت نصر ... فصار كأنه يقال لهم أصحاب الدعوة الثانية . وهذه الفرقة هى التى كانت تعمل بما في المشنا الذى كتب بطبرية بعد تخريب طيطش القدس ، وتعمل في أحكام الشريعة على ما فى التلمود الى هذا الوقت الذى نحن فيه ، وهى بعيدة عن العمل بالنصوص الالهية ، متبعة لأراء من تقدمها من الأخبار .

ومن اطلع على حقيقة دينها ، تبين له أن الذى دهمهم الله به فى القرآن الكريم حق لا مرية فيه ، وأنه لا يصح لهم من اسم اليهودية

الا مجرد الاتساء فقط ، لا أنهم فى الاتباع على الملة الموسوية .. لا سيما منذ ظهر فيهم موسى بن ميمون القرطبى ، بعد الخمسةائة من سنى الهجرة المحمدية ، فانه ردهم مع ذلك معطلة ، فصاروا فى أصول دينهم وفروعه أبعد الناس عما جاء به أنبياء الله تعالى من الشرائع الالهية .

وأما « القراء » فانهم بنو مقرا - ومعنى مقرا الدعوة - وهم لا يعولون على البيت الثانى جملة . ودعوتهم انما هى لما كان عليه العمل مدة البيت الأول ، وكان يقال لهم أصحاب الدعوة الأولى ، وهم يحكمون نصوص التوراة ، ولا يلتفتون الى قول من خالفها ، ويقفون مع النص دون تقليد من سلف . وهم مع الربانيين من العداوة بحيث لا يتناكحون ، ولا يتجاورون ، ولا يدخل بعضهم كنيسة بعض .

ويقال للقرائين أيضا المبادية ، لأنهم كانوا يعملون مبادئ الشهور من الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر ، ويقال لهم أيضا * الأسمية ، لأنهم يراعون العمل بنصوص التوراة دون العمل بالقياس والتقليد .

وأما « العانانية » فانهم ينسبون الى عازان رأس الجالوت الذى قدم من المشرق ، فى أيام الخليفة أبى جعفر المنصور ، ومعه نسخ المشنا الذى كتب من الخط الذى كتب من خط النبی موسى . وانه رأى ما عليه اليهود من الربانيين والقرائين يخالف ما معه ، فتجرد

(*) ص ١٧٦ ج ٢ ، ط. بولاق .

لخلافهم ، وطمع عليهم فى دينهم ، وازدري بهم .

وكان عظيما عندهم يرون أنه من ولد داود عليه السلام ، وعلى طريق فاضلة من النسك على مقتضى ملتهم ، بحيث يرون أنه لو ظهر فى أيام عمارة البيت لكان نيا ، فلم يقدرُوا على مناظرته لما أوتى مع ما ذكرنا من تقرب الخليفة له واکرامه .

وكان مما خالف فيه اليهود استعمال الشهور برؤية الأهلة على مثل ما شرع فى الملة الاسلامية ، ولم يسأل فى أى يوم وقع من الأسبوع ، وترك حساب الربانيين ، وكبس الشهور ، وخطأهم فى العمل بذلك ، واعتمد على كشف زرع الشعر ، وأجل القول فى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وأثبت نبوة نينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال : هو نبى أرسل الى العرب ، الا أن التوراة لم تنسخ . والحق أنه أرسل الى الناس كافة صلى الله عليه وسلم .

ذكر السمرة

اعلم أن طائفة السمرة ليسوا من بنى اسرائيل البتة ، وانما هم قوم قدموا من بلاد المشرق ، وسكنوا بلاد الشام وتهودوا . ويقال انهم من بنى سامرك بن كركا بن رمى - وهو شعب من شعوب القرس - خرجوا الى الشام ومعهم الخيل والغنم والابل والقسى والنشاب والسيوف والمواشى ، ومنهم السمرة الذين تفرقوا فى البلاد .

ويقال ان سليمان بن داود لما مات ، افرق ملك بنى اسرائيل من بعده ، فصار رجبهم

ابن سليمان على بيت يهوذا بالقدس ، وذلك
يرسم بن يباط على عشرة أسباط من بني
اسرائيل ، وسكن خارجا عن القدس ، واتخذ
عجلين دعا الأسباط العشرة الى عبادتهما من
دون الله الى أن مات . فولى ملك بني اسرائيل
من بعده عدة ملوك ، على مثل طريقه في
القدر بالله وعبادة الأوثان .

الى أن ملكهم عمري بن نوب ، من سبط
منا بن يوسف ، فاشرى مكانا من رجل
اسمه شامر بقطار فضة ، وبنى فيه قصرا ،
وسماه باسم ابنته من اسم شامر الذي
اشترى منه المكان ، وصير حول هذا القصر
مدينة ، وسماها مدينة شمر ، وجعلها
كرسى ملكه الى أن مات . فاتخذها ملوك
بني اسرائيل من بعده مدينة للملك ، وما زالوا
فيها الى أن ولي هوشاع بن املا ، وهم على
القدر بالله ، وعبادة وثن بصل وغيره من
الأوثان ، مع قتل الأنبياء .

الى أن سبط الله عليهم من جارب ملك
الموصل ، فحاصرهم بمدينة شمر ثلاث
سنين ، وأخذ هوشاع أسيرا ، وجلاه ومعه
جميع من في شمر من بني اسرائيل ،
وأزلهم بمرارة وبلخ ونهاوند وحلون . فاقطع
من جيشه ملك بني اسرائيل من مدينة
شمر ، بعدما ملكوا من بعد سليمان عليه
السلام مدة مائتي سنة واحد وخمسين
سنة .

ثم ان سنجارب ملك الموصل نقل الى
شمر كثيرا من أهل كوشا وبابل وحماه ،
وأزلهم فيها ليعبروها ، فبعثوا اليه يشكون
من كثرة هجوم الوحش عليهم بشمر .

فسير اليهم من عليهم التوراة ، فقتلوهما على
غير ما يجب ، وصاروا يقرأونها لافعة أربعة
أحرف ، الألف والهاء والخاء والسين ، فلا
ينطقون بشيء من هذه الأحرف في قراءتهم
التوراة ، وعرفوا بين الأمم بالسامرة
لسكانهم بمدينة شمر .

وشمر من هذه هي مدينة نابلس ، وقيل
لها شمر - بين مهلة - ولسكانها
سامرة ، ويقال معنى السامرة حنطة ونواطير .
فلم تزل السامرة نابلس الى أن غزا بخت نصر
القدس ، وأجلى اليهود منه الى بابل ، ثم
عادوا بعد سبعين سنة ، وعبروا اليها قايما .

الى أن قام الاسكندر من بلاد اليونان ،
وخرج يريد غزو القرض ، فمر على القدس ،
وخرج منه يريد عان ، فاجتاز على نابلس ،
وخرج اليه كبير السامرة بها - وهو سبلاط
السامري - فأثله ، وصنع له ولقواده
وعظماء أصحابه صيما عظيما ، وحمل اليه
أموالا جمة وهدايا حليلة ، واستأذنه في بناء
هيكل لله على الحبل ، الذي سمي عندهم
« طور بريك » ، فأذن له وسار عنه الى
محرارية دارا ملك القرض . فبنى سبلاط
هيكلًا شيئا بهيكل القدس ليسمى به
اليهود ، وموه عليهم بأن « طور بريك » هو
الموضع الذي اختاره الله تعالى ، وذكره في
التوراة بقوله فيها « اجعل البركة على طور
بريك » .

وكان سبلاط قد زوج ابنته بكاهن من
كهنة بيت المقدس يقال له منشا ، فمقت اليهود
منشا على ذلك ، وأبعدوه وحطوه عن مرتبة
عقوبة له على مصاهرة سبلاط . فأقام سبلاط

منشا زوج ابنته كاهنا في هيكل طور بريك ،
وأنت طوائف من اليهود وضلوا به ، وصاروا
يحبون الى هيكله في الأعياد ، ويقربون
قراينهم اليه ، ويصلون اليه فذورهم
وأعشارهم ، وتركوا قدس الله وعدلوا عنه .
فكثرت الأموال في هذا الهيكل ، وصار ضد
البيت المقدس ، واستغنى كهنة وخدامه ،
وعظم أمر منشا ، وكبرت حاله .

فلم تزل هذه الطائفة تخرج الى « طور
بريك » حتى كان زمن هورقانونس بن
شمعون الكوهن ، من بني حشاي ، في بيت
القدس . فسار الى بلاد السامرة ، وزل على
مدينة نابلس ، وحصرها مدة وأخذها عنوة ،
وخرّب هيكل طور بريك الى أساسه -
وكانت مدة عمارته مائتي سنة - وقتل من
كان هناك من الكهنة . فلم تزل السامرة بعد
ذلك الى يومنا هذا تستقبل في صلاتها -
حيثما كانت من الأرض - طور بريك بجبل
نابلس ، ولهم عبادات تخالف ما عليه اليهود ،
ولهم كنائس في كل بلد تخصهم .

والسامرة ينكرون نبوة داود ومن تلاه من
الأنبياء ، وأبوا أن يكون بعد موسى عليه
السلام نبي ، وجعلوا رؤسائهم من ولد
هارون عليه السلام ، وأكثرهم يسكن في
مدينة نابلس ، وهم كثير في مدائن الشام ،
ويذكر أنهم الذين يقولون « لا مساس » ،
وزعمون أن نابلس هي بيت المقدس ، وهي
مدينة يعقوب عليه السلام ، وهناك مراعيه .

(٥٠) من ١٧٧ ج ٢ ، ط ١٩٧٠ م

وذكر للمعودي أن السامرة صنفان
متباينان : أحدهما يقال له الكوشان ، والآخر
الروشان ، أحد الصنفين يقول بقدم العالم .
والسامرة يزعم أن التوراة التي في أيدي
اليهود ليست التوراة التي أوردتها موسى عليه
السلام ، ويقولون توراة موسى حُرّفت
وغيرت وبدلت ، وإن التوراة هي ما بأيديهم
دون غيرهم .

وذكر أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني
أن السامرة تعرف بالاماسية ... قال : وهم
الأبدال الذين بدلهم بخت نصر بالنشام حين
أسر اليهود وأجلاها . وكانت السامرة أعانوه
ودلوه على عورات بني اسرائيل ، فلم يحرمهم
ولم يقتلهم ولم يسبهم ، وأزلهم فلسطين من
تحت يده ، ومذاهبهم ممتزجة من اليهودية
والمجوسية .

وعامتهم يكونون بوضع من فلسطين
يسمى نابلس ، وبها كنائسهم ، ولا يدخلون
حد بيت المقدس منذ أيام داود النبي عليه
السلام ... لأنهم يدعون أنه ظلم واعتدى ،
وحول الهيكل المقدس من نابلس الى ايليا ،
وهو بيت المقدس ، ولا يسعون الناس ، وإذا
مسوهم اغتسلوا ، ولا يقرؤون نبوة من كان
بعد موسى عليه السلام من أنبياء بني
اسرائيل

وفي شرح الانجيل أن اليهود اتقسمت بعد
أيام داود الى سبع فرق :

« الكتاب » : وكانوا يحافظون على
العادات التي أجمع عليها المشايخ مما ليس في
التوراة .

و « المعتزلة » : وهم القرييون ، وكانوا يظهرون الزهد ، ويصومون يومين في الأسبوع ، ويخرجون العشر من أموالهم ، ويجعلون خيوط القرمز في رؤوس ثيابهم ، ويسلمون جميع أوانيهم ، ويبالغون في اظهار النظافة .

و « الزنادقة » : وهم من جنس السامرة وهم من الصدوقية ، فيكفرون بالملائكة والبث بعد الموت وجميع الأنبياء ، ما خلا موسى فقط فانهم يقولون بنبوته .

و « المتطهرون » : وكانوا يقتلون كل يوم ، ويقولون لا يستحق حياة الأبد الا من يتطهر كل يوم .

و « الاسايون » : ومعناه الغلاظ الطباع ، وكانوا يوجبون جميع الاوامر الالهية ، وينكرون جميع الأنبياء سوى موسى عليه السلام ، ويعبدون بكتب غير الأنبياء .

و « المتشققون » : وكانوا يمتنعون اكثر المأكول وخاصة اللحم ، ويمتنعون من التزويج بحسب الطاقة ، ويقولون بأن التوراة ليست كلها لموسى ، ويتمسكون بصحف منسوبة الى اخنوخ وابراهيم عليه السلام ، وينظرون في علم النجوم ويعملون بها .

و « الهيردوسيون » : سموا أنفسهم بذلك لمولائهم هيردوس ملكهم ، وكانوا يتبعون التوراة ويعملون بما فيها . انتهى .

وذكر يوسف بن كريبون في تاريخه أن اليهود كانوا في زمن ملكهم هورقانونس — يعنى في زمن بناء البيت بعد عودهم من

الجلية — ثلاث فرق : الفروثيم ، ومعناه المعتزلة ، ومذهبهم القول بما في التوراة وما فسروه الحكماء من سلفهم ، والصدوقية ، أصحاب رجل من العلماء يقال له صدوق ، ومذهبهم القول بنص التوراة وما دلت عليه دون غيره . والجديم ، ومعناه الصلحاء ، وهم المشتغلون بالعبادة والتسك ، الآخذون في كل أمر بالأفضل والأسلم في الدين . انتهى . وهذه الفرقة هي أصل فرقتي الربانيين والقراء .

« فصل » : زعم بعضهم أن اليهود عاقابية ، وشمعونية — نسبة الى شمعون الصديق ، ولى القدس عند قدوم أبى الاسكندر — وجالوتية ، وفيومية ، وسامرية ، وعكبرية ، وأصبهانية ، وعراقية ، ومغاربة ، وشرشثانية ، وفلسطينية ، ومالكية ، وربانية .

فالمانائية ^١ تقول بالتوحيد والعدل وتفي التشبيه ، والشمعونية تشبه ، وتبالغ الجالوتية في التشبيه . وأما الفيومية فانها تنسب الى أبى سعيد الفيومى ، وهم يفسرون التوراة على الحروف المقطعة . والسامرية ينكرون كثيرا من شرائعهم ، ولا يقولون بنبوته من جاء بعد يوشع . والعكبرية ، أصحاب أبى موسى البغدادي العكبرى واسماعيل العكبرى ، يخالفون أشياء من السبت وتفسير التوراة .

والأصبهانية أصحاب أبى عيسى الأصبهاني ، وادعى النبوة ، وأنه عرج به الى السماء فمسح الرب على رأسه ، وأنه رأى محمدا

(١٠) قوله « فالمانائية .. الخ » ، لم يذكر في النسخ المغاربة كما ذكرهم في اللقب ، وليرجى إحد . نسخة

صلى الله عليه وسلم فأمن به . ويؤمن يهود أصبهان أنه النجال ، وأنه يخرج من ناحيتهم . والعراقية تخالف الخرسانية في أوقات أعيادهم ، ومدد أيامهم .

والشرشثانية ، أصحاب شرشثان ، زعم أنه ذهب من التوراة ثمانون سورة (أى آية) وادعى أن للتوراة تأويلا باطنا مخالفا للظاهر .

وأما يهود فلسطين فزعموا أن العزيز ابن الله تعالى ، وأنكر أكثر اليهود هذا القول .

والمالكية تزعم أن الله تعالى لا يحيى يوم القيامة من الموتى الا من احتج عليه بالسل والكتب . ومالك هذا هو تلميذ عاتان

والربانية تزعم أن الحائض اذا مست ثوبا بين ثياب وجب غسل جميعها .

والعراقية تعمل رؤوس الشهور بالأهلة ، وآخرون بالحساب يعملون . والله أعلم .

« فصل » : وهم يوجبون الايمان بالله وحده ، وبموسى عليه السلام وبالتوراة ، ولا يد لهم من درسها وتعلمها ، ويفتعلون ويتوضأون ، ولا يسحون رؤوسهم في وضوئهم ، ويبدأون بالرجل اليسرى ، وفي شيء منه خلاف بينهم ، وعاتان يرى أن الاستنجاء قبل الوضوء ، ويرى أشعث أن الاستنجاء بعد الوضوء ، ولا يتوضأون بما تغير لونه أو طعمه أو ريحه ، ولا يجيزون الطهارة من غدير ما لم يكن عشرة أذرع في مثلها ، والصوم قاعدا لا ينقض الوضوء

(*) من ٢٨ ج ٢ ، ط . بولاق .

عنهم ما لم يضع جنبه الأرض ... الا العاقبة فان مطلق الصوم عنهم يقضى .

ومن أحدث في صلاته من قىء أو رعاف أو رشح ، انصرف وتوضأ ، وبني على صلاته ، ولا تجوز صلاة الرجل في أقل من ثلاثة اثواب : قميص ، وسراويل ، وملاء . يتردى بها ، فان لم يجد الملاء صلى جالسا ، فان لم يجد القميص والسراويل صلى بقلبه ، ولا تجوز صلاة المرأة في أقل من أربعة اثواب . وعليهم فريضة ثلاث صلوات في اليوم واللييلة : عند الصبح ، وبعد الزوال الى غروب الشمس ، ووقت العتمة الى ثلث الليل ، ويسجدون في دبر كل صلاة سجدة طويلة ، وفي يوم السبت وأيام الأعياد يزيدون خمس صلوات على تلك الثلاث .

ولهم خمسة أعياد :

« عيد الفطير » : وهو الخامس عشر من نيسن ، يقيمون سبعة أيام لا يأكلون سوى الفطير ، وهي الأيام التي تخلصوا فيها من فرعون وأغرقه الله .

و « عيد الأسايين » : بعد الفطير بسبعة أسابيع ، وهو اليوم الذي كلم الله تعالى فيه بنى اسرائيل من طور سيناء .

و « عيد رأس الشهر » : وهو أول تشرى ، وهو الذي فدى فيه اسحاق عليه السلام من الذبح ، ويسمونه عيد رأس هشايا ، أى رأس الشهر .

و « عيد صوماريا » : يعنى الصوم العظيم .

و « عيد المظلة » : يستظلون سبعة أيام بقضبان الآس والخلاف .

ويجب عليهم الحج في كل سنة ثلاث مرات
لما كان الهيكل عامرا ، ويوجبون صوم أربعة
أيام : أولها سابع عشر تموز من الغروب الى
الغروب - وعند العاشية هو اليوم الذي
أخذ فيه بنت نصر البيت - والثاني عاشر
آب ، والثالث عاشر كانون الأول ، والرابع
ثالث عشر آذار .

ويشددون في أمر الحائض بحيث يمتثلونها
وثيابها وأوانيها ، وما مسه من شيء فانه
ينجس ويجب غسله ، فان مس لحم القربان
أحرق بالنار ، ومن مسها أو شيئا من
ثيابها وجب عليه الغسل ، وما عجنه أو خزته
أو طبخته أو غسله فكله نجس حرام على
الطاهرين حل للحيض ، ومن غسل مينا نجس
سبعة أيام لا يصلى فيها ، وهم يفسلون
موتاهم ولا يصلون عليهم

ويوجبون اخراج العشر من جميع ما يملك
ولا يجب حتى يبلغ وزنه أو عدده مائة ، ولا
يخرج العشر الا مرة واحدة ، ثم لا يعاد
اخراجها .

ولا يصح النكاح عندهم الا بولي وخطبة
وثلاثة شهود ، ومهر مائتي درهم للسكر ومائة
للثيب لا أقل من ذلك ويحضر عند
عقد النكاح كأس خمر يباقة مرسين ، فيأخذ
الامام الكأس ، ويبارك عليه ، ويحطب اخطبة
النكاح ، ثم يدفعه الى الختن ويقول : قد
تزوجت فلانة بهذه الفضة أو بهذا الذهب
- وهو خاتم في يده - بهذا الكأس
من الخمر وبمهر كذا ، ويشرب جرعة من
الخمر ، ثم يتهفون الى المرأة ، فيأمرونها أن
تأخذ الخاتم والمرسين والكأس من يد

الختن ، فاذا أخفقت وشربت جرعة ، وجب
عقد النكاح . ويضمن أولياء المرأة البكارة ،
فاذا زفت اليه ، وكل الولي من يقف بسباب
الخلوة - وقد فرشت ثياب بيض - حتى
يشاهد الوكيل الدم ، فان لم توجد بكرا
رجعت .

ولا يجوز عندهم نكاح الاماء حتى يعتقن ،
ثم ينكحن ، والعبد يعتق بعد خدمه لسنين
معلومة ، وهي ست سنين ، ومنهم من يجوز
بيع صغار أولاده اذا احتاج . ولا يجوزون
الطلاق الا سائحة أو سحر ، أو رجوع عن
الدين ، وعلى من طلق خمسة وعشرون
درهما للسكر ، نصف ذلك للثيب ، وينزل
في كتابها طلاقها بعد أن يقول الزوج : أنت
طالق متى مائة مرة ومختلفة متى ، وفي سعة
أن تزوجي من شئت ، ولا يقع طلاق الحامل
أبدا ، نعم الا أن يحوزوه ، ويراجع الرجل
امراته ما لم تزوج ، فان تزوجت حرمت عليه
الى الأبد .

والخيار بين المتبايعين ما لم ينقل المبيع
الى البائع .

والحدود عندهم على خمسة أوجه : حرق ،
ورجم ، وقتل ، وتعزير ، وتغريم . فالحرق
على من رنى بأم امراته أو ربيته أو بامرأة
أبيه ، أو امرأة أبيه ، والقتل على من قتل ،
والرجم على المحصن اذا زنى أو لاط ، وعلى
المرأة اذا مكثت من نفسها بهيمة ، والتعزير
على من قذف ، والتغريم على من سرق ،

(*) من ٢٧٩ ج ٢ ، ط ١٠ بلاق .

ويرون أن البيعة على المدعى ، واليمن على
من أنكر .

وعندهم أن من أتى بشيء من سبعة
وثلاثين عملا في يوم السبت أو ليلته ،
استحق القتل ، وهي : كرب الأرض ،
وزرعها ، وحصاد الزرع ، وسياقة الماء الى
الزرع ، وحلب اللبن ، وكسر الحطب ،
واشعال النار ، وعجن العجين ، وخبزه ،
وخياطة الثوب ، وغسله ، ونسج سلكين ،
وكتابة حرفين أو نحوهما ، وأخذ الصيد ،
وذبح الحيوان ، والخروج من القرية ،
والانتقال من بيت الى آخر ، والبيع ،
والشراء ، والدق ، والطحن ، والاحتطاب ،
وقطع الخبز ، ودق اللحم ، واصلاح التعل
اذا انقطعت ، وخلط علف الدابة ، ولا يجوز
للكاتب أن يخرج يوم السبت من منزله ومعه
قلمه ، ولا الخياط ومعه ابرته . وكل من عمل
شيئا استحق به القتل ، فلم يسلم نفسه ،
فهو ملعون .

ذكر قبض مصر ودياناتهم القديمة وكيف
تنصروا ثم صاروا ذمة للمسلمين وما كان
لهم في ذلك من القصص والأنباء وذكر الخبر
عن كنائسهم ودياراتهم وكيف كان ابتدائها
ومصير امرها

اعلم أن جميع أهل الشرائع ، أتباع الأنبياء
- عليهم السلام - من المسلمين واليهود
والنصارى ، قد أجمعوا على أن نوحا عليه
السلام هو الأب الثاني للبشر ، وأن العقب

قوله « سبعة وثلاثين » هكذا في النسخ ، ولعل صوابه
« سبعة وعشرين » ليوافق التعميل بمسده ، فامل ،
امد . مصححه .

من آدم عليه السلام انحصر فيه ، ومنه ذرا
الله تعالى جميع اولاد آدم ، فليس أحد من
بنى آدم الا وهو من اولاد نوح .

وخالفت القبط والمجوس وأهل الهند
والصين ذلك ، فأنكروا الطوفان ، وزعم
بعضهم أن الطوفان انما حدث في اقليم بابل
وما وراءه من البلاد الغربية فقط ، وأن اولاد
كيومرت - الذي هو عندهم الانسان
الأول - كانوا بالبلاد الشرقية من بابل ، فلم
يصل الطوفان اليهم ولا الى الهند والصين .

والحق ما عليه أهل الشرائع ، وأن نوحا
عليه السلام ، لما أنجاه الله ومن معه بالسفينة
قزل بهم . وهم ثمانون رجلا سوى أولاده
- فماتوا بعد ذلك ولم يعقبوا ، وصار العقب
من نوح في أولاده الثلاثة ، ويؤيد هذا قول
الله تعالى عن نوح : « وجعلنا ذريته هم
الباقيين » .

وكان من خبر ذلك أن اولاد نوح الثلاثة
- وهم سام ، وحام ، وياث - اقتسوا
الأرض . فصار لبني سام بن نوح أرض
العراق وفارس الى الهند ، ثم الى حضرموت
وعمان والبحرين وعالج وويرين ووبار والدو
والدهنا ، وجميع أرض اليمن وأرض
الحجاز . وصار لبني حام بن نوح جنوب
الأرض مما يلي أرض مصر ، مغربا الى بلاد
المغرب الأقصى . وصار لبني يافث بن نوح
بحر الخزر ، مشرقا الى الصين .

فكان من ذرية سام نواح : القضايعيون ،
والفرس ، والبرانييون ، والبرانييون ،
والعرب المستغربة ، والنبط ، وعاد وثمود ،

والأموريثيون ، والعاليق ، وأمم الهند
وأهل السند ، وعدة أمم قد بادت

وكانت ذرية حام بن نوح من أربعة أولاده
الذين هم كوش ومصرام وقبط وكنعان .
فمن كوش العيشة والرنج ، ومن مصرام
قبط مصر والنوبة ، ومن قبط الأفاقة أهل
أفريقية ومن حاورهم إلى المغرب الأقصى ،
ومن كنعان أمم كالب بالشام حاربهم موسى بن
عمران عليه السلام وقومه من بني إسرائيل ،
ومنهم أجناس عديدة من الربر درجوا

وكانت مساكن بني حام من ميديا إلى أرض
مصر ، ثم إلى آخر أفريقية نحو البحر المحيط ،
واتشروا فيما بين ذلك إلى الجنوب ، وهم
ثلاثون جنسا .

وكان من ذرية يافث بن نوح : الصقل ،
والفرنجية ، والغالييون من قبائل الروم ،
والقوط ، وأهل الصين ، وقوم عرفوا
بالمادين ، واليونانيون ، والروم المرتقيون ،
وقبائل الأتراك ، وأجوج وأجوج ، وأهل
قبرس ورودمس . وعدة بني يافث خسة
عشر جنسا ، سكنوا القطر الشمالي إلى البحر
المحيط ، فضاقت بهم بلادهم ، ولم تسمعهم
لكثرتهم فخرجوا منها ، وتعلبوا على كثير من
بلاد بني سام بن نوح .

وذكر الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه
الكاتب : أن القبط تنسب إلى قبطيم بن
مصرام بن مصر بن حام بن نوح ، وأن قبطيم
أول من عمل العجائب بمصر وأثار بها المعادن
وشق الأنهار ، لما ولي أرض مصر بعد أبيه
مصرام ، وأنه لحق ببلبة الألسن وخرج منها

وهو يعرف اللغة القبطية ، وأنه ملك مدة
ثمانين سنة ومات ، فأغتم لموته نوه ، وأهله ،
ودفنوه في الحاف الشرقي من النيل سرب
تحت الحل الكسر ، فقام من بعده في ملك
مصر ابنه قبطيم بن قبطيم

وزعم بعض النسابة أن مصر بن حام بن
نوح - ويقال له مصرام ، ويقال بل مصرم
ابن هرمس بن هردوس جد الاسكندر ، وقيل
بل قبط بن حام بن نوح - لكح نخت بنت
يتاويل بن ترسل بن يافث بن نوح . فولدت
له بوقير وقسط أبا قسط مصر . قال ابن
اسحاق . ومن هاهنا قالوا أن مصر بن حام
ابن نوح ، وأما هو مصر بن هرمس بن
هردوس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن
يونان ، وبه سميت مصر ، فهي مقدونية .
وقيل : القبط من ولد قبط بن مصر بن قبط
ابن حام بن نوح ، وبمصر هذا سميت مصر .

ذكر ديانة القبط قبل تنصرهم

اعلم أن قبط مصر كانوا في غير الدهر
أهل شرك بالله يعبدون الكواكب ، ويقربون
لها قرابينهم ، ويقسمون على أسماها التماثيل
كما هي أفعال الصابئة .

وذكر ابن وصيف شاه ، أن عبادة الأصنام
أول ما عرفت بمصر ، أيام قبطيم بن قبطيم
ابن مصرام بن بصر بن حام بن نوح ، وذلك
أن إبليس أثار الأصنام التي غرقها الطوفان ،
وزين للقبط عبادتها ، وأن البودشير بن قبطيم
أول من تكهن وعمل بالسحر ، وأن مناوش

(١٨٠ من ٢٠٠) طبع بولاق .

ابن مناوش أول من عبد البقر من أهل
مصر .

وذكر الموفق أحمد بن أبي القاسم بن
خليفة - المعروف بابن أبي أصيمة - أنه
كان للقبط مذهب مشهور من مذاهب الصابئة
ولهم هياكل على أسماء الكواكب محج إليها
الناس من أقطار الأرض ، وكانت الحكماء
والفلاسفة ممن سواهم تهافت عليهم ، وترد
التقرب إليهم لما كان عندهم من علوم البحر
والطلسمات والهندسة والنجوم والطب
والحساب والكنيا ، ولهم في ذلك أخسار
كثيرة ، وكانت لهم لغة يختصون بها ، وكانت
خطوطهم ثلاثة أصناف خط العامة ، وخط
الخاصة - وهو خط الكهنة المختصر -
وخط الملوك .

وقال ابن وصيف شاه : كانت كهنة مصر
أعظم الكهان قدرا ، وأجلها علما بالكهانة ،
وكانت حكماء اليونانيين تصنفهم بذلك ،
وتشهد لهم به ، فيقولون : اخترنا حكماء
مصر بكذا وكذا ، وكانوا ينحون بكهانتهم
نحو الكواكب ، ويزعمون أنها هي التي تفيض
عليهم العلوم وتخبرهم بالغيوب ، وهي التي
تعلمهم أسرار الطوائع وصفة الطلاسم ،
وتدلهم على العلوم المكتومة والأسماء الجلية
المخزونة .

فعملوا الطلسمات المشهورة ، والنواميس
الجليلة ، وولدوا الأشكال الناطقة ، وصوروا
الصور المتحركة ، وبنوا العالي من البنيان ،
وزبروا علومهم في الحجارة ، وعملوا من
الطلسمات ما دفعوا به الأعداء عن بلادهم ،
فحكهم باهرة ، وعجائبهم ظاهرة .

وكانت أرض مصر خسا وثمانين كورة :
منها أسفل الأرض خمس وأربعون كورة ،
ومننا بالصعيد أربعون كورة ، وكان في كل
كورة رئيس من الكهنة وهم السحرة ، وكان
الذي يتعبد منهم للكواكب السبعة السيارة
سبع سنين يسمونه باهر ، والذي يتعبد منهم
لأما تسما وأربعين سنة - لكل كوكب سبع
سنين - يسمونه قاطر ، وهذا يقوم له الملك
اجلالا ، ويجلسه معه إلى جانبه ، ولا يتصرف
إلا بإráه ، وتدخل الكهنة ومعهم أصحاب
الصنائع فيقنون حذاء القاطر .

وكان كل كاهن منهم ينفرد بخدمة كوكب
من الكواكب السبعة السيارة لا يتعداه إلى
سواه ، ويدعى بعيد ذلك الكوكب ، فيقال :
عبد القمر ، عبد عطارد ، عبد الزهرة ، عبد
الشمس ، عبد المريخ ، عبد المشتري ، عبد
زحل . فاذا وقفوا جميعا قال القاطر لأحدهم :
أين صاحبك اليوم ؟ فيقول : في برج كذا ،
ودرجة كذا ، ودقيقة كذا . ثم يقول للآخر
كذلك ، فيجيبه ، حتى يأتي على جميعهم ،
ويعرف أماكن الكواكب من فلك البروج .

ثم يقول للملك : ينبغي أن تعمل اليوم
كذا ، أو تأكل كذا ، أو تجامع في وقت
كذا ، أو تركب وقت كذا ، إلى آخر ما
يحتاج إليه ، والكاتب قائم بين يديه يكتب
ما يقول ، ثم يلتفت القاطر إلى أهل الصنائع
ويخرجهم إلى دار الحكمة ، فيضمون أيديهم
في الأعمال التي يصلح عملها في ذلك اليوم ،
ثم يؤرخ ما جرى في ذلك اليوم في صحيفة ،
وتخزن في خزائن الملك .

وكان الملك اذا همه امر ، جمع الكهان خارج مدينة منف - وقد اصطف الناس لهم بشارع المدينة - ثم يدخل الكهان ركبا على قدر مراتبهم والطبل بين ايديهم ، وما منهم الا من اظهر اعجوبة قد صلبها : فمنهم من يملو وجهه نور كهنة نور الشمس لا يقدر أحد على النظر اليه ، ومنهم من على يده جواهر مختلفة الألوان قد نسجت على ثوب ، ومنهم من يتوشح بحيات عظيمة ، ومنهم من يمتد فوقه قبة من نور ، الى غير ذلك من بديع أعمالهم . ويصرون كذلك الى حضرة الملك ، فيخبرهم بما نزل به ، فيجبلون رأيهم فيه حتى يتفقوا على ما يصرفونه به .

وهذا - أعزك الله - من خبرهم لما كان الملك فيهم . فلما استولت الصالح على ملك مصر ، وملكها القراصة ، ثم تداولتها من بعدهم اجناس آخر ، تناقصت علوم القبط شيئا بعد شيء الى أن تصروا ، فسادوا عوايد أهل الشرك ، واتبعوا ما أمروا به من دين النصرانية ، كما ستقف عليه تلو هذا ان شاء الله تعالى .

ذكر دخول قبط مصر في دين النصرانية

اعلم أن النصارى ، أتباع عيسى نبي الله ابن مريم عليه السلام ، سموا نصارى لأنهم يتسبون الى قرية الناصرة من جبل الجليل - بالجم - ويعرف هذا الجبل بجبل كنعان ، وهو الآن في زمنا من جملة معاملة صنف .

(٥٨) من ١٨١٠ ج ١ - ط - بولاق

والأصل في تسميتهم نصارى أن عيسى بن مريم ، عليه السلام ، لما ولدته أمه مريم ابنة عمران بيت لحم ، خارج مدينة بيت المقدس ، ثم سارت به الى أرض مصر وسكنها زمنا ، ثم عادت به الى أرض بني اسرائيل قومها ، لولدت قرية الناصرة . فنشأ عيسى بها ، وقيل له يسوع الناصري .

فلما بعثه الله تعالى رسولا الى بني اسرائيل ، وكان من شأنه ما ستراه الى أن رفعه الله اليه ، تفرق الحواريون - وهم الذين آمنوا به - في أقطار الأرض يمدون الناس الى دينه ، فنسبوا الى ما نسب اليه ليهم عيسى بن مريم ، وقيل لهم الناصرية ، ثم تلاعب العرب بهذه الكلمة وقالوا : نصارى .

قال ابن سيده : ونصري وقاصرة ونصورية قرية بالشام ، والنصارى منسوبون اليها . هذا قول أهل اللغة ، وهو ضعيف الا أن نادر النسب يسيغه .

وأما ميوية فقال : أما النصارى فذهب الخليل الى أنه جمع نصري ونصران ، كما قالوا ندمان وندامي ، ولكنهم حذفوا احدى الياءين كما حذفوا من أتية ، وأبدلوا مكانها ألفا . قال : وأما الذي فوجه نحن عليه فانه جاء على نصران ، لانه قد تكلم به ، فكانك جمعت وقلت نصارى كما قلت ندامي ، فهذا أقيس ، والأول مذهب ، وانما كان أقيس لأننا لم نسمعهم قالوا نصري .

والتصر الدخول في دين النصرانية ، ونصره جملة كذلك ، والأنصر الأكلف ، وهو

من ذلك لأن النصارى قلف . وفي شرح الانجيل أن معنى قرية ناصرة الجديدة ، والنصرانية التجدد ، والنصراني المجدد . وقيل لسبوا الى نصران ، وهو من ابنة المبالغة ، ومعناه أن هذا الدين في غير عصابة صاحبه ، فهو دين من ينصره من أتباعه .

واذا تقرر هذا ، فاعلم أن المسيح - روح الله وكلمته ألقاها الى مريم - هو « عيسى » . وأصل اسمه بالعبرانية ، التي هي لغة أمه وآبائها ، انما هو « ياشوع » ، وسماه النصارى « يسوع » ، وسماه الله تعالى - وهو أصدق القائلين - « عيسى » ، ومعنى يسوع في اللغة السريانية المخلص ، قاله في شرح الانجيل .

وكنيته بالمسيح ، وهو الصديق ، وقيل لانه كان لا يصح بيده صاحب عاهة الإبرأ ، وقيل لانه كان يسبح رؤوس اليتامى ، وقيل لانه خرج من بطن أمه مسحوا بالدهن ، وقيل لأن جبريل عليه السلام مسحه بجناحه عند ولادته صونا له من مس الشيطان .

وقيل المسيح اسم مشتق من المسح ، أي الدهن ، لأن روح القدس قام بجسد عيسى مقام الدهن الذي كان عند بني اسرائيل يسبح به الملك ويسبح به الكهنوت ، وقيل لانه مسح بالبركة ، وقيل لانه مسح الرجلين ليس لرجليه أخص ، وقيل لانه يسبح الأرض بياحته لا يستوطن مكانا ، وقيل هي كلمة عبرانية أصلها « ماسيح » ، فتلاعبت بها العرب وقالت : مسيح .

وكان من خبره ، عليه السلام ، أن مريم ابنة عمران ، بنا هي في محرابها ، اذ بشرها الله تعالى بعيسى ، فخرجت من بيت المقدس وقد اغتسلت من المحيض ، فتشلت لها الملك بشرا في صورة يوسف بن يعقوب النجار - أحد خدام القدس - فنفع في جيها ، فمرت النفعة الى جوفها ، فحلت بعيسى كما تعمل النساء بغير ذكر ، بل حلت نفخة الملك منها محل اللقاح ، ثم وضعت بعد تسعة أشهر - وقيل بل وضعت في يوم حملها - بقرية بيت لحم ، من عمل مدينة القدس ، في يوم الأربعاء خامس عشر كانون الأول ، وتاسع عشر كيهك ، سنة تسع عشرة وثلاثمائة للاسكندر .

فقدت رسل ملك فارس في طلبه ، ومعهم هدية لها فيها ذهب ومر ولبان ، فطلبه هيرودس - ملك اليهود بالقدس - ليقتله وقد أئذره . فارت أمه مريم به ، وعمره ستان ، على حمار ومعها يوسف النجار ، حتى قدموا الى أرض مصر ، فسكنوها مدة أربع سنين ، ثم عادوا وعمر عيسى ست سنين ، فنزلت به مريم قرية الناصرة من جبل الجليل فاستوطنتها .

فنشأ بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة ، فسار هو وابن خاله يحيى بن زكريا عليهما السلام الى نهر الأردن ، فاغتسل عيسى فيه ، فحلت عليه النبوة ، فضى الى البرية ، وأقام بها أربعين يوما لا يتناول طعاما ولا شرابا ، فأوحى الله اليه بأن يدعو بني اسرائيل الى عبادة الله تعالى ، فطاف القرى ، ودعا الناس الى الله تعالى ، وأبرأ الأكه والأبرص ، وأحيا

الموتى باذن الله ، ومكث اليهود ، وأمرهم بالزهد فى الدنيا والتوبة من المعاصى .

فآمن به الحواريون — وكانوا قسوما صيادين — وقيل قسارين ، وقيل ملاحين — وعددهم اثنا عشر رجلا ، وصدقوا بالانجيل الذى أنزله الله تعالى عليه ، وكذبه عامة اليهود وضللوه ، واتهموه بما هو برىء منه . فكانت له ولهم عدة مناظرات آلت بهم الى أن اتفق أجبارهم على قتله ، وطرقوه ليلة الجمعة ، فقبل انه رفع عند ذلك ، وقيل بل أخذوه وأتوا به الى بلاطس النبطى — شحنة القدس من قبل الملك طياريوس قيصر — وراودوه على قتله وهو يدفعهم عنه ، حتى غلبوه على رأيه بأن دينهم اقتضى قتله ، فأمكنهم منه .

وعندما أدنوه من الخشبة ليصلبوه ، رفعه الله اليه — وذلك فى الساعة السادسة من يوم الجمعة خامس عشر شهر نيسان ، وتاسع عشرى شهر برمات ، وخامس عشر شهر آذار ، وسابع عشر شهر ذى القعدة — وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة وثلاثة أشهر . فصلبوا الذى شبه لهم ، وصلبوا معه لصين ، وسمروهم بمسامير الحديد ، واقتسم الجند ثياب المصلوب . ففشيت الأرض ظلمة دامت ثلاث ساعات حتى صار النهار شبه الليل ، ورقررت النجوم ، وكان مع ذلك هزة وزلزلة .

ثم أزل المصلوب عن الخشبة بكرة يوم السبت ، ودفن تحت صخرة فى قبر جديد ، ووكل بالقبر من يحرسه لئلا يأخذ المقيور

(١٨) ص ١٨٢ ج ٢ ، ط ١ - بولاق

أصحابه . فزعم النصارى أن المقبور قام من قبره ليلة الأحد محررا ، ودخل عشية ذلك اليوم على الحواريين وحادثهم ووصاهم . ثم بعد الأربعين يوما من قيامه صعد الى السماء والحواريون يشاهدونه ، فاجتمعوا بعد رفعه بعشرة أيام فى غلية صيوت — التى يقال لها اليوم صهيون — خارج القدس ، وظهرت لهم خوارق ، فتكلموا بجميع اللسان ، فأمن بهم فيما يذكر زيادة على ثلاثة آلاف انسان ، فأخذهم اليهود وجسومهم ، فظهرت كرامتهم ، وفتح الله لهم باب السجن ليلا ، فخرجوا الى الهيكل ، وطلقوا يدعون الناس ، فهم اليهود يقتلهم وقد آمن بهم نحو الخمسة آلاف انسان ، فلم يتمكنوا من قتلهم

فتفرق الحواريون فى أقطار الأرض يدعون الى دين المسيح

فسار بطرس رأس الحواريين ومعه شمعون الصفا الى أنطاكية ورومية ، فاستجاب لهم بشر كثير ، وقتل فى خامس أيب وهو عيد القصرية .

وسار أندراوس أخوه الى نيقية وما حولها ، فأمن به كثير ، ومات فى بزنطية فى رابع كيهك .

وسار يعقوب بن زبدي ، أخو يوحنا الانجيلى ، الى بلد أيدنية ، فتيه جماعة ، وقتل فى سابع عشر برمودة .

وسار يوحنا الانجيلى الى آسيا وأفيس ، وكب انجيله باليونانى ، بعدما كتب متى ومرقس ولوقا أناجيلهم ، فوجدتهم قد قصروا فى أمور فتكلم عليها — وكان ذلك بعد رفع

المسيح بثلاثين سنة — وكتب ثلاث رسائل ، ومات وقد أضاف على مائة سنة .

وسار فيلبس الى قيسارية وما حولها ، وقتل بها فى ثامن هاتور ، وقد اتبعه جماعات من الناس .

وسار برثولوماوس الى أرمينية وبلاد البربر وواحات مصر ، فأمن به كثير ، وقتل .

وسار توما الى الهند ، فقتل هناك .

وسار متى العشار الى فلسطين وصور وصيدا ومدينة بصرى ، وكتب انجيله بالعبرانى بعد رفع المسيح تسع سنين ، ونقله يوحنا الى اللغة الرومية ، وقتل متى بقرطاجنة فى ثامن عشر بابا بعدما استجاب له بشر كثير .

وسار يعقوب بن حلفا الى بلاد الهند ، ورجع الى القدس ، وقتل فى عاشر أمشير .

وسار يهوذا بن يعقوب من أنطاكية الى الجزيرة ، فأمن به كثير من الناس ، ومات فى ثانى أيب .

وسار شمعون الى سميساط وحلب ومنبج وبزنطية ، وقتل فى سابع أيب .

وسار ميثاس الى بلاد الشرق ، وقتل فى ثامن عشر برمات .

وسار بولص الطرسوسى الى دمشق وبلاد الروم ورومية ، فقتل فى خامس أيب .

وتفرق أيضا سبعة رسولا آخر فى البلاد ، فأمن بهم الخلائق .

ومن هؤلاء السبعين مرقس الانجيلى ، وكان اسمه أولا يوحنا ، فعرف ثلاثة السن : القرنجى ، والعبرانى ، واليونانى . ومضى الى بطرس برومية وصحب ، وكتب الانجيل عنده بالقرنجية بعد رفع المسيح باثنتى عشرة سنة ، ودعا الناس برومية ومصر والحشة والنوبة ، وأقام حنايا أسقفا على الاسكندرية ، وخرج الى يرقة ، فكثرت النصارى فى أيامه ، وقتل فى ثالى عيد الفصح بالاسكندرية .

ومن السبعين أيضا : لوقا الانجيلى الطبيب تلميذ بولص . كتب الانجيل باليونانية ، عن بولص بالاسكندرية ، بعد رفع المسيح بعشرين سنة ، وقيل باثنتى وعشرين سنة .

ولما فر بطرس رأس الحواريين من حبس رومية ، ونزل بأنطاكية ، أقام بها داربوس بطركا — وأنطاكية أحد الكراسى الأربعة التى للنصارى ، وهى : رومية ، والاسكندرية ، والقدس ، وأنطاكية — فأقام داربوس بطرك أنطاكية سبعا وعشرين سنة ، وهو أول بطاركتها ، وتوارث من بعده البطاركة بها البطركية واحدا بعد واحد .

ودعا شمعون الصفا برومية خسا وعشرين سنة ، فأمنت به بطركية وسارت الى القدس ، وكشفت عن خشبات الصليب ، وسلمتها الى يعقوب بن يوسف الأسقف ، وبنت هناك كيسة ، وعادت الى رومية — وقد اشتدت على دين النصرانية — فأمن معها عدة من أهلها .

واجتمع الرسل بمدينة رومية ، ووضعوا القوانين ، وأرسلوها على يد قليموس ، تلميذ

بطرس ، فكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب
قبولها من الشيعة والبدعيّة .

وأما الشيعة : فالتوراة ، وكتاب يوشع بن
نون ، وكتاب القضاة ، وكتاب رافون ، وكتاب
يهوديت ، وسير الملوك ، وسفر بنيامين ،
وكتب المقالين ، وكتاب هرة ، وكتاب
أستير ، وقصة هامان ، وكتاب أيوب ، وكتاب
مزايسر داود ، وكتاب سليمان بن داود ،
وكتاب الأبياء - وهي ستة عشر كتابا -
وكتاب يوشع بن شيراخ .

وأما الكتب الحديثة : فالأناجيل الأربعة ،
وكتاب القليليقون ، وكتاب بولس ، وكتاب
الأبركسيس - وهو قصص الحوارين -
وكتاب قليسوس ، وفيه ما أمر به الحواريون
وما ضروا به .

ولما قتل الملك نيرون قيصر ، بطرس
رأس الحوارين برومية ، أقيم من بعده
أرموس بطرك رومية - وهو أول بطرك صار
على رومية - فأقام في البطركية اثني عشرة
سنة ، وقام من بعده البطارقة بها واحدا بعد
واحد إلى يومنا هذا الذي نحن فيه .

ولما قتل يعقوب ، أسقف القدس ، على يد
اليهود ، حملوا بهده الشيعة ، وأخذوا خشبة
الصليب والخشبتين معها ودفنوها ، وألقوا
على موضعها ترابا كثيرا ، فصار كوما
عظيما ، حتى أخرجتها هيلانة أم قسطنطين ،
كما ستراه قريبا إن شاء الله تعالى .

وأقيم بعد قتل يعقوب سمعان ابن عمة ،
أسقف القدس ، فمكث اثني وأربعين سنة

فيها من بعد .

أسقفا ومات ، فتداول الأساقفة بعده الأسقفية
بالقدس واحدا بعد آخر .

ولما أقام مرقس حناينا - ويقال أناينو -
بطرك الاسكندرية ، جعل معه اثني عشر قسا ،
وأمرهم إذا مات البطرك أن يجعلوا عوضه
واحدا منهم ، ويقبضوا بدل ذلك القس واحدا
من النصارى حتى لا يزالوا أبدا اثني عشر
قسا ، فلم تزل البطارقة تعمل من القسوس ...
إلى أن اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر ، كما
ستراه إن شاء الله تعالى .

وكان بطرك الاسكندرية يقال له البابا من
عهد حناينا هذا ، أول بطارقة الاسكندرية ،
إلى أن أقيم ديستريوس ، وهو الحادي عشر
من بطارقة الاسكندرية ، ولم يكن بأرض
مصر أساقفة ، فنصب الأساقفة بها ، وكثروا .
فنزاهوا في بطركيته هرقل ، وصار الأساقفة
يسمون البطرك الأب ، والقسوس وسائر
النصارى يسمون الأسقف الأب ، ويجعلون
لفظة البابا تختص بطرك الاسكندرية ،
ومعناها أبو الآباء .

ثم انتقل هذا الاسم عن كرسي الاسكندرية
إلى كرسي رومية ، من أجل أنه كرسي بطرس
رأس الحوارين ، فصار بطرك رومية يقال
له البابا ، واستمر على ذلك إلى زمننا الذي
نحن فيه . وأقام أناينو ، وهو حناينا ، في
بطركية الاسكندرية اثني وعشرين سنة ،
ومات في عشرين هاتور سنة سبع وثمانين
لظهور المسيح . فأقيم بعده مينيوس ، فأقام
ثني عشرة سنة وثلاثة أشهر ، ومات .



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

سقا
سقا عبد الحليم

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأئمة
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
يولاي
سنة ١٢٧٠ هجرية

التمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

خَطَّ الْمَقْرِزِي

٤٦

كتاب
التعريف



أبوالحسن

• كانت مظهر هي مستطحة رأسى ، وملعب أنزاب ، وجميع ناسى . ومبنى عسيرة وحاسنى .
• وموطن فحاصتى وحاسنى . وهو هوى الذى رب جناحى فى ذكره . وعنى ماري . فهد
• تهوى الأنفص غير ذكره . لا زلت منذ ذروت العالم ، وآتاني رب الفطانة والفهم ، أعجب فى
• معرفة أضيائها ، وأحب لإشراق على الإغتراف من آبالها . وأمرى مساولة الريان من مكان ديارها .
تقى الدين أحمد بن على المقرزى

وفي أثناء ذلك تار اليهود على النصارى ،
وأخرجوهم من القدس ، فمبىروا الأردن ،
وسكنوا تلك الأماكن . فكان بعد هذا بقليل
خراب القدس ، وجلالية اليهود ، وقتلهم على
يد طيطس — ويقال طيطوس — بعد رفع
المسيح بنحو أربع وأربعين سنة . فكثر
النصارى في أيام بطركية مينيوس ، وعاد كثير
منهم الى مدينة القدس بعد تحرب طيطس
لها ، وبنوا بها كنيسة وأقاموا عليها مسعمان
أسقفا ، ثم أقيم بعد ميسو في الاسكندرية
في البطركية كريانوس

وفي أيام الملك انديانوس قيسر ، أصاب
النصارى منه بلاء كثير ، وقتل منهم جماعة
كثيرة ، واستعبد باقيهم . فنزل بهم بلاء لا
يوصف في العبودية ، حتى رحلهم الورداء .
وأكابر الروم ، وشفعوا فيهم ، فمن علمهم
قيصر وأعتهم . ومات كريانوس بطرك
الاسكندرية ، في حادى عشر برمودة ، بعدما
دير الكرسي احدى عشرة سنة ، وكان حميد
السيرة . فقدم بعده أيرسوس ، فأقام اثنتى
عشرة سنة ، ومات في ثالث مسرى

واشتد الأمر على النصارى في أيام الملك
أريدويانوس ، وقتل منهم خلائق لا يحصى
عددهم ، وقدم مصر ، فأقنى من بها من
النصارى ، وخرّب ما بسى في مدينة القدس
من كنيسة النصارى ، ومنعهم من التردد
اليها ، وأنزل عوضهم بالقدس اليونانيين ،
وسمى القدس ايليا ، فلم يتحاصر نصراني أن
يدنو من القدس .

وأقيم بعد موت أيرسوس بطرك الاسكندرية
بسطس ، فأقام احدى عشرة سنة ، ومات في

ثانى عشر بؤونة . فخلف بعده أرماليون ،
فأقام عشر سنين وأربعة أشهر ، ومات في
عشر بابة . فأقيم بعده موقيانوس ، بطرك
الاسكندرية ، تسع سنين وستة أشهر ، ومات
في سادس طوبة . فقدم بعده على الاسكندرية
كلوتيانوس ، فأقام أربع عشرة سنة ، ومات في
تاسع أيب . وفي أيامه اشتد الملك أوليانوس
قيصر على النصارى ، وقتل منهم خلقا كثيرا .

وقدم على كرسي الاسكندرية بعد كلوتيانوس
غرنوب بطركا ، فأقام اثنتى عشرة سنة ، ومات
في خامس أمشير . وفي أيام بطركيته اتفق
رأى البطارقة ، بجميع الأمصار ، على حساب
فصح النصارى وصومهم ، ورتبوا كيف
يستخرج ، ووضعوا حساب الأبطقى ، وبه
يستخرجون معرفة وقت صومهم وفصحهم ،
واستمر الأمر على ما رتبوه فيما بعد .

وكانوا قبل ذلك يصومون بعد القطنس
أربعين يوما — كما صام المسيح عليه
السلام — ويفطرون ، وفي عيد الفصح
يعملون الفصح مع اليهود . فنقل هؤلاء
البطاركة الصوم ، وأرسلوه بعيد الفصح ،
لأن عيد الفصح كانت فيه قيامة المسيح من
الأموات بزعمهم . وكان الحواريون قد أمروا
ألا يغير عن وقته ، أن يعملوه كل سنة في
ذلك الوقت

ثم أقيم بكرسي الاسكندرية بعد غرنوب في
البطركية بوليانوس ، فأقام عشر سنين ، ومات
في ثامن برمهاب . فاستخلف بعده ديمتريوس
فأقام بعده في البطركية ثلاثا وثلاثين سنة ،
ومات ، وكان فلاحا أميا ، وله زوجة ذكر عنه
أنه لم يجامعها قط . وفي أيامه أثار الملك

سوربانوس قيصراً على النصارى بلاه كبراً
في جميع ملكه ، ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ،
وقدم مصر وقتل جميع من فيها من النصارى ،
وهدم كنائسهم ، وبني بالاسكندرية هيكلًا
لأصنامهم .

ثم أقيم بعده في بطركية الاسكندرية
باركلا ، فأقام ست عشرة سنة ، ومات في ثامن
كيمك . فلقى النصارى من الملك مكسيموس
قيصر شدة عظيمة ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ،
فلما ملك فيلش قيصراً أكرم النصارى .

وقدم على بطركية الاسكندرية ديوسيسوس ،
فأقام تسع عشرة سنة ، ومات في ثالث توت ،
وفي أيامه كان الراهب أنطونيوس المصري ،
وهو أول من ابتدأ بلبس الصوف ، وابتدأ
بمنارة الديارات في البراري ، وأزيل بها
الزهاد .

ولقى النصارى من الملك دقيوس قيصر
شدة . فنه أمرهم أن يسجدوا لأصنامهم ، فأبوا
من السجود لها ، فقتلهم أبرح قتلة ، وفر منه
أعني صاحب الكهف من مدينة أفسس ،
واختفوا في مغارة في جبل شرقي المدينة
وقاموا ، فضرب الله على آذانهم ، فلم يزلوا
ثلاثين ثلاثمائة سنين وازدادوا تسماً . فقام من
بعده بالاسكندرية مكسيموس ، وأقام بطركاً
اثنى عشرة سنة ، ومات في رابع عشر
برمودة .

فقيم بعده ثيوذوباطس بطركاً مدة سبع سنين
وتسعة أشهر ، ومات . وكنت النصارى قبله
تصلى بالاسكندرية خفية من الروم خوفاً من

(١٨١) من (١٨١) ج ٢ ، ط ١ ، بولاق .

القتل ، فلافق ثيوذوباطس الروم ، وأهدى إليهم
تحفا جليظة حتى بنى كنيسة مريم بالاسكندرية
فصلى بها النصارى جهراً . واشتد الأمر على
النصارى في أيام الملك طيساريوس قيصر ،
وقتلت منهم خلقاً كثيراً .

فلما كانت أيام دقلطيانوس قيصر ، خالف
عليه أهل مصر والاسكندرية ، فقتل منهم
خلقاً كثيراً ، وكتب بخلق كنائس النصارى ،
وأمر بعبادة الأصنام ، وقتل من امتنع منها ،
فارتد خلائق كثيرة جداً . وأقام في البطركية
بعد ثيوذوباطس ، فأقام إحدى عشرة سنة ،
وقتلت في الاسكندرية بالسيف ، وقتل معه
امراته وابنتاه لامتباعهم من السجود
للأصنام . فقام بعده تلميذه أرشلاووس ،
فأقام ستة أشهر ومات .

وبدقلطيانوس هذا ، وقتله لنصارى مصر ،
يؤرخ قبط مصر إلى يومنا هذا . كما قد
ذكرناه في تاريخ القبط عند ذكر التواريخ من
هذا الكتاب . فراجعه . ثم قام من بعده
مكسيميانوس قيصر ، فاشتد على النصارى ،
وقتلت منهم خلقاً كثيراً ، حتى كانت القتل
منهم تحمل على العجل ، وترمى في البحر .

ثم قام بعد أرشلاووس في بطركية
الاسكندرية اسكندروس ، تلميذ بطرس
الشهيد ، فأقام ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات في
ثاني عشرى برمودة . وفي بطركيته كان مجمع
النصارى بمدينة نيقية ، وفي أيامه كتب
النصارى وغيرهم من أهل رومية إلى قسطنطين
— وكان على مدينة بزنطية — يحثونه على
أن ينقذهم من جور مكسيميانوس ، وشكوا
إليه عتوه ، فاجمع على المسير لذلك .

وكانت أمه هيلاني ، من أهل قرى مدينة
الرها ، قد تنصرت على يد أسقف الرها ،
وتعلمت الكتب . فلما مر بقرتها قسطنطين
— صاحب شرطة دقلطيانوس — راها
فأعجبته ، فتزوجها ، وحملها إلى بزنطية
مدينته ، فولدت له قسطنطين ، وكان جليلاً ،
فأنذر دقلطيانوس منجموه بأن هذا النمام
قسطنطين سيملك الروم ، ويبدل دينهم ،
فأراد قتله ، ففر منه إلى الرها ، وتعلم هناك
الحكمة اليونانية حتى مات دقلطيانوس . فمات
إلى بزنطية ، فسلمها له أمه قسطنطين ومات .

فقام بأمرها ، بعد أبيه ، الر . أن استدعاه
أهل رومية ، فأخذ يدير في مسيره ، فوأي إلى
منامه كواكب في السماء على هيئة الصليب ،
وصوت من السماء يقول له : حمل هذه
العلامة تنصرت على عدوك . فقمس رؤسده على
أعوانه ، وعمل شكل الصليب على أعلامه
ونوده ، وسار لحرب مكسيميانوس برومية ،
فبرز إليه وحاربه ، فاتصر قسطنطين عليه ،
وملك رومية ، وتصور منها فجعل دار ملكه
قسطنطينية . فكان هذا ابتداء رفع الصليب
وظهوره في الناس ، فاتخذ النصارى من
حينئذ وعظموه حتى عبدوه .

وأكرم قسطنطين النصارى ، ودخل في
دينهم بمدينة يقومديا في السنة الثانية عشرة
من ملكه على الروم ، وأمر ببناء الكنائس في
جميع ممالكه ، وكسر الأصنام ، وهدم
بيوتها ، وعمل المجمع بمدينة نيقية .

وسببه : أن الاسكندروس ، بطرك
الاسكندرية ، منع أريوس من دخول الكنيسة

وحرمه لمقاتته ، وقتل عن بطرس الشهيد بطرك
اسكندرية أنه قال عن أريوس : أن إسماعه
فاسد ، وكتب بذلك إلى جميع البطارقة .
فمضى أريوس إلى الملك قسطنطين ومعه
أسقفان فاستغاثوا به وشكوا الاسكندروس ،
فأمر باحضاره من الاسكندرية ، فحضر هو
وأريوس ، وجمع له الأعيان من النصارى
ليناظروه .

فقال أريوس : كان الأب إذ لم يكن الابن ،
ثم أحدث الابن فصار كلمة له ، فهو محدث
مخلوق فوض إليه الأب كل شيء ، فخلق
الابن — المسيح بالكلمة — كل شيء من
السوات والأرض وما فيهما ، فكان هو
الخالق بما أعطاه الأب . ثم أن تلك الكلمة
تجسدت من مريم وروح القدس ، فصار
ذلك مسيحاً ، فإذا المسيح ممان : كلمة ،
وجسد ، وهما جميعاً مخلوقان .

فقال الاسكندروس : أيما أوجب عبادة من
خلقنا ، أو عادة من لم يخلقنا ؟

فقال أريوس . بل عبادة * من خلقنا
أوجب .

فقال الاسكندروس : فإن كان الابن خلقنا
كما وصفت ، وهو مخلوق ، فعبادته أوجب
من عبادة الأب الذي ليس بمخلوق ، بل تكون
عبادة الخالق كفراً ، وعبادة المخلوق اسماً ،
وهذا أقبح القبيح .

فاستحسن الملك قسطنطين كلام
اسكندروس ، وأمره أن يحرم أريوس
فحرمه ، وسأل اسكندروس الملك أن يحضر

(*) من (١٨١) ج ٢ ، ط ١ ، بولاق .

الأساقفة ، فأمرهم أن يذبحوا من جميع ممالكه ،
وجسموا به ستة أشهر بمدينة بنية ،
وعذبهم ثلث وثلاثين شهرا ،
مختلفون في السج .

فمنهم من يقول : أن من ذاب بشرية
شعة ثار تحت من شعة أخرى ، فلم تنص
لأولى بأصل الثانية عنه . وهذه مقالة
سيليوس الصمدي ومن تبعه .

ومنهم من قال : أن مريم لم تحبل بيسوع
تسعة أشهر ، بل مر بأحشاها كزوراء
باليزاب . وهذا قول يان ومن تبعه .

ومنهم من قال : يسوع بشر محقوق ، وأن
ابتدأه لآل من مريم ، ثم به صطفى
فصحت له طبيعة إنسانية ونسبة ،
وكانت هي التي تسمى عن ذلك ، ومع
ذلك قلته واحد قيوماً ، وذكر هؤلاء الكلمة
والروح فلم يؤمنوا بها . وهذا قول بونف
اليسمي بطرك النكية وأتباعه .

ومنهم من قال : لآلهة ثلاثة . صانع ،
واصلح ، وعاش بينهم . وهذا قول مرقيون
وأتباعه .

ومنهم من قال : يسوع وأمه الهان من دون
الله . وهذا قول طرية من فرق الناري .

ومنهم من قال : أن الله خلق لآل - وهو
الله في لآل - كخلق ثلاثة أرواح
طاهرة منسوبة ببيعة مجردة عن مادة . ثم
خلق يسوع في آخر الزمان من أحشاء مريم
التي هي طاهرة . وهذا قول الخلق في
الآل . يسوع المسيح ، فصار واحداً .

ومنهم من قال : لآل مولود من لآل قبل
أن يولد . غير محقوق ، وهو جوه من
جوهه ويور من يوره . ولآل أحد
بلاسل لاخوذ من مريم ، فصارا واحداً
وهو يسوع . وهذا قول النشالة وثانية
عشر .

فتحير قسطنطين في اختلافهم ، وكثر تعجبه
من ذلك ، وأمرهم أن يرسوا في أماكن ،
وأجرى لهم الأرزاق ، وأمرهم أن يتطهروا
حتى يبين له صوابهم من خطئهم . فثبت
الثلاثة وثلاثة عشر على قولهم المذكور ،
واختلف بقيهم .

فقال قسطنطين إلى قول الأكثر ، وعرض
عنا سواه ، وقبل على الثلاثة وثلاثة عشر ،
وأمرهم بكراسي ، وأجلسهم عليها ، ودفع
إليهم سيفه وذبحه ، وبسط أيديهم في جميع
مسكنه . فباركوا عليه ، ووضعوا له كتاب
« قوانين بطريرك وقوانين الكنيسة » ، وفيه
ما يتعلق بالمحركات والمعاملات والتكاثرات ،
وكتبوا بذلك إلى سائر الممالك .

وكان رئيس هذا المجمع الاسكندروس
بطرك الاسكندرية ، واسطارس بطرك
الطاكية ، ومثريوس أسقف القدس ، ووجه
سفسوس بطرك رومية بتعيين اتفاقاً معهم
على حرمان أريوس ، فحرموه وقنوه .

ووضع الثلاثة وثلاثة عشر لإمامة
المنشورة عنهم ، وتوجبوا أن يكون الصوم
متصلاً بعيد الفصح على ما رتبته البطركية في
يوم ثلث تورانيوس قيصراً ، كما تقدم ،
ومنهم من يقول بالأسقف زوجة - وكان

الأساقفة قبل ذلك إذا كان مع أحدهم زوجة
لا يمنع منها إذا عمل أسقفاً ، بخلاف البطرك
فانه لا يكون له امرأة البتة - وانصرفوا من
مجلس قسطنطين بكرامة جليلة .

والاسكندروس هذا هو الذي كسر الصنم
النحاس الذي كان في هيكل زحل
بالاسكندرية ، وكانوا يعبدونه ، ويجعلون له
عيداً في ثاني عشر هاتور ، ويذبحون له
الذبايح الكثيرة . فأراد الاسكندروس كسر
هذا الصنم ، فمنعه أهل الاسكندرية ، فاحتل
عليهم ، وتلفظ في حيلته إلى أن قرب العيد ،
فجمع الناس ، ووعظهم ، وقبح عندهم عبادة
الصنم ، وحثهم على تركه ، وأن يعمل هذا
العيد الميكائيل ، رئيس الملائكة الذي شفع
فيهم عند الآله ، فإن ذلك خير من عمل العيد
للصنم ، فلا يتغير عمل العيد الذي جرت عادة
أهل البلد بعمله ، ولا تبطل ذبايحهم فيه .

فرضي الناس بهذا ، ووافقوه على كسر
الصنم ، فكسره وأحرقه ، وعمل يته كنيسته
على اسم ميكائيل . فلم تزل هذه الكنيسة
بالاسكندرية إلى أن حرقها جيوش الامام المزم
لدين الله أبي تميم معد ، لما قدموا في سنة
ثمان وخمسين وثلاثمائة ، واستمر عيد
ميكائيل عند النصارى بديار مصر باقياً يعمل
في كل سنة .

وفي السنة الثانية والعشرين من ملك
قسطنطين ، سارت أمه هيلاني إلى القدس ،
وبنت به كنائس للنصارى ، فدلها مقاربوس
الأسقف على الصليب ، وعرفها ما عملته
اليهود ، فعاقبت كهنة اليهود حتى دلوها على

الموضع ، فحفرته فاذا قبر وثلاث خنبات ،
زعسوا أنهم لم يعرفوا الصليب المطلوب من
الثلاث خنبات ، إلا بأن وضعت كل واحدة
منها على ميت قد بلى فقام حياً عندما وضعت
عليه خنبة منها . فعملوا لذلك عيداً ، مدة
ثلاثة أيام ، عرف عندهم بعيد الصليب .

ومن حينئذ عبد النصارى الصليب ،
وعملت له هيلاني غلافاً من ذهب ، وبنت
كنيسة القيامة - التي تعرف بكنيسة
قيامة - وأقامت مقاربوس الأسقف على بناء
بقية الكنائس ، وعادت إلى بلادها . فكانت
مدة ما بين ولادة المسيح وظهور الصليب
ثلاثمائة وثمان وعشرين سنة .

ثم قام في بطركية الاسكندرية ، بعد
اسكندروس ، تلميذه اينايسيوس الرسولي ،
فأقام سناً وأربعين سنة ، ومات بعد ما ابتلى
بشدائد ، وغاب عن كرسيه ثلاث مرات .

وفي أيامه جرت مناظرات طويلة مع
أوسانيوس للأسقف آلت إلى ضربه وفراره .
فانه تمصب لأريوس ، وقال : انه لم يقل أن
المسيح خلق الأشياء ، وأنا قال به خلق كل
شيء ، لأنه كلمة الله التي بها خلق السموات
والأرض ، وأنا خلق الله تعالى جميع الأشياء
بكلمته ، فالأشياء به كوت لا أنه كونها ،
وأنا الثلاثة وثلاثة عشر تعدوا عليه .

وفي أيامه تصر جماعة من اليهود ، وطعن
بعضهم في التوراة التي بأيدي اليهود ، وأنهم
نقصوا منها ، وأن الصحيحة هي التي فسرهما
السبعون . فأمر قسطنطين اليهود باحضارها ،

وعاقبهم على ذلك حتى دلوه على موضعها
بصر ، فكتب باحضارها فحملت اليه ، فاذا
بينها وبين تورا اليهود تقص ألف وثلاثمائة
وتسع وستين سنة ، زعموا أنهم تقصروها
من مواليده من ذكر فيها لأجل المسيح .

وفى أيامه بعث هيلاني بسال عظيم الى
مدينة الرها ، فسبى به كنائسها العظيمة ، أمر
قسطنطين باخراج اليهود من القسطنطينية ،
وألزمهم بالدخول في دين الصراية ، ومن
امتنع منهم قتل فصر كثير منهم ، وامنع
أكثرهم فقتلوا ، ثم امتحن من نصر منهم بأن
جمعهم يوم الفصح في كنيسة وأمرهم بأكل
لحم الخنزير ، فأبى أكثرهم أن يأكل معه ،
فقتل منهم في ذلك اليوم خلائق كثيرة جدا .

ولما قام قسطنطين بن قسطنطين في الملك
بعد أبيه ، غلبت مقالة أريوس على القسطنطينية
وأنطاكية والاسكندرية ، وصار أكثر أهل
الاسكندرية وأرض مصر أريوسيين ومنايس ،
واستولوا على ما بها من الكنائس ، رمال
الملك الى رأيهم ، وحل الناس عليه ، ثم رجع
عنه .

وزعم أبريس ، أسقف القدس ، أنه ظهر
من السماء ، على القبر الذي بكنيسة القمامة ،
شبه صليب من نور في يوم عيد العنصرة ،
لمسرة أيام من شهر أيار ، في الساعة الثالثة
من النهار ، حتى غلب نوره على نور الشمس ،
ورآه جميع أهل القدس عيانا ، فأقام فوق
القبر عدة ساعات والناس تشاهده . فأمن
يومئذ من اليهود وغيرهم عدة آلاف كثيرة .

ثم لما ملك موليانوس ابن عم قسطنطين ،
اشتدت نكايته للنصارى ، فسل منهم حلما
كثيرا ، ومنهم من اضطر في شدة . فكتب
وأخذ أ إلى الكنائس والدارات ، لصب
مائدة كبيرة عليها أطعمة ما دبحه لأصنام ،
ونادى من أراد المال فليصحب الحق على
البار ، وليأكل من ذبائح الحمام . وأحد ما
يريد من المال ، فامتنع كثير من الروم ،
وقالوا : نحن نصارى ، فقتل منهم خلائق ،
ومحا الصليب من أعلامه وبسوده .

وفى أيامه سكن القديس أمارنوس بركة
الأردن ، وبنى بها الديارات ، وهو أول من
سكن بركة الأردن من نصارى .

فلما ملك يرسانيوس على الروم — كان
متصرا — عاد كل من كان من الأساقفة
الى كرسى ، كثر الى اناسيرس بطرك
الاسكندرية ، أن يشرح الأمام المستقيمة .
فجمع الأساقفة كسوا له أن يلام أمانة
الثلاثمائة ثمانية عشرة .

فثار أهل الاسكندرية على ايناسيوس
ليقتلوه ففر ، وأقاموا بدله رفيرس — ركان
أريوسيا — فاجتمع مجمع الأساقفة بعد خمسة
أشهر ، وحرروا ، نموه ، أعادوا اناسيوس
الى كرسى ، فأقام بطركا الى أن مات فحلّفه
بطرس ، ثم وثب الأريسيون عليه بعد سنتين
ففر منهم ، وأعادوا لوقيوس ، فأقام بطركا
ثلاث سنين ، ووثب عليه أعداؤه ففر منهم ،
فردوا بطرس في العشرين من أمتير ، فأقام
سنة .

وقدم في أيام واليس ملك الروم أريوس
أسقف أنطاكية الى الاسكندرية بأذن الملك ،
وأخرج منها جماعة من الروم ، وحبس بطرس
بطركها ، ونصب بدله أريوس السيساطي .
ففر بطرس من الحبس الى رومية ، واستجار
ببطركها .

وكان واليس أريوسيا ، فسار الى زيارة
كنيسة مار توما بمدينة الرها ، وبقى أسقفها
وجماعة معه الى جزيرة رودس ، وبقى سائر
الأساقفة لمخالفتهم لرايه ما عدا اثنين ، وأقام
في بطركية الاسكندرية طيماتاوس ، فأقام
سبع سنين ومات .

وفى أيامه كان المجمع الثاني من مجامع
النصارى بقسطنطينية ، في سنة اثنتى عشرة
ومائة لدقليانوس ، فاجتمع مائة وخمسون
أسقفيا ، وحرروا مقدسيون ، عدو روح
القدس ، وكل من قال بقوله ، وسبب ذلك أنه
قال : ان روح القدس مخلوق ، وحرروا معه
غير واحد لمقائد شنيعة تظاهروا بها في
المسيح .

وزاد الأساقفة في الأمانة التي رتبها للثلاثمائة
وثمانية عشرة : وثؤمن بالروح القدس ، الرب
الحى المنبثق من الأب — قلت : تعالى الله
عما يقولون علوا كبيرا — وحرروا أن يزداد
فيها بعد ذلك شيء ، أو تنقص بها شيء .
وكان هذا المجمع بعد مجمع نيقية بثمان
وخمسين سنة .

وفى أيامه بنيت عدة كنائس بالاسكندرية ،
واستتب جماعة كثيرة من مقالة أريوس .
وفى أيامه أطلق للأساقفة والرهبان أكل اللحم

يوم الفصح ليخالقوا الطائفة المنائية ، فأنهم
كانوا يحرمون أكل اللحم مطلقا ، ورد الملك
اغريديانوس كل من تقاه واليس من الأساقفة ،
وأمر : أن يلزم كل واحد دينه ما خلا المنائية .

ثم أقيم بكرسى الاسكندرية تاوفيل ، فأقام
سبعا وعشرين سنة ، ومات في ثامن عشر بابة .
وفى أيامه ظهر الفتية أهل الكهف — وكان
تاوداسيوس إذ ذاك ملكا على الروم — فبنى
عليهم كنيسة ، وجعل لهم عيدا في كل سنة .

واشتد الملك تاوداسيوس على الأريسين ،
وضيق عليهم ، وأمر فأخذت منهم كنائس
النصارى بعدما حكموها نحو أربعين سنة ،
واسقط من جيشه من كان أريوسيا ، وطرد
من كان في ديوانه وخدمه منهم ، وقتل من
الحنفاء كثيرا ، وهدم بيوت الأصنام بكل
موضع ، وفى أيامه بنيت كنيسة مريم
بالقسطنطينية .

وفى أيام الملك أرغاديوس بنى دير القصر
— المعروف الآن بدير البزل — في جبل
المقطم شرقى طرا خارج مدينة فسطاط مصر .

ثم أقيم في بطركية الاسكندرية كركس ،
فأقام اثنتين وثلاثين سنة ، ومات في ثالث
أبيب . وهو أول من أقام القومة في كنائس
الاسكندرية وأرض مصر .

وفى أيامه كان المجمع الثالث من مجامع
النصارى ، بسبب نسطورس بطرك
قسطنطين ، فانه منع أن تكون مريم أم عيسى ،
وقال : انما ولدت مريم انسانا اتخذ بمشيئة
الاله (يعنى عيسى) فصار الاتحاد بالمشيئة

خاصة لا بالذات ، وان اطلاق الاله على عيسى ليس هو بالحقيقة بل بالموهبة والكرامة .

وقل : ان المسيح حل فيه الابن الأزلي ، وانى أعبد له لأن الاله حل فيه ، وانه جوهران واقتومان ومشيئة واحدة . وقل فى خطبته يوم الميلاد : ان مريم ولدت انسانا ، وأنا لا أعتقد فى ابن شهرين وثلاثة الالهية ، ولا أسجد له سجودى للاله .

وكان هذا هو اعتقاد تادروس وديوادارس الأسقفين ، وكان من قولهما : ان المولود من مريم هو المسيح ، والمولود من الأب هو الابن الأزلي ، وانه حل فى المسيح فسمى ابن الله بالموهبة والكرامة ، وان الاتحاد بالمشيئة والارادة ، وأثبتوا الله تعالى عن قولهم — ولدين : أحدهما بالجواهر ، والآخر بالنعمة .

فلما بلغ كرلص بطرك الاسكندرية مقالة نسطورس ، كتب اليه يرجعه عنها ، فلم يرجع . فكتب الى اكليرس بطرك رومية ، والى يوحنا بطرك أنطاكية ، والى يونايليوس أسقف القدس ، يعرفهم بذلك . فكتبوا بأجمعهم الى نسطورس ليرجع عن مقالته ، فلم يرجع .

فتواعد البطاركة على الاجتماع بمدينة أفسس . فاجتمع بها مائتا أسقف ، ولم يحضر يوحنا بطرك أنطاكية ، وامتنع نسطورس من المجيء اليهم بعدما كرروا الارسال فى طلبه غير مرة ، فنظروا فى مقالته ، وحرموه وتقوه . فحضر بعد ذلك يوحنا ، فمز عليه فصل الأمر قبل قدومه ، واتصر لنسطورس ، وقال : قد حرموه بغير حق .

وتفرقوا من أفسس على شر ، ثم اصطفوا ، وكتب المشرقون صحيفة بأمانتهم وبجرمان نسطورس ، وبعثوا بها الى كرلص . فقبلها ، وكتب اليهم بأن أمانته على ما كتبوا . فكان بين المجمع الثانى وبين هذا المجمع خمسون — وقيل خمس وخمسون — سنة .

وأما نسطورس فانه نفى الى صعيد مصر ، فنزل مدينة اخميم ، وأقام بها سبع سنين ، ومات فدفن بها . وظهرت مقالته ، فقبلها برصوما أسقف نصيين ، ودان بها نصارى أرض فارس والعراق والموصل والجزيرة الى القرات ، وعرفوا الى اليوم بالنسطورية .

ثم قدم تاوداسيوس ملك الروم ، فى الثانية من ملكه ، ديستورس بطركا بالاسكندرية ، فظهر فى أيامه مذهب أوطاخى ، أحد القنوميين بالقسطنطينية ، وزعم أن جسد المسيح لطيف غير مساو لأجسادنا ، وأن الابن لم يأخذ من مريم شيئا . فاجتمع عليه مائة وثلاثون أسقفا ، وحرموه .

واجتمع بالاسكندرية كثير من اليهود فى يوم الفصح ، وصلبوا صنما على مثال المسيح وعبثوا به ، فثار بينهم وبين النصارى شر قتل فيه بين الفريقين خلق كثير ، فبعث اليهم ملك الروم جيشا قتل أكثر يهود الاسكندرية .

وكان المجمع الرابع من مجامع النصارى بمدينة خلقدونية . وسببه أن ديستورس ، بطرك الاسكندرية ، قال : ان المسيح جوهر من جوهرين ، وقنوم من قنومين ، وطبيعة من طبيعتين ، ومشيئة من مشيئتين . وكان

رأى مرقيانوس ملك الروم أنه جسد ، وأهل مملكته أنه جوهران وطبيعتان ومشيتان وقنوم واحد . فلما رأى الأساقفة أن هذا رأى الملك خافوه ، فوافقوه على رأيه ، ما خلا ديستورس ومئة أساقفة ، فانهم لم يوافقوا الملك ، وكتب من عداهم من الأساقفة خطوطهم بما اتفقوا عليه .

فبعث ديستورس يطلب منهم الكتاب ليكتب فيه . فلما وصل اليه كتابهم ، كتب فيه أمانته هو ، وحرّمهم وكل من يخرج عنها . فغضب الملك مرقيانوس ، وهم بقتله ، فأشير عليه بإحضاره ومناظرته ، فأمر به فحضر ، وحضر مئة وأربعة وثلاثون أسقفا . فأشار الأساقفة والبطاركة على ديستورس بموافقة رأى الملك ، واستمراره على رياسته .

فدعا للملك وقال لهم : الملك لا يلزمه البحث فى هذه الأمور الدقيقة ، بل ينبغى له أن يشتغل بأمور مملكته وتديرها ، ويدع الكهنة يبحثون عن الأمانة المستقيمة فانهم يعرفون الكتب ، ولا يكون له هوى مع أحد ويتبع الحق .

فقال بلخارية زوجة الملك مرقيانوس ، وكانت جالسة * بأزائه : يا ديستورس قد كان فى زمان أُمى انسان قوى الرأس مثلك ، وحرّموه وتقوه عن كرميه ، فعنى يوحنا قم الذهب بطرك قسطنطينية .

فقال لها : قد علمت ماجرى لأمك ، وكيف ابتليت بالمرض الذى تعرفينه ، الى أن مضت الى جسد يوحنا قم الذهب ، واستغفرت فعوفيت .

(١٨٨) مر ١٨٨ ، ج ١ ، ط ١٠٠ بولاق

فحنقت من قوله ، ولبكتنه ، فاقبلع له خرسان ، وتناولته أيدي الرجال ، ففتنوا أكثر لحيته ، وأمر الملك بحرمانه وتقيه عن كرميه . فاجتمعوا عليه وحرّموه وتقوه ، وأقيم عوضه برطاوس .

ومن هذا المجمع افترق النصارى ، وصاروا ملكية على مذهب مرقيانوس الملك ، ويعقوية على رأى ديستورس ، وذلك فى سنة ثلاث وتسعين ومائة لدقليطيانوس ، وكتب مرقيانوس الى جميع مملكته أن كل من لا يقول بقوله يقتل . فكان بين المجمع الثالث وبين هذا المجمع احدى وعشرون سنة .

وأما ديستورس فانه أخذ ضربه وشعر لحيته ، وأرسلها الى الاسكندرية ، وقال : هذه ثمرة تمبى على الأمانة . فبعثه أهل اسكندرية ومصر ، وتوجه فى تقيهم فمير على القدس وفلسطين ، وعرفهم مقالته ، فبصوه وقالوا بقوله ، وقسّم عدة أساقفة يعقوية ، ومات وهو منفى فى رابع نوت ، فكانت مدة بطركيته أربع عشرة سنة . وبقي كرمى الملكة بغير بطرك مدة ملكة مرقيانوس ، وقيل بل قدم برطاوس .

وقد اختلف فى تسمية يعقوية بهذا : فقيل ان ديستورس كان يسمى قبل بطركيته يعقوب ، وانه كان يكتب وهو منفى الى أصحابه بأن يشتوا على أمانة المسكين المنفى يعقوب .

وقيل بل كان له تلميذ اسمه يعقوب ، وكان يرسله وهو منفى الى أصحابه ، فنبوا اليه .

وقيل بل كان يعقوب تلميذ ساويرس بطرك أنطاكية ، وكان على رأى ديستورس ، فكان ساويرس يبحث يعقوب الى النصارى ، ويشتبه على أمانة ديستورس ، فنبهوا اليه .

وقيل بل كان يعقوب كثير العبادة والزهد ، يلبس خرق البراذع ، فسى يعقوب البراذع من أجل ذلك ، وأنه كان يطوف البلاد ، ويرد الناس الى مقالة ديستورس ، نسب من اتبع رايه اليه ، وسموا يعقوية ، ويقال ليعقوب أيضا يعقوب السروجي .

وفى أيام مرقيانوس كان سمعان الحبيس ، صاحب العمود ، وهو أول راهب سكن صومعة ، وكان مقامه بمفارة فى جبل أنطاكية .

ولما مات مرقيانوس ، وثب أهل الاسكندرية على بوطاوس البطريرك ، وقتلوه فى الكنيسة ، وحلوا جسده الى الملعب الذى بناه بطليموس ، وأحرقوه بالنار من أجل أنه ملكى الاعتقاد ، فكانت مدة بطركيته ست سنين .

وأقاموا عوضه طيماتاوس — وكان يعقوبيا — فأقام ثلاث سنين ، وقدم قائد من قسطنطينية فنفاه ، وأقام عوضه ساويرس — وكان ملكيا — فأقام اثنين وعشرين سنة ، ومات فى سابع مسرى .

فلما ملك زبسون بن لاون الروم ، أكرم اليعقوية ، وأعزهم لأنه كان يعقوبيا ، وكان يحل الى دير يوقنا كل سنة ما يحتاج اليه من التمسح والزيت . وهرب ساويرس من كرسى الاسكندرية الى وادى هيب ، ورجع فيستورس من فيه ، فأقام بطركا بستين

ومات . فقيم بعده بطرس ، فأقام ثمان سنين وسبعة أشهر وستة أيام ، ومات فى رابع هاتور .

فقيم بعده اثناسيوس ، فأقام سبع سنين ، ومات فى العشرين من توت ، وفى أيامه احترق الملعب الذى بناه بطليموس . وأقيم يوحنا فى بطركية الاسكندرية — وكان يعقوبيا — فأقام تسع سنين ، ومات فى رابع بشنس ، فخلا الكرسي بعده سنة . ثم أقيم يوحنا الحبيس ، فأقام احدى وعشرين سنة ، ومات فى سابع عشرى بشنس . فقيم بعده ديستورس الجديد ، فأقام ستين وخمسة أشهر ، ومات فى سابع عشر بابة .

وكتب ايليا بطرك القدس ، الى نسطاس ملك الروم ، بأن يرجع عن مقالة اليعقوية الى مقالة الملكية ، وبعث اليه جماعة من الرهبان بهدية منية . فقبل هديته ، وأجاز الرهبان بجوائز جلية ، وجهاز له مالا جزيلا لمصاراة الكنائس والديارات والصدقات .

فتوجه ساويرس الى نسطاس ، وعرفه أن الحق هو اعتقاد اليعقوية ، فأمر أن يكتب الى جميع مملكته بقبول قول ديستورس ، وترك المجمع الخلقدونى . فبعث اليه بطرك أنطاكية بأن هذا الذى فعلته غير واجب ، وأن المجمع الخلقدونى هو الحق . فغضب الملك وقتاه ، وأقام بدله .

فأمر ايليا ، بطرك القدس ، بجمع الرهبان ورؤساء الديارات . فاجتمع له منهم عشرة آلاف نفس ، وحرّموا نسطاس الملك ومن يقول بقوله . فأمر نسطاس بنفى ايليا الى

مدينة أيلة ، فاجتمع بطاركة الملكية وأساقفتهم وحرّموا الملك نسطاس ومن يقول بقوله .

وفى أيام نسطايوس الملك ، ألزم الحنفاء أهل حران — وهم الصابئة — بالتصير . فتصير كثير منهم ، وقتل أكثرهم على امتناعهم من دين النصرانية ، ورد جميع من تصاه نسطاس من الملكية ، فانه كان ملكيا . وأقيم طيماتاوس فى بطركية الاسكندرية — وكان يعقوبيا — فأقام ثلاث سنين وتقى .

وأقيم بدله أبوليناريوس ، وكان ملكيا ، فجد فى رجوع النصارى بأجمعهم الى رأى الملكية ، وبذل جهده فى ذلك ، وألزم نصارى مصر بقبول الأمانة المحدثه ، فوافقوه * ووافقهم رهبان ديارات بومقار بوادى هيب .

هذا ويعقوب البراذع يدور فى كل موضع ، ووثب أصحابه على الأمانة التى زعم أنها مستقيمة . وأمر الملك جميع الأساقفة بعمل الميلاد فى خامس عشرى كانون الأول ، وبعمل الفطاس لست تخلو من كانون الثانى ، وكان كثير منهم يعمل الميلاد والفطاس فى يوم واحد ، وهو سادس كانون الثانى ، وعلى هذا رأى الأرمن الى يومنا هذا .

وفى هذه الأيام ظهر يوحنا النحوى بالاسكندرية ، وزعم أن الأب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة ، وثلاث طبائع وجوهر واحد . وظهر يوليان ، وزعم أن جسد المسيح نزل من السماء ، وأنه لطيف روحانى لا يقبل الآلام الا عند مقارفة الخطيئة ، والمسيح لم

(٢٨٩ ص ٢٨٩ ج ٢ ط ٢٠٠٠ بولاق .)

يقارف خطيئة ، فلذلك لم يصب حقيقة ولم يتألم ولم يموت ، وإنما ذلك كله خيال .

فأمر الملك البطريرك طيماتاوس أن يرجع الى مذهب الملكية فلم يفعل ، فأمر بقتله ، ثم شفع فيه وتقى . وأقيم بدله بولس — وكان ملكيا — فأقام ستين ، فلم يرعه اليعاقبة ، وقيل انهم قتلوه ، وصيروا عوضه بطركا ديلوس — وكان ملكيا — فأقام خمس سنين فى شدة من التعب ، وأرادوا قتله ، فهرب وأقام فى هربه خمس سنين ومات .

فبلغ ملك الروم يوستيانوس أن اليعقوية قد غلبوا على الاسكندرية ونصر ، وأنهم لا يقبلون بطاركة . فبعث أثوليناريوس أحد قواده ، وضم اليه عسكرا كبيرا ، الى الاسكندرية . فلما قدما ، ودخل الكنيسة نزع عنه ثياب الجند ، ولبس ثياب البطاركة وقدس . فهم ذلك الجمع برجمه ، فانصرف وجمع عسكره ، وأظهر أنه قد أتاه كتاب الملك ليقرأه على الناس ، وضرب الجرس فى الاسكندرية يوم الأحد .

فاجتمع الناس الى الكنيسة حتى لم يبق أحد ، فطلع المنبر وقال : يا أهل الاسكندرية ان تركتم مقالة اليعقوية ، والا أخاف أن يرسل الملك فيقتلكم ، ويستبيح أموالكم وحرمتكم . فهموا برجمه ، فأشار الى الجند ، فوضعوا السيف فيهم ، فقتل من الناس ما لا يحصى عدده حتى خاض الجند فى الدماء ، وقيل ان الذى قتل يومئذ مائتا ألف انسان ، وفر منهم خلق الى الديارات بوادى هيب ، وأخذ الملكية كنائس اليعاقبة . ومن يومئذ

صار لرسم اليمقوية في دير بومقار بوادي
ميب .

وفي أيامه ثارت السامرة على أرض
فلسطين ، وهدموا كنائس النصارى ، وأحرقوا
ما فيها ، وقتلوا جماعة من النصارى . فبعث
الملك جيشا قتلوا من السامرة خلقا كثيرا ،
ووضع من خراج فلسطين جيلة ، وجدد بناء
الكنائس ، وألشأ مارستانا بيت المقدس
للرضى ، ووسع في بناء كنيسة بيت لحم ،
وبنى ديرا بطور سيناء ، وحمل عليه حصنا
حواله عدة قلالي ، ورتب فيها حرسا لحفظ
الرهبان .

وفي أيامه كان المجمع الخامس من معام
النصارى . ومي به أن أرمعانس ، أسقف
مدينة منبج ، قال بتناسخ الأرواح ، وقال كل
من أسقف أقرة وأسقف المصيصة وأسقف
الرها : أن جسد المسيح خيال لا حقيقى .
فحلوا الى القسطنطينية ، وجمع بينهم وبين
بطركها أوطس ، وناظرهم وأوقع عليهم
الحرمان .

فأمر الملك أن يجمع لهم مجمع ، وأمر
بإحضار البطارقة والأساقفة ، فاجتمع مائة
وأربعون أسقفا ، وحرروا هؤلاء الأساقفة
ومن يقول بقولهم . فكان بين المجمع الرابع
الخلقدونى وبين هذا المجمع مائة وثلاث
وستون سنة .

ولما مات القائد الذى عمل بطرك
الاسكندرية ، بعد سبع عشرة سنة ، أقيم بعده
يوحنا — وكان منانيا — فأقام ثلاث سنين
ومات .

وقدم اليماقية بطركا اسمه
تاوداسيوس ، أقام مدة اثنتين وثلاثين سنة ،
وقدم المسكية بطركا اسمه داقسيوس .
فكتب الملك الى متولى الاسكندرية أن
يعرض على بطرك اليماقية أمالة المجمع
الخلقدونى ، فإن لم يقبلها أخرجه ، فعرض
عليه ذلك فلم يقبله ، فأخرجه وأقام بعده
بولس التيسى ، فلم يقبله أهل الاسكندرية
ومات ، ففعلت كنائس القبط اليماقية ،
وأصابهم من الملكية شدائد كثيرة ،
واستجد اليماقية بالاسكندرية كنيتين في
سنة ثمان وأربعين ومائتين لدقليانوس .

ومات تاوداسيوس ثامن عشرى يؤونة بعد
اثنتين وثلاثين سنة من بطركيته ، منها مدة
أربع سنين مدة تقي في صعيد مصر ، وأقيم
بعده بطرس — وكان يمقويا — فى خفية
بدير الرجراج بالاسكندرية ، قدمه ثلاثة
أساقفة . فأقام سنتين ، ومات فى خامس
عشرى يؤونة ١٠٠٠ من اليماقية سنة
واحدة .

وفى سنة احدى وثمانين وثمانمائة ، أقيم
داميانو بطركا بالاسكندرية — وكان يعقوبيا
— فأقام ستا وثلاثين سنة ، ومات فى ثامن
عشرى يؤونة . وفى أيامه خربت الديارات ،
وأقام الملكية لهم بالاسكندرية بطركا منانيا
اسمه أتناس ، فأقام خمس سنين ومات .
فأقيم بعده يوحنا — وكان منانيا — ولقب
بالقائم بالحق ، فأقام خمسة أشهر ومات .
فأقيم بعده يوحنا القائم بالأمر — وكان
ملكيا — فأقام احدى عشرة سنة ، ومات .

(١) هكذا يمان فى الاصل .

وفى أيام الملك ظياريوس ملك الروم ، بنى
النصارى بالمداين — مدائن كبرى — هيكلا
وبنوا أيضا بمدينة واسط هيكلا آخر .

وفى أيام الملك موريق قيصر ، زعم راهب
اسمه مارون أن المسيح ، عليه السلام ،
طبعان ومشية واحدة * وأقنوم واحد .
فتبعه على رأيه أهل حماه وقشرين والمواصم
وجماعة من الروم ، ودانوا بقوله ، فعرفوا بين
النصارى بالمارونية ، فلما مات مارون ، بنوا
على اسمه دير مارون بعمارة .

وفى أيام فوفا ملك الروم ، بعث كبرى
ملك فارس جيوشه الى بلاد الشام ومصر ،
فغربوا كنائس القدس وفلسطين وعامة بلاد
الشام ، وقتلوا النصارى بأجمعهم ، وأتوا الى
مصر فى طلبهم ، فقتلوا منهم أمة كبيرة ،
وسبوا منهم سبيلا لا يدخل تحت حصر .

وساعدتهم اليهود فى محاربة النصارى
وتخريب كنائسهم ، وأقبلوا نحو القرس من
طبرية وجبل الجليل وقرية الناصرة ومدينة
صور وبلاد المقدس ، فنالوا من النصارى كل
منال ، وأعظموا النكابة فيهم ، وخربوا لهم
كنيستين بالقدس ، وحرقوا أماكنهم ، وأخذوا
قطعة من عود الصليب ، وأسروا بطرك القدس
وكثيرا من أصحابه . ثم مضى كبرى بنفسه
من العراق لفزو قسطنطينية ، تخت ملك
الروم ، فحاصرها أربع عشرة سنة .

وفى أيام فوفا أقيم يوحنا الرحوم ، بطرك
الاسكندرية ، على الملكية . فدبر أرض مصر

(*) ص ١٩٠ ج ٢ ، ط ١٠٠ بولاق .

كلها عشر سنين ، ومات بقبرس وهو فار من
القرس . فخلا كرمى اسكندرية من البطركية
سبع سنين ، لخلو أرض مصر والشام من
الروم ، واختفى من بقى بها من النصارى
خوفا من القرس .

وقدم اليماقية لسطاسيوس بطركا ، فأقام
ثنتى عشرة سنة ، ومات فى ثاتى عشرى كيهك
سنة ثلاثين وثلثمائة لدقليانوس ، فاسترد ما
كانت الملكية قد استولت عليه من كنائس
اليماقية ، ورم ما شعث القرس منها . وكانت
أقامته بمدينة الاسكندرية ، فأرسل اليه
انباسيوس بطرك أنطاكية هدية محبة عدة
كثيرة من الأساقفة ، ثم قدم عليه زائرا ،
فتلقاه وسر بقدومه ، وصارت أرض مصر فى
أيامه جميعها يماقية لخلوها من الروم .

ثارت اليهود فى أثناء ذلك بمدينة صور ،
وراسلوا بقيتهم فى بلادهم ، وتواعدوا على
الايقاع بالنصارى وقتلهم . فكانت بينهم حرب
اجتمع فيها من اليهود نحو عشرين ألفا ،
وهدموا كنائس النصارى خارج صور فتوى
النصارى عليهم وكاثروهم ، فانهزم اليهود
هزيمة قبيحة ، وقتل منهم خلق كثير .

وكان هرقل قد ملك الروم بقسطنطينية ،
وغلب القرس بحيلة دبرها على كبرى حتى
رحل عنهم ، ثم سار من قسطنطينية ليمهد
ممالك الشام ومصر ، ويجدد ما خربه القرس
منها . فخرج اليه اليهود من طبرية وغيرها ،
وقدموا له الهدايا الجليلة ، وطلبوا منه أن
يؤمنهم ، ويحلف لهم على ذلك ، فأمنهم
وحلف لهم .

ثم دخل القدس - وقد تلقاه النصارى بالأنجيل والصلبان والبحور والشموع المشعلة - فوجد المدينة وكنائسها وقامتها خرابا ، فسأه ذلك وتوجع له . وأعلمه النصارى بما كان من ثورة اليهود مع الفرس ، وابتاعهم بالنصارى وتخريبهم الكنائس ، وأنهم كانوا أشد نكاية لهم من الفرس ، وقاموا قياما كبيرا في قتلهم عن آخرهم ، وحشوا هرقل على الواقعة بهم ، وحشوا له ذلك .

فاحتج عليهم بما كان من تأمينه لهم وحلفه ، فذناه رهبانهم وبطاركتهم وقسيسهم . فإنه لا حرج عليه في قتلهم ، فانهم عملوا عليه حيلة حتى أنهم من غير أن يعلم بما كان منهم ، وأنهم يقومون عنه بكفارة يمينه : بأن يلتزموا ويلزموا النصارى بصوم جمعة في كل سنة عنه على ممر الزمان والدهور .

فقال إلى قولهم ، وأوقع باليهود وقبيلة شمناء أبادهم جميعهم فيها ، حتى لم يبق في ممالك الروم بصر والشام منهم الا من فر واختفى . فكتب البطارقة والأساقفة إلى جميع البلاد بالزام النصارى بصوم أسبوع في السنة ، فالتزموا صومه إلى اليوم ، وعرفت عندهم بجمعة هرقل ، وتقدم هرقل بسمارة الكنائس والديارات ، وأتفق فيها مالا كبيرا .

وفي أيامه أقيم أدراسلون ، بطرك اليمانية بالاسكندرية ، فأقام ست سنين ، ومات في ثامن طوبة ، فخربت الديارات في مدة بطركيته . وأقيم بعده على اليمانية بنيامين ، فعمر الدير الذي يقال له دير أبو بشاي ودير

سيده أبو بشاي ، وهما في وادي هيب ، فأقام تسعا وثلاثين سنة ، ملك الفرس منها مصر عشر سنين .

ثم قدم هرقل فقتل الفرس بمصر ، وأقام فيرش بطرك الاسكندرية - وكان منانيا - وطلب بنيامين ليقتله فلم يقدر عليه لفراره منه . وكان هرقل مارونيا ، فظفر بينا أخى بنيامين ، فأحرقه بالنار عداوة لليمانية ، وعاد إلى القسطنطينية . فأظهر الله دين الاسلام في أيامه ، وخرج ملك مصر والشام من يد النصارى ، وصار النصارى ذمة للمسلمين .

فكانت مدة النصارى منذ رفع المسيح إلى أن فتحت مصر ، وصار النصارى من القبط ذمة للمسلمين ١٠٠٠ ٠٠٠ منها مدة كونهم تحت أيدي الروم يقتلونهم أبرح قتل بالصلب بالصلب والتحريق بالنار والرجم بالحجارة وتقطيع الأعضاء ، ومنها مدة استيلائهم بتنصر الملوك * .

ذكر دخول النصارى من قبط مصر في طاعة المسلمين وادانهم الجزية واتخاذهم ذمة لهم ، وما كان في ذلك من الحوادث والأنباء

اعلم أن أرض مصر ، لما دخلها المسلمون ، كانت بأجمعها مشحونة بالنصارى . وهم على قسمين متباينين في أجناسهم وعقائدهم : أحدهما أهل الدولة ، وكلهم روم من جند صاحب القسطنطينية ملك الروم ، ورأيهم

(١) من (٩١) ج ٢ ، طه بلاق .

(١١) هكذا ببائس في الأصل .

ودياتهم بأجمعهم ذممة الملكية ، وكانت عدتهم تزيد على ثلثمائة ألف رومي

والقسم الآخر عامة أهل مصر - ويمال لهم القبط - واسانهم محنطه ، لا تكاد تميز منهم القبط من الحنى من النوبي من الاسرائيلي الأصل من غيره . وكلهم يمانيّة : فسمهم كتاب الملكة ، منهم التجار والساعة ، منهم الأساقفة القسوس ونحوهم ، ومنهم أهل الفلاحة ، الرورع ، ومنهم أهل الخدمة والمهنة . منهم من الملكية أهل الدولة من العدارة ما سمع مناكتهم ، وبوجب قتل بعضهم بعضا ، ويبلغ عددهم عشرات آلاف كثيرة جدا ، فانهم في الحقيقة أهل أرض مصر أعلاها وأسفلها .

فلما قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين معه إلى مصر ، قاتلهم الروم حمايةً لمملكتهم ودفعوا لهم عن بلادهم . فقاتلهم المسلمون ، وغلبوهم على الحصن كما تقدم ذكره . فطلب القبط من عمرو المصالحة على الجزية ، فصالحهم عليها ، وأقرهم على ما بأيديهم من الأراضي وغيرها ، وصاروا معه عوناً للمسلمين على الروم حتى هزمهم الله تعالى ، وأخرجهم من أرض مصر .

وكتب عمرو لبنيامين بطرك اليمانية أمانا ، في سنة عشرين من الهجرة ، فسر ذلك وقدم على عمرو ، وجلس على كرسي بطركيته بعدما غاب عنه ثلاث عشرة سنة . منها في ملك قارن لمصر عشر سنين ، وناقيا بعد قدوم هرقل إلى مصر . فقلبت اليمانية على كنائس

مصر ودياراتها كلها ، واشتدوا بها دون الملكية .

ويذكر علماء الأخبار من النصارى : أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لما فتح مدينة القدس ، كتب للنصارى أمانا على أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم ، وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تسكن ، وأنه يجلس في وسط صحن كنيسة القيامة ، فلما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها بفردة ، ثم جلس وقال للبطرك : لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من يدي ، وقالوا ههنا صلى عمر .

وكتب كتابا يتضمن أنه لا يصلى أحد من المسلمين على الدرجة الا واحد واحد ، ولا يجتمع المسلمون بها للصلاة فيها ، ولا يؤذنون عليها ، وأنه أشار عليه البطرك باتخاذ موضع الصخرة مسجدا - وكان فوقها تراب كثير - فتناول عمر رضي الله عنه من الراب في ثوبه ، فبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق منه شيء ، وعمر المسجد الأقصى أمام الصخرة . فلما كانت أيام عبد الملك بن مروان ، أدخل الصخرة في حرم الأقصى ، وذلك سنة خمس وستين من الهجرة .

ثم إن عمر رضي الله عنه أتى بيت لحم ، وصلى في كنيسة عند الخربة التي ولد فيها المسيح ، وكتب سجلا بأيدي النصارى . الا يصلى في هذا الموضع أحد من المسلمين الا رجل بعد رجل ، ولا يجتمعوا فيه للصلاة ، ولا يؤذنون عليه .

ولما مات البطرك بنيامين في سنة تسع وثلاثين من الهجرة بالاسكندرية ، في اماره عمرو الثانية ، قدم اليعاقبة بعده اغانو ، فأقام سبع عشرة سنة ، ومات سنة ست وخمسين . وهو الذي بنى كنيسة مرقس بالاسكندرية ، فلم تزل الى أن هدمت في سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

وكان في أيامه الغلاء مدة ثلاث سنين ، وكان يهتم بالضعفاء .

فأقيم بعده ايساك — وكان يعقوبيا — فأقام سنتين وأحد عشر شهرا ومات . فقدم اليعاقبة بعده سيمون السرياني ، فأقام سبع سنين ونصفا ومات . وفي أيامه قدم رسول أهل الهند في طلب أسقف يقيمه لهم ، فامتنع من ذلك حتى يأذن له السلطان ، وأقام غيره ، وخلا بعد موته كرسي الاسكندرية ثلاث سنين بغير بطرك .

ثم قدم اليعاقبة في سنة احدى وثمانين الاسكندروس ، فأقام أربعاً وعشرين سنة ونصفا — وقيل خمسا وعشرين سنة — ومات سنة ست ومائة . وموت به شذائد صدور فيها مرتين ، أخذ منه فيها ستة آلاف دينار . وفي أيامه أمر عبد العزيز بن مروان ، فمّر باحصاء الرهبان فأحصوا ، وأخذت منهم الجزية عن كل راهب دينار . وهي أول جزية أخذت من الرهبان .

ولما ولي مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، اشتد على النصارى ، واقتدى به قرة بن شريك أيضا في ولايته على مصر ، وأزل بالنصارى شذائد لم يتلوا قبلها

بمثلها . وكان عبد الله بن الجباب ، متولى الخراج ، قد زاد على القبط قيراطا في كل دينار . فانتفض عليه عامة الحوف الشرقي من القبط ، فعاربهم المسلمون ، وقتلوا منهم عدة وافرة في سنة سبع ومائة .

واشتد أيضا أسامة بن زيد التنوخي متولى الخراج على النصارى ، وأوقع بهم ، وأخذ أموالهم ، ووسم أيدي الرهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب واسم ديرهم وتاريخه . فكل من وجده بغير وسم قطع يده ، وكتب الى الأعمال * بأن من وجد من النصارى ، وليس معه منشور ، أن يؤخذ منه عشرة دنانير .

ثم كبس الديارات ، وقبض على عدة من الرهبان بغير وسم ، فضرب أعناق بعضهم ، وضرب باقيهم حتى ماتوا تحت الضرب . ثم هدمت الكنائس ، وكسرت الصلبان ، ومحيت التماثيل ، وكسرت الأصنام بأجمعها — وكانت كثيرة — في سنة أربع ومائة ، والخليفة يومئذ يزيد بن عبد الملك .

فلما قام هشام بن عبد الملك في الخلافة ، كتب الى مصر بأن يجرى النصارى على عوايدهم وما بأيديهم من العهد . فقدم حنظلة ابن صفوان أميرا على مصر في ولايته الثانية ، فتشدد على النصارى ، وزاد في الخراج ، وأحصى الناس والبهائم ، وجعل على كل نصراني وصفا صورة أسد ، وتبعهم فمن وجده بغير وسم قطع يده .

ثم أقام اليعاقبة بعد موت الاسكندروس بطركا اسمه قسيما ، فأقام خمسة عشر شهرا

(*) ص ٢٦٢ ج ٢ ، ط - بولاق .

ومات . فقدموا بعده تادرس في سنة تسع ومائة ، ومات بعد احدى عشرة سنة . وفي أيامه أحدثت كنيسة يوقنا ببط الحبراء ، ظاهر مدينة مصر ، في سنة سبع عشرة ومائة ، فقام جماعة من المسلمين على الوليد بن رفاعه أمير مصر بسببها .

وفي سنة عشرين ومائة ، قدم اليعاقبة ميخائيل بطركا ، فأقام ثلاثا وعشرين سنة ومات . وفي أيامه انتفض القبط بالصعيد ، وحاربوا العمال في سنة احدى وعشرين ، فحاربوا ، وقتل كثير منهم . ثم خرج بعض بسنود وحارب ، وقتل في الحرب ، وقتل معه قبط كثير في سنة اثنتين وثلاثين ومات . ثم خالفت القبط برشيد ، فبعث اليهم مروان ابن محمد ، لما قدم مصر ، وهزمهم .

وقبض عبد الملك بن موسى بن نصير أمير مصر على البطرك ميخائيل ، فاعتقله وألزمه بمال ، فسار بأساقفة في أعمال مصر يسأل أهلها ، فوجدتهم في شذائد ، فماد الى القسطنطين ودفع الى عبد الملك ما حصل له ، فأفرج عنه . فنزل به بلاء كبير من مروان ، وبطش به وبالنصارى ، وأحرق مصر وغلاتها .

وأسر عدة من النساء المترهبات ببعض الديارات ، وراود واحدة منهم عن نفسها ، فاحتالت عليه ، ودفعته عنها بأن رغبته في دهن معها اذا ادهن به الانسان لا يعمل فيه السلاح ، وأوثقته بأن مكنته من التجربة في نفسها ، فتمت حيلتها عليه ، وأخرجت زيتا ادهنت به ، ثم مدت عنقها ، فضربها بسيفه أطار رأسها . فعلم أنها اختارت الموت على الزنا .

وما زال البطرك والنصارى في الحديده مع مروان ، الى أن قتل بيوصير ، فأفرج عنهم .

وأما الملكية فان ملك الروم لاون ، أقام قسيما بطرك الملكية بالاسكندرية في سنة سبع ومائة ، فمضى ومعه هدية الى هشام بن عبد الملك . فكتب له برد كنائس الملكية اليهم ، فأخذ من اليعاقبة كنيسة البشارة .

وكان الملكية أقاموا سبعا وسبعين سنة بغير بطرك في مصر ، من عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى خلافة هشام بن عبد الملك ، فطلب اليعاقبة في هذه المدة على جميع كنائس مصر ، وأقاموا بها منهم أساقفة . وبعث اليهم أهل بلاد النوبة في طلب أساقفة ، فبعثوا اليهم من أساقفة اليعاقبة ، فصارت النوبة من ذلك العهد يعاقبة .

ثم لما مات ميخائيل ، قدم اليعاقبة في سنة ست وأربعين ومائة أبنا منا ، فأقام سبع سنين ومات . وفي أيامه خرج القبط بناحية سخا ، وأخرجوا العمال في سنة خمسين ومائة ، وصاروا في جمع . فبعث اليهم يزيد ابن حاتم بن قبيصة أمير مصر عسكريا ، فأقام القبط ليلا ، وقتلوا عدة من المسلمين ، وهزموا باقيهم .

فاشتد البلاء على النصارى ، واحتاجوا الى أكل الجيف ، وهدمت الكنائس المحدثه بمصر ، فهدمت كنيسة مريم المجاورة لأبي شنودة بمصر ، وهدمت كنائس محارص قسطنطين . فبذل النصارى ليليمان بن على أمير مصر في تركها خمسين ألف دينار ، فأبى .

فلما ولي بعده موسى بن عيسى : أذن لهم في بناء : فبني قبة بفسطاطة الثوب بن سعد وعبد الله بن يحيى قاضي مصر ، واحتجوا بأن بناءها من عمارة الملوك ، وبأن الكنائس التي بمصر لم تكن إلا في الإسلام في زمن الصحابة والتابعين .

فلما مات أنبا منا ، قدم اليه قبة بعده يوحنا ، فقام ثلاثا وعشرين سنة ومات . وفي أيامه خرج البيط بثلث سنة وخمسين ، فبعث إليهم موسى بن علي أمير مصر ، وهزمهم .

وقدم بعده اليه قبة مرقس الجديد ، فقام عشرين سنة وسبعين يوما ومات . وفي أيامه كانت الفتنة بين الأمن والامون فانهت النصارى بالاسكندرية ، وأحرقت لهم مواضع عديدة ، وأحرقت ديارات وادي هيب ونهبت ، فلم يبق بها من رهبانها الا ثمر قليل .

وفي أيامه مضى بطرك الملكية الى بغداد ، وعالج بعض حجابا أهل الخليفة ، فانه كان حاذقا بلطيف : فلما عوفيت كتب له يرد كنائس الملكية التي تغلب عليها اليه قبة بمصر ، فاستردها منهم ، وأقام في بطركية الملكية أربعين سنة ومات .

ثم قدم اليه قبة بعد مرقس يعقوب ، في سنة إحدى عشرة ومائتين ، فقام عشرين سنين وثمانية أشهر ومات . وفي أيامه * عمرت الديارات ، وعاد الرهبان إليها ، وعمرت

(٥٢٨) من ١٩٣٠ ج ٢ ، ط ١٩٣٠ بولاق .

كيسة باقديس لمن يرد من نصارى مصر ، وقدم عليه ديونيسيوس بطرك أنطاكية ، فأكرمه حتى عاد الى كرسية .

وفي أيامه انتقص البيط في سنة ست عشرة مائتين . فارتفع بهم الأفتس حتى قتلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون ، فحكم فيهم بقتل الجال ، ريسع اساء والذرة ، فبعو ربي أكرهم

ومن حشد ذات القط في جميع رص مصر ، ولم يقدّر أحد منهم بعد ذلك على الخروج على السلطان ، وغلبهم المسلمون على عامة القرى فحسموا من الحاربه الى المكيدة ، واسمعوهم المكر والحيلة ومكاداة المسلمين ، وعملوا كتاب حراج ، فكانت لهم وللسلمين أخبار كثيرة يأنى ذكرها ان شاء الله تعالى .

ثم قدم اليه قبة ميناون بطركا في سنة اثنين وعشرين ومائتين ، فقام سنة ومات - وقيل بل أقام سبعة أشهر وسنة عشر يوما - فخلا كرسى البطركية بعده سنة وسعة وعشرين يوما .

وقدم اليه قبة يوساب في دير بومقار بوادي هيب ، في سنة سبع وعشرين ومائتين ، فقام ثمانين سنة ومات . وفي أيامه قدم مصر يعقوب مطران الحبشة ، وقد تقته زوجة ملكهم وأقامت عوضه أمثقا ، فبعث ملك الحبشة يطلب اعادته من البطرك ، فبعث به اليه ، وبعث أيضا عدة أساقفة الى أفريقية . وفي أيامه مات بطرك أنطاكية الوارد الى مصر في السنة الخامسة عشرة من بطركيته .

وفي أيامه أمر المتوكل على الله ، في سنة خمس وثلاثين ومائتين ، أهل القبة بلبس الطيالة الصلبة وشد الزنابير ، وركوب السروج بالركب الخشب ، وعمل كرتين في مؤخر السرج ، وعمل رقعتين على لباس رجالهم تخالفان لون الثوب . قدر كل واحدة منهما أربع أصابع ، ولون كل واحدة منهما غير لون الأخرى ، ومن خرج من نسائهم تلبس ازارا عليا ، ومنهم من لبس المناطق ، وأمر هدم بيهم المحدث ، وبأخذ العثر من منازلهم ، وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب .

وفي أن استعان بهم في أعمال السلطان ولا يعلمهم مسلم ، وهي أن يظهروا في شمائينهم صليبا ، وألا يشعلوا في الطريق قارا ، وأمر بتسوية قصورهم مع الأرض ، وكتب بذلك الى الآفاق . ثم أمر في سنة تسع وثلاثين أهل الذمة بلبس دراعين عليتين على الذرايع والأقبية ، وبالاقتصار في مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين .

فلما مات يوساب ، في سنة اثنين وأربعين ومائتين ، خلا الكرسى بعده ثلاثين يوما . وقدم اليه قبة قيسا بدير محض ، يدعى بميكائيل ، في البطركية . فقام سنة وخمسة أشهر ، ومات فدفن بدير بومقار ، وهو أول بطرك دفن فيه ، فخلا الكرسى بعده أحدا وثمانين يوما .

ثم أقدم اليه قبة في سنة أربع وأربعين ومائتين شماسا بدير بومقار ، اسمه قيسا ، فقام في البطركية سبع سنين وخمسة أشهر

ومات . فخلا الكرسى بعده أحدا وخمسين يوما .

وفي أيامه أمر نوفيل بن ميخائيل ، ملك الروم ، بحرق الصور من الكنائس ، وألا تبقى صورة في كيسة . وكان سبب ذلك أنه بلغه عن قيتم كيسة أنه عمل في صورة مريم ، عليها السلام ، شبه ندى يخرج منه لبن ينقط في يوم عيدها . فكشف عن ذلك ، فاذا هو مصنوع ليأخذ به القيم المال ، فغضب عنقه ، وأبطل الصور من الكنائس ، فبعث اليه قيسا ، بطرك اليه قبة ، وناظره حتى سمح بإعادة الصور على ما كانت عليه .

ثم قدم اليه قبة ساتير بطركا ، فقام تسع عشرة سنة ومات .

فأقيم يوسانيوس في أول خلافة المعز ، فقام إحدى عشرة سنة ومات ، وعمل في بطركيته مجارى تحت الأرض بالاسكندرية يجري بها الماء من الخليج الى البيوت . وفي أيامه قدم أحمد بن طولون مصر أميرا عليها .

ثم قدم اليه قبة ميخائيل ، فقام خمسا وعشرين سنة ، ومات بعدما ألزمه أحمد بن طولون بحمل عشرين ألف دينار ، باع فيها رباع الكنائس الموقوفة عليها ، وأرض الحبش ظاهر فسطاط مصر ، وباع الكنيسة بجوار المعلقة من قصر الشمع لليهود ، وقرر الديارية على كل نصراني قيراطا في السنة ، فقام بنصف المقرر عليه . وفي أيامه قتل الأمير أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون .

فلما مات شمر كرسى الاسكندرية بعده من البطركية أربع عشرة سنة . وفي يوم الاثنين ثالث شوال سنة ثلثمائة أحرقت الكنيسة

الكبرى ، المعروفة بالقيامة ، في الاسكندرية .
وهي التي كانت هيكل زحل ، وكانت من بناء
كلاطرة .

وفي سنة احدى وثلاثمائة قدم اليعاقبة
غبريال بطركا ، فأقام احدى عشرة سنة
ومات ، وأخذت في إيه إدارة على الرجال
والنساء . وقدم بعده العاقبة في سنة احدى
عشرة وثلاثمائة قيسا ، فأقام ثنى عشرة سنة
ومات .

وفي يوم السبت النصف من شهر رجب
سنة ثنى عشرة وثلاثمائة ، أحرقت المسلمون
كنيسة مريم بدمشق ، ونهبوا ما فيها من
الآلات والأواني ، رقيمتها كثيرة جدا ،
ونهبوا ديرا للنساء بجوارها ، وشعثوا كنائس
السطوزية واليعقوية .

وفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، قدم
الوزير على بن عيسى بن الجراح الى مصر .
فكشف البلد ، وألزم الأساقفة والرهبان
وضعفاء النصارى بأداء احزوة ، فذودها ،
ومضى طائفة منهم الى بغداد ، واستغاثوا
بالمقتدر بالله . فكتب الى مصر بالآلا يؤخذ من
الأساقفة والرهبان والضعفاء جزية ، وأن
يجروا على العهد الذي بأيديهم .

وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، قدم
اليعاقبة بطركا اسمه فأقام عشرين
سنة ومات . وفي أيامه ثار المسلمون بالقدس
سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ، وحرقوا كنيسة
القيامة ونهبوها ، وخرّبوا منها ما قدروا عليه .

(١٠) من ١٩٤ ج ٢ ، طه بولاق .

(١١) هكذا بباص في الاصل .

وفي يوم الاثنين آخر شهر رجب سنة
ثمان وعشرين وثلاثمائة مات سعيد بن بطريق ،
بطرك الاسكندرية على الملكية ، بعدما أقام في
البطركية سبع سنين ونصفا ، في ضرور منصلة
مع طائفته . فبعث الأمير أبو بكر محمد بن
منجج الاخشيد أبا الحسين من قواد . في
طائفة من الحند ، الى مدينة تيس
على كنائس الملكية ، وأحضر آلاتها الى
الفسطاط . وكانت كثيرة جدا - فافتكها
الأسقف بخسة آلاف دينار ، باعوا فيها
من وقف الكنائس ، ثم صالح طائفته ، وكان
فاضلا وله تاريخ مفيد .

وثار المسلمون أيضا بمدينة عسقلان ،
وهدموا كنيسة مريم الحضراء ، ونهبوا ما
فيها ، راعانهم اليهود حتى أحرقوها . فر
أسقف عسقلان الى الرملة ، وأقام بها حتى
ومات .

وقدم اليعاقبة في سنة خمس أربعين
وثلاثمائة تاوفانيوس بطركا ، فأقام أربع سنين
وسنة أشهر ومات . فأقيم بعده مينا ، فأقام
احدى عشرة سنة ومات . فحلا الكرسي بعده
سنة .

ثم قدم العاقبة أفراهم بن زرعة في سنة
ست وستين وثلاثمائة ، فأقام ثلاث سنين
وسنة أشهر ، ومات مسموما من بعض كتاب
النصارى ، وسببه أنه منعه من التبرى .

فحلا الكرسي بعده ستة أشهر . فأقيم
فيلاباوس في سنة تسع وستين ، فأقام أربعين
وعشرين سنة ومات ، وكان مترفا . وفي أيامه
أخذت الملكية كنيسة السيدة - المعروفة

بكنيسة البطرية - تسلمها منهم بطرقة الملكية
أرسانيوس في أيام العزيز بالله تزار بن العزيز .

وفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، قدم
اليعاقبة زخرس بطركا ، فأقام ثمانى عشر
سنة : منها في البلايا مع الحاكم بأمر الله أبى
على منصور بن العزيز بالله سبع سنين ،
اعتقله فيها ثلاثة أشهر ، وأمر به فالقى للسباع
هو وسوسنة النوبى ، فلم تضره فيما زعم
النصارى . ولما مات خلا الكرسي بعده أربعة
وسبعين يوما .

وفي بطركيته نزل بالنصارى شدائد لم
يعهدوا مثلها . وذلك أن كثيرا منهم كان قد
تمكن في أعمال الدوا حتى صاروا
كالوزراء . تعاطفوا لاتساع أحوالهم وكثرة
أموالهم ، فاشتد بأسهم ، وتزايد ضررهم
ومكايدهم للمسلمين .

فأغضب الحاكم بأمر الله ذلك - وكان لا
يملك نفسه اذا غضب - فقبض على عيسى
ابن فسطورس النصارى ، وهو اد ذاك في
رتبة تضاهى م الوزراء ، وصرب عنقه . ثم
قبض على فهد ابراهيم النصارى ، كاتب
الأستاذ برجوان ، وضرب عنقه .

وتشدد على النصارى ، وألزمهم بلبس
ثياب الغيار وشد الزنار في أرساطهم ، ومنعهم
من عمل الشعانين وعيد الصليب ، والتظاهر
بما كانت عاداتهم فعله في أعيادهم من
الاجتماع واللغو ، وقبض على جميع ما هو
محسب على الكنائس والديارات ، وأدخله في
الديوان ، وكتب الى أعماله كلها بذلك ،

وأحرق عدة صليبان كثيرة ، ومنع النصارى
من شراء العيد بالاماء .

وهدم الكنائس الى بطل واشتد ظاهر
مدمة مصر ، كنائس المقس حارح
القاهرة ، وأباح ما فيها للناس ، فاحموا منها
ما يحل وصفه بدم دبر القصير ، أنهب
العامة ما فيه ، منع النصارى من عمل
الغطاس على شاطئ النيل بمصر ، وأبطل ما
كان يعمل فيه من الاجتماع للهو .

بألزم رجال انصارى بتعليق الصليبان
الخشب - التي زنة كل صليب منها خمسة
أرطال - في أعناقهم ، من ركوب
الخيال ، رجّل لهم أن يركبوا البغال الخمر
بسروج ولجم غير محلاة بالذهب الفضة ،
بل تكون من جلود سود .

وضرب بالحرس في القاهرة ومصر . ألا
يركب أحد من المكارية ذميا ، ولا يحمل نوتى
مسلم أحدا من أهل الذمة ، وأن تكون ثياب
النصارى وعنائهم شديدة السواد ، وركب
سروجهم من خشب الخمر ، أن يعلق اليهود
في أعناقهم خشا مدورا زنة الخشبة منها
خمس أرطال ، وهي ظاهرة فوق ثيابهم .

وأخذ في هدم الكنائس كلها ، وأباح ما
فيها وما هو محسب عليها للناس لها واقطاعا .
فهدمت بأمرها ، ونهب جميع أمتعتها ، وأقطع
أحباسها ، وبني في مواضعها المساجد ، وأذن
بالصلاة في كنيسة شنودة بمصر ، وأحيط
بكنيسة المعلقة في قصر الشمع .

وأكثر الناس من رفع القصص بطلب
كنائس أعمال مصر ودياراتها . فلم يرد قصة

منها الا وقد وقع عليها باجابة رافعها لما سأل .
فاخذوا ائمة الكنائس والديارات ، وباعوا
باسواق مصر ما وجدوا من اوالي الذهب
والفضة وغير ذلك ، وتصرفوا في احساسها
ووجد بكثبة شدة مال جليل ، ووجد
في المعلقة من المصاغ وثياب الدياج امر كثير
يجدا الى العامة .

وكتب الى ولاية الاعمال تكيين المسلمين
من هدم الكنائس والديارات * ، فعم الهدم
فيها من سنة ثلاث واربعائة ، حتى ذكر من
يوتق به في ذلك ان الذي هدم الى آخر سنة
خمس واربعائة ، مصر الشام واعمالها ،
من الهياكل الى ماها الردم لف وثلاثون ألف
يعة ، وهب ما فيها من آلات الذهب والفضة
وقبض على اوقافها ، وكانت اوقافا جليلة على
بيان عجيبة

والزم النصارى ان تكون الصلصان في
اعناقهم اذا دخلوا الحمام ، والزم اليهود ان
يكون في اعناقهم الاجراس اذا دخلوا الحمام
ثم ألزم اليهود والنصارى بخروجهم كلهم من
أرض مصر الى بلاد الروم . فاجتمعوا بأسرهم
تحت القصر من القاهرة ، واسمانوا ولادوا
بغزو أمير المؤمنين حتى أعفوا من النفي
وفي هذه الحوادث أسلم كثير من النصارى

وفي سنة سبع واربعائة ، وث بعض
أكابر البلنصر على ملكهم « قسطورس »
فقتله ، وملك عوضه ، وكتب الى ناسيل ملك
قسنطينية بطاعته فأقره ، ثم قتل بعد سنة .
فسار الملك ناسيل اليهم ، في شوال سنة ثمان

واربعائة ، واستولى على ملكة البلنصر ،
واقام في قلاعها عدة من الروم ، وعاد الى
قسنطينية . فاختلط الروم بالبلنصر ، ونكحوا
منهم ، وصاروا يدا واحدة بعد شدة
العداوة .

وقدم اليماقية عليهم سابوئين بطركا
بالاسكندرية ، في سنة احدى وعشرين
واربعائة ، في يوم الأحد ثالث عشر
برمات . فاقام خمس عشرة سنة ونصفا ،
ومات في طوبة ، وكان محبا للجمال واخذ
الشرطونية . فخلا الكرسي بعده سنة وخسة
أشهر .

ثم قدم اليماقية آخرسوطوس بطركا ، في
سنة تسع وثلاثين واربعائة ، فاقام ثلاثين
سنة ، ومات بالمعلقة من مصر . وهو الذي
جمل كنيسة بومرقورة بمصر ، وكنيسة
السيدة بحارة الروم من القاهرة في أيام
بطركيته . فلم يبق بعده بطرك اثنين وسبعين
يوما .

ثم أقام اليماقية كيرلس ، فاقام أربع عشرة
سنة وثلاثة أشهر ونصفا ، ومات بكيسة
المختار من جزيرة مصر - المعروفة بالروضة
- في سلخ ربيع الآخر سنة خمس وثمانين
واربعائة ، وعمل بدلة للبطاركة من ديباج
أزرق وبلارية ديباج أحمر بنصاوير ذهب ،
وقطع الشرطونية . فلم يول بعده بطرك مدة
مائة وأربعة وعشرين يوما .

ثم أقيم ميخائيل الحبيس بسنجر في سنة
اثنين وثمانين واربعائة ، فاقام تسع سنين
وثمانية أشهر ، ومات في المعلقة بمصر .

وكان المستصر باله ، لما تقص بل مصر ،
بعث الى بلاد الحبشة بديبه سبه تلقاه
ملكها ، وسأله عن سبب قدومه ، فعرفه امر
النيل ، وضرر أهل مصر بسبب ذلك . فامر
بفتح سد يجرى منه الماء الى ارض مصر
ففتح ، وواد النيل في ليلة واحدة ثلاثة أدرء ،
واستربت الرعاة حتى رت للبلاد زرع
ثم عاد الطرك فخلع عليه المسمر واحسن
اليه .

وفي سنة اثنين وتسع واربعائة ، قدم
اليماقية مقاري بطركا بدير بومقسا ، وكمل
بالاسكندرية وعاد الى مصر . ثم مضى الى
دير بوممار فقدس به ، ثم جاء الى مصر فقدس
بالمعلقة ، فاقام ستا وعشرين سنة . أحدا
واربعين يوما ومات . فحلت مصر من بطرك
اليماقية سبعين وشهرين

وفي أيامه حدث زلزة عظيمة بمصر هدم
فيها كنيسة المختار بالروسة ، واتهم الأفضل
ابن أمير الجيوش بهدمها فاحا كانت في
بستانه ، وفي أيامه أبطل عوايد كثيرة
لنصارى ، فبطلت بعده .

ثم قدم اليماقية غبريال ، المكنى بابي الملا
صاعد بن تربك ، الشمس بكيسة مرقوريوس
في سنة خمس وعشرين وخمسة بالمعلقة ،
وكمل بالاسكندرية ، وقدس بالأديرة بوادي
هييب ، واقام أربع عشرة سنة ومات . فخلا
بعده كرسي اليماقية ثلاثة أشهر .

ثم قدم اليماقية ميخائيل بن التقدوسي ،
الراهب بقلية دشرى ، بطركا ، فاقام مدة
سنة وسبعين يوما . ثم أقيم يونس أبو الفتح

بطركا بالمعلقة ، وكمل بالاسكندرية ، فاقام
تسع عشرة سنة ، ومات في سابع عشر
جسادي لآخرة سنة احدى وخمسين
وخمسة . فخلا الكرسي بعده ثلاثة وأربعين
يوما .

وقدم رقص بن درعه ، للمكر بابي
الفرج ، بطرك اليماقية بمصر ، وكمل
بالاسكندرية ، فاقام اثنين وعشرين سنة
وسه أشهر وخسة وعشرين يوما ومات

وفي أيامه انتقل مرقس بن قنر ، وجعاعة
من القاهرة ، الى رأى الملكة ، ثم عاد الى
اليعقوبية فقتل ، ثم عاد الى الملكة ورجع
فلم يقبل . وكان هذا البطرك له همة ومروعة ،
وفي أيامه كان حرق شاور الوزير لمصر في
ثامن عشر منور ، فاحترقت كنيسة
بومرقورة ، وخلا بعده كرسي البطاركة سبعة
وعشرين يوما .

ثم قدم اليماقية يونس بن أبي غالب
بطركا ، في يوم الأحد عاشر ذي الحجة سنة
أربع وثمانين وخمسة ، وكمل
بالاسكندرية . فاقام ستا وعشرين سنة وأحد
عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ، ومات يوم
الخميس رابع عشر شهر رمضان سنة ثنى
عشرة وستائة بالمعلقة بمصر ، ودفن بالعيش .

وكان في ابتداء أمره تاجرا يتردد الى
اليمن في البحر حتى كثر ماله ، وكان معه مال
لأولاد الخياب ، فاتفق أنه غرق في بحر الملح
وذهب ماله ، ونجا بنفسه الى القاهرة ، وقد
أيس أولاد الخياب من ماله . فلما لقيهم
أعلمهم أن ماله قد سلم ، فانه كان قد حله

في قنائر خشب مسرة في المركب ، فصار لهم به عناية .

فلما مات مرقص بن زوزة ، سمي يونس هذا للقس أبي ياسر ، فقتل له أولاد الخباب : خذ أنت البطركية ونحن نركبك ، فوافقهم ، وأقيم بطركا ، ففتق ذلك على أبي ياسر ، وهجره بعد صحة طويلة . وكان معه لما استقر في البطركية سبعة عشر ألف دينار مصرية أنفقها على القراء ، وأبطل الدبارية ، ومنع الشرطوية ، ولم يأكل لأحد من النصارى خبزا ، ولا قبل من أحد هدية .

فلما مات قام أبو القنوح نشو الخليفة ابن الميقات ، كاتب الجيش مع السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، في ولاية القس داود بن يوحنا بن لقلق القيومي ، فانه كان خصيما به . فأجاباه ، وكتب توقيعه من غير أن يعلم الملك الكامل محمد ابن السلطان .

فتسق ذلك على النصارى ، وقام منهم الأسعد بن صدقة ، كاتب دار التناج بمصر ، ومعه جماعة ، وتوجهوا سحرا ومعهم الشموع الى تحت قلعة الجبل - حيث كان سكن الملك الكامل - واستغاثوا به ، ووقعوا في القس ، وقالوا : لا يصلح ، وفي شرمنا أنه لا يقدم البطرك الا باتفاق الجمهور عليه . فبعث الملك الكامل يطيب خواطرهم .

وكان القس قد رك بكرة ، ومعه الاساقفة وعالم كبير من النصارى ، ليقدموه بالمعلقة بمصر وذلك يوم الأحد . فركب الملك الكامل بشجو كبير من القلعة الى أبيه بدار الوزارة

(٥٦) ص ١٦٦ ج ١ ، ط ١٩٧٠

من القاهرة حيث سكنه ، وأوقف ولاية القس .

فبعث السلطان في طلب الاساقفة ليتحقق الأمر منهم ، فوافقهم الرسل مع القس في الطريق ، فأخذوهم ودخل القس الى كنيسة بوجرج التي بالحراء ، وبطلت بطركيته ، وأقامت مصر بغير بطرك تسع عشرة سنة ومائة وستين يوما .

ثم قدم هذا القس بطركا ، في يوم الأحد تاسع عشر شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، فأقام مع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ، ومات يوم الثلاثاء سابع عشر شهر رمضان سنة أربعين وستمائة ، ودفن بدير النعم بالجيزة .

وكان عالما بدينه ، محبا للرياسة ، وأخذ الشرطوية في بطركيته ، وكانت الديارات بأرض مصر قد خلت من الاساقفة ، فقدم جماعة اساقفة كثيرة يسأل كثير أخذهم منهم ، وقاسى شدائد ، ورافعه الراهب عماد المرشال ، ووكل عليه وعلى أقاربه وأزواجه ، وساعده الراهب السني ابن الثعالب ، وأشاع مثالبه ، وقال : لا يصح له كهولية لأنه يقدم بالرشوة ، وأخذ الشرطوية .

وجمع عليه طائفة كثيرة ، وعقد مجلسا عند صاحب معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ ، في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأثبت على البطرك قوادح . فقام الكتاب النصارى في أمره مع صاحب ، يسأل بحمله الى السلطان ، حتى استمر على بطركيته ، وخلا كرسي البطركية بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوما .

ثم قدم اليعاقبة أنبا سيوس ابن القس أبي المكارم بن كليل بالمعلقة ، في يوم الأحد رابع شهر رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وكمل بالاسكندرية فأقام إحدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يوما ، ومات يوم الأحد ثالث الحرم سنة ستين وستمائة ، فخلت مصر من البطركية خمسة وثلاثين يوما .

وفي أيامه أخذ الوزير الأسعد شرف الدين هبة الله بن مساعد القاتري الجوالي من النصارى مضاعفة .

وفي أيامه ثارت عوام دمشق ، وخرت كنيسة مريم بدمشق بعد احراقها ونهب ما فيها ، وقتل جماعة من النصارى بدمشق ، ونهب دورهم وخرابها في سنة ثمان وخمسين وستمائة ، بعد وقعة عين جالوت وهزيمة المغل . فلما دخل السلطان الملك المنصور قطز الى دمشق ، قرر على النصارى بها مائة ألف وخمسين ألف درهم ، جمعوها من بينهم ، وحملوها اليه بسفارة الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب أتابك العسكر .

وفي سنة اثنين وثلاثين وستمائة ، كانت واقعة النصارى . ومن خبرها أن الأمير سنجر الشجاعى كانت حرمة وافرة في أيام الملك المنصور قلاوون ، فكان النصارى يركبون الحير بزفانير في أوساطهم ، ولا يجسر نصراني يحدث مسلما وهو راكب ، وإذا مشى فبذلة ، ولا يقدر أحد منهم يلبس ثوبا مصقولا . فلما مات الملك المنصور ، وتسلطن من بعده ابنه الملك الأشرف خليل ، خدم الكتاب النصارى عند الأمراء الخاصكية ،

وقبوا قنوسهم على المسلمين ، ورفقوا في ملابسهم وهيتاتهم .

وكان منهم كاتب عند خاصكي يعرف بعين الغزال ، فصفد يوما في طريق مصر سمارا شونة مخدومه ، فزل السمار عن دابته ، رقل رجل الكاتب فأخذ يسبه ، ويهدده على مال قد تأخر عليه من ثمن غلة الأمير ، وهو يترفق له ويعتذر ، فلا يزيد ذلك عليه الا غلظة .

وأمر غلامه فنزل ، وكشف السمار ، ومضى به - والناس تجمع عليه - حتى صار الى صليبة جامع أحمد بن طولون ، ومعه عالم كبير ، وما منهم الا من يسأله أن يغلي عن السمار ، وهو يمتنع عليهم ، فتكاثروا عليه ، وألقوه عن حماره ، وأطلقوا السمار .

وكان قد قرب من بيت أستاذه ، فبعث غلامه لينجده بمن فيه ، فأتاه بطائفة من غلمان الأمير وأوجاقيته ، فخلصوه من الناس ، وشرعوا في القبض عليهم لينتكوا بهم . فصاحوا عليهم ما يحل ، ومروا مسرعين الى أن وقفوا تحت القلعة ، واستغاثوا : نصر الله السلطان ، فأرسل يكشف الخبر . فعرفوه ما كان من استطالة الكاتب النصراني على السمار ، وما جرى لهم .

فطلب عين الغزال ، ورسم العامة باحضار النصارى اليه ، وطلب الأمير بدر الدين بيدرا النائب والأمير سنجر الشجاعى ، وتقدم اليهما باحضار جميع النصارى بين يديه ليقتلهم . فما زالا به حتى استقر الحال على

(٥٦) ص ١٦٧ ج ١ ، ط ١٩٧٠

أن يتأدى في القاهرة ومصر لا إلا يخدم أحدًا من النصارى واليهود. عد أمير. رابر الأمراء بأجمعهم أن يعرضوا على من سألهم من الكتاب النصارى الاسلام ، فمن امتنع من الاسلام ضرب عنه ، من أسلم استخدموه عندهم . رسم للنار بعرض حطب مناصري ديوان السلطان وشمل فيهم ذلك .

فنزول الطلب لهم وقد اختفوا فصارت العامة تنشق الى بيوتهم وتتهمها ، حتى عم النهب بيوت النصارى واليهود بأجمعهم ، وأخرجوا نساءهم مسبات ، وقتلوا جماعة بأيديهم . فقام الأمير يدرا النائب مع السلطان في أمر العامة ، وتلفظ به حتى ركب والى القاهرة وقادى من لب بيت نصراني شتى . وقبض على طائفة من العامة ، وشهرهم بعدما ضربهم فانكفوا عن النهب بعدما نهبوا كنيسة المعلقة بمصر ، وقتلوا منها جماعة

ثم جمع النائب كثيرا من النصارى ، كتاب السلطان والأمراء ، وأوقفهم بين يدي السلطان عن بعد منه . فرسم للشحاعي وأمير جاندار أن يأخذ عدة معهم ، ويبرلوا الى سوق الخيل تحت القلعة ، ويحفرها حفيرة كبيرة ، ويلقوا فيها الكتاب الحاضرين ، ويضرموا عليهم الحطب نارا

فتقدم الأمير يدرا ، وشفع فيهم . فأبى أن يقبل شفاعتهم ، وقال : ما أريد في دولتي ديوانا نصرانيا فلم يزل به حتى سمح بأن من أسلم منهم يستقر في خدمته ، ومن امتنع ضربت عنقه . فأخرجهم الى دار النيابة ، وقال لهم : بإجاعة ما وصلت قدرتي مع السلطان

في أمركم الا على شرط ، وهو أن من اختار دينه قتل ، ومن أחר الاسلام خلع عليه وباتر

فابتدره المكين بن السقاعي ، أحد المستوفين ، وقال ياخوند وأيا قواد يحار القتل على هذا الدين الحراء ؟ والله دين لقل وللموت عليه يروح لا كتب الله عليه سلامة ، قولوا لنا الذي تختاروه حتى نروح اليه

فقل يدرا الضحك ، وقال له . وبلك اني نختار غير دين الاسلام ؟

فقال . ياخوند ما نعرف ، قولوا ونحن تبعكم

فاحضر العدول واستسلمهم ، وكتب بذلك شهادات عليهم ، ودخل بها على السلطان . فألبسهم تشاريف ، وأخرجوا الى مجلس الوزير صاحب شمس الدين محمد بن السلجوس .

فبدأ بعض الحاضرين بالمكين بن السقاعي وناولوه ورقة ليكتب عليها ، وقال . يامولانا القاضي اكتب على هذه الورقة ، فقال . يا بني ما كان لنا هذا القضاء في خلد . فلم يزالوا في مجلس الوزير الى العصر ، فجاءهم الحاجب وأخذهم الى مجلس النائب ، وقد جمع به القضاة ، فجددوا اسلامهم بحضرتهم .

فصار الذليل منهم باظهار الاسلام عزيزا ، يبدى من اذلال المسلمين ، والتسلط عليهم بالظلم ، ما كان يسهه نصرانيته من اظهاره . وما هو الا كما كتب به بعضهم الى الأمير يدرا النائب :

أسلم الكافرون بالسيف قهرا
واذا ما خلوا فهم مجرمونا
سلموا من رواح مال وروح
فهم سالمون لا مسلمونا

وفي آخريات شهر رجب سنة سبعمائة ، قدم وزير متلك المغرب الى القاهرة حاجا ، وصار يركب الى الموكب السلطاني ويبيت الأمراء . فبينا هو ذات يوم يسوق الخيل تحت القلعة ، اذا هو برجل راكب على فرس ، وعليه عمامة بيضاء وفرجية مصقولة ، وجماعة يششون في ركاياه ، وهم يسألونه ويتضرعون اليه ويقبلون رجله ، وهو معرض عنهم وينهرهم ، ويصيح بغلمايه أن يطردوهم عنه . فقال له بعضهم : يامولاي الشيخ بحياة ولدك النشو تنظر في حالنا . فلم يزد ذلك الاعتوا وتحامقا .

ففرق المغربي لهم ، وهم بمخاطبته في أمرهم ، فقبل له وانه مع ذلك نصراني . فغضب لذلك ، وكاد أن يبطش به ، ثم كف عنه وطلع الى القلعة ، وجلس مع الأمير سلاّر نائب السلطان والأمير بيرس الجاشنكير ، وأخذ يحادثهم بما رآه وهو يبكي وحملة للمسلمين بما نالهم من قسوة النصارى .

ثم وعظ الأمراء ، وحذرهم بقصة الله ، وتسلط عدوهم عليهم من تمكين النصارى من ركوب الخيل ، وتسلطهم على المسلمين واذلالهم إياهم ، وأن الواجب الزامهم الصغار وحملهم على العهد الذي كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فقالوا الى قوله ، وطلبوا بطرك النصارى وكبراءهم وديان اليهود .

فجمعت نصارى كنيسة المعلقة ، ونصارى دير البغل ونحوهم ، وحضر كبراء اليهود والنصارى ، وقد حضر القضاة الأربعة ، وناظروا النصارى واليهود . فأذعنوا الى التزام العهد العمرى ، وألزم بطرك النصارى طائفة النصارى بلبس العمامة الزرق ، وشد الزنار في أوساطهم ، ومنعهم من ركوب الخيل والبغال ، والتزام الصغار ، وحرم عليهم مخالفة ذلك أو شيء منه ، وانه يرى من النصرانية أن خالف . ثم اتبعه ديان اليهود بأن أوقع الكلمة على من خالف من اليهود ما شرط عليه من لبس العمامة الصفر والتزام العهد العمرى ، وكتب بذلك عدة نسخ سيرت الى الأعمال .

فقام المغربي في هدم الكنائس . فلم يمكنه قاضي القضاة تقي الدين محمد بن دقيق العيد من ذلك ، وكتب خطه بأنه لا يجوز أن يهدم من الكنائس الا ما استجد بناؤه . فغلقت عدة كنائس بالقاهرة ومصر مدة أيام فسعى بعض أعيان النصارى في فتح كنيسة حتى فتحها .

فثارت العامة ، ووقفوا للنائب والأمراء ، واستغاثوا بأن النصارى قد فتحوا الكنائس بغير إذن ، وفيهم جماعة تكبروا عن لبس العمامة الزرق ، واحتسب كثير منهم بالأمراء ، فتودى في القاهرة ومصر : أن يلبس النصارى بأجمعهم العمامة الزرق ، ويلبس اليهود بأسرهم العمامة الصفر ، ومن لم يفعل ذلك نهب ماله وحل دمه . ومنعوا جميعا من

الخدمة في ديوان السلطان ودواوين الأمراء حتى يسلوا .

فسلطت القوقاء عليهم وتبعوهم ، فمن راوه بغير الزى الذي رسم به خربوه بالنعال وصنعوا عنقه حتى يكاد يهلك ، ومن مر بهم وقد ركب ولا يشي وجهه القوقاء عن دابته ، وأوجعوه ضربا . فاخنت كثير منهم ، وألجأت الضرورة عدة من أعيانهم إلى اظهار الاسلام اتمة من لبس الأزرق وركوب الحبر .

وقد أكثر شعراء العصر في ذكر تغيير زى أهل الذمة . فقال علاء الدين على بن مقفر الوداعي :

لقد ألزم الكفار شاشات ذلة
تريدهم من لعنة الله تشوشا

فقلت لهم ما ألبسوكم عائنا
ولكنهم قد ألزموكم برائشا

وقال شمس الدين الطيبي :

تعجبوا للنصارى واليهود مما
والسامريين لما عسوا الخرقا

كانا بات بالأصباغ منسلا
نسر السماء فأضحى فوقهم زرقا

فبعث ملك برشلونة ، في سنة ثلاث وسبعماية ، هدية جليلة زائدة عن عادته ، عم بها جميع أرباب الوظائف من الأمراء مع ما خص به السلطان ، وكتب يسأل في فتح الكنائس . فاتفق الرأي على فتح كنيسة حارة زويلة للعباقبة ، وفتح كنيسة البندقيين من القاهرة .

ثم لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وسبعماية ، هدمت كنائس أرض مصر في ساعة واحدة ، كما ذكر في أخبار كنيسة الزهري . وفي سنة خمس وخسين وسبعماية ، رسم بتحرير ماهو موقوف على الكنائس من أراضي مصر ، فألف على خمسة وعشرين ألف فدان .

وسبب الفحص عن ذلك كثرة تعاضل النصارى ، وتمديهم في الشر والاضرار بالمسلمين ، تمكنهم من أمراء الدولة ، وتفاسرهم بالملايس الجليلة والمغالاة في أثمانها ، والتبسط في المآكل والمشارب ، وخروجهم عن الحد في الجراءة والسلطة . إلى أن اتفق مرور بعض كتاب النصارى على الجامع الأزهر من القاهرة ، وهو راكب بخف ومهماز ، وبقيا اسكندري طرح على رأسه ، وقدامه طرادون يمنعون الناس من مزاحته ، وخلفه عدة عبيد بثياب سرية على أكاديش فارهة .

فشق ذلك على جماعة من المسلمين ، وثاروا به وأنزلوه عن فرسه ، وقصدوا قتله وقد اجتمع عالم كبير ، ثم خلوا عنه . وتحدث جماعة مع الأمير طاز في أمر النصارى وما هم عليه ، فوعدهم بالانصاف منهم ، فرفعوا قصة على لسان المسلمين - قرئت على السلطان الملك الصالح صالح بحضرة الأمراء والقضاة وسائر أهل الدولة - تتضمن الشكوى من النصارى ، وأن يعقد لهم مجلس ليلتزموا بما عليهم من الشروط .

فرسم بطلب بطرك النصارى وأعيان أهل ملتهم ، وبطلب رئيس اليهود وأعيانهم ،

وحضر القضاة والأمراء بين يدي السلطان ، وقرأ القاضي علاء الدين على بن فضل الله ، كاتب السر ، العهد الذي كتب بين المسلمين وبين أهل الذمة - وقد أحضروه معهم - حتى فرغ منه . فالتزم من حضر منهم بما فيه ، وأقرروا به ، فعددت لهم أفعالهم التي جاهروا بها وهم عليها ، وأنهم لا يرجعون عنها غير قليل ، ثم يعودون إليها كما فعلوه غير مرة فيما سلف .

فاستقر الحال على أن يمنحوا من المباشرة بشيء من ديوان السلطان ودواوين الأمراء ولو أظهروا الاسلام ، وألا يكره أحد منهم على اظهار الاسلام ، ويكتب بذلك إلى الأعمال .

فسلطت العامة عليهم ، وتبعوا آثارهم ، وأخذوهم في الطرقات ، وقطعوا ما عليهم من الثياب ، وأوجعوه ضربا ، ولم يتركوهم حتى يسلوا ، وصاروا يضرمون لهم النار ليلقوهم فيها . فاخففوا في ييوتهم ، ولم يتجاسروا على المشي بين الناس ، فنودي المنع من التعرض لأذاهم .

فأخذت العامة في تتبع عوراتهم ، وما علوه من دورهم على بناء المسلمين فهدموه ، واشتد الأمر على النصارى باختفائهم . حتى أنهم فقدوا من الطرقات مدة ، فلم ير منهم ولا من اليهود أحد . فرفع المسلمون قصة ، قرئت في دار العدل في يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب ، تتضمن أن النصارى قد استجدوا عسارات في كنائسهم ، ووسعوها .

هذا وقد اجتمع بالقلمة عالم عظيم ، واستأثنوا بالسلطان * من النصارى ، فرسم يركوب وإلى القاهرة ، وكشفه على ذلك . فلم تسهل العامة وممرت بسرعة ، فخربت كنيسة بجوار قناطر الباع ، وكنيسة بطريق مصر للأمرى ، وكنيسة القهادين بالجوانية من القاهرة ، ودير نها من الجيزة ، وكنيسة بناحية بولاق التكروري ، ونهبوا حواصل ما خربوه من ذلك - وكانت كثيرة - وأخذوا أخشابها ورخامها ، وهجموا كنائس مصر والقاهرة ، ولم يبق إلا أن يخربوا كنيسة البندقيين بالقاهرة ، فركب الوالى ومنهم منها ، واشتدت العامة ، وعجز الحكام عن كفهم .

وكان قد كتب إلى جميع أعمال مصر وبلاد الشام ألا يستخدم يهودى ولا نصرانى ولو أسلم ، وأنه من أسلم منهم لا يمكن من العبور إلى يته ولا من معاشرته أهله إلا أن يسلوا ، وأن يلزم من أسلم منهم بلازمة المساجد والجوامع لشهود الصلوات الخمس والجمع ، وأن من مات من أهل الذمة يتولى المسلمون قسمة تركته على ورثته إن كان له وارث ، وإلا فهي لبيت المال ، وكان يلي ذلك البطرك . وكتب بذلك مرسوم قرىه على الأمراء ، ثم نزل به الحاجب فقرأه في يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة بجوامع القاهرة ومصر ، فكان يوما مشهودا .

ثم أحضر في أخريات شهر رجب ، من كنيسة شبرا بعدما هدمت ، أصبح الشهيد - الذى كان يلتقى في النيل حتى يزيد

إرحمهم - وهو في صنفين . فاحرق بين
على السلطان بطردان من قلعة الجبل ، وفدى
دماء في البحر خشية من أخذ الصاري له .

فقدت الليل بكثرة حلول الصاري ،
من أهل الصعيد وأوجه البحري ، في
الاسلام وتسلم القرآن ، وأن أكثر كمال
الصعيد عذبت وبنيت مساجد ، وأنه أسلم
بقيصة قيسوب في يوم واحد أرسالة
وحسون صرايا ، وكذلك بدلة الأرواق ،
مكرا منهم وخليفة حتى يستخلصوا في
الليارات ، وشكوا السلطان . ثم لهم
مرادهم ، وانقضت بذلك الأساليب حتى صار
أكثر الناس من قولا لهم .

ولا يبقى لهم على من نور الله قلبه .
فكان يستر من أكثرهم القبيحة ، إذا تسكوا من
الاسلام وأهله ، ما يعرف به القطن سوء
أصلهم وتكبر معاداة أسلافهم للناس وحسنه .

« فصل » : الصاري فرق كثيرة :
الشكائية ، والسطورية ، واليعقوبية ،
والبوغذية ، والرقولية - وهم الرهاويون
الذين كانوا يتولوا حراق - وغير هؤلاء .
فمنهم من منعه منعب الحراكية ، ومنهم
من يقول بكور والحقبة والسوية ، كلهم
يقرون بنبوة المسيح عليه السلام ، ومنهم من
يعتقد منعب أرسططاليس .

والشكائية واليعقوبية والسطورية متفقهون
على أن معبودهم ثلاثة أقانيم ، وهم الإله
الثلاثة شيء واحد ، وهو جوهر قديم ، ومعناه
أب وابن وروح القدس الله واحد ، وأن الابن
نزل من السماء ، فترجع جسدنا من مريم ،

وقد للناس بين ومري وشي . ثم قتل
وصلب ، وخرج من القبر ثلاث ، فظهر لقوم
من أصحابه ، فمروا من معرفته ، ثم صعد
إلى السماء فجلس عن يمين أبيه ، وهذا
الشيء يصحهم اعتقاده .

ثم أنهم يختلفون في العبارة عنه : فمنهم
من يزعم أن القديم جوهر واحد يجمعه ثلاثة
أقانيم - كل أقوم منها على جوهر خاص -
فأحد هذه الأقانيم أب ، وأحد غير مولود ،
والتلك روح فائضة منبثة بين الأب والابن
وأن الابن لم يزل مولودا من الأب ، وأن الأب
لم يزل دائما للابن ، لا على جهة النكاح
والناسل ، لكن على جهة تولد ضياء الشمس
من ذات الشمس ، وتولد حر النار من ذات
النار .

ومنهم من يزعم أن معنى قولهم أن الإله
ثلاثة أقانيم ، أنها ذات لها حياة ونطق :
فالحياة هي روح القدس ، والنطق هو العلم
والحكمة والنطق والعلم والحكمة
والكلمة عبارة عن الابن ، كما يقال الشمس
وضياءها والنار وحرها ، فهو عبارة عن ثلاثة
أشياء ترجع إلى أصل واحد .

ومنهم من يزعم أنه لا يصح له أن يثبت
الإله ثلاثة حكيما ، إلا أنه يثبت حيا فاعلا .
ومعنى الشائق عندهم العالم المميز ، لا الذي
يخرج الصوت بالحروف المركبة ، ومعنى
الحى عندهم من له حياة بها يكون حيا ،
ومعنى العالم من له علم به يكون عاما ؛
قالوا : فذاته وعلمه وحياته ثلاثة أشياء

(1) مثلا يمان في الامم .

والأصل واحد . فالذات هي العلة للابن
الذين هما العلم والحياة ، والابن هو
المولود للعلة .

ومنهم من يتنزه عن لفظ العلة والمولود في
صفة القديم ، ويقول : أب وابن ، ووالدة
وروح ، وحياة وعلم ، وحكمة ونطق .

قالوا : والابن اتحد بالسان مخلوق ، فصار
هو وما اتحد به ميحا واحدا ، وأن المسيح
هو اله العباد وربهم .

ثم اختلفوا في صفة الاتحاد . فزعم بعضهم
أنه وقع بين جوهر لاهوتي وجوهر ناسوتي
الاتحاد فصارا ميحا واحدا ، ولم يخرج
الاتحاد كل واحد منهما عن جوهرته
وعنصره ، وأن المسيح اله معبود ، وأنه ابن
مريم الذي حملته وولده ، وأنه قتل
وصلب .

وزعم قوم أن المسيح بعد الاتحاد جوهران
أحدهما لاهوتي ، والآخر ناسوتي ، وأن
القتل والصلب وقعا به من جهة ناسوته لا من
جهة لاهوته ، وأن مريم حملت المسيح وولده
من جهة ناسوته ، وهذا قول السطورية .
ثم يقولون : أن المسيح بكماله اله معبود ،
وأنه ابن الله ؛ تعالى الله عن قولهم .

وزعم قوم أن الاتحاد وقع بين جوهرين :
لاهوتي ، وناسوتي ، فالجوهر اللاهوتي
بسيط غير منقسم ولا متجزئ . وزعم قوم
أن الاتحاد على جهة حلول الابن في الجسد
ومخالطته إياه . ومنهم من زعم أن الاتحاد
على جهة الظهور ، كظهور كتابة الخاتم

(2) من ٥٠٠ جزء ، طبع بولاق .

والنقش إذا وقع على ظن أو شمع ، وكثيرون
صورة الانسان في المرأة ، إلى غير ذلك من
الاختلاف الذي لا يوجد مثله في غيرهم ،
حتى لا تكاد تجد اثنين منهم على قول واحد .

والمكائية تسب إلى ملك الروم ، وهم
يقولون : أن الله اسم ثلاثة معان ، فهو واحد
ثلاثة ، وثلاثة واحد . واليعقوبية تقول : أنه
واحد قديم ، وأنه كان لا جسم ولا اسان ،
ثم لجسم وثان . والرقولية قالوا : الله
واحد ، وعلمه غيره قديم معه ، والمسيح ابنه
على جهة الرحمة ، كما يقال ابراهيم خليل
الله . والرقولية تزعم أن المسيح يظوف عليهم
كل يوم وليلة . والبوزغاية تزعم أن المسيح
هو الذي يحشر الموتى من قبورهم ويحاسبهم .

« فصل » : وعندهم لأبد من تصنيف
أولادهم ، وذلك أنهم يغفلون المولود في ماء
قد أغلى بالراحين والوان الطيب في اجانة
جديدة ، ويقرأون عليه من كتابهم ، فيزعمون
أنه حينئذ ينزل عليه روح القدس ، ويسمون
هذا الفعل المعمودية .

وطهارتهم انما هي غسل الوجه واليدين
فقط ، ولا يختن منهم الا اليعقوبية ، ولهم
سبع صلوات يستقبلون فيها المشرق ،
ويحجون إلى بيت المقدس ، وزكاتهم العشر
من أموالهم ، وصيامهم خمسون يوما .

فالثاني والأربعون منه عيد الشعانين ، وهو
اليوم الذي نزل فيه المسيح من الجبل ودخل
بيت المقدس . وبعده بأربعة أيام عيد القصح ،
وهو اليوم الذي خرج فيه موسى وقومه من
مصر . وبعده بثلاثة أيام عيد القيامة ، وهو

اليوم الذي خرج فيه المسيح من القبر
وهم . وسنة بشاية أيام عيد الجسد ،
وهو اليوم الذي ظهر فيه المسيح ثلاثين
خروج من القبر . وسنة بشاية وثلاثين يوما
عيد الصلح ، وهو اليوم الذي صعد فيه
المسيح إلى السماء .

ولهم عيد الصليب ، وهو اليوم الذي
وجدوا فيه خشبة الصليب ، وزعموا أنها
وضعت على بيت فطس . ولهم أيضا عيد
الصلح وعيد الفصح ، ولهم قرابين وكهنة :
فاسلموا فوقه القس ، وفوق القس الأسقف ،
وفوق الأسقف المطران ، وفوق المطران
البishop .

والسكر عنهم حرام ، ولا يحل لهم أكل
الحكم ولا الجوع في الصوم ، وكل ما يباع
في السوق ولم تنه أنفسهم يباح أكله ، ولا
يصح التكاثر إلا بحضور شمس وقس
وعنول ومهر ، ومحرمون من النساء ما يحرمه
المسلمون ، ولا يحل الجمع بين امرأتين ،
ولا التبري بالاماء إلا أن يتنكح ويتزوج
بين ، وإذا ختم العبد سبع سنين عتق .

ولا يحل طلاق المرأة ، إلا أن تأتي
بطلعة مينة فطلق ، ولا تحل لزواج أبنا ،
وحد الحصن إذا زنى الرجم ، فإن زنى غير
محسن وحلت منه المرأة تزوج بها ، ومن
قتل عبدا قتل ، ومن قتل خطا يجر ولا يحل
عليه ، وأكثر أحكامهم من التوبة ، وقد لعن
منهم من لا ط أو شهيد بالزور أو قامر أو زنى
أو سكر .

وقد سار المسيح منا يمين نور حدة .

ذكر ديارون النصارى

قال ابن سيده : الدبر خلف النصارى ،
والجمع أدبار ، وصاحبه دبار ودبراني .
قلت : الدبر عند النصارى يحكى بالنسك
التيبين به ، والكيسة مجتمع عامتهم
للصلاة .

« القلعة بصر » : هذه القلعة بجانب
القلعة ، التي تعرف بقصر النعم ، في مدينة
مصر . وهي مجمع أكابر الرهبان وعلما
النصارى ، وحكمها عندهم حكم الأديرة .

« دير طرا » : ويعرف بدبر أبي جرح ،
وهو على شاطئ النيل .

وأبو جرح هذا هو جرجس . وكان من
عذبه لك دقلطيانوس ليرجع عن دين
النصرانية ، ونوع له اعتقولات من الضرب
والتحرق بالشارف فلم يرجع ، فضرب عنقه
بالسيف في ثالث تشرين وسابع بابه .

« دير شعيران » : هذا الدير في حدود
قلية طرا ، وهو مبني بالحجر والبني ، وبه
نخل ، وبه عدة رهبان . ويقال أيضا هو دير
شهران بالهاء ، وإن شعيران كان من حكماء
النصارى ، وقيل بل كان ملكا .

وكان هذا الدير يعرف قديما بمرقوريوس
الذي يقال له مرقورة وأبو مرقورة .
ثم لما سكه برصوما بن التيان ، عرف بدبر
برصوما . وله عيد يعمل في الجمعة الخامسة
من الصوم الكبير ، فيحضره البطريرك وأكابر
النصارى ، ويتفقون فيه مالا كبيرا .
ومرقوريوس هذا كان من قتل دقلطيانوس ،

في تاسع عشر ثوبو وخامس عشر أيب ،
وكان جنديا .

« دير الرسل » : هذا الدير خارج قلعة
الصف والودي ، وهو دير قديم لطيف .

« دير بطرس وبولس » : هذا الدير خارج
القلعة من قبلها ، وهو دير لطيف ، وله عيد
في خامس أيب يعرف بعيد القصرية .

وبطرس هذا هو أكبر الرسل الحواريين ،
وكان دباغا - وقيل صبادا - قتل الملك
نيرون في تاسع عشر حزيران وخامس
أيب . وبولس هذا كان يهوديا ، فتصر بعد
رفع المسيح عليه السلام ، ودعا إلى دينه ،
فقتله الملك نيرون بعد قتله بطرس بسنة .

« دير الجيزة » : ويعرف بدبر الجود ،
وربما موضع البشارة جزائر الدير ، وهو
قبالة الليمون ، وهو عزبة لدير العزبة . بنى
على اسم أنطونيوس - ويقال أنطونة -
وكان من أهل قن ، فلما انقضت أيام الملك
دقلطيانوس وفاته الشهادة ، أحب أن يتعوض
عنها بعبادة توصل ثوابها أو قريبا من ذلك ،
فترهب .

وكان أول من أحدث الرهبانية للنصارى
عوضا عن الشهادة ، وواصل أربعين يوما
ليلا ونهارا طاولا لا يتناول طعاما ولا شرابا مع
قيام الليل ، وكان هكذا يفعل في الصيام
الكبير كل سنة .

« دير العزبة » : هذا الدير يسار إليه في
الجبيل الشرقي ثلاثة أيام سير الابل ، وبينه
وبين بحر القلزم مسافة يوم كامل ، وفيه

(١٥٠) من ١٠٠ ج ٢ ، طبع في ١٩٠٠

غالب الكهواك مزدرة ، وبه ثلاثة أمين
تجري : وشاه أنطونيوس المقدم ذكره .

ورهبان هذا الدير لا يزالون دهرهم
صائمين ، لكن صومهم إلى العصر فقط ، ثم
يفطرون ، ما خلا الصوم الكبير والبرمولات ،
فإن صومهم في ذلك إلى طلوع النجم .
والبرمولات هي الصوم كذلك بلغتهم .

« دير أنبا بولا » : وكان يقال له أولا دير
بولس ، ثم قيل له دير بولا ، ويعرف بدبر
الثورة أيضا . وهذا الدير في البر الغربي من
الطور ، على عين ماء يردها المسافرون .
وعندهم أن هذه العين تطهرت منها مريم ،
أخت موسى عليها السلام ، عند نزول موسى
بيني إسرائيل في يرة القلزم .

وأنبا بولا هذا كان من أهل الاسكندرية ،
فلما مات أبوه ترك له ولأخيه مالا جسا ،
فخاصه أخوه في ذلك وخرج مضاضا له ،
ف رأى ميتا يقبر فاعتبر به ، ومرت على وجهه
سائحا حتى نزل على هذه العين ، فأقام هناك
واثنا تمالي يوزقه ، فمر به أنطونيوس ،
وصحبه حتى مات ، فبنى هذا الدير على
قبره . وبين هذا الدير والبحر ثلاث ساعات ،
وفيه بستان فيه نخل وغن ، وبه عين ماء
تجري أيضا .

« دير القصير » : قال أبو الحسن علي بن
محمد الشافعي في كتاب « الديارات » :
وهذا الدير في أعلى الجبل ، على سطح في
قلته ، وهو دير حسن البناء محكم الصنعة ،
نزه البقعة ، وفيه رهبان مقيمون به ، وله بئر
منقورة في الحجر يستقي له منها الماء ، وفي

هيكلة صورة مريم عليها السلام في لوح ،
والناس يتصدون للوضع للنظر الى هذه
الصورة .

وفي اعلاه غرفة بناها أبو الجيش خسارويه
ابن أحمد بن طولون ، لها أربع طاقات الى
أربع جهات ، وكان كثير الفتيان لهذا الدير ،
معبيا بالصورة التي فيه ، يستحسنها ويشرب
على النظر اليها . وفي الطريق الى هذا الدير
من جهة مصر صعوة ، وأما من قبله فسهل
الصعود والتزول ، وإلى جانبه صومعه لا
تخلو من حيس يكون فيها .

وهو مطلق على القرية المعروفة بشهران ،
وعلى الصحراء والبحر ، وهي قرية كبيرة
عامرة على شاطئ البحر ، ويذكرون أن موسى
صلوات الله عليه ولد فيها ، ومنها ألقته أمه
الى البحر في التابوت . وبه أيضا دير يعرف
بدير شهران .

ودير القصير هذا أحد الديار المقصودة
والمترهات المطروقة ، لحسن موضعه واشراقه
على مصر وأعمالها ، وقد قال فيه شعراء مصر
ووصفوه ، فذكروا عليه وزهته ، ولأبي
هريرة بن أبي عاصم فيه من المشرح .

كم لي بدير القصير من قصف
مع كل ذي صبة وذو ظرف

لهوت فيه بشادن غنج
تقص عنه بدائع الوصف

وقال ابن عبد الحكم في كتاب « فتوح
مصر » : وقد اختلف في القصير : فمن ابن
لهيعة قال : ليس بقصير موسى النبي صلى الله

عليه وسلم ، ولكنه موسى الساحر . وعن
الفضل بن فضالة عن أبيه قال : دخلنا على
كعب الأحبار ، فقال لنا : من أتم ؟ قلنا :
فتيان من أهل مصر ، فقال : ما تقولون في
القصير ؟ قلنا : قصير موسى ؟ فقال : ليس
بقصير موسى ، ولكنه قصير عزير مصر ،
كان إذا جرى النيل يترفع فيه ، وعلى ذلك
أنه لمقدس من الجبل الى البحر .

قال : ويقال بل كان موقدا يوقد فيه
لفرعون إذا هو ركب من منف الى عين
شمس . وكان على المقطم موقد آخر ، فإذا
رأوا النار علموا يركوبه فأعدوا له ما يريد ،
وكذلك إذا ركب منصورا من عين شمس .
والله أعلم .

وما أحسن قول كشاجم :

سلام على دير القصير وسفحه
بجنات حلوان الى التخلات

منازل كانت لي بين مآرب
وكن مواخيرى ومترهاتى
إذا جتھا كان الجياد مراكبى
منصرفى فى السفن منحدرات *
فأقبض بالأسحار وحشى عيها
رأقتص الانسى فى الظلمات

مى كل سام أغر مهذب
على كل ما يهوى النديم مواتى
ولحمان مما أمسكه كلابنا
عليا ومما صيد فى الشبكات
وكأس وابريق وفأى ومزهر
وساق غرير فافر اللحظات

(هـ) من ٥٠٢ ج ١ ، ط ١ ، بولاق .

كان قضيبة الباق عند اهتزازهم
تعلم من أعطافه الحركات

هنالك تصفو لى مشارب لدنى
وتصحب أيام السرور حياتى

وقال علماء الأخبار بن الصارى :
أرقاديوس ، ملك الروم ، طفت أرسابرس
ليعلم رلده ، فظن أنه غطه ، فصر الى مصر
وترهب ، فبعث ابنه أمانا ، أعلمه أن لطلب
من أجل تعلمه ولده ، فاسمعى وحمل الى
الجبل المقطم شرقى طرا ، وأقام فى معبارة
ثلاث سنين ومات

فبعث اليه أرقادوس ، فإذا هو قد مات ،
فأمر أن يبس على قبره كنيسة . وهو المكان
المعروف بدير القصير ، ويعرف الآن بدير
البغل ، من أجل أنه كان . بعل يستمى عليه
الماء ، فإذا خرج من لدير أتى المودة هناك
من يملا عليه ، فإذا فرغ من الماء تركه فعاد
الى الدير . وفى رمضان سنة أرسبائه أمر
الحاكم بأمر الله بهدم دير القصير ، فأقام الهدم
والتهب فيه مدة أيام .

« دير مرجنا » : قال الشافعى بدير مرجنا
على شاطئ بركة الجيش ، وهو قريب من
النيل ، وإلى جانبه بساتين أنسا بعضها الأمير
تميم بن المعز ، ومجلس على عمد حسن الباء
مليح الصفة مسور أساء الأمير تميم أيضا
وبقرب الدير بئر ، تعرف ببئر سأتى ، عليها
جميزة كبيرة يجتمع الناس اليها ، ويشربون
تحتها .

وهذا الموضع من مغائى اللعب ، ومواطن
صف والطرب ، وهو نزه فى أيام النيل

وزيادة البحر وامتلاء البركة ، حسن المنظر فى
أيام الزرع والوارير ، لا يكاد حيند يطلو
من المتزهين والمتطيرين ، قد ذكر السعراء
حسه وطه . وهذا الدير يعرف اليوم بدير
الطين (بالنون)

« دير أبى الحناع » : هذا الدير خارج
أفصا ، وهو من حلة عمالها القديسة ،
وكنيسته فى قصره لا فى أرضه ، وهو على
اسم أبى نخس القصر ، عبده فى العشرين
من بابه ، وسأتى ذكر أبى نخس هذا

« دير مغارة شقليل » : هو دير لطف
معلق فى الجبل ، وهو مقر فى الحصر على
صخرة تحتها عقبة ، لا يتوصل اليه من أعلاه
ولا من أسفله ولا سلم له ، وإنما جعل له
تقور فى الجبل ، فإذا أراد أحد أن يصعد اليه
أرخت له سبلية فأمسكها بده ، وجعل رحليه
فى تلك التقور وصعد ، وبه طاحونة مديرها
حصار واحد

ويطل هذا الدير على النيل تجاه منفلوط
وتجاه أم القصور ، وتجاهه جزيرة يحيط بها
الماء — وهى التى يقال لها شقليل — وبها
قريتان : أحدهما شقليل ، والأخرى بنى
شقر . ولهذا الدير عيد يجتمع فيه النصارى ،
وهو على اسم يومينا ، وهو من الأجناد الذين
عاقبهم ديقلطيانوس ليرجع عن النصرانية
ويسجد للأصنام ، فثبت على دينه ، فقتله فى
عاشر حزيران وسادس عشر بابه .

« دير بقطر » : بحاجر أنوب ، من شرقى
بنى مر ، تحت الجبل على مائتى قصبة منه .
وهو دير كبير جدا ، وله عيد يجتمع فيه

نصارى البلاد شرقا وغربا ، ويحضره الأسقف .

ويقطر هذا هو ابن رومانوس كان أبوه من ورواء ديقلتيانوس ، وكان هو جيلا شجاعا له منزلة من الملك ، فلما تنصر وعده الملك ، ومنه يرجع الى عبادة الأصنام فلم يفعل ، فقتله في ثلثي عشرى نيسان وسابع عشرى برمودة .

« دير بقطر شق » : في بحرى أبوت وهو دير لطيف خال ، وإنما تأتيه النصارى مرة في كل سنة .

ويقطر شق من عذبه ديقلتيانوس يرجع عن النصرانية فلم يرجع ، فقتله في العشرين من هاتور ، وكان جنديا .

« دير بوجرج » : بنى على اسم بوجرج وهو خارج الميصرة بناحية شرق نى مر ، وتارة يخلو من الرهبان ، وتارة يصر بهم ، وله وقت يعمل العيد فيه .

« دير حساس » : وحساس اسم بلد هو بحرها ، وله عيدان في كل سنة ، وجنوعات متعددة .

« دير الطير » : لا هذا الدير قديم ، وهو مظل على النيل ، وله سلال منخوة في الجبل ، وهو قبالة سلوط .

وقال الشاشى . وبنواحي أخميم دير كبير عامر يقصد من كل موضع ، وهو بقرب الجبل المعروف بجبل الكهف ، وفي موضع من الجبل شق ، فإذا كان يوم عيد هذا الدير لم يبق

في البلد بوقير حتى يجيء الى هذا الموضع ، فيكون أمرا عظيما . بكثرتهما واجتماعهما وصياحها عند الشق ، ولا يزال الواحد بعد الواحد يدخل رأسه في ذلك الشق ويصيح ، ويخرج ويصيح غيره ، الى أن يعلق رأس أحدها ، وينشب في الموضع ، فيضطرب حتى يموت ، وتفرق حينئذ الباقية فلا يبقى منها طائر .

وقال القاضي أبو جعفر القضاى : ومن عجائبا (يسمى مصر) شعب البوفيرات بناحية أشوم من أرض الصعيد ، وهو شعب في جبل فيه صدع تأتيه البوفيرات في يوم من السنة كان معروفا ، فتمرض أنفسهم على الصدع ، فكلما أدخل بوقير منها مقاره في الصدع مضى لطيته ، فلا تزال تفعل ذلك حتى يلتقى الصدع على بوقير منها فحسه ، ونفضى كلها ، ولا يزال ذلك الذى تحسه معلقا حتى يتساقط .

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : وقد بطل هذا في جملة ما بطل .

« دير أبى هرمينة » : بحرى فاو الخراب ، وبحريه يريا فاو وهي مملوءة كتب وحكا ، وبين دير الطين وهذا الدير نحو يومين ونصف . وأبو هرمنة هذا من قدماء الرهبان المشهورين عند النصارى .

« دير السبعة جبال بأخميم » : هذا الدير داخل سبعة أودية ، وهو دير عال بين جبال شامخة ، ولا تشرق عليه الشمس الا بعد ساعتين من الشروق لعلو الجبل الذى هو في

(١٨) من ٥٠٢ ج ١ ط ٥ بولاق

لحفه ، وإذا بقي للغروب نحو ساعتين ، خيل لمن فيه أن الشمس قد غابت وأقبل الليل ، فيشعلون حينئذ الضوء فيه . وعلى هذا الدير من خارجه عين ماء تظلمها صفصافة ، ويعرف هذا الموضع الذى فيه دير الصفصافة بوادى الملوك ، لأن فيه نباتا يقال له الملوك ، وهو شبه القجل ، وماؤه أحمر قان يدخل في صناعة علم أهل الكيمياء .

ومن داخل هذا الدير « دير القرقس » ، وهو في أعلى جبل قد تقرر فيه ، ولا يعلم له طريق ، بل يصعد اليه في تقور في الجبل ، ولا يتوصل اليه الا كذلك . وبين دير الصفصافة ودير القرقس ثلاث ساعات ، وتحت دير القرقس عين ماء عذب وأشجار بان .

« دير صبرة » : في شرقى أخميم ، عرف بعرب يقال لهم بنى صبرة ، وهو على اسم ميخائيل الملك ، وليس به غير راهب واحد .

« دير أبى بشادة الأسقف » : قرب من ناحية أقة ، وهو بالحاجر ، وتجاهه في الغرب منشاء أخميم . وكان أبو بشادة هذا من علماء النصارى .

« دير بوهور الرهب » : ويعرف بدير سواده ، وسواده عرب تنزل هناك ، وهو قبالة منية بنى خصيب ، خربت العرب .

وهذه الأديرة كلها في الشرق من النيل ، وجميعها للماقية ، ولتين في الجانب الشرقى الآن سواها ، وأما الجانب الغربى من النيل فانه كثير الديارات لكثرة عمارته .

« دير دموة بالجيزة » : ويعرف بدموة السباع ، وهو على اسم قزمان ودميان ، وهو

دير لطيف ، وتزعم النصارى أن بعض الحكماء - كان يقال له سبع - أقام بدموة ، وأن كنيسة دموة التي بأيدي اليهود الآن كانت ديرا من ديارات النصارى ، فابتاعته منهم اليهود في ضائقة نزلت بهم ، وقد تقدم ذكر كنيسة دموة . وقزمان ودميان من حكماء النصارى ورهبانهم العباد ، ولهما أخبار عندهم .

« دير نهما » : قال الشاشى : ونهما بالجيزة ، وديرها هذا من أحسن ديارات مصر وأزهرها ، وأطيبها موقعا ، وأجلها موقعا ، عامر برهبانه وسكانه ، وله في أيام النيل منظر عجيب ، لأن الماء يحيط به من جميع جهاته ، فإذا انصرف الماء ، وزرعت الأرض ، أظهرت أراضي غرائب النواوير وأصناف الزهر . وهو من المتزهات الموصوفة ، والبقاع المستحسنة ، وله خليج يجتمع فيه سائر الطير ، فهو أيضا متصيد متع ، وقد وصفته الشعراء وذكرت حسنه وطيبه ؛ قلت : وقد خرب هذا الدير .

« دير طمسويه » : قال ياقوت : طمسويه - بفتح الطاء وسكون الميم وفتح الواو وياه ساكنة - قربتان بمصر : أحدهما في كورة المرتاحية ، والأخرى بالجيزة .

قال الشاشى : وطمسويه في الغرب بازاء حلوان ، والدير راكب البحر ، حوله الكروم والبساتين والتخل والشجر ، وهو نزه عامر آهل ، وله في النيل منظر حسن ، وحين تخضر الأرض يكون في بساطين من البحر والزروع . وهو أحد متزهات أهل مصر المذكورة ، ومواضع لهوها المشهورة .

ولابن أبي حاتم للمري في من البسيط :
 واشرب بطونه من صباء صافية
 كروي صخر مري هيت وعادات .
 على رفاض من السوار زاهرة
 تجري ايمارل فيها بين جنات
 كان نبت الشقيق المصغرى بها
 كسات خد ممت في ابر كسات
 كان رجسها من حبه حلق
 في خفه حاجي بالاشواق
 كانا كيل في مر السهم
 سلم في درج ساربات
 منازل كت مفتوحة ما سعا
 كن قلما مواخيرى وحافتي
 لا لا لزال ملسا بالصوح على
 ضرب التواقيس صبا بالدارات
 قلت : هذا الدير عند النصارى على اسم
 جورج ، ويجتمع فيه النصارى من التواقيس .
 « دير اقباس » : وصوابها اقباس وقد
 خرب .
 « دير خارج قلعة منرى » : حامل الذكر
 لانهم لا يطمعون فيه احدا .
 « دير الحادم » : على جانب المنهى بأعمال
 البهنا ، على اسم غيرال الملك ، به بستان
 فيه نخل ورتون .
 « دير اشني » : عرف بتاحية اشني فانه
 في بحرهما ، وهو لطيف على اسم السيدة
 مريم ، وليس به سوى راهب واحد .
 (١٤٠ من ١٠٠ ج ١ ، ط ١٠٠٠)

« دير ايسوس » : ومعنى ايسوس يسوع .
 ويقال له دير ارجنوس ، وله عيد في خامس
 شري بشن . فاذا كان ليلة هذا اليوم
 سدت ثر فيه تعرف ثر ايسوس ، وقد
 اجتمع الناس الى الساعة السابعة من لهار ،
 ثم كنفوا الطابق عن البر ، فاذا ما قد فاض
 ماؤها ثم يتزل ، فحيث صل الماء قاسوا منه
 الى موضع اسمر فيه الماء ، فما بلغ كالت زيادة
 النيل في تلك السنة من الاذرع .
 « دير سدمت » : على جانب المنهى ،
 بالحاجر بين القوم والرف ، على اسم
 جورج . وقد ضعفت لحواله عما كان عليه ،
 وكل ساكه .
 « دير القلون » : ويقال له دير الخسبة
 ودير غيرال الملك ، وهو تحت مغارة في ابل
 الذي يقال له طارف القوم ، وهذه المارة
 تعرف عندهم بمقلة مقبوب ، وعسوان أن
 مقبوب عليه السلام لما قدم مصر كان مستظلا
 بها . وهذا الجبل مظل على بلدين يقال لهما
 اقميح شيلا شلا .
 وسلا ماء لهذا الدير من حر المنهى ، ومن
 تحت دير سدمت ، لهذا الدير عيد يجمع
 فيه عسارى القوم وغيرهم ، وهو على السكة
 اتى تزل الى القوم ، ولا يسلكها الا القليل
 من المسافرين .
 « دير القلمون » : هذا الدير في بزة ،
 تحت عقبة القلمون ، يوصل المسافر منها
 الى القوم ، يقال لها عقبة الفريق . وبني هذا
 الدير على اسم صويل الراهب ، وكان في
 زمن الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله

عليهما وسلم ، ومات في ثامن كيهك . وفي
 هذا الدير نخل كثير يعمل من ثمره العجوة ،
 وفيه أيضا شجر اللبخ ولا يوجد الا فيه ،
 وثمره بقدر الليمون طعمه حلو في مثل طعم
 الرامخ ، ولنواه عدة منافع .
 وقال أبو حنيفة في كتاب « النبات » : ولا
 ينبت اللبخ الا بأفصا ، وهو عود تنثر منه
 ألواح السفن ، وربما أرغف ناسرها ، ويباع
 اللوح منها بخمسين دينارا وسحوها ، وإذا
 شد لوح منها بلوح ، وطرحا في الماء سنة ،
 التاما وصارا لوحا واحدا .
 وفي هذا الدير قصران مبنيان بالحجارة ،
 وهما عاليان كيران لياضهما اشراق . وفيه
 أيضا عين ماء تجري ، وفي خارجه عين أخرى .
 وبهذا الوادي عدة معابد قديمة ، وثم واد يقال
 له الأملح فيه عين ماء تجري ، رخل مشرة
 تأخذ العرب ثمرها . رخارج هذا الدير ملاحه
 بيع رهبان الدير ملحها ، فيعم تلك الجهات .
 « دير السيدة مريم » : خارج طنبدي ،
 ليس فيه سوى راهب واحد ، وهو على غير
 الطريق الملوكة . وكان بأعمال البهنا عدة
 ديارات خربت .
 « دير يرقانا » : بحرى بنى خالد ، وهو
 مبنى بالحجر ، وعمارته حسنة ، وهو من
 أعمال المنية ، وكان به في القديم ألف راهب ،
 وليس به الآن سوى راهبين ، وهو في الحاجر
 تحت الجبل .
 « دير بالوجه » : على جنب المنهى ، وهو
 لأهل دلجة ، وهو من الأديرة الكبار ، وقد
 خرب حتى لم يبق به سوى راهب أو راهبين ،
 وهو بازاء دلجة بينه وبينها نحو ساعتين .

« دير مرقورة » : ويقال أبو مرقورة . هذا
 الدير تحت دلجة بخارجها من شرفها ، وليس
 به أحد .
 « دير صنبو » : في خارجها من بحرهما .
 على اسم السيدة مريم ، وليس به أحد .
 « دير تادوس » : قبلى صنبو ، وقد تلاثى
 امره لاتضاع حل النصارى
 « دير اليرموون » : في شرقي ناحية
 اليرموون ، وهو شرقي ملوى وغربي أفصا
 وهو على اسم الملك غيرال .
 « دير المحرق » : تزعم النصارى أن المسيح
 عليه السلام أقام في موضعه ستة أشهر
 وأياما . وله عيد عظيم — يعرف بعيد الزيتونة
 وعيد العنصرة — يجتمع فيه عالم كثير .
 « دير بنى كلب » : عرف بذلك لنزول بنى
 كلب حوله ، وهو على اسم غيرال ، وليس
 فيه أحد من الرهبان ، وإنما هو كيسة
 لنصارى منفلوط ، وهو غريبها
 « دير الجاولية » : هذا الدير ناحية
 الجاولية من قبلها ، وهو على اسم الشهيد
 مرقورس — الذي يقال له مرقورة — وعليه
 رزق محبة ، وتأتيه الذنورات والعوايد ،
 وله عيدان في كل سنة .
 « دير السبعة جبال » : هذا الدير على
 رأس الجبل الذي غربي سيوط على شاطئ
 النيل ، ويعرف بدير بخنص القصير ، وله عدة
 أعياد ، وخرب في سنة احدى وعشرين
 وثمانمائة من منس طرقة ليلا .

(١٠٠ من ١٠٠ ج ١ ، ط ١٠٠٠)

ثم قتل في ثامن محرم كانون الأول وكنى
كبيك .

دير بوساويرس : يجاور امريكه ، كان
على اسم السيدة مريم . وكان ساويرس من
عظماء الرهبان ، فسل بطرغا وظهرت آية عند
موته ، وذلك أنه ألهم لما سار الى الصفا
بأنه اذا مات تشق الحبل ، رقع منه قطعة
عظيمة على الكنيسة فلا تضرها . فلما كان في
بعض الأيام سقطت قطعة عظيمة من الجبل
كما قال ، فعلم رهبان هذا الدير بأن ساويرس
قد مات ، فأرخوا ذلك فوجدوه وقت موته ،
فسموا الدير حينئذ باسمه .

دير تادوس : تحت دير بوساويرس .
تادوس اثنان كانا من أجناد ديقليانوس :
أحدهما يقال له قاتل التسن ، والآخر
الاسهلار ، وقتلا كما قتل غيرها .

دير منى آك : ويقال منساك وبني
ساك وإيساك ، ومعنى ذلك اسحاق . وكان
على اسم السيدة ماريام - يعنى مار مريم -
ثم عرف بمنساك ، وكان راهبا قديما له عندهم
شجرة رهبان الدير يترتخته في العاجر منها
شرب الرهبان ، فاذا زاد التيل سربوا من
مائه .

دير الرسل : تحت دير منساك ، ويعرف
بدير الأثل ، وهو لأعمال بوتيح . ودير منساك
لأهل ربة هو ودير ساويرس ، ودير كرامونة
لأهل سيوط ، ودير بوجرج لأهل أدركة .
ودير الأثل كان في خراب ، فصر بعباده كفر
لطيف عرف ببنشاة النسخ ، لأن النسخ أبابكر
الشاذلي أنشاه ، وأنشأ بنافا كبيرا ، وقد

« بتسن » : ويقال أبو بتسن الكبير .
كان راهبا قديما له أخبار كثيرة ، منها أنه
كرس خشبة يابسة في الأرض بأرض شبعه
« وسقاها للآل مدة ، فصارت شجرة مثمرة
تأكل منها الرهبان ، وسبب شجرة الظلم
ودفن في دير . »

دير اللطل : هذا الدير على اسم السيدة
مريم ، وهو على طرف أحل تحت دير البجة
بجبال قبالة سيوط ، وله حيد يحضره أهل
النواحي ، وليس به أحد من الرهبان .

الدير أدركة

اعلم أن ثلثة أدركة هي من قرى النصارى
الصاعدة ، ونصاراها أهل علم في دهم
وتاسيرهم في اللسان القبطي ، لهم أدلة
كثيرة في خارج البلد عن قليبها مع الجبل
وقد خرب أكثرها ، وبقي منها :

دير بوجرج : وهو عامر البناء ، راسخ
به أحد من الرهبان ، يعمل فيه عيشة في
أواه .

دير أرض العاجر ودير ميكائيل : دير
كرفونة : على اسم السيدة مريم ، وكان
يقال له « أرافونة وأغرافونا » ، ومعنى
النساج ، فإن نساج علوم النصارى كانت في
القديم تقيم به . وهو على طرف الجبل ، وبني
مطبخ كثيرة ، منها ما ينسج الماشي بجمعه نحو
بوتيس .

دير أبي تمام : تحت دير كرفونة
بالعاجر . وقد كان أبو تمام جنديا في أيام
ديقلطيانوس نصر ، وعقب يرجع عن دينه ،



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأئمة
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة
بولاق
سنة ١٢٧٠ هجرية

التمن ٦ قروش ولقراء الجمهورية والمساء ٣ قروش

[illegible][illegible]

هذه هي حكمة الله : وجعلنا خروج سيوف من
قبايلها ، على كل اسم نوحا ليرسوا القتل
وهو بين القبايل قريب من رقة : وفي أيام
الفرار لا يسهل الهرب إلا من مراد : و...

«الآلاف على أسوار هذه الأبراج حركت
البحر الصبدي» ومع أسوار القلعة البيضاء
ورجعت القلعة البيضاء البحرية. (أبناء البحار
الصبيد بأرلاهم لا يكفون فسكفون لا
والقيا الصبيد» راقب القلعة حركت القلعة
والقعة البيضاء.

و هو ابن علي بن ابي طالب : وهو علي بن ابي طالب
ابن ابي طالب : وهو علي بن ابي طالب : وهو علي بن ابي طالب
علي بن ابي طالب : وهو علي بن ابي طالب : وهو علي بن ابي طالب

[illegible][illegible][illegible][illegible][illegible]

وَأَمَّا مَسْئَلَةُ هَذَا كَانَتْ وَاجِبَةً مِنْ أَجْلِ
الْبَيْتِ : وَهُوَ مَعْنَاهُ : وَهُمْ يَنْتَرُونَ :
وَيَنْتَرُونَ : وَهُمْ يَنْتَرُونَ :

وام بين بعد هذا الذي الا اوردت بحاجتي
لها وتقدم ففهم الصارفة . وكان باستناده من
كبره . وكانت استناده من احسن بقاء مصر
والتي اوردت من المصنف فوالله . والله وعمله
فيها من ودين بالعلم والامانة . فتمت
استناده . وخير من غيره .

وهذا آخر أديرة الصعيد ، وهي كلها متلاشية آتمة إلى الدثور ، بعد كثرة عمارتها ، ووفور أعداد رهبانها وسعة أرزاقهم ، وكثرة ما كان يحل بهم .

وأما « أوجه البحري » فكان فيه أديرة كثيرة خربت ، وبقي منها بقية . فكان بالمقسط - خارج القاهرة من بحرهما - عدة كنائس هدمها الحاكم بأمر الله أبو علي منصور ، في قاسم عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، وأباح ما كان فيها ، فنهب منها ثياب كثيرة جدا بعدما أمر ، في شهر ربيع الأول منها ، بدم كنائس راشدة خارج مدينة مصر من شرقها ، وجعل موضعها الجامع المعروف براشدة .

وهدم أيضا في سنة أربع وتسعين كنيستين هلك ، ونزح النصارى بلبس السواد وشهد الزنار ، وقبض على الأملاك التي كانت محبة على الكنائس والأديرة ، وجعلها في ديوان السلطان ، وأحرق عدة كثيرة من الصلبان ، ومنع النصارى من إظهار زينة الكنائس في عيد الشعانين ، وتشدد عليهم ، وضرب جماعة منهم .

وكانت بالروضة كنيسة بجوار القتياس ، فهمها السلطان ملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

وكان في ناحية أبي المرس من النجيزة كنيسة . قام في هدمها رجل من الزمالة ، لأنه سمع أصوات التواقيس يجر بها في ليلة الجمعة بهذه الكنيسة . فلم يتمكن من ذلك في يوم وأشرف شعبان من حين ، فتمكن

الاقباط في الدولة ، فقام في ذلك مع الأمير الكبير يرقوق - وهو يومئذ القائم بتدبير الدولة - حتى هدمها على يد القاضي جمال الدين محمود العجسي ، محتسب القاهرة ، في ثامن عشر رمضان سنة ثمانين وسبعمائة ، وعملت مسجدا .

« دير الخندق » : ظاهر القاهرة من بحرهما عمره القائد جوهر عوضا عن دير هدمه في القاهرة كان بالقرب من الجامع الأقمر ، حيث البئر التي تعرف الآن ببئر العظيمة ، وكانت إذ ذاك تعرف ببئر المقام ، من أجل أنه نقل عظاما كانت بالدير ، وجعلها لدير الخندق . ثم هدم دير الخندق في رابع عشر شوال سنة ثمان وسبعين وستمائة في أيام المنصور قلاوون ، ثم جدد هذا الدير الذي هناك بعد ذلك ، وعمل كنيستين يأتى ذكرهما في الكنائس .

« دير سرياقوس » : كان يعرف بأبي هور ، وله عيد يجتمع فيه الناس ، وكان فيه أعجوبة ذكرها الشافعي .

وهو أن من كان به خنازير ، أخذه رئيس هذا الدير وأضجعه ، وجاءه بخنزير فلخص موضع الوجع ، ثم أكل الخنازير التي فيه ، فلا يمتد ذلك إلى الموضع الصحيح ، فإذا نظف الموضع ، ذر عليه رئيس الدير من رماد خنزير فعل مثل هذا العمل من قبل ، ودهنه بزيت قنديل البيعة ، فانه يبرأ ، ثم يؤخذ ذلك الخنزير الذي أكل خنازير الليل ، فيذبح ويحرق ، وبعد رماده لمثل هذه الحالة .

(ج) ٥٠٧ - ج ٢ ، ط. بولاق .

فكان لهذا الدير دخل عظيم ممن يبرأ من هذه العلة ، وفيه خلق من النصارى .

« دير أثريب » : ويعرف بشاري مريم ، وعيده في حادي عشر بؤونة ، وذكر الشافعي أن حمامة بيضاء تأتي في ذلك العيد فتدخل المذبح ، لا يدرون من أين جاءت ، ولا يرونها إلى يوم مثله . وقد تلاشى أمر هذا الدير حتى لم يبق به إلا ثلاثة من الرهبان ، لكنهم يجتمعون في عيده ، وهو على شاطئ النيل قريب من بناها المل .

« دير المقطس » : عند الملاحات ، قرب من بحيرة البرلس ، وتحج إليه النصارى من قبلى أرض مصر ومن بحرهما - مثل حجهم إلى كنيسة القمامة - وذلك يوم عيده ، وهو في بشنس ، ويسمونه عيد الظهور من أجل أنهم يزعمون أن السيدة مريم تظهر لهم فيه ، ولهم فيه مزاعم كلها من أكاذيبهم المختلفة .

وليس بخذاء هذا الدير عارة ، سوى منشأة صغيرة في قبله بشرق ، وبقربه الملاحه التي يؤخذ منها الملح الرشيدى . وقد هدم هذا الدير في شهر رمضان سنة احدى وأربعين وثمانمائة بقيام بعض الفقهاء المعتقدين .

« دير المسكر » : في أرض السباخ على يوم من دير المقطس ، على اسم الرسل ، وبقربه ملاحه الملح الرشيدى ، ولم يبق به سوى راهب واحد .

« دير جبيانة » : على اسم بوجرج ، قرب من دير المسكر ، على ثلاث ساعات منه ،

وعيده عقب عيد دير المقطس ، وليس به الآن أحد .

« دير المينة » : بالقرب من دير العسكر . كانت له حالات جليلة ، ولم يكن في القديم دير بأوجه البحرى أكثر رهبانا منه ، إلا أنه تلاشى أمره وخرب ، فنزله الحبش وعسروه . وليس في السباخ سوى هذه الأربعة الأديرة .

وأما وادى هيب ، وهو وادى النطرون - ويعرف بيرة شيهات ، وبيرة الأسقط ، ويميزان القلوب - فانه كان بها في القديم مائة دير ، ثم صارت سبعة متدة غربا على جانب البيرة القاطعة بين بلاد البحيرة والفيوم . وهى في رمال منقطعة ، وسباخ مالحة ، وبرار منقطعة معطشة ، وقمار مهلكة ، وشراب أهلها من حقائق ، وتحمل النصارى اليهم الذبور والقرايين . وقد تلاشت في هذا الوقت ، بعدما ذكر مؤرخو النصارى أنه خرج إلى عمرو بن العاص من هذه الأديرة سبعون ألف راهب ، بيد كل واحد عكاز ، فسلموا عليه ، وأنه كتب لهم كتابا هو عندهم .

فتها « دير أبى مقار الكبير » : وهو دير جليل عندهم ، وبخارجه أديرة كثيرة خربت ، وكان دير النساك في القديم ، ولا يصح عندهم بطركية البطرك حتى يجلسوه في هذا الدير بعد جلوسه بكرمى اسكندرية . ويذكر أنه كان فيه من الرهبان ألف وخمسمائة لا تزال مقيمة به ، وليس به الآن إلا قليل منهم .

والنصارى ثلاثة : أكبرهم صاحب هذا
الدير ، ثم أبو مزار الاسكندراني ، ثم أبو
مزار الإسك . وهؤلاء الثلاثة قد وضعت
رسمهم في ثلاث أديب من ختب ، وتزويدها
الغدي جدا الذي ، وبه أيضا الكتاب الذي
كتبه عمرو بن الحسن لرهبان وأخي هيب ،
بجراحة فوحي الوجه البحري ، على ما أخبرني
من أخيه يورثه فيه .

« أبو مزار الأكبر » : هو مقاريوس . أخذ
الرهبية عن أنطونيوس ، وهو أول من لبس
هذه النسوة والأنيكيم - وهو من
جده به صليب يتوشح به الرهبان فقط -
وكنى أنطونيوس بأجيل الشرقى من حيث
دير الحيرة ، وأقام عنده مدة ، ثم أتته
لباس الرهبانية ، وأمره بالسير إلى وادي
الطرون ليقيم هناك ، ففعل ذلك .

واجتمع عنده الرهبان الكثرة العدد ، وله
منهم فقال عتيقة . منها : أنه كان لا يصوم
لأربعين لا طوبة في جميعها ، لا يتناول غذاء
ولا شربا ليلة ، مع قيام ليلا ، وكان يصل
أخوي ويتكلم منه ، وما أكل خبزا طريا
قط ، بل يأخذ القرايش فيلها في تعة
أخوي ، ويتناول منها هو ورهبان الدير ما
ملك الرمن من غير زيادة ، هذا قولهم
لما جئهم حتى مضوا إليهم .

وأما أبو مزار الاسكندراني ، فله سلاح
من الاسكندرية إلى مقاريوس المذكور ،
وتزهد على يديه . ثم كان أبو مزار الثالث .
ومزار أسك .

« دير أبي بختن القصير » : يقال له « صر »
في بلاد فلسطين بن هبلالة . ولأبي بختن
هذا فضل مذكورة ، وهو من أجل
الرهبان . وكان له في القديس حالات شهيرة ،
وهو طوبى من الرهبان ، ولم يبق به الآن
إلا ثلاثة رهبان .

« دير أبيس » : عليه السلام : وهو دير
الحيرة . وقد خرب دير بختن ، كما خرب
دير أبيس . أكلت لأرملة خدماها نكطا ،
ومار الحيرة إلى دير سبعة بويختن
القصير ، وهو دير ليف بجوار دير بويختن
القصير .

وبالقرب من هذه الأديرة :
« دير ياقوب » : وقد خرب هذا الدير
أيضا .

« دير يوب » : هذا من أهل سنود قتل
في الاسلام ، ووضع جسده في بيت
سنود .

« دير الأرمن » : قرب من هذه الأديرة ،
وقد خرب .

وبجوارها أيضا :

« دير بويشاي » : وهو دير عظيم عظيمهم ،
من أجل أن بويشاي هذا كان من الرهبان
الذين في طبقة مقاريوس وبختن القصير ،
وهو دير كبير جدا .

« دير يراه دير بويشاي » : كان يسكن
ليطافه . ثم ملكه رهبان السريان من نحو

الاسكندرية .

الاسكندرية ، وهو يعلم الآن . ومواقع
منه الأديرة يقال لها بركة الأديرة .

« دير سينة موسى » : على اسم السيدة
مريم . فيه بعض رهبان ، وبورقه .

« دير موسى » : ويقال أبو موسى الأسود
ويقال يرموس ، وهذا القديس سيدة يرموس ،
ليرموس اسم الدير .

وله قصة جميلة أن مكسيموس
ودوماديوس كما وكنى مكث الروم ، وكان
لهم معلم يقال له أرسانيوس ، قسار المعلم من
بلاد الروم إلى أرض مصر ، وعبر بركة شيهات
هذه ، وتزهد وأقام بها حتى مات ، وكان
فضلا ، وأقام في حياته اثنا عشر المذكورين ،
وتزهد على يديه ، فلما مات ، بمث أبوها فبنى
على اسمها كنيسة يرموس .

وأبو موسى الأسود كان لصا ذكرا قتل
مائة نفس ، ثم أنه تصر وتزهد ، وصنف
عنة كب ، وكان ممن يفتوى الأرمن في
صومه ، وهو يبرى .

« دير الزجاج » : هذا الدير خارج مدينة
الاسكندرية ، ويقال له الهابطون ، وهو على
اسم بوجرج الكبير . ومن شرط البطرك أنه
لا بد أن يتوجه من المعلقة بصر إلى دير
الزجاج هذا ، ثم أنهم في هذا الزمان تركوا
ذلك . فهذه أديرة البطارية .

والنساء ديارات تختص بهن ، فمنها :

« دير الراهبات » : بحارة زويلة من
القاهرة ، وهو دير عامر بالأبكار والرهبات
وغيرهن من نساء النصارى .

« دير البسات » : بحارة الروم بالقاهرة .
عامر بالنساء والرهبات .

« دير السقة » : بمدينة مصر . وهو أشهر
ديارات النساء ، عامر بهن .

« دير برارة » : بصر بجوار كنيسة
برارة . عامر بالبسات والرهبات .

« برارة » : كانت قديسة في زمان
دقظيوس ، فمضت ترجع عن دينها
وتسجد للأصنام ، فثبتت على دينها ، وصيرت
على عذاب شديد - وهي بكر لم يسلمها
رجل - فلما ينس منها ضرب عتقا وعق عنة
من النساء معها .

« وللتناري الملكية » : قلابة بطركهم بجوار
كنيسة ميكايل ، بالقرب من جسر الأقدم
خارج مصر ، وهي مجمع الرهبان الولدين
من بلاد الروم .

« دير بختن القصير » : المعروف
بأقصير ، وصوابه عظيم دير القصير ، على
وزن شهيد ، وحرف قليل دير القصير
- يضم اتفاق وفتح الصاد وتشديد الياء -
فساء للسكون دير اقتصير - يضم
اتفاق وفتح الصاد واسكان الياء آخر
الحروف - كأنه تصغير قصير .

وأصله - كما عرفت - دير القصير الذي
هو ضد الطويل ، وسمى أيضا دير هرقل ،
ودير البطل ، وقد تقدم ذكره . وكان من أعظم
ديارات النصارى ، وليس به الآن سوى واحد
يحرسه ، وهو يد الملكية .

« دير الطور » : قال ابن سيده : الطور الجبل ، وقد غلب على طور سيناء - جبل بالشام - وهو بالريانية طوري ، والنسب اليه طوري وطواري .

وقال ياقوت : طور سبعة مواضع .

الأول : طور زيتا ، بلفظ الزيت من الأدهان قصور ، علم لجبل بقرب رأس عين .

الثاني : طور زيت أيضا جبل بالبيت المقدس ، وهو شرقي سلوان .

الثالث : الطور علم لجبل بعينه مثلث على مدينة طبرية بالأردن .

الرابع : الطور علم لجبل كورة تشتمل على عدة قرى بأرض مصر ، من الجهة القبليية بين مصر وجبل فاران .

الخامس : طور سيناء . اختلفوا فيه : فقل هو جبل بقرب أيلة ، وقيل جبل بالشام ، وقيل سيناء حجازية ، وقيل سحرية .

السادس : طور عدين * - بفتح العين وسكون الباء الموحدة وكسر الدال المهملة وياه آخر الحروف ونون - اسم لبلدة من فواحي نصيبين ، في بطن الجبل المشرف عليها المتصل بجبل جودي .

السابع : طور هارون أخى موسى عليهما السلام .

وقال الواحدي في تفسيره : وقال الكلبي وغيره : والجبل في قوله تعالى « ولكن انظر الى الجبل » أعظم جبل بمدين يقد له

زبير ، ودلر الكلبي ان الطور سمي بطور ابن اساعيل . قال السهيلي : فلعله محذوف الياء ان كان صح ما قاله .

وقال عمر بن شبة : أخبرني عبد العزيز ، عن أبي معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربعة أنهار في الجنة ، وأربعة أجبل وأربع ملاحم في الجنة » ، فما الأنهار فيحان وجحان والنيل والفرات ، وأما الأجبل فالطور ولبنان وأحد وورقان * وسكت عن الملاحم .

وعن كعب الأحبار : معاقل المسلمين ثلاثة : فمعتلهم من الروم دمشق ، ومعتلهم من الدجال الأردن ، ومعتلهم من ياجوج ومأجوج الطور .

وقال شعبة عن أرطاة بن المنذر : اذا خرج ياجوج ومأجوج ، أوحى الله تعالى الى عيسى ابن مريم عليه السلام : أنى قد أخرجت خلقا من خلقتى لا يطيقهم أحد غيرى ، فمر بن معك الى جبل الطور : فيسر ومعه من الذراري اثنا عشر ألفا .

وقال طلق بن حبيب عن زرعة : أردت الخروج الى الطور ، فأتيت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فقلت له ، فقال : انما تشد الرحال الى ثلاثة مساجد : الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، فدع عنك الطور فلا تأنه .

١١٢ قوله : أربعة أنهار ، هكذا لفظ الحديث في الصحيحين بيدى والمدة عليها ، فليراجع في معناه ، أو يصححه .

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ، وقد ذكر كور أرض مصر : ومن كور القبلة قرى الحجاز ، وهى كورة الطور وفاران ، وكورة رابة والقزم ، وكورة ابلة وحيزها ، ومدين وحيزها ، والموييد والخوراء وحيزهما ، ثم كورة بدا وشميب .

قلت : لا خلاف بين علماء الأخبار ، من أهل الكتاب ، أن جبل الطور هذا هو الذى كلم الله تعالى ليه موسى عليه السلام عليه أو عنده ، وبه الى الآن دير يد الملكية ، وهو عامر ، وفيه بستان كبير به نخل وعنب وغير ذلك من الفواكه .

وقال الشافعى : وطور سيناء هو الجبل الذى تجلى فيه النور لموسى بن عمران عليه السلام ، وفيه صق ، والدير فى أعلى الجبل مبنى بخجر أسود ، عرض حصنه سبع أذرع ، وله ثلاثة أبواب حديد ، وفى غريبه باب لطيف ، وقدامه حجر أقيم : اذا أرادوا رفعه ورموه ، واذا قصدتهم أحد أرسلوه ، فانطبق على الموضع ، فلم يعرف مكان الباب .

وداخل الدير عين ماء ، وخارجه عين أخرى .

وزعم النصارى أن به نارا من أنواع النار التى كانت بيوت المقدس ، يقدون منها فى كل عشية ، وهى يضاء لطيفة ضعيفة الحر لا تحرق ، ثم تقوى اذا أوقد منها السراج . وهو عامر بالرهبان ، والناس يقصدونه ، وهو من الديارات الموصوفة . قال ابن عامر فيه :

ياراهب الدير ماذا الضوء والنور
فقد أضاء بسا فى ديرك الطور

هل حلت الشمس فيه دون أبرجها
أو غيب البدر فيه وهو مستور

فقال ما حله شمس ولا قمر
لكن تقرب فيه اليوم قورين

قلت : ذكر مؤرخو النصارى أن هذا الدير أمر بمسارته يوسطيانوس ، ملك الروم بقسطنطينية ، فعمل عليه حصن فوقه عدة قلالي ، وأقيم فيه الحرس لحفظ رهبانه من قوم يقال لهم بنو صالح من المبرب . وفى أيام هذا الملك كان المجمع الخامس من مجامع النصارى .

وبينه وبين القزم - وكانت مدينة - طريقان : أحدهما فى البر والأخرى فى البحر ، وهما جميعا يؤديان الى مدينة فاران ، وهى من مدائن العمالة ، ثم منها الى الطور مسيرة يومين ، ومن مدينة مصر الى القزم ثلاثة أيام ، ويصعد الى جبل الطور ستة آلاف وستمائة وست وستين مرقاة .

وفى نصف الجبل كنيسة لايلاه النبى ، وفى قلته كنيسة ، على اسم موسى عليه السلام ، بأساطين من رخام وأبواب من صفر ، وهو الموضع الذى كلم الله تعالى فيه موسى ، وقطع منه الألواح ، ولا يكون فيها الا راهب واحد للخدمة ، ويزعمون أنه لا يقدر أحد أن يبيت فيها ، بل يها له موضع من خارج بيت فيه . ولم يبق لهاتين الكنيسيتين وجود .

« دير البنات بقصر الشمع بمصر » : وهو على اسم يوجرج . وكان مئاس النيل قبل الاسلام ، وبه آثار ذلك الى اليوم .

« ما النصرارى العقبة والملكية » رجاءهم ونائلهم ، من الديارات بأرض مصر قبله وبحرهم ، وعدتها ستة وثلاثون ديرا منها للعقبة ٥٥٥٥ دير ، والملكية ١٠٥٥٥

ذكر كنائس النصارى

قال الازهرى : كنيسة اليهود جميعها كائس ، وهي مصرية أصلها كنيسة . انتهى . وقد نظف العرب بذكر الكنيسة . قال المس بن مرداس السلى :

يندرون بى فى كل كنيسة
وما كان قومي يتنون الكنائس
وقال ابن قيس الرقيات :

كلها دمية مصورة

فى يمينه من كائس الروم

« كنيسة الخندق » : ظهر القاهرة . احدثها على اسم غبريال الملاك ، والآخرى على اسم مرقوريوس ، وعرفت برويس ، وكان راهبا مشهورا بعد سنة ثمانمائة . وعند هذين الكيتين يتبر النصارى موتهم ، وتعرف بقبرة الخندق . وعسرت هذان الكيتين خوف عن كائس الخندق فى الأيام الاممية .

« كنيسة حرة زوييه بقاهرة » : كنيسة عظمه عند النصارى عقبة . وهي على اسم

الملك المنصور

السيدة ، وزعموا أنها قدسة تعرف بالحكيم زابون ، وكان قبل الملة الاسلامية يحسب رائين وسبعين سنة ، وأنه صاحب علوم شتى ، وإن له كنزا عظيما نوصل اليه من بشر هناك .

« كنيسة تعرف بالمعينة » : بحارة الروم من القاهرة ، على اسم السيدة مريم ، وليس للعقبة بالقاهرة سوى هاتين الكيتين .

وكان بحارة الروم أيضا كنيسة أخرى ، يقال لها كنيسة بربرة ، هدمت فى سنة ثمان عشرة وبعمالة . وسبب ذلك أن النصارى رفعوا قصة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون يستأون الاذن فى اعادة ما تهدم منها ، فاذن لهم فى ذلك ، فعبروها أحسن ما كانت . فغضبت طائفة من المسلمين ، ورفعوا قصة للسلطان بأن النصارى أحدثوا بجانب هذه الكنيسة بناء لم يكن فيها ، فرسم للأمير علم الدين منجر الخازن والى القاهرة بهدم ما جدوده .

فركب ، وقد اجتمع الخلائق ، فبادروا وهدموا الكنيسة كلها فى أسرع وقت ، وأقاموا فى موضعها محرابا ، وأذنوا وصلوا وقرأوا القرآن ، كل ذلك بأيديهم ، فلم تكن معارضتهم خشية الفتنة . فشد الأمر على النصارى ، وشكوا أمرهم للقضى كريم الدين نضر الحصى ، فقدم وقعد غضبا لدين أسلافه ، وما زال بالسلطان حتى رسم بهدم المحراب ، فهدم وصار موضعه كوم تراب ، ومضى الحال على ذلك .

« كنيسة بومنا » : هذه الكنيسة قريبة من السد ، فيما بين الكيمان بطريق مصر ، وهي ثلاث كنائس متجاورة : احداها للعقبة ، والآخرى للريان ، وأخرى للأرمن . ولها عيد فى كل سنة تجتمع اليه النصارى .

« كنيسة المعلة » بمدينة مصر ، فى خط قصر الشمع ، على اسم السيدة . وهي جليظة القدر عندهم ، وهي غير القلاية التى تقدم ذكرها .

« كنيسة شنودة » بمصر : نسبت لأبى شنودة الراهب القديم ، وله أخبار : منها أنه كان ممن يطوى فى الأربعين اذا صام ، وكان تحت يده ستة آلاف راهب يتقوت هو واباهم من عمل الخوص ، وله عدة مصنفات .

« كنيسة مريم » : بجوار كنيسة شنودة . هدمها على بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ، أمير مصر ، لما ولى من قبل أمير المؤمنين الهادى موسى فى سنة تسع وستين ومائة ، وهدم كنائس محرس قسطنطين ، وبذل له النصارى فى تركها خمسين ألف دينار فامتنع .

فلما عزل بموسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، فى خلافة هارون الرشيد ، أذن موسى بن عيسى للنصارى فى بناء الكنائس التى هدمها على ابن سليمان ، فبنيت كلها بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ، وقالوا : هو من عمارة البلاد ، واحتج بأن الكنائس التى بمصر لم تبين الا فى الاسلام فى زمن الصحابة والتابعين .

« كنيسة بوجرج الثقة » : هذه الكنيسة فى درب ، بخط قصر الشمع بمصر ، يقال له درب الثقة ، ويجاورها كنيسة سيدة بوجرج .

« كنيسة بربرة » بمصر : كبيرة جليظة عندهم ، وهي تنسب الى القديسة بربرة الراهبة ، وكان فى زمانها راهبان بكران ، وهما ايسى وتكلة ، يعملان لهن عيد عظيم بهذه الكنيسة يحضره البطريق .

« كنيسة بوسرحة » : بالقرب من بربرة ، بجوار زاوية ابن النعمان ، فيها مقبرة يقال ان المسيح وأمه مريم عليهما السلام جلس بها .

« كنيسة بابليون » : فى قبلى قصر الشمع بطريق جسر الأفرم . وهذه الكنيسة قديمة جدا ، وهي لطيفة ، ويذكر أن تحتها كنز بابليون ، وقد خرب ما حولها ،

« كنيسة تاودورس الشهيد » : بجوار بابليون . نسبت للشهيد تاودورس الاسفهلار .

« كنيسة بومنا » : بجوار بابليون أيضا . وهاتان الكيتان مفلوقتان لخراب ما حولهما .

« كنيسة بومنا » : بالعمراء ، وتعرف العمراء اليوم بخط قناطر السباع ، فيما بين القاهرة ومصر . وأحدثت هذه الكنيسة ، فى سنة سبع عشرة ومائة من سنى الهجرة ، باذن الوليد بن رفاعة أمير مصر . فغضب وهيب اليحصي ، وخرج على السلطان ، وجاء الى

(ج) من ١١١١ ج ٢ ، ط ٢ ، بولاق ٢٠

ابن رفاعه لفتك به ، فأخذ وقتل ، وكان وهيب مدبراً من اليمن قدم الى مصر .

فخرج القراء على الوليد بن رفاعه غضباً لوهيب وقتلوه . وصارت معونة ، امرأة وهيب ، تطوف ليلاً على منازل القراء تحرضهم على الطلب بدمه ، وقد حلت رأسها ، وكانت امرأة جزلة . فأخذ ابن رفاعه أبا عيسى مروان ابن عبد الرحمن الحصبي بالقراء ، فاعتذر وخلي ابن رفاعه عنهم ، فكنت الفتنة بعدما قتل جماعة .

ولم تزل هذه الكنية بالحمراء الى أن كانت واقعة هدم الكنائس ، في أيام الناصر محمد بن قلاوون ، على ما يأتي ذكر ذلك والخبر عن هدم جميع كنائس أرض مصر وديارات النصارى في وقت واحد .

« كنية الزهرى » : كانت في الموضع الذي فيه اليوم البركة الناصرية ، بالقرب من قناطر الباع ، في بر الخليج العربى غربى الموق .

وافق في أمرها عدة حوادث . وذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما أنشأ ميدان المهارى ، المجاور لقناطر الباع ، في سنة عشرين ومبعمائة ، قصد بناء زربية على النيل الأعظم بجوار الجامع الطيرسى . فأمر بنقل كوم تراب كن هناك ، وحفر ما تحته من لطين لأجل بناء الزربية ، وأجرى الماء الى مكان الحفر ، فصار يعرف الى اليوم بالبركة الناصرية .

وكان انشروع في حفر هذه البركة من آخر شهر ربيع الأول سنة احدى وعشرين

ومبعمائة . فلما انتهى الحفر الى جانب كنية الزهرى - وكان بها كثير من النصارى لا يزالون فيها ، وبجانبها أيضاً عدة كنائس في الموضع الذى يعرف اليوم بحكر أقبا ما بين السبع سقايات وبين قنطرة السد خارج مدينة مصر - أخذ القملة في الحفر حول كنية الزهرى ، حتى بقيت قائمة في وسط الموضع الذى عينه السلطان ليحفر ، وهو اليوم بركة الناصرية ، وزاد الحفر حتى تعلقت الكنية .

وكان القصد من ذلك أن تستقط من غير قصد لخرابها ، وصارت العامة ، من غلمان الأمراء العبالين في الحفر ، وغيرهم في كل وقت يصرخون على الأمراء في طلب هدمها ، وهم يتغافلون عنهم . الى أن كان يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الآخر من هذه السنة ، وقت اشتغال الناس بصلاة الجمعة ، والعمل من الحفر بطل ، فتجمع عدة من غوغاء العامة بغير مرسوم السلطان ، وقالوا بصوت عال مرتفع : الله أكبر ، ووضعوا أيديهم بالمساحى ونحوها في كنية الزهرى ، وهدموها حتى بقيت كوما ، وقتلوا من كان فيها من النصارى ، وأخذوا جميع ما كان فيها .

وهدموا كنية بومنا التي كانت بالحمراء ، وكانت معظمة عند النصارى من قديم الزمان ، وبها عدة من النصارى قد انقطعوا فيها ، ويحمل اليهم نصارى مصر سائر ما يحتاج اليه ، ويبيع اليها بالنذور الجليلة والصدقات الكثيرة . فوجد فيها مال كثير ما بين نقد ومصابغ وغيره ، وتسلق العامة الى أعلاها ،

وفتحوا أبوابها ، وأخذوا منها مالا وقماشاً وجرار خمر ، فكان أمراً مهولاً .

ثم مضوا من كنية الحمراء ، بعدما هدموها ، الى كنيتين بجوار السبع سقايات - تعرف احدهما بكنية البنات ، كان يسكنها بنات النصارى وعدة من الرهبان - فكسروا أبواب الكنيتين ، وسبوا البنات - وكن زيادة على ستين بنتاً - وأخذوا ما عليهن من الثياب ، ونهبوا سائر ما ظفروا به ، وحرقوا وهدموا تلك الكنائس كلها ، هذا والناس في صلاة الجمعة .

فعندما خرج الناس من الجوامع ، شاهدوا هولا كبيراً من كثرة الغبار ودخان الحريق ، ومرج الناس وشدة حركاتهم ومعهم ما نهبوه ، فما شبه الناس الحال لهوله الا يوم القيامة ، وانتشر الخبر ، وطار الى الرملة تحت قلعة الجبل . فسمع السلطان ضجة عظيمة ورجة منكرة أفزعته ، فبعث لكشف الخبر ، فلما بلغه ما وقع انزعج انزعاجاً عظيماً ، وغضب من تجرى العامة واقدامهم على ذلك بغير أمره ، وأمر الأمير أيدغش أميرأخور أن يركب بجماعة الأوشاقية ، ويتدارك هذا الخلل ، ويقبض على من فعله .

فأخذ أيدغش يتهيأ للركوب ، واذا بخبر قد ورد من القاهرة أن العامة ثارت في القاهرة ، وخرت كنية بحارة الروم وكنية بحارة زويلة . وجاء الخبر من مدينة مصر أيضاً بأن العامة قامت بمصر في جمع كثير جداً ، وزحفن الى كنية المعلقة بقصر الشمع ، فأغلقتها النصارى وهم محصورون بها ، وهى على أن تؤخذ .

فترايد غضب السلطان ، وهم أن يركب بنفسه ، ويطش بالعامة ، ثم تأخر لما راجعه الأمير أيدغش ، ونزل من القلعة في أربعة من الأمراء الى مصر ، وركب الأمير بيرس الحاجب والأمير الماسن الحاجب الى موضع الحفر ، وركب الأمير طينال الى القاهرة ، وكل منهم في عدة وافرة ، وقد أمر السلطان بقتل من قدروا عليه من العامة بحيث لا ينفو عن أحد .

فقامت القاهرة ومصر على ساق ، وفرت النهاية ، فلم يظفر الأمراء منهم الا بمن عجز عن الحركة بما غلبه من السكر بالخمر الذى نهبه من الكنائس ، ولحق الأمير أيدغش بمصر ، وقد ركب الوالى الى المعلقة قبل وصوله ليخرج من زقاق المعلقة من حضر للنهب ، فأخذ الرجم حتى فر منهم ، ولم يبق الا أن يحرق باب الكنية .

فجرد أيدغش ومن معه السيوف يريدون الفتك بالعامة ، فوجدوا عالماً لا يقع عليه حصر ، وخاف سوء العاقبة فأمسك عن القتل ، وأمر أصحابه بأرجاف العامة من غير اهراق دم ، ونادى مناديه : من وقف حل دمه . ففر سائر من اجتمع من العامة وتفرقوا ، وصار أيدغش واقفاً الى أن أذن المصر خوفاً من عود العامة ، ثم مضى وألزم والى مصر أن يبيت بأعوانه هناك ، وترك معه خمسين من الأوشاقية .

وأما الأمير الماسن فانه وصل الى كنائس الحمراء وكنائس الزهرى ليتداركها ، فإذا بها

بد بقيت كسافة ليس بها جدار قائم ، فعاد
وعاد الأمراء ، فردوا الخبر على السلطان وهو
لا يزداد الا حنقا ، فما زالوا به حتى سكت
غضبه .

وكان الأمر في هدم هذه الكنائس عجبا
من العجب . وهو أن الناس لما كانوا في
صلاة الجمعة من هذا اليوم بجامع قلعة
الجبل ، فمتلما فرغوا من الصلاة ، قام رجل
موله وهو يصيح من وسط الجامع : اهدموا
الكنيسة التي في القلعة اهدموها ، وأكثر من
الصياح المزعج حتى خرج عن الحد ، ثم
اضطرب .

فتعجب السلطان والأمراء من قوله ، ورسم
لنقيب الجيوش والحاجب بالنحس عن ذلك ،
فمنعوا من الجامع الى خرائب التراب من القلعة ،
فاذا فيها كنيسة قد بنيت فهدموها ولم يفرغوا
من هدمها حتى وصل الخبر بواقعة كنائس
الحمراء والقاهرة ، فكثر تعجب السلطان من
شأن ذلك الفتي ، وطلب فلم يوقف له على
خير .

واتفق أيضا بالجامع الأزهر أن الناس لما
اجتمعوا في هذا اليوم لصلاة الجمعة ، أخذ
شخصا من الفقهاء مثل الرعدة ، ثم قام بعدما
أذن قبل أن يخرج الخطيب ، وقال : اهدموا
كنائس الفتيان والكفرة ، نعم الله أكبر فتح
الله ونصره ، وصار يزعج نفسه ، ويصرخ من
الأساس الى الأساس . فحلق الناس بالنظر
اليه ، ولم يدروا ما خبره ، واقتربوا في
أمره ، فقتل : هذا مجنون ، وقائل : هذه
إشارة لشيء . فلما خرج الخطيب أمسك عن
الصياح . وذهب بمد انتفاخ الصلاة فلم

يوجد ، وخرج الناس الى باب الجامع ، قرأوا
النسابة ومعهم أخصاب الكنائس ونسب
النصارى وغير ذلك من التهور ، فآلوا عن
الخبر ، فقبل قد نادى السلطان بخراب
الكنائس ، فظن الناس الأمر كما قيل ، حتى
تبين بعد قليل أن هذا الأمر إنما كان من غير
أمر السلطان . وكان الذي هدم في هذا اليوم
من الكنائس بالقاهرة : كنيسة بحارة الروم ،
وكنيسة بالبندينيين ، وكنيستين بحارة
زويلة .

وفي يوم الأحد الثالث من يوم الجمعة
— الكائن فيه هدم كنائس القاهرة ومصر —

ورد الخبر من الأمير بدر الدين يلبك
المحسنى ، والى الاسكندرية ، بأنه لما كان يوم
الجمعة تاسع ربيع الآخر بعد صلاة الجمعة ،
وقع في الناس هرج ، وخرجوا من الجامع
وقد وقع الصياح : هدمت الكنائس . فركب
المملوك من فوره ، فوجد الكنائس قد صارت
كوما ، وعدتها أربع كنائس ، وأن بطاقة وقمت
من والى البحيرة : بأن كنيستين في مدينة
دمشقر هدمتا والناس في صلاة الجمعة من
هذا اليوم ، فكثر التعجب من ذلك .

الى أن ورد في يوم الجمعة سادس عشره
الخبر ، من مدينة قوص ، بأن الناس عندما
فرغوا من صلاة الجمعة في اليوم التاسع
من شهر ربيع الآخر ، قام رجل من الفقهاء
وقال : يا فقهاء اخرجوا الى هدم الكنائس .
وخرج في جمع من الناس ، فوجدوا الهدم قد
وقع في الكنائس ، فهدمت ست كنائس كانت
بقوص وما حولها في ساعة واحدة .

وتواتر الخبر من الوجه القبلى والنوحه
البحرى بكثرة ما هدم في هذا اليوم ، وقت
صلاة الجمعة وما بعدها ، من الكنائس
والأديرة في جميع إقليم مصر كنه ما بين
قوص والاسكندرية ودمياط . فأنشد حنقى
السلطان على العامة خوفا من فساد الحال ،
وأخذ الأمراء في تكسين غضبه ، وقالوا :
هذا الأمر ليس من قدرة البشر فعله ، لو
أراد السلطان وقوع ذلك على هذه الصورة
لما قدر عليه ، وما هذا الا بأمر الله سبحانه
وبقدره لما علم من كثرة فساد النصارى
وزيادة طغيانهم ، ليكون ما وقع نقمة وعذابا
لهم .

هذا والعامة بالقاهرة ومصر قد اشتد
خوفهم من السلطان ، لما كان يلغهم عنه من
التهديد لهم بالقتل ، ففر عدة من الأوباش
والفوغاء ، وأخذ القاضي * فخر الدين ، ناظر
الجيش ، في ترجيع السلطان عن القتل بالعامة
وسيامة الحال معه ، وأخذ كريم الدين الكبير
— ناظر الخاص — يعرض بهم الى أن أخرجه
السلطان الى الاسكندرية بسبب تحصيل
المال ، وكشف الكنائس التي خربت بها .

فلم يمض سوى شهر من يوم هدم الكنائس
حتى وقع الحريق بالقاهرة ومصر في عدة
مواضع ، وحصل فيه من الشناعة أضعاف ما
كان من هدم الكنائس . فوقع الحريق في
ربع بخت الشوائين من القاهرة في يوم
السبت عاشر جمادى الأولى ، وسرت النار

(*) من ١٢٠٥ هـ ، ط * بولاق *

الى ما حوله ، واستمرت الى آخر يوم
الأحد . فتلغ في هذا الحريق شيء كثير .

وعندما انتهى وقع الحريق بحارة الديلم ،
في زقاق العريسة ، بالقرب من دور كريم
الدين ناظر الخاص في خامس عشرى جمادى
الأولى ، وكانت ليلة شديدة الريح ، فسرت
النار من كل ناحية حتى وصلت الى بيت كريم
الدين . وبلغ ذلك السلطان ، فانزعج ازعاجا
عظيما لما كان هناك من الحواصل السلطانية ،
وسير طائفة من الأمراء لاصقائه ، فجمعوا
الناس لاصقائه ، وتكاثروا عليه .

وقد عظم الخطب من ليلة الاثنين الى ليلة
الثلاثاء ، فتزايد الحال في اشتعال النار ،
وعجز الأمراء والناس عن إطفائها لكثرة
انتشارها في الأماكن وقوة الريح التي ألت
بأسفات النخل ، وغرقت المراكب ، فلم يشك
الناس في حريق القاهرة كلها ، وصعدوا
المآذن ، وبرز الفقهاء وأهل الخير والصالح ،
وضجوا بالتكبير والدعاء وجأروا ، وكثر
صراخ الناس وبكاءهم ، وصعد السلطان الى
أعلى القصر فلم يتمالك الوقوف من شدة
الريح .

واستمر الحريق والاستحثاث يرد على
الأمراء من السلطان في إطفائه الى يوم
الثلاثاء . فنزل نائب السلطان ومعه جميع
الأمراء وسائر السقائين ، ونزل الأمير يكتمر
الساقى ، فكان يوما عظيما لم ير الناس
أعظم منه ولا أشد هولاً .

ووكل بأبواب القاهرة من يرد السقائين اذا
خرجوا من القاهرة لأجل اطفاء النار ، فلم يبق

له ، فخرج من ذلك . وعندما رآه الميدان ،
أحضر إليه الحارث نصراني قد قبض عليها
وهما يحرقان القصور ، فأمر بتحريرهما ،
فأخرجوا وصل لهما حفرة ، وأحرقا بمرأى من
الناس .

وبينا هم في احراق النصرانيين اذا بديوان
الأمير بكتر الساقى قد مر يريه بيت الأمير
بكتر ، وكان نصرانيا ، فعندما عاينه العامة ،
ألقوه عن دابته إلى الأرض ، وجردوه من
جميع ما عليه من الثياب ، وحملوه ليلقوه في
النار ، فصاح بالشهادين ، وأمر بالإسلام .
فأضيق .

واتفق مع هذا مرور كريم الدين ، وقد
لبس التشريف من الميدان ، فرجحه من هناك
رجلا متعبا ، وصاحوا به : كم تعامى
للتتارى وتشد معهم ، ولعنوه وسبوه . فلم
يجد بدا من العودة إلى السلطان وهو بالميدان
وقد اشتد قبح المعاملة وسياحهم حتى
سمعهم السلطان .

فلما دخل عليه ، وأعطاه الخبر ، امتلا
غصبا ، واستشار الأمراء - وكان يحضره
منهم الأمير جمال الدين نائب الكرك ، والأمير
ميف الدين البوبكرى ، والخطيرى ، وبكتر
الحاجب فى عدة أخرى - فقال لأبوبكرى :
المعاملة عسى ، والمصلحة أن يخرج إليهم
الحاجب ، ويسألهم عن اختيارهم حتى يعلم .
فكره هذا من قوله السلطان ، وأعرض عنه .

فقال نائب الكرك : كن هذا من أجل
الكتاب التتارى ، فإن الناس يفضوهم .
وأرأى أن السلطان لا يعمل فى العامة شيئا ،

ولما بعزل التتارى من الديوان . فلم يعجبه
هذا رأى أيضا ، وقال للأمير الناس
الحاجب : امض ومعه أربعة من الأمراء ،
وضع السيف فى العامة ، من حين تخرج من
باب الميدان إلى أن تصل إلى باب زويلة ،
وأحرب فيهم بالسيف من باب زويلة إلى باب
النصر بحيث لا ترفع السيف عن أحد
أبنة .

وقال نوابي الدهرة : اركب إلى باب الموق
والى باب البحر ، ولا تدع أحدا حتى تقبض
عليه وتضع به إلى القلعة ، ومتى لم تحضر
الذين رجعوا وكيلى (يعنى كريم الدين) والا
وحياة رأسى شئتك عوضا عنهم ، وعين معه
عدة من السالكين السلطانية .

فخرج الأمراء بعدما تكلموا فى المسير حتى
استقر الخبر . فلم يجدوا أحدا من الناس
حتى ولا غلمان الأمراء وحواشيهم . ووقع
قول بذلك فى الدهرة ، ففلقت الأسواق
جميعها ، وحل بالناس أمر لم يسمع بأشد
منه . وسار الأمراء فلم يجدوا فى طول طريقهم
أحدا إلى أن بلغوا باب النصر ، وقبض الوالى
من باب الموق وناحية بولاق وباب البحر
كثيرا من الكلابية والنواية وأسقاط الناس .

فأشد الخوف ، وعندى كثير من الناس
إلى البر الغربى بالجيزة ، وخرج السلطان من
الميدان ، فلم يجد فى طريقه إلى أن صعد
قلعة الجبل ، أحدا من العامة . وعندما استقر
بالقلعة ، سار إلى الوالى يستعجل حضوره ،
فما غربت الشمس حتى أحضر ممن أمسك من

المراد ج ٢ . ط . يولى .

العامة نحو مائتى رجل . فعزل منهم مائة أمير
بشتهم ، وجعلة رسم بتوسطهم ، وجعلة
رسم بقطع أيديهم .

فصاحوا بأجمعهم : يحول ، ما يعمل لك
ما نحن الذين رجعت . فبكى الأمير بكتر
الساقى ، ومن حضر من الأمراء رحمة لهم ،
وما زالوا بالسلطان إلى أن قال للوالى : اعزل
منهم جماعة ، وانصب الخشب من باب زويلة
إلى تحت القلعة بسوق الخيل . وعلق هؤلاء
بأيديهم . فلما أصبح يوم الأحد ، علق
الجميع من باب زويلة إلى سوق الخيل ، وكان
فيهم من له بزة وميعة ، ومر الأمراء بهم ،
فتوجعوا لهم وبكوا عليهم . ولم يفتح أحد
من أرباب الحوانيت بالقاهرة ومصر فى هذا
اليوم حانوتا ، وخرج كريم الدين من داره
يريد القلعة على العامة ، فلم يستطع المرور
على المصلوبين ، وعدل عن طريق باب زويلة .

وجلس السلطان فى الشباك ، وقد أحضر
بين يديه جماعة ممن قبض عليهم الوالى ،
فقطع أيدي وأرجل ثلاثة منهم ، والأمراء لا
يتدرون على الكلام معه فى أمرهم لشدة
حنقه . فتقدم كريم الدين ، وكشف رأسه ،
وقبل الأرض وهو يسأل العفو ، فقبل
سؤاله وأمر بهم أن يعملوا فى حفر الجيزة ،
فأخرجوا وقد مات ممن قطع أيديهم اثنان ،
وأثر الملقون من على الخشب .

وعندما قام السلطان من الشباك ، وقع
الصوت بالحرق فى جهة جامع ابن طولون ،
وفى قلعة الجبل ، وفى بيت الأمير ركن الدين
الأحمدى بحارة بهاء الدين ، وبالقنطرة خارج

باب البحر من القنس ، وما فوقه من الريح .
وفى صيحة يوم هذا الحرق ، قبض على
ثلاثة من التتارى وجد معهم فتائل التفت ،
فأحضروا إلى السلطان ، واعترفوا بأن الحرق
كان منهم ، واستمر الحرق فى الأماكن إلى
يوم السبت .

فلما ركب السلطان إلى الميدان على عادته ،
وجد نحو عشرين ألف نفس من العامة قد
صبغوا خرقا بلون أزرق ، وعللوا فيها صلبا
بيضا ، وعندما رأوا السلطان صاحوا بصوت
عال واحد : لا دين الا دين الاسلام . نصر
الله دين محمد بن عبد الله . يملك انتاصر
يا سلطان الاسلام انصرا على أهل الكفر ، ولا
تتصر التتارى .

فارتجت الدنيا من هول أصواتهم ، وأوقع
الله الرعب فى قلب السلطان وقتوب الأمراء ،
وسار وهو فى فكر زائد حتى نزل بالميدان ،
وصراخ العامة لا يطم . فرأى أن رأى فى
استعمال المدارة ، وأمر الحاجب أن يخرج
وينادى بين يديه : من وجد نصرانيا فله ماله
ودمه ، فخرج وهدى بذلك ، فصاحت العامة
وصرخت : نصرك الله ، وضجوا بالدعاء .

وكان التتارى يلبسون المعائم البيض ،
فتودى فى القاهرة ومصر : من وجد نصرانيا
بمعاملة يضاء حل له دمه وماله ، ومن وجد
نصرانيا راكبا حل له دمه وماله . وخرج
مرسوم بلبس التتارى المعامة الزرقاء ،
والا يركب أحد منهم فرسا ولا بغلا ، ومن
ركب حمارا فليركبه مقلوبا ، ولا يدخل
نصرانى الحمام الا وفى عنقه جرس ، ولا يتربا
أحد منهم بوزى المسلمين .

ومع إمرأه من استخدام الصاري ،
وأخرجوا من غوار السنان . وكان السنان
أصله بصري مع شريك من السري .
وكرر دفعه فليس بصاري حتى تركوا
السمي في السنان ، وأسلم منه جماعة
كثيرة . وكان اليهود قد سلكوا في هذه
المنه . فكرر السري في الزمان فخرج من
مصر . فمصر هذه صغرى من أقاليم
اليهود . وبقية حتى يسلم من العامة .

ومن أن بعض ذوي دين الصاري كان
عنه يهودي مع أرميه آلاف درهم بركة .
فقد أرى بيت اليهودي وهو مكر في بيت
ليطيه . فملكه يهودي وقتل أرميه
وأسلم . ووضح . فاحتج السري لأحد
النصارى . فذكر أن دخل بيت اليهودي ،
واستجر إمرأته . وأشهد عليه بانه يهودي
حتى حش منه . وعثر على صفة من الصاري
يسير بحسن مرسوم لفظ لا حرق لأمكن .
فقبض عليهم وسرو .

ويروي في السري بأمر . وأما يفرجون
في غلهم عند ركوب السنان في اليد .
وذلك أنه كما قد تحوّلوا على أنفسهم
لكثرة ما توقعوا بالصاري ، وزادوا في
الخروج عن الحد فقتلوا ، وأخرجوا على
الحد إلى جهة السنان ، ودعوا السنان ،
وصاروا يقولون : فترك الله السنان
الأرض . فطحن السنان . وتعجب
السنان ذلك ، وتبسم من قولهم . وفي بيت
البيت وقع حريق في بيت الأمير فاحس الحجاب
من الضمة ، وكان الريح شديدا ، فقتل السنان
وسرت في بيت الأمير بيت . فأنزع أهل

المنه . وأما السرة : وحسبوا أن القامة
منها حرق .

ومن يسمع السنان من هذه الكيسة . وفيه
أحرق على يد الصاري . فمصره ربع في
سوق السنان . ووردن العربية بحارة
بها . وفيه سري من بجوار بيت كرم
السري . وفيه أماكن بحارة الروم ، ودار بشار
بحور السنان الحبي ، وأمكن بالسنان
السري . وورد السنان . وقدر أمير سلاح ،
وقدر سنان السنان بين السنان . وقدر
يسري . ودار السنان وجسود ، وفيه
السري . ودار السري . وفيه السنان
وذكر بين السري مرة زوية ، وفيه أماكن
بحر السري . وفيه السري . وفيه السنان
السري . وفيه السري من السنان . وفيه
السري من السنان . وفيه السنان . وفيه
السري من السنان . وفيه السنان . وفيه

وحرب من السنان كيسة بحرب السنان
من السنان السنان . وكيسة السنان في السنان
السري فيه لأن السري السري . وكيسة
السري . وكيسة السنان السنان . وكيسة
السري بكيسة السنان . وكيسة السنان
وكيسة السنان السنان . وكيسة السنان
السري . وكيسة السنان السنان . وكيسة
السري بكيسة السنان . وكيسة السنان
السري . وكيسة السنان السنان . وكيسة
السري بكيسة السنان . وكيسة السنان
السري . وكيسة السنان السنان . وكيسة
السري بكيسة السنان . وكيسة السنان
السري . وكيسة السنان السنان . وكيسة
السري بكيسة السنان . وكيسة السنان

السري . وكيسة السنان السنان . وكيسة

السري ، وبسوق وأسوان إحدى عشرة
كيسة ، وبالسنان كيسة ، وبسوق
وردان من مدينة مصر ، وبالسنان وقدر
السنان من مصر ثمان كيسان . وخرب من
الديارات ثمانية كيسان ، وأقام دير البغل ودير
شهران مدة ليس لهما أحد .

وكانت هذه الخلوب العيلة في مدة
سيرة ، قلما يقع مثلها في الأزمان المتأولة ،
هلك فيها من الأتس ، وتلف فيما من الأموال
وخرب من الأماكن ، إلا يسكن وصفه
لكثرة ، وفيه عاقبة الأمور .

« كيسة ميكائيل » هذه الكيسة كانت
عند خليج بني النل خارج مدينة مصر ، قبل
عقبة حصص ، وهي الآن قريبة من جسر
الأنف ، أحدثت في الإسلام ، وهي ملحمة
الباء .

« كيسة مريم » : في بساتين الوزير قبلي
بركة الحبش ، خالية ليس بها أحد .

« كيسة مريم » بناحية المدوية من قبلها
قديمة ، وقد ثلاثت

« كيسة أنطونيوس » : بناحية يساض
قبلي الطنج ، وهي محدثة

وكان بناحية شرنوب عدة كنائس خربت ،
وبقي بناحية أمريت الجبل قبلي يساض
يومي .

« كيسة السيدة » : بناحية أشكر وعلى
بابها برج مبنى لمن كان ، يذكر أنه موضع
ولد موسى بن عمران عليه السلام

« كيسة مريم » : بناحية الخصوص ، وهي
بيت فعلوه كيسة لا يبا بها .

« كيسة مريم » : وفيه بغض القصور ،
وكيسة غبريال : هذه الكنائس الثلاث
بناحية أنوب .

« كيسة أسوطير » ومعناه المخلص : هذه
الكيسة بمدينة أخميم ، وهي كيسة معظمة
عندهم ، وهي على اسم الشهداء ، وفيها بئر
إذا جعل ماءها في القنديل صار أحمر قابضا
كانه الدم .

« كيسة ميكائيل » : بمدينة أخميم أيضا .
ومن عادة النصارى بهاتين الكيشتين إذا
علوا عيد الزتونة - المعروف بعيد
الثعالب - أن يخرج القسوس والشمامسة
بالمجانر والبخور والصلبان والأنجيل
والشموع المشعلة ، ويقفوا على باب القاصي ،
ثم أبواب الأعيان من السنين ، فيخروا
ويقروا فصلا من الانجيل ، ويترحموا له
طرحا ، يعني يدحونه .

« كيسة بوبخوم » : بناحية الله ، وهي
آخر كنائس الجباب الشرقي . وبخوم
- ويقال بخوميوس - كان راهبا في زمن
بوشنودة ، ويقال له أبو الشركة من أجل أنه
كان يربي الرهبان ، فيجعل لكل راهبين
مطبا ، وكان لا يسكن من دخول الغمر ولا
اللحم إلى ديره ، ويأمر بالصوم إلى آخر
التاسعة من النهار ، ويظم رهبانه الحصص
المسلوق - ويقال له عندهم حصص القلة -
وقد خرب ديره ، وبقيت كيسة هذه بأثني
قبلي أخميم .

« كيسة مرقس الانجيلي » بالجيزة :
خربت بعد سنة ثمانمائة ، ثم عمرت . ومرقس

هذا أحد الحواريين ، وهو صاحب كرم
مصر والحيثة .

« كيسة بوجرج » : بناحية أبي السرس
من جيرة . هلمت في سنة ثمانين ومبعدة
— كما تقدم ذكره — ثم أعيدت بعد ذلك .

« كيسة بوقار » : آخر أعمال الجيزة .

« كيسة شنودة » : بناحية هريش .

« كيسة بوجرج » بناحية يا : وهي جليته
عندهم يؤمنونها بالسنودس ، ويحفظون بها ،
ويحكون لها فضائل متعددة .

« كيسة ماروطا القديس » بناحية سسط :
وهم يبايعون في ماروطا هذا ، وكان من عطشه
وهبانه ، وجسده « في أنبوبة يدور بوشى
من بيرة شحات يزورونه إلى اليوم .

« كيسة مريم بالهنسا » : ويقال أنه كان
بالهنسا ثمانية وستون كيسة خربت كلها ،
ولم يبق بها إلا هذه الكنيسة لا غير .

« كيسة صويل » : راهب بناحية شبرى .

« كيسة مريم » : بناحية ضبدي ، وهي
قديمة .

« كيسة ميخائيل » : بناحية ضبدي ، وهي
كيسة قديمة ، وكان هناك كنائس كثيرة
خربت . وكثر أهل ضبدي نصارى أصحاب
صانع .

« كيسة المصطفى » : على نهر بناحية
شبي : وهي كبيرة جدا .

« كيسة مريم » : بناحية ضبدي .

« كيسة مريم » : بناحية شبي أيضا ،
وهي قديمة .

« كيسة ميخائيل » : كيسة عبرية ، بناحية
شبي أيضا . وكان بهذه الناحية مائة وستون
كنيسة ، حُرِبَ كلها إلا هذه الكنيسة الأربع
وكثر أهل شبي نصارى ، وعليهم الدرك في
الحرارة . وبظهرها آثار كنائس يصلون فيها
أعمالهم : منها كيسة بوجرج ، وكيسة
مريم ، وكيسة ماروطا ، وكيسة بربرة ،
وكيسة كثرين . وهو جبريل عليه السلام .

وفي ميه بن حصب كنائس : كيسة
المعلمة وهي كيسة السيدة ، وكيسة بطرس
وبولس ، وكيسة ميخائيل ، وكيسة
بوجرج ، وكيسة أبنا بولا الضموي ،
وكيسة ثلاث فتية — وهم حانيا ، وغزاليا ،
ومصائل — وكانوا أجنادا في أيام بنى
نصر ، فمبدوا الله تعالى خفية .

فما عثروا عليهم ، راودهم بحث نصر أن
يرجعوا إلى عبادة الأصنام ، فامتنعوا من ذلك
فسجنهم مدة ليرجعوا ، فلم يرجعوا ،
فأخرجهم وأتاهم في النار فلم تحرقهم .
والنصارى تعظمهم وإن كانوا قبل المسيح
بدهر .

« كيسة بناحية ضح » : على اسم الحواريين
الذين يقن لهم عندهم الرسل .

« كيسة مريم » : بناحية ضحا أيضا .

« كيسة الحكيمين » : بناحية منهرى : لها
عيد عظيم في شبي يحضره الأرستق ، ويقام
هناك سوق كبير في العيد . وهذان الحكيمان
هما قزمان وديان الراهبان .

« كيسة السيدة » : بناحية بقرقاس : قديمة
كبيرة .

« بناحية ملوى » : كيسة « كيسة الرسل » ،
« كيسة خراب » : أحدهما على اسم بوجرج ،
والأخرى على اسم الملك ميخائيل .

« بناحية دلجة » : كنائس كثيرة لم يبق منها إلا
ثلاث كنائس : كيسة السيدة وهي كبيرة ،
وكيسة شنودة ، وكيسة مرقورة . وقد
تلاشت كلها .

« بناحية صنو » : كيسة أبنا بولا ، وكيسة
بوجرج . وصنو كثيرة النصارى .

« بناحية بيلو » : وهي بحرى صنو —
كيسة قديمة ، بجانبها الغربى ، على اسم
جرجس وبها نصارى كثيرون فلاحون .

« بناحية دروط » : كيسة ، وفي خارجها شبه
الدير على اسم الراهب ساراماتون ، وكان في
زمان شنودة ، وعسل أسقا ، وله أخبار
كثيرة .

« بناحية بوق » : بنى زيد كيسة كبيرة على
اسم الرسل ، ولها عيد .

« بالقوصية » : كيسة مريم ، وكيسة غبريال .

« بناحية دمشير » : كيسة الشهيد مرقوريوس
وهي قديمة ، وبها عدة نصارى .

« بناحية أم القصور » : كيسة بويخس
القصور ، وهي قديمة .

« بناحية بلوط » : من ضواحي منفوط ،
كنيسة ميخائيل ، وهي صغيرة .

« بناحية البلاعة » : من ضواحي منفوط ،
كنيسة صغيرة يقيم بها القسيس بأولاده .

« بناحية ثقيل » : ثلاث كنائس كبار قديمة :
أحدها على اسم الرسل ، وأخرى باسم
ميخائيل ، وأخرى باسم بونا .

« بناحية منشاء » : كيسة ميخائيل ،
وبمدينة سيوط كيسة بوسدرة ، وكيسة
الرسل ، وبخارجها كيسة بومنا .

« بناحية درلقة » : كيسة قديمة جدا على
اسم الثلاثة فتية : حانيا ، وغزاليا ،
ومصائل ، وهي مورد لقراء النصارى .
ودرلقة أهلها من النصارى يعرفون اللغة
القبيلية ، فيتحدث صغيرهم وكبيرهم بها ،
ويسرونها بالعربية .

« بناحية رنفة » : كيسة بوقلقة ، الطيب
الراهب ، صاحب الأحوال العجيبة في مداواة
الرمدى من الناس ، وله عيد يعمل بهذه
الكنيسة ، وبها كيسة ميخائيل أيضا ، وقد
أكلت الأرض جانب رنفة الغربى .

« بناحية موشة » : كيسة مركبة على حمام ،
على اسم الشهيد بقطر ، ونبت في أيام
قسطنطين ابن هيلانة ، ولها رصيف عرضه
عشرة أذرع ، ولها ثلاث قباب ، ارتفاع
كل منها نحو الثمانين ذراعا ، مبنية بالحجر
الأبيض كلها ، وقد سقط نصفها الغربى ،
ويقال أن هذه الكنيسة على كثر تحتها ،
ويذكر أنه كان من سيوط إلى موشة هذه
مشاة تحت الأرض .

(١٨) مريم . ج . ط . بولس .

وبناحية بقور ، من صواحي بوتيخ ، كنيـة
قدسية شهيد اكنوديس . رمر بعدل عندهم
مرقوريوس وجا ارجيرس ، رمر أبر جرج ،
والاسفهلار فاندروس ، مباسس ، وكان
اكنوديس ابوه مرقولا دقلطيانوس عرف
هو بالندحة فتصر ، فأخذ الملك سذبه
نيرحم الى عادة الأصنام ، فثبت حتى قتل ،
وله أخبار كثيرة

وبناحية القضيعة كنيـة على اسم السيدة .
وكان بها أسقف ، يقال له ألدو ، يـنه
ويـنهم مافرة ، فدفنوه حيا ، رهم من شرار
النصارى معروفون لشر ، كان منهم
نصراني ، يقال له حرحس بن الراهب تملدى
نوره ، فضرب . قـنه الأمر جمال الدين
يوسف الأستاذار بالتاهرة فى أيام الناصر فرج
ابن يرقوق .

وبناحية بونج كائس كثيرة قد خربت .
وصار النصارى يصلون فى بيت لهم - ا ،
فإذا طلع النهار خرجوا الى آثار كنيـة ،
وعملوا لها سياجا من جريد شبه القنص ،
وأقاموا هناك عبادتهم .

ربناحية بومقروفة كنيـة قدسية لميخائيل ،
ولها عيد فى كل سنة . ر أهل هذه الناحية
نصارى أكثرهم رعاة غنم ، وهم مـج رفاع .

وبناحية دويـة كنيـة على اسم يوحنا
التصير ، وهى قبة عظيمة ، وكان بها رجل ،
يقال له يونس ، عمل أسقا ، واشتهر بمعرفة

علوم عديدة . فتمصبوا عليه حسدا منهم له
على علمه ، ودفنوه حيا وقد توكلت جسمه .

وبلمراغة التى بين ملها وطما كنيـة
وسمحة فنفاو كنيـة كبيرة ، وتعرف
نصارى هذه البلدة بمعرفة البحر ولحمه .
وكان بها فى أيام الظاهر يرقوق شاس ، يقال
له بصابيس ، له فى ذلك يد طولى ، ويحكى
عنه ما لا أحب حكايته لغراب

وبناحية فرشوط كنيـة ميخائيل ، وكنيـة
السيدة مارت مريم . وسدنة هو كنيـة
السيدة وكنيـة بومنا .

وبناحية بهجورة كنيـة الرسل . وباسنا
كنيـة مريم ، وكنيـة ميخائيل ، وكنيـة
يوحنا المعمدانى ، وهو حتى بن زكيا عليها
السلام . ر سقادة كنيـة السدة ، كنيـة
يوحنا المعمدانى ، وكنيـة عرسل ، وكنيـة
يوحنا الرحوم . وهو من أهل أنطاكية ذوى
الأموال ، فزهـد وفرق ماله كله فى الفقراء ،
وساح - وهو على دين النصرانية - فى
البلاد ، فعـل أبواه عزاهه ، وظنوا أنه قد
مات ، ثم قدم أنطاكية فى حالة لا يعرف
فيها ، وأقام فى كوخ على مزلة ، وأقام رفته
بما يلتقى على تلك المزلة حتى مات ، فلما
عملت جنازته كان ممن حضرها أبوه فعرف
غلاف انجيله ، فنحس عنه حتى عرف أنه ابنه
فدفنه ، وبني عليه كنيـة أنطاكية .

وبمدينة ققط كنيـة السيدة ، وكان
بسنون عدة كائس خربت بخرابها . وبمدينة
قوص عدة أديرة ، وعدة كائس خربت
بخرابها ، وبقي بها كنيـة السيدة ، ولم يبق
بالوجه القبلى من الكائس سوى ما تقدم
ذكرنا له .

وأما الوجه البحرى

ففى مية صرد ، من صواحي القاهرة ،
كنيـة السيدة مريم ، وهى جليـة عندهم

وبناحية سندوة كنيـة محدثة ، على اسم
بوجرج .

وبمرصفا كنيـة مستجدة ، على اسم
بوجرج أيضا .

وبسنود كنيـة على اسم الرسل ، عملت
فى بيت .

وبسباط كنيـة جليـة عندهم ، على اسم
الرسل .

وبسندفة كنيـة معتبرة عندهم ، على اسم
بوجرج .

وبالريمانية كنيـة السيدة ، ولها قدر
جليل عندهم .

وفى دميـاط أربع كائس للسيدة ،
وميخائيل . ويوحنا المعمدانى . ولارى
جرجس ، ولها مجد عندهم .

وبناحية بك العيد كنيـة محدثة ، فى
بيت مخفى ، على اسم السيدة .

وببحراوة كنيـة محدثة . فى بيت
مخفى . وفى لانة كنيـة ويحسى القصر ،
وبدمهور كنيـة محدثة ، فى بيت مخفى ،
على اسم ميخائيل ، وبالسكندرية المعلقة على
اسم السيدة ، وكنيـة بوجرج ، وكنيـة
يوحنا المعمدانى ، وكنيـة الرسل .

فهذه كائس العاقبة بأرض مصر .

ولهم بقرية كنيـة مريم ، ولهم بالقنص
القمامة ، وكنيـة صهيون .

وأما الملكية فلم بالقاهرة كنيـة ماري
تقولا بالبندقائين ، وبمصر كنيـة غرمال
الملاك بخط قصر الشمع ، وبها قلابة ليبركهم
وكنيـة السيدة بقصر الشمع أيضا ، وكنيـة
الملاك ميخائيل بجوار بربارة بمصر ، وكنيـة
ماريوحنا بخط دير الطين . والله أعلم .

وهذا آخر الجزء الثانى ، وبتمامه تم الكتاب ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على
من لا نبي بعده ، ورضى به عن أصحاب رسول الله أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ،
ولا عدوان الا على الظالمين .

يقول^١ المستعين بربه القوى ، محمد ابن
المرحوم الشيخ عبد الرحمن قنله المدوي ،
مصحح دار الطباعة المصرية ، طبعه الله من
الخير كل أمنية ان من جملة المحاسن
المصدوحة بكل لسان ، أحاسن الآثار التي
فضلها عن اليان ، التي ظهرت في أيام صاحب
المرز والاقبال ، من طبع على الرحمة والعدالة
في الأقوال والأفعال ، واختص بحسن التبصر
وسداد النظر ، ورعاية المصالح العامة لأهل
البدو والحضر ، ووهب من صفات الكمال
وكمال الصفات ما تقصر دون تعداده العمارات
والإشارات ، من هو الفرقد الثاني في أفق
الصدارة العالي ، عزير الديار المصرية ، ذي
المنقب الفاخرة السيه ، حضرة أفندنا الحاج
عباس باشا ، لا زال بصولة عدله جيش المظالم
يتلاشى ، ولا يرح قمر المين بأنجاله ، محفوظ
الجناب ، لاقد القول في حاله واستقباله ، ولا
قتي لهواه عزه منشورا ، ولا انك سمي
مشكورا ؛ طبع كتاب الخطط للعلامة المقرزي
الشهير ، المجمع على فضله وعموم ثمنه بلا
نكير . كيف لا وقد جمع من تخطيط الحكومة
المصرية ، وما يتعلق بها من المواد الجغرافية
والتاريخية ، وذكر أصناف أهلها وولاتها ،
وما عرض لها من تقلبات الأزمان وتغيراتها ،
وما تضمنته من الأخلاق والعوايد الصحيح
منها والفساد ، وما توارد عليها من الدول
والحكومات واختلاف الملل والديانات وغير
ذلك من الفوائد ، وصحيح الأدلة والشواهد
وعجائب الأخبار وغرائب الآثار ، ما يغني

(١) نص منقح مصحح طبعه بولان .

الحاذق اللبيب ، وبكفي الماهر الأريب ،
ويعتبر به المعترفون ، وتنفكه به التامرون ،
بل هو النديم الذي لا سل ، والأنيس الذي
في استصوابه تهون الكرائم وتبدل ؛ بيد
أنه تحفك من تاريخ مصر بأطرف تحفه ،
وينحك من طرف جغرافيتها وتليدها اللطف
طرفه ، ويسكنك من قصور أبحاثها أعلى غرفه
وينشلك من زهر روض أخبارها شميمه
وعرفه . غير أنه لما كان فن السارخ ، مع
جليل ثمره وجزيل فائدته عند أرباب المعارف ،
وعظيم وقعه ، قد رمت سوقه في هذه
الأزمان بالكساد ، وتقاصرت عنه الهمم من كل
حاضر وباد ، كان هذا الكتاب مما خيمت عليه
غناكب النسيان ، وغزت نسجه في ديارنا حتى
كاد لا يثمر بها انسان ، فانها فيها قليلة
محصورة ، متروكة الاسعمال مهجورة ،
فكانت مع قلتها عارية عن صحتها ، فكف فيها
من تحريف فاحش ، وسقط متفاحش ، وغلط
غل ، وخطف مضجر وممل ، يفضى بالقارىء الى
الملل ، ويعوضه عن الشاط الكسل ، لكن
بحمد الله وعونه ، وعظيم فضله ومه ، وبدل
المجهود في التصحيح ، واستفراغ الوسع في
التحرير والتنقيح ، جاءت النسخة المطبوعة
صحيحة حسب الامكان ، جديرة بأن تحصل
محل القبول والاستحسان ، فان ما كان من
عباراته بالتحريف سقيما ، ولم يفهم معنى
مستقيا ، أجلت فيه ذهني مع قصوره ،
وكلفته التسلق على قصوره ، فان فتح له باب
الرشاد ، وألهم المعنى المراد ، حسدت ربي
حيث نلت أربي ، وان كانت الأخرى وكبا زند
الهم وما أوري ، نبهت على وجه التوقف في

الحاشية بالعبارة ، أو رقت فيها رقسا هندا
ليكون الى التوقف اشارة ، وربما أثرب الى
الضواب ، لكن على سبيل الرجاء في
الاستصواب ، وربما مريك لعداد بعض أنبياء
يشم منها مخالفة العربية ، وتفصيل أمور تأباه
بخصب الظاهر القواعد الحوة ، وعدونا في
ذلك أن المؤلف قلما كذاك عن قلما عن
جريدة حساب ، وأثبتها على ما هي عليه في
تقييدات الكتاب ، فأبقيناها على حالها ، ولم
ننسخها على غير موالها ، حرصا على عدم
التغيير في عبارات المؤلفين حسبما نص عليه
آئمة الدين ، لا سيما والمضى معه ظاهر لا يغني
على السامع والناظر ، ثم انه لبعض الأسباب
فأنتي تصحيح نحو اثنتين وعشرين ملزمة من
أول الجزء الأول ، ومثلها من أول الثاني من
هذا الكتاب ، لكن ان شاء الله تعالى حصل
الاطلاع عليها والنظر بعين التأمل اليها ، فان
عثر فيها على ما يلزم التبيه عليه والاشارة اليه
نبهت عليه ، وأثبت ما يخص كل جزء بلمصته ،
ليكون كل منها مستوفيا لحقه ، هذا وكأني
بمستشقق متشدد بمجل يذامه اللسان ولا
يحقق ، قد استولى عليه الحسد فأعمى
بصيرته ، ورفع بالذم والتشنيع عفירתه قائلا
ما لا يليق الا به ، مذميا ما هو أولى به ، وما
دري الجهول أن فن التصحيح خطر دقيق ،
وصاحبه بضد ما تبجح به جدير حقيق ، ولو
ذاق نعرف وبالعجز أقر واعتترف ، وبالجمله
فدبه يشهد لي بالكمال أخذا بقول من قال :
واذا أتيتك مذمتي من ناقص

فهي الشهادة لي بأني كامل

على آلى والله معترف بقلة البضاعة ، وعدم
الأهلية لهذه الصناعة ، ولكما هي اقامات ،
والما الأعمال باليات ، ، وأبوض أمرى الى
اللطيف الخبير فانه نعم المولى ونعم النصير .

وكان طبع هذا الكتاب بدار الطباعة المصرية
المنشأة ببولاق القاهرة المصرية ، لا زالت
بأفانس الحفرة الآصفية منبعا لنشر الكتب
النافعة العملية ، تحت ملاحظة صاحب نظارتها
القائم بتدبيرها وإدارتها ، رب العلم الذي لا
يبارى ، والانشاء الذي لا يجارى ، من أحرز
قصب السبق في ميدان البراعة ، واتقاد له
كل معنى أبى وأطاعه ، حضرة على أفندى
جوده ، بلغه الله في الدارين مأموله وقصده .

وكان طبعه على ذمة ملتزمه المتسبب بعد
الطى في نشر علمه واشتاره في الأقطار ،
واستعماله عند أهل القرى والأمصار ، الباذل
في ذلك نفائس الكرائم ، المستصغر في
استحصاله الصعاب والمضائى ، المتعمر
بسولاه في حالى الضعف والأيد : الخواجه
رفائيل عبيد ، وقد وافق تاريخ تمامه وإتياه
الطبع الى حد ختامه يوم الاثنين التاسع عشر
من شهر اليمين والخير صفر ، الذى هو من
شهور سنة ألف ومائتين وسبعين من هجرة
سيد النبيين والمرسلين ، صلى الله وسلم عليه
وعليهم أجمعين ، وعلى كل الصحابة والتابعين ،
ورزقنا بجاههم الاعتصام بحبله على الدوام ،
ومنحنا التوفيق لما يرضيه والفوز بحسن
الختام ، آمين .

تم

الموضوع

ذكر احكام السياسة	٦٠
امير جاتندان	٦٤
الاستاذان	٦٤
امير سلاح	٦٥
الدوادان	٦٥
نقابة الجيوش	٦٥
الولاية	٦٦
قاعة صاحب	٦٦
نظر الدولة	٦٨
نظر البيوت	٦٩
نظر بيت المال	٦٩
نظر الاصطبلات	٦٩
ديوان الانشاء	٧١
نظر الجيش	٧٣
نظر الخاص	٧٣
الميدان بالقلمة	٧٦
الحوش	٧٧
ذكر المياه التي بقلعة الجبل	٧٨
المطبخ	٨٠
ذكر ملوك مصر منذ بنيت قلعة الجبل	٨٢
ذكر من ملك مصر من الاكراد	٨٣
السلطان الملك الناصر صلاح الدين	٨٤
السلطان الملك العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمان	٨٧
السلطان الملك المنصور ناصر الدين محمد	٨٨
السلطان الملك العادل سيف الدين ابوبكر محمد بن ابوب	٨٨

السلطان الملك الكامل ناصر الدين ابو المعالي محمد	٨٩
السلطان الملك العادل سيف الدين ابو بكر	٨٩
السلطان الملك الصالح نجم الدين ابو الفتوح ايوب	٨٩
السلطان الملك المعظم فيث الدين توران شاه	٨٩
ذكر دولة المماليك البحرية	٩٠
الملكة عصمة الدين ام خليل شجرة الدر الصالحية	٩١
السلطان الملك المعز من الدين ايبك الجاشنكير التركمانى الصالحى	٩١
السلطان الملك المنصور نور الدين على ابن المعز ايبك	٩٢
السلطان الملك المنظر سيف الدين قطز	٩٢
السلطان الملك الظاهر ركن الدين ابو الفتح ييوس البندقارى الصالحى	٩٣
السلطان الملك السيد ناصر الدين ابو المعالي محمد بركة قان	٩٣
السلطان الملك العادل بدر الدين سلامتى ابن الظاهر ييوس	٩٣
السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الاثنى العلانى الصالحى	٩٣
السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل	٩٤

فهرس الجزء الثالث
من كتاب « الخطط » للمقرئى

الموضوع	الصفحة
ذكر المواضع المعروفة بالصناعة	٢
صناعة القس	١٥
صناعة الجزيرة	١٧
صناعة مصر	١٧
ذكر الميادين	١٩
ميدان ابن طولون	١٩
ميدان الاخشيذ	١٩
ميدان القصر	١٩
ميدان قراقوش	١٩
ميدان الملك العزيز	١٩
الميدان الصالحى	١٩
الميدان الظاهرى	٢٠
ميدان بركة القبل	٢١
ميدان المهارى	٢١
ميدان سرياقوس	٢٢
الميدان الناصرى	٢٤
ذكر قلعة الجبل	٢٥
ذكر ما كان عليه موضع قلعة الجبل قبل بنائها	٢٦
ذكر بناء قلعة الجبل	٢٦
البئر التي بالقلعة	٢٢
ذكر صفة القلعة	٢٢
باب الدرفيل	٢٣
دار العدل القديمة	٢٣
الايوان	٢٦
ذكر النظر فى النظام	٢٧
ذكر خدمة الايوان المعروف بدار العدل	٢٩
القصر الابلق	٤١
الاسطة السلطانية	٤٣
ذكر العلامة السلطانية	٤٣
الاشرفية	٤٥
البيصرية	٤٥
الدهيشة	٤٥
السبع قاعات	٤٦
الجامع بالقلمة	٤٦
الدار الجديدة	٤٦
خزانة الكتب	٤٦
القاعة الصالحية	٤٧
باب النحاس	٤٧
باب القلة	٤٧
الرفرف	٤٧
الجب	٤٧
الطبلخاناه تحت القلعة	٤٧
الطبايق بساحة الايوان	٤٨
دار النيابة	٥٠
ذكر جيوش الدولة التركية وزيتها وعوابدها	٥٢
ذكر الحجة	٥٠

الموضوع

الموضوع	الصفحة
ذكر دار الإمارة	١٤٩
ذكر الأذان بمصر وما كان فيه من	١٥٠
الاختلاف	١٥٦
الجامع الأزهر	١٦٣
جامع الحاكم	١٦٣
هيئة صلاة الجمعة في أيام الخلفاء	١٧٠
الفاطميين	١٧٢
جامع راشدة	١٧٤
جامع القس	١٧٥
العزیز بالله	١٧٧
الحاكم بأمر الله	١٨٥
جامع القيلة	١٨٦
جامع القياس	١٨٦
جامع الأتمن	١٨٧
الأمير بإحكام الله	١٨٩
يلبغا السالى	١٩١
جامع الظاهر	١٩٢
جامع الصالح	١٩٢
طلّاع بن رزيق	١٩٤
ذكر الأحباس وما كان يعمل فيها	١٩٧
الجامع بخوار تربة الشافعي بالقراة	١٩٨
جامع محمود بالقراة	١٩٨
جامع الروضة بقلعة جزيرة القسطة	١٩٨
جامع عين بالروضة	١٩٩
غين أحد خدام الخليفة الحاكم بأمر الله	٢٠٠
جامع الأنرم	٢٠٠
الجامع بمنشأة المهراني	٢٠٠

الصفحة

الموضوع	الصفحة
السلطان الملك المنصور صلاح الدين	١٧
محمد بن المظفر حاجي بن محمد	١٧
ابن قلاوون	١٧
السلطان الملك الأشرف زين الدين	١٧
أبو العالي شعبان بن حسين بن	١٧
الناصر محمد بن المنصور قلاوون	١٧
السلطان الملك المنصور علاء الدين علي	١٨
ابن شعبان بن حسين	١٨
السلطان الملك الصالح زين الدين حاجي	١٨
ذكر دولة المماليك الجراكسة	١٨
السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق	١٨
ابن آتمن	١٨
السلطان الملك الناصر زين الدين	١٨
أبو السعادات فرج	١٨
الخليفة المستعين بالله أمير المؤمنين	١٨
أبو الفضل العباس بن محمد	١٨
العباسي	١٨
السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيبخ	١٨
المحمودي	١٨
السلطان الملك المظفر شهاب الدين	١٨
أبو السعادات أحمد	١٨
السلطان الملك الظاهر أبو الفتح قطز	١٨
السلطان الملك الصالح ناصر الدين	١٨
محمد	١٨
السلطان الملك الأشرف سيف الدين	١٨
أبو النصر برسبائى	١٨
الملك العزيز يوسف	١٨

الصفحة

الموضوع	الصفحة
السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون	١٥
السلطان الملك المادل زين الدين كسفا	١٥
المنصوري	١٥
السلطان الملك المنصور حسام الدين	١٥
لاجين المنصوري	١٥
السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون	١٥
السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس	١٥
الجاشنكير	١٥
السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون	١٦
(في ولايته الثالثة)	١٦
السلطان الملك المنصور سيف الدين	١٦
أبو بكر	١٦
السلطان الملك الأشرف علاء الدين كجك	١٦
ابن الناصر محمد بن قلاوون	١٦
السلطان الملك الناصر شهاب الدين	١٦
أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون	١٦
السلطان الملك الصالح عماد الدين	١٦
اسماعيل	١٦
السلطان الملك الكامل سيف الدين	١٦
شعبان	١٦
السلطان الملك المظفر زين الدين حاجي	١٦
السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو	١٦
العالي حسن بن محمد	١٦
السلطان الملك الصالح صلاح الدين	١٦
صالح	١٦
السلطان الملك الناصر حسن بن محمد	١٦
ابن قلاوون	١٦

الموضوع	الصفحة
جامع دير العين	٢٠١
جامع الظاهر	٢٠٢
يبرس الملك الظاهر	٢٠٤
جامع ابن اللبان	٢١٠
الجامع الطبرسي	٢١٠
الجامع الجديد الناصري	٢١٠
محمد بن قلاوون	٢١١
الجامع بالشهد النقيسي	٢١٥
جامع الامير حسين	٢١٥
جامع الماسي	٢١٦
جامع قوصون	٢١٧
قوصون	٢١٧
جامع المارداني	٢١٨
الطيف المارداني الساقى	٢١٨
جامع اصلح	٢١٩
جامع بشتاك	٢١٩
جامع آق منتق	٢٢٠
جامع آق منتق	٢٢٠
آق منتق	٢٢١
جامع آل ملك	٢٢٢
آل ملك	٢٢٢
جامع الفخر	٢٢٣
الفخر	٢٢٣
جامع نائب الكرك	٢٢٤
جامع الخطيرى بيولاك	٢٢٤
ابنم الخطيرى	٢٢٥
جامع قبدان	٢٢٦
جامع الست حديق	٢٢٦
جامع ابن غازى	٢٢٦
جامع التركمانى	٢٢٧
التركمانى	٢٢٧
جامع شيخو	٢٢٧
شيخو	٢٢٧
جامع الجاكى	٢٢٩
جامع التوبة	٢٢٩
جامع صاروجا	٢٢٩
جامع الطباخ	٢٣٠
على ابن الطباخ	٢٣٠
جامع الاسيوطى	٢٣١
جامع الملك الناصر حسن	٢٣١
الملك الناصر ابو المعالى الحسن بن	
محمد بن قلاوون	٢٣٣
جامع القرافة	٢٣٥
جامع الجيزة	٢٣٨
جامع منجك	٢٣٩
منجك	٢٣٩
الجامع الاخضر	٢٤٥
جامع البكرى	٢٤٥
جامع السروجى	٢٤٥
جامع كرجى	٢٤٥
جامع الفاخرى	٢٤٦
جامع ابن عبد الظاهر	٢٤٦
جامع بساتين الوزير التى على بركة	
الحيش	٢٤٧
جامع الخندق	٢٤٧
جامع جزيرة الفيل	٢٤٧
جامع الطواشى	٢٤٧
جامع كراى	٢٤٧
جامع القلعة	٢٤٧
جامع قوصون	٢٤٨
جامع كوم الريش	٢٤٨
جامع الجزيرة الوسطى	٢٤٨
جامع ابن صارم	٢٤٨
جامع الكيمختى	٢٤٨
جامع الست مسكة	٢٤٨
جامع ابن الفلك	٢٤٩
جامع التكرورى	٢٤٩
جامع البرقية	٢٤٩
جامع الحراتى	٢٤٩
جامع بركة	٢٤٩
جامع بركة الرطلى	٢٥٠
جامع الفوة	٢٥٠
جامع الحوش	٢٥٠
جامع الاصطبل	٢٥٠
جامع ابن التركمانى	٢٥٠
جامع	٢٥١
جامع الباسطى	٢٥١
جامع الحنفى	٢٥١
جامع ابن الرفعة	٢٥١
جامع الاسماعيلى	٢٥١
اللوذوع	
جامع الزاهد	٢٥١
جامع ابن الفريز	٢٥١
جامع الفخرى	٢٥١
الجامع المريدى	٢٥٢
الجامع الاشرفى	٢٥٦
الجامع الباسطى	٢٥٦
ذكر مذاهب اهل مصر ونحلهم منسك	
افتتح عمرو بن العاص رضى الله	
منه ارض مصر الى ان صاروا الى	
اعتقاد مذاهب الائمة ورحمهم الله	
تعالى وما كان من الاحداث فى	
ذلك	٢٥٧
ذكر فرق الخليفة واختلاف عقائدها	
وبيانها	٢٨٠
فرق اهل الاسلام (واتحصار الفرق	
الهالكة فى عشر طوائف)	٢٨٢
الفرقة الاولى المعتزلة	٢٨٣
الفرقة الثانية المشبهة	٢٨٨
الفرقة الثالثة القدريه	٢٩٠
الفرقة الرابعة المجبرة	٢٩٠
الفرقة الخامسة المرجئة	٢٩٠
الفرقة السادسة الحرورية	٢٩٢
الفرقة السابعة النجارية	٢٩٢
الفرقة الثامنة الجهمية	٢٩٢
الفرقة التاسعة الروافض	٢٩٢
الفرقة العاشرة الخوارج	٢٩٨
ذكر الحال فى عقائد اهل الاسلام منذ	

الموضوع	الصفحة
جامع دير العين	٢٠١
جامع الظاهر	٢٠٢
يبرس الملك الظاهر	٢٠٤
جامع ابن اللبان	٢١٠
الجامع الطبرسي	٢١٠
الجامع الجديد الناصري	٢١٠
محمد بن قلاوون	٢١١
الجامع بالشهد النقيسي	٢١٥
جامع الامير حسين	٢١٥
جامع الماسي	٢١٦
جامع قوصون	٢١٧
قوصون	٢١٧
جامع المارداني	٢١٨
الطيف المارداني الساقى	٢١٨
جامع اصلح	٢١٩
جامع بشتاك	٢١٩
جامع آق منتق	٢٢٠
جامع آق منتق	٢٢٠
آق منتق	٢٢١
جامع آل ملك	٢٢٢
آل ملك	٢٢٢
جامع الفخر	٢٢٣
الفخر	٢٢٣
جامع نائب الكرك	٢٢٤
جامع الخطيرى بيولاك	٢٢٤
ابنم الخطيرى	٢٢٥
جامع قبدان	٢٢٦
جامع الست حديق	٢٢٦
جامع ابن غازى	٢٢٦
جامع التركمانى	٢٢٧
التركمانى	٢٢٧
جامع شيخو	٢٢٧
شيخو	٢٢٧
جامع الجاكى	٢٢٩
جامع التوبة	٢٢٩
جامع صاروجا	٢٢٩
جامع الطباخ	٢٣٠
على ابن الطباخ	٢٣٠
جامع الاسيوطى	٢٣١
جامع الملك الناصر حسن	٢٣١
الملك الناصر ابو المعالى الحسن بن	
محمد بن قلاوون	٢٣٣
جامع القرافة	٢٣٥
جامع الجيزة	٢٣٨
جامع منجك	٢٣٩
منجك	٢٣٩
الجامع الاخضر	٢٤٥
جامع البكرى	٢٤٥
جامع السروجى	٢٤٥
جامع كرجى	٢٤٥
جامع الفاخرى	٢٤٦
جامع ابن عبد الظاهر	٢٤٦
جامع بساتين الوزير التى على بركة	
الحيش	٢٤٧

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٧٨	مدرسة ابنال	٢٦٢	مدرسة ابن القريب
٢٧٩	مدرسة الأمير جمال الدين الاستادار	٢٦٢	المدرسة البديرة
٢٨٢	المدرسة الصوفية	٢٦٢	المدرسة البديرة
٢٨٥	ذكر المارستانات	٢٦٢	المدرسة الملكية
٢٨٥	مارستان ابن طولون	٢٦٢	المدرسة الجمالية
٢٨٦	مارستان كافور	٢٦٦	المدرسة الفارسية
٢٨٦	مارستان المغامر	٢٦٦	المدرسة السابقة
٢٨٦	المارستان الكبير المنصوري	٢٦٦	المدرسة القبرانية
٢٩١	المارستان القويدي	٢٦٧	المدرسة الزمانية
٢٩١	ذكر المساجد	٢٦٧	المدرسة الصغرى
٢٩٢	المسجد بجوار دير البعل	٢٦٧	مدرسة تربة ام الصالح
٢٩٢	مسجد ابن الجباس	٢٦٧	مدرسة ابن مرام
٢٩٢	مسجد ابن البناء	٢٦٨	المدرسة المحمدية
٢٩٢	مسجد الحسين	٢٧١	المدرسة المهدية
٢٩٤	مسجد الكافورى	٢٧٢	المدرسة السعدية
٢٩٤	مسجد رشيد	٢٧٢	المدرسة الطنجية
٢٩٤	المسجد المعروف بزورع النوى	٢٧٢	المدرسة الجاولية
٢٩٥	مسجد الدخيرة	٢٧٤	المدرسة الفارسية
٢٩٦	مسجد رسلان	٢٧٥	المدرسة الشيرية
٢٩٦	مسجد ابن الشيخ	٢٧٥	المدرسة المهندارية
٢٩٦	مسجد باتى	٢٧٥	مدرسة الجاى
٢٩٧	مسجد باب الخوخة	٢٧٦	مدرسة ام السلطان
٢٩٧	المسجد المعروف بمسجد موسى	٢٧٧	المدرسة الاشعثية
٢٩٧	مسجد نجم الدين	٢٧٧	ايتش
٢٩٨	مسجد صواب	٢٧٧	المدرسة المجدية الخيلية
٢٩٨	المسجد بجوار المشهد الحسينى	٢٧٧	المدرسة الناصرية بالقرافة
٢٩٨	مسجد العجل	٢٧٨	المدرسة المسلمية

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٢٥	المدرسة المهدية	٢٠١	ابتداء الله الاسلام الى ان
٢٢٥	المدرسة الخروية	٢٠١	انتشر مذهب الاشعرية
٢٢٦	المدرسة الخروية	٢٠٦	حقيقة مذهب الاشعرى
٢٢٦	المدرسة صاحبة البهائية	٢٠٧	ابو الحسن الاشعرى
٢٢٨	المدرسة صاحبة		فصل اعلم ان الله سبحانه وتعالى طلب
٢٢٢	المدرسة الشوفية	٢١٠	من الخلق معرفته الخ
٢٢٢	المدرسة الصالحية	٢١٢	ذكر المدارس
٢٢٢	قبة الصالح	٢١٥	المدرسة الناصرية
٢٢٥	المدرسة الكاملة	٢١٦	المدرسة القصبية
٢٤٠	المدرسة الصيرمية	٢١٦	مدرسة ياركوچ
٢٤٠	المدرسة السرورية	٢١٦	مدرسة ابن الارسوفى
٢٤٠	المدرسة القومية	٢١٦	مدرسة منزل العز
٢٤٠	مدرسة بحارة الديلم	٢١٨	مدرسة العادل
٢٤٠	المدرسة الظاهرية	٢١٨	مدرسة ابن رقيق
٢٤٢	المدرسة المنصورية	٢١٨	المدرسة القلورية
٢٤٢	القبة المنصورية	٢١٨	المدرسة القطبية
٢٤٦	المدرسة الناصرية	٢١٨	المدرسة السيوفية
٢٤٧	المدرسة الحجازية	٢١٨	المدرسة الفاضلية
٢٤٨	المدرسة الطبرسية	٢١٨	المدرسة الازكسية
٢٤٩	المدرسة الاقباقية	٢١٨	المدرسة القلورية
٢٥٢	المدرسة الحامية	٢١٨	المدرسة السيفية
٢٥٥	المدرسة المنكوتية	٢١٨	المدرسة العاشورية
٢٥٧	المدرسة القراستورية	٢١٨	المدرسة القطبية
٢٦١	المدرسة الفزونية	٢١٨	المدرسة الخروية
٢٦١	المدرسة البوبكرية	٢٢٤	مدرسة الحلى
٢٦١	المدرسة البقرية	٢٢٤	المدرسة الفارسية
٢٦٢	المدرسة القطبية		

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
مسجد ام عباس جهة المادل ابن	٤٢٣	زاوية الجعبري	٤٢٣
السلان	٤٥٧	زاوية ابي السعود	٤٢٤
مسجد الصالح	٤٥٧	زاوية الحمصي	٤٢٤
مسجد ولي عهد امير المؤمنين	٤٥٨	زاوية المغربل	٤٢٤
مسجد الرحمة	٤٥٨	زاوية القصري	٤٢٤
مسجد مكنون	٤٥٨	زاوية الجاكي	٤٢٤
مسجد جهة ريحان	٤٥٨	زاوية الابناسي	٤٢٥
مسجد جهة يان	٤٥٨	زاوية اليونسية	٤٢٥
مسجد توبة	٤٥٩	زاوية الخلاطي	٤٢٥
مسجد دري	٤٥٩	الزاوية العدوية	٤٢٦
مسجد ست غزال	٤٦٠	زاوية السداد	٤٢٧
مسجد رياض	٤٦٠	ذكر المشاهد التي يشترك الناس بزيارتها	
مسجد عظيم الدولة	٤٦٠	مشهد زين العابدين	٤٢٧
مسجد ابن صادق	٤٦٠	مشهد السيدة نفيسة	٤٤٦
مسجد الفرائي	٤٦١	مشهد السيدة كلثوم	٤٤٩
مسجد تاج الملوك	٤٦١	سنا وثنا	٤٤٩
مسجد الثمان	٤٦١	ذكر مقابر مصر والقاهرة المشهورة	٤٤٩
مسجد الحجر	٤٦١	ذكر القرافة	٤٥٠
مسجد القاضي يوتس	٤٦٢	ذكر المساجد الشهيرة بالقرافة الكبيرة	٤٥٤
مسجد الوزيرية	٤٦٢	مسجد الاقدام	٤٥٤
مسجد ابن العكر	٤٦٢	مسجد الرصد	٤٥٤
مسجد ابن كباس	٤٦٢	مسجد شقيق الملك	٤٥٥
مسجد الشهية	٤٦٣	مسجد الانطاكي	٤٥٥
مسجد زكادة	٤٦٣	مسجد التارنج	٤٥٥
جامع القرافة	٤٦٣	مسجد الأندلس	٤٥٥
مسجد الاطفيحي	٤٦٣	مسجد البقعة	٤٥٧
		مسجد الفتح	٤٥٧

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
مسجد لبر	٢٩٩	رباط صاحب	٤٢٣
مسجد القطبية	٢٩٩	رباط الفخري	٤٢٣
ذكر الخواص	٢٩٩	رباط البغدادية	٤٢٣
الخاتمة الصلاحية دار سعيد السعداء		رباط الست كيلة	٤٢٤
دورة الصوفية	٤٠١	رباط الخازن	٤٢٤
لخاتمة ركن الدين يبرس	٤٠٤	الرباط المعروف برواق ابن سليمان	٤٢٤
الخاتمة الجمالية	٤٠٧	رباط داود بن ابراهيم	٤٢٥
الخاتمة الطاهرية	٤٠٨	رباط ابن ابن المنصور	٤٢٥
الخاتمة الشرايضية	٤٠٨	رباط المشتى	٤٢٥
الخاتمة المهندسية	٤٠٨	رباط الآثار	٤٢٥
لخاتمة بشتاك	٤٠٨	رباط الأنوم	٤٢٧
لخاتمة ابن غراب	٤٠٨	الرباط العلاني	٤٢٧
الخاتمة البندقارية	٤١١	ذكر الزوايا ، زاوية العمياطي	٤٢٨
لخاتمة شيخو	٤١٢	زاوية الشيخ خضر	٤٢٨
الخاتمة الجاولية	٤١٢	زاوية ابن منظور	٤٢٩
لخاتمة الجبغا المظفرى	٤١٣	زاوية الظاهري	٤٢٩
لخاتمة سرياقوس	٤١٤	زاوية الجميزة	٤٣٠
لخاتمة ارسلان	٤١٥	زاوية الحلوى	٤٣٠
لخاتمة بكتمر	٤١٦	زاوية نصر	٤٣٠
لخاتمة قوصون	٤١٩	زاوية الخدام	٤٣١
لخاتمة طفاى النجمي	٤١٩	زاوية تقى الدين	٤٣١
لخاتمة ام اتوك	٤٢٠	زاوية الشريف مهدي	٤٣١
لخاتمة يونس	٤٢١	زاوية الطراطرية	٤٣١
لخاتمة طبرس	٤٢١	زاوية القلندرية	٤٣١
لخاتمة اقبا	٤٢٢	قبة النصر	٤٢٣
الخاتمة الخروية	٤٢٢	زاوية الركراكي	٤٢٣
ذكر الربط	٤٢٢	زاوية ابراهيم الصائغ	٤٢٣

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٠٢	ذكر معنى قولهم يهودى ...	٤٦٥	مسجد الزيات ...
	ذكر معتقد اليهود وكيف وقع عندهم	٤٦٥	ذكر الجواسق التي بالقرافة
٥٠٤	التبديل ...	٤٦٦	جوسق بنى غالب ويعرف بينى بإبشاد
٥٠٥	ذكر فرق اليهود الآن ...	٤٦٦	جوسق ابن مير ...
٥٠٧	ذكر العمرة ...	٤٦٦	جوسق ابن مقشر ...
	ذكر قبط مصر ودياناتهم القديمة	٤٦٦	جوسق الشيخ ابي محمد الخ ...
	وكيف تنصروا لم صاروا ذمة	٤٦٦	جوسق المارداني ...
	للمسلمين وما كان لهم في ذلك	٤٦٧	جوسق حب الورقة ...
	من القصص والانباء وذكر الخبير	٤٦٧	قصر القرافة ...
	من كتابهم ودياراتهم وكيف	٤٦٧	ذكر الرباطات التي كانت بالقرافة ...
٥١٣	كان ابتداءها ومصر امرها ...	٤٦٨	ذكر المصليات والمحارب التي بالقرافة
٥١٤	ذكر ديانة القبط قبل تنصرهم ...		ذكر المساجد والمعابد التي بالجبل
٥١٦	ذكر دخول قبط مصر في دين النصرانية	٤٦٩	والصحراء ...
	ذكر دخول النصارى من قبط مصر في	٤٧٢	اقتاظر ابن طولون وشبهه ...
	طاعة المسلمين رداً لهم الجزية ،	٤٧٤	الخنثوق ...
	واخذهم ذمة لهم ، وما كان في	٤٧٦	القباب السبع ...
٥٣٤	ذلك من الحوادث والانباء	٤٧٧	ذكر الاحواض والآبار التي بالقرافة ...
	«فصل : النصارى فرق كثيرة ...»	٤٧٨	ذكر الآبار التي ببركة الجيش والقرافة
٥٥٢	ذكر ديارات النصارى ...	٤٧٨	ذكر السبعة التي تزار بالقرافة ...
٥٦٠	اديرة ادرتكه	٤٨٣	ذكر المقابر خارج باب النصر ...
٥٦٨	ذكر كنائس النصارى ...	٤٨٥	ذكر كنائس اليهود ...
٥٨٢	الوجه البحري	٤٨٦	موسى بن عمران عليه السلام ...
		٤٩٨	ذكر تاريخ اليهود واعيادهم ...

كتاب «الخطط» للمقريزي

اصدرت دار التحرير للطبع والنشر هذه الطبعة من كتاب «الخطط»
في سبعة واربعين عددا من :

«كتاب التحرير»

مقسمة الى ثلاثة اجزاء ، لكل جزء منها فهرس مستقل
صدر العدد الاول في ٢٧ من اغسطس سنة ١٩٦٧ ، والعدد الاخير في
٢١ من يوليو سنة ١٩٦٨ .

وقد صمم الغلاف ، وعمل الرسوم التي نشرت عليه اسبوعيا ، الفنان
عبد الغنى ابو العنين ، المستشار الفنى لدار التحرير .



تصدره دار التحرير للطبع والنشر

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل
وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
تأليف سيدنا الشيخ الإمام علامة الأنام
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه الله ونفع بعلمه آمين.

عن طبعة

بولا

سنة ١٢٧٠ هجرية

٣ قروش

التمن ٦ قروش ولقر